4 me Année, No. 151.

Lundi - 25 - 5 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد



# أكُلُّ هذا يصنع البرلمان ؟

قلت للشيخين صالح وعلى وقد لقيتهما فى هوادى الليل يتبختران بميدان إبراهيم فى الحرير الشاهى والجوخ المصقول : آلآن تتركان القرية والقطن يريد العزق ، والدودة تطلب المراقبة ؟ فتسابقا إلى الجواب كأنما حضّراه من قبل واتفقا عليه ، فكان كلمة من هذا وكلمة من ذاك . قالا :

جئنا نجتلى طلعة المليك ، ونهنئ وزارة الشعب ، ونشهد برلمان الأمة . ثم قال الشيخ صالح وحده : وجئنا كذلك نبلغ نائبنا المحترم ... رغائب الناخبين ومطالب الدائرة

فلت بهما إلى قهوة من قهوات الميـدان تعج بأمثالها من الشيوخ والنواب والتوابع ؛ وبعـد شيء من نوافل الحديث كالسؤال عن العشيرة والزرع ، عطفت على جوابهما المشترك بالتعقيب قلت : أما اجتلاء طلعة المليك فجلاء الهم ونعيم الروح وسرور النفس المؤمنة ؛ وأما تهنئة الوزارة فشعيرة الحب المتبادل ، وإعلان الثقة المؤيدة ، وإهلال الرجاء المحقق . وأما تبليغ النائب مطالب الدائرة يا صديق صالح فما لك تعجل به ، والبرلمان لما

ينعقد ، والنائب مفروض عليه أن يصل نفسه بناخبيه صلة الرسول بالمرسل والوكيل بالموكل واللسان بالقلب ؟ فأجابني بلهجة حاول باتزان إشارته واطمئنان صوته واعتدال جلسته أن تكون مقنعة ، قال : إنا من جنود الوفد الأمين ، وكنا من دعاة النائب المحترم ، توسطنا بينه و بين الناس ، فوعدناهم الوعود ، ومنيناهم المنى ، و بشرناهم النُصفة ؛ والفلاح درج منذ العهود الأولى على أن يفهم من لفظ ( الحكومة ) جباية المال وتسخير الرجال وتجنيد الشباب وتغريم المتخاصمين المبطل منهم والمحق . فلم يكد يفهم أن حكومة الوفد هي حكومة الفلاح : ترجع إليه وتعطف عليه وتعمل له ، حتى انثالت علينا شكاويه وأمانيه بالبريد واللسان واليد

قال هـذا وألقى على منضدة رخامية لا تأخذ منها هبَّة الريح ولا مسَّة الكف ، إضبارةً بطينة من العرائض والرسائل ، ثم قال لي : انظر ! فابتدرتها يدي قبل الاستئذان إطاعة لحكم الصنعة ، ثم أخذت أصفحها مع الوسيطين ورقة ورقة

هذه عريضة من أهل قرية طغت على جنباتها الأربع البرك المنتنة ، فأصبحت كالجزيرة الملعونة في غِسْلين جهنم !

صاحب البرك هو مالك الأطيان ومن أعضاء البرلمان ؛ ورجال الإدارة يرجونه أو يخشونه ، فلا يذكرونه القانون إلا بالتي هي أحسن ؛ والتي هي أحسن لا تساوي عجلاً في دوار الباشا ! وأهل القرية و بعوض الملاريا في رأيه سواء ، فلماذا يقتل البعوض و يبقون هم في الأحياء ؟

وهـذه عريضة من أهل قرية يسكنون المسكن القذر ، و يشربون المشرب الكدِر ، ففشت في دمائهم جراثيم الانكلستوما والبلهارسيا ، ففزعوا منها إلى مستشفى الحكومة بالبندر ، فكان ما كابدوه من عنت الممرضين والأطباء ، أضعاف ما كابدوه من عنت الأدواء ، ففر الموسر من العلاج بالمجان إلى العلاج بالأجر ، ولاذ المعسر من تعب الإنسان إلى راحة القبر ! !

وهـــذه عريضة من أهل قرية يملك أرضها مُثْرٍ يملك اثنى عشر ألف فدان ، ولكنه منهوم لا يشبع ، وطاع لا يقنع ، وقاس لا يلين ، فهو يشتط عليهم في أجرة الأرض حتى يأخذ القطن فلا يفي ، و يغتصب أكثر القمح والذرة والأرز ولا يكتفي ، فيضطر المستأجر المجهود إلى أن يدفع الجوع عن أسرته بالعمل أجيراً عند الناس . وهكذا يظل طول عمره دائب العمل ، دائم الفقر ، لا يخف عنه دين ، ولا يجف له عرق .

وهذه عريضة من أهل قرية ليس فيهم كاتب ، وحفاظ القرآن منهم ثلاثة عميان لا يحسبون إلا ( النجم ) ولا يعرفون إلا تاريخ اليوم بالعربية والقبطية ؛ فاذا اضطرتهم الحال إلى تحرير عرض أو كتابة خطاب سافروا إلى الكتاب العموميين في عاصمة المركز . فهم يطلبون إلى ( البرلمان ) أن ينشئ لهم كتاباً يحفظهم القرآن و يعلمهم الخط !

ومن خلال هذه العرائض المنطقية الرزينة كان يقع في يدي أنماط شتى من رسائل الالتماس عليها طابع السذاجة والحاجة ؛ فهذا والد تلميذ فقير يطلب حق ابنه في المجانية ؛ وهذه أم حنون ترجو إخراج ولدها من الجندية ؛ وهذا تلميذ سابق يريد أن يكون موظفاً في وزارة ؛ وهذا عسكري قديم يحب أن يكون حاجباً في محكمة ؛ وهذا تاجر جوال لا تقع قريتـه على الطريق العام يحتم أن تمر بها السيارات العامة ؛ وهذا فلاح يقترح على ( البرلمان ) أن يأمر التجار أن يشتروا القطن غالياً ، ما دامت الحكومة لا تأمر الملاك أن يؤجروا الأرض رخيصة .

* * *

كَلَّ النظر من طول القراءة ، وألِمَ الشعور من تناقض الأثر ، والاضبارة الشعبيـة لا تزال وارمة ! فطويتها بعناية ورفق ، ثم قلت لحاملها الأمين الوفي : شكر الله مسعاك ، وأعانك النائب الكريم على إبراء ذمتك . فقال الشيخ علي وقد خفق على وجهه الأبلج ظل رقيق من الشك : ولكن بالله قل لي : أكل هذا يصنع البرلمان ؟ فقلت له : ولم لا ؟ إن علماء الدستور قالوا في برلمان إنجلترا : « إنه يقدر على كل شيء ، إلا على تحويل الرجل امرأة » وبرلماننا صديقه اليوم وحليفه غداً ، فلم لا يجوز على أحد الحليفين ما جاز على الآخر ؟ فضحك الصديقان وهما ينصرفان . ولا أدري أكان ضحكهما من سخف القياس ، أم من سخف الناس .

**احمد حسن الزيات**

# ٢ ـ العــجوزان (١)

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال محدِّثي : ولما خلت لهما أيها العجوزان : أريد أن أسافر إلى سنة ١٨٩٥ ؛ نظر إلىَّ العجوز الظريف (ن) وقال : يا بنىَّ أحسبُ رؤيتك إياى قد دنت بك من الآخرة ... فتريد أن تلوذَ بأخبار شبابنا لتنظر الينا وفينا روحُ الدنيا

قال الأستاذ (م) : وكيف لا تريه الآخرة وأ كثرك الآن فى « المجهول » ؟

قال : ويحك يا (م) لا تزال على وجهك مسحة من الشيطان هنا وهنا ؛ كأن الشيطان هو الذى يُصلح فى داخلك ما اختلَّ من قوانين الطبيعة ، فلا تَستَبِينُ فيك السنُّ وقد نيَّفتَ على السبعين ، وما أحسب الشيطان فى تنظيفك إلا كالذى يكنس بيته ....

قال (م) : فأنت أيها العجوز الصالح بيتٌ قد تركه الشيطان وعلَّق عليه كلمة (للايجار) ....

فضحك (ن) وقال : تا لله إن الهرم لهو إعادة درس الدنيا ، وفهمها مرة أخرى فهماً لا خطأ فيه ، إذ ينظر الشيخ بالعين الطاهرة ، ويسمع بالأذن الطاهرة ، ويلمس باليد الطاهرة ... وتالله إن الشيطان لا معنى له إلا أنه وقاحةُ الأعصاب

قال (م) : فأنت أيهـا العجوز الصالح انمـا أصبحت بلا شيطان لأن الهرم قد أدَّب أعصابك ...

قال العجوز الظريف : وعند من غيرنا نحن الشيوخ تطاع الأوامرُ والنواهى الأدبية حقَّ طاعتها ؟ عند من غير الشيوخ تقدَّس مثلُ هذه الحكم العالية : لا تمتد على أحد ... لا تفسد امرأة على زوجها ...

* * *

قال المحدث : وضحكنا جميعاً ، وكان العجوز (ن) من الآيات فى الظرف والنكتة ، فقال : تظنني يا بنى فى السبعين ، فوالله ما أنا بجملتى فى السبعين ، والله والله

قال ( م ) : لقد أُهتِر الشيخ (١) يا بنى فان هذا من خَرفه فلا تصدقه

قال ( ن ) : والله ما خَرِفت وما قلت إلا حقاً ، فههنا ما عمره خمس سنوات فقط وهو أسنانى ...

قلت : « وربنا وربت » وسنة ١٨٩٥ ؟

قال الأستاذ ( م ) : أنت يا بنى من المجددين ، فما هواك فى القديم وما شأنك به ؟

وما كاد العجوز ( ن ) يسمع هذا حتى طَرَفَ بعينيه (٢) وحدَّد بصره الى وقال : أنتَك لأنت هو ؟ لعمرى إن فى عينيك لضجيجاً وكذباً وجدالاً واحتيالاً وزعماً ودعوى وكفرا والحاداً ؛ ولعمرى . . .

فقطعت عليه وقلت : « لعمرك إنهم لنى سكرتهم يعمهون » ، لقد وقع التجديد فى كل شىء إلا فى الشيوخ أجساماً والشيوخ عقولاً ؛ فهؤلاء وهؤلاء عند النهاية ، وغير مستنكر من ضعفهم أن يدينوا بالمـاضى فان حياتهم لا تلمس الحاضر إلا بضعف

قال العجوز : رحم الله الشيخ ( ع ) . كان هذا يا بنى رجلاً ينسخ للعلماء فى زمننا القديم ، وكان يأخذ عشرة قروش أجراً على الـكراسة الواحدة ، وهو ردىء الخط ، فاذا ورَّق لأديب ولم يعجبه خطه فـكامه فى ذلك تعلَّق الشيخ به وطالبه بعشرين قرشاً عن الـكراسة ، منها عشرة للـكتابة وعشرة غرامة لاهانة الـكتابة . . .

نعم يا بنى إن للماضى فى قلوبنا مواقع ينزل فيها فيتمكن ،

---

(١) الجمهور من أهل اللغة على أن ( العجوز ) وصف خاص بالمرأة إذا شاخت وهرمت ، ولـكن جاء فى اللسان : « ويقال للرجل عجوز » ونقله صاحب التاج عن الصاغانى . ونحن على هذا الرأى ، ولو لم يأت فيه نص عن العرب لابتدعناه وزدناه فى اللغة ؛ ووجهه عندنا أن الرجل والمرأة إذا بلغا الهرم فقدا خصائص الذكورة والأنوثة فلم يعودا رجلا وامرأة ، فاستويا فى العجز فكان الرجل قميناً أن يشارك المرأة فى وصفها ، فيقع اللفظ عليهما جميعاً .

وإنما امتنع العرب أن يقولوا للرجل ( عجوز ) وخصوا ذلك بالمرأة تعسفاً وظلماً وطغياناً كدأبهم مع النساء . فاذا شاخت المرأة فقد بطلت أنوثتها عندهم وعجزت عن حاجة الرجل وعجزت فى كثير ونقتها الطبيعة وبرأت منها ، أما الرجل فبالخلاف لأنه رجل وإذا شاخ وبطل وعجز ولم يستطع أن يكابر فى المعنى — كابر فى اللفظ ... وأبى أن يقال إنه ( عجوز ) وزعم أن ذلك خاص بالمرأة . . .

ألا إن هذا تزوير فى اللغة ، وإن كان للرجال عليهن درجة فذلك فى أوصاف القدرة لا فى أوصاف العجز

(١) أى أخطأ فى الرأى من تأثير الـكبر

(٢) أى حرك أجفانهما .

ولكن قاعدة ( اثنان واثنان أربعة ) لا تعد فى الماضى ولا فى الحاضر ولا فى المستقبل ، والحقيقة بنفسها لا باسمها ، وليست تحتاج النار إلى ثوب المرأة إلا فى رأى المغفل

قال الأستاذ ( م ) وكيف ذلك ؟

قال العجوز : زعموا أن مغفلاً كان يرى امرأته تُضرم الحطب فتنفخ فيه حتى يشتعل ، فاحتاج يوماً فى بعض شأنه إلى نار ولم تكن امرأته فى دارها ، فجاء بالحطب وأضرم فيه وجعل ينفخ ، وكان الحطب رطباً فدخّن ولم يشتعل . ففكر المغفل قليلاً ثم ذهب فلبس ثوبَ امرأته وعاد إلى النار ، وكان الحطب قد جف فلم يكد ينفخ حتى اشتعل وتضرّم . فأيقن المغفل أن النار تخاف امرأته . . . وأنها لا تتضرم إلا إذا رأت ثوبها

* * *

قال الأستاذ ( م ) : إن الكلام فى القديم والجديد أصبح عندنا كفنون الحرب تُبدع ما تبدع لتغيير ما لا يتغير فى ذات نفسه ، وعلى ما بلغت وسائلُ الموت فى القديم والجديد فانها لم تستطع أن تميت أحداً مرتين

لقد قرأت يا بنى كثيراً فلم أر إلى الآن من آثار المجددين عندنا شيئاً ذا قيمة . ما كان من هُراء وتقليد زائف فهو من عندهم ، وما كان جيداً فهو كالنفائس فى ملك اللص لها اعتباران إن كان أحدهما عند مقتنيها . . . فالآخر عند القاضى (١)

كلا أيها اللص لن تسمى مالكاً بهذا الأسلوب ؛ إنما هى كلمة تسخر بها من الناس ومن الحق ومن نفسك

يقولون : العلم والفن والغريزة والشهوة والعاطفة والمرأة وحرية الفكر واستقلال الرأى ونبذ التقاليد وكسر القيود إلى آخره وإلى آخرها . . . فهذا كله حسن مقبول سائغ فى الورق إن كان فى مقالة أو قصة ، وهو سائغ كذلك حين ينحصر فى حدوده التى تصلح له من ثياب الممثلين أو من بعض النفوس التى تمثل بها القدر فصوله الساخرة أو فصوله المبكية ، ولكنهم حين يخرجون هذا كله للحياة على أنه من قوتها الموجبة ، تردّه الحياة عليهم بالقوة السالبة ، إذ لا تزال تخلق خلقها وتعمل أعمالها بهم وبغيرهم ، وإذا كان فى الانسانية هذا القانون الذى يجعل الفكر المريض حين يهدم من صاحبه — يهدم فى الكون بصاحبه ؛ ففيها أيضاً القانون الآخر الذى يجعل الفكر الصحيح السامى حين يبنى من أهله — يبنى فى الكون بأهله

* * *

قال العجوز ( ن ) : زعموا أن أحد سلكى الكهرباء كان فيلسوفاً مجدِّداً فقال للآخر : ما أراك إلا رجعياً ، إذ كنت لا تتبعنى أبداً ولا تتصل بى ولا تجرى فى طريقتى ؛ ولن تفلح أبداً إلا أن تأخذ مأخذى وتترك مذهبك الى مذهبى . فقال له صاحبه : أيها الفيلسوف العظيم ، لو أنى اتبعتك لبطلنا معاً فما أذهب فيك ولا تذهب فىّ ؛ وما عَلِمتك تشتمنى فى رأيك إلا بما تمدحنى به فى رأيى

قال العجوز : وهذا هو جوابنا إذا كنا رجعيين عندهم من أجل الدين أو الفضيلة أو الحياء أو العفة الى آخرها والى آخره .. ونحن لا نرى هؤلاء المجددين عند التحقيق إلا ضرورات من مذاهب الحياة وشهواتها وحماقاتها تلبّست بعضَ العقول كما يتلبس أمثالها بعضَ الطباع فتزيغ بها . وللحياة فى لغتها العملية مترادفاتٌ كالمترادفات اللفظية تكون الكلمتان والكلمات بمعنى واحد ، فالمخرِّب والمخرِّف والمجدِّد بمعنى

كل مجدد يريد أن يضع فى كل شىء قاعدةَ نفسه هو ، فلو أطعناهم لم تبق لشىء قاعدة

قال الأستاذ ( م ) إن هذه الحياة الواحدة على هذه الأرض يجب أن تكون على سنّتها وما تصلح به من الضبط والاحكام ، والجلب لها والدفع عنها والمحافظة عليها بوسائلها الدقيقة الموزونة المقدَّرة ، والسهلة فى عملها الصعبة فى تدبيرها . فعلى نحوٍ مما كانت الحياة فى بطن الأم يجب أن نعيش فى بطن الكون بحدود مرسومة وقواعد مهيأة وحيّز معروف ؛ وإلا بقيت حركاتُ هذا الانسان فى معناها كحركات الجنين ، يرتكضُ ليخرج عن قانونه . فان استمر عمله أتى به مَسْخاً مشوَّهاً من جسد كان يعمل فى تنظيمه ، أو قذفَ به ميتاً من جسم كان كل ما فيه يعمل لحياته وصيانته

هذا الجسم كلّه يَشرَع للجنين ما دام فيه ، وهذا الاجتماع كله يشرع للفرد ما دام فيه ؛ فكيف يكون أمرٌ من أمر إذا كان الجنينُ مجدِّداً لا يعجبه مثلا وضعُ القلب ولا يرضيه عمل

(١) فى كتابنا ( تحت راية القرآن ) كلام كثير عن التجديد والمجددين وما نراه من ذلك حقاً وما نراه باطلاً

الأم ، ولا يريد أن يكون مقيداً لأنه حر ؟

أنظر الى هذا الشرطى فى هذا الشارع يضرب مقبلاً ليدبر ومدبراً ليقبل ، وقد ألبسته الحكومة ثياباً يتميز بها ، وهى تتكلم لغة غير لغة الثياب وكأنها تقول : أيها الناس إن ههنا الانسان الذى هو قانون دائماً ، والذى هو قوة أبداً ، والذى هو سجن حيناً ، والذى هو الموت إذا اقتضى الحال

أتحسب يا بنى هذا الشرطى قائماً فى هذا الشارع كجدران هذه المنازل ؟ كلا يا بنى . إنه واقف أيضاً فى الارادة الانسانية وفى الحس البشرى وفى العاطفة الحية . فكيف لا يمحوه المجددون مع أنه فى ذاته ارغام بمعنى ، وإكراه بمعنى غيره ، وقيد فى حالة ، وبلاء فى حالة أخرى ؟

لكنه ارغام ليقع به التيسير ، واكراه لتنطلق به الرغبة ، وقيد لتتمجد به الحرية ؛ وكان هو نفسه بلاء من ناحية ليكون هو نفسه عصمة من الناحية التى تقابلها

يابنى ! كل دين صالح ، وكل فضيلة كريمة ، وكل خلق طيب ؛ كل شيء من ذلك إنما هو على طريق المصالح الانسانية كهذا الشرطى بعينه ؛ فاما تخريب العالم أيها المجددون وإما تخريب مذهبكم . . . .

***

قال العجوز ( ن ) : أنبحث عما نتسلط به أم نبحث عما يتسلط علينا . وهل نريد أن تكون غرائزنا أقوى منا وأشد ، أو نكون نحن أشد منها وأقوى ؟ هذه هى المسئلة لا مسئلة الجديد والقديم

فان لم يكن هناك المثل الأعلى الذى يعظم بنا ونعظم به ، فسد الحس وفسدت الحياة . وكل الأديان الصحيحة والأخلاق الفاضلة إن هى إلا وسائل هذا المثل الأعلى للسمو بالحياة فى آمالها وغاياتها عن الحياة نفسها فى وقائعها ومعانيها

***

قال المحدث : ورأيتنى بين العجوزين كأنى بين نابين ؛ ولم أكن مجدداً على مذهب ابليس الذى رد على الله والملائكة وظن لحمقه أن قوة المنطق تغير ما لا يتغير . فسكتُّ حتى إذا فرغا من هذه الفلسفة قلت : والرحلة إلى سنة ١٨٩٥ ؟

( لها بقية — طنطا ) مصطفى صادق الرافعى

# تجربة

## للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

ماذا ترى يصنع رجل يعشق للمرة الأولى فى حياة صاخبة مضطربة ، ولكنها على كثرة ماجرب فيها خلت من الحب ونجت من زلزلته للنفس ؟ ؟

عن هذا كان يسأل « ميم » — وحسبنا من اسمه حرف واحد — وهو جالس إلى مكتبه ، والفتاة التى يحبها قبالته على الشرفة . والجديد من الأمر يتطلب جديداً من التصرف والتدبير ، ولو كانت له خبرة بالحب ، أو سبق له به عهد ، لقاس حاضره على ماضيه ، وأجراه فى مجاريه . وغريب أن يتقضى شبابه وهو فارغ القلب ، وأن يدركه الحب ويعمر فؤاده بعد أن شارف الكهولة ووقف على بابها ، وأخذ الأبيض يختلط بالأسود ، وبدأ الزمن يرسم خطوطه ! ! وإن كان هو لا يحس شيئاً من ذلك ولا يباليه ، ولا يعرف إلا أنه مازال فى عنفوان الفتوة

وألقى القلم واضطجع وقال يناجى نفسه ، وهو يضحك ساخراً : « هل أصنع كما يصنعون فى هذه الروايات الكثيرة التى قرأتها ؟ وعلى ذكر ذلك — ماذا ترى أبطال هذه الروايات يصنعون فى حالات كهذه ؟ لقد نسيت والله : فكأنى ما قرأتها ولا وقعت عينى عليها . . . وهبنى كنت أذكر ذلك فهل يصح فى دنيا الحقيقة ما يصف الخيال ؟ »

واستطرد من هذا إلى القول بأن الروايات ليست — ولا يمكن أن تكون — خيالاً بحتاً ، وشيئاً يخلقه الانسان من لا شىء ، ولا يحور فيه إلى أصل من حقائق الحياة ، وأنكر قدرة الانسان على هذا الخلق ، وذهب إلى أن كل ما يسعه هو أن يلفق القصة من جملة ماشهد وجرب وسمع ، وأن يكوّن الشخصيات من أشتات ماعرف ، فليست القصص خيالاً ، ولا ما تصفه محالاً ، وإذن يكون تقليدها ميسوراً . . . أودع كونه ميسوراً أو غير ميسور ، وقل إنه لا يكون شططاً

« ولكن القصص يعنى فيها واضعها بترتيب الأحوال والمواقف على النحو الذى يؤثره هو ، والذى يراه أوفق لغايته ، ومن عسى يرتب لى دنياى كما يرتب مؤلف القصة دنيا أبطاله ؟ ؟

أم أستشير صديقاً مجرباً ؟ ؟ ؟ ولكن هذا مخجل ! ! ثم إن العبرة بنوع استجابة الفرد لوقع الحياة فى نفسه ؛ والاستجابة تختلف باختلاف الأفراد . والذى يفعله إنسان ما ، فى موقف ما ، ليس من الحتم — ولا من المعقول — أن يفعـله كل إنسان فى الموقف عينه

فالاستشارات عبث ولا خير فيها ، ولا جـدوى منها إلا الفضيحة . . . الفضيحة ؟ ؟ . نعم . أليس فضيحة أن تفتح قلبك لمخلوق غيرك ، وأن تبيحه سرك ، وتـكشف له عن ضـعفك ، وتدع عينه ترى مقاتلك ؟ ؟ ولـكن هل معنى هذا أن الحب ضعف ؟ ؟ نعم . لأن فيه إفناء شخصية فى أخرى — الى حد ما على الأقل — ولم أ كن هكذا قبل أن أبتلى بهذا الحب . وانى الآن لأرى حياتى كلها رهناً بمخلوق آخر لا أعرفه ولا يعرفنى ... فـكيف لا يكون هذا ضعفاً ؟ ؟

وعلى ذ كر ذلك من تـكون هذه المحبوبة التى غيّرتنى وأورثتنى هذه الهواجس والوساوس ؟ ؟ . وجعلت من نفسها المجهولة قطباً تدور عليه خواطرى جميعاً فى اليقظة والمنام ؟ . . .

واستغرب من نفســه أنه لا يعرفها ، وأنه مع ذلك لا يعنى بسواها ، فى حى يعرف من إحصاء البوليس أن فيـه مائتى قهوة ومائة وعشرين ألف نفس ، أى دائرتين انتخابيتين . « ولو مات أهل الحى لما حزن عليهم ، ولا أسى لهم ، ولا أحس نقصاً أو خسارة ، ولا أسف إلا على خـلو الحى وخرابه وقعوده هو فيه وحده على تله ! ولـكنه لو علم أن هذه الفتاة جرح أصبعها أو أصابها زكام ، أو وعك ، لبات مسهّـد القلب كاسف البال ، بل لاسودت الدنيا فى وجهه — ومع ذلك لا يعرفها ! ! لا اسمها . . ولا دينها . . ولا شيئاً عن قومها . . . وكل ما يعرف هو أنه يراها من نافذة غرفته وهو جالس الى مكتبه يقرأ أو يكتب . . . وأنه ألِفَ أن يبصرها ، وصار على الأيام يطيل النظر إليها وهى واقفة على الشرفة العالية ، حتى اعتاد أن يراها على الأيام ، وحتى صارت نفسه تستوحش إذا دخلت أو غابت . وجعل يلاحظها بعد ذلك فادهشه منها أنها لا تكاد تغادر بيتها ، فما رآها خارجة إلا مرة واحدة فى شهور طويلة — مع أنها فقد كانت تلك أمها بلا شك — وهى مع ذلك من السافرات ! ! وزاد دهشته أنه كان يراها فى الأغلب جالسة فى الشرفة وفى يدها كتاب ... كتاب لا مجلة !! . ترى أى كتاب أو كتب تقرأ ؟؟ . لا شك أنها روايات .. وهل للفتيات صبر على غير ذلك ؟ ؟ . وللسن حكمها ... وسنها الصغيرة تغريها ولا شك بايثار القصص والروايات لأن حياتها جديدة فهى تروم أن تعرفها معرفتها ؛ وتظن أن الروايات أخصر الطرق وأوجزها الى هذه المعرفة . . . ثم إن الروايات تصف كل هو ما هو حبيب الى الشباب وقريب من هواه

وصار يأنس بمنظرها ، ويرتاح إذا بدت لناظره ، ويشـعر بالفراغ حوله — وفى نفسه — إذا خلا مكانها ، أو لم تظهر على الشرفة أو من النافذة . وأدهى من ذلك أنه صار يحس من نفسه العجز عن العمل والتفـكير إذا لم تأخذها عينه فى محلها المألوف من الشرفة

واستحيا أن يسأل عنها جارا ، أو خادما ، أو أحـداً من الناس — وماذا عسى أن يقول لهؤلاء ؟ ... وبأى شىء يسوغ السؤال ؟ ؟

وفرك عينيه بأصابعه ، وهو يدير هذا كله فى نفسه ، ثم أطبق جفونه وراح يحاول أن يحضرها لذهنه ، كما تبدو له من النافذة أو الشرفة المألوفة ، . . فلم يجد عناء فى ذلك ، فقد كانت الصورة مطبوعة على صدره ... وذكر قول العقاد فى قصيدة مرقصة له :

ذهبىّ الشعر ساجى الـ ـطرف حلو اللفتات

فأما أنها ذهبية الشعر فنعم ! وأما أنها ساجية الطرف فلا .. فان فى نظرتها — حتى على هذا البعد — لقوة ، وإن كان لم ير أحلى من نظرتها ولا أسحر للب حين تبتسم ، ويشرق وجهها الواضح الصبيح ، وإنه ليراها الآن كما كانت يوم ضحكت وتثنت ، وكانت معها أختها — لابد أن تكون هذه أختها الـكبرى فان فيها منها مشابه . والأرجح أنها متزوجة فانها لا تزور هذا البيت إلا غبّا — وتالله ما كان أحلاها يومئذ ! ! لقـد كانت فى ثوب وردى اللون محبوك ، مفصل على قدها تفصيلاً يجلو محاسنها كلها ويعرض مفاتنها جميعا . . . وكان نحرها يضىء — وثدياها الناهدان يبدوان من تحت الثوب بارزىْ الحلمتين ... إيه ما أعظم فتنة هذا الجسم الغض الجديد الذى لم تبتذله السن ، ولم يرهله الزواج ... وكان شعرها الوحف الأثيث الناعم اللامع مرخى ... وكان الضوء المراق عليه يخيل للناظر أن فيه نجوماً زهرا ، أبهى وأسنى من نجوم السماء . . . وكان وجهها الدقيق المعارف . . . ( يا ويلى من هذا الفم الذى لم يعرف الأصباغ ، وهو مع ذلك يبدو لى كأنما غذَيَنْه الورودُ ) متهلّلا . وقد لانت نظرتها القوية ، وفقدت

حدتها المألوفة ، واعتاضت منها الرقة ، وبدا خداها كأنهما غلالتا ورد . . . آه . . ماذا يقول هذا الشاعر مهيار ؟ ؟

آه على الرقة فى خدودها . لو أنها تسرى إلى فؤادها !!

صحيح . . . . وليت من يدرى كيف فؤاد هـذه الفتاة الرائعة الرقيقة الخدين اللينة النظرة حين يسرّها شيء . . . . . أرقيق هو يا ترى كخديها ؟ ؟ أم . . . كلا ! ! لا يمكن أن يكون إلا رقيقاً ! . ولكن لماذا ؟ ؟ . على كل حال لا يزال أوان السؤال بعيداً . . أوه بعيداً جداً . . وما حاجتى إلى الاطمئنان من هذه الناحية ، ولا صلة هناك ، ولا كلام ، ولا حتى إشارة ؟ ؟ .

وقام يتمشى فى الغرفة الواسعة المكظوظة بالرفوف والمقاعد وغير ذلك ، وحدثته نفسه — وهى تعابثه — أن يركب الحياة بما يركبها به الشباب ، فضحك وقال . . لم يكن باقياً إلا هذا . . أمسح لهـا شعرى بكفى . . . . أو أعبث على مرأى منها بوردة أرجوانية « كتفاح خدها الارجوانى » كما يقول البحترى ! ! . أو أبعث إليها مع النسيم بقبلة . . . . أو هو هو هو ! ! .

وقهقه وهو يتخيل نفسه فاعلاً ما يفعل الشبان والاحداث . ثم أشعل سيجارة وارتمى على مقعد وثير وسأل نفسه : « أتراني أحتقر الشبان وأسخر مما يصنعون ؟ ؟ . وماذا أرى الحكمة والاتزان والوقار والاحتشام أجدانى ؟ . . أو يمكن أن يجدينى ؟ . . هه ؟ . ومع ذلك لم لا أفعل كما يفعل الشبان . . أتراني هرمت ! . كلا ! . فما جاوزت السابعة والثلاثين ، وإن كان الكثير من شعرى قد حال لونه ، وإنى لأقوى وأعظم جلداً على الحياة والكفاح من ابن عشرين . . . . ولكنها عادة الاحتشام — قبحها الله !

ولم يرقه أن يقطع نفسه حسرات هكذا ، فقال . . لماذا أرخى لنفسى الطِوَلَ . . . وهى ؟ ؟ أكبر الظن أنها لا تراني ، ولا تعبأ بى إذا رأتنى ، ولا يرد ذكرى على بالها ، وإن كنت أراها أول ما يجرى بخاطرى فى الصباح ، وآخر شيء يجريه خاطرى بالليل .. أفلا يحسن أن أكبح نفسى عن هوى عقيم ؟؟ ولكن لماذا أدع العاطفة تستنفد نفسها . . لا مانع فيما أرى ، لو أن من الممكن أن تستنفد نفسها . . . وهبها يمكن أن تفعل ، فانى أخشى أن تورثنى حسرات كثيرة . . . ولهفات ثقيلة . . الأرجح مع ذلك أن تعمق العاطفة مجراها فى النفس وإن كان لا مدد لها من المحبوب . فان فيها — بمجردها — للذة تترك المرء كالجمل حين يجتر ما فى جوفه ويعيد مضغه مرة وأخرى . . وهل قتل المجنون وأمثاله من صرعى الهوى إلا هـذه اللذة التى كانوا يجدونها فى حبهم والتى كانت تغريهم بأن يجعلوا لها غذاء ومدداً من نفوسهم ؟ . . .

وابتسم وهو يقول . . لست أحب أن أكون أحد هؤلاء المجانين الذين أتلفهم الحب وقتلهم العشق . . . فقد كانوا حقيقة مجانين ... ولكن ليتنى أعرف حيلة !! والبلاء أن حياة المجتمع ما زالت كما كانت ، وإن كان النساء قد سفرن ! ومن النادر جداً على الرغم من هذا السفور أن يتيسر التعارف فى مجتمعات مختلطة . إذن لهان الأمر وأمكن السعى

وقال وهو يضحك « لم يبق إلا السحر » ثم عبس ونهض وقال لنفسه إن التعبير بالسحر فيه تجوز كثير ، ولكن فى الوسع تغليب إرادة على إرادة ، وأداء رسالة من نفس إلى نفس أخرى .. أعنى أن الايحاء حقيقة ثابتة لا شك فيها — نعم لا يشك فيها إلا جاهل — وفى مقدورى ولا ريب أن أوحى إلى هذه الفتاة العاطفة التى تخامر نفسى ، وأن أبلّغها رسالة قلبى ، وأن أوقد فى صدرها ناراً كالتى تتسعر فى قلبى . . . أفعل كل ذلك بعينى . . . ألست قد أنمت مرة خادماً كان عندى وأمرته ألا يستيقظ إلا بعد صلاة الجمعة ؟؟. ألست قد جربت فعل نظرتى فى نساء كثيرات ؟. ألم تصح إحداهن وقد أطلت التحديق فى عينيها « حوّل عينك عنى ، فانى لا أطيق نظرتها وأحس أن رأسى يدور » ألم تصرخ إحدى قريباتى دون أن تحول عينيها عنى ، لأنى كنت أحدق فى عينيها على غير قصد ؟ ؟ . فهذه قوة مجرّبة ... قوة نفسية لاشك فيها . . وما أظن إلا أنى قادر على أن أوحى اليها الحبَّ . . وكل شيء بعد ذلك يهون . . نعم إن بيننا لبعداً . . . ولكن ما قيمة هذا ؟ ؟ . إنها موجة نفسية أرسلها اليها ، لا شرارة قصيرة ... ولماذا يمكن إرسال موجة من آخر الدنيا ، ولا يسهل إرسالها مسافة ثلاثين أو أربعين متراً ؟ ؟

واقتنع بأن ذلك ميسور ، فانشرح صدره ، وأشرق وجهه ، واعتزم أن يجرى هذه التجربة

وسأبلغ القارىء ما يكون — إذا كان شيء

ابراهيم عبد القادر المازنى

من روائع عصر الإحياء

# ٢ـ قصص الأيام العشرة

بقلم جوفانى بوكاشيو

للأستاذ محمد عبد الله عنان

بقية ما نشر فى العدد الماضى

يستطيع أولئك الذين قرأوا قصص بوكاشيو وألف ليلة وليلة ، أن يجدوا بعض نواحى الشبه بين الأثرين ، سواء فى المادة أو الروح ؛ ذلك أن قصص الأيام العشرة تفيض كقصص ألف ليلة وليلة بروح مادية قوامها السرور والمرح ، والتوفر على استمراء متاع هذه الحياة بأى الوسائل ؛ وتفيض أيضا كألف ليلة وليلة بالمواقف الغرامية المدهشة المثيرة ، أو المبتذلة أحياناً ؛ ثم إن كلا الأثرين يرمى إلى غاية واحدة تقريباً ، وهى مجالدة النوائب والنسيان والسلوى ؛ ففى ألف ليلة وليلة نجد ملكا نكب بخيانة زوجه ، وانقلب إلى بغض النساء ، يتسرى فى كل ليلة بكرا ثم يقتلها فى صباح اليوم الثانى ، إلى أن يبعث اليه وزيره بابنته « شهر زاد » ، فتحتال لتسلية الملك وتحويله عن فكرة الثأر من النساء ، وانقاذ نفسها وبنات جنسها ، بأن تقص عليه فى كل ليلة طرفاً من القصص الشائق حتى ألف ليلة وليلة ؛ وفى الأيام العشرة نجد عشر سيدات وسادة يجتمعون أثناء الوباء الروع للترويح عن أنفسهم وتناسى ويلات الفناء والموت ، بتبادل القصص الممتع

ولا نعنى بذلك أن جوفانى بوكاشيو قد تأثر فى كتابة قصصه بألف ليلة وليلة ؛ ذلك أن هذه القصص الشهيرة لم تكن قد عرفت فى الغرب فى عصره ؛ ولكنا نريد أن نقول فقط إنه يوجد بين الأثرين تماثل فى الروح والطابع والغاية يرجع إلى تماثل فى روح العصور الوسطى وفى روح مجتمعاتها

على أنه إذا كانت قصص ألف ليلة تمتاز أحياناً بخيالها المبدع ، وفنها الممتع ، وصورها الوصفية والاجتماعية الشائقة ، فان قصص الأيام العشرة تفوقها من الناحية الفنية فى مواطن كثيرة ، وتمتاز بالأخص بعبرها ومغازيها الدقيقة ، وصورها الفكهة اللاذعة ، ومع أنها تمتاز أيضاً بكثير من التنوع والتباين فى التصوير والوصف ، فانها تمتاز فى نفس الوقت بطابع من التناسق الممتع فى الروح والأسلوب والتعبير

وقد رجع بوكاشيو فى كتابة قصصه إلى مادة غزيرة من القصص القديم وقصص العصور الوسطى ، وإلى بعض الحوادث الواقعية التى شهدها ، وإلى بعض حوادث حياته ذاتها ؛ ويرى بعض النقدة أن الفتيان الثلاثة الذين اتخذهم بوكاشيو أبطالاً لثلاثة من الأيام العشرة ، انما يمثلون ثلاث مراحل مختلفة من حياة بوكاشيو نفسه ، وأن فى قصصهم كثيراً مما اشتق من حياة بوكاشيو ذاتها

وبدأ بوكاشيو كتابة قصصه كما قدمنا ، أيام عصف الوباء بمدينة فلورنس فى ربيع سنة ١٣٤٨ ، وأنجز الثلاثة أيام الأولى منها فى مايو سنة ١٣٤٩ ، وهو يومئذ بنابل ، كما يستدل من خطاب الاهداء الذى يوجهه عن هذا القسم إلى صديقه الساندرو دى باردى التاجر الفلورنسى ، وكان يقيم يومئذ فى جايتا ؛ وانتهى من كتابة مؤلفه فى سنة ١٣٥٣ ، أعنى لخمسة أعوام من البدء فيه ؛ وظهرت الطبعة الأولى من هذه المجموعة الخالدة فى سنة ١٤٩٢

***

وقصص الأيام العشرة تجرى حوادثها فى جميع المدن الأيطالية وفى بلاد بعيدة أخرى مثل البرتغال أو انكلترا والاسكندرية وآسيا الصغرى ؛ وقد اختصت فلورنس موطن المؤلف ، وكذلك نابل حيث عاش بوكاشيو مدى حين ، بكثير منها ؛ وفى كثير منها نجد صورا ممتعة لمحاسن الطبيعة فى تلك الأرجاء ، ووصفاً شائقاً فكهاً لمجتمعات هذه العصور وخلالها ومثالبها

كذلك تقدم الينا هذه القصص أبطالاً من كل صنف وضرب ؛ فهنالك مجتمع العصور الوسطى بكل طوائفه وشخصياته ، من سادة وفرسان وأحبار وقسس ، وشعراء وفنانين ، وصناع وعمال ولصوص ، ونساء من كل ضرب ؛ وهنالك شخصيات الطبقة العليا من ملوك وأمراء وسادة وملكات وأميرات وسيدات

أنيقات من كل الطبقات . وهنالك طائفة كبيرة من ملوك وأمراء معينين معاصرين وغير معاصرين

ونجد مثل هذا التباين فى موضوعات القصص ؛ ونلاحظ أولا أن القصص كلها بعيدة عن الاسهاب الممل ، وقد صيغت فى أحجام متقاربة ، من خمس صفحات الى عشرين ؛ بيد أن هذا الايجاز فى الحجم لم يحل دون حسن السبك ، ففى كل قصة فكرة طريفة ، وفى كل نادرة فكهة ، وحادثة مطربة . وهنالك تنوع ظريف فى الحوادث والفكر ؛ بيد أنه يلاحظ أن القصص الغرامية تشغل أكبر حيز وتفوز بأكبر نصيب ، وربما كانت تسعة أعشار المجموعة كلها . وهنا تبدو براعة بوكاشيو وفنه بصورة بارزة ؛ فهذه المجموعة الغرامية الحافلة بعيدة عن التماثل الممل ، وفى كل منها نجد مأساة أو مهزلة غرامية طريفة ؛ وربما صيغ بعضها فى أثواب مغرقة ، وتضمنت فكرا أو مواقف مستحيلة ، ولكنها على العموم تنفث نفس السحر والمتاع

وهذا الأفق الغرامى الساحر هو الذى يسود قصص الأيام العشرة ؛ وهنا يبدو بوكاشيو فى ذروة فنه وسحره ؛ فالحب هو قوام المجتمع ، وهو متاع الحياة ، والحب يمد المرأة والرجل معا بكثير من البراعة والعزم والخيانة والشجاعة والكرم ، والاقدام والغدر ؛ وفى أحيان كثيرة يمزج بوكاشيو المأساة بالهزل والفكاهة ؛ فهنا زوجة خؤون تدبر أن يضرب زوجها فى نفس حديقته من يد حبيبها ، وتحمله على منازلته كعنوان على الاخلاص والحب ؛ وهنا طالب عاشق يسير طول الليل فوق الجليد جيئة وذهابا ، بينا تخدعه الحسناء وحبيبها باسمين من وراء النافذة ؛ وهذا قس ساذج تستخدمه زوجة عاشقة دون أن يدرى فى توثيق علائقها بحبيبها المنشود وتدبير وسائل التمتع بوصله ؛ وهذه زوجة خبيثة تدبر لحبيبها الوصل فى منزلها وفى فراشها ، بينا زوجها يضرع الى ربه مستغفرا عن ذنوبه فى مكان آخر من الدار ؛ وهذا قس خبيث يفترس فتاة ساذجة تحت ستار الوعظ والهداية ؛ وهذه راهبة مضطرمة تحتال لاقتناص جنان الدير حتى توقعه فى شرك وصالها ، وغير ذلك مما يضيق المقام عن ذكره

ومما يلاحظ بنوع خاص أن بوكاشيو يحمل على الأحبار والقسس بشدة ، وينوه فى كثير من المواطن بأخلاقهم الفاسدة وشهواتهم الوضيعة ، يستورنها تحت ثيابهم ومظاهر ورعهم الغادرة ؛ واليك كيف يعرض بوكاشيو نظريته فى خبث رجال الدين على لسان بانفيلو أحد الفتيان الثلاثة إذ يقول :

« سيداتى الحسان ، لقد خطر لى أن أقص عليكم حديثاً ضد أولئك الذين يسيئون إلينا دائماً ، دون أن نستطيع نحن الانتقام منهم ؛ وأعنى بذلك رجال الدين الذين أعلنوا حرباً صليبية على زوجاتنا ، والذين إذا ظفروا بواحدة منهن ، تصوروا أنهم قدغنموا غفران الذنب والعقوبة ؛ وفى ذلك يعجز الدنيون عن مقابلتهم بالمثل ، وإن كانوا يصبون جام انتقامهم على أمهات القسس وأخواتهم ، وخليلاتهم ، وبناتهم ، ويطاردونهن بمثل الحماسة التى يطارد بها القسس أزواجهم »

فيجيب زميله فيلوستراتو : « إن الحياة الفاسقة الدنسة التى يحياها رجال الدين ، وهى فى كثير من نواحيها عنوان دائم للخبث ، تقدم بكل سهولة فرصة لذوى العقول ليحملوا عليها ويجرحوها »

ويقدم الينا بوكاشيو مجموعة متباينة من القسس الذين فاضت نفوسهم بأروع صنوف الاجتراء والاثم ، ويصور لنا خبائثهم ودسائسهم وتحيلهم على استباحة الأعراض بكل الوسائل ، واستتارهم فى ذلك باسم الدين ؛ كذلك يقدم الينا طائفة من الراهبات اللائى يضطرمن وراء جدران الدير توقاً وجوى ، ويلتمسن تحقيق شهواتهن بأخس الوسائل ؛ وفى هذه القصص الكنسية يبدو بوكاشيو فى ذروة فنه وسخريته اللاذعة ، ومع أنه يشتد فى حملته على الكنيسة وأحبارها ، فانه يحيط هذه الصورة الخبيثة بكثير من الدعابة والمرح

وقد أثارت هذه القصص المثيرة سخط الكنيسة الكاثوليكية على الكتاب ومؤلفه ، فوضعته فيما بعد فى قائمة الكتب المحظورة ؛ ولكنها لما رأت بعد ذلك أن هذا الحظر لم يحل دون ذيوع الكتاب ، سمحت بظهوره فى القرن السادس عشر فى ثوب مهذب رفع منه القسس والراهبات واستبدلوا فى صلب القصص الأصلية بسيدات وسادة

* * *

وقد كتب بوكاشيو قصصه بكثير من الحرية والبساطة ؛

وإذ كان معظمها يتحدث عن الحب والوصـل ، فان مؤلفها لم يحاول تحفظاً فى وصف المناظر والصور ، ولم يحاول تـكلفاً فى اللفظ أو التعبير ؛ وعلى ذلك فقد يبدو لنا أن قصص الأيام العشرة تخرج فى كثير من المواطن عن حدود الحياء والحشمة ؛ والواقع أن بوكاشيو يحدثنا عن الحب وعن الوصل ، وعن العلائق والشهوات الجنسية فى كثير من البساطة والصراحة ، ويقـدم إلينا هذه الصور الغرامية المضطرمة عارية لا يسترها لفظ أو تحشم ؛ ولـكن هل يجوز لنا مع ذلك أن نعتبر قصص بوكاشيو أثراً خليعاً ينبو عن معيار الحياء والحشمة والخلق الرفيع ؟ لقد وجهت هذه التهمة إلى قصص بوكاشيو منذ ظهورها ، ومازالت توجه إليها فى عصرنا ؛ واضطر بوكاشيو نفسه أن يجيب عنها فى خاتمة مجموعته ، وأن يبرىء نفسه من قصد العبث والاسفاف

يقول النقدة ، لقد تحدث بوكاشيو كثيراً عن الحب ، وأسرف فى ملق النساء واسترضائهن ؛ ويجيب بوكاشيو ، ولـماذا لا ؟ لقد ملق النساء أذهان عظام مثـل جيدو كافالـكانتى ودانتى الجييرى ، وألفوا فى استرضائهن متعة وشرفاً

ويقولون إن بوكاشـيو استباح لنفسه وصف المناظر الجنسية المثيرة ، واستعمل ألفاظاً تنبو عن الحياء والحشمة ؛ ويقول بوكاشيو إنه ينكر هذه التهمة ، « لأنه لا يوجد ثمة شىء قبيح يحظر على إنسان ما ، إذا استطاع أن يخرجه فى صيغ مقبولة ، وهذا ما يلوح أنه قد فعل بصورة مرضية »

ويقولون إن هذه القصص تثير فساداً وتحدث ضرراً ؛ ويقول بوكاشيو ، إن كل شىء فى الوجود يمكن أن يحدث الخير والشر ؛ فمن ذا الذى لا يعرف أن النبيذ وهو من أفضل مقومات الصحة ، مضر بالمحمومين ؟ وهل لنا أن نقول إنه ضار لأنه يؤذى المحمومين ؟ ومن ذا الذى لا يعرف أن النار مفيـدة بل ضرورية للانسان ؟ وهل لنا أن نقول إنها شر لأنها تحرق الدور والقرى والمدن ؟ كذلك تـكفل الأسلحة سعادة أولئك الذين يريدون العيش فى سلام ؛ ولـكن الأسلحة كثيرا ما تودى بحياة الناس ، لا لخبث فى ذاتها ، ولـكن لخبث أولئك الذين يستعملونها . ثم يقول بوكاشيو : فاذا كان ثمة فى الأيام العشرة قصص مثيرة أو خارجة ، فانه لا ضـير من وجودها ، ولم يكن فى وسعى أن أكتب غير ماسمعت ؛ ولا عصمة لانسان ؛ وفى الحقل النضر تنمو الأعشاب الضارة ؛ ولما كنت أقصد أن أحدث فتيات الشعب ، فانه لم يكن ثمة داع للتكلف والبحث عن الصيغ والعبارات المنمقة

هكذا يعتذر بوكاشيو عما عسى أن يبدو فى قصصه من خروج على حدود الحياء والحشمة ؛ بيد أنه مهما كانت الملاحظات التى تبدى فى هذا الشأن ، فانه لا ريب أن قصص بوكاشيو ، تعتبر من أقيم الآثار العالمية وأبدعها وأمتعها

وقد كان لمجموعة الأيام العشرة أعظم الأثر فى تطور النـثر الايطالى ، وتطور فن القصص الأوربى بوجه عام ؛ وما زالت آثار بوكاشيو تعتـبر الى جانب آثار دانتى وبترارك ، قوام الأحياء الأوربى ، والصرح الأول فى بعثه وازدهاره

( تم البحث — النقل ممنوع ) **محمد عبد الله عنانه**

---

# عالَمُ الايحاء

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إذا مُجِّد المنطق أمام الانسان فى الحياة نشأ على احترام المنطق إلى حد كبير، حتى ليعد العقل كأنه طاحونة منطق، وحتى يظن أن وسائل التأثير مقصورة على مقتضيات المنطق وأن لا اقناع إلا الاقناع المنطقى، ويخفى عنه أثر الايحاء الذى يتخذ قوى النفس وميولها ونزعاتها وعواطفها وإحساسها وسائل يستخدمها بطرق تعجز أحياناً تتبع المنطق وتقصيه . وإذا اعتقد الانسان أن الحياة مؤسسة على أسس من المنطق فحسب، وفاجأته بعكس هذا الاعتقاد إذا اختبرها، صعب وقع تلك الخبرة فى نفسه . فان تجاريب المرء فى الحياة تعلمه أن الحياة ليست مؤسسة على الاقناع المنطقى فحسب، وإن المنطق نفسه يستخدم لكل غرض حتى غرض الايحاء ، وإن المنطق خليق أن يشبه بالخادم الذى يعمل فى بعض البيوت فيغسل أما كن دورات المياه تارة ، وتارة يطهى ويقدم الطعام للأسرة والزوار . والحقيقة هى أن للايحاء أثراً كبيراً فى الحياة حتى إنه ليسيطر على المنطق فى بعض الأحايين ويستخدمه لأغراضه ، وفى بعض الأحايين يغرى المرء بعكس ما يغرى به الاقناع المنطقى

وقد يعتمد المرء على مقتضيات المنطق لنيل العدل بين الناس فى الحياة أو ما يراه عدلاً ؛ فاذا لم ينله انهارت دنياه ودهش إذا لم يكن عالما أن وراء حياة المنطق حياة أخرى تدين للايحاء ، وان عليه أن يحدد موقفه فى عالم الايحاء هذا ، وأن يتخذ عدته له وأن يبحث مخبآته وأسراره ، فان قيمة الناس والقضايا فى ذلك العالم ليست إلا بقدر ما تستطيع أن تستخدمه من وسائل الايحاء ومؤثراته ، ولا يخلو أحد فى الحياة من الخضوع لعوامل الايحاء والتأثر بها سواء فى ذلك التاجر والموظف

يحكى أن أشعب الثقفى قد أولع الغلمان بما كسته يوماً فقال لهم ليصرفهم عنه : إن فى شارع كيت وكيت أفراح عرس تنثر فيها الدنانير على الجمهور ؛ فصدق الغلمان قوله وتركوه وجروا إلى المكان الذى وصفه فى قوله ، فلما رأى أشعب تصديق الغلمان أغراه ذلك وجرى خلفهم إلي المكان الذى وصفه فى قصته التى لفقها كى يصرف الغلمان عنه . والناس فى الحياة على شاكلة أشعب فيما يشيعون من الخير والشر عن أنفسهم أو عن غيرهم ، يقولون ما ليس بحق ثم يصدقونه إذا رأوا تصديق الناس له ، وهذا بسبب تأثير الايحاء فى أنفسهم . ولا يستطيع المرء أن يفهم الناس إلا إذا فهم هذا الايحاء ، وإلا إذا فهم أن النفس قد تجمع بين النقيضين فى وقت واحد ، فتجمع مثلاً بين أثر الايحاء وبين الدليل المنطق الذى ينقضه

خذ مثلاً آخر : يقول لك على إن أحمد قد هجاك ، وأنت تعرف أن علياً كاذب فيما نقل عن أحمد ، ولكن من المستطاع أن تجمع فى نفسك بين تكذيب على وبين الامتعاض من أحمد الذى تعرف براءته ، والامتعاض هذا من أثر الايحاء

والانسان يستطيع أن ينقل الكلام المحكى من عالم المنقول إلى عالم المدرك بالحسّ بسبب أثر الايحاء أيضاً ، حتى إنه لو قيل لجماعة إن انساناً ينظر اليهم شزراً لم تعدم بينهم من يرى ذلك أو يظن أنه يرى ذلك وإن لم يحدث ؛ وبعض الناس أكثر تأثراً بالايحاء من غيرهم . وقد حكى أن بعض فقراء الهنود يرمون بحبل إلى السماء فيظل ممدداً حتى يستطيع غلام أن يصعد الى طرفه الأعلى ؛ وفسر بعض الكتاب هذه القصة بأنها من أثر الايحاء فى نفوس بعض النظارة ، وبسبب أن المرء ينقل الكلام المنقول المحكى إلى عالم حسه فتنشأ دعوى المشاهدة . وهذه الصفة فى الانسان كثيراً ما تخدعه ويخدع بها غيره من الناس فى أمور كثيرة من أمور الحياة . وقد ينخدع بها ويصدقها وهو يعرف أنها وهم ؛ وقد يجمع بين تصديقها وتكذيبها فى نفسه فى وقت واحد

ويعتقد كثيرون أن الايحاء يؤثر فى الحيوان أثره فى الانسان . ومن المشاهد أن احساسات الانسان من ذعر أو حب أو فرح أو خوف قد تنتقل الى الكلاب مثلاً عن طريق الايحاء . وقد بالغ بعض الناس فادعى أن أثر الايحاء قد ينتقل الى الجماد أيضاً . وعلل إسقاط كهنة زنوج أواسط افريقية الأمطار بهذا الأثر . والعلم لله فى هذا الأمر

وترى الجهال فى الحياة يستخدمون وسائل الايحاء لمنفعة

النفس أو منفعة الصديق ومضرة العدو بطرق منظمة تحسبها نتيجة دراســة الايحاء والبحث فى علم النفس ، وما هى بنتيجة دراسة وعلم ، ولـكنها السليقة التى تبصر الانسان بوسائل الايحاء. ولو علم الصائلون بإيحائهم المقتدرون به الجالبون لأنفسهم ولأودائهم به الخير أن بين العامة من لا يقل قدرة عن الخاصة فى استخدام الايحاء ما افتخروا بمهارتهم فى استخدام وسائل الايحاء ولا عدوها من دلائل العقل والحكمة ، ولا حسبوا أنهم فازوا فى الحياة بهما . ولو علم العقلاء الحكماء أن وسائل الايحاء أقرب الى النجاح من وسائل العقل ، وأن الايحاء يستمد من السليقة ما غالوا بعقلهم وحكمتهم كل المغـالاة ، ولا حزنوا إذا أبصروا انخذال وسائل العقل وانهزامها أمام وسائل الايحاء

والتأثر بالايحاء من صفات القطعان ، سواء القطعان البهيمية والقطعان البشرية ؛ فاذا أحدثت بهيمة فى قطيع صوتاً أو اتخذت طريقاً تابعتها بهائم القطيع . وهذا هو ما يحدث أيضاً فى القطيع الانسانى بسبب أثر الايحاء والمحاكاة التى هى من أثر الايحاء . والقطيع البشرى أكثر تأثراً به بسبب إحساســه وخياله الناميين . والايحاء قد يكون فى النوم أو فى اليقظة ، وكثيراً ما كان يعتمد السحرة على الايحاء وأثره فى النفس ، وتأثر الجسم بما تعتقده النفس

وقد تتذبذب وتتحول نفوس الناس ساعة بعـد ساعة ، أو يوما بعد يوم تذبذباً لا حد له فى الأمور اليومية والاحساسات المتغيرة العارضة بسبب اختلاف أنواع الايحاء ومراميه ، حتى ليشبه تذبذبهم تذبذب السراب أو ذرات الهباء فى أشعة الشمس ، ولـكنهم لا تأخذهم الدهشة من أنفسهم لأنهم لا يفـكرون فى أنفسهم ولسرعة التذبذب كما لا تحس دورة الأرض ، ولأنهـم ثابتون على بعض عقائد ومبادئ عامة لا مناص لهم من الثبات عليها ، فتلهيهم عن تذبذبهم المستمر بسبب اختلاف نزعات الايحاء ، والتذبذب النفسانى ينشأ عنه تذبذب جثمانى لاختلاف حركات الوجه والجسم حسب الأهواء والميول والنزعات النفسية . والبيع يشبه الاحتيال من ناحية الاعتماد على الايحاء إلى حد كبير ، وإن اختلفا فيما عدا ذلك . ويسمى الناس وسائل البيع والاحتيال التى تعتمد على الايحاء الطريقة الأمريكية فى البيع ، والطريقة الأمريكية فى الاحتيال والنصب ، وهى طريقة شائعة فى النفوس عامة وفى كل أمر من أمور الحياة من تجارة أو مهنة أو صداقة أو محبة أو عداوة ، وإنما تختلف باختلاف النفوس ولا تمنع من اقترانها بنصيب من الفضيلة أو الصدق أو النزاهة أيضاً ، لأن النفس تجمع بين النقيضين . ويستخدم الايحاء كثيراً فى الاعلانات عن العقاقير والـكتب والمؤلفات وغيرها

ومما يزيد الايحاء قوة أن المتأثر به الذى نقل أثر الايحاء إلى عالم حسه ومشاهداته كما أوضحنا يصبح شاهداً يستشهد به صاحب الايحاء كأن شهادته ليست نتيجة أثر ايحائه ، إذ المتأثر بالايحاء بعد أن ينقله إلى عالم حسه ويدعى أنه من أثر مشاهدته ومن أثر اقتناع حواسه ينأى بنفسه ويترفع عن أن يكون ذنباً لصاحب الايحاء تابعاً له ، فيدعى الاستقلال فى الرأى والمشاهدة ، حتى لقد يخدع صاحب الايحاء ، فيتأثر به صاحب الايحاء ، ويتناسى أن رأيه من أثر ايحائه

وقد أتقنت وسائل الايحاء للاعـلان عن ممثلى وممثلات الصور المتحركة ، كما أتقنت وسائل الايحاء عند ما تنشر دولة الدعوة العالمية ضد دولة تعاديها أو تحاربها

والايحاء قد يطرد فى شكل سلسلة من الحلقات من انسان إلى ثان ثم إلى ثالث ورابع الخ ، حتى يختفى مصدر الايحاء وأوله ومنشؤه . وإذا كان ايحاء المرء لغيره سهلاً ميسوراً فإيحاؤه لنفسه أسهل وأيسر ، لأنه أملك لها ؛ وقد يفطن إلى أن ايحاءه لنفسه مغالطة ، ولـكنه يقدس تلك المغالطة كما يقدسها لو كانت من أثر المنطق والاقناع المنطقى ، بل قد يقدسها أكثر من تقديس ذلك الاقناع ، فترى أن وراء هذا العالم المادى الظاهر ، ووراء ما يبحثه به الباحث من منطق يوجد عالم آخر حقيق أن يسمى عالم الايحاء

عبد الرحمن شكرى

من الموضوعات التى نالت الجائزة فى المباراة الأدبية

# التربية الوطنية الاستقلالية
## وأثرها فى بناء الأمة
### للأستاذ محمد عبد البارى

— ٣ —

ومع أنى لست من القائلين بالفصل التام بين السلطات ، فانى لا أجد فى سلوك القاضى هذا مأخذاً حتى ممن يقولون بالفصل التام . فتصرف القاضى على النحو الذى ذكرت يمكن حمله على حق إبداء الرأى بكافة الوسائل باعتباره عضواً ممتازاً ، بنوع ثقافته وبخبرته ، من أعضاء الجماعة التى يعمل فيها ولها ، وبهذا الوصف لا يكون تصرفه تدخلاً من السلطة القضائيــة فى شؤون السلطة التشريعية

ومن أدق عمل القاضى حكمه فيما يختص بعلاقة الحكام بالمحكومين . فى هذا المجال بخاصة تظهر قيمة الاستقلال والاقدام والكياسة . وبديهى أن القاضى المقدر لمركزه لا يتردد فى القضاء بما تمليه روح القانون والعدالة . لا يعمل بغير الواجب إذا كان حراً مستقلاً . فالكل أمامه سواء . إن القاضى النزيه المقدام يبعث فى الجماعة الشعور بأن الكل فى حماية القانون ، وهذا الشعور ، يدعمه الواقع ، يعين كثيراً على حرية إبداء الرأى وحرية التصرف ومن ثم يؤدى إلى خير المجموع

حـ — وليست التربية الاستقلالية أقل أثراً فى الشؤون الادارية . فى البيئات الحرة المستقلة يعمل الصغير والكبير بما تقتضيه المصلحة العامة ويوحى به الضمير الحر . يقترن الاحساس بالكرامة باستشعار المسؤوليــة فلا يخشى المرؤوس أن يبت فى الأمر أو يلق بالرأى ، ولا يشمئز الرئيس من قبول ملاحظات المرؤوس والعمل بها إذا ما تبين وجه الصواب فيها . المستقل لا يصطنع الرياء والملق ؛ ومهما صغر مركزه الاجتماعى فهو فى نفسه كبير ؛ والواثق من نفسه يبرم الأمور ما دامت فى متناول يده ولا يؤجل ولا يتهرب . هذا إذا كان مرؤوساً ، وإذا كان رئيساً فانه لا يرى فى مرؤوسه الحر شذوذاً أو غروراً فيغضى عنه . بل يرى فيه كفاية وإقداماً فيقبل عليه . يقومه إذا أخطأ ويشجعه إذا أصاب ، ويقدره إذا أجاد . بذا تسير أداة الحكومة بلا إبطاء أو عوج ، وتقضى مصالح الناس بلا إرجاء أو إهمال ، لأن كلاً يحتمل نصيبه ويقوم بواجبه

على أنه مما يقوم سبل الادارة ويوجهها جادة الحق سلوك أصحاب الحاجة أنفسهم . فى البيئات الحرة يستمسك المرء بحقه ، ولا يرى فى عمال الادارة طبقة ممتازة عليه ، ولا يعتبر الالتجاء اليهم لقضاء مصالحه استجداء أو استعانة لم يؤد ثمنها . بل يرى أن من حقه طلب ما يطلب فى حدود القانون ، ومن واجب عمال الادارة خدمة الناس خاصتهم وعامتهم فى هذه الحدود ، قياماً بواجبهم وأداء لحقوق الغير عليهم . أما استخذاء الشعب واستكانته إزاء تصرف غير كريم من أحد عمال الادارة فانه يغرى من وهنت أخلاقهم بظلمه وإهمال شؤونه من جهة ويشجعهم على التوانى والعدوان بصفة عامة من جهة أخرى

التربية الاستقلالية كما قلت تنمى فى الفرد صفتى الثقة بالنفس والاقدام . ولهما أهميتهما العظمى فى الوسط الادارى . فالادارة لا تستمد قوتها واستقامتها من النظم الموضوعة فقط ، بل من شخصية منفذى القوانين والنظم . فهم يطبقونها ويفسرونها للخير وللشر ، كبيرهم وصغيرهم كل بنسبة نفوذه وقوة شخصيته . والمقدام لا يتهيب طلب الاصلاح وان صغر مركزه وضاق نطاق مسؤوليته . ولكنه يقدم غير هياب ولا وجل فيكون أكثر انتاجاً وأعظم للجماعة خدمة

وهنا لا أجد مندوحة ، اتباعاً لمنهاجى فى البحث ، عن ضرب مثل برجل الادارة ذى الشخصية والاقدام والاحساس بالواجب

صدر قانون محاكم الأخطاط سنة ١٩١٢ ، ولاحظ أحد كتاب المحاكم الجزئية الأهليــة بينما كان يفتش أعمال بعض محاكم الاخطاط سنة ١٩٢٢ ، أن بمحكمة خط العطف قضايا مدنية عظيمة القيمة تحكم فيها المحكمة حكماً نهائياً . وهاله كثرة القضايا ، وخشى أن يكون فى الأمر غبناً على الفلاح بحرمانه حق الطعن فى الحكم ، وغبناً على الخزانة العامة بتحصيلها رسماً مخفضاً .

ولما ناقش الكاتب المختص أجابه هذا بأنه يتبع نص القانون القاضى بأن محكمة الخط تختص بالحكم نهائياً فى المنازعات التى يتفق طرفا الخصومة على أن تنظرها

وفاتح رئيسه القاضى الجزئى فنصحه بأن يلزم حدوده فهذا بحث لا يدخل ضمن عمله الكتابى . لكن الفتى كان حساساً بواجبه فلم يقنع بهذا . وبحث فهداه البحث إلى مخرج وهو أن الاتفاق فى مثل الحالة التى كان يعالجها ضد النظام العام ، فهو باطل لهذا السبب . ذلك أن المدعى فى تلك القضايا كان مقيماً بالقاهرة ومن كبار تجارها . وفعلاً كتب مذكرة برأيه هذا وأبلغه رأساً لرياسة محكمة الاسكندرية ، وهذه بدورها أبلغته لوزارة الحقانية . وما كان أشد سرور صاحبنا لما وصلته بعد قليل من الزمن تعليمات عامة أرسلت بها وزارة الحقانية لمحاكم تقضى بأن مثل الاتفاق المشار اليه باطل . وهكذا انتج احساس كاتب بسيط تعديلاً فى سير المحاكم فى مسألة فيها شيء من الخطورة ، بعد أن سارت عشر سنين على عكس ما ينبغى أن تسير فى هذه النقطة

ذلك الموظف عينه التحق بمصلحة أخرى وكانت الجهة التى يعمل بها تتلقى تعليماتها من وزارة الداخلية . وحدث أن أرسلت الوزارة تعليمات فيما يتعلق بمحاكمة أكبر طائفة من موظفى مصلحته . ورأى هو أن التعليمات لا تتفق مع صريح نص اللائحة المعمول بها . وأنها فوق ذلك تحرم طائفة كبيرة من ضمان هام . فاعترض فى لطف بأنه مع وجود النص الصريح كيف تطبق تعليمات الوزارة بغير أن تعدل اللائحة طبقاً للقانون . ولكن الوزارة لم تأخذ برأيه . فترقب فرصة ملائمة ، لاعتقاده أنه يصعب أن تعدل الوزارة عن رأى بناء على ملاحظات موظف بسيط خارج الوزارة ؛ ثم كتب اقتراحاً بصورة أخرى وأبلغه الوزارة فشجعها على تعديل التعليمات بما يطابق اللائحة دون أن يكون فى ذلك حرج . وفعلاً عدلت الوزارة التعليمات

ولكن من الحق أن نذكر أن هذا الموظف لا يجد عمله هينا دائما ، بل كثيرا ما أوذى لتمسكه برأيه وعدم تقيده بحرف التعليمات دون روحها . بل أحياناً يتعرض للجزاء بسبب رفضه التقيد بلفظ التعليمات المالية إذا كان تنفيذ روحها يحقق مصلحة مالية للهيئة التى يعمل بها ويتمشى مع المنطق ، ولا تتعرض معه المصلحة لنتائج اجراء غير عادل

هاتان واقعتان من الأمور البسيطة . ومن الممكن تصور حالات يؤدى استمساك أحد عمال الادارة برأيه فيها الى تلافى قرار ضار أو الى توفير أموال طائلة ، أو اتقاء عمل يحمل الجماعة مسؤليات جساما

لكن جل صغار موظفى الادارة عندنا ، بل كبارهم ، لا يكتفون بموافقة رئيسهم على ما يقول أو يطلب ، وإن خالف القانون والمصلحة ، بل يكادون يسبقون رؤساءهم الى ما يظنون أنه يرضيهم غير مبالين بالقانون أو الحق أو العدل ، وفاتهم أن الرئيس إذا عرف الأمور كما ينبغى ، قد لا يتمسك بالرأى . وغاب عنهم أن للجماعة الذين يعملون لحسابها حقوقاً يجب رعايتها ، وأن لأنفسهم حقوقا تقضى بعدم امتهانها بتزويق الباطل وتحويلها الى أداة تصدع بما تؤمر ولا إرادة لها

هذه الظاهرة المحزنة دليل على ضعف التربية الاستقلالية . فمن واجب جميع المصلحين أن يعملوا على القضاء عليها بعدم تشجيع المرائين والمتملقين ، وبتقدير العاملين المخلصين للواجب وللحق والعدل . أما أبناء اليوم رجال المستقبل فيجب عدم ادخار شيء فى سبيل انشائهم على حرية الرأى واستقلال الفكر والاقدام والشجاعة من جهة ، وعلى بغض الطغيان والصلف والتعصب للذات من جهة أخرى

( البقية فى العدد القادم ) **محمد عبد البارى**

---

# عــــين جالوت

للأستاذ عبد الله مخلص

أذ كرنا الأستاذ الألمعى محمد فريد أبوحديد بوقعة عين جالوت بين المصريين والتتار ، ووقفة الأولين فيها موقف الذائدين عن حياض الاسلام الذابين عن كيانه [1]

وما كان الاسلام لينسى لمصر ذلك اليوم الأغرّ المحجل الذى دفعت فيه ذلك السيل المتدافع من التتار وردتهم على أعقابهم يتعثرون فى أذيال الهزيمة والخسران ، ورفعت فيه نير التتار عن أعناق المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان لسنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م)

## موقف المسلمين الأول فى عين جالوت

وللمسلمين فى عين جالوت مثل هـذا الموقف المشرّف سبق موقفهم الثانى بنحو ثمانين سنة ، فقد بلغ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اجتماع الفرنجة فى قرية صفورية ورحيلهم إلى قرية الفولة فسار اليهم يطلب حربهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، بينا كانوا ينضم بعضهم الى بعض يحمى راجلهم فارسهم ، وساروا حتى جاءوا عين جالوت ونزلوا عليها ، ونزل السلطان حولهم ، والقتل والجرح يعمل فيهم ليخرجوا إلى المصاف فلم يفعلوا خوفاً من المسلمين ؛ وكان ذلك أيضاً فى يوم الجمعة السابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٧٩ هـ ١١٨٣ م كأنّ الله اختص تلك الليلة الغراء واليوم الأزهر بالنصر

## عين جالوت فى التوراة

وعين جالوت هذه هى المذكورة فى التوراة فى سفر صموئيل الأول فى الاصحاح ٢٩ : ١ باسم عين يزرعيل التى نزل عليها شاول بجيشه فى الحرب التى قامت سوقها بين الفلسطينين والاسرائيلين وأسفرت عن انتحار شاول المذكور بالقاء نفسه على سيفه والقضاء بهذه الصورة على حياته . ومات معه فى هذه الحرب بنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله

(١) الرسالة العدد ١٤٦ الصفحة ٦٢٩

وهى أيضا عين حرود المذكورة فى سفر القضاة فى الاصحاح ٧ : ١ — ٨ ومنها شرب جيش جدعون بن يوآش المعروف أيضاً باسم يربّعل عند نزوله لحرب المديانيين . وللتوفيق بين رواية القرآن المجيد عن هذه الموقعة أنقل للقارىء الكريم قبل ذكرها رواية التوراة فى الاصحاح المذكور وهذه هى :

« وقال الرب لجدعون كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فأوقفه حده ، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب . وكان عدد الذين ولغوا بيدهم الى فمهم ثلثمائة رجل . وأما باقى الشعب جميعاً فجثوا على رُكبهم لشرب الماء . فقال الربّ لجدعون بالثلثمائة الرجل الذين ولغوا أخلّصكم وادفع المديانيين ليدك . وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد إلى مكانه »

الى آخر ما جاء فى الاصحاح المذكور الذى ينتهى بخبر انتصار جيش جدعون وفرار المديانيين ومتابعة الأسرائيليين لهم ومطاردتهم

## جالوت فى القرآن المجيد

وهذه آيات بينات من الذكر الحكيم عن جالوت من سورة البقرة :

« فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى ، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى ، إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (آية ٢٤٩)

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ ، وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ، وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

## قرية جالوت

ولنذكر صفة قرية عين جالوت فى القديم والحديث : قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : « عين الجالوت اسم أعجمى لا ينصرف ، وهى بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين كان الروم قد استولت عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن أيوب سنة ٥٧٩ »

قلنا وقد غشيتُ عين الجالوت غير مرّة مع نفر من موظفى الحكومة العثمانية فى قضاء جينين من أعمال نابلس حين كنت فى عدادهم ، وكنا نذهب اليها أحياناً للنزهة وقضاء يوم العطلة ، وكان الماء يتفجر أمامنا من سفح الجبل فيحيط بالمصطبة التى جلسنا عليها من جميع جوانبها ثم ينساب فى منحدر يصل إلى مدينة بيسان ويسقى فى طريقه الغلال والبقول

وليست عين الجالوت من العيون الصغيرة ، بل هى نهر صغير يقال له نهر الجالوت ؛ يحاذى سفح جبل قامت عليه بعض القرى والمزارع مثل زرعين (١) ونورس وغيرهما ؛ ويقال لهذا الجبل جبل الدحى (٢) وبين هذا الجبل وجبل الطور القابل له فى الناحية الشمالية مرج ابن عامر المعروف بوادى يزرعيل كما يعرف جبل الطور بجبل تابور فى التوراة

أما اليوم فان هذه القرية قد أصبحت ملكا لليهود يتصرفون فيها كيف يشاؤون ، فقد انتقلت ملكيتها من أصحابها الأصليين العرب اليهم فى السنين الأخيرة بعد أن وعدتهم الحكومة البريطانية بلسان وزيرها بلفور المشهور بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ومكنت لهم فى أرضها ، وهم كل يوم يقتنصون « بليدة لطيفة » من بلدان فلسطين فيشردون أهلها تحت كل كوكب ، ويبنون وطنهم العتيد على انقاض الاسلام وتراثه الخالد فيغيرون معالم البلاد ويردونها الى أصولها

هذه عين جالوت التى حمت فيها مصر الاسلام والمدنية والانسانية قبل سبعة قرون — كما قال الأستاذ أبو حديد — تعود فتتسمى باسمها العبرى القديم عين حرود ، ويسكنها شذاذ الآفاق من اليهود

وفيها اليوم بحسب آخر احصاء لحكومة فلسطين ٤٨٣ نسمة يشغلون ١٣٥ بيتاً

ويا ليت أن المصيبة اقتصرت على ضياع عين الجالوت فقط من العرب ، بل إنها تعدتها إلى أكثر القرى الآهلة فى ذلك الوادى الممرع ، وأصبح الباقى القليل عرضة للضياع والانتقال ، إلا إذا أراد الله بالمسلمين والعرب خيرا ، ودفع بالحكومات الاسلامية والشعوب العربية إلى الدفاع عن هذه الأرض المقدسة التى أسرى الله بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام اليها ، وجعلها قبل ذلك موطن أخيه عيسى بن مريم عليه السلام ، إذ ولد بها ودعا إلى عبادة الله فى أرجائها وأنحائها ، ورُفع إلى الله منها

قلنا ليس لمعضلة فلسطين ووقعتها من دون الله كاشفة . أما الدول الاسلامية فمن واجبها أن تحمى المقدسات فى بلاد فيها أولى القبلتين ، وثانى البيتين ، وثالث الحرمين . أما الشعوب العربية فمن مصلحتها أن تستملك وتتاجر وتسكن وتتوالد فى بلاد هى همزة الوصل بين الغرب والشرق ، وخط الاتصال بين آسيا وافريقية ، وباب جزيرة العرب التى أخذ قطانها يحبون كما يحبو الطفل الرضيع ويحاولون الوقوف على أرجلهم

فهل تتحقق الأحلام ، وتنقلب الآلام إلى آمال قبل استفحال الغزوة اليهودية المحكمة بين سمع الدولة البريطانية وبصرها ، بل تحت حرابها وبنادقها ورشاشاتها التى جعلتها حزباً لليهود وحرباً على العرب ؟ ولله الأمر من قبل ومن بعد

(حيفا) عبد الله مخلص



(١) اسم هذه القرية فى التوراة يزرعيل وهى من قواعد المدن ومواقع الأحداث فى زمن الاسرائيليين

(٢) اسم هذا الجبل فى التوراة حرمون الصغير وفى قمته مقام يقال إنه لدحية الكلبى

من أدبنا المجهول — شاعر يرثى ولده بديوانه

# اقتراح القريح واجتراح الجريح

لأبى الحسن على الحصرى

بقلم الأديب السيد أحمد صقر

( للأستاذ الزيات عزاء وسلوة )

من أغرب الظواهر فى الأدب العربى — إن لم يكن فى الغربى — أن يرثى شاعر ولده الصغير بديوان كبير ، ثم يظل مجهولاً طيلة ثمانية قرون ونصف قرن ، لم يحاول أحد خلالها نشره أو التعريف به

وما زالت خزائن الأدب العربى ملآى بالآثار الرائعة التى خلفها لنا الأجداد تجاذب الأحداث أسباب البقاء ، حتى إذا ما صرعها الزمن وقفنا على أطلالها نندبها ونبكيها ، ونقول كان لنا وكان . . .

من تلك النفائس المشرفة على الفناء ديوان فذ فى بابه ، غريب فى اسمه وموضوعه ، نظمه أبو الحسن الحصرى صاحب القصيدة المشهورة : يا ليل الصب متى غده ؟ سماه اقتراح القريح واجتراح الجريح وكل قصائده فى رثاء ابنه الوحيد عبد الغنى ؛ رزقه وقد بلغ من الكبر عتياً ، ورزئه وقد أتم التاسعة من عمره

وكان موته بالنزيف : فسالت حشاشة نفسه من أنفه ، وفى ذلك قوله :

لست أنسى مقامه ومقامى  وكلانا مثل القتيل خضيبا
أنفه ينثر العقيق وعينى  تنثر الدمع بالعقيق مشوبا

ليس للحصرى غير هذا الديوان على كثرة شعره ، ووفرة أدبه ، يدلنا على ذلك قوله فى مقدمة الكتاب : « والقرآن شعارى ، ولذلك لم أجمع أشعارى ، سحرت بها العقول فجذبتها ، ووراء ظهرى نبذتها ، تركتها لمن يعيها ، فيسرقها أو يدعيها ، يرثنى بغير نسب ، ويتملكها بغير نشب ، حاشا ما فى كتابى هذا »

لم يطبع هذا الكتاب ولم يشتهر أمره بين الأدباء ، ولم يجر ذكره على أسلات أقلام المؤرخين ، ولعل ذلك راجع إلى ندرة وجوده ، وقلة ذيوعه . . .

فى دار الكتب المصرية نسخة فريدة من هذا الديوان النفيس مخطوطة بخط معتاد فرغ ناسخها من نسخها فى سادس ربيع الأول سنة سبع وستمائة ، عدد صفحاتها ٢٦٢ من القطع الكبير . بها خروم وخروق ، وآثار عرق لا تمكن القارىء من متابعة قراءته

قدم الناظم بين يدى ديوانه ثلاث خطب ، أولاها مهملة الحروف ، قد بدأها بقوله : « الحمد لله مالك الملك ولا أمد ، وممسك السماء ولا عمد ، سمكها فأطلع مهلها ، وعلم آدم الأسماء كلها ، ووعد لأعمال الطاعة ، وواعد لأهوال الساعة ، لا أمر إلا أحكمه ، ولا مراد إلا حكمه ، لا إله إلا هو إله واحد لا ولد له ولا والد ، أحمده لآلاء أولاها ، وأدعوه ملك الأملاك ومولاها » الخ وهى تملأ عشر صفحات ، وقد عقبها بقوله : « نثرت فأبلغت ، ونظمت فتفننت . وهذه الخطبة على بلاغتها ، وإبداع صياغتها حليتها من بدر بحرى ملقوط ، وأخليتها من كل حرف منقوط ، وأردت أن أشفعها بأخرى منقوطة الحروف ، فوجدتنى أخرج فيها عن الرسم المعروف ، إذ استفتاح الخطب بحمد الله والثناء عليه ، وذلك فى المنقوطة لا سبيل اليه ؛ غير أنى اختصرت فأثبت منها ملحا فى لمح ، ورب دليل فى قليل ، ورب عثار فى إكثار » . ويلى هذا التعقيب الخطبة الثانية وأولها : بثثت بثى الخ وهى تقع فى ثلاث صفحات . وبعدها الخطبة الثالثة وهى أهمها من الوجهة التاريخية والأدبية . وهى فى ٢٩ صفحة . وقد أحببت أن أنقل لك منها شذرات لتعرف قصة الرجل وعقله وتفكيره وأسلوبه فى النثر

قال بعد كلام طويل لا وحدة تجمعه ، ولا سبب يربطه : « ولما أنقض ظهرى ، ما وزرت فى سرى وجهرى ، وهدم الموت فى ابنى ، ما كنت من الأمل أبنى ، سألت الله له الانتجاب ، فقال لا بد أن تجاب ، وأنجبه طفلاً ، وأتانى به كفلاً ، فنمى مهذباً فى مهده ، وما زال ينمى بعهده ، حتى أكمل تسعة ، ورامت سعيه الكبار فلم تسعه . كان يروق هلالاً ، ويشوق زلالاً ، فقالوا يافعك نافعك ، وقال الله بل هو شافعك . أعطانيه بفضله ،

وأخذه بعدله ، فجرحتنى أنياب النوائب ، وقرحتنى أوصاب المصائب ، نثرت شاكياً ما اجترحت الى فاطرى ، ونظمت باكياً ما اقترحت على خاطرى ، وقلت عسى الله أن يرحم الناظم الناثر ، فيسلى المحزون ويقيل العاثر ، وسميت هذا الكتاب : اقتراح القريح ، واجتراح الجريح . وضمنته قصائد على حروف المعجم ، وإن كنت من الأحزان كالملجم ، ومقطعات تقفو كل قصيدة فى قافيتها ، على أنها مثيرة الأحزان غير شافيتها ، ونظمت من فصول المنثور ، مقطعات فى الزهد المأثور . على أن خطبى جليل ، وخطابى كليل . فتنزهت فى حديقتين زهراوين أنيقتين ، وبحث عما كان مكتما ، وبحت مفتتحاً ومختما ، وأنا أستغفر الله من تشحطى فى تسخطى ، ومن عارى الأشعار الكاسدة الأسعار وصفت فيها المقبوحين بالجمال والمنقوصين بالكمال . . . . وكنت نظمت هذه الأشعار إذ قلبى مشتعل ، ثم أخرتها خمس سنين إذ لبى مشتغل ، وفكرت فى صرعة الموت ، وفى سرعة الفوت ، فبادرت الآن إملاء هذا الكتاب إذ رغب إلى فيه بعض الكتاب ، رجوت به الترحم على من كل من يقرؤه ؛ وعسى الله ان استحققت العذاب يعفو عنى ويدرؤه » . . . . . .

***

« ابنى متى أبنى مجدا هدمه الدهر يوم مصابك ؟ ومتى أخصب فى ربع أمحله الدمع غب غيابك ؟ تركتنى فى الأظلام نهاراً ، وأجريت دمعى أنهاراً ، فأى مرثية فيك أسلو بها ، وإن أعجب الناس بأسلوبها ، وأى عيشة بعدك ألهو بها ، وحسرتك لا يُطفأ حرّ ألهوبها ؟ أستغفر الله قد سلوت بعض السلو ، بأم العلو ، أتتنى بعدك على الكبر ، فحمدت الله وعددتها من الحسنات الكبر ثم قلت بديهاً :

يهب الله لمن شا ء إناثاً وذكورا
فاذا أعطاك بنتاً فكن الراضى الشكورا
واسأل الله — لك الخير رواحاً وبكورا
وأقم فى العسر واليسر وذرْ عَنساً وكورا
فعلى الأفراخ حُباً تألف الطير الوكورا

وما أنت إلا ورزتها معها ، ما أقنط نفس المرء وأطمعها ، ساعة أفرح بها فأسلو ، وساعة بالحزن فيك وفيها أخلو ، وطورا أمر أخلافاً وطوراً أحلو ، إذا ذكرت الموت اشتغل بال أمها بل بالى ، وإن نظرت محاسنك فيها اهتاج بلبالى ، فترحتى أكثر من فرحتى ، وسبيل الدنيا هذى السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

حببت ابنتى وابنى فقد عاشت ابنتى
لهمى ومات ابنى ولم يمت الحب
وما ذكر يشفى كأنثى تهمنى ولكننى راض بما صنع الرب

وبهذا البيت تنتهى الخطبة الثالثة . ويليها شعر الديوان مرتباً على حروف المعجم فى ١٨٢ صفحة ، ويليه مندمجاً فيه مجموعة صغيرة من الشعر فى نفس الموضوع التزم فيها لزوم مالا يلزم ، مرتبة على حروف المعجم كل حرف فيه ١٥ بيتا . وتقع فى ٣٨ صفحة وبانتهائها ينتهى الديوان

الآن وقد قصصت عليك بإيجاز قصة اقتراح القريح المجهولة ، أرى لزاماً على أن أقص عليك قصة ناظمه الحصرى المجهول . وموعدنا العدد القادم ان شاء الله ؟

السيد أحمد صقر

للتاريخ السياسي :

# ٢ – اليوم السابع من مارس

## ضربة مسرحية في برلين

للدكتور يوسف هيكل

في ٢٨ فبراير نشرت جريدة « باري ميدي » حديثاً لمراسلها في برلين مع الهر هتلر ، مبيناً فيه أن زعيم ألمانيا يود إزالة كل خلاف بين الجارتين وتوليد علاقات الود والألفة بين أعظم شعبين في أوروبا . وفي اليوم التالي ، أي يوم السبت الموافق ٢٩ فبراير ، أرسلت حكومة باريس تعاليم إلى سفيرها في برلين ، طالبة منه الاسراع في طلب مواجهة « المستشار الألماني » ورجائه في إبانة الطرق التي يعتقد أنها تزيل كل خلاف بين الشعبين الألماني والفرنسي ، وإعلامه بأن حكومة باريس حريصة على إيجاد التفاهم بين الحكومتين

قام مسيو « فرنسوا بونسيه » بما عهد إليه . فقابله « المستشار هتلر » بحضور « فون نيرات » وزير الخارجية ، وأجابه بأن الحكومة الألمانية باذلة جهدها في درس الموضوع بدقة ، وقريباً تسلم إلى الحكومة الفرنسية اقتراحاتها . وقد طلب الهر هتلر بقاء هذه المحادثات سرية ، تسهيلاً للوصول إلى الغاية ، فقبلت حكومة باريس ما طلب ، وظلت منتظرة خبراً من برلين ، ولقد جاءها الخبر يوم السبت الموافق ٧ مارس ، وعندها أذاعت هذه المحادثات (١)

وفي مساء الجمعة الموافق ٦ مارس أمر الهر هتلر باجتماع « الريشتاك » اجتماعاً فوق العادة ؛ وفي الساعة ١٢ ! ( في ألمانيا ) من اليوم التالي وبحضور الوزراء وقف على منبر الخطابة وألقى خطاباً طويلاً ثم تلاه بقراءة المذكرة — mémarandum — التي سلمها فون نيرات إلى كل من سفراء بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا قبل القاء الهر هتلر خطابه بساعة ، وقبل أن يترك منبر الخطابة أعلن أنه يحل « الريشتاك » ليتمكن الشعب الألماني من إبداء حكمه في أعماله وزملائه خلال السنوات الثلاث الأخيرة ؛ وقد قرأ الجنرال « كيرنك » أمر الحل ، وتعيين موعد الانتخابات في ٢٩ منه

وكان صوت زعيم ألمانيا قوياً وواضحاً ، ولكن وجهه كان شاحباً ، ودالاً على خطورة القرار الذي اتخذه ، كما أن وجوه الوزراء الصامتة والمفكرة ، إذ ذاك ، تفكيراً عميقاً وقلقاً ، تظهر جلياً خطر الساعة وتخوفهم من العاقبة

وفحوى خطابه أن ألمانيا بلاد سلمية ، تريد العيش بسلام مع جاراتها ، غير أنها لا تقبل ألا تكون متساوية وإياهم في الحقوق ، وهي تريد نيل هذه المساواة والعمل مع الدول الأخرى على تقوية السلام ، وإن حكومة برلين قد بذلت جهدها في التفاهم مع الدول الأوروبية ، ولا سيما مع فرنسا ؛ غير أن جهودها لم تقابل بحسن نية ، بل قوبلت بالعمل ضد ألمانيا وحصرها ، وكان آخر هذه الأعمال المعاهدة الفرنسية الروسية التي هي موجهة ضد ألمانيا ، وقال :

« إنها لمأساة مروعة أن نرى في نهاية السنة التي بذلنا جهوداً شريفة خلالها لنيل ثقة الشعب الفرنسي ، انعقاد تحالف حربي نعلم ابتداءه ولكن لا يمكن التنبؤ عن نهايته

« ان المحالفة الفرنسية الروسية لا تتفق مع معاهدة لوكارنو ؛ وإن تلك المعاهدة تمكن أمبراطورية حربية عظيمة من تهديد أوروبا الوسطى عن طريق « التشكوسلوفاكيا » التي عقدت مع الروسيا معاهدة مماثلة للمعاهدة الروسية الفرنسية

« إن روسيا السوفيتية دولة قائمة على مبادىء فلسفية ثورية ، وإن ادخال هذه القوى الحربية الهائلة الى أواسط أوروبا يهدم التوازن الدولي الاوروبي . . . »

ولم يذكر الهر هتلر مشكلة المستعمرات إلا عرضاً ، وأبان بأن حلها سيكون عن طريق المفاوضات الودية ، كي لا يثير الرأي العام البريطاني عليه ، وقد بذل في سبيل نيل عطفه جهوداً أنتجت الثمر الذي يريده

وبينما كان الهر هتلر يلقي خطابه التاريخي ، كانت الجيوش الألمانية تعبر أراضي الرين وتحتل في كولون ، ودسلدورف

(١) انظر خطاب مسيو سارو إلى الشعب الفرنسي في ٨ مارس ( الطان ١٠ مارس )

— Dussoldorf — وميتز وغيرها من مدن أراضى الرين

وقد اختلف فى عدد هذه الجيوش ، فهى ثلاثون ألفاً حسب التقرير الألمانى ، وتسعون ألفاً حسب التقرير الفرنسى ، وما يقرب من ستين ألفاً حسب الرأى الانكليزى

وجدير بالذكر أنه عند ما أعلم الهر هتلر صباح السابع من شهر مارس ، مسيو فرنسوا بونسيه بعزمه ، أضاف باعتناء بأن احتلال أراضى الرين ما هو إلا رمزى . ولما ثار الرأى العام ولا سيما فى فرنسا على التناقض الجلى بين قول زعيم ألمانيا وبين الواقع ، أرسلت حكومة برلين ، فى ١٤ مارس الى لندن وباريس تصريحاً تقول فيه بأنه لا يوجد فى أراضى الرين إلا (٣٦٫٥٠٠) ستة وثلاثون ألفا وخمسمائة جندى ... وإذا عُلِم بأن عدد سكان هذا الأقليم يبلغ خمس عدد سكان ألمانيا أى أربعة عشر مليونا ونصف مليون ، ومساحته ثمن مساحة المانيا ، وفيه مدن كبيرة يظهر من عدد الجنود التى فيه بأن احتلاله لم يكن إلا رمزيا

وأعلنت ألمانيا فى المذكرة التى قدمتها الى دول لوكارنو الأربع بأنها غير مرتبطة بمعاهدة لوكارنو . وذكرت فى صدرها الأسباب التى دعتها الى اتخاذ هذا القرار وكلها مبنية على مناقضة المعاهدة الفرنسية الروسية للوكارنو ، وتقول الحكومة النازية بأنه :

( ١ ) لا جدال فى أن المعاهدة الفرنسية الروسية موجهة خصيصاً ضد المانيا

( ٢ ) لا خلاف فى أن فرنسا أخذت على عاتقها واجبات ، فى حالة حدوث اختلاف بين المانيا والروسيا تفوق الواجبات التى تضعها على عاتقها عصبة الأمم ، وأنها — أى الواجبات — ترغم فرنسا على اشهار السلاح ضد ألمانيا ، حتى فى الحالة التى لا تستطيع فيها نيل موافقة عصبة الأمم أو قرار بذلك

( ٣ ) فى مثل هذه الحالة تدعى فرنسا الحق فى أن تقرر وحدها وحسب إرادتها من هو المعتدى — Agresseur —

( ٤ ) لا جدال فى أن فرنسا قد أخذت على عاتقها واجبات نحو الروسيا توجب عليها العمل فى بعض الظروف ، كما لو كان ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة لوكارنو ، التى تستند على ذلك الميثاق غير موجودين

وتدعى المذكرة أن المعاهدة الفرنسية الروسية أوجدت حالة دولية جديدة ، وأزالت النظام السياسى لمعاهدة لوكارنو فى حرفه وفى معناه و « بالتالى فقدت لوكارنو السبب الذى من أجله أنشئت ، وعمليا زال وجودها . ولذلك ترى المانيا أنها غير مرتبطة بهذه المعاهدة الملغاة »

وتنتهى هذه المذكرة بتقديم حكومة برلين الى دول لوكارنو نظاماً سياسياً جديداً ليحل مكان معاهدة لوكارنو وليزيل الاضطرابات السياسية الدولية ، ويولد — فى رأى حكومة برلين — الثقة الدولية التى بدونها لا تتقدم المدنية ولا يستمر السلام . وأهم نقطه :

« أن الحكومة الألمانية تصرح بأنها مستعدة للتفاوض مع فرنسا وبلجيكا لانشاء اقليم مشترك غير مسلح ، وأنها توافق من الآن على مقدار امتداده ومساحته ، على شرط المساواة القطعية فى ذلك . والحكومة الألمانية تقترح إيجاد معاهدة عدم الاعتداء Non Agression بينها وبين فرنسا وبلجيكا لمدة ٢٥ سنة ، وأن تكون بريطانيا وايطاليا كفيلتين على ذلك

والحكومة الألمانية مستعدة لامضاء معاهدة تمنع الهجوم الجوى الفجائى ، ومعاهدة عدم الاعتداء مع جاراتها فى الشرق كالمعاهدة التى عقدتها مع بولونيا

وبما أن حكومة برلين قد نالت المساواة فى الحقوق وأقامت سيادتها القومية فى البلاد الألمانية أجمع ، فهى مستعدة للاشتراك فى عصبة الأمم ، وتأمل الوصول فى وقت قريب ، عن طريق المفاوضات الودية الى المساواة فى المستعمرات وفصل عصبة الأمم عن معاهدة فرساى »

وقد صرح مستر ايدن فى مجلس العموم فى ٩ مارس أن السفير الألمانى أعلمه بأن حكومته ما عرضت اشتراكها فى عصبة الأمم إلا لتسر الأنكليز وترضى الرأى العام البريطانى !

***

تبع الضربة المسرحية فى برلين اضطراب شديد فى الدوائر السياسية . . . وكانت برلين فى قلق شديد ، تارة ترى أن عملها يذهب الثقة بعلاقاتها الدولية ، وأن حوادث ٧ مارس ستقرب فرنسا من بريطانيا . وتكون نتيجة ذلك الحصر الكامل لحكومة

برلين والضربة القاضية على سياسة هتلر الخارجية ؛ وتارة ترى أن الفرج قريب إذ لندن غير موافقة على اقتراحات باريس فى تطبيق « العقوبات » عليها وإرغامها على سحب قواها الحربية من أراضى الرين . وقد أخذ رجال الحكومة النازية فى إلقاء الخطب وتدبيج المقالات ، وبعضها موجه الى الشعب البريطانى للتقرب اليه ونيل عطفه . والبعض الآخر يهدد فرنسا إن هى لم تقبل منهاج هتلر وتسير عليه

وكان الهر هتلر فى جميع خطبه يتودد إلى « الرأى العام » وخصوصاً البريطانى ؛ وكان يوجه نداءه إلى « رجل الشارع » ويصرح بأنه يريد التفاهم الخالص مع فرنسا ... وبأنه لا غاية لألمانيا إلا العيش بسلام مع جيرانها ، وأن العمل الذى قمت به ما كان إلا لتحقيق سياسة دولية عملية مبنية على المساواة فى الحقوق وعلى السلام فى أوروبا ، وانعاش الاقتصاديات الدولية ..

ولما قامت الصحف الباريسية باظهار سوء النية المنطوى فى منهاج الهر هتلر وقالت أنه يريد السلام مع دول ، والحرب مع دول أخرى ... ولما سأل السير أوستن شمبرلين فى مجلس العموم عما إذا كانت النمسا فى الدول التى يريد الهر هتلر عقد محالفات « عدم الهجوم » معها . اضطر الهر هتلر الى التصريح لمراسل جريدة لندنية بأنه مستعد لعقد معاهدات « عدم الهجوم » مع النمسا وكذلك مع تشيكوسلوفاكيا ...

أما الجنرال كيرنك فكان يحمل علم التهديد ، وقال فى خطابه الذى ألقاه فى فرنكفور فى ١٧ مارس : ربما أثر التهديد « بالعقوبات » فى ألمانيا عام ١٩٣٢ ، ولكنه لا يؤثر على الشعب الذى تدرب طيلة السنوات الثلاث الأخيرة فى مدرسة النازى ، وإن استعمل الضغط الاقتصادى ضد ألمانيا فانها تدعو الحزب النازى إلى المعركة القاسية التى تولد حماسة مقدسة وتشد عزم الشعب الألمانى وتزيد قواه ، وإن تهديد ألمانيا حربياً لا يثبط عزيمتها ، بل هى تجيب على ذلك : « إنكم كنتم نياما . أما ألمانيا فلم تكن نائمة » إنها قد تسلحت وأصبحت جد قوية ، وهى لا تهاب شيئاً ... وإن الذى يود تهديدها والاعتداء عليها سيدفع ألوفاً من الأرواح بدل كل « بوصة » من الأراضى الألمانية . . . ولا يحق لأحد غير الشعب الألمانى أن يحكم فيما إذا كان عمل ألمانيا قانونياً أم لا (!!) . إن ألمانيا قدمت خدمات جليلة للسلام ، غير أن هناك أمورا لا يمكنها عملها : يجب أن تبقى الجيوش الألمانية فى أراضى الرين

وكان الدكتور كبلس يساعده على رفع ذلك العلم . فحاول فى الخطاب الذى ألقاه فى ١٠ مارس فى برلين مجيباً مسيو سارو الذى قال بأنه لا يمكن الاعتماد على المعاهدات التى تعقد مع ألمانيا ، اقناع الرأى العام بأن ألمانيا تحترم امضاءها وتحافظ على حرمة المعاهدات التى توقعها ، ودليله على ذلك بأن ألمانيا محترمة معاهدتها مع بولونيا (!) . وقال بأنه يجب على فرنسا أن تعتبر بدقة الحالة الراهنة ، لا بالتشبث ببنود معاهدة لا يمكن للشعب الألمانى احتمالها (!!)

ولقد خرج فى كلامه عن اللياقة الدبلوماسية حين قال فى خطابه الذى ألقاه فى فرنكفور فى ٢٣ مارس : « إن ألمانيا ترفض العمل ضمن الدائرة السياسية القديمة . سياسة القطة التى تسير حول الحليب الساخن . إن الجيوش الألمانية قد احتلت أراضى الرين ، فيجب أن تبقى هناك برمتها دون أن يسحب منها جندى واحد ... وسترغم الأمم على المفاوضة مع ألمانيا حسب « اقتراحات الهر هتلر » خلال الأشهر القادمة ، أرادت ذلك أو لم ترده ......

( لندن ) ( يتبع ) يوسف هيكل
دكتور فى الحقوق

---

ملاحظات متواضعة على مشروع

# ترجمة معانى القرآن الكريم

بقلم المستشرق المجرى

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

وليس من شك فى أن الله عز وجل حين أنزل القرآن الكريم شاء أن يعم نشره بين الملأ ، لا ليجعله وقفاً على أولئك الذين يحتكرون معانيه فى صدورهم ، ولا يعملون على ترجمته ونشره بين الذين هم أقل مكانة منهم فى المعرفة . ألم يقل النبى الكريم : بلغوا عنى ولو آية ؟ وكيف يكون التبليغ إلا إذا كان بنقل القرآن الى لغات الأمم والشعوب ؟ وقديماً اعتبرت التفاسير ترجمة لمعانى كتاب الله وتحليله وشرحه حتى يكون فى متناول أذهان الأمم قاطبة

إن الاسلام دين الأذهان المستنيرة ، وإن أصحاب العقول البارعة يجدون فيه متعة روحية شهية ، وسوف يكون هذا الدين بفضل ترجمة كتاب الله معتقد الطبقات الرفيعة فى العالم . وأنا أعرف فى بلادى وفى أوربا عامة رجالا مستنيرين فى أرفع الأسر يحترمون الاسلام لمجرد أنهم قرأوا ترجمة كتاب الله الكريم ، وهم يوشكون أن يتخذوه دينا ولو فى سرائرهم . ومنذ خمس سنوات أسلم فى ڤينا رجل من أعرق الأسر الرفيعة ، هو البارون آرن فلس وسمى نفسه عمر . وأسلم مجرى آخر كبير هو فيلكس فاى . وهذا دليل على سمو الاسلام الروحى والذهنى لأنه دين صحيح يستولى على رجال الفكر ويقنعهم بصحة آرائه . إن الاسلام لا يدعو الى الأنانية والتعصب ، بل إلى الأخوة والحضارة الجديدة ونشر ألوان العلم والعرفان ، وترجمة القرآن هى أول خطوة فى سبيل قبر التعصب والجهل

من ذلك أرى أنه لزام على العلماء أن يظهروا للناس كتاب الله ، ولا يجعلوه وقفاً على من يعرفون العربية وحدها . بل يجب عليهم أن يترجموا معانيه ويقبلوا على تفسيرها ولا يخشوا فى الحق لومة لائم

فلا العلوم الحديثة ، ولا المعارف ، ولا فلسفة الغرب تستطيع أن تطفىء نورانيته وعظمته ، فهو كالشمس إذا سطعت حجبت ذبالات الشموع الخافتة . ولتأخذ هذه التراجم صفة الشروح والتفاسير بدلاً من أن يطلق عليها فى اللغات الأخرى اسم «القرآن»

أجل فلنقاوم الجهل والتعصب ، ولننشر كتاب الله الكريم لا فى الانجليزية وحدها ، بل فى لغات الملايو والهندستانية والمغولية ، وليكن نشر هذا الكتاب بنفس أسلحة القرن العشرين . فالفاصل الذى يفصلنا اليوم عن المعرفة الحديثة شاسع جداً الى حد يجعل اعتمادنا على ما فى أيدينا من تراث الأجيال ، من الأسلحة العتيقة التى لا يمكننا بها مقاومة الموجات التى تجرفنا من عالم الغرب

ومن رأيى أن ترجمة معانى القرآن ستنتج عنها مسائل هامة . فبعض الناس عارضوا هذه الفكرة بحجة أنها ستكون سببا فى فصم عرى الوحدة العربية ، وستحدث تقاطعاً بين الاخوان المسلمين فى أنحاء العالم ، ولكن بالعكس ، فالترجمة ستكون سبباً فى اشعال الحماس الدينى عند ملايين ممن لا يفقهون كتاب الله الكريم ، وستساعدهم هذه الترجمة على تفهم اللغة العربية وازدهار عصر التبشير الاسلامى

* * *

وإذا ما أتيح لنا أن نستقصى البواعث التى أدت الى انحطاط بعض الطوائف الاسلامية وجب أن نسلم بأن سببها أن حكامهم كانوا يتكلمون لغة لا يفقهها العامة . وعلى الرغم من تعاليم الاسلام السامية ظلت هذه الطوائف ترسف فى العبودية والجهالة والفقر ، حتى نتج من ذلك وقوعها فى كثير من الأضاليل والبدع التى لا أصل ولا وجود لها فى التعاليم المحمدية النقية . حتى أجبرت هذه الطوائف على الخنوع وألزمت أن تحنى رؤوسها احتراما أمام الجبروت الطاغى . هنالك وجدت سلوتها فى الشعوذة الدينية ، وأصبحت على عيون أهلها غشاوة تحجب عنها حقيقة الدين الحنيف . وانحط مستوى اللغة العربية الى حد تفشت فيه الامية وانتشرت العامية بين الأوساط الراقية .. ومما أذكره

أندلسيات

# أبو الفضل بن شرف
## الشاعر الفيلسوف

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

[ بقية ما نشر فى العدد ١٤٩ ]

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر ، وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم . فقال له : من أى البوادى أنت ، قال أنا من الشرق فى الدرجة العالية ، وإن كانت البادية على بادية ، ولا أنكر خالى ، ولا أعرف بحالى . فمات ابن أخت غانم خجلاً ، وشمت به كل من حضر . وهذا ابن أخت غانم العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن فى علوم شتى إلا أن الغالب عليه علم اللغة . وكان قد رحل من مالقة إلى المرية فحل عند ملكها المعتصم ابن صمادح ، وله تآليف منها شرح كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى فى ستين مجلداً . قال ابن اليسع فى مغربه إنه حدثه بداره بمالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام ٥٢٤ ... وغانم خاله الذى يعرف به هو الامام العالم الأديب أبو محمد غانم بن الوليد المخزومى نسب اليه لشهرة ذكره وعلو قدره . ومن شعر الامام أبى محمد غانم هذا قوله — وقد دخل يوما على باديس بن حيوس صاحب غرناطة ، فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال بديها :

صيّر فؤادك للمحبوب منزلة ... سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضاً فى معاشرة ... فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقوله :

الصبر أولى بوقار الفتى ... من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله ... كان على أيامه بالخيار

وقوله فى نكبة المعتمد بن عباد :

ومن الغريب غروب شمس فى الثرى ... وضياؤها باق على الآفاق

وقوله :

ثلاثة يجهل مقدارها ... الأمن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها ... لو أنه درٌّ وياقوت

وكل ذلك من الحديث النبوى الشريف : من أصبح آمناً فى سربه معافى فى بدنه ، معه قوت يومه ، فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها . ومن بديع قول أبى الفضل بن شرف المترجم من قصيدة يمدح بها المعتصم بن صمادح :

لم يبق للجور فى أيامكم أثر ... غير الذى فى عيون الغيد من حور

وأول هذه القصيدة :

قامت تجر ذيول العصب والحبر ... ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

ومن هذه القصيدة فى وصف السيف :

إن قلت ناراً أتندى النار منهبة ... أو قلت ماء أيرى الماء بالشرر

ومنها فى وصف الدرع :

من كل ماذية أنثى فيا عجبا ... كيف استهانت بوقع الصارم الذكر [1]

(١) راجع القصيدة فى القلائد

---

والأسى يقطر من فؤادى ، أننى لما زرت القاهرة لأول مرة كان الناس يدهشون إذ يرون رجلاً أجنبياً يتكلم العربية الفصحى ، مع أنه أمر مألوف فى الأوساط الألمانية والانجليزية ، ويندر أن تجد واحداً يتلفظ بكلمة واحدة دارجة

فليكن فى ترجمة القرآن إذن ، رفع لقدر اللغة العربية ، وليكن رفعها الى مستوى الكتاب ، فالقرآن هو مصدر الثقافة الاسلامية وسبب انتشارها فى الشرق والغرب ، وهو السلاح الماضى الذى يحسم الداء

لقد كان انجيل لوثر سبباً فى رفع شأن اللغة الألمانية ، وسبيلا الى ادماج لهجات القبائل المختلفة بعضها فى بعض ، فيجب أن تكون ترجمة القرآن الكريم سبباً فى رفع العربية ، وليرع الأزهر هذه الحركة الجديدة بكل ما فيه من عزيمة وقوة حتى تخرج الى حيز العمل . فقد كان القرآن كلمة الله فى البداية ، ومنها انبعث كل ما فى الاسلام من محبة واخوة وسلام

(بودابست) عبد الكريم جرمانوس

وكان قد وفد على المعتصم مرة يشكو عاملاً ناقشه فى قرية يحرث فيها وأنشده الرائية المذكورة . ولما بلغ قوله : لم يبق للجور فى أيامكم أثر . قال له المعتصم : كم فى القرية التى تحرث فيها ؟ فقال : فيها نحو خمسين بيتاً ، فقال : أنا أسوغك جميعها لهذا البيت الواحد ، وعزل عنها نظر كل وال ... ومن شعر أبى الفضل بن شرف : —

يا من حكى البيدق فى شكله … أصبح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه … ورأسه أصغر ما فيه

وقال : —

لعمرك ما حصلت على خطير … من الدنيا ولا أدركت شيّا
وها أنا خارج منها سليبا … أقلب نادماً كلتا يديا
وأبكى ثم أعلم أن مبكا … ى لا يجدى فأمسح مقلتيا
ولم أجزع لهول الموت لكن … بكيت لقلة الباكى عليّا
وإن الدهر لم يعلم مكانى … ولا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف أنشر فيه نشرا … إذا أنا بالحمام طويت طيّا
أسر بأننى سأعيش ميتا … به ويسوءنى إن مت حيا

وروى له : —

ألحاظكم تجرحنا فى الحشا … ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا … فما الذى أوجب جرح الصدود

وأرسل اليه الشاعر ابن اللبانة بأبيات يواسيه بها ويحثه على النهوض وهى : —

يا روضة أضحى النسيم لسانها … يصف الذى تهديه من أرجائها
ومن اغتدى ثم اهتدى لطريقة … ما ضل من يسعى على منهاجها
طافت بكعبتك المعالى اذ رأت … أن النجوم الزهر من حُجاجها
شغلت قضيتك النفوس فأصبحت … مرضى وفى كفيك سر علاجها
هلا كتبت إلى الوزير برقعة … تصبو مع اطفه إلى ديباجها
تجد السبيل لهم ولا تك للمنى … وينير سعيهم بنور سراجها
أنت السماء فما بها لك رفعة … طلعت عليه الشهب من أبراجها
وضحت مفارق كل فضل عنده … فاجعل قريضك درة فى تاجها

فكتب اليه المترجم :

يا منجدى والدهر يبعث حربه … شعثاء قد لبست رداء عجاجها
لله درك إذ بسطت إلى الرضا … نفساً تمادى الدهر فى إحراجها
وأرقت ماء الود فى نار الأسى … كالراح يُكسر حدُّها بمزاجها
فيأتينى تلك الغمام فبرّدت … من غلة كالنار فى إنضاجها
فأويت تحت ظلالها ووجدت بر … د نسيمها وكرعت فى ثجاجها
قل كيف تنعش بعد طول عثارها … أم كيف تفتح بعد سدرتاجها
لأزيد فى أمرى وضوحا بعد ما … قامت براهين على منهاجها
فأكون إن زدت الصباح أدلة … خرقاء تمشى فى الضحى بسراجها
دعنى أبرد بالقناعة غلة … يأس النفوس أحق فى اثلاجها
بكر بخلت على الأنام بوجهها … ومنعتها من ليس من أزواجها
وصرفتها محجوبة بصوانها … مثل السلوك تصان فى أدراجها
كالنور فى أكمامها والبيض فى … أغمادها والغيد فى أحداجها
فالنفس إن ثبتت على أخلاقها … أعيا على النصاح طول لجاجها

وإنك لترى للمترجم له مع ذلك رسائل[1] بديعة أنيقة الوشى حسنة التحبير ، تنم على دقة حسّه البيانى ، وذوقه الفنى ، وتفننه فى جميع فنون المراسلات والمراجعات ، وأنه مُحسن فى جميع فنون الأدب إحسانه فى الطب والحكم ، فهو شاعر كاتب حكيم طبيب ، ولا جرم أنه انحدر من صلب ذلك الأديب العبقرى ابن شرف القيروانى الذى غمرَ ابنه هذا وأخمله حتى نحله مؤرخو الأدب العربى فى عصرنا أكثر شعر ابنه

عبد الرحمن البرقوقى

(١) راجع هذه الرسائل فى القلائد

٣٠

# الحياة الأدبية فى شرق الاردن

بقلم السيد جريس القسوس

ما كنت أرغب فى التعرض لهذا الموضوع ، لو لم تنشر (الرسالة) الغراء بحوثاً ممتعة لمختلف الكتاب عن الحياة الأدبية فى بلدانهم . لهذا رأيت من واجبى ، وأنا بعيد عن شرق الأردن ، أن أقدم للقراء الكرام صورة صادقة بقدر الامكان عن الحياة الأدبية فى شرق الأردن . أقول هذا وأنا أشعر بحروجة الموقف ودقته ، إذ لا يخلو مثل هذا البحث من بعض الخطأ مهما توخى الباحث العدل والصدق فى بحثه

لم تكن بلاد ما وراء الأردن ، منذ خمسة عشر عاماً ، إلا جزءاً من سورية لاينفصل ، فهى لذلك بلاد فتية فى تكوينها السياسى وفى نهضتها الأدبية والاجتماعية . أما والقصود من هذا المقال النهضة الأدبية ، فلنقتصر على هذه ، تاركين البحث فى السياسة والاجتماع لعلمائهما

دبت فى شرق الأردن حياة أدبية جديدة ، لم يكن لنا عهد بها قبل بزوغ فجر الأمارة . فكان أول عمل قامت به الحكومة فتح المدارس الأميرية ، من قروية وابتدائية وثانوية ، وتحسين برامج التعليم ، وتوحيدها إلى حد ما ، فى مختلف المدارس الطائفية وغير الطائفية ، حتى أصبحت تنهج جميعاً نهجاً واحداً سوياً نحو ايقاظ الروح العربية الكامنة ، والتوفيق بينها وبين التيارات الجارفة التى بدأت تطغى على هذه البلاد من الغرب .

كانت شرق الأردن بحكم الوضع السياسى والجغرافى ، قبل الحرب العظمى ، بلداً مجهولاً ، ولانزوائه وانقطاعه عن البلدان العربية المجاورة لم يتسنّ لأهله الأحتكاك بأهل الأقطار الأخرى كل الاحتكاك ، فتمتزج بذلك الثقافات ، ولو كانت شبه متجانسة ، فتتفاعل ويتولد عن ذلك روح ويقظة جديدتان .

كانت الحياة الأدبية قبل ذلك راكدة ، والنفوس فاترة ، والمواهب كامنة ؛ فلم تنبعث إلا بتأليف حكومة سمو الأمير المعظم ؛ عندئذ دخلت البلاد فئة راقية من أدباء الأقطار المجاورة ، وخاصة سورية ؛ فكان دخول هذه الفئة البلاد باعثاً كبيراً على أحياء الأدب العربى ، واحداث نهضة فكرية مباركة لا نكون مبالغين إذا سميناها بالرنسانس ؛ فكان مثلاً لقصائد الشيخ فؤاد باشا الخطيب (١) شاعر الثورة ، والأستاذ محمد الشريقى (٢) وغيرهم من الأدباء الذين رافقوا الثورة العربية ، وطوحت بهم الأقدار إلى هذا القطر الجديد ، أثر لا يستهان به فى احياء الآمال فى نفوس الأحداث ، وقد كانت ميتة آنئذ ، وفى ايقاظ الروح الأدبية الكامنة ، وتوجيهها فى السبل القويمة

ولقد نشطت الحكومة ، بعد استقرار الوضع السياسى فى البلاد ، إلى ارسال البعثات العلمية سنوياً إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت وغيرها من المعاهد الراقية فى سورية وفلسطين ، وتنبه الشعب الأردنى الى فضل العلم والأدب فى نهضات الشعوب ، فبادروا الى ارسال أبنائهم على نفقتهم الخاصة الى بيروت والجامعة السورية فى دمشق ، والى المدارس الثانوية فى فلسطين ، ولكثرة الطلاب كثر الاقبال على مطالعة الأدب المصرى منه والسورى ؛ فكان أثره فى ايقاظ الحركة الفكرية وبجديد الحياة الأدبية غير يسير

كل ذلك كان يحدث ، بينا الصحافة المصرية تغذى نفوس الأحداث بأدبها الراقى وعلمها الصحيح . ولا أبالغ إذا قلت إنه كان « للرسالة » أثر ملموس فى إحياء النهضة الفكرية ، وتشجيع الحياة الأدبية فى البلاد . فقد كان اقبال الطلاب خاصة على مطالعتها شديداً . وإننى أذكر — على سبيل المثال — أنه كان يباع منها فى حين نحو ثمانين عدداً أو أكثر فى بلد صغير كالسلط . «فالرسالة» وغيرها من المجلات والصحف العربية كانت ولا تزال ، تسد عوز البلاد وافتقارها الى صحافة حرة تعمل على تشجيع الانتاج الأدبى ، «وتحيى فى النشء أساليب البلاغة العربية»

بيد أنه ، وان لم يقم فى شرق الأردن إلى الآن مؤلف بالمعنى الصحيح ، أو أديب منتج يستمد مادته وموضوعه من الحياة ، إلا أننا نرى طلائع نتائج هذه العوامل المختلفة فى تكوين النهضة الأدبية الحديثة فى قيام فئة قليلة من حملة الأقلام النثرية كأديب عباسى ، والدكتور محمد أبوغنيمة ، وبشير الشريق ، وعبد الحليم عباس ، والبدوى الملثم وغيرهم ؛ والشعرية أمثال مصطفى وهبى التل شاعر النوّر ، وصاحب ديوان « عشيّات وادى اليابس » . وحسنى فريز ، والشيخ رشيد زيد ، وحنا الشوارب وغيرهم من الأدباء الأحداث

(١) مستشار سمو الأمير الخاص (٢) مفتش المعارف الحالى

لكن شرق الأردن تمتاز عن الأقطار العربية الأخرى ، وخاصة الساحلية ، بنوع خاص من الأدب ، أعنى به الشعر البدوى . وهو ، وإن قل ، من حيث الكمية والنوع عما قبل ، فانه لايخلو من عناصر حية تميزه عن غيره من الشعر الراقى المعروف فى شرق الأردن وفى كثير من البلدان العربية . والشاعر البدوى شاعران : شاعر راوية ، يحفظ ، على أميته كمية وافرة من القصائد المختلفة ، قديمة كانت أم حديثة ، ويلقيها فى شتى المناسبات كمجالس الشيوخ والأفراح المختلفة من مولد وختان وعرس ؛ وشاعر منشىء مبتكر ، وعدد الفئة الأخيرة يسير جداً إذا قيس بالفئة الأولى . وأكثر ما يكون الشعراء المنشئون فى مضارب البدو على سيف الصحراء . أما أشهر أبواب الشعر البدوى فالمدح والحماسة والغزل والعتاب والرثاء . ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نتبسط فى وصف هذا الشعر ، وفى معالجة شتى أبوابه باسهاب ؛ لكننا نقتصر على ذكر فريق من الشعراء البدو المخضرمين — أى الذين نشأوا فى أواخر القرن التاسع عشر ولحقوا العشرين — ونخص منهم بالذكر نمر العدوان ؛ وقصيدته فى رثاء زوجه فصحاء مشهورة ، تتناقلها الألسنة فى كل مكان . وهو يستهلها بمخاطبة ابنه عقاب قائلاً : —[1]

البارحة ياعقابْ يومَ القمرْ غاب    بليلة العيد السـعيد الجديد

إلى أن يقول ، واصفاً نفسه بعد ما ألم بها من حزن لفقد زوجه :

كل ما غشيت امراحْ أو جئتْ مرقابْ
لَجوح جوحَ الذيب وعضَ يـدّى
أنهفْ ونوح واقطر الدمعْ سكّابْ
على صويحبي اللى راح ما هو من ايدّى
يا قلبي تقولْ سفوتّ حديد شبّاب
يامهجتى لوانّه حجرْ كن صار شيد
من لامنى يا عقابْ يبلى بارقط ناب
من جنّة الوهاب ما يـستفيد

ومعنى هذه الأبيات « أننى كلما مررت بربع ، أو صعدت جبلا ، عويت كالذئب ، وقضمت كفى حزناً ، ونحت وسكبت الدمع مدراراً على صاحبى المفقود ؛ وأن بقلبى ناراً تضطرم اضطراماً يكاد منها ذلك القلب لو كان حجراً ، أن يصير كلسا .

(١) اعتمدنا فى ذلك على كتاب ( خمسة أعوام فى شرق الأردن ) للمطران بولس سلمان

ألا فليبتل يا عقاب من لامنى فى ذلك بحية تميته ميتة لا يدخل بعدها الجنة »

ومن هؤلاء الشعراء أيضاً أبو الكبار من قبيلة الشرارات ، وهو مشهور بالشعر الحماسى ، ووصف الغزوات والمعارك . وقصيدته فى مدح عودة أبى تايه[1] وقد تحاربت قبيلته مع أهل الكرك . وفى هذه القصيدة يقول ، بعد أن يستهلها بذكر الله وطلب عفوه وغفرانه ، شأن غيره من شعراء البدو :

قُمْ يا على نُشْرفْ على كلّ طايلْ
شـدّيتْ عوصا تقطعْ الدوّ حايلْ

أى انهض يا على ( وهو بطل الطليعة ) وأعد فرسك ، لنقطع الفلاة ، ونشرف على مواقع الأعداء .

إلى أن يقول واصفاً مرابع عودة أبى تايه :

تلق بيوتاً بنوا بى نزيله    تلقى حميل دلالهم عن نفيله
ألبن بالهيوان تسمع صهيله    عزام لوجوه المسايير زافات
تلقي شايباً عندهم مستعدٌّ    الحرّ اللّى باللازم يسدّ
عنه يحوض الخيل يوماً يهد
عن حرب أبو تايه اللّى لَهْ الفعل عاداتِ

( أى تلق منازلهم مضروبة فى أعلى الروابى دلالة على شجاعتهم ، وعدم خشيتهم العدو ؛ وفى مطارح النار تلق حثالة البن دلالة الجود . وفى تلك الخيم تسمع صوت الهاون ؛ إذ يدق فيه البن ، فيكون بصوته ذلك داعياً للخير والضيافة ؛ تجد شيخاً حراً مضيافاً ، وفارساً مغواراً تتجنب الفوارس بطشه ، وترتعد له الفرائص عند الحرب ، هو عودة أبو تايه »

ومن الشعراء الداجين سالم المرعى وعلى القزبى وغيرهم ، وأنا أعرف من الشعراء الأحياء الذين يجيدون قرض الشعر البدوى فى شتى الأحوال ومختلف الظروف : محمد بن هلال ، وسعود المجالى فى الكرك . وقد يكون غير هؤلاء فى مضارب البدو فى الشمال وفى الداخل ، لكن دراسة هذا النوع من الشعر دراسة عميقة ، وتدوين هذه الأشعار قبل أن تعبث بها أيدى البلى يحتاج الى مشقة كبيرة من تنقل بين مضاربهم وتعرف الى أماكنهم وأحوالهم ، وطرق عيشهم

(١) هو عودة أبو تايه شيخ قبيلة الحويطات الأردنية ، رافق الأمير فيصل فى الثورة ، وأتى من الفروسية المدهشة بالعجاب مما حدا لورنس إلى تخليده فى كتابه « عواميد الحكمة السبعة » ملقباً إياه بروبنهد البدو « The Bedouin Ropinhood ».

**بعد احتلال أديس أبابا**

# فضيحة القرن العشرين !

[ قطعة مهداة إلى جلالة الأمبراطور العظيم
« نزيل فلسطين » ]

## للأستاذ على الطنطاوى

... حق صريح يصان فى عصور الظلام ، وأمة آمنة تسلم فى قرون الجهل ، أفيُعبث بهذا الحق فى القرن العشرين ، قرن العلم والنور ... ويُعتدى فيه على هذه الأمة ، فتُسرق أرضها وحريتها وسعادتها ؟

يا لفضيحة القرن العشرين ! ... يا لضيعة المبادئ الانسانية ! يا لخيبة العلماء والأدباء والأحرار !.. يا لافلاس الحضارة الغربية .. يا للعار على الفكر البشرى !

أتبنى المدارس ، وتفتح المعاهد ، وتنشأ المحاكم ، لتبث مبادئ الحق والخير والفضيلة ، وتعمل على ذلك دهوراً ، فيأتى طاغية من طغاة الغرب فيهدمها كلها بطلقة واحدة من مدافعه ، ويرجع بالعالم إلى الوراء عشرين قرناً ، ولا يجد من يأخذ على يده ، وينصف الانسانية منه ؟

أيهزأ طاغية روما بكل المبادئ التى يقدسها البشر ، ويدوسها بقدميه وأقدام جنوده ، ويستعبد أمة بكاملها لم تستعبد منذ فجر التاريخ ؛ ثم يمضى هؤلاء (الممثلون) فى طريقهم إلى (مسرح جنيف) ليمثلوا عليه بقية المهزلة ... هذه المهزلة الدامية التى كان أول ضحاياها عظمة الفكر البشرى ، وجمال الحضارة الحاضرة ، ومبادئ جمعية الأمم ؟

ارجعوا يا هؤلاء ، ارجعوا إلى بلادكم ، قد تمزق الستار وبدت من خلاله الوجوه المصطنعة واللحى المستعارة والسيوف الخشبية ؛ ورأى الثقلان أن (جبار جنيف) لم يكن إلا صنما من أعواد ، أقامه الأقوياء ليخدعوا به عباد الأصنام من الأمم الضعيفة ، عن حريتها وحقها ومالها

ارجعوا فأظهروا أنيابكم التى سترتموها ، وأظافركم التى أخفيتموها ... ما أنتم أيضاً إلا ذئاب

***

أما أنت أيها الأمبراطور الحبشى العظيم ، أيها الجندى المجاهد الشريف ، فتعزّ واصبر وارتقب ، فليس مع خصمك إلا الحديد والنار ، ولكن العالم كله معك ، والقلوب كلها تخفق بحبك ، وببغض عدوّك . إن الحبّ والبغض هما أقوى سلاح فى الوجود ، وانهما إذا لم يقوما اليوم للمدفع والطيارة ، فلن يقوم لهما غدا طيارة ولا مدفع ، وإن خصمك يستطيع اليوم أن يخطب فيصيح ويفخر ويهدّد ، ويستطيع أن يجرّد الجيوش ، ويسير الأساطيل ، ويطلق المدافع ؛ ولكنه لا يستطيع أن يصنع المسمار الذى يسمر به الفلك ، فيقفه عن الدوران ، ولو جمع له كل حديد الأرض . إن الفلك يدور أبدا ، فيقوى الضعيف ، ويضعف القوى ، ويشب الطفل ، ويهرم الشاب ، ويرتفع من كان فى الحضيض ، ويهبط من كان فى الأوج ؛ فاصبر وارتقب

إنك لم تجبن ولم تفرّ ، وقد أعذرت إلى أمتك ونفسك وإلى التاريخ ، فما ألوت فى الجهاد جهداً ، ولا ادخرت عنه أيداً ، وكأنى أنظر اليك الآن وقد فى كنت دارة عرشك ، وقرارة

---

ولقد فاتنى أن أذكر أن الشيخ رشيد زيد الذى مرّ ذكره مع طبقة الشعراء المجيدين فى الفصحى ، ليحسن نظم الشعر البدوى . وقد أتيح لى أن أسمع له قصائد رائعة ، وعالية النفَس فى هذا النوع من الشعر ، يعارض فى بعضها قصائد مشهورة كاليتيمة وغيرها

والخلاصة أن الحياة الأدبية فى شرق الأردن ضئيلة ضعيفة اذا ما قورنت بغيرها من الأقطار العربية ، على أن سيرها فى مضامير النشوء والتطور على هذا الشكل المدهش ليدعو الى التفاؤل الشديد . وأنا لا أشك فى أنه سيأتى يوم تصبح فيه شرق الأردن بفضل هذه العوامل المختلفة التى بسطناها ، وبفضل غيرها ، حية بأدبها ، وغنية بأدبائها . ولا بد قبل الختام من الاعتراف بما لقصر رغدان من فضل كبير فى تنشيط هذه الحياة الأدبية ؛ فقد كان ولا يزال يحدب على الأدب ، ويؤازر الأدباء ، ويشرق على نفوس الشباب بالنور والحياة

(بيروت — الجامعة الأمريكية) حبيب القسوس

ملكك ، وموطن شعبك ؛ وكنت آمناً مطمئناً ، تتعهد بلدك بالاصلاح ، وأمتك بالتهذيب والتعليم ، فما راعك إلا صوت الصريخ تدوى به أروقة القصر ، فهببت مذعوراً — وما كنت بالذى يذعر أو يضطرب — واستخبرت الخبر ، فعلمت أنه الموت قد حمله المتمدنون إلى بلادك ألواناً ، نخففت إلى هؤلاء المعتدين تسألهم ماذا يريدون ؟

— قالوا : نريد بلادك فاخرج منها ، أو فابق فيها عبداً لنا وخادماً !

— قلت : وأى ثأر لكم عندى ، وأى عداوة بينى وبينكم ؟ أهى أن جاء قوم منكم منذ حين يريدون قتلنا ، فرددناهم عنا ؟ أليس لنا أن ندافع عن أنفسنا ؟

— قالوا : صه ! أنت متوحش .... أنت متأخر .... وقد جئنا لنعلمك ونعلم شعبك ، ونحمل اليهم حضارتنا ومدنيتنا ، فاذا أنت لم تسمع وتطع كلمناك بلسان البارود والغاز الخانق والنار والحديد .....

فثار فى عروقك الدم العزيز الذى لم يذل منذ ألفى سنة ، فأهبت بجمعية الأمم ، وناديت حماة السلام . فلما لم تجد منهم مجيباً ، صرخت فى شعبك أن خذوا السلاح وتأهبوا للموت ، فان فى الديار لصوصاً متمدنين ، من أحفاد كافور وغاريبالدى ودانتى ورفائيل . . . يريدون أن يسرقوا حياتكم وحريتكم وبلادكم !

فهبوا للنضال . . . ولكنهم سقطوا شهداء ، أمام وحشية المدنية ، وجهالة العلم ، وذئبية الانسان !

***

لا ! إنك لم تنهزم ولم تغلب ، ولكن غلبت المبادىء يا أيها الأمبراطور العظيم ، وانهزمت الفضيلة ، وديس الحق ، وأفلست مدنية القرن العشرين !

إنك لم تنهزم ، وإن الطليان لم يتملكوا أرض الحبشة ، لأن العصر عصر الأمم لا عصر الملوك ، وقد استسلمت أنت مرغماً للقضاء ، ولكن استسلامك للقضاء ، وتركك أرضك للأعداء ، لا يسلم أمتك إلى الفناء . إن هذا الشعب الذى عاش حراً عشرين قرناً ، لا يستسيغ الاستعباد فى عشرين شهراً ، ولا فى عشرين سنة ، وإنه سيجاهد ويناضل ويقاوم ويقاتل ، ما بقى فيه شخص واحد يمشى على أرض الحبشة ، ويسمع صراخ الأجداد من أعماق الثرى . . . وأعالى السماء . . . تدعوه إلى إنقاذ رفاتهم من نعل الأجنبى الغاصب أن يطأها ويعبث بها ؛ وإن الغالبين قد يملكون اليوم الدساكر والقرى ، وينشئون القلاع والحصون ، ولكنهم لن يمتلكوا القلوب ، ولن ينشئوا فيها الحب ، وها هى ذى طرابلس . بل هذه هى الأندلس :

ألم تسمع أيها الأمبراطور باسم الملك الطريد أبى عبد الله الصغير ، ذلك الذى كان ملك الأندلس ، وسيد غرناطة ، وصاحب الحمراء ، سليل الملوك الذين جعلوا الأندلس جنة الدنيا ، ومدرسة العالم ، ومشرق أنوار الحضارة ؟ لقد خدعوه كما خدعوك ، فأعطوه العهود والمواثيق ، وأقسم عليها ملوكهم وسادتهم ، وشهد بها أعاظمهم وأشرافهم . وصدق عليها البابا أمين دينهم وسيدهم على أن يدعوا له قصوره ودوره وأمواله وجواهره ، وحكمه وسيادته ، وعلى أن يتركوا قومه أحراراً فى عبادتهم وبيوتهم ومعاملاتهم وتجاراتهم ، وأن يكفلوا لهم راحتهم وهناءتهم وأموالهم وأمتعتهم ؛ فلما ملكوا أخرجوا الملك من أرضه وبلاده ، فرأى لآخر مرة شرف الحمراء ، وجنان العريف ، وجبل شلير ، ثم مضى تتغلغل به السفينة فى أمواج البحر ، وصورة الأندلس تنأى وتبتعد ، حتى توارت وراء الأفق ، فخرجت من حيز الواقع لتدخل فى حيز الذكرى ، ولتكون أمنية فى نفس كل مسلم ، يوصى بها السلف الخلف . ويأخذ منه العهد على استرجاع « الفردوس الاسلامى المفقود » ، وعمدوا إلى مسلمى الأندلس ، فأخذوا مساجدهم ، وأحرقوا مكاتبهم ، وفيها ثمرة العقول البشرية منذ مطلع التاريخ إلى ذلك العهد ، ليتلهوا بلهيبها فى ليالى انتصارهم ، وأنشأوا لهم محاكم التفتيش لتدخلهم فى النصرانية قسراً ، وتحرقهم أحياء ، وتعذبهم عذاباً لا يتخيله إنسان . . .

وها هم أولاء الأندلسيون بعد أربعمائة وخمسين سنة ، وبعد احتمال أهوال لا يحتملها بشر ، وبعد أن تنصروا جميعاً ، لا يزالون ذاكرين عربيتهم معتزين بها ، ولا يزالون يحاولون الرجوع إلى الأم العربية الكبرى ؟

أفتلين الحبشة التى لم تزل عزيزة ، وتندمج فى الطليان فى أيام معدودات ؟

***

# ساجيء هذى الدار

## للأستاذ فخرى أبو السعود

البدر فضّ غياهب الديجور     وأذابَ لجة بحره المسجور
أضفى على وادى المنية روعةً     من صَوْبِ ضوء سال كالبلُّور
فازدادت الأجداث فيه مهابة     لما أُنجابتْ فى نوره المنثور
قرّتْ ، وقرّتْ سامقاتٌ حولها     عُطِّلْنَ من نَسَمٍ وسَجْعِ طيور
فكأنها فى صمتها ومُثولها     أشباحُ وادٍ نازحٍ مسحور
وأوَى الظلامُ إلى خرائب منزل     خلف القبور مهدّم مهجور
مُقْوٍ من الأحياء والمَوْتَى فلا     هو فى القبور يُرَى ولا فى الدور

---

وأتيتُ متّئِدَ الخُطَى متأنّياً     أنسَلُّ بين حفائرٍ وقبور
أجتازُ فى وادى المنون مُطهّرًا     للنفس فيـــه أيّما تطهير
متذكّرًا فيه وكم مِنْ عِبرة     لمنِ ابتغَى فيه ومن تذكير
حيثُ الصعيدُ جماجمٌ ومعاصمٌ     وجِبَاهُ صُيّابٍ وأعيُنُ حُورِ
حيث انطوتْ سِيَرٌ خَوَالٍ وانتهتْ     أشغالُ أجيالٍ وحربُ عصور
وخَبَتْ معاركُ لم يكفكِفْها سوى     حملاتِ جيش للحِمام مغير
وخَبَا ضِرَامُ محبَّةٍ وعداوةٍ     وهمومُ أفئدة وداءُ صدور
أسْتَخبِرُ الأجداثَ عما استُودعَتْ     من كلِّ منخوبٍ بها منخور
ماذا صنعن بفاتنٍ ومنعَّم     وجليل شَيْبٍ جاءها وصغير ؟
كم غيّبَتْ من كان مَطمَحَ مُهجةٍ     ومناطَ آمالٍ وعقـــدَ أُمور

---

أجل أيها الأمبراطور ! إن الحبشة لم تنهزم ، ولكن انهزمت جمعية الأمم ، وذبحت مبادئها فى الحبشة ، كما انهزمت الحضارة ومحيت أعلامها فى الأندلس !

إن جمعية الأمم لم تكن أوثق عهداً من البابا ، وإن موسولينى لم يكن أرق من فرديناند ، وإن الطليان ليسوا خيراً من الاسبان ، وإن القرن الخامس عشر ليس شراً من القرن العشرين . . .

* * *

أما أنتم يا كتاب التاريخ فسجلوا :

« لقد كانت حادثة الحبشة فضيحة القرن العشرين ! »

(دمشق)     **على الطنطاوى**

طوَتِ الأليفَ فإذْ بكاهُ إلفُهُ     ثُنَتْ برَبِّ المدمعِ المنثور

---

سأجيء هذى الدّار يوماً لاحقاً     مَن غادرُوا بالقلب برْحَ سعير
ومُخَلِّفاً بعدى حزيناً موجَعًا     يبكى بدمعٍ للفراق غزير
يبكى وما عبراتُه فى أوْبتى     بالشافعاتِ ولا الرّدَى بعذير
وتقَرُّ فى تلك الغيابة أعظُمى     مِن بعْدِ كَدٍّ دائبٍ مكرور
يَسْلُو بها قلبى قديمَ مآربٍ     كانت وينزع عن أسى وحبور
غفلان عن سالٍ لذكرى جامدٍ     أوْ جائدٍ بفؤاده المفطور
ويُطل ذاك البدرُ فوقى زاهياً     يجلو سناه غياهبَ الديجور

**فخرى أبو السعود**

---

# نشيد الأستاذ محمد فضل إسماعيل

وهو الرابع الذى نال إحدى الجوائز

مهّدُوا لِلمُلْكِ أبْرَاجَ السَّماءْ     وارفعوا فى ساحةِ المَجْدِ اللّوَاءْ
واسْمعُوا من جانب النيلِ النّدَاءْ     مصْرُ للمصرىّ قلبٌ وجنَانْ
نحن أبناء الأُولَى     طاوَلوا مُلْكَ الشُّهُبْ
قد خطَوْنَا للعُلاَ     فوق أعناقِ الحُقَبْ

---

مجدُها باقٍ عَلَى مَرِّ الدهورْ     خلّدَتْه فى حناياها العصورْ
فى جلالٍ ناطقٍ بين الصُّخورْ     حيّرَ الدنيا على مَرِّ الزمانْ
نحن أبناء الأُولَى     . . . .

---

لاَ نَهَابُ الموتَ فانظر يا قدَرْ     كيف لا نهتزّ يوماً للغِيَرْ
نحن شَعْبٌ مِلْءُ وَاديه الخطرْ     خاضَ للعلْيَاءِ لُجَّ المَعْمَعَانْ
نحن أبناء الأُولَى     . . . .

---

قد تآلَفْنا على حبِّ البلادْ     فانطَلَقْنا فى ميادينِ الجهادْ
نُشْهِدُ الأرْضِينَ والسَّبْعَ الشّدَادْ     أنَّ لِلأهْرَامَ عِزًّا لاَ يُهَانْ
نحن أبناء الأُولَى     . . . .

---

دينُنا فى مصرَ مَوْفُورُ الجلالْ     ليس معناهُ صليبٌ أو هلالْ
إنما معناه مُتْ يومَ النِّضالْ     بئسَ مَنْ يحْيَا كما يحْيَا الجبانْ
نحن أبناء الأُولَى     طاوَلوا مُلْكَ الشُّهُبْ
قد خطَوْنا للعُلاَ     فوق أعناق الحُقَبْ

صوتَ مَنْفِيسٍ يُدَوِّى كالرُّعودْ    هَيِّئوا للنيلِ مَجْدًا فى الخلود
فابْتَنَيْنَا مثلَ بُنْيَانِ الجُدُودْ    كَعْبَةً للنُّبْلِ فى أعلَى مكانْ
نحن أبناء الأُولَى    . . . .

فاجرِ يا نيلُ بوادِيكَ الأمينْ    إنَّهُ وحْىٌ منَ السِّحْرِ المبينْ
تاجُهُ فى الدَّهْرِ وضَّاحُ الجبينْ    ينحَنى فى جانبيه النَّيِّرانْ
نحن أبناء الأُولَى    . . . .

واسقِنا يا نيلُ من نَبْعِ الحياهْ    أنْتَ للأوطان جاهٌ أىُّ جاهْ
يَسْتَمِيتُ الشَّعْبُ حُبًّا فى عُلَاهْ    من شبابٍ أو كهولٍ أو حِسَانْ
نحن أبناء الأُولَى    . . . .

حولك الغُرُّ المَيَامِينُ السِّماحْ    يدفعونَ الضيمَ من كلِّ النَّوَاحْ
فاجرِ يانيلُ وفِضْ بين البِطاحْ    أنْتَ والكوثَرُ فيها تَوْأمَانْ
نحن أبناء الأُولَى    . . . .

قد وقَفْنَا فى ثباتٍ كالجبالْ    فى صُفُوفٍ صَدْعُها صَعْبُ المنالْ
صوتُنا يمْلَأُ آذانَ اللَّيالْ    مصْرُ للمصْرِىِّ عاشتْ فى أمان

---

## نشيد الأستاذ محمد الأسمر

هيّــا بنا إلى الأمامْ    هيا بنا هيا بنا
المجد فى الدنيا زحامْ    فزاحموا نحـو المنى
واسعَوْا إلى خير الوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن    يحيا الملك . يحيا الوطن

نحن الحياةُ للبلادْ    ونحن فى مصر العلَمْ
إذا دعا داعى الجهادْ    كنا بها أسد الأجَمْ
نذود عن أرض الوطنْ
يحيا الملك . يحيا الوطن    يحيا الملك . يحيا الوطن

يا مصر يا كنز الوجود    نحن على الكنز أسودْ
ونحن أمثالُ الجدود    نفنى ونعطيك الخلودْ
يا مصر يا خير وطن
يحيا الملك . يحيا الوطن    يحيا الملك . يحيا الوطن

هيا بنا إلى الأمامْ    هيا إلى الذكر الحسن
فنحن من بين الأنام    تاجٌ على رأس الزمن
ونحن روح للوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن    يحيا الملك . يحيا الوطن

هيا بنا ، هيا بنا    نبنى الخلود والبقاء
نبنى ونرفع البنا
المجد فى الدنيا لنا    لما بنى الله السماء
بنى لنا مجد الوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن    يحيا الملك . يحيا الوطن

---

# منظر النيل الأزرق
## فى بعض بلاد السودان
### للأستاذ عبد الله عبد الرحمن

أىّ حسن تراه لم يحرز النيـ    ـل وأى الجمال إلاّ لديه
رفَّ فيه النبات حتى كأنى    من وراء النبات أرنو إليه
وكأنَّ المياه صفحة خدّ    وكأنَّ الظلال شامٌ عليه
وكأن الدخان من جانب الـ    ـشطّ مشيب يلوح فى عارضَيه
يتلقّى الأديب منه قوافى الـ    ـشعر رقراقة على حافتيه

وعلى متنه كهارب قامت    تبهر الناظرين والليل قاتم
كسيوف مجردات على الما    ء مواضٍ له من البرّ قائم

نازعتنى أقول فيه القوافى    نفس حر إلى الجمال نزوعهْ
فتمشيت والهواء عليل    غير ما ناقل خطاى السريعه
وظلال الجميز والطلح والسد    ر تَرَامى على المروج الوسيعه
ووجوه النبات تحلو وتبدى    صوراً للحياة كانت بديعه
ليس أدعى إلى السرور كروض    خلعت حسنها عليه الطبيعه

فاذا ما دنا المغيب تدانت    من صنوف الطيور شبه الغمائم
رائحات إلى الوكور ولكن    هل تقيها الوكور كيد ابن آدم

(الخرطوم)    عبد الله عبد الرحمن

# القصص

## هواجس

بقلم حبيب الزحلاوى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

أكثر ليالى الصيف فى مصر مقتطعة من فراديس النعيم لعشاق اللهو والاستمتاع يالله !! كم ليلة قضيناها على شواطىء النيل نستمتع بانسياب أمواهه الهادئة، نشاهد مثاوى الأشباح تحت ظلال النخيل، نراقب أنوار المدينة ونجوم السماء تتناقص وتنطفىء وتتلاشى على بساط الفجر وإشعاع الشمس

يالله ! كم ليلة سمعنا فيها أغانى أم كلثوم وصوتها العذب الحنون ! وكم أصغينا إلى نشيج محمد عبد الوهاب وأنغامه المسترخية المستلينة، وكم لمسنا فيها تفاعل الاغماء والتماوت، لقد شهدنا على المسارح تمثيل القردة المقلدين واسترعى انتباهنا ممثل هزلى بارع، إحساسه فى وجهه، وعقله فى نظرات عينيه، وبراعة فنه فى إيمآته وسكونه، هو ذا نجيب الريحانى المطبوع على الفن

كم ليلة جسنا فيها حلقات الأدب، ومجالس العلماء، و(بعكوكة) الظرفاء، وصالات المتأدبات، لقد كانت الرغبات هى كل شىء فى عرف صديقتى أنيسة تدفعها إلى معرفة كل شىء، وكانت تقول: « متى انقطعت الرغبات انقطع حبل الحياة معها، وتجزم بأن من يتعمل قتل رغبات نفسه كان كمن يحاول الانتحار » كانت تعرف الرغبات الجوالة فى صدور الساسة « بأنها تقدير لما تحتاج إليه النفس الانسانية الكبيرة » وتقول: « لا خير فى جهود تبذل إذا كان رجل السياسة يعجز عن إدراك رغبات مواطنيه وحاجاتهم » وقالت عن المصريين: « إنهم كشعب، يعرف جيداً كيف يفرح ويحقد، ولكنه لا يعرف أبداً كيف يغضب وينتقم » لقد قالت لى صديقتى عن مجالس النساء والرجال قولاً ظريفاً فيه مداعبة ومفاكهة، ولذعات وسخرية قالت: « إنه قد يعسر عليها إيجاد رجل واحد خليق بأن يسمى رجلاً بين مائة ممن لقيتهم من الأدباء والعلماء والكتاب والسياسيين، وإن المرأة المصرية ليست إلا أنثى »، وكانت تضحك من الشبان المستكرشين والصبايا المترهلات وتقول: « إن الرياضة تعلم الشباب الاعتداد بالذات »

شيطان صديقتى شيطان ذكر، نبت فى الشرق وتمرد فى أمريكا فصير صاحبته كعصير العنب المستقطر بالبيانسون فائدته فى قتله بالماء، وهكذا متى عادت صديقتى إلى أمريكا سيتذوق الأمريكان خمرة معارفها ويستوعبون عمق وعيها وإدراكها وواسع اطلاعها، وقد مزجت ثقافتها الأمريكية بروح شرقى خاصته الالهام والفيض

لقد عرفت نفسية صاحبتى تصغى إلى كل نأمة، تستوعب الكلمة والغرض، تلمح البادرة الخاطفة، تدرك مرامى النكتة، تقيد شوارد الفكرة وهمسات الفؤاد وسبحات الأحلام، تسمع ولا تتكلم كغالب السوريين، ولكنها متكلمة يطيب لها الحديث تحلل فيه ما سمعت وتنقد ما رأت، على ضوء كأس من الوسكى « كناديان » وسيجارة أمريكانية لا تنطفىء من ماركة « لكى ستريك »

علقت الوسكى وأدمنت التدخين، فكانت تصدنى عن الأول لو حاولت شرب كأس قبل الطعام، ولا تسمح به إلا بعيد منتصف الليل، لأنه يعاون الجسد على الاستغراق فى النوم، وتستكثرنى من التدخين، لأنه يجلى البصيرة على رقصات الدخان وتلاعب تموجاته

شهران من شهور الصيف كانت لياليهما لنا ريادة استكشفنا بها أشياء كثيرة، منها أغانى الرمال وأنغامها فى الصحراء متى داعبها النسيم أو عصف الريح، جثوم أبى الهول عند أقدام الأهرام، هدير النيل فى الشلال وعظمته فى القناطر الخيرية، فى غابات النخيل المتكاثفة فى كثبان الرمل، وقد رأينا أشياء كثيرة فى النهار من معالم مصر كقبور الفراعنة ومخلفاتهم الباقية على الدهر، والجوامع والأديرة والمدافن وسواها مما لم يحفزنى حافز من قبل الى مشاهدته

شهران كانا لى رياضة نفسية عجيبة كنت أتمرن فى خلالها

على الاستنباط من لوحة ذكريات الطفولة ، صوراً بريئة أعرضها على مجهر خيالى وقد استفاق على المعرفة ، والبحث عن المعلوم والمجهول . يا لله من اصطدام الطفولة البريئة بالرجولة المحنكة ، من قوة العقل تكبح جماح طفرة النفس ، من صعوبة سيادة الملكات الانسانية المكتسبة على نزوات الطبيعة الوحشية ، من همهمات ملائكة الضمير على وسوسة الشيطان الرجيم . . . . . . . ! !

... ... ... ... ... ... ... ... ... .. ... ... ... ... ... ...

***

وقفت قبالة عربة القطار المقل لصديقتى أنيسة عبر حدود مصر وقفة مهموم وفتور ، بل وقفة الكلف الولوع المكتوى الفؤاد ، أخاف الفراق وأفرق منه لأنى سأصبح مضطرب الخيال ، فريسة الوحشة ، يتيم الروح . ولما هم القطار متثاقلاً فى حركته ، كان الألم المكبوت يوشك على الانفجار ، ولكنه تحول دموعاً انهمرت سخينة على يد صديقتى وقد قبلتها لأول وهلة

رفعت ذراعى ولوحت بها فى الفضاء ، غير أن الصور اختلطت على وغاب القطار

من لى بمن يعبر عما كان يتجاوب فى صدرها من حنان وحب ؟ من لى بمن يعبر عن نظراتها هل كان يغشاها طيف حزن ، أو هى فاترة ساهمة ؟ من لى بأفاك يضحك منى فأصدق تقوله إنها استسلمت للأسى والمرارة كما استسلمت أنا ، وأن أحلام سعادتها قد انتعشت من جديد كما انتعشت أحلام سعادتى بأمل ورجاء ؟ !

لا . . . . لم يعد بى حاجة الى متقول يضحك منى إرضاء لضعفى الطارىء المستحب ، لم تعد لى بالاستهواء الذاتى فائدة لأنى قدرت ، بعد انقضاء أيام من الألم المضنى ، أن البرزخ الفاصل بيننا متعذر العبور ، ولكن شيئاً جديداً أعاد إلىّ رجائى ، أحيا فىّ أملى ، لقد أخذت كتب صديقتى تصلنى تباعاً كل أسبوع ، فى كل شهر ، فيها التوضيح والتبسيط لكل خلجات عواطف المرأة التى تعرف كيف تعبر عنها تعبيراً صحيحاً فى حالة الانغماس فيها أو فى حالة القدرة على وصفها بالكتابة ، أما الفصول القيمة التى كانت تنشرها فى المجلة الأمريكية ففيها من التفصيل الدقيق لذاتية الأديب الفنان الذى يتخذ من المشاهدات الواقعية والذاتية ومن الخلجات العاطفية أداة للخلق والابتداع

صارت خطاباتها على مر السنين مصدر وحى لى فياض بخصائص الحياة وعناصر الرغبة فيها ، كنت أستلهم سطورها أدق المعانى وأبرع التصورات ، وأشعر بسحرها يغشانى فتشرق نفسى لأنه كان كنغمات بعيدة عميقة لصوت حالم طروب حملها الأثير من جوف وادى الظلام ! ! إلا أنه حدث ما لم أكن أتوقعه ، حدث أن جاءنى كتاب منها تقول فيه أن أكف عن مراسلتها كما أنها ستنقطع عنها ريثما تعالج من مرض ألم بها فى إحدى المصحات وتدعونى الى الصلاة لأجلها ، أو أبكيها بدمعة واحدة إذا استنزف الداء حيويتها ! !

عام طويل أجوف كأنه دهر من العدم حاق بى من كل جانب كنت فيه كالمشلول خولط فى عقله ، لاهو من الأحياء فينفع ولا هو يميت فيدفن . أما الآن فحمداً لله ، فقد كتبت لى صديقتى تقول إنها استعادت عافيتها وبرئت من علتها فتخلصت أنا من التأرجح بين العدم والوجود ، وشفيت من تقلبات النفس وانفعالاتها العكسية . . .

وانتصب واقفاً وقال : لقد دعوتكم الليلة يا رفاق صباى وعشراء كهولتى لأفضى اليكم بما كان بى من هواجس ، وأعترف لكم اعتراف المثقل بالفرح ، فهيا نشرب كأساً من الشمبانيا تبرد اليد المتقدة الممسكة بقلبى منذ عام ، وقد أفلت من مقابضها اليوم

لم يتقدم واحد للشراب بل قال قائل : هل لمثلك وقد جاوزت الخمسين من عمرك أن يستغرقك الحب ويرديك فى مهاويه ؟ وقال آخر : ليس ما كان بك هو الحب ، انما هو أنانية اشعلت نارها امرأة مكبوتة حساسة عاشت على الحنين الى الماضى فى بيئة غريبة عنها . وقال الثالث : ان ما كان بك يا عزيزى هو حرمان أخرس حلت الفرحة الفاجئة عقلة لسانه فصرخ صرخة الوداع ! !

وقال الرابع : لقد أنطقتك الخمر بما كان يجب السكوت عليه ، وتبخرت اعترافاتك هذه نشوة سوف لاتلقاها بعد الآن . وعاد الأول فقال : لقد كان الخيال البعيد يشعرك بالذكرى المفقودة فكنت تتعمد إثبات وجودها بكأس كنت تشربها فى وقت معين ، وبسيجارة كانت تصور لك مرائى الماضى الضائع ، وتخيلات تلك الليالى الهاربة من أجواء أحلام الشعراء ، أما الليلة فقد بددت كل شىء ، بددت كنز وجدانك ، لأن رجل الحياة هو الذى يحب ويتعذب ويموت فلا يشتكى ولا يبكى ، وقال آخر وهو يلوح بيديه ويلوى عنقه وشفته : ما هو الحب ؟ أليس هو . . . أليس هو ؟ ؟ ؟

لا . لا يا أصدقائى ، ليس الأمر كما تتوهمون ، ليس الحب

# العالم المسرحي والسينمائي

## الممثل والمخرج المصري

### كما يراه بعض الفنانين الايرلنديين

( رد على حديث لمجلة الرسالة )

للأستاذ زكي طليمات

تفضل ناقد « الرسالة » الفني فنقل في أحد الأعداد الماضية حديثاً عن المستر هيلتن ادواردز مخرج فرقة ( دبلن جيت ) الأرلندية التي عملت بمسرح الأوبرا الملكية في نهاية هذا الموسم ، حديثاً تناول فيه الممثل المصري والمخرج المصري عما تراءى له بعد أن شهد رواية ( السيد ) التي مثلتها أخيراً الفرقة القومية المصرية بدار الأوبرا

فعن الثناء والنقد الذي خص به هذا النفر من الممثلين والممثلات أقدم للمستر ادواردز شكري الخالص ؛ وكنت بدوري أود لو أتيحت لي فرصة التمثيل أمامه لأسمع رأيه فيما أقدمه ، وأتعرف مواطن الأستاذية أو الضعف في فني ، إذ لكل مفتن ، مهما بلغ شأنه في فنه ، نواح لا تخلو من المآخذ

أما عن المخرج المصري ، وقد خصني المستر ادواردز بالذات ، فأرى لزاماً علىّ أن أتقدم إليه ببضع كلمات إقراراً للحقيقة التي ننشدها جميعاً ، وكشفا لبعض بواطن الأمور التي أصدر فيها المخرج الارلندي حكمه على مظاهرها دون اضطلاع بالظروف والملابسات التي أحاطت باخراج رواية ( السيد )

#### المذهب الواقعي والمذهب الايحائي

كان أبين ما أخذه علىّ المستر ادواردز أنني أتبع طريقة المذهب الواقعي Le Realisme في إخراج الرواية ورسم مناظرها وأستارها . وهذا المذهب يحتم بقدر المستطاع نقل مظاهر الحياة كما هي بتفاصيلها العادية وتفاهاتها الحقيرة ، ونعى على أنني لا آخذ فيما أعمل بالمذهب الايحائي Suggestion ، وهو

---

ما تقول أنت ياصديق ، وأشار الى المتكلم الأخير ، إنما هو شعور بالحياة ووسيلة فعالة تصقل المدارك فتجعلها تتبصر وتتفقه المعاني لجمال الحياة ، لابد للرجل الحي من شعور سام بالحياة ، فالحياة نفسها تسعد بالحب السامي . إن ما تمنحه المرأة للرجل عفو النزوة الطارئة أو الرغبة الطائشة أو المتعة الخاطفة إنما هي منحة متبذل يضع احترامه تحت أقدام الرجل . الحرمان لرجل الشهوة شواظ كومة قش مشتعلة ، والمرأة المسؤولة حنان مدفون لذيذ وعطف دائم ، مستحب . الحرمان للرجل المثقف إنما هو مراء ومشاهد ، وأنغام وألحان ، أطياف وظلال لخيالات المثل العليا التي تتخيلها روحه العظيمة وشاعريته الحساسة التي تلد وتنجب وتخلق وتبتكر

إن حقيقة بواعث ذلك الحب انما هي بذرة الغريزة ألقتها الطفولة البريئة اعتباطاً عند ما استبدلت الرمانة بتفاحة ودست صورة العذراء في محفظة الكتب ، وقد أنتجت على كر السنين تقارباً يضارع انحدار الكهل في سلم الحياة ليلاقي الطفولة من طرفه الآخر ، وهذا الانحدار بشبه طرفي قوس يتقابلان ، ولا يتقاربان ويتماسان إلا إذا انكسرت القوس ! ! ؟

انطلقت حنجرة أحد السامعين بضحكة كبيرة وقهقهة عالية كأنها صوت حجر الطاحون وقال : فلسفة مخمورة وهواجس سكرى هي ما تقوله أيها الصديق . والله إني لأعجب من تخبطكم جميعاً في الحب وتكلفكم ابتداع صور له تشوه وجهه الحقيق ، الحب أيها السكارى نداء جنسي . الحب أيها المتفلسفون تجاوب غريزي لنداء الجنس . وإن كل ما تختلقه خيالاتكم وتبتدعه عقولكم انما هو وصف مبرقع لحقيقة العلاقة الجنسية التي تأنف من البراقع

حبيب الزحلاوي

المذهب الذى ساد فنون الرسم والنحت والتصوير جاعلاً من مظاهرها فناً مركزاً ينبو عن محاكاة الطبيعة كما تراها العين المجردة أو عدسة الكاميرا ، على حين أنه يجمع من الأشياء خصائصها الرئيسية التى توحى بالجزئيات والتفاصيل ، وتبعث مخيلة الرائى على استكمال ما أنقصته عمداً يد المفتن

ثم ساد هذا المذهب أيضاً فن الاخراج المسرحى فجعل من مظاهره المادية ( وهى الأستار والملابس والاضاءة ) ، ثم من مظاهره النفسية ( وهى إلقاء الممثل وإشاراته ) ، فناً يجنح الى البساطة الموحية الغنية ، ويميل الى التركيز بل يهوى أحياناً إلى مقاربة الفن الرمزى Le Symbolisme من حيث المغالاة فى التفسير بالرئيسيات عن الجزئيات والدقائق

وكانت هذه النقلة من جراء تقدم فن الفوتوغرافيا ثم فن السينما الذى جعل كل محاولة من جانب المخرج المسرحى فى نقل الطبيعة ومحاكاتها على المسرح ضرباً من السخف ولوناً من الهزل الفنى الذى يجب أن يترفع عن إتيانه كل متفنن يتأثر بروح العصر ومزاجه العام

وغالى بعض المخرجين فى توليد هـذا المذهب ، ولا سيما بعد أن نزلت بفن المسرح كارثته الأخيرة ، وكسبت السينما النصر فى استمالة الجمهور ، فجعلوا من المناظر المتعددة فى رواية واحدة منظراً واحـداً يشيد بحال يمكن المخرج من تمثيل كافة مشاهد الرواية فى أقسامه المختلفة مع إضاءة القسم الذى يجرى فيه تمثيل المشهد وإبقاء الأقسام الباقية فى الظلام ؛ هذا مع الاستعانة ببعض الأستار الجزئية أو الأثاث والمهمات ، حتى لا يتصدع ما يصح أن ( تعقله ) عين الجمهور la vraissemblance ، وحتى لا تصطدم مخيلة النظارة بما يخرج على المنطق الايحائى الذى هو الباعث الأساسى لشهوة الجمهور المثقف على تذوق هذه اللذة الفنية ، لذة الايحاء واستساغتها

وقد عمد المخرجون ، ولا سيما الانجليز منهم والألمـان ، إلى هـذا الاتجاه الفنى ، وهو ليس بالفن الجديد لأنه عرف على حالة أولية فى مسارح القرون الوسطى بأوروبا وفى المسرح الانجليزى فى عهد شاكسبير والملكة اليصابات ؛ عمدوا إلى ذلك بعد أن أفلس المذهب الواقعى الذى عمدته Antoine فى فرنسا ، و Stanislavsky فى الروسيا ، فى محاولة إنقاذ المسرح بعد أن اكتسحته ( الكاميرا ) مستشعرين قصور ميكانيكية المسرح على تقدمها الأخير عن بلوغ الشأو الذى قطعه فن السينما فى إيراد مناظر لا حد لها ولا نهاية بأيسر الوسائل وأقل التكاليف

وأرادوا بهذا أيضاً ، وهو الصميم ، أن يقدموا للنظارة لذة ذهنية جديدة غير تلك التى يقـدمها فن السينما القائم على تعدد المناظر والعرض الواسع ومحاكاة الطبيعة فى أدق مظاهرها ، لذة أساسها التخيل واستثارة الخاطر وإشعار النظارة لذة التوليد مما هو مركز ، وجمال الكشف عما هو مغلق أو يكاد . وأصابوا التوفيق لدى الجمهور المثقف المشحوذ الخاطر ، ولا سيما الجمهور الانكليزى الذى يحمل فى آدابه تقاليد المسرح الشاكسبيرى

وقد أطلق المخرجون الفرنسيون على هذا النوع من المنظر المركز اسم Simultané

وليعـذرنى المستر ادواردز إذا أنا لم أسهب أكثر من ذلك لضيق المقام ، ولأن الأكثرية الغالبة من القراء لا يأبهون ولا يتذوقون الكلام فى هذه الفنون الغريبـة عن آدابهم القديمة والحديثة . ولكننى أذكر له أننى قرأت ما كتبه المخرج الانجليزى الفقيه ( جوردن كريج ) ، والألمانى ( رينهارت ) ، والفرنسيان العبقريان ( كوبو ) و ( جيميه ) ، والأخير هو أستاذى فى مسرح الأوديون ، وقد شاهدت مآثر فنهم واتجاهاتهم الحديثة فى الروايات التى رأيتها فى لندن وبرلين وباريس

بعد هذا أعترف بأننى لم أعمد إلى المذهب الايحائى المبالغ فيه simultané وهو المذهب الذى تبعته الفرقة الارلندية فى اخراج روايتى ( هملت ) و ( روميو وجوليت ) على مسرح الأوبرا ، لأننى أعلم ، وأنا مصرى وأعمل للمسرح منذ خمسة عشر عاماً ، أن الجمهور المصرى ، بحكم مزاجه العام ، لا يتذوق هذا الاتجاه الفنى ، بل ولا يستطيع أن يفهمه ، بل إنه ليرى فيه ضرباً مما يخالف المعقول ، وذلك بحكم أنه جمهور غير مثقف فى أغلبيته تثقيفاً فنياً كاملاً ، ولأنه جمهور ( لاتينى ) من حيث ثقافته

وإذا كان المخرجون الانكليز والألمان أكثروا من استعمال هذا الصنف من المناظر فلأن ثقافتهم من ( الشمال ) ، وثقافة ( الشمال ) يملوها الضباب والسحاب ، وليس فيها وضوح الثقافة

اللاتينية التي قامت فى بلاد البحر الأبيض المتوسط ، حيث وهج النهار يكشف عن دقائق المرئيات . وإذا كان الجمهور الانـكليزي يرتاح إلى مشاهدة هذا النوع من الاخراج فلأنه جمهور شكسبير وجمهور المسرح الثابت الستار الذى تجرى فى ساحته الواحدة معارك القتال ومعارك الغرام وغيرها ؛ ويكفى أن يرمز لـكل منها بلوحة مكتوبة حتى يستقيم المنطق لدى النظارة وحتى ينزو كل خاطر من كمينه

وفوق هذا ، وعلى اعتبار أن الجمهور المصرى يفهم ويستسيغ هذا النوع من الاخراج ، فاننى ما كنت لأخرج رواية ( السيد ) وفاقا لما يراه المستر ادواردز ويعتبر أنه قطرة العطر المختارة فى سائر وسائل الاخراج ، لأنها رواية من صميم الأدب الـكلاسيكي ، ولأنها من الأدب اللاتيني القائم على الوضوح والبساطة ، ولأنها رواية أساسها ( الكلم ) le verbe لا العرض le spectacle ، والمستر ادواردز يعرف حق المعرفة أن المخرج الحق ، المخرج الذى لا يقدم الشيء الغريب ليعرف بالغرابة ، مقيد بروح الرواية وبنوعها الأدبي ، ومن هذا المصدر يستوحى الاتجاه الفنى ويتخير وسائله فى الاخراج ، ولا سيما فيما هو خاص بالاطار المـادى الذى تبرز فيه الرواية la mise en scène picturale ، وأعنى به فيما أعنى منـاظر الرواية وأستارها

إذن فليسمح لى المستر ادواردز بأن أقول إنه تسرع فى حكمه قبل أن يتعرف ذوق الجمهور المصرى ، وأنه من أولئك النفر من المخرجين الذين يريدون أن يجعلوا من فن الاخراج فناً قائماً بذاته لا يحفل بروح الرواية ولا يحترم إرادة مؤلفها ولا يأبه بتكنها من الاتجاهات الأدبية ؛ وإننى أربأ به عن هذا النفر ذى السمعة المعروفة ، وأقول ، محسناً الظن بنقده ، إنه أخذ علىّ فى الاخراج وسيلة لا يميل اليها شخصياً

أما إننى خرجت على المذهب الايحائى البسيط الذى يستطيع أن يتذوقه الجمهور المصرى ، والذى يماشى روح الرواية ، فأمر لا يقره الواقع ؛ فالمستر ادواردز قد شاهد بعينيه أننى ركزت على جانبى مقدمة المسرح عمودين من النمط الذى كان شائعاً فى القرن الحادى عشر ، وهو عصر الرواية فى اسبانيا L'art roman ، عمودين يجمع بينهما ( قبو ) لا يرى النظارة منه سوى بدايته فوق كل عمود ، على حين أننى لم أكمل الباقى وأسدلت ستاراً من العلاء يغطى ما تعمدت اخفاءه ، وذلك بقصد الايحاء ، عمودين لا يحملان فى قطعهما وتصويرهما جزئيات الحقيقة ، بل يبدوان وعليهما أهم مميزات النمط ، وذلك نزولاً على مبدأ المذهب الايحائى الذى أنا أول من قدمه فى مصر ، ولا سيما فى روايتى (تاجر البندقية) و (أهل الـكهف)

وبذلك أحييت الصبغة الزمنية والمحلية بأسهل الوسائل

كذلك عمدت الى الأستار المخملية ذات اللون الواحد لتمثيل حجرة ابنـة الملك وحجرة (شيمان) ؛ ستاران أحدهما رمادى والآخر بنى اللون ، يهبطان الواحد خلف الآخر وراء العمودين ، واستعنت بالأثاث للتنبيه على الايحاء فى احياء الصبغة المحلية ، فـكان أثاث حجرة شيمان من الفن الأسبانى فى القرن الحادى عشر ، وكان أثاث حجرة ابنة الملك من الفن العربى باعتبار أنها من الأسلاب التى غنمها الأسبان من العرب بعد أن أكرهوهم على الجلاء عن قصورهم

ثم كان المنظر الذى يمثل ساحة أو ربوة بجوار المدينة حيث يتبارز الـكونت والدوق دياج ؛ هذا المنظر قد رسم وفاقا لصميم المذهب الايحائى المتطرف ، بل لقد أمرت المصور الذى رسمه بألا يتبع قواعد المنظور فى رسمه ؛ وكل هذا بقصد استثارة مخيلة النظارة ودفعهم إلى توليد لذة ذهنية تطالعهم بعد التفكير والامعان

ولـكن حدث بعد ذلك أن شاهد المستر ادواردز منظر ساحة العرش فى قصر الملك ، وهو منظر يمت بحق إلى (المذهب الواقعى) ويحطم بحق أيضاً الوحدة المسرحية Unité scénique التى يجب أن تسود سائر مناظر الرواية ، وكان أن صاح المستر ماك ليمور زميل المخرج الأرلندى النابه بأن المخرج قد أخطأ :::

نعم لقد أخطأت ... ولـكن ليس عن جهل بأيسر وبأولى قواعـد فن الاخراج . وهنا أستطيع أن أروى ما قد يرسم ابتسامة الاشفاق على شفاه الزميلين العزيزين ...

المسألة وما فيها أن مصور المناظر لرواية (السيد) لم يتمكن من انجاز هذا المنظر فى الوقت المناسب ، فاضطررت — أقول اضطررت — على الرغم منى ، وعلى الرغم مما يعمر رأسى من فنون الاخراج ، أن أستعير منظرا من مناظر دار الأوبرا الملكية

حتى لا يتأخر تمثيل الرواية ، وكان هذا الظرف المحرج الذى لم ينفع فيه علمى ، ويصح أن أقول للزميلين إن مناظر الأوبرا لم تعرف بعد المذهب الايحائى ؛ وقد ضحك منى رئيس الميكانيستية حينما وضعت ستار المؤخرة فى رواية (أهل الكهف) من القطيفة ، على حين أن بقية أجزاء المنظر كانت من الاطارات المرسومة الملونة

إذن ليعذرنى الزميلان ، وكان يجدر بهما — وهذا ما آخذه عليهما — أن يتريثا فى الحكم على زميل ، وألا يصدرا هذا الحكم بعد مشاهدة رواية واحدة خذلت برغمى فى الاحتفاظ بوحدتها المسرحية

وليعذرنى أيضاً الزميلان إذ أن مصورى المناظر فى مصر — ومن بينهم الأجانب — لا يعرفون شيئاً عن المذهب الايحائى ولم يسمعوا بعد عن سائر الاتجاهات الحديثة من symbolique و expressionniste, و Cubiste ، وإننى أجاهد معهم متعبا و ...

وإن البعض من الممثلين بل والنقاد ، عدوا المناظر التى قدمتها فى رواية تاجر البندقية وكلها ايحائية محضة ، نوعاً من التمرين الأولى فى فن التصوير والرسم مما يقدمه طالب بالمدارس الأولية

**الاضاءة**

يقول المستر ادواردز « إننى لم أقصد من الاضاءة إلا أن أكشف المناظر والممثلين للنظارة ، وإننى لم أستخدم الاضاءة لغرض أو فكرة خاصة إلا فى موقف واحد فقط بين (السيد) وحبيبته » ومجمل هذا الأبهام يناقض بعضه بعضاً ، فهو يعترف أننى استخدمت الاضاءة لفكرة وغرض فى أحد المواقف ، ولكننى أهملتها فى مواقف أخرى ، أعنى أنه يعترف بأننى أدرى أن الاضاءة المسرحية ليس الغرض منها فقط انارة المناظر والممثلين بل احياء الصبغة النفسية لأهم عاطفة تجتاح المشهد ، هذا مع خضوعها للمعقول وما يحتمه الزمان والمكان . وتكفينى هذه الشهادة ، ويرفه عنى هذا التناقض ، لأن من يعلم أن ١ + ١ = ٢ لا يرجع فيعطى نتيجة غير هذه !!! . يعلم المستر ادواردز وقد شاهد الرواية — ولا أعرف ما إذا كان قرأها — أن كافة المناظر تجرى فى رابعة النهار ماعدا مشهدين أولهما فى وسط الليل وثانيهما — وهو الذى أشار اليه — فى أول هبوطه ، وقد اعترف بدقة الاضاءة فيه

ماذا كان يريدنى أن أعمل للاضاءة المطلوبة فى باقى مناظر الرواية ، وكلها تجرى فى النهار ، أكثر من الانارة التامة للمسرح ؛ ثم غمر الأقسام الرئيسية التى يجرى فيها أهم مشاهد المنظر بأشعة ناصعة تصبها مركزات للنور (بروجكتور) على جانبى المسرح ، وذلك بقصد اجتذاب أنظار الجمهور إلى أهم النقط التى يجرى فيها التمثيل !!!

أقول للمستر ادواردز إننى من المعجبين بتصوير المصور رامبراند Ramprandt وأعرف أننا معشر المخرجين الحديثين نستق من طريقته فى توزيع النور فى لوحاته الخالدة ، نستوحى أساليبنا فى اضاءة المسرح ، وفى هذا ما يكفى ليعلم أننى أعتقد فى الاضاءة المسرحية وأراها مصدراً غنياً فى الالهام يستوحى منه المخرج ، وأن الاضاءة المسرحية قد أخذت مكان المناظر فى إحياء الصبغة النفسية ؛ بل والمكانية أحياناً

بعد هذا أصرح أن ما قرأته فى (الرسالة) عن لسان المستر إدواردز لا يخلو من قسوة ومن تحرج لا أظن أن نفسية مفتن من طرازه تنطوى عليهما !!

ولكن أحقاً قال ذلك المستر إدواردز وزميله ؟ أم أن ناقل الحديث هو الذى قسا وتحرج !!!

لا يهمنى كثيراً . . . وأشكر لصاحبى الحديث ولناقله هذه الفرصة الغالية التى أتاحت لى أن أناقش وأحاور فى فن أحبه كثيراً ، وأود أن ألمس مواطن الضعف منى فى تأدية رسالته

**زكى طليمات**
خريج مسرح الأوديون بباريس
وعضو جمعية المسارح الدولية

أؤكد للأستاذ زكى أنى كنت أميناً فى نقل الحديث بما فيه من رقة وقسوة

**يوسف نادرس**

# البريد الأدبي

## زجموند فرويد أيضاً [(١)]

قرأنا فى الصحف النمسوية الأخيرة طائفة من البحوث والنبذ الممتعة عن العلامة النمسوى الكبير زجموند فُروِيدْ ، فهو اليوم فى الثمانين من عمره ، وقد احتفلت الدوائر الرسمية والعلمية النمسوية بهذه المناسبة العلمية ، وأقيمت للعلامة الشيخ عدة حفلات تكريمية ، وحفلت الصحف النمسوية ، وصحف العالم كلها بمختلف البحوث والمقالات عن حياته وعن مباحثه ونظرياته . وقد غدا فرويد منذ بعيد أستاذا ومفكرا عالياً يوجه بجهوده وبحوثه سير العلوم والمباحث النفسية والعصبية فى العالم كله ، وهو يعتبر اليوم إمام هذا الفن وحجته ؛ ومن الصعب أن نتحدث عن حياة فرويد ومباحثه فى مثل هذا المقام الضيق ؛ وإنما نذكر بهذه المناسبة عنه نبذة خبرية فقط هى التى يتسع لها هذا المقام

فقد ولد فرويد من أبوين يهوديين فى مايو سنة ١٨٥٦ ، فى فريبورج من أعمال مورافيا النمسوية ، ودرس فى فينا وباريس ؛ ودرس القانون أولاً ، ولكنه تحول عنه إلى العلوم الطبيعية ، ودرس على الأستاذ « بريكه » علامة عصره ؛ واشتغل فى سنة ١٨٨٤ طبيباً مساعدا فى أحد المستشفيات الكبرى ، وفى العام التالى درس مع الأستاذ شاركو العلامة الفرنسى فى علم الأعصاب ، وتلق عنه بعض نظرياته فى « الهستريا » ؛ ثم عاد إلى فينا وبدأ مباحثه النفسية . وفى سنة ١٨٩٥ أخرج فرويد مع الأستاذ برور ثمرة مباحثه الأولى فى كتاب عنوانه «مباحث عن الهستريا » Studien ueber Hysterie وفيه يشرح آراءه فى أصل الهستريا وفى علاجها ؛ واستمر فرويد فى مباحثه النفسية والعصبية ، وطلع على العالم فى هذا الباب بآراء ومباحث مدهشة تمتاز بقوتها ومتانتها العلمية ؛ وفى سنة ١٩٠٠ نشر كتابه الشهير « تفسير الأحلام » Die Traumdeutung ؛ ثم أعقبه بكتابه «التحليل النفسى والباتولوجى للحياة اليومية » Psyeho-pathologie des Alltagslebens ؛ ثم بكتاب « ثلاثة مباحث عن النظرية الجنسية » Drie Abhandlungen Zur Sexueltheorie . وقد فتح فرويد بكتابه عن الأحلام فتحاً جديداً مدهشاً ؛ وخلاصة نظريته أن تفسير الأحلام عامل هام فى التحليل النفسى ، وأن الأجزاء التى يتذكرها الذهن من الأحلام ، انما هى اعراض لنشاط العقل الباطن أثناء النوم ، حينما تفقد الارادة تأثيرها ، ويقف سير الضابط الحسى . وقد أثار فرويد بادئ بدء بنظرياته ولا سيما فى باب التحليل النفسى والباتولوجى كثيراً من الخصومات العلمية ، بل أثار سخرية بعض الدوائر ؛ ولكنه صمد لهذه الخصومات ، وصمدت نظرياته وبحوثه للحملات والآراء الخصيمة .

ومن أشهر نظريات فرويد أيضاً أن الغريزة الجنسية تبدأ فى الانسان بمولده ، وليس فقط عند البلوغ ؛ وأن ما يعانيه الطفل من خلل فى نمو الجنسى هو سبب الضعف العقلى ، وأن النزعات الجنسية يمكن اخضاعها بشىء من التوجيه الحسن ، وقد تغدو عندئذ قوى تبعث إلى أشرف النزعات

وفى سنة ١٩٠٣ أنشأ فرويد « جمعية التحليل النفسى » فى فينا ، ولم يمض بعيد حتى ذاعت فروعها فى جميع أوربا ؛ وعقد أول مؤتمر دولى للمباحث النفسية فى سالزبورج فى سنة ١٩٠٨ ومنذ بدء هذا القرن يشتد نفوذ فرويد ونفوذ نظرياته ومباحثه فى جميع أنحاء العالم

ويشغل فرويد منذ حقبة طويلة كرسى « العلوم العصبية » فى جامعة فينا إلى يومنا

ونستطيع أن نلاحظ بهذه المناسبة أن التفكير اليهودى ما زال يحدث أثره القوى فى سير التفكير العالى ؛ فاذا كان فرويد يقبض على ناصية التفكير النفسى ، فان الفيلسوف الفرنسى برجسون (وهو يهودى أيضاً) يقبض على ناصية التفكير الفلسفى ، ويوجه العلامة اينشتاين سير المباحث الرياضية العالمية ؛ وإذا تتبعنا تاريخ التفكير الحديث وجدنا لليهودية مثل هذا الأثر البعيد فى سيره وفى تطوره

(١) انظر البريد الأدبى فى العدد ١٤٩ من الرسالة

## الأستاذ هنري روبير

نعت الينا الأنباء الأخيرة علماً من أعلام الكتابة والبيان الرائع هو الأستاذ هنري روبير المحامي الفرنسي الأشهر ، وعضو الأكاديمية الفرنسية ، توفى في الثالثة والسبعين من عمره بعد حياة باهرة في عالمي المحاماة والأدب . وكان مولده سنة ١٨٦٣ في باريس ، حيث تلقى تربيته ودراسته ؛ وفي سنة ١٨٨٥ قيد في جدول المحاماة ، وبدأ حياته العملية ، ولم يلبث أن لفت اليه الأنظار بحسن استعداده وكفايته ؛ وقدر الأستاذ دورييه نقيب المحامين يومئذ مواهبه وألحقه بمكتبه ، فلقى هنالك فرصة لدراسة القضايا الكبرى ؛ وظهر لأول مرة في قضية « شامبيج » الشهيرة أمام محكمة الجزائر ، حيث اشترك مع استاذه دورييه في الدفاع عن « شامبيج » المتهم بقتل خليلته ؛ وكان دفاعه الرائع في تلك القضية مثار الاعجاب من كل صوب ، وكان فاتحة مجده ؛ وأوحت حوادث هذه القضية الشهيرة إلى الكاتب الشهير بول بورجيه موضوع قصته « التلميذ » ، ومن ذلك الحين توالى ظهور هنري روبير في كثير من القضايا الجنائية الرنانة التي شغلت الرأي العام في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر

وتبوأ هنري روبير مقامه الرفيع كعلم من أعلام البيان والفصاحة القضائية بسرعة ؛ وفي سنة ١٩١٣ انتخب نقيباً للمحامين في دائرة باريس مكان الأستاذ لابوري ، وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٩١٩ ؛ وما زال محتفظاً بزعامته ومكانته الرفيعة في عالم المحاماة والدفاع حتى خاتمة حياته

وكان الأستاذ هنري روبير إلى جانب مواهبه القضائية والدفاعية كاتباً عظيما ، يمتاز أسلوبه بقوة وصفاء رائعين . ومن مؤلفاته رسالة قيمة ساحرة عن « المحامي » ، وكتاب « قضايا التاريخ العظمى » الذي بدأه في سنة ١٩٢٣ ، وظل يعمل فيه حتى العام الماضي ، حيث صدر منه الجزء العاشر ؛ وفي هذه الأجزاء العشرة يعالج هنري روبير طائفة من قضايا التاريخ الكبرى ، ولا سيما ما تعلق منها بالتاريخ الفرنسي ؛ ويعرضها بأسلوب بديع ساحر ، يجمع بين دقة الشرح القضائي ، وروعة البيان الأدبي

وفي سنة ١٩٢٣ انتخب هنري روبير عضوا بالأكاديمية الفرنسية في الكرسي الذي خلا بوفاة الوزير ريبو

وكان هنري روبير محامياً عظيما يمتاز بصفات باهرة ؛ فقد كان عالماً نفسياً ينفذ أحياناً إلى أعماق السرائر ؛ وكان خطيباً رائعاً يبهر بيانه ؛ وكانت مرافعاته في القضايا الكبرى أياماً مشهودة في ساحات القضاء . وقد بلغ الذروة في أواخر حياته من قوة التأثير والسحر ، حتى كان المحلفون في بعض الدوائر يخشون تأثيره ، ويقاومون هذا التأثير بشيء من عدم الثقة . وكان هنري روبير موجزا في العادة خلافا لكثير من زملائه الأعلام ، ولكنه كان في ايجازه دائماً قوياً مؤثراً

## توفيق الحكيم في الفرنسية

نقل الأستاذان ( ا . خضري ) و ( موريك برين ) إلى الفرنسية رواية شهرزاد للأستاذ توفيق الحكيم ثم طبعاها ونشراها في باريس . وقد حافظا على روحها الشعري الشرقي حتى سمياها « قصيدة درامية في سبعة مناظر » وقد صدرها بمقدمة بليغة الكاتب الفرنسي الكبير ( جورج لوكنت ) أحد أعضاء الأكاديمية الفرنسية حلل فيها الفكرة التي قامت عليها الرواية ثم قال : « كان لا بد من شاعر يُقدِم على معالجة إحدى درامتي[1] الانسانية العظيمتين في مثل هذا الاطار الضيق . ولكن كان لا بد من شاعر شرقي رقيق الحس خصب القريحة كالأستاذ توفيق الحكيم يحل العقدة في مثل هذا العمل بلباقة من الفن العربي البارع الذي ينال دائماً ذهننا الديكارتي بالدهشة قبل أن يرميه بالفتنة

« وكيف لا نحمد كذلك المسيو ( ا . خضري ) والمسيو ( موريك برين ) على أن ترجما إلى الفرنسية لغة خلقت لتعبر قبل كل شيء عن العطر والشعر والسر ؟ »

## وفاة مارمدوك بكتال

توفى المستر مارمدوك وليم بكتال القصصي المعروف بتضلعه في العلوم الاسلامية ، ولد في ٧ ابريل سنة ١٨٧٥ في شلورد بمقاطعة سفولك ، وكان أبوه قسيساً بها ؛ ثم تلقى دروسه في هارو وفي أوربا ، ثم قضى ثلاث سنين في الشرق الأدنى ، درس خلالها العربية ، وفقه العلوم الاسلامية ؛ وقضى وقتاً طويلا في لبنان وفي مصر ، ثم دخل في الاسلام وتسمى محمدا ، واتصل بسمو

(١) يريد بالدرامتين : تجدد الأمل ، وتبدد الوهم . والثاني هو موضوع شهرزاد

نظام حيدر أباد ، فتولى ادارة ( كلية حيدر أباد ) ورأس تحرير مجلة ( الثقافة الاسلامية ) التى تصدر هناك باللغة الانجليزية

وفى سنة ١٩٣٠ ترجم القرآن الكريم ترجمة توخى فيها الدقة وطبعها بمعونة الأمير بعد أن راجعها الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ، وجعل عنوانها ( ترجمة معانى القرآن المجيد ) . وقد أرسل نسخاً منها إلى مصر ، وكان الشيخ الظواهرى يومئذ شيخاً للأزهر ، فنبهه بعضهم إلى أن فى الترجمة خطأ ، فطلب من الداخلية أن تصادرها فصودرت . وله غير ذلك مؤلفات قصصية وغير قصصية ، منها ( سعيد الصياد ) و ( عنيد ) و ( بيت الاسلام ) و ( حكايات عن الأرض المقدسة ) و ( أبناء النيل ) و ( وادى الملوك ) و ( النساء المحجبات ) و ( الترك فى الحرب ) و ( فرسان عرابى ) وغير ذلك

## كننهام جراهام

نعت الينا الأنباء الأخيرة الكاتب الانكليزى الكبير روبرت كننهام جراهام ؛ توفى فى مدينة بيونوس ايريس عاصمة الجمهورية الفضية (أمريكا الجنوبية) ، حيث كان يعيش منذ أعوام طويلة ؛ وهو اسكتلندى الأصل ، ولد سنة ١٨٥٢ ، وتخرج فى كلية هارو الشهيرة ؛ وكان منذ حداثته يشغف بالسياسة وغمارها ، ويجنح للمبادئ الاشتراكية ؛ وفى سنة ١٨٨٦ تحققت آماله السياسية الأولى بدخوله مجلس النواب نائباً عن لانكشير ؛ وظهر فى البرلمان بذلاقته وحملاته العنيفة ، واستمر نائباً حتى سنة ١٨٩٢ . وفى ذلك الحين كان جراهام قد خاض غمار الكتابة أيضاً ؛ وكان جوالة كثير الأسفار ، واستهوته اسبانيا وأمريكا الجنوبية فدرس شؤونهما ، واتصل بالبلاط الاسبانى وكتب كثيرا عن اسبانيا وتاريخها وعظمائها ، وأنعم عليه ملك أسبانيا بمرتبة فى النبل ( جراندى ) ؛ ومنذ سنة ١٨٩٨ يخرج لنا جراهام بالانكليزية كتباً عن الشؤون والصور الاسبانية وعن تاريخ أمريكا اللاتينيــة . ومن أشهر مؤلفاته Aurora la Cujini « ابنة عمى صبح » ( سنة ١٨٩٨ ) و « المغرب الأقصى » ( فى نفس العام ) « إركاديا الذاهبة » A Vanished Arcabea ( سنة ١٩٠١ ) « والنجاح » Success ( سنة ١٩٠٢ ) و « ترجمة هرناندو دى سوتو » ( سنة ١٩٠٣ ) و الصدقة Charity ( سنة ١٩١٢ ) و « قرطاجنة وشواطئ سينو » Cartagena and Banks of Sinu ( سنة ١٩٢٠ ) و « أعمال بطولة » Doughty Deeds ( سنة ١٩٢٥ ) و « بيدرو دى فالديفيا فاتح شيلى » P. de Valdivia conquerer of Chili ( سنة ١٩٢٩ ) وخوزى انتونيو بيز Jose Antonio Piez ( سنة ١٩٢٩ ) وغيرها ؛ ومعظمها عن أمريكا اللاتينية

وتجول جراهام كثيراً فى مدن أمريكا الجنوبية وثغورها ، ودرس كثيراً من شؤونها وأحوالها ، وأقام كثيراً فى بيونوس ايريس ؛ وكان أثناء الحرب العالمية يشتغل بتجارة الخيل وتوريدها لجيوش الحلفاء ؛ وهو يعتبر فى الواقع من كتاب أمريكا اللاتينية أكثر مما يعتبر من كتاب انكلترا ، وشأنه فى ذلك شأن المؤرخ الانكليزى جورج فنلى الذى خصص حياته لليونان وتاريخها وآدابها ؛ وتوفى جراهام فى نحو الثمانين من عمره

## مباراة أدبية دولية

نشر مكتب الصحافة الدولية السويدية بيانا عن مباراة أدبية دولية رصدت لها بعض دور النشر السكندنافية جائزة حسنة ، ووضعت لها موضوعا وشروطا خلاصتها :

أما الموضوع فهو : « هل يمكن أن يوضع معيار أدبى موضوعى فى العصر الحاضر ؟ وإذا كان الجواب نعم ، فعلى أى أساس يمكن أن يقام ؟ »

ويجب ألا يزيد ما يكتب فى الموضوع على ست عشرة صفحة من القطع المتوسط ، ويجب أن يكتب بوضوح وترتيب ؛ وقد ألفت لفحص الرسائل لجنة مؤلفة من الدكتور لانكوست أستاذ الفلسفة السويدى ( ممثلا للسويد ) والدكتور ونسنس النرويجى ( ممثلاً للنرويج ) والدكتور رون أستاذ الفلسفة الفنلندى (ممثلا لفنلنده ) ؛ وستقوم هذه اللجنة بمهمتها مستقلة ، وتقبل دور النشر المذكورة أحكامها دون مناقشة

وستخصص للفائزين ثلاث جوائز ، الأولى قيمتها (٢٠٠٠) كرون سويدى ، والثانية قيمتها (١٠٠٠) كرون ، والثالثة (٥٠٠) ؛ ويدفع للفائزين فوق ذلك نسبة من أرباح نشر رسالاتهم ؛ وإذا لم يوجد من بين الرسائل المقدمة رسالة تستحق المكافأة ، فانه لا تمنح جوائز ما ، ويحتفظ الناشرون أيضاً بحقهم فى نشر رسائل لم تنل شيئا من الجوائز

ويمكن كتابة الرسائل باللغات السويدية والدانماركية والانكليزية والألمانية ؛ ويجب أن تذيل بامضاء مستعار ، ومعها

غلاف به هذا الاسم المستعار مقرونا باسم صاحبه؛ ويمكن الدخول في المباراة حتى أول يناير سنة ١٩٣٧ ، وتنتهي لجنة التحكيم من أعمالها في أول أبريل ، وتعلن النتيجة في خريف سنة ١٩٣٧ ، وترسل الرسائل الى إحدى دور النشر المشتركة في وضع المباراة ، وهي محلات :

Natur och Kulbur, Stockholm. Johan Graunt Tauun, Oslo Soderstron et—Co., Helsingfors

## كتاب جديد عن مصر القديمة

ظهر أخيراً بالانكليزية كتاب عنوانه « بحث في مصر الخفية » A Search in Secret Egypt بقلم المستر بول برنتون P. Brunton . واسم الكتاب يدل على موضوعه . بيد أن مؤلفه ينحو في كتابته منحى غريباً لم يسبقه إليه أحد ، فهو لا يريد أن يتقيد في بحثه بما كتبه علماء الآثار المصرية أو استنتجوه من قراءة النقوش القديمة ، بل يؤثر أن يعتمد على مباحثه الشخصية وعلى وحي نفسه في فهم ما تدلى به الهيا كل والرموز من المقاصد والمعاني . وقد زار المستر برنتون مصر في العام الماضي وقضى بها بضعة أشهر يتجول بين آثارها وينقب ويبحث ويجمع لنفسه مواد كتابه ؛ وهو كاتب شاب واسع المعرفة متزن مستنير في آرائه وشروحه

ويرى مستر برنتون أن الحضارة المصرية القديمة قد نشأت في القارة المفقودة « الاتلانتس » ، ويستشهد على رأيه بحلم رآه في ذلك ووحي نفذ الى نفسه ذات ليلة قضاها الى جانب أبي الهول ، وذات ليلة أخرى قضاها مع الأرواح بجانب الهرم الأكبر ، وثالثة قضاها في معبد الكرنك ؛ ويحاول فوق ذلك أن يدعم رأيه بمشاهدات أثرية شاهدها في أبيدوس ودندرة والأقصر

ويحمل مستر برنتون على مباحث علماء الآثار ، ويقول انهم لم يصلوا الى لباب الحقائق ، وأن الأرواح الشريرة والمضللة تنطلق كل مرة يجرى فيها الحفر في مقبرة أو معبد ، وأنه خير أن يوضع حد لاطلاق هذه الأرواح الخطرة التي كثر عديدها

ويرى فيما يتعلق باللغة المصرية القديمة أن علماء الآثار لم يتوصلوا إلا الى معرفة المعاني التي كانت مستعملة على لسان الرجل العادي . أما المعاني والرموز الخفية التي كانت تجرى على ألسنة الكبراء والخاصة فما زالت سراً من الأسرار

ويسير الكاتب في عرض آرائه عن شؤون مصر القديمة وأسرارها على هذا النحو الخيالي . بيد أنه مما لا ريب فيه أنه يذهب بعيداً في تصوراته ، وأن كتابه لا يمكن أن يعتبر من النوع العلمي الذي يعتمد على شروحه ؛ أما إذا اعتبرناه قطعة من الخيال المجرد ، فانه يستحق القراءة على هذا الأساس ، ويغدو قطعة ممتعة من الأدب الروائي

## ذكرى أمير عالم

احتفل أخيرا في ڤينا بذكرى البرنس أوجين دى سافوى ، لمناسبة مرور مائتي عام على وفاته ، وقد كان هذا الأمير الشهير قائدا عظيما ، وكان فرنسي الأصل والمولد ، وكان مولده في باريس سنة ١٦٦٣ ولكنه هجر فرنسا وطنه ، لأن لويس الرابع عشر أبى عليه تحقيق بعض أمانيه ، والتحق بخدمة امبراطور النمسا ليوبولد الأول . وغنم ضد الترك عدة مواقع رفعت اسمه ومنزلته ، وانتهى بسحق الترك في المجر في معركة زنتا الشهيرة ، وحارب أيضاً ضد لويس الرابع عشر وهزم جيوشه في عدة مواقع ، وذاع اسمه في أوربا ، واعتبر أعظم قائد في عصره

بيد أن الذي يهم هنا هو أن هذا القائد الشهير كان فيلسوفا وكان عالماً ، وكان شغوفاً بالتفكير والآداب ؛ وله صلات أدبية وثيقة بأقطاب التفكير في عصره مثل الفيلسوف الألماني ليبنتز ، والفيلسوف الفرنسي ڤولتير ، وغيرهما من أقطاب الفلاسفة والمفكرين ، وكانت له مكتبة عظيمة تغص بآلاف الكتب النفيسة ؛ ومع أنه كان في معظم أوقاته مشغولاً بأعمال الحرب والسياسة ، فانه لم يكن يترك فرصة للقراءة إلا انتهزها ؛ وكان واسع الاطلاع والمعرفة إلى حدود مدهشة ؛ وكان نصيراً للآداب والفنون يدعو أقطاب الكتابة والفن إلى البلاط النمسوي ويغدق عليهم عطفه ورعايته ؛ وما زالت مكتبته ومجموعاته الفنية تكون قسما عظيما من المكتبة النمسوية الوطنية ؛ وقد شمل الاحتفال بذكراه أخيرا في ڤينا عدة مناظر عسكرية وفنيـة ، فنظم استعراض عسكري فخم ، وأقيم احتفال تذكاري في القصر الذي توفي فيه (سنة ١٧٣٦) في شارع « همل بفورت » ، ويوجد في قصر بلفيدير الشهير حيث كان يقيم هذا الأمير العالم أثناء حياته معرض دائم يضم كثيرا من التحف والصور والتماثيل التي استطاع أن يجمعها طوال حياته

4 me Année, No. 152.
Lundi - 1 - 6 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ﻁ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العــدد ١٥٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — أول يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العــدد



# النقــد أيضا

## للأستاذ أحمد أمين

أثار ما كتبه أخى الزيات فى موضوع « النقــد » معانى أخرى فى نفسى تتصل بتاريخ النقــد العربى فى السنين الأخيرة ذلك أنى أوازن بين النقــد من نحو عشرين عاما والنقد الآن ، فأجده ليس خاضعاً لسنة النشوء والارتقاء ، بل لسنة التدهور والانحطاط ، حتى وصل إلى حالة من العجز يرثى لها

فقد كان الكِتــاب إذا ظهر هبت الصحف والمجلات لعرضه ونقده ؛ فاللغوى ينقده نقداً لغوياً ، والمؤرخ ينقده نقداً تاريخياً ، والأديب ينقده نقداً أدبياً ؛ وتثور معركة حامية بين أنصار الكتاب وأعداء الكتاب ، وتظهر فى التأييد والتفنيد مقالات ضافية ، وبحوث عميقة شائقة . ولست أنسى ما كان يقوم به الأستاذ ابراهيم اليازجى من نقد « لجانى الأدب » و « أقرب الموارد » ونحوهما من الكتب ، كما لست أنسى ما نُقد به كتاب « التمدن الاسلامى » والأخذ والرد اللذين قاما حوله ؛ وكان شوقى أو حافظ يقول القصيدة ، فيقوم ناقد معترض يبين معايبها ، ومادح مفرط يبين محاسنها ؛ ومن هذا وذاك يستفيد الأديب ،

ويرق الأدب ، وتتجلى حقائق كانت خافيـة ، وتهذب أذواق كانت نابية . وكان يؤلَّف الكتاب الدينى مثـل كتاب « الاسلام وأصول الحكم » فتنشب معارك حامية ، وينقسم المفكرون إلى معسكرين ، وفى كل معركة شحذ للأذهان ، ودرس للمتعلمين ، وتمحيص للحقائق . قد كان فى نقدهم أحياناً هُجر وقذع ، وهجو وسباب ؛ ولكن كان بجانب ذلك حقائق تذاع ، وبحوث تنشر ؛ وكان كل من السباب والنقد العفيف علامة حياة أدبية ، وثورة فكرية ، وعقل باحث ، وقلم نشيط

تعال فانظر معى الآن إلى ما وصلنا اليه ! لقد كثرت الكتب يخرجها المؤلفون ، وأصبح الانتاج الأدبى أضعاف ما كان ، فى كل ناحية من نواحى الأدب ، من قصص وقصائد وموضوعات اجتماعية ، وكتب تاريخية ؛ وكثر الكلام فى الأدب ، وخصصت أكثر الصحف صفحات للمقالات الأدبية ، وكان معقولاً أن يساير النقد هذه الحركة فيرقى معها ، ويتسع باتساعها ، وتتعدد نواحيه بتعددها ، ولكن كان من الغريب أن تحدث هذه الظاهرة ، وهى رقى الأدب وانحطاط النقد

نعم ، أعتقد أن الأدب العربى ارتقى عما كان عليه منذ عشرين سنة فى جملته لا فى كل ناحية من نواحيه ، فقد يجوز أننا لم نجد من يخلف « شوقى » و « حافظاً » فى ناحيتهما الشعرية ، ولكن الأدب — بمعناه العام — أصبح خيراً مما كان ، فغزرت معانيه بعد أن كان لفظياً ، وعمق بعد أن كان سطحياً ، وجادت القصة فيه نوعاً ما ، واتسع أفقه وموضوعاته قدراً ما ، وتأثر الأدبَ الغربى وقلده فى مناحى رقيه . أما النقد فانكمش وانكمش حتى ضمر وذبل وأشفى على الهلاك

وحسبك دليلاً أن ترى أشهر الكتاب فى العالم العربى يخرجون الكتاب تلو الكتاب فلا تكاد تجد ناقداً يعتد به ، وتقرأ ما يكتب عن ذلك فى أشهر الصحف والمجلات فلا تجد إلا سراباً يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ؛ وأكثرها يكتفى باسم الكتاب وعرض موضوعه والاستعانة على ذلك بفهرسه ومقدمته ثم صيغة محفوظة متداولة من المدح والتقريظ . فان كان نقد فمظهر لا مخبر ، هو نتاج فقر عقلى وخمود ذهنى ، ثم ينتهى الأمر ويغلق الباب . فلا معارك ولا مساجلات ولا بحوث حول الكتاب ، ولا أخذ ولا رد ، ولا مظهر من مظاهر الحياة الأدبية . لا يشعر الناقد أن عليه واجباً يؤديه للقراء ، وأن منصبه يتطلب منه قراءة عميقة ، وآراء صريحة ، وتقديراً دقيقاً ، وأن ذمته لا تبرأ إلا ببحث شامل واف ثم إبداء لرأيه فى غير تحيز ولا مواربة ، ولكن كل ما يشعر به أن المؤلف أهدى اليه الكتاب فهو يلقى عن عاتقه العبء بكتابة كلمة خاملة ، ووصف فاتر ، ونقد سطحى

ليس النقد مجرد استحسان الناقد أو استهجانه . فكل ما كان مبنياً على ذوق الناقد وحده ، ومجرد ادعائه أن هـذا بليغ وهذا ليس ببليغ وهذا راق وهذا غير راق لأنه يتذوقه أو لا يتذوقه ، وا كتفاؤه أحياناً بأن يصوغ عبارته فى الاستحسان أو الاستهجان فى قالب جميل ، كل ذلك ليس من النقد فى شىء . إنما النقد ما عُلّل وبينت فيه أسباب الحسن والقبح ، وأسس على قضايا ثابتة . فبهذا يستفيد المنقود ، ويرقى الأدب ، ويسمو الذوق ؛ وبهذا وحده لا يكون النقد فتاتاً لموائد الأدب ، ولا متطفلاً على نتاجه ، إنما يكون هادياً للأديب ومرشداً للجمهور وموجهاً للأدب نحو الكمال

ولكن ما علة هذه الظاهرة فى الأدب العربى ، وليس من الطبيعى فى الأمم أن الأدب إذا رقى ضعف النقد ، فاننا نرى الظاهرة فى الأدب الغربى أن يرقى الأدب فيرقى النقد ويؤثر كلاهما فى الآخر تأثيراً محموداً — فيجب أن تكون علة ضعف النقد العربى علة محلية لا علة طبيعية

يظهر لى أن هذا الضعف فى النقد يرجع الى أسباب عدة :

أهمها أن النقـد الصريح الصحيح يحتاج الى شجاعة أدبية قوية من الناقد ، ورحابة صدر من المنقود . وقد حدث فى تاريخ مصر الحديث أن جماعة تسلحوا بالشجاعة الأدبية فأظهروا آراءهم فى صراحة تامة ولم يبالوا الرأى العام سواء فى ذلك بحوثهم ونقدهم ؛ وكانت هذه البذرة الأولى للشجاعة الأدبيـة فى مصر ، فألفوا كتباً عبروا فيها عن آرائهم فى جلاء ووضوح ، وكتبوا مقالات تعبر عما يختلج فى نفوسهم وإن لم تكن على هوى الجمهور ، ونقدوا أدب الأدباء وإن بلغوا القمة فى نظر الناس ، فكان صراع بين القديم والحديث ، وبين التفكير الحر والتقاليد ، وبين

الأدب الناشىء والأدب الموروث . ولكن هذا الصراع انتهى بهزيمة هذه الطليعة من المفكرين ، وتعرضوا للخطر فى مناصبهم وأرزاقهم ، ونالوا من العسف والعنت ما ليس فى طاقتهم . وهذا يحدث مثله فى كل أمة من الأمم الأوربيـة ، ولـكن كان هناك فرق كبير بيننا وبينهم : ذلك أن أصحاب الرأى الجديد فى البلاد الراقية إذا أوذوا فى العصر الحديث رأينا من مقلديهم وأتباعهم فى الرأى من يمدونهم بالمال وبالمعونة . وكم رأينا من المـال يجمع ليستعين به من نكب فى منصبه بسبب رأيه أو بسبب سياسته ، يتبرع به أغنياء اعتقدوا صحة رأيه أو وجاهة سياسته ، فعطفوا عليه ، وتحول عطفهم الى اتخاذ وسائل لدرء الخطر عنه ، فاستمر فى خطر شجاعته ، وشعر بأن تضحيته يقابلها عطف ، وأنه إن ضحى بالـكماليات لا يُصاب فى الضروريات ؛ بل وإن أصيب فى الضروريات وبلغ ذلك فقدان القوت فقد ضربت له أمثلة عدة أيام الثورة الفرنسية وقبلها وبعدها ، فتأصلت الشجاعة الأدبية ، ونمت بذرتها وأصبحت غير قابلة للفناء . أما فى مصر فكانت بذرتها هى البذرة الأولى ، وشعر القائمون بهذه الحركة الجديدة أنهم أصيبوا فى سمعتهم وفى منصبهم وفى مالهم ، ثم رأوا أن أتباعهم تخلوا عنهم فى أوقات الضيق ؛ ومن عطف عليهم منهم فعطف أفلاطونى ، عطف يتبخر ، عطف لا يمـكن أن يتحول الى مال أو مجهود . وكان الرأى العام قوياً مسلحاً فتغلب وانتقم وأصبحت له السلطة التامة ، وانهزم أمامه فريق المفـكرين الصرحاء هزيمة منكرة ؛ ولم تكن له أمثلة كثيرة فى تاريخه القريب فاضطر الى التسليم ، بل وفى بعض الأحيان رجع عن رأيه الى آرائهم ، وعن منهجه الى منهجهم ، وتعود المجاراة بدل المقاومة ، والمداراة مكان الصراحة ، فلم يعـد هناك معسكران ولم يعـد صراع ، إنمـا هو معـسكر واحـد ولا قتال . وتعلم الجيل اللاحق من الجيل السابق فاختط خطته ونهج منهجه وأخذ الدرس عن أخيـه الأكبر ففضل السلامة . وبذلك اختنق النقد الأدبى فى مهده ، وأصبح الأدب مدرسة واحدة يختلف أفرادها اختلافاً طفيفاً ، فى العرض لا فى الجوهر . لا مدارس متعددة تتناحر وتتعاون ، وتتعادى وتتصادق ، وفى عداوتها وصداقتها الخير ؛ ولا أمل فى عودة النقد الصريح إلا ببذرة جديدة وروح جديد على شرط أن تـكون البذرة صلبة تتحمل حوادث الدهر وعوادى الأيام

ويتصل بهذا أن الأدباء عندنا صنفان : صنف نضج وتـكوّن واستوى على عرش الأدب ، وهؤلاء هم القادة ، وهم أفراد معدودون تسالموا وتهادنوا وحرمنا ما بينهم من خصومة أدبيـة وعلمية ، وأصبح كل منهم كالعُشَراء لا تميـل إلى النطاح ولا ترجو إلا السلامة . وصنف ناشئ هو فى طور التكون ، وهو يخشى أن يتعرض لمن استوى على العرش فيبطش به بطشة جبارة ترده إلى أسفل ، فلما جامل الـكبراء بعضهم بعضاً وخاف الناشئون من الـكبراء ، ضاع النقد بين هؤلاء وهؤلاء

ولعل من أسباب ضعف النقد أيضاً السياسة قاتلها الله ، فقد تدخلت أولاً فنصرت الجمهور على القادة ، وعاونت الرأى العام على المفكرين ؛ وما كان الجمهور والرأى العام ينتصران هذا النصر لو وقفت السياسة على الحياد ، ولو فعلت لـكان الحرب سجالاً ، ولظل المعسكران فى قتال ؛ وفى هذا تمحيص كبير للآراء ، فيصد الرأىُ العام المتطرفين ، ويدفع القادةُ غلاة المحافظين ، والأمة من هذا وذاك فى استفادة دائمة . أما أن تدخل السياسة فتبيد معسكراً بأكمله ، فـكان الضرر كل الضرر . ثم إن السياسة — ثانياً — دخلت فى الأدب وقومت الأديب بلونه السياسى ، ولم يستطع الناس التفرقة بين موازين الأدب وموازين السياسة ، فأفسد ذلك الأدب والنقد معاً . قد تقول إن السياسة تلعب هـذا اللعب فى الأمم المدنة ولم يكن لها هذا الأثر ، ولـكننا نقول إن الأمم الناشئة تتضرر من تدخل السياسة أكثر مما تتضرر الأمم العتيدة ، وأكبر مظهر فى ذلك أنه ليس بين أحزابها تنافر كالذى بين أحزابنا ، ولا ينكل حزب بالأحزاب الأخرى كما يحدث بيننا ، فالخصومة السياسية عندهم لا تفقد الصداقة فى أغلب الأحيان ، وكذلك الشأن فى الخصومات الأدبيـة . أما الأمم الناشئة فلا تفهم من الخصومة السياسية والأدبية والعلمية إلا العداء العنيف ، وفى العداء العنيف قتل للحرية

وهناك أسباب أخرى غير ما ذكرت لعل الـكُتّاب يعرضون لها فيكشفون عن أسباب هذا الداء الخطير ويصفون له ما يتطلب من دواء ناجع ما

**أحمد أمين**

# ٣ ـ العـــــجوزان

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال المحدِّث : وتبين فى العجوز (ن) أثرُ التعب فتوجع وأخذ يئنُّ كأن بعضه قد مات لوقته ... أو وقع فيـه اختلالٌ جديد أو نالته ضربةُ اليوم ؛ والشيخ متى دخل فى الهرم دخل فى المعركة الفاصلة بينه وبين أيامه

ثم تأفف وتململ وقال : إن أولَ ما يظهر على من شاخ وهرم ، هو أن الطبيعة قد غيرت القانون الذى كانت تحكمه به

قال الأستاذ (م) : إن صاحبنا كان قاضياً يحكم فى المحاكم ، وأرى المحاكم قد حكمت عليه بهذه الشيخوخة (مُطَبِّقةً فيها) بعضَ المواد من قانون العقوبات ، فما خرج من المحكمة إلا إلى الحبس الثالث

فضحك (ن) وقال : قد عرفنا « الحبس البسيط » و« الحبس مع الشغل » فما هو هذا الحبس الثالث ؟

قال : هو « الحبس مع المرض » ...

قال (ن) : صـدقتَ لعمرى فان آخر أجسامنا لا يكون إلا بحساب من صنعة أعمالنا ؛ وكأن كرسى الوظيفة الحكومية قد عرف أنه كرسيُّ الحكومة ، فهو يضرب الضرائب على عظام الموظفين ... أتدرى معنى قوله تعالى : « ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العُمُر » ولِمَ سماه الأرذل ؟

قلنا : فلم سماه كذلك ؟

قال : لأنه خَلْطُ الانسان بعضه ببعض ، ومسخُه من أوله إلى آخره ، فلا هو رجلٌ ولا شـاب ولا طفل ، فهو أردأ وأرذل ما فى البضاعة ...

فاستضحك الأستاذ (م) وقال : أما أنا فقد كنت شيخاً حين كنت فى الثلاثين من عمرى ، وهذا هو الذى جعلنى فتًى حين بلغت السبعين

قال (ن) : كأن الحياة تصحح نفسها فيك

قال : بل أنا أكرهتها أن تصحح نفسها ؛ فقد عرفتُ من قبل أن سَعَةَ الانفاق فى الشباب هى ضائقة الافلاس فى الهرم ، وأيقنتُ أن للطبيعة (عدَّادا) لا يخطئ الحساب ، فاذا أنا اقتصـدت عدَّت لى ، وإذا أسرفتُ عدَّت علىَّ ؛ ولن تعطينى الدنيا بعد الشباب إلا مما فى جسمى ، إذ لا يعطى الكون حياً أراد أن ينتهى منه ، فكنت أجمل نفسى كالشيخ الذى تقول له الملذات الكثيرة : لستُ لك ، ومن ثم كانت لذاتى كلها فى قيود الشريعتين : شريعة الدين وشريعة الحياة

قال : وعرفت أن ما يسميه الناس وَهَنَ الشيخوخة لا يكون من الشيخوخة ولكن من الشباب ؛ فما هو إلا عملُ الانسان فى تسميم جسمه ثلاثين أو أربعين سنة بالطعام والشراب والاغفال والارهاق والسرور والحزن واللذة والألم ؛ فكنت مع الجسم فى شبابه ليكون معى بعد شبابه ، ولم أبرح أتعاهـدُه كما يتعاهد الرجلُ داره ، يزيد محاسنها وينفى عيوبها ، ويحفظ قوَّتها ويتقى ضعفها ، ويجعلها دائماً باله وهمه ، وينظر فى يومها القريب لغدها البعيد ، فلا ينقطع حسابُ آخرها وإن بعُدَ هذا الآخر ، ولا يزال أبداً يحتاط لما يخشىَ وقوعه وإن لم يقع

قال العجوز (ن) : صدقت والله فما أفلح إلا من اغتنم الامكان ؛ وما نوع الشيخوخة إلا من نوع الشباب . وهذا الجسم الانسانى كالمدينة الكبيرة فيها ( مجلسها البلدىُّ ) القائم على صيانتها ونظامها وتقويتها ، ورئيس هـذا المجلس الارادة ، وقانونه كله واجبات ثقيلة ، وهو كغيره من القوانين إذا لم ينفذ من الأول لم يُغن فى الآخر

قال الأستاذ (م) : وكل جهاز فى الجسم هو عضو من أعضاء ذلك ( المجلس البلدى ) ؛ فجهاز التنفس وجهاز الهضم والجهاز العضلى والجهاز العصبى والدورة الدموية ، هـذه كلها يجب أن تترك على حريتها الطبيعيـة وأن تعان على سنتها ، فلا يحال بينها وبين أعمالها برشوة من لذة أو مفسدة من زينـة أو مطمعة فى رفاهية أو دعوة إلى مدنية أو شىء مما يفسد حكمها أو يعطل عملها أو يضعف طبيعتها

والقاعدة فى العمر أنه إذا كان الشبابُ هو الطفولة الثانية فى براءته وطهارته ، كانت الشيخوخة هى الشباب الثانى فى قوتها ونشاطها . وما رأيت كالدين وسيلة تجعل الطفولة ممتدة بحقائقها

إلى آخر العمر فى هذا الانسان ؛ فسرُّ الطفولة إنما هو فى قوتها على حذف الفضول والزوائد من هذه الحياة ، فلا يُطغيها الغنى ، ولا يكسرها الفقر ، ولا تذلها الشهوة ، ولا يُفزعها الطمع ، ولا يهولها الاخفاق ، ولا يتعاظمها الضر ، ولا يخيفها الموت . ثم لا تملُّ وهى الصابرة ، ولا تبالغ وهى الراضية ، ولا تشك وهى الموقنة ، ولا تسرف وهى القانعة ، ولا تتبلد وهى العاملة ، ولا تجمد وهى المتجولة . ثم هى لا تكلف الانسانية إلا العطف والحب والبشاشة وطبائع الخير التى يملكها كل قلب ؛ ولا توجب شريعتها فى المعاملة إلا قاعدة الرحمة ، ولا تقرر فلسفتها للحياة إلا طهارة النظر ؛ ثم تتهكم بالدنيا أكثر مما تهتمُّ لها ، وتستغنى فيها أكثر مما تحتاج ، وتستخرج السعادة لنفسها دائماً مما أمكن ؛ قلَّ أو كثر

وبكل هذا تعمل الطفولة فى حراسة الحياة الغضة واستمرارها ونموها ؛ ولولا ذلك لما زها طفل ولا شبَّ غلام ولا رأت العيون بين هموم الدنيا ذلك الرُّواء وذلك النظر على وجوه الأطفال يثبتان أن البراءة فى النفس أقوى من الطبيعة

وكل ذلك هو أيضاً من خصائص الدين وبه يعمل الدينُ فى تهذيب الحياة واطّرادها على أصولها القوية السليمة ، ومتى قوى هذا الدين فى إنسان لم تكن مفاسد الدنيا إلا من وراء حدوده ، حتى كأنه فى أرض وهى فى أرض أخرى ؛ وأصبحت البراءة فى نفسه أقوى من الطبيعة

ثم قال : والعجيب أن اعتقاد المساواة بين الناس لا يتحقق أبداً بأحسن معانيه وأكلها إلا فى قلبين : قلب الطفل لأنه طفل ، وقلب المؤمن لأنه مؤمن

فقال العجوز (ن) : إنه لكما قلت ، ولعنة الله على هذه الشهوات الآدمية الباطلة . فان الشهوة الواحدة فى ألف نفس لتجعل الحقيقة الواحدة كأنها ألف حقيقة متعادية متنازعة . والطامعان فى امرأة واحدة قد تكون شهوة أحدهما هى الشهوة وهى القتل . ولعنة الله على الملحدين والهادم ، يزْرون على الأديان بأنها تكاليف وقيود وصناعة للحياة ، ثم لا يعلمون أن كل ذلك لصناعة الآلة النفسية التى تستطيع أن تحرك المختلفين حركة واحدة ، فما ابتليت الانسانية بشىء كما ابتليت بهذا الخلاف الذى يفتح من كل نفس على كل نفس أبواب التجنى ، ويجعل النَّفرةَ وسوء الظن أقرب إلى الطبيعة البشرية من الألفة والثقة

لقد جاء العلم بالمعجزات ولكن فيما بين الانسان والطبيعة ، وبين الانسان ومنافعه ، وبين الانسان وشهواته ؛ فهل غير الدين يجىء بالمعجزات العملية فيما بين النفس والنفس ، وبين النفس وهمومها ، وبين ما هو حق وما هو واجب ؟

* * *

قال المحدِّث : ثم نظر الىَّ العجوز ( ن ) وقال : صِلْ عمك يا بنى بالحديث الذى مضى ، فأين بلغنا آنفاً من أمر التجديد والمجددين وماذا قلنا وما ذا قلت ؟ أما إن الحماقة الجديدة والرذيلة الجديدة والخطأ الجديد ، كل ذلك إن كان جديداً من صاحبه فهو قديم فى الدنيا ؛ وليس عندنا أبداً من جديد إلا اطلاق الحرية فى استعمال كل أديب حقه فى الوقاحة والجهل والخطأ والغرور والمكابرة

قال الأستاذ (م) : وليس الظاهر بما يظهر لك منه ولكن بالباطن الذى هو فيه ؛ فمستشفى المجاذيب قصر من القصور فى ظاهره ولكن المجاذيب هم حقيقته لا البناء . وكل مجدد عندنا يزعم لك أنه قصر عظيم وهو فى الحقيقة مستشفى مجانين ، غير أن المجانين فيه طباع وشهوات ونزَوات . وعلى هذا ما الذى يمنع الفجور المتوقح أن يسمى نفسه الأدب المكشوف ؟

قال (ن) : وإذا أنت ذهبت تعترض على هذه التسمية زعموا لك أن للفن وقاحة مقدسة .... وأن ( لاأدبية ) رجل الفن هى ( اللا أخلاقية العالية ) . . . .

قال الأستاذ (م) : فوقاحة الشهوة إذا استعلنت بين أهل الحياء وأهل الفضيلة ودعت الى مذهبها ، كانت تجديداً ما فى ذلك ريب . ولكن هذا المذهب هو أقدم ما فى الأرض إذ هو بعينه مذهب كل زوجين اجتمعا من البهائم منذ خلق الله البهائم . . .

قال (ن) : وقل مثل ذلك فى متسخّط على الله وعلى الناس يخرج من كفره بين أهل الأديان أدباً جديداً ، وفى مغرور يتغفل الناس ، وفى لص آراء ، وفى مقلد تقليداً أعور ؛ كل واحد من هؤلاء وأشباههم مبتلى بعلة ، فمذهبه رسالة علته ؛ وأكثرهم

لا يكون ثباته على الرأى الفاسد إلا من ثبات العلة فيه

***

قال المحدِّث : وكنتُ من المجددين فأرمضنى ذلك ، وقلت للعجوزين : إن هذا نصف الصحيح ؛ أما النصف الآخر فهو فى كثير من هؤلاء الذين ينتحلون الدفاع عن الدين والفضيلة . نعم إنهم لا يستعملون حقهم فى الوقاحة ، ولكن القروش تستعمل حقها . . .

فضحك العجوز ( ن ) وقال : يا بنى إن الجديد فى كل حمار هو أن يزعم أن نهيقه موسيقى ... فالحمار والنهيق والموسيقى كل ذلك لا جديد فيه ، ولكن التسمية وحدها هى الجديدة . ولو كان البرهان فى حلق الحمار لصح هـذا الجديد ، غير أن التصديق والتكذيب هنا فى آذان الموسيقيين لا فى حلق حمارنا المحترم . . .

قال ( م ) : وزعموا أن رجلا نصب فخا لصيد العصافير ، فجاء عصفور فنظر من هذا الفخ الى شىء جديد فقال : يا هذا ! مالك مطمورا فى التراب ؟ قال الفخ : ذلك من التواضع لخلق الله . قال : فِمَّ كان انحناؤك ؟ قال الفخ : ذلك من طول عبادتى لله . قال : فما هـذه الحبة عندك ؟ قال الفخ : أعددتها لطيور الله الصائمين يفطرون عليها . قال العصفور : فتُبيحها لى ؟ قال : نعم

فتقدم المسكين اليها ، فلما التقطها وقع الفخ فى عنقه ، فقال وهو يختنق : إن كان العُبّاد يخنقون مثل هذا الخنق فقد خلق ابليس جديد

قال ( ن ) : فالحقيقة أن إبليس هو الذى تجدد ليَصْلح لزمن الآلات والمخترعات والعلوم والفنون وعصر السرعة والتحول . وما دام الرقى مطردا وهذا العقل الانسانى لا يقف عند غاية فى تسخير الطبيعة ، فسينتهى الأمر بتسخير إبليس نفسه مع الطبيعة .. لاستخراج كل ما فيه من الشر

قال ( م ) : ولكن العجب من ابليس هـذا . أتراه انقلب أوربيًّا للأوربيين ؟ وإلا فما بالُه يخرج فيهم مجددين من جبابرة العقل والخيال ثم لا يؤتينا نحن إلا مجددين من جبابرة التقليد والحماقة ؟

قال المحدث : فقلت لهما : أيها العجوزان القديمان ، سأنشر قولكما هذا ليقرأه المجددون

قال الأستاذ ( م ) : وانشر يابنى أن الربيع صاحب الامام الشافعى مرَّ يوماً فى أزقة مصر فنثرت على رأسه إجانة[1] مملوءة رمادا ، فنزل عن دابته وأخذ ينفض ثيابه ورأسه فقيل له : ألا تزجرهم ؟ قال : من استحق النار وصولح بالرماد فليس له أن يغضب . .

***

ثم قال محدثنا : واستولى علىَّ العجوزان ورأيت قولهما يعلو قولى وكنت فى السابعة والعشرين وهى سن الحِدَّة العقلية فما حسبتُنى معهما إلا ثُلث عجوز . . . . مما أثرا على ، وانقلبت لا أرى فى المجددين الا كل سقيم فاسد ، واعتبرتُ كل واحد منهم بعلته ، فاذا القول ماقال الشيخان وإذا تحت كل رأى مريض مرضٌ ، ووراء كل اتجاه ابرة مغناطيسية طرفها إلى الشيطان ...

وفرغنا من هذا فقلت للشيخين : لقد حان وقت نزولكما من بين الغيوم أيها الفيلسوفان ؛ أما كنتما فى سنة ١٨٩٥ من الجنس البشرى . . ؟

مصطفى صادق الرافعى

( لها بقية — طنطا )

(١) قصعة

بعد انهيار الحبشة

# الخطر الفاشستي

## والصراع بين الفاشستية والامبراطورية البريطانية

لباحث دبلوماسي كبير

انتهت أعمال القرصنة الايطالية فى الحبشة إلى نتيجة لم يتوقعها كثيرون من رجال الحرب والسياسة ؛ فقد انتهت بانهيار قوى الحبشة بسرعة ، وسقوط قواعدها فى يد العدو المغير بلا مقاومة ، ومثول عاهلها الأمبراطور إلى الخارج ، تاركا ملكه ووطنه وأمته إلى مصاير مجهولة . واستطاع موسوليني زعيم الفاشستية المعتدية أن يعلن خلال مناظر مسرحية ضم الحبشة لايطاليا وتعيين ملك ايطاليا امبراطوراً للحبشة

ومن العبث أن نحاول التحدث هنا عن أسباب انهيار المقاومة الحبشية بتلك السرعة المدهشة بعد أن استطاعت أن تصمد فى وجه العدو أشهراً ، وأن تقف زحفه سواء فى الشمال أو الجنوب حتى شهر مارس الماضى ؛ ولكن المحقق أن هذا التطور الفجائى فى أقدار الحرب يرجع قبل كل شىء إلى التجاء الايطاليين ، بعد أن عجزوا عن التغلب بوسائل الحرب المشروعة إلى استعمال وسائل الحرب المحرمة كالغازات القاتلة وغيرها ؛ وهكذا استطاعوا بتلك الوسائل المجرمة أن يمزقوا صفوف الأحباش ، وأن يلقوا الروع فى نفس الشعب الحبشى بأسره ، هذا إلى ما يذاع من أنهم استطاعوا أن يبثوا بالرشوة والاغراء كثيرا من أسباب الشقاق بين مختلف الرؤوس والزعماء

على أن هـذا النصر المثير الملوث بأدران الجريمة ، والذى يعتبر بحق قرصنة استعمارية محضة ، لم يمنع الفاشستية الايطالية من أن تزفه إلى العالم نصرا رومانياً للحضارة والسيحية التمدنة ، على بلاد همجية تتوق إلى الانضواء تحت السيادة الايطالية الظليلة ، والأخذ بأسباب الحضارة الايطالية الزاهرة ! ولم يمنع زعيم الفاشستية من أن ينوه بأسلوبه المسرحى بعظمة هذا النصر الفاشستى ، وبأنه عنوان ساطع لقوة ايطاليا الفتية ، وأن يتوعد أوربا والعالم كله بأنه على استعداد لأن يسحق أية قوة أو دولة تحاول أن تقف فى سبيله أو تحاول أن تحرمه من ثمار ظفره

ولو عيد موسوليني مغزاه ؛ ذلك أن إيطاليا تستقر الآن فى الحبشة بقوة الفتح فقط ، ولكن هذه الحقيقة الواقعة لا يمكن أن تعتبر حلاً نهائياً للمسألة الحبشية ، وإنما تنتقل المسألة الحبشية الآن من ميدان الحرب إلى ميدان الحوادث الدولية والصراع الاستعمارى . ولنذكر دائماً أن ما أبدته عصبة الأمم من إقدام فى الحكم على إيطاليا بالاعتداء وتوقيع العقوبات الاقتصادية عليها يرجع قبل كل شىء إلى تدخل انكلترا ونفوذها ؛ وانكلترا لم تتدخل ولم تعمل لتنظيم هذه الحركة الدولية تأييداً لميثاق العصبة ومبدأ السلامة المشتركة فقط ، ولكن لأن الانتصار الفاشستى فى الحبشة يهدد صرح الامبراطورية البريطانية ومصالحها الحيوية بأعظم الأخطار

وقد عقدت الآمال من قبل على تدخل العصبة وجهودها ؛ وما زالت العصبة على موقفها من استنكار عمل ايطاليا وتأييد العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها ؛ وربما اتخذت اجراءات أخرى فى هذا السبيل فى اجتماعها الذى سيعقد فى الخامس عشر من يونيه ؛ ولكنا نستطيع منذ الآن أن نضرب صفحاً عن الدور الذى يمكن أن تؤديه العصبة فى حل المشكلة الحبشية بعد أن انهار تدخلها ، ولم تستطع أن تنفذ كل ما يقضى به ميثاقها للتوسل إلى ارغام المعتدى على وقف الاعتداء

والآن ينكشف النضال واضحاً عن معركة دولية ذات وجهين : أحدهما قد اتخذ حتى اليوم ستاراً للآخر ؛ فأما الوجه الأول فهو مبدأ السلامة المشتركة طبقاً لميثاق عصبة الأمم ، وهو المبدأ الذى انتهكته إيطاليا بغزو الحبشة ، وحاولت العصبة تأييده بفرض العقوبات ؛ فالدول الصغرى من أعضاء العصبة تتساءل اليوم ، هل فى وسعها أن تعتمد فى سلامتها الخاصة على تطبيق هذا المبدأ بعد الفشل الذى لحق العصبة فى وقف الاعتداء الايطالى ؟ أم هل يجب عليها أن تبحث عن وسائل عملية أخرى كعقد المواثيق المحلية لتأمين سلامتها ؟ إن ما ارتكبته إيطاليا فى الحبشة يمكن أن ترتكبه غداً فى تركيا ، أو فى اليونان ، ويمكن أن ترتكبه ألمانيا فى النمسا أو هولنده أو لتوانيا ، ويمكن على وجه العموم أن ترتكبه أية دولة قوية ضد أية دولة ضعيفة دون أن تجد وازعاً كافياً لوقف

عدوانها ؛ فأنصار عصبة الأمم يرون فى هذا الطور الحاسم من تاريخ العصبة أن لا أمل فى نجاح مبدأ السلامة المشتركة ما لم يعدل دستور العصبة فى هذا الشأن تعديلاً وافياً ، وتنظم العقوبات الاقتصادية والعسكرية التى تطبقها العصبة على المعتدى تنظيما يكفل أثرها فى وقف الاعتداء المسلح بسرعة ؛ وخصوم العصبة يرون أن التجربة الحبشية كانت حاسمة ، فعلى عصبة الأمم أن تعلن افلاسها ، وعلى الدول أن تعتمد على وسائلها الخاصة للدفاع عن نفسها ؛ وتقف الدول الصغرى فيما بين ذلك حيرى ، ولكنها تعمل من جهة أخرى على تنظيم وسائل الدفاع عن نفسها جهد المستطاع

وأما الوجه الثانى من هذه المعركة الدولية ، فهو نشوب النضال بين قوة عسكرية جديدة طامحة ، هى الفاشستية الايطالية ، وبين امبراطورية استعمارية عتيدة ، هى الامبراطورية البريطانية ؛ ولم يكن خافياً منذ البداية أن نشاط السياسة البريطانية فى توجيه عصبة الأمم إنما هو مرحلة فقط من مراحل النضال الحقيق ؛ والآن وقد انتهت هذه المرحلة بظفر العسكرية الفاشستية ، وهزيمة السياسة البريطانية ، فان النضال يوشك أن يدخل طوره الثانى ؛ وقد أدركت بريطانيا العظمى منذ البداية ما تهدد به تلك الفاشستية المضطرمة الطامحة ، سيادتها فى البحر الأبيض ، وما يهدد به ظفرها فى الحبشة سيادتها فى وادى النيل وشرق أفريقية ؛ وسيادة الامبراطورية البريطانية ومواصلاتها ، صرح لا يتجزأ ، فأى صدع يصيبها يعرض البناء كله للخطر ؛ ولم تخف الفاشستية ولا سيما منذ ظفرها فى الحبشة ، أنها تداعب حلماً امبراطورياً ضخماً ، وما فتئ زعيمها يتحدث عن احياء الامبراطورية الرومانية ؛ وليس من ريب فى أن السياسة البريطانية ترى فى هذه العسكرية الطامحة المتجنية ، المعتدة بقوتها ، المعتزة بظفرها ، خطراً عظيماً على كيان صرحها الامبراطورى ، تزمع سحقه بأى الوسائل

— ٢ —

وليست انكلترا وحدها هى التى تستشعر ذلك الخطر العسكرى الجديد الذى تهب ريحه على أمم البحر الأبيض بنوع خاص ، بل إن أمم أوربا كلها تستشعر به وتخشى تفاقمه ؛ وإذا كانت ثمت دول مثل فرنسا وألمانيا والنمسا تنظر إلى نهوض الفاشستية بعين الاغضاء ، وربما بعين الرضى ، فذلك لظروف خاصة مؤقتة لاتلبث أن تزول فتشعر هذه الأمم بنفس الشعور الذى يثيره ظهور عسكرية جديدة جامحة تحتقر العهود والمواثيق الدولية وتجعل شعارها القوة الغاشمة دون غيرها

وأمامنا التاريخ الأوربى الحديث ، يعيد نفسه دائماً ؛ وفى رأينا أنه سيعيد نفسه فى القريب العاجل مرة أخرى

ذلك أن أوربا ، وانكلترا بنوع خاص ، لم تتسامح قط فى أمر العسكريات القوية المعتدية ؛ ولم تنهض فى أوربا أية عسكرية قوية طامحة ، خلال القرون الأربعة الأخيرة ، إلا اجتمعت أوربا على مقاومتها وسحقها

وقد كانت العسكرية البروسية آخر عسكرية من هذا النوع ، لقيت مصرعها فى الحرب الكبرى

ومنذ القرن السادس عشر يعيد التاريخ الأوربى الحديث نفسه فى هذا الميدان بصورة واضحة ؛ فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كانت العسكرية التركية تجول ظافرة فى جنوب شرق أوربا وأواسطها حتى حدود بولونيا ، وقد اجتاحت حوض الدانوب حتى أسوار فينا ، وحاصرت العاصمة النمسوية مرتين ، فما زالت أوربا حتى حطمت هذه النهضة العسكرية الخطرة فى البر والبحر ، وردتها الى ما وراء الدانوب ، وحرمتها من كل ثمار ظفرها ؛ وفى القرن السابع عشر ، قام لويس الرابع عشر يهدد سلام أوربا الغربية بأطماعه ومغامراته العسكرية ، فما زالت الدول الخصيمة وفى مقدمتها انكلترا والنمسا حتى سحقت قواه العسكرية ، بعد سلسلة من الحروب الطاحنة ؛ وفى أوائل القرن الثامن عشر كان كارل الثانى عشر ملك السويد يجتاح بجيوشه ضفاف البلطيق وغرب روسيا ، ويهدد التوازن الأوربى فى شرق أوربا ، فما زالت روسيا حتى سحقت مشاريعه وقواه

وربما كان أعظم مثل فى التاريخ الحديث لذلك الصراع الخالد فى سبيل التوازن الأوربى ، وسحق العسكريات الجامحة ، مثل نابليون بونابارت ؛ فقد ظل هذا الجندى العظيم الطامح يقود جيوشه الظافرة فى جنبات أوربا مدى عشرين عاما ، ويبسط سيادته على معظم الدول الغربية والوسطى ، ويعمل بكل ما وسع لتحطيم سيادة انكلترا فى البحر الأبيض ؛ ولكن انكلترا لبثت تطاوله وتصارعه وتؤلب عليه الدول الخصيمة ، حتى انتهت بسحقه وتحطيم ذلك الطغيان العسكرى الشامل الذى بسطته

الأمبراطورية على أوربا زهاء عشرة أعوام

وقد رأينا كيف اجتمعت أوربا الغربيـة ، وفى مقدمتها انكلترا ، أثناء الحرب الكبرى ، لتحطيم العسكرية البروسية ، التى وثبت تهدد العالم بأطماعها الجائشة فى السيادة والاستعمار ، وكيف لقيت مصرعها بعد حرب كانت أروع ما شهد التاريخ

والآن يبدو الخطر الفاشستى فى الأفق ، وتنذر العسكرية الفاشستية الجامحة بتحطيم التوازن الأوربى فى شرق أوربا وفى وسطها ، وتتحدى بالأخص سيادة انكلترا البحرية فى البحر الأبيض ؛ وقد زادها انتصارها فى الحبشة زهوا وتحديا ، فهل تصبر أوربا ، وهل تصبر انكلترا بنوع خاص حتى يتفاقم الخطر الفاشستى كما تفاقم الخطر البروسى قبيل الحرب ؟ هذا ما لا نعتقد ، وفى يقيننا أن الامبراطورية البريطانية تتأهب لخوض ذلك الصراع التقليدى الذى حرصت دائماً على خوضه لتحطيم ذلك الطغيان العسكرى الجديد الذى يهدد سيادتها ومصالحها الحيوية فى البحر الأبيض وفى شرق أفريقية ، وإذا كانت السياسة البريطانية ما زالت تبدى بعض الفتور والتردد فى العمل الحاسم فذلك لأن مصاير الحرب والتسليحات الحديثة قد اتخذت وجهة جديدة ، ولم تعد السيادة البحرية وحدها كافية لأن تملى بريطانيا كلمتها ؛ ومن تقاليد بريطانيا المأثورة أنها لا تتعجل الحوادث ، ولا تسارع الى قبول التحدى الطائش ؛ وبريطانيا تزن اليوم أقدار الحرب والنضال بميزان جديد لم تستقر عوامله بعد ؛ وقد يمضى وقت آخر قبل أن تنزل بريطانيا الى ميدان العمل الحاسم

قد تستطيع الفاشستية الجامحة فى نشوة ظفرها المزعوم ، أن تزعج أوربا وانكلترا ، مدى حين بمشاريعها ووعيدها ؛ ولكن الفاشستية تخطىء بلا ريب إذا هى اعتقدت أن الظفر ميسور فى ميادين أخرى غير الحبشة ، وأنها تستطيع فى مكان آخر من أوربا ، أو افريقية ، أن تستعمل وسائلها العسكرية المجرمة فى تحقيق أحلامها الرومانية ، دون عقاب أو وازع ؛ وهنالك حقيقة لا ريب فيها ، وهى أن الفاشستية قد بثت بمسلكها وغرورها ووعيدها مخاوف ما كان اغناها عن بثها ، وأنها سترغم بلا ريب ، فى القريب العاجل ، على خوض الصراع الحاسم ؛ وليس من ريب فى أنها ستسحق فى هذا الصراع ، كما سحقت كل عسكرية أوربية جامحة من قبلها

***

# امتزاج الاحاسيس

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال المتنبى :

والذل يظهر فى الذليل مودة وأود منـه لمن يود الأرقم

وأحسب أن المتنبى إنما أراد أن يصف الذليل المداجى الذى يظهر المودة ويخفى الضغينة والعداء ، فيتودد ويتذلل حتى ينال من خصمه . وهذه صفة شائعة فى ذوى الكيد والمكر والدهاء . ولكن هناك صفة أخرى فى النفس الانسانية تشبه هذه الصفة بعض الشبه ، وهى صفة المحبة والمودة التى يحسها الخائف إحساساً حقيقياً لا مداجاة فيه إذا عجز عمن يخاف منه وألف الخوف فأزالت ألفة الخوف غلواءه ، وأزالت الرغبة فى التخلص منه ، وأبعدت هى والعجز أمل الانتقام من أجله ، فتحول ارادة المحافظة على الحياة ذلك الخوف المألوف محبة أو مودة تحاول بها نيل الزلفى لدى الانسان المخوف من طريق الاحساس الصادق بالمحبة أو المودة ، وتحاول أن تسل بها من قدرة المخوف حمة البغض وسم الضغينة ، لأن ارادة المحافظة على الحياة تعلم أن مودة الرياء ومحبة النفاق قد لا تقنع ، وقد تنكشف ويشف ثوب الرياء عما تحته فينال الخائف المرائى شراً إذا انكشفت مداجاته وعرفت مداهنته ، ومن أجل ذلك تبالغ إرادة المحافظة على الحياة فى الحيطة والحذر ، فتحول الخوف من الانسان المخوف الى حب له أو مودة كى تقنعه وتتقى بوادر شره ، وهى أيضاً تحاول أن تقنع بتلك المودة نفس من يحسها ، وتفهمها أن لا داعى لليأس من الحياة كى لا يرهقها الخوف واليأس ؛ وهذا أمر مشاهد إذا قرأ الانسان سفر الحياة وتقصى البحث فى تكوين النفوس

وهذه المحبة قد تزول وقد تبقى بعد زوال أسباب الخوف ، وقد تقوى أواصرها بعد الرهبة ولا سيما إذا حلت الرغبة مكان الرهبة ، ووجدت النفس منفعة دنيوية أو نفسية لها عند من زالت أسباب الخوف منه ؛ وقد تنقلب تلك المحبة إذا زالت أسباب الخوف مقتاً ورغبة فى الانتقام ، فيحسبها الباحث أنها لم تكن إلا مداهنة ونفاقا ، وهى قد تكون ذلك ، وقد تكون كما شرحنا محض المودة والشعور الصادق بها ، لأن احساسات

النفس تمتزج وتتحول وتتشكل أشكالاً وتتلون ألواناً فى السرائر ، فكأن فى النفس البشرية سر الكيمياء الذى حاول الكيميائيون فى القرون الوسطى معرفته كى يتمكنوا من تحويل معدن إلى معدن ، فهذا التحول الذى وصفناه من كيمياء النفوس فى معامل السريرة الخفية

وكما أن امتزاج الخوف والمحبة يشاهد فى الأضداد البعداء من قوى مسيطر وضعيف ذليل ، إذا تهيأت للأول أسباب القوة من جاه أو مال أو صحة ، وخذلت تلك الأسباب الذليل الضعيف وقهرته على أن يعتمد على صاحب المال أو الجاه ، فذلك الامتزاج يشاهد أيضاً فى نفوس الأصدقاء والأوداء والأحباء والأقرباء . فكم من امرأة تحب زوجها حباً صادقاً أساسه الخوف منه ؛ وكم من رجل يحب زوجه حباً صادقاً يخالطه الخوف ؛ وكم من قريب يود قريباً ، وصديق يود صديقاً وداً تمازجه الرهبة أو الخشية

وإذا تقصينا البحث وجدنا ماهو أعجب من ذلك ، فقد يمتزج البغض والحب فى النفوس ، فقد يبلغ العاشق منزلة من العشق تشرف على البغض والمقت لمن يعشق ، وقد تتذبذب نفس العاشق بين الحب والبغض أو قد تجمعهما فى وقت واحد ، فهى تارة تريد الخير لمن تحب ، وتارة تريد الشر ، وتارة تجمع بين إرادة الخير وإرادة الشر — ويمتزج الأخاء والجفاء فى نفوس الأصحاب ، ويمتزج الاحترام والاحتقار فى نفوس الجلساء والمتعاشرين ، كما يمتزج الحب والبغض فى نفوس العشاق ، أو كما يمتزج الخوف والود فى نفوس الضعفاء ، فترى الصاحب أو الجليس يبالغ تارة فى إخائه لصاحبه وجليسه ومعاشره ويكثر من إكرامه وإجلاله ، وتارة يظهر له الجفاء وقلة الاكتراث أو العبث به أو الحط منه ، وتارة يجمع فى مجلسه بين النقيضين

وكل إنسان يشتكى هذه الصفة فى النفوس ، ولكن إنسان نصيب منها قل أو كثر وإنما يفطن إلى ما فى نفوس الناس ولا يفطن إلى نصيب نفسه منها . وينقسم الناس فى تدبر هذه الصفات ثلاثة أقسام : أناس يأبون الرضاء بها فيعتزلون الناس ما استطاعوا إلى العزلة سبيلاً ؛ وأناس ينقدونها ويودون لو تكون النفوس على حال واحدة ، ولكنهم يعرفون استحالة هذه الودادة فيقنعون بما هو مستطاع من النفس والحياة ، وأناس لا يرون إعنات أنفسهم بالسخط على هذه الصفات النفسية ، ومنهم من يرى فى تلون نفوس الناس وتقلبها وجمعها بين النقيضين رحمة أو تفكهة أو اراحة وترفيهاً ، ويمقتون من لا يعاشرهم على هذه الخلال ، وربما كان فى قولهم شىء من الحق والصواب ، وربما كنا نزهد فى الحياة لو كانت نفوس الناس على حال واحدة لا تتغير ، فان الحال التى لا تتغير مدعاة السأم والملل كسأم الذى يعيش فى مكان قفر موحش لا يرى منه إلا مظهرا واحداً لا يتغير فى أرضه أو سمائه

ولعل من أشد العقوبات وأقساها أن يحكم على انسان ألا يأكل طول حياته غير السكر ، فهو قد يشتهيه فى أول الأمر ، فاذا طال به العهد اعتراه السأم والملل ؛ وكذلك ربما كان الجفاء مدعاة إلى التمتع بالأخاء ، وقلة الاكتراث مدعاة إلى التنعم بالاكرام ، والبغض حافزا إلى استمراء الحب ، كما أن اللذة لا يحسها إلا من يستطيع الاحساس بالألم . وهذه فلسفة لا شك فيها ، ولكن الكثير من أمزجة النفوس تأباها ، إما لأنها مرهفة الحس فلا تنسيها اللذة الألم والأخاء الجفاء ، وإما لأنها إذا أحست ألماً أو عانت جفاء أو قاست عداء لا تطمئن إلى زواله ، وقد تستبطىء زواله فيدركها اليأس والحزن

والحزن من تقلب النفوس وتلونها واختلافها نفساً عن نفس وحالا عن حال كثيراً ما يدرك الشاب القليل الخبرة بالحياة والنفس الانسانية ، فهو لغرارته يحسب أن الحياة على مثل واحد ترتضيه ، وأن النفس على خلة واحدة يحمدها ، فاذا فطن إلى تقلب النفوس وتذبذبها وقلة استقرارها وجمعها بين الاضداد ، وإذا راعه كل ذلك بسبب غدر صديق أو جفاء جليس أو عيث عشير أو شر رفيق أو كيد أليف أو بغض حبيب كاد ينفطر قلبه أو كادت تنهار دنياه ، ولكن أكثر الشبان يستطيعون إذا طال بهم العمر ومد لهم فيه أن يوفقوا بين الحياة وبين مثلهم الأعلى ، أو تطغى الحياة وما تدعو اليه على مثلهم الأعلى فتمحوه ويصير كل منهم فى مودته مثل مقياس الحرارة (الترمومتر) ، فتارة ترتفع مودته إلى درجة الغليان ، وتارة تنخفض إلى ماهو تحت الصفر من درجات البرودة . وقس على المودة غيرها من الاحساسات

وإنما تصلح الحياة وترق وتحلو إذا لم يمح تذبذب النفوس المثل العليا منها . وخير خطة للمرء ألا يحزنه تقلب النفوس واختلاط خلال النفس ، وألا يدع هذا الاختلاط والتذبذب يطغيان على كل شعور نبيل ، فيجمع بين الاطمئنان ونشدان المثل العليا إذا استطاع ذلك

عبد الرحمن شكرى

# فى حضرة الأمير فؤاد

## جلالة الملك الراحل

للأستاذ عبد القادر المغربى

عضو مجمع اللغة العربية الملكى

لم يتح لى شرف المثول بين يدى جلالة الملك فؤاد الأول وأنا عضو فى مجمع اللغة العربية الملكى ، وإنما أتيح لى ذلك وهو أمير وأنا محرر فى جريدة ( المؤيد ) سنة ١٩٠٧ م

كتبتُ فى هذه السنة عدّة مقالاتٍ فى الدين والأدب والأخلاق والاجتماع الاسلامى ؛ وكان مما كتبته سلسلة مقالات بعنوان ( حمامة الأزهر ) ، فكنتُ أروى عن تلك الحمامة — مستمداً من وداعتها ونزاهتها — وصفاً دقيقاً لأحوال الأزهر وأخلاق علمائه ومشارب طلابه وما يقع فيه يوماً فيوماً من خير يمتدح أو شر يجتنب

واتفق يومئذ حدوث ما حدث بين السّيد على المرصفى ومشيخة الأزهر . وكان السيد يقرأ من كتب الأدب ( كاملَ المبرد ) . وللحجاج فيه كلمة نابية لا تكاد تذكر حتى يتبرأ منها المسلم . فنَقَلَ بعض الوُشاة إلى المشيخة خَبَرَ ورود هذه الكلمة فى درس الأستاذ ( المرصفى ) . فأ كبرتْ أمرها . ودعت الأستاذ إليها وناقشته فى اختياره لهذا الكتاب من بين كُتُب الأدب الكثيرة ، وفيه تلك الكلمة . ثم أبَتْ المشيخة عليه إلا أن يقرأ مقامات الحريرى ، وأبى هو إلا أن يهجر الأزهر ويعكف على القراءة فى داره فى باب الشعرية ، وهكذا وقع

على أثر ذلك زارنى فى إدارة تحرير ( المؤيد ) ثلاثة من مجاورى الأزهر الذين لم ينفضوا من حول شيخهم المرصفى . وقد ألفت بينهم حرّية فى الفكر ، وصراحة فى الرأى ، ونفوس وثابة إلى التجديد : فكانوا فى تاريخنا الحديث أشبه بجمعية إخوان الصفا فى تاريخنا القديم

وهم الأساتذة : طه حسين ، والزيات ( صاحب هذه الرسالة ) ، والزناتى

فأنستُ بهم وسررت بزيارتهم

وقد وصف لى الأستاذ طه حادثة أستاذهم المرصفى مع مشيخة الأزهر وعجّبنى أشدّ العجب من موقف المشيخة إزاء هذا الحادث . ثم رغب إلىَّ أن أستنطق ( حمامة الأزهر ) فهى تملى علىَّ الخبر بأتمّ ممّا أملاه هو وأن أنشر ما تقوله فى ( المؤيد )

فقلت له — وأنا آسف واجم : إن الشيخ على يوسف دعانى اليه بالأمس وقال لى : إن سمو الخديو ( عباساً ) قال له : قل للشيخ المغربى ليدع (حمامة الأزهر) وشأنها ، ولا يرو منْ بعد الآن فى (المؤيد) خبراً عنها

ولما أردت أن أناقش صاحب المؤيد فى ذلك قطع على حبل المناقشة بلهجة البات الجازم . وقد بين السبب فى هذا البت بأن الخديو قال له : إن شيوخ الأزهر أنفسهم كلموه فى هذه القضية فوعدهم خيراً ، فلم يبق مناص من امتثال أمره

ثم قلت للاخوان الثلاثة : هذا ما جرى ، وكنت أحب أن يصلنى خبر حادثتكم هذه قبل ما بلغت من أمر الخديو فيكون للحمامة إذ ذاك شأن فى وصف الحادثة والتعليق عليها . وما يدرينا أن يكون الشيوخ الذين كلموا الخديو فى الأمر إنما حسبوا حساب ( الحمامة ) التى اشتهرت بصدق روايتها ، وإخلاصها فى نصيحتها ، فلجأوا إلى الخديو . وبهذه الصورة قطعوا عليها طريق الكلام فى الحادثة

ثم أفضتُ مع ( إخوان الصفا ) فى أحاديث أخر . حتى وصلنا إلى ذكر ما أنشره فى ( المؤيد ) من مقالات ( أمالى أدب ) فأنشدنى الأستاذ طه القصيدة التى اشتهرت باسم ( اليتيمة ) ومطلعها :

( هل بالطلول لسائلٍ ردُّ أم هل لها بتكلمٍ عهدُ )

وكنت نشرت فى ( أمالىَّ ) أبياتاً من تلك القصيدة . فقال الأستاذ ( طه ) إن معظم القصيدة موجود فى مجموعة رسائل مخطوطة فى دار الكتب المصرية . وفى ثانى يوم أرسلها إلى بخط

بعض إخوانه ، وبقيت عندى حتى غلبنى عليها أحد الأصدقاء قبل بضع سنين

وفى تلك الأثناء زارنى صديقى الأستاذ ( محمد الهراوى ) وقال لى : يحسن أن تزور معالى ( حسين رشدى باشا ) . وكان مديراً للأوقاف العمومية فى ذلك العهد . ولم أكن اجتمعت به من قبل ، أما الهراوى فقد كان على اتصال به

فزرناه فى دار سكنه فى ( المنيرة ) وهى الدار التى آلت ملكيتها بعد ذلك إلى الشيخ على يوسف

ولما دنونا من بابها رأينا عربة فخمة يقودها فرسان مطهمان . فقال لى رفيقى : يظهر أن أحد أمراء العائلة الخديوية فى زيارة الباشا

وهكذا كان : فاننا لم نكد نطأ البساط حتى خاطبنا الباشا مشيراً إلى صدر المجلس حيث زائره الكريم — قائلاً :

سمو البرنس فؤاد

فدنونا وسلمنا . ولم نكد نأخذ مجالسنا حتى التفت الباشا إلى الأمير وجعل يكلمه بالفرنسية . وكان فى خلال الحديث يلتفت إلى ، فعلمت أنه إنما يقدمنى إلى سموه ، وبالطبع يكون قد قال له : إننى عالم سورى وأننى أحرر فى ( المؤيد ) رسائل حمامة الأزهر ، وأننى أسلك فى نقد العادات والأخلاق وطرائق التعليم الدينية الأزهرية مسلك المرحوم الشيخ محمد عبده . عرفت هذا من قول صاحب السمو للباشا بالفرنسية :

سل الشيخ ما هو رأيه فى الكرة الأرضية ؟ هل هى حقيقة محمولة على قرن ثور كما يقولون ؟

فكان لهذا السؤال وميض من الابتسام على شفاهنا جميعاً وشعرنا بشىء من الأنس والانبساط أفاضته علينا كلمة صاحب السمو بعد انقباض الاحتشام الذى غشينا من مهابته

فقلت للباشا قل لأميرنا المحبوب : إنه لولا الثور ( أبيس ) وبقية ثيران الدنيا التى كان يمثلها ذلك الثور فى هيا كل مصر — لما وجد فى الدنيا إنتاج زراعى ، ولما قام عمران فى العالم . فلا جرم أن كانت الدنيا القديمة محمولةً على قرن الثور وحده وأن يكون أهلها عيالاً عليه : فهو الذى ( يحمل ) عبء الاهتمام بأمرهم ، والسعى فى تموينهم ، وتدبير الأقوات لهم

ففكرة حمل الدنيا على قرن الثور إذن فكرة شعرية خيالية سرت إلينا من المصريين القدماء بشكل جدىّ واقعى

فبرقت أسارير صاحب السمو من هذا الجواب . ثم أبدى أسفه الشديد لكثرة ما تسرب إلى الدين الاسلامى من تقاليد الأمم القديمة ومزاعمها ، حتى أصبحت تلك المزاعم كأنها جزء من تعاليم الاسلام . ثم ذكر لنا سموه أمراً استغربه جداً : وهو أن بعض علماء مراكش وفدَ على القاهرة فسأله بعض من سلمَ عليه من زملائه عما إذا كان سفره من المغرب الأقصى إلى القطر المصرى كان بطريق البر أو البحر . وقال سموه : إن العزلة التى تجعل صاحبها يجهل أبسط شأن من شؤون عصره لهى عزلة ضارة تجب مقاومتها والخروج من ظلمتها

وقد كان كلام سموّه يشفُّ عن مبلغ غيرته على الاسلام ، وحرصه على تصفية علومه ، وعلى الأزهر وحرصه على ترقية شؤونه

رحم الله فقيدنا العظيم رحمة واسعة ، وجعل لنا من ابنه جلالة ( فاروق الأول ) خليفةً صالحا يكشف الغمّة ويجمع كلمة الأمّة

( دمشق ) المغربى

# النقـــد الأدبى

## بقلم السيد عبد القادر صالح

بحث صاحب « الرسالة » الغراء فى عددها الأسبق تهافت الأدباء الناشئين على النقد الأدبى ولما يأخذوا له عدته

ولم يَعْدُ الحق فيما سرده من العلل لتلك الظاهرة القوية بين كثير من ناشئتنا ، لأن منزلة الناقد الحق منزلة رفيعة تحتاج إلى سعة أطلاع ، وسلامة ذوق ، وصراحة من غير ما قسوة أو غرض

ذكرنى مقال الأستاذ فى « النقد المزيف » بقصيدة مشهورة لشاعر انكليزى نقادة اسمه ( پوپ ) عاش فى القرن الثامن عشر . ويتبوأ هـذا الشاعر فى الأدب الانكليزى مكانة « أبى الطيب المتنبى » فى الأدب العربى من بعض الوجوه . كلاهما كان أمير الشعر فى عصره ، وكلاهما كان يعتز برفعة نفسه وعدم امتهانها ، وكلاهما كان متين الأسلوب ، وأشعار كل منهما أصبحت أمثالاً سائرة

وتلك القصيدة التى أشرت اليها آنفاً ، والتى سأحاول أن أنقل لقراء « الرسالة » الذين لم يدرسوا پوپ بعض آراء هذا الشاعر الواردة فيها ، هى : « مقال فى النقد » نشرت والشاعر فى الثالثة والعشرين من عمره ؛ ويظن أنه نظمها قبل نشرها بسنتين ، يستهلها بقوله :

« يتعذر على المرء أن يقول : أى الرجلين تنقصه المهارة أكثر : السىء النقد أم السىء الكتابة ؟ على أن ما يستنفد صبرك أقل خطراً مما يضلك

أحكامنا كساعاتنا ، قل أن يتفق منها اثنان . غير أن كلاً منا يعتقد أن رأيه هو الأصوب

يندر وجود العبقرية الحق فى الشعراء ، كما يندر وجود الذوق السليم فى الناقد . كل من الناقد والشاعر يجب أن يكون مطبوعاً . هذا خلق ليكون ناقداً وذاك ليكون شاعراً

قلة معارف البعض تفسد مؤهلاتهم البسيطة . فاذا ما أخفقوا فى الكتابة انقلبوا نقدة ليدرأوا عن أنفسهم أثر الخيبة

العلم الناقص شديد الخطر ، فاما أن تتبحر فى العلم وإما ألا ترد مناهله . لأن الاغتراف البسيط يسكر ، ولا يعيد الرشد إلا الامعان فى الطلب

قبل أن تتعرض للنقد يجب أن تتأكد من نفسك أولاً ، وأن تعرف مدى ما لديك من المعرفة والعبقرية والذوق السليم

الكبرياء من أقوى الأسباب التى تحول بين المرء ورؤية الحقائق . ومن شأن الطبيعة أن تزيد فى كبرياء المرء بمقدار ما ينقصه من المقدرة

فى البدء يخيل إلى الشاب المتحمس أنه بمعلوماته البسيطة بلغ ذروة الفن ، ولكنه كلما أمعن فى طلب العلم بدا له نقص أوضح . كالصعد فى جبال الالب يتراءى له فى بدء تصعيده أنه يدنو من الذروة العليا ، فاذا ما استمر فى تصعيده بدت لعينيه ذرى تعلوها ذرى

الناقد الكامل يقرأ الكتاب بنفس الروح التى كتب بها المؤلف . ينظر للكتاب ككل ، فلا يجعل همه اكتشاف الغلطات التافهة . وهل يُحكم على جمال شخص بجمال العين أو الشفة على انفراد ؟

بعض النقدة همهم اللغة . يعجبهم من الكتب ما يعجب النساء من الرجال : حسن الثياب

سلاسة الاسلوب ليست وليدة المصادفة ، وإنما هى ثمرة الفن . جرس الكلمة يجب أن يكون صدى لمعناها

بعض النقدة ينتقد أسماء المؤلفين لا مؤلفاتهم ، فيمتدح أو يذم الشخص لا كتابه . والبعض الآخر يمتدح القديم لأنه قديم ، أو الجديد لأنه جديد . فلا تكن أول من يجرب الجديد ولا آخر من يتخلى عن القديم

وهنالك من يمتدح فى أول النهار ما يذمه فى آخره ؛ وإذا سألته عن السبب أجابك : « أنا الآن أعقل منى فى الصباح . » ولا ريب أنه سيكون فى الغد أعقل منه الآن

والبعض إنما يقدر من كان من رأيه أو حزبه ، فيتخذ من نفسه مقياساً للنقد عاماً

لا يكفى أن يجتمع فى الناقد الذوق والمعرفة وإصابة الرأى . بل يجب أن ينضم إلى هذه الصفات الحق والصراحة

( البقية فى ذيل الصفحة التالية )

من الموضوعات التي نالت الجائزة في المباراة الأدبية

# التربية الوطنية الاستقلالية
## وأثرها في بناء الأمة
للأستاذ محمد عبد الباري

تتمـــة

وجملة القول هنا أنه لا بد من الشجاعة والاقدام للنجاح في هذه الحياة، لأنهما يأبيان على المتحلي بهما الاعتماد على الغير، ويقودانه الى الطموح والسعي والابتكار. وصفتا الشجاعة والاقدام لا تتأصلان إلا بالتربية الاستقلالية التي تبدأ من الطفولة الأولى، وتنمو في الوسط الحر المستقل وتذكى بالقدوة والمثل

وفي البيئات الحرة المستقلة يقل اعتماد الفرد على الجماعة فتخف أعباؤها. وفيها يشعر كل فرد بحقه وبواجبه فيعمل الواجب، ويطالب بالحق، ويكره الضيم ولا ينام للظلم. وبهذا يفكر الظالمون والمتعسفون كثيراً قبل أن يقترفوا الظلم والعسف، فيقل الاحتكاك وتسرع الجماعة في طريق البشرية لتحقيق مثل الانسان الأعلى، دون فقدان كثير من قواها في احتكاك داخلي يوهن عزيمتها، ويفت في عضدها

ولا شك أن أعمال الحكومة تؤدي كثيراً إلى تدعيم روح الحرية والاستقلال بمراعاة ما ذكر في النظم والقوانين، وفي كيفية تطبيق رجال القضاء والادارة لهذه القوانين والنظم

فكفالة حرية الرأي تساعد كثيراً على نضوج الفكر ومن ثم على نضوج الحرية الاجتماعية وتقضي على الفوضى، ومن الواجب مراعاة هذا لدى التقنين

واختيار القضاة ممن عرفوا بالصلابة في الحق، والتمكن من القانون، واستنارة الفكر، تعاون الجماعة على ضمان سير العدالة؛ وبذا يشعر الناس بأن لا ضير عليهم ما قاموا بواجبهم في حدود القانون، فيعظم نشاطهم ويكثر انتاجهم

وتحلي رجال الادارة كبارهم وصغارهم بصفات الاستقلال والحرية والشجاعة والاقدام يعمل كثيراً على سير أداة الحكم بلا عوج ولا غرض، فتشيع في الناس صفات الاباء والشمم، ويعمل الجميع بلا خشية ولا رهبة ولا احتكاك ولا شقاق، ويقضي على النفرة بين الحكام والمحكومين، ويشعر الجميع بأن بينهم غرضاً مشتركا يقوم كل بواجبه لتحقيقه، فيسهل الوصول إلى الغاية المشتركة بالتعاون والتضافر

### الوطنية:

لا بد في الحياة الاجتماعية أن تقترن التربية الوطنية بالتربية الاستقلالية منذ الحداثة الأولى. نعم حب الوطن طبيعة يستشعرها الانسان منذ فجر التاريخ بغير تلقين ولا درس، ولكنها مع ذلك من المشاعر التي يجب تعهدها بالترسيخ والتقوية، وحمايتها مما يفسدها من المؤثرات الصناعية

لا عزة في وطن ذليل؛ ولا قيمة للجاه الفردي والغنى الفردي في جماعة تخضع لارادة خارجية؛ والاستقلال الفردي لا يثمر في أرض تسخر فيها ارادة الأفراد لغير مصلحة بلادهم

ففي مهد الطفولة يمكن تنمية شعور الوطنية بقص قصص الوطنيين الأبرار وتمجيد أعمالهم وإثارة الاعجاب بها. وفي المكتب أو المدرسة يتغنى الأطفال بحب الوطن ومجده والتفاني في خدمته، وإذا لم تكن العقول الصغيرة غير المتفتحة تدرك المعاني حق إدراكها فان الذاكرة تختزن الألفاظ لتفيض معاني ملهمة عندما يتسع الادراك وتأتي المناسبات؛ وخيال الطفل القوي

---

عليك بالصمت التام عندما تكون غير واثق تمام الثقة من صحة رأي. وعليك أن تتواضع إذا كنت متمكناً من رأي، وأن تعترف بأغلاطك

لا يكفي أن يكون نقدك حقاً تقصد به الارشاد، إذ كثر ما سببت الحقائق الجافة أضراراً أبلغ من الأخطاء، لأن الناس يحبون أن يُعلَّموا وهم لا يشعرون أنهم يعلمون، وأن تُذكر لهم الأشياء التي يجهلونها كأنها منسية لا مجهولة

لا تقس في نقدك ولا تكثر منه. ولكن يجب ألا يسوقك التسامح لاهمال العدل. ولكن أين الرجل الذي يستطيع أن يقدم النصح خالصاً حباً في الارشاد لا رغبة في إظهار المعلومات؟»

(نابلس — فلسطين) عبد القادر صالح

يخلق من أبطال قصص والديه تماثيل ذهنية ناطقة تصاحبه ما عاش وتناديه وتناجيه ، تزجره إذا ما حاول العقوق ، وتدفعه إذا ما اعتزم العمل ، وتتوج هامه بأكاليل الفخار إذا ما أجاد شاباً وكهلاً . وما أعجب فعل العقيدة عن ايمان ! !

هـذه الصور الخيالية تحفظ الشعور قويا وثابا . فاذا ما نضج الشخص بالتربية العقلية والجسمية والخلقية امتزج العقل بالعاطفة وكان فى الفرد الوطنية الحية الرشيدة ، أقوى أسس الحياة الاجتماعية

دراســة التاريخ بصفة خاصة من أقوى العوامل على تنمية الشعور الفطرى بحب الوطن وتثبيته . فالصور الخيالية التى لزمت الطفل من البيت إلى المدرسة تزداد ثباتاً بدرس التاريخ كما ينبغى . التاريخ القديم والحديث حافلان بأعمال البطولة والشرف ، وفيهما أمثلة لأعمال الدناءة والخيانة . فمن واجب الأبوين والمعلمين عرض صور الشخصيات التاريخية البارزة عرضاً أخاذاً وتمجيد أعمال البر بالوطن والتفانى فى خدمته وتحقير أعمال الخيانة والنذالة والجبن

بذا ينشأ الوطنى طموحا إلى المجد ، مشمئزاً من الدناءة ، منكراً لذاته فى سبيل رفعة وطنه

ولا شك فى أن للمثل الصالح هنا كذلك قيمته العظيمة . فسلوك الأبوين والأقارب والمعلمين يفعل فى نفس الطفل العجائب ، بل إن هذا السلوك يؤثر فى الفتيان تأثيراً يخلق النفوس خلقاً آخر . فقيام كل من هؤلاء بواجبه كوطنى يبث فى الناشئين روحا وطنية بلا تلقين أو وعظ ، ويشبون على أن العمل لمجد الوطن واجب الجميع يؤديه الكل سجية . فاذا ما توانوا فيه أو تخاذلوا دونه كان ذلك شذوذاً معيباً وسلوكاً ممقوتاً

للكتب والقصص ، تمثيلية وغير تمثيلية ، قيمة كبيرة فى هذه الناحية من نواحى تربية الفرد . فالتلقين الحكيم الذى يزود به الكاتب قراءه أو مشاهدى روايته لا يقـل كثيراً عن المثل والقدوة . يجب أن يكون فى الكتب والقصص ما يكفى للايحاء إلى القراء والنظارة بأن كلا منهم يستطيع أداء حق وطنه عليه باعداد نفسه الاعـداد الذى تحتمله ظروفه وطبيعته والذى تمكنه من أداء عمله ، مهما كان نوعه باخلاص وإتقان . وبأنه إذا قام كل فرد باداء عمله كما ينبغى فان الوطن يتقدم ويعتز . وبأن الانسان خلق حراً ، ولكن لا سبيل إلى الاحتفاظ بهذه الحرية إلا إذا كان الوطن قويا بحيث يستطيع رد من يحاول التسلط عليه وفرض إرادته على أبنائه

ومن خير وسائل إعـداد الشبان قرن الثقافة ببث روح الطموح فى الشبان وإثارتها فى كل مناسبة ، بل بخلق مناسبات لاثارتها . فالطموح المحب لوطنه يخصص حياته لتحقيق أمثلة عليا فى الحياة تعود حتماً بالخير على بلده . فما الأمة إلا أبناؤها . فاذا كانوا خاملين وقف تقدم البلاد بل تتدهور . وإذا كانوا ذوى أمثلة عليا تقدمت البلد وعز جانبها

ومن سبل ترسيخ الروح الوطنية الاحتفال بالأعياد القومية وانتهاز ما تتيح من فرص لتمجيد أعمال البر بالوطن والتفانى فى خدمته ، وفى كل الطبقات يجب أن تنشأ جماعات يجتمع أعضاؤها يتباحثون ويتناجون فيما يعود على جماعتهم بالخير . وينبغى أن تنشد الأناشيد الوطنية فى مبدأ الاجتماع وفى نهايته لتحية الوطن وإعلان الاخلاص له والتضحية فى سبيله

وهكذا يذكر الوطن فى المنزل وفى المكتب والمدرسة ، وفى الاحتفال بالأعياد القومية ، وفى الاجتماع المتعلق بالشؤون الطائفية . فترسخ فى الجماعة عقيدة « الوطن فوق كل شىء » ويرخص كل شىء فى سبيل الوطن ، يرخص المـال والولد ، بل ترخص النفس كلما تطلب مجد الوطن بذلاً فى الحرب والسلم على السواء

وإذا ما غلبت فى جماعة ما روح التربية الاستقلالية ونما فى الأفراد وقوى وثبت الشعور الفطرى بحب الوطن ، وأعد الجميع إعداداً صالحاً ليقوم كل بواجبه على خير وجه ، فلا بد أن تنجح هذه الجماعة فى شق طريقها الى الحياة الانسانية الكريمة ، حياة العزة والشرف ممتعة بنعيم الحرية وبركة الاستقلال الصحيح .

( شبين الكوم ) محمد عبد البارى

### تصويب

ورد فى المقال الثانى من هذا البحث المنشور فى العدد ١٥٠ ما يأتى :

جـ فى آخر العمود الثانى من صفحة ٨٢٠ ( عند ) وصوابها عن

« « « الأول حرف a بدل s فى كلمة Syndicalism

« « « الثانى كلمة تغير بدل تبصر

من أدبنا المجهول – شاعر يرثى ولده بديوانه

# اقتراح القريح واجتراح الجريح

## لأبى الحسن على الحصرى

[ للأستاذ الزيات عزاء وسلوة ]

### للأديب السيد أحمد صقر

– ٢ –

الحصرى المجهول : هناك بين طيات القرون الغابرة ، ثبت ضخم حافل بكثير من نوابغ الأدباء ، وعباقرة الشعراء ذوى الجد العاثر والطالع النكد ، الذين جار عليهم الزمان فطوى ذكرهم وطمر تراثهم . ولو عنى الناس بأمر هؤلاء المحدودين ، وبعثوهم من مراقدهم ونشروا آثارهم ، لكان للأدب من ذلك ثروة طائلة

من هؤلاء الشعراء المجهولين أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى الحصرى القيروانى الضرير ، صاحب كتاب « اقتراح القريح واجتراح الجريح » . والحصرى – بضم الحاء وإسكان الصاد – نسبة إلى عمل الحصر أو بيعها

ويشترك مع أبى الحسن هذا فى لقبه شاعر معاصر آخر ، كانت بينه وبينه وشيجة نسب ، أعنى به ابن خالته الأستاذ « ابراهيم الحصرى » صاحب كتاب « زهر الآداب » المتوفى سنة ٤٥٣ من الهجرة ( ١٠٦١ م )

وقد اشتبه أمرهما على كثير من الناس فحسبوا ذاك هذا ، ونسبوا آثار هـذا لذاك ؛ وأرخوا لأحدهما بتاريخ الآخر ، ولكن الأمر لم يشتبه على الراسخين فى العلم ، فوضعوا الحق فى نصابه

اكتنف الغموض حياة أبى الحسن الحصرى من كل ناحية ، فلسنا نعرف نشأته ولا ثقافته ، وليس فيما بين أيدينا من المصادر ترجمة دقيقة شاملة نعتمد عليها فى تأريخنا له ، وكل ما وجدناه نتف متشابهة ، وشذرات مقتضبة ، لا تجدى نفعاً ؛ وقد أحببت أن أنقلها للقراء علها تلقى شيئاً – ولو ضئيلاً – من الضياء على حياة ذلك الشاعر العبقرى ، وترسم صورة – ولو شاحبة – لذلك الأديب المجهول

١ – ذكره ابن بسام فى ذخيرته ، فقال : « كان بحر براعة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، طرأ على جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدب يومئذ بأفقنا نافق السوق ، معمور الطريق ، فتهادته ملوك طوائفها تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الدار فى الأنس بالمقيم ؛ على أنه كان فيما بلغنى ضيق العطن ، مشهور اللسن ، يتلفت إلى الهجاء ، تلفت الظمآن إلى الماء ، ولكنه طُوِى على غَرِّه ، واحتمل بين زمانه وبُعْدَ قطره ، ولما خلع ملوك الطوائف بأفقنا ، اشتملت عليه مدينة طنجة ، وقد ضاق ذرعه وتراجع طبعه ... »(١)

٢ – وذكره ابن بشكوال فى الصلة فقال : « على بن عبد الغنى الفهرى المقرئ الحصرى القيروانى يكنى أبا الحسن ، ذكره الحميدى وقال : شاعر أديب ، رخيم الشعر ، دخل الأندلس ولقى ملوكها ، وشعره كثير ، وأدبه موفور ، وكان عالماً بالقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس القرآن بسبتة وغيرها . أخبرنا عنه أبو القاسم بن صواب بقصيدته التى نظمها فى قراءة نافع ، وهى مائتا بيت وتسعة أبيات قال لقيه بمرسية سنة ٤٨١ هـ وتوفى بطنجة سنة ٤٨٨ هـ »(٢) الموافقة لسنة ( ١٠٩٥ ) ميلادية

٣ – وذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، فأورد قول ابن بسام ثم قال : « قلت وهذا أبو الحسن ابن خالة أبى اسحاق الحصرى صاحب زهر الآداب » ونقل كلام ابن بشكوال والحميدى ثم قال : « وله ديوان شعر . فمن قصائده السائرة قصيدته التى أولها :

يا ليل الصب متى غده  أقيام الساعة موعده ؟
رقد السمار وأرقه  أسف للبين يردده

إلى أن قال : وحكى تاج العلاء أبو زيد المعروف بالنسابة قال : حدثنى أبو أصبغ نباتة بن الأصبغ بن زيد بن محمد الحارثى عن جده زيد بن محمد قال : بعث المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية إلى أبى العرب الزبيدى خمسمائة دينار وأمره بأن يتجهز بها ويتوجه اليه

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٢

(٢) صفحة ٤٢٥ من المجلد الثانى طبع مجريط ١٨٨٣ م

وكان بجزيرة صقلية ، وبعث مثلها الى أبى الحسن الحصرى وهو بالقيروان فكتب اليه أبو العرب :

لا تعجبن لرأسى كيف شاب أسى
واعجب لأسود عينى كيف لم يشب

البحر للروم لا يجرى السفين به
إلا على غرر والـبر للعرب

وكتب اليه الحصرى :

أمرتنى بركوب البحر أقطعه
غيرى - لك الخير - فاخصصه بذا الداء

ما أنت نوح فتنجينى سفينتـه
ولا المسيح أنا أمشى على المـاء

ثم دخل الأندلس بعد ذلك وامتدح المعتمد وغيره ، وتوفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بطنجة رحمه الله تعالى [1]

٤ — وذكره ابن العماد الحنبلى فى كتاب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب عند كلامه على حوادث سنة ٤٨٨ هـ فقال : فيها أبو الحسن الحصرى المقرىء الشاعر نزيل سبتة - على بن عبد الغنى الفهرى . كان مقرئاً محققا ، وشاعرا مفلقاً ، مدح ملوكا ووزراء ، وكان ضريرا . ثم نقل قول ابن بسام المتقدم وعقبه بقول ابن خلكان ، ثم قال وله أيضاً :

أقول له وقد حيا بكأس
لها من مسك ريقته ختام

أمن خديك تعصر ؟ قال كلا
متى عصرت من الورد المدام [2]

ولما كان بمدينة طنجة أرسل غلامه الى المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية - واسمها فى بلادهم حمص - فأبطأ عنه وبلغه أنه ما احتفل به فقال :

نبه الركب الهجوعا
ولم الدهر الفجوعا

حمص الجنة قالت
لغلامى لا رجوعا

رحم الله غلامى
مات فى الجنة جوعا

وقد التزم فى هذه الأبيات لزوم مالا يلزم رحمه الله تعالى [3]

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٣

(٢) يذكرنى هذا البيت بقول المرحوم حافظ بك ابراهيم فى وصف الصهباء :

خمرة قيل إنهم عصروها
من خدود الملاح فى يوم عرس

(٣) شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٥

٥ — وذكره الصلاح الصفدى فى كتابه نكت الهميان وكل ما أتى به منقول عن ابن خلكان وابن بشكوال ، وزاد عليهما فذكر البيتين اللذين ذكرهما ابن العماد . أقول له وقد حيا بكأس [1]

٦ — وذكره ابن الجزرى فى كتابه غاية النهاية فقال : « على ابن عبد الغنى أبو الحسن الفهرى القيروانى الحصرى أستاذ ماهر ، أديب حاذق ، صاحب القصيدة الرائية فى قراءة نافع ، وناظم السؤال الدالى ملغزا : سألتكم يا مقرئى الغرب كله

وهى فى سواءات أجابه عنه الشاطبى ومن بعده

قرأ على « عبد العزيز بن محمد » صاحب أبى سفيان ، وعلى « أبى على بن حمدون الجلولى [2] » والشيخ « أبى بكر القصرى » وروى عنه « أبو القاسم بن الصواف » قصيدته ، وأقرأ الناس بسبتة وغيرها . توفى بطنجة سنة ثمان وستين وأربعمائة . ثم نقل قول ابن خلكان فى وفيات الأعيان [3] » ، وقول ابن الجزرى إن الحصرى الأعمى توفى سنة ٤٦٨ هـ قول لم يشاركه فيه غيره من المؤرخين ، ولعله وهم أو تحريف من الناسخين

٧ — وذكره العماد الكاتب فى كتاب خريدة القصر وجريدة أهل العصر ، فقال : الحصرى الأعمى الربنى : هو أبو الحسن على بن عبد الغنى من الأندلس ( ! ) صاحب تصنيفات واحسان فى النظم ، قال فى غلام اسمه هارون :

يا غزالا فتن النـ
ـاس بعينيه فتونا

أنت هاروت ولكن
صحفوا تاءك نونا

وقال يهجو أبا العرب الصقلى :

معجب كالمتنبى
وهو لا يحسن شيا

إن هذا يحيوى
أوتى العلم صبيا

وقال :

كم من أخ قد كان عندى شهدة
حتى بلوت المر من أخلاقه

كالملح يحسب سكراً فى لونه
ومجسه ويحول عند مذاقه

(١) انظر نكت الهميان فى نكت العميان ص ٢١٣

(٢) هو محمد بن حمدون أبو الحسن الواسطى الحذاء ، وهم فيه صاحب التجريد فسماه علياً ، ووهم فيه الهذلى فسماه عبدالله . كان من أهل الثقة والأتقان والضبط توفى سنة عشر وثلثمائة أو فى التى بعدها ...

(٣) راجع غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٥٥١

وقال يرثى المعتضد أبا المعتمد :

مات عباد ولكن بقى الفرع الكريم
فكأن الميت حى غير أن الضاد ميم

وقال : أقول له وقد حيا الخ البيتين

وقال :

وشاعر من شعراء الزمان يفخر عندى بالمعانى الحسان
وإنما أطيب أشعاره نصف خراسان والقيروان (؟)

وقال :

إذا كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب

وقال :

مما يبغضنى فى أرض أندلس سماع معتصم فيها ومعتضد
أسماء مملكة فى غير موضعها
كالهر يحكى انتفاخاً صولة الأسد[1]

وقوله اذا كان البياض الخ ذكره المقرى فى نفح الطيب وزاد عليه قوله :

ألم ترنى لبست بياض شيبى لأنى قد حزنت على شبابى

وذكر أيضاً أن من عادة أهل الأندلس لبس البياض فى الحزن بخلاف أهل المشرق . وذكر لبعضهم أبياتاً فى ذلك[2]

ألا يا أهل أندلس فطنتم بلطفكم إلى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضاً فجئتم منه فى زى غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن ولا حزن أشد من المشيب

٨ — وذكره المراكشى عرضاً عند كلامه على نزول المعتمد مدينة طنجة قال : « فأقام بها أياماً ولقيه الحصرى الشاعر فجرى معه على سوء عادته من قبح الكدية ، وإفراط الألحاف ، فرفع إليه أشعاراً قديمة كان مدحه بها ، وأضاف الى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله اليه ، ولم يكن عند المعتمد فى ذلك اليوم مما زود به — فيما بلغنى — أكثر من ستة وثلاثين مثقالا ، فطبع عليها وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها ، سقطت من حفظى ، ووجه بها اليه فلم يجاوبه عن القطعة على سهولة الشعر على خاطره ، وخفته عليه . وكان هذا الرجل — أعنى الحصرى الأعمى — أسرع الناس فى الشعر خاطراً إلا أنه كان قليل الجيد منه ، فحركه المعتمد على الله على الجواب بقطعة أولها :

قل لمن قد جمع العلـ ـم وما أحصى صوابه
كان فى الصرة شعر فتنظرنا جوابه
قد أثبناك فهلا جلب الشعر ثوابه

ولما اتصل بزعانفة الشعراء، وملحنى أهل الكدية ما صنع المعتمد — رحمه الله — مع الحصرى تعرضوا له بكل طريق ، وقصدوه من كل فج عميق ، فقال فى ذلك رحمه الله :

شعراء طنجة كلهم والمغرب ذهبوا من الأغراب أبعد مذهب
سألوا العسير من الأسير وإنه بسؤالهم لأحق فاعجب واعجب
لولا الحياء وعزة لخمية طى الحشا ساواهم فى المطلب[1]

هذه هى كل النتف والشذرات التى عثرت عليها فى كتب التراجم لذلك العهد السحيق . وكل هذه التراجم — إن صحت تسميتها بذلك — لا تكشف لنا عن حياة الشاعر ، ولا تبين مقدار قوة شاعريته أو ضعفها ، ولا توضح أثره فى الأدب ، ولا تتناول أدبه بالنقد والتحليل . والذى يستوقفنى منها بصفة خاصة قول المراكشى : « كان هذا الرجل أسرع الناس خاطراً فى الشعر » وقول ابن بشكوال نقلا عن الحميدى « إن شعره كثير ، وأدبه موفور » ، فأين ذلك الأدب الموفور والشعر الكثير الذى واتاه به طبعه الدافق فى يسر وسهولة ؟ أين قصائده فى الهجاء الذى « كان يتلفت اليه تلفت الظمآن الى الماء ؟ » أين قلائده التى قلد بها ملوك الطوائف حتى تهادته تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار فى الأنس بالقيم ؟ أين خرائده فى الوزراء الذين أغدقوا عليه النعم ؟ أين أين ذلك الشعر الرخيم ؟؟ لقد غمره طوفان الفناء فيما غمر ، ولم يبق له جرس ولا أثر ، والمسؤول عن ذلك هو الحصرى نفسه فهو الذى أهمل ولم يحسب لذلك الطوفان حساباً ، ولم يدون من شعره غير كتاب اقتراح القريح واجتراح الجريح . ولدينا مجموعة صغيرة من شعره فى الغزل والنسيب اسمها « معشرات الحصرى » سنتكلم عنها بعد أن نروى لك كثيراً من شعره فى اقتراح القريح . . .

**أحمد صقر**

(١) أنظر الخريدة ص ٢٣ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب

(٢) نفح الطيب ج ٢ ص ٩٠٦ طبع بولاق .

(١) انظر المعجب ص ٧٧ طبع مصر

الأدب بين الخاصة والعامة

# لامرتين ورينيه جارد

## للسيد اسكندر كرباج

( تتمة )

ثم يقول لامرتين : نبّه فيّ هذا الحوار فكرة وضع قصص شعبية إجابة لرغبة تلك الفتاة الكريمة . لقد عشت طويلاً فى الأكواخ والحقول والثكنات وعلى ظهر البواخر وفى أعالى الجبال ، وعاشرت العمّال والمزارعين والجنود والنوتية والرعاة والخدم الذين يؤلفون قسماً من عيالنا ؛ وتحدثت إلى هذه العقليات الساذجة الصالحة ، وخبرت عاداتها وميولها ولغاتها أكثر مما خبرت عادات رجال المجالس وميولهم ولغاتهم ؛ وكنت شاهداً بل أميناً لأسرار حياة ثمانى شخصيات خاملة ولكنها حافلة بنوب وآلام خفية إذا دوّنت بسذاجة كما رُويت كانت قصائد حقيقية طافحة بالشعور والاحساس ؛ وأعرف الأماكن والحوادث والأشخاص معرفة تامة ، فسأحاول كتابة هذه القصص ونشرها أجزاء متتابعة دون أقلّ اهتمام بفخامة الطبع والورق أو طرافة الأسلوب وإناقة الجمل وشحذ القريحة وكدّ الذهن ، لأن الطبيعة هى روح هذا النوع من الأدب ، والطبقات الوضيعة أقدر على إدراكها والاستلهام بها من الطبقات العالية ؛ فاذا وجدتها فى هذه الرسوم العارية من زخارف الفنّ استراقتها واستزادت منها . عندئذٍ تتقدّم أيدٍ أجد من يديّ وأبرع لوضعها بصورة أفضل ، لأن الأدب الشعبى لا يكتمل إلاّ بالمؤلفات العاطفية التى هى من مميزات الطبقات الجاهلة ، وإنجيل العاطفة كانجيل الدين يجب أن يُبشَّر به أولاً بين البسطاء بلغة سليمة كقلب الطفل

وأراد لامرتين أن يطلع رينيه على آرائه فيما يتعلّق بكتابة التاريخ الشعبى فقال لها : لا يزال رجال السلطة عالئون الشعب ويتوددون اليه لاعتقادهم أنه مصدر القوة التى يجب أن يستمدوها فى اسقاط الحكومات وابتلاع الوطنيات ، فيستغوونه بشتى الوسائل ، ويشملونه بقولهم إن قوته تولد الحق ، وارادته العدل ، ومجده يكتسب عفو التاريخ ، وانتصار قضيته يبرر كل الوسائط ، حتى الجرائم تخف أمام عظمة النتائج ، فيؤمن بهم ويتبعهم ويساعدهم بقواه المادية ، وبعد أن يتوصلوا بقوة سواعده وإهدار دمه وارتكاب جرائمه إلى اسقاط الطغاة واثارة أوربا يصرفونه ويأمرونه بالعمل والصمت !

هذه هى الطريقة التى سلكوها إلى الآن فى معاملة الشعب وكانت سبباً لانتشار شوائب البلاط بينه واستلذاذه التملق .

ليس هذا ما نريده للشعب ؛ نريد أن يقابلنا واقفاً ، ويخاطبنا وجهاً لوجه ، فهو كسائر عناصر الأمة لا يقل قيمة عنها ولا يزيد ؛ وإذا كان قد تعوّد الكذب والمالأة ، ففيه خلتان كبيرتان لايجوز نسيانهما ، هما الصراحة والجرأة . لذلك هو يعرف أن يحترم مقاوميه ويحتقر متخوفيه . فى الحيوانات مالا يفترس إلا من يهرب من أمامه ، والشعب كالأسد يجب ألا يجابه إلا من الأمام

يقوم التاريخ الشعبى على واحدة من هذه القواعد الأساسية الثلاث : المجد ، والوطنية ، والمدنية . فالمجد لا يرضى إلا أمة حربية تبهرها القوة فتعمى عن رؤية الحق ؛ والوطنية تضرم نار الحمية فى الشعب فيطوح بنفسه فى مهاوى الأثرة والطموح

أما المدنية المستدعة فهى الأصلح لقيادة الفكر البشرى بين شعاب الشك وبلبلة الآراء والأهواء والأثرة الفردية أو الوطنية ، ولافهامه أن المجد والوطنية لا ينفعان الأمة والنوع البشرى إذا فصلا عن الأدب العام ، لأن المجد لا يقاوم الصلاح ، والوطنية ليست عدوّة الانسانية ، والفوز لا يمكن أن يكون خصماً للعدالة ، وأن التاريخ ليس هذا المزيج من الأفراد والأشياء المشوشة ، بل هو خطوة إلى الأمام فى طريق الدهور ، إذ لكل أمة شأنها وعملها المظيم ، ولكل طبقة اجتماعية أهميتها فى نظر الله . وفضلاً عن ذلك فقيام التاريخ على هذه القاعدة يعلم الشعب أن يحترم نفسه ، ويعرف مقدار قوته ونفعه ، وأنه فوق الأمبراطورية والسلطة ، وأن هذه تكون كما يريد ، فاذا وجد شعباً يشكو من حكومته فهو دليل على أنه لا يستحق غيرها ، هكذا كان تاسيت يفتكر فى زمانه ، ولا تزال فكرته تجرى مجرى الأمثال إلى اليوم

واعتزامى كتابة التاريخ على هذه القاعدة نبّه فيّ فكرة قديمة كنت عرضتها على الحكومة فلم تصادف القبول ، لأنها ليست آلة للحرب والتدمير بل للسلم والبناء . وهذه الفكرة هى أن حرية الصحافة وديموقراطية الحكومة وحركة الصناعة وانتشار التعليم فى كل قرى البلاد وبين كل طبقات الشعب أثار الأذهان ورغب فى المطالعة ، وبعد أن أوجدوا فى الشعب هذا الميل إلى القراءة فما هى المؤلفات التى وضعوها له ؟ لا شىء !

إن لأبناء الطبقات الغنيّة كثيراً من المدارس العالية حيث يسمعون شروح كبار الأساتذة فى كل أنواع العلوم والفنون .

وإذا لم تكفهم المدارس فعندهم المكاتب الكبيرة والصحف التى تحمل بين دفاتها ما يغذّى العقل والفكر والروح من المواضيع الشائقة . أما أبناء الطبقات الفقيرة العاملة ومنهم الجيوش والبحّارة والرعاة والشيوخ والنساء والأولاد فكل ما عندهم لتثقيف عقولهم وتسلية نفوسهم فى أوقات الفراغ هو التعليم المسيحى وبعض الأناشيد المشوهة والقصص السخيفة ، فمن هذه الكتب القليلة التافهة تتألف مكتبة الشعب ومتحفه وفنه !

فأردتُ ملء هذا الفراغ فى حياة الشعب الأدبية والعقلية بكتاب لا يقرأ إلا مرة واحدة ، ولكن لا أول له ولا آخر ، وأعنى به صحيفة يومية كبرى يتولى تحريرها نخبة من كبار علماء العصر وكتابه وشعرائه ، بلغة سهلة بسيطة ، وتعابير قريبة من أفهامه تطلعه على أهم أخبار الكون اليومية وسياسته وفلسفته وعلومه وفنونه . وتحقيق هذه الفكرة لا يكلف أكثر من مليون فرنك سنوياً يكفى لجمعها أن يكتتب مليون شخص بفرنك واحد فى السنة ؛ وإذا كنت لم أحقق هذه الفكرة فلأنى لست وحدى هذا المليون ، ولأنه لا توجد فى فرنسا حالاً فكرة تساوى فلساً واحداً !

هذه هى فكرتى يا ربنيه فيما يختص بالتاريخ والأدب والشعر والعلوم والفنون التى يجب أن تكتب للشعب ؛ ولا أحب إلى الطبقات الفقيرة ولا أجمل وأبلغ من تحقيق هذه الفكرة . ولو أن لى ذكاء الكتاب المعاصرين وشبابهم واندفاعهم لقمت بأعمال عظيمة فى عالم الفكر والثقافة ، فأمامنا عالم جديد للاكتشاف لا يتطلب عبور المحيط ككولومبوس ، هو احساس الطبقات العاملة وعقلياتها ، فجغرافية العالم الأدبية لا تكتمل إلا متى اكتشفت هذه القارة الشعبية وملئت بمبادئ بحارة الفكر

فتقول له ربنيه : لقد فهمت كل أفكارك يا سيدى على رغم سموها وجمالها

فيجيبها : لم أخاطبك إلا كشاعرة ، والشعب شاعر أيضاً لأنه طفل الطبيعة الفطيم ، والطبيعة تخالقها لا تتكلم إلا بلغة الصور . . .

ثم تودعه ربنيه وتودع زوجته شاكرة لها حسن الضيافة ، وتسافر إلى إكس فى مركبة المساء ، وقبل أن تصعد إلى المركبة يقول لها لامرتين : « إذا وضعت بعض القصص الشعبية فاسمحى لى أن أصدر أولاها باسمك »

اسكندر كرباج
من العصبة الأندلسية

للتاريخ السياسى :

# ٣ ــ اليوم السابع من مارس

## ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

**المعاهدة الفرنسية الروسية ولوكارنو**

رأينا كيف أن حكومة برلين قد اتخذت المعاهدة الفرنسية الروسية سبباً لرفضها معاهدة لوكارنو واتخاذها قرار ٧ مارس . فهل النظرية الألمانية صحيحة من الوجهة الحقوقية ؟ أى هل المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو ؟ . وقبل الاجابة على هذا السؤال يحسن بنا أن نعرض بايجاز المحادثات الديبلوماسية التى أدت إلى عقد هذه المعاهدة :

لم يكن هدف فرنسا بادئ ذى بدء ، إيجاد هذه المعاهدة ، بل كانت الديبلوماسية الفرنسية ترمى الى إيجاد « ميثاق شرقى » — لوكارنو الشرقية — بين بولونيا والروسيا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ودول البلطيق وفينلاندا . ولقد تم الاتفاق على هذه الخطة بين فرنسا وانكلترا أثناء المحادثات السياسية التى دارت بينهما خلال ١١ و ١٢ من يوليه ١٩٣٤ . وزيادة على ذلك قررت الدولتان أن تتحمل الروسيا واجبات معاهدة لوكارنو ازاء فرنسا وألمانيا ، وأن تتعهد فرنسا نحو ألمانيا والروسيا ، فى حالة اعتداء إحداهما على الأخرى ، بمساعدة المعتدى عليه ، على أن تكون تلك المساعدة ضمن دائرة واجبات عصبة الأمم . وبعبارة أخرى أن تعقد معاهدة ثلاثية دفاعية بين فرنسا وألمانيا والروسيا ، يكون مفعولها سائراً فى حالة تعدى احداهن على دولة ثانية داخلة فى الميثاق ، على أن تكون الواجبات الناشئة عنها متمشية مع واجبات لوكارنو والعصبة . وقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن توصى هذه الدول ولا سيما بولونيا وألمانيا بقبول هذه الاقتراحات . غير أن سعيها قد خاب . وقد أبانت ألمانيا بصراحة بأنها تفضل « المعاهدات الثنائية » — بين اثنين

Pactes bilatéraux — على المعاهدات المشتركة المبنية على «المساعدة المتبادلة» — Assistance mutuelle — وتم الاتفاق فى الاجتماع الفرنسى الانكليزى الذى عقد فى لندن فى ٣ فبراير سنة ١٩٣٥ على انشاء معاهدة لوكارنو الجوية، وعلى متابعة المفاوضة مع المانيا للاتفاق معها على انشاء السلام فى أوروبا بواسطة عقد معاهدات بين دول شرقى أوروبا توجب « المساعدة المتبادلة »

ولما زار السير جون سيمون برلين خلال شهر مارس التالى قدم إليه الهر هتلر معلومات عن المعاهدة الشرقية التى يحبذها مبنية على معاهدات عدم الهجوم الثنائية، ومضافا اليها التحكيم والمصالحة وعدم مساعدة المعتدى . وقد صرح الهر هتلر بأن حكومته لا تنظر بعين الرضى إلى المعاهدات المبنية على « المساعدة التبادلة » ولا يمكنها بأى وجه من الوجوه الاشتراك فى أى معاهدة من هذا النوع . وقد أعادت حكومة برلين هذا التصريح بوضوح أثناء انعقاد مؤتمر ستريزا . وعند ما وقفت حكومة باريس على هذا التصريح وتيقنت بأن لا نجاح فى إدماج برلين ضمن نظام سلام قائم على المساعدة التبادلة رأت أن لا سبب هناك يعوقها عن عقد محالفة بينها وبين روسيا، لتساعد كل منهما الأخرى حين تعتدى ألمانيا على احداها

وبعد بضعة أيام قابل سفير بريطانيا فى باريس مسيو لافال وأعلمه أن حكومة جلالته ترغب « بألا تمضى فرنسا أى معاهدة يمكن أن ترغمها على محاربة ألمانيا فى ظروف لا يجيزها البند الثانى من معاهدة لوكارنو » فأجابه مسيو لافال بأن « الحكومة الفرنسية وضعت شرطاً أساسياً بأن المعاهدة الفرنسية الروسية يجب أن تكون متمشية ليس فقط مع مبادئ العصبة بل مع معاهدة لوكارنو أيضاً » . وعلى هذا الأساس أُمْضِيَت هذه المعاهدة فى ٢ مارس سنة ١٩٣٥ ، وأرسلت إلى البرلمان الفرنسى فوافق عليها

***

وجاء فى خطاب الهر هتلر الذى ألقاه فى ٢١ مايو أن الحكومة الألمانية « ستقوم بجميع الواجبات الناجمة عن معاهدة لوكارنو مادامت الدول الأخرى المشتركة فى المعاهدة تريد القيام بها » . وتبع هذا الخطاب مذكرة ادعت فيها حكومة برلين أن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو

وفى شهر يونيه دحضت الحكومة الفرنسية ادعاءات المانيا.

وفى خلال شهر يوليه صرح السير صمويل هور وممثلا إيطاليا وبلجيكا بأنهم متفقون مع الحكومة الفرنسية على أن المعاهدة الفرنسية الروسية تتماشى مع لوكارنو

ولما رأت حكومة برلين أن دول لوكارنو على اتفاق تام . لم تستطع القيام إذ ذاك بأى عمل لتمزيق المعاهدة، بل أجلته إلى حين آخر، واكتفت بارسال مذكرة إلى السير صمويل هور تقول فيها « بأنه ستكون مناسبات كافية لمناقشة هذه المسألة مع المفاوضات الأخرى المعلقة »

ولما وقع الخلاف بين دول لوكارنو من جراء اعتداء إيطاليا على الحبشة، وانشغلت فرنسا بانتخابات مجلس النواب ؛ رأى الهر هتلر أن الفرصة سانحة، فأعلن فى ٧ مارس ١٩٣٦ خروجه على لوكارنو واعتبارها لاغية، وعلل ذلك بأن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع لوكارنو، ودعم هذا القول بأدلة أربعة ضمنها المذكرة التى أرسلها إلى دول لوكارنو، وتنحصر فى أن المعاهدة الجديدة : (١) موجهة رأساً ضد ألمانيا (٢) وأن فرنسا بموجب معاهدتها مع الروسيا، تعهدت بالقيام بواجبات لا تتفق مع الواجبات التى يلقيها على عاتقها صك العصبة ومعاهدة لوكارنو

فالادعاء الأول وهو أن « المعاهدة الفرنسية الروسية موجهة رأساً ضد ألمانيا » صحيح، ولكن بالمعنى السلبى، أى الدفاعى إن المعاهدة التى نحن بصددها تقول بأنها تصبح نافذة فى حالة تعدى « دولة أوروبية » على احدى المتعاقدتين، وأن بروتوكولها يوضح بأن تنفيذ هذه المعاهدة يجب أن يكون فقط ضمن حدود « الاتفاق الثلاثى » الذى رفضت ألمانيا الموافقة عليه . وهذه النصوص تنفى مفعول المعاهدة فى حالة اعتداء أى دولة غير أوروبية أولاً، ثم تحصر مفعولها فى حالة اعتداء ألمانيا فقط على احدى الدولتين المتعاقدتين ؛ فهى إذن موجهة ضد ألمانيا، ولكن يجب ألا يغرب عن الذهن بأنها لا تنفذ إلا حين تعدى ألمانيا على فرنسا أو الروسيا تعدياً غير محرض عليه ؛ ونصها صريح فى ذلك . والذين قاموا بعقدها يصرحون بذلك

تصريحاً كافياً ؛ فهى إذن من الوجهة القانونية والسياسية معاهدة دفاعية محضة ، وبدهى أن لا خطر على ألمانيا من هذه المعاهدة إلا حين تعديها على احدى الدولتين تعدياً غير محرض عليه . ولو كانت ألمانيا لا تفكر فى أى تعد على احديهما لما وجدت فيها تهديداً ولا خطراً عليها ؛ وزد على ذلك بأن نص المعاهدة والبروتوكول يفسحان المجال لدخول ألمانيا فيها فتصبح معاهدة ثلاثية تضمن فيها فرنسا والروسيا الدفاع عن ألمانيا حين تعدى احداهما عليها

وردا على الادعاء الثانى يمكن القول بأن « المساعدة المتبادلة التى تعهدت بها كل من الدولتين المتعاقدتين لا تصبح نافذة إلا حين وقوع احداهما « ضحية هجوم غير محرض عليه » ، « وبرغم نية البلادين الحسنة فى المحافظة على السلام » . وهذه المساعدة يوجبها أيضاً صك العصبة . أما فى الحالة التى لم تستطع فيها العصبة الوصول إلى قرار بالاجماع فى ابانة الحق من الباطل فى الاختلاف ، فساعدة فرنسا للروسيا والروسيا لفرنسا لا يكون إلا إذا وضح بأن ألمانيا كانت المعتدية تعدياً غير محرض عليه على إحدى الدولتين ؛ وبرغم أن مساعدة فرنسا للروسيا فى هذه الحالة لم تكن نتيجة قرار العصبة ، فان مبدأ العصبة يوجبها ؛ إذ أن البند ٧ من المادة ١٥ ينص على أنه فى الحالات التى لا تتمكن فيها العصبة من اصدار توصيات أو الوصول إلى قرار بالاجماع ، تصبح كل دولة طليقة اليدين ، ويحق لها اتخاذ قرار فردى والعمل منفردة ، ويظهر لنا أن كل ما جاء فى المعاهدة الفرنسية الروسية التى أثارت ثائرة ألمانيا ، ما هو إلا ايضاح وتثبيت لهذا المبدأ

على أنه فى حالة القرار والعمل الفردى من جهة ، وحين اعتداء ألمانيا على الروسيا من جهة ثانية ، لا يحق للروسيا مطالبة فرنسا بمساعدتها « أوتوماتيكيا » بل لفرنسا الحق وحدها فى التقرير فيما إذا كانت المانيا المعتدية الأولى . وهذا الحق يمكن فرنسا من النظر فيما إذا كانت مساعدتها للروسيا مخالفة للمعاهدات التى عقدتها قبلاً وخصوصاً معاهدة لوكارنو . والبند الثانى من هذه المعاهدة ينص على أن « محتويات هذه المعاهدة لا تنفذ فى الحالات التى يكون تنفيذها يوجب وقوع عقاب دولى الصبغة من جراء تضاربها مع واجبات معاهدات ، غير سرية ، عقدتها إحدى الدولتين مع فريق ثالث » . وينتج عن ذلك أنه لا حق لألمانيا ( قبل تمزيقها للوكارنو ) طلب مساعدة بريطانيا وإيطاليا فيما إذا هاجمتها فرنسا عملاً بمعاهدتها مع الروسيا ، لأن هجوم فرنسا عليها داخل ضمن دائرة المادة ١٦ أو البند ٧ من المادة (١٥) من صك العصبة

ولو فرضنا جدلاً بأن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو ، فلا يمكن أن يعد هذا الاختلاف ، بوجه من الوجوه ، سبباً لابطال معاهدة لوكارنو . والمسألة الوحيدة التى يمكن أن تنشأ عن التضارب بين المعاهدتين هى عدم قانونية المعاهدة الجديدة . وفى هذه الحالة لا يحق للحكومة الألمانية إلا الادعاء بعدم قانونية المعاهدة الفرنسية الروسية ، ورفع دعوى بذلك ، وليس اعتبارها غير قانونية حسب رأيها ومشيئتها فحسب ، لأنه لا يحق لأحد أن يكون قاضياً فى دعواه

أما المبدأ الجديد فى العلاقات الدولية الذى تبعه ويبشر به الهر هتلر وحكومته ، فيقول بأن لا قيمة لأى معاهدة دولية مادامت تخالف مصالح إحدى الدول التى وقعت عليها ، وأن لتلك الدولة المتضررة من المعاهدة الحق فى تمزيقها وعدم اتباع موجباتها . وهذا المبدأ الجديد خطأ ومخالف لمبادئ الحقوق الدولية التى سارت عليها الدول حتى الآن ، إذ تصبح الدولة المتضررة الحكم الوحيد فى دعواها . وان انتشر هذ المبدأ وعملت به الدول فمعنى ذلك القضاء على الحقوق والعدالة الدولية ، وإقامة « حق القوة » مكانها فتزول العلاقات الدولية المبنية على قدسية المعاهدات وتحل مكانها الفوضى ، وينتصر إله الحرب

يظهر من كل هذا أن فرنسا لم تأخذ على عاتقها فى معاهدتها مع الروسيا واجبات تنافى الواجبات التى يفرضها عليها صك العصبة ، وأن هذه المعاهدة تتمشى مع مبادئ العصبة ومعاهدة لوكارنو . ويتضح جلياً بأن عمل ألمانيا فى ٧ مارس ينافى الحقوق الدولية ويعتدى على قدسية المعاهدات منافاة تامة واعتداء صارخاً .

( لندن ) يوسف هيكل

دكتور فى الحقوق

# صرعى الأغراض

طرفة من الشعر الاجتماعى تعبر عن الآلام المكظومة للكفايات المظلومة

## للشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين

يا للعزائم يثنى من مواضيها ... أنّ الكفايات يُقضى بالهوى فيها
وللمواهب بالأغراض يقتلها ... من يستمدّ حياةً من أياديها
وللجهود بأعشى الرأى يطفئها ... ماضٍ على ضوئها سارٍ بهاديها
وللنوابغ يقضى فى مواهبهم ... بما يشاء هواه غيرُ قاضيها
جادوا بأعمارهم حتى لجاحدهم ... إن المواهب سِلْمٌ فى أعاديها
كالشمس تقبس منها عين عابدها ... وترسل النور فى أجفان شانيها
والنفس إن ملئت بالود فاض على ... نفوس أعدائها بالود صافيها
كالسحب إذ ملئت بالغيث فاض على ... جدب البلاد خلوف من هواميها
لا يدَّع العدل قوم فى عدالتهم ... صرعى الكفايات تشكو ظلم أهليها
ولا المساواةَ والأفهامُ لو وزنت ... مع الغباوة فيهم لا تساويها
ولا الحضارةَ من تجزى نوابغهم ... وحشيةٌ تسكن البيداء والتيها
إذا البلاد تخلت عن حياطتها ... يد النبوغ تداعت من صياصيها
دع الحديث عن القسطاس فى عُصَب ... ما سودت بينها إلا مُرائيها
سوق النفاق بهم شتى بضائعها ... تزجَى لمن يشترى إفكاً وتمويها
أرخصتمو غاليَ الأخلاق فى بلد ... لم تغلُ قيمته إلا بغاليها
يا رُبَّ نفس أضاء الطهر صفحتها ... أفسدتموها فزلّت فى مهاويها
وكم قلوب كساها الحسن نضرته ... دنّستموها فعاد الحسن تشويها
أغلقتمو سبل الأرزاق لم تدعوا ... لفاضِل الخُلق سعياً فى نواحيها
مدارس تغرس الأخلاق فى نَشَاٍ ... ومغلق الرزق بعد الغرس يذويها
لا تَلْحَ طالب رزق فى نقائصه ... إن الضرورات من أقوى دواعيها
ما أطهر الخُلق المصرى لو طَهُرت ... تلك الرياسات من أهواء موحيها
يا آخذين بقتل النفس قاتلها ... قتلى المواهب لم يُسْمع لشاكيها
كم للنبوغ دماء بينكم سفكت ... باسم المآرب لا اسم الله مُجريها
هلا اقتصصتم لها من ظالم سافكها ... وقلّ فيما جناه قتل جانيها
أولى الورى بقصاص منه ذو غرض ... يخشى المواهبَ تخفيه فيخفيها
مِلْءُ المناصب منهومون قد جعلوا ... من دونها سد ذى القرنين يحميها
على مناعة ذاك السد تنفذه ... عصابة تتواصى فى حواشيها
من كل أخرق تنسل الحظوظ به ... إلى المراتب يسمو فى مراقيها
خابى القُوى عبقرى الجهل يثقله ... عبء الرياسة إذ يدعوه داعيها
يا حافرين تراب الأرض عن حجر ... أو جثة فى ظلام القبر يطويها
ومنفقين من الأموال طائلها ... فى البحث عن خِرَق لم يغنِ باليها
مستبشرين بما يلقون من تحف ... للقوم أو خزفات من أوانيها
ورافعين من البنيان شاهقه ... فيه الذخائر قد صُفّت لرائيها
هلا عرفتم لمصر فضل حاضرها ... يا عارفين لمصر فضل ماضيها
إن العصور التى جادت بمن سلفوا ... على الحضارة لم تبخل أياديها
ذُخر المواهب فى أحيائكم تحفٌ ... بذّت متاحفكم وصفاً وتشبيها
ما إن يقال لها : لله صانعها ... لكن يقال : تعالى الله باريها
هبوا النوابغ موتى فاجعلوا لهمُ ... حظَّ النواويس أكرمتم مثاويها
جعلتم الحيَّ يرجو حظ ميتكم ... لحظ أحيائكم فى مصر يشقيها
أيحرم النحلُ غضَّ الزهر يلفظه ... شهداً، وقد شبعت منه أفاعيها
ويُقتل الروض ذو الأثمار من ظمأ ... والماء يروى مَواتاً من فيافيها
من يقتل الجهد يقتل فيه أمته ... وأمة الجهد تحييه فيحييها
إن الشعوب إذا ماتت مواهبها ... نُقاضةٌ أعوزتها كف بانيها

أحمد الزين

# حرب العـــلم

للأستاذ فخرى أبو السعود

لَلجَهْلُ أرْفَقُ فى دُجى أزمانِهِ   بالمرء إنْ يَكُ ذَا مَدَى عرفانه
سقياً لعهد الجهــل فى أفيائه   نَعِمَ الجدودُ وفى رَضِىٍّ جنانه
إذْ شِكَّةُ البطل المُقاتِل لهذمٌ   يُصمى به الأقرانَ يوم طِعانه
لم يَبْغِ بالبُرَءاءِ عدواناً ولم   يخصُصْ بصولته سوى أقرانه
يُولِى المُسالِمَ بِرَّهُ من بعدما   أوْلَى مُناجِزَهُ شَباةَ سنانه
فاليومَ سَوَّى العلمُ فى فتكاته   بين الورى طرًّا وفى إثخانه
أمستْ بيوت الخلق مِن أهدافِهِ   وغَدَتْ خدورُ الغيد من ميدانه
لا مُرْضعٌ تنجو ولا مَنْ أرضعتْ   من كيده يُعْفَى ومنْ عدوانه
قد كان يحمى الحوضَ أمسِ رجالُه   من خصمه إن جَدَّ يومُ رهانه
فاليوم أوَّلُ ذائقٍ لِلَظى الوغى   أطفـــالُه ومُنَعَّماتُ حسانه
والشيخُ منحنياً على عكّازه   والحبْرُ مبتهلاً إلى رحمانه
العلمُ ليس بقانعٍ من خصمه   بالمُقْدِم المغوار من فرسانه
يسعَى إلى الساعين فى أرزاقهم   والآمِنِ المأمونِ فى جدرانه
يا وَيْحَ إقليمٍ أتاه العــلم فى   أجناده يسعَى وفى أعوانه
ينتابُه بســمومه ورجومه   ويلفُّه فى ناره ودخانه
تطغى جحافله على أمواهه   وفضـــائِه وسهوله وقنانه
بِسَوابحٍ تحت العباب وفوقه   ومحلِّقات فى طِباق عنانه
وزواحفٍ فوق الأديم شتيمةٍ   تطوى رَوابِيَهُ إلى وديانه
حيـــوانُه وزروعُه وديارُه   وقُراهُ والآلافُ من سكانه
بعضُ الهشيم إذا أتاه العلم فى   آلاتِه ليهـــدَّ من أركانه
هيهات يَعصِم مِنَ أذى غازاته   حِرْزٌ ويحمى مِنْ لَظَى نيرانه
مَنْ فَرَّ مِنْ غيلانه فإلى حَمَى   حيَّاته وإلى رَدَى عقبانه
هذا جحيم العلم يُصليه الورى   إن هاجت الأطماعُ مِن شيطانه
لم يعتصمْ شعبٌ أبيٌّ باسل   بهضابه منــــه ولا قيعانه
لمَّا رماه بناره وحديده   ومشى يقدُّ الصَّلْدَ من صوانه
حَرَمُ السيادةِ رَدَّ قِدْماً دونه   أعداءه واعْتَزَّ فى شجعانه
قد فَضَّهُ العلمُ الخؤون بغدره   وزها بما قد دَكَّ من بنيانه
قدبات يَخْشى الكونُ يوماً مقبلاً   فيـه يأجُّ العـلمُ فى ثورانه
يَنِدُ الصروحَ الشُّمَّ فى زلزاله   ويقوّض الأمصار فى بركانه
ويَرُدُّ قفرًا موحشاً ما شادَ من   زاهى حضارته ومن عمرانه

فخرى أبو السعود

# يوم الرســالة

للأستاذ رفيق فاخورى

شدَّ ما بَرَّحت بى ! هل من رجاء   أيها الشوق على الصبر العفاء
غلب المضنى على مجهوده   وحماه راحة النفس العناء
وتعايا فى جراح فى الحشا   قتل البين ! أساها فأساء
قل لمن أسرف فى تعنيفه   سبق الداء ولم يُغْنِ الدواء
ويحه يقضى فلولا نفعت   رحمة منك وآثرت الوفاء
يا أحباى دموعى بعدكم   أعين تجرى وأشجانى ظماء
وحنينى لو علمتم جذوة   فى الحنايا بلظاها يستضاء
جددوا عهد التصافى إنه   نعمة عشنا بها قبل التَّناء
وخذوا قلبى بما أعطيتمُ   فدية العانى وجودوا باللقاء
وبروحى من إذا مرت على   خاطرى ذكراه كانت لى شفاء
عَلَمٌ من هاشم منبته   كرم الآل الهداة السمحاء
ذروة السؤدد جيران السها   لهمُ صيغت تجاويد الثناء
مجدهم ينسخ لألاء الضحى   وعلاهم لا يدانيها علاء

* * *

سيد الخلق ونبراس الهدى   وضياء بجلاء الشك جاء
وعظيما من بنى الدنيا ارتقى   بجلال الروح أسباب السماء
وعماد الملة الغـــراء ما   جاورت قلبًا فجافاه الرجاء
ومنار الهائمين التبسوا   بالدجى فى مجهل الأرض الفضاء
يومك المشهور فى طاعته   كجبين الشمس حسنا وبهاء
مفرد يزهو على الأيام ما   نصلت من صبغة الليل ذُكاء

طبّق الآفاق ميمون الخطا — وعلى الدهر تمشّى الخيَلاء
وأعاد الكون بالبشرى فتى — رائع الغرة لماح الرواء

* * *

صبّح الهادين سعداً شاملاً — ورمى العادين بالخطب العياء
زلزل الشرك على أنصاره — فاستوى الحق عليها فأضاء
يومك المشهود يا خير الورى — غرة التاريخ عيد الحنفاء
لم يظل الناس يوماً قبله — ملأ الأفواه حمداً وثناء
وجرى كل لسان مقول — فيه شوطاً وتبارى الخطباء
جاءنا يحمل فى أطوائه — سيرة المختار زين الأنبياء
فمشت فى كل روع هزة — جلّ من فجّر ذياك الضياء
يا أبا الزهراء ما مثلى وقد — خانه المنطق يجزى الكبراء
آية الله تعالى قدرها — تفحم الشعر وتعيى الفصحاء
لك فى كل جنان هيبة — ألفت بين قلوب الأتقياء
أنت من أسرار ذى العرش التى — لا يواريها مدى الدهر الخفاء

* * *

ربّ إنى واسلٌ بالمصطفى — فتقبل من مرجيك الدعاء
هيّئ الغوث لقوم أسرفوا — فى الخطايا واهتدوا بالأشقياء
إن قومى ظلموا أنفسهم — وتظنوا فى الأضاليل النجاء
جعلوا دينك ظهرياً ولم — يسمعوا من جانب الحق النداء
رغبوا عن سنة الهادى فهم — إن علا صوت المنادى غرباء
وهمُ فى كل أرض وحمى — مركب للذل ما فيهم غناء
خذلوا الأخلاق وانهالوا على — زخرف الدنيا فعاشوا ضعفاء
أيها القوم اذكروا تاريخكم — إن فيه عبرة للبصراء
أين ما شاد لنا آباؤنا ؟ — أين ما قد خلفته الخلفاء ؟
أين آثار الميامين الأولى — ينسب العز إليهم والسناء ؟
أين للاسلام ملك باذخ — كالرواسى حصنته الكبرياء ؟
درج الدهر على أعيانه — فانطوى إثرهمُ ذاك اللواء
وبقينا خلفاً فى أرضهم — أحمدوا السلوان واختاروا الثواء
ضل قوم ضيعوا الميراث أو — سدلوا جهلا على الماضى غطاء

(حمص) — رفيق فاخورى

# انتظرِى بُغْضى...

للأستاذ محمود محمد شاكر

حبَبْتُكِ، والأوْهام فِكْرى وحُجّتى — تؤلّبُ بعْضِى — فى هواكِ — على بعضى
إذا ما نقضْتُ الرأىَ بالرأى، ردّنى — إلى خطرات الوهم — مضٌّ على مضّ
أصارعُ أهوالاً من الغيظِ والرّضَى — وما يتولّى الغيظَ فوق الذى يُرضى
عجبتُ لمنْ راضَ النّساءَ ورُضْنَه — ويقضينَ من إيلامِه دون ما يقضى
ويَرْمِينه بالسّهم ليس بصائرٍ، — ويرْمى بما يَحْمى الجفون عن الغمض
فكيف به قد ذَلّ وهُو مُكرّمٌ — وأغْضَى ولو قدْ ناصبَ الدهرَ لم يُغضِ!
كفى بك ذُلاً أن تبيتَ على جوًى — وتُصبحُ فى ذكرى، وتُمسى على رَمْضِ
كأنك لم تُخلَقْ لدُنْيا تجُوبها! — وما أضيَق الدنيا من الحدَقِ المرْضِ!
فهُنّ اللواتى زدْنَ فى العيشِ لذّةً — فأقصَيْنَ لذّاتٍ من الفرحِ المحْضِ
شككتُ، وقد تُنْجى من الشرّ ريبةٌ — وتُبْدلُ مسْودَّ الخطوطِ بمُبْيضِّ
لقد كنتُ أمضى طائعاً غيرَ جامحٍ — وأرضى بإطراقٍ على الرّيْبِ أو غَضِّ
ويفضَحُنى فيك اقتحامى وغيْرتى — وطرفى وما جسّ الأطباء من نبضى
ويأكلُ قلبى ما أكتّمُ راضياً .. — فما بكتِ العينُ الشبابَ الذى يمضى . !
وأنتِ . . ! لعمرى فى سرورٍ وغبطة — يسرّكِ بسطى فى الحوادث أو قبضى
أأنثى ووحشٌ ؟ جلّ خالقُ خلقه ! — وسبحان كاسى الوحش من رونقٍ غَضِّ !

# القصص

من الحياة

## الضحيـــة ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

انحسر الليل عن جبـين الفجر ، والفتى لا يزال فى مجلسه يشهد ليلة تنطوى ، وفجراً يبزغ ؛ وكأن الليلة لم تكن فى فكره إلا ساعة ، وكأنه وقد جلس يرقب سير الكواكب فى أفلاكها كان ينتظر أن يقرأ فيها تتمة الرسالة التى قرأ أولى كلمة منها أول الليل ، فوجد فيها ماوجد من لذة ونشوة وسحر . لم ير فى صفحة الكواكب السيارة ، ولا فى العالم الهادىء النائم المطمئن ، إلا شيئاً كان فى خياله هو وفى خواطره . جلس لا ليقرأ حظه فى كتاب السماء ، ولكن ليؤلف كتاباً من نفسه الطروب المرحة

وأعجبُ منه لَذَّتى ومَسَرَّتى على حين نَهشى فى المخالبِ أوتقضى
فيا سوءَ ما أبقيتِ فى الدَّم من نَظًى
وفى الفكرِ من كَلْمٍ وفى القلب من عضٍّ
أخافك فى سرى وجهرى ، ومشهدى
لديك وغَيْبى ، خوفَ أرقط مُنْقَضٍّ

لقد كنتِ أحلامى — إذا الليل ضمَّنى .
وكنتِ إذا ما الفجر ايقظنى — روضى
يناجيك طير فى الضلوع بلحنه
لقد عاش فى سحر ، وقدعشت فى خفض
وكنتِ على ورد الخمائل زينةً وكان بشيرَ الفجر فى الفنن الغض
فأصبحتِ ... لا خيراً فيُرْجى ، ولا نَقى
فيُلقى ، ولستِ من سمائى ولا أرضى

تصامَمْتِ عن قلبى ورُمتِ مساءتى وتنتظرين الحب ! انتظرى بُعضى

.... وذهب الى عمله وهو نشاط يشتعل ؛ فهو يجىء ويذهب ، ويقرأ ويكتب ، ويتكلم فيبين ، وكأنَّ شيئاً فيه قد خلقه من جديد ليكون شخصا غير الذى يعرفه فى نفسه ، ويكون إنساناً سوى ذلك الذى عرفه صحابته ورفاقه . ودخل الى صديق يحدثه ، يريد أن يفضى اليه ببعض ما يفور فى نفسه ، ولكنه عاد فرأى أن ذلك الشىء الذى بعثه من جديد لم يكن إلاَّ فى نفسه لنفسه ، فهو سره هو ، وهو له وحده . . . ثم رجع الى بيته ليطيل النظر الى نفسه فى المرآة يأمل أن تريه مرآته الشابَّ الذى فى قلبه ، فلم ير إلاَّ ما تريه المرآة كل يوم ، ولكن هندسة عقله الجديدة قد بدت على هندامه وزيِّه فكان جديداً حتى فى هندامه وزيِّه . أكلّ ذلك لأنه رآها أمس وجلس اليها وقال لها وقالت له . . . ؟

ومضى الفتى على طريقه ، وفتاته أمامه تنير له ما أظلم ، وتفتح له ما استغلق ، وقلبه ماضٍ على أثرها ، وهو من وراء الاثنين : قلبه وفتاته ، طيِّع منقاد

وأبعد فى السير ، فباعد بين الفتى الجديد والفتى الذى كان ، وعاد لا ينظر الى الوراء إلاَّ ليرى ذاك العريش الذى جلسا تحته لأول ما قال لها وقالت له . . . وكأن عمره قد اختُصِر فى هذه الأشهر القليلة ، ولكنه كان عمراً طويلاً

وخيِّل الى الفتى حين اجتلى النور من وجه صاحبته ، وحين حاطه الشعاع الآسر من روحها ومن عينيها ، وحين رأى الأمل يترقرق على شفتيها من ابتسامة رقيقة ، خُيِّل اليه حينذاك أنه عاش ماعاش من العمر أعمى لا يرى الحياة إلاَّ مادة ؛ أما الآن فهى عنده روح من الروح ، وهى عنده شعاع يسطع فى قلبه ، فلا يزال يذكى روحه ، ويرهف حِسَّه ، ويشعره معنى الحياة الجميلة ، ويحبِّب اليه أن يعيش عَيْشَه مغموراً فى هذا النور الآلهى الذى ولَّده السالب والموجب من قلبها ومن قلبه وتلاقيا على ميعاد . ونظر ونظرت ، فاذا عصفوران يتساقيان

الهوى على فنن ؛ فقال فى نفسه : « ما أتعس الانسان ! يقيد نفسه بأغلال المادة والتقاليد ، ثم يزعم أنه طليق . ليتنا مثل هذين...! » وقل لها وقالت له . وكان كلاماً لا تلفظه الشفاه : من ذا يفهم لغة الطير ، أو يسمع نجوى العاشقين عينا الى عين ؟ إن هذين الطائرين يفهمان من فلسفة الحياة أكثر مما استوعبت عقول البشر . إنهما يملكان الحرية ، وفى أيدينا وأرجلنا قيود ذهبية...!

ومالت على زهرة نضرة من أزهار الحديقة تقطفها ، ونظر الفتى فما بدت لعينيه زهرة ، بل رمزاً من شفةٍ ، وخدٍ ، وعطر ، وخطرة دلال . وأسرع الى صاحبته : رويدك يا فتاتى ، إن هذه الأنامل الجميلة ما خُلقت إلا لتتملّى هذا الجمال وترعاه !

ولمـا همّـا ليفترقا لم يقل لها : يا فتاتى التى أحب . بل قال لها : يا من حبتنى الخلود وأشعرتنى لذة السعادة على الأرض

***

ما أعجب ما يرى الانسان فى الحياة ! وهل يرى كل ما فيها إلا على ما رُكِّبتْ عليه طبيعته المـادية الجامدة ؟ حتى إذا ما لمست فتاة قلبه حالت كل مادة على الأرض شيئاً إلهـياً نورانياً ، يتلألأ كما انفلق الاصباح عن ليل طويل دامس . وماذا فى الشباب إن لم يكن هذا الشباب فى القلب قبل أن يكون فى نضرة الوجه وتكتُّـل العضل ؟ حتى الشيخ يرده الحب فتياً ! تلك حكمة الله فى الأرض

***

سار الفتى على سننه ؛ وذهبت نفسه وراء فتاته ، وهى من عقلها لا تخمد العاطفة بالرضى الدائم ، ولا تبعث فى نفسه السأم بالغضب المستمر . وهو من كبريائه لا يندفع اندفاع الطيش ، ولا يُقـْصر اقصار الملل . نفسان عُـقـِّـدَتا ؛ ولـكنهما عقدتا ليكون الحب فيهما عقدة ثالثة . فهى تفور ، وهو يتنزّى ولـكنهما هما . أراد أن يكون صريحاً فتعقدت له ، فلما أرادت أن تكون صريحة وجدته قد تعقد

ضَـلَّ من يقول إن العقل والـكبرياء كلاهما يذهبان برونق الهوى ، ويطفئان شعلة الحب . إنهما يجعلان من الهوى هوى مركباً لا ترق اليه العقول الصغيرة ، ومن الحب حباً معقداً. لا تبلغه العاطفة السقيمة

ثم انطلقا . . . والفتى سعيد بفتاته . والفتاة سعيدة بفتاها فما يفترقان إلا على ميعاد ، وهما بين الميعادين كالظمآن يذكر آخر قطرة تذوقها ويرى فيها الحياة ، وينتظر أول قطرة ثانيه ليرى منها النور

على ضفة النهر ، وبين الخمائل ، وتحت ظلال الشجر ، وفى ضياء البدر ، فى صمت الطبيعة وجمالها ، طائران أغمض الدهر عنهما جفنيه ليرشفا من رحيق الحيـاة كأساً صافية ، ما كدّرها تخاصم ، ولا لوّثها عبث . عام انطوى ، فكان العمر ، وكان جمال العمر ، والصفحة البيضاء فى كتاب حياة الشاب والشابة . فما يكون جزاء هذا الحب إلا رباطاً لا تنفصم عروته ؟ وتلألأت الفكرة ، وتضاعفت سعادة العاشقين بهذا الأمل الجديد

والفتى والفتاة من أسرتين ترسفان من التقاليد فى أغلال ، وويل للحبِ إذا اعترضت سبيله التقاليد !

***

وكانت فـكرة ، ثم استحالت الفكرة فاذا هى كلام ، وحار الـكلام فاذا هو خطوات إلى غاية ؛ ولـكن ... ولـكن ما أحوج هذا السالك إلى من يرود له الطريق ! هؤلاء أهلها ، ماذا يعرفون من أمره ؟ وكيف يخطبها اليهم وماله عندهم اسم ولا رسم ؟ وهؤلاء أهله ، ماذا يعرفون من أمر فتاته ، وما حاول من قبـل مرة أن يفض لهم أغلاق قلبه أو يقرأ عليهم سطراً من شـبابه ؟ وهذا أبوه ، شيخ لا يؤمن بالحب ، ولا ينقاد لنزوات العاطفة ؛ وهو رباه ونشّأه واختار له فيما اختار فتاة من ذوى قرباه ، فما ينتظر له زوجاً غيرها ولا لها زوجاً غيره . فمن ذا يشفع له عنده ؟ وهذا عمه ، وإنه لرجل جد وكفاح لا يرى الحياة إلا من الناحية الصلبة الجافة ، فما اليـه مشتكى ، ولا فيه شفاعة ! ولقد تلقى الفتى عن أبيـه — فيما تلقى — دروساً فى الشجاعة والصراحة معاً ، فـكيف تخذله شجاعته ، وكيف يلتوى لسانه وهو يطلب الحياة لنفسه ؟ وفى قلب الفتى نار لو لفحتْ الشـجر الأخضر لتركته هشيما ، وفى رأسه شـعلة لو نفخت على السائل لتركته يغلى ويفور . وابتدأ الفيلسوف الذى فى رأسه يفرض الفروض ، ويأتى بالمقدمات ، ولـكن إلى غير نتيجة

لقد ملك اللذة وأراد أن ينعم بها ، ولمس السعادة وأمل أن يحتويها ، ولـكن فـكرتى اللذة والسعادة هما اللتانـ ذهبتا بشجاعته وصراحته

ماذا فى السعادة غير اطمئنان الخاطر ، وهدوء الضمير ، وإشراق الحياة ، وابتهاج النفس ، والرضى بكل ما يجىء به القدر ؟ ذلك هو الايمان ، والشعور به هو اللذة . فلا تنشدهما من غير هذا السبيل

***

ونفخ الحب فى عزم الفتى ، ونفث من سحره فى لسانه ، فمضى بين الرجاء واليأس ينفض أمام أبيه جملة حاله . وكان أبوه قد قدّر حين رأى فى ابنه الذهول والصمت حيناً ، والانكباب على المطالعة حيناً آخر ، أن به شيئاً . وقالت له ذكريات شبابه : « ويحك أيها الشيخ ! إن فتاة قد سلبتك فتاك ، لأنه فقد النوع ، وإنه لشاب به من ثورة الفتاء ما بالمرجل يوقد تحته بنار من حجارة ، فأمسك عليك ولدك بزوج تربطه بها وتربطها به ... ! » ووعى الشيخ ما سمع . فلما أذن للفتى أن يكشف لأبيه عن صدره ، قال له : « يا بنى ! إن حكمة الشيوخ غير طيش الشباب . يا بنى ! إنه أنا الذى رباك وأنا الذى يريد أن يعيش فى تاريخك جيلاً آخر . عقلك أولاً ثم عاطفتك ، وغداً تهدأ هذه الثورة ...! » ولكن الثورة لم تهدأ بل زادت ضراماً ، وعاد الفتى إلى عمه يستعينه على رأى أبيه ، فما الأخ إلا صورة من أخيه ، ولما أرسل إلى أهلها قالوا : « حتى يرضى أهله »

وضاقت نفس الفتى بما رأى وسمع ، وما لبثت الفتاة أن سميت على غيره ، فأصبح الفتى يتوزعه الحب وقد أخفق فيه وصفرت منه يداه ، والكبرياء التى لا تطاوعه على أن ينقاد ، فصار همه همين ؛ وعض الحزن على قلبه فاستلبه من أيامه ، وخلفه يمشى بين الناس جسداً بلا روح . . . :

وأحس الأب بمقدار قسوته على ولده ، على حين لم يكن يريد له إلا السعادة ، فانطلق يلتمس له الشفاء من ألمه ، ولكن أين له ما يريد وقد سميت الفتاة على غيره فخطبت ؛ . . .

وكان الأب فى انطلاقه يفتش عن السعادة لابنه ، قد ترك وراءه شبحاً يجلس إلى مدفئه فى زاوية من الحجرة وقد نشر أمامه ورقة لا يكاد يتبين من سطورها إلا سطراً أسود يضطرب أمام عينيه ، وكأنه لم يكن ينظر كلاماً مكتوباً بل شريطاً عريضاً أسود يمثل له حظه فى الحب . لقد وعاه من طول ما كرره ، ولكنه ما يزال يقرأ ، ويعيد ما يقرأ ، كأن ألفاظه تمسح ببياضها هذا السواد الماثل أمامه : « لقد تخليت عنى فى وقت أنا أحوج فيه اليك ، وقد كان بيننا ما كان . تخليت عنى ليعبث أهلى — بما لهم على من حق — فى مستقبلى . لقد أرغمونى حين ردوك »

ولما ارتد الأب خائباً ، وجد الابن قد أكلته الخيبة والتهمه اليأس ، فعاد يهمس بينه وبين نفسه : « ويلى ! لقد جنيت ! » ثم ابتدأ يلتمس لولده العزاء مما جنى عليه ، فقدر له أن يمضى أياما على شاطئ البحر ، عند الربيع الأزرق . هناك حيث يخلع الانسان همومه إذ يخلع ملابسه ، ويتحلل من أثقال الدنية وتقاليد الناس حين يرى نفسه كآدم وحواء قبل اتخاذ الثياب . وكان الفتى واسع الخيال دقيق الحس ، فآلمه أن يرى هذا الناس قد اجتمعوا ليقتسموا الصحة والعافية ، واللذة والسعادة ، وهو وحده يعيش فى جو بعيد عن كل ذلك ، هو جو قلبه ، وانصرم الصيف ، وما أفاد إلا هما على هم ، ووحشة كانت فى قلبه فعادت فى حسه وفى نفسه

وجلس الابن يقرأ — ذات ليلة — كتاباً فى تاريخ قدماء المصريين والأب ينصت ، وهو يتبين فى صوته رنين الأسى والحزن . فقال : إن لنا فى الشتاء لرحلة كما لنا فى الصيف رحلة . زيارة آثار أجدادنا القدماء . وطرب الشاب لهذه الفكرة الطارئة

***

وطوّفا ما طوفا والفتى فى نهاره رفيق أبيه ، وفى الليل صديق همومه

وجلس الفتى إلى نضد ، وقد مضى الليل إلا أقله يكتب إلى التى أحبها : « ذهب عقلى واستقر هواك . وهأنذا أطوف فى بلاد وقرى لم أنزل بها من قبل ، ولم يزرها أبى من قبل أيضاً . يظن أبى أننى أفرج عن نفسى ، وأرانى شريداً لأننى أرغم على ذلك إرغاماً . بؤس ليطيع كالانسان الصناعى لا يدرى ماذا يقال ، ولا ماذا يُفعل ؛ وهم يسخرون من الانسانية إذ يسمونه الانسان . أبى يرى فى كل ذلك لذة ، أما أنا فلا أرى هنا ما يلذنى لأننى بعيد عنك . والآن وقد بلغنا أسوان بقى على أن أصف لك الخزان العظيم الذى يترك لأرض مصر جميعها فضلة ما يمسك . إنه فى رأسى الآن يجيش ويضطرب ، وغداً كيف أراه أمام عينى ؟ سأذكرك هناك ، يا فتاتى ، وأذكرك . . . »

وعند انبثاق الفجر انفلت من الفندق ليضع بعض قلبه فى صندوق البريد

***

وعلى خزان اسوان سار مطمئناً ، وهو يعجب بما يرى ؛ عن يمينه طود من الماء ، وعن يساره رشاش الماء المنسكب ، أمواجاً تتلاطم ، كأنهما فى مضمار ، أيهما يبلغ الغاية أولاً ؟ وعلى سور الخزان المبنى من حجر الجرانيت ، وقف يتكئ على حاجز قصير هناك يطل منه على الماء يتدفق من فتحات الخزان حياة ، والخواطر تتدفق فى أعماقه شجواً حزيناً يبعث الألم . وأخذت الفتى روعة ما رأى وأحس كأن الماء الذى يعترك فى أسفل يجذبه ليحمله إلى من يحب . ورأى الرشاش المتطاير تنعكس عليه أشعة الشمس فترسم عليه قوساً ذات ألوان جميلة ، كأن عروساً فى ثوب زفاف تتراءى له بين مرآتين ، ولكنه لم ير فيها إلا العروس التى فقد ، تبتعد بها الأقدار فى صحبة رجل غريب . ورأى الماء يتسرب من بين الصخور كما يتسلل القدر فى تاريخ إنسان ليضع فيه مأساة أو يصنع حادثة

ومضى الفتى يتخيل فيمعن فى الخيال ، والماء تحت عينيه يموج ويضطرب ويزأر متدفقاً مكتسحاً فى بطش وعنفوان ؛ فما يرى الفتى بين الموج والزبد إلا صورة واحدة : صورة الفتاة التى بعد بها عنه عنف القدر وسلطان التقاليد

ورجع الأب ليصحب ولده فيعودا ، ولكنه انطلق يعدو حين رأى ابنه يوشك أن يتردّى . فما بلغ إلا ليشهد آخر مأساة للشاب تتلقفه الأمواج

يا يد الشيخ أنت التى دفعته الى هذه الهوة فما كان لك أن تنقذيه . . . !

يا تجارب الشيخوخة كم أنت قاسية ! لقد أردتِ أن تزرعى السعادة فجنيت الشقاء . لقد كنت كبيرة فلم تفهمى لغة الشباب ، وكنت مادية فلم تفهمى حديث الروح ، وكنت صلبة فلم تعقلى كلمات القلب . هل أنت يا تجارب الشيخوخة إلا خرف الهرَم ونكسة الانسانية . . ؟

ألا ليت الشباب وليت الهـرَم . . . ولكن ماذا يجدى ، ماذا يجدى ؟ ليت شعرى هل قُدِّر للانسانية ألا تبلغُ سعادتها إلا على جسر من الضحايا ؟ فياويح الشباب وياويح الهرم !

**كامل محمود حبيب**

دراسة من اسخيلوس

# ٣ ـ الفُرْس
Persae

للأستاذ دريني خشبة

تتمة

— ٧ —

« يظهر شبح دارا ويخاطب الجماعة »

— « أوه ! أنتم هنا يارفاق الصبى ولِدَات الشباب ! مرحى ! لقد ابيضت نواصيكم ، وجلل هاماتكم وقار الشيب ! ماذا ؟ ! ما لكم واجمين هكذا ؟ أى شجو يعقد أساريركم ياسادات فارس ؟ ماذا أسمع ؟ هناك ! هناك فى جميع آفاق المملكة ؟ الجماهير العزيزة تئن وتبكى ! ويح لكم يارعاياى ؟ أية كارثة ؟ ! تكلموا ؟ إن قربان الخمر الذى أسقيتم ثرى رمسى قد روّى أعظمى وانتشت بِحُمَيَّاه نفسى ؟ لشد ما أيقظتنى أناشيدكم وأذكاركم تتغنونها على هذا القبر يا سادات ، وتتغنونها معكم مليكتى ! ! تكلموا ! تكلموا إذن ! فيم جُؤاركم بى ، وصلاتكم من أجلى ، لأطوىَ الرحب إليكم من عالم الأشباح ؟ ! إن الآلهة ترنو إلىّ من بعد ، وإنها تكاد تتخطفنى ... لماذا تصمتون هكذا ؟ تكلموا وإلا فالويل لى من أرباب الظلمات ! ... »

— « لشد ما تفرق قلوبنا إذ نرى إلى هذه الهامة ! كيف السبيل إلى الكلام ؟ أى فزع يذوب كالموت فى فرائصنا ؟ »

— « ليفرخ روعكم ! إن صلاتكم الطيبة هى التى سمت بى اليكم ! فيم هذا الجزع الذى يسيطر عليكم ؟ وهذا الحزن لِمَهْ ! تكلموا ! البدار ، أختصروا ما استطعتم فانى عجلان ، والآلهة تحدجنى من أعماق الدار الآخرة ! »

— « نفرَق أن تنبس أفواهنا بكلمة عما حاق بأعز الناس ! إن حبنا له ، وجزعنا عليه يمنعنا من أن نقول كلمة ! ... »

— « هذا دأبكم دائماً ... طالما كنتم تخافون من لا شىء إذن ، فتكلمى أنت يا من كنت شريكتى فى أهنأ حياة ؟ وأرجو أن توجزى ما استطعت . ! ما هذه الصيحات التى ترتفع من رعاياى فى البر والبحر ؟ ما لهم يبكون فى كل صوب ! »

— « مولاى دارا ! ؟ مليكى ! يا من أقمت مجد الوطن ،

وكنت مُحَسَّداً من أندادك للأبهة التى شادت دعائمها يداك... كم أنت اليوم مُحَسَّد كذلك للراحة التى تنعم بها فى جوار آلهتك ...؟ قصتنا موجزة ، وتكاد ترويها كلها كلمة واحدة : الأمبراطورية يا مولاى ؟ لقد نسج الزمان عليها عناكب الخراب وليس من يقيل عثرتها ! ! »

— « لِمَهْ ؟ هل طاعون سلطه عليها رب الشر ؟ أم ثورة جعلت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ؟ »

— « لا هذا ولا ذاك : ولكن ... جيشنا ... لقد حطمه القضاء تحت أسوار أثينا ! »

— « جيشنا ؟ ومَن مِن أبنائى هذا التاعس الذى عمر به ثمة ؟ »

— « الطائش إجزرسيس ! لقد أقفرت آسيا من روض شبابها بسبب تَهَوُّره ؟ »

— « فى البر أم فى البحر ، حاقت بهم النكبة النكباء ! »

— « فيهما معاً يا مولاى ! »

— « وكيف تم لهذا العسكر المجْر عبور البَحر إلى هيلاس ؟ »

— « مهندسوه يا مولاى أقاموا له جسراً عجيباً ! »

— « وأى جسر هذا الذى يصبر لأمواج البوسفور وأواذيه ؟ »

— « كانت أرواح مخربة تنفخ فى صدره طيلة ذلك اليوم ! »

« وأية ضربة لازب طاحت بجيش فارس وبأسطولها ؟ أكان العدو أكثر عدداً وأعز قوة ! يا لتعسك يا إجزرسيس ! ترى ! كم شرذمة نجت من بطشة هذا القضاء ؟ »

— « ثلة فى البر وثلة فى البحر ... وكان هو ينطلق لا يلوى على شىء ! حتى عبر الى آسيا ! »

— « إيه يا آلهة ! هكذا تديرين رحى الخراب على من يديرها على نفسه ! إجزرسيس الطائش ! لقد كان شيطانه هواه ، فلم يرحم شبابه ولم يترفق بشباب فارس ! حسب المأفون أنه يسخر بالآلهة ، ليستطيع أن يكتب الأقضية ، ويحول مجرى المقادير .. الا قد حبط مكره ... وحاق به سوء تدبيره ... وبدد فى حماقة كل ما ذخرت لفارس من قوة وعتاد ... وجعل خزائن سوس لأعداء الامبراطورية نهباً مُقَسَّماً ... ألا من أضلّك يا أتعس الأبناء ! »

— « أضلته نفسه ، وغلب عليه استبداده ، وسوّلت له تلك العُصبة من الحمقى والمأفونين »

« تعساً لهم من مُشيرى سَوءٍ ، وإخوان ضلالة ! وتعساً له من أُحَيْمق ، هدم المجد الذى بناه أجداده فرفعوا عماده ، ومهدوا له وأرسوا فى ساحات النصر أوتاده ... الشقى الذى نسى نصيحتى فوق سرير الموت ، إذْ حذرته من محاربة الهيلانيين ! »

— « والآن يا مولانا ! أنصح لنا نهتد بك فى ظلمات المستقبل »

— « هى نصيحتى أبداً ... لن تتغير ... لا تلتحموا فى حرب مرة أخرى مع الهيلانيين ! حتى ولو كان جندكم أكثر من جندهم أضعافاً مضاعفة ! إنهم يحاربون من أجل وطنهم المفدى ! أما أنتم ... ففى سبيل أطماعكم تهرق دماء شبابكم ! هذا إلى هيلاس نفسها ... إنها تحارب بجنود لا ترونها فى جانب أبنائها ! »

— « هيلاس تحارب بجنود لا نراها ؟ وكيف ؟ »

— « أجل ! إنها تحارب المغيرين بالمجاعات والأيْن والطواعين ! انظروا ! إن شراذم مبعثرة تهيم فى الآفاق .. لا تلوى على شىء ... تفر من الميدان ! ويلاه ! إنها فلول أجنادكم ، أصبحت لا تقدر على شىء ! ... لقد تركها القائد الشقى تقاسى من الجوع والعرى والزمهرير ... أشباح وسمادير ، يرنق فوقها الموت عند كل أكمة !! إجزرسيس ! يا أتعس الأبناء ! ذق إنك أنت العزيز الكريم ! فيم استباح جنودك معابد الآلهة وأقداس الأرباب ! لقد دنسوا هياكل القوم ، وسلبوا معابدهم ، وكسروا أوثانهم ... فليذوقوا إذن وبال أمرهم ، ولترو من دمائهم رماح الأسپرطيين ... وليؤدوا الدين من خزائن أرواحهم مُهَجاً غالية ! يا للآلهة ! ! ما أقساه درساً ألقيته على كبرياء بنى الموتى وخيلائهم ! ! زيوس يا سيد الأولمب ! يا كبير الآلهة ذا الطول ، يا شديد الانتقام ! ما أهول بطشك حين تأزف ساعته ... وما أبلغ حلمك ! »

أيتها المللكة ! يا أم إجزرسيس ! يا أم ولدى التاعس ! هلمى فالبسى أبهى حللك ذات الأوشية ، وانطلقى فالقْ ولدك المحزون ! رفهى عنه وواسيه بكلمة طيبة لن يحتملها إلا منك ، وبلغيه نصائحى ... »

أما أنتم يا رفاق صباى ! فالسلام عليكم ... لتثلج صدوركم ولتطب نفوسكم ... لقد فرغتم من زينة هذه الحياة الدنيا التى لا تسير فى ركاب الموتى الى الدار الآخرة »

« يغيب الشبح »

— ٨ —

ويرسل الأشياخ الفارسيون للنَّجب زفرة كأنها لفحة من جهنم ، ويعبسون عبوسةً سادرةً حزينة لما يتحيف الوطن من أشجان ، ثم تمضى الملكة لتضفى عليها من أبهى وشى فارس ولؤلؤ بحرها العجيب ، ولتذهب فتاتى ولدها المقهور المنهزم ، الذى عاد من حابة هيلاس يجرر أذيال الخيبة ، ويتهالك على نفسه فى أسمال الخزى والانكسار ... « ولدى إجزرسيس ! الذى لابد له فى هذه المحنة من قلب الأم يضمه ويحنو عليه ، ويقشع عن عينيه ديجور الهم ، ويعيد اليه مسرة الدنيا وحبور الحياة ! »

— ٩ —

أما الخورس — وهم أولئك الأشياخ الوقورون — فيهزجون بنشيد طويل يذرفون فيه دموعهم على مجد الأكاسرة الغابر ، ويبكون على أيام كانت فارس سيدة الأرض ومؤدبة الأمم ، ويذكرون الهزائم التى حاقت بجيوشهم فى البر والبحر . . . « وشبح الخراب الذى ينوء بكلكله على المدائن والقرى ، واليتم والجزع والبكاء التى تغزو كل بيت ، وتمزق صدر كل أم » وإفلات الأيالات الفارسية فى غرب آسيا وشمال هيلاس من قبضة الفرس . . . حتى لو شاء الهيلانيون غزو فارس نفسها لما استعصت عليهم (١)

— ١٠ —

« يدخل إجزرسيس متخاذلا »

— « واشجوى ! »

لقد جل الخطب ، وفدحت قاصمة الظهر ، وامتدت يد الحدثان إلى زهرتك يا فارس ، يا وطنى ، فقضت عليها فى ريعان ، وأذبلت غصنها إذ هو ناضر ريان ، وجعلتها قصة فى كتاب الزمان ! ويحى ! كيف لى أن ألقى ساداتك أيها الوطن وقد خذلت هيلاس قواى ، وخانت تجلدى واصطبارى ! ألا ليتنى لقى بين أشلاء جنودى ، ألا ليت كثيباً مهيلاً طوانى فى ساحة المجد ، فلم أعد اليك يا بلادى ! لقد كان ثمة عزاء لى بين القتلى من صناديدى ! »

— « أهذا أنت يا إجزرسيس ! ويلاه ! من للأبهة والمجد ! من للجيوش الجرارة والجنود المظفرة ! من للكواكب والرايات ! أين أين القادة الصيد ، والأبطال الصناديد والمغاوير المذاويد ؟ لقد انتفضت فارس تبكى أفلاذ أكبادها فأين تركتهم دون ولىّ ولا نصير ؟ أكانت تعدمهم لهذا العبث الذى قذفت بهم فيه وهم زهرتها وذخيرتها وعتادها ؟ ويلاه ! يا للساعة ويا للحساب العسير ؟ لقد كان أجدر لو لم تلقك آسيا أيها الملك كسيرة القلب مهيضة الجناح ، لا حول لها ولا طول ، ولا مجير ولا هاد ! »

— « زه ! زه ! ياسادات فارس ! يا للحظ العاثر والمجد الغابر ! أو هكذا يا رب تخزينى ملء رعيتى وبين جدران بيتى ؟ »

— « بل نحييك بالصراخ والعويل كما كان الماريأندون يحيون موتاهم . . . »

— « إذن ، فهلموا فابكوا ! لتنهمر دموعكم حتى ما تجف ، ولتشق السموات آهاتكم حتى ما تقف ! ألا ما حيلتى ؟ لقد اتحدت علىّ الأقدار ، واسودت فى صحائف غيبى الحظوظ ! »

— « بل نحن نصرخ فى وجهك صرخة فارس التى كلها ألم وشجو . . . »

— « وا أسفاه ! ماذا عسانى كنت صانعاً وقد اتحد مارس وملؤه علىّ ! »

— « بل قل لنا أيها الملك ! أين أين أكابرنا ؟ أين أين السوسيون والفرندسيون والبلاجيون وغيرهم وغيرهم من أشراف القبائل والبطون والأفخاذ ؟

— « غرق من غرق ، وغال الردى فى الميدان من غال فى يم سلاميس وبرية بلاتيه . »

— « بل أجب هذه الدموع وحرق الضلوع ! أين أين المظفر فرنوخوس وأريومارذوس الصالح ، وأمير الأمراء سيوالكوس ! وأين أين القنابل ذات الأيد من مازستراس وسيرابيس وممفيس ! . . .

— « ابتلعهم اليم . . . ثم لفظهم الدأماء ! ودارت عليهم المنايا أغربة سوداً وغرابيب لا تبقى ولا تذر ! . . . فلا فقد اليوم ولا مفقود ! ! »

— « يا للنكبة ! يا للثمن الفادح ! يا لزهرة شبابك يا فارس فى هذا الرزء الذى ليس كمثله رزء ، والمصاب الذى دونه كل مصاب ! ! إذن ماذا بقى للوطن أيها الرجل ؟ »

— « هذه الأسمال التى ترونها لا تكاد تستر جسد مولاكم : :

— « أهى كل ما بقى من الغرق و ... الهزيمة ؟

— « وهذا البيت الخاوى على عروشه ... وكانت اليه خزائن الأرض من قبل ؟ ماذا بقى لنا ؟ لقد تفرق عنى جميع أعوانى أبادد !

(١) صدق تقدير أسخيلوس فقد غزاها الاسكندر بعد ذلك وخضد شوكتها

# البريد الأدبي

— « ألا ما كان أشجع اليونانيين فى هذه الحرب !

— « ألا ما كان أشجعهم حقاً ! أبداً ما رأت عيناى أشجع منهم ! لقد ظفروا بنا وأظهرتهم آلهتهم علينا ، فلنا الخزى السرمدى ، ولهم المجد الأبدى !

— « ويلاه ! إذاً سحقت كل قوة فارس !

— « عن بكرة أبيها ! وليس لنا الآن إلا البكاء والنحيب ! فرددوا بكائى وأسعدوا يا سادات

— « أى إسعاد أيها الملك وقد قضت علينا ضربة لازب !

( يبكون . . . ثم يعولون )

— « رددوا آلامى ، فما أشجا كم أشجانى !

— « ألا من يرثى لنا ... يا للشجو ... يا للشجو ! !

— « وبللوا تلك اللحى ... إذرفوا عبراتكم يا رفاق !

( يأخذ الأشياخ فى البكاء ، ويشتد عويلهم ،

ثم يشقون جيوبهم ... ... ... ... ... )

— « غفرانك يا فارس ! غفرانك يا دارة المجد ، وهالة المظموت ! هلموا يا سادة ! هلموا إلى الهيكل ... إلى النار المقدسة . »

دريني خشبة

## هنرى دى رينيه

من أنباء باريس الأخيرة أن الشاعر والكاتب القصصى الكبير هنرى دى رينيه قد توفى فى الرابع والعشرين من مايو ؛ وبذا يكون قد توفى فى أيام قلائل عضوان من أسطع أعضاء الأكاديمية الفرنسية ، هما الأستاذ هنرى روبير المحامى الأشهر ( وقد ترجمناه فى العدد الماضى ) وهنرى رينيه ، وخلا بذلك كرسيان فى مجتمع الخالدين . وقد ولد هنرى فرانسوا دى رينيه فى ديسمبر سنة ١٨٦٤ فى هونفلور من أعمال كالفادوس من مقاطعات الحدود ؛ وكان أبوه هنرى شارل دى رينيه مفتشا فى الجمارك ، وتلقى الكاتب دراسته فى كلية ستانسلاس ، ودرس القانون ؛ ولكنه انصرف منذ حداثته الى الأدب ؛ وبدأ بقرض الشعر قبل أن يبلغ العشرين ، وفى سنة ١٨٨٥ ، أصدر أول مجموعة شعرية ، عنوانها « أيام الغد » Les Lendemains ، فأصابت نجاحا وأتبعها بعد ذلك بعدة مجموعات أخرى نذكر منها : « أوسمة دارجيل » Les Mèdailles d'Argiles و « فستيا الملتهبة » Vestigia flamme .

وعالج هنرى دى رينيه كتابة القصص فى نفس الوقت ، وظهر منذ أواخر القرن الماضى بقصصه القوية الخصبة ؛ ومن أشهر قصصه « عصا جاسب » La Canne de Gasps ( سنة ١٨٩٥ ) ، و « العشيقة المزدوجة » La Double Maîtréesse (سنة ١٩٠٠) و « فراغ فتى عاقل » Vacances d'un Jeune Homme Sage ( سنة ١٩٠٣ ) ، و « الخوف من الهوى » La peur de L'Amour (سنة ١٩٠٧) و L'Amphisliene (سنة ١٩١٢) و «وهم تيتوباسى» L'illusion Herïque de Tits Bassi (سنة ١٩١٦) و «الخاطئة» La Péchcresse (سنة ١٩٢٠) و «الفرار» L'Escapads ، وغيرها

وكان هنرى دى رينيه أيضاً صحفياً من الطراز الأول ، يعالج المسائل الاجتماعية والأدبية فى الصحف الكبرى بقوة وبراعة ؛ وقد تبوأ كرسيه بين الخالدين فى الأكاديمية الفرنسية منذ أعوام طويلة

## حياة لايدى هستر العجيبة

تتفوق حوادث التاريخ أحياناً على القصة فى غرابتها وروعة ظروفها ؛ ومن ذلك حياة « لايدى هستر ستانهوب » الانكليزية التى خاضت فى أوائل القرن التاسع عشر غمار رحلات وحوادث مدهشة فى تركيا ومصر وسوريا . وقد صدر أخيراً بالانكليزية كتاب عن هذه السيدة المغامرة عنوانه Lady Hester Stanhone بقلم السيدة جوان هاسلب J.. Haslip

وقد نشأت اللايدى هستر فى أسرة نبيلة فى أواخر القرن الثامن عشر ، وهى ابنة أخت لوليم بيث الوزير الانكليزى الشهير ، ولم تكن فتاة حسناء . ولكنها كانت تتمتع بجاذبية

نسوية غريبة ؛ ولم تصادف فى بدء حياتها نجاحا فى المجتمع الانكليزى ولا قبولا فى بلاط الملك جورج الثالث ؛ بيد أنها اتصلت صلات غرامية ببعض رجالات العصر ، مثل اللورد جرانفيل لنيفنسون والسير جون مور القائد الشهير ؛ ثم عافت المجتمع الانكليزى ونقمت عليه لما لقيت فيه من اعراض وخصومة ، وغادرت انكلترا فى سنة ١٨١٠ لكى لا تعود اليها الى الأبد . وبعد أن زارت جبل طارق ومالطه ذهبت الى اليونان وهنالك لقيت الشاعر بيرون ؛ ولكنهما لم يتفاها ؛ فسافرت الى استانبول ، وهناك اتصلت ببلاط السلطان محمود ، وتركت لنا وصفاً شائقاً عن بلاطه وحاشيته وحفلاته . واليك نبذة ظريفة تصف خروج السلطان الى السلاملك فى يوم الجمعة :

« يركض البستانية صائحين « افسحوا لجلالة السلطان أمير المؤمنين » وهم يلوحون بأسواطهم المعقودة ؛ بينما تنتظم فى الشارع فرق من جند الانكشارية ترد الجموع ؛ ويبدأ الموكب بالسقائين يرشون الشارع ، ثم كوكبة من الفرسان ذوى اللحى تحيط بها جماعة زاهية تحمل أدوات القهوة السلطانية وسيف السلطان وشبكه فى أوعية ساطعة »

وبعد أن لبثت لايدى هستر حيناً فى استامبول سافرت الى مصر ، واتصلت فى الحال بمحمد على ، وزارته فى قصره الفخم بالأزبكية فأكرمها ، وأنس بلقائها ؛ ونوهت اللايدى هستر فيما بعد بكرمه وذكرت أنه اعتاد أن يقف للقائها ؛ وفى ذات يوم نظم محمد على عرضاً عسكرياً إكراماً لها ، وعرض فيه الكولونل سيف ( سليمان باشا ) القوى البدوية ، وبعد نهاية العرض قدم لها محمد على جوادين هدية منه

بيد أن اللايدى هستر رغم ذلك تصف مصر بأنها مريعة ، بأزقة ضيقة ، وروائح كريهة ، وشوارع متربة

وسافرت لايدى هستر بعد ذلك الى فلسطين ثم الى الشام ، وهنالك تعرفت بالامير الشهابى وتوثقت بينهما أواصر الصداقة ؛ ثم سارت الى تدمر حيث أعلنت نفسها ملكة على بعض قبائل البدو ، وحصنت قصرها فى جبل الياس ، والتف حولها كثير من الدروز والنيصرية ؛ ولما غزا ابراهيم الشام احترم قصرها ولم يهاجمها ، وبلغ حب بعض السوريين لها أن كانوا يعتبرونها شبه قديسة ، بل إن بعض الدروز اليوم يضعونها بين آلهتهم

وتوفيت تلك المرأة العجيبة فى يونيه سنة ١٨٣٩ ، ودفنت هنالك فى روضة بديعة

هذا ملخص الحياة المدهشة التى خاضت غمارها اللايدى هستر ستانهوب ، والتى تصفها لنا المس هاسلب فى كتابها وصفاً بديعاً شائقاً

وتختتم المؤلفة كتابها بوصف بطلتها بأنها كانت « خاتمة ذوى الشذوذ والأطوار الغريبة فى القرن الثامن عشر ، وأول الممهدين للحياة الجديدة فى القرن التاسع عشر »

**العلم والدين**

يقول الأستاذ هكسلى فى فصل نشره فى إحدى المجلات الكبرى إن أصحاب النظريات العقلية فى القرن التاسع عشر كانوا على يقين من أن ما يسمونه « النزاع بين العلم والدين » سينتهى حتما بهزيمة الدين ، ولكن تاريخ العصر الحديث أثبت أن هذه النظرية لا أساس لها . ذلك أن العلم لم يهدم الدين ، ولكنه نقله فقط من ميدان إلى آخر ؛ وقد كان من أخطاء أجدادنا أنهم كانوا يتصورون العلم والدين عدوين يحارب أحدهما الآخر ، وأن العلم أمضى أسلحة من الدين ، وأنه سيودى غير بعيد بالدين حتى يغدو جثة لا روح فيها ؛ وتلك صورة خاطئة . فالعلم والدين ليسا عدوين ، ولكنهما قوتان عظيمتان من قوى الطبيعة

إن الانسان يفكر والله يدبر ؛ ولكن المصلحين لم يظفروا بتحقيق المهمة التى رموا إلى تحقيقها ، وهى القضاء على الأوهام والخرافات التقليدية التى تدخل الدين بغير حق . وقد أحرزوا فى هذا السبيل نجاحا محدودا ؛ ولكنهم هيأوا بجهودهم ميدانا لأنواع أخرى من العادات والتعصب ، ربما كانت أسوأ من الخرافات الأولى ؛ فهنالك اليوم من ضروب العبادة القومية والتعصب القومى والجنسى ما لا يقاس فى حدته وروعته بتلك العواطف الساذجة التى جهد المصلحون للقضاء عليها

**الحفريات الأثرية فى فلسطين**

تعمل الآن فى فلسطين عدة بعثات علمية فى الحفريات الأثرية ، بعضها يعنى بالعصر اليهودى ، وبعضها بالعصر الرومانى ، والبعض الآخر بعصر المسيح . وقد نشرت مجلة المباحث الأثرية الفلسطينية التى تصدرها مطبعة جامعة اكسفورد فى عددها

الأخير بيانات جامعة عن النتائج الأثرية التي انتهت اليها جهود هذه البعثات ؛ ففي بيت لحم ، عثر المنقبون تحت كنيسة المهد على آثار كنيسة أخرى أقدم منها ، ووجدت بعض آثار للفسيفساء القديمة تحت بلاط الكنيسة الحالية ؛ ووجدت أقسام الكنيسة القديمة واضحة ، ولكن لم يبق منها سوى بعض جدران متهدمة ؛ بيد أن ما وجد من البناء والفسيفساء يكفي لتكوين فكرة حسنة عن هندسة هذه الكنيسة القديمة وطرازها

وكشفت الحفريات في تل حسن بالقرب من أريحا عن كنيسة بيزنطية قديمة قد أزيلت تماما ، ولكن أمكن إعادة معالمها من آثار الفسيفساء التي وجدت ؛ وقد كانت على ما يظهر من طراز البازيليكا القديمة ، ذات فناء متوسط ورواقين في الجانبين ، تفصلهما حنايا معقودة ؛ وقد كانت الفسيفساء في حالة حسنة ، وهي تشبه تلك التي وجدت تحت بلاط كنيسة المهد ؛ ويرى المكتشفون أنها ربما كانت الكنيسة التي خصصت للعذراء مريم ، وقام باصلاحها الامبراطور يوستنيان حسبما يذكر المؤرخ بروكوبيوس

ووجد هنا وهنالك كثير من الآنية الخزفية ؛ وقد أثارت هذه الآنية بين العلماء المكتشفين كثيرا من الجدل ، واعتقد بعضهم أنه ظفر من بينها بآنية ترجع الى عصر حرب طروادة الشهيرة التي نظم عنها هوميروس إلياذته الخالدة

وتجرى في نفس الوقت حفريات متعددة في جهة الناصرة ، حيث يظن أن المسيح قضى حداثته وشبابه

## الاسلام في المجر

يطوف السيد حسين حلمي مفتي بودابست ببلاد الهند لجمع تبرعات تساعد مسلمي المجر على تشييد مسجد ومدرسة لتعليم أولاد المسلمين . وقد نشرت مجلة « الاسلام » التي تصدر بالانجليزية في سنغافورة حديثا مع الأستاذ راسوليفتس محمد بك سكرتير الجمعية الاسلامية ببودابست عن حالة المسلمين في المجر ، فكان مما ذكره أن عدد المسلمين يبلغ الآن زهاء ثلاثة آلاف نسمة ومن المحزن أن حالتهم الاجتماعية في تدهور رغم أن البرلمان المجرى اعترف في عام ١٩١٦ بالاسلام كدين من أديان الدولة ، وأكثر المسلمين في حالة فقر مدقع ، وهم في حاجة ماسة الى عطف العالم الاسلامي واهتمامه بهم . فأولادهم يضطرون الى التعلم في مدارس المسيحيين والتزوج من بناتهم . ولا يوجد في كافة بلاد المجر مسجد لاقامة الصلاة مع العلم أنه كان في بودابست وحدها ٤٠ مسجدا أيام الدولة العثمانية

وتوجد اليوم في بودابست جمعية اسلامية تأسست في عام ١٩١٦ باسم « جمعية جول بابا » وقد جعلت مهمتها السعي في بناء مسجد ببودابست ومدرسة لتعليم أولاد المسلمين وتثقيفهم في أصول دينهم ، وقد منحتها الحكومة قطعة أرض لتشييد المسجد ، لكنها لا تجد المال الكافي للبناء ، ومن المؤسف حقاً أن المسلمين يجتمعون لصلاة الجمعة في بهو فندق يستأجرونه خصيصاً لهذه الغاية . أما في الأعياد والمواسم فهم يجتمعون في ضريح ولي مسلم مدفون بأطراف بودابست واسمه « جول بابا »

## معهد فني للجنائيات

من أنباء السويد أن معهد الجنائيات الفني الملحق بجامعة ستوكهلم قد افتتح في بنائه الجديد المجهز بأحدث الوسائل والمخترعات الفنية ؛ ويقال إنه الآن أحدث معهد جنائي من نوعه إذا استثنينا معهد البوليس البريطاني

وقد كان هذا المعهد حتى اليوم منقسما الى عدة أقسام ؛ ومع ذلك فقد كان يجذب اليه الطلبة والفنيين من كل صوب ليدرسوا في أقسامه المختلفة التي اشتهرت بدقة أبحاثها الفنية ؛ وكان يؤمه بالأخص رجال البوليس من السويد والنرويج والدانماركة وفنلندة وكذلك بعض رجال البوليس الانكليزي ( اسكتلنديارد ) لينتفعوا بتجاربه ومعلوماته

ويدرس الآن في هذا المعهد عدد كبير من المحامين لدى المحاكم الجنائية وضباط البوليس ، وفيه عدا ذلك نحو أربعمائة طالب يدرسون في أقسامه المختلفة طرق مكافحة الجرائم واستكشافها

## كشف طبي خطير في علاج البلهارسيا

الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك أستاذ علم الطفيليات بكلية الطب ، ومدير معهد الأبحاث بوزارة الصحة ، قد عرف بأبحاثه واكتشافاته الطبية العديدة ، وامتد الاعتراف بكفاءته إلى الدوائر العلمية الأجنبية ، فسجلت اسمه في قائمة العلماء الباحثين

وقد حدث منذ شهرين أن وفد على معهد الأبحاث طفل في التاسعة من عمره مريض بالبلهارسيا ، وقام المعهد بعلاجه عن طريق الحقن بمركبات الأنتيمون ، وهي الطريقة المتبعة في مثل هذه الحالات ، ولكن الطفل عقب تناوله الحقنة الثامنة توفى بغتة ، واتضح من تقرير الطبيب الشرعي أن حقن الطفل تم على حسب الأصول الفنية

ولقد شغل هذا الحادث ذهن الدكتور خليل بك ، وما زال به اهتمامه وتفكيره حتى اهتدى إلى كشف السر فيه وفي أمثاله من الحوادث ، فدعا جمهرة من الأطباء إلى قاعة المحاضرات بكلية الطب لشرح كشفه والمناقشة فيه

وقد انعقد الاجماع على أن هذا الاكتشاف قد وضع أساساً جديداً لعلاج البلهارسيا ، وسيكون من أثره :

أولاً – انقاذ حياة ألفي مصاب بالبلهارسيا يموتون فجأة في كل عام ، وقد كانت وفاتهم مبعث حيرة كبيرة بين الأطباء المعالجين والأطباء الشرعيين

ثانياً – ضمان الشفاء لعشرات الآلاف الذين كانوا فيما مضى لا يتمتعون به كاملاً حاسماً في أوجز وقت وبأقل تكاليف

ويقدر عدد المصابين بالبلهارسيا في ريف مصر وصعيدها بعشرة ملايين يتقدم منهم للعلاج سنوياً زهاء مليون ويموت منهم فجأة ألفان تقريباً ، ولم يكن في مقدور العلم أن يتكهن بتلك الوفيات الفجائية التي أشرنا اليها ، ولا كان في مقدوره ضمان القضاء على الداء الوبيل قضاء مبرماً . أما اليوم فقد توصل الدكتور خليل بك الى اكتشاف طريقة بسيطة كيميائية تمكن الممرض أو مساعد الطبيب أن يجربها ؛ وهي طريقة يعرف بها على وجه التحقيق المسائل الآتية :

١ – هل يفرز المريض أكثر الدواء الذي يعطى له ، ولا يمكث في جسمه إلا قليل منه لا يكفي لقتل الديدان المسببة للبلهارسيا ، وعلى ذلك يصعب شفاؤه بالجرعة المعتادة ؟

٢ – هل المريض لا يفرز الدواء مطلقاً ، أو يفرزه بمقادير ضئيلة ، وعلى ذلك يتراكم في جسمه ويسممه ، فيموت فجأة إذا بذل أقل مجهود عضلي ؟

٣ – هل المريض يفرز الدواء بمقادير عادية ، وعلى ذلك يشفى ؟ والأكثرية من المرضى من هذا القبيل

وقد أثبت ذلك الاكتشاف أن تقدير الجرعات في علاج البلهارسيا بمركبات الأنتيمون ومنها الفؤادين كان أساسه خاطئاً . إذ أن الجرعة كانت تقدر حسب السن أو وزن الجسم من غير مراعاة لتفاوت الأشخاص في سرعة إفراز الدواء ومقدار هذا الافراز . وليس مجهولاً أن القيمة الشفائية الفعلية لمثل هذه العقاقير لا تتوقف على مقدار مايدخل الجسم منها فقط ، بل تتوقف أيضاً على ما يمكث منها فيه ؛ ومن الطبيعي أنه إذا تفاوت الأشخاص في إفراز هذه العقاقير اختلف تأثيرها تبعاً لذلك ، وهذا ما أثبته الدكتور خليل بك بتجارب كيميائية أجريت أمام الجمعية الطبية المصرية

ويتخلص الكشف الذي اهتدى اليه الدكتور لتعيين نسبة الافراز في كل جسم في أخذ تفسرة من بول المريض قبل الحقن لتعرف هل يحتوي البول على مادة مماثلة المادة التي سيحقن بها أو لا ؛ ثم يحقن المريض وتؤخذ تفسرة أخرى من بوله بعد نصف ساعة تقدر بخمسة سنتيمترات ، ويضاف اليها مثلها من محلول كيميائي مركب من كلور الحديد يضاف اليه نشادر قوى مطهر . فاذا كان في البول إفراز من المادة المحقون بها احمر لونه ، وإذا لم يكن هناك إفراز ظل اللون على حاله الطبيعية ، ثم تؤخذ تفسرة أخرى بعد ثلاث ساعات وتكرر معها التجربة ذاتها

# من هنا ومن هناك

## من العلم الى الأدب

كثير من العلماء هجروا العلم الى الأدب ولم يستطيعوا الجمع بينهما كما فعل ابن سينا مثلاً حين جمع الأدب الى الطب والحكمة أو كما فعل الكندى والبيرونى

والعصور الحديثة ملآى بأمثلة ذلك

فذلك إبسن الكاتب النرويجى العظيم (١٨٢٨ – ١٩٠٦) وواضع الدعامة الأولى للأدب المسرحى الحديث قد نشأ ليكون أول أمره كيميائياً ، ولكنه وجد هواه فى كتابة الدرامة ، فصبأ من الكيمياء الى الأدب . . . وفرغ له وبرع فيه

وجوته أيضاً كاد يكون عالماً يبحث فى الألوان ويضع الأصول للرسم والنحت ويؤلف فى الأزهار وفلاحة البساتين ، فلما تفتح قلبه للحب قذفت به حبيباته الثمانى عشرة الى الأدب فنبغ فيه نبوغاً يكفى لوصفه أن يقول فيه كارليل « إنه أعظم أدباء العالم » ولم يستثن حتى شاكسبير – وهذه مبالغة لا شك من صاحب كتاب الأبطال

والكاتب الانجليزى الكبير هـ . ج . ولز هو الآخر ، فلقد تعلم الكيمياء فى صغره ، ثم هجر المدرسة ليكون تاجراً ، ولكنه أحس ميلاً ملحاً الى التعليم ، فصارع ظروف الدهر وتصاريفه وانتسب الى جامعة لندن وكد وكدح حتى نال درجة فى العلوم وعين بالفعل أستاذاً لعلم الحياة (بيولوجيا) ولبث فى منصبه لمدة ثلاث سنوات ، ثم شعر بشغف شديد الى الصحافة ، فاعتزل منصبه واحترفها ، ثم أيقن أن الله خلقه ليكون أديباً فهجر الصحافة واحترف الأدب ، فها هو اليوم أكبر كاتب اجتماعى فى العالم وكتبه تطبع بالملايين ! !

وكذلك الكاتب الأرلندى المعروف جورج مور ، فانه كرس حياته فى فجر شبابه ليكون فناناً ، وفتنه الرسم والتصوير ، ونال فيهما أعلى الدرجات من جامعات لندن وباريس ، ولكنه بعد ذلك كله شعر بسحر الأدب ينفث فى قلبه ، وذلك بتأثير ادمانه قراءة الأديب الفرنسى العظيم أميل زولا فشرع يكتب قصصه الخالدة التى ينهج فيها نهج أستاذه

## جوركى وروسيا السوفيتية

اشتهر مكسيم جوركى فى جميع أنحاء العالم بأنه أديب الصعاليك ، وذلك لأنه يجيد الكتابة عن هذه الفئة اجادة لا يجاريه فيها أحد من الأدباء . وفى الحق أن جوركى يكتب عن الخدم وأوشاب الناس وأبناء الشوارع كأنه واحد منهم ، حى حياتهم وتخلق بأخلاقهم . وكان الأدب معواناً له على التغلغل فى خبايا نفوسهم ، فهو يصف لك خلجات العرابيد وقطاع الطرق والقتلة ومن إليهم ، فتحس من وصفه أنك تجالسهم وتنغمس فيهم ! وكل ذلك بأسلوب أخاذ وعبارة رشيقة ، تذكر القارئ بمواطنه البائس دستوئفسكى

وقد كانت الحرب الكبرى وبالاً على جوركى ، فلقد ذاق طوالها من ضروب الفاقة والعوز ما كان تصديقاً من الزمان الصارم على ما جاء فى كتبه من وصف البؤس وذكر البائسين ! ولما وضعت الحرب أوزارها ، وقام فى روسيا هذا النظام البلشفى العنيف اشتد الفتك بالناس هناك ، وذاق الأهلون – ولا سيما الأدباء – ألواناً من الفاقة والعوز تنفطر من هولها القلوب ! وذهب أديب انجلترا الكبير هـ . ج . ولز ليجول جولة فى هذه البلاد التاعسة ، وحل ضيفاً على صديقه جوركى ! !

وكانت حكومة الاتحاد السوفيتى قد أعدت له قصراً من أفخم قصورها لينزل فيه ... ولكنه آثر القرب من جوركى إعزازاً للصداقة وإيثاراً للأخاء ... فلما ذهب إلى منزله راعه هذا البؤس الذى خيم فى منزل أكبر أدباء العالم ، وهاله العوز الشديد الذى كان يعانيه صديقه ... فما كان منه إلا أن تولى هو النفقة على المنزل طيلة وجوده فيه !

وكان جوركى يلبس أسمالاً لفتت أنظار ولز ، فباسطه وسأله إن كان لديه ملابس ؟ فتبسم جوركى وذكر أنه لا يملك غير البذلة الممزقة التى يرى ! وكان معهما الكاتب الروسى الكبير (أمفيتياتروف) فانتهز هذه الفرصة السانحة وسأل ولز أن ينزل له عن (طقم) من ملابسه حين يعتزم العودة إلى انجلترا ! وقد فعل ولز ، فانه أهدى أكثر ملابسه الخارجية إلى جوركى ، وأكثر ملابسه الداخلية إلى (أمفيتياتروف) ! ولم يفت ولز أن يذكر هذه الوقائع فى كتابه عن هذه الرحلة :

( Russian in the Shadows )

ولقد شب جوركى مع البؤس فى مهد واحد ، فلقد ولد سنة ١٨٦٨ ، ثم مات أبوه وهو يحبو على أربع ، وكفلته أمه الفلاحة القروية ، وعمل خادماً على ظهر سفينة من تلك السفن التى تمخر عباب الفلجا ، ثم صار خبازا فحمالاً فبائع تفاح ! وبسم له الحظ فالتحق بوظيفة كتابية فى مكتب محام ... وبرم بالعمل ثمة فهرب إلى جنوب روسيا يذرع الرحب ويطوى الفياف ... ثم ظهرت مواهبه فجأة سنة ١٨٩٢ حين شرع يكتب أول قصصه ويبعث بها إلى المجلات

والعلاقة أكيدة موثقة بين الأدب الروسى والنظام البلشفى ، وهو يكاد يكون فى صميمه أدب الفقراء ... ومن هنا اعتزاز حكومة السوفييت بجوركى وغمرها إياه بالهبات والأعطيات حتى لقد كادت حياة الترف تتخمه عن أعز ما هيأته له الحياة ، ألا وهو أدب الصعاليك !

والمدهش أن يرضى جوركى عن الطاغية ستالين ، ويؤلف القصص تحبيذا لسياسته التى هى سياسة تخريب العالم ... وهذا ما أفقده عطف أعضاء لجنة نوبل ، فلم يحظ بجائزتها إلى الآن ، مع أنه أحق بها ألف مرة من كثيرين من نكرات الأدباء والأديبات الذين نالوها

وسنفرد قصص جوركى بكلمة خاصة

## أدب التراجم

من المؤلم جداً أن يكون التاريخ العربى مليئاً بهذا العدد الوافر من الفلاسفة والعلماء والأدباء ولا تروج كتب التراجم عنهم بيننا ، أولا نجد من أدبائنا من يترجم لواحد منهم مع أن أحدهم جدير بأكثر من كتاب يؤلف عنه

إقرأ هذه الأسماء : الكندى . ابن سينا . ابن رشد . البيرونى . ابن منظور . القلقشندى . الأصمعى . ابن أبى أصيبعة . الجاحظ . النويرى . . . . . الخ . أفنحن قوم يقدرون تراثهم ؟ نحن لا ننكر أن غير واحد من أدبائنا طرق هذا الميدان البكر ، ولكننا إذا استثنينا أبا العلاء والغزالى وابن خلدون ورسالات مقتضبة عن الكندى والبهاء زهير والليث بن سعد وجدنا أننا فقراء جداً إلى كتب التراجم

## اللغة العربية منذ مائة عام

لما أنشأ المغفور له محمد على الكبير دار صناعة الاسكندرية لصنع السفن الحربية لم يمض غير قليل حتى صار لمصر أسطول عظيم مرهوب الجانب . وكانت كلما أنزلت احدى القطع من دار الصناعة الى البحر أقيمت الحفلات وتبودلت الخطب على نحو ما يجرى هذه الأيام فى المآتم المظيمة مما نشاهد صوراً منه على الشاشة الفضية فى دور السنيما . والآن اسمع هذه الكلمات فى وصف البارجة (الاسكندرية) عند نزولها الى البحر : (الوقائع المصرية عدد ٣٤٠ يناير سنة ١٨٣٢)

« ان الغليون ذا الهيئة السنية ، المجلى باسم الاسكندرية ، تعريف انشاء آلاته البهية ، وعمل أدواته الحربية ، ووصف أبعاده الثلاثية ، قد تقدم ذكره الشائع ، واندرج فى سلك السطور والوقائع . والمراد ذكره الآن قطع حبال تعلقاته من القطر البرى ، ليطير بأجنحة العنقاء فى القطر البحرى ، وقد وافق هذا غرة شعبان المعظم فى الساعة الرابعة من النهار ، حيث تجلت مشاهد الأنوار . وكان ذلك بحضرة جميع الأمراء والعظماء ، وزمرة الصلحاء والعلماء ، وقناصل الدول المستأمنين ، وقطبة الأهلين ، مع جملة أولادهم الكبار ، وعيالهم الصغار ، وكانوا لدى ساحة الترسانة الواسعة الأرجاء ، منتشرين كنجوم السماء . وأما سعادة أفندينا ولى النعم فانه ركب الفلك بحرا ، وهلم جرا ، واستصحب بمعيته أحد رجال الدولة العلية ... ... »

ومسكينة اللغة العربية فى (هلم جرا) التى حشرت هنا حشرا !

والآن ، ما رأى الأستاذ الزيات فى الطفرة التى طفرتها اللغة العربية فى العشرين سنة الأخيرة ؟ ألسنا قد شأونا عصر ابن المقفع وأحمد بن يوسف والهمذانى وعبد الحميد الكاتب ؟

## صمويل بطلر والأسرة الانجليزية

كانت الأسرة الانجليزية من قبل العصر الفكتورى إلى أواخر القرن التاسع عشر تشتهر بجمودها وركودها وتقديسها لسلطة الأب تقديساً هو إلى الرجعية أقرب منه إلى الاحترام. فلم تكن لأحد فى المنزل إرادة بجانب إرادته، وكانت الأم نفسها خادمة لا أكثر ... تكدح طول يومها فى المطبخ أو المغسل، أو تعد الحطب للدفأ، وهى فى كل ذلك لا تألو جهدا فى تلقين الأطفال محبة الوالد، وكبت غرائزهم الثورية كلما بدرت منهم بوادر التململ أو التبرم بهذا التقديس الخانق لسلطة الأب ... وكان أكبر العبء واقعاً على الفتاة .. فلم يكن يسمح لها بتعرف الحياة ولا تشمم نسيم الحرية المنعشة، وإذا تقدم أحد لخطبتها فما عليها إلا أن تنحنى خاضعة لمشيئته

ولقد كان الأدب فى العصر الفكتورى، برغم ما فيه من صور حلوة وطرف براقة يساعد على هذا الركود المنزلى، ويضاعف من سلطة الأب؛ ولكن حدث مالم يكن فى الحسبان، فقد ظهر الكاتب النرويجى إبسن فجأة فى الميدان؛ وإبسن هو أكبر نصير للمرأة فى العصر الحديث؛ فقد ألف أكثر من عشرين درامة لنصرتها والاكبار من وظائفها الدنية التى تعدو الطبخ والغسل والخياطة وتفريخ الأطفال. وقد تأثر الأدباء الانجليز بإبسن النرويجى وأخذوا ينتهجون منهاجه. وكان الأديبان الكبيران جورج جسنج وصمويل بطلر فى مقدمة المتأثرين به. فقد ألف الأول كتابه New Grub Street سنة ١٨٩١ وألف الثانى The poy of All Flesh سنة ١٩٠٣ على ضوء إبسن

وصمويل بطلر هو أستاذ الكاتب الكبير جورج برنردشو. وما زال شو يفخر بهذه التلمذة الى اليوم، بل ما زال يتغنى بمبادئ أستاذه العظيم ويرددها فى جميع قصصه. وأهم هذه المبادئ الثورة الصارمة على جمود الأسرة ومنح أعضائها - غير الأب - كل حرية العمل فى الحياة؛ فللفتاة أن تتزوج بمن تحب وليس لأبيها أن يحول بينها وبين مثلها العليا، فاذا شاء أن يقسرها على شىء فلها أن تثور عليه وتضرب بارادته عرض الأفق؛ وللولد كذلك أن يستقل بنفسه عن أبيه، ويعمل وحده، ويقوى شخصيته. وعلى العموم كان يرى وجوب التحلل من مبادئ الطهريين وإطلاق الحرية للفرد. وغلا بطلر فى ثورته على الآباء فسب أباه وهجاه فأقذع، وكأنه بذلك أفسح الطريق للشبان فقلبوا الأسرة فى انجلترا رأساً على عقب!

ومع أن نظرية التطور التى بهرت العالم أجمع كانت فى عنفوانها فى القرن التاسع عشر فقد وقف بطلر فى صف المعارضين لها؛ ولكنه لم يقف فى صف المتدينين دفاعاً عن الدين، بل وقف يدفع ايمان داروين بهذه المادية البحتة التى يرد اليها كل ما يحدث فى هذا العالم من خلق ورقى. وكان يغيظ بطلر ما كان يقول به داروين من تنازع البقاء وبقاء القوى المحتال، فكان بطلر نصيراً للروحيين من العلماء وفى مقدمتهم العالم الفرنسى الكبير هنرى برغسون ألد أعداء داروين

## صدبة: الفلاح

أوشك العام المدرسى أن ينتهى، وسيتبطل التلاميذ أربعة أشهر حتى يعودوا الى مدارسهم، فلو أنصفوا لصرفوها فى تعليم الفلاحين مبادئ القراءة والكتابة. إن فى مصر شعباً من الأميين لا يقل عن ٨٥٪ من مجموع سكانها، وليس فى الدنيا عار أشد من الأمية فى هذا العصر الذى نعيش فيه. فلو أن كل تلميذ مصرى أخذ على عاتقه أن يعلم فلاحاً مصرياً أو فلاحين فى الأجازة الصيفية القادمة لانخفضت نسبة الأمية فى وطننا العزيز الى ٨٠ أو ٧٥٪ ونكون قد اقتدينا بالهند التى تحاول أن تصلح من شأن المنبوذين وتنتفع بالبقرة!! فهل يفعل التلاميذ؟

د. خ

# الكتب

## شهرزاد

### في اللغة الفرنسية

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

نوهت (الرسالة) في عددها الماضي بصدور ترجمة فرنسية لرواية شهر زاد للأستاذ توفيق الحكيم . وهذه شهادة ناصعة على مبلغ ازدهار حركة التجديد في مصر وعلى المستقبل المنتظر للأدب المصري بين آداب الأمم

ولما كانت الترجمة مصدرة بكلمة ليست على طراز المقدمات المألوفة بل هي من قلم عضو المجمع الفرنسي المسيو جورج ليكونت تناول فيها الرواية بالتعقيب فأحسن جلاء فكرتها . فانه ليسرنا أن ننشر تعريب هذه المقدمة فيما يلي :

« شهر زاد ! لا يتطابن القارئ تحت هذا الاسم الحالم تلك المناظر المألوفة المعهودة في ألف ليلة وليلة ، ولا أبهة الشرق كما اصطلح عليه العرف

طريق قفر . منزل منفرد في جنح الظلام . خيال مخدع الملكة متراثياً في حوض من المرمر : رمال الصحراء . وفي وسط هـذه الرسوم الرصينة عن تعمد وقصد تتجلى المأساة الخالدة : مأساة النفس الانسانية في كل زمان ومكان

هنا شهر زاد ، مجردة من بريق عقودها ومن أبرادها المذهبة تتبدى لنـا في جوهرها وكنه ذاتها . وما شأن اسمها وسماتها ؟ فلتكن لها طلعة امرأة أو طلعة الحظ أو العلم أو المجد ، فما هي بعـد إلا الذروة اللامعة التي يتطلع إليها طماح الانسان ويستنفد جهده نحوها ؛ هي سراب بقيعة يهيج ظمأه ولا ينقع له غلة ؛ هي الملتقى المحتوم يتوافى عنده أبداً تلهف الرجاء وخيبة الأمل على لقاء موجع ووفاء فاجع

« لقد استمتعت بكل شيء ، وزهدت في كل شيء » بهذا يهتف شهريار . لم يفثأ غليله ولم تطب نفسه بما سفكه من دم العذارى والعبيد ، وما ذاقه من سحر ألف ليلة وليلة من ليالي الحب والفتنة قضاها بين ذراعي شهرزاد . لقد استنزف كل شيء من حيث المتعة . والذي يضني نفسه الآن إنما هو ظمأ جديد : « إني براء من الآدمية . لا أريد أن أشعر . أريد أن أعرف »

ومنذ هـذه الساعة تطمّ المأساة ويعبّ عبابها ، وتنحصر وتستحكم حلقاتها ، إلى أن يصبح شهريار وشهرزاد وجهاً لوجه لا يمثلان غير الصراع المحتدم بين لهفة الانسان وسر الأشياء المطويّ دونه

يسألها شهريار : « من أنت ؟ هل تحسبينني أطيق طويلاً هذا الحجاب المسدل بيني وبينك ؟ »

فتغمغم شهرزاد كالمخاطبة نفسها بهذه الكلمات الخافية المشرقة : « وهل تحسبك — أيها الطفل — لو زال هذا الحجاب تطيق عشرتي لحظة ؟ »

وليس أصدق من قولها هـذا . فان موضع المظمة في قلق الانسان أنه قلق عضال لا دواء له ؛ فضـلاً عن أنه قد يكون ضرورياً للانسان باعتباره مدعاة لاستمراره في البحث والطلب ، وعلة لهذه الغريزة التي تحفز كل جيل — بالرغم من هزائمه — على أن يعهد للجيل اللاحق شعاره وهو الأمل

ولقد كان لا بد من شاعر ليقدم في هـذا الحيز المحدود على إجمال لأحدى المأساتين العظيمتين للانسانية ؛ ولكنه كان لا بد من شاعر شرقي رقيق الحاشية دقيق الحس كالأستاذ توفيق الحكيم ليعالج صعوبة العمل بهـذا الافتتان في التعابير المتراصفة النظم البارعة الوشي

ولا يسعنا أيضاً إلا الثناء الجميل على الأستاذين خضرى وموريك بران ؛ وكيف لا ، وهما قد ترجما الى اللغـة الفرنسية المطبوعة على الوضوح والتعقل عن لغة أخرى جعلت قبـل كل شيء للتعبير عن العطور والأشعار والأسرار

عبد الرحمن صدقي

# فى مدى استعمال حقوق الزوجية

## وما تتقيد به

فى الشريعة الاسلامية والقانون المصرى الحديث

تأليف الدكتور السعيد مصطفى السعيد

## للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

أهدى الى صديق الدكتور السعيد مصطفى السعيد وكيل النائب العمومى بنيابة الاستئناف كتابه القيم ( فى مدى استعمال حقوق الزوجية وما تتقيد به فى الشريعة الاسلامية والقانون المصرى الحديث ) وهو رسالته التى نال بها عن جدارة إجازة الدكتوراه فى القانون . وقد اقتضت هذه الرسالة منه أن يراجع فى موضوعها كتب الفقه فى مذاهب أهل السنة ، وأهل الظاهر والشيعة ، وكتب الأصول والتفسير وغيرها مما يتصل بموضوع رسالته ، الى مراجع أخرى باللغتين الفرنسية والانجليزية

وهكذا دفع الدكتور السعيد بفكره المثقف بثقافته العصرية فى متوننا الأزهرية وشروحها وحواشيها فخرج منها بتلك الدرة الغالية التى جمعت بين نبل القديم وجمال الحديث ، فى حسن اجتهاد ، ودقة نظر ، واستيعاب بحث ، وتقليب للمسألة على كل وجوهها حتى يقتلها بحثاً من جميع نواحيها الشرعية والقانونية ، وهذا الى استيفاء ما يجب فى حسن التأليف من انسجام العبارة ومتانة الأسلوب ، وسلامة اللفظ ، وحسن الترتيب والتقسيم

وإنها لقوة ذكاء عجيبة يكفى فى تقديرها شهادة أستاذه الجليل الشيخ احمد ابراهيم وكيل كلية الحقوق فيما قدم به لرسالته ، إذ يقول فى ذلك : « وما أشد ما كان موفقاً لفهم نصوص الفقهاء فى كتب جميع المذاهب المختلفة المطولة مع غرابة تعبيراتها عن أمثاله لعدم إلفه إياها »

ولم يتقيد المؤلف فى رسالته بمذهب معين من المذاهب المتعددة فى الشريعة الاسلامية ، بل بحث موضوعه فى المذاهب المختلفة بقدر ما وسعه جهده ، على اعتبار أن هذه المذاهب وإن اختلف بعضها عن بعض فى شىء من التفاصيل فأساسها واحد ، وغايتها متفقة . وقد كان جهده فى ذلك غاية الجهد ، وما أظن أحداً يتصدى لموضوعه فيأتى بأوفى مما أتى به فيه ، وإنى لا أكاد أملك نفسى من السرور حين أجده تنتهى به دراسته لموضوعه إلى هـذه الغاية التى لو عمل فى سبيلها نظراؤه فى كلية الحقوق لكان لنا قضاء مستقل وقانون خاص بنا نباهى به غيرنا من الشعوب . ولندع المؤلف يحدثنا عن هذه الغاية التى وصل اليها فى دراسته ، قال : ( وقد تبين لنا أن تقييد الحقوق الفردية فى الشريعة الاسلامية كان أوسع مجالا وأبلغ أثراً مما يحاوله الفقه الحديث بنظرية سوء استعمال الحق ، وإن هـذه النظرية الناشئة لم تبلغ ما بلغته مثيلتها فى الفقه الاسلامى منذ مئات السنين ؛ وهذا طبيعى ، فان النظرية التى تقرب أحكام القانون لقواعد الأخلاق – وكثيراً ما عمل فقهاء القانون الحديث على الفصل بينهما – يتسع لها المجال فى تشريع أساسه الدين ، وهو يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى )

ثم قال : ( ويجدر بنا أن نختم بحثنا بالاشارة الى أننا أغنياء بفقهنا عن أن نستعين بغيره من مستحدثات القوانين . وإن الشريعة الاسلامية التى وسعت العالم الاسلامى فى أزهى عصوره وقضت حاجة بلادنا من التشريع مئات السنين ، لا تقصر عن أن تكون أصلح مصدر للمشرع يأخذ منه أحكام قانون مدنى موحد )

وليعذرنى القراء بعد هذا إذا أنا سلكت فى كتابتى عن هذه الرسالة سبيل التقريظ ، فان مؤلفها على ما بلغ فيها من البسط لم يدع فيها مجالاً للانتقاد ولا محلاً للمؤاخذة ، اللهم إلا ما ذكره فى صفحة – ١٤٦ – من انتقاد تفسير الأستاذ الامام لقوله تعالى ( فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ؛ ذلك أدنى ألا تعولوا ) أى أقرب من عدم الجور والظلم ، وقد جعل البعد من الجور سبباً فى هذا التشريع ، فانتقده المؤلف بأن تأويل آية التعدد يؤدى إلى اعتبار التعدد مباحا فى الأصل ، ويكون البعد من الجور قيداً لهذا الحق الأصيل ، والقيد لا يكون سبباً فى تشريع الحق الذى يتقيد به ، فانه يمكن أن يحمل كلام الأستاذ الامام على تشريع الاقتصار على واحدة عند خوف الجور ، لا على تشريع التعدد الذى اعتبر البعد من الجور قيداً له

هذا وقد استفدت من قراءة هذه الرسالة أمراً أحب أن أنبه إخواننا الأزهريين اليه ليأخذوا له عدته ، فقد رأيت بعد قراءة هذه الرسالة أنا سائرون الى فتح باب الاجتهاد بخطى سريعة ، وأن الأستاذ الجليل الشيخ أحمد ابراهيم إذا ظفر بعدد من التلاميذ النبهاء مثل ما ظفر بتلميذه النابه المجتهد صاحب هذه الرسالة ، فانه سيسبقنا بتلاميذه الى فتح هذا الباب المغلق . ولا يدرى إلا الله ماذا يكون إذا تم فتح هذا الباب على يد غيرنا ، فلنفكر ولنتدبر ؟

**عبد المتعال الصعيدى**

4 me Année, No. 153.

Lundi - 8 - 6 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

| | |
|---|---|
| ٦٠ | فى مصر والسودان |
| ٨٠ | فى الأقطار العربية |
| ١٠٠ | فى سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | فى العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العدد ١٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ٨ يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة



فهرس العـــدد



## فى النقد

# إلى صديقى أحمد أمين

للدكتور طه حسين بك

أخى العزيز :

قرأت فصلك الأخير الذى تناولت فيه النقـد فصورت ما رأيت من ضعفه ، والتمست له العلل والأسباب . وما أكثر ما يمكن أن يتصل بينك وبينى من الجدل لو أننى وقفت عند هذه القضايا التى أرسلتها ارسالاً ، وحكمت بها على النقد قبل عشرين سنة ، وعلى النقد الآن ؛ وعلى الأدب قبل عشرين سنة ، وعلى الأدب الآن ! ولكن الفصل فصل صيف ، لا يسمح بالجدل الطويل والحوار المتصل ، لأننا مشغولون عن هذا وذاك بما تعلم من أعمالنا اليومية الثقيلة التى يقتضيها آخر النشاط الدراسى وأول هـذه الأيام التى يفرغ فيهـا كل منا لنفسه ودرسه وراحته وراحة من يتصلون به ، فلن أجادلك فى أكثر هذه القضايا التى لا أكاد أقبل رأيك فيها . ولو أنى أرسلت نفسى على سجيتها لمـا جادلتك فى شىء مما ألممت به فى هذا الفصل ،

ولقرأته كما أقرأ كثيراً مما تكتب مستمتعاً دائماً ، عارفاً أحياناً ، ومنكراً أحياناً ، ومتحدثاً اليك بما أعرف من آرائك وما أنكر

نعم لو أنى أرسلت نفسى على سجيتها لاكتفيت بما كان بينك وبينى من حديث أول أمس ، ولكنى مدفوع هذه المرة الى أن أتجاوز السجية ، وأخرج عن العادة المألوفة ، وأرد بعض الأمر الى نصابه ، لأنك تجاوزت فيه ما ينبغى من الانصاف . وأنا أبرأ اليك من الغرور وأربأ بك عن الجور ، وما أشك فى أن أمثالى من الكتاب الذين عرّضت بهم أو عرضت لهم فى فصت القيم يبرأون اليك مثلى من الغرور ويربأون بك مثلى عن الجور ، ويرون مثلى أنك عرضت لقضية النقد ولقضيتهم هم فى النقد عرضاً سريعاً ، حظ اللباقة فيه أعظم من حظ التثبت والتدبر والأناة

وأظنك قد عرفت الآن القضية التى أريد أن أجادلك فيها ، والمذهب الذى أود لو أصرفك عنه . فأنت ترى أن جماعة النقاد الذين كانت اليهم قيادة الرأى الأدبى ، أو قيادة الحياة العقلية منذ حين ، قد اصطنعوا الشجاعة أول أمرهم ، وآثروا الصراحة وكانت الصراحة لهم خلقا ، فكتبوا كما كانوا يرون ، وأخذوا بحظوظهم الطبيعية من الحرية ؛ لم يحفلوا بالجمهور ، ولم يخافوا الرأى العام ، ولم يحسبوا لمقاومة المحافظين حساباً . ونشأ عن شجاعتهم تلك ، وعن صراحتهم هذه ، أن بعثوا فى الحياة العقلية نشاطاً لم تألفه مصر ، فكان الصراع العنيف بين القديم والجديد ، وكان الخصام الشديد بين الحرية والرجعية ، وألفت الكتب ونشرت المقالات وأذيعت الفصول ، وانتفع الأدب بهذا كله واستفاد النقد . وكل هذا صحيح عندى لا شك فيه ، ولكنك ترى بعد ذلك أن هؤلاء الكتاب قد أوذوا فى مناصبهم وفى أنفسهم وفى سمعتهم وفى أرزاقهم ، فلم يثبتوا للأذى ، ولم يمضوا فى المقاومة ، ولم يعنهم أتباعهم وأولياؤهم على الثبات ، وإنما عطفوا عليهم عطفا أفلاطونياً لا يشبه ما يجده أمثالهم فى أوربا من الأتباع والأولياء ، فلانوا ودانوا ، وجاروا وداروا ، وآثروا العافية ومضوا مع الجمهور الى حيث أراد الجمهور ، ونشأ الجيل الجديد فاقتدى باخوته الكبار وسار سيرتهم ، وأصبح النقد مصانعة ومتابعة ، وأصبح الأدب تملقا وتقليدا

وهذا أيها الأخ العزيز هو الذى أخالفك فيه أشد الخلاف ، وأنكره عليك أعظم الانكار ، يدفعنى إلى ذلك أمران : أحدهما أن رأيك بعيد كل البعد عن أن يصور الحق ؛ والثانى أن رأيك يمسنى ، وأؤكد لك أنه يحفظنى كل الاحفاظ ويؤذينى كل الايذاء ؛ ولعله يحفظنى ويؤذينى أكثر مما أحفظنى وآذانى كل ما لقيت من ألوان المشقة والاعنات . فهل من الحق أن هؤلاء الكتاب الذين تشير اليهم قد أدركهم الضعف والوهن ، فمالأوا الجمهور ، وصانعوا السلطان ، وآثروا العافية فى أنفسهم وأموالهم ومناصبهم ؟ ومتى كان هذا ؟ أحين عصفت العواصف بمصر فأفسدت أمرها السياسى والعقلى وألغت نظامها الحر إلغاء ، وفرضت عليها نظاماً آخر مصنوعاً ألغيت فيه كرامة الأفراد والجماعات وتجاوز العبث فيه بالحرية كل حد معقول ؟ تعال أيها الأخ العزيز نبحث معاً عن هؤلاء الكتاب أين كانوا فى ذلك الوقت ؟ وماذا صنعوا ؟ والى أى حد جاروا وداروا وآثروا العافية ؟ لست فى حاجة الى أن أسميهم ، فأنت تعرفهم كما يعرفهم الناس جميعاً . لم يكن لأكثرهم منصب فى الدولة ؛ ولعلى كنت من بينهم الوحيد الذى كان يشغل منصباً من المناصب ، فلما عصفت العاصفة أقصيت عن هذا المنصب فأدركت الزملاء ووقفت معهم حيث كانوا يقفون ، ومضينا جميعاً الى حيث كان يجب أن نمضى ، واحتملنا جميعاً ما كان ينبغى أن نحتمل من الأثقال . فكنا أيها الأخ العزيز ألسنة الساسة ، وسيوف القادة ، والسفراء بينهم وبين الشعب . وكنا سياطاً فى أيدى الشعب يمزق بها جلود الظالمين تمزيقاً . وكنت ترى وكان غيرك يرى آثارنا فى الظلم والظالمين ، وبلاءنا فى مقاومة العدوان والمعتدين ، وحفاظنا لهذا الشعب الذى لم يكن له قوة إلا قوتنا يومئذ . وكنتم تعجبون منا بذلك وتحمدونه لنا وتؤيدوننا فيه . وكنتم تقومون على الشاطئ وتروننا ونحن نغالب الأمواج ونقاوم العواصف نظهر عليها حيناً وتظهر علينا أحياناً ، فكان بعض الناس يصفق لنا إذا خلا الى نفسه لا إذا رآه الناس ، ويعطف علينا إذا لم يحس السلطان منه هذا العطف . ولست أزعم أنى قد استأثرت بهذا الفضل ، فقد كان نصيبى منه أقل من نصيب كثير من الزملاء . لم أدخل السجن وقد دخله منهم من دخله . أترى أن مواقفنا تلك كانت مواقف المنهزمين ؟ أترى أنا شغلنا عن النقد الأدبى بأنفسنا وأموالنا وإيثارنا للعافية ومجاراتنا

[ البقية على صفحة ٩٥٧ ]

# ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

- ١ -

( ملاحظة — الكلام ليس شخصياً وإن كان بلسان المتكلم ، وذات الثوب المذكورة هنا لا وجود لها إلا فى الخيال )

لم يكن الأرجوانى ثوبها الوحيد — وكيف يمكن أن يكون ؟ — ولا كان كل ما تلبس حين تبرز ، ولكنه كان أحلى ما تكتسى وأشبهه بخديها — فى رأى العين ، وفى احساس القلب أيضاً — وقد رأيتها فى ثياب شتى وأردية متنوعة — فى الشفوف والأفواف ، وفى السبائب المضلعة ، والمطارف المربعة ، وفيما عليه من الخطوط كأفاويق السهم ، ومن النقوش كهيئة الطير ، ومن الصور كرمم العيون ، وفى الأبيض والأخضر والأزرق ، ولكنه لم يقع من نفسى شىء من هذا كله كموقع هذا الثوب الأرجوانى الذى لا نقش فيه ولا صور ولا ترابيع ولا تداوير ولا تضاليع ولا خطوط ولا وشى ولا نمنمة . ومن العسير أن يعلل المرء هذا الشعور بوقع ثوب معين ؛ وأحسب أنى لو قلت ما يجول فى خاطرى ساعة أراها بادية فيه — أو مجلوة على الأصح — لظننى القارئ عربيداً مستهتكا ، وما أنا من هذا فى قليل ولا كثير . وليصدق القارئ أو لا يصدق ، فما يعنينى ماذا يظن بى . وقديماً قلت — أيام كنت أقول الشعر — :

قد أفعل الشىء لا أبغى به أملا ولا أبالى الورى ماذا يقولونا
همى ضميرى - فان أرضيته فعلى رأى العباد سلام المستخفينا

وما زلت كما كنت يوم قلت هذا ، بل لعلى أسرفت فى قلة المبالاة ، حتى صرت إلى الاستخفاف المطلق

ولأرجع إلى ذات الثوب الأرجوانى ، فانها أحق بالكلام وأولى به منى ، وكم قلت لنفسى وأنا أراعيها : « بأى شىء يا ترى عكن أن تتوسل إلى مثلها ؟ .... لا أنت جميل ولا محتمل .... ولا لك مال ... ولا فى رأسك هذا عقل ... أو ليس لو كنت تعقل أما كنت حرياً بالانصراف عن هذا العبث ؟ .... ماذا ترجو منها ؟ ... فى أى شىء تطمع ؟ ... إنها دونك سناً ، وأنت دونها فى كل شىء ... فلا خير فيك لها أو لمثلها »

ثم أعود فأقول لنفسى : « عن أى شىء تتكلم يا هذا ؟ ... الجمال ؟ .. سبحان الله العظيم ! إن الجمال هو سلاح المرأة ، فحظها منه ينبغى أن يكون موفوراً ، وإلا زهد فيها الرجال ، إذ كان لا مزية لها غير ذلك ... ولكن الرجل شىء آخر ، وسلاحه فى الحياة قوته وقدرته على الكفاح ... لا هذه الأصباغ والألوان التى لا تلبث أن تحول .. فدع الجمال ، فانه شىء يطلب فى المرأة ولا يطلب فى الرجل ... وماذا غيره ؟ ... إنك غير محتمل ؟ ؟ .. لماذا بالله ؟ ؟ لماذا تظلم نفسك وتبخسها هذا البخس ؟ .. ومع ذلك هذا شىء يترك لتقدير الغير ولا يجوز أن تكون أنت الحكم فيه ... يعنى ماذا ؟ ... أتراني أهرب بهذه السفسطة من التقدير ؟ ... لا ... ولكنى ينقصنى أن أعرف الرجل الذى يستحيل أن يهتدى إلى امرأة تحبه ، مهما بلغ من رأى الرجال فيه أو من سوء رأيه هو فى نفسه ... أو لم تسمع بالمثل القائل : « كل فولة لها كيال ؟ » ، ألسنا نقول ذلك كما رأينا رجلا ثقيلاً تحبه امرأة جميلة كانت تستطيع أن تجد ألف عاشق لها غير هذا الجلف أو السمج ، أو ما شئت غير ذلك من الأوصاف التى لا تهون على النفس ؟ ومع ذلك هذه مبالغة ، فما أنا بحيث أحتاج إلى التعزى بأن كل فولة لها كيال ... أعوذ بالله ... بقى المال والعقل ... والكلام فى هذا كلام فارغ ... فليس من الضرورى أن يكون المرء نداً لروتشيلد لكى تحبه المرأة مهما بلغ من جمالها . وليت من يدرى بماذا فاز روتشيلد من حب الجميلات فى حياته ؟ ومتى كان المال يشترى الحب ؟ كذلك ليس من الضرورى أن يكون المرء سقراطا أو غيره من أصحاب العقول الضخمة ليكون محبوباً .. ومع ذلك سل سقراط عن تعذيب امرأته له ، وتنغيصها حياته ، وتسويدها عيشه ! ... ماذا ترى نفعه عقله وفلسفته ؟ ... لا يا سيدى ! الحب شىء لا ضابط له إلا تقدير المرأة للرجل الذى تحس بغريزتها أنه أصلح لها من سواه ؛ وقد تكون مخطئة ، ولكن هذا هو العامل الموجه لها فى اختيارها ... إذن هناك أمل ؟ ... بالطبع ! ... ما هذه الحماقة ! ... إنها ولا شك عادة التفكير الطويل فى كل

أمر ... وهى عادة تضعف الثقة بالنفس ، وتفقدها الشجاعة اللازمة للاقدام »

ودارت فى نفسى كلمة الاقدام بعد أن نطقت بها — فى سرى ، وهل أنا مجنون حتى أتكلم بصوت عال يسمعه من فى البيت فتكون النتيجة أن يخربوا بيتى ؟ — فلم يسعنى إلا أن أسأل نفسى : « الاقدام على أى شىء ؟ . . هذه فتاة أراها — وترانى هى أيضاً فما يسعها إلا أن ترى ، أعنى ترانى — ومن طول ما اعتدت أن أراها صرت أحس أنها أصبحت تشغل مكاناً فى نفسى .. مغالطة !!. كأن كل الذنب فى حبها أنى رأيتها مراراً .. ولولا ذلك لما حفلت نفسى بها !؟ ! أهـذا ما أريد أن أقوله أو أدعيه ؟ ؟ . لا يا سيدى ! . . يحسن ما دمت أناجى نفسى أن أكون صريحاً معها ، وإلا فما الفرق بين نجوى النفس ومحادثة الأغراب ؟ ؟ . وأعود إلى الاقدام . . وأسأل على أى شىء ؟ . . على أى شىء ؟ ؟ أو ليس الامر بديهياً ؟ . تشير اليها . . تظهر لها هذا الحب . . كيف بالله تريد منها أن تعرف أنك تحبها وأنك تروم أن تبادلها هذا الحب ؟ ! « تشم على ظهر يدها » كما يقول المثل العامى ؟ ؟ . حسن . . وصحيح هذا بلا شك ، ولكن ألا يمكن أن تعرف من نظرة العين وحـدها ؟ ؟ بلى ! . وإن للمرأة لقدرة على الاحساس بشعور الرجال نحوها ، ولو كان بينهم وبينها ألف سور وسور . . . ما هـذه المبالغة ؟ . مبالغة ؟ ! ألم أسأل امرأة هـذا السؤال فكان جوابها أنى أكون سائرة فى الطريق فأشعر بنوع النظرة التى يرمينى بها من يتفق أن يكون سائراً خلفى ؟ . فاذا أسقطنا المبالغة من هذا الكلام كان مؤداه أن المرأة يسعها أن تدرك أتحبها أولا تحبها من نظرة عينك ؟ . بل هـذا يسع أى انسان لا المرأة وحدها . . . ولكن إذا اكتفينا بالنظر ودلالته ، فماذا يكون بعـد ذلك ؟ ! هل تروم منها أن تبدأك هى بالكلام وتقول لك : « يا سـيدى إنى أعرف أنك تحبنى فانا أشكرك على تشريفى بهذا الحب الذى لا أستحقه ، وأؤكد لك أنى لست أهلاً لحب رجل عظيم مثلك ؟ سبحان الله العظيم . . ما هـذا البرود ؟ . إن الرجل حين يحب امرأة يكون معنى هذا أنه يريد أن يستولى عليها — هـذا إذا كان رجلاً عادياً سليماً لا مريضاً — والرغبة فى الاستيلاء تجعل من واجبه هو أن يسعى للتغلب على ما عسى أن يكون هناك من مقاومة ، وليس ثم فرق بين غزو قلب وغزو مدينة ؛ والحقيقة الجوهرية فى كلتا الحالتين واحـدة ، وإن اختلفت المظاهر ؛ وكما أن هناك مدناً لا يكاد الجيش يزحف عليها حتى تسرع الى التسليم ، كذلك نجد قلوباً لا تـكاد العين تفوق اليها سهما حتى تذعن وتفتح بابه . غير أن هناك قلوباً لا يسهل إخضاءها ولا بد من الكر عليها ، وليست كل امرأة كـكل امرأة ، فالذى يجـدى مع هذه قد لا يجدى مع تلك لتفاوت الأمزجة واختلاف الطباع ؛ وما أظن صاحبتنا ذات الثوب الارجوانى بالعسيرة ، وإن لى لمعواناً عليها من شبابها وغرارتها ومن حياة العزلة والحرمان التى تحياها . والشباب هو زمن الفورة والاضطرام فى العواطف ، والحرمان والعزلة يجعلان العواطف الطبيعية أشـد استعداداً للاضطرام السريع والتسـعر لأقل اتصال . وهل طبيعى ألا تعرف الحياة فتاة فى عنفوان صباها إلا من النافذة وإلا من كتاب ـ أو رواية ـ تقرأه وهى فى الشرفة ؟ . ماذا تعرف هـذه عن الحياة ؟ . وماذا خبرت من أحوال الناس وأساليبهم ؟ . كيف تستطيع أن تقاوم ما تهدد به ؟ بل كيف تعرف أنهـا مهددة بشىء حتى تفكر فى المقاومة ؟ ؟ . هذه هى فى الشرفة واقفة تنظر من هذا الارتفاع الذى لا يمكن أن تستبين منه شيئاً . . . لـماذا تلبس هذا الثوب الارجوانى الأنيق الذى يبدى للعين خطوط جسمها جميعاً وانحناءاته كلها ويجلو مفاتنها ولا يحجب شيئاً منها ؟.. . أليست تلبسه لتبدو فيه كأجمل ما تـكون وفى أفتن صورة ؟ . . تعرض محاسنها هذا العرض البديع ولا تجد فى مكانها العالى هـذا من يقدرها ! ! . والناس لا يشعرون بالحرمان منهـا لأن غيرها فى الدنيا كثيرات . . . ولـكن هى . . . هى . . . أليس المعقول — وهى تنظر إلى الرائحين والرائحات والغادين والغاديات — أن تشعر شعوراً حاداً بمـا هو مكتوب عليها من الحرمان ؟ . . ومع هذا الشعور المستمر ماذا تقدر أن تـكون النتيجة إذا اتفق أن اتصلت أسبابها أو هى اتصال بأسباب رجل يصفو بوده إليها وتأنس هى منه هذا الميل ؟ . يخفق قلبها على الرغم منها . . وتلفى نفسها معنية بهـذا الرجل الذى يوليها العناية التى حرمتها فى حياتها ، ويظهر لها الحب الذى لا يستطيع أن يظهره لها أخوها

أو أبوها لأنه من نوع آخر ، ولا يغنى عنه حب الأم والأخت ومن إليهما . . وتشغل خواطرها بالتفكير فى هذا الانسان الذى لا يفتأ ينظر إليها وفى عينيه نور للحب . . . وقد يكون كاذباً أو مخادعاً ، ولكنها لا تستطيع أن تعرف هذا لأنها غريرة لم تجرب الناس ولم تعرف الحياة إلا من نافذة بيتها . . . فتراها تبدو فى حفل من الزينة — ولم تكن تعنى بأمر زينتها كل هذه العناية — وتكون واقفة مع صاحبة لها تحدثها فتتحول عينها إليك وتخالسك النظر ... ويكون الكلام عادياً جداً لا يستدعى كل هذه الحركة ولا يستوجب هذه الضحكات المتوالية التى يميل لها الجسم كل مميل ... ولا تزال وهى تتكلم تهز رأسها وتسوى شعرها بيديها وتخرج وتدخل ولا شىء هنالك تدخل له ، ولكنه الشعور المتقد القلق ، والعواطف المشبوبة لأنها محبوسة تريد أن تنفجر من طول الكبت ... وهذا الدبوس الذى تشيله وتحطه لم يكن قلقاً فى موضعه من شعرها ولكن نفسها هى القلقة ، فيدها لا تهدأ ولا تسكن ولا تستطيع أن تكف عن الحركة ... وهذا الثوب الجديد الذى لم يفصل والذى تنشره فى الشرفة لزائرتها كان فى وسعها أن تعرضه عليها فى الغرفة ولكنها حركة عصبية تشى بالاضطراب النفسى ... وهذا النبات الذى اتصل بعضه ببعض على جانب الشرفة والذى يحجب من فيها عن عيون الجيران هل تظن أنه يحتاج إلى تسوية ؟ . لا . ولكن يدها مع ذلك لا تزال وأنت ناظر إليها تعبث بأوراقه النضيرة وقد تنظر إليك عن عرض وهى تفعل ذلك ... ولا تحسب أنها تغازلك فما تفعل شيئاً من ذلك ولكنه لا يسعها إلا أن تنظر إليك خلسة من حين إلى حين ، لأنه يسرها أن تراك ناظراً إليها وأن تعلم أنك مشغول بها حتى ولو أبدت الضجر من ذلك أحياناً . وإذا لم ينظر الرجل إلى المرأة فماذا يكون مصيرها ؟ . وما ذا عسى أن تصنع بنفسها ! . . وهى تغيب عنك وتحتجب — يوماً كاملاً أو ساعات — لظنها أن احتجابها يسعر النار التى فى صدرك ويرق بألسنة اللهيب الى السماء . وهى تقضى على نفسها بهذا الاحتجاب وخواطرها كلها معك وان كانت تكلم أمها وأخاها وأباها كأنما خلت بها اللهيات الحاضرة التافهة عن كل ذكر لك . وليست المرأة بشىء إذا لم تكن قادرة على هذه المخادعة البريئة . والشرفة الأخرى ليست فى جانب غير هذا من البيت ، بل الاثنتان على صف واحد ، وليست إحداهما بأوسع أو آنق أو أحلى ، ولكنها تنتقل من هذه الى تلك لغير حكمة ظاهرة ، إلا أنها تريد أن تفهمك أنها لا تحب أن تراها ولا ترتاح لطول تحديقك فيها . . وليس هذا بصحيح ، ولكن المرأة هكذا أبدا . . . وتجلس فى الشرفة على الكرسى وفى يدها الكتاب وتتعمد أن توليك ظهرها وأن تجعل وجهها الى ناحية أخرى لتوهمك أنها غير راغبة فيما ترميها به من النظرات . . . ولا تقرأ شيئاً لأنها لا تقلب الصفحة إذ كان عقلها مشغولاً بك وهل لا تزال واقفاً ؟ . وهل تراك تنظر الى غيرها ؟ . وهل أنت ضاحك أو عابس ؟ . وما ذا كان وقع هذا الاعراض فى نفسك ؟ . هل آلمك جداً ؟ . هل أغضبك ؟ . أو زادك تعلقاً بها واقبالاً عليها ؟ . وتمد ساقها وتهزها لتلفت نظرك الى جمالها . وتنهض واقفة وتنحنى لتضع الكتاب على الكرسى ثم تخرج من الشرفة — لا لحاجة — بل لتريك خط ظهرها وبراعته وفتنته . . . وترفع رأسها قليلاً — وعلى مهل — حتى تحاذى عينها حافة الشرفة لتنظر أباق أنت أم مللت وذهبت ؟ ؟ . وتراك تتهيأ للخروج فتختفى وعينها عليك من وراء الأستار — وفى ظنها أنك لا تفطن الى ذلك — فاذا انحدرت الى الشارع برزت فى الشرفة لتلقى عليك نظرة أخيرة . . . ويجىء الليل فتجلس فى الظلام وأنت فى النور لتراك ولا تراها . . وإذا جاء وقت النوم أغلقت باب الشرفة بعنف لا تدعو إليه أى ضرورة سوى أنها تريد أن تؤذنك بذلك

هذه حياة المسكينة وهذا ما يحوجها اليه ما هى فيه من العزلة والحرمان الدائم . وأى قدرة لمثلها أو عسر يمكن أن يكون فيها الا عسر السجن . . . كان الله فى عونها فانى أرانى أعطف عليها وأرثى لها فى محنتها هذه أكثر مما أرانى أحبها . وسلام عليها

ابراهيم عبد القادر المازنى

# المغالطة
## فى الوسائل والغايات
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كل انسان ظالم فى أمر واحد أو أكثر من أمر واحد من أمور الحياة ، فان المرء قد تميل به رغائب نفسه وحاجاتها وشعورها حتى يحسب غايته الدنيئة ، ومقصده الوضيع ، ورغبته الخسيسة ، غاية عالية ، ومقصداً نبيلاً ، ورغبة شريفة ؛ وأساسها لو فطن له الغرور والاعجاب بالنفس ، أو محاولة اخفاء نقائصها ، أو محاولة كسب الجاه ، أو المنفعة من حساب غيره ؛ ومتى تهيأ له قبول الغاية الدنيئة ، كأنها غاية نبيلة سهل عليه أن يغالط نفسه مغالطة أخرى ، فيزعم أن الغاية النبيلة تزكى الواسطة الدنيئة . ولا تجد بين الناس من لا يغالط نفسه هذه المغالطة أيضاً فى أمر واحد أو أكثر من أمر واحد من أمور الحياة

وهذه المغالطة المزدوجة تجعل المرء يزكى الواسطة الدنيئة بالغاية الدنيئة ، لأنه أولاً غالط نفسه فحسب الغاية الدنيئة غير دنيئة ، ثم غالط نفسه وحسب هذه الغاية تبرر الواسطة الدنيئة ؛ وقد يغالط المرء نفسه مغالطة ثالثة ، فيحسب الواسطة الدنيئة نبيلة ، وهذا من قبيل الاحتياط إذا لم يستطع أن يزكى عمله لدى الناس بمبدأ تبرير الواسطة بالغاية

وهذه المغالطات الثلاث تصل بالمرء إلى حالة نفسية يرى فيها أنه يحاول بلوغ الغاية النبيلة بالوسيلة النبيلة ، وهو إنما يحاول بلوغ الغاية الدنيئة بالوسيلة الدنيئة . وقلما يفطن الناس إلى هذه المغالطات فى أنفسهم ، وقد يعمون عنها فى نفوس معاشريهم ، فالمرء قد يكون مدفوعاً فى سلوكه بما ركِّب فى نفسه من طبائع الشر ، أو لأنه يُمنى نفسه أن فى قوله أو عمله منفعة لنفسه ، أو لأنه يرى فيهما إعلاء لنفسه أو لرغبته فى الظهور بمظهر الغيرة على الخير والحق ومظهر كره الباطل والشر أو لسبب آخر من أسباب عديدة متنوعة ، ولكنه لا يزال يروض نفسه حتى يصرفها عن الأسباب الحقيقية وحتى تعتقد نبل غايتها ومقصدها . وأن مطابها الحق أو الفضيلة أو الخير أو الدين ، وقلما تجد فى الناس من يعجز عن أن يقنع نفسه أنه إنما يعادى أو يصادق من أجل هذه المطالب النبيلة الشريفة ، فاذا اقتنعت سهل عليها أن تتخذ الوسائل الدنيئة لمحاربة من ترى فى محاربته ظاهرة انتصار منها لهذه المطالب ، فتتخذ من وسائلها النميمة والكذب واستثارة الأحقاد بالنميمة والغيبة والكذب ، وكل هذه وسائل دنيئة ، وتحيل النفس على المبدأ المعروف الذى يقول أصحابه إن الغاية تبرر الواسطة ، فتكون النفس قد خطت خطوتين فى المغالطة والايهام : الأولى تحويلها الغاية الدنيئة إلى غاية نبيلة ، وهذه خطوة خطتها كى تخطو الخطوة الثانية وهى اعتناق مذهب المبررين للواسطة بنبل الغاية ، ولو أصبح هذا المذهب عقيدة عامة مقدسة لانهارت أركان الديانات وتفككت عن النفوس عرى الفضائل وانحلت قيودها وتسفلت النفوس ، ولكن النفوس تأخذ بهذا المبدأ عملياً وفى خفية أو تبثه بطريق الايحاء وهو من أسباب تحول النفوس عن الخير والفضيلة حتى على خفاء العمل به والاحتيال لتزكيته بوسائل النفوس الجشعة المتعطشة للمكاسب كما هى نفوس أكثر الناس فى أحوال كثيرة

وأحسب أنه لولا المغالطة الأولى أى الوهم الذى يقلب الغاية الوضيعة ويجعلها غاية شريفة لما كثر أخذ الناس بالمبدأ الذى يبرر الواسطة بالغاية النبيلة ، إذ أن تلك المغالطة الأولى هى الأساس الذى يبنى عليه هذا المبدأ فى كثير من الأحوال والذى يبيح للناس كل وسائل الشر فيواقعونها وهم يحسبون أنهم على خير وإلى خير وفضل

وإذا تتبعت غايات الناس فى مساعيهم المختلفة وجدت أن كلاً منهم مهما سفلت غايته يزكيها ويرفع من شأنها ويلبسها لباس الفضيلة أمام نفسه وأمام الناس ، وهو يفعل ذلك إذا كانت غايته وضيعة أكثر مما يفعل إذا كانت غايته رفيعة ، لأن الغاية الرفيعة ليست فى حاجة إلى كل هذا الجهد ، وعلى قدر شعور المرء بحقارة غايته تكون رغبته فى مغالطة نفسه ، وعلى قدر تسفل تلك الغاية يكون غيظه وحنقه ممن يطلمه أو يطلع الناس على حقيقة غايته وأسبابه التى يخفيها . ومن العجيب أنه يحاول أن يستفيد أيضاً من هذا الغيظ الذى سببه الأنانية فيظهره بمظهر الغضب للحق أو الفضل أو الخير أو الدين ولا يزال بنفسه حتى يقنعها أن غيظها ليس غيظ الأنانى الحنق الذى اطلع أو كاد أن يطلع أو يخشى أن يطلع الناس على دناءة غايته أو وسائله فيوهمها أنه غيظ مقدس نبيل وغضب شريف ، وهى إذا اقتنعت واعتقدت ذلك سهل عليها اقناع الناس بما اقتنعت به من باطل ، وهنا

منشأوهم كبير يقع فيه الناس ، فانهم إذا أبصروا إنساناً عظيم التأثير فى النـاس تعديهم شدة اعتقاده واقتناعه حكموا أنه على حق ، ولا سيما إذا كان الحاكم هذا الحكم قليل الخبرة بالنفس الانسانية ، فاذا زادت خبرته بالنفس علم أن شدة اعتقاد الانسان وعظم اقتناعه وما ينشأ عنهما من عدوى تؤدى إلى شدة اعتقاد الناس وعظم اقتناعهم لا يدل على أن هذا الانسان على حق فيما يعتقد وفيما أعدى الناس اقتناعه به ، ولـكنها سنة مألوفة لدى الباحث فى النفس وهى أن الاحساس الشديد ينتقل كالعدوى لشدته وكذلك الاقتناع العظيم ينتقل من نفس إلى نفس كالعدوى لعظمه لا لصوابه ، ولما كان الاقتناع المؤسس على الحقد أو الأنانية شديداً لأنه مؤسس على إحساس شديد وهو الحقـد أو الأنانية سهل انتقاله إلى نفوس النـاس شأن كل اقتناع مؤسس على إحساس شيء شديد آخر ، وأحسب أن الناس معذورون بعض العذر فى هذه المغالطات النفسية وفى بعض هذا الغيظ والحنق إذا كشف كاشف عن تسفل غاياتهم أو وسائلهم لأنه إذا أتيح لأكثر الناس فهم حقارة غاياتهم ووسائلهم والتأثر بهذا الفهم والتألم من أجل تلك الحقارة ضاعت ثقتهم بأنفسهم وضاعت ثقة الناس بهم واعتراهم الضعف فى معالجة أمور الحياة ومعالجة مطالبهم فيها ولا مراء أن بعض هـذه النتائج محمود إذا بلغت بهم منزلة القصـد والعدل والحق ولم تنحدر بهم الى منزلة الضعف والعجز ولم تنل من عزائمهم كل منال ، ولـكن الناس يعرفون أن نفوسهم قلما تنتقل من إحساس إلى إحساس إلا من نقيض إلى نقيض مثل رقاص الساعة فمن فعل إلى رد فعل ، ومن رأى إلى نقيضه ومن شعور إلى عكسه فتغيرهم النفسى يختلف عن تغير أمور الطبيعة . ومن أجل ذلك ترى أن الناس فى حياتهم وتاريخهم يسبقون سنة التغير فى الطبيعة فيحدث رد فعل ورجعة فى أمورهم كى يرجعوا إلى ما يناسب تغير أمور الطبيعة ، وهذا هو سبب كثرة ما يشاهد من فترات الرجعة ورد الفعل فى تاريخ البشر وفى حياتهم

وهـذه الطفرة فى إحساس النفس مشاهدة بصفة خاصة فى العامة والصغار والجهلة والقليلى المدنية أكثر من مشاهدة الباحث لها فى الخاصة والـكبار والمتعلمين والـكثيرى المدنية . ومن أجل تردد النفس بين الاحساس ونقيضه يخشى الناس على عزيمتهم فى الحياة ويخشون النتائج التى يأتى بهـا اطلاعهم على حقيقة غاياتهم ووسائلهم ويخشون أن يعرفوا ضعتها بعد اعتقادهم نبلها فهذا أمر يفاجئهم مفاجأة قد تحدث هزة فى النفس وهذه الخشية تزيد غيظهم وحنقهم فيدفعوز بالغيظ ذعرهم من أن تنأى بهم ضعة غاياتهم عن عزائم النجاح ومساعيه ، وهم يخشون الفشل والضيعة ، وما قد يكون فيهما من الذل أو فقـدان وسائل الحياة نفسها ؛ ولا شيء يدعو إلى القسوة مثل ذعر المرء إذا خشى أن يفقد وسائل الحياة على اختلاف منافعها بفقد اعتقاده نبل غاياته ووسائله حتى ولو كان فقده وسائل الحياة من أجل ذلك بعيد الاحتمال

ولـكن كثيراً ما يحصن المرء ضعة غاياته ووسائله بمـا يعتقد الناس فيـه وما يعتقد هو فى نفسـه من الفضل والجاه والنبل والصدق ، ولا تخلو نفس من شيء من هذه الصفات قل أو كثر ، وكلمـا كثر نصيب المرء من هـذه الصفات كثرت حصانه غاياته ووسائله . ومن أجل ذلك ترى الرجل الذى يعتقد الناس فيـه هذه الصفات أقدر على مغالطة الناس ومغالطة نفسه فتسهل هذه المغالطة عـا له عند نفسه وعند الناس من ثقة بنصيبه من هـذه الصفات ، وهذا الرجل أشد خطراً على الحق والخير إذا غالط نفسه أو غالط الناس لأنه يسهل تصديقه والاقتداء به ولا يحسب أحد أن له غاية حقيرة أو وسيلة دنيئة بجـانب ما فى نفسه من صفات الفضل والصدق والحق أو بجانب ما اكتسب من جاه وثقة

وكما أنه يسهل أن تحول الغاية الدنيئة غاية رفيعة نبيلة وأن تعتقد أن تلك الغاية التى صارت نبيلة فى نظرها تبرر الواسـطة الوضيعة يسهل أيضاً أن تستغنى النفس عن الخطوة الثانية وهى تبرير الواسـطة الوضيعة أو تحويلها الى واسطة نبيلة وابرازها للناس كأنها واسطة شريفة سامية بدل تبريرها بالغاية والمقصد ، وهذا من شدة احتياط النفس عند من قد يرفض ذلك التبرير ويأبى تلك التزكية ، ونظرة من الباحث المتقصى وسائل الناس تدل على أنهم يتعامون عن ضعة وسائلهم ويغالون فى ابرازها فى حلة الوسائل الساميـة وانما الخلاف بينهم فى تزكية كل منهم وسائله واتهام وسائل غيره . وقد يعرض للباحث سؤالان هما هل يتاح للانسان عصر يكثر فيه من بحث نفسه وتقصى حقائقها ؟ وهل يرفع هذا التقصى من نفس الانسان ؟ ؟ أحسب أن هذا لا يكون ما دام ذعره خشـية فقدانه وسائل الحياة على اختلاف أنواعها واقعاً محذوراً

عبد الرحمن شكرى

# المأساة الفلسطينية

لباحث دبلوماسى كبير

أجل لم تعد قضية فلسطين مسألة من مسائل الاستعمار والسياسة ، ولكنها تغدو مأساة حقيقية

مضت إلى اليوم عدة أسابيع ، وفلسطين تجوز أحداثاً هائلة : أهوال الاضراب والمقاومة السلبية ، وأهوال القوة الغاشمة تميل عليها وتنكل بها من كل صوب ، وتحاول اخماد أصواتها وأنفاسها بكل وسيلة ، وتعمل على تجريدها من كل وسائل الاعراب والمقاومة ؛ والسياسة المتجنية تشهد آلام شعب بأسره هادئة جامدة ، لا تحركها صرخات الألم ، ولا ازهاق الأنفس واهراق الدماء ، بل تؤكد هادئة أنها لن تحاول بديلا لخطتها ، وأنها ستمضى فيها إلى النهاية غير مكترثة بارادة شعب وحقوقه ، بل بحياته أو موته

والواقع أن فلسطين اليوم تجوز صراع الحياة والموت ؛ وهى تجوز هذا الصراع منذ تسعة عشر عاماً ، أعنى مذ قضت عليها السياسة الانكليزية فى سنة ١٩١٧ ، بأن تغدو وطناً قومياً لليهودية ؛ ولكن خطر الصهيونية على كيان فلسطين لم يبدُ فى أعوامه الأولى كما يبدو اليوم ؛ وكانت الأمة الفلسطينية ما زالت فى هذه الأعوام الأولى تهجس بشىء من الأمل ، أما اليوم فان الخطر الصهيونى يبدو فى ذروة روعته ، خطر فناء لا شك فيه ؛ وتفقد الأمة الفلسطينية كل أمل فى عدالة الاستعمار والعدالة الدولية ، وتدفعها اليوم إلى الكفاح نزعة يأس عميق ؛ وإذا بلغت الأمم حد اليأس ، هانت عليها كل سبل الاقدام والتضحية

وهذا ما يطبع كفاح الأمة الفلسطينية اليوم ، فانها تجوز غمار هذه الأحداث الهائلة التى نشهدها منذ أسابيع ، مقدمة غير مكترثة لبذل النفس والمال ، وتثابر على الكفاح بهمة الجلد المستميت

***

أسفرت الحرب الكبرى عن وقوع فلسطين تحت نير استعمار مزدوج ، فقد فرض عليها الانتداب البريطانى باسم عصبة الأمم ، والانتداب هو حماية أجنبية صريحة ؛ وقضت عليها السياسة البريطانية من جهة أخرى أن تكون وطناً قومياً لليهود ، وأدمج هذا العهد الذى قطعته انجلترا لليهودية فى نص الانتداب الذى أقرته عصبة الأمم ، وغدت فلسطين بذلك أرضاً بريطانية كما غدت ميداناً للاستعمار اليهودى الاقتصادى والاجتماعى

ومنذ سنة ١٩١٧ يتدفق سيل الهجرة اليهودية على فلسطين ، يدعمها تدفق الأموال اليهودية ، والنشاط اليهودى بسائر ألوانه ومناحيه ؛ ولا تدخر السياسة البريطانية من جانبها وسعاً لرعاية هذا الوطن اليهودى الجديد ، وتشجيع نمائه ورخائه ، وتذليل كل صعب فى سبيل الهجرة اليهودية ، وتنظيم الاستعمار اليهودى للبلاد ؛ وتفسح السلطة المنتدبة فى ذلك مجالاً كبيراً لآراء الوكالة التنفيذية اليهودية ، وهى الهيئة اليهودية الرسمية التى تقوم فى فلسطين بجانب سلطات الانتداب طبقاً لصك الانتداب ذاته ، وتتمتع بحق الاقتراح والمشورة فى كل ما يتعلق بالوطن القومى اليهودى

ومع أن اليهودية أقبلت من سائر أنحاء العالم على استعمار فلسطين بحماسة شديدة ، وحملت إليها مئات الملايين ، واشترت من أراضيها مساحات عظيمة ، حولتها إلى مستعمرات يهودية غنية ضخمة ، وانشأت مدينة يهودية عظيمة هى مدينة تل أبيب ، وعملت على إحياء اللغة العبرية وجعلها لغة الوطن القومى الجديد ، وانشأت جامعة عبرية كبيرة لتعمل على احياء التفكير اليهودى ؛ مع ذلك كله كانت اليهودية فى أعوامها الأولى تسير الى غايتها متعثرة ، وىزعجها سخط العرب وتبرمهم ؛ وكانت تخشى دائماً أن تميل السياسة البريطانية الى ارضاء الأمانى القومية العربية بوجه من الوجوه ، خصوصاً وأن تصريح بلفور ذاته ينص على احترام حقوق الطوائف غير اليهودية ، المدنية والدينية ؛ بل لقد مر باليهودية قبل بضعة أعوام فقط ساعات يأس حقيق ، وخيل لها غير مرة ، أن حلم هرتسل [1] فى بعث الدولة اليهودية

(١) تيودور هرتسل الكاتب والصحفى النمسوى (١٨٦٠ — ١٩٠٤) ، وقد كان روح الحركة الصهيونية الحديثة ، وأعظم زعمائها ومنظميها

وإنشاء الوطن القومى اليهودى ، سينهار فى مهده ؛ وكادت الحكومة البريطانية فى سنة ١٩٣٠ بعد أن تبينت عدالة المطالب العربية فيما يتعلق بوقف الهجرة اليهودية ، ووقف بيع أراضى العرب ، وهى مطالب عززها تقرير اللجنة الانكليزية التى انتدبت لبحث هذه المسائل ، تجنح الى إرضاء بعض الأمانى العربية ، وصدرت فى مجلس العموم البريطانى تصريحات رسمية فى هذا الشأن ؛ ولكن سرعان ما تغلب نفوذ اليهودية مرة أخرى ، وسحبت الحكومة البريطانية تصريحاتها ووعودها للعرب ، بتصريحات معارضة ألقتها تأييداً لوجهة النظر اليهودية وعهد بلفور

وهكذا استطاعت اليهودية أن تخرج ظافرة من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى كادت تزعزع ايمانها فى حلها وفى مثلها ؛ وذهبت جهود العرب سدى ، ولم يظفروا رغم ثوراتهم واحتجاجاتهم المتكررة بحمل السياسة البريطانية على أن تحيد ذرة عن خطتها

ثم لقيت الحركة الصهيونية ظرفاً جديداً لنشاطها واضطرامها ؛ ذلك أن ألمانيا جاشت بالخصومة السامية عقب قيام النظام الهتلرى ، ونظمت الحكومة الهتلرية لسحق اليهود فى ألمانيا مطاردة عنيفة رائعة ، فتوجست اليهودية فى أنحاء العالم شراً ، وهتفت كلها باخطار الخصومة السامية ، وألفت الصهيونية الفرصة سانحة لتؤكد لأبناء جنسها كرة أخرى أن الوطن القومى اليهودى هو ملاذ اليهودية وعصمتها من تلك النزعات الخطرة ؛ وهكذا تدفق سيل الهجرة اليهودية على فلسطين بعنف لم تعهده من قبل ، وزاد عدد اليهود فى فلسطين بسرعة حتى أنه بلغ الضعف تقريباً فى نحو ثلاثة أعوام ؛ ولبيان ذلك نقول إن اليهود بلغوا حتى سنة ١٩٣٢ نحو ثلثمائة ألف من مجموع سكان فلسطين وقدره مليون . وقد بلغوا فى سنة ١٩٣٦ حسب آخر إحصاء نحو خمسمائة ألف ، وبلغ السكان العرب من مسلمين ونصارى نحو سبعمائة وخمسين ألفاً ؛ وقد اجتمعت مرافق فلسطين الحيوية فى الأعوام الأخيرة فى يد اليهودية بسرعة ، وأحرزت اليهودية بالشراء السخى معظم أراضى فلسطين الخصبة ، وساعدتها السلطة المنتدبة على تحقيق سيطرتها الاقتصادية بجميع الوسائل التشريعية والادارية ، وما زالت هذه السيطرة تزداد توطدا وتمكيناً

***

والآن وقد رأى العرب أن بلادهم التى استوطنوها منذ الأحقاب ، وأراضيهم ومرافقهم الحيوية ، وتراثهم الدينى والاجتماعى ، كل ذلك يسير سراعا إلى التلاشى والعدم ، والدولة المنتدبة تؤازر اليهودية باستمرار على تمكين غزوها المروع ؛ وخطر الفناء القومى يلوح فى ثنية المستقبل ، فهل نعجب إذا رأيناهم ينفجرون سخطا ويؤثرون السقوط فى ميدان الجهاد الشريف على ذلك الاعدام البطىء المنظم ؟ وهل تعجب الحكومة البريطانية إذا كانت سياستها فى فلسطين قد أدت إلى مثل هذا الانفجار الخطير ، وهو الثالث من نوعه فى نحو عشرة أعوام ؟

إن مؤازرة السياسة البريطانية لليهودية وتعضيدها لانشاء الوطن القومى يرجعان إلى اعتبارات واضحة معروفة ؛ فالسياسة البريطانية تعرف مدى النفوذ اليهودى فى عالم المال والسياسة ، وقد حظيت بريطانيا فى الحرب العظمى بمؤازرة اليهودية ، ومازالت ترمى إلى الاحتفاظ بهذه المؤازرة ؛ وإنشاء الوطن القومى ضمان لاستمرار هذا التعاون بين السياسة البريطانية وبين اليهودية . بيد أن هنالك اعتبارات أخرى يلوح لنا أن السياسة البريطانية لم تقدرها حق قدرها . ذلك أن فلسطين هى قطعة من العالم العربى تحوطها الأمم العربية من كل صوب ، والأمة الفلسطينية هى عضو فى جماعة الأمم الاسلامية الكبرى ؛ وانكلترا التى تسيطر على عشرات الملايين من المسلمين ، فى افريقية وآسيا يجب عليها أن تحسب حسابا لعواطف المسلمين ومشاعرهم ؛ ومن المحقق أن العالم الاسلامى كله يعطف على فلسطين فى محنتها وكفاحها كل العطف ، ويأخذ على السياسة البريطانية مسلكها نحو فلسطين وأمانيها المشروعة ، ومن المحقق أن إصرارها على هذا المسلك سيكون له أسوأ الأثر فى العالم الاسلامى ، وفى عواطف الشعوب الاسلامية نحو انكلترا

وعلى اليهودية ذاتها أن تفطن لهذا الاعتبار ؛ فالوطن القومى اليهودى يقوم فى قلب العالم العربى والاسلامى ، متحديا عواطف العرب والمسلمين ، وهم من حوله كالبحر الزاخر ؛ ولتعلم اليهودية أن الحوادث قلب ، وأن مصاير التاريخ ليست فى يدها وأن هذا

البحر قد يطغى يوماً فيغمر هذا الوطن القومى بما فيه ويصبح أثراً بعد عين.

والسياسة البريطانية لا يمكن أن يفوتها مثل هذا الاعتبار الخطير الذى تنوه به الصحف البريطانية ؛ ولكن الظاهر أن عوامل أخرى تملى على السياسة البريطانية تشددها نحو بحث المسألة الفلسطينية ؛ فنحن نعرف أن السياسة البريطانية قد منيت بالفشل الذريع فى محاولتها إحباط الغزوة الايطالية للحبشة ، وأن ظفر الاستعمار الفاشستى يثير اليوم فى انكلترا مخاوف خطيرة بالنسبة لمستقبل سيادتها فى شرق افريقية ووادى النيل ، وكذلك بالنسبة لمواصلاتها الامبراطورية فى البحر الأبيض المتوسط ؛ وتخشى انكلترا أن تساهلها نحو أمانى فلسطين — وفلسطين تعتبر قاعدة حيوية فى مواصلاتها الامبراطورية — قد يحمل على نوع من الضعف والتسليم ويعرض هيبتها الاستعمارية للانتقاض . وقد رأينا المندوب السامى فى فلسطين يرد على مطالبة العرب بوقف الهجرة الصهيونية باصدار تصريح جديد بمهاجرة أربعة آلاف وخمسمائة عائلة يهودية ، متجاهلاً بذلك أن طغيان الهجرة من أهم أسباب الثورة القائمة . هذا إلى أن نفوذ اليهودية فى انكلترا يعمل عمله ؛ وقد رأينا زعيم الصهيونية الدكتور ويزمان يسارع بالعودة من فلسطين إلى انكلترا منذ بدء الثورة الفلسطينية ؛ وقد كان لمساعى هذا الزعيم دائماً أثرها فى موقف السياسة البريطانية نحو فلسطين ونحو رعاية الوطن القومى اليهودى

على أن السياسة البريطانية لا يمكن أن تحتفظ طويلاً بهذا الموقف الشاذ ؛ ففلسطين تقف اليوم موقف الحسم ، وتصر على أن تبحث مطالبها وأمانيها بعين الانصاف ، ومن ورائها عطف الأمم العربية والاسلامية كلها ؛ وانكلترا تقدر بلا ريب مدى هذا العطف وآثاره ؛ وبحث القضية الفلسطينية بروح الانصاف لا يمكن أن يعتبر ضعفاً أو تسليماً كما يريد أن يفسره غلاة الاستعمار ؛ أما الأصرار على تمكين اليهودية من أعناق فلسطين ، ودفع الشعب الفلسطينى إلى منحدر التلاشى والفناء ، والاكتفاء بارسال لجان التحقيق فسياسة خطرة ؛ ولا ريب أنها تعرض مركز انكلترا فى الشرق الأدنى ، وفى العالم الاسلامى كله لأشد الأخطار

***

# قصـــة المكروب

## كيف كشفه رجاله

### ترجمة الدكتور أحمد زكى

## الحصانة واليهودى الأفّاق

— ١ —

ما أغرب هذا العلم علمَ المكروبات ، وما أعجب ما كان من أمره فى يوم وُلِد !

بدأ هذا العلمَ رجلٌ قمّاش لم يُثقف ثقافة مذكورة ، ومع ذلك كان أول راءٍ رأى المكروبات ، ثم جاء كيميائى فأوجد للمكروبات مكانة ذات بال فى خريطة الوجود ، وأرعب الناس منها وأرعد . ثم تلاه طبيب قرية ، فجعل من صيادة المكروب شيئاً منظماً قارب أن يكون علماً صحيحاً . وأراد فرنسى وألمانى أن ينجوا بالأطفال من سم مكروب من أقتل المكروبات ، فجزرا فى سبيل ذلك أعداداً لا تحصى من الخنازير الغينية ومن الأرانب لو تراكمت لبلغت أكواماً كالجبال . إن تاريخ صيد المكروب تاريخ ملىءٌ بالخاطرات الجميلة ، والايحاءات النادرة ؛ ولكن به كذلك كثير من النبوات المدهشة ، والتناقضات المجنونة . ولا يختلف تاريخ علم المكروب فى هذا عن تاريخ علم الحصانة immunity وهو العلم الذى لا يزال ناشئاً ، وبه تفسر لنا مناعة الانسان من المكروب ، فالذى بدأ هذا العلم ، على نحوٍ ما ، هو رجلٌ باحث كثير الاهتياج ، قليل الاتزان ، ذو جنّة تعاوده كثيراً

وكان هذا الرجل يهودياً يدعى إيلى متشنيكوف Elie Metchnikoff ، ولد فى جنوب روسيا عام ١٨٤٥ ، وقبل أن يبلغ العشرين قال لنفسه : « إنى ذو غيرة وذو مقدرة ، وقد حبتنى الطبيعة مواهب راجحة ، وأنا أطمح أن أكون بحاثاً كبيراً »

وذهب هذا الشاب إلى جامعة خركوف Kharkoff ، واستعار من بعض أساتذته مجهراً ، وكانت المجاهر عندئذ نادرة ، وأخذ ينظر فيها نظرات لم تكن دائماً بينة واضحة ، ومع هذا قام على

أثرها فكتب مقالات علمية طويلة ، وذلك قبل أن يعلم ما العلم وما كنهه وما جوهره ، وغاب أشهراً عن فصول الجامعة وعن دروسها ؛ ولم يكن لِلّعب غاب ولكن للقراءة ؛ ولم تكن قراءة القصص والنوادر ، ولكن قراءة مؤلفات كبيرة في العلم مثل كتاب : « بلّورات لأجسام زلالية » ، وغير ذلك كان يقرأ كُتَيِّبات ونشرات لو اطّلع عليها رجال الأمن لنفوه إلى مناجم سيبريا ؛ وكان يسهر الليالى ، ويكرع جالونات من الشاى ، ويخطب رفقاءه ، وهم أجدادُ بلاشفةِ اليوم ، خُطباً هائجة صاخبة جاحدة تنكر وجود الله حتى لقبوه « لا إلـه » ، وجاءت خاتمة السنة فقام إلى دروسه التى تراكمت فى الأشهر السابقة فحفظها عن ظهر قلب ؛ وكانت له ذاكرة أشبه شىء باسطوانات الفونوغرافات منها بالعقل الانسانى ، فجاز الامتحان وظهرت النتيجة فكتب إلى أهله يقول لهم إنه نجح وكان أول الناجحين ، وفوق ذلك نال وساماً من ذهب

وكان متشينيكوف شديد العجلة فى أمره نفسه ، يودّ أن يسبق الزمن بها ، ويحملها على أشياء قبل أن يأتى أوانها . بعث بالمقالات العلمية وهو لا يزال فى عقده الثانى ، وكان يكتبها فى سرعة الهالع بعد ساعات قليلة من تحرير مجهره على بقة أو خنفساء ، ويصبح الصباح فيعود إلى مجهره ليراها مرة أخرى ، فاذا به يرى مالم يكن رآه بالأمس فيسرع بالكتابة إلى رئيس تحرير المجلة يقول له : « أرجو ألا تنشر مقالة الأمس ، فقد وجدت نفسى مخطئاً . وأحياناً كان يرسل المقالة فلا تنشرها المجلة فيثور ويغضب ويصيح : « إن الدنيا تجهل قدرى » ، ويذهب إلى غرفته يتأهب للموت وهو يصفُر صفير اليائس الحزين : « لو كنت فى صِغَر الحلَزون ، لطويت جسمى فى صدفى » (١)

بكى وناح لأن أساتذته والناس لم يَقْدِروا مواهبه حق قدرها ، ولكن لم يَفتّ ذلك فى عضده ولم يستطع أن يضعضع من أمله ، فنسى ما كان انتواه من قتل نفسه ، ونسى ما كان من ضيقه ووجع رأسه ، أنساه إياه حبه القيم لكل شىء حىّ . ولكنه أفسد على نفسه الفرصة كلما أمكنته من إجراء بحث علمى قيّم متواصل ، ذلك بأنه كان دائماً يشاجر أساتذته وينازع معلميه . وأخيراً كتب إلى أمه ، وكانت تؤمن به وتعطف عليه وتفسده ، فقال لها : « إن أكبر همى أجده فى دراسة البروتوبلازم Protoplasm ، فى دراسة مادة الجسم الحية . . . ولكن روسيا خالية من العلم والعلماء » . وعلى هـذا ذهب مسرعاً إلى جامعة فُرتزبرج Würzburg بألمـانيا ؛ فوجد أنه وصل قبل ابتداء العام الدراسى بستة أسابيع . فأخذ يبحث عن بعض الطلبة الروسيين فوجدهم ، ولكنهم لم يرحبوا به لأنه كان يهودياً ، فضاقت بنفسه مسالك الحياة ، وعاد راجعاً إلى بلده وهو يعتزم الموت . وكان فى حقيبته بضعة من الكتب التى اقتناها ، وكان من بينها كتاب أصل الأجناس Origin of Species لصاحبه دارون ، وكان خرج إلى السوق حديثاً ، فقرأه ، وفي جرعة عقلية واحدة بلع كل الذى فيه ، وصار من أنصار نظرية النشوء الشديدين . ومن هذا الوقت دان بهذه النظرية إلى أن تهيأ له الوقت ليصطنع لنفسه من العلم ديانات جديدة يدين بها

نسى ما اختطه لهلاك نفسه ، وبدأ يخطط الخطط لأبحاث فى هذه النظرية الجـديدة ، ورقد الليل ولكن لم ينمه لأنه أخذ يتخيل الخيـالات عن ساحات واسعة قد امتلأت بطوائف الأجناس الحيوانية من الصرصور الصغير إلى الفيل الكبير ، ثم تخيل إلى جانبها حيا بالغ الصغر هو جدها الكبير الأبعد

وكان هـذا الانقلاب بدء حياة متشينيكوف الحق ، فانه عندئذ خرج يحاج ويشاجر من معمل إلى معمل ، ومن روسيا إلى ألمـانيا إلى إيطاليا ، ومن إيطاليا إلى جزائر هيليجولاند Heligoland وأدام هذا الشجار والحجاج عشر سنوات ، واشتغل فى بحث نشأة الديدان ، واتهم لوكارت Leucart عالم الحيوان العلاّمة بسرقة بضاعته ؛ وكانت أصابعه لا تحسن العمل الدقيق ، وكان لا يرجى لها أن تتعلم إحسانه ، فذات مرة جاء بعطاية وضرب فيها بكلتا يديه ضربة المستقتل اليائس يريد أن يكشف فى بطنها عن سرّ النشوء ، فلما أعجزه أن يعلم منه شيئاً رمى بالذى تبقّى من الزاحفة عبر المعمل . كان متشينيكوف على نقيض كوخ ولوفن هوك ، فهذان الرجلان العظيمان عرفا كيف يتاطفان إلى الطبيعة فيسألانها عما يريدان وفازا منهـا بالجواب . أما صاحبنا فقرأ كتباً فى نظرية النشوء ، فألهمته وحمسته ، فآمن بها

وأعلن إيمانه مسموعاً عالياً ، ثم جاء بعد ذلك يعالج التجارب لا ليمتحن بها عقيدته الجديدة ، بل ليفرضها على الطبيعة فرضاً ، وليدسّها فى حلقها لتبلعها اغتصاباً . ولكن العجيب أنه أصاب

(١) هذه أغنية معروفة ، والحلزون دويبة من اللافقريات الرخوة تحمل فوق ظهرها صدفها وفيه تنكمش عندما تريد Snail

٦٠ ٥ ٦

فى هذا أحياناً ، وعندئذ كانت إصاباته ذات خطر كبير . ولم يكن عندئذ يعلم شيئاً عن المكروب ، أعنى فى آخر العقد الثامن من القرن الماضى . ولكن الحاحه كالمجنون فى إثبات أن الأصلح هو الأبقى ، وأن الفاسد للذهاب ، هو الذى ساقه إلى تلك النظرية البديعة الخلابة نظرية الحصانة التى تصف كيف يصدّ الانسان هجمات الفاتكات من المكروب . وهى نظرية صحيح بعضها برغم مظهرها الخيالىّ الذى لا يدعو إلى التطامن إليها

كانت السنوات الخمس والثلاثون الأولى من حياته كثيرة الاضطراب والصخب أشرف فيها على المهالك ، ولكنه سار من طريقها الخَطر على جسر ضيق نفذ به فى آخر الأمر إلى الشهرة الواسعة التى كانت تنتظره على شواطىء صقلية فى البحر الأبيض المتوسط . وتزوج قبل أن يبلغ الثالثة والعشرين لُدْميلا فودورفتش Ludmilla Feodoaovitch وكانت مسلولة حتى كان لا بد من حملها فى كرسيّها إلى حيث يعقد زواجها . وتبع هذا الزواجَ أربع سنوات مضت عليهما فى أبأس حال وأكثرها استدراراً للرحمة ، قضياها يجرّ بعضهما بعضاً عَبْر أوربا يبحثان عسى أن يجدا لذات الصدر دواء . وفى أثناء ذلك ، وفى أثناء تمريضه هذه الزوجة العليلة المسكينة تمريض عطوف حنان توتر عصبه وثقل قلبه كان يختطف سويعات يجرى فيها تجارب يدْرس بها تنشّؤ بقّ النبات والأسفنجيات والدود والعقارب ، يريد بذلك أن يقع على اكتشاف يهز الناس فتأتيه من ورائه أستاذيّة تدرّ عليه مالاً كثيراً . وهمس لنفسه وهو يكتب رسالاته العلمية ، وهمس لها وهو يبعث بالرسل ويدفع بالوسائط ويختط الخطط ويحاور ويداور فى طلب الوظيفة ، قال : « إن البقاء ليس للأصلح ؛ وليس هو للأكثر طيبة وخيراً ، وإنما هو للأشد مكراً وللأنكى خبثاً

وماتت لُدْميلا . وكانت قضت أيامها الأخيرة تتخلص من آلامها بالمرفين ، فاقتبس زوجها عادة المرفين منها ، ولما نفض تراب قبرها عن يديه قام عنه هائماً يضرب فى الأرض ، واخترق أسبانيا متوجهاً الى جنيفا وهو يزيد كل يوم مقدار العقار الذى يتعاطاه ، وساءت عيناه أثناء ذلك وآلمته ألماً كبيراً . وما الباحث فى الطبيعة إذا لم يكن له عينان تبصران ؟ وصرخ : « ما الفائدة من هذا العيش ! » ، وأخذ جرعة كبيرة من المرفين أيقن أنها لا بد قاتلته ، ولكنها كانت أكبر مما تحتمله المعدة فقاءها . وصرخ مرة أخرى : « ما نفع هذه الحياة ! » ، واستحم استحمامة ساخنة وخرج منها يتعرض عامداً الى الهواء البارد الطلق عسى أن تصيبه من ذلك نيمونيا فتذهب بحياته ، ولكن يظهر أن الآلهة الحكيمة المزاحة التى تقوم بتجهيز البحاث لهذا الكوكب شاءت له غير الذى شاءه لنفسه ، أبقت عليه لحاجة فى نفسها . وفى هذه الليلة عينها ساقته رجلاه الى حيث أبصر طائفة من الحشرات كالغمام تدور وتدوّم حول لهب مصباح . فاستوقفه هذا المنظر ووقف يتأمله بتعجب ظاهر وفم مفغور . صاح لنفسه : « إن هذه الحشرات لا تعيش إلا ساعات قليلة ، فليت شعرى كيف يستفاد بها لدرس نظرية بقاء الأصلح ؟ » . وبهذا عاد فوصل من جديد تجاربه المقطوعة

حزن متشينيكوف على زوجه حزناً شديداً ، ووجد عليها وجداً مبرحا ، ولكن الأيام كانت سريعة فى شفاء الوجد ولأم الجرح العميق . وتعين أستاذا فى جامعة أودسّا ، وفى هذه الجامعة علّم نظرية بقاء الأصلح ، وفيها وَضحَ علمه ، وارتفع قدره ، وزاد فى الناس إجلاله . ولم تمض سنتان على وفاة زوجته الأولى حتى التقى بفتاة فى الخامسة عشرة ، فى وجهها بشاشة ، وفى قلبها ذكاء . وكان اسمها أُولجا ، وكانت ابنة رجل ذى يسار ، ونظرت اليه ، فأسرّت عينها إلى قلبها ، قالت : « إن وجهه كوجه المسيح فى قدسيته ، لونه امتقاع ، وعليه سحابة من كآبة » . ولم يمض طويل من الزمن حتى تزوجها

ومنذ هذا الزواج هدأت حياته كثيرا ، وقلت نداءاته لعزرائيل كثيرا ، وأخذت بداه تتعلمان اجراء التجارب لتلحق بعقله الذى نضج قبل أوانه ، وأصبح العلم له ديناً ، وتعلّق به ايماناً ؛ وأدخله فى كل أمر من أمور عيشه فى تحمس لم يسمع بمثله ، وأخذ بيد أُولجا يُدخلها فى هذا الدين علماً وفناً ، وعلّمها حتى علم الزواج وفنه ! وعبدت فيه ذلك اليقين المغرق الذى أعطاه العلم اياه ، ولو أنها قالت بعد ذلك بسنوات كثيرة : « إن الطريقة العلمية التى طبقها زوجى فى غير هوادة على كل شىء جاز ألا تخلق لنا إلا شراً فى تلك الساعة المخطرة من حياتنا ، والنفس دقيقة الحس فى انتقالها من حال الى حال

( يتبع ) أحمد زكى

للتاريخ السياسي :

# ٤ ـ اليوم السابع من مارس

## ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

### موقف دول لوكارنو وقرار مجلس العصبة

لنر الآن ماذا كان رد الفعل فى عواصم دول لوكارنو ، وموقف فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وإيطاليا إزاء حوادث ٧ مارس والمذكرة الألمانية :

كان وقع قرار ٧ مارس شديداً على باريس ، ولقد أهاج الدوائر الرسمية والرأى العام ، برغم أن هذه الحوادث كانت فى الحسبان ، وأول عمل احتياطى قامت به حكومة باريس هو إبقاء الجنود الذين كانوا على أهبة الذهاب إلى بيوتهم تحت السلاح إلى أجل غير مسمى ، ثم إرسال جنود وقوى حربية لتحتل القلاع الواقعة على الحدود الألمانية

وفى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأحد الموافق ٨ مارس ألقى مسيو سارو ، رئيس الوزارة الفرنسية ، خطاباً فى الراديو على الشعب الفرنسى ، عرض فيه العلاقات الفرنسية الألمانية منذ الحرب والجهود التى بذلتها فرنسا للتوفيق بين الجارتين . . . وقد صرح بأن الحكومة عازمة على المحافظة على معاهدة لوكارنو التى هى شرط أساسى لسلامة فرنسا . . وأنها ترفض منهاج الهر هتلر لسببين : أولهما أن ألمانيا قدمت مثلين فى تمزيق المعاهدات بقرار منها وحدها خلال سنة واحدة ، وهذا العمل المنافى للحقوق الدولية يدعو إلى نزع الثقة من المعاهدات المقبلة التى تُعقد معها . والسبب الثانى وهو أشد فظاعة ، كون ألمانيا قد أرسلت قوى عسكرية إلى أراضى الرين خلافاً لكل قانون دون أن تعلم الدول بعزمها قبل تنفيذه ، ودون أن تفكر فى المفاوضة مع دول لوكارنو للوصول إلى حل مرض ، بل جابهت هذه الدول « بالأمر الواقع » fait accompli فى أبشع وأفظع صوره . وقال بأن فرنسا سترفع الدعوى إلى مجلس عصبة الأمم ، وأنها ستضع قواها المعنوية والمادية تحت تصرف مؤسسة جنيف . . .

وفى يوم الثلاثاء الموافق ١٠ مارس ألقى مسيو سارو « رسالة » الحكومة Message فى مجلس النواب ، ومسيو فلاندان فى مجلس الشيوخ ، وعرضت الحكومة فيها أعمال الحكومة النازية المخالفة للحقوق الدولية ، وتمزيقها المعاهدات المقدسة . . . وأبان بأن عمل الهرهتلر لا يضع على بساط البحث مشكلة الرين ، بل مسألة حرمة المعاهدات والعلاقات الدولية وكيان عصبة الأمم . وقال إنه إن أخذت كل أمة ترفض المعاهدات حسب إرادتها فلا سلام ولا حرمة للقانون ، بل تحل محل الحق القوة المادية . . .

وفى هذا الخطاب هدأت حكومة باريس ثورتها ، ولطفت رفضها البات فى المفاوضات ، وقالت إنها لا ترفض العمل لحل المشاكل الحالية ولتحسين العلاقات الفرنسية الألمانية ، غير أن فرنسا لا تستطيع المفاوضة تحت ضغط القوة التى تمزق المعاهدات الموقع عليها عن طيب خاطر

وأخذت الصحافة تندد بأعمال الهرهتلر وتبين الخطر الذى سيواجه أوربا نتيجة لعدم احترام المعاهدات . . . وتلوم بريطانيا لاتباعها اللين مع ألمانيا ولمسايرتها لها . . .

أما فى لندن ، فقد أخبر مستر ايدن السفير الألمانى عندما تسلم منه مذكرة بأن حكومة جلالته غير راضية عن انتهاك ألمانيا حرمة المعاهدات . وقال فى خطابه الذى ألقاه فى مجلس العموم فى ٩ مارس بعد أن أبان مخالفة عمل الهر هتلر للحقوق الدولية ، والخطر الذى ينجم عن اتباع مثل هذه السياسة ، إن عمل ألمانيا لا يعد تهديداً ، غير أن الحكومة البريطانية تصرح بأنها ستكون فى صف فرنسا وبلجيكا فيما إذا هاجمت ألمانيا إحداها . . . . .

وغريب أن يقول مستر ايدن بأن عمل ألمانيا لا يعد تهديدا ، ومعاهدة فرساى صريحة العبارة فى قولها (البند ٤٤) بأنه فى الحالة التى تخالف فيها ألمانيا مضمون البندين ٤٢ و ٤٣ « تعتبر قائمة بعمل عدائى نحو الدول الموقعة على هذه المعاهدة ومحاولة تعكير صفو السلام »

ولكى يتثبت مستر بلدوين من أن الأزمة الحالية سوف لا تقود بريطانيا إلى تطبيق سياسة « العقوبات » الاقتصادية على

ألـمانيا أصر على أن يوافق اللورد هاليفاكس مستر ايدن فى جميع اجتماعاته التى لها عـلاقة بحوادث الرين ، واللورد هاليفاكس صديق ألـمانيا الحميم ...

وكان وقع حوادث ٧ مارس فى الدوائر السياسية اللندنية نقيض ما كان عليه فى باريس . وإن كان ساسة لندن غير راضين عن الطريقة التى اتبعها هتلر فى الوصول إلى احتلال أراضى الرين ، غير أنهم وافقوا ضمناً على نتيجة عمله ، حتى أن بعضهم صرح بذلك ، والبعض الآخر أخذ يقول بأن عمل هتلر ما هو إلا فرصة مناسبة لحل المشكلة الأوربية ، وخصوصاً لازالة كل خلاف بين ألـمانيا وفرنسا ! وكانت الصحافة ، وعلى رأسها « التيمس » تقول بهذا الرأى . ولا عجب فى ذلك ، إذ أن الرأى العام فى بريطانيا ناقم على معاهدة لوكارنو ، حتى أنها كانت سبباً فى ضياع شهرة السير استن شمبرلين من جهة ، ولأن حكومة لندن تريد انعاش ألـمانيا وادخالها ضمن حلقة الدول ذات المكانة فى السياسة الدولية ، لكى تتخذ منها سنداً ضد فرنسا التى أخذت تعاكس بريطانيا معاكسة ظاهرة فى سياستها الخارجية ، من جهة ثانية ، ولقد رأينا الهر هتلر عرف كيف يستفيد من هذا الشعور البريطانى ويستغله

وموقف بلجيكا يشابه موقف فرنسا : فالرأى فى الدوائر السياسية والرأى العام ضد حوادث ٧ مارس على خط مستقيم . لا سيما وأن بلجيكا لم تكن عضواً فى المعاهدة الروسية الفرنسية ، التى هى ، فى رأى الهر هتلر ، سبب زوال لوكارنو ...

أما إيطاليا فلزمت الصمت ، ولم تبد صحافتها رأياً فى ذلك . على أن ممثل إيطاليا صرح بأن حكومته تحترم لوكارنو ، غير أن ظروفها الحالية ترغمها على التحفظ ...

***

رفعت فرنسا وبلجيكا وحدهما الدعوى إلى مجلس عصبة الأمم ، فى حين أن معاهدة لوكارنو توجب ذلك على جميع الموقعين عليها ، إذ هى تعتبر احتـلال أراضى الرين عملا عدائياً نحو كل من المتعاهدين ...

وكان مكان اجتماع مجلس العصبة عاصمة بريطانيا حسب اقتراح مستر إيدن . وعقدت الجلسة الأولى الساعة ١١ من صبـاح يوم السبت التالى لحوادث ٧ مارس ، فى قصر « سنت جيمس » وكانت سرية ، وقال مستر إيدن فى هذه الجلسة إنه يظهر له من المادة ١٧ من صك العصبة وجوب تمثيل ألمانيا فى جلسات مجلس العصبة . وبعد جدال حول هذا التفسير للمادة ١٧ تقرر أن يرسل سكرتير مجلس العصبة برقيـة إلى الهر هتلر يقول فيها بأن « ... مجلس العصبة يدعو حكومة ألمانيا بصفتها عضواً فى معاهدة لوكارنو لتشترك فى فحص مجلس العصبة للدعوى التى رفعتها حكومتا فرنسا وبلجيكا ... »

ولقد ذهب مساء يوم السبت السير اريك فيبس ، سفير بريطانيا فى برلين لمقابلة بارون فون نيرات وزير خارجية ألمانيا ليعلمه بأن بريطانيا تعلق أهمية كبرى على قبول ألمانيا دعوة مجلس العصبة . وفى صباح الأحد زار السير إريك فيبس «الزعيم» وأوقفه على رأى حكومة لندن

وبعد أن استشار الهر هتلر مستشاريه أرسل إلى سكرتير العصبة يخبره بأن حكومة ألمانيا تقبل الدعوة مبدئياً على شرطين : أولهما : أن يكون لممثل حكومة ألمانيا حق المساواة مع بقية ممثلى أعضاء المجلس فى المرافعات وقرارات المجلس

وثانيهما : أن تتسلم حكومة ألمانيا تأكيداً قطعياً بأن الدول المعنية — Concerned — مستعدة للدخول حالا — forthwith — فى المفاوضة على « منهاج السلام الألمانى » ؛ الذى يعتبرونه ( أى الدول ) وإعادة السيادة الألـمانية فى أراضى الرين كخطوة سياسية متحدة ، وجزأين متلازمين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر

واعتبرت بريطانيا الشرط الأول معقولا ومقبولا ، وأن عزم بريطانيا كان ولا يزال أن تكون ألمانيا فى لندن على قدم المساواة مع الدول الأخرى . وأما الشرط الثانى فقد أغضب الدوائر السياسية وأثار الصحافة على حكومة برلين ، وكتبت مقالات رئيسية ناقشت فيها أعمال هتلر وجوابه الأخير ، حتى أن لهجة « التيمس » كانت غير مألوفة . ومما قالته فى عددها الصادر فى ١٠ مارس إنه يجب التذكير وإعادة القول بأن عمل ألمانيا كان مهيناً فى أسلوبه ، و « إن دولة غير شريفة قادرة دائماً وأبداً على أعمال غير شريفة » . . وأنه حجر عثرة محال قبوله ، ولا يمكن لفرنسا احتماله

وفى الواقع لقد أثار جواب الهر هتلر الرأى العام الفرنسى وأخذت الصحافة تهاجمه مهاجمة عنيفة ، واضعة اللوم كله على بريطانيا لمساعدتها ألمانيا وتشجيعها لهـا . ولقد صرح مسيو

فلاندان لمراسلي الصحف بأنه يرفض طلب الهر هتلر لسبب واحد فقط: هو أنه قدم لندن ليسجل الاعتداء على لوكارنو؛ وهو لا يريد مناقشة أي شيء غير هذا، حتى وإن كلفه ذلك مغادرة لندن وترك مجلس العصبة

•

ولما رأى الهر هتلر أن الرأى العام ناقم على جوابه، خشى خسران عطفه عليه، فعمل على تخفيف وقع جوابه، فأرسل إلى حكومة لنـدن يخبرها بأن خطأ قد حصل فى ترجمة جوابه؛ إذ أن المترجم قد ترجم كلمة « Alsbald » بكلمة « forthwith » أى « حالا » فى حين أنه يجب ترجمتها بعبارة « in due course » أى « فى أقرب وقت » ...

وتلى تلك الجلسة السرية أول جلسة علنية للدورة (٩١) غير العادية لمجلس العصبة الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ من يوم السبت الموافق ١٤ مارس برياسة مستر بروس Bruce. وجلس عن يمينه مسيو فلاندان وسنيور جراندى، وعن يساره مستر افينول ومستر إيدن، والرفيق ليتفينوف وكلونيل بيك، وبقية الأعضاء على الجانبين

وبعد أن قرأ الرئيس اللائحة التى قدمتها فرنسا وبلجيكا، قام مستر إيدن ورحب بأعضاء المجلس بالنيابة عن الحكومة البريطانية وقال إنه يترك الكلام إلى ممثلى فرنسا وبلجيكا، وسيبدى وجهة نظر بريطانيا فى وقت آخر

ثم قام مسـيو فلاندان وقرأ بيان فرنسا بصوت هادىء وجلى، وقال بأن الواجب هو الذى دعا فرنسا إلى رفع الدعوى إلى مجلس العصبة لا حقها فى ذلك، لأن لفرنسا الحق فى اتخاذ إجراءات مادية وعسكرية لاعادة كل شيء إلى ما كان عليه، غير أنها فضلت ألا تزيد فى تعقيـد المشكلة، بل تريد الوصول إلى حل سلمى ومرضى؛ وهى تثق فى عدالة مجلس العصبة، وتطلب منه أن يضع قراراً مبينة فيه الاجراءات الفعالة التى يجب اتخاذها لوضع الحق فى نصابه، وقال إن عمل ألمانيا يضع السلام وكيان عصبة الأمم فى خطر عظيم ... وأبان بأن معاهدة فرساى تعتبر احتلال أراضى الرين عملا عدائياً، ومعاهدة لوكارنو تعتبره تعدياً على المعاهدة؛ وإن فرنسا تطلب تسجيل هـذا التعدى فى السجل الرسمى ...

(يتبع) يوسف هيكل

# المتنبي يعشـــق ...!

## للأستاذ محمد سعيد العريان

« كل أدباء العربية على أن المتنبى نشأ نشأة السواد من أهل الكوفة، وأن حياة الكفاح شغلته وملأت تاريخه، حتى لم يكن فيها من الفراغ ما يهيئ له أن يتذوق الحب فيترجم عن احساس العاشق

« ولكن صديقنا الأستاذ محمود محمد شاكر يرى رأياً غـير ذاك؛ فيزعم أن المتنبى علوى منكور النسب، وأنه كانت له فى بلاط سيف الدولة قصة غرام بينه وبين خولة أخت الأمير، كان لها أثر أى أثر فى شعره وحياته من بعد[1]

« وهو رأى جديد فى تاريخ المتنبى، أحسب أن طائفة كبيرة من أدبائنا لا تطمئن إليـه ولا تأخذ به، حرصا على التقاليد ... أو حفاظا على القديم وحسب ...

« أما هذا الرأى عندى فهذه قصته، تجلو غامضه، وتؤلف غريبه، وتكشف عنه على ضوء من الفن يهيئ للباحث المنصف أن يجادل أو يقتنع ... »

مضى الفتى العلوىُّ الثائر المتوثب (أبو الطيب المتنبى)، تتقاذفه الفلوات من غربة إلى غربة، وتترامأه الأحداث من بلد إلى بلد، وتنوشه من كل جانب سهام البغى والشر والحسد، ويقعد له فى كل مرصدٍ كيدٌ يتربص ...

ممّن أبوك يا فتى؟ وما بلدك؟ ... وهل له أن يجيب؟ أما الأولى فمن دونها سيوفُ (الأدعياء) تنكر عليه أن يجهر بعلويته، وما له قبلٌ بأن ينازلهم فيثبت لهم ...!

وأما الأخرى ... وا أسفاه ...! هذه جدته على الفراش تحتضر، وَحِيدَةً منقطعه فريدة، فيأبون عليه أن يدخل (الكوفة) ليتزود منها بالنظر الأخير ...!

* * *

لمن الملك اليوم؟ إنه للروم والترك والعجم، ولا سلطان لغير الروم والترك والعجم ... فى العراق، وفى مصر، وفيما بين العراق ومصر ... فى الشرق والغرب يبسط الأعاجم سلطانهم على الدولة العربية، فأيان يلتفت الشاعر العربى لا يجد إلا الروم. ومن أين لأبى الطيب أن يسكن إلى ذاك أو يستقر اليه؟ إنه

(١) المقتطف: يناير سنة ١٩٣٦

ليرمى ببصره إلى هنا وهناك ، فلا يرى إلا ما يحزنه ويتهاوى بآماله ؛ لقد خرج إلى الدنيا طريداً يتيما ، ينكرون عليه نسبه ، وينكرون عليه طموحه ؛ ثم ها هو ذاك وقد سلخ أربعا وثلاثين يتلفت حواليه فما تزيده النظرة إلا شعورا بالوحدة واليتم والغربة ... ولكن فى أعراقه يفور دم العروبة ، وفى أعصابه تنبض أمانى الشباب ، وفى نفسه تهمس ألحان الشعر

« ستكون أميراً يا أبا الطيب ، فاجمع عزيمتك على الجهاد حتى تبلغ ، فتنال منالك من ( الشامتين ) ، وتديل للعربية من ( دولة الخدم ) . . . »

وانطلق الشاعر المتوثب يطوى البيداء مطوياً على هم وألم ، وفى نفسه أحقاد تثور ، وأمانى تصطرع . . . حتى انتهى الى بنى حمدان

***

هنا دولة العرب ، وهنا عز العروبة ، وهنا تستقر الأمانى لتستجم للجهاد . واجتمع الشاعر العربى الثائر ، بالمجاهد العربى الظافر ؛ وانعقدت أواصر الود بين أبى الطيب المتنبى وسيف الدولة بن حمدان . وآثره الأمير وأدناه وفتح له بابه ... فاذا هو منه كبعض أهله ... وتراءيا قلباً لقلب ، فما بينهما سر ولا دونهما حجاب ؛ وتكاشفا رأياً لرأى ، فما هما الا فكرة واحدة تسمى إلى هدف ؛ وتنوَّرا الأملَ المشترك من بعيد ، فاذا هما على الخلوة يتذاكران الرأى ، ويتحايلان للظفر .

وصار شاعرُ الأمير صفيَّه وخليله وصاحب سرّه ، يلقاه أيان يريد بلا إذن ولا ميعاد . . . وعرفه حاجب الأمير وأهله ، وعرفته ( خوْلةُ ) بنت حمدان ، فعرفتْ رَجُلَها وعرَف ...

وقال أبو الطيب : « لله أنتِ يا ابنة المجد ! لعينيك كنت أطوى البيد وتتقاذفنى الفلوات ! »

وقالت خولة : « ومن أجلك أنتَ يا أبا الطيب ، كانت تخيَّل لىَ الأحلام ما ليس من دنياى ! »

وطوت آخر كلماتها فى ابتسامة ، وأطبق الشاعر شفتيه على كلام ؛ وقالت له عيناها . . . وقالت لها عيناه . . .

ودخل الشاعر فى تاريخ جديد . . .

***

وقال المتنبى لسيف الدولة : « أتُراك يا أميرى تعرف من أمرى ما يُقنعك بالرضا ... ؟ » فوعده سيف الدولة أن يُزوّجه خولة ...

وراح الشاعر يحلم ... ثم عاد يحاول أن يلقى صاحبته فيقولَ لها وتقول له ، ولكن الباب كان محكم الغَلَق ؛ فلَوَى وجهه عن بابها وفى نفسه شوقٌ وحنين ، ولكنه استمر يحلم ... !

ومضى ينشد أميره من شعره ... أذلك شعر المتنبى الثائر المتكبر ربيبِ الوحشة وطريد الفلوات ؟ أم هو الفنُّ النسوىّ البديع يهيىء للشاعر مادته ويصنع له بيانه ... ؟ أسمعْتَ وسوسة القُبَل ... ؟

وسمع سيفُ الدولة وطرب ، وسمع جلساؤه فعرفوا الجرْس والرنين ؛ وهمس شاعر فى أذن صاحبه ، ومال صديق على من يليه ، وقال الخامس للسادس : « إن شاعر الأمير لعاشق ! » وامتدت للكلام أطراف وأذناب ...

وراح الشاعر ثانيةً يحاول أن يلقى صاحبته ، فاذا من دون الباب بوّاب ... وعاد إلى الأمير يستنجزه الوعد ، فاذا الأمير فى شغل عنه بالروم وحرب الروم ، فهو يستمهله إلى حين ... ورجع إلى نفسه يستلهمها الصبر فلا تلهمه ، ويستعينها على ما يجد فلا تعينه ... ونظر حواليه فاذا عيون تنظر ، وإذا شفاهٌ تبتسم ، وإذا ألسنة فى أفواه تلجلج بكلام ...

كم يلقى العاشق من نأى الحبيب والدار قريب ... ؟

وقال الرجل لنفسه : « ما أنا والاميرَ وأختَ الأمير : إن كانت لى فما يحول بينى وبينها ؟ وإن كانت عِدَةً بلا وفاء فما مُقامى ؟ »

وقالت له نفســه : « هوِّن عليك يا صاحبى ، لا حبٌّ بلا وجد ؛ إلا أن تكون نارٌ بلا احراق ! »

فعاد الشاعر ينتظر ويحلم ، ولكن الأيام لا تنتظر ، ومضى شهر فى أذيال شهر ، وتصرم عام وراء عام ، والشاعر العاشق على صبره يرجو ويتقى ...

وقال ( أبو فراس الحمدانى ) الشاعر لصاحبه : ما هذا الرجل بينى وبين خَوْلةَ ونحن أولاد عمومة ؟ أما كفاه مجلسه من الامير ؟ أبعدَنا وأدناه ، وحرمنا وأعطاه ، وأسكتنا واستمع

اليه ؟ أفيطمع بعد ذلك فى نسب الأمير وصهره ... ؟ »

وجاءت مقالته تسعى إلى المتنبى فنالت منه ... !

« أبو فراس يطمع فى خولة ؟ ولكنها مسماةٌ علىّ ؛ أيقف بين الأمير والوفاء بما وعد أن أبا فراس من عمومته ... ؟ ومن أكون إن كان ذلك موضعى من نفس الأمير ... ؟ »

فعادت نفسه تقول : « بعض هذا يا صاحبى ، إن الحبّ حيلة الحياة ، فلست تبلغ منه بالكبرياء ما تبلغ منه بالصبر والحيلة ... ! »

ولكن العاشق المتكبر لم يستمع هذه المرة الى نفسه وهواه ؛ لقد غلبته الكبرياء فكفر بالحب ؛ وهل كان للمتنبى أن يخضع للحب أو يتضرع ... ؟

وتوزّعه العشقُ والكبرياء ، وتقاسمته عزةُ الرجل ورقةُ العاشق ... وغدا على مجلس الأمير ينشده ، فاذا الحب المستور يستعلن ، واذا النفس الثائرة تفور ، واذا (أنت) على لسان الشاعر المادح تعود (أنا) ، واذا هو يفتخر وكان يريد أن يمدح ..

وفهم سيفُ الدولة ما يعنى ، وفهم جلساءُ سيف الدولة ؛ ولكن حرمات الأمير الكريم ردّت الكلام الى الافواه ، فما استطاع أحد منهم أن يقول : إن فى بيت الأمير قصة غرام

ولكن (أبا العشائر الحدانى) لم يسكت ، فأرسل غلمانه يأخذون على العاشق الجرىء طريقه ... ونجا الشاعر من كيد كان يراد ، ولكنه لم ينتقم ، وشفع للعدو عند الشاعر أنه منتسب الى الحبيب

واستيأس المتنبى ونفد صبره ، فأزمع الرحلة الى بعيد لعله أن ينسى ...

وفارق سيفَ الدولة متكبراً عزيزاً أبياً ، ولكنه خلّف قلبه وراءه ، وخلّف الأمل فى الملك والجاه والسعادة ، وأيقظته الحقيقة بعد حُلم دام تسع سنين ؛ ومضى على غير وجهٍ وقلبُه يتلفّت إلى تلك التى خلّفها وراءه ؛ وعادت تتقاذفه البلاد ، وتترامى القفار ، يساوم للمجد ، ويجاهد للامارة ، لعله أن يعود إلى من يحب وعلى رأسه تاج ... !

ومضت سنوات ، وقلب العاشق ما ينفكّ ينبض ، وما يبرح يذكر هواه ومن أحَبّ ؛ فما ينشد شعراً إلاّ وفيه لوعة من أثر الفراق ، أو حسرة من وحشة الحبيب النائى ... !

واأسفا لمشتاقٍ بلا أمل ... تمضى لياليه بغير جديد ، وتنقضى أيامه على غير ميعاد ، مغيظاً على بعده « غيظ الأسير على القدّ ... ! »

ليت شعرى . أ كان هو وحده المعذب الملتاع بهذا الفراق الذى اختاره فراراً بكبريائه ... ؟

ودخل الكوفة يطلب العزاء فى الوطن الذى حرم دخوله منذ الشباب ، تتجاذبه الكبرياء والهوى ، وتتدافعه الأمانى والذكريات ، ويسترجع الماضى ويهتف بالغد . . . ولكن ما استقرت به النوى حتى جاءه النبأ ... ماتت خولة ... !

وتهاوت آمال الشاعر أملاً أملاً فما عاد يستمسك ، ونالت منه الحسرة والتفجع فانصدعت كبده . وسكت أمير شعراء العربية سنتين لا ينشد ، والشعر يترقرق دموعاً فى عينيه ويتصعّد زفرات . . . !

يا عجبا ! إن النفس لا تجيش بأبلغ الشعر إلا حين يتأبى البيان على اللسان ... !

واستنجزه الحب أن يفىَ فما تَلَبّث . وأصابته الطعنة القاتلة بعد عام ثالث ... !

وسكت شاعر العربية الى الأبد ، ولكن الناس ما تزال تتحدث عنه بعد ألف سنة من عمر الزمان ولن تزال ...

وكتب فى تاريخ الأدب قصة غرام عجيبة ، لم يعرفها الناس إلا بعد ألف سنة ، لأن العاشق فيها كان أكبر وأعظم من أن يقول ؛ « أنا أحب .. ! »

وظلت هذه القصة سراً فى ضمير الغيب كل هذا الزمان . لتكون بهذا الكتمان العجيب رمزاً عجيباً لصبر هذا الشاعر العاشق : أبى الطيب المتنبى ...

محمد سعيد العريان

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربى

# اشتغال العرب بالأدب المقارن

أو ما يدعوه الفرنج « littérature comparée »

## فى كتاب تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر

لفيلسوف العرب أبى الوليد بن رشد *

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوى

مقدمة :

إن الانسان لولوع جداً باظهار الحقائق عن طريق المقارنة ، والمقارنة قد تكون مقارنة فرد بفرد أو شعب بشعب . أما الأولى فقد تكاد تكون شائعة فى كل عهد لأنها رأس كل نقد . والأوائل لم يغمروا مثلاً امرأ القيس بما غمروه من فيض عبقريته إلا بعد أن قرنوا شاعرية غيره إلى شاعريته . والانسان مسوق بطبعه الموروث إلى مثل هذه المقارنة التى قد تكون غريزية فى كل كائن يفكر ويشعر . أما المقارنة الثانية فهى حديثة النشأة ، لأن النقد لم يكن ليخطر فى باله أن يقيم الأوزان بين أدباء أمتين مختلفتين ثقافة واتجاهاً وشعوراً . ومن كان يفكر فى المقارنة بين شكسبير وراسين ، ودانتى وميلتون ، وبين ميزات الأدب الألمانى والأدب الفرنسى ؟ وكل واحد منهم يمت بوسائله إلى أمة مستقلة فى تطورها وبيئتها . ولكن الأدب — كما يبدو — له سلطان قاهر ، يرمى بالحواجز التى تفصل بين الحدود الصناعية ويقتحم فى عوالم الفكر والخيال دون أن يصد اقتحامه شىء لأنه الأدب . . .

وهكذا نشأت الصلات الأدبية بين الأمم إلا ما شاء ربك ! . . وربطت بين المفكرين ربطا لا يقوم على مصالح سياسية أو مطامع مادية وانما يقوم على رفع منارة الفكر واعلاء كلمة الفكر . فما أطهر هذه الرابطة لو أنها تخرج من هذا العالم غير المحدود الى العالم الذى سودته الحدود ! فتجد الأديب الفرنسى يحلل الأديب الألمانى دون أن تطغى على قلبه سورة الحقد . وتجد الأديب الألمانى يكتب عن الأديب الفرنسى من غير أن تغلب عليه موجدة . ذلك أن عالم الفكر سما بهما فوق عالمهما المحدود الذى غمرته الحزازات وتقطعت بين وشائجه الأسباب . فهما يتفاهمان فى ذلك العالم ويصافح بعضهما بعضاً

هذا هو الأدب بالمقارنة يعمل على درس ميزات أدب كل أمة بمقارنتها مع ميزات غيرها من الأمم . وهو أدب — كما قلت — حديث الخلق ، شجع على نشره شيوع رسالة الأدب الانسانى . ولعل رسالة الفلسفة كانت أسبق من الأدب الى هذه الرسالة . لأنها تنعتق من قيود العاطفة ولا تتخذ مطيتها إلا الفكر . والفكر أصلب عوداً من العاطفة . والفلسفة وحدها كانت أبعد العلوم الفكرية شيوعاً وذيوعاً فى كل عصر ، تكتسبها الأمم الغالبة من الأمم المغلوبة دون أن يلحقها عار الاكتساب ، ودون أن تتحوط له . كما نقل العرب الفلسفة اليونانية بحذافيرها ، وطبقوها على عقائدهم الفكرية والاجتماعية ، حتى غدا اليونان أساتذة العرب فى الفلسفة . أما الأدب اليونانى فلم يكتب له حظ الانتقال فى كثير ولا قليل . ولعل ذلك يعود الى اختلاف الاحساس والتعبير عند الأمتين . ومن عجب الأيام أن يمتزج المنطق اليونانى مع العقل ، ويتبدل حتى يغدو جزءاً من العقل العربى . والأدب اليونانى لا يكتب له إلا الخيبة

ألم يتدارس العرب الأدب اليونانى ، كما تدارسوا الفلسفة اليونانية ؟ قد يُظن أنهم درسوا شيئاً منه وسمعوا ألحان هوميروس فيه ، ولكن ألحانه لم تطب لهم ، لأن هذه الأساطير التى يطفح بها أدبهم جاءت فى العهد الذى كان يسيطر فيه المنطق اليونانى على العقل العربى ، فصموا عن هذه الألحان ولم يعيروها التفاتا . وقد يظن أن الأدب العربى الذى كانت معجزة البلاغة منه كان سيد نفسه ، لا يميل الى اقتباس قواعد البلاغة من غيره ، وما

* قد وقعنا على مقالات متفرقة من هذا الكتاب النفيس اعتمدنا عليها فى دراستنا هذه . فنرجو الرسالة أن تحيطنا علما بهذا الكتاب وحبذا لو تعمل لجنة التأليف والترجمة والنشر على نشر هذا الأثر الكريم

( الرسالة ) تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر لابن رشد طبع فى مدينة فلورنسه سنة ١٨٧٢ ووقف على طبعه ( فوسطو لارنبنيو ) ومنه نسخة فى الخزانة الزكية تحت رقم ١١٠٤

فوق بلاغة الكتاب بلاغة . وقد يُظن — وأرجح هذا — أن العرب طووا الأدب اليونانى — اعتمادا على الظن الثانى — ولم يلجوا فيه ، فلم يتمّ لهم ذلك الذوق اليونانى الذى يستطيع أن يحس لذة فنهم وعبقريتهم كما يُحسّ أهله ! وبذلك طغا العقل اليونانى على العرب . أما أدبه فلم يكن له فى الدائرة نصيب

على أن هذا الأدب الذى لم يترك له أثراً فى الأدب العربى قد شغل بعض أذهان رجال من العرب ؛ شغلها عن طريق الفلسفة لا عن طريق الأدب . فابن رشد والفارابى قد ناقشا الشعر اليونانى لا بالطريقة الفنية التى ينبغى لصاحبها أن يتبعها ويتخذ لها السبل المختلفة فى نفسها ، وإنما ناقشاه بالطريقة التى اتبعها أرسطو . فلولا أرسطو لم يتصد ابن رشد والفارابى للشعر اليونانى ، فهما فى ذلك متبعان لا مبتدعان . فاذا أثنى ابن رشد على هوميروس فهو لم يثن بلسان نفسه وفن نفسه ، وإنما يثنى لأن أرسطو أثنى عليه . وسبب ذلك واضح ، لأنهما قرآ تحليل أرسطو لهوميروس ولم يقرآ لهوميروس نفسه . وبذلك ظل الأدب اليونانى بعيدا عنهما . وبالرغم من ذلك نرى ابن رشد قد استطاع أن يدرس قواعد شعرهم ويفيد من تلك القواعد ويعمل على تطبيقها فى آداب أمته . وعمله هذا هو ما نريد منه « الأدب بالمقارنة » وهذه المقارنة برغم نقصها الفنى جاءت مقارنة حسنة فى بابها ، مبتدعة وقتها . ألقت على الأدب العربى ضوء دراسة جديدة . على أن أدباء العرب الذين وقفوا على هذه المقارنة وشعروا بهذا التفاوت لم يجدوا فى أنفسهم مايحملهم على مناقشة هذه القواعد والاستفادة منها ، وقد رأوا ما حل باخوانهم الفلاسفة من الوشايات والمكائد التى كانت تنصب لهم ، وألوان الاضطهاد الذى نزل عليهم . أضف الى ذلك أن الألحان الوصفية والعاطفية فى الشعر اليونانى كانت تتمشى فى تضاعيفها العقيدة الوثنية والآلهة الكثيرة ، والعرب كانوا شديدى الغيرة على هذا الواحد زهوا به على الأمم ، فصرفتهم الأساطير عن تذوق ما فى الأساطير

تذوق هذان الرجلان بعض روائع الأدب اليونانى ولكن طبيعتهما الأدبية لم تكن لتخول لهما أن يكونا زعيمى مدرسة فى الأدب جديدة ، فلم يخرج تأثيرهما عما اختصا به . وهيهات أن يصنع الفيلسوف ما يصنعه الأديب فى عالم أدبه . فلو أن ابن الرومى مثلاً تذوق هذه الروائع إلى حد بعيد لفعل أكثر مما فعل ، ولخلق للشعر أخيلة أخرى ونماذج أخرى ، ولكن ابن رشد ماعسى يستطيع أن يعمل وهو ليس بزعيم مدرسة أدبية ! إنه يجادل ويحدد ويهدى إلى مناهج ومناهج ولكنه لا يخلق شيئاً

إن فضل ابن رشد على الأدب العربى فى هذا الكتاب لفضل عظيم ، لأنه يدل على العربى الأول الذى كتب عن الأدب بطريق المقارنة ، ووفق فى هذه المقارنة كثيراً ؛ ويدل بعد ذلك على أن العرب جربوا أن يدرسوا الآداب الأجنبية ليستفيدوا ويفيدوا من قواعدها ، وإن دراستنا — اليوم — للأدب الأجنبى أكثر ضرورة منها بالأمس ، بعد أن امتزجت عوالم الفكر واتحدت مناهج الأدب ، وأصبح لا يليق بنا أن نترك الأدب العربى محصوراً فى عزلته بحجة صيانته ووقايته . وما الذى يخشى عليه ؟ وإنما صيانته ووقايته فى تعريضه للهواء والنور لا فى حجبه عنهما ، وفى تقريبه من الآداب العالمية حتى يساهم معها فى تأدية رسالتها لا فى تنفيره منها وتنفيرها منه ، على أن يبق أدبنا محتفظاً بألوانه ، ويبق أديبنا عاملاً على ابدائها لا على اخفائها ؛ وبهذا نحقق غاية من غايات الأدب ، ونفتح لنا زاوية فى عمارة الأدب ، ونكمل الخطوة الأولى التى خطاها الأوائل ولم يكملوها

**غرضه الكتاب وغرضه الشعر :**

وقعت مصادفة على مقالات منثورة من هذا الكتاب ، وهى مقالات لا تكاد تؤلف المصنف كله ، وانما وجدت أنها تعطى فكرة عامة عن الكتاب ومنهج صاحبه ومترجمه فيه . وقد بينت أن المترجم انما عنى به لأنه أثر من آثار أرسطو ، ولأن قواعده فى الشعر ذهبت قوانين عامة ، لأن أرسطو الجبار الذى أراد أن يفرض سلطان العقل على كل سلطان أراد أن يوحد مملكة الشعر ويمسك على الاحساس كما أمسك على العقل ، جاهلاً أن الفرق بين هاتين المملكتين مملكة الاحساس ومملكة العقل فرق كبير ، ولكن الرجل استدرك وزعم أنه يذكر قوانين عامة للشعر ، وهو لا يخوض فى تولد الاحساس وملاءمة التعبير عن الاحساس ، لأن هذا مما يتفاوت فيه العباقرة أنفسهم . فألف هذا الكتاب ليكون له كتاب فى الشعر كما ترك كتاباً فى الخطابة والموسيق ،

ولقد انتصر هذا العقل الى حد كبير فى هذه الميادين التى تختلف عن ميدانه الذى خلق له ، والتى لم يكن له مفر منها ليستطيع أن يمثل حق التمثيل ثقافة عصره . ولقـد استطاع الى حد بعيد أن يكسو هذه الأشـياء النافرة عنه بأردية عقله وتفكيره ، فتبيت تقرأ الشعر فـكراً والتصور تفكيراً . ولم لا ينتصر وقد أدرك بعين التأمل عبقرية هوميروس وأثنى عليه الثناء الجميل ؟ وكيف يوفق الناقد بين رجلين خلدت الطبيعة هذا بعقله وذلك بقلبه ؟

كتب أرسطو كتابه عن الشعر لا كما يريد الشعر لأن أرسطو مكبل بعقله مقتحم بمنطقه . فالأقيسة والاسطقسات والبراهين لا تـكاد تفارق ما أراد منه أن يكون قوانين عامة للشعر ، فجاءت قوانينه بذلك قوانين جافة قاسية يغلب عليها الذهن الرياضى ، لو مشى عليهـا الشعر ذاته لجاء ممسوخاً . وجميل أن تدخل الفلسفة الشعر بشرط أن تتنازل كثيراً عن أقيستها حتى يمكنها أن تتذوق الشعر

تناول ابن رشد هذا الـكتاب وترجمه[1] وتصرف فيه كثيراً وأحسن فى هذا التصرف كثيراً ، فانه استغنى عن النماذج اليونانية التى يستشهد بها المؤلف وأحل محلها نماذج عربية أحسن انتقاءها واصطفاءها ودلت على ثقافة أدبية عالية فى ابن رشد لا تقل قيمة عن بقية الثقافات التى يتضلع بها الفيلسوف . ولـكن عيب الترجمة فى أن ابن رشد طوى كل النماذج اليونانية ، ومن حقه أن يأتى بها ويضع ازاءها ما جاء به من نماذج العرب لتكون الترجمة والمقارنة فى الأمانة سواء ؛ وجاء تقسيمه للمقالات بحسب تقسيم أبواب الشعر عند العرب ، لأنه وقف درسه على هـذه الأبواب ، وقد أضاف اليها دراسات مختلفة فى صناعة الشعر والغاية منهـا ، وفى ألحانه وأوزانه بالنظر الى التوقيع لا الى الأعاريض ، وفى العلل المولدة للشعر ، وفى التخييلات والمعانى ، وفى كيفية التخلص الى ما يراد محاكاته وأنواع المحاكاة المقبولة وغير المقبولة ، وفى صناعة الأشعار القصصية . وكان أكثر توسعاً وتصرفاً فى درس صناعة « المديح وأجزائها » ، لأن هذه الصناعة كانت أروج أبواب الشعر فى ذلك العهـد ، وموضع التفات أكثر الشعراء ، ولسهولة المقارنة فيها ، واستخراج النماذج منها ، وقد غض عن ذكر « الهجاء » لأن قوانينه تنطبق على قوانين المديح . على أن ابن رشد ليلام لوما عنيفاً فى هـذا الباب لاهماله باب الوصف اهمالاً كلياً . ولعل درسه له كان يعمل على خلق جديد فيه . ولا ريب عندى أن أرسطو قد عالج هذا الباب الواسع عندهم معالجته لغيره من الأبواب ، ولـكن ابن رشد قد طوى كشحاً عنه كما ضرب صفحاً عن غيره

أما الغرض من هذا الـكتاب فهو — كما يقول صاحبه — « تلخيص القوانين الـكلية المشتركة لجميع الأمم أو للأكثر فى الشعر ونسبة الموجودة فى كلام العرب أو كلام غيرهم . والشعر عنـده هو أقاويل تحتاج الى وزن ولحن ، ولا يسمى الشعر إلا ما جمع الى الأقاويل التى تسمى شعراً مع الألحان كهوميروس (ولعل هـذا النوع هو ما يدعى الشعر القصصى ، وهو أول ما عرفه اليونان من ضروب الشعر) ، وقد أدخل على الصناعة الشعرية بعض أقيسة منطقية ، دأبها أن تكبل الشعر ، ولـكنها تقوّم العقل

( البقية فى العدد القادم )

**خليل هنداوى**

(١) ثبت أن ابن رشد لم يكن يحسن اليونانية وإنما كان ينقلها عن غيره

# ٤ ـ العجوزان

تتمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال محدثنا : وكنتُ قد ضِقْتُ بهذه اللجاجة الفلسفية ورأيتُني مُضطَغِناً على الشيخين معاً ؛ فقلت للعجوز (ن) : حدثني (رحمك الله) بشيء من قديمكما فإنما اختصارٌ لكل ماضٍ من الحياة يُستَدَلُّ به على أصله المطوَّل إلا في الحب... وما زلتما في جِدِّ الحديث تعبثان بي منذُ اليوم ، فقد عَدَلْتُما بي إلى شأنكما ورأيكما في القديم والجديد وبقي أن أميل بكما ميلة الى سنة ١٨٩٥ . وقد والله كاد ينتحر قلبي يأساً من خبر (كاترينا ومرغريت) ؛ ولكأنك تخشى إذ أعلمتني خبرَ صاحبتك هذه وهي من وراء أربعين سنة — ماتخافه من رجل سيَفجَؤك معها في الخلوة على حالٍ من الريبة فيأخذك « متلبّساً بالجريمة » كما تقولون في لغة المحاكم . . .

قال فضحك العجوزان وقال (ن) : لا والله يا بني ، ولكني أقول ما قال ذلك الحكيم العربي لقومه وقد بلغ مائتي سنة : « قلبي مُضْغَةٌ من جسدي ولا أظنه إلا قد نحل كما نحل سائر جسدي[1] واعلم يا بني أنه إذا ذهب الحب عن الشيخ بقي منه الحنان يعمل مثل عمله ؛ فيحب العجوز مكاناً أوشيئاً أو معنى أي ذلك كان ليُعيدَه ذلك إلى الدنيا أو يُبقيه فيها (بقدر الامكان) ...»

فضحك الأستاذ (م) وقال : ولعل ثرثرة العجوز (ن) هي الآن معشوقة العجوز (ن)

ثم قال : وكل شيء يرقُّ في قلب الرجل الهرم ويحول وجهه كأنه لا يطيق أن ينظر الى معناه الغليظ ؛ ولا بد أن يخرج العجوز من معاني الدنيا قبل أن يخرج من الدنيا . ولهذا لا يهنأ الشيخ إلا إذا عاش بأفكار جسمه الحاضر وقدَّر الأمور على ماهو فيه لا على ماكان فيه . والفرق بين جسمه الحاضر وبين جسمه الماضي أن هذا الماضي كانت تحمله أعضاؤه فهو مجتمع من أعمالها وشهواتها ماضٍ في تحقيق وجودها ومعانيها . أما الحاضر ؛ أما الجسم الهرم فهو يشعر أنه يحمل أعضاءه كلها وكأنها ملفوفة في ثيابه كمتاع المسافر قبل السفر ... وكأن بعضها يسلم على بعض سلام الوداع يقول تفارقني وأفارقك[1]

فتململ الأستاذ (م) وقال : أُفٍّ لك ولما تقول ! لا جرَم أن هذه لغة عظامك التي لا صلابة فيها ، فمن ذلك لا تجيء معانيك في الحياة إلا واهنة ناحلة فقدت أكثرها وبقي من كل شيء منها شيء عند النهاية . أليس في الهرم إلا أن يبقى الجسم ليكون ظاهراً فقط كمُمْشُوش المنقود[2] بعد ذهاب الحب منه يقول كان هنا وكان هنا ؟

ألا فاعلم يا (ن) أن هذه الشيخوخة انما هي غلبةُ روحانية الجسم على بشريته ، فهذا طورٌ من أطوار الحياة لا تدعه الحياة إلا وفيه لذته وسروره كما تصنع بسائر أطوارها ؛ غير أن لذاته بين الروح والجمال ، ومسراته بين العقل والطبيعة ، وكل ما نقص من العمر وجب أن يكون زيادة في ادراك الروح وقوتها وشدتها ونورها . وقد قيل لبعض أهل هذا الشأن وكان في مرض موته : كيف تجد العلة ؟ فقال سلوا العلة عني كيف تجدني ؟

وإنما تثقل الشيخوخة على صاحبها إذا هي انتكستْ فيه وكانت مراغَمةً بينه وبين الحياة ، فيطمع الشيخ فيما مضى ولا يزال يتعلق به ويتسخط على ذهابه ويتصنع له ويتكلف أسبابه ، وقد نسي أن الحياة ردَّته طفلاً كالطفل أكبر سعادته في التوفيق بين نفسه وبين الأشياء الصغيرة البريئة ، وأقوى لذته أن يتفق الجمال الذي في خياله والجمال الذي في الكون ؛ وإنه لكما قلت أنت : لا يهنأ الشيخ إلا إذا عاش بأفكار جسمه الحاضر

وما أصدقَ وأحكم هذا الحديثَ الشريف : « إن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الرَّوْحَ والفرحَ في الرضى واليقين ، وجعل الهمَّ والحزنَ في الشك والسخط » . فهذه هي قاعدة الحياة ، لا تعاملك الحياة بما تملك من الدنيا ، ولكن بما تملك من نفسك ، وبذلك تكون السعادة في أشياء حقيقية ممكنة موجودة ، بل تكون في كل ما أمكن وكل ما وجد . وإذا كان الرضى هو الاتفاق بين

(١) هو أكثم بن صيفي حكيم العرب قالها لقومه في سفرهم إلى النعمان ابن المنذر كيلا يتكلوا عليه في حيلة ولا منطق . ويقال إنه عاش ثلثمائة وثلاثين سنة ، وفي معنى السنة عند العرب كلام ليس هذا موضعه

(١) في الحديث الشريف : إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض ؛ تقول : عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة .

(٢) هو مايبقى من العنقود بعد أكل مافيه من الحب

النفس وصاحبها ، وكان اليقين هو الاتفاق بين النفس وخالقها ، فقد أصبح قانون السعادة شيئاً معنوياً من فضيلة النفس وإيمانها وعقلها ومن الأسرار التي فيها ، لا شيئاً مادياً من أعضائها ومتاعها ودنياها والأخيلة المتقلبة عليها

***

فأطرق العجوز (ن) قليلاً ثم قال : « ربِّ إني وهَنَ العظمُ مني » ، ألا ما أحكم هذه الآية ! فوالله إن قرأت ولا قرأ الناسُ في تصوير الهرَم الفاني أبدعَ منها ولا أدق ولا أوفى ؛ ألا تحس أن قائلها يكاد يسقط من عَجَفٍ وهُزال وإعياء ، وأنه ليس قائماً في الحياة قيامَه فيها من قبل ، وأن تناقضَ هذه الحياة قد وقع في جسمه فأخلَّ به ، وأن معاني التراب قد تعلقت بهذا الجسم تعمل فيه عملها ، فأخذ يتفتَّت كأنما لمس القبر عظامَه وهو حي ، وأنه بهذا كله أوشك أن ينكسر انكسار العظم بلغ المِبرد فيه آخر طبقاته ؟

قال محدثنا : فقلت له : تُرى لو أن نابغةً من نوابغ التصوير في زمننا هـذا ، تناول بفنه ذلك المعنى العجيبَ فكتبه صورةً وألواناً ، لا أحرفاً وكلمات ، فكيف تراه كان يصنع ؟

قال : كان يصنع هكذا : يرسم منظر الشتاء في سماءٍ تعلق سحابُها كثيفاً متراكباً بعضُه على بعض يخيِّل أن السماء تدنو من الأرض ، وقد سدت السحبُ الآفاقَ وأظلم بها الجو ظلامه تحت النهار المغطَّى ، واستطارت بينها وشائعُ من البرق ، ثم يترك من الشمس جانبَ الأفق لُمعةً كضوء الشمعة في فَتْق من فُتوق السحاب ؛ ثم يرسل في الصورة ريحاً باردةً هوجاءَ ، يدل عليها انحناءُ الشجر وتقلب النبات ؛ ثم يرسم رجالاً ونساءً يغلي الشباب فيهم غليانَه من قوة وعافية ، وحب وصبابة ، وتغلي فيهم أفكار أخرى ... وهم جميعاً في هيئة المسرعين إلى مرقص ؛ وهم جميعاً من المجددين ...

ثم يرسم يا بني في آخرهم (على بُعدٍ منهم) عمك العجوز (ن) ، يرسمه كما تراه ، منحلَّ القوة ، منحنيَ الصُّلب ، مُرْعَشاً مُتزلزلاً متضعضعاً ؛ قد زعزعتْه الريح ، وضربه البرد ، وخنقته السحب ؛ وله وجه عليه ذبولُ الدنيا ، يُنبئ أن دمه قد وُضع من جسمه في برَّادة ، والكونُ كله من حوله ومن فوقه أسباب روماتزم ...

ثم يصوره وقد وقف هناك ساهماً كئيباً ، رافعاً رأسه ينظر إلى السماء

***

قال المحدِّث : وضحكنا جميعاً ثم قال الأستاذ (م) : لعمري إن هذه الحياة الآدمية كالآلة صاحبها مهندسها ؛ فإن صلحت واستقامت فمن علمه بها وحياطته لها ، وإن فسدت واختلت فمن عبثه فيها وإهماله إياها ، وليس على الطبيعة في ذلك سبيل لأئمة . والشيخ الضعيف ليس في هذه الدنيا إلا الصورة الهزلية لمفاسد شبابه وضعفه ولينه ودَعَته تُظهرها الدنيا ليسخر من يسخر ويتعظ من يتعظ

قال (ن) : أكذلك هو يا أستاذ ؟

قال الأستاذ . بل هي الصورة الجدية من هذه الحياة الباطلة التي دأبُها ألا تصرح عن حقيقتها إلا في الآخر ، فتظهرها الدنيا ليُجلَّ الحقيقةَ من يجهلها . وليس إلا بهذه الطريقة يعرف من خراب الصورة خرابُ المعنى

قال العجوز (ن) : آه من إجلال الشيخوخة واحترام الناس إياها ! إنهم يرونه احتراماً للشيخ والشيخ لايراه إلا تعزية . وما الأشياخُ الهَرْمَى إلا جنازات قبل وقتها لا توحي إلى الناس شيئاً غير وحي الجنازة من مهابة وخشوع

قال الأستاذ : إنما أنت دائماً في حديث نفسك مع نفسك ، ولو كنت نهراً يا مُسْتَنْقَع لما كان في لغتك هذه الأحرف من البعوض

قال العجوز الظريف : إن هذا ليس من كلام الفلسفة التي تتنازعها بيننا تردُّ على وأرد عليك ، ولكنه كلام القانون الذي لك وحدك أن تتكلم به أيها القاضي

قال (م) : صرِّح وبَيِّن فما فهمنا شيئاً

قال العجوز : هذا كلام قلته قديماً في حادثة عجيبة . فقد رفعت إلى ذات يوم قضية شيخ هرم كان قد سرق دَجاجة ؛ وتوسَّمته فاذا هو من أذكى الناس ، وإذا هو يجل عن موضعه من التهمة ، ولكن صح عندي أنه قد سرق وقامت البيِّنة عليه ووجب الحكم ، فقلت له : أيها الشيخ ما تستحي وأنت شائب أن تكون لصاً ؟

قال : ياسيدي القاضي كأنك تقول لي ما تستحي أن تجوع ؟

فَوَرَدَ علىَّ من جوابه ما حيَّرنى فقلت له : واذا جعت أما تستحى أن تسرق ؟

قال ياسيدى القاضى كأنك تقول لى : وإذا جعت أماتستحى أن تأكل ؟

فكانت هذه أشدَّ علىَّ فقلت له : وإذا أكلت أما تأكل إلا حراماً ؟

فقال : يا سيدى القاضى إنك اذا نظرت إلى محتاجاً لا أجد شيئاً ، لم ترنى سارقاً حين وجدت شيئاً

فأفحمنى الرجل على جهله وسذاجته ، وقلت فى نفسى لو سرق أفلاطون لكان مثل هذا ؟ فتركت الكلام بالفلسفة وتكلمت بالقانون الذى لا يملك الرجل معه قولاً يراجعنى به ، فقلت : ولكنك جئت الى هذه المحكمة بالسرقة فلا تذهب من هذه المحكمة إلا بالحبس سنتين

* * *

قال محدثنا : وأرمضنى هذا العجوز الثرثار وملأ صدرى إذ ما برح يديرنى وأديره عن (كاترينا ومرغريت) ، ورأيت كل شىء قد هرم فيه إلا لسانه ، فحملنى الضجر والطيش على أن قلت له : وهب القضية كانت هى قضية (كاترينا) وقد رفعت إليك متهمة ، أفكنت قائلاً لها : جئتِ إلى المحكمة بالسرقة فلا تذهبين من المحكمة إلا بالحبس سنتين ؟

وجرت الكلمةُ على لسانى وما ألقيت لها بالاً ولا عرفت لها خطرا ؛ فاكفهرَّ القاضى العجوز وتربد وجهه غضباً وقال : يا بغيض ! أحسبتنى كنت قائلاً لها : جئت إلى المحكمة بالسرقة فلا تذهبين من المحكمة إلا بالقاضى ... ؟

وغضب الأستاذ (م) وقال : ويحك أهذا من أدبكم الجديد الذى تأدبتم به على أساتذة منهم الفَجرة الذين يكذبون الأنبياء ولا يؤمنون إلا بدين الغريزة ويسوغونكم مذاهبَ الحمير والبغال فى حرية الدم ... ؟ أما إنى لأعلم أنكم نشأتم على حرية الرأى ولكن الكلمة بين اثنين لا تكون حرةً كلَّ الحرية إلا وهى أحياناً سفيهة كل السفاهة كهذه القولة التى نطقتَ بها

لقد كان الناس فى زمننا الماضى أناساً على حدة ، وكانت الآدابُ حالاتٍ عقليةً ثابتةً لا تتغير ولا يجوز أن تتغير ، وكان الأستاذ الكافر بينه وبين نفسه لا يكون مع تلاميذه إلا كالمومس تجهد أن تربى بنتها على غير طريقتها

قال الحدث : فلجلجتُ وذهبتُ أعتذر ، ولكن العجوز (ن) قطع علىَّ وأنشأ يقول وقد انفجر غيظه : لقد تمت فى هؤلاء صنعةُ حرية الفكر كما تمت من قبل فى ذلك الواعظ المعلم القديم الذى حدثوا عنه أنه كان يقصُّ على الناس فى المسجد كل أربعاء[1] فيعلمهم أمورَ دينهم ويعظهم ويحذرهم ويذكرهم اللهَ وجنته ونارَه ؛ قالوا فاحتبس عليهم فى بعض الأيام وطال انتظارهم له ، فبينما هم كذلك إذ جاءهم رسوله فقال : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا فانى قد أصبحتُ مخمورا ... ...

هذا القاصُّ المخمور هو عند هؤلاء السخفاء إمام فى مذهب حرية الفكر ، وفضيلته عندهم أنه صريح غير منافق ... وكان يكون هذا قولاً فى إمام المسجد لولا أنه إمام المسجد ؛ غير أن حرية الفكر تبنى دائماً فى كل ما تبنى على غير الأصل ، وعندها أن المنطق الذى موضوعه ما يجب ، ليس بالمنطق الصحيح إذ لا يجب شىء ما دام مذهبها الاطلاق والحرية

كل مفتون من هؤلاء يتوهم أن العالم لا بد أن يمر من تفكيره كما مرَّ من إرادة الخالق ، وأنه لا بد له أن يحكم على الأشياء ولو بكلمة سخيفة تجعله يحكم ، ولا بد أن يقول (كن) وإن لم يكن إلا جهله . ومذهبه الأخلاق : اطلب أنت القوة للمجموع أما أنا فالتمس لنفسى المنفعة واللذة . ويحسبون أنهم يحملون المجتمع ؛ فانهم ليحملونه ولكن على طريقة البراغيث فى جناح النسر

قال (م) : وكيف ذلك ؟

قال : زعموا أن طائفة من البراغيث اتصلت بجناح نسر عظيم واستمرأته ورتَعَتْ فيه ، فصابرها النسر زمناً ثم تأذى بها وأراد أن يرميها عنه فطفق يخفق بجناحيه يريد نفضها ، فقالت له البراغيث : أيها النسر الأحمق ! أماتعلم أننا فى جناحيك لنحملك فى الجو ... ؟

أما أساتذة هذه الحرية الدينية الفكرية الأدبية ، فقد قال الحكماء : إن بَعْرةً من البَعْر كانت معلِّمة فى مدرسة

قال (م) : وكيف ذلك ؟

(1) هو أبو كعب القاص ذكره الجاحظ فى كتاب الحيوان وقال إنه كان يقص كل أربعاء فى مسجد عتاب بالبصرة

قال : زعموا أن بعرة كبش كانت معلمة فى مدرسة الحصى ، فألَّفت لتلاميذها كتاباً أحكمته وأطالت له الفكرة ، وبلغت فيه جهدَ ما تقدر عليه لتظهر عبقريتها الجبارة ؛ فكان البابُ الأكبر فيه أن الجبل خرافة من الخرافات ، لا يسوغ فى العقل الحر إلا هذا ، ولا يصح غير هذا فى المنطق . قالت : والبرهانُ على ذلك أنهم يزعمون أن الجبل شىء عظيم ، يكون فى قدر الكبش الكبير ألفَ ألفِ مرة ؛ فاذا كان الجبل فى قدر الكبش ألف ألف مرة فكيف يمكن أن يَبْعَرَه الكبش ... ؟

قال الأستاذ (م) : هذا منطق جديد سديد لولا أنه منطق بعرة

قال (ن) : وكل قديم له عندهم جديد ، فكلمة (رجل) قد تخنثت ، وكلمة (شاب) قد تأنثت ، وكلمة (عفيفة) قد تدنست ، وكلمة (حياء) قد تنجَّست . والزمن الجديد ألا يعرف الطالب فى هذا العام ماذا تكون أخلاقه فى العام القادم ... والحياة الجديدة أن تتقن الغش أكثر مما تتقن العمل ... والذمة الجديدة أنَّ مال غيرك لا يسمى مالاً إلا حين يصير فى يدك ... والصدق الجديد أن تكذب مائة مرة ، فعسى أن يصدق الناس منها مرة ... ثم الانسان الجديد ، والحب الجديد ، والمرأة الجديدة ، والأدب الجديد ، والدين الجديد ، والأب الجديد ، والابن الجديد ؛ وما أدرى ومالا أدرى

قالوا (السوبرمان) : وتنطَّعوا فى إخراج المخلوق الكامل بغير دينه وأخلاقه ، فسخرت منهم الطبيعة ، فلم تخرج إلا الناقص أخس النقص ، وتركتهم يعملون فى النظرية وعملت هى الحقيقة

* * *

قال محدثنا : ونهض العجوز (ن) وهو يقول : تباركتَ وتعاليت يا خالق هذا الخلق ؛ لو فهموا عنك لفهموا الحكمة فى أنك قد فتحت على العلم الجديد بالغازات السامة ...

قال : ولما انصرف العجوز ، قلت للأستاذ (م) : ولكن ما خبر (كاترينا ومرغريت) وسنة ١٨٩٥ ؟

فقال : أيها الأبله ، أما أدركتَ بعدُ أن العجوزين قد سخرا منك بأسلوب جديد ............ ؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

# ذكرى المولد الشريف

## للشاعر المطبوع الأستاذ أحمد محرم

مِنْ هيبةٍ يُغضى القريضُ ويُطرق … ويميل فيك إلى السكوت المنطقُ
إيذن يَفِض هذا البيانَ فانه … مما يُفيض بيانكَ المتدفقُ
ما فى النوابغِ من لبيبٍ حاذق … إلا وأنتَ ألبُّ منه وأحذق
إن يلبس الشعرُ الجمال منوَّراً … عبقاً ، فأنتَ جماله والرونق
والقولُ مُستلَبُ المحاسن عاطلٌ … حتى يقولَ العبقريُّ المفلق
رُضْتَ الأوابد لى أقودُ صعابها … ورَضيتنى ، إنى إذاً لموفق
هى مدحتى انطلقت إليكَ مشوقة … والسُّبْل تسطع ، والمنازلُ تعبَق
أنتَ المجالُ الرحبُ تعتصر القوى … فيهِ ، وتمتحن العتاقُ السُّبَّق
(حسان) منبهرٌ و(كعب) عاجز … و(الشاعر الجعدىُّ) عانٍ موثق
أطمعتهم فتنازعوا فيك المدى … وأبيت فانقلبوا وكلٌّ مُخفق
لى عذرهم ، ماأنت من عدة المنى … إلا وراءَ مخيلةٍ ما تصدق
أنت احتملت الأمر تنصدع القوى … مما يشق على النفوس ، وتصعق
وَسننت للمتعسفين سبيلهم … متبلجاً سمحاً يُضىء ويُشرق
يمشى الهدى فيه على يدك التى … هى للهدى عضُدٌ أبرُّ ومرفق
ذُعِرت (قريش) هل يبدل دينها … رجلٌ ضعيف فى العشيرة مُملق ؟
لا المال ينصره ، ولا هو إن دعا … خفق اللواء له ، وخف الفيلق
ينهى عن الأصنام وهى بموضع … تمحى حواليه النفوس وتمحق
المالِ والعِرضِ الممنَّعِ سورُه … والمجد والشرف الصميم المعرق
من وَصْفِه الاسد الضوارى تدعى … والخيل تصهل ، والقواضب تبرق

* * *

الحقُّ أقبل فى لواء (إمامهِ) … والحقُّ أولى أن يسود وأخلق
يرمى به سودَ الغياهب ساطعاً … تنجاب حول سناه أو تتشقق
حارَ الظلام ، فما يلوذ بجانبِ … إلا يحيط به الضياء ويحدق
الوحى مطردٌ ، وبأس (محمد) … جارٍ إلى غاياته لا يُلحق
لا الضعف يأخذ من قواه ولا الونى … بأولئك الهمم الدوائب يَعلق

بغى الاولى خذلوه من أنصاره  والبغى نصرٌ للهداة مُحقق
زعموا الأذى مما يفلُّ مضاءه  فمضى البلاء به ، وجد المصدق
يأوى إلى النفرَ الضعاف و إنهم  لأشد منهم فى النضال وأوثق
هم فى حمى (الوحى المنزل) صخرة  تعيى الدُّهاةَ ، وجذوة تتحرق
وهبوا لربهم النفوس كريمة  لا تُفتدى منه ، ولا هى تعتق
المؤمنون الثابتون على المدى  والأرض ترجف ، والشوامخ تخفق
رزقوا اليقين ، فلا ذليلٌ ضارع  يطوى الجناحَ ، ولا جبانٌ مشفق
جند النبىِّ ، إذا تقدم أقبلوا  والموتُ يفزع ، والمصارع تفرق
صدعوا بناء الشركِ تحت لوائه  فهوى ، وطارَ لواؤه يتمزق

* * *

إن الذى جعل الرسالة رحمةً  لم يرحم الدم فى الغواية يهرَق
بعثَ الرســولَ معلماً ومهذباً  يبنى الحياةَ جديدةً يتأنق
يتخير الأخـلاق ينظم حسنها  فى كلّ ركنٍ قائم ويُنسّق
عفت الرسوم وأخلقت فأقامها  شماء لا تعفو ولا هى تخلق
قدسية الأرجاء ، ما برحابُها  عنتٌ ، ولا فيها مكان ضيق
تسع الممالك والشُعوبَ بأسرها  وتفيض خيراً ما بقِينَ وما بقوا
عرفت لحاجات العصور مكانها  فلـكُل عصرٍ سؤلُهُ والمرفق
مَنعت مغالقُها الشرورَ وما بها  للخير والمعروفِ بابٌ مُغلق
فيها لِدُنيا العـالمين مَثابةٌ  لولا التباعد والهوى المتفرق
(المصلح الأعلى) أتمّ نظامها  فانظر أينقضه الغبىُّ الأخرق ؟
أوْفى على الدنيا ، وملءُ فجاجها  بغى يزلزلها ، وظـلم مو بق
والناس فوضى فى البلاد يغرهم  دينٌ من الخبل المضل ملفق
النفس مغلقــةٌ على أوهامها  والعقل مضطهدٌ يُضامُ ويُرهق
سَجدوا لما صَنعوا ! فأين حلومهم ؟  ولمن جباهٌ بالمهانةِ تُلصق ؟
أهىَ التى رَفعوا وظنوا أنهم  قوم لهم فوق السِّماكِ مُحلَّق ؟ ؟
من يدعى شرَفَ الحياةِ لمعشرٍ  كفروا بمن يَهَب الحياة ويخلق؟

* * *

إن تَنْب (مكةُ) بالرسولِ فما نبا  عزمٌ تُهَدُّ بهِ الصعابُ وَتُسحق
كذب الطغاة : أيُرجفونَ بقتله  والوحى سُورٌ والملائك خندق ؟؟
وَرَدَ (المدينةَ) زاخراً فجرى بها  آذِيُّهُ ، وطما العُباب المغرق
بطلٌ توسَّع فى ميادين الوغى  لما تضايق عن مداه المأزق
ساسَ الحوادثَ والنفوس ، فتارة  يَقِصُ الرقاب ، وتارةً يترفق
يدعو إلى الحسنى ، فإن جمح الهوى  فالسيف مسنون الغرارِ مذلق
يرمى العوان بكلِّ أغلب باسلٍ  يهفو إلى غمراتها يتشوق
لَمَسَ العروش فما يزال يهزها  ذُعرٌ يطوف بها وهمٌّ مقلق
صدعتْ قُوى الاسلام شامخ عزها  فاذا المـــــلوك أذلة تتملق
وإذا الممالك ما يهلل مغربٌ  إلا استجاب له فكبر مشرقٍ

* * *

هـذا تراث المسلمين ، فبعضه  يُرجى علانيةً ، وبعض يسرق
عجز الحماةُ ، فنائمٌ متقلبٌ  فوق الحشيّةِ ، أو مغيظ مُحنَق
عجزوا ، فلا السلَب المباح كريمه  يحمى ، ولا العانى المكبل يُطلق
القوم صمٌّ فى السلاح ، وقومنا  مستصرخٌ يعوى ، وآخرُ ينعق
إن كنت ذا حق فخذه بقوةٍ  الحق يخذله الضعيف فيزهق
لُغــةُ السيوف تحل كل قضية  فدع الـكلام لجاهل يتشدق
وَكُن اللبيب ، فليس من كلماتها  شرْعٌ يُداس ، ولا نظامٌ يخرق
الخيل والرهج المثارُ حزوفها  والنارُ والدمُ والبلاء المطبق
فتشت ما بين السطور فلم أجد  أن الأُسود بصيدها تتصدق
أرأيت أبطالَ الـكفاحِ وما جنى  أملٌ بأجنحة الرياح معلق ؟
لا يأسَ من نفحاتِ ربك إننى  لأرى السناَ خَللَ الدُّجى يتألق

**أحمد محرم**

# نشـــــيد وطنى

## للأستاذ محمود الخفيف

مِصْرُ يا أرْضَ الفراعين الأُولى    موطنَ العِزَّةِ فى فجرِ الزَّمنْ
اسلمى انا نزعنا للعلا    مُذْ دعانا للعلا داعى الوطنْ
وَحْىُ ماضينا جَلاَ المستقبلاَ
فتبيَّنا المكانَ الأوَّلا
وسئمنا فى الحمى طولَ الوسَنْ

دَرَجتْ فى ظِلِ وادينا الحياه    وبماضى عزمنا سارَ المثلْ
قلْ لمن يَزْهى بمجدٍ أو بجاه    نحنُ أهْلُ السَّبْقِ فى المجدِ الأوَلْ
نحن أبناء الميامين الغُزَاه
قد رفعنا اليومَ فى مِصْرَ الجباه
وتغنينا بألحان الاملْ

رُوحُنا أعْيتْ على الدهر الفناء    وطوت فى صمتها طول الحِقَبْ
أبداً لن يفقد النيلُ الرجاء    أو يرى واديه سوءَ المنقلَبْ
عادت الروحُ وإن طال الخفاء
فتطلَّعنا إلى أوج العَلاءْ
وطلبنا موضعاً فوق الشهبْ

سِرُّ وادينا وإن طال السكون    مستكنٌ فيه باقٍ مُدَّخَرْ
خالدٌ يطفو على غمر القرون    نجتليه اليومَ محمودَ الأثرْ
فى غدٍ نُحيى به عَهْدَ الفنون
فى حمى النيل كما كُنَّا نكون
نجتنى من غرسنا أحلى الثمرْ

ياوَريدالقلبفىالوادىالخصيب    أنت يا من وهَبَ الوادى ثراه
سر، تدفق أيها النهرُ الحبيب    يا عباباً يبْهرُ الفكرَ مداه
يا جَديداً وَهْوَ للدهرِ ضريبْ
يتجلىّ فيك لى معنى عجيب
فطن القلبُ إليـــه فوعاه

أنت كالمصرىّ فى نزعته    زاخر بالخير فياض المَعين
خالد تحكيه فى فطرته    وادع تنساب فى خفض ولين
حالم كابنك فى رقتـــه
ولقـــد تحكيه فى غضبته
باعتكار ثم تصفو بعـد حين

إيه يارمز المعالى والخلود    قد شهدت المجد والدهر غلام
وصحبت العزَّ فى كل العهود    فى هجير الحرب أو ظلّ السلام
قِرَّ عيناً أيها النهرُ الودود
قد صحونا بعد أن طال الهجود
وجمعنا بين رأى واعتزام

قد أبينا ذلة المستضعفين    فوثبنا وثبةَ الأسْد الغضابْ
قد كرهنا البحر مسلوب السفين    وملِلْنا البرَّ موهون الجناب
فتآخينا على ضوء اليقين
وهتفنا نصرةُ الأوطان دين
قد دعت مصرُ فما أحلى العذاب !

لم ينل من عزمنا حَرُّ الجهاد    لا ولن نخشى مع الحق الردى
قُل لمن أعماه حقدٌ أو عناد    نحن بالأرواح أعْززْنا الفدى
لازم الجدُّ خطانا والسداد
ولغير الحق لم نُلق القياد
أقبـلَ الدهر علينا أو عدا

جنة الأرض رفعنا ذِكرها    وملأنا باسمها سمع الأمم
أوَ لم ننشر لهـا دُستورَها    بالدَّم المسفوح من طىّ العدم ؟
بُغية النيـل عرفنا مهرَها
فلمحنا بعد حين فجرَها
وغداً نـكشف عن مصرَ الظلَم

شيِّع الليلَ فقد لاح الصباحْ    لم يَقِفْ يوماً عن الدأبِ الفلَكْ
عَهْدُنا عهـدُ جهاد وكفاحْ    بهما كلٌّ عصىّ يُمتلكْ
فامتـلىء من كبرياء وطماح
واتجِهْ صوبَ السموات الفساح
يا ابن مِصرٍ فالعـلا والمجد لك

محمود الخفيف

# القصص

قصة أندلسية واقعية

## محمد الصغير *

للأستاذ علي الطنطاوي

قال :

كنت يومئذ صغيراً ، لا أفقه شيئاً مما كان يجرى فى الخفاء ، ولكنى كنت أجد أبى – رحمه الله – يضطرب ويصفرّ لونه كلما عدت من المدرسة فتلوت عليه ما حفظت من (الكتاب المقدس) ، وأخبرته بما تعلمت من اللغة الاسبانية ، ثم يتركنى ويمضى إلى غرفته التى كانت فى أقصى الدار ، والتى لم يكن يأذن لأحد بالدنو من بابها ، فيلبث فيها ساعات طويلة ، لا أدرى ما يصنع فيها ، ثم يخرج منها محمرّ العينين ، كأنه قد بكى بكاء طويلاً ، ويبقى أياماً ينظر إلىّ بلهفة وحزن ، ويحرك شفتيه فعلَ من يهم بالكلام ، فاذا وقفت مصغياً إليه ولّى ظهره ، وانصرف عنى من غير أن يقول شيئاً – وكنت أجد أمى تشيّعنى كلما ذهبت إلى المدرسة حزينة دامعة العين ، وتقبلنى بشوق وحرقة ، ثم لا تشبع منى فتدعونى فتقبلنى مرة ثانية – ولا تفارقنى إلا باكية ، فأحس نهارى كله بحرارة دموعها على خدى ، فأعجب من بكائها ولا أعرف له سبباً ؛ ثم إذا عدت من المدرسة استقبلتنى بلهفة واشتياق ، كأنى كنت غائباً عنها عشرة أعوام – وكنت أرى والدىّ يبتعدان عنى ويتكلمان همساً بلغة غير اللغة الأسبانية ، لا أعرفها ولا أفهمها ، فاذا دنوت منهما قطعا الحديث وحوّلاه ، وأخذا يتكلمان بالاسبانية فأعجب وأتألم وأذهب أظنّ فى نفسى الظنون حتى إنى لأحسب أنى لست ابنهما ، وانى لقيط جاءا به من الطريق فيبرح بى الألم فآوى إلى ركن فى الدار منعزل فأبكى بكاء مراً – وتوالت علىّ الآلام فأورثتنى مزاجاً خاصاً يختلف عن مزاج الأطفال الذين كانوا فى مثل سنى ، فلم أكن أشاركهم فى شىء من لعبهم ولهوهم ، بل أعتزلهم وأذهب ، فأجلس وحيداً أضع رأسى بين كفى ، وأستغرق فى تفكيرى ، أحاول أن أجد حلاً لهذه المشكلات . . . حتى يجذبنى الخورى من قميصى لأذهب إلى الصلاة فى الكنيسة . . .

وولدت أمى مرة ؛ فلما بشرت أبى بأنها قد جاءت بصبى جميل ، لم يبتهج ولم تلحْ على شفتيه ابتسامة ، ولكنه قام يجر رجله حزيناً ملتاعاً ، فذهب إلى الخورى فدعاه ليعمد الطفل ، وأقبل يمشى وراءه وهو مطرق برأسه إلى الأرض وعلى وجهه علائم الحزن المبرح واليأس القاتل ، حتى جاء به إلى الدار ودخل به على أمى . . . فرأيت وجهها يشحب شحوباً هائلاً ، وعينيها تشخصان ، ورأيتها تدفع إليه الطفل خائفة حذرة . . ثم تغمض عينيها ، فخرت فى تعليل هذه المظاهر ، وازددت ألماً على ألمى . .

حتى إذا كانت ليلة عيد الفصح ، وكانت غرناطة غارقة فى العطر والنور ، والحمراء تتلألأ بالمشاعل والأضواء ، والصلبان تومض على شرفاتها ومآذنها ، دعانى أبى فى جوف الليل ، وأهل الدار كلهم نيام ، فقادنى صامتاً إلى غرفته ، إلى حرمه المقدّس ، تخفق قلبى خفوقاً شديداً ، واضطربت ؛ لكنى تماسكت وتجلدت ، فلما توسط بى الغرفة أحكم إغلاق الباب ، وراح يبحث عن السراج ، وبقيت واقفاً فى الظلام لحظات كانت أطول علىّ من أعوام ؛ ثم أشعل سراجاً صغيراً كان هناك ، فتلفت حولى فرأيت الغرفة خالية ليس فيها شىء مما كنت أتوقع رؤيته من العجائب ، وما فيها إلاّ بساط ، وكتاب موضوع على رفّ ،

* أخذنا فكرة هذه القصة من السطور الأولى من مقدمة كتاب (الأنوار النبوية فى آباء خير البرية) لسيدى محمد بن عبد الرفيع الأندلسى المتوفى بالمغرب سنة ١٠٥٢ ، وهو كتاب مخطوط ، وقد قرأنا هذه المقدمة فى الجزء الثانى فى الصفحة (٢٤) من كتاب (حاضر العالم الاسلامى ، طبع مصر ١٣٥٢)

وسيف معلق بالجدار ، فأجلسنى على هذا البساط ، ولبث صامتاً ينظر إلىّ نظرات غريبــة ، اجتمعت علىّ هى ورهبة المكان ، وسكون الليل ، فشعرت كأنى انفصلت عن الدنيا التى تركتها وراء هذا الباب ، وانتقلت إلى دنيا أخرى ، لا أستطيع وصف ما أحسست به منها . . . ثم أخذ أبى يدىّ بيديه ، بحنو وعطف وقال لى بصوت خافت :

— يا بنىّ : إنك الآن فى العاشرة من عمرك ، وقد صرت رجلاً ، وإنى سأطلعك على السر الذى طالما كتمته عنك . فهل تستطيع أن تحتفظ به فى صدرك ، وتحبسه عن أمك وأهلك وأصحابك والناس أجمعين ؟ إن إشارة منك واحدة إلى هذا السر تعرض جسم أبيك إلى عذاب الجلادين من رجال « ديوان التفتيش »

فلما سمعت اسم ديوان التفتيش ارتجفت من مفرق رأسى الى أخمص قدمى ، وقد كنت صغيراً حقاً ، ولـكننى أعرف ما هو ديوان التفتيش ، وأرى ضحاياه كل يوم وأنا غاد الى المدرسة ورائح منها — فمن رجال يصلبون أو يحرقون ، ومن نساء يعلقن من شعورهن حتى يمتن ، أو تبقر بطونهن ، فسكت ولم أجب

— فقال لى أبى : مالك لا تجيب ؟ أتستطيع أن تـكتم ما سأقوله لك ؟

— قلت له : نعم

— قال : تـكتمه حتى عن أمك وأقرب الناس إليك ؟

— قلت : نعم

قال : — فاقترب منى . أرهف سمعك جيداً . فانى لا أقدر أن أرفع صوتى . أخشى أن تكون للحيطان آذان تسمعنى فتشى بى الى ديوان التفتيش فيحرقنى حياً ...

فاقتربت منه ، وقلت له :

— إنى مصغ يا أبت

فأشار الى الـكتاب الذى كان على الرف . وقال :

— أتعرف هذا الـكتاب يا بنى ؟

— قلت لا

— قال هذا كتاب الله

— قلت الـكتاب المقدس الذى جاء به يسوع ابن الله ؟

فاضطرب وقال :

— كلا . هذا هو القرآن الذى أنزله الله الواحد الأحد الفرد الصمــد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . على أفضل مخلوقاته وسيد أنبيائه ، سيدنا محمد بن عبد الله النبى العربى صلى الله عليه وسلم

ففتحت عينى من الدهشة . ولم أكد أفهم شيئاً

— قال : هذا كتاب الاسلام ، الاسلام الذى بعث الله به محمداً الى الناس كافة .. فظهر هناك ... وراء البحار والبوادى ... فى الصحراء البعيدة القاحلة ... فى مكة ، فى قوم بداة مختلفين مشركين جاهلين ، فهداهم به الى التوحيد وأعطاهم به الاتحاد والقوة والعلم والحضارة ، فخرجوا يفتحون به الشرق والمغرب ، حتى وصلوا إلى هذه الجزيرة ، الى أسبانيا ، وكان ملـكها جباراً عاتياً ، وحكومتهاظالمةغاشمة ، وشعبهامظلوماً فقيراً جاهلاً متأخراً ، فقتلوا الملك الجبار ، وأزالوا الحـكومة الظالمة ، وملـكوا الأمر فى أسبانيا ، فعــدلوا بين الناس وأحسنوا اليهم وأمنوهم على أرواحهم وأموالهم ، ولبثوا فيها ثمانمــائة سنة . . . ثمانمائة سنة جعلوها فيها أرقى وأجمل بلاد الدنيا

نعم يا بنى نحن العرب المسلمين ...

فلم أملك لسانى من الدهشة والعجب والخوف ، وصحت به :

— ما ذا ؟ نحن ؟ ... العرب المسلمين

— قال : نعم يابنى . هذا هو السر الذى سأفضى به اليك ... نعم . نحن ... نحن أصحاب هذه البلاد ، نحن بنينا هذه القصور التى كانت لنا فصارت لعدونا ؛ نحن رفعنا هذه المآذن التى كان يرن فيهــا صوت المؤذن ، فصار يقرع فيها الناقوس ؛ نحن أنشأنا هذه المساجد التى كان يقوم فيها المسلمون صفاً بين يدى الله ، وأمامهم الأئمة يتلون فى المحاريب كلام الله فصارت كنائس يقوم فيها القسس والرهبان يرتلون فيها الانجيل ...

نعم يا بنى ... نحن العرب المسلمين ، لنا فى كل بقعة من بقاع أسبانيا أثر ، وتحت كل شبر منها رفات جد من أجدادنا ، أو شهيد من شهدائنا . نعم ... نحن بنينا هذه المدن ، نحن أنشأنا هذه الجسور ، نحن مهدنا هذه الطرق ، نحن شققنا هذه الترع ، نحن زرعنا هذه الأشجار ...

ولـكن منذ أربعين سنة ... أسامع أنت ؟ منذ أربعين سنة خدع الملك البائس ، أبو عبــد الله الصغير آخر ملوكنا فى هذه الديار بوعود الاسبان وعهودهم فسلمهم مفاتيح غرناطة ، وأباحهم حمى أمته ومدافن أجداده ، وأخذ طريقه إلى بر المغرب ، ليموت

هناك وحيداً فريداً شريداً طريداً ، وكانوا قد تعهدوا لنا بالحرية والعدل والاستقلال . فلما ملكوا خانوا عهودهم كلها ، فأنشأوا ديوان التفتيش ، فأدخلنا فى النصرانية قسراً ، وأجبرنا على ترك لغتنا إجبارا ، وأخذ منا أولادنا لينشئهم على النصرانية . فذلك سر ما ترى من استخفائنا فى العبادة ، وحزننا على ما ترى من امتهان ديننا ، وتكفير أولادنا

أربعون سنة يا بنى ونحن صابرون على هذا العذاب الذى لا تحمله جلاميد الصخر ننتظر فرج الله . لا نيأس لأن اليأس محرم فى ديننا ، دين القوة والصبر والجهاد

هذا هو السر يابنى فاكتمه واعلم أن حياة أبيك معلقة بشفتيك ؛ ولست والله أخشى الموت ، أو أكره لقاء الله ، ولكنى أحب أن أبقى حتى أعلمك لغتك ودينك ، وأنقذك من ظلام الكفر إلى نور الايمان . فقم الآن الى فراشك يا بنى

***

صرت من بعد كلما رأيت شُرَف الحمراء ، أو مآذن غرناطة ، تعرونى هزة عنيفة ، وأحس بالشوق والحزن والبغض والحب يغمر فؤادى ؛ وكثيراً ما ذهلت عن نفسى ساعات طويلة ، فاذا تنبهت رأيتنى أطوف بالحمراء أخاطبها وأعاتبها وأقول لها :

أيتها الحمراء . . . أيتها الحبيبة الهاجرة ، أنسيت بناتك وأصحابك الذين غذوك بأرواحهم ومهجهم ، وسقوك دماءهم ودموعهم ، فتجاهلت عهدهم ، وأنكرت ودهم . أنسيت الملوك الصيد الذين كانوا يجولون فى أبهائك ، ويتكئون على أساطينك ، ويفيضون عليك ما شئت من المجد والجلال والأبهة والجمال ، أولئك الأعزة الكرام الذين إن قالوا أصغت الدنيا ، وإن أمروا لبى الدهر . أألفت النواقيس بعد الأذان ، أرضيت بعد الأئمة بالرهبان !

ثم أخاف أن يسمعنى بعض جواسيس الديوان ، فأسرع الكرة إلى الدار لأحفظ درس العربية الذى كان يلقيه علىّ أبى ، وكأنى أراه الآن يأمرنى أن أكتب له الحرف الأعجمى فيكتب لى حذاءه الحرف العربى ، ويقول لى : هذه حروفنا ، ويعلمنى النطق بها ورسمها ، ثم يلقى علىّ درس الدين ، ويعلمنى الوضوء والصلاة لأقوم وراءه وهو يصلّى خفية فى هذه الغرفة الرهيبة وكان الخوف من أن أزلّ فأفشى السرّ ، لا يفارقه أبداً ،

وكان يمتحننى فيدس أمى إلىّ فتسألنى :

— ماذا يعلمك أبوك ؟

— فأقول : لا شىء

— فتقول : إن عندى نبأ مما يعلمك ، فلا تكتمه عنى

— فأقول : إنه لا يعلمنى شيئاً

حتى أتقنت العربية ، وفهمت القرآن ، وعرفت قواعد الدين ، فعرّفنى بأخ له فى الله ، فكنا نجتمع نحن الثلاثة على عبادتنا وقرآننا

***

واشتدت بعد ذلك قسوة ديوان التفتيش ، وزاد فى تنكيله بالبقية الباقية من العرب ، فلم يكن يمضى يوم لا نرى فيه عشرين أو ثلاثين مصلوباً ، أو محرقاً بالنار حياً ؛ ولا يمضى يوم لا نسمع فيه بالمئات يعذبون أشد العذاب وأفظعه ، فتقلع أظافرهم وهم يرون ذلك بأعينهم ، ويسقون الماء حتى تنقطع أنفاسهم ، وتكوى أرجلهم وجنوبهم بالنار ، وتقطع أصابعهم وتشوى وتوضع فى أفواههم ، ويجلدون حتى يتناثر لحمهم ...

واستمر ذلك مدة طويلة ، فقال لى أبى ذات يوم : إنى أحس يا بنى كأن أجلى قد دنا ، وإنى لأهوى الشهادة على أيدى هؤلاء ، لعل الله يرزقنى الجنة ، فأفوز فوزا عظيما ؛ ولم يبق لى مأرب فى الدنيا بعد أن أخرجتك من ظلمة الكفر وحمّلتك الأمانة الكبرى التى كدت أهوى تحت أثقالها ، فاذا أصابنى أمر فأطع عمك هذا ولا تخالفه فى شىء

***

ومرت على ذلك أيام . وكانت ليلة سوداء من ليالى السّرار ، وإذا بعمى هذا يدعونى ويأمرنى أن أذهب معه ، فقد يسر الله لنا سبيل الفرار إلى عدوة المغرب ، بلد المسلمين ؛ فأقول له : وأبى وأمى ؟ . . .

فيعنف علىّ ويشدّنى من يدى ، ويقول لى : ألم يأمرك أبوك بطاعتى ؟

فأمضى معه صاغراً كارهاً ، حتى إذا ابتعدنا عن المدينة وشملنا الظلام ، قال لى :

— اصبر يا بنىّ . . . فقد كتب الله لوالديك المؤمنين السعادة على يد ديوان التفتيش . . . .

( دمشق ) علي الطنطاوي

من اسخيلوس

# لايوس وأوديب

« درامتان مفقودتان »

## للأستاذ دريني خشبة

مقدمة : كانت محنة بيت لايوس ملك طيبة ، من أعمال بوطيه إحدى مقاطعات هيلاس ، مرتعا خصيبا لأخيلة شعراء اليونان ، وقد اتخذوا منها مادة خالدة لمآسيهم ، وكتب فيها إسخيلوس ثلاثا من أروع مآسيه هي لايوس ، أوديبوس ، سبعة ضد طيبة . وقد فقدت الدرامتان الأوليان مع الأسف الشديد ، وبقيت الثالثة التي تنم بأسلوبها الرائع عما كانت عليه أختاها من الكمال والسمو . ومما يعزينا عن فقدنيك الدرامتين ما وصل إلينا من آثار سوفوكليس ؛ فقد ساهم هو الآخر في تخليد تلك المآسي وأبقت غير الأيام على درامتيه القويتين ( أوديبوس الملك ) و ( أوديبوس في كولونوس ) ولما كنا لم نسغ تقديم الدرامة الباقية من ثلاثية إسخيلوس وهي ( سبعة ضد طيبة ) دون التعريف بالدرامتين اللتين تقدمتاها فقد آثرنا تلخيص هاتين الدرامتين عن مصادر محترمة موثوق بها على أن نلخص الدرامة الباقية بعد ذلك

— ١ —

تزوج لايوس ملك طيبة من الأميرة الجميلة جوكاستا ، ومضت سنون والملكة لا تنجب ؛ فكان عقمها يشجي الملك ، ويكدر صفو حياته ؛ وكانت هي أيضاً تحس بما يحس زوجها من مرارة الحياة بلا ولد ، وإقفار القصر من بلبل غَرِد علؤه موسيقى ويعمر ما أجدب روحي المليكين ، ويربط قلبيهما برباطه المقدس الذي لا ينفصم

فكان الملك وقتاً ما شقيا ، وكانت الملكة وقتا ما شقية

— ٢ —

ثم أخذها المخاض فجأة ، وتحقق الأمل المنشود فوضعته غلاماً زكيا مشرق الوجه مُفْتر الثغر وضاح الجبين . يقبض كفيه الصغيرتين فكأنما يقبض بهما على نواصي المشرقين والمغربين !

وبدا للملك أن يرسل رسله إلى دلفي يستنبئون كهنة أبوللو عما سيكون من شأن الغلام ، وما يضمره له الغيب في صفحته وأسفاه ! لقد عاد الرسل من دلفي بأشأم نبوءة !!

« إذا عاش هذا الغلام فإنه يقتل أباه ، ويتزوج من أمه ، ويجر على شعبه شقاء ما ينتهي حتى تفنى ذريته ! ! »

يا للهول ! لقد سمع الملك إلى النبوءة ؛ وكأنما انطفأت في عينيه شمس السعادة المشرقة ، وكأنما ران على قلبه من الهم ما يضنيه ، فما يدري ماذا يصنع ! ؟

أما الملكة ، فيالها من شقية مرزّأة ! لقد أحست ، مذ عرفت النبوءة ، كأنما قد ولدته أفعوانا أرقم ، كهذه التنانين الخرافية التي تمتلئ بها أساطير قومها ! . . .

— ٣ —

وأسقط في يد الملك ، ثم اعتزم أن يُقتل الغلام ، فعسى أن تبدله الآلهة خيراً منه : « إن نبوءات دلفي لا تكذب ولا تطيش ، وما دام هذا الولد سيقتلني إذا عاش ، فإني قاتله ، ومجنّب أمه الفضيحة ، وشعبي الرزايا والأشجان ! »

ودعا إليه واحداً من خدمه المخلصين فأسر إليه بكلمات . . . واحتمل الخادم الغلام ومضى به إلى البرية ليذبحه . . .

ونظر الرجل في وجه الطفل فرأى البراءة والطهارة والنقاء ، ورأى عينين صافيتين تطل منهما السماء بما فيها من آلهة . . . كأنما تأمره ألا يفعل ! . . .

ورأى شفتين رقيقتين كأنما تكلمانه بلغة علوية في ألفاظ كالنسيم الحلو لا تُبين ، ولكن تُغمغم . . . ولا تُسمع ولكن تفهم . . . تسترحمانه !

ورأى أذنين ترتعشان كالدينارين ، كأنما تقولان له : « أيها الرجل لقد سمعنا ما أسر إليك الملك فحذار أن تقتل هذا الطفل صاحبنا ! . . . »

ثم نظر الرجل في السماء فرأى سحاباً رقيقاً ممزقاً تصبغه الشمس بأرجوان خفيف كالدم المطلول ، فيجفل قلبه ، وتُراع نفسه ويقسم ألا يقتل الولد !

ولكن ماذا يقول للملك ؟ إذن : « لأربط الطفل من عقبيه في هذا الفرع الغليظ من تلك الشجرة ، ولأتركه للآلهة تصنع به ما تشاء . . . فإذا حق عليه القتل ، سمت إليه وحوش البرية أو عقبان السماء فاغتذت به . . . وإلا ، فليحي حياته التي تريدها الآلهة . . . وليكن بعد ذلك ما يكون ! »

— ٤ —

وبكى الطفل ، وملأ البرية بصراخه المحزن ، ورددت الآكام ومشارف الجبال عويله المؤلم ، ثم مر به راع كان يفتقد أحد نعاجه الضالة فرثى له ، وتقدم لحل الرباط عن عقبيه ، وشدهه أن يجدهما متورّمين مما ألم بهما ، فسماه (أوديپوس !)(١)

وارتحل به إلى كورنثه ، فرآه معه من نم عنه إلى الملك الذى كانت امرأته عقيما لا تلد ، فحبب إلى پوليبوس أن يرى الطفل عسى أن يتخذه ولداً . فلما أحضر إليه أنس فى عينيه بريقاً عجيبا وفى جبينه لألاء قويا ، وفى روحه الصغيرة روحا كبيرا يكاد يملأ الأكوان ... فقال للملكة : « إن لم يكن هذا الطفل ابن ملك ، فما أحسبه خلق إلا ليكون ملكا ... ألا نتخذه ولى عهد ؟ »

وشب أوديپوس ، أو أوديب ، وأحبه الملك ، وغمرته الملكة باعزازها ، وكان هو يهتف بالملك « أى أبى ! » وبالملكة « يا أمى ! » وهو لا يعرف مما أخفياه عنه شيئا !

— ٥ —

أما لايوس ، ملك طيبة ، فانه تنفس الصعداء لما حسب من قتل الطفل ، وتنفست الملكة الصعداء كذلك ... أما الأقدار ، فما برحت تسخر منهما ، وتضحك ملء أشداقها عليهما ... وما برحت كذلك تعد العدة للمستقبل الرهيب !

— ٦ —

وترعرع أوديپوس ، ونشأ مفتول العضل هرقلى الصدر ، قويم الأخلاق ، فيه نخوة الملك ، ورفعة العرش ، إلى كرم أرومة وطيب محتد

وحُم القضاء ... وأقيم فى القصر الملكى حفل فخم ، دعى إليه سادات طيبة وشبابها ... وقدمت الآكال والأشربات ... وقهقهت أباريق الخمر فى الكؤوس ... وفى الرؤوس ، وذهبت أشوابها بوقار الشباب فتحرش بعضهم بأوديپ ، الذى لم يكن ممن تأسر الخمر لبه ، فرده أوديب فى حزم ، وفى أدب ؛ ولكن الشاب خاشن ولى العهد ، ثم لمزه ، وهو لا يدرى ما يقول ، لمزةً نبهت غافل أوديپ ؛ ذلك أنه عيره بأصله المجهول ...

(١) معناها فى اليونانية ( ذوالقدمين المتورمتين ) وفى بعض المصادر أن ملك كورنثه هو الذى سماه هذه التسمية

— ٧ —

« أصلى المجهول ؟ ماذا يقول هذا المتوه ؟ مجهول كيف ؟ أو لست ابن پوليبوس ملك كورنثه ؟ أو ليست هذه الملكة الجليلة أمى ؟ بلى ؟ ! لقد كنت أحس دائماً أننى لا أستنشق هواء الأبوة فى هذا القصر ! ... ويلاه ! السر العجيب ... السر العجيب ... »

وانطلق المسكين إلى مخدعه يبكى وينتحب ... وانطلقت الملكة فى إثره ترفه عنه وتواسيه ، وتحلف له بالأيمان المغلظة أنه ابنها ... وأنها أمه ... ولكن ... هيهات ! فلم يكن أوديپ من البله والغفلة بحيث ينخدع بهذه الأيمان التى لا تصدر عن اخلاص الأم الحقيقية ، ولا يشف عن صدقها حب الأمهات الذى يدل على نفسه ...

« لا ! بل أنا أوديب التاعس ! أنا أوديب المسكين الذى لا يعرف له أماً ، ولا يدرى له أباً ... الوداع أيها القصر المملوء بالخداع ... الوداع أيها الملك الذى أكرمتنى كأننى ابنك ... إغفرى لى أيتها الملكة التى أحبتنى كأننى ابنها ... سأنطلق ... سأهيم على وجهى فى القفار والفلوات ... لا بد أن أعرف ... لا بد أن أعرف من أنا ... من أبى ... من أمى ... الوداع ... الوداع ... »

وانطلق المسكين لا يلوى على شىء ... غير مزود من هذا الملك العريض والسلطان الواسع إلا بسيفه ... حتى إذا بلغ أفق طيبة ، وقف على ربوة عالية يلقى على ملاعب الصبى ومراتع الشباب نظرة باكية ... ثم مضى ...

— ٨ —

كانت الشكوك القاتلة تعصف بنفس أوديپ ، وكان يحاول أن ينسى كلمة الشاب المفتون الذى لمزه ... ولكن عبثاً حاول ذلك ... وكان يجهد فيما بينه وبين نفسه أن يفسر تلك النظرات الصارمة التى تبادلها ضيوف القصر بعد أن قال الشاب قالته ، ولكنها كانت تعتاص بالمعانى السود فى نفسه ، وتثير فى أعماقه ألواناً من الرِّيَب تغلى بدمه فى رأسه ...

وذكر أمه — أو الملكة — وهى تحاول أن تتفقله ، وذكر سمات الخداع فى ألفاظها ، فوقر فى نفسه أنه لا بد ابن

# البريد الأدبي

## المباحث المصرية والعلم الحديث

صدرت نشرة خاصة بمحاضرة ألقاها الأستاذ بلاكان فى جامعة ليفربول عن « قيمة المباحث المصرية فى العالم الحديث » ؛ وفيها يبسط التجارب الأولى التى قام بها الحكماء المصريون فى الرياضة والفلك ، وينوه بحقيقة تاريخية هامة فطن اليها الفراعنة وهى أنه من الخطر أن يسمح لدولة أجنبية أن تحتل فلسطين . ويقول الأستاذ فى رسالته إن دراسة الاقتصاديات المصرية فى عصر البطالسة تفيد العالم الحديث ، وأنه يمكن أن نلاحظ أن مثل هذه الظروف كانت موجودة بمصر منذ الأسرة الثامنة عشرة ، وأن المهندس الحديث يستطيع أن يفيد من دراســة الآثار المصرية القديمة ، ولا سيما الاهرام ، وما تدلى به من نظريات هندسية بارعة فى شؤون الزوايا والمخروطات ، وفى شؤون الزخارف البديعة التى تناسب دائماً أبنيتها . وإذا كان الذوق الحديث يتطلب التناسق بين الأبنية والزخارف ، فانه لم تحرز أمة فى التاريخ براعة المصريين القدماء فى اتقان هذا التناسق

ويرى الأستاذ بلاكان أيضاً أن المصريين كان لهم أثر كبير فى نمو الحضارة الغربية ، وذلك بتأثيرهم المباشر أو غير المباشر على الحضارة اليونانية ، وأن حكمة المصريين كانت ذات أثر قوى فى صوغ تعاليم « العهد القديم » بل كانت ذات أثر فى صوغ التعاليم النصرانية ذاتها

## كشف جديد بصحراء الأهرام

وفق الأستاذ سليم بك حسن الى كشف جديد بصحراء الأهرام ، وهو مقبرة كاهن من كهنة الأسرة الخامسة اسمه « نخت كا » كان رئيسا للمحفوظات الملكية وأمينا على مخازن الملك . وتقع المصطبة التى وجدت بها مقبرته جنوب مصطبة الأمير ( جونوم بات ) ، وهى مبنية من الحجارة الجيرية ، ولها مدخل يفتح الى جهة الشرق ، ويفضى الى بهو ذى أعمدة من الحجر ؛ وفى الحائط الجنوبى للبهو نافذة يدخل منهـا الضوء الى المكان

وفى الطرف الجنوبى الغربى مدخل يفضى الى حجرة زينت بنقوش ورسوم تمثل الحياة اليومية حينذاك

وهناك بابان وهميان نقشت عليهما تعاويذ وصيغ معروفة

ومن خلف هذين البابين عثر الكاشف على بئر وجدت بعد تفريغها منتهية الى حجرة صغيرة منحوتة فى الصخر ، وفى هذه الحجرة عثر على تابوت من الصخر أيضاً فيـه الهيكل العظمى للكاهن « نخت كا » ملفوفاً بالذهب

وقد عثر فى هذه المقبرة على ١٥ آنية من النحاس بينها طست وابريق لا يختلفان عما يصنع منهما الآن ، وكذلك عثر على أطباق ومعدات للأكل موضوعة على شكل مائدة استعداداً لتناول الطعام عند ما يبعث صاحب المقبرة ، كما عثر بالقرب من هذه المائدة على عظام الثيران التى نحرت وأعدت للطعام

---

أو من آخرين غير بوليبوس وزوجه

« إذن ... إلى دلنى ! لأذهب إلى دلنى ! لأستوح كهنة أبوللو ، فعندهم الخبر اليقين »

وهام على وجهه حتى كان فى دلنى ، وحتى وقف فى هيكل أبوللو يبكى ويستنبئ الكهنة !

وساد المعبد صمت رهيب ، وانعقدت فى أرجائه سحابة داكنة من بخور العنبر ، ثم انقدحت ثمة شرارة هائلة هى التى تسبق كلمات الالـه دائماً ... وإذا صوت مذبوح يتهدج قائلاً :

« ويح لك يا أوديب ! أهو أنت ؟ إذهب أيها التعس ، فقد قضى أن تقتل أباك ، وتتزوج من أمك ، وتجر التعاسة على شعبك ... »

وصمت الصوت ، ومضى أوديب لطيّته ... أو لغير طيته !

دريني خشبة

( لها بقية )

وعلى جدران القبرة نقوش تمثل الحياة المصرية ، فمنها ما يمثل جوقات رقص وموسيق ، وفي مقدمة الآلات الموسيقية القيثارة والصفارة وإلى جانب هذه النقوش الفنية ما يمثل نوعاً من أنواع التحية عند قدماء المصريين وهى التحية الخاصة بمقدمى القرابين الى الكاهن الأكبر ، فقد كان كل منهم يتقدم نحو الكاهن وهو يجر بيمناه الثور فى حين أنه يلتفت الى المكان ويضع يسراه على صدره بحيث تلمس الأصابع أعلى الكتف

## الى زميلنا المهذب صاحب (المكشوف)

شوهت — سامحك الله — فى ذهنى صورة جميلة كانت للمكشوف . فقد اعتقدت — وكنت على وشك أن أعلن هذا الاعتقاد — أن مجلة (العصبة) فى سان باولو ، وجريدة (المكشوف) فى بيروت ، تكتبان اليوم فصلاً قيماً فى تاريخ الأدب العربى الحديث ؛ وأن العصبة الأندلسية الكريمة التى تصدر تلك المجلة فى المهجر ، وعصبة العشرة التى تحرر هذه الجريدة فى الوطن ، إنما تجريان على تقاليد لبنان العربى فتتمان ما بدأ به آل اليازجى وآل البستانى وأضرابهم من رجال الفكر والترجمة والصحافة والتمثيل الذين عاونوا مصر على إحياء هذه النهضة ؛ وأن هؤلاء الأدباء الأوفياء إنما هم حجة العربية والعروبة على هذا الأدب الدخيل الذى يستمد وجوده من فينيقية القديمة وفرنسا الجديدة ثم يزعم للأغرار أنه أدب لبنان !

نعم كنت أعتقد فى المكشوف ما أعتقد فى العصبة حتى قرأت فى عدده الأخير مقالاً وجهته الىَّ فزعزع فى نفسى أساس هذه العقيدة !

ما رأيك فى رجل تكلمه فى موضوع عام فى الأدب فيقول لك : إنك شتمتنى فأنا أشتمك ؟! ان كنت تقول إن هذا الرجل لا يوجد فى الناس فتعال اذن أسألك : كيف فهمت من مقال (النقد المزيف) أنه رد عليك فقلت ما نصه : « يرد الأستاذ الزيات فى رسالته علينا ولا يسمينا مخافة أن يرى بالجمود حين يحمل على دعاة الجديد والقائلين بأدب الحياة فيعمد الى اللف والدوران والتلميح . . . » ثم قلت بعد ذلك : « يقول صاحب الرسالة رداً على الحملة التى نحملها على أدب الألفاظ وشعر البكاء المتكلف والرثاء الكاذب . . . (إن هذا النقد إما أن ينبعث من مكامن الحقد فيرمى الى التجريح ، واما أن ينطلق من مواضع الغرور فيسعى الى الهدم ) ثم رتبت على هذا الفهم أو الوهم ماسوغه لك أدبك . إن كنت تقرأ ما فى السطور كما يقرأ الناس فالأمر إذن لمنطق الناس ، وان كنت تقرأ ما بين السطور فالأمر لك وحدك . وما حيلة المنطق فى (دون كيشوت) الذى يريد أن يبنى بطولته على معارك من الوهم ؟ على أننى كنت أحب أن ترعى جانب الأدباء الذين يعاونونك فى تحرير المكشوف فتربأ بهم عن هذا الموضع الذى ارتضيته لنفسك . أما حملتك الهوجاء على الأستاذ الرافعى فهو أقدر الناس على ردها عليك إن شاء

## عدد الطلاب الذين تقدموا هذه السنة للامتحانات العامة

بلغ عدد الطلبة والطالبات الذين تقدموا من المدارس المصرية للامتحانات العامة : (البكالوريا ، والابتدائية ، وكفاءة التعليم الأولى ، والمعلمات الراقية ) فى السنة المكتبية الحالية ٢٣٫٢٠٨

فالذين تقدموا لامتحان شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان ٥٫٤٤٥ طالباً ، منهم ٢٫١٥٥ بالقسم الأدبى و٣٫٢٩٠ بالقسم العلمى . والذين تقدموا لامتحان شهادة الدراسة الابتدائية قد بلغ عددهم ١٦٫٣٣٩ . وعدد الذين تقدموا لامتحان شهادة كفاءة التعليم الأولى ١٫٣٦٤ منهم ٩٣٥ كفاءة المعلمين و ٤٢٩ كفاءة معلمات

وبلغ عدد الطالبات اللائى تقدمن لامتحان شهادة المعلمات الاولية الراقية ٦٠ طالبة منهم ١٥ بالتعليم العام و١٧ بقسم التدبير المنزلى و١٥ بقسم رياض الأطفال والرسم و١٣ بقسم تخصيص تربية العميان

## أزفالد شبنجلر

نعت إلينا أنباء ألمانيا الأخيرة الكاتب والفيلسوف الاجتماعى الألمانى أزفالد شبنجلر O. Spengler توفى فجأة فى مدينة ميونيخ بالسكتة القلبية فى السادسة والخمسين من عمره ؛ وكان قبل أن يخوض ميدان الكتابة الحرة أستاذاً فى إحدى المدارس الثانوية ولكنه فى سنة ١٩١١ هجر التعليم ، ونزل ميدان الصحافة والكتابة الحرة وهو فى عنفوان شبابه ، واشتهر بكتاباته فى الموضوعات الاجتماعية والثقافية ، بيد أنه لم يبلغ الذروة فى عالم

الكتابة يومئذ؛ وإنما بلغ شبنجلر ذروة الشهرة والنفوذ كمفكر وكاتب مبتكر بعد الحرب الكبرى حين أصدر كتابه الشهير: « انحلال الغرب » Untergang des Abendlands ، الذى طبع مرات عديدة فى وقت قصير وترجم إلى معظم اللغات الحية

وقد كان صدور هذا الكتاب حادثاً أدبياً وفكرياً عظيما، بل يعتبر أعظم حادث فكرى وقع فى ألمانيا بعد الحرب. وفيه يدرس شبنجلر قوانين النمو والانحلال فى التاريخ، ويشرح التطورات التاريخية بطريق الدرس المقارن للعلوم الطبيعية وأصول الحيوان والنبات، ويتناول فى بحثه كل ما يتصل بمصير الانسان وطالعه، سواء من ناحية الدولة أو المجتمع. ويعتقد شبنجلر أنه استطاع بهذا العرض أن يطلع مواطنيه على الحلقة التى يستأنف منها التاريخ سيره، وعلى واجبات المستقبل. وقد أحرز كتاب شبنجلر من الوجهة الأدبية والاجتماعية نجاحاً عظيما، ولكنه اعتبر سقيما من الناحية العلمية، ذلك أن شبنجلر لم يكن استاذاً فى كل الموضوعات التى تناولها والأصول العلمية التى اعتمد عليها، وهو مشحون بالأخطاء من هذه الناحية؛ بيد أنه من ناحية العرض الاجتماعى يعتبر قطعة رائعة من الدعاية القومية، ويبسط شبنجلر آراءه بقوة وعنف وبساطة؛ ومن ثم كان النجاح الباهر الذى أحرزه كتابه، والأثر العظيم الذى أحدثته آراؤه فى الجيل الألمانى المعاصر

## مصادرة كتاب عهد البلاط النمسوى

من أنباء النمسا الأخيرة أن الحكومة النمسوية قررت مصادرة كتاب صدر أخيراً بالألمانية وعنوانه « لما كنت أرشيدوقاً » « Als ieh Erzherzog War » ، ومنعه من التداول فى النمسا؛ وهذا الكتاب عبارة عن مذكرات عن البلاط النمسوى القيصرى بقلم ليوبولد ڤلفلينج، وهو الاسم الشعبى للأرشيدوق ليوبولد سالفاتور أحد أمراء آل هبسبرج السابقين، ومن أبناء عمومة القيصر السابق، وقد عاش هذا الأمير حينا فى البلاط النمسوى، ولكنه كان من الأمراء الثائرين عليه وعلى سياسته ورسومه، فلم يمض غير قليل حتى أبعد عنه، وخاض مدى حين حياة مغامرات متواصلة؛ وتوفى فى العام الماضى فى فينا فقيراً مجهولاً وهو يقص فى كتابه المذكور كثيراً من أحوال البلاط النمسوى وأسراره وحوادثه مدى ثلاثين عاماً، وقد سبق أن نشر بعض فصول كتابه فى كبريات الصحف فأثارت يومئذ كثيراً من الاحتجاج والتعليق، لأن منها ما يتعلق ببعض الشخصيات الحية، ولهذا رأت الحكومة أن تمنع تداوله

وقد تكرر منع الحكومة النمسوية فى العهد الأخير لمؤلفات ومذكرات تتعلق بالبلاط النمسوى السابق وبأسراره ومثالبه؛ وهذا ما يفسره بعضهم بأن ذلك يرجع إلى ميول الحكومة الملكية، وإلى حرصها على استبقاء سمعة الملوكية النمسوية بعيدة عن التأثر بهذه الذكريات والقصص المثيرة

## ذكرى مخترع شهير

احتفل أخيراً فى ألمانيا بذكرى عالم مخترع هو أوتو فون جريكه، وهو أول من استطاع أن يطبق نظرية الضغط الهوائى بصورة عملية؛ وذلك لمناسبة مرور مائة وخمسين عاماً على وفاته وكان مولده سنة ١٦٠٢ فى مجد بورج؛ ودرس القانون والعلوم الطبيعية دراسة حسنة، وظهر أثناء الحرب الثلاثينية (حرب الثلاثين عاماً) واشترك فى عقد مفاوضات الصلح، ثم عين بعد ذلك حاكماً لمدينة مجد بورج؛ ولكنه لم ينس طوال حياته أن يشتغل بالعلوم والتجارب الطبيعية؛ وقد استطاع لأول مرة أن يجرى أول تجارب فى الطبيعة العملية، وكان ميدان بحثه فى الهواء، وماهيته ومؤثراته؛ فاستطاع بعد تجارب عديدة أن يصل الى تطبيق نظرية ضغط الهواء؛ ففى سنة ١٦٥٤، نظم فى مدينة ريجنسبرج أمام القيصر فرديناند الثالث تجربة عملية من هذا النوع، وخلاصتها أنه أتى بنصفى كرة من النحاس قطر كل منهما ٣٦ سنتيمتراً، وأطبقهما على بعضهما، واستخرج منهما الهواء بواسطة مضخة صغيرة؛ ثم رتب أن يجر كل منهما ثمانية من الخيل فى اتجاه معاكس، فلم تستطع الخيل أن تنتزع نصفى الكرة من بعضهما؛ وكانت هذه أول تجربة عملية ناجحة أثبتت بها قوة الضغط الهوائى، وحاول فون جريكه بعد ذلك أن يطبق تجاربه على صنع الآلات ولكنه لم يوفق فى محاولته، وكان التوفيق فى استخدام ضغط الهواء لصنع الآلات من نصيب مخترع انكليزى يدعى توماس نيوكومن، وذلك فى أوائل القرن الثامن عشر

# من هنا ومن هناك

## أشهر كتب الخلاصات الحديثة

كان مؤلفو العرب يعنون عناية فائقة بوضع كتب الخلاصات للعلوم والفنون والآداب ؛ وكانت كتبهم تكبر وتكبر حتى تغدو موسوعات ضخمة تسعف القارئ بما يحتاج اليه من المعارف العامة والنبذ الخاطفة من كل علم وفن ؛ ولعل كتاب الأغانى هو أول موسوعة عربية من نوعها . ومن الموسوعات العربية أيضاً كتاب نهاية الأرب للنويرى ، وصبح الأعشى للقلقشندى ولسان العرب لابن منظور المصرى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ومسالك الأمصار ، وتاريخ بغداد ... الخ ، وقد اقتبس الغرب هذه الطريقة الموسوعية عن أسلافنا العرب ، فوضع ديدرو موسوعته الفرنسية ، ثم كان للانجليز موسوعتهم كذلك ، ونحسب أن الموسوعة الايطالية الحديثة التى اشترك فى وضعها الطاغية موسولينى هى أكبر موسوعات العالم قاطبة ، وإن تكن لا تفضل الموسوعة البريطانية فى الدقة وتوخى الحقيقة فيما حفلت به من سائر المعارف العالمية ، ولكن هذه الموسوعات غالية الثمن غالباً ؛ ولا يستطيع الأفراد إلا الأقلون منهم اقتناءها لهذا السبب ، فثمن الموسوعة البريطانية الرخيصة مثلاً (الطبعة الرابعة عشرة) خمسة وعشرون جنيهاً أو أكثر اذا دفع الثمن على أقساط ؛ وثمن الطبعة الغالية أكثر من خمسة وسبعين جنيهاً مصرياً . وقد وضعت شركة الكتب الانجليزية Everyman دائرة معارف للأعلام على طريقة وفيات الأعيان لابن خلكان وجعلت ثمنها أربعة جنيهات

لذلك راجت كتب الخلاصات Ourlines فى أوربا عامة ، وانجلترا خاصة ، وكان الأديب الانجليزى الكبير هـ . ج . ولز هو المبتدع لهذه الطريقة الطريفة ، وذلك حين وضع كتابه الجليل « خلاصة تاريخ العالم » ، يستعرض فيه تاريخ الحياة فى هذه الدنيا منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، فأنت تقرأ فيه لمحة من كل علم ، وطرفة من كل فن ، وخطفة من كل أدب ، وينتقل ولز من الجيولوجيا إلى الانثروبولوجيا ، إلى البيولوجيا ، إلى التاريخ ، إلى الآداب ، الى الفنون ، الى العلوم ، الى الحركات الفعالة التى تناولت الأمم بالهدم والبناء ... وكل ذلك بأسلوب طلى ، وروح وثاب ، وعبارة مشرقة غير مملولة . ولا يكاد القارئ يلتمس شيئاً فى خلاصة ولز هذه إلا وجدها ، وهذه مهارة تحمد للمؤلف ؛ والخلاصة على نفاستها رخيصة الثمن جدا بحيث يستطيع القارئ العادى اقتناءها دون أن يرهق جيبه

وقد وضع ولز خلاصة ثانية لا تقل فى قيمتها عن خلاصته الأولى ، ولا تزيد فى ثمنها عليها ، تلك هى كتابه القيم (الانسان ، عمله ، ثروته ، سعادته) ، ويعرض فيه لطائفة رائعة من فنون العمل والحياة لا تكمل ثقافة الانسان إلا اذا وعاها

وقد ألف الكاتب الشاعر الانجليزى ( جون درنكووتر ) خلاصته فى آداب العالم ، وهى برغم ما فيها من الشوائب ، وما يعتور بحوثها من القصور المعيب أحياناً ، خلاصة قيمة بما حفلت به من تاريخ الأدب العالمى منذ فجر التاريخ إلى اليوم فى كل أمة .. إلا ... الشرق ! وإن يكن قد تناول آداب الشرق القديمة بفصول مشوهة مبتورة ، وإن يكن أيضاً قد خص الأدب الانجليزى بأكبر نصيب من خلاصته !

أما الخلاصة الأدبية القيمة حقاً فهى تلك التى كتبها الأديب المؤرخ الأمريكى الشهير برتن راسكو والتى سماها ( جبابرة الأدب أو — أعاظم كتاب العالم ) ، وقد اختار لها برتن راسكو أربعين أديباً وشاعراً من أكبر أدباء التاريخ وشعرائه ، بدأهم بهوميروس وختمهم بجورج مور ، ثم ختم الخلاصة بلمحة عن الأدب العالمى فى الخمسين سنة الأخيرة . وبرغم هؤلاء الأربعين أديباً ، فانك لا تكاد تذكر أديباً أو كاتباً فى كل عصور التاريخ إلا وجدت المؤلف حام حوله ، وأعطاك لمحة عما يهمك جداً من فنه وطريقته

وأشهر مؤلفاته ، ومع ذلك فثمن كتابه زهيد جداً

لذلك انصرف الناس عن الموسوعات لغلائها ولاشتمالها على موضوعات لا تهم غالبيتهم الى الخلاصات لرخص ثمنها ولتركزها فى باب بعينه كما فى خلاصة الفن وخلاصة الموسيقى

## بيكون بين النقص والكمال

يغلو بعض مؤرخى الأدب الانجليزى فيدعى أنه لا يوجد منذ أرسطاطاليس الى فرنسيس بيكون فيلسوف مثل بيكون ! ومع اعترافنا بما كان لهذا الرجل من الأثر الكبير فى الذهن الانجليزى فى عصر النهضة فاننا لا نفضله على كثيرين من أبطالها ولاسيما هارفى وكپلر وغاليليو . وقد اشتهر بيكون بتفضيله التجربة فى العلوم على الاستدلالات المنطقية العقيمة وأكثر المؤرخين على أنه ليس مبتدع تلك النظرية ، فقد سبقه اليها العرب ، ثم اقتبسها عنهم غير بيكون من علماء النهضة . وكان بيكون معروفاً دائماً بالشذوذ الغريب حتى إنه كان يؤلف أحسن كتبه باللاتينية وذلك لعدم ايمانه بالانجليزية فى ذلك العصر ! !

على أن الذى يعنينا فى هذه اللمحة عن بيكون هو خلقه الذى انحدر الى الحضيض الأسفل من اللؤم والضعة . قال پوپ « بيكون فيلسوفنا المحترم : هو أعظم بنى الانسان وأعقلهم ، كما أنه أخسهم وألأمهم ! ! » ولنذالة بيكون قصة مشجية تتلخص فيما يلى :

عند ما عاد بيكون من باريس كان أبوه قد مات ، وكان أخوه الأكبر قد استولى على جميع التركة بحكم التقاليد الانكليزية البالية التى كانت سائدة وقتئذ فى ذلك الشعب المحافظ العتيق . والتحق بيكون بوظيفة فى أحد الفنادق ليعيش ، ثم أكب على دراسة القانون حتى نال اجازة الحقوق فانخرط فى سلك القضاء فأبدى نبوغاً عظيما وعبقرية فذة . وكان اللورد بيرلى يعرف ما لهذا القانونى الشاب من خطر ، فشرع يقيم فى سبيله العراقيل حتى لا يبذ ابنه روبرت سيسيل الذى كانت له مطامح وآمال فى أكبر المناصب القضائية فى انجلترا . فلما شغرت وظيفة ( الأفوكاتو العمومى ) رشح لها بيكون بعبقريته ورسوخ قدمه فى القانون ، ثم روبرت سيسيل بحسبه ونسبه وضلع أبيه — اللورد بيرلى — فى الحكومة ومنزلته السامية لدى الملكة اليزابث ، وكانت هذه المؤهلات كلها ( ! ) كفيلة بتعيينه فى المنصب واطراح بيكون

وكان ( ايرل اسكس ) يعجب ببيكون ويميل الى تعيينه ، فلما ضاعت مجهوداته عبثا عز عليه أن يقتل اليأس نفس الشاب النابغة ، فحدب عليه وواساه مواساة طيبة ، ثم وهب له أرضا واسعة تغل له غلة كبيرة ، وقصرا من أفخم قصور لندن على نهر التاميز ! !

ودار الزمن دورته ، وساءت الأحوال بين الملكة وبين ايرل أسكس ، وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ، فانتدبت الملكة أعز أصدقاء الأيرل ، فرنسيس بيكون ليكون عضوا فى الهيئة التى تتولى الدفاع عنها ... فماذا جرى ؟ ! لقد كان بيكون أشد المستشارين حماسةً للملكة ضد صديقه الذى حدب عليه ، وأبعد عنه شبح الفاقة ، برغم ما كان يبدو من براءة الأيرل ، وبرغم ما كان يبدو من ميل بقية المستشارين الى تبرئته . . . ولم يكتف بيكون بهذا الموقف الشاذ اللئيم ، بل قدم مذكرة مسهبة بادانة صديقه ، ثم طلب فى نهايتها الحكم عليه بالأعدام !

وكافأته الملكة على حماسته ، فرفعته الى أعلى المناصب ، وأغدقت عليه أرفع الألقاب ، حتى غدا ( لورد بيكون ! )

ولما كتب بيكون كتابه فى الأخلاق ( Essays ) عقد فيه فصلاً من أحط ماعرفت البشرية عن ( الحب والزواج والعزوبة ) وذكر فيه أن الحب هو علاقة جنسية خالصة ، وغريزة شهوية وضيعة ، وأن المرأة بذلك إن هى إلا متعة للرجل وأنها مطيته الى اللذة الحيوانية الطارئة . . . الخ . . . فلما تقدم الى ليدى هاتون يطلب يدها لم تستح هذه المرأة المثقفة أن تصفعه فى وجهه بهذه الكلمة الخالدة « ليذهب الفيلسوف البهيم الى غابة قريبة فلينتق له بهيمة تكون مطيته الى لذة طارئة ثم ليلقنها فلسفته ! »

ودار الزمان دورته مرة ثانية ! وأخذت الألسن تلوك اشاعات مخزية عن رشا يأخذها النائب العمومى ( وكان هو بيكون فى هذه الآونة ) واضطر مجلس العموم إلى أن يثور طالباً محاكمته أمامه . . . فلما مثل الرجل وشرع الأعضاء يقذفونه بالتهمة تلو التهمة ، لم يسعه إلا أن يعترف ، ولم يسعه الا أن يبكى . . . والتمس من المجلس أن يعامله برحمة . . . وحكم عليه بغرامة هائلة قدرت بأربعين الف جنيه ، ثم بالسجن المؤبد . . . ولكنه لم يحبس غير ليلة واحدة ، ثم عفت عنه الملكة ! !

هذه لمحة عن أخلاق الرجل الذى وضع كتاباً فى الأخلاق ذم فيه أخلاق نبينا ! ! !

وهذا هو الرجل الذى يخلط بعض مؤرخى الآداب فيدعى أنه كتب كثيراً من الدراسات التى تعزى الى شا كسبير ! !

## ترجمة القرآن

لا ندرى إذا كان على إمارة المسلمين فى زماننا هذا رجل مثل المأمون فماذا عساه كان صانعاً بمن يقولون بعدم جواز ترجمة معانى القرآن بعد ما أقرها أكثر العلماء ؟

ماذا كان يصنع المأمون بالأستاذ محمد سليمان بعد الذى صنعه بالامام الكريم ابن حنبل فى فتنة خلق القرآن ؟ !

لقد كنت أود لو أن الأستاذ محمد سليمان يجيد اللغة الانجليزية إذن لأرسلت اليه نسخة من ترجمة چورج سيل أو الاسكندر روس أو غيرهما ليقرأ بنفسه ما جاء فيها من الشطط فى ترجمة الآيات . وهو لو علم أن المسلمين ، غير العرب ، فى مشارق الأرض ومغاربها يتلون كتاب الله فى هذه التراجم ، ويكاد يصبأ بعضهم لما يلحظه من الضعف والسخف فيها ، لهتف حضرته مع الهاتفين بضرورة ترجمة معانى القرآن ...

## هافلوك أليس

ذكرنا فى العدد الماضى من « الرسالة » كلمة عن إباحيين من إباحيي الأدباء الانجليز هما لورانس وچيمس چويس ، وقد فاتنا أن نشير إلى العلاقة بين مذهبهما ومذهب النحطين من مثل أوسكار وبلد وأضرابه . ونذكر فى هذا العدد العالم الكبير هافلوك أليس لا على أنه إباحى مثل لورانس أو مثل چويس ، وإن دعا هو الآخر إلى التنعم بلذائذ الحياة من ذهنية وحسية وعدم كبت الغرائز والتفريج عنها ... ولكن بالوسائل المشروعة

وهافلوك أليس عالم فى التناسليات ، ولكنه بكل أسف ليس أديباً ، ولكن الأدباء فى انجلترا يصلون بينه وبين جمهورهم لأنهم متأثرون به

ولأليس ضريب آخر هو برتراندرسل سنتكلم عنه فى العدد القادم

( د . خ )

# إلى صديقى أحمد أمين

[ بقية المنشور على صفحة ٩٢٢ ]

للسلطان ؟ أم ترى أنا شغلنا عن النقد الأدبى بالدفاع عن قوم لم يكونوا يدافعون عن أنفسهم لأنهم لم يحسنوا هذا الدفاع أو لم يقدروا عليه أو لم يريدوا أن يتورطوا فيه ؟ أليس أول ما يجب على المؤرخ الأدبى وعلى المؤرخ بوجه عام أن يكون منصفاً ؟ أترى من الانصاف أن تزعم أن الذين حفظوا للشعب المصرى مظهر مقاومته للظلم وأدوا اليه رسالة ساسته وقادته ، وأدوا الى ساسته وقادته ما كان يضطرب فى نفسه من الآمال والأمانى . وما كان يثور فى قلبه من العواطف ، كانوا منهزمين يدارون ويجارون ويؤثرون العافية ؟

مهلاً أيها الصديق فقد يفهم من الشعوب قصر الذاكرة ، ولكنه لا يفهم من خاصة الناس وقادة الرأى وحفظة التاريخ . والغريب أن رأيك هذا فى إخوانك الكتاب يظهر أنه قد أعجبك حتى ألهاك عن حقائق ما كان ينبغى أن تلهوعنها . فهؤلاء الكتاب المنهزمون فى رأيك لم تشغلهم هذه السياسة العنيفة المنكرة عن الأدب ولا عن النقد ؛ وإنك لتعلم أنهم جميعاً كانوا يخاصمون فى السياسة وجه النهار ثم يفرغون لأدبهم آخره ؛ وكلهم قد أنتج فى الأدب أثناء المحنة ، وفى الأدب الخالص الذى لا يتصل بالسياسة ولا يمت اليها بسبب ؛ ومنهم من اتخذ السجن وسيلة إلى هذا الانتاج ؛ ومنهم من لم تصرفه ظلمة الحياة العامة وشدة الحياة الخاصة عن أن يجول فى عالم الفن جولات ثم يعود منه ومعه زهرات فى الشعر أو فى النثر يهديها اليكم لتلهوا بها وتستمتعوا بشذاها ، وتستعينوا بذلك على المضى فى أعمالكم الهادئة المطمئنة

مهلاً أيها الصديق فقد يخيل إلى أن هؤلاء الكتاب أنفسهم لم يهملوا النقد نفسه فى ذلك الوقت ولم يقصروا فى العناية به ؛ وإذا لم تكذبنى الذاكرة فانهم قد نقدوك أنت وتناولوا كتبك بما ينبغى لها من العناية والدرس ؛ وإذا لم تكذبنى الذاكرة فقد كانوا يفرضون على أنفسهم برغم السياسة وأثقالها وأهوالها ، وبرغم الحياة الشاقة التى كانوا يحيونها ، والتى عرفت منها شيئاً وغابت عنك منها أشياء ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم أن يقرأوا ما يظهر من الكتب والدواوين وأن يقولوا رأيهم فيه ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم صفحة أدبية فى الأسبوع يفرغون لها اليوم أو أكثر

من اليوم ، ويعرضون فيها للنقد كما تحبه وترضاه ، ولست أدرى كيف نسيت أن المقالات التى كانوا يذيعونها فى النقد أثناء هذه الأعوام الأخيرة قد كانت تثير من الخصومات شيئاً كثيراً ، منه ما يثور بينهم هم ، ومنه ما يثور بينهم وبين الأدباء الناشئين . ولعلك لم تنس بعد أن خصومة ثارت بينى وبين هيكل حول ثورة الأدب ، وأخرى بينى وبين العقاد حول اللاتينية والسكسونية ، وثالثة بينى وبين العقاد حول ديوان من دواوينه . فأنت ترى أن إخوانك لم يقصروا ولم يفتروا ، ولم يسالم بعضهم بعضاً . ولم يأمن بعضهم شر بعض . ولعلك لم تنس أنى قد اتخذت الراديو فى بعض الأحيان وسيلة من وسائل النقد ، فكنت أشتد حيناً على الكتاب الذين استمرت مريرتهم وتم لهم النضج ، وأرق حيناً آخر للكتاب الذين لم تستقم لهم الأمور بعد ؛ وأنا أفهم أن تطالبنا بالمزيد وألا تكتفى منا بما نعطى ، فنحن نطالب أنفسنا بالمزيد ولا نكتفى من أنفسنا بما ننتج ، ولكن هذا شىء ووصفنا بالمداراة والمجاراة وإيثار العافية شىء آخر

وبعد فليس السبيل على الذين أدوا واجبهم الأدبى كما استطاعوا وما زالوا يؤدونه كما يستطيعون برغم ما يملأ حياتهم من الهموم وما يعترض طريقهم من الشوك ، وإنما السبيل على الذين يتاح لهم الهدوء ويستمتعون بالبال الرخى والحياة المستقيمة المطمئنة ثم لا ينقدون لأنهم لا يقرأون ، أو لا ينقدون لأنهم يقرأون ويشفقون إن أعلنوا آراءهم أن يتنكر لهم الناس وأن يسلقهم أصحاب الكتب بألسنة حداد

إلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تسوق الحديث ، وعلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تصب اللوم صباً

وأخرى لا أريد أن أختم هذا الفصل قبل أن ألم بها إلماماً . فأنت تذكر قوماً قد استووا على عروش الأدب وقد أمن بعضهم بعضاً وخافهم الناشئون ، فأنت إذن تعيد الخصومة بين من يسمون الشيوخ ومن يسمون الشباب جذعة . وأظنك توافقنى على أن التفكير فى هذه الخصومة لا يخلو من بعض الحزن . فقوام هذه الخصومة فيما أعلم أن الأدباء الناشئين ضعاف أثِرُون عجلون ، يخيل إليهم أن النقد يمحوهم من سجل الأدباء محواً ، مع أن النقد يثبتهم فيه إثباتاً . يريدون أن يبلغوا بالجهد اليسير ما بلغه أسلافهم بالمطاولة والمحاولة واحتمال الأذى وكثرة القراءة والدرس ، ويريدون أن يتم لهم ذلك ما بين طرفة عين وانتباهتها كما يقول القائل ؛ وفيهم كبرياء لا تخلو من سخف ، ومن سخف يذكر بأخلاق الأطفال ؛ فهم إن كتبوا رأوا لأنفسهم العصمة ، ولم ينتظروا من النقاد إلا ثناء وحمداً . فإن أدركهم بعض النقد قالوا : حسد وتكبر واضطهاد وأثرة وتثبيط للهمم . وفيهم غرور يخيل إلى كل واحد منهم أنه ممتاز من أترابه جميعاً . ومهما أنس فلن أنسى كاتباً أضاع مودة وصداقة وحباً وعطفاً لا لشىء إلا لأنى جمعت بينه وبين كاتب من معاصريه فى فصل واحد ، وكان ينبغى أن يمتاز فى رأيه ، وإلا لأنى دعوته إلى أن يستزيد من القراءة فعد هذا إسرافاً واعتداء

أمام هذا الجيل الرخو من الأدباء الناشئين يضيق الناقد المخلص بالنقد ويزهد فيه ويصد عنه صدوداً فى بعض الأحيان ، ولكنه لا يلبث أن يرى حق الأدب عليه فيستقبل من أمره ما استدبر ، ويثنى على قوم وهو يعلم أن ثناءه سيملؤهم غروراً وسيخرجهم عن أطوارهم ، ويعيب قوماً وهو يعلم أن عيبه إياهم سيدفعهم إلى اليأس إن كانوا أخياراً ، وسيدفعهم إلى القحة إن كانوا أشراراً

ونحن برغم هذا بل من أجل هذا نمضى فى طريقنا لا نقف كما يظن بعض الناس ، ولا نرجع كما تظن أنت أيها الصديق ، لأنك فى أكبر الظن قد لا تتابعنا أحياناً ، وقد تطلب منا ما نطلب من أنفسنا وتحول ظروف الحياة بيننا وبينه

أما بعد ، فإنى أحب أن أؤكد لك أنى أنا خاصة ما زلت عند رأيك القديم فى ، صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة ، جريئاً إلى أقصى حدود الجراءة ، مستعداً فى هذا العام إلى أن أستأنف ما فعلت منذ عشر سنين ، وإلى أن استأنف ما فعلت منذ أربع سنين . وإنى لشديد الأسف أن كانت ثقة الأستاذ كراتشكوفسكى بى أقوى وأشد من ثقتك أنت ، فإنه لم يتردد فى مقدمة ترجمته للأيام أن يتنبأ بأن ما عرض لى من الخطوب ليس كل شىء ، وأنه ينتظر أن يعرض لى مثله ، ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها فلا تتعجل ، فمن يدرى ؟

وأنا أرجو بعد هذا كله أن تتلقى هذا الفصل بصدر رحب ، فإنى أهديه إليك تحية صديق يضمر لك أصدق الحب وأوفاه

طه حسين

# الكتب

## بغداد أو المدينة المدورة

### فى عهد الخلافة العباسية

للأستاذ ابراهيم الواعظ

كنت فى صيف العام الماضى مصطافاً فى سوريا ولبنان ولم يمنعنى هذا الاصطياف من تتبع أعداد « الرسالة » وقراءتهـا ، وكنت قرأت فى العدد (١١١) منها مقالة تحت عنوان ( أغراض الاستشراق ) بتوقيع أحد كتاب الرسالة الأستاذ « محمد روحى فيصل » كان قد كتبها إلى الأستاذ الكبير « محمد كرد على » على أثر كلمة نشرها الثانى فى العـدد (١٠٨) من الرسالة بمناسبة نشر كتاب « المقنع فى رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط » لأبى عمر بن عثمان بن سعيد الدانى ، وامتدح بها علماء المشرقيات لعنايتهم بكتب الاسلام ، وأنحى باللائمة على خاصة أهله لأنهم ساهون لاهون ، واستنهض بهـا همم علماء الأزهر وقادة الثقافة فى الأقطار الاسلامية لأحياء السلف الصالح

وكنت قد هممت أن أكتب كلة ولكنى وجدت فى كلتى الأستاذ « محمد كرد على » اللتين نشرتا فى العددين ١١٤ و ١١٥ من الرسالة ما يكفينى مؤونة الكتابة والرد

هـذا وقد سنحت لى الفرصة الآن بمناسبة كتاب طبع ببغداد فى الآونة الأخيرة لأقول كلة فى هذا الموضوع

إننى أتفق تمـام الاتفاق مع الأستاذ « روحى فيصل » فيما كتبه عن علماء المشرقيات من ناحية ، وأختلف معه تمام الاختلاف من ناحية أخرى : أتفق معه على أن بين هؤلاء العلماء من كان قصده من الاستشراق هدم كيان الدين الاسلامى من جهة ، والتبشير بطريقتهم من الجهة الاخرى . ولا جدال أن مثل هذه الفئة من علماء المشرقيات مضرة تمام الضرر ، وجرثومة فتاكة يجدر بكل مسلم أن يسعى لمحقها بشتى الوسائل

على أننـا إذا ما صرحنا برأينا فى هذه الفئة لا يسعنا أن نغمط حقوق الفئة الاخرى من هؤلاء العلماء ، لأن الغمط فى مثل هذا المقام تجاوز على الحق والحقيقة معاً

إننا مهما حاولنا أن ننكر ما لهذه الفئة من فضل على الاسلام والعرب فالواقع يكذبنا ويدحض هذا الانكار . نظرة بسيطة نرسلها الى الآثار القيمة والأسفار العظيمة التى اعتنت بطبعها واخراجها تلكم الفئة تدلنا على أنه لولا الجهود الجبارة التى قام بها هؤلاء العلماء لمـا أمكننا أن نعلم شيئاً عن الآثار المهمة ككتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، وهو الكتاب الفريد الذى يعد الآن من أكبر أمهات الكتب من جهة ، والمأخذ الوحيد للقضايا الهامة فى التاريخ الاسلامى من جهة أخرى . وقل مثل ذلك عن بقية الآثار العظيمة التى نشروها

هذا كتاب الانساب « للسمعانى » لولا هممهم لمـا طبع ولأصبح فى زوايا الاهمال ؛ لقد طبع هذا الكتاب فى لندن طبعة شمسية «فوتوغرافية» ولا يخفى ما تكلف هذه الطريقة للنشر من النفقات والجهود . وهناك كتاب « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» للامام الأشعرى . فلولا همة الأستاذ «ريتر» المستشرق الألمـانى والمبادرة بطبعه فى الآستانة لكان نصيبه التلف فى الخزانات . ولا ننس ما لمطبعة « ليدن » فى « هولانده » من الفضل الأكبر فى طبع أمهات الكتب التاريخية والأدبية واللغوية وغيرها ، كتاريخ الطبرى ، واليعقوبى ، وتجارب الأمم لابن مسكويه ، وتاريخ الصابى ، والعيون والحدائق ، والمسالك والممالك لابن حوقل ، والاصطخرى ، وكتاب التنبيه والاشراف للمسعودى ، والأعلاق النفيسة لابن رسته ، وكتاب مراصد الاطلاع لعبد المؤمن ، وغيرها من الكتب المهمة التى لم تحضرنى أسماؤها . على أن مطابع لندن وباريس وليبزج وروما وغوتنفن وغريفزولد لا تقل خدمة عن بقية المطابع التى قامت بقسطها من الأعمال الجبارة فى اخراج هذا التراث الثمين الخالد

ولا يفوتنا أن الكثير من هذه الكتب لم تكن مطبوعة فى المطابع العربية إلا النزر القليل منها

إذن لولا هذه الجهود العظيمة الموجهة الى خدمة العلم والأدب خاصة ، لما أمكننا أن نتوصل الى مشاهدة هذه الآثار اللهم إلا إذا تجشمنا مصاعب السفر ومصائبه ، وفتشنا عنها فى زوايا المكاتب فى سائر الأقطار الأوربية والشرقية

لم تقف أعمال هؤلاء العلماء عند حد الاخراج بالطبع ونشر الآثار وإنما انصرف اهتمامهم إلى التحقيق والدرس ، وأخيرا إلى التأليف ؛ ذلك التأليف المنتج والمستند إلى الحقائق التاريخية . فمن هؤلاء الرجال العاملين المستشرق الانكليزى الأستاذ الكبير « ليسترنج » فانه كتب كتاباً عن « بغداد » فى عهد الخلافة العباسية ضمنه معلومات تاريخية منقطعة النظير لم يسبقه اليها سابق ، ولم يلحقه فى تحقيقها لاحق . والذى يجيل طرفه فى قائمة المآخذ والمصادر التى استقى منها المؤلف وألف كتابه يعلم قيمة هذا التأليف ومزيته التاريخية . وهذه حلقة أخرى نسجلها لهذه الفئة الصالحة من علماء المشرقيات

وبعد ، فان الذى حدا بى لكتابة هذه الكلمة هو قيام أحد شبان العراق المخلصين الأستاذ بشير يوسف فرنسيس بترجمة هذا الكتاب ترجمة صالحة قيمة . وإنى بدورى أكبره على اهتمامه ، وأهنئه على هذا العمل الشاق ، وأتوسل — كما توسل من قبلى الأستاذ الكبير « محمد كرد على » — الى ساداتنا العلماء أن يأخذوا باليمين آثار السلف الصالح يحمونها ، ويخدمون بها الأمة الاسلامية خاصة ، والعربية عامة

وأخيرا أتمنى للمترجِم بشير يوسف توفيقاً وللمترجَم رواجاً

( بغداد ) ابراهيم الواعظ المحامى

---

# إصلاح خطأ المحدثين [1]

## بقلم برهان الدين محمد الداغستانى

ذكرت فى مقال عن أبى سليمان حمد بن محمد الخطابى (عددى الرسالة ٩٨ و ٩٩) أن لأبى سليمان كتاباً باسم « اصلاح غلط المحدثين » ، أورد فيه قرابة مائة وثلاثين حديثاً ، يرويها أكثر المحدثين ملحونة أو محرفة ، أصلحها وبين الصواب فيها ؛ وقلت فى الحاشية إن منه نسخة قيمة فى دار الكتب المصرية مكتوبة بخط محمد محمود التركزى الشنقيطى تحت رقم «١٥١٠» حديث ، وقد قام صديقى السيد عزت العطار سكرتير لجنة الشبيبة السورية بالقاهرة بنشر هذا الكتاب فجاء صورة صحيحة لنسخة العلامة الشنقيطى المحفوظة فى دار الكتب المصرية

ولأبى سليمان الخطابى مكانة عظيمة بين رجال الحديث الذين كتبوا فى فقهه أو غريبه ، وتتجلى منزلته فى كلتا الناحيتين فى كتابيه : « معالم السنن فى شرح سنن أبى داود » المطبوع فى حلب و « غريب الحديث » الذى لا يزال حبيس دور الكتب إلى الآن . والظاهر أنه بعد فراغه من كتابيه السالفين أراد أن يجمع فى كتاب على حدة الكلمات التى يغلط فيها المحدثون والرواة ، فجمع هذه الجمل فى كتاب « اصلاح خطأ المحدثين » ، ولكنه لم يضع لهذه المجموعة اسما خاصا ، بل اكتفى بقوله فى المقدمة : « هذه ألفاظ من الحديث يرويها أكثر الناس ملحونة ، أصلحناها وأخبرنا بصوابها ، وفيها حروف تحتمل وجوها اخترنا منها أبينها وأوضحها ، والله الموفق للصواب لا شريك له »

ثم جاء بعد ذلك المؤرخون ، فسماه بعضهم « اصلاح غلط المحدثين » ، وآخرون « اصلاح خطأ المحدثين » ، واقتصر غير هؤلاء وأولئك على تسميته اصلاح الغلط أو اصلاح الخطأ

وجاء دور دار الكتب المصرية ، فسمته فى فهرسها باصلاح الألفاظ الحديثية التى يرويها أكثر الناس ملحونة ومحرفة ، وهذا الاسم مع طوله وخروجه على المألوف فى الأسماء لم أجد من ذكره من المؤرخين . كذلك أحله منظمو الفهارس فيها غير محله ، فوضعوه فى فهرس الحديث وحقه أن يوضع فى فهرس اللغة العربية

فلعل أولى الشأن فى دار الكتب يولون هذه الملاحظات ما تستحق من الاعتبار فيصححون اسم الكتاب ويردونه الى حظيرته فى فهرس اللغة والله سبحانه أسأل السداد والتوفيق ؟

(١) هذا الكتاب مطبوع على ورق أبيض جيل فى نحو ٣٥ صحيفة ويطلب من ناشره عزت العطار شباك بوسطة الأزهر

4 me Année, No. 154.

Lundi - 15 - 6 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ط
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

السنة الرابعة « القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ١٥ يونيه سنة ١٩٣٦ » العـدد ١٥٤

فهرس العـــــدد



محنة فلسطين

# أيها المســـــلمون !

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

نهضتْ فلسطين تحلُّ العقدةَ التي عُقدت لها بين السيف، والمكر، والذهب

عقدةٌ سياسية خبيثة، فيها لذلك الشعب الحرّ قتلٌ، وتخريبٌ، وفقر

عقدةُ الحكم الذي يحكم بثلاثة أساليب: الوعدِ الكذب، والفَناء البطيء، ومطامع اليهود المتوحشة

أيها المسلمون! ليست هذه محنة فلسطين، ولكنها محنة الاسلام؛ يريدون ألاّ يثبت شخصيته العزيزة الحرة

كل قرش يُدفع الآن لفلسطين، يذهب إلى هناك ليجاهد هو أيضاً

***

أولئك اخواننا المجاهدون؛ ومعنى ذلك أن أخلاقنا هي حُلَفاؤهم في هذا الجهاد

أولئك اخواننا المنكوبون؛ ومعنى ذلك أنهم في نكبتهم امتحانٌ لضمائرنا نحن المسلمين جميعاً

أولئك اخواننا المضطهدون؛ ومعنى ذلك أن السياسة التي أذلّتهم تسألنا نحن: هل عندنا اقرارٌ للذل؟

ماذا تكون نكبةُ الأخ إلا أن تكون اسما آخر لمروءة سائر إخوته أو مَذَلّتهم ؟

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليفرض على السياسة احترام الشعور الاسلامى

***

إبتَلوْهم باليهود يحملون فى دمائهم حقيقتين نابتتين من ذل الماضى وتشريد الحاضر

ويحملون فى قلوبهم نقمتين طاغيتين : إحداهما من ذهبهم والأخرى من رذائلهم

ويخبأون فى أدمغتهم فكرتين خبيثتين : أن يكون العربُ أقلية ، ثم أن يكونوا بعد ذلك خدمَ اليهود

فى أنفسهم الحقد ، وفى خيالهم الجنون ، وفى عقولهم المكر ، وفى أيديهم الذهب الذى أصبح لئيما لأنه فى أيديهم

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليتكلم كلمة ترد إلى هؤلاء العقل

***

ابتلوْهم باليهود يمرُّون بينهم مرور الدنانير بالربا الفاحش فى أيدى الفقراء

كل مائة يهودى على مذهب القوم يجب أن تكون فى سنة واحدة مائة وسبعين . . .

حساب خبيثٍ يبدأ بشىء من العقل ، ولا ينتهى أبداً وفيه شىء من العقل

والسياسة وراء اليهود ، واليهود وراء خيالهم الدينى ، وخيالهم الدينى هو طرد الحقيقة المسلمة

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليثبّت الحقيقة التى يريدون طردها

***

يقول اليهود : إنهم شعبٌ مضطهَد فى جميع بلاد العالم ، ويزعمون أن من حقهم أن يعيشوا أحراراً فى فلسطين ، كأنها ليست من جميع بلاد العالم . . .

وقد صنعوا للانجليز أسطولا عظيما لا يسبح فى البحار ولكن فى الخزائن . . .

وأراد الانجليز أن يطمئنوا فى فلسطين الى شعب لم يتعود قط أن يقول : أنا

ولكن لماذا كنستكم كلُّ أمة من أرضها يا كُنَسة أيها اليهود ؟

***

أجهلتم الاسلام ؟ الاسلامُ قوة كتلك التى توجدُ الأنيابَ والمخالبَ فى كل أسد

قوةٌ تخرج سلاحها بنفسها لأن مخلوقها عزيز لم يوجد ليُؤكل ولم يُخلق ليَذِلّ

قوةٌ تجعل الصوتَ نفسه حين يُزمجر كأنه يعلن الأسديّةَ العزيزةَ الى الجهات الأربع

قوةٌ وراءها قلب مشتعل كالبركان تتحول فيه كلُّ قطرة دم ، الى شرارة دم

ولئن كانت الحوافر تهيّىء مخلوقاتها ليركبها الراكب ، إن المخالبَ والأنيابَ تهيّىء مخلوقاتها لمعنى آخر

لو سئلت ما الاسلام فى معناه الاجتماعى ؟ لسألتُ : كم عدد المسلمين ؟

فان قيل ثلثمائة مليون ، قلت : فالاسلام هو الفكرة التى يجب أن يكون لها ثلثمائة مليون قوة

أيجوع اخوانكم أيها المسلمون وتشبعون ؟ إن هذا الشبع ذنب يعاقب الله عليه

والغِنَى اليومَ فى الأغنياء المُمْسِكين عن اخوانهم ، هو وصف الأغنياء باللؤم لا بالغنى

كل ما يبذله المسلمون لفلسطين يدل دلالات كثيرة ، أقلها سياسة المقاومة

***

كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك ، فافتحوا أنتم أيديكم . . . .

كانوا يرمون بأنفسهم فى سبيل الله غير مكترثين ، فارموا أنتم فى سبيل الحق بالدنانير والدراهم

لماذا كانت القِبلةُ فى الاسلام إلا لتقتاد الوجوه كلها أن تتحول الى الجهة الواحده ؟

لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت فى الحق ؟

أيها المسلمون ! كونوا هناك . كونوا هناك مع إخوانكم بمعنى من المعانى

***

لو صام العالم الاسلامى كله يوماً واحداً وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها

لو صام المسلمون كلهم يوما واحداً لاعانة فلسطين لقال النبى مفاخراً الأنبياء : هذه أمتى !

فى النقد الأدبى أيضاً

# إلى أخى طه حسين

## للأستاذ أحمد أمين

عرضت فى مقالى السابق لضعف النقد الأدبى فى مصر ، وخاصة فى السنوات الأخيرة ، وذكرت أن رقى النقد لم يساير رقى الأدب ، فقد كان الانتاج الأدبى قليلاً ، وكان النقد يؤدى مهمته فى هذا القليل ويعرّف جمهور القراء به ، ويبين مزاياه وعيوبه ، ويختلف أنظار النقاد فيه ، ويعرضون له من وجوهه المختلفة ، وفى كل ذلك فائدة للأدب وتبصرة للقراء ؛ ثم كثر الانتاج وارتقى ، وقلّ النقد وضعف ، واكتفى جمهور النقاد بنقد الكتاب من فهرسه ومقدمته . واليوم أزيد هذا الرأى شرحا وبياناً ، وحجة وبرهاناً

فى كل عام يخرج هيكل وطه والعقاد والزيات والمازنى وزكى مبارك وغيرهم كتباً عدة ، ويخرج الشعراء قصائد كثيرة ، ويخرج مؤلفو الروايات روايات تعد بالعشرات ، ولكن قلّب الصحف والمجلات لترى نقدها نقدا صحيحاً فقلّ أن تعثر عليه . هذا أقرب كتاب الينا وهو كتاب « محمد » لتوفيق الحكيم . هو من غير شك عمل جديد فى بابه من حيث وضعه للسيرة النبوية فى قصة ؛ ولكن أين النقد الذى قوبل به الكتاب ؟ وأين ما كان من البحث حول قيمة ما فيه من فن ، وهل هذا العمل فى فائدة التاريخ والأدب أم لا ؟ وهل من الخير أن نشجعه أم لا ؟ ثم هل هو صوّر محمدا (ص) صورة صحيحة أم لا ؟ نعم إنه اعتمد فى كل ما نقله على عبارات السيرة ، ولكنه اختار أجزاء وحذف أجزاء ، وألف بين هذه الأجزاء ، وهذا التأليفُ بين أجزاء معيَّنة وتركُ غيرها يجعل الصورة ذات ألوان خاصة يسأل عنها المؤلف كما يسأل عن كتاب كتبه بنفسه وعبر عنه بعبارته

لم نجد شيئاً كثيرا من ذلك ؛ ومرّ الكتاب بسلام . وأظن أنه لو ظهر من نحو عشر سنين لكان له شأن آخر ، ولنال من النقد ما يستحقه . وليس يعنينا أن المؤلف يغضب من النقد أو لا يغضب ، فالنقد ليس من حق المؤلف وحده ، وانما هو حق الناس جميعاً وحق الأدب والتاريخ

وهل أتاك نبأ ما كان منذ شهرين ، إذ نشر شاب فى الاسكندرية رسالة فى «الحديث» ، تعرض فيها للرواية والرواة ، ونقد بعض المحدّثين ، وطعن فى بعض الأسانيد ، فاجتمع مجلس الوزراء وقرر مصادرة الرسالة ؟ مع أن المعتزلة منذ ألف سنة قد أنكروا أكثر الأحاديث إلا ما أجمع الرواة على صحته ، ولم يكفرهم من أجل هذا أحد ، ولم يصادر كتبهم من أجل هذا أحد . ومنذ أكثر من ألف سنة حكى الشافعى فى كتابه « الأم » حكاية قوم من المسلمين أنكروا حجية الأحاديث بتاتاً ، ولم يشنع عليهم أحد ، ولم يقل بكفرهم أحد ، وجادلهم المجادلون فى هدوء وثبات كما يجادل المؤمن المؤمن . ومنذ عشرين سنة على ما أذكر ، كان ينشر المرحوم الدكتور صدقى فى « مجلة المنار » مقالات ضافية متتابعة يدعو فيها إلى الرجوع إلى القرآن وحده ، وينقد الرجوع الى الحديث ، ورد عليه جماعة من العلماء ، وطال الأخذ والرد والدفاع والهجوم ، ولم يجتمع إذ ذاك مجلس الوزراء ويقرر مصادرة المنار كما اجتمع وقرر فى هذه الأيام . ألا يدل هذا وأمثاله على أننا أصبحنا أضيق صدراً وأقل حرية ؟ ومن الغريب أن أحداً لم يحرك لهذا ساكناً ولم يفه ببنت شفة ! ولو وقع هذا الحادث من عشر سنين لقام له الكتاب الأحرار وقعدوا ، ودافعوا ونقدوا

وهذه لجنة التأليف تصدر كل حين كتابا بل كتبا ، وتهديها الى الأدباء والصحف والمجلات ، ثم تنتظر من يقوّمها وينقدها ويبين مزاياها وعيوبها ، ويشرح للجنة رأيه فى مسلكها وفيما تخرجه من الكتب ، ويرشدها إلى وجهة قد تكون خيرا من وجهتها ، فلا تجد إلا القليل النادر والنتف القصيرة التى لا تجزئ

---

لو صام المسلمون جميعاً يوماً واحداً لفلسطين لقال اليهود اليوم ما قاله آباؤهم من قبل : إن فيها قوماً جبّارين . . . .

أيها المسلمون ! هذا موطن يزيد فيه معنى المال المبذول فيكون شيئاً سماوياً

كل قرش يبذله المسلم لفلسطين يتكلم يوم الحساب يقول : يا رب أنا إيمان فلان !

وسبب هذا أننا لا ننظر الى النقـد النظر الذى يستحقه من الاجلال والاكبار ؛ فمنا من ينظر الى النقد على أنه اعـلان عن الكتاب ؛ ومنا من ينظر اليـه على أنه مجاملة لصديق أو تحية لصاحب أو استغلال لموقف ؛ وقليل جدا من ينظر اليه على أنه ميزان دقيق كميزان الذهب يوزن به النتاج الأدبى وزنا محكما فلا يفوته شىء . وقد أجاد العرب كل الاجادة فى تسمية هذا المنحى الأدبى « نقدا » أخذا من نقد الصيرفى الدراهم والدنانير ليعرف جيدها من زائفها

وقد أدى هذا النظر الى أن الصحف والمجلات وكثيرا من الكتّاب عـدّوا هـذا العمل عملا ثانويا يضاف الى أعمـالهم الأساسية ، فهم معذورون إن أثقلوا بالاعمال وكان نقد الكتب أحدها فلم يولوها العناية اللائقة بها ، ولم يمنحوها ما يجب لها من وقت ودرس وتمحيص . وقد أدركت هذا الواجب الجرائد والمجلات الأجنبية التى تحترم نفسها فاختارت كُتّابا من خيرة الكتاب لا عمل لهم فيها إلا النقد ، ويقرأون الكتب والقصائد والقصص ونحوها ويدرسونها درساً عميقاً ، ثم يظهرون القراء على نتيجة جهدهم ومدى درسهم وقصارى بحثهم

وشىء آخر كان له دخل كبير فى رقى النقد الأوربى وضعف النقد العربى ، وأعنى به « التخصص » ؛ وهذا ظاهر فى المجلات الأوربية وكُتّابها . فأما المجلات فتخصصت ، فمجلة للجغرافيا خاصة ، ومجلة للاجتماع ، ومجلة للأخلاق ، ومجلة للقصص ، ومجلة للسياسة ، ومجـلة للثقافة العامة . فاذا ألف كتاب فى الجغرافيا أو الاجتماع أو الأخلاق فالمجلة الخاصـة بذلك تنقده ؛ وإذا هى نقدته نقدته عن خبرة تامة بالموضوع وتخصص فيه . وبهذا يفخر المؤلف بأن مجـلة كذا مدحت كتابه وأثنت عليه ، لأن المدح صدر من واسع الاطلاع عميق البحث يحترمَ نفسه وقراءه . وأما الكتّاب فيشعرون هـذا الشعور نفسه ، فلا يتعرض ناقد لكتاب ليس من موضوعه الخاص وإن كان مثقفاً فيه ثقافة عامة . فاذا عرض على أديب كتاب فى علم النفس احترم نفسه وقراءه فلم يكتب فيه ، وعد ذلك كأديب ينقد رياضيا ، أو شاعر ينقد فلكيا ، وأنه مهزلة لا يصح أن يقع فيها ، وأن الشأن فى المعارف كالشأن فى الطب ، فكما لا يصح أن يداوى طبيب عيون مرضاً باطنياً ولا طبيب الأذن مرض اللثة ، فكذلك لا ينقد أديب تاريخاً ولا قصصى جغرافيا ؛ إلا إذا تعرض للكتاب من ناحية الأسلوب . بل هم سائرون إلى أكثر من ذلك فيريدون أن يتخصص الأدباء فى فروع الأدب نفسه فلا ينقد قصصى كاتب رسائل ، ولا ناقد الرسائل والمقالات قصصاً

إن شئت فانتقل بمدمعى الى الحال عندنا . هل يتعفف أكثر النقاد عن أن ينقدوا ما ليس من اختصاصهم ؟ فالكاتب الأدبى عندنا يرى أنه يستطيع أن ينقد فى يوم واحد كتاباً عن تاريخ نابليون ، وكتاباً عن جزيرة العرب ، وديوان شعر . وهو يرى أنه يستطيع أن ينقد كل شىء فلا يأتى بشىء . ومن أجل هذا قدر الناس أكثر النقد العربى بما يستحقه فقط . فمدْحُ المجلة والصحيفة للكتاب لا يدل على شىء وراء هذه العبارة ، ولا يدل على أن للكتاب قيمة ذاتية . ولا يستطيع مؤلف عربى أن يتقدم الى هيئة محترمة ببحوثه ليقول إن مجلة كذا العربية قرظتها وقالت فيها كذا ، كما يفعل من يتقدم بمؤلف كتب بلغة أوروبية فيستدل على قيمة عمله بأن مجلة كذا نشرته ، ومجلة كذا قرظته .

ثم الناقد الحق قاض عادل . والقاضى العادل لا يقضى حتى يدرس قضيته من جميع نواحيها فلا تفوته جزئية منها ؛ وهو عالم بالقانون وبالمواد التى تتصل بقضيتـه محيط بها ؛ وهو ماهر فى تطبيق المواد على قضيته محكم تطبيقها ، وكذلك الناقد . والقاضى الذى لا يرجع الى قانون إلا قانون العدالة المطلقة مخطئ ؛ والقاضى الذى يحكم ذوقه وحده مخطئ ؛ والقاضى الذى يدخل الشخصيات فى قضيته مخطئ ؛ وكذلك الناقد . وكل ما هنالك من فرق أن القاضى يحكم وفق قانون موضوع ، والناقـد الأدبى يحكم وفق قانون لم توضع كل أحكامه ولم تعرف كل مصادره ؛ وذلك راجع الى الفرق بين طبيعة القوانين العلمية والوضعية وقوانين الذوق ؛ ولـكن على كل حال لا يصح للأديب أن يصدر حكمه بناء على أنه يستحسن أو يستهجن فقط ، وإلا كان فى استطاعة كل من أمسك القـلم أن ينقد . إن كل فرع من فروع الأدب من قصة وشعر ونثر فنى له قوانين تبين رقيه وانحطاطه ؛ وكل عنصر من عناصر الأدب من خيال وعاطفة ونحوهما له مقاييس تقاس بها درجة قوته وضعفه ؛ وكل ما فى الأمر أن بعض هذه القوانين عرفت واستكشفت ، وبعضها غامض فى دور الاستكشاف . ويجب على الناقد أن يرجع إلى هذه الأسس فى صدور أحكامه كما يرجع

القاضى إلى قانونه ؛ وهذا يسلمنا إلى القول بأن الناقد الحق يجب أن يكون مثقفاً ثقافة واسعة عميقة ، وأن يبنى حكمه على علل معقولة كما يبنى القاضى حكمه على « حيثيات » واضحة ، ولسنا ننكر أن الأديب يعتمد فى حكمه على ذوقه وشعوره بالجمال والقبح ، ولكن لا يعد هذا الذوق راقياً إلا إذا أسس على علم واسع ومعرفة بقوانين الأدب

وهذا ضرب لا يزال ينقصنا منه الشىء الكثير ؛ فأكثر أحكامنا على النتاج الأدبى أحكام مجردة لا تعلل بعلل مقنعة ، ولا يرجع فيها إلى قوانين ثابتة ، وبذلك تفقد قيمتها ويقل احترامها

***

لقد قال قائلون إنك تعيب النقد العربى ولا تنقد ، وتعيب قلة الجرأة ولا تجرؤ ، وتدعى قلة النقد ولا تبنى فى بنائه الذى تنشده حجراً

قد يكون هذا صحيحاً ؛ ولكن هل من العيب أن يشرح المريض مرضاً عاماً أصيب به هو وغيره ؟ وهل من الشر أن يرفع صوته بالشكوى من كان هو وغيره سبب الشكوى ؟ وهل يحجر على الانسان أن يقول إن هذا ليس بجميل إلا إذا كان جميلاً ، وليس بعادل إلا إذا كان عدلاً ، وليس أبيض ولا أسود إلا إذا كان هو أبيض أو أسود ؟ إن مطالبة الانسان ألا ينقد إلا إذا كمل ، وألا يعيب إلا إذا خلا من العيب يحقن فى نفوس الناس آراءهم وقد تكون صالحة ، ويسلبهم الحرية وقد يكون فى حريتهم العلاج . على أن المريض قد يكون أصدق فى وصف المرض من الصحيح ، والجانى قد يصور الجناية بأحسن مما يصورها البرىء

أما بعد ، فقد شرحت وجهة نظرى فى بعض وجوه العيب فى النقد العربى من ناحيتها العامة . فان أراد أخى طه أن يحورها من عمومها إلى شخصياتها ، وينقل المسألة من النقد الأدبى إلى النقد السياسى ، ويجعل الأمر يدور حول أنا وأنت ونقدتُ ولم تنقد ، وكتبتُ ولم تكتب ، وبئستُ ونعمتَ ، وشقيتُ وسعدتَ ، لم أجاره فى ذلك ، ووقفت حيث أنا إلا أن يعود إلى أساس النظرية ، ويقرع حجة بحجة ، وبرهاناً ببرهان ؛ فأنى إذن أساجله القول فى ذلك حتى ينجلى الحق ويظهر الصواب .

والسلام عليك من أخ يضمر لك من الحب والوفاء ما تضمر له .

**أحمد أمين**

# شخصـــية غامضة
## فى التاريخ الأندلسى
للأستاذ محمد عبد الله عنان

شخصية غامضة وحادث غمض فى التاريخ الأندلسى ، فى عصر الفتح ، تقدم عنهما الرواية النصرانية كثيراً من التفاصيل الغامضة المتناقضة ، وتمر عليهما الرواية الاسلامية بالصمت ، وما زال البحث الحديث مترددا فى شأنهما

أما هذه الشخصية الغامضة فهى شخصية ذلك الزعيم المسلم أو النصرانى طبقاً لبعض الروايات ، الذى تسميه الرواية الفرنجية « منوزا » أو « مونز » ، والذى كان يتولى حكم بعض الأقاليم الشمالية فى عهد عبد الرحمن الغافقى أمير الأندلس ؛ وأما الحادث أو الحوادث الغامضة التى ترتبط باسم هذا الزعيم ، فهى محالفته للدوق أودو أمير اكوتين الفرنجى ، وزواجه من ابنته الأميرة لامبجيا التى اشتهرت برائع حسنها ، ومشاريعه الغامضة التى نظمها مع الدوق ، والتى انتهت بخروجه على حكومة الأندلس ، ثم هزيمته ومقتله ، وأسر زوجه الحسناء لامبجيا

وسنحاول فى هذا البحث أن نعرف من هو « منوزا » صاحب هذه الشخصية الغامضة . ولقد كنت أعتقد ، كما يعتقد كثير من الباحثين فى التاريخ الأندلسى أن « منوزا » أو مونز انما هو تحريف لاسم « ابن أبى نسعة » العربى ، وهو عثمان ابن أبى نسعة الخثعمى الذى تولى إمارة الأندلس فى سنة ١١٠ هـ ( ٧٢٨ م ) ؛ وقد سرت على هذا الرأى فعلاً فيما كتبته عن تاريخ هذه الفترة فى الفصل الذى خصصته لموقعة بلاط الشهداء فى كتابى « مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام [1] » ؛ ولكنى اليوم أصبحت أشك فى صحة هذا الرأى ، وفى أن منوزا وابن أبى نسعة هما مسميان لشخص واحد

وتتفق الروايات النصرانية — ومنها الروايات المعاصرة — على هيكل الحوادث التى ترتبط باسم منوزا من تاريخ أسبانيا

(١) مواقف حاسمة ص ٧ ؛

المسلمة ؛ ومعظمها على أن منوزا كان زعيما مسلماً ، يحكم بعض ولايات البرنيه الغربية وسبتمانيا فيما وراء البرنيه باسم حكومة الأندلس ؛ وكان ذلك حوالى سنة ٧٢٥ — ٧٣٠ م ؛ وكان الدوق أودو أمير اكوتين الفرنجي فى ذلك الوقت يتلمس كل وسيلة لحماية مملكته من غزوات العرب ؛ وكان العرب قد غزوا أراضيه مراراً قبل ذلك وأثخنوا فيها ؛ وكان جل همه أن يتقرب من حكومة الأندلس أو يجمع الحلفاء من حوله لمقاومتها ، فلما تولى « منوزا » حكم الولايات الشمالية ، وهى التى تجاور إمارة اكوتين من الشرق والجنوب ، سعى الدوق إلى التفاهم معه ؛ وكان منوزا ، كما تصفه الرواية زعيما قوى المراس ، كثير الأطماع نافذ الهيبة فى هاتيك الوهاد ؛ ولم يكن على اتفاق مع حكومة الأندلس ؛ ذلك لأنه كان من أقطاب البربر الذين عبروا الى الأندلس مع طارق بن زياد[1] ؛ ونحن نعرف أن البربر كانوا على خلاف دائم مع العرب ، يحقدون عليهم لأنهم استأثروا دونهم بمغانم الفتح والرياسة . فاذا صح أن « منوزا » كان زعيما بربرياً كما تصفه الروايات الفرنجية المعاصرة ، فيكون من المشكوك فيه إذاً أن يكون « منوزا » هو عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ، الذى تولى إمارة الأندلس كما قدمنا . ذلك أن عثمان كان زعيما عربياً ، ينتسب إلى خثعم إحدى البطون العربية العريقة[2] هذا إلى أن الرواية العربية تقدم الينا عن مصيره رواية أخرى غير تلك التى تقدمها الينا الرواية النصرانية عن مصير منوزا ، فهى تقول لنا إن أبى نسعة ولى الأندلس فى شعبان سنة ١١٠ (سنة ٧٢٨ م) واستمرت ولايته خمسة أشهر أو ستة ، ثم عزل وانصرف إلى القيروان فمات بها[3] . أما منوز فقد مات محارباً ومات قتيلاً كما سنرى

وعلى أى حال فقد تفاهم أميرا كوتين ومنوزا ؛ وقوت المصاهرة بينهما أواصر الصداقة والتحالف ؛ ذلك أنه كانت للدوق ابنة رائعة الحسن تدعى لامبجيا ( أو منينا أو نوميرانا على قول بعض الروايات ) فرآها منوزا أثناء رحلاته ( أو غاراته ) فى اكوتين وهام بها حباً . تقول الرواية : « وكانت لامبجيا أجمل امرأة فى عصرها . كما كان منوزا أقبح رجل فى عصره ، وكانت نصرانية متعصبة ، ولكن أطماع الوالد غلبت على كل شىء فارتضى مصاهرة الزعيم المسلم » . ويصف جيبون مؤرخ الدولة الرومانية هذا التحالف ، وتلك المصاهرة فى قوله : « ارتضى منوزا الزعيم البربرى محالفة دوق اكوتين ، وأسلم أودو لباعث المصلحة الخاصة أو العامة ، ابنته الحسناء ، لقبلات اللحد الأفريقى وعناقه »

وتحيط الرواية النصرانية شخصية لامبجيا بكثير من الغموض أيضاً ، وتختلف فى ظروف زواجها من الزعيم المسلم ، فتقول مثلا : إن منوزا أسر لامبجيا فى إحدى غاراته على أراضى أكوتين ، ثم هام بها حباً وتزوجها ، وحمل بنفوذها وتأثيرها على محالفة أبيها الدوق ، ومناوأة حكومة الأندلس ؛ وأنه تزوجها طوعا كما تقدم ، وتقول أيضا إن ابنة دوق أكوتين التى تزوجها « منوزا » لم تكن لامبجيا ، وإنما كانت أختها « منينا » التى كانت من قبل زوجة لفرويلا القوطى أمير أوسترياس ، وتقول غير ذلك من الأنباء والتفاصيل التى يقع معظمها فى حيز الأساطير[1]

ونمى أمر هذا التحالف الى حكومة الأندلس ، فلم تقره ، وارتابت فى أمره ؛ وأبدى منوزا من ضروب التمرد والاستثارة ما حملها على اعتزام تأديبه وتحطيمه ؛ وكان أمير الأندلس يومئذ عبد الرحمن الغافقى أعظم ولاة الأندلس ، فبعث لتأديب الخارج حملة قوية بقيادة ابن زيان ، فامتنع منوزا بموافعه الجبلية ، وتحصن فى عاصمة اقليمه « مدينة الباب » الواقعة على منحدر البرنيه ، وكان يظن أنه يستطيع أن يتحدى الجيش الاسلامى ، وأن يعتصم بالصخر كما اعتصم به الزعيم القوطى بلاجيوس ؛ ولكنه كان مخطئاً فى تقديره ؛ فقد نفذ ابن زيان بجيشه الى مدينة الباب ، وحصر الثائر فى عاصمته ، ففر منها الى شعب الجبال الداخلية ؛ فطارده ابن زيان من صخرة الى صخرة ، حتى أخذ وقتل مدافعاً عن نفسه ؛ وتحطمت أطماعه ومشروعاته (١١٣ هـ — ٧٣١ م) وأسرت زوجه الحسناء لامبجيا ، وأرسل بها أمير الأندلس إلى بلاط دمشق ، فاستقبلها الخليفة ( هشام ) بحفاوة وإكرام ،

(١) هكذا تقول الروايات النصرانية المعاصرة والقديمة — راجع دوزى ( الطبعة الجديدة ) ج ١ ص ١٦٠ و ج ٢ ص ١٢٩ — والهوامش — وينقل دوزى عن ايزيدور الباجى ، وهو راوية معاصر ؛ وعن سبنيان
(٢) راجع المقرى — نفح الطيب — ج ١ ص ١٣٩
(٣) راجع البيان المغرب لابن عذارى ج ٢ ص ٢٧

(١) راجع خلاصة الروايات الفرنجية فى موسوعة Bayle V. IV والتعليقات

وتزوجت هنالك من أمير مسلم لا تذكر لنا الرواية اسمه

والرواية العربية تمر على هـذه الحوادث كلها بالصمت ، ولا تذكر لنا أى تفصيل أو لمحة تلقى الضياء على شخصية منوزا ؛ بيد أن ابن عذارى المراكشى ينقل الينا نصاً يستوقف النظر فى حديثه عن ولاية أمير الأندلس الهيثم بن عبيـد الـكلابى إذ يقول : « وهو الذى غزا منوسة »[1] ، فهل تـكون « منوسة » هى الافرنجيـة المحرفة « منوزا » Munuza ، أو بعبارة أخرى هل تنصرف هذه الـكلمة إلى الشخص أو تنصرف إلى المكان ؟ يرى دوزى أنها تنصرف إلى الشخص ، وأن ابن عذارى يقصـد هنا « منوزا » صاحب المأساة التى أتينا عليها[2]

أما نحن فنرى بالعكس أن الـكلمة هنا تنصرف إلى المكان ، وأنه لا علاقة بين كلمة « منوسـة » ، وبين الزعيم « منوزا » ، ذلك أن الرواية العربية لم تعتد أن تعبر عن غزو الأشخاص بهذه الصورة ، وإنما تتحدث دائماً عن غزو المكان ، هـذا إلى أن الحديث هنا يتعلق بغزوات معروفة فى الرواية الاسلامية قام بها أمير الأندلس الهيثم بن عبيد الـكلابى الذى تولى إمارة الأندلس فى أوائل سنة ١١١ هـ ( ٧٢٩ م ) ؛ فقد عبر الهيثم جبال البرنيه غازياً ؛ واخترق ولاية سبتمانيا ، ثم وادى الرون ، وغزا ليون (لودون) ، وماسون ، وشالون الواقعة على نهر الساؤون ، واستولى على أوتون وبون ، وعاث فى أراضى برجونيه الجنوبية ؛ والمرجح لدينا أن مدينة « ماسون » التى غزاها الهيثم ، إنمـا هى « منوسة » التى يذكرها ابن عذارى ، حرفت بالعربية بطريق التقديم والتأخير فى الأحرف

هذا ، وهنالك رواية نصرانية أوردها ماريانا المؤرخ الاسبانى الـكبير ؛ فقد ذكر أن « منوزا » كان نصرانياً ، اختاره المسلمون لحكم المنطقة الواقعة فى غرب البرنيه ، ولـكنه كان صارماً شديد الوطأة يسوم النصارى سوء الخسف ؛ وأنه كانت للدون بلاجيوس زعيم جليقيـة القوطى أخت بارعة الحسن ، شغف بها منوزا حباً ؛ ولـكن بلاجيوس لم يوافق على زواجها منه ، فاحتال منوزا ، وبعثه فى مهمة إلى قرطبة ؛ وأسر الأميرة أثناء غيبته وتزوج منها قسراً . فأسر بلاجيوس وأخته هـذه الاهانة ، ولبثا يرقبان الفرص ، حتى استطاعت الأميرة فراراً من أسرها ، وسارت مع أخيها إلى جبال جليقية حيث اعتصم بلاجيوس مع أنصاره ، وأعلن الخروج والثورة . فأخطر منوزا حكومة قرطبة ؛ فأرسلت حملة لتأديب الثائر بقيادة « علقمة » ؛ ولـكن بلاجيوس استطاع مع أنصاره القـلائل أن يعتصم بشعب الجبال ، فارتد المسلمون منهزمين ، وقتـل علقة ؛ وارتاع منوزا لفوز خصمه ، وخشى انتقام مواطنيه ، فحاول الفرار إلى الجنوب ، ولـكن وقع فى يد شرذمة من الفلاحين النصارى فقتلته ؛ ويضع ماريانا تاريخ هذه الحوادث فى سنة ٧١٨ م[1]

ولـكن رواية ماريانا هذه ظاهرة الضعف ؛ أولاً لأنه ليس بمعقول أن تعهد حكومة الأندلس المسلمة بحكم ولاية من ولاياتها إلى زعيم نصرانى ؛ وثانياً لأن هـذه الرواية تخالف فى مجموع تفاصيلها كل ما كتبته الرواية المعاصرة عن شخصية منوزا ، وعن مصاهرته لدوق أكوتين ؛ وثالثاً لأن تاريخ هذه الحوادث متأخر عن التاريخ الذى يعينه ماريانا بنحو عشرة أعوام

وعندئذ يبقى أمامنا فرض واحد يمكن التعويل عليه فى تعيين شخصية منوزا . فهو زعيم مسلم بلاريب ؛ ولـكنه شخص آخر غير « ابن أبى نسعة » أمير الأندلس كما أوضحنا . ومن المعـقول جداً ، أن يكون ، كما تصفه الرواية النصرانية المعاصرة ، من زعماء البربر الذين دخـلوا الأندلس وقت الفتح ؛ وقد حرفت الرواية الفرنجية اسمه الى هذا الوضع ؛ وهنالك فى ظروف الأندلس عقب الفتح ، وفى عوامل الخصومة التى نشبت بين العرب والبربر ، وفى تنازعهما المستمر على مناصب الرياسة والحكم ، ما يؤيد انتماء منوزا إلى البربر ؛ وعلى ضوء هـذا الفرض وحده نستطيع أن نفهم موقف منوزا وتصرفاته فى محالفة دوق أكوتين ومصاهرته وفى محاولته الخروج على حكومة الأندلس ، تحقيقاً لأطماع جاشت بها نفسـه ، ونزولاً على عوامل الخصومة التى يضطرم بها البربر نحو العرب

**محمد عبد الله عنان**

(١) اليان المغرب — ج ٢ ص ٢٧

(٢) دوزى — ج ٢ ص ١٢٩ ( الهامش )

(١) ماريانا — الترجمة الفرنسية — ج ٣ ص ٥ وما بعدها

# الصـــفات المحسودة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال شوبنهور : إن حسد المرء للشيء يكون على قدر يأسه من نيل مثله ؛ وهذا اليأس سبب أساسى من أسباب الحسد ، فقد يُحسَدُ صاحب الضياع والعمارات والسيارات ، ولكن حاسده قلما يقصده بحسد كحسده لصاحب العقل الرجيح الأصيل الذى يستمد من العبقرية الموروثة صفاتها . فالأول قد يُحسَد فى فترات غير متصلة ، لأن الحاسد يرجو أن ينال الخير على يديه مما لديه ، أو يرجو الخير من جاهه ووساطته لدى من تنفع شفاعته عنده . فالخير يرجى فى التحبب إلى الغنى والخضوع له والمهابة عند طلعته ؛ وهذه أمور قد تكون ظواهر تستر حسدا ، ولكن المرء إذا روض نفسه عليها واعتادها عاد بعضها حقيقة فى نفسه يخالطها أو لا يخالطها النفاق . ومما يعين فى تحويلها إلى حقيقة أن المرء مأخوذ بوسائل الحياة ، مهموم بها من مال وعقار وجاه ، فهو يعدها أسباب الحياة الأولية أكثر مما يعد العبقرية من أسباب الحياة ؛ ولا يجل الناس عقلاً بلا مال قدر ما يجلون مالاً بلا عقل . فالموهوبات المادية لا يحسدها المرء قدر حسد الموهوبات العقلية ، لأنه يرجو الخير عند الأولى بالتحبب إلى صاحبها ، ولأنه يهابها ، والهيبة والاجلال تتغلب على الحسد للمرء المهيب . أما الثانية فاذا كانت استعدادا موروثاً من صفات العبقرية لا يجلبه التعليم ولا تخلقه التربية ، لم يكن للمحروم أمل فى نيلها ؛ وهذا اليأس منها منشأ الغيظ والمقت والحقد والحسد . ولعل النفس تزكى نفسها بأن المرء المحسود لم ينل الاستعداد الموروث بجد واجتهاد وعمل فهو لا فضل له فيه ، وهذه مغالطة ، فان الاجتهاد والجد والعمل صفات منشؤها استعداد موروث آخر

ولا يحسد المرء المال الموروث قدر حسده العقل الموروث ، لأن المال الموروث يوجد مثله فى السوق ، وقد ينال الصعلوك مثله وأكثر منه فيغنى بعد فقر . فالأمل فى كسبه موجود دائماً حتى وإن بعدت وسائل نيله ؛ وإذا وجد الأمل لطف من غلواء الحسد . أما الاستعداد العقلى الموروث فلا يناله أحد بالاجتهاد والعمل كما ينال العلم المكتسب الذى هو شىء آخر ، فليس عند المحروم أمل فى نيل صفات العبقرية الموروثة مهما كان أمله عظيما فى نيل العلم المكتسب ، فتراه يحسد على الاستعداد العقلى الموروث أكثر من حسده على الضياع والعقار ، وأكثر من حسده على العلم المكتسب ؛ وهو لا يحسد على الضياع والعقار والمال إلا إذا يئس من بلوغ الخير عند صاحبها ، أو إذا يئس من بلوغ مثلها بالجد والاجتهاد ، أو بالنصب والاحتيال ؛ وهو لا يحسد على العلم المكتسب إلا إذا حُرِم صفات الجلد والمثابرة والقدرة التى ينال بها العلم المكتسب . فاليأس هو أساس الغيظ والحقد والحسد فى كل حالة من الحالات الثلاث

ومما يحير الألباب أن ترى انساناً فقيراً لا حول له يُحْسَد على صفات العبقرية التى هى فيه أو التى يحسبها الحاسد من صفاته أكثر من حسد الحاسد للغنى صاحب المال والجاه ، فيحار الباحث المفكر فى تعليل هذا التفاوت فى الحسد ؛ وكان المعقول فى رأيه أن يكون مقدار الحسد على عكس ما يرى لأن الناس تتقاتل على الذهب والفضة ، ولكن إذا عرف الباحث ما ذكر من نشأة الحسد وسببه زالت حيرته وزال عجبه

ولعل لهذا الانقلاب فى مقادير الحسد الذى يقصد به صاحب المال وصاحب العقل الموروث سببا آخر ، وهو أن وسائل القهر والدفاع والانتقام متوفرة عند صاحب المال وهى أمور يخشاها الحاسد ، والخوف منها يلطف من غلواء حسده لصاحب المال والجاه خشية أن يصيبه من قدرة الغنى أو صاحب الجاه ومن انتقامه وبطشه ما يؤذيه فيردعه الجبن عن الحسد . فترى أن الرهبة من وسائل البطش عند صاحب المال والجاه تعمل أيضاً عمل الرغبة فى الاستفادة من التحبب اليه ، وكلتاهما تضعف الحسد فى نفس الحسود

ومظاهر العقل المكتسب لا ينالها من حسد الحاسد قدر ماينال مظاهر العقل الموروث ، فالعلم الذى ينال بالاجتهاد هو من مظاهر العقل المكتسب الذى يستطيع كل مثابر أن يناله ، أما العبقرية فى شتى مظاهرها فلا ينالها المحروم بالجد والاجتهاد ، ويأسه

منها واقع لا محالة ؛ وهذا اليأس هو منشأ غيظ المحروم منها ومنشأ حسده ، ولا يردعه عن كيد الحسد خوف البطش ، لأن العبقرى قلما تتوافر لديه أسباب البطش توافرها عند صاحب الجاه والمال . فالجبن الذى يحذر الحاسد من بطش المحسود إذا كان ذا مال وجاه يتطلب فى نفس الحسود ما يزكيه وما يداوى ألمه وما يغالط النفس عنه كى لا تعتريها الذلة والاحتقار من أجله بأن يتحول الجبن استطالة وكيداً لصاحب العبقرية الذى فقد وسائل البطش أو لمن خيلت فيه صفات العبقرية

ومن أجل ذلك ترى أن المرء قد يؤلف كتاباً فى الجبر أو الحساب أو الهندسة أو غيرها من العلوم فيروج ويقرأ فى شتى المدارس وينشر مؤلفه منه طبعة بعد طبعة حتى يثرى بسببه ويقتنى العقار والضياع ويحصل من أجله على مال كثير فلا يصيبه من حسد الحساد قدر ما يصيب فقيراً من ذوى الفنون أو الفكر الأصيل إذا لمحت فيه مظاهر العبقرية أو خيلت فيه لأن العبقرية استعداد موروث لا أمل للمحروم فى نيله ، واليأس منشأ الغيظ والحسد . أما صاحب العلم المكتسب الذى يؤلف كتاباً يغتنى من أجله فقدرته قدرة مكتسبة يستطيع كل انسان أن ينال مثلها إذا انصرف إلى وسائل نيلها وخصص نفسه لها ، فلا يأس يدعو الى الغيظ والحسد الشديد ؛ وإن كان يصيب صاحب العلم المكتسب حسد عليه فحسد الكسول الذى يستطيع بلوغ العلم المكتسب ولا يتخذ العدة لبلوغه ، وهذا حسد كسول مثل صاحبه الحسود . وإذا كان ذا نقص عقلى يمنع من بلوغ العلم المكتسب فالحسد فى هذه الحالة على العقل الموروث الذى نقص حظه منه

وعلى هذا القياس ترى فى الفنون أستاذ الصنعة الذى حُرِم العبقرية واكتسب الصنعة بالجد والاجتهاد ، لا يحسد قدر ما يحسد الفنان الذى يرى الناس فيه مظاهر العبقرية ؛ فترى الأول ذا جاه وأصدقاء ومال ولا يحسد على كل هذه النعم قدر ما يحسد الثانى . ومما يزيد الحنق والحقد على ذوى العبقرية فى شتى مظاهرها العلمية والفنية أنهم أناس ذوو نظرات جديدة خاصة ، والناس من أجل كسلهم الفكرى ومن أجل خوفهم من الجديد المجهول غير المألوف يرون صلاح الحياة وضمانها فى الاستمساك بالمألوف ، حتى ترغمهم العدوى شيئاً فشيئاً على الأخذ بما لم يكن مألوفاً لديهم . ومما يزيد فى خوفهم شطط أهل الشطط ؛ وهذه الأسباب إذا عللت جانبا من جوانب الحنق والحقد فانها لم تعلل كل جانب ، ولم تعلل الحسد الذى ينشأ من الرغبة فى شىء حال اليأس دونه . وكثيرا ما يختفى الحسد وراء ستار فيحسب شيئاً آخر غير الحسد . وكثيرا ما يحسب فضيلة من الفضائل لأنه يستتر بستار الفضائل ويتخذ لباسها لباساً كى يخفى قبح نفسه ، وكى يكون أبلغ فى الكيد لأنه يبيح كل ضعة . والحسد ليس من صفات المحرومين وحدهم ، فان من الموهوبين من هو شديد الحسد . ومنشأ الحسد فى الموهوبين الرغبة فى التفرد بكل إجادة . والعبقرى الموهوب قد يحسد إذا يئس من حيازة شىء جليل أصيل وإن كان عنده مثله . فالرغبة فى حيازة كل فضل ، واليأس من تحقيق تلك الرغبة ، يُنْشِئان الحسد فى صدره كما ينشأ فى صدر المحروم

وقلما يحسد أشباه العامة ذا العبقرية قدر حسد العلماء أو المتعلمين أو الحفاظ المجتهدين له ، فمن أخذ بنصيب من العلم قل أو كثر أحس فقدانه العقل الموروث إذا كان قد حرم صفاته فييأس منها مهما غالط نفسه وادعاها لها . فالمغالطة والحنق الناشئ من اليأس قد يتفق وجودهما فى وقت واحد . والعامة إذا أبغضوا ذوى العبقرية كان بغضهم بسبب جلب العبقريين لغير المألوف من المعانى فى بعض الأحايين وبسبب قلة فهم العامة ، وما ينشأ عنها من الغيظ والخوف والمقت ، فيستثمر الحسود المتعلم هذه الصفات فيهم كوسائل لأشباع حسده ؛ وقد يستثمرها كى يصرف نفوسهم عن أن يحسدوه على جاه أو مال أو كى يزكى نفسه بمماوتهم فيما يحس من ضعف وجبن نشآ من اليأس والعجز عن الأمر المحسود الذى لا يستطاع نيله لأنه استعداد موروث

عبد الرحمن شكرى

---

# هل الأمريكيون مصريو الأصل ؟

## بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

مصر تكتشف أمريكا — رسالة أهل مصر — أقدم حل لمشكلة العاطلين — أقدم بعثة في التاريخ — أول جامعة متنقلة — رحلة يتممها أحفاد الأحفاد

تقدم لنا العلوم بين آن وآن حقائق كنا نجهلها كل الجهل عن أثر قدماء المصريين في بناء المدنيات . ولشد ما كنا نعجب حينما تنبثق من قبور أجدادنا الأقدمين أشعة من النور تبهر العقول قبل الأبصار ، فترينا أن المدنيات التي قامت في العالم مدينة في كثير أو قليل لمنتجات عقول سكان مصر الأقدمين . واليوم نقف وبقية العالم في ذهول وحيرة إزاء تلك الاكتشافات العديدة التي قام بها علماء العاديات وغيرهم في البلاد الأمريكية ، والتي تثبت أن أول من استوطن أمريكا هم المصريون . كذلك ثبت لبعض علماء الأجناس أن المصريين كانوا نواة لبعض فصائل من البشر . ولما كان بعض هذه الحقائق يستند الى وثائق أثرية وآثار طبيعية يرجع عهد البعض منها الى ما قبل التاريخ ، فعلينا أن نلم إجمالا بالتطورات التي حدت بقدماء المصريين أن يسلكوا ذلك السبيل

يجزم كثير من علماء التاريخ القديم بأنه كان لمصر مدنية تفوق في تقدمها وازدهارها وشيوعها كل ما عداها من المدنيات . ومن الطبيعي أن هذه المدنية لم تكن إلا نتاجا لسابق جهود تمت خلال عشرات المئات من السنين واصل فيها شعب النيل الفكر والعمل مدفوعا بقوة روحانية يستمدها من مثله الأعلى الذي نصبه لنفسه ، والماثل في تهذيب الطبيعة لتجميل الحياة

ولا عجب أن تكون العظمة طابع تفكيره ، وهو الذي آلى على نفسه أن يهذب الطبيعة ويجمل الحياة ، إذ لا شيء أعظم من الطبيعة أو أشمل للحياة من الحياة . ولو أن هذا الشعب لم يتصدر لأعظم حلم عرفه التاريخ ( وستمر بك تفاصيله ) ، ولم يبذل جهود الجبابرة لتحقيقه ، ثم لم يظفر ببغيته منه ، لما كان أهلا لرسالته

وكان المصريون بما لهم من عقول رياضية قد تحققوا أن هنالك بلادا شاسعة غنية بخيراتها ، زاخرة بثروتها الطبيعية ، لا زالت بكرا . فسموا اليها ليؤدوا رسالتهم فيها ؛ وكانت تلك البلاد هي التي أطلق عليها فيما بعد اسم « أمريكا » . وكان العلماء في مصر قدروا إذ ذاك موضع أمريكا تقديرا لا خطأ فيه ، بدليل أن المصريين في ترحالهم الى تلك البلاد لم يضلوا الطريق في الوصول اليها ، ولم تبتلعهم صحارى ومجاهل آسيا . كذلك لم يغوهم بلد كالهند لوثيق معرفتهم أن الثروة الطبيعية في أمريكا أوفر منها في الهند وأعظم

وكانت المدنية المصرية وصلت إلى حد عرفت فيه مشكلة البطالة ، وتكاثر في البلاد عدد العاطلين من العمال والمفكرين . ولم يك ذلك إلا نتاجا لسوء نظام الطبقات السائد إذ ذاك . وخشيت الطبقة الحاكمة أن يتصدى العاطلون لنظام الحكم والنظام الاجتماعي ، فأوعزت إلى العلماء بالدعاية لفكرة استغلال أغنى بقاع العالم : أمريكا . وكان الضيق قد حل بالعاطلين من أبناء مصر فتقبلوا الفكرة ونظموا جموعهم واستقر قرارهم على الرحيل إلى بلاد الأمل والرجاء ، وانتظم في سلك هذه الرحلة العمال والفلاحون والعلماء والفنانون — كل بعدته وأداته . ولم تكن هذه الحملة قاصرة على جحافل من رجال أشداء ، بل كان الشيوخ والنساء والبنات والبنون ضمن عناصرها . وهذه الحملة أو البعثة الجامعة إلى الدنيا الجديدة كانت أشبه ما تكون بأمة كاملة تحمل في نفسها كل عوامل الحياة ووسائلها . وليس من المحتمل اليوم أن يجود التاريخ ببعثة تماثلها من حيث التكوين أو العظمة أو الغرض . ولا بد لتنظيم هذه الرحلة والسهر على إنجاحها من عقول راجحة قد يصعب علينا اليوم تصور جبروتها وعتوها . وكان على الجحافل التي تنزح يومياً عن أرض النيل — وكلهم من العاطلين — أن تعمل منذ الساعة الأولى من الرحلة على الانتاج ، كل فيما اختص به . ولم يكن أساس حياتهم الجديدة حب الذات ، كما كان الحال في مصر ، بل كان التفاني في التضحية لخدمة المجموع رائد الكل ، فحل تعاون الجماعات محل الاستئثار ، وغلبت الاخوة بين الجميع على فوارق الطبقات ، وتمتع هؤلاء الرحل بحرية لم يعرفوا لها نظيرا على ضفاف النيل . وكان صدق حبهم وخالص نيتهم في تحقيق حلمهم العظيم يغريهم بالتمادي في التضحية . ولا يمكننا اليوم ونحن في القرن العشرين وطرق المواصلات ميسورة وعديدة

وأغلب البلاد مأهولة وعامرة ، تقدير المشاق التى عاناها أجدادنا فى اجتياز تلك البقاع . ويرجع تذليل كل صعاب انتابتهم إلى الذهن المتقد وقوة الساعد والايمان بصدق الرسالة . ولا شك أن العزيمة واطمئنان النفس كانت تتملك تلك الجماعات من الناس منذ بدء الرحلة التى قاموا بها ، فاخترقوا صحراء سينا إلى فلسطين فسوريا فتركيا فالعراق فبلاد الكرد فايران فالتركستان فشمال الهند ، ومنها إلى سهول وصحارى سيبيريا الشاسعة حتى ظهر لهم البحر . ولقد قاومت هذه الجماعات الجوع والعطش والقيظ والبرد والحيوانات المفترسة والطيور الجارحة والمتوحشين من الهمج وتغلبت عليها جميعاً . بل لقد اجتازت مناطق لم يكن للبشرية فيها من أثر . ولما أن وصلوا إلى أبعد نقطة من شرق آسيا أخذوا يصنعون الفلك الذى اجتاز بهم البوغاز المعروف باسم « طريق بيرنج » حتى وصلوا إلى شبه جزيرة السكا

ويقول الأستاذ الدكتور هردليكا مدرس علم الأجناس فى معهد سميث سونيان بأمريكا : « إن الطارقين الأولين للدنيا الجديدة اتخذوا جزيرة كودياك قاعدة لهم وجعلوها مركز اتصال بين من تخلفوا منهم فى آسيا ومن تقدموا منهم فى أمريكا ؛ وهؤلاء اجتازوا السكا ونزحوا إلى كولومبيا البريطانية فولايات واشنجطن وأوريجون وكاليفورنيا الواقعة على المحيط الهادى . ولم يجد المصريون رواد أمريكا آدمياً واحداً أو أثراً لآدمى ، ولكنهم وجدوا حيوانات مَرَدة متوحشة يعلوها الشعر الكثيف المتهدل . ومن هذه الحيوانات الماموث والفيلة العاتية وغيرها مما كان يجتاز الأحراج والبرارى فى تلك الأرض البكر »

ويسلم الباحثون بأن « رواد أمريكا الأول كانوا على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام والمخاطرة » « وأنهم انقسموا إلى فريقين : فالفريق الأول ذهب إلى الشرق ، والفريق الآخر اتخذ طريقه إلى جانب مجرى الأنهار الكبرى حتى وصل هؤلاء المصريون الى المحيط الأطلنطى . وهكذا قطعوا ثلاثة آلاف من الأميال على أقل تقدير » . ويميل العلامة الأستاذ بنيت عضو المعهد الأمريكى للمباحث الخاصة بالهنود الحمر إلى « أن المصريين لم يقفوا عند الشاطئ بل ركبوا البحر حتى بلغوا الجزر المترامية فى المحيط والمعروفة اليوم باسم جزائر الهند الغربية » . ويتفق علماء الآثار الأمريكيون فى القول بأن « الفريق الآخر الذى سار جنوباً اخترق بلاد المكسيك وأواسط أمريكا وأحراج استموس فى بناما . ثم تدرجوا إلى مجاهل أمريكا الجنوبية » . ومن أمد قريب رحل جماعة من علماء الأمريكان إلى بوليفيا لعلهم يقفون على أثر للجماعات الرحل التى تقدمت التاريخ ، « هؤلاء الرحل الذين قدموا من وادى النيل قبل أن يقدم أمريكا بأجيال عدة قبائل الآنكاس » على حد تعبيرهم . وسرعان ما وفقت هذه البعثة فى عملها ، فقد جاء فى تقرير الأستاذ بنيت : « إننا وجدنا حول بحيرات تيتيكاكا فى بوليفيا آثار مدنيات يرجع تاريخها إلى ما قبل عصر الأنكاس » . وجاء فى هذا التقرير « وعلى مقربة من البحيرات وجدنا خرائب متفرقة . ولما أن كشفت عنها الأتربة ظهرت خمسة أبنية كانت على ما يظن معاهد دينية » . ولا زالت هذه البعثة مستمرة فى أبحاثها . والاعتقاد السائد بين أفرادها أنها سوف توفق الى اكتشاف مبان ومدافن أخرى يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ

كذلك وفق الأستاذ هردليكا إلى اكتشاف فى كوبا يؤيد وجود اتصال ثقافى ومدنى بين الشعوب القديمة والشعوب الشمالية فى جزيرة كودياك وقبائل ماياس فى أمريكا . ومن المسلم به « أن جميع السكان الشماليين ومن بينهم الاسكيمو هم من سلالات العنصر الذى نزح إلى البلاد الأمريكية عند بدء تعميرها » . ولما أن وجد الدكتور هردليكا جمجمة فى إحدى حفريات جزيرة كودياك مال الى رأيه كثير من العلماء وهو « أن تلك الجمجمة هى صلة الوصل بين جميع هذه الأجناس البشرية التى عمرت أمريكا » . وهى جمجمة لرئيس قبيلة كما يزعم الدكتور هردليكا ، ويضيف إلى زعمه هذا أن أتباع هذا الزعيم اقتطعوا من لحمه حياً والتهموه التهاماً لفرط اعجابهم بكفاءته وفضائله . وهذه العادة كانت متبعة إذ كان يأكل الأتباع سيدهم وهو حى . وكذلك يفعلون مع زعيم أعدائهم اعتقاداً منهم أن مميزاته ومقدرته سوف تتقلص فيهم بعد أكل لحمه . وقد وجدت فى جمجمة هذا الزعيم عين صناعية صنعت من سن الفيل وجعلت الحدقة حجراً كريماً . وكانت قبائل الاستكن والماياس تصنع مثل ذلك إبان ازدهار حضارتهما . وكان الدكتور بنيت أمضى عدة أسابيع

فى أبحاثه بمدينة بينار دل ريو من أعمال جزيرة كوبا فوجد فيما عثر عليه مائتى ملعقة من المحار وكثيرا من المطارق الحجرية والأوانى المنزلية المصنوعة من الخشب وغيرها من الأدوات التى تتمثل فيها البساطة والفطرة . كذلك وجد فى هذه المدينة جمجمة يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ . ويرى فيها الدكتور بنيت حلقة الاتصال بين الهنود الحمر الأول وسكان جزائر الأنانيل ، وقد ثبت له كما ثبت لغيره من قبل أن موطن الآباء الأول للهنود الحمر من سكان أمريكا هو وادى النيل

ومما لا شك فيه أن رحلة العاطلين المصريين هذه إلى أمريكا وكوبا وجزائر الهند الغربية دامت بضع مئات من السنين . وأن عدداً من الأطفال ولدوا أثناء السفر وشبوا وعاشوا وماتوا على بعد عشرات المئات من الأميال من الموضع الذى أبصروا فيه لأول مرة نور العالم من دون أن يصلوا إلى أرض الأمل والرجاء ، فورث الأبناء الرسالة وأخذوا على عاتقهم تحقيقها

وليس فى استطاعة أحفاد الأحفاد بناء مدنية فى أمريكا تشبه كل الشبه المدنية التى أقامها المصريون على ضفاف النيل مع أنهم لم يحظوا بالعيش فى مصر يوماً لغز قط ، فقد كان هؤلاء الرحل من بدء ترحالهم إلى الدنيا الجديدة يعدون العدة لتوفير أسباب اتمام المرحلة التالية . فان وجدوا الأرض خصبة والماء ميسوراً زرعوا الغلال والفاكهة والخضر والزهور وحملوا معهم ما أرادوه ميرة لهم فى سفرهم . وكما أن بعضهم كان ينسج الصوف والكتان وغيرها ملابس وأردية وخياماً ، كان البعض الآخر من أصحاب الحرف يلقن الصبية صناعته . وكانت تعقد قبل مسير كل يوم وفى الصباح من أيام الاقامة حلقات يدرس فيها العلماء علمهم ويقدم فيها الفنانون تجاربهم . وكان لكل علم وفن دراسات وحلقات وفصول أولية وإعدادية وعالية . فكانت كل أنواع الثقافات المعروفة فى ضفاف وادى النيل تقدم دون تمييز إلى كل الأفراد . وهكذا عرفوا كيف يضمون بين حياة الفطرة وحياة أحفادهم سداً منيعاً . ولما كان لكل فرد فى القافلة حق تلقن العلم ودرس الفن الذى يميل اليه أصبح الجميع أحرار الفكر أحرار العمل ، خاصة وقد تخلصوا من سلطة رجال الدين . وكان على طلبة الأمس أن يعلموا صبية وبنات اليوم . وهكذا احتفظ بمستوى الثقافة

وقد وجه السؤال التالى الى بعض الهيئات :

إذا كان حقاً أن المصريين عرفوا موضع أمريكا الجغرافى وعلموا بتفوق ثروتها الطبيعية ، فلم لم يركبوا البحر اليها مباشرة من شواطىء البحر الأحمر ؟

وما أيسر الجواب على ذلك . إن المسافر فى البحر خاصة فى تلك السفن القديمة العهد ، كان مضطراً الى هجر صناعته وعدم مزاولته لها ولكثير من دعائم الثقافة وأسس المدنية . وكيف يزاول فى السفينة فلاحة الأرض وزراعتها ، ونحن نعلم أن المدنية المصرية كان أساسها الزراعة ؟ وإذا كان هذا حال الفلاح فكيف يكون حال أولاده وأحفاده . كذلك تدريس العلوم والفنون أثناء سفر السفينة بعيد الاحتمال ، فلا يرجى للناشىء أن يقف على مدنية جديدة عليه أن يبنيها من أساسها فى أرض جديدة . والأمر الثانى كيف يجوز لهؤلاء العاطلين وهم جماعات عدة أن يحصلوا على المواد الغذائية لمدد طويلة قد تربو على العام ؟ ولو أن المصريين الأقدمين ركبوا البحر الى أمريكا لما وصلوا إلى الدنيا الجديدة ولما وجدنا هنالك أهراما وتماثيل ومبانى تماثل ما نراه على ضفاف النيل للعهود القديمة . أما وقد أنشأوا مدنية جديدة فى أرض بكر ، وأدوا رسالتهم على الوجه الأكمل فأولى بنا أن نقتبس من روح نظام مجتمعهم الذى مكنهم من تحقيق أكبر حلم عرف فى التاريخ

ابراهيم ابراهيم يوسف

مراجع البحث :


1) Hartman Pieper :
Die Gesetze der Welt geschichte : Aegypten

2) A Gessler :
Die aegypptische Fahrt hach Amerika

للتاريخ السياسي :

# ٥ – اليوم السابع من مارس

## ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

أما مسيو فان زيلاند ، فقد ألقى خطاباً مرتب العبارة أنيق الأسلوب مؤثراً ، وقد مس فى خطابه شعور كل من سمعه . . وقال إنه لا يوجد بلاد فيها الخوف أشد مما هو فى بلجيكا ، وإن هذه البلاد الصغيرة لا تملك ما يطمئنها على سلامتها غير معاهدة لوكارنو . . . وقد اعتدى على حق بلجيكا التى تحترم المعاهدات والجيران اعتداء لا مبرر له . . . فبلجيكا لم تكن عضواً فى المعاهدة الفرنسية الروسية التى اتخذها الهر هتلر حجة لتمزيق لوكارنو . ولا ينبغى أن تتوقف قيمة الامضاء على معاهدة على قيمة قوى الذى وقع على تلك المعاهدة ...

وبعد ظهر يوم الاثنين الموافق ١٦ مارس اجتمع مجلس العصبة اجتماعاً خاصاً ثم اجتماعاً سرياً داما مدى أربع ساعات ، ودام البحث خلال ذلك عن الجواب الواجب ارساله الى الحكومة الألمانية ، وعن الأصول الواجب اتباعها للوصول إلى القرار الذى يصدره المجلس . وبعد نقاش طويل تقرر ارسال برقية إلى الهر هتلر يخبره فيها بأن لألمانيا الحق فى الاشتراك فى مناقشة المجلس لطلب فرنسا وبلجيكا على قدم المساواة مع بقية الدول ؛ ولا اعتبار لأصوات دول لوكارنو الثلاثة فى تقرير التصويت الاجماعى . أما فيما يتعلق بالشرط الثانى فليس من اختصاص المجلس إعطاء التأكيد الذى تطلبه الحكومة الألمانية

وقرأ مسيو فلاندان طلب حكومة فرنسا وبلجيكا الذى تقولان فيه بأن على مجلس العصبة أن يقرر بأن ألمانيا قد اعتدت على ميثاق لوكارنو ومعاهدة فرساى ، وأن يقف فوراً دول لوكارنو على القرار — وبعد نقاش قصير فضت الجلسة

***

وقبل أن تجيب حكومة برلين على برقية مجلس العصبة ، أرسلت صباح الثلاثاء ١٧ مارس الى حكومة لندن ، بواسطة سفيرها فى برلين برقية تقول فيها بأن الحكومة الألمانية تأمل من حكومة جلالته بذل جهودها ، فى الظروف الحالية ، للمفاوضة على المنهاج الألمانى فى الوقت المناسب مع الدول ذات الشأن فيه . فأسرع مستر ايدن فى أخذ رأى ممثل فرنسا وبلجيكا ثم أجاب حكومة برلين قائلاً : « إن حكومة جلالته باذلة كل جهدها للوصول الى حل سلمى مرض للمشاكل الحالية . وإن الحكومة البريطانية تؤكد بأن ( اقتراحات المستشار ) ستناقش فى الوقت المناسب كغيرها من اقتراحات الدول ذات الشأن فى الموضوع »

وفى اليوم عينه اجتمع مجلس العصبة فى الساعة الثالثة والنصف وعقد جلسة سرية حسب اقتراح رئيسه ليسمع تصريحاً من ممثل بريطانيا . وقد أطلع مستر ايدن المجلس على برقية حكومة برلين وجوابه عليها . وبعد جدال عنيف حول الموضوع تقرر أن برقية الحكومة الألمانية لا تعد جواباً على برقية المجلس ، وأن على المجلس فتح المناقشة حول طلب فرنسا وبلجيكا . وقد حض ممثلا فرنسا وبلجيكا على النقاش الفورى ، وأخذ مسيو فلاندان يتكلم بحدة عن ضياع الوقت دون الوصول الى نتيجة

وبينا هم كذلك إذ سلمت برقية إلى مستر ايدن ، تفيد بأن الحكومة الألمانية قد قررت ارسال مبعوث الى لندن . وبعد بضع دقائق « تَلْفَنَ » سفير ألمانيا فى لندن الى رئيس المجلس ليقفه على الخبر . وعلى ذلك انفضت الجلسة ليقوم الممثلون باستشاراتهم الخاصة

وفى نفس اليوم عقدت الجلسة ثانية وكانت سرية أيضاً . ودار الحديث حول تأجيل المناقشة العامة حتى وصول ممثل بريطانيا ، فعارض مسيو زيلاند فى ذلك ، وأخبر مسيو فلاندان المجلس بأنه يجب أن يؤخذ القرار صباح الخميس ، لأنه سيغادر لندن إلى باريس فى ذلك التاريخ . وهكذا تقرر أخيراً افتتاح الجلسة العمومية والبحث فى دعوى فرنسا وبلجيكا ، وكان ذلك فى الساعة الخامسة والنصف

وتكلم فى هذا الاجتماع ممثلو تركيا والروسيا وشيلى . وكان أهم ما جاء فى الخطب انتقادات الرفيق لتفينوف الشديدة والصريحة لانتهاك ألمانيا ميثاق لوكارنو . وقرأ جملاً من كتاب

« كفاحى » توضح أن ألمانيا كانت مصرة على احتلال أراضى الرين عسكرياً وتسليحها لتتمكن من نشر نفوذها على أوروبا جميعها

وتابع مجلس العصبة اجتماعه فى اليوم التالى ، وتكلم جميع ممثلى الدول عدا الرئيس وممثل بلاد « الايكوادور » بسبب مرضه ، وأهم الخطب كانت خطب مستر إيدن والسنيور جراندى والكولونيل بيك Beck ، أما الهر ريبنتروب فلم يصل فى الوقت المحدد ، ولذلك ألقى خطابه يوم الخميس ١٩ مارس

وبعد أن أبان مستر إيدن أن ألمانيا هدمت معاهدة لوكارنو بعملها فى ٧ مارس قال : « إن واجباتنا ليست فقط التصريح بأن اعتداء قد حصل ، بل يجب أن نضع نصب أعيننا غايتنا السامية ، ألا وهى الاحتفاظ بالسلام ، وإقامة حسن التفاهم بين أمم أوروبا على أساس متين ودائم . ما ذا كان مقصد لوكارنو ؟ لقد كان لها مقصدان : أولهما الاحتفاظ بالسلام ، وثانيهما خلق ثقة دولية بتأمين السلام فى غربى أوروبا . وإننى أصرح بأن موضوعنا اليوم هو هاتان النقطتان . . . واستمر يقول بأن الحالة الراهنة التى تولدت عن أعمال ٧ مارس حرجة جداً ، غير أن هذه الحالة تحتوى على شيئين مهمين يجب لفت النظر إليهما :

أولهما : أن تمزيق لوكارنو لم يحمل معه أى تهديد عدائى ، ولا يوجب العمل الفورى الذى توجبه معاهدة لوكارنو فى بعض الظروف

ثانيهما : مهما تكن الحالة خطرة فإنها أوجدت فرصة سانحة لتوليد حسن التفاهم وبناء العلاقات الدولية على معاهدات يحترمها الجميع ويود بقاءها . . .

أما الأمر الأول الذى لفت مستر إيدن اليه النظر فيخالف نص معاهدة لوكارنو الذى يقول بأن احتلال أراضى الرين يعد عملاً عدائياً ، وللدول لوكارنو الحق فى اتخاذ إجراءات عاجلة فعالة . وأما النقطة الثانية فلا يستطيع مستر إيدن تأكيدها ، إذ هو لا يستطيع ضمان محافظة ألمانيا على المعاهدات التى ستعقد معها . ألا يمكن لحكومة النازى أن تقوم بعد سنين بمثل العمل الذى قامت به فى ٧ مارس بحجة أن المعاهدة التى وقعتها لم تعد تسير مع رغائب الأمة ولا قيمة لها ، وأن الحكومة الألمانية فى حل منها !

واجتمع مجلس العصبة صباح الخميس الموافق ١٩ مارس لسماع خطاب الهر فون ريبنتروب واتخاذ القرار . وفى بادئ الأمر عقد اجتماع خاص طلب فيه ممثل الهر هتلر ترك فاصل من الوقت بين نهاية خطابه وأخذ القرار للتفكير . فصرح مسيو فلاندان حالاً ، وبدون تردد ، بأنه يعضد هذا الاقتراح . وفى الساعة العاشرة والنصف عقد الاجتماع العام . وأومأ الرئيس إلى الهر ريبنتروب ، فقام وقرأ خطابه بالألمانية ( مع أن اللغتين الرسميتين فى عصبة الأمم هما الفرنسية والانكليزية ) ، وبصوت هادئ ودون إشارة مدة نصف ساعة ، ولم يأت فى دفاعه ببراهين جديدة تبرر أعمال ٧ مارس ، بل كان الدفاع مبنياً على أن حكومة فرنسا اعتدت على لوكارنو بعقدها مع الروسيا ميثاقاً آخر ؛ وأعاد تأكيد الهر هتلر بأن الحكومة الألمانية تود السلام

وبعد أن ترجم الخطاب إلى الفرنسية والانكليزية ، انفضت الجلسة ليجيل الأعضاء الفكر فيه

وعندما اجتمع أعضاء المجلس فى الساعة الثالثة والنصف ألقى الرئيس بروسى كلمته كممثل لحكومة استراليا ، وأخبر بأنه سيصوت مع طلب فرنسا وبلجيكا

ثم جرى التصويت على القرار — resolution — وهذا نصه :

« إن مجلس عصبة الأمم ، حسب دعوى فرنسا وبلجيكا ، المقدمة إليه فى ٨ مارس ١٩٣٦ ، يرى بأن الحكومة الألمانية قد خالفت المادة ٤٣ من معاهدة فرساى بارسالها فى ٧ مارس سنة ١٩٣٦ قوى حربية إلى الاقليم غير المسلح ، والمنوه عنه فى المادة ٤٢ والمواد التالية من تلك المعاهدة وفى معاهدة لوكارنو ، وإقامتها فيه . انه يخبر السكرتير العام حسب نص البند ٢ من المادة ٤ من معاهدة لوكارنو لكى يرسل قرار المجلس هذا حالاً إلى الدول الموقعة على تلك المعاهدة »

وقد أخبر الرئيس بأن لجميع الممثلين حق التصويت ، غير أن أصوات المتخاصمين لا تعد لمعرفة ما إذا كان التصويت بالاجماع

وكان جواب ممثلى الدول إيجابياً « نعم » . أما جواب ممثل الهر هتلر فكان « لا » . ولم تكن حكومة اكوادور ممثلة فى هذا الاجتماع ؛ ولقد تغيب عن التصويت ممثلى شيلى

وهكذا أخذ القرار بمخالفة أعمال ٧ مارس لمعاهدتى فرساى ولوكارنو بالاجماع ؛ وانتهت بذلك الدورة ٩١ غير العادية لمجلس العصبة

يوسف هيكل

# بعض أبطال النقـــد

## وأثرهم فى نهضة الآداب الأوربية

عند ما قرأت مقال الأستاذ صاحب (الرسالة) فى فوضى النقد فى مصر ، ثم قرأت فى الأسبوع التالى مقال الأستاذ أحمد أمين ، بدا لى أن أقدم للقراء طائفة من النقاد الأوربيين كان لهم أكبر الأثر فى نهضة الآداب كل فى مملكته . وقد اشترك هؤلاء فى فضيلة واحدة جعلت لكتاباتهم قيمتها ، تلك الفضيلة هى أنهم لم يقيموا من أنفسهم قضاة يصدرون أحكامهم على الأدباء ، ولا اتخذوا من أنفسهم شتامين سبابين ، يخرجون عن موضوع النقد إلى الخوض فى الأعراض وانتقاص الشاعر أو الكاتب بكل ما يضع من قدره ، ويحط فى أعين القراء من شأنه ... بل هم كانوا يعرضون بضاعة الأدباء على القراء ويعينونهم على تقديرها بالنقد والتحليل ، ويلفتون أنظارهم إلى ما فيها من جمال أو قبح ، ثم يتركونهم يصدرون أحكامهم من تلقاء أنفسهم . وأحسب أن لو اتبعت هذه الطريقة فى مصر لعادت على الأدب والأدباء بأكبر النفع ، ولا سيما إذا لم تقحم السياسة والأحن والتعصب فى المسائل الأدبية التى ينبغى أن تظل بريئة خالصة لوجه الحق والأدب

أما هؤلاء النقاد الأوربيون فهم : لسنج الألمانى ، وسانت بيف الفرنسى ، وبلنسكى الروسى ، ثم كولردج ، وشارل لامب ، وهازلت ، وأرنولد الانجليز

### ١ — لسنج

كانت أوربا كلها إلى ما قبل القرن الثامن عشر تُعيّر ألمانيا بالافلاس الأدبى ، وكانت ألمانيا تنظر إلى خصيمتها فرنسا نظرة كلها حسد وكلها غيرة ، وإن كان هذا الحسد وتلك الغيرة لم يمنعاها من أن تكون التلميذة المؤدبة المعترفة بالجميل لفرنسا ، ذلك لانتشار الأدب الفرنسى بين الألمان فى ذلك الوقت انتشارا كان يأخذ السبل على كل الآداب الأوربية ، فما يستطيع أحدها النفاذ إلى ألمانيا ، بما فى ذلك الأدب الانجليزى الذى كان بطبعه أقرب إلى ذوق الألمان . فلما ولد جوتهولد إفرايم لسنج Lessing سنة ١٧٢٩ دقت البشائر فى ألمانيا كلها ، وأخذ الكابوس الذى كان يجثم على صدرها ينظر إلى هذا الطفل ويعد العدة للرحيل !

قضى لسنج أيامه الأولى متنقلاً بين ليبزج وبرلين ؛ وكان أبواه قد نذراه للكنيسة ، لما كان للرهبان فى تلك الآونة من عظيم الشأن فى ألمانيا ؛ ومن هنا كان الصراع الهائل فى نفس الشاب بين ميوله الأدبية الفطرية وبين التزمت الدينى فى الفكر الذى يقسر عليه رجال الدين عادة ، فصبأ من تلقاء نفسه ، واحترف الأدب

وكان لسنج يبغض الأدب الفرنسى ويبغض الأدباء الفرنسيين وفى مقدمتهم ڤولتير ؛ وأكبر الظن أنه كان يصدر عن عصبية وطنية صارخة لما كان بين الدولتين من منافسات وثارات . ولم يبرح يكتب ويكتب ، ولم يبرح المسرح يجتذبه اليه ، فعكف أول الأمر ينقد الدرامات الفرنسية التى كانت تكتسح المسرح الألمانى ، ويظهر الناس على ما فيها من ليونة لا تتفق والقوة التى تنشدها ألمانيا . ولم يقف عند حد الكتابة فى الصحف والمجلات ، بل ألف كتابه القيم ( تاريخ المسرح ) وأصدره سنة ١٧٥٠ ، وهو كتاب خطير حسن يلفت فيه لسنج أنظار قومه بشدة إلى روائع المسرح الاغريقى ، ويقفهم به على أحسن ما جادت به قرائح إسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز وأرسطوفان . ثم يدعوهم به إلى الايمان باليونان والكفر بفرنسا . وكان هذا الكتاب أول محاولة صادقة لاحياء الدرامة الكلاسيكية ، وقد هرع اليه أدباء ألمانيا فتخذوا منه إنجيلا يبشر بأدب جديد ؛ وافتتن به جوته فبشر به ؛ وجعله شيللر ناموسه الأكبر الى أدب المجد والخلود

وكان لسنج يعجب أيما إعجاب بشاكسبير ، فدأب على الدعوة له فى ألمانيا حتى أفلح أخيراً فى صرف الشباب الألمانى اليه . وقد حفظ له الانجليز هذا الجميل فنقلوا الى لغتهم كل ما كان يكتب ويؤلف

وقد تمت هزيمة الاتجاه الفرنسى فى ألمانيا حينما أصدر لسنج مأساته الخالدة ( الآنسة سارة سامبسون ) سنة ١٧٥٥ التى كانت بحق أولى ثمار الأدب القومى الألمانى المستقل . وبعد هذه الدرامة

فرغ لسنج للنقد فأرشد ألمانيا كلها لما فيه خيرها ولما فيه صلاح نهضتها

وفى سنة ١٧٦٦ أصدر لسنج قصته البارعة (لاوكون) التى اتفق كل مؤرخى الآداب على أنها أعظم نتاج أدبى صدر فى القرن الثامن عشر بطوله . والقصة تدور على حوادث النبى الطروادى لاوكون الذى وعظ قومه ألا يقربوا الحصان الخشبى وألا يدخلوه الى مدينتهم لأنه سيكون شراً عليهم . وقد لخصت (الرسالة) هذه الحادثة فى باب القصص فى آخر جروب طروادة . ويحسب هذه القصة أن يقول فيها جوته : « يجب أن نرتد طفرة الى ميعة الشباب وحرارته كى ندرك حقيقة الأثر العميق الذى تركه فينا لسنج بقصته العبقرية (لاوكون) التى انتشلتنا من صفوف المتفرجين التاعسين البلداء الى صفوف المفكرين المنتجين العظماء ! » وقد عرض لسنج فى ثنايا القصة الى ضروب من النقد الحر المتدل البعيد من الصلف جعلتها قانونا عاما لهذا الفن الذى هب أدباؤنا اليوم يشكون من الشكوى من المتطفلين عليه بغير الحق

## ٢ — سانت بيف (١٨٠٤ — ١٨٦٩)

لا يستغنى طالب الأدب الفرنسى عن كتاب Causeries du Lundi (أحاديث الاثنين) لسانت بيف ؛ بل لا نبالغ إذا جزمنا أنه لا غناء لمتأدب فى أى أمة عن هذا الكتاب الذى لا يعدله كتاب فى النقد الأدبى فى العالم . ولم يكن لورد مورلى مبالغاً حين قال إن من شاء استيعاب الأدب الفرنسى كله فحسبه أحاديث الاثنين لسانت بيف ، فهى ذوق وذخيرة وعدالة ومفتاح ذهبى لكل من يستغلق عليه شىء من هذا الأدب الحافل

وقد عرض سانت بيف لطائفة كبيرة من الأدباء الانجليز والاغريق فى أحاديثه ، فحلل آدابهم وعرضهم على قرائه عرضاً علمياً شائقاً شهد بعدالته وسموه كبار النقاد الانجليز أنفسهم ، وإن يكن قد قدح فى طريقة الناقد الانجليزى الكبير صموبل جونسون التى عرض بها لجمهرة من الشعراء فى كتابه (حياة الشعراء Lives of the Poets) . ولم يكن سانت بيف متعسفاً فى هذا القدح ، بل كان صائب الرأى فيه الى حد بعيد ؛ ويكفى أن تعلم أن كتاب جونسون هو مجموعة مقدمات لدواوين الشعراء كان يطلب منه تقديمها الى القراء بها ، فكان لا يعنى فيها إلا بابراز محاسن الشاعر، والا كبار من شأنه غاضاً الطرف عن عيوبه . يكفى أن تعرف هذا لتتفق مع بيف فى إقلاله من شأن جونسون

وكما قدح بيف فى طريقة جونسون فى نقد الآداب ، فكذلك لم ترضه طريقة مواطنه الكبير بوالو Boileau « لأنه كان ينظر الى الأديب نظرة سطحية ، ثم سرعان ما يصدر حكمه عليه ؛ والناقد العادل ينبغى أن يستعرض حياة الأديب وعصره وبيئته وظروفه فيشرحها للقراء شرحاً مسهباً ثم يدعهم يصدرون أحكامهم ؛ فليس من وظيفة الناقد أن يكون قاضياً . . . »

وأحاديث الاثنين فصول ممتعة كان يحررها بيف فى إحدى المجلات الدورية ثم جمعها وأصدرها فى عدة مجلدات وأردفها بكتابه الرائع فى النقد والأدب والفلسفة Port Royal وقد تناول فيه الحركة الذهنية برمتها فى عهد لويس الرابع عشر

## ٣ — بلنسكى Belinsky (١٨١١ — ١٨٤٧)

يرجع تاريخ النقد الأدبى فى روسيا إلى عهد الشاعر العظيم پوشكين (١٧٩٩ — ١٨٣٧) وذلك للفصول الممتعة القوية التى كان يوالى نشرها فى المجلة الروسية (الرسول الأوروبى) ينقد فيها الشعر والشعراء منذ فجر النهضة الروسية إلى زمنه . وقد أثارت هذه الفصول حماسة الشباب ولفتتهم إلى درر الآداب العالمية ، وربت فيهم ذوقاً خالصاً شفافاً يزن بالنظرة الواحدة قيم الأدب بنوعيه فى ذلك العصر من شعر ونثر . وقد استجاب لفصول پوشكين زعماء الشباب من أدباء روسيا واجتذبت بعض أمراء البيت القيصرى وفى مقدمتهم الأمير الأديب ڤيازمسكى الذى نزل الى ميدان النقد بقلمه — على نهج پوشكين — فى مجلة (كارامزين) (١٨٠٨ — ١٨٧٨) — وانتظمت حركة النقد على صدى سانت بيف حين دخل عنصر الاحتراف فى الصحافة الروسية وقطعت شوطاً كبيراً على يد الصحافى القدير پولڤوى Polevoy الذى لفت اليه الأنظار بفصوله الضافية فى نقد الأدب والحياة والتقاليد الروسية ، وإن أغضب الفئة الرجعية التى لا تخلو منها أمة ما . . .

بيد أن هذه الحركة المباركة لم تبلغ أوجها إلا حين تسلمها فتاها الأكبر فخر أدباء روسيا بلنسكى ، الذى وثب من وسط وضيع وأسرة فقيرة وتعليم ناقص مبتور ، فاستطاع أن يتسنم أسمى

ذروة بين مواطنيه ، وأن يرسم الخطط لما ينبغى أن يكون عليه الأدب والاجتماع فى روسيا جميعاً . وكأننا به قد تسلم تراث أسلافه بوشكين ولرمونتوف وجوجول ليغربله ويسقط ما فيه من نفايات ، كيما يخلق منه قادة الأدب العالمى الجديد : جوتشريف وهرزن ودستوتفسكى وتولوستوى وشيخوف وجوركى . وبحسبك أن تعلم أن الأربعة الأول قد تتلمذوا على بلنسكى ، ورضعوا لبانه ودرجوا فى حجره ، وثقفوا عنه فلسفة هجل وجيته ، وطرائف شاكسبير وروائع الأدب الفرنسى ، وآمنوا عن سبيله ، بأن الفن للحياة ، وليس الفن للفن

ولشد ما كانت روسيا تشبه مصر اليوم من الوجهة الأدبية ، فكان فيها معسكران كبيران ينزع أحدهما الى التجديد والأخذ عن الغرب ، وتسموا باسم (الثائرين) وكان على رأسهم بلنسكى يعاونه ويشد أزره الناقد المحاضر الكبير يوسف لوما يستر ، ويساعدهما الأديب الثقة والناقد المحقق هرزن . أما المعسكر الآخر فهم فئة السلافيين Slavophiles ، وكانوا يتعصبون لروسيا القديمة تعصباً أعمى ، وكان أدباؤهم ينقدون معسكر الثائرين نقداً كله شعوذة وكله رمى بالكفر والمروق من الدين والوطنية

وقد أخذ الأستاذ بركنر Brückner الألمانى فى كتابه ( تاريخ الآداب الروسية) على بلنسكى وأضرابه من النقاد الروسيين ما كانوا يحيدون به أحياناً عن قوانين النقد التى وضعها سانت بيف ولسنج وأرنولد ، وقال إنهم حين كانوا يفعلون ذلك كان يجىء نقدهم سطحياً قليل الغناء . وقد رد الأستاذ بارنج ( Maurice Baring ) فى كتابه ( خلاصة الأدب الروسى ) على هذا المأخذ بأن بلنسكى ومدرسته كانت تنشد قبل كل شىء خلق أدب قومى روسى بكل معنى الكلمة ينافس الآداب الأوروبية التى كانت تطغى على روسيا نفسها فتجذب اليها جمهور القراء الروسيين ... لذلك كان يضطر أحياناً الى منازلة خصومه بأشد من أسلحتهم فى المهاترة والثلب !

## ٤ — كولردج وشارل لامب

لو أن كولردج (١٧٧٢ — ١٨٣٤) قصر جهوده على النقد دون النظم لأفاد الأدب الانجليزى أكثر مما أفاده بشعره ، وإن يكن له فى هذا الميدان جهده المشكور . ولقد كانت طريقته فى النقد مثل طريقة مواطنه وصديقه شارل لامب (١٧٧٥ — ١٨٣٤) وإن اختص الأول بعرض أدب شاكسبير أكثر من أى شىء آخر . وكل النقاد الحديثين فى انجلترا يحترمون آراءه فى شاعرهم الأكبر ويعتمدون عليها . وشارل لامب هو صاحب النظرية العجيبة فى نقد الآداب والتى تتلخص فى « وجوب اعتماد الناقد على ذوقه كحاسة سادسة لا على عقله فقط فى نقد الأدب ! » وهو يشرك الروح فى النقد ، ويطلب من الشاعر أن يغنى ويصور ، ويبكى ويتألم ، لا أن ينظم حقائق هذه الدنيا فيكون شعره جافاً ثقيلاً على القلب . فالروح عند شارل للشعر ، والعقل للعلم . وقد كان لامب يثير شغف القراء وإعجابهم بفصوله التى كان ينشرها فى ( London Magazine ) بامضاء ( إيليا ) ؛ ولولا أثرته ومدحه لذاته فى هذه الفصول لرفعته الى أسمى مراتب النقاد

## ٥ — هازلت (١٧٧٨ — ١٨٣٠)

لا تقل مكانة وليم هازلت فى النقد عن مكانة سانت بيف ؛ ويعده الانجليز واضع أسس النقد الأدبى الحديث فى انجلترا ، وهم يقبلون على قراءته إلى اليوم كما يقبل الفرنسيون على قراءة سانت بيف ، وكما يقبل الألمان على لسنج ، والروس على بلنسكى . ويذكر هازلت أن سبب شغفه بالأدب وبالنقد خاصة هو لقاؤه الأول بكولردج الذى كان صديق أبيه ، وكان يزوره فى منزله كأعز ضيف عليه . ولقد حاول هازلت مرة أن يهجر الأدب إلى الفنون ، وشغف فعلاً بالتصوير والرسم ولكنه فشل ، فحطم ريشته وامتشق يراعته ، وكان ذلك من حسن حظ الأدب

وما كاد هازلت ينشر فصوله الأولى فى النقد فى احدى المجلات حتى استرعى انتباه الدوائر الأدبية العليا ، وحتى دعته مؤسسة رسل لالقاء بضع محاضرات فى « نشوء وترق الفلسفة الحديثة » ، ثم فى « الشعر والشعراء الانجليز » و « كتاب الكوميدى الانجليز » ، و « عصر إليزابث » . ودعته صحيفة المورننج كرونكل لتحرير قسم النقد المسرحى فيها . وأخذ بعد ذلك ينشر فصوله عن (الدائرة المستديرة) فى صحف التيمس والتشامبيون والأجزامينر ، واتصل بمجلة لندن فنشر فيها حديث المائدة وبحثه القيم عن (روح العصر) ، وغير ذلك من الموضوعات الشائقة . وقد شهد البروفيسير سينتسبرى — ولم يغل — بأن فصول هازلت فى النقد قد فاقت غيرها فى جميع الأمم ، ولم يستثن سانت بيف — ولولا ما كان من اعجاب هازلت بنابليون لعبده الانجليز ولقدسوه تقديساً

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

# اشتغال العرب بالأدب المقارَن

## أو ما يدعوه الفرنجة « littérature comparée »

## في كتاب تلخيص كتاب أرسطو في الشعر

### لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد

[ تابع المنشور في العدد الماضي ]

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوي

أما غاية صناعة الشعر فلم تخرج عن غاية الفلسفة لأن المؤلف والترجم فيلسوفان يقيسان كل شيء ، ويقدرانه بحسب فائدته الخلقيــة ، وهما يريدان من الشعر أن يكون عاملاً على تهذيب الأخلاق حاثاً على التخلق بالآداب السامية ( وهذا هو الشعر المدرسي قبل أن ينحت الفن أثلته ، وينخر غرسته ) لأن الفن قد ضرب بهذه السدود ، وحطمها أي تحطيم . والشعر الفني — عند العرب — في اعتقادي — يغشى على الشعر المدرسي لأن أكثره شعر لا يدل على أن أصحابه كانوا يتورعون فيه . ولعل هذا هو ما دعا أبا نصر الفارابي الى الحملة على هــذا النوع من الشعر الفني بقوله : « إن أكثر شعر العرب في النهم والكريه ؛ وذلك أن النوع الذي يسمونه النسيب انما هو حث على الفسوق ؛ ولذلك ينبغي أن يتجنبه الولدان ويؤدبون من أشعارهم بما يحث فيه على الشجاعة والكرم ، فانه ليس تحث العرب في أشعارها من الفضائل على سوى هاتين الفضيلتين وإن كانت ليس تتكلم فيهما على طريق الحث عليهما ، وانما تتكلم فيهما على طريق الفخر ، لأن أكثر شعرهم من شعر المطابقة الذي يصفون به الجمادات كثيراً والحيوانات والنبات . وأما اليونانيون فلم يكونوا يقولون أكثر ذلك شعراً إلا وهو موجه نحو الفضيلة والكف عن الرذيلة ، وما يفيد أدباً من الآداب أو معرفة من المعارف » وقد بحث في العلل المولدة للشعر ، فكان تعليله الاول إلى الفلسفة أدنى منه إلى الشعر . وقد بنى هــذه العلل على ميل الانسان إلى محاكاة الأشياء . وقد تكون — عندي — هذه المحاكاة علة صادقة مبنية على التحليل النفسي ، لأن الشاعر أقرب الناس إلى فهم الطبيعة والعمل على تحسينها وإكمالها « لأنه يلتذ بالتشبيه للأشياء التي قد أحسها وبالمحاكاة لها ليلتذ باحساسها » فما أصدق هــذا الاحساس وما أبعده في تعليل العلل المولدة للشعر . إن الشاعر يأتي الطبيعة ويستجليها ويستنطقها ويبث فيها الحياة ، ليجعل فيها القدرة على مشاركته في بهجته . وجاء تعليله الثاني تعليلاً طبيعيا ، نشأ في الانسان لالتذاذه بالطبع بالوزن والالحان ... وهو في هذا لا يرى في الوزن والألحان كل الشعر إن لم تنطو هذه الألحان على محاكاة الطبيعة ؛ ثم يذهب في اختلاف طبائع الأمم ، فان الأمم التي تغلب الأخلاق عليها تميل إلى مديح الأفعال الجميلة ، والعكس بالعكس . ولا بد من ملاءمة الأوزان والألحان للمعاني ؛ فرب وزن يناسب غرضاً ولا يناسب غرضاً آخر . وعملهما فيه هو أنها تعد النفس لقبول خيال الشيء الذي يقصد تخييله . وثمت علل كثيرة للشعر ، « وانما المحاكاة هي العمود والأس في هذه الصناعة ، لأن الالتذاذ ليس يكون بذكر الشيء المقصود ذكره دون أن يحاكى . ولذلك

---

### ٦ — ماثيو أرنولد ( ١٨٢٢ — ١٨٨٨ )

أرنولد من شعراء العصر الفكتوري المجيدين ، ولكنه خدم الأدب الانجليزي بكتابه القيم ( فصول في النقد Essays in criticism ) أكثر مما خدمه بشعره ؛ ويكاد أرنولد يتفق وهازلت في طريقته في نقد الآداب ، غير أنه يمتاز من هازلت بأنه يخلق من القارئ نفسه ناقداً للموضوع أو الأديب الذي ينقده ، فما يكاد أحد يتلو فصولاً من كتابه حتى يحس من نفسه القدرة على النقد ، كأنما قد تقمصه أرنولد ! وهذا ما أفاض في شرحه الأستاذ هربرت بول في كتابه عن أرنولد ؛ ولولا تشكك أرنولد وكثرة حيرته ، وهما عيبان يبدوان كثيراً في فصوله ، لما قل في مرتبته عن هازلت وعن سانت بيف

وبعد ، فهذه لمحات خاطفة لسادتنا نقاد الآداب عن زملائهم (!) في بعض الأمم الأوربية ، نرجو أن يهتموا بدراستهم في المراجع التي أشرنا اليها ثم ينقدوا بعد ذلك ما يشاؤون

( د . غ )

لا يلتذ الانسان بالنظر إلى صور الأشياء الموجودة أنفسها ، ويلتذ بمحاكاتها وتصورها بالأصباغ والألوان ؛ ولذلك استعمل الانسان صناعة الزواقة والتصوير . وهل كانت غاية المدح مثلاً إلا محاكاة الناس من قبل عاداتهم الجميلة وأمثالهم الحسنة واعتقاداتهم البعيدة ؟ ولعل أرسطو كان أكثر انصافاً لرسالة الشعر منه لرسالة الخطابة « فقد اعترف لها بأنها ليست مبنية على الاحتجاج والمناظرة ، وبخاصة صناعة المديح ، وبذلك ليس يستعمل المديح صناعة النفاق كما تستعملها الخطابة » ، وبهذا أحسن إلى الشعر ؛ وهل المادح يمدح إلا عن اعتقاد . . . . . وأساء إلى الخطابة — ولكن النفاق قد يدخل الشعر كما يدخل الخطابة ، وقد يبرأ الشعر منه كما تبرأ الخطابة منه بحسب قوة الاعتقاد وصدقه عند الشاعر والخطيب

## صناعة المديح وأجزاؤها

قد أسهب ابن رشد فى هذا الباب ما شاء له الاسهاب ، لأنه يراه أكثر انطباقاً على محاكاة الأخلاق الفاضلة . والفلسفة تكره المحاكاة لمجرد المحاكاة إلا أن يكون من ورائها غرض أو معنى شريف من معانى التهذيب . وقد تصدى لعلة فى الشعر لا تزال فاشية فى شعرنا ، هى علة « الاستطراد » فى القصيدة الواحدة ، « ويشبه أن يكون جميع الشعراء لا يتحفظون بهذا بل ينتقلون من شيء إلى شيء ، ولا يلزمون غرضاً واحداً بعينه ما عدا ( هوميروس ) فى اليونان . وأنت تجد هذا كثيراً ما يعرض فى أشعار العرب والمحدثين وبخاصة عند المدح ، أعنى أنه إذا عن لهم شيء ما من أسباب الممدوح مثل سيف أو قوس اشتغلوا بمحاكاته وأضربوا عن ذكر الممدوح . وبالجملة فيجب أن تكون الصناعة تتشبه بالطبيعة ، أعنى أن تكون إنما تفعل جميع ما تفعله من أجل غرض واحد وغاية واحدة ، واذا كان كذلك فواجب أن يكون التشبيه والمحاكاة لواحد ومقصوداً به غرض واحد ، وأن يكون لأجزائه عظم محدود ، وأن يكون فيها مبدأ ووسط وآخر ، وأن يكون الوسط أفضلها

أما تعريفه للمحاكاة من حيث الخلق والابداع فهو تعريف نم عن إحساس عال بالشعر ، فليس الشعر يعتمد على التخييل بدون نظام ، ولا على تصوير الأشياء التى لا تجول فى الذهن . « لأن المحاكاة التى تكون بالأمور المخترعة الكاذبة ليست من أفعال الشاعر — وهى التى تسمى أمثالاً وقصصاً مثل ما فى كتاب كليلة ودمنة . لكن الشاعر إنما يتكلم فى الأمور الموجودة أو الممكنة الوجود ؛ وأما الذين يعملون الأمثال والقصص فان عملهم غير عمل الشعراء وإن كانوا قد يعملون تلك الأمثال والأحاديث المخترعة بكلام موزون . فالفاعل للأمثال المخترعة والقصص إنما يخترع أشخاصاً ليس لها وجود أصلاً ويضع لها أسماء ؛ وأما الشاعر فانما يضع أسماء لأشياء موجودة . . . ولذلك كانت صناعة الشعر أقرب إلى الفلسفة من صناعة اختراع الأمثال » وقد أبى ذهن أرسطو إلا أن يعطف على الشعر ويجعل رسالته مشتقة من رسالة الفلسفة . وإذا نصر الفيلسوف رسالة الشعر وخصها بفضله ، فقد رام — لقاء هذا الفضل أن يضيق عليها حدودها ، « فهو يرى أن الأشياء غير الموجودة يجب ألا توضع وتخترع لها أسماء فى صناعة المديح ، مثل وصفهم الجود شخصاً ثم يضعون أفعالاً له ويحاكونها ويطنبون فى مدحه . فهذا النوع من التخييل وإن كان قد ينتفع به فليس ينبغى أن يعتمد فى صناعة المديح لأنه ليس مما يوافق جميع الطباع بل قد يضحك منه ويزدريه كثير من الناس . » ، وقد يكون اعتقاده على حق لو كان ينطق عن غير الشعر . لأن الشعر لا منصرف له عن خلقه لكثير من أنواع التخييل ، « ومن جيد ما فى هذا الباب للعرب — وإن لم يكن على طريق الحث على الفضيلة » قول الأعشى :

لعمرى لقد لاحت عيونٌ نواظر     إلى ضوء نار باليفاع تحرَّق
تُشب لمقرورين يصطليانها     وبات على النار الندى والمحلِّق
رضيعى لبان ثدى أم تحالفا     بأسحمَ داج عوضُ لا نتفرق

وهو يريد من كل هذا أن ينزه رسالة الشعر عن النفاق وكذب التخييل والاختلاق . « إذ لا ينبغى للشاعر أن يأوى إلى ما يدعى نفاقاً فان ذلك إنما يستعمله الموهون من الشعراء ، أعنى الذين يرون أنهم شعراء وليسوا بشعراء ؛ وأما الشعراء بالحقيقة فلا يستعملونه إلا عند ما يريدون أن يقابلوا به استعمال شعراء الزور له ، وأما إذا قابلوا الشعراء المجيدين فلا يستعملونه أصلاً . على أن كثيراً من الأقاويل الشعرية تكون جودتها فى المحاكاة البسيطة »

وقد تكون المحاكاة بسيطة مجردة ، وقد تكون مركبة تأتى بطريقة المقابلة . إذا أراد مثلاً أن يحاكى السعادة وأهلها ابتدأ أولاً بمحاكاة الشقاوة وأهلها ثم انتقل الى محاكاة أهل السعادة ، والمحاكاة الأولى هى الغالبة على شعر العرب

كقول أبى الطيب :

كم زورة لك فى الأعراب خافية
أدهى — وقد رقدوا — من زورة الذيب

فهذا البيت من نوع المحاكاة الأولى

وقوله :

أزورهم وسواد الليـل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يُغرى بى

فهذا من نوع المحاكاة الثانية المبنية على طريقة المقابلة

ولقد تكون المحاكاة وليدة الانفعالات النفسية كانفعالات الخوف والرحمة والحزن ، وهى تكون بذكر المصائب والرزايا النازلة بالناس . ويجب على الشاعر أن يلزم فى تخيلاته ومحاكاته الأشياء التى جرت العادة باستعمالها فى التشبيه ، وألا يتعدى فى ذلك طريقة الشعر

أما هذه المحاكاة فهى عنده على أنواع . منها محاكاة لأشياء محسوسة بأشياء محسوسة من شأنها أن توقع الشك لمن ينظر إليها ؛ وكلما كانت هذه المتوهمات أقرب الى وقوع الشك كانت أتم تشبيهاً . وجل تشبيهات العرب راجعة الى هذا الوضع . وكلما كانت أبعد من وقوع الشك كانت أنقص تشبيهاً . وهذه هى المحاكاة البعيدة التى يجب أن تطرح كقول امرئ القيس فى الفرس :

« كأنها هراوةُ منوال »

ومنها محاكاة لأمور معنوية بأشياء محسوسة كقولهم فى المنة إنها طوق العنق ، وفى الاحسان إنه قيد . وهذا كثير فى شعر العرب كقول أبى الطيب :

« ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا »

أو قول امرئ القيس :

« بمنجرد قيد الأوابد هيكل »

وما كان من هـذه أيضاً غير مناسب ولا شبيه فينبغى أن يطرح ؛ وهذا كثيراً ما يوجد فى أشعار المحدثين وبخاصة فى شعر أبى تمام كقوله : « لا تسقنى ماء الملام » فان الماء غير مناسب للملام . وكما أن البعيد يجب طرحه كذلك ينبغى أن يكون التشبيه بالجنس الموجود مطرحاً أيضاً ، وأن يكون التشبيه بالأشياء الفاضلة

ومنها المحاكاة التى تقع بالتـذكر كأن يرى الانسان خط إنسان فيتذكره إن كان حياً أو ميتاً ، وهذا موجود فى أشعار العرب بكثرة كقول متمم بن نويرة :

وقالوا أتبكى كل قبر رأيتـه لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى دعونى ! فهذا كله قبر مالك

وكقول المجنون :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليـلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

وكقول الخنساء :

يذكرنى طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

وهذا النوع كثير فى شعر العرب ، ومنه تذكر الأحبة بالديار والأطلال . ويقرب من هذا الموضع ما جرت به عادة العرب من تذكر الأحبة بالخيال وإقامته مقام المتخيَّل كما قال شاعرهم :

وانى لأستغشى وما بى نعسة لعل خيالاً منك يلقى خياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى أحدث عنك النفس فى السر خاليا

وتصرف العرب فيه كثير

ومنها الذى يستعمله السوفسطائيون من الشعراء وهو الغلو الكاذب ، وهو كثير فى أشعار العرب والمحدثين كقول النابغة يصف ضربة سيف :

تقُد السلوقىّ المضاعف نسجه وتوقد بالصفَّاح نار الحباحب

وهذا كله كذب

(له بقية) خليل هنداوى

## من الأدب الإنكليزى

# برسى شــــلى

Percy - Shelley

بقلم خليل جمعه الطوال

لشلى فكرةٌ متوقدةٌ ، وعاطفــةٌ ذائبةٌ ، بل قلب يجيش بالوجدان الحى ، ونبع يتفجر بالشعور الصادق ، فقد كان شاعراً من أفذاذ الشعراء مشبوب المخيلة ، وكاتباً متضلعاً من الـكتابة ، نظم وكان لا يزال فى غضارة الصبى ، عديدَ القصائد التى ما زلنا نطالعها ، فندرس فيها مثال الحياة الأعلى ، وكمال النفس الأسمى ، ونعى كثير المقالات التى ما زالت ، ونحن نتصفحها ، تحدث فى مشاعرنا ضروباً شتى من التأثير والانفعال ، فلا عجب إذا كتب لشعره الخلود والبقاء ، وسجل لاسمه صفحة حافلةً بجليل الأثر فى سجل الزمن وتاريخ الأدباءِ

توفى شلى ، وكان لا يزالُ من العمر فى مُقتبله ، وقد أقبل الأدباءُ على أشعاره يتــــدارسونها ، وهرع النقاد الى عيوبه وسقطاته يستقصونها ، فــا كان لأولئك وإن أعياهم الدرس أن يبلغوا شأو غايتـه ، ولا لهؤلاء وإن أعماهم التغرض أن يضعوا من مقدار عظمته . لقد اختلفت فيه المذاهب وتناحرت عليه الآراء ، فمهم من نسىَ أو تناسى وفاته البا كرة وحياته القصيرة ، وراح يبحث فى أشعاره عن آية القدر وأعجوبة الزمن ، فلما لم يجدها تناوله بألسنة حداد ورحضه بشتى الأحكام الجائرة ، بعد أن خضَّل جدثه بوابل من المثالب الجارفة ، التى يترفع عنها الأدباء وتنبو عن سماعها آذان الحـكماء ، وبعد أن نال من سمعته وحط من مكانته ما شاءت له رغائبه وسولت له أهواؤه

وتُمثل لهذا النفر من الرجال الذين أعماهم التغرضُ المقوت « بوليم هزلت » ولوليم هذا مكانة فى الأدب ، مرموقة بالأنظار ، محفوفة بالاحـترام والوقار ، وخليقة بعدم التحامل السـفيه ، وبالأعراض عن التشنيع الـكريه . ومنهم من أسدل على هفواته ــ وجلّ من لا يهفو ــ ستر الجهلِ وقناعَ التجاهل تشيعاً للرجلِ لا للحقِ ، وراح ينشد آياته البينات ، ويتغنى بأشعاره النيرات ، كتوماس أرنولد ، وكان من معاصريه ومناصريه . وهكذا فقد كانوا فيه جميعاً بين نائل من كرامته لم يسلم من الاسراف والتحذلق ، أو مطنبٍ فى مدحه لم يسلم من آفة الغلو والاغراق

وكم نود لو أنّ لنا من صائب النظرِ فى مهنة النقدِ ما نعمد به الى مؤلفاته ــ وهى خير ما بقى لنا من آثاره التى تترجم عن آرائه ، وتتبينَ بين غثها وسمينها مقدارَ عبقريتهِ ، وحقيقةَ نفسيته ، بعد أن بَقِى طِيلة هذه المـدة مجهول الهوية مكتوم الطوية ، ونرجع بذلك فيصل الحكم الى نصابه ، وحسام الحقيقة الى قرابه

أما وليس لنا من قدرة النقـد ما أسلفنا ، فلا أقل من أن نعرض لحياته الطافحة بالألغاز والمبهمات جهد المستطاع وغاية الميسور آملين فيما نقرره أن نبلغ جادة الصواب

### مولده وأخلاقه

ولد برسى شـلى فى الرابع من شهر أغسطس لعام ١٧٩٢ ، وقضى طفولته فى لندن تعصف به الهموم والأحزانُ ، وتتناشه مخالب البؤس والأشجان ، وذلك لـما كان يلقاه من فقر والده ونكد طالعه ، وكان ــ على ما يصفـه لنا السير توماس هوج فى كتابه ــ سرى الخُلق سوى الخَلق ذا عينين نجلاوين ، هزيل الجسم أزهره ، نائى المفاصل كبيرها ، جعدى شـعر الرأس قصيره ، وضاءَ البشرة ، جميل الأنف ، مليح الفم ، أمرد باسم الوجه ، تعلو غضونَ حاجبيه المقطبين منْ شدة ما تجرعه من كأس الحياة المريرة سحابةٌ من الحزن ، ولذا كان يكره دور الملاهى وينفر من الحانات . ويروى أنه كان بالغاً من الطول حد التحدب ، ومن الجمال درجة التأنث ، حتى إن منظره ليملك القلب ويستهوى الخاطرَ . وكان دائماً يحدب على المستضعفين ويرفق بالفقراء والمساكين ، ويصبر على كيد أعدائه الظالمين

### شلى والمعرى

جاء شلى فـكأنما كان مجيئه ريحاً هادئة أذكت سعير تلك النار التى قدح المعرى بزناده شرارها ، وتعهد بآرائه ضرامها ، والتى لا تزال تحدث ثورة فى الرأى واضطراباً فى العقيـدة .

جاء شلي ، وكان ذلك الصوت الذي أهاب به المعري في ربوع بغداد ، وبطاح سورية ، وأرز لبنان — البلاد التي اختلف اليها المعري في أسفاره — لما يتلاش ، فرجع في بلاد الغرب دوى صداه ، الذي امتد من جبال « بنسين » في انكلترا ، إلى جبال الألب في ايطاليا ، والذي انفجر في « ورنهام » — محل مولد شلي — فسار منها إلى مدينة روما ، ثم تلاشى بين أمواج خليج « بيزا » المصطخبة

لقد كان كلاهما روحاً سابحة في عالم الخيال ، ونفساً تضطرب بين أنواع الشك واليقين . بل كان كلاهما ثورة شعواء على العرف والعادات والتقاليد ، ومن أشد الناس سخرية بالدين ، وزراية بما اطمأن اليه الخلقُ من إنابة الصالحين

لقد كان شلي ملحداً لا يؤمن بالوحدانية ولا بالحساب ، كما كان المعري يسخر من وعيد الآخرة والثواب ؛ وهل لغير الشك أن يملي على المعري قوله

لو جاءَ من أهل البلى مخبر   سألت عن قوم وأرخت

هل فاز بالجنة عمالها ؟ ؟   وهل ثوى في النار « نوبنخت »

أو قوله :

زعموا أنني سأرجع شرخاً   كيف بي كيف بي وذاك التاسي

وأزور الجنان أحبر فيها   بعد طول الهمود في الأرماس ؟

أم هل كان شلي في كتابه الذي أرسله إلى « جون جسبورن » من بيزا عام ١٨٢٢ ، والذي جاءت فيه هذه العبارات الآتية (١)

It Scems to be a mere Superstition anol a fallacy That after siscty years, seffering here; we were to be Wasted alive far Sixty millian mare in hell. etc

أي : ( إنه لمن الخرافة ومحض السفسطة ، أن نعتقد بأن الانسان الذي يقضي ستين عاما من الحياة المريرة سيذهب ( بعد موته ) ليقضي ستين مليوناً من السنين وهو يشتوى حياً بنيران جهنم المؤلمة ) هل هذا إلا صورة عن المعري في قوله :

أموتٌ ثم حشر ثم نشر   حديث خرافة يا أمَّ عمرو ؟

أو عن قوله :

خذ المرآة واستعرض نجوماً   تمر بطعم الأرى المشور

تدل على الحمام بغير شك   ولكن لا تدل على النشور

وهل لغير روح أبي العلاء في قوله :

تحطمنا الأيام حتى كأننا   زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله :

لو كان جسمك متروكا بهيئته   — بعد التلاف — طمعنا في تلافيه

أن تملى على شلي قصيدته الخالدة « Epipsychidion » التي ينكر في بعض أبياتها لا نشور الأجسام فحسب ، بل بقاء الروح أيضاً . إذ يقول (١) :

« إن روح الانسان تتلاشى داخل قلبه وهو في القبر كما يخبو نور مصباح طُمر في باطن الأرض ضمن زجاجته . أما جوهر الخلود الذي ينير بسماتنا بشعاع الأمل ، فانه يتبدد وينتشر في عالم الأزلية : واللانهاية . »

ولم نذهب بعيداً في المقابلة والاستدلال ونظرة واحدة الى رسالة شلي التي نشرها عام ١٨١١ تحت عنوان ضرورة الألحاد The necessity of atheism فطرد من جامعة اكسفورد بسببها ، ترينا بأنها ليست إلا نسخة عن « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري ، لا تختلف عنها إلا في اللغة والأسلوب !

لقد أنكر كلاهما كثيراً من العقائد والمذاهب ، فنالا من مرارة النقد ولاذع التقريع ما لم تكسر الأيام من حدته

أضف الى اشتراكهما في الرأي والعقيدة ائتلافهما في المزاج وفي نوع المعيشة الزاهدة الوادعة ، وترفعهما عن إيذاء الغير وإسرافهما في عمل البر . وكل ما يختلفان فيه — إن صح هذا الادعاء — هو أن المعري يعترف بالوحدانية وينكر البعث بينما شلي ينكر البعث والوحدانية

## شلي وبيرون

لا نكاد نمر بصفحة من حياة شلي إلا ويتردد فيها ذكر اللورد « بيرون » فقد كان رِنْده وصديقه ، ومن الذين شهدوا إحراق جثته على خليج بيزا . فلا مندحة لنا عن أن نعرض

(١) راجع كتاب Shelley prase صفحة ١٧٤

(١) راجع ص ٦٤ من كتاب Shelley poetry مطبعة : كلارندن اكسفورد سنة ١٩٣١

لسيرتهما معاً ولو بشيء من الايجاز

لقد كان كلاهما من شعراء العصر الفكتورى المجيدين ، ومن دعاة الحركة الابتداعية المبرزين ، عاشا من الزمن فى فترة واحدة ، الا أنهما لم يجريا فى حلبة واحدة من ميادين الشعر والأدب فيعرف أى الاثنين محرز قصب السبق فيها ؛ فبينا نرى شلى ينزع فى قصائده ، نزعة أبى العلاء المعرى ، ويسير وإياه على غرار واحد فى الحكم والهوى ، وفى التمرد على البيئة والتقاليد ، نرى أن اللورد بيرون فى قصائده يتفق مع امرىء القيس فى أشعاره ولا سيما فى معلقته الشهيرة

فقد كان كلّ منهما فى جميع ما يكتب إنما يعبر قبل كل شىء عن عواطفه الخاصة ، ويسرد ما كان فى حياته الماجنة من ضروب العبث والاستهتار ، ومن لذعات الغزل الفاحش والافتخار . حتى قيل فى بيرون : « إن حياته كانت محور نظمه ، وقصائده فيها أحسن شعره » فشخصيته كأمير وابن أسرة عريقة فى المجد والحسب تظهر فى أشعاره ، ظهور شخصية امرىء القيس كملك وابن ملك ، وكشاب مسترسل فى الشهوات والملذات فى معلقته

وهناك فرق آخر بين شلى وبيرون : ذلك أن شلى كان يعتمد فى نظمه على التصورات الخيالة : Imagination بينا كان بيرون يعتمد على ذوب عاطفته واداركه للأمور العقلية Intelectual ولعل ما بينهما من هذه الاختلافات يعزى إلى تباين طريقة معيشتهما ، ناهيك ما للوراثة من كبير الأثر ، فقد نشأ بيرون تحت ظلال النعمة الوارفة ، وهو يتقلب على فراش السعادة والرخاء ، ويرتشف سلاف الخمر ورحيق الهناء . فانكب على الملاهى والمنكرات ، وتمرغ فى حمأة الدعارة والموبقات ؛ حتى لقد كان يقاد من أهوائه بشعرة ، ويلبى لشهواته كل دعوة . وهكذا ترعرع دون أن يصطدم من الأيام بما يفثأ من جذوة جنونه المتوقدة ، أو يفل من شباة نفسه المتحفزة ، حتى ولا وجد من الأهل يداً صارمة حكيمة تقسو عليه وتكبح من جماح شهواته الثائرة ، وحياته الماجنة ، بينما نشأ شلى وهو يقاسى من شظف العيش ألواناً ، ومن الاهل ذلاً وهواناً ، ومن التعس أنواعاً وأشكالا ، ثم اصطدم من الأيام الكاسرة بما تشيب له النواصى وتهتز لهوله الجبال الرواسى . فشحنت المصاعب قلبه بتيار الثورة ، وبذرت المصائب فى صدره بذور التمرد

### شعره وديوانه :

لم يكن شلى بالشاعر الذى يترقب هبوب العاطفة الشاعرية فينتضحها فى قالب من السبك اللفظى ، وحسن الأداء ، يذكى بهما الحس ، ويرهف السمع ، ويجعل صدر القارىء أو السامع يجيش بتلك الحماسة التى اعتلج بها فؤاده وانماث لها قلبه ، بل كان كثيراً ما يعتسف النظم على غير استعداد من عواطفه ، ويستكره خياله استكراهاً ، على أن على عليه قصيدة شعرية توائم رغبته وإرادته ، ولكنها لا تشبع حسه وخياله ، فكانت تجىء ملتوية المعنى ملتاثة التعبير ، لا شىء فيها من ابتكار الفكرة ، وجمال العاطفة . ولقد كان معظم أشعاره التى نظمها فى ميعة الصبى وشرخ الشباب تدور فى جملتها حول محور من الخيال الفسل والمعنى المبتذل ، ولم يبلغ من الشعر درجة تثير كامن العواطف إلا فى ضرب واحد من ضروبه ، أعنى به باب الغناء ( Suries ) ولئن كان من أبطال هذا الباب وفرسانه ، فانه لم يبلغ ذروة الشاعرية العليا فيه إلا فى قصيدتين غنائيتين فقط ، وهما : ملكة الجنيات ، queen mab ، وبروميتس غير المحدود Promethus Tunbaund

أما الأولى — ملكة الجنيات — فقد نظمها عام ١٨١٣ وهى تحمل بين أسطرها جراثيم الثورة والتمرد على جميع النظم الدينية والمدنية ، إذ كان لا يراها إلا سداً منيعاً يحول دون تحقيق مثل الحياة الأعلى . وقد تنبأ فيها عن ذلك العصر الذهبى الذى يتكئ على أشرف الفضائل وأسمى المبادئ ، ودعا الناس اليه بقوة ، بعد أن حثهم على أن يهدموا جميع مايعترض طريقهم من التقاليد القديمة والعادات الذميمة

أما الثانية ، بروميتس غير المحدود « Promethus Unbaund

فقد وضع لحمتها فى انكلترا ونسج بردتها فى روما بعد هجرته اليها بسنوات قلائل . وهى غرة قصائده ؛ وأعملها فى إذكاء الحس ، وصقل العواطف ، واستثارة كامن الشعور

( للبحث بقية ) خليل جمعه الطوال

# الحياة الأدبية

## في المغرب الأقصى

للأستاذ ع . ك

... أما وقد قرأت في مجلة (الرسالة) الغراء مقالين: أحدهما عن «الحياة الأدبية في دمشق» بقلم الأستاذ علي الطنطاوي، والثاني عن الحياة الأدبية في بغداد بقلم عبد الوهاب الأمين، ورأيت من صاحبيهما التبرم والتشكي من ضعف الحياة الأدبية كل في بلده ومن تصوير مظاهر الضعف في هاته الحياة التي كادت تزرى بتقدم البلاد من النواحي الأخرى؛ أما وقد قرأت هذا فيحسن بي أن أضم صوتي الى أخوى الدمشقي والبغدادي، فأكتب كلمة عن الحياة الأدبية في المغرب ليعرف الاخوان والقراء أيضاً أن المغرب قد اغترف غرفة مما غرفت منه دمشق وبغداد، وأن المغرب شريك القطرين العربيين في هذا الضعف المزرى بهما

إذا نظرنا الى المغرب الحديث وأنعمنا النظر في ناحية من نواحيه المهمة، تلك هي الناحية الفكرية والعلمية، وأردنا أن نسبر غورها بمسبار لنعرف مدى ما بلغته من الرقي والانحطاط، من القوة أو الضعف، من النهوض أو الجمود، إذا أنعمنا النظر في هاته الناحية استطعنا أن نخرج بنتيجة لا ترضي . . . تلك النتيجة هي — صراحة — أن المغرب الأقصى يتخبط في ديجور من الجهل قاتم، وفي بساطة فكر مفرطة، وفي خمود وجمود لم يسبق لهما مثيل في عصوره التاريخية. اذا تساءلنا هل هناك حركة فكرية أو علمية تسود المغرب الأقصى حتى يجنى من ورائها ما يزيح به هاته الظلمة التي تغمره من أقصاه إلى أقصاه وحتى تكون حداً فاصلاً بين هاته «الفترة» وبين الحياة العلمية المترقبة وذهبنا نلتمس الجواب عن هذا السؤال بالنظر في المغرب والبحث عن مظاهر هاته الحركة حتى وصلنا الى مهد حركاته العلمية في عصوره السالفة الى «كلية القرويين» التي انجبت فطاحل علماء المغرب، استطعنا أن نخرج بالنتيجة الآتية وهي: إن هاته الحركة التي نبتغي البحث عنها وعن مظاهرها هي شيء لم يوجد حتى الآن، بل هي حلم لذيذ يطرق أفكارنا كطيف الخيال، غير أن هناك شبح حركة علمية تغذيها كلية القرويين ونظامها الجديد ولكن . . على حال مشوهة لا ترضي ولن ترضي — إذا بقيت الحال كما نرى — فاذا ما أطلقنا عليها «حركة علمية» فقد عرضنا أنفسنا لظلم الحقيقة والتاريخ

هذه كلمة مجملة أبنا فيها ضعف الحياة العلمية في المغرب وقدمناها بين يدى كلمتنا عن الحياة الأدبية لنعرف السبب الرئيسي لضعف الحياة الأدبية المغربية والعنصر الوحيد الذي يكون هذا الضعف ويمده بسبب منه ... وإذا بحثنا عن الحياة الأدبية المغربية، أعني وسط الأديب المغربي لنرى هل هو وسط راق أو منحط . . وهل هناك ما يسمى بالحياة الأدبية حقاً، لم نجدها أحسن حالاً من الحياة العلمية، بل نجدها أضعف منها وأحط بكثير؛ ولم نجد هناك مايطلق عليه هذا الاسم ويسمى بالحياة الأدبية . فهذه ناحية تنقص المغرب من جملة النواحي التي تنقصه وتزرى به وتظهره في العالم العربي أشل .. ننظر إلى العالم العربي ونقيس المغرب بجانبه فيظهر لنا البون الشاسع بين حياته الأدبية وحياة العالم العربي، فهذه المطابع الشرقية تظهر علينا من حين لآخر بعشرات الكتب الجديدة الأدبية والعلمية بأقلام أدباء شرقيين وخاصة في مصر، فأين هي آثار المطابع المغربية من ذاك؟ وأين هي المجهودات الأدبية للأدباء المغاربة أمام مجهود الشرقيين على العموم والمصريين على الخصوص؟! . . وهذا العالم العربي يطلع علينا كل يوم بمئات الصحف والمجلات الأدبية والعلمية ويظهر فيها من القدرة على البحث الأدبي والانتاج العلمي ما ينبئنا بقوة حياته الأدبية وبلوغها أوج الكمال، فأين هي الصحف والمجلات المغربية الأدبية؟ وأين هو انتاج المغاربة الأدبي وبحثهم العلمي؟ وهذه الأندية الادبية في الشرق تخرج لنا كل يوم محاضرات قيمة تتغذى بها أفكار الناشئين وتكون فيهم روحاً أدبية تعينهم على مضاعفة جهودهم حتى يبلغوا المستوى اللائق بأمتهم، فأين هي الأندية الأدبية المغربية وأين هي آثارها نحو الناشئة المغربية . . ؟

إنا لنبحث عن عوامل تكون هاته الحياة الأدبية المنشودة

فى الكتب والمجلات والأندية فلا نجد أثراً لهذه العوامل نفسها ، فما هو سبب هذا الضعف فى حياتنا الأدبية . . . ؟ ؟ إذا بحثنا عن السبب فى ضعف هاته الحياة بل فى اضمحلالها لم نجده ينحصر فى سبب واحد أو اثنين ، ولكنها أسباب تتراكم على من بحث عنها وقلب بين جوانبها وسنذكر أهمها فى هذه الكلمة

### ١ — ضعف التعليم

هذه ناحية مهمة وسبب قوى ، بل سبب رئيسى لضعف الحياة الأدبية فى المغرب ؛ فالتعليم هو قوام كل حياة ، وإذا بحثت فى الشعب المغربى وأحصيت مقدار المتعلمين وجدت عددهم لا يزيد على خمسة فى الألف من شعب عدد سكانه يربو على خمسة ملايين . وهذا القدر الضئيل من المتعلمين يرجع إلى عدم وجود المدارس الكافية فى أنحاء الشعب المغربى . أما مدارس الحكومة فهى على قلتها لا تضمن للمتعلم أى مستقبل ولا توجه نظره لأية جهة ، فضلاً عن عدم اعتنائها باللغة العربية وعلومها . فلم يبق بين أيدينا سوى كلية القرويين التى يتكفل برنامجها الجديد بتخريج أدباء بل أساتذة فى الأدب العربى — وهم الذين تخرجوا فى القسم العالى الأدبى — وهؤلاء يمكن أن نعلق عليهم الأمل فى بعث حركة أدبية فى المغرب ، لولا ما ينقص هذا القسم من عدم وجود أساتذة أكفاء يقومون بالمهمة التى نيطت بهم

إذن فأين هو الوسط الذى تنمو فيه هاته الحياة الأدبية وتزدهر ؟ إذا لم يكن وسط المتعلمين فأى وسط ؟ ؟

### ٢ — الصحافة

من عوامل بعث الحركات الأدبية ، بل جميع الحركات ، الصحافة . ومن البر بالأدب ألا ننسى فضل الصحافة عليه وعملها فى بعث الحياة الأدبية فى الأقطار العربية . فهذه مصر زعيمة الشرق العربى تتخذ الصحافة أداة لترويج سوق الأدب ونفاقه ، فاليها يرجع الفضل الكبير فى نقل نتائج الحركة الأدبية المصرية إلى الأقطار الشرقية الأخرى . فلننظر فى الحياة الأدبية المغربية ، ولنر حظها من الصحافة ، وعمل هذه الأخرى فى تكوينها وبعثها

المغرب الأقصى من جملة الشعوب التى لم تحظ حتى الآن بصحيفة — أدبية أو علمية — سوى جريدة (السعادة) لسان الحكومة الرسمى وناشرة أخبارها ومقرراتها . ويرجع هذا الفقر الصحفى فى المغرب إلى القانون الجائر الذى وضع للصحافة بالمغرب ، إن صح لنا أن نسميه قانوناً [1] . وقد أنشئت صحف فى منطقة النفوذ الاسبانى فطوردت فى منطقة النفوذ الفرنسى [2] . نعم هناك مجلة علمية تصدر شهرياً فى تطوان باسم « المغرب الجديد » فعليها نعلق آمالنا فى بعث الحياة الادبية فى المغرب . أما « مجلة المغرب » التى تصدر شهرياً فى رباط الفتح ، فليس يعنيها من الناحية الأدبية والعلمية شىء ، وإنما يهمها — الخبز والتعليم — على حد تعبيرها .

فاذا علمنا هذا الفقر الذى يعانيه المغرب من الصحف والمجلات ، استطعنا أن ندرك بسهولة سبباً من الأسباب القوية فى خمود الحركة الأدبية فى المغرب . أما ما نسمع فيه الحين بعد الحين من طنطنة أدبية فيرجع الفضل فيه إلى الصحف الشرقية ، ولمجلة « الرسالة » الحظ الأوفر فى ذلك

### ٣ — المشارع الأدبية

لسنا نعنى بالمشارع الأدبية سوى تلك الحفلات التى يقيمها جماعة من الأدباء لتكون مسرحاً لمباراتهم الأدبية وحافزاً لهم على القول والكتابة ؛ وهى من دواعى النشاط الأدبى والانتاج الفكرى ورثها العرب الخلف عن سلفهم الذين كانوا يقيمون أسواقاً سنوية لقرض الشعر وانشاده ، فقد حدثنا الرواة كثيراً عن أسواق العرب فى الجاهلية وما أنشد فيها من شعر وأدب . ولقد اتبع هذه السنة أدباء العربية اليوم فأخذوا يقيمون الحفلات المتوالية لبعث الحركة

---

(١) يتضمن قانون الصحافة فى المغرب ، والعربية منها بالخصوص ، أنه لا يمكن إصدار جريدة أو مجلة عربية إلا بعد الحصول على الاذن من الصدر الأعظم ( رئيس الوزارة ) وله الرجوع فى هذا الاذن فى أى وقت شاء ، ولرئيس الجيش الأعلى تقديم تقرير بمنع الصحيفة فيتبع أمره بلا استثناء . هذا وعلى الخارجين عن قانون الصحافة عقوبات فادحة من شأنها أن تصرف الناس عن طلب الصحافة . ونلاحظ أن هذا القانون إنما هو صورى فقط . وإلى الآن لم يتمتع المغرب بأية صحيفة رغم مطالبات عديدة

(٢) قسمت المطامع الأجنبية المغرب إلى ثلاث مناطق (١) المنطقة السلطانية أو منطقة النفوذ الفرنسى (٢) المنطقة الخليفية أو منطقة النفوذ الأسبانى (٣) المنطقة الدولية

الأدبية وإحيائها ؛ فهم بينما يحتفلون بالعلماء الأحياء الذين قطعوا مفازة كبيرة في الجهاد العلمي ، إذا بهم يحتفلون بالأموات تقديراً لمجهوداتهم الأدبيـة أو العلمية أو غيرها . وفي هذه الحفلات الأدبية ترى ألسن الشعراء والخطباء تتنافس في جيد القول ، وكفى بهذا فائدة للحياة الأدبية

وإذا نظرنا الى المغرب الأقصى وأردنا أن نعرف ما يؤديه لحياته الأدبية من ناحية هذه المشارع لم نجد له أي عمل في ذلك ، وهذا ما سبب لحياته الأدبية هذا الضعف وهذا الجمود ، وأوقعه في هذه الأزمة الأدبية التي يعانيها ويذوق من أجلها الأمرين . نعم حاول بعض الأدباء أن يخطوا بالمغرب خطوة في هذا السبيل فكان من آثارهم حفلة ذكرى الأربعين لخالد الذكر « أحمد شوقي بك » وحفلة الذكرى الألفية لأبي الطيب المتنبي (أقيمت بفاس في ٢٥ رمضان الفارط ) وهي خطوة حميـدة في هذا الباب كان لها أثر أدبي جميل . غير أن هذا العمل الضئيل الذي قام به هؤلاء الأدباء لا يكفي في بعث الحركة الأدبية وإيقاظها ، إذ هو لم يعدُ حفلتين كانت أولاهما منذ ثلاث سنين أو تزيد ، وأخراهما في هذه السنة ؛ وإنما الذي نتطلب أن تكون هناك حفلات أدبية منظمة يتكفل بها أدباء مغاربة حتى يستطيعوا أن يكونوا حياة أدبية وأن يبعثوها من مرقدها . وقد حاول طلبـة القرويين مراراً أن ينشئوا جمعية أدبية علمية يكون من أهم أغراضها تأسيس ناد لهذه الغاية نفسها فلم يظفروا بذلك من الحكومة

### ٤ — البخل على الأدب

وهذا سبب آخر قد يكون وصمة في جبين الحياة الأدبيـة المغربية ومانعاً من الموانع التي تعوقها عن التقـدم وتدفعها نحو الضعف والجمود ، ذلكم السبب هو البخل على الأدب ، أعني عدم وجود الناشرين لهذا الأدب الذي نود أن يبعث . فمن دواعي النشاط الأدبي أن يجد الأديب الذي يقف قسطاً من حياته على تأليف كتاب أدبي أو نظم ديوان شعر ناشراً يبرز مجهوداته إلى الوجود ويخرجها إلى الناس ليعرف مقدار عمله ، ويكون ذلك مشجعاً له على المضي في سبيله والمغاربة — مع شديد الأسف — ليس فيهم من يشفق على هذه الحياة الأدبية ، وينظر إليها بعين العطف والحنان فيقف قسطا من ماله على نشر الكتب الأدبية والدواوين الشعرية ، أو يقدم جائزة — مثلاً — لمن يؤلف كتاباً في الأدب ، مع أن فيهم الأغنياء الذين يستهلكون ثروتهم في شهواتهم فقط . وكما لا يوجد أفراد من هذا النوع في الوسط المغربي لا توجـد هناك شركات تجعل موضوع تجارتها نشر الكتب الأدبية المغربية . ولست أدري لذلك من سبب سوى عدم الاشفاق على الأدب المغربي . أما لو وجد الناشرون لبرز شطر من الأدب المغربي المخبوء ، ولتكونت حركة أدبية في المغرب ، فلعل السبب الوحيد الذي يدعو الشعراء المغاربة لعدم نشر دواوينهم هو فقدان هاته المساعدة المادية . فهذا شاعر الشباب الأستاذ محمد علال الفاسي يود أن ينشر ديوانه ( روض الملك) ولكن أين هو الناشر ؟

هذه جملة الأسباب التي تعين على ضعف الحياة الأدبية في المغرب أجملنا القول فيها اجمالاً ، لنعلل فقط هذا الضعف المزري بحياتنا الأدبية ، وليظهر للقارىء السبب الداعي لجمود الحركة الأدبية في المغرب .....

( فاس — المغرب الأقصى ) ع . ك

دراسات أدبية

# فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

— ٥ —

## حنة فيفانتى وروايتها عن مصر

تعد حنة فيفانتى Anna Vivanti أستاذة فن الخيال الواضح والأسلوب الرفيع ، وقد بدأت حياتها فى انجلترا ، ولم تر وطنها — ايطاليا — إلا فى الثانية عشرة من عمرها عند ما نزحت من انجلترا لتتعلم فن الغناء . فى هذه السن المبكرة تتلمذت لطائفة من رجال الأدب وفى مقدمتهم كاردوتشى ، ونشرت ديوانا من الشعر الغنائى « ليريكا » يفيض بالعواطف الذاتية والخيال الراق ، فلم يلبث نجمها أن تألق فى سماء الأدب الحديث

والواقع أن غنى اللغة الايطالية خطر عليها من بعض الوجوه ، فان طبيعة هذه اللغة تساعد على التمادى فى الوصف والاستغراق فى الخيال . ولما كان كتاب هذا العصر فى ايطاليا أميل إلى التأنق فى موسيقية اللغة ، وإلى المزاج الفنى الصريح ، فان أسلوب فيفانتى الخلاب وجد البيئة التى ينمو فيها ، وانطلق فى الجو الحالم مرددا العواطف المشبعة بعناصر الجمال . فى روايات هذه الشاعرة نجد صفة نادرة الوجود عند كتاب الجيل المعاصر ، تلك هى غريزة الجمال . والانسان يشعر لدى مطالعته رواياتها بأن الطبيعة فى فنها تجاوزت منطقة الجلال ؛ وكما يفوق الناس بعضهم بعضاً فى المواهب وقوة الادراك السامية ، وتمييز الألوان والأصوات ، فان لفيفانتى قدرة على هتك أسرار الطبيعة وابرازها فى إطار فنى جذاب

ولما كان أسلوبها الروائى ليس من النوع التحليلى فالنتيجة هى أن الشخصيات الثانوية فى رواياتها أغزر حياة وتأثيراً من البطل نفسه ، كما فى رواية الغجرية Eingaresca . ويمكن تقسيم أبطالها إلى قسمين : الفريق الأول وهم الأبطال الأقوياء الذين يتمتعون بالحياة إلى أقصى حد ، مع استفادتهم من ضعف الآخرين ؛ والفريق الثانى الفقراء الذين يحنون رؤوسهم أمام قسوة الحياة ذاكرين أنه من فعل القدر

وحنة فيفانتى صديقة وفية لمصر ، ويرجع تاريخ هذه الصداقة إلى يوم آزرت الوفد المصرى وهو واقف بباب مؤتمر الصلح فى باريس . وكانت من أخلص أصدقاء المغفور له سعد زغلول باشا ، وطالما أيدته فى صحف بلادها ؛ ولا عجب أن توحى اليها هذه الصداقة وتثمر فيها الضيافة التى لاقتها فى وادى النيل كتابة رواية « أرض كليوباترا Terra di Cleopatra » التى بدأتها بالرحيل إلى مصر ، إذ تقول :

حقاً إننى أحلم حلماً جميلاً من تلكم الأحلام الذهبية المترامية الأطراف ؛ فعند ما يستيقظ الانسان فى الصباح ، ويحاول أن يقربها إلى ذهنه تفر أشباحها بعيدة عنه ، ولا تلبث أن تختفى فى وادى النسيان . برهة وجيزة أستيقظ بعدها فاذا بى فى صحراء ليبيا ، فوق بعير يجوب بى الصحراء متجهاً نحو قبر الملك الشاب توت عنخ آمون . يقود زمامه أعرابى طويل القامة ، عريض الهامة ، وتتفتح عيناى عن هذه الصحراء الذهبية ، فاذا بسرب من الفلاحات المصريات يرتدين أردية سوداء ، وفوق رؤوسهن جرار الماء ، وعند ما أقترب منهن يحدقن فىَّ بعيونهن الدعجاء قائلات : « سعيدة ، نهارك لبن »

واستطردت الكاتبة فى وصف مشاهد الصحراء وأسواق القاهرة ، إلى أن أتت على مقابلتها للمرحوم زغلول باشا فقالت :

« وفى غداة يوم وصولى إلى القاهرة قصدت إلى بيت « الرئيس الجليل » الذى استقبلنى واقفاً خلف مكتبه ، وعلى رأسه ذلك الطربوش الأحمر الذى لا يرفعه المصريون للتحية ، بل يبقونه فوق رؤوسهم كرمز للوقار . ويبدو لى الرئيس كما كنت أعرفه فى باريس منذ سنوات ، فلا العظمة ولا الاضطهاد ، ولا النفى ولا الهتاف باسمه فى الشوارع ، استطاع أن يغير هذه الهامة الطويلة ، ويضعف من ضياء عينيه الوقادتين . وكانت تقف إلى جانبه ( صفية زغلول ) التى حيتنى باشة مبتسمة . ودار الحديث بيننا بالفرنسية إذ أنها لغة الأجانب الرسمية فى مصر ، ولأن البحث بالانجليزية أمر بغيض إلى قلوب المصريين . وما إن أبلغته

تحية أصدقائه من كتاب إيطاليا وصحفييها الذين أحاطوا قضية بلاده بعطفهم حتى قال :

— إنك كنت صديقة هـذه البلاد ، وقد أعطيتها محبتك قبل أن تريها ؛ فها هي ذي أمامك ! اذهبي إلى أي مكان تشائين ، عسى أن تتكشف لك نفسية هؤلاء الفلاحين المساكين ، فهي نفسية نبيلة شريفة لكنها مجهولة

وعندما ودعته ختم حديثه معي بأن قال :

— عودي إلينا ثانية ، ولا تحسبي أن هذه آخر زياراتك ، وعدينا بذلك

وغادرت منزل الزعيم الوطني ووجهتي مصر العليا عن طريق النيل ، لأشاهد الأقصر بحدائقها الغناء ، وطيبة ذات المائة باب ، وكوم امبو بلدة المعابد ، وفيلى جوهرة مصر المكنونة

ها نحن أولاء في أسوان « مدينة الشلالات » التي يقصدها المسلولون طلباً للشفاء ، ويأتيها المكروبون عسى أن يفرجوا عن قلوبهم الحزينـة أساها وبلواها . هنا حيث الاقامة في بقعة هادئة عميقة ، تكتنفها الصحارى من كل جانب ، يجد الايمان الصحيح طريقه إلى السماء

الله أكبر ، الله أكبر ! أدعية حارة صادرة عن قلوب عامرة بالايمان ، يرددها العرب في كل آن ، فيترجع صداها على شفاهنا المتبتلة بالتسبيح ، على حين يتوجه أبناء الصحراء شطر مكة ، وهم جاثون على الرمال ، يرددون اسم الله في تقوى وخشوع

أشرف على النيـل ومياهه التي ينعكس عليها نور السماء الأزرق ، وعلى منظر الصخور التي تتراءى عن بعد كوحوش كاسرة ، راقدة تحت أقدام « اخنوم » إلـه الشلالات

وأخذ القارب ينسـاب بنا بين الجزر كالأفعى ، وترى الشمس تسقط رويداً رويداً عن الشفق ، فتلهب السماء ، ويتغير لون المـاء من سائل فضي إلى سبيكة من الذهب الابريز ، ثم تنحدر الشمس ككرة من نار ، والسماء تحترق فيقع ظلها المتورد الناري على صفحة المياه حتى حسبنا أنفسنا نسير في بحر من دماء

ها نحن أولاء أمام قصر أنس الوجود ، أمام فيلي ، جوهرة مصر المكنونة ، ودرتها الساطعة ، عروس النيل وريحانته ؛

إيه أيتها الجزيرة الصامتة الحزينة ! أيتها الجوهرة الميتة ، يازهرة اللوتس ، يا جزيرة السحر ومهبط الجمال ، أيتها الجزيرة التي يتربع فوق صدرك آخر معبد فرعوني ، لقد غمرتك المياه فغرقت وتواريت ، ورحت ضحية لحظ الأرض وجوع الرجال !

والرواية مشبعة بأمثال هذه الصور الوصفية ، وتحت ستار شفاف من الحنين إلى المـاضي ، والاشادة بمجـد الفراعنة ، والتفاؤل بالمستقبل

## بابيني

وجيوفاني بابيني Giovanni Papini من أغرب الشخصيات في الأدب الايطالي الحديث ، وقد اشتغل بالنقد قبل أن يصبح روائياً ؛ على أن الانتقال من النقد إلى الأدب ، أو المسرح ، أو الرواية أمر مألوف في ايطاليا

قبل الحرب العظمى كان بابيني ألمع شخصية في سماء الأدب ، ومحور الحياة الفكرية في الأوساط الايطالية ؛ وقد ظفر بهذه الشهرة إثر المقالات النقدية العنيفة التي كان ينشرها بعنوان « التدمير » ، والدراسات الفلسفية التي تحدى بها شوبنهاور ونيتشه وهيجل ، وأساتذة مدرسة الفلسفة الألمـانية . ثم بفضل المجلات الأدبية العديدة التي كان يصدرها لثلاثين عاما خلت ، أي في الوقت الذي كانت الشبيبة الايطالية تتلهف على التهام كل ما يقدم اليها من ألوان الثقافة الحديثة ، فوجدوا ضالتهم في بابيني ، ومجدوا من شأنه . ولـكن شباب هذا الجيل سرعان ما حولوا اتجاههم الأدبي عن فنه ، إذ أنهم لم يجدوا شيئاً يتعلمونه في كتبه سوى فلسفة جامدة ، وفن جاف مضطرب ، وتبشير بأساليب الكثلكة مع الرجوع إلى أحضان الكنيسة

وتعد أقوى روايات بابيني على الاطلاق « مذكرات الله » التي تحدث فيها عن خلق العالم ونشأته ، فرواية « الرجل الذي انتهى » ، وقد رسم بين سطورها حياة المتاعب والآلام التي تنتاب طبقة المفكرين الذين يقضون نصف أعمارهم بين بطون الكتب ، والنصف الآخر في ظلال الفلســفة والنظريات السفسطائية

( البقية في العدد القادم )

محمد أمين حسونة

# ياليــــل !

## للأستاذ فخرى أبو السعود

ياليلُ هل لك دونى صاحبٌ ثقةٌ     مثلي لقدرك صافى الود فى الناس ؟
أغليْتُ ساعَكَ حتى بتُّ راعيَها     رَعْيَ الشحيح كريم الدرّ والماس
أغليت ساعك غيرى من يبذّرُهاَ     مثرثراً بين أصحاب وجُلاس
وصُنتُ آنك لا أُمسى أُضيّعها     وقد صفت بين سِفْرٍ لى وقرطاس
لكنّ فى ملكوتِ الحسن منتجعى
إذا دَجَوْتَ وإسرائى وتعساسى
فى ملك حسنك ممتداً ومنبسطاً     أحبُّ مسرى لمرتادٍ وجوّاس
تدعو فآتى أُغِذُّ السيرَ تلبيةً     ما بين دَوْحٍ رطيب الغصن مياس
راوى الأزاهر والأوراق مابرحت     عليه آثارُ هامى المزنِ رجاس
تتلو صفوفٌ صفوفاً منه ماثلة     كأنها فى الدجى أشباح أحراس
أو فوق شط أتىّ الموج مرسلة     أمواجُه خلو أصداء وأنفاس
سالت عذوبتُهُ سيلاً وَرِقّتُهُ     من مائه الملح أومن صخره الجاسى
يهتزُّ فيه شعاعُ النجم مؤتلقاً     وآنة ضوءُ بدرٍ سابغٌ كاس
كم طالعتنى المعانى فيك سافرة     وأسلستْ لى القوافى أىّ إسلاس
فرداً وحيداً أوافى ملك حسنِك قد
زهدتُ عندك فى صحب وأحلاس
فى وحدتى وسكون الكون لى طربٌ
ووحشتى فى الدجى ياليلُ إيناسى
لا بل خدينىَ آمالى وعاطفتى     أيانَ سرتُ وأفكارى وإحساسى
وما جلوتَ لعينى من خلالك ومن     أُفُقٍ ونجمٍ وأزهارٍ وأغراس
حديث هاتيك أشهى لى وأعذبُ لى
ياليلُ من قول جهالٍ وأكياس
للنفسِ ثمّ حديثٌ كم تبُثُّ به     من ذكريات وتأميل وإيجاس
نجواك ياليل كم تذكى بها هماً     وكم تجدّدُ من عزمٍ ومن باس
تُجلى بها أنت آمالاً وترفعها     عما بذا العيشِ من قبح وأرجاس
حتى أؤوبَ — إذا آن الايابُ — كمن
قد آب من موكبٍ أو غرّ أعراس
ممتّعَ اللبّ والعينين رَاويهاَ     منزّهَ النفس عن همّ وعن ياس
ما دام لى مُلكُ هذا الحسن مطرداً     فما فؤادى على ما فات بالآسى
ولستُ أغبط من ياليل قد جهلوا     لديك فتنةَ أمساءٍ وأغلاس

فخرى أبو السعود

---

# يا فلســـطين . . . !

آفاقكِ الحمرُ أُنتشت راياتها     قد أقسمت ألا تُظلّ ذليلا
ثورى ولو فرش الذين طغوا على     طرق الجهاد أسنةً ونصولا
لا بأس إن نضحت دماً جنباتها     فاليوم لا يغدو دمٌ مطلولا
إيهٍ فلسطين أُغضبى وتحررى     ضاعت حقوقك بين قالَ وقيلا
مدى القلوب على الظُّبى وتبسمى     تجدى على تلك الحدود فلولا
أمهلت ظالمك العتلَّ وما درى     أن التهامس يستحيل صليلا

* * *

إيه فلسطين المجاهدة اثبتى     فالظلم مرتعه يكون وبيلا
ها هم بنوك لووا أعنّات الردى     وأتوك لا يرضون منك بديلا
يتزاحفون إلى اللهيب كأنهم     ظمأى وقد عدوا اللهيب النيلا
فلوا حديد الظالمين بمثله     وبدونه لن تبلغى المأمولا
لا مجد إلا حيث يشتجر القنا     فنشيده مجداً أشم أثيلا
فى كل ناحية شهيد خالد     هو من ينادى : لا نريد دخيلا
قم ياشهيد القوم واخطب فى الورى     أصبحت حياً مذ غدوت قتيلا

* * *

جبل المكبّر [1] طال نومك فانتبه     قم واسمع التكبير والتهليلا
فكأنما الفاروق دوّى صوته     فجلا لنا الدنيا وهز الجيلا
جبل المكبر لن تلين قناتنا     ما لم نحطم فوقك الباستيلا

أبو سلمى

(١) الجبل الذى وقف عليه الخليفة عمر وكبر مع المؤمنين قبل دخول بيت المقدس

# العلم *

مهداة إلى زعيم الشباب فخرى بك البارودى

## بقلم عز الدين العطار

أيُّهذا الخفَّاق رَفرِفْ عَلَى الدهـ    ـرِ وتِهْ فى العلاء زهواً وحُسنا
الفضاء الرحيبُ مِحْرابُك الزَّا    هِرُ فاخفُق وأتْرِعِ الجو لحنا
صورة أنت للربوع الغوالى    غلغلت فى الإطار داراً ومغنى
وطنى أجتليه فى رمزك السمـ    ـحِ وألْقَى الرِّفاق خدناً فخدنا

* * *

يا تراب الشآم يا عبقَ الخلـ    ـدِ ويا نفحة تُناسمُ عدنا
فى ثراك القدسىّ يثوى الميامينُ    فيختالُ طيْساناً وَرُدْنا
مَلأوا الكون بالهداية والنو    رِ وزانوا مغناهُ علماً وفنا
طلعوا فى دُجى الزمان شموساً    هى أبهى من الضياء وأغنى

* * *

الشبابُ الشبابُ رَيْحانةُ الخلـ    ـدِ وبأسٌ على المدى ليس يفنى
عزمات كأنها وَهَج الشمـ    ـسِ تجوسُ السماءَ صحناً فصحنا
تتفرَّى الدياجرُ السُّحمُ عنها    ويغيبُ الدجى ارتعاداً وجُبنا
ابْسمى يا ثغورُ قد أشرقَ الفجـ    ـرُ ومحَّى السَّنا قتاماً ودَجْنا
وَثبَ الحق وَثْبةَ الأسد التَّا    حِم يفرى الفلاةَ ضرْباً وطعنا
تتهاوى من شِدْقهِ زأْرَةُ الهو    لِ فلا تملِكُ الطَّرائد أمنا
رَجفت من صِيالِهِ ثورَةُ الريـ    ـحِ وَريع الأنامُ إنساً وجنَّا
الصحارى تشققت عن ليوثٍ    آدميِّين زعزعوا الموت سكْنا
عزفوا عن مناعم العيشةِ الرَّغْـ    ـدِ وَعبُّوا الحياةَ رَنقاً وأجْنا
عسلُ الذلِّ يشبه العلقم المرُ (م)    وصابُ العُلى من المَزْن أهْنا
ليس يسمو إلى الخلود غبىٌّ    عاشَ فى رِبقـةِ الإسارِ مُعَنَّى
يحسَبُ العز فى المهانةِ والعا    بِ وَيعنو للخصم إما تجنَّى

* * *

يا صِحَابى سيرُوا إلى المجد صفاً    والْبسوا الحزم فى الحياة مِجنَّا
وتعالوا نردْ سبيلَ المعالى    ونُعِدْ ماضياً من النجم أسنى
اذكروا أنكم سلائلُ صِيد    أترعوا الأرض والسموات يُمْنا
غمروا الناسَ بالمحبةِ والرِّفـ    ـقِ ونقَّوهمُ مثالاً وظنا
طاولوا الشهب من قِراعِ العوالى    وبنوْا للفخار فى الزُّهرِ حِصنا
ملكوا فى البيان ناصيةَ القو    لِ وصالوا يومَ التنافرِ لُسْنا

* * *

كفَنٌ أنتَ بالشهيدِ رفيقٌ    تترامَى عليـه لَهْفاً وحزنا
رُبَّ قَلْبٍ على خُفوقِكَ وَقفٍ    كلما رفَّ بَنْدُكَ الحلوُ حَنَّا
نامَهُ طيفُكَ الحبيبُ فنادا    كَ وناجَى بِكَ العُلَى وتغنَّى
لكَ هَذِى الأرواح منا حلالٌ    فادْعها تسبقِ الغمائمَ جَفْنا
نحنُ يومَ البلاءِ رمزُ التفادى    إنْ دعانا داعى الجهادِ أجبنا
بنفوسٍ لم تستكِنْ لا وَادِى    وجُسُومٍ لم تَعْرِفِ الدهرَ وهنا
تتنزَّى كأنها النارُ وقداً    وترامَى يومَ الهزاهِزِ مُزْنا
تتمشَّى للمجْدِ عطشَى إلى المَوْ    تِ ولو عبَّتِ الخِضمَّات دنَّا

* * *

قَدْ وهبنا لكَ النفوس لتحيا    ليس منا من يخبأُ النفسَ ضَنَّا
أنت منا الهوَى وأنتَ الأمانى    كلُّ رُوحٍ ترَى بِكَ المتمنَّى

دمشق    عز الدين العطار

---

# الرغام

## بقلم إلياس قنصل

اغنم العمرَ فهوِ أضغاث وهمٍ    تتلاشى بسرعةِ الأحلامِ
وترشفْ كؤوسه قبل أن تقـ    ـضى عليها زعازعُ الأيامِ
خُلِقَ المرء لا ليلقى على أسـ    ـمى اللذاذاتِ حلةً من ظلام
ثم يخشى الدنوَّ منها ، ويدعو    خوفَه نفرةً من الاجرام
بل ليستقطر المسرَّة حتى    من قتاد الهموم والآلام
ويبثَّ الفتون فيما يراه    حوله من تجهم وقتام
أنت فى ميعةِ الشباب وهذا الـ    ـمهدُ ، عهد المراح ، عهد الغرام

---

* ألقيت فى حفلة تحية العلم التى أقامها معهد التجهيز والمعلمين فى دمشق

# القصص

## قصة المفاتيح

### للقصصي الروسي مكسيم جوركي
Maxim Gorki

« هذه القصة تكشف عن شخصية هذا الكاتب العظيم ، وتؤرخ فترة قاسية من حياته ، فضلا عن أنها تصور حياة طائفة من الناس أغفل كثير من أدباء الغرب تصويرها »

كان ثلاثتنا : « زيومكا كارجوزا » و« أنا » و« ميشكا » عمالقة بلحى طويلة وعيون واسعة لها زرقة المـاء ، نبتسم دائما بشعور فرحة ، ويخيل لمن يرانا أننا نترنح من الخمر أبدا . وكنا نأوى الى بناء قديم خارج المدينة ، يكاد من فرط قدمه أن ينقض ، ولا يعرف غير الله لم سمى بمصنع الزجاج ، ولعل ذلك لعدم وجود لوح زجاجي سليم به . وكنا نتقبل أى شيء دون أن يكون لنا شيء من الخيار ، وكنا نكنس ساحات البيوت وننظف الغبار ، وننبش المقابر وأكوام القمامة ، ونهدم البيوت القديمة ، ونقطع الأسوار . وقد حاولنا مرة أن نبنى زريبة للعمالقة ، إلا أننا فشلنا فى ذلك . وكان زيومكا يسعى دائما للقيام بواجبه ، ويتشكك فى معرفتنا ببناء زريبة للعمالقة . ولهذا فقد أحضر بنفسه ظهر يوم وكنا فى غفوة كل المسامير وقطعتين من الخشب ومنشارا ، وكان ذلك كله لصاحب عمل كنا نعمل عنده ، وقد طردنا من أجل تلك الفعلة . ولـما كنا لا نملك شيئاً يمكن سلبه منا لم يطالبنا بتعويض عن الأضرار التى لحقته بسببنا ؛ وكنا فى كفاف من العيش ؛ وكنا غير راضين بما قسم لنا — وهو أمر طبيعى فى مثل هذه الحالة . وتطور هذا الشعور بفعل الزمن فأصبح كراهية لـكل ما يحيط بنا . وجرنا ذلك الى أعمال تهديدية توقعنا تحت طائلة قانون العقوبات . والواقع أننا عشنا فى ألم ، غير مبالين بالحياة ، مرغمين على البحث عن عمل وليس لنا من مظاهر الحياة المـادى سوى تجاوب ضعيف

وكنا قد تقابلنا فى ملجأ لمن لا مأوى لهم قبل أربعة عشر يوماً من الحادث الذى سأقصه عليك لأنه شائق فى نظرى ؛ وصرنا بعد يومين أو ثلاثة من تعارفنا أصدقاء نسير معاً إلى كل مكان ، ويفضى كل منا لصاحبه بآماله وأغراضه ، ويشاطر بعضنا بعضا كل شيء ؛ وبالاختصار عقدنا اتفاقا لا نص له على أن نكافح سواسية مدافعين ومهاجمين الحياة التى ناصبتنا العداء

وفى النهار كنا نبحث بجد عن عمل ، فى قطع الأحجار ، أو الهدم أو الحفر أو النقل ، وعند ما تتهيأ لنا فرصة مثل هـذه كنا نعمل بجد ونشاط

ولما كان لـكل منا غرض أسمى من وضع مواسير المجارى أو تنظيفها — وهو من أشق الأعمال — فقد سئمنا العمل فيها بعد يومين . ثم أخذ زيومكا يتشكك فى ضرورة الحياة .

ستصير هذه مجارىَ ، لأى شىء ؟ للقاذورات ؟ أليس فى وسع الانسان أن يأتى بها أمام داره ؟ كلا . هذا لا يصح عمله فانها تثير رائحة كريهة . هكذا : القاذورات تثير رائحة كريهة . أعمال عظيمة من أجل أشياء تافهة ! فلو أن انساناً قذف مثلاً بحجارة

---

وهو يدعوك فانتبه وتنعم ... بالجمـال المجسم البسام
إن ثغرى أحلى من الأمل العذ ... ب وأشهى من بابلىّ المدام
تبعثُ القبلةُ الطويلةُ . . . منه ... كلّ خافٍ من الأمانىّ سام
وعلى جسمىَ الرشيق تجلّت ... آيةُ الله فى بديع انتظام
هيكل من هياكل السحر تروى ... ضمة من كلّ قلب ظام
فرنا الشاعرُ الحزين إليها ... بحنانٍ ولوعةٍ واعتصام
طاوياً فى فؤاده حسرات ... دغدغتْ ما يضمه من كلام
أنتِ لا تمنحين قلباً محبًّا ... وأنا لستُ أرتضى بالرغام !

عاصمة الارجنتين — الياس قنصل

مخللة ، غير كبيرة الحجم ، فماذا تبعث هذه من رائحة ؟ إنها تبقى يوماً ... ثم تختفى ... — تتعفن ! لا ، ولكن إذا قذف بجثة آدمى إلى موضع فيه الشمس فانها تتعفن حقاً.. إلا أن ذلك عمل منكر ! »

مثل هذه الأحاديث كانت تفت فى عضدنا وتقلل رغبتنا فى العمل . وكان ذلك يفيدنا كل الفائدة عندما نعمل بأجر يومى فى الأعمال الجزئية . فقد كنا نتقاضى أجرنا دائماً قبل أن نتمم ما عهد الينا به من عمل . وذهبنا مرة إلى مقاول وطلبنا منه أن نعمل فى عمل ، إلا أنه طردنا وهددنا أن سوف يضطرنا بمعونة الشرطة إلى إتمام العمل الذى أنقدنا أجرنا عليه من قبل . وكنا نجيبه بانه لا طاقة لنا على العمل وبطوننا خاوية . وتشبثنا مطالبين بالعمل . وكنا نحصل عليه فى أغلب الأحيان

كان ذلك خطأ منا ، ولكن لا نكران فى أنه كان مفيدا لنا . ولم يكن فى وسعنا أن نصلح شيئاً من نظام الحياة الذى فسد ، حتى أصبح القيام بعمل والانتفاع به ضدين

وكان زيومكا فى كل مرة يتولى المفاوضة مع أصحاب العمل ، وكان يقوم بها بمهارة ولباقة . وكان يبرهن على صحة مطالبه بهدوء الرجل المهدود القوى الذى يرزح تحت عبء الأعمال التى لا طاقة له بها

وكان ميشكا يقف صامتا الى جانبه ، ويحملق بعينيه ويبتسم ابتسامة الرضا والسرور ، كما لو كان فى نيته أن يقول شيئا ولكن خار عزمه . وكان يندر أن يتحدث ، فاذا ما ثمل أخذ فى الكلام كمن يلقى خطاباً . ثم ناداه مبتسما :

« أخى ! » وكانت شفتاه ترتجفان عجبا ، وبقى صوته محتبساً فى حلقه ، وبدا يسعل ليستر خجله ، ثم أمسك رقبته بيده

وقال زيومكا ، ولم يطق صبراً : « ما بالك ؟ »

فقال له : « أخى ! إننا نعيش كالكلاب ، بل أتعس منها .. ولم ذلك ؟ لا أحد يدرى ! ولكن لا بد من أن الله عز وجل أراد ذلك ، فكل شىء يسير بارادته . أليس كذلك يا أخى ؟ نعم هو كذلك . ولذا أقول إن ما نلقاه نحن التعساء هو العدل . أليس ذلك تفكيرا صحيحاً ؟ وعلى ذلك أفلا يمكن أن تتحسن حالنا ؟ يجب أن نرتضى حظنا صابرين ... أليس كذلك ؟ »

ولكن زيومكا أجاب على أسئلة زميله المتعددة المثيرة للخواطر بكلمة مختصرة : « يا قليل العقل ! »

فانكمش ميشكا وقد عرف خطأه ، وابتسم خجلاً وبرقت عيناه المتفختان من الخمر وسكت . ثم قال فجأة : آه ، لو أن لنا « خنزيراً » .

وكنا ذات يوم نتسكع فى السوق نبتغى عملاً ، فاصطدمنا بامرأة عجوز ضامرة قصيرة ذات وجه كثير التجاعيد ؛ وكان رأسها يهتز فوق عنقها . وعلى أنفها منظار كبير محاط باطار غليظ من الفضة ، يتأرجح يمنة ويسرة فتعمل يد العجوز لتثبيته فى موضعه . أخذت تحدق فينا النظر ؛ وقد وجهنا إليها أنظارنا طامعين فى حديثها .

وسألتنا : أليس لكم عمل ؟ أتبحثون عن عمل ؟

ولما أجابها زيومكا فى احترام بالايجاب ، قالت : « حسناً ! عندى حمام قديم أريد هدمه . كما أريد أن تنظف النافورة . . . فكم من الأجر تطلبون ؟ »

فرد عليها زيومكا فى احترام أيضاً قائلاً : « يجب أولاً يا سيدتى المحترمة أن يرى الانسان حجم الحمام ، وكذلك النافورة ، فلكل نافورة شكلها الخاص ، إذ منها ماهو عميق جداً و ... »

وطلبت منا العجوز أن نرى النافورة . ولم تمض ساعة حتى كنا نعمل مجدين بالمناشير والمعاول فى هدم الحمام . فلما انتهينا من عملية الهدم هذه وتنظيف النافورة تقاضينا مبلغاً قدره خمسة روبلات وهو الأجر الذى اتفقنا عليه . وكان الحمام مقاماً فى ركن مهجور من الحديقة ، وعلى مقربة منه كوخ خشبى تظلله أغصان شجر الكرز . وقد رأينا ونحن نهدم بناء الحمام العجوز جالسة فى ذلك الكوخ عاكفة على قراءة كتاب كبير وضعته على ركبتيها . . . وكانت من وقت لآخر ترمينا بنظراتها الحادة ، وكان الكتاب يهتز فوق ركبتيها فيلمع القفل الفضى للكتاب .

ليس بين الأعمال أسهل من التخريب والهدم . وقد استفرغنا جهدنا وسط سحابة من الغبار . وكنا نعطس ونسعل ونمخط ونفرك أعيننا حين قد سقط الحمام وتناثرت أجزاؤه ، فقد كان عتيقاً ناخراً كصاحبته .

« هيه ياشباب ، فنجيبها : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، هوب ! » هكذا كان زيومكا يصدر أوامره . وهكذا تساقطت كتل البناء الواحدة تلو الأخرى .

وتساءل ميشكا وهو مطرق الرأس مستنداً إلى الفأس مجففاً

عرق جبينه : ماعساه يكون هذا الكتاب ؟ إنه لكتاب ضخم ! ولن يكون الانجيل إذ هذا أضخم منه . »

وسأله زيومكا مستفسراً : « وماذا يهمك من ذلك ؟ »

« يهمنى ؟ كلا ! إننى أميل لاستماع من يقرأ الكتب . . . أعنى الكتب الدينية . وكان فى قريتنا جندى اسمه آفريكان يقرأ كثيراً فى الاصحاح ، وكان وقع ذلك فى أذنى كالموسيق — ما أجمل ذلك ! »

وسأله زيومكا ، وهو يشمل لفافة التبغ : والآن ؟ »

— لا شىء . لقد كان جميلاً ، على رغم أن الانسان لا يفقهه . إنه لكلام جميل . . . وقد لا يسمع الانسان كلاماً مثله فى الشارع . نعم إن الانسان لا يعرف له معنى ، ولكنه يشعر بأن ذلك له صلة بالروح .

وهزئ زيومكا منه قائلاً : هذا ما لا أفهمه ، إن الانسان ليرى فيك من جديد غباء الحذاء القديم

فأجاب الآخر قائلاً : « إننى واثق من أنك تميل إلى السباب »

« كيف السبيل إلى مخاطبة مثل هذا الحمار ؟ إنه لا يفقه شيئاً غير ذلك : هيا ، أعمل معولك هنا — انتبه . . . هوب »

وتقوض بناء الحمام شيئاً فشيئاً وكثرت الأنقاض ، وقد أحيطت بغمامة من الغبار كست أوراق الأشجار القريبة

وبدأ ميشكا ثانية : هذا الكتاب محلى بالفضة »

ورفع زيومكا رأسه ، وصوب نظره إلى الكوخ . وقال فى اقتضاب :

— « هو كذلك على الغالب »

— « إنه لا شك الانجيل »

— « ليكن ذلك . وما ذا يهمك من أمره ؟ »

— « لا شىء ! »

— « لا شىء هذه ملء جيوبى . ولكن إذا كنت تريد أن تستمع إلى ما فى الانجيل فاذهب إلى العجوز وقل لها : اقرئى لى ياسيدتى المحترمة شيئاً من الانجيل . إنه لا سبيل لنا غير ذلك ؛ إننا لا نذهب إلى الكنيسة لأن أبداننا قذرة وملابسنا بالية ، إلا أن لنا روحاً كبقية الناس ... هيا اذهب » .

— هل أذهب حقاً ؟ »

— « نعم ، إذهب »

وقذف ميشكا بمعوله وأصلح ثيابه ومسح الأقذار عن وجهه بكمه ، وقال زيومكا فى نفسه وابتسامة السخرية على فمه : « ستركلك برجلها كأحقر دب . » غير أنه تلهف على متابعة خطوات صاحبه بالنظر ، وسار هذا بخطى ثقيلة وابتسامة الخجل والهدوء مطبوعة على وجهه ، ورفعت العجوز رأسها وصوبت نظرها إلى ذلك المتسكع القادم اليها ، وكانت الشمس تضىء زجاج منظارها وإطاره الفضى فيومض

ولم تركله برجلها برغم أن زيومكا تنبأ بذلك ، وكان حفيف الشجر يحول دون سماع ما تحدث به ميشكا إلى صاحبة المنزل ، ولكننا رأيناه يخر فجأة أمام قدميها ويجلس على الأرض حتى يكاد أنفه يمس الكتاب ، وكان وجهه يدل على الهدوء والرزانة ، وقد رأيناه وهو يحاول ما استطاع أن ينفخ فى لحيته ليبعد عنه الغبار ، وأخيراً استقر فى مجلسه ومد عنقه ووجه نظره إلى يد العجوز التى أخذت تقلب صفحات الكتاب صفحة صفحة

« أنظر اليه فهو كالكلب غير المهذب ! له الآن أن يستريح . فهل نذهب نحن كذلك ؟ وماذا نعمل هنا وحدنا ، وهو يجلس هادئاً بينما نحن نعمل من أجله وننهك قوانا . هيا ، سر إلى الأمام »

وبعد دقيقتين جلسنا إلى جواره واحداً عن يمينه والآخر عن يساره ؛ ولم تنبس العجوز بكلمة ساعة قدومنا ، ولكنها كانت تحدق فينا وتقلب صفحات الكتاب كمن يبحث عن شىء بعينه ، وكانت السماء صافية تشيع السرور فى النفس ، وكان النسيم العليل يهب من وقت لآخر مداعباً أوراق الشجر ، وانساب من هذا وذاك سحر إلى قلوبنا التى كانت تهيأ للمحبة والسلام ، وبدأ يستيقظ فينا الاحساس بأشياء غامضة مجهولة إلا أنها قريبة منا ، وأخذت أرواحنا تتحرر من الأدناس

« بولس ، خادم المسيح »

بهذا رن صوت العجوز ، وكانت ترتعش وقد هدها الكبر ، غير أنها كانت خاشعة ، ورسم مشكا الصليب ، وأخذ زيومكا يتحرك من جنب إلى جنب ليجد مكاناً فى الأرض مريحاً ، وكانت العجوز ترمقه بعينيها دون أن تمسك عن القراءة

( البقية فى العدد القادم ) ا . ا . ى

من اسخيلوس

# لايوس وأوديب

« درامتان مفقودتان »

بقية المنشور فى العدد الماضى

للأستاذ دريني خشبة

— ٩ —

« ويلاه ! لقد جئت أستجلى الحقيقة فضاعفوا الغموض فى نفسى ! أبى من هذا الذى أقتله ، وأمى من تلك التى أتزوج منها ، وأى شعب هو ذاك الذى أتعسه وأشقيه ؟ أتكون الملكة صادقة وأكون ابن بوليبوس حقاً ؟ ! أتكون زلة لسان من هذا العربيد أرسلها وهو لا يدرى ماهى ؟ إذن لأبعد فى الأرض ، فأنا لا أطيق أن أرانى أقتل بوليبوس ، أبى ، إن كان حقاً أبى ... وأنا لا أطيق أن أرانى زوجاً لأمى الملكة ... إن كانت حقاً أمى ! ... »

وذهب المسكين لا يلوى على شىء ، يأوى الى الكهوف والغيران إذا جنه الليل ، ويغتذى بقليل من البندق أو الجوز أو التين إذا ألح عليه الجوع ، ويبل غلته من الجداول والغدران

— ١٠ —

وبينا هو يطوى الفيافى والقفار ، إذا به يصل إلى ملتقى طرق ثلاث ، وإذا به يصل ثمة فى الوقت الذى يصل ملأ كريم إلى المكان نفسه ، وقبل أن يعرف أوديب أى الطرق الثلاث يسلك إذا رجل طوال يبدو عليه من ملامحه أنه جندى أو قائد ، يأمره بصوت خشن أجش أن ينتحى ناحية حتى يمر الركب . وكانت لهجة الرجل من الجفاف والغلظة بحيث لم يحتملها أوديب ، فرفض أن يتزحزح خطوة واحدة ، بل زاد فاعترض طريق الركب كأنما يتحدى رجاله جميعاً . وكيف يُراد من أوديب الناشىء فى بيت ملك كورنثه والذى أعدته الأيام لتولى زمام الملك أن يصدع بأمر رجل عابر طريق ، مهما كان الرجل من حول وفى طول ؟ إذن ليلتحم أوديب مع كل هؤلاء القوم فى عراك عنيف ، وليكن من الأمر ما يكون !

وصاح الرجل مرة أخرى ، وأرغى من الغضب وأزبد ...

ولكن أوديب وقف مكانه كأنما سمر فيه ، وأخذ يحدج القائد بعينين تقدحان الشرر ، وتنفثان الموت الزؤام !

ولم يستطع القائد إلا أن يمتشق سيفه وينقض على أوديب كالصاعقة ... ولكنه سقط على الثرى قبل أن يصل اليه جثة هامدة ! « خذها ضربة من أوديب ! ! »

وذهل الجنود حينما شهدوا قائدهم معفرا بالتراب ... فتكاثروا على أوديبوس ... ولكنه صرعهم واحداً واحداً بضربات كأنها سنا برق يومض خلل السحاب فى يوم عاصف !

ثم نزل من المركبة التى كانت تنهب الطريق فى إثر الجنود رجل مُسِن قد وخط الشيب رأسه ؛ واقترب من أوديب وهو يهدج كالبعير الأبلق ، ثم أخذ يحذره من الموت الذى يتربص به ... « أنت شاب يا بنى والحياة حلوة جميلة ، وورد الموت لا يخلق بعنفوانك ... فانتح ناحية ، ولا تركب رأسك ، ولا تحسب أنك تقدر على كما قدرت على هؤلاء ... » وكان الشيخ يهز فى يمينه سيفاً كالمنية ... ولكن أوديب تبسم من قوله ضاحكا ... وأعجله بضربة قدَّت رأسه وأضلاعه ... وغادره عند حيد الجبل جزر السباع ...

واأسفاه ! . . لقد قتل أوديب والده ! ! ونفذ ثلث القضاء ! فمتى ينفذ شطراه الآخران ؟ !

— ١١ —

سُلِّطت على مدينة طيبة هولة رائعة ما برحت تغتال أهلها وتعيث فيها فسادا ، وكلما لقيت أحداً عرضت عليه حُجَيَّا (١) ، فان فسرها وقدر على تأويلها خلت سبيله ، وإن لم يستطع غالته واغتذت به ... وقد عزّ على لايوس الملك ألا يقوى أحد على هذه الهولة فيخلص طيبة منها ، ويريح من شرها العباد . فلما لم يستطع أحد أن يفسر حجياها اعتزم أن يذهب إلى دلفى مستخفياً فى رهط من جنده ، عسى أن يؤول له الكهنة ذلك الطلسم وينقذ شعبه من ذلك البلاء المبين !

وكأنما سعى لايوس إلى حتفه بظلفه ! فقد لقيه ولده أوديبوس وقتله ومن معه على ما وصفنا !

— ١٢ —

وقبل أن يبلغ أوديب طيبة ، كان خبر مقتل الملك وجنوده قد ذاع فيها ، ولكن من كان أولئك القتلة ؟ فلم يكن أحد

(١) الحجيا هى ما يسميه العامة (الفزورة) وهى غير الأحجية بتشديد الياء

بدرى ... إشاعات تحسب ! فقائل إن الهولة هى التى أدركتهم وصرعتهم جميعاً ؛ وقائل إن عصابة من قطاع الطرق أحدقت بهم وذبحتهم وهم نائمون ... ...

وكان أوديب قد سار فى طريق طويلة شاقة انتهت به إلى طيبة . فلما كان ثمة لقيه واحد من الأهالى أنس اليه ، وتبسط معه وذكر له خبر تلك الهولة الفظيعة التى قتلت ربع سكان طيبة : « وإذا لم يرح المدينة منها أحد ، فقد تقتلنا جميعاً ! ! وهى تعرض على من تلقاه أحجيّا ياصاح ، فاذا عرفها وأدرك تأويلها خلت سبيله ... وإلا ... فهى لا بد فاتكة به مهما كان سلاحه ، ومهما كانت قوته !! وها هى ذى قد فتكت وحدها بالملك وجنده فى طريقه إلى دلفى ... وقد أجمعت المدينة على أن من يخلصها من ذلك الشر المستطير فانها ترفعه إلى العرش فيكون ملكا على طيبة الخالدة . ثم يحظى بالملكة الأيم فتكون زوجة له ! ! »

— ١٣ —

وكان أوديب قد زهد فى حياة التشرد التى شقى بها بعد مغادرته كورنثه ، فصمم على أن يلقى الهولة ... فاما قتلها وفاز بعرش طيبة وبيد الملكة ... وبحياة ناعمة مخفرجة ، وإما قتلته فأراحته من شظف العيش ولؤم الزمان

ودله صاحبه على مكانها ... فذهب اليها وبيده جرازه ... أظمأ ما يكون إلى دم حار وسم زعاف ! ...

وقالت له : « مكانك أيها القادم ! أفتنى فى مخلوق غريب إذا انبلج الصبح درج على أربع ، فاذا انتصف النهار مشى على رجلين ، فاذا أرخى الليل سدوله سار على ثلاث ! قل ! فان لم تستطع ، فودع الحياة [1] »

وعبس أوديب عبسة قصيرة ، وقال : « أيتها الهولة ! أهذه حجياك ! ! إذن إسمعى وعى ! ذلك المخلوق هو الانسان من غير ريب ! أليس يحبو على أربع إذ هو طفل ، فاذا شب سار على رجلين ، فاذا بلغ من الكبر عتياً توكأ على عصا ، فكانت له رجل ثالثة ؟ ! »

وما كاد يتم قولته حتى اربد وجه الهولة ، وحتى انثنت تأخذ طريقها إلى البحر لتغيب فى أحشائه ، ولكن أوديب الذى ملأه انتصاره بحل اللغز عُجباً وكبرياء ... انقض عليها وخوّض فى صدرها بجرازه ... وتركها على الشاطئ جثة خامدة !

(١) الترجمة عن سوفوكليس

— ١٤ —

وفرحت طيبة بمخلصها العظيم ، ومنقذها الكريم ، ورفعت أوديب إلى عرشها ، ووضعت على ناصيته تاجها ، ووهبت له يد الملكة فتزوجها !

واأسفاه !

لقد تزوج أوديب أمه ! وتم الشطر الثانى من النبوءة الصارمة ، وأولدها ابنها أربعة أبناء أشقياء ، ولدين وابنتين ، كأشباح الأسى والردى ، والتعاسة والمنون ! !

— ١٥ —

وحكم أوديب فعدل ، واطمأنت إلى رحمته قلوب العباد ، وتقدمت طيبة واستقامت أمورها ، وبلغت من الأيد والقوة مبلغاً لم تكن تحلم به ...

غير أن النبوءة تأبى إلا أن تتم ، ولا بد أن ترث ذرية أوديب التعاسة عن أوديب . ذلك أن طاعوناً اجتاح طيبة ، فكان الناس يموتون بالمئين ! وكانت حيل الأطباء ، فأرسل الملك من يستنبئ كهنة أبوللو فى دلفى عسى أن ترفع الآلهة غضبها بكشف هذا البلاء عن بلده الأمين ! وعاد رسل الملك يقولون : « يقول أبوللو ابحثوا عن قاتل لايوس وانتصفوا للملك منه ... يرفع عنكم ذلك الطاعون ! »

قاتل لايوس ! ! إذن يجمع أوديب شرطة طيبة ، ورجال القضاء فيها ، ويجرى تحقيق دقيق ينتهى بالحقيقة المؤلمة ...

« يا للخزى ! ! إذن أنت هو ابنى يا أوديب ! أنا أمك ! أنا أمك ! يا للعار »

وتنطلق الملكة إلى غرفتها الخاصة فتنتحر ! وقبل أن تفعل ترسل وراء الخادم الذى كان قد أخذ الطفل ليقتله ، فيحضر ، ويعترف بكل ما كان !

— ١٦ —

أما أوديب ، فانه لا يستطيع أن ينظر إلى أمه ... بل يجن جنونه ، ويتناول دبوساً فيسمل به عينيه ، وينطلق إلى البرية على غير هدى ، فتتبعه ابنته أنتيجونى ، تقوده إلى غاب كولونوس حيث تأوى ربات الذعر فيقتلنه ...

وينكشف الطاعون عن طيبة

ويقتتل ابنا أوديب على العرش ، فيقتل بعضهما بعضاً ، وتتم المأساة ! ... ... ... ... ...

دريني خشبة

# البريد الأدبي

## مكسيم جوركي

وافتنا الأنباء الأخيرة بنعي مكسيم جوركي شيخ الأدب الروسي المعاصر. توفي بعد مرض طويل مضن في نحو الثامنة والستين من عمره. وبوفاة جوركي يختتم ثبت أكابر الكتاب الثوريين الذين مهدوا بكتاباتهم للثورة الاجتماعية الروسية الكبرى أعني الثورة البلشفية، وسيادة الطبقات العاملة، مثل ليون تولستوي. والبرنس كورباتكين. وكان مولد جوركي ببلدة «نجنى نفجرود» من أعمال الفولجا في سنة ١٨٦٨. من أسرة عاملة فقيرة، واسمه الحقيقي ألكسي مكسينوفتش بتشكوف؛ ومات أبوه وهو طفل فكفلته جدته لأمه؛ ولم يتلق لفقره تربية، بل اضطر منذ حداثته أن يعمل ليعيش؛ فالتحق في التاسعة من عمره بخدمة محل لصنع الأحذية. ولبث يتنقل من عمل إلى عمل، وهو يعاني شظف البؤس، ولا يكاد يثبت في عمل ما، لأنه كان منذ حداثته يبدي مللاً مستمراً ونزوعاً إلى الثورة. وكان الفتى ألكسي مع ذلك يختلس الأوقات للقراءة والاهتمام بشؤون السياسة والثورة. وفي سنة ١٨٩٢، استطاع جوركي أن يخرج كتابه الأول «ماكار شودرا»، وفيه صور قصصية مؤثرة؛ وفي العام التالي أخرج كتابه «شلكاش» على مثل كتابه الأول فصادف نجاحاً كبيراً. وتبوأ الفتى «جوركي» مكانته كأديب وكاتب يحسب حسابه؛ وفي ذلك الحين أيضاً قبض على جوركي لما بدا في كتاباته من النزعة الثورية وأودع السجن، ومرض فيه حتى كاد يموت؛ ولكنه ما كاد يخرج حتى عاد إلى الكتابة؛ وأخذ يطوف أرجاء روسيا متصلاً بزعماء المجاهدين والكتاب والثوريين. وفي سنة ١٩٠٠، أخرج جوركي قصته الكبيرة «توما جوردييف»، فلقيت نجاحاً كبيراً. واتصل منذ أواخر القرن الماضي بفلادمير إلتش أو «لنين» زعيم الثورة البلشفية المستقبلة وصحبه؛ واشتغل بالصحافة الثورية؛ واستمر مع ذلك في إخراج كتبه؛ وكانت معظم كتبه في ذلك الحين قصصاً ثورية تمثل بؤس الطبقات العاملة التي عرفها وعانى ويلاتها صغيرا؛ وفي ذلك يصل جوركي إلى ذروة فنه؛ بيد أنه لم يتمكن قط من وصف المجتمع الرفيع بمثل هذه البراعة؛ وكان ذلك وقفاً على أقطاب درسوا الحياة الرفيعة مثل ليون تولستوي. وأحسن ما يصف جوركي تلك الشخصيات الناقمة التي تخرج على النظم والأغلال الاجتماعية المفروضة، وهي في الواقع شخصية جوركي ذاته

وعرف جوركي ظلام السجن أكثر من مرة؛ ولكنه كان في كل مرة يخرج أقوى نفساً وأثبت عزماً على الكفاح. وفي سنة ١٩٠٦ سافر إلى أمريكا موفداً من الجمعيات الثورية الروسية ليدعو إلى قضية الحرية الروسية. ولكنه لم يلق النجاح المرغوب، لما عرف أن السيدة التي ترافقه هي صاحبته وليست زوجته؛ وقام أيضاً بالتجوال في ألمانيا وفرنسا ليدعو ضد القرض الذي كانت تحاول القيصرية عقده، وهو ينذر بأن الشعب الروسي لن يدفعه؛ ولكن مساعيه خابت وعقدت روسيا هذا القرض في فرنسا قبيل الحرب؛ ومع ذلك فقد صحت نبوءته، وجاءت الحكومة البلشفية فأعلنت إلغاء ديون القيصرية كلها

وعاد جوركي إلى روسيا قبيل الحرب وأسس مجلة أدبية ثورية؛ ثم كانت الحرب، فتفرق زعماء الثورة في كل مكان، ولبث جوركي في روسيا، حتى كانت الثورة البلشفية، فظهر عندئذ في طليعة زعماء الثورة؛ وقربه لنين. وكان جوركي يحترم الرجل الذي حطم طغيان القياصرة، وحقق سيادة الطبقات العاملة، أعني لنين، ويذهب في هذا الاحترام إلى حد التقديس والعبادة. وغدا جوركي من أقطاب النظام الجديد، وغدا لسانه وزعيمه الأدبي؛ وأغدقت عليه الحكومة البلشفية رعايتها. ومنذ نحو عشرين عاماً يقود جوركي الحركة الأدبية الحديثة في روسيا، ويغذيها بروحه الثوري المضطرم

وأخرج جوركى فى تلك الفترة عدة كتب رائعة : منها « الشريدون » و « ذكريات الشباب » و « المتفرج » و « كوموڤالوف » ، وهو أعظم كتبه ؛ و « الأعماق السفلى » وهى قطعة مسرحية قوية ؛ وغيرها.

والخلاصة أن جوركى يعتبر من أعظم زعماء الأدب الروسى المعاصر . وقد نوه البرنس كوروباتسكن فى كتابه عن الأدب الروسى بعبقرية جوركى الأدبية والفلسفية ( ع )

## جوركى أديب الصعاليك

كتبنا كلمة فى هذا الباب من أبواب (الرسالة) منذ أسبوعين عن حياة جوركى ؛ وها قد لفظ أديب الشيوعية الكبير آخر أنفاسه فى الأسبوع الثانى من هذا الشهر ( ٩ يونيه سنة ١٩٣٦ ) من أثر التدرن الذى كان يشكو منه دائماً والذى سافر من أجله إلى إيطاليا يستشفى منه ، ولكنه ما زال به حتى قضى عليه فى النهاية . وقد ذكرنا أن جوركى عمل فى حداثته عند خباز ، ونذكر اليوم أن هذا الخباز كان اسمه (راماس) من مدينة قازان ، وأنه كان ذا أثر كبير فى توجيه مكسيم جوركى ، فقد كان يعمل ليلاً فى مخبزه اتقاء لشبهة جواسيس القيصر ، ثم يبث فى عماله روح الانتقاض على ظلم القيصرية بما كان يلقيه عليهم من أحاديث ملتهبة ، وبما كان يقرئهم من كتب ويثقفهم به من معلومات . وكان الفتى جوركى أشد العمال تعلقاً براماس ، وكان يلتهم كتبه التهاماً حتى حدثوا عنه أنه كان يقضى نصف أوقات راحته ونومه مكباً على كتب راماس ! ولما علق جوركى الأدب ومهر فى الخطابة توجه إلى بطرسبرج ودعا الشعب الى مطالبة القيصر بالدستور ، ثم جمع عدداً كبيراً من العمال وتوجه بهم إلى قصر القيصر فى مظاهرة صاخبة وهتفوا بحياة الدستور ، وما هى إلا لحظة حتى حصدتهم نيران البنادق والمدافع من كل صوب ، ونجا جوركى بأعجوبة . ولكنه قبض عليه وحوكم أمام محكمة عسكرية فقضت عليه بالسجن لمدة سنة وعلى الزعيم الآخر (الأسقف جابون) بسنة مثلها ( ١٩٠٥ )

وكان جوركى يستشفى فى إيطاليا حينما هبت الثورة فى روسيا فعاد اليها ليلقى لينين وليكون هو وتروتسكى أشد أعوانه وأكبر مؤيديه ، وإن يكن جوركى كان يأخذ على طاغية روسيا وزعيمها الأكبر أخذه الناس بالشدة وسوقهم إلى نظمه بالعنف ، وكان يصارحه بعدم رضاه عن هذه الطرق التعسفية فى بث مبادىء الثورة مع علمه أن معنى معارضة لينين الشنق والقتل بالرصاص . والعجيب أن عطف جوركى هذا لم يستمر طويلا ، فقد حدث بعد موت لينين أن اختلف ستالين وتروتسكى من أجل تنفيذ مبادىء الثورة تنفيذاً حرفيا فكان من رأى تروتسكى أخذ الفلاحين بالعنف وإخضاعهم بالقوة لتعاليم لينين ، ولكن ستالين أبى ورأى فى الطفرة تمهيداً لثورة الفلاحين ففضل التدرج معهم فى جذبهم إلى حظيرة هذه التعاليم . واشتد الخلف بين أقطاب الشيوعية ، وملك ستالين زمام الأمور ، وفر تروتسكى خارج روسيا ، ولحق به جوركى ؛ ولكن جوركى عاد إلى روسيا بعد ذلك فشهد بعينه صدق نظر ستالين ، فرجع عن رأيه لما رأى من استقرار الأمور ، وعاد إلى سالف تشجيعه للاتحاد السوفيتى فعينه فى لجنته التنفيذية

وجوركى من أشد الملحدين الذين عرفهم التاريخ ؛ فهو يقول إن المعبود الذى تعنو له الجباه إن هو إلا خرافة ، أو هو مصدر الخرافات ! وتلك جراءة على الله سبحانه وتعالى من هذا الرجل الذى خبله البؤس وذهب بوجدانه العوز فى أكبر شطر من حياته . ويكاد يكون الفيلسوف الفرنسى برجسون أشد أعداء جوركى ؛ فبرجسون روحى بطبعه ، والناس فى فرنسا يصدقونه فى كل شىء حتى لو ادعى النبوة ، ولم يدافع أحد من الفلاسفة عن وجود الله فى عصرنا الحديث بمثل ما دافع عنه برجسون ، واليه وحده يرجع الفضل فى هزيمة داروين وجوركى ، وإن يكن جوركى ما يزال منتصرا بقوة الحديد والنار داخل روسيا

وإلى جوركى يعود الفضل فيما لصق بالثورة الشيوعية من تهم الاباحية وما إليها ، لأنه هو نفسه ما كان يتورع أن يظهر أمام الملأ فى أعمر ميادين موسكو وبطرسبرج (لينينجراد) محاطاً بعشيقاته و ( محظياته ! ) . وقصته (الاعتراف) هى نموذج خبيث من أدب المنحطين تبذ قصص لورانس وجويس وبلزاك ؛ وفيها يذكر حديثاً غير محتشم لغادة من الساقطات تدعوه إلى نفسها لترزق منه غلاماً . وفى ذلك شبه من قصة لورانس التى أشرنا إليها مرة فى هذا الباب ( عشيق لادى شاترلى ) . وتلك القصة ثالثة ثلاث ألفها إذ هو فى إيطاليا والاثنتان هما (الأم) و (الصيف)

ونرجىء الكلام عن بقية قصصه وكتبه ومجلاته إلى نبذة أخرى

د . خ

## فى المباراة الأدبية

اجتمعت لجنة المباراة الأدبية الخاصة بموضوع « أثر الحافز الشخصى فى التطور الاصلاحى والاجتماعى والوسائل العملية لتوجيه الرأى العام » التى يرأسها معالى الأستاذ مكرم عبيد باشا فنظرت فى البحوث المقدمة اليها وقررت :

١ — منح الجائزة الأولى وقدرها مائة جنيه للأستاذ عباس حافظ الموظف بوزارة الداخلية

٢ — منح الجائزة الثانيـة وقدرها خمسون جنيها للأديب جميل خانكى

٣ — منح الجائزة الثالثة وقدرها ٢٥ جنيها للآنسة زينب الحكيم الحائزة لدبلوم فروبل العليا بلندن

٤ — منح الجائزة الرابعة وقدرها ٢٥ جنيهاً للأستاذ حسن مظهر المحرر بمجلة اللطائف المصورة

وقد رأت اللجنة أن تتقدم إلى صاحب الدولة وزير الداخلية ليسمح بمنح هذه الجوائز برغم انقضاء الموعد المحدد لها

## بين السياسة والأدب

تولى الحكم أخيراً سياسيان عظيمان ؛ هما فى الوقت نفسه أديبان كبيران ، وهما مسيو ليون بلوم الزعيم الاشتراكى الفرنسى الذى فاز حزبه فى الانتخابات الفرنسية الأخيرة ، وانتهى بأن تولى زعيمه الحكم ؛ ثم السنيور مانويل ازانا دياز ، الذى انتخب أخيراً رئيساً للجمهورية الأسبانية ؛ فكلاهما أديب كبير ، وله مؤلفات تتبوأ مكانها الأدبى . ولنلاحظ أولاً أن مسيو ليون بلوم فوق كونه اشتراكيا ، هو يهودى ؛ وهذه أول مرة يتولى فيها الحكم فى فرنسا يهودى منذ وزارة مسيو كايو الذى تولى الرياسة قبل الحرب . وكان مسيو بلوم منذ أواخر القرن الماضى صحفياً وناقداً ، فنى سنة ١٨٩٧ ، كان يتولى تحرير « المجلة البيضاء » ، وكان يعرف يومئـذ بنقده اللاذع ؛ ثم تخلى عن تحرير هذه المجلة إلى الكاتب الشهير « أندريه جيد » . ثم تحول الى الكتابة السياسية منذ حمله تيار السياسة ، وكانت مقالاته فى جريدة « البوبولير » حتى العهد الأخير تثير أعظم الاهتمام فى دوائر السياسة

وأما المسيو ازانا رئيس جمهورية أسبانيا الجديد فهو مؤلف ذو شهرة واسعة وله عدة كتب فى السياسة والأدب نذكرمنها : ( دراسات عن السياسة الفرنسية الحديثة ) ، و ( ترجمة جوان ڤالير ) وهو كتاب نال به الجائزة القومية الوطنية ؛ و ( الكتابة والقول ) و ( فى الحكم وفى المعارضة ) ، ثم رسالة أدبية عن ( دون كيشوتى ) ، وقطعة مسرحية عنوانها ( التاج ) هذا عدا روايات وقصص ومقالات عديدة

## كتاب جديد لهافلوك أليس

صدر أخيرا كتاب النقادة الانكليزى الشهير هافلوك أليس عنوانه : ( مسـائل عصرنا ) Questions of our Day والذين يتتبعون حياة هافلوك اليس و كتاباته يعرفون أنه من أعظم المفكرين والنقدة فى عصرنا ؛ وقد بلغ اليوم عهد الشيخوخة ، ولـكنه ما زال قوى النشاط ، قوى الأثر فى الشباب المتأدب ؛ وقد كانت كتاباته من أكبر العوامل فى الترويج للأدب الجنسى الحديث ، وهو الأدب الذى كان يرفضه المجتمع الانكليزى من قبل . ويشتمل كتاب هافلوك أليس الجديد على مائة موضوع من الموضوعات التى سبق أن عالجها فى ظروف ومناسبات مختلفة ، وهذه بعضها : « ما هو المجرم . بديل الحرب . مسألة الثورات . التربية فى العالم المتطور . الحاجـــة الى سماء جديدة . مسألة التعقيم الاصلاحى » وغيرها

ومع أن معظم هذه الموضوعات قد كتب من قبل ، فان الـكتاب يطبعه طابع واضح من الجدة ، ويبدو تعمق الـكاتب وبعد نظره فى معالجات موضوعه ، حتى إن القارىء ليشعر بأن كثيراً ممـا تنبأ به هافلوك اليس فى كتاباته عن التطورات الاجتماعية يقع اليوم فى العالم بالفعل

# العالم المسرحي والسينمائي

## بنكنـــوت

### فيلم شركة لوتس على شاشة سينما رويال

لناقد «الرسالة» الفني

تدفع الأثرة الكثير من المصريين إلى الجمع بين صناعات متعددة ، وهذا في عقيدتهم وسيلة من وسائل الشهرة وارتفاع الذكر في حين أن العالم يسير عكس هذه الفكرة ، فهو يعمل على توزيع الأعمال بل وتوزيع العمل الواحد حتى يستطيع الفرد أن يتخصص في ناحية واحدة ، والتخصص سبيل الاتقان والتبريز

ولقد نقدنا في فلم شارلي شابلن « العصر الحديث » قيام صاحبه بجميع الأعمال الفنية ؛ وهانحن اليوم نعود فنكرر قولنا ، ففي رأينا أن زميلنا الأستاذ أحمد جلال يستحق اللوم الكثير لتقليده شارلي ، وجمعه بين مهمة تأليف الرواية وكتابة السيناريو وإدارة الفلم وإخراجه ثم تمثيله . ونحن إذا التمسنا الأعذار لشارلي لاعداده الفلم الواحد في خمس سنوات ، فان الأمر على العكس من ذلك مع جلال الذي يرهقه العمل الصحفي الى جانب عمله السينمائي . ولو أنه وزع العمل واكتفى بمهمة واحدة أو اثنتين فربما تلافى الكثير من الأخطاء التي أفسدت الفلم ونزلت به الى مستوى لا نحبه ولا نرضاه لفلم مصري

إن مخرجي الأفلام المصرية يستغلون النظارة من المصريين أسوأ استغلال بعرضهم مثل هذه الأفلام التي تنقصها العوامل الفنية التي تتوفر في الأفلام الأمريكية والانجليزية . ولو أن هذه الأفلام تشبع عواطف المصريين ، وتصور ميولهم ونفسياتهم ، لما وجدنا مصرياً واحدا يقبل على هذه الألاعيب الصبيانية ، ولأحس يومئذ المخرجون أن القومية وحدها ليست كافية لأن تجتذب النظارة إلى دور السينما

وإذا كان الجمهور يقبل على هذه الأفلام ، فهو انما يقوم بواجبه حيال هذه الصناعة الجديدة ، وتشجيعاً لأهل الفن من أبناء بلاده ، وعسى أن يجد فيما تعرض ما يعبر عن عواطفه . على أن هذا الاستغلال سينكشف يوماً ، وسيعرف المصريون أنهم يسيئون إلى أنفسهم وإلى الفن ، إذ يقبلون على هذه الأفلام ؛ ويومئذ يدرك المخرجون مبلغ الهوة السحيقة التي حفروها بينهم وبين رواد السينما . ولا أظن هذا اليوم بات بعيدا

إن أول أساس لنجاح الفلم أن تكون القصة التي تعرض للنظارة صالحة للسينما ؛ ويشترط فيها الفن ، والصناعة ، وعلم النفس ، وغيرها من الشروط التي يجب أن تتوفر في كل عمل فني ، ولهذا فان الشركات الأجنبية تنتقي خيرة القصص العالمية وتقتبسها للسينما ، وتدفع من أجل ذلك ألوف الجنيهات ؛ أما في مصر ، فان الشركات تستغني عن المؤلف الأديب ، ولا تحفل كثيراً بموضوع القصة ، ولهذا فانك لا تجد بين أكثر الأفلام التي عرضت موضوعا سامياً ولا قصة رائعة ذات جمال وفن

### ملخص قصة الفلم

سلمى ، امرأة مبتذلة ، يعود زوجها فجأة فيجدها مع عشيق لها فيطردها من بيته ؛ وتخرج لتعيش في الأندية الليلية ، وتلتقي بها نجيب مفتش البوليس فيتزوجها وينجب منها طفلة

ويدخل شوكت يوما إلى مكتب نجيب فيراه يضع أوراقا مالية في مكتبه ؛ ويدعو شوكت نجيباً لقضاء السهرة في النادي ، وهناك يجد شوكت يخسر كل نقوده ويأخذ نجيب مكانه ، وينتهز شوكت الفرصة ويسرع الى بيت صديقه ليسرق الأوراق المالية .

واذ هو في محاولته يعود نجيب ويخاف شوكت أن يضبطه متلبساً بالجريمة فيسرع إلى مخدع الزوجة ، ويدخل نجيب فيظن أن زوجته تخونه ويصوب مسدسه الى شوكت ولكن هـذا يفلح في إسقاط المسدس من يده ! ؟ وتريد سلمى أن تنتقم من شوكت فتطلق عليه الرصاص ولكنها تصيب زوجها

ويحكم على الزوجة بالسجن ثلاث سنوات ، وفي هذه المدة

يتعرف شوكت الى إحدى فتيات الشوارع فيتخذها عشيقة له ، ويعدُّها لتكون شريكة له ووسيلته الى السرقة والاحتيال . وتخرج سلمى من السجن وتعمل خادمة عند هذه العشيقة فتعرف سرهما وتحبط تدبيراتهما . ويوفق شوكت الى اغتصاب آلاف الجنيهات من مكتب مدير إحدى الشركات ( وكأن المدير لا يضع نقوده في المصارف ! ) ولكن سلمى ترشد البوليس الى السارق . ويجيء نجيب ليقبض على شوكت ، وإذ يحاول هذا الهرب مهددا نجيباً بالمسدس تطلق سلمى النار على شوكت

***

يرى القارىء أن الموضوع الذى عالجه الفلم تافه لا يحتاج الى كل هذا الحشو والتطويل والتعقيد والالتجاء الى الأمور غير المعقولة التى أغفلناها فى تلخيصنا لقصة الفلم ، وهذا مما يدل على جهل كاتب القصة بالحياة والخلق المصرى . فأين الرجل الذى لا يثور لمرأى عاشق زوجته فى بيته ؟ وأين الأندية الليلية التى يصحب فيها الرجال زوجاتهم ويلعبون الميسر مع الساقطات أمامهن ؟ ! وأين الرجل الذى لا تأخذه الريبة ولا الشكوك من وجود صديقه فى بيته أثناء غيبته ؟ ومدير الشركة الذى يولول ويكاد يتملكه الجنون لأن سيدة أغمى عليها فى مكتبه ، ثم هذه الطريقة المضحكة التى تتعرف بها عشيقة شوكت إلى تاجر الأقطان ومفتش البوليس الذى لا يعرف كيف يتقى شر المجرمين ولا يعرف كيف يستخدم مسدسه . . . هذه الأشياء تبين بجلاء جهل الكاتب بعلم النفس وبالحياة المصرية

وقد تكون الفكرة التى تقوم عليها القصة مما لا يصل اليه النقد ، كما صرح بعض الزملاء ، ولكن العلاج وما يحيط بالقصة من حواش وجو مليء بالأقذار والأدران مما لا ترتاح إليه النفس ،

أما تصوير الشخصيات فضعيف مضطرب ، وفى بعضها نزول عن المستوى الذى يليق أن يعرض على الجمهور ، والذى لا يتسق مع بقية الشخصيات ولا مع موضوع القصة ، مثل العشيق الأبله الذى يفتتح به أول مناظر الفلم ، أو مثل شخصية الخادم ( البلدى ) ومسلكه مع مخدوميه ، والفتاة السارقة عند ما أخذها شوكت الى بيته لأول مرة ، وكذلك شخصية سلوى فيها كثير من الابهام الذى لا ترتاح اليه النظارة

والحوار لا بأس به ؛ غير أنه فى كثير من المواقف يشبه الحوار المسرحى ، كما أن هناك اسفافا فى الأحاديث بين شوكت وسلوى ، وبين الخادم البلدى ومخدومه ، وبين شوكت والفتاة السارقة . وقد يقول المؤلف إنه يحاول أن يرسم صورة واقعية ، ولكن الفن أسمى من هذا الواقع ، ثم إن الواقع فى حد ذاته لا قيمة له إلا إذا صقلته وأعدته يد مفتن ماهر

## التمثيل والتصوير

والتمثيل ضعيف ، وكثير من المواقف انقلبت الى مواقف مسرحية ، ولو أن المدير الفنى كان همه الأول قيادة الممثلين لعاد ذلك بالخير على الفلم ؛ وإننى من رأى صديقى الأستاذ أحمد بدرخان فى أن للسيدة آسيا مواهب لو استغلت كما يجب لبرزت وعلا نجمها ، وهى جديرة بأن تسمى ( ماى وست ) مصر ، ولكنها مع الأسف لم تظهر فى فلم يلائمها ، ولم تعمل مع مدير فنى يستطيع أن يبرز مواهبها ، وإن ظهورها الدائم مع مارى كوينى ومع جلال مما يجعل التشابه كثيرا فى حركاتها وتمثيلها ؛ ونحن ننصح لها أن تبدل الشخصيات التى تعمل معها بين قصة وأخرى ، فللوجوه الجديدة أثر وأى أثر فى نفوس النظارة

أما تمثيل الآنسة مارى كوينى ، فماذا أقول ! إنها كانت تضحك فى أغلب أجزاء دورها ضحكا يتردد صداه ، حتى إننى لأذكر أنها كانت تضحك ضحكا متشابهاً يبعث السأم إلى النفس ، وتمثيل الرشيدى ( نجيب ) مسرحى أكثر منه سينمائياً ، أما جلال ( شوكت ) فكان يقوم بمغامراته كأنه لا يحفل بأحد وإذ هو يتسور حاجز الحديقة كأنه يقوم بلعبة فى وضح النهار لا يخشى رقيباً

كان المصور ينتقل فى بساطة لا أثر للفن فيها مما يدل على أن كاتب السيناريو والمدير الفنى لم يحافظا على الجو السينمائى . وكان يخرقان القواعد ، فهما يجهلان متى يجب أن يصور المنظر عن قرب أو عن بعد ، وكيف ينتقلان من منظر الى آخر . وعندى أن هذا أثر الحشو والتطويل . هذا وإنك لا تجد فى الفلم زوايا معبرة ، ولكن الضوء والصوت فى هذا الفلم جعلاه يفوق ما سبق أن قدمته الينا السيدة آسيا من أفلام

والشىء الوحيد الذى نذكره فى الفيلم هو أنه مع طوله الذى تستطيع بكل بساطة أن تحذف منه أكثر من الثلث دون أن تتأثر القصة لا تشعر أثناء عرضه بالملل والسأم اللذين كنت تحسهما أثناء عرض الأفلام السابقة لشركة ( لوتس ) ، وإن أحسست بثورة على المؤلف والمدير الفنى

**يوسف**

4 me Année, No. 155. — Lundi - 22 - 6 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

السنة الرابعة « القاهرة في يوم الاثنين ٣ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ — ٢٢ يونيه سنة ١٩٣٦ » العدد ١٥٥

## فهرس العـــــدد

صفحة



# يا شبـــاب العرب !

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

يقولون إن فى شباب العرب شيخوخةَ الهِمَم والعزائم ؛ فالشبانُ يمتدُّون فى حياة الأمم وهم ينكمشون

وإن اللهوَ قد خفَّ بهم حتى ثقلت عليهم حياةُ الجد ، فأهملوا الممكنات فرجعت لهم كالمستحيلات

وإن الهزلَ قد هوَّن عليهم كلَّ صعبةٍ فاختصروها ؛ فاذا هزأوا بالعدوّ فى كلة فكأنما هزموه فى معركة ...

وإن الشاب منهم يكون رجلاً تاماً ، ورجولةُ جسمه تحتجُّ على طفولة أعماله

ويقولون إن الأمر العظيم عند شباب العرب ألا يحملوا أبداً تَبِعَة أمرٍ عظيم

* * *

ويزعمون أن هذا الشبابَ قد تمت الأُلفةُ بينه وبين أغلاطه ، فحياتُه حياةُ هذه الأغلاط فيه

وأنه أبرعُ مقلِّد للغرب فى الرذائل خاصة ؛ وبهذا جعله الغربُ كالحيوان محصوراً فى طعامه وشرابه ولذاته

ويزعمون أن الزجاجةَ من الخمر تعمل فى هذا الشرق

المسكين عملَ جندى أجنبي فاتح …

ويتواصَوْن بأن أوَل السياسة فى استعباد أمم الشرق ، أن يترك لهم الاستقلالُ التام فى حرية الرذيلة …

ويقولون إنه لا بد فى الشرق من آلتين للتخريب : قوة أوربا ، ورذائل أوربا

***

يا شبابَ العرب ! مَن غيركم يكذب ما يقولون ويزعمون على هــذا الشرق المسكين ؟

من غير الشباب يضع القوةَ بإزاء هــذا الضعف الذى وصفوه لتكون جواباً عليه ؟

من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة ، تكون المادةُ الأولى فيها : قَـدَرْنا لأننا أردنا ؟

ألا إن المعركة بيننا وبين الاستعمار معركة نفسية ، إن لم يُقتل فيها الهزل قُتل فيها الواجب !

والحقائق التى بيننا وبين هذا الاستعمار إنمـا يكون فيكم أنتم بحثُها التحليلى ، تكْذِبُ أو تَصْدق

***

الشبابُ هو القوة ؛ فالشمسُ لا تملأُ النهارَ فى آخره كما تملؤه فى أوله

وفى الشباب نوعٌ من الحياة تظهر كلمةُ الموت عنده كأنها أختُ كلمة النوم

وللشباب طبيعةٌ أولُ إدرا كها الثقةُ بالبقاء ، فأول صفاتها الاصرار على العزم

وفى الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة أثمارها ؛ وبعد ذلك لا تصنع الأشجارُ كلها إلا خشبا …

يا شباب العرب : اجعلوا رسالتكم : إما أن يحيا الشرق عزيزاً ، وإما أن تموتوا

***

أنقذوا فضائلنا من رذائل هذه المدنيــة الأوربية تُنقذوا استقلالنا بعد ذلك ، وتنقذوه بذلك

إن هذا الشرق حين يدعو اليه الغرب « يدعو لـَمَـن ضَرُّه أقربُ من نفعه لَبِئْسَ المولى ولبئس العَشير »

لبئس المولى إذا جاء بقوته وقوانينه ، ولبئس العشيرُ إذا جاء برذائله وأطماعه

أيها الشرق ! إن الدينار الأجنبي فيه رصاصةٌ مخبوءة ، وحقوقنا مقتولةٌ بهذه الدنانير

أيها الشرق ! لا يقول لك الأجنبي إلا ما قال الشيطان : « وما كان لى عليكم من سلطانٍ إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى »

***

يا شباب العرب ! لم يكن المسيرُ يعسر على أسلافكم الأولين ، كأن فى يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها

أتريدون معرفة السر ؟ السرُّ أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق ، فصاروا عملاً من أعمال الخالق

غلبوا على الدنيا لمـا غلبوا فى أنفسهم معنى الفقر ، ومعنى الخوف ، والمعنى الأرضى

وعلَّمهم الدينُ كيف يعيشون باللذات السماوية التى وضعت فى كل قلب عظمتَـه وكبرياءَه

واخترعهم الايمانُ اختراعاً نفسيًّا علامتُه المسجَّلة على كل منهم هذه الكلمة : لا يَذِل

***

حين يكون الفقر قلةَ المـال ، يفتقر أكثر الناس ، وتنخذل القوة الانسانية ، وتهلك المواهب

ولـكن حين يكون فقرَ العمل الطيب ، يستطيع كل انسان أن يغتنى ، وتنبعث القوة ، وتعمل كل موهبة

وحين يكون الخوف من نقص هذه الحياة وآلامها ، تفسر كلمة الخوف مائة رذيلة غير الخوف

ولـكن حين يكون من نقص الحياة الآخرة وعذابها ، تصبح الـكلمةُ قانونَ الفضائل أجمع

هكذا اخترع الدين انسانَه الـكبير النفس الذى لا يقال فيه : انهزمت نفسُه

***

يا شباب العرب ! كانت حكمةُ العرب التى يعملون عليها : أطلُب الموت تُوهب لك الحياة

والنفس إذا لم تخش الموت كانت غريزةُ الـكفاح أولَ غرائزها تعْمَل

والـكفاح غريزة تجعل الحياة كلها نصراً إذ لا تـكون

فى النقد

# إلى الأستاذ أحمد أمين

## من الأستاذ توفيق الحكيم

يا صديقى العزيز ! حقيقة أذكر بعد قراءة فصلك الأخير فى (الرسالة) أنك كنت عازماً على نقد كتابى (محمد)، فما الذى منعك ؟ وأذكر أيضاً أنك أفضيت إلى بخوفك من أن يسىء رجال الدين فهم مرادك فأشارَ أنا بذلك ؛ وهى عاطفة نبيلة حمدتها لك . على أنى فيما أذكر أيضاً قد شجعتك على المضى فى نقدك وهو فى جملته لا يؤيدنى . بل إنى قد وافقتك عليه معجباً بفراستك مقدراً لبراعتك فى الوقوع من فورك على المواطن التى يجوز فيها النقد والكلام . فأنت ترى أن المؤلف لم يغضب ، بل ابتسم واغتبط ليقظة الناقد . فى الواقع أنى لست أومن كثيراً بتلك الأسطورة التى تروى عن غضب المؤلفين . واسمح لى أن أتكلم بلسانهم فأقول إن هذا الغضب لا يجد سبيلاً الى نفس الكاتب إلا إذا شعر من ناقده بعزوف عن الحق والجد ، ونزوع الى الحط من القدر مبطن بسوء القصــــد . فالناقد الذى يحترم شخصى ويهدم عملى لا يغضبنى . لأنى أعلم أن الأديب لا يهدمه النقــد . فهو كائن ممتاز لا يُهدم ، ولا يُقبض إلا باذنه ، ولا يقضى عليه إلا بارادته . إن الأديب لا يموت مقتولاً ، بل يموت منتحراً . ومع ذلك فانى لا أحب للمؤلفين أن يغضبوا على أى حال ، فان الغضب علامة الضعف الآدمى . ولا شىء فى الوجود أقوى من الابتسامة . ولـكن ، من ذا الذى أعطى القدرة على الابتسام الصافى الجميل فى كل موقف وفى كل حين ؟ أهو الجبار وحده ؟ ألا ترى معى أن الجبروت إنما هو الصفاء ؟ ( إذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابسم للقـدر إذا بطش بك ، ولا تبطش بأحد ) تلك كلمة لعمر الخيام ، جعلتها فى رأس كتابى (من الشرق) الذى لم أكتب منه فى سنوات ثلاث أكثر من ثلاثة فصول . وانك لتعجب إذا قلت لك إن هذا البطء أو هذا العجز مرجعه علة واحدة قد انكشفت لبصيرتى آخر الأمر : عدم استكمال تلك الصـفة العليا التى يرتديها بعض رهبان الفكر كما تُرتدى المسوح : الصفاء

إن كنت من رأيى فى كل هذا فان لى عندك حاجة : أن تنشر معى تلك الابتسامـة بين الأدباء ، فان الأدب شىء جميل ؛ هو جنة لا صخب فيها ؛ وهو معبد لا تدخله الأحقاد . إن أعجب ظاهرة فى أدبنا أنه لا توجد فيه صداقات عظيمة جديرة أن يتحدث عنها تاريخ الأدب ؛ تلك الصداقات التى نراها فى آداب الحضارات الـكبرى قد أنتجت من الرسائل والأخبار والآثار ما لا يقوم بمال . ما الذى يعوزنا نحن ؟ أهو شىء فى الخلق ؟ أم هو ضعف فى النفس ؟ أم هو نقص فى الثقافة ؟ لست أعلم . انما الذى أعلمـه أن الصداقة الخالصة بين رجال الأدب والفكر هى أظهر دليل على نضوج هذا الأدب وهذا الفكر

وبعد ، فانى أرجو أن تقبل أطيب التحية من المخلص

توفيق الحكيم

---

الفـكرةُ معها إلا فـكرةً مقاتلة

عزيزة الـكفاح يا شباب هى التى جمات الأسدَ لا يُسمَّن كما تسمَّن الشاة للذبح

وإذا انكسرت يوماً فالحجر الصَّلدُ إذا تَرَضرضتْ منه قطعة كانت دليلاً يكشف للعين أن جميعه حجر صلد

***

يا شباب العرب ! إن كلة (حتى) لا تحيا فى السياسـة إلا إذا وضع قائلُها حياتـه فيها

فالقوةَ القوةَ يا شباب ! القوة التى تقتل أول ما تقتل فكرةَ الترف والتخنث

القوة الفاضلة المتسامية التى تضع للأنصار فى كلة (نعم) معنى نعم

القوة الصارمة النفَّاذة التى تضع للأعداء فى كلة (لا) معنى لا

يا شباب العرب ! اجعلوا رسالتكم : إما أن يحيا الشرق عزيزاً ، وإما أن تموتوا !

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

# فى النقـــــد

للدكتور محمد حسين هيكل بك

عزيزى الأستاذ الزيات :

أثرت فى أعداد « الرسالة » الأخيرة حواراً طريفاً حول « النقد » بمقالك الذى نشرته فى عددها الذى صدر فى ١٨ مايو الماضى ، والذى عقب عليه الأستاذان أحمد أمين وطه حسين . وإنى أغبطك كصحفى لما صادف موضوعاً أثرته من هذا النجاح . وأى نجاح أكبر من أن يدخل حلبة الحوار صديقان من كبار كتاب مصر وأدبائها ، فيقلبان من المواضيع فى « النقد » ما كان وكد ، ويشيران إلى مواضع ضعف فى كتابنا وأدبائنا ، شيوخاً وناشئين ، ويصفان علة ركود النقد مع يقظة الأدب ؛ ويدعواننى بذلك للاشتراك فى حديث بعد العهد بينى وبينه ؛ وما كنت أظننى أعود من بعد اليه

ولم يكن انصرافى عن النقد عن ايثار للسلامة ، أو مداراة للجمهور ، أو اندفاع فى تيار هذا الجمهور بعد أن كنت أريد جذبه إلى تيارى . كلا ! وإنما كان انصرافى عن النقد وعن ألوان غيره من الكتابة أننى أيقنت أن فيما أنا بسبيله اليوم من مباحث فى سيرة النبى العربى وفى عصره ما هو أجدى على القراء وعلى الغرض الذى أرجو للجماعة الانسانية أن تبلغه مما كنت بسبيله من قبل . ولست أريد الآن أن أصف كيف حدث هذا التطور فى نفسى فذلك أمر يطول بيانه . وإنما ذكرت منه ما ذكرت لأبين به السبب الذى انصرفت من أجله عن النقد وما يتصل به . وما أحسب منصفاً إلا يرى أن ما يستنفده البحث فى السيرة والاتصال بعصرها وبيئتها من وقت وجهد كافٍ ليشغل الباحث عن غيره من الأمور ؛ هذا ولو أنه كان منقطعاً لهذا البحث . ما بالك إذا شغل بالصحافة وبغير الصحافة من شؤون لا تدع له فرصة التنقل من قراءة إلى قراءة ، وتدبر كل ما يقرأ تدبراً يسمح له بنقده وتقديره نقداً عادلاً وتقديراً نزيهاً ؟

ولست أريد بهذا الذى قدمت أن أعتذر عن انصرافى عن النقد ورغبتى عنه . فأنا أرى هـذا الانصراف طبيعياً فى شأنى وشأن كثيرين غيرى ممن عنوا بالنقد وتوفروا عليه منذ عشرين أو خمس وعشرين سنة مضت ؛ أى فى بدء حياتهم فى الكتابة والأدب . وهو طبيعى إلى حد لا يجوز معه توجيه اللوم الينا . فأكثر الكتاب يبدأون حياتهم فى الكتابة بالنقد ثم ينصرفون عنه . هذا شأنهم فى أوربا اليوم . وذلك كان شأنهم فى غير أوربا من قبل . وهذا شأنهم لأنهم يقرأون يومئذ وهم شبان ليستزيدوا من العلم ، وهم ينقدون ليمحصوا هذا العلم ، وهم يفتنون فى النقد ليكونوا لأنفسهم ملكة التقدير . لعلهم لا يفعلون ذلك متعمدين . لكن ذلك هو الواقع فى أمرهم ؛ فشأنهم فى ذلك شأن الشجر ، وشأن كل كائن حى أول نشأته ، هو يمتص من الغذاء كل ما حصل عليه أو اتصل به ، وهو يصفى هـذا الغذاء ويتمثله لينمو بالبقية الصالحة منه للنمو ، وهو يفرز ما ينقده ولا يسيغه ؛ فاذا بلغ حد النمو قل ما يتناوله من الغذاء ، ودقق فى اختيار هذا الغذاء القليل الذى يتناوله ، لأنه يكون فى شغل عن النقد والتمحيص والافراز بالأثمار والانتاج ، وإن استنفد بأثماره وإنتاجه قوته حتى ينتهى من ذلك إلى استنفاد حياته

فالنقد الذى يبدأ به الناشئون من الكتاب والأدباء حياتهم هو هذا التمثل للغذاء الذى يتناولونه . وهم يعرضون هذا النقد على الجمهور ليسمعوا حكم الجمهور على نقدهم ، وليطمئنوا إلى أنهم أحسنوا التمثل . والجمهور يطرب لما يراه من آثارهم طربه لترعرع الناشئ وفتوة شبابه . فاذا انقضت هذه الفترة من الحياة مال الكاتب أو الأديب مع سجيته ، واختار الطريق الايجابى الذى يسلكه فى انتاجه . وقد يتفق هذا الطريق وماضى حياته الأدبية ، وقد يكون اتجاهاً جديداً فى هذه الحياة يحسبه بعضهم مناقضاً لها بينما هو أثر محتوم من آثارها ، لم يكن لصاحبه مفر من الاتجاه فيه ما دام سليم المنطق حسن التقدير

صحيح أن من الكتاب من يجعل النقد رسالته الأدبية طيلة حياته ، وقد تتصل سائر آثاره بالنقد ولو بمقدار . ولقد كان من هؤلاء فى فرنسا عدد غير قليل أمثال سانت بيف وجول لمتر . لكن هؤلاء إنما جعلوا النقد رسالتهم فى الأدب غير مكتفين بما يظهر من الكتب فى عصرهم . وهم قد جعلوا النقد رسالتهم

[ البقيـة على صفحة ١٠٣٩ ]

# ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

— ٢ —

( ملاحظة — الكلام ليس شخصياً وكل ما فيه متخيل ولا حقيقة لذات الثوب الأرجوانى )

لم يكن العزم أن أكتب هذا الفصل ولكن « الرسالة » — جزاها الله خيراً — أبت إلا أن تستزيدنى فوضعت الرقم (١) تحت عنوان الفصل السابق، فصار لا بد أن أكتب الثانى — أو اللاحق — وإلا عدنى القراء مقصراً أو مغالطاً أو فاتراً، وأنا أقصر فى الأغلب عن الغاية أو دونها؛ وقد تغرينى طبيعة الحياة أو مطالب الدنيا بالمغالطة، ولكنى والله لست بفاتر — والعياذ بالله! — وإنى لحريص فى العادة على هدوء المظهر واتزان الأعصاب، ولكن فى جوفى ناراً «أحر نار الجحيم أبردها» كما يقول المتنبي رحمه الله — وكان فى عوننا — فقد كان يجيد المبالغة. وما أظن بذات الثوب الأرجوانى إلا أنها تحس نارى هذه وتجد لفحها وإن كان بينى وبينها بعدان: بعد طريق وبعد منال. وإذا لم يكن هذا هكذا فسلها بالله لماذا تلبسه لى!... أليست تلبسه لأنها تعلم أنه حبيب إلى؟ ... ومن أدراها وأنا لم أقله بلسانى ولم أفض إلى أحد بسر قلبى؟ . . . وما أحسب أحداً سيزعم أنها رأت فىّ مشابهَ من ثيران أسبانيا فهى تخايلنى لتهيجنى بهذا اللون؟!... ومما يدل على العمد فى لبس هذا الثوب أنها تبدو ضاحكة مشرقة المحيا فى كل ما تكتسى خلافه، فاذا ارتدت الأرجوانى قطبت وزوت ما بين عينيها وتكلفت التجهم الشديد. وليس فى الثوب أو لونه أو تفصيله أو حسن انسجامه على بدنها الرخص ما يدعو إلى الانقباض. وإن فى كثرة لبسها له لدليلاً على الرضى عنه، ولو كانت تشعر بشىء من الضيق للبسه لما أكثرت من ارتدائه، ولكنها على عادة جنسها تفعل الشىء تبتغى به رضى رجل معين ثم تذهب تغالط وتدعى غير ذلك. ومن هنا هذا العبوس التى لا تحسنه. وإنى لأعرف أنها قرأت بعض كتبى فقد رأيت معها « خيوط المنكبوت » — عرفته من غلافه وما عليه من الرسم، ولكنى أظنها لم تقرأ ديوانى لأنه قديم جداً ولأنه نفد من زمن طويل، ولو قرأته لوجدت فيه هذا البيت:

لا يحسن التعبيس أبلجُ واضح ضحك الجمال بوجهه وأضاءا

ولكانت خليقة أن تكف بعد ذلك عن عبوس لا تتقنه؛ ولشد ما أتمنى أن أعود إلى النظم ولكن هيهات، فما تحركنى الحياة كما كانت تفعل، ولو كان شىء يردنى الى الشعر لردنى هذا الثوب.. أأقول الثوب؟. يا للمغالطة! . أترانى لو رأيت الثوب منشوراً فى الشرفة ولم تكن هى فيه أكنت أحفله أو أباليه؟ . كلام فارغ! . ويحسن بى أن أدع الثوب وأن أكف عن ذكره فما أعرف له — بمجرده — قيمة. وإنها لجميلة فى الأبيض والأخضر والأزرق والبنفسجى والوردى، وفى الطويل والقصير، وفى الخفيف والكثيف، وفى المباذل والمهاهل. ولكنى أحب أن أجرب سلطانى عليها فأزعم أن الأرجوانى هو الثوب الأثير عندى. ثم إن صورة المرأة فى اللحظة التى تقع فيها من قلب الرجل هى التى تعلق بذهنه وتظل حاضرة ماثلة لا تبرحه ولا تنى تجور على غيرها من الصور ولو كانت أبرع وأفتن. وهذا فيما أعتقد — تعليل ما أراه من استبداد هذا الثوب الأرجوانى بنفسى وخواطرى، فلتلبس ما شاءت غيره ولتطمئن على حسنها فلن تكون إلا جميلة ساحرة

وأحسب أن اتزانى المألوف قد خدعها أول الأمر، وأن ابتسامتى التى أرسمها على وجهى — بالألوان — هى التى حيرتها فما هكذا يكون المحب الولهان والعاشق المدنف فيما تصف الكتب والروايات التى لا شك أنها قرأتها. وأين مظاهر الصبابة وآيات الوجد ودلائل الخبل الذى يورثه الحب؟ أين الدموع الغزار التى لا تفتأ تفيض بها الجفون القريحة حتى يصبح المرء فى بركة من العبرات؟؟ أين السهد الطويل الذى يترك الوجه مصفراً والجسم مطحوناً مهدوداً؟؟ وأين الزفرات الحرى والشهقات العميقة التى تخرج من أخمص القدم؟.. لا يا ستى. لست من هذا الطراز وما أراك إلا مثلى تحسنين أن تضبطى عواطفك كما يضبط المهندسون فيضان هذا النيل العظيم بالسدود والخزانات الضخمة؛ ثم إن الحب جيل لا شىء فيه يوجب الحزن والكآبة، وهو

يملأ النفس حياة لا موتاً ، وينضر الروح ولا يذبلها ، وهو سبب عمران هـذا الـكون فـكيف تخرب من جرائه نفس انسان ؟ وهو مبعث الوحى ومصدر الالهام وسبب الانتاج على الهموم ، فـكيف يجيء بالانقباض والعقم ؟.. لا يا ستى . . أقول لك مرة أخرى اضحكى . . اضحكى واتركى هـذا القطوب الذى لا يوائم الجمال والصحة

ولم أر قط كمشيتها فى المشى ... فيها دبة القوى الشاعر بقوته أو المعتز بها ؛ وقد تبد لى أحيانا كأنها تدب كما يدب الصبى حين يذهب عنك مغيظا محنقاً .. ولا داعى لغضبها أو حنقها ... وأين هذا الداعى وهى واقفة وحدها فى الشرفة تطل منها على الطريق ؟ لا بد أن يكون الداعى شيئاً فى رأسها أو نفسها هو الذى يحملها على هذه اللفتة السريعة العنيفة التى لا مسوغ لها مما حولها ، إذ كان لا شىء حولها إلا الهواء والا هالة هذا الحسن . . . وليتنى أستطيع أن أنفذ إلى موضع التفكير أو الاحساس فأطلع على هذا الباعث الخفى ! فليس أفتن ولا أسحر من حركات النفس فيما وراء الوعى . وأكبر الظن أنها هى لا تعرف ماذا يلفتها أحياناً على هذا النحو العنيف وإن كانت تحسب نفسها عارفة مدركة . ولو أنك قلت لها إن لفتتها هذه فيها عنف وسألتها عن علته لأنكرت ولـكان الأرجح أن يسوءها منك ذلك

على أنى لا أحب أن يتوهم القارئ أن مشيتها عنيفة أو أن فيها ما يعاب — حاشا لله — وإن لها لخطرة تجعل أهون حركة لها رقصاً . ومن النساء من تمشى بثدييها كأنما تدفعهما أمامها . ومنهن التى تتخلع وتتموج وتتقصع — تـكلفاً أو طباعا — كأنما لا يمسكها شىء ، أو التى تطول وتقصر فى مشيتها والتى تلوح بذراعيها فتزيدها طولاً — إلى آخر ذلك إن كان له آخر — ولـكن ذات الثوب الارجوانى حين تبرز لى فى الشرفة صباحا — على سبيل التحية — وهى لا تزال فى منامتها ، تنساب كالماء الرقراق ، فليس خطوها خطواً وإنما هو تموج . وإنى لأراها ماشية من هذا البعد فأذكر بيتاً لابن الرومى هو قوله فى وصف صانع الرقاق :

ما بين رؤيتها فى كفه كرة ... وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنـداح دائرة ... فى لجة الماء يلقى فيه بالحجر

ولا رقاق هناك ولا حجر ولا ماء تنداح فيه الدوائر ، ولست أذكر البيت لأن هذا وقت الصباح أى وقت الشعور بالجوع ، وإنما أذكره لأنى أحس — بعينى وبقلبى معاً — أن حركة المشى تبعث فى جسمها اللين اضطرابا خفيفا كاضطراب الماء حين يصافحه النسيم الوانى ؛ ويخيل إلى أن جسمها كله — حين تخطو — تتعاقب على بشرته الرقيقة موجات فى إثر موجات تطير العقل وتزدهف اللب . ولا أدرى أهذا خيال أم هو الحقيقة ، ولـكن الذى أدريه أنه بعض ما للمرأة من سحر . فقد ترى رجلا قده أعدل من قد المرأة ولـكن مشيته لا يكون فيها هذا التموج ، ولا يمكن أن تحدث الحركة فى جسمه — أو جلده — مثل هـذا الاختلاج الخفيف الذى هو بعض سحر المرأة . واللين من خصائص الأنوثة — والنعومة والرقة والطراوة أيضاً — وليس أقبح ولا أبعث على النفور من المرأة المسترجلة كما ليس أقبح ولا أدعى الى الزراية من رجل تغلب عليه صفات الأنوثة ، وتخطىء فيه مظاهر الرجولة ومعانيها

وفتاتى تنهض مثلى فى البكرة المطلولة — أو أنا هكذا أتخيلها — خفيفة غير متثاقلة — فانها شىء صغير دقيق يخيل إلى أن فى وسعى أن أطويها وآكلها بعظامها — وتدفع باب الشرفة فأنتبه على الصوت — وتقف حاسرة الرأس مهدلة الشعر — وهل يغطى مثل هذا الشعر الذهبى ؟ — عارية الذراعين ، ثم تهادى الى الحافة وتطوى ذراعيها عليها وتدير عينها فى مجالى الحياة التى طلع عليها يوم جديد . فتبارك الله خالق هذا الوجه الصابح ومرقرق كل هذه الغضارة والنضارة فيه ! . وما أكثر ما وقعت على عينى عينهـا وأنا أحدق فيها من حيث أحسبها لا ترانى ! ولشد ما أشعر ، حين يحدث ذلك ، بفتنة هـذا اللحظ ، وما أصبحت على وجهها مرة إلا أحسست أن من حقى أن أستقبل يومى بصدر منشرح وقلب مستبشر مطمئن ، وما رأيتها إلا كان ظهورها إيذاناً لى بالاضـطرام والفورة ، فيكون حسبى بعد ذلك أن أعالج نفسى حتى أردها إلى السكون وأفىء بها إلى الهدوء ؛ وليس هيناً أن ترغم اليـد المرتعشة على الثبات ، والأعصاب المضطربةَ على الاتزان ، والعين المحملقة الزائغة على الفتور المألوف ، والقلب الذى يعلو ويهبط كأنه لعبة « اليويو » على العود إلى انتظام الدق واعتدال الخفق ؛ والساقين

المتخاذلتين على الصلابة والتماسك ، والنارَ التى تندلع فى الأحشاء على الجمود . . . كلا ليس هـذا بالهين . . ولـكنى رضت نفسى على القدرة عليه ، فلأرادتى الحـكم لا لشعورى وعواطفى ؛ وعسير جداً أن يبدو على وجهى شىء مما يضطرب به جنانى ويجيش به صدرى ؛ وإن جوفى ليكون كالبركان الفائر أو البحر الهائج ، وتنظر إلى وجهى وتسمع كلامى وتتأمل حركاتى وإشاراتى فلا يخالجك شك فى أنى أفرغ الناس قلباً وأخلاهم بالاً ، ولم لا ؟... إن ما يدور فى نفسى شىء يعنينى وحـدى وليس من حق غيرى أن يحيط به ويطلع عليه فانه سرى ؛ ولا من الرجولة أن أعرضه على الناس كأنى ألتمس العون أو العطف منهم . وماذا يبقى لى مما يسعنى أن أقول إنه « لى وحـدى » إذا كنت أبيح الناس ما فى صدرى وأشركهم فى أمرى ؟.. ولست أستثقل أو أستسخف شيئاً كقول الشاعر — وأظنه أبا فراس —

فيا حسرتا ! من لى بخل موافق أقول بشجوى مرة ويقول

فان هذا ضعف وحماقة . والقول بالشجو يفضح ولا يجدى ؛ وإذا كان فى البث ترفيه ، فان الانتصار على النفس أجل وأكرم وأكبر متعة أيضاً ؛ والبث ثرثرة تليق بالمرأة ولا تليق بالرجل . وماذا ينفعك أن يعرف صاحبك أنك تحب أو تـكره ، أو أنك غاضب ساخط أو راضٍ مغتبط ؟ . . . ماذا يستطيع أن يصنع لك ؟ . لا شىء ! . وأجـدى من ذلك عليك أن تعالج أنت نفسك وأن تردها على مكروهها — إذا احتاج الأمر — وأن تحتفظ باعتدال المزاج وهدوء التفكير واستقامة النظر ودقة الوزن وحسن التقدير . ومن كان لا يملك نفسه فأحر به ألا يملك غيره . والحب حرب بينك وبين المرأة ، فاحرص على أنْ يبقى زمامك فى يدك وإلا ركبتْ منـك جواداً مسرجا ملجماً تركضُه حيث تشاء هى وحدها . وليس أطغى من المرأة إذا صار فى يدها زمام الرجل

ابراهيم عبد القادر المازنى



# تراثنا العربى القـــديم

## ما يجب لتنظيم إحيائه

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان تراث العربية حتى أوائل القرن المـاضى لا يزال مغموراً محجوباً فى ظلمات المـكتبات والمجموعات الخاصة ؛ وكانت المطابع قد ظهرت فى أوربا منذ أواخر القرن الخامس عشر ، وطبعت فى رومه بعد ذلك بنحو قرن بعض الـكتب والوثائق العربية ، منها : مختصر كتاب « نزهة المشـتاق » للشريف الأدريسى (سنة ١٥٩٨) ؛ وفى القرن السابع عشر طبعت فى مدينة ليدن التى ما زالت منذ أربعة قرون مركزا هاماً لنشر الآثار العربية ، عدة مراجع عربية تاريخية ، منها : « تاريخ المسلمين » لابن العميد (المـكين) (سنة ١٦٢٥) ، وكتاب « عجائب المقدور فى أخبار تيمور » ، لابن عربشاه (سنة ١٦٣٦) ، وكتاب مختصر تاريخ الدول لابن العبرى (سنة ١٦٦٣) ، وظهرت هذه الـكتب بالعربية لأول مرة مقرونة بتراجم لاتينية كانت منذ ظهورها مستقى خصباً لمؤرخى الغرب

ولم يظهر فى أوربا حتى أوائل القرن التاسع عشر من الـكتب العربية سوى طائفة قليلة من الـكتب قد لا تعدو عشرات ؛ وإلى أواخر القرن الثامن عشر لم تـكن مصر قد عرفت المطبعة العربية ؛ وقد عرفتها لأول مرة فى سنة ١٧٩٨ ، حينما وفد نابليون على رأس حملته الفرنسية ، وحمل معه مطبعة عربية كاملة استعملت بالقاهرة لطبع البيانات والأوامر التى كانت تصدرها القيادة العليا ويصدرها الديوان الفرنسى لأهل مصر ؛ وكان فى مقدمة الـكتب التى أصدرتها هذه المطبعة كتاب عن محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر يضم خلاصة التحقيقات والاجراءات بالعربيـة والتركية والفرنسية ، وذلك سنة ١٨٠٠

ولـما بدأ محمد على فى تنفيذ برنامجه الاصلاحى لم تفته هـذه الناحية الهامة من تعضيـد الحركة الفكرية والثقافية ، فأنشأ فى سنة ١٨٢١ مطبعة بولاق الأميرية ، وعنى باعدادها وتجهيزها عناية عظيمة ، فـكانت أول وأعظم صرح للطباعة العربيـة

فى الشرق ؛ ولم تقتصر مطبعة بولاق على إخراج الجريدة الرسمية (الوقائع) التى أنشئت بعد ذلك ببضعة أعوام ، وإخراج الوثائق والمنشورات الرسمية ، بل أعدت منذ إنشائها لاخراج الكتب العربية ، فطبعت فيها لأول عهدها عدة من الكتب التى ترجمها بعض أعضاء البعثات العلمية فى مختلف العلوم والفنون التى درسوها ، فكانت باكورة أعمالها فى نشر الكتب العربية

على أن مطبعة بولاق لم تقف عند هذا الحد المتواضع فى إخراج الكتب العربية ؛ وكانت المطابع العربية الأوربية ، ولا سيما فى ليدن وباريس ، قد نشطت منذ أوائل القرن التاسع عشر لاخراج طائفة كبيرة من الآثار العربية النفيسة على يد جماعة من أعلام المستشرقين ، فاتجهت الأنظار فى مصر إلى العناية بهذه المهمة ؛ ونشطت مطبعة بولاق إلى إحياء التراث الاسلامى بهمة فائقة ؛ وعكفت طوال القرن التاسع عشر على نشر الموسوعات والآثار العربية الجليلة ، وأسدت فى ذلك أعظم الخدمات للآداب العربية والثقافة الاسلامية ؛ ونظرة واحدة إلى ثبت الآثار الحافلة التى أصدرتها مطبعة بولاق تدل على فداحة المهمة التى اضطلعت بها ، وإلى مدى التوفيق الباهر الذى حققته فى إنجازها

***

وإلى جانب مطبعة بولاق ، قامت مطابع أهلية كثيرة ، ونشطت أيضاً إلى إخراج الكتب العربية ؛ وقد كان ميداناً جديداً يغرى بالكسب ، فأقبل الكثيرون على استثماره ؛ وأخرجت هذه المطابع الأهلية ، إلى جانب بولاق ، مئات من الكتب والآثار العربية الضخمة فى كل أنواع العلوم والفنون ، وأعادت طبع كثير مما نشرته بولاق فى طبعات رخيصة يسهل اقتناؤها ، وساهمت بذلك مساهمة قيمة فى إحياء الآداب العربية ونشرها

وهذا ما نريد أن نعرض اليه فى هذا المقال ؛ فقد انقطعت مطبعة بولاق منذ أوائل هذا القرن عن نشر الآثار العربية القديمة ، وحلت محلها فى ذلك دار الكتب المصرية ؛ ولكن دار الكتب تقوم فى هذا السبيل بمجهود بطىء جداً ، أما المطابع ودور النشر الأهلية فما زالت على نشاطها القديم فى إخراج الموسوعات والآثار العربية ، ومنها كثير لم ينشر من قبل ؛ ومن المحقق أنها ما زالت تؤدى بذلك خدمات قيمة لأحياء الآداب العربية

ولكن هذا النشاط إذا كان يحمد من بعض الوجوه ، فانه يثير اليوم كثيراً من وجوه الاعتراض والمؤاخذة ، وإذا كان قد ترك فى الماضى حراً طليقاً من كل قيد ، فان الظروف تقضى اليوم بضبطه وتنظيمه وتوجيهه بطريقة تحقق الغاية منه

بدأ هذا النشاط فى أواخر القرن الماضى ، والحركة الأدبية والثقافية فى مستهل نهضتها ، فكان هذا النشاط فى بعث الكتب العربية وإحيائها بالنشر والتداول من عوامل تمضيدها وتغذيتها ، ولم يكن من المستحسن يومئذ أن يعرض هذا النشاط لشىء من القيود التى يمكن أن تؤثر فى سيره ونمائه ، وذلك رغم ما كان يعتوره من أوجه النقص سواء فى اختيار الكتب التى يراد نشرها ، أو فى الصور المزرية التى كانت تنشر بها : ورق أصفر ردىء ، وطباعة حقيرة ، وأخطاء علمية ومطبعية لا حصر لها

أما الآن فقد تغيرت الظروف تغيراً واضحاً ، وازدهرت الحركة الفكرية ازدهاراً عظيما ، وظفرت مصر بطائفة كبيرة من المعاهد والمنشآت العلمية الراقية ، وغصت بالشباب المتعلم ، وأضحى مما لا يلائم ذوق العصر وأحواله ، بل مما يضر بسير الحركة الفكرية ذاتها ، أن يترك أمر نشر تراثنا العربى القديم فوضى دون ضابط ودون اشراف

فهناك موسوعات وآثار قيمة سبق نشرها فى طبعات جيدة وأضحت نادرة لقدم عهدها ، وهناك بدار الكتب المصرية مئات الآثار المخطوطة التى لم تنشر من قبل ؛ وهذه جميعاً يقوم على نسخها ونشرها جماعة من الناشرين المحترفين العاطلين من كل مؤهلات علمية أو أدبية ، والذين لا هم لهم سوى الكسب الوفير ، فيخرجونها فى نفس الأثواب والصور المزرية التى ألفناها منذ القرن الماضى ، ويتقاضون فيها أثماناً فاحشة لا مبرر لها ، منتهزين فرصة ندرتها إن كانت مما نشر ، أو ظهورها لأول مرة إن كانت مما لم ينشر من قبل

وقد اتسع نطاق هذه الحركة فى العهد الأخير اتساعا واضحاً ؛ وألفى الناشرون المحترفون فيها سوقا رابحة ؛ فكثر تهجمهم على الآثار النفيسة مخطوطة وغير مخطوطة ؛ وأخذوا ينشرونها فى استهتار وجرأة ، ممسوخة مشوهة ، مشحونة بالأخطاء الشائنة

لا يتكلفون فى إخراجها سوى الطباعة الرديئة ؛ ثم يبيعونها بأثمان فاحشة ، كأنهم هم الذين ألفوها وأجهدوا أنفسهم فى وضعها وكتابتها .

ولا يخفى ما لهذا النشر المشوه لآثارنا القديمة من نتائج سيئة ، فهو خلو من كل ضمانة أو غاية علمية أو أدبية ، ولا تحدوه سوى روح الكسب المجرد ؛ ومن ثم كانت الصور المثيرة المزرية التى تصدر بها أجل آثارنا الأدبية ، والتى كثيرا ما تصد الشباب المتعلم عن تناولها ؛ وهو من جهة أخرى عامل كبير فى إحجام علمائنا وأدبائنا عن المساهمة فى هذا المجهود مع رغبة الكثيرين منهم فى القيام على نشر بعض الآثار القديمة التى توفروا على دراستها وتحقيقها ؛ ذلك لأن جهودهم العلمية الغالية ، وحرصهم على نشر هذه الآثار فى أثواب مقبولة لائقة ، وما ينفقونه فى هذا السبيل من الجهد والمال ؛ كل ذلك يقعد بهم عن مجاراة هذا النشاط التجارى المحض ، العارى عن كل درس وتحقيق

ونحن نعرف ما يتكبده العلماء المستشرقون من الجهود الفادحة فى إخراج آثارنا القديمة ، والتوفر على دراستها وتحقيقها والتعليق عليها بدقة تثير الاعجاب ، واخراجها دائما فى أثواب أنيقة محترمة

ولهذا كله نرى أن الوقت قد حان لتعنى السلطات المختصة بالعمل على مراقبة حركة إحياء الآثار العربية القديمة ، وتوجيهها وتنظيمها تنظيما يتفق مع ما لتراثنا القديم من كرامة علمية ، ويلائم فى نفس الوقت حاجات العصر وذوقه وروحه . ويلوح لنا أن دار الكتب المصرية ، وهى وريثة بولاق فى الاضطلاع باحياء الآداب العربية ، هى أول سلطة أدبية يمكن أن تضطلع بمثل هذا الاشراف العلمى . ذلك أنها هى مستودع تلك الآثار الجليلة المخطوطة التى ترنو اليها أنظار الناشرين المحترفين من كل صوب ، فيقبلون عليها بالنسخ المحرف ، والنشر المشوه ، لا يتكلفون فى ذلك شيئا ، ولا يصدهم قيد أو إشراف ؛ وقد تكون هذه الآثار مما حصلت عليه دار الكتب من الخارج بالتصوير ، وأنفقت فى سبيله كثيرا من الجهد والمال

ونحن لا نطلب أن تقوم دار الكتب بمنع النسخ والنشر ؛ ولكننا نطلب اليها فقط أن تقوم بالاشراف عليها إشرافا فعلياً ، وأن تضع لذلك نظاماً يكفل تحققها من وجود بعض الضمانات العلمية والمالية فى الناشرين أنفسهم ، فاذا لم تتوفر الضمانات العلمية — وهى غالبا غير متوفرة — اشترط أن يقوم بالاشراف على النشر شخص تتوفر فيه مثل هذه الضمانات . ويجب أن تمتد هذه الرقابة حتى صدور الكتاب ، وأن يراعى صدوره فى ثوب لائق ، وأن يحدد ثمنه بعد صدوره بنسبة معقولة من تكاليفه ؛ ويصح أن تتولى دار الكتب الاشراف العلمى على الكتاب ذاته لقاء أجر معين ، ويصح لها أن ترفض التصريح بالنسخ والنشر إذا لم تتوفر مثل هذه الضمانات ؛ ويجب على أى حال أن يشمل هذا الاشراف كل أثر مخطوط ينشر فى مصر ، سواء استنسخ من دار الكتب ذاتها ، أو من أى مكتبة أخرى عامة أو خاصة ، فى الداخل أو الخارج ، لأن الغرض هو الاشراف العلمى على حركة إحياء الآداب العربية فى مصر ، ويجب أن يكون هذا الاشراف كاملاً شاملاً

ويمكن من جهة أخرى أن تتعاون المعاهد العلمية مع دار الكتب فى هذه المهمة ، فتشترك الجامعة المصرية والأزهر فى تنظيم هذا الاشراف

هذا ولا بأس أن تفرض الحكومة ضريبة معينة على نسخ الكتب المخطوطة التى لم تنشر من قبل ، وعلى نشرها إذا كان النشر لغاية تجارية ؛ وتقدر هذه الضريبة بحسب حجم الكتاب أو أهميته ؛ ويعفى العلماء من أدائها فى جميع الأحوال ؛ ويرصد دخلها لتوسيع حركة احياء الآداب العربية التى تقوم بها دار الكتب

إن الحق فى نشر آثارنا القديمة ملك للدولة ، وهى الأمينة عليها ؛ وإذا كان مما يرغب فيه دائما أن يشجع الاقدام على نشر هذه الآثار ، فان مما يرغب فيه أيضاً ألا يكون هذا النشر بضاعة مبتذلة يستثمرها الجهلاء لغايات تجارية محضة ، وألا يحاط بكل الضمانات المعقولة التى تكفل تحقيقه على الوجه اللائق المرضى

هذه ملاحظات واعتبارات حان الوقت لبحثها ، وقد أصبح من واجب السلطات المختصة أن تنشط لحماية تراثنا الأدبى من تلك الفوضى المثيرة ، وأن تعمل لصونه من ذلك الابتذال الشائن ، وأن تقوم أخيراً على تنظيم نشره ، وتوجيهه بطرق موقرة مستنيرة

**محمد عبد الله عنان**

# من مسرات الحياة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال ابن خفاجة الأندلسى الشاعر :

وشأن مثلى أن يُرَى خالياً ... بنفسه يبحث عن نفسه

وكنت كلما قرأت هذا البيت أعجب كيف لم ينظم قائله شعراً كثيراً فى بحث ميول النفس وأحاسيسها وتعليلها وتحليلها ، وقد ذكر فى بيته هذا أن من شأنه أن يخلو بنفسه يبحث عن نفسه . ومن كان هذا شأنه فَحَص النفس الانسانية على اختلاف ترتبها ، وهذا عمل العمر وأكثر من العمر ؛ وهو أيضاً لذة متجددة ، وإن أدى البحث إلى مايؤدى اليه بحث قاع الجب أو قاع البحر وما فيه من در ولؤلؤ ومرجان وغابات بحرية وأعشاب وأحياء تقتتل ويفنى بعضها فى بعض ووحوش بحرية غريبة مجهولة ، وجيف ورمم ، وكنوز ثمينة فى بقايا السفن الغارقة ؛ فهكذا قاع النفس أيضاً لدى من يسبر غورها ويغوص فى أعماقها . وسطح النفس أيضاً مثل سطح البحر ، لج وخرير ، وشمس تتلألأ أشعتها ، ونسيم عليل ، ومنظر بهيج هادئ ، أو عواصف وأعاصير ، ومرأى رائع جليل . وإذا كانت بعض مظاهر النفس تبعث الرهبة ، فان بعض بواطنها أدعى إلى الرهبة ، ولكن من الرهبة ما يستصحب المسرة ، كالرهبة التى يحسها المرء وهو يستطلع الأمر الغريب الرائع المخوف المجهول ؛ ومن أجل ما تستصحب من المسرة نشأ حب الاستطلاع لما يستدعى المخاطرة من مستطلعه

ولعل ابن خفاجة فى بحثه النفس كان ينظر اليها نظرة المستريح فى ظل الشجرة يفكر فيما حوله وكأنه لا يفكر ، فان فى مثل حالة هذا المستريح تفكيرا كلا تفكير ، وبحثاً كلا بحث ، فهو تفكير يقنع فيه المرفه نفسه بالنظر إلى المرئيات وألوانها وأجزائها من غير أن يعنى نفسه بالبحث عن سرها خشية أن تضيع لذة الراحة والدعة ؛ فشأنه شأن المسحور لا حراك له ، وفكره أيضاً لا حراك له ، ويخيل اليه فى مثل هذه الحال كأن الدهر قد أوقف دورته واستراح ، وكأنما يخشى أن يفك عنه الحراك سحر التأمل ولذته المطلقة التى لا تتقيد بتقصى الأسرار والمسببات ، ولا هى مثل لذة المُخَاطر الذى يرى فى مشقة استطلاع الغريب المخوف مسرة كما أوضحنا

على أن من الميسور أن ندرك ابن خفاجة فى حالة أخرى من حالات بحث النفس ، وهى الحالة التى يغوص الفكر على العويص الغائر من أسرارها ، ويحس لذة فى غوصه تملأ جوانب نفسه حتى تشغله عن لذة التعبير عما يراه فى بحثه تعبيرا فنياً ، فانى لا أحسب ابن خفاجة رأى أن تتبع حركات النفس وخطراتها وأحاسيسها فى شعره غير لائق بشعره إذ أى شئ ألصق بالقريض من النفس وأحوالها وميولها وخطراتها ، فالشعر هو لغة النفس وموسيقاها ، ومقر كنوزها وحكمتها وأسرارها

ولكن للبحث فى النفس مسرات مختلفة ، قد تفترق وقد يتصل بعضها وينال فى وقت واحد ، فمسرة فيما يجلبه التعبير الفنى عن أحاسيس النفس من ارتياح الفنان الصانع فى صنعه ، ومسرة أخرى فيما تجلبه مشاهدة أطوار النفس والتأمل فى أحوالها من الارتياح كارتياح مشاهد القصة التمثيلية فى تتبع روعة فن القصة كما يبرزه الممثل

وهذا الارتياح غير ارتياح المسحور المأخوذ بما يراه من المنظر الطبيعى أو الصورة الفنية النادرة ، وارتياح المسحور هذا هو أيضاً مسرة أخرى فى التأمل فى النفس البشرية

ولكل مسرة من هذه المسرات الثلاث قيمة فى الحياة ، وكل منها تعين المرء على تحمل متاعب الحياة وآلامها ، بل إنها لتعين اليائس بما فيها من لذة فن البحث والتقصى على تحمل ما يحس من يأس من النفس البشرية إذا لم يستطع غير اليأس منها . وكل إنسان له نصيب من هذه المسرات الثلاث ، فكل فنان ، وكل إنسان يعبر عما يراه فى أعماق النفس تعبيراً فنياً ، إما فى ثنايا ما يسلى به نفسه فى خلوته من الأغانى والأناشيد ، وإما فيما يفوه به من الأمثال العامية أو غير العامية ، وإما فى آهاته وأناته وأمانيه ، وإما فى ثنايا قصصه ونكاته وفكاهاته ، وفى مجالسه ومباذله ، وفيما يقول فى سخطه وحزنه وسروره ، أو فى نثره وشعره إن كان ناثراً أو شاعراً ، أو فى أدوات الفنون الأخرى من نحت أو تصوير أو موسيقى

وكما أن كل إنسان ينال نصيباً من لذة الفنان المعبر عن النفس تعبيراً فنياً ، فكل إنسان ينال أيضاً نصيباً من مسرة المشاهد

لقصة الحياة والنفس التى تمثل أمامه ، وكل نفس تحاول أن تحول كل ما يمر بها من الحوادث الى قصة وفن وإن لم يفطن أكثر الناس الى هذه المحاولة فى أنفسهم ، وكلما اضطر الانسان الى الخروج عن نشوة التأمل الشاهد لفن قصة الحياة والنزول الى ميدان الألم الممض والأحزان ، أدى واجبه من ألم الحياة وأحزانها مما لا مفر منه ، ورجع بأسرع ما يستطيع الى موقف المعبر عن الحياة والنفس ، أو الى موقف الشاهد لقصتها ، حتى إنه ليحول أو يحاول أن يحول آلامه وأحزانه الى قصة وفن وإن لم يشعر بتلك المحاولة من نفسه ، لأنها فى كثير من الأحوال محاولة طبيعية لا تعمد فيها ولا تصنع ، وإن كانت أحياناً تستلزم عملاً ظاهراً يلفت المرء الى مجراها من نفسه كما يكون شأنها عند الفنانين

وإذا لم يستطع المرء أن يسرع فى التنقل من موقف المؤدى واجبه المفروض من آلام الحياة وأحزانها الى مواقفه الأخرى التى ذكرت حاول أن يجمع بين الأمرين فى وقت واحد بأن يقف من آلامه التى يعانيها موقف الممثل من آلام الشخص الذى يمثله فى القصة ، فيجمع الانسان وقتئذ فى نفسه نفسين ، كما يجمع الممثل بين نفسه ونفس من يمثل ، سواء أكان هامليت أو الملك لير أو عطيل الخ

وترى المرء وهو فى هذه الحال وفى دموع حزنه معنى آخر مع ما فيها من معنى الحزن والألم

وإذا لم تستطع النفس أن تقف موقف الممثل من آلامها وشجونها التجأت الى موقف المسحور المأخوذ بصور الحياة ومناظر النفس سواء أكانت بهجة أو غير بهجة ، وُقلْ إنها تسحر بها فى بعض الحالات كما تسحر بمناظر الجلال والروعة من مناظر الطبيعة الهائلة . وهذا أيضاً تحول من النفس والتجاء طبيعى لا تعمد فيه فهو قلما يحسُّ ، وكلما كان نصيب المرء أوفر من ملكات التحول والالتجاء ، أو ُقلْ الهرُب والنجاة من حوادث الحياة ، كانت سيطرته على آلام الحياة أعظم ، لأن هذا التحول إنما هو وسيلة من وسائل مكافحة آلام الحياة لا يحتاج المرء اليها إلا بعد الوسائل الأخرى

ومن المشاهد أن النفوس عند وقوفها موقف الممثل من آلامها وحوادث أيامها تختلف فى منحاها ، فنفوس يكون موقفها أشبه بموقف ممثل الجد ، ونفوس موقفها أشبه بموقف ممثل الهزل ، والأولى قلما يفطن الناس إلى موقفها التمثيلى ، والثانية قد يفطن الناس إلى موقفها التمثيلى لبعد ما بين حقيقة حالها وهزلها . ولعل فطنة الناس إلى موقفها التمثيلى تكون فى الحالتين بمقدار قلة اتقانها لدورها أكثر مما يكون لميل موقفها الى الجد أو الهزل ؛ والمرء فى هذا الموقف النفسانى التمثيلى هو باحث متفهم لدوره دارس له كما يتفهم الممثل دوره ويدرسه حتى ولو كان ممن يجيدون التمثيل بالسليقة من غير طول عناء فى التفهم والدرس ؛ ومسرته إذن متصلة بمسرات البحث فى النفس والحياة

ولعل قائلاً يقول إن بحث النفس بحث معاد مملول يجلب السأم ، وإن النفس كالتاريخ الذى يعيد نفسه ؛ لكن النفس إذا أعادت تاريخاً من تواريخها لم تعده بالنص ، وقد يأتى التاريخ مع الأسباب والمسببات القديمة بحوادث جديدة تستدعى التأمل وربط المسببات بالأسباب ، وهذا ليس بالأمر الهين ولا هو بالأمر المعاد المملول ، ثم إن تحت ما هو معاد مملول من أطوار النفس وأسبابها أسباباً أخرى لا يصل إليها التقصى ، وأعماقاً يعجز الغائص عن سبر غورها وفيها مجال واسع لحب الاستطلاع الغريب حتى يأتى الموت فيسدل ستاره على لعب الحياة المقدس إلا إذا مل المرء البحث من اليأس والعجز عن بلوغ غور النفس لا من العرفان

والانسان فى رحلة الحياة كالمسافر الجواب للأقطار ؛ وترى بين ذوى الأسفار من يتعجب من كل أمر ، ومن يضحك من كل شىء ؛ ومنهم من يتأفف من كل أمر ، ومن يسخر من كل شىء ؛ ومنهم من يتحمل أشد مشقة من شغفه باستطلاع الغريب أثناء أسفاره . والناس أيضاً فى رحلة الحياة الدنيا يختلفون فى أهوائهم ؛ ومنهم من يتحمل أيضاً أشد مشقة وأمض ألم من شغفه باستطلاع الغريب مما تأتى به الأيام والليالى أو ما يراه فى بحث النفوس البشرية . ومن ذوى الأسفار فى أقطار الأرض من يحكم على قوم بحالة واحدة رآها فى أحدهم ، شأنه شأن الانسان فى رحلة الحياة الدنيا يحكم على النفوس بحالة واحدة يحولها إلى قاعدة ونظرية عامة . وذوو الأسفار فى الأقطار كالانسان فى رحلة الحياة قد يتعجب ويستغرب الطبيعى المألوف من عادات الناس أو أحوال نفوسهم وأخلاقهم لأن الانسان ذو خيال يتوقع به أن يرى الناس على ما يود من أخلاقهم وعاداتهم وعلى ما يسره ويرضيه وينفعه منها ،

**أعلام الإسلام**

# سَعِيد بنُ المسَيِّب

بقلم السيد ناجى الطنطاوى

## اسمه ونسبه ومولده

هو أبو محمد ، سعيد بن المسيّب بن حزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤىّ بن غالب القرشىّ المخزومىّ التابعىّ المدنىّ

وأبوه المسيّب وجده حزْن صحابيان أسلما يوم فتح مكة . والمسيّب بفتح الياء وكسرها ، والفتح هو المشهور ، ومذهب أهل المدينة الكسر . وقد روى عنه أنه كان يقول بكسرها ويقول : سيّب الله من يسيّب أبى

---

فاذا اطلع على المألوف مما لا يود منها فاجأه مفاجأة غير المألوف ، وهذا من أثر أنانيته التى تغالط نفسه مغالطات مختلفة ، فمرة تغالطه حتى يتوقع من أخلاق الناس الحسن النافع له ، ومرة تغالطه حتى يتوقع السيء الذى يتباهى بالخلو منه ، وقد لا يكون ذلك الحسن ولا ذلك السيء من خصال أو عادات الذين ينعتهم ، ولكنه يرجو النفع لنفسه فى الحالين إما بتوقع الحسن منهم كى يستفيد ، وإما بتوقع السيء كى يعلو بمنزلة نفسه عنهم ، فليس كل بحث فى النفس مصيباً ، فالناس فى بحث النفوس كالعميان فى القصة وقد تلمسوا الفيل من نواح وأطراف مختلفة ، فقال أحدهم وقد لمس ساقه إن الفيل كالدعامة المستديرة ؛ وقال آخر وقد لمس سنه إنه كالعصا الغليظة ؛ وقال ثالث وقد لمس أذنه إنه كالمروحة ؛ وأدى بهم الغيظ والغضب لما حسبوه حقاً إلى التقاتل كما يتقاتل الناس غضباً لما يحسبونه حقاً فى الحياة . ولعل لذة المفاجأة المتجددة والتى تنفى الملل عن الانسان تعوضه من ألم الحسرة ، على أن الحياة والنفوس لا تأتى له بكل ما يرتضى ويشاء

عبد الرحمن شكرى

وأمه أم سعيد بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلمى . وحدث سعيد بن المسيب أن جده حزناً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما اسمك ؟ قال : أنا حزن ، قال : بل أنت سهل . قال : يا رسول الله ؛ اسم سمانى به أبواى فعرفت به فى الناس . قال : فسكت عنه النبى عليه السلام . وكان سعيد بن المسيب يقول : ما زلنا نعرف الحزونة فينا أهل البيت

أما تاريخ ولادته فقد اختلف فيه المؤرخون ، وتنحصر رواياتهم بين سنة ١٣ هجرية ( بعد استخلاف عمر بن الخطاب بسنتين ) وسنة ٢١ هجرية ( قبل موت عمر بسنتين ) ، والمرجح أنه ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، أى سنة ١٣ هجرية لأن أكثر الروايات تؤيدها ويؤيدها قوله : ولدت لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب

واختلف المؤرخون أيضاً فى ادراكه عمر ، فقد روى ابن سعد عن سعيد أنه قال : سمعت من عمر كلمة ما بقى أحد حى سمعها غيرى : كان عمر حين رأى الكعبة قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام

وعنه أيضاً أنه قال : سمعت عمر بن الخطاب على هذا المنبر يقول : عسى أن يكون بعدى أقوام يكذبون بالرجم . يقولون لا نجده فى كتاب الله ، لولا أن أزيد فى كتاب الله ما ليس فيه ، لكتبت أنه حق ، قد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجم أبو بكر ورَجمت . أما بكَيْر بن الأشج فيروى أن سعيد بن المسيب سئل هل أدركت عمر فقال ؟ لا

ويقول الامام مالك : لم يدرك عمر ، ولكن لما كبر أكب على المسألة عن شأنه وأمره . ويقول ابن معين : رأى سعيد عمر وكان صغيراً ابن ثمانى سنين ، وهل يحفظ ابن ثمانى سنين شيئاً ؟

## شيوخه وتلاميذه

أخذ سعيد بن المسيّب علمه عن أبى هريرة ـ وكان زوج ابنته ـ وجل روايته المسندة عنه . وسمع من عمر وعثمان وعلى . وسمع من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم : عائشة وأم سلمة . وكان يقال : ابن المسيّب راوية عمر ، قال الليث : لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته ، وروى عن أبى ذر ، وجبير بن مطعم ،

وحكيم بن حزام ، ومعاوية ، وسعد بن وقاص ، وخولة بنت حكيم ، وغيرهم

وروى عنه جماعة من أعلام التابعين منهم عمر بن عبد العزيز ومحمد بن شهاب الزهري ، وعمرو بن دينار ، وقتادة ، وابنه محمد ، وأبو الزناد ، وعطاء بن أبي رباح ، ومحمد الباقر ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وغيرهم كثير

## علمه وأقوال العلماء فيه

قال سعيد : ما بقى أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر مني . ( قال الراوى ابراهيم ابن سعد عن أبيه ) وأحسبه قال وعثمان ومعاوية

وقال يزيد بن مالك : كنت عند سعيد فحدثني بحديث فقلت له : من حدثك بهذا ؟ فقال يا أخا أهل الشام خذ ولا تسأل فانا لا نأخذ إلا عن الثقات

وقال مالك : بلغني أن سعيد بن المسيّب قال : إن كنت لأسير الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد

وقال قدامة بن موسى الجمحي : كان سعيد بن المسيّب يفتى وأصحاب رسول الله صلى الله عليه أحياء

وقالوا : كان سعيد جامعاً ، ثقة ، كثير الحديث ، ثبتاً ، فقيهاً ، مفتياً ، مأموناً ، ورعاً ، عالياً ، رفيعاً

وقال محمد بن يحيى بن حبّان : كان رأس من بالمدينة فى دهره ، المقدّم عليهم فى الفتوى سعيد بن المسيّب ، وكان يقال : هو فقيه الفقهاء

وقال مكحول : سعيد بن المسيّب عالم العلماء . وقال أيضاً : ما حدثتكم به فهو عن سعيد بن المسيب والشّعبي

وعن ابن أبي الحويرث أنه شهد محمد بن جبير يستفتى سعيد ابن المسيّب

وقال علىّ بن الحسين : سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفقههم فى زمانه

وقال ميمون بن مهران : أتيت المدينة فسألت عن أفقه أهلها فدفعت الى سعيد بن المسيّب فسألته

وقال شهاب بن عبّاد : حججت ، فأتينا المدينة فسألنا عن أعلم أهلها ، فقالوا سعيد بن المسيّب

وكان عبد الله بن عمر إذا سئل عن الشيء يشكل عليه قال : سلوا سعيد بن المسيّب فانه قد جالس الصالحين

وقال يحيى بن سعيد : أدركت الناس يهابون الكتب ، ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم سعيد ورأيه شيئاً كثيراً

وقال قتادة : ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه ، وقال أبو حاتم : هو أثبت التابعين فى أبى هريرة

وقال الزهري : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام

وقال القاسم بن محمد : هو سيدنا وأعلمنا ، وقال ابن عمر : هو والله أحد المتقنين ، وقال ابن شهاب : قال لى عبد الله بن ثعلبة ابن أبي صعيران : كنت تريد هذا ، يعنى الفقه ، فعليك بهذا الشيخ سعيد بن المسيب

وقال مكحول : طفت الأرض كلها فى طلب العلم ، فما لقيت أعلم منه . وقال سليمان بن موسى : كان أفقه التابعين

وقال يحيى بن معين : مرسلات بن المسيّب أحب إلىّ من مرسلات الحسن

وقال أبو طالب : قلت لأحمد بن حنبل : سعيد بن المسيب ؟ فقال : ومن مثل سعيد ؟ ثقة من أهل الخير . فقلت له : سعيد عن عمر حجة ؟ قال : هو عندنا حجة ، قد رأى عمر وسمع منه ، وإذا لم يقبل سعيد عن عمر ، فمن يقبل ؟

وقال أحمد : مرسلات سعيد صحاح ، لا نرى أصح من مرسلاته

وقال ابن المديني : لا أعلم فى التابعين أوسع علماً من سعيد ابن المسيب

قال : وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به ، قال : هو عندى أجل التابعين

وقال الشافعي : إرسال بن المسيب عندنا حسن

وقال مالك : بلغني أن عبد الله بن عمر ، كان يرسل إلى ابن المسيب ، يسأله عن بعض شأن عمر وأمره

وقال قتادة : كان الحسن إذا أشكل عليه شيء كتب إلى سعيد بن المسيب

وقال العجلي : كان رجلاً صالحاً فقيهاً

وقال أبو زرعة : مدنى قرشى ثقة إمام

وقال ابن حبان فى الثقات : كان من سادات التابعين فقهاً وديناً وورعاً وعبادة وفضلاً ، وكان أفقه أهل الحجاز

وقال الجاحظ : كان أبو بكر رضى الله عنه أنسب هذه الأمة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد ابن المسيب

### منزلته عند الخلفاء والولاة

قال مالك بن أنس : كان عمر بن عبد العزيز لا يقضى بقضاء حتى يسأل سعيد بن المسيب ، فأرسل إليه إنساناً يسأله ، فدعاه فجاء ، فقال عمر : أخطأ الرسول ، إنما أرسلناه يسألك فى مجلسك

وقال أيضاً : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما كان بالمدينة عالم إلا يأتينى بعلمه . وأوتى بما عند سعيد بن المسيب

### تعبيره الرؤيا

قال محمد بن عمر : كان سعيد بن المسيّب من أعبر الناس للرؤيا ، وكان أخذ ذلك عن أسماء بنت أبى بكر ، وأخذت أسماء عن أبيها

وقال عمر بن حبيب بن قليع : كنت جالساً عند سعيد ابن المسيّب يوماً ، وقد ضاقت علىّ الأشياء ورهقنى دين ، فجلست إلى ابن المسيّب ما أدرى أين أذهب ، فجاءه رجل فقال : يا أبا محمد إنى رأيت رؤيا . قال ما هى ؟ قال : رأيت كأنى أخذت عبد الملك بن مروان ، فأضجعته إلى الأرض ، ثم بطحته فأوتدت فى ظهره أربعة أوتاد . قال : ما أنت رأيتها . قال : بلى أنا رأيتها . قال : لا أخبرك أو تخبرنى . قال : ابن الزبير رآها وهو بعثنى اليك . قال : لئن صدقت رؤياه قتله عبد الملك بن مروان ، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة . قال : فدخلت إلى عبد الملك بن مروان بالشام فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيب فسرّه ، وسألنى عن سعيد وعن حاله فأخبرته ، وأمر لى بقضاء دينى وأصبت منه خيرا

وقال رجل : رأيت كأنّ عبد الملك بن مروان يبول فى قبلة مسجد النبى أربع مرار ، فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب ، فقال : إن صدقت رؤياك قام من صلبه أربعة خلفاء

وقال شريك بن أبى نَمِر : قلت لابن المسيب رأيت فى النوم كأن أسنانى سقطت فى يدى ثم دفنتها . فقال ابن المسيب : إن صدقت رؤياك ، دفنت أسنانك من أهل بيتك

وقال رجل لابن المسيب : إننى أرانى أبول فى يدى . فقال اتق الله ، فان تحتك ذات محرم ، فنظر فاذا امرأة بينها وبينه رضاع

وجاءه آخر فقال : يا أبا محمد إنى أرى كأنى أبول فى أصل زيتونة . قال : انظر من تحتك ، تحتك ذات محرم ، فنظر فاذا امرأة لا يحل له نكاحها

وقال له رجل : إنى رأيت حمامة وقعت على المنارة ، منارة المسجد ، فقال : اذبح اذبح . فقال : ذبحت . قال : مات ابن أمّ صلاء ، فما برح حتى جاءه الخبر أنه قد مات

وقال رجل من فهْم لابن المسيب إنه يرى فى النوم كأنه يخوض النار ، فقال : إن صدقت رؤياك لا تموت حتى تركب البحر ، وتموت قتلاً . فركب البحر فأشفى على الهلكة ، وقتل يوم قُدَيد بالسيف

وقال الحصين بن عبيد الله بن نوفل : طلبت الولد فلم يولد لى ، فقلت لابن المسيب : إنى أرى أنه طرح فى حجرى بيض . فقال ابن المسيب : الدجاج أعجمى ، فاطلب سبباً إلى العجم . قال : فتسرّيت فولد لى ، وكان لا يولد لى

وكان سعيد بن المسيب يقول للرجل إذا رأى الرؤيا وقصها عليه : خيراً رأيت . وقال ابن المسيب : التمر فى النوم رزق على كل حال ، والرُّطب فى زمانه رزق

وقال أيضاً : آخر الرؤيا أربعون سنة ، يعنى فى تأويلها

وقال أيضاً : الكبل[1] فى النوم ثبات فى الدين

وقال له رجل : يا أبا محمد ، إنى رأيت كأنى جالس فى الظلّ فقمت إلى الشمس . فقال ابن المسيب : والله لئن صدقت رؤياك لتخرجنّ من الاسلام . فقال : يا أبا محمد ، إنى أرانى أخرجت حتى أدخلت الشمس فجلست[2] ، فقال : تكره على الكفر . قال : فخرج فى زمان عبد الملك بن مروان فأسر فأكره على الكفر ، ثم قدم المدينة ، وكان يخبر بهذا

( يتبع ) ناجى الطنطاوى

---

(١) الكبل هو القيد الضخم

(٢) خسل الشىء رذل وردىء والمخسول المرذول

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربى

# اشتغال العرب بالأدب المقارن

أو ما يدعوه الفرنجة « littérature comparée »

## فى كتاب تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر

لفيلسوف العرب أبى الوليد بن رشد

[ تابع المنشور فى العدد الماضى ]

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوى

ومنه قول المتنبى :

عدوك مذموم بكل لسان ... ولو كان من أعدائك القمران

لو الفلك الدوار أبغضتَ سيرَه ... لعوّقه شىء عن الدوران

وهذا كثير موجود فى أشعار العرب ، ولا نجد فى الكتاب العزيز منه شيئاً ، إذ كان يتنزل من هذا الجنس من القول ، أعنى الشعر ، منزلة الكلام السوفسطائى من البرهان ؛ ولكن قد يوجد للمطبوع من الشعراء منه شىء محمود كقول المتنبى :

وأنى اهتدى هذا الرسولُ بأرضه

وما سكنت مذ سر فيها القساطل

ومن أى ماء كان يسقى جياده ؟

ولم تصف من مزج الدماء المناهل

وقوله :

لبسن الوشى لا مُتجملات ... ولكن كى يصن به الجمالا

وضفّرن الغدائر لا لحسن ... ولكن خفن فى الشعر الضلالا

وههنا موضع آخر مشهور من مواضع المحاكاة يستعمله العرب وهو اقامة الجمادات مقام الناطقين فى مخاطبتهم ومراجعتهم إذا كانت فيها أحوال تدل على النطق ، كقول الشاعر :

وأجهشت للتوباد لما رأيته ... وكبر للرحمن حين رآنى

فقلت له : أين الذين عهدتهم ... حواليك فى أمن وخفض زمان

فقال: مضوا واستودعونى بلادهم ... ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

ومن هذا الباب مخاطبتهم الديار والأطلال ومحاورتها لهم كقول ذى الرمة :

وأسقيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمنى أحجاره وملاعبه

وقول عنترة

أعياك رسم الدار لم يتكلم ... حتى تكلم كالأصم الأعجم

يا دار عبلة بالجواء تكلمى ... وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

وذكر أرسطو أن هوميروس كان يعتمد هذا النوع كثيرا

واجادة القصص الشعرى والبلوغ به الى غاية التمام أن يكون متى بلغ الشاعر من وصف الشىء أو القضية الواقعة التى يصفها مبلغاً يرى السامعين له كأنه محسوس ومنظور اليه وهو كثير فى شعر الفحول ، لكن إنما يوجد هذا النحو من التخييل للعرب إما فى أفعال غير عفيفة ، وإما فيما القصد منه مطابقة التخييل فقط . مثال الأول قول امرىء القيس :

سموت اليها بعد ما نام أهلها

سمو حباب الماء حالاً على حال

فقالت : سباك الله إنك فاضحى

ألست ترى السمار والناس أحوالى

فقلت : يمين الله أبرح قاعدا

ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

ومثال الثانى قول ذى الرمة يصف النار :

وسقطٍ كعين الديك عاودت صحبتى

أباها ، وهيأنا لموقعها وكرا

فقلت لها ارفعها اليك وأحيها

بروحك واقتته لها قيتة قدرا

وظاهر لها من يابس الشخت واستعن

عليها الصبا واجعل يديك لها سترا

والمتنبى أفضل من يوجد له هذا الصنف من التخييل ، ولذلك يحكى عنه أنه كان لا يريد أن يصف الوقائع التى لم يشهدها مع سيف الدولة ، على أن تعديد كل مواضع المحاكاة مما يطول ، وإنما أشار أرسطو بذلك الى كثرتها واختلاف الأمم فيها

### نقد المحاكاة

أراد بهذا الباب أن يبدى المعايب التى يجب على الأديب أن يجتنبها لأنها من عيوب الانشاء . واستشهد على ذلك بهوميروس فقد كان يعمل صدراً يسيراً ثم يتخلص الى ما يريد محاكاته من

غير أن يأتى فى ذلك بشىء لم يُعتد لكن ما قد اعتيد ، فان غير المُعتاد مُنكر . ولعله دل بذلك على مظهر من مظاهر البساطة التى يزداد بها الكلام روعة وتسلسلاً . فكلما كان الكلام بسيطا ممتنعاً كان أذهب فى البلاغة وأبعد فى الروعة . ولعل ابن رشد أراد أن يجد مغمزاً فى الشعراء الذين يحيدون عن غرضهم الموصوف الى أغراض مختلفة ليست من الموضوع فى شىء كالنسيب والغزل المتكلف البالى ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . ثم يرى أن يكون التركيب على المشهور عندهم سهلاً عند النطق ، وهو عند العرب الفصاحة . وأما أنواع المحاكاة غير المقبولة فعدّ أشهرها :

منها أن يحاكى بغير ممكن بل ممتنع ، وهو الذهاب فى اغراب الصورة حتى لا تطابق الواقع وغير الواقع ، كقول ابن المعتز يصف القمر فى تنقصه :

أنظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وإن هذا لممتنع

ومنها تحريف المحاكاة عن موضعها كما يعرض للمصور أن يزيد فى الصورة عضواً ليس فيها ، أو يصوره فى غير مكانه ؛ وقريب منه قول بعض المحدثين يصف الفرس :

وعلى أذنيه أذن ثالث من سنان السمهرى الأزرق

ومنها محاكاة الناطقين بأشياء غير ناطقة ، وذلك أن الصدق فى هذه المحاكاة يكون قليلاً والكذب كثيراً ، إلا أن يشبه من الناطق صفة مشتركة للناطق وغير الناطق كتشبيه العرب النساء بالظباء وبقر الوحش

ومنها أن يشبه الشىء بشبيه ضده أو بضد نفسه ، كقول العرب « سقيمة الجفون » فى الحسنة الفاضة النظر ، فان هذا ضد الصفة الحسنة ، وإنما آنس بذلك العادة

ومنها أن يأتى بالأسماء التى تدل على المتضادين . ومنها أن يترك الشاعر المحاكاة الشعرية ، وينتقل إلى الاقناع والأقوال التصديقية ، وبخاصة متى كان القول هجيناً قليل الاقناع كقول امرئ القيس يعتذر عن جبنه :

وما جبنت خيلى ولكن تذكرت

مرابطها من بَرْبعيص وميسرا

وقد يحسن هذا الصنف إذا كان حسن الاقناع أو صادقا كقول الآخر :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسى بأشقر مزبد

وعلمت أنى إن أقاتل واحدا أُقتل ، ولا ينكى عدوى مشهدى

فصددت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

فهذا القول إنما حسن لصدقه ، لأن التغيير الذى فيه يسير ، ولذلك قال القائل : يا معشر العرب لقد حسنتم كل شىء حتى الفرار

وأما أمثلة المحاكاة المبنية على التوبيخات فهى غير موجودة عندنا ، إذ كان شعراؤنا لم تتميز لهم هذه الأشياء ولا شعروا بها . ولا أدرى ما يريد ابن رشد بهذه التوبيخات ، فان كانت الاعتذاريات فللأدب العربى طائفة منها قد تكون قليلة ، ولكنها رائعة لطيفة المأخذ . وكفى باعتذاريات النابغة دليلاً ؛ ومن يجحد ما للمتنبى والبحترى من لطيف الاعتذار والتوبيخ والعتاب ؟

ثم ينتقل ابن رشد الى بحث صناعة الأشعار القصصية ، ويريد بها حوادث التاريخ فيقول : إن محاكاة هذا النوع من الوجود قليل فى لسان العرب (وكأنه يعترف ضمنا بوجود أنواع منه) وهوميروس هو أبرز من عندهم . ومن جيد ما فى هذا المعنى للعرب قول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق ؟ تركوا منازلهم ، وبعد أياد

أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فأرى النعيم وكل ما يُلهى به يوماً يصير الى بلًى ونفاد

وقد تدل هذه الأبيات الخالية من الروح القصصية على أن ابن رشد لم يتفهم جيداً ما أراد أرسطو بصناعة الأشعار القصصية . ذلك لأنه لم يتأت له أن يقف على هذه الصناعة ويعرف مناهجها . ولأن تكون هذه الأبيات الى باب العبر أحق من الحاقها بباب القصص . وما أكثر ما تتردد هذه النغمة فى شعر العرب ! وهى نغمة شاذة عن الألحان القصصية ، لأن الشاعر فيها يستلهم عاطفته ؛ والقصة لا يغنى فيها استلهام العاطفة وحدها . وكأن ابن رشد أراد أن يستنقذ حكمه كمؤرخ فاستطرد وقال : وقد أثنى أرسطو على هوميروس . وكل ذلك خاص بهم وغير موجود مثاله عندنا . إما لأن ذلك الذى ذكر غير مشترك للأكثر من الأمم ، وإما لأنه عرض للعرب فى هذه الأشياء أمر خارج عن الطبع وهو أبين !

(البقية فى العدد القادم)

خليل هنداوى

من الأدب الانكليزي

# ٢ – پرسى بشـــلى
## Percy - Shelley
### بقلم خليل جمعه الطوال

كان پروميتس هذا – كما تحدثنا عنه الأساطير الاغريقية – شخصاً سولت له نفسه الشريرة أن يسرق من السماء قليلاً من النار ، ولما استجاب للتجربة وارتكب جريمة السرقة ، غضب عليه إلـه أولب زيوس « Zeus » وهو عظيم آلهة اليونان وابن الالـهة « كرونس » والالـهة فيا Phera وشقيق نبتون . وكان من جراء غضبه عليه أن فصله عن زوجه آسيا Asia وأمر بشد وثاقه وتقييده إلى صخرة عظيمة ، حيث كانت العقبان تأتى فى كل يوم وتذيقه سوء فعلته وشر صنيعه بمخالبها المحـــددة ومناقيرها القوية . ثم ما لبث « زيوس » أن رجع عن غضبه لأسباب عديدة ، وأمر بحل وثاقه وبارجاع آسيا Asia اليه ثانية . وهكذا امتزجت روح المحبة فى الانسان بروح المحبة فى الطبيعة ، وتخلص كلاهما من الفناء الذى استحقاه بسبب جريمة پروميتس (١)

تناول شـلى هذه الأسطورة Mythology فوضعها فى قالب شعرى ، وكان قد تناولها من قبله وليم وردزورث ، الا أنه بينا يمتاز سبك وليم بما فيه من التحليل المنطقى وعمق الفكر الفلسفى . يمتاز شلى باتساع أفق الدائرة التى يسرح فيها خياله

ولعل قصـيدة پروميتس هذه هى خيرُ القصائد من نوعها التى تمثل لنا فكرة هدى البشرية بعد ضلالها . كانت شائعة عند اليونان وكثيراً ما ضمنها الشعراء أشعارهم ، ناهيك بما فيها من الكنايات والاستعارات ومن التشابيه والمجازات التى رمى بها الشاعر من وراء ستر كثيف الى أغراض بعيدة تجنباً لما كانت تلاقيه حرية الأفكار فى العصر الفكتورى من الارهاق والاذلال

وفى عام ١٨١٧ نظم قصيدة ثورة الاسلام The Revolt of Islam استفز فيها الشعور من ذلك السبات الذى تسرب اليها عن طريق ما مُنيت به الأفكار الثورية من الاخـفاق ، تلك الأفكار التى كان يُعلق عليها تحقيق مثله الأسمى ، والتى كان ينظر من ورائها الى ذلك العصر الذهبي الذى كونه له خياله . تطالع هذه القصيدة فتشعر بتيار ألفاظها السحرية ، وبنبرات مقاطعها النارية ، تجرى فى مفاصلك بشدة وعُنف ؛ وما ذلك إلا لأنه قد نظمها وعواطفه تماث فى قلبه من شدة تأثر حسه ووثوب خياله

وفى عام ١٨١٥ طرق شلى باب الأساطير Mythology لا اعتقاداً منه بصحتها بل ليرفه عن نفسه من جد الدرس ، وليدفع عنها سأم الحياة . ونذكر له من أمثلة هذا الشعر قصيدتين غنائيتين هما غاية فى الابداع وحسن الأداء وهما : القبرة Skylark ، والغيوم

ومن قصائده الغنائية الاخرى : أبولو ، إلى النيل ، نابولى ، هيلين ، الريح الغربية ، الثور ، المتجولون فى العالم ، الوقت ، ثم هيلاس التى تمثل لنا يقظة اليونان وثورتهم على الاتراك واستقلالهم

وعندما توفى صديقـه كيتس عام ١٨٢١ نظم فى رثائه قصيدة عامرة الأبيات ، ملأها بزفرات قلبه وفلذات كبده من شـدة ما ناله من الحزن لفقده ، ولا يحسب من يقرأها إلا أن شلى كان صنبورا من الدمع لا ينضب معينه على صديقه

الدرامة :

وقد حاول أن يؤلف درامة يصف فيها أحوال المجتمع ونظمه وعادات البيئة وطبقاتها ، فوضع لأول مرة رواية سنسى Cenci ، ثم رواية ريشارد الثانى ، إلا أن محاولته هذه باءت بالفشل وارتدت بالأخفاق ، ولا سيما إذا قيست بأولى محاولات شكسبير ونجاحها

ومع كثرة ما لشلى من الأشعار الغنائية ، فلا نكاد نجد له قصيدة واحدة تجمع إلى رقة العاطفـة وقوة الخيال انتظام الفكرة وابتكار المعنى . ونستطيع أن نقول خلاصـة لهذا الموضوع : إن خير ما نظمه شلى ظهر فى ست السنوات الأخيرة من حياته

أما القالب الذى كان يستوعب أفكاره وأخيلته فى غاية السبك والابداع ، بل كثيراً ما كان يُقوم من خياله المستكره الفسل ، ومن عواطفه النافرة المستعصية . ولقد شهد له بجمال الأسلوب وروعته وليم وردزورث بقوله : « كان شلى خيرنا

(١) لعل هذا تمثيل لخطيئة آدم وحواء الأصلية : راجع التوراة فصل ٣

أسلوباً وأكثرنا ملاءمة بين موسيقى اللفظ وجمال المعنى » .
وشعره الى جانب ذلك لا يكتظ بالكلمات اللاتينية التى يكتظ بها شعر ملتون وغيره . وهو أبعد الشعراء عن الأساليب الكلاسيكية ، وعن استعمال حوشى الكلام وغريب الألفاظ ومهجور التراكيب وأكثرهم جنوحاً إلى سهولة الاداء وإلى الألفاظ الجميلة المخارج والموسيقية الجرس ، يتناولها فيجعل منها مع المعنى لحناً موسيقياً بديعاً

وقد جمع معظم أشعاره فى ديوان عنوانه Shelley Poetical Work ظهرت الطبعة الأولى منه سنة ١٨١٩ فنفدت لسنتها لما كان لها من الرواج . ثم ظهرت طبعته الثانية عام ١٨٢١ حاوية لقصيدته الشهيرة alastor ألستور ، وهى ترجمة دقيقة الوصف لحياته وعواطفه التى كانت تختلج فى قلبه إذ يصف فيها مقدار ما يلقاه كل شاعر حر أمام نبوغه من العقبات الكأداء التى تفل من عزيمته وتحط من شاعريته . فهى صورة جلية نتعرف منها خبايا نفسه ومنبع شاعريته . وقد ضمن هذه الطبعة دفاعه عن الشعراء والشعر ضد مهاجمه « توماس بيكوك » أتى فيه على تعريف الشعر وتاريخه وفائدته فى اجتثاث سوءات المجتمع وتشذيب النفوس وصقل الذوق ، بعد أن فند آراء بيكوك بلهجة علؤها الحماس ونبرات تصحبها الثورة

وفى شلى يقول المؤرخ المشهور والكاتب المأثور ما كولى :
« لم أر فى حديث الشعراء من تقرأ أشعاره فتعلق بجملتها بشغاف قلبك إلا شلى . أما والله لقد جمع بين جزالة السلف ورقة الخلف ، وتعمد الاجادة فأصاب شاكلتها وبلغ غايتها ، فى حين أنه قصر دونها شعراء كثيرون من أترابه . » ومهما يكن فى هذه الشهادة من الغلو والاسراف ، فليس لنا سبيل إلى دفعها ودحضها ، ذلك لأن شلى قد توفى وهو فى سن الثلاثين قبل أن تنضج مواهبه

## شلى والحركة الابتداعية :

ترجع هذه الحركة فى تاريخها الى تلك البذرة التى بذرها السير فرنسيس باكون ( ١٥٦١ — ١٦٣٦ ) حين أهاب فى الأدباء مناديا بأن نظم الحضارة الأرستقراطية تفسد عاطفة الأدب الصالحة ، وتبهم عبارة البلاغة الواضحة ، وأن ليس لهم إلا الخروج عليها واقتفاء أثر الطبيعة فى جميع أغراض الأدب نظماً ونثراً ، بل وفى أنظمة الحياة الاجتماعية والسياسية ، إذ هى وحدها منبع جميع مشاعر الأديب الحسية ومُستقر ملكاته الخيالية :
وإذ كان بيكون غارس بذرة هذه الحركة ، فقد كان جان جاك روسو هو الذى تعهد تربتها ، وترعرعت فى عصره غرستها ، حتى آتت أكلها على يد وليم وردزورث ورفاقه ، وهم كيتس ، ووسلى ، وبيرون ، وشلى . وجميعهم يعنى بجمال الأسلوب قبل الفكرة ، ويعتمد على الخيال أكثر من الحقيقة ، ويهتم فى البحث عن أصول الأشياء واستجلاء غوامضها ، لا فى ذاتها ، بل فى الطبيعة على اعتبار أنها أجزاء منها ، وهم يجعلون موضوع دراستهم الرجل العادى لا الأرستقراطى ، ويمارسون الأدب على أنه من وسائل إصلاح المجتمع واجتثاث سوءاته لا على أنه فن قائم بذاته لا علاقة له بالهيئة الاجتماعية . وعلى هذا القياس فان درجة الشاعر تعظم فى نظرهم بمقدار ما يكون لاشعاره من الاصلاح ومن بليغ الأثر فى توجيه دفة الهيئة نحو هذا الاصلاح وتحويل الرأى العام إلى قبوله لا بمقدار ما تثيره من الشعور وتجلبه من عوامل اللذة الروحية المجردة . ويكره شلى من الشاعر خاصة أن يلجأ إلى بحوث عالجها الشعراء من قبله ، إذ لا يرى الى ذلك من ضرورة مطلقة لا سيما والطبيعة دائمة التحول والاستمرار ..

( البقية فى العدد القادم ) خليل جمعة الطوال

دراسات أدبية

# فى الأدب الايطالى الحديث

## تتمة

بقلم محمد أمين حسونه

وقد ذكر بابينى أن هذه الرواية هى قصة جيل كامل . والواقع أننا لا نلمس فيها سوى أثر الآلام التى يشكو منها جيل المثقفين من المرضى النورستانيين ، الذين تتسلط عليهم الأفكار السوداء ، فوقف تقدمهم الفكرى دون الخلق والابداع . وقد حاول بابينى فى هذه الرواية أن يطبق أصول الفلسفة العملية « البراجماتزم » ، وأن يخلط الجد بالهزل ليخرج لنا الحقائق الفاجعة ، والسخريات المرة اللاذعة

أما كتابه الذى أصدره فى غضون الأعوام الأخيرة بعنوان « جوج » ففيه ينقد بقسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والدينية ناقماً على الثقافات التى تقود العالم إلى الدمار والخراب ما خلا الثقافة اللاتينية ، فهو يزعم أن فى استطاعتها وحدها أن تنقذ العالم من الويلات التى يتردى فى أعماقها

والواقع أن بابينى إنما يستقى فنه من تيار سابق لتفكير بيراندللو . والفرق بينهما أن بيراندللو استطاع أن يتخلص من آثار العقل الخصب ، وأن يخلع على أبطاله ظلاً من روح الفكاهة والمرح . أما بابينى فلفرط استغراقه فى الفلسفة تراه يطبع رواياته بهذا الطابع الجاف الذى يباعد بينه وبين تفكير الجيل

وفى الوقت الذى بدأ الناس يميلون إلى الروح الهادئة فى الفن القصصى وإلى الشخصيات التى تمثل التضحية أو الاخلاص أو المثل الأعلى ، يلجأ بابينى إلى غمر قصصه بالنظريات الفلسفية ، تاركا للقراء حرية تفسيرها فى ضوء الحوادث . ولذا نلمح أن معظم أبطاله يعيشون فى جو مظلم ، ويقاومون أعاصير الحياة عن طريق المذاهب العقلية

ولعل فى حياة بابينى الأدبية عظة بالغة ، فهو يحارب الشعراء لأنهم فى نظره بلهاء كالأطفال ، وقد اتخذ لنفسه منذ نشأته صفة المجادل الذى يحاول مناقشة آراء خصومه عن طريق هدم مجدهم الأدبى تمهيداً لتشييد صرحه فوق أنقاضه ، لكنه لم يهدم فى النهاية سوى نفسه ، حتى إن فلسفته أوشكت أن تموت فى أذهان القراء

### المدرسة الاقليمية

وقبل التحدث عن أثر المدرسة الاقليمية فى الأدب الايطالى الحديث يحسن بنا أن نتحدث عن خصائصها ومميزاتها ، فهى تلتمس أسلوبها فى فن جيوفانى فرجاً Giovanni Verga وتميل بعض الشىء إلى الرواية الهادئة التى تقوم على ذكريات خاصة خالية من روح التكلف ، وإلى الحياة الفطرية الساذجة ، والعودة إلى أحضان الطبيعة مع إحياء الطابع القومى الخاص فى الأدب الايطالى الحديث

وإذا اعتبرنا أن المذاهب الأدبية فى ايطاليا تقوم على الوجدانيات المبالغ فيها ، والخيال الشعرى ، والوطنية المتأججة ، أمكننا أن نوازن بين الفن الروائى القديم وبين الفن الذى ابتدعه فرجا ؛ فهو يقوم على الحس والمشاهدة الملموسة مع تصوير العادات والأخلاق والحوادث التاريخية البارزة

وربما كان فن المدرسة الأقليمية يمت بأقوى الصلات إلى اسكندر ديماس ، وأسلوبها الكتابى إلى جورج صاند التى سبق أن قضت فجر شبابها فى ربوع ايطاليا ، وكان لجو البندقية الشعرى أثر بليغ فى روحها الغنائية

لقد نشأ ( فرجا ) فى مدينة كتانيا بجزيرة صقلية ، وطوف بأنحاء إيطاليا بقصد التبشير بفنه الجديد ، وتكوين جمعيات أدبية فى كل من فلورنسا وميلانو . وقد ساعده على ذلك أن عصره كان يسوده الهدوء الطبيعى وفتور القلاقل السياسية . ومن السهل أن نلتمس فى روايات فرجا ظل الحياة الصقلية فهى مسرح فنه ومهبط وحيه . وقد رسم لنا فى بعض رواياته الفذة « كالارادة السيئة » طغيان حكومات عهد الاقطاع على صقلية وأساليب جمعية المافيا الاجرامية التى ظلت تبسط سطوتها على الجزيرة زهاء ثمانية قرون . وكان رائده فى كل ما يسرده من الوقائع الاخلاص والشعور المرهف . فرواياته من هذه الناحية ليست ذات قيمة أدبية فحسب ، بل يمكن اعتبارها من الوجهة التاريخية وثائق مشرفة للحياة الاجتماعية والسياسية وللأخلاق والعادات فى الريف الايطالى

وعلى الرغم من أن هذه الرواية لا مغزى لها ، فاننا نلمح بين

سطورها آثار العقلية الايطالية الخصبة ، ووصف الحروب الاستقلالية والمعارك البحرية فى الأدرياتيك ، وأخلاق الطبقة الدنيا ، ومواقف غرامية مفجعة ، ونظريات أخلاقية ونفسية ، وتحليل دقيق لأفراد أسرة فقيرة تحترف صيد الأسماك ، ظلت تكافح فى الحياة وتقاوم الحظ السيء الذى لازمها زهاء نصف قرن

لقد كان فرجا يردد العواطف الصادقة فى فنه والحقائق القاسية ، وليس مذهبه فى الأدب سوى رد فعل لمدرسة كاردوتشى ، وعلى رغم أن هذا الكاتب العظيم كان أميل إلى الصمت وإلى التحفظ فى الكلام نراه متدفقاً كالسيل فى رواياته حتى كتب نيفا وثلاثين رواية طويلة وعشرات الأقاصيص . وقد وصفه النقادة روبناس بقوله : « كان ينفر من الشهرة ، ولكن الشهرة سعت إليه من حيث لا يدرى . وكان شعاره دائماً : فنى هو مجدى ، وكتبى تراثى فى نظر الأجيال »

***

ومن كتاب المدرسة الاقليمية الذين اشتهروا خارج بلادهم عن طريق ترجمة أعمالهم الأدبية الى اللغات الحية الكاتب الروائى ماريو بوتشى . فى مؤلفاته نجد الجو الهادئ الحزين ، وبالأخص فى حياة الريف . وهذه الصبغة التى تعطى رواياته طابعها الخاص تبين عبء الألم واليأس المنبعث منها . وقد حاول بوتشى فى بعض رواياته « كالمبريون » أن ينجو من الجو المظلم الذى يخلع على أبطاله ظلا من الكآبة ، ولكن ما اتصف به من الركود والتأثرات النفسية والتعلق بأهداب الخيال وغرامه بتصوير حياة القسس والفلاحين والجنود جعله بمعزل عن كتاب الجيل المعاصر . والواقع أنه ليس فى فن هذا الكاتب أى أثر للعنف أو الاندفاع ، إنما نحس من الأعماق أننا أمام شخصيات ابتدعها المؤلف فى هدوء ودقة ، كما كان أهل وطنه يصنعون الدمى الخشبية بمجهود شاق فى القرون الوسطى

وكان توتزى أقوى كتاب هذه المدرسة على الاطلاق ، ولكن الموت عاجله وهو فى قمة مجده . وإذا حكمنا على تراثه الفنى أمكننا أن نقول إنه أخرج أعظم روايات الأدب الحديث . وفى فنه تتجلى روح البساطة والسير بأبطاله فى طريقهم الطبيعى ، ورسم مظاهر الانحطاط الانسانى بأسلوب مؤثر . ومن أشهر رواياته « الصلبان الثلاثة » وهى قصة ثلاثة إخوة يدرس بعضهم أخلاق بعض ، وتتغلب الغريزة والأنانية والجشع على أعمالهم ، وينتهون أخيرا الى موت غير شريف ، ولا يبقى من آثارهم سوى صلبان سود ثلاثة فى المقبرة

ولعل شيكونيانى هو الكاتب الوحيد الذى يرتفع بفنه فوق مستوى المدرسة الاقليمية مما يذكرنا بالمدرسة التوسكانية التى ظهرت آثارها فى القرن التاسع عشر . ويخيل اليك وأنت تطالع الصور الفذة التى يرسمها فى قصصه أنك تسير فى شوارع فلورانسا . وتعد روايته « فيليا » من أحسن الروايات التى ظهرت بعد الحرب العظمى . فالروح الواقعية التى رسم بها المؤلف شخصية بطلته على أنها فتاة من عامة الشعب محبة لنفسها ، مجردة عن الضمير ، تجر الى الهاوية جميع الذين يلتفون حولها ، من أروع حالات التصوير الاحساسى والتغلغل فى أعماق النفس

أما بورجيزى مؤلف رواية « روبى » فهو من المؤلفين الذين توفروا على دراسة النظريات النفسانية الجديدة . وفى هذه الرواية ما يعطينا صورة واضحة من فنه ، فهى تحليل دقيق لنفسية رجل أنانى مجرد من العواطف الانسانية ، معذب بالشكوك والأوهام ، ليس فى مكنته مقاومة أعاصير الحياة ، فيقذف بنفسه فى التيار الذى يبعده شيئاً فشيئاً عن حقيقة الحياة إلى أن تدفعه المصادفة السيئة إلى الانتحار . « فروبى » كما يرسمه المؤلف رجل لا شباب فيه ولا عاطفة ؛ وهو لا يعرف الأخلاق ، وغير قادر على أن يحب حتى نفسه . وعلى الرغم من تراخيه وكسله يحلم بأن يصل إلى شيء ، وإن الصفتين الأساسيتين فى خلقه هما ضعف الارادة ورغبته الدائمة فى تحليل عواطفه ؛ وهذا التحليل هو الذى يشل روح حركته ، ويفقده توازنه ، ويقلب فى نظره المقاييس الصحيحة للحياة ؛ فمرة يحاول أن ينسى نفسه فى غمار الحرب ولكن دون حماسة ، ومرة يتزوج من امرأة دون أن يشعر بميل اليها ؛ وهو معتقد أنه تزوج زواجا صالحا إنما هى المصادفة التى قادته إلى هذه المرأة وجعلته يقترن بها ثم يقتلها . ولكن الواقع أنه تركها تموت كمداً من سوء معاملته ؛ وقد صور له الوهم انه قتلها مع أن الشجاعة لا تواتيه لقتل حشرة حقيرة

## أدب المستقبل

أسس هذه المدرسة بونتمبلى مؤلف رواية « امرأة أحلامى » وكان الغرض منها مقاومة التحليل المادى فى القصة ، ومناهضة أساليب المدرسة الأقليمية ؛ ويمكن أن نعتبر عصرها عصر النفور

من الزخرف اللفظى ، وتنمية النزعة الخيالية ، والتبشير بالأدب الرمزى

ويعد أمبرتو فراكيا من أدباء هذه المدرسة ، وقد كانت وفاته فى غضون عام ١٩٣٠ ضربة أليمة فى نفوس الجيل الجديد ، إذ كان دائم العطف على أدباء الشباب ، باذلاً جهده فى تنمية الملكة الأدبية وإظهار المواهب المدفونة فيهم ، وبسبب ذلك أنشأ مجلة « سوق الأدب » لنشر رسائلهم والدعوة الى الالتفاف حول « أدب المستقبل »

ومنذ سنوات قلائل تزعم مارينتى هذه الحركة ، وأخذ ينشر أفكاره فى مجلته « الشعر » ، وتدور دعوته حول التطلع إلى المستقبل ، وقطع الروابط الوشيجة التى تربطنا بالماضى ؛ فالمتاحف فى نظره كدور المرضى ، والافتخار بمجد الجدود وآثارهم دليل العجز منا عن مجاراتهم والتفوق عليهم . ولما كان من الصعب أن نحكم على القيمة الفنية لأدب مارينتى ، فان هذا لا يمنعنا من الجهر بأن « أسلوبه التلغرافى » وجد البيئة الصالحة التى ينمو فيها فى خارج ايطاليا ، حيث يقبل الفرنسيون على اعتناق كل فكرة أدبية طريفة ؟

محمد أمين حسونه

# الدكتور محمـــــد اقبال

## فلســفته

### معالم الاتفاق والاختلاف بينه وبين فلاسفة الغرب

للسيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

---

إن من نابذ الأديان العداء فى العصر الحاضر هو الطبيب النمساوى الفيلسوف سيجموند فرويد صاحب المذهب الخاص فى علم النفس التحليلى وقد توفى حديثاً ، فهو قد رأى فى حقيقة أعمال الانسان ، بل فى جميع حركاته وسكناته رأياً غريباً ، وهو أن أساسها العاطفة الجنسية ، وأن الولد يولد وعنده تلك العاطفة ، وأن جميع خواطر الانسان وهواجسه من الطفولة إلى الشيخوخة ترجع اليها . وعلى هذا فالانسان عند سيجموند فرويد مجسم الشهوانية وكتلة العاطفة الجنسية ، ولا حقيقة عنده للامور المنوية الأخلاقيــة البحتة التى كثيراً ما طمحت اليها نفس الانسان لتتسنم فيها ذروة الشرف ، ولا لنظم الروحانية المجردة عن تلك العاطفة مثل الأديان ، ولا لأمثالها التى طالما تطلعت اليها روحه فلم يأل جهداً فى حيازة كمالها . فهكذا جرد فرويد الانسانية من أوصافها المميزة ، وحطها من مراتبها الروحانية السنية ، والدرجات الأخلاقية والمعنوية الرفيعة ، إلى حضيض الحيوانية والهمجية

قرر فرويد أن الدين عبارة عن وهم محض خُلِق من المهيجات والدوافع المرفوضــة فى نفسية البشر ، لتجد تلك المهيجات والدوافع فى دائرة الدين حرية العمل غير المسدود ؛ وأن العقائد والمذاهب الدينيــة ليست إلا نظريات الطبيعة الابتدائيــة التى سعى بها الانسان لانقاذ الحقيقة من قبحها العنصرى ، ولجعلها شيئاً أقرب الى رغبة القلب من غير أن تسمح بذلك حقائق الحياة . ومبنى هــذا القرار هو نظريته التى أتى بها فى علم النفس التحليـلى ، وخلاصة تلك النظرية هى أننا حينما نقوّم بيئتنا ونرتب ما حولنا نتعرض للمهيجات والدوافع المختلفة الكثيرة فنردعليها . وعملية هذا الرد إذا تكررت كثيرا تتحول إلى العادة فتصبح نظاماً للرد أكثر ثباتاً مما لم يتكرر ؛ ثم هى تتقدم بالاستمرار فى التعقيد ، وذلك لأننا عنـد الرد نقبل بعض تلك المهيجات ونهضمها ، ونرفض الأخرى التى لا توافق نظام ردنا الثابت ، فتتراجع الى منطقة من العقل مسماة « بالمنطقة اللاشعورية » ، أو « منطقة ما تحت الشعور » ، وتبقى فيها حتى تجد فرصة سانحة للانتقام من الذات المركزية والهجوم عليها ، وحينئذ تقدر أن تغير خططنا للعمل ، وتفسد أفكارنا ، وتشيد أحلامنا وأوهامنا ، أو تجرنا الى تصورات سيرتنا الأولى التى كنا تركناها طوع سنة الارتقاء على مسافة شاسعة . فالدين عند فرويد مخلوق هــذه المهيجات والدوافع المرفوضة ، وثمرة اقتحامها الذات المركزية.

يخالف الدكتور إقبال هذا الرأى السقيم أشـد المخالفة ؛ وقد وضح ذلك فى محاضرة ألقاها بجامعة هنـدية ، إذ قال : « إن من تجرد الشيطانية عن سلطة الألوهيــة أن قام فرويد وأنصاره بخدمة للدين تفوق التقدير ؛ إننى لا أستطيع أن أمتنع عن القول بأن النظرية الأساسية فى علـم النفس الجديد هذا لا تظهر لى مؤيدة بدليـل قطعى حاسم . فلو كانت مهيجاتنا ودوافعنا المتشردة تهاجمنا فى الحلم أو فى الأوقات الأخرى التى لسنا فيها فى حالتنا الأصلية ، فلا يتأتى من ذلك الهجوم

أنها تبقى مسجونة فى مكان يشبه مكان سقط المتاع وراء ذاتنا الطبيعية . إن هجوم هـذه الهيجات والدوافع المكبوتة على منطقة ذاتنا الطبيعية يفضى أكثر الى تبيين أن لنظام ردنا العادى تمزقاً وقتياً من أن يثبت وجودها الدائم فى زاوية مظلمة من العقل

« أما القول بأن المذاهب والعقائد الدينية ليست إلا نظريات الطبيعة الابتدائية التى سعى بها الانسان لانقاذ الحقيقة من قبحها العنصرى ولجعلها شيئاً أقرب إلى القلب من غير أن تسمح بذلك حقائق الحياة ، فلا أنكر أن هناك أدياناً وأمثالا من الفن تحث الانسان على الهروب من حقائق الحياة وتساعده عليه ، ولكن الذى أريد أن أقول هو إنه لا يصدق على جميع الأديان . فلا نزاع فى أن للمذاهب والعقائد مضامين تتعلق بما وراء الطبيعة ، ولكنه أيضاً بين أنها ليست تفسير مدلولات الاختبار الذى هو موضوع بحث العلوم الطبيعية . إن الدين غير علم الطبيعة ، وعلم الكيمياء اللذين يشرحان الطبيعة بقانون السبب والمسبب ، انما الدين يقصد التعبير عن منطقة الاختبار الانسانى الذى يختلف عن غيره تمام الاختلاف — الاختبار الدينى — الذى لا يمكن أن تحول مدلولاته إلى مدلولات أى علم آخر . وفى الحق إنه يجب علينا أن نقول فى إنصاف الدين إنه أصر على ضرورة الاختبار المعين فى الحياة الدينية قبل أن يعرف ذلك العلم بكثير . فالخصام بين الدين والعلم ليس بقائم على أن لأحدهما وجوداً والثانى لا وجود له ، بل على الاختبار المعين . فكلاهما يقصدان الاختبار المعين كنقطة الافتراق بينهما ، وعلى هـذا فالخصام المفروض بينهما ناشىء عن سوء الفهم وهو أن كلا منهما يعبر عن مدلولات الاختبار الواحد . إننا ننسى أن الدين يتوخى الوصول إلى المضمون الحقيق لنوع خاص من الاختبار الانسانى »

« ولا يمكن أن نفسر مضمون الشعور الدينى بنسبته الى عملية العاطفة الجنسية . فان الشعورين — الجنسى والدينى — فى الغالب متخاصمان أو على الأقل فى أوصافهما المميزة ، وفى غرضيهما وفى نوع السيرة التى ينتجها كل منهما يختلفان كل الاختلاف . والحق أننا فى حالة العاطفة الدينية نعلم الحقيقة الواقعية بمفهوم أنها خارجة عن دائرة شخصيتنا الضيقة ، وللشدة التى تهز بهـا تلك العاطفة الدينية أعماق وجودنا تلوح للعالم بعلم النفس أنها ثمرة « منطقة ما تحت الشعور » . إن فى كل علم يوجد عنصر العاطفة ، ويزداد موضوع العلم وينقص فى قيمة موضوعيته على حسب الزيادة والنقص فى شدة تلك العاطفة . فان الشىء الذى يقـدر أن يهز جميع شخصيتنا هزاً شديداً أكثر حقيقة لنا

صنف فى ألمانيا الدكتور آسوالد اشبنجلر أحد كبار الفلاسفة المعاصرين كتاباً سماه « انحطاط الغرب [١] » ونشره بعد الحرب العظمى مباشرة ، فلقى مع اشتماله على أدق الأفكار الفلسفية إقبالا عظيما حيث بيع من الطبعة الأولى مائة ألف نسخة . فى هذا الكتاب سعى اشبنجلر لدحض الفكرة السائدة من القرن الماضى إلى الآن وهى أن الحضارة الغربية الحاضرة ثمرة التقدم المسلسل ، وأن مصيرها فى المستقبل ايضاً التقدم المستمر كالخط اللامتناهى ، وأتى بنظرية وهى أن المدنية الانسانية ليست هى التقدم المسلسل ولا المستمر كالخط اللامتناهى بل هى عبارة عن سلسلة حلقات المدنيات المختلفة كل حلقة فيها مستقلة فى روحها عن الأخرى تمثل دور الثقافة والحضارة ثم تموت [٢] . ولا اتصال بين تلك الحلقات بتاتاً . وعليه فلكل مدنية عند اشبنجلر طريق خاص للنظر الى الأشياء والعالم وعن اللتمس لأبناء مدنية أخرى

لاثبات هذه النظرية استقصى اشبنجلر فى كتابه « انحطاط الغرب » مدنيات العالم بحذافيرها فخصص بابين كبيرين للمدنية العربية ـ رى اقبال أنهما يكونان جزءاً ذا أهمية عظمى لتاريخ آسيا الثقافى . غير أن ما جاء فيهما عن الاسلام هو ، فى رأى اقبال ، مبنى على سوء الادراك لطبع الاسلام كالحركة الدينية ،

---

(١) أى Der Untergang des Abendlanps

(٢) يوزع اشپنجلر كل مدنيـة فى دورين : دور الثقافة الذى بمثابة « الجسم الحى » لروح المدنية : ودور الحضارة الذى هو « مومياء » تلك الروح . ففى الأول يعيش الرجل حياة باطنية خصبة ، وفى الثانى حياة خارجية بارزة فى المكان بين ظواهر الأجسام والأمور الواقعية التى لا يدركها رجل الثقافة إلا انها أوامر القضاء والقدر ، بينما يدرك رجل الحضارة أنها نتائج الأسباب الخاصة . فالأول يعيش من دون الشعور عيشة مندفعة ، والثانى بالشعور عيشـة يقظة . وعلى هذا فالحياة للأول شىء بديهى لا تحتاج إلى معالجة العقل فهو يقبلها كقضاء الله وقدره ، ولكنها للثانى شىء غامض تحتاج إلى حل العقل وحكمه على ضوء مبدأ النفع والضرر . لذلك كان دور الثقافة عند اشپنجلر أزهى الأدوار فى حياة الشعب ذى المدنية إذ فيه يوجد عنده قوة الخلق للعلوم والمعارف والفنون والصناعات وتسيطر عليه روح الدين . وأما دور الحضارة فتهن فيـه تلك القوة فلا يقدر الشعب على خلق الجديد إلا تقليداً للغير أو شرحاً للقديم وهو دور حكم العقل والمادية فى الشعب ؛ وعلى هذا فيرى اشپنجلر أنه فى المدنية الغربية قد بدأ هذا الدور من نهاية القرن الثامن عشر وأنها ستموت حوالى سنة ٢١٠٠ ميلادية

والتحول الثقافى العظيم الذى أتى به الاسلام فى العالم . قل فى محاضرة ألقاها فى جامعة هندية : « إن اشپنجلر فى اجتهاده لاثبات نظريته يسوق جيشاً عرمرماً من الحوادث والتراجم كالشواهد ليبين أن روح المدنية الأوربيـة مضادة لروح المدنية اليونانية واللاتينية ، وأن تضاد روح المدنية الأوربية هذا ناشئ عن طبع الذكاء الأوربى الخاص وليس عن أى الهام قد تكون استلهمته من الثقافة الاسلامية التى هى عنـده « ماجية » فى النوع والروح تماماً . إننى قد سعيت فى محاضرتى السابقة لأثبت لكم أن تضاد روح العالم الحاضر هذا لروح المدنية اليونانية واللاتينية هو فى الحقيقة ناجم عن ثورة الاسلام ضـد الفكر اليونانى[1] ؛ وظاهر أن هذا الرأى لا يمكن أن يقبله اشپنجلر ، فانه لو قيل إن تضاد روح الثقافة الحاضرة للمدنية اليونانية واللاتينية ناتج عن استلهامها ذلك من الثقافة التى سبقتها مباشرة ، لانهارت نظريته من أساسها ، لأنه قد قرر فيها أن كل مدنية منفردة مستقلة لا اتصال بينها وبين ما قبلها وما بعدها . لذلك أخشى أن يكون جهد اشپنجلر لتأسيس نظريته هذه قد أفسد نظره فى الاسلام كالحركة الثقافية افساداً تاماً . »

« يريد اشپنجلر ( بالثقافة الماجية ) الثقافة العامـة المشتركة بين ما يسميه اشپنجلر « مجموعة الأديان المـاجية » وهى عنده الديانة اليهودية ، والـكلدانية القديمة ، والمسيحيـة القديمة ، والزرادشتية والاسلام . فلا أنـكر أن الغشاء المـاجى نبت على الاسلام[2] ولـكن مهمتى فى هذه المحاضرة كما كانت فى محاضراتى السابقة هى حماية صورة صحيحة لروح الاسلام الخالصة المجردة عن غشائها المـاجى الذى فى رأيى أضل اشپنجلر . إن جهل اشپنجلر للفكر الاسلامى فى مسألة الزمان ، وكذلك جهله للطريق الذى به ظهرت الأنانية فى الاختبار الدينى الاسـلامى كالمركز الحر للتجربة ، مدهش . فبدلا من أن يستفيد ويستنير من تاريخ الفكر الاسلامى وتجاربه هو يفضل أن يؤسس حكمه على عقائد العامة فى بداية الزمان ونهايته . فكروا هنيهة ! فى رجل ذى علم غزير كالجبل الشامخ وهو يستمد لاثبات الجبر المزعوم فى الاسلام من المقولات والأمثال العامة الشرقيـة مثل « قوس الوقت » أو « لـكل شىء وقت » . إننى على كل حال قد بينت لـكم فى محاضراتى السابقة أصل فكرة الزمن فى الاسـلام وتقدمها كما شرحت لـكم الأنانية الانسانية كالقوة المطلقة ، وأعتقد أنه واف بالغرض ؛ وأما انتقاد آراء اشپنجلر فى الاسلام وفى الثقافة التى بحث عنه انتقاداً وافياً فظاهر أنه يحتاج الى مجـلد ضخم . غير أنى زيادة على ما قلت أحب أن أقدم اليكم ملاحظة أخرى عامة »

يقول اشپنجلر « إن لب تعليم الأنبياء ماجى . فهناك إلـه واحد – سواء أيقال له يهوذا ، أم اهورامزدا ، أم مردوك بعـل ، وهو الأصل للخير . وأما الآلهة الأخرى فجميعها إما عَجَزة أو شريرة ، وضُم الى هذه العقيدة الأمل فى ظهور المسيح الذى كان أكثر وضوحا فى النبي ايشائيا ولـكن ذلك الأمل ظهر فى القرون بعده فى كل مكان تحت ضغط الضرورة الباطنية بالشدة . وهذا الفكر فكر أساسى فى الدين المـاجى لأنه يشمل من دون النزاع تصور حرب العالم التاريخية بين الخير والشر مع سيادة قوة الشر فى الأوقات المتوسطة وفوز الخير فى الآخر فى يوم القيامة . » لو أريد تطبيق هذه الصورة لتعليم الأنبياء على الأسلام فهو يحرفه تحريفاً تاماً ، فان الفرق الهام بينهما هو أن الرجل الماجى يقبل وجود الآلهة الباطلة وان لم يعبدها ، بينما الاسلام ينكر نفس وجودها انكارا تاماً . واشپنجلر يعجز فى هـذا الخصوص عن أن يقدر القيمة الثقافية لفكرة ختم النبوة فى الاسلام حق قدرها . نعم مما لا شك فيه أن صفة واحدة مميزة فى الثقافة الماجية هى موقف الأمل الأبدى ، هى الانتظار المستمر لمجىء أولاد زرادشت غير المولودين ، أو المسيح ، أو بارقليط الانجيل الرابع ، ولـكننى قد بينت لـكم فى محاضراتى السابقة الطريق الذى يجب لطالب الاسلام أن يسلـكه فى البحث عن المعنى الثقافى لفكرة ختم النبوة فى الاسـلام . وزيادة عليه أقول إنه يمكن أن تعتبر هذه الفـكرة علاجا نفسياً للموقف المـاجى للأمل المستمر الذى يفضى الى تقديم صورة كاذبة للتاريخ . لذلك لـما رأى ابن خلدون أنه قد ظهرت فى الاسلام تحت أثر الفكر الماجى فكرة – ظهور المهدى – التى تشابهها على الأقل فى نتائجها النفسية ، وأنها تخالف نظره فى التاريخ محقها بالانتقاد محقاً تاماً »

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

---

(١) أثبت الدكتور اقبال فى تلك المحاضرة أن روح تعليم القرآن ضد الفكر اليونانى ، فان الأهمية الـكبرى عند القرآن للعمل بينما عنـد اليونان للنظر . والمسلمون استفادوا بادئ ذى بدء من الأفكار اليونانية ولـكنهم أدركوا فيا بعد تضاد تعليم القرآن للفكر اليونانى فانتقـدوه وثاروا عليه وصنفوا كتباً كثيرة فى انتقاد جميع نواحيه وفروعه

(٢) يريد به تأثر المسلمين من الروايات والحـكايات الاسرائيليـة والمسيحية والمجوسية وادخالها فى التفاسير والـكتب الدينية الأخرى

موسم الاسكندرية

# الحول قد حال

للأستاذ فخرى أبو السعود

حُيِّيت يا بحرُ إن الحول قد حالا … فاستقبل اليوم أسراباً وأرسالا
تسعى إليك من البلدانِ ظامئةً … إلى الجمال على شطَّيك قد جالا
وللضياء على عطفيك مؤتلقاً … وللنسيم على الآذيِّ مختالا
ومُلْكُ شمس على الآفاق مُنبسطٍ … تعليه يوماً فيوماً كلما دالا
ومُزْبِدٍ فيك أشهى المناظر من … حبابِ كأسٍ علا في الكأسِ جِرْيالا
ودافقٍ ترتوى الأرواح حائمةً … به وينقع للأجسام صلصالا
وناعس الرملِ قد مرّت به حِقَبٌ … عداده وسيطوى بعدُ أجيالا
وهائج اللج يغزو الشطَّ مجتهداً … لا يأتلى عنه إدباراً وإقبالا
دوماً يحاول أمراً ليس يبلغهُ … وما يزال لما يبغيه محتالا
إذا تكسّر من صخر إلى حجر … شهدت في كل صوبٍ منه شلالا
يشنُّ حرباً على الخلجان عاتية … دوماً ويعدو على الشطآن صوّالا
يشن حرباً ويهدى من نسائمه … خير التحايا كريم الفعلِ مفضالا
إذا النسيم تعالى من جوانبه … معطّر الثوب أرداناً وأذيالا
حسبت روضاً وراء اللج ذا أرج … حيّاً أزاهرهُ الوسميُّ هطّالا
هذا النسيم بقلبي مُنبتٌ زَهَراً … وباعثٌ فيه عَرْفاً كلما مالا
هذى المحاسنُ كم يبعثن في خلَدى … من ذكرياتٍ وكم يحيين آمالا
يُفسحن عمر الفتى مهما أطاف بها … حتى تكون بها الساعاتُ آجالا
جمعتَ عندك آى الحسن قاطبةً … وطبت يا بحر أسحاراً وآصالا
إن كنت لم تجلُ حُوراً فيك عاربة … كما روى شاعرٌ قِدْماً وما خالا
فكم على جانبيك اليوم من فِتَن … لم تحو أسطورةٌ منهن أمثالا
غِيدٌ بلجّك أو بالرملِ سارحةٌ … رفَلْنَ في الحسن أعطافاً وأوصالا
هذى كنوزٌ على شطَّيك مزريةٌ … بما تزوِّدُ غوّاصاً ولأّالا
كنوزُ حسنٍ إذا أصفى مودّته … فَدَعْ كنوزاً لقارونٍ وأموالا
الطرف منهن مُثْرٍ مسرفٌ بذخاً … والقلبُ يندب إعساراً وإقلالا
وكلما خاض طرفى أنعماً وحلى … تجشّمَ القلب أوجاعاً وأهوالا
سبحانَ من أرسلَ الأحداق في طلَقٍ … وحمّل القلبَ في الأضلاع أغلالا
يا من عرضتم فغادرتم جوانحنا … حرّى وقد نال منها الشوقُ ما نالا
بالرغمِ منّى أن تمضوا على عجَل … ولا يكونَ وِدادٌ بيننا طالا
تمّتْ لديك صفاتُ الحُسْنِ واختلطت … لديك يا بحرُ أشتاتاً وأشكالا
فلا كشطِّك للألباب مُنتجَعٌ … ولا كأفقكَ من وحى لمن قالا

(اسكندرية) فخرى أبو السعود

من أحسن ما قيل في (موسم الشعر)

# في قريتي

للأستاذ أحمد الكاشف

جمعت في العيد حولى سائر الآل … وملتقى الآل حولى كل آمالى
أبًا دعونى ومالى فيهمُ ولد … ولست للقوم غير العم والخال
كأننى وهمُ في الدار مطلع … منهم على أمم شتى وأجيال
أعدهم لغـد والمقبلين غداً … في هذه الأرض أجنادى وأبطالى
ما أحسن الشمل أرعاه وأشهده … لأمهات وآباء وأطفال
فلا أرى فرقة في الدهر قاطعة … لمطمئن وخفاق وجوال
ولا يصاب هديل في أليفته … ولا الغضنفر في غيل وأشبال
أقمت في الريف لا أشقى بطاغية … من الرجال ولا لاهٍ ومختال
وعشت بالرطب من بقل وفاكهة … فيما ملكتُ وماء فيه سلسال
أحرم اللحم لى زاداً وأحسبه … طعام مفترس في القفر مغتال
وقد أقاتل للحيّ المسالم من … طير ومن حيوان كلّ قتال
لو كان للنبت إحساس رأفت به … وبت للنبت أيضاً غير أكال
كأنما قريتى مادمت ساكنها … ولايةٌ وكأنى العمدة الوالى
أطلت فيها اعتزال العالمين ولى … بكل ناحية همى وأشغالى
لقيت في عشرة الجهال عاطفة … لم ألقها في رجال غير جهال
ولم أجد من وضيع الذكر خامله … ما ساءنى من رفيع الذكر مختال
حملت أثقال قومى وهى فادحة … عنهم وما شعروا يوماً بأثقالى
وهان شأنيَ حتى ليس يذكرنى … من استعان بأقوالى وأعمالى
وما حرصت على عينى وعافيتى … حرصى على الود في حل وترحال

وما أبالى ونفسى فى سلامتها … طولَ اعتلالى بأعصابى وأوصالى

ومحنة لا عزاء أن أرى بلداً … سوى بلادىَ أولى بى وأوفى لى

لو كان ما أغفلوا منى وما تركوا … يعنيهمُ لم يطل تركى وإغفالى

ولو بُليتُ بجبارين ما بلغوا … مدى الأحبة من قهرى وإذلالى

أريد حرية الوادى السليب وبى … منه جراحى وآلامى وأغلالى

والدهر يعجلنى حيناً ويمهلنى … حيناً وسيانَ إعجالى وإمهالى

ولو بلغت من الآجال غايتها … لما انتفعت بأعمار وآجال

شعرى استوى فيه عاصيه وطيعه … كما استوى فيه إكثارى وإقلالى

وما أفاد غنائى فوق رابيــة … ولا أفاد بكائى فوق أطلال

وقد تبينت ما فى الناس زهدنى … وكان فى الزهد إعزازى وإجلالى

ولست يوماً لموجود بمحترس … ولا على رد مفقود بمحتال

ولو أنى بالنعيم الدهر ملء يدى … لم يأت إلا لأعلالى وإملالى

ولست أسأل عن حق وقيمته … ولو تولاه ميزانى ومكيالى

إن لم يكن لىَ ديوان وحاشية … يوماً لحسبى محاريثى وأنوالى

ألست ممن دعا الأحزاب فأتلفت … وردت الأمر من حال إلى حال

كفى من القوم بالزلفى رجوعهمُ … إلى الذى فيه كانوا أمس عذالى

أرى المودة بالقنطار بينهمُ … ولم أفز بينهم منها بمثقال

ولم أزل بينهم للخصم متقيا … دخائلا هى فى ذهنى وفى بالى

أخشى على رسلهم نياته وهم … منـه أمام جلاميـد وأدغال

وما تزال كما كانت سياسته … يدور فيهـا بألوان وأشكال

وموضع النِّد أرجو عنده لهم … لا موضع الصيد من أنياب رئبال

حق المصـير تولوه بشملهمُ … وهو الكفيل بتغيير وإبدال

إن لم يجئ يومهم بالخير أجمعه … ففى غد كل إتمام وإكمال

والجو ينذر من نار بعاصـفة … حرباً وفى الأرض إنذار بزلزال

وقد يكون لهم من ضيقهم فرج … كما تدافع أهوال بأهوال

يافتية الشعر هذا اليوم موسمكم … ومهرجان البيان القيم الغالى

أمانة الشعر أديتم ولم تجدوا … ماتستحقون من عطف وإقبال

وحسبكم أن فيـه إخوة لكم … من أغنياء وأرباب وأقيال

تجاهدون بأذهان وأفئـدة … وترجعون بلا جاه ولا مال

وتملكون من الدنيا سرائرها … ولا تحلون منهـا الموضع العالى

ومايتاح لكم فى الأرض متسع … كما يتاح لعراف ودجال

قالوا انقضى الشعر بعد (الشاعرين) ولم … يأنس بغيرهما ميـــدانه الخالى

ولست وحدى له فى مصر بعدهما … فمصر ملأى بأشباهى وأمثالى

أيشغلنَّهمُ ركب مضى وثوى … عما أمامهمُ والمقبـل التالى

إن لم ير الحى بعد الميت منزلة … منهم فلا خير فى المحزون والسالى

وإن كل بناء لا يصير إلى … أبناء بانيـه لهو الدارس البالى

خير من البلد الخصب المباح حمى … صعب الجوانب من جدب وإمحال

والملك بالجند والحصن المحيط به … لا بالحقول ونهر فيـه سيال

أحمد الكاشف

---

# أوبة الطيار

## للأستاذ أحمد رامى

فى سكون المساء والبحر ساج … والسحاب الصبير فى الجو سار

كنت أرنو إلى الغروب وأروى … ناظرى من صُبابة الأنوار

فإذا بى ألقى دخاناً ولا غيـ … ـم وريحاً وليس من أعصار

فتبينت استشف جبين الـ … أفق من بين هـذه الأستار

فإذا هى جمـاعة من بنات الـ … ريح تطوى الفضاء عبر البحار

يتلاحقن ماضيات ويهويـ … ـن هُوِىَّ النسور للأوكار

---

يا حداة الرياح ماذا لقيتم … من ركوب الأهوال والأخطار

كم جزعتم من الرياح السوافى … وسهرتم مع النجوم الدرارى

وصبرتم على المخاوف ترجو … ن رضاء المهيمن الجبار

رفع الناس عنـده درجات … فى مقام الجلال والإكبار

وقضى أمره فأرسل سربا … منكمُ فى مسابح الأطيار

---

أيهـا الطائر المحلق فى الجـ … ـو سلام عليك فوق المطار

سهرت أعين ورفت قلوب … تسأل الله رحمـة الأقدار

تتمنى لك السـلامة فى مسـ … ـراك ليلا وغادياً بالنهار

تسأل الريح هل ألمت خفافا … بجناحيك أو أطافت ضوار

تسأل البرق هل أضاء لك الأفـ … ـق وأنجاك من مهاوى العثار

# القصص

## قصـــة المفاتيح

### للقصصي الروسي مكسيم جوركي

Maxim Gorki

[ تتمة ما نشر في العدد الماضي ]

وكان زيومكا أثناء ذلك ، وهو الملحد الحقيقي ، يتثاءب عالياً ، فنظر اليه صديقه نظرة احتقار ثم أطرق برأســه ؛ وحدقت العجوز بنظرها في زيومكا دون أن تمسك عن القراءة ، فخجل من ذلك ومسح أنفـه وأدار عينيه ليرى نتيجة تثاؤبه فلم تكن إلا تأوهاً خاشعاً

ومضت دقائق هادئة إذ كان لصوت القارئة المرتل أثر في الطمأنينة :

« إن غضب الرب ينزل من السماء على كل غير ربانى .. و .. »

وصرخت القارئة فجأة في وجه زيومكا : « أتريد ... ؟ »

تسأل الفجر أين طالعك اليو م وأين السبيل في الابكار
تسأل الليل هل أصاخ لنجوا ك حنيناً إلى ربوع الديار

هذه مصر فانزل الدار أهلا ناعماً في القلوب والأبصار
وأولاء الشباب حولك في مصـ ـر يحيُّون أوبة الطيار
طار سرب منهم يخف إلى الفـ ـدى ويهدى إليه إكليل غار
وسرى في ركابه يتهادى في جلال العلا وعز الفخار
وجرى النيل بين شطين يختا ل خلال النخيل والأشجار
وأبو الهول في الفلا كاد يقعى ثم يرنو إليه بالأنظار

مشهد يبعث السمو إلى النفـ ـس ويدعو إلى الأماني الكبار
فانهضوا أمة تتوق إلى المجـ ـد وتبغي منازل الأحرار

أحمد رامى

فأجاب في استكانة : « أنا ... أنا ... لا شيء ! تابعي القراءة ؛ إنني أستمع »

فسألته العجوز غضبى : « لماذا تلمس القفل بيديك القذرتين ؟ »

— « إنه ليهمني ... إن صنعه جميل جداً ... إنني أفهمه ، كنت قبلاً صانع مفاتيح ، وأردت أن أجسه ... »

وقالت العجوز : « انتبهوا ، ماذا قرأت لكم ؟ »

وقال زيومكا : « إنني أستطيع أن أعيده .. إنني أفهم »

وقالت العجوز : والآن ؟

— « لقد كنت ترتابين تعاليم الدين ، وتذكرين عدم الايمان بالرب . المسألة غاية في البساطة ، فكل شيء من ذلك حقيق . لقد كان ذلك يحز في قلبي . »

ونظرت العجوز الينا وهزت رأسها وقالت :

« انكم مفقودون ... كالحجارة ... ارجعوا ثانية إلى عملكم »

وقال ميشكا وعلى فمه ابتسامة المعترف بذنبـه : « يظهر أنها غضبى »

وحك زيومكا رأسـه وتثاءب والتفت إلى العجوز دون أن يراها وسار في طريقه وأطرق مفكراً : « إن قفل الكتاب من الفضة » وسرت في وجهه قشعريرة

وقضينا الليل في الحديقـة إلى جانب أنقاض الحمام الذى هدمناه عن آخره في ذلك اليوم . وفي ظهر اليوم التالي أتممنا تنظيف النافورة ، وقد ازدادت قذارتنا وتبللنا بالمـاء ، وانتظرنا أمام باب المنزل في انتظار أجرنا ، وكنا نتحدث عن غداء وعشاء دسمين نتناولهما قريباً ؛ ولم يكن لواحد منا أي رغبة في الحديث عن شيء غير ذلك

وفرغ صبر زيومكا وقال بصوت أجش : والآن أين استقرت يا ترى هذه الغول الشمطاء ؟ لقد هلكت !

وقال ميشكا وقد هز رأسه معاتباً صديقه :

« لقد بدأ يسب من جديد . ولمـاذا يسب يا ترى ؟ هذه العجوز امرأة طيبة تخاف الله ، وهو يسبها — هـذا هو خلق الرجال ! »

وابتسم زيومكا وقال له إنه شديد الحساسية نحو ذلك الطائر الشارد ، تلك العجوز . . . هذه . . .

وقضى ظهور العجوز على هذا الحديث الطريف . وتقدمت الينا وأخرجت النقود وقالت فى احتقار : « ها هى ذى نقودكم خذوها وارحلوا من هنا . كنت أريد أن أعطيكم أخشاب الحمام فتقطعوها قطعا صغيرة ، ولـكنكم لستم أهلا لذلك »

وأخذنا نقودنا صامتين وذهبنا ولم نحظ بشرف تقطيع أخشاب الحمام الى قطع صغيرة للوقود

وقال زيومكا وقد خرجنا من باب الحديقة : أيها البشع العتيق أنظر الى هـذه ! ألا أستحقها يا قبيح الوجه ؟ الآن يمكنك أن تسبح باسم ذلك الـكتاب

وأدخل يمينه فى جيبه وأخرجها بقطعتين من المدن اللامع وأرانا إياهما كمن كتب له النصر

وجد ميشـكا فى موقفه ، واشرأب عنقه ليرى ما فى يدى زيومكا . وسأله حائراً : « هل خلعت القفل ؟ »

— « هذا ما فعلتـه ! إنه من الفضة الجيدة . ويمكن لأى انسان أن يحتاج اليها . وهى تساوى على الأقل روبلا »

— « هيه ، وما دمت قد فعلت ذلك فارمها بعيـداً عنى ! يا للخجل ! »

— « سأفعل ذلك »

وتابعنا السير فى صمت . وقال ميشـكا مفكرا فى الأمر . تمت بمهارة ، انتزعها ببساطة . ثم قال : « نعم لقد كان كتابا جميلا وستحقد العجوز علينا »

وقال زيومكا هازئاً : « إنها لن تسترجعنا مرة أخرى لتقدم لنا ثناءها »

— « وبكم تبيعها ؟ »

— « بتسعة أعشار الروبل — هذا أقل ثمن ، لا أقل من ذلك فلسا . إننى أخسر فيها . أنظر لقد انقصف لى ظفر »

وقال ميشكا فى خجل : « بعنى إياها »

— « أبإياك أبيعها ؟ أتريد أن تجعل منها أزراراً لقميصك ؟ أنظر : إنها تـكفى لعمل زوج جميل من الأزرار — وهى تليق بك على ثيابك الخلقة »

ثم أخذ ميشكا يستعطفه : « كلا إننى جاد غير هازل . بعنى إياها

— « اشترها ، كم تدفع ؟ »

— « خذ ما تشاء ، ما هو القـدر الذى أحصل عليه من شركتى فى العمل ؟ »

— « روبل واحد وعشرون كوبكا »

— « وكم تريد أن تأخذ فيها ؟ »

— « يا مغفل ! ماذا تريد أن تفعل بها ؟ »

— « بعنى إياها . أرجو ذلك »

وانتهت عملية البيع فى النهاية ، وأصبح القفل ملـكا لميشـكا بعد أن دفع تسعين كوبكا

ووقف ميشكا فى مكانه وقلب القطعتين فى يده وحدق فيهما . ونصحه زيومكا هازئاً بأن قال : « علقهما فى أنفك ! »

وأجاب ميشـــكا جادا : « ولم ذلك ؟ إننى لا أريدهما . سأرجعهما الى العجوز وأقول لها : هاك يا سيدتى العزيزة المحترمة . لقد أخذناها سهوا معنا ، فارجعيهما الى ما كانا عليه

— ولـكنك انتزعتهما فكيف إصلاحهما ؟ »

وسأله زيومكا وقد فتح فاه : « أتريد حقاً أن تحملهما اليها يا شيطان ؟ »

— « نعم ولم لا ؟ أنظر إن مثل هذا الـكتاب يجب أن يبقى كما هو . ولا يجوز للانسان أن ينزع منه قطعة . وسوف تغضب العجوز وتحزن . . . وسوف تموت عما قريب . هذا ما أردت . فانتظر لحظة يا أخى فسأعود سريعاً »

وقبل أن نتمكن من إيقافه اختفى وانعطف بخطوات سريعة وقال زيومكا فى غضب وهو يفكر فى أثر هـذه الواقعة ونتائجها المحتملة : « ما أضعف هذا الرجل وما أكثر تغفيله ؟ »

ثم أخذ يؤكد لى فى كل جملة خطأه

ولـكن الآن انتهى كل شيء . لقد أوقعنا فى الشرك . ولعله الآن جالس متكىء أمام العجوز . وقد لا يغيب عنها أن تستنجد بالشرطة »

« هـذا مثل مما يتوقعه الانسان من مصاحبة هذا الوغد . إنه حقا يدخل الشخص إلى السجن من أجل شيء تافه . هـذا الكلب ! هل رأيت رجلاً له مثل هذه النفس الدنيئة ، يبنى أن يُلقى بأصـدقائه إلى التهلـكة ، يا إلـهى ! أهذا هو جيل اليوم ؟ هيا بنا ، لم هذا الانتظار ؟ أتريد أن تبقى هنا ؟ انتظر إن شئت ، ليخطفك عفريت من الجن أنت وكل الأوغاد من أمثالك . ذلك الوغد ! ألا تريد أن تذهب معى ؟ هيا »

ووكزنى زيومكا فى جانبى وسبنى ومضى لسبيله

وكنت أريد أن أعرف ماذا جرى لميشكا عند صاحبة آخر عمل قمنـا به . فذهبت ثانية إلى ذلك المنزل ، وكنت أعتقد أن لا خطر فى ذلك ، وأن السوء لا يمسنى من جراء هذا . ولم يخب ظنى ، ووصلت المنزل وأخذت أنظر من خلال الحواجز وقد رأيت وسمعت ما يلى :

كانت العجوز جالسة على سلم المنزل ممسكة بقطعتى القفل الفضى بيدها وهى تنظر إلى ميشكا من خلال منظارها بدقة كما لو كانت تريد أن تتغلغل فى صميمه . وكان لعينيها الحادتين بريق قوى . وقد ارتسمت على طرف فمها ابتسامة خفيفة رخوة تحاول اخفاءها : هى ابتسامة المغفرة

وتبين من خلف العجوز ثلاثة رؤوس : امرأتان إحداهما شديدة حمرة الوجه وعلى رأسها منديل زاهى الألوان ، والثانيـة عوراء ، وقد وقفت خلف رجل عريض المنكبين وأمارات وجهه تدل على أنه يريد أن يقول :

« أسرع من هنا يا صديق ! أسرع بقدر ما يمـكن »

وكان ميشكا يتحدث فى ارتباك :

« لقد كان كتاباً عظيما ! ! إنهما نذلان ! أما أنا فقد كنت أذكر ربى . هذا هو الحق . وهـذا ما يجب قوله . إننا تعساء ورجال سوء أنذال — ثم كنت أعود فأفـكر فى المرأة العجوز الطاعنة فى السن . ولربمـا كان سرورها الوحيد فى كتابها هذا — ذلك ما ظننته . وأردت أن أهيىء للعجوز المتدينة سروراً وأن أرد اليها أشياءها : وقد اكتسبنا بحمد الله شيئاً نقتات به . فالوداع يا إخوتى . إننى أريد الذهاب الآن »

واستوقفته العجوز وقالت له : « انتظر ! هل عرفت ماقرأته لك البارحة ؟ »

« أنا ؟ أنَّى لى ذلك ؟ إننى استمعت اليك ولـكن أى استماع ؟ فهل لآذاننا قدرة على استماع كلام الرب ؟ إننا لا نفهم مثل ذلك . »

وقالت العجوز : « أهكذا ؟ ألا تنتظر لحظة أخرى ؟ »

وتململ ميشكا وأخذ كالدب يضرب الأرض برجليه . فان مثل هذا الحديث لا طاقة له به

— « هل لى أن أقرأ لك شيئاً قليلاً ؟ »

— « ..... ولـكن صديقىَّ ينتظران . »

— « دعهما ينتظران ، إنك رجل طيب . دعهما يسيران حيث شاءا . » وقال ميشكا بصوت خافت : « حسناً . »

— « إنك لن تسير معهما بعد الآن ؟ أليس كذلك ؟ »

— « لا . »

— « هذا هو الصواب . إنك طفل كبير على رغم ما لك من لحية تنزل إلى وسطك ! هل أنت متزوج »

— « بل أعزب . إن زوجتى توفيت . »

— « ولم تشرب الخمر ؟ إنك تشرب طبعاً ؟ »

— « نعم . »

— « ولمـاذا ؟ »

قال ميشكا متضجراً : « ولماذا أشرب الخمر ؟ لتغفيلى . إننى مغفل ولهذا أشرب . ولو كان للانسان عقل لمـا جرؤ على تحطيم نفسه بيده . »

— « إنك على حق . » فاعمل على أن تـكون عاقلاً . حسن من سيرتك وأصلح من أمورك . اذهب إلى الـكنيسة واستمع إلى كلام الرب ففيه كل الحـكمة . »

وتأوه ميشكا وقال : « سأفعل »

— « هل لى أن أقرأ لك شيئاً ؟ »

— « نعم ، تفضلى »

وأتت العجوز بالانجيل ، وقلبت صفحاته ، وبدأ صوتها

يدوى ، ورمى ميشكا برأسه الى الوراء ، وحك بيده ذراعه اليسرى

« وهل تظن أيها الانسان أن فى وسعك الهرب من حكم الرب ؟ »

وقاطعها ميشكا وكأنه يجهش بالبكاء : « سيدتى المحترمة ، دعينى أذهب ، أرجو ذلك محبة فى الله ، سآتى مرة أخرى عن طيب خاطر وأستمع . أما الآن فانى جائع جدا . إننا لم نتبلغ منذ أمس

ودقت العجوز صدوها ، وقالت : « اذهب ! ابتعد ! » ورن صوتها المزعج فى الفضاء ، واندفع ميشكا مسرعا نحو الباب بعد أن قال لها :

« أشكرك شكرا جزيلاً أيضا »

وتمتمت العجوز تقول : أرواح مغلقة ! قلوب غلف كالحجارة !

***

وبعد نصف ساعة جلسنا فى المطعم ، وشربنا الشاى وأ كلنا الخبز الأبيض ، وقال ميشكا وهو يبتسم إلىّ بعينه التى تشبه عيون الأطفال سذاجة وفرحا : « كنت أشعر كأن حمى قد انسابت فى جسمى ، وقد وقفت هنالك وفكرت فى القول : أى ربى لم جئت إلى هنا ؟ إنه العذاب ! وبدأت هى الحديث : هل هؤلاء آدميون ! اننا نريد أن نكون شرفاء معهم وهى لهم ما توحى به ضمائرنا ، إلا أنهم يفكرون فى غير ذلك : يفكرون فى متاعهم . فقلت لها : يا سيدتى المحترمة ، هذا هو قفلك أرده اليك ولا تغضبى ... ولكنها قالت : انتظر ، ابق هنا ، اذكر لى أولاً لم أحضرته ؟ وبدأت تخزنى بكلماتها ، ولقد سئمت كثرة أسئلتها ... هذه هى الحقيقة »

وتابع الابتسام الهادئ المريح

واهتاج زيومكا وقال له جادا :

« أولى لك ياصديق أن تموت ! وإلا اتهمك فى الغد الذباب من فرط سخف أفكارك »

— « إنك تتحدث بغباء دائماً . تعال ، نريد أن نشرب كأساً لنسدل على المسألة الستار » . وشربنا كأساً على نهاية هذه الحادثة العجيبة

عن الألمانية ا . ا . ى

دراما من اسخيلوس

# سبعة ضـــــد طيبة

( الدرامة الثالثة الباقية من مأساة أوديب )

## للأستاذ دريني خشبة

---

خلاصة الدرامتين المفقودتين : ولد لملك طيبة الملك لايوس طفل جميل قالت النبوءة إنه إن عاش فسيقتل أباه ويتزوج أمه ويجر البلاء على شعبه فأرسله الملك مع واحد من خدمه ليقتله ويتخلص بهذا من شره ، ولكن الخادم خشى عقاب السماء إذا قتل الطفل فعلقه من عقبيه فى شجرة وعاد إلى المدينة . ومر راعى غنم بذلك المكان فأحزنه بكاء الطفل فأخذه وذهب به إلى ملك كورنثه الذى فرح به لعقم زوجته وجعله ولياً لعهده وسماه أوديبوس ( أى ذا القدمين المتورمتين ) . وكبر أوديب وأقيمت حفلة راقصة فى القصر وثمل المدعوون وحدث أن أحدهم اصطدم فى نشوة السكر بأوديب فلمزه فى أصله وأنه ليس ابن ملك كورنثه ، فثار أوديب وأظلمت الدنيا فى عينيه وترك من توه قصر الملك وهام على وجهه فى البلاد باحثاً عن والديه الحقيقيين . ولقى ركباً ملكياً فى طريقه إلى دلفى فأمره القائد أن يتنحى ناحية حتى يمر الموكب ولكنه أبى والتحم مع الجماعة فى معركة فقتلهم جميعاً وفيهم ملك طيبة — وبذلك تحقق شطر النبوءة الأول لأنه قتل أباه — ثم سار إلى أن بلغ طيبة فوجد قومها فى حيرة من مقتل الملك ومن هولة بحرية فتكت بأهل المدينة لأنهم لم يستطيعوا تفسير حجياها ، وسمع أوديب أن مجلس المدينة قرر أن من يخلص الناس من هذه الهولة فانه يصبح ملكا عليهم ويتزوج الملكة الأرمل ، فذهب من فوره فلقيها وحل حجياها وقتلها وصار ملكا على طيبة وتزوج الملكة التى هى أمه وهو لا يعلم — وبذلك تحقق شطر النبوءة الثانى — وحدث وباء فى طيبة فتك بأهلها فتكا ذريعاً وقالت النبوءة إن الوباء لا يرتفع عن طيبة حتى يقتل قاتل الملك لايوس ... وأمر الملك بتحقيق مقتل سلفه فثبت عنده أنه هو القاتل وأنه ابن لايوس هذا وأنه تزوج أمه ونسل منها ولدين وفتاتين فجن جنونه وسمل عينيه وهام على وجهه إلى الغابة لتقتله ربات الذعر جزاء له ... أما ابناه فقد اقتتلا على العرش واستنجد أكبرهما بالأرجيف أعداء طيبة فثار الشعب عليه . . . وفى المعركة التقى الاخوان فقتل أحدهما الآخر وبذلك تحقق الشطر الأخير من النبوءة ...

— ١ —

اختلف الاخوان ، إتيوكليس ، وبولينيسيز ، بعد مقتل أبيهما من اجل العرش ، ثم اتفقا على أن يحكم كل منهما سنة ، واتفقا على أن يحكم إتيوكليس ، الأخ الأكبر [1] قبل أخيه . فلما حال

(١) هكذا فى إسخيلوس ، أما سوفوكليس فيعد بولينيز الابن البكر لأوديبوس

الحول وأراد پولينيسيز ارتقاء العرش بدوره ، أبى أخوه ؛ وألب عليه الشعب ، وأوغر صدور مجلس طيبة بما لفق على أخيه من المفتريات . واضطر پولينيسيز إلى ركوب الأسنة ، لما لم يرَ له حيلة إلا ركوبها !

— ٢ —

ولاذ بملك آرجوس ، أدراستوس ، فحل به أهلاً ونزل عنده سهلاً ، واتفق الملك على أن يزوج الأمير ابنتـه ، على أن يرسل جيشه العرمرم على طيبة لأذلالها ، يقوده سبعة من أشد قواده

وعلم أتيوكليز بما دبر أخوه فهاج هائجه ، وانطلق إلى شعبه يدلهم على خيانة پولينيسيز ، ويقـدم لهم دليلاً جديداً « على هذا المـارق الذى لفظه وطنه فلاذ بأعدائه يشترى الملك بالعبودية ، والتاج بالقيد الذى يعده لبلاده ، وسعادته الوضيعة بشقاء طيبة بأسرها . . . »

— ٣ —

« إتيوكليز يحرض الجند على الأسوار »

— « يا أبناء طيبة ! أيها القدميون[١] الشجعان ! يا ذادة الوطن ! الساعة خطيرة فانتبهوا ، وإياكم وسنة من النوم تأخذكم والعدو محدق بكم . إنه إن يكن نصر فمن الآلهـة التى ترعاكم ؛ فإن تـكن الأخرى ، وحاشا أن تـكون ، فإننى ، أنا إتيوكليز ابن أوديبوس الشـقى ، أنا الرجل ملء الأفواه وملء الأسماع ، سأكون عرضة لحنقكم وسخطكم ، لأننى لم أستطع الدفاع عن ذماركم فلم أستحق محبتكم . وقانا الله عاقبـة السوء ، ودفع عن طيبة هذا البلاء . يا أبناء الوطن ! إن كل نفَس يتردد فوق تلك الأرض المقدسـة حرى بأن يشترك فى الجهاد الأكبر ، شيبكم وشبابكم ، كبيركم وصغيركم ، قويكم وضـعيفكم ، كل ينفخ فى أخيه من روح الوطن ، وكل تتـدفق فى عروقه دماء النخوة حارة ترد بسواعدكم الغزاة العتاة المعتدين ! ... قد جدت الحرب بكم فجـدوا ، ألا فافزعوا الى أسلحتكم فردوا بها عادية الأشرار عن وطنكم وعن آلهتـكم ، وعن أطفالـكم ، وأمهاتـكم اللائى أرضعنـكم لتكونوا بعون السماء الـكماة الحماة الحذام الصيد الصناديد ! أذكروا ما بعد النصر من عز وفخر ، واذكروا ما بعد الهزيمة من عار ودمار ومذلة وأسار !! لقد حدث واعظكم وصفى آلهتكم ، تيرزياس ، قال : إزقدة الأرجيف قد اعتزموا الكبسة ليلتهم هذه ، فمن لطيبة يا أبناءها غيركم ؟! هلموا !! تبوأوا مواقف للقتال فى كل شبر من أرضكم ، وقفوا بالمرصاد لعدوكم ، وسدوا الثغور فإنها مفاتح بلادكم ، واستلئموا فى حديدكم ، ولا ينالن منكم غرة فتذهب ريحكم ، وخذوهم من فوق حصونكم ، ولا تهولنكم كثرتهم فالسماء معكم ، والآلهة من خلفكم ... ... »

— ٤ —

« يدخل رسول »

— « حيـّا الله مولاى الملك ! الأخبار يا مولاى ! لقد شهدت بعينىْ رأسى : الأرجيف يا مولاى فى سـبعة جيوش جرارة ، يقود كل جيش كمىٌّ صنديد . لقد ذبحوا قرابينهم من كل عجل جسد وثور سمين ، وغمسوا أيديهم فى الدماء ، ثم تقاسموا ليجعلن عاليَ طيبة الخالدة سافلها أو ليهلـكن دونها . . . وكانوا يا مولاى يرمقونها بعيون تقدح الشرر إذْ هم يأخذون مواقفهم ، وكانت شفاههم تتلفظ تحناناً ليوم النصر ، وفى قلوبهم نار تسعر ! وقد عجلت اليك يا مولاى وإنهم ليعبئون صفوفهم ، ويأخـذون أهبتهم ، فخذوا عدتـكم واثقفوهم قبل أن يثقفوكم ، ولتكن طيبة كلها يداً واحدة ، وإن لنا لَلْـكَـرَّةَ بمعونة السماء . . .

« يخرج الرسول »

— « يا زيوس العظيم ! يا مولاى ! يا رب هذا البلد ! احمه من الأعداء ، ولا تسلطهم عليه فيغتصبوا حريتـه ، ويهدروا كرامته ! كن فى عون عبادك من ذرارى قدموس ! إنهم يخبتون لك ويصلون من أجلك ! »

— ٥ —

ويشرف الطيبيات[١] من أعلى الأسوار ، فيرين الى جحافل الأعداء محدقة بمدينتهن فينفزعْن فرقاً ، ويتغنين بآلام الوطن ، ويرسلن أنشودة طويلة مبـللة بالدموع من أجل طيبة ، ويهتفن بالآلهة أن تنقذهن من ذل السبى وهوان الأسار ، فما يسمعهن إتيوكليز حتى يهرع اليهن

— « ألا خَبـِّرْنَ أيتها المخلوقات اللائى لا يحتملكن قلب

---

(١) نسبة إلى قدموس الملك بانى طيبة ( عن كتاب وصف إغريقيا وتاريخها )

(١) هن ( خورس الدرامة )

ولا يُسر برؤيتكن طرف ! أبمثل هذه الأصوات المنكرة تدفعن عن طيبة بلاء الأعداء ! ؟ أبهذا الصراخ وذاك العويل تكشفن الغمة عن الوطن الحزين ! ؟ تالله إنكن عليه بهذا العواء الذى يقذف الرعب فى قلوب الجند ! أتحببن أن يحبَسْن ورجالكن فى عقور دوركن ، وتكن بذاك قد دفعتن عن البلاد غائلة العدو المحدق بنا جميعاً ! مالكن تهرولن هنا وهناك باكيات منتحبات ؟ إنكن إذن بلاء هذا الوطن وشقاؤه ، ولَسْتُن أهله بل أعداءه ! إنكفئن إذن وخلين بين الرجال وبين واجبهم الأسمى من مجالدة الأرجيف ، والذود عن بيضة الوطن ! إنكفئْن ! لا سعت بكن قدم ؟ ! »

— « ياحفيد لايوس العظيم ! إن قلوبنا لتنخلع من ضوضاء هذا الجيش اللجب المحيط بنا ؟ ! »

— « إذن خبرْن يا نساء طيبة ! أإذا أحيط بالسفينة فى البحر اللجى ترك الربان سكانها وفزع الى السارية لينجو من الغرق ؟ ! »

— « بل نحن قد فزعنا الى هيا كل الآلهة أن تحفظنا من الأسار ، وصلينا فى كل معبد من أجل رجالنا وأطفالنا ! »

— « بل صلين للآلهة أن تقى أسوار المدينة ، وأن تنصر أبطالنا على خصومنا ! اهتفن بأبنائكن أن ادفعوا عن أوطانكم ، ولا تسمحوا لعدوكم أن يجوس خلال هذه المدينة ! إنهم وحدهم يقدمون القرابين من أرواحهم لهذه الديار ! اما أنتن فقرن فى بيوتكن ، ولا تلقين الرعب فى قلوب أبنائكن ! ! لقد كدتن تفعمنها جبناً وترهقن سواعدهم ضعفاً وخوراً ! »

— « وبلاه ! إن العدو بأخذ المدينة من أساسها ! اسمع ! »

( أصوات شديدة وقرقعة )

— « أجل ! وإن للمدينة لأبناءً كراماً ، وإنها لقعقعة سلاحهم تبيد صفوف الأعداء ! »

— « بل هم الأعداء يجرعون أبناءنا غصص الموت ! »

— « غصص موت تبيدكن جميعا ! أصمتن ! »

— « أنت سبب هذا البلاء ! كل هذا من أجل لباناتك : أنت جلبتهم على طيبة بالخيل والرَّجْل ! ! »

— « يازيوس الجبار ! أى شياطين بثت فى نفوس النساء ؟ »

— « النساء التاعسات مثل رجالك الذين أشقيتهم ! »

— « أصمتْن يا شقاء الوطن ! لقد أزعجتن جنودنا بأصواتكن ! »

— « نصمت ! آه ! لنصمت بأمر الملك »

— « يا آلهة الأولمب رفقاً بطيبة ! تقبلى صلواتنا من أجل هذا الوطن ! إنى لن آلو جهدا فى تخير ستة من شجعان قادتنا يدفعون قادتهم السبع ... باركى يا سماء وانصرى يا آلهة »

« يخرج اتيوكليز »

— ٦ —

ويهوج الخورس بأناشيد يترجمن بها عن الفزع الذى يروعهن من هذه الحرب ، ثم يصلين من أجل طيبة ، ويدعين الآلهة ، ويحضر اليهن رسول ممن شهد المعارك فما يوشك يصف ما حدث عند البوابة الأولى من الطعن والضرب ، والتكبكب والانهزام ، والهجوم والارتداد ، حتى يجىء إتيوكليز فينفى كلام الرسول ، ويخبر أن القائد الطيبى فلانا قد دحرهم ، ومزق صفوفهم وخضد بأجناده شوكتهم . فاذا حدث الرسول عما كان من نزال وقتال عند البوابة الثانية رد إتيوكليز فبالغ فى شجاعة الطيبين ثمة ، وما أبدوا من صمود للهجمة ، وصبر فى موقف الموت . . . وهكذا . . . فاذا بلغ الكلام عما كان عند البوابة السابعة وذكر الرسول أن بولينيسز نفسه هو قائد الأرجيف فى تلك الجهة امتقع وجه إتيوكليز واربد جبينه ، وانعقدت فوقه سحائب من الهم والفكر ، ثم تلجلج لسانه بكلمة طويلة عن مصائر هذه الأسرة الشقية التاعسة ، وانطلق ليدافع عن البوابة السابعة ضد أخيه بنفسه . غير مصغ الى تحذير الخورس إياه . ولا حافل بأمارات السوء التى كانت ترقص أشباحها فى الميدان

— ٧ —

ويتغنى المنشدات ، فيذكرن الأحداث القدامى التى تنبأ بها الكهنة فى دلفى عن أوديب طفل لايوس ، ويوجسْنَ خيفةً أن يتم اليوم الفصل الأخير من المأساة

وما يكدن يفرغن من تغنيهن حتى يدخل اليهن رسول يزف اليهن بشرى نجاة طيبة وسلامتها !

— « نجاة طيبة ؟ هل انتصرت جيوشنا يا صاح ؟

— « كلا ، ولـكن انتهى كل شيء ! لقد قُتِـلا ؟

— « قتلا ! من لعمركَ أيها الرسول !

— « هدئن من روعكن يا سيدات ! انيوكليز وپولينيسيز ! لقد قتل كل منهما أخاه ، ووضعت الحرب أوزارها !

وتكاد الفتاتان المنكودتان : أنتيجونى وإسمنيه ، ابنتا أوديب تصعقان لهذا الخبر ، فهما أختا الأميرين المتحاربين ، والبقيـة الباقية من هذه الذرية الشقية ، وسيتألف من شقوتهما أسود فصل فى المأساة[1]

— ٨ —

وترثى الفتاتان أخويهما رثاء باكياً حزيناً ، وما تـكادان تفرغان حتى يدخل القائد العام لجيوش طيبة فيقول :

— « قضى الأمر وانكشفت عن طيبة غمة الحرب التى جناها عليها المـارق الأثيم . . . وسنفرغ الآن للاحتفاء بدفن إتيوكليز ، حبيب الوطن ؛ وصفى الآلهة ، وبطل الأبطال . . . ستقف طيبة كلها عند قبره لتذرف عليه دموع المحبة والاخلاص والحزن . . . أما الشقى پولينيسيز ، فستنبذ جثته بالعراء ، جزر السباع وكل نسر قشعم ... ستنوشه كلاب البرية بعد أن يجيف وينتن ، جزاء له على مروقه من حظيرة الوطن ، وعقاباً له على لواذه بأعداء طيبـــة ، وسوقه جيوشهم عليها يقتلون أبناءها ويطفئون جذوة الحياة فيها . . . لن يبكى عليه أحد . . . ولن يوقره أحد . . . ولن تؤدى له طقوس الموت لأنه لا يستحقها ، ولن يصب أحد على ترابه خمراً . . . اللئيم المنبوذ . . . بهذا قضى عليه مجلس طيبة الأعلى ، فليذق بعض ما قدمت يداه !! »

وما يكاد يفرغ حتى تثور ثائرة أنتيجونى حزناً على أخيها وتقول :

— « ماذا أيها القائد ؟ لن تقام الطقوس الدينيـة لأخى ! وسينبذ بالعراء تنوشه كلاب البرية وذؤبانها ؟ ها ها !... أنت تحلم ورجالك أعضاء مجلس طيبة يحلمون ! بل أنا ... أنا الفتاة العاجزة أنتيجونى . . . أخت هذين التاعسين ، وابنـة ذينك الأبوين البائسين . . . سأقوم لأخى بكل ما أباه عليه مجلسكم الموقر . . . سأدفنه وسأهيل التراب على جسمانه ، وسأضرب بقراركم عرض الأفق ! ولتفعل قوتكم بضعفى بعد ذلك ما تشاء !

— « أنصح لك يا فتاة أن تدعى لمجلس الأمة مصير هـذه المسئلة !

— « بل أنا أنصح لمجلس الأمة ألا يأمر بمـا ليس فى مستطاعه !

— « أحـذرك ، فهنا شعب نجا الساعة فقط من أهوال الحرب ، وهو لذلك لا يعرف الرحمة !

— « ليكونوا غير رحماء ؟ ولـكن لا بد مما ليس منه بد ! سيدفن أخى برغم الجميع !

— « وكيف ؟ إنك تتحدين المدينة بأجمعها ! انها تكرهه !

— « لقد لقى حسابه من السماء ، فلم يعد لأهل الأرض حساب معه !

— « ولـكنه عرض الوطن للبوار قبل كل شيء !

— « لقد أساء التصرف فيما لم يكن له فيه يدان ! وسأدفنه وحسبكم منى هذا ... كفى . كفى !!

— « أنت حرة ... تفعلين ما تشائين ... ولـكنى سأمنع الدفن بالقوة !

ويتغنى المنشدات ، ويصلى الجميع للآلهة

دريني خشبة



(١) سنبتدئ من الأسبوع المقبل تلخيص مآسى سوفوكليس وأولها مأساة Antigone التى تعتبر الفصل الأخير من ثلاثية أوديب لأسخيلوس

# من هنا ومن هناك

## سافو وليلى الأخيلية

لعل ليلى الأخيلية من بين شاعرات العرب هي أشبه الشاعرات بسافو شاعرة الأغريق منذ خمسة وعشرين قرناً. فأشعار ليلى تفيض بالحب، ويحس منشدها اللوعة، وتجرى في أبياتها الصبابة؛ وكل هذه مزايا أشعار سافو. ولسافو بين الأغريق مكانة عالية لا يدانيها إلا هوميروس بين الرجال. وهي ثالثة ثلاثة بين شعرائهم الغنائيين: أولهم ألكيوس، وثانيهم أنكريون. وقد امتاز ألكيوس بأشعار الحماسة والوطنية؛ وامتاز أنكريون بقصائده التي تشبه قصائدنا العربية في الوصف والبث والبكاء والحكمة. أما سافو فتمتاز بالغزل والنسيب والتشبيب، وقد تختلف من ليلى الأخيلية بالغزل الصارخ الذي لا تعرفه البدويات الرعابيب. وفي نسيب سافو ثورة متأججة من نشدان اللذة في الحب، فهي لا تعرف هذا الهوى العذري الذي نعرفه في ليلى. هذا وإن لم يثبت التاريخ أن سافو كانت « عشيقة » Hetaira يوماً ما؛ ومن يدري؟

والأغريق مولعون بأشعار سافو، وكانوا يرددونها على كؤوس الخمر، لأنها أمتع أغانيهم الخمرية ( Skolia ). سئل صولون المشترع: « افرض أنك تموت الآن يا صولون. فماذا كنت تشتهي قبل موتك؟ » ؛ فقال: « أغنية من سافو أرددها ثم أموت !! »

## سيف الدولة وميسيناس

قال الثعالبي في يتيمة الدهر: « إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك، بعد الخلفاء، مثل ما اجتمع بباب سيف الدولة من الشعراء المفلقين! »

وميسيناس في التاريخ الروماني يشبه سيف الدولة في التاريخ العربي، من حيث الميول الأدبية عند كل منهما واجتذاب الشعراء والأدباء بالمنح والعطايا الجزيلة. كان المتنبي شاعر سيف الدولة الفحل، وكان كُشاجم الشاعر الرقيق أحد خدمه، وأبو الفرج الببغاء وصافة الحروب أحد كتبته ومواليه، والسري الرّفاء والواوي من شعرائه، وكان ابن عمه أبو فراس من بطانته، وكان سيف الدولة مع ذلك الشاعر الفحل والنقادة البارع؛ وربما — لو فرغ للشعر — فاق هؤلاء جميعاً. ويعزون له شعراً لا نعرف في الشعر العربي كثيراً مما يشبهه رقة ودقة. يذكرون أنه خاف على إحدى جواريه فحجزها في إحدى قلاعه، وقال في ذلك:

راقبتني العيون فيك، فأشفقـ ت ولم أخل قط من إشفاق
ورأيت العـدو يحسدني فيـ ك مجداً بأنفس الأعلاق
فتمنيت أن تكوني بعيداً والذي بيننا من الود باق
رب هجر يكون من خوف هجر وفراق يكون خوف فراق

وقال يصف قوس قزح:

وساقٍ صبوح للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سِنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجو دُكنا، والحواشي على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأصفر على أحمر، في أخضر، إثر مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبَّغة، والبعض أقصر من بعض

والذي يعنينا من عقد المقارنة بين سيف الدولة العربي وميسيناس الروماني هو الوصول إلى أبي الطيب عن طريق سيف الدولة، وهوراس عن طريق ميسيناس. فلقد كان أبو الطيب المتنبي خاملاً حتى اتصل بسيف الدولة فنبه؛ وكان فقيراً فأعطاه سيف الدولة حتى اغتنى. وكان أبو الطيب يحب سيف الدولة بقدر ما يشعر له كما يقول الثعالبي، وكذلك كان هوراس الشاعر الروماني الكبير من ميسيناس الروماني الكبير

كان ميسيناس كبير مستشاري أكتافيوس « تلك

الشخصية الفذة التى تدور حولها وقائع الفصل الأخير من درامة الجمهورية الرومانية ، والذى ثأر من بروتس وشيعته قتلة قيصر ، وتخلص بلباقة من شراك كليوبطره ، والذى منحه مجلس الشيوخ لقب (أوغسطس) أى المعظم ؛ ولقب پرنسبس Priuceps أى المجلى أو أعظم أعضاء مجلس الشيوخ ، والذى صار فيما بعد ذلك طاغية رومة وأمبراطورها العظيم » ، وقد استطاع ميسيناس أن يكون موضع الثقة من الطاغية حتى أصبح مطلق اليد فى شؤون الأمبراطورية ، وأصبح فضلاً عن ذلك أكبر شخصية فى الدولة يزيدها التفاف الشعراء ومحبة الأدباء بهجة ورواء وتألقاً

عرف الشاعر فرجيل هوراس وسمع إليه فأعجب به وضمه إلى جماعة الشعراء الرومانيين المسماة Vorius ثم وصله بحاشية ميسيناس فأغرم به المستشار وأغدق عليه النعم وصحبه معه فى حروب الدولة وحضر موقعة أكتيوم التى وصفها هوراس ووصف غيرها من الحروب الرومانية كما وصف أبو الطيب حروب سيف الدولة

وقد كان هوراس كما كان أبو الطيب يصبو إلى الحكم فى ظل الدولة ، فلما انتصر الرومانيون بقيادة أكتافيوس فى أكتيوم رأى ميسيناس أن يكافىء شاعره مكافأة تتناسب وقدمه العالية عنده ، فأقطعه إقطاعية واسعة فى الأراضى السابينيّة (وسط إيطاليا) قريباً من روما ، وهو مالم ينله أبو الطيب لا من سيف الدولة ولا من المتضد ، ولا من إمام الآبقين أبى المسك كافور ! ! والذى يقرأ ديوان هوراس يلفته اسم ميسيناس فى أكثر صحائفه كما يلفت القارىء اسم سيف الدولة فى ديوان أبى الطيب

وسنعود إلى شعر هوراس فى عدد آخر ؛ ولكن لا يفوتنا هنا أن نشير إلى براعة ميسيناس فى نقد الآداب وتمييز غثها من سمينها ؛ ثم إلى براعته فى الخطابة ومقدرته الهائلة فى التأثير على الجماهير . ولقد كان يفضل هوراس على ڤرجيل ويعتبره شاعر الرومان المعبر عن خلجاتهم ، والناطق بلسان الطبيعة فى جميع أنحاء الأمبراطورية . أما ڤرجيل فكان يعده شاعراً أسطورياً لأنه نسج على منوال هوميروس

## أوسكار وبلد وبرنرد شو

يعتبر أوسكار وبلد زعيم المنحطين فى الأدب الانجليزى ، وهو قد نسج فى أدبه على طريقة بلزاك وجوتييه من حيث نشدان اللذة الجنسية ، ولكنه غلا حتى أجاز الشذوذ فى تحقيق هذه اللذة ، وقصته (صورة دوريان جراى) آية ذلك الشذوذ . وكما نسج فى أدبه على طريقة بلزاك وجوتييه فقد نسج فى فنه على مبادىء جون رسكن التى تدعو إلى محاربة الآلات ليرقى الفن وتقول بأخضاع الحياة للفن لا الفن للحياة ، وهى مبادىء خطيرة ما تزال بكل أسف تلقى لها أنصاراً كثيرين فى سائر الأقطار . وقد كان لأدب أوسكار وبلد ولفنه فى انجلترا ثمرة مرة ، ولكنها مشتهاة ، فقد غنى على عوده كثيرون من رجال المدرسة الحديثة أمثال لورانس وجويس وألدوس هكسلى ورسل ، وإن يكن بعضهم يهيج فى قصصه من حيث الأدب الجنسى نهجاً علمياً قد لا ينافى الأخلاق وإن عظم أثره فى تكييف سلوك الشباب .

وبرنرد شو هو نقيض وبلد فى كل شىء ، إذ يكاد شو يكون صوفياً فى نظرته للأدب ، فى حين ينظر وبلد للأدب نظرة مادية كنظرة الأباحيين إلى تمثال من المرمر لامرأة غاوية خليعة تثير التشهى وتعمل لتحقيقه . وشو يدعو إلى حفظ الجسم بالاعتدال فى كل من شهوة البطن والفرج ، وقد يحتم الصوم لتحقيق مذهبه ، وقد امتنع هو عن أكل الأطعمة الحيوانية وتناول الأدوية لهذا السبب . وها هوذا يتمتع بكمال الصحة فى شيخوخته النشيطة الدائبة التى ما تنى ، على حين أغمض الموت جفنى وبلد فى غصص من الأمراض والتهدم الجسمانى . . . وشو محتشم فى كوميدياته ، يثير الضحك بتعرية حقائق الأخلاق ؛ أما وبلد فمهرج ، يتبع فى ملاهيه طريقة أرسطوفان الاغريقى الذى لا يرى بأساً من إظهار حمار على المسرح وإلباس رجل لبوس امرأة

ويتفق شو ووبلد فى ذكائهما النادر ومنشئهما الايرلندى ، وفى أنهما خدما المسرح الانجليزى خدمة لم تكن تقوم قائمته بدونهما

(د . خ)

# البريد الأدبي

## جلبرت تشسترتون

فى الأنباء الأخيرة أن الكاتب الانكليزى الشهير جلبرت كايث تشسترتون G. K. Chesterton قد توفى فى منزله الريفى فى بيكونزفيلد فى الخامس عشر من شهر يونيه الجارى. وتشسترتون كاتب وأديب من النوع العام أو النوع « الأنسيكلوبيدى ». فهو صحفى، وفنان، وشاعر، وروائى، وكاتب مرح، ومؤرخ، وناقد، وسائح؛ وقد تبوأ مكانته فى الأدب الانكليزى المعاصر منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وكان مولده فى شهر مايو سنة ١٨٧٤ فى كامدن هل من أعمال كنسنجتون، وتلقى تربيته فى مدرسة سانت بول، ولكنه التحق بعد الفراغ منها بمدرسة « ملايد » الشهيرة ليدرس الفنون، ولما غادر مقاعد الدرس بدأ الحياة أديباً ناقداً ينقد الكتب الفنية فى بعض المجلات الشهيرة مثل « بوكمان » و « سبيكر » وغيرهما، ويشتغل فى نفس الوقت فى إحدى دور النشر ليكسب قوته. ومنذ سنة ١٩٠٠ يستقر تشسترتون فى حياته الأدبية ويتخذها مهنة ومرتزقاً؛ وظهر بسرعة فى ميدان الصحافة، وتولى التحرير والنقد فى كثير من كبريات الصحف مثل « الديلى نيوز » و « البال مال » و « الديلى هرالد » و « الورلد » و « الفورتنيتلى » وغيرها، وأخذ فى نفس الوقت يخرج طائفة من الكتب الأدبية المختلفة، نذكر منها « الفارس المتوحش » The Wild Knight وهو مجموعة شعرية؛ وترجمة نقدية للشاعر براوننج Browning و « الاثنا عشر نموذجاً » Twelve Types و « نابليون صاحب نوتنهام » N. of Nottingham (سنة ١٩٠٤)، و « نادى السلع المدهشة » Club of gueer Trades (سنة ١٩٠٥) وترجمة الروائى دكنز Diekens (سنة ١٩٠٦) و « الأرثوذكسية » (سنة ١٩٠٨) و « المسخافات الرائعة » Tremendoris Irifles (سنة ١٩٠٩)، وتاريخ الأدب الفكتورى Ths Victorian age in Eng Litteratu (سنة ١٩١٣) و « السحر » Msgic وهى قطع مسرحية؛ وديوان شعر Poems (سنة ١٩١٥)، ومختصر تاريخ انكلترا A Short History of England (سنة ١٩١٧) و « خرافات الطلاق » Superstitions of Divorce (١٩٢٠) و « الرجل الخالد » The Everlasting Man (سنة ١٩٢٥) « وليم كوبيث » (١٩٢٥) و « محاكمة الدكتور جونسون » Judgement of Dr J.، وهى قطعة مسرحية (١٩٢٧) والفصول الكاثوليكية Catholic Essays وغيرها

وتشسترتون كاتب وافر الانتاج والطرافة، معاً يذهب فى التحرر من الآراء والنظريات المقررة إلى أقصى حد، وقد تأثر كثيراً بنظريات صديقه الحميم المؤرخ هلير بلوك فى التشكك؛ وهو ذو فراسة قوية فى تفهم العوامل الاجتماعية وتكييفها، وقد اعتنق تشسترتون الكثلكة فى سنة ١٩٢٢، وسجل بذلك تمسكه « بالأرثوذكسية » فى سائر المناحى؛ فى الأدب والسياسة والاجتماع وغيرها؛ ومن رأيه أن الارادة البشرية هى مبعث كل الأعمال والتصرفات، ولا بأس من أن يحيي المجتمع من الأنظمة القديمة ما يناسبه

وقد أنشأ تشسترتون منذ أعوام مجلة أدبية اجتماعية باسم G. K. S. Weekly أعنى أسبوعية جلبرت تسسترتون مرموزا إليه بالحرفين الأولين من اسمه (ع)

## جلبرت كنت تشسترتون أيضاً

توفى هذا الكاتب الشاعر النقادة الصحافى الانجليزى الكبير فاندك بموته صرح منيف من صروح الأدب الانجليزى المعاصر

نشأ نشأة متوسطة، ولم تعترضه ظروف قاسية كالتى تعترض لداته من الأدباء عادة، ولذا عاش حياة كلها مرح، وقضى عمره الغنى الحافل فى خدمة الأدب فى جميع وجوهه، ومال منذ حداثته إلى قرض الشعر فنظم قصائد متواضعة ثم اشتد باعه فنظم القصائد

الرائعة التى مكنت له فى عالم الأدب ، ورفعت اسمه فوق أسماء الأدباء . وكل عارف بالشعر الانجليزى لا ينسى قصيدتى تشسترتون (نابليون نوتنج هل) ، و (الفندق الطائر) . وتشسترتون يشبه رديارد كبلنج فى شدة حبه للأمبراطورية ، ويشبه جون درنكووتر فى تفانيه لخدمة اللغة الانجليزية والأدب الانجليزى

بيد أن قيمة تشسترتون كأديب عظيم لا ترجع إلى أشعاره ، ولكن إلى كتاباته فى نقد الأدب والحياة والاجتماع . فلقد جال جولات واسعة فى أمريكا وفلسطين فنقد كل مرافق الحياة فى الأولى فى مجلد ضخم ، ثم كتب تاريخاً حافلاً للحروب الصليبية ضمنه موجزا لتاريخ فلسطين . وقد آمن بعد تجواله فى هذه الأقطار بوجوب استقلال الفلاحين وتدريبهم على حياة التعاون فيما بينهم بما ينفعهم ، ولم ينس أن ينصح بمثل ذلك للانجليز أنفسهم عندما كتب تاريخه المفيد ( Short History of England )

وبالرغم مما يدعيه هذا الكاتب الانجليزى من كرهه لطرائق السفسطائيين الأغريق فانه لم يكن سفسطائى أكبر منه فى انجلترا ولا فى العالم أجمع فى العصر الذى نعيش فيه . وكان معروفاً عنه أنه متى ما رأى رأياً ولو كان خطلاً فى خطل فانه ما ينى عن سنده بالحجج وإقامه بالبراهين ، وإن تكن حججه وبراهينه دائماً أوهى من خيوط العنكبوت ، ولكن قارئه برغم ذلك يكب عليه إكباباً عجيباً ، ويشغفه منه هذا الترقرق فى سوق حججه ، وذاك البيان السهل ، والأسلوب الأخاذ ، والعبارة الطلية الهينة التى يغطى بها ضعف براهينه . وكان بطبعه هذا ميالاً إلى المبالغة والتهويل ، ولذا كان يقع فى التناقض دائماً . واليك مثلاً من تناقضه العجيب فى فصل عقده عن (استقامة الرأى) ، قال :

« لا ينشأ الجنون من ادمان التفكير ، ولكن من التعقل (!!) فقلما يصاب الشعراء بالخبل ، فى حين يأفن لاعبو الشطرنج وتنتهى حياتهم إلى العته . والرياضيون والصيارفة كذلك طالما يصيبهم الجنون أو على الأقل اللوثة ، فى حين يحيا الفنانون حياة سليمة برغم أنهم دائماً يعملون قرائحهم ويبتدعون ويخلقون . وأنا بقولى هذا لا أناقض المنطق ولا أهاجم الناطقة ، ولكنى أقرر أن الشر كل الشر فى المنطق والمناطقة .. لا فى التفكير ... »

وقد ساق درنكووتر فى خلاصته عن الأدب أمثالاً أخرى عن تناقض تشسترتون (ص ٩١٦) نحيل اليها القارئ

والذى سيخلد من كتابات تشسترتون هى فصوله الممتعة فى نقد الأدب والأدباء ؛ وسيبقى كتابه عن (دكنز) ثروة عظيمة للمتأدبين بالأدب الانجليزى

( د . خ )

## جريدة انكليزية لتأييد القضية الحبشية

تلقينا الأعداد الأولى من جريدة أسبوعية تصدر فى لندن بعنوان « التيمس الجديدة وأخبار الحبشة » New Times & Ethiopia News وعنوانها يدل على موضوعها وغايتها فقد أنشئت أخيراً للدفاع عن القضية الحبشية أمام الرأى العام الانكليزى والأوربى ، واقناعه بفظاعة الاعتداء الايطالى . وتتولى تحرير الجريدة المذكورة السيدة سلفيا بنكهرست ؛ وقد صدرت عددها الأخير بصورة الأمبراطور هيلاسلاسى ، ومقال للدكتور مارتن وزير الحبشة فى لندن عنوانه « انتظروا وتأملوا بينما يعمل القتل عمله » ، وفيه يحمل على المبدأ السياسى القائل بالانتظار والتأمل ، لأنه هو الذى أودى بحياة الحبشة ، ولو قامت عصبة الأمم بعمل حاسم لاستطاعت وقف الاعتداء الايطالى فى الوقت المناسب ، وفيه تفاصيل عن مقدم الأمبراطور ، ومقال عنوانه « يجب أن ننقذ الحبشة » بقلم مستر هوكن ، ونبذ وأخبار أخرى عن الحبشة قبل الحرب الايطالية وبعدها

## مباراة أدبية عالمية

تنظم جمعية التاريخ الجديدة فى نيويورك ، فى الخريف القادم ، مباراة أدبية علمية ؛ وقد اختارت للكتابة موضوعاً دولياً عاماً هو « كيف تستطيع شعوب العالم أن تحقق نزع السلاح العام ؟ » How can the people of the world a chieve universal disarmament ؛ وهذه المباراة مفتوحة لكل شخص من الجنسين ، ومن أى الأمم ، ومن أى المهن أو الثقافات ؛ وستوزع على الفائزين جوائز قدرها خمسة آلاف دولار ( نحو ألف جنيه )

وقد تأسست جمعية التاريخ الجديدة فى نيويورك منذ سبعة أعوام ، ونظمت قبل ذلك عدة مباراة أدبية عامة وصدرت لها جوائز مالية حسنة ، وهى تعنى قبل كل شىء بتعرف آراء الشباب والجيل الجديد . ومن أغراضها أنها تدعو الى انشاء مجتمع أخوى عام من شعوب الأرض كلها ، وتدعو الى نزع السلاح ، ومؤاخاة الدول ، وعمل تشريع دولى انسانى عام

وترسل الرسائل فى المباراة المذكورة الى جمعية التاريخ الجديد بنيويورك : New History Society, 132, 65th Street, New York

**موسم الشعر**

في الساعة السادسة من مساء الأحد ١٤ يونيو سنة ١٩٣٦ أقام (جماعة الشعراء) في دار جمعية الشبان المسلمين حفلة (موسم الشعر) رأسها صاحب المعالي العرابي باشا ، وافتتحها الأستاذ أنطون الجميل بك ، وتكلم عنها الأستاذ محمد الهراوي افندي ؛ وكان الشعراء قد أخذوا مجالسهم من المنصة وعليهم قداسة من جلال الشعر أشاعت في نظراتهم وحركاتهم دلائل الفخر والعزة . افتتحت الحفلة بكلام الله فخنست لاعجازه الخالد شياطين الشعراء ، ثم قام الأستاذ الجميل بك فألقى كلمة رائعة رفعت رأس النثر في حضرة الشعر ، وتتابع بعده الشعراء فألقى كل قصيدته على منهاج معين ، وكان الجمهور شديد الحساسية للصور البيانية ، والمعاني المبتكرة ، والأغراض الجديدة ، والالقاء الجيد ، وجملة شعراء الموسم كانوا سبعة عشر شاعراً ، فرغوا من قصائدهم في ساعة ونصف ساعة ، وهم الأساتذة :

إبراهيم ناجي ، أحمد رامي ، أحمد الزين ، أحمد الكاشف ، أحمد محرم ، أحمد نسيم ، حسن القاياتي ، حسين شفيق المصري ، زكي مبارك ، سيد إبراهيم ، عزيز بشاي ، كامل كيلاني ، محمد الأسمر ، محمد الهراوي ، محمد الهيهاوي ، محمد عزيز رفعت ، محمود رمزي نظيم ، السيدة منيرة توفيق

وموسم الشعر أمنية من أماني الأستاذ الهراوي ظل يرصد لها الأهبة ثلاث سنين . ففي ربيع سنة ١٩٣٣ تألفت بسعيه وبسعي إخوانه ( جماعة موسم الشعر ) كما تتألف المجامع الأدبية ، ونشرت على الناس بياناً جعلت فيه وسائلها قرض الشعر الفصيح ، ووضع البحوث في الأدب ، وإلقاء المحاضرات في الموسم ؛ وحددت فيه أغراضها باقامة موسم عام للشعر العربي في القاهرة ، و(العمل للاحتفاظ في الشعر العربي بقوة الأسلوب ووضوحه ، والجرى على ما تقتضيه ضوابط اللغة من الصحة وما تتطلبه خصائص البيان من بعد الأسلوب عما يضعفه أو يفنيه في غيره أو يقطع صلة حاضره بماضيه ، وتقريب مابين الشعر العربي وغيره مع المحافظة على السنن العربي والعمل لتنوع أغراضه وفنونه ، وأخيلته ومعانيه ، وإبراز الحياة الحاضرة والمدنية القويمة في صورها الصحيحة ، والمحافظة في الشعر على الذوق العربي مع مماشاته لحاجات العصر وروحه ، وتوجيه الشعراء إلى القيام بحاجة العامة والتلاميذ من الشعر في أغانيهم وأناشيدهم ، وحفز مواهب الشعراء إلى تهيئة السبل لظهورها والانتفاع بها ، وخدمة اللغة العربية ونشر آدابها وتقويم ملكاتها وتنمية ثروتها من الألفاظ والمعاني والأخيلة ، وتوثيق الصلات الأدبية بين مصر والأقطار العربية الأخرى)

وقلنا يوم قرأنا هذا البيان إن (الرسالة)[1] تؤيد هذه الأغراض السامية من غير تحفظ ، وتدخر غبطتها بها وتصفيقها لها ليوم التنفيذ ، فان صوغ الأماني ووضع الأنظمة وإذاعة العزم شيء ، وتجويد العمل وتنفيذ الفكرة وتحقيق الغرض شيء آخر . فاذا قرأت هذا ثم علمت أن الموسم ذا الغرض الضخم اختصر في حفلة واحدة ؛ وأن هذه الحفلة التي أقيمت بعد ثلاث سنين كانت مما يمكن أن يقام في كل أسبوع ، وأن ما قيل فيها كان كله من الشعر المطبوع على غرار واحد ، وأن أكثر هذا الشعر مما أنشد من قبل في الحفلات ونشر في الصحف ، وأن في هذا الأكثر ما لا يليق إلقاؤه في هذا الحفل ، ندمت على أن أسرفت في التصفيق ، وعلمت أن الشعراء يساعدون الزمن بكسلهم على إخماد الشعر . ولكن الأستاذين الهراوي والأسمر يقولان بعد ثلاثة أحوال ما قاله فند مولى عائشة بنت سعد : (تعست العجلة) . على أن البدء في كل عمل صعب ، وجمع الشعراء على أمر واحد شاق ، والخطوة الأولى على كل حال نصف الطريق

**جماعة البعث والتجديد**

تكونت من بعض أبناء الجامعة المصرية جماعة أدبية باسم « جماعة البعث والتجديد » . وأغراضها كما يأتي :

١ — بعث الأدب العربي القديم ودراسته دراسات مستفيضة ، ليستسيغه الجمهور ويقبل على كنوزه النوالي

٢ — خلق أدب جديد يمثل نزعاتنا النفسية ، وخوالجنا الروحية ، ومثلنا الاجتماعية . فيه حياة فوارة ، وخيال دقيق ، وفن عالي بكر

٣ — النقد النزيه الحر

٤ — اذاعة أروع ما ابتكرته القرائح العالمية ، شرقية وغربية عن طريق التعريف والتلخيص والترجمة

(١) العدد الثالث عشر من الرسالة

٥ — رفع مستوى القارئ العادى الى استساغة الجمال والأسلوب الفنى

٦ — تنظيم مهرجان شعرى لشعراء الشباب والقاء سلسلة محاضرات ومناظرات وقراءات

٧ — لسان حال الجماعة « مجلة الشباب » والاتصال بها يومياً من السادسة الى السابعة مساء شخصياً أو بالمراسلة بعنوان « مجلة الشباب بميدان سوارس رقم ٣ بمصر

والجماعة ترحب بكل من يحب الانتماء اليها للعمل بمبادئها من أدباء الشباب الموهوبين وأديباته الموهوبات من أبناء الجامعة المصرية

أما « مهرجان الشعر » فعام لشعراء الشباب جميعاً وسيعلن عن نظامه وموعده فيما بعد ، والاتصال بشأنه بعامر محمد بحيرى أفندى بادارة مجلة الشباب

## تدهور التعليم العالى فى ألمانيا

من الحقائق المعروفة أن الحركة الفكرية والتعليمية فى ألمانيا قد اضمحلت فى ظل الحكم الهتلرى ؛ فقد طاردت الحكومة الهتلرية أكابر الكتاب الذين لا يتفقون معها فى الرأى السياسى وسيطرت على الصحافة وصفدتها بأغلال جعلت منها أداة حكومية للدعاية ، وغيرت برامج التعليم لتتفق مع غاياتها السياسية ، وبسطت نفوذها على الجامعات حتى جعلت منها منابر للدعوة النازية وهكذا

وقد اطلعنا أخيراً فى بعض الصحف الكبرى على إحصاء يدل الى أى مدى سحيق تدهورت الحركة التعليمية فى ألمانيا فى ظل الحكم النازى خلاصته أن طلبة الجامعة الألمانية بلغ عددهم فى العام الدراسى الحالى نصف ما كانوا فى صيف سنة ١٩٣٣ ، وهى السنة التى تولى فيها هتلر الحكم ؛ فقد كانوا يومئذ ١٤٠٠٠ ( أربعة عشر ألفاً ) ، وعددهم فى هذا العام ٧٩٣٤ فقط ؛ ولم يدخل الجامعات الألمانية فى أوائل العام الدراسى المنقضى من الطلبة الجدد سوى سبعة آلاف . وكان عدد طلبة الجامعات والمدارس العالية فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ ، ١١٦٠٠٠ طالب ، فنزلوا هذا العام إلى ٧٧ ألفاً فقط ؛ وكانت الجامعات الصغيرة أشد تأثراً بهذا النقص الفادح ، وهذه الأرقام تنطق بنفسها ، وتدل دلالة واضحة على مبلغ التدهور الذى أصاب الحركة الفكرية فى ألمانيا فى عهد الهتلريين

وهذه النتيجة تعتبر من جهة أخرى طبيعية منطقية فى ألمانيا الهتلرية ؛ ذلك أن نظرية الهتلريين فى التربية تميل إلى الاسبارطية القديمة ، وتؤثر التربية العسكرية والرياضية على أى نوع آخر من التربية ، وتؤثر الأجسام القوية على العقول الراجحة ، وعلى الرؤوس المستنيرة

على أنه مهما كان من رأى الهتلريين ونظرياتهم فى التربية ، فان هذه النتيجة التى انتهت إليها ألمانيا فى مثل هذا العهد القصير ليست مما يشهد للنظم الجديدة ، وليست مما يدعم عظمة الأمم

## جمعية هندية للمباحث الاسلامية

تقوم فى بومباى ( الهند ) منذ ثلاثة أعوام هيئة علمية اسلامية تسمى « جماعة البحث الاسلامى » ؛ وهى هيئة علمية محضة غير طائفية وغير حزبية يشرف على تعضيدها أكابر الزعماء والأمراء المسلمين ، وتضم جماعة من أعظم المفكرين المسلمين فى الهند وفى أوربا ، وقد صدر أخيراً تقريرها السنوى الثالث وفيه أنها تعنى بنشر البحوث العلمية الخالصة ، وأنها قد عملت لهذه الغاية باصدار كتب خمسة ، وأنها تعنى الآن بنشر طائفة أخرى ، ومن ذلك ترجمة هندية لكتاب « تاريخى فيروز شاهى » من الفارسية . وترجمة لمقدمة ابن خلدون من العربية ، وكتاب عن مذهب الشيعة ؛ وتعنى هذه الجمعية العلمية بنشر المباحث الاسلامية الرفيعة فى الهند

# فى النقـــد

بقية المنشور على صفحة ١٠٠٤

على أنه لون من ألوان التصوير لتاريخ الحياة الأدبية فى عصرهم وفيما سبقهم من العصور . فهم فى عصر النضوج أدنى إلى المؤرخين منهم إلى النقاد . وما كتبه سانت بيف عن القرن السابع عشر وعن ( بور رويال ) لا يطلق عليه عنوان النقد بمعنى النقد المعروف للآثار الفنية بمقدار ما هو تحليل تاريخى دقيق لصورة من صور الأدب وأسباب نشوئها ، وما تأثرت به فى نموها وحياتها . ولهذا السبب تختلف آثار هؤلاء النقاد فى أيام النضوج عنها فى أيام النمو ونشاط تمثل الحياة . نقدهم أيام النضوج أثر كامل لحياتهم ونضوجهم . أما نقدهم حين النمو ونشاط التمثل فشأنه شأن النقد حين يتناوله غيرهم من الشبان ؛ هو تناول لمواد الحياة العقلية والأدبية وهضم وتمحيص إياها ، وتمثل للصالح منها ، وافراز لزيفها

وكانا يعرف طائفة من كبار الكتاب فى فرنسا وفى غير فرنسا بدأوا حياتهم بالنقد ، ثم انصرفوا عنه لغيره من ألوان الأدب . ويكفى أن يذكر الانسان أناتول فرانس وبول بورجيه وهما من أعلام أدبها القصصى فى القرنين التاسع عشر والعشرين ليقدر أن الكاتب كثيراً ما ينصرف بعد فترة من حياته إلى ما يحسبه رسالته الصحيحة فى الحياة بعد أن يكون قد استق بالنقد من رحيق الحياة صنوفاً وألواناً . وهؤلاء قد حمد الناس لهم ما اختصوا بالكتابة فيه ، ولم يطالبهم أحد بالعودة إلى ميدان النقد . ولو أنهم عادوا إلى هذا الميدان لعادوا مؤرخين ولم يعودوا نقادا على طريقة الشبان الناشئين

لهيبوليت تين الفيلسوف الفرنسى الكبير فى القرن الماضى ثلاثة مجلدات فى النقد والأدب ، تناول فيها طائفة من معاصريه من الفلاسفة والكتاب تناولاً دقيقاً غاية الدقة ، بديعاً غاية الابداع . وهى مع ذلك ثمرات شبابه ، فلما تقدمت به السن شغل بكتابة تاريخ فرنسا وبوضع كتب فى الفلسفة والأدب ككتابه عن الذكاء ، وكتابه عن تاريخ الأدب الانجليزى . ولقد وضع كتاباً فريدا جعل عنوانه « مذكرات عن باريس » هو آية فى التهكم اللاذع بحياة عصره ، والنقد لطرائق أهل فرنسا فى مختلف ألوان حياتهم . وكم تمنى كتاب أن لو سلك تين هذا المسلك ووضع على هذا النحو كثيرا من الكتب . لكن أحدا لم يوجه اليه اللوم لأنه آثر الفلسفة أو التاريخ ، علما من هؤلاء الكتاب بأن الفلسفة وبأن التاريخ هم جوهر الرسالة التى هيأ القدر ذهن هيبوليت تين لادائها فى الحياة

ماذا بعد هذه المقدمات ؟ ... نتيجتها الطبيعية أنه إذا وجب أن يوجه اللوم عن فتور النقد فى هذه الآونة من حياتنا العقلية والأدبية ، فانما يوجه إلى شباب هذا العصر الذين لا يجدون من أنفسهم اقداماً على تمثل الآثار الأدبيـة وتمحيصها بنقـدها ، واشراك الجمهور بذلك فى الحياة الأدبيـة ، وحمل الشيوخ الذين ينتجون على تحرى الغاية من الاجادة ؛ ثقة منهم بذوق الشباب ، وحرصاً منهم على تقديم الغذاء الصالح لجمهور القراء . أما والشباب لا ينقد فمعنى هذا أنه لا يقرأ ، وأنه إذا قرأ لا يمحص ، وأنه إذا محص لا يثور فينقد . وقيمة الحياة الثورة بالحياة ، فهذه الثورة هى وحدها وسيلة التطور المادى . أما حيث لا تكون الثورة ، فالركود والجمود ، وهذا الذى يشكو منه الأستاذ أحمد أمين ، والذى يوجه اللوم من أجله إلى رجال قطعوا مرحلة النقد إلى مرحلة غيرها لعلها خير منها ولعلها شر منها

وإذا وجهنا اللوم الى الشباب فجدير بنا أن نوجه اللوم الى الذين يتولون تهذيب الشباب وإلى الذين يتولون تثقيفه . والساسة يتولون تهذيب الشباب والأساتذة المعلمون يتولون تثقيفه . أى هؤلاء أجدر بأن يوجه اللوم اليه ؟ لقد أصبح شبابنا لا يعنى بنقد أثر أدبى لأن نقد الأثر الأدبى قد يدل على علو الكعب فى العلم أو فى الثقافة أو فى التهذيب . ولكن ما قيمة ذلك فى مصر اليوم ؟ ! .. أهو يجر مالاً ؟ ! أهو يجر جاهاً ؟! أهو يجر احتراماً وتقديراً ؟ ! سل الشباب عن ذلك يجيبوك إنما يجر المال شىء آخر غير العلم أو الثقافة أو التهذيب . والمال اليوم هو الذى يجر الجاه والاحترام والتقدير . ذلك رأى الشباب أو كثرته مع الشىء الكثير من الأسف . لذلك توجه الشباب الى أقرب الموارد الى المال وإلى الاستكثار منه . فبعد بذلك عن العلم وعن الثقافة وعن التهذيب ، وبعد من كان مهذباً أو مثقفاً من الشبان

عن النقد الذى يريد الأستاذ أحمد أمين أن يراه فتياً قوياً ناهضاً بعد بهؤلاء الشبان عن النقد واصطناعه ، لأن النقد أول شروطه الحرية ، الحرية العقلية والحرية العلمية والحرية الأدبية ؛ فهو لا يعرف الصداقة ، ولا يعرف الاكبار والاجلال ، ولا يعرف المجاملة والمداجاة ؛ وهى فضائل يجب أن يتحلى بها الشباب فى كل أمر وفى كل عصر ؛ ويجب أن يتحلى بهـا الناس جميعاً وإن وجب أن تكون فى الشباب أكثر وضوحاً وظهوراً .

أفتريد هذا الشاب الناشىء أن ينقد كتاباً لهيكل أو لطه حسين أو لأحمد أمين أو للعقاد أو للمازنى أو لغيرهم ممن شئت ، وهؤلاء قد يكونون وسيلته الى الوظيفة وإلى مال الوظيفة وجاهها وما لها فى أعين الناس من احترام وتقدير ؟ لذلك آثر الشباب الراحة وجرى وراء الدعة وتعلم المداجاة والرياء حتى فى العلم والأدب . والراحة سم الشباب القتال . والدعة والمداجاة مرضان لا يقلان عن الراحة فتكاً بالشباب . فاذا اجتمعت هذه الأدواء فتكت بحرية الشباب وحالت بينه وبين نقد الآثار الأدبية لقعودها به عن الايمان بالثورة . وهذا سبب العلة وموضع الداء

فليلتمس الأستاذ أحمد أمين شباباً حراً يؤمن بالثورة وأنا ضمين له بعودة النقد الى نهضته وفتوته . أما هؤلاء الشيوخ الذين يتوجه لهم بالنقد فقد رغبوا إلى لون من الأدب غير النقد . لم يبق منهم إلا صديق وصديقه الدكتور طه حسين الحريص على أن يبقى مع الشباب حرصه على أن يكون فى طليعة الشيوخ . ليلتمس الأستاذ أحمد أمين هؤلاء الشبان ، فان لم يجدهم فليلق التبعة عن ركود النقد على الذين يتولون تهذيبهم والذين يتولون تثقيفهم من الساسة والمعلمين . عند ذلك تنكشف له العلة فيما أصاب النقد من ركود ، وعند ذلك يكون أدنى إلى الانصاف إذ يلقى التبعة على من يجب أن تكون عليهم التبعة

*محمد حسين هيكل*

## أدبى

مجلة شهرية أدبية تظهر مؤقتاً مرة فى كل ثلاثة شهور لصاحبها ومحررها الدكتور الشاعر أحمد زكى أبو شادى ، وبين يدينا الآن العدد الأول منها وهو باقة من شتيت الزهر النضير تفتحت عنه قريحة هـذا الشاعر الواثق بجهده المخلص لفنه ، و ( أدبى ) مجلة للقراء لا للكتاب والشعراء ؛ فهى خاصة بقلم صاحبها « وما يدور حول آثاره من تعليق ونقاش ومساجلة للزملاء الأدباء » ، والدكتور أبو شادى مهما قال فى إنتاجه النقد ، قوة عاملة مؤثرة ، وقريحة خصيبة مثمرة ، وصوت عال من أصوات النهضة الأدبية لا يزال أينما حل يدعو وينبه

كانت القاهرة تضطرب بالجدل الأدبى العنيف ، فرحل عنها فتولاها شىء من الخمول والصمت ، وكانت الاسكندرية تضيق بالحياة الأدبية ؛ فلما حل بها اعتراها نشاط أدبى عجيب لم تشهده منذ حين

نعتقد أن لو كان الدكتور أبو شادى صرف جهده الثائر فى غير الأدب العقوق لكان له بين أقرانه شأن وأى شأن

4 me Année, No. 156.

Lundi - 29 - 6 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ط
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ — ٢٩ يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد



# أروع أيام سعد

لعل يوم الجمعة التاسع عشر من هذا الشهر كان أروع أيام سعد ! انتصر فيه وهو رفاتٌ وفكرة وذكرى على الحقد الذى طالما نبح المجد ، وعلى السلطان الذى طالما قهر الزعامة . كانت روعة أيامه الغُرّ التى أسفرت عنها ليالى مالطةَ وسيشيل وجبل طارق من شخصيته التى طاولت العروش ، وعزيمته التى صاولت الجيوش ، وبلاغته التى عاجزت القدر ؛ أما يوم نقل الرفات إلى الضريح الرسمى فكانت روعته من الفكرة التى ثبتت على الاضطهاد وغلبت على الاستبداد وظهرت على الإفك ظهور الدين على الشرك بالإيمان والإخلاص والتضحية . وسر الجلالة العظمى فى سعد أنه كان وهو حى يمثل كبرياء الشعب ، ثم أصبح وهو مَيْتٌ يمثل سلطان الأمة . كان يمثل كبرياء الشعب لأنه خرج منه ونبغ فيه ، فكان حجة له على كبرائه الذين كانوا يتأبهون عنه ، ويلمزونه بالضعة ، وينبزونه بالفلاحة ؛ ثم عاد يمثل سلطان الأمة لأن جهاده الباسل بها ولها جعل اسمه رمزاً للاستقلال وعلماً على الدستور وعنواناً على الديمقراطية .

فمظاهر الفرح المستطير ، أو الحزن المُرْمض ، أو العزة المستطيلة ، التى أعلنها الشعب يوم خرج من معتقله أو رجع من منفاه ، ويوم الاحتفال بوفاته أو بنقل رفاته ، كانت مظاهر صادقة لعواطفه المتحدة ، صدرت عنه بدافع من نفسه وباعث من شعوره ، لأن سعداً لم يعدْ رجلاً محدود الوجود بذاته ومميزاته ورغائبه ، وإنما أصبح معنى مقدساً من معانى الشمول يختصر فى نفسه خصائص جنسه ، ويجمع فى قلبه أمانىَّ شعبه ؛ فهو علم يخفق بالأمل ، ومنارة تشع بالهداية ، ورسول من رسل القيادة الذين يبعثهم الله إلى الناس فى متاهة السُبل وضلالة النفوس فيكونون رمزاً لرجاء الانسان فى الله ، ومثالاً لرحمة الله بالانسان

***

كانت النفس المصرية فى ذلك اليوم المشهود على حال عجيبة من شتى الأحاسيس ومختلف العواطف : سرور مَزْهُوٌّ بفوز الإرادة القومية واستطاعتها بعد تسع سنين أن تصحح خطأً فادحاً من أخطاء الغرور الجاهل ، وحزنٌ دخيل هادئ لاحتجاب الشعاع وقد غام الأفق واستعجم المسلك ، ثم شماتة حانقة تصيح بالجبابرة الضعاف من أفواه الطرق ومنافذ البيوت ، وعلى أطورة الشوارع وسُوح الميادين : أنا الأمة ! أنا الإرادة الأولى ، وأنا الكلمة الأخيرة !

وكان فى موكب الرفات المنتصر قوم يمشون ، وجوههم إلى الأرض ، وأفكارهم الى الوراء ، يقولون فى أنفسهم : استعنا على كبْت هذا المجد الثائر بقوة السلطان وضجة البرلمان وثروة الخزانة ، فاذا كل أولئك معناه هَوَج العاصفة ، ورهج الغبار ، وسرف المطر ؛ وإذا الشمس من فوق أولئك لا تزال ساطعة الشعاع دائبة الارتفاع لا يرتقى اليها صخب ، ولا يعلق بها قَتَم ! إن الموت نفسه قد انخزلت عنه قواه فلم يستطع طمسه فى عين الوجود ولا محوه من سمع الزمن . لا يزال ملء الحاضر وعدة المستقبل ، ومن العناء الباطل أن يحاول الجبروت مهما طغى أن يدخله فى الماضى . هؤلاء هم الجند الذين طالما أكرهناهم على أن يطاردوه فى الأقاليم ، ويحاصروه فى العواصم ، ويصادروه فى الأندية ، ويضايقوه فى المنازل ، ويحولوا بينه وبين الشعب ، قد انقلبوا — بأى معجزة لا أدرى — فصاروا زينة لمجده وقوة لوفده وحراساً لمبدئه !

وكان بازاء الباشا المفكر طالب صادق الحدس ألمعى الفراسة ، لا يزال على وجهه الأبلج أثر من عِصِىّ الشرطة وبنادق الجند ، فرأى بين الحى المستذل الضارع ، وبين الميت المتجبر الشامخ ، عبرة من عبر الدهر ، وحكمة من حكَم القدر ؛ فهبَّ يصوغ من هذا المعنى هتافاً له ولرفاقه ؛ ولكنه تذكر أن الوطنى لا يحقد ولا يشمت ولا ينتقم ، فاكتفى أن يقول للزعيم الرجيم فى نفسه : لقد أدركت بعد الأوان أن المجد خير من الحطام ، وأن الشعب أبقى من الحكومة ! لقد بلغت كل عالٍ غير المجد ، وربحت كل نفيس غير الشرف !

***

ذلك سعد مثال الزعامة الحق يا نواب الأمة ! كان فى مماته كما كان فى حياته موضع القداسة منها وموطن الرجاء فيها ، لأنه أول مصرى حكمها بأمرها ، وساسها برأيها ، ونقلها من نظام القطيع إلى نظام الشورى ، وحول خزاتها من المتاع الخاص إلى المتاع المشترك ، وجعل العلاقة بين الأمة والحكومة « علاقة الجندى بالقائد ، لا علاقة الطائر بالصائد »

كان سعد من الشعب وظل طول عمره مع الشعب . تجبر ، ولكن على طغيان الثروة ؛ وتكبر ، ولكن على صاف المحتد . أما علينا وعلى أمثالنا من سواد الناس فكان كالأخ العطوف والوالد الحدِب

بهذه السيرة المجيدة فى الحياة يقتدى أصحابه البررة ؛ وبهذه العقلية السليمة فى الحكم يسير خليفته الى الفوز ؛ وبهذه الصفحة المشرقة فى التاريخ يضع سعد للخاصة دستور الزعامة ، ويضرب للعامة مثل البطولة ؛ وبهذه المنزلة الفريدة التى نزلها من شعبه يتولد فى النفوس الشابة الرغيبة طموح العظمة ، فيسعون لها بالحق ، ويتنافسون فيها بالكفاية

هاتان سبيلان واضحتا المعالم بيّنتا الحدود فى سياسة الأمة . أدت أولاهما بسعد إلى حياة الموت ، وأسرعت أخراهما بفلان إلى موت الحياة ! فهل لأكياس الناس بينهما خيار ؟

احمد حسن الزيات

# ذات الثوب الأرجواني

## للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

(تنبيه — كل ما هو مكتوب هنا متخيل . وأنا يوافقني ويلائم مزاجي أن أجعل الكتابة على لساني)

— ٣ —

سألني صاحبي وهو يجلس : « إلى أين إن شاء الله ؟ »

قلت : « يا صاحبي ! العجلة من الشيطان . اجلس أولاً ، وتناول — ثانياً — شيئاً ، ثم سل ما بدالك بعد ذلك . على أني أستطيع أن أريح فؤادك القلق ، فأقول لك إنا ذاهبون إلى القناطر الخيرية ؛ فهل ارتاح قلبك يامولاي ؟ »

فصاح بي وهو يخرج السيجارة : « القناطر ؟ ... ماذا أخطرها ببالك ؟ ... وماذا تصنع هناك في هذا الحر ؟ ... شيء غريب ! »

قلت : « يا أخي إنك تفاجأ بالخبر فتستغربه ، أما أنا فقد أطلت التفكير في الأمر ، وعرضت لي آراء شتى نفيتها واحدا بعد واحد ، حتى استقر رأيي أخيرا على القناطر »

قال : « ولكن الجو حار الآن ... الساعة العاشرة ، وسنشتوي هناك ؛ وأين يمكن أن نجد طعاماً أو شراباً ؟ »

قلت : « لعلك تظن أن القناطر صحراء سينا ... ومع ذلك لا تخف أن تجوع ، فقد أعددت لمعدتك كل ما تحتاج اليه من طعام و ... »

قال : « ولكني رأيت السيارة ونظرت فيها فلم أجد شيئاً ، وأخشى أن تكون — كعادتك — معتمداً على أنها مدينة عظيمة مقصودة من الناس ، ثم نذهب فلا نجد شيئاً »

قلت : « بل ستجد كل شيء . والآن دعنا من حديث المعدة واسمع : إذا رأيت مني ما تنكر ، أعني ما يخالف المألوف من عاداتي فرجائي اليك أن تذكر قول الشاعر :

إن من ساءه الزمان بشيء لحقيق إذن بأن يتسلى

« فهل أنت لبيب تكفيه الاشارة أم لا بد أن ... ؟ »

وفي هذه اللحظة أقبلت الفتاة — أم تراني لم أخبر القارئ أن فتاة كانت ستقبل ؟ ؟ على كل حال ... المهم أنه — أعني القارئ — قد عرف أن فتاة قد أقبلت ، ولا شك أنه استنتج من قولي هذا أنها وسيمة — ولا أبالغ فأقول جميلة — وأن الموعد كان مرتباً من قبل . ونظر صديقي اليها ثم إلي وهز رأسه ووقف استعدادا لاستقبالها وتحيتها . وكان وجهه كالطماطم — أعني أحمر جداً — وليس هذا لونه في العادة ، وإن كان صحيح الجسم ، معافى البدن ؛ حسن اللون والشارة ؛ ولكنه شديد الحياء . فقلت للفتاة : « زوزو ... هذا صديقي الذي حدثتك عنه ؛ وفي وسعك أن تعديه صديقاً لك أيضاً .. هل جاءت ليلى ؟ ؟ »

قالت وهي تناوله يدها : « نعم ... وهي تنتظر في الخارج »

قلت : « ولماذا لم تدخل ؟ .. هل أذهب وأدعوها ؟ »

قالت : « كلا . إن معها الأشياء .... والأفضل أن نذهب الآن »

ومضينا إلى القناطر على مهل ، وكانت السيارة جديدة ، ولا بد أن أقتصد في السرعة حتى تلين وتكتسب آلاتها المرونة اللازمة وإلا فسدت وخربت بسرعة وقصر عمرها . وكانت زوزو وليلى تنظران إلى السيارات الأخرى التي تخطف إلى جانبنا وتتركنا وراءها فتتحسران . وكانت زوزو لا تفتأ تقول لي : « ألا يمكن أن ندرك هذه السيارة ؟ » وتشير إلى واحدة من السيارات الكثيرة التي كانت تمرق كالسهم ، فأقول : « بالطبع نستطيع ، ولكن الثمن باهظ . ثم إن العجلة من الشيطان ؛ وقد كنت قبل مجيئك ألقي درساً على هذا الصديق في وجوب التريث وتحامي العجلة . والظاهر أنك لست خيرا منه ولا أقل حاجة إلى مثل هذه الدروس التي أعطيها للناس مجاناً »

فتصيح بي : « دروس ايه وعجلة ايه ؟ ؟ . كلام فارغ ! ! كيف تترك هذه السيارات تسبقنا ، مع أن سيارتك جديدة وجميلة ؟ »

فأقول : « أشكرك - بالنيابة عن السيارة . ولو كان لها لسان لأسمعتك المطرب المعجب من آيات شكرها وتقديرها لهذا الثناء الجميل ، ولكنها كما تعلمين خرساء بكماء لا تحسن إلا أن تجري »

فتقاطعني معترضة : « تجري ؟ ؟ تقول تجري ؟ ؟ إنها تزحف ! ! ألا ترى كيف سبقنا كل الناس ؟ .. هل تريد أن نصل إلى القناطر غداً ؟ »

فأتوكل على الله وأجازف بمستقبل السيارة وأعذر في سري

الشبان الذين يكونون مع الفتيات فينطلقون كالقنابل فتحطم سياراتهم ، وقد يلقون همُ حتوفهم ؛ فان وجود فتاة مع السائق يغريه باهمال ما يشير به العقل والحكمة . وقد أركبت فتيات كثيرات فلم أر منهن واحدة ترتاح إلى البطء ، وأحسب السبب أن السرعة مظهر من مظاهر القوة وأن السبق غلبة ، والمرأة تعجب بالرجل القوى السباق ، ولا تعجب بالرجل الضعيف الوانى ، وهى لا تدخل فى حسابها أن هذه سيارة وأن المعول عليها لا على الرجل ، وأن الذنب يكون ذنبها إذا قصرت وكانت بطيئة أو ضعيفة . وإنما كل ما تفكر فيه وتعنى به أن معها رجلاً ، وأن رجلها هذا ينبغى أن يكون الأقوى والأبرز والأسرع والأبرع ، إلى آخر ذلك . وهو عندها مسئول عن السيارة التى لم يصنعها . ولعل منطقها أنه اشترى سيارة ، فلماذا لم يشتر سيارة قوية سريعة ؟ ؟ وقد يكون قليل المال ولكن هذا لا ينهض عذراً له ، إذ لماذا يكون قليل المال ؟ ؟ وقد تكون السرعة بغيضة اليه ، ولكن الأمر يرجع إلى تقديرها هى لا إلى تقديره ، ولا إلى ما يؤثر وما يكره . وإذا كان لابد أن يتوخى ما يشير به مزاجه ، فلماذا يستصحب امرأة ؟ ؟

من أجل هذا اضطررت أن أسرع على خلاف ما يقضى به الواجب والحزم وإلا ساء رأى صاحبتى فىّ ، ومن الذى يسره أن يسوء رأى المرأة فيه ؟ ؟ ولاسيما امرأة تكون معه ويكون همه فى هذه اللحظة على الأقل أن يرضيها .. وأدركنا بضع سيارات سبقناها ففرحت وأشرق وجهها وانبسطت أسارير محياها وكثر ضحكها — بل ضحكهما — بعد التقطيب والوجوم والاعتراض ، وصارت كلما مررنا بجانب سيارة تصفق وتصيح « هيه ! ! » على سبيل الاعجاب بالسيارة التى هى فيها — أى الاعجاب بنفسها ، فان إعجاب المرأة بشىء يكون لها مظهر لاعجابها بنفسها هى — والشماتة بالمسبوق والتعيير له والتحدى أيضاً ؛ والمرأة إذا أعجبت برجل جعلت وكدها أن تتحدى الرجال به على صور شتى بعضها أخفى من بعض . وما أكثر ما يكون استمرار إعجابها به رهناً باستمرار فوزه على الأقران وغلبته لهم فيما تورطه فيه

وبلغنا القناطر بعد نصف ساعة ؛ وكانت هذه أول مرة تراها فيها فأقبلت على تسألنى عن كل ما تأخذه العين هناك وجعلت أنا أحيلها على صديقى لا تفرغ للسير ومآزقه فى هذا الزحام الشديد حتى صرنا عند أول البساتين ، وكانت الاحالة على صديقى تغضبها لتوهمها أن ذلك مبعثه الملل أو الاعراض ، ولا ملل ولا إعراض منى وإنما هى مشاغل الطريق ؛ غير أن المرأة قل أن تقدر ذلك لأن خواطرها كلها دائرة حول نفسها وشخصها ، وهى تفسر كل شىء بأنه صادر عن حب أو كره ، وعن رغبة أو زهد ، وعن إقبال أو انصراف وإعراض ، وعن ارتياح أو ملل وسآمة

وقال لى صاحبى ونحن ندخل البساتين والفتاتان أمامنا : « والآن قل لى ماذا ساءك من زمانك ويوشك أن يخرج بك عن طورك ؟ »

قلت : « يا أخى إنى شاكر لك — وأنت تعلم صدق هذه العنايةَ بالاطمئنان علىّ ، ولكنى لو أفضيت إليك بهذا السر لما بقيت له لذة تخفف ألمه . انتظر حتى يفتر كل شىء — الألم واللذة جميعاً — فلا يعدو الكلام حينئذ أن يكون حديثاً عن شىء مضى ولا يكاد يعنينى »

فهز رأسه ومضى عنى إلى الفتاتين

وظللت طول النهار أضحك وألعب وأثب وأجرى وآكل وأشرب وأرسلت نفسى على سجيتها — وإن كان ينقصنى أن أعرف أن الخفة من سجاياى — وخلعت ثوب الاحتشام ورحت أكلم من لا أعرف وأدعو إلى طعامنا كل من يمر بنا — رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً — وأبدأ بالحديث من لم أر وجهه إلا فى ذلك اليوم ، وأخطف الكرة ممن يتقاذفونها ، وأجر رِجْلَ هذا ، وأشد أذنَ ذاك ، وأفعل ما يفعل الأطفال عادة إذا شجعتهم فأنسوا منك الارتياح إلى عبثهم ، حتى ضج صاحبى وضاق صدره ولم يعد يطيق هذا الخُلقَ العظيم الذى حف بنا واندمج فينا وشاركنى وشاركته فى اللعب والضحك والجرى . فركبنا زورقاً صغيراً ؛ لكن هذا لم ينجه ولم يمنع أن أمضى فيما وطّنت النفس عليه فى ذلك اليوم ، فقد كانت هناك زوارق أخرى فصرت أدنو بالقارب منها حتى أحاذيها ، ثم أروح أعابث من فيها ، فنفد صبر صديقى وأمر النوتى أن ينأى بنا عن الخلق جميعاً فاستلقيت على ظهرى وأغمضت عينى وتظاهرت بالنوم

ولكنى لم أنم ، وإنما كنت أحدث نفسى وأسألها عن جدوى هذا الذى صنعت ؟ أتراه أنسانى شيئاً أو أذهلنى عما بى ؟؟ لم يسعنى إلا أن أعترف بأن كل ما صنعت كان عبثاً . فقد كانت ذات الثوب الأرجوانى ماثلة أبداً أمام ناظرى لا تبرحه ولا تفتر صورتها التى تلازمنى ، وكنت أراها فى كل من أرى وما تأخذه

العين ، فأنا حين أنظر إلى واحـدة من هاتين الفتاتين لا أراها وإنما أرى ذات الثوب الأرجوانى ، ويفتننى منظر فأقول لمن معى : « أنظروا ... ما أبدع هذا » ويكون الذى يفتننى منه ذات الثوب الأرجوانى التى تبدو لى فى إطار من هـذا المنظر . ولما ركبنا الزورق كان يخيـل إلىّ أنها سابحة فى المـاء كرائس البحر ، وما سمعت ضحكة ناعمة إلا قلت لنفسى لعل ضحكتها أرق وأسحر

وأعجب من هذا أنى كنت أجـدنى وأنا أضاحك الناس وأحدثهم وألاعبهم وأسابقهم أفكر فيها وأسأل نفسى عنها — وكان حسبى ما أنا فيه مما يستغرق جهد النفس — وأقول — فى سرى وبينى وبين نفسى — هل أنت تحبها ؟ ؟ أواثقٌ أنت أن هذا هو الحب . . فتجيبنى النفس أن نعم لا شك فى ذلك ، فأكرعليها معترضاً على هذا التأكيد وأقول : ولـكنك لا تعرفها .. لا تعرف حتى اسمها .. وما رأيتها إلا عن بعد فماذا تحب منها .. لا تستطيع أن تدعى أنك واجد فيها غير صورة جسمية هى التى تتراءى لك من هـذا البعد . ولعلها لو دنت قليلاً لطالعك منها ما لا ترتاح اليه ، فالأرجح أنك تحب منها صورة ألفتها أنت من الألوان التى استعرتها منها . ولا شك أنك زدت هذه الألوان قوة وأضفت اليها من خيالك . ولو أنك كنت مصـورا وحاولت أن ترسم لها صورة من ذاكرتك لما استطعت أن تثبت شيئاً من ملامحها ، ولجاء الرسم لمخلوق من مخلوقات خيالك أنت ، وإن كان لا يخلو من شبه بذات الثوب الأرجوانى . فحتى الصورة المادية — أو الجسمية — التى تبدو لك ليست ثابتة ولا مقررة فى نفسك ، لأن الصور لا تثبت خطوطها وألوانها على مثل هذا البعـد . ومن السهل أن تُمحَىّ عليها وتمحوها صور أخرى تكون أثبت لأنها تكون أقرب فأقدر على التأثير وأنفذ بسبب القرب الى أعماق النفس والاستقرار فيها . ولو أن صورة ذات الثوب الأرجوانى كانت عميقة الأثر فى نفسك ومنقوشة بألوانها وخطوطها المميزة لها على صدرك ، أكنت تظن أن فى وسعك أن تتسلى كما تتسلى الآن بهذه الفتاة أو تلك ممن تعرف ؟؟ أكان يمكن أن ترتاح الى وجود غيرها وإن كنت تزعم أنك تتسلى ؟ ؟ لا ياصاحبى !.. وحسبك أن تسأل نفسك بأى شىء تذكرها . . ماذا فى نفسك منها غير صورتها فى النافذة كما تستطيع أن تراها على بعد ثلاثين مترا ! ؟ لو كنت كلمتها !! لو كنت رأيت ابتسامتها ونظرة عينيها ومنطق وجهها وتعبير محياها ، وكيف تكون إذ ترق وتحنو ، وحين يسرها شىء ، وعند ما تبدو عليها الخفة أو الجزع أو الاضطراب ، والزهد فى شىء والرغبة فى آخر ، وحينما تتدلل أو تسخو ، وإذ تضحك أو تتجهم !! لو كنت رأيت شيئاً من ذلك لأمكن أن تقول إنك عرفتها وأحببتها ، ولـكان لحبك لها غذاءٌ ومددٌ من ذكريات هذه الحالات المختلفة .. أما الآن فبماذا يتغذى حبك ؟؟ على أى شىء يعيش ؟ ؟ بأى شىء تذكرها إذا غابت عنك . . . بصورة هى أشد غموضاً من الرسم الفوتوغرافى وأخفى منه تعبيرا ؟ ؟ وهى مثلك ... أتزعم أنها توليك عناية واهتماما ، وأنها تفكر فيك ، وأنها لا تفتأ تنظر اليك ؟ فما يدريك أن هذا ليس من باب التطلع ومن قبيل الاستغراب أو اطاعة لرغبة نشأت فى الوقوف على حالات غريبة تبـدو من شخص يستحق عناية على كل حال لسبب من الأسباب التى تدعو الى العناية ؟ ؟ هه ؟ ؟ وهبها — جـدلا — أحبتك كما تظن أنك تحبها فان شأنها كشأنك ! . . ولعلكما لو تلاقيتما لـكره كل منكما صاحبه ، أو نفر منه ، على الأقل ، أو إذا شئت ، لفتر ما يجده من الحب ، إذ كان لا أساس له إلا الصور الغامضة التى ينقصها البيان والتأثير الذاتى المباشر . . ويظهر أنها مثلك واسعة الخيال . . . وشبابها هو عذرها إذا جمح خيالها . . فانها غريرة ساذجة لا تعرف الدنيا . وأكبر الظن أنها لم تجرب الحب فهى لهذا شديدة الحنين اليه . ولـكن أنت ؟ . أنت ؟ . أنت المجرب الذى عرف المرأة ودرس وخبر كل ما يسع الرجل أن يخبر .. كيف يمكن أن تخدع نفسك وتغلط على هذا النحو فى فهم شعورك ؟ إن هذا منك مضحك !

وقد اعترضت على نفسى وأبيت أن أسايرها إلى حيث تريد فانى أعرفها خبيثة شديدة المغالطة ، وقلت لها : « كيف تزعمين يا نفسى أن لا شىء عنـدى من الذكريات أغذى بها حبها ؟ ألم تسمعنى صوتها فى ضحكة فضية ؟ ( واها لهذا الرنين ) أليست تبدو — أكثر الوقت — فى الثوب الأرجوانى الذى تعرف أنى أحبه ؟ أتسألين يا نفس كيف عرفتْ أنى أحب هذا الثوب ؟ . قبحك الله ! . وما شأنك أنت ؟ . أعرف أنها تعرف والسلام : وأنا على يقين من أنها تعرف . وبينى وبينها لغة لا تحتاج الى الـكلام ولا الى النظر . . . لغة أفهمها وتفهمها وإن كان كلانا معرضاً عن صاحبه ، لأنها ذكية — مثلى ولا فخر — فهى تدرك أنى حين أكف عن النظر اليها ، يلتفت قلبى إليها ، وإن كانت عينى قد تحولت عنها لسبب غير ارادة النفس وهوى الفؤاد .. ولا يخفى

عليها أنى حين أنظر الى ترام عابر أو سيارة تخطف فى الطريق أو زمرة مارة ، فانى إنما أفعل ذلك لأنى أخاف عليها الناس أن يلهجوا بنا . وليبقى حبى وحبها كنزاً لا يعرف سرَّه غيرُنا . . ولا يشاركنا فيه — بالعلم — ثالثٌ . ولست أكلمها — هذا صحيح — ولا أنا أشير اليها ، لأنى أعرف أنها تعرف أن الاشارة تحصيل حاصل . وماثلاثون متراً بيننا ؟؟ إن قلبها كتاب مفتوح ؛ وهل تستطيع الزهرة الأرجة أن تكتم الشذى ؟ ؟ . نعم إنها حريصة كيسة ، ولكنى مع ذلك أعرف حين أراها مقطبة عابسة أن قلبها يضحك وإن كانت نظرتها صارمة الجد . . ولقد بدت منها إشارات تعمدت ألا أفهمها — لا لأنى لم أفهم بل لأنى خفت أن تكون قد صدرت عنها عفواً وعلى غير عمد ، فأكون قد تسرعت وأسأت التأويل . ولا أقول ما هذه الاشارات فانى حريص على الاستئثار بها والانفراد دون خلق الله بمعرفتها . وما أكثر ما أذكر من حالاتها حين تكون وحدها وحين يكون معها غيرها .. وهل أنسى أنها حين تغضب علىّ لبلادتى وبطء فهمى تذهب فتلبس ثوباً غير الأرجوانى ؟ ؟ هل أنسى كيف تلف على شعرها شريطاً وتترك خصله الوطفاء مرسلة على جانبى محياها الصابح يعبث بها النسيم فتهز رأسها لتردها وتصلح منها وتسويها ؟ ؟ . هل أنسى كيف تجلس وفى يدها الكتاب — على ركبتها — وظهرها إلىّ وهى مع ذلك ترانى وتعرف أنى ناظر إليها ومعجب بها ومتلهف على نظرة منها ؟؟ هل أنسى كيف تكايدنى وتهيجنى وتثير نفسى لتمتحن حبى وترى ما ذا يكون من أثر ذلك فى نفسى ؟ ؟ وما أعذب مكايدتها وأحلاها ! ! . وما أجهلها بى إذا كانت تظن أن شيئاً من ذلك يثيرنى ويغضبنى ! فانى فى وسعى — دائماً — أن أضع نفسى فى مكان الغير ، وأن أتصور ما يُعْقَلُ أن يصدر عنه وأن أقدر البواعث على ما يبدر منه فاعذره فى الأغلب . . والحق أقول إنى أراها مقصرة فى مكايدتى لا مسرفة . ولا أنكر أنه يعز على أن تغيب عن عينى ، ولكنى أنا مضطر أن أغيب عنها وأنقطع عن النظر إليها ، وعزائى أنى لا أنعم بأكثر من مرآها وأنها لم تهبنى أكثر من منظرها من بعيد ، وأنها لم تولنى ما أتحسر على فقده إذا فقدته ؛ وما دام هذا هكذا فانى أستطيع أن أراها بعين الخيال كما أراها بعينى التى فى رأسى . ولو أنى كنت مكانها لعرفت كيف أكايدها ، فلتحمد الله الذى خلقنى رجلاً ولم يخلقنى امرأة .

ولو شئت لعذبتها ولكنى أوثر الترفق — بطبعى — وإن كنت لخبرتى بالطبيعة البشرية من أعرق الناس بوسائل التعذيب . وأنا أسأل نفسى دائماً « لماذا أعذبها وأنا أحبها ؟ » ، وبماذا تستحق التعذيب وهى لو وسعها أن ترضينى لأرضتنى ؟ لا شك فى ذلك ، وصحيح أنه يسعها أكثر مما تبدى ولكنى لا أحب أن أعجل باللوم . . ومن يدرى ؟ . لقد علمتنى حياتى أن اليأس سخافة ، وأن العجلة من الشيطان ، كما أقول لصديق ، وأن طول البال ينيل الأمل ، كما يقول المثل العامى ، وأن الغضب حماقة ، وأن العتاب عبث ، وهو فى النهاية يفتر الحب ، وأنا أحب هذه الارجوانية الثوب وأحب أن يطول حبها لى ، لأنى أعرف من نفسى أن حبى لا يفتر وإن كان فى وسعى — بفضل رياضتى لنفسى — أن أستر ناره بالرماد . كلا لن أكايدها وسأصبر عليها وأملى لها وأمهلها لأرى ما يكون منها ولأختبر مبلغ حبها فانى على الرغم من الحب أوثر أن أقدّر لرجلى قبل الخطو موضعها . فاذا رأيت منها ما يطمئن خرجت عن هذا التحفظ الثقيل عليها وعلى أيضاً وإلا فانى قادر على خنق هذا الحب ولو كلفنى تقليع أحشائى من جذورها

فى هذا كنت أفكر ، وبهذا كنت أناجى نفسى ، وأنا ألاعب هذه الفتاة وتلك وأضاحكهما وأسابقهما وأسخط صديقى على بتركى الاحتشام الذى ألفه منى حتى صار يستغرب منى الابتسام ، وليس أعجب من اشتغال النفس بأمرين فى وقت واحد . ولكنى لا أكتب مقالاً فى علم النفس وإنما أسوق حكاية وأصف حالة فيحسن أن أقتصر على ذلك

وقد عدت من القناطر بغير ما كنت أرجو أن أفوز به . نعم لهوتُ وضحكت وبدوت لمن لا يعرفنى كأسعد ما يكون إنسان . ومن ذا الذى يمكن أن يسمع ضحكتى ويرى وثبى وقفزى ويرتاب فى أنى سعيد موفق ؟ ؟ ولكن صديقى كان يعلم أن فى صدرى شيئاً أكتمه ، وأن ما أنطوى عليه ليس مما يهون حمله ، وإلا لما التمست التلهى ونشدت التعزى ، غير أنه كان على هذا يجهل — ومن أين يعرف ؟ — أن فى جوفى ناراً مضطرمة من القلق والشك والحيرة والاضطراب وقد خرجت من الحوار الذى دار بينى وبين نفسى بالشك وباعتقاد أنى جاهل ما فى ضمير الفؤاد — أو على الأقل أن الأمر فيه نظر كبير فالحق أن معرفة النفس أشق المعارف وأعسرها مطلباً . .

**ابرهيم عبد القادر المازنى**

# حلم الدولة اليهودية

## والوطن القومي اليهودي

لمؤرخ كبير

مضى اليوم أكثر من شهرين مذ بدأت فلسطين ثورتها القومية المضطرمة؛ وقد حسب الاستعمار يوم نشوبها أنه أمام حركة تذمر عادية يسهل قمعها بالوسائل المعتادة فاذا به أمام ثورة قومية عامة، وعزم راسخ على النضال، ومعركة حياة أو موت من شعب يؤثر السقوط فى ميدان الكفاح الشريف، على الاعدام البطىء المنظم

ولقد بسطت (الرسالة) قضية فلسطين فى مقال سابق، بين فيه كاتبه مبلغ ما ترزح تحته هذه الأمة الصغيرة الباسلة من صنوف الاستعباد المرهق، السياسى والاقتصادى والاجتماعى، سواء من جانب السياسة البريطانية التى قضت باختيار فلسطين منزلاً للوطن القومى اليهودى أو من جانب الصهيونية التى تعمل لتوطيد دعائم هذا الوطن اليهودى بكل ما وسعت من وسائل الضغط المالى والثقافى متمتعة فى جهودها برعاية السياسة البريطانية ومؤازرتها

وإذا كنا لانستطيع الآن أن نتنبأ بما تفيده السياسة البريطانية من هذا الدرس، أو بما تزمع أن تتخذه من الخطط الجديدة فى المستقبل نحو فلسطين، فانا نستطيع من جهة أخرى أن نقول إن هذه الفورة العنيفة التى قامت بها فلسطين سيكون لها أثرها العميق فى صدع أركان الوطن القومى اليهودى، وفى التدليل على ما فى صياغته وتكوينه من أوجه الخيال والعوامل المصطنعة التى تتعارض مع الحقائق التاريخية والعملية

إن إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، هو الخطوة العملية الأولى فى برنامج الصهيونية الحديثة؛ وهو التمهيد لانشاء الدولة اليهودية التى هى غاية الصهيونية الحقيقية؛ واليهودية تحلم بانشاء هذا الوطن القومى وتعمل له منذ أكثر من قرن؛ ولكن برنامج اليهودية النهائى لانشاء الوطن القومى لم يوضع إلا فى أواخر القرن الماضى، حيث بدأ زعماء اليهودية يجمعون المال لانشاء المستعمرات فى فلسطين ويبذلون جهودهم لدى الباب العالى. وحيث أذاع تيودور هرتسل، رسول الصهيونية الحديثة وروحها المضطرم، رسالته الشهيرة عن «الدولة اليهودية»: «Die Judenstaat» وهرتسل كاتب وصحفى يهودى نمسوى، ظهر فى أواخر القرن الماضى فى ڤينا بكتاباته الملتهبة فى سبيل القضية اليهودية، فالفت صيحته أفقاً صالحاً لأن معظم الدول الأوربية كانت تجيش يومئذ بعوامل الخصومة السامية، وتلق اليهودية الاضطهاد المنظم فى كل مكان. وفى كتاب «الدولة اليهودية» يعرض هرتسل فكرة الوطن القومى عرضا قويا، ويرى أن يتخذ هذا الوطن صورة دولة يهودية فى فلسطين تكون تحت سيادة الباب العالى، وتؤدى له الجزية، وتكون البقاع المقدسة منطقة مستقلة ذات نظام خاص؛ فصادفت الدعوة نجاحاً عظيما بين أقطاب اليهودية فى انحاء العالم كله، وانتظمت الحركة تحت لواء هرتسل وزعامته. وفى أغسطس سنة ١٨٩٧، عقد مؤتمر يهودى عام فى بازل (سويسرا) برياسة هرتسل، ووضع فيه برنامج الصهيونية الرسمى، وعرفت غاياتها ووسائلها على النحو الآتى:

«تسعى الصهيونية لتحقق للشعب اليهودى إنشاء وطن قوى فى فلسطين يتمتع بالضمانات التى يقررها القانون العام، ويرى المؤتمر أن يتذرع بالوسائل الآتية لتحقيق هذه الغاية:

(١) ان يشجع استعمار فلسطين بواسطة الزراع والعمال والصناع

(٢) ان ينظم العالم اليهودى باسره وان يحشد فى الجماعات المحلية أو العامة طبقا لقوانين البلاد المختلفة

(٣) أن تقوى لدى اليهود عواطف الكرامة القومية والاعتزاز بالجنس

(٤) ان تبذل المساعى اللازمة للحصول على التصريحات الرسمية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية

هذا هو هيكل الصهيونية وبرنامجها العملى؛ وقد تطورت ظروف العالم السياسية منذ عصر هرتسل ومؤتمر بازل، واستطاعت الصهيونية بعد جهود ومحاولات عديدة أن تلقى فرصتها فى الحرب الكبرى، وان تظفر بتحقيق الشطر الأول من برنامجها بانشاء الوطن القومى فى فلسطين، ولكن لا تحت سيادة الباب العالى، وانما تحت السيادة البريطانية، وذلك بمقتضى عهد بلفور الذى قطعته الحكومة البريطانية على نفسها فى نوفمبر سنة ١٩١٧

وقد مضى على قيام الوطن القومى اليهودى فى فلسطين زهاء تسعة عشر عاماً، وأصبح فى ظل الانتداب البريطانى، وطبقاً

لنصوص الانتداب ذاته ، من الوجهة الدولية ، نظاماً شرعياً معترفاً به من جميع الدول الكبرى ؛ وفى هذه الفترة بذلت اليهودية جهوداً جبارة لاقامة هذا الصرح القومى الذى تحلم به منذ الآماد ، فتدفقت الهجرة اليهودية إلى فلسطين حتى أصبح عدد اليهود فيها زهاء نصف مليون ، وأقيمت المستعمرات والمشاريع اليهودية الضخمة فى جميع انحاء البلاد ، وانشئت مدينة تل أبيب لتكون عاصمة الوطن الجديد ، وأقيمة جامعة عبرية لتعمل لأحياء التراث اليهودى الروحى والفكرى ؛ وعلى الجملة فقد استطاعت اليهودية أن تحقق فى فلسطين كثيراً من المظاهر المادية والاقتصادية والاجتماعية للوطن القومى اليهودى

ولكن هذه المظاهر على ضخامتها وقوتها تبدو اليوم ضئيلة واهنة أمام ثورة الشعب الذى يقام هذا الوطن فى أرضه ، وعلى أنقاض حقوقه وموارده ؛ فاليوم يهاجم الوطن اليهودى ، ويطعن من كل صوب ، وتقوض مستعمراته ومنشآته ، وتعطل جميع مرافقه ومصالحه ، وتشل جميع حركاته ومعاملاته ، ويكاد يغدو فى حالة حصار مطبق ؛ كل ذلك تحت بصر القوى الاستعمارية التى هرعت إلى فلسطين لحمايته . وقد شعرت الصهيونية من قبل غير مرة بخطر الفورات القومية الفلسطينية على صرحها ، ولكنها لم تكن تتصور أن الخطر قد يبلغ هذا المدى من الروعة ، أو أن هذه الأمة العربية الصغيرة يمكن أن تضطلع بمثل هذا الكفاح الشاق الجلد ؛ وإذا لم يكن ثمة ريب فى أن القوى الاستعمارية الغاشمة ستتغلب فى النهاية على الكفاح القومى الباسل ، فانه لا ريب أيضاً فى أن الوطن القومى اليهودى سيخرج من المعركة مثخناً بالجراح ، وقد وهنت قواه المادية والمعنوية ، وزادت شكوك الصهيونية وهواجسها نحو المستقبل الغامض

والواقع أن فكرة الوطن القومى اليهودى لم تكن بنت القرن التاسع عشر فقط ، ولكنها ترجع إلى أقدم العصور ؛ فمذ حطمت مملكة أورشليم اليهودية منذ نحو ألفى عام ، وشتت اليهود فى أنحاء الأرض ، تحلم اليهودية بالعود إلى أرض إسرائيل ؛ ومع أن الجماعات اليهودية قد استقرت فى الأراضى التى استوطنتها مدى القرون ، غير أنها لم تندمج قط فى الشعوب التى عاشت بين ظهرانيها ، ولبثت تكون دائماً مجتمعات مستقلة . وترجع اليهودية تلك الظاهرة إلى نظم الاضطهاد والعزلة التى كانت تفرض على اليهود ، وحرمانهم من الحقوق السياسية والدنية طوال القرون ، حتى أنهم كانوا يرغمون على السكن والاحتشاد فى أماكن خاصة تسمى (الجيتو) . ولكن الحقيقة أن اليهودية هى التى اختارت لنفسها هذه العزلة ، وهذا الاستقلال الخالد عند الشعوب التى استقرت فيها . ذلك أن اليهودية كانت وما زالت تعتبر دائماً أن الدين هو جامعة الجنس بين اليهود ، وأن اليهودية هى ملاذ الشعب اليهودى أينما حل ، وبعبارة أخرى إن الدين والجنسية بالنسبة لليهود هما وحدة لاتتجزأ . وهذا هو الخطأ الخالد الذى وقعت فيه اليهودية ، والذى أثار عليها فى كل العصور ريب الشعوب وحقدها ، والذى هو فى الواقع أكبر عامل فى تحريك الخصومة السامية . وهذا هو الأساس الخاطئ الذى تبنى عليه فكرة الوطن القومى الذى يجتمع فيه اليهود من جميع الجنسيات واللغات

وقد فطن إلى هذا الخطأ الذى هو عنوان التعصب الخالد بعض أقطاب اليهودية ، وحاولوا أن يدعوا إلى فصل الدين عن الجنسية ، وإلى تشبه اليهود بسائر الشعوب فى اعتبار الدين مسألة روحية محضة لا علاقة لها بالجنسية ؛ دعا إلى ذلك الفيلسوف الألمانى اليهودى موسى مندلزون فى القرن الثامن عشر ، ورأى أن تتخذ القومية اليهودية صبغة محلية ، فينعدو اليهود من أبناء البلد الذى استوطنوه مع احتفاظهم بتراثهم الروحى ؛ وآزر مندلزون فى هذه الدعوة بعض أكابر المفكرين الألمان من غير اليهود مثل الكاتب الشهير لسنج وغيره ؛ ولكن هذه القومية المعتدلة التى أملى بها جو التسامح الذى نعمت به اليهودية يومئذ لم تلق كبير تأييد ، ولم يطل أمدها ، واستمرت الفكرة الدينية القديمة على قوتها وحدتها

والوطن القومى اليهودى يقوم كما قدمنا على نفس هذا الأساس ، أى على جامعة الدين ؛ وهذه أكبر نقط الضعف المعنوى فى بنائه ، فالقوميات والشعوب الحديثة لا تقام باسم الدين ؛ ولم يبق الدين فى بلد من بلاد العالم المتمدين أساساً للدولة ؛ ثم إن هذا الضعف المعنوى فى الوطن اليهودى يتخذ مظاهره المادية ، ففى فلسطين يجتمع الآن يهود من جميع الجنسيات والثقافات واللغات والنزعات السياسية ، ومن المحقق أن العمل الاجماعى المتناسق بين هذه العقليات والبيئات المتباينة صعب التحقيق . والواقع أن معظم اليهود المهاجرين يفدون على فلسطين لبواعث اقتصادية قبل كل شئ ، ولكى يحققوا لأنفسهم بعض وسائل العيش التى يفتقدونها فى بلادهم الأصلية ؛ ومنهم من يفد فراراً من الاضطهاد الذى يفرض

# حادثة فلســـطين

## للأستاذ علي الطنطاوي

... لئن كانت حادثة الحبشة فضيحة القرن العشرين ، فإن حادثة فلسطين – إن تمت – فضيحة الدهر ، وعار يلحق كل من يقول : أنا انسان ...

بيد أن الحبشة إن غلبت بملايينها وسلاحها وجيوشها ، فإن هذا الشعب الأعزل الذي لا يبلغ المليون الواحد لن يغلب على أرضه أبداً ، لأن وراءه سبعين مليوناً من العرب . إن وراءه أربعمائة مليون من المسلمين ، إن وراءه ألف معركة منها أجنادين واليرموك وحطين ، إن وراءه القرآن الذي يقول عن اليهود : « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ » صدق الله العظيم ؛ وكذبوا ... إن الذليل لا يعز ، والمسكين لا يملك ، والمغضوب عليه لا يفلح أبدا !

* * *

إن حادثة فلسطين ، لو تدبرها العقل ، وفهمها على وجهها لما رآها إلا ... « جريمة » : أبطالها طائفة من اللصوص ، وشرذمة من الحرّاس ، لصوص يتسوّرون الدار ليطردوا صاحبها ، ويحتلوها ويشرّدوا أهلها ، وحراس يعينون اللص على المالك وينصرون على الحق الباطل ...

ولكنّ الجريمة لن تتمّ : إن الأسد في العرين ، وربّ الدار يعرف كيف يحمي الدار ... فيا أحفاد كعب بن الأشرف ، وسلاّم بن أبي الحُقيق ، وعصماء وأبي عَفَك ، نحن أبناء محمد بن سلمة ، وعبدالله بن عتيك ، وعُمَير بن عديّ ، وسالم بن عمير ... فاذا أغنى عن أجدادكم – إذا هم كانوا أجدادكم حقاً – إذا أغنى عنهم ما لهم ، أو دفعت عنهم حصونهم ، أو نفعهم حلفاؤهم ، وما حزّبوا علينا من أحزاب ، أغنى ذلك عنكم :

« هوَ الذي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِيارِهِمْ لأوّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وظَنّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم من الله . فأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حيثُ لم يحتسبوا وَقَذَفَ في قلوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبون بُيُوتَهم بأيديهم وأيدي المؤمنين . فاعْتَبِروا يا أُولي الأبْصار »

* * *

ولئن اشتدت اليوم المصيبة وعظم الخطب ، فقد كانا يومئذ أشد وأعظم ، يوم قامت أوربة كلها على قدم وساق ، ثم سارت الينا بقضها وقضيضها ، يحدوها التعصب الأعمى ، وتسوقها عصا البغضاء والحقد والعداوة الدينية ، فأفسدت البلاد وعاثت في الحرم ، حتى إذا ظنت أنها قد ملكت وتمكنت ، وبنت فأسست ، وباضت وفرّخت ؛ جاءها رجل واحد فحطم جيوشها في حطين ، ثم ردّهم على أعقابهم خاسرين ، ثم أخرجهم منها مذءومين مدحورين

أفعيينا بأوربة كلها ، وعجزنا عنها حتى نعجز عن حفنة من شذّاذ الآفاق ونفايات الأمم وعباد الدرهم والدينار ؟ أم قد جفّ الدم الذي روّى عروق صلاح الدين ، وماتت الأمة التي

---

عليه ؛ وهنا نستطيع أن نقول إن الوطن القومي الحديث كان وليد الخصومة السامية ( حركة العداء ضد اليهود ) أكثر من أي عامل آخر ؛ وهذا أيضاً عامل مصطنع في بنائه ؛ وإذا كان الوطن القومي قد أحرز في فلسطين شيئاً من النجاح والتوسع من حيث الاحتشاد والاستثمار الاقتصادي ، فذلك يرجع قبل كل شيء إلى الأموال الطائلة التي تستثمرها الرأسمالية اليهودية ؛ والرأسمالية لا تعرف وطناً ولا ديناً ، ولا تعرف إلا الفوائد والمغانم المادية

والخلاصة أن الوطن القومي اليهودي يقوم على عوامل وأسس مصطنعة يكشف الزمن عن ضعفها شيئا فشيئا ؛ والزمن وحده كفيل بأن يبين لليهودية أن مشروع الوطن القومي والدولة اليهودية إنما هو حلم عظيم جاشت به أذهان بعض المتعصبين من أقطاب اليهودية ومفكريها ، وأنه لا يمكن أن يعتبر بوضعه الحاضر أكثر من مشروع اقتصادي تؤيده الحراب البريطانية ، فكل ما يحرزه من نجاح أو يصيبه من فشل يرجع إلى قواعد الاقتصاد العادية دون غيرها ؛ وما جامعة الدين التي تستظل بها اليهودية ، إلا طلاء السياسة ، وهي أضعف من أن تقيم في عصرنا دولة أو وطنا

مؤرخ

أخرجته ، وعقمت النساء فلا يلدن شبيهه ؟ إن كل مسلم اليوم في فلسطين صلاحُ الدين ، وكل بقعة فيها حطين :

* * *

ضربت عليهم الذلة والمسكنة : فالذهب في صناديقهم والنظام جمعياتهم ، والريّ والخصب في أرضهم ، والسلاح في أيديهم ، والانكليز من ورائهم ، ثم لا يثبتون ساعة واحدة لهؤلاء العزل الفقراء . . . ولا يقدرون أن يقفوا في وجوههم ، ويرتجفون إذا سمعوا ذكر أسمائهم : « إذَا رأَيْتَهُمْ تُعجِبُكَ أجْسَامُهُمْ وإنْ يَقُولوا تَسْمَعْ لقولِهِمْ كأنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كلَّ صَيْحَةٍ عليهِمْ » أهؤلاء الذين لا يستطيعون أن يمشوا في الطرقات وحراب انكلترا تحميهم ، يستطيعون بعدُ أن يعدوا سدنة المسجد الأقصى وسادة فلسطين ، ويتملكوها — وحدهم — رغم أنف المسلمين أجمعين ؟ ولو نفخ عليهم المسلمون أربعمائة مليون نفخة لطيروهم ، ولو مالوا عليهم لطحنوهم ، ولو بصقوا عليهم لأغرقوهم ، ولو صرخوا فيهم لقتلوهم ؟

أهؤلاء الذين ما عرفهم التاريخ إلا مغلوبين ، يتحرشون بمن لم يعرفهم التاريخ إلا غالبين منصورين ، ومن حكموا الدنيا فكانوا نعم الحاكمين ، وعلموا العالم فكانوا خير معلمين ؟

* * *

إن معهم وعداً ، وإن معنا لوعداً : معهم وعد بلفور . ومعنا وعد الله : « وَعَدَ اللهُ الذينَ آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الَّذينَ من قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمْ الذى ارتضى لَهُمْ ، وليُبدلنَّهمْ من بعدِ خَوْفِهِمْ أمنا »

ولكنّ الله يمتحن إيماننا وصبرنا واتحادنا وتعاوننا ، وينظر أنجاهد في سبيله بأموالنا وأنفسنا ، وننصر إخواننا ونكون في توادنا وتراحمنا كالجسد الواحد ، إذا تألم عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر ، أم قد فرقت بيننا السياسة ، وباعدت بيننا النعر ، ومزقتنا الأهواء والمطامع ، فأمسينا ننام في القاهرة ودمشق وبغداد على فرش الريش والديباج ، وإخواننا على شعفات جبال نابلس والقدس لا يغمض لهم جفن ، ونأكل الشواء والحلواء وإخواننا هناك قد لا يجدون ما يقوم بأودهم من الخبز ، ونبذر المال نقذف به إلى أوروبة ثمناً لهنات هينات ، فيصنعون منه مدافع تحصد إخواننا حصداً ، وبنادق تمزق صدورهم تمزيقاً ، وإخواننا لا يجدون ثمن الحاجات الضروريات ، ونلهو ونلعب آمنين مطمئنين ، وإخواننا في فلسطين قائمون على حد السيف ، بين النار والحديد ؟

فيا إخواننا في مصر والشام والعراق والحجاز والمغرب ، ويا إخواننا في الهند والصين وأينما بلغت مقالتي هذه . . .

إن الله جل وعز يقول : «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» فهل أنتم مؤمنون مسلمون بجوارحكم وقلوبكم ، مخلصون لله في أسراركم وأعلانكم ؟ أم أنتم مسلمون بالنسب والاسم وسجل الدولة ، لا تعرفون إلا أنفسكم ، ولا تبالون إلا بلذاتكم ، ولا تنظرون إلى أبعد من أنوفكم ؟

إذا كنتم مسلمين حقاً ، مؤمنين صدقاً ، تريدون أن ينصركم الله فانصروا فلسطين ما استطعتم ، انزعوا المال من أفواه عيالكم ، وأعناق بناتكم ، لتشتروا به حياة إخوانكم في فلسطين ، اسهروا الليالي تتسقطون أخبارها ، وتعلمون علمها ، أمسكوا عن لهوكم وأفراحكم فلا تنفرج لكم سنّ حتى تنفرج أزمتها ، اجعلوا قضية فلسطين ، قضية كل واحد منكم . . .

أما أنتم يا إخواننا في فلسطين :

فاصبروا وصابروا « وَلا تَهِنوا وَلا تَحْزَنوا وَأنتم الأَعلَون إنْ كُنتم مؤمنين . إنْ يَمْسَسْكم قَرْحٌ فقد مسّ القومَ قَرْحٌ مثْلُه ، وَتلكَ الأيَّامُ نداوِلُها بَيْنَ الناس ، وَليَعْلَمَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ منكم شُهَدَاء ، وَاللهُ لا يحبُّ الظالمين ، وَليمَحِّصَ الَّذين آمنُوا وَيَمْحَقَ الكافرين . أَمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الجنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذينَ جاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعلمَ الصابرين »

* * *

أما بعد ، فان حادثة فلسطين — ان هي تمت — فضيحة الدهر ، وعار على الانسانية ... ولكنها لن تتمّ بحول الله وقوته ثم بقوة المسلمين . . .

**علي الطنطاوي**

# حماية الطالحـــين

## بحث علمي اجتماعي

للأستاذ اسماعيل مظهر

فى أواسط القرن التاسع عشر أصابت العلم هزة من تلك الهزات العنيفة التى تغير مجرى الفكر ، وتقلب آيات العلم بعد أن يخيل إلى الناس أن المعرفة قد قامت على قواعدها الرسيسة ، رأساً على عقب . فنى سـنة ١٨٥٩ نشر العلامة شارلز روبرت دروين كتابه « أصل الأنواع » فأقام الحجة البالغة على أن الأنواع تنشأ فى الطبيعة بعضها منظور عن بعض على مر عصور متطاولة ، وأن نشوء الحياة من فوق الأرض موغل فى القدم

ولقد أقام دروين نظريته على ثلاث قواعد أولية ، هى التناحر على البقاء ، والانتخاب الطبيعى ، وبقاء الأصلح . أما التناحر على البقاء فاصطلاح مجازى يؤدى فى أوسع مدلولاته معنيين : فاما أنه يدل على العلاقة القائمة بين الأنواع الحيـة العائشة فى بيئة ما ، إذا ما اتجهت الأسباب العاملة على بقاء نوع إلى إبادة آخر أو إفنائه ، وإما أنه يدل على الجهد الذى يبـذله الأحياء فى سبيل الحصول على مقومات الحياة ، كمقاومة العوامل والمؤثرات المفنية للأفراد أو المبيدة للأنواع . أما الانتخاب الطبيعى فمحصله أنه يبقى من أفراد الأنواع أو السلالات أقدرها على الحياة فى بيئة ما وأن تفنى غير القادرة منها على البقاء . ولما كانت القدرة على البقاء وتخليف النسل ، انما ترجع إلى صفات حيوية تتأصل فى الأحياء ، نشأ بالانتخاب الطبيعى تدريجياً على مر الأزمان سـلالات وأنواع جديدة ممتازة بصفات معينة ثابتة . وقصد باصطلاح بقاء الأصلح أن الأحياء تتكاثر بنسبة رياضيـة . أى بنسبة ٢ : ٤ : ٨ : ١٦ وهكذا ؛ فاذا لم يهلك معظم نتاجها بعوارض طبيعيـة ضاقت الأرض عن أن تسع الأحيـاء . ولذا لا يبقى من الأحياء إلا أصلحها أو أقدرها على البقاء ومقاومـة العوارض . وما « بقاء الأصلح » فى الواقع إلا اصطلاح يراد به إيضاح عمل الانتخاب الطبيعى المقتضى أن الأحياء التى هى أكثر صلاحية للبقاء فى بيئة طبيعة تظل حية لتنتج أمثالها ، فى حين يفنى غير الصالح منها

على هذه القواعد الثلاث شرع دروين مذهبـه الذى غير اتجاه العلم الطبيعى برمته فى أواسط القرن المـاضى . أما الذين اكبوا على دراسـة الاجتماعيات فقد تساءلوا : إذا كانت سنة الطبيعة الثابتـة تقضى ، لخير النوع وبقائه واحتفاظه بمستوى خاص من الحيوية والقـدرة على مجالدة الأعاصير والأعداء ، بأن يفنى الطالح من نتاجه وألا يبقى إلا الصالح ، فان المدنيـة الحديثة بما تحوط به الطالحين من أسباب الحماية من الهلاك والفناء ، إنما تقاوم سنة الطبيعة الثابتة ، تلك السنة التى تقضى بأحد أمرين : فاما هلاك يصيب الطالحين ليفوز الصالحون بتخليف النسل فيحتفظ النوع بحيويته وبمثله العليا من حيث القوة والجهد ، وإما فساد يصيب طبيعة النوع بالابقاء على الطالحين الذين يورثونه كل الصفات التى يدركها الاحيائيون بين الأطلح والأصلح

ولنضرب لذلك مثلاً نقتطعه من حالاتنا الاجتماعيـة . فلقد استطاع الفلاح المصرى أن يقاوم ثلاثة أشياء ، تسلط واحد منها على شعب غلت يد الطبيعة عن تزويده بمزايا الانتخاب الطبيعى ، كافية للقضاء عليه : فساد الحكومات ، والأمراض ، والحروب ، فلقد توالت على هذا الفلاح دورات من استبداد الحكومات منذ عهد الفراعنـة إلى الآن ، لا يروى تاريخ أية أمة من الأمم لها شبيهاً . وازدياد عدد السكان فى مصر الى عشرين مليوناً فى عصر من العصور الى ثلاثة ملايين فى عصر محمد على ، دليـل قاطع على عظم ما عانى هذا الشعب من عوامل الافناء وبرهان على ما فيـه من حيوية استمدها من البيئة الطبيعية ومن حالاته المعاشية التى ظلت متروكة لحكم الطبيعة فيـه الآلاف من السنين . وليس لى هنا أن أتكلم فى الأمراض التى سكنت جسم هذا الفلاح منذ أقدم العصور وأخصها ( البلهارسيا ) وقد استدل على وجودها بالموميات المحنطة من أقدم العصور : أما الحروب فيكفى أن تعرف أن الجيش المصرى حارب فى خمس وأربعين وقعـة تحت لواء قائدنا العظيم ابراهيم وحده فى فترة لا تزيد على ثلاثين عاماً . فما بالك بالعصور التى هدمت فيها الامبراطورية المصرية ثم بنيت على أكتاف هذا الفلاح منذ ستة آلاف خلون من الأعوام ؟

هذه الظاهرة تحملنا على أن نتساءل ما هو السر الذى جعل

هذا الفلاح على ما فى أسباب حياته من عوامل الافناء يصمد لعوادى الدهر والطبيعة فلا ينقرض ولا يبيد ، بل تراه اليوم وقد خرج من معارك التناحر على البقاء منصوراً ، وعلى ضفاف نيله المقدس سبعة عشر مليوناً يفلحون أرض مصر ويتطلعون الى أسمى المثل التى أوجدها التصور الديمقراطى الحديث ؟

قد يتفق أن يقول بعض الذين لا يقوون على وصل أسلوب التفكير العلمى بأسلوب التفكير الاستقرائى إن ذلك راجع الى صفات خص بها الشعب المصرى دون غيره من شعوب الأرض التى عاصرته . وقد يكون فى هذا الكلام بعض الحق ، فان للصفات الخلقية التى تتصف بها بعض الشعوب أثرا فى ذلك . ولكن إذا نظرنا فى الأمر من الوجهة الطبيعية الصرف ألفينا أن السبب راجع الى أن هذا الشعب قد ترك للطبيعة معرضاً لعواملها خاضعاً لقوانينها الحديدية منذ أبعد العصور . وظلت الطبيعة تتولى إنساله بالانتخاب الطبيعى فتفنى غير القادر منها على البقاء ، وتبقى فى حلبتها الصالحين للبقاء ، فاستطاعت بذلك أن تحفظ على هذا الشعب قدرا من الحيوية ظل ثابتاً على مدار العصور . وقد ترى هذا الفلاح اليوم بسحنته السفعاء وجسمه النحاسى ، فما تقرأ فيه من آية إلا آية الطبيعة خطت على ملامحه الهادئة ؛ أما وداعة أخلاقه وصبره واحتماله وحدة نظراته وذكائه الموروث ، فتحملك لأول وهلة إذا ما نظرت اليه أن تقول : هو ذا ابن من أبناء الطبيعة لم يدخل فى فطرته بعد شىء من تزوير المدنية

ولا شك عندى فى أن تزوير المدنية لابد من أن يدرك فلاحنا بعد عهد قصير . فقد علت الصيحة فى هذا العصر بوجوب النظر فى ترقية الفلاح اجتماعياً . أما إذا كان الذين يصيحون هذه الصيحة لا يقصدون بها إلا أن يخرج الفلاح من تلك البيئة التى نشأ فيها الى بيئة مزورة ندعوها المدنية ، بأن نغل يد الطبيعة عن أن تدرك منه أغراضها الانتخابية ، وأن نعمل على حماية أولئك الذين كتبت عليهم الطبيعة آية الفناء بأسباب اصطناعية ، فان ذلك سوف يكون أول عهد الفلاح بفقدانه الحيوية التى استمدها من الطبيعة على مدار العصور وعلى تتالى الأحقاب . ولم أدرس بعد كيف نستطيع أن نحمى فلاحنا من مفاسد المدنية التى تقضى بابعاده عن حكم الطبيعة فيه ، وإنما أقول إن كل اصلاح اجتماعى لا يعوض على الفلاح ما سوف يسلب من فعل الطبيعة ، اصلاح هو الى الفساد أقرب شىء

ولقد بحث هذا المشكل الاجتماعى فحول من معاصرى الاجتماعيين ، وزكىّ بحوثهم فئة من كبار الاخصائيين فى أوروبا وأمريكا ، ولقد بان لهم بأجلى دليل أن الحماية المصطنعة التى حدّ بها العلم من فعل الطبيعة فى الطالحين ، أى غير القادرين على البقاء فى البيئة الطبيعية ، لولا تلك الحماية ، سبب من أكبر الأسباب التى ولدت ما يظهر على أكثر شعوب الأرض من مظاهر الهرم والضعف الحيوى ، حتى لقد لجأت ألمانيا وغيرها من ولايات أمريكا المتحدة والجزر البريطانية التى تعقر طبقات خاصة من المجرمين والمعتوهين والفاسدين توصلا الى طريقة عملية يعوضون بها على الأحياء شيئا مما فقدت بالحماية المصطنعة من فعل الطبيعة والخضوع لسننها الثابتة

من هذه البحوث بحث ألقاه لورد « دوصن Dawzan » فى الجمعية الطبية بمدينة يورك نشر بعنوان « الطب والتقدم الاجتماعى » تساءل فيه عما إذا كانت النزعة التى تنزع بنا الى حماية كل الأطفال الذين يولدون من قضاء الطبيعة فيهم ، مهما كانوا طالحين غير قادرين على البقاء بغير حماية فعلية ، أمراً مناقضاً لما تنشد من ارتقاء السلالات البشرية وخيرها فى مستقبل العصور . ففى خلال ستين عاما انخفضت نسبة الوفيات بين الأطفال من ١٥٦ فى الألف الى ٦٠ فى الألف ، ونزلت فى الأطفال الذين هم فوق الخامسة من ٦٨ الى ١٨ فى الألف ، وزاد عدد السكان فى خلال هذه ( الفترة ١٨٧٠ ـ ١٩٣٤ ) خمسين فى المائة عما كان قبلا

على أننا نستطيع أن ندرس الظواهر التى تنشأ عن مثل هذه الحالات ، إذا رجعنا الى أنواع أخرى تعايشنا فى الطبيعة . فقد نرى أن الأنواع الأخرى ، غير النوع البشرى ، وغير الأنواع الداجنة التى يكثرها الانسان لأغراض له فيها ، تحتفظ بنسبة ثابتة فى الأعقاب ، أى فى تخليف النسل ، وأنه كلما أخذت نسبتها فى الزيادة العددية سلطت عليها الطبيعة عوامل تردها الى النسبة التى لا تسمح بأكثر منها ، فقد لحظ أن ازدياد عدد نوع من الأنواع يصحبه دائما ظهور أمرين : إما زيادة فى عدد الأنواع المفترسة ،

وإما ازدياد في الأمراض . وفي هـذه الحالة لا يبقى من أفراد الأنواع إلا أقدرها على البقاء، وأصلحها لأعقاب نسل يرث ما فيها من صفات تمكن النوع من الاحتفاظ بذاته ، فاذا صدت الطبيعة عن أن تقضي في نوع بحكمها هذا، ترتب على هذا انحطاط يظهر في أعقاب هذا النوع

والمثل على هذا عديدة ، نقتصر على ذكر مثالين منها ، فقد حدث أن حاول أهل سويسرا أن يحموا نسل حيوان يكثر في جبالهم يدعى ( الشموا ) Chamois وهو فصيلة من الانعاميات Ungulata لها قيمة تجارية ، فأسروا عدداً منه في داخل مكان متسع أحيط بكل أنواع الحماية ، وبخاصة من الذئاب التي هي أنكى أعداء هذا الحيوان . فكانت النتيجة المحتومة أن ظهر في هذا النسل المأسور صفات انحطاطية بينة ، وكثر فيه عدد الأفراد الهزولة الضعيفة ، وبدت عليه كل علامات الانحلال الحيوي ، حتى اضطر المربون في النهاية أن يدخلوا إلى مكان الأسر عدداً محدوداً من الذئاب المفترسة ، فوجدت هـذه الذئاب في الأفراد المنحطة فرائس يسهل اقتناصها ؛ وبعد قليل استعادت البقية الباقية كل الصفات المثالية التي يمتاز بها النوع في مرابيه الطبيعية

أما في زيلاندا الجديدة فقد تكررت هذه الظاهرة بينها ، والمعروف أن هذه الجزر من أمثل بقاع الأرض مناخاً وطبيعة لتربية الأنعام خاصة ، وذوات الثدى عامة ، ذلك بأنها خالية من الحيوانات المفترسة خلواً تاماً . فلما أن استوطنها الايقوسيون حسن لديهم أن يدخلوا إليها عدداً من الغزال الأحمر الذي يعيش في جبالهم العليا ، فكانت لهذا الحيوان أمثل مباءة ، فتكاثر واكتنز لحماً ، ولكن بان لهم بعد قليل من الزمن أن النوع الذي جلب من أثيوبيا مملوء حيوية ، محتفظ بأسمى الصفات التي يتسم بها في مرابيته ، قد ظهرت بينه أنواع انحرفت عن صفات النوع المثالية . فكانت أضعف بنية وأقل مقدرة على العدو ، وقد شوه منظرها الخارجي بصفات لم يكن لها من وجود في أسلافها ، أما الدواء فكان إدخال عدد من الذئاب المفترسة القوية إلى الجزر ، كانت عدة الطبيعة في القضاء على الطالحين من نسل هذا الحيوان ، فستردت البقية الصالحة ، بعد فناء غيرها ، كل الصفات الحيوية التي يتصف بها النوع في مرابيه

أمام هذه الحقائق أخذ المصلحون يفكرون في تلك الوسائل التي يحاول بها دعاة المدنية والانسانية أن يصلوا من طريقها إلى حماية كل الأطفال الذين يولدون ، أليس في الافراط في اللجوء إلى هذه الوسائل معاندة للطبيعة بأن نكثر من نسل أناس يتصفون بالضعف الأدبي والعقلي والطبيعي ؛ مثلنا في ذلك مثل أولئك الذين أرادوا أن يغالبوا الطبيعة في تربية الشموا والغزال الأحمر ؟

وحجة الذين يميلون إلى الأخذ بالميول الانسانية في مثل هذه البحوث العلمية ، أن نسبة الزيادة في عدد السكان آخذة في التناقص شيئاً بعد شيء ، وقد تقف عند حد خاص بعد زمن وجيز ؛ فلا سبب إذن للانزعاج والتشاؤم ؛ غير أن هؤلاء انما تغيب عنهم حقيقة رئيسية ، هي أن نسبة زيادة عدد السكان إن كانت قد أخذت في النقص ، فانه نقص معكوس الآية ، ففي منتصف القرن التاسع عشر كان التجار وأصحاب الحرف الفنية من ذوي الأسر العديدة الأفراد ، في حين أن كبر أسرات رجال الدين كان مضرب المثل ، فاذا وعينا أن متوسط عدد أفراد الأسرة في أمة تريد الاحتفاظ بكيانها لا ينبغي أن يقل عن أربعة أنفس ، ذاكرين أن هنالك أسراً قد تظل عقيما ، وأخرى تصاب بالثكل ، وعلمنا أن عدد الأسرة في طبقتي الأطباء ورجال الدين لا يزيد عن اثنين ، علمنا أن اطراد النقص في عدد السكان انما هو اطراد عكسي . ذلك بأن هذه النسبة تقيد الطبيعة من ناحيتين : الأولى اعقاب النسل بالنسبة الطبيعية ؛ والثانية عدم تزويد الطبيعة بمادة للانتخاب ، اذ تغربل الناتج لتبقي على الأصلح

هذه هي الحالات التي يقع تحت سلطانها انسان القرن العشرين ، فهل من سبيل إلى اتقائها ؟ يقول لورد « دوصن » إن اتقاءها مرهون على شرطين : الأول نشر المعلومات التي تتعلق بضبط النسل : والثاني التعقير الاختياري . أما الشرط الأول ، وهو شرط قد تحقق منه شطر عظيم بذيوع الوسائل التي تضبط النسل ، فان عليه اعتراضاً ذا خطر عظيم ، هو أن الذين يجنحون إلى ضبط النسل إنما هم أولئك الذين تعتبرهم زهرة المجتمع الانساني من أصحاب العقول الراجحة والمزايا الفذة ، في حين أن غيرهم من الطبقات الدنيا والطالحين يتناسلون جهد ما تبلغ استطاعتهم . وفي ذلك مشكل هو بذاته أنكى من حماية غير القادرين على البقاء بالطرق الاصطناعية . فان قلة نسل الأولين وازدياد نسل الآخرين مفسدة سوف تسرع ببعض الجماعات إلى درجة من الانحطاط

# قصــــة المكروب

## كيف كشفه رجاله

### ترجمة الدكتور أحمد زكى

## الحصانة واليهودى الأفَّاق

— ٢ —

كانت كشوف بستور وكوخ قد شاعت فى الناس فثاروا لها جنوناً ، فكان لا هم لهم الا بها ، ولا حديث الا فيها ، فلما جاء عام ١٨٨٣ انقلب متشنيكوف من باحث طبيعى Naturalist الى صائد مكروب ؛ وكان قد خاصم رجال السلطة فى جامعة أودسّا ، فترك الجامعة وذهب الى جزيرة صقلية ، وصحب معه زوجته أُلجا وإخوتها ؛ فلما حلوا جميعاً بها اتخذوا لأنفسهم فيها منزلاً صغيراً ذا طابق واحد يطل على المياه اللازوردية لشاطىء كلَبرية [1] ، وفى حجرة الجلوس هيأ متشنيكوف لنفسه معملاً مرتجلاً . وأوحت اليه نفسه بأن الشىء الرائج عندئذ فى العلوم هو علم المكروب ، فأخذ يحلم الأحلام ويأمل الآمال عن كشوف خطيرة لمكروبات جديدة يكتشفها ، وكان يلذّ له العمل أيضاً فيها لذةَ صدق ، ولكنه لم يكن يدرى من طرائقها الخدّاعة شيئاً ، بل قل انه لم يكن رأى مكروبة واحدة ؛ وطال تجواله فى حجرة الجلوس

(١) المقاطعة الايطالية السفلى التى فى مقابلة مسينا

---

يخشاها المصلحون ، أما التعقير الاختيارى فلا يعقل أن يكون دواء ناجعاً . ذلك بأن التعقير تشويه طبيعى لا يرضى به إلا اقلية من الناس لا يعتد بهم إذا قيسوا الى مجموع الأمة

ولست أرى أن فى هذين الأمرين منجى من الأخطار التى تحيق بالجماعات فى هذا الزمان ، ولا بد للمفكرين الذين يرغبون فى خير الانسانية ، ويودون أن يحتفظ النوع الانسانى بصفاته الرئيسية ، أن يقعوا على علاجات أخرى تكون ناجعة فى التعويض عن فعل الطبيعة فى الانتخاب مع فرض الحماية على المواليد أيا كانوا ومن أى طابع خرجوا الى هذه الدنيا

**اسماعيل مظهر**

---

هذه يشرح لألجا نظريات علم الحياة تارة ، أو هو يدرس نجوم البحر [1] Starfish وأسفنجياته تارة ، أو هو يحكى الحكايات لأخوة أُلجا واخواتها ، واختصاراً كان يفعل كل شىء لا يمتُّ بصلة الى تلك الأبحاث المجيدة التى قام بها كوخ وبستور

وذات يوم أخذ يدرس كيف تهضم الأسفنجيات ونجوم البحر أطعمتها ، وكان قبل ذلك عثر فى داخل هذه الأحياء على خلايا غريبة هى بعض أجسام هذه الأحياء ، ولكنها مع ذلك تدور فيها دوران الحر الطليق ، وكانت هذه الخلايا الأفاقة التائهة تسبح فى مجاريها كما تسبح الخلايا الأشهر المعزوفة بالأميبا Amoepa تضرب ببعض جسمها الرخو قُدُماً فى سائل الجسم ، فاذا برز منه ما يشبه اللسان جرّ ما تخلف من الجسم وراءه

وجلس متشنيكوف من بيته فى غرفة الجلوس ، وقعد إلى المنضدة وجاء بعلقات [2] من نجوم البحر ، وأدخل فى أجسامها شيئاً من صبغة الكرمين Carmine [3] ، وجاهد فى ادخالها جهاد الرجل الذى لا تستطيع يداه مجاراة عقله ، وضاق بهذه التجربة صدره للذى عانته أصابعه الثقيلة فى إجرائها ؛ وكانت تلك فكرة بارعة من بنات أفكاره الحسان ، لأن هذا العَلَق شفّاف كالزجاج ، فكان فى استطاعة صاحبنا أن يتتبع بعدسته مايجرى فيه ، ونظر فوجد تلك الخلايا الأفّاقة الطليقة تسبح إلى حبّات صبغته ، فاذا بلغتها التهمتها التهاماً ، ففرح وطَرِب ، وخال متشنيكوف الى تلك الساعة أنه يدرس كيف يهضم نجم البحر طعامه ؛ ولكن طافت فى حواشى فكره أشباح من افكار جديدة يتضاءل الى جانبها موضوع الهضم تضاؤلاً كبيراً ، أفكار رائعة مبهمة لا تتصل بمبحث الهضم من قريب أو بعيد

وفى الغد ذهبت أُولجا بالأطفال إلى السرك circnus يشهدون ألعاب قردة بارعة التمثيل ؛ وبقى متشنيكوف حيث هو من غرفة الجلوس وعلى وجهه لحية كلحية القديسين ؛ وقد أخذ يشدّ شعراتها شدا ؛ وقد أخذ ينظر الى نجم البحر فى مائه بوعائه . ولكن لا يرى منه شيئاً . وفى ساعة قصيرة جرى له مثل الذى جرى للقديس بولص وهو فى طريقه الى دمشق لما شعّ فى وجهه ذلك النور الباغت فأعماه . نعم فى ساعة قليلة ،

(١) نوع من السمك ذو جسم فيه رخاوة تشع منه أذرع كالمثلثات ، عدده فى الأغلب خمسة فصورته كالصورة التقليدية للنجم

(٢) صغار السمك قبل أن يتم خلقه

(٣) صبغ أحمر

فى دقيقة قصيرة ، فى ومضة برق ، أو لحظة عين نزل الوحى على متشنيكوف فتغيّر بغتة مجرى حياته

« إن هذه الخلايا الأفّاقة التوّاهة فى أجسام نجوم البحر تأكل الطعام وتلتهم حبّات الصبغة – إذن هى لابد تأكل المكروبات أيضاً . وفى أجسامنا نحن ، فى دمائنا نحن ، لابد أن كراتنا البيضاء هى التى تلتهم الجراثيم فتحمينا من غوازيها .. إن هذه الكرات البيضاء هى سبب حصانتنا من العدوى . . . إنما هى هى التى تقى الجنس البشرىّ من فناء سريع تحمله اليه أجناس البشلاّت »

وهكذا ، وبدون أى دليل ، وبدون محاولة أى تجربة ، قفز متشنيكوف هذه القفزة الكبرى من هضم نجم البحر الى أدواء الانسان

كتب فى مذكراته : « وبغتةً وجدت نفسى قد انقلبتُ عالِمَ أمراض Pathologist . وهذا انقلاب كبير لا يَعْدِلُهُ إلاّ انقلاب زمّار الى فلكىّ » . وكتب « وأحسست أن هذه الفكرة ستتمخض عن أمر كبير الخطورة ، فاضطربت نفسى واهتاجت فأخذت أغدو فى الغرفة وأروح حتى لَذَهبت الى شاطىء البحر أستجمع فكرى » . وكتب : « وقلت لنفسى لو صحّت هذه النظرية إذن لتوقعت إذا أنا أدخلت فِلقة خشب فى نجم البحر أن تتجمع هذه الخلايا الأفّاقة حول الفلقة دفعاً للسوء الطارىء . » وذكر بهذا أن الرجل تدخل فى إصبعه الشوكة فينسى أن ينتزعها فلا تلبث أن تتجمع حولها المِدّة والقيح وما هما الا طوائف من الخلايا البيضاء التى تطوف فى دم الانسان . ذكر هذا بهذا فهرول إلى الحديقة التى وراء بيته ، الى شجيرة ورد كان ذوقها وزخرفها من أجل إخوة أولجا ليحتفلوا بها فى عيد الميلاد ، وانتزع منها بعض شوكها ، وعاد بالشوكات الى معمله ، وما هو بالمعمل ، وشكها جميعاً فى جسم أحد نجوم البحر وكان شفافاً كالماء

وما طلع فجر الغد حتى استيقظ وقد امتلأ قلبه بكل أمل بعيد ، ولم يتمهل بعد يقظته طويلاً حتى عرف أن ظنه أصاب ، وأن خيال الأمس أصبح حقيقة اليوم . نظر الى شوكات الورد فوجد طوائف عدة من تلك الخلايا الأفاقة التائهة قد ازدحمت حولها وأخذت تماوج فى كثرتها وبطء حركتها . وكان فيما رأى الكفاية لاقناعه بأنه وجد تفسيراً للحصانة من جميع الأمراض ، وعادته فى الطفرة الى الاستنتاجات السريعة معروفة مشهورة . وخرج فى هذا الصباح يخبر مشاهير أساتذة أوروبا بالذى وجده ، وكانوا اجتمعوا اتفاقاً بمدينة مسينا Messeina على القرب منه ، وقال لهم : « هذا هو السبب الذى من أجله يصمد الانسان لغائلة المكروبات » . وانطلق لسانه حديداً فصيحاً يشرح لهم كيف حاولت خلاياه التواهة أن تأكل الشوك أكلا لما ، واستطاع أن يريهم تلك التجربة الجميلة مصداقا لدعواه فصدقه العلماء ، حتى ذلك العالم الجليل المخوف الأستاذ الدكتور فرشو Virchow آمن به وقد كان سَخِر بكوخ Koch لما أتاه (١)

ومن هذا اليوم دخل متشنيكوف فى زمرة صُياد المكروب

— ٣ —

ثم ترك ألجا والأطفال وراءه يعيشون وخدهم على قدر ما يستطيعون ، وذهب الى فينّا Vienna ليعلن من فوق منبرها أن الانسان حصين من الجراثيم لأن بدمه كريات بيضاء تائهة عملُها بلعُ هذه الجراثيم . وذهب تواً الى معمل صديقه القديم الأستاذ كِلاوُسْ Claus ، وكان عالم حيوان ، وكان يجهل من أمر المكروب بقدر ما جَهِل متشنيكوف ، كذلك أُعجِب بالذى سمعه وقال لصديقه الضيف . « انه ليسرنى ويشرفنى كثيراً أن تنشر نظريتك فى مجلتى »

فقال متشنيكوف : « ولكن لا بد لى من اسم علمى لهذه الخلايا التى تلتقم المكروبات ، أعنى اسماً اغريقياً ، فأى الأسماء تقترح ؟ »

فرفع الأستاذ يده الى رأسه يحكّها ، وحكّ الجهابذة العلماء رؤوسهم معه ، ونظروا المعاجم ثم أخبروه أخيراً : « ان الكلمة المثلى هى فجوسه Phagocyte ، ومعناها بالاغريقية الخلية الملتهمة فهى اذن ضالّتكَ التى تنْشُد »

فشكرهم متشنيكوف ، وأخذ هذه الكلمة وعلقها فى أعلى ساريته ، ثم حل القلاع ومخر بسفينه بحار حياته المضطربة ، وهذه الكلمة دينه ، وبهذه الكلمة يفسر كل شىء ، وهى صرخته فى حربه وفى سلمه ، وهى أداة عيشه وآلة رزقه . وصدّقنى أو كذّب لقد كان لهذه الكلمة نصيب كبير فى حفزنا إلى دراسة ما هى الحصانة . ومن هذه الساعة أخذ متشنيكوف يبشر بالفجوسات ويذيع من أمرها كل جميل ، ويدفع عنها مقالة السوء ، وأجرى

(١) راجع ترجمة كوخ

عليها أبحاثاً لها خطرها ، وعادى فى سبيلها ، ولا شك أنه بذلك أدّى نصيبه فى إحداث الحربَ العالمية الكبرى حرب عام ١٩١٤ بما عكّرت حملاته الشديدة ما بين فرنسا وألمانيا من مودّة لم تكن كثيرة الصفاء أبداً

وذهب من فينا الى أودسا ، وهناك ألقى خطاباً عظيما فى « القوّات العلاجية للكائن الحى » ، فدهش أطباء هذا البلد مما قال وأعجبوا به إعجاباً كبيراً ، فقد كان القاؤه غاية فى الابداع ، وحرارة قلبه لا تدع للسامع شكا فى إخلاصه ، ولكن لا يوجد فى السجلات ما يفهم منه المطالع أنه أخبر جمهرة الأطباء بهذا البلد أنه لم يكن رأى إلى هذا العهد كرة دموية بيضاء واحدة تلتهم مكروبة واحدة من مكروبات الوباء . إن الناس جميعاً — ومنهم الأطباء العلماء — لا تقع أبصارهم على كلبين يتشاجران حتى تستوقفهم تلك الحرب الصغيرة فيتجمعون حولها إرواء للطبيعة وانتظاراً لعلم من تكون له الغلبة ، وكذلك كان الحال فى أمر متشنيكوف فان حكاية تلك الحروب الطاحنة الدائمة المتواصلة بين الفجوسات الجريئة الباسلة ، وهى تنهض إلى الثغور تدفع غزوة تلك المكروبات العادية القاتلة ، تلك الحكاية أثارت شوق الناس فأرهفت آذانهم لاستماع ، وفتحت قلوبهم لاقتناع

ولكن متشنيكوف عرف أنه لا بد له من البحث عن حقائق ذات بال تقوم دليلاً على الذى يقول ؛ ولم يطل به الزمن حتى وجدها بيّنة كالشمس رائقة كالبلور ، وذلك فى براغيث الماء(١) . ومضت عليه فترة من الزمن نسى فيها الخطابة ، وعكف فيها على صيد هذه البراغيث من البرك ومرابى الأسماك . وكان اختيارا عبقريا أوحى اليه به لا شكّ شيطانه ، فهذه البراغيث كانت كَمَلَق نجوم البحر شفافة ، فاستطاع بعدسته أن يرى ما يجرى فى داخلها ، وأخذ يبحث فى جَلَد شديد عن داء يكون فى هذه البراغيث ، وجاءه صبرٌ نادر على غير انتظار ، فعمل طويلاً ، وبحث كما يبحث البحّاثة القحّ وقليلا ما كانه

لعلك أيها القارئ أدركت من تاريخ المكروبات هذا أن الباحث كثيراً ما يعتزم البحث عن شىء فيبدأ بحثه فلا يلبث به طويلا حتى تقوده الطريق إلى أمور غير التى طلبها أولاً ؛ على أن هذا لم يكن من قِسمة صاحبنا ؛ فانه أخذ يرقب هذه البراغيث تضرب فى حياتها العادية ضرباً غير ذى غاية ولا نهاية . فلم يلبث أن رآها من خَلَل عدسته تبتلع بزور خمائر فيها خطر على حياتها . وكانت بزوراً حادة كالأبر . فلما بلغت إلى ما يشبه المعدة من البرغوث نفذت فيه وأخذت تسير انزلاقا فى جسمه . هنا رأى متشنيكوف ما خصّته الأقدار برؤيته . هنا نظر ما أتحفته الحظوظ الطيبة بنظرته : سارت خلايا البرغوث الأفّاقة التوّاهة : تلك الفَجُوسات التى تقى الجسم شرّ الدخيل ، سارت نافرة إلى تلك البزور الفاتكة العادية ، فتجمعت حولها ، وحلّقت عليها . فأذابتها ، وأكلتها أكلا ، وهضمتها هضما ...

ومما زاد نظريته ثبوتاً ، أن بعض البراغيث كانت تتخاذل فَجُوساتها أحياناً عن النفْر الى العدوّ الغازى ، فكانت بزور تلك الخمائر تستقر فى جسم البرغوث فتتنفس عن خمائر حية ناشطة تتكاثر تكاثرا ذريعاً فتسمم البرغوث فتقتله ثم هى تأكله

أطلّ متشنيكوف من خلال عدسته على هذه المعارك الجميلة تدور رحاها فى هذه الميادين الصغيرة فعرف أول عارف سرّاً من أسرار الطبيعة خبأته عن الناس زمانا طويلاً ، عرف كيف تدفع بعض الخلائق عن نفسها غائلةً لو قعدت عنها لكانت قاتلة . وقد كان صادقا فى الذى رآه ، وقد كان بارعا موفّقاً فى الطريق الذى سلكه ، فأنّى يخطر على بال امرىء أن يبحث عن علّة الحصانة فى مخلوق غريب بعيد كل البعد عن أذهان الناس كبرغوث الماء . وقنع بالذى وجد من بحثه ، وآمن كل الايمان بنظريته فلم يتابع دراسة تلك المعارك التى كان يقضى فيها كوخُ السنوات العديدة لو أنه اتفق له منها ما اتفق لمتشنيكوف . وأخيراً نشر مقالة نمّت عن علم جم وفضل كثير قال فيها : « إن حصانة براغيث الماء ترجع الى فُجُوساتها ، وهى مَثَل للأسلوب الطبيعى فى الوقاية من الوباء ... فان بزرة الخميرة اذا لم تتلقها خلايا الجسم التوّاهة الدّفاعة فتبتلعها عند نفاذها فى الجسم ، استطاعت تلك البزرة أن تنبت الخميرة واستطاعت هذه أن تتكاثر وأن تفرز سمّا لا يصد خلايا الجسم المدافعة فحسب ، بل يقتلها ويذيبها كما يذوب الملح فى الماء »

( يتبع ) احمد زكى

(١) تطلق على أصناف من الحيوانات القشرية التى تعيش فى الماء وقد يبلغ طولها عشر البوصة وقد يبلغ جزءاً من المائة منها ، وهى شفافة الجسم فتتراءى أحشاؤها واضحة تحت المكرسكوب ، وهى تسير فى الماء قفزا كالبرغوث « المترجم »

أعلام الإسلام

# ٢ ــ سعيد بن المسيِّب

## للأستاذ ناجى الطنطاوى

ضربه وحبسه

قال عبد الله بن جعفر وغيره : استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهرى على المدينة ، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب : لا : حتى يجتمع الناس ، فضربه ستين سوطاً ، فصاح به سعيد والسياط تأخذه : والله ما ربعت على كتاب الله ، يقول الله : انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وإنك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، وما هى إلاّ ليالٍ فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره . فما مكث إلا يسيرا حتى قتل ابن الزبير . وروى أن ابن الزبير لما بلغه ضرب ابن المسيب كتب إلى جابر يلومه ويقول : ما لنا ولسعيد ؟ دعه

وقال يحى بن سعيد : كتب والى المدينة إلى عبد الملك بن مروان : إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان (١) إلا سعيد بن المسيب . فكتب أن اعرضه على السيف ، فان مضى وإلا فاجلده خمسين جلدة ، وطف به أسواق المدينة (٢) . فلما قدم الكتاب على الوالى ، دخل سليمان بن يسار ، وعروة بن الزبير ، وسالم بن عبد الله ، على سعيد بن المسيب ، فقالوا : إنا قد جئناك فى أمر : قد قدم فيك كتاب من عبد الملك بن مروان إن لم تبايع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً . فاعطنا إحداهن ، فان الوالى قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل « لا » ولا « نعم » . قال : فيقول الناس بايع سعيد بن المسيب ؛ ما أنا بفاعل . (قال) : وكان إذا قال : لا ، لم يطيقوا عليه أن يقول نعم . قال : مضت واحدة وبقيت اثنتان . قالوا : فتجلس فى بيتك فلا تخرج إلى الصلاة أياماً ، فانه يقبل منك إذا طلبت فى مجلسك فلم يجدك . قال : وأنا أسمع الأذان فوق أذنىَ : حىّ على الصلاة ، حىّ على الفلاح ؟ ما أنا بفاعل . مضت اثنتان وبقيت واحدة . قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره ، فانه يرسل إلى مجلسك فان لم يجدك أمسك عنك . قال : فرقاً لمخلوق (١) ؟ ما أنا بمتقدم لذلك شبراً ولا متأخر شبراً . فخرجوا وخرج إلى الصلاة ، صلاة الظهر ، فجلس فى مجلسه الذى كان يجلس فيه ، فلما صلى الوالى بعث اليه فأتى به ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين (٢) فلما رآه لا يجيب أخرج الى السدة فدّت عنقه وسلّت عليه السيوف ، فلما رآه قد مضى أمر به فجرّد ، فاذا عليه تبّان شعر فقال : لو علمت أنى لا أقتل ما اشتهرت بهذا التبّان (٣) ، فضربه خمسين سوطاً ثم طاف به أسواق المدينة ، فلما ردّه (٤) والناس منصرفون من صلاة العصر قال : إن هذه لوجوه ما نظرت اليها منذ أربعين سنة

وروى أن سعيداً لما جرّد ليضرب ، قالت له امرأة : إنّ هذا لمقام الخزى ، فقال لها سعيد : من مقام الخزى فررنا

وقال قتادة : أتيت سعيد بن المسيّب ، وقد ألبس تبّان شعر وأقيم فى الشمس فقلت لقائدى : أدننى منه فأدنانى منه ، فجعلت أسأله خوفا من أن يفوتنى وهو يجيبنى حسبة والناس يتعجبون

(١) عقد عبد الملك لابنيه بالعهد بعد موت عبد العزيز بن مروان بمصر سنة ٨٤

(٢) روى رجاء أن عبد الملك كتب اليه : مالك ولسعيد ؟ ما كان علينا منه شىء نكرهه ، فأما إذ فعلت فاضربه ثلاثين سوطاً وألبسه التبان وأوقفه للناس لئلا يقتدى به الناس . وفى رواية أن هشاماً ضرب ابن المسيب من غير أن يستأذن عبد الملك فى ضربه

(١) لعلها : من مخلوق

(٢) وروى أنه قال : لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فقيل ادخل من الباب واخرج من الآخر قال : والله لا يقتدى بى . وفى رواية أنه قال : لاأبايع وعبد الملك حى

(٣) وقيل إن هشاما ألبسه التبان وطف به حتى بلغ رأس الثنية ، فلما كروا به قال : أين تكرون بى قالوا : إلى السجن . قال : والله لولا أنى ظننت أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبداً ، فرده إلى السجن وحبسه . وفى رواية أن الأيليين ( نسبة لأيلة ) الذين كانوا فى شرطة المدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس التبان طائعا فقلنا له : يا أبا محمد ، إنه القتل فاستر عورتك فلبسه ، فلما ضرب قلنا له : إنا خدعناك . قال : يا معجلة أهل أيله ، لولا أنى ظننت أنه القتل ما لبسته (٤) إلى السجن

وقال عبد الله بن يزيد الهذلى : دخلت على سعيد بن المسيّب السجن ، فاذا هو قد ذبحت له شاة ، فجعل الاهاب على ظهره ، ثم جعلوا له بعد ذلك قضباً (١) رطباً ، وكان كلما نظر الى عضديه قال : اللهم انصرنى من هشام

وقال أسلم أبو أمية مولى بنى مخزوم وكان ثقة : صنعت ابنة سعيد بن المسيّب طعاماً كثيراً حين حبس ، فبعثت به اليه ، فلما جاء الطعام دعانى سعيد فقال : اذهب الى ابنتى فقل لها : لا تعودى لمثل هذا أبداً ، فهذه حاجة هشام بن اسماعيل ، يريد أن يذهب مالى فأحتاج الى ما فى أيديهم وأنا لا أدرى ما أحبس ، فانظرى الى القوت الذى كنت آكل فى بيتى فابعثى الىّ به ، فكانت تبعث اليه بذلك ، وكان يصوم الدهر

وقال قتادة عن سعيد بن المسيّب إنه كان إذا أراد الرجل أن يجالسه قال : إنهم قد جلدونى ، ومنعوا الناس أن يجالسونى

وقال عبد الله بن جعفر وغيره : كتب هشام بن إسماعيل إلى عبد الملك بن مروان يخبره بخلاف سعيد بعد أن وضعه فى السجن وما كان من أمره ، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به ويقول : سعيد كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنا لنعلم ما عند سعيد شقاق ولا خلاف (٢)

وقال الواقدى : كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره أن يقف هشام بن اسماعيل للناس ، وكان فيه سيء الرأى ، فدعا سعيد ابنه ومواليه فقال : ان هذا الرجل يوقف للناس أو قد وُقف فلا يتعرض له أحد ، ولا يؤذه بكلمة ، فانا سنترك ذلك لله وللرحم ، فان كان ما علمت لسيء النظر لنفسه فأما كلامه فلا أكلمه أبداً !

وقال عمران : كان لسعيد بن المسيب فى بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه ، فكان يدعى إليها فيأبى ويقول : لا حاجة لى فيها حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان !

## معاملته للخلفاء والولاة

قال على بن زيد : قيل لسعيد بن المسيب : ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ، ولا يحركك ، ولا يؤذيك ؟ قال : والله لا أدرى إلا أنه دخل ذات يوم مع ابنه المسجد ، فصلى صلاة ، فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها . فأخذت كفاً من حصى فحصبته به ، زعم أن الحجاج قال :

ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة

وقال عمران بن عبد الله بن طلحة بن خلف الخزاعىّ : حجّ عبد الملك بن مروان ، فلما قدم المدينة فوقف على باب المسجد ، أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه ؛ قال : فأتاه الرسول وقال : أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك ، فقال ما لأمير المؤمنين الى حاجة ، وما لى إليه حاجة ، وإن حاجته إلى لغير مقضية ! قال : فرجع الرسول إليه فأخبره فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال له سعيد ما قال له أولاً . فقال له الرسول : لولا أنه تقدم الى فيك ما ذهبت اليه إلا برأسك . يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول له مثل هذه المقالة ؟ ! فقال : إن كان يريد أن يصنع بى خيراً فهو لك ، وان كان غير ذلك فلا أحل حبوتى حتى يقضى ما هو قاض . فأتاه فأخبره فقال : رحم الله أبا محمد ، أبى الا صلابة

وقال عمرو بن عاصم : لما استخلف الوليد بن عبد الملك ، قدم المدينة فدخل المسجد فرآى شيخاً قد اجتمع الناس عليه ، فقال : من هذا ؟ فقالوا سعيد بن المسيّب ؛ فلما جلس أرسل اليه فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : لعلك أخطأت باسمى أو لعله أرسلك الى غيرى ! قال : فأتاه الرسول فأخبره ، فغضب وهمّ به ، قال : وفى الناس يومئذ بقية ، فأقبل عليه جلساؤه فقالوا : يا أمير المؤمنين فقيه أهل المدينة ، وشيخ قريش ، وصديق أبيك ، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه . قال : فما زالوا به حتى أضرب عنه

وقال ميمون بن مهران : قدم عبد الملك بن مروان المدينة ، فامتنعت منه القائلة واستيقظ ، فقال لحاجبه : أنظر هل فى المسجد أحد من حدائنا من أهل المدينة ؟ فخرج فاذا سعيد بن المسيّب فى حلقة له ، فقام حيث ينظر اليه ، ثم غمزه وأشار اليه بأصبعه ثم ولى ؛ فلم يتحرك سعيد ولم يتبعه . فقال : ما أراه فطن ، فجاء فدنا منه ثم غمزه وأشار اليه وقال : ألم ترنى أشير اليك ؟ قال :

(١) القضب : الرطبة ( وهى الفصفصة ) وقيل كل نبت اقتضب فأكل طريا (٢) وروى أن هشاماً جاءه كتاب من عبد الملك بن مروان يلومه فى ضربه سعيد بن المسيب ويقول : ماضرك لو تركت سعيداً ووطئت ما قال ؟ فندم هشام بن اسماعيل على ما صنع بسعيد فخلى سبيله

وما حاجتك ؟ قال : استيقظ أمير المؤمنين ، فقال : أنظر فى المسجد أحد من حداثى ، فأجب أمير المؤمنين ، فقال ، أرسلك الىّ ؟ قال : لا ، ولـكن قال اذهب فانظر بعض حداثنا من أهل المدينة ، فلم أر أحداً أهيأ منك . فقال سعيد : اذهب فأعلمه أنى لست من حـداثه ! فخرج الحاجب وهو يقول : ما أرى هذا الشيخ إلا مجنونا ! فأتى عبـد الملك فقال له : ما وجـدت فى المسجد إلا شيخاً أشرت اليه فلم يقم ، فقلت له إن أمير المؤمنين قال انظر هل ترى فى المسجد أحداً من حداثى فقال : إنى لست من حداث أمير المؤمنين . وقال لى : أعلمه ، فقال عبـد الملك : ذاك سعيد بن المسيب ، فدعه

وقال هشام بن عروة : لما تزوج الحجاج ، وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أتى رجل سعيد بن المسيب فذكر له ذلك ، فقال . إنى لأرجو ألا يجمع الله بينهما ، ولقـد دعا داع بذلك وابتهل ؛ وعسى الله ؛ فان أباها لم يزوج إلا الدراهم ، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد الى الحجاج وكتب اليه يغلظ له ويقصر به ويذكر تجاوزه قدره ، ويقسم بالله لئن هو مسّها ليقطعنّ أحبّ أعضائه اليه ، ويأمره بتسويغ أبيها المهر ، وبتعجيل فراقها ، ففعل فما بقى أحد إلا سره ذلك

وقال المطلب بن السائب : كنت جالساً مع سعيد بن المسيب فى السوق فمرّ بريد لبنى مروان ، فقال له سـعيد : من رسل بنى مروان أنت ؟ قال : نعم . قال : كيف تركت بنى مروان ؟ قال : بخير . قال : تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب ! فاشرأبّ الرسول ، فقمت اليه فلم أزل أرجيه حتى انطلق فقلت لسعيد : يغفر الله لك ، تشيط بدمك ؟ فقال : أسكت يا أحيمق ! فو الله لا يسلمنى الله ما أخذت بحقوقه

وقال صالح بن كيسان : حجّ الوليد بن عبد الملك ، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منـه ، فما ترك فيه أحد ، وبقى سـعيد بن المسيّب ما يجترىء أحد من الحرس أن يخرجه ! وما عليه إلا ريطتان ما تساويان إلا خمسة دراهم فى مصلاه . فقيل له : لو قمت ، قال : والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه . قيل : فلو سلّمت على أمير المؤمنين . قال : والله لا أقوم إليه ! قال عمر بن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال : من ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيّب ؟ فجعل عمر يقول : نعم يا أمير المؤمنين ، ومن حاله ، ومن حاله ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه فدار فى المسجد حتى وقف على القبر ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فو الله ما تحرك سعيد ولا قام ! فقال : بخير والحمد لله يا أمير المؤمنين . قال الوليـد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هـذا بقية الناس . فقلت : أجل يا أمير المؤمنين

### رفضه أخذ العطاء

قال عمران بن عبد الله : كان سـعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ولا شيئاً ، وربما عرض عليـه الأشربة فيعرض فليس يشرب من شراب أحد منهم

وقال العجلى وغيره : كان لا يقبل جوائز السلطان (١) ، وله أربع مائة دينار يتجر فيها بالزيت وغيره

( يتبع ) ناجى الطنطاوى

(١) وقد مر أنه كان له فى بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه كان يدعى إليه فيأبى ويقول : لا حاجة لى فيها ، حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

# اشتغال العرب بالأدب المقارَن

## أو ما يدعوه الفرنج « littérature comparée »

## في كتاب تلخيص كتاب أرسطو في الشعر

### لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد

[ تتمة المنشور في العدد الماضي ]

— تلخيص وتحليـــل —

للأستاذ خليل هنداوي

---

**بحث فني في التخييلات والمعاني والألفاظ والأجزاء**

وقد بحث في ماهية الأوزان ، فجعل من المعاني والتخييلات ما تناسبه الأوزان الطويلة ومنها ما تناسبه القصيرة ؛ وربما كان الوزن مناسباً للمعنى غير مناسب للتخييل ، وربما كان الأمر بالعكس ، وربما كان غير مناسب لكليهما . على أن أمثلة هذه مما يعسر وجوده في أشعار العرب إذ تكون غير موجودة فيها ، إذ أعاريفهم قليلة القدر ، والألفاظ الشعر يجب أن تؤلف من الأسماء المبتذلة ومن الأسماء الأخر يعني المنقولة الغريبة المغيرة واللغوية ، لأنه متى تعرى الشعر كله من الألفاظ الحقيقية كان رمزاً ولغزاً . ويجب أن يكون الشاعر حيث يريد الايضاح وألا يخرج إلى حد الرمز كما لا يفرط في الأسماء المبتذلة فيخرج عن طريقة الشعر إلى الكلام المتعارف . وأما موافقة الألفاظ بعضها لبعض في المقدار ، ومعادلة المعاني بعضها لبعض ، وموازنتها ، فأمر يجب أن يكون عاماً ومشتركاً لجميع الألفاظ . وقد يستدل على أن القول الشعري هو المغير أنه إذا غير القول الحقيقي سمي شعراً وقولاً شعرياً ووجد له فعل الشعر ، مثال ذلك قول القائل :

ولما قضينا من مِنًى كلَّ حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيِّ الأباطح

وإنما صار هذا شعراً من قبيل أنه استعمل بيته الأخير بدل قوله « تحدثنا ومشينا » ، وكذلك قوله : « بعيدة مهوى القرط » إنما صار شعراً لأنه استعمله بدل قوله : « طويلة العنق » وكذلك قول الآخر :

يا دار أين ظباؤك اللعس ، قد كان لي في إنسها أنس

إنما صار شعراً لأنه أقام الدار مقام الناطق وأبدل لفظ النساء بالظباء ، وأتى بموافقة الانس والأُنس . وأنت إذا تأملت الأشعار المحركة وجدتها بهذه الحال ، وما عدا هذه التغييرات فليس فيه من معنى الشاعرية إلا الوزن فقط ، والتغييرات إنما تكون بجميع الأنواع التي تسمى عندنا مجازاً ، والفاضل من هذه الأشياء أن يستعمل من كل واحد منها ما هو أبين وأظهر وأنبه ، وهذا لا يوجد إلا في النادر من الشعراء لأنه دليل المهارة

وقد أتى المترجم على نموذج من نماذج قصائد المديح ، يريد أن يحلل الأجزاء التي تتركب منها القصيدة ، فأرجع تأليفها — عند العرب — إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول الذي يجري عندهم مجرى الصدر في الخطبة كذكر الديار والتغزل ، والجزء المبني على المديح ، والجزء الذي يجري مجرى الخاتمة في الخطبة . وهذا إما دعاء للممدوح أو تقريظ للشعر الذي قاله . والجزء الأول أشهر من هذا الآخر ، ولذلك يسمون الانتقال إلى الثاني استطراداً ، وربما أتوا بالجزء الثاني دون الجزء الأول كقول أبي تمام : « لهان علينا أن نقول ونفعلا »

أو قول أبي الطيب : « لكل امرىء من دهره ما تعوّدا »

ويرى خير المدائح المدائح التي يوجد فيها التركيب أي ذكر الفضائل والأشياء المحزنة المخوفة والمرققة . . . وكأني بابن رشد لم يفصل هذه الأشياء لأن العرب لا يمزجون الأشياء المحزنة المخوفة والمرققة بمدائحهم . . . وإنما هي من صفات الشعر اليوناني ( وبخاصة الأوميروسي ) . ثم انتقل إلى ذكر الخرافة ، والخرافة تكاد تغلب على الأشعار اليونانية . . . ولكن أرسطو يرى أن الخرافة ينبغي أن يكون مخرجها مخرج ما يقع تحت البصر ، لأنه إذا كانت الخرافة مشكوكاً فيها لم تفعل الفعل المقصود بها ، وذلك أن ما لا يصدقه المرء فهو لا يفزع منه ولا يشفق له ، وفي هذا سر عميق من أسرار الابداع ، إذ ليس الشاعر من أغرب وأعجب ، وليس الشعر بالشعر الأذهب في الغرابة والتخيل البعيد عن الصدق

كما يذهب إليه بعض الشعراء . والشاعر الموهوب قد يتناول ما بين يديك ، ويدخل فى عالم نفسك ، ثم يحدثك بما تعرفه وتحسب أنك لا تعرفه ... لأنه أدرك بتعمقه وتأمله أشياء منك لم تدركها بنظراتك السطحية

ثم عرض للأشياء التى يجب أن تمدح فى الممدوح محللاً إياها تحليل الفيلسوف الذى لا يسمح بعبث فى الفضيلة ، ولا بتلاعب فى الحقيقة . هو يريد من الشعراء أن يتبعوا هذه الحقيقة ، وأن يبرزوا من الممدوح الصفات التى يتحلى بها . . . وإنما تمدح العادات الخيرة والفاضلة ، والعادات اللائقة بالممدوح والصالحة له ، وذلك أن العادات التى تليق بالمرأة ليست تليق بالرجل . وأن تكون مما يشابهه وأن تكون معتدلة متوسطة بين الأطراف ، ثم لا يورد الشاعر فى شعره من المحاكاة الخارجة عن القول إلا بقدر ما يحتمله المخاطبون من ذلك حتى لا ينسب إلى الغلو والخروج عن طريقة الشعر . وكما أن المصور الحاذق يصور الشيء بحسب ما هو عليه فى الوجود حتى إنهم قد يصورون الغضاب والكسالى مع أنها صفات انسانية ، كذلك يجب أن يكون الشاعر فى محاكاته يصور كل شيء بحسب ما هو عليه حتى يحاكى الأخلاق وأحوال النفس ومن هذا النوع من التخييل قول أبى الطيب يصف رسول الروم الواصل إلى سيف الدولة :

أتاك يكاد الرأس يجحز عنقَه ... وتنقد تحت الذعر منه المفاصل
يقوّم تقويم السماطَيْن مشيَه ... إليك إذا ما عوّجته الأفاكل (١)

ينتهى ابن رشد من مقارناته ، ويذكر شذوذ العرب فى كثير من هذه القوانين الشعرية . ويقول مع أبى نصر الفارابى : « وأنت تعلم من هذا أن ما شعر به أهل لساننا من القوانين الشعرية هو نزر يسير » وفى الحق يتبين لنا هذا الشذوذ كثيراً عند دراستنا للشعر العربى دراسة نقدية كما يتصورها ابن رشد ، وذلك عائد إما إلى جهل العرب لهذه القوانين ، وإما الى أن هذه القوانين لم تلائم طباعهم . وهذا القول أرجح عندى لأن الأمة لا يمكنها أن تخلق لشعرها قوانين قبل أن يكون لها شعر !!! وأن شعرها الذى نسوقه هو الذى يخلق قوانين نقدها ! إلا إذا أرادت أن تحاكى أمثلة سواها ، وأن تقبل التأثر بقوانين غيرها ...

وإننا لن نغلو فى التشيع لهذه القوانين لأننا نراها قوانين إذا أفادت مرة فقد لا تفيد كثيراً . . . والعبقرية فى الشعر تستلهم نفسها ولا تستلهم قوانين . ولكن هذا لا يصرفنا عن القول بأن هنالك قوانين إذا لم يحترمها الشاعر عاد عليه ذلك بالفساد . وإنما أبلغ سقراط حين شبه الشاعر بالمصور ، فليس المصور ذلك الذى يمنح صور الأشياء ، أو يخلق أشياء غريبة لا تناسق فيها ولا فكرة . وليس الشاعر بالذى يعطّل نظام الطبيعة الشامل ، ويعكس ألوان الأشياء بتخيله المضطرب ! ! ! إنما المصور من يساعد الطبيعة على ابداعها وتزيينها ، والشاعر هو من يكون أميناً على ما يتمثل له فى الحياة . . .

وقد تكون قوانين سقراط فى الشعر – صارمة قاسية لأنه يطلب من الشعر ما يطلب من الفلسفة ، اعتصام بالفضيلة ، واستمساك بالحقيقة ..! وقد يخرج عن هذه الحدود لأنه لا يطيق القيود ، وقد يرضى بأن يهذب نفسه ولكنه لا يرضى بأن يفادى بحريته . . . جناح الفن دائماً خفاق يبتغى السمو والعلو ، وويل للفن إذا استعان بجناحه على الانحدار بدلاً من الارتفاع ، لأن روعة الفن فى ارتفاعه لا فى انحداره !

وقد كان ينبغى لمثل هذه القوانين الشعرية أن تثير ضجة فى الشعر العربى لأنها مقاييس غريبة ، منطقية فى النقد ، ولكنها مرت هادئة كمر السحاب ، لا لأن الأدباء لم يفقهوها ، وقد قرّبها ابن رشد من الأفهام بعد أن عرّبها وأعربها بالنماذج والأمثلة العربية ، ولكن أهل البيان العربى ، وجدوا أن الأدب العربى الطافح بما يخالف هذه القوانين ، يستحيل عليه أن يحطم ماضيه وأن ينهج طريقاً جديداً يخطه بأيدى هذه القوانين الجديدة التى لا تلائم البيان العربى ! ! !

(دير الزور) خليل هنداوى



(١) يقول : أتاك وقد داخله الخوف مما أراه القتل نصب عينيه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه لتوهمه أنه انفصل عنه وتكاد مفاصله تتقطع من الخوف وكان إذا تموج مشيه من الرعدة قومه تقويم السماطين (وهما صفان من الجند) عن جانبيه

# الحياة الأدبية في تونس

للأستاذ محمد الحليوى

« يجب أن يصف أدباء كل قطر من الأقطار الحياة الأدبية فى قطرهم ، ومبلغ قوتها وضعفها ...... لتتعاون جميعاً على علاجها ومداواتها ...... »

على الطنطاوى (الرسالة ١٣٦)

الكلام عن الحياة الأدبية فى تونس يشمل الكلام عنها من ناحيتين مختلفتين . فان كان المراد بالحياة الأدبية كثرة المشتغلين بالأدب ، والمهتمين بالحديث عن رجاله ، والمقبلين على مجالسه ونواديه ، والمطالعين لكتبه ومجلاته ، ففى تونس حياة أدبية لا بأس بها . والظاهرة البارزة فى الأوساط المثقفة هى حب الأدب ، والتطلع إلى كل ما يمت اليه بصلة . فالشباب التونسى يصرف هواه وجل نشاطه ومجهوده فى الاشتغال بالأدب ولواحقه ؛ ومجالس الشيوخ والكبراء يغلب عليها الحديث عن الأدب والأدباء ، والميل إلى المطارحات الأدبية ، والمساجلات الشعرية ؛ وكل فكرة جديدة ، أو خبر أدبى ، أو كتاب ناجح تجد له صداه فى كل الأوساط المتعلمة

ولكننا إذا أردنا بالحياة الأدبية الانتاج الأدبى والمجهود الفردى لخدمة الأدب بواسطة التأليف والنشر ، فتونس ليس لها حياة أدبية تليق بمكانتها التاريخية ومركزها الجغرافى فى أفريقية الشمالية . وإنه ليُعيي الباحث أن يدلّ دلالة واضحة ملموسة على القسط الذى ساهمت به تونس فى تكوين هاته النهضة الأدبية المعاصرة فى الشرق العربى ، وأن يبين أن للأدب التونسى ناحية خاصة تميزه ، ومعالم معروفة لا يمكن أن ينكرها مُنكر ، أو يتجاهلها متجاهل

وها نحن أولاء نستعرض بعض مظاهر الحياة الأدبية فى تونس ، ونقول فيها كلمة الحق ، وإن كان من الحقائق ما هو مؤلم

***

## الشعر فى تونس

هناك فى تونس شعراء كثيرون ، ودواوين شعرية مطبوعة كديوان « خزنه دار » ، وديوان سعيد أبو بكر ، وديوان مصطفى آغه ، ومجموعة للأدب التونسى المعاصر فى أربعة أجزاء جمعها زين العابدين السنوسى صاحب مجلة « العالم الأدبى » ، وترجم فيها لما يزيد على ثلاثين شاعرا ، وانتخب من شعرهم منتخبات مطولة . ولكن الشعر التونسى فى مجموعه لم يبلغ من القوة والابتكار والاستقلال الفكرى والمميزات الفردية ، وظهور الشخصيات القوية ، ما يجعله يقوى على تحمل المقارنة بالشعر العالى أو ينعت بالأدب الرفيع . ومن سوء حظ تونس أن الفرد الوحيد الذى استطاع أن يعلو بشعره إلى مكانة الشعر الراقى ويضاهى به أنبغ شعراء العرب والغرب قد مات فى العام الماضى فى ريعان الشباب ؛ وبكته تونس فى حفلة رائعة اشترك فيها كثير من أدباء الأقطار العربية

والشعر التونسى المعاصر يسيطر عليه تقريباً الشعراء الشيوخ وهم الذين يخصون فنون الشعر القديمة بجل عنايتهم ؛ وشعراء الشباب يغلب على شعرهم الميل الى التجديد فى المعانى والأغراض وحتى الأوزان والأساليب ، ولكن الذى يعاب عليهم هو غلبة تفكير الجرائد ومواضيعها على أدبهم ، وفقر شعرهم من المعانى القوية والصور الشعرية ، واحتياجهم إلى الثقافة العامة القائمة على سعة الاطلاع والاحاطة بتاريخ الحركات الأدبية والفكرية فى مختلف العصور ؛ ويعاب عليهم أيضاً هذا النوع من الأدب الباكى الذليل ، فلا يكاد أحدهم يشدو فى نظم الشعر حتى تراه ينظم فى البؤس وتوابعه ، ويتشاءم من كل شىء فى الحياة ؛ فنحن نقبل هذا النوع من الكهول والشيوخ الذين دخلوا معركة الحياة وتمرسوا بآفاتها ، ولكننا نرفضه من الشباب ، لأن الشباب أمل وعزيمة وحب للكفاح والغلبة

***

## الحياة الكتابية:

فنون الكتابة كثيرة ، فأية كتابة عندنا وأى كتّاب ؟ نقول فى الجواب إنه يوجد عندنا الكاتب الاجتماعى والمؤرخ

والصحف .... فقد نشر فى تونس فى هاته السنوات الأخيرة كتب بعضها فى التاريخ ككتب الأساتذة حسن حسين عبد الوهاب، وعثمان الكعاك، وأحمد توفيق المدنى؛ وبعضها فى الأدب والاجتماع، ككتاب أبى القاسم الشابى عن الخيال الشعرى، وكتاب الطاهر الحداد عن المرأة، وكتاب محمد المرزوق عن مسائل من الفن والجمال. وهناك خمس صحف أسبوعية، وجريدتان يوميتان، ومجلة أدبية لم يستطع صاحبها أن ينفخ فيها الحياة، فهى تحتضر منذ سنوات! وعدا ذلك فليس فى تونس من يمثل تمثيلاً مشرفاً أدب القصة والمسرح، وأدب الأطفال، والأدب القومى؛ وكذلك الناحية النقدية والعلمية فى الأدب. وتاريخ تونس لما يكتب.

فصفة الكاتب عنيت بها ما يفهم من لفظها اجمالاً واطلاقا، أما اذا عنينا بالكاتب رجلاً له نظريات خاصة، وأفكار فردية، يخصص حياته لنشرها والدفاع عنها حتى تنتصر، كلفه ذلك الدفاع ما كلفه، فهذا عزيز فى الناحية الأدبية. فاذا قلنا مثلاً إن طه حسين كاتب، فليس معنى ذلك فى مذهب العقل والتاريخ أنه يجيد رصف الجمل وتأليف الكتب، وانما معناه أنه رجل يفرض فكرته على الناس فرضاً، ويكتب ما يراه حقاً وإن خالف ما رآه غيره، ولا يضيره أن يواجه قراءه بغير ما ألفوا سماعه، ويصدمهم بآراء ليست هى آراءهم التى اقتنعوا بها؛ وبعبارة أشمل يرفعهم اليه، ويبعثهم على التفكير والتأمل واعادة النظر فيما ناموا عليه من المبادئ والحقائق؛ وما يزال بهم حتى يكوّن من أنصار فكرته ومخالفيها مدرسة تنشر تعاليمها وتصادم تعاليم خصومها. فهذا هو الكاتب الذى يحيى الأدب ويجدد الأدب، وبهذا وحده يكون الكاتب مثقف عقول، ومغذى عواطف، وقائد أفكار

أما فى تونس فالقارئ هو الذى يقود الكاتب. فعلى الصحف أن يصلح ما يحب الرأى العام أن يصلح، ويجتنب ما يغضبه ويهيجه. وعلى الكاتب أن يكتب ما يريد قراؤه، وأن يتناول من المواضيع ما يسمحون له بتناوله؛ وحذار أن يكون له رأى خاص يخالف رأيهم — وإذا كتب فى نقد الأدب القديم فالواجب أن تكون كتابته تقديساً لأصحاب ذلك الأدب، وكلمة الالحاد وما اشتق منها ما تزال رائحة الاستعمال تُلصق بكل من يظهر نوعاً من الاستقلال الفكرى فى الأدب؛ وجمهور القراء لم يحسن إلى الآن التفريق بين ما هو أدبى وما هو دينى، فكل أديب يقول بالتجديد الأدبى فهو متهم فى عقيدته. فكانت نتيجة هذه الحالة فقر أدبنا من الكتاب ومن كثير من فنون الكتابة

## معاهد الثقافة والمؤسسات

وأول مسؤول عن ركود الأدب فى تونس هى معاهده الثقافية ومؤسساته الأدبية، فانتشار الأدب لا يكون إلا بكثرة القراء، وعلى قدر نصيبهم من المعرفة والفهم يكون إقبالهم على تتبع الحركة الأدبية وتقويتها بشراء كتبها ومجلاتها. ونحن نريد أن ينتشر الأدب وتقرأ كتبه ونشراته، لأننا فى حاجة إلى تقويم العقلية التونسية وتثقيف ذهن سائر الطبقات، وتصحيح المقاييس التى نقيس بها كل شأن من شؤون الحياة؛ وليس شىء كالأدب يحيى ميت الهمم ويبعث خامل العزائم ويشذب شاذ الغرائز؛ وكل مدنية قامت فى التاريخ كانت منبعثة من نهضة أدبية أو مصاحبة لها

فما هو نصيبُ معاهدنا فى هذا العمل وماذا نرجو منها؟

أما المدارس الابتدائية فلا رجاء فى أبنائها لأن المعلومات العربية التى يخرجون بها من هاته المدارس لا تؤهلهم لقراءة الكتب الجدية ومطالعة الصحف الراقية، وهم حين يغادرون المدرسة يرجعون إلى أشغال آبائهم فى القرى والبوادى، وليس لهم من الثقافة إلا ذلك النزر القليل الذى يمكنهم بعض التمكن من قراءة رسالة أو كتاب عامى سخيف من تلك الكتب المملوءة بالخرافات والأوهام

أما المعاهد الثانوية والعالية فهناك جامع الزيتونة الأعظم والمدرسة الصادقية والمدرسة العليا للآداب واللغة العربية. فأما جامع الزيتونة فهو حصن العربية الأشم، وهو بمثابة الأزهر بمصر، وخريجوه هم صفوة العلماء والحكام والقضاة والعدول، وهم الطبقة الوحيدة ذات الثقافة العربية المحضة؛ وأما المدرسة الصادقية ومدرسة اللغة والآداب العربية، فان الدراسة تقع فيهما باللسانين، وربما غلبت فيهما الثقافة الفرنسية على العربية خصوصاً من ناحية الترجمة والعلوم الرياضية، ومن هاتين المدرستين تخرج جلّ كبار موظفى الادارة الفرنسية ومترجميها، وعن طريقهما

سافرت البعثات العلمية التي تتكون اليوم منها نخبة طيبة من الأطباء والمحامين والمهندسين ، ولكن أطباءنا ومحامينا قلما يكتبون أو يؤلفون بالعربية . وكم كنا نود لو أن دكاترتنا كانوا كدكاترة مصر الذين قامت على سواعد أكثرهم نهضة مصر الأدبية والعلمية

أما المؤسسات الأدبية فهناك الجمعية الخلدونية ، وهي أقدم المؤسسات التونسية ، ثم جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية ، وأخيراً جمعية الكتاب والمؤلفين — فأما الخلدونية وقدماء الصادقية فأغلب نشاطهما منصرفٌ إلى تنظيم المسامرات الأدبية والعلمية ، وإقامة الحفلات لاحياء ذكرى نوابغ الأمة العربية في القديم والحديث ؛ وأما جمعية المؤلفين والكتاب التونسيين فانها افتتحت أعمالها باقامة حفلة ذكرى الشاعر العبقري المرحوم أبي القاسم الشابي . ثم لم تفعل بعدها شيئاً إلى الآن خصوصاً وقد علقت عليها آمال ضخام في انتشال البلاد من هذا الركود الأدبي بتوحيد جهود أدبائه وتسهيل نشر كتبهم بواسطة القروض التي تسبقها والدعاية التي تقوم بها للمؤلفات

**أسباب ركود الأدب**

إذن فأسباب ركود الأدب كثيرة ، ولكن يمكن تلخيصها في سببين :

الأول : قلة القراء في الأوساط الشعبية نظراً للأمية الغالبة على السواد . ثم جهل كثير من الشباب لغته القومية أو نزارة معارفه التي لا تسمح له بالاستفادة من الأدب والصحف الجدية

الثاني : عدم وجود من يأخذ بيد الأديب إذا هو أراد أن ينتج وينشر ، فطبقة القراء القليلة تزهد في كل عمل تونسي ، ولا تُقبل على تأليف تونسي ، كما تقبل على التآليف المصرية والشامية ، والصحف اليومية لا تقوم بأي مجهود لاستكتاب الأدباء ، وحمل القراء على المطالعة الأدبية ، وإذا نشرت شيئاً من الأدب فالأغلب أن يكون من الأدب السهل الرخيص

والخلاصة أن الأدب في تونس لا يعدو كونه هواية من الهوايات ، ولا يوجد الأديب المحترف ، وإن وُجد الصحافي . والمؤلف يقاسي الأمرين من فقدان الناشر والقارىء . وليس هناك من المشجعات للأديب ما يجعله دائب الانتاج والعمل . فلا مكافآت ، ولا جوائز ، ولا مجلات لنشر آرائه ، ولا حرية لمن أراد أن يفكر باستقلال ؛ والأصوات التي ارتفعت في تونس وترقب منها كل مخلص أن تكون في يوم من الأيام داوية في العالم العربي خفتت وصمتت لتكاتف هاته العوامل عليها

**رجاء**

على أنه لا يسعني أن أختم هاته الكلمة دون أن أنوه بما يبديه الشباب التونسي في هاته المدة الأخيرة من النشاط والحيوية . فهناك جمعيات للشبيبة لا زالت توالي الجهود في إقامة الحفلات المختلفة وإلقاء المسامرات في مختلف المواضيع ، ونشر النشرات التي يرى القارىء من خلال سطورها هاته القلوب الفتية التي تتقد إيماناً بمستقبل الأمة التونسية ، وحباً لأدبها ولغتها القومية . وإنه وإن كان نشاط هاته الجمعيات مقصوراً على العواصم وفي أوساط مخصوصة ، فانا لنرجو أن توفق إلى تعميم هاته الحياة في كامل البلاد بكل وسائل النشر والدعوة ؛ فان الأمة التونسية لفي أشد الحاجة الى حيوية شبابها وعزيمته الصادقة وإيمانه القوي باسترداد مجد تونس الزاهر وعصرها الذهبي

(رادس — تونس) **محمد الحليوي**

من الأدب الانكليزي

# ٣ – پرسی شلی

Percy - Shelley

تتمة

بقلم خليل جمعه الطوال

### تعريف للشعر والشاعر

لِشلي نظرية في الشعر طويلة لا يتسع مقالنا هذا لاستيعابها بكاملها ، نقتطف منها إحاطة بالموضوع من جميع نواحيه ما يأتي :

ليس الشعر بالحدث الطارىء الجديد على عواطفنا ولا من صفاتنا المكتسبة بطول التمرس والمران ، بل هو فينا غريزة فطرية كغريزة الجوع والنوم والكلام والألم ، وليس ما نبديه من الحركات المبهمة والاشارات الغامضة ، أو ما نفوه به من الكلام وتجيش به صدورنا من العواطف المضطرمة إلا أنواعا من الشعر في أدنى مواضعه وأضيق حدوده . ولولا ما فينا من عواطف الشعر الهائجة الكامنة والثائرة الوادعة ، لما كنا نكتئب ونفرح لأوهى الصدمات وأدنى المؤثرات

وليس الشعر بعلم من العلوم التطبيقية كالهندسة والكيمياء وكالفلك والكهرباء وإلى ما هنالك من العلوم التي تعتمد على التجربة ولا تثبت إلا بالبرهان ، بل هو فن من الفنون الجميلة — وهي الرسم والموسيقى والرقص والغناء والشعر والبناء — التي تعنى بظواهر الأشياء وأشكالها دون باطنها ، وبمجالها وأعراضها دون جوهرها : وما الانسان إلا كآلة موسيقية تتعاقب عليها شتى الانفعالات الداخلية والمؤثرات الخارجية : فتتجاوب أوتارها لكل منها بنغمة خاصة تختلف عن سالفتها في الدرجة لا في النوع

لقد كان الانسان في بدء أطواره يُقلد مختلف الظواهر الطبيعية بحركاته وسكناته ، فكان كل من هزيم الرعد ، وهزيز الريح ، وزمزمة النار ، وخرير المياه ، وحفيف الأشجار ، وقد غردت فوقها الأطيار الجميلة الألوان والشجية الألحان ، يحدث في نفسه انفعالات داخلية عديدة ، وشحنات كهربائية عنيفة ، لا يرى لها مخرجاً إلا في فنٍ من الفنون الجميلة ، ولكن الناس ليسوا سواءً في الاستجابة لهذه المؤثرات ، فهم وإن تشابهوا في نوع إحساساتهم إلا أن فيهم البليد الشعور ، وفيهم السريع الانفعال ، وهذا الأخير هو ما نسميه اصطلاحاً بالشاعر

والشعرُ يتكيء على الخيال كما يتكيء على الحقيقة ، ويعتمد على اللغة بمقدار ما يعتمد على الموسيقى والغناء . وليست هذه الأشياء في مجموعها إلا من مكوناتِ الشاعر الأولية ، وبمقدار حظه منها يكون حظه من الشاعرية

على أن أسمى مظاهر الشعر وأبينها هي تلك العواطف والانفعالات المنضوحة في وعاء من الكلام الموزون المقفى ؛ ذلك لأن جمال اللغة وموسيقى الألفاظ ، أقرب الى الخيال وأعمل في اذكاء النفس وارهاف الحس من التصوير والبناء ، ونغمة الآلة والرقص والغناء . ولكن هذه المفاضلة تحصر الشعر في دائرة ضيقة ، لا تتسع لاستيعاب ذلك الخيال المشبوب وتلك العاطفة الوثابة اللذين لا يجدان لهما من منفذ آخر عدا الشعر المقفى إلا بالتلحين وبالحركات . ومن هنا كان تفرع الرقص والغناء عن الشعر الذي هو الأساس

الشعر هو تلك المرآة التي تنعكس عنها شتى الانفعالات النفسية التي يجيش بها الصدر وينماث لها القلب ؛ وبمقدار ما يكون لهذه المرآة من دقة الصنعة والاتقان يكون للشاعر من جودة الفن وغايته في الابداع والاحسان

ولعل ضرورة الوزن والقافية للشعر انما جاءت من ضرورة الرقص والموسيقى للغناء . فأنت لا تكاد تنبس ولو ببيت من الشعر إلا وتختار لالقائه أجود التوقيع ، وتقرنه باشارات قد تكون في الغالب مبهمة ، إلا أنها مع كل ذلك تدل على عاطفة كانت مكبوتة فظهرت ، وكانت هادئة فاضطربت

الشعر هو صورة الحياة في حقيقتها الأزلية

والشاعر هو تلك الريشة التي تظهر بواسطتها هذه الصورة

والشاعرية هي القدرة على ابرازها في أجمل ألوانها وأزهى أشكالها

الشعر هو الألمُ والسرورُ ، هو الكآبة والحبور ، والشاعر

هو ذلك الذى تضطرب نفسُه بين موجات الحزن ونغمات الفرح . بل هو ذلك الشعاع الذى يصقلَ النفسَ ويرهف الحس ويهذبُ الشعور

الشعرُ يهذب الأفرادَ والدرامة تُصلح سوآت المجتمع ، ولذا أحسن تاسو الايطالى إذ يقول : ليس من مبدع إلاّ الله والشاعر[١] ، وليس من مدنية إلا بالدرامة

## ثورة شلى الفكرية

لقد تمرد شلى على الهيئة الاجتماعية وخرج على جميع نظمها وتقاليدها الدينية والمدنيـة ، فانثال على الدولة والكنيسة بحملة متطرفة شعواء ، نقضت ما كان لهما فى نفوس الناس من الجلال والاحترام ، وكان يعلق كبير الأمل فى التخلص منهما ، وفى تحقيق مثـله الأسمى على تلك الأفكار الثورية التى تلقحت بها عقول الناس من كتابات فولتير وروسـو ومنتسكيو ، والتى كظمت مدة ثم انفجرت بالثورة الفرنسية ، ولكن لشد ما أسف اذ رأى ما منيت به أفكار الثوار من الاخفاق

ولما اندلعت نيران الثورة فى أسبانيا ونابولى وأثينا ثانية بدت له — فى عالم الخيال — بارقة أمل جديدة فى تحقيق مثله الأسمى ، فأخذ يتغنى بهمة الثوار ويستفز حميتهم بشتى القصائد الرائعة كقصيدة « نابلى » وقصيدة « هيلاس » ولكن الثورة اشتدت ووضعت أوزارها ، دون أن تحقق له غرضاً من أغراضه التى مات وهو مصر عليها برغم ما لقيـه من قوة السلطة وصدمة الحوادث

## فكرة شلى عن الله

يرى شلى أن فكرة الانسان عن الله تشوه جماله كما يشوه الزجاج الملون منظر الأجسام التى من ورائه . وأنها فكرة خاطئة تتناقض ومبادىء العدل والانسانية العليا . ويقول إن الله لم يخلقنا لكى يعبث بنا فى الآخرة أو يجزى شرورنا بمثلها لأنه رحيم لا حد لرحمته ، ولأن الانتقام من صفات الانسان وليس من صفاته فهو والحالة هذه يشبه عمر الخيام إذ يقول[٢] :

اذا كنت تجزى الذنب منى بمثله   فما الفرق ما بينى وبينك يا ربى

ويستأنف فى قوله إلى أن ليس لله كيان مستقل بذاته بل هو متمثل فى جميع مظاهر الكون وكائناته من انسان وحيوان . فليس ما نشعر به فى عواطفنا من عوامل الخير والفضيلة والاحسان والشفقـة أو ما نشاهده فى الدودة التى تعيش فى باطن الأرض من المحبة والاطمئنان إلا من مظاهر ذلك الآله العادل

لقد تصور شلى فى الانسان اسمى ما يمكننا تصوره ، وراح يعرض هذه الصورة الجديدة على معاصريه المتزمتين بلسان عيى وخلق سرى ، بل بيد جذاء وكنانة جوفاء الا من ذخيرة الايمان بدعوته . ولذا فلا عجب إذا وقرت دونه آذانهم ، بعد أن أذاقوه من لاذع النقد ومر التقريع شأن ما يلقاه أصحاب البدع فى كل جمهور متزمت

وفى عام ١٨١١ نشر رسالة مطولة : عنوانها « حاجتنا الى الالحاد » دعا فيها جميع الأساتذة الى الالحاد أو الى تفنيـد آرائه ودحضها بالمناقشة ، ولكنهم ألقوا بدعوته دبر آذانهم ثم طردوه من الجامعة هو و « السير توماس جفرسن » المتشرع المشهور لأنه استجاب لدعوته واعتنق جميع مبادئه

وفى عام ١٨٥٨ ألف « توماس جفرسن » كتاباً عظيما عن صديقه شلى أكسبه شهرة واسـعة فى الأوساط الأدبية ، وقد نشره تحت عنوان ( Uncomplete life of Shelliy ) وهو يتضمن حياة شلى وتعاليمه مذيلة بشروح عظيمة لا نعثر عليها فى غيره

## آراء الأدباء فى شلى

يقول روبرت براوننج : لقـد هاجم شلى مبادىء المجتمع العظيمة دون أن يتحقق صحيحها من فاسدها ، وغثها من سمينها ، ونسب الى الكنيسة والحكومة الشىء الكثير ، مما يزرى بشأنهما ويحط من مقامهما فى أعين الناس . ولقد كان فى حملته التى شنها على العرف والعادات ، وعلى الشرائع والديانات ، يُقاد بتهور العاطفة لا بتمحيص العقل ، وبنشوة الشباب لا برصانة الفكرة ؛ وكان يلقى بأحكامه جزافاً قبل أن يعمل فيها مشرط العقل وقبل أن يعرضها على محك الاختبار

ويقول سوينبرن : إن إعجابى بشلى عظيم لا ينتهى ، وما ذاك إلا لفرط محبته الواسعة لجميع المخلوقات ، تلك المحبة التى تقرن اسمه بالمسيح ما دام فى الكون فقراء ومساكين . لقد درس آراء افلاطون — ولا سيما كتابه Symposism — وتغلغل فى ثناياها

(١) هكذا فى الأصل Non merita nome di creatore, de non Iddio ed il poeta

(٢) راجع رباعيات الخيام

بأسمى ما عرفه الانسان من المثل العليا ، تلك المُثل التى صرف فى تحقيقها ريق العمر وزهرة الشباب فما أفلح

ويقول أرنولد : ثلاثة ينبغى تقديسهم : بوذا لتضحيته ، والمسيح لمحبته ، وشلى لانسانيته

ويقول بيكوك : مهما يكن من الحاد شلى فانى أرى فيه مثال الدين الصحيح لاقباله على عمل البر وحدبه على الفقراء . فقد شهدته مرة وقد ابتاع من أحد التاجر مجهراً ، فما لبث أن أودعه لساعته عند تاجر آخر وأخذ مقابله قليلاً من المال ، ورأيته يركض بعد ذلك بخطوات فسيحة لينقذ بائساً رآه فى وهدة الشقاء . وكانت تلك الكمية صبابة ما بقى لديه من المال

**حياته وزواجه :**

دخل شلى مدرسة أتن عام ١٨٠٤ ، وكان لا يزال فى الثانية عشرة من العمر ، ثم تركها والتحق بجامعة اكسفورد حيث طُرد منها عام ١٨١١ بسبب رسالته الالحادية . وفى شهر يونيه من السنة نفسها تزوج « هاريت وستبروك » وارتحل الى بلدة « كزوك » هرباً من تعنت والده ، وهناك التقى « بسونى » أحد شعراء اقليم البحيرات البارزين . ثم أخذ يتعاطى مهنة الصحافة مع ( وليم فودوين ) السياسى الشهير فتشرب منه روح السياسة . وفى عام ١٨١٢ سافر الى ارلندا ودبلن حيث أخذ يؤلب الناس على الكنيسة الرومانية ، فاستجاب له خلق كثير وأعرض عنه الباقون

وفى سنة ١٨١٣ ولدت له هاريت صبية دعاها « لانث » . ثم ارتحل الى أدنبره وألقى هناك عصا التسيار مدة من الزمن ، كان يستجم فيها ويُعد العدة لحملة جديدة يحمل بها على الدين والمجتمع معاً . وفى مستهل عام ١٨١٤ برزت هذه الحملة الجديدة فى رسالته التى نشرها تحت عنوان « تفنيد وحدانية الله The refutation of deism » ، وفى العاشر من شهر ديسمبر اضطرب حبل مودته مع زوجه هاريت ، فطلقها وتزوج من عشيقته مارى ولستونكرافت ابنة الصحافى الكبير فودوين ، وبعدها سافر الى سويسرا ثم الى فرنسا ، وفى أثناء غيابه ولدت منه زوجه الأولى هاريت صبياً دعته شارل بيش ، وما ان رجع من رحلته هذه الا وقد توفى جده بيش شلى فورث عنه أموالاً طائلة

وفى عام ١٨١٦ ولدت له زوجه مارى ولداً سماه وليم شلى إلا أنه لم يُعمر طويلاً بل توفى بعد عامين من ولادته . وفى شهر ابريل التقى بكيتس لأول مرة ، وكانت قد اشتدت روابط الصداقة بينه وبين اللورد بيرون

وفى العاشر من شهر ديسمبر ألقت « هاريت بنفسها فى اليم وما أخرجت من الماء إلا وهى جثة هامدة . وهكذا أصبحت مارى ولستونكرافت زوجه الشرعية »

وفى عام ١٨١٧ سافر إلى إيطاليا وأقام هناك ، وكانت محكمة شانسرى قد حرمته من حضانة ولديه من زوجه الأولى ( هاريت ) . وفى ايطاليا تفرغ شلى لقرض الشعر ولدراسة الآداب دراسة جدية

وفى الثامن من شهر يوليو لعام ١٨٢٢ بينما كان يسبح فى خليج بيزا لقيه اليم بموجة عظيمة كان فيها حتفه إذ ألقته على الشاطئ جثة هامدة . ثم أحرقت جثته فوق رمال ذلك الشاطئ على مشهد من صديقه اللورد بيرون ووضع رماده فى قبر أُعدّ له فى روما . وكان قد أوصى فى حياته بألا ينقش على ضريحه إلا تاريخ ولادته ويوم وفاته والكلمة الآتية : Désillusionné ومعناها غير مغرور

وفى بعض المصادر نجد أنه أوصى بنقش هاتين الكلمتين لا الأولى وهما قلب القلوب Heart of Hearts ولعل الأولى أقرب إلى الصواب

وهكذا طوت الأيام تلك الصفحة المجيدة الملوءة بجليل المآثر والحافلة بعظيم الأعمال

( شرق الأردن ) خليل جمعه الطوال

**مصادر المقال**


1— Shelley : I Adonais. II Revolt of Islam. III Promethus un baund
2— Maculay : Essay on Shelley
3— Becon : His Essays
4— Harjlitt : Critic sms, of poetry aud drama
5— Stopford : English literature VI. II
6— Browing : Essay on Shelley
7— W. H. Stepheus : Introduction to the Study of English Literature
8— Bagchat : Essay on Shelley
9— Hughes : The Introduction to Shelley prose and poetry
10 رسالة الغفران للمعرى تأليف الكيلانى

# فاز سعد!

## للأستاذ عباس محمود العقاد

عرف النفىَ حياة ومماتا   وأصاب النصر روحا ورفاتا
كلما أقصوه عن دار له   رده الشعب إليها واستماتا
كيف يجزيه افتياتا وهو مَن   كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصبحت دارك مثواك فلا   تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا
حبذا الخلد ثماراً للذى   غرس المجد ونمّاه نباتا

***

كل أرض للمصلى مسجد   غير أن الكعبة الكبرى مقام
هكذا قبرك مرفوع الذرى   فى جوار البيت أو سفح الأمام
أرض مصرٍ حيث أمسيت بها   فبنو مصر حجيج وزحام
غير أن الذكر يبغى منسكا   مثلما يبغيه حج واستلام
فالق فى قبرك خلداً كلما   مرّ عام تبعته ألف عام

***

اعبر القاهرة اليوم كما   كنت تلقاها جموعا ونظاما
ساعة فى أرضها عابرة   بين آباد طوال تترامى
ساعة من عالم الفردوس لا   تشبه الساعات بدءاً وختاما
كل من شاهدها زِيدَ بها   من معانيك جلالاً ودواما
قل لهم أبلغَ ما قلت لهم   أيها الواعظ صمتاً وكلاما

***

جرّدوا الأسياف من أغمادها   ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
ارفعوا الرايات فى آفاقها   أين يوم الموت من يوم المعاد؟
لا يلاقى الخلد بالحزن ولا   يكتسى الفتح بجلباب السواد
ذاك يوم ما تمناه العدى   بل تمناه ولاء ووداد
فانفضوا الحزن بعيداً واهتفوا:   فاز سعد وهو فى القبر رماد

***

الفراعين الأولى أجليتهم   لتمنوا لو أجازوك الطريق
أنت أضفيت على أوطانهم   سعة، وهى من الأسر مضيق
أنت أيقظت لهم تاريخهم   وهو فى نومته لا يستفيق
فضلك اللاحق أحيا فضلهم   فاستوى منه طريف وعريق
آية فى الحق لا ينسخها   فى مدى الدهر عدو أو صديق

***

يا بنى مصر اجعلوا نقلته   رمزَ أحياء وعزم ومضاء
وانظروه كيف حالت دونه   غِيَرٌ شتى، وما حال القضاء
المعيقون تنحوا جانبا   آخر الأمر، وسعد فى البناء
كل ذى حق سيعطى حقه،   ليس للمجد من الخلد نجاء
كل ما عارض سعيا باقيا   عَرَض فانٍ وزور ورياء

***

ترمز الشمس إلى نقلته   بسفور غالب بعد حجاب
صرعت ليلين صبحاً فروت   عن حضور ناصع بعد غياب
هو أيضا قد طوى ليل الردى   وطوى ليل الغواشى والكذاب
فى السموات وفى الأرض له   أثر ينبئ عن يوم المآب
أثر الفجر إذا انجاب لنا   عن ضحاه، بعد لأيٍ وغِلاب

***

دان يا سعد لك الذكر بما   شيد البانى وما خط الزبور
قدر نادى قلبته على   موعد الذكرى صخور وسطور
أنا بان لك فى ملك النهى   منزلاً يبقى ولا تبقى الصخور
من أسانيدك آساس له   ومن الحق له حسن ونور
إن أنل شأوك فيه إننى   بالذى شيّدت منه لفخور

***

فتية الوادى بسعد فاقتدوا   إن تخيرتم له خير وفاء
أذكروه بالذى يعمله   منكم العامل فى غير وناء
واذكروه بالذى امتاز به   من مزاياه الأبيّات الوضاء
هكذا يخلد سعد بينكم   بتماثيل حياة ورواء
كل ما يعظم من أعمالكم   هو تخليد لذكرى العظماء

# كل بيت فيه سعد ماثل

## للأستاذ على الجارم

كشفوا الترب عن الكنز الدفين
وارفعوا الستر عن الصبح المبين

وابعثوه عسجداً مؤتلقاً    زاد فى لألائه طول السنين
واجتلوه درة ساطعـــة    صدفُ الدهر بِشَرْواها ضنين
وانتضوا من غمده سيف وغى    كان إن صال يقد الدارعين
وقناة جل من ثقفها    للحفاظ المر والعزم المكين
لوت الدهر على باطلة    وهى كالحق صفاة لا تلين
هزمت جيش الأباطيل فما    غادرت غير جريح أو طعين
كتب الله على عاملها    إنما الخلد جزاء العاملين

***

جدث ضم سناء وسنى    ومُصاص الطهر فى دنيا ودين
طاعة الأملاك فيه امتزجت    فى السموات بعز المالكين
فتشوا فى الترب عن عزمته    وعن الأقدام والرأى الرصين
واخفضوا أبصاركم فى هيبة    إن رأت أبصاركم نور اليقين
واخشعوا بالصمت فى محرابه    أفصح الألسن صمت الخاشعين

وانتحوا من قبره ناحيـــة
واحذروا أن تزحموا الروح الأمين

وحناناً بضريح طالما    صقلته قبلات الطائفين
وجثت مصر به خاشعة    تذرف الدمع على خير البنين
صيحة قدسية إن سكتت    فلها فى مصر رجع ورنين
وعرين حل فيه ضيغم    رحمة الله على ليث العرين
ومضاء عرفت مصر به    إن للحق يميناً لا تمين
لا أرى قبراً ولكنى أرى    صفحة من صفحات الخالدين
أو أراه قصب المجد الذى    دونه ينفق جهد السابقين
أو أراه علماً فى فدفد    لمعت أضواؤه للحائرين
أو أراه روضة إن نفحت    خجل الورد وأغضى الياسمين
أو أراه دوحة وارفة    نشرت أفياءها للاجئين
أو أراه قلب مصر نابضاً    بمنى تمحو من القلب الأنين

***

نقلوا التابوت تحتفُّ به    رحمات من شمال ويمين
ذاك بعث حييت مصر به    من جديد تلك عقبى الصابرين
هل علمتم أن من واريتم    فى حنايا كل مصرى دفين
ما لسعد حفرة واحدة    هو ملء القلب ملء الأرَضين
كل بيت فيه سعد ماثل    فى إطار من حنان وحنين
بسمة الآمال فى بسمته    وانبلاج الحق فى ضوء الجبين
هو للأبناء عم وأب    وهو للآباء خل وخدين
كان سعد علماً منفرداً    هل يرى للشمس فى الأفق تنين
إن أم المجد مقلاة فكم    سوفت بين جنين وجنين
تبخل الدنيا بآساد الشرى    أيها الدنيا إلى كم تبخلين
أنت قد أنجبت سعداً بطلاً    وقليل مثله من تلدين
قاد للمجد مناجيد الحمى    كلهم أروع منبتُّ القرين
تقرأ الاقدام فى صفحته    مثلما تقرأ خط الكاتبين
كلما مرت به عاصفة    زعزع مرت على طود ركين
تقرع الأقدار منه عزمة    أنفت صخرتها أن تستكين
حُشُدٌ حول الرئيس (المصطفى)    نبعة الاخلاص والخلق المتين
وجدت مصر به واحدها    رب فرد بألوف ومئين
ومن الناس نضار خالص    ومن الناس غثاء وغرين
ومن الناس أسود خدر    ومن الناس ذباب ذو طنين
وضعت مصر به آمالها    فاستقرت منه فى حصن حصين
مسح الدمعة من أجفانها    ومحا من لوعة القلب الحزين

***

أيها الربان أبحر آمناً    وثق الركب بربان السفين
كل ما حولك رهو هادئ    والبقيات على الله المعين
لاحت الفرصة فى إبانها    إنها لا ترتجى فى كل حين
فتقدم بطلاً جم المنى    أنت بالنصر حرىٌّ وقمين
صدق الله تعالى وعده    إنما الفوز ثواب المخلصين

**على الجارم**

# القصص

فصة مصرية

## الأعمى ...

بقلم محمود البدوى

تمر ترعة الكامل بقرية « س » وهى قرية صغيرة من قرى الصعيد ، فتشطرها شطرين غير متساويين ، فقد جارت على الجانب الأيسر بقدر ما أضفت على الأيمن ، فاتسع هذا واستفاض حتى أصبحت منازله وبساتينه ونخيله وأعنابه لا يحدها البصر ولا تحصرها العين ، واستدق ذاك واستطال حتى قامت منازله الصغيرة على شط الترعة ذليلة منكسرة واجمة ، تشكو الى الله ظلم الطبيعة بعد أن شكت جور الانسان الذى خلفها سوداء قذرة تمرح فيها الحشرات من كل لون وجنس

وإذا استقبلت القرية وأنت قادم على جسرها الطويل ، بصرت أول ما تبصر بمنزل صغير من هذه المنازل بنى بالطوب الأسود ، وخط جواره بستان ، ليس فيه سوى نخلتين ! مالت إحداهما على الترعة ، حتى غرقت فروعها فى الماء ، وسمقت الأخرى فى الجو ، حتى ناطحت بسعفها السماء ، ولا تدر النخلتان ثمراً الآن ، ولا يرجى منهما شىء فى المستقبل ، فقد جف عودهما وذهب شبابهما . وتقيم فى هذا المنزل منذ أكثر من تسعة أعوام أرملة فى الخمسين ، وهى امرأة دمثة الطبع — على خلاف العجائز من مثيلاتها — ناحلة الجسم معروقة العظم واهية البناء ، تستريح فى بيتها معظم العام ، حتى يهل رمضان ، فاذا هل ، خرجت فى الهزيع الأول من كل ليلة حاملة على ذراعها صفيحة قديمة تطوف بها على منازل القرويين ، وهى تنقر نقراً خفيفاً ، وتغنى بأغنية قديمة ، قل من يدرك معناها ومبناها من سكان القرية ! على أنهم كانوا يهبون من مضاجعهم عند ما يصافح سمعهم إيقاعها وغناؤها ويبسطون موائد السحور ، وان كان الليل لم ينتصف بعد !! وهذا العمل الضئيل لا يجلب لهـا فى الغالب رزق شهرين أو ثلاثة ، فكيف تقتات باقى العام ؟ وكيف تعيش ؟ هذا هو السؤال ! على أن الذين انحدروا من الريف ، يعرفون تمام المعرفة أن هناك الملايين من أمثالها يضعون دائماً أيديهم على بطونهم ليحفظوا بذلك التوازن الاجتماعى لتخمة الأغنياء . مثل هـذه الأيم السواد الأعظم من الفلاحين الذين لا يعرفون وخير لهم ألا يعرفوا ، أنهم أتعس المخلوقات البشرية فى الدنيا جمعاء . إنهم مخلوقات ذليلة تاعسة ، لصقوا بالأرض حتى أكلتهم الأرض ، وأفنوا عصارة حياتهم فيها حتى استنفدت قوتهم واستفرغت جهدهم . ولو رأيتهم وهم عائدون من الحقول مع مغرب الشمس ، والصفرة الباهتة تعلو وجوههم ، والغبار القذر يملأ أعينهم ويسد أنوفهم ، لعلمت أنهم أتعس الناس فى الناس ، وأشق الطبقات العاملة على الاطلاق . إنهم مخلوقات مريضة فقدت بهجة الحياة ونعيمها واستسلمت صاغرة للمرض والفناء

ويسكن مع هـذه الأيم أعمى فى الثلاثين من عمره ، وهو شاب أسمر فارع ضليع الجسم مفتول العضل وثيق التركيب ، وهو المؤذن لمسجد القرية منـذ أن شب عن الطوق وانخرط فى عداد الرجال . على أن الذى جمع بين هذه الأيم العجوز وهذا الأعمى الشاب ، لم يكن قرابة ولا نسبا ، وان كان القرويون يسمون العجوز « أم سيد » وسيد هو الأعمى ؛ وكانت المرأة تمتعض وتهتاج لهذه التسمية فى أول الأمر ، وهى التى لا « سيد » لها ، ثم ما لبثت أن استراحت لها على مرور الزمن فقر هائجها وسكن ، حتى تعمدت ألا تدفع هذا القول بما يكذبه ، وهى المتيقنة بأن الجدل فى أمثال هذه الأمور غير مجد فى الواقع . فمن الذى يقف فى وجه التيار الجارف ؟ ومن الذى يمكنه أن يمنع ألسنة الناس الطويلة جداً الى حلوقها ؟ لا أحد على التحقيق

على أن المنزل لم يكن للعجوز والشاب فى الحقيقة ، وإنما هو لرجل ملاح يعمل فى النيل ويقضى فيه العام كله . ولا يهبط القرية إلا زمن التحاريق ، فاذا جاء ، بات فى سفينته ، فقد ألف الرجل النيل ، ونسى منزله على توالى السنين

وكان المسجد الذى يؤذن فيه الأعمى فى طرف القرية الشمالى . ولكى يبلغه لابد له أن يجتاز الترعة وعليها جسر ضيق ، يجوزه المبصر وهو راجف حذر ، فكيف بالأعمى ، ثم يدور بعد ذلك فى دروب وينعطف فى منعطفات ، ويجتاز بساتين من النخيل يكثر فيها الحسك والشوك ، وعلى الرغم من هذا كله ، فان الرجل كان يبلغ المسجد وكأنه المبصر الحديد البصر ، فلا يضل ولا يتباطأ فى سيره ؛ ولا يعتمد على حائط ، ولا يستند الى جدار . وشد ما تعجب لذلك وتدهش ! على أنك متى سمعت القرويين وهم يقولون إن الرجل يبصر بقلبه ذهب عنك العجب كله

وإذا طلع الفجر على القرية ، وهى غارقة فى سبات عميق ، وكل شىء فيها ساكن هاجع ، فلا نأمة ولا حركة ، اللهم إلا سامقات النخيل وهى تترنح مع النسيم الوانى ، وسيقان الزرع وهى تتمايل مع الريح الرخاء ، طلع الأعمى الى سطح المسجد ، وانطلق يؤذن فى صوت حلو النبرات عذب الرنين ، ينفذ الى كل قلب ، ويهفو الى كل أذن ، ومن الذى يسمعه وهو يقول : « حى على الصلاة ! » فيتأخر بعد ذلك عن الصلاة ؟ لقد كان صوته لينا شجيا يرن فى سكون الليل جميل اللحن عذب الرنين ، فيهب له القرويون من مضاجعهم ، ويخفون الى المسجد خاشعين صامتين

وكان الرجل محبوبا من أهل القرية جميعا إلا النساء والأطفال . أما النساء فيكرهنه لأنه يزجرهن عن بئر المسجد ، ويمنعهن من ملء الجرار منها بقسوة وغلظة ، حتى ينقلب صوته الحنون عند محادثتهن الى صوت أجش خشن مرعب أحيانا ؛ والقرية لا تستغنى عن ماء البئر خصوصا زمن الفيضان عند ما يصبح الماء عكرا نصفه طين . وكم تغفلنه مرارا ، وهو الأعمى وهن النجل العيون ! على أن سمعه المرهف دائما كان يغيظهن أشد الغيظ ! : فاذا أدلت إحداهن الدلو فى البئر وحركت « الجبيذ » ( البكرة ) ، وهو خشبى يحتاج للسقى بالزيت ليحبس صوته فى جوفه ، صر هذا ، فيمد الأعمى قامته ويقول بصوت جاف :

« مين ؟ »

فيتركن الدلو والجرار ويرحن يصلصلن بالحلى ، ويطرن على وجوههن هاربات ، وقد تقع إحداهن على وجهها ، فتخوض فيها الأخرى من فرط الرعب ، ويقمن وجلات مذعورات ضاحكات أيضا ، على أن هذا لم ييئسهن من البئر اليأس كله . فهن يعلمن أنه يتروح بعد العشاء ، فاذا بصرن به خارجا من المسجد انطلقن الى البئر وهن راجفات أيضا . فشد ما كانت تخيفهن عصاه الغليظة وإن كانت لم تصافح إحداهن حتى الآن .

ومن هنا نشأت العداوة بينه وبينهن واشتدت مع الزمن

أما الأطفال فكانوا كلما بصروا به على الجسر ، وهو فى طريقه الى منزله . تقوده عصاه . وصدره الى الأمام ، وسمعه مرهف ، ورأسه مستو ، وقامته منتصبة ، وخطواته ثابتة متزنة جروا وراءه يسبونه ، وقد يحصبونه بالحصى أو يرمونه بالحجارة ، وهو صامت باسم لا يلتفت اليهم ولا يكلم أحدا منهم ، حتى يقرب من بيته ، وهنا يطلع عليهم كلب للجيران أسود ضخم ربض دائما على الجسر ، فينطلق وراءهم حتى يشردهم فى الدروب . وشد ما غاظ هذا الكلب الأطفال حتى تسمعهم يهمسون خوفا من أن يسمعهم الكلب « لولا هذا الكلب .. ابن الكلب .. لكان الأعمى ... » وإن كانوا يقررون بينهم وبين أنفسهم أنه قلما كانت تصيب الرجل حصاة واحدة من كل ما يرمونه من حصى وحجر

ولم يكن لهذه العداوة سبب ظاهر فى الحقيقة ، اللهم إلا الطبع الشرير الذى ينزع بالأطفال الى السوء ، ويحبب لهم أذى الضعفاء من الناس

* * *

تأخر الأعمى مرة فى المسجد حتى زحف الليل ، وتكاثف الظلام واشتد ، فسمع وهو راقد فى ركن من أركان المسجد صوت الدلو فى البئر ، فاستوى على قدميه ، ومشى على أطراف أصابعه كاتما أنفاسه ، وصدره يضطرب ، وجسمه كله يهتز ، حتى جاز صحن المسجد ، وتيامن الى البئر ، وقلبه واجف . وكان قد خفت صوت الدلو ، ووضح صوت « الجبيذ » فقال لنفسه ، لابد أن امرأة تجذب الدلو الآن وهى مشتغلة به فلا تسمع خطوات قادم ... ووقف برهة ثم صاح بصوت خشن :

« مين ؟ »

فاستدارت المرأة وحملقت فى الظلام . أواه . . . إنه سيد الأعمى على مدى ذراعين منها ، ورمت الدلو وأذهلها الموقف المرعب عن ابداء حركة ما ، فوقفت فاغرة فاها ، ثم أسعفتها غريزة الهرب بعد ثوان ، فولت هاربة . فسمع وقع أقدامها تجرى وراءها ، وسمعه إلى خطاها ، وجرت حتى جاوزت المسجد ، وبودها لو تصيح بأعلى صوتها ، ولكن من أين لها القوة على ذلك ؟ وكيف يطاوعها الصوت ؟ وعثرت قدمها بحجر فى الطريق فكبت على وجهها مذعورة ، وأنت عند ذلك أنة قوية ، فجرى

على الصوت وأهوى بيده العمياء ولمس كتفها، وكان قد بلغ منه الجهد فوقف يلهث وبده ممسكة بكتفها، ثم أنزل يده حتى قبض بعنف على رسغها، وقامت المرأة متراجعة، تود لو تفلت منه بكل ما تستطيع من قوة، ولكنه ضغط على يدها بشدة، وتحسس بيده الأخرى وجهها وقال فى صوت متزن:

« جميلة . . . ؟ »

« . . . . . . . »

ووقفت المرأة صامتة تهتز وترتجف

« لم لا تناديني لأملأ لك الجرة ؟ »

وقد رق صوته جداً، فدهشت من تطور حاله وصمتت

« لماذا ؟ »

فشجعها صوته اللين وأجابت

« إنك لا تسمح لأحد بالدنو من البئر ... فكيف أناديك ؟ »

« ليس لواحدة أو اثنتين . . . وإنما عندما يجئن بالعشرات فتقطعن الحبل، وتغرقن الدلو، وتهشمن خشب الجبيذ ... فى البلد أكثر من أربع آبار قريبة، فلماذا تجئن الى هنا دائماً . . . ؟ »

« لأن هذه أعذبها ماء . . . »

« هذا الماء العذب كثيراً ما ينزح . . . »

« النيل فى فيضانه والماء كثير ... »

« أجل ... أ ... أ ... ولكن ... أملأت الجرة ؟ »

« نصفها . . »

« سأكملها لك »

وانقلب إلى البئر، فمشت وراءه مطمئنة، وأدلى الدلو وهو يحس بعض الاضطراب، فأخذ يدير الجبيذ بسرعة ليملأ لها الجرة ويصرفها عنه، ويبعدها عن وحدته وسكونه

وقال وهو يفرغ الدلو بصوت خافت لين المخارج :

« إذا جئت مرة أخرى ... ناديني لأملأها لك »

« كتر خيرك »

وساعدها على حمل الجرة، وانطلقت بها الى بيتها، ووقف ينصت إلى هزيم الريح القوية فى الحقل البعيد

* * *

وأخذت جميلة بعد هذه الليلة تتردد على البئر دون خوف أو وجل، كانت تجيء فى كل يوم مرة، عند مطلع الفجر أو بعد أذان العشاء، لأن زوجها لا يسمح لها بالسير فى طريق القرية إلا بعد أن ينام الناس، وتنقطع الرجل . . فهى فتاة فى رونق صباها رائعة الحسن غضة العود وزوجها يخشى عليها العين ! ولا يحب لها ملاقاة شبان القرية الذين يقفون على رأس الطريق فى ساعات معينة من النهار ! وكانت تقابل سيد الأعمى فى غالب الأوقات التى ترد فيها البئر، وكثيراً ما أترع لها الجرة، وأعانها على حملها، أو ملأ لها الحوض الصغير الذى على يمين البئر لتغسل وجهها ورجليها قبل ذهابها الى بيتها، وكانت تطوى كميها الى مرفقيها، وتحسر شالها عن شعرها، وترفع ثوبها الى ساقيها وهى منحنية على الحوض تغتسل . كانت تفعل ذلك، دون خجل أو حياء لأن سيداً أعمى

واستراح سيد على مرور الأيام لمحضرها حتى أصبح يشعر فى الأيام التى تتخلف فيها بالانقباض والوحشة . كان يحس، من أعماق نفسه، أن شيئاً ينقصه، شيئاً يستريح معه، وينشرح له صدره، وتنتشى حواسه، وتهدأ ثائرة أعصابه

وكانت جميلة تدفعها غريزتها أول الأمر إلى الخوف منه واتقاء شره كرجل، بصرف النظر عن كونه أعمى، ولكنها ما لبثت — بعد الانفراد معه مرة ومرات — أن استراحت واطمأنت ووثقت من عفته وخلقه، حتى كانت تخرج معه إلى حد الداعبة، كأن تخفى عكازته، أو تخلع الدلو، أو تقطع الحبل، أو ترشه بالماء، وكان يضحك لهذا حتى يرقص قلبه، ويلوح لها بعصاه مهدداً

على أن هذا التآلف الذى أصبح بين سيد وجميلة، لم يشجع غيرها من النساء على القرب من البئر، لأنهن كن لا يعلمن بتغير حاله، وإن علمن لا يصدقن، ولم يكن هو يزجرهن عن البئر، ويمنعهن من ملء الجرار منها، لأنه كان يخاف على الماء فقط، بل لأن شيئاً خفياً فى أعماق نفسه، كان يدفعه إلى النفور منهن وابعادهن عن جوه ... دافع باطنى عجيب كان يخرجه عن هدوئه وسكونه، عندما يسمعهن يتحدثن على الماء أعذب حديث وأرقه، كان يرجف له ويضطرب، وهو الرجل وهن النساء ... شعور باطنى غريب كان يحمله على فعل ذلك ولم يستطع تحليله ولا تعليله، وهو الجاهل الذى لم يذهب إلى المدرسة ولم يدرس علم النفس . لقد قضى الرجل حياته بعيداً عن جو المرأة فأخرجها عن دائرة تفكيره، بعد أن خرجت عن دائرة وجوده، ولم يعد يفكر فيها مطلقاً ... لم يعد يفكر فيها، ولا يحن إلى لقياها، ولا يستريح لرفقتها

# البريد الأدبي

## المؤتمر الدولى لنادى القلم

يعقد المؤتمر الدولى الرابع عشر لنوادى القلم فى مدينة بوينوس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية (أمريكا الجنوبية) فى شهر سبتمبر القادم ، وتستمر دورة الانعقاد عشرة أيام من ٣ سبتمبر الى ١٣ منه . وقد اتخذ نادى القلم الأرجنتيني استعدادات عظيمة لعقد هذا المؤتمر ، وسعى جهده لجمع أكبر عدد ممكن من مندوبى النوادى المختلفة فى عاصمة الأرجنتين ولم يبخل فى سبيل هذه الغاية بانفاق آلاف الجنيهات لتسهيل سفر المندوبين من بلادهم النائية الى أمريكا الجنوبية واضافتهم مدة انعقاد المؤتمر ؛ وقد استأجر لهذه الغاية باخرة خاصة تقوم من مياه البحر الأبيض بجميع المندوبين الرسميين فى أوائل شهر أغسطس القادم ، ثم تعيدهم الى نفس المياه فى أوائل شهر أكتوبر ومنها يتفرقون عائدين إلى بلادهم

وسيشهد نادى القلم المصرى هذا المؤتمر الكبير ؛ وقد اختار لتمثيله أحد أعضائه الدكتور محمد عوض الأستاذ بالجامعة المصرية وقد سبق أن مثل حضرته نادى القلم المصرى فى مؤتمر القلم الذى انعقد فى مدينة ادنبورج بابكوسيا فى صيف سنة ١٩٣٤

وسيعنى المؤتمر ببحث جميع المسائل المتعلقة بالأدب والكتابة وحقوق التأليف وحرية القلم ومسائل النشر وما إليها ؛ وتاتى فيه عدا ذلك عدة مباحث عالية من بعض المندوبين . وسياتى مندوب مصر ما يناسب المقام

وهذه بعض المسائل المعينة التى سيعنى ببحثها المؤتمر :

(١) مهمة الكاتب فى المجتمع ، وما يستطيع نادى القلم أن يفعل فى ذلك السبيل (٢) نشر المؤلفات الأدبية وتبادلها بين مختلف البلدان ، ومسألة التراجم ، والعلاقة بين المؤلفين والمترجمين ، والعلاقة بين المؤلفين والناشرين فى الداخل والخارج (٣) مسألة إعانة الكتاب المعسرين

ومسائل كثيرة أخرى تهم الأدب والكتاب

## تطور الفكرة التاريخية اليهودية

نشطت الخصومة السامية ، أعنى حركة العداء ضد اليهود فى الأعوام الأخيرة نشاطا ظاهرا وذلك لأسباب سياسية واجتماعية كثيرة لا محل لشرحها هنا . وقد أثارت هذه الحركة من جانبها نشاطا كبيرا فى التفكير اليهودى والآداب اليهودية ؛ ومما يلاحظ بنوع خاص أنه قد صدرت فى الأعوام الأخيرة عدة كتب جديدة عن تاريخ اليهود أشرنا الى بعضها فى فرص سابقة ، وقد صدرت أخيرا ترجمة فرنسية لمختصر تاريخ اليهود الذى ألفه المؤرخ اليهودى الشهير سيمون دوبنوف بالروسية ؛ وهذا التاريخ فى الأصل ضخم جدا ، ويقع فى عشرة أجزاء كبيرة ، ويعتبر من أمهات التواريخ اليهودية التى صدرت فى العهد الأخير ؛ وقد وضع سيمون دوبنوف لمؤلفه مختصرا فى مجلد واحد هو الذى ترجم أخيرا إلى الفرنسية تحت عنوان « مختصر التاريخ اليهودى منذ

---

وكان يتضايق حتى من وجود أم سيد معه فى منزل واحد .... وإن كان ينام بعيداً عنها ، ولا يلاقيها إلا نادراً – غالباً فى الأوقات التى كان يرجع فيها الى البيت مبكراً ليتعشى – فكان يتذمر ويضطرب لمحضرها ، وإن كان بعدها أماً . كان يرجف لوجودها معه ، ويحس بروحه تثور ، لأنه ما كان يحب أن يتصورها جالسة أمامه ترقبه وهو يمضغ الطعام ، ويقطع الخبز بأسنانه ، وكان لا يعود لهدوئه وسكونه إلا بعد أن يتنفس الصعداء فى قاعته

ولما اعترضت جميلة طريقه أول مرة ، كان يحمل معه عصاه ليضربها ؛ ولكنه لما سمع صوتها عن قرب ، ووقف عند رأسها ، وأمسك بيده رسغها ، وصافحته أنفاسها ، تراجع . وأيقن أنه أمام مخلوق لا يستحق الضرب :

وأخذ بعد ذلك يترقب حضورها ، ويتأخر فى المسجد عامداً ليعينها على حمل الجرة ، ويملأ أذنيه من صوتها

( لها بقية )

محمود البدوى

نشأته حتى سنة ١٩٣٤ » Précis d'histore jinre des origines à 1943

وأهمية هذا المؤلف الجديد وما تقدمه فى الأعوام الأخيرة عن تاريخ اليهودية ترجع الى تحول النظرية التاريخية اليهودية ، فقد كانت هذه النظرية تقوم من قبل على أسس دينية وبنوه فيها دائما عما للشعب الاسرائيلى من مركز دينى ممتاز ، وعما تذهب اليه التقاليد اليهودية القديمة من أن اسرائيل هو الوسيط بين الله والناس ، وأنه الشعب المختار ، الى غير ذلك من المزاعم الدينية القديمة ؛ أما هذه الكتب اليهودية الجديدة فقد كتبت من الناحية القومية ، ولوحظ فيها أن اليهودية هى جامعة قومية لا دينية ؛ ويرجع ذلك كما قدمنا الى انتعاش الفكرة القومية اليهودية إزاء اشتداد الخصومة السامية ، وما تلاقيه الصهيونية من المتاعب والمحن

وكتاب دوبنوف برغم ايجازه قوى واضح ، وقد ألم إلماما مدهشا عواقف التاريخ اليهودى فى مدى ألفى عام

## موسم سالزبورج الموسيقى

يقام فى سالزبورج بالنمسا فى كل صيف موسم فنى عالمى للتمثيل والموسيق . ومواسم سالزبورج شهيرة منذ أعوام طويلة ؛ وسالزبورج هى موطن موتسارت ، وما زالت بها أكاديمية موسيقية تحمل اسم الموسيقى العظيم . وسيكون موسم هذا الصيف الذى يعقد ما بين ٢٥ يولية و ٣١ أغسطس من أبدع وأروع المواسم المسرحية والموسيقية التى عرفها العالم فى الأعوام الأخيرة . ويكفى أن تعلم أن المشرف على تنظيم برامج هذا الموسم هو أعظم الفنانين والموسيقيين المعاصرين : ماكس رينهارت ، وارتورو توسكانينى ، وبرونو ڤالتر ، وفيلكس فون فاينجارتنر . وسيشمل البرنامج المسرحى تمثيل عدة من القطع العالمية الخالدة مثل « فيجارو » وموسيقاها لموتسارت . و « فيديليو » وموسيقاها لبيتهوفن و « أقطاب الغناء فى نورمبرج » لڤاجنر ؛ و « تريستان وازولدا » وموسيقاها له أيضاً و « اريفوس وازولدا » وموسيقاها لجلوك . و « فالستاف » وموسيقا لفردى . وسيقود الفرق الموسيقية توسكانينى وڤالتر وڤاينجارتنر . ويشمل البرنامج الموسيقى عدة حفلات موسيقية بديعة لموتسارت وبيتهوفن وبرامز وشوبرت وباخ وستقام فى نفس الوقت حفلات موسيقية دينية فى الكاتدرائية الكبرى

وتغص سالزبورج فى مثل هذا الفصل بالوافدين عليها من جميع أنحاء العالم . ولكن الأنباء الأخيرة تدل على أن احتشاد الوافدين فى هذا الفصل قد بلغ حداً لم تعرفه سالزبورج من أعوام بعيدة

## عضو جديد فى الأكاديمية الفرنسية

من أنباء باريس الأخيرة أن الأكاديمية الفرنسية قد استقبلت عضوا جديدا هو لوى چيليه ، وقد انتخب فى الكرسى الذى خلا بوفاة الكاتب الشهير البير بينار ، وترجم سلفه فى اجتماع حافل من أعضاء الأكاديمية طبقا للتقاليد المعتادة . والعضو الجديد من طراز خاص من المفكرين يندر أن يوجد بين أعضاء الأكاديمية ، ذلك أن لوى چيليه رجل فن وناقد فنى فقط ، وهو منذ أعوام طويلة مدير لأحد المتاحف البارزية . وقد اشتهر فى العهد الأخير بعدة مؤلفات قيمة عن الفن وتاريخه منها « تاريخ التصوير فى أوربا فى القرن السابع عشر » Peinture en Europe au XVII e Siécle » و « تاريخ الفنون فى فرنسا » Hist, dés Arts en France وغيرها ، وهو من أشهر النقدة الفنيين فى نوعه ينقد الصور والتماثيل الحديثة ، ويكتب عن معارض الفنون رسائل قيمة

## جوائز أدبية

منحت جمعية النقدة الفرنسيين المؤلفة من جماعة من أعظم الكتاب والنقدة « جائزة النقد » السنوية الى كاتبين كبيرين هما مسيو رنيه دومزنل ، ومسيو مارسل تيبو ؛ ولكل منهما فى النقد مواقف مشهورة ؛ وقد امتاز مسيو دومزنل بنوع خاص بدراساته لبعض أكابر كتاب الجيل المنصرم مثل موباسان وهيسمان وفلوبير . ومما يؤثر عنه أنه كان طبيباً بالمهنة فاستهواه النقد وتدرج فيه حتى اعتزل الطب ؛ وأما مارسل تيبو فهو المحرر النقدى « لمجلة باريس » الشهيرة

ومنحت جائزة الأدب الشعبى الى ترستان ريمى ، وهو من كتاب « الصعاليك » والعوالم السفلى ، وقد اشتهر بقصته « حى سان انتوان » وله عدة قصص أخرى تدور حول حياة الطبقات الدنيا فى باريس

## الاقتصاد وسبيل لتحقيق السلام

يعانى العالم أزمات سياسية واقتصادية لا نهاية لها ؛ وتكاد النظم الاقتصادية فى بعض الأمم العظيمة تنهار ؛ وترى أمم عظيمة أخرى أن الحرب ربما كانت أفضل الوسائل للخروج من أزماتها ومتاعبها ؛ ويكد معظم الحكومات والساسة للخروج من هذه المآزق ، وقد نشر أخيراً أحد الكتاب الانكليز كتاباً طريفاً يدلى فيه برأى غريب لانقاذ الأمم من أزماتها ؛ وعنوان هذا الكتاب هو « فى وسع الأمم أن تعيش فى أرضها » Nations con liue at Home ومؤلفه هو المستر ولكوكس Willcox وهو عالم فى الاقتصاد الزراعى ، ويحاول المؤلف أن يرد فى كتابه على السؤال الآتى : « ما هو أكبر عدد يمكن أن يعيش من منتجات فدان أو ميل مربع من الأرض الصالحة ؟ » ويرى مستر ولكوكس أن الجواب على هذا السؤال تتوقف عليه نتائج اقتصادية وسياسية خطيرة ؛ وهذا هو ملخص رأيه :

« إن أنجع الوسائل لتحقيق السلام الدولى ، وتقليل خطر الحرب إن لم يكن إلغاؤها ، هو تحسين الانتاج الزراعى إلى حد يمكن الأمم من أن تعيش فى أرضها ، ويبعد عنها خطر الجوع أو الحرمان ، وأن تستغنى إذا اقتضى الحال عن الموارد الأجنبية وما يلزم للرفاهة والحياة الناعمة »

ولقد تنبأ العالم الاقتصادى ملتوس منذ أكثر من قرن بما سيعانى العالم من وفرة السكان ونادى بنظرية ضبط النسل ؛ ولكن العالم فى أنحاء كثيرة لم يصل فى وفرة السكان إلى الحد الذى يدعو إلى القلق . بيد أن هناك أمماً قد وصلت فى ذلك إلى حد مزعج مثل ألمانيا واليابان وإيطاليا ، ويرى مستر ولكوكس أن تقدم الانتاج الزراعى هو خير علاج لهذه الأزمة

والكتاب علمى فى أسلوبه ومناحيه ، ولكنه واضح بعيد عن ذلك التعقيد الفنى الذى يذهب بكثير من قيمة الشروح والبيانات القيمة

## الى الأستاذ محمد عبد الله عنان

لما استطردتم فى مقالكم القيم عن (البارون فون أوفنباخ) فى الرسالة ١٤١ إلى ذكر الماسونية وقلتم (إن لها أغراضاً خفية غير الأغراض الانسانية التى تتظاهر بها ، وإنها تعمل لغاية ثورية شاملة هى سحق الأديان والمعتقدات القائمة كلها ، وادماج الانسانية كلها فى نوع من التفكير الحر المطلق والمساواة الاجتماعية المطلقة) قرت عيون جمهرة القراء عندنا وعدوها لكم منقبة ، وباتوا يرقبون عودة منكم إلى هذا الموضوع ، لأن الناس لا يشكون من شيء عندنا ما يشكون من الماسونية . ولا يرون ظلما ولا إلحاداً ولا رذيلة إلا وللماسونية صلة به ، ذلك أن الماسونية عندنا ليست — على الأكثر — إلا شركات نفعية مؤلفة من أشخاص ليس لهم مبدأ معروف ، ولا غاية نبيلة ، ولكن مبدأهم ومنتهاهم جلب النفع لأنفسهم ودرء الضرر عنها ، ولو كان فى ذلك ضرر المجتمع ، وذهاب الفضيلة وهدم الدين ؛ يتعاونون على الخير والشر ، ويتناصرون على الحق والباطل ، ويدوسون كل المقدسات فى طريقهم الى منفعتهم ، فيدافع القاضى عن المجرم ، ويتنكب سبيل العدل ، ويخون المعلم منهم فى الامتحان ، فينجح المقصر ، ويسقط المجتهد ؛ وإذا خلت وظيفة لم يعين العالم الكفء القدير ، ولكن يعين لها من له صلة بالماسونية التى يعتنقها من بيدهم أمر تعيينه ، ولو كان جاهلاً ، ولو كانت وظيفة رئيس المفتشين فى وزارة المعارف ، أو عضو الاستئناف فى وزارة الحقانية ، أو غير ذلك . . .

فهل هذه هى الماسونية ؟ وهل يتفضل سيدى الأستاذ فيجلو لنا غامضها ، ويكشف لنا خفيها ، فيبين منشأها وأصلها ومبادئها ، ويذكر لنا ما هى قيمتها اليوم فى أوربا وفى بلدان الشرق الأدنى ، وما هى علاقتها بالدين والوطنية فى فصل تخطه براعته البليغة ؟

( دمشق ) ( ع )

## ديوان حافظ ابراهيم

قررت وزارة المعارف العمومية طبع ديوان الشاعر الخالد حافظ بك ابراهيم . وقد ندب معالى الوزير لهذا العمل الخطير صديقنا الأستاذ أحمد أمين ، فكلفه أن يجمع أشعاره ثم يرتبها ويبوبها ويصححها ويشرحها ويقدم لها ويعلق عليها

وهذه مأثرة جميلة لوزارة المعارف نرجو أن يساعدها على إتمامها كل من عنده أثر من آثار الشاعر العظيم مما لم ينشر فى صحيفة أو يطبع فى ديوان فيرسل صورة إلى الأستاذ الشارح خدمة للأدب وبراً بالأديب

# من هنا ومن هناك

## آثار مصر القديمة منذ ٦٥٠ سنة

ألف الأديب الرحالة المصرى ابن فضل الله العمرى كتابه الموسوعى العظيم (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) منذ خمسين وستمائة سنة (هـ) فى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وظل الكتاب مخبوءاً فى زوايا الاهمال حتى أتيح بعثه على يد فقيد العروبة العامل الأستاذ أحمد زكى باشا سنة ١٩٢٤، والكتاب ذخيرة ثمينة حقاً، وهو لا يقل فى قيمته عن الموسوعات المصرية الثلاث الأخرى (صبح الأعشى، ونهاية الأرب، ولسان العرب)

ولعل أظرف فصل عقده المؤلف فى كتابه (حـ ١) هو ذلك الفصل الذى يتكلم فيه عن آثار مصر القديمة، وما كان الناس يفترضونه من تاريخها، وما يعللون به تشييد تلك المبانى الضخمة والهياكل العتيدة!

وقد وصف ابن فضل الله أهرام الجيزة فقال: « .. وهى أشكال لهبية، كأن كل هرم لهبة سراج، آخذة فى أسافلها على التربيع مسلوبة فى عمود الهواء، آخذة فى الجو حتى إلى التثليث، لولا استدارة أبلوج السكر (قمع السكر!) لشبهناها به، ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعاً لبعض الكواكب لمناسبة اقتضته .. » وذكر قبل ذلك سبب بنائها قال: « قيل إنها هياكل للكواكب، وقيل قبور ومستودع مال وكتب، وقيل ملجأ من الطوفان، وهو أبعد ما قيل فيها! » ثم يعلل أنها لم تكن ملجأ للطوفان بأنه شاهد بعض الأهرام فى مصر العليا مبنية من اللبن! وبعد أن يذكر بعض أقوال الشعراء فى صفتها ينتقل إلى أبى الهول فيقول: « ... وهو اسم لصنم يقارب الهرم الكبير، وفى وهدة منخفضة تقع دونه شرقاً بغرب. لا يبين من فوق سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم وعنقه، أشبه شىء برأس راهب حبشى، عليه غفّارية؛ على وجهه صباغ أحمر إلى حُوّة، لم يحل على طول الأزمان وقديم الآباد، وهو كبير، لو كان شاخصاً كله لما قصر عن عشرين ذراعاً طوله فى غاية مناسبة التخطيط!! يقال إنه طلسم يمنع الرمل عن المزدرع ... »

ويسمى ابن فضل الله سلسلتى جبال العرب وليبيا (حائط العجوز!!) « وهو حائط يستدير بالديار المصرية ممتداً على جانب المزدرع بها كأنه جعل حاجزاً بين الرمل والمزدرع ... » ويقول ... « إنه من بناء امرأة اسمها دلوك ... »

ومع هذا لا يرى ابن فضل الله أن يتورط فى ذكر الخرافات التى تقال فى سبب بناء دلوك لهذا الحائط فيقول: « ويذكر فى تلك الكتب — بسبب بناء العجوز له — خرافة لسنا نرضى ذكرها!! »

ويسمى المؤلف تمثالى ممنون بالقرب من وادى الملوك (شامة وطامة!!) ثم يصف البرابى فيبدع إبداعاً تاماً، وينتقل إلى الاسكندرية فيصف عمود السوارى، والمنارة، والملعب الكبير وصفاً يدل على ذوقه الفنى الدقيق!!

## فلوبير وهديته الكرمب

يعتبر جوستاف فلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) الوارث الأكبر للمدرسة الابتداعية فى الأدب الفرنسى عامة، والوارث لبلزاك خاصة، وإن يكن هو من الكتاب الريالست، وإن يكن أيضاً يمتاز من بلزاك بطلاوة أسلوبه ونقاء عبارته وإشراق ديباجته، وعدم إسفافه ... وهى مزايا لم يكن بلزاك يعرف شيئاً منها

ويشبه فلوبير فى شدة عنايته بأسلوبه شاعرنا الجاهلى زهير ابن أبى سلمى المعروف بصاحب الحوليات. فلقد كان فلوبير يأرق الليالى الطوال من أجل لفظة واحدة؛ حتى إذا فاز بها، ثم مضى زمن يسير، رجع لحذفها من مقاله أو من كتابه، وقد يكون ذلك وقت الطبع، ومن هنا هذه الموسيقى الحلوة التى اشتهرت بها كتبه لاسيما فى (مدام بوفارى) و (سانت أنطونى وسلامبو)

وقد بلغ من شدة شغف فلوبير بتقرير الواقع فى قصصه أنه كان يجشم نفسه المشاق والأهوال ليصف منظراً عارضاً فى زاوية منسية من زوايا هذه القصص . من ذلك أنه أراد وصف مزرعة كرمب فى ليلة مقمرة مقرورة . . . فترك القصة بحذافيرها ، وانتظر حتى كان موسم الكرمب ، ثم رحل إلى ضاحية اشتهرت بنوع جيد من هذا المحصول ، وثمة تلبَّث حتى آذنت الليالى المقمرة ... ولكن صاحبه البدر طفق يتدلل ويتستر وراء السحب القاتمة.. وكان الشتاء القارس يعذبه ببرده ولياليه الطوال ، وكان فلوبير ما يبرح واقفاً وسط المزرعة بقلمه وقرطاسه ، منتظراً إشراقة واحدة من حبيبه القمر ليصف فيها منظر أشعته الفضية على أوراق الكرمب

ونال أمنيته بعد أن نال منه القمر كل أمانيه ! !

### روبرت أوين والعمال

تنتقل مصر رويدا رويدا من الطور الزراعى الذى لا يتفق ومدنية هذا العصر إلى الطور الصناعى ... طور المدنية والقوة والسيادة . وقد رأت انجلترا مثل هذا الانتقال ، ورأت فيه جملة ثورات اجتماعية كانت الاشتراكية أهمها جميعاً . والاشتراكية تعنى سعادة البشر ومكافحة الفقر ، ومن هنا انضواء غالبية المفكرين تحت لوائها وسهرهم على تعميمها فى كل مناحى الحياة حتى فى دور العلم ! ويعتبر روبرت أوين (١٧٧١ — ١٨٥٨) خالق الاشتراكية وواضع مبادئها بالعلم والعمل ، بل هو الذى استحدث هذه الكلمة Socialism فى النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٣٥) . ومن العجيب أنه كان من أكبر غزالى القطن فى منشستر ، وله جملة ابتكارات فى صناعة الغزل تعتبر أسُساً لتقدمها

وكان أوين يحب الاختلاط بالعمال ، ودأب من كثب على دراسة أحوالهم ومعايشهم ، وكان يروعه فقرهم وقذارتهم وعدم قيام رواتبهم الضئيلة بحوائجهم ، فنذر ، إذا واتاه الحظ ، أن يحدث فى حياتهم ثورة تطفر بهم إلى السعادة ... وقد حققت الأيام مطامحه فأصبح من أغنياء منشستر ، وذكر نذره فأنشأ مصانعه المظنينة فى نيولانارك New Lanark على أحدث النظم وعلى أحسن القواعد الصحية ، وكان أهم ما عمله لترقية العمال تحسين أجورهم وتقليل ساعات العمل (وكانت ١٢ ساعة فخفضها إلى عشر ، ثم إلى ثمان) ، وأنشأ لهم مساكن صحية ، وحرّم العمل على صغار الأطفال (أقل من عشر سنوات) ، وضمن التعليم الابتدائى بالمجان لأبنائهم ، وأنشأ لعماله مستشفى بجوار المصنع جلب اليه أمهر الأطباء وأحدث الآلات الطبية ، ووضع للطاعنين فى السن منهم نظاماً يكفل لهم شيخوخة سعيدة

ولم يكتف أوين باستحداث هذه النظم لرفاهية العمال فى مصانعه فقط ؛ بل عمل على تعميمها فى المصانع الأخرى ... ولذلك ثار فى وجهه أصحاب هذه المصانع ، وكان أكثرهم من اليهود ، ممن لا هم لهم إلا امتصاص دماء الانسانية وصهرها ثم تحويلها إلى ذهب ! ولكن أوين العظيم صمد لهم ، وما زال بالشعب وبالعمال وبالحكومة حتى انتصرت مبادئه ، وأصبح العامل الانجليزى مدى قرن من الزمان أسعد ألف مرة من اخوانه فى جميع الآفاق

ولم يكن أوين صاحب مصانع فحسب ، بل كان كاتباً وخطيباً مفوهاً ، ولذا كانت خطبه تسحر العمال وتبعث فيهم الشعور بالكرامة وتشيع فى أعطافهم الكبرياء

### اليوجنيه الحديثة New Eugenics

اليوجنيه أو علم تحسين النسل هو علم حديث يرجع إلى سنة ١٨٨٥ فقط ، وموجده هو السير فرنسس جالتون المتوفى سنة ١٩١١ . وقد أوصى عند موته أن يرصد جزء كبير من دخله لانشاء كرسى لهذا العلم فى جامعة لندن ؛ وقد اشتغل السير جالتون كثيراً بعلوم الأحياء قبل أن يلتفت إلى هذا العلم . ومن رأيه قصر التناسل على الفتاة العاقلة القوية ذات الفضائل من الناس لايجاد جيل راق يقود البشرية مرحلة كبيرة إلى السوبرمان ؛ وقد سمى هذه العملية من برنامجه positive eugenics ومن رأيه كذلك حرمان البلهاء والمرضى والمجرمين وأهل الرذائل من التناسل حتى لا يؤخروا موكب الانسانية عن التقدم والرقى ويسمى هذه العملية negative eugenics

وسير جالتون يعنى عناية كبيرة بمذهب السلوكيين فى السيكلوجية الحديثة ، بل هو قد اتخذ من مباحثهم الطريقة نبراساً له فى وضع الدعائم لهذا العلم الجديد

د . خ

# الكتب

## البراجماتزم

للأستاذ يعقوب فام

أصدرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

بقلم الأديب ت. الطويل

يقول الأستاذ الجليل أحمد أمين فى المقدمة التى مهد بها لقصة الفلسفة اليونانية : « لا بد للأديب الحق من وقوف تام على علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال وبالجملة على فروع الفلسفة ، فذلك يجعل نتاجه أقوم ، وتفكيره أعمق ، وأفقه أوسع ، ومنابع تفكيره أغزر ، ويحمله على أن يفلسف الأدب ؛ ولا يتسنى ذلك إلا إذا أدَّبنا له الفلسفة »

وقد أدب الأستاذ وزميله الفلسفة اليونانية فأحسنا تأديبها ، والتزما فى عرضها مسلك الأديب فى الكشف عن خواطره فى أسلوب يجمع بين السلاسة والرصانة . واستفرغا الوسع فى العمل على رفعة القارئ إلى مستوى الكاتب . . . ثم أخرج الأستاذ يعقوب فام كتابه فى « البراجماتزم » وسلك فيه مسلك العلماء فى تبيان خواطرهم وعرض آرائهم . وتبسيط المعقد من أفكارهم . لم يقف حيث هو فى ذروته ويمد يده الى القراء ليرفعهم اليه ويعلو بهم الى مستواه . بل هبط اليهم وتبسط معهم وأخذ يتألفهم ويترضاهم فى إسراف — قد يدعو الى الملل أحياناً — رغبة منه فى اكتساب مرضاتهم عنه حتى يقبلوا اصطحابه إلى حيث يعيش . . فأنت تقرأ الكتاب فلا تحس وأنت ماض بين صفحاته إلا أن الاستاذ يعقوب مدرس يلقى على تلامذته الصغار درساً فى الفلسفة ، فهو مشفق عليهم من وعورة مسالكها وظلمة سراديبها ورحابة آفاقها ، يعرضها عليهم فكرة بعد فكرة فى تفصيل وإطناب ، ولا يترك رأياً إلا دار حوله بعد الاسهاب فى شرحه متوهماً أن بعض التلاميذ لا يزالون يعالجون الفهم فيستعصى عليهم ، ولكنه يعود فيتذكر أنه يكتب كتاباً ستتناوله أيدى فئات من القراء تتفاوت فى المدارك قوة وضعفاً ، فيعتذر لقارئه عن الاطالة ويستأذنه فى المضى الى طريقه ؛ ويعود سيرته الأولى موضحاً رأيه بأسلوب يمتاز بالسهولة والبساطة وإن لازمته الركاكة ، ويسوق لتلامذته الأمثلة المستمدة من حياتهم اليومية ، حتى إذا فرغ من شرحه عاد فلخص ما أسلف فيه القول ، ولم يبق عليه بعد هذا إلا أن يضع لهم طائفة من الأسئلة يتناول بها آفاق الموضوع شأنه فى ذلك شأن المدرسين الذين يضعون لتلامذتهم مصنفات تتناول برامج الدراسة المقررة . . . !

والأستاذ أحمد أمين أديب عالم ، ولكنه قد سلك مسلك الأدباء فى الكتاب الذى صنفه بالاشتراك مع زميله الأستاذ زكى نجيب مؤثراً هذه الطريقة مقتنعاً بها راضياً عنها . وكذلك قل فى الأستاذ يعقوب وإيثاره للطريقة التى أسلفنا الاشارة اليها الآن ؛ وأكبر الظن عندى أنه لا يستطيع غيرها إن لم يكن مقتنعاً بها . وأنه غير نادم على عجزه عن « تأديب » الفلسفة . لأنه لا يحترم الأدب ولا يكبر أهله . فالأديب رجل مُخَرِّف لا تعنيه إلا زخرفة اللفظ وبهرجة الأسلوب اللغوى . . ! فان كان القارئ قد تملكه العجب لهذا التعبير فليسمع نَصَّ ما يقوله الأستاذ يعقوب فام ص ٧٢ :

« هل العقل الانسانى مرآة فقط ليس لها من عمل سوى أن تعكس الحقائق الخارجية دون تصرف أو تدخل من ناحية ؟ أم هو كالفنان الذى يتناول قطعة الحجر ويصنع منها تمثالاً جميلاً منظماً متناسباً ؟ أم هو لا هذا ولا ذاك وإنما يشبه الأديب الذى يخلق الأشخاص والحوادث والبيئة المحيطة بهذين خلقاً من العدم ؟ ( العفو ! ) على الاجابة عن هذا السؤال يتوقف الشىء الكثير . فلو قلنا إن العقل كالمرآة كنا من أتباع فلسفة الواقعيين ؛ وإن قلنا إن العقل كالأديب يخلق الكون خلقاً ، وإن الأشياء لا وجود لها فى

ذاتها وانما وجودها يتوقف على العقل وحده كنا من أتباع الفكريين Ideabsts الذين يزعمون أن الحقيقة هي عقل أو فكر وأن المادة شيء وهمي لا وجود له . وأما إن قلنا إن العقل يكيف الحقائق الخارجية Facts of Experiences كما أن ..... الخ »

هذه هي نظرة الأستاذ الى الأدب وأهله . ولست أعرف في الأدب مذهباً يتيح لصاحبه أن يخلق من العدم أشخاصه وحوادثه وبيئته — ان كان في وسعه أن يفعل ذلك — والغريب أن يفرق الأستاذ الكريم بين الأدب والفن هذه التفرقة العجيبة التي لم أسمع بها على هذا النحو من قبل اليوم . ثم كيف يخلق الانسان من العدم بيئة تعج بالحوادث والأشخاص ؟ أبالخيال ؟ إن عجبك ليشتد وينمو حتى يملأ شعاب نفسك حين ترى الأستاذ يقول ص ٨٣ ما نصه :

« هذا الشعور الخفي بالحق ( عند المتصوفة ) يقابل الخيال عند الرجل العادي . فالخيال ينتج من التفاعل بين مجموعة الاختبارات التي جازها الفرد في حياته اليومية ، ومن نشاطه بين أفراد نوعه ، ومن الغرائز الموروثة . هذا التفاعل بين الاختبارات والدوافع الموروثة عند الفرد هو الذي ينتج الخيال . ومع أن النتيجة قد تكون واحدة إلا أن الفرق بين التصوف والخيال واضح ، فالأخير مبني على العقل والاختبار ، والأول مبني على القوى الخارقة للطبيعة التي تلقي بالمعارف الى الانسان إلقاء . الخيال إنما هو قفزة يقفزها الانسان إلى الامام ، والتصوف هو الاستسلام للاتصال الخفي بين الفرد وعالم الأرواح ، أو الفرق بين الرجل العادي ذي الخيال الخصب ، والرجل الصوفي هو هذا : الأول منهما متصل بالحياة وبالاختبار وبنشاط الجسد من مشاهدة وحس بأنواعه ... »

هذا هو الخيال عند الرجل العادي كما يفهمه الأستاذ يعقوب ، أما الخيال عند الأديب كما قال ، فهو توهم ما لا وجود له ، وتصوير ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يدركه حس ؛ هو نوع من الرجم بالغيب والحدس باللامعلوم ! لا تقل إن الأديب في عرف الأستاذ رجل مجنون ، فان المجنون لا يفعل في تصرفاته أكثر من أن يستعيد صورا ذهنية عن مدركات حسية في شكل مبالغ فيه الى حد يتجاوز حدود العقل ويتخطى نطاق العرف . فالمجنون أقرب الى الحياة من الأديب في رأي

الأستاذ ..! ولهذا ارتقى الى ذهني الظن بأن الأستاذ غير نادم على أنه لم يكن أديباً .. كما أشرت الى هذا قبلاً

وأكبر الظن أن الأستاذ يعقوب قد اختلط عليه معنى الـ Idealists في الفلسفة ومعناها في الأدب . ففي الفلسفة يراد باللفظة « التصوريون » — وأنا أوثر هذه الترجمة على « الفكريين » التي يستعملها الأستاذ حتى لا يختلط معناها بالعقليين Rationalists — وهم الذين يظنون أن الحقيقة فكر ، وأن المادة لا وجود لها ، كما أبان الأستاذ ، ثم يراد بلفظة الـ Idealists في الأدب « المثاليين » ، وهم الذين ينزعون الى تصوير المثل العليا ، والتحدث الى الناس عما ينبغي أن يكون . فهي في الفلسفة مشتقة من Idea أي فكرة أو صورة ذهنية . وهي في الأدب مشتقة من Ideal أي مثل أعلى . والأديب المثالي لا يخلق من العدم شيئاً ، وإنما يدرس « الكائن » في هذه الدنيا فلا يعجبه ولا يروقه فيَحِنّ الى كمال يعوض هذا النقص ، ويصور المثل الأعلى الذي يحقق ما ينبغي أن يكون . وهو في تصوره إنما يعتمد على المدركات الحسية في أرحب معانيها ، وخياله لا يؤلف له الصور الحبيبة الى النفس إلا بالاعتماد على ما يعرفه من مدركات الحس . فان كان للمذهب التصوري وجاهته في الفلسفة فهو بمعناه الفلسفي هراء في عرف الأدب وأهله

على أن هذا الكلام لا يراد به الطعن في الطريقة التي سلكها الأستاذ يعقوب . فان تأليف كتاب يتناول هذه الآفاق الرحيبة في الفلسفة وعلاجها على هذا النحو البسيط السهل الميسور لكل قارىء لمقدرة ومهارة تستحقان كل ثناء وإعجاب . فان كنت في شك من هذا فقارن ما كتبه الأستاذ بما يكتبه أغلب الذين ينقلون الى الجمهور نظريات علم النفس ، ترَ العجز البيّن عن تمصير ما يكتبون حتى في نقل الأمثلة التي قرأوها في المراجع الأجنبية . . . ! أما الأستاذ يعقوب فهو يحدثك عن أحدث مذاهب الفلسفة وأقدمها فَتُحِسّ وكأن أصحابها مصريون تحسن فهمهم وتجيد تقديرهم ولا تجد بينك وبينهم هوة في فكر أو روح . . !

وقد انتهى الأستاذ إلى هذا التوفيق بعد جهد كان أبرز آياته الاتئاد عند كل فكرة والاطناب في شرحها حتى يطمئن على سهولة فهمها ويسر إدراكها . على أن هذا الاتئاد وإن لازمه في « شرح »

الكتاب منذ بدايته حتى نهايته ، فان فى بعض الفصول التى أضافها الأستاذ توضيحاً للمذاهب أو تمهيداً لذكرها أحكاماً يشوبها الضعف أو نقصاً فى استيفاء الموضوع . أو هكذا يخيل إلىّ . . .

فتراه يكتب فصلاً يدلّل فيه على أن الناس خاصتهم وعامتهم يتفلسفون وإن أنكر بعضهم أنه يتفلسف ..! ذلك لأنهم يعيشون فى الدنيا ويضربون فى زحمتها متأثرين بآراء قد تولت الفلسفة البحث فيها وانتهت منها إلى نظريات ومذاهب قد يعرفها طغام الناس . وهذا رأى غريب ، لأن الفلسفة ليست « عناوين » من عرفها كان من حقه أن يكون فيلسوفاً ، وإنما هى « بحث » يتناول الآفاق المجهولة فى رحاب الحياة ، هى « بحث » مجهول للناس يتناول ما تجهله العلوم وأهلها — ونهجها فى ذلك توضحه هذه الجملة : أنى وقف التفكير العلمى بدأ التفكير الفلسفى — فالناس عامتهم وخاصتهم لا يتفلسفون وإنما تبلغهم آراء يوحى بها الدين أو يمليها العرف — بما يؤلفه من مختلف العناصر — فيعملون بها ويسيرون على نهجها من غير تفكير فى أمرها ؛ فان تناولوها بالجدل حيناً فسرعان ما ينحرفون عنه مقتنعين ولو بلا شىء . وليس هذا شأن المتفلسفة فى أى زمان أو مكان . . . أو ترى الأستاذ يكتب فصلاً ممتعاً يتناول فيه وظيفة العلم وطريقته فى البحث ويلخص لك ما ينتهى اليه ويثبته فى أرقام مسلسلة ليتيسر للقارىء معرفة الفوارق بينه وبين الفلسفة ، ولكنه ينسى أن يتحدث فى هذا الفصل عن أولى الخواص التى لا يستطيع الانسان فى العصر الحديث أن يتصور العلم من دونها ، وهى أن العلم يمتاز من سائر آفاق المعرفة الانسانية فى أنه « يبحث الشىء من حيث هو شىء » وليست تعنيه علاقة هذا الشىء بغيره من الناس . ولهذا كان العلماء آخر من يفكر فى الانسانية ويعطف عليها ، لأن التفكير فى صالحها يدخل فى باب العاطفة ، وبين العلم والعاطفة عداء مستحكم الحلقات . فيخترع الغازات السامة أو الغواصات أو الدبابات وما اليها عالم موفق قد تهيأت له أسباب النجاح فى تطبيق نظريات العلم — وإن ساء فيه رأى المجتمع وجزع الناس لما اخترع — وإن قلت له إن عملك يشقى الناس أجابك على الفور : أنا عالم ، أبحث الشىء من حيث علاقته بذاته ، ولا شأن لى بعد هذا بما تفضى اليه نتائج البحث وتطبيقها خيراً كان أو شراً »

على أن من العدل أن نقول إن قيمة الكتب لا يحددها اتفاق الرأى بين الكاتب والقارىء ، وإن خلوها من المآخذ التى يتصورها الناقد لا يصلح أن يكون مقياساً للاعجاب بها والرضا عنها ، لأن مدارك الناس فى تفاوت ، ثم إن خلوهم من النقص محال

وقد تثير هذه الكلمة فى نفسك سؤالاً تطلب الى فيه أن ألخص لك « البراجماتزم » ولكنى لن أجيبك الى مطلبك إشفاقاً على نفسى من الاضطلاع بهذا العمل . وأمامك كتاب الأستاذ يعقوب فاقرأه تعلم أن لجنة التأليف والترجمة والنشر قد أنصفت فى اختيار هذا الرجل للقيام بتأليف هذا الكتاب ، فهو عالم يكثر الاطلاع ، ويحسن الفهم ، ويجيد العرض ؛ ويحب أمريكا ! ومن أقدر على الكلام فى « البراجماتزم » من رجل تتوفر له هذه الصفات . . ؟

ث . الطويل
ليسانسيه فى الفلسفة

# فهرس الموضوعات للمجلد الأول من السنة الرابعة للرسالة

## (ج)



## (ح)



## (خ)



## (د)



## (ر)



## (ز)



## (س)



## (ط)



## (ظ)



## (ع)

## فهرس الكتاب للمجلد الأول من السنة الرابعة

4 me Année, No. 157.

بدل الاشتراك عن سنة

| | |
|---|---|
| ٦٠ | فى مصر والسودان |
| ٨٠ | فى الأقطار العربية |
| ١٠٠ | فى سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | فى العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 6 - 7 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٥٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ — ٦ يوليه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد



# فى النقـــد أيضاً

عزيزى الدكتور هيكل بك :

كان للفصل الذى كتبتُه منذ أسابيع فى ( النقد المزيف ) أثران مختلفان : أثر رَضِيته أنت فسميته نجاحا صحفيا ، لأنه أثار حواراً طريفاً بين صديقين من كبار الكتاب فى مصر فدعواك بما شققا منه إلى المشاركة فيه ؛ وأثر سخطتُه أنا فسميته مصاباً أدبيا ، لأنه ألب علىّ كثيراً من طوائش الأفهام فى مصر وفى غير مصر : ففريق ظن أننى عنيته بهذا المقال ، كأنه لمح فى نفسه آثار تلك العيوب فاتهم ثم حكم ثم غضب لأنى قلت الواقع وقال الحق . ثم حاول بهذا الغضب أن يستفزنى الى المسافهة ؛ وفريق زعم أننى غمطت مدارك الشباب فاستعجزتهم عن النقد ، واستحمقتهم فى تكلف ما لا يحسنون بحكم السن والدرس والطبيعة ؛ ثم جعلوا رأيك فى ذلك نقيض رأيى ، ومضوا يتعززون به ويدافعون وليس منا هجوم ، ويرافعون وليس بيننا قضية

الواقع أننى هاجمت نوعا من النقد فشا على بعض الأقلام الرِّخوة ، يصور الحق بلون الباطل ليُضحك ، ويبرز الجميل فى مظهر القبيح ليسىء ؛ وهو ينبعث إمّا من مكامن الحقد فيرمى إلى

التجريح . وإما من مواطن الغرور فيرمى إلى الهدم . وذلك الضرب من الهوى العابث يترفع عنه الشاب والشيخ ، بدليل أن أحدهما إذا ملكته الحفيظة لجيله رمى به الآخر . على أننى حين قلت إن النقد المنطقى ملكة فنية أصيلة ، وتربية أدبية طويلة ، وثقافة علمية شاملة ؛ وأن الناقد بهذا الاعتبار يشارك المشترع فى صدق التمييز ، والفيلسوف فى دقة الملاحظة ، والقاضى فى قوة الحكم ، كان فى نفسى — وأعترف بذلك — أن الشيوخ فى الغالب هم أصحاب هـذا الفن وأرباب هذه الملكة . وأقول (فى الغالب) لأنى قرأت منذ سنين للأستاذين : (غريب) و (المصرى) وهما من كتاب الشباب فصولا فى النقد كانت موضع الاعجاب فى (البلاغ) . ولكنك تقول إن النقد ظاهرة من ظواهر الشبيبة تحدث دائماً فى شِرَّة العمر ، حتى إذا انكسرت (مال الكاتب مع سجيته ، واختار الطريق الايجابى الذى يسلكه فى انتاجه) ، كما وقع لك ؛ ثم تخرج من ذلك إلى أن العلة فى ركود النقد هى أن الشباب لا يقرأ ، وإذا قرأ لا يمحص ، وإذا محص لا يثور فينقد . وفى هـذه الفكرة وحدها ينحصر الخلاف بينى وبينك

أنا أفهم أنك تنصرف عن النقد إلى معالجة السيرة النبوية بهذا التحليل المنطقى البارع ، لأنه أجدى على الناس ، وأعود على الأدب ، وأجدر بالكاتب المرسَل ؛ ولكننى لا أفهم أن يكون انصرافك عن النقد نتيجة محتومة لانصراف الشباب عنك ؛ لأن ذلك يناقض طبيعة النقد فى ذاته ، ولا يوائم فيما أظن قولك : « إن نقد الأثر الأدبى يدل على علو الكعب فى العلم أو فى الثقافة أو فى التهذيب »

يخيل إلىّ أن منشأ هذا الخلاف أنك سميت التمرد نقداً ، والنقد تحليل تاريخ وتعليل أدب ؛ فان من أقوى خصائص الشباب ذلك الطموح الذى يولد القلق ، والقلق الذى يخلق التمرد ، والتمرد الذى يحدث الثورة . فى هذا معنى الحياة ومعنى التطور ومعنى التكمل ومعنى التحرر ، ولكن ليس فيه على الكثير الغالب معنى التمييز الذى يقتضى طول الخبرة ، والتفضيل الذى يوجب شمول العلم ، والحكم الذى يطلب نزاهة العقل

إنك لا تستطيع أن تُخلِّص الشباب من سطوة الهوى وفتنة الغرور وغلبة العاطفة : وأولئك من آفات النظر الفاحص والرأى المستقر ؛ فالشاب يخضع فى أحكامه لتأثير الساعة من قراءة أو صداقة أو استفزاز أو اشمئزاز أو إيحاء أو مرض ؛ وهو فى تسبيب هذه الأحكام يتعارض مع المعروف ويتناقض مع الواقع

هذا كاتب شاب أعجلته ضرورات العيش عن استكمال العدة للكتابة ، فهو يكتب بقوة المحاكاة ، لا يحور إلى فن ولا يجرى على مذهب ؛ وهو بالطبع يفتقد الكلام المعرب والأسلوب المحكم والأدب الموروث ، على حين يحفظ عن ظهر الغيب قواعد اللغة الأجنبية ، ولا يجيز لنفسه أن يخطئ فى صيغها المتعددة ولا فى إملائها المعقد . وهذا أديب شاب ينتقدك أنت ويرميك بالرجعية وتمليق العامة ، لأنك كتبت عن (محمد) بعد أن كتبت عن (روسو) و (شلى) . وهذا مؤلف شاب له كتاب فى نقد (حافظ) لم أقرأه بعد ، كتب إلى يتهمنى بأنى قصدته بتقالى لأنى كتبته على أثر ظهور كتابه . ويقول إنه يستطيع أن ينقد ما كتبته فى الرواية المسرحية بأنه منقول عن الفرنسية . ودليله بالطبع أن هذا الموضوع لا مرجع له فى أدب العرب ، إذن فمن أين جاء ؟ من اللغة الفرنسية التى أعلمها ! ولو كنت أعلم الانجليزية مثلاً لكان النقل عنها ولاشك ، ما دام النقد فى عرفه حكما من غير تعليل ودعوى من دون دليل . ولا أدرى لم لم يقل إن كتابى فى تاريخ الأدب العربى منقول عن العربية كذلك لأن مراجعه منها !

فهل يرى الدكتور فى مثل هذا النقد أنه كما قال « تناوُلٌ لمواد الحياة العقلية والأدبية وهضمها وتمحيصها وتمثُّل الصالح منها ونفى الزائف عنها ؟ » أم الحق أن ركود الأدب وفوضى النقد لا يرجعان إلى الشيب ولا إلى الشباب ، وإنما يرجعان إلى تهريج الصحف وكسل الكتاب ؟

احمد حسن الزيات

# قصة الأيدي المتوضئة ...

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال راوي الخبر : ذهبتُ إلى المسجد لصلاة الجمعة ؛ والمسجد يجمع الناسَ بقلوبهم ليُخرجَ كلَّ إنسان من دنيا ذاته ، فلا يفكر أحد أنه أسمى من أحد ؛ ولقد يكون إلى جانبك الصانعُ أو الأجير أو الفقير أو الجاهل ، وأنت الرئيس أو العظيم أو الغني أو العالم ، فتنظر اليه وإلى نفسك فتحس كأن خواطرك متوضئةٌ متطهرة ؛ وترى كلمة الكبرياء قد فقدت روحَها ، وكلمة التواضع قد وجدت روحَها ؛ وتشعر بالنفس المجتمعة قد نصبت الحربَ للنفس المنفردة . ولو خطر لك شيء بخلاف ذلك رأيتَ الفقير إلى جانبك توبيخاً لك ، ونظرتَ اليه ساكتاً وهو يتكلم في قلبك ، وشعرت بالله من فوقكما ، واستعلنتْ لك روحُ المسجد كأنها تَهُمُّ بطردك ، وخيّل اليك أن الأرض ستلطم وجهك إذا سجدت ، وأيقنتَ من ذات نفسك أن لست هناك في دنياك وليس صاحبك في دنياه ، وإنما أنتما هناك في انسانية ميزانُها بيد الله وحده ؛ فلا تدري أيكما الذي يخفّ وأيكما الذي يثقل [(١)]

قال : والعجيب أن هذا الذي لا يجهله أحد من أهل الدين ، يعرفه بعض علماء الدين على وجه آخر ، فتراه في المسجد يمشي مختالاً ، قد تحلى بحليته ، وتكلّف لزَهْوه ، فلبس الجبة تسع اثنين ، وتطاول كأنه المئذنة ، وتصدّر كأنه القِبلة ، وانتفخ كأنه ممتلئ بالفروق بينه وبين الناس ؛ وهو بعد كل هذا لو كشف الله تمويهَهُ لانكشف عن تاجر علم بعضُ شروطه على الفضيلة أن يأكل بها ، فلا يجد دنيا ذاته إلا في المسجد ، فهو نوع من كذب العالم الديني على دينه

* * *

قال الراوي : وصعد الخطيب المنبرَ ، وفي يده سيفُه الخشبيُّ يتوكأ عليه ؛ فما استقر في الذِّروة حتى خُيِّل إليَّ أن الرجل قد دخل في سر هذه الخشبة ، فهو يبدو كالمريض تقيمه عصاه ، وكالهرِم يمسكه ما يتوكأ عليه ؛ ونظرتُ فإذا هو كذب صريح على الاسلام والمسلمين ، كهيئة سيفه الخشبي في كذبها على السيوف ومعدنها وأعمالها

وتالله ما أدري كيف يستحلُّ عالم من علماء الدين الاسلامي في هذا العصر أن يخطب المسلمين خطبَة جمعتهم وفي يده هذا السيف علامة الذل والضَّعة والتراجع والانقلاب والادبار والهزل والسخرية والفضيحة والاضحاك ؛ ومتى كان الاسلام يأمر بنجْر السيوف من الخشب ونحتها وتسويتها وإرهاف حدها الذي لا يقطع شيئاً ، ثم وضعها في أيدي العلماء يَعْتَلُونَ بها ذُؤابة كل منبر لتتعلق بها العيون وتشهد فيها الرمز والعلامة ، وتستوحي منها المعنوية الدينية التي يجب أن تتجسَّم لتُرى ؟

أي سيفٍ من الخشب معنوية غير معنى الهزل والسخافة وبلاهة العقل وذلة الحياة ومسخ التاريخ الفاتح المنتصر ، والرمز لخضوع الكلمة وصبيانية الارادة ؟

قال : وكان تمام الهزء بهذا السيف الخشبي الذي صنعته وزارة أوقاف المسلمين أنه في طول صَمْصَامة عمرو بن معد يكرب الزبيدي فارس الجاهلية والاسلام [(١)] فكان الى صدر الخطيب ، ولولا أنه في يده لظهر مقبضه في صدر الرجل كأنه وسام من الخشب ...

قال : وكان الخطيب إذا تكلّف وتصنّع وظهر منه أنه قد حَمِيَ وثار ثائره – ارتجّ وغفل عن يده فتضطرب فيها قبضةُ السيف فتلكزه في صدره كأنما تذكره أن في يده خشبة . . . . لا تصلح لهذه الحماسة

* * *

قال : وخطب العالم على الناس ، وكان سيفُه الخشبي يخطب خطبة أخرى ؛ فأما الأولى فهي محفوظة معروفة ولا تنتهي حتى ينتهي أثرها إذ هي كالقراءة لاقامة الصلاة ، وكانت في عهدها الأول كالدرس لاقامة شأن من شؤون الاجتماع والسياسة ،

(١) استوفينا الكلام عن فلسفة المسجد في مقالات كثيرة من مقالاتنا في الرسالة

(١) كان طول الصمصامة سبعة أشبار وافية وعرضها شبر

فبينها وبين حقيقتها الاسلامية مثل مابين هذا السيف من الخشب وبين حقيقته الاولى . وأما الخطبة الثانية فقد عقلتها أنا عن تلك الخشبة وكتبتها وهذه هي عبارتها :

ويحكم أيها المسلمون ! لو كنتُ بقية من خشب سفينة نوح التي أنقذ فيها الجنس البشرى لما كان لكم أن تضعونى هذا الوضع ، وما جعلكم الله حيث أنتم إلا بعد أن جعلتمونى حيث أنا ، تكاد شرارة تذهب بى وبكم معاً لأن فىَّ وفيكم المادة الخشبية والمادة المتخشبة

ويحكم ! لو أنه كان لخطيبكم شيء من الكلام النارىّ المضطرم لما بقيت الخشبة فى يده خشبة . وكيف يمتلىء الرجل إيماناً بإيمانه ، وكيف يصعد المنبر ليقول كلمةَ الدين من الحق الغالب وكلمةَ الحياة من الحق الواجب - وهو كما ترونه قد انتهى من الذل الى أن فقد السيفُ روحَه فى يده ؟

أيها المسلمون ! لن تفلحوا وهذا خطيبكم التكلم فيكم إلا إذا أفلحتم وأنا سيفكم الدافع عنكم ؛ أيها المسلمون غيِّروه وغيرونى (١)

***

قال راوى الخبر : ولما قُضِيَتْ الصلاة ماج الناس إذ انبعث فيهم جماعة من الشبان يصيحون بهم يستوقفونهم ليخطبوهم . ثم قام أحدهم فخطب فذكر فلسطين وما نزل بها ، وتغيُّر أحوال أهلها ، ونكبتهم وجهادهم واختلال أمرهم ؛ ثم استنجد واستعان ودعا الموسر والمخِفّ الى البذل والتبرع وإقراضِ الله تعالى ؛ وتقدم أصحابه بصناديق مختومة ، فطافوا بها على الناس يجمعون فيها القليل والأقل من دراهم هى فى هذه الحال دراهم أصحابها وضمائرهم

قال : وكان الى جانبى رجل قَروى من هؤلاء الفلاحين الذين تعرف الخير فى وجوههم والصبر فى أجسامهم والقناعة فى نفوسهم والفضل فى سجاياهم ، إذ امتزجت بهم روح الطبيعة الخصبة فتخرج من أرضهم زُروعا ومن أنفسهم زروعا أخرى - فقال لرجل كان معه : إن هذا الخطيب خطيب المسجد قد غشنا وهؤلاء الشبان قد فضحوه ، فما ينبغى أن تكون خطبة المسلمين إلا فى أخص أحوال المسلمين

قال : ونبهنى هذا الرجل الساذج إلى معنى دقيق فى حكمة هذه المنابر الاسلامية ؛ فما يريد الاسلام إلا أن تكون كمحطات الاذاعة يلتقط كل منبر أخبار الجهات الأخرى ويذيعها فى صيغة الخطاب إلى الروح والعقل والقلب ، فتكون خطبة الجمعة هى الكلمة الأسبوعية فى سياسة الأسبوع أو مسئلة الأسبوع ؛ وبهذا لا يجىء الكلام على المنابر إلا حياً بحياة الوقت فيصبح الخطيب ينتظره الناس فى كل جمعة انتظار الشىء الجديد ؛ ومن ثم يستطيع المنبر أن يكون بينه وبين الحياة عمل

قال : وخيِّل إلى بعد هذا المعنى أن كل خطيب فى هذه المساجد ناقصٌ إلى النصف لأن السياسة تُكرهه أن يخلع إسلاميتَه الواسعة قبل صعوده المنبر وألاّ يصعد إلا فى إسلاميته الضيقة المحدودة بحدود الوعظ الذى هو مع ذلك نصفُ وعظ ... فالخطبة فى الحقيقة نصف خطبة أو كأنها أثر خطبة معها أثر سيف ...

قال : وأخرج القروى كيسه فعزَل منه دراهم وقال هذه لطعام أتبلَّغ به ولأوبتى إلى البلد ، ثم أفرغ الباقى فى صناديق الجماعة ؛ واقتديت أنا به فلم أخرج من المسجد حتى وضعت فى صناديقهم كل ما معى ؛ ولقد حسبت أنه لو بقى لى درهم واحد لمضى يسبنى ما دام معى إلى أن يخرج عنى

***

قال الراوى : ثم دخلت إلى ضريح صاحب المسجد أزوره وأقرأ فيه ما تيسر من القرآن فاذا هناك رجال من علماء المسلمين ، إثنان أو ثلاثة ( الشكُّ فى ثالثهم لأنه حليق اللحية ) . ثم توافى إليهم آخرون فتموا سبعة ؛ ورأيتهم قد خلطوا بأنفسهم صاحب (اللالحية) فعلمت أنه منهم على المذهب الشائع فى بعض المصريين من العلماء والقضاة الشرعيين ، أحسبهم يحتجون بقوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » ؛ وكل امرىء فانما تُبَصِّره مرآته كيف يظهر فى أحسن تقويم ، أبلحية أم بلا لحية . . . ؟

وأدرت عينى فى وجوههم فاذا وقار وسَمْتٌ ونور لم أر منها شيئاً فى وجه صاحب ( اللالحية ) ؛ وأنا فما أبصرتُ قط لحيةَ رجل عالم أو عابد أو فيلسوف أو شاعر أو كاتب أو ذى فن عظيم ، إلا ذكرت هذا المعنى الشعرىَّ البديع الذى ورد فى بعض الأخبار

---

(١) نرجو من أستاذ المسلمين وشيخ الجامع الأزهر أن يتقدم إلى وزارة الأوقاف فى جمع هذه السيوف الخشبية وتكسيرها وبيعها وقوداً ؛ وإن لم تكن الحقيقة فلا معنى لتزويرها هذا التزوير المضحك

من أن لله تعالى ملائكة يقسمون : والذى زين بنى آدم باللحى

وكان من السبعة رجل ترك لحيته عافية على طبيعتها فامتدت وعظمت حتى نشرت حولها جوّا روحانياً من الهيبة تشعر النفس الرقيقة بتياره على بعد ، فكان هذا أبلغ رد على ذاك

***

قال : وأنصت الشيوخ جميعاً إلى خطب الشبان ، وكانت أصوات هؤلاء جافية صُلبة حتى كأنها صَخَبُ معركة لا فنّ خطابة ، وعلى قدر ضعف المعنى فى كلامهم قوى الصوت ؛ فهم يصرخون كما يصرخ المستغيث فى صيحات هاربة بين السماء والأرض

فقال أحد الشيوخ الفضلاء : لا حول ولا قوة إلا بالله ! جاء فى الخبر : تَعِس عبدُ الدينار ، تَعِس عبدُ الدرهم ، ووالله ما تعس المسلمون الا منذ تعبدوا لهذين حرصاً وشحاً ؛ « ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون » ، ولو تعارفت أموال المسلمين فى الحوادث لما أنكرتهم الحوادث

فقال آخر : وفى الحديث : « إن الله يحب إغاثة اللَّهْفان » ولكن ما بال هؤلاء الشبان لا يوردون فى خطبهم أحاديث مع أنها هى كلمات القلوب . فلو أنهم شرحوا للعامة هذا الحديث : « إن الله يحب اغاثة اللهفان » لأسرع العامة الى ما يحبه الله

قال الثالث : ولكن جاءنا الأثر فى وصف هذه الأمة : إنها فى أول الزمان يتعلم صغارها من كبارها فاذا كان آخر الزمان تعلم كبارهم من صغارهم ؛ فنحن فى آخر الزمان وقد سُلط الصغار على الكبار يريدون أن ينقلوهم عن طباعهم الى صبيانية جديدة

قال الراوى : فقلت لصديق معى : قل لهذا الشيخ ليس معنى الأثر ما فهمت ، بل تأويله أن آخر الزمان سيكون لهذه الأمة زمن جهاد واقتحام وعزيمة ومغالبة على استقلال الحياة فلا يصلح لوقاية الأمة إلا شبابُها المتعلم القوى الجرىء كما نرى فى أيامنا هذه فينزلون من الكبار تلك المنزلة إذ تكون الحماسة متممة لقوة العلم . وفى الحديث : أمتى كالمطر لا يُدرى أوله خير أم آخره

***

قال الراوى : ولم يكد الصديق يحفظ عنى هذا الكلام ويهم بتبليغه حتى وقعت الصيحة فى المكان فجاء أحد الخطباء ووقف يفعل ما يفعله الرعد ، لا يكرر إلا زمجرة واحدة ، . وكان الشيوخ الأجلاء قد سمعوا كل ما قيل فأطرقوا يسمعونه مرة رابعة أو خامسة . وفرغ الشاب من هديره فتحول اليهم وجلس بين أيديهم متأدباً متخشعاً ووضع الصندوق المختوم

فقال أحد الشيوخ : ممن أنت يا بنى ؟ قال : من جماعة الاخوان المسلمين . قال الشيخ . لم يخف علينا مكانك وقد بذلتم ما استطعتم فبارك الله فيك وفى أصحابك

وسكت الشاب وسكت الشيوخ وسكت الصندوق أيضاً

ثم تحركت النفس بوحى الحالة فد أولهم يده الى جيبه ، ثم دسها فيه ؛ ثم عيَّثَ فيه قليلا[1] ؛ ثم . . . . ثم أخرج الساعة ينظر فيها

وانتقلت العدوى الى الباقين فأخرج أحدهم منديله يتمخط فيه . وظهرت فى يد الثالث سبحة طويلة . وأخرج الرابع سواكا فر به على أسنانه . وجرَّ الخامس كراسة كانت فى قَبائه . ومد صاحب اللحية العريضة أصابعه الى لحيته يخلّلها . أما السابع صاحب (اللالحية) فثبتت يده فى جيبه ولم تخرج كأن فيها شيئاً يستحى إذا هو أظهره أو يخشى إذا هو أظهره من تخجيل الجماعة

وسكت الشاب وسكت الشيوخ وسكت الصندوق أيضاً

قال الراوى : ونظرت فاذا وجوههم قد لبست للشاب هيئة المدرس الذى يقرر لتلميذه قاعدة قررها من قبل ألف مرة لألف تلميذ . فخجل الشاب وحمل صندوقه ومضى

***

أقول أنا : فلما انتهى الراوى من (قصة الأيدى المتوضئة) ، قلت له : لعلك أيها الراوى استيقظت من الحلم قبل أن يملأ الشيوخ الأجلاء هذا الصندوق ، وما ختم عقلك هذه الرواية بهذا الفصل الا بما كددتَ فيه ذهنك من فلسفة تحول السيف الى خشبة . ولو قد امتد بك النوم لسمعت أحدهم يقول لسائرهم : بمن ينهض إخواننا المجاهدون وبمن يصولون ؟ لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاهل سخى أحب الى الله من عالم بخيل » ؛ ثم يملأون الصندوق . . . . . . . . .

( طنطا )

(١) أى بحث بأصابعه

إلى الأديب النابلسى : لا نرى ذلك الرأى فى تمثيل روايات الأنبياء فخروج نبى على مسرح التمثيل انما هو تزوير نبى . وهذا يكفى

الرافعى

# الجانب الصوفى
## فى الفلسفة الاسلامية (١)
للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

نجتمع الليلة — أيها السادة — لنناجى القلب ونحادث الروح . ومناجاة القلب طهرة لمن شاء أن يتطهر ، وصفاء لمن أراد التبرؤ من الرجس والدنس . ومحادثة الروح عروج إلى سماء النور والملائكة ، وصعود إلى عالم الفيض والالهام . نجتمع الليلة لنهجر الأجسام زمناً ونفرغ إلى نفوسنا حيناً . والجسم والنفس كانا ولا يزالان فى صراع دائم ومعركة مستمرة ، يقدر فيها لأحدهما الفوز تارة وللآخر أخرى . وقد يبدو غريباً أن نتحدث عن فيض وإلهام وروح ونفس فى عصرنا الحاضر الذى طغت فيه المادة على كل شىء ، فأصبحنا لا نؤمن إلا بكل مشاهد ، ولا نسلم إلا بكل مرئى . بيد أنا حتى فى هذا العصر المادى نشعر بحاجة ماسة إلى كشف ما غاب عن أبصارنا وانطوت عليه نفوسنا ، ونركن كثيراً إلى ما تمليه ضمائرنا . وما دام فينا قلب يخفق وعاطفة تتأجج ، فانا لا نستطيع انكار لغة القلوب والأرواح ؛ وإذا تتبعنا المذاهب الفلسفية على اختلافها وجدنا أنه لم يخل واحد منها من نزعة صوفية . وها هو ذا أرسطو الذى كان واقعياً فى بحثه وطريقته ، ورجل مشاهدة وتجربة فى ملاحظاته واستنباطاته ، قد انتهى به الأمر إلى أن بنى دراسته النفسية على شىء من الفيض والالهام ، ووضع فى قمة الأخلاق فضائله العقلية التى هى أسمى درجة من درجات التأمل والمشاهدة الصوفية

حقاً إن الادراكات الروحية والالهامات القلبية قد تكون غير يقينية ، أو قد يعز على الأقل اثباتها ببراهين قطعية يتقبلها الآخرون ؛ إلا أنها مبعث طمأنينة وهدوء وسكون ؛ ذلك لأنها معرفة شخصية مباشرة ؛ والكلام إذا خرج من القلب وصل إلى القلب . وكم يجهد الانسان نفسه فى صوغ الأقيسة واقامة البراهين لاثبات أمر ما دون أن ينعم بالهدوء والسكون اللذين يحس بهما حين يناجيه قلبه وتخاطبه روحه . وقديماً مر الغزالى بمراحل من البحث والنظر ، واشتغل بدراسات كثيرة ، ولكن لم تطب نفسه إلا للمعرفة الصوفية تفيض عليه فيضاً ويُلهَمها إلهاماً . وحديثاً شك ديكارت فى كل شىء ، اللهم إلا فى نفسه وتفكيره . ولما انتهى إلى هذه الحقيقة الثابتة كانت أساس اليقين فى رأيه ونقطة البدء لكل فلسفته . وهناك فلسفات قامت بأسرها على المناجاة الروحية والاتصال بالله ؛ فأفلوطين فى مدرسة الاسكندرية يرى أن الجذب والفيض هما السعادة التى ليست وراءها سعادة ؛ وقد جد شخصياً فى تحقيقهما طول حياته ، ولم يحظ بهما إلا بضع مرات . ومالبرنش فى القرن السابع عشر يقول باتصال مستمر بين العبد وربه . فمعرفتنا ليست إلا فيضاً من الله ، وما يبدو منا من عمل خارجى ليس إلا ظروفاً ومناسبات لتحقيق إرادة الله ، وبهذا يتلاشى المخلوق فى الخالق ، ويندمج الأثر فى المؤثر

لسنا نحاول هنا التحدث عن التصوف فى جملته ، ولا التعرض لمختلف مظاهره وأدواره منذ نشأته ، وإنما نريد فقط أن نفصل القول فى نزعة صوفية سادت الفلسفة الاسلامية ؛ فنتبين كيف تكونت وشبت ونشأت ، ونشرح الأصول التى صدرت عنها ، والعوامل التى أثرت فيها ، ونحدد مدلولها ومرماها . وإذا ما تم لنا هذا استطعنا أن نوضح آثارها ونتائجها . فحديث القلب والروح الذى نحن بصدده مقصور على ما جاء به الفلاسفة المسلمون ، ووقف على الجانب الصوفى فى الفلسفة الاسلامية . وما كان أجدرنا فى بحث كهذا أن نستعمل لغة خاصة وأسلوباً خاصاً ، بل وأن نلجأ إلى مكان خاص ، فان لغة العقل تعجز أحياناً عن التعبير فى دقة عما يكنه القلب ، وأسلوبنا المشوب بشوائب مادية قد لا يجد السبيل إلى وصف الالهامات النفسية ، والأرواح التى تسبح فى عالم النور تعز مناجاتها فى حيز المادة والجسم المحدود . ولعل الصوفية مصيبون فى التزيى بزى خاص ، كى يتفق ظاهرهم مع باطنهم ، وفى اتخاذ لغة معينة تفصلهم عمن سواهم ؛ غير أن هذه اللغة زادت آراءهم تعقيداً ،

(١) محاضرتان ألقيتا فى الجمعية الجغرافية مساء يومى الأربعاء ١٨ و ٢٥ مارس سنة ١٩٣٦

وكست نظرياتهم بثوب كثيف من الغموض والابهام . وسنجتهد فى أن نجلى غامضها ، وأن نقربها ما استطعنا من العرف المألوف

عنى الباحثون من قديم بدراسة التصوف الاسلامى فى جملته مدفوعين غالباً بما فى الموضوع من طرافة ، ومحاولين أن يكشفوا ما احتواه الاسلام والشرق من حقائق وأسرار . ويغلب على الظن أن الأبحاث الصوفيـة أول موضوع استلفت أنظار المستشرقين ؛ ولا تزال هذه الأبحاث محل عنايتهم حتى اليوم ؛ ومؤلفاتهم فيها تزيد كثيراً على ما كتبوه فى الدراسات الاسلامية الأخرى . ولا غرابة فالغرب متعطش دائماً إلى تعرف صوفية الشرق . وكأن هذا الأخير وهو مصدر النور والضوء أبى إلا أن يكون فى الوقت نفسه مقر القوى الخفية والأسرار الغامضة . ودون أن نعرض لكل من اشتغلوا بموضوع التصوف من كبار المستشرقين نكتفى بأن نشير إلى رجال القرن العشرين ، ونخص بالذكر منهم جولد زيهير النمسوى الذى عقد للتصوف فصلاً ممتعاً فى كتابه « عقيدة الاسلام وقانونه [1] » بجانب أبحاث أخرى قيمة ؛ والأستاذ مكدونلد الأمريكى الذى وضح كثيرا من آراء الغزالى الصوفية ، والأستاذ نكلسون المدرس بجامعة كمبردج ، والاستاذ ماسنيون المدرس بكليج دى فرنس ، والدكتور محمد اقبال العالم الهندى المشهور ؛ وعلى رأس هؤلاء جميعاً يجب أن نضع نكلسون وماسنيون ، فانه يرجع إلى الأول الفضل فى نشر كثير من مخلفات الصوفية القيمة والتعريف عنها ؛ أما أستاذنا ماسنيون فقد رسم فى التصوف طرائق جديدة ، وقدم لنا عن الحلاج صورة غنية بالألوان والمعانى الدقيقة فى كتاب يعد أوسع مؤلف فى تاريخ التصوف الاسلامى [2]

غير أن آراء فلاسفة الاسلام الصوفية لم تدرس بعد ولم توجه إليها العناية التى تستحقها . حقاً إن مهرن المستشرق الدنمركى ، تنبه إلى بعض مؤلفات ابن سينا الصوفية ، وقام بنشرها

(١) I. Goldziher, Le dogme et la loi de l'Islam, tr, fr. Paris, 1902

(٢) L. Massignon, La passion d'al Hossayn ibn Mansour al Hsllâj, Paris, 1922

وترجمتها [1] . كما أن البارون كارادى فو لمح لدى الفارابى نزعة صوفية واضحة [2] . إلا أن هذه الابحاث ناقصة وغير ناضجة . وعلى هذا لا زلنا نجهل أفكار فلاسفة الاسلام الصوفية كما نجهل نظرياتهم الفلسفية بالمعنى الدقيق . وكل ما نرجوه أن نكشف الغطاء عن هذه الناحية وأن نوجه الأنظار إليها

إذا شئنا أن نعرف أقدم صورة للأفكار الصوفية عند فلاسفة الاسلام ، وجب علينا أن نصعد الى أبى نصر الفارابى . فانه أول من صاغ الفلسفة الاسلامية فى ثوبها الكامل ووضع أصولها ومبادئها . نحن لا ننكر أن الكندى تنبه قبله إلى دراسة أفلاطون وأرسطو وعرض لبعض نظرياتهما بالشرح والاختصار ؛ ولكننا لا نجد لديه مذهباً فلسفياً كاملاً بكل معانى الكلمة ، بل هى نظرات متفرقة ومتعلقة بمواضيع مختلفة لا رابطة بينها [3] . أما الفارابى فقد لم هـذا الشعث وأقام دعائم مذهب فلسفى متصل الحلقات . ومن أهم أجزاء هذا المذهب وعلى قمة هذا البناء نرى نظرية صوفية امتازت بها الفلسفة الاسلامية من كثير من الفلسفات الأخرى . فالتصوف إذن قطعة من مذهب الفارابى الفلسفى لا ظاهرة عرضية كما يزعم كارادىفو . ولا أدل على هذا من أن هناك رباطاً وثيقاً يربطه بالنظريات الفارابية الأخرى نفسية كانت أو أخلاقية أو سياسية . وقد أثر هذا التصوف تأثيراً عميقاً فيمن جاء بعد من فلاسفة الاسلام

لعل أخص خصائص النظرية الصوفية التى قال بها الفارابى أنها قائمة على أساس عقلى . فليس تصوفه بالتصوف الروحى البحت الذى يقوم على محاربة الجسم والبعد عن اللذائذ لتطهر النفس وترق مدارج الكمال ، بل هو تصوف نظرى يعتمد على الدراسة والتأمل . وطهارة النفس فى رأيه لا تقصد عن طريق الجسم والأعمال البدنية فحسب ، بل عن طريق العقل والأعمال الفكرية أولاً وبالذات . هناك فضائل عملية جسمية ولكنها لا تذكر فى شىء بجانب الفضائل العقلية النظرية ، ولئن كانت

(١) A. F. Mehren, Traités mystiques d'Avicenne, voir aussi, Le Museon, t. I. II, III et IV

(٢) Carra de Vaux, al Fârâbi, dans Encyc. de l'Islam, t. II, pp. 57-59

(٣) Madkour, La place d'al Fârâbi, p, 9

الأعمال الحسنة والخلال الحميدة بعض الخير ، فالخير كل الخير في مسألة نتدارسها وحقيقة نكشفها ومعرفة تتهذب بها نفوسنا وتسمو عقولنا . وذلك أن العقل البشرى سالك سبيل رقيه وتطوره يمر بمراحل متدرجة بعضها فوق بعض . فهو في أول أمره عقل بالقوة ، فاذا ما أدرك قدراً كبيراً من المعلومات العامة والحقائق الكلية أصبح عقلاً بالفعل . وقد يتسع مدى نظره ، ويحيط بأغلب الكليات فيرقى إلى أسمى درجة يصل إليها الانسان وهي درجة العقل المستفاد أو درجة الفيض والالهام . وعلى في هذا ما يبين كيف اتصل التصوف عند الفارابي بعلم النفس ، ونظرية المعرفة

ولن يقف الأمر عند هذا الحد ، بل التصوف الفارابي متين الصلة بالنظريات الفلكية والميتافيزيقية ، فان الفارابي يتخيل نظاما فلكياً أساسه أن في كل سماء قوة روحية أو عقلاً مفارقا يشرف على حركتها ومختلف شؤونها ، وآخر هذه القوى وهو العقل العاشر موكل بالسماء الدنيا والعالم الأرضي ، فهو نقطة اتصال بين العالمين العلوى والسفلى ، وكلما اتسعت معلومات المرء اقترب من العالم العلوى ودنت روحه من مستوى العقول المفارقة ، فاذا وصل إلى درجة العقل المستفاد أصبح أهلا لتقبل الأنوار الآلهية وأضحى على اتصال مباشر بالعقل العاشر . فبالعلم والعلم وحده يمكننا أن نربط السماوى بالأرضى والالهى بالبشرى والملائكى بالانسانى ، وأن نصل إلى أعظم سعادة ممكنة . والمعرفة النظرية الميتافيزيقية هي أسمى غاية ينشدها العقل الانسانى . وإذا ما انتهينا إلى هذه المرتبة تحررت نفوسنا بتاتا من كل ما هو مادى وجسمى والتحقت بالكائنات العقلية واطمأنت إلى حالها هذه راجية أن تبقى فيها إلى النهاية

هذه هي السعادة التي تنحو نحوها الفلسفة والأخلاق ويصوب إليها النظر والعمل ويسمى إليها الانسان بدراسته وسلوكه ، هي الخير المطلق وغاية الغايات ومنتهى الرفعة الانسانية وجنة الواصلين ، يقول الفارابي : « والسعادة هي أن تصير نفس الانسان من الكمال في الوجود بحيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة ، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام ، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد ، وأن تبقى على تلك الحال دائماً أبداً ، إلا أن رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعال ، وإنما تبلغ ذلك بأفعال إرادية ، بعضها أفعال فكرية وبعضها أفعال بدنية ، وليست بأى أفعال اتفقت ، بل بأفعال محدودة مقدرة تحصل عن هيئات ما وملكات ما مقدرة محدودة . وذلك أن من الأفعال الارادية ما يعوق عن السعادة ، والسعادة هي الخير المطلوب لذاته ، وليست تطلب أصلاً ولا في وقت من الأوقات لينال بها شيء آخر ؛ وليس وراءها شيء آخر أعظم منها يمكن أن يناله الانسان . والأفعال الارادية التي تنفع في بلوغ السعادة هي الأفعال الجميلة . والهيئات والملكات التي تصدر عنها هذه الأفعال هي الفضائل ؛ وهذه ليست خيراً لذاتها ، بل لما تجلب من سعادة . والأفعال التي تعوق عن السعادة هي الشرور والأفعال القبيحة . والهيئات والملكات التي تصدر عنها هذه الأفعال هي النقائص والرذائل والخسائس [1] »

( يتبع )

ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة في كلية الآداب

(١) الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٤٧

# تطور العقلية الاسبانية

## فى تقدير تراث الأندلس

للأستاذ محمد عبد الله عنان

---

فى أوائل سنة ١٩٢٩ ، احتفلت جامعة غرناطة بذكرى الخلافة الأندلسية لمناسبة مضى ألف عام على قيامها [١] فكان أول حادث رسمى من نوعه ينم عن تطور عميق فى تقدير اسبانيا النصرانية لتراث الأندلس المسلمة

وتاريخ الاسلام فى الأندلس مرحلة باهرة فى تاريخ اسبانيا القومى ، بل أعظم مراحله وأسطعها ، فقد لبث العرب فى اسبانيا زهاء ثمانية قرون أنشأوا فيها أعظم حضارة عرفت فى العصور الوسطى ، وكانت وحدها مدى هذه العصور مورد النور والعرفان لأمم الشمال ؛ وأخرج المسلمون من اسبانيا بعد أحقاب من الكفاح المتواصل ، فتركوا فى اسبانيا طابعهم الخالد ؛ وما زالت آثارهم الباقية تشهد بعظمة عصرهم وحضارتهم ؛ وما زالت الحياة الاجتماعية الاسبانية تنم فى كثير من نواحيها عن تأثير العرب ورسومهم وتقاليدهم

ولكن اسبانيا النصرانية لم تقنع بسحق الأندلس المسلمة ، واستعادة آخر بقعة للاسلام فى اسبانيا ، بل رأت غداة ظفرها أن تطارد الاسلام بكل ما وسعت ، وأن تمحو كل رسومه وآثاره من صفحة حياتها ، وأن تدفن ذلك الماضى المجيد إلى الأبد ، وأن تعتبره محنة قومية نزلت بها ، وأن تمحوه من صحف تاريخها القومى ؛ وتأثر التفكير الاسبانى بأهواء السياسة المتعصبة ، فأشبع بهذه الروح المجحفة ؛ ولبث الأدب الاسبانى عصورا يشيع بلعناته المتواصلة عصر الاسلام وتراثه ، وكل ذكرياته ؛ ولم ينج التاريخ من هذه النزعة المغرضة ، فطغى التعصب على المرحلة الاسلامية من تاريخ اسبانيا القومى ؛ وكتب المؤرخون الأسبان تاريخ العرب فى اسبانيا بروح عميق من التحامل ، وجعلوا جل اعتمادهم على الروايات النصرانية القديمة التى تفيض بمختلف الأكاذيب والتهم ، ولم يفكروا فى مراجعة المصادر الاسلامية والانتفاع بها ؛ ذلك أن اسبانيا النصرانية أصدرت منذ غداة ظفرها حكمها على المغلوب ، ولم ترد بعد ذلك أن تسمع صوتاً للأندلس الذاهبة ، أو أن تراجع ذلك التراث الذى تعتبره رجساً ، وترى فيه عنوان عصور مشئومة ، مليئة بالمحن القومية

وبهذه الروح كتب أكابر المؤرخين الأسبان تاريخ اسبانيا ، فكتب ماريانا فى عصر شارلكان تاريخ اسبانيا العام ، وخصص منه مجلدين كبيرين لتاريخ الأندلس ، ولكنه كان متحيزا متحاملاً يغدق المطاعن والتهم على العرب وعصور الاسلام ؛ وحذا حذوه من جاء بعده من المؤرخين ؛ وطبعت مؤلفاتهم جميعاً بهذا الطابع المغرض ؛ وكانت السياسة الاسبانية تحرص دائماً على حجب آثار العصر الاسلامى ، وتخفيها عن كل باحث ومتطلع ، كأنما كانت تخشى أن تؤثر روح التفكير الاسلامى فى تفكير اسبانيا النصرانية ، وهى لم تدخر وسعاً فى مطاردة هذا الروح وقتله ؛ ولبثت الآثار الاسلامية عصوراً مقبورة فى أقبية الأسكوريال المظلمة ، وكانت حتى أواخر القرن السابع عشر تبلغ زهاء عشرة آلاف مجلد جمع معظمها أيام سقوط غرناطة ، وضمت اليها بعد ذلك نحو ثلاثة آلاف مجلد كانت للسلطان زيدان السعدى ملك مراكش ؛ وكانت مشحونة فى مركب مغربى لتنقل إلى بعض ثغور المغرب خوفاً على ضياعها أثناء الفتنة ، فأسرتها بعض المراكب الاسبانية وحملت شحنتها إلى اسبانيا [١] ؛ وفى أواخر القرن السابع عشر أصابت هذه البقية الباقية من تراث الأندلس محنة أليمة ، إذ شبت النار فى الأسكوريال والتهمت معظم هذا الكنز الفريد ، ولم ينقذ منه سوى ألفين . عندئذ استفاقت الحكومة الاسبانية من سباتها ؛ وحررت ذهنها بعض الشىء من ذلك التعصب العميق الذى صرفها عصوراً طويلة عن العناية بهذا التراث ، واستدعت من رومة حبرا شرقياً وعلامة لغوياً كبيراً هو ميشيل الغزيرى اللبنانى الذى يعرف فى الغرب باسم

---

(١) اتخذ عبد الرحمن الناصر سمة الخلافة فى سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) وقامت فى قرطبة خلافة أموية ، إلى جانب خلافة بغداد فى المشرق

(١) وقع هذا الحادث فى أواخر عهد فيليب الثالث ملك أسبانيا حوالى سنة ١٦٢٠ م

( كازيرى ) Casiri ، وعهدت اليه بدرس الآثار العربية ووضع فهرس جامع لها ؛ فلبث الغزيرى أعواماً طويلة يدرس وينقب فى تلك المخطوطات حتى أتم المهمة ، وأخرج فى سنة ١٧٦٠ باللاتينية فهرسه الجامع بعنوان « المكتبة العربية الاسبانية فى الأسكوريال » Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis وصدر كازيرى معجمه بمقدمة طويلة شرح فيها قيمة المخطوطات العربية وأهميتها ، ونقل فى فهرسه نبذا كثيرة من بعض الآثار الهامة ؛ فأثار ظهور هذا الفهرس الجامع لأول مرة اهتماماً كبيراً فى دوائر البحث والتفكير ، ولفت نظر المؤرخين الاسبان إلى تلك الناحية الهامة من تاريخ اسبانيا القومى ، وإلى تلك المراجع النفيسة التى تلقى أعظم ضوء على تاريخ الأندلس وأحوال المجتمع الاسلامى ؛ وعنى طائفة من الباحثين فى أواخر القرن الثامن عشر مثل أندريس وماسدى ببحث المصادر العربية والانتفاع بها ، والاقتباس منها ؛ وأخرج أندريس كتابه عن (أصول الأدب) وأخرج ماسدى مؤلفه الجامع عن تاريخ اسبانيا والحضارة الاسبانية Historia Critica de Espana y de la Cultura espanola وفيه نبذ شائقة عن المجتمع الاسلامى ونواحى التفكير الاسلامية مستمدة من المراجع العربية ؛ وهكذا بدأ تطور الروح الاسبانية فى تقدير التراث الاسلامى ، وظهر صوت الأندلس المسلمة لأول مرة فى التواريخ العامة والخاصة

على أن هذا التطور المحمود من التحامل والتعصب إلى جانب الروية والانصاف لم يقف عند هذا الحد ، ففى أوائل القرن التاسع عشر عمد المؤرخ يوسف كوندى أمين مكتبة أكاديمية مدريد إلى دراسة المراجع العربية فى الاسكوريال دراسة مستفيضة ورأى أن يكتب تاريخ أسبانيا المسلمة بصورة جديدة هى الصورة التى تقدمها إلينا المراجع العربية ، أو بعبارة أخرى رأى أن يكتب تاريخ الأندلس كما يعرضه تراثها العربى ، وكانت نتيجة هذه الدراسة كتابه الشهير « تاريخ دولة العرب فى أسبانيا » Historia de la Dominacion de Los Arabos en Espana الذى صدر الجزء الأول منه سنة ١٨١٠ ؛ وتوفى كوندى فى نفس العام ، فنشر الجزءان الباقيان من مخطوطاته فى العام التالى ؛ وليس مؤلف كوندى قوياً من الناحية النقدية ، لأن مؤلفه ينقل مختلف الروايات العربية دون تمحيص ، ولأنه يقع فى كثير من الأخطاء التاريخية التى ترجع فى الغالب إلى عدم الدقة فى النقل ؛ ومع ذلك فانه يمتاز بالصراحة الجمة حتى أن كوندى يذهب فى كثير من المواطن إلى إصدار أشد الأحكام على أمته ومواطنيه خصوصاً فى الحوادث التى اقترنت بسقوط غرناطة ، واضطهاد الأسبان للعرب ومطاردتهم وإرغامهم على التنصير ، ثم إخراجهم بعد ذلك من أوطان آبائهم وأجدادهم فى غمر من الفظائع والدماء ؛ وأهمية مؤلف كوندى فى أنه يعرض للغرب لأول مرة أقوال الرواية العربية مستمدة من مصادرها الأصيلة ، ومنها تعرف وجهة النظر الأندلسية فى كثير من الحوادث والشؤون

وكان صدور مؤلف كوندى حادثاً فريداً فى كتابة التاريخ الأسبانى ، وكان أول مؤلف من نوعه يسجل كلمة الأندلس فى المرحلة التى قطعتها من تاريخ اسبانيا القومى ، ويسجل فى نفس الوقت بدء عهد جديد من حرية البحث والتقدير ؛ ومن الغريب أن كتاب كوندى صدر فى نفس الوقت الذ صدر فيه أثر تاريخى آخر كان لصدوره أعظم وقع فى اسبانيا وفى أوربا ، وهو كتاب الدون انتونيو لورنتى عن تاريخ محاكم التحقيق ( التفتيش ) الأسبانية ، وعن نظمها واجراءاتها الدموية ، وفيه يورد مؤلفه طائفة عظيمة من الوثائق الرسمية التى تكشف عن فظائع هذه المحاكم الشائنة ، وخصوصاً فى مطاردتها للعرب والعرب المتنصرين ، ويورد فى نفس الوقت طائفة كبيرة من القضايا والمحاكمات الخاصة بالعرب المتنصرين مستمدة من وثائقها الأصلية ؛ وكان كتاب لورنتى فتحاً جديداً فى هذه الناحية من تاريخ العرب المتنصرين . وكان لصدوره وقع عظيم فى أوربا ، خصوصاً وأن مؤلفه من أكابر رجال الدين والكنيسة ، وقد لبث أعواماً طويلة سكرتيراً عاماً لديوان التحقيق ( التفتيش ) واستطاع أن يستخرج وثائقه من محفوظات الديوان الرسمية ذاتها

وفى أواسط القرن التاسع عشر عنى العلامة المستشرق الأسبانى دون باسكوال دى جاينجوس بدراسة المصادر العربية فى تاريخ الأندلس ، وقام بترجمة القسم الأول من كتاب « نفح الطيب » للمقرى إلى الانكليزية مع بعض التصرف وسماه « تاريخ الدول الاسلامية فى اسبانيا » History of Mohamedan Dynasties in

Spain ؛ وظهرت هذه الترجمة فى لندن سـنة ١٨٤٠ فى مجلدين كبيرين مقرونة بملاحظات ومقارنات نقدية قيمة ؛ ولم تمض أعوام قلائل على ذلك حتى صدرت فى ليدن ترجمة فرنسية لهذا القسم الأول من كتاب المقرى بقلم المستشرقين دوزى ودوجا تحت عنوان « مختارات فى تاريخ وآداب العرب فى اسـبانيا » Analectes sur l'Histoire et la littérature des Arabes d'Espagne (سنة ١٨٥٥ _ ١٨٦١)

وهكذا وقفت اسبانيا ، ووقف الغرب ، بعد عصور طويلة من النسيان والتحامل على وجهة النظر الاسـلامية فى التاريخ الأندلسى ، وسقط ذلك الحجاب الـكثيف الذى ضربته السياسة الأسبانية مدى ثلاثة قرون على تراث الأندلس وآدابها ، وتطورت فكرة التاريخ الأسبانى ومادته ، وأدرك المؤرخون المحدثون أهمية المرحلة الاسلامية فى تاريخ اسـبانيا القومى ، وعدلوا كثيراً من الآراء والأحكام المجحفة التى أصدرها المؤرخون القدماء نزولا على مؤثرات الجهل والتعصب القومى والدينى والسياسى

ونرى فى أواخر القرن التاسـع عشر جماعة من أعلام المستشرقين الأسـبان يبذلون جهداً عظيما فى نشر مجموعة كبيرة من المصادر الأندلسية الجليلة التى تحتويها أروقة الأسكوريال ، باسم المـكتبة الأندلسية ، وهى مجموعة نفيسة فى عشرة مجلدات ، تحتوى على عدة كتب لابن بشكوال ، وابن الآبار ، والضبى ، وابن الفرضى ، وأبو بكر الاشبيلى ، وتعليقات وفهارس مفيدة . وقد ظهرت المجموعة بين سـنتى ١٨٨٥ و ١٨٩٤ فى مدريد وسرقسطة ، وكان الجهد الذى بذل فى إخراجها تحية جديدة من اسبانيا الجديدة لتراث العرب والاسلام فى الأندلس

وأخيراً توجت تلك الجهود الحرة الموفقة لبحث الصلات والعلائق القومية بروح الانصاف والنزاهة ، بقيام جامعة غرناطة بالاحتفال بالذكرى الألفية للخلافة الأندلسية وعصرها الباهر ، وهى خطوة كان لها أعظم وقع فى اسبانيا وفى العالم الاسلامى

وهكذا يتبوأ تاريخ الأندلس وتراث الاسلام فى اسبانيامكانته الحقة فى التاريخ القومى ، وفى الآداب التاريخية الغربية ، بعد عصور طويلة من التعصب والتحامل والنسيان

**محمد عبد الله عنان**

بين عالمين

# نظام الطلاق فى الاسلام

## للأستاذ أحمد محمد شاكر

منذ بضعة أشهر أخرجت كتابى (نظام الطلاق فى الاسلام) فتقبله العلماء الأعلام فى مصر وفى سائر الأقطار بقبول حسن والحمد لله ، وأكثروا من الثناء عليه وعلى مؤلفه ، وجاءتنى كتب متواترة من كبار علماء الاسلام فى الحجاز والهند والعراق والشأم وغيرها ، ومن كبار المستشرقين فى أقطار أخرى ، ولا أرانى أهلاً لـكل ما أثنوا به علىّ ، وإنما هو حسن الظن منهم ، وقد أعجزنى أن أوفيهم حقهم من الشكر على هذا الفضل الجمّ ، وأسأل الله أن يجزل لهم المثوبة على فضلهم

وفى بعض ما جاءنى من الـكتب أبحاث قيمة من النقد العالى المبنى على الحجة والبرهان ، مما يصلح أن يكون مثالاً يحتذى للباحثين المجتهدين ، فى دقة النظر ، وعلو الفكر ، وأدب القول ، والتسامى عن العصبية والهوى ، والتزام ما ينصره الدليل الصحيح ؛ وهى الخصال التى نرجو أن يسير على نهجها كل عالم مفيد ، وكل طالب مستفيد ، وخصوصاً فى عـلوم الدين . وهى الخصال التى جاهد أسلافنا فى سبيل حمل الناس على الأخذ بها واتباعها ، ثم تبعناهم من بعدهم ، فجاهد اخوانى وجاهدت معهم فى سبيل ذلك جهادا كثيراً ، منذ نيف وعشرين سنة ، ولا نزال — والحمـــد لله — نسير على هذا النهج القويم ، والصراط المستقيم

ومما يجب علىّ ، إحقاقا للحق ، واتباعا لسبيل الهدى ، أن أفكر فيما ورد على كتابى من اعتراض ونقد ، وأعيد النظر فيما اخترتُ ورأيتُ ، وأكشف عن حجة خصمى وعن حجتى ، لى وللناظرين : فاما انتصر قول خصمى ورجعتُ عن قولى ، وإما انتصرتُ لقولى وزدته بياناً وتأييداً ، لا أبالى أى ذينك كان ، وإنما أنا طالب علم ، فأى قول أو رأى نصره عندى الدليل فانه العلم الذى أطلبه وأسعى اليه ، لا أبغى به بدلاً

ولذلك رأيت أن أنشر فى (الرسالة) الغراء — مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية — ما أراه جديراً بالنشر مما جاءنى من نقد واعتراض ، وأساجل كاتبيه البحث ، أملاً فى أن يشترك معنا كثير من العلماء الأعلام فى هذا المجال ، علنا نصل إلى الحقيقة فيما كان موضع اختلاف ونظر . وقديماً قال الناس : الحقيقة بنت البحث .

ومن أشرف ما وصل إلىّ وأعلاه : كتاب كريم من صديق الكبير وأستاذى الجليل ، شيخ الشريعة ، وإمام مجتهدى الشيعة ، بالنجف الأشرف ، العلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ؛ فقد تفضل — حفظه الله — بمناقشة رأيى فى مسئلة من مسائل الكتاب ، وهى (مسئلة اشتراط الشهود فى صحة مراجعة الرجل مطلقته) ، فاننى ذهبت إلى اشتراط حضور شاهدين حين الطلاق ، وأنه إذا حصل الطلاق فى غير حضرة الشاهدين لم يكن طلاقاً ولم يعتدّ به . وهذا القول وإن كان مخالفاً للمذاهب الأربعة المعروفة إلا أنه يؤيده الدليل ، ويوافق مذهب الأئمة أهل البيت والشيعة الامامية . وذهبت أيضاً إلى اشتراط حضور شاهدين حين المراجعة ، وهو يوافق أحد قولين للامام الشافعى ، ويخالف مذهب أهل البيت والشيعة . واستغربت من قولهم أن يفرقوا بينهما ، والدليل واحد فيهما ، فرأى الأستاذ — بارك الله فيه — أن يشرح لى وجهة نظرهم فى التفريق بينهما فقال :

***

بسم الله الرحمن الرحيم . وله الحمد والمجد

من النجف الأشرف ٨ صفر سنة ١٣٥٥ الى مصر

لفضيلة الأستاذ العلامة المتبحر النبيل الشيخ أحمد محمد شاكر المحترم أيده الله

سلامة لك وسلام عليك . وصلتنى هديتك الثمينة رسالة (نظام الطلاق فى الاسلام) ، فأنعمت النظر فيها مرةً بل مرتين إعجاباً وتقديراً لما حوته من غور النظر ، ودقة البحث ، وحرية الفكر ، وإصابة هدف الحق والصواب . وقد استخرجتَ لباب الأحاديث الشريفة ، وأزحت عن محيا الشريعة الوضاءَة أغشية الأوهام ، وحطمت قيود التقاليد القديمة وهيا كل الجمود بالأدلة القاطعة ، والبراهين الدامغة . فحياك الله ، وحيا ذهنك الوقاد ، وفضلك الجمّ

وأمهات مباحث الرسالة ثلاث : (١) طلاق الثلاث (٢) الحلف بالطلاق والعتاق (٣) الاشهاد على الطلاق

وكل واحدة من هذه المسائل الثلاث قد وفيتها حقها من البحث ، وفتحت فيها باب الاجتهاد الصحيح على قواعد الفنّ ومدارك الاستنباط القويم من الكتاب والسنة . فانتهى بك السير على تلك المناهج القويمة الى مصاص الصواب ، وروح الحقيقة ، وجوهر الحكم الالهى ، وفرض الشريعة الاسلامية

وقد وافقت آراؤك السديدة فى تلك المسائل ما اتفقت عليه الامامية من صدر الاسلام الى اليوم ، لم يختلف فيها منهم اثنان ، حتى أصبحت عندهم من الضروريات ، كما اتفقوا على عدم وجوب الاشهاد فى الرجعة ، مع اتفاقهم على لزومه فى الطلاق ، بل الطلاق باطل عندهم بدونه

وقد ترجح عندك قول من يقول بوجوب الاشهاد فيهما معاً . فقلت فى صفحة (١٢٠) ما نصه : « وذهبت الشيعة الى وجوب الاشهاد فى الطلاق وأنه ركن من أركانه ، كما فى كتاب شرائع الاسلام . . . . ولم يوجبوه فى الرجعة . والتفريق بينهما غريب ولا دليل عليه » انتهى

وفى كلامك هذا (أيدك الله) نظرٌ أستميحك السماح فى بيانه ، وهو أن من الغريب حسب قواعد الفنّ مطالبةَ النافى بالدليل والأصل معه ! وإنما يحتاج المثبت إلى الدليل . ولعلك (ثبتك الله) تقول قد قام الدليل عليه ، وهو ظاهر الآية ، بناءً على ما ذكرته فى صفحة (١١٨) حيث تقول : « والظاهر من سياق الآيتين أن قوله : (وأشهدوا) راجع إلى الطلاق وإلى الرجعة معاً » إلى آخر ما ذكرت ، وكأنك (أنار الله برهانك) لم تمعن النظر هنا فى الآيات الكريمة ، كما هى عادتك من الامعان فى غير هذا المقام ، وإلا لما كان يخفى عليك أن السورة الشريفة مسوقة لبيان خصوص الطلاق وأحكامه ، حتى إنها قد سميت بسورة الطلاق ، وابتدأ الكلام فى صدرها بقوله تعالى : (إذا طلقتم النساء) ثم ذكر لزوم وقوع الطلاق فى صدر العدة ، أى لا يكون فى طهر المواقعة ولا فى الحيض ، ولزوم إحصاء العدة وعدم إخراجهن من البيوت ، ثم استطرد إلى ذكر الرجعة فى خلال بيان أحكام الطلاق ، حيث قال عز شأنه : (فاذا بلغن أجلهن

فأمسكوهن بمعروف ) أى إذا أشرفن على الخروج من العدة فلكم إمساكهن بالرجعة أو تركهن على المفارقة ، ثم عاد إلى تتمة أحكام الطلاق فقال : ( وأشهدوا ذوى عدل منكم ) أى فى الطلاق الذى سيق الكلام كله لبيان أحكامه ، ويستهجن عوده الى الرجعة التى لم تذكر إلا تبعاً واستطراداً . ألا ترى لو قال القائل : إذا جاءك العالم وجب عليك احترامه وإكرامه وأن تستقبله ، سواء جاء وحده أو مع خادمه أو رفيقه ويجب المشايعة وحسن الموادعة ، فانك لا تفهم من هذا الكلام إلا وجوب المشايعة والموادعة للعالم ، لا له ولخادمه ورفيقه ، وإن تأخرا عنه . وهذا لعمرى حسب قواعد العربية والذوق السليم جلىٌّ واضح ، لم يكن ليخفى عليك ، وأنت خِرِّيتُ العربية ، لولا الغفلة ( والغفلات تعرض للأريب )

هذا من حيث لفظ الدليل وسياق الآيات الكريمة

وهنالك ما هو أدق وأحق بالاعتبار من حيث الحكمة الشرعية والفلسفة الاسلامية وشموخ مقامها ، وبعد نظرها فى أحكامها . وهو : أن من المعلوم أنه ما من حلال أبغض الى الله سبحانه وتعالى من الطلاق ، ودين الاسلام كما تعلمون – جمعىٌّ اجتماعىٌّ – لا يرغب فى أى نوع من أنواع الفرقة ، سيما فى العائلة والأسرة ، وعلى الأخص فى الزيجة ، بعد ما أفضى كل منهما إلى الآخر بما أفضى . فالشارع بحكمته العالية يريد تقليل وقوع الطلاق والفرقة ، فكثَّر قيوده وشروطه ، على القاعدة المعروفة من أن الشىء إذا كثرت قيودُه ، عَزَّ أو قلَّ وجودُه ، فاعتبر الشاهدين العدلين للضبط أولاً ، ولحصول الأناة والتأخير ثانياً ، وعسىَ إلى أن يحضر الشاهدان ، أو يحضر الزوجان أو أحدهما عندهما يحصل الندم ويعودان الى الألفة ، كما أشير اليه بقوله تعالى ( لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ) وهذه حكمة عميقة فى اعتبار الشاهدين ، لا شك أنها ملحوظة للشارع الحكيم ، مضافاً الى الفوائد الأخر

وهذا كله بعكس قضية الرجوع : فان الشارع يريد التعجيل به ، ولعل للتأخير آفات ، فلم يوجب فى الرجعة أى شرط من الشروط . وتصح عندنا – معشر الامامية – بكل ما دل عليها من قول أو فعل أو اشارة ، ولا يشترط فيها صيغة خاصة ، كما يشترط فى الطلاق . كل ذلك تسهيلاً لوقوع هذا الأمر المحبوب للشارع الرحيم بعباده ، والرغبة الأكيدة فى ألفتهم وعدم تفرقهم . وكيف لا يكفى فى الرجعة حتى الاشارة ولمسها ووضع يده عليها بقصد الرجوع ، وهى – أى المطلقة الرجعية – عندنا ، معشر الامامية ، لا تزال زوجةً إلى أن تخرج من العدة ، ولذا ترثه ويرثها ، وتغسله ويغسلها ، وتجب عليه نفقتها ، ولا يجوز أن يتزوج بأختها وبالخامسة ، الى غير ذلك من أحكام الزوجية

فهل فى هذا كله مقنع لك فى صحة ما ذهبت اليه الامامية من عدم وجوب الاشهاد فى الرجعة بخلاف الطلاق ؟ ! فان استصوبته حمدنا الله وشكرناك ، وإلا فأنا مستعد للنظر فى ملاحظاتك وتلقيها بكل ارتياح ، وما الغرض إلا إصابة الحقيقة ، واتباع الحق أينما كان ، ونبذ التقليد الأجوف ، والعصبية العمياء ، أعاذنا الله وإياك منها ، وسدد خطواتنا عن الخطأ والخطيئات ، ان شاء الله ، ونسأله تعالى أن يوفقكم لأمثال هذه الآثار الخالدة ، والأثريات اللامعة ، والمآثر الناصعة ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ، ولكم فى الختام أسنى تحية وسلام من

*محمد الحسين آل كاشف الغطاء*

*ملاحظة* : ومن جملة المسائل التى أجدتَ فيها البحث والنظر : مسئلة بطلان طلاق الحائض ، وقد غربلتَ حديث ابن عمر بغربال الدقيق ، وهذه الفتوى أيضاً مما اتفقت عليها الامامية ، وهى بطلان طلاق الحائض إلا فى موارد استثنائية معدودة .

* * *

هذا هو نص كتاب الأستاذ شيخ الشريعة ، لم أحذف منه شيئاً ، إلا كلمة خاصة لا علاقة لها بالموضوع ، وإنما هى عن تفضله باهداء بعض كتبه إلىَّ . وسأحاول أن أبين وجهة نظرى ، وأناقش أستاذى فيما رآه واختاره ، بما يصل اليه جهدى فى عدد قادم ، إن شاء الله .

*أحمد محمد شاكر*

القاضى الشرعى

# ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

(تنبيه : الكلام خيالى ولا أصل له ، كما ملت أن أقول وأؤكد فى كل مرة)

— ٤ —

غضبت علينا ذات الثوب الأرجوانى ... وما أعرف لى ذنباً جنيته إلا النظر ، وما أحسبها تريد أن تحرم هذا علينا أو تكرهه منا . وأين المرأة التى يسوءها أن ينظر الرجال اليها ويعجبوا بها ويفتتنوا بحسنها ؟ أو يسرها أن ينصرفوا عنها ولا يبالوها ولا يعنيهم أبقيت بينهم أو أمامهم ، أم اختفت عن عيونهم ؟ إن إتباعَ النظرةِ النظرةَ ثناءٌ صامت . والثناء قوت المرأة — وخمرها أيضاً — وقد ترى نساء يسوءهن النظر اليهن لسبب غير راجع إلى وحى الطبيعة فى نفوسهن ، فيرتبكن ويضطربن ، وتضيق الدنيا فى وجوههن ويشق عليهن ذلك حتى ليكبر فى وهمهن أنهن جنينه على أنفسهن وأثرن فضول الرجال . ولكن حتى هؤلاء لا يكرهن الثناء ، بل تشرق له وجوههن ، وتنشرح صدورهن ، إلا إذا جاوزت الاطراء إلى ما هو خليق بسبب نشأتهن أن يزعجهن . وقد كنت مرة أتعلم الفرنسية وأتلقى دروساً فيها على فتاة أمها روسية وأبوها نمسوى ، فاستغربت بعد بضعة أيام أنها تلقانى متجهمة ! وبدا لى أنها تستثقل الدرس والتلميذ ، فشكوت إلى صديق وقلت له : إن معلمتى لا تكف عن النفخ ، وأنها طول الدرس تتأفف ، وإنى أريد أن أبحث عن معلمة أخرى ، فلست أطيق هذا الضجر الذى لا تنفك تواجهنى به . فقال : « لا تفعل » . قلت : «ولكنى لا أستطيع الصبر على هذه الحال» . قال : «لك العذر ، ولكن ضاحكها وعابثها ... اثن على حسنها ... غازلها برفق ، أى من غير أن تخرج عن حدود الأدب» . فوعدته أن أجرب ذلك . وقد كان . أقبلت عليها فأقبلت علىّ ، وصارت تهش لى وتبش ، وأصبحت تلميذها الأثير . وكان لى زميل يتلقى عليها دروساً فى وقت آخر ، وكان مثلى قبل أن يرشدنى صديقى ، أى أنه كان معها كأنها معلم بلحية لا معلمة مدللة بجمالها وشبابها ، فكان إذا جاء تعبس وتقول : فلينتظر ! فأقول لها : «بل أخرج أنا لئلا يغضب فيضيع عليك درسه» ، فتقول : «دعه يغضب ... إنه يملنى ويزهق روحى» . وكان اسمه «عثمان أفندى» فصرنا — هى وصديقى الذى علمنى وأنا — نطلق اسم «عثمان أفندى» على كل من نراه بليدا جامدا فى حضرة النساء

وأعود إلى ذات الثوب الأرجوانى فأقول إنها كانت راضية عنى . وآية رضاها أنها ظلت أياماً لا تبدو لى إلا فى ثوب أرجوانى . وكنت لا أراها إلا خفيفة مرحة ، واذا بها — فجأة — تخرج إلى الشرفة فى صباح فلا تكاد ترانى حتى تنثنى راجعة ، فأعجب وأتساءل : « ما لها ؟ ... » ولا أجد جواباً لسؤالى ، فأهز كتفى وأقول : « سترى » ، ولكنى لا أرى بعد ذلك إلا الاعراض والنفور وطول الاحتجاب ، فلا يسعنى إلا أن أعرض أنا أيضاً ، وأن أظهر قلة المبالاة ؛ فلا أفتح النافذة ولا أطل منها إذا كانت مفتوحة ، ولا أنظر اليها إذا طلعت ، فان فى طبعى عنادا ، وأنا مفطور عليه وعلى المجازفة ، ولست أعرفنى اكترثت للعواقب حين يستفزنى شىء . وما أكثر ما أخسر بسبب ذلك . ولكنى أستطيع أن أكبح ثورة نفسى ولا أستطيع أن أصرفها عن الزهد . وما عجزت قط — إلا فى الندرة القليلة — عن ضبط عواطفى وصد نفسى عن الاندفاع ، ولكنى أرانى عاجزاً عن علاج نفسى إذا انصرفت عن الشىء وحملها على الاقبال عليه مرة أخرى . وقد كانت أمى تقول إن قلبى أسود ، وكانت تعنى بذلك أنى لا أنسى الاساءة ؛ على أنى لا أنسى المعروف أيضاً ولا أجحده ، فأنا كما يقول ابن الرومى : « للخير والشر بقاء عندى» ، وقد صدق فانا من طينة الأرض ، « والأرض مهما استودعت تؤدى » . وما أساء إلىّ أحد إلا نازعتنى نفسى أن أنتقم منه ، ولكنى لا أزال أحاورها وأداورها حتى أقنعها بأن الدنيا تغيرت ، وأن أخلاق البدو لا تصلح فى هذا العصر المتحضر ، وأن الناس لا يقتل بعضهم بعضاً فى هذا الزمان من أجل تمرة أو من جراء كلمة يسبق بها اللسان ، حتى تسكن وتكتفى بالانصراف

وجلست أحاسب نفسي وأسائلها عن ذات الثوب الأرجواني ما خطبها ؟ . ولِمَ تبدى لي هذا النفور ؟ . أتراها تتكلفه ؟ . ألعل أهلها قد أغاظوا لها وضيقوا عليها فرأت أن تخفف عن نفسها وتعفيها من ثقـل تدخلهم بالاحتجاب ؟ . ألا يجوز أن يكونوا قد كرهوا مني طول النظر اليها فكلموها في ذلك فلم يسعها إلا أن تكف عن الظهور ؟ . جائز ! ! ولـكن من الجائز أن أكون قد صنعت شيئاً أغضبها . . ومن الحزم على كل حال أن أعرض أنا أيضاً الى حين ، حتى تسكن الثورة التي لعلها ثارت في بيتها وبين أهلها . . ولـكن من الانصاف أيضاً أن أحاسب نفسي قليلاً . . فتعال هنا . . اخل بنفسك واجتهـد أن تتذكر . .

فتذكرت . . . ذلك أني كنت يوماً في حجرتي فزارني صديق : وكان الجو حاراً جداً ففتحت له النوافذ جميعاً ، فقال لي بعد برهة : « أنظر . . » فسألته « ماذا ؟ » قال «هذه النافذة . . ألا ترى الفتاة التي تبدو منها ؟ » قلت : « إنك بعيد النظر . . وأنا أعترف أني لا أرى فتاة وإنما أرى ذراعاً » قال : « هـذا ماأعني . . لا يبدو منها الآن إلا ذراعها ولـكنها كانت منذ لحظة تطل علينا وتنظر إلينا » . قلت : « جائز . . كل شيء جائز . . صحيح إن العمارة التي نحن فيها سبع طبقات . . أو عشر . . لا أدري . . وفي كل طبقة شقق كثيرة . . ولـكل شقة نوافذ وشرفات لم أعدها . . وقد يكون في بعض هذه النوافذ والشرفات التي لا نراها رجال يطلون منها . . ولـكن المعقول أن الفتاة التي لا أزال لا أرى منها غير ذراعها — تنظر إلينا نحن دون هذا الخلق الذي لعله في الشرفات والنوافذ ونحن لا ندري

قال : « لا تمزح . . إن نظرتها إلينا نحن . . وهل يخفى اتجاه النظر ؟ »

قلت : « مايدريني ويدريك ؟ . ألا يمكن أن تكون حولاء ؟؟ تعرف كيف ينظر الأحول ؟؟ تكون عينه عليك ولـكنه لا يراك بل يرى الذي الى اليمين أو الى اليسار . . أليس هذا جائزاً ؟ »

قال : حولاء ؟ ؟ كلا ! ! من قال هذا ؟ ؟ كلام فارغ ! ! إن عينيها جميلتان جداً »

قلت : « معذرة ! إني — كما تعلم — لم أر سوى ذراعها . . وعهدي بالعيون تكون في الوجوه لا في الذراع . . وأظن أن هذا النظام لا يزال هو المتبع في الخلق . . . على كل حال لم أر عينيها الجميلتين . . . »

قال : « والله إنها تنظر إلينا »

قلت : « صادق . . صادق . . . هذه أصابعها تنقر على حافة النافذة ولا شك أنها تعنينا الآن . . »

فقال : « دع المزاح بالله . . أنظر . . أنظر . . »

فنظرت . . وكففت عن المزح بلا حاجة الى زجر آخر . . وكانت الفتـاة سمراء — لا بيضاء كذات الثوب الأرجواني — وكانت نظرتها إلينا — لا شك في ذلك — والرجل يدير رأسه أن يرى امرأة تُشْتَرِه النظر ولا تكاد تحول عينها عنه . فاذا كنت قد نهضت الى النافذة وأخرجت رأسي منهـا ورحت أحدق في هذه السمراء الجميلة التي تقبل علينا ولا تعرض عنا أو تتدلل علينا ، فأظن أن لي العذر . . ومن أين لي أن أعرف أن ذات الثوب الأرجواني كانت واقفـة في هـذه اللحظة وأنها كانت تراعيني وتراقبني ؟ ؟ ولو كنت أعرف ذلك لمـا صدني عن النظر ، فان حبي لذات الثوب الأرجواني ليس معناه أني عميت وأن عيني لا تستطيع أن ترى غيرها وأني فقدت القـدرة على الاعجاب بالجمال في مظاهره المختلفة . ولـكن المرأة أمرها غريب ، وإني لأذكر أني كنت راكبا مع فتـاة من صـديقاتي — وكنت أنا السائق كما لا أحتاج أن أقول — فرأيت فتاة جميلة واقفة على الرصيف فتمهلت لأنظر اليها ، وإذا بصديقتي تقرص أذني فصرخت فقالت : «هذا جزاؤك» فسألتها : « ماذا صنعت ؟ . . بأي شيء أستحق أن تقطعي لي أذني ؟ ؟ . وكيف أستطيع أن أسمع صوتك الحلو بعد ذلك » فقالت « ابق اسمع صوت التي كنت تنظر اليها الآن » قلت « مالها ؟ . . ألا تعجبك ؟ . ألا تربنها جميلة ؟ » فعادت الى القرص ، وعدت الى الصراخ ، حتى كدت أستنجد بالمارة . وقد ساء رأي صاحبتي في بعد ذلك ، وصارت كلما ركبت معي تشترط ألا أنظر لا يمينا ولا شمالا ، فأقول : « ولـكن لماذا ؟ ما الضرر من النظر والتلفت ؟ ثم كيف أستطيع أن أثبت عيني في اتجاه واحـد وقد خلق الله لي عينين تتحركان ولا تثبتان ؟ » فلا تجيب عن السؤال وإنما

تروح تهددنى وتتوعدنى فأخاف فان لها قرصا حاميا وأنا جلدى رقيق. ولـكنى لا أفهم هذا التحكم من المرأة. وما أكثر ما قلت لاحداهن وقد أغضبها أن لى عيناً ترى وقلباً لا يسعه إلا أن يحس « يا ستى إن لك حـديقةَ زهر. وفيها الفل والياسمين والورد الأحمر والأبيض والنرجس وما لا أدرى أيضاً. وأنتن يا نساء كالزهور .. فلماذا تريدين ألا تكون فى حديقتى إلا حواء واحدة؟ »

فتقول: « بالله دع هذه الفلسفة السخيفة ... ثم إنى أكره المـكايدة »

فأؤكد لها أنى لا أقصد الى المـكايدة، وأقول: « نعم إن حواء واحدة مصيبة ... وثق أن غلطة أبينا آدم هى أن جنته لم يكن فيها إلا هذه الحواء المفردة .. ولو كان فيها سواها .. عشر مثلا أو عشرون .. لما خرج من الجنة »

فتثور بى وتذهب وتعدو ورائى فأضع ذيلى بين أسنانى وألوذ بالفرار »

وما أشك فى أن ذات الثوب الأرجوانى أسخطها علىّ نظرى الى السـمراء. وما تعنينى السمراء لو علمت. ولـكنها المرأة لاتعرف إلا نفسها ولا ترضى عما تسميه « العين الزائغة » وهى تشعر بالمنافسة من كل امرأة مثلها، ولا تستطيع أن تفسر النظر الى امرأة غيرها إلا بأنه تفضيل لهذه الأخرى عليها ولو كانت واثقة من حب بعلها أو رجلها. كنت مرة أتنزه فى إحدى الحدائق مع صديقة فقالت « هل نركب زورقاً؟ » فاستحسنت هذا الرأى وانحدرنا الى الماء واستأجرنا قارباً، وقبل أن نمضى به تناولت ذراعى وهمست فى أذنى: « لا تتحرك ... إنى لا أكاد أصدق »

فرفعت عينى اليها فألفيتها ناظرة الى الحـديقة التى انحدرنا عنها الى المـاء. وكان الهواء ساكنا والمنظر الذى أمامنا كأنه مرسوم، وكان لفرط جماله يذكرنى بأعذب ما قرأت من الأغانى. ثم أشارت بيد أحلى من أناشيد سليمان بن داود وقالت: « ليتنى أستطيع أن آخذها !!. » وكأنما قرأت فى وجهى استغراب هذا الـكلام فقالت « إنها أحلى لعبة رأيتها فى حياتى ! »

فقلت مستفسراً « لعبة؟؟ هل قلت لعبة؟؟ أين هى؟ »

فصاحت بى وهى تشير بأناملها المغرية « هذا .. هـذا .. هذا المنظر .. ألا يروقك؟ »

فأدركت مرادها وإن كنت قد بقيت أستغرب عبارتها، وقلت « لا .. ليس هذا لعبة .. وإنما هو أسطورة .. »

فهزت رأسها كالموافقة ثم وضعت راحتها على كتفى وقالت « إنى سعيدة لأنى رأيت هذا »

قلت: « هو أسعد منك .. وما أكثر ما رأى هذا البستان من نساء ولـكنه احتاج أن ينتظر الى اليوم حتى تزوده حواء لها دل الفتاة وقلب الطفل »

قالت: « لا أظن .. » ثم رفعت وجهها الى وقالت: « انتظر .. لا تتحرك .. إنى أنظر الى نفسى فى عينيك »

فقلت — وقد أعجبنى ذلك: « حسن .. والآن .. لا تتحركى أنت .. فانى أتأمل قوس هذه الشفة ... »

فذهبت الى آخر الزورق وأرسلت لى مع الريح قبلة

وقالت وهى تجلس هناك: « إن الذى يعجبنى منك هو هذا .. أنك لا تأخذنى على غرة .. الأكثر فى الرجال يعـدون المرأة صيداً أو قنصاً .. أما أنت فتشجعنى على استعمال حريتى وعلى الشعور بأن لى استقلالاً وإرادة يجب أن يحسب حسابهما .. وكأنى بك يسرك أن تدع غيرك يحيا حياته على هواه هو، أكثر مما يسرك أن تفوز من دنياك بمتع حياتك .. والآن ألا نمضى؟؟ »

فقلت وأنا أضرب المـاء بالمجداف: « إن فيما قلته عنى بعض الغلط .. فأنا أحب أن أصحح لك هذا .. وأنا أعترف أنى لست وحشاً .. إذا كان هذا ما تعنين .. ولـكن نظريات أفلاطون لا تروقنى .. نعم يسرنى أن أرى كل انسان يحيا حياته كما يروقه — ولم لا؟ — ولـكن من أبرز نقط الضعف فى نفسى أنى أحب أن أحيا أنا أيضاً كما أشتهى ».

فدنت منى وأراحت أناملها على كتفى، وأسندت وجهها لى صدرى وقالت وهى تضحك: « إنك عبيط .. ألست كذلك؟ وهذا هو الذى يحببك الى .. »

قلت: « يا ملعونة .. » وأحطتها بذراعى — « ارفعى فمك فانى أريد أن ... أسوى ربطتى فى مرآة عينيك ... »

وفى هذه اللحظة الحافلة بالاحتمالات خطرت فى دائرة نظرى

فتاة كان لا يسعنى إلا أن أراها . وليس لى فى هذا حيلة ولا كان منى عن عمد . ولكنها صارت أمام ناظرى . فأنا لا بد أن أبصرها . وأحست صاحبتى أن عينى تحولت — كما كان لا بد أن يحدث — فحولت وجهها إلى حيث أنظر فأبصرت الفتاة ، فما كان منها إلا أن انتفضت قائمة ، وضربت المجداف من يدى ، وصاحت بى :

« ارجع بى حالاً ... الى البر ... قبل أن نبعد ... »

فذهلت وقلت : « ولكن لماذا ؟ ؟ . . . انا لم نبعد إلا خمسة أمتار ... »

قالت : « ليتنا بعدنا جداً ... ولكن لا ... كنت إذن أبقى مغشوشة ... مخدوعة ... ارجع ... أقول لك ارجع ... »

ولا حاجة الى رواية كل ما قالت وما أجبت به ، وليثق القارئ أن ريق نشف كما لم ينشف قط ، فقد ثقل على هذا الطبع ، وأضجرتنى هذه الغيرة السخيفة التى لا محل لها على كل حال . فبعد أن تألفتها من نفرتها ذهبت ألقنها درساً لا أظن أنها ستنساه فى حياتها

ولكن أمثال هذه الدروس لا خير فيها ولا جدوى منها ؛ وما أظنها إلا كالكتابة على الماء

وقد تظهر المرأة مجاراتك ساعة تلقى الدرس ، لأنها ترى هذه المجاراة والتظاهر بالاقتناع والتوبة أحزم وأحسم للنزاع ، ولكنها لا تملك أن تغير طبيعتها ، فهى تظل على الرغم من دروسك كما هى

وقد أحنقنى من ذات الثوب الأرجوانى هذا النفور الذى لا داعى له ، فغضبت وثرت وانتفضت ، فرميت ورقات كانت بيدى ؛ وكنت جالساً بحيث أراها وترانى ، ويظهر أن ما رأته من خروجى عن طورى المألوف أدهشها جدا ، فقد رأيتها تهب وتطل ، فِعْلَ من يريد أن يتثبت ويتحقق . ومضيت أنا فى ثورتى ، فجعلت أروح وأجئ فى الغرفة ، وأقول لنفسى :

« لماذا تحرمُ قبل أن تعطى ؟ ؟ لماذا تبدأ بالمنع ولا تبدأ بالجود ؟ ؟ لماذا تؤثر السوء ولا تؤثر الخير ؟ ما هذه الطباع ؟ وماذا جنيت أنا ؟ إنى أرانى وهبتها الشعور بحسنها حين أحببتها ، ولو أنها لم يحببها أحدٌ لما وسعها أن تدرك أن لها حسناً يعشق وجمالاً يُحب ... فشمورها بحسنها هو هبةٌ وعطية منى ، لأنى أحببتها ... فكيف تتيه علىّ وتتدلل ، وتحاول أن تعذبنى جزاء لى على مجهودى الذى استفادت هى منه ولم أستفد أنا شيئاً ؟

أى يدٍ لها علىّ ؟ ؟ أنى أراها ؟ ؟ فكل من شاء أن ينظر إلى شرفتها ساعة تكون فيها يستطيع أن يراها مثلى فلا فضل لها فى ذلك يحسب علىّ .. ماذا غير ذلك ؟ لا شىء .. انتهينا إذن ! . . وما دامت لا تختصنى بشىء فلا حق لها فيا تتكلفه من حرمانى . . . لو كانت لم تتكلف لما عبأت ولما أحسست أن فى الأمر عمداً . . ولكنها عامدة ولست أنوى أن أشايعها على ظلمى . . إذن فأنا أنفر كما تنفر . . . وأحتجب كما تحتجب وليكن ما يكون ! »

وبعد أيام عدت أقول لنفسى : « اسمع . . إنها ليست مثلك . أنت تستطيع أن تخرج ، وتروح ، وتجىء ، وتتسلى وتتلاهى ، ولكنها مسكينة لا تملك ما تملك من الحرية ومن وسائل التعزى . . وما يدريك أنها ليست مضطرة الى هذا الذى ثقل عليك وكرهته منها ؟ ؟ ولا تنس أنها رقيقة القلب . . أليست قد رأت أنك تشكو ألما فى ذراعك فحدثتك نفسك أن قد بدا لك منها عطف كان له وقع حسن فى نفسك

وقد توسطت وخير الأمور الوسط — كما يقولون — فأنا لا أتكلف الاحتجاب ولا أتعمد أو أتحرى أن أراها ، وأدع هذا وذاك للمصادفة ؛ وسأرى ما يكون . وأخوف ما أخافه أن أمل هذا التعب العقيم فيركبنى عفريت العناد وأجازف

ابراهيم عبد القادر المازنى

# أثر الحرب الكبرى في بريطانيا[1]

للأستاذ رمزى ميور

أستاذ التاريخ الحديث فى جامعة منشستر سابقاً

ترجمة الأستاذ محمد بدران

ناظر مدرسة بنباقادن الابتدائية

ليس فى العالم كله مجتمع أو طائفة من المجتمعات أثرت الحرب فى مصائرها كما أثرت فى بريطانيا وما يتجمع حولها ويرتبط بها من الشعوب المؤتلفة المنتشرة فى أنحاء العالم

ولقد كانت الحرب الكبرى التى دارت رحاها بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ هى آخر عراك من أربعة يحدد كل منها فترة من فترات التاريخ اضطلعت بريطانيا فيها بدور حيوى هام هو انقاذ العالم من سيطرة دولة واحدة ، أو نزعة للحضارة واحدة ؛ وكان لكل عراك منها أثر بليغ فى مركزها هى . فأما العراك الأول فهو حرب اسبانيا أيام الملكة اليصابات ، وفيه قهرت ذلك الخصم العنيد ، وصانت حرية البحار ، وخرجت منه وهى أكبر الدول البحرية ، والقادرة على أن تحيا حياتها الخاصة من غير خطر يتهددها ، وأن تنشر تجارتها وتبسط سلطانها فيما وراء البحار

وأما فى العراك الثانى فهى التى قادت الحلف الذى أذل كبرياء لويس الرابع عشر ، ووثقت روابطه وخرجت منه وهى أعظم الأمم التجارية وأولى الأمم ذات الحكومات الديمقراطية ، وفتح أمامها باب سيادة العالم الجديد فنالت تلك السيادة قبل أن ينقضى على الحرب نصف قرن . وفى العراك الثالث كانت هى العدو الوحيد الذى لم تقو الثورة الفرنسية ونابليون على هزيمته ، وذلك بفضل قوتها البحرية ، وخرجت من هذا العراك وهى من غير شك أقوى دول العالم وسيدة البحار بلا منازع ، ومالكة الثروة التى أخرجتها وسائل الانتاج الآلية الحديثة ، والمسيطرة على امبراطورية عظيمة تضم بين أطرافها القارات وأشباه القارات . وكانت كل حرب من هذه الحروب العالمية سبباً فى ارتفاع شأن الشعوب البريطانية وزيادة قوتها . فماذا كان أثر الحرب الأخيرة فيها ؟

كانت بريطانيا العظمى فى خلال القرن التاسع عشر أقوى دول العالم أجمع ، لا ينازعها فى ذلك المركز منازع . وكان مرجع قوتها إلى عدة عوامل : أولها عزلتها البحرية التى أمنت بها أخطار الغزو الأجنبى أمناً لم يتمتع به غيرها من الدول الأوربية ، ومكنها من أن تُنَمِّى نظم الحكم الذاتى الخاصة بها فى أمن واطمئنان ، وأن تغرس فى نفوس أبنائها حب الهدوء واطاعة القوانين . وثانى هذه العوامل هو تفوقها البحرى الذى لم يكن يسمو اليه غيرها من الدول ؛ وبفضل هذا التفوق أمنت بريطانيا على نفسها أكثر مما تأمن على نفسها أمة أخرى فى العالم ؛ وعظم نفوذها فى شواطئ البحار ، وأضحت هى الممثلة للحضارة الأوربية لدى معظم الشعوب غير الأوربيـــة . وثالث هذه العوامل هو امبراطوريتها الواسعة الأرجاء التى تمتلكها بوسائل سهلة ، والتى أخلصت لها شعوبها المحكومة ، والتى اتخذتها بريطانيا سوقا لمصنوعاتها ، ومستودعا للمواد الغفل لم تنل مثله غيرها من الأمم . ورابعها تفوقها فى وسائل الانتاج الصناعى الحديثة ووجود مناجم غنية بالفحم سهل الاستخراج كان الى عهد قريب هو القوة الصناعية الوحيـــدة فى العالم . والعامل الخامس هو ما انطوت عليه صدور أبنائها من حب المغامرة وما طبعوا عليه من قوة الابتكار الفردى . وسادسها هو قوتها المالية التى نشأت من انتشار عادة الادخار والاستثمار بين أبنائها ، ومما أنشأته من نظام مصرفى عجيب ؛ وقد أصبحت بفضل هذه القوة مركز العالم المالى والدولة الدائنــة العظيمة التى مدت العالم بمعظم ما احتاجه من رءوس الأموال لاستثمار البلاد الجديدة ، وبفضل وسائلها ومبتكراتها المالية يتبادل العالم تجارته الدولية . والعامل السابع فى عظمة بريطانيا أنها هى وحدها السوق العظيمة الحرة والمستودع المركزى العام الذى تأتى اليه جميع غلات العالم كله

(١) من كتاب النتائج السياسية للحرب الكبرى صدر فى سنة ١٩٣٠

ولا يحول بينها وبينه حائل . وكان فى مقدورها أن تختط لنفسها هذه الخطة لأنها لا تخشى المنافسة ، ولأنها وهى المضطرة إلى أن تبيع بضائعها فى كل جزء من أجزاء العالم تعلم حق العلم أنها إذا لم تقو على منافسة الدول لها فى بلادها فلن تقوى على المنافسة فى خارجها . وآخر أسباب هذه العظمة ، وإن لم يكن أقلها أهمية ، هو نظام حكومتها الحر الذى أعجبت به ونسجت على منواله أمم العالم أجمع ، لأنه جمع فى نظرها بين الحرية والاستقرار وثبتت بالتجربة صلاحيته ، وخضع له جميع رعاياها مخلصين ، لأنه يكفل لهم حماية القانون ولا يقيد حريتهم فوق الحد الواجب

ولقد كانت السيادة البريطانية فى كل ناحية من هذه النواحى سيادة موقوتة لا يمكن أن تكون لها صفة الدوام ، لأن فى العالم أمماً أخرى لا تقل عن بريطانيا فى مواهبها الطبيعية أو مواردها المادية ، وكانت ثمة عوامل عدة تعمل على تقويض دعائم هذه السيادة فى خلال الجيل السابق للحرب ؛ وكانت الحرب نفسها تنذر بزوال سيادة بريطانيا المضمحلة سيادة الزعامة والنفوذ وإحلال سيادة ألمانيا سيادة النظام والقوة محلها . هذا الانقلاب على الأقل لم يقع ، ولكن شعباً واحداً لا يستطيع أن يكون له شىء يسمى سيادة فى هذا العالم الذى يسير فى طريق الحرية ، بل لا يحق لشعب أن يرغب فى هذه السيادة ، ولذلك أخذت سيادة بريطانيا القديمة تزول شيئاً فشيئاً بعد الحرب وبسبب الحرب ، وأصبح واجباً عليها أن تكيف نفسها لمركز جديد فى العالم ؛ ولا شك أنها تلق فى سبيل هذا التكييف نصباً . ولنبحث أولاً فيما اعترى أسباب عظمتها من تطورات :

لم يعد مركز بريطانيا البحرى يضمن لها ما كانت تتمتع به من سلامة ؛ ذلك بأن التقدم السريع فى وسائل النقل الجوى يعرضها لخطر الغزو بشكل مرعب عرفته أثناء الحرب الكبرى ، ونقول بشكل مرعب ، لأن مدنها الواسعة المكتظة بالسكان يمكن تدميرها بين عشية وضحاها ، ولم تستكشف بعد وسيلة لاتقاء هذا الخطر الا منع الحروب بتاتاً . وليس هذا كل ما فى الأمر ، فان اعتمادها فى بقائها على ما يأتى اليها من الطعام من وراء البحار يعرضها إلى الخراب العاجل المفزع إذا هاجمت سفنها الغواصات ، وذلك خطر ليس فى الاستطاعة إتقاؤه إلا بوسائل غاية فى البطء والمشقة كما دلت الحرب . فان أهلها كادوا يموتون جوعاً بسبب الغواصات القليلة العدد التى استخدمتها ألمانيا فى الحرب . وإذا ما هاجمها فى المستقبل أسطول من الغواصات كالذى تملكه فرنسا مثلاً كان هذا الهجوم أكثر مفاجأة لها وأشد خطراً عليها ، لأن الجزيرة التى كانت من قبل معقلاً منيعاً لأهلها أصبحت الآن شركاً منصوباً لهم . وليس فى استطاعة بريطانيا أن تعتمد فى سلامتها على مواردها الخاصة كما كانت تعتمد عليها فى الأيام الماضية . فاذا أرادت أن تأمن على نفسها فان عليها أن تعوّل على ما يقوم به العالم المتمدين من عمل إجماعى لجعل الحرب مستحيلة الوقوع

ولقد انقضى الآن عهد سيادة بريطانيا البحرى انقضاء لا مردّ له بعد أن دام ثلاثة قرون واضطرت بريطانيا فى معاهدة واشنجتن (سنة ١٩٢٢) أن تعترف « بمساواة » الولايات المتحدة لها وهى تعلم علم اليقين أنه إذا قام التنافس فى التسلح بينها وبين الولايات المتحدة تغلبت عليها الأخيرة بمواردها التى لا ينضب معينها . وليس هذا كل ما فى الأمر فان الحرب أظهرت أن الأحوال الحاضرة تجعل الاحتفاظ « بسيادة البحار » على الوجه الأكمل من أصعب الأمور . فلقد كان عدد السفائن الألمانية المغيرة التى انطلقت فى بداية الحرب أو استطاعت أن تفلت من الحصر فى أثنائها صغيراً لا يذكر ، ولو لم يكن ساحل ألمانيا غاية فى القصر سهل الرقابة لما كان عدد هذه المغيرات قليلاً إلى هذا الحد ، ولكنها على قلتها لم يقتنصها إلا مائة وأربعون طراداً . ذكر ذلك اللورد جليكو فى المؤتمر البحرى المُعْجَل الذى عقد فى عام ١٩٢٧ لكى يتذرع به للاحتفاظ لبريطانيا بسبعين طراداً فقط . أما إذا أرادت أن تضمن لنفسها سيادة البحار فى كل الأحوال فلا يكفيها سبعون طراداً بل لا بد لها من سبعمائة ، فليس فى استطاعتها إذن أن تعتمد على مواردها الخاصة لتضمن سلامة البحار ، تلك السلامة التى تقف عليها حياتها ، بل عليها أن تعتمد على تعاون هيئة عالمية منظمة . وقد يعز على بريطانيا بطبيعة الحال أن تقر بهذه النتيجة ، لكنها برغم ذلك نتيجة محتومة لا مناص منها . كانت بريطانيا أكثر الأمم اكتفاء بنفسها — فى هذا الميدان على الأقل — أما الآن فقد أصبح موقعها يحتم عليها أن

تكون أول داع الى اعتماد الدول بعضها على بعض اذا قدرت ما يعرضها اليه موقعها من الأخطار

أما الأمبراطورية فاذا نظرنا الى أجزائها الرئيسية رأينا أنها لم تبق « أمبراطورية » مهما توسعنا فى فهم هذا اللفظ ، ولم يبق لبريطانيا « إشراف » عليها ، بل أصبحت شركة مفككة الأجزاء من دول حرة تسعى كل منها إلى « الاكتفاء بنفسها » عن طريق الحواجز الجركية ، ولم تبق أسواقها مفتحة الأبواب للبضائع البريطانية . وينطبق هذا الوصف على بلاد الهند التى كانت أعظم الأسواق لتصريف المنسوجات القطنية ، وهى أهم الصادرات البريطانية ؛ وكان تصميم الهند على الاستغناء عن هذه البضائع قدر استطاعتها من أكبر الأسباب التى أدت إلى كساد هذه الصناعة بعد الحرب . وكان ما اعترى الأمبراطورية البريطانية بعد الحرب من تطور وعدم وجود سياسة عامة منسجمة تحل محل ما كان لبريطانيا من إشراف قد نقص الآن إلى الحد الأدنى . كان ذلك كله من أهم المظاهر التى بدت على هذه الدولة بعد الحرب ولأهميتها سنفرد لها بحثاً خاصاً فيما بعد

كذلك لم يبق لبريطانيا ما كانت تتمتع به من التفوق فى وسائل الانتاج الصناعى بل أصبح يشاركها فى هذا التفوق على الأقل عدد من الأمم الأخرى ، وسبقتها الولايات المتحدة وألمانيا فى تطبيق العلم على الصناعة تطبيقاً حديثاً . وسبب ذلك أن رجال الأعمال فيها لا يزالون يحتقرون البحث العلمى ، وأن بريطانيا تأخرت عن غيرها من الأمم فى استخدام النظم الحديثة للانتاج الكبير وفى تنظيم الصناعة تنظيما يرمى الى الوصول الى أبعد حدود الاقتصاد والانقان مجتمعين . وهى تقاسى الآن من جراء تأخرها هذا أوخم العواقب كما تقاسى عناد كثيرين من أصحاب الأعمال فيها وتمسكهم بالقديم الرث وتَشَدُّدهم فى الاحتفاظ بكل ما كان صالحاً أيام آبائهم ، وتقاسى أيضاً عاقبة عناد نقابات عمالها الكاملة النظام والتى تخلق الصعاب إذا ما أريد تغيير الوسائل الصناعية وخشيت أن يصيب العمال من جراء ذلك التغيير عطل مؤقت ، وتتمسك أشد التمسك بالقيود والاجراءات التى كانت تسير عليها فى سنى الرخاء السابقة للحرب . كذلك لم يبق لبريطانيا ما كان لها من تفوق فى امتلاك مصادر القوى الصناعية لأن فحمها الآن يوجد على عمق أكبر من عمق الفحم الجديد الذى يستخرج من الولايات المتحدة وغيرها من البلاد ، وقد أبطأت فى استخدام أنجع وسائل الانتاج الكبير فى صناعة الفحم وفى اتباع الطرق الآلية لتقليل نفقات الانتاج . وزيادة على ذلك فان مصادر أخرى للقوة لا تملكها بريطانيا أخذت محل محل الفحم فى كثير من الصناعات ، فمنها القوى المائية التى لا تستطيع بريطانيا أن تنافس فيها البلاد ذات المجارى الكثيرة المتدفقة من رؤوس الجبال ، ومنها النفط الذى لا تكاد تنتج أرضها منه شيئاً والذى لا بد لها أن تستورده وتنفق على استيراده أموالاً طائلة فى كل عام

ويلوح أيضاً أن ما كان يتصف به أهلها من نشاط وقوة مغامرة بدأ يضمحل وان كان هذا مما لا يستطاع اثباته بالاحصاءات . وسبب هذا الاضمحلال أن بريطانيا خاضت غمار الحرب معتمدة على نظام التطوع الاختيارى ؛ ومعنى ذلك أن خير أبنائها وأشدهم حماسة ذهبوا الى ميدان القتال أولاً وهلكوا زرافات . وقد يكون هذا هو السبب فيما نشاهده بعد الحرب من نقص مخيف فى رجالها المُبرِّزين الذين يتقدمون طائعين لتحمل التبعات ومواجهة الصعاب وهو أمر مشاهد فى كل ناحية من نواحى الحياة : فى السياسة وفى الأعمال الصناعية والتجارية وفى الفنون ، فكلها لم يظهر فيها بعد الحرب رجال أوتوا حظاً عظيما من الشهرة ، ولا يزال الأفذاذ النابهون من الانجليز ، رجال ما قبل الحرب . كذلك نرى فى طوائف كثيرة من الشعوب البريطانية ميلاً متزايداً للاتكال على الحكومة فى اصلاح عيوبها ؛ وقد يكون منشأ هذا الميل لدى عامة الشعب ما وضعته الحكومة فى السنين الأخيرة من نظم محكمة لتخفيف الضنك أو ما سلكته من الطرق فى تنظيم هذه النظم ؛ لكننا نشاهد هذه العادة نفسها : عادة الاتكال على الحكومة بين مديرى الصناعة الذين يتطلعون الى الحكومة لتقيهم شر المنافسة الأجنبية مع أن آباءهم كانوا يرون واجباً عليهم أن يقفوا أمام منافسيهم وجهاً لوجه لا يميزون منهم فى شىء (شأنهم فى ذلك شأن سائر أفراد الأمة) فاذا لم يقووا على المنافسة سقطوا صرعى فى الميدان . ويلاحظ البعض أن أخلاق البريطانيين بعد الحرب طرأ عليها تغير خطير ، فقد أخذ يسرى فى نفوسهم روح الجمود والاستسلام والرغبة فى الفرار من الصعاب والتخلص

منها بالتجائهم الى الألعاب وغيرها من ضروب الراحة والتسلية . قد تكون هذه الميول عارضة لا تلبث أن تزول ، ولكنها مادامت موجودة خطر ينذر بشر مستطير . وإذا صدق هذا الظن وكانت هذه الميول موجودة حقاً فربما كانت رد فعل طبيعي للمجهود الذي قاساه الشعب في الحرب وزوال ما كان يغشى بصائره من الغرور

كذلك كانت الحرب سببا فيما اعترى قوة بريطانيا المالية بعدها من ضعف مخيف . ذلك أن البلاد حملت من الديون والضرائب مالم تتحمله أمة أخرى ، لأنها أمدت حلفاءها بجانب عظيم من نفقات الحرب ؛ ولم يكد يَرُدُّ اليها هؤلاء الحلفاء شيئاً من هـذه الأموال ، ولن يردوا اليها شيئاً في المستقبل إلا ما استدانته باسم هؤلاء الحلفاء من الولايات المتحدة الأمريكية . وبينما تعمل الدول الأخرى لتخفيف العبء عن كاهل أهلها تزيد بريطانيا أعباءها بالتدريج ؛ وتجيز كلتا الهيئتين السياسيتين القويتين في بريطانيا زيادة الضرائب وتراها أمراً مرغوباً فيه لذاته ، فأحداها تريد زيادة الضرائب المقررة ، والأخرى ترغب في زيادة الضرائب غير المقررة من غـير نظر الى ما سوف تُنْفَق فيه الأموال . وهذه الأعباء الثقيلة تشل قدرة بريطانيا على الانتاج من وجوه عدة ، وتضعف ملكة الادخار والاستثمار لدى كثير من طبقات الشعب ضعفاً خطيرا . ويزيد من هذا الخطر تمسك الشعب بمستوى معيشته الراقي دون أن يراعي ضعف الوسائل التي تمكنه من ذلك ، وهذا أمر مشاهد لدى جميع الطبقات . ولهذه الأسباب لم تعد بريطانيا كما كانت من قبل الأمة العظيمة الدائنة لأمم العالم والتي تقدم ما يلزم من المـال لاستثمار موارده الطبيعية ، وأخـذت الولايات المتحدة تحل محلها ، وتستحوذ على ما لهذا المركز من قوة ونفوذ . كذلك لم يستطع نظامها المصرفي برغم ما اتصف به من ثبات أن يجاري مطالب العهد الذي أعقب الحرب وما فيه من صعاب ، فلقد أصبح المسيطرَ على هذا النظام عدد قليـل من المؤسسات المـالية الضخمة أفقدته كثيرا مما كان له من مرونة ، وطالمـا استخدمت هذه المؤسسات ما لها من سلطان على وسائل الائتمان المالي في إضعاف المشروعات المالية واعاقتها بدل أن تعينها وتشجعها

( يتبع ) محمد بدران

أعلام الاسلام

# ٣ - سعيد بن المسيِّب

للأستاذ ناجي الطنطاوي

## زوجة ابنه

قال يحيى بن سعيد : كان لسعيد بن المسيب جليس يقال له عبد الله بن أبي وداعة ، فأبطأ عنه أياماً ، فسأل عنه فقيـل له : إن سعيد بن المسيب سأل عنك ، فأتاه وسلم عليه ، ثم جلس . فقال له سعيد : أين كانت غيبتك يا أبا محمد ؟ فقال : إن أهلي كانت مريضة فمرضتها ثم ماتت فدفنتها . فقال يا عبد الله ، أفلا أعلمتنا بمرضها فنعودها ، أو بموتها فنشهد جنازتها ؟ ثم عزّاه عنها ودعا له ولها ، ثم قال : يا عبد الله ، تزوج ولا تلق الله وأنت عزب [1] . فقال : يرحمك الله ! ومن يزوجني ؟ فوالله ما أملك غير أربعة دراهم [2] . فقال : سبحان الله ! أو ليس في أربعة دراهم ما يستعف به الرجل المسلم ؟ يا عبـد الله ! أنا أزوجك ابنتي إن رضيت . قال عبد الله : فسكت استحياء منه واعظاماً لمكانه . فقال مالك سكت ؟ ألعلك سخطت ما عرضنا عليك ؟ قال : يرحمك الله ! وأين الذهب عنك ؟ فوالله إني لأعلم أنك لو شئت زوجتها بأربعة آلاف وأربعة آلاف [3] ، قال : قم يا عبد الله فادع لي نفرا من الأنصار ، فقمت فدعوت له حلقة من بعض حلق الأنصار ، فأشهدهم على النكاح بأربعة دراهم ، ثم انقلبنا ، فلما صلينا العشاء الآخرة وصرت الى منزلي [4] ،

(١) وروى أنه قال : هل استحدثت امرأة

(٢) وفي رواية . وما أملك إلا درهمين ، أو قال : ثلاثة

(٣) كانت بنت سـعيد قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد ابن عبد الملك حين ولاه ، فأبى سعيد أن يزوجه ، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة صوت في يوم بارد ؛ وصب عليه جرة ماء ، وألبسه جبة صوف

(٤) وفي رواية : فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح ؛ وجعلت أتفكر ممن آخذ ، وممن أستدين ، فصليت المغرب ، وانصرفت إلى منزلي واسترحت ، وكنت وحدي صائما ، فقدمت عشائي أفطر ، وكان خبزا وزيتاً فإذا بآت يقرع الباب ...

إذا برجل يقرع الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : سعيد . فوالله خطر ببالى كل سعيد بالمدينة غير سعيد بن المسيب ؛ وذلك أنه ما رؤى قط خارجاً من داره إلا إلى جنازة أو الى المسجد . فقلت مَن سعيد ؟ قال : سعيد بن المسيب . فارتعدت فرائصى ، وقلت : لعل الشيخ ندم فجاء يستقيلنى ، فخرجت اليه أجر رجلى وفتحت الباب فاذا أنا بشابة ملتفة بساج ، ودواب عليها مذابح ؛ وخادم بيضاء ؛ فسلم على[1] ثم قال لى : ياعبدالله هذه زوجتك . فقلت مستحيياً منه : يرحمك الله ! كنت أحب أن يتأخر ذلك أياماً . فقال لى : لمَه ؟ أولست أخبرتنى أن عندك أربعة دراهم ؟ قلت : هو كما ذكرت ، ولكن كنت أحب أن يتأخر ذلك . قال : إنها إذن عليك لغير ميمونة ، وما كان الله ليسألنى عن عزبتك الليلة وعندى لك أهل . هذه زوجتك ، وهذا متاعكم ، وهذه خادم تخدمكم معها ألف درهم نفقة لكم ، فخذها يا عبد الله أمانة لك ، فوالله انك لتأخذها صوامة قوامة ، عارفة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتق الله فيها ، ولا يمنعك مكانها منى إن رأيت منها ما تكره أن تحسن أدبها . ثم سلمها إلى ومضى[2] . قال : فوالله ما رأيت امرأة قط أقرأ لكتاب الله تعالى ، ولا أعرف بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أخوف لله عز وجل منها . لقد كانت المسألة المعضلة تعيى الفقهاء فأسألها عنها فأجد عندها منها علماً

وروى[3] أنها لما تزوجت ، وبكر زوجها خارجاً سألته : أين يذهب ؟ فقال لها الى حلقة أبيك سعيد . قالت له :

اجلس أعلمك علم سعيد !

(١) وفى رواية : فقلت يا أبا محمد ، لو أرسلت إلى فآتيك . قال : لأنت أحق أن تؤتى . قلت : فما تأمر ؟ قال : إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك ...

(٢) وفى رواية ؛ فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ، ثم تقدمت إلى القصعة التى فيها الزيت والخبز فوضعتها فى ظل السراج لكى لا تراه ، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران فجاءونى فقالوا : ما شأنك ؟ قلت : ويحكم زوجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم ، وقد جاء بها على غفلة فقالوا : سعيد بن المسيب زوجك ؟ قلت نعم ! وها هى ذى فى الدار . قال : فنزلوا هم اليها وبلغ أمى فجاءت وقالت : وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام ، قال : فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها فاذا هى من أجمل الناس ، وإذا هى أحفظ الناس لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرفهم بحق الزوج

(٣) مجلة الأزهر : المجلد السادس ، الجزء السابع ، صفحة ٤٨٥

## نقشة وعبارة

قال ميمون بن مهران : بلغنى أن سعيد بن المسيب عمّر أربعين سنة ، لم يأت المسجد فيجد أهله قد استقبلوه خارجين منه قد قضوا صلاتهم

وقال ابن حرملة : اشتكى سعيد عينه ، فقالوا له : لو خرجت ياأبا محمد إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة[1] لوجدت لذلك خفة ، قال : كيف أصنع بشهود العتمة والصبح ؟ !

وقال عمران : قال سعيد : ما أظلنى بيت بالمدينة بعد منزلى ، إلا أنى آتى ابنة لى فأسلم عليها أحياناً ، (قال) : وكان سعيد يكثر الاختلاف إلى السوق

وقال محمد بن سعيد : كان سعيد بن المسيب أيام الحرة[2] فى المسجد لم يبايع ولم يبرح ، وكان يصلى معهم الجمعة ، ويخرج إلى العيد ، وكان الناس يقتتلون وينتهبون وهو فى المسجد لا يبرح الى الليل . قال : فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قبل القبر حتى أمن الناس ، وما رأيت خيراً من الجماعة[3]

وقال ابن حرملة : قلت لبرد مولى ابن المسيب : ما صلاة ابن المسيب ؟ فأما صلاته فقد عرفناها . فقال : والله ما أدرى ، إنه ليصلى صلاة كثيرة ، إلا أنه يقرأ بـ «ص والقرآن ذى الذكر»

وقال عطاء : إن سعيد بن المسيب كان إذا دخل المسجد يوم الجمعة لم يتكلم كلاماً حتى يفرغ من صلاته ، وينصرف الأمام ، ثم يصلى ركعات ، ثم يقبل على جلسائه ويُسأل

وقال عاصم بن العباس : كان سعيد بن المسيب يذكّر ويخوف

وقال : سمعت سعيد بن المسيب يقرأ القرآن بالليل على راحلته فيكثر

(١) لم يبق اليوم من بساتين العقيق وخضرته إلا نخلة واحدة على بئر عروة

(٢) هى أيام يزيد بن معاوية لما انتهب المدينة ، وندب عسكره من أهل الشام لقتال أهلها من الصحابة والتابعين ، وأمر عليهم مسلم بن عقبة المرى فى ذى الحجة سنة ٦٣

(٣) ومثله قول سعيد : لقد رأيتنى ليالى الحرة وما فى المسجد أحد من خلق الله غيرى ، وإن أهل الشام ليدخلون زمراً زمراً يقولون : انظروا إلى هذا الشيخ المجنون ، وما يأتى وقت الصلاة إلا سمعت أذاناً فى القبر ، ثم تقدمت تأقمت فصليت وما فى المسجد أحد غيرى

وقال : سمعت سعيد بن المسيب يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم

وقال عمران : كان فى رمضان يؤتى بالأشربة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فليس أحد يطمع أن يأتى سعيد بن المسيب بشراب فيشربه ، فان أتى من منزله بشراب شربه ، وان لم يؤت من منزله بشىء لم يشرب شيئا حتى ينصرف

وقال عبد الله بن يزيد الهذلى : إنه كان يصوم الدهر ، ويفطر أيام التشريق بالمدينة . وكان يقول لنفسه إذا دخل الليل ، قومى يا مأوى كل شر ، والله لأدعنّك ترجفى رجف البعير ، فكان يصبح وقدماه منتفختان ، فيقول لنفسه : بذا أمرت ولذا خلقت

وكان يقول : ما فاتتنى فريضة فى جماعة منذ أربعين سنة ، وما أذّن المؤذّن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا فى المسجد . وصلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة . وكان يقول : ما فاتتنى تكبيرة الاحرام منذ خمسين سنة

وقال عبد الرحمن بن حرملة : سمعت سعيداً يقول : حججت أربعين حجة

وقال سعيد ما دخل على وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها ولا دخل على قضاء فرض إلا وأنا إليه مشتاق

وكان يقول وقد أتت عليه أربع وثمانون سنة : ما شىء أخوف عندى من النساء . فقالوا يا أبا محمد ، إن مثلك لا يريد النساء ولا تريده النساء قال : هو ما أقول لكم

### هيبته

وقال عبد الرحمن بن حرملة : ما كان انسان يجترئ على سعيد ابن المسيب يسأله عن شىء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير

وقد ذكرنا أن الحرس ، عند دخول الوليد المسجد ، أخرجوا جميع من فى المسجد وبقى سعيد لم يجترئ أحد منهم أن يخرجه

### سماعه الشعر

قال : ابن أبى ربيعة أشعر فى الغزل ، وابن قيس أكثر أفانين شعر

وقال عاصم : كان يحب أن يسمع الشعر ولا ينشده

وقال الأصمعى : قيل لسعيد بن المسيب : ها هنا قوم نسّاك يعيبون انشاد الشعر قال : نسكوا نسكا أعجمياً

وروى صاحب الأغانى عن ابراهيم بن محمد بن عباس المطلبى أنه قال :

مرّ سعيد بن المسيب فى بعض أزقة مكة فسمع الأخضر الحربى يتغنى فى دار العاص بن وائل :

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت ... به زينب فى نسوة خفرات

فضرب برجله وقال : هذا والله مما يلذ استماعه ، ثم قال :

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها ... وأبدت بنان الكف للجمرات

وعلت بنان المسك وحفا مرجلاً ... على مثل بدر لاح فى الظلمات

وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت ... برؤيتها من راح من عرفات

قال : فكانو يروون أن هذا الشعر لسعيد بن المسيب (١)

( البقية فى العدد القادم )

**ناجى الطنطاوى**

---

(١) وقال صاحب روضة المحبين : لما مر عبيد الله جامع بن مرخية الـكلابى أحد شعراء الحجاز بسعيد بن المسيب قال سعيد : هذا من أكذب العرب ، قيل كيف يا أبا محمد ؟ قال أليس الذى يقول :

سألت سعيد بن المسيب مفتى الـ ... مدينة هل فى حب ظمياء من وزر

فقال سعيد بن المسيب : إنما ... تلام على ما تستطيع من الأمر

كذب والله : ما سألنى عن شىء من هذا قط ، ولا أفتيته

---

# قصـــة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

## الحصانة واليهودى الأفاق

— ٤ —

### وصل الفائت

اكتشف متشنيكوف فى بعض الأحياء المائية الصغيرة خلايا تدور فى أجسامها فإذا هو حقن فى هذه الأحياء صبغة تجمعت تلك الخلايا فأكلت الصبغة . وإذا شك الحيوان بشوكة نهضت تلك الخلايا اليها تدفع السوء الداخل . وأدخل فى أجسام تلك الأحياء خمائر قاتلة ، فنهضت اليها الخلايا فالتهمتها . عندئذ فسر الحصانة بأنها حرب بين خلايا طليقة فى الأجسام كمثل كرات الدم البيضاء وبين المكروبات الداخلة اليها . وأسمى هذه الخلايا فجوسات

اتجه متشنيكوف بعد ذلك يبحث فى هذه الحروب هل هى عينها التى تقع فى الضفادع والأرانب . وفى عام ١٨٨٦ وردت أخبار بستور من وراء الحدود تنقل حديث شفائه الروسيّين الستة عشر من عضة الكلب المسعور بعد ضياع الرجاء فيهم [١] ، فاهتز أهل أودسا الأخيار لهذه الأخبار ، ونهضوا ، ونهض معهم أهل الريف الذى حولهم حتى حدود المقاطعة ، نهضوا جميعاً يشكرون الله على ما حبا ، ويهتفون لبستور على ما أتى ، وجمعوا كيساً ضخماً من الروبلات [٢] لاقامة معمل يُنشأ توّا فى أودسّا . وعيّنوا متشنيكوف مديراً علمياً لهذا المعهد الجديد . ولِمَ لا ؟ أليس هو الرجل الذى درس فى كل جامعات أوربا ؟ أليس هو العالم العلاّمة الذى خطب أطباء أودسا فأفاض عليهم من منابع علمه تلك الافاضة الكبرى ؟ أليس هو الذى شرح لهم ما خفى من أمر فَجُوسات [٣] الدم التى تأكل المكروب أكلا لمّا ؟ ونسوا حيناً أنه يهودىّ !

وكنت إذا تمشّمت الى الناس وجدتهم يقولون : « من بدرينا : فلعل فى معهدنا الجديد يستطيع أستاذنا متشنيكوف أن يدرّب هذه الفجوسات الصغيرة على التهام كل أنواع المكروبات ! »

وقَبِل متشنيكوف هذا المنصب الجديد ، ولكنه احتاط فقال لرجال السلطة قول الحذِر البصير : « أنا رجل اكبر همته فى النظريّات ، وأبحاثى كثيرة لا يكاد يتسع لها وقتى ، وإذن فمن الواجب أن يتدرّب غيرى على صناعة الألقحة vaccines وأن يقوم بالجزء العملىّ من واجبات المعمل »

ولم يكن فى أودسّا فى ذلك الوقت رجل واحد يعرف عن صيادة المكروب شيئا . لذلك أرسلوا صديق متشنيكوف الدكتور جماليه Gamaléia بسرعة الى باريس الى معهد بستور . فلما حل فيه صَحِب بستورَ وصحب رو فى عملهما وتعلّم منهما الشىء الكثير ، ولكن هذا الكثير لم يؤذَن له ببلوغ الكفاية ، فان أهل أودسّا قل صبرهم ، وزاد قلقهم ، واشتدت رغبتهم فى الخلاص من الأمراض فصاحوا يطلبون الألقحة ، فاضطُرت السلطة تحت هذا الضغط العام الى استدعاء الدكتور جماليه ، ولم يكن طال مقامه فى باريس . فلما عاد بدأ يصنع لِقاحا لداء الجمرة تخليصاً لشياه الريف ، ولقاحا لداء الكَلَب دفعا له عن أهل المدينة . عندئذ صاح متشنيكوف فى الناس : « والآن كل شىء لابد سائر كما نهوى » وهو يجهل كل الجهل تلك الألاعيب الثقيلة التى تلعبها المكروبات أحيانا على ممارسيها . ثم اعتكف الى نظرياته يبحث فى الأرانب والكلاب والقردة ليرى أفى استطاعة فجوساتها أن تبتلع مكروب السل والحمرة والحمّى الراجعة . وانطلقت النشرات العلمية تخرج من معمله فى تلاحق سريع ، وأخذ بُحّاث أوروبا يتأثرون بكشوفات ذلك الرجل العبقرى ببلاد الروس السفلى . ولكنه لم يلبث أن بدت له المصاعب فى نظريته ، فالكلاب والأرانب والقردة ليست شفّافة كبراغيث الماء

ثم أخذ الحال يسوء فى المعمل ، فأخذ الخصام يدب بين رجاله وعلى رأسهم الدكتور جماليه ، فاختلطت الألقحة وتلوّثت ، وانكبت على الأرض من أنابيبها . وجاء أطباء البلد يتسلّلون وفى قلوبهم بالطبع حفيظة وغيرة من هذا العلاج الجديد ، وأخذوا يسألون الأسئلة المحرجة ليُشيعوا شاعة السوء فى الناس : « من هذا الأستاذ متشنيكوف ؟ ومن أين جاءته الأستاذية وهو

---

(١) أنظر ما سبق من ترجمة بستور

(٢) الروبة هى الوحدة الفضية الروسية ، وهى من الفضة وتساوى نحوا من نصف ريال مصرى

(٣) كراته البيضاء

لا يحمل شهادة طبيب ؟ إنه ليس إلا رجل طبيعى Naturalist ، وصيّاد جراثيم ، فمن أين جاءته معرفة الأمراض والوقاية منها ؟ »

وصاح الناس : « أين الملاج المزعوم ؟ ! » وصاح المزارعون الذين نزلوا بأيديهم عميقاً فى أكياسهم طَلَبَ النقود الكثيرة يبذلونها عن طَواعِية : « أين الحصانة الموعودة ؟ » . واضطر متشنيكوف الى الخروج من محرابه ساعة ، والبروز من ضباب نظريته وفجوساته حينا ، ليصرف الناس عن شكواهم ، وكانت الفئران عاثت فى الحقول فأكلت المحاصيل ، فبذر فى تلك الحقول بشلّة كوليرا الدجاج لتقضى على الفئران . ولكن تقريرا خطيرا كاذبا كُتِب من نار ظهر فى الجريدة اليومية يتهم متشنيكوف أنه انما بذر الموت والوبال فى الحقول ، لأن كوليرا الدجاج تستطيع أن تتحول الى كوليرا الانسان ... !

فضجر متشنيكوف وشكا فى خفوت : « ما شأنى بهذا الصخب ! أنا رجل باحث وأبحاثى متكاثرة علىّ ، وأنا رجل ذو نظرية ، ونظريتى فى حاجة الى كثير من الهدوء لتشتد وتنمو .... » وسأل أهلَ السلطة إجازة فأعطوه إياها ، فحزم حقيبته وذهب الى مؤتمر فينّا ليخبر كل من يجد هناك بأمر فجوساته ، وليجد لنفسه ركنا هادئا يستقر فيه ويعمل بعيدا عن الضوضاء ، فلا يكون مضطرا لاثبات صحة نظرياته لسلطات قليلة الصبر تطلب خلق العلاجات ، ولا يكون مدفوعا لارواء شهوة الفلاحين وتعويضهم عن كل قرش دفعوه بتعجّل الأدوية وابتسار الحصانات . ومن فينا ذهب الى باريس ، وفى باريس انتظره نجاح باهر لم ينتظره . فهناك تعرّف الى بستور العظيم ، فما إن تَم التعارف حتى انفجر يحدثه عن فجوسته ونظريته فيها ، ووَصَف له المعارك التى تقع بين الفجوسات والمكروبات وصفا بديعا سِمَاوِيّا جذّابا ، وتأمل شيخ المكروب صاحبنَا بعين مُتعبَة طميسة أخذت تبرق للذى تسمع حينا بعد حين ، فلما انتهى الحديث ، قال بستور : « أنا فى صفك يا أستاذ متشنيكوف ، ذلك لأنه كثيرا ما استوقفتنى معارك كالتى تصف كنت ألحظها بين شتى الأحياء المجهرية الدنيئة ، وإنى لأحسبك سائرا على هدى فى الطريق الذى أنت فيه »

لم يكن بين المعارك التى ذكرها بستور وبين تلك التى يصفها متشنيكوف صلة أصلاً ، ومع هذا فقد امتلأ قلب متشنيكوف مما سمع سروراً ، وامتلأت نفسه زهواً . وكيف لا ، وهذا أبو المكروبات الشيخ الأجل استمع له وفهمه ثم آمن به ... وكان أبو ألجا قد مات وترك لهم دخلاً متواضعاً . وتراءى لمتشنيكوف أن باريس مهد طيب لنظرية الفجوسات إذا هى آزرها معهد ذو جاه كمعهد بستور ، فسأل بستور : « سيدى ، أود لو يكون لى مكان فى معهدكم ، وأنا بهذا انما أبغى العمل فى معملكم على أية صورة وبغير أجر » . وأدرك بستور أنه لابد من استبقاء حماسة الجماهير لصيادة المكروب ، وأن رجل الشارع لا يفهم من العلم غير تلك الأحداث المهيجة والدرامات المثيرة ، فأجاب متشنيكوف عن سؤاله : « أنا لا أقبلك تعمل فى معملى فحسب ، بل سيكون لك فيه معمل كامل موقوف عليك » . وسافر متشنيكوف الى أودسا ، وفى طريقه التقى بكوخ فجَبَهَه كوخ واستغلظ له ، وأخذ يفكر ويخاير نفسه بين قبول العمل فى المعهد الفرنسى والتخلص من قوم لا يفتأون يصرخون يستعجلون النتائج ، وبين البقاء فى المعمل الروسى والابقاء على المرتب الطيب الذى يتقاضاه منه . . . وقرر بعد التردد أن يبقى حيث هو من أودسا وواصل عمله فيها ، ولكن حدث بعد قليل حَدَثٌ لم يترك لنفسه خياراً . ذلك أن الفلاحين زادت شكواهم من القطعان التى تموت بالجمرة وعلت أصواتهم فى طلب الألقحة ، فأمر متشنيكوف الدكتور جاماليه أن يحقن الشياه بلقاح الجمرة جملة واحدة . وذهب متشنيكوف وزوجته ألجا الى بيتهم الريفىّ الصيفىّ ، وذات يوم جاءتهم فيه الرسالة التلغرافية الآتية من الدكتور جاماليه :

قَتَل لقاح الجمرة آلافاً من الشياه

فلم تمض أشهر قليلة حتى كان متشنيكوف استقر فى معهد بستور الجديد فى باريس ، والى جانبه ألجا — تلك الزوجة الطيبة — التى كانت لا تقصّر فى عمل أى شىء لزوجها لأنه عبقرى ولأنه عطوف عليها — قامت الى جانبه تمسك له الحيوان وتغسل له الزجاجات ، وهى لو تُركت لنفسها لفضّلت تصوير الزيت أو نحاتة الحجر — فتّين جيلين أقرب لمتعتها وأملأ لشهوتها. ومن تلك الساعة مشى الزوجان ، يداً فى يد ، فى طريق النصر من غلبة الى غلبة ، وقد انتثرت على جانبيه من أخطائهما ورود زادت طريقهما روعة وجمالاً

( يتبع )

أحمد زكى

# مقاييس الشــعر

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

ذكر ابن سلام أنه شهد خَلَفاً وقد قيل له من أشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهى هذا الى واحد يجتمع عليه ، كما لا يجتمع على أشجع الناس ، وأخطب الناس ، وأجمل الناس

وإذا أردنا أن نبحث عن السبب فى تشعب الخلاف فى ذلك إلى هذا الحد لم نجده يرجع إلا الى أن علماء الأدب لم يهتدوا فى ذلك الى مقياس عام للشعر يمكن به وضع كل شاعر فى مرتبته التى يستحقها بموجب هذا القياس العام ، ويرجع إليه علماء الأدب فتتفق عليه كلمتهم فى ترتيب طبقات الشعراء ، أو يقرب الخلاف بينهم فى هذا ولا يتشعب ذلك التشعب . وإن عدم اهتدائهم إلى ذلك المقياس العام للشعر ليجعل خلافهم فى ترتيب طبقات الشعراء على استفحاله بينهم مما يجدر بالباحث عدم الاعتداد به ، لأنه يكاد يكون خلافاً لفظياً لا حقيقياً ، إذ لكل فريق وجهة نظر فيمن يقدمونه من الشعراء خلاف وجهة نظر الآخرين كما يقدم أهل البصرة امرأ القيس لسبقه الى ابتداع أشياء استحسنها العرب واتبعه فيها الشعراء ، من استيقاف الصحب وبكاء الأطلال ، وتشبيه النساء بالظباء وغير ذلك . وكما يقدم أهل الحجاز زهيراً والنابغة ، لأن زهيراً كان أحكم الشعراء شعراً ، وأبعدهم من السخف ، وأجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من الألفاظ ، وأنه كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، وأنه مع بلوغه ما بلغ فى المدح لم يمدح أحداً بغير ما هو فيه . ولأن النابغة كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً ، وكأن شعره منثور لا تكلف فيه . وكما يقدم أهل الكوفة الأعشى لأنه كان أكثرهم عروضاً ، وأذهبهم فى الشعر فنوناً ، وأكثرهم طويلة جيدة

وقد قسم علماء الأدب الشعراء تقسيما يمكن أن يعد من المقاييس العامة للشعر ، ولكنه لا يفيدنا فى ترتيب طبقات الشعراء الفائدة المطلوبة . فقالوا إن الشعراء أربعة أقسام : شاعر فحل وهو الذى يجيد الشعر ولا يروى لغيره ؛ وشاعر خِنْذِيذ وهو الذى يجيد الشعر ويروى الجيد من شعر غيره ، فهو شاعر وعالم بالشعر . وقد يقال الفحل لما يشمل هذين القسمين فيكون أعم من الخنذيذ ؛ وشاعر وسط وهو الذى لا يبلغ رتبة الفحول ولا ينحط شعره الى الردىء ؛ وشُعْرُورٌ أو شُوَيْعِر وهو الردىء

وقد وضعنا للشعر مقياساً عاماً يتفاضل فيه الشعر باعتبار نبل أغراضه وشرف مقاصده ، قبل أن يتفاضل بجمال ألفاظه ومعانيه . ولقد وازنا بهذا المقياس بين امرىء القيس وعدى بن زيد فى كتابنا ( زعامة الشعر الجاهلى ) ، وبين أبى العتاهية وبشار وأبى نواس فيما كتبناه فى مجلة ( الرسالة ) الغراء عن أبى العتاهية ، فخرجنا من هذا بتفضيل عدى بن زيد على امرىء القيس ، وتفضيل أبى العتاهية على بشار وأبى نواس ، وهو أمر لا يمكن أن يخالفنا فيه أحد يوافقنا على صحة هذا المقياس الذى وضعناه للموازنة بين الشعراء ؛ وإنها لميزة كبيرة له يظهر فضلها إذا نظرنا فيما روى فى ذلك عن خَلَفٍ فيما سبق

ولكن جمهرة أدبائنا لا يوافقوننا على هذا المقياس الجديد ، وينكرونه علينا أشد الانكار . وهم معذورون فى هذا الانكار أشد العذر ، لأن دراسة الأدب قد سارت من نشأتها الى الآن على خلاف رأينا فى هذا القياس ، حتى إن الأصمعى رحمه الله وسامحه كان يقول : إن الشعر لا يقوى إلا فى باب الشر ، فاذا دخل فى الخير لان . وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرىء القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الُحمرِ والخيل والحروب والافتخار وغير ذلك

وقد ذكر قدامة بن جعفر فى كتابه ( نقد الشعر ) رأيا فى ذلك أخف من رأى الأصمعى ، فهو يرى أن الذى يلزم الشاعر فقط أنه إذا شعَرَ فى أى معنى كان من الرفعة والضَّعَة ، والرَّفث والنزاهة ، والبَذخ والقناعة ، والمدح والذم وغير ذلك من المعانى الحميدة أو الذميمة التى يمليها على الشاعر وجدانه ، ويوحى اليه شيطانه ، أن يتوخى البلوغ من التجويد فى ذلك الى الغاية المطلوبة

وقد حملني ذلك النفور من رأيي في قياس الشعر بأغراضه ومقاصده قبل ألفاظه ومعانيه على تقييد كل ما أجده يؤيده في مطالعاتي ، فوصلت في ذلك الى طائفة صالحة من أقوال الحكماء والشعراء ، ولم أقصد من مقالي هذا إلا تقييدها على صفحات مجلة (الرسالة) الغراء.

قال الأحوص :

وماالشعر إلا حكمةٌ من مؤلِّفٍ لمنطق حقٍّ أو لمنطق باطل

وقال فكتور هوجو : الشاعر مصلح عظيم ، ونبي كريم ، أرسله الله لقومه هادياً الى مواطن الحرية والجمال والحب

وقال حسان بن ثابت :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقالُ إذا أنشدتَهُ صَدَقَا
وإنما الشعر لُبُّ المرء يعرضه على البريَّة إن كيْساً وان حُمقَا

وقال معاوية بن أبي سفيان لعبد الرحمن بن الحكم : إنك قد لهجت بالشعر ، فإياك والتشبيب بالنساء فتعرّ شريفة ، والهجاءَ فتهجن كريماً ، أو تثير لئيماً . وإياك والمدح فهو كسب الأنذال ، ولكن افخر بمآثر قومك ، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك ، وتؤدب به غيرك ، وإن لم تجد من المدح بُدًّا فكن كالملك الـ ادى حين مدح فجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال :

أحللتُ رَحْلي في بني ثُعَل إن الكريم للكريم مَحَلُّ (؟)

وقال النابغة الشيباني :

وإني حاكمٌ في الشعرُ حكماً إذا ذُكِرَ القوافي والنَّشِيدُ
فخير الشعر أكرمه رجالاً وَشَرُّ الشعر ما نطق العبيد

وقال أيضاً :

من الشعراء أكفاءٌ فحولٌ وفَرَّاثون ان نطقوا أساءُوا
فهل شعران شِعْرٌ غِناً وحكمٌ وشعرٌ لا نصيح به سواءُ

وقال أبو نواس :

الشعر ديوانُ العربْ أبداً وعنوانُ الأدبْ
لم أعْدُ فيه مفاخري ومديح آبائي النُّجُبْ
ومقطَّعاتٍ رُبَّما حلَّيت منهنَّ الكتب
لا في المديح ولا الهجا ، ولا المجونِ ولا اللعبْ

ودخل العجاج على عبد الملك بن مروان فقال له : بلغني أنك لا تحسن الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين من قدر على تشييد الأبنية ، أمكنه خراب الأخبية ، قال : وما يمنعك من ذلك ؟ قال إن لنا عزاً يمنعنا من أن نُظلم ، وحلماً يمنعنا من أن نظلِم . قال لكلماتك أحسن من شعرك . فما العز الذي يمنعك أن تظلم ؟ قال الأدب المستطرف ، والطبع التالد . قال لقد أصبحت حكيماً ، قال وما يمنعني من ذلك وأنا نجي أمير المؤمنين ؟

وقال أبو العلاء المعري :

مُلَّ المُقامُ فكم أعاشر أمةً أمرت بغير صلاحها أمراؤها
فِرَقاً شعرتُ بأنها لا تقتني أدباً وأن شرارها شعراؤها

وقال الفارابي : إن أكثر شعر العرب في النهيم والكريه ، وذاك أن النوع الذي يسمونه النسيب إنما هو حث على الفسوق ولذلك ينبغي أن يتجنبه الولدان ، ويؤدبوا من أشعارهم بما يحث فيه على الشجاعة والكرم ، فانه ليس تحث العرب في أشعارها على شيء من الفضائل سوى هاتين الفضيلتين ، وإنما تتكلم فيهما على طريق الفخر ، لأن أكثر شعرهم من شعر المطابقة الذي يصفون به الجمادات كثيراً والحيوان والنبات . وأما اليونانيون فلم يكونوا يقولون أكثر ذلك شعراً إلا وهو موجه نحو الفضيلة والكف عن الرذيلة ، وما يفيد أدباً من الآداب ، أو معرفة من المعارف

وقال محمود سامي البارودي :

الشعر زَيْنُ المرء ما لم يكن وسيلة للمدح والذَّامِ
قد طالما عَزَّ به معشرٌ ورُبَّما أزرَى بأقوام
فاجعله فيما شئت من حكمة أو عظة أو حسب نام
واهتِف به من قبل تسريحه فالسهم منسوب الى الرامي

ولا شك أن من ينظر في هذه الأقوال والأشعار لهؤلاء الحكماء والشعراء يجدها تتفق تمام الاتفاق مع ذلك القياس الذي وضعناه للشعر ليصلح به أمره ، ويحسن في الناس أثره ؟

عبد المتعال الصعيدي

# نُجح وإخفاق

للأستاذ فخرى أبو السعود

نَلْ ما تُرِيدُ من الأيام مقتدرا ... وطُفْ بموكبها العَجَّاج منتصرا
وسِرْ حياتَكَ مِن نصرٍ إلى ظفرٍ ... وقَضٌ فى غزْوِ غاياتِ العُلى العُمُرا
وأزدَدْ بنفسك إيمانا إذا وَطَرٌ ... شآكَ لا تَلْحَ إنسانا ولا قَدَرا
واعلمْ بأنك ترْقى اللجَّ معتليا ... إذا هوَى بك بعضُ اللجِّ منحدرا
كُنْ — إذْ علمتَ طباعَ الدهر كيف جرَتْ
وقد علمتَ طباع الخَلْقِ — مُعْتَبِرا
كم لُمْتُ نفسى على ما فاتَ من أرَبِ
ولم أَلُمْ قدَراً يوما ولا بَشَرا
لو كنتُ أبصر بالمسعى خَلصتُ إلى
مُنايَ ما أُبْتُ مِن مَسعايَ مُنكسرا
الدهرُ نِعمَ المُرَبِّى بَثَّ حكمتَهُ ... فى كلِّ ما نابَ من أحداثِهِ وعرا
أكلما لقَّن الإنسانَ تجربةً ... أنحى عليه بذَمٍّ؟ لو درَى شكرا
ما لأنم الدهر إلا كالصبى إذا ... مَشى إليه المُربى بالعصا جأَرا
من علَّمته رزايا الدهر موعظةً ... فانه قد جَنى أضعافَ ما خَسِرا
إنى — وقد صنتُ نفسى أن يؤدِّبَها ... سوايَ يُلقِى إليها الوعظَ والنُّذُرا —
أُمسى عليها رقيباً ساهراً يقظاً ... عمرى وأُضحِى حسيباً مغلظا عسرا
النُّجح يعرفنى إن نلت غايته ... لم أُلفَ لا قانعا جهلاً ولا أشِرا
والرُّزءُ يعهدنى : إن جل موقعُه ... ألوذُ بالعزم والايمان مصطبرا
صحبتُ دهرى وصاحبتُ الأنام على
عِلاَّتِهِمْ ولكم أغضى مَنِ اختبرا
كم أوْلعتْ بِيَ شرِّيرا طَوِيَّتُهُ ... وحدثته بفعل السوء فابتدَرا
كان المُسىء فلم أحفلْ إساءته ... وقد غفرتُ ولم يحلُمْ ولا غفرا
مَن ليس تقصر دون الأُفق هِمَّته ... ولا يُطارح إلا الأنجُمَ السَّمَرا
فكم يبيتُ عن الأضغانِ فى شغل ... وكم يمر بأهل الضغن محتقرا

فخرى أبو السعود

# هرم خوفو

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يا موجة للدهر لم تُهْزَمِ ... تعلو عُلُوَّ الجبل الأعظم
وما رأينا قبلها موجة ... تعلو فلا تحدر للمحطم
ما الناس والآثار من بَعْدِهم ... إلا كموج إن علا يُهْزَمِ
موج لبحر ما له ساحل ... إلا الردى فى لحده المظلم
كم عند شط الموت شِلْوِ رَدى ... يقذفه الدهر إلى ضيغم
هل أنت شِلْوٌ لزمان مضى ... رفاته الآثار لم تُرْدَمِ
لم يبق من عمران من قد مضوا ... إلا بقايا الجلد والأعْظُمِ
كأنما يُذْخَرُ من مجدهم ... ما يذْخَر النمل من المَطعم
كيف نُرَجِّى الدهر ذا عفة ... إن ذاق طعم اللحم لم يقرم (١)
لا يسمع الدهرَ سوى مُنْصِتٍ ... بالروح إن يُصْغِ له يبكم
همهمة يطلقها عارم ... إن يمضغ المودى به يبغم
هل خاف هذا الدهر صرف الردى ... فشاد صَرْحاً منك لم يُثْلَمِ
لا يجرؤ الموت على بيته ... فى هرم كالجبل الأدهم
أم شادك العقل لكيما يرى ... من فوقك الأقدار لم تهجم
بعيدة لم تَبْدُ أشخاصها ... تهفو لنا فى يومها الأيومِ
كى يؤْذِنَ الناس بإقبالها ... من قبل أن تفجأْ بالمَقْدَمِ
إن أرزم الرعد على شاهق ... ففوقك الأيام كالمرزم
أو كللت هامَته ديمة ... وطفاء مثل المِجْسَدِ المسهم
فوقك أرواح عصور خلت ... كديمة سوداء لم تحسمِ
هدت يدُ الدهر مشيدَ البنى ... وهو إذا أمَّكَ كالأجذم
كم أنزل الدهر شآبيبه ... على جبين منك لم يهرم
كالمزن فوق الزهر يحيا به ... زهر الرُّبى من غيثه المُرْهِمِ
كأنما روح زمان مضى ... معشش فوقك كالقشعم
يا معبداً يُعْبَد فيه الحجا ... إلى الحجا فى صنعه ينتمى
أجلُّ ما تعبد فيه النهى ... سليلها فى صنعه المحكم
يا عَلَمَ الدنيا الذى قد غدا ... عجيبة الغائر والمُتْهِمِ

(١) فى هذا البيت والأبيات التى بعده تشبيه للدهر بحيوان يضريه أكله الناس

علت بك الأرض كمن قد علا     برأسه الكبر فلم يُهضم
رفعت رأساً منك ماطاله     رأس البناء الشامخ الأقوم
كأنما كل البنى سُجَّدٌ     من هيبة للملك الأعظم
ياملكا ما انحلَّ سلطانه     قد هُدِمَ الماضى ولم يُهدَم
كم دولة قد ضاع سلطانُها     ودولة الأهرام لم تهرم
يا غِيَرَ الأيام فى كرِّها     من أبيض نامن أو أسحم
تباعَدِى إن شئت أو فاهجمى     على شبيه البطل المُعْلَمِ
هيهات لم يبدُ له مَقْتَلٌ     قد أخطأ الرامى فأشوَى الرَّمى
كم خال فيك الناس سرا طوا     ه الدهر لم يُكشَفْ ولم يُعلم
خالوا الأُولَى شادوك قد أودعوا     فيك رموز المطلب الأكرم
ما أودعوا إلا كنوزاً غدت     نهبة كف الصائل المجرم
وكل مالم يَبْدُ كُنهٌ له     يخالُ كنز الحق والمغنم
والمرء يبغى الحق فى خدره     ولو بدا فى أعين الأنجم
ورمه خبأها كاهنٌ     لفَاتكِ الآراء والمخذم
رمة رب رائع عزمه     قد أُخرجَت من بعدُ للمرجم
جلال روح منه ذى همة     مجسم فى صنعه المحكم
لا تحسبنَّ الناس لم يُغنهم     غير منال البُرْد والمطعم
فالنفس تبغى أن ترى كُنْهَهَا     مُجسَّماً فى صنعها الأعظم
لم يُصلح الناسَ لِذِى أمرهم     غيرُ شفيع السيف والدرهم
أظلمهم من ساغ طعم الأذى     ليس الذى يَظلِمُ بالأظلم
كل ضعيف خيره علة     من ذا الذى صح فلم يعرم

# آية الصبح

## بقلم الشاعر عثمان حلمى

غرَّد العصفورُ للصبح فهيا     ياحبيبى فتِّح الصبح فهيا
آية الصبح تجلَّتْ ، قمْ بنا     قبل أن تطوى بضوء الشمس طيّا
إن نور الله فى بهجته     دلنا أن له سراً خفيا
وكأن الكون فيه ملك     يتغنى نغماً حلواً شجيا
سكبَ الحسن على جبهته     ماءه فانتعش العالَمُ رِيا
كلُّ شىء ضاحكٌ مبتهجٌ     بعثَ الصبحُ موات الكون حيا
فهنا الريحانُ فى أوراقه     ناشراً من روحه روحاً زكيا
وهنا النرجسُ فى جلبابه     لابساً من حسنه ثوباً بهيا
وهنا الوردُ على أغصانه     خَجِلاً من حسنه الزاهى حَيِيا
وهنا الطيرُ تُغنِّى لغةً     فهم الزهر لها معنى خفيا
كلما غرَّدَ منها طائرٌ     خِلتُه كان إلى الطير نبيا
وهنا الأشجارُ فى خضرتها     لبست ثوباً من الحسن زهيا
خَلَعَ الصيفُ عليها بُرْدَه     وحباها ثمراً حلواً جَنيا
رَضى الله على الدنيا فما     تبصرُ العينُ من الدنيا دَنيا
كفُّ جبريل عليها نثرتْ     من رُبَى جنته حسناً نديا
من حياة الخلد أو من حسنه     ما يعيد الميْت فى الأنفس حيا
أو مشى يوسفُ فيها طرباً     وحبا الجوَّ بها عطراً زكيا
وحبا الأنظارَ من طلعته     ما يُعيد الحب فى النفس فتيا
فإذا ماعبث الحبُّ بها     جعلته مثلاً منه عليا

يا حبيبى سِرْ بنا فى روضةٍ     نرومها الطرف إن كان صدِيا
والذى صوَّر فى الكونَ لنا     يبدىْ إحسانه حسناً سويا
والذى نمَّقَ من قدرته     كلَّ ماينطقُ بالحق جليا
والذى قلبى ونفسى صُنْعه     كنتُ منه أولياً أبديا
والذى سواكَ من نور الضحى     بعد أن لم تك فى ماضيك شيَّا
والذى أرسلنى منكَ إلى     كلِّ من يشعرُ للحب نبيا
والذى أكسب نفسى نغماً     باعثاً للحسن فى الناس دويا
والذى أبدعَ فى صوتك ما     يملأ السمع به خمراً شهيا
غنِّنِي شعرى وقل فى طربٍ     غرَّدَ العصفورُ للصبح فهيا !
جلَّ من أنشاكَ فى صورته     مثلاً فى حسنكَ الزاهى عليا
وحبانى الحب حتى ما أرى     غيرَ حى كان حبا عبقريا
جلَّ من أرسل منِّى شاعراً     يتغنى فيك بالشعر شجيا
أنت فى شعرى جميلٌ خالدٌ     بعد ما يطوى حياتى الدهر طيا
آه لو تفهمه لم تنسنى     أبدَ الدهر ولو كنت نَسيا
هاك رتِّله ، ففى ترتيله     ما يعيد الباكىَ النفس رضيا
فهو مثلُ الصبح ، فى آيته     ما يعيد الأمل الحلو قويا
ها هو الصبحُ ! فلولا حسنه     كانت الدنيا جحيما أبديا

# القصص

قصة مصرية

## الأعمى ...

[ تتمة ما نشر فى العدد الماضى ]

بقلم محمود البدوى

بقى الأعمى فى المسجد بعد أن فرغ المصلون من صلاة العشاء بساعة ، ثم مشى الى جانب المنبر فتناول عصاه وأم الباب ، ولما بلغ عتبته سمع صوت الدلو فى البئر ، فنصب قامته وأرهف سمعه .. لقد جاءت جميلة على عادتها ، ولكنها متأخرة قليلاً هذه الليلة . واستمر واقفاً وسمعه إلى الماء المتقاطر من الدلو كدفعات المطر غب سحاب ورعد ؛ ثم انقطع صوت الماء ، فأدرك أنها ملأت الجرة ، فدفع الباب وخرج ، ومضى تحت جدار المسجد خطوات ... ثم توقف عن سيره وأخذ يفكر ... ثم ارتد إلى حيث كان ، حاثاً الخطى كأنما يسوقه سائق ... وعطف على البئر وقلبه شديد الخفقان

« جميلة ... »

« نعم ... »

« أملأت الجرة ؟ »

« أجل ! »

« وذاهبة إلى البيت ؟ »

« أجل ! »

وكانت الجرة على رأسها ، وقد تهيأت للسير ، فاستدارت ووقفت ... ... ...

ومد عنقه وقال :

« سأروح معك من غرب البلد ... لأن كلاب الشيخ عبد الكريم عادت من العزبة ... وهى تقطع علىّ الطريق »

« هيا ... ... ... »

ومشيا صامتين والليل ساكن والقرية نائمة ، والظلام مخيم ؛ حتى أحس بأنفاسه خلصت ، فأدرك أنهما خرجا إلى الخلاء . وبعد خطوات سمع حفيف الريح فى عيدان الذرة ، فأيقن أنهما قربا من الحقول ، وسأل وقلبه يرجف :

« أوصلنا بستان الشيخ حسين ؟ »

« قربنا ... ... ... »

ولم يكن ألف هذه الطريق ، وإن يكن يعرف أن هناك قناة صغيرة تمتد بين البستان وحقل الذرة ، وعليهما أن يعبراها لينحدرا منها إلى جنوب القرية ، ثم إلى حيهما . وكان منذ أن غادر البئر واقعاً تحت تأثير خواطر عاصفة ، اشتعل لها رأسه ، وجاش صدره ؛ فكان يتخلف عنها قليلاً ويجعلها تتقدمه خطوات . فهذه هى المرة الأولى التى ينفرد فيها مع امرأة فى ظلام الليل وسكونه ، على أن تخلفه عنها لم يخفف من حاله ، بل على العكس من ذلك ، كان يفسح المجال لوضوح رغباته

سطَّر الرحمنُ فى صفحته ... نورَه نوراً سماوياً سنيا
وأجاد الله فى صنعته ... لم يدع فى خلقه للنقص شيا
ليتَ شعرى ماعسى جنته ... تلك حيث النفس لا تلقى رديا
طهُرتْ من نقصنا وابتهجتْ ... من سناهُ كاملاً فيها جليا
ليتنى رضوانُها أو ليتنى ... ملَكٌ فيها يظلُّ الدهر حيا
وأرى شخصك فيها ملكاً ... تتناجى الحب فى الخلد سويا
نتناجى حُبّنا عن كثبٍ ... ويكون الحبُّ حباً أبديا
ونرى الرحمنَ فيها أو نرى ... من يرى الرحمنَ فى الخلد هنيا
فهناك المثلُ الأعلى لمن ... عَرف الأدنى من الدنيا قويا
قم إذن نسعَ إلى الروض سويا ... ياحبيبى ، فتَّح الصبح فيا !
لا يطيب العيش لى منفرداً ... أو أرى وحدى جلال الحسن شيا
لو ملكت الخلد وحدى لم أكن ... لا عن النفس ولا عنه رضيا
نزعت نفسى إلى مؤنسها ... أو حبيب أجتلى منه المحيا

(الاسكندرية) عثمان حلمى

وتركزها وأخذها السبيل عليه ، فمضى وراءها والاضطراب يعصف بقلبه وصدره وكيانه ، حتى وصلا القناة فدفع لها عصاه ، ونزل وراءها فى الماء ، وغاصت أقدامهما فى الوحل ، وخرج ينفض رجليه فى العشب الممتد على حافة الحقل . وأنزلت هى جرتها وانحنت على الماء تغسل رجليها ، ثم انتصبت تصلح ثوبها ، وهو واقف خلفها يفتح رئتيه وصدره لهواء المساء العليل ، ويحاول أن ينحى عن رأسه الخواطر العاصفة التى ألهبت أليافه وهيمنت على كيانه

وواجهته وقالت بصوت ناعم :

« ناولنى ... ... ... »

فمد يده إلى الجرة ... فلمست يدها ، فكأنما لامسه لهب كاو ، فوقف ويده تلاصق يدها

ثم أمسك بيدها ورفعها عن الجرة ، حتى استطاع أن يقبض عليها بقوة ، فمدت وجهها مشدوهة وقالت وصوتها يرتعش :

« ناولنى .. ... »

فرفع يده إلى ذراعها وضغط ، وقد أحس بألياف لحمه تلتهب

« ن ... ناولنى .! ... »

فأبقى يده ضاغطة على ذراعها ، وهو واقف يتردد

« ما الذى تريده منى ؟ »

فلم يقل شيئاً . ثم مال عليها وضمها إلى صدره ، وضغط على جسمها فتراخى ، وحملها على ذراعيه بسرعة ، ودخل بها حقل الذرة ... ...

* * *

مشت جميلة إلى بيتها خائرة القوى ، مرضوضة الجسم ، ذاهبة اللب ، وقد اسود فى نظرها الوجود واحلولكت الدنيا ... مشت ذاهلة ساهمة لا تحس بشىء مما حولها ، ولا تعرف إلى أين هى ذاهبة ... على أن رجليها كانتا تقودانها ، بحكم العادة ، إلى بيتها . مشت تحملق فى الظلام ، وهى والهة مرتاعة ترى بعد كل خطوة شبحاً ، وتتصور عند كل قدم حفرة ... ... لقد فعلتها . . مع من ؟ مع سيد الأعمى ... لقد ساقتها قوة أزلية الى الهاوية ! لقد حملها المقدور الحتم الى الوحل ... لقد جرفها التيار فغاصت فى الوحل الى ساقيها!

إننا نسير فى الطريق مسوقين بقوة أعلى منا وأقوى . قوة جارفة لا نستطيع ردها ، ولا نقوى على دفعها ، تسوقنا فى الظلام الى المصير الحتم ... لقد غدت جميلة ، فتاة الريف العفيفة الطاهرة ، المرأة الدنسة القذرة التى غاصت بقدميها فى الوحل ... سيظل الوحل عالقاً بها دائما ، وان غسلت رجليها صباح كل يوم ومساءه ، سيظل الوحل عالقاً بها أبداً

ستذكر دائماً أن قوة خفية ساقتها ، بمحض ارادتها ، الى الوحل ، قوة أعلى منها لا تستطيع فهمها ولا تحاول فهمها ولا تعليلها . هذه القوة الخفية الأزلية تعمل دائماً من وراء الحجب ، تعمل أبداً من وراء الغيب ، وتسوقنا الى المصير المحتوم

ستذكر جميلة ، الفتاة الريفية الجميلة المزهوة ، أن قوة خفية ساقتها الى البئر ، لتقودها الى الأعمى ، ولتجرفها الى الحقل

لا لذة ولا متعة ، ولا احساس بشىء من هذا كله ، ولكنها استسلمت ورضيت ، لأنه حكم عليها بأن تستسلم وترضى

لا احساس بنشوة ، ولا شعور بمتعة ، وانما مر كل شىء كالعاصفة الهوجاء وهى تلف كل شىء لفاً

لما فتحت عينيها على الدنيا الرحيبة الباسمة ، من قبل ، كان كل شىء قد تغير ؛ كل شىء قد تغضن واربد وعلته غشاوات ، ولفه السواد فى جلبابه ، وطوته العاصفة الرعناء فى طياتها ؛ كل شىء قد انمحى من باصرتها ومات وذهب مع العاصفة ، وبقيت ظلمات يأخذ بعضها برقاب بعض .... وعليها أن تسير فى جوف الظلام وتمضى

ستطلع شمس الصباح الجميلة على القرية الوادعة ، وستقابل القرويات ، وستتحدث وتبتسم وتضحك ، ولكن بأى وجه ؟ وأى لسان ؟ ؟ وستقابل الزوج ، عند ما يطلع النور ؛ ستواجه زوجها وتقف أمامه ؛ ولكنه لن يعرف شيئا ، ولن تعرف النسوة شيئا ، ولكنها مع هذا ستشعر بالخجل ، وتغض الطرف وتنكس الرأس ، وهى الجميلة المزهوة التى تعلو على أقرانها ولداتها

ستسير فى القرية مطأطئة الرأس ، خافضة الطرف ، لا تستطيع أن تقابل نظرة امرأة بمثلها ... ستفعل ذلك ما دام الاحساس بالجريمة يلازمها ؛ وإذا ما بارحها هذا الاحساس ستنسى ، ولكنها لن تستطيع أن تنسى كل شىء . ستذكر دائما أنها فعلت ذلك بمحض ارادتها ، وكان عليها أن تقاوم وتمزق الثوب وتشق الجيب ، وتملأ الدنيا صياحا . إنها لم تأخذ شيئا ، لم تأخذ شيئا مطلقا ، وأخذ الرجل كل شىء !

ولن تذهب إلى البئر بعد اليوم ، لا فى الصباح الباكر ،

ولا فى الليل الزاحف ؛ لا وحيدة ولا برفقة أحد . كل ما توده الآن هو أن تنسى ، هو أن تحاول أن تنسى . كل شىء فى الحياة يتغير فى ساعة ، يتغير فى ساعة أزلية مسطورة فى صفحة حياتنا . لقد غدت الفتاة المشرقة الضاحكة الناضرة ، المرأة المشوهة المنكسرة الواجمة ... بعد ساعة مرت كالعاصفة

فتاة الريف لا تزال بخلقها البكر ، لا يزال ضميرها حياً ، لم تخدره بهارج المدنية الكاذبة ، إنها لا تزال ترى الأشياء على حقيقتها . لا تزال بطبعها البكر طاهرة نقية قوية الايمان عفيفة الأزار . . . . تستهول الجريمة الجنسية ، وتستفظع الخيانة الزوجية ، وترجف حتى من مجرد التفكير فيها ، هكذا شعورها بفطرته ، تعرف من غير معلم ولا مدرسة أنها خلقت لرجل واحد ليس إلا . رجل واحد يأخذ منها قلبها وجسمها ، ويستغرق تفكيرها ووجودها . وتدفعها فطرتها الى أن تكون له أبداً . أما إذا زلت قدمها ، وجرفها التيار الى الوحل مرة ! فما الذى تفعله ؟ تحاول بكل ما تستطيع من قوة أن تنسى . . . لأنها لو ذكرت ربما عاودتها مع الذكرى أشياء لا تحبها ولا تود التفكير فيها

ولما أشرفت على الجسر الذى ستنحدر منه الى حيها راعها نباح الكلاب الشديد ! إنها لم تنبح بمثل هذه الشدة مطلقاً ؛ إنها تطارد فى ظلام الليل أشباحا مخيفة تروعها . وأحست بوخز الابر فى جسمها . أخذ جسمها يرتعش ، ومع الرعشة برودة الثلج . فمالت الى جدار قائم فى الطريق واعتمدت عليه دقائق . ولما رجعت اليها بعض قوتها استأنفت سيرها ، وتقدمت تسحب رجليها سحبا ، وقد آب لها بعض حسها ؛ على أن جسمها كان يشوكه مثل الشوك دائما . وأخذت عينها الترعة ، وماؤها يتدافع ويجرى . وقد تراقصت الصور فى مخيلتها واختلطت . بعد خطوات ستصل المنزل وتلاقى زوجها . وحدقت فى الماء وهو يجرى متدفقا منطلقا كالسهم ، لا شىء يقف فى طريقه ، يجرف معه دقيق الحصى والتراب ، ويحمل على متنه خفيف الريش ، لقد حملها التيار ، الى أين ذاهبة ؟ الى أين ذاهبة ؟

ما الذى سيحدث لو علم زوجها ؟ سيذبحها كما يذبح الفروج . ليس أيسر على الريفى من ذلك فى سبيل عرضه وشرفه ، وهو ثروته الباقية على الأيام . ماذا يحدث لو علم لداتها ؟ ؛ ما الذى سيحدث لو علم أقرانها اللواتى تزهى عليهن بجمالها وتشمخ ؟ سيمزقنها بألسنتهن ، وستغدو حديثهن فى كل سمر ، ومتعتهن فى كل مجلس . ما الذى سيحدث لو علم أهلها ؟ أخوها أقوى شباب القرية سيدفنها حية كما دفنت ناعسة ومبروكة وعزيزة ، من فتيات القرية التى حامت حولهن الشبهات ، وعفى عليهن الآن ذيل النسيان فلا يستطيع أحد أن يذكرهن لأن فى الذكرى جريمة . . . حتى ذكراهن عند القروى جريمة

ونزلت من الجسر الى الدرب الذى فى نهايته منزلها ، ومشت مستريحة الى الظلام المتكاثف . كل ما توده الآن هو أن تسير فى جوف الظلام متقية به أعين الناس . لقد مشت على الجسر راجفة مروعة تخاف أن يبصرها خفير الدرك ، ولكنها الآن فى جوف الظلام آمن وأسلم

وتقدمت فى الدرب متخاذلة متثاقلة تحس الأرض تنشق تحتها ، تصعد أكوام الرماد الملقاة عند أبواب المنازل وتهبط معها وهى تتصور أنها ترقى تل الصحراء . ولما بلغت باب البيت وقفت لحظات . . . ثم تجاسرت ودفعته

كان زوجها نائما على السطح فانتبه على حركة الباب ، وصاح بصوت جاف :

« تأخرت ياجميلة . . . »

وكان صوت زوجها رعد . آواه ظنته نائما فاذا بعينه ساهرة ، فلم تجب ، وغضت رأسها ووقفت فى صحن البيت جامدة . ولو بصر بها زوجها لرأى أغرب صورة . ولم ينتظر جوابها فصمت ، ثم قال بعد مدة :

« اسقى البقرة واعلفيها . . . »

ومضت فترة قصيرة سمع بعدها بكاء عالياً ، فسأل بغضب وقسوة ، فأسخف ما فى نظر القروى بكاء امرأة :

« ما الذى جرى ؟ »

فلم ترد . . . وزاد نحيبها

« ما الذى جرى ؟ »

وانتصب وأطل من صحن البيت

« ما الذى جرى ؟ »

« الجـ ... الجر ... الجرة ... آه ... أهىء ... »

« كسرت ؟ »

« أجل ... آه ... أهىء »

« وهى تستحق كل هذا البكاء ؟ .... كفى ! »

« آه ... أهىء ... آه ... »

« كفى ... » بصوت راعد

فحبست زفراتها وغيضت عبراتها ودفنت وجهها فى حجرها

ونام الزوج وغط :

* * *

زحف الأعمى الى المسجد قبل الفجر ، وهو متخاذل الجسم متسعر الجمجمة . وكانت قد ساورته فى الليلة التى خلت حمى شديدة تصبب لها عرق يملأ القرب ؛ وبات يتقلب على مثل الشوك ويود من فرط الحمى المتأججة فى جسمه من يقذف به الى اليم . بيد أنه تحامل على نفسه لما لاح النور ومشى الى المسجد متوكئاً على عصاه ، فما من الأذان بد . أجل ما من الأذان بد ! كيف يغفل عن أذان الفجر !

وصعد الى سطح المسجد ووقف ناصباً قامته ملوا عنقه ، ويده على الساعة يتحسس بها العقرب ، حتى حان وقت الفجر فوضع يده عند أذنه وانطلق ...!! ولكن ما هذا ؟ ما الذى جرى ؟ لقد اختنق صوته واحتبس ، وأصبحت الحروف تخرج من حنجرته مصفرة عاوية عواء الذئب . ما الذى حدث ؟ ما الذى جرى ؟ حاول مرة ثانية فأخفق ، وتمهل لحظة ؛ وحاول مرة ثالثة ، فأخفق أيضاً ؛ وهبط الى صحن المسجد ، وهو يهتز اهتزاز القصبة الجوفاء فى مهب الريح العاصف ، وتقدم حتى وقف على رأس رجل نائم

« ياشيخ على . . شيخ على . . ! »

« نعم ... »

« قم أذن الفجر ... فصوتى لا يطاوعنى اليوم ... أصابنى البارحة برد شديد ... »

وبارح المسجد قبل طلوع الشمس ، وسار على الجسر حتى بلغ الحقول المجاورة . وكان قد نال منه التعب ، وبلغ منه الجهد ، فاستراح تحت شجرة من شجر السنط ، وضربه هواء الصباح على أذنه فنام حتى القيلولة . وقام وقد حميت الشمس ، وتوقدت الهاجرة ، وانقلب الهواء راكداً خانقاً يلفح الوجوه بوهج السعير ، واستوى على قدميه وأمسك بعصاه ، واتجه الى القرية ، وكل شىء فيها ساكن وادع إلا الأطفال الذين لا يقيمون وزناً ولا يبالون بحر أو برد

« أحمد ... سيد الأعمى ! »

« صحيح ؟ ... »

« والنبى ... »

وتجمع الصبية على الجسر ، ووقفوا صامتين وعلى شفاههم بسمات خفيفة ، حتى جاوزهم الأعمى ، وهو يسير سيره المألوف . ولما بعد عنهم قليلا ، رماه أصغرهم بحصاة استقرت عند صدغه . ما هذا ؟ لقد أصابته للمرة الأولى أول رمية أصغر صبى ! ما الذى جرى ؟ وانهالوا عليه بعد ذلك يداً واحدة حتى أمطروه وابلا من الحصى والحجارة . فاستدار لهم الرجل وقد تميز غيظا ، ولوح بعصاه يهدد ويتوعد ، فتفرقوا عنه واستأنف سيره بعد برهة قليلة ، واستأنفوا هم بدورهم حصاهم وحجارتهم . فما أقل الصبر عند الأطفال ! وأصابه حجر فى الجانب الأيسر من صدغه فشجه وسال الدم ، وآلمه الجرح جداً حتى خرج به عن رشده ، فدار على عقبيه وجرى وراء الصبية يضرب بعصاه يميناً وشمالاً ، ولا يبالى أين تقع وتصيب ، وهو مخبول تماماً ، حتى أصابت ضربة قوية صبياً فى رأسه فجرحته جرحاً بليغاً ، ونزا دمه الأحمر فلطخ وجهه ؛ وكان الكلب رابضاً على الجسر فى ظل جدار لمنزل خرب ، وعينه إلى المعركة التى حميت واشتدت ، فقام ينفض جسمه نفض الليث ، وتوثب وثبات جامحة ، ثم دار دورات سريعة يقذف فى خلالها الهواء بغبار رجليه ، ثم انقض على الرجل فمزق الجزء الأمامى من ثوبه ! وطار به ، والصبية يبصرون هذا ولا يكادون يصدقون ، وشجعهم الكلب على معاودة الكرة على الرجل فانهالوا عليه ، وقد حموا ونشطوا ، يرجمونه بالحصى والحجارة ، حتى انطلق الرجل يسابق الريح . ومازالوا يتبعونه حتى أجلوه عن القرية . ولما كلت سواعدهم رجعوا الى القرية ضاحكين . وانطلق هو يجرى كالمخبول لايلوى على شىء

* * *

وبصر القرويون فى صباح اليوم التالى وهم فى الطريق إلى سوق « المركز » بجثة ملقاة على قارعة الطريق ، فمنهم من قال إنها لسيد أعمى ؛ ومنهم من أنكر ذلك

على أن الذى نحن على يقين منه أن الرجل لم يدخل مسجد القرية بعد ذلك أبداً

محمود البدرى

# البريد الأدبي

## حول البناء الحر (الماسونية)

وجه الى الأستاذ (ع) من دمشق على صفحات «الرسالة» كلمة يعلق فيها على عبارة لي وردت عرضاً في مقالي عن «البارون فون أوفنباخ» (الرسالة عدد ١٤١) بشأن «البناء الحر» (الماسونية) وغاياته

وما قلته يومئذ من أن البناء الحر إنما هو حركة من حركات الخفاء العالمية وأنه يعمل منذ الأحقاب لغايات بعيدة المدى، لا تدركها المحافل الصغيرة، ولا المراتب الدنيا، خلاصتها هدم النظم والعقائد القائمة كلها، وادماج الانسانية في مجتمع عام حر التفكير تسوده المساواة الاجتماعية المطلقة، هو أرجح الآراء التي انتهى إليها البحث الحديث في شأن البناء الحر وغاياته

وقد ذهب بعض أكابر الباحثين إلى أن حركة البناء الحر ليست إلا وجهاً من وجوه «الثورة العالمية» التي تسعى لاحداثها حركات هدامة كالشيوعية وغيرها

وقد كان البناء الحر وراء معظم الحركات الثورية في العصر الأخير، ولا سيما في اسبانيا والبرتغال وإيطاليا وبلجيكا

بل ذهب بعض الباحثين، ومنهم المؤرخ الفرنسي الكبير أولار، إلى أن الثورة الفرنسية ربما لم تكن في جوهرها سوى مؤامرة دبرها البناء الحر، وحاول أن يصل باضرامها الى تحقيق غاياته

وكنت أود أن أزيد السائل الأديب بياناً، ولكن يحول دون ذلك اعتلال صحة وأهبة عاجلة للسفر الى الأندلس

بيد أني أحيله على بحث مستفيض عن البناء الحر وتاريخه ونظمه وغاياته ووسائله نشرته منذ أعوام في كتابي «تاريخ الجمعيات السرية» (ص ٨٧ - ١١٥)؟

م . ع . ع

## كتاب عن برلين

ظهر في العهد الأخير نوع جديد من الأدب الوصفي هو دراسة العواصم الكبرى باعتبارها أكمل مظهر لمختلف الشعوب والأمم؛ وبلغ هذا الضرب الجديد من الأدب روعته على يد كتاب عظام مثل بول موران، الذي تعتبر كتبه عن لندن، ونيويورك، وبخارست من أبدع آثار الأدب المعاصر. وقد ظهر أخيراً كتاب من هذا النوع عن مدينة برلين بقلم الكاتب والمؤرخ المعروف هنري بيدو، وهو يصور لنا برلين كمارد ضخم يجثم في وهاد براندنبورج وفيما بين الغابات والمستنقعات؛ وقد لوحظ كثيراً أن برلين ليست كباقي العواصم الأوربية الكبرى من حيث مناسبة موقعها وكونها تعبر عن مظهر لالمانيا الحقيقي فهي من حيث الموقع لا تضارع رومة التي تقع في وسط إيطاليا وتشرف على البحر الأبيض، وباريس التي تعتبر كأنها محجة الادارة الفرنسية، وموسكو التي تجتمع حولها موارد روسيا الشاسعة، ولندن ونيويورك وغيرها؛ ثم هي لا تعبر عن مظهر ألمانيا، أولاً لأن العنصر السلافي يغلب فيها فهي ليست مدينـــة ألمانية حقة مثل ميونيخ أو لايبزج أو فرنكفورت، وثانياً لأنها تبدو دائماً كأنها عاصمة مفروضة على ألمانيا، فرضها آل هوهنزلرن رمزاً لقوة بروسيا، ثم فرضتها الظروف بعد ذلك؛ وحياتها الاجتماعية كمدينة عظيمة تكاد تكون معدومة ذلك لأنها تبدو دائماً كمعسكر، تغلب عليه المظاهر الآلية والخشنة، فالحياة المعنوية والاجتماعية فيها راكدة لا تروق الأذهان الحساسة الرفيعة. ولقد كانت ألمانيا تقدر منذ بعيد أن برلين الحديثة سيبلغ سكانها في فترة وجيزة ١٢ مليوناً من الأنفس، ولكن برلين لم تبلغ بعد الجهد ثلث هذا الرقم، وهو دليل آخر على ركودها المعنوي والمادي

هذه هي الصورة التي يقدمها الينا هنري بيدو عن العاصمة الألمانية، وهي صورة لا تغبط عليها مثل هذه العاصمة الكبرى

## جورج دوهامل عضو الأكاديمية

وأخيرا انتظم جورج دوهامل بين أعضاء الأكاديمية الفرنسية وأصبح من الخالدين. وجورج دوهامل كاتب من أعظم كتاب فرنسا المعاصرين، وكاتب اجتماعي وانسانى قبل كل شىء؛ وقد اشتهر بعدة من آثاره القيمة وبالأخص بكتابين هما «حياة الشهداء» Vie de Martyrs و«اعتراف منتصف الليل» Confession de Minuit

وزار دوهامل مصر أكثر من مرة، فى شتاء سنة ١٩٢٩ وفى صيف سنة ١٩٣٤؛ ولم يكتب دوهامل عن مصر ولم يصفها كما يفعل زملاؤه الذين يزورونها؛ ولكن يؤثر عنه بأنه وصف مصر بأنها «الأرض التى يسود فيها منذ الآماد عشق الحياة الأخرى» وقد تأثر دوهامل أيما تأثير بما رأى من آثار الفراعنة التى تتجسم فيها فكرة الخلود والأبدية

ودوهامل يكتب بأسلوب رائع وبيان قوى؛ وتطبع كتاباته كلها نزعة الى الانسانية والى التسامح العام

ولم يكن دوهامل يوما من الساعين الى الدخول فى الأكاديمية ولكنه حينما رشح وانتخب لهذا الكرسى الرفيع لم يسعه إلا أن يتبوأه مغتبطا

## بعثة جديدة الى الأرض الخضراء

سافرت أخيرا إلى الأرض الخضراء (جرينلند) بعثة علمية فرنسية، لتقوم بقطع هذه الجزيرة القطبية الشاسعة من الغرب الى الشرق؛ وهى مؤلفة من الدكتور جيسان، وميشيل بيريه، والكونت كوند، ورئيسها بول أميل فكتور. ومن أهم أغراض البعثة أن تقوم بإسعاف السكان الذين يقطنون هذه الصحارى الثلجية والذين تفتك بهم «الأنفلونزا» فى الوقت الحاضر فتكا ذريعاً

وقد سبق لرئيس هذه البعثة، وهو بول فكتور أن قام برحلة كبيرة الى الأرض الخضراء، وسلخ عاما فى مدينة انجمسالك فى شرق الجزيرة، وهو يعيش عيشة أهلها الصيادين ويقلدهم فى جميع عاداتهم وأحوالهم الخشنة

وقد حالت تلال الثلوج دون سير السفينة «بوركوا» القطبية، فاضطرت البعثة أن تحاول الوصول الى انجمسالك من طريق اليابسة

ومن أغراض البعثة العلمية أن تقوم بتحقيق ملاحظات العلامة المكتشف فنجر الذى قام سنة ١٩٣٠ بسبر غور أعماق الطبقة الثلجية التى تغطى الجزيرة كلها، وأن تكرر تجاربه من نسف الثلوج بالديناميت، وقياس سرعة تفاعل الديناميت ليستدل بها على الأغوار؛ وقد ثبت من تجارب العلامة فنجر أن أعماق الطبقة الثلجية تتراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٧٠٠ متر؛ وتنوى البعثة أيضاً أن تقوم ببعض دراسات أقليمية، وأن تدرس طبائع السكان وأحوالهم الجنسية

## رحلة الى الأندلس

اعتزم صديقنا الكاتب المؤرخ الأستاذ محمد عبد الله عنان أن يقوم هذا الصيف برحلة جامعة الى اسبانيا، يدرس خلالها جميع المراجع والمخطوطات العربية فى مكاتب الأسكوريال ومدريد وغرناطة ودير ساكرومونتى، وجميع الآثار والنقوش العربية فى مختلف المتاحف الاسبانية؛ ويتجول فى ربوع الأندلس وقواعدها القديمة مثل طليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطة ومالقة وبلنسية وغيرها؛ فيشاهد ما بها من الآثار العربية، ويدرس فى الطبيعة معالم الوقائع والأحداث التاريخية الشهيرة

ويقوم الأستاذ بهذه الدراسة استكمالاً لمواد كتابه الذى يضعه عن تاريخ الأندلس، والذى توفر منذ أعوام على وضع منهجه واعداد مواده

## بناة العالم لاشتيفان زفايج

نعرف أن للكاتب النمسوى الكبير اشتيفان زفايج عدة دراسات نقدية هامة عن طائفة من أقطاب التفكير والكتابة، صدرت من قبل تحت عناوين مختلفة. فمثلاً صدرت الدراسات الخاصة ببلزاك ودكنز ودستوديفسكى تحت عنوان «الأساتذة الثلاثة»، وصدرت تراجم هلدرلن وكلايست ونيتشه تحت عنوان «النضال مع الشيطان»، وكازانوفا وشتندال وتولتسوى تحت عنوان «شعراء ثلاثة لحياتهم»

وقد صدرت أخيراً طبعة ألمانيا جامعة لهذه الدراسات الشهيرة تحت عنوان جديد هو «بناة العالم» Baumeister — der Welt، وصدرت عن مطبعة ريخنر النمسوية الشهيرة فى ثوب أنيق جداً

والمعروف أيضاً أن هناك تراجم فرنسية وانكليزية لهذه الدراسات القيمة ظهرت متفرقة ومجتمعة

ويقيم اشتيفان زفايج معظم شهور السنة فى مدينة سالزبورج الشهيرة بفنونها الموسيقية والغنائية ، ويقضى باقى الوقت فى مدينة ڤينا

## رحلات أفريقية

صدر أخيراً بالانكليزية سفر من أسفار الرحلات الممتعة عنوانه « فجر الاستواء » Equatorial Dawn بقلم الكاتبة والرحالة الانكليزية الشهيرة السيدة دروثى أونا راتكليف ( أو مسز ماك كريجور فلبس ) ، والسيدة راتكليف شاعرة غنائية رقيقة ولها ديوان شعر ممتع تترنم فيه بمحاسن موطنها ومهد طفولتها « يوركشير » . وهى رحالة كثيرة الاسفار ، تجولت كثيراً فى قلب افريقية ، وفى أعماق وهادها وغاباتها ؛ وقد أصدرت من قبل كتاباً عن بعض رحلاتها الافريقية عنوانه « صيف فى جنوب افريقية » Asouth African Summer ، وفى كتابها الحالى تصف رحلاتها برفقة زوجها وجماعة من الأصدقاء الرحل فى كنيا وأوغندا وتنجانيقا ، والكونغو ، والسودان ، والنوبة ؛ وقد كانت غاية هذه الجماعة المخاطرة أن تقوم باقتناص الوحوش الضارية فى أعماق الغابات والوهاد الخطرة ، وأن تصور مناظر الصيد تصويراً طبيعياً دقيقاً ، وأن تدرس طبائع الوحوش وحياتها من الوجهة العلمية . وقد استطاعت البعثة أن تصور مناظر الوحوش من آساد وفيلة وسباع البحر ، والطيور تصويراً بديعاً ؛ واستطاعت أيضاً أن تجوس خلال القبائل الزنجية العارية وأن تدرس أحوالها وطباعها . وقد لقيت السيدة راتكليف ورفاقها كثيراً من المخاطرات والحوادث المشجية والفكهة معا ، فدونتها كما وقعت بأسلوب ساحر . وفى الكونغو استطاعت البعثة أن تقوم بالصيد والدرس فى « بستان الكونغو » وهو أعظم حظيرة لصيد الضوارى فى العالم وتشرف عليه سلطات الكونغو البلجيكية ؛ وتصف المؤلفة ادارة الكونغو البلجيكية ، وتصف حياة السكان ، والبعثات الدينية والمهاجرين القلائل فى حياتهم الساذجة الشاقة ، وتصف لنا التماسيح المقدسة فى بحيرة فكتوريا ، وما حول هذه الوهاد من المناظر الطبيعية الرائعة ، وما يعمرها من عالم الحيوان والانسان . والخلاصة أنها تقدم إلينا صوراً حية بديعة من الحياة الافريقية فى أروع وأعجب أشكالها ، وكتابها ممتع خلاب ، يعتبر بمحتوياته وأسلوبه من كتب الرحلات الرفيعة

## تدريب الكلاب على السير

يبدى الانكليز عناية كبيرة بالحيوان ورفاهته والمحافظة على حياته ؛ ومن ذلك الكلاب ، فانها تلقى كثيراً من الرفق والعناية وقد لوحظ أخيراً فى انكلترا أن عدداً عظيما من الكلاب يقتل كل عام بسبب حوادث السيارات وغيرها فى الطرق العامة ، فارتفعت الأصوات بوجوب العمل على حماية هذه الحيوانات ، وقضت المحاكم فى كثير من القضايا التى رفعها أصحاب الكلاب المقتولة على أصحاب السيارات بتعويضات كبيرة ؛ وأخيراً رؤى أيضاً أن التعويض لا يكفى لتعزية أصحاب الكلاب العزيزة ، فرؤى تقليلاً للخطر أن تدرب الكلاب نفسها على السير فى الطرق العامة كما يدرب الأشخاص

وقد أجريت أخيراً تجارب عديدة فى هذا الباب ، وقام نادى « تيل واجرز » بدعوة واسعة النطاق لتدريب الكلاب وتعويدها الطاعة وفهم الاشارات المختلفة ؛ وأسفرت التجارب التى أجريت على بعض الكلاب بدفعها فى الطرق وأمرها بالسير فى اتجاهات وأوضاع معينة عن نتائج حسنة ، وأمكن لهذه الكلاب أن تتجنب كثيراً من السيارات والعربات الثقيلة فى مآزق حرجة

# من هنا ومن هناك

## دانتي والكوميدية الالهية

حينما بعثت رسالة الغفران لشاعرنا العظيم أبي العلاء كثر الجدل بين الأدباء حول الأصل الذى استقى منه دانتي أليجيرى صوره الرائعة التى حشدها فى كوميديته ، وكاد الجميع يجزمون أن ذلك الأصل هو رسالة الغفران ، وأيدهم فى ذلك مستشرقون كثيرون حتى كادت المسألة تعتبر مفروغاً منها وأن دانتي إن هو إلا عالة على أبي العلاء . . . ثم قام أديب مسيحي فاضل فنقل الموضوع الى ميدان آخر إذ حاول أن يثبت أن دانتي لم يقلد أبا العلاء وإنما هو قلد (رؤيا يوحنا اللاهوتى) الواردة بالأنجيل . وقد يكون هؤلاء وهؤلاء على شيء من الحق فيما ذهبوا اليه من رأى ، وان كنا نحن لا نميل كثيراً الى رأى أصحاب أبي العلاء — لأننا برغم براهينهم الكثيرة التى أدلوا بها — نشك فى سرعة تنقل الثقافة العربية من شرق البحر الأبيض المتوسط الى وسطه وغربه بهذا القدر الذى يبالغون فى وصفه لا سيما فى أسود فترات العصور الوسطى : ثم نحن لا نرى كبير شبه بين آل Infferoo فى كوميدية دانتي وبين جحيم أبي العلاء ، ويكاد هذا الشبه ينعدم فيما يتعلق بال Purgatorio فى دانتي والبعث فى أبي العلاء ... أما Paradiso دانتي فهى شيء وفردوس أبي العلاء شيء آخر . . . ونحن نعترف أن ثقافة العرب كانت تجرف أوروبا خصوصاً من جهة الأندلس ثم من جهة صقلية ، ولكن الذى نشك فيه هو انتقال أدب أبي العلاء إلى إيطاليا لدرجة أن يؤثر فى أدبائها إلى هذا الحد وفى زمنه كانت طرق المواصلات محفوفة فيه بأكبر المخاطر ، ذلك إلى غلاء وسائل الثقافة حينئذ وأهمها الكتب التى كانت تكتب كلها باليد ، ونحن نرجح أن دانتي تأثر إلى حد بعيد بالمصادر الدينية (وأهمها الانجيل والقرآن) والمصادر اليونانية وأهمها (الالياذة والأوديسة) ثم بملحمة مواطنه العظيم (فرجيل) الأنييد فمن رؤيا يوحنا اللاهوتى ومن الأوصاف البارعة للجحيم وطبقاتها وصنوف المجرمين الواردين عليها المذكورة فى كثير من سور القرآن قد اقتبس دانتي خياله الذى نسق به جحيمه (Inferno) . ولا ننس أن احتكاك أوروبا بالمسلمين فى الحروب الصليبية كان يغشى الثقافة الاسلامية فى هذه القارة أوانئذ ، وخير ألوان هذه الثقافة ما فى كتاب الله . أما تأثره بالالياذة والأوديسة والأنيد فهو أقوى وأظهر ، وقد درسنا هذه الملاحم جميعاً وأنعمنا النظر فى ال (Divina Commedia) فكان يدهشنا أن يترسم دانتي خطى الشاعرين الخالدين هوميروس وفرجيل ويأخذ عنهما كل ما ورد فى الأساطير القديمة من أوصاف (هيدز) وما يحيط بها من أنهار تفور بالحمم وما تعج به من سعالى وثعابين وسنتورات وتنانين . . . وكان دانتي يمزج فى كوميديته ألواناً من الفكر اليونانى لا تخفى على الملم بأدب الأغريق . أما فى المطهر والفردوس فما نحسب أن دانتي كان مقتدياً بلون ما من أدب السلف ، ولعل ذلك هو السبب فى فتور هذين الجزءين من الكوميدية

هذه كلمة خاطفة نؤثر عليها فصلاً طويلاً نقارن فيه بين هؤلاء الشعراء الخالدين[١]

## روجر بيكون (١٢١٠ — ١٢٩٣)

من أحسن الكتب التى ألفت عن العصور الوسطى كتاب الأستاذ العلامة هنرى أسبرن تايلور (The Mediexal Nind) بل لعل هذا الكتاب هو أحسنها جميعا . وقد لا تجد مؤلفاً محققاً مثل تايلور أنصف الرجل المفكر المسكين روجر بيكون الذى يعتبر أول رائد من رواد الحضارة الحديثة التى ننعم بها ، والتى تتضاءل بجانبها أزهى الحضارات القديمة . وأغرب ما يروق القارىء من روجر بيكون أنه لم يكن يعيش فى العصر الذى وجد فيه ، بل هو كان لذلك العصر بجسمه وآلامه فقط ، أما بروحه وعقله فقد كان يعيش معنا ويفكر تفكيرنا ، ويشغله من مستقبل الانسانية

(١) ولعل الأستاذ لا ينسى فى فصله المنتظر حديث المعراج (الرسالة)

ما يشغلنا . ولقد كان بيكون عدواً لدوداً لمعسكرين يعتبر كل منهما نقيض الآخر . . كان عدوا للكنيسة التى تفرض سلطانها وترمتها على العقول فرضاً ، وكان يوصى الناس ويحضهم على عدم الخضوع لغيرها والتحلل من ربقتها فى تفكيرهم ، ومن هنا ما لقيه بيكون من السجن والنفى والتشريد وألوان العذاب التى تتحيفه من حين الى آخر . . ثم هو كان عدواً لأرسطو ولفلسفته : « التى كانت كتبها فى نظره جديرة بالتحريق لأنها مضيعة للزمن ، وتحصيل للخطأ ، وتكثيف للجهل ! » وربما كان روجر معذوراً فى هذه النظرة السوداء إلى أرسطو الذى كانت كل تراجمه خطأ فى خطأ فى تلك العصور ؛ ولكن روجر بيكون كان يرى فى فلسفة أرسطو شقشقة طويلة لا تؤدى الثمرة المشتهاة التى كان ينشدها هو فى العلوم عن طريق التجربة ، ومن هنا أيضا حبه العظيم وإعجابه الذى لا يحد بالعرب وبالثقافة العربية فى الطب والكيمياء وعلم الأقرباذين وعلم المعادن ؛ وربما كانت عداوته لأرسطو نتيجة انكبابه على دراسة العلوم العربية التى كان المعمل وحده ميدانها

والمضحك أن الكنيسة ، ومن ورائها الشعب الساذج الذى لا عقل له ، كانت تعتبر بيكون دجالاً مشعوذاً يجيد صنوفاً كثيرة من السحر . وكان الجميع يعدونه مجنونا حين كان يتنبأ عن إمكان صنع سفينة تسير بالبخار « بدون شراع أو مجاديف » أو قاطرة أو سيارة « لا يجرها حصان أو زوج من الثيران » أو طائرة « ترتفع فى الجو بجناحين من المعدن يضربان الهواء كما يصنع الطائر » . . . .

## توماس مور وكتب الطوبى

ليس شك فى أن سير توماس مور هو خالق انجلترا الحديثة ، لأنه بطل نهضتها فى العصور الوسطى ، وقد ولد قبل شا كسبير بمائة سنة تقريباً ، وكان صديق إرزم الأديب الهولندى الكبير ، وبطل النهضة فى الأراضى المنخفضة . ويقولون إن توماس مور هو أول انجليزى تعلم اللغة الأغريقية وقرأ فيها آدابها ، ومن هنا تأثره العظيم بأفلاطون وتأليفه كتابه القيم الجميل « طوبى Uropia » على نسق « جمهورية أفلاطون » وقد كتب مور طوباه باللاتينية لغة العلوم والمعارف والآداب فى العصور الوسطى وطبعت للمرة الأولى فى لوفين (١٥١٦) ثم طبعت فى باريس (١٥١٧) وفى بازل (١٥١٨) ولم تترجم إلى الانجليزية إلا سنة ١٥٥١ بواسطة الأديب الكبير رالف روبنسون

ومما لا ريب فيه أن اكتشاف أمريكا كان أهم الأسباب التى أوحت إلى مور تأليف طوباه ، فقد أذكره هذا الحادث حلم أفلاطون بالمدينة الفاضلة ، وتصور أن الأوان قد آن لتحقيق هذا الحلم ، وخل شعباً من خيرة أهل الدنيا القديمة يبحر إلى أمريكا فيعيش فى رغد وبلهنية ، لا يعرف أدواء الانسانية التى فتكت بها فى هذا العالم القديم . وقد دعا مور فى طوباه إلى احتقار القوة وأعمال العنف ، وبشر بمحبة ومؤاخاة يسودان العالم ، وعاطفة خير توجه مصائر الناس . وعندنا أن مور بكتابه الجميل قد سبق مواطنه هـ . ج . ولز — الذى ألف هو الآخر طوبى جديدة — إلى الدعوة إلى العالمية والايمان بالبشرية والتهوين من قيمة الوطنية ، وأن يجمل الناس هذا الكوكب الأرضى الجميل وطنهم الأكبر فلا يلطخوه بالدماء

وقد كان فرنسيس بيكون معجباً إلى أبعد حدود الاعجاب بتوماس مور ، وقد نسج على منواله فألف كتابه ( اتلانتيس الجديدة ) على منهاج طوباه ، وكتب مثله فى اللغة اللاتينية

ولقد وقف مور فى محنة الكنيسة الانجليزية فى عهد هنرى الثامن موقفاً حازماً كلفه حياته ، فخسرت انجلترا فيه أديباً كان يساوى عشرة ملوك من ملوك هذا الزمن

## بعض الكتب

سألنا قارىء فاضل عن أسماء بعض الكتب التى ورد ذكرها فى هذا الباب بالانجليزية لولز وبرتن راسكو وقد أجبناه بالبريد ، وسنجتهد فى إثبات الأسماء الأفرنجية كلما أمكن ذلك لتتم الفائدة

د . خ

# الكتب

## الرحيل ـ رجل

تأليف محمود البدوى

للأستاذ محمد على غريب

القصة المصرية عندنا ما تزال فى مهدها اليوم، وأكبر الظن أنها سوف تبق فى لفافات الطفولة الى مدى طويل، وأن يفقد الأدب العربى عندنا هذه الثروة الضخمة التى انحصرت فى القصة ومنحت الآداب الغربية ما لها اليوم من تفوق ونجاح

وقل أن تقع فى يدى قصة مصرية فأهوى بأوراقها الى الطاهى ليصنع منها أغطية لزجاجاته الكثيرة، فما وجدت من هذه القصص السخيفة إلا كل سخف وسماجة وموضوع يمسك هذا بطرفه وذاك بالطرف الآخر منه ثم يتنازعان نهايته.. فتاة فقيرة أو غنية، يعشقها أو تعشق هى شابا فقيراً أو غنياً، على شرط ألا يكون أحدهما كفؤا للآخر فى الثروة؛ وبعد دموع كثيرة وزفرات تدير الطواحين تنتحر الفتاة أو ينتحر الشاب أو ينتحران معاً.. طبقا لرغبة المؤلف وميله الى أحد البطلين

ذلك رأيى... ومنذ شهور أهدى الىّ صديقى الأديب الفاضل الأستاذ محمود البدوى قصته (الرحيل) فتركتها معه ريثما آخذ نفسى بأن تدع محاباة الصديق فى تلك الهدية، وقرأتها؛ وبعد ذلك أهدى إلى قصته (رجل) فقرأتها، ولأول مرة يندب الطاهى حظ زجاجاته

لست أثنى على صديق لأن بينى وبينه هذه الصلة، فان من الخير لى وله أن أجاهره بالرأى الصريح ولو كان فيه مايؤلمه، فأننى أعرف فيه حسن تقبله للنقد؛ ولم تصلح الصداقة يوما ما رشوة بين صديقين يحب كلاهما صاحبه ويخلص له. فالواقع أن هذين الكتابين اللذين أخرجهما الأستاذ البدوى لقراء العربية من خير المحاولات المفيدة الناجحة فى سبيل بعث القصة المصرية ووجودها

فى قصة الرحيل ترى يد شاب امتلأ صدره بشتى العواطف والنزعات، ترسم على الورق بعض ما يروح عنها.. إنه شاب نشأ فى البيئة الخانقة المزعجة، فلما بهرته أضواء المدنية ورأى فيها حيلته عاجزة كليلة راح يستصغر نفسه دونها ويحاول أن يخفى ارتباكه باطلاق العنان لهذه الجياد الجامحة فى نفسه؛ فهو طوراً يمجد الجمال ويتفهم الحب، وطوراً ينزع الى الرغبة فى التحرر من كل قيد، وطوراً تعود به نفسه الى طبيعته الأولى فيستهويه صوت المؤذن ويخشع قلبه للدين وتعاليمه

وأنت إذا قرأت هذه القصة على هذا النحو أمكنك بسهولة أن تدرك لماذا لم يحتفل المؤلف بأسلوبه، وكيف جاءت ألفاظه مكررة فى بعض المواضع، ولأى شىء التجأ الى الغموض والأبهام فى عباراته

إنه يرسم صورة من نفسه، ونفسه ترسف فى أغلال قوية وتحاول الخروج منها، فاذا عجزت عن المحاولة ترنمت بالإيمان، وإذا نجحت فى التنفيس عن كربتها فرحت بهذه الأضواء الباهرة التى يجد فيها حياته كلها وجميع أمانيه...

***

أما قصته (رجل...) وقصصه الصغيرة الأخرى، فعلى هذا الطراز الفخم من الدقة والقوة والمتانة.. قصص يمكنك أن تقول عنها إنها من أقوى القصص المصرية الناجحة، دون أن يضطرب ضميرك، أو تنزعج نفسك؛ ومن بينها قصة (الأعمى). إنها صورة صادقة من أبلغ ما كتب الأدباء المصريون، وقد امتزج فيها الفن بالواقع، فترى أمامك مزيجاً منهما يلزمك أن تعاود قراءتها

ولست فى الواقع أريد أن أتحدث كثيرا عن هذه الباكورة الشهية التى تفتحت عنها جهود شاب أديب، وكان خيرا لى وله أن أصبر طويلاً حتى أستوعب هذه القصص وأكتب عنها طويلاً، ولكننا فى هذه الأيام نحتاج إلى السرعة والتعجل حتى لا نفقد الفرصة المناسبة، ولهذا كتبت تلك الكلمة الصغيرة على الرغم منى

# الثورة الوهابية

تأليف : عبد الله القصيمى

( ١٤٠ ) صفحة – طبع مصر

هذا الكتاب شرح لمبادىء الدعوة السلفية ، وعرض لتاريخها وتاريخ رجالها . افتتحه المؤلف بفصل تحليلى عن الثورة وطبيعتها وأقسامها ، والمفاضلة بين الثورات السياسية والثورات الدينية ، كالثورة الوهابية (المؤسسة على أسمى المعانى الانسانية الخلقية المنتزعة من رسالة جبريل سيّد الملائكة إلى محمد سيد البشر) . ووازن بينها وبين الثورة الفرنسية ، وبحث عما أسدت ثورة فرنسا الانسانية المسكينة من إخاء وحرية ومساواة ، وأحال فى الجواب على سوريا ومراكش والجزائر ! ...

ثم تكلم المؤلف عن منشأ هذه الدعوة وتاريخها وسيرة صاحبها ، وتكلم عن أهم ما دعا إليه وما أنكر عليه ، وبيّن أن أول مقومات هذه الدعوة (أستغفر الله بل أول مقومات الاسلام) منع دعاء غير الله – كدعاء الأموات – مهما كانت نية الداعى ومهما كان مقام المدعو ، ومنع الاستغاثة بغير الله والاستعاذة به ، ثم منع الابتداع فى الدين منعاً باتاً لا هوادة فيه ولا استثناء ، سواء فى ذلك الأدعية الفاسدة والأذكار التى لم ترد عن صاحب الشريعة ، والشطح والرقص فى الذكر والطرق المبتدعة وما إلى ذلك – ثم الايمان بما جاء فى الكتاب والسنة من أن الله تعالى مستو على العرش استواء يليق به ، لا كما يستوى المخلوق ، وكذلك الايمان باليد والساق من غير تعطيل ولا تشبيه ، ثم إقامة الحدود الشرعية ، وهذه منقبة لو لم يكن اليوم للحجاز غيرها لكفى . وهل تماثل حكومة تقيم حدود الله على الزانى وشارب الخمر ، بحكومات اسلامية تجيز الزنا وشرب الخمر وتفتح لهما البيوت والحانات وتحمى أصحابهما ومن يعكف عليهما ؟ . ثم إن للمسلم أن يتفهم كتاب الله ويتدبره ، وألا يدع حكم الله وحكم رسوله لقول انسان ما ، وكل هذا حسن بشرط ألا يفهم منه العامى بأن له الاجتهاد . وله أن يدع حكم مذهبه إذا سمع حديثاً صحيحاً قد يكون منسوخاً بحديث أصح منه ، بل عليه أن يتبع أحكام المذهب إلى أن يرزقه الله من الاطلاع على كلام العرب وسننها ما يفهم به كتاب الله وسنة رسوله على وجههما ، ومن معرفة الأصول ما يعلم به استنباط الأحكام ويعرف الناسخ والمنسوخ ؛ وكما أن القول بسدّ باب الاجتهاد سخف ، فكذلك القول بفتحه للناس كلهم بلا تفريق بين عامىّ ومتعلم

هذا وقد طال بى نفس القول ولم أصف من الكتاب إلا جزءاً قليلا ، ولا أجد بداً من أن أقطع الكلام وأحيل القارئ على هذا الكتاب القيم ليقرأه بنفسه فليس يغنى عن قراءته وصف ، وإذا كان لى أن أختم هذه الكلمة برجاء أرفعه الى جلالة الملك عبد العزيز بن سعود فهو أنى أرجوه أن يولى هذا الأستاذ الجليل شيئاً من العناية . ويأخذ بيده على ما هو فيه من خدمة الاسلام والدفاع عن السلفية – وأن يشجع أمثاله – وقليل ما هم – على سلوك هذا الصراط المستقيم . وانى أرجو لجلالة الملك التوفيق والهداية وللأستاذ المؤلف النجاح والأجر

(دمشق) (ع)

---

والذى ألاحظه كثيرا فى هذه القصص أن ناقدها لا يستطيع أن يسبر غورها مهما حاول ذلك ... أترى لأن كاتبها لجأ إلى الغموض كما أوضحت ، أم لأنها قصص كتب بعضها عن شخص مؤلفها ، فما دام هو يفهم رموزها ويستشف غامضها كان على قرائه أن يقنعوا من الرموز والغموض بما وصلت اليه أفهامهم ؟

لست أدرى .. ومع ذلك فهذه القصص اللطيفة صغيرة الحجم وثمنها زهيد ، وما على القارئ إلا أن يقتنيها ليرى كيف يبدأ شاب أديب فجر حياته الأدبية ؛ وإذا كانت هذه بدايته المباركة فماذا عسى أن يكون بعد سنوات ؟

سوف يكون دون مبالغة من طراز انطون تشيكوف !

محمد على غريب

4 me Année, No. 158.　　Lundi - 13 - 7 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٨　«القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ — ١٣ يوليه سنة ١٩٣٦»　السنة الرابعة



فهرس العـــدد



## لَـــوْ ! ....

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

رأيتُني جالساً فى مسرح هزليّ بمدينة اسكندرية كما يجلس القاضي فى جريمة يحمل أهلُها بين يديه آثامَهم وأعمالَهم ويحمل هو عقلَه وحُكمه . وقد ذهبت لأرى كيف يتساخَفُ أهلُ هذه الصناعة فكان حكمي أن السخافة عندنا سخيفةٌ جداً ....

رأيتهم هناك ينقدون العيوب بما يُنشئ عيوباً جديدة ، ويسبحون بأيديهم سباحة ماهرة ولكن على الأرض لا فى البحر ، وتكاد نظرتهم إلى الحقيقة الهزلية تكون عمًى ظاهراً عما هى به حقيقة هزلية ؛ ولا غاية لهم من هذا التمثيل إلا الرقاعة والاسفاف والخلط والهذيان ، إذ كان هذا هو الأشبه بجمهورهم الذى يحضرهم ، وكان هو الأقرب إلى تلك الطباع العامية البليدة التى اعتادت من تكلف الهزل ما جعلها هى فى ذات نفسها هزلاً يسخر منه

ولا أسخف من تكلف النكتة الباردة قد خلت من المعنى ، لا تكلفُ الضحك المصنوع يأتى فى عقبها كالبرهان على أن فى هذه النكتة معنى

فالفن المضحك عند هؤلاء انما هو السخفُ الذى يوافقون به الروح العامية الضئيلة الكاذبة المكذوبَ عليها التى يبلغ من

بلاهتها أحياناً أن تضحك للنكتة قبل إلقائها ، لفرط خفتها ورعونتها ، وطول ما تكلفت واعتادت . فما ذلك الفن إلا ما ترى من التخليط فى الألفاظ ، والتضريب بين المعانى ، وإيقاع الغلط فى المعقولات ؛ ثم لا ثم بعد هذا . فلا دقة فى التأليف ، ولا عمق فى الفكرة ، ولا سياسة فى جمع النقائض ، ولا نفاذ فى أسرار النفس ، ولا جدّ يؤخذ من هزلية الحياة ، ولا عظمة تستخرج من صغائرها ، ولا فلسفة تعرف من حماقاتها

والفرق بعيد بين ضحك هو صناعة ذهن لتحريك النفس وشحذ الطبع وتصوير الحقيقة صورة أخرى ، وبين ضحك هو صناعة البلاهة للهو والعبث والمجانة لا غير

***

وكان معى قريب من أذكياء الطلبة المتخصصين للآداب الانجليزية ، فلم نلبث غير قليل حتى جاء ثلاثة من ضباط الأسطول الانجليزى فجلسوا بحذائنا صفاً تلوح عليهم مخايل الظفر ، ولهم وقار البطولة ، وفيهم أرواح الحرب . وهم يبدون فى ثيابهم البيض المطرّاة [1] كأنهم ثلاثة نسور هبطت من الغمام إلى الأرض ، فلأعينها نظرات تدور هنا وهناك تنكر وتعرف

وأعجبنى أن أراهم فى هذا المكان الهزلى المتلئ بالضعفاء ، كأنهم ثلاث حقائق بين الأغلاط ، أو ثلاث أغلاط كبيرة ... وكان أبدع ما أراه على هيئة وجوههم وأسرٌ له تواضع هذا الاستعداد الحربى وتحوله إلى استعداد للسخرية ...

ثم تأملتهم طويلاً فاذا صرامة وشهامة وسكينة ووداعة وحسن سَمْت وحلاوة هيئة فى جلسة رزينة متوقرة ، لا يشبهها فى حسّ النفس التى تعرف معانى القوة إلا وضع ثلاثة مدافع مصوّبة

وجعلت أقلب عينىّ فى الناس الموجودين وملامحهم وهيئاتهم ثم أرجع البصر الى هؤلاء الثلاثة ، فأرى المصرىّ كالمقتنع بأنه محدودٌ بمدينة أو قرية لا يعرف لنفسه مكاناً فى غيرهما ، فهو من ثم لا يرحل ولا يغامر ولا تتقاذفه الدنيا ؛ وأرى الانجليزىّ كالمقتنع بأن كل مكان فى العالم ينتظر الانجليز . . . .

وخيل الى والله أن رجلاً من هؤلاء الانجليز الأقوياء المعتدين بأنفسهم لا يهاجر من بلاده إلا ومعه نفسهُ واستقلاله وتاريخهُ وروح دولته وطبيعة أرضه ، فهو مستيقن أن الله لا يرزقه رزقاً أىَّ الرزق كان على ما يتفق ، بل رزقاً انجليزياً : أى فيه كفايته

ورأيت شيئاً عجيباً من الفرق بين طابع السلم على وجوه ، وبين طابع الحرب على وجوه أخرى ؛ ففى تلك معانى السهولة والملاينة والحرص على مادة الحياة ، وفى هذه معانى العزم والمقاومة والحرص على مجد الحياة لا على مادتها

وتبيَّنتُ أسلوبين من الأساليب الاجتماعية : أحدهما فى فرد قد بَنَى أمرَهُ على أن أمَّةً تحمله فهو يعيش بأضعف ما فيه ، والآخر فى فرد قد وضع الأمر على أنه هو يحمل أمةً فلا يدع فى نفسه قوة إلا ضاعفها

وعرفت وجهين من وجوه التربية السياسية : أحدهما بالطنطنة والتهويل والصراخ واستعارة ألفاظ غير الواقع للواقع وتحميل الألفاظ غير ما تحمل ، والآخر بالهدوء الذى يقهر الحوادث والصبر الذى يغلب الزمن والعقيدة التى تفرض أعمالها العظيمة على صاحبها وتجعل أعظم أجره عليها أن يقوم بها

وميَّزت بين أثرين من آثار الأرض فى أهلها : أحدهما فى المصرى السَّمْح الوادع الألوف الحيِىّ الذى هو كَرَمُ الطبيعة ، والآخر فى الانجليزى العَسِر المغامر النَّفور اللحّ على الدنيا كأنه تطفّل الطبيعة . . . .

***

وألقى ابن العم الذى كان معى سمعَه الى هؤلاء الضباط وهم من فلاسفة الرأى على ما يظهر من حديثهم ، ثم نقل إلى عنهم ، فقال كبيرهم : لقد فرغت من بحثى الذى وضعته فى فلسفة خمول الشرقيين وأفضيتُ منه إلى حقائق عجيبة أظهرُها وأخفاها معاً أن أُمةً من هذه الأمم لا يُمَكَّن للأجنبى فيها ولا تثقل وطأته عليهم ولا يطول ثَواؤه فى أرضهم ولا يحتلها من يطمع فيها ، ما لم يكن سادتها وأمراؤها وكبراؤها كأنهم فيها دولة محتلة

وهؤلاء الكبراء هم آفة الشرق ؛ فمن أعظم واجباتنا أن نزيد فى تعظيمهم ، وأن نمدَّ لهم فى المال والجاه ، ونبسط لهم اليمين والشمال ، ونوهمهم أن عظمتهم هكذا ولدت فيهم وهكذا ولدوا بها من أمهاتهم كما ولدوا بأيديهم وأرجلهم ... وخاصة عظماء رجال الأديان المفتونين بالدنيا ؛ فاننا نصنع بغرور الجميع وسخافاتهم وحرصهم وطمعهم أشياءَ اجتماعية ذات خطر لا يصنع لنا مثلها إلا الشياطين . ومن لنا بالحكم على الشياطين ؟ وهذا ما تنبه له غاندى ذلك المهزول الهندى الذى تقوُّم دنياه بأربعة شلنات ، ولا

(١) أى المكوية ؛ والكلمة العربية التى استعملت قديماً فى معنى ( المكوجى ) هى ( المطرى ) بتشديد الراء

يزن أكثر من بضعة أرطال من الجلد والعظم ، ولا بطش عنده ولا قوة فيه ، وهو مع ذلك جبار سماوى فى يده البرق والرعد يُرى ويُسمع فى أرجاء الدنيا .

قال ضابط اليمين : وبصناعة الكبراء هـذه الصناعة يكون رجلُ الشعب من هؤلاء الشرقيين رجلَ تقليد بالطبيعة ، ورجل ذل بالحالة ، ورجل خضوع بالجملة ؛ فليس فى نفسه أنه سيد نفسه ولا سيدُ غيره ، بل أكبر معانيه أن غيره سيد عليه فيكون معه دائماً خيال استعباده

وتكلم ضابط اليسار : ولكن المترجم لم يمز أقواله ، لأن ثلاث عشرة امرأة كنّ يصرخن فى الرواية الهزلية بلحن طويل يقلن فى أوله : « عاوزين رِجَّالة تدَلَّعْنا . . . . . » وكانت الموسيقى تصرخ معهن وتولول كأنها هى أيضاً امرأة محرومة ..

***

ثم أرهف المترجم أذنه فقال كبيرهم : إن لهؤلاء الشرقيين ست حواس : الخمس المعروفة وحاسة الخمول الذى خدعتهم عنه الطبيعة البليدة فسموه الترف والهزل واللهو ، والأمة الأوربية التى تحتلّ بلاداً شرقية تجد فيها لصغائر الحياة جيشاً أقوى من جيشها . فعشرة آلاف جنـدى بعتادهم وآلاتهم لا يصنعون شيئاً إلا الاستفزاز والتحدى وإثبات أنهم غاصبون ، ولكن ما أنت قائل فى عشرة آلاف مكان كهذا المسرح براقصاته وموسماته وخموره وواياته وبهؤلاء الرجال المخنثين الهزليين الرّقعاء الذين هم وحدهم معاهدة سياسية ناجحة بيننا وبين شباب الأمة . . . ؟

قال ضابط اليمين : نعم إن فن الاحتلال فن عسكرى فى الأول ولكنه فن أخلاق فى الآخر ؛ ولهذا يجب تعيين نقطة اتجاه للشباب تكون مضيئة لامعـة جذابة مغرية ولكنها فى ذات الوقت محرقة أيضاً ، وهذه هى صناعة إهلاك الشباب بالضوء الجميل ، وما على السياسى الحاذق فى الشرق إلا أن يحمى الرذيلة ، فان الرذيلة ستعرف له صنيعه وتحميه . . . فتكلم ضابط اليسار ، ولكن صوته ذهب فى عشرين صوتاً من رجال المسرح ونسائه يصيحون جميعاً : « يا حِلوة يا خفَّاق يا مجنِّنة الشبان . . . »

***

ولما ألمت بحوار الضباط الثلاثة قلت لصاحبي : استأذن لى عليهم أكلمهم . ففعل وعرفنى اليهم وترجم لهم مقالة ( ياشباب العرب ) وكان يحملها . فكأنما رماهم منها بالجيش والأسطول .

ثم قلت لكبيرهم : لست أنكر أن الانجليزى لو دخل جهنم لدخلها انجليزيا . . ولا أجحد أن له فى الحياة مثل هداية الحيوان لأنه رجل عملى دليل منفعته أنها منفعته وحَسْبُ ، ثم لا دليل غير هـذا ولا يقبل إلا هذا . فاذا قال الشرق ( حقّ ) وقال الانجـليزى ( منفعتى ) بطلت كل الأدلة ، ورأى الشرق أنه مع الانجليزى كالذى يحاول أن يقنع الذئب بقانون الفضيلة والرحمة

وقد عرفنا أن فى السياسة عجائب ، منها ما يشـبه أن يلقى انسانٌ انسانا فيقول له : ياسيدى العزيز ، بكل احترام أرجو أن تتلقى منى هذه الصفعة . . . . وفى السياسة مواعيد عجيبة : منها ما يشبه غرس شجرة للفقراء والمساكين والتوكيد لهم بالايمان أنهـا ستثمر رُغفاناً مخبوزة . . . . ثم بعد ذلك تطعّم فتثمر الرغفان المخبوزة حشوُها اللحمُ والإدام

وفى السياسة محاربة المساجد بالمراقص ، ومحاربة الزوجات بالمومسات ، ومحاربة العقائد بأساتذة حرية الفكر ، ومحاربة فنون القوة بفنون اللذة . ولكن لو فهم الشباب أن أماكن اللهو فى كل معانيها ليست إلا غـدرا بالوطن فى كل معانيه ! ولو عرف الشباب أن محاربة اللهو هى أول المعركة السياسية الفاصلة ! ولو أدرك الشاب أن أول حق الوطن عليـه أن يحمل فى نفسه معنى الشعب لا معنى نفسه ! ولو رجع الدين الاسلامى كما هو فى طبيعته آلةً حربية تصنع من الشـباب رجال القوة ! ولو علم الشباب أن روح هذا الدين ليست : اعتقدْ ولاتعتقد ، ولكن افعلْ ولا تفعل ! ولو أيقن الشباب أن فرائض هذا الدين ليست إلا وسائل عمليـة لامتلاء النفس بمعانى التقديس ! ولو فهم الشـباب أن ليس فى الكون إلا هذه المعانى تجعل النفس فوق المادة وفوق الخوف وفوق الذل وفوق الموت نفسه ! ولو بحث الشباب النفس الانجليزية القوية ليعرف بالبرهان أنها نصفُ مسلمة فكيف بها لو كانت مسلمة ؟ . . . .

***

وكان المترجم ينقل اليهم كلامى فما بلغت الى حيث بلغت حتى شـدّ الضابط على يدى وهزّها ؛ فنظرت فاذا أنا قد كنت نائما بعد سهرة طويلة فى ذلك المسرح ، وإذا يد المترجم نفسه هى التى تهزنى لأنتبه

( طنطا ) مصطفى صادق الرافعي

# ذات الثوب الأرجوانى

## للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

(تنبيه : الكلام خيالى ولا أصل له ، كما مللت أن أقول وأؤكد فى كل مرة)

— ٥ —

قالوا لى أمس فى البيت : « قم ركب لنا هذه الستائر ! »

فقلت : « ستائر ؟ ؟ ياحفيظ ! ! يا ناس ما هـذا الحال المقلوب ؟ . . فى الشتاء نرفع الأستار ، وفى الصيف الحامى نضعها لتزيد الوقدة وليعظم البلاء ! ؟ أما إن هذا لعجيب ! »

قالوا : « بل هى تحجب الشمس التى بهت منها لون السجاجيد ... »

قلت : « كونوا منصفين .. السجاجيد قديمة ، وعسيرٌ أن نطلب من القديم البالى أن يكون له لون الجديد الطريف الزاهى .. خذوا مثلاً هذه الخادمة العجوز ... هل كان وجهها مغضناً هكذا فى صباها ؟ أو كان شعرها كما هو الآن أبيض ؟ وهل كانت عينها كعين الموتى — لا حياة فيها ولا معنى ولا تعبير ؟ »

قالوا : « دع الخادمة فان ذنبها اليك معروف ... لو كانت شابة لأغضيت عن كل عيب »

فاعترضت على هذا الرأى السيئ والاتهام القبيح لذوق ، ولكنهم ردونى إلى موضوع الستائر الذى أردت أن أستطرد عنه إلى حديث آخر ، فقلت : « الأمر لله .. إنما ينبغى أن تجيئونى بالأدوات اللازمة كلها .. يعنى السلم والمسامير الصالحة لعمل فنى دقيق كهذا .. وهاتوا أيضاً قلماً (أى فأساً صغيرة) ، فما أستطيع أن أستعمل هذا المعول الضخم ، فانى كما تعلمون رجل رقيق مترف .. ثم لا بد من تمليس الحائط بعد دق المسامير فيه ، وإلا بدا للعين الفاحصة متضرساً غير مستو ... »

فلم يجيئونى بما كان من حقى أن أطالب به وأصر عليه ؛ وإنما جاءوا بمطرقة كبيرة أحتاج فى حملها إلى رجلين مثلى ، ووضعوا فى يدى مسامير كالتى كانت فى فلك نوح ... لا تصلح لهذا الزمن أبداً ... ولكنى كما لا يعرف القراء رجل تضحية — وما أكثر ما أتقبل بالصبر — ومن غير تعليق طويل — ما يمتحننى به الزمن الغادر . لذلك دعوت الله فى سرى أن يبيض وجهى ، فان سواده الحالى كاف جداً ؛ وشرعت أعمل ؛ ولكن هل تركونى أعمل كما ينبغى أن يفعلوا لأكسب رضاهم بعرق جبينى ؟ كلا ... فقد أحاطوا بالسلم وجعلوا يصدرون إلى أوامر غير معقولة . فقلت لنفسى : « إن جدالهم عبث ، فدعهم فى جهلهم واتركهم ولا تجبهم فانهم يحبون الكلام . وماذا على أن يثرثروا .. » ولم أجعل بالى اليهم ، ولم أرد عليهم ، ورجوت أن يشغلوا بالحديث والثرثرة عما عدا ذلك . ولكنهم لما يئسوا من إصغائى لهم جعلوا يهزون السلم لألتفت ، فحدث ما كان لا بد أن يحدث ، وما كان طفل صغير يستطيع أن يتوقعه ؛ ذلك أنى اضطربت وأنا على السلم ، وكنت أهم بدق مسمار ، فوقعت المطرقة على أصابعى لا على رأس المسمار كما كان ينبغى أن تفعل لو كان لها عقل ! فصرخت .. وهل أناحجر ؟ ؟ ثم ما أشعر إلا والسلم يهوى بى إلى الأرض ... وقد كانت أيديهم عليه ، وكان فى وسعهم أن يمنعوا سقوطى وسقوط السلم معى ، ولكنى دققت أصابعى فيجب أن يضحكوا ! ! نعم ضحكوا ، بل قهقهوا ، بدلاً من أن يأسفوا أو يقلقوا علىّ ، أو يحزنوا لما أصابنى فى سبيلهم ، فتركوا السلم يفعل بى ما يشاء ... وقد أسمعتهم رأيى الصريح فيهم وفى هذا الكفران لنعمتى ، والجحود لفضلى ، وفى تعريضى للمضرات ، وفى أنهم إذا حاق بى مكروه فى سبيلهم ضحكوا وسروا وفرحوا جدا .... ثم تركتهم ومضيت أظلع — فوق ظلعى — إلى النافذة ، وكنت أفرك أصابعى لأسوبها وأرد اليها استدارتها فقد عجنتها المطرقة ، ولألطف الألم أيضاً فانى لست بحجر كما أسلفت ، وإذا بذات الثوب الأرجوانى واقفة فى شرفتها تضحك كما يضحكون ! ! فنظرت اليها آسفاً وقلت — كما قال يوليوس قيصر حينما طعنه بروتس — : « وأنت أيضاً ؟ ؟ » ولولا أن وقع المطرقة على أصابعى لم يفقدنى حسى للحياة ولم يضعف إرادتها فى نفسى لتمثلت بقول القائل : « فيا موت زر إن الحياة ذميمة » ولكن الحياة ليست ذميمة على الرغم من المسامير العتيقة والمطارق الطائشة التى لا عقل لها فى رأسها الناشف والأهل الجاحدين والحبيبة التى يسرها أن تفرم أصابعك وتلتوى ساقك ، بل هى جميلة — أعنى الحياة ومرضية على كل حال وحميدة كيفما كانت — بل أعنى الحبيبة أيضاً وإن كانت تسخطنى ولا ترضينى ، ولا أدرى مالذتها التى تستفيدها من هذه المكابدة ؟ ؟

والله إن النساء أمرهن عجيب !! هذه ذات الثوب الأرجوانى تفتح النافذة وتنظر ثم توليني جنبها ، وما شبعت من وجهها ، ثم تدير لى ظهرها ثم تهز رأسها فينتشر شعرها الجميل ويعود كالشمسية المفتوحة ثم ينسدل على جانبى وجهها ثم ترمى إلىّ نظرة سريعة جداً يغيب عنى معناها من شدة السرعة — مضافاً اليها البعد — ثم تدخل وتختفى ! ! ماذا كسبت بالله من هذا ؟ ؟ . وما حيلتى إلا أن أهز رأسى أنا أيضاً وأقول لنفسى إن أصحاب العقول فى راحة ! ولو كانت تسمعنى لغضبت ، ولكنها بعيدة فأنا أقول ما أشاء وأنا آمن ! . .

ومكايدة أخرى . . ظهرت — لى — فى الشرفة يوماً فى ثوب أزرق لا أحبه ، وكنت لا بساً ثيابى ومتهيئاً للخروج فما أستطيع أن أقضى حياتى فى شرفة — كما تفعل هى — وإذا بها تدخل ثم تعود فى ثوب أبيض جميل من الحرير الأبيض له شقتان واحدة على الصدر والأخرى تحتها على سائر البدن إلى القدمين ، وعلى رأسها قبعة بيضاء كقلبها — مجازاً فما فتح لى قلبها إلى الآن — تثنى حافتها على حاجبها الأيسر دلالاً . فقلت لنفسى : « إلى أين إن شاء الله ؟ ؟ وإنها لحادثة فما رأيتها قط تخرج ، بل هى بشرى بنعش الأمل . إذ ما دامت تخرج فلا موجب لليأس ، وإذا بها بعد قليل خارجة من باب البيت ، ولكن مع أهلها ! ! . فسبحان الله العظيم ! ! وهل كان لا بد من هؤلاء الأهل ؟ ما فائدتهم أو ما الضرورة اليهم على كل حال ؟ ؟ ثم إن الأهل لا داعى للحرص على الاتصال بهم وملازمتهم لأنهم فى الحقيقة ثمرات المصادفة البحت والاتفاق المحض . الأخ مثلاً شىء يجىء مصادفة .. ولو كان أبى — ولست أتكلم عن نفسى وإنما أضرب مثلاً تأييداً لنظريتى ليس إلا — أقول لو كان أبى مات قبل أن يموت بأربع سنوات أو خمس — وهو قد مات على كل حال ، فما ضر أن يموت قبل ذلك ؟ — لما صار لى أخ ، ولكنه اتفق أن عمر أبى طال أكثر مما كان ينبغى — إذا اعتبرنا الذرية والاسراف الذى لم يدع لنا ميراثاً يستحق الذكر — فصار لى أخ كان من الممكن ألا يكون لو أن أبى كان عاقلاً مقتصداً — على الأقل فى الأبناء — وقل مثل ذلك عن الأب والأم وأبناء العم وبنات الخال إلى آخر هذا البلاء الطويل فانهم جميعاً أقارب بالمصادفة ليس إلا . . . فلماذا يجب أن أحبهم وأراعى مزاجهم وأتحرى مرضاتهم ؟ ؟ ولا بأس بالحب فانى مستعد أن أحب الدنيا كلها ما دام هذا الحب لا يضايقنى ولا يفرض على أعباء لا أطيقها أو لا أستسهل حملها .. ولكن الملازمة وتوخى المرضاة هذا تكليف ثقيل جداً . هذه المسكينة مثلاً لا بد أن تخرج مع أخيها أو أبيها أو لا أدرى من أيضاً من هؤلاء الذين هم أهلها بالصدفة . . . لماذا ؟ ؟ ماذا جنت ؟ ؟ ما ذنبها هى إذا كان هذا أو ذاك قد شاء أن يكون أخاها أو عمها أو أمها ؟ . . لماذا لا تخرج وحدها فيتيسر أن تشعر بأن لها وجودا خاصاً مستقلا عن وجود هؤلاء الآباء والأمهات والأخوة والأعمام والخالات الخ ؟ ؟ والحق أقول أنى تحسرت عليها ولها ، فانها مسكينة ولا شك تحيا حياة مرهونة بحيوات أخرى على حين لكل من هؤلاء الآخرين حياته الخاصة المستقلة التى لا علاقة لها بحياة هذه الفتاة

وقد كانت تضحك وهى واقفة تنتظر الترام مع أقرباء الصدفة ومن حقها أن تضحك ، فقد نزلت الى الأرض وداست قشرتها الصلبة بقدميها الصغيرتين وركبت الترام — أو هى ستركبه بعد دقيقة — ورأت الناس عن قرب بعد أن كانت تراهم عن بعد كالأشباح ، وألفت نفسها سابحة فى لجة الحياة التى لا يمكن أن تحسها أو تدركها وهى فى شرفتها . . . نعم كانت فى المريخ تحلم بدنيا لا تعرفها فهبطت اليها وصار الحلم حقيقة والظن يقينا . . . فلها أن تضحك وتسر

وأنا ؟ أنا أبدى لها المودة فتتلقاها بهذه الجفوة والنفور والتخفى والتدلل كأنما أسىء اليها بحبى لها ، وأجنى عليها بميلى اليها ، أو كأنما من الشتم لها أنى تركت مئات ومئات من الفتيات وآثرتها عليهن جميعاً ! ! فلو أنى كنت أبدى لها الكره والاستخفاف والاشمئزاز أ كانت تقابلنى بشر من هذا ؟ ؟ كلا ! بل كانت حينئذ تتعمد أن تبدو لى وتتكلف أن يكون ظهورها فى حفل من الزينة ، لأنه كان يشق عليها فى تلك الحالة أن رجلا لم يَصْبُ اليها ، ولم يفتنه جمالها ، ولم يسب لبه حسنها ، وكان هذا الاحساس خليقاً أن يدفعها الى التحدى — غير أنه تحدى ينطوى على استجداء للاعجاب من الرجل . وأنا أقول الاستجداء وأعنى ما أقول بلا نقص . ذلك أن الجمال هو السلاح الوحيد الذى وهبته المرأة ، وليس لها فى كفاحها فى الحياة سلاح غيره ، فاذا فقدته فحكمها هو حكم كل مناضل ليس له سلاح ، وصار أعزل لا يملك كرا ولا فرا ولا مصاولة ولا محاورة ولا مداورة . وماذا يملك الأعزل أمام الشاكى إلا أن يذعن لقضاء

الله فيه ولتحكم القوة المسلح ؟ ؟ ولا فرق بين أن تفقد السلاح الذى تصول به وتجول ، وبين أن يثبت لك أنه قد صار لا فعل له فى عمل السلاح ومزيته أن يحدث أثره لا أن يكون فى يدك والسلام . فاذا لم يكن له أثر كأن يكون قد فله شىء ، أو لاقى ما يثنيه أو يرده أو ما يصبر على وقعه ولا يتضعضع أمامه ، فهو وعدمه سيان ؟ كذلك المرأة — إذا فقد سلاحُها قيمتَه فلم يعد جمالها يحدث أثره المطلوب فى نفس الرجل فانها تكون فيما تحس حيال هـذا الرجل عزلاء لا حول لها ولا طول فلا يسعها إلا أن تخضع وتذعن وتروح تستجدى العطف وتلتمس الرضى ، وتتوسل اليـه باللين والمصانعة والتحبب والاغراء بعرض كل ما عندها من المفاتن . وكأنى بذات الثوب الأرجوانى قد خيل اليها أنها قد ضمنت حبى واستوثقت منه ، فهى لا تبالينى لأنها فى ظنها منى على يقـين ، وأولى بها أن تعنى بغزو قلب غير قلبى — قلب آخر لا يزال مستعصيا عليها نابيا فى يديها — أما أنا فقد علق جناحى بالشرك فكيف الفكاك وأين المهرب ؟ وهـذا ظن كل امرأة معشوقة من الرجل الذى تعرف أنه يحبها وتأنس منه الصـبر على دلالها ، وليس يصرفها عن ذلك إلا أن تساورها الشكوك ، وتدور فى نفسها الوساوس ، ويحك فى صدرها الخوف من ملل الرجل وضجره من هـذا العبث . ولو كانت تعرفنى لخافتنى فما أنا ممن يصبرون على هذا اللعب . وإنى لأحبها — أو هـكذا يخيل إلىّ — ولـكنى فيما أظن أحب نفسى أيضا . وحبى لها هو بعض حبى لنفسى ، وليس الأمر على العكس ، وحب الرجل للمرأة معناه أنه يريدها خالصة لنفسه ، لينعم بهـا وحده ، ويستأثر بالمتعة المستفادة من جمالها . وليس معناه أنه يريد أن يعذب نفسه وينقص عيشه ويسود وجه الحياة فى عينيه . أما حب المرأة للرجل فمعناه أنها رأته — بغريزتها لا بعقلها فانها تنقاد لغريزتها ولا تفكر بعقلها — أحق رجل بامتلاك زمامها والسيطرة عليها وأكلها وهضمها . فالرجل يحب نفسه حين يحب المرأة أما المرأة فانها تطلب الرق وتسعى للتضحية الكبرى حين تحب الرجل . فهو لهذا أنانى فى حبه ، وهى لهذا مضحيـة فى حبها . فليس عجيباً أن تحتمل هى المكاره فى سبيل الحب لأن حبها تضحية كبرى فأولى أن تصبر على التضحيات الصغرى ، بل العجيب ألا تصبر ولا تحتمل . أما الرجل فهو كما قلت أنانىّ فلا صبر له على تضحية ولا احتمال منه للعذاب إلا وهو كاره أو عاجز عن الفوز بالراحة ، لأن طبيعة حبه لا تبيح له أن يفهم هذه التضحية ولا تجعله مستعداً لها . ومن هنا كانت المرأة أوفى وكان الرجل أغدر بالمعنى الشائع لا الحقيق ، فان الوفاء من الرجل افلاس نفسى وخيانة لطبيعته التى فطر عليها . وهذا هو الأصل ولذلك رأينا الرجل فى تاريخ الانسانية يتخذ المرأة والمرأتين والثلاث والأربع وتكون له الجوارى فضلا عن الزوجات أو من هن فى حكمهن ، ولم تر المرأة تتخذ من الرجال اثنين أو ثلاثة أو أربعاً ، إلا أن تفعل ذلك سراً وخفيةً ولعلةٍ . ولـكن الرجل لم يكن يعمل هذا سراً بل جهراً ، وكان يقيمهن فى بيت واحـد . وكانت المرأة ترضى وتذعن وتسعى سعيها لتكون هى الأثيرة لا الوحيدة . وكان الرجل لا يكف عن الاشتهاء والتطلع الى غير الموجودات ، والتبرم بالموجودات ، وهذا هو قضاء الطبيعة وحكم الفطرة فى الرجل والمرأة . فمن كان يشق عليه أن يقرأ هذا فليتـدبر تاريخ الانسانيـة قبل أن يفتح فمه ، وليحاول أن يعلل هذا التاريخ على وجه مقبول معقول قبل أن يعترض . ثم فليتأمل حاضر الانسان وليسأل نفسه عنه أتراه يختلف عن المـاضى إلا فى المظهر دون المخبر والجوهر ؟ ؟

فالوفاء — فيما يتعلق بالرجل — أكذوبة ومنافاة للطبيعة ، ولـكنه فيما يتعلق بالمرأة صدق واخلاص للطبيعة ؛ ومن هنا أن المرأة لا تزال تتهم الرجل بالغدر والتحول والتقلب وقلة الثبات . وهذا هو تفسير الغيرة الشـديدة من جانب المرأة ، وهى غيرة لا تقاس اليها غيرة الرجل مهما عظمت ، لأن غيرة الرجل على امرأته هى كغيرته على كل ما يملك ؛ فاذا أمن أن يضيع ملكه لم يبال ما دون ذلك مبالاة تذكر ؛ فغيرته فى الـكليات لا فى الجزئيات والتوافه ، ولـكن غيرة المرأة مرجعها إلى ادراكها — بغريزتها الذكية التى تهديها فى حياتها — إن الرجل لا يستطيع الصبر على الوفاء ، ولا يملك إلا أن يتحول وينقلب فى حبه ، وإلا أن يصرف قلبه من هنا إلى هنا ، فـكل حركة منه أو لفتة نذيرٌ منه عندها بوشك هـذا التحول ، وفقدان ما كان لها عنده من مقام ومنزلة وايثار ، وعودتها واحدة من مئات الآلاف اللواتى لا يباليهن ولا يحفلهن ولا يحسهن أو يفطن إلى وجودهن ، فهى غيرة على الوجود وكل ما ينطوى عليه من الحقوق والمزايا ، ولذلك لا تنفك مشبوبة مضطرمة

ومن حق ذات الثوب الأرجوانى أن تغار وتقلق ، ويجب

أن أكون منصفاً ، فانى أنا أثرت غيرتها بطول النظر إلى جارتها ، وأقول جارتها وإن كان بينهما مثل ما بينى وبينها هى من البعد والحق أن جارتها جميلة فاتنة ، ولست أحبها — على الأقل إلى الآن — ولكنى لا أرى ما يمنع أن أحب الاثنتين معاً ، فان لكل منهما مزيتها وخصائص حسنها وتعبيرها الذى لا يشبه تعبير الأخرى ؛ والسمراء ألين وأسلس فى العنان على ما يبدو لى . نعم إن ذات الثوب الأرجوانى أسلم فطرة وأنقى وأخلص سريرةً وأبسط قلباً وأبرأ من العبث ، ولكن تلك شيطانة ملعونة وعفريتة من الجن تجعل الحياة كلها حركة دائمة ، وما قيمة الحياة الراكدة ؟ ؟ على أنى كما قلت لم أحببها بعد ، وإن كنت أعجب بحيويتها الزاخرة . وقد أحبهما معاً ، أو تستأثر بى التى هى أقدر ؟

ابراهيم عبد القادر المازنى

# الصراع الحاسم

## بين الطغيان والديموقراطية

بقلم باحث دبلوماسى كبير

---

جازت الديموقراطية المعاصرة مرحلتين حاسمتين فى تاريخها : فى غداة الهدنة التى اختتمت بها الحرب الكبرى استقبلت الديموقراطية طورا جديدا من القوة والظفر ؛ وكانت الحرب الكبرى من بعض الوجوه صراعا بين الطغيان والديموقراطية ؛ ففى معسكر الطغيان تجتمع الأسر القديمة الطاغية — آل هبسبرج وآل هوهنزلرن — والعسكرية البروسية تحركها أطماع مضطرمة فى السيادة الواسعة ؛ وفى المعسكر الخصيم تجتمع الأمتان العريقتان فى الديموقراطية فرنسا وبريطانيا ؛ وإذن فقد كانت هزيمة الدول الوسطى فى الحرب الكبرى هزيمة للطغيان والملوكية المطلقة ؛ وكان ظفر بريطانيا وفرنسا من بعض الوجوه ظفراً للديموقراطية والنظم الشعبية ؛ وظهرت نتيجة هذا الظفر واضحة فى قيام عدة من الجمهوريات الفتية فى روسيا وألمانيا والنمسا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، وفى دول البلطيق الصغرى ؛ فهذه مرحلة ظفر للديموقراطية المعاصرة

ونعمت الديموقراطية بظفرها بضعة أعوام ، ولكنها انحدرت إلى معترك من الشقاق الخطر ، وانقسمت إلى شيع متخاصمة ؛ وبدلاً من أن تجتمع فى معسكر موحد ، أخذت فى نضال عنيف مستمر فيما بينها باسم المبادئ والصيغ المختلفة ما بين اشتراكية وديموقراطية متطرفة ومعتدلة ، حتى دب الفشل إلى صفوفها ؛ وكانت أول نتيجة خطرة لهذا الشقاق قيام الفاشستية فى ايطاليا وسحق الديموقراطية فيها ؛ ولم تلبث قوى الطغيان أن ظفرت تباعا فى بولونيا حيث تقوم حكومات مطلقة تستتر وراء الجمهورية ، ثم فى ألمانيا حيث قامت النازية أو الهتلرية ونظمت أعظم طغيان عرفه التاريخ الحديث ، ثم فى النمسا حيث طغت الأحزاب الفاشستية ؛ وأما فى روسيا ، فان النظام الذى استحدثه البلاشفة للجمهورية الجديدة لم يكن سوى طغيان شنيع يستتر باسم سيادة الطبقات العاملة ؛ كذلك لم تلبث الجمهورية التركية الناشئة أن تحولت إلى طغيان عسكرى مطلق يستتر تحت نظام جمهورى صورى ؛ فهذه مرحلة انحلال للديموقراطية المعاصرة

والآن تبدو فى الأفق ظاهرة جديدة ؛ ولقد ظفرت الديموقراطية فى اسبانيا منذ أعوام قلائل ظفراً مبيناً ، فسحقت الملوكية الطاغية القديمة ، وأقامت حكم الجمهورية والنظم الدستورية ، ولكن هذا النصر كان محلياً ، ولم تفد منه الديموقراطية الأوربية قوة جديدة . ولكنا نشهد من جهة أخرى وثبة جديدة للديموقراطية الفرنسية ، فقد أسفرت الانتخابات الفرنسية الأخيرة عن فوز عظيم لأحزاب اليسار أنصار الديموقراطية المتطرفة والحريات الدستورية الواسعة ، وهى تتربع الآن فى دست الحكم ؛ وأسفرت الانتخابات البلجيكية فى نفس الوقت عن فوز الأحزاب الاشتراكية ؛ وفى روسيا السوفيتية يتحول الطغيان البلشفى منذ أعوام إلى نوع من النظام الدستورى العام تنمو فى ظله الحريات والحقوق الفردية باطراد ؛ ومنذ أشهر قلائل شهدنا تحالف الديموقراطية الفرنسية ، والديموقراطية السوفيتية فى ميثاق مشترك لمقاومة الخطر الألمانى المشترك . فهذه الظروف والأحداث كلها تنم فى نظرنا عن أن

الديموقراطية الأوربية تدخل فى طور جديد من أطوار نهضتها

ومما يلفت النظر فى عوامل هذه الوثبة الجديدة التى يلوح لنا أن الديموقراطية الأوربية تجيش بها ، هو أن فوز الأحزاب الاشتراكية الفرنسية فى الانتخابات الأخيرة هذا الفوز الشامل يرجع من وجوه كثيرة الى المسألة الحبشية التى أثارتها الفاشستية الايطالية واتخذتها ذريعة للتوسع الاستعمارى المسلح ؛ فقد كان غزو الفاشستية للحبشة وظفرها بالاستيلاء عليها ممزقة بذلك كل العهود والمواثيق التى ارتبطت بها فى العهد القريب ، متحدية أوربا وعصبة الأمم والعالم كله ، مظهراً قوياً من مظاهر ظفر الطغيان المنظم ونفثة خطرة من نفثاته تنذر العالم بأخطر العواقب ، وكان موقف حكومة لافال الفرنسية وتقلبها ونفاقها إزاء المسألة الحبشية ، وما قامت به من المعاونات السرية لحكومة رومة ، أكبر عامل فى تتويج الاعتداء الفاشستى بهذا الظفر الذى تزهو به الفاشستية اليوم وتتخذ منه نذيراً لأوربا ، ؛ فلما ردت السياسة البريطانية على موقف فرنسا فى المسألة الحبشية ، بموقفها فى مسألة الرين وتخليها عن فرنسا ، أدرك الرأى العام الفرنسى أن فرنسا تخاطر بفقد صداقة انكلترا ، فلم ير بداً من التحول فى الانتخابات الأخيرة الى ناحية اليسار لتقوم حكومة تعمل بالتفاهم مع الديموقراطية الانكليزية ، وتتعاون معها على درء خطر الطغيان الفاشستى والطغيان الهتلرى

***

ومن الخطأ أن تعتبر هذه الحركات الطاغية الخطرة التى تضطرم بشهوة الاعتداء والتوسع حركات محلية لا تعنى سوى الأمم التى تقوم فيها . فالفاشستية مثلاً تزعم لنفسها صفة عامة ، وتدعى أنها أمثل النظم الحديثة للدولة وتدعيم القومية ، وضمان رفاهة الشعب ؛ ويزعم طغاة ألمانيا الجدد ( هتلر وشيعته ) أنهم رسل المثل الأعلى للدولة الكاملة ، والعظمة القومية ، ورفعة الجنس ، وأن نظرية الحريات الدستورية والحقوق العامة هى نظرية خطرة على كيان الأمم ، ويجب أن تكون جميع الحقوق والسلطات متمركزة فى الدولة ، والدولة فى نظرهم هى الحزب النازى ، ويزعم بعض دعاتهم أن هذا النظام القائم سيعيش قروناً . ولقد كان لهذه الحركات والمزاعم بعض الأثر ، فظهرت فى انكلترا حركة فاشستية صغيرة ؛ واشتد ساعد الجمعيات الرجعية فى فرنسا ، وساعدت على ذلك ظروف سيئة ظهرت فيها النظم الجمهورية بمظهر النظم الفاسدة المفككة ، وعاونت بعض الفضائح الخطيرة مثل فضيحة ستافسكى وغيرها على الاعتقاد بانحلال هذه النظم ووجوب تعديلها ، بل قامت بعض جمعيات تدعو الى اقامة الدكتاتورية انقاذاً لفرنسا من هذا الفساد الدستورى الخطر ؛ وظهرت فى دول أخرى مثل رومانيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا نزعة الى الاقتباس من الفاشستية والنازية ؛ ومن ثم فنى وسعنا أن نقارن مبادىء الفاشستية والنازية ، من بعض الوجوه بمبادىء الثورة الفرنسية التى تعدت حدود فرنسا واجتمعت حكومات أوربا المطلقة على مقاومتها

والآن نرى فى أوربا معسكرين عظيمين يتأهب كل منهما لمكافحة الآخر ؛ يتألف أحدهما من انكلترا وفرنسا وبلجيكا وروسيا ؛ ويتألف الثانى من المانيا وايطاليا ؛ وينحاز لكل منهما بعض الدول الصغيرة ؛ فاذا تأملنا فى هذا التكوين من الناحية الدستورية ألفينا الديموقراطية ممثلة فى الطريق الأول ، والنظم الطاغية ــ الفاشستية والنازية ــ ممثلة فى الطريق الآخر ؛ وقد رأينا أن الحرب الكبرى قامت على مثل هذا التقسيم فى القوى المتحاربة ؛ وأن الدائرة قد دارت على الحكومات المطلقة وعقد النصر للدول الديموقراطية ؛ وإذا تأملنا تاريخ أوربا خلال القرن التاسع عشر ، لمحنا أثر هذا النضال الدستورى فى معظم الحروب والمعارك التى دارت رحاها فيه ؛ فقد عقدت المعاهدة المقدسة فى سنة ١٨١٥ بين قيصر روسيا ، وإمبراطور النمسا ، وملك بروسيا ، أو بعبارة أخرى بين الأسر الثلاث التى تمثل الحكم المطلق وتتذرع بالحق الالهى ، وهم آل رومانوف ، وآل هبسبرج ، وآل هوهنزلرن ، وغرضها الظاهر توثيق عرى الأخوة المسيحية والتحالف بين الدول الثلاث ، وغرضها الحقيقى مقاومة الحركات الشعبية والدستورية ؛ وقد كانت أوربا طوال هذا القرن كله مسرحاً لكثير من هذه الحركات التى ترمى إلى الحد من طغيان الحكم المطلق ومساوئه ، وتنمية الحقوق العامة للفرد سواء فى الدولة أو المجتمع

إن مجرى السياسة الدولية الحالية يفصح بذاته عن مظاهر

تلك المعركة الكبرى التى يسير هذان المعسكران إلى خوضها ؛ فانكلترا وفرنسا تعملان من ناحية على مؤازرة عصبة الأمم ، واقالتها من عثرتها السحيقة فى المسألة الحبشية ، ومن ورائهما السوفييت ودول أوربا الصغرى كلها تؤيد هذه الحركة ، لأن مبدأ السلامة المشتركة الذى أريد أن يكون دستور عصبة الأمم ضماناً لتحقيقه ، قد صار بعد ظفر الفاشستية المعتدية بالاستيلاء على الحبشة — وهى من أعضاء العصبة — عقيماً لا أثر له من الوجهة الدولية ؛ والدول الصغرى أضحت تخشى على مصايرها بعد انهيار هـذا الضمان المشترك الذى كانت تعتمد عليه . ونرى من جهة أخرى إيطاليا وألمانيا تسخران من عصبة الأمم ، ولا تدخران وسعاً فى مناوأتهـا وعرقلة أعمالها لأن توطيد السلامة المشتركة وحريات الأمم وحقوقها إذا تحقق بعمل دولى قوى من جانب الدول الديموقراطية ، فانه يقف سداً فى وجه أطماعهما فى التوسع والاستعمار ، ويؤدى إلى ضعف النظم الداخلية التى تغذى هـذه النزعة الخطره على حقوق الأمم وحرياتها

والخلاصة أنه حيثما تأملنا فى نواحى السياسة الدولية ألفينا مظاهر المعركة الحاسمة التى يوشك أن تخوضها الديموقراطية .

والديموقراطية تلتزم خطة الدفاع لأنهـا بطبيعتها أقل ميلاً إلى الحرب ، ولأن الدول التى تمثلها ، هى فريق الدولة الراضية المستأثرة بالسيادة الاستعمارية الواسعة والموارد الغنية ؛ ولكنها ستضطر إلى الدفاع عن نفسها إذا هوجمت ، وعندئذ تقع معركة الفصل فى مصاير أوربا الجغرافية والدستورية ، وتقع معركة الفصل فى مصاير المدنية ، فاما أن تفوز الديموقراطية فتفوز بذلك المدنية المؤسسة على احترام الحقوق والحريات البشرية ، وإما أن تفوز مبادىء القوة الهمجية التى تنادى بهـا الفاشستية والهتلرية ، وعندئذ تنهار نظم الحضارة المستنيرة وترجع أوربا إلى نظم العصور الوسطى

ولكن الديموقراطية التى صمدت لهذه القوى الهمجية منذ القرن التاسع عشر تستطيع بلا مراء أن تدافع عن نفسها ومن ورائها الرأى المستنير فى العالم كله

* * *

# هنرى روبير

## عضو الأكاديمية الفرنسية ونقيب المحامين

للأستاذ عبد الحليم الجندى المحامى

إلى المحاماة ، فى شخص المحامى الأول ، والنقيب الأول ، ابراهيم الهلباوى بك

فى ١٣ مايو الماضى مات هنرى روبير نقيب المحامين فى باريس وعضو الأكاديمية ، ووقف لتأبينه النقيب « دى مورو جيافرى » فقال : « إن المحاماة قد فقدت اليوم أكبر رجل رفع من شأنها منذ عهد بربيه » . وهى عبارة تعطيك أبلغ فكرة عن مكانة هنرى روبير فى التاريخ ؛ فلعل « بربيه » أكبر رجال المحاماة فى التاريخ الفرنسى ؛ هو الذى حمل لواء الدفاع عن « لامنيه » ، وعن « شاتو بريان » ضد لويس فيليب عندما هتف قائلاً للدوقة «دى برِّى» : سيدتى ، إن ابنك هو الملك . وكان لويس فيليب يومئذ هو الملك ! ثم ترافع عن البرنس لويس نابليون عندما طلب إعدامه فأنقذه دفاع «بربيه» ليصير بعد سنين جلالة الأمبراطور ، وهو الذى كان يدافع عن المتهم فى إحدى جنايات القتل فأخذ محامى المدعى المدنى « النقيب كرسّون » يحذر القضاة من عبقرية الدفاع الذى سيسمعونه من فخر التاريخ القضائى فى فرنسا . فاذا جاء هنرى روبير بعد هذا الرجل الخالد دون أن يقف أمامه ش دستانج أو ليون ديفال أو جول فافر أو روس أو « ألو » أو محامى مدام لافارج الذى كان يقول عن نفسه : ( أنا الدفاع » صديق الأمبراطور الشخصى أعنى « لاشو » ؛ ثم باربو ؛ ثم لابورى ، لابورى الهائل ، الذى نفذ رصاص الحقد إلى جسده ولم ينفذ الرعب إلى قلبه ، فطلب تأجيل قضية إميل زولا حتى يبرح المستشفى ليترافع ضد الجيش وحزب الجيش ومنهم مطلق الرصاص ؛ لابورى الذى قال عنه هنرى روبير وهو باقى الكلام فى تأبينه : « قوة من قوى الطبيعة ومارد فى موقف الدفاع » ؛ ثم دى بوى أستاذ بوانكاريه ؛ والرئيس أو النقيب بوانكاريه نفسه ، محامى جونكور وجائزة جونكور ووصية جونكور ؛ والرئيس فيفيانى أو البلاغة كما كان يسميه بنو العصر ؛ وشنى « أفضلنا » كما كان يقول هنرى روبير ؛ ووالدك روسو ؛ والنقيب

« بوتو » حفيد النقيبين أو قل وزيرى الحقانية بوتو وباروش .. كل أولئك لايراهم چيافرى قد أعلوا من شأن المحاماة مثلما أعلى من شأنها هنرى روبير ...

وفى الحق أن هنرى روبير قد بلغ ذلك الأوج لظروف خاصة ؛ فهو قد ظل ربع قرن كامل محامى فرنسا الأول ، حتى ليكاد المرء يخاله قد وصف نفسه عندما وصف فيكتور هوجو بأنه استوى على عرش الأدب نصف قرن كأنه نصف إله ؛ وفرنسا أمة محامين تحكمها حكومة محامين . وكان هنرى روبير « نقيب الحرب » كما كانوا يقولون إذ ظل نقيباً مدة اربع سنوات دون أن يعاد الانتخاب ؛ فالمحامون كانوا جميعاً فى الخنادق ، ولم يكن لذلك بد من تأجيل الانتخابات ؛ وبذلك اقترن اسمه بالنظام القضائى طيلة أيام المحنة . وكان يلقى فى تأبين المحامين الذين تفقدهم فرنسا كلمات خالدة تخلب الألباب . وكان يمثل المحاماة فى كل معترك ، ويحمل رداءها فى كل حفل . وهكذا حمل اسمها ولواءها عند الكافة . فلما خمد لهيب جهنم لم تخب تلك الشهوة اللامعة فارتفعت بصاحبها من مستوى الذين يموتون إلى مستوى الذين لا يموتون فى سنة ١٩٢٣ خلفاً لريبو . وكانت آخر كلمة له فى المجمع تأبين النقيد الجليل چاك باتبيل ؛ حتى إذا تفرغ للتأليف من سنة ١٩٢٨ أخذ يقرؤه عالم الأدباء بعد أن كان يقرأ عنه ، وبعد أن كان محامياً عن الأفراد أصبح محامياً عن المحاماة ؛ وبعد أن كان اسمه يذكر بمناسبات أصبح اسمه يدوى فى المسامع باستمرار

وظل هنرى روبير طول أيامه عزوفاً عن السياسة معتزاً بالمحاماة ، فلم يغب باسمه ولا بجسمه عن قصر بوربون

الى تلك الملابسات التى أحاطت بالرجل كان الرجل نفسه كنزاً زاخراً حافلاً بالكفايات، والكفايات فى أمة كفرنسا وفى وسط كالمحاماة يندر أن تضيع

هذه الشخصية الخالدة يجب أن ندرسها فى مصر ، ولو فى عجالة وبايجاز . ولعلى بهذا البحث أشق الطريق للأدب المرجو الذى أنادى به من عشر سنين : أدب المحاماة

* * *

ولد هنرى روبير فى ٤ سبتمبر سنه ١٨٦٣ ، وفى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٥ حلف اليمين لينتظم فى سلك المحامين . وفى يوليو سنة ١٨٨٧ انتخب سكرتيراً لمؤتمر المحامين وانتخب معه اثنان آخران يكفى أن تعرف اسميهما لتدرك مقدار ما يتضامن الماضى مع المستقبل ، فأولهما الأستاذ واتين الذى يتولى اليوم توزيع العدالة وشرع الأحكام فى كرسيه فى رياسة دائرة محكمة النقض ؛ وأما ثانيهما فانه ڤرنان لابورى : وما أدراك ما لابورى ؟ لسان الدفاع عن ڤايان الذى ألقى القنبلة الأولى على مجلس النواب ، ذلك الدفاع الذى لا نستطيع بعد قراءته إلا أن نتساءل مع هنرى روبير : « كيف لم يبرئوا المتهم ؟ » ولسان الدفاع عن أميل زولا ؛ الدفاع الذى أفقده أمواله وعملاءه وأكسبه الفخار والشرف : والذى نقل الى الأجيال أروع كلمة قالها محام فى الذب عن حياض المحاماة ؛ فعند ما هوت من فم النائب العام — وهو جالس على كرسيه بجوار المحكمة فى أعلى القاعة — كلمة جارحة بالنسبة للابورى صرخ صرخته الداوية فى وجه النائب : «إن الشتائم التى تُساقطها من كرسيك الرفيع لن تستطيع — مهما كان كرسيك عالياً — أن ترقى الى المنصة التى يترافع منها الدفاع »

ولم يكد هنرى روبير يستمرئ حلاوة ظفره فى الانتخاب حتى اختاره النقيب دربيه سكرتيراً له وولاه أعمال مكتبه فى أول أكتوبر سنة ١٨٨٧

وقضى السكرتير الجديد بمكتب النقيب سنتين حتى قبض الله إليه النقيب فلم تبرح ذاكرته ذكراه حتى قضى هو الآخر ؛ فتراه يهدى إليه بعد أربعين عاماً كتابه « المحامى » ، فتراه يختصه بأروع الصفحات فى بعض مؤلفاته ؛ فلقد كان دربيه أباً يخاص الحب ، ولم يكن أستاذاً فحسب ؛ كان يفتح صدره لسكرتيره ، وكان يفتح أمامه أيضاً أبواب داره . وفى نوفمبر سنة ١٨٨٨ رحل النقيب والسكرتير للمرافعة فى قضية القتل التى قارفها تلميذ پول پورچيه وصديقه كامييج والتى أوحت لعميد الأكاديمية المتوفى (پورچيه) أروع مؤلفاته وهو كتاب « التلميذ » ، فلقد قتل كاميج عشيقته الفاضلة مدام جريل بعد أن تعاهدا على الانتحار فأصابها ثم أخطأ نفسه ؛ فترافع دربيه ومن ورائه هنرى روبير ففتح لنفسه طريق الخلود

وفى ذات ليلة انتقلت هيأة الدفاع كاملة ؛ على ضوء الشموع ، لا الى المحكمة ولكن الى المقهى ، ولا لتطلع على المستندات ولكن لتطلع على رقص « أولاد نايل » ، فهمس دربيه فى أذن سكرتيره : ( يا صديق ما ذا يقول مجلس النقابة إذا رآنا هنا ؟ ) فأجابه زعيم

الارتجال « هو بلا شك يحسدك يا سيدى النقيب ! »

وأخذ هنرى روبير يمشى قدماً فى عالم المحاماة ، وكانت الحياة رخية فى أعقاب حرب السبعين الى فاتحة القرن الحالى ، فلم يكن يخشى على الكفايات الممتازة من منافسة الجشع والخسة والأساليب الدنسة التى تخلقها ظروف الحياة المصيبة ، فتهيأت للمحامى الناشئ قضايا هائلة ظهر فيها هائلاً أيضاً ، فترافع عن جبريل بومپار فى سنة ١٨٩٠ ليستل رأسها من تحت الشنقة ، وعن واشيه المتهم بقتل أبيه ليظفر لدولمن معه ببراءة خالصة وفى سنة ١٨٩٨ ترافع عن الطبيب لابورت مرافعته الخالدة . وفى سنة ١٩٠٢ ترافع عن مدام همبير ضد الصيرفى قطاوى واختتمها بتلك الكلمة التى اختتم بها الأستاذ سابا حبشى مرافعته القيمة فى قضية نزاهة الحكم « ... وستثبتون ببراءة مدام همبير أنكم تصدرون أحكاماً ولا تؤدون خدمات » وفى سنة ١٩٠٤ ترافع عن المهندس بيير فى مقتل كاديو ، وفى سنة ١٩٠٨ فى مقتل ريمى الخ الخ . . وفى سنة ١٩٢٥ ترافع عن بوربووش وفى سنة ١٩٢٩ ترافع عن الجنرال ميشيل فنال له ما عجز عن نيله أستاذ الجيل « لاشو » فى محاكمة المارشال بازان عن موقفه فى حرب السبعين ، ثم عن الحسناء البولونية فالنتين أو متسكا ، ثم عن القسيس هيجى ، ويومئذ اختتم مرافعته أمام محكمة جنايات السين بما ختم به عمله القضائى الخالد أمام تلك المحكمة قائلاً : « . . أيها الأب . . صح معى وبأعلى صوتك : فلتحى فرنسا . »

***

فما هى إذن تلك الكفايات التى رفعت صاحبنا وصاحبها إلى تلك الذروة ؟ الجواب عندى يتلخص فى كلمة واحدة هى : أنه كان يفهم قضاياه كما كان يفهم عقلية القضاة ؛ وهـذا هو الذى جعله بحق أحدث القدماء وأقدم المحدثين . وبعبارة واضحة هـذا هو الذى جعله مترافعاً عظيما فى أواخر قرن البخار ، مترافعاً عظيما فى أوائل قرن اللاسلكى ؛ بل بعبارة أوضح هذا هو الذى جعله يكيف المرافعات « التقليدية » التى كانت آية البيان فى أعقاب الحرب الأولى ، أعنى حرب السبعين بما يستسيغه القضاة بعد الحرب الثانية فى سنة ١٩٢٠ : هؤلاء القضاة الذين يضعون الساعة أمام عيونهم فان لم يضعوها أمامهم تصوروها كائنة فى رؤوسهم . . . تدق باستمرار . . . . !

نحن الآن فى المحكمة ، وهذا هو النائب العام يترافع ؛ وذلك محام هادئ يكاد ينام ؛ لـكنه نهض الآن ، رفيع القامة ، رفيع المقام ، يتكلم فى سرعة غريبة كأنه يخشى أن يدفع ضده بفوات الميعاد ! إنه يتكلم كأنه يتحدث ؛ وها قد مضت خمس دقائق دون أن يظهر لك أنه محام كبير ، لـكنه قد أوغل فى صميم الموضوع فوراً ، وحميت الوقدة واندلع لهيب النار ، فهو يضرب يميناً ويضرب شمالاً وبقسوة وبصوت محترم ، والحجج تنساق متدافعة مُعجلة إلى أسماع المحلفين فيعجبون لتقديم هذا المتهم البرىء ! وفى عشرين دقيقة أو ثلاثين !! يبدو لهم أن النائب المترافع كان يسىء استعمال وقتهم عدة ساعات فى مرافعاته ضد رجل طاهر كالطهر ، مظلوم كالمسيح

تلك كانت صـورة هنرى روبير وهو يترافع كما حكى لنا سامعوه ومؤرخوه وكما يظهر لنا من كتاباته

حدثنا هنرى روبير عن رجل من أرباب القضايا دخل القاعة فوجد محامياً يترافع ، فتساءل من الأستاذ ؟ فقيل له إنه الأستاذ « أنتل » قال : كيف هـذا ؟ إنه يتحدث فى بساطة مجردة ! لا يمكن أن يكون هذا هو الاستاذ أنتل البعيد الصيت !

فاذا رجعت إلى كتاب الأستاذ الجداوى المسمى « مرافعات » وجدت أن الأستاذ الجداوى هو ذلك الرجل الذى دخل القاعة ، وأن المحامى الذى تساءل عنه وتلقى الجواب بدهشة وباعجاب لم يكن الأستاذ آنتل بالطبع ولـكنه كان الأستاذ هنرى روبير . !

وفى مقال بعث به إلى Candide فقرأه الأحياء فى ٢١ مايو الماضى بعد أن كان هو قد سقط من سجل الأحياء ! . . فى ذلك المقال المعنون : « فتحت الجلسة » محض هنرى روبير المحامين النصح أن يقرأوا مرافعات « والدك روسـو » ليتعلموا فن « البساطة والسهولة والدقة » . وفى كتاب (المحامى) يهيب بالمحامى أن يتذكر أنه يقف أمام القضاء « ليقنع لا ليلمع » وأن القرن السادس عشر قد حمل الينا وديعة من أجيال الفصاحة القضائية الأولى هى أن تترافع « باختصار وبلباقة وباخلاص » ؛ وعلى ذلك تجد مؤلفاته كمرافعاته ؛ فهو يبدأ مرافعاته لينتهى منها بسرعة وحرارة ، وأنت تبدأ قراءة كتبه فلا تستطيع أن تدع الكتاب حتى تصل إلى خاتمته ؛ وهـذا كتاب قضايا التاريخ الكبرى يعرض للناس أفظع ما اجترح الضمير الانسانى من أوزار وحيل وخبائث ، وهذه مرافعته الفنية عن الدكتور لابورت ، كل تلك الاعمال يبسطها روبير فتروعك بسهولة عبارتها وسحر دلالتها

حتى لكأنها دروس تلقى على التلاميذ .. !

ذلك لأنه كان يفهم قضاياه فيعرضها من حيث يجب أن تعرض ؛ ومادام يفهمها فهو – بأسلوبه – قمين أن يُفهمها ؛ ومن المسلم به أن الذى لا يفهم لا يستطيع أن يُفهِم ، وأن تبسيط الأشياء أصعب من تعقيدها ، وأن الغموض فى العبارة هو غالباً أثر الغموض فى التفكير

ويمتاز هنرى روبير من رجال الدفاع فى العالم طرا بالسرعة المتناهية فى الالقاء ، وله من جراء هذه السرعة حادثة ذكرها لنا فى مقال (كانديد) ، إذ كان يترافع عن قاتل عشيقته فقال وهو يطير فى أجواء الكلام « . . . فعقد العزم على أن يقتل نفسه ثم يقتلها فوراً . . » ولم ينتبه أحد سواه إلى ما فى هذا الكلام من استحالة لأن الجمهور والمحلفين كانوا يجرون معه إلى الغاية كالزورق الذى يحمله التيار

ولذلك الاسراع تجده ينتزع المتهم من براثن النائب العام بعد ١٧ دقيقة فقط كما شهدت المحامية أوديت سيمون أو « بعد عشرين دقيقة لا أكثر ولا أقل » كما تعهد هو للمحلفين وهو يستهل الدفاع فى قضية بوبوروش عندما قتل الرجل الذى أخبره أن امرأته تخونه . ومن الغريب أن يقولها للمحلفين بعد أن قال ساخراً « . . ساعتان كاملتان ، واتهامان متضافران ، من المدعى المدنى ومن النائب العام : » ثم يختتم دفاعه وهو يناجيهم « . . . إننى أرجو أن تبرئوا بوبوروش حتى إذا عدتم إلى مساكنكم فى المساء ألقيتم على زوجاتكم وبناتكم نظرات كلها اطمئنان » . وفى ٢٨ يونيو سنة ١٩١٣ كتب الأستاذ « ڤرنان پايان » – قبل أن يصبح نقيباً ، ومؤرخا لبوانكاريه – كتب فى الفيجارو دراسة لهنرى روبير نشرها فى كتابه Anthologie des Avocats وعلل هذه السرعة بأن الرجل يخشى أن يضيع أثر كلامه فى المحلفين ، فهو ينتهى منهم بسرعة ليتركهم تحت أثقال حججه وبراهينه . وعندى أن العلة فى ذلك كانت صفاء عقل هنرى روبير وقدرته على الارتجال ، ذلك الارتجال الذى قال هو عنه كما سيجىء بعد : إنه نتيجة ترديد الكلام قبل المرافعة ، حتى كان يسمى نفسه « آلة كلام » ، فهو كان يبدأ لينتهى ؛ أفكار واضحة وعبارات حاضرة ؛ كان يفتتح المعركة لينتهى منها بأسرع ما يستطيع ؛ والنصر الحاسم هو غالباً النصر السريع . ثم – وهذه مسألة أساسية – كان هنرى روبير عدوا للتصويرات البيانية ولحشد الأمثال والسوابق ، فهو كان مقيداً دائماً بموضوعه ، لا يرسم الصور ، ولا يلقى الحكم ، ولا يتفيهق بالألفاظ ، ولا يتطلب الشهرة ، لأنها قد دانت من زمان ؛ فهو إذن يلقى الحجج واحدة بعد أخرى كالفيلق فى آثار الفيلق ، وكلا انتصار فى أعقاب الانتصار ؛ وهو إذن كان يستغنى عن أربعين دليلاً بأدلة أربعة لها قوة الاربعمائة ووضوح الدليل الفرد

كان هنرى روبير يرتجل كما قلنا ، لكنه يشرح ارتجاله حيث يقول « إننى لا أفكر فى الكلام حين ألقيه » ثم يقول « أنا لا أحضر مرافعاتى بالكتابة ؛ وإنما أترافع بينى وبين نفسى على انفراد وبلا صوت عال ؛ لا أتكلم ، وإنما تجرى العبارات فى مخيلتى وأنا أمشى أو وأنا فى عربتى ، وفى المساء تتوارد لدى خواطر ذات بال » وهذه العبارة تشرح للقارئ حالة خاصة كان يشهدها سامعوه عند ما يفتتح الجلسة فى قضية خطيرة ، إذ كانت تبدو عليه علامات الانفعال . وقديماً كان « تورين العظيم » لا يدخل المعركة إلا وهو يرتعد ، فكان ينادى جسمه « ارتعد . . تزايل . . إنك لا تدرى إلى أين أقذفَ بك . . . » وكان تورين أعظم القواد فى تاريخ فرنسا عند نابليون

أما خطة هنرى روبير فى مرافعاته فقد تعلمها على الرجل الذى كسب ستين معركة ؛ وهى أن الهجوم خير وسيلة للدفاع . فاذا شرع فى مرافعته اتجه فى شتى الجهات يبحث عن متهم غير موكله ليلقى عليه أفدح أثقال الاتهام ؛ فاذا لم يكن هناك مجرم آخر فلا شك أن هناك أباً لم يعلم ولده فهوى به – هو – الى أحضان الجريمة ؛ أو أن هناك تحريضاً أو استفزازاً وإلا فاستبسالاً صدر من المجنى عليه ؛ أو أن الهيئة الاجتماعية قد قصرت أو أساءت الى غير ذلك من أساليب الدفاع ، وإذا شئت فمن أساليب الاتهام . والذين سمعوا وهيب دوس يترافع فى قضية نزاهة الحكم أو فى مقتل السردار أو فى قضية الأطباء – بخاصة – يدركون مقدار ما يتساوى الرجلان فى تلك الخطة التى شرعها نابليون للناس ، أو نقلها عن هانيبال للأجيال اللاحقة ، عند ما كان يعلم بقيام حلف ضده فى وسط القارة أو فى شرقها أو فى غربها فلا ينتظر فى قصر التويلرى بل تجده مرتين تحت أسوار ڤينا ومرة أخرى فى قصر فردريك العظيم ليأخذ ساعته الدقاقة إلى سنت هيلين من بعد باريس : . . . ومرة ثالثة تجده فى موسكو . . . أمام الحريق ، بل أمام اللانهاية ، بل أمام باب الفشل . . . . .

(البقية فى العدد القادم)

عبد الحليم الجندى

شعراؤنا المنسيون

# الأبِيــــوَرْدى

المتوفى فى مثل هذا اليوم (٢٠ ربيع الأول) سنة ٥٥٧

بمناسبة مرور « ٧٩٨ سنة » على وفاته

## للأستاذ على الطنطاوى

مقدمة : بين المعرى والبارودى عصر أدبى مديد قد نسى اليوم أو كاد ، فمحى من برامج التعليم عندنا ، وحكم عليه جملة واحدة بأنه عصر انحطاط فى الأدب وجفاف فى القرائح ، وضعف فى الانشاء ، وقحط فى الرجال ، وانصرف عنه الناس — إلا الخاصة من أهل الأدب — وزهدوا فيه ، وارتضوا لأنفسهم الجهل به ، وانقطعت الصلة بينهم وبينه ، فلا تقرأ لأحد بحثا فيه ، ولا تحليلا لشاعر من شعرائه . ولا تسمع اسم رجل من رجاله يتردد على أطراف ألسنة الخطباء ، وأسلات أقلام الكتاب ، كما تردد اسم بشار والبحترى والمتنبي والمعرى ، فى حين أن هذا العصر الطويل قد أنجب شعراء إذا هم لم يضارعوا الفحولة السابقين ، فليسوا خالين من كل مزية ، ولا عاطلين من كل حلية . بل إن فيهم لشعراء فحولا ، زودوا الأدب العربى بزاد قيم ، وأورثونا أدبا جما ، وشعراً كثيرا من حقه أن يحفظ وينظم ، ويدرس ويحلل . لا سيما ونحن فى إبان نهضة أدبية شاملة ...

وقد أحببت أن أفتح هذا الباب فى « الرسالة » لأنها اليوم بمثابة الامام فى الأدب العربى ، ولأن فى يدها دفة السفينة فهى التى توجهها الوجهة الصالحة إن شاء الله . ولست أسوق هذه الكلمة على أنها دراسة كاملة لهذا الشاعر . ولكن على أنها كلمة موجزة عن نفسيته وشعره ، بمناسبة ذكرى وفاته ، عل هؤلاء الشعراء المنسيين يبعثون كما بعث ابن الرومى من قبل . فيقام للابيوردى بعد سنتين مهرجان كمهرجان المتنبي بمناسبة مرور ثمانية قرون على وفاته ... (ع)

قال الأبيوردى :

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى    أعزّ وأحداث الزمان تهون

فبات يُريني الخطب كيف اعتداؤه

وبتّ أريه الصبر كيف يكون

والأبيوردى هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى المعاوىّ الأموىّ العبشمىّ الذى يقول :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت    لنا رغبة أو رهبة أمراؤها

فلما انتهت أيامنا علقت بنا    شدائد أيام قليــل رخاؤها

وكان الينا فى السرور ابتسامها    فصار علينا فى الهموم بكاؤها

وصرنا نلاقى النائبات بأوجه    رقاق الحواشى كاد يقطر ماؤها

إذا ما هممنا أن نبوح بما جنت    علينا الليالى لم يدعنا حياؤها

* * *

هذه نفس الأبيوردى ، وهذا شعره

قال الشعر فأكثر ، وسار فيه على سنن من تقدمه وعاصره ، فمدح وهجا وتغزل ، واستنفد المدح أكثر شعره ، وعنى بالصناعة البديعية ، وغاص على المعانى المبتكرة ، والتوليدات الدقيقة ؛ وكان شأنه فى ذلك شأن جمهرة الشعراء الداحين لم يأت فيه بجديد ، ولم تكن له ميزة فى شيء منه ، ولكن ميزته فى شيء وراء ذلك كله ، هو أن له شخصية قوية واضحة تشبه شخصية المتنبي فى كثير من نواحيها ، وإن هذه الشخصية تظهر فى شعره كله ، فى المدح وفى الهجاء وفى الغزل

وستفهم هذه الشخصية ، وترى مبلغ ظهورها فى شعره حين تعرف نسبه وأخلاقه ، وتقرأ ما سأعرض عليك من شعره

أما نسبه فقد علمت أنه يتصل بأبى سفيان بن حرب بن أمية ابن عبد شمس جد الخلفاء الأمويين ، الذين ملكوا الدنيا ، وفتحوا المشرق والمغرب ؛ وقد كان الشاعر معتزاً بهذا النسب لا ينساه ولا يكتمه ، ولا يحجم عن أن يواجه به الخلفاء من بنى العباس ، وأن يفاخرهم به فى وجودهم !

كتب مرّة إلى أمير المؤمنين المستظهر بالله رقعة على رأسها الخادم المعاوىّ ، فغضب الخليفة وأخذ الرقعة فكشط الميم من المعاوىّ وردّها اليه ...

وكان مرّة يمدح الخليفة المقتدى العباسى ، ففخر أمامه بنسبه الأموى ، ووازاه بنسب الخليفة ، ولم يزد على أن جعل جدّ الخليفة العباسَ « ساقى الحجيج » ندا لجده وقريباً ، قال :

وقد ولدتنى عصبة ضمّ جدّهم    وجدّ بنى ساقى الحجيج عروق

وإنى لأبواب الخلائف قارع    بهم ولساحات الملوك طروق

ولم يكن يمتنع من أن يفخر بأجداده الأمويين ، ويملأ الدنيا ثناء عليهم ، ويفضلهم على الناس كلهم ، على مسمع من العباسيين أرباب السلطان وأولياء الأمر ، وأن يعرض فى فخره بالدولة العباسية وزوالها ، قال :

أنا ابن الأكرمين أباً وجداً    وهم خير الورى عماً وخالا

أشدّهم إذا اجتلدوا قتالا    وأوفقهم إذا عقدوا حبالا

وأرجحهم لدى الغمزات عوداً إذا الخفرات خلين الحجالا

(إلى أن قال) :

وهم فتحوا البلاد بيارات كأن على أغرتها نمالا
ولولاهم لما درّت بفيء ولا أرعى بها العرب الفصالا
وقد علم القبائل أن قومى أعزهم وأكرمهم فعالا
وأصرحهم إذا انتسبوا أصولا وأعظمهم إذا وهبوا سجالا
مضوا وأزال ملكهم الليالى وأية دولة أمنت زوالا ؟

أما أخلاقه فقد كانت أخلاق الصيد من الملوك ، لا أخلاق مداح من الشعراء ، فقد ذكروا أنه كان عالى الهمة ، عزيز النفس ، متكبراً تياهاً ، ذا بأو وصلف وعجب ، وكان يتخذ العبيد والغلمان ، ويأمر من يمشى بين يديه بالسيف فعل الملوك ، وكانت له آمال سياسية ، كان يرجو أن يبلغها من طريق المرتبة والولاية ، فطلبها وألح فى طلبها ؛ فلما أيس منها عزى نفسه بأنه سيطلبها بالسيف ، فهو يشبه فى هذا المعنى المتنبى شاعر العرب الأكبر ؛ يدل على آماله السياسية وطموحه إلى الملك شعره الذى سيمر بك عما قريب ، ودعاؤه عقب كل صلاة : « اللهم ملكنى مشارق الأرض ومغاربها » ، وتيهه على ممدوحيه من الملوك والوزراء ، وفخره بنفسه بين أيديهم

أما الشعر فكان ينظمه ترويحاً عن نفسه ، وترجمة عن أدبه ؛ ويمدح به من يمدح للأدب لا للنشب ، وللوفاء لا للعطاء :

ولم أنظم الشعر محباً به ولم أمتدح أحداً من أرب
ولا هزنى طمع للقريض ولكنه ترجمان الأدب

***

إنى بمدحك مغرى غير ملتفت إلى ندى خضل الأنواء مطلوب

وكان يترفع عن أن يستجدى بالشعر ، وأن يعد من الشعراء السؤال . ويرى نفسه نداً لممدوحيه . فهو ينظم لهم هذه القصائد المعجزة . يبتغى بها ودهم وإخاءهم لا نوالهم وعطاءهم :

ولولاك لم تخطر ببالى قصائد هوابط فى غور طوالع من نجد
لحقت بها شأو المجيدين قبلها وهيهات أن يؤتى بأمثالها بعدى
فهن عذارى مهرها الود لا الندى

وما كل من يعزى الى الشعر يستجدى

ولم يكن يسلك سبيل شعراء المدح فى الكذب والغلو والمبالغة . ولكن سبيله وصف ما يرى من صفات ممدوحيه وخلالهم وصفاً صادقاً ، لا كذب فيه ولا اغراق :

وصدق قولى فيك أفعالك التى أبت لقريضى أن أوشحه كذبا

***

لا زلت تلفح آمالاً وتنتجها مواهباً يمتريها كل محروب
وتودع الدهر من شعر أحبره مدائحاً لم توشح بالأكاذيب

وكان عارفاً بقيمة شعره ، مؤمناً بعلو منزلته وجلالة قدره ، فهو يوجه إليه أنظار ممدوحيه ويدل به عليهم ، ويمن على من يمدحهم بأن ملوك الأرض يتمنون أن يمدحوا به ، ولكنه لا يتنازل الى مدحهم ، ولا يعرج عليهم ، ولا يلتفت إليهم :

قليل الى الرى الذليل التفاته وان كثرت للواردين المناهل

***

فدونك مما ينظم الفكر شردا سلبن حصى المرجان كل نظام
تسير بشكر غائر الذكر منجد يناجى لسانى معرق وشآمى
ويهوى ملوك الأرض أن يمدحوا بها

وما كل سمع يرتضيه كلامى

***

وكم ماجد يبغى ثناء أصوغه ولكننى عن مدح غيرك أزور

ويودع سيداً كبيراً فلا يجد ما يأسف عليه عند وداعه الا هذا الشعر الذى يضيق به الحساد ، و ( تكبو دونه الشعراء ) وتنشده الأيام ، أن يضيع بعد رحيله ولا يبقى له أهل يخاطبون به

رحلت فالمجد لم ترقأ مدامعه ولم ترق علينا المزن أكبادا
وضاع شعر يضيق الحاسدون به ذرعاً وتوسعه الأيام انشادا
فلم أهب بالقوافى بعد بينكم ولا حمدت وقد جربت أجوادا

***

وإذا أنت سألت الشاعر عن منزلته فى الشعر لما تردد فى القول بأنه فاق الشعراء وبذهم ؛ فاذا عجبت منه كيف يعجز الشعراء ويبذهم وهو واحد منهم ، أجابك جواب المطمئن المؤمن بما يقول : المعتد بنفسه قائلاً :

فقت الأعاريب فى شعر فأنت به كأنه لؤلؤ فى السلك منضود
ان كان يعجزهم قولى ويجمعنا أصل فقد تلد الخمر العناقيد

فمن كان له هذا المجد التليد ، ينم عنه هذا المنطق المبين :

ينم بمجدى حين أخرس منطق ويعرب عن عتق المذاكى صهيلها

ومن كان سليل الملوك ، وشاعر العصر ، وذا المجدين : المجد

الموروث وهو هذا النسب العالى النبيل ، والمجد المكسوب وهو هذا البيان الصافى الأصيل ، كان له أن يقوم بين أيدى ممدوحيه مقام العزيز الشامخ بأنفه ، وأن يصرخ فى وجه الوزير ، وقد قام مادحاً له ، فنسيه وذكر نفسه ، فانقلب منافراً مفاخراً :

وسل بى المجد تعلم أىّ ذى حسب  فى بردتىّ إذا ما حادث هجما
بلين للخل فى عزّ عريكته  محض الهوى وله العتبى إذا ظلما
من معشر لا يناجى الضيم جارهم  نضو الهموم غضيض الطرف مهتضما
والدهر يعلم أنى لا أذل له  فكيف أفتح بالشكوى اليه فما

وكيف يشكو الدهر ، وشعره غرة فى جبين الدهر :

وكيف يشكو الدهر من شعره  على جبين الدهر مكتوب ؟

أو لست تذكر المتنبى شاعرنا الأكبر ، حين تقرأ للأبيوردى فخره بنفسه وتمدحه بادلاجه فى الليل ، وانفراده فى الفلوات ترنو إليه النجوم وهو ساع ليكسب قومه عزاً وفخراً فى مطلع قصيدة يمدح فيها ويهنئ بالعيد . قال :

وبى عن خطة الضيم ازورار  إذا ما جدّ للعلياء جدّى
فهل من مبلغ سروات قومى  مصاحبتى على العزّاء غمدى
وإدلاجى وجنح الليل طاو  جناحيه على نصب وكدّ
وقد رنت النجوم الىّ خُوصاً  بأعين كاسرات الطرف رُمد
لأورثهم مكارم صالحات  شفعت طريفها لهم بتلد

وهو لا يزال أبداً يحب أن يجمع الى المجد التليد مجداً طريفاً وأن يؤيد المجد الموروث بمجد مكسوب ، لا يقنع بعلو نسبه ورفعة أجداده :

فشيدت مجداً رســا أصله  أمت إليــه بأمّ وأب

ولا يزال يمدح بهذه الخلة من يجدها فيه من ممدوحيه . قال :

مقتبل السن عقيد النهى  تقصر عن غاياته الشيب
والملك لا يحمــل أعباءه  من لم تهــذبه التجاريب
شــيد ما أثل من مجده  والمجد موهوب ومكسوب

***

أبو على له فى خندف شرف  لف العلى منه موهوباً بمكسوب

وهو لا يقنع من المجد بالشعر والأدب ، ولا بالمال والنسب ، ولكن له أملاً سياسياً بعيداً ، فهو يألم لما يرى من تفرق الأمراء وغلبة الأعاجم ، وينتظر ( رجل الساعة . . . ) المصلح المرتقب ، الذى يجمع شمل الأمة ، ويعيد لها شبابها ، فيدعو لذلك الملوك ، ويهيب بهم ، فلا يجد هذا البطل الأروع فرّاج الغمة ، محيى الأمة :

دهر تذأب من أبنائه نقد[1]  وأوطئت عرب أعقاب أعلاج
وأينع الهام لكن نام قاطعها  فمن لها بزياد أو بحجاج
وكم أهبنا إليها بالملوك فلم  نظفر بأروع للغماء فراج

فيفتش فى أمراء العرب وملوكهم فلا يجد فيهم من يرجى إلا الأمير أبا الشداد ، فيقصده بقصيدة يستثيره ويستفزه ، ويهيج فى نفسه الحمية العربية ، ويسأله كيف يرضى وهو اليوم أمل العرب وملجؤهم بأن يقنع العرب بصحراء زرود ورمال حاجر ، بينما يأكل الأعاجم الدنيا ، ويتناهبون الثراء والمجد ، ويحضه على أن يثيرها داحسية شعواء :

فايه أبا الشداد إن وراءنا  أحاديث تروى بعدنا فى المعاشر
أترضى وما للعرب غير ملجأ  توسدهم رملى زرود وحاجر
فأين الجياد الجرد تخطو إلى العدى  على علق تروى به الأرض مائر
وفتيان صدق يصدرون عن الوغى  وأيدى المنايا داميات الأظافر
وحاجتهم إحدى اثنتين من العلى  صدور الموالى أو فروع المنابر

فاذا يئس من أن يجد فى الناس هذا الرجل ، تقدم ليحقق أمله بنفسه ، فكانت حاله كحال المتنبى ، يسمى إلى رتبة أو ولاية يتخذها سلماً الى مثله الأعلى ، فيطلبها ولا يراها بدعاً ولا عجباً ، ولا يراه خالق إلا لها . . . واسمعه يقول لمؤيد الملك :

إليك أونى ياابن الأكارم ماجد  له عند أحداث الزمان طوائل
يجر قوافيــه إليك ذيولها  كما ابتسمت غبّ الرهام الخمائل
وعندك ترعى حرمة المجد فارتمى  إليك به دامى الأظلين بازل
قليل إلى الرى الذليل التفاته  وإن كثرت للواردين المناهل
وها أنا أرجو من زمانك رتبة  يقل السامى عندها والمساجل
وليس ببدع أن أنال بك العلى  فمثلك مأمول ومثلى آمل

كان هذا أمله فى حله وترحاله ، وغايته من اغترابه عن بلده ، ونأيه عن أهله ، وما كان يطلب مالاً ولا ثروة ، وما كانت به حاجة

(١) قال فى اللسان : النقد جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه تكون فى البحرين . ويقال هو أذل من نقد . وأنشد :
رب عديم أعز من أسد  ورب مثر أذل من نقد

نمال ، ولا ضاقت أرضه برزقه ، ورزق عياله ، واسمعه يقول لسيد الوزراء أحمد بن الحسين :

ولم نغترب مستشرفين لثروة    فرعى مطايانا بيبرين مبقل
ولكننا نحمى ذمار معاشر    لهم آخر فى المكرمات وأول
ومن سلبته نوشة الدهر عزه    فنحن لريب الدهر لا نتذلل

ولو هو أراد الغنى لناله ، لا سؤالاً واستجداء ، ولكن على ظبى السيوف وأطراف الرماح ، ولكنه يريد غاية بعيدة ، دونها جرع الردى وحياض الموت ، يسعى إليه بفتيان « من أمية » هم موقدو الحروب ومطفئوها :

ومن خاف أن يستصعر الفقر خده    وفى بالغنى لى أعوجى[(1)] ومنصل
ومكتحلات بالظلام أثيرها    وهن كأشباح الأهلة نحّل
ولا صحب لى إلا الأسنة والظبى
بحيث عيون الشهب بالنقع تكحل
وحولى من روق أميــة غلمة    بهم تطفأ الحرب العوان وتشعل
سريت بهم والناجيات كأنها    رماح بأيديهم من الخط ذبَّل
فخلوا حُـبى الليل البهيم بأوجه    سنا الفجر فى أرجائها يتهلل
وخاضوا غمار النائبات ومالهم    سوى الله والرمح الردينى معقل
يرومون أمراً دونه جرع الردى    تعلّ بها نفس الكمىّ وتنهل
فبتنا وقد نام الأنام عن العلى
نسارى النجوم الزهر والليل أليل

وتمر الأيام وهو لا يصل إلى شىء مما يؤمل ، ويضيق بحالة الذل والمهانة ، فيلوم نفسه على قعوده ، ويعزم العزمة الفاصلة التى تكون فيها المنى والمنايا :

تقول ابنة السعدى وهى تلومنى    أمالك عن دار الهوان رحيل
فان عناء المستنيم إلى الأذى    بحيث يذل الأكرمون طويل
وعندك محبوك السراة مطهم    وفى الكف مطرور الشباة صقيل
فثب وثبة فيهــا المنايا أو المنى    فكل محبّ للحياة ذليــــل

وثبة أموية ، ينال بها عزّ أجداده الأمويين ومجدهم . فليس العز إلا أن يغامر المرء ويحمل نفسه على الخطة التى تبقى ذكره فى الناس أبد الدهر ، فاما أن يموت فيقال لله دره ، وإما أن يكتب له الظفر :

ألم تعلما أنى على الخطب إن عرا    صبور إذا ما عاجز عيل صبره
فلا عزّ حتى يحمل المرء نفسه    على خطة يبقى بها الدهر ذكره
ويغشى غماراً دونها جرع الردى    فان هو أودى قيل : لله دره
ولا بدّ لى من وثبة أموية
بحيث العجاج الليل والسيف فجره

ولا يثنيه عن وثبته الأموية بعد المدى ، ووعورة الطريق ، وما يعتور السبيل اليها من أخطار وخطوب أهونها الموت ، لأنه ألف حمل الخطوب ، وتعود الصبر ، وأعد للنائبات عزائم تروض إباء الدهر إذا شمس الدهر ، ولم يحفل بالدنيا وهى غضة غريضة ولم يبال بهـا ، أفيقبل عليها وهى جافة ذابلة ، وهل تثنيه عن مرامه لذاذاتها ؟

اسمعه حين يقول :

سل الدهر عنى أى خطب أمارس    وعن ضحكى فى وجهه وهو عابس
سأحمل أعباء الخطوب فطالما    تماشت على الأين الجمال القناعس
وأنتظر العقبى وإن بعد المدى    وأرقب ضوء الفجر والليل دامس
وإنى لأقوى النائبات عزائمــا    تروض إباء الدهر والدهر شامس
وأحقر دنيا تسترق لهـا الطلى    مطامع لحظى دونها متشاوس
تجافيت عنها وهى خود غريرة    فهل أبتغيها وهى شمطاء عانس
ولى مقلة وحشية لا تروقها    نفائس تحويها نفوس خسائس

ولا يثنيه عنها رقة حاله ، ورثاثة أطماره ، فهو كالسيف القاطع البتار ، لا يضره الغمد ، وهمته كامنة فى ضمير الدهر ، ولا بد للضمير المستتر أن يظهر :

رأت أميمة أطمارى وناظرها    يعوم فى الدمع منهلاً بوادره
وما درت أن فى أثنائها رجلاً    ترخى على الأسد الضارى غدائره
أغر فى ملتقى أوداجــه صيد    حمر مناصله بيض عشائره
إن رث بردى فليس السيف محتفلاً
بالغمــد وهو وميض الغرب باتره
وهمتى فى ضمير الدهر كامنة    وسوف يظهر ما تخفى ضمائره

وكأنك تسأل بعد هذا كلـه ، ألم يلق الشاعر شدة وعناء وهو يصرح بذكر الوثبة الأموية ، ويدعو اليها علناً فى ظلّ الحكم العباسى ، ألم يتنكر له أولو الأمر ، وزوروا عنه وناوئوه العداوة ، ويبطشوا به ؟ وها هوذا الشاعر يخبرك بأنه لقى أذى كثيراً ، وشراً مستطيراً ، فريع من غير أن يذنب ، وجنى من غير أن يخون ؛ ولكنه اعتصم بالصبر ، ولاذ بالحزم ، ولم يلن ولم يشك ولم ينهزم :

(١) أى جواد كريم من نسل الأعوج المشهور

وقد طرقتنى النائبات بحادث    لو ان الصفا يرمى به لتصدعا
أراع ولم أذنب وأجفى ولم أخن    وقد صدّق الواشى فأخنى وأقذعا
ولست وإن عض الزمان بغاربى    أطيل على الضراء مبكى ومجزعا
إذا ما أغام الخطب لم أحتفل به    وضاجعت فيه الصبر حتى تقشعا

ولماذا يذل ويخضع ، وهو إن ضاقت عنه بلدة فستتسع له أخرى ، وحسب البلدة عاراً أن يرحل الشاعر عنها ، وإن أدلت عليه بابل بسحرها الحرام ، فهو يدل عليها بسحره الحلال ، ويجعل من شعره حيثما حلّ بابل ...

أبابل لا واديك بالرفد منعم    لدينا ولا ناديك بالوفد آهل
لئن ضقت عنا فالبلاد فسيحة    وحسبك عاراً أننى عنك راحل
وإن كنت بالسحر الحرام مدلة    فعندى من السحر الحلال دلائل
قواف تعير الأعين النجل سحرها    فكل مكان خيمت فيه بابل
وأى فتى ماضى العزيمة راعه    ملوكك لاروّى رباعك وابل

* * *

وبعدُ ... فاسمع الشاعر نفسه يصف لك شخصيته ، ويخبرك أنه يمدح ويأخذ ، ولكنه أعزّ من أن يملكه الملوك بثوابهم ونوالهم ، وأنه لا يستسيغ الذلّ ولا يحب أن يتمرغ فيه ظهراً لبطن ، ولا يألف حياة الدعة والأمن فى ظلّ الروض بين الكاس والطاس ، ولا يفرق من المنايا ويخشى المهالك ، ولكنه يريد أن يثيرها حرباً عواناً فى سبيل غاياته ومطامحه :

سواى يجرّ هفوته التظنى    ويرخى عقد حبوته التمنى
ويلبس جيده أطواق نعمى    تشف وراءها أغلال منّ
إذا ما سامه اللؤماء ضيما    تمرّغ فى الأذى ظهراً لبطن
وظلّ نديم عاطية وروض    وبات صريع باطية ودنّ
وأشعر قلبه فرق المنايا    وأودع سمعه نغم المغنى
وصلصلة اللجام لدى أحرى    بعز فى مباءته مبنّ
فلست لحاضن إن لم أقدها    عوابس تحت أغلمه كجنّ
. . . . . . . . . .
وها أنا أوسع الثقلين صدرا    ولكنّ الزمان يضيق عنى

* * *

هذه شخصية الأبيوردى وهذا شعره ، أفيستحق أن يهمل وينسى ؟ ...

(دمشق)    على الطنطاوى

# ٢ ـ أثر الحرب الكبرى

## فى بريطانيا

للأستاذ رمزى ميور
أستاذ التاريخ الحديث فى جامعة منشستر سابقاً
ترجمة الأستاذ محمد بدران
ناظر مدرسة بماقادن الابتدائية

كذلك لم يعد لبريطانيا بعد الحرب ذلك السلطان الكبير الذى كان يوليها إياه تفوقها التجارى على أمم العالم أجمع . نعم إنها لا تزال تمتلك وتُسيّر ثلث سفائن العالم ، وذلك لأنها أوسع أسواق الأرض حرية ، لكن نصف سفنها معطل ؛ وقد خسرت جزءاً كبيراً من تجارتها الخارجية التى تعوّل عليها فى حياتها وإن كانت صادراتها ( منسوبة الى عدد السكان ) لا تزال ضعفى صادرات أكبر الأمم المنافسة لها تقريباً . على أن ما فقدته من تجارتها الخارجية إذا رجع بعضه الى خطأ ارتكبته فلا يرجع كله أو جله إلى ذلك الخطأ . ذلك بأنها فى أثناء الحرب اضطرت أن تضحى بمعظم أسواقها الخارجية لكى تركز جميع قواتها القومية فى الأعمال الحربية . وذلك الفراغ الذى تركته شغلت بعضه أمم أخرى ( كاليابان والولايات المتحدة ) لم ينقض ظهرها عبء الحرب وشغل البعض الآخر ما قام من الصناعات القومية على أنقاض الواردات البريطانية . فلما وضعت الحرب أوزارها أقيمت لحماية هذه الصناعات حواجز من الضرائب الجمركية العالية ، وأخذت الأمم جميعها فى داخل أوربا وخارجها تعمل « للاكتفاء بنفسها » ، فأدى ذلك العمل الى النتيجة السالفة الذكر ؛ وكان من جراء ذلك أن بريطانيا التى لا أمل لها فى أن تكتفى بنفسها والتى لا تستطيع أن تحيا إلا بالاتجار مع العالم أجمع تجارة واسعة ، انحطت الى المنزلة التى انحطت اليها مدنية ( وينة ) بعد الحرب . لقد كانت بريطانيا كما كانت وينة تعتمد فى رخائها على موقعها فى

ملتقى الطرق التجارية الكثيرة فنالها ما نال وبانة بعد أن أقيمت الحواجز المتعددة فى هذه الطرق التجارية . وإلى هذا يرجع معظم السبب فى ازدياد عدد المتعطلين . وقد بلغ من خطورة هذه الحال الجديدة أن أخذ قسم كبير من الرأى العام يدعو الى ترك نظام الحرية التجارية الذى تسير عليه بريطانيا واتباع سياسة « الاكتفاء بالنفس » التى تتبعها البلدان الأخرى . ولما كانت بريطانيا لا تستطيع أن تكتفى بنفسها إلا إذا خلصت من نصف سكانها فقد قويت فيها الدعوة الى التوسل لتلك الغاية ، غاية الاكتفاء بالنفس اكتفاء تاماً — بتوحيد الامبراطورية من الناحية الاقتصادية . فاذا ما رضيت أجزاء الامبراطورية بأن تتخلى عن مسعاها للاكتفاء بنفسها — وبعيد أن ترضى بذلك فى القريب العاجل — كان معنى رضائها أن بريطانيا تضعف باختيارها أو قل تعطل ثلثى تجارتها الخارجية لكى تتفرغ إلى إنماء الثلث الباقى ؛ وإذا فعلت ذلك فانها تكون قد تحولت تحولا تاما عن السياسة التى قام عليها النظام الاقتصادى البريطانى حتى الآن

هذه التطورات تعد فى مجموعها انقلاباً خطيراً فى مركز بريطانيا ومبادئها يتطلب تعديلاً فى سياستها القومية ، ولاشك فى أن بريطانيا تجتاز الآن أزمة بل خطراً قومياً شديداً . على أن كل تغيير بمفرده لا يعد خطيراً فى ذاته . فاذا كان مركز بريطانيا الجزرى لم يعد يكفل لها السلامة فان سياسة عالية رشيدة تكفل لها سلامة أبقى وأعظم ؛ ولا يزال موقع هذه الجزيرة فى وسط أهم الطرق التجارية البحرية وفى قلب العالم المتمدن تقريباً خير موقع جغرافى يتمتع به بلد على وجه الأرض . وإذا لم تكن بريطانيا الآن سيدة البحار بلا منازع فان ذلك لا أهمية له إذا بقيت البحار فى سلام . وإذا لم تكن لها « السيطرة على امبراطورية فان خيراً من هذه السيطرة أن تكون هى القلب النابض لمجموعة من الأمم الحرة على شريطة أن تنظم هذه المجموعة تنظيما يمكنها من أن تتعاون تعاوناً حراً . وقد تكون بريطانيا وراء غيرها من الأمم فى اتباع أحسن وسائل التنظيم الصناعى ، ولكن هذا أمر يستطاع تداركه بالعمل والحكمة . وإن اندماج أجزاء مقاطعاتها الصناعية وقربها من الثغور التى تستمد منها حاجاتها ومن مصادر القوى اللازمة لها ، كل ذلك يكسبها ميزات عظيمة إذا أحسن الانتفاع بها . وقد لا تجد بريطانيا فى بلادها حاجتها من الزيت أو القوى المائية . ولكن العلم والعمل كفيلان باستخراجهما من مناجم فحمها الغنية ؛ وربما كان النقص قد اعترى قدرتها المالية ، ولكن هذه القدرة لا تزال عظيمة برغم هذا النقص ، وفى الامكان زيادتها إذا اتخذت الوسائل الكفيلة بتشجيع الادخار ؛ وإذا أحسن توحيد مجهودها القومى بقيادة رشيدة فان هذا المجهود خليق بتخفيف عبء الضرائب الذى لا يزيد كثيراً على ما كان عليه منذ مائة عام إذا روعيت النسبة بين العهدين . كذلك لا يرجى أن تحتفظ بريطانيا بما كان لها من تفوق عظيم فى التجارة العالمية ، ولكن إذا أيقن عمالها والمشرفون على الصناعة فيها أن الواجب يقضى عليهم بأن يقاوموا كل منافسة شريفة بكفايتهم وحدها وأن يكونوا أنداداً لمنافسيهم وأن ينظموا بيوتهم ، إذا أيقنوا بذلك استطاعت بريطانيا أن تستعيد من الأسواق ما يضمن لأهلها ارتقاء مطرداً فى مستوى معيشتهم ، وأن تنمى مواردها وموارد الامبراطورية نماء عظيما

ولكن يلوح أنها إذا شاءت أن تنال هذه الأغراض فان عليها أن توجه إليها مجهوداً قومياً عاماً شبيهاً بالمجهود الذى أنالها النصر فى الحرب . ولا بد لها أن تتغلب على روح الاستسلام والقنوط وما يؤدى اليه من خور فى العزيمة . وأخيراً إن بلوغ هذه الغاية موقوف على نوع الحكومة القائمة فى البلاد وصفاتها ، وذلك لأن واجبات الحكومة فى الوقت الحاضر أكبر شأناً وأعظم أثراً مما كانت فى الماضى . وإن للطريقة التى تؤدى بها هذه الواجبات أثراً بليغاً فى نفوس الشعب لا يعادله أثرها فى الماضى ، ولذلك يهمنا أن نعرف كيف عدل نظام الحكومة البريطانية ذو الشهرة العالمية الكبيرة لكى يتفق مع مقتضيات العهد الذى أعقب الحرب

ليس الجواب عن هذا السؤال مما يسر له الخاطر ؛ فاننا إذا حكمنا على الأشياء بنتائجها تبين لنا أن نظام الحكم البريطانى أقل نجاحاً من النظام الفرنسى أو الألمانى الحديث فى بعث روح النشاط القومى الموحد وفى قيادة الامة فى هذه الأوقات العصيبة ؛ وإذا حكمنا على هذا النظام بأثره فى أخلاق الناس من كافة الطبقات

رأينا أنه لم يخلق زعماء أنجادا قادرين على التفكير والانشاء ينالون ثقة الأمة ويتحملون التبعات أمثال شترزمان فى ألمانيا ، أو بوانكريه وبريان فى فرنسا ( رغم ما فيهم من نقص ) . وقصارى القول إن هذا النظام لم يفلح فى إشعار الأمة بحاجتها إلى توحيد جهودها وخلق الزعماء الذين يقودونها فى بذل هذه الجهود

وقد يكون سبب هذا العجز أن بريطانيا الآن تواجه عهداً جديداً باداة حكومية لا تستطيع أن تعالج ما فيه من المشاكل . ويلوح أن السياسة البريطانيـة يسيطر عليها أكثر مما يجب التنافس الدائم على السلطة بين الأحزاب المختلفة التى لا يبذل كل منها جهده فى العمل الانشائى المنتج بل فى التشهير بغيره وكشف عيوبه ونقائصه . لسنا ننكر أن الأحزاب السياسية أداة ضرورية للحكم الديمقراطى ، ولـكن يلوح أن نظام الأحزاب البريطانية جامد خال من المرونة يجعل المشرفين على سياستها شرذمة قليلة من الزعماء المطلق التصرف يستقلون بوضع خطط الحزب ، ولا ينفكُّ أتباعهم أنفسهم يضمرون فى نفوسهم الثورة عليهم وإن أطاعوهم فى إعطاء أصواتهم ، وذلك لأن هؤلاء الزعماء ينكرون عليهم حرية المناقشة بله حرية العمل

لقد تـكلمنا من قبل عما طرأ على نظام الحكم البريطانى من تغيير ، وقلنا إن أهم مظاهر هـذا الحكم مظهران : أولهما تركيز السلطة جميعها من تشريعية ومالية وإدارية فى يد وزارة حزبية قليلة العدد أوقرت ظهرها المسئوليات الجسيمة التى أخذتها على عاتقها فأصبحت عاجزة عن النظر الى حاجات الأمة نظرة واسعة المدى . وثانيهما حرمان البرلمـان من كل سلطة إلا من اشراف صورى محض على أعمال الحكومة حتى صار عمله فى الحقيقة مقصوراً على نقدها . إن فى وسع البرلمان أن يشهر بأعمـال الحكومة ويعطلها . ولـكنه ممنوع من أن يعمل شيئاً من عنده لاصلاحها فلاعجب والحالة هذه إذا لم يكن فى الامكان مواجهة الطوارىء القومية الخطيرة وعلاجها علاجاً ناجحاً . وإذا شاءت بريطانيا أن تنازل الصعاب التى قامت بعد الحرب وهى واثقة من النجاح كان عليها كما يلوح أن تبدأ باصلاح زعامتها وأداتها الحـكومية

## ٢ — الامبراطورية البريطانية

تتألف الامبراطورية البريطانية من ثلاثة عناصر مختلفة : أولها الأملاك العظيمة التى تحكم نفسها بنفسها ، وهى أملاك كانت منذ زمن طويل ولا تزال حتى الآن دولاً مستقلة كل ما بينها وبين بريطانيا من روابط أنها تدين معها بالطاعة لتاج واحد ، وأنها تشترك معها فيما تتمتع به من نظم الحرية . وثانى هذه العناصر هو البلدان الشرقية ذات الحضارة القديمة ، وهى الهند وسيلان وبلاد الملايو ؛ وهى بلاد للحكومة البريطانية عليها إشراف مباشر أكبر ممـا لها على البلدان الأولى ، وإن كانت هذه البلدان أيضاً أخذت تطالب بحقها فى حكم نفسها بنفسها ونالت بعض هـذا الحق فى السنين الأخيرة . والعنصر الثالث أجزاء الامبراطورية المحكومة ، وتشمل أصقاعا واسعة فى أفريقية لم تنضم إلى الامبراطورية إلا فى خلال الخمسين سنة الأخيرة . وهذه الأملاك تسيطر عليها الحكومة البريطانية ســـيطرة فعلية بأشكال مختلفة . هذه الامبراطورية العجيبة التكوين التى تشمل ربع مساحة المعمورة وربع سكانها ، ليست موحدة التركيب ولا النظام ، وليست لها قوة مركزية فعالة تفرض طاعتها على هذه الأجزاء ، اللهم إلا قوة الأسطول . ولقد أخذ شكل هذه الامبراطورية منذ عام ١٨٣٠ يتغير تغـيراً مضطربا حسب الظروف ، ويتحول بالتدريج من امبراطورية بالمعنى الصحيح إلى ما يسمونه الآن أسرة من الأمم

على أن هذه الامبراطورية كانت إلى ما قبل الحرب بقليل وحدة متماسكة من ناحيتين مهمتين على أقل تقدير ، فقد كان لها سياسة خارجية واحدة تسيرها كلها ( هويت هول ) ؛ وكانت جميع أجزائها حتى الأملاك المستقلة التى كانت الروح القومية تضطرم فيها راضية بترك العلاقات الخارجية فى يد وزارة الخارجية البريطانية ، وذلك لقلة دراية هذه الأجزاء وقلة اهتمامها بمشاكل أوربا ، واعتقادها أن لا شأن لها بهذه المشاكل ؛ ولم يؤخذ رأى مندوبى الأملاك المستقلة فى السياسة الخارجية إلا فى السنين المضطربة التى سبقت الحرب عندما اشتد الخطر الألمانى ، فعقد المؤتمران الامبراطوريان فى عامى ١٩٠٧ و ١٩١١ ؛ على أنه حتى فى ذلك الوقت لم تتخذ وسائل رسمية لتنظيم طرق هذه الاستشارة أو الادارة العامة ،

وبقى وزير خارجية بريطانيا هو نفسه وزير خارجية الأمبراطورية جميعها . كذلك كانت الامبراطورية كلها تعتمد على نظام مشترك للدفاع عن جميع أجزائها . وكان عبء هذا الدفاع يكاد يقع كله على عاتق بريطانيا ، كما كانت أداته الفعالة بطبيعة الحال هى الدستور الذى يحفظ طرق المواصلات البحرية بين مختلف أجزاء الأمبراطورية مفتوحة . والذى جعل للأسطول هذه الأهمية أن الأمبراطورية البريطانية لا يستطاع غزوها براً إلا من مكان واحد هو حدود الهند الشمالية الغربية ؛ فلما بدأت بريطانيا تخاف ألمانيا قبيل الحرب تبادلت أجزاء الأمبراطورية الرأى لأول مرة فى شؤون الدفاع . واشتركت الأملاك المستقلة بعض الاشتراك فى نفقات الأسطول ؛ واتبع فى تنظيم القوات الحربية القليلة التى كانت هـذه الأملاك تحتفظ بها نظام الجيش البريطانى ؛ وكان هذا الجيش قد أعيد تنظيمه قبل ذلك الوقت على يد اللورد هلدين ، ولكنه مع ذلك لم توضع خطة للدفاع الامبراطورى ، كما أنه لم تكن ثمة استشارة امبراطورية فى الشؤون الخارجية

وكان كثير من الناس يتوقعون أن الامبراطورية ستنهار وتتقطع أوصالها إذا ما لاح شبح الحرب لسبب ما هى عليه من ضعف فى النظام . وكانت ألمانيا بوجه خاص تتوقع أن تنفض الأملاك المستقلة يدها من النزاع ، وأن يندلع فى الهند لهيب الثورة ؛ وأن الأملاك الجديدة فى أفريقية وغيرها من القارات سيحتاج الاحتفاظ بها الى قوى كبيرة . لكن مجرى الحوادث بدد هذه الأوهام ، وكان من أعظم مظاهر الحرب ما تجلى من روح الاخلاص الاجماعى الحماسى فى كل جزء من أجزاء الامبراطورية تقريباً ، وما ضحت به هذه الأجزاء من أنفس وأموال تقدمت بها الشعوب فى أطراف الأرض عن رضا وطيب خاطر ، فقد جندت كندا وزيلندة الجديدة وأستراليا جميع رجالها تقريبا . ولما تمردت طوائف البوير المشاكسة فى جنوب أفريقية أخمد البوير أنفسهم هذا التمرد على الفور ، ثم بذل الشعبان اللذان تتكون منهما تلك البلاد جهدا عظيما فى الاستيلاء على المستعمرات الألمانية ، وأرسلا كتائب من بلادهما الى خنادق فرنسا . وفى الهند سكن الاضطراب السياسى الذى كان منتشرا قبل الحرب وأرسلت منها الى فرنسا وفلسطين والعراق والصين جيوش لم ترسل الهند مثلها من قبل الى ميادين القتال ، ولاح أن الحرب ومحنها أثبتت صلاحية نظام الأمبراطورية الحر الطليق على الرغم من تراخيه وقلة تماسكه . لكن ضخامة هذه التضحيات بدل موقف الامبراطورية بإزاء مشاكل الدفاع والسياسة الخارجية ، وأحدث فى بناء هـذه الامبراطورية تطورات غاية فى الأهمية ، فلم يعد فى الامكان بعدئذ أن تعالج هذه الأمور وكأنها لا تعنى الأجزاء النائية من الامبراطورية ، بل كان لابد من استشارة ممثليها بوسيلة من الوسائل إذا أريد أن تبقى هذه قائمة

وفضلا عن ذلك فقد شعرت الهند ، وكان لابد أن تشعر ، أنها بعد أن اضطلعت فى الحرب بهذا العمل الخطير قد قويت حجتها فى أن يؤخذ رأيها عن طريق الموظفين البريطانيين الذين يديرون دولاب حكومتها ، وأن يعترف بأنها وحـدة قائمة بذاتها ، وأن تتمتع بما يتمتع به غـيرها من أجزاء الامبراطورية من حقوق الاستقلال الداخلى ؛ وبذلك كانت الحرب سبباً فى تقوية الحركة القومية فى الهند وفى غيرها من أجزاء الامبراطورية

( البقية فى العدد القادم ) **محمد بدران**

# فى النقــــد أيضاً

للأستاذ محمد رفيق اللبابيدى

سيدى الأستاذ صاحب الرسالة

كنت أطمع ، وكان القراء يطمعون معى أن نظفر بسلسلة متصلة الحلقات من ردود فحولة أدبائنا على ما عرضت له فى (النقد المزيف) ، وعلى ما عرض له الأستاذ أحمد أمين ومن جاء بعده ؛ وكنا نود أن يكون لنا من هــذا باب للولوج فى بحوث أخرى تعيد الأدب رجْعه إلى أيام احتدام النهضة الأدبية فيثب بعض الوثوب بعد قعوده هذا القعود طوال عشر السنوات الأخيرة ، وكأنا ذهبنا فى أمانينا هذه بعيداً فلم يعــدُ الكلام بضع كلمات شابها كثير من الألوان التى نشكو منها ويشكو منها أيضاً الأستاذ أحمد أمين . . .

* * *

وكاتب هذه الكلمة اليك — أو هذه الرسالة إلى صاحب الرسالة — من تعلم صغير جــداً وضئيل ، وليس له من القوة ما ينزل به فى ميدان يصول فيه كبار الكتاب والأدباء ؛ غير أنه ساير البحث الأدبى فى مصر منذ حين طالباً فيها ، وساير هــذا الجمود فى الأدب أستاذاً فى معهد ثانوى بعيد عنها ؛ وقد يرى البعيد ما لا يراه القريب . ونحن معشر القراء فى خارج مصر أقدر على الحكم المجرد من العاطفــة فيما هو جدير بالاحتفال به من آثار الأدباء والعلماء ؛ ثم نحن أقدر على إلغاء المجاملة الأدبية فيما نكتبه وهى ما تعوده الكتاب بعضهم من بعض ، يلبس كل منهم نقده لباساً من الأسلوب الصفيق لا تُرى من خلاله الحقيقة إلا كما ترى الشمس فى يوم ماطر ملبد بالغيوم

ولست أدرى ، أو إنى لا أحب أن أدرى ، السر فى هذا الذى يغمر بيئتنا الأدبية من قواعد الكياسة فى الحذر من اغضاب الأصدقاء والمقربين حين نعرض لنقدهم . فالكاتب يريد أن يقول كلمته ، ولكن فى لجلجة المشفق الفرِق ، ويريد أن يجهر عما فى نفسه ، ولكنه يتورع أن يكون جريئاً ، فقد يكون فى الغد فيما يكون فيه سواه اليوم ، وقد يقال فيه ما سيقوله هو فى غيره ، فهو واسع الحيلة يداور فى ارضاء القراء والذين يعرض الى نقدهم مداورة تحمله أن ينقد نقدا مجملاً فيه امتاع بالفكرة التائهة والرأى الطائر ، وذلك حسبه فى نقده

والحق أنى لو كنت كاتباً نابه الذكر ، طائر الصيت ، لربما كنت أشفق أن أقول اشفاق هؤلاء الكبار الفحول ؛ وداؤنا فى الشرق مستعص ما دام النقد شخصياً بعيداً عن المثل الأعلى ؛ وهذا الضعف الخلقى فى النقد اليه وحده يرجع — فيما نعتقد — سبب هذا الركود وهذا الجمود فى أدبنا المقعد

* * *

وبعد فيا سيدى الأستاذ هل النقد بالمعنى الذى نراد عليه نحن معشر القراء — والقراء من فئة خاصة طبعاً — هو هذا اللون من تناول الكتاب أو البحث تناولاً صورياً والكتابة فيه مثل هذه الكلمات الضافية ، فيها قدرة الكاتب وبراعتُه ، وليس فيها علمهُ وعقله ، ؟ ؟ وهل النقــد الأدبى هو هذا الذى نسيغه فى صحافتنا كل يوم أو كل أسبوع من مجالات الكتاب وبحوثهم العابرة ؟ ؟

وهل النقد هو هذا التقريظ الذى يتولاه كتابنا حين يدفع المؤلف أو الباحث الى المطبعة كتابه أو مؤلفه فيخرجه بعد الجهد الجاهد فى أيامه وأعوامه ليتولى الحكم فيه كاتب يقلب صفحاته بعض الساعة وقد لا يزيد ؟ . ؟ .

الحق يا سيدى الأستاذ أن ضعف النقد يرجع إذا أجملنا القول الى :

١ — احتفال الناقد بشأن المنقود

٢ — النقد العابر الصورى

وإن النقــد فى مصر — وهى سوق عكاظ العرب اليوم — لا يتجاوز هذين اللونين . والكتاب بين فريقين : فريق يتحامى المنقود ، وفريق يجهل فضله فيقول ما لا وزن له ولا قيمة ، فلا يعبأ بما يقوله القراء

* * *

ثم إن الطائل الذى يقع على كتاب مصر الفحول ومشيخة الأدب فيها عظيم جداً ، فهم قدة مسئولون ورعاة مطالبون بتأدية رسالتهم الأدبية ؛ والنقد بمقاييسه العلمية الصادقة يكشف المخبوء المتواضع من العبقريات المغمورة . ورُبَّ بحثٍ فى صحيفةٍ وجّه الأدب وجهة قوية ودفعه الى الغاية التى ينشدها هؤلاء العامة عليه دفعاً لا ازورار بين يديه ولا نكوص

ومتى كان لهذا النقد هذا الوزن فقال الناقد قولَه لم يخطب

به ودّ المنقود ، ولم يتملق به عاطفة الجمهور ، ولم يستلّ به سخيمة فى نفسه ، اختفت هذه العيوب التى نشكوها ، وقويت الصراحة على هذا الضعف ، وأحجم غير الأكفاء أن يلجوا بابه ويقتحموه ولوجهم له اليوم ، وكان ما يدور بين الكتاب والأدباء والعلماء درساً من دروس ... يفيد منها الجمهور وتفيد منها البيئة الأدبية ... أساساً صخريا فى بناء نهضتنا الأدبية فى عصرنا الحاضر

هذا وحسبي يا سيدى الأستاذ أن أكون فى كلمتى هذه قد ... كثير من القراء فى الخارج ، وقد يكون ... ما يحس به كثيرون فى مصر ؛ ورجاؤنا أن يتسع (الرسالة) لمثل هذا النقد اتساعه للنواحى الأخرى التى نرى ، و... تكون رسالتها سفارة الحقيقة المبسوطة بين الكتاب والقراء لا ترعى فى ذلك غير ما تقتضيه إياها المقاييس الأدبية ؛ والسلام على الأستاذ ورحمة الله وبركاته

محمد رشيد اللبابيدى

# شعراء الموسم فى الميزان

## نقد وتحليل

للأديب عباس حسان خضر

— ١ —

ما أظن أننا كنا نجد فرصة ، مثل موسم الشعر ، نقف فيها إلى الشعراء لنرى ما عندهم ، فقد أنشد كل شاعر قصيدة هى خير ما عنده ، أو من خير ما عنده . ولو أن الحفل كان لمناسبة من المناسبات التى يقال فيها الشعر فى غرض واحد ، لما كان يصح أن تكون مقياساً لتفاوت الشعراء وتفاضلهم ، فقد لا يجيد شاعر فى الرثاء مثلا ويجيد فى غيره ، وفى الوقت نفسه يكون إلى جانبه شاعر على عكسه فى ذلك . أما موسم الشعر فقد قال فيه كل شاعر فيما يحسنه ، وما تواتيه قريحته فى تناوله ، فالموسم إذن ميزان تميل كفته بالراجح فى الشعر لا ينقص من قدره شىء

ولقد كان الناس يقولون بانقضاء الشعر بعد شوقى وحافظ ، وكان الشعراء يدافعون هذا القول بونبات غير مقنعة كل الاقناع ، ولكن موسم الشعر حمل إلى الناس دليلا على أن فى الجيل الحاضر جيلاً من الشعراء ، لا بأس به فى مجموعه ، وإن كان منهم من برز وبرع

ولكن الفرصة كادت أن تفلت ، وكاد الموسم يقضى بانقضاء الساعتين اللتين شغلهما الشعراء بالقاء القصائد ، مودعاً بكلمات إخبارية من الصحف لا تغنى عن النقد شيئاً ؛ فلم يقض الموسم من عمره إلا المرحلة الأولى وهى عرض الشعراء قصائدهم ، فما كادوا ينتهون من ذلك حتى انفضت السوق ولم ينصب لهم ميزان ؛ والحق أننى كنت أوثر أن أكون شاهداً للموسم ، مستمتعاً بما يجرى فيه على أن أجوب مممته وأقيم ميزان النقد فى سوقه ؛ ولكن النقاد حرمونى هذه المتعة باحجامهم عن النقد ، ولست أدرى لماذا أحجموا

أما وقد أخذت على نفسى أن أسلك فى هذه المهمة سبيل الحق ، عالماً بما فى هذا السبيل من أشواك ، موطد العزم على اجتيازها ، فلا يبقى إلا رجاء التوفيق وإلهام الصواب . وأخذاً فى تلك السبيل سنتبع فى تصفح القصائد وتفحصها ترتيب الشعراء أنفسهم فى الالقاء إذ كان ذلك على حسب الحروف الهجائية

### عاصفة روح

قصيدتان ألقاهما الدكتور ابراهيم ناجى ، وقدم لهما بهذه العبارة : « قصة نفس ، ذات فصلين : الأول ثورة النفس بينما الزورق يغرق والملاح يستصرخ ؛ والثانى استيقاظ الكبرياء بعد هدوء العاصفة »

والواقع أن هذه العناوين : «عاصفة روح . قصة نفس . ثورة نفس . كبرياء» ليست ذات حظ كبير من المدلولات فى القصيدتين ، نستثنى منها « الكبرياء » لأربعة أبيات فى آخر القصيدة الثانية التى سماها بهذا الاسم ( الكبرياء ) تحدث فى هذه الأبيات عن الشمم والكبرياء حديثاً يملأ النفس ويفعم القلب ، وهى :

أيخيفنى العشب الضعيف أنا الذى
أسلمت للشوك الممض أديمى

وإذا ونى قلبى يدق مكانه ... شممى وتخفق كبرياء همومى
ورجعت أحمل جبهتى متحدياً ... زمنى بها وحواسدى وخصومى
ورفعت نحو الله رأساً ما انحنى ... بالذل يوماً فى رحاب عظيم

وهذه أبيات جيدة ؛ غير أن كبرياء الهموم أمر لا يطاق ! وسياق المعنى يقتضى كبرياءه هو لا كبرياء همومه ؛ أما فيما عدا هذه الأبيات فلا تجد روحاً ، لا عاصفة ولا غير عاصفة ، ولا تجد

فى قصيدة « ثورة نفس » وهى الفصل الأول ( للافعة ) نفساً ، لا ثائرة ولا هادئة ؛ وانما هى ثورة كلمات على أوضاع الكلام ، وتمرد عبارات على أداء المعانى . . مهلاً أيها القلم ، لقد قالوا إن هذا شعر جديد . . وأغض النظر عن كلمتى جديد وقديم ، وأناقش هذا الكلام على أنه شعر لابد أن يؤثر فى النفس ، ولابد أن يصاغ فى عبارات سليمة ، ولن تغنى كلمة جديد عن شىء من ذلك

يقول الشاعر :

أين شط الرجاء   يا عباب الهموم
ليـالتى أنواء   ونهـارى غيوم
أعولى يا جراحْ   أسمعى الديان
لا يهـم الرياح   زورق غضبان
البـلى والثقوبْ   فى صميم الشراع
والضنى والشحوب   وخيال الوداع

الى هنا تستطيع أن تعرف أن نفساً غارقة فى الهموم تسأل عن شط الرجاء ، وتشكو من أنواء الليل وغيوم النهار ، وتطالب الى جراحها أن تعول لتسمع الديان ، فالرياح لا يهمها زورق يقول عنه الشاعر : غضبان ! مع أن الرياح هى الغاضبة عليه ، وأما هو فسكين ، رقيق الحال ، بال ، مثقوب الشراع ؛ ويظهر أن الضنى والشحوب وخيال الوداع من آلام تلك النفس ، إذ لم يقل لنا ماذا جرى لها ، وليس فيما قبلها ماله صلة بها . إلى هنا تستطيع أن تدرك معنى هذا الكلام ، وان كان لم يؤد اليك تأدية شعرية تصل الى نفسك ، أما ما بعد ذلك فكلمات صاخبة فى بحر من النظم ، وعبارات متمردة ثائرة : فالسكين رقص ، والفجر مذبوح ، والدجى مخمور ، والردى سكران ، والظلام يتولى فى عناق الصخور ؛ ولا يقولن أحدٌ أننى أبتر الكلام ، فهذان البيتان :

كان رؤيا منام   كأسك المسحور
يا ضفاف السلام   تحت عرش النور

ما معناهما ؟ ضفاف السلام التى تحت عرش النور كأسها المسحور كان رؤيا منام ! !

والمتأمل يرى أن فى القصيدتين محاولة لتصوير قصة نفس وابراز فكرتها وهى اعتصام النفس بالكبرياء من عواصف الهموم والآلام ، ذلك أن النفس الكبيرة تمر بها الهموم والآلام لا تنال منها شيئاً ، وإن استسلمت لتواردها فانها لا تلبث أن تمتنع منها بالكبرياء والشمم ؛ ولكن القصة وفكرتها لم يأخذا حظهما من التصوير والابراز

## أوبة الطيار

وهى قصيدة الأستاذ أحمد رامى ، مستواها عادى ، ومعانيها عامة وقليلة ، ونستطيع أن نقول إنها قصيدة لفظية ، فألفاظها سمحة وإن كانت ضنينة بالمعانى . ومن يسمع هذه القصيدة أو يقرؤها يدرك قصور الشاعر عن التحدث فى موضوع القصيدة عن خوالج نفسه ، أو باقفار النفس من الخوالج فى هذا الصدد

يقول فى مطلع القصيدة :

فى سكون المساء والبحر ساج   والسحاب العبير فى الجو سار
كنت أرنو إلى الغروب وأروى   ناظرى من صبابة الأنوار
فاذا بى ألقى دخاناً ولا غيـ   ـم وريحاً وليس من إعصار
فتبينت أستشف جبين الـ   أفق من بين هذه الأستار
فاذا هى جماعة من بنات الـ   ريح تطوى الفضاء عبر البحار

أعجبنى البيت الثانى ، ومن حسنه التعبير بصبابة الأنوار عما يكون وقت الغروب ، وتروية النظر بهذه الصبابة التى هى أجمل من النور كله ؛ وبعد ذلك يقول إنه لقى دخاناً غير مصحوب بغيم وريحاً ليست من إعصار ، فلما كان الدخان من غير غيم والريح من غير إعصار ، فقد جعل يتبين .. الخ ، وفى هذا خطأ فى ترتيب الفكر فليس الدخان ينشأ من الغيم ، والريح لا يلزم أن تكون من إعصار ، حتى يتلمس لهما سبباً آخر . على أنه لا يزال فى موقفه ومشهده ، ويذكر فى البيت الأول أن السحاب يسير فى الجو ، ثم يقول فى الثالث : لا غيم . وهل الغيم سوى السحاب ؟ ! . وفى البيت الخامس يشبه سير الطيارات فى الفضاء بعبور البحار ، وهذا التشبيه ليس إلا عبرا إلى القافية

والتعبير « حداة الرياح » فى قوله :

يا حداة الرياح ماذا لقيتم   من ركوب الأهوال والأخطار

ليس من الصواب فى شىء لأنهم لا يسوقون الرياح ولا يغنون لها ، وإلا فما معنى حُداء الرياح ؟

ومن الأبيات الحسان فى القصيدة قوله عن الطيار :

وأبو الهول فى الفلا كاد يقفى   ثم يرنو اليـه بالأنظار

وإن كان أبو الهول فى فلاة واحدة لا فى « فلا » متعددة

والملتقى عند قصيدة « صرعى الأغراض » للأستاذ أحمد الزين

عباس حسان خضر

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

## الحصانة واليهودى الأفاق

— ٥ —

ونزل متشنيكوف فى معهد بستور ، على سكون هذا المعهد ووقاره ، نزولَ الصخرة فهزّه هزّا . ونصب فيه مهرجاناً بهلوانياً عظيما ظل منصوباً عشرين عاماً ، ووقف على باب هذا المهرجان يزعق ويصفّق وبصفر ويزمر يدعو الناس إلى إحيائه بالدخول زُمَراً إلى رحابه وأرجائه ، فكان كالدلاّل قام على باب مسجد لا يغشاه إلا نُسّاك زهّاد لم يذوقوا للهو طعما ، ولم يستسيغوا دُعابة أبدا

جاء باريس فوجد اسمه شائعاً ، وأمره معروفاً مشهوراً . فنظرية الحصانة التى ابتدعها — ولعل وصفها بالدرامة الهيّاجة أوفق وأنسب — هذه النظرية التى تخبرنا بأننا حصينون من الأدواء لأن حرباً طاحنة لا تفتأ قائمة بين الكرات البيضاء التى فى دمائنا وبين المكروبات الغازية — هذه النظرية بل هذه الأحدوثة كان شاع أمرها لدى بُحّاث أوروبا فقاموا لها وقعدوا . وعارضه فيها أكثر بُحّاث ألمانيا والنمسا فلم يؤمنوا بها ، بل لعلهم أُغرُوا بالايمان بها لبساطتها ولجمالها ، فقام هذا الاغراء يدفعهم إلى نقيضه لمّا أحسّوا ضعفَ أنفسهم فيه فأنكروها إنكارا شديدا قاسياً . ونالوا من متشنيكوف باللسان فى المؤتمرات ، وبالتجربة فى المعامل . مثال ذلك رجل ألمانى شيخ نذر على نفسه لله ألا يمرّ عليه حول حتى يكتب مقالاً فى مجلة علمية خطيرة يدحض بها تلك النظرية وينال فيها من الفجوسات ومن صاحبها . وجاء على متشنيكوف حين من الزمن لم تقو رجلاه على حمله من تلك اللطمات ، وكان يُغشى عليه فيسقط إلى الأرض صريعاً . وعزّه النوم وطالت لياليه فكاد يفزع إلى عقاره المخدر القديم — إلى المرفين ، حتى لقدعاوده خاطر انتحاره المعهود .

أوّاه ! كيف لا يستطيع هؤلاء الألمان الخبثاء الأنجاس أن يروا الحق فى الذى يقوله عن هذه الفَجُوسات ! ثم اشتق من كمده ، فكأن وتراً انقدّ فى مخه ، فنهض كالليث يحمى عرينه ويدفع عن نظريته بعزيمة لا تخشى شيئاً ، فجال وصال ، وطلب الخصام والنزال ، وكانت معركةٌ بها أضاحيك كثيرة وعلمٌ قليل ، ولكنها برغم ذلك تضمنت نِقاشاً عليه انبنى ذلك النزر اليسير الذى نعلمه اليوم من سبب حصانتنا من المكروبات

صاح أميل بارنج[١] من وراء الحدود الألمانية : « لقد أوضحتُ إيضاحاً لا ريبة فيه أن مصل الفئران هو الذى يقتل جراثيم الجمرة — أن دم الحيوانات لا كراته البيضاء هى التى تحميهم غائلة المكروب وتحصنهم منه » . فصاح كل خصوم متشنيكوف وكل أعدائه الألداء يؤمّنون فى نَفَس واحد على الذى قال بارنج . وخرجت المقالات العلمية تتبارى الى النشر بمقدار يملأ دور كتب جامعية ثلاث كُتبت جميعها فى فضائل الدم وأنه الشىء الوحيد الخطير فى منع الأدواء

وزأر متشنيكوف من وراء الحدود الفرنسية : « إن الفجوسات ، إن كرات الدم البيضاء هى التى تأكل الجراثيم العادِيَة فتدفع سوءها عنا » ، ونشر تجارب بديعة أجراها فأثبت بها أن بشلات الجمرة تستطيع النماء بوفرة فى دم الشياه التى حصنتها ألقحة بستور

وصمد الفريقان للكفاح زماناً طويلاً ، وتمسك كل بموقفه الكاذب رغم ما فيه من غلوّ ، وغمرهما غبار الحرب الكثيف وأعمتهما غضبته عشرين عاماً ، فلم يخطر على بال أيهما أن يستمهل قليلاً ، وأن يخلو إلى نفسه للتفكير يسيراً ، فلعل كلا منهما رأى وجهاً واحداً من أوجه الحقيقة وهى عديدة ، ولعل الذى يحمينا من غائلة المكروب ليس هو الدم وحده ، وليست هى كراته البيضاء وحدها ، بل هما جميعاً . لقد كانت حرباً رائعة ومزرية فى آن ، حرباً من تلك الحروب التى يقول فيها الخصم لخصيمه : « أنت كذاب » فيرد عليه صاحبه الجواب بمثله : « لا ، بل أنت الكذاب » ، وفى أثناء هذه التهم عمِيَ متشنيكوف وخصماؤه فلم يفطنوا الى أن سبب الحصانة قد يُرَدّ بمضه الى

(١) عالم المكروب الألمانى وقد مرت ترجمته

الذى قال متشنيكوف ، ويردّ بعضه الى الذى قال به خصماؤه . ما كان أجدر الاثنين أن يضعا الحرب حيناً فيمسُرا العرق عن جبهتيهما ، ويمسحا الدم من أنفيهما ، ويفكرا فى هدوء ساعة ليدركا كثرة ما يجهلان ، وقلة علمهما مما فيه يختصمان ، وليدركا أن الدم وتجوسانه أشياء معقدة خدّاعة ليست فى البساطة التى يزعمان ، إذن لأبطآ فى السير واستمهلا فى الاستنتاج وأيقنا أن من الغباوة فى ظلمة هذه الجهالة أن يتعجلا تفسيرات مُبتسرَةً لحصانتنا من الوباء

ليت متشنيكوف لم يخرج عن أودسا ، بل ليته اعتكف فيها يلفه خمول ذكره ويحميه ، ثم تدرّع بالصبر وتابع أبحاثه الجميلة فى تعليل لِمَ تأكل الخلايا الأفّاقة فى براغيث الماء تلك الخمائر التى دخلت اليها [١] . إذن لأتى على كل أمرٍ جَلَلٍ خطير . ولكن من ذا الذى يتحكم فى أقدام البُحّاث وهى لا تسير دائما فى الطرق السلطانية التى رصفها المنطق وعبّدها العقل السليم

فى أيام بستور العظيمة ، أيام كافحَ داء الحمرة وانتصر على داء الكَلَب ، كان يعمل فى خفاء شديد كأنه بعض القطّارين الذين يقطرون السموم خُفيةً فى أقباء احتجبت تحت الأرض عن أعين الناس ، ولم يأذن لأحد أن يطّلع على ما هو فيه إلا عونيه رو وشمبرلاند ورجلاً أو اثنين آخرين ، وفى ذلك المعمل الرطْب المعتم بشارع أُلْم كان لا يلقَى المتطفّلين المتشوّفين إلى علم ما يجرى بعمله إلا بالنهر والتجبيه ، وطرد عن بابه حتى كل جميلة من الأوانس فاتنة . هذا بستور ! أما متشنيكوف فله فى ذلك حديث غير هذا الحديث

اختلف متشنيكوف فى هذا كل الاختلاف عن بستور . كانت له لحية لها أثرها البالغ فى رائيها ، وجبين عريض يعلو عينين تنظران بحولٍ ظاهر وذكاء بيّن من وراء نظارته ، وشعر طال فى قفاه حتى غطاه على حال تنبئك بأنه غارق فى أفكاره فلا يكاد يصحو فيحس الحاجة الى حلقه . وكان واسع العلم فلا تكاد تفوته فائتة . وكان يستطيع أن يفاكه ويسلى — وهذا محقق عنه ثابت — بألوف من طرائف علم الحياة ومُمتِع خفاياه ، فهو يحدّثك بأنه رأى الخلايا الأفّاقة الدوّارة فى جسم فرخ

(١) مر ذكر هذا فى الأعداد السابقة

الضفدع Tadpole تذهب الى ذيله فتأكل منه حتى تأتى عليه فيصير الفرخ ضفدعا [١] وهو يحدثك بأنه أشعل ناراً فى دائرة حول عقرب ليثبت أن هذه الخلائق التعسة لا تقتل نفسها انتحاراً كما يقول الناس بلدغ نفسها حين لا تجد مخلصاً من النار ، وهو يحدثك بهذه الفظائع بطريقة تجعلك ترى الخلايا الأفاقة تروح وتجيء تبتلع ذيل الضفدع بلا أسف ولا تبكيت ، أو تسمع حسيس العقرب وقد عزّ عليها الخلاص وحلّق بها الفناء

وكانت تسنح له أفكار رائقة فى اجراء تجارب فيقوم عليها محاولاً إنفاذها بعزم قوىّ وتركّز شديد ، ولكنه كان يريح العلم وينحّى التجريب إذا سنحت له السانحة بمدح مُتسَرْت Mozart وأُبَرائه ، أو خطر له الخاطر من بتهوفن Beethoven فهزّه الى صفير شيء من سنفوناته [٢] . وإنك لحاسبه أحيانا يعلم عن جوته [٣] Goethe ودراماته ، ويعلم عن عشقه ومعشوقاته ، فوق الذى يعلمه عن فَجُوساته ، وهى التى بنى شهرته عليها . وكان لا يتكبّر على من هم دونه ، وكان كثير التصديق لكل ما يقال له حتى لامتحن الأدوية لبعض الدجّالين المتطبّبين بأن أعطاها لخنازيره الغينية وهى فى سبيل الموت زعماً أنها تشفيها . وكان رجلا طيّبا ذا قلب عطوف رحيم ، فكان إذا مرض له صديق غمره بكل هدية مستطابة وكل نصيحة مختارة ، وبلّل وسادته بالدمع يجرى مدراراً فأسموه من أجل ذلك « بالخالة متشنيكوف » وكانت آراؤه فى غرائز البدن وحاجات الحياة تختلف اختلافاً رائعاً عن أى باحث سمعتُ به غيره . « والحق أن العبقرية الفنية ، أو لعلها كل العبقريات من كل نوع كان ، تتصل اتصالاً وثيقا بالنشاط الجنسى ... ومن أجل هذا تجد الخطيب أبرع وأخطب فى حضرة امرأة يبذل لها من ودّه وقلبه »

وكثيراً ما أكّد لنا هو نفسه أنه أقدر ما يكون فى التجربة على الاحسان ، إذا كان على مقربة منه أوانس حسان

(يتبع) أحمد زكى

(١) يبيض الضفدع فى البرك وفى كل ماء راكد ثم يتفقس البيض عن فرخ ذى ذيل أشبه شيء فى مظهره بالسمك ثم ينقلب الفرخ الى ضفدع بالغ تتخلق أعضاء له ويفقد ذيله

(٢) متسرت وبتهوفن Beethoven Mozart المؤلفان الموسيقيان المعروفان (٣) Goethe شاعر الألمان المعروف

أعلام الإسلام

# ٤ ـ سعيد بن المسيب

تتمة

للأستاذ ناجي الطنطاوي

## مرضه

قال عبد الرحمن بن حرملة : رأيت سعيد بن المسيب في مرضه يصلي مضطجعاً مستلقياً فيومىء برأسه إلى صدره إيماء ، ولا يرفع إلى رأسه شيئاً

وقال أبو حازم : قال سعيد بن المسيب في مرضه الذي مات فيه : إذا ما متّ فلا تضربوا على قبري فسطاطاً ، ولا تحملوني على قطيفة حمراء ، ولا تتبعوني بنار ، ولا تؤذنوا بي أحداً ، حسبي من يبلغني ربي ولا يتبعني

وقال عبد الرحمن بن الحارث المخزوميّ : اشتكى سعيد ابن المسيب فاشتد وجعه ، فدخل عليه نافع بن جبير يعوده وهو مضطجع على فراشه ، فأغمي عليه ، فقال لمحمد ابنه : حوّل فراشه ، فاستقبل به القبلة ، ففعل ، فأفاق فقال : من أمركم أن تحولوا فراشي إلى القبلة ؟ أنافع بن جبير أمركم ؟ فقال نافع : نعم ، فقال له سعيد : لئن لم أكن على القبلة والملة لا ينفعني توجيهكم فراشي . وفي رواية : ألست امرأ مسلماً ، وجهي إلى الله حيثما كنت ؟

وقال زرعة بن عبد الرحمن : شهدت سعيد بن المسيب يوم مات يقول : يا زرعة ، إني أشهدك على ابني محمد ، لا يؤذنن بي أحداً ، حسبي أربعة يحملوني إلى ربي ، ولا تتبعني صائحة تقول فيّ ما ليس فيّ

وقال يحيى بن سعيد : لما حضر سعيد بن المسيب ، ترك دنانير ، فقال : اللهم إنك تعلم أني لم أتركها إلا لأصون بها حسبي وديني

وقال : دخلنا على سعيد نعوده ، ومعنا نافع بن جبير ، فقالت أم ولده إنه لم يأكل منذ ثلاث فكلموه ، فقال نافع بن جبير : إنك من أهل الدنيا ما دمت فيها ، ولا بد لأهل الدنيا مما يصلحهم فلو أكلت شيئاً . قال : كيف يأكل من كان على مثل حالنا هذا بضعة يذهب بها الى النار أو الى الجنة . فقال نافع : أدع الله أن يشفيك ، فان الشيطان قد كان يغيظه مكانك من المسجد . قال : بل أخرجني الله تعالى من بينكم سالماً . ودخل المطلب بن حنطب على سعيد في مرضه وهو مضطجع ، فسأله عن حديث ، فقال : أقعدوني ، فأقعدوه فقال إني أكره أن أحدث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع

وقد اختلفت روايات المؤرخين في سنة وفاته ، وتنحصر رواياتهم بين سنة ٩١ وسنة ١٠٥ ، على أن أكثر الأقوال تؤيد أن وفاته كانت سنة ٩٤

## شيء من أقواله وفتاويه

قال : ما من تجارة أحبّ إليّ من البزّ ، ما لم تقع فيه الأيمان

وقيل له : ادع على بني أمية فقال : اللهم أعزّ دينك ، وأظهر أولياءك ، واخز أعداءك في عافية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم

وقال علي بن زيد : قال لي سعيد بن المسيّب : قل لقائدك يقوم فينظر الى وجه هذا الرجل والى جسده ، فانطلق فنظر فاذا رجل أسود الوجه ، فجاء فقال : رأيت وجه زنجي وجسده أبيض . فقال : إنّ هذا سبّ هؤلاء الرهط : طلحة والزبير وعلياً ، فنهيته فأبى فدعوت عليه وقلت : إن كنت كذّابا فسود الله وجهك ، فخرجت بوجهه قرحة فاسود وجهه !

وأدرك رجلاً من قريش معه مصباح في ليلة مطيرة ، فسلّم عليه وقال : كيف أمسيت يا أبا محمد ؟ قال : أحمد الله . فلما بلغ الرجل منزله دخل وقال : نبعث معك بالمصباح ؟ قال : لا حاجة لي بنورك ، نور الله أحبّ إليّ من نورك

وقال : لا تقولنّ مصيحف ولا مسيجد ، ولكن عظموا ما عظم الله ، كل ما عظّم الله فهو عظيم حسن

وكان يقول : لا خير فيمن لا يجمع الدنيا يصون بها دينه وحسبه ويصل بها رحمه

وكان يقول : الناس كلهم تحت كنف الله يعملون أعمالهم ،

فاذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته

وكان يقول : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلاّ بالانكار من قلوبكم لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة

وكان يقول : من استغنى بالله افتقر اليه الناس

وكان يقول : ليس من شريف ولا دنىّ ولا ذى فضل ، إلاّ وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغى أن تذكر عيوبه ، فمن كان فضله أكثر من نقصه ، وهب فضله لنقصه

وقال : يقطع الصلاة الفجور ، وتستّرها التقوى

وقال : ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله عزّ وجل ، ولا أهانت نفسها بمثل معصية الله ، وكفى بالمؤمن نصرة من الله أن يرى عدوّه يعمل بمعصية الله

وقال ما أيس الشيطان من شىء إلا أتاه من قبل النساء

وقال : يد الله فوق عباده ، فمن رفع نفسه وضعه الله ، ومن وضعها رفعه الله

وقال : دخلت المسجد فى ليلة أضحيان ، وأظنّ أنى قد أصبحت ، فاذا الليل على حاله ، فقمت أصلى ، فجلست أدعو ، فاذا هاتف يهتف من خلفى : ياعبد الله ، قل . قلت : ما أقول ؟ قال : قل : اللهمّ إنى أسألك بأنك مالك الملك ، وأنك على كل شىء قدير ، وما تشاء من أمر يكن . قال سعيد : فما دعوت بها قط بشىء إلا رأيت نجحه

وقال : إن الدنيا نذلة ، وهى الى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها ، وطلبها بغير وجهها ، ووضعها فى سبيلها

وكان يستفتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم ويقول : إنها أول شىء كتب فى المصحف ، وأول الكتب ، وأول ما كتب به سليمان بن داود الى المرأة ( بلقيس )

وقال حبيب بن هند الأسلمى : قال لى سعيد بن المسيّب ونحن على عرفة : إنما الخلفاء ثلاثة . قلت : من الخلفاء ؟ قال : أبو بكر وعمر وعمر ( يعنى عمر بن عبد العزيز ) قلت : هذا أبو بكر وعمر قد عرفناها فمن عمر ؟ قال : إن عشت أدركته ، وإن مت كان بعدك

وقيل له وقد نزل الماء فى عينه ، ألا تقدح عينك ؟ قال : عنى — على مَن — أفتحها ؟

وقال : كنت بين القبر والمنبر ، فسمعت قائلا يقول ولم أره : اللهم إنى أسألك عملاً باراً ، ورزقاً داراً ، وعيشاً قاراً . قال سعيد فلزمتهنّ فلم أر إلاّ خيراً

وسأله عبد الرحمن بن حرملة قال : وجدت رجلا سكران ، أفتراه يسعنى إلا أرفعه الى السلطان ؟ قال له سعيد : إن استطعت أن تستره بثوبك فاستره

وقال له برد مولاه : ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء ، قال سعيد : وما يصنعون ؟ قال : يصلى أحدهم الظهر ، ثم لا يزال صافاً رجليه يصلىّ حتى العصر . فقال سعيد : ويحك يا برد ! أما والله ما هى بالعبادة ، تدرى ما العبادة ؟ إنما العبادة التفكر فى أمر الله والكفّ عن محارم الله . وقال : قلة العيال أحد اليسارَين

وسئل عن قطع الدراهم فقال : هو من الفساد فى الأرض

وسئل عن آية من كتاب الله فقال : لا أقول فى القرآن شيئاً

وكان لا يكاد يفتى فتياً ولا يقول شيئاً إلاّ قال : اللهم سلّمنى وسلّم منى

وقال : من حافظ على الصلوات الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة

وسئل عن اللعب بالنرد فقال : إذا لم يكن قماراً فلا بأس

وغضب سليمان بن عبد الملك [1] على ابن عبيد مولاه ، فشكا إلى سعيد بن المسيّب فكتب اليه : أما بعد ، فان أمير المؤمنين فى الموضع الذى يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته ، وفى عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين فرضى عنه

( دمشق ) **ناجى الطنطاوى**

بكالوريوس آداب

(١) أو الوليد بن عبد الملك

# الإسكندرية

## بقلم حبيب عوض الفيومى

لا روضةٌ كغياضِ الرملِ مِئْناف
ولا كمصطافها فى الأرض مُصْطاف

ولا كمنظرِها سَلْوى لذى حَزَنٍ ... ولا كآلافها فى الحسنِ آلاف
أضحت على كل حُسنٍ مؤنقٍ عَلَماً ... مذ كان للشىء أعلامٌ وأوصافُ
با كرتُها وطيورُ الدوح جاثِمةٌ ... ولؤلؤ الطلِّ فوق الزهر رَفّاف (١)
وللنجوم تلاشٍ فى مَسارِبِها ... كأنها لسهام الشمس أهداف
والأفقُ مُلتهِبٌ فى الشرقِ تحسَبُه ... تِبراً له من وراء الغيم تَخطاف
والريحُ عاطرةٌ بالنشرِ ساطعةٌ ... يُنْشيكَ مُنتَشَقٌ منها ومُستاف (٢)
فى فتيةٍ أنشئوا إنشاء قَسْوَرَةٍ ... فليس فيهم لدى الإقدام وقّافُ
ذوى وجوهٍ وآراءٍ تضىء لهم ... إذا ادْلَهمّت من الأحداث أسداف
من كل منتخَبٍ فى القول مُنتَدَبٍ ... فى الهولِ، فهو أديبٌ وهو سَيّافُ
فى جنةٍ مثل ترويضِ البِساط زهت ... منها غصونٌ مُوَشّاةٌ وأفواف (٣)

تشابهت فى التفافِ النبْتِ واختلفت
أفنانُهـا فهى ألوانٌ وألفاف

فيها نخيلٌ وأعنابٌ وفاكهةٌ ... شتى وأجناسُ رَيْحان وأصناف
رَفَّ الذبابُ على نوّارها فله ... فى بَلْجَةِ الشمس تغريدٌ وتَهفاف
وللأكَمّةِ من أزهارها سُرُجٌ ... مضيئة حولها للنحل تعزافُ
يهفو الفَراشُ عليها أبيضاً يَقَقاً ... كما طار قُضاضُ البِرْسِ مِنداف (٤)
وللطيورِ على أغصانها زَجَلٌ ... تُشجيك منه مزاميرٌ وأعزافُ
تجمعت فى سماء فهى فاختَةٌ ... وَساقُ حُرٍّ وشُحْرورٌ وَخُطّاف (٥)
تعلو الأَلائِفَ شتّى ثم تُذهِلُها ... نجوى الهوى فلها فى الأرضِ إسفافُ

وأينما مِلتَ فالايقاعُ مُتّصِلٌ ... تُلقيه هتّافةٌ تشْحو وهتّاف (١)
حتى إذا ذرَّ قرنُ الشمسِ والتمعت ... على رؤوس الروابى منه أسياف
عُجنا إلى أيْكةٍ شجراء سامِقةٍ ... لها مع الحَرِّ إظلالٌ وإيراف
تواشجت وسمت من كل ناحيةٍ ... فإنما هى أسياجٌ وأسجاف
زينت بشتى تماثيلٍ تلوحُ على ... سِيمائها من سماء الفن ألطاف
تكلمتْ عن أمورٍ وهْىَ جامدةٌ ... وصُوِّرت من صخورٍ وهى أطياف
من كلِّ عاريةٍ رَيّا وكاسيةٍ ... إزارُها عن خفىِّ الحسنِ شفّاف
وما لبِسْنَ وما عرَّيْنَ عن بَشَرٍ ... وإنما هُنّ إتحافٌ وإطراف (٢)
كأنها ونوافيرُ التمـيرِ لها ... من فوقِ أرؤُسِها سحٌّ وتوكاف
سِربٌ تجرّد من أثوابه فله ... فى غفلةِ الناسِ تَلعابٌ وتطواف
ما بينَ حاملةٍ جاماً وصادحةٍ ... غَنّاء فى يدها للشَّدْوِ مِعزاف
وبين رافعةٍ مصباحَها بيدٍ ... لها على الماء إظلالٌ وإشراف
وبين حاسرةٍ ريعت فنازَعها ... لُبسَ الخَميصة إيجاسٌ وتَخواف
وبينهنَّ كلابُ الصيد قد نفرت ... وأطلقت أيدياً للوحشِ تقتاف
وإذ تلاقى بنا ذو صبوةٍ وَصدٍ ... إلى السُّلافِ ومِتلافٌ ووَصّاف
قلنا: المُدامَ. فجاؤونا بمُذْهَبةٍ ... مذاقُها لسقيمِ القلبِ إخطاف (٣)
لم يبقَ منها وقد طال الزمانُ بها ... فى الدنِّ إلا شُفافاتٌ وأنزاف (٤)

سبيئةٌ سبقتْ نوحاً فكان لها
تحتَ العرائشِ قبل الشَّرْبِ آلاف (٥)

يلوحُ منها قوامٌ ثم تُدرِكُها ... لطافةٌ فتجلّى وهى إشفاف

ما اعتادها لونُها الجادىُّ عن عُرضٍ
وإنما هو لونُ الشمس يَشتاف (٦)

كرُّ الربيعِ وضوءُ الشمس يُنضِجُها ... فى كرْمِها بعد ما غذّته أرياف

---

(١) رفاف : لماع
(٢) ينشيك : نشوة ، والمستاف : المشم
(٣) الترويض : التشجير ، وشى مروض
(٤) قضاض الشىء ما تناثر منه . البرس : القطن . المنداف : أداة الندف (٥) السماء : كل ما علاك

---

(١) شحا الطائر : يشحو فتح فاه بالنغم
(٢) البشر : جمع بشرة وهى ظاهر الجلد
(٣) الاخطاف : البرء من العلة
(٤) الشفافات : جمع شفافة ، والأنزاف : جمع نزفة ، وكلاهما بمعنى البقية الضئيلة
(٥) السبيئة : الخمرة المأخوذة بالمال . والشرب : جمع شارب
(٦) الجادى : الزعفرانى . يشتاف : يلتمع

وَرَاقَ منظرُها إذ رَقَّ جَوْهَرُها     فالحسنُ منها عن الاحسان كشّافُ
تَسْمو إلى رأسِ حاسيها خِفتها     إذ لاتلائمُ ذاكَ الجِرْمَ أجوافُ
وتتركُ المُحتَسِي نشوانَ لا نَزَقًا     وإنما هو إحصافٌ وإرْهَافُ
يُهْدَى لحانوتها المُعْتَسُّ فى غَلَسٍ     بريحِها ولَوَ أنَّ البُعْدَ أفيافُ (١)
ويَسْتضيء بها فى السيرِ ملتَمِسٌ
ضَلَّ السُّرَى ولجنحِ الليلِ إغدافُ (٢)
نَشتفُّها ونناجيها ونرفعُها     ونجتلى قبساً منها ونَستافُ
ونملأ الرُّوحَ وحياً من معارجها     فإنما هى إيحاء وإلطاف
فآيةٌ لبخيلٍ ذاقها كرمٌ     وآيةٌ لِسَحيلِ العزمِ إحصاف (٣)
صُبَّتْ فرَقرَقَها طبعٌ فشعشعها     مثلَ الضرام تعالَى منه أطراف
وثار ثائرُها حَمْياً فهذّبه     حِلمُ النمير فقرَّتْ منه أعطاف
حتى إذا ماعَلا رأدُ الضُحَى ودَنَا     من شاطئ البحر فُرَّاطٌ وسُلاَّف
أقلّنا ظَهْرُ طامٍ لا قرارَ له     وهل يقرُّ حَرُونٌ وهو رَجّاف ؟
فى سابحٍ أسحمِ الدَّفَّينِ مُنْسَرِحٍ     يدافعُ الماءَ من حَرْفَيْهِ مِجذاف (٤)
مُسْتَوْسِقٌ ظَهْرَه يَسعى على مَهَلٍ
من الوَنَى فهوَ تحتَ الوَسْق دلاّف (٥)
نَظَلُّ منه على سِيسَاءِ مُنْجَرِدٍ     مالاقه قطُّ إسرَاجٌ وإيكاف (٦)
بينا يسير رويداً إذ تُلاطِمُهُ     مَوّارةٌ فاذا الإرواد إعْناف
طَوْرًا يُصَوِّبُنا غَوْرٌ وآونةً     تعلو بنا منه أحقافٌ وأعراف (٧)
مابين رافعةٍ عَلوًا وخافضَةٍ     أهضامُها فى حُدُورِ الموجِ أنياف (٨)
وللعُبابِ زئيرٌ فى تدافعِهِ     وَزَخْرَةٌ فهوَ بالأمواج غرّاف
له غواربُ لا تنفكُّ جائشةً
ما هبَّ من مُعصراتِ الريحِ زفزاف (٩)

(١) الأفياف : جمع فيفاء ، وهى الصحراء
(٢) الأغداف : الاسبال     (٣) السحيل : الواهن
(٤) الدف : الجنب     (٥) الونى : الأعياء ، والوسق : الحمل
(٦) السيساء : مستوى فقار الظهر . ما لاقه : ما لاءمه . الاسراج شد السرج ، والايكاف شد الاكاف وهو البرذعة
(٧) الأعراف : المرتفعات
(٨) الأهضام للنخفضات ، وحدود الموج انحداره ، والأنياف الأعالى
(٩) الغوارب : الأثباج والسروات ، والمعصرات : الرياح تبعث السحاب ، وقد تلتهب ناراً ، والزفزاف : الريح الشديدة

وطافياتٌ تعالَى وهى مقبلةٌ     لها رُؤوسٌ منيفاتٌ وأشعاف
يظنُها من يراها وهى دانيةٌ     أبا قُبيْسٍ له بالْيَمِّ تَزحاف (١)
فإن ترفقتِ الريحُ الهَبوبُ به     فكلُّ حُسنٍ عليه ثَمَّ عكّاف
تلوحُ فيه وضوء الشمس منعكسٌ     للعينِ أرباعُ أقراطٍ وأنصاف
كأنه لهبٌ يُذْكَى به ذهبٌ     أو زئبقٌ بمذابِ الصُفْرِ مُنداف (٢)
قَذْفُ البُحورِ لآلٍ دونها صدفٌ     ولُجُّهُ بلآلى الحورِ قَذّاف
توائمٌ ينتظمن الشطَّ فى نَسَقٍ     مثل القلائدِ والظُلاّتُ أصداف
ماذا أعدت لنا الاسكندريةُ من     فَتكٍ به لسليم القلبِ إزهاف ؟ (٣)
جيشاً من الحسنِ يغزونا وليس لنا     من دونه غيرَ حولِ الله تجفاف (٤)
مجراً جَناحاهُ دُعْجٌ بالعقولِ لها     فتكٌ ونُعْجٌ لما فى القلب أزحاف (٥)
شاكي السلاحِ فمن آلاته مُقَلٌ     مُفوّقاتٌ وأعطافٌ وأرداف
فُرسانه نُهَّدٌ بالماءِ سابحة
ورَجْلُه ساحراتُ الطَرْفِ طُرّاف (٦)
أشباهُ ماء على ماء يكدن به     أن يمتزجن وللأبشارِ ترجاف
يَطْلُعنَ كالروض مَطلولا تُعارضُه     شمس الضحى فله فى العين ترفاف
عَرْفٌ يفوحُ وأوضاحٌ تلوحُ وكم     فى الروضِ ألوانُ أوضاحٍ وأعراف
روضٌ يروقُكَ منه منظرٌ عجبٌ     لكنَّ مجناهُ أحساكٌ وأحشاف
والروضُ يقطفُك الأثمارَ يانعةً     وما لهنَّ سوى الإيحاشِ إقطاف
مُستهدفاتٌ وما فيهن من هدفٍ     وإنما هنَّ إسقامٌ وإدناف
وَمُشفقاتٌ وما فيهن مُسعدةٌ     وإنما هنَّ للادمال إقراف (٧)
واهاً لنفسى وما واهٌ بنافعةٍ     إذا تحرّقَ أوّاهٌ وأفّافُ
هل هُنَّ بُؤْسَى وهُنَّ الحسنُ مُحْتَشِدًا     أم هُنَّ نُعْمَى ومافيهنَّ إنصاف ؟
فليس عنهنَّ سُلْوانٌ لذى شَغَف     ولا لهنَّ به ما عاش إيلاف

(١) أبو قبيس : جبل جنوب شرق مكة المكرمة ، وهو أحد الأخشبين
(٢) الصفر : النحاس ، والمنداف : الممتزج
(٣) الازهاف : الاقتراب من الهلاك
(٤) أعدت جيشا ، والتجفاف ، درع يكون للفارس والفرس
(٥) المجر : الجيش العظيم ، والدعج : السمر ، والنعج : البيض
(٦) الطراف : الذين يحاربون حول العسكر وهم اليوم يدعون حربهم حرب العصابات
(٧) الاقراف : قشر الجرح قبل أن يبرأ

حسنٌ ومنعٌ وأشقى الناس متصلٌ   يلقاه حسنٌ ولا يلقاه إتحاف
والمنعُ والماءُ نزرٌ لا احتجاج به   والمنعُ والماءُ طامى اللُّج إجحافُ
بل هنّ ماءٌ كآلٍ لا ارتواء به   يُبديه سهبٌ بعيدُ الورْدِ مِهياف (١)
يظلُّ واردُهُ صديانَ محترقاً   عقباهُ شلٌّ إذا استسقى وإلهاف
أورت لظى كبدى منهنّ شامسةٌ   وحشيّةٌ وأبُها غدرٌ وإخلاف (٢)
جنيّةٌ وصلُها دلٌّ ولمحتُها   تبلٌ وإعراضُها قتلٌ وإتلاف
بيضاء تختالُ مثلَ الشمسِ عاريةً   بل حسنُها فى متوعِ الشمسِ كسّاف
ألفاظها تنعشُ المضنى ونظرتها   تضنى الصحيحَ فلا تجدى به اسعاف
ضعيفة الأسرِ وشْنى من بلهنيةٍ   وفى خلابتها للأسرِ إضعاف
توحى الفتونَ بطرفيها وفعلهما   يصبى الرجالَ وهم من قبلُ أحناف
وزنُ الوفاء لها بالقسطِ مكتملٌ   وافٍ وميزانُها فى الحبِّ طفّاف (٣)
تفترُّ عن مبسمٍ عذبٍ له أشرٌ   يشفى أوارَ الجوى منهن ترشاف (٤)
كأنه أقحوانٌ بالندى خضِلٌ   أو لؤلؤٌ مازَهُ فى السلكِ رصّاف (٥)
تزهى بقدٍّ نضيرِ العودِ تحسبُه   غصناً ثنته النُّعامى فهو غيّاف (٦)
تهفو القلوبُ له وجداً إذا خطرت   كأنما هو بالأرواحِ هفّاف
غيسانةٌ عيشُها من نعمةٍ وغنًى   رىٌّ وعيشى بها سقمٌ وإنحاف
أعزَّها أنها دانت لعزتها   هامٌ وذلّتْ لها فى الحبِّ آناف
وزاد من فتكها خُلقٌ لها عممٌ   وحُسنُ سمتٍ له فى القلبِ إشعاف
أقرَّ بالحسنِ ربّاتُ الدلالِ لها   طوعاً وهنّ معاصيرٌ وأنصاف (٧)
وأهجَ العاشقين المولعين بها   أنّ ابتسامتها للصبِّ أهناف (٨)
لاقيتُها وجنانى جِدُّ منبسطٍ   وعدتُ عنها ودمعُ العينِ ذرّاف
وما رجعتُ ولكنى تراجعَ بى   يأسٌ فرجعى إقرانٌ وإرساف (١)
ولو بعمرى بها أحظى وقد عرضتْ   لكان بالعمرِ لى قربى وإزلاف
لكنّ بينى وبين المشتهى جبلٌ   عالٍ ومهوًى سحيقُ الخرقِ نفناف (٢)
ولى حياءٌ عن العوراءِ يصدفُ بى   ولى لسانٌ عن الفحشاءِ نكّاف
يشوى وصال الغوانى كلُّ ذى أدبٍ   جمٍّ ويحظى به نوكى وأجلاف (٣)
يحظى أخو الجهلِ لا يدرى بحظوته   وليس يحظى لبيبٌ وهو عرّاف
وشيمةُ الدهرِ لا تجرى على سننٍ   وحالة الدهرِ إجراءٌ وإيقاف
ففارقٌ فى غمارِ اليمِّ مرتكسٌ   وظامئٌ فى قفارِ البيدِ عسّافُ
ما ساءنى أنّ غيرى حظُّه سِمَنٌ   من الزمانِ وحظى منه إعجاف
لى من زمانىَ فكرٌ راضهُ بصرٌ   وللبهائمِ أرواقٌ وأظلاف (٤)
قد يُرزقُ الفدْمُ مالاً وهو منخفضٌ   ويُحرمُ الندسُ مالاً وهو نيّاف (٥)
وليس مثلين ذو علمٍ وذو سفهٍ   ولا شبيهين لآّلٌ وصدّاف (٦)

**حبيب عوض الفيومى**

(١) الآل : السراب ، والسهب : الفلاة الواسعة ، والمهياف : التى يشتد فيها الظمأ
(٢) شامسة : نافرة ، والوأى : الميثاق
(٣) القسط : العدل ، والطفاف : المخسر
(٤) الأشر : تحزيز الانسان
(٥) الأقحوان البابونج وزهره أبيض يشبه الأسنان ، الخضل المبتل ، والسلك الخيط يسلك فيه الدر أى ينظم
(٦) النعامى : ريح شرقية رخاء ، والغياف المتمايل
(٧) المعاصير : جمع معصر وهى الفتاة فى سن العشرين ، والانصاف : جمع نصف وهى المرأة نيفت الأربعين
(٨) الأهناف : ابتسامة استخفاف و ◌زر◌ية

(١) الاقران : الجر فى القرن وهو الحبل ، والارساف : مشى المقيد
(٢) الخرق : الأرض الواسعة ، والنفناف : فرجة ما بين السماء والأرض
(٣) يشوى : يخطىء ، والنوكى : الحمق
(٤) الأرواق : القرون جمع روق ، والأظلاف للغنم كالحوافر للخيل جمع ظلف
(٥) الفدم : العيي الثقيل ، والندس : اللبيب الفطن ، والنياف المرتفع
(٦) اللآل : بائع اللؤلؤ ، والصداف : صانع الصدف

# القصص

قصة مصرية

## الشيخ عبد الباسط يتزوج ...

للأستاذ محمد على غريب

بين الأزهر وبين القرية ، يولد طالب العلم كل يوم مرة على تجارب لم يشهدها وحياة لم يألفها ، فى تلك المدينة التى يختنق صوت المؤذن فيها بصيحات المعربدين الفجار ، والتى لو بعث فيها اليوم منشئها الأول جوهر الصقلى لما وجد فيها مكاناً يأوى اليه ، ولآثر عليها منادمة منكر ونكير . . .

ويوم غادر الشيخ عبد الباسط محمد حسين أبو جبل قريته الصغيرة لينتسب الى الأزهر ، كان أكثر أهله فى وداعه ، وقبيل أن يعلن القطار ضجره من الانتظار بصفيره المزعج ، انتحى به والده ناحية منعزلة وأوصاه بالصلاة والمذاكرة وطاعة شيوخه واحتقار ملذات الدنيا الفانية

ثم دس الوالد فى يد ولده خطاباً علت غلافه بصمات أصابعه المغمورة بالتراب ، وطلب منه أن يقدمه الى سيد القرية فى القاهرة وهو رجل من الأثرياء يملك أكثر أرض هذه البقعة وينظر اليه الأهلون كانسان لم يخلقوا على طرازه ، فلا بدع أن يتخذوا منه السيد والمولى ، وأن يخشوا غضبه كما يخشى العابد غضب الآله

وحل الشيخ عبد الباسط فى غرفة مظلمة فى حى الباطنية بالقرب من الأزهر ، وحل معه فيها خمسة من الطلاب ومجموعة من الهوام والحشرات كانت تشارك أهل هذا الكهف طعامهم وشرابهم ، وتخفف الدم النقى من جسومهم فلا يشعرون بالحاجة الى معصية الله . . .

ولم يكد يضع عبد الباسط رحله ، ويؤدى الصلاة المكتوبة ، ويستفسر من زملائه الذين سبقوه عن مواعيد الدراسة وعن كراء البيت حتى ذكر خطاب سيد والده الغنى ، فأخرجه من جيبه بوقار وخشوع وراح يسأل عن هذا العنوان :

— جاردن .. جا .. جار .. دن .. جاردن ستى .. أى عنوان هذا ؟ .. محمد بك الخربوطلى بجاردن ستى !

وتضاحك زملاؤه الخمسة من جهل صاحبهم بأحياء القاهرة وهم الذين يعرفونها حياً حياً . . وراودت النكتة اللفظية أحدهم عن نفسه فأطلقها :

— ستى والا ستك . . ها ها !

وضحك الجميع حتى الشيخ عبد الباسط عن طيب خاطر . .

***

يعيش محمد بك الخربوطلى فى منزل يضم فتياته الثلاث ( صفية وحكمت وآمال ) وكلهن جاوزن سن الزواج . ولما كان الأب فاجراً متهتكا فقد نسج فتياته على منواله ، لذلك وجدت كل واحدة منهن أصدقاء كثيرين ولكنها لم تجد زوجاً إلى اليوم

وكان محمد بك رجلاً فى حدود الخمسين ؛ وقد توفيت زوجته فى حادث مؤلم ، فراح ينسى الدنس الذى علق بشرفه بالافراط فى كل ما يستثير شهواته الخسيسة ، ولم يكن فى برنامجه أن يحتفل بتربية بناته بل تركهن فى أيدى الظروف

فى يوم من أيام الربيع الصافية ، وقف الشيخ عبد الباسط ومعه زملاؤه الخمسة الذين تطوعوا بتعريفه منزل السيد ، يصفق بيديه على باب المنزل ، ويمسح العرق المتصبب من جبينه بطرف جبته الخضراء ، على حين جلس زملاؤه فوق المقعد الخشبى الذى يجلس فوقه حارس الباب وهم يلهثون

وجاء البستانى العجوز وهو يبصق الشتائم والاهانات من فمه ، فقد أزعجه هذا الذى يصفق دون أن يسكت ، ثم سأله :

— ماذا تريد ؟

قالها بلهجة حاكم متغطرس لخادم عنده . ولم يكن الشيخ عبد الباسط يتوقع هذه الخشونة ، أمام زملائه على الأقل ، فأخفى خجله فى سعاله وسلم إلى البستانى خطاب والده إلى سعادة البك ..

وعاد البستانى يقول له باللهجة الأولى :

— أدخل . . .

ثم ضرب البستانى الباب الحديدى وراءه بعنف وغضب . فدخل الشيخ عبد الباسط وقلبه يترا كض بين جنبيه ؛ ثم اقتيد الى حجرة بهره فيها أثاثها الفخم مما لم ير مثله إلا فى الحوانيت التى قاده للفرجة عليها زملاؤه . فأدرك لفوره فى أى طريق ينفق سيد القرية أمواله . .

وشهد فى الحجرة وسادة ملقاة على الأرض فرام الجلوس فوقها ، بيد أن الخادم الطيب أنهضه ليجلس على مقعد مريح . وهنا ابتسم الشيخ عبد الباسط على رغم أنفه . . ابتسم لأنه لم يكن يقدر على البكاء ...

* * *

وبينما هو يجول ببصره فيما أثبت على الجدار من صور وما حشد فى الحجرة من نفائس ، إذا بصوت ناعم يصل إلى أذنيه ، وإذا بفتاة هيفاء تدخل إلى الحجرة وهى تغنى ، فلما رأت الشيخ الجالس أمامها تظاهرت بالفزع وصاحت :

— بردون يا ... يا أستاذ ! ثم واصلت الغناء ...

وجاء الخادم يشرح للفتاة من يكون هذا الشيخ ؟ إنه نجل وكيل والدها فى ضيعته ، وقد جاء إلى القاهرة ليطلب العلم فأرسله أبوه إلى سيده ليشمله برعايته ...

وتلطفت الفتاة وصوبت بصرها إلى هـذا المخلوق ، فاذا هو شاب ممتلىء الجسم فى لحية قصيرة كأنما صنعها بيديه . أما ذلك المخلوق فلم يكن يدرى أحد ماذا يعتلج فى ذهنه من الخواطر ، وقد غمره الموقف الشاذ بفيض من البلاهة ، ففغر فمه وبقى فى صمته الجليل ، وقد غض الطرف وذكر نصيحة والده له فلم يخالس الفتاة النظر سوى مرتين

وجاء السيد فى جلباب حريرى أزرق ، فنهض الشيخ عبد الباسط وقبل يده ثلاث مرات كما يصنع مع شيخه فى الدرس ، ثم وقف صامتاً وقد أنساه الشيطان الكلمات الفخمة التى زورها ليلقى بها فى هذا المقام

وقال السيد وهو يعبث بلفافة تبغ فى أصابعه :

— كيف والدك ؟ . . . هل بعث معك مالاً ؟ . . كيف أنت ؟ . . اجلس . . هل تدخن ؟ ...

وماتت الاجابة على هذه الأسئلة كلها فوق شفتى الشيخ عبد الباسط فلم ينطق وإن كان قد جلس على حافة المقعد ورقبته ممتدة ويده العابثة بلحيته ترتعش

وجاءت القهوة ، فشرب نصف ما فى الفنجانة ، وضمخ بالنصف الآخر ثيابه من الدهشة والخوف . ومرت به الفتاة التى رآها حينذاك وهى تغنى ، فربكه مرآها واختل توازنه فوق حافة المقعد وهوى على الأرض ؛ ومن ثم ضحك السيد والفتاة والخادم الواقف بقرب الباب ... وضحك الشيخ عبد الباسط أيضا !

* * *

وكثر تردد الشيخ عبد الباسط على منزل السيد ، وفى المرات الأولى كان ظله ثقيلاً على نفوس أهـل المنزل ؛ فلما كشف عن سذاجته وألح فى الزيارة استطابوا وجوده . وكان فى كل يوم يكشف عن أسماء النفائس التى يراها فى المنزل فيحفظها كما يحفظ ألفية ابن مالك ؛ ولم يكن يبالى السخرية به والتهكم عليه ، فان العبد وما ملكت يده لسيده ؛ وكان يؤثر على الجميع الفتاة التى تغنى ، وكانت هى من جانبها تزيد فى الاساءة اليه فيحسب أن يده تقبض على قلبها

ولم يعد الشيخ عبد الباسط يحتفل بدروسه ، لا ولا بصلواته . أما زملاؤه فقد أنكروا عليه هذا الاهمال ، وتوعـدوه بالخزى فى الدنيا والآخرة . غير أنه كان يتمثل فى وجوههم شقوة البؤس ، فلم يعبأ حتى بأن يدفع نصائحهم عنه بطرف أصبعه

وانقلب الشيخ عبد الباسط فجأة الى متظرف يطالع الصحف ويغشى المقاهى ويتهكم بشـيوخه الأعلام ، حتى زجاجة العطر التى لمحها فى أحد الحوانيت ظل يقتصد ثمنها واشتراها ، والساعة والمنديل الحريرى والحذاء اللامع . . . كان ذلك كله فى سبيل أن يحوز رضاء تلك الفتاة اللعوب التى لا تعرف من الدنيا سوى الغناء

وكان الشيخ عبد الباسط يرى فى منزل السـيد كل مرة أصنافا من الشبان يفدون على الدار فى أزياء خليعة ، حاسرى

الرؤوس حليقى اللحى والشوارب ، وكان يسأل الخدم عنهم واحداً فواحداً ، ويعرف أنهم أصدقاء الأسرة فيسكت ، ويكلفه سكوته هذا لمنة أولئك الشبان فى سره وذلك أضعف الأيمان

ولم يكن الشيخ عبد الباسط يجترىء على التفكير فى هذه الدنيا العجيبة التى يضمها منزل السيد ، وإن كان قد فكر مراراً فى أنه أصبح مطلوبا ومرغوبا فيه

ألم يقل له محمد بك ذات يوم :

— حصلت البركة يا أستاذ !

كلمة لا يقولها السيد إلا لمن يحبه ويوده . ألم تصارحه الفتاة التى تغنى ذات مساء بأن دمه خفيف . ثم ضربته بيدها على وجهه ، وضرب الحبيب مثل أكل الزبيب !

ترى هل حان الوقت الذى يصارحهم فيه بما تضطرم به نفسه من رغبات !

***

وجاء ذلك الوقت فلم يفاجىء الشيخ عبد الباسط برغبته رب الأسرة ، لأنه كان رغم كل شىء يتهيب ويخجل . وكانت رغبته أن يتزوج بتلك الفتاة التى تغنى دائما والتى لم يعرف اسمها بعد . وكثيرا ما تمثل هذا البدن الناعم البديع واستعاد ذكريات أمسه السعيد ، فيسمعه زملاؤه فى الغرفة يئن ويصرخ من هول ما يعتمل فى صدره . . .

لم يقدر الفوارق الهائلة بينه وبينها ، ولا راعى مركزه كطالب علم فقير ، ولكنه أقنع نفسه بأن كل شىء يسوى بنفسه ، والمصادفات قد تكون فى بعض الأحايين سبباً فى أن يرتفع المرء من الغرفة الحقيرة الى القصر المنيف

وبعد تفكير طويل أودع الشيخ عبد الباسط سره الخطير لدى أحد الخدم فى المنزل ، فتضاحك الخادم وسكت ، وكان فى سكوته ما حمل الشيخ عبد الباسط على أن يتأول ويستولد عدم استحالة الوصول إلى مبتغاه

والظاهر أن الخادم أفضى إلى الفتيات بما قال الشيخ ، ولا ريب أنهن تضاحكن وعبثن بالفتاة التى وقع عليها اختياره ، ثم انقلب الموضوع إلى فكرة ضخمة . لذلك استقبل الشيخ عبد الباسط فى اليوم التالى استقبالاً فخما ، وكأنما كان يتوقع ذلك فراح يفرض وجوده فى المجلس ويصعر خده للجالسين والجالسات . . .

واقترب يوم الزواج ولم يكلف الشيخ عبد الباسط أن يدفع شيئاً وزاد أهل المنزل فى الحفاوة به والترحيب فكان الذى يشغله أنه يتزوج ووالده لا يعلم ، ولكن ماذا يهم والفتاة جميلة ووالدها سيد القرية . .

وفى اليوم الموعود كان رب المنزل غائباً ، ومن الانصاف أن نقول إنه لا يعرف عن هذا الموضوع شيئاً ؛ غير أن الشيخ عبد الباسط لم يكن يهمه ذلك ، فقد آمن بأن الرجل يعلم دون شك ولم يفاتحه فى الأمر حتى لا يسىء الى ذات نفسه ويخجله

وأنيرت الدار وأقبل المدعوون ، ولم يجرؤ الشيخ عبد الباسط على دعوة زملائه حتى لا يفسدوا عليه خياله ، واكتفى بأن زاد فى الأناقة وفى التجمل ، وراح يحفظ قصائد الغزل كلها ليسكب بها فى أذن عروسه الحسناء . .

وتم عقد الزواج على يد مأذون حليق اللحية والشارب وإن كان يرتدى جبة وعمامة ، وكان هناك مغن يترنم بصوته والمدعوون من كل صنف يقصفون ويلهون . .

واقترح أحدهم على الشيخ عبد الباسط أن يشرب قدحاً قدمه اليه فلم يستسغ طعمه ، ثم أعطاه قدحاً آخر وقدحاً ثالثاً . . والجمع الصاخب يطلق الضحكات المخمورة من عقالها وهو ذاهل لا يعرف رأسه من قدميه . .

وأفردت له ولعروسه حجرة خاصة فى المنزل الفخم ، ولما أحس دوارا فى رأسه انكفأ إلى حجرته وهبط إلى الفراش لا يقوى على النظر ثم أدركه النوم العميق . .

وفى الصباح وجد إلى جانبه عروسا من الخشب . . والجمع الحاشد يغمر حجرة نومه بالضحك ، ثم تكشفت له الحيلة شيئاً فشيئاً حتى عرف كل شىء . . .

عرف أن المأذون شاب من أصدقاء أهل الدار استعار جبته وعمامته من فقيه المنزل ، وعرف أنه شرب فى الأقداح الثلاثة خمرا حرمها الله ؛ وأخيراً عرف أن عروسه من الخشب وليس لها طاقة على الغناء !

محمد على غريب

**مأساة من سوفوكليس**

# أنتيجـــونى

## للأستاذ درينى خشبة

سوفوكليس : ولد سوفوكليس سنة ٤٩٦ ق . م ، ومات سنة ٤٠٦ أى أنه عاش عمرا طويلا مباركا قضى منه أكثر من ٦٥ سنة فى إنتاج أدبى متصـــل . ولم يصلنا من مآســيه التى أربت على المائة غير سبع فقط إحداها مأساة اليوم ( أنتيجونى ) ، التى تعتبر أطرف تحفة فى الأدب الكلاسيكى المسرحى . وسوفوكليس هو تلميـــذ إسخيلوس ، وقد ظل يقلده ويمشى على دربه أكثر من عشرين عاما ثم استقل بعدها بخطته وطرائقه فى الأدب ، ولـكنه عاد فقلد منافسه الأكبر يوربيدز . ولم يحدث سوفوكليس ثورة ما فى روح الرواية المسرحية ولـكنه ثار بالمسرح نفسه من الوجهة الشكلية ( التكنيكية ) فأكثر من الممثلين وعدد من المناظر وقلل من أهمية الخورس ، وقد ساعدته ثروته وعيشته الراغدة على تغذية المسرح برواياته الهادئة التى كان يخدم بها الفن من حيث هو فن خالص ، ولا يبتغى بها ثورة على التقاليد أو إحداث تغيير فى نظم الحياة . وكان مؤدبا مع الآلهة ، فلم يصنع ماصنعه إسخيلوس مع ربات الذعر حين سفه منطقهن فى محاكمة أورست مثلا . وسوفوكليس هو أستاذ شاكسبير من حيث تركيز البطولة فى أكثر مآسيه فى المرأة وسترى ذلك فيما نلخصه لك من المآسى . ولم يتقيد سوفوكليس بالدرامة الثلاثية Trilogy مثل أستاذه ، ولـكنه فضل المأساة المستقلة الواحدة وإن كان قد كتب ثلاث مآس فى موضوع واحد متصل ، فانه كان يجعل كلا من أجزاء هذا الموضوع فصلا مستقلا بنفسه كل الاستقلال عن الفصلين الآخرين ، وقد تعلم سوفوكليس الموسيقى فى صغره وحـذقها وترأس فرقة موسيقية فى الاحتفال بذكرى « سلاميس » وكان على قسط كبير من الجمال فى صباه ، وكانت أدوار النساء فى بعض الدرامات — ومنها دراماته — توكل اليه لتأديتها لهذا السبب . ولم يشترك فى حروب وطنه ( أثينا ) لاعتباره من كبار الأعيان ولأنه كان صاحب مصانع الأسلحة التى تزود الجيوش بكل ما تحتاج من عتاد . وقد تورط بسبب حياة الترف التى كان يحياها فى غرام آثم كلفه كثيرا من ماله ، فاضطر ابنه الى مقاضاته وطلب من المحلفين الحجر عليه ، ولـكن سوفوكليس عرف كيف يدافع عن نفسه حتى برئت ساحته ، ثم استقام بعد ذلك . وقد فاز سوفوكليس على إسخيلوس للمرة الأولى سنة ٤٦٨ بدرامته المفقودة ( تربتوليموس ) ثم فاز فى عشرين مباراة بعد ذلك وعين سنة ٤٤٠ أميرالا للاسطول ( وإن لم يخض حربا ما ) ، وعين سنة ٤٤٣ عضواً فى مجلس الوكلاء ( مجلس العشرة ) وبحسبه أن يكون أقوى شخصية تمثل عصر بركليس بطوله . ومات قبل أن يشهد سقوط أثينا

— ١ —

حينما اكتشف أوديبوس السر الهائل ، وعرف أنه قتل أباه وتزوج من أمه ، وأولدها ولديه وابنتيه ، جن جنونه ، وسمل عينيه ، وهام على وجهه فى الأرض حيران ، وتبعته ابنته التاعسة أنتيجونى ، لتهديه سبيله الى غابة كولونوس ، حيث غالته ربات الذعر بما لم تجن يداه !

وعادت أنتيجونى لتجد أخويها يقتتلان من أجل العرش . . . . . (1)

وقتل الاخوان المتحاربان كل بيد الآخر فى مبارزة مشئومة واستوى كريون على عرش طيبة ، وأصدر أمرين كل منهما نقيض الآخر

أمر بأن تحتفل طيبة كلها بتشييع ملكها السابق إتيوكليز ... أم أخوه .. أما بولينيسز ... فيترك فى بطحاء طيبة جزر السباع تنوشه جوارح الطير وكلاب البرية ، من غير أن تقام له الشعائر الدينية التى تقام لعباد الآلهة المؤمنين ، ومن غير أن يضم رفاته قبر ، أو يحثى عليها تراب ! وقضى أن كل من يجرؤ على مخالفة هذا الأمر فجزاؤه القتل فى أبشع صورة . والتنكيل والتمثيل !

— ٢ —

« أنتيجونى وأختها اسمنيه أمام القصر الملكى بطيبه »

— « أختاه ! إسمنيه ! أهكذا قضت السماء أن نتجرع . أنا وأنت ثمالة الكأس ، والنطف الأخيرة من آلام أوديبوس ! ألا حدثى يا أختاه : هل بلغك الامر المأفون الذى أصدره كريون الملك بخصوص أخوينا ؟ »

— « أى أمر يا أختاه !

— « لهذا جئت معك الى هنا كيلا يسمع نجوانا أحد !

— « إذن . . . تكلمى ! إن نظراتك المضطربة تشف أنبا هائلة !

— « لماذا يفرق كريون بين الموتى فى حقوق السماء المقدسة ؟ لقد أمر أن تحتفل طيبة بأسرها بجناز إتيوكليز . . . فى حين تترك جثة بولينيسز فى عراء طيبة لجوارح الطير ، وسباع البرية ، من دون ما دفن ولا إقام شعائر ... حتى التراب ... لقد أبى أن يحثى عليه التراب يا أختاه ! والآن ! لقد أنبأتك بكل شىء ! فهل تبرهنين على كرم أرومتك ! وشريف عنصرك ، فتعاونينى فيما اعتزمت ، أم ...

(1) لخصنا هذه الحوادث فى إسخيلوس ( الأعـداد الأخيرة السابقة من الرسالة )

وا شؤماه ! وهل بيد ضعيفة مثلى حل أو ربط ؟ ! ما ذا تريننى أصنع ؟

— « ألا تقاسميننى حلو هذا الأمر ومره ؟

— « ما ذا تعنين ؟

— « نتقاسم ، أنا وأنت ، فنذهب الى أخينا من فورنا هذا فندفنه ؟ ! . .

— « ندفنه على الرغم من نذير الملك ؟ أهذا رأيك ؟

— « إى وايم السماء ! سأدفن أخى وأخاك فاما امتنعت فانى لن أنكص ، ولن أخون إخوتى وحنانى و كبريائى ودمى ! !

— « مجنونه ! ! وكريون ! أما تبالين أوامره ! »

— « كريون ؟ ! وهل له الحق فى منعى من القيام بشعائر دينى نحو أخى ؟ ! »

— « أختاه ! أنتيجونى ! قليلاً من الحكمة يا أختاه ! أذكرى كيف كانت نهاية أبوينا العزيزين ! أذكرى كيف شنقت أمنا نفسها حين علمت أن زوجها هو ابنها ؟ واذكرى كيف سمل أبونا عينيه وذهب معك إلى كولونوس ليتحسى كأس المنون ! واذكرى أيضاً كيف اقتتل أخوانا وقتل كل منهما الآخر ! أفلم يبق وراء كل أولئك إلا أن نلقى بأيدينا أنا وأنت إلى التهلكة ؟ ! أما عن نفسى ، فانى أفضل الخضوع لأمر ولى الأمر ، فانى امرأة ولم تخلق النساء لمشاكسة الرجال !

— « إذن ... فلن أرغمك على شىء ... وحسب هذه اليد الكريمة أن تقوم بالأمر كله وحدها ! يا للفخر أن أضطلع بكل شىء ثم أموت ! كم تشيع الكبرياء فى نفسى حين ألقى أخى فى الدار الآخرة وقد أديت له هـذا الحق بمفردى ؟ ! إن هذه الحياة لابد أن تنتهى ، فلم لا نكون نهايتها هذه الجريمة المقدسة ؟ أنت تأبين أن تزدرى قوانين الأرض ، ولكنك لا ترفضين أن تحتقرى مع كريون شرائع السماء ! فهنيئاً لك ! يهنيك ما اخترت لنفسك يا أختاه !

— « أنا لا أزدرى ولا أحتقر ، ولكن أخشى ثورة الأولياء !

— « كأنى بك تعتذرين عن جبانتك ! اطمئنى ! سأذهب وحدى لأدفن جثمان أخى !

— « يا للآلهة ! كم أخشى عليك !

— « لا تضيعى خشيتك ومخاوفك عبثاً ! عليك نفسك !

— « إذن لا تبوحى بسرك لأحد ، وسأكتم أنا الأخرى كل شىء !

— « بورك فيك ! بل تحدثى به لكل من يلقاك . . . للناس أجمعين !

— « أنت تتحدين خصومك ! يا للطيش !

— « تحد يسر قوماً آخرين . . .

— « هذا إذا نجح قصدك ، وتم تدبيرك ... على أننى أراك تضربين على غير هدى »

— « حسنا ! سأحاول ، فاذا فشلت فقد أديت واجبى »

— « بل ينبغى ألا يحاول الانسان المحال »

— « ها . ها ... إن كلامك جدير باحتقارى بقدر ما هو خليق بمقت أخيك . . . اصمتى ! على وحدى وزر ما أنا قادمة عليه . . . ولن يحرمنى القضاء من موتةٍ شريفة خالدة ! »

— « لتذهبى ! إنه يبدو لى أن لا سبيل للوقوف بسبيلك ، ياطائشة ! وإن تكن جراءتك آية وفائك وبرهان محبتك ..

( تخرج كل منهما من ناحية )

— ٣ —

ويقبل الخورس ( عجائز طيبة ) فينشدون ويهزجون ، ويتغنون آلام طيبة ذات سبعة الأبواب وأشجانها ، ويرددون ألحان المأساة الباكية . . . مأساة أوديب ، ثم يلمح رئيسهم كريون ، ملك طيبة وطاغيتها . مقبلا ، فيصمت ويصمتون

( يدخل كريون )

— « أيها الأصدقاء ! إخوانى أبناء طيبة الأخيار ! إصغوا إلى ! لقد تمت المأساة ، وانقرض الذكران من نسل لايوس ، وبالأمس ما ضرجوا ثرى الوطن بدماء لا يُرضى الآلهة إهراقها ، وها قد آلت الساطة إلى ، سلطة الحكم ، وسلطان الملك ، وسلطان الملك محك الرجال ؟ وإنى آخذ فيكم بخطة هى الى خيركم أقرب ، وعلى وطنكم أجدى ؛ لا أحب الجبان ، ولا أوقر رجلا يؤثر صالحه أو صالح أصدقائه على صالح الوطن . . . الوطن سفينة الجميع ، فيجب على الجميع هدايته الى شاطىء الأمان ، ويجب أن نزيد دائما فى عظمة طيبة وعنفوانها ومجدها ! ولقد علمتم ما كان من ولدى أوديبوس ، وعرفتم كيف كان إيتوكليز يفدى بنفسه بلاده ، ويرد عنها جحافل الأعداء الذين جردهم عليها بولينيسز . . . الخائن ! الذى أشقى أمته وأهان دولته وكان عليها

# من هنا ومن هناك

## إبسن وأرنولد بنت

كتبنا هنا كلمة عن أثر إبسن فى إحياء الدرامة فى الأقطار الأوربية عامة وانجلترا خاصة ، وأشرنا إلى العلاقة بين إبسن وبين صمويل بطلر صاحب قصة (طريق اللحم) وبين بطلر وبرنردشو وهم جميعاً من أنصار المرأة الذين وقفوا جهود الجبابرة للدفاع عن قضيتها والنضال فى سبيلها لتحصل على أوفر قسط من الحرية التى ما تزال — تحت ضغط التقاليد — محرومة منها إلى اليوم .

وقد كنا نقرأ درامة القصصى الانجليزى الطائر الصيت أرنولد بنت Bennett المسماة (مباراة الحب) The Match of Love فراعنا أن نجد هذا الكاتب العبقرى يحاول محاولة صادقة أن يتمم جهود إبسن ! !

والمعروف أن إبسن كان يعرض فى دراماته لعلل هذا العالم فيشخصها ويعرضها للنظارة ، ولكنه يتركها دون أن يصف لها علاجا ، وأحسن مثال لذلك درامته ( بيت عروس ) The Doll's House التى يعرض فيها حياة الفتاة نورا وما تورطت فيه من غرام بشخص غنى حاولت أن تحصل منه — بسبيل هذا الغرام — على مبلغ من المال يستعين به زوجها المريض على السفر الى الجنوب للاستشفاء مما به من مرض ... ولكن زوجها يكتشف علاقتها بذلك الرجل الغنى فيعاتبها ... ولكنها تثور وتتهمه أنه هو سبب هذا السلوك الذى آلمه منها ، وأنه لم يحسن تكييفها حتى تكون ربة منزل ، وأنها لا بد تاركته لتدرس الدنيا والحياة من جديد ، لأنها ترفض أن تظل الى الأبد (دمية أو لعبة) فى المنزل ، تأكل الشوكولاته ، وتغشى صالات الرقص ، وتقتنى الأزهار ، وهى لا تعرف من الشؤون المنزلية كثيراً أو قليلاً ... فاذا سألها زوجها ولمن تترك تربية الأطفال أبناءها ؟ أجابته إنها تتركهم له أو أنها لا تدرى ... وكيف تربيهم وهى لم تترب ؟ أليس أولى أن تتربى هى أولا ؟ !

وعند هذا تنتهى الدرامة وتنزل الستار !! وبذلك لم يصف لنا إبسن كيف تعالج نورا ؟ أو الى أين تذهب لتحصل على القسط الذى يعوزها من التربية . لذلك راعنا من أرنولد بنت محاولته معالجة هذه الزوجة التى تغرم بأكل الشوكولاته وتولع بالمراقص والمسارح ودور الصور والصالات ، ولا تعرف من أمور منزلها أى شىء حتى ولا كيف تسوس الخدم ! ! وتتلخص درامة بنت فى أن نينا الممثلة البارعة وزوجة مدير مسرح الملك جورج بلندن قد أحبها (روس) أحد كبار الأغنياء الانجليز ، وقد حدث أن أشرف الزوج — مدير المسرح — على الافلاس ، فاضطر لأن يذهب إلى ( روس ) ليقترض منه بضعة آلاف من الجنيهات يصلح بها مالية مسرحه ويحفظه بها من الأغلاق . . وتكون نينا عند روس فى هذه الآونة تساقيه كؤوس الغرام فما يكادان يعلمان بقدومه حتى يصلحا من شأنهما ويتأهبا للقائه ، ويعده روس خيراً وينصرف على ميعاد آخر ، فاذا حان هذا الميعاد أقبل الزوج وكله أمل أنه قابض الآلاف التى

---

شجناً من أشجان الزمان ! من أجل ذلك صدرت إرادتنا أيها الأصدقاء بأن تحتفل طيبة بملكها الراحل احتفالاً يليق بتضحياته العزيزة ، وأن تمشى الأمة بأسرها فى إثره الى مقره الأخير ، حيث يذرف كل منا عبرةً على جدثه الى الأبد قربان المحبة ورمز الاعزاز ! أما بولينيسيز ! فسينبذ بالعراء فتمزقه الكلاب وتغتذى به جوارح الطير . والويلُ كل الويل لمن تحدثه نفسه بدفنه ، أو حثو التراب عليه . . . وسنجزى الظالمين ! ! »

رئيس المنشدين : « كلمتك قانون على الأحياء ، وشريعة من السماء ، أيها الملك العظيم !

— « إذن . فلتكن طيبة كلها عيونا ساهرة على تنفيذ أمرنا ! »

( لها بقية ) دريني خشبة

بتبغيها ، وتكون نينا فى هذه المرة أيضاً بين ذراعى روس ، فاذا دق الجرس وعلم روس أنه هو ، خبأ نينا فى مخدعه واتقى الزوج ... ولكن ثورة من الشرف والكرامة تتفجر فى قلب روس فيصارح الزوج بعلاقته الغرامية بزوجته ، وتخرج الزوجة صعقة ، ويغادر الزوج المنزل ليطلق زوجته ، ويتمالك روس قواه ويتناول التليفون فيخاطب أحد أصدقائه أصحاب الملايين فى إقراض مدير المسرح بضعة آلاف من الجنيهات على أن تحتسب على روس بشرط ألا يعلم مدير المسرح . ويتزوج روس من حبيبته ... ثم يبدأ الدرس القاسى الذى يصلح به سلوكها ويخلق منها زوجة مدبرة وربة منزل بكل ما تحمل الكلمة من معان ؛ وذلك بعد أن تسوءه منها بعض التصرفات التى تدل على طيش النساء اللائى لم يحصلن على أية ثقافة منزلية

يدعى روس أنه جازف فى عمل تجارى ولكنه جر عليه الافلاس ، وأنه مضطر لأن يبيع كل شيء . . . منزله وضياعه وعرباته وكثيراً من ملابسه وأثاثه ليسدد ديونه . . . ولكنه يلقى من نينا كل عطف وتضحية ، فانها بدلاً من أن تتركه لتلوذ بغيره من الموسرين ، تقدم له كل حليها وجواهرها التى تسوى آلافاً كثيرة ... فيسير روس فى درسه ... وينتقل إلى (شقة) حقيرة فى منزل قذر ليعيش فيه عيشة الكفاف ، فلا تأبى نينا أن تقاسمه صرامة هذا العيش ، بل تقوم هى على حاجيات المنزل فتحسن تدبيرها كل الاحسان .. ويكون اليوم السابع والعشرون من الشهر ويحضر محصل (البلدية) من أجل ثمن الغاز فلا يكون مع نينا إلا أربعة بنسات ونصف فينذرها المحصل بقطع التيار إن لم يسدد المبلغ ( باكر ! ) ويحضر روس فتطلب إليه قليلاً من النقود لهذا الغرض فيثور بها ويتهمها أنها غير مدبرة وأنها مسرفة كل الاسراف ، ويطلب إليها أن تطلعه على ( كشف بالمصاريف الشهرية) فتدهش نينا لهذا الطلب ، ولكن روس يداعبها ويطلب منها أن ترتدى أحسن ملابسها لزيارة ( المتحف البريطانى ؟ ! ) ولكنها تكاد تجن لأنها لم تعتد زيارة هذه الأماكن الجدية ... وتأتى أختها آن لزيارتها فيتركهما روس وينصرف ... وتعجب آن لقذارة ( الشقة ) وتسأل أختها لم تسكن هى وزوجها فى مثل هذا الحي الوضيع مع أنه قد أصبح أغنى رجل فى انجلترا ؟

وتضحك نينا وتقول بل إنه أفقر رجل فى انجلترا لأنه أفلس وباع كل ما يملك ليسدد ديونه ؟ ! وتدهش آن وتؤكد لها أن روس قد ربح أمس فقط من صفقة البن البرازيلى سبعة ملايين من الجنيهات ، وأنه لا بد قد تعمد أن يلقنها هذا الدرس فى الاقتصاد والتدبير المنزلى تعمدا ... وتفطن نينا للسر فتثور وتذهب من فورها إلى روس فى محل عمله الذى كان قد أخبرها أنه أغلقه فتجده غارقاً فى أعمال لا حصر لها وتتأكد من صدق ما أخبرتها به آن ... ويعود الجميع إلى قصرهم القديم حيث تجد نينا كل الخدم وكل الخير القديم كما كان ... فتعاتب روس الذى يذهب بها إلى ( دولاب ) مجوهراتها فتجدها سليمة لم تبع ! ! ويعيشان عيشة راغدة جديدة ولكن عيشة كلها جد وعمل ! !

وقد لمحنا أثر إبسن فى أرنولد بنت واضحاً لأنه ذكر (عروس بيت) غير مرة فى ثنايا الدرامة فكأنه كان يقول ( أنا أتمم جهود إبسن ! ! )

## أوجست سترندبرج

وما دمنا قد تحدثنا هذا الحديث عن إبسن النرويجى العظيم فلا بأس من ايراد شيء عن منافسه السويدى الكبير أوجست ستراندبرج الذى كان يهزأ بتعاليم إبسن ويسخط على دفاعه عنها ويعتبر دراماته ضرباً من الجنون والحماقة يجب عرضه فى مستشفيات المجاذيب بدل عرضه فى المسارح .. والسر فى كراهية ستراندبرج للمرأة هو نفس السر الذى جعل الأديب اليونانى الكبير يوربيدز ألد أعدائها منذ أربعة وعشرين قرنا ، فلقد تزوج كل منهما وفشل فى زواجه ثلاث مرات وكانت زوجاتهما هن اللائى طلبن الطلاق وعملن له حتى حصلن عليه ، وبذا كانت نظرة كل من الأديبين الكبيرين للمرأة نظرة سوداء كلها شؤم وكلها موجدة ، وقد وجد يوربيدز من ينتقم منه للمرأة بعد موته وكان ذلك هو أرسطوفان الروائى الفكاهى الخبيث الذى وضع معظم دراماته فى الطعن على يوربيدز والتشهير به وبآرائه . أما ستراندبرج فقد مات ولم يشعر به أحد ، لأن إبسن كان يدعو الى تحرير المرأة دعوة حارة صادقة استجابت لها أوربا بأسرها ، وبدأ العالم كله يستجيب لها حتى فى مجاهل آسيا وأواسط أفريقيا المظلمة

ولد إبسن سنة ١٨٢٨ فى بلدة سكين فى جنوب النرويج ومات سنة ١٩٠٦

وولد ستردبرج فى ستوكهلم سنة ١٨٤٩ ومات سنة ١٩١٢

## هزيمة غاندى وانتصار طاغور

انهزم غاندى ، وأسدل الستار على الفصل الأخير من درامة المهاتما ، ولو قد مات غاندى فى إبان مقاومته لانجلترا فى حركة العصيان المدنى لاعتبره المؤرخون لغزاً كما لو كان نابليون قد مات بعد يينا أوتيلست ... ولكن القدر الساخر يأبى إلا أن يلطخ البطولة ويفضحها ... وذلك بطول العمر !! والحقيقة أن طاغور لم يكن يوماً من الأيام راضياً عن وسائل غاندى ، وكان يتهمه بالتهريج والشعوذة كلما رآه يحبذ كهانات الهند ويدمج عقليته فى صميم عقلية الجماهير . وكانت غضبة طاغور على المهاتما شديدة قاسية سنة الزلزال المشهور الذى خسف جانباً من الأرض ، لأن غاندى عزا الزلزال إلى سخط الآلـه وغضبه ولم يعزه إلى أسبابه الجغرافية التى يتعلمها صغار التلاميذ فى المدارس . ويبدو أن لقب مهاتما أثر أثراً سيئاً فى روح غاندى ، وملأه بشعور النبوة إن لم يكن الألوهية ، ودليل ذلك ادعاءه غير مرة أنه يصوم بأمر الآلـه ... وأنه لم يفعل كذا إلا بعد أن سمع صوت الآلـه يناديه ويناشده . وقد كانت أول هزيمة غاندى فى تجرده من زعامته السياسية وتفرغه للزعامة الاجتماعية ... وبذا فقد الزعامتين جميعاً ، مع أن كثيرين حبذوا تصرف غاندى أول الأمر ولاسيما بعد أن أعلن أنه سيفرد جهاده لخير المنبوذين ... ولكنه ، ويالأسف ، أراد من المنبوذين أن يطيعوا الشرائع ويؤدوا ما فرضت عليهم ... أى أنه لم يحللهم من مبادئ النجاسة ... ثم غلا هو فى امتثاله أوامر دينه فلم يبرح يقدس البقرة ويتبرك بروثها ويتطهر ببولها ... وذلك ما عيّره به ابنه الذى هداه الله إلى الاسلام أخيراً ... والحقيقة أن سلوك غاندى الأخير لا يطاق ، بل كان سبباً فى ثورة الشباب ضده ، وتألبهم عليه ، واعتبارهم إياه سبب ضعف الهند وخضوعها

وفى هزيمة غاندى انتصار لطاغور من غير ريب ... رابندرانات طاغور شاعر الهند وأديبها الأشهر وفنانها العظيم ... الرجل الذى خدم الهند بشهرته العالمية فى دولة الآداب أكثر مما خدمها غاندى بسياسته العقيمة وأساليبه الرجعية الواهية

لقد كان طاغور يمقت من غاندى عداءه للجسم وتوهينه له وتهريجه بروح على حسابه ، وكان يرى أن الجسم نصف الانسان والروح نصفه الآخر ، وأنه ينبغى أن يعنى بهما بمقدار واحد ، لا أن نوهن أحدهما على حساب الآخر ، فليس روح سليم إلا فى جسم سليم ، وقد ظل طاغور يشهر من أدبه أسلحة مهلكة على تعاليم غاندى ، وبذلك تم له الفوز ، وانتشل من يديه شباب بلاده الذين أخذوا يدمنون قراءة قصصه بشغف وتلذذ ، بعد ما كانوا يكرهونها بسبب غاندى

## قصص طاغور

كان طاغور شاعراً قبل أن يكون قصصياً ، وأشعاره هى غناء الروح ، وبلسم القلوب الجريحة ، وشفاء النفوس المكلومة ؛ وأغانيه هى هتاف الغاب ، وموسيقى أحراش البنغال ، ورفيف النسيم الحلو على حقول الأرز فوق عُدْوَتى الكنج ! ومن أمتع أشعاره التى كتبها بالانجليزية ( البستانى Gardener ) حيث تبدو مهارته فى مزج الحب بالبكاء ، والألم بالغزل ، والعبوس بالابتسام

وبين طاغور الشاعر وطاغور القصصى صلة لا تنفصم ، ذلك أنه يضفى روحه الشعرية على قصصه ، فتخرج قصائد طويلة منثورة تنقع غلة القلب ، وتؤدب النفس ، وتسمو بقارئها فوق أدران البشرية ، وتحلق به فى سموات من النقاء والصفاء

بيد أننا نفضل أقاصيص طاغور على قصصه ، وذلك لبراعته التامة فى كتابة القصة القصيرة ، وفشله الذريع فى القصة الكبيرة ؛ فمن يقرأ مثلاً روايته (الضحية) ، أو (وكيل البريد) ، أو (خالتى) ، أو (الناسك) ... ... الخ يروعه من طاغور ذلك الخيال الخصب ، والتفكير العميق ، والفن الكامل فى كتابة القصة أو الرواية

ولكننا ، بكل أسف ، حينما قرأنا قصته الطويلة ( الغرق ) (The Wreck) وجدناه ينحدر عن ذروته السامية التى كان يحلق فوقها فى القصة القصيرة ، وذلك لأنه كان كلما وقع خلال القصة فى ورطة ، أو وصل إلى عقدة لم يجد منها مخرجاً الا بالركون الى ( الصُّدفة ) ، ولذا كانت القصة كلها مصادفات قللت كثيراً من قيمتها كقصة من فن طاغور . ذلك بالرغم مما فيها من طلاوة الأسلوب وحلاوة الروح الشعرى الجميل الأخاذ

( د . خ )

# البريد الأدبي

## العيد المئوى للصحافة الشعبية

نشأت الصحافة الحديثة منذ نحو قرن ونصف قرن ، وكثير من الصحف الأوربية الكبرى قد جاوز العيد المئوى ؛ ولكن الصحافة الشعبية أو بعبارة أخرى الصحافة المعاصرة التي نقرؤها اليوم ترجع إلى مائة عام فقط ؛ وكانت الصحف قبل مائة عام أداة من أدوات الترف ، لا يحرزها سوى الأغنياء ، وكانت في الغالب صحفاً أدبية فلسفية ، قلما تفسح لما نسميه اليوم بالأخبار المحلية مجالا كبيراً . وقد أدرك سر هذا النقص صحفي فرنسي بارع هو أميل دى جيراردان ؛ وكان كاتباً ساحر الأسلوب بدأ حياته الأدبية بإصدار رواية عنوانها « أميل » يقص فيها سيرة حياته ؛ ثم خطر له أن يصدر مجلة أسبوعية أدبية ، ينقل فيها أحسن المقالات والقصص عن الصحف الأخرى وسماها « السارق » دلالة على خطتها في النقل ؛ بيد أنه تطرف بعد ذلك إلى مشروع أهم ، فقد خطر له أن يصدر صحيفة يومية شعبية رخيصة الثمن تحتوى على أهم الأخبار الأخيرة ؛ وفي أوائل يوليه سنة ١٨٣٦ ، أعني منذ مائة عام ، أصدر جيراردان جريدة الصحافة La Presse وقدمها للجمهور بنصف الثمن المعتاد وجعل اشتراكها السنوى أربعين فرنكا فقط ، فكانت فكرته فتحاً جديداً في عالم الصحافة ، ولأول مرة أقبل الجمهور المتوسط على اقتناء الصحف ، واستطاع لأول مرة أن يقرأ الأخبار الأخيرة بصورة منتظمة متوالية

وكان هذا بدء الصحافة المعاصرة التي تطورت حتى أصبحت بمحتوياتها الأدبية والخبرية ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية

## طبعة جديدة من الأنيس المطرب

تصدر الآن بالمغرب الأقصى ( بمدينة الرباط ) طبعة جديدة لتاريخ ابن أبي زرع الفاسي المسمى « الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » ؛ وقد ظهر من هذه الطبعة الجديدة الجزء الأول ، وحققه وعلق عليه الأستاذ محمد الهاشمي الفيلالي من أدباء فاس ، وأخرجته شركة النشر المغربية التي ألفت أخيراً بالمغرب من بعض الأدباء لتعنى بإحياء الآداب المغربية

وتاريخ ابن أبي زرع مشهور بين التواريخ المغربية ، وهو يتناول تاريخ المغرب ودوله منذ دولة الأدارسة إلى زمن المؤلف ( سنة ٧٢٦ هـ ) ؛ وقد ظهر لأول مرة في مدينة أوبسالا في السويد محققاً بعناية المستشرق كارل تورنبرج ، ومقروناً بترجمة لاتينية ( سنة ١٨٤٣ — ١٨٤٦ ) ؛ ثم طبع بعد ذلك بفاس أكثر من مرة . ولكن هذه الطبعات جميعها كانت مشحونة بالأخطاء التاريخية واللغوية ؛ ولهذا رأى بعض أدباء المغرب أن الوقت قد حان لاظهاره في ثوب جديد

وقد تصفحنا الجزء الذي صدر منه الطبعة الجديدة فألفينا فيه أثر العناية بالتحقيق والتصحيح ، وهو يقع في أكثر من مائة وثمانين صفحة من القطع الكبير ، ويشمل تاريخ المغرب حتى أوائل القرن الخامس الهجري ( سنة ٤١٠ هـ )

فنرجو لاخواننا الأدباء المغاربة كل توفيق ونجاح في مشروعهم الأدبي ؛ ونرجو أن يتلو إخراج الأنيس المطرب اخراج بعض الآثار المغربية الأخرى ، ولا سيما المخطوط منها

## وفاة الدكتور سنوك هور جرونيه المستشرق الهولندي

توفى في ليدن المستشرق الهولندي الدكتور سنوك هور جرونيه يوم السبت ٤ يوليو في الحادية والثمانين من عمره

وقد ولد في ٨ فبراير سنة ١٨٥٧ ، وبعد ما أتم دراسته العالية في علوم الفقه واللغات الشرقية رحل إلى بلاد العرب ، وكانت رحلته اليها متأخرة عن رحلة السر رتشرد برتون المشهورة نحو ثلاثين سنة ، فتمم بالمعلومات التي جمعها معلومات السر تشرد برتون ومباحثه

نزل في جدة في خريف سنة ١٨٨٥ ، فقضى على سواحل

البلاد خمسة أشهر قبل أن يقصد إلى مكة المكرمة فى زى طبيب عالم ، فقضى فى مكة خمسة أشهر درس فى خلالها المجتمع العربى هناك بين وصول قوافل الحجاج ورجوعها ، ولولا وشاية قنصل فرنسا به لاستطاع أن يطيل اقامته هناك ، ولكن قنصل فرنسا أنبأ السلطات التركية بوجود هورجرونيه فى مكة فأخرج منها وفى سنة ١٨٨٨ — ١٨٨٩ أصدر كتابه «مكة» فى مجلدين وقد جاء وصفه لمدينة الكعبة مؤيداً لدقة وصف بوخاردث ؛ أما وصفه للمجتمع العربى فى مكة فكان دقيقاً ومسهباً : وصف الأسواق والعبيد والأماكن المقدسة وحرامها والبيوت والأعياد والولائم والفضائل والنقائص ، وكان بحثه فى حياة المدن ببلاد العرب مدققاً ؛ ولكن يقال أنه كان يعوزه شىء من العطف لكى يخرج تاماً ، وهذه الصفة صفة العطف مكنت بالجريف ودرطى من الامتياز والتفوق فيما كتباه عن حياة الجزيرة

وبعد ما أتم هورجرونيه كتابه عن بلاد العرب رفض أن يعين أستاذاً للغة العربية فى جامعة كمبردج خلفاً للأستاذ روبرتسن سمث ، وكذلك رفض ما عرض عليه من هذا القبيل فى ألمانيا وليدن ، مفضلاً أن يمضى فى دراساته الاسلاميـة فى جزائر الهند الشرقية التابعة لهولندا حيث بقى بضع سنوات مستشاراً للحكومة فى الشؤون الاسلامية

وعاد الى هولندا سنة ١٩٠٦ وقبل أن يشغل منصب أستاذ للغة العربية فى جامعة ليدن . وفى سنة ١٩٠٧ عين مستشاراً فى الشؤون الهنـدية والعربية لحكومة جزائر الهند الشرقية الهولندية

## مجلة خاصة لمسائل الأجناس

صدرت أخيرا بمدينة شتوتجارت بألمـانيا مجلة خاصة لمسائل الأجناس بعنوان « مجلة لمباحث الأجناس Zeitechrift fur Rass-enkunde » ؛ والمعروف أن مسألة الأجناس تتخذ فى ألمانيا الحاضرة أهمية خاصة ؛ وأنها فى مقدمة النظريات الهتلرية التى تسيطر اليوم على ألمـانيا ، وأن الآرية وغير الآرية أصبحت أساس الدولة النازية الحاضرة ، وأساس الاضطهاد المنظم الذى تنظمه ألمانيا ضد اليهود وضد جميع الأجناس السامية ؛ ومن ثم فقد أضحت المباحث والنظريات الخاصة بالأجناس فى مقـدمة المسائل التى يعنى بها الـكتاب والعلماء الألمان اليوم ؛ وقد صدر من المجلة المشار اليها عددان حافلان بهذه المباحث ؛ ويحررها الدكتور فون ايكشتيت ، وافتتحها يبحث من قلمه يذهب فيه الى أن نظريات الأجناس قد تطورت اليوم تطورا عظيما ؛ فمنذ عصر « تيربك » حيث كانت الجمجمة البشرية تقـاس فى مائة موضع لكى تعرف خواصها ، نرى علم الأجناس اليوم يميـل الى الحياة ، ويميل بالأخص الى بحث الخواص العامة ؛ وعرض الى مسألة الذكاء ، وكونه هبة لبعض الأجناس ؛ وكون الموهوبين يهاجرون دائماً من القرية الى المدينة ، فتقفر القرية دائماً من الذكاء الموهوب ؛ وهذا عامل يسىء فى تكوين المجتمع الحاضر ؛ وفى المجلة الحاضرة بحوث أخرى فى هذا الباب لأشهر العلماء الألمان الذين يشتغلون بها

## كتاب جديد لمسيو هانوتو

المسيو هانوتو الوزير الفرنسى السابق مؤرخ كبير ، وله عدة مؤلفات تاريخية قيمة ، وقد اشترك فى وضع بعض أجزاء سلسلة التاريخ المصرى التى تصدر بالفرنسية ، وإن كان هذا الاشتراك لم تسفر عنه نتائج علمية باهرة . وقد أصدر أخيراً كتاباً عن علائق نابليون وأسرة بوهارنيه الشهيرة التى تنتمى اليها زوجته الأولى جوزفين بوهارنيه عنوانه « آل بوهارنيـــه والأمبراطور » Lss Beauharnais et l' Empreur وكان قد نشر قبـل ذلك كتاباً عن الملكة هورتنس ابنـة جوزفين من زوجها الأول ، وفى الكتاب الجديد يقدم الينا مسيو هانوتو سلسلة من الرسائل التى وجهتها جوزفين الى ولدها البرنس أوجين ؛ وتلقى هذه الرسائل كبير ضوء على الصراع الذى كان ناشباً وراء الستار بين آل بونابارت ( أسرة الأمبراطور ) وبين آل بوهارنيه ( أسرة الأمبراطورة ) ؛ وقد كانت أسرة الأمبراطورة دائماً على أهبـة للتفاهم والوفاق كما يدل على ذلك خطاب من جوزفين لولدها تقول فيه : « إن أولئك الناس لا حق لهم جميعاً فى بغضنا ، ولو أحسنوا موقفهم لـما وجدوا أصدقاء أخلص منا »

وقد كان نابليون يدافع دائماً عن جوزفين حتى بعد طلاقها منه ، وكانت جوزفين تخلص له دائماً حتى بعد زواجه ؛ ولـكنها بعد مصائب سنة ١٨١٤ ، أدركت أن الخاتمة قد وقعت ، وكتبت إلى ولدها تقول له إنه غدا حراً لا تربطه نحو الأمبراطور رابطة ولاء بعد ، وأنه يستطيع أن يعمل لأسرته بعد أن اختفى الأمبراطور من الميدان ؟

4 me Année, No. 159.

Lundi - 20 - 7 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٩ « القاهرة فى يوم الاثنين أول جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ — ٢٠ يوليه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد



## «إلى صاحب السعادة المحافظ»

أمين افندى الحاوى (كاتب عمومى) له فى هذه الصناعة القدم الأولى والمكان المنفرد . حفظ فى صدر أيامه كتابَىْ : (إنشاء العطار ، للمحبين والتجار) ، و (أبدع الأساليب ، فى العرائض والمكاتيب) ، وهما كتابان يجمعان أعاجيب شتى مما يخطر للبُكْم من أهل الهوى ، ويعرض للجهال من ذوى الحاجة . ثم دخل الجندية فى (قرعة الخديو عباس) ، وهى القرعة التذكارية التى طُلب فيها لِدَاتُه (للجهادية) ؛ فكان يكتب لرفاقه الجنود رسائل الشوق والعشق والسلام كلَّ رسالة بنصف قرش . فلما خرج من الجيش العامل إلى (الرديف) سلك نفسه فى نظام (البوليس) تسع سنين كوامل ، ازداد فيها علماً بطرائق النظام وطوائف الحكام وأحوال المجتمع ؛ وكان من الممكن أن يتقلب فى نعيم الشرطة مدة أطول ، لو لا أن خيرها الدّفاق فى يده من الشوارع والحوانيت قد فاض على جسمه فتراكب لحمه ، وتدلى بطنه ، واستغار فيه الشحم حتى كاد ينقطع قيامه ، فلم يكن بد من الحكم عليه بهذه الحجة القائمة على طِماح عينه ، وطول يده ، وقعود همته ؛ فخرج إلى حياة (التحرير) ، وهى منذ شب حديث عبقريته ومطامح أمانيه ، واتخذ له مكتباً تحت السماء أمام (سراى المحافظة) ، وألقى حبله الموهوبة والمكسوبة فى غمرة الحياة وزحمة العيش ، فعادت له بالشهرة الرابحة فى دنيا القضايا والشكايا والسمسرة . فكانت العريضة أو الرسالة أو (الكمبيالة) التى يحررها الحاوى ، أملاً لحرفائه فى ضمان الفوز ، ومثلاً لزملائه فى فن

٦ - ٧

الكتابة . ثم تدخّل فى زوايا البيوت ، وتغلغل فى طوايا السرائر ، وتبسّط على موائد الأنس ، وتفنن فى أساليب الوساطة ؛ فكان دليل « الخاطب » ، ونديم الشارب ، وسلوة المحزون ، وسمسار المشترى ، ووكيل المدعى ، وسفير الخصوم ، ورسول الأحبة . تراه أكثر النهار على مقعده الخشبي الضيق فى جلباب فضفاض من الكستور المخطط ، ومعطف رقيق من النسيج المهلهل ، ورغائب الناس تنثال عليه انثيال النحل الماسلة على الخلية الضخمة : هذا صاحب مظلمة يريد عرض حال ، وذاك طالب مصلحة يتلمس طريق المسعى ، وتلك زوجة هاجر أو حبيبة فاجر تطلب المعونة من قلمه أو لسانه ، وهذا رافع دعوى يرغب توكيل شام ، وذلك زميل عجلان يطلب كلمة لغوية أو جملة نحوية يزين بها رسالته الغالية الثمن (لزبونته) الرفيعة القدر ، وأمين الأريب فى يده قلم ، وفوق أذنه قلم ، وعلى شفته بسمات تتعاقب مختلفاتٍ فى السمة واللون والدلالة ، يتلقى كل طالب برغبته ، وكل سائل بجوابه . وهو بعد ذلك لكثرة ما يغشى بيوت النـاس عارف بأحاديث الأسَر ، عالم بأحداث المجامع ، خبير بألوان المطاعم ؛ فعنده قصة كل زوجين ، وخبر كل صديقين ، وخصيصة كل صحفة من صحاف المائدة ؛ فالقرع شفاء من كل داء ، والرز نصيب الأرض من حقول السماء ؛ وفى الكبد خروق لا تسدها إلا الملوخية ، وفى الجسم عروق لا يُنبضها إلا الكنافة

* * *

من عادة أمين افندى أن يزورنا كما يزور غيرنا حيناً بعد حين ، فيمتّعنا ساعة بأخباره وأسراره ونوادره ، ثم ينصرف وتحت إبطه رزمة مما تكدّس عندنا من المجلات المقروءة . دخل علينا أمس جاداً على غير عادته ، وقوراً على خلاف طبعه ؛ ولم يكد يلقى التحية حتى ألقى إلىّ فى شىء من الزهو صحيفة مسطرة من ورق (العرائض) وفى رأسها بقلم الثلث : (إلى صاحب السعادة المحافظ) ، وفى ذيلها بقلم الرقعـة : (ابن الحاوى) ، وقال :

كتاب مفتوح إلى سعادة المحافظ عن طريق الرسالة . أتنشره أم تطويه ؟

فقلت له : وماذا تريد من سعادة المحافظ يا أمين افندى ؟

فقال : قرأت فى الصحف أنه ألغى (مصايف الأطفال) ، فهزنى الخبر ، وملكتنى شهوة الكلام ، فكتبت إليه هـذا الكتاب أريد منه أن يضيف نقطة من بحر كرمه إلى (مصايف) ، فتصبح بفضله (مضايف) ! والكتاب بين يديك فاقرأ

قرأت الكتاب فى غَمْرٍ من أحاسيس شتى تتلون تباعاً بالاعجاب والانكار ، والحزن والضحك ، والانفعال والتبلد ؛ ثم قلت له : إنى أقبل كتابك موضوعاً وأرفضه شكلا ، لأنك عرفت كيف تفكر ، ولم تعرف كيف تعبر ؛ ولغة الدواوين وأسلوب (العرائض) لا يدخلان من أبواب الرسالة ؟

فقال وقد طغى فى وجهه الدم ، ونزا فى رأسه الغضب ، وانتشر على شفتيه شاربه الأزرق : كيف ! لقد حفظت الكفراوى ، ولزمت الشيخ عليش ، وصحبت الشيخ رشيد ، وجادلت الأستاذ وجدى ، وقضيت فى (التحرير) أربعين عاماً ! أفتجابهنى بعد ذلك بأننى لا أعرف كيف أكتب ؟ ! فقلت له : هون عليك ! سأكتب لك هذا الكتاب بلغة المجلات فإن أعجبك أمضيته . ثم شرعت أكتب : « صاحب السعادة محافظ القاهرة :

« يتقدم اليك بهذه الكلمة والد فقير كابد من نصب العيش وعنت البؤس وتربية الأولاد ما جعله مثلاً صحيحاً لآلام طبقته . إنك ألغيت (مصايف الأطفال) فألغيت حقاً كسبه الفقير من الغنى ، وأخذته العامة من الخاصة . كان هذا الحق لنقصه وقصوره كنظرة أهل النار إلى أهل الجنة يضاعف ألم الحرمان ويجسم شقاء البؤس ، ولكنه على أية حال كان ترضية لكرامة الشعب

ولقـد كان فى نفسى أن أطلب الى وزارة الأمة أن تجعل المصايف مضايف تؤْوى شرداء الطفولة وطرداء الفاقة ، فتنقلها بذلك من الخصوص الى العموم ، وتحولها من تملق الكمال إلى معالجة الضرورة . فأفاريز الشوارع وأفواه الطرق وزوايا الأبنية مغطاة فى الليل القارس القاسى بجسوم اليتامى والهمل من أطفال القاهرة ، تترعرع فى أحضانهم القذرة أغراس الرذيلة ، وتتكاثر على روائحهم الكريهة جراثيم المنكر ، والملاجئُ وحدها علاج هذه الحال الأليمة . فاذا كان هذا الالغاء لسد هذا الخلل وإصلاح هذا الفساد ، فما عدوْت الصواب ولا أخطأت الحزم ؛ وأما ان كان لقلة المـال أو ضعف الرغبة فقد قضيت على فكرة جملة واعتديت على حق مقدس . . . . » . . .

وكان أمين قد سكت عنه الغضب ، فنظر فيما أكتب ثم قال منفعلاً : ما هذا ؟ أين (الديباجة) ؟ وأين ما يجب لمثل هذا العظيم من عبارات التفخيم ؟ أرجو ألا تكمل ! سآخذ كتابى وأسلمه الى الباشا يداً بيد ! فقلت له : أرحتنى أراحك الله ! وسلمته الكتاب يداً بيد ، ثم صافحته يداً بيد . وخرج الحاوى وأنا أرجع أنى كسبت عدواً جديداً من جرَّاء النشر فى الرسالة

احمد حسن الزيات

# أحلام فى قصر (١)

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

كان فلانُ بن الأمير فلان يتنبَّلُ فى نفسه بأنه مشتقٌ ممن يضع القوانين لا ممن يخضع لها ، فكان تيَّاهاً صلِفاً يشمَخُ على قومه بأنه ابن أمير ، ويختال فى الناس بأن له جَدًّا من الأمراء ، ويرى من تَجَبُّرِه أن ثيابه على أعطافه كحدود المملكة على المملكة لأن له أصلاً فى الملك

وكان أبوه من الأمراء الذين وُلدوا وفى دمهم شعاعُ السيف وبريق التاج ، ونخوةُ الظفر ، وعزُّ القهر والغلبة ؛ ولكن زمنه ضربَ الحصارَ عليه ، وأفضت الدولةُ إلى غيره فتراجعت فيه ملَكاتُ الحرب من فتح الأرض إلى شراء الأرض ، ومن تشييد الامارات إلى تشييد العمارات ، ومن إدارة معركة الأبطال إلى إدارة معركة المال ؛ وغَبَرَ دهرَه يملك ويجمع حتى أصبحت دفاتر حسابه كأنها (خريطة) مملكة صغيرة

وبعض أولاد الأمراء يعرفون أنهم أولاد أمراء فيكونون من التكبر والغرور كأنما رضوا من الله أن يرسلهم إلى هذه الدنيا ولكن بشروط ....

***

وانتقل الأمير البخيل إلى رحمة الله ، وترك المال وأخذ معه الأرقام وحدها يحاسَب عنها ، فورثه ابنه وأمَرَّ يدَه فى ذلك المال يبعثره ؛ وكانت الأقدار قد كتبت عليه هذه الكلمة : غير قابل للاحسان . فمحتها بعد موت أبيه ، وكتبت فى مكانها هذه الكلمة : جُمع للشيطان

أما الشيطان فكان له عمل خاص فى خدمة هذا الشاب ، كعمل خازن الثياب لسيده ، غير أنه لا يلبسه ثياباً بل أفكاراً وآراءً وأخيلةً . وكان يجهد أن يُدخل الدنيا كلها إلى أعصابه ليخرج منها دنيا جديدة مصنوعة لهذه الأعصاب خاصة ، وهى أعصاب مريضة ثائرة متلهبة لا يكفيها ما يكفى غيرها فلا تبرح تسأل الشيطان بين الحين والحين : ألا توجد لذة جديدة غير معروفة ؟ ألا يستطيع ابليس القرن العشرين أن يخترع لذة مبتكرة ؛ ألا تكون الحياة إلا على هذه الوتيرة من صبحها لصبحها ؟

كان الشاب كالذى يريد من إبليس أن يخترع له كأساً تسع نهراً من الخمر ، أو يجد له امرأة واحدة وفيها كل فنون النساء واختلافهن . وكان يريد من الشيطان أن يعينه فى اللذة على الاستغراق الروحانى ويغمره بمثل التجليات القدسية التى تنتهى اليها النفس من حِدَّة الطرب وحدَّة الشوق ؛ وذلك فوق طاقة إبليس ، ومن ثم كان معه فى جهد عظيم حتى ضجر منه ذات مرة فهمّ أن يرفع يدَه عنه ويدعه يدخل إلى المسجد فيصلى مع بعض الأمراء الصالحين

وهؤلاء المُسْتَقُ الكثيرو المال إنما يعيشون بالاستطراف من هذه الدنيا ، فهمُّهم دائماً الألذُّ والأجمل والأغلى ؛ ومتى انتهت فيهم اللذة منتهاها ولم تجد عاطفتُهم من اللذات الجديدة ما يسدُّها ضاقت بهم فظهرت مظهر الذى يحاول أن ينتحر . وذلك هو الملل الذى يُبتلون به .. والفاسق الغنى حين يمل من لذاته يصبح شأنه مع نفسه كالذى يكون فى نفَق تحت الأرض ويريد هناك سماءً وجواً يطير فيهما بالطيارة . . .

***

قالوا : واعترض ابنَ الأمير ذات يوم شحاذٌ مريض قد أسنَّ وعجز يتحامل بعضه على بعض ، فسأله أن يحسن إليه وذكر عَوَزَه واختلاله وجعل يَبُثُّه من دموعه وألفاظه . وكان إبليس فى تلك الساعة قد صرف خواطر الشاب إلى إحدى الغانيات المتمنعات عليه وقد ابتاع لها حلية ثمينة اشتطَّ بائعها فى الثمن حتى بلغ به عشرة آلافِ دينار ، فهو يريد أن يهديها إليها كأنها قدرٌ من قادر . . . وقطع عليه الشحاذ المسكين أفكاره المضيئة فى الشخص المضىء فكان إهانةً لخياله السامى ... ووجد فى نفسه غضاضةً من رؤية وجهه واشمأز فى عروقه دمُ الامارة وتحركت الوراثة الحربية فى هذا الدم

ثم ألقى الشيطانُ إلقاءَه عليه ، فاذا هو يرى صاحب الوجه القذر كأنما يتهكم به يقول له : أنت أمير يبحث الناسُ عن الأمير الذى فيه فلا يجدون إلا الشيطان الذى فيه . وليس فيك من الامارة إلا مثلُ ما يكون من التاريخ فى الموضع الأثرىّ الخرب . ولن تكون أميراً بشهادة عشرة الآلاف دينار عند مومس . ولكن بشهادة هذا المال عند عشرة آلاف فقير .

(١) كتبنا مقالة ( أحلام فى الشارع ) وهى فى السنة الثانية من الرسالة

أنت أمير ، فهل تُثبت الحياة أنك أمير أو هذا معنى فى كلمة من اللغة ؟ إن كانت الحياة فأين أعمالك ، وإن كانت اللغة فهذه لفظة بائدة تدل فى عصور الانحطاط على قسط حاملها من الاستبداد والطغيان والجَبَروت ، كأن الاستبداد بالشعب غنيمة يتناهبها عظاؤه ، فقسمٌ منها فى الحاكم وقسم فى شبه الحاكم يُترجم عنه فى اللغة بلقب أمير

ألا قل للناس أيها الأمير : إن لقبى هذا إنما هو تعبير الزمن عما كان لأجدادى من الحق فى قتل الناس وامتهانهم

* * *

وكان هذا كلاماً بين وجه الشحاذ وبين نفس ابن الأمير فى حالة بخصوصها من أحوال النفس ، فلا جَرَم أُهين الشحاذ وطرد ومضى يدعو بما يدعو

ونام ابن الأمير تلك الليلة فكانت خَيالتُه [1] من دنيا ضميره وضمير الشحاذ : فرأى فيما يرى النائم أن ملكا من الملائكة يهتف به :

ويلك ! لقد طردت ذلك المسكين تخشى أن تنالك منه جراثيم تمرض بها ، وما علمت أن فى كل سائل فقير جراثيم أخرى تمرض بها النعمة ؛ فان أكرمتَه بقيتْ فيه وإن أهنته نَفَضها عليك . لقد هلكت اليوم نعمتك أيها الأمير واستردَّ العاريةَ صاحبها وأكلت الحوادثُ مالك فأصبحت فقيراً محتاجاً تروم الكسرة من الخبز فلا تتهيأ لك إلا بجُهد وعمل ومشقة ؛ فاذهب فاكدح لعيشك فى هذه الدنيا فما لأبيك حق على الله أن تكون عند الله أميراً

قالوا : وينظر ابن الأمير فاذا كلُّ ما كان لنفسه قد تركه حين تركه المال ، وإذا الامارة كانت وهماً فرضه على الناس قانون العادة ، وإذا التعاظم والكبرياء والتجبر ونحوها إنما كانت مكْراً من المكْر لاثبات هذا الظاهر والتعزُّز به . وينظر ابن الأمير فاذا هو بعد ذلك صعلوكٌ أبتر مُعْدِم رثُّ الهيئة كذلك الشحاذ ، فيصيح مغتاظاً : كيف أهملتنى الأقدار وأنا ابن الأمير ؟

قالوا : ويهتف به ذلك الملك : ويحك إن الأقدار لا تدلّل أحداً لا ملكا ولا ابن ملك ولا سوقياً ولا ابن سوق ، ومتى صرتم جميعاً إلى التراب فليس فى التراب عظمٌ يقول لعظم آخر : أيها الأمير

* * *

قالوا : وفكر الشاب المسكين فى صواحبه من النساء وعندهن شبابه وإسرافُه ، ونفقاته الواسعة فقال فى نفسه : اذهب لاحداهن ؛ وأخذ سمته إليها فما كادت تعرفه عيناها فى أسماله وبذاذته وفقره حتى أمرت به فجُرَّ بيديه ودُفع فى قفاه . ولكن دم الامارة نزا فى وجهه غضباً وتحركت فيه الوراثة الحربية فصاح وأجلب واجتمع الناس عليه واضطربوا وماج بعضهم فى بعض . فبينا هو فى شأنه حانت منه التفاتة فأبصر غلاماً قد دخل فى غُمار الناس فدسَّ يده فى جيب أحدهم فنشل كيسه ومضى

قالوا : وجرى فى وهم ابن الأمير أن يلحق بالغلام فيكْبِسَه كبسةَ الشرطى وينتزع منه الكيس وينتفع بما فيه ؛ فتسلل من الزحام وتبع الصبى حتى أدركه ، ثم كَبَسَه وأخذ الكيس منه وأخرج الكنز فاذا ليس فيه إلا خاتم وحجاب وبعض خرزات مما يتبرك العامة بحمله ومفتاح صغير . . .

فامتلأ غيظاً وفار دمُ الامارة وتحركت الوراثة الحربية التى فيه . وألم الصبى بما فى نفسه وحَدَسَ على أنه رجلٌ أفاقٌ متبطل لا نفاذَ له فى صناعة يرتزق منها ، فرثى لفقره وجهله ودعاه إلى أن يعلمه السرقة وأن يأخذه إلى مدرستها . وقال : إن لنا مدرسة فاذا دخلتَ القسم الاعدادىّ منها تعلمت كيف تحمل المِكْتَل [1] فتذهب كأنك تجمع فيه الخرَق البالية من الدُّور حتى إذا سَنَحَتْ لك غفلة انسللت إلى دار منها ، فسرقت ما تناله يدك من ثوب أو متاع ، ولا تزال فى هذا الباب من الصنعة حتى تحكمه ، ومتى حذقتَه ومهرت فيه انتقلت إلى القسم الثانوى . . .

فصاح ابن الأمير : أغرب عنى ، عليك وعليك ، أخزاك الله ! ولعن الله الاعدادى والثانوى معاً

ثم إنه رمى الكيس فى وجه الغلام وانطلق ، فبينا هو يمشى وقد توزَّعته الهموم أنشأ يفكر فيما كان يراه من المكَدّين وتلك العلل التى ينتحلونها للكُدية كالذى يتعامى والذى يتعارج والذى يحدث فى جسمه الآفة ؛ ولكن دم الامارة اشمأز فى عروقه

(١) الخيالة : ما يتراءى للنائم من الأشباح فى نومه

(١) هو كالقفة يعمل من الخوص

وتحركت فيه الوراثة الحربية ؛ وبَصر بشاب من أبناء الأغنياء تنطق عليه النعمة فتعرّض لمعروفه وأفضى إليه بهمّه وشكا ما نزل به ثم قال : وإني قد أمّلتك وظني بك أن تصطفيني لمنادمتك أو تلحقني بخدمتك ، وما أريد إلا الكفافَ من العيش ، فان لم تبلغ بي فالقليل الذي يعيش به المُقِلّ . وصعّد فيه الشاب وصوّب ثم قال له : أتحسن أن تلطف في حاجتي ؟ قال : سأبلغ في حاجتك ما تحب . قال الشاب : ألك سابقة في هذا ؟ أكنت قوّاداً ؟ أتعرف كثيرات منهن . . . . ؟

فانتفض غضباً وهمّ أن يبطش بالفتى لولا خوفه عاقبة الجريمة ، فاستخذى ومضى لوجهه ، وكان قد بلغ سوقاً فأمّل أن يجد عملاً في بعض الحوانيت ، غير أن أصحابها جعلوا يزجرونه مرة ويطردونه مرة ، إذ وقعت به ظِنّةُ التلصّص ، وكادوا يسلمونه الى الشرطي فمضى هارباً وقد أجمع أن ينتحر ليقتل نفسه ودهره وامارته وبؤسه جميعاً

قالوا : ومر في طريقه الى مصرعه بامرأة تبيع الفُجل والبصل والكرات وهي بادنة وضيئة ممتلئة الأعلى والأسفل ، وعلى وجهها مسحة إغراء ، فذكر غزله وفتنته واستغواءه للنساء ، ونازعته النفس ، وحسب المرأة تكون له معاشاً ولهواً ، وظنها لا تُعجزه ولا تفوته وهو في هذا الباب خرّاجٌ ولاّجٌ منذ نشأ ، غير أنه ما كاد يراودها حتى ابتدرته بلطمة أظلم لها الجو في عينيه ، ثم هرّت في وجهه هريراً منكراً واستعْدَت عليه السابلة فأطافوا به وأخذه الصفع بما قدم وما حدث ، وما زالوا يتماورونه حتى وقع مغشياً عليه

ورأى في غشيته ما رأى من تمام هذا الكرب فضُرب وحُبس وابتلي بالجنون وأرسل الى المارستان وساح في مصائب العالم وطاف على نكبات الأمراء والسُّوقة بما يعي وما لا يعي ، ثم رأى أنه قد أفاق من الاغماء فاذا هو قد استيقظ من نومه

* * *

ويا ليت من يدري بعد هذا ! أغدا ابنُ الأمير على المسجد وأقبل على الفقراء يحسن إليهم ، أم غدا على صاحبته التي امتنعت عليه فابتاع لها الحلية بعشرة آلاف دينار ؟

يا ليت من يدري ! فان الكتاب الذي نقلنا القصة عنه لم يذكر من هذا شيئاً بل قطع الخبر عند ما انقطع الصفع .....

( طنطا ) مصطفى صادق الرافعي

*فوز نسوى جديد*

# ملكات ووزيرات

## بين الماضي والحاضر

للأستاذ محمد عبد الله عنان

منذ فجر التاريخ استطاعت المرأة أن تتبوأ الملك وأن تحكم الشعوب ؛ وهي ما زالت تتبوأ الملك وتحكم الشعوب في عصرنا ويقدم الينا التاريخ منذ العصور الغابرة ثبتاً حافلاً من ملكات عظام شغلن عروشاً خطيرة ، وألقيت اليهن مصاير أمم وشعوب عظيمة ، وقمن بتدبير الملك وقيادة الجيوش ؛ ففي مصر الفرعونية ، وفي مملكة سبأ ، وفي تدمر ، يتبوأ الملك نساء قويات العزم والشكيمة ؛ وفي مصر أيضاً نرى ملكة رائعة الحسن هي كليوباترا تحاول رد الغزو الروماني عن مصر ، وتفتدي الهزيمة بالحياة ؛ ثم نرى في عصر الاسلام ملكة مصرية هي شجرة الدر تنظم شؤون الدفاع عن مصر إزاء الخطر الصليبي ؛ ونرى في الغرب ، وفي العصر الحديث ، عدة من الملكات العظيمات يسهرن على مصاير أعظم الأمم الأوربية مثل ازابيلا ملكة قشتالة ، وماري تيودور واليصابات ملكتا انكلترا ، وكاترين الكبرى امبراطورة روسيا ، وماريا تريزا امبراطورة النمسا وفي أيامنا تتبوأ عرش هولندة أميرة عظيمة هي الملكة ولهلمينا ؛ بيد أنه من غرائب الاتفاق ومفارقات الحوادث أن المرأة التي وصلت منذ العصور الغابرة إلى تبوء العروش وقيادة الدول ما زالت تناضل في عصرنا للحصول على أبسط الحقوق العامة التي يتمتع بها الرجل ، فاذا ظفرت ببعض هذه الحقوق في بلد من البلاد اعتبر ذلك فوزاً عظيما لقضيتها

وقد وقع أخيرا في فرنسا حادث يعتبر فوزاً عظيما للحركة النسوية ؛ ففي الوزارة الفرنسية الجديدة التي يرأسها زعيم الاشتراكية الفرنسية ، مسيو ليون بلوم ثلاث نساء يشغلن مركز الوزارة ، وهن مدام سيسيل برونشفيج إحدى زعيمات الحركة النسوية الفرنسية ، ومدام ايرن كوري العالمة الكيميائية

الشهيرة ، ومدام سوزان لاكور الكاتبة الاشتراكية التى اشتهرت بجهودها فى سبيل حماية الطفولة

وهـذه أول مرة فى تاريخ فرنسا تتبوأ فيها المرأة كرسى الوزارة ؛ ويزيد الحادث غرابة وطرافة أن أولئك النسوة الوزيرات لا زلن كباقى نساء فرنسا ، محرومات بنص الدستور من مزاولة أبسط الحقوق العامة ، أعنى حق الانتخاب ، وهو حق تجاهد المرأة الفرنسية للحصول عليه بكل ما وسعت ، وتأباه عليها الحكومات والبرلمانات المتعاقبة

ولقد تخلفت فرنسا فى هذا الميدان عن باقى الأمم الديموقراطية العظيمة مثل انكلترا وأمريكا وروسيا حيث تتبوأ المرأة مناصب الحكم ومقاعد النيابة منذ أعوام بعيدة ؛ وفى البرلمان الانكليزى اليوم عدد كبير من النسوة النائبات ، وفى الوزارة الانكليزية القائمة سيدة هى مس بونفيلد وزيرة العمل ؛ وفى أمريكا تشغل المرأة مناصب الحكم فى كثير من الولايات ، وتحتل عدداً كبيراً من المقاعد النيابية ؛ وفى روسيا السوفيتية تتمتع المرأة بجميع الحقوق السياسية والعامة التى يتمتع بها الرجل ، وتشغل كثيراً من مراكز الحكم والنيابة فى سائر الادارات والمجالس السوفيتية ، وأحياناً تشغل منصب السفارة ، مثل السيدة الكسندرا كولانتاى ، التى لبثت مدى حين سفيرة للروسيا فى المكسيك ثم فى السويد ؛ بل نرى المرأة تفوز فى بعض الأمم الفتية بحق الانتخاب والنيابة ، كما حدث أخيراً فى تركيا

***

كانت الحرب الكبرى ميداناً عظيما لجهود المرأة ، ففيها استطاعت لأول مرة أن تضطلع بكثير من المهام والأعمال الشاقة ، وفيهـا لقيت الحركة النسوية المعاصرة فرصة عظيمة لنشاطها وظفرها ؛ ومنذ غداة الحرب استطاعت المرأة أن تحقق كثيراً من أمانيها ومطالبها ، فغزت جميع ميادين الحياة العامة ، ونفذت إلى معترك الوظائف والمهن الحرة ، وفتحت لها أبواب التعليم الجامعى بسائر أنواعه ، ولم تعد تقتصر على مزاولة المهن السلمية الهادئة كالطب والمحاماة والصحافة ؛ بل غدت تنافس الرجل فى أشق الأعمال وأخطرها ، كالهندسة والطيران وبعض الأعمال العسكرية والبحرية ، وغيرها مما كان اضطلاعها به يعتبر من قبل ضربا من المستحيل

ولـكن المرأة ما زالت ترد بعنف عن حظيرة التشريع والسياسة العليا ، وعن مواطن المسئولية العامة ؛ وإذا كانت قد استطاعت أن تفوز فى بعض الأمم بحقوق الانتخاب والنيابة ، وأن تحتل بعض الوظائف الكبيرة ، فانها ما زالت بعيدة جدا عن التأثير فى سير السياسة العليا ، وسير التشريع القومى ؛ وما زال الرجل يستأثر وحده بتوجيه السياسة والتشريع بعيدا عن تدخل المراة أو اشرافها . وقد تمضى أجيال أخرى قبل أن تستطيع المرأة أن تغزو هذا الميدان غزوا حقيقياً ، أو أن تسهم فيه مساهمة تذكر

وهذه ظاهرة تدعو إلى التأمل ؛ فقد أتيح للمرأة ، فى كثير من العصور أن تتبوأ الملك وأن تقود الأمم ، وأن تستأثر بتوجيه السياسة العليا ، ولكنها تحرم فى عصرنا ، وهو عصر تقدمها وظفرها ، من تبوء مناصب الحكم والمسئولية . وبعبارة أخرى ، فقد سبق فوز المرأة بالملوكية ، فوزها بالوزارة أو ما يماثلها ؛ بيد أنه ليس من الصعب أن نفسر هذه الظاهرة التاريخية ؛ ذلك أن فوز المرأة بالملوكية لم يكن راجعاً فى عصر من العصور إلى مواهب ومزايا خاصة تؤهلها للاضطلاع بهذا المنصب الخطير ، ولكنه كان يرجع دائماً إلى حقوق الأسرة وتطورات الحوادث ؛ وقد كانت حقوق الأسرة فى الملك تتشح فى العصور القديمة والوسطى بنوع من الحق الالهى ، وفى ظل هذا الحق المزعوم الذى كانت تقدسه الشعوب فى تلك العصور استطاعت المرأة أن تتبوأ الملك بالوراثة والتعيين لا بالأهلية والاستحقاق

وإذا كان من الانصاف أن نقول إن المراة استطاعت فى ظل الملوكية أن تقوم أحياناً بمهام الملك والسياسة بقوة وبراعة ، فانه يجب ألا ننسى أن وجودها فى هذا المركز لم يكن عنوان فوزها الاجتماعى ، ولم يكن نهاية فى تطور النضال بينها وبين الرجل ، وإنه لم يكن أكثر من ظاهرة تاريخية عرضية كما بينا

على أن المرأة لم تقف فى توجيه العروش والسياسة عند هذا الموطن الذى ارتفعت اليه فى ظل الأسرة والحق الالهى ، بل استطاعت فى ظروف كثيرة أن تصل بقوة عزمها ونفوذها إلى التأثير المباشر فى توجيه الدول والحكومات ؛ ويقدم لنا التاريخ

أمثلة طريفة جمة من هذا النوع البارع من النساء . ولم يخل التاريخ الاسلامى نفسه من أمثلة من هذا النوع ؛ ففى تاريخ الأندلس نجد امرأة نصرانية بارعة هى صبح النافارية جارية الحكم المستنصر وأم ولده المؤيد ، تسيطر بنفوذها على الحكم وعلى حكومة قرطبة زهاء عشرة أعوام ، وتؤثر فى سياسة القصر والدولة ؛ فاذا توفى الحكم نراها تستأثر مدى حين بالوصاية على ولدها المؤيد وتوجه ناصية الشؤون ببراعة ودهاء حتى يسطع نجم المنصور بن أبى عامر (الحاجب المنصور) فيسلبها كل سلطة وكل نفوذ . وفى دولة بنى عباد باشبيلية ، نرى جارية أخرى هى اعتماد الرميكية جارية المعتمد بن عباد وأم أولاده تسيطر على حكومة اشبيلية مدى حين . وفى أواخر دولة الاسلام بالأندلس نجد امرأة نصرانية هى ثريا زوجة السلطان أبى الحسن النصرى ملك غرناطة توجه شؤون الدولة طبق أهوائها وتثير بمساعيها ضرام الحرب الأهلية التى انتهت بسقوط غرناطة فى أيدى النصارى . ويقدم الينا التاريخ الأوربى نماذج عديدة مدهشه من نساء يسيطرن على الدولة بطرق غير مباشرة ، ونكتفى بأن نقدم من ذلك مثلين بارزين : أولهما مثل المركيزة دى بومبادور صاحبة لويس الخامس عشر ملك فرنسا ، وقد حلت فى البلاط مكان الملكة الحقيقية ، وسيطرت مدى أعوام طويلة بنفوذها على شؤون القصر والدولة ، تولى وتعزل ، وتأمر وتنهى ، وتؤثر فى توجيه سياسة فرنسا الخارجية أعظم تأثير ، وتقبض على مقاليد السلام والحرب . والمثل الثانى هو مثل البارونه ربارة فون كريدنر ، وهى سيدة روسية غادرت حياة زوجية نكدة لتعتنق حياة الزهد والتصوف ، وقصت علينا حياتها الأولى فى كتاب عنوانه « فاليرى » ، وطافت أرجاء ألمانيا وسويسرة وهى تحض على الزهد واحتقار متاع هذه الحياة الدنيا ، ثم ألقت بها المقادير إلى بلاط القيصر اسكندر الأول ، فأثرت فى نفسه تأثيرا عظيما واستولت على مشاعره وتفكيره ؛ وكان يقضى معها كل يوم ساعات عديدة فى الصلاة والشورى ؛ وقد ظهر تأثير هذه المرأة الغريبة فى عقد « المعاهدة المقدسة » الشهيرة ، التى عقدها القيصر مع النمسا وبروسيا (سنة ١٨١٥) وغرضها الظاهر تنظيم العلائق الدولية طبقاً للمبادئ المسيحية ، وترويج المحبة الأخوية بين الشعوب ، وغرضها الحقيقى مقاومة النزعات والحركات الحرة ؛ وكان للبارونة فون كريدنر فى الحث على عقدها أعظم أثر ، كما أنها لبثت مدى حين توجه سياسة القيصر طبق آرائها ونصائحها

فهذه الأمثلة التاريخية العديدة توضح لنا إلى أى مدى استطاعت المرأة أن تغزو مواطن التأثير والنفوذ فى الشؤون العامة بطرق ووسائل غير مباشرة ؛ بيد أن هذا الفوز الذى يرجع دائماً إلى عوامل وظروف عرضية ، لم يكن ثمرة نضال أوتطور طبيعى ؛ أما اليوم فان المرأة تسير فى ميدان النضال بخطوات حثيثة ، وتحقق لنفسها بوسائلها وجهودها ظفرا بعد ظفر ؛ وإذا كانت المرأة تتبوأ اليوم كراسى النيابة والوزارة ، فذلك لأنها استطاعت أن تشق طريقها إلى تلك المناصب ، وأن تدلل على أهليتها لتوليها ، فهى إذن تسير فى طريق طبيعى لا أثر فيه للطفرة أو العوامل العارضة التى رفعتها من قبل إلى مواطن نفوذ لم تكن تحلم بها

ولا ريب أن المرأة لن تقف عند هذا الفوز اليسير الذى يكاد يعتبر فوزاً رمزياً فقط ؛ ومن المحقق أنها ستمتز بهذا الفوز على ضآلته فتضاعف جهودها ؛ وإذا سارت الحوادث فى طريقها ، وإذا لم تعقها العوامل والمؤثرات الرجعية ، فان المرأة ستصل فى المستقبل القريب فى تحقيق أمانيها إلى مدى يصعب اليوم ادراكه وتقديره ، وإن لم يك ثمة شك فى أنه سيكون عظيما بعيد الأثر ؟

محمد عبد الله عنان

# هنرى روبير

**عضو الأكاديمية الفرنسية ونقيب المحامين**

**للأستاذ عبد الحليم الجندى المحامى**

إلى المحاماة ، فى شخص المحامى الأول ،
والنقيب الأول ، ابراهيم الهلباوى بك

[ بقية ما نشر فى العدد الماضى ]

ولكن ما الذى يقوله هنرى روبير فى تلك القضايا التى سلخ المحقق فى تحقيقها عاماً كاملاً ، أو التى اسودت فيها آلاف الصحف ؟ للجواب على ذلك نقول إن هنرى روبير كان يجيد عدم الكلام بقدر ما كان يجيد الكلام ، فهو يعمد أولاً إلى المسألة التى تحكم القضية — إذا صح هذا التعبير فى لغتنا العربية — فيظهرها على طريقته بقوة وبسرعة وإيجاز ، ثم يسقط من كلامه أكثر ما فى القضية من حواش تنأى به عن الجوهر ؛ فهو يدرك كل الادراك أن الخير للمحامى ليس عرض كل ما فى الأضبارة ، بل الفن الحقيقى هو ترك ما يجب أن يترك فيها ؛ وقديماً علمنا أساتذتنا أن فن الحذف يساوى تماماً فن الكلام ... ولذلك كنت تجده مسرعاً ، ممتعاً ، مقنعاً ؛ كل ذلك فى وقت واحد

كان يقول إنه درس « لاشو » دراسة عميقة ؛ لكنك لا تجد فيه مشابه من أستاذه ، فمرافعات روبير كانت مرافعات موضوعية مجردة ، لا تتخللها الجلجلة ولا الصوت الداوى ، ولا الصور التاريخية ، ولا العبارات البيانية الخلابة التى يتشابه فيها لاشو مع أستاذ ذلك العصر « فكتور هوجو » . والحق أن تلاميذ لاشو لم يكن منهم نقيبنا الذى نتحدث عنه ، بل إن لاشو قد خلف من بعده باربو نابغة الفن التقليدى فى الدفاع ، ولابورى ، المهيب الذى يُرعب بقدر مايستطيع الاقناع ؛ أما هنرى روبير فلم يكن يهمه رسم الصور ، ولا طلاء اللفظ ، ولا طلاوة الأسلوب ، ولا تفخيم المعانى ؛ فاذا جاءت صورة من الصور أو حكمة من الحكم فى معرض الدفاع وجدتها منتزعة من صميم الواقع لا من آفاق الخيال ، ووجدتها من لباب القضية لا مترددة بين الحواشى لتثير الاعجاب

رحمه الله ! ألا فليقل لنا إن كان حقاً قد تتلمذ لأستاذ القرن الماضى — بعد بربيه — هل هو كان يرى أن يقول للمحلفين تلك الكلمة المسرحية أو الخطابية التى قالها لاشو فى سنة ١٨٥٥ وهو يترافع عن رودلف المتهم بدس السم إلى عشيقته « ميمى » : « ها إن السماء تدوى لكأنها تكاد تنقض ؛ إنكم تسمعون هزيم الرعد وعصف العاصفة ! . . . إن السماء تزمجر سخطاً على ما على الأرض من اعنات ... إنها تحتج معى على تلك الاجراءات !! ». أو تلك الكلمة الهائلة التى صوبها إلى القضاة فى مرافعته ضد الجنرال « تروش » بعد حرب السبعين ، وكان تروش قد تهاون فى قضية الأمبراطور ، وكان الأمبراطور قد خُلع ، وكان الأمبراطور صديقاً شخصياً للاشو ، قال : « ... إنكم ستحكمون فى قضية الجنرال تروش ... ولكن التاريخ سيصدر حكمه على حكمكم !.. وسيقرأ التاريخ كل مادار فى هذه الجلسات .. فحذار أن تضحوا كل شىء مرة واحدة .. فيقول بنو الأجيال المقبلة : إن كل شىء فى هذه الأمة قد ضاع « حتى العدالة نفسها ! » لم يكن روبير ينحو ذلك النحو البلاغى فى الدفاع ، لأن وظيفة المحامى عنده كما قال : « أن يُقنع لا أن يلمع » ، ولأن الدنيا تغيرت ، والمحاكم ضاقت ، وصدور القضاة والحضارة نفسها أصبحت معجلة كأنها تريد أن تصل بالدنيا إلى آخر الدنيا ...

إنما تلاميذ لاشو ولداته هم أولئك الذين يقولون مثلما قال باربو عن دلسبس : « ... ذلك الانسان الذى أضاف بعض الـ « رتوش » إلى صورة الخليقة كما أبدعتها يد الخالق ... » أو مثل فكتور هوجو وهو يترافع عن ولده شارل ضد عقوبة الأعدام « .. هذه العقوبة التى إذا وقعت على مجرم جعلته يشك فى وجود الانسانية ، فاذا وقعت على برىء جعلته يشك فى وجود الله !.. » أو مثل فكتور هوجو أيضاً وهو يترافع فى هذه القضية ، وإذا شئت فقل مثل النمر — الأب النصر كما سموه بعد الحرب الكبرى — أعنى كليمنصو عند ما ترافع عن أميل زولا عقب لابورى ، فنقل عن هوجو تلك الاشارة البديعة إلى تمثال المسيح ، وكان إلى ذلك الوقت يوضع خلف هيئة المحكمة فى الجلسات وقال : « انظروا وراءكم : فهذه أكبر ضحية عرفها التاريخ لأخطاء القضاة !! ... ... وكانت قضية أميل زولا تدور حول إعادة

النظر فى قضية دريفوس ؛ أو الهلباوى مثلاً فى قضية نزاهة الحكم ، وبتلك الوثبة الذهنية البارعة ، بل تلك الأعجوبة الرائعة الخالدة ، عند ما رد حفنى بك محمود أحد المستشارين لشبهة عرضت له فرفض الرد وأخذ الدفاع عن الخصم يعيّر حفنى بك بأن رده رفض وبأنه يتشكك حتى فى القضاة ، ويتهم حتى رجال العدل ، قال هلباوى بك « . . . فلما عرضت له الشبهة فى قاضيه لم ينخلع فؤاده فَرَقاً ، بل أقدم على أن يطلب الحقيقة عارية والعدالة مجردة ، ليطمئن قلبه ؛ وقديماً ، وفى سبيل الاطمئنان قال موسى : ( رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف ترانى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً . فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين )

فالاطمئنان الذى نشده موسى وظفر به ، هو الاطمئنان الذى نشده حفنى وظفر به ! والذى حصل من حفنى حصل من إنسان أسمى منه ألف مرة ، وبالنسبة لمن ؟ بالنسبة لمن هو أسمى من سعادة المستشار لا ألف مرة ، ولا مليون مرة ، ولكن بمقدار الفرق ما بين الانسان وخالق الانسان .. !! »

لا تجد لذلك التصور وأشباهه نظائر عند هنرى روبير ، لكنك تجد له خواطر ممتعةً تستحيل عند تلاوتها إلى حجج موضوعية فى القضية المطروحة . ومثل ذلك ما نقلناه من قبل فى ختام مرافعته عن بوبوروش ؛ ومثل ذلك أيضاً ما جاء فى مرافعته عن الدكتور لابورت فاستمع إليه يوجه نظر القضاة إلى الأطباء : « ... انظروا إلى تلك الغرفات الفساح فى المصحات والمستشفيات حيث الهواء مشبع بسموم الدفتريا وجراثيم الطاعون ، وانظروا إلى أولئك الرائحين الغادين فى تلك الغرف أمام مرضى ينفثون الموت الزؤام من الشهقات والزفرات ؛ هل علمتم على واحد منهم أنه أجفل أو أنه ارتعد ؟ هل تردد واحد منهم عن القيام بكل ما يفرضه عليه الواجب ؟ ارجعوا إلى إحصاءات الحمى الصفراء والكوليرا ، واسألوا كم من هؤلاء الفرسان قد سقط فى ساح الشرف ! انظروا إلى هذه الطائفة وقولوا هل هى الطائفة المتمردة على القانون والتى يجب أن يضرب على أيديها ضربات البطش والانتقام ! . . لا . لا . . إنكم ستجدون هؤلاء البنين البررة للعلم وللفن وللانسانية قد وهبوا نفوسهم للعلم وللفن وللموت فى سبيلهما ؛ فهم تارة يصرعون الموت وتارة يصرعهم ، لكنهم يستحقون الاعجاب فى كل حال !! .. »

وكانت له وثبات فى الارتجال يتناقلها الكافة ؛ فمثل ذلك رده على النقيب دربيه الذى جاء فى صدر هذا البحث ، ومثله ما رواه « جو لندن » فى ( أشهر قضايا سنة ١٩٣٢ ) ولقد كان توريز المحامى الأشهر يدافع بجلسة ١٩ أكتوبر سنة ١٩٣٢ أمام استئناف الجنح عن موكله ( ڤرمون ) ضد ( تا كوشيما ) موكل هنرى روبير ، وكانت التهمة نصباً موجهاً ضد ڤرمون ، وكان هنرى روبير محامى المدعى المدنى ، وكانت نظرية توريز أن تا كوشيما سبق أن نصب على ڤرمون فجاء ڤرمون وأصلح ما أفسده عليه تا كوشيما ، واختتم دفاعه بكلمة مسرحية تخلب الألباب قال : « ... لقد كانت رواية : أما الفصل الاول فتا كوشيما يضرب ڤرمون ، والفصل الثانى ڤرمون يضرب تا كوشيما . . . » وبينما هو يسترسل نادى هنرى روبير بصوت ضخم : « . . . الفصل الثالث : المحكمة تضرب ڤرمون !! .. »

كان زعيم الارتجاليين كما قلنا ، فما هو الارتجال إذن ؟ أما ارتجال الفكرة فمجازفة بحقوق الناس ، ووصمة للمحاماة ، واستهتار بالقضاة ؛ وأما ارتجال الألفاظ فذلك شىء آخر ؛ والمحامى الذى يرتجل الكلام هو الذى يملك أعنة البلاغة ، أو هو الذى حضر مرافعته مرات ومرات ، أو هو الذى مَرِنَ على مواجهة الاحداث ومجابهة ما يفاجئ ؛ وإذن فهو لا يرتجل وإنما هو يستخرج ما فى مواهبه من كنوز غائرة تظهرها الحاجة ، فهذا تحضير غير مباشر ، وهذا هو بالطبع ما عناه شارل شنى فى محاضرته لفتيات الجامعة فى سنة ١٩١١ ، إذ حدثهن عن حياته الأولى فى المحاماة قال : « ... وكنا جميعاً نساهم بنصيب ضخم فى تلك الأكذوبة الشائعة وهى أننا نرتجل عفو البديهة كلاماً سهرنا فى تحضيره طول الليل وأثناء النهار .. !! » وفى أواخر القرن الماضى أشار محامٍ — كان عضواً فى مجلس النواب — إلى أن القضاة سيسمعون من (باربو) مرافعة أصلها مكتوب ، فصرخ باربو بصوته الداوى : « نعم إن احترامى لهذه الساحة يضطرنى لتحضير ما أقول ، لكن الذين لا يحضرون كلامهم ويملؤونه بالتناقض يجدون صدوراً رحبةً فى ساحةٍ أخرى . . » وكانت الساحة الأخرى طبعاً مجلس النواب

كان هنرى روبير يوصى المحامين دائماً بالاطلاع والاستعداد؛ كان يوصى بالقراءة دائماً وبالكتابة دائماً؛ كان يقول مثلما قيل من قبله: إن سر النجاح هو « أولاً: العمل، وثانياً: العمل، وثالثاً: العمل » ولقد يكون المحامى موهوباً وكله كفايات، فإذا لم يجدد نفسه ويزوّدها بالمعلومات وجد نفسه بعد سنوات أجوف فارغاً يردد اليوم ما يردده غداً. حدثنا النقيب بايان عن شنى وباربو أنهما قضيا نحو العشرين عاماً فى زاوية من زوايا المحاماة لا يعرفها اشعاع النور؛ وفى تلك الأثناء كانا، وخاصةً باربو يتسلحان بدراسة عميقة للعلوم والتاريخ؛ حتى إذا انقضى ثلث قرن كان باربو يفتح كراساته ليستخرج منها شواهد هى آية الآيات فى المحاماة بل فى الأدب الكلاسيك؛ ولكن روبير قد عرف الشهرة فى مستهل حياته فهو لم يكن ينعم — أو يشقى — بما سماه الفراغ الاجبارى للمحامين، ولكنه مع ذلك كان يجبر الزمان وصحته على أن يمنحاه الفراغ والعلم. وإذا رجعت إلى مؤلفاته وخصوصاً قضايا التاريخ الكبرى، تلك القضايا التى تعتبر القضية الواحدة منها دنيا كاملةً فى قرن كامل، عندئذ يتضح لك مبلغ ما أخذ به روبير نفسه من نصيحته للمحامين

إلى هذه الكفايات العظمى كان يضيف كفاءة خاصةً هى الخلق العظيم: هى التواضع. وقديماً قال « لابروبير » (إن التواضع مع الكفاءة، كالظلال مع الصورة، تظهرها وتوضحها وتجلّيها)

هكذا كان رجلنا مع رجال القضاء ومع الزملاء

هو قد سلخ قرابة نصف قرن يترافع أمام القضاة والنواب، ومع ذلك لم نسمع له بحادث واحدٍ كلابورى الذى أسلفنا عنه المقال، أو كشيشيانى حتى قُدِّم للمحاكمة وأوقف مدةً لم تكد تنقضى حتى صار وزيراً للحقانية!! ثم صار رئيساً للوزراء! أو أميل أوليفيه، أو كأسلوب « بربيه » عندما ترافع فى قضية الثلاثة عشر فقال للنائب العام: « .. لا لست حسن النية فى هذا الذى تقول؛ إن القوانين لا تطبق فى هذه الأيام ولكنها تفسر دائماً بما لا تحتمله؛ إن النصوص تُرهق كما يُرهق بها الرجال. ! » ولا كأسلوب ڤولتير عندما قال عن قضاة كالا: « .. لا تذكرونى بهؤلاء القضاة الذين نصفهم قرود ونصفهم قضاة! » ذلك لأن هنرى روبير كان يعرف أن جلال المحاماة من جلال القضاء، وأن شخصية القاضى جزء من معنى القضاء لا ينفصلان. أما مع الزملاء فكان خير الزملاء، عطفاً وأدباً وحسن وفاء. إليك مؤلفاته جميعاً، كلها ذكريات حلوة عن الزملاء والأساتذة. هذه أعذب العبارات يكتبها عن أستاذه دربيه؛ وهذه أمداح تترى للنقيب مارتينى، وتقدير لا حد له للخالدين بوانكاريه وبارتو، ولد بوى وملران وابريان ذى الصوت العذب عندما يترافع، وهذا إعجاب لا حد له بلابورى، وحب لشارل شنى، وإكبار لباربو وروسو الخ. هذا الثبت الحافل من الرجال الذين تتردد أسماؤهم فى مؤلفاته. حتى إذا راودته المنية عن نفسه استمهلها ليكتب سطوراً لم تحل الوفاة بينها وبين الناس ليملأها مدحاً للقضاة ولرجال المحاماة فى الأمس الدابر، وللمحاماة نفسها، تلك الآلهة التى طالما قدسها، تلك الغانية التى طالما عبدها وأخلص لها الحب والعبادة بل التى ملأ الوجود الانسانى بكلام عنها يُشبه الألحان

* * *

وبعدُ: فما هى المحاماة؟ « المحاماة أسمى مهمة فى الدنيا » كما قال ڤولتير وكما قال أيضاً « كم كنت أرجو أن أكون محامياً » بل هى كما قال ماكس باتو « إن المحامى ملك »؛ ليست هذه العبارات لوحات أدبية معلقة؛ لكنها حقائق قائمة منتزعة من صميم الواقع؛ فانظر إلى المحامى وهو يترافع؛ لا إلى (بربيه) وهو يترافع عن ملك مستقيل ضد ملك قائم، وعن ملك مخلوع ضد ملك منصب، ولا إلى ماليرب وزملائه وهم « يحملون إلى الكونثاسيون الحقيقة ورأسهم » دفاعاً عن لويس السادس عشر، ولا إلى الهلباوى وهو يترافع فى آخر القرن الماضى عن البرنس سيف الدين ضد ملك، وفى ١٩٣٣ عن البرنس محمد على ضد من؟ أو فى سنة ١٩١٤ عن خيرى باشا ومحرم باشا ووراءهما من كان وراءهما؛ ما إلى هؤلاء قصدت ولكن إلى المحامى الصغير — أعنى الشاب، فليس فى المحاماة صغير وكبير، بل فيها شاب ومكتهل — إلى المحامى الناشئ وهو يقف أمام المنصة، فى محكمة الجنح أو أمام القاضى الجزئى؛ هو دا يدلى بمرافعته بين الاحترام العام دائماً أو الاعجاب العام فى بعض الأحوال، كلماتٍ متزنة، وعباراتٍ واضحةٍ كلها إخلاص؛ مسموع الصوت مسموع الكلام، لكأنك به فى ردائه الأسود، الكاهن الجليل فى ساحة المعبد؛ الأعناق مطلعة إليه: والآمال معقودة عليه؛ فى يده مستقبل

أسرة أو ثروة فقير أو كرامة رجل أو عرض غانية ؛ ولقد يكون المحامى فى سبيل الدفاع عن موكليه قد ضحى ماضحى ، أضعاف أضعاف ما كسب ، وهو قد يكون تقدم الى الدفاع كما كان يتقدم أسلافنا الأولون ، بدافع النجدة والمروءة وفى سبيل الشرف لا فى مقابل المال ؛ هو ذا يقف ببسالة أمام الطغيان ، طغيان الأفراد أو طغيان الطبقات أو طغيان الأمة أو طغيان الحكومة ذاتها .. إنك تكاد تحسب عندئذ أن المروءة والبسالة قد اتخذتا شكل رجل يتكلم ، حتى إذا انتهى من مرافعته أملى التاريخ إملاءة بسيطة ليسمع كلمة القضاء أو كلمة القدر

انظر الى المحامى فى تلك الصورة المصغرة التى رسمناها ، وقل لنفسك مع ماكس باتو « إن المحامى ملك »

ولكن — أيها الاخوان المحامون — إذا كان حقاً أن ليست هناك مهن وضيعة ، وانما هناك أشخاص وضيعون فان ثمة حقيقة أخرى هى أنه ليس هناك مهن رفيعة ، وانما هناك رجال يرفعون من شأن المهنة . فاعملوا إذن على رفع مستوى المحاماة دائماً باستمرار : اعلموا أن الحياة المادية ليست هى المطمح للسامى لمن لبس هذا الرداء الأسود ، بل إن هذا الرداء كما قال الهلباوى فى مرافعته عن الوردانى إنما يذكرنا بأننا قسيسون فى معبد العدالة نشاطر الناس لواعجهم وأشجانهم ؛ وكلما سمت المهنة سما بها بنوها عن الابتذال ؛ واعلموا أن نصف الوزراء فى الحياة الديموقراطية لا يعيشون بعد الخدمة إلا عيشة الكفاف . اعلموا أن المحاماة رسالة وليست تجارة ؛ وأن السعيد من استطاع أن يفهمها على غير أسس المال ؛ هاتوا صحائف التاريخ تشهدوا الثروات تتدفق على المحامى دائماً بعد أن يكون قد قام بواجبه فى سبيل الشرف أو فى سبيل الصالح العام ؛ تشهدوا المال يلاحق المحامى بعد أن يكون قد أدى رسالته فى خدمة المظلومين أو فى مدافعة الطغاة ؛ تشهدوا المحامى العظيم لا يسعى الى المال وانما يسعى الى الشرف ، وكلما أعرض عن جمع المال انحدر اليه المال من كل ناحية . فالسعيد منكم من استطاع أن يفهم المحاماة على أنها مهمة ومهنة ؛ فاملأوا نفوسكم بالقناعة ، واملأوا أذهانكم بالعلم ، واملأوا فراغكم — الاجبارى أو الاختيارى — بالدرس وبالتحصيل وبالسمو المطرد نحو الكمال

وأنتم أيها المحامون الشبان : اسمعوا ! إن المحاماة فى مصر لم تصل الى أزهى عصورها بعد ؛ فأنتم إذن أملها المرموق بالعناية . اكتبوا دائماً ، واقرأوا دائماً ، وتعلموا حسن الأداء — فالمحاماة فى الحقيقة ليست إلا حسن أداء — واذكروا أن الحياة الديمقراطية قد ذللت لكم كل شعاب المجد ، وفتحت لكم الأبواب على مصاريعها ، فأدوا رسالتكم على خير وجوهها ، وكونوا دائماً شجعاناً ؛ وأضيفوا الى مبادئكم أن خير ما علمنا أساتذتنا هو أن احترام المحاماة من احترام القضاء ، وأن خير ما يكسب به الدعوى هو سلامة الأسلوب ونزاهة الغاية

اذكروا أن رئيس محكمة النقض السابق كان رئيساً لنقابتكم ، وأن رئيس نقابتكم السابق هو الرئيس الثانى فى الدولة بعد رئيس الوزارة ، واذكروا أن رئيس الوزارة اليوم بل صاحب الرياسات جميعاً ، كان وما يزال محامياً منكم . واعلموا أخيراً أن هؤلاء الذين شاركوكم كزملاء لا كرؤساء سيعود اليكم منهم من يعودون ليتشرفوا بحمل ذلك الرداء الأسود الذى يساوى كلمة الدفاع ، ذلك الرداء الذى كان يحمله بوانكاريه وملران بين رياسة الجمهورية ورياسة الوزارة مثلما كان يصنع ڤيڤيانى ووالدك روسو ومثلما يصنع عبد العزيز فهمى ومكرم عبيد

كم كنت أود لو نقلت إليكم تلكم الخطبة الخالدة التى ألقاها المستشار «داجوسو» من نحومائتى عام فى المحامين والمحاماة ، ولكن المقام ضاق فاليكم منها تلكم الخاتمة :—

« .. حسبكم جزاء على آلائكم العظمى التى تسدونها الى الناس هذه العظمة وذلكم الجلال ، وألا تكونوا مدينين بالعظمة وبالجلال إلا الى أنفسكم . حسبكم أن يتخذ منكم الناس مثلما اتخذوا من أسلافكم من القادة والهداة والرسل ، وأن ترتفعوا الى تلكم المكانة العليا فوق الكافة فتتولوا صرف المنازعات وفض الخصومات ، تتولوا القضاء الفعلى بين الناس كما يتولاه القضاة الموظفون ولكن بما لكم من سمو الغاية ونزاهة القصد ونصيب ضخم من الاحترام العام وبما لكم من نفوذ الكلمة وبلاغة التأثير وجلال العبارة . . . . فهل أنتم إذن ستكونون لأنفسكم أداة تقدم لا عوامل تنفتل بكم الى الوراء ؟ . . هل ستكون هذه المحاماة التى طالما عملت لمجد الأمة ، وكم ستعمل فى سبيلها ؟ هل ستكون عند رجائنا فيها فتحتفظ لنفسها بمنزلتها الرفيعة العليا بين المهن ، بالفقه وبالبيان ولكن بالعدل والنزاهة أيضاً ؟ . . »

# صوتُ الجبـــل *

[ مهداة الى الأستاذ الزيات ]

للأستاذ معروف الأرناءوط

« . . . لقد قال لها إن الجبل يناديني يا «سافو» ... ثم رفع صوته قائلا : إن الله قريب منى وإنى لأراه فى هذا النور الذى يطفو على «سيناء» ! وفى هذا الفتون الذى يراق على بادية التيه ! »

---

قال « كريستيا » « لسافو » وقد اطّرح الدير فى الليلة الجوناء وهبط « وادى العربة » تاركا وراءه قنن جبل « حور » : ناشدتك الله يا أخية أن تسمعينى شيئاً من حوار «أوديب» حينما اشتملت عليه جبال وطنه ، فانه ليروق لى وقد شابهت هجرتى هجرته وماثلت شجونى شجونه ، وحاكت ليالىّ لياليه ، أن ستمع لجرسه الشجىّ فى هذا الوادى المصحر ... إنك لتتذكرين خروج هذا الملك فى ذات ليلة الى جبال « كولون » ومعه ابنته « أنتيغون » فلما أظلته السحب وأرزمت السماء وقعقعت تهافت على ابنته فى

* الفصل الثالث والثلاثون من الرواية الخالدة « عمر بن الخطاب »

---

أيها الزملاء ! كلمة أخيرة

إن نقيبكم العظيم المضطلع بشتى شؤون الدولة يكاد يقول مثل « الملك الشمس » « أنا الدولة » فأهيبوا به أن يذكرنا . . . . وعند ما يصدر القانون ، وتتقرر حصانة المحامى فى الجلسات ، يومئذ تلمسون بأصابعكم ما قاله ماكس باتو من أن المحامى ملك ، بل وتضيفون إليه أيضاً أن المحامى ملَك

عبد الحليم الجندى

مراجع البحث : مؤلفات هنرى روبير L'avocat; Les Gands Procés de L'histoire; Un Avocat de 1830; Souvenirs du Palais de lPa Ville. Modèls Francais IV, Edmond Procés

Anthologic des Avocats Français contemporains : Fernan Paiyan Leurs Maniere. Bernard Gasset

مؤلفا الأستاذ الجداوى ( المرافعة ومرافعات ) Can dide 21 mai 1936

محاضرة لويس بارتو ومحاضرة شارل شي فى Uuiversite des Anneles 1937

المنشورتان فى جريدة Jaurnal de L'universite des Annalis سنة ١٩١١

رفق وحب وسألها أن تذكر له اسم الأرض التى وطئها وقل لها إنه يحب أن يدفن آلامه ومتاعبه وذكرياته فى المنفى ، فطفقت «أنتيغون» تتحدث إليه عن وطنه الجديد ، فرق وسكن ولطفت أحاديثها حزنه . نعم حدثينى يا « سافو » عن « أوديب » وعن « أنتيغون » فانما أنا ذلك التعس « أوديب » ، وأنت « أنتيغون » رفيقته فى أرض المنفى ، ولكن سافو كانت تفكر فى « فروه ابن عمرو » وفى المعركة التى نهد اليها برجال حصدت نصفهم الحرب وما يستطيع الذين نجوا من غضب «قيصر» أن يستبقوا الحياة الى ليال فلقد تتعاورهم الرماح والنبال والسيوف من كل ناحية ويغنمهم هذا الجيش الكثيف الرابض عند منافذ الأودية ومسارب الطرق من الافلات . فتضيق بهم « سلع » ويضنيهم الحصار والطوى والبرد وانقطاع المدد :

لقد كانت تفكر فى هذا كله ساعة أرادها الشاعر الثال على قراءة قصة « أوديب » الملك ، فلما لم تسمعه صوتها تغنى بشعر « سفوكليس » وحسب نفسه وهو يطأ الجبل أنه ذلك التعس « أوديب » فقال بصوت شجى يشبه الرثاء :

أوديب

« أنتيغون ، يا ابنة ذلك الأعمى الشيخ ، ناشدتك الله إلا ما حسرت لى عن هذا البلد الذى بلغنا نواحيه ، وأىّ شعب هذا الذى نزلنا منازله ، ومن هم جيرتنا فى البلد النازح ؟ فى هذا اليوم يستجدى « أوديب » الهائم السادر الناس ، فيعطيه هؤلاء عطاء حقيراً ، بلى لقد طلبت قليلاً وأعطيت يسيراً ، وفى هذا غناء لى وكفاء ، فقد علمتنى الآلام والأهوال والمحن وتعاقب السنين ونفسى الصابرة ، علمنى كل أولئك الاستسلام والرضى ، فهلمى يا بنية ، هلمى إلى فلتن تحت مقعداً فى مكان رجس أو فى غاب مقدس فقنى بى عنده وانزلى بى فى أديمه ، ثم لا يضيرنى ولا يضيرك أن نمضى إلى الناس فنسألهم الطريق وفى أىّ موضع منه نحن ؟ فاننا غرباء عن الديار ومن حقنا أن نسأل الغادى والرائح »

ولكن سافو لم تفعل ما فعلته « أنتيغون » ، ولم تدله على المكان الذى نزل فيه فانثنى هامساً بمثل ما همست به « أنتيغون » فى أذنى أبيها البائس :

أنتيغون

أوديب ! أيها الوالد التعس ، يا من أضناه الألم ، وأذبله الداء ! ليخيل إلىّ أن سور مدينة قد ارتسم فى الأفق أمام عيوننا ، وهذه الأرض التى ننزل فيها لا يزال عليها عبقٌ من قداسة ونفاسة ، يدلك على ذلك هذا الغار المتشابك وهذه الأدواح الظليلة ، وهذه الينابيع الرقراقة ، ثم هذه البلابل التى تغنى فى الغاب الوارف . اطو يا أبتاه قدميك فلعلك تستطيع الجلوس على هذا الصخر الواعر ، فلقد طال شرودك ، وامتدت المسافات بك ، وانت ذلك الشيخ الذى لا يستطيع إمعاناً فى صعود وفى هبوط

أوديب

بلى ، بلى ، دعينى أجلس ، واسهرى على الأعمى العاثر الجدّ (١)

***

وراح « كريستيا » جالساً على الصخر وقلبه يميد وجبينه يتندّى عرقاً وعيناه ترعشان فى كلّ ناحيةٍ من نواحى هذا الأفق المديد الفسيح ؛ وجلست « سافو » بجواره وفى نفسها أثر من جراح نفسه ، ثم لم تلبث أن رقت له رقّة أليمة ، وأخذت يده وقالت له : أتدرى أين مسكنك ؟ قال لا ، قالت فى « وادى العربة » هذا الذى يفصل « البحر الميت » عن « خليج أيلة »

وكان قد أمضى بعض ليله على روابى جبل حور ، فلما نزل فرع الوادى لم يشعر بالمسافات الطويلة التى خلّفها وراءه ولم يفطن إلى ثوبه الذى مزّقته الصخور والادغال المتشابكة ولم ينتبه إلى الاعياء الذى تعاور « سافو » وكذلك ما كان يهمه أن يحتويه المكان الفارغ ، فلقد جلس على الصخر فى سكينةٍ ودعة ، وجعل يقلب عينيه فى الجبال التى تحيط بالسهل من الشرق إلى الغرب وقد خلعت على الوادى ظلاً شاحباً فبدا عميقاً كأنه هوّة من هوّات الجحيم !

وكان من أحبّ أمانيه ان يتعرّف إلى طريق البحر الميت والأردنّ ليلحق بحسناته « بنيامينا » ويقضى ما تبقّى من أيامه فى الأرض التى نبت عنها الشهرة واطّرها المجد فما يردد نظراته فى جنوب الوادى حتى يكرهه ويملّه وحتى يعاف أن يحدّق اليه . وذلك لأنّ فى جنوب وادى العربة طريقاً تدفع إلى خليج أيلة ، إلى ذلك البحر الذى لا تفارقه سفن « هراقليوس » وفلكه ثم يحلّق وهمه فى طريق الشمال فتتمثل له الأرض منحدره هابطة إلى البحر الميت وإلى الأردن فيرق ويتشاجى ويذكر « بنيامينا » النازلة شواطىء النهر المقدس ثم يتلفت إلى « سافو » ليسألها أن ترافقه فيرى إليها نائمة حالمة فيمنعه حبه لها وبره بها أن ينبهها على استفاقة تخرجها من أحلامها الهادئة ثم يعود فيستعرض وادى « العربة » من مكانه على الصخر ، فاذا امتدت نظراته من الشمال إلى الشرق استبحر المكان أمامه وعرض له أخدود راعب يتساقط الماء على جوانبه من قلل جبل الشراة فيزعجه ويؤله أن ينبطح السيل فى مفاجر الوادى ومرافضه فيضع يده على رأس « سافو » النائمة الحالمة فتستفيق وتنهض وتدير لحاظها فى تلك الأرجاء الفيحاء ثم لا تلبث أن تدرك مأساة حياتها ، ويزيدها غماً ويأساً أن يلبس هذه المأساة هذا الحزن الذى يغشى جروف « العربة » وفلوجه ومسايله ومنحدراته ، ولما أرادها « كريستيا » على اصطحابه فى طريق البحر الميت لم تجد معدى عن مجاراته ومسايرته ، فوقفت على الصخر ونظرت إلى الجنوب فاذا الطريق قد فرقت فروقاً عظيما حتى لتوشك أن تنتهى عند خليج « أيلة » فأخافها أن تمتد الطريق وتفيح ، ثم نظرت كرّةً أخرى إلى الشمال فاذا الوادى يهبط إلى خيف لين رقيق ثم هو يزلق إلى الغور

وقد كان عسيراً على الأخوين وقد برّح بهما السير فى الأخاديد والأغوار والهوّات والأودية أن يستأنفا الرحلة فى الأرض البراح : ومع هذا كله ما كانت « سافو » تستطيع أن تردّه عن منازعه ، فلما جاز الأخوان بعض الطريق وأوشك وادى « العربة » أن يتقلص ويغيب ترقرقت خيالة « سلع » فى عينىْ « سافو » فذكرت زوجها الغطريف ، وابتغها التذكار على الوفاء له فقالت لأخيها :

— إنه ليجمل بك أن تدأب فى سيرك حتى يطلع عليك « الأردنّ » أما أنا فاقد نذرت رجوعاً إلى « سلع » حيث ألحقُ زوجى الذى لم يترك سلاحه بعد !

(١) أوديب فى كولون الفصل الأول المشهد الأول

وكانت لهجتها صريحة وصادقة ، فلم يستطع « كريستيا » وهو الذي يعرف حبها لزوجها أن يعصى لها أمراً ، فلحق بها إلى وادى « العربة » وكان لا ندحة لهما عن الرجوع معاً الى جبل « حور » ثم ينحدران الى الدير ويلحقان « بسلع » !

وبعد طوافٍ عنيفٍ فى الأرض العطشاء ، فرع الشقيقان فى جبل « حور » فنزلا بضلعه الشرقية وقدر لهما وهما على المرتفع الشاهق المطلّ على الطريق ، أن يريا إلى وادى « العربة » الجميل وإلى صحراء « التيه » فوقف « كريستيا » خاشعاً أمام هذا المنظر الرائع حتى لقد جنب شعوره أن يحلّق فى عالمٍ آخر . وكيف يستطيع إحساسه الثائر أن يحلّق فى عالمٍ آخر ، وهذه الأرض المقدسة من « سيناء » ترعش فى نظراته وتطفو على جوارحه وتلهب ذكاءه وتذكره بماضى هذه البطحاء التى استمعت إلى صوت الله وهو يتحدث إلى نبىّ !

خيّل إلى « كريستيا » وقد وطئ كرة أخرى حضيض الجبل اللهم أن الدنيا طويت له واجتمعت عنده فأنّى تلفّت تمثلت له قلل جبل الشراة الرفيعة يغمرها موجٌ دافق من رواء المساء وبهاء السماء ، وأنّى استقر أخذته المشاهد الموحشة وعليها من الروعة والجلال والتذكارات ما ليس يجده الشعر المهذّب فى خيال رواته وقائليه ، بل لم يكن يستطيع وقد عرَضَتْ له « سيناء » وصحراء « التيه » وقيعان وادى « العربة » وجروفه أن ينزع من صدره صورة هذه الدنيا العابقة بعطر النبوّة والوحى

ولما أوشك أن يرقى القنة التى عليها قبر « هارون » أرخى الشفق عليه ظلاله الساجية فاستراح بجوار القبر المقدس ، ووقفت « سافو » حياله ، فما فاتها وقد لصقت به أن تسمع صليل جوفه ، وأن ترى إلى عينيه وقد غابتا فى عقيق « سيناء » !

فى تلك الأثناء حَفا البرق فى الصحارى ، وامتدت شعله وخيوطه على حواشى جبل « سيناء » حتى ضوّأت قلله وقننه ، وكشفت ربوده ومصاده وشعافه ، وحسرت عن جروفه وفلوجه وغيرانه ، ثم أضاء البرق ولمع ، ثم أضاء ولمع ، وتلت ذلك أصوات تشبه الهزيم ، وترقرقت ألوان الشفق الحمراء فى كل ناحية حتى أصبح الأفق وردة كالدهان ، فخيّل إلى الشاعر أن هذه الأطواد التى يجاوره وتصاقبه لا تريده على فراقها ، وإنما هى تريده على أن يستشرق بهذا القبس الشاعل الذى تراءى لموسى النبىّ فى البادية الغلفاء ، فلصق بمكانه وقال « لسافو » : انه يكره الرجوع إلى « سلع » ، وإن من أحبّ المنى إلى نفسه أن يموت وعيناه تنظران إلى أضواء هذا القبس الذى ترمى به قلل « سيناء » الرفيعة إلى الصحارى والبوادى

وما زال البرق يضئ ويلمع على روابى « سيناء » ، وما زالت الأصوات الخفيّة تتغاير فى الأفق على مدى بعيد ، وما زالت الوان الشفق الحمراء تتفجّر هابطة صاعدة ، وريح النمناع تفغم الخياشيم حتى أحسّ « كريستيا » قداسة هذه الأرض ، فخلع نعليه وركع بجوار قبر « هارون » النبىّ مصلياً وداعياً ، منتحباً وباكياً !

لقد قال لها إنّ الجبل يناديني يا « سافو » ، وكلّ جارحة من جوارحى تقول لى لا يجمل بك أيها الشاعر أن تغمض عينيك على السحب الصادرة فى « سلع » ! ثم رفع صوته وانثنى قائلاً . إنّ الله قريب منّى ، وإنى لأراه فى هذا النور الذى يطفو على « سيناء » ، وفى هذا الفتون الذى يراق على بادية « التيه » ، بل إنى لأسمع صوته فى قسطلة الماء عند سفوح جبل « حور » . لم يعد فى هذه الحياة التى أخذتنى خطوبها وكوارثها ما أخافه ، وما أحرص عليه ، فالمجد الذى جنبنى طيفه فى ميدان « سلع » حيث يقتتل الناس إما زلفى « لقيصر » ، وإما زلفى « لفروة ابن عمرو » ، قد تمثل لى عند هذه القنن الرفيعة بألوانه وأنواره وطيوبه ونفحاته ، وروحه الساكن الوادع ، وشبحه المضىء ، وجرسه العذب ؛ إنه ليخلع على جسمى الذى قرسه برد العشيّة دفء نفسه لأموت محترقاً فى سناه ، فذلك أمثل من موت يزحمنى ظله الصادر عند رواميس « سلع » ! ولأن تحتوينى هذه الأرض المقدسة أفضل من أن تحتوينى هذه الأرض التى لا تعرف القداسة !

وعبثاً كانت تصدّه عن ميوله ومطامعه ، فلقد أحبّ أن يموت على جبل « حور » كما مات موسى النبىّ ، وكما مات هارون النبى ، ثم هو إلى ذلك شاعر يحب فنه وما يليق بالشاعر أن يموت فى الأرض التى لا تتصدع فيها السحب والبروق ، ولا يزهر على حواشيها الآس والنمناع والورد

وإنهما ليتحاوران ويتساجلان فى غير جدوى ولا طائل ، إذ حملت أعراف الليلة الساجية ترجيع الأبواق ووادى « سلع » فرجفا معاً . وقالت « سافو » : إنها أبواق « فروة » يا « كريستيا » ، وإنه المنتصر على « هراقليوس » . ناشدتك الله أن تمضى معى أو تبقى وحدك على هذه القنن

ورأى المسكين وقد أذكره صوت البوق حاضره أن يلحق بها ، ولكنه لم يكد يبرح مكانه حتى خفت البروق وتوامضت على مدى واسع فبانت له كرة أخرى جبال «سيناء» وصحراء «التيه» فألاعته الأضواء الغامرة وأحرقت أحلامه ، فوقر فى ذهنه أن يبقى فى جبل « حور » طوال ليله فلا يفارقه ولا يخفره ولا يمل الطواف بشماله ورعانه ، ولا يسأم الهبوط إلى حضيضه وسفحه ، نعم إنه مريض وإنه مُدْنَف وإنه ذلك المنفى الذى يقبس أغانيه من نفس عامرة بالألم زاخرة بالشجن ، ولكنه على مرضه ودنفه كان يلذ أعراف هذه الأماكن المقدسة ويرى فيها العافية التى يشتاقها ويحب أن يغنى أغانيه فى هذه الأصلاد بصوت الشاعر الملهم لتسمعها روابى « سيناء » كما سمعت صوت النبى الملهم ؛ وكان يشعر بقرب النهاية فنازعه شعوره الى المكوث فى هذه الأرض حتى يأخذ الله وديعته فيرقد رقاده الأبدى فى شعفة تطل على « الأردن » وعلى « حرمون » وعلى « بيت القدس » !

لقد باح لها بخواطره ، وقال لها إن فى « سلع » مكاناً للبطولة الرائعة ، وليست تعرف فيه ذلك البطل القارع فمن حقه أن يجد مكانه على الرُّبى الشم حيث تترقرق أضواء السماء ، وحيث ذكاء الشاعر يبحث عن السنى والسناء ! فلما سمعت قوله لم تأنف أن تطرحه فى الجبل فتولت عنه وتدفقت فى سيرها تحت ضياء الكواكب ، وما زالت تمعن فى الهبوط حتى استقبلت السفح ووارتها عن عينيْ « كريستيا » فجاجٌ وشعاب

وقلب عينيه فى هذه الأرجاء الفيحاء فاذا هو وحده على الشعفة السامقة يحيط به عالم تطفو على حواشيه أشباح وأرواح ، وتجرى فى سمائه كواكب متقاربة متباعدة ، وتنوح على أطرافه وجنباته ريح ذات هدير وصليل ، وتخرج من جروفه وغِيرانه أصوات كأنها عزيف الجن ، يضاف الى هذه المشاهد الراعبة قبسٌ يَخْطَفُ على سيناء فى أقصى الأفق !

لقد روعته العزلة فمايد وتمايل ، وخيل إليه أن بهذه النجوم الدانية من القلل والقنن عيوناً تنظر إليه ، ففغر فمه وبرق بصره ، ثم تساقطت الشهب فى الأبعاد النائية كأنها الحريق الشاعل . فغشيته ذهلة ألمية ، وخيل اليه أن السماء قد ألقت اليه بنارها ودخانها فجفا مكانه على القبر وطفق ينادى : « سافو » ! لكِ الله يا أخيَّة أينَ أنتِ ؟

وهام على وجهه فما ينحدر من رابية حتى يغيب فى أخدود ضيق ، فاذا حسر الأخدود عنه أمسى فى غارٍ مظلم ، فاذا أوغل فى ظلمة الغار تساقط الماء على ثوبه من صدوعٍ فى الصخر النابى فتندّى وقَرَسَهُ البرد ، ثم يخرج من الغار فاذا هو بعد طوفة جاهدة عند سفح الجبل وإذا « سافو » لا تزال على السفح كأنها كانت تتوقع أن تضجره العزلة وتخيفه الوحدة فيأنس الى اللحاق بها

ورأت « سافو » اليه تحت ضياء العشية فنادته بصوتها الرقيق الناعم : إنى أخاف عليك برد الجبال فهلم فاتبعنى الى « سلع » فلعلك تجد عندها ذلك القبس الذى يضرم شعورك

وكان الانحدار الى « البتراء » سائغاً ولذيذاً فأحوتهما معاً طريق قديمة نقرت فى الجلامد فأوغلا فيها ، وأظلتهما حجارتها ، الناعمة الملساء ، وتراءت لهما فى اليمين وفى الشمال أسوار حمراء بلون العقيق ، ولكنها أسوار عظيمة لم تتحيفها غلظة ولم تتخللها قرون وشعف ، فجازا الطريق الى الوادى وطلعت عليهما غيران ضيقة ولكنها قصيرة ، ثم إذا هما يخرجان الى طريق تدفع الى دغل تكاثفت على حضيضه النباتات فسلخا فى اجتيازها ساعتين ثم طلعت عليهما قبور « سلع » الأولى

ولم تكن سلع قد أطلت عليهما بعد ، فلقد وارتها حوائط من الحجر الصلد فارتدّا الى ناحية الشمال وفزعا الى الجانب المظلم من صخور لا تضيئها أنوار السماء ، ورأيا الى القبور المحفورة وقد تراكب بعضها فوق بعض وفتحت أشداقها وحسرت عن ثقوبها فأخذتهما أشعة خفيفة تزلق إليهما من الجبال ، وسحرهما إطلال هذا المشهد بعد تلك السياحة الكامدة فأحسا الحياة وطفقا يتأملان معاً فى هذه المدافن المعلقة بين السماء والغبراء ، وسرّهما أن يتعرفا الديار والرسوم والأطلال ، ولذهما أن خيالة « سلع »

عادت تطوف بصدريهما الراعشين

فى أعماق هذا الجرف الذى تحميه من كل نواحيه أطواد وأصلاد تنام مدينة « سلع » عن كثب من أطلالها وقصورها وخرائبها وينبوعها الثرّ !

جلس « كريستيا » على عمود رخامى كان جاثماً على الأرض، فجلست « سافو » حياله وطفقا معاً ينظران فى ذهلة إلى هذه الروائع الفواتن يحفهما صمت ويغشاهما سكون، ويخترق آذانهما هدير الماء ودفعه على الأصنام المتداعية والعمد المنهارة فى ظلّ ظليل من أشجار الغار الواشجة

لم يجْرُؤْ « كريستيا » على الهمس فلقد أمالته الصور البارعة إلى غرقٍ وأنسته ذلك الألم الذى تحيفه خلال طوافه بقنن جبل « حور » ونزوله إلى حدور وادى « العربة » بل لقد ألهته قسطلة الماء فى الصعيد المهجور عن أولئك الناس الذين نفروا إلى قتال « قيصر » تحت لواء « فروة بن عمرو » فما عادت صورهم تمرّ بصدره، وكذلك كان شأن « سافو » فلقد غرقت مثل غرقهِ وسبحت مثل سبحه، وأنستها هذه الظلال الندية الرخيّة تلك الثورة التى عصفت بنفسها الرقيقة فى ذلك الوادى الذى تتلاقى عند قيعانه وكثبانه طرق « أيلة » والبحر الراعب، فأية فتنة هذه التى هدهدت التياع الملتاعين وحملت إلى النفوس الضارعة بعض العزاء الذى تحبه وتأنس إليه

هذه الرائعة ما كانت تعدو ماضىَ « سلع » فى هذه الدمن التى يغنّيها الماء الدافق الهادر غناءَه الشجىّ من أبعد عصور التاريخ لا تستطيع النفوس الكامدة أن تستبق حزنها إلى الأبد، إذ لا معدى لها عن استمراء الوحدة والاصغاء إلى حديث حياةٍ منقرضة وإذ هى محمولة على الشرود فى جلال الموت وفى روعة السماء

معروف الارناءوط
عضو المجمع العلمى العربى



# ذات الثوب الأرجوانى

## للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

( تنبيه : الكلام خيالى ولا أصل له )

— ٦ —

كذبت على الله وعلى نفسى حين زعمت أنى معجب بالسمراء وأنى لا أحب الثوب الأزرق .. لا والله .. فما أبالى السمراء ولا اعجاب لى بها . وكل ما فى الأمر أنى رأيتها كثيرة المرح فراقنى أن تتاقى الحياة هاشة باشة، وأن تضحك للدنيا، ولكن هذا قد يكون عن خفة لا عن فلسفة، وأنا مفطور على الجد، ولهذا سهل أن أتمود الاحتشام، ولكن وطأة الحياة ثقلت على كاهل صبرى، فأنا لا أزال ألتمس التسرية والترفيه بما يدخل فى طوق من الوسائل، ومن هنا هذا التناقض الذى يراه الناس فى طباعى . ولا تناقض هناك فيما أعلم، وإنى لكما كنت طول عمرى، وانما اختلفت المظاهر، وأولاى معقودة بأخراى، ولقد كنت فى صباى يائساً من الخير والسعادة فى هذه الحياة، وأنا الآن أكفر بهما، ولكنى كنت فى حداثتى يحزننى عجزى عن الاطمئنان إلى الخير فأكتئب وأتجهم وأروح أعذب نفسى وأقطع قلبى حسرة، وأغرانى هذا بالزهادة ونشدان الراحة — على الأقل — بتوطين النفس على اليأس ورياضتها على السكون اليه ؛ وكنت أقول لنفسى جادا إنى تهالكت فما أفدت إلا الحرمان وإلا الظمأ والالتياح، وإنى طلبت اللذات فما وجدت فيها لعاقل غناء .. فلعل الزهادة تحسم داء لم أجد فى الطلب شفاء منه . ولكنى ما لبثت أن وجدت أن رفض الحياة يزيد المرء إحماءً، وأن الزهد ليس منجى، وأن النفس تخسر به طيبها ورضاها، وأن الذى لا يمد يده يجنى ويقطف لا يحق له أن يزعم أنه حرم الثمار التى يراها على أفنان الشجرة، وقد لا يفوز الطالب الساعى بكل ما يبتغى، ولكنه لا شك خليق أن يظفر بكثير مما هو دونه، فاذا فاتتك الغاية القصوى فقد لا يفوتك ما دونها من المتع، فالطلب أولى، والسعى أوحب، لأن الطلب والسعى

من مقتضيات الحياة ، والحياة هي الحركة لا السكون ولا الجمود ، والزهد قهر للنفس ، والطلب فيه كذلك قهر للنفس ، وقهر النفس مع افادة ما يمكن أن يفاد خير من قهرها مع الحرمان ، والدنيا تسير على مقتضى نواميسها هي ، لا على هوانا نحن ، فسيان أن تضحك لها وأن تعبس ، وللضحك إذن خير وأحزم وأولى بالعاقل

وعلى ذكر الضحك أقول إنى أعجب لذات الثوب الأرجوانى لماذا لا أراها تضحك أبدا ؟ ؟ إن من تعاريف الانسان أنه حيوان يضحك — أى يستطيع الضحك — ولكن هذه لم أرها تضحك إلا مرة واحدة ، فعظم وقع ذلك فى نفسى لندرته ولأنه كان فلتة مفردة ، فوجهها كالقمر — سوى أن ماء الحياة والشباب والصحة يجرى فيه — أعنى أن تعبيره لا يتغير ولا يختلف ولا يتعدد ، وقاتل الله البعد ! وما يدريني ؟ ؟ فلعلها تبتسم ولكنى لبعدها لا أراها رؤيتها ، ولست أذكر أنى رأيت وميض عينيها ، أو أن عذوبة نظرتها أو قوتها حركت قلبى ، أو أن ابتسامتها الحلوة أو الساخرة أغرتنى بالأمل أو الحزن .. ولكنى على هذا سمعت صوتها .. نعم سمعته على الرغم مما يفصلنا من البعد .. وكانت الليلة مظلمة والحر شديدا ، وكنت قاعدا فى الشرفة والشجر على جانبي الطريق كأنه صور مرسومة من فرط الركود ، فرأيتها تميل على جانب الشرفة ؛ ونظرت فاذا جارتها فى شرفتها وبينهما نحو مترين أو زيادة ، وانطلقتا تتحدثان بصوت خفيض فى أول الأمر ، ولم أكن أرجو أن أسمعهما ، ولا كنت آمل ذلك وإذا بالصوت يرتفع فى الليل الساكن وإذا بصوت فتاتى يحمله الىّ .. ماذا ؟ لا أدرى ! فما كان هناك نسيم حتى أقول إنه حمله .. ولكنه صافح أذنى على كل حال ، وقد شق على أن أكون بحيث أسمع حديثهما ، ولكنى لم أكن أتسمع ، وكان بينى وبينهما عشرون أو ثلاثون متراً — إذا حسبت الارتفاع — فاذا كانتا قد شاءتا أن تتكلما بصوت يسمعه الجيران فأظن أن هذا ليس ذنبى . ولولا الحر والركود الخانق لدخلت حجرى وأويت إلى حيث لا يبلغنى الصوت ، وكنت ساعة تهدّى الى الصوت أنظر الى الطريق الخالى الموحش فى هذا الليل الساكن — ولو شئت لقلت الراكد ولكنى شاكر — وكنت ربما رفعت عينى إلى النجوم الخفاقة اللماعة ، وإذا بالصوت يقع فى مسمعى فيكاد قلبي يقف . . . ولم يخالجنى شك فى أن هذا صوتها هى لا صوت الجارة . . ولا أدرى من أين جاءنى هذا اليقين ؟ ! ويا له من صوت ! ! . رنان . . نافذ . . عميق الوقع . . فلو كنت تغنين لما كان أحلى ولا أسحر . . بل أنت كنت تغنين .. فما يرتفع الصوت بهذا الوضوح البلورى ولا يخفت — فى غير خمود — إلى مثل الهمس ، ويبريه الشجى أحياناً ، ثم يعلو كأنه صيحة الحرية ، ثم يضطرب ويتردد كأنه زفرة الأسى التى تتمرد على الكتمان — أقول ما يكون الصوت هكذا إلا فى الغناء . . ولا أدرى لماذا ، ولكنى لم أكد أسمع صوتكِ حتى خيل إلى أنى أسمع « أورفيوس » يناشد حبيبته ويدعوها إليه ويصيح « ماذا ترانى أصنع بغير يوريديس ؟ » . نعم . . كذلك بدا لى أن صوتك الذى هفا إلى على جناح النسيم الراكد . . صوتك الحافل بالأسى المكتوم والرغبة المكبوتة . ينادى . . . ويدعو . . ثم لم أعد أدرى ماذا جرى لى ولا ماذا أصاب الدنيا حولى ؟. وأحسست أن حياتى قد التف عليها صوتك كما تلف الحبال على أعضاد الأسير . . وكأنما تسرب وجودى فى وجودك الغامض . . . وأطفئت الأنوار . . وازداد الليل حولى ظلاماً وصار السكون أعمق ، وأنا واقف لا أشعر إلا بخفق هذا الصوت الملائكى فى نفسى ، وطلع النهار — نهار الناس — وأنا مائل على حافة الشرفة أنظر ولا أرى . . .

وقد صارت لى بعد تلك الليلة حياتان تتصارعان — أنا الذى كنت لو تصدقيننى ، أقضى أيامى ساكناً لا يكاد يسرنى أو يسوءنى شىء — أما الآن فانى أثب وأنتقل من الرغبة الجامحة إلى العقل الجاف المحل . وأحس دمى الحار ينبض فى عروقى — لا بل أراه — وقلبى يثب إلى حلقى فتتعلق أنفاسى وتكاد تحتبس ، ثم تغمرنى موجة من المرارة الأليمة . . ويسخر منى عقلى ويهزأ مما تخيلته من صيحة أورفيوس إذ يدعو اليه يوريديس . وما دعا إلا قلبى ، وأين منى أورفيوس ؟ وأين منك تلك التى لم أعرفها الا من « جلوك »

وليت من يدرى أين أنت الساعة ؟؟ إن الليل ساج كليلتنا تلك ، والدنيا ساكنة تنتظر أن تخرجى اليها فى هالة من الحسن ، وأنفاسى معلقة وأذنى مرهفة لأسمع ، ولى على هذه الشرفة ثلاث ساعات طويلات المدد ، ولست أحس تعباً أو أشعر بقلق ، فانى كالمجنون أو المخمور ، وإنى لأرسل اليك من صيحات القلب ما لا يسمعه سواك لو أنك تصغين . . ثلاث ساعات وأنا أدعوك وأنت لا تجيبين . . كلا !! صوتك الملائكى لا يسمع مرة أخرى ، ولا ينطلق فى هذا الليل الساجى لينعشه ويحييه . وإن نوافذ بيتك لمفتوحة ، وإن الحجرات لمضاءة ، ولكنها ساكنة كأنها مهجورة ، حتى ليفزعنى النور الذى يخرج منها

لم أسمع صوتك بعد ذلك ولكنى رأيت الوردة التى فى يدك وكنت تنفضين عنها الطل أو الماء ، ثم غبت بها واختفيت بعدها كأنما يكفى غذاء لروحى أن أرى معك وردة حمراء . . .

كلا . . . لست أريد ورداً وإنما أريد أن أسمع ذلك الصوت وأنعم به ، وأن أجتلى عينيك وأرى فى صقالهما روحى ، وأن أرى رجفة شفتيك وأنت تبادليننى الاعراب عما ضاق الصدر بما أجن منه والقلب بما وجد ، وأن أحس خفق قلبك وتحسين دقات قلبى . . . فاذا كنت تؤمنين بما أومن به — وما أومن من الناس إلا بكِ وحدكِ لا شريك لكِ — وإذا لم تكونى خيالاً ينسخه النور . . وإذا كنت أنثى . . وكان لك قلب ، فبالله الا ما أسمعتنى هذا الصوت مرة أخرى !! وهل أقل من ذلك ؟ ؟

إنك جميلة وحزينة يا من لا أعرف اسمها — ولو كنت أعرفه لضننت به على الدنيا التى تجملينها — هذا ما قاله لى صوتك حين سمعته فى لجة الليل الساكن . وقد رأيتك بعد ذلك فى الشرفة وفى يدك الوردة الحمراء ونظرت الى عينيك الواسعتين تحت حاجبيهما المستقيمين فأعادت على نظرتهما ما كان صوتك قد أوحى به الى — وإلا فلماذا يرتخى الهدب الطويل الأوطف إلا ليحجب ما عسى أن تشى به النظرة من الخواطر ؟ ؟ ورأيت فمك الجميل وشفتيك الورديتين خلقة لا صناعة . . . شفتيك اللتين لا تعرفان كيف تبتسمان . وفكرت فى هاتين العينين اللتين لا أجتلى فيهما البشر والرضى ، وفى هذا الفم الحلو الذى لا تريدين أن تدعيه يفتر عن ابتسامة — ولو ساخرة — فكرت فى ذلك لحظة وان كانت عيناك وشفتاك جديرة بالتأمل دهراً كاملاً . . ومن أعاجيبك أنى أراك أحياناً مسرورة ويبدو لى أنك قريرة العين ولكن لا ابتسام ، ولا ضحك ، ولا شىء من مظاهر السرور المألوفة . . . فقد لاحظتك ودرستك وخبرتك بقدر ما يتيسر ذلك لبعيد مثلى لا يراك إلا من النافذة ، وأعجبت بشبابك وجمالك ورزانتك وكبريائك أيضاً ، وبذوقك السليم فى الثياب والزينة . . ودرست الذين حولك من أهلك . . . وأحسب هذا الرجل المحتشم أباك وأظنك ورثت عنه هذا الجد الصارم والتحفظ الشديد . . وتلك أحسبها أمك وان كانت تبدو أصغر من أن تكونى أماً . ويعجبنى منك ومنها أنكما تبدوان كصديقتين لا كأم وابنتها . والآخرون . . ولكن مالى وهؤلاء جميعاً ؟ ؟

وقد رأيتك أمس تخرجين مع أمك أو يحسن أن أسميها صديقتك فانها أشبه بذاك — وكنت واقفة بالباب تنتظرين أن تلحق بك وفى يدك وردة صغيرة تشمينها . . وانى لمجنون . . وإن لك أن تقولى إنى طفل يرجو ويؤمن ، أو رجل يحلم ، ولكنى أعتقد أن هذه الحركة الرقيقة كنت أنا المقصود بها ، فما كان فى الطريق ولا فى النافذة غيرى . . نظرتِ الى ناحيتى ثم رفعت الوردة إلى أنفك الجميل وبعثت الى بهذه الوسيلة رسالة . . رسالة من مجهولة الى مجهول . . وخيل الى — وقد أكون واهماً — أنى لمحت امتقاعاً فى لونك حينئذ فزادت الرسالة غموضاً على جمالها . . ثم مضيت وما لبثت أن غبت عن عينى . . وبقيت أنا مسمراً فى مكانى لا أبرحه انتظاراً لعودتك . . مضت ساعة وأخرى وثالثة وأنت لا تعودين . . واذا بك فى الشرفة !! فان كنت قد دخلت قبل ذلك بكثير ورأيت عينى التى لا ترتفع عن الطريق حتى لا يفوتها منظرك وأنت عائدة ، فلا شك أنك قد ضحكت من هذا الأبله المخبول الذى ينظر ولا يرى من فرط الاضطراب . . لا بأس . . واذا كنت لم أرك فانك فى قلبى . . قلبى الذى صار محراباً لحسنك . . وإنى لأحس أنى أصبحت شيئاً مقدساً بحلولك فيه . . . .

ابراهيم عبد القادر المازنى

بين عالمين

# نظام الطلاق فى الاسلام

## للأستاذ أحمد محمد شاكر

نشرتُ فى الرسالة (العدد ١٥٧ فى ٦ يوليو سنة ١٩٣٦) كتاب أستاذنا الكبير العلامة شيخ الشريعة ، امام مجتهدى الشيعة ، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، فى نقد ما ذهبت اليه فى كتابى (نظام الطلاق فى الاسلام) من اشتراط الأشهاد فى الطلاق وفى الرجعة ، خلافاً لما ذهب اليه أئمة الشيعة من اشتراطه فى الطلاق دون الرجعة ، وقد انتصر الأستاذ — حفظه الله — لمذهبهم بأبدع بيان ، مما لم نجد له نظيراً فيما بين أيدينا من كتب العلماء من الشيعة الأمامية

ووعدت أن أناقش الأستاذ فيما ارتآى واختار ، وأن أبين وجهة نظرى ، ملتزماً ما رسمته لنفسى من شرعة الانصاف فى البحث والنظر « فأكشف عن حجة خصمى وعن حجتى ، لى وللناظرين : فاما انتصر قول خصمى ورجعتُ عن قولى ، وإما انتصرت لقولى وزدته بياناً وتأييداً ، لا أبالى أى ذينك كان »

ووفاءً بما وعدتُ أنشر هنا ما قلته فى الكتاب (ص ١١٨ — ١٢١) :

« قال الله تعالى فى أول سورة الطلاق : (يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ، واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه . لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ، وأشهدوا ذَوَىْ عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله ) »

« والظاهر من سياق الآيتين أن قوله ( وأشهدوا ) راجع الى الطلاق والى الرجعة معاً ، والأمر للوجوب ، لأنه مدلوله الحقيق ، ولا ينصرف الى غير الوجوب — كالندب — إلا بقرينة ، ولا قرينة هنا تصرفه عن الوجوب . بل القرائن هنا تؤيد حمله على الوجوب : لأن الطلاق عمل استثنائى يقوم به الرجل — وهو أحد طرفى العقد — وحده ، سواء أوافقته المرأة أم لا ، كما أوضحنا ذلك مراراً ، وتترتب عليه حقوق للرجل قِبَل المرأة ، وحقوق للمرأة قبل الرجل ، وكذلك الرجعة ، ويخشى فيهما الانكار من أحدهما ، فاشهاد الشهود يرفع احتمال الجحد ، ويثبت لكل منهما حقَّه قِبَل الآخر . فمن أشهد على طلاقه فقد أتى بالطلاق على الوجه المأمور به ، ومن أشهد على الرجعة فكذلك ، ومن لم يفعل فقد تعدى حدَّ الله الذى حده له ، فوقع عمله باطلاً لا يترتب عليه أى أثر من آثاره »

« وهذا الذى اخترنا هو قول ابن عباس . فقد رَوَى عنه الطبرى فى التفسير (ج ٢٨ ص ٨٨) قال : ان أراد مراجعتها قبل أن تنقضى عدتها أشهد رجلين كما قال الله : ( وأشهدوا ذوى عدل منكم ) . عند الطلاق وعند المراجعة . وهو قول عطاء أيضاً فقد روى عنه عبد الرزاق وعبْدُ بن حُميد قال : النكاح بالشهود والطلاق بالشهود ، والمراجعة بالشهود . نقله السيوطى فى الدر المنثور (ج ٦ ص ٢٣٢) والجصاص فى أحكام القرآن بمعناه (ج ٣ ص ٤٥٦) . وكذلك هو قول السُّدّىّ . فقد روى عنه الطبرى قال : فى قوله : ( وأشهدوا ذوى عدل منكم ) : على الطلاق والرجعة »

« وذهب الشيعة إلى وجوب الاشهاد فى الطلاق وأنه ركن من أركانه ، كما فى كتاب ( شرائع الاسلام ص ٢٠٨ — ٢٠٩ طبعة سنة ١٣٠٢ ) ولم يوجبوه فى الرجعة ، والتفريق بينهما غريب ، ولا دليل عليه »

« وأما ابن حزم فان ظاهر قوله فى المحلى ( ج ١٠ ص ٢٥١ ) يفهم منه أنه يرى اشتراط الاشهاد فى الطلاق وفى الرجعة ، وإن لم يذكر هذا الشرط فى مسائل الطلاق ، بل ذكره فى الكلام على الرجعة فقط . قال : فان راجع ولم يشهد فليس مراجعاً ، لقول الله تعالى : ( فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم ) فقرن[1] عز وجل بين المراجعة

(١) فى النسخة المطبوعة من المحلى ( فرق ) وهو خطأ مطبعى واضح من سياق الكلام ، وقد صححناه فى الكتاب على غالب الظن ( لم يفرق ) إذ لم نتمكن حين الكتابة من مراجعة النسخ المخطوطة بدار الكتب ، ثم رجعت إليها بعد ، فى نسخة المحلى ( رقم ٤٥ فقه حنبلى ) هذه الكلمة ( ففرق ) ولكنها غير واضحة النقط ، وهى خطأ كالنسخة المطبوعة ، وفى النسخة ( رقم ١٥ فقه حنبلى ) ( فقرن ) وهى واضحة الحروف بينة النقط ، وهى الصواب ، والحمد لله . ونرجو القراء أن يصححوها فى المحلى وفى كتابنا

والطلاق والاشهاد ، فلا يجوز افراد بعض ذلك عن بعض ، وكان من طلق ولم يشهد ذوى عدل ، أو راجع ولم يشهد ذوى عدل : متعدياً لحدود الله تعالى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ »

« واشتراط الاشهاد فى الرجعة هو أحد قولى الشافعى . قال الشيرازى فى المهذب ( ج ٢ ص ١١١ ) : لأنه استباحة بضع مقصود ، فلم يصح من غير إشهاد ، كالنكاح ، وهو أيضاً أحد قولى الامام أحمد . أنظر المقنع ( ج ٢ ص ٢٥٩ ) والمغنى ( ج ٨ ص ٤٨٢ ) والشرح الكبير ( ج ٨ ص ٤٧٢ — ٤٧٣ ) »

« والقول باشتراط الاشهاد فى صحة الرجعة يلزم منه أنها لا تصح إلا باللفظ ، ولا تصح بالفعل ، كما هو ظاهر . وهو مذهب الشافعى »

هذا ما قلته فى المسئلة ، وقد رد عليه الأستاذ شيخ الشريعة من جهتين : من جهة لفظ الدليل وسياق الآيات الكريمة ، ومن جهة الحكمة الشرعية والفلسفة الاسلامية . فقال فى الوجه الأول : « إن السورة الشريفة مسوقة لبيان خصوص الطلاق وأحكامه ، حتى إنها قد سميت بسورة الطلاق ، وابتدأ الكلام فى صدرها بقوله تعالى : ( إذا طلقتم النساء ) ثم ذكر لزومَ وقوع الطلاق فى صدر العدة ، أى لا يكون فى طهر المواقعة ولا فى الحيض ، ولزومَ إحصاء العدة وعدمَ إخراجهن من البيوت ، ثم استطرد الى ذكر الرجعة فى خلال بيان أحكام الطلاق ، حيث قال عز شأنه : ( فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف ) أى اذا أشرفن على الخروج من العدة فلكم إمساكهن بالرجعة أو تركهن على المفارقة ، ثم عاد الى تتمة أحكام الطلاق فقال : ( وأشهدوا ذوى عدل منكم ) أى فى الطلاق الذى سيق الكلام كله لبيان أحكامه ، ويستهجن عوده الى الرجعة التى لم تذكر الا تبعاً واستطراداً »

وأما أن السورة مسوقة لبيان خصوص الطلاق وأحكامه حتى إنها سميت سورة الطلاق : فنعم . ولكن هل معنى هذا أنها مسوقة لأحكام إنشاء الطلاق وإيقاعه : من اشتراط حصوله فى قُبُل العدة ، ومن وجوب الاشهاد عليه ، لا غير ؟! ما أظن أحداً يرضى أن يدعى ذلك ! ولو سميت السورة سورة الطلاق ! ! فان فى السورة اثنتى عشرة آية ، فيها نحو من خمسين ومائتى كلمة ، لم يذكر فيها من الأحكام الخاصة بانشاء الطلاق وإيقاعه إلا إحدى عشرة كلمة فى الآيتين الاوليين . ثم سيق نصف السورة تقريباً لبيان الأحكام المتعلقة بالطلاق عامة ، من إنشاء وإيقاع ، ومن إمساك بمعروف أو مفارقة بمعروف ، ومن عدة وانفاق وإسكان وإخراج وأجرة إرضاع ، ومن بيان لحدود الله فى الطلاق ووعيد شديد لمن تعداها ، ومن ترغيب فى تقوى الله والتوكل عليه ، كل أولئك فى الآيات السبع الأولى من السورة الكريمة ثم سيق سائرها لأشياء أخرى ليست لها علاقة بالطلاق

فهل كل هذا ذكر تبعاً لسبع كلمات فى الأحكام الخاصة بانشاء الطلاق فى الآية الأولى ، ولأربع كلمات فى الآية الثانية ؟! كلا ! إنها سورة الطلاق ، ذكر فيها كثير من أحكامه عامة ، وسيق نحو نصفها لارشاد الرجال الى ما يجب عليهم عند الطلاق وبعده ، وكل ذلك أصل مقصود . لم يذكر شىء منه تبعاً ولا استطراداً

ولو قرأ القارىء الآيتين الأوليين بأناة وروية ، وتأمل فيهما على ما تقتضيه الفطرة العربية المستقيمة والذوق السليم ، لتبين له أن الأمر بالاشهاد راجع الى الأشياء الثلاثة المذكورة فى الآيتين ، وهى الطلاق : أى انشاؤه ، والامساك بالمعروف : أى الرجعة ، والمفارقة بالمعروف : أى انفاذ الطلاق بتسريحها باحسان عقيب انقضاء عدتها ، وأنه لو كان المراد الأمر بالاشهاد عند انشاء الطلاق فقط لكان موضع ذكره فى صدر الآية الأولى عند قوله : ( فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ) ، أما تأخيره بعد ذكر الامساك أو المفارقة فانه صريح فى عودته الى جميع ما تقدم عليه

وهذا هو الذى فهمه أكثر العارفين باللغة والتمكنين منها ، ولم يستهجن أحد منهم عوده الى الرجعة ، ولا ادعى أنها ذكرت تبعاً واستطرادا ، فابن عباس وعطاء والسدى وغيرهم فهموا أن الأمر بالاشهاد راجع الى الطلاق والى الرجعة معاً ، ولذلك قال ابن حزم « فقرن عز وجل بين المراجعة والطلاق والاشهاد ، فلا يجوز افراد بعض ذلك عن بعض »

وكذلك قال الامام محمد بن ادريس الشافعى ، وهو من أعلم الناس باللغة وأفصحهم ، فقد قال فى كتاب الأم ( ج ٥ ص ٢٢٦ ) : « ينبغى لمن راجع أن يشهد شاهدين عدلين على الرجعة ،

لما أمر الله به من الشهادة ، لئلا يموت قبل أن يقر بذلك ؛ أو يموت قبل تعلم الرجعة بعد انقضاء عدتها ، فلا يتوارثان ان لم تعلم الرجعة فى العدة ، ولئلا يتجاحدا أو يصيبها فتنزل منه اصابة غير زوجة »

وقال محمد بن جرير الطبرى فى التفسير ( ج ٢٨ ص ٨٨ ) : « وقوله : وأشهدوا ذوى عدل منكم . وأشهدوا على الامساك إن أمسكتموهن ، وذلك هو الرجعة »

وقال العلامة جار الله الزمخشرى فى الكشاف ( ج ٢ ص ٤٠٣ ) : « وأشهدوا يعنى عند الرجعة والفرقة جميعاً ، وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة ، كقوله : وأشهدوا اذا تبايعتم . وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة . وقيل فائدة الاشهاد ألا يقع بينهما التجاحد ، وألا يتهم فى امساكها ، ولئلا يموت أحدهما فيدعى الباقى ثبوت الزوجية ليرث »

وقال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط ( ج ٨ ص ٢٨٢ ) : « وأشهدوا : الظاهر وجوب الاشهاد على ما يقع من الامساك وهو الرجعة ، أو المفارقة وهى الطلاق . وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة ، كقوله : وأشهدوا إذا تبايعتم . وعند الشافعية واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة . وقيل : وأشهدوا يريد به على الرجعة فقط ؛ والاشهاد شرط فى صحتها ، فلها منعه من نفسها حتى يشهد . وقال ابن عباس : الاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق يرفع من النوازل أشكالاً كثيرة »

وبنحوه قال سائر المفسرين ، حتى لقد قال العلامة أمين الدين أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى المفسر من كبار أئمة الشيعة الامامية ، المتوفى سنة ٥٤٨ فى تفسيره مجمع البيان ( ج ٢ ص ٤٣٠ طبع ايران ) : « وأشهدوا ذوى عدل منكم . قال المفسرون : أمروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة شاهدى عدل حتى لا تجحد المرأةُ المراجعةَ بعد انقضاء العدة ، ولا الرجلُ الطلاقَ . وقيل معناه : وأشهدوا على الطلاق صيانةً لدينكم ، وهو المروى عن أئمتنا ، وهذا أليق بالظاهر ، لأنا ان حملناه على الطلاق كان أمراً يقتضى الوجوب ، وهو من شرائط صحة الطلاق ، ومن قال ان ذلك راجع الى المراجعة حمله على الندب »

فهذا الامام الشيعى لا يرى مانعاً من جهة اللغة والسياق أن يرجع الأمر بالاشهاد الى الرجعة والى الطلاق معاً ، ويتأول ذلك . أو يدعى أن الظاهر رجوعه الى الطلاق فقط ، انتصاراً لمذهب الأئمة من أهل البيت فى اشتراطه الطلاق دون الرجعة

ومع ذلك فان مذهب الامامية أن الأشهاد على الرجعة مندوب اليه مستحب ، نص على ذلك فى كتبهم فى مواضع مختلفة

وقد ورد فى رواياتهم عن أبى جعفر الباقر عليه السلام فى بيان طلاق العدة أنه : « اذا أراد الرجل أن يطلق امرأته طلاق العدة فلينتظر بها حتى تحيض وتخرج من حيضها ، ثم يطلقها تطليقة من غير جماع ، ويشهد شاهدين عدلين ، ويراجعها من يومه ذلك إن أحب ، أو بعد ذلك بأيام قبل أن تحيض ، ويشهد على رجعتها الخ » نقله الطبرسى فى التفسير ، وشيخ الطائفة محمد ابن الحسن الطوسى فى التهذيب ، والامام السعيد أبو جعفر محمد ابن على بن بابويه القمى فى كتاب (من لا يحضره الفقيه) وغيرهم

فهذا يدل على أنهم يرون أن الأمر بالاشهاد فى الآية راجع الى الرجعة كما هو راجع الى الطلاق . وان كانوا لا يشترطونه فى صحة المراجعة ، فذاك لشىء آخر وهو اتباع الأئمة من أهل البيت . ولولا أن الأمر راجع اليهم لما كان لديهم دليل على استحباب الاشهاد فى الرجعة ، ولما قال أبو جعفر الباقر عليه السلام : « ويشهد على رجعتها » فانه لم يرد طلبُ الاشهاد فيها فى شىء من القرآن إلاّ فى هذه الآية ، ولم يرد أيضاً فى شىء من الأحاديث الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن كان قد ورد فى أقوال الصحابة والتابعين ، كما نقلنا عن ابن عباس وغيره

وكما روى أبو داود ( ج ٢ ص ٢٥٧ ) ، وابن ماجه ( ج ١ ٣١٩ ) عن مطرف بن عبد الله : « أن عمران بن حصين سئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها ؟ فقال : طلّقت لغير سنة ، وراجعتَ لغير سنة ، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعُد » ، وروى البيهقى فى السنن الكبرى ( ج ٧ ص ٣٧٣ ) نحوه من طريق ابن سيرين عن عمران بن حصين ، واسناده عند أبى داود اسناد صحيح كما قال الحافظ ابن حجر فى بلوغ المرام (ص ٢٢٨)

وروى البيهقى باسناد صحيح عن نافع قال : « طلق ابن عمر امرأته صفية بنت أبى عبيد تطليقة أو تطليقتين ، فكان لا يدخل عليها الا بأذن ، فلما راجعها أشهد على رجعتها ودخل عليها »

فعبد الله بن عمر فهم من الآية أن الأمر بالاشهاد راجع الى الرجعة ولذلك أشهد على رجعة مطلقته ، وعمران بن حصين

فهم ذلك أيضاً ، وأنكر على من طلق ولم يشهد وراجع ولم يشهد ، واعتبره مخالفاً للسنة ، اذ خالف ما أمر به فى القرآن . وهما عربيان يفهمان لغتهما بالفطرة السليمة ، قبل فساد الألسنة ، ودخول العجمة على الناس

وأنا إذ أحتج بأقوال من نقلت قولهم من الصحابة والتابعين والمفسرين فانما أحتج بها من وجهة الدلالة العربية وفهم مناحى الكلام فى الآيات الكريمة ، لا من جهة الرأى الفقهى الاستنباطى ، فقد اختلفوا فيه اختلافاً كثيراً ، فبعضهم يرى وجوب الاشهاد على الطلاق وحده ويجعله شرطاً فى صحته ، وبعضهم يرى وجوبه على الرجعة وحدها ويجعله شرطاً فى صحتها ، وبعضهم يراه مستحباً فقط فى الأمرين ، وبعضهم يراه واجباً فيهما ولا يراه شرطاً فى صحة واحد منهما ، كما يفهم من كلام عمران بن حصين .

وأما الذى أراه وأذهب اليه فهو وجوب الاشهاد فى الأمرين جميعاً وأنه شرط فى صحة كل منهما ، لأنه ثبت من دلالة الآيتين فى أول سورة الطلاق أن الله سبحانه أمر الرجلين بالاشهاد عند الطلاق وعند المراجعة ؛ والأمر فى حقيقته دائماً للوجوب ، ولا يدل على الندب الا دلالة مجازية ؛ والمجاز لا يراد من الكلام الا بوجود قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى ، ولا قرينة هنا أبداً تمنع ارادة المعنى الحقيقى ، وان ادعى الشوكانى فى نيل الأوطار ذلك إذ قال ( ج ٧ ص ٢٣ — ٢٤ ) : « ومن الأدلة على عدم الوجوب أنه قد وقع الأجماع على عدم وجوب الاشهاد فى الطلاق ، كما حكاه الموزعى فى تيسير البيان » ، وما أكثر دعوى العلماء الأجماع ، خصوصاً فى مسائل الطلاق ! ! وهى دعوى عريضة ، يدعونها فى كثير من المواطن إذا ما غلبتهم الحجة وأعوزهم البرهان ، وليس لهم عليها أى دليل ! كما قلت فى ( نظام الطلاق ) وبينت هناك المعنى الصحيح للاجماع ، « لكثرة إرجاف المرجفين بدعوى الاجماع فى الطلاق ، ليرعبوا العلماء المجتهدين الصادقين المخلصين ، ويصرفوهم عن البحث فيه ، أو يؤلبوا عليهم العامة والغوغاء . فتحاماه أكثرهم وأحجموا عنه ، إلا من ثبت الله قلبه وأيده بروح من عنده » ( ص ٩٦ — ١٠٣ )

( البقية فى العدد القادم )

أحمد محمد شاكر
القاضى الشرعى

# دانتى أاليجيرى

### والكوميدية الالهية

## وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

---

نفينا فى كلمة سالفة أن يكون دانتى اليجيرى قد تأثر فى كوميديته برسالة الغفران لأبى العلاء ، ورجّحنا أن يكون قد احتذى ملحمة ( الأنيد ) للشاعر الرومانى الخالد فرجيل ، وأن تكون ثقافته الكبيرة واطلاعه الواسع على الأدبين المسيحى والاسلامى ، ثم إلمامه بالأدب الاغريقى القديم قد شقق له فجاج الخيال فاستطاع أن يضفى على كوميديته ظلالاً عبقرية جذابة من أشتات هذه الثقافات . فمن الأدب المسيحى استمد إيمانه الذى تفيض به الكوميدية ، واقتبس من رؤيا يوحنا اللاهوتى أمواهاً لوّن بها فصوله ؛ ومن قراءاته الاسلامية — وأهمها القرآن — اقترض أخيلة للجحيم خصبة قوية ارتفع بها الى ذروة الأدب السامى الرفيع ... أما من الأدب الاغريقى القديم فسنرى أن دانتى — إما بالذات وإما بالوساطة — قد قبس قبسة من أسطورة أرفيوس وقبسة أخرى من هرقل وقبسات غير هذه وغير تلك من الأساطير التى تتناول الدار الآخرة ( هيدز )

على أن ملحمة الأنيد لفرجيل هى التى أوحت الى دانتى فكرة الكوميدية . وقد رجعنا الى الفصل الطويل الممتع الذى كتبه ( بوكاشيو ) عن مواطنه ، وقرأنا كذلك ما كتبه الأستاذ فليّو فلانى فى مجموعته (Lives of Illustrious Florentines) وما كتبه الأستاذ العلامة ج . ا . سيموند عن دانتى ، والمقدمة التى كتبها إدمند . ج . جاردنر للكوميدية ( ترجمة كارى سنة ١٩٠٨ ) ، ثم الفصل الطريف الذى عقده الأستاذ رتشارد جارنت عن دانتى فى كتابه ( تاريخ الأدب الايطالى ص ٢٤ — ٥٢ ) فتأكد لنا أن دانتى كان معجباً الى غير حد بالشاعر الرومانى فرجيل وأنه كان يحفظ الكتاب السادس من الأنيد عن ظهر قلب ، وأن هذا الكتاب السادس ( الذى سنلخصه للقراء ) من الأنيد إن هو إلا صورة مصغرة لجحيم دانتى مع فارق الغاية واختلاف القصد بين كل من الشاعرين

أما أسطورة المعراج الملفقة[1] التى لفتتنا اليها الرسالة ، والتى خال بينها وبين الأساطير التى نحن بصددها علاقة أستاذنا الجليل صاحب (ذكرى أبى العلاء) فلنا فيها رأى سنذكره عند الكلام عن فردوس دانتى وعن جحيمه أيضاً

ولتشعب البحث نرى أن نضع بين يدى القارئ خلاصات موجزة لكل من رسالة الغفران (مع صور للجنة والجحيم من القرآن الكريم) ، ورؤيا يوحنا اللاهوتى ، وبعض مجازفات أوليسيز من (الأوديسه) ، وأسطورة أرفيوس ، ورحلة هرقل الى هيدز ، والجزء السادس من أنيد فرجيل ، ونتبع ذلك بخلاصة لكوميدية دانتى بأجزائها الثلاثة : الجحيم ، والمطهر ، والفردوس ، ثم نقفى بمقارنة تاريخية لن تضير شاعرنا العربى العظيم فى شىء ، لأنه ليس ضيراً ألا يكون دانتى قد احتذى مثال أبى العلاء أو قلد أسطورة المعراج

١ — **رسالة الغفران**

أرسل على بن منصور الحلبى المعروف بابن القارح إلى أبى العلاء رسالة ضافية يستفتيه فيها عن بعض مشكلات النحو والصرف ، ثم يبدى « غيظه على الزنادقة والملحدين ، الذين يتلاعبون بالدين ، ويرومون إدخال الشبه والشكوك على المسلمين ، ويستعذبون القدح فى نبوة النبيين ، ويتطرفون ويتبذلون — إعجاباً بذلك المذهب : (تيه مُغَنّ وظرف زنديق) . . . » ويلم بأخبار بعض الزنادقة كبشار والقصار الأعور والصناديقى والوليد بن يزيد وأبى عيسى بن الرشيد والجنابى والحلاج وابن أبى العُذافر . . . الخ . . . ويشير إلى النبى صلى الله عليه وسلم إشارة لها معناها ، ثم يذكر شيئاً عن حجه وأسفاره وتحصيله لعلوم اللغة . . . ويتبسط فى الحديث كأنما رفعت الكلفة بينه وبين أبى العلاء فيضع بين أيدينا مفتاح رسالة الغفران . . .

وقد قرأنا كل ما كتبه أدباؤنا عن رسالة أبى العلاء فراعنا أن واحداً منهم لم يعرض لرسالة ابن القارح بكلمة ، وراعنا أن واحداً منهم لم يتوفر على دراستها ليدرك العلاقة بين الرسالتين ، وكان يؤلمنا أن بعض أدبائنا لم يكن يدرى من أمر رسالة الغفران شيئاً إلا أنها تهكم وسخرية بابن القارح ؛ مع أنها رجع الصدى لزندقته وإلحاده

قال ابن القارح فى ختام رسالته : « كنت بتنيس وبين يدى إنسان يقرأ ، ويحزن ، : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ؛ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ؛ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ؛ إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ؛ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولقاهم نَضرَةً وسروراً ؛ وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ؛ متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ، ودانيةً عليهم ظلالها ، وذُللت قطوفها تذليلاً ؛ ويطاف عليهم بآنية من فضةٍ وأكواب كانت قواريرا ، قوارير من فضة قدروها تقديراً ، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ؛ عيناً فيها تسمى سلسبيلاً ؛ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ؛ وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيراً : عاليَهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحُلُّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ؛ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ؛ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ، فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً ؛ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ؛ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ......) قال ابن القارح : وكان القارئ يتألم ويبكى ، فخطر لى خاطر فقلت : أنا بضد هؤلاء القوم ، صلوات الله عليهم ! ؛ أنا لا أنذر ، ولا أفى ، ولا أخاف شقاء ولا عناء ! ! »

أفرأيت وسمعت ؟ ! ابن القارح ضد هؤلاء القوم ، صلوات الله عليهم ، لا ينذر ولا يفى ولا يخاف شقاء ولا عناء !! ومع ذلك فهو من علماء المسلمين الذين يفهمون معانى الآيات ، ويعرفون من هم أولئك الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ... ابن القارح الذى ذكر فى رسالته أنه يغتاظ على الزنادقة والملحدين والطاعنين فى الأنبياء بغير الحق لا يهمه أن يكون بضد الأبرار المذكورين فى سورة الدهر ، ولا يهمه ألا ينذر ولا يفى فلا يخاف عناء ولا شقاء ؟ !

هنا مفتاح رسالة الغفران ! !

ومن أجل ذلك كان عجبنا شديدا كيف أن أحدا من أدبائنا لم يلتفت الى رسالة ابن القارح ليهتدى الى الروح التى أملت رسالة

(١) نقصد القصة التى وضعها نجم الدين الغيطى ولا نقصد حادث المعراج الذى نؤمن به ، وقد وفقنا إلى أشياء عن هذه القصة ستروق القراء ان شاء الله

الغفران .. لقد طرب أبو العلاء أيما طرب أن وجد أديباً مثله معجباً به يقدر أدبه وفلسفته وآراءه فى الحياة والناس ويخاف مثله من مصارحة الناس بما يؤمن فيكتب بهذا الأسلوب المضمر الملغوز الذى يقول فى أوله : إنى أغتاظ على هؤلاء الزنادقة والملحدين مثل بشار والقصار والجنابى والحلاج ومن اليهم ممن يجدفون فى الله وفى كتبه ويشككون الناس فى أنبيائه ؛ ثم يقول فى آخره إنه خطر له خاطر حين سمع قارئ سورة الدهر وهو يقرأ ويحزن ويبكى أنه بضد هؤلاء الأبرار (صلوات الله عليهم ؟ ! ! ) لأنه لا ينذر ولا يفى ، ولا يخاف شقاء ولا عناء !

طرب أبو العلاء أيما طرب لأنه وجد رجلاً مثله لا يؤمن بهذه الجنة التى عرضها السموات والأرض ، ولا بهذه الأنهار من لبن وعسل وخمر ، ولا بهذه العين السلسبيل ، ولا بهؤلاء الولدان المخلدين الذين يطوفون على المؤمنين بأكواب من فضة ، ولا بالحور العين ... ولا يؤمن بما جاء فى أول سورة الدهر مما أعد للكافرين من سلاسل وأغلال وسعير .. وإذن ، فليكتب أبو العلاء الى ابن القارح ، وليخضع فى كتابته الى ابن القارح لما تسميه السيكلوجية « تداعى المعانى » فيدخل به الجنة ... ولكن قبل أن يدخل الجنة لا بد أن يبعث ... وقبل أن يبعث لا بد أن يموت .. وسيلقاه عزرائيل ساعة الموت ، فلا بأس من أن يناقشه أبو العلاء مناقشة صرفية فكهة مضحكة ، فاذا دخل القبر وأغلق عليه وجاء الملكان منكر ونكير فأى بأس من أن يجادلهما كما جادل عزرائيل ، فاذا رفعا الأرزبة ليدقا بها عنقه فأى بأس أيضاً من أن يربكهما بمناقشة صرفية عن هذه الآلة المحطمة ليشغلهما قليلاً عن تعذيبهما إياه ... ثم أى بأس أيضاً من أن تستمر هذه المناقشة الصرفية فى كل مكان من البعث ، الى أسوار الجنة ، الى الصراط ، الى داخل الجنة نفسها ، الى جهنم ... الخ أليس قد أراد أبو العلاء أن يشارك ابن القارح سخريته ؟ فلم لا يشاركه دعابته ؟ ولم لا يداعبه تلك الداعبة المضحكة بشرط ألا يفهم أنها دعابة إلا ابن القارح ، فاذا قرأها رجل غير ابن القارح وكان عارفاً باللغة وأسرار نحوها وصرفها راقه ذلك التحقيق الفقهى لتصريف تلك الكلمات التى لا يسمن تصريفها ولا يغنى من جوع من مثل ( عزرائيل وملك وإرزبة وجهنم ... الخ ... ) فاذا كان القارئ مؤمناً ورعا يسره الحديث

عن الجنة وملاذها ويخيفه الحديث عن جهنم وآلامها شاقه حديث الرسالة عن متع الفردوس ، وهذا الأوز الذى ينتفض فيكون حورا عيناً باذن الله ، وسمك الحلاوة الذى يسبح فى أنهار الخمر والعسل واللبن والأرى ... وأخافه ما يرى فى السعير من صنوف المجرمين الكافرين الذين كذبوا بيوم الدين ... وما يكذب به الا كل معتد أثيم ...؟ !

وقد طرب أبو العلاء أيضاً ، وازدادت ثقته بصاحبه لأنه عرف فيه رجلاً يعطف مثله على الحيوان ..... لأنه « حدثه من يثق به وكان زاهداً (!) قال : كنت مع أبى بكر الشبلى ببغداد فى الجانب الشرقى بباب الطاق ، فرأينا شاوياً ، وقد أخرج حملاً من التنور ، وإلى جانبه قد عمل حلاوى فالوذجا ، فوقف ينظر إليهما ، وهو ساه مفكر ، فقلت : « يا مولاى ! دعنى آخذ من هذا وهذا ورقاقاً وخبزاً ، ومنزلى قريب ، تشرفنى بأن تجعل راحتك اليوم عندى ، فقال : « ياهذا ، أظننت أنى اشتهيتهما ؟ وإنما فكرى فى الحيوان كله !! لا يدخل النار إلا بعد الموت ... ونحن ندخلها أحياء ! »

إذن ، فليطمئن أبو العلاء إذا كتب إلى ابن القارح ، وليطف به من البرزخ إلى المحشر إلى الصراط ، ولتحمله وصيفة فاطمة الزهراء إلى داخل الجنة (زقفونه) ! وليجذبه ابراهيم إلى الجنة رغم أنف رضوان ... ولتكن هذه الحياة الأخرى مهزلة وملهاة مضحكة سواء أفى الجنه أو فى الجحيم ... وليحرض ابليس زبانية جهنم على جذب ابن القارح ليكون معه فى بطن سقر . . . . . وليتقارض هذان الساخران الملحدان الضحك على المؤمنين وإله المؤمنين وأنبياء المؤمنين وجنة المؤمنين ..... وليتقارضاه آمنين مطمئنين فليس أحد فى عصرهما بقادر على أن يدرك أنهما يستهزئان بكل ذلك ..... بل كل الناس ستكبر أدب ابن القارح وأدب أبى العلاء .... لأن ابن القارح ( يغتاظ على أولئك الزنادقة الملحدين مثل بشار والقصار والجنابى والحلاج لأنهم يجدفون فى الله وينكرون أنبياء الله ويكفرون بكتب الله ويشككون الناس فى كل ذلك ) ، ولأن أبا العلاء قد أعطاهم صورة من الجنة تزيد المؤمنين إيماناً على إيمانهم وصورة من الجحيم تزيدهم منها خوفاً فوق خوفهم . . . وليفرح النحاة بأبى العلاء لأنه حل لهم ألغازاً من الصرف والنحو لم يكونوا قادرين عليها ، وهى عند أبى العلاء

ضرب من الهذيان لا غناء فيه

على أن أشياء أُخر فى رسالة ابن القارح تشعر القارئ برقاعة وفجور لا يدلان إلا على زندقة وفسق ، ونفس خبيثة لا تتوقر ، ولسان بذىء ينفث الفحش ، وفم يقىء الدنس ... اقرأ هذه النبذة التى دسها ابن القارح من غير ما مناسبة اقتضتها فى رسالته :

« دفع رجل الى صديق له جارية وأودعها عنده وذهب فى سفره ، فقال بعد أيام لمن يأنس به وتسكن نفسه اليه : يا أخى ! ذهبت أمانات الناس ! أودعنى صديق لى جارية ، فى حسابه أنها بكر ، جربتها فاذا هى ثيب !! »

وهو قبل ذلك يشكو الى أبى العلاء انصرافه عن طلب العلم وانغماسه فى الأغراض البهيمية وأنه قبل أن يجىء الى مصر كان يذاكر خمسين ورقة كل يوم ، ولكن الأغراض البهيمية التى عرفها فى مصر وانغمس فيها ثمة صرفته عن جده ومثابرته فهو لا يذاكر إلا خمساً ومع ذاك تكل عيناه فى تحصيلها على قلتها . .

وحديث ابن القارح عن الزنادقة حديث الهازل غير الجاد . . حديث ( المستملح ) لما كان يصدر عنه هؤلاء الزنادقة من عتو وإلحاد والتماس الرفد والتوسل الى المنفعة بالتدين . . وقد اشتهر عن أبى العلاء نفسه أنه كان يتهم الأنبياء بمثل ما اتهم به ابن القارح الزنادقة من هذا الالتماس للرفد عن طريق الدين ، واللزوميات تفيض بشواهد كثيرة على ذلك

ونحن لا ندرى لم حشد ابن القارح هذا الحشد الكثير من الزنادقة فى رسالته ، وألم فيها بشر ما كان يصدر عنهم من تسفيه الأنبياء ، وسب الخلفاء ، والتبرم بالاسلام وبالمسلمين ؟ أليس كان يشير أبو العلاء الى كثير مثل هذا فى لزومياته ؟

اسمع الى هذا الرجل من يهود خيبر يعرض بموسى ويستهزئ بعمر حين أجلى أهل الذمة عن جزيرة العرب :

يصول أبو حفص علينا بدرّة … رويدك إن المرء يطفو ويرسب
كأنك لم تتبع حمولة مأقط … لتشبع ، إن الزاد شىء محبب
فلو كان موسى صادقاً ماظهرتمو … علينا ، ولكن دولة ثم تذهب
ونحن سبقنا كم الى الدين فاعرفوا … لنا رتبة البادى الذى هو أكذب
مشيتم على آثارنا فى طريقنا … وبغيتكم فى أن تسودوا وترهبوا

واسمع الى الذى يسب أبا بكر لشدة نالته منه فرحل الى بلاد الروم :

لحقت بأرض الروم غير مفكر … بترك صلاة من عشاء ولا ظهر
فلا تتركونى من صبوح مدامة … فما حرم الله السلاف من الخمر
إذا أمرت تيم بن مرة فيكمو … فلا خير فى أرض الحجاز ولا مصر
فان يك اسلامى هو الحق والهدى … فإنى قد خليته لأبى بكر !!

وهكذا يحشد ابن القارح فى رسالته كل ذلك الفحش من أقوال الزنادقة وهو يعرف أن أبا العلاء قد قال مثل ذلك فى لزومياته ، فكأنه قصد الى أن يغنى على عوده ويضرب وراء هواه ، ... ولا ينفعه بعد ذلك سبه لهؤلاء الزنادقة ، هذا السب الذى كاد يكون رشقاً بالورد وتحية بالريحان وتزويراً على القارئين

* * *

وبعد ، فموضوعنا دانتى وأبو العلاء ، وهذا حديث طويل عن ابن القارح .. ولكنه حديث عن السبب فى كتابة رسالة الغفران سنحتاج اليه حين نتكلم عن السبب فى كتابة الكوميدية الالهية

ولنختم هذا المقال بذيل عن رسالة الغفران ليكون بين يدى القارئ خلاصة خاطفة لها :

دخل المعرى بصديقه ابن القارح جنة الفردوس ، فركب نجيبا يتنقل عليه فى آفاقها ، ثم طفق يطوف على أهلها ممن غفرت لهم خطاياهم فى الدار العاجلة ببيت شعر أو كلمة طيبة ، وترك المعرى لخياله عنانه الطويل فتفنن ما شاء فى وصف حور الجنة وأنهارها وألوان نعيمها ... ويلاقى ابن القارح تمم بن أبى الشاعر فيسأله عن أبيات كان قد قالها ، ثم يتشقق الحديث فيقص ابن القارح على تميم قصة بعثه وهول المحشر ثم حديثه مع رضوان وزفر ، ووروده على الحوض المورود ولقاءه فاطمة بنت النبى واستشفاعه بها وجذب ابراهيم بن النبى اياه فيكون داخل الجنة ... ويعود ابن القارح الى محاورة أهل الفردوس ممن غفر لهم ويطوف بحدائق الحور ثم ينتقل الى جنة العفاريت فيحدثه أهلها بأعجب الأحاديث ... ويشتاق الى الاطلاع على أهل الجحيم : فيتحدث الى الخنساء (والعجيب وضعها فى النار مع حسن اسلامها ووضع أشد الكفار عتوا فى الجنة ! ! ) ويتحدث الى ابليس والى طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية ... ثم يعود الى الفردوس فيتحدث الى آدم ... ويخلص الى جنة الرُّجّاز ... ويختم الكوميدية بوصف بارع لنعيم الخلد ....

« يتبع » د . خ

# شعراء الموسم في الميزان
## نقد وتحليل

للأديب عباس حسان خضر

– ٢ –

**صرعى الأغراض**

تناول شعراء الموسم مختلف الأغراض ، فلم يكن منها فى صميم ما يحس به جمهور الشعب احساساً عميقاً شاملاً غير هذه القصيدة ، وقصيدة « وطنى » للأستاذ محمد الهمياوى ، فلقد كانت هذه الصيحة التى أعلنها الأستاذ أحمد الزين حبيسة فى نفوس الكثيرين ، حتى لقد كانت زفرات الصعداء تقترن بتنفس الاعجاب ، ولقد تناول الأستاذ جزئيات الموضوع فى استقصاء وبيان لا يتأتيان لكاتب مطلق القلم من قيدى الوزن والقافية . استمع اليه يفند دعاوى العدل والمساواة والحضارة ، فى حجج بالغة :

لا يدعى العدل قوم فى عدالتهم     صرعى الكفايات تشكو ظلم أهليها
ولا المساواة ، والأفهام لو وزنت     مع الغباوة فيهم لا تساويها
ولا الحضارة من مجزى نوابغهم     وحشية تسكن البيداء والتيها

والأستاذ الزين يأتى المعانى من أبوابها ، ويتناول مفاتيحها تناولاً حسناً ، ثم يجلوها فى ألفاظ عذبة مونقة ؛ يؤلف بين الشقائق ، ويجمع بين الأشباه والنظائر ، فلا تجد كلة فى غير موضعها ، وإن ما يضطر اليه الشعراء من التقديم والتأخير وغيرها لا تجد له أثرا فى شعره ، وهذه قصيدة (صرعى الأغراض) التى نحن بصددها ، اقرأ مطلعها :

هات المدام ولا تسمع لشانيها     إن الزمان يصافى من يصافيها

هل تستطيع أن تلفظ كلة وتقف ؟ لا ، لا بد أن يجرى البيت كله على لسانك حتى لتشعر كأنه ليس مؤلفاً من كلمات ينفصل بعضها عن بعض

وفى الأبيات التالية تصوير يدل على المهارة الشعرية :

ملء المناصب منهومون قد جملوا     من دونها سد ذى القرنين يحميها
على مناعة ذاك السد تنفذه     عصابة تتواصى فى حواشيها
من كل أخرق تنسل الحظوظ به     الى المراتب يسمو فى مراقيها
خالى القوى عبقرى الجهل يثقله     عبء الرياسة إذ يدعوه داعيها

فتراه قد استوعب فى هذه القوالب الشعرية أكثر المعانى التى تتركب منها هذه الموصوفات ، وهذه غاية التصوير الشعرى ؛ وفى « عبقرى الجهل » ظرف كثير ، وقد أخذت هذه الكلمة سبيل الكلمات السائرة

والقصيدة زاخرة بالمعانى ، منها ما هو عام يجول فى نفس الشاعر وفى نفوس غيره ، بيد أنه تفرد فى ترجمة المعنى وصوغه فى صور طريفة ، ومنها معان مبتكرة مضى اليها خياله سابقاً ، فمن النوع الأول قوله :

أرخصتمو غالى الأخلاق فى بلد     لم تغل قيمته إلا بغاليها
يا رب نفس أضاء الطهر صفحتها     أفسدتموها فزلت فى مهاويها
وكم قلوب كساها الحسن نضرته     دنستموها فعاد الحسن تشويها
أغلقتمو سبل الأرزاق لم تدعوا     لفاضل الخلق سعياً فى نواحيها
مدارس تغرس الأخلاق فى نشأ     ومغلق الرزق بعد الغرس يذويها
لا تلح طالب رزق فى نقائصه     إن الضرورات من أقوى دواعيها
ما أطهر الخلق المصرى لو طهرت     تلك الرياسات من أهواء موحيها

ومن أبكار المعانى قوله فى الخمريات التى ابتدأ بها :

بكرا تدور على الندمان لابسة     عقداً من الحبب الدرى زهيها
سرى شذاها فحيا أنفساً ضعفت     من الهيام بها عن أن تحييها

فهذا « الزين » أول من يلبس الكأس عقداً ؛ والبيت الثانى اشتمل على معان لا يسلكها فى بيت واحد إلا شاعر فحل ، فالكأس ذات شذى يحيى الأنفس ، والأنفس تتأثر بالشذى حتى يستهلكها ، فما تعود قادرة على تحية الكأس الوافدة عليها يقدمها شذاها محيياً . واليك هذين التشبيهين فى مواهب النوابغ :

جادوا بأعمارهم حتى لجاحدهم     إن المواهب سلم فى أعاديها
كالشمس تقبس منها عين عابدها     وترسل النور فى أجفان شانيها
والنفس ان ملئت بالود فاض على     نفوس أعدائها بالود صافيها
كالسحب إذ ملئت بالغيث فاض على     جدب البلاد خلوف من هواميها

بعد أن تقرأ التشبيه الأول وتقضى حقه من الاعجاب قف هنيهة عند التشبيه الثانى ، وانظر قوة معانيه وكثرة أوجه الشبه فيه ، فالنفس الشبعة بالود كالسحب الشبعة بالغيث ، والنفوس

التى تجحدها كالأرض الجدب ، ومع هذا فالنفوس الخيرة تعلو علو السحب وتفيض على جاحديها بالود كما تفيض السحب على الجدب بالغيث

والزين أول من يطالب بدم قتلى المواهب فى قوله :

يا آخذين بقتل النفس قاتلها ... قتلى المواهب لم يسمع لشا كيها
كم للنبوغ دماء بينكم سفكت ... باسم المآرب لا اسم الله مجريها
هلا اقتصصتم لهامن ظالم سافكها ... وقل فيما جناه قتل جانيها
أولى الورى بقصاص منه ذو غرض ... يخشى المواهب تخفيه فيخفيها

ويصور القاتل فى هذه الصورة النفسية المبدعة يخفى المواهب بقتلها حتى لا تغطى عليه وتخمله

وهذه القصيدة من الشعر الذى يقال فيه : ألفاظه قوالب معانيه ؛ فالمعنى يسابق اللفظ حتى يكاد يسبقه ، وأعتقد أن نجاحها — إذ كانت قصيدة الموسم غير منازعة — يرجع أكثره إلى شدة احساس الشاعر بمعانيها ، وصدورها عن شعوره العميق فى ثوب من البيان السليم من التكلف والتعقيد

ويظهر أن حسن القصيدة شغلنى عما عساه أن يكون فيها من المآخذ ؛ وان كان الانصاف قد اقتضانى أن أبدى — ما استطعت — بعض حسناتها ، فان الانصاف نفسه يقتضينى أن أنظر الى الكفة الثانية ..

يقول :

كم للنبوغ دماء بينكم سفكت ... باسم المآرب لا اسم الله مجريها

يقال — مثلاً — : إن هذا الأثم ارتكب باسم المصلحة العامة ، أى أن المصلحة العامة اتخذت اسماً فحسب لتبرير الفعل ، وتكون الحقيقة أن هناك باعثاً على الفعل غير الذى اتخذ اسماً ؛ فالتعبير الذى فى البيت وهو أن الدماء سفكت باسم المآرب يفهم أن المآرب اتخذت اسماً فقط ، مع أنه يريد أن المآرب هى الباعث الحقيقى على سفك دماء النبوغ

ويقول منددا باقامة الدور لحفظ الآثار :

ورافعين من البنيان شاهقه ... فيه الذخائر قد صفت لرائيها

فبينما هو يغض من شأن الآثار ويقول عنها فى الأبيات التى قبل هذا البيت : خرق وخزفات .. إذ به يسميها ذخائر ! ولو صح عنده أنها ذخائر ونفائس لما كان هناك موضع للسخرية من الاهتمام بها ؛ على أننى لا أدرى لماذا يحمل الأستاذ الزين على الآثار هذه الحملة المنيفة ، هل العناية بها تمنع من تقدير ذوى المواهب؟

قد يقال : إن الشاعر لا ينقد فى رأيه ؛ ولو خالف به ما أجمع عليه الناس ، ما دام قد أخرج ما ذهب إليه مخرج لطف وابداع .

هذا صحيح ولكن هذه القصيدة تعد من الشعر الكتابى الذى يمحص فيه الرأى ، لذلك ولأن القصيدة ذات أثر فى نفوس الجمهور أحب أن أناقش الشاعر فى رأيه هذا ، فماذا لو أنه جمع بين العناية بالبحث عن الآثار القديمة وبين تقدير ذوى المواهب ؟

على أن الأستاذ الزين نفسه يعمل فى البحث عن الآثار القديمة ، ويدأب فى دار الكتب على كشف كنوزها ، وينشئ لهما من تحقيقه وتصحيحه ما يجدد باليها ويحفظ ، وهو الآن يعمل فى كتاب نهاية الأرب ، وهو أثر من الآثار العربية القديمة

أفيجب أن يكف الأستاذ عن عمله هذا حتى يلتفت الناس إلى تقدير المواهب والعناية بالنوابغ ؟ أم هو رأى شاعر كالزهرة ينبغى مسها برفق لأن العنف بها يودى بنضرتها ...

## فى قريتى

يتحدث الأستاذ أحمد الكاشف فى هذه القصيدة عن حاله فى قريته وما يتصل به فى غيرها حديثاً تنفحك منه ريح الفطرة المحببة ، وتجد فيه روح الشعر الجاهلى المرسل على طبيعته لا يُعرِّج على عمق ولا يرهق حساً ؛ فالشاعر يسترسل فى بيان ما يشعر به استرسال شعوره بما يترجم عنه ، وقد جاءت القصيدة مطبقة لكل ما يحيط بشاعر معمَّر مثل الكاشف قد طبع على الشعر ، ومر به من الحوادث ما يستفيد منه شاعر متيقظ الذهن ، يقيم فى قرية يطل منها على الحياة العامة فى سائر البلاد ؛ فهو يَطلعُ علينا بقوله :

جمعت فى العيد حولى سائر الآل ... وملتقى الآل حولى كل آمالى

ويمضى فى مثل هذه الديباجة العربية وهذا الأسلوب الجزل يعرض شأنه مع آله ، ويتمثل الأجيال المقبلة من النشء الذين يرعاهم ويمدهم للغد ، فى قوله :

كأننى ـ وهم فى الدار ـ مطلع ... منهم على أمم شتى وأجيال
أعدهم لغـد والمقبلين غدا ... فى هذه الأرض أجنادى وأبطالى

ويصف حياته فى الريف واعتزاله فيه ، ثم يشكو من إهماله شكاية لا يلبث بعدها أن يعود إلى ذكر قناعته بما يزاوله فى الريف قائلاً :

إن لم يكن لى ديوان وحاشية ... يوما فحسبى محاريثى وأنوالى

وهو صاحب الشعر السياسى ، فلا بد أن يفخر بما أبداه فى شعره من الآراء النافعة فى الحياة السياسية عاتباً على القوم إهمالهم له ، فيقول :

ألست ممن دعا الأحزاب فائتلفت     إلى الذى فيه كانوا أمس عذالى
أرى المودة بالقنطار بينهمُ     ولم أفز بينهم منها بمثقال

ثم يتكلم فى الحادثات الجارية الآن بين الجانبين : المصرى والبريطانى كلاما جامعاً ، على قصره ، ويصيب به الغرض ، فيقول :

ولم أزل بينهم للخصم متقيا     دخائلاً هى فى ذهنى وفى بالى
أخشى على رسلهم نيانه وهمُ     منـه أمام جلاميد وأدغال
وما تزال كما كانت سياسته     يدور فيهـا بألوان وأشكال
وموضع الند أرجو عنده لهم     لاموضع الصيد من أنياب رئبال

إلى أن يقول :

وكم يكون لهم من ضيقهم فرج     كما تدافع أهوال بأهـــوال

ثم يعطف على إخوانه الشعراء فيتألم لعدم نيلهم مايستحقون ، ويخاطبهم بقوله :

وتملكون من الدنيا سرائرها     ولا تحلون منها الموضع العالى
ومايتاح لكم فى الأرض متسع     كما يتـاح لمراق ودجال

ثم يدفع ما يقال من انقضاء الشعر بعـد شوقى وحافظ بأن مصر ملأى بأشباهه من الشعراء ، وهو ، باعتزازه ، يرى فى أن هذا الكفاية ، إلى أن يقول فى ذلك :

إن لم ير الحى بعد الميْت منزلة     منهم فلاخير فى المحزون والسالى

والقصيدة — كما ترى — ليس لها وحدة ، ولا تدور حول فكرة ؛ وإنمـا موضوعها شاعر يقول فيما يحس به من الحياة القروية ويعبر عما يخالجه نحو بعض الشؤون العامة ؛ وهى ممتعة مقنعة للنفس بما تتطلبه من الشعر ، وإن كان للناقد فيها مواقف للمؤاخذة

الشاعر قليـل العناية بالملاءمة بين المعانى التى تناولها ، ففى القصيدة كثير من الأبيات التى يقول عن مثلها نقاد الأدب من القدماء : « أبناء علة » أى أنها متنافرة تنافر الاخوة غير الأشقاء مثل هذين البيتين :

لو كان للنبت احساس رأفت به     وبت للنبت أيضاً غير أكال
كأنما قريتى ما دمت ساكنها     ولاية وكأنى العمدة الوالى

وبينما نجده يمدح عشرة من يعاشرهم وما يلقاه فيها من عاطفة ، إذ بك تراه ينعى على قومه أنهم لا يساعدونه فى حمل أعبائه كما قام بأعبائهم ، وهوانه لديهم إلى أن يقول فى هذا :

ولو بليت بجبارين ما بلغوا     مدى الأحبة من قهرى وإذلالى

فيبدو فى ذلك كأنه متناقض ؛ والواقع أنه يريد من الأولين الذين يبدى ارتياحه إلى عشرتهم — أبناء قريته ؛ أما الشكوى فمن عداهم من أبناء البلاد ، ولـكنه لم يبين ، بل مزج الكلام وراح يتحدث عن الفريقين كأنهم فريق واحد !

قرأت هذا البيت :

أعدهم لغد والمقبلين غـدا     فى هذه الأرض أجنادى وأبطالى

فوقفت عند « أجنادى وأبطالى » ما شأنهم ؟ أيخبر بهم عن « المقبلين » إذن يجب أن تكون « المقبلون » ولـكن فى الهامش أن الواو للعطف ، فيبقى « أجنادى وأبطالى » لا شأن لهم بما قبلهم ولا بما بعدهم

وهو يفسر هذا البيت :

ماأحسن الشمل أرعاه وأشهده     لأمهات وآباء وأطفال

بمـا بعده :

فلا أرى فرقة فى الدهر قاطعة     لمطمئن وخفـاق وجوال
ولا يصاب هـديل فى أليفته     ولا الغضنفر فى غيل وأشبال

وعلماء الأدب يعدون من عيوب المعانى ألا يستكمل التفسير أفراد المفسَّر ؛ فهو قد بين شمـل الآباء والأطفال بقوله : « ولا الغضنفر فى غيل وأشبال » ولم يأت بذكر الأمهات ، وزاد الأليفة

ويقول إنه يعيش بالبقل والفاكهة ، ولا يأكل اللحم رأفة بالحيوان إلى أن يقول :

وقد أقاتل للحى المسالم من     طير ومن حيوان كل قتال
لو كان للنبت احساس رأفت به     وبت للنبت أيضاً غير أكال

فـكيف يرأف بالحيوان ثم يقاتل حيواناً آخر ، لو قال : « أدافع » بدل « أقاتل » لـكان مقبولا . أما قتال الحيوان فلا تقتضيه الرأفة به . ويقول إنه لو كان للنبت احساس لم يأكله أيضاً ! إنه اذن لن يجد شيئاً يعيش به ، وماذا يفعل لو علـم أن العلم الحديث أثبت أن للنبت احساساً ؟

وقال :

ولم أجد من وضيع الذكر خامله     ماساءنى من رفيع الذكر مختال

قابل بين وضيع الذكر ورفيعه ، وهذه مقابلة صحيحة . أما المختال فلا يقابل خامل الذكر ، انما يقابل الخامل النابه

(يتبع)     عباس حسان خضر

# الكمال

## للأستاذ فخرى أبو السعود

قد أسرَّت إلىَّ نفسىَ يوما … أنها لا تحب إلا الكمالا
لا تحب الأمور قد شابها النق … صُ وساوى الفحولَ فيها الكسالى
هتفت بى: إلامَ تطلب فى كلِّ … (م) ضئيل من الأمور مجالا ؟
قانعاً بالقليل قصــداً وبالهيْ … نِ مقالا وبالتوسُّط حالا
قد أسغتَ الفضولَ واللغو حتى … بتَّ عندى تُشابهُ الجهالا

***

رمتُ إرضاءها فآليت لا أر … ضى بغير الكمال يوما منالا
وحوانى جمعٌ فصممت لا أنـ … طق فيهم سوى الصحيح مقالا
ومضت ساعة فأخرى وما أسْتغ … تُ جواباً ولا استطبتُ سؤالا
صامتاً عابس الجبين ازدراء … لحديثٍ بين الجماعة جالا
ضقتُ ذرعاً بالجِدّ منهم وبالهز … ل وضِحْكٍ مستهجَن يتعالى
ضقت ذرعاً بهم وأنكرَ منِّى الـ … قومُ زهواً وجفوةً وملالا

***

وبدَتْ فرصــةٌ تبشّر بالخيـ … ر ويُحيى ســنوحُها آمالا
فرصة جاد لى بها الدهر عفوا … رحت أسعى لها وأبغى احتيالا
فتذكرتُ قول نفسى، فأعرضْ … تُ ازوراراً عن مطلبى واختيالا
قلتُ: ما يستحق منى عناءً … مِثْلُ هذا أو يستحق احتفالا
إن يَلُحْ مطلبٌ بمثلى خليقٌ … كنتُ فيــه الهمام والفعّالا

***

وتراءت بخاطرى فِكَراتٌ … وأحاسيسُ كلَّ يوم توالى
كلما قلت: سوف أنظم من ها … تيك سحراً من البيان حلالا
حقَّرتْها نفسى وقالتْ: هراءٌ … ليس يُلقى إليــه ذو اللب بالا
تحتفى اليومَ ناظما لمعانٍ … فى غدٍ سوف تجتويها ابتذالا
فدَعِ القولَ أو يَعِنَّ عظيمٌ … وصُنِ الشعرَ خيفةً أن يُذالا
فهجرتُ اليراع دهراً ولم آ … لَفِ جديداً مستأهلا أن يقالا

***

صاحِ ذا عالَمُ النقائص مَن را … مَ كمالاً به أراد المحالا
من أراد الكمال فى كل قصد … حقَّر السعى واستخسَّ النضالا
من بغى المنتهى أقام فلم يَبْـ … رَحْ وعافَ المقالَ والأفعالا

**فخرى أبو السعود**

# أبو الهــــول

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

أنختَ فوق الدهر بالكلكل … وكنتَ مثل الواعظ المُرسَلِ
عنــد فلاة قلَّ قُطَّانها … هل باختيار كنتَ فى معزلِ
مضى الألى شادوك فى مجدهم … كأنه منــك لدى موئل
فهل مللتَ العيشَ من بعدِهم … كأنما جُلِّلْتَ بالمُثقِل (١)
ثقل من الدهر تحمّلته … لو حل بالأطواد لم تحمِــل
فهل يَدِرُّ العيش من بعدهم … أم ما ضُرُوع الدهر بالحُفَّل (٢)
وأنتَ مثل الخان فى لبثه … ونحن مثل الراكب المُعْجَل (٣)
غدا ترى عيناك من بَعدنا … غــير حُلولِ الحى والمنزل
كم أمة من بعدها أمة … قد رحلت عنك ولم ترحل
فأنت سِفْرُ الدهر خطَّت به … يداه آىَ المُحْكَمِ المُنْزَل
فاتلُ لنا من آية آية … لعلنا نَجْنُبُ ما يبتلى (٤)
كم وعظ الدهر فلم نَزْدَجِرْ … وكم سما الناس ولم نَعْتَل
نعاف مستطرف ما يُرتجى … كأننا فى العيش لم نُجْبَل
قيدنا العجز ونرجو عُلى … يسمو الذى فى الطير لم يُكبل

(١) جلله وتجلله: علاه، والأطواد: الجبال
(٢) الضروع: الثدى، والمراد بدر الدهر بفتح الدال خيره، أى هل سيعود لمصر خيرها ومجدها الماضى
(٣) الخان: المراد به النزل والفندق
(٤) أى أعطنا مما رأيت من تجارب الدهر كى نتجنب الزلل

فيا مِثال الدهر يا رمزه … كم صنم فى القلب لم يَبطُلِ (١)
كأن روح الدهر فى جسمه … إن تَرَهُ من نحوه تمثُلِ
تحسـبه من هيبة عاقلا … من حسب المرهوب لم يعقِلِ (٢)
كأنما فى طىِّ ألحاظه … ذكرى لعهد الزمن الأول
كأنه فى صمته حارس … يحرس باب القَدَرِ المقفَل
يا عجبا أبصرتَ ما قد مضى … ونظراتٌ منك لم تَقتُلِ (٣)
أبصرتَ أكل الدهر أبناءَهُ … ألم تُرَعْ من ذلك المأكل
بينكما نجوى على صمته … وصمتة فى فيك كالمِقْوَلِ
مرت بك الأيام مخشـية … كأنها مرت على هيكلِ (٤)
فابعث لنـا من عزمها عُدَّةً … فلو سألتَ الدهر لم يبخل
ولو نهيتَ الدهر لم يَعْتَدِ … ولو زجرتَ الدهر لم يُقبِل
والدهر كم تَسْحرُ أحداثُه … لب غضيض اللب والمِنصل
أى حكيم قد رأى ما رأت … عيناك فى الدهر ولم يذهل
يا ناظرا ينظر هـذا الورى … نظرة طرف الناظر المُعضِل
انظر إلى الأقدار فى غيبها … واذكر مآل العيش فى المُقبِل
أغابر الأيام فى صرفها … كمُضمَرٍ فى الغيب مُستقبل
أمالِكٌ عُوجلَ عن مُلكه … كذى علاء بَعْدُ لم ينزِل
وللناس حلْىُ القاهر المُعتلى … يألم نار الحاذق الصيقل
يصوغهم كل غَلُوب على … سنة مُلكِ الرمح والمنصل
كم عَبْرَةٍ للناس أبصرتها … وعـبرةٍ للهاطل المُسبِلِ
فهل دموع النحس تحيى الورى … مثل عقيب المطر المرســل
أراك لا ترثى لما نابهم … يا ليتنى مثلك لم أحفل
ومقلة تخـــبر ألحاظها … أنَّ عيون الدهر لم تُسمل (٥)
والدهر وهو الساهر المعتدى … يُغضى وعين لك لم تغفل
ورب لحظ منك قد رِشْتَهُ … فى قلب هذا الدهر كالموغل (٦)

(١) فى البيت إشارة إلى قول المعرى :
والقلب من أهوائه عابد … ما يعبد الكافر من بده
أى وثنه وصنمه ، فعبادة الأوثان إذن لا تزال قائمة فى القلوب
(٢) الخوف من إنسان يجعل الخائف يكبر عقله
(٣) لم تقتل من هول ما شاهدت عينه
(٤) أى تمر بك خاشعة ولو أنها مخشية من الناس
(٥) تسمل : أى تفقأ
(٦) راش السهم هيأه : أى كأن ألحاظك سهام تتغلغل فى قلب الدهر

فابحث خباياه وأحناءه … واكشف لنا عن ذلك الغيطل (١)
كأن روح الدهر تبغى به … وَكْنًا لها أُحْكِمَ كالمعقل (٢)
تحسبه لو جئته ناشـــداً … معنى حياة الناس لم يجهل
يا من سؤال العيش فى صمته … اسأل ومن لم يَدْرِه فاقتلِ (٣)
كم امتطى الأيامَ تجرى به … كأنه والخلد فى منزل
كم عَبَّ لج الدهر ثم انثنى … إلا بقايا الماء فى الجندل (٤)
كأنه منتظرٌ مَوْعِدا … حُيِّنَ كى ينطق بالمِقْوَلِ (٥)
لوفاه يوماً ذاكراً سره … لم يعجب الرائى ولم يَعْجَل
أو أنه المسحور فى صمته … قد كان يمشى مِشيَةَ المُشبِل (٦)
فخاف صرف الدهر من فتكه … وعلمــه بالحادث المُقبِل
فذاده بالسـحر عن نطقه … حتى تناسى عيشه المُنْجَلِى

عبد الرحمن شكرى

(١) الغيطل هنا كالغيطول الظلمة المتراكمة
(٢) الوكن : الوكر
(٣) فى البيت إشارة إلى أسـطورة قديمة تقول إن أبا الهول كان إذا مر به إنسان سأله فى معضلات الحياة ؛ فإذا لم يجب قتله
(٤) الجندل : الصخر ، أى كأن الدهر بحر وأبا الهول الصخر على شاطئه يصد أمواجه
(٥) أى كأن سكوته سكوت المتأهب للقول فى حينه
(٦) المشبل : أبو الأشبال ، أى كأن أبا الهول قد كان حيا يسعى كالأسد أبى الأشبال فسحره الدهر خوفاً منه

# العمر والأمانى

## بقلم الشاعر عثمان حلمى

مُنًى تناثرنَ حولَ النفسِ ذابلةً … كما تناثرَ حولَ الدوحةِ الورق
تأبى التجاريبُ إلا أن تودِّعها … بين الطِّماح وبين اليأس تصطفق
والعمرُ يجرى كما يجرى السحاب فما … يعودُ ما جدّ منه وهو يستبق
وإن أعيدَ فلا حمدٌ لعودته … هى الليالى غضابٌ أوبها خرَق
وكالأعاصير فى قلبى مضاضتها … أو كالجحيم وفيها القلبُ يحترق !
نظرتُ للسالف الماضى فوا جزعاً … إذا تلاقت به فى المقبل الطرُق
ونظرتى لحياتى وهى مقبلةٌ … اليوم غيَّرها سارٍ بها نَزِق

# القصص

## البـــدوى رحاب

للأستاذ ابراهيم بك جلال
وكيل محكمة الزقازيق الأهلية

كان فى أقصى الصعيد نجع صغير قريب من الجبل يسكنه جماعة من فقراء الفلاحين وبينهم بعض الأعراب الذين سكنوا القرى المصرية واعتادوا حياة الريف والاستقرار ، ولكن لم تتبدل فيهم غرائز البدو وعاداتهم الموروثة . وكان فى النجع بدوى شيخ قد ناهز الثمانين ، أسمر البشرة ، حديد البصر ، اسمه « رحاب » ، إذا مشى خلف جماله أطرق برأسه غير ملتفت إلى أحد من الذين يحيطون به معجبين باستقامة عوده ونشاط بدنه ، على ما بدا من شيخوخته ، فلا يفارق عصاه الغليظة يبسطها على عاتقه ويلف عليها ساعديه ، وهو حافى القدمين قد اشتمل بعباءة من وبر الجمال ، واعتاد أن يحمل خيوطا كثيرة من ذلك الوبر الذى كان يغزله

وكان له ولد يدعى « دياب » فى الثلاثين من عمره قد أصبح مضرب المثل فى حسن الفتوة وكمال التكوين والقامة المديدة ؛ له عينا صقر وشارب مفتول ، ولكنه كثير الاغتراب والأسفار ، يطوى الفيافى والبيد سعياً على قدميه ، ويجوب أقاليم الصعيد من أقصاها إلى أقصاها يبيع للفلاحين النوق والجمال ، ثم يعود إلى مضرب أبيه مفعم الكيس بالمال . أما أبوه الشيخ رحاب فانه لا يغادر الخباء إلا إذا سرحت جماله فى الأراضى البور المترامية خلف النجع وعلى ضفاف النيل ، فيمشى خلفها حتى إذا بلغ رابية بأقصى الساحل جلس عندها وتناول مغزله بيديه طول يومه ، فاذا جاع تناول قبضة من التمر اليابس ، ثم اشتمل بعباءته ونام بعين الساهر اليقظ . وكانت له فتاة صبوحة الوجه ، مليحة التكوين ، تخطر فى مشيتها فيفتتن الناظر بسحر أحداقها المتقدة حسناً ورقة ، وكانت الفتاة ، واسمها « سلمى » تزين صدرها بألوان من المقود ، وتطوق خصرها بنطاق من الحرير الأحمر ، ولها فى الخباء صندوق أحمر عليه تصاوير وألوان مما يباع لأهل القرى ، يتدلى مفتاحه من غدائرها ، وقد جمعت فيه ثيابها وأقراطها وأساورها ، وكل ما حرصت على جمعه من ألوان الزينة التى يحبها بنات العرب

وكان بيت هذه الأسرة فى أقصى النجع قد قام من أوبار الجمال ، فيه فراش للوالد الشيخ وآخر بجانبه لزوجته جازية ؛ أما سلمى فكان فراشها بمعزل عن والديها . وكان فى ناحية من الخباء جرن كبير من الحديد يؤدى عمل الرحى ، فيدقون فيه الشعير ، وله يد كبيرة غليظة لا تقل زنتها عن نصف قنطار يعجز الرجل من أهل المدن أن يحركها إلا بكلتا يديه ، ولكن سلمى كانت

---

تبدّلت نظراتى فى الحياة كما ... تبدّل اللونُ لما طاشت الحدق
مالى وما للمنى ما جدَّ بى زمنٌ ... إلا وطاحَ بنفسى عاصفٌ حَنِق
لونُ الحياةِ كلونِ النفس تبصره ... بما طويت فلا مينٌ ولا ملق
فى غاية النفس والدنيا وسرّهما ... تحيَّر الخلقُ فى سترٍ له خلقوا
غادٍ على الأرض فيها رائح جَزِعٌ ... ذو الصبر يطوى ويطوى الجازع الحمق
وكلُّنا فى الليالى صاعدٌ جبلا ... تَزِلُّ أقدامُنا عنه وتنزلق
متى بَصُرْتَ بآلام الحياة ضحًى ... أيقنتَ أىَّ رجاء ضمَّه الغسق
والحبُّ والبغض إن جدَّا زوالهما ... حقٌّ وأىُّ جميعٍ ليس يفترق !
وأدمعٌ لىَ حيرى فى محاجرها ... ولى فؤادٌ ولكن بالأسى خَفِق
فكنتُ أحسبُ أحلامى محققةً ... ولا محالة حتى لاح لى الشفق
آمنتُ أنَّ وجودى كلَّهُ خُدَعٌ ... وأنَّ نفسىَ تحكى كلَّ من سبقوا

(الاسكندرية) عثمان حلمى

تدق بها حب الشعير كما يستعمل نساء المدن الهاون النحاسي سهولة واعتيادا بغير عناء أو مشقة ، وكذلك كانت جازية أمها . والعجيب أن الشيخ الفاني كان يتناول ذلك القضيب بإحدى يديه كما يفعل بعصاه يحركه ويدق به ، وكان عندهم عنزات لطاف يطلقونها بالنهار في أطراف المزارع ، وتمشى الأم جازية تحرسها من بعيد فتجمع لها بعض الحشائش الجافة ، فاذا مر بها رجل من أهل القرى أسبلت نقابها الأحمر وتوارت حتى ينصرف الرجل وما كانت تكف هى الأخرى عن الغزل طول يومها

ولم يبق بالخباء إلا الفتاة سلمى الكاعب اللعوب ، تراها تغزل أحيانا وحينا تطبخ الدشيش وتسقيه من لبن النوق ، ثم تملأ منه القدر الكبيرة وتجلس بعد ذلك ترقب الطريق كأنها على موعد مع أحد الناس

وكان بأحدى القرى القريبة من النجع فتى من سادات الأسر الكريمة بصعيد مصر ، مات أبوه عن ضيعة عامرة بالانعام وأنواع الدواب ، وبها أهراء حافلة بالغلال والأقطان ، واستقر الفتى حسان في ضيعة أبيه مجداً دائباً في الزرع والانبات حريصاً على مرضاة الفلاحين ، وقد اتخذ جناحاً من دار أبيه لسكناه مع أمه الأرمل المريضة ، وكف عن حياة السرف وكثرة الانفاق على الولائم والأضياف . وكانت له فرس شقراء من عتاق الخيل يركبها ويطوف بها بين المزارع في كل صباح باكر وكل عشى

ومر يوماً بخباء رحاب فلمح سلمى تحلب عنزاتها عند باب الحظيرة ، فترنح الفتى على سرج فرسه من روعة حسنها وقوة فتنتها وجمال جيدها ، والتقت عيناهما لمحة قصيرة ثم أرخت قناعها وولت على استحياء ، وأكثر حسان من الطواف بخدرها كل غداة ، فكان يجدها منفردة عن أبويها ، وشجعه على التحديق فيها صمتها وجلوسها كل يوم عند كثيب خلف الخباء كأنها ترقب حضوره

وخرج حسان يطوف المزارع كعادته في يوم شديد القيظ ، فساقته فرسه إلى باب الخباء ، فنادى أهل الدار يلتمس ماء أو جرعة من لبن الابل يتعلل بها ، وقابلته الأم عند الباب وقد أرخت قناعها الأحمر وسألته عن حاجته ، فلما طلب قدحاً من اللبن نادت ابنتها سلمى ، فجاءت تتعثر بأذيالها وهى حاسرة الوجه تبهر الناظر بحسنها وملاحة قدها ، ومدت اليه يمينها بالقدح فترجل حسان لدى الباب وقد سنحت له الفرصة فرآها عن قرب ولمس كفها ، وطالع في غرتها آية الحسن الذى لم ير مثيلاً له بين بنات القرى ولا في سائر البنادر التى زارها ، وابتسمت سلمى من رؤية محبها وقد أذهلته الفتنة وشغفه حبها وملأت ناظريها منه ، وكان فتى حسن الهيئة والثياب ، ثم ارتدت الى البيت وتوارت عن ناظريه

وأراد حسان ألا تضيع الفرصة ، فسأل الأم أن كان لديهم بعض من صغار الخراف ليشتريها ويحملها إلى المزرعة بين دوابه وأغنامه ، فأنعمت الأم وغابت عنه قليلاً ، ثم عادت تسوق بين يديها حملين صغيرين ، وجاءت على أعقابها سلمى تسوق حملين آخرين وساومهما حسان ونقدهما ثمناً معجلاً في الخراف الأربعة ، ثم بدت له مشكلة حمل الخراف إلى قريته ، فهونت عليه جازية الأمر وساقت بين يديها الخراف تساعدها سلمى ومشى حسان بين المرأتين يحدثهما طول الطريق ويختلس النظر إلى سلمى التى ما كانت تضن عليه بعطفها وابتسامها ، وبلغوا المزرعة فأدخل الخراف في الحظيرة ثم قدم لجازية وسلمى طعاماً شهياً من موائد أهل المدن بين دجاج وشرائح من لحم مشوى وخضر مطبوخة ، وصحفة كبيرة من الحلوى بهر بها أبصار ضيوفه ، ثم حمل إليهما النقل والفاكهة ولم يدع مزيداً من واسع الكرم وطرائف النعم . وخلا حسان بفاتنته سلمى في ساعة شغلت فيها جازية بالحديث مع أمه العجوز المريضة بأعلى حجرات الدار ، واشتفى المجاز في خلوتهما ، وخطبها حسان لنفسه وحمل اليها من خزانته صرة من الحرير الأبيض فيها مائة جنيه من الذهب صداقاً معجلاً ليستحل بذلك عناقها ، ولكن سلمى نأت بجانبها أسى وأسفاً ، وأطلعته على همها الدفين ، فان أباها قد عقد العزم على تزويجها من ابن أخيه وهو كهل من قبيلتها ، له زوجتان وبنون وبنات ، وهو فوق ذلك قد جاوز سن الشباب ، فظ غليظ القلب ، رقيق الحال ، ومن أجل ذلك كله قد تنكد عيشها ، لأن أباها وأخاها « دياب » كلاهما ملح في تزويجها من ذلك الرجل البغيض ، وقد أنذراها بالموت إن هى ترددت في

القبول والرضى ، وبكت سلمى وغمرت وجهها فى صدر محبها ، وضمها حسان وقال لها إنى أشهد الله أنك ستكونين أهلى وهذا صداقك بين يديك ، وليقض الله فينا مشيئته ، واستسلمت له الفتاة وتعاهدا أن يدعو فى الصباح مأذون القرية ومعه شاهدان ليعقد عليها بغير علم من أبيها أو أمها

وما أشرق الصبح حتى هبط حسان إلى فرسه فامتطاها وانطلق بين أنفاس الربى يطير بجناحى شوق

وانقضت أشهر والحبيبان يلتقيان بالخباء فى غفلة من رحاب وزوجه ، وكثر سروح سلمى تمشى الى زوجها فى دجى الليل بعد أن ينام أبواها حتى ظهر الحمل وتحرك الجنين ولم يبق على الوضع إلا بقية من الشهر الأخير ، فرفع رحاب حاجبيه يوماً بكلتا يديه وظهر له ما كان مستوراً عنه من أمر سلمى ؛ فناداها : أنى لك هذا وما كنت بغياً ؟ وطار شرر الغضب والوعيد من مقلة الشيخ ، ففرت زوجته جازية بين الربى والآكام ، واستسلمت الفتاة المسكينة ، فقال أبوها خبرينى عن هذا الذى فى أحشائك من أبوه ، فقالت معاذ الله ما أثمت والله يا أبت ، ولكن بكتاب الله وسنة نبيه ، فقال هذا غاية ما بلغ اليه فجورك ، إن اليوم هو آخر أيامك من الدنيا ، فمن شريكك فى الأثم ؟ من هو ذلك الذى انتهك حرمتى وفضح ربة الخباء ؟ لعله الفتى الذى يجوب الربى بفرسه الشقراء كل يوم ! لقد أغدق عليك من خيره يوم ابتاع منك الخراف . فصاحت سلمى باكية وقالت : بل هو سيد كريم قد مهرنى مائة جنيه من خالص الذهب وأغدق على ألواناً من الثياب والعقود والجوهر الكريم ، ودخلت الخباء ثم عادت تحمل بيدها صرة من الحرير الأبيض بها صداقها وقالت هذا هو المهر الذى استحل به عناق ، فصاح بها أبوها سأرد اليه هذا الذهب وأنال به مهراً أغلى وأشد خطراً يجرى من دمه فأغسل به باب هذا الخدر . فصاحت سلمى : يا أبت إننى وحدى الأثيمة فاقتص منى دونه ودعه بالله وشأنه فانه الوحيد المرجى لأمه المسكينة . لقد مات أبوه رمياً بالرصاص فى ظروف محزنة ، ولم يبق من أسرته إلا هو . دعه يا أبت يعش ويستوف نصيباً من نعمة الدنيا ، فصاح بها أبوها أن احملى الى قضيب الجرن ، فنكست رأسها وجرت مدامعها وقد لاح لها ملك الموت ، وأضجعها أبوها فاستكانت له ، فهوى بالقضيب يقصم ظهرها ويفرى حشاها صدعا شديداً وضرباً لا رحمة فيه ولا هوادة ، وتراخت يداها وأخذتها غشية الموت ، فناولها جرة الماء وصاح بها لتحملها إلى غدير الماء ، وتملأها غلواً فى قتلها وإرهاق نزعة الموت الأخيرة فيها . ودفعها بيده وهى تحبو إلى الغدير حبواً حيث فاضت روحها . فركلها أبوها الوحش بقدمه فحملها الماء إلى الشط . وصاح الناس قتيل بالشط ! فأقبل العمدة وجنوده وعرفوها سلمى ابنة رحاب ؛ واحتشد الناس فى أقصى المزارع حول جسد مسجى فى إزار من الحرير الأبيض يبين منه وجه حسان وقد مزقت أحشاءه قذائف الرصاص ، وتدلى من إزاره صرة من الحرير الأبيض بها مائة جنيه من الذهب الأصفر ، حولها مائة قطرة من الدم الأحمر الزكى الشهيد !

ابراهيم جبول

مأساة من سوفوكليس

# ٢ ـ أنتيجــــونى

## للأستاذ دريني خشبة

— ٤ —

« يدخل أحد الحراس مفزعاً »

— « مولاى ! مولاى ! أ... أ... أنفاسى تتقطع يا مولاى ! أفكارى مشتتة ! لقد أوشكت ألا أحمل النبأ العظيم ! يا الهول ، يا الهول ! »

— « تكلم أيها الحارس ، ما وراءك ! تكلم ! ... ماذا تخشى ؟ »

— « الجثة يا مولاى ! لقد هيل عليها الثرى ... و ... دُفِنَت ! وأدّيت لها كل شعائر الآلهة ! أما من صنع هذا .. ف ... لا ندرى ... لقد لاذ بالفرار ! فر دون أن يراه أحد ! »

— « ها ... !! الجسور الذى صنع كل هذا ! ...

— « لا أدرى ! إنه لم يترك وراءه أثرا يعرف به ! ونحن أيضاً لم نعرف ما تم حتى أيقظتنا آراد الصباح المنبعثة من أعين الشرق ! لقد فزع الحراس ، واقترعوا على من يبلغ مولاى ! فيا لشقوتى ويا لتعاستى ! لقد وقعت القرعة على ... وهل أشأم من حامل أخبار الشؤم ! ؟ »

الخورس : « مولاى ! إنها قوة سماوية مقدسة لا بد ! هى التى صنعت كل هذا !

الملك : « أية قوة سماوية يا أحيمق ؟ ! أصمت ! أية آلهة تزعم أنها توقر النذل الخائن الجبان ! إنك تضرم غضبى وتؤجج لظى السخط فى أعماق ! ويلكم أيها الحراس الأنجاس ! بل أنا أعرف من أين وصلتكم الرّشى فغضضتم الطرف عن إجرام المجرمين ! النقود ! دائماً النقود ...! تعاويذ السحر ، والرقى التى تذهب بالألباب ! ليس مثلها فى افساد ضمائر الأمم ، وتدنيس كرامات الشعوب ! ولكن لا ... ! فاما تأتوننى بالمجرمين مصفدين فى الأغلال ، وإلا فالشنق أيسر عقوبة تستأهلونها ! أيها اللؤماء ! يا عبدة الذهب »

— « إذن ! ... أ ... أيسمح لى مولاى بكلمة ؟ أم أنقلب على وجهى ؟ »

— « بل كلمات ... تكلم ! ... إضرم نيران السخط عسى أن تحرقك ؟ »

— « أنا على الأقل ... لست صاحب ذاك الوزر ! »

— « ها ... ها ها ... ؟ كل ما فيك لسان ليس يفترعن هراء ! المجرمين ... وإلا ... فرؤوسكم أجمعين ! ... أغرب ! »

« يخرجون تباعاً ما عدا الخورس »

— ٥ —

وما يكاد المنشدون يفرغون من هزج حلو النغم ، ضافى الحكمة ، حتى يشهد رئيسهم أحد الحراس مقبلاً وبين يديه الفتاة الجريئة التاعسة أنتيجونى يسوقها سوقاً

« يدخلان »

— « الفتاة التى صنعت كل شىء ! لقد ضبطناها تدفنه ! أين الملك ؟ »

— «ها هوذا قادما للقائك أيها الحارس ، فحدثه بكل شىء»

« يدخل الملك »

— « مولاى ! ها هى ذى ! لقد ضبطناها تحثو التراب على جثمان القتيل ! ما أحسبها تنكر ، لأن الانكار لن يفيدها من الحق شيئاً ! حمداً للآلهة ! لقد أنقذتنا بالتوفيق من موت كاد يتخطفنا ! سلها يا مولاى فأكبر ظنى أنها ستعترف ! »

— « هذه الفتاة ! اين وجدتها إذن ؟ »

— « وجدتها تدفن الأمير قلت لك ! »

— « ما أحسبك إلا مأفوناً ! »

— « لقد وجدتها تدفن القتيل الذى أنذرت ألا يدفن ! ماذا تريد منى أن أكون أصرح من هذا ؟ »

— « وكيف إذن كشفتم هذا الأمر ؟ »

— « لقد كنا يامولاى نجلس ( فوق ريح ) القتيل حتى لا يصدم أنوفنا نتنه ، ولا يضرنا جيفه ، وفجأة ، حين أشرقت ذكاء ، وغمرت بسناها البطاح ، هبت زوبعة قويه حجبت الشمس بكرة ما أثارت من تراب ورمال ! ، خفنا على أبصارنا أن تصرها الريح العاصف فأغلقناها ، وما كادت تهدا العاصفه ويصفو الجو

حتى رأينا هذه الفتاة تبكى القتيل وتسقيه أحر عبراتها ، ثم حنت فوقه التراب وصبت عليه ثلاثاً من جرار الخمر المقدسـة ، سلها يا مولاى فانها اعترفت بكل شيء ، وستعترف لك بكل شيء ! »

— « أنت أيتها الفتاة التى تبحث بعينيها تراب الأرض !! أتقرين بما تَقَـوَّل عليك الحرس أم تنكرينه ؟ »

— « أنا ! . . . ها ها ! ! أنا لست أنكر مما ذكر حرفاً واحداً ! ! لقد نذرت ذلك وأنفذت ما نذرت ! »

— « إذن ... انطلق أنت أيها الحارس ... فلقد نجوت ... أما أنت أيتها الفتاة . . . أما علمت بما صدرت عنه إرادتنا ؟ ألم تـكونى تعرفين أن ما صنعت محذور منه منهى عنه ؟ »

— « كنت أعلم ذلك جميعه ! »

— « وكيف تجاسرت إذن على خرق القانون إلى هذا الحد ؟ »

— « إنه قانون لم يتنزل علىَّ من السماء ، ولم تأمر به ربة العدالة ! إن هى إلا قوانينكم أنتم ، ولـكن للآلهة قوانينها كذلك ، وقد فرضتها منـذ الأزل على بنى الانسان ، وأنى لبنى الوتى أن تضرب بعرض الأفق شرائع السماء ! أينا أخطأ أيهذا الرجل ؟ أنا التى عصيت قوانينكم الظالمة ، أم أنتم الذين ثرتم على قوانين آلهتكم ؟ ألا مرحباً بالموت يريحنى مما كنت أغص به من آلام ! أيترك أخى من غير قبر يستره ويردنى تهديدكم بالاعدام عن دفنه ؟ ألا إن هـذا هو الاعدام ! ألا إن كنت فى نظرك مجنونة ، فانى لـكذلك فى نظر مجنون ! . . .

رئيس المنشـدين : « يا للجرأة ! إن الفتاة لا تبالى صاحب تاج طيبة ! إن الردى الذى يرقص أمام عينين لا يفل من عزمتها »

الملك : « إى وحق السماء ! ولـكن سرعان ما تذوب هذه الروح المتمردة حين تلقى فى سـعير العذاب ! خيلاء ! ها ! شىء لا يحتمل من مجرم ! إنها داست القانون ولم يكن بحسبها ذلك ، بل هى تضاعف أوزارها بالقحة ! إنها تستهزئ بنا كأنها صاحبة الأمر والنهى فينا ! من أنا إذن ! لعلها تحسب أنها بنجوة من العقاب لأنها ابنة أختى ! ها . . . ولـكن . . . لا . . . فوحق السماء لو أنها أقرب الناس إلى لما أفلتت من الجزاء الصارم ... ولـكن . . . أين شريكتها فى هـذا الوزر ؟ أختها ! إنهما كانتا تتناجيان فى هذا القصر ... إلى بها هى الأخرى ... إنها أخبث منها ! ... »

أنتيجونى : « على رسلك أيها الملك ! أتبتغى شفاء لحردك أكثر من قتلى ! ألا مرحباً بالموت ! »

الملك : « بحسبك ! هذا شأنى ! سينهى الموت كل شيء ! »

— « وفيم الابطاء إذن ! إنك لا تخيفنى بتهديداتك ، فلقد نلت مشتهاى بدفنى أخى ، وأى فخار أبعد من هذا ؛ إن هؤلاء جميعاً شهودى ، فسلهم يجيبوك ! حل عقال ألسنتهم ... كلهم !

— « ليس فى طيبة فرد يرى القضية بعينيك ! »

— « بل هم يرونها كما أرى ، ولـكن جبروت السلطان يلجم أفواههم ! »

— « وهلا تستحين من تحديك مدينة بأسرها ؟ »

— « بِمَ أستحى ؟ ألأنى أخته ، ذلك الذى وفيت له ؟

— « أو لم يكن إتيوكليز أخاك كذلك ؟

— « أخى وشقيق من أبى وأمى !

— « لم يكن من الوفاء له إذن أن تفعلى ما فعلت !

— « إنه وقـد مات — لا يؤمن بما تقول ! على أن الذى دفنته هو أخوه أيضاً ولم يكن عبداً مرة ما !

— « لكنه حارب وطنه وأراد إذلال بلاده !

— « لا يعرف الموت هذه الفروق الدنيا !

— « ليس الخير والشر سواء كما تعلمين !

— « قد يستويان فى الدار الآخرة ، من يدرى ؟

— « العدو مكروه أبداً حتى فى الموت !

— « ومن أين لقلبى بكراهية أخى ! إنى أحبه !

— « ها ... ستحبينه كثيراً بعد قتلك ! أبداً لن تسيطر علىَّ فتاة مثلك !

« تدخل إسمنيه »

(لها بقية) دريني خشبة

# البريد الأدبي

## كتاب جليل عن مستقبل الديموقراطية

تثير نظم الدولة والحكم اليوم كثيراً من الاهتمام ، ويتساءل الساسة والمفكرون فى مختلف أنحاء العالم ، أيكون المستقبل للديموقراطية أم يكون لتلك النظم الجديدة الطاغية التى تستتر وراء فكرة الدولة وتقضى على كل الحريات الدستورية ؟ وقد صدر أخيراً بالفرنسية فى هذا الموضوع كتاب جليل الشأن عنوانه : « الفوضى أو السيادة المطلقة ، أزمة الديموقراطية ، وحلها » « Anarchie ou Hierarchie. La Crise de La Démocratie » بقلم السنيور دى مادارياجا سفير اسبانيا فى باريس ومندوبها لدى عصبة الأمم ، وهى خلاصة المحاضرات التى ألقاها فى معهد الدراسات الخاصة بالثورة الفرنسية بجامعة السوربون منذ سنة ١٨٣٣

والسنيور مادارياجا من أعظم ساسة أوربا المعاصرين ، ومن أعظم الكتاب الدوليين ، وهو ديموقراطى بالفطرة لا يدخر وسعاً فى الذود عن الديموقراطية بقلمه ولسانه ، وهو يقول لنا فى كتابه إنه لما رأى القوى الخصيمة تثب وتناوىء الحريات الديموقراطية ، ورأى الحرية نفسها تضعف وتتضاءل ، رأى أن يبحث ما إذا كان من المستطاع أن ننظم ديموقراطية الغد وننقذها

ويرى السنيور مادارياجا أن فهم الحرية قد تطور جداً عما كان عليه أيام روسو ومونتسكيو ، وأن الحرية قد غدت بالنسبة لبعض الأفراد عبئاً لا يراد حمله ، وأن المساواة غدت فى نضال مستمر مع أنواع الايثار التى تقوم على النظام الطبيعى ، وأن الديموقراطية القائمة على سيادة الشعب غدت من التعقيد بحيث تخرج عن طاقة الفرد وسلطانه

ويقول لنا إن عوامل التأثير والتعقيد فى الديموقراطية المعاصرة ترجع إلى الرأسمالية التى أصبحت كابوساً على العمل ، والمالية التى تسخر كل القوى لصالحها ؛ وقد غدت القوى المنتجة فى الأمة معتركا من النضال المستمر ؛ وأضحت الفكرة القومية فى نضال مستمر مع النزعة الدولية ، بيد أن ذلك كله لا يعنى أنه يجب على الأمم أن تترك قوى الحرية السياسية التى تغذيها المبادىء الديموقراطية ، بل يجب عليها بالعكس أن تحاول تنظيم هذه القوى بأسلوب جديد

ويحاول السنيور مادارياجا أن يعالج هذه الأسس التى يجب أن تقوم عليها ديموقراطية الغد ، ويحمل بكل قوة ومنطق على النظم الطاغية التى تحاول أن تجعل الأمة فوق الفردية . وفى رأيه أن الدولة لا حق لها أن تجعل من نفسها نهاية مقصودة ، وأن الفرد مرتبط حتما بالمجموع ، وأنه يجب وضع قاعدة للتوسط بين الحرية والسلطة

ثم يعالج السنيور مادارياجا بعد ذلك الوسائل الاقتصادية والاجتماعية التى يجب أن تتذرع الديموقراطية بها لتحقيق مبادئها

وقد أثار كتاب السنيور مادارياجا كثيرا من الاهتمام والتقدير فى دوائر السياسة العليا ، ودوائر عصبة الأمم التى يعتبر من أقطابها

## المهرجان الألفى للمتنبى فى المجمع العلمى العربى

أرسلت كتابة سر المهرجان رسائل الدعوة الى أشهر رجال العلم والأدب من الفرنجة والعرب والى الجامعات العلمية لترسل من يمثلها فى موسم المتنبى الذى يفتتح فى اليوم الثالث والعشرين من شهر يوليه الحالى ويستمر الى آخره . وقد أخذت رسائل التلبية تتوارد الى المجمع العلمى فندبت الجامعة المصرية الأستاذ أحمد أمين ليمثلها رسمياً فى المهرجان ، وندبت الجامعة الأمريكية الأستاذ أنيس الخورى المقدسى لتمثيلها ، وندبت الجامعة السورية الأستاذ الدكتور مرشد بك خاطر عضو المجمع العلمى لتمثيلها ، وندبت جامعة عليكرة الهندية الأستاذ عبدالعزيز الميمنى الراجكوتى . وسيمثل القطر المصرى مع الأستاذ أحمد أمين الأستاذ عبد الوهاب عزام ، ويمثل العراق الأستاذ طه الراوى عضو المجمع العلمى العربى وكاتب سر مجلس الأعيان ، ويمثل لبنان الأستاذ الدكتور نقولا فياض ، وفيلسوف الفريكة الأستاذ أمين الريحانى

عضوا المجمع العلمي العربي ، والأستاذ حليم دموس الشاعر المعروف ؛ وينوب عن جبل عامل الأستاذان أحمد رضا وسليمان ضاهر وكلاهما عضو المجمع العلمي العربي ، وينوب عن حلب الشهباء شاعرها الأستاذ عمر أبوريشة . ولا يتسع المجال لتعداد جميع ضيوف المهرجان من أعيان البيان

وقد قررت اللجنة العامة في جلسة الاثنين المنصرمة أن يكون يوم ١٧ يوليه الحالى آخر يوم من الأجل المضروب لقبول الخطب والقصائد ، وذلك لكيما تتمكن اللجنة من تصنيفها وتوزيعها على أيام أسبوع المتنبي

واللجنة العامة تشكر المفوضية العليا على منحها مبلغ (٣٠٠) ليرة سورية اعانة للمهرجان ، كما تشكر مدير المعرض الصناعى الأستاذ عارف بك النكدى عضو المجمع العلمى لمساعدتها بمبلغ (٣٠٠) ليرة سورية ، وكما تشكر محافظ مدينة دمشق الممتازة الأستاذ توفيق بك الحبانى الذى قرر أن يسمى الشارع الجديد المجاور لدائرة التبليك باسم (شارع المتنبي) وذلك يوم افتتاح المهرجان

## سجون سيبيريا

كانت سجون سيبيريا منذ الحكم القيصرى دائماً مثار الروع والرهبة ؛ وقد أوحت شناعتها وهولها إلى كثير من الكتاب الروس كتباً وفصولاً مؤثرة مروعة ؛ وللكاتب الروسى الأشهر دستويفسكى الذى قضى ردحاً من الزمن منفياً فى هذه السجون الهائلة كتاب ساحر مؤثر عنها اسمه « دار الموتى » يصف فيه هولها ، وما يقاسيه المسجونون فيها من ضروب العذاب والويل ، وقد نسى الناس اسم سيبيريا ونسوا سجونها مذ قام الحكم البلشفى فى روسيا ، ولكن الحقيقة أن السجون السيبيرية ما زالت جحيم المحكوم عليهم فى العصر الجديد كما كانت أيام الحكم القيصرى

وقد صدر أخيراً بالألمانية ( وصدرت له ترجمة انكليزية ) عن سيبيريا وسجونها الهائلة عنوانه « القرية المنسية » Der Vergessene Dorf ، بقلم ضابط ألمانى أيام الحرب الكبرى يدعى تيودور كروجر ؛ والكتاب مؤثر مروع معاً ، وفيه يقص مؤلفه كيف أسر فى الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ فى روسيا ، وكيف حاول الفرار فقبض عليه وسجن ؛ ويصف لنا المؤلف روعة هذا السجن الأول ؛ ويكفى فى وصف هوله أنه كان عائشاً فى انظلام الدامس ، وأن الماء القذر كان فى معظم الأوقات يغمره حتى كتفيه ، ثم أخذ الأسير الى سيبيريا مصفداً فى الأغلال الثقيلة ؛ وبعد حين أفرج عنه ، واستطاع أن يكتب الى ألمانيا وأن يستحضر بعض المال ؛ وهنالك ، فى منفاه الثانى تزوج من فتاة منغولية ، وتذوق بعض السعادة ؛ وساعد فى تنظيم مسألة الأسرى الألمان ، واستطاع أن يرتب لهم أعمالاً ، فاحترفوا الخياطة والنجارة والنقش وغيرها ، وأسسوا قرية صغيرة ؛ أما هو فاحترف تجارة الفراء ، وحسنت حاله ، ولكن الثورة البلشفية نشبت فى سنة ١٩١٧ ، فاضطربت الأمور ، ونسى الأسرى الألمان من العالم كله ، وهلك كثير منهم من الجوع والأوصاب وكان حظ المؤلف أتعس حظ ، فقد قتلت زوجه وولده بيد أحد أعدائه ، فى نفس الوقت الذى عقد فيه الصلح بين ألمانيا وروسيا

والكتاب ساحر مؤثر برغم روعة حوادثه ، وفيه يدلل المؤلف على معرفة وثيقة بأسرار النفس الروسية ، وأحوال سيبيريا المجهولة .

## مجلة المجلات العالمية

شعرت الصحافة الانكليزية أخيراً بحاجتها إلى التوسع فى معالجة المسائل الدولية ، بعد ما وصلت اليه من التشعب والتعقيد ، ولم يعد يكفى أن تعالج بصورة محلية ؛ وقد تصدى لتحقيق هذه المهمة صحفى وكاتب سياسى كبير هو المستر فرنون بارتلت ، الذى ابث زهاء عشرين عاماً مراسلاً سياسياً لكبريات الصحف الانكليزية ، والذى ما زال محرراً للشؤون الخارجية فى جريدة الديلى تلغراف ، فانشأ مجلة سياسية كبرى تصدر كل شهر بعنوان « مجلة المجلات العالمية » World Review of Reviews ، وهى فى الواقع ادماج لمجلتين شهيرتين : الأولى « مجلة المجلات » التى أسسها الصحفى الكبير مستر ستيد فى سنة ١٨٩٠ ، ومجلة « العالم » التى أنشأها مستر بارتلت فى سنة ١٩٣٤ ، وستعنى المجلة الجديدة بمعالجة أهم الشؤون الدولية ، ومسائل عصبة الأمم التى يتفوق مستر بارتلت فى دراستها بنوع خاص ، وستكون مستقلة محايدة فى آرائها وتعليقاتها

وقد صدر العدد الأول من المجلة الجديدة مصدراً بكلمة للمستر انتونى ايدن وزير الخارجية البريطانية يقول فيها : « يسرنى

# الكتب

## رواية عمر بن الخطاب

تأليف الأستاذ معروف الأرناءوط

للدكتور منير العجلاني

---

أنا لا أصدق أن هذه التهاويل الثلاثة : الحب ، الطبيعة ، البطولة ، التي جمعها أستاذنا الأرناءوط فى كتابه الجديد « عمر ابن الخطاب » رواية ! ...

وإذا كان يحرص على أن يسمى « رواية » هذا العالم الذى أبدعه وشحنه بالأخيلة العجيبة والألوان النضرة والأنغام الحلوة فانى أستحلفه « بكريستيا » الذى يَنْحِتُ تمثاله ، و «فروة» الذى يقود رجاله ، و « نفتالى » الذى يندب آماله ؛ بل أستحلفه بهذه الغانيـة « بنيامينا » التى تسلب العاقل لبَّهُ ، والشجاع قَلْبَهُ ، وتنسى الوثنىَّ ربَّهْ ؛ بل أستحلفه بهذه الفتاة الصغيرة الخيِّرَة «سافو» — شقيقة البدر وبنت السحر — أن يسميها رواية شعرية لا اجتماعية ولا تاريخية ، فانى نسيت الجماعات ونظمها ، والتواريخ وحكمها ، ورحت أنتقل على أجنحة كتابه من حجرة حب ، الى ساحة حرب ، ومن مأتم عبقرى ، الى عرس شعرى ، ومن صلاة الفجر الروحانية ، إلى مناجاة البخور الجثمانية ، وما أذكر أننى أحسست هـذا الحس الذى يكاد يكون مزيجاً من الصوفية واللذة إلا فى « خطبة مسينا » و « ايفجينى فى أوليس » و « بولس وفرجينى » و « أنا كارينين » و « البعث » و « أغانى بيليتس » و « بسيشه » وبعض أشعار « أوسكار وبلد » . . . وأشهد أن فى أستاذنا الأرناءوط من هؤلاء جميعاً ، فقد نسج على منوال يونان والغرب فجاء بشىء لم تألفـه العرب لأنه جديد . ولـكنها لم تنكره لأنه جميل ، وصاحبه لا يتهم بالنقل ولا التقليد لأنه صانع مبتكر ، ومتى ذكر الشعر فهو فى دنياه

نعم « عمر بن الخطاب » قبسة من شعوره وقصيدة من شعره ، ولـكنها لا تشبه هذه البرك التى تقاس بالشبر وتنظم على

---

أن أبعث بكلمة ترحيب لهذا المجهود الجديد الذى يرمى إلى تهيئة الفرصة للشعب البريطانى ليطلع على ما يكتبـه وتراه الشعوب الأخرى فى المسائل الدولية

### حماية النسل فى روسيا

كان من نتيجة الأنظمة والقوانين الاباحية التى سادت روسيا البلشفية فى الأعوام الأخيرة ولا سيما فيما يتعلق بالزواج والعلائق الاجتماعية ، أن ذاعت حوادث الاجهاض ذيوعا مزعجا ، وأخذت تهدد كيان الأسرة والأمومة فى روسيا ؛ وقد تبينت حكومة موسكو أخيرا خطر هذه الاباحة على مستقبل الشعب الروسى ، فأصدرت قانوناً جديداً خاصا بحوادث الاجهاض يسرى مفعوله منذ ١٥ يوليو الجارى ؛ وخلاصة نصوصه أنه ا خلا الأحوال التى تتطلب فيها حالة المرأة الصحية اجراء عملية الاجهاض ، يحظر الاجهاض قطعاً ، ويعاقب الأزواج أو الآباء بعقوبات شديدة من السجن والغرامة إذا عاونوا على ارتـكاب الاجهاض فى غير الحالة المصرح بها قانوناً

وينص نفس القانون على أن الأسر التى تضم ستة أولاد فأكثر تمنح إعانة من الحـكومة ؛ وفى حالة الطلاق ، يلزم الوالد بدفع ربع مرتبه أو إيراده للزوجة إذا كان له منها ولد ، فاذا كان له ولدان فرض عليه الثلث ، وإن كان له منها ثلاثة أولاد فأكثر فرض عليه أن يدفع للزوجة نصف المرتب أو الايراد

وقد رأت روسـيا السوفيتية أن تتشبه فى ذلك بالدول التى تعنى بمسألة النسل والاكثار من السكان مثل إيطاليا وألمـانيا حيث تتخذ حماية الأمومة والنسل أهمية خاصة

أشكال هندسية بل هو نهر يجرى : يركض ويتباطأ ، يهبط ويصعد ، يستقيم ويلتوى ، ولكنه يذهب بعيداً . . . وفى مائه الرقراق يستحم الطير وتستنقع العذارى ، وترتوى النعناع ، ويرف الحصى ، وبالجملة تحيا الحياة

أيهما أشعر ؟ البركة أم النهر؟ « عمر بن الخطاب » أم الشعر ؟ ما أدرى ؛ ولعل الرواية — إذا كان عمر بن الخطاب رواية — أشعر من الشعر ! على أنَّ عمر بن الخطاب ونحن فى حديثه ، لم يعط الجزأين الأولين من الرواية أكثر من اسمه ... فهو يمر فى الأول كخطفة البرق ، ويهم فى الكتاب الثانى بالظهور . ولا تكاد تصغى اليـه وتجلس بين يديه فى الكتابين الموعودين ، أما الآن فأنت فى عالم الحب ؛ فلا تقل وقد استنمت إلى أنغامه المدهدهة أين نحن من دنيا ابن الخطاب ؟ وما علاقتنا به ؟ عما قريب تلتفت إلى « سافو » التى لم تكن تعرف من العرب إلا حبيبها ، فتسمعها تحدثك عن رعاة الغنم ، الذين ملكوا رعاة الأمم ، والبدو الذين علموا الحضارة الحضر . . . والعقيدة التى غلبت القوة ، وحينئذ تدرك السرَّ الذى نشده الأستاذ الأرناءوط ، فهو يريد أن يقفنا فى هذا الصراع القائم بين العرب والرومان على لونين من الحب : حب السماء وحب الأرض ، وعلى رسالتين : رسالة العاشق ، ورسالة المجاهد ؛ وعلى دولتين : دولة الطبقات ، ودولة المساواة ، وإذا كان فى الأدب الفرنسى كتاب أسماه صاحبه — شاتوبريان — « عبقرية النصرانية » وأراد أن يعرض فيه دينه فى أحسن معرض ، فانه يخيل إلى أن الأستاذ الارناءوط سائر فى هذه الطريق. فما « سيد قريش » و « عمر بن الخطاب » إلا فصول فى كتاب سنطلق عليه ذات يوم اسم « عبقرية الاسـلام » أو إذا شئت « عبقرية العروبة »

أيها القارئ ! ضع شارة تحت جملةٍ بارعة فى الجزء الأوّل من « عمر بن الخطّاب » « أىّ قدر سعيد ألقاك فى طريقٍ يا من يهيمن على حياتِى ؟ » فانه قدر سعيد حقاً .. أن تعيش فى عالم « كريستيا » و « بنيامينا » و « سافو » و « فروة » و « نفتالى » ، قدرٌ سعيد أن تعيش تحت سماء « كأنها لفرط الضياء جنـة من اللؤلؤ » وأن ترى الى « كريستيا » يلتمس حبيبته فى الحلم ولكنه « لا يجرؤ أن يمس وهو سادر فى وهمه جسدها المترنح مخافة أن تفوته لذة هذا الوهم » وأن تستمع إليه ينشد بين يديها : « لقد رأيتك فى ذات ليلة أمام المرآة تريقين على جسدك العارى عطور النارنج ، ورأيتك تغسلين فخذيك الناعمتين بعطر الورد ، ثم رأيتك تصبين على نهديك عطوراً حملها إليك محبوك من مصر وفينيقية والشام ، فوددت لو أنك تبدلين طيوبك بطيب آخر لم تحفل بمثله أرض فينيقية ذات السماء المصحية ، ولا جنات مصر الضاحكة على ضفاف النيل ... بطيب انبعثت رائحته فى نفسى » . . . ثم اخرج من عالم الحب الى عالم البطولة وانظر الى « فروة بن عمرو » يعلق على الصليب فى سبيل الرسالة ، واستمع الى أغانيه العلوية ! ...

ولكن ما أكثر الصور والألوان الحلوة فى هذا الكتاب ؟ بل أية صورة أستطيع أن أقول إنها أقل جمالاً من غيرها فأزهد فى نقلها ؟ !

***

مطالع الكتاب كله وقل معى

بورك فيك يا أستاذنا الأرناءوط ! بورك فيك ثلاثاً باسم الحب وباسم الشعر وباسم البطولة ... وبورك فيك باسمنا نحن الذين وهبت لنا ساعات لذيذة ودنياوات حلوة

أى مؤلف « عمر بن الخطاب » !

سوف ألقاك فأراك غير ما كنت أراك لأنك ستسير دائماً فى موكب من الأبطال الذين بمثت فيهم الحياة . وسنشعر جميعاً أن روحك ليست غريبة عن روح أبطالك ، فلولا أن سكبت فيهم من قلبك ومن فكرك لما كان كتابك خالداً

إن حياة كتابك من كتاب حياتك

حياتك الشاعرة !

منير العجلانى

رئيس تحرير القبس

# وراء البحار

تأليف محمد أمين حسونه

بقلم محمود عزت موسى

أتيح لى منذ أيام أن أقرأ الكتاب الذى ألفه وأصدره أخيراً صديقى الأستاذ محمد أمين حسونه وأسماه « وراء البحار » ؛ وفى هذا الكتاب رحلة المؤلف إلى اليونان وتركيا ورومانيا والنمسا والمجر ، وقد عنى بطبعه عناية فائقة فجاء مثالا بديعاً للذوق الرقيق. وليست هذه هى المرة الأولى التى أتيح لى فيها أن أقرأ للأستاذ حسونه ، فأنا أقرأ له منذ صدر حياتى الأدبية ، وقد التقت أقلامنا على صفحات السياسة الأسبوعية فى عام ١٩٢٩ وفى ذلك الحين أيضاً التقت صداقتنا ؛ ولقد قرأت له كتابه الأول « أشبال الثورة » ، وهى الرواية التى استهل بها أدبه القصصى ، ثم قرأت له « الورد الأبيض » ، وهى المجموعة القصصية التى جملته فى طليعة أدباء الشباب ، ولعلنى استطعت من خلال تلك القراءات كلها أن أتعرف إلى أسلوبه وأدبه ، ومن أجل هذا كنت أود أن أنصف الأستاذ حسونه أكثر مما أنصف نفسه هو فأقول بأن كتابه « وراء البحار » ليس فى الواقع إلا قصة طويلة لحياة شاعر فى خلال رحلة فنية إلى بلاد تاقت نفسه اليها .. واستقرت عواطفه فى أجمل بقاعها ، فراح يصفها لا بلغة المسافر ، ولكن بلغة الشاعر ، فلم يذهب فيما ذهب اليه الذين سبقوه فى وصف رحلاتهم ، ولكنه انتحى لنفسه منحى غير الذى ألفه الناس فيما قرأوا .. فلم يحاول أن يكتب عما شغل غيره من كتاب الرحلات فى الأوصاف التى يمكن للانسان أن يجدها بسهولة فى كتب السياحات ، ولكنه ذهب إلى تلك البلاد حاملاً بين جنبيه تلك النفس الطامحة المضطرمة شباباً ونشاطاً ، فتبدو فى بعض الصفحات مشبوبة حارة ملتهبة تفيض خيالاً وعذوبة ، والتى تغزوها الآلام والأحزان فتبدو فى انقباضة القلق الحائر . وإنه ليحلو لى أن أصف نفسية الكتاب ، ولا أتناول فصوله فصلاً فصلاً تناول الذى يمسك مبضعه ليقيم نفسه جراحاً — أو جزاراً — على عمل أدبى ، يحلو لى أن أصف نفسية الكتاب لأننى أعتقد بأنى قد ألفيت فيه وحدة فنية قائمة بذاتها ، ترتكز على شخصية واحدة ، هى شخصية المؤلف ؛ وهذه الوحدة الفنية تجعلنى أرى أن المؤلف إنما عمد إلى رحلته بدافع الاستمتاع الذهنى والقلبى فى وقت واحد ، فوفق . ولم تذهب هذه الشخصية عنه فى أية لحظة ، بل هو يصفها بدافع الاعجاب ، ولكن بشخصية ، أو بمعنى آخر بقومية ، ومن هنا ترتقى مكانة الكتاب عندى ، لأنه يقول فى معرض حديثه عن الأكروبول . . . « ولكن أين ربوات الأكروبول من ساحل طيبة الخالد على مر الدهور ، أو من مهابة الأهرام ومعابد الكرنك وقصور فيلى ؟ تلك الكاتدرائيات الفرعونية المظيمة التى شيدتها ونقلت جلاميدها الصخرية الهائلة الأيدى السحرية العجيبة . . . . » أو عند ما يذكر « أذكر أنى قابلت فى أحد المطاعم ( فى أثينا ) جندياً فى الجيش كاد يبكى وهو يحدثنى بالعربية فى السعادة التى تنعم فى اعطافها يوم أن كان يعمل « جرسونا » بمقاهى القاهرة الكبرى . . . . » « ويستطرد فى القول » . . . وأحسب أنه نتيجة عطف أولته مصر لأبناء هذه البلاد منذ انبثق فجر التاريخ . فقديماً لقنهم المصريون أسرار الحكمة وأصول التشريع وزودوهم بأساحة من العلم واستقامة الفهم ، فذاناوس وككرلس وفيثاغورس شهب ثاقبة فى سماء الثقافة الأغريقية ، لكنهم لم يزيدوا على أن يكونوا مصريين .. » وكما يبدو فى حديثه عن الاسلام وسلاطين آل عثمان فى خلال وصفه لاستامبول ، وهذه الظاهرة الفريدة فى الكتاب تجعلنى أسجلها مغتبطاً

قد كنت أوثر أن يحدثنا — فوق ذلك — الأستاذ حسونه عن تلك البقاع التى زارها أحاديث تتناول صميم الحياة هنالك ، عن وسائل رقيهم ، وصناعاتهم ، ونظم الجمعيات الهامة فيها ، والروح الفردية فى تلك الأمم ، ونواحى الضعف فى جماعاتهم ، وأسبابها ، والظواهر التى يلمحها فى أنظمتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وان يتناول بالبحث الانقلاب الكمالى من جذوره فى زيارته لتركيا ليصف ويقرر الحقائق التى لا يمكن للقارئ أن يجدها فى الصحف لاعتبارات شتى ، وأحسب أنه قد لمح الى ذلك تلميحاً خفيفاً فهل فعل ذلك عن عمد ؟ أحسب ذلك . ولكننى أرجو أن يوفق الى ذلك فى كتابه المقبل ، فى صراحة تامة ؛ فبلادنا فى عصر نهضة ، ولنكن حطب هذه النهضة ، وكلما زدناها ناراً ازدادت اشتعالاً ونوراً وارتفاعاً ، ولن يكون ذلك إلا إذا أفرغنا فى سبيلها الجهد كل الجهد وعنينا بتوضيح كل ما يفيد هذه النهضة ويوطد دعاماتها ؟

محمود عزت موسى

4 me Année, No. 160

Lundi - 27 - 7 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ ط
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٦٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ — ٢٧ يوليه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد



# الطَّماطم السياسى ...

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

كان (م) باشا رحمه الله داهيةً من دهاة السياسة المصرية . يلتوى مرة فى يدها التواءَ الحبل ، ويستوى فى يدها مرة استواء السيف ، ولا يُرى أبداً إلا منكمِشاً مُتَحرِّزاً كأن له عدواً لا يدرى أين هو ولا متى يقتحم عليه ، ولكنه كغيره من الرؤساء الذين كانوا آلاتٍ للكذب بين طالب الحق وغاصب الحق — يعرف أن عدوه كامنٌ فى أعماله . وكان ذكياً أريباً ، غير أن ملابَسَتَه للسياسة الدائرة على محورها — جعلت نصف ذكائه من الذكاء ونصفه من المكر . فكان فى مراوغته كأن له ثلاثة عقول : أحدهما مصرى والآخر انجليزى والثالث خارج من الحالين

وبهذا تقدم وعاش أثيراً عند الرؤساء من الانجليز ، واستمرت جاريه مطَّردةً لديهم حتى بلغوا به الى الوزارة إذ كان حسنَ الفهم عنهم سريعَ الاستجابة اليهم ؛ يفهم معنى ألفاظهم ، ومعنى النية التى تكون وراء ألفاظهم ، ومعنى آخر يتبرع

هو به لألفاظهم ... فكان هو وأمثاله فى رأى تلك السياسة القديمة رجالاً كالأفكار ، يوضع أحدهم فى مكانه من الحكم كما توضع صيغة الشك لافساد اليقين ، أو صيغة الوهم لتوليد الخيال ، أو صيغة الهوى لايجاد الفتنة

***

وكان صديق (فلان) رحمه الله صاحب سره (السكرتير) وقد وثق به الباشا حتى إنه كان يُعَالِنُه بما فى نفسه ، ويبثُّه همومَه وأحزانَه ، ويرى فيه دنيا حرَّة يخرج اليها كلما ضاقت به دنيا وظيفته ، ويستعير منه اليقين أحياناً بأنه لا يزال مصرياً لم يتمَّ بعدُ تحويله فى الكرسى . . . .

فحدثنى الصديق بعد موت هذا الباشا قال : إنه دعاه يوماً ليُفَاتِحَه الرأيَ فى أمر من أموره ، ثم قال له : إن الرئيس الانجليزى غير مطمئن اليك لأن حقيقةً من الحقائق الصريحة ظاهرة على وجهك فأنت تنظر اليه وكأنك تقول له بعينيك إنك مصرى مستقل

قال صاحب السر : لئن كان ذلك مايغضبه إن الخطب لهين ، فلست أنظر اليه بعد اليوم إلا من وراء نظارة سوداء . . . .

فضحك الباشا وقال : يا بنى هذا الانجليزى عندنا كالشيطان « إنه يراكم هو وقَبيله من حيث لا ترونهم » ، ووالله يا بنى إنى لأشد أنفةً منك وإن صدرى لشَجِىٌّ مما أنا فيه من هذا الكرب ، ولكننا نحن الشرقيين قد ضعنا منذ فقدنا الشخصية الاجتماعية

أتراك تفهم شيئاً لو قلت لك : رجلٌ ، أسدٌ ، جبلٌ ، مدينة ، أسطول ؟ إن تركيبنا الاجتماعى شىء كهذا الكلام فيه من ضخامة اللفظ بقدر ما فيه من انحلال المعنى واضمحلاله . ولكل كلمة إذا أُفردتْ معنى صحيح يقوم بها وتقوم به غير أنه يتحول فى الجملة الى معنى كلا معنى

أصبح الشرقى يعيش فى أمته على قاعدة أنه منفرد لا صلة بينه وبين الأطراف لا فى الزمان ولا فى المكان . ونسى معنى الحديث الشريف : « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً » فماذا كان يريد أعظم المصلحين الاجتماعيين من قوله « كأنك تعيش أبداً » إلا أن يقرر لأمته أن الفرد ينبوع الأجيال المقبلة كلها فليعمل لها ولنفسه كأنها موقوفة عليه وكأنه مستمر فيها

هذه حكمة إسلامية دقيقه عندنا نحن لفظُها ولسنا نعرف معناها ، وعند الانجليز معناها ولا يعرفون لفظها . أهم المسلمون أم نحن ؟

وعلى قاعدة الانفراد انفرد كل شىء ، فآثر الشرقى حياته على وطنه ، وقدَّم لذته على واجبه ، وتعامل بالمال فى مواضع المعاملة بالأخلاق ؛ وكان طبيعياً مع هذا أن يختصر الدين اختصاراً يجعله مقداراً بين مقدارين فلا هو دين ولا هو غيردين ، وبذلك يناسب فرديته ويقعد تحت حكمه وهو خارج عليه . فترى الرجل من هذه الملايين يؤمن بالله وهو يحلف به كذباً على درهم ، ويصلى ويفجر فى يوم واحد ، ويتعبَّد فى نفسه ويخون سواه فى وقت معاً

ومتى كانت الحالة النفسية للأمة هى هذه الفرديةَ ومصالحها ودواعيها كان الكذب أظهرَ خلال هذه الأمة ، إذ هو انفرادُ الكاذب بحظّه ومصلحته وداعيته ؛ ولا يكذب عليك إلا من يرجو أن تكون مغفلاً أو من قدَّر فى نفسه أن المعاملة العامة فى الأمة هى على قاعدة المغفلين . . . ويكذبون فى هذا أيضاً فيسمونه حذقاً وبراعة (وشطارة)

وإذا عمَّ الكذب فشا منه الهزل ؛ فكل كاذب هازل ، وهل يجدُّ الكاذب وهو يكذب إلا إذا كان مجنوناً ؟ ومن الهزل ضربٌ هو المباسطة بالكذب ، ومنه ضربٌ من كذب الحقائق ، ومنه من كذب الخيال ، وكيفما دارت الحال لا تجده إلا كذباً

ومتى صار الكذبُ أصلاً يُعْمَلُ عليه ، تقرَّر عند الناس أن الكلام إنما يقالُ ليقالَ فقط أفلست ترى الرجلين إذا أخبر أحدهما صاحبَه بالخبر فيه شىء من الغرابة أو البعد ، لا يكلمه الآخر أول ما يتكلم إلا أن يسأله : صحيح ؟ صدق ؟

ولا أضر على الأمة من هذه العقيدة — عقيدة أن الكلام يقال ليقال فقط — فانها هى طابع الهزل على أخلاق الأمة وعلى كل أحوالها وعلى حكومتها أيضاً

ومن الهزل والكذب ترانا مبالغين فى كل شىء حتى ليكون لنا الواحد كالآحاد فى غيرنا فنجعله مائة بصِفرين نجىء بأحدهما من اعتيادنا الكذبَ على الحقيقة ، ونجىء بالآخر من حقيقة

إفلاسنا . هذه مبالغة خطرة وأخطر ما فيها أننا نريد بها المبالغة فى الدلالة على الأشياء ، فتنقلب مبالغةً فى الدلالة علينا نحن وعلى كذب طباعنا وعلى فوضى العقل فينا . نعم وحتى تُثبتُ أننا لا عزم لنا من كونها مبالغـة لا تدقيق فى معناها ، وأن لا صبر لنا من أنها لاثبات لحقيقتها المهزومة ، وأن لا شدة لنا فى طلب الحق لأننا بها من أهل الغفـلة فى وصف الحق ، وأننا لا نتمثل العواقب إذ نرسل الـكلامَ ارسالاً ولا نخشى ما يكون من عاقبته . وأيسر ما يفهم من هذه المبالغات التى أصبحت طريقة من طرق الشعب فى التعبير — أن هذا الشعب لا يصلح فى شىء إلا بالحكومة ، فهو نفسه كالبالغة ، والحكومة له كالتصحيح . وهذه هى العلة فى أن الشعب الـكذوب يلجأ إلى حكومته فى كل كبيرة وصغيرة فى العمل ، كما أنها هى العلة فى أن حكومته تكذب عليه بكل صغيرة وكبيرة فى السياسة

ومن أثر الـكذب الشعبي والمبالغة الشعبية ما تراه من اهتمام كل فرد بما يقول الناس عن أعماله فيُـديرها على ذلك وإن فات منفعتها ، وإن فسدت حقيقتها ، وإن جلبت عليه من الضرر فى ماله ونفسه ما هى جالبة ؛ فقاعدتهم هى هـذه : ليس الشأن فى الحياة للعمل فى نفسه ولـكن فيما يقال عنه ، فان لم يُقَـل شىء فلا نعمل شيئاً . . .

هذه يا بنى أمة لا يكون حكامها إلا مبالغات أيضاً

* * *

قال صاحب السر : وارتفع من الطريق صوت بائع ينادى على سِلعته : أحسن من التفاح يا طماطم . . .

فضحك الباشا وقال : هكذا يقولون لنا عن الطماطم السياسى العَـفِن ، إنه ليس تفاحاً وحسبُ ، بل هو أحسن من التفاح

إن الأمة لن تكون فى موضعها إلا إذا وضعت الـكلمةَ فى موضعها ، وإن أول ما يدل على صحة الأخلاق فى أمةٍ كلمة الصدق فيها ، والأمة التى لا يحكمها الصدق لا تكون معها كل مظاهر الحكم إلا كذباً وهزلاً ومبالغة ما ؟

(سيدى بشر باسكندرية)

( إلى الصابرة ) : أعتذر اليك من عدم الرد على كتابك ، فقد أضعته بين أوراق فضاع عنوانك فيه (الرافعى)

# عفـــوا أيها النقاد !

## للأستاذ محمد فريد أبو حديد

أطلب اليكم العفو يا معشر الناقدين ، فانى لا أقصد بهذه الـكلمة إلا الدعابة والمفاكهة --- فقد رأيت الصيف قد اشتد ، واحتدمت وقدته ، وأردت أن أتقرب اليكم بما يزيل لسعته أو يخفف منها — ولا أدرى ما الذى أغرانى بهذه الداعبـة المخطرة ، فوالله لقد كنت أرى أن مداعبة الفهود والنمور أهون أمراً وأسلم عاقبة من مداعبة نقاد الأدب . ولقد كانت دونى لو أردت مندوحة عن ذلك التعرض ، فلو شئت لداعبت الأدباء كافة ، ولم يكن على بأس منهم ، فانى لا أخشى من الأدباء بطشاً ولا صولا ، لأنهم يسيلون رقة وليونة ، وقد طبع الله فى قلوبهم وداعة وسلاماً ، فنهم من يأخذه الجمال فيسلم له قياده حتى ليصير كالحمل يصرفه أضعف الخلق كيف يشاء ، وإن منهم من قد استغرقه الفـكر وغلب عليه فلا تراه إلا حالماً لا يكلف أحداً مؤونة فى تصريفه ولا مشقة فى معاملته — فهؤلاء لا يأتى خوف من قِبَلهم ولا يتكلف المرء حيطـة فى مغابثتهم — ولـكن الناقد — والله يكلؤنا بحمايته ، فيه صلابة ، وله شوكة ؛ فهو دائما معقود الجبين على الصرامة ، محماق العينين على اليقظة ، كثير التجهم واللوم ، فاذا أخذته الرقة أحياناً رأيته يربت على كتف الناس متنازلا من عليائه ، وكل حركة من حركاته تنم عن دخيلة نفسه وكمين عقيدته ، إذ كأنما يقول عند ذلك : « إنا نعطف على هؤلاء المساكين تشجيعاً لهم حتى لا تنكسر قلوبهم »

لست أدرى ما الذى أغرانى بهذه المداعبة إلا أن يكون هذا الصديق العجيب التأثير الأستاذ أحمد حسن الزيات ، فانه منذ كتب فى النقد وأنا أمانع نفسى وأغالبها لـكى أمتنع عن الخوض فى الميدان الذى أثار غباره — ثم هأنذا تغلبنى نفسى على الأمر ، فأكتب للنقاد متعرضاً لـما يتعرض له الداخل إلى حظائر السباع على أنى مع ذلك قد قدمت فى أول قولى أنى إنما أداعب ولا أقصد إلا المفاكهة — فلعل تقدمى على هذا النحو يلوى عنى الشوكة التى أخشاها ، ويكف عنى الغضب والنقمة

لقد حمل الأستاذ أحمد الأمين يحن إلى عصر مضى من عصور

الأدب فى مصر ، وجعل يعير نقاد العصر الحاضر بالتقصير والميل حتى لقد استعبرت من فرط الأسى على ما فات عصرنا الحاضر من جليل النفع . ولكني ما لبثت أن أفقت من أثر قوله وجعلت أرجع بالذهن إلى العصور التى شهدتها فلم أجد ذلك العصر الذى يؤبنه ويذكر محاسنه ؛ فلعله يشير إلى عصر لم أشهده ولم أعرف شيئاً عنه ، وذلك أنى لم أعد بعد حلقة الخمسين من السن ولا علم لى بما كان قبل ذلك ، وإنى لم أدرك ما كان حولى إلا نحوا من ثلاثين عاما ، وليس فى هذا ما يكفى لأن أرد على الأستاذ حكمه ، فرجائى اليه أن يحدد ذلك الماضى أين وقع ؟ وهل كان منذ ثلاثين عاما أم كان منذ أربعين أو خمسين ، فهو أعلم بما يقول مما شهد فى حياته المباركة إن شاء الله

على أنى إذا كددت الذاكرة فى السنوات الثلاثين التى أدركت فيها ما كان حولى لم أذكر إلا محاولة ضئيلة فى النقد كان أكثرها من شبان أكبر همهم أن تذكر أسماؤهم إلى جانب الأسماء النابهة فى عصرهم — ولقد كانت وسيلتهم دائماً أن ينالوا من مقام أديب نابه لهجت الألسنة بذكره ، لا يقصدون النقد والحق ، ولكن يقصدون أن تتحول الأنظار إلى شخوصهم

ولست أذكر فيما أذكر من تلك السنوات أن تعرض نقد تعرضاً يذكر إلا لأمثال شوقى وحافظ — كأنما النقد قد صب صباً فى قالب واحد ، فهو لا يتسع لغير الشعر وقصائده ودواوينه ، وأما ما عدا ذلك فلا أذكر أن قامت معركة على كتاب من الكتب التى نقلها الأستاذ الكبير فتحى زغلول ، ولا على كتاب مثل (التربية الاستقلالية) ، بل لا أذكر نقدا يذكر قابل به النقاد ترجمة حافظ لجزء من البؤساء ، أو قصة (زينب) الهيكلية ، أو ما ألفه المنفلوطى ، أو الأستاذ فريد وجدى

وإنى كلما أدرت الفكر فى ذلك العصر الماضى لم أجد إلا محاولات بسيطة تشبه محاولات الطفولة فى النقد — وقد صدق الأستاذ هيكل فى تصوير ذلك إذ قال إن النقد أول ما يعانيه الأديب الناشىء من المحاولات

فان كان لنا من تعرض الى ذلك الأمر فانا نحمد الله إذ انقضى ذلك العصر بما كان فيه

فهل فى شرعة الانصاف أن يتوفر مؤلف على كتاب لا يزال دائباً على البحث من أجله ، ويقضى النهار والليل فى التحقيق والتثبت ليخرج به على الناس فيجلو لهم أموراً كانت من قبل مظلمة ، ويبين لهم مواطن كانت مبهمة غامضة ، فاذا به يرى ناشئاً من الشباب يريد أن يحول الأنظار اليه فيتناول ذلك الكتاب المسكين بالنقد ولا يزال به حكا وتجريحاً بيد ثقيلة غير صناع حتى يدميه ويلهبه ؟ إن هذا اذن لشبيه باليتيم المسكين الذى يذهب الى الحلاق ليسوى له شعره ويزيل عنه الشعث والأغبار فاذا بذلك الحلاق يدفعه الى أحدث صبيانه وأقلهم مهارة ليتعلم الصناعة فى رأسه . لا . لا . فاللهم حوالينا ولا علينا . فما كان لنا أن نلوم شباب اليوم كما يحب لنا الدكتور هيكل أن نفعل ، بل إن علينا أن نحمد فيهم ذلك العقل الراجح وهذا الذوق الجميل الذى حدا بهم الى تجنب النقد فى هذه الأيام ؛ وإنها لمفخرة لعصرنا أن موجة النقد قد ركدت فيه ما دام ذلك النقد لا يقوى إلا إذا أخذ به الشباب الناشىء ليجعله وسيلة ليظهر للناس مقدرته على الكلام والكتابة وتدوير المعانى وتلفيفها

على أنى أرجو أن يغفر لى النقاد إذا قلت لهم إن هذا العصر لا يشكرهم على يد أطول من انصرافهم عن النقد . فان الأدباء قد وجدوا فى صمتهم متنفساً . وإنها لفرصة لمن شاء أن يؤلف فليغتنمها المؤلفون فى غفلة من الدهر . وأى شىء أعدل وأسمح من أن يؤلف المؤلف إذا شاء فاذا وجد من يقرأ له كان سعيداً مجدوداً . وللناس عقولهم ، فاذا أعجبهم ما قرأوا له أقبلوا على مؤلفاته وألقوا اليه بأنواع التحية وأشاروا اليه بالبنان كلما رأوه كما كان يفعل الناس فى الأعصر الخوالى . وأما إذا كره الناس ما قرأوا للمؤلف انصرفوا عنه ، وحسبه بعد ذلك أن يخسر ما بذل من ثمن الحبر والورق والطبع ..

إن القوامة مكروهة أينما كانت ؛ فاذا اتخذ النقد شكل القوامة كان حرياً بأن يكون مكروهاً . هذا إذا كان القيم ممن يحسنون السيطرة ويعدلون فى الهيمنة — فما بالنا به إذا كان يسرف ويدل ؟ وإلا فوايم الله إن من النقاد من لو حكمت فى أمره لأمرت جميع بائعى الأقلام من كل الأنواع بأن يمتنعوا عن أن يبيعوه قلماً واحداً . وإنى لأذكر أحد هؤلاء وهو ممن تزعموا فى العروبة وقد نقد كتاباً مترجماً عن الانجليزية فى تاريخ مصر . ولم يشأ أن يجعل نقده لذلك الكتاب فى مقالة مفردة فقرن بينه وبين كتاب فى فن ( الطهى الحديث ) وأطايبه . ولقد رأيت

ذلك الكاتب الفضال بعد ذلك يتنقل فى النقـد ما بين العلوم والفنون فضرب عافاه الله فى التاريخ والتصوف والحديث واللغة والدين والفلسفة . ولا أعلم بعـد إذا كان قد بلغ حظائر الطب والموسيقى والفلك أم هو سائر فى طريقه إليها . ولم يكن هذا الناقد فذاً فى هذا النهج العلمى ! بل لقد رأيت علماً من أعلام النقد فى مصر يستعرض سلسلة من المؤلفات ويبدى رأيه فى كل منها ، ويهز رأسه عند الانتهاء من نقد كل منها ، ويلمس لحيته لمس الفلاسفة الأقدمين ! وكأنى به قد نسى أن العصر قد تقادم على عهد سقراط وأفلاطون وأرسطو ، وأن الناس قد أخذوا الحلم أخذاً شديداً فلم يدعوا فيها شعرة واحدة . ولقد رأيت كاتباً عبقرياً أخذ على نفسه أن ينقد الأدباء . وواتاه القلم على عادته وأصاخ له الناس على عادتهم ، وهو إذا تكلم أو كتب فالناس كلهم أسماع

ثم استعرض بين حين وحين كتاباً فكان كل ما استعرضه أو جله دواوين للشعر ، وهذا حسن ، فلعله قد خصص نفسه للغة وما يتعلق بها ، وقرأت نقده كما قرأه الناس فكان لبقاً كعادته حلو الحديث بمواهبه الله فى أسلوبه ، ولكنى لم أستطع أن أفهم ماقال . فلقد كان قوله إما مدحاً يسر الخاطر ويشرح الصدر — أقصد صدر المؤلف الممدوح ، وإما ذماً يكسر القلب ويدمى الفؤاد — وإنى لم أكن أحـد هؤلاء الشعراء فلهذا لم يتلنى ذمه بألم ولا مدحه بفرح ، وعلى ذلك خرجت من كل ما كتب ، ولم أفقه شيئاً ، ولم أعرف ماذا أراد أن يقول

إن أغلب ظنى أن الغباوة هى التى قد حالت بينى وبين فهم ما قال ذلك الأديب الكبير ، ولكنى لم أسأل أحداً من أصدقائى عن رأيه إلا وجدته على مثل حظى من الغباوة وقلة الادراك

ولهذا السبب كان ذلك الأديب كثير التردد والتقلب فى رأيه ، فبينا هو اليوم يصفق إعجاباً بشاعر أو يصيح تقديراً لأديب . إذا به بعد قليل وقد لمح من ذلك الشاعر أو من ذلك الأديب نكراناً لفضله أو جحوداً لجميله فينقلب مدحه إلى ذم يكاد الدم يسيل من وقعه

ولقـد حسبت مرة أن ذلك الأديب الكبير قد خصص نفسه للنقد حقاً ، فأرسلت إليـه بمؤلف حقير لى ثم تواريت خجلاً وجعلت أنتظر نقده وأقرأ جرائده كل يوم مدة طويلة حتى مللت ولم أظفر بشىء . ثم نسيت ذلك الأمر وعدت بعد سنوات اليه فأرسلت إليه بمؤلف آخر لا يقل فى حقارته عن المؤلف الأول ، وقلت فى نفسى إنه فى هذه المرة لا بد واثب على كتابى ، وممزقه كل ممزق — ولبثت أنتظر طعنته وأنا متوار ، وطال بى الانتظار على غير جدوى ، فعرفت أن من الكتب ماينحط عن مقدار النقد ، ولو قد تكرم ذلك الناقد فقال لى كما قال مرة لأحد الشعراء : « إنك لا تعرف شيئاً » لما تألمت مثل تألمى من سكوته عنى ، لأنى كنت عند ذلك أفاخر الناس بأن ذلك الأديب قد قرأ كتابى ، وحكم على بأنى لا أعرف شيئاً . ولا عجب فى ذلك ، فقد كان من أجدادى رجل — كما كان من أجـداد كثير من القراء مثل جدى — أقول كان من أجدادى رجل إذا امتنع عن دفع المال للحاكم أمر المدير فأحضره وألهب ظهره بمائة سوط — فكان إذا أفاق من غشيته بعد الضرب يضحك ويقول : « الحمد لله إذ ضربنى المدير بنفسـه » ثم نظر إلى الحاكم الغاضب وضحك مرة أخرى وقال : « ضربك شرف يا سعادة البك ! »

وبعد فلقد أنسانى آخر الكلام أوله ، ولابد من أن أعود إلى ما كنت فيه . أقول إنى أخالف الأستاذ أحمد الأمين فى رأيه كل المخالفة ، ولا أذم النقاد فى عصرنا الحاضر ، بل إنى أشكرهم وأعدها لهم مكرمة عظيمة أن فتروا فى النقد وخشعوا عنه . ولعل فيما قدمت من قولى ما يقنع الأستاذ ومن يرى رأيه بأن واجبنا أن نحمد الله على قلة النقد وتعفف الناقدين عنه ، واقتصارهم على الاعلان والمجاملة أحياناً ، أو التجهم أو التنكر أحياناً أخرى بحسب مكان المؤلف منهم وهل هو صديق أم هو بغيض ؟ فلقد أدرك الناس منهم ذلك واطمأنوا إليه . فاذا أراد الأستاذ بعد ذلك أن يستمر فى المحاجة والمناقشة فانى مضطر الى أن ألجئه الى ركن لا يستطيع فيه المقاومة ولا يجـد لنفسه مناصاً من الاقرار لى بالغلبة — وذلك أنه قال إن التأليف قد زاد فى عصرنا — أليس كذلك ؟ ثم قال إن النقد قد ركد كذلك فى عصرنا — أليس كذلك ؟

أفلا يرى الأستاذ اللوذعى أن هاتين الحقيقتين منذ تلازمتا كانت إحداهما نتيجة للأخرى ؟

فاذا أراد الأسـتاذ أن يستمر التأليف على نهضته كان عليه أن يترك النقد نائماً ولا يوقظه

أيحاول الأستاذ الأمين بعد هذا مجادلة ؟

محمد فريد أبو حديد

# ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المــازنى

( تنبيه : الكلام كله تخيل ولا أصل أو حقيقة له )

— ٧ —

طلبت من الريف مالا سبيل إليه فى هــذه المدينة العظيمة ذات العمائر الشامخة ، والبنى الرفيعة ، والهواء الحبيس ، والنفوس المروضة على تــكلف غير طباعها . وكان بعض قومى قد سبقونى ؛ فأنبأتهم أنى لاحق بهم ، وإذا ببرقية تردنى منهم يقولون فيها : « هات فتنة معك » فلم أدر ما — أو من — « فتنة » هذه .. أقطة هى يا ترى ؟ أم فتاة ؟ أم كلبة ؟ أم ماذا ؟ ... وكنت أعد حقائبى ، ومكتب البرق بعيد منى ، وحدثتنى نفسى أنهم يعرفون أنى لا أعرف « فتنة » . فالأرجح أن يكونوا قد أبرقوا إليهــا لتتصل بى ، أو لأصاحبها إذا كانت حيوانا . وقلت سأسافر على كل حال فى الوقت المعين . جاءت « فتنة » أم لم تجىء . وأقبلت على الحقيبة أحشر فيها — فما لى قدرة على الترتيب والتنظيم — ما أقدر أن سأحتاج إليه ، وإذا بالباب يقرع قرعاً مزعجاً لا عهد لى به ، ففزعت ومضيت إليه على عجل مخافة أن يكسره الطارق . ودار فى نفسى أن هكذا دق « تيمون الأثينى » باب الآخرة حين انحدر إليها بعد أن وافاه حينه الذى كان ينتظره بصبر فارغ من فرط كرهه للناس ، فان أساطير اليونان تزعم أن الناس يهبطون بعد موتهم إلى وادى الظلال ، وهناك يحشدون فى الفجر ويُعدّون وتقيد أسماؤهم ثم يركبونهم زورقاً — غير بخارى بالطبع — إلى وادى القنوط حيث يكون الحساب . ومن غرائب هــذه الأسطورة أن على كل راكب أو محمول فى هذا الزورق أن يؤدى أجرة العبور إلى وادى القنوط . . . وقد ضحكت وأنا أذكر هذا إذ أمشى إلى الباب ، وقلت لنفسى والله أن بيتى لــكوادى القنوط بفضل « ذات الثوب الأرجوانى » وما أخلقنى حين أفتح الباب لهذا الزائر المستعجل أن أرحب به بهذه الأبيات القديمة التى نظمتها لمناسبة شبيهة بهذه :

« دار'نا مغرب أنوار الحيــاة من رآها لم ير الضوء الطليق
ما لمن يهوى إليها من نجاة ما لمــا يغرب فيها من شروق

***

وهى ، فى الأكوان ، دنيا عاقر كل زخّار له فيها ركود
ضرب السحرَ عليهــا ساحر فهى عنوانٌ على عقم الوجود »

ولــكن شيئاً — لعله الالهام — صرفنى عن هذه التحية غير الطيبة ، فقد كان الزائر فتاة أشهد أنها من أجمل — إذا لم تكن أجمل — من رأيت فى حياتى ؛ وكانت رشيقة ممشوقة ، ووجهها وضاح ؛ أما عينها فأعوذ بالله منها ! أعنى أن البراقع ما اتخِذت إلا لتتقى الناس سحر مثلها

وقالت وهى تنساب كالماء الرقراق : « لست تعرفنى بالطبع .. ولــكنى أنا أعرفك »

قلت : « تفضلى . . أعنى أولاً . . وبعد ذلك يتسع الوقت للسؤال والجواب »

قالت : « متى تسافر ؟ »

قلت : « هل تعلمت فى انجلترا .. أو لعل أباك انجليزى ؟ »

قالت : « لماذا .. انى سمراء . أو لونى أقرب الى السمرة .. ثم إنى لا أعرف الانجليزية . . تعلمت فى « الميرده ديبه » فقط »

قلت : « هذا أحسن . . على كل حال إنما عنيت أنك تمضين الى غرضك بلا لف ولا تضييع الوقت .. سأسافر فى الفجر »

قالت : « سأبعث إليك إذن بالحقائب الليلة وأجىء أنا قبيل الفجر »

قلت بفرح : « أنت إذن « فتنة » ؟ ؟ لقد صدق الذى سماك »

فقالت وهى تنهض عن الــكرسى وتمضى إلى المنضدة وتقلب ما عليها : « أليس عندك سجاير ؟ . أم أنت لا تدخن ؟ . »

قلت : « إنك صغيرة جداً . . ولــكن خذى »

فأخذت سيجارة وانطلقت تدخن وهى ساهمة وأنا أنظر إليها ولا أقول شيئاً ، فقــد خطر لى أنى سأشهد فصولاً كثيرة متعاقبة لهذه الرواية . وإذا بها ترمى السيجارة من النافذة وتقول « إلى الملتقى إذن . . وشكراً لك »

وليس أبغض إلىَّ من أن يرى الناس ما أصنع أو يشهدوا خروجى ودخولى وسفرى وإيابى . ولــكنى أحسب الدنيا كلها - دنيا شارعنا على الأقل — قد علمت أنى مسافر بالسيارة ،

وأن مى فتاة جميلة ستربتى النجوم فى الظهر الأحمر . . واطلعت — أعنى الدنيا الخاصة — على ما فى حقيبتى الصغيرة وحقائبها الكثيرة المنتفخة فقد كانت لا تفتأ تأمرنى بأن أغير كل مارتبت . هذه الحقيبة لا يجوز أن تكون تحت غيرها لأنها من جلد طرى فهى تخشى عليها التلف . . وهذه الكبيرة فيها ما قد تحتاج إليه فى الطريق فيجب أن تكون فوق . فأقول ولكن الطربة يجب أن تكون فوق فماذا أصنع ؟ ؟ فتقول هات الطربة معنا فى السيارة فأطيع وأحل ما عقدت ، وأعقد ما حللت . ثم يتضح أن فيما ربط خلف السيارة أشياء لا بد منها كل بضع دقائق فى الطريق ، فأسأل مثل ماذا ؟ فتقول مثل زجاجة الكولونيا الصغيرة وملحقاتها من أدوات الزينة المعروفة التى لا غنى عنها — حتى الفتيات الصغيرات مثل « فتنة » صرن لا يستغنين عن ذلك ، فأعود إلى الحل والعقد وأفتح لها الحقائب — فى الطريق من فضلك — ولم تكن الشمس قد طلعت ، ولكنه كان هناك خلق كثير احتشد لمكيدتى ! ! وقد عنيت بأن أحصى هذا الخلق وإليك البيان :

(١) سائق مركبة « كارو » — سكران على الأرجح

(٢) ستة من عمال الطرق عائدون يمشون صفين ومعهم المكانس يحملونها كما يحمل الجنود البنادق . وقد وقفوا ينظرون إلينا مسرورين

(٣) قطتان : واحدة على رصيفنا والأخرى على رصيف « ذات الثوب الأرجوانى »

(٤) أربعة غلمان كانوا سائرين فلما رأونا راقهم منظرنا فوقفوا ينظرون ويتبادلون الملاحظات ولا أدرى من أين جاءوا ولا الى أين كانوا ذاهبين فى هذه البكرة

(٥) رجل من عمال شركة النور كف حين رآنا عن اطفاء المصابيح وجاء ووقف مع الغلمان

ولم أحسب المارة الذين أبى لهم أدبهم — أو ذهولهم أن يقفوا ويتفرجوا . وقد كان هؤلاء جميعاً يضحكون منا حتى القطتان

ولا أمل القارئ بوصف هذه الرحلة وما جرى فيها فليس لهذا آخر ، فقد كان كل كيلو فيها لا يخلو من حادثة ، وصار لى فى هذه السكة الزراعية من الذكريات بعدد ما على جانبيها من الأشجار . ولما دونا من البلدة قالت : « هل هذه هى . . . »

قلت : « قربنا »

قالت : « أراهن أنك لن تقبل بعد اليوم أن تحمل فى سيارتك فتاة أخرى » ثم التفتت إلى — أعنى أنها انحنت قليلاً إلى الأمام وواجهتنى وهى تبتسم وقالت : « قد تكره أن تسمع منى هذا ولكنى شاكرة ... شاكرة جدا . . وقد أتعبتك . . لا تقل شيئاً فانى واثقة أنى أتعبتك . ولكنك كنت حليما جداً »

فقلت : « كلام فارغ . . قولى شيئاً آخر »

قالت : « لا أدرى متى يتاح لى أن أراك مرة أخرى ولهذا عجلت بشكرك فى الطريق »

فضبطت نفسى بجهد ، ومع ذلك كانت « إيه ؟ » التى ندّت عنى كالصيحة فقالت : « نعم فانى مرتبطة بأهلى فاذا رحلوا — كما ينوون أن يفعلوا — إلى الاسكندرية رحلت معهم وإلا بقينا .. وأنا أرجو أن يبقوا فانى أريد أن أتملى بـ ... وبـ ... »

فصحت بها : « ماذا تعنين ؟ ؟ أعنى ما الفائدة من حملك كل هذه المسافة من القاهرة إلى هذه القرية السحيقة إذا كنت ستختفين غداً ؟ ؟ »

قالت : « وماذا أصنع ؟. وعلى كل حال كيف يعنيك هذا ؟. ماذا يهمك ؟ »

قلت مغالطاً : « لا شىء بالطبع ! لك الحق »

قالت : « لقد كنت أهم بأن أقول لك اكتب إلىّ إذا شئت ولكنى عدلت الآن .. من فضلك انتظر لحظة .. دقيقة واحدة فان جوربى اتسخ جداً وأريد أن أغيره قبل أن ندخل البلدة »

فوقفت ونزلت من السيارة وذهبت أتمشى فلما عدت — إجابة لندائها — قالت : « الآن أنا نظيفة وجميلة »

فقلت : « أنت دائماً هكذا »

قالت : «صحيح ؟» وكنت صادقاً فما فقدت ذرة من نضارتها ورونقها بعد مائة وثمانين كيلو مترا

فقالت : « إن خير ما فيك أنك تعنى ما تقول .. فأنا أعرف الآن أنى دائماً جميلة .. وأنا أعرف بغير ممونتك أن ساقى جميلتان لا تنكار .. لقد قلت هذا .. ولكن عينى .. و .. و .. وشعرى .. أنا مضطربة .. لم أسمع منك ثناء على عينى وشعرى »

فقلت باختصار : « خير ما رأيت »

فابتسمت وقالت : « ثناء وجيز .. وجيز جداً . . ولكنه يكفى للاطمئنان .. »

فلم يسعني إلا أن أقرصها وأنا أصيح بها : « يا ملعونة »

***

وأعود إلى الريف الذى نشدت فى ظله الروح والراحة فأقول إن هذه الزروع التى تمتد إلى النهر والتى كانت تبدو لى فى الظلام سوداء أنعشت روحى وبردت دمائى التى كانت تغلى فى عروق ووهبتنى السكينة والهدوء لأعصابى التى أثارها الغيظ والغضب ، والروح لقلبى الذى أجهده حب عقيم ، ولكنه مع ذلك مضطرم . وقد كلمتنى الأشجار الوارفة ، والمياه الجارية ، والهواء الندى ، والظلال المديدة تحت الألفاف المتشجنة . وقالت لى كلها أنى مخطئ فى ثورتى وغضبى وأنى يجب أن أعرف وأدرك أنى لا شىء فى حياة ذات الثوب الأرجوانى ، ولما كنت لا شىء فان من التطاول والغرور أن أحاول أن أحشر نفسى فى حياتها ، وأن أزحمها بوجودى وأن أهيمن عليها وأسيطر . نعم أنا لاشىء . وليس لى عند ذات الثوب الأرجوانى شىء . . لا اختلاجة واحدة من جفنها . ولا نبضة من عروقها . ولا خفقة مفردة من قلبها ، ولا خاطراً مما يجول فى رأسها أو يدور فى نفسها . . ولا نفساً واحداً من هذه الآلاف والملايين من الأنفاس التى يعلو لها صدرها ويهبط . . حتى هذا الذى هو للهواء ليس لى منه شىء ! !

وقضيت يومين بين أحضان الطبيعة الصريحة فكانت أشجارها ومياهها وأطيارها تعيد على مسمعى هذا المعنى فى كل ليلة وتكرره وإن اختلفت الأنغام وتعددت الأصوات ، وما كانت تعيد أو تسمعنى إلا ما كانت نفسى تحدثنى به ، وقلبى يخبرنى أنه الحق الذى كنت أحاول بالأمل أن أخنقه كل ليلة فى ظلمة الليل على وسادتى كأنه صوت «ديدمونه» إذ يميل على عنقها عطيل بيديه الكبيرتين الغليظتين .

وعدت وقد وطنت نفسى على اليأس ، وخيل إلىّ أنها سكنت واطمأنت ، فجلست فى شرفتى ملفوفا فى سواد الليل ، وفى قلبى برد السكينة ، أنظر إلى النجوم المتلاحمة ، ولا أنظر إلى شرفتك وإذا بصوتك يهفو إلىّ منها . . . صوتك إذ تنادين أخاك . . فذهبت سكينة نفسى ومزقتها العاصفة الكامنة فى أعماق البحر ، وأحسست أن روحى كلها تهزها نبرات هذا الصوت العجيب . . . وخفت صوت الطبيعة التى ناجتنى به فى الريف فى ظل الشجر وعلى سيف النهر . . وكنت تميلين على حافة الشرفة وترسلين الصوت مجاجلا فى سكون الليل ، وتهيبين بأخيك أن يرتد إليك قبل أن يذهب فى شأنه ، فوددت لو أنى أصيح به وأعينك على إسماعه ورده ! ونهضت فعلا ، ولكنى وضعت يدى على فمى ، وكتمت ما كان يوشك أن ترتفع به عقيرتى ثم انحططت على مقعدى وقد شاع فى اليأس «علوا وسفلا» كما يقول النواسىّ — اليأس من الشقاء — والسخط على نفسى إذ ذهبت إلى الريف وحرمت نفسى مرآك يومين كاملين بلا جدوى .

كلا . . لست ذلك « اللاشىء » الذى زعمتنى الطبيعة الساذجة ! . وليس صحيحاً أن أنفاسك كلها ذاهبةٌ فى الهواء كما تذهب أنفاس الناس . . ولا أن خفقات قلبك ليس لى منها نصيب . . ولقد غافلتُك ومضيتُ إلى غرفة مظلمة واستعنت بمنظار مكبر ، فاذا عينك على شرفتى ، وإذا أنت تتلفتين ثم تحدقين لتتبينى ولتعرفى أباقٍ أنا فى الشرفة حيث كنت أم دخلت ؟ . وكنت قد غالطتك وخادعتك فأسندت شيئاً على الكرسى مكانى لتظلى متوهمة أنى هناك حين تنظرين ، ولأستطيع أن أعرف أين تنظرين حين تفعلين . . فزال الشك فقد طال تحديقك ثم كأنما رابك شىء من جمود هذا القائم على الكرسى فجعلت تتحولين إلى كل موضع فى الشرفة وتنظرين ، ولبثت هكذا زمناً ثم دخلت ، فما كان منى الا أن أسرعت وعدت الى الكرسى فقعدت عليه مطمئنا كما كانت الحبشية التى وضمتها قاعدة ! إذن كانت لى تلك الوردة الحمراء التى نفضت عنها طلها وشممتها . . ولى هذه الاشارة إذ تظهرين على الشرفة فترفعين أناملك الى خصل شعرك المرسل وتردينها عن أذنك . . ولى هذه الابتسامات الوضيئة حين يسرك من جليسك أو جليستك ما تسمعين . . . وإذن لم يكن عفواً أن الفتاة التى زارتك عصر يوم كانت لا تنفك تدير وجهها وتنظر الى ناحيتى كأنما تريد أن ترانى . ولقد عجبت يومئذ لكثرة تلفتها ونظرها الىّ وظننت أن هذا من الفضول المألوف ، ثم ترددت وشككت فقد رأيتك تتكلمين ورأيتها تتلفت ، فتخفين أنت وجهك حتى تردهى وجهها إليك . وتكرر هذا مع زائرة أخرى جلست معك فى الشرفة — وكنت أحسبها قديماً أختاً لك متزوجة لمشابه رأيتها فيها منك — وكان ظهرك إلىّ ووجهها هى اليك وإلىّ ، وكان الكلام يدور بينكما ، ولكن عين الزائرة لم تكن الا علىّ أنا ، وأنا

أتشاغل عنكما ولكني أراكما . وقديماً قلت أني عني إن لي عيناً في قفدي .. وإذن ليس عفواً أن أهلك جميعاً معنيون بي وأنهم لا يزالون يراءونني وينظرون إلى بل يراقبونني — لولا أني أكره هذه اللفظة — حتى ليبدو لى أحياناً أنهم يصطفون في الشرفة ويبعثون إليك وأنت في الحجرة بأخباري وأنبائي لتعرفي أباق أنا أم خارج . كأنما يحجرون عليك ويمنعونك أن تظهري لي ، ولا يسمحون لك بالبروز إلا بعد أن يوقنوا أني خرجت وأن في الوسع اتقاء شري .. كأنما في الأمر شر .. ويكبر هذا في وهمي أحياناً حتى لأترك البيت لغير سبب أو داع سوى أن أعفيك من عنت أهلك ، وأطلق لك الحرية التي يقيدونها بسببي .. وإذا جلستُ في الشرفة تعمدت أن أحول عيني إلى ناحية أخرى وإن كان هذا حرماناً لي لا حق لهم فيه ، ولكني من أجلك أحتمله وفي سبيلك أصبر عليه . وليت من يدري بأي شيء لفت نظر أهلك الى حبي لك وأنا أتحاشى كل إشارة ؟ بل انا أجتنب أن أنظر اليك حين يكون معك أحد ولو كان طفلاً صغيراً .. فهل ترى حدثتهم أنت بما أحسست من ناحيتي ؟؟ ربما .. فان كنت قد فعلت فأنت طائشة ، فقد جعلت على نفسك منهم رقباء بلا موجب . فما بيننا شيء سوى النظر « وهل ذاك نافع ؟ » كما يقول الشاعر القديم .. وقد حدثتني نفسي أمس أن أشتري ورداً أحمر ، فانك تحبينه على ما يظهر ، وأن أشير به إليك ، ولكني لم أفعل وقلت لنفسي : « ما الفائدة ؟ . هبني أشرتُ وأشرتُ بهما أجابت وأجابت ؟ ؟ أفنظل أنا أشير اليها من بعيد ، وهي تجاوبني من بعيد ؟؟ ثم لا شيء غير ذلك .. عرفنا أنا محبان ثم ماذا بعد هذا ؟؟ هي تظهر في الشرفة ، وأنا أنظر اليها من الشرفة .. هي في السماء نجم لامع ، وأنا فوق الأرض عين يرفعها اليه قلب واجف ! ! كلا !. لا ورد ولا شبهه !. ما الفائدة ؟. ما الفائدة ؟. إني أراني أرجع القهقرى قروناً .. بل أنا لا أرجع ولا أتقدم .. وإنما أرى الحياة تركد وتأسن من حولي لأن ذات الثوب الأرجواني شاءت أن تكون قطعةً من أثاث بيت فهي فيه لتكون زينةً له لا لتحيا وتنعم بالحياة .. وأثارني هذا الخاطر فغضبت وسخطت وأحسست أن نفسي امتلأت مرارة حتى لوجدت طعمها على لساني . . . سخطت على نفسي لأني خيل إلى أني إنما أحب فتاة ساذجة يسرها أن تكون محبوبة وتقنع من الحب بأن تنظر إلى الرجل وترى الرجل ينظر اليها . . . وغضبت لأني رأيت أن هذه مهزلة فانا أذوي نفسي ، وأمزق أعصابي ، وأحرق دمي ، وهي تظن أني مغتبط راض قانع بمرآها في هذه الأثواب المديدة التي لا تنفك تخلع منها واحداً وتلبس أخر ؟ . وما أكثر ما آليت لأسحقن هذا الحب ثم ما هو إلا أن أراها ناظرة إلى حتى يتحلل العزم وينقض ما كنت أبرمته منه . فالحق أن هذه مصيبة لم تكن لي في حساب ولا كان يخطر لي في بال أنها ستنصب يوماً على أم رأسي .. وانظر ماذا تصنع معي ! ! تبدو لي في الأرجواني ، وتبقى فيه حتى أراها — أعني حتى توقن أني رأيتها فاني أراها كثيراً وهي لا تراني — فاذا وثقتْ دخلتْ وغيرته ! ! أليست هذه مكايدة متعمدة . . ؟

**ابراهيم عبد القادر المازني**

# المقرى مؤرخ الأندلس

## حياته وتراثه

### للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

عرفت المقرى — صاحب نفح الطيب    حدثاً ، وشغفت بأثره الجامع عن الأندلس ، وأعجبت بجهده الجلد ، وأدبه الممتع ، واستطعت بعد أعوام طويلة من البحث والتنقيب فى تاريخ الأندلس ، أن أدرك أهمية الشذور الضافية والوثائق الجمة ، التى وقف عليها المقرى فى عصره ، وألهم أن ينقلها الينا فى كتابه ، ولولاه لغاضت مع مصادرها الأصيلة إلى الأبد ، وحيل بيننا وبين الانتفاع بذلك التراث الحافل الذى يقدمه الينا المقرى فى كتابيه نفح الطيب وأزهار الرياض

وقد خطر لى غير مرة أن أكتب ترجمة موجزة للمقرى ، وأن أستعرض مجهوده وتراثه ؛ وأحسب الآن أن فرصة خاصة تعرض للوفاء بهذه المهمة ، ذلك أنى قد أزمعت — بعون الله — الرحلة إلى تلك الأندلس التى ملأت حياة المقرى ، وأذكت أدبه وبيانه ، وأجرت قلمه أعواماً طوالا ، وأزمعت أن أحج إلى تلك الربوع والمروج والمعالم التى أفاض المقرى فى وصفها ، والتغنى بمحاسنها الذاهبة ، وآثار أطلالها الدارسة ، والتى ما زالت ذكرياتها قبل المقرى وبعده تسيل عبرات التاريخ الاسلامى

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالمقّرى نسبة إلى مقّرة ، موطن أسرته القديم ، وهى بلدة من أعمال قسطنطينة ، واليها ينتسب عدة من علماء المغرب الأكابر . ولد ، كما يحدثنا فى مقدمة كتابه « نفح الطيب » بمدينة تلمسان ونشأ بها [1] ، ولم يذكر لنا تاريخ مولده ، وهو تاريخ يضعه بعض الباحثين المحدثين فى نحو سنة ١٠٠٠ هـ ( ١٥٩١ — ١٥٩٢م ) [2] ؛ بيد أنه يلوح لنا من تتبع نشأة المقرى وحوادث حياته حسبما يقصها علينا ، أنه ولد قبل ذلك التاريخ بعدة أعوام ،

(١) نفح الطيب ( طبعة القاهرة ) ج ١ ص ٨

(٢) الأستاذ ليفى بروفنسال فى دائرة المعارف الاسلامية

فهو أولا يذكر لنا أنه « نشأ بتلمسان الى أن رحل عنها فى زمن الشبيبة الى مدينة فاس سنة تسع وألف » [1] ، فلو كان مولده سنة ١٠٠٠ لما تحدث هنا عن الشبيبة ، إذ يكون عمره عندئذ تسعة أعوام فقط ، أعنى غلاماً حدثاً ، وهو ما لا ينصرف إليه الشباب ؛ ثم هو يشير حين التحدث عن اعتزامه كتابة موسوعته عن الأندلس إلى شبابه الذاهب الذى قضاه بالمغرب قبل وفوده على مصر سنة ١٠٢٧ هـ [2] ، وفى هذه الاشارة أيضاً ما يدل على أن المقرى حين مقدمه الى مصر ، كان قد طوى مرحلة الشباب الأولى ؛ وربما كان يومئذ فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره ؛ وعلى ذلك يكون مولده قبل الألف بنحو ثمانية أعوام ؛ أعنى حوالى سنة ٩٩٢ هـ ( ١٥٨٤ ) م

ونشأ المقرى فى تلمسان ، التى نشأ بها أبوه وأجداده من قبل ، وتلقى بها دراسته الأولى ، ودرس الأدب والحديث والفقه المالكى دراسة حسنة ، وكان بين أساتذته عمه أبو عثمان سعيد المقرى مفتى تلمسان ؛ وكانت تلمسان ما زالت حتى عصره من أهم مراكز الدراسة الدينية بالمغرب ، وزار فاس لأول مرة سنة ١٠٠٩هـ ، وقضى بها حيناً فى الدرس ؛ ثم زارها مرة أخرى فى سنة ١٠١١ ؛ ثم استقر بها منذ سنة ١٠١٣ . وكان ذلك فى فاتحة عصر السلطان أبى المعالى زيدان السعدى ؛ وسنحت له فى فاس عاصمة المغرب الدينية والعلمية فرص الدرس المستفيض ، ولا سيما فى المكتبة السلطانية ؛ واتصل بمولاى زيدان وآله الأشراف السعديين أمراء مراكش ، وولى الامامة والخطابة لجامع القرويين الشهير ، ثم ولى الافتاء ، واستمر فى منصبه حتى سنة ١٠٢٧ هـ [3]

وفى أواخر سنة ١٠٢٧هـ ، اعتزم المقرى الرحلة الى المشرق . والظاهر أنه لم يعقد هذا العزم مختاراً ، وأنه أرغم عليه لأسباب وظروف يشير إليها ، ولا يوضحها ؛ فهو يقول لنا إنه « لما قضى الملك الذى ليس لعبيده فى أحكامه تعقب أو رد ... برحلتى من بلادى ، ونقلتى عن محل طارفى وتلادى ، بقطر المغرب الأقصى ، الذى تمت محاسنه لولا أن سماسرة الفتن سامت بضائع أمنه نقصاً ، وطما به بحر الأهوال ... وذلك فى أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين

(١) سلافة العصر ( ص ٥٩٠ )

(٢) نفح الطيب . ج ١ ص ٥٦

(٣) خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٠٢ ؛ وسلافة العصر ص ٥٩٠

بعد الألف ، تاركاً المنصب والأهل والوطن والإلف... » (١)

أما هذه الظروف التي يشير اليها المقرى والتي قضت عليه بالرحيل عن الوطن ، فنستطيع فهمها على ضوء الحوادث التي كانت تجوزها مملكة فاس يومئـذ ؛ فقد تولى مولاى زيدان الملك دون أخويه المأمون ، وأبى فارس (سنة ١٠١٢هـ) ولم يلبث أن نشبت بينهما حروب أهلية متوالية ؛ وهزم مولاى زيدان أولا ، وفر إلى تلمسان ، ثم استعاد ملكه بعد عدة محاولات دموية ، وبعـد أن أجلى عنه غير مرة ، فى سـنة ١١٠٨هـ ؛ بيد أن عهده كان مضطرباً ، فياضاً بالحروب والفتن ؛ ولا ريب أن المقرى لم ترقه هـذه الحياة المضطربة ، وأنه اضطر إلى مغادرة المغرب تفادياً من عواقب الفتن والدسائس المستمرة التي كانت تـكدر صفو الحياة فى فاس ، وعلى كل حال فقد غادر المقرى وطنه فى أواخر سنة ١٠٢٧ هـ ، وركب البحر إلى مصر ، وعانى من اضطرابه وروعته أهوالا يصفها لنا فى عبارات قوية مروعة (٢) ؛ والظاهر أيضاً أن سفينته كانت تخشى مطاردة القرصان النصارى ، فكان الخوف مضاعفاً ؛ وقد كانت مياه البحر الأبيض المتوسط يومئذ مسرحاً لمعارك هائلة مستمرة بين سفن المسلمين والنصارى ، ووصل إلى مصر بعد رحلة شاقة مزعجة فى أواخر سنة ١٠٢٧هـ ؛ ونزل بالقاهرة فبهرته معالمها ومحاسنها برغم ما أصابها فى ظل الحكم التركى من عفاء وتدهور ؛ وأقام بها أشهراً ، ثم اعتزم الرحلة إلى الحج فى أواخر سنة ١٠٢٨هـ (١٦١٨م) فركب البحر إلى الحجاز وطاف بالأماكن المقدسة ، وعاد إلى القاهرة فى المحرم من العام التالى ؛ ثم زار بيت المقدس فى شهر ربيع الأول ، وعاد إلى القاهرة واستقر بها ؛ وتزوج سيدة مصرية من سيدات الأسرة الوفائية (٣) ؛ ولـكنه لم يكن زواجاً موفقاً ، وقد فصمت عراه كما سنرى بعد أعوام من الحياة الزوجيـة الـكدرة . وكرر المقرى الرحلة إلى الحجاز ، وأدى فريضة الحج مراراً ، فلم تأت سـنة ١٠٣٧هـ حتى كان قد أداها خمس مرات ؛ وجاور أثناء الحج فى مكة ، وألقى بها كثيراً من دروسه ، وأملى الحديث فى المدينة ، وعاد إلى مصر من حجته الخامسة فى فاتحة سنة ١٠٣٧ (١٦٢٧م)

(١) نفح الطيب — ج ١ — ص ٨ — راجع أيضاً أزهار الرياض (طبع تونس) ج ١ ص ٤

(٢) راجع وصف المقرى لأهوال البحر فهو بديع شائق (ص ١٩ و ٢٠)

(٣) خلاصة الأثر — ج ١ ص ٣٠٤

واستقر المقرى فى القاهرة طوال هذه الأعوام ، ولازم الدرس والتدريس بالجامع الآزهر ، وتبوأ مكانته فى مجتمع مصر العلمى والأدبى ، وفى رجب سنة ١٠٣٧هـ زار المقرى بيت المقدس مرة أخرى ، وألقى بعض دروسه بالجامع الأقصى ، ثم غادرها بعد بضع أسابيع إلى دمشق ، فبهرته محاسنها كما بهرته القاهرة من قبل ؛ ورحب به كبير علمائها ومفتيها الشيخ عبد الرحمن عماد الدين ؛ واتصل بكثير من أدبائها وأعيانها ، وبالأخص بالمولى أحمد أفندى شاهين وهو من أعيانها الأدباء ؛ وألقى بعض دروسه فى الحديث فى الجامع الأموى فاحتشد الطلاب حوله من كل صوب ، وحفل به المجتمع الدمشقى . وكان يبكى السامعين بخطبه ومواعظه ، ويتسابق العلماء والطلاب إلى لثم يده ؛ وكان أثناء إقامته بدمشق يكثر الحديث فى حلقاتها الأدبية عن الأندلس ومحاسن تاريخها وذكرياتها وبالأخص عن وزيرها الـكبير ابن الخطيب ، فاقترح عليه صديقه المولى أحمد شاهين أن يضع كتاباً فى التعريف بابن الخطيب ، ومناقبه ، وتراثه من نظم ونثر ؛ فاعتذر أولاً بكثرة مشاغله ، وقلة مادته ومراجعه ، وخصوصاً لأنه ترك معظمها فى المغرب ، ولـكنه اضطر إزاء الالحاح أن ينزل عند هذه الرغبة ، ووعد بالوفاء منذ عوده إلى القاهرة (١)

وعاد المقرى إلى القاهرة بعد أن أنفق فى دمشق بضعة أسابيع ، وعكف حيناً على إنجاز المهمة التي أخذها على نفسه ، أعنى كتابة ترجمة ابن الخطيب والتعريف بمآثره وتراثه ؛ ويقول لنا إنه استطاع غير بعيد أن ينجز منه قسما لا بأس به ، ولـكن عاقته عن إتمامه مشاغل وهموم ؛ والظاهر أن المقرى لم يكن فى مقامه النائى عن وطنه ، هانئاً قرير البال ، فهو يحدثنا غير مرة عن آلام الغربة ومتاعبها . ومما يقول فى ذلك : « وليت شعرى علام يحسد من أبدل الاغتراب شارته ، وأضعف الاضطراب إشارته ، وأنهل بالدموع أنواءه ، وقلل أضواءه ، وكثر علله وأدواءه ، غير عنده التأمل رواءه ، وثنى عن المأمول عنانه ، وأرهف بالخمول سنانه ، حتى قدح الذكر حنانه ، وملأ الفكر جأشه وجنانه ... وشتان مابين الاقتراب والاغتراب ، والسكون فى الركون ، والنبو عنها والاضطراب ، فذاك تسهل غالباً فيه الأغراض والمآرب ، وهذا تتعثر فيه المقاصد وتتكدر المشارب

(١) نفح الطيب ص ٣٤ — ٣٨

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز ولكن أرى تحصيلها بالدنية
وإن طاوعتنى رقة الحال مرة أبت فعلها اخلاق نفس أبية

وقوله :

تركت رسوم عزى فى بلادى وصرت بمصر منسى الرسوم
وصنت النفس بالتجريد زهداً وقلت لها عن العلياء صوى
مخافة أن أرى بالحرص ممن يكون زمانه أحد الخصوم(١)

كان المقرى إذن فى منفاه متعباً معنى ؛ والظاهر أنها كانت متاعب العيش فوق شجون الاغتراب ؛ فقد كانت سوق العلم والأدب يومئذ كاسدة ، وكان المجتمع القاهرى قد فقد فى ظل النير التركى بهاءه وسعته ورخاءه ، وعفت روعة الأزهر الذى كان من قبل موئل الوافدين من كل صوب

ولكن المقرى عاد فاستأنف الكتابة نزولاً على إلحاف صديقه أحمد شاهين واستنجزه ، واستطاع أن يتم كتابه عن ابن الخطيب بصورته الأولى فى بضعة أشهر فقط لعودته من دمشق ، وذلك فى أواخر شهر رمضان سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨ م) ؛ وفيه يتناول حياة ابن الخطيب ، ويستعرض صفاته وخلاله ومآثره ، وكثيراً من نثره ونظمه ؛ ويقول لنا إنه سمى مؤلفه لأول مرة « عرف الطيب فى التعريف بالوزير ابن الخطيب »(٢)

غير أن ذلك المؤلف الأول لم يكن هو « نفح الطيب » كما انتهى إلينا . ذلك أن المقرى خطرت له بعد الفراغ من التعريف بابن الخطيب فكرة أخرى هى أن يمهد لكتابه بذكر الأندلس وتاريخها ومحاسنها وذكرياتها ، وتطورت هذه الفكرة حتى غدت هيكل الكتاب الأصلى ؛ فاستمر فى الكتابة عاماً وبضعة أشهر أخرى ، وأتم مؤلفه حسب وضعه الجديد ، كما يحدثنا فى خاتمة مؤلفه ، فى آخر ذى الحجة سنة ١٠٣٩ هـ (١٦٢٩ — ١٦٣٠ م) (٣) واختار عندئذ لكتابه اسماً جديداً ، هو الذى انتهى به إلينا ، وهو :

« نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب »

والواقع أنه من التواضع أن يسمى « نفح الطيب » كتاباً ، فهو كما سنرى موسوعة ضخمة عن الأندلس ، تاريخها ، وجغرافيتها وآدابها ؛ ومن المدهش حقاً أن يستطيع المقرى أن يضع مثل هذا الأثر الضخم فى مثل هذه المدة القصيرة ؛ ولكن سنرى أن فضل المقرى فى وضعه يرجع إلى الاقتباس أكثر مما يرجع إلى التأليف ؛ وسنرى مع ذلك أن للمقرى فى هذا الاقتباس فضلاً لا يقدر ، وأن نفح الطيب هو أقيم مصادرنا العربية عن تاريخ الأندلس وآدابها

وكان المقرى منذ عوده من دمشق قد طلق زوجته الوفائية ، ووضع بذلك حداً لتلك الحياة الزوجية الكدرة ؛ وما كاد يتم مؤلفه حتى أزمع العودة إلى دمشق ليتصل فيها بأصدقائه وليطلعهم على مؤلفه الذى وضعه نزولا على إشارتهم ؛ ولكن الموت عاجله ، فتوفى فى جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ (يناير سنة ١٦٣٢ م) ، ودفن بقرافة المجاورين بالقاهرة(١)

(للبحث بقية — النقل ممنوع) **محمد عبد الله عنان**

(١) نفح الطيب ص ٣٩ و ٤٠
(٢) نفح الطيب ص ٦١
(٣) » » فى خاتمة الجزء الرابع

(١) يقول صاحب سلافة العصر إن وفاة المقرى كانت فى سنة ١٠٤٦ هـ (ص ٥٩١) ولكن الرواية الأولى أرجح ، وهى المتفق عليها

# مقتل أبي الطيب المتنبي

بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته

للدكتور عبد الوهاب عزام

خرج أبو الطيب من شيراز لثمان خلون من شعبان قاصداً بغداد فالكوفة [١]

ويقول بعض الرواة إن أبا الطيب لما قدم على عضد الدولة ومدحه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس محلاة ، ثم دس إليه من يسأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : إن سيف الدولة كان يعطى طبعاً وعضد الدولة تطبعاً . فغضب عضد الدولة وأوصى إلى جماعة أن يقتلوه [٢]. وروى صاحب الايضاح أن عضد الدولة قال إن المتنبي كان جيد الشعر بالغرب . فلما بلغت المتنبي قال : الشعر على قدر البقاع [٣]

وهاتان روايتان لا تثبتان على النقد . فأبو الطيب قد أفرغ وسعه في مدح صاحبه ونال من جوائزه ما ملأه شكراً . فكيف قال ما نسب إليه ؟ وكيف وهو يعلم أن كلامه حرى أن يبلغ عضد الدولة ؟

وعندنا رواية تخالف هذه :

قال صاحب الصبح المنبي : حكى عبد العزيز بن يوسف الجرجاني كاتب الانشاء عند عضد الدولة قال : لما دخل أبو الطيب المتنبي مجلس عضد الدولة وانصرف عنه أتبعه بعض جلسائه ، وقال له سله كيف شاهد مجلسنا وأين الأمراء الذين لقيهم منا . قال : فامتثلت أمره وجاريت المتنبي في هذا الميدان . وأطلت معه عنان القول . فكان جوابه عن جميع ما سمع مني أن قال ما خدمت عيناي قلبي كاليوم . ولقد اختصر اللفظ وأطال المعنى وأجاد فيه . وكان ذلك من أوكد الأسباب التي حظى بها عند عضد الدولة

فهذه الرواية أشبه بحزم أبي الطيب . ولماذا يقول الشاعر في أمير أفاض عليه عطاءه إن هذا عطاء متكلف وسيف الدولة كان يعطى طبعاً ؟ أكان يبغى إرضاء سيف الدولة وهو في شيراز ولا يبالى إغضاب عضد الدولة وقد قصده وبذل في مدحه وسعه ، ونال من عطاياه ما أثقله شكراً . ورواية « الشعر على قدر البقاع » سبيلها في الرد والدحض سبيل أختها

ثم ما الذي يغرى ابن بويه بقتل شاعر عظيم أشاد بذكره وآثره بالمدح على ابن عمه معز الدولة ووعده أن يرجع إليه ليخلد مآثره . إن أعداء عضد الدولة أولى بهذه التهمة . وقد أدرك بعض المعاصرين أن قتل أبي الطيب إخفار لذمة عضد الدولة فأنشأ أبياتاً يحرضه فيها على عقاب من أخفروا ذمته

سار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلمانه حتى بلغ الأهواز وبين الأهواز وشيراز واحد وخمسون فرسخاً . ثم سار خمسين فرسخاً حتى بلغ واسط . وهنا نقف لنعرض على القارئ روايتين : الأولى مروية في الصبح المنبي عن الخالديين قالا :

« كنا قد كتبنا إلى أبي نصر محمد الجبلي نسأله عما صدر لأبي الطيب المتنبي بعد مفارقته عضد الدولة وكيف قتل — وأبو نصر هذا من وجوه الناس في تلك الناحية وله فضل وأدب جزل وحرمة وجاه — فأجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول في أثنائه : وأما ما سألتما عنه من خبر مقتل أبي الطيب فأنا أسوقه وأشرحه شرحاً بيناً » وفي هذا الشرح يذكر أبو نصر قتل أبي الطيب وسببه . ثم يبين تربص فاتك الأسدي في طريق الشاعر وعزمه على قتله فيقول :

« وأما شرح الخبر فان فاتكا هذا صديق لي . وهو كما سمى فاتك لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال في مواقف القتال . فلما سمع الشعر الذي هجا به ضبة اشتد غضبه . ورجع على ضبة باللوم وقال له كان يجب ألا تجعل لشاعر عليك سبيلاً . وأضمر غير ما أظهر »

واتصل به انصراف المتنبي من فارس وتوجهه إلى العراق . وعلم أن اجتيازه بجبل [١] دير العاقول . فلم يكن ينزل عن فرسه ومعه جماعة من بني عمه رأيهم في المتنبي مثل رأيه من طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد

وكان فاتك خائفاً أن يفوته . وكان كثيراً ما ينزل عندى . فقلت له يوماً وقد جاءني وهو يسأل قوماً مجتازين عن المتنبي

---

(١) ابن خلكان (٢) الصبح ص ٦٩ (٣) الخزانة ج ١

(١) أظنها محرفة عن « جهة » أو « حيال » فليس عند دير العاقول جبل

فقلت له أكثرت المسألة عن هـذا الرجل . فأي شيء تريد منه إذا لقيته ؟ فقال ما أريد إلا الجميل وعذله على هجاء ضبة . فقلت له هذا لا يليق بأخلاقك . فتضاحك ثم قال : يا أبا نصر والله إن اكتحلت عيني به أو جمعتني وإياه بقعة لأسفكن دمه ، ولأمحقن حياته . قلت له كف عافاك الله عن هذا القول ، وأزل هذا الرأي من قلبك فان الرجل شهير الاسم ، بعيد الصيت . ولا يحسن منك قتله على شعر قاله . وقد هجت الشعراء الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام . فما سمعنا بشاعر قتـل بهجائه . وقد قال الشاعر :

هجوت زهيراً ثم إني مدحته
وما زالت الأشراف تهجي وتمـدح

ولم يبلغ جرمه ما يوجب قتله . فقال يفعـل الله ما يشاء وانصرف

ولم يمض لهذا القول غير ثلاثة أيام حتى وافاني المتنبي ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات . لأنه كان إذا سافر لم يخلف في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه . وكان أكثر إشفاقه على دفاتره لأنه كان قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً »

قال أبو نصر « فتلقيته وأنزلته داري ، وسألته عن أخباره وعمن لقي . فعرفني من ذلك ما سررت له وأقبل يصف ابن العميد وعلمه وكرمه وكرم عضد الدولة ورغبته في الأدب وميله إلى أهله

فلما أمسينا قلت يا أبا الطيب على أي شيء أنت مجمع ؟ قال على أن أتخذ الليل مركباً فان السير فيه يخف علي . فقلت هـذا هو الصواب رجاء أن يخفيه الليل ولا يصبح إلا وقد قطع بلداً بعيداً . وقلت له والرأي أن يكون معك من رجالة هـذه البلدة الذين يعرفون هـذه المواضع المخيفة جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد . فقطب وجهه وقال لم قلت هذا القول ؟ فقلت لتستأنس بهم ، فقال أما والجراز في عنقي فما بي حاجة إلى مؤنس غيره . قلت الأمر إليك ، والرأي في الذي أشرت عليك . فقال تلويحك ينبي عن تعريض ، وتعريضك ينبي عن تصريح . فعرفني الأمر وبين لي الخطب . قلت إن الجاهل فاتكا الأسدي كان عندي منذ ثلاثة أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن أخته ضبة . وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراز والتيقظ ، ومعه أيضاً نحو العشرين من بني عمه قولهم مثل قوله . فقال غلام أبي الطيب وكان عاقلاً : الصواب ما رآه أبو نصر . خذ معك عشرين رجلاً يسيرون بين يديك إلى بغداد . فاغتاظ وشتمه شتماً قبيحاً . وقال والله لا أرضى أن يتحدث عني الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي . قال أبو نصر فقلت يا هـذا أنا أوجه قوماً من قبلي يسيرون بمسيرك وهم في خفارتك . فقال والله لا فعلت شيئاً من هذا

ثم قال : يا أبا نصر ! بخرء الطير تخوفني ومن عبيد العصا تخاف علي ؟ والله لو أن مخصرتي هـذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد معطشون بخمس وقد نظروا إلى المـاء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده . معاذ الله أن أشغل فكري بهم لحظة عين . فقلت له : قل إن شاء الله تعالى ، فقال هي كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ، ولا تستجلب آتياً

ثم ركب فكان آخر العهد به . » اهـ

نقف هنا لنتأمل في هـذه الرواية المطولة قبل أن نقيسها إلى رواية أخرى :

يقول الخالديان إنهما كتبا الى نصر محمد الجبلي ثم يقولان : « وأبو نصر هذا من وجوه النـاس في تلك الناحية » ليس في الرواية تصريح باسم ناحية ولكن ذكرت ضمناً في نسبة أبي نصر « الجبلي » . والذي أراه أنها نسبة الى جَبُـل وهي بلدة بين النعمانية وواسط على دجلة تبعد عن النعمانية خمسة فراسخ الى الشرق والجنوب ، وعن دير العاقول ثلاثة عشر فرسخاً . فهذا الراوي من بلدة تبعد عن مقتل أبي الطيب نحو أحد عشر فرسخاً وهو صديق للشاعر وقاتله . وخلاصة روايته :

١ — أن فاتـكان الأسـدي خال ضبة العيني الذي هجاه أبو الطيب كا يكثر السؤال عن الشاعر ليقتله انتقاماً لأخته التي هجاها . وقد صرح بهذا لأبي نصر

٢ — وأن أبا الطيب نزل على أبي نصر بجبُـل فأخبره ونصحه بالحذر فلم يقبل . واحتقر فاتكا وقومه احتقاراً شديداً وغلا في كلامه غلواً لا يليق برجل عاقل

وفي خزانة الأدب نقلا عن الايضاح رواية أخرى نصها : « وأخبرنا أبو الحسن السوسي في دار الوقف بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبي . وورد عليه المتنبي ونزل عن فرسه ومقوده بيده وفتح عيابه وصناديقه لبلل مسها في

الطريق وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة . فحضرته أنا وقلت قد أقمت للشيخ نزلاً . فقال المتنبى ان كان ثم فهاته . ثم جاء فاتك الأسدى يجمع وقال قدم الشيخ هذه الديار وشرفها بشعره والطريق بينه وبين دير قُنّة موحش قد احتوشته الصعاليك ، وبنو أسد يسيرون فى خدمته الى أن يقطع هذه المسافة ، ويبرّ كل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبى ما أبق الله بيدى هذا الأدهم وذباب الجراز الذى أنا متقلده فانى لا أفكر فى مخلوق . فقام فاتك ونفض ثوبه من رتوت الأعاريب الذين يشربون دماء الحجيج حسوا سبعين رجلاً ورصدوا له . فلما توسط المتنبى الطريق خرجوا عليه ، الخ »

هذه الرواية تؤيد الأولى فى أن أبا الطيب أبى أن يسير فى خفارة أحد ، وتخالفها فى أن فاتكا هو الذى عرض على الشاعر أن يخفره . ومعنى هذا أنه ما كان مبيتاً شراً له وأنه لو قبلت خفارته ما قتله . وفى الرواية مطاعن :

فقول : أبى الحسن السوسى : « كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبى الخ » . يؤخذ منه أن مرور أبى الطيب بالاهواز كان فى عهد المهلبى ، والمهلبى توفى سنة ٣٥٢ كما تقدم

ولو أن فاتكا لقى أبا الطيب فى الاهواز فعرض عليه خفارته فأبى فعزم على قتله أو سلبه ما صبر عليه حتى قطع المسافة من الاهواز إلى واسط وهى خمسون فرسخاً ، ثم سار من واسط حتى جاوز النعمانية ، كما سيأتى ، وذلك أكثر من عشرين فرسخاً .

وقول فاتك إن الطريق إلى دير قنة موحش بعيد أن يقال فى الاهواز وبينها وبين دير قنة مراحل كثيرة وبلدان عامرة ، وإنما يقال مثل هذا فى موضع قريب من دير قنة النعمانية أو جبل .

ثم عرض فاتك خفارته على أبى الطيب وفى نفسه منه مافيها مستبعد كذلك

فرواية أبى نصر أجدر بالقبول بعد حساب المبالغة فيها كقول أبى الطيب عن بنى أسد « أبخراء الطير تخوفنى الخ . » فالرجل مهما تكبر وتهور كان أعقل من أن يقول مثل هذا القول : وأحسب أبا نصر حينما سئل عن مقتل أبى الطيب أراد أن يبين عن نصيبه فى هذه القصة التى يتشوف الناس إلى سماعها فأدخل فيها شيئاً من الصنعة ، ومبالغة القصاص ، وبالغ فى نصحه أبا الطيب وفى إباء هذا قبول النصيحة وهكذا

— ٢ —

سار أبو الطيب من الاهواز إلى واسط فنزل بها ، قال على ابن حمزة البصرى عن القصيدة الكافية التى ودع بها الشاعر عضد الدولة : « هذه القصيدة آخر شعر قاله أبو الطيب . وكتبتها والتى قبلها عنه بواسط يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة » (١)

بين واسط وبغداد زهاء أربعين فرسخاً ، وعلى الطريق بلاد نذكر منها ما ذكر فى روايات مقتل أبى الطيب : وهى النعمانية ودير قُنىّ ودير العاقول والصافية

النعمانيه فى نصف الطريق بين واسط وبغداد غربى دجلة وهى قائمة اليوم . وكانت تسمى بغيلة فأعيد اسمها القديم . ودير العاقول كان على شاطىء دجلة الشرقى ، وكان عنده مدينة مسماة باسمه ، وكان على ميل من النهر أيام ياقوت . وبينه وبين بغداد ١٥ فرسخاً ، وبينه وبين النعمانية زهاء خمسة فراسخ

وإلى الجنوب الشرقى من دير العاقول على مقربة منه دير مرماري الذى يسمى دير قُنىّ أو ( قُنّة ) وهو على ١٦ فرسخاً من بغداد يبعد على الشاطئ قليلا

وأمام دير قنى على الشاطئ الصافيةُ على فرسخين إلى الجنوب والشرق من دير العاقول . وكانت على ميل من الشاطىء فى زمن ياقوت .

وعلى نحو ثمانين كيلاً من بغداد إلى الجنوب والشرق توجد اليوم أرض تسمى أرض الدير . ذهبت إليها يوم الجمعة الثانى والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وخمسين وثلثمائة (٢) . فاذا تلال كثيرة متقاربة قليلة الارتفاع عليها حطام من الآجر والخزف تبعد عن شاطىء دجلة الشرقى نحو كيل واحد

وقد سألت أعراباً نازلين هناك من قبيلة شمر عن أرض أخرى تسمى أرض الدير فى هذه الناحية فنفوا هذا . وسألت عن أسماء العاقول وقنى والصافية ، أتعرف اليوم هى أو ما يقرب منها ؟ فنفوا جازمين

وإذا نظرنا إلى المسافة بين هذه الأرض وبغداد فهى تقارب خمسة عشر فرسخاً . وهى المسافة المقدرة بين بغداد ودير العاقول فى معجم البلدان وغيره

(١) نسخة بغداد (٢) ١٢ حزيران ( يونيه ) سنة ١٩٣٦

ومهما يكن فأكبر الظن أن هذه التلال بقايا دير قنى أو دير العاقول . وكانا متقاربين ، وهذا يدل على أن دجلة لم تغير مجراها كثيراً في هذه الناحية

وأما الصافية فأحسب موضعها الآن فى مجرى النهر ، فقد كانت أيام ياقوت على ميل من دير قنى ، ويؤيد هذا قول صاحب مراصد الاطلاع عن الصافية ، « وقيل موضع دجلة »

— ٣ —

الروايات فى مقتل أبى الطيب متفقة فى جملتها ، ولكن بعضها أبين وأكثر تحديداً من بعض ، وهى فى التحديد قسمان :

١ — روايات تجعل مقتله قرب النعمانية أو قرب دير العاقول دون ذكر الموضع الذى قتل به (١)

٢ — روايات تذكر الصافية على أنها موضع القتل أو قريبة منه وهى على مقربة من دير العاقول ، بينه وبين النعمانية ، فليست تناقض الروايات الأولى ، بل تزيد عليها تحديداً (٢)

٣ — رواية ابن خلكان التى تحاول الجمع بين الروايات فتقول : « بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين » وحق أن الصافية قريبة من دير العاقول ولكنها ليست قريبة من النعمانية إلا قرباً نسبياً

٤ — رواية ابن جنى ونسخة بغداد ونسخة فى الموصل (٣) تذكر مكاناً محرفاً مضطرباً بين فرع ونيزع وشرع . ولم أجد لها ذكراً فى الكتب

يستطيع الباحث بعد هذا أن يقول إن أبا الطيب قتل على مقربة من الصافية ، ولكن ابن خلكان وابن الأنبارى يقولان : « من الجانب الغربى من سواد بغداد » والصافية على الشاطئ الشرق ، فكيف هذا ؟

رواية ابن خلكان متناقضة بلاريب ، فهو يقول فى موضع يقال له « الصافية من الجانب الغربى » وهذا خطأ ، وأحسبه اتبع ابن الانبارى فالعبارتان متقاربتان . فهل عبارة ابن الانبارى مقبولة ؟ هو يقول « جبال الصافية من الجانب الغربى » فيمكن أن يقال إن مقتل الشاعر فى الجانب الغربى حيال الصافية على الضفة الشرقية — وكلمة حيال هذه صحفت فى بعض الروايات إلى جبال وليس عند الصافية جبال

يمكن قبول رواية ابن الانبارى بهذا التفسير لو لم نعرف الطريق بين واسط وبغداد أتساير الضفة الشرقية أم الغربية من دجلة ، ولكننا نعرف من كتب المسالك أن الطريق شرقى دجلة . وقد عرفنا أنه مر بجبّل وليس لنا أن نفرض أنه سار شرق النهر من واسط إلى جبل حيث نزل على ابن نصر ثم عبر إلى النعمانية ليعبر إلى الشرق مرة أخرى

وخلاصة هذه الكلمة أن جمع هذه الروايات ونقدها وتعرّف مواقع البلاد التى ذكرت فى الروايات والطريق بين واسط ودار الخلافة . كل أولئك يبين لنا أن مقتل أبى الطيب كان عند الصافية شرقى نهر دجلة على نحو ستة عشر فرسخاً من بغداد

— ٤ —

سار أبو الطيب من واسط يوم بغداد فى طريقه إلى الكوفة وكان مسيره يوم السبت سابع عشر رمضان . وفى هذا اليوم كتب عنه على بن حمزة البصرى راويته القصيدتين الأخيرتين من شعره كما تقدم

وبلغ جبّل بعد أن سار زهاء سبعة عشر فرسخاً فنزل عند أبى نصر الجبلى كما تقدم . ثم أخذ طريقه حتى حاذى النعمانية وهى فى نصف الطريق بين واسط وبغداد ثم سار فر بجرجرايا على أربعة فراسخ إلى الجنوب والشرق من دير العاقول ثم تقدم حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً

وهنالك خرج عليه فاتك بن أبى جهل الأسدى خال ضبة ابن يزيد الذى هجاه أبو الطيب . وكان فاتك فى نيف وثلاثين فارساً رامحين وناشبين (١) وكان مع أبى الطيب ابنه محسد وغلمانه الذين وصفهم فى القصيدة الميمية التى رثى فيها فاتكا وفى قصيدة توديع ابن العميد كما تقدم

ولا ندرى كم كان غلمانه ولكنهم كانوا ولا ريب أقل عدداً من عدوهم

(١) انظر رواية أبى نصر الجبلى فى الصبح ، ورواية الخطيب البغدادى
(٢) ابن الأنبارى ونسخة الأوقاف والمعرى
(٣) مكتبة يحيى باشا الجليلى

(١) نسخة بغداد وفى الخزانة سبعين رجلا

بين عالمين

قاتل الشاعر الشجاع حتى قتل . وقتل ابنه . وأكثر الروايات تخص من بين غلمانه غلامه مفلحاً . وفى الخزانة أنهم قتلوا كل من كان معه . وما أحسب الغلمان ثبتوا كلهم بعد قتل سيدهم . وفى رواية الخزانة أيضاً « وحمل فاتك على المتنبي وطعنه فى يساره ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقنع خلفه الفرس أحدهم وحز رأسه »

« قال أبو نصر : ولما صحّ خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدراً »

ردى حياض الردى يا نفس واتركى
حياض خوف الردى للشاء والنعم

ان لم أذرك على الأرماح سائلة
فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

عبد الوهاب عزام

# نظام الطلاق فى الاسلام

[بقية المقال المنشور فى العدد السابق]

## للأستاذ أحمد محمد شاكر

هذا عن الدليل على وجوب الاشهاد فى الطلاق وفى الرجعة ، وأما الدليل على أنه شرط فى صحتهما ، وأن من طلق أو راجع بغير إشهاد فقد بطل طلاقه وبطلت رجعته ، ولم يصح واحد منهما — فان الطلاق عمل استثنائى صرف ، يخالف القواعد العامة فى العقود والفسوخ ، وكذلك الرجعة ، لأن كلا منهما تصرّفٌ فى عقد بين اثنين ، يقوم به أحد طرفى العقد وحده ، وهو الرجل من غير اختيار أو مشاركة له فيه من الطرف الآخر ، وهو المرأة ، أذِنَ بهما الشارع الحكيم ، فى حدود معينة ، وبنظام خاص ، وليسا مما يملكه الرجل وحده بطبيعة التعاقد ، لأن الزواج عقد كسائر العقود ، لا يملك أحد طرفى العقد التصرف فيه بالالغاء أو الانهاء وحده ، لولا ما أذن به الله للرجل من حق الانفراد بالطلاق ؛ وكذلك الرجعة ، هى إعادة للعقد الذى نسخه الرجل وحده بما جعل الله له من الحق فى ذلك ، وهى إنما يملك الرجل الانفراد بها — دون الطرف الثانى من العقد — بما أذن الله له فيها ، ولو لم يأذن الله بالطلاق وبالرجعة للرجل ، لم يكن له أن ينفرد بواحد منهما من غير رضا الطرف الآخر فى العقد

وقد أذن الله فى شريعته للرجل بالاستقلال بايقاع الطلاق ، وبالانفراد بردّ المطلقة إلى عصمته ، بصفات معينة ، وفى أوقات خاصة ، فتكون كلها شروطاً فى صحة ما يفعله المطلق حين طلاقه ، والمراجعُ حين رجعته . فاذا تجاوز الصفات التى رُسمت له فيهما ، أو الأوقات التى أُقِّتَتْ له ، كان عمله باطلاً ، لأنه خرج عن الحدّ الذى ملك فيه الانفراد بالتصرف بالاذن من الشارع الحكيم

ولذلك قلنا ببطلان الطلاق لغير العدة ، وببطلان الطلاق من غير إشهاد ، وببطلان سائر أنواع الطلاق الذى يسمى (الطلاق البدعىّ) . وقلنا أيضاً ببطلان الرجعة من غير إشهاد ، وببطلانها إذا قصد بها المضارّة ولم يقصد بها الاصلاح ، كما قال الفقهاء جميعاً ببطلان الرجعة إذا كانت بعد انقضاء العدة ، وببطلانها إذا كانت بعد الطلقة الثالثة وهكذا

وهذا المعنى قد أوضحته مراراً فى كتاب (نظام الطلاق فى الاسلام) ، فما قلته (ص ٦٠ — ٦٣) :

« وليس المقصود من الطلاق اللعبَ والهوَ ، حتى يزعم الرجلُ لنفسه أنه يملك الطلاقَ كما شاء ، وكيف شاء ، ومتى شاء ؛ وأنه إن شاء أبانَ الْمَـرْأَةَ بَتَّـةً ، وإن شاء جعلها معتدةً يملك عليها الرجعةَ »

« كلا ، ثم كلا ، بل هو تشريع منظم دقيق من لَدُنْ حكيم عليم ، شَرَعهُ الله لعباده ترفيهاً لهم ، ورحمة بهم ، وعلاجاً شافياً لما يكون فى الأسرة بين الزوجين من شقاق وضرار ، ورَسمَ قواعدَه ، وحدَّ حدودَه بميزان العدالة الصحيحة التامة ونهى عن تجاوزها ، وتوعد على ذلك . ولهذا تجد فى آيات الطلاق تكرارَ ذكرِ حدودِ الله ، والنهىَ عن تعديها وعن المضارَّة : (تلك حدود الله فلا تعتدوها . ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) . (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) . (ولا

تمسكوهن ضِراراً لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هُزُواً) (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ) »

« وهو تشريع تَقَطَّعَتْ دونه أعناق الأمم قبل الاسلام وبعده ، وهأنت ذا ترى الأمم العظيمة التى تزعم انفسها المدنية وزعمها لها الناس — : تحاول إصلاح نظام الأسرة ، وتشريع القوانين لديها للطلاق ، فلا تصل إلى شيء معقول ، بل هى تتخبط فى الظلمات ، وتأتى بالبلايا والمضحكات ، وذلك أنها تصدر فى تشريعها عن العقل الانسانى القاصر . أما التشريع الاسلامى فانه وحىٌ إلٰهى كريمٌ ، أرسَل به أعظم رجل وأعقل رجل ظهر فى هذا الوجود ، وأمره أن يفسره للناس ويبينه لهم ، ثم يحملهم على طاعته والعمل به »

« وإنما المقصود من الطلاق فى هذه الشريعة النقية الواضحة الكاملة : أن بين الزوجين عقداً — كسائر العقود — على المعايشة والمعاشرة بالمعروف ، فان هما فعلا تحقق القصد الصحيح من الزواج وطاب عيشهما ، وإن هما تباغضا وتنافرا وخافا ألا يقيما حدود الله ورغبا فى الفراق ، فهما كغيرهما من كل متعاقدَيْن : لهما أن يتفقا على الانفصال فى مقابل عوض من المرأة للرجل ، كما تعاقدا فى أصل النكاح فى مقابل الصداق من الرجل للمرأة . وبذلك جاء نص القرآن الكريم : ( فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ) فشرع لهما الخلعَ والمباراة ، وكانت المرأة به بائناً تملك أمر نفسها ، وليس للرجل عليها حق المراجعة إلا بعقد جديد واتفاق آخر ؛ ولم يكن عليه للمرأة حقوق أخرى من حقوق العقد ، كالصداق والنفقة وغيرهما ، إلا أن يتشارطا على شيء : فالمسلمون عند شروطهم »

« واختار الله لعباده — لحكمة سامية — أن يستثنى النكاح من القاعدة العامة فى فسخ العقود ، فأباح للرجل أن ينفرد بفسخ هذا العقد بارادته وحده ، بشرائط خاصة ونظام واضح[1] ، ورَتَّب لكل من المتعاقدين حقوقاً قِبَل صاحبه ، لا يجوز لأحدهما أن يتهرب منها . فمن وقف عند حدود الله وفَسَخَ عقد النكاح الذى بينه وبين زوجه فى دائرة الحدود التى حدَّ الله له ، كان قد استعمل حقا يملكه بتمليك الله إياه ، وجاز عمله ، وترتبت عليه آثاره . ومن تجاوز حدود الله ، واجترأ على حلّ عقدة النكاح على غير المنهج المرسوم له ، كان عابثاً ، وكان عمله باطلاً لغواً ، كما إذا انفرد أحد المتعاقدين بالغاء عقد البيع أو عقد الرهن مثلاً ، فان عمله لاغٍ لا أثر له فى العقد . فكذلك المطلق فى غير الحدود التى أُذن فيها »

وقلت أيضاً (ص٧١) : « إذَنْ ، فقد منح الله الرجلَ حقَّ الانفراد بالطلاق ، وهو حلٌّ لعقدة النكاح : بين الزوجين عقد كسائر العقود ، وهو عقد الزواج ، فاذا أراد أن يطلق بمحض إرادته وحده ، فان يملك من ذلك إلا أن يتبع أمر ربه الذى شرع له هذا الحق وأذنه به »

فهذا التفسير لمعنى الطلاق ولمعنى الرجعة هو المطابق كلَّ المطابقة لنصوص القرآن الكريم ، ولمقاصد الشارع الحكيم ، ولقواعد العقل السليم ، وللفقه الصحيح فى الدين . وليس من المعقول أن تُترك هذه الشرعة الدقيقة — شريعةُ الطلاق والرجعة — لأهواء الناس وآرائهم وألاعيبهم فى الألفاظ . إنما هى مقاصد سامية ، تتعلق بأدق الشؤون الاجتماعية وأشدها خطراً فى حياة الانسان وأشرف الروابط بين الناس وأعلاها وأنفعها للنوع الانسانى ، وهى رابطة الحياة الزوجية . ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودَّةً ورحمةً ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون )

فلم يكن الطلاق — فى الشريعة الاسلامية — حقا مطلقاً للرجل من غير قيد ، كما يفهم ذلك أكثر الناس ، بل عامتهم ، وإنما هو مقيد بقيود كثيرة ، بعضها قيود فى نفس إنشائه وإيقاعه ، وهى شروط فى صحته عندى وفى رأيى ، وبعضها قيود تتعلق بحال المطلق وظروف طلاقه ، وهى تعليم من الشارع وتأديب ، لأنها ترجع إلى أمور نفسية وأحوال دقيقة فى المعايشة والمعاشرة ، لا تدخل تحت القواعد القضائية التى تكاد تكون مادية ، فجعل الرجلُ فيها أمينَ نفسه ، ورقيباً على أعماله ، أو جعلت تحت رقابة ضميره — كما جبر الكتاب من أهل هذا العصر —

(١) قلنا فى حاشية ( ص ١٥ ) من الكتاب : يظن أكثر الباحثين أن الطلاق الرجعى ليس حلا لعقد النكاح ، وأن الرجعيةَ لا تزال زوجاً ، لأن آثار العقد باقية بينهما ، وهو وهم ، بل الطلاق يزيل عقد النكاح ، سواء الرجعى وغيره . ونقل ابن حجر فى الفتح ( ج ٩ ص ٤٢٦ ) عن ابن السمعانى قال : « الحق أن القياس يقتضى أن الطلاق إذا وقع زال النكاح ، كالعتق ، لكن الشرع أثبت الرجعة فى النكاح دون العتق ، فافترقا »

فان اتبع فى ذلك أوامر الله فى كتابه وفى سنة رسوله ووقف عند حدود الله : كان طلاقه صحيحاً ، وبرئ من إثم العدوان فى الطلاق ، وإن لم يتبع ما أمر به ، ولم يجعل طلاقه فى الحدود التى حدت لانشائه وإيقاعه ، فكأنه لم يعمل شيئاً ولم يقع طلاقاً ، وإنما كسب خطيئة وإثماً بمخالفة أمر ربه

وإن جعل طلاقه فى الحدود التى حدت للانشاء والايقاع ولكنه تجاوز فى القيود الأخرى التى تتعلق بحاله وظروف طلاقه كان طلاقه واقعاً ، ولكنه كان آثماً بمخالفته وعدوانه ، لأن هذه الشؤون ليست مما يدخل تحت سلطان الحاكم وتقدير القاضى ، وإنما يحاسب عليها بين يدى ربه يوم القيامة

لأن الشريعة الاسلامية يمتزج فيها -- دائماً — التشريع القانونى القضائى بالشؤون الدينية النفسية والخلقية التهذيبية ، وتجمع فى أحكامها بين الوجوب أو الاباحة أو الندب أو الكراهة أو الحل أو الحرمة : وبين الصحة أو البطلان أو الفساد ، وهكذا فهى شريعة ودين معاً

وكذلك الرجعة : ليست من حقوق الرجل باطلاق من غير قيد ، بل هى مقيدة بقيود كالطلاق ، ولكنها أقل قيوداً منه ، تيسيراً من الشارع الحكيم ، وترغيباً فى وصل ما انقطع من علائق الزوجية

فمن قيودها ما هو راجع لأصل إيقاع الفعل وإنشائه ، فيكون شرطاً فى صحته ، وكلها منصوص عليه فى القرآن نصا : فمن ذلك ما اتفق عليه أهل العلم ولم ينقل فيه خلاف عن أحد منهم ، وهو أن تكون المطلقة مدخولا بها ، وألا يكون ذلك بعد الطلقة الثالثة ، وأن تكون الرجعة وهى فى عدة المطلق

ومن ذلك ما اختلف فيه ، واخترنا أنه شرط فى صحة الخلع أيضاً ونصرنا القول به ، وهو أن تكون الرجعة باشهاد شاهدين على ما بينا آنفاً ، ( وأشهدوا ذوى عدل منكم ) وأن يريد برجعتها إصلاح ما أفسد الطلاق ، وإصلاح حاله وحالها ( وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا اصلاحاً ) لا يقصد بها الاضرار والعدوان ( ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا )

وقد بينا ذلك فى كتابنا بوضوح ( ص ١٢١ — ١٢٤ ) ومما قلنا هناك : « إن الطلاق والرجعة بارادة الرجل وحده عملان مستثنيان من القواعد العامة ، أذنه الله بهما بصفات خاصة فلا يملك منهما الا ما أذن به . والشأن هنا فى الرجعة أقوى ، لأن الله سبحانه جعل الرجل أحق بها بشرط صريح ، وهو ارادة الاصلاح ، فاذا تخلف الشرط لم يكن الرجل أحق بردها ، فصار لا يملك هذا الحق »

وهذا الذى اخترناه وذهبنا اليه لا ينافى ما ذكره أستاذنا شيخ الشريعة « مما هو أدق وأحق بالاعتبار ، من حيث الحكمة الشرعية ، والفلسفة الاسلامية ، وشموخ مقامها ، وبعد نظرها فى أحكامها » ، لأن القيود التى قيد بها حق الطلاق أوثق وأقوى مما اشترط فى صحة الرجعة ، « على القاعدة المعروفة من أن الشيء اذا كثرت قيوده ، عزَّ أو قلَّ وجوده »

وما اشترط فى صحة الرجعة إنما اشترط ضماناً لبقاء الحياة الزوجية صحيحة سالمة من إرادة العبث بها ، وبعداً بها عن مواطن الشبهات ، وعن الاضرار بالمرأة عن إرادة النكول والجحد لاضاعة حقها

ولست أظن أنى بحاجة إلى بيان وجه « الحكمة الشرعية والفلسفة الاسلامية » فى اشتراط إرادة الاصلاح فى صحتها ، إذ هو واضح بالبداهة ، وصريح من نص الكتاب الكريم

وأما اشتراط الاشهاد فانه ليس قيداً يفوت به مقصد الشارع فى تقليل وقوع الطلاق والفرقة ، وفى ارادة التعجيل بالرجعة ، وانما هو شرط يقيد فى ضمان ثباتها وبقائها ، وفى حفظ عزة المرأة وكرامتها

فالرجل حين يطلق يشهد على طلاقه ، وهو اعلان له واثبات ، ثم يذهب فيراجع سراً من غير حضرة الشاهدين ؛ ولعله قد يبدو له أن يندم على رجعته ، أو يرى له فائدة مادية حقيرة فى انكار ما فعله وجحده ، وتعجز المرأة عن اثبات حقها واثبات إجرامه ، ولا ترى لها شاهداً ولا دليلاً ؛ وقد يفعل ذلك ورثته إذا مات قبل إعلان رجعته ، فيضيع فى الحالين حقها ، وتهدر كرامتها ، ويمس عرضها ، وهى عاجزة فى أول أمرها وآخره

ولو رأى الأستاذ — حفظه الله — ما نرى فى مجالس القضاء من ألاعيب الناس وحيلهم ، وإقدامهم على إضاعة الحقوق ، وحرصهم على أكل أموالهم بينهم بالباطل ، وجرأتهم على تعدى حدود الله ، لعلم أن هذه الشروط ليست قيوداً يعز معها وجود الرجعة أو يقل ، ولا يستيقن أنها تطابق الحكمة الشرعية ،

# ٢ - دانتى أليجييرى

## والكوميدية الالهية

## وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

عرفنا من الكلمة السالفة أن أبا العلاء كتب رسالته يرد بها على ابن القارح وهو طرب أيما طرب لأنه وجد فيه ... عنقاءه والخل الوفى ! وعرفنا أن ابن القارح لم يكن يقل زندقة وإلحاداً عن أبى العلاء لأنه استهزأ بالأبرار الأطهار الذين ورد ذكرهم فى سورة الدهر ، ولأنه عاب عليهم خوفهم يوماً كان شره مستطيرا ... يوماً عبوساً قمطريراً ... ولو كانوا مثله ... مثل ابن القارح ... لما نذروا ، ولما وفوا ... ولما خافوا شر ذلك اليوم

وعرفنا كذلك أن ابن القارح لم يكن صادقاً حقاً فى (تنفيظه على هؤلاء الزنادقة والملحدين) الذين حشدهم وجمع أقوالهم فى رسالته من غير ما مقتض لحالها ... اللهم إلا أنه كان يخاطب

---

والفلسفة الاسلامية ، وتدل على شموخ مقامها ، وبعد نظرها فى أحكامها

وبعدُ : فانى أرسل تحياتى الى أستاذى الجليل على صفحات (الرسالة) الغراء ، مجدّداً ذكرى صداقةٍ لم تزدها الأيام إلا ثباتاً وقوة ، مذ كان الأستاذ حفظه الله فى مصر ، من نحو خمس وعشرين سنة ، وكنا نقتبس من بحار علومه ، ونقتدى به فى مكارم أخلاقه ، وكنت له كالتلميذ الخاص ، ألازمه فى غدواته وروحاته . بارك الله فيه ، ونفع به الاسلام والمسلمين

**وأخيراً : أدعو المثقفين من المسلمين ، وقادتهم من علماء الدين ، لينظروا فى مسائل الزواج ومشاكله ، وهى جمة متوافرة ، لا بالنظر التقليدى القديم ، ولا بالنظر الافرنجى الحديث ، ولكن بالنظر الاسلامى الصحيح ؟**

**أحمد محمد شاكر**

القاضى الشرعى

أبا العلاء بلغة العصر الذى كانت تهدر فيه الدماء لمجرد الريبة تحوم حول الرجل فى دينه ، فاضطر أن يلغز هذا الالغاز الذى لا يجوز مظهره على ذكاء أبى العلاء ...

ونريد اليوم أن نعرف السبب الذى حدا بدانتى إلى كتابة كوميديته ؛ فلا نرى بأساً من أن نضع بين يدى القارئ ترجمة سريعة لهذا الرجل الذى كان يعيش ملء عصره ، ويساهم بقلبه وعقله ويده فى شؤون إيطاليا عامة وفلورنسا خاصة

ولد دانتى فى مايو ١٢٦٥ ، أى بعد أن وضعت الحرب الصليبية أوزارها (١٠٩٦ — ١٢٤٤) (١) . وفى زمان كان فيه اختلاط الشرق بالغرب شاملاً كل شىء ولا سيما الثقافة ، وكان الغرب يرشف من مدنية الشرق ما يشاء عن طريق الشام ومصر وصقلية وتونس والأندلس . واختلف المؤرخون فى منشأ أسرة دانتى ... فبعضهم يقول إنها من رومه ، وبعضهم يقول إنها من فرّارا ، والبعض يقول إنها من پارما ، أو من فيرونا ؛ على أنهم متفقون على أن الفتى نشأ فى فلورنسا وبها ولد ، وأنه تثقف على أشهر علمائها فى ذلك الزمن (برونتّو لاتينى)

وقد كان أبوه أليجييرو رجلاً فقيرا من وسط برجوازى مكروه من الحزب الديمقراطى ، وقد ماتت أمه مونّا بلا Monna Bella بعد أن وضعته بزمن قصير . وفى التاسعة من عمره رأى فتاته وحبيبته بياتريس ، فنفثت فى قلبه السحر ، وحلت عن لسانه عقدة الشعر ، وجعلت حياته درامة رومانتيكية بارعة من الحب الأفلاطونى الحزين ... وترعرع دانتى ... ونظم الشعر فى بياتريس ...

وفى الثامنة عشرة ، نظم أولى غرر قصائده يطلب فيها تفسير حلم جميل « من كل مغرم دنف ، برح به الحب ، ولفح قلبه بارح الهوى ... » وكانت قصيدة رائعة لفتت إلى الشاعر الشاد نظر كبير شعراء إيطاليا إذ ذاك جيدو كفالكانتى ، فكانت عربون الصداقة بينهما ، ورمز المحبة والوفاء

واشترك الشاعر الفتى فى حملات حربية سخيفة ، وحضر معركة كمپلدينو سنة ١٢٨٩ ... ثم انغمس فى النضال الحزبى الذى كان يجرف فلورنسا وإيطاليا فى ذلك العهد ، وكان ناشباً بين

---

(١) هكذا يحددها مؤرخو الأفرنج ، وإن تكن قد امتدت إلى أبعد من ذلك

حزبين قويين مايلبث أحدهما أن ينتصر حتى تكون للآخر الكرة عليه ؛ وكان دانتى فى جانب الجلفيين . وحدث أن كان فى بعثة سياسية لدى البابا حين انقض الجبليون -- الحزب الآخر — على المدينة وانتزعوا مقاليد الحكم من الجلفيين ، وقضوا على دانتى بالنفى المؤبد ، وبالاعدام حرقاً إذا فكر فى الرجوع الى فلورنسا

وكانت بياتريس قد ماتت قبل ذلك ، وكان الشاعر قد فقد صداقة جيدو كفالكانتى من جراء الحزازات الحزبية التى كثيراً ما قضت على روابط وأواصر وصداقات ... وكان قد تزوج كذلك وإن لم يسْلُ بياتريس — التى كانت قد تزوجت من غيره — من الفتاة جمَّادوناتى Gemma Donati التى كانت تنتمى الى حزب الجبليين ... فكانت حياته معها سلسلة متلاحقة من الآلام لدرجة أنها رفضت أن تلحق به فى منفاه وحرمته بذلك حتى من النظر إلى أبنائه ... ومن أجل ذلك لم يتورع دانتى من الاشادة بذكرى حبيبته بياتريس فى كتابه (الحياة الجديدة) Vita Nuova ومن الوعد فى آخر هذا الكتاب بتأليف معجزته الخالدة (الكوميدية الآلهية) فى تخليد ذكرى بياتريس . بل هو لم يتورع كذلك من أن يدس جما دوناتى فى أشد دركات جحيمه فى هذه الكوميدية ... كما سيجىء ذكره

وقد طوَّف دانتى فى أنحاء إيطاليا ، وذاق فى منفاه مرارة العيش وشقوة التشرد ، وجاب الرحب فزار باريس ، ويقال إنه ارتحل الى انجلترا وألقى عصاه فى أكسفورد . ولعل حظ الأدب من مرارة ذلك العيش ، وشقوة ذاك التشرد كان عظيما جدا ، فقد قسم لدانتى أن يبر بوعده بتأليف الكوميدية إذ هو مشرد فى الآفاق ، طريد من فلورنسا ، بعيد عن أحزابها ، بنجوة من قلق السياسة واضطراب السياسيين . .فى سنة ١٣٠٠ ألف كتابه الجيل (الحياة الجديدة)[1] أو الفيتانوفا الذى يصف به خلجات قلبه وضمنه ترجمة طلية لحياته وصلتــه بالفتاة الفتانة بياتريس دبورتينارى وجمع فيه كل الأشعار التى تغزل فيها بحبيبته . والكتاب رائع حقا ، ويعتبره المؤرخون أول كتاب من نوعه فى فجر النهضة وآخر ومضة من الأمل فى العصور الوسطى

ولقد كان دانتى يحل ضيفاً على أمراء الولايات الايطالية الشمالية فيقابل بالترحاب من الجميع ، وكان الجميع يكرمون وفادته ولا سيما كين دِ لّلا سكالا أمير ڤيرونا الذى لبث دانتى فى ضيافته حتى عام ١٣٢٠ ، ثم ارتحل إلى جيدو نوڤللو دابولنتا عظيم رافنّا ومن ثم ذهب الى البندقية فى بعث سياسى ... ولكن البندقيين استخفوا به فأثر ذلك فى نفسه حتى قيل إنه حم ، فعاد أدراجه والمرض يفتك به ... ولقى حتفه عقب ذلك بزمن قصير

وفيما بين سنة ١٣٠٦ ، ١٣٠٨ ألف دانتى كتابه الفلسفى (الوليمة) Donvivio أو Convito وقد حاول فيه تبسيط الآراء والنظريات الفلسفية لتسيغها أفهام العامة ، وهو فى رأينا أقل قيمة من الفيتانوفا . وان يكن دانتى نفسه قد فضله على الفيتانوفا

ويقولون إنه ألف قبــل ذلك (١٣٠٤) كتابه العجيب (فى فصاحة اللغة العامية) Eloquentia[1] De Vulgari الذى حاول فيه خلق لغة قومية للايطاليين يكتبون بها ويؤلفون فيها كتبهم بدل اللغة اللاتينية التى كانت مستعملة فى ذلك الوقت

وفى سـنة ١٣٠٩ ألف كتابه De-Monarchia وفيه يتغنى بالامبراطورية الرومانية القديمة ويحفز همم الايطاليين لاحيائها (لأنها نظام فرضه الله على البشر ، وهى وحدها التى تأخذ بأيدى الناس إلى السلام والنظام والعدالة ، وهى سلسلة متصلة فى التاريخ لا انفصام لها ...) وتلك ثُمَرة عرف بها دانتى ، انتقلت بعجزها وبجرها إلى زعيم إيطاليا الحديثة

ويرجح مؤرخو دانتى أنه كتب الكوميدية الآلهية إذ هو ضيف كريم على أمير ڤيرونا ثم أتمها فى رافنّا قبيل وفاته فى سبتمبر سنة ١٣٢١

وهاك ما اختتم به الفيتانوفا بصدد الكوميدية الآلهية :

« ... أبتهل إلى الله القدير أن يمد فى أجلى — إذا شاء — كى أكتب فى ملاكى مالم يكتبه أحـد فى امرأة من قبل ... حينئذ ... كم تكون روحى سعيدة حين تسبح فى ملكوته الأعلى لتتزود نظرة من ... بياتريس ! »

وقد مد الله فى أجله فعلاً ، وكتب فى ملاكه مالم يكتبه أحد فى امرأة من قبل ، وذهب فى إثر رائده ڤرجيـل يخوض دركات جهنم ، ويوقل فى شعاف المطهر ، ليلاقى بياتريس فى ظلال الخلد . ونعيم لا يفنى

(١) فى بعض المصادر أنه ألفه بين سنتى ١٢٩٢ — ١٢٩٤ وأنه تزوج من جما سنة ١٢٩٦ ولما كان قد أنسل منها سبعة أطفال فيكون التاريخ المذكور هو الأصح

(٢) أو Eloquio

**مجمم دانتى**

(١) [1] رأى دانتى كأنه يضرب على غير هدى فى تيه لا أول له ولا آخر ، ثم رآه يضل طريقه فى غابة مظلمة تمج بالأفاعى وتضج بالوحوش ، حتى إذا بلغ طوداً رفيع الذرى وحاول أن يرقاه زأرت فى وجهه أسود وهممت حوله ذؤبان أوشكت أن تفتك به ، لولا أن أبصر فرأى الشاعر الرومانى الخالد ڤرچيل يقترب منه فينقذه من الكواسر المحدقة به ، ثم يذكر له أنه قادم من لدن حبيبته بياتريس ليهديه سواء السبيل ، وليخوض به دركات الجحيم ليريه من آيات ربه ، ثم ينفذ به الى جبال الطهر ... وليتركه عند باب الفردوس ، حيث تلقاه حبيبته ، فتمضى به الى جنات النعيم « لأنى غير مأذون لى بدخولها »

(٢) ويتلكأ دانتى قليلاً ، ولكن ڤرچيل ما يزال به يغريه حتى يتبعه (٣) ... وينطلقان حتى يكونا عند باب جهنم ... وينظر دانتى فيرى كلمات نقشت من نور على لوحة علقت أعلى الباب ... هى كلمات الآله العزيز من غير شك ... ويؤذن لهما فيدخلان ، ويسمع دانتى الى أنين المذبين ، فيخبره ڤرچيل أنهم أولئك الذين قضوا حياتهم الدنيا فى لهو ولعب ، لا يعنيهم أن يقدموا عملاً صالحاً ينفعهم فى الدار الآخرة . ثم يبلغان عدوة نهر أشيرون ، ويريان جباره العتيد ذا الطول ( خارون ) منتصباً كالوحش فى زورقه الذى ينقل فيه أرواح الأشقياء من هذه العدوة إلى العدوة الأخرى . . . وهنا . . . تدور جهنم برأس دانتى فيعروه من الغثيان والغَشْيَة ما يهوى به إلى الأرض ( ٤ ) ... ثم يدوى رعد قاصف فى أركان جهنم فيهب دانتى من غيبوبته ، ويتعلق بأذيال ڤرچيل ، وينطلقان حتى يبلغا الدرك الأول من دركات الجحيم واسمه ( لمبو Limbo ) حيث يشقى أولئك الذين استهتروا بتقاليد الكنيسة ، فلم يبالوا أن ( يُعَمَّدوا ) !! ولو أنهم كانوا مع ذلك بررة أخياراً ، (٥) ويبلغان الدرك الثانى من النار ، ويرى دانتى إلى مينوس أحد قضاة الجحيم الذى يسائله كيف نفذ إلى هذه الدار وهو ما يزال حيا من أهل الدار الفانية ، وينذره أنه لن يحتمل زفير سقر ... وينظر دانتى فيرى إلى جموع الفجار الشهوانيين من أهل الفسق تعصف بهم ريح السموم ، وتنثرهم هنا وهناك كما ينثر الريش فى يوم عاصف ... ومن هؤلاء هيلين التى شبت بسببها حروب طرواده ، وكليوبطرة ، ثم يرى الزوجة المفتونة فرنشسكا التى أحبت أخا زوجها ( باولو ) حين كان يقرأ لها قصة لانسلوت الغرامية « فلما بلغنا هذا الحد من القصة ، ورأينا باولو يطبع قبلة حارة على فم فرنشسكا ، نظر باولو إلى ، واغرورقت عيناه بالدموع ، وأهوى على فى يقبله ... واستسلمت ... فلم أقاومه ! ! » ويألم دانتى أشد الألم وأبلغه ، فيغشى عليه حزناً على فرنشيسكا التى كانت تقص عليه خبرها

(٦) وينهض من غشيته ، ويبلغان الدرك الثالث ، حيث الحمأ المسنون والوحل المركوم تسبح فيه أرواح النهومين الطاعين ، وتنصب فوقهم شآبيب من برد وثلج ، ويعزق الكلب سيربيروس أبدانهم شر ممزق . ويلقيان ( كياشو ) أحد الأشقياء فيتنبأ لهما بما سيجتاح فلورنسا من شدائد (٧) وينطلقان حتى يكونا فى الدرك الرابع حيث تعذب أرواح البخلاء والمبذرين الذين يعير بعضهم بعضاً ، ويبلغان الدرك الخامس حيث تعذب أرواح العابسين وأهل الشر فى بحيرة ( ستيجيا ) . ويطوفان قليلا حول البحيرة ثم يصلان إلى سفح برج منيف (٨) فيقبل نحوهما نوتى اسمه فلجياس فيحملهما فى زورقه إلى شاطئ البحيرة المقابل — ويصلان أيضاً إلى مدينة ديس (Dis) حيث تعذب أرواح الجن والعفاريت ولكن هؤلاء الجن لا يسمحون لهما بدخول مدينتهم ويذودونهما عن أبوابها (٩) ولكن ملكا كريماً يهبط عليهما فيدخل بهما إلى ديس حيث يريان أضرحة فيها نار مشبوبة تعذب فيها أرواح المجدفين والمهرطقين (١٠) ويأخذ دانتى فى مجادلة بعضهم (١١) ويبلغ دانتى الدرك السابع حيث يلقى كبيراً من هؤلاء الهراطقة ويتمنى لو أن جميع من لقيهم فى الجحيم ( فى الدركات السابقة ) كانوا فى ديس ليتعذبوا كعذاب هؤلاء ! وينظر دانتى فيرى إلى بعض المرابين (١٢) ويبلغان الدرك السابع حيث يقودهما سنتور عظيم فيقفز بهما من صخرة إلى صخرة حتى يكونوا فى قرار الدرك . وهناك ينظرون إلى نهر من الدم تسبح فيه أرواح شريرة هى أرواح الذين آذوا جيرانهم . ثم يحملها سنتور آخر إلى الشاطئ المقابل (١٣) فيشهدان طوائف شتى من الأشقياء

---

[1] هذه الأرقام إشارة إلى فصول الجحيم وقد لخصناها هذا التلخيص الموجز حتى يتصل بعضها ببعض

(١٤) فى أقسام مستقلة من الدرك السابع . ويتحدث ڤرجيل إلى دانتى عن تمثال كبير كان فى جبل إيدا (أولمپ)؛ وهو الآن ينصهر منها فى نيران الجحيم (١٥) ويقابلان حشداً من الأرواح الهائمة فوق الحصباء المتأججة تتلمس شاطئ النهر ، ويشهد دانتى بينهم أستاذه (!) برونتو لاتينى فيحادثه طويلا (١٦) وينطلقان مع النهر حتى يصب فى الدرك الثامن فيقابلهما فوج من مواطنى فلورنسا العسكريين فيتحدث إليهم دانتى حتى يحجزهم عنه وحش من وحوش الجحيم (١٧) ويلقيان التنين جيريون فيرجوه ڤرجيل أن يحملهما إلى الدرك الثامن ويكون دانتى قد انتهز فرصة تحادثهما وانطلق يكلم الأشقياء الذين يعذبون هنا من أجل محاربتهم للفنون فى الدار الأولى — ويركبان فوق ظهر جيريون (١٨) فينطلق بهما إلى الدرك الثامن الذى ينقسم إلى عشر دركات يصف الشاعر اثنتين منها فقط فى هذا الفصل وهما درك المزورين ودرك المخادعين ويتعذبون فى حميم آن وحماً وروث (١٩) ويبلغان الدرك الثالث من الدرك الثامن حيث يثوى الخبثاء من رجال الكنيسة الذين دأبوا على بيع وظائفها بالمال (٢٠) ثم ينتقلان إلى الدرك الرابع حيث يأوى الدجالون والمشعوذون (٢١) ثم إلى الدرك الخامس حيث يسبح المختلسون وآكلو التراث فى صديد يغلى وقار ، عليهم حراس من زبانية شداد (٢٢) وتقودهما طائفة من الجن فى الدرك الخامس أيضاً ويحدث أن يحاول أحد المجرمين الافلات من ربقة الزبانية (٢٣) ويصلان إلى الدرك السادس حيث المنافقون يلبسون عباءات من نار وطراطير من جمر ، وحيث إخوان الصفاء من أهل بولونا (Joyous Friars of Bologna) (٢٤) وينطلقان إلى الدرك السابع حيث اللصوص والنشالون تقذف الحيات والأفاعى سمومها فى وجوههم وحيث الطواعين تصطلمهم (٢٥) ويلقيان شيخ المجدفين (فوشى) حيث تمزقه الثعابين وتنفث فيه سمها الأراقم ، ويلقيان أيضاً بعض الفلورنسيين المارقين . (٢٦) ويهطمان إلى الدرك الثامن حيث يعذب نصحاء السوء فى لهب مندلعة ونار ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ! وهنا يلقيان الفارسيين الاغريقيين ديوميد وأوليسيز فيتحدث ثانيهما عن كيفية موته (٢٧) وجيد وذامونتفلترو (أحد الفلورنسيين من خصوم دانتى !!) (٢٨) ويصلان إلى الدرك التاسع من الدرك الثامن حيث حشد الشاعر المتعصب من سماهم زراع الفتن وتجار الضلالات وحيث جعل منهم نبينا صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله وابن عمه عليا ابن أبى طالب الذين أتهمهما هذا الكاثوليكى الوقح بأنهما من أهل الشهوات وأهل الشقاق والنفاق[1] (٢٩) ويعبران إلى الدرك العاشر حيث المزيفون والكيمائيون تفتك بهم الطواعين وتضنيهم الأمراض (٣٠) وفى هذا الدرك أيضاً يلقيان طوائف أخرى من النصابين والمالقين (٣١) ويسمعان نافخاً فى صور يدوى فى آفاق جهنم فيقصدان إليه ، فاذا هما الدرك التاسع من النار حيث المردة والشياطين وكل خناس عظيم . ويأخذهما أحدهم (أنتيوس) فى قبضته فيجعلهما فى قرار الدرك (٣٢) حيث زمهرير وبرد وثلج وحيث بعض الايطاليين جاثمون يتعذبون (٣٣) ويتحدث إليه بعض هؤلاء بما كان من خيانة أحد مواطنيه ويحدثه عن جريمة قتل حدثت فى فلورنسا ولم يعرف مقترفها (٣٤) ويصلان إلى الدرك الرابع من الدرك التاسع فيريان الذين أساءوا إلى من أحسنوا إليهم ، مطمورين فى ثلج وجليد إلى أذقانهم . ثم يحملهما السنتور لوسيفى فيكونان فى هذه الدار مرة أخرى ويريان النجوم تتلألأ فى السماء كأنه لم يكن شيء !! وبذا ينتهى طوافهما بالجحيم

(لها بقية) د . خ

(١) المعروف عن دانتى أنه كان كاثوليكيا سنيا متعصباً للكنيسة تعصباً أعمى وقد ألهبت الحروب الصليبية حواسه فخشر الرسول فى جحيمه وقال كارليل : (كان دانتى يعد محمداً (ص) طائفيا تخذ شرائع الكنيسة وعربها وحرفها وضلل بها شيعته !؟) وسينفعنا ذلك فيما يلى

# شعراء الموسم فى الميزان

## نقد وتحليل

للأديب عباس حسان خضر

— ٣ —

### ثورة القدر

نظم الأستاذ أحمد محرم فى هذه القصيدة قصص الأنبيا المقصوصة فى القرآن ليشيع فيها فكرته : ثورة القدر ؛ فنى كل من تلك القصص ناس ثار عليهم القدر . وليس فيما قصه ( نظما ) من جديد سوى أن يخبر عن أولئك الناس بأن الذى نزل بهم هو من ثورة القدر . ولقد حاول ، فى أبيات ، أن يستخلص العبرة فكأن القدر وقف فى سبيل توفيقه فى ذلك ... وليته ترك العبرة لتؤخذ من الخبر كما قال فى القصيدة :

ما حيـاة المرء إلا خبر ... نخذ الحكمة من معنى الخبر

على أن قوام ذلك من استخلاص العبرة أو أخذها من الخبر ، أن يمزج بأحاسيس الشاعر ، ويؤدى إلى أحاسيس الناس فيطربهم ، أو يجتذب ارتياحهم ، أو ما بين ذلك من درجات التأثير . فماذا فى القصيدة من ذلك ؟ إليك الطلع تليه قصة آدم وابليس :

عاصف ما قيل أمسك فازدجر ... زلزل الأقطار واجتاح البشر
هاجه من قبل فى مربضه ... طائف ما مسه حتى انفجر
أخذ الحصنين فى هبوته ... وهوى غضبان يرمى بالشرر
من طريد أهلكته سجدة ... وشريد غاله شؤم الشجر
ثورة فى الأرض من آثارها ... كل يوم ثورة تزجى العبر
شمخ الكبر بهذا فهوى ... وأراد الخلد هـذا فدثر
ثورة خاطئة لو لم تقم ... فى ظلال العرش ما ثار القدر
تجمح النفس فلا تنفعها ... بينات الأمر من خير وشر
وجلال الحق فى صورته ... مظهر العزة فى هـذى الصور
فاز بالرضوان من أكبره ... فتجافى عن هوان وصغر

فترى أن أكثر العناية فى قوة الألفاظ وقوة القافية ، وهذا موائم لحال المعنى ؛ ولكن هذه الأبيات ، بل القصور المؤلفة من صخور الكلم وجلاميد القوافى لا تملأ جوانبها روح الشعر ، ولقد وصف الشعر فى هذا البيت من القصيدة :

ومن الشعر قصور فخمة ... وقبور موحشات وحفر

بما ينطبق على شعره ، فهو يقدم الشعر ، من حيث الجودة والرداءة الى القصور الفخمة والقبور الموحشة ، فيعبر عن الشعر العالى بالقصور الفخمة وان كانت غير آهلة !

سرد الشاعر القصص مبيناً فيها مواطن ثورة القدر ، وفى جميعها لم يثر القدر الا على أقوام أبوا اجابة دعوة الرسل وسخروا منهم وأفسدوا فى الأرض فكان ما نزل بهم عقاباً لهم على طغيانهم ؛ ثم أخذ يصف هذا القدر المعاقب بالظلم والبغى ، فيقول :

ينصب الظلم على مخلبه ... ما تمنى من قصور وسرر
وترى البغى على أنيابه ... ناعم الروحات ريان البكر

فكيف يتفق رميه القدر بالظلم والبغى مع ما قدمه قبل ذلك من الاشادة بعدله فى صرع المتجبرين العاصين ؟ !

والشاعر يتحدث فى آخر القصيدة عن الشعر وعن موسم الشعر بدون مناسبة للموضوع ، ولو كان ثمت مناسبة لكان استطراداً مقبولاً

ولقد أحسن فى وصف من أغرقهم الطوفان بقوله :

غمر القوم فهم فى جوفه ... فتنة غرق وكفر مستتر
أمم كاللمح ذابت وقرى ... ذهبت كالحلم أو وهم خطر

فقد ألم فى هذين البيتين بمعان سرية ودل عليها بأوجز لفظ

### لامية نسيم

بى فوق ما بك منهم أيها الطلل ... لك البلى ولى التبريح والعلل
محتك من عاصفات الريح سافية ... ووا كف من شآبيب الحيا هطل

اود أن أعرف أين الطلل الذى يخاطبه الأستاذ أحمد نسيم هذه المخاطبة ، فما أظن من كان يحبها إلا ساكنة فى «عمارة» أو «ڤيلا» أو فى بيت عادى على الأقل . واذا ارتحلت عن مسكنها فلا بد أن يحل محلها من يعمره ؛ وهو إذا بكى فلا بد من هدمه وبنائه من جديد ، فلا الريح السافية تمحوه ، ولا وا كف المطر يهطل على رسومه . لقد كان الشعراء الأولون يقفون على أطلال حبائبهم ، فتملأ نفوسهم تشوقاً وحسرة على ما مضى ، فيقولون الشعر فيما يحسون ، أما نحن فى هـذا العصر فلا نقف — بعد زوال عهد الصبابة — إلا على ما تحتويه أدراج المكاتب من

الرسائل الغرامية والصور الفتوغرافية وما الى ذلك ، فمن يقف منا على طلل فانما يقف على طلل الزمن القديم لا على طلل الأحبة

على أنه مهما يكن من شىء فان الأستاذ نسيم يكاد يبلغ فى هـذا المعنى مبلغ المجيدين من قدامى الشعراء ، وخاصة فى قوله :

« لك البلى ولى التبريح والعلل »

والقصيدة ليست فى موضوع خاص ، وإنما هى ( لامية نسيم ) أى أن موضوعها ما يقوله نسيم على قافية اللام . . . وهى مع هـذا منسجمة المعانى ، متآلفة الأجزاء ، يزينها البيان ، وأبياتها عامرة بالمعانى ، منها قوله فى وصف المشيب :

قل للمشيب إذا ما لاح مشتعلا
ما أنت إلا لظى فى القلب مشتعل

إلى أن يقول :

كأنه أحرف بيض يسطرها فى مفرق كاتب للعمر مختزل

وأناشدك الشعر أن تقف معى برهة عند هذا القصر الفخم ، لا البيت ، ولا الطلل الذى وقف عليه الشاعر ؛ لنجتلى ما يحتويه من الغرائب ، فهذا كاتب يتعبه الحساب : حساب سنى العمر الطويلة ، فيعمد إلى اختزالها بطريقة غريبة ، وهى تسطير الحروف البيضاء فى المفارق

ومن محاسن القصيدة قوله :

شرٌّ من الخطب مثر رحت تحسبه
أهلاً لغوثك وهو العاجز الوكل

يختال فى حلل خز ولو عقلت لنسلت نسجها من خزيها الحلل

وكيف يفخر مغتر بحليته وصدره من قلادات النهى عطل

شأن الغنى الذى يضحى بلا عمل
شأن الغبى الذى يزرى به الكسل

ولكن وصفه لنفسه ، بضمير الغائب ، فى قوله :

كأنه شامخ لا الحزن يوهنه ولا يحرك من أركانه الجذل

لا يليق بالشاعر الذى من خصائصه أن يكون مرهف الحس فلابد أن يطرب ويحرك الجذل من أركانه

**متماعبات**

قصيدة الأستاذ السيد حسن القاياتى ، وهى قصيدة قديمة تردد مجالس الأدب بعض أبياتها كقوله :

كأن وساما يعتلى صدر جاهل جنى من الأزهار يحمله قبر !!

ويتنادرون بأنه أنشدها المرحوم حافظ بك ابرهيم فلما جاء عند قوله :

لو ان المساعى تكسب المجد لم يلح بأوج العلا الا أنا وأخى البدر

قال له حافظ : ايه يا أخانا . . يورى بأنه البدر

وهى — كسائر شعر القاياتى — نبيلة الأغراض ، مركزة المعانى ، وكثيراً ما أغار على معانيها لصوص الشعر كأنما صاحبها قد أنهبها . . تضيق ألفاظها بمعانيها ، فبعض المعانى يعوزه البسط فى التأدية مثل قوله :

حبيب الى الانسان كل طريفة ولو بات فى أثناء بردته البدر

فهو فى حاجة الى أن يبين بأن الملازم ممل ولو كان البدر ؛ على أن أكثر المعانى يؤديها اللفظ بايجاز بليغ كقوله :

شمائل غر أصبحت وهى سؤدد ويانعــة الأثمار أولها زهر

والقاياتى عميق الفكرة ، دقيق الالتفات ، ولعل هـذا هو الذى يجعله ضنينا بالبسط ، فهو يرى أنه أبان بتأديته المعانى بذلك الايجاز ، فالزيادة حشو ، فهو يعلو فى أسلوبه مترفعاً بالجزالة عن السهولة والتبذل ، انظر الى قوله :

أشفُّ وصال الغانيات ملاحة تُلهّيك بالحسناء ليس لها مهر

فانك وأنا إذا أردنا أن نعلم ما يقول لابد أن نشحذ الذهن لينفذ الى عمقه ، وهناك نقف على معناه ، يقول : ملاحة الحسناء التى لا تتزوجها فلا تدفع لها مهراً أشهى وصال الغانيات وأشده قتلاً للكلف المدله

والقاياتى شاعر مجدد . . من المجددين الحقيقيين لا الذين يرددون كلمة التجديد ، ويتحلون بعضها ، فهذه قصيدته قل أن تجد فيها معنى من المعانى العامة ، فأكثرها مشابه من خواص المعانى التى لم يسبق اليها كقوله :

كأن وساماً يعتلى صدر جاهل جنىً من الأزهار يحمله قبر !

وقوله :

تطالعنا تحت البراقع أوجه حسان كما يفرى دُجُنَّته الفجر

وقد تناول فى القصيدة بعض النواحى الاجتماعية بالنعى والنقد المر كقوله يصف المجالس والمجتمعات :

مجالس حفل بالقبيح كأنها مغانى بغايا ماؤها الفحش والهجر

الى أن يقول فى ذلك :

تحياتهم سب الجدود فكاهة وكم نيل فيمن يشتهون فتى بر

سباب تهاداه الثغور بواسما كأن الذى أهداه بينهم عطر !

وقد صور نوازعه وأحاسيسه فى القيصدة تصويراً بارعاً صادقاً والأبيات الآتية تدل على نبل خاقه ، وتصور ميول نفسه ، قال :

إلى الله أشكو أننى لست واجدا     سوى لذة من دون تحصيلها المهر
أشف وصال الغانيات ملاحة     تلهيك بالحسناء ليس لها مهر
إذا أمكنت من ريقها الخمر صاح بى     نذير الهدى : ما أنت ويحك والخمر
أمر بها فى الكأس حمراء عذبة     فأحسبها جمراً وفى كبدى جمر

وفى البيت الأخير يقول إنه يمر بالكأس حمراء عذبة ، فاذا كان يشهدها حمراء فكيف علم عذوبتها ؟ !

قد يباح للشاعر أن يتردد ويتناقض فى قصائد من شعره لا ختلاف الظروف التى تحيط بمشاعره ، فان للشاعر من ذلك ما ليس للعالم الباحث ؛ ولكن لا يجوز له أن يتردد أو يتناقض فى قصيدة واحدة ، فكيف يجمع شاعرنا بين قوله :

كفى ضيعة للحسن خدر يصونه     أرى الطيب كل الطيب أن يهتك الخدر

وقوله :

كنايسكم يأيها الغيد أننى     ضمنت لكم أن ينهب اللؤلؤ النثر
هو العار فليقن الحياء وإنه     لكالنحر للعشاق أن يكشف النحر

وفى البيت التالى مغالطة :

يقولون ان الراح للفكر صيقل     وربك ما فى الراح عقل ولا فكر

فان خلو الراح من العقل والفكر لا يمنع من أن تصقل الفكر ، وهناك كثير من الأشياء تصقل الفكر وليس لها عقل ولا فكر

**الشباب**

والأستاذ حسين شفيق المصرى لا يذكر الشباب إلا بالهوى والشراب كأن الشباب ليس فيه ما يذكر وما يتحسر عليه إلا الأوانس والحيا ، فهو يقول فى المطلع :

تذكر بعد أن شاب الشبابا     فأنَّ وقد دعاه فما أجابا
وشاقته الأوانس والحيا     فود من التشوق لو تصابى

وليس فى القصيدة ذكر للشباب بغير اللهو والمجون ، فهى لا تعنى الشباب الا بما فيه من التماجن ، أما ما يلابس الشباب من نواحى الجد فلا أثر له فيها

والقصيدة عليها مسحة من الجودة ، وفيها أبيات مطربة كقوله فى وصف الكأس والنديم :

أيا حزناً علىَّ ولست أنسى     ليالى كنت أحسوها شرابا
ينادمنى غضيض الطرف صاح     ذكى يستبيك اذا تغابى
يميل بكأسه يسقيك منها     صفاء بعد أن رشف الحبابا
فلا أدرى أكانت من رحيق     كنفح الطيب أم كانت رضابا
سحرت وهل شرابك غير سحر     وضوء الشمس بين يديك ذابا
حنانك أبق من عقلى قليلاً     لأعلم حين تسألنى الجوابا

وهذا فى الحق ابداع وفى قوله : « ذكى يستبيك اذا تغابى » جمال يستبيك

وشعر الأستاذ حسين شفيق خفيف الظل ، تشيع فيه روح الفكاهة . ويظهر أن هذه الروح تلازمه حتى انك تجدها فى التحسر على سالف الشباب ، وكم هو ظريف فى قوله :

ومن يكتم حساب سنيه يوماً     فصفحة وجهه تبدى الحسابا

كأن صفحة الوجه « عداد » للسنين ...

وهو فى هذا البيت :

ولولا أن يقال دهاه مس     تخولط ما تأبيت الخضابا

لا يأبى الخضاب إلا خشية اللوم ، أى أن الخضاب عنده ان لم يكن يوده فهو أمر لا غبار عليه ، ولكنه فى البيت التالى :

ومن ظن الشباب صبيغ شعر     فان الصقر قد أمسى غرابا

يسخر من صبغ الشعر ، فيقول ان صبغ الشعر لا يجتاب الشباب ، وانما يشوه ، كما يمسخ الصقر غرابا اذا صبغ بالسواد ، والخضاب والصبغ من قبيل واحد ، فودادته الخضاب فى البيت الأول لا تتفق مع السخرية من صبغ الشعر فى البيت الثانى

وقد تعارف الناس على أن شارة الحداد السواد ، ولكنه يقول :

تخذت بياض رأسى لى حدادا     على عمر الشباب فوا شبابا

فكيف يتخذ البياض حدادا ؟ [1]

**غريب فى باريس**

ليس يكفى هذا العنوان وعِلْمُ الناس أن الدكتور زكى

(١) السواد شارة لحداد عند المشارقة ، أما أهل الأندلس فيتخذون البياض حداداً     ( الرسالة )

مبارك قضى فترة من الزمن فى باريس يطلب العلم فى احدى جامعاتها ، لأن تصف هذه القصيدة غريباً فى باريس ، بل لا بد أن تفى القصيدة نفسها بهذا الغرض ، لا بد أن تصف غريباً وتصور نوازعه وحنينه الى وطنه ، ولا بد أن يكون هذا الوصف ملابساً لباريس مشتملاً على خصائصها . أما عن الشطر الأول فقد فعل وأحسن ، وان كان لم يُجد الاجادة التى تنبغى للدكتور زكى مبارك ؛ تألم من الغربة فقال :

يا جنة الخلد كيف يشقى    فى ظلك النازح الغريب
الناس من لهوهم نشاوى    ودمعـه دافق صبيب
يقتات أشجانه وحيداً    فلا صديق ولا قريب
أقصى أمانيه حين يمسى    أن يهجع الخفق والوجيب

وهذه الأبيات أحسن ما فى القصيدة

وحن الى وطنه فقال :

مغانى النيل كيف أقصت    ريبب أزهارك الخطوب
وكيف ألقيته بأرض    أصح أحلامها كذوب

وصور نوازعه الى المجد الذى قد اغترب من أجله فقال :

يسدد السهم ليس يدرى    أيخطئ السهم أم يصيب
يطارد المجد فى زمان    اقباله غادر لعوب
الشهم من ناسه شريد    والحر من أهله غريب

وهـــذه الأبيات — وان كانت عادية — فيها روح من يطارد المجد

وأما باريس ، فلها الله باريس ! كل ما أثنى به عنها قوله فى المطلع : « يا جنة الخلد » وقوله بعد ما ذكر أنه ألقى بأرض اصح احلامها كذوب:

أديم أجـوائها سواد    فلا شروق ولا غروب
وحب غاداتهـا موات    فلا سكون ولا هبوب

أكل ما يقال عن باريس أن الضباب يملأ أجواءها وأن حب غاداتها موات ؟ وهل تعد هذه الأشياء من خصائص باريس التى تميزها من غيرها ؟ أو لا يصح أن يطلق على القصيدة بدلاً من « غريب فى باريس » : غريب فى أى بلد من بلاد الله التى يصح أن تشبه بجنة الخلد ، ويكثر فيها الضباب ويكون حب غاداتها مواتا . . ؟

ألا ان الغريب فى باريس يقول قصيدة لم يقلها بعد الدكتور زكى مبارك

## ثلاثة شعراء

هم الأساتذة : سيد ابراهيم ، عزيز بشاى ، كامل كيلانى . أنشد كل منهم قصيدة كنا نود لو أنشأ أو اختار من شعره غيرها تكون أدنى الى الغاية المرجوة من الموسم ، فالناس يبتغون من موسم محتفل له شعراً يشعرهم بجزالته وعلو معانيه وسمو أخيلته أن للموسم خطراً . . . أما الأول والثانى فكان قولهما تافهاً : معان عامة وأفكار عادية وأسلوب خال من القوالب والتعبيرات الشعرية مثل قول الأول يناجى ولده :

جذلان تفرح لو يز    يد على نصيبك درهم

وقول الثانى يصف حال الأغنياء :

لا يملؤون بعليم عقولهم    ويملؤون بطونا بالجنيهات

وما الى هذا ممـا لا نطيل بذكره لعدم فائدته . وانه لخير للأستاذ سيد ابراهيم أن يقتصر على خطه الجميل ويدع الشعر للشعراء

أما الثالث وهو الأستاذ كامل كيلانى فقد ألقى قصيدته « الباز والقبرة » وهى تحكى أن « بازاً » اصطاد « قبرة » فجاءه « لقلق » يأخذ عليه استبداده بالقبرة الضعيفة ، فقال له الباز : وأنت أيضاً تصطاد الضفدع الضعيف فهلا تركته كما تريد منى أن أدع القبرة . ثم علق الأستاذ على الحكاية بعد أن ساقها نظما بقوله :

كم خطيب على المكا    رم قد حث معشره
ان رأى نا كباً عن الخيـ    ـر لحاه وعـــيره
هفوات الورى يرا    هـــا ذنوباً مكبره
ثم يلقى ذنوبه    هفوات مصـــغره
مثل هـــذا منافق    جعل النصح متجره
نصحه كله خـــدا    ع وغش وثرثره

وموضع قصيدة مثل هذه كتاب من كتب الأطفال ، لا موسم الشعر ؛ وأسلوبها سليم ، ونظامها طبيعى لا تكلف فيـه أما نقـدها من حيث الموضوع فمن اختصاص أهل العلم بتربية الأطفال ، فلا نقول فيما لا نعلم

**عباس حسان خضر**

# ٣ ـ أثر الحرب الكبرى

## فى بريطانيا

للأستاذ رمزى ميور
أستاذ التاريخ الحديث فى جامعة منشستر سابقاً

تتمة

ترجمة الأستاذ محمد بدران
ناظر مدرسة بتبادون الابتدائية

وفى ايرلندة أيضاً لاح أن الحرب قد أتاحت لها فرصة العمل على نيل ما كانت تطلبه منذ زمن بعيد من تقرير حقها فى الحكم الذاتى . وكانت ايرلندة هى الجزء الوحيد من أجزاء الامبراطورية الذى انتهز فرصة الحرب للثورة مع أن هذه البلاد كانت من الوجهة القانونية جزءا من المملكة المتحدة ممثلا فى البرلمان البريطانى أتم تمثيل . وقد فعلت ايرلندة ذلك من قبل فثارت فى كل حرب من الحروب الأوربية الثلاث التى اشتبكت فيها بريطانيا فى القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر . شبت الثورة فيها علنا سنة ١٩١٦ ، ثم أخمدت ولكن الحكومة شعرت أن من الخطر أن تطالب ايرلندة بما كانت تطالب به انجلترا واسكتلندة ويلز من الرجال ، ومع أن كثيرين من الايرلنديين قد تطوعوا للحرب باختيارهم فقد بقى الشعب الايرلندى بوجه عام فى معزل عنها يدعو الله أن يخذل بريطانيا . ولما وضعت الحرب أوزارها شبت فيها من جديد نار الثورة التى كان يلوح وميضها خلل الرماد ، ودارت فيها رحى حرب أهلية طاحنة انتهت باذعان بريطانيا وتسليمها للقوة بما لم ترض أن تسلم به للنزاع الدستورى فأعطت الايرلنديين أكثر مما كانوا يرتضونه قبل ذلك الحين ، ذلك أنها قبلت فى سنة ١٩٢١ أن تتكون من أربعة أخماس ايرلندة « دولة ايرلندة الحرة » وهى دولة ذات استقلال داخلى تام تتمتع بنظام « الأملاك المستقلة » وبحق تقرير ضرائبها الجمركية وإنشاء جيشها وسن قوانينها وسك عملتها . وبذلك كان جزء الأمبراطورية الوحيد الذى ظل طلبه الحكم الذاتى يرفض، على الدوام جزءها الوحيد الذى نبذ كل فروض الطاعة والولاء أثناء الحرب ، وكان أعظم النتائج السياسية للحرب وأعجبها أن انتهى بهذه الطريقة الحاسمة ذلك الكفاح الطويل الذى دام أربعة قرون ، وتلك مقارنة ذات مغزى جليل تثبت أن الحرية لا الارغام هى التى تمسك أجزاء الأمبراطورية وتمنعها من التصدع والانهيار ، وهى أول امبراطورية قامت فى تاريخ العالم ينطبق عليها هذا المبدأ

وأول ما نشأ عن مطالبة أجزاء الأمبراطورية أن تشترك اشتراكا أوسع من ذى قبل فى الاشراف على شؤونها أن دعيت طائفة من الساسة يمثلون الأملاك المستقلة والهند لينضموا إلى عضوية « المجلس الحربى » وكان لهؤلاء الأعضاء شأن كبير فى تقرير السياسة التى اتبعت فى آخر أدوار الحرب ، وكان يظن أن هذا سيؤدى إلى وضع نظام للتعاون بين أجزاء الأمبراطورية أدق وأوفى بالغرض من النظام القديم . لكن شيئاً من ذلك لم يحصل لسبب رآه المتتبعون لسير الحوادث نذيراً بانحلال الأمبراطورية فى المستقبل ، ذلك أنه لما عقد مؤتمر الصلح حضره مندوبون عن الأملاك المستقلة والهند ، ولكنهم لم يحضروه من حيث هم أعضاء فى وفد الأمبراطورية البريطانية فحسب ، بل من حيث هم ممثلون لبلادهم أيضاً ، ثم وقعوا المعاهدات كممثلين لدول مستقلة ، ولما تكونت عصبة الأمم ظهرت الأملاك المستقلة والهند مرة أخرى وإن كان ظهورها فى هذه المرة اختلف بعض الاختلاف عنه فى المرة السابقة ؛ فقد جعلت الأمبراطورية البريطانية من حيث هى وحدة قائمة بذاتها عضوا دائما فى مجلس العصبة ، لكن كندا واستراليا وزيلندة الجديدة وجنوب افريقية والهند أصبحت كلها أعضاء فى الجمعية العمومية للعصبة لها ما للدول المستقلة ، وأصبحت كندا بالفعل عضوا من أعضاء المجلس غير الدائمين . ويرى البعض فى هذه الظواهر دليلا على أن الأمبراطورية لا ينظر اليها فى هذه الهيئة العالمية كما ينظر إلى وحدة سياسية ، بل يعامل كل جزء من أجزائها معاملة دولة مستقلة ذات سيادة ، ويعزز هذا أن تلك الأملاك أعطيت حقها كاملاً غير منقوص فى بحث المسائل الدولية داخل العصبة أو عن طريقها ، وأن الذى تبحثه ليس هو السياسة التى يجب أن تسير عليها الأمبراطورية المؤلفة من هذه الأملاك ، بل إنها تشترك فى البحث اشتراك الدول المستقلة

وهكذا أظهرت الحرب ولاء أعضاء الامبراطورية لها ،

ولكنها أعقبها ضعف ظاهر فى الروابط التى تؤلف بين هؤلاء الأعضاء . فالأملاك المستقلة تطلب لنفسها حق تعيين سفراء من قبلها لدى الدول الأجنبية وأصبحت تتمتع بهذا الحق دون معارضة ، فقدعينت كل من كندا وإرلندة سفيراً لها فى واشنجتن ، وتطالب هذه الأملاك أيضاً بحق عقد المعاهدات مستقلة مع الدول الأجنبية . وقد عقدت جنوب إفريقية بالفعل معاهدة مع ألمانيا .

واعترفت بريطانيا نفسها بهذا الانحلال التدريجى وبتفكك وحدة الامبراطورية السياسية فقد نص فى معاهدات لوكارنو صراحة على أن بريطانيا وحدها هى التى ترتبط بالتعهدات المدونة فى هذه المعاهدات وأن الأملاك المستقلة لا شأن لها بها . ووضع هذا النص بناء على طلب الأملاك المستقلة نفسها لأن السياسة التى قامت عليها هذه المعاهدات لم تكن وليدة اتفاق عام بين أجزاء الامبراطورية بل قررتها بريطانيا بمفردها إذ لا توجد أداة لوضع سياسة عامة تسير عليها الامبراطورية

وبهذه الطريقة أصبحت الامبراطورية البريطانية بعد الحرب هيئة سياسية مفككة العرى ؛ فليست هى دولة واحدة إلا فى خضوعها خضوعاً اسمياً لتاج واحد ، وليست هى دولة تعاهدية أو حلفاً قانونياً أو عصبة مجتمعة تعرف بها ، وذلك لأنه لا توجد معاهدة تحتم على أعضائها الاشتراك فى العمل . وإنما هى شركة مفككة مكونة من دول مستقلة تربطها بعضها ببعض عاطفة ومصالح مشتركة ولكل عضو فيها كامل الحرية فى أن يختط لنفسه الخطة التى تلائمه فى أى وقت شاء . واعترف بهذا اعترافاً كاملاً صريحاً فى المؤتمر الامبراطورى الذى عقد فى عام ١٩٢٦ والذى كانت قراراته من أهم الحوادث البارزة فى تاريخ الامبراطورية البريطانية . وقد يرى فيها المؤرخون فى المستقبل تسجيلاً نهائياً لترك كل محاولة ترمى إلى تدعيم وحدة الامبراطورية السياسية واعترافاً بانحلال هذه الامبراطورية انحلالاً ودياً نهائياً . والدليل على ذلك أن الأملاك المستقلة أعضاء فى عصبة الأمم تربطها بها روابط وثيقة وليست أعضاء مرتبطة فى جسم الامبراطورية

ومع هذا فان الأملاك المستقلة (مع جواز استثناء دولة إيرلندة الحرة وجنوب أفريقية) تعد نفسها مرتبطة بالامبراطورية برباط أقوى مما بينها وبين العصبة . وإنما الفارق بين الهيئتين أن العصبة أوجدت أداة للاستشارة المشتركة ، والعمل المشترك أحكم من كل ما فكرت فيه الامبراطورية . فللعصبة جمعيتها العمومية التى تنعقد بانتظام فى كل عام والتى تدور فيها المناقشات العامة ، وللعصبة مجلسها الذى يجتمع ثلاث مرات فى السنة . أما الامبراطورية فليس لها إلا المؤتمر الامبراطورى الذى يجتمع مرة فى كل أربع سنوات والذى حددت له واجباته . وللعصبة سكرتيرية بديعة النظام ذات هيئات خاصة من الخبراء تبحث المشاكل الحربية والاقتصادية ومسائل العمال والصحة وما الى ذلك ؛ أما الامبراطورية فليست لها هيئة مركزية إلا وزارة المستعمرات التى هى جزء من الأداة الحكومية لعضو واحد من أعضائها وهى لذلك لا تستطيع أن تعمل معتمدة على تأييد جميع الأعضاء

ويرى الجنرال اسمطس الذى ربما كان أعظم ساسة الامبراطورية كلها والذى كان منذ ثلاثين عاماً يقاومها بقوة السلاح ، ويرى هذا الجنرال أن الحكومة اللامركزية فى الامبراطورية وصلت الى أبعد حد حتى أصبحت انحلالاً حقيقياً ، وهو قوى الاعتقاد بأن الرابطة السياسية التى نشرت لواء السلام على ربع بلاد العالم هى رابطة جليلة القدر يجب ألا يسمح لها بالانحلال تدريجاً ، ولذلك يدعو إلى العمل فوراً لتقوية هذه الرابطة بوسيلة لا تنقص من استقلال أجزاء الامبراطورية كما لا تنقص عصبة الأمم من هذا الاستقلال

فاذا ما شرع فى العمل لهذه الغاية فان أربعة أمور تجب مراعاتها بنوع خاص : أولها أن توجد وسيلة للتشاور الدائم فى السياسة الخارجية تضمن اتحاد الامبراطورية كلها فى العمل داخل دائرة العصبة وبهذه الوسيلة يتسنى للامبراطورية (التى هى أكبر قوة لنشر لواء السلم فى العالم) أن تضطلع بقسط كبير فى تقوية دعائم السلم العالمى . والأمر الثانى أن توضع سياسة مشتركة للدفاع الامبراطورى يمكن بواسطتها تنفيذ العهود التى يلقيها على عاتقها ميثاق العصبة ونشر لواء السلم والقانون فى الأصقاع الواسعة المتأخرة غير المستثمرة داخل حدود الامبراطورية . والأمر الثالث أن توجد وسيلة للتشاور والاتفاق على الطريقة التى تعامل بها الشعوب المتأخرة التى تكون الآن قسماً كبيراً من سكان الامبراطورية . ذلك بأن تبعة حكم هذه الشعوب المتأخرة يقع معظمها الآن على عاتق بريطانيا . غير أن أفريقية الجنوبية تقع عليها أيضاً تبعات كبيرة من هذا القبيل . كذلك انتدبت استراليا وزيلندة الجديدة بعد الحرب لادارة أرضين واسعة فى غانة الجديدة وجزائر المحيط الهادى . وتعانى كندا مشاكلها الخاصة فى كيفية

حكم الهنود الحمر فى غربها والاسكيمو فى شمالها . ومع أن الشعوب البريطانية أخذت على عاتقها هـذه التبعات العظيمة وهى إرشاد الشعوب المتأخرة ونشر المدنية بينها فانها لم تعن إلا عناية قليلة بدراسة المشاكل الناشئة من هذا الواجب دراسة علمية ، ولم تحاول الشعوب البريطانية أن تتبادل الرأى للاتفاق على المبادئ التى يجب أن تسير عليها فى تحضير هـذه الشعوب . وأخيراً إن الامبراطورية فى حاجة شديدة إلى اشتراك أجزائها فى العمل فى الميدان الاقتصادى . لقـد أخذت الشعوب البريطانية على عاتقها القيام بعمل كبير هو تنمية موارد أصقاع واسعة فى العالم ، لم تتم بعد ، حتى تنتفع الانسانية بهذه الموارد ، ولكنها لم تعر هذا العمل ما يستحقه من العناية . وليس لها أن تعده مجرد وسيلة لاستغلال هذه البلاد أو تتركه للظروف والأقدار أو تكله لاشراف الاتحادات التجارية الكبيرة غير المنظمة بل يجب عليها أن تفكر فيه وتنظمه على قاعدة تعاونيـة بالاتفاق مع جميع الدول الداخلة فى دائرة الامبراطورية والتى تشترك معها فى تحمل تبعتـه كما أن عليها عنـد ما تقوم بهذا الواجب أن تراعى جانب العدل فى معاملة الشعوب الهمجية

إن المجال لا يتسع هنا لبحث ما يتبع من الوسائل فى أداء هذه الواجبات أو الأداة اللازمة لأدائها ، ولكن الذى لا مرية فيه أنه إذا لم يشرع العاملون على تنمية موارد الامبراطورية فى عملهم بمثل هذا الروح الذى وصفناه وهم عاملون بما فى وسعهم أن يصلوا إليه بمجهودهم ، إذا لم يفعلوا ذلك فان الأمل قليل فى بقاء الامبراطورية البريطانية كهيئة سياسية عاملة . لقد أخذت هذه الامبراطورية تسير بعد الحرب نحو الانحلال السلمى بخطى سريعة ، وإذا ظلت تسير فى هذه السبيل كان ذلك دليـلاً على افلاس السياسة البريطانية

ولقد كان من نتائج شعور الامبراطورية بحاجتها الى سياسة تعاون قوميـة أن وضعت عدة اقتراحات ترمى كلها الى تدعيم وحدتها بتقوية الروابط المـالية بين أجزائها المختلفة . ومن هذه الاقتراحات أن تترك الأملاك المستقلة والهنـد سياسة الاكتفاء بالنفس من الناحية الاقتصادية أو تعدلها بعض التعديل على أن تعود الامبراطورية مجتمعة الى السياسة التى كانت تسير عليها بين عام ١٦٦٠ وثورة المستعمرات الأمريكية فتبدأ باقامة سياج جمركى حول الامبراطورية كلها بصد تجارة البلاد غير البريطانية ثم يتبع فى داخل هذا السياج بالتدريج نظام التجارة الامبراطورية الحرة . ويرجو أنصار هذا الرأى أن تؤدى هـذه الوسائل الى تمكين الامبراطورية البريطانية بصفة عامة من الاكتفاء بنفسها وهو ما تعجز عنه بريطانيا وحدها بطبيعة الحال . وبذلك تصبح الامبراطورية وحدة مالية على نمط الولايات المتحدة الأمريكية وتحقق الفكرة التى يدعو إليها بعضهم لتكون علاجاً لما نزل بأوربا من الكوارث وهو انشاء ولايات متحدة أوربية وان كان الأمل فى تحقيق هذه الفكرة ضعيفاً . على أن الصعاب القائمة فى وجه هـذا المشروع البريطانى كبيرة جمة . منها أن الأملاك المستقلة والهند لم تظهر دليلاً على استعدادها لترك سياسة الاكتفاء بالنفس التى تسير عليها أو تسمح بدخول البضائع البريطانية التى تنافس منتجاتها الى بلادها ، ومنها أن الرخاء الذى تتمتع به معظم البلاد التابعـة للامبراطورية ناشئ من قدرتها على الاتجار بكامل حريتها مع جميع بلاد العالم وأن الأمم التجارية الأخرى تعارض فى نقص هذه السياسة . وزيادة على ذلك فان المعاهدات تحتم على كثير من الأملاك البريطانية وبخاصة ما كان منها تحت الانتداب أن تسوى بين بضائع جميع الأمم فى بلادها وحتى إذا أمكن التغلب على هـذه الصعاب فان كثيرين من الناس يعتقدون أن الامبراطورية إذ استحالت وحدة مالية مستقلة عن غيرها أصبحت سبباً للاحتكاك والحرب بدل أن تكون عاملاً من عوامل السلم ، وإن اتباع سياسة الاكتفاء بالنفس والاستقلال عن الغير الى هذا الحد الكبير يجر الخراب على العالم ، ومن الناس من يعتقد أن بريطانيا نفسها لا تستطيع وهى آمنة أن تغامر هذه المغامرة الخطرة فتضحى بثلثى تجارتها مع البلدان الأجنبية لكى تنمى الثلث الباقى وهو تجارتها مع سائر أجزاء الامبراطورية

على أن الجدل الذى قام حول هذه المشكلة المالية لا يمت بصلة إلى المشكلة الأخرى الكبيرة التى قد تطغى عليها المشكلة المالية وهى : هل يسمح أن تستمر عملية التفكك التى يلوح أنها أخذت تدب فى جسم الامبراطورية بعد الحرب دون أن تتخذ الوسائل لوقفها عند حد ؟ وهل تستمر الامبراطورية على أنها أخوة من الأمم لا يرتبط بعضها ببعض إلا برباط العواطف وأن يكون مافيها من أداة للتعاون أقل صلاحاً للعمل من أداة عصبة الأمم وهى الهيئة التى ليس بين أعضائها من الروابط ما بين أجزاء الامبراطورية ؟ أو هل يستطاع إيجاد وسائط للتشاور والاشتراك فى السياسة

# مقطوعات شعرية

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

---

### صلاح الحياة أم غايتها

قل كيف نحيا ولا تقل لى   ما حكمة العيش والبقاء؟
فمطلب للعلاء يحدو   وآخر كله عناء
كم سأل السائلون قدماً   ما الكون ما العيش ما الفناء
مسألة مالها جواب   وليس يُلفَى لها غناء
كساخط من طروق داء   وتارك خلفه الدواء

### ود الأسى

يا رفاقاً طالما أنسيتهمُ   لذةُ العيش حزيناً . يا رفاق
قدوجدت الصدق فى ود الأسى   مِقَةُ اللذات كسب ونفاق

### غبى ذكى

يا غبياً رأى الذكاء شقاء   ورأى النحس أن يكون أريبا
أنت أذكى من الذكىّ الذى يحـ   ـيا شقياً لكى يكون أديبا
وإذا كانت الغباوة نعمى   فمن الحمق أن تكون لبيبا (١)

(١) للمعرى ولاسكندر بوب مثل هذا المعنى

---

الخارجية والدفاع وحكم الشعوب المتأخرة وما اضطلعت به من إنماء موارد البلاد الواسعة من غير أن يمس ذلك استقلال أعضائها الداخلى بحال من الأحوال ؟ إن هذا النظام إذا أنشئ لا يتعارض بطبيعة الحال مع الأغراض التى قامت من أجلها عصبة الأمم بل يقوى بناءها ويمكن أساسها ، كما أنه لا يزيد فى أخطار الاحتكاك والنزاع إلا إذا اتبعت فيه سياسة العزلة التجارية . ولن يكون له إلا معنى واحد وهو أن أكبر إخاء من الشعوب المختلفة رآه العالم فى تاريخ حياته يستخدم ما يخوله التعاون من قوة فى استثمار موارد ربع أنحاء المعمورة وتهيئة هذه الموارد لخير هذا الاخاء ولخير العالم المتمدين كله ولترقية الشعوب المتأخرة

ليس بين المشاكل التى خلفتها الحرب وتركتها من غير حل أعقد من هذه المشكلة وأعصى منها على الحل .

محمد بدران

### البصير الأعمى

يا قلب صبراً ولا تعتب على قسَم
قد استوى الناس فى عتب على القِسَمِ
الحظ أعمى لدى من لم ينلْ أرباً   وهو البصير لدى من فاز بالنعم

### خطة الضعة

فى كل نفس من نفوس الورى   شىء من الحقد وسوء الظنون
إن كَذَّبَ المُثنى على نفسه   صَدَّقَ من يُزْرى بفضل القرين
لذاك يُعلى الخب من نفسه   إن هَدَّ من فضلٍ بمدح قمين (١)
أكثر من إعلائه نفسه   بأن يزكى النفس عند الفطين

### ناجح

كل بِشْرٍ منه فَخٌّ   كل لفظ منه غدرْ
بلغ النجحَ بلؤم   إن بعض النجح وِزْرْ

### الكذب

للكذب فى الناس أوساط مُجَنَّحةٌ
والصدق يسعى لديهم كالسُلَحفاةِ
يهوون مالا يسيغ العقل من كذب
وينبذ الحق من حرص المجاراة
كأنما الكذب ملح يستلذ به   طهى الحديث وإشباع السخيمات (٢)

### اخفاء السريرة بالنطق

أتحسب أن الله أعطاك منطقاً
لتبسط من لغو الكلام على الصدق
وإن لسانا بين فكيك ناطق   لاخفاء مادون السريرة بالنطق
وتكتم ماقد يُظهِر الوجه أمرَه   بقولك قولاً باطلاً مشبه الحق

### عجائب الحقد

عجبت للمرء فى بغض وفى مِقَةٍ   هما العجيبان إن آخى وحين عدا
يرمى النِّفَايَةَ لا يبغى لها ثمناً   حتى إذا ماحواها راغب حسدا
ويغفر الذنب من إحسان فاعله   حتى إذا ما انقدت آلاؤه حقدا

### فخر الناجح

قبيح نجاح المرء إن هو شانه   بفخر فلا يقْبُح نجاحك بالفخر

(١) جدير   (٢) الأحقاد

كأن لم يكن أهلاً له حين ناله
هو الصمت قد يُطرى إذ الفخر لا يطرى

جلا منه عيب النفس من بعد ستره
كذاك حديث العهد بالمال واليسر

ويارُبّ نُجْحٍ يسلب المرء رشده ... ويبدى خصالاً منه تقتل أو تُزرى

**نزالة الحسد**

عدوك مرجوٌّ فان كان حاسداً ... فلا رحمة ترجى لديه ولا عدل
وليس بنذل كل من صال أو عدا ... وتاب ولكن الحسود هو النذل

**مغفل لمغفل**

قالوا الأنام إذا اختبرت أمورهم ... وبلوت من أحوالهم ما يبتلى :
غر يخادعه لئيم عاقل ... ولبئس حظ المرء إن لم يعقل
كذبوا ، فما عيش الأنام وهزله ... إلا خداع مغفَّلٍ لمغفل
يتهارشون على الحياة ورجسها
فعل الكلاب على خبيث المأكل

عبد الرحمن شكرى

---

# جهاد فلسطين

## للأستاذ أمجد الطرابلسى

ثارَ فهل تستطيعُ إخمادَهُ ... عزمٌ أراد اللهُ إيقادَهُ
لا يأتلى مُضطرِماً لاهِباً ... أو يلقفَ الظُّلمَ وأجناده
ويصرعَ البغىَ وأنصارهُ ... ويحطِمَ الذُّلَّ وأصفاده
قد وَثَبَ الشعبُ يردُّ الأذى ... وينزِعُ الغُلَّ الذى آدَهُ
يُرخِصُ للأوطانِ آمالَهُ ... طوعاً ، وَدُنياهُ وأولاده
والدَّمَ فوَّاراً يُروّى الحمى ... أغوارَهُ العطشى وأنجاده
يسكُبُهُ كلُّ فتًى سيِّدٍ ... لا يرهبُ البَغىَ وإيعاده
الدَّمُ فى أعراقهِ صارخٌ ... يدعوهُ أن يبعثَ أمجاده
والثأرُ فى خَفَّاقهِ ثائرٌ ... يدعوهُ أن يُطفِئَ أحقاده
والسيفُ،قبل النصر، فى كفِّه ... أقسم لا يسكنُ أغماده
أما سمعتم أمسِ تَزْآرَهُ ... يُطبّقُ الأرضَ ، وإرعاده
ذاكم وَعيدُ اللَّيثِ ؛ ويلٌ لمن ... يتبعُ الغابَ يصطاده
تمزّقُ العادىَ أنيابُهُ ... وقد يصيدُ الليثُ صيّاده

* * *

قومى فِلَسطينُ على المعتدى ... وقَوِّمى بالحقِّ مُنآده
قومى على الذلِّ ، على واغلٍ ... سِيمَ هوانَ الذلِّ فاعتاده
قد تخِذَ الختْلَ إلهًا له ... والمالَ والباطِلَ أعضادَه
قومى فإن النصر ما علّهُ ... مِثلُ دَمِ الأحرارِ أوجاده
غيرُ دمِ الأحرارِ لا يُزْهِقُ الـ ... بَغىَ ولا يحطِمُ أقياده
غيرُ دمِ الأحرارِ لا ينقعُ الـ ... ثأرَ ولا يُطفِئُ وَقّاده
غيرُ دمِ الأحرارِ لا يبعثُ الـ ... مَجدَ ولا ينشُرُ أعياده

* * *

قومى فهل أمجدُ من أمّةٍ ... لا ترهبُ الجوْرَ وإزباده
قومى فهل أخلَدُ ممن قضى ... فشادَ للتاريخ ما شاده
ماتَ ليحيا وَطَنٌ مُرْهَقٌ ... عانٍ يريد اللهُ إسعادَه
قومى وَغنّينا نشيد الرَّدى ... لا تسأمى فى النقع ترداده
فالموتُ للمغلولِ حُرِّيةٌ ... والموتُ لا يمنعُ وُرّاده
يأيها العادِى رَبيبَ الأذى ... يا عِترةَ الشرِّ وأنداده
يا شيعةَ الغدرِ وأنصارَهُ ... يا عصبةَ المال وعبّاده
القبلةُ الاولى ، على جودِها ، ... لا تُكْرِمُ الذُّلَّ وأحفاده
لا تنزِلُ الشذّاذَ ، فى قُدْسِها ... طرائدَ الغربِ وأوغاده
من ذا الذى ارتادَ لكم مَنزلاً ... فى الشامِ ؟ إن القبرَ ما ارتاده !
زُمّوا رِحالَ الشؤمِ من قبل أن ... نبتلع الظلمَ وأسناده
فازَ الذى يجمع أطماره ... للبَيْنِ ، أو ينزِعُ أوتاده
الغِيلُ من يجعلُهُ دارَهُ ؟ ... والشُّمُّ من يجعلُهُ زاده ؟
غرّتكمُ استجمامةٌ للحِمى ... فَخِلتُمُ للهُونِ اخلادَه
والغابُ لا تسطيعُ إخضاعَهُ ... حتى تَخطى قبلُ آساده

* * *

# القصص

من الحياة

## أهل ووطن

للأستاذ كامل محمود حبيب

أرخى الليل أستاره السود القاتمة على دنيا غضبى تزمجر فى صوت عاصفة هوجاء ، وسماء ينهمر منها سيل دافق ، وقد قرّ كل انسان فى داره ، ونامت الحياة فى كل حىّ ، والفتى جالس الى موقد فى زاوية الحجرة ، تغمره لُجة من الأفكار المضطربة ، والخواطر المتناقضة ، فتحجبه عن دنيا الناس . لقد رأى نفسه تعصف بها حادثات الأيام فتذرها بددا ، فان مدّ يده ليجمع أشتاتها لم يجد منها الاّ صُبابة من نفس لا تستطيع أن تَرد اليه

---

يا عربُ هيا فانصروا مَوْطِنًا    للعُرْبِ ، هاجَ القِدُّ أفراده
هناكَ شعبٌ عربىُّ الهوى    يحاوِلُ الغاصبُ إنفاده
يسومُهُ الخسْفَ وأغلالَهُ    ويدَّعى بالنـــارِ إرشاده
ثارَ على ظُلاّمِهِ مُكرِمًا    تُراثَه الأسمى وأجداده
مجاهــداً أقسمَ لا ينثنى    أو تُعْتِقَ الأطواقُ أجياده
شعبُ فلَسْطين يناديكم    مُستبسِلاً ، يصرَعُ جلاّده
تُدَمِّرُ النيرانُ أبياتَهَ    وتحصُدُ الأسيافُ أجساده
أخاكُمُ يا قوم ! لا تُهمِلوا    إرفاده اليوْمَ وإمداده
رِقّوا لِبَلْواهُ وَثوروا لهُ    حتى يُبيدَ الحقُّ أضداده
فَذُلُّهُ تُكسَوْنَ أبرادَهُ    ونَصرُهُ تَجنونَ أورادَهُ

أمجد الطرابلسى

---

جمال الحياة التى عاش شطراً منها بين أهله وذويه ، فى وطنه الأول حيث ملاعب الطفولة ومراتع الشباب . وجاءته الذكريات من أقصى الطفولة تحمل على أجنحتها لذائذ ولذائذ لتنصبّ فى قلبه هموماً وهموماً ، واضطربت جوانح الفتى أن وقف خياله عند الساعة التى أُفزع فيها عن وطنه وأهله فبكى بكاء الثكلى تفقد صبرها حين تفقد قلبها . ما الذى أزعجك عن وكرك أيها الطير وأنت ناعم على فنن تغرّد ، ترى كل مباهج الحياة عند هذا العش الصغير ؟ لقد ضاقت بك الدنيا لأنك تركت قلبك هناك ... هناك فى هذا العش ... !

لم يكن الفتى كَلاًّ على أحد ، ولم يكن معدماً ، ولم يكن ضعيفاً ولا عاجزاً ، ولكنه هجر وطنه وأهله حين لم يجد فيها جمال الوطن ولا عطف الأهل ، وحين لم يجد بين أهله قلباً كقلب أبيه ينبض له نبضات الحنان والرحمة ، ولا رجلاً فى رجولته يفيض عليه من بسمات نور الحياة وجمالها . ووقف خيال الفتى عند الساعة التى همّ فيها يفارق وطنه وأهله تتجاذبه عاطفتان : قلبه من خلف ، وتأبِّيه أن يقيم على الضيم من أمام ! ثم غلبته كبرياؤه فانصاع لها تقوده الى حيث يجد أهلاً غير أهله ، ووطناً غير وطنه ؛ أو لا يجد ...

ماذا كان ؟ ماذا كان أيها المنزوى فى ناحية من حجرة تحدث نفسك حديث الماضى ؟

***

مرض الفتى فراح يَطبّ لمرضه فى عزم الشباب وقوته ، وأريد على أن يلبث فى مستشفى حيناً ، فما خاطب أهله فى شأنه ، وغاب عنه أن المرض ألم فى الجسم وقلق فى النفس ، وأن الشفاء يحمل الى المريض على كفين : كف الأسى وكف الطبيب معاً

لقد خاف — بادئ الرأى — أن يفزع أهله ان ساق اليهم الخبر فى صورته المزعجة ، فاستأنى حتى ينزع الطبيب مشرطه ،

ليرسل إليهم خبراً هادئاً فيفـدون على مهـل . ونفض جملة حاله أمام ابن عمه الشاب فلم ير هذا فى حديثه إلا صفحة من الاعتداد بالذات ، والتفانى فى الوثوق بالنفس ؛ ثم نظر اليه نظرات ذات معنى وقل : « أيضيرك أن تستعيهم على مرضك ووحدتك ؟ » فقال الفتى : « لا ضير ؛ غير أنى أريد أن أفجأهم بالخبر » قال الشاب « أفترانى أملأ فراغ قلبك حيناً من الدهر ؟ » قال : « ولِمَ لا وقد عرفتك منذ نشأتى تفيض عطفاً وحنانا ، وتسدى النصيحة خالصة للحب وللقرابة ، وتنير لى طريق الحياة بحكمتك فأسير فى سنا ضوء عقلك . لقد كنت لى جماعة فى فرد . والآن ... والآن أريد أن أعرفك فى مرض . » فصمت الشاب وقد حمَّله الفتى العبء وحده ...

***

وحمل البرق رسالة الشاب « فتاكم فى مستشفى ( كذا ) يطب لمرضه وينتظر قدومكم ، لا خوف ... » ثم انطلق الشاب يحمل الى مريضه خبر الرسالة

هل وعى المريض ما قاله الشاب الباسم ؟ لقد كانت وخزات الجرح تنفذ الى قلبه فى مثل طعنات الخنجر وهو يصمد لها فى ثبات وصبر ، وعلى وجهه علامات الضجر ؛ وكان العَرق ينضح من جبينه بارداً غزيراً ليرسم عليه صورة ناطقة لآلامه ومتاعبه . واربد وجه الشاب حين رأى الفتى تتعاوره الآلام ، وتتناهبـه الأسقام ، ثم ابتسم فى رقة وهدوء ليداعب صاحبه وينزعه من آهاته العميقـة ، ولـكنه كان يجهد نفسه ليرتد اليـه جهده خائباً مخذولاً

وفى أنة المحزون انقلب المريض الى ابن عمه الشاب يقول : « ماذا فعلتَ ؟ ما ذا فعلتَ ؟ انى أريد اخوتى وأعمامى وأهلى ... آه ما شـعرت بالوحدة كاليوم ... ! » ورن صدى هذا الصوت الضعيف فى قلب الشاب طعنات من يد القدر فراح يقول له ...

***

ومضى يوم ويومان وثلاثة ... ويد الطبيب تمر رفيقة على جرح المريض فيلتئم صدع منه على صدع ، وتنفرج فى قلبه صدوع وصدوع ، لأنه لم يفز بعد برؤية أحد أقربائه ؛ ولم يستشعر الحنان الا من قلب هـذا الشاب الذى يختلس من أوقات عمله فترات من فراغ يقضيها الى جانب مريضه يواسيه ويعطف عليه ويحمل اليـه — فيما يحمل — هدية صغيرة ، تنتزعه حيناً من أفـكاره المظلمة ...

واستطاع الفتى أن يجلس الى ابن عمه يحدثه : « ما ذا جرى كأنك لم تقص على أهلى خبرى . لقد مضى أسبوع ولم يزرنى سواك . انك تملأ قلبى سلوة وعزاء بجمال جلساتك القصيرة ، ولـكن ... » وراح الشاب يتلمس لأهـله الأعذار : « من ذا يستطيع أن يقول سأفعل ... لعل حادثاً لم يترام الينا خبره حال بينهم وبيننا ... واضطربت الـكلمات على شفتى الشاب حين أراد أن ينزع عن صاحبه بعض أفكاره ، وحين أراد أن يقول له إنه أصاب الهدوء والراحة حين عاقهم ما عاقهم عن أن يسرعوا اليه . اضطربت الـكلمات على شفتيه لأنه كان يسمع من أقصى ضميره صوتاً يقول : « أن لا عذر . . . لا عذر اليوم ! » وكان يرى فى إبطائهم استخفافاً وامتهاناً ، غير أن حكمته أبت إلا أن تسدل على عينى الفتى ستاراً من الوهم . وما كان للفتى أن يسمع ، وان سمع فما كان له أن يصدق ، فهو وحده يشعر بالوحدة حين يخلو الى نفسه ، وهو وحده يحس ألم الصدمة . لقد أراد أن يفجأهم بخبر هادئ فانصرمت أيام وما رآهم . وتماثل العليل للشفاء ، وهمَّ يريد داراً غير هذه ولم ير منهم أحداً . يا ويح هذا الفتى ! لقد راح يطلب الشفاء من علة فى جسمه ، فملأت الأيام قلبه عللا سلبته لذة الشفاء

***

وجلس الفتى الى عمه يعاتبه : « أفـكان من العطف أن أنبذ فى حجرة ، وحيداً ، متألماً ، مريضاً ، أقاسى ما أقاسى فلا أجد منكم من يزورنى أو يكتب الىّ ؟ لقد كان أبى منكم بالمكان الذى تعرفونه ، وكنت من أبى من تعرفون ؛ أفلا ترعون حقه فى ابنه الملقى على سرير فى حجرة موحشة لا يجد من يواسيه الا ابن عمه الشاب ؟ » وأحس العم عظم الخطيئة فراح يعتذر : « لقد حجبنا عنك موت احدى قريباتك » وانطلق الفتى يقول : « لقد سعيتم الى الميت وقـد انتهى ، ولبثتم حول قبره أياماً تبكون ، لتتركوا الحى الذى لا هو بالحى ولا هو بالميت يستروح نسمات الحياة منكم فما يجدها . أفبعد هذا تزعمون ، وتزعمون ... ؟ » وسبقت زلة من لسان العم : « ولـكن ... ان لك لهنات ! » فأسقط فى يد

الفتى أن سمع عمه يتشفى ، وآلمه أن ينتقم أهله . لقد زل الفتى مرة وكل فتى يزل ، وما كان لهم أن يعاقبوه وهو يحن الى بعض عطفهم ، وما كان لهم أن ينبذوه فى الهاجرة وهو المشوق الى فىء ظلهم . أى أهل ؟ وأى انسانية ؟ واندفع الفتى المغيظ : « هذا وقت تنسى الهنات ، وتنطوى الزلات . ان لى لهنات لأنى لم أبلغ سنّ العقل ، ولكم أخرى لأنكم لم تبذلوا النصيحة . ولقد كفانى أن تبدى لى الأيام ما كان خافياً ، وان تكشف لى الشدائد عن أشياء كنت أجهلها ، وعن أخلاق ظننتكم تترفعون عنها ... »
ثم غمرت الفتى آلامه فأمسك ، وترقرقت فى عينيه عبرة حبستها الكبرياء فما تبرح ، غير أن أحزانه ثارت فى نفسه فقال : « لقد ظننتكم أهلى ، وركنت اليكم لأنكم أهلى ، وشمت الخير فيكم لأنكم أهلى . أما الآن فيا خيبة الرجاء ويا ضيعة الأمل ! »

وثرت فى العم سورة من غضب أن رأى الفتى الطائش يلومه فيشتد فى اللوم ، ويعاتبه فيسرف فى العتاب ، وألمّ أن يقع بينهما تنابذ ، ولكن الفتى كان قد صهرته الفكرة فى بوتقة من الأحزان حين رأى عمه يتعلق بأوهى الأسباب بعد إذ عاقبه أهله على غير جريرة ، فى جفاء وغلظة ، فرجع الى نفسه يحدثها ويرغمها على أن تلقى السلم ، فألقت واضطربت الخواطر فى رأس الفتى ، فتركته موزعا ينحى على نفسه باللائمة أن قل ..

ولشد ما آلمه أن يكون هو ابن أبيه ، ووحيده ، واقتراحه على الله حين أعجزته الأيام عن أن يكون له ولد ، والأمل الباسم فى شيخوخة الشيخ وهو يدبّ على عصاه فى طريق الفناء ؛ ثم يرى أهله ينبذونه فى مستشفى ، ملقى على سرير ، فى حجرة موحشة ، لا يأنس الا بوجه ابن عمه الشاب عصر كل يوم ، ثم هم يغلظون له فى الحديث ، ويشتطون فى العقاب . ولشد ما أحزنه ألاّ يكون له فى هذا العالم الا ابن عمه يحنو عليه ، وينظر اليه نظرات فيها العزاء وفيها السلوة ، ويدخل الى نفسه بكلام فى رقة الأصيل لينسيه بعض ما همه ؛ وهو كان يرى — عن كثب — الفتى أو الشيخ من أسرته يصيبه بعض ما أصابه هو فينطلق اليه أبناء الأسرة زمراً زمراً يواسونه ، ويعطفون عليه ، وينزعون عنه آلامه وأحزانه . أما هو ... أما هو ... !

وتناهبته الآلام : آلام المرض ، وآلام الوحشة ، وآلام عزوف أهله عنه ، فأخفى ضعفه المنسكب من عينيه فى منديل

* * *

وخرج الفتى من لدن عمه مطوياً على آلام مبرحة تحز فى نفسه ، وتعض على قلبه حين رأى قلوباً تأكلها أحقادها ، وعقولا تعصف بها ترّهاتها ، وضاقت الدنيا فى عينيه حين انهار مثله الأعلى حجراً حجراً بعد ما رأى من عمه وما سمع ، فهام على وجهه يطلب الفُسحة فى أرض الله ...

وهبت أول نسمة من نسمات الفجر تشهد قلباً كبيرا ينزح عن وطنه ، ويهجر أهله الى حيث تتقاذفه مطارح النوى ، الى حيث لا ينبض لذكره قلب ...

وانصرمت سنون ألبست الفتى شيخوخة باكرة ، ورسمت على فوديه آثار حادثة مروعة استقرت فى خياله فما تريم ، لقد سكن الى وطن وأهل غير وطنه وأهله ، وقلبه ما يزال عند الساعة التى أفزع فيها عن وطنه وأهله يبكى ويبكى ...

ليتك نسيت أيها المنزوى فى ناحية من حجرة تحدث نفسك حديث الماضى ، ليتك نسيت أنك كنت ... !

كامل محمود حبيب

مأساة من سوفوكليس

# ٣ - أنتيجــــونى

للأستاذ دريني خشبة

— ٦ —

« تدخل إسمنيه فيخاطبها الملك »

— « ها ! هلا ! أيتها الحية الرقطاء التي ما تبرح تتحوى هي وأختها تحت عرشي ! ماذا عندك من سموم تنفثينها ؟ خبرى ! ألست ذات ضلع في هـذه المأساة ؟ أم انك ستحلفين بأغلظ الايمان أنك لا تعرفين منها قـلاً ولا كثراً ؟ »

— « إن كانت هي قد حدَّثت عنى بشيء ، فأنا شريكتها في كل شيء ، ولن أقول شيئاً أتحلل به من نصيبي في القصاص !

فتقول أنتيجونى : « حاشا ! تأبى العـدالة أن يحمل البرىء وزر الجانى ! أنا وحدى اضطلعت بكل شيء ، ولقد رفضت أن أشركك في أى شيء ! »

— « ولـكنى لن أدعك في تلك الملمة وحدك ! »

— « الحنان من طرف اللسان لا يعنيني يا أختاه ! الآلهـة وحدها تعلم من فعل الفعلة »

— « أوه ! أنت تأبين على أن أقاسمك شرف الموت معك من أجل شقيق ! »

— « لا ينبغى أن تموتى معى من أجل شيء لم تجنيه ! حسب أخى أن تموت أخت له واحدة في سبيله ! »

— « وماذا أسيغ من مباهج الحياة بعدك يا أختاه ! »

— « سلى كريون يجبك ! إنه كفيل لك بكل هذه المباهج ! »

— « وماذا يسرك من إيلامى ووخزى هكذا ؟ ! »

— « قلبى مفعم بالألم ، ومن أجل ذلك فشفتاىَ تضحكان عليك ! »

— « وهل لك حاجة أستطيع أن أؤديها لك الآن يا أختاه ؟ »

— « أجل ! حاجتى إليك أن تنجى بحياتك ! »

— « وا أسـفاه ! أهكذا يحال بينى وبين مشاركتك هذا المجد ؟ »

— « ولِمَ ؟ قد اخترت الحياة ، أما أنا فقد فضلت الموت ! »

— « لقد نصحت لك ! »

— « أجل ! لقد نصحت لى ! وقد يحمد لك تيهك في هذا العالم الفانى ، أما أنا ، فستحمد لى الآلهة تفانىَّ وحكمتى في العالم الباقى ! »

— « ولـكننا سيان في هذه الزلة

— « لاتنزعجى يا عزيزتى ! ستعيشين طويلاً ! أما أنا ، فقد قدمت حياتى قرباناً للموتى منذ زمن طويل . واذ يبلغ حوارهما هذا الحد ، يقول الملك : « إحدى الفتاتين قد فقدت صوابها كله ، أما الأخرى ... فلا صواب في رأسها البتة ! !

فتقول إسمنيه : « مولاى ! في مثل هذه المحنة لا يملك أحد صوابه ! »

فيقول الملك : « على كل حال لقد فقدتِ صوابك بمحاولتك مشاركة هذه المجرمة في إجرامها !

— « وما قيمة الحياة لدى إذا فقدت أختى يا مولاى ؟

— « لا تقولى أختى ! إنها لا شيء ! لا شيء منذ الآن !

— « ماذا ! ! أتقتل خطيبة ولدك ؟ أتقتل أنتيجونى ؟ »

— « النساء كثير يا إسمنيه ! »

— « والحب ! ! الحب الذى ألّف بين قلبيهما يا مولاى ؟ »

— « ومن يبتغى رفيق إفك وعرس خبث لولده ؟ »

وما يكاد الملك يقولها حتى تنتفض أنتيجونى انتفاضة هائلة وتقول :

— « هايمون ! حبيبى هايمون ! كم ذا يسيء أبوك اليك ! »

فيقول الملك : « بل أنت وزيجتك النكراء شجو على ، وظلام في حياتى !

ويتساءل رئيس المنشدين : « وهل تفصل بينهما يا مولاى ؟ أتحول بينها وبين ولدك ؟ »

فيقول الملك : « انه الموت وحده سيحول بينهما ! »

— « اذن ... انقشعت سحب الريب ! ستقتل الفتاة ! »

— « ما في ذلك شك ! ايها الجنود ! هلموا بها الى السجر ! ستذوب شجاعتها حين يقترب الموت من عينها العنيدتين ... »

« يقودها الجنود إلى الهياكل وتذهب إسمنيه في إثرها »

— ٧ —

ويأخذ المنشدون في نشـيد طويل حلو ملىء بالعبرة مبلل

بالدموع ، ويذكرون محنـة بيت قدموس منشىء طيبة وجد أوديب ، ثم يرتلون صلاة شعرية لزيوس مايوشكون يفرغون منها حتى يقبـل هايمون المسكين العاشق — خطيب أنتيجونى — فيخاطب رئيس الخورس الملك قائلاً :

— « هايمون أيها الملك ! ولدك الأوحد ، وآخر عُسلوج فى دوحتك ! ها هو ذا مقبلا وقد حطمه الهم ، وهدمته المصيبة الفادحة . . . أوه ! إنه يبكى ! ياللآلهة ! أيذرف الدمع من أجل حبيبته ... الضحية ؟ أم هو قد جاء يلتمس منها نظرة للوداع ؟! »

« يدخل هايمون »

— « من يستطيع أن يحدس ؟ سنعلم كل شىء فانتظر . ( مخاطباً ولده ) أحق يا بنى أنك جئت الى هنا مدفوعاً بثورة من الهم مما آل اليه أمر خطيبتك ؟ أكبر ظنى أن حبك اباك سيرجح عندك كل حب ، وطاعتك اياه ستبرر لديك تصرفاته مهما تكن ! »

ويصبر قليلاً كمن جف لسانه من الظمأ والغشية ، ويقول : « أنا ابنك يا أبتاه ! سأخضع لكل ما ترى من رأى ، وان أوثر على محبتك أجمل حسان الخلد »

— « بورك فيك يا ولدى ! لقد كان هذا أكبر رجائى فى رجاحة عقلك وعظم قلبك ! إنه ليس أحب إلى الآباء من ذرية صالحة طيّبة يخزون بها الأعداء ، ويسرون بها الأصدقاء ؛ وإنى لأثق أن هايمون اللبيب لن يفقد صوابه من أجل امرأة ! اسحقها يا بنى كما تسحق ألد أعدائك ، وابعث بروحها الشريرة تبحث لها عن زوج شرير فى ظلال هيدز ! ! لقد ثارت وحدها على الملك وعلى مجلس طيبة ، وقد صممنا على إعدامها من أجل ذلك ، ولن ننكص على أعقابنا فيما أبرمنا ! إننا هنا لا يُملى علينا ونحن أصحاب الأمر والنهى ، وقد ركزت المدينة الخالدة سلطانها المبين فى شخصنا فيجب أن نُطاع إطلاقاً ولو كانت أوامرنا ضرباً من الشطط ... إنه لا يهدم عظمة الشعوب كقيام الرعية ضد ملوكها ولا يهزم الجيش العرمرم ذا الأيد كعصيان جنوده قواده ! وسيرى الجميع أننى هنا لأحمى القانون ، وأننى لست هنا لأذل أو أتقهقر امام امرأة ! »

ويقترب رئيس الخورس من الملك فيقول : « الحق قلت ، والحق دائماً تقول ! »

ويتقدم هايمون الى أبيه الملك ، ويشهق شهقة هادئة ويقول :

— « مولاى ! السداد بذرة صالحة تغرسها الآلهة فى نفوس الصالحين : ألا كبرت كلمة أن أقول انك أخطأت يا أبى ! ولكنى كابنك الأمين أرى لزاماً على أن أتقصى أقوال الناس وأفعالهم ، بل وآراءهم أيضاً فى ملكى الذى هو والدى ؛ وأكبر ظنى أن سلطان الملك يلجم أفواه الناس فما يحيرون ؛ بيد أننى سمعت همساً أن الطيبيين على بكرة أبيهم يذرفون الدمع مدراراً من أجل الفتاة التى أمرت باعدامها ، وأنهم يرون فى قضية القتيل رأيها ويؤيدونها كل التأييد . على أنها ماذا صنعت هذه الفتاة ؟! لقد دفنت أخاها الذى غودر مضرجا بدمه ، معفرا بثرى الجابة ، وأشفقت أن تدعه لكلاب الفلاة وبواشق الطير تنوشه وتغتذى به .... ألا وآلهـة الأولمب إنها بالمكافأة أخلق ، وبالعطف والاعجاب أحرى ! بذلك تتاجلج ألسن القوم يا أبتاه ، وهم يرددونه فى كل مكان ، فمن لك بمن يبلغك أقاويلهم غير ابنك الذى يحرص على سمعتك ونقائك كما تجهد أنت أن تبنى له مستقبله وشهرته !! أبدا لا تسمع للذين يفتنونك عن نفسك حين يقولون لك انك لا تعمل الا الصواب ولا تنطق عن الهوى .: فمثل ذلك لا يكون بشراً ، فى حين يخطىء البشر ويصيبون ! ألا وان من يدعى أنه أحكم الناس واطيبهم كلة يتكشف لك اذا خبرته عن خواء ، وعن فؤاد هواء ! أبى ! ليس فى الاصاخة للحق ما يُخجل ، ولا فى الرجوع عن الخطل ما يخزى ! ألا وان أضعف الكلأ ليقف لسيل العرم لأنه يلين له ، فى حين يجرف سيل العرم أذهب الدوح فى السماء لأنه يأبى أن يلين لشىء ! ألا وان الملاح الذى لا يرخى العنان لهوج الرياح يكسر قلاعه ويفقد فى اللجة آماله ، فأى عار فى أن تلين يا أعز الآباء ؟ ! اننى ما أدعى الحكمة ، ولا أقول بعلم كل شى ، ولكنك غذوتنى ، ونشأتنى على الرأى السديد والتبصر ، فأنا أعظك أن تكون ممن لا يرى الا رأيه ، أو يتبع هواه فيردى ! »

ويلمح رئيس الخورس وجوماً بين الأب وابنه فيتدخل قائلاً :

— « مولاى ! لا ضير أن تصغى لما فى نصيحته من حق وانت يا هايمون ينبغى أن تنتفع بتجاريب مولاك ! »

فيقول الملك : « ها ... هاها ... بعد هذه السنين وذلك

الشيب يرشدنا هذا الصبى الطرير !! »

فيقول هايمون : « بما هو حق فحسب ؟ ولا حساب لسنين فى ضرورة تنزل بك قاهرة ! »

— « وأى ضرورة فى أن تلوذ بأذيال الثائرين ؟ »

— « أبداً لم ألذ بأذيال مجرم أفاق يا أبى ! »

— «وله ؟ أليست قد نهضت عليها الأدلة ودمغتها البراهين»

— « حاشا ! إن طيبة كلها تنكر ذلك ؟ ! »

— « وهل طيبة تحكمنى أم أنا الذى أحكم طيبة ؟ »

— « فى الحق انها هى ... لولا أن تسفه نعومة سنى وتنسبنى للنزق !

— « أى ان آخرين يشركوننى فى أمرى ؟ ! »

— « ان رجلاً بمفرده لا يقوم مقام مدينة بأسرها يا أبى ! »

— « أو ليست كل مدينة فى قبضة ملكها ؟ »

— « هذا اذا كان الملك يحكم كثباناً فى صحراء !

ويكون الملك قد عيل صبره فيقول :

— « اذن ... أنت حامى المرأة أيها البطل الصغير ؟ »

— أنت هو المرأة ! ... وأنت وحدك الذى تعنينى ! ! »

— « وقح ! ! تأبى إلا أن تناقش أباك ... سفسطة ! ! »

— « بل أجهد أن أردك عن التمادى فى خطئك ! »

— « وأى خطأ فى أن أؤيد سلطانى وأحفظ وقارى ؟ »

— « وأى وقار فى تحقير الآلهة ؟ »

— « أيها الشرير ! يا من تأخذ بزمامك امرأة ؟ »

— « أجل ... ولكنها لن تقودنى الى مفسدة ! »

— « ولذا بذلت لها دفاعك ! »

— « بل بذلته لك ولى ... وبذلته من أجل الآلهة فى الدار الآخرة ! »

— « انها لن تعيش حتى تكون زوجتك فى هذه الدار الأولى ! »

— « أعرف ... وأعرف أيضاً من تكون سبب خرابه وانهياره بموتها ! ؟ »

— « هه ! أنت تهدد وتتوعد أيها العاق ( ياقليل الأدب ! ) »

— « ليس يتوعد ولا يهدد من يقول قولة الحق ... والحق الصراح ! »

— « هه ... هاها ... ستدفع ثمن هذه القحة : أيها الناصح الغبى ! »

— « لو لم تكن ملكى وأبى ، لزعمتك مذهوباً به ! ! »

— « أنت ! أيها المفتون ! يا من تصبيك امرأة ! أصمت ! لا ترد على ! »

— « ليكون كل الكلام لك ! »

— « محال ! هذا محال ! لا بد أن تجرع كأس المنون بين يدى عشيقها ! لا بد أن تردى أمام ناظريه وملء عينيه ! الى بها . . . »

— « بل هذا هو المحال ! لا تحلم يا أبتاه بتجريعها كأس الموت من يديك أمام ناظرى ... بل لا تحلم بأن ترانى آخر الدهر بعد الآن ! » (١)

« وينطلق هايمون »

— ٨ —

ويقول رئيس المنشدين : « مولاى ! لقد أخذ الغضب منه كل مأخذ ، والشباب المغضب يركب رأسه اذا أهين كبرياؤه ، وقد يأتى من الفعال ما لا تحمد عقباه !

— « ليفعل ما بدا له ! ليركب رأسه فى طريق من الشوك انه لن ينقذ الفتاتين مما قسم لهما »

— « الفتاتان ! وهل تقتلان كلتاهما ؟ »

— « معك حق ! بل الطائشة وحدها ... تلك التى فعلت الفعلة ! »

— « وبأية طريقة توقع عليها عقوبة الاعدام ؟ »

— « فى القبو ! ! القبو المظلم تحت هذا القصر . ستنفرد فيه وسيفرش لها مهاد من الشوك يخز روحها وبدنها حتى تموت ولتعبد هنالك آلهتها ... آلهة الفناء ... حتى تقضى فيها قضاءها ... »

« ويخرج كريون »

( لها بقية ) دريني خشبة

(١) نحسب أن هذه الثورة من سوفوكليس على سلطان الآباء هى الأولى من نوعها فى تاريخ الأدب . وكم تلذ المقارنة فى ذلك بينه وبين صمويل بطلر فى كتابه ( The Way of all Flesh ) وبينه وبين شو فى قصته ( Misalliance )

## تصحيح

جاء فى مقال « مقتل أبى الطيب المتنبى » المنشور فى هذا العدد صفحة ١٢١٤ سطر ١٣ من العمود الأول : « فقام فاتك ونفض ثوبه من رتوت الأعاريب الخ ... » وصوابه : « فقام فاتك ونفض ثوبه وجمع من رتوت الأعاريب ... »

# البريد الأدبي

## الأدب الهندي في مختلف أطواره

تتكون اللغة الهندية الحديثة من ثلاثة عناصر ؛ من أصول سنسكريتية خالصة ، ومن أصول سنسكريتية حورت بحسب الحاجة ، ومن أصول حديثة مبتكرة أو مشتقة من اللغات الأخرى وهذه الأصول الثلاثة هي اليوم قوام اللغة الهندية المعروفة «بالهندستاني» أما اللغة الهندية التي اشتقت من الأصول الفارسية والعربية فتسمى باللغة الأوردية

ويبدأ الأدب الهندي ، كما تبدأ معظم آداب العالم ، بالشعر ؛ وينقسم الشعر الهندي القديم إلى ثلاث مراحل تتمشى مع سير التاريخ الهندي . فمنذ القرن العاشر الى القرن الرابع عشر حيث تكثر الحروب الأهلية والغزو الأجنبي ، يسود الشعر عنصر الفروسية ، وكان الملوك يومئذ يلحقون الشعراء بحاشيتهم ، ليثيروا الحماسة في الصدور بشعرهم . وكان أعظم شاعر في هذا العصر هو شاندبارداي صاحب المقطوعة الشعرية الخالدة : « برتفيراج رازو » ، ويليه الشاعر بوشان صاحب مقطوعة « شيفاباواني »

وبعد الفتح الاسلامي ضعف شعر الفروسية في الهندية ؛ فقد رأى الهنود ما أصاب دينهم من الذلة ومعابدهم من الهدم ، فاتجهوا نحو الشعر الديني ، واستمرت هذه المرحلة من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر ؛ وينتمي جماعة من أقطاب الشعر الهندي الى هذا العصر مثل كبير ، وجورو ، وناناك ، وجياسي ، وميرابي ، وكيشافا ، وصور ، وتولسي ، وتولسيداس وقد وهب هؤلاء الشعر الأدب الهندي تحفاً رائعة من الشعر الخالد ؛ وكان تولسيداس بالأخص نبياً كما كان شاعراً عظيما ؛ وكانت تحفته الخالدة « رامايان » عاملاً في توثيق أواصر الوحدة الهندية . وقد ساهم الكتاب المسلمون في نهضة الشعر الهندي في ذلك العصر ، وان لم يكن شعرهم كله من النوع الديني

وأما المرحلة الثالثة من شعر العهد القديم ، فقد عرفت بمرحلة الشعر الشرعي ؛ وقد ساد فيها السلام نوعاً ، واتجه الشعراء الى التنوع والابتكار ؛ وكان أشهر شعرائها بهاري ، وماتيرام ، وبوشان ، وصردهار كاويرايا

وبعدئذ طرأ على الشعر الهندي تطور عظيم ، وأخذت الهندية الحديثة تحل تدريجياً مكان الهندية القديمة ؛ وتطور الشعر ذاته فأخذ الشعراء يصفون الطبيعة والمسائل الاجتماعية والسياسية ، وكان البنديت شريدار باتالا في مقدمة الشعراء الذين استعملوا الهندية الحديثة ، ومن مشاهير الشعراء المحدثين أيضاً ، أيوديا سنغ أو باديايا ، ومهابير دفيدي ، ورمشاريت أو باديايا ، وسريماتي ماديفي فارما

وأحدث أطوار الشعر الهندي ، هو توجهه نحو « التصوف » وقد كان البادئ بهذا النوع الحديث من الشعر الشاعر الأمريكي والت هويتمان

***

وكان في الأدب الهندي قبل مجيء الانكليز قليل من كتب النثر ، وكان سادا سكلال ، وانشاء الله ، وسادالا مسرا طلائع النثر في الأدب الهندي ، ثم جاءت البعثات التبشيرية بعد ذلك وترجمت الكتب النصرانية إلى الهندية ؛ وألف الكاتب ساراسواتي كتبه بالنثر ومنها كتابه الشهير «ستيارث براكاشي» وذلك لكي ينشر دعوته الشهيرة « الآرياسماج » ، وكان أعظم الكتاب الناثرين في هذا العصر بارتندو هاريشاندرا ، فكتب بالنثر عدة قصص تمثيلية وأذاع دعوة النثر بين أصدقائه ؛ وظهرت في ذلك العهد أيضاً بعض المجلات التي تكتب بالهندية المنثورة ، ويعرف هذا العهد بعهد بارتندو

ويعرف العهد الثالث من النثر الهندي بعهد « ماهابير براساد » ، ففي سنة ١٩٠٣ انتخب هذا الكاتب الشهير لتحرير مجلة « ساراسواتي » في الله آباد ، وقد كانت أشهر مجلة أدبية في ذلك العهد ، وقد استطاع ساراسواتي أن يخلق بواسطة هذه المجلة معيارا جديداً لكتابة النثر الهندي ، وأن يعاون على الظهور كثيرا من كتاب الشباب

ويبدأ النقد الأدبي في الأدب الهندي من ذلك التاريخ ، وكان أشهر النقدة يومئذ المهابير براساد دويفيدى ، والنبديت شارما ، وبابوشيامسوندرداس ، والنبديث شوكلا

ويمتاز العهد الحاضر من النثر الهندى بنشاط جم فى جميع الفنون ، وقد أدت ترجمة القصص البنغالية الحديثة إلى العناية بوضع قصص هندية مسرحية ، وفى مقدمة مؤلفى المسرح اليوم جاياشانكار براساد ، بيد أن الرأى العام لا يهتم الآن كثيراً بهذا النوع من الأدب بعد أن زاحمه القصص العام والسينما

وأهم أنواع الأدب الهندى المنثور اليوم هو القصص ، وقد أدخلت القصة القصيرة إليه حديثاً ، وأعظم كتاب القصص الهندى هو « مونشى برمشاند » ، وقصصه من أعظم وأرفع الأنواع ، ولو أنها توصف أحياناً بأنها مغرقة فى المثل ، وأسلوبه نموذج للشباب

وأما جاياشانكار براساد فهو فنان وشاعر يضع قطعاً مسرحية فوق مستوى القارئ العادى

وأشهر كتاب القصص فى الهند اليوم هم سودارشان ، وأورجا وشاتورسن ساسترى ، وجانندرا ، وهنالك مئات الكتاب الشبان الذين ينقطعون لكتابة القصة ؛ ومادة القصص هى فى الغالب المسائل الاجتماعية والسياسية ، وهنالك قليل من الكتاب الفكهين

وهنالك مجلات هندية كثيرة من الدرجة الأولى ، ومن أشهرها : شاند ، وسارسواتى ، وهانس ، ومدهورى ، وآرج ، وبرأتاب ، ونافيوج ، وفارتمان ، وغيرها

أما الأدب العلمى فلم ينضج فى الهندية بعد ، ولم يكثر إنتاجه . ذلك أن الهندية ليست وسيلة للتعليم الفنى ؛ ومع ذلك فقد ظهرت بالهندية عدة كتب علمية وفنية

ومن الظواهر الجديدة فى الأدب الهندى ، أن كثيراً من الكتاب الذين لا يتكلمون بالهندية يكتبون اليوم بها ؛ ومن هؤلاء أمير خوسرو ، ورحيم ، وأمير على مير ، وغيرهم من الكتاب المسلمين

## كتاب جديد لماري ستوبس

صدر أخيراً كتاب جديد للدكتورة مارى استوبس M. stopes التى اشتهرت بمباحثها عن الحياة الزوجية ، عنوانه « تطور الحياة عند الرجال والنساء » Change of Life in Men and Women وتعالج الدكتورة استوبس فى كتابها الجديد ناحية جديدة من الحياة الزوجية هى التطورات التى تطرأ على علائق الزوجين وعواملها النفسية والاجتماعية ، وتحول عواطف الشباب إلى عواطف الكهولة ؛ وتتناول بين موضوعات كتابها ما يأتى : التقدير الحسن والأزمات ، التطور فى الرجل والمرأة . بعض عوامل فسيولوجية فى الرجل ، بعض عوامل فسيولوجية فى الجنسين ، بعض هذه العوامل فى المرأة ، بعض وسائل المعالجة .. الخ وللدكتورة ستوب شهرة واسعة جداً بين الشباب الانكليزى وهو يقبل على قراءة مؤلفاتها بشغف ؛ مثال ذلك أنه بيع من كتابها عن « الحب الزوجى » نحو مليون نسخة فى عشرين عاماً ؛ ولها عدة كتب أخرى تلاقى فى انكلترا وأمريكا مثل هذا الانتشار المدهش

## أثر تذكارى للموسيقى لست

من أنباء النمسا الأخيرة أن الحكومة النمسوية قد أعدت أثراً تذكارياً للموسيقى النمسوى المجرى الكبير فرانز لست لينصب فى مدينة ايزنشتات من أعمال مقاطعة بورجنلند النمسوية ، وذلك بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ومرور مائة وخمسة وعشرين عاماً على مولده ؛ وقد ولد لست فى سنة ١٨١١ فى ريدنج من أعمال المجر يوم كانت قطعة من الأمبراطورية النمسوية ودرس فى فينا وباريس ، ونبغ فى الموسيقى تأليفاً وعزفاً ، وطاف عواصم القارة وبهر مجتمعات ذلك العصر ببراعته وسحر عزفه ؛ وفى سنة ١٨٦٥ اعتزل الحياة الدنيا واعتنق الرهبنة ، ولكنه اشتغل بالموسيقى الكنسية ، وألقى فى كنائس أوربا الكبرى عدة قداسات موسيقية اشتهرت فى ذلك العصر ، وحجت اليها الجماهير من مختلف أنحاء العالم ، وتوفى لست فى سنة ١٨٨٦ ، ومع أن لست كان مجرياً بمولده ، فهو نمسوى التربية والفن ، ولذلك رأت الحكومة النمسوية أن تكرم ذكراه بصنع هذا الأثر التذكارى ونصبه فى مدينة ايزنشتات وهى التى عاش فيها لست أعواماً طويلة ، وهذا الأثر عبارة عن تمثال رائع قام بصنعه المثالان الشهيران باراى وتسانباور ؛ وقد أجرى رفع الستار عن الأثر التذكارى فى حفل رائع فى مدينة إيزنشتات . خطب فيه وزير المعارف ونوه بعبقرية الموسيقى الشهير ، واختتمت الحفلة بعزف بعض قطع شهيرة من تآليفه

4 me Année, No. 161

Lundi - 3 - 8 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ١٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ — ٣ أغسطس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد



# البــك والباشا

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وحدثنى صاحب سرّ (م) باشا رحمه الله قال : جاء يوماً الى زيارة الباشا رجلٌ دخل علىّ متهللاً مُشرقَ الوجه كأنه مُضاءٌ من داخله بشمعة . . . ويترنح عِطفاه كأنما تهزُّه أسرار عظمته ، ويمشى متخلّعاً كالمرأة الجميلة التى أثقلها لحمُها وأثقلتها المعانى الكثيرة من أعين الناظرين إليها ، وعلى شفتيه خيال من فكرة هؤلاء الكبراء المغرورين الذين لا يأمر أحدهم رجلاً صغيراً إلا ليُعلمه أنه هو كبير فيكون فى الأمر شيئان : الأمر واللؤم . وأقبل على فى هيئة شامخة لو نطقت لقالت : سبّح اسمَ ربك الأعلى . سبّح اللهَ الذى خلق فى الأسد شعرةً جبّارة خرج منها الأسدُ كله . . . .

سبحان الله ولا إلٓـه إلا الله . هذا (فلان باشا) الذى قرأت فى الصحف أمس أنهم أنعموا عليه برتبة الباشوية ؛ خلقه الله من تراب وحوّلت الرتبة هذا التراب الذى فيه إلى ذهب خالص . . . ينظر إلىّ وبرغمه أن تقف عيناه علىّ وعلى الحائط ؛ ولا تجد نفسه المزهوّة سبيلاً الى التعبير عن الرتبة إلا هذا الازدراء المنبعث من شخصه العظيم لمن لم يكن كشخصه . ما بين أمس

والبوم زاد هذه الزيادة الآدمية ، أو كأنما كانت صورته خطوطاً فقط فوضعت فيها الألوان . . .

( باشا ) ! هذه الباء وهـذه الألف وهذه الشين الممدودة ليست حروفاً خارجة من الأبجدية العامة ، فان الأبجدية قد تجعل الباء فى بليد مثلاً ، والألف فى أبله ، والشين الممدودة فى شاهد زور مثلاً مثلاً . . . . بل تلك حروف من حروف الدولة منتزعة من قوة قادرة على أن تجعل لحياة صاحبها من الشـكل ما يسبغه الفن على الحجر من شكل تمثال ينصب للتعظيم

قال : وكنت أعرف هذا الرجل وهو رجل أمىّ لا يحسن إلا كتابة اسمه كما تكتب الدجاجة فى الأرض ... فكانت الرتبة عليه كاطلاق لفظ الحديقـة على صخرة من الصخور الصَّلدة ؛ وهذا مما يحتمله المجاز بعلاقة ما . ولـكن الذى لا يسوغ فى المجاز ولا فى مبالغات الاستعارة ولا فى خرافات المستحيل أن تزعم الصخرة للناس أن لفظ الحديقة الذى أُطلق عليها قد أنبت فيها أشجار الحديقة

***

قال صاحب السر : واستأذنت له على الباشا فسهل له الاذن وقال : هذا رجل أصبح كالورقة المبصومة بخاتم الدولة فلتـكن ما هى كائنة فان لها اعتبارها . ثم تلقّـاه تلقى الهازل المتهكم وقال له : أهنئك بالنَّحـوى . . . مُبـارَكون يا باشا . . . وأقبل عليـه وبَسَـطَ له وجهَـه

وكان فى الباشا دُعابة ظريفة يعرف بها ، وهو كثير النوادر والمُلَـح ، وله خصيصة عجيبة فيكون بين يديه كدس من الأوراق التى تعرض عليه ينظر فيها ويقرؤها ويتـدبرها ، وهو فى ذلك يستمع الى محدثه ويراجعه ويرد عليه ، فيصرف الناس والأوراق فى وقت واحد ، ويستعمل ناحيتين من فكره استعمالاً واحداً لا يُخل بالاصابة فى شيء من هذه ولا من تلك

ثم قال للباشا الحـديث وعينه الى ما بين يديه : هذه أوراق سرقة ثور عظيم فكم يساوى الثور العظيم الآن . . . ؟

قال صاحبنا الذكى الفطن : إذا كان من الثيران التى تعرض فى المعارض وتنال المداليات الذهبية فقد يبعد سعره ويغالى به

قال الباشا : نعم نعم . إن من الثيران ثيراناً يُنـعم عليها بالأوسمة ، ولـكن هـذا الثور الذى سألتك عنه يا باشا هو ثور محراث لا ثور معرض . . .

قال الآخر : إذا كان ثور محراث فمثله كثير فلا يكون ثوراً عظيما كما قلت وليست له إلا قيمة مثله

قال الباشا : أرانى أخطأت ولعن الله العجلة ، فهذه أوراق سرقة حمار . . .

***

قال صاحب السر : وانصرفتُ عنهما بأوراق وقد رأيت يدَ الباشا مملوءة لصاحبنا بتحيات كلها صـفعات . فلم يكن إلا يسير حتى خرج مبتهجاً يميد السرورُ بعطفيه . ثم دعانى الباشا ودفع إلىَّ بطاقةً بالحاجة التى جاء فيها الرجل ثم قال :

ياليت لنـا فى ألقاب الدولة لقب ( رحمه الله ) . . . ينعم به على مثل هذا . أتدرى يا بنى أن هذه الرتب وهذه الألقاب لم تـكن فى القديم إلا كوضع علامة الشرّ على أهل الشر ليهابهمُ الناس حتى كأنما يكتب على أحـدهم من لقب بك أو باشا : مُـلْـحق بالدولة . . .

وكان الشعب أمياً جاهلاً لا يستطيع الادراك ولا يحسن التمييز . فـكانت الألقاب كالقوانين الشخصية الموضوعة فى صيغة موجزة مفهومة متعينة الدلالة ، وكان كل من يحمل لقباً من الحـكومة يستطيع أن يقول للناس : لقـد وضعت الحـكومة كلمة الأمر فى شفتىّ . . . .

وكأن اللقب إعلان من الحـكومة المستبدة لشعبها الجاهل : إن هذا البك والباشا ممن يحقُّ له أن يخشى فيجب له أن يحترم[1]

من الهزل أن يشترى اسمُ النصر الحربىّ أو يوهب أو يُعار ؛ وأقبح منه فى باب الهزل أن ينعم على مثل هذا الأبّ بلقب باشا . وأنا أعرف أنه قد بذل فى سبيله ما بذل وأضاع ما أضاع فـكأن الذين منحوه إياه لم يفعلوا شيئاً إلا وضع توقيعهم على أخذ اسمن . . .

ولقد أصبح الرجـل تحت تأثير الـكلمة العظيمة مخبولاً بسحرها الوهمى فحَسِـبَ ذلك إدخالا له فى وظيفـة كل حاكم وإشراكا له فى الحـكم متى اقتضـــته مجارى أموره وأحواله أو حاجات أسبابه وأتباعه . وها هو ذا قد جاء يطلب حقـه فان مثله لا يفهم من لقب ( باشا ) إلا أن الحـكومه قد سوّغت سلطتَـه الظهورَ والعمل فمدَّتْ باعه وقوَّتْ أمره ونوّهت باسمه لصالحها وعمالها ؛ فهو عند نفسه قد التحم منـذ اليوم بالنسب

(١) بسطنا شيئاً من فلسفة الرتب والألقاب فى مقالة ( بنت الباشا ) من مقالاتنا فى الرسالة

# ذات الثوب الأرجوانى

## للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

( تنبيه : الكلام كله تخيل ولا أصل أو حقيقة له )

- ٨ -

لو كانت ذات الثوب الأرجوانى مع « موسى » — عليه السلام — لمّا ذهب إلى فرعون يدعوه إلى ربه لكان الأرجح أن يؤمن ولا يكفر ، ولكان من المحقق — عندى على الأقل — ألا ينزل بمصر ما نزل بها من البلايا والضربات والمصائب الكُبَر . ولكن موسى — عليه السلام دائماً — لم يكن على ما يؤخذ من تاريخ حياته — يعرف مبلغ تأثير الأرجوانيات فلم يسأل الله أن يشد أزره إلا بأخيه هارون ؛ وقد فطن قومه إلى هذه الحقيقة ، ولكن بعد خراب البصرة . على أنى لا أرى ذات الثوب الأرجوانى تقينى شيئاً ولا أعرفها تدفع عنى بلاء . وإن المكاره جميعاً لتحيق بى تحت عينها ومع ذلك لا تحرك ساكناً ، ولا ترفع اصبعاً كابحاً ، فأى حب هذا بالله ؟ ؟ .... لكأنى بها تشمت بى ويسرّها أن يصيبنى كل يوم سوء ، وكأنما تظن أن حسبى كلما مسنى ضرّ أن أنظر اليها وهى قاعدة على كرسيها ، وإحدى ساقيها على الأخرى ، وذراعاها على حافة الشرفة ، وخدها على ظهر كفها ، وأصابعها تنقر على الحجر ، وقدمها الدقيقة تتحرك متابعة نقر الأصابع ، كأنها تحلم بصوت أو كأنما تدندن لنفسها بصوت خفيض ... وليتنى مع ذلك أسمع !! إذن لكان لى بعض العزاء ... ولقد سمعت صوتها إذ تكلم جارتها أو تدعو أخاها — أو هو لا بد أن يكون أخاها — ولكنى لم أسمع غناءها . وما من شك عندى فى أنه شجى وأن صوتها رخيم فانه خالص كالفضة . ولكنها بخيلة ... جدا ...

وآخر ما حدث مما لم تدفع عنى شره أنى بعد أن كتبت فصلا من هذه الفصول كان فى البيت لفيف من الأهل والأنسباء — قبحهم الله جميعاً — فقالوا ما هذا ؟ قلت : « فصل فى ذات الثوب الأرجوانى » . قالوا : من عساها تكون ؟ فكرهت هذا الفضول منهم — ولكنهم يحسبون أن كونهم أقارب يشفع لهم فى كل فضول — غير أنى كتمت مقتى لفضولهم — لا لهم هم — وقلت : « إنها من مخلوقات الخيال » فجعل هذا يزوم ، وذاك يحدق فى وجهى ، وثالث يقول لى : « عينى فى عينك ؟ » ورابع يقول : « طبعاً . طبعاً » إلى آخر ذلك . ثم اقترح واحد منهم — هو أخبثهم — أن أقرأه لهم ، فقلت : حتى ينشر . قالوا : بل الآن وهل ثم مانع ؟ وما الفرق بين أن نسمعه الآن وأن نقرأه مطبوعاً فى « الرسالة » ؟ ؟ فاقتنعت — لا أدرى كيف ؟ — وشرعت أقرأ لهم ، وليتنى ما فعلت فقد كنت كأنما بعت نفسى ..

وقال أحدهم : « اسمع . . ما دام أن الأمر كما تقول فان من الواجب تغيير كذا وكذا وإبداله بكيت وكيت . . . »

فقلت : « هذا مستحيل . . لقد كتبت ما خطر لى وانتهى الأمر »

قال : « كلا . . يجب أن تجعل الرجل الذى تتحدث بلسانه أرق مما يوهم كلامك »

قلت : « ولكنه هكذا . . وقد خلقه الله كذلك فكيف أشوهه أنا ؟ ؟ »

قال : « إذن هو شخص حقيق . ؟ »

قلت — وقد أحسست أنى وقعت — « يا أخى ومالك أنت ؟ . إن صورته فى ذهنى هى كما أصف . . ولست أستطيع أن أغيرها إلا إذا استطعت أن أغير طريقة تفكيرى وصبغة خيالى . . وهذا شىء لا قِبَلَ لى به فأقصر بالله عليك »

---

الحكومى : وفى كلمة واحدة هو قد وُلد من بطن الحكومة ...

ألا ترى أن الشعب لو استردَّ سلطته الكاملة وأن الناسَ لو أيقنوا أن هذه الألقاب ألفاظٌ فارغة من الأمر والنهى والوسيلة والشفاعة لما بقى من يعبأ بها ولكان حاملها هو أول من يسخر منها ؟ فهى إذن شعبذة من الحكومة وتضليل فى مثل هذا الرجل الأمىّ ، وهى ضربٌ من التهويل والمبالغة فى سواه من الكبراء والعظماء : كأن الوزير الذى يلقب بالباشا يجعل فيه لقبه وزيرين ، وكأن مثل هذا الأمىّ المغفل يجعل فيه لقبه شخصاً آخر غير الأمىّ المغفل

أنا قلما رأيت رجلاً يحتاج إلى ألقاب يتعظم بها إلا وهو لا يستحقها ؛ وقلما رأيت رجلاً يستحقها إلا وهو لا يحتاج إليها ؛ فأين يكون موضع هذه الرتب والألقاب ؟

( سيدى بشر بالإسكندرية ) مصطفى صادق الرافعى

فشرعوا يتهكمون ويسخرون . وقال أحدهم : « هل قات إن أنفه أقنى ؟ ؟ »

قلت : « كلا فانى أستقبح هذا النوع من الأنوف »

قال : « إنى واثق أنك كنت تتصورنى وأنت تصف هذا العاشق المدنف ، ولهذا أرى من حقى أن أستشار فيما تـكتب عنه »

قلت : « إن عاشقى ليس مدنفاً ... هو على العكس صحيح معافى ... ثم إنك آخر من يصلح لهذه المواقف الانسانيـة ... ولست مجنوناً حتى أصفك فى قصة »

قال : « هل تسمعون ؟؟ لا بأس !. عض اليد التى تطعمك وتغذيك !!. هذا جزاء من يسمح لك أن تصور شخصيته البارعة .. لا بأس ! ! ولـكنى لا أفهم كيف تكون هـذه الحبيبة عصرية ولا يكون لها كلب ؟ . أو على الأقل جرو صغير ؟؟ .. نعم لا بد من كلب فقم أدخله فى القصة »

فقلت بغيظ : « يكفى أنك ستقرأها فيتحقق مرادك »

فلم ينهزم وقال : « صحيح ؟ ؟ ولـكن هذا لا ينفى أن الفتاة المسكينة لا كلب لها إلا على بعـد ثلاثين متراً ! ! كلا . هذا لا يليق ! ! اسمع منى وغير ما كتبت .. وها أنذا مستعد أن أساعدك .. إن المناسبة توجد الرجل الصالح .. وأنا أسألك باخلاص أى شىء أوفق من أن أمد يدى اليك لأشد أزرك ؟ وهل يليق بى أن أقعد ساكتاً وأنا أراك تخلط وترسم لنا صورة رجل وامرأة لا يمكن أن يمشى مثلهما فى الدنيا ؟ ؟ كلا — على التحقيق ... ( والتفت الى الموجودين وسألهم ) أهذا ينتظر منى ؟ ؟ . »

ولأول مرة فى هذه الجلسة سررت إذ سمعتهم جميعاً يقولون بلسان واحد « نعم »

ولـكنه لم يعبأ بهم ومضى يقول : « هأنذا .. أجىء فى اللحظة الحافلة بالاحتمالات متنكراً فى زى رجل هرم وفى قدمى حذاءان قد يليقان بأبينا آدم — فقد زعموا أن طوله والعياذ بالله أربعون متراً — وبفم ليس لحلقه سقف . . حس . . ولا يرانى أحد .. ولا تفطن الى وجودى الفتاة ذات الثوب الأرجوانى ، على الرغم من حذائى الهولين ... فأخرج منهما ، وأتسلق أنابيب المجارى حتى أبلغ الشرفة التى تتخذها ذات الثوب الأرجوانى ، غرفة جلوس ، وحجرة استقبال ، وبستاناً للنزهة ، وملعباً للتنس ومرصداً للأفلاك !! فأفاجئها وهى قاعدة تفكر فى حبيبها المخرف الذى لا يستطيع حتى أن يحرك إصبعاً يشير به إليهـا وأقول لها بِخْ بِخْ . . فتفزع وتصيح ياىْ . . ياى . . »

فلما سكنت الضجة قلت : « إنى أكتب قصة ولست أصف ملعبَ مهرجين أو سِرْكَ حيوانات »

قال : « ما أحسن هذا الأدب ! ! أنت لا تستطيع أن تفهم المواقف الروائية ولهذا . . . »

فصاحت إحدى الفتيات الموجودات : « هس . . أظن أن هذه هى ذات الثوب الأرجوانى . . الحق إنها جميلة . . ويجب أن نعترف أنه معذور »

فعاد اللعين يقول : « آه . . لا شك . . لا شك . . جميلة جداً . . ولـكن انظروا ماذا صنع بها ؟ ؟ لقد صارت فى يده . . أعنى فى وصفه لها . . ثوباً أرجوانياً لا فتاةً من لحم ودم . . ولو أنه استمع لى . . »

وهنا ضاق صدرى ونفد صبرى ولم تبق لى طاقة على احتمال هذه السخرية فتناولت الورقات التى كانت مكتوبة وكنت أقرأها لهم ومزقتها كل ممزق

***

وليس هذا سوى مثل لبعض ما ألقى فى سبيل ذات الثوب الأرجوانى ، وهى لا تعبأ ولا تبالى ! ! والحق أقول إنى لم أعد أفهم شيئاً من أمرها . فأما أنها معنية بى فهذا ما لا يخالجنى شك فيه . ولقد حرصت مرات على أن أتبين هل فى العمارة التى أسكن إحدى شقاتها من يغازلها أو يناجيها أو يصنع ما يصنع المعجب أو العاشق أو المفتون ، فلم أجد أحداً . وكثيراً ما انحدرت إلى الشارع ووقفت على الرصيف الآخر المقابل لرصيفنا ونظرت إلى عمارتنا ، وقد وجدت فى كل مرة أن النوافذ جميعاً إما موصدة أو لا أحد فيها . ثم إنى أعرف متى يكون مساكنىّ فى بيوتهم ومتى يخرج كل منهم ؛ فقـد لاحظتهم جميعاً وعرفت عاداتهم — حتى الشبان اللاعبين الذين تخشى مزاحمتهم — فلا أحد هناك تنظر اليه أو ينظر اليها سواى فى هذه العمارة الضخمة ذات الطبقات السبع . فهى لا شك تعنينى وحدى بكل ما يبدو عليها من ارتياح واشمئزاز ، ومن نفور واقبال ، وأنا المقصود بكل ذلك . ومؤدى هذا أن لها عناية بى ، وليس المهم أن تـكرهنى أو تحبنى فان المآل واحد فى الحالتين ؛ ومتى نجح الرجل فى لفت المرأة اليه فانه يستوى أن تظهر له البغض وأن تبدى المودة ؛ فان المهم أنها صارت تعنى به ، وأنها أصبحت مشغولة بأمره ، ولا بد أن يؤدى هذا إلى الحب آخر الأمر . فليس للحب أول عند المرأة إلا العناية

مهما كان باعثها والداعى إليها ، ولا ريب فى عنايتها بى . بل فى وسعى أن أقول وأنا آمن ومطمئن إنها تدرسنى فى الصحة والمرض ، والسرور والحزن ، والضحك والكآبة ، والجد واللعب . بل هى ترصد كل حركة لى ، وكل إشارة ، وتتبع ما يصدر عنى وما يكون منى مادمت باديا لها ، وقد كنت أمس أنظر من الشرفة إلى الطريق وأتأمل الرائحين والغادين وأسرّى عن نفسى بمناظر الناس وما يكون منهم ، فاتفق أن رأيت فتاة فى ثوب بنى محبوك وحذاءين خيّل إلىّ أن أحدهما أبيض والآخر أسود ، فاستغربت أن تلبس فتاة حذاءين مختلفى اللون ، ودعوت إحدى من فى البيت إلى النظر فوقفت مستغربة مثلى ، وكانت الفتاة تروح وتجىء على الرصيف فى انتظار الأمنيبوس ، وقد أبطأ عليها فطال تمشيها أمامنا ، وطال عجبنا من حذاءيها المختلفين ، وكنت أشير اليها وأنا أتحدث عنها ثم رفعت رأسى إلى شرفة الأرجوانية فاذا فتاتى قد نهضت وانحنت تطل على هذه الاعجوبة ، وقد ظهر لنا أن الحذاءين ليسا مختلفين وأن كلا منهما نصفه أبيض والنصف الآخر أسود . ولما كانت الفتاة تسير وجانبها إلينا فانه لم يكن يبدو لنا من لونى كل حذاء إلا جانب واحد ، ولهذا ظنناها بالغت وأسرفت فى الأناقة الى حد اتخاذ حذاءين : واحد أبيض ، والثانى أسود

أريد أن أقول إن بال الأرجوانية إلىّ — لاشك فى ذلك — وأن عينها على كل حركة لى وأنها تتعقب إشاراتى — وكلامى أيضاً — وتحاول أن تدرك المقصود منها والمراد بها ، ولم أقص حكاية الحذاءين وصاحبتهما إلا على سبيل التمثيل . وثم قصص أخرى تجرى هذا المجرى وتؤدى إلى هذه الدلالة ، وفى ذكرها تطويل لا موجب له . ومع ذلك تجاهد ذات الثوب الأرجوانى أن تخفى حبها — أو على الأقل عنايتها الشديدة — وتروح تغالطنى فتبدى لى صفحة الاعراض بعد أن تشير لى بوردة وتطمعنى بهذه الايماءة الرقيقة . وما أكثر ما تنتفض قائمة كأنما شكها أحد بسيخ محمىّ وتخرج ثم لا تلبث أن تعود ضاحكة مشرقة الديباجة !! ويجن الليل فتجعل من شرفتها مرصداً لأنها هى فى الظلام وأنا فى النور . وتظن أنى لا أراها . وأنا يحلو لى أن أجلس فى الصيف فى شرفتى وأتعشى فيها أيضاً ، فان الغرف حارة حامية كاوية ، كنار الله الموقدة ، والعياذ به تعالى وليس أحلى من ليالى الصيف إذا لم يركد الهواء . فاذا جلست فى شرفتى جعلت ذات الثوب الارجوانى تراعينى من مكمنها المظلم وهى تحسب أنى غافل عنها ، أو أنى لا أرى فى الظلام . ولها العذر . ومن أدراها أن لى عيناً كعين القطة ؟ — ترى فى الظلمة كما ترى فى النور ... وأحسب أن الارجوانية قد صارت تعرف كل شىء عنى فليس عندى ما أكتمه . وإذا كان أحد من خلق الله يؤمن بالسر فانى لا أومن بذلك ، ولا أعتقد أن فى الدنيا شيئاً يبقى سراً مكتوماً . ولهذا أرى أن من العبث أن أحاول كتمان أمر . وما دام ليس هناك ما يخزينى فلماذا أتكتم وأتستر ؟؟ ولابد أن يعرف الناس ما تحاول إخفاءه ، فأولى بك أن تدعهم يعرفونه منك اتقاء للتشويه ، واجتناباً للغلط وسوء التصوير . ولكنى لا أعرف عنها إلا القليل البادى لأنها فتاة وليست رجلاً مثلى . وللرجل من الحرية ما ليس للمرأة . وقد لا يضير الرجل أن يعرف عنه الناس أنه عاشق ، ولكن فتاة صغيرة غضة السن قد يضيرها ذلك ، ولا سيما إذا كانت لا تعرف آخرتها مع الرجل الذى ترى قلبها مجذوباً إليه . ومن هنا أعذرها ، ولكن الذى لا أستطيع أن أتبين وجه العذر فيه أو الحكمة هو هذا التقلب ، فانها تارة ترضى وأخرى تغضب ، ومرة تقبل وطوراً تنفر . وإنها لتقبل أحياناً حتى لا تبقى عندى ذرة من الشك فى سرورها بحبى لها وحتى لأحس برغبة شديدة فى أن أقفز من النافذة إذ يخيل لى فى هذه اللحظات أنى أستطيع أن أطير إليها من فرط الخفة والسرور ، ثم تعرض وتنفر فيثقل على نفسى ذلك حتى لأهم بأن أضرب حجارة الشرفة بيدى وأركلها برجلى كأنها هى المسئولة عما أرى من إعراضها .. ولا سبب أعرفه لاقبالها ولا لاعراضها فما بيننا أكثر من النظر .. ولو شاءت لكان بيننا ما يختصر هذه الثلاثين متراً ويجعلها متراً أو نصف متر أو شبراً أو أقل من ذلك .. ولكنها لا تشاء . وأكبر الظن أن ليس لمشيئتها دخل فى الأمر وأن رغبتها لا تقدم أو تؤخر .. كان الله فى عونها .. وفى عونى أنا أيضا ، فان ضيق صدرها بما تجد من القيود التى حولها ينقلب على أم رأسى أنا .. وما لى ذنب ولكن العامة صدقوا فى قولهم « ضربوا بتاع الكسبرى ... »

ابرهيم عبد القادر المازنى

( تنبيه — وقع خطأ مطبعى فى أبيات لى قديمة رويتها فى الفصل السابق فكتب الحياة ( بالتاء المربوطة ) الحياء بالهمزة ، وكذلك النجاة ( تاء مربوطة ) كتبت بالهمزة . والصواب فى الاثنتين بالتاء ، وتنطق فى البيتين هاء لا أدرى لماذا ، وشعرى لا ينقصه أن يزيد فساداً بالخطأ للطبعى — المازنى )

# المقرى مؤرخ الأندلس

## حياته وتراثه

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٢ —

يقسم المقرى كتابه عن الأندلس إلى قسمين كبيرين ، يخصص أولهما للتعريف بالأندلس وتاريخها وآدابها ، والثانى للتعريف بابن الخطيب . ويشتمل كل قسم على ثمانية أبواب ، فيشمل الأول وصف الأندلس وجغرافيتها وفتحها على يد موسى وطارق ، وتاريخها فى عهد الولاة وبنى أمية وملوك الطوائف ، ووصف قرطبة ومعاهدها وضواحيها ومتنزهاتها ، ثم التعريف بالراحلين من الأندلس إلى الشرق ، والوافدين من المشرق على الأندلس . واستعراض آداب الأندلس ومنثورها ومنظومها ، ثم تاريخ الصراع الأخير بين الأندلس واسبانيا النصرانية وسقوطها الأخير فى يد النصارى . ويشمل القسم الثانى على نشأة ابن الخطيب ، وتدرجه فى طريق المجد وما لقى من الأحداث والمحن حتى وفاته ، وذكر أساتذته وأشياخه ، وما وجه اليه من الرسائل الملوكية ومن أكابر عصره ، ومقتطفات كبيرة من كتبه ورسائله ونثره ونظمه ، وذكر مؤلفاته وذكر بعض تلامذته الآخذين عنه ، ثم ذكر أولاده ووصيته

ويشغل الكتاب كله أربعة مجلدات ضخمة ، كل قسم مجلدين ؛ فهو كما قدمنا موسوعة صحيحة سواء من ناحية حجمه أو محتوياته ؛ ذلك أن المقرى يحشد فى كل باب من هذه الأبواب العامة كثيراً من المعلومات والشذور والوثائق والرسائل والمختارات ؛ ويكاد كل منها يضارع كتاباً بأسره . ويجرى المقرى على قاعدة الاستطراد فينتقل بقارئه من موقف إلى موقف ، ومن شذرة أو رسالة أو قصيدة إلى أخرى حسبما تسوقه شجون الكلام والرواية . وقد ترد خلال حديثه أهم المعلومات والوثائق حيث لا ينتظر ورودها . وفى كثير من الأحيان ينقل المقرى الينا رسالة بأسرها أو كتاباً بأسره ؛ ولا يعنى المقرى بالتنظيم والتناسق ، وإنما يعرض مادة كتابه مبعثرة حسب التقسيم البسيط الشامل الذى ذكرناه

ذلك أن المقرى لم يكن مؤرخاً بالمعنى الحقيقى ، بل كان أديباً فقط ؛ وهو لا يزعم أنه مؤرخ أو محقق أو ناقد ، وإنما يقول لنا إنه ناقل فقط يورد من المعلومات والشذور ما اتفق ولا يعنى بتمحيصها أو تحقيقها [1] . ولكننا مع ذلك نشعر أن للمقرى فى كتابه شخصية قوية ، ونشعر بالأخص بأن حرارة خاصة تنبعث من هذه الصحف الأندلسية ؛ ذلك أن المقرى يكتب عن الأندلس بروح يضطرم اعجاباً وأسى ؛ ولا غرو فقد كانت ذكريات الأندلس ما تزال فى عصره حية مضطرمة فى المغرب ، ولم يكن قد مضى أكثر من قرن على سقوط الأندلس النهائى فى يد اسبانيا النصرانية ؛ بل لقد وقع فى عصر المقرى بالذات حادث أذكى هذه الذكريات الشجية ، هو نفى « الموريسكيين » أو العرب المتنصرين من اسبانيا (فى سنة ١٦٠٩م — ١٠١٧هـ) والعرب المتنصرون هم بقية الشعب الأندلسى المجيد أرغموا على التنصر بعد سقوط الأندلس ؛ وقد وفدت منهم عند النفى عشرات الألوف إلى ثغور المغرب وقواعده ، وعاد معظمهم إلى الاسلام . وشهد المقرى هذه الخاتمة المؤسية ، وهو يومئذ بفاس ، وشهد ألوفاً من أولئك العرب المتنصرين ، وتركت هذه الذكريات والمشاهد المؤلمة فى نفسه أعمق الآثار [2] ، وأذكت فى نفسه بلا ريب شغف التنقيب عن تاريخ الأندلس وماضيها المجيد وأيامها الزاهرة

وقد وضع المقرى كتابه عن الأندلس فى القاهرة كما قدمنا ، ولكنه كان قد جمع معظم مواده فى المغرب . ويقول لنا المقرى إنه عنى منذ شبابه بالتنقيب فى تاريخ الأندلس وأحوالها وآدابها ، وإنه استخرج من مراجعه أغزر المواد وأنفسها ، ولكنه تركها بالمغرب ، ولم يستصحب معه حين الرحلة سوى القليل منها ، ومنها أوراق سودها ، وأشياء علقت بذاكرته . ويقول لنا أيضا : « إنه لو حضره ما خلفه مما جمع فى ذلك الغرض وألف ، لقرت به عيون ، وسرت ألباب ... » [3] ؛ وإذا كان المقرى

(١) راجع إشارة المقرى إلى ذلك فى نفح الطيب ج ١ ص ١٣٦

(٢) راجع حديث المقرى عن هذا الحادث ج ٢ ص ٦١٧

(٣) نفح الطيب — ١ ص ٥٧

يعنى بهذا القليل من مادته ما ضمنه كتابه ، فلا ريب أن ما جمعه من المواد الأصلية كان غزيراً جداً ، ذلك لأن هذا القليل الذى ضمنه « نفح الطيب » هو فى ذاته مجموعة حافلة من المواد والوثائق المختلفة التى تلقى أعظم الضياء على تاريخ الأندلس وآدابها

وقد قلنا إن المقرى ناقل ومصنف ؛ ولكن له فى هذا النقل والتصنيف فضلاً لا يقدر ؛ فقد نقل إلينا عشرات الشذور والوثائق من مصادر أندلسية جليلة لا وجود لها اليوم ، بل نقل إلينا رسائل وكتباً برمتها بددت ولم نظفر بأصولها حتى اليوم ؛ ولولا عناية المقرى بنقلها وتصنيفها لحرمنا الى الأبد من هذه المراجع والوثائق الهامة . ولقد كان المغرب الأقصى حتى عصر المقرى أعظم مستودع لتراث الأندلس الأدبى ؛ وكانت مكاتب المغرب ، ولا سيما مكتبة الأشراف السعديين ، عامرة إلى ذلك العهد بكثير من الآثار الأندلسية النادرة ؛ وكان لمولاى زيدان سلطان فاس لعهد المقرى شغف خاص بجمع الكتب النادرة ؛ وقد انتفع المقرى بهذا التراث الحافل ، واغترف منه وقيد ما شاء ؛ ولكن الظاهر أيضاً أن هذا التراث قد بدد معظمه بعدئذ بقليل ؛ ذلك أنه قد حدث فى أواخر عهد مولاى زيدان حادث يخيل الينا أنه ذو علاقة مباشرة بضياع الآثار الأندلسية ؛ وذلك أن السفن الأسبانية أسرت مركباً مغربية مشحونة بآلاف من الكتب والتحف المملوكة لمولاى زيدان ، وحملت شحنتها إلى اسبانيا ؛ ويشير السلاوى فى تاريخه الى ذلك الحادث نقلاً عن الرواية الأسبانية ، فيقول : « وقال منويل إن قراصين الأصبنيول غنمت فى بعض الأيام مركباً للسلطان زيدان فيه آثار نفيسة من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك »[1] وتقول الرواية الأسبانية إن وقوع هذا الحادث كان فى عهد فيليب الثالث ملك اسبانيا ( ١٥٩٨—١٦٢١ م ) ؛ والظاهر أنه وقع نحو سنة ١٠٣٠هـ (١٦٢٠م) حينما اشتد اضطراب العلائق بين اسبانيا والمملكة الشريفية ؛ وعلى أى حال فقد حملت كتب مولاى زيدان ، وهى بلا ريب أنفس مجموعة من نوعها ، إلى اسبانيا ، وأودعت فى دير الأسكوريال إلى جانب بقية التراث الأندلسى التى كانت مودعة فيه منذ سقوط غرناطة ، فاجتمع بذلك فى الاسكوريال نحو عشرة آلاف مخطوط عربى معظمها من تراث الأندلس ؛ ولكن محنة نزلت بهذا التراث النفيس ، فقد شبت النار فى الأسكوريال سنة ١٦٧١ ، والتهمت معظم الكتب العربية ، ولم يبق منها سوى ألفين ؛ وبقيت ضمن هذه المجموعات عدة من كتب مولاى زيدان لا تزال إلى يومنا فى الأسكوريال

وهذا فيما نعتقد هو السر فى اختفاء الآثار الأندلسية التى كانت تحفل بها قواعد المغرب ومكاتبه فى عصر المقرى ؛ وقد جمع المقرى مادته ودون مذكراته أثناء مقامه بفاس بين سنتى ١٠١٣ — ١٠٢٧ هـ (١٦٠٣ — ١٦١٦ م) ، وكان بذلك من أواخر أولئك الذين استطاعوا من أدباء جيله أن يظفروا بمراجعة هذا التراث والانتفاع به . ومما يدل على أن المقرى انتفع بنوع خاص بالمراجعة فى مكتبة مولاى زيدان التى فقدت ، أنه ينقل عن نسخة وحيدة من مسند ابن مرزوق المغربى كانت ضمن هذه المجموعة ولا تزال فى الأسكوريال[1] ، وكذلك يستقى معظم روايته عن سقوط غرناطة وعن العرب المتنصرين من كتاب « أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر » ومنه نسخة وحيدة أيضاً فى الأسكوريال[2]

ولا يتسع المقام هنا لاستعراض المصادر العديدة التى نقل عنها المقرى ، ما ضاع منها ، وما يزال قائماً ؛ ويكفى أن نقول إن طائفة كبيرة من المصادر الأندلسية الجليلة التى ينقل عنها قد اختفت ودرست معالمها ؛ ومن ذلك تاريخ ابن حيان الكبير مؤرخ الأندلس ، وتواريخ الحميدى ، والحجارى ، وابن بشكوال والرازى وغيرهم ، وكتب عديدة لابن الخطيب ، وقد بقيت من تاريخ ابن حيان قطعة صغيرة نشرت أخيراً ؛ ووجدت منذ أعوام بالمغرب نسخة كاملة من كتاب الذخيرة لابن بسام ، وفيما عدا ذلك لم يظفر البحث الحديث بشىء من تلك المصادر الجليلة التى ينقل إلينا المقرى عنها بسخاء يزيد اليوم فى فضله وفى أهمية كتابه

***

(١) الاستقصاء فى أخبار دول المغرب الأقصى ج ٣ ص ١٢٨

(١) ليفى بروفنسال فى دائرة المعارف الاسلامية ( مقال المقرى )

(٢) نشر هذا الكتاب — وهو لمؤلف مجهول — فى أواخر القرن الماضى بعناية أحد المستشرقين

ويتصل بمجهود المقرى عن الأندلس كتابه « أزهار الرياض، فى أخبار القاضى عياض » ؛ وهو سفر كبير يخصصه لترجمة الفقيه الكبير عياض السبتى ، واستعراض آثاره ، على نحو ما يكتب عن ابن الخطيب فى نفح الطيب ؛ بيد أنه يستطرد كعادته ، ويذهب فى الحديث شجوناً شتى ، وينقل إلينا بعض الأقوال والوثائق المتعلقة بسقوط غرناطة وتاريخ الموريسكيين أو العرب المتنصرين ، ولهذه الوثائق على قلتها وإيجازها أهمية خاصة ، لأنها كل ما انتهى إلينا من الرواية الاسلامية فى هذا الوطن ، وهى أقوال معاصرين للمأساة شهدوا بعض حوادثها بأعينهم أو سمعوا أخبارها فى الضفة الأخرى من الأندلسيين الوافدين على المغرب ؛ منها رسالة لمجهول يظهر أنه من معاصرى سقوط غرناطة يصف فيها نقض ملك قشتالة لعهوده ازاء المسلمين، وما اتخذه النصارى من وسائل الارغام والقهر لاكراه المسلمين على التنصر ، وما فرضته محاكم التحقيق (التفتيش) على المخالفين من العقوبات المروعة ؛ ومنها قصيدة طويلة لابن العباس أحمد الدقون أحد علماء المغرب فى القرن التاسع الهجرى عنوانها « الموعظة الغراء بأخذ الحمراء » يرثى فيها الأندلس ؛ ومنها أيضاً وثيقة ذات أهمية تاريخية خاصة ، وهى رسالة كتبها أندلسى متنصر عقب سقوط غرناطة ، إلى بايزيد الثانى سلطان الترك يستغيث به ويستصرخه لنصرة إخوانه العرب المتنصرين ، ويصف له فى شعر قوى التعبير على الرغم من ركاكته ، ما يصيب العرب المتنصرين من أهوال ديوان التحقيق وروائع مطاردته وعقوباته ؛ وهذه وغيرها من الوثائق والشذور التى ينقلها إلينا المقرى فى أزهار الرياض قد ضاعت أصولها ، ولولا عناية المقرى بنقلها لما ظفرنا بها

وهذان الأثران الكبيران هما أهم ما فى تراث المقرى . بيد أن للمقرى ثبتاً آخر من الكتب والرسائل الأدبية والدينية انتهى إلينا معظمه ؛ ومن ذلك : « إضاءة الدجنة فى عقائد أهل السنة » ، « فتح المتعال فى مدح النعال المتشرفة بخير الأنام » . « حسن الثنا فى العفو عمن جنى » . « قطف المهتصر فى أخبار المختصر » « عرف النشق فى أخبار دمشق » . « روض الآس العاطر الأنفاس فى ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس » . « الدر الثمين فى أسماء الهادى الأمين » ، وغيرها [1]

وقد كتب المقرى معظم كتبه فى القاهرة ؛ والمرجح أنها كتبت جميعاً أو كتب معظمها قبل نفح الطيب ، لأن المقرى لم يعش بعد كتابته طويلاً كما رأينا ؛ وكان المقرى يحتل فى المجتمع القاهرى الأدبى مكانة رفيعة ؛ ويكفى أن نذكر هنا ما وصفه به المحبى الذى ترجمه بعد ذلك بنحو نصف قرن : « حافظ المغرب . لم ير نظيره فى جودة القريحة ، وصفاء الذهن وقوة البديهة ؛ وكان غاية باهرة فى علم الكلام والتفسير والحديث ، ومعجزاً باهراً فى الأدب والمحاضرات » [2] ، والواقع أن المقرى يكتب بأسلوب قوى ، وبيان ساحر ، يشهدان له بغزارة البلاغة فى عصر كان الأدب العربى يجوز فيه مرحلة انحطاط قوى

* * *

وقد أخرجت مطبعة بولاق كتاب « نفح الطيب » كاملاً فى ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢) فى أربعة أجزاء كبيرة ؛ وكان جماعة من المستشرقين على رأسهم العلامة دوزى قد عملت قبل ذلك لاخراج القسم الأول من كتاب نفح الطيب وهو الخاص بالأندلس بين سنتى ١٨٥٥ و ١٨٦١ تحت عنوان Analectes sur L'histoire et La littérature des Arabes d'Espagne ، ومهد لهذه الطبعة المستشرق دوجا بترجمة للمقرى ؛ وطبع نفح الطيب بالقاهرة بعد ذلك أكثر من مرة فى أربعة أجزاء أيضاً على نسق طبعة بولاق ونشر فى تونس الجزء الأول من أزهار الرياض فى سنة ١٩٢٢ ؛ ونشرت بعض آثار المقرى الأدبية ، مثل كتاب « حسن الثنا فى العفو عمن جنى » (القاهرة) ، وظهرت فى سنة ١٨٤٠ فى لندن ترجمة انكليزية ملخصة للقسم الأول من نفح الطيب بقلم المستشرق الاسبانى الدون جاينجوس تحت عنوان : « تاريخ الدول الاسلامية فى اسبانيا » The History of the Mohamedan Dynasteis in Spain مقروناً بتعليقات وفهارس قيمة ، وترجم للمقرى غير من ذكرناهم أكثر من مستشرق مثل فستنفلد فى كتابه « مؤرخو العرب » (بالالمانية) وبروكلمان فى « تاريخ الأدب العربى » ( بالألمانية أيضاً ) والأستاذ ليفى بروفنسال فى كتابه « مؤرخو الأشراف » (بالفرنسية) ، وآخرون غير هؤلاء

( تم البحث — النقل ممنوع )

محمد عبد الله عنان

(١) راجع خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٠٢ وما بعدها ، وسلافة العصر ص ٥٩١ (٢) المحبى فى خلاصة الأثر

# أثر النحو فى تقويم اللسان

للأديب محمد طه الحاجرى

قالوا ، فى رسم النحو رسماً غائياً : إنه علم تعصم مراعاته اللسان عن الخطأ فى الكلام ، ومضوا على هذا الاعتبار يضعون القواعد ، ويقيمون الحدود ، ويكدون الأذهان ، ويحملون على النشء فى ذلك ما لا يحتمل . فاذا رأوا أن التوفيق إلى الغاية النبيلة قد أخطأهم ، وأن السبيل التى رسموها قد بعدت بهم ، لم يلتمسوا طريقاً آخر يكون أهدى إلى الغاية ؛ فحسبهم أن ينثروا الطريق بالأزهار ، وأن يزيحوا بعض ما فيه من الأحجار ، حتى تتبدل — فى زعمهم — طبيعته ، وتستقيم نحو الغاية محجته ، ويبلغوا بذلك ما أعجز الأجيال السالفة ... وهكذا جعلوا كل همهم من الاصلاح اللغوى أن يهذبوا قواعد النحاة وينسقوها ويحذفوا فضولها ... ليصلوا بذلك إلى عصمة اللسان ، وهيهات هيهات ! !

وأنا ما عرضت لأمر الصلة بين تعليم النحو وتقويم اللسان إلا اندفعت أمام ذهنى صورة صبى صغير لا يكاد يبلغ التاسعة ، وقد جلس على مقعده الصغير فى المدرسة ، وأمامه كراسة أكب عليها ، وجعل ينظر فى جمل منسوقة كتبت فيها ؛ وكان المعلم قد طلب منه ومن رفاقه أن يضبطوا أواخرها ، امتحاناً فيما علموه ، وتثبيتاً لما قد عرفوه ، فأخذ ذلك الصبى يتحسس ما كان قد ألقى عليه ، ويحاول أن يضبطه فى ذهنه ، ويضبط به ما أمامه ؛ فكان ذلك عبثاً لم يجد عليه شيئاً ... وإذن فماذا يصنع ولا بد من الاجابة صواباً أم خطأ ؟ أخذ يقرأ الجملة ويجرب على كلماتها علامات الاعراب ، فكان يشعر عند بعضها بارتياح ، ويحسبها أدنى إلى ما يقرؤه فى كتاب المطالعة وغيره من الكتب التى اعتاد أن يعبث بها ... فيثبت الشكل الذى ارتاح اليه ؛ ثم يمضى إلى غيره ، وهكذا ، ثم يعطى الكراسة للمعلم لتصحيحها ، فيغتبط حين ترد اليه فيعلم أنه لم يخطئ إلا قليلاً

أكانت المصادفة هى التى تملى على ذلك الصبى المسكين ، أم كان شيئاً آخر فى طبيعته وكيانه هو البذرة الأولى المطمورة فى أعماق النفس للسليقة العربية ، قد ورثها لأنها بعض ما يقوم الجنس الذى ولد بجميع مشخصاته ، ثم أخذت هذه البذرة تستروح نسيم الحياة فى هذا الكلام العربى الذى يقرؤه صاحبها بين حين وحين ، فلا عجب أن يبرز فيها شىء من مظاهر هذه الحياة ، فتحاول تكييف ذوق ذلك الصبى ، بمقدار ما أتيح لها من حياة هينة ضعيفة مضطربة ؟ ؟

أما التفسير بالمصادفة فهروب من المسلك العلمى ، وأما السليقة العربية الموروثة فلا شك فى وجودها ؛ وفى أنها وحدها التى تقوم ألسنتنا ، وتصحح عبارتنا ، على قدر ما تلقى من العناية والرعاية ، وعلى قدر ما نتعهدها به من التربية التى تناسب طبيعتها ، فأين نلتمس هذا النوع من التربية ؟

أنلتمسه فى كتب النحو وقواعد العربية كما يفعل الناس جميعاً ، فيظن الواحد منهم أن من تجرع جرعات من الألفية أو الدروس النحوية كان خليقاً أن تصح سليقته ، ولا يخطئ من بعد فى كلمة من الكلام ؟

لو جاز هذا الجاز للرجل الضعيف المتهالك أن يقرأ مجموعة من مجاميع الرياضة البدنية ، أو يستظهرها ، أو يستبطن أسرارها ومواطن تأثيرها ، فاذا هو قد أصبح ، بسحر هذه المجموعة ، قوياً نشيطاً مهزوزاً تتألق عليه الفراهة والعافية ، وإذا هو قد أصبح كذلك الرجل « الفلاح » الذى يغذى مواطن القوة فيه غذاءها الطبيعى من الشمس والهواء والعمل . ولكن أحداً لا يقول هذا ولا يتوهمه ، والأمر لا يعدو هذا القياس فى تربية الغريزة اللغوية

وإنى لأعرف فريقين من الناس بأعيانهم معرفة صحيحة صادقة يمثلان طرفى هذه الحالة التى نتناولها ويثبتان القضية التى نقررها طرداً وعكساً

أما أحد هذين الفريقين فقد صرف عن النحو صرفاً ، حتى لا يكاد يعرف من قواعد النحاة حرفاً ؛ ولكن مزاجه الفنى أقبل به على ينابيع الأدب العربى فأقبل على الكتب الأدبية يقرؤها ويتذوقها ويملأ نفسه بما فيها من جمال ومتعة ، فصفت بذلك سليقته ، وصحت ملكته ، حتى ليحس اللحنة فى الكلام ، كما يحس الموسيقى النشوز فى الألحان . واستقام لسانه حتى لا يكاد يلحن أو يخطئ

وأما الفريق الآخر فطائفة من شيوخ الازهر الذين أدركنا أعقابهم ، قرأوا من كتب النحو الأجرومية والكافية وما بينهما ، وأحاطوا بقواعد النحاة وما دار حولها من خلاف

وجدل ، وربما أدركوا سر الكثير منها ، ثم كان الواحد منهم مع هذا لا يكاد يصيب فيما يقرأ أو يكتب إلا بعد تكلف شديد ، فما أغنى عنه ما بذل من جهد جهيد وعمر مديد فى قراءة النحو وتفهم مشكلاته واستيضاح غوامضه . فماتت سليقته اللغوية ولما تستروح الحياة ، لأنه لم يمدها بالغذاء الطبيعى الحى الذى يمكن أن يتمثل فيها ، ويبعث فيها الحياة ماضية قوية ، ولكنه ألقمها أحجاراً جامدة إن لم تقض عليها فلن تبعث فيها شيئاً من معانى الحياة الصحيحة

ولقد بقى لنا من عصر الحملة الفرنسية وثيقة من الوثائق التى تؤيد هذا المعنى تأييداً تاماً ، وهى رسالة كتبها بخطه شيخ الاسلام ورئيس الديوان ، الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وهى حجة قاطعة فى قيمة التعاليم النحوية من ناحية أثرها فى تقويم اللسان واصلاح اللغة على الأسلوب العربى ، فلن يشك أحد فى أن الشيخ الشرقاوى قد تلقى من « النحو » أوفر ما كان يتاتى فى ذلك العهد

وهذه ملاحظة ظاهرة جلية لا نكاد نحسب أحداً يجادلنا فيها أو يخالفنا عليها ، وقد لاحظها من قبل العلامة الدقيق ابن خلدون ، فقال فى مقدمته ، بعد أن قرر أن العلم بقوانين الأعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل : « ولذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة فى صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذا سئل فى كتابة سطرين إلى أخيه أو ذى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيهما عن الصواب ، وأكثر من اللحن ، ولم يُجد تأليف الكلام لذلك ، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى . وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ، ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور ، وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ، ولا المرفوع من المجرور ، ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية »

فليس عجيباً إذن ما يروى لنا من أن رجلاً جاء لابن خالويه — وهو من هو ! — فقال له : أريد أن تعلمنى من النحو والعربية ما أقيم به لسانى . فقال له ابن خالويه : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو ، ما تعلمت ما أقيم به لسانى

فالأمر فى اللغة هو أمر سليقة يجب أن تربى ، وملكة يجب أن تكوَّن . ولن يكون ذلك بواسطة النحو ، فانه قواعد ميتة ، بل بواسطة البيان والأدب الذى هو مظهر اللغة ومجلى حيويتها . أما النحو الذى أبى على ابن خالويه أن يقوم لسانه ، فلا مطمع لنا فى أن يجدى علينا ما أباه على ذلكم الامام

وكيف كانوا يقومون ألسنتهم عند ما بدأت السلائق تضعف والألسنة تضصرب ؟ كانوا — كما يعرف الناس جميعاً — يذهبون إلى البادية ، ويندمجون فى الحياة العربية ، فيهيئون بذلك لسليقتهم سبيل القوة ، فتصبح من بعد ذلك المتحكمة فى منطقهم ، والمعرفة لألسنتهم ، وليس لدينا مثل هذه الحياة العربية التى كانوا يلجأون اليها ، ويندمجون فيها ؛ ولكن إذا فاتنا ذلك فانا نستطيع أن نعيش بقلوبنا وعقولنا فى حياة عربية اللسان ، فيكون لهذه مالتلك من الأثر الطيب المبارك . أما هذا النحو فقد أعان إفلاسه فيما نطلبه من أجله ، وهو عصمة اللسان من الخطأ فى الكلام ، منذ عهد ابن خالويه إلى أيامنا هذه . ولن تجد امرأ صحيح اللسان قويم النطق إلا وهو يرجع الفضل فى هذا الى ما أمد به سليقته من الآداب العربية

ويعلل ابن خلدون وجود الملكة العربية فى بعض المهرة فى صناعة الأعراب بدراستهم لكتاب سيبويه ، وطول مخالطتهم له لا من ناحية ما تناوله من تقرير القواعد . بل من ناحيته الأدبية « فانه لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط ، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم ، فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة ، فتجد العاكف عليه ، والمحصل له ، قد حصل على حظ من كلام العرب ، واندرج محفوظه فى أماكنه ، ومفاصل حاجاته ، وتنبه به لشأن الملكة ، فاستوفى تعليمها ، فكان أبلغ فى الافادة

ولسنا نضع بهذا — معاذ الله — من قيمة النحو ، وإنما نريد بهذا أن نضعه فى مكانه الحقيقى ، ونلتمس به غايته الطبيعيه ، وهو معرفة قوانين اللغة العربية ، والنفوذ إلى أسرار التركيب فيها . وأكْبِرْ به من مكان ، وأعظم بها من غاية !

ترى لو كان أمر اللغة كأمر العلوم الأخرى التى تتاتى قوانينها واحدة بعد الأخرى ، ثم لا يشعر صاحبها أنها غيرت فى كيانه الداخلى ، لو كان الأمر كذلك فى اللغة أكنا نشعر بهذا الاستهجان والمضض الشديد حين نسمع خطيباً يلحن أو يغير فى الوضع العربى ، ونحس بعباراته الملحونة كأنما أصابت موضع الكرامة أو العزة فنتململ ونتضجر كما نحس حين نسمع رجلاً يتناول ديننا أو وطننا أو قوميتنا بما نكره ؟ وما ذا لو أن رجلاً أخطأ فى تقرير قاعدة أو تطبيق قانون علمى ؟ فهذا الفرق القائم

بين اللغة والعلوم الأخرى ينبغى أن يراعى فى التربية والتثقيف . فكما لا يجدى تلقين القوانين الدينية والتعاليم الشرعية فى تكوين الضمير وتربية العاطفة الدينية . وعصمة الرجل عن الزلل فى الحياة ، كذلك لا تغنى القواعد النحوية شيئاً فى عصمة اللسان وتصحيح الكلام

وبعد فلا بد أن نكرر القول بأنا لا نريد الغض من مكانة النحو وخطورة درسه فى اللغة العربيـــة ، بل إنا لنراه — مستيقنين — فى المكان الأول منها ، باعتباره المبين لنظامها ، والكاشف عن قوانين التركيب فيها ، وقد خطا النحاة منذ أول العهد بالنحو ، خطوات موفقة فى هذه السبيل ، رغم ما غلب عليها فى العهود الأخيرة من الشطط والتكلف والبعد عن روح اللغة . وقد خطت الجامعة فى العصر الحديث — فى دراسة النحو — خطوة جديدة مسددة بعيدة ، نرجو أن تكشف عنها الأيام القريبة المقبلة إن شاء الله تعالى .

**محمد طه الحاجرى**

# فى النقـــد الأدبى

**للأستاذ اسماعيل مظهر**

العصر الذى نعيش فيه عصر قِوامه النقـد . حتى لقد قال « إدورد كيرد » وهو من الفلاسـفة المعاصرين فى أول كتابه عن فلسفة كَنْت : إن النقد هو الذى هدَّ العروش المقدسة ، ومنها عرش الدين قائماً من فوق العقيدة ، وعرش القانون قائماً من فوق السلطان والجبروت . فاذا عنى أعلام كتابنا بالنقد ، فانما يعنون بشيء قد تغلغل فى صميم الحياة الحديثة ، ونفذ إلى أبعد غور من أغوار الأشياء الانسانية . وما حفزهم إلى الكلام فى النقد ، وفى النقد الأدبى على الأخص ، إلا شعورهم — وقد ركدت حركة النقد — بأن فى الجو الأدبى فراغاً جعلهم يستوحشون من الحياة التى يحيونها ، وجعلهم يعتقدون شيئاً آنسوا فيـه حياة ألفوها . على أنى لحظت فى نزعة الكتاب الذين عالجوا هذا الموضوع شيئاً أو أشياء ، على كبير علاقتها بالنقد الأدبى ، وعلى عظيم خطرها ، لم يعرض لها أعلام كتابنا ولو باشارة ، ومن طرف خفى ، كأن الكلام فى هذه الأشياء عسير على النقد أو هى من الأشياء التى يجب أن تخرج من مجال النقد ، وكانت هذه الظاهرة فيما كتبوا بنية جلية ، حتى لقد خيل إلىَّ أن ما كتب فى النقد جدير بأن ينقد ، وخليق بأن يحلل تحليلاً لا هوادة فيه

ساءلت نفسى : أناحية النقد الأدبى وحدها هى الجديرة بالتقدير والوزن ، أم إن ناحية النقد العلمى والفلسفى لها من المكانة والشرف ما يجعلها خليقة بأن تساوى النقد الأدبى قيمة ووزناً ؟ ولِمَ نخص النقد الأدبى وحده بقسط من العنـاية يستوفى كل جهودنا العقلية ، ولا ننظر ولو التفاتاً وبقليل من الاكتراث إلى النقد العلمى والفلسفى ؟ ألأنَّ الأدباء كثيرون ، والعلماء والفلاسفة قليلون ؟ كلا وإنما السبب أن عقليتنا لم تتكون بعد التكون العلمى ولا التكون الفلسفى . وهذا التكون سابقة ينبغى أن تسبق فى الحياة العقلية ظاهرة النقد ، فى مجال ما من مجالات الحياة الثقافية . ذلك بأن وجود العلماء لا يكفى فى تكوين العقليـة العلمية ، ولا وجود الفلاسفة بكافٍ لتكوين العقلية الفلسفية

ثم ساءلت نفسى : أللنقد موانع ؟ أيمنعنا من النقد عوامل خلقية ؟ أيمنعنا من النقد عوامل تقليدية ؟ أيمنعنا من النقد عوامل اقتصادية ؟ أيمنعنا من النقد عوامل سياسية ؟ أيمنعنا من النقد عوامل نفسية ؟ وهل يمكن أن يفلت النقد من أثر هذه العوامل ؟ وبعد أن أطلت النظر فى كل سؤال من هـذه الأسئلة ، بل إن شئت فقل فى كل معضلة من هذه المعضلات ، حكمت بأن هذه الموانع كائنة ، وأن بعضها أقوى أثراً من بعض ، وأن الناقد لن يفلت من دائرتها ، أو يخرج من أقطار هذه الأرض منبوذاً مدحوراً

وبعد هذا وذاك هل وضعنا للنقد قواعد يقوم عليها هيكله ، وتشيد من فوقها أركانه ؟ ألنا فى النقد مذاهب مقررة ينتحيها الناقدون ؟ وهل لنا فى النقد قواعد تحدد للنقد حدوده ، وترسم تخومه ، وتعين اصطلاحاته ، شأن كل الأشياء العلمية والأدبية التى لها أثر فى تطور العقليات والمقولات ؟

كلا . ليس لنا فى النقد مذاهب ، وإنما اتبعنا إلى الآن فى النقد طريقة ميزانها الذوق والشعور ، وهى طريقة إن مال ميزانها نحو اليمين قيد شعرة كانت إفراطاً فى المدح والتقريظ ، وإن مالت نحو الشمال شعرة كانت تفريطاً فى كل ما يقتضى النقد من حكمة فى تقويم الآثار الادبية بميزان صادق الدلالة على قيمة ما فى كفتيه . وجملة الأمر أننا ذهبنا فى النقد المذهب التقديرى ، ولم ننزع إلى المذهب التفريرى . ذلك بأن المذهب التقديرى مذهب سهل المأخذ ، لين المنحى ، مطواع للأهواء ، يسع الأثر الذى تمليه

الصداقة على شعور الناقد ، وبسع الأثر الذى تمليه العداوة والبغضاء على انفعالاته . وهو فوق كل هذا مذهب بُدائى لا ضوابط له ولا قواعد ، ولا نظريات ولا حقائق ؛ وبالأحرى نقول إننا مضينا ننقد حتى الآن ورائدنا فى النقد الأثر الذى تتركه فى أنفسنا مختلف المنتوجات الأدبية ، بما فيها من علاقات ذاتية وميول وعواطف وأخيلة وأحاسيس ؛ وعلى الضد من هذا كله مذهب النقد التقريرى القائم على نظريات أو حقائق لها حدود مضبوطة ومصطلحات معينة ونماذج يمكن أن ينسج على منوالها ؛ ناهيك بأن مذهب النقد التقريرى قد تكون له فى بعض الأحيان فكرة عامة شاملة ترمى الى غاية معينة . فانك إن نظرت مثلاً فى محاورات سقراط التى أثبتها تلاميذه فى كتبهم ، تبينت من خلالها فكرة جامعة وغاية أخيرة ترمى اليها ، هى التى أبان عنها كل الابانة فى دفاعه عن نفسه أمام قضاته قبل الفتوى بادانته . وعندى أن محاورات سقراط ، أول ما وضع فى تاريخ الآداب الانسانية من نقد قائم على المذهب التقريرى

ولقد ترى أثر هذا الرأى — رأى أننا ننقد على المذهب التقديرى لا على المذهب التقريرى — ظاهراً جلياً فى كل نواحى النقد ، لا فى النقد الأدبى وحده . فان نزعتنا هذه قد تجلت بينة فى النقد السياسى على الأخص ، حتى لقد اتهم النقاد السياسيون فى مراميهم وأوذوا فى سمعتهم السياسية ، لا لشىء إلا لأنهم نقدوا على غير مذهب ، وكتبوا على غير نظرية سياسية ، ومضوا يتكلمون فى السياسة وليس أمامهم غاية عامة نهائية يرمون إليها ، اللهم إلا أن تستقر الأحوال على صورة تقر ما كان قائماً قبل انقلاب حدث ولو كان ما يطلب الرجوع إليه من نظام فيه من أوجه النقد ما لا يقل قيمة أو أثراً عما يراد إدالته من نظام قائم

على أن ما ترى فى النقد السياسى من شيوعية فى المرامى واستهتارية فى الغايات ، قد تراه بذاته فى أكثر النقود الأدبية التى تجرى بها أقلام الذين يتصدون للنقد فى هذا العصر . وما السبب فى هذا إلا أننا نزعنا فى النقد النزعة التقديرية ، فأوسعنا المجال للخيال دون العقل ، وفتحنا الباب على مصراعيه للذوق وحده ، من غير أن نجعل للذوق ضابطاً من القيود المنطقية أو النظريات المقررة أو الحقائق الجامدة

لقد عاب الأستاذ أحمد أمين على النقاد أن ينتقدوا ما ليس من اختصاصهم ، وأن الكاتب الأدبى عندنا يرى أنه يستطيع أن ينقد فى يوم واحد كتاباً فى تاريخ نابليون ، وكتاباً عن جزيرة العرب ، وديوان شعر ! ولا مرية فى أن الأستاذ على حق فيما يقول. أما السبب فى هذه الفوضى الغامرة فالذى أذهب إليه من أن النقد عندنا قد نزع النزعة التقديرية دون النزعة التقريرية . وهل أسهل من أن أقول إن كتاباً عن نابليون ضعيف الأسلوب ، وإن كتاباً عن جزيرة العرب ثقيل الظل ، وإن ديوان شعر بارد الأنفاس ؟ ولكن غاب عن الأستاذ حقيقة أخرى هى أن الأدب والنقد عندنا ، لقلة ما لهما من ضوابط وقواعد ، قد هيأ للكتاب والنقاد سبيل الانسلاخ فى هيئات جديدة تقتضيها ظروف الأحوال . فهذا كاتب سياسى أصبح مؤرخاً . وذاك مؤرخ أصبح شاعراً . وثالث كان أديباً فأصبح سياسيا ، ثم ارتد ناقداً ، ثم انسلخ فى صورة ديماجوج ، يضرب على نغمات تحبها آذان الجماهير . ورابع كان صحفياً فأصبح مصلحاً سياسياً . وخامس كان لا شىء أصلاً فأصبح علماً يشار إليه بالبنان فى جميع ما تتخيل أن إنساناً يستطيع أن يبرز فيه من علم وفلسفة وأدب وفن ، وما الله به أعلم من مظاهر الكفاية . وإن واحداً صار نصير الانسانية ، وآخر أصبح سادن الدين ، وثالثاً أبا الحرية ، ورابعاً حافظ الديمقراطية ، إلى غير ذلك من الألقاب التى تذكر المرء بألقاب أهل الدول إذا ارتج أمرها وكادت تميد بها الأرض ، فيعمد خيال أهلها إلى الألقاب يضخمون منها بما يخيل إليهم أن فيه المنجى والملاذ

أليست هذه ظاهرة من ظاهرات الفوضى العقلية الدالة على أن النقد عندنا إنما يقوم على نزعة تقديرية لا تزن الأثر ولا تزن الشخص ، وإنما تزن الأثر والشخص على مقتضى الظرف الحاصل ؟ ولو أننا نزعنا فى النقد النزعة التقريرية مؤمنين بعدد ثابت من الحقائق والنظريات والمثاليات ، مؤتمين بما توحى به من آداب اجتماعية عليا ، إذن لاستطعنا أن نقضى على هذه الفوضى الغامرة التى تكاد تبتلعنا لججها

وما كان لى أن أتكلم فى موانع النقد فى بيئتنا الجديدة ، اللهم إلا أن أكون قد قذفت بنفسى فى أتون تترع نيرانه الشوى . فليتصد للكلام فى هذا غيرى ممن لا حاجة به إلى شواء

اسماعيل مظهر

*بمناسبة المهرجان الألفي لأبي الطيب في دمشق*

# دين المتـــنبي

## للأستاذ سعيد الأفغاني

عاش في هذه الدنيا قبل ألف عام رجل قضى إحدى وخمسين سنة يعمل في حياته للمجد؛ ركب إليه المكاره واقتحم الغمرات؛ أراده مرة من طريق الدين نخاب، ثم راوغه من طريق الولاية فأخفق، ثم مضى قُدُماً يجالد دون سبيله هذه جيوشاً من أذى الأعداء ونكاية الحساد وكَلَب الزمان وتخلف الجد

تقاذفته الأقطار ضارباً في الأرض: من حلب، إلى دمشق، إلى فلسطين، الى مصر، إلى العراق، إلى فارس؛ حتى إذا ملأ الدنيا وشغل الناس وقفل راجعاً من شيراز وشارف بغداد وحط في سوادها الغربي، أحاط به أعداؤه في دير العاقول ليغتالوه، فقاتلهم قتال المستبسل المستميت حتى سقط دفاعاً عن نفسه وشرفه، نصعدت روحه إلى بارئها يحاسبها على ما قدمت في عاجلتها من خير أو شر

وإذا كان موضوعنا البحث في دين الرجل فلا بد أن ننبـه قبل الشروع فيه إلى أنا سـنخرج على ذلك السخف التقليدي الذي توارثناه في عصورنا الأخيرة جيلاً عن جيل، في تـكفير الناس من أجل كلمة قالوها أو عمل قاموا به؛ نتعلق لذلك بأوهى الأسباب ونتكلف له كل التكلف لنخرج مسلماً عن دينه وإن كرهناه، أو نؤولَ له ما زل به لسانه إن أحببناه. تعقـد لذلك المجالس في المساجد والمدارس وعنـد السلطان، وتؤلف الرسائل وتثار الفتن وتراق الدماء، حتى لقد سوّل الشيطان لبعض الحكام أن يتخذ من عبَدة الهوى هؤلاء مطايا يركبها إلى غاياته فيمن يكره من كل آمر بمعروف أو جبّاه بحق أو ثائر على ظلم، فما أسرع ما كانت تخرج الفتيا بالتكفير، وما أسرع الحاكم حينئذ إلى البطش والفتك

ولولا الخروج عن الموضوع لأفضت في شرح هذه الناحية من تاريخنا وما أدت إليـه من سوء العقبى، وما جرت على العلم والدين من ويلات وخراب، وخاصة أخريات عصور الجهـل، يوم كان يضطلع بهذه المهازل شيخ الاسلام في السلطنة العثمانية.

وحسب المرء أن يذكر على سبيل التمثيل آراء المحبين والمبغضين في أجلاء الصحابة — رضى الله عنهم — صدر تاريخنا، ثم أقوال هؤلاء وهؤلاء في الحلاَّج ومحيي الدين بن عربي وتلك الطبقة. بل مالي أعمد إلى التاريخ البعيد وفي فجر نهضتنا مثل صالحة من ذلك. فاذكروا إن شئتم الأئمة جمال الدين ومحمد عبده ورشـيد رضا ومن لف لفـهم. ألم يرفعهم قوم إلى درجات الصالحين المجتهدين، ويهبط بهم آخرون إلى دركات الـكفار أعداء الدين؟!

وغريب منهم هذا الفضول والتطفل والله تعالى لم يجعل إلينا أمر الناس، حتى نزج أنفسنا في هذه المزالق. ومتى ملك بشرٌ أمر بشر والله يقول: « ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء. » أما كان في خوَيصة أنفسهم ما يشغلهم عن الناس والتحكم في آخرتهم؟ وما كان أقربهم من إنصاف لو عرضوا القول أو الفعل على الحق فسموا الأشـياء بأسمائها وحكموا عليها بالخطأ أو الصواب ولم يحمّلوا النصوص ما لا تحمل ووكلوا أمر الناس إلى الله، إذن لوفروا على أنفسهم عنتاً طويلاً ووقتاً سيسألهم الله عن إنفاقه في هـذه السفاسف والآثام، وجهوداً لم يرزقهم الله إياها ليفرقوا دينه شـيعاً ويؤلبوا عباده بعضهم على بعض

وأنا إذ أعرض لدين المتنبي فانما أحكم على أقوال قالها وعلى هنات صدرت عنه، فأعرضها على الحق، وسواء على الباحث، اذا اجتهد وأخلص، أكان المتنبي بعد ذلك مسلماً أم ملحداً، فما لنا إيمانه ولا علينا كفره، ولا يملك إنسان لانسان عذاباً ولا ثواباً

***

أمهد لبحثي بكلمة عن الحالة الدينية في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وهو الأمد الذي عاش فيه شاعرنا؛ وأنا حين أفيض فيه إنما أتكلم عن المتنبي نفسـه لشدة العلاقة بين الرجل وعصره، ولأن كل شيء من أحوال ذلك العصر كان يهيء للدعوات السياسية والدينية. وسنرى أن تنبؤ أبي الطيب ليس بالأمر الأد في ذلك الزمن الذي يعجّ بالاحزاب والنحل وأهل الأهواء

كان الدين أروج التجارات حينئذ في جميع الأقطار الاسلامية؛ فمن بني ملكا تذرع له بالدين، ومن أراد ثورة جعل شـعارها الدين، ومن دعا إلى نحلة فانما سـلاحه هذا الوتر الحساس من النفوس؛ ودولة بني العباس إذ ذاك منكمشة في رقعة صغيرة في

العراق ، تعيش مع ذلك خاضعة لسلطان الأمراء المتغلبين من الفرس أو الديلم أو الترك ، والانتساب إلى آل بيت الرسول — صلى الله عليه وسلم — أمضى سلاح يصرفه الخوارج وأرباب الأطماع

كان فى حلب بنو حمدان وهم علوية ، وانقرض الأغالبة فى المغرب فدعى للفاطميين فى رقادة من أرض القيروان سنة ٢٩٦ وهم ينتسبون إلى فاطمة ، وكل خارج على الدولة إنما كان يدعو الناس الى الرضى من آل محمد ، وكان فى تعاليم الشيعة ما يحفز الطامحين الى شق العصا : كلٌّ يدعى أنه الامام المنتظر

وأعظم النحل تسلطاً ونفوذاً يومئذ ثلاث : الباطنية والشيعة والحنابلة ، وهؤلاء الأخيرون انحصر سلطانهم فى بغداد فترة من الزمن فقط ، بينما انبث دعاة الشيعة والباطنية فى كثير من الأقطار . وكان أهول الجميع خطراً وأبعدهم أثراً القرامطة ، وهم طائفة مؤولة باطنية حلولية ، جعلوا للشرع ظاهراً وباطناً ، وبنوا مذهبهم على تأويل الأحكام والآيات . ظهروا سنة ٢٧٨ ﻫ وانتشروا بالشام وسواد الكوفة ، ثم اشتد أمرهم حتى زحفوا على حمص ، وخضعت لهم دمشق على جزية ، ثم زحفوا إلى الكوفة وعظم خطرهم وتفاقم شرهم ، وعجز جند الخلافة عن إخضاعهم « وما زال أمرهم إلى قوة حتى استولوا على أكثر بلاد الفرات ، وأسسوا دولة بالبحرين ، ودحروا جيوش الخليفة المقتدر ، وثارت منهم طائفة فى نواحى الحجاز ، فانقطع الحج سنين خوفاً منهم . ولما أرسل اليهم المقتدر جيشاً بقيادة منصور الديلمى دحروه وقتلوا الحجاج يوم التروية فى المسجد الحرام قتلاً ذريعاً وطرحوا القتلى فى بئر زمزم ، واقتلع زعيمهم الحجر الأسود من مكانه فى الكعبة ، وأخذه معه إلى هجر حيث بقى اثنين وعشرين عاماً حتى رد إلى مكانه أيام المطيع العباسى سنة ٣٩٣ »

ذكر المعرى فى رسالة الغفران : « أن للقرامطة بالأحساء بيتاً يزعمون أن إمامهم يخرج منه ويقيمون على باب ذلك البيت فرساً بسرج ولجام ، ويقولون للهمج والطغام : (هذه الفرس لركاب المهدى يركبه متى ظهر .) وإنما غرضهم بذلك خدع وتعليل ، وتوصل إلى المملكة وتضليل . ومن أعجب ما سمعت أن بعض رؤساء القرامطة فى الدهر القديم لما حضرته المنية ، جمع أصحابه وجعل يقول لهم لما أحس بالموت : (إنى قد عزمت على النقلة وقد كنت بعثت موسى وعيسى ومحمداً ، ولا بد لى أن أبعث غير هؤلاء ) فعليه اللعنة ، لقد كفر أعظم الكفر فى الساعة التى يؤمن فيها الكافر ، ويؤوب إلى آخرته الصافر » اه

نجد أن القرامطة أخذوا بالحلول والتناسخ المتسربين إلى المسلمين من الهند وفارس ، وشاركوا بعض فرق الشيعة فى فكرة الامام المنتظر ، وأصبح من ديدن كل داعية إلى بدعة أو خروج على سلطان ، أن ينتسب إلى على رضى الله عنه ، أو أن يدعو إلى الرضى من آل محمد إن تعذرت عليه النسبة مباشرة . وكثر هؤلاء الدعاة والخارجون ، وفشت فاشيتهم حتى امتلأت حوادث تلك الأيام بذكرهم . وكان سقوط هيبة الخلافة وانحلال العصبية العربية من أهم العوامل فى كثرة تلك الطوائف والانقسامات . وأصبحت الدنيا فى كل مكان لمن غلب ، وجهر المتغلبون وجنودهم بضروب من المناكر أنفدت صبر البقية الصالحة ، فثار فى بغداد جماعة من الحنابلة ، واضطرمت قلوبهم بالغيرة على الدين من أن تنتهك محارمه ، فأجمعوا أمرهم وانتظموا معسكرات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بالقوة والسلاح ؛ واستفحل شأنهم وقويت شوكتهم ، حتى صاروا يكبسون بيوت القواد والعامة فحيثما « وجدوا مسكراً أراقوه ، أو مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء . » ولم يطل بهم الزمان حتى أذعنوا لمؤثرات العصر ، فتسرب إلى جماعات منهم أقوال هى إلى الحلول والتشبيه ، واندس فى غمارهم — على ما يظهر — أناس ليسوا منهم ، فعظمت أذيتهم على الناس ، فتقدم اليهم الخليفة بالانذار فما أفاد ، فاضطر إلى قمعهم بالقوة وإراحة الناس منهم

هذا إلى أناس كثيرين جعلوا الدين وسيلة إلى الدنيا يتاجرون به متاجرة ، فيوماً تراهم معتزلة ويوماً شيعة ؛ وحيناً باطنية وتارة حلولية يقولون بالتناسخ ، يميلون مع الريح حيث مالت ، ويعرضون فى كل سوق ما يروج فيها ، لا يرجعون إلى عقيدة ، ولا يصدرون عن إيمان ، بل هم أبداً متقلبون « يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم »

***

تلك هى حال الدين فى عصر أبى الطيب وفى البلاد التى حل فيها . فما ظنكم بفتى دون العشرين من عمره ، يتوقد ذكاء ، ويتفجر فصاحة ، طماح مغامر ، يعشق السيادة ، وينشد المجد بكل قوته ، التفت حوله فما رأى إلا جماهير بلا عقل ، تتبع كل ناعق ، عليهم رؤساء جهال ، لا علم لهم ولا فضل ولا أدب ، ما فهم على

كثرتهم من يقاربه فى ذكائه ومواهبه وعظم نفسه . ثم أبصر سوق الدعوات رائجة كل الرواج ، وكان فى طبيعة كثير منهم ما يدعو الطامح إلى محاولة السيادة عن طريق الدين

شاء هذا الفتى أن يقيم نسبة بين دعوتهم ودعوته تنتسق هى والفرق بينهم وبينه ، فاذا كان فيهم من ادعى أنه الامام المنتظر ، أو المهدى ، أو الرضى ، فان النسبة تقضى أن يدعى النبوة دفعة واحدة ، وقد فعل

ولا مندوحة لى هنا عن القول بأن تنبؤه فى الأعراب أمر وقع حقيقة ولا سبيل إلى الشك فيه[1] ، تضافرت على ذلك كل المصادر الموثوقة ، حتى التى كانت تميل إليه كل الميل ، فانها لم تنف الأمر وإنما التمست له المعاذير . وما كان أغناها عن ذلك ، فان فى السن التى وقعت فيها هذه الزلة العذر كل العذر ؛ وليس من الانصاف أن نامز حياة خمسين سنة من أجل هناة كانت فى سن الفتوة . فلأشرع فى ذكر هـذا التنبؤ بايجاز ، ثم لافض فى علاقة الرجل بالدين مدى حياته . وسأعتمد فى قص الحادث على أبى العلاء خاصة ، لفضله ولتحريه وقرب زمانه . وسأعفى نفسى من أشياء كثيرة وردت فى ( الصبح النبى ) لايقبلها عقل ولا تؤيدها قرائن

وقع المتنبى إلى بادية السماوة وأظهر دعوته ، فتبعه قوم من الأعراب من بنى كلب ، خلبهم بذلاقة لسانه ، وحسن بيانه . وتلا عليهم كلاماً زعم أنه أنزل عليه . نقله الأنبارى فى طبقاته عن أبى على بن حامد قال :

« وكان قد تلا على البوادى كلاماً زعم أنه قرآن أنزل عليه . فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقى أولها فى حفظى وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لنى أخطار . امض على سننك واقف أثر من قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحد فى دينه وضل عن سبيله » .

وقد حفظ لنا التاريخ مشهداً من مشاهد هذه الدعوة فى اللاذقية ، ولا ريب أنه كان بعد أن توثق أمر المتنبى بعض التوثق فى البادية . قال أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى :

« قدم أبو الطيب المتنبى اللاذقية فى سنه ٣٢٠هـ وكان عمره يومئذ سبع عشرة سنة وهو لا عذار له ، وله وفرة إلى شحمتى أذنيه ، فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته ؛ فلما تمكن الأنس بينى وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من أدبه قلت له : « والله إنك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير . » فقال :

« ويحك ! أتدرى ما تقول ؟ أنا نبى مرسل . » فظننت أنه يهزل ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له : « ما تقول ؟ » فقال : « أنا نبى مرسل . »

فقلت له : « مرسل الى من ؟ »

قال : « الى هذه الأمة الضالة »

قلت : « تفعل ما ذا ؟ »

قال : « أملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً »

قلت : « بماذا ؟ »

قال : « بادرار الأرزاق والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الأعناق لمن عصى وأبى »

فقلت له : « إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر » وعذلته على ذلك فقال بديهاً :

أبا عـــبد الاله معاذ إنى ... خفى عنك فى الهيجا مقامى
ذكرت جسيم مطلبى وأنا ... نخاطر فيـه بالمهج الجسام
أمثلى تأخذ النكبات منه ... ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان إلى شخصاً ... لخضب شعر مفرقه حسامى

---

(١) قرأت أخيراً عدد المقتطف الذى كتبه الأستاذ شاكر عن المتنبي خاصة ، فاذا به يذهب إلى نفى تنبؤ أبى الطيب الذى اتفقت عليه كل المصادر تقريباً . وقد أنعمت فى تدبر الأسباب الحادية على النفى فلم أجد فيها مقنعاً به من القوة ما يقف لهذه الروايات الصحيحة

والتاريخ لا يثبت خبراً أو ينفيه تبعاً لميل مؤلف أو رأيه ، ولا بد فيه حال النفى من التعرض لجميع الأخبار المثبتة بالتوهين ، خبراً خبراً . وهذا لم يصنعه الأستاذ شاكر

وأمر ادعاء المتنبي العلوية ليس فيه ما يهيج عليه الناس كل هذا ، على رغم ذلك الخيال الجميل الذى لبس إدعاءه إياها فى الكتاب المذكور

وإذا كان ما ذهب إليه الأستاذ صحيحاً ، ففيم كان خجل أبى الطيب وحياؤه كلما سئل عن أمر لقبه ( المتنبي ) ؟ ولم كان يعمد إلى اشتقاقه من النبوة تارة ، ويعتذر بأنه شىء كان فى الحداثة تارة ، ويقول إنه يكره التلقب به ، وأنه يناديه به من يريد الغض منه ؟ وعلى أى شىء تقع كلمة كافور « من ادعى النبوة بعد محمد أما يدعى الملك مع كافور » ؟ وكافور ليس من الذين يختلقون على شاعر ولا ممن يروج الاختلاق

وقد روى المعرى — وهو الحجة الثبت — أمر التنبؤ وما حف به من حادث ومعجزات ، فى رسالة الغفران . وأبو العلاء كان أحرى أن يشك أو يكذب الخبر لو أن فى الأمر مجالا للشك وإحتمالا للتكذيب لأنه أشد حباً للمتنبي وعصبية له ، وهو أنفذ بصيرة فيما يقال وأحكم نقداً للاخبار ، مع قرب زمن وصفاء ذهن وقوة حجة ومواتاة وسائل التحقيق إذ ذاك

وما بلغت مشيئتها الليالي ... ولا سارت وفي يدها زمامي
إذا امتلأت عيون الخيل مني ... فويل في التيقظ والمنام

بهذه القوة والاطمئنان يتحمس المتنبي لنصرة دعوته ويحاول تمكينها من القلوب ، فلنصغ إلى أبي العلاء المعرى في رسالة الغفران يحدث عن معجزات نسبت الى أبي الطيب ، قال :

« وحدثت أن أبا الطيب لما حصل في بني عدي وحاول أن يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ( ههنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها أقررنا أنك نبي مرسل . وأنه مضى إلى تلك الناقة وهي رائحة في الابل ، فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتنكرت برهة ، ثم سكن نفارها ومشت مشي المسمحة ، وأنه ورد بها الحلة وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم

وحدث أيضاً أنه كان في ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام فجرحته جرحاً مفرطاً ، وأن أبا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته ، وقال للمجروح : لا تحلها في يومك ، وعد له أياماً وليالي ، وأن ذلك الكاتب قبل منه ، فبرئ الجرح ، فصاروا يعتقدون في أبي الطيب أعظم اعتقاد ويقولون هو يحيي الأموات

وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية أو في غيرها من السواحل ، أنه أراد الانتقال من موضع الى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألح عليهما في النباح ، ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : إنك ستجد ذلك الكلب قد مات ، فلما عاد الرجل لقي الأمر على ما ذكر

ولا يمتنع أن يكون أعد له شيئاً من المطاعم مسموماً وألقاه له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل . » اهـ

هذا ما ذكر المعرى من معجزاته وقد ذكر غيره معجزات أخر نضرب عنها صفحاً ، لبعدها عن العقل ولأن راويها ليس في التثبت بمكان أبي العلاء

وفي ديوان أبي الطيب قصيدتان قالهما في صباه ، تفيضان أملاً وطموحاً وكفاحاً ، وأنا أجعل زمانهما فترة التنبؤ هذه ، حين كانت نفسه تجيش بأبعد المطامع وتوقن بالفوز والنجاح . لما وجد تلكؤ الناس عن اجابة دعوته في نخلة — إحدى قرى بني كلب — ومظاهرته بالعداء ، عزم على المضي بأمره وتحمل الأذى ، ورسم لنفسه هذه الخطة الواضحة في قصيدته :

ما مقامي بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود
مفرشي صهوة الحصان ولكن ... قميصي مسرودة من حديد
أين فضلي إذا قنعت من الدهر ... بعيش معجل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرز ... ق قيامي وقل عنه قعودي
أبداً أقطع البلاد ونجمي ... في نحوس وهمتي في سعود
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود
فاطلب العز في لظى ودع الذ ... ل ولو كان في جنان الخلود
إن أكن معجبا فعجب عجيب ... لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا ترب الندى ورب القوافي ... وسمام العدا وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمود

ولما رزقت دعوته بوارق من الاقبال في بني كلب سكر بنشوتها وطفقت نفسه تحدثه بقرب تحقيق الأمنية ، ثم استمر خياله يبني له هذا المجد حتى أنس من نفسه قوة وتحفزا ، فراح يتحدث بانفاذ ما رسم من خطة ، ولو وقفت دونه ملوك الأرض ، إلى أن تتم دعوته ويسود الناس . إن شئت فانظر في هذه الأبيات أهي لهجة شاعر يفتخر ، أم إيمان طماح واثق من نفسه كل الثقة ؟

سيصحب النصل مني مثل مضربه ... وينجلي خبري عن صمة الصمم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر ... فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة ... والحرب أقوم من ساق على قدم

وما قولك فيمن سيغني الأرض بالدماء عن الأمطار :

تنسي البلاد بروق الجو بارقتي ... وتكتفي بالدم الجاري عن الديم

ويخاطب نفسه هذا الخطاب الناري ، مشجعاً إياها ، مهوناً عليها أمر الناس فيقول :

ردي حياض الردى يا نفس واتركي ... حياض خوف الردى للشاء والنعم
إن لم أذرك على الأرماح سائلة ... فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

ثم انظر هذا الانذار الشامل والوعيد الرهيب لأهل الأرض وملوك العجم والعرب :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً ... ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان أجابوا فما قصدي بها لهم ... وإن تولوا فما أرضى لها بهم

هذه نفثة نفس جائشة تسلحت باليقين ورأت الخيال يلوح لها بقوة الحقيقة الواقعة ، مؤمن بالفوز ، واثقة من كفاءتها واضطلاعها بالأمور الجسام . وما أظن أبا الطيب حين قال هذه

القصيدة كاذباً فى نفسه ، لا بل كان يحدث عنها أصدق الحديث ، وإنما كان مخدوعاً ثائراً به شبابه الفائر ومواهبه المتقدة السراب ماء فذهب يصف ما تريه نفسه . وإلا فكيف تكون القصيدة أقوى ظهوراً منها فيما تلوت من شعره

تبعت أبا الطيب شراذم من عامة وأعراب ، ثم نمى خبره إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية . وأنه يخشى أن يستفحل أمره « نخرج إليه لؤلؤ ، فقاتله وأسره وشرد من كان معه من بنى كلب وغيرهم من قبائل العرب . وحبسه فى السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف ، فكانت حاله إلى الضراعة والاستكانة . وكانت هذه الضربة كافية فى إعادة رشده إليه وفى يقظته من حلمه اللذيذ الذى نعم به زمناً يسيراً فاستفاقت تلك النفس التى كانت تهذى فى حلمها وتقول :

إذا امتلأت عيون الخيل منى فويل فى التيقظ والمنام

وتقول :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً

ومن عصى من ملوك العرب والعجم

وهبطت من عليائها إلى أسفل الدركات فقالت :

أمالك رقى ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد

دعوتك عند انقطاع الرجا ء والموت منى كحبل الوريد

ثم سئل لؤلؤ فى أمره فاستتابه وكتب وثيقة وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الاسلام وأطاقه . وبهذا انطوت صحيفة من تاريخ أبى الطيب فى صباه ، على نزوة خلدها التاريخ على قلة ما يسجل للصبيان من نزوات

***

لم يفد أبو الطيب من مغامرته هذه إلا لقب ( المتنبى ) الذى لصق به على كره منه ، فكان يستحى بعد توبته كل الاستحياء . ذكر عنه المعرى أنه سئل عن حقيقة هذا اللقب فقال : « هو من النَّبْوة أى المرتفع من الأرض » ولما كان فى بغداد قال له أحد الأكابر : « خبرنى من أثق به أنك قلت إنك نبى ؟ » فقال أبو الطيب : « الذى قلته : أنا أحمد النبى »

قال أبو على بن حامد : « كان المتنبى فى مجلس سيف الدولة : إذا ذكر له قرآنه أنكره وجحده . وقال له ابن خالويه يوماً فى مجلس سيف الدولة : « لولا أن أخى جاهل لما رضى أن يدعى بالمتنبى لأن معنى المتنبى كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال أبو الطيب : لست أرضى أن أدعى بذلك وإنما يدعونى به من يريد الغض منى ، ولست أقدر على المنع »

ونقل صاحب طبقات الأدباء ص ٣٧١ عن التنوخى قال : قال لى أبى : « أما أنا فسألته بالأهواز عن معنى المتنبى لأنى أردت أن أسمع منه هل تنبأ أو لا ؟ فجاوبنى جواب مغالط وقال : « إن هذا شىء كان فى الحداثة ، فاستحييت أن أستقصى عليه فأمسكت »

وزعم جماعة أن اللقب لصق به لتشبهه بالمسيح مرة ، وبصالح مرة فى أبياته التى مرت

وكيفما كان فان الذين عاشوا فى زمن المتنبى وبعده مجمعون على ادعائه النبوة ، وكان هو يجهد أن ينفى التهمة فى حياته خجلاً وحياء . وليس بين الأمرين تناقض ولاداع إلى حيرة . وقد كان هذا اللقب على أبى الطيب من أشد ما كابد فى حياته : فقد منعه كافور الولاية بسببه ، ولما عوتب قال : « ياقوم ، من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا يدعى الملك مع كافور ؟ فحسبكم » وكلما أراد عدو أو شاعر ايلام المتنبى هجاه ونبزه بهذا اللقب

( للبحث بقية ) سعيد الأفغانى

# ٣ – دانتى أليجييرى

## والكوميدية الالهية
## وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

---

المطهر Purgatorio [1]

(١) تنفس دانتى صعداءه حين انتهى من دركات الجحيم ، وحين هب عليه أول أنفاس الفجر المنعش النَّدِى ! ونظر فرأى نجوماً أربعة تتألق فى بنفسج السماء ، ولجةً صاخبة ترغى وتزبد حول جزيرة نائية ، ينهض فوقها جبل شامخ رفيع الذرى ، كأنما يحمل القبة الأثيرية برَوْقيه ؛ وسأل عنه ڤرجيل فأنبأه أنه جبل المطهر ، وأنهما لابد موقلان فوقه ، ليصلوا منه إلى الفردوس ويلتفتان فيريان شبحاً ميمماً شطرهما ، وإذا هو شبح كاتو من يوتيكا ، أقبل ينذرهما بما ينبغى لهما أن يتزودا به من الايمان والصبر فى سفرتهما الشاقة فى أحياد الجبل ، وفوق صياصيه . ويتقدمان من الشاطئ فينضح ڤرجيل الماء على وجه دانتى ، ويلف حول خصره قصبة مما ينبت فوق الشاطئ (٢) وما يكادان يفرغان حتى يريا زورقاً يثب فى البعد فوق نواصى الموج ، وفيه ملك كريم يجريه بين العُدْوَتين ؛ وبين يدى الملك أرواح الموتى ، أقبلت من الدار الفانية إلى دار البقاء ؛ ويتبين دانتى بينها روح صديقه كاسيلا المغنى الفلورنسى المشهور ، الذى طفق يملأ الفجر بأغنياته الحلوة يحيى بها دانتى ، لولا أن استحثهما كاتو فانطلقا يهرولان شطر الجبل (٣) وينظر دانتى فلا يرى إلا خياله ، حين تشرق الشمس ، منبطحاً على السفح وراءه ، فينزعج ويحسب أن ڤرجيل قد غادره ورحل ، ولكن ڤرجيل يطمئنه ، ويخبره أن أرواح الموتى إن هى إلا أضواء شفافة لا تكون لها ظلال كما لأهل الدار الفانية . ويلفيان منحدراً صعباً لا يستطيعان تسلقه ، ولكن بعض أرواح الموتى تدلهما على شِعْب ضيق فينفذان منه ويلقيان فيه الملك منفريدى ملك نابلى الذى يعرف دانتى ، ويرجوه ، إذا رجع إلى الدار الأولى ، أن يلقى ابنته كونستانزا ملكة أراجون ويحدثها عن حكاية مقتل والدها التاعس الذى لا يدرى أحد كيف قتل (٤) ويُصعدان فى الجبل ، فى طريق كلما نؤى وركام وأحجار ، ثم يجلسان عند منعرج يستريحان مما عراهما من نصب ... حيث تهتفُ بهما بعض أرواح الموتى ، ويعرف بينها دانتى روح صديقه بيلا كوا ، الذى يحدثه أنه استحق أن يكون خارج الفردوس دهراً لأنه لم يعجل بالتوبة قبل موته إلا حين أدركه المنون . (٥) وينطلقان ، فيلقيان أفواجاً ممن لم يعجلوا بتوبتهم فأمهلوا عن دخول الفردوس كما أمهل بيلا كوا . (٦) ويلقيان أفواجاً أخرى فتتكبكب حول دانتى ، تتألم وتبكى ، وترجوه إذا عاد إلى الدار الأولى ، أن يبلغ أهليهم تحياتهم ، وأن يرجوهم أن يستكثروا لهم من الصلاة والدعاء ، عسى أن يخفف عنهم ، وأن يعجل بهم إلى الجنة !! ويعجب دانتى ، ويسائل ڤرجيل « وماذا تفيد هؤلاء صلوات أهليهم ؟ وهل للانسان إلا ما سعى ؟ » ، ولكن ڤرجيل يذكر بياتريس ويذكر أن صلاة دانتى قد نفعتها ، وقد عجلت بها إلى الفردوس . ثم يلقيان سوردللو ، فيشكو إليه دانتى تدابر الايطاليين وتقاطعهم وقلة اهتمامهم بجمع كلمة إيطاليا وانهاض الامبراطورية الرومانية . (٧) ويرخى الليل سدوله فيتقدم سوردللو ليهديهما سواء السبيل فيدلهما إلى منعرج مزهر يريان فيه أرواح بعض الملوك والأمراء كالامبراطور رودولف ، وأوتوكار ملك بوهيميا ، وهنرى الثالث ملك انجلترا ... الخ ... ويتحدث دانتى إلى بعضهم (٨) ويتنزل ملكان عظيمان من السماء ، فى يد كل منهما سيف من نور فيحرسان الوادى ، ولكن سوردللو يستأذنهما فيأذنان له ، فيقود الشاعرين إلى شِعب جميل يلتقى فيه روح نينو قاضى جاليورا فيكلمه دانتى فى بعض ما كان من مشكلات الدنيا ، ثم يلقى أحد إخوانه من الموتى فيتنبأ له عما سيلقاه من نفى وتشريد ونزح عن الديار حين يعود إلى الدنيا (٩) وينام دانتى ، ثم يصحو بعد الشروق بساعتين فيجده قد حمله من يدعى لوسيا إلى باب المطهر حيث يأذن لهم حارسه ، وهو من الملائكة ، باجتيازه . (١٠) ولا ندرى كيف ينتكس دانتى فيعطينا فى المطهر صورة من أبشع صور الجحيم فى هذا الفصل العاشر ... فبعد أن يجتازوا ( سوردللو وڤرجيل ودانتى ) طريقاً حلزونياً حول صخرة كبيرة

---

(١) الأرقام التى تتخلل الكلام هى أرقام الفصول التى يتركب منها المطهر

يشرفون على واد سحيق مكتظ بأهل الكبرياء والخيلاء من موتى الدار الفانية وقد وقفوا فيه وفوق كواهلهم حجارة ضخمة من الرخام ينوؤون تحتها ويتضاغون ويبكون ! (١١) ويمرون بأقوام من أهل الدنيا الفانية قضى عليهم كِبْرهم أن يؤخروا فى منزلق صعب عن الجنة جزاء صلفهم فى دار الغرور (١٢) ثم يتقدم إليهم ملك فينقلهم من دارة المطهر الأولى إلى دارته الثانية . (١٣) حيث أهل الحسد والحقد والغيرة ... وقد خيطت أعينهم بسلوك من حديد ، ويجد دانتى من بينهم السيدة سابيا السينية التى تتحدث اليه فتخبره عن سبب تخلفها هنا . (١٤) ثم يلقى واحداً من سكان وادى الأرنو (النهر الذى تقع عليه فلورنسا) فيحدثه عن سبب انحطاط الفلورنسيين وسائر سكان هذا الوادى ، ثم انحطاط الناس فى رومانا .... ويمضى الشاعران بين ضجيج الأرواح الهائمة ، تلغط جميعاً بهراء من الحسد والأحقاد القديمة (١٥) ويحدوهما ملك كريم إلى الدار الثالثة من المطهر حيث تطَّهر الأرواح من سورة الغضب والجوح الدنيوى ، وبعد أن يكلم دانتى بعض هذه الأرواح السادرة ينشر ضباب كثيف يغشى الوادى ، ويضل فيه الجميع (١٦) ويتعرفون الطريق على أصوات الأرواح التى تصلى لبارئها ، ثم يبرز من الضباب روح جرىء (ماركو لومباردو) فيكلم دانتى ويقنعه أن الله القدير قد وضع فى كل نفس إرادةً حرة تهدى إلى الرشد أو تنتهى الى الضلال ، وأن فساد الدنيا هو الثمرة المرة لهذا المزيج غير المتكافئ فى نفوس الحكام من القوى الروحية والشهوات الحسية (١٧) وينجاب الضباب ، أو هم يخلصون منه آخر الأمر ، ويتقدم اليهم ملك جميل فيقودهم إلى الدار الرابعة من دارات المطهر ؛ حيث يقر أهل الكسل وعدم المبالاة ليخلصوا من أدرانهم (١٨ — ١٩) ويتحدث ڤرجيل حديثاً طويلاً عن الحب ، فيقسمه إلى حب طهرى وحب شهوى ، ويعزو إلى الأول كل ما يصدر من خير والى الثانى كل ما يمسخ الحياة من شر ؛ ثم يقودهما ملك آخر الى الدار الخامسة حيث يطهر الطامعون وجامعو المال من خبثهم ، ويلقى بين هؤلاء البابا أدريان الخامس فيكلمه (٢٠ — ٢١) ويلقى دانتى الملك هوج كانت من ملوك فرنسا فيحدثه هذا عن أحفاده وذراريه من ملوك ذاك البلد . ثم تزلزل الجبل ويميد بمن عليه فتهتف الأرواح الهائمة على جنباته : «المجد لك يارب ... العظمة لك يا الله !» . ثم يتقدم الى الشاعرين روح قد تم تطهيره وأخذ طريقه الى الفردوس ، ويدعى ستاتيوس فيشرح لهما سبب الزلزلة السالفة ثم يتقدم الى ڤرجيل فيعرفه ويكاد يطير من الفرح للقائه (٢٢) ويخب الثلاثة فى طريقهم الى الدارة السادسة حيث يطّهر النهومون وأهل البطنة ، وحيث يرون شجرة[1] باسقة ذات طلع نضيد وفاكهة حلوة يفوح أرجها ، وفى أوراقها أرواح تذكر الله وتسبح بحمده ، وتشكر له ما رزقها من عفة (٢٣ — ٢٤ — ٢٥) وينظر دانتى فيرى روح صديقه فوريز الذى ينتقد بشدة هذا الملبس الجديد الشاذ الذى اتخذه أهل فلورنسا ، ثم يُرى دانتى جماعة من أصدقائه التلبثين فى المطهر ومنهم خصمه السياسى الكبير كورسو دوناتى ، ويصل الثلاثة الى شجرة أخرى تخرج من بين أوراقها أصوات رائعة تردد أمثلة فى النهم ، ثم يتقدم اليهم ملك فيهديهم الى الدارة السابعة والأخيرة من المطهر حيث يطهر أولئك الذين كانوا لا يستطيعون كبح نفوسهم وضبط عواطفهم ساعة الغضب . وهم يطهرون ثمة فى نار حامية (٢٦ — ٢٧) وترى الأرواح الهائمة فى النار ظل دانتى على اللهب فتدهش لوجود حى من بنى الدار الفانية فى هذا المكان الأخروى المقدس ، ثم يتقدم إليه روح صديقه جيدو جوينيشيلى الشاعر الايطالى المعروف فيتحدث اليه برهة كما يتحدث اليه روح آخر . ثم يقودهم ملك كريم عَبْر النار إلى المعراج المؤدى إلى السماء .. جنة الأبرار .. ولكن الليل يقبل ، فيجلس الثلاثة (ڤرجيل ودانتى وستاتيوس) عند حنية رخية النسيم ، حيث ينام دانتى فيرى رؤيا جميلة . ثم يهب مع الصباح فيودعه ڤرجيل ، ويترك له الحرية الكاملة للتجول فى السماء حتى يلقى بياتريس (٢٨) ويذهب دانتى فى السماء صعداً حتى يبلغ الغابة الفردوسية الوارقة ، ولكن نهراً من أنهارها يحجز بينه وبين فتاة لاهية هيفاء وقفت فى روضة ناضرة تقطف الزهر ذا الشذى ؛ فيكلمها دانتى ، ولكن الفتاة تأخذ معه فى شرح جغرافية هذا المكان ، وتخبره أن هذا النهر الذى يفصل بينهما هو نهر ليث[2] ، وان يكن اسمه يونو فى مكان

(١) تشبه هذه الشجرة سدرة المنتهى التى سيأتى ذكرها فى الكلام عن المعراج فنلفت نظر القارىء لذلك

(٢) من أنهار الميثولوجيا اليونانية ، فلينتبه القارىء

آخر (٢٩) وتخطر الفتاة ، فى عكس مجرى النهر ، ويمشى دانتى تلقاءها ، ويتحدثان حديثاً مشجياً ، ثم يسمعان موسيقى بعيدة فينظران ، فاذا حفل حاشد فى أديم الفردوس يلوح فى الأفق . (٣٠) وتمضى لحظة ، واذا ملاك كريم يتيه فى شفوف بيض يتنزل من السماء الى مسرى دانتى ، وينظر الشاعر ، فيرى حبيبته بياتريس هى هذا الملاك الطاهر فيكاد يجن من الفرح ... ولكن بياتريس تأخذ معه فى عتاب حلو وعذل رفيقه (٣١) فيعترف الشاعر أنه مخطئ فى كل ما أخذت عليه حبيبته ، ويركع بين يديها معتذراً ثم يسجد سجدة طويلة باكية ، وتتقدم اليه ماتيلدا — الفتاة السابقة — فتأخذ بيده ، وتخوض به لجج ليث ، ثم تقدم اليه أربع عذارى فاتنات ، يمثلن الفضائل الكنسية ، وهؤلاء يقدمنه الى جريفون ، رمز المخلص ، السيد المسيح ، والى ثلاث عذارى أخريات يمثلن الفضائل الأنجيلية ، وهؤلاء يقدمنه الى بياتريس التى تنسى دانتى جمالها الخالق ، وتشغفه بجمالها الروحى (٣٢ – ٣٣) وينطلق الجميع (دانتى وماتيلدا وستاتيوس وبياتريس) ويحذرون دانتى ألا يحدق النظر فى حبيبته لئلا يعشى بصره من شدة لألائها . ثم يصلون الى دوحة عظيمة هى شجرة المعرفة التى أكل منها آدم وطرد بسببها من الجنة ، فيرى الى أطيار وأشباح غريبة تهبط من علٍ فتسكن فيها ، ويتبين منها دانتى بازياً ونسراً وثعلباً وتنيناً . . . . وتتقدم بياتريس الى الشجرة هى والعذارى السبع فينشدنه أنشودة من أناشيد الجنة ، ثم يمضى الجميع وتكلم بياتريس دانتى ، فتكشف له عن شؤون غيبية ستحدث له فى الدار الفانية حينما يعود اليها . ويكونون عند النبع الأكبر الذى يفترق عنده النهران ليث ويونو ؛ وهنا تشير بياتريس الى ماتيلدا فتتقدم هذه الى دانتى وتسقيه جرعة من مياه يونو ، التى تكون هى وأمواه ليث عظمة الاله وحكمته وجبروته

(للبحث بقية) د . خ



أندلسيات

# أبو بكر بن العـــربى

## للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

نترجم اليوم لامام عظيم من أئمة المسلمين ، وعلم من أعلام هذا الدين ، الذين أنجبتهم الأندلس فيمن أنجبت ، فأثروا فى العلوم الاسلامية تأثيراً ، ونظروا فيها تنظيراً ، وفصّلوا ما أجمل منها تفصيلاً ، وسجلوا من ثم أسماءهم فى سجل الخلود تسجيلاً ..

هذا الامام هو العالم الحافظ الأصولى المحدث الفقيه الأديب الثبت الثقة أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافرى الاشبيلى الأندلسى المعروف بالقاضى أبى بكر بن العربى ..

نَجَلَ هذا الامام[1] أبوان كريمان فاضلان مُعْرِقٌ لهما فى الفضل والكرم ، ومن ثم تداركته أعراق صِدْق وكان منه هذا النابغة العظيم ، ولا جرم ، فان للوراثة أثرها ، وللبيئة أثرها البالغ كذلك ، هيأهما قدر من الله نافذ ، وخط فى أم الكتاب مسطور ، وذلك أن أمّ المترجم له هى بنت أبى سعيد عبد الرحمن الهوزنى صاحب صلاة الجماعة بقرطبة فى عهدى عبد الرحمن الداخل وابنه هشام ، وهو رأى أبو سعيد والد أبى القاسم الحسن الهوزنى أحد العلماء الأعلام والسروات النابهين ، وهو — أى أبو القاسم — والد أبى حفص عمر ابن الحسن الهوزنى الكاتب البارع الألمعى . أما أبو المترجم له فهو أبو محمد عبد الله بن محمد أحد فقهاء أشبيلية ورؤسائها ، وكان له عند المعتمد بن عباد أعظم ملوك الطوائف وعند أبيه المعتضد من قبله منزلة باسقة . . ولما انقضت دولة المعتمد بن عباد وسائر ملوك الطوائف باستيلاء يوسف بن تاشفين ملك مراكش على الأندلس خرج أبو محمد ومعه ابنه المترجم إلى الحج ، وذلك سنة ٤٨٥ هـ — سنة ١٠٩٢ م — وسن المترجم له إذ ذاك زهاء سبعة عشر عاماً ، إذ كان مولدُهُ سنة ١٠٧٥ م ، وقد تأدب المترجم باشبيلية قبل ارتحاله مع أبيه وقرأ القراءات وسمع أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزنى وأبا عبد الله السرقسطى وغيرهم ، وفى ذلك يقول من كتاب له : « حذقت القرآن ابن تسع

(١) نجله ولده

سنين ثم ثلاثة لضبط القرآن والعربية والحساب ، فبلغت ست عشرة ، وقد قرأت من الأحرف نحواً من عشرة بما يتبعها من إظهار وإدغام ونحوه ، وتمرنت فى العربية واللغة ثم رحل بى أبى إلى المشرق . » ولما ذهب إلى الاسكندرية سمع الانماطى وغيره ، وسمع بمصر أبا الحسن الخلعى وغيره ، وبدمشق غير واحد ، ولقى ببغداد أبا حامد الغزالى وغيره ، وفى لقائه الغزالى يقول فى كتابه قانون التأويل : « ورد علينا ذا نشمند — يعنى الغزالى — فنزل برباط أبى سعد بازاء المدرسة النظامية معرضاً عن الدنيا مقبلا على الله تعالى فمشينا إليه ، وعرضنا أخيلتنا عليه ، وقلت له : أنت ضالتنا التى كنا ننشد ، وإمامنا الذى به نسترشد ، فلقينا لقاء المعرفة ، وشاهدنا منــه ما كان فوق الصفة ، وتحققنا أن الذى نُقل إلينا من أن الخبر على الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم ، ولو رآه علِى بن العباس — ابن الرومى — لما قال :

إذا ما مدحتَ امرأ غائباً ... فلا تَغْلُ فى مدحه واقصـدِ
فانك إن تَغْـلُ تَغْـلُ الظنو ... ن فيـه الى الأمد الأبعـد
فَيَـصغُـرُ من حيث عَظّمتَـه ... لفضل المغيب على المشهد

* * *

ثم حجّ فى موسم سنة ٤٨٩ وسمع بمكة أبا على الحسين بن على الطبرى وغيره ، ثم عاد الى بغـداد ثانية وصحب أبا بكر الشاشى وأبا حامد الغزالى والخطيب التبريزى وغيرهم من العلمـاء والأدباء وقرأ عليهم الفقه والأصول والأدب ، وقيّـد الحديث واتّـسع فى الرواية وأتقن مسائل الخلاف والأصول والـكلام (علم التوحيد) ثم صدر عن بغداد الى الأندلس وعاج على الاسكندرية وأقام بها مدة عند أبى بكر الطرطوشى [1] فمات بها أول سنة ٤٨٣ ثم انصرف هو الى الأندلس سنة ٤٩٥ وقدم بلدة اشبيلية بعلم كثير لم يأت بمثله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق — إلا الامام الباجى كما يقول المترجم من كلمة له — وسنترجم للباجى — وكانت رحلة علماء الأندلس وأدبائها الى المشرق — الى إفريقية — تونس والجزائر — ومصر والشام والعراق والحجاز ، والى خراسان وما إليها بل والى الهند والصين أحياناً — فى حركة ودؤوب عجيبين ، لا يكادان يفترقان على بعـد الشقة وصعوبة المواصلات واختلال الأمن ، كما كان كثير من المشارقة يرحلون الى الأندلس ، غير أن رحلة الأندلسيين الى المشرق كانت فى الأعم الأغلب لنشدان التبحر فى العلم والأدب واللغة والارتواء من سلسبيلها الثر الفياض إذ كان الأندلسيون يعلمون أن المشرق هو مهد العلوم والمعارف ، فكانوا لذلك يقفون من المشارقـة موقف الأبناء من الآباء ، أو التلاميذ من الأساتيـذ . كما كان من أغراضهم تأدية فريضة الحج . أما المشارقة فقد كان ارتحالهم الى الأندلس إما بدعوة من ملوكها للأفادة وبث العلم والفن والأدب كما كان الشأن مع أبى على القالى إذ دعاه الحـكم المستنصر ولى عهد الناصر ، ومع زرياب الموسيقى العبقرى إذ دعاه عبد الرحمن الأوسط ، وإما للربح والاتجار كما كان من الرازى محمد بن موسى والد أبى بكر أحمد بن محمد الرازى كبير مؤرخى الأندلس ، وإما للاستكشاف وحب الاسـتطلاع خدمة وللعلم من طريق السياحات كما كان من مثل ابن حوقل ، وإما للأقامة بالأندلس والاستمتاع بذلك الفردوس الاسلامى المفقود كما كان من كثير ممن نزحوا الى الأندلس وأقاموا بها ... «وبعد» فانا فى الحق لا نعلم أمة من الأمم كانت تعنى بالعلم وتحصيله ، وتعانى ماتعانى راضيه فى سبيله ، عناية المسلمين الأولين . وكان ذلك منهم نزولاً على حكم دينهم وحضه على التعلم والتعليم وطلب العلم ولو بالصين ... ولمناسبة السفر وصعوبته فى تلك العصور نورد هنا نبذة للمترجم له أوردها المقرى ، قال : « ولما ذكر القاضى أبو بكر ابن العربى فى كتابه قانون التأويل ركوبه البحر فى رحلته من إفريقية قال : وقد سـبق فى علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بزَوْله [1] ، ويغرقنا فى هوله ، فخرجنا من البحر ، خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت كعب بن سليم ونحن من السغب ، على عطب ، ومن العرى ، فى أقبح زى . . . تمجنا الأبصار ، وتخذلنا الأنصار . فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا ، وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا ، وأكرم مثوانا وكسانا ، بأمر حقير ضعيف ، وفن من العلم طريف . وشرحه أنا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه ، فِعْلَ السامِدِ اللاه [2] ، فدنوت منه فى تلك الأطمار ، وسمح لى بياذقته [3] ، إذ كنت من الصغر فى حد يسمح فيه للأغمار [4] ، ووقفت بأزائهم ، أنظر

---

(١) هو ابن أبى رندقة صاحب كتاب سراج الملوك ، وهو من علماء الأندلس ومات بالاسكندرية ، وكان من الزهاد الصالحين ، وكان كثيراً ما ينشد : إن لله عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فـكروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجـة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

(١) الزول العجب (٢) السـمود اللهو واللاه اللاهى بمعنى السامد
(٣) البياذقة فارسية معربة عن بيادة ، أى ما نسميهم المشاة ومنه بيدق الشطرنج ، والمراد هنا رجاله وأتباعه
(٤) الأغمار ، إما جمع غمر وهو الصبى الغر الذى لم يجرب الأمور ، وإما مصدر بمعنى الدخول فى غمرة الناس وزحمتهم

إلى تصرفهم من ورائهم ، إذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة فى خُلس البطالة ، مع غلبة الصبوة والجهالة ، فقلت للبياذقة : الأمير أعلم من صاحبه ؛ فلمحونى شزراً وعظمت فى أعينهم بعد أن كنتُ نزراً ، وتقدم إلى الأمير من نقل الكلام إليه ، فاستدنانى فدنوتُ منه ، وسألنى هل لى علم فيه بصر؟ فقلت : لى فيه بعض نظر ، سيبدو لك ويظهر ، حرّك تلك القطعة ، ففعل ، وعارضه صاحبه ، فأمرته أن يحرك أخرى ، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى ، حتى هزمهم الأمير ، وانقطع التدبير ، فقالوا : ما أنت بصغير ، وكان فى أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عمّ الأمير منشداً :

وأحلى الهوى ما شك فى الوصل ربه
وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى

فقال : لعن الله أبا الطيب أوَ يشكّ الربّ ؟

فقلت فى الحال : ليس كما ظنّ صاحبك أيها الأمير ، انما أراد بالرب ههنا الصاحب ، بقول : ألذّ الهوى ما كان المحبُّ فيه من الوصال ، وبلوغ الغرض والآمال ، على ريب ، فهو فى وقته كله على رجاء لما يؤمله ، ونقاة لما يقع به ، كما قال :

إذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى
فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض ، فى طرفى الابرام والانتقاض ، ما حرّك منهم إلى جهتى دواعى الانتهاض ، وأقبلوا يتعجبون منى ، ويسألوننى كم سنّى ، ويستكشفوننى عنى ، فبقرت لهم حذيثى (١) ، وذكرت لهم نجيثى (٢) ، وأعلمت الأمير بأن أبى مَعى ، فاستدعاه ، وقمنا الثلاثة الى مثواه ، فخلع علينا خلعه ، وأسبل علينا أدمُعه ، وجاء كل خوان ، بأفنان الألوان ، ثم قال — بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من إكرامه — فانظر الى هذا العلم الذى هو للجهل أقرب (٣) ، مع تلك الصبابة اليسيرة من الأدب ، كيف أنقذا من العطب . . .

(لها بقية)

عبد الرحمن البرقوقى

(١) بقرت حديثى فتحته وكشفته وأصل البقر الشق والفتح والتوسعة

(٢) نجيث الخبر ما ظهر من قبيحه يقال بدا نجيث القوم إذا ظهر سرهم الذى كانوا يخفونه والمراد هنا جلية أمرى

(٣) يريد الماحه بالشطرنج وليس يعاب مثله بمعرفته الشطرنج ولاسيما إذا لوحظ أن ذلك كان منه فى حداثة سنه وذلك دليل على رجحان لبه وذكاء قريحته وعلى ذلك قد عاب هو نفسه مثل هذا العلم إذ جعله للجهل أقرب اهـ

# جامعة الاسكندرية

## بقلم ابراهيم جمعة

المتحف الاسكندرى — جامعة على غرار الأكاديميات الأثينية — وجه الخلاف بينهما — الغرض من إقامة المتحف — راعى المتحف — جامعة الاسكندرية وجامعات العصور الوسطى فى أوروبا — الشبه بين كلية الملكة وكلية أول سولز فى اكسفورد وبين جامعة الاسكندرية — النظام الداخلى للجامعة — علماء هذا العصر — مكتبة المتحف

— ١ —

تحققت فى مصر سياسة الاسكندر الأكبر — تلك السياسة التى كانت ترمى الى صبغ البلاد المفتوحة بصبغة إغريقية هلينية ، وقد ساعد على تحقيق حلم الاسكندر إنشاؤه مدينة الاسكندرية لتكون مركزاً لتلك الثقافة الجديدة . وقد جرى أعقابه فى مصر من البطالسة على سياسته ، فجعلوا الاسكندرية من حيث التجارة وريثة لبيريه ميناء أثينا التجارية كما جعلوها وريثة لأثينا نفسها من الوجهة العلمية — وهكذا تكون الاسكندرية قد قامت فى وقت هوى فيه لواء العلم من عل بهمة سامية ظلت تقوم باعبائها عدة قرون

وكان أكبر مظاهر هذه الوراثة تأسيس بطليموس سوتر لمتحف الاسكندرية — والمتحف الاسكندرى جامعة علمية ، وإنما سميت الجامعة متحفاً لقيامها فى ركن من أركانه . وقد كانت تلك التسمية شائعة فى العصر الاغريقى ، فقد كان يطلق لفظ «الجمنازيوم» على جامعة بيرين . . وقد انحدرت هذه التسمية من العصور القديمة الى العصور الوسطى فالحديثة ، فما يزال يطلق لفظ المتحف « ميوزيوم » على بعض الأندية الأدبية فى ألمانيا حتى الآن

فلا غرابة إذن إذا أطلقنا لفظ المتحف الاسكندرى وأردنا به جامعة الاسكندرية ، فقد كان كل ما فى المتحف من شتى أنواع الحيوان والنبات ومن مجموعات الكتب النفيسة والمخطوطات وما إلى ذلك عوناً على الدراسة العلمية المنظمة ، والبحث فى حياة الكائنات ، وتقصى الحقائق والتأليف ، مما كان فى مجموعه أشبه شىء بمهمة الجامعات فى العصور الحديثة

أنشأ سوتر هذا المتحف بمساعدة فيلسوف أثينى هو « ديمتريوس فاليرون » الخطيب اليونانى الذى استصحبه سوتر

فى عودته من حرب ديمتريوس ملك مقدونيـة . ومما يدعو الى كثير من الأسـف أننا لا نعثر الآن على كثير من معالم ذلك المتحف فى حين استطعنا أن نلم بكثير من المعلومات عن المعاهد المعاصرة له . ومن عجب أن يكون هذا ، لأن المتحف أنشئ فى وضح التاريخ ، وفى عصر عاهل شهير ، وفى مدينة من أعظم مدن العالم القـديم ! ولعل التنقيب يكشف عن بعض معالم المتحف الاسكندرى لو كان للتنقيب من سبيل

غير أنه لحسن الحظ استطعنا أن نصل إلى بعض انتاج المتحف الإسكندرى فى النقـد الأدبى وفى العلوم الرياضية والجغرافية وغير هذه وتلك من فروع المعرفة الانسانية ، فاذا لحظنا ضعفاً ظاهراً فى الأدب والشعر والفلسفة ، فانما يعزى ذلك الى ضعف هذا العصر الأول من عصور الجامعة فى هذين النوعين من الانتاج بالمقارنة مع أثينا وأيونيا اللتين كانتا إذ ذاك فى أوجهما العلمى

إن فـكرة جعل الاسكندرية مركزاً للتجارة ومستقراً للعلوم والآداب والفنون ، اختمرت تدريجاً فى ذهن بطليموس سوتر اختماراً ساعـد على اخراجه الى عالم الحقيقـة ذلك الفيلسوف الاغريقى . . وكان لا بد أن يكون تأسيس المتحف على غرار يونانى بحت ، إذ أنه وليد فكر يونانى كما نرى ..

نشأت المدارس اللاتينيـة بادئ الأمر فى شـكل حلقات للدرس ، تنتظم حول معـلم يتحدث إلى تلاميذه فى فرع من فروع المعرفة ، وما لبثت هذه الحلقات أن استحالت الى هيئات علمية منظمة ، عرفت كل منها باسم معلمها الأول ، واتخذت اسم « الأكاديمى » وقد كانت هذه الهيئات العلمية فى بلاد اليونان بعيدة عن أى إشراف حكومى ، إلا فى الأوقات التى كانت ترى فيها الحـكومات ضرورة قصوى للتدخل فى حريتها العلمية ابتغاء الحد من تلك الحرية ، محافظة على سلامة الأداة الحـكومية من أى شطط ينتجه التفكير الحر

أما فى مصر فقـد حتمت البيرقراطية الحربية أن يكون المتحف تحت الاشراف الحـكومى المباشر وفى رعايته . وهكذا كان المتحف ، أو كانت جامعة الاسكنـدرية ، من بدء إنشائها هيئة حكومية تستمد وجودها مباشرة من الملك ، ويستمد كل فرد من أفرادها حريته منه

لم يكن الغرض الذى قصد إليه بطليموس من إنشاء هذا المتحف هو أداء رسالة معينة تصدر عن ذلك المعهد ، ولم يكن هو يدرى فى كثير أو قليل الفرق بين المعهـد الذى أنشأه وبين تلك الأكاديميات الأثينية التى ازدهرت فى أثينا ، وإنما الظاهر للباحث أنه قصد من وراء إنشائه الى غرض قد يكون سياسياً وقد لا يكون ، قصد إلى أن يجعل المدينة التى جعلها الاسكندر عاصمة له مركزاً لحـكم العالم الهلينى بأسره ، فمن أجل هذا كلف سوتر بالاستيلاء على مقدونية ، وبفرض سيطرته المطلقة على البحر الأبيض الشرقى ؛ ولا شك أن هذه السياسة شبيهة بسياسة التوسع التى جرى عليها الاسكندر مع فرق جوهرى هو أن الاسكندر كان يجعل مقدونيا نواة لأمبراطوريته ، بينما كان سوتر يرمى الى جعل مصر التى آلت إليه بعد موت سيده نواة لأمبراطورية بطليموسية

والذى يتأمل فى شخصية سوتر لا يرى غرابة فى سعة أطماعه التى أصبحت الاسكندرية بحكم الظروف مركزها الطبيعى ، لهذا لم يأل سوتر جهداً فى توفير مظاهر الأبهة والعظمة لمدينته الخالدة ، وإذن فقد كان الغرض الأول والأخير من إنشاء المتحف هو أن يجمع فى الاسكندرية جمهرة من العلماء تفكر ، وتحاضر ، وتكلف بالبحث ، امتازت بتفوقها العلمى والأدبى لأنها كانت جمهرة منتقاة ابتغاء التشبه بأثينا وعلمائها ، أثينا عاصمة العالم الهلينى ومستودع علمه .. وبهذا تـكون رغبات سوتر منحصرة فى أن يسلب مقدونيا نفوذها السياسى ليتركز فى مصر ، وأثينا نفوذها العلمى ليستقر فى الاسكندرية

وكانت هذه الجمهرة من العلماء تسكن المتحف ، تحت إشراف رئيس دينى يعينه الملك من الـكهنة ، ويجدر أن نذكر هنا أنه لم يكن مصريا كمعظم هيئة المتحف ، وقد كانت مهمته قاصرة على رعاية المتحف رعاية دينية ، وهو تقليد جامعى نقلتـه جامعة الاسكندرية عن جامعة أثينا بشىء من الاختلاف ، إذ كان راعى الأكاديمية الأثينية ينتخب انتخاباً . أما راعى جامعة الاسكندرية فقد كان يعين تعييناً لمدة تطول وتقصر تبعاً للارادة الملـكية

ولما أن استطاع سوتر أن يجعل للاسكندرية مكانة سياسية ممتازة ، وتمـكن فى الوقت نفسه أن يحيطها بجو علمى خاص ، أمها الطلاب من جميع أنحاء العالم الهلينى يطلبون العلم على خير أساتذته

وقد كانت مهمة هذه الجامعة الناشئة أول أمرها قاصرة على النقد العلمى ، والنظر فى مؤلفات السابقين ، دون أن تكون مبتدعة أو مضيفة إلى الثروة العلمية .. وتعوزنا المعلومات عن عدد الطلاب المختلفين إلى حلقات الدرس بالجامعة ، وعن نظام معيشتهم ، وعن العلاقة بين هؤلاء الطلاب وبين أساتذتهم لنستشف من هـذه العلاقة شيئاً عن الروح الجامعية فى جامعة الاسكندرية

وفى هذا السبيل لم نصل إلى أكثر من أن عدداً من الطلاب الغرباء أم الاسكندرية طلباً للعلم ، ولا بد أن يكون هـذا العدد قد سكن المتحف أو سكن المدينة على مقربة من المتحف ، حيث لم يكن لهم فى المدينة غاية غير الدراسة

حقاً لقد كان بالمتحف أروقة ، ولكن الشائع أنها كانت لسكنى العلماء ، ولكن حقيقة معينة تدعو إلى الاعتقاد بأن الطلاب عامة سواء أكانوا من الوطنيين أم الأجانب النازحين ، كانوا يساكنون الأساتذة فى تلك الأروقة ، تلك هى التى يذكرها « مافى » فى كتابه « الحياة والعقائد الاغريقية » ويقرر فيها أن نظام جامعة الاسكندرية كان كنظام « كلية الملكة » فى اكسفورد فى أول إنشائها ، أشبه شىء بمدرسة داخلية يختلف فيها الطلاب إلى دروس يلقيها الأساتذة ثم ينصرفون فى أوقات فراغهم إلى الاستذكار . وأقل ما يؤخذ من هذا أن الطلبة كانوا يعيشون مع أساتذتهم فى بناء واحد ، ومن شأن هذا أن يعطى مجالاً للتعاون العلمى بين الطلبة من ناحية وبين الطلبة وأساتذتهم من ناحية أخرى ؛ ومن شأنه أيضاً أن يظهر الجامعة بمظهر لا يتفق مع سمو النظام الجامعى الذى يجب أن يكون أميز خصائصه البحث العلمى ، وأخذ الطلاب به تدريجاً حتى تنمو فيهم ملكته . وهذا ما فطنت إليه جامعة الاسكندرية ، فنزلت عن النظام العتيق تدريجاً واشترك الطلبة فى الأبحاث العلمية ، وقاموا أحياناً بواجب الأساتذة تمريناً لهم على مزاولة التدريس الجامعى . ووقعت جامعات أوربا فى العصور الوسطى — ولاسيما كلية الملكة فى اكسفورد — فى مثل ما وقعت فيه جامعة الاسكندرية من خطأ ، ولكنها أدركت ما فى هذا النظام من قصور ؛ وجاءت كلية « أول سولز » فى شكلها الأخير مصححة لهذا الخطأ فى النظام الجامعى حيث يقوم « الرفقاء » بأبحاث علمية وأدبية بعد حصولهم من جامعة اكسفورد على درجاتهم العلمية

ويحق لجامعة الاسكندرية أن تفاخر جامعات العالم طرا بما سبقت إليه من جمع الآداب اليونانية ، وتهذيبها ، وتنقيتها من الشوائب ، بما توفر لعلمائها وطلابها فى زمن بطليموس فيلادلف من القدرة الفائقة على النقد الأدبى

ولم تكن الجامعة معهد العلم الوحيد فى المدينة ، فقد كان إلى جانبها بعض المدارس اليهودية يتلقى فيها أبناء اليهود شرائع ديانتهم — وقد صحب دخول المسيحية نشأة بعض المدارس النصرانية ، ناوأت الجامعة واليهودية معاً ، وفيها نمت القومية المصرية ، ونضج الشعور القومى ، وانتقض فى وقت ما على الآثار الاغريقية والرومانية كما سنفصله فيما بعد

ويذكر « مافى » فى كتابه « إمبراطورية البطالسة » أن جامعة الاسكندرية اتخذت نموذجاً لكل الجامعات التى تلتها فى أوربا ، فعلى غرارها تأسست جامعات أوربا فى العصور الوسطى

أما المكتبة الشهيرة فلا تمدنا المصادر التاريخية بشىء قاطع فى شأن مكانها : أكانت متصلة بالمتحف ، أم كانت منفصلة عنه ، وهل كان أمين تلك المكتبة — وهو شخصية عرف عنها كثير من الفضل والأدب — عضواً من أعضاء المتحف . والغالب على الظن أن المكتبة كانت وثيقة الاتصال بالمتحف ، تمد الباحثين فيه بحقائق العلوم التى وصل إليها الاغريق فى أثينا وأيونيا من قبل

ويرجح أن تكون أول مكتبة أنشئت مع المتحف فى وقت واحد فى حى البروكيون — ولا يذكر « سترابو » ، وقد زار الاسكندرية فى عهد أغسطس شيئاً ما عن المكتبة أو عن احتراقها — وكل ما ذكره « ديودور » أنه اطلع على نشرات كانت تصدر فى البلاط الملكى استمد منها بعض معلوماته

ويغلب أن تكون المكتبة قد جمعت بنفس الطريقة التى جمعت بها بعض المكتبات الانجليزية الشهيرة كمكتبة « سنيرلاند » ومكتبة « سبنسر » كما تجمع وتقتنى قطع الخزف الأثرية أو الصور التاريخية سواء بسواء

« للبحث بقية » ابراهيم جمعه

من أدبنا المجهول — شاعر يرثي ولده بديوانه

# اقتراح القريح واجتراح الجريح

## لأبي الحسن الحصري (١)

[ للأستاذ الزيات عزاء وسلوة ]

للأديب السيد أحمد صقر

— ٣ —

### نموذج من شعره :

قال أبو الحسن على الحصرى من قصيدة — وهى الأولى —

حاشاك من نار على الأحشاء ... يزداد ضِعفاً حرها بالماء
عزيتنى فيما ترى وعزوتنى ... للصابرين ولات حين عزاء
من لى بأجر الصابرين وأعظمى ... موهونة من أعظم الأرزاء
هل مستطيع أن يكفكف دمعه ... من لا براح له على البُرَحاء
لهفى على ريحانة راحت إلى ... مثوى ثواب ليت فيه ثوائى
سالت حشاشة نفسه من أنفه ... فشهدت منه مصرع الشهداء
ونظرت فى قطع الرعاف فلم تمط ... حكم المنية حيلة الحكماء
فاذا أراد الله ميتة مدنف ... أخفى على الآسى دواء الداء
داواه من أدواه حتى قال لى ... لا تأتنى من ذا الردى بدواء
لا أشتكى أنى حرمت إجابة ... لولا شعوب لدَعْ عنه دعائى
والخير فيما اختار خالقه فقد ... آلت به الضراء للسراء
ولقد يَسُرُّ الله بالبأساء فى ... أحكامه ويضر بالنعماء

***

عرضت له تفاحةٌ نفاحة ... بعضُ الأماء فرد بالإيماء
ولو استطاع القول قال مشافها ... تفاح جنات الخلود شفائى
عبد الغنى لك المسرة غائبا ... ولى المساءة مصبحى ومسائى

وقال من قصيدة :

كان عبد الغنى للعين نورا ... ولقلبى هدى وللعيش طيبا
كان شيبى به شبابا فلما ... بان رد الشباب منى مشيبا
كنت فى غربتى كأنى به فى ... وطنى ، فانقضى فعدت غريبا
لم يدع فقده لمغناى معنى ... فخلا آهلا وضاق رحيبا
لست أنسى مقامه ومقامى ... وكلانا مثل القتيل خضيبا
أنفه ينثر العقيق وعينى ... تنثر الدمع بالعقيق مشوبا
ضمنى شاكيا إلى فقلبى ... كلما يشتكى يطير وجيبا
وبودى لو احتملت فداء ... عنه ذاك الضنى وتلك الكروبا
لم أطق فيه حيلة غير أنى ... مذ قضى نحبه ألفت النحيبا
مات من كنت أقطع البيد جرا ... ه وأرجو المنى وأخشى الخطوبا
ما أعز الحياة للمرء ! ما أبـ ... ـعد آماله وأدنى شعوبا
ما أقل الوفاء ، ما أضعف الطا ... لبَ فى ذا الزمانِ والمطلوبا
يا حبيب الإله لولا المنايا ... لشفى منك ما أعل الطبيبا
يوم ناديتَ : ( فرج الله كربى ... إننى اشتقت مسجدى والأديبا
ولِداتٌ سبقتهم لحقونى ... صار من كان غالباً مغلوبا
طال سقمى فارفع دواتى وأقلا ... مى ولا تمح لوحى المكتوبا
فاذا ما أفقت أدركت من فا ... ت وعادت عنقاؤهم عندليبا )
قُلتَ ما قلت ثم زاد سقام ... ودم غادر البياض شحوبا
فجرت عبرتى وأحسب نفسى ... فجرت ، كان برّها أن تذوبا
ولدى ! كيف نستوى ؟ انا فى حرّ الرزايا وأنت فى ظل ( طُوبى )
أنت حيث المقربون فأبشر ... وسل الله أن أراك قريبا
خضعت بعده رقاب لداتٍ ... كان فيهم معظما ومهيبا
كان يهدى قلوبهم ثم ولى ... فمعوا الآن أعينا وقلوبا
حق لى أن أشق قلبى بكاء ... لا أوفيك إن شققت الجيوبا

وقال :

إن قلوبا وجبت ... حق لها أن تجبا
مثلك يا عبد الغنىّ (م) البرّ لن أنتجبا

وقال من قصيدة :

يا نور عينى فقدتُهْ ... فى الفؤاد وجدتُهْ
يا كوكبا لقبونى ... بالبدر يوم ولدته
لم يهد ركنى سناه ... حتى خبا فاحدته

---

(١) راجع العددين ١٠١ و ١٠٢ من الرسالة

أنت النجيب ولكن    أبى الردى ما أردته
حلت يد الدهر عقداً    قد كنت من قبل شدته
أعارنى منك علقا    ثم اقتضى فرددته
بل سرنى فيك ربى    وساءنى فحمدته
تقاصر اليوم باع    للفخر فيك مددته
سهرت بعدك ليلى    وطالما قد رقدته
وكم نضحت بدمعى    حر الحشا لو بردته
يارب وف المرا    دى بولده ماوعدته
لاضيع الله أجرى    فأى وجد وجدته
أيوم مصرعه أم    يوم الحساب شهدته ؟
كان ابن تسع ولكن    فى الأكثرين عددته
لاحبذا العيش إنى    على الممات حسدته

***

عبد الغنى مفيدى    من الغنى ما أفدته
بيمنه كنت مهما    نصبت لليث صدته
وما زرعت رجائى    فى الصلد الا حصدته
ياابنى الذى كان يبنى    مجدى وإن كنت شدته
حططتنى يوم أودي    ت من منيف صعدته
قميص مصطبرى من    قبل عليك قددته
وفى جوارك أحبب    ت مضجعى لو مهدته
لعل قربك يشفى    كربى كما قد عهدته
إنى وربى هدانى    لنوره فتبعته
ما غاض بعدك ثكلى    إلا بكيت فزدته

وقال :

بكيت من سكن فى أضلعى سكنا
لو عاش لى لكفانى الدهر أوقاتا
فى كل وقت على فقديه أذكره    وربما نسى الأحباب أوقاتا

وقال من قصيدة :

دهر حوادثه شتى الأحاديث    فاسمع بما شئت عن نوح وعن شيث
تغرنا دارنا الدنيا بزخرفها    ونحن فى طلب الموت محثوث
تُوُفِّىَ الخلف الزاكى وعشت كما
ترضى العدى عيش مكروب ومكروث
حتى أعاف شراباً لست أمزجه    بعبرتى وطعاماً غير مغلوث
وكنت فى جنة حفت جوانبها
بالزرع والنخل والأعناب والبوث
فأصبحت يوم أودى وهى خاوية    جرداء من كل مغروس ومحروث
ويلاه ويلاه لا أشفى بتثنية    حتى أزيد ولا أشفى بتثليث
بكيت مستسقياً للدمع حين جرى
فلم أزد نار قلبى غير تأريث
أحب لقياه والبقيا لأندبه
فيا شعوب اعجلى إن شئت أو ريثى

***

أهم بنبشى قبرك الطيب الثرى
لعلى أستشفى وإن حرم النبش
كأنى وقد أودعتك القبر طائر
كسير جناح لا فراخ ولا عش

**الى العيد**

قد كنت هيمان مهموماً بلا جلد    فزدت ضعفين فى همى وتهيامى
عهدت ليلتك البيضاء نيرة    فما لها كحلت عينى باظلام
حتى تناسيت ما ودت من فرح    وقبحُ يوم يُنَسِّى حسن أيام
فالبست سوى الأحزان سابغة    ولا نحرت سوى إنسانى الدامى
ولا برزت لزوارى مخافة أن    أساء منهم بطلاق الوجه بسام
ورافل فى جديد كان يرفل فى    مثاله ابنى غداة العيد مذ عام

***

حبيبَ نفسىَ لو أعطيت ساكنها
أصاب نحرى وأخطأ نحرك الدامى
كأننى لم أكلم منك نابغة    ولا رأيتك ملء العين قدامى
ولا سمعتك تتلو الذكر فى سحر    بصوت داود فى إفصاح همام
مخايل فيك راقتنى محاسنها    سُرت بيده ولم تسرر باتمام
الحمد لله عدل منك ما نفذت    به المقادير من نقض وإبرام

سيد أحمد صقر

---

حاشية — أقحمت سهوا ترجمة الحذاء على أنها ترجمة للجلولى والصواب حذفها ( أنظر الرسالة ١٥١ ص ٨٩٧ )

# من تلميذ إلى أستاذه

بقلم محمد عبد السلام بحر

منذ سنوات خلت كنت أجلس أمام معلمى الأستاذ عبد الله عفيفى فى درسه وكلى أذن صاغية وقلب واع لما يدور فى خلده من شتى المعانى والصور ، فيجرى على لسانه خير آيات وعبر

بين جدران الفصل الأربعة ، وفى ذلك العدد القليل من زملائى ، كنت أنتهل من مورده العذب فى صمت مقتنعاً برأيه لا أنبس ببنت شفة — ولقد عودنا الأستاذ فيما عودنا حرية الرأى — فاليوم وقد نضجت فى أثماره فليهنأ بجنيها — ولكن أما وقد كبر الشيخ وذهبت أسنانه بددا — فليعان قضمها ، وليسمح لى بأن أجابهه بلسان الحق وعلى ملأ من الأدباء بمناقشة أدبية فى قصيدته التى رثى بها المغفور له الدكتور شاهين باشا . ولكن فى رفق كما كان يرفق بى ، وفى أدب كما يجب أن يتأدب ولد مع والد

لقد قال الأستاذ :

أشكو الأسى وبدا الآسى موسدة ... لقد تمادين فى الاسراف أيامى

ولقد سبق فضل الأستاذ على فعلمنى أن الفعل يطابق الفاعل إفرادا وتثنية وجمعاً ، تذكيراً وتأنيثاً إذا جاء بعده ، أما إذا سبقه فيجب افراده ؛ وترونه هنا يقول ( تمادين أيامى ) . معاذ الله أن أقول إن الأستاذ نسى هذه القاعدة . أو إنه تغافل عنها لضرورة (الوزن) ، وإنما أقول إنه يكشف عن آثار اللغات القديمة أمثال لغة ( أكلونى البراغيث ) التى كثيراً ما كان يعيب علينا وقوعنا فيها فى موضوعاتنا الانشائية

ثم يقول :

. . . . . . . . . . كد لعقل واشغال لأفهام

وهنا لا أقول إننى بحثت عن ( اشغال ) فى معاجم اللغة فلم أجدها ، وإنما أذكر الأستاذ بطرفة من طرفه الممتعة التى كان يخفف بها عنا عناء الدرس إذ قال : — كتب أحدهم مرة إلى ابن العميد — (أريد إشغالى عندك) — فرد عليه ابن العميد — ( إن من يكتب لى إشغالى ، لا يصلح لأشغالى )

ثم يقول :

. . . . . . . . . . عن نوح نائحة أو دمع أقلام

وفى بيت آخر :

. . . . . . . . . . رقبى الهلال على ديباجة العام

هنا لا يمكننى أن أقول إننى لا أفهم (دمع الأقلام ولا ديباجة العام ) — فان تأنيب الأستاذ فى مثل هذه المواقف لا زلت أذكره ولا يزال يرهبنى — وانما تخلصاً من هذا المأزق أقول إن الأستاذ يتصرف فى المعانى تصرفاً قياسياً ؛ فهو يقول : (دمع الأقلام وديباجة العام ) وأنا أطأطئ رأسى خاشعاً لهذه البلاغة العميقة فهى ليست على قياس ( جناح الذل وماء الملام ) فحسب ، بل هى أبلغ من هذا وأسمى . على أنه فى نفس الوقت كان يقصد (بديباجة العام) — ديباجة الشهر ، ولكن استلزمته القافية لأن يخلق هلالاً سنوياً على رأس أهلة الشهور الاثنى عشر لا يرقبه سواه

ثم يقول :

أبو الأطباء أودى ليت ناعيه ... لاقى الردى قبل منعاه بارغام

هنا يخيل إلى أن الأستاذ قد آلى على نفسه إلا أن تكون القصيدة أربعين بيتاً كاملة ، فقد زج بهذه الألفاظ فى هذا القالب زجاً — أو أنه قال : أبو الأطباء أودى — وقد تورط فرأى أن يدعو على الناعى الذى لا ذنب له فأنى بباقى البيت التزاماً للقافية — وأما إذا كانت هذه هى سنته فى كل مصرع فأولى به أن يدعو على سيدنا أبى بكر الذى نعى موت الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال : « من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت » . ثم يقول :

مضى الطبيب الذى للطب من يده ... إحياء أفئدة موتى وأجسام

هنا تأخذنى الحدة ولا أذكر ورقة العقاب وأقول (لا حياء فى العلم ) وأعلن رأيى جهاراً بأن الأستاذ لم يتحفظ فى هذا البيت بل كبا كبوة ما لها من مقيل . متى أحيا شاهين باشا الموتى ؟ دون هذا وينفق أطباء العالم . ثم لأذكر فضل الأستاذ على فلا أبارزه بحسامه ، ولأهدأ قليلاً ثم أصلح له زلة كم أصلح لى من أمثالها فأقول :

مضى الطبيب الذى للطب من يده ... شفاء أفئدة مرضى وأجسام

ثم يقول :

. . . . . . . . . . وليس للموت من نقض وإبرام

هنا أنسته المشاكلة اللفظية أن الموت قضاء مبرم وأنه هو ينفى إبرامه ؛ ثم يقول :

# الامتيازات الأجنبية

## للأستاذ محمد الأسمر

ماعندكَ اليوم من معنًى ومن كلمِ      جلّ المقام عن القرطاسِ والقلمِ
أرضُ الفراعين ذلَّتْ بعد عزّتها      مَنْ جرَّأ الذل حتى حلَّ بالأجم
فلو ترانا ونحن المـالـكون لها      رأيتنا وعلينا ميسمُ الخـدم
جاء النزيلُ فأكرمنا وفادتَهُ      واليومَ نسأله شيئاً من الكرم
فأعجبْ لمصرَ وكم فى مصرَ من عجبِ      وانظر إلى القلب فى الأوضاع والنظم
كدنا لما صار من عكس الأمور بها      نمشى على الرأس لا نمشى على القـدم
كنانةُ الله تلك اليوم حالتُها      وجودُها أشبهُ الأشياء بالعدم
لهوُ الأجانبِ فيها لهوُ منتصرٍ      عاثت كتائبُه فى أرض منهزم
يُمثّلون عليها من حقائقهم      ما لا يمثّله الكابوسُ فى الحلم
روايةٌ هى مأساةٌ ومهزلةٌ      فإن تشأ فابكِ أو إن شئت فابتسم
روايةٌ قذف الأتراكُ مسرحَها      عن أرضهم مثلَ قذفِ البحرِ للرمم

---

. . . . . . . . . .      لو رامه الليل لم يلمم باظلام

ولا أدرى كيف قال هذا مع أننى أعلم جيداً أنه يمقت مثل هـذه المبالغة المتطرفة وهو على يقين من أن الليل والنهار نظام لا يتغير ( وكل فى فلك يسبحون )

ثم يقول :

. . . . . . . . . .      من وحى طبعك لا من وحى أقلامى

فما أظن أحداً قبل هـذا قال إن للأقلام وحياً — ما كان أصوبه لو قال ( من محض إلهامى )

هذا إلى أننى تحاشيت أشياء أخرى مخافة أن يرمينى بعض سيئى الظن بالعقوق، فى حين أننى لم أكتب هذا إلا تحاشياً لمهاجمة ناقد متبجح يناقشه الحساب العسير ، ولأبهج نفس الأستاذ بتلميذ له بلغت به الشجاعة الأدبية الى الوقوف أمام أستاذه وقوف الند للند يسائله ويساجله مع احترامه لشخصه المبجل كمعلم فاضل وكأديب إمام

محمد عبد السلام بحر

---

رموا به أنفاً من أن يقال لهم      ما باله وهو عار غيرَ منهـدم
ونحن لسنا بدون الترك منزلةً      ونحن لسنا بدون الصينِ والعجم
هُمْ حطَّموه فما مالَ الوجودُ بهم      ولا تداعت نواحى الأفقِ بالشُّدُم
هم حطَّموه ورحنا نحن نحمله      فوقَ الكنانةِ حملَ الهم والسقم

***

الأجنبىُّ على الوادى يسيرُ به      كما تسيرُ رعاة الشاء بالغنم
من يوم حلَّ به ضيفاً تملكه      ينهى ويأمرُ فيه غيرَ محتشم
ينهى ويأمرُ فيه جائراً أبداً      فمن يقولُ له أخطأت فاستقم
ينال ما يشتهى منه وليس لنا      إلا الفتاتُ، وما يُلقى من اللُّقم
تشكو المجاعة بالوادى عشيرتُه      والأجنبىُّ به يشكو من التخم
الغرم قِسمتُنا والغُنم قسمتُهم      لبئس ما فرضوا فيه من القِسَم
لولم نكن رمما فى الناس ما ظفرت      بنا عصائبُ للغربان والرَّخم
حامت علينا ، ولو ألفت بنا رمقا      لأجفلت مثل ما جاءت ولم تحم
حطَّت جِياعاً ، فلما أتخمت نهضت      كيما تطيرَ ، فما اسطاعتْ ، فلم تقم
فهى الغداةَ بوادى النيل جاثمةٌ      مقيمةٌ أشبه الأشـياء بالهرم
فما يزحزحها شعرٌ نصيح به      ولا البليغ من الأمثال والحكم
لا يدفع الضيمَ قولٌ أنت قائله      بل يدفع الضيمَ غرمٌ غيرُ منفصم
ويدفع الضيمَ بأسٌ لا مَرَدَّ له      ويدفعُ الضيمَ شعْبٌ غيرُ منقسم
خاطبْ بكفك إن لم يستمع أحدٌ      لعلَّ فى اليد ما يشفى من الصمم
واعلمْ بأن براهينَ اللسان إذا      لم تدَّرعْ قوَّةً شرٌّ من البكم
لولا أظافرُ للآساد مرهفةٌ      لم يرهب الناسُ زأرَ الضيغم القرم
لا يَنْزِلُ الظلمُ عن ظَهْرِ طَواعية      إن لا يزلْ عنهُ رغم الأنف لا يَرِم

***

فى ( الامتيازات ) ما أغرى النزيلَ بنا      فيالها نِعَماً جرّت إلى نِقَم
وغرسُكَ الخيرَ فى الأرض التى خلقت      للشرِّ غرْسُكَ للأعواد فى الضرم
لا تنبتُ النارَ يوماً ما لكم شجراً      ولا تسوقُ إليكم هاطلَ الديم

تأبى طبائعُ قومٍ عنهمُ حِوَلا … فاستخلصوا ماوهبتم قبلُ للأمم
لو سِيمت العجمُ ما سِيمَ الحمى غضبت … على الشكائم واستعصتْ على اللجم
ثوبٌ من العارِ قمنا اليوم نخلعه … كفى كفى ما لبسنا منه فى القدم
كم فرَّ من يدك الشلاء متَّهمٌ … يأيها الوطنُ المرمىُّ بالتهم
وكم قتيـل على الوادى وقاتله … فى ( الامتيازات ) مثلُ الطيرِ فى الحرم
صَعْبُ المنالِ على القانون ممتنعٌ … كالنجم فى الأفقِ لم يدركْ ولم يُرَم
هذا هو الذلُّ لاذلُّ الغريب ولا … ذلُّ الرقيقِ بسوق الأعْبُدِ القزم
وما ذليلٌ له أرضٌ لهـا علمٌ … مثلُ الذليل بلا أرضٍ ولا علم
لا يفعلِ الخيرَ بعدَ اليوم فاعله … مَنْ يفعلِ الخيرَ يندمْ أيَّما ندم
أقسمتُ بالله لوأغنى دمى لمشت … نفسى به ، وقليلٌ للبلاد دمى

**محمد الأسمر**

---

# جبـــل النار

( جبل النار لقب يطلق على جبل نابلس وهو سلسلة جبال تدور فيها أشد المعارك بين الثوار المجاهدين وبين الجنود البريطانيين )

## للأستاذ أبو سلمى

جبـل النار يا أعز الجبال … أنت لا زلت معقـد الآمال
ينبت المجد فوق سفحك فينا … ن وتسقيه من دم الأبطال
يفصح الصخر عن شمائل أبنا … ئك فوق اللظى وعند النزال
ما ذكرنا حماك إلا انتسبنا … وانتشت نخوة رؤوس الرجال
يفزع « التَّنْكُ » من صياصيك … « والرشاشُ » يخشى حتى من الأدغال

* * *

أيها الثائرون فى جبـل النا … ر سلاماً يا زينة الأجيال
لكم الله يا حماة فلسطيـ … ن زحمتم مصارع الآجال
تحملون الأرواح فوق أكف … وتبيعونها ولكن غوالى
ورصاصاتكم تمر على الأيا … م حمراً مضيئة فى الليالى
تصرع الطائرات مثل طيور ال … جو تهوى ما فوق تلك التلال
يسمع الجند فى صداها لغى المو … ت فلا يثبتون يوم القتال

* * *

أيها الثائرون قولوا فان الـ … ـكون يصغى إلى لهيب المقال
والمعوا فى غياهب الظلم تجلو … ها فان الجهاد رحب المجال
إنما الحق من بنادقكم يسـ … ـطع والعدل من وراء العوالى
أنظروا اليوم كيف يلتفت الـ … ـتاريخ حتى يرى بريق النصال
جبل النار ! زأرة تجعل الدهـ … ـر يُحيِّي محطم الأغلال
جبل النار ! لم تخلدك إلا … ثورة فى سبيل الاستقلال
جبل النار ! اقذف النار حتى … نبصر النور يا أعز الجبال

( فلسطين ) **أبو سلمى**

# القصص

قصة سورية واقعة

## النهـــاية ....

للأستاذ على الطنطاوى

فى ليلة قمراء من شتاء ١٩٢٩

بينما كان حىّ المهاجرين (فى دمشق) يرفل فى حلل الرخاء والترف ، ويجر أثواب الدعة والنعيم ، ويثب من الطرب ، ويمشى على الذهب ... وبينما كانت قصوره البُلْق تشتعل بالكهرباء، فتأتى فى الليل بالنهار ، وشوارعه المتوازية الصاعدة إلى سرّة الجبل تتمايل أشجارها تمايل العروس ، وتلوح أنوارها للعين ، كأنها فى تسلسلها وانتظامها حبال اللؤلؤ ، ويسبغ عليها القمر حلة منسوجة من خيوط النور ، وتتراقص على نسيمها المعطر نغمات الحاكى والمذياع ...

... كان فى الشارع العام الممتد على سفح الجبل ، شيخ هم ، أبيض اللحية ، متفكك العظام ، مقوس الظهر ، قد أخنى عليه الزمان ، وحطمه الدهر ، يسير منفردا يتوكأ على عصا ، لا أنيس له إلا ظله الذى يمشى معه ، ينمو ويتطاول كلما ابتعد عن المصباح ، ثم يضعف ويختفى ، ثم يولد ظلّ جديد . ويبدأ قوياً واضحاً ، كما تنمو الكائنات وتقوى ، ثم يدركها الضعف ، ثم تبيد لتأخذ مكانها كائنات أخرى أقدر منها على العيش ، وأحق منها بالحياة ... حتى بلغ (قصر الوالى) ، هذا القصر الأبيض الفخم ، المعتزل وسط الجنائن الواسعة ، الذى يخطر أمامه الجندى الذى يحمى (حمى رئاسة الجمهورية ...) فوقف على الدرابزين(١) وجعل يحدق فى القصر ويتأمل شرفه ونوافذه المضيئة ، ويستمع الى صوت الحياة الرغدة الناعمة ينبعث من غرفه وأبهائه ، حتى علق بصره بغرفة بعينها ينبثق منها ضوء شديد ، فجعل يحدق فيه حتى زاغ بصره وعراه شبه دُوار ، فجلس على طرف الدرابزين وأمسك بحديده البارد ، وألقى برأسه على كفه ، وانطلق يفكر ... يفكر فى دنيا بعيدة ... بعيدة جدا ، قد طم عليها لجّ النسيان ؛ يعالجها بالذكرى ، فيراها ينحسر عنها الماء ، وتبدو له شيئاً بعد شيء ، وتعرض عليه كما يعرض (فلم سينمائى) غريب عنه لا عهد له به ، ولا صلة بينه وبينه ، وان كان من القائمين به ، والممثلين فيه ...

... ففتح عينيه ، وراح يحدق فى الظلام

***

رأى دمشق فى أواخر القرن التاسع عشر — وهى ولاية عثمانية — ورأى ناظم باشا (والى دمشق) وقد أصبح ذات يوم لقسَ النفس ضيق الصدر ، فأقبل على عمله فلم يجد له عزماً . فعمد إلى المطالعة والتسلية فلم يزد الا ضيقاً . فأمر أعوانه أن يتمموا له منزلاً جميلاً مشرفاً ، فينصبوا فيه خيامه ، ويعدّوا فيه مجلسه ، ليصطبح فيه ، ويزله بقيّة يومه . فتسابقوا إلى طاعته ، وتباروا فى خدمته ، فلم تكن إلا ساعة واحدة حتى كان المجلس معداً . فلما جلس واطمأن نظر فرأى منظراً عجباً ، ما رأى له مثيلاً وقد جاب أنحاء المملكة : رأى كأن أمامه متحفاً للطبيعة فيه من كل مشهد صورة ، ومن كل لون مثال ؛ فحواليه تلال وسفوح مالها حدّ ، وعن يمينه جبال صخرية قائمة فيها روعة وعليها جلال ، ومن أمامه (يزيد) يجرى زاخراً مزبداً يحيط بهذه السفوح ويحدق بها ، وهو يلمع فى شعاع الشمس فتخاله العقد مستديراً بجيد حسناء ، ومن وراء النهر الغوطة الخضراء ، إحدى عجائب الدنيا ، تمتد إلى نهاية الأفق ، والمزّة وصحراؤها الواسعة ، وسهولها الفسيح ، فلم يكن يشاء أن يرى جبلاً ولا نهراً ولا خضرة ولا بادية إلا رآها ، والسماء تبدو حيال الأفق كأنها البحر ، يالروعة البحر فى دمشق . . !

(١) معربة من قديم ، وفى العربية بمعناها : الحفنق

ودمشق تظهر من بعيد ، وهى نائمة على هذا البساط السندسى الأزلى ، عليها غطاء من نسج الغصون موشى بالزهر ، وقد هبّت عليها نسائم الصباح الرخيّة ، تمسّ وجهها مساً رفيقاً ، وسقسقت فى أذنيها العصافير توقظها برقة ولطف ، وهدر فى مسامعها بردى يهزّها كى تفيق ...

والجامع الأموى يظللها بقبّته المشمخرة العالية ، ومآذنه الطويلة السامقة ، وبنائه الضخم الهائل ، الذى يحمل أعباء القرون الثلاثين التى مشت عليه ، مذ كان معبداً وثنياً — إلى أن صار كنيسة نصرانية ، إلى أن سما فكان مسجداً إسلامياً ، يجهر فيه بالأذان ، فيرنّ صداه على ضفاف الكنج ، وشاطئ اللوار ، ويقوم الناس إلى الصلاة صفاً واحداً ممتداً من قلب الهند إلى قلب فرنسا

فانتفى عنه الهمّ ، وطار به السرور ، فسأل من حوله :

— ما للدمشقيين لا يبنون هنا ، ويقيمون على هذا السفح حيّاً لا يكون مثله مصيف فى الدنيا ولا مشتى ؟

فما بقى منهم إلا من وثب الضحك إلى شفتيه ، وهمّ بقهقهة مجلجلة ، ولكنه أمسك حرمة للوالى ، وحياء منه ، وقالوا له :

— ولكن يا مولانا ، من يرضى أن يقيم فى هذا المنفى ويسكن فى جبل أجرد ، لا ماء فيه ولا نبات ، ويسافر كل يوم ساعة كاملة ، ليصلى فى الأموى ، أو ليرد السوق ؟

فأطرق الوالى يفكر ويجيل عقله الكبير وعزمه النافذ فى كافّة الممكنات ليجعل من هذه السفوح القاحلة أجمل حىّ فى أجمل مدينة ، ويحيل هذه الرمال رياضاً تجرى من تحتها الأنهار !

* * *

ثم انقطع الفلم ودار أبيض يحمل أياماً وسنين خالية لا شىء فيها ثم وضحت فيه صورة ...

فاذا هو يرى حادثة كريد ( اقريطش ) حين غدرت أوربا — على عادتها دائماً — بالمسلمين ، وشرّدت أهل الجزيرة من آمن منهم بالله واليوم الآخر بين سمع الأرض وبصرها ، فدعا بهم ناظم باشا والى الشام وجمعهم وبنى لهم من أموال الدولة بيوتاً صغيرة متشابهة ، متشابهة كمحطات القرى ، ضيقة كغرف الخفراء ، بناها على سفح قاسيون فكان لهم عصمة ومأوى ، وكانت للحى الذى يحلم بذرة ونواة

* * *

ثم استدار الفلم وإذا دمشق خارجة تستقبل امبراطور ألمانيا وقد جاء يزورها زيارته المشهورة ، ففرشت له الحكومة الحرير وأوطأته الديباج ، فلم يطلب من ناظم باشا إلا أن يزيره الجبابين العظيمين والأثرين الخالدين : قاسيون ، وقبر صلاح الدين ! فانطلق العملة والبناءون يقيمون له على سفح قاسيون (المسطبة) التاريخية التى تدعى الى اليوم والى الغد ( مسطبة الامبراطور ) ويمهدون له الطريق الى مقبرة صلاح الدين فى الكلاّسة

وهناك فى أصل جدار الأموى الشامخ ، وعلى هذه العتبة الواطئة وقف امبراطور ألمانيا ، وأعظم ملوك العصر ، مطاطئ الرأس خاشعاً خاضعاً ، ثم ركع على ركبتيه ، ثم سار حبواً حتى وصل الى جانب القبر ، فوضع عليه اكليلاً من الزهر ، وقال :

— هذه لك يا سيد أبطال العالم[1]

ثم أمّ قاسيون ، فلما استوى على ( المسطبة ) ورأى هذا المنظر استخفه الطرب فصاح :

— ما على الأرض أجمل من دمشق ! ما على الأرض أجمل من دمشق !

فصحت عزيمة الوالى على انشاء الحى ، وبادر الى الأمر ببناء هذا ( القصر الأبيض )

* * *

واستدار الفلم فرأى ناظم باشا قائماً فى شرفة القصر ، يتأمل فى الوفود الذين أتوا ساحة القصر ، ليكرموا الرجل الذى تغلبت ارادته الماضية على الصخر الأصم فخرقته ، وعلى البعيد النائى فقربته ، حتى تم مد القناة العظيمة من الفيجة الى دمشق لتسقى أهلها ، وتسيل فى هذا الحى الذى قام ليكون زينة دمشق وعروسها . . .

ورن فى أذنيه صوت الخطيب وهو يقول للوالى :

« ... ... إن دمشق التى أحببتها وسقيتها وعمرتها ، لن تنسى فضلك أبدا : ولن تحيد عن حبك واكبارك ، وسيظل منقوشاً على أفئدة أبنائها الى آخر الدهر هذان الاسمان العظيمان

(١) ذلك لأن الامبراطور الشاب كان رجلا ، لا كذلك الجنرال الذى دخل دمشق محاربا ، فأم المقبرة من فوره ، وولج شاهراً سيفه ، مصعراً خده ، حتى قرع بالسيف أعواد التابوت ، وقال مبدداً الخشب ...

— نحن أحفاد جودفروا ، فأين أحفادك يا صلاح الدين !

ولا كالجنرال الآخر الذى وقف فى كنيسة القيامة بالقدس ، وقال :

— الآن انتهت الحروب الصليبية ، أنا آخر قائد صليبى !

اسما مصلحَىْ دمشق : مدحت باشا . وناظم باشا »

* * *

ثم انقطع (الفلم) وتبدد الحلم ، وأحس الشيخ بيد قوية تقبض على كتفه ، فعاد الى نفسه ورفع رأسه فاذا الجندى القائم على باب القصر ، يصيح به :

ماذا تصنع هنا أيها المتشرد ؟

ثم يكسعه ويضربه أم كيسان[1] ، فيقوم الشيخ ورأسه الى الأرض من غير أن ينطق بكلمة ...

عاد الشيخ أدراجه يطوف الحى ، ويدخل من شارع الى شارع ، فلا يعرفه أحد ولا يفتح له باب ، حتى اذا نال منه الجوع ، وبرح به التعب ، رأى زقاقاً ضيقاً فولجه ، حتى اذا انتهى الى بيت حقير من بيوت المهاجرين الأولين ، وقف ينظر اليه ، وتبرق عيناه كأن مرآه يذكره بشىء ، ثم مد الى حلقة الباب يداً مرتجفة فقرعه قرعة ضعيفة ، ولبث ينتظر ؛ فلما لم يرد أحد عاد فقرعه وشدد القرع ، وسكت فلم يسمع الا صدى أصوات الغناء والطرب تهبط عليه من أعالى الجدران ، تهزأ بالفقراء ، وتسخر من الحياة ، فعاد يخبط خبطاً قوياً وينادى :

— كريتلى زاده ... كريتلى زاده محمد افندى ...

فتحركت عجوز من أقصى الدار ، وصاحت :

— من هذا الذى يسأل عن محمد افندى ؟

وخرجت تدبّ على عصاها حتى بلغت الباب فنظرت فى الظلام وصاحت صيحة الفزع :

— من هذا الذى يسأل عن الرجل الذى مات منذ خمس عشرة سنة

فلما سمع الشيخ ما تقول وجم ولم ينطق

— فأقبلت نحو الضوء ، حتى إذا اقتربت من الرجل رجعت تصيح بصوت مرعب :

— من أنت ؟ قل لى من أنت أيها الرجل ؟ ماذا تريد ؟

— قال : أنا يا حاجة صفية ، أنا ؟

— من أنت ؟ تعال ، تعال إلى النور حتى أراك ، فلما رأته واستبانته ، صاحت :

— آه

— قال : هل عرفتنى ؟

— قالت : آه كيف لا أعرفك يا سيدى ، ولكن ... كلا كلا . أنا واهمة ، هذا مستحيل . قل لى حالاً من أنت ؟

— أنا ناظم ... ذاك الذى كان يدعى يوماً ما ناظم باشا ، ذاك الذى كان والى الشام ... ألا تذكرين يا صفية كيف كنت تلعبين فى رحبة القصر وأنت صبية صغيرة ؟ وكيف كنت تتسلقين الأشجار وتطاردين الغزال الذى كان فى الحديقة ؟ هل تذكرين ؟... حتى إذا مللت وتعبت عدت مع أبيك محمد افندى الى الدار

— آه يا مولاى آه ! اذن أنت هو ! لم أكن مخطئة . قل لى يا سيدى أين أنت ؟ وما جاء بك ؟ لا لا أدخل أولا ! أهلاً ومهلاً ، ليس عندى شىء أقدمه اليك ، ليس عندى شىء

وانطلقت تبكى ...

— إننى عجوز فقيرة ليس لها الا الله ، لم يعد يسأل عنا أحد بعدك . اننى سأموت فقيرة تحت أثقال ذهب الجيران ، وأختنق جائعة برائحة اللحم . ان هذه القصور ستبتلع كوخى الذى لم يبق غيره . . .

وألحت فى البكاء ...

اننى لا أستطيع أن أصنع لك شيئاً ، آه ليتنى مت قبل أن أراك يا مولاى على هذه الحال

فمسح الباشا دموعه ، وقال لها :

— ولكنى لا أحتاج شيئاً . أنا فى نعمة ، وإنما جئت أزورك . والآن وداعاً ...

فلما ابتعد فتش جيوبه ، وقلبها كلها ، فلم يجد إلا فرنكين كان يدخرهما لعشائه فدفعهما اليها ، ومشى قبل أن يسمع ما تقول :

عاد يطوف فى الحىّ يخرج من شارع الى شارع منفرداً منكراً ، ولقد فارق دمشق وهو ربها وسيدها ، وصاحب الأمر والنهى فيها ، ولكن هذه الأعوام التى كرّت سريعة محملة بالاحداث الجسام قد بدّلت كل شىء

لقد انفجر بركان الحرب ، فهدّ هذا الفلك العظيم ، فلك الخلافة الاسلامية ، فتناثرت نجومه وكواكبه ، وانطفأت شمسه وأظلمت نيّراته ، وعبست مكة للقسطنطينية وبسمت للندن ، وصالحت الحلفاء ، وقابحت الخلفاء ، وولد استقلال سورية فى القصر المنيف على بردى ، ومات طفلاً فى الصحراء القاحلة من

(١) كسعه وضربه أم كيسان ، هو أن يضربه بقدمه على مقعدته

ميسلون ، وكان الانتداب وكانت لياليه الحالكات

وذهب جيل من الناس كان يعرف الباشا حق المعرفة ، وجاء جيل جديد ينكره أشدّ الانكار

فنفض الباشا يده من كل شيء ، وانحدر إلى الشارع الأعظم على سفح الجبل ، فجلس على حجر قبالة القصر الذي بناه ، وكان صاحبه ومولاه ، فطرد الليلة عنه كما تطرد الكلاب . وأسلم رأسه إلى كفيه ، وراح يفكر في غير شيء ...

فما نبهه من ذهوله إلا ولد يقفز بقبقابه على بلاط الشارع ، فاستوقفه يسأله :

— ما اسم هذا الشارع يا ولد ؟

فارتاع الولد وفرّ ، حتى إذا ظنّ أنه قد فاته ، صاح به :

— ألا تقرأ اللوحة يا أعمى ؟ هذا شارع ناظم باشا

فابتسم الباشا ابتسامة صفراء وعاد الى صمته ، وهبت الرياح فلم تلبث أن أنشأت سحابا حجب القمر ، فشمل الشارع ظلام رهيب

ومرّ رجل فألقى على الباشا نظرة واحدة ، ثم سار في طريقه ينحدر في طريق البساتين ، حتى إذا ابتعد عن العمران رفع عقيرته يتغنى بصوت شجي محزن :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
فصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة ... كذلك عضتنا السنون الغوابر

وناظم باشا يصغى اليه ، وقد هاج في نفسه عواطف هائلة كادت تنسف كيانه نسفاً ، حتى ابتعد الصوت ونأى ، ثم ابتلعه السكون

فقام ناظم باشا يجرّ رجله ليغادر دمشق التي نسيت احسان المحسن ، كما تنسى ( دائماً ) إساءة المسيء ، ليذهب فيموت حيث لا يعلم به إلا الله

واشتدت الرياح وصفرت صفيراً مرعباً ، وهطل البرد مجنونا ثائراً ، بينما كان يسدل الستار الأخير على هذه المأساة ...(١)

**علي الطنطاوي**

(١) قدم ناظم باشا خير ولاة العثمانيين بعد مدحت باشا ، وأكثرهم في دمشق إصلاحا ، وأعظمهم مآثر باقيات ، قدمها منذ سبع سنين فقيراً معتاجاً ، فلم يحفل به أحد ، فغادرها رحمه الله تعالى يائساً حزيناً !

مأساة من سوفوكليس

# ٣ ـ أنتيـــجونى

## للأستاذ دريني خشبة

— ٩ —

ويرسل الخورس أغنية عن الحب ، وعن خضوع الآلهة والعباد لسلطانه على السواء

*تدخل أنتيجونى وحولها حرس*

— « سلام عليكم يا رعايا أبي وأمناء مملكته ! شعاعة واحدة يا هكيوز(١) الكريم أتزود بها لرحلتي إلى الدار الآخرة فتنير لي ظلمات طريقي ! إنها تكفل لي أن أذهب إلى هيدز والحياة تدب في قلبي ! أوه ! ألا يتنفس لي فجر حلو بعد اليوم ؟ وقداسي وأفراح عرسي ؟ ألا تملأ أهازيجها سمي ؟ وهايمون ! ! آه يا حبيبي هايمون ! ! أشيرون (٢) وحده سيكون زوجي ... لا أنت يا هايمون الحبيب ... فوق شطئان نهره الفائض بالحمم ! »

الخورس : « أجل يا بُنية ! لكنك تذهبين ثمة لا كما يذهب الموتى ، بل تذهبين وفي قلبك الحياة تنبض وتنبض ... وتذهبين باختيارك لا برغمك ، لأن سيفاً لا يغمد في أحشائك ، ولأن مرضاً لم يلم بك ولم يسلمك للردى ! »

أنتيجونى : « هيه ! ... لي أسوة بابنة تنتالوس (٣) ، وستهبني الآلهة نعاسا فلا أحس شيئاً »

الخورس : « ولكنها ربة وابنة إله عظيم ! »

— « ويحكم يا رعايا أبي ! أتستخفون بي حتى في طريقي إلى هيدز ؟ ألا يروعكم ذهابي إلى القبو المظلم الذي حوّل من أجلي إلى مقبرة أحياء ... أتجرع فيه غصص الردى قطرة فقطرة ! ! يا لها من موتة ! ألا من لشبابك يا أنتيجونى ؟ ! »

— « تجلدي يا فتاة ! إن جدود أبيك العواثر تكتسحك في طريقها ! ! »

(١) اسم من أسماء أبوللو إله الشمس

(٢) إله نهر من أنهار الجحيم

(٣) نيوب التي أسخطت أبوللو وديانا فقتلا أبناءها ونبا استنجدت بالآلهة حولتها إلى صخرة فوق قمة جبل وفي حضنها ابنها الأخير الذي تحجر معها

— « أوه ! إنكم تؤلموننى يا قوم ! جـدوده العواثر ! ما كان أتعسها من زيجة تلك التى كشفت سرها أمى ! ! ويا لقساوتها أبوة تلك التى ابتلى بها أبى ! أما أنت يا أخى ... فما كان أتعسها من زيجة كذلك تلك التى أشقيت بها نفسك وجررت بها الموت عليك وعلى ! ...

— « لا ريب أنك صنعت جميلاً يا بنية (بدفنك جثته) ، ولـكن ما العمل فيمن يأبى إلا أن يظهر سلطانه ويدل بجبروته !

— « ويلاه ! أأساق إلى الموت غير مبكية ... وفى يوم عرسى ؟ الشموع ! أين الشموع التى كانت تفىء لى تحية ليل وسلام إمساء ؟ ألا يذرف أحد عبرة من أجلى ؟ !

« يدخل كريون »

— » ما تزال هنا ؟ هلموا بها الى القبو المظلم ... ! هلموا ! لتساقط نفسها أنفساً ! لتـذب روحها ولتهو الى الحضيض قطرة فقطرة ! هى الجانية على نفسها ... لم يجن عليها أحد ! لتذق وبال أمرها فى ظلمات السفل ؟

— « القبو ! مرحباً بالقبو والقبر معاً !! لتكن يا قبو غرفة عرسى ! يامقبرة الأحياء مرحباً مرحباً ! فى جوار پرسفونيه(١) الجميلة التاعسة سأقضى حياة حدودها الأبد ! ألا كم من حسناء حوراء ضمها الموت الى سرب پرسفونيه ! لم لا أنضم الى السرب زهرة اختضرها الموت قبل أن تفتح !! لم لا أطوى تلك المرحلة الأخيرة من هذه الحياة المفعمة بالآلام والمظالم لألتى أبى ... وأمى وأخوى ... فى هيدز ! وأنت خاصة يا پولينيسيز سألقاك وسأعانقك وستبتسم لى ... أنا أختك ... التى ضحت بشبابها الفينان من أجلك ! ألا من للانسان بعد أمه وأبيه وأخيـه ( الذى مثل پولينيسيز ) ! الابن إذا قضى فقـد يجىء ابن غيره . . . ولـكن الأب ... ومثله الأم ... لا عوض عنهما إن غالها الردى ! أما أخى ! فسامح الله كريون الذى يأبى إلا أن يأخـذنى بمحبتى له وفدائى من أجـله ! آه يا أخى ! انفض أطباق الثرى قليلاً وانظر الى ! أنظر الى مسوقة الى حتفى مصفـدة بالأغلال ، مسلوكة فى القيود ... الى القبو المظلم الذى لاتؤنسنى فيه غير أشباح الموت . أواه يا آلهة السموات ! من نصيرى وقد جد بى الجد ؟ إن كنت قد أجرمت فعلى إجراى... ولـكن هؤلاء ! ! هؤلاء الذين داسوا شرائعـكم أيها الآلهة ! خذوهم بظلمهم ، وابتلوهم بضعف الحياة الدنيا والآخرة أولئك المجرمون !... »

رئيس الخورس : « العاصفة تشتد فى نفس الفتاة ! وما تزيدها الآلام إلا اصطخاباً ! »

كريون : « وكل من يلوذ بها أو ينافح عنها قد يشجى شجوها ! »

أنتيجونى : « وا حرباً : إنى أسمع دبيب المنايا فى هذه الـكلمات ! »

كريون : « وهل بقى فى ذلك ريب ؟ »

— « يا طيبة يا أرض المجد ! يا مهد الجدود ! يا هيكل الآلهة الأطهار ! وداعا ! ! إلى هيدز ، سأذهب الى هيدز ! أنا أنتيجونى آخر فنن من أفنان دوحة قدموس ولايوس ! الى هيدز ! قرباناً لك يا آلهة ، وفى سبيل شرائعك يا سماء ! ... »

« تخرج ومن حولها الحرس »

— ١٠ —

ويرثى الخورس للفتاة البائسة الشقية ، ويرسلون وراءها لحناً بائساً شقياً

(يدخل تيرزياس الـكاهن الأعمى يقوده ولد)

— « هيه ! سلام على سادات طيبة ! لقد وصلنا والسلام ! »

الملك : « وماذا جاء بك يا تيرزياس ؟ »

— « سأنبئك ... إ ... إن أصغيت لى »

— « مرحباً بك يا كاهن طيبـة ! وهل يأبى أن يسمع لك أحد ؟ »

— « شكراً ! إنك بمثل هذه المهارة قدت السفينة إلى بر الأمان ! »

— « الفضل فى ذلك لتجاريب الزمان يا تيرزياس ! »

— « هذا حق ! ولـكن ... برغم ذلك ينبغى أن تحترس ! إنك على شفا جُرُف هار ! ! »

— « وأى شفا جرف يا تيرزياس ؟ إنك تزعجنى ! »

— « إى وايم الحق ! نبوءاتى ! سأقص عليك نبوءاتى التى استوحيتها اليوم ! لقـد تنزل على منها قدر عظيم أيها الملك ! وليس يتنزل على منها إلا الحق حين أستوى على كرسى كهانتى ! طيور ! ... بوائق جارحة ... كانت تحلق فوق معبدى ! لقد ظلت تضرب الهواء بخوافيها ... وكانت ترسل فى السماء أصواتاً مزعجة كقصف الرعود ... ! قمت إلى المذبح وضرمت

(١) ابنة ربة الربيع . اختطفها بلوتو إله الموتى فكانت زوجتـه فى هيدز وقد نشرت الرسالة أسطورتها فى السنة الثالثة

النيران ... وا أسفاه : لقد رفض إلـه النار أن يقبل منها قبسا ! وتناثر القربان ! وانطلق الشرر فى سماء الهيكل ! وكفى بذلك نذير سوء أيها الملك : لقد شهد ذلك غلامى هذا ، وأنا أشهد به أمامكم الآن ! الدمار يكاد يقضى على طيبة بسببكم يا مولاى ! إن الآلهة قد تكلمت بألسن النسور والبزاة التى اغتذت بلحم ابن أوديبوس المسكين : من أجل ذلك رفضت قرابيننا أيها الملك ، وقذفت بها فى وجوهنا ! والآن ! خذ حذرك يا بنى ! كلنا بنو الموتى ! وكل بنى الموتى يخطئون ! وما تزال فى الوقت فسحة لمعالجة هذا الخطأ ! الحمق فقط هم أهل العناد والاستبداد بالرأى ! مالنا وللموتى ؟ إن أمرهم الى الآلهة ، وليس يفيدنا أن نمثل بالقتلى وقد فرغ حسـابنا معهم ! ألا قد بلغت ! فاسمع وع ... واشهدى يا سماء ! »

— « لم يبق الا الـكهنه أمثالك فأكون غرضا لسهامهم يا تيريزياس ! أنت تحاول عبثاً ! ... لن يدفن مهما حاولت ! ولـكن ... آه ! الذهب ! قاتل الله الذهب ولو انصب فى يديك من منجم ! الآلهة ؟ ها ... لترسل الآلهة نسرها الباشق فليغتذ هو الآخر به ! »

— « وى ! أين الحكمة اذن ؟ ألا من يتعظ !

— « من ؟ ... أى شك ؟ »

— « كنوز الذهب الأبريز موعظة حسنة ورأى سديد ! »

— « والجهالة آفة الآفات ! »

— « أجل ... الجهالة طاعون كاد يرديك ! »

— وبعد ؟ ... أوثر ألا أبادل الـكاهن ضربة بضربة !

— « وأى ضربة لازب أشد على من أن تحمقنى ؟ ! »

— « بل الذهب هو طاعون الـكهنة ! ! »

— « والربح الخسيس هو آفة الملوك ؟ »

— « طاش صوابك إذن حين تخاطب مليكك بمثل هذا ؟ »

— « أجل ! وإلا ساعدتك فى تعجيل الخراب لهذا البلد ؟ »

— « نظرك بعيد أيها الأب ! ولـكنك غير أمين ولا وفى مع هذا ؟ »

— « ستندم لأنك لم تر أن تسمع الى نصيحتى ! »

— « هيه ... تكلم ... إهرف ... فلن تنال منى ربحاً ؟ »

— « ومنك تحسبنى ألتمس الربح وأنشد الغنم ؟ »

— « لن تربح تجارتك معى أيها الـكاهن ! »

— « آه ! إن دمك فقط كفيل بأن يغسل وزريك العظيمين دفنك فتاة حية لتموت من غير ذنب فى قبو مظلم ... وتركك قتيلاً فى العرية تنوشه السباع من دون أن تقام له شعائر الدين أو تؤدى من أجله مراسيم الآلهة ! هذا تصرف مخز لن تقبله آلهـة هيدز ولا من أرباب الأولمب ! ويل لك ؟ إن أرباب النقمـة تتربص بك ، وربات الذعر تكاد تنقض عليك ! ولن يأخذنك الا بعملك ولا يجازينـك الا بوحشيتك ! أما جئت اليك ألتمس رفداً ؟ يا لخبائثك ! ستعلم عما قريب ! سينقض هذا القصر فوق رأسك ليقول لك : لا ! لا ! وسترن فى أذنك أصوات الصراخ والعويل والندبة من أجل موتى كثيرين ، أعزاء عليـك ... وسترى ! ياغلام ! هلم ! لنتطلق من هنا ! وسيأتيه اليقين فيثوب الى رشده ويطّـهر لسانه ! »

« يخرج الـكاهن يقوده الولد »

( البقية فى العدد القادم )

دريني خشبة

## لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنـة التأليف والترجمة والنشر فلسفة المحدثين والمعاصرين تأليف الدكتور ا . وولف أستاذ المنطق بجامعة لندن وتعريب الدكتور أبو العلا عفيفى مدرس الفلسفة بكلية الآداب ، وهى الرسالة الرابعة من خلاصة العـلم الحديث ، وقد لخص فيها المؤلف أمهات المسائل الفلسفية والطرق المختلفة التى عالج بها العلماء حلّ هذه المسائل ، ثم ذكر أهم اتجاهات الفلسفة الحديثة ، وذكر عدداً من الفلاسـفة المحدثين الذين يمثلون كل اتجاه من هذه الاتجاهات ، وقد بلغ عدد الفلاسفة الذين كتب عنهم تسعة وثلاثين تتمثل فيهم النزعات الفلسفية والعلمية فى كل نواحيها

والـكتاب مطبوع طبعاً جيداً كطبعات الرسائل السابقة بمطبعة اللجنة ويقع فى ٢٤٩ صفحة ، وفى نهايته قائمـة بالمصطلحات الفلسفية الواردة فى الـكتاب ومرادفاتها العربية وثمنه ستون مليما ، ويطلب من مركز اللجنة « ٩ شارع الـكردامى بعابدين — مصر » ، ومن المـكاتب الشهيرة

# البريد الأدبي

## أسبوع المتنبي في دمشق

في الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس الماضي ، ٢٧ يوليو سنة ١٩٣٦ افتتح مهرجان المتنبي في مدرج الجامعة السورية بحضور فخامة رئيس الجمهورية ووكيل المفوض السامي ميريه ودولة رئيس الوزراء ومندوب المفوض السامي ووزيري العدلية والاقتصاد الوطني ، فافتتحت الحفلة بآي من القرآن الكريم ، ثم ألقى وكيل المفوض السامي خطبة وجيزة ضمنها عطف المفوضية العليا على هذه الحفلة وشعورها مع اللجنة القائمة بها ومع الأمة العربية جمعاء في احتفالها بمرور ألف سنة على وفاة سيد شعرائها بلا منازع وتتابع بعده الخطباء فألقى رئيس الوزراء كلمة وزارة المعارف ، وألقى السيد الطباطبائي أستاذ الأدب الفارسي في الجامعة الأمريكية قصيدة شاعر الفرس خسرو داراني ، ثم تكلم أحد المستشرقين عوضاً عن المستشرق الأستاذ بلاشير الذي تأخر وصول كلمته

ونهض بعده الأستاذ أحمد أمين مندوب الجامعة المصرية فألقى خطبة قيمة جاء فيها على ذكر ناحية واحدة من نواحي حياة المتنبي مستدلاً على أخلاقه من آثاره وأخيراً اقترح الأستاذ عبد المنعم رياض وضع جائزة سنوية شبيهة بجائزة نوبل تعطى للمبرزين من الأدباء والشعراء

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة — أمس — احتفل أمام بناية المعرض بإزاحة الستار عن نصب أقيم في الزاوية الغربية من الجدار المحيط بالبناء وقد نقش عليها عبارة « شارع المتنبي » وقد افتتح الحفلة محافظ العاصمة بخطبة وجيزة شرح فيها الغاية منها ، وعقبه الأستاذ عز الدين علم الدين سكرتير لجنة المهرجان بكلمة شكر فيها لمحافظة المدينة اهتمامها باطلاق أسماء رجال الأمة العربية الخالدين على شوارع المدينة وأعلن أن هناك شوارع جديدة سوف تطلق عليها أسماء العظماء كأبي العلاء المعري والبحتري وغيرهما

وفي مساء اليوم نفسه غص مدرج الجامعة السورية بالمحتفلين وخطب الأساتذة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد مندوب الجامع الأزهر وألقيت كلمة الدكتور عبد الرحمن شهبندر وقصيدة للأستاذ خليل مردم بك ثم خطب الدكتور عبد الوهاب عزام فالأستاذ نجيب الارمنازي وانصرف الخطباء والمندوبون بعد ذلك لتناول طعام العشاء على مائدة أعدها المجمع العلمي

وعلى المنهاج الموضوع للمهرجان سيلقى في اليوم الثالث ( السبت ) كلمة الأستاذ معروف الرصافي مندوب العراق وقصيدة الأستاذ رضا الشبيبي ( ذكرى شاعر ) وقصيدة الأستاذ على الشرق ( صوت الكوفة ) وخطبة الأستاذ طه الراوي . قصيدة الأستاذ عز الدين التنوخي كاتب سر المهرجان . ولمية الصحة العامة

اليوم الرابع ( الأحد ) — خطبة الأستاذ نقولا فياض : مندوب لبنان ( هل كان المتنبي مجدداً ) . خطبة الأستاذ أنيس المقدسي مندوب الجامعة الأمريكية . خطبة الأستاذ أمين الريحاني ( المتنبي رسول العروبة ) خطبة الأستاذ فؤاد البستاني مندوب الجامعة اليسوعية . قصيدة الأستاذ حليم دموس (مهرجان المتنبي) ولمية وزارة المعارف

اليوم الخامس ( الاثنين ) — خطبة الأستاذ أحمد رضا ( روح الطموح في المتنبي ) قصيدة الأستاذ سليمان ظاهر ( حياة المتنبي ) خطبة الأستاذ حبيب شماس مندوب المدرسة البطريركية . خطبة الأستاذ أديب التقي . قصيدة الآنسة ماري عجمي ، ولمية الجامعة السورية

اليوم السادس ( الثلاثاء ) — خطبة الأستاذ خليل الخالدي ، خطبة الأستاذ سامي الكيالي ( المتنبي في بلاط سيف الدولة ) خطبة الأستاذ عبد القادر المبارك ( لغة المتنبي ) . قصيدة الأستاذ محمد البزم ، ولمية معرض دمشق

اليوم السابع — كلمة الأستاذ مرشد خاطر : مندوب الجامعة السورية . قصيدة الأستاذ عمر يحيى . خطبة الأستاذ سليم الجندي ، قصيدة الأستاذ عمر أبي ريشه خطبة الأستاذ جميل صليبا (فلسفة المتنبي) كلمة الختام ، ولمية مدينة دمشق

## خطاب وكيل العميد السامي في مهرجان المتنبي

سيداتى وساداتى :

إذا ذكر المتنبى فلا يثير ذكره فى قلبنا صورة أعظم عصر من عصور تاريخ حلب ، وصورة أمجاد سورية الحمدانية فحسب ، وإن يكن ذلك من الأسباب التى تحببه إلى نفوسنا ، فلا بد لنا من القول أن المتنبى لا ينتمى إلى مدينة واحدة ولا إلى عصر واحد ، بل انه يدوى صداه فى خلال عصور الشعر العربى وخلال نواحى الشعور الأدبى المترامية الأطراف ، فقد ذهب شاعر الكوفة العالم العربى نماذج من الشعر خالدة ، وضروباً من التعبير صافيـة ورفعة لا تطال ، وفناً أنوفاً دقيقاً ، وهدفاً شريفاً ، وتشاؤماً عالياً ؛ وجميع هذه الصفات المتغلغلة فى أعماق نفسه تتفق مع أعرق مميزات الفكرة الأدبية العربية ، تلك الفكرة الطامحة إلى المعالى ، الهائمة بالشرف ، المغرمة بما عز وكرم من المعانى ، الساعية وراء خير المثل العليا ، تلك الفكرة التى تطلب فى الشعر « حالة نادرة » كما قال فى ذلك شاعرنا الفرنسى (مالارمه)

هذا ما أهل المتنبى أن يكون شاعر الأمة العربية ؛ وهذا ما حدا بكم جميعاً للاعتراف له بهذا اللقب . إن الأمة العربية ترى فى المتنبى بعض ميولها الجوهرية ، وبعض شواعرها الثابتة ، فيلذ لى والحالة هذه أن أحيى فى هذا الحفل ، إلى جانب السلطات العليا ورجال العلم فى سوريا ، ممثلى الدول المجاورة ، والشعراء والكتاب والعلماء من جميع البلدان التى يرن فيها صوت لغتكم الجميلة ، وأن أحيى مندوبى المجامع العلمية ومؤسسات الثقافة العالية التى تحافظ فى جميع البلاد الغربية على تقاليدها الروحية المشتركة ، ولهذا أيضاً رغبت فى أن أرحب بكم ، وفى أن أحمل اليكم فى هذا المهرجان حيث للفكرة والأدب المحل الأرفع ، عربون عطف المفوضية العليا على هذا المهرجان واهتمامها به ، وكذلك عطف حكومة الجمهورية الفرنسوية ؛ من يشك فى الفائدة التى تجنى من هذه الاحتفالات ، إنها توثق عرى التضامن المكين ، والتقارب الجوهرى ؛ وتدل على أن فوق المصالح الأنانية التى تفرق بين الناس وتبعدهم بعضهم عن بعض عبقرية لا تزال فى وسعها أن تجمع بين ذوى النوايا السليمة جميعاً خلوا من كل ما يكدر صفاءه

سيداتى وسادتى : إنى لأجد لذة عظيمة فى اعلان افتتاح المهرجان الذى يحتفل فيه بذكرى مرور ألف سنة على وفاة الشاعر المتنبى

## خطاب وزارة المعارف في مهرجان المتنبي

أرحب بجميع الوفود التى جاءت من مختلف الأقطار العربية لتشارك حكومتنا فى إظهار عاطفتنا الصادقة نحو شاعر العربية العظيم أبى الطيب المتنبى وأعنى لجميع العلماء والكتاب والشعراء الذين أموا دمشق لهذه الغاية مقاماً سعيداً وراحة طيبة ، ولا شك أن جو الفيحاء الرطب وإقليم الغوطة العذب سيوحيان الى كل منهم بأحسن الصور ، ويرويان ما احتدم فى قلوبهم من قوة العاطفة وشدة الخيال فيسكبون عواطفهم فى قالب من الألفاظ السحرية التى تليق بالمتنبى وعبقريته الخالدة . إن فكرة هذا المهرجان ليست وليـدة الساعة بل هى فكرة قديمة خطرت ببال حكومتنا منذ الصيف الماضى فحالت دون تحقيقها إذ ذاك عقبات كثيرة ؛ ولما ذللت جميع العقبات أحبت الحكومة أن تجعل أيام المتنبى داخل أيام المعرض الصناعى لتبرهن بعملها هذا على رغبتها فى إحياء النهضتين الأدبية والاجتماعية معاً

ونحن إذا أقمنا هذا المهرجان لمرور ألف عام على وفاة المتنبى فانما نقيمه لأن بينه وبين سوريا صلة قوية . فقد جاء المتنبى من العراق الى سورية وهو شاب معـدم فعانى فيها ما يعانيه شبان اليوم من مشاكل العيش وضيق أبواب الرزق ولم يزل يتنقل بين منبج وانطاكية واللاذقية وطرابلس وحلب ويمدح أمراء سوريا حتى اتصل بسيف الدولة أعظم ملوك بنى حمدان وصار شاعره الخاص وعاش فى بلاطه فانكشفت قريحته وجاد شعره وتحسن خياله ورق لفظه بما لقيه من حفاوة الأمير وعنايته به ، ولو بعث اليوم سيف الدولة لما اتخذ لنفسه شاعراً غير المتنبى لأن المتنبى لا يزال حتى اليوم يعبر بشعره عن عواطف كل منا ، فهو شاعر العروبة ورمز العواطف القومية ، يجد كل منا فى شعره مايعبر به عن جميع صور الحياة سياسية كانت أو اجتماعيـة أو خلقية فقد جمع فى شعره نزوة الشيوخ وصور العدل والرحمة كما وصف الظلم والقسوة وتغنى بالأباء والكرم والعز والشجاعة كما بكى على المجد المفقود والأمل الضائع ، فنحن نفاخر بشاعر أمراء سوريا بل بشاعر سوريا والعراق ومصر وننقل اليه من وراء حجب الزمان عاطفة شعب تثقف بشعره وتغذى باحساسه حتى خالط لحمه ودمه

فان تباعدت الأقطار فانها حول المتنبى لتجتمع ، وان نفرت القلوب فانها فى أبى الطيب لتتحد ، وليس أدل على هذه الوحدة من اجتماعكم لاحياء ذكرى هذا الشاعر الخالد . فأشكركم جميعاً

على ما تحملتموه من المتاعب وتحملتموه من عناء السفر وأشكر فخامة رئيس الجمهورية على رغبته فى جعل هذا الاحتفال احتفالاً رسمياً كما أشكر بصورة خاصة فخامة المفوض السامى على عنايته بهذا المهرجان واعانته المادية والمعنوية معاً ، وأشكر ممثلى الجامعات العربية والأجنبية المختلفة ووفود الأقطار العربية الشقيقة وجميع الخطباء والشعراء على ما أكسبوه إيانا من الشرف بكتاباتهم وما أحدثوه فى هذا المهرجان من البهاء والازدهار بقدومهم وأخص أعضاء مجمعنا العلمى من عرب ومستعربين بأحر الشكر على تعاونهم فى إحياء ذكرى شاعر العربية ورمز نهضتها الأدبية الحديثة وأتمنى لهم نجاح السعى وطيب الاقامة والسلام

**جمعية أدبية مختلطة فى سورية ولبنان**

دعت الجريدتان الفرنسيتان (الجور) فى بيروت ، و(لا كرونيك) فى دمشق إلى تأليف جمعية أدبية كبرى فى البلاد السورية واللبنانية يكون الغرض منها : السعى والدعاية لنشر الأدب والثقافة فى البلاد ، ثم الدفاع بمختلف الوسائل المشروعة عن حقوق المؤلفين ومصالحهم ، وهذه الجمعية بعيدة عن الأحزاب السياسية والخلافات الدينية ، تجمع نخبة من الكتاب السوريين واللبنانيين الذين يسعون إلى نهضة فكرية فى البلاد ، تجدد فى الأدب الحديث مع العناية بالأدب القديم

وهى تتألف من الكتاب والمؤلفين فى اللغة العربية أو فى اللغة الفرنسية

وتنتخب مجلساً يتألف من عشرة أعضاء ستة من المؤلفين فى اللغة العربية وأربعة من المؤلفين فى اللغة الفرنسية ، ويرأس هذا المجلس مؤلف عربى له نائب من المؤلفين فى اللغة الفرنسية

وتنتخب مكتباً دائماً لأمانة السر ، ومكتباً للاستشارات القضائية الحقوقية ، وتتصل بالاتحاد الدولى لجمعيات حملة الأقلام فى جنيف ، وتعنى بغير ذلك من الأمور لتأمين سير الجمعية ورقيها

**فلسطين تناشد العالم الانسانى**

إن الأيام المائة التى مرت على جهاد فلسطين العربية المقدسة وما لقيت فى خلالها من هول الاحداث قد أصابها بأضرار فادحة وأنزل بها خسائر جسيمة فى الأرواح والأموال مما لا يمكن حصره ولا تعوض خسارته ، فهنالك عشرات من القرى قد دمرت وأتلفت أرزاقها وأحرقت مزروعاتها وصودرت أموالها ، وهذا غير ما أحدثه نسف مدينة يافا الفيحاء ذات الحدائق الغناء بالديناميت بعد إحراق معظم حى المنشية فيها بأيدى مجرمى اليهود ، وغير حدائق البرتقال الكثيرة التى قطعت بأيدى الأشرار ودوساً بالدبابات . وغير المئات من أكواخ الفقراء فى ضواحى يافا وأطراف حيفا ، ومنازل مدينة اللد التى دوهمت بالدبابات فانطمست آثارها

فهـذه الأهوال العظيمة قد أسفرت عن مائة ألف نسمة نكبوا بصورة مباشرة فمنها عائلات الشهداء وأيتامهم وأراملهم ، وعائلات المسجونين والمعتقلين وأقاربهم ، وسكان المدن والقرى التى دمرت بعد أن فروا عند النسف والهدم من منازلهم ، تاركين جميع حاجاتهم وأثاثهم وملابسهم ، فتشردوا فى العراء بلا فراش ولا طعام ولا مأوى . وقد كثرت فى هؤلاء المنكوبين الأمراض والوفيات . ولولا أن بقيـة الأهالى قد قادوا وبذلوا كل شىء يستطيعونه لاغاثة إخوانهم ببعض الغوث — وهو مما لا يفى بحاجة ولا يسد ثلمة — لكانت الكارثة أوجع والخطب أفجع

على أن الحالة برغم شهامة الناس هناك قد تجاوزت كل ما يتصور العقل من شناعة وفظاعة مما ستكشفه الأيام بعد حين وعندما يباح نشر الرسوم ووصف الخطوب

وسيتضح عند ذلك أن ما نزل بفلسطين إنما هو من النوع الذى أصاب البلاد العربية على الخصوص والاسلامية على العموم من جنكيز وهولاكو وتيمور . ويا حبذا لو تنتدب الأقطار المجاورة وفوداً تجوب نواحيها لترى بالعين وتسمع بالأذن ما أصابها وما حل بها . حيث لا تقع العين إلا على قتيل أو شهيد . ولا يصادف المرء فى طريقه سوى الخراب والدمار فى المدن والريف

فاللجنة الفلسطينية العربية فى مصر توجه إلى هـذه المحن الأليمة عواطف الانسانية جمعاء ، وتنادى كل قلب فيه ذرة من الحمية ليبادر المحسنون إلى نجدة المنكوبين وإغاثة الملهوفين عما يخفف هول النكبة ويلطف ألم البلوى . والله لا يضيع أجر المحسنين

وهذه اللجنـة ترجو من أهل الخير أن يرسلوا تبرعاتهم إلى منكوبى فلسطين بواسطة جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وهى تتولى توصيلها إلى الهيئة المختصة فى فلسطين فتوزعه على المحتاجين

**محمد على الطاهر**

رئيس اللجنة الفلسطينية العربية بالقاهرة

**استدراك**

جاء فى أول هذا الباب تحت عنوان « أسبوع المتنبى فى دمشق » أن افتتاح المهرجان كان فى يوم ٢٧ يوليو الماضى والصحيح أنه كان فى يوم ٢٣ يوليو

## فتوى مشيخة الأزهر فى ( الحجاب ) و ( الختان )

نص الفتوى :

« كتب الينا من البلاد الهنـدية أن طوائف من أهلها الهندوكيين يريدون أن يتخذوا الاسلام ديناً لهم ، ولـكن عادتى حجاب النساء والختان تثبطانهم عنه بعض التثبيط . وقد طلب الينا أن نبدى رأينا فى هاتين العادتين وعن مبلغ علاقتهما بالدين الاسلامى ، فلم نر بداً من تلبية هذا الطلب راجين أن يكون فيه هدى للمسترشدين وبيان للمتثبتين

* * *

شرع الله تعالى الدين الاسلامى ليكون ديناً عاماً للبشر كافة فى كل زمان ومكان ، فجاءت شريعته مراعية لجميع الحاجات المادية والمرافق العمرانية للأفراد والجماعات ، وضامنة كل ضروب الحريات الضرورية لهم فى حدود الناموس الأدبى العام ، بحيث لا تتعاكس هذه الحريات ومصالح الاجتماع ، ولا تتضارب والأخلاق التى هى أساس العمران . فليس يوجد بين النظم الدينية والاجتماعيـة ما يوفق بين مطالب الأرواح والأجساد ويربطها برباط وحدة وثيقة غير النظام الذى جاء به الاسلام

لست بصدد تفصيل هذا الاجمال ، فلا أتعرض له إلا لبيان أمرين فيـه هما مسألتا الحجاب والختـان ، وهما اللتان طلب الينا بيانهما

### الحجاب

إن حجاب النساء كان معروفاً ومعمولاً به قبل مجىء الاسلام بقرون كثيرة فى جمع الأمم المعرقة فى المدنية ، وقد أخذه عنهم اليونانيون والرومانيون على أقصى ما يعرف عنه من التشديد قبل الاسلام بأكثر من ألف سنة ، وكان الاسرائيليون جارين عليه أيضاً على عادة معاصريهم

فلما شرع الله الاسلام راعى فى هذه المسألة ما راعاه فى جميع المسائل الاجتماعية من الاعتداد بالمصلحة العامة فى حدود الناموس الأدبى العام فأنزل قوله تعالى : ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى إخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون )

هذه الآية هى أطول آيات الحجاب ، وهى تنص على وجوب اتباع الجنسين على السواء للآداب الواجبة لأحدهما حيال الآخر

ولمـا كان النساء محلا للفتنة خصوا بالأمر لضرورة التصون فى مخالطة الرجال وعدم إبداء زينتهن لهم إلا مالا يمكن اخفاؤه منها أثناء مزاولتهن أعمالهن من خاتم وسوار

وقد أجمع الأئمة على أن الوجه والـكفين ليسا بعورة ، وأن ليس على المرأة من بأس أن تزاول أعمالهـا خارج بيتها ، وأن تمارس مهناً لـكسب قوتها على شرط ألا تظهر ما يثير العاطفة من جسمها وجيدها وزينتها

وما حدا بالاسلام إلى وضع هذه القيود إلا المحافظة على النفوس أن تفسدها الشهوات . والمجتمعات أن تحل روابطها الموبقات . وليس بخاف ما جرته هذه الشهوات على الأمم الخالية من الانحلال والزوال

فالاسلام لم يفرض على المرأة أن تعيش كما تعيش الأنعام ، أو أن تسجن كما يسجن المجرمون ؛ ولـكنه على العكس أمر أن تحضر الصلوات فى المساجد فى صفوف خلف الرجال ، وأن تشهد اجتماعات المسلمين العامة فى الأمور الهامة ، ولم تمنع قط من ابداء رأيها فيها ، ومن أن تتعلم كما يتعلم الرجال ، وأن تتصرف فى أموالها بكل وجوه التصرفات بدون توقف نفاذها على زوجها أو والدها أو أى أحد غيرهما ، وأن تتعاطى ما تشاء من الأعمال الحرة

هذه حقوق منحتها الديانة الاسلامية للمرأة منذ نحو أربعة عشر قرناً ، فلم تصل إليها أية امرأة سواها فى العالم إلى اليوم

والاسلام ازاء هذا كله لم يشرط عليها إلا حفظ كرامتها كامرأة شريفة غير متبذلة ولا متبرجة لتكون عضواً صالحا فى المجتمع بدل أن تكون عاملة فتنة فيه

هذه نزعة تقر الاسلام عليها كل نفس شريفة ، ولا تصادف معارضة من أى فريق حتى أصحاب المذاهب المتطرفة

### الختان

أما مسألة الختان — فلا تصح أن تـكون عقبة أمام الذين يريدون الاسـلام ، فان الختان كان معروفا عند بنى إسرائيل قبل مجىء الاسلام ، وقد اقتبسه عنهم العرب الجاهليون . فلمـا جاء

الاسلام أقره شأنه إزاء كل عادة نافعة أو عمل صالح

وقد قرر الأطباء أن الختان من أنفع العادات وأحفظها من الأمراض التناسلية ، فان القلفة بتغطيتها لرأس العضو تختزن فى طيها الاقذاء وتكون موطناً للجرائيم الضارة ، وغسلها من باطنها مرات فى اليوم من الأمور المتعذرة ، فازالة هذه القلفة مما يندب إليه قانون الصحة ؛ وقد علم أن بقاءها فى الأمم التى لم تعتد إزالتها قد كان سبباً فى انتشار الأمراض السرية ، وهذه الأمراض لم تعرف فى بلاد المسلمين إلا بعد اختلاطهم بجاليات الأمم من طريق العدوى

على أن الاسـلام لم يوجب على أهله الاختتان إيجابا كما هو مذهب الامامين أبو حنيفة ومالك ولم يجعله شرطاً للاسلام ، فهو فى نظره سنة للرجال إن شاءوا أخذوا به تصونا وتطهرا وإن شاءوا تركوه

أما للنساء فلم يصل إلى درجة السـنة فى مذهب الامامين السابقين ، ولكنه عندهما كرامة لهن فقط . لذلك تجد أكثر المسلمين لا يختنون نساءهم ؛ فالاتراك كافة والمغاربة والايرانيون والهنود وغيرهم لا يعملون بهذه العادة فيما يتعلق بنسائهم

والعادة أن الاختتان يكون فى السـنين الأولى من الطفولة بين ثلاث وعشر غالباً ، وليس فيه كبير مشقة ولا يتوقع من ورائه خطر إذ أنه لا يتعدى قطع الجلدة الزائدة المغطية للعضو مع عدم المساس بالعضو نفسه ، ناهيك أنه يعمل بواسطة العارفين ، واختتان الكبار كاختتان الصغار ليس فيه أقل ضرر

بقيت مسألة ربما تهم الذين يريدون الدخول فى الاسلام جماعات غفيرة وهم كبار فى السن ، وهى أن يعرفوا ما حكم الاسلام فيهم ، فالى هؤلاء نوجه قول الحسن البصرى رضى الله عنه ، وهو إمام الأئمة المجتهدين ، قال العلامة ابن قدامة الحنبلى فى المجلد الأول من كتابه (المغنى) فى الصفحة السبعين عن الختان ما يأتى : « والحسن يرخص فيه ويقول : إذا أسلم لا يبالى أن لا يختتن . ويقول : أسلم النـاس الأسود والأبيض لم يفتش أحد منهم ولم يختتنوا »

وهذا ما رأينا أن نأتى به من حكم الدين الاسلامى فى أمر الختان والحجاب ، وقد تبين أن واحداً منهما لا يتأتى أن يكون عقبة فى سبيله

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم »

مشيخة الأزهر

## رأى أستاذ فرنسى فى رواية (شهرزاد)

الأسـتاذ لونى بو ( Lugne-pœ ) مؤسس مسرح الأوفر فى باريس يعتبر بحق أحد الأركان التى قام عليها المسرح الحديث فى أوربا وهو الذى أخرج رواية (سالوميه) لأسكار وايلد سنة ١٨٩٢ ، وعرف الفرنسيين بابسن ومترلنك ، ورأيه فى الأدب المسرحى له من غير شك وزانته وقيمته . كتب خطابا إلى ناشر (شهرزاد) للأستاذ توفيق الحكيم جاء فيه عن هـذه الرواية : « لقد قال : ( لـسكنت ) ( واضع مقدمة الرواية ) فأحسن القول . والرواية تستحق أن تمثل على المسرح الفرنسى فى ذوق وفطنة . وهى تبقى بعد كل شىء رائعة الجمال شديدة العمق »

4 me Année, No. 162

Lundi - 10 - 8 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٦٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ — ١٠ أغسطس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد



# ساكنو الثياب ...

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال صاحب سرّ (م) باشا رحمه الله : وجاءني يوماً اثنان من شيوخ الدين من ذوى هيئاتهم وأصحاب المنزلة فيهم ، كلاهما هامَةٌ وقامة ، وجُبَّة وعمامة ، ودرجةٌ من الامامة ؛ ولهما نسيم ينفحُ عِطْرا حسبتُه من ترويح أجنحة الملائكة ، وعليهما من الوقار كظل الشجرة الخضراء في لهب الشمس تفيء به يُمْنةً ويَسْرةً . فتوجَّهتُ اليهما بنظري ، وأقبلتُ عليهما بنفسي ، ووضعت حواسي كلها في خدمتهما ؛ وقلت هؤلاء هم رجالُ القانون الذي مادتُه الأولى القلب

ما أسخفَ الحياةَ لولا أنها تدل على شرفها وقدرها ببعض الأحياء الذين نراهم في عالم التراب كأنَّ مادتهم من السُّحُب ، فيها لغيرهم الظل والماء والنسيم ، وفيها لأنفسهم الطهارة والعلوّ والجمال . يثبتون للضعفاء أن غير الممكن ممكن بالفعل ، إذ لا يرى الناسُ في تركيب طباعهم إلا الاخلاصَ وإن كان حرماناً ، وإلا المروءة وإن كانت مشقة ، وإلا محبة الانسانية وإن كانت ألماً ، وإلا الجِد وإن كان عناء ، وإلا القناعة وإن كانت فقراً .

هؤلاء قوم يؤلَّفون بيد القدرة ، فهم كالكتب قد انطوت على حقائقها وخُتمت كما وضعتْ لا تستطيع أن تخرج للناس من حقيقةٍ نصفَ حقيقة ولا شبهَ حقيقة ولا تزويراً على حقيقة

وما أعجبَ أمرَ هذه الحياة الانسانية القائمة على النواميس الاقتصادية ! فالسماءُ نفسها تحتاج فيها إلى سماسرة لعرض الجنة على الناس بالثمن الذى يملكه كل انسان وهو العملُ الطيب

قال : ونظرت إلى الشيخين على اعتبار أنهما من بقية النبوّة العاملة فيها شريعةُ نفسها ، تلك الشريعة التي لا تتغير ولا تتبدل كيلا يتغير الناس ولا يتبدلوا . ثم سألتهما عن حاجتهما فاذا أحدهما قد عمل أبياتاً من الشعر جاء يمدح بها الباشا ليزدلفَ اليه ؛ فقلت فى نفسى : ما أشبهَ حَجلَ الجبال [1] بألوان صخرها ! هذا عالِمٌ دنيا يحدها من الشرق الرغيفُ ، ومن الغرب الدينار ، ومن الشمال الجاه ، ومن الجنوب الشيطان

ثم نشر ورقةً فى يده وأخذ يسرد على القصيدة ، وهى على رَوِىّ الهاء تنتهى أبياتها ها . ها . ها . فكان يقرؤها شعرا أو كما يسميه هو شعرا ، وكنت أسمعها أنا قهقهة من الشيطان الذى ركب أكتافَ هذا العالم الدينى ها . ها . ها . ها ....

***

قال صاحب السر : وأدخلتهما على الباشا فوقف المدّاح يمدح بقصيدته ، وأخذت لحيته الوافرة تهتز فى انشاده كأنها مِنفضة ينفض بها المَلَل عن عواطف الباشا . وكان للآخر صمتٌ عاملٌ فى نفسه كصمت الطبيعة حين تنفطر البذرةُ فى داخلها ، إذ كانت الحاجةُ حاجتَه هو ، وإنما جاء بصاحبه رافداً وظهيراً يحمل الشمس والقمر والليث والغيث لتتقلب الأشياء حول الممدوح فيأخذه السحر ، فيكون جواب الشمس على هذه اللغة أن تضىء يوم الشيخ ، وجواب القمر أن يملأ ظلامه ، وجواب الليث أن يفترس عدوّه ، وجواب الغيث أن يهطل على أرضه

والباشا لا يدع ظرفه ودعابته ، وكان قد لمح فى أشداق العالم المتشاعر أسناناً صناعية ، فلما فرغ من نظمه الركيك قال له : ياأستاذ أحسبنى لا أكون إلا كاذباً إذا قلت لك لا فُضَّ فوك ...

ثم ذكر الآخر حاجته وهى رجاؤه أن يكون عمدة القرية من ذوى قرابته لا من ذوى عداوته . فقال له الباشا : ولقريتكم أيضاً أبو جهل .... ؟

***

ولما انصرفا قال لى الباشا : لأمرٍ ما جعل هؤلاء القوم لأنفسهم زياً خاصاً يتميزون به فى الناس ، كأن الدين بابٌ من التحرف والتصرف ، بعض آلته فى ثيابه ؛ فهؤلاء يسكنون الجبب والقفاطين وكأنها دواوينُهم لا ثيابُهم ...

قد أفهم لهذا معنى صحيحاً إذا كان كلُّ رجل منهم محصوراً فى واجبات عمله كالجندى فى معانى سلاحه ، فيكون التعظيم والتوقير لثوب العالم الدينى كأداء التحية للثوب العسكرى ، معناه أن فى هذا الثوب عملاً سامياً أوله بيع الروح وبذل النفس وترك الدنيا فى سبيل المجتمع ؛ هذا ثوب الموت يُفرَض على الحياة أن تعظّمه وتجله ، وثوب الدفاع تجب له الطاعة والانقياد ، وثوب القوة ليس له إلا المهابة والاعزاز فى الوطن

ولكن ماذا تصنع الجبة اليوم ؟ تُطعم صاحبها ...

أثر الجيش معروف فى دفاع الأمم العدوة عن البلاد ، فأين أثر جيش العلماء فى دفاع المعانى العدوّة عن أهل البلاد وقد احتلت هذه المعانى وضربت وتملكت وتركت هذا العالم الدينى فى ثوبه كالجندى المنهزم يحمل من هزيمته فضيحة ومن ثوبه فضيحة أخرى ؟

أنت يا بنى قد رأيت الشيخ محمد عبده وعرفته ؛ فرحم الله هذا الرجل ما كان أعجبَ شأنه ! لكأنه والله سحابة مطوية على صاعقة . ولو قلتُ إنه قد كان بين قلبه ورأسه طريقٌ لبعض الملائكة لأشبه أن يكون هذا قولاً

كان يزورنى أحياناً فأرانى مرغماً على أن أقدم له مجلسين أحدهما قلبى . وكان له وجه يأمر أمراً إذ لا تراه إلا شعرت به يرفعك الى حقيقة سامية [1]

رجل نَبتَ على أعراقٍ فيها إبداعُ المبدع المعظم الذى هيأه لرسالته ، فعواطفه كالعطر فى شجرة العطر الشَّذِيّة ، وشمائله كجمال السماء فى زرقة السماء الصافية ، وعظمته كروعة البحر فى منظر البحر الصاخب . وكثيراً ما كان يتعجب من هذا أستاذه

---

(١) هذا مثل عربى ، والحجل الطائر المعروف يكون فى الجبل من لون صخره للعلة المقررة فى التاريخ الطبيعى

(١) وصفنا الشيخ رحمه الله فى كتابنا (السحاب الأحمر) واستلهمنا روحه فصلا طويلا تجده هناك

السيد جمال الدين الأفغانى فيسأله مندهشاً : بالله قل لى : ابن أى ملك أنت ؟

لم يكن ابن ملك ولا ابن أمير ، ولكنه ابن القوات الروحية العاملة فى هذا الكون ؛ فهى أعدته ، وهى ألهمته ، وهى أنطقته ، وهى أخرجته فى قومه إعلاناً غير كتمان ، ومُصارحةً غير مخادعة ، وهى جعلت فيه أسدية الأسد ، وهى ألقت فى كلامه تلك الشهوة الروحية التى تذاق وتُحَب كالحلاوة فى الحلوى

هذا هو العالم الدينى ؛ لا بد أن يكون ابن القوات الروحية لا ابن الكتب وحدها ، ولا بد أن يخرج بعمله الى الدنيا لا أن يدخل الدنيا تحت سقف الجامع

وأنا فما ينقضى عجبى من هؤلاء العلماء الذين هم بقايا تتضاءل بجانب الأصل . يبحثون فى سنن النبى صلى الله عليه وسلم كيف كان يأكل ويشرب ويلبس ويمشى ويتحدث ، كأنهم من الدنيا فى قانون المائدة وآداب الولائم ورسوم المجتمعات . أما تلك الحقيقة الكبرى وهى كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم يقاتل ويحارب لهداية الخلق ، وكيف كان يسمو على الدنيا وشهواتها ، وكيف كان بطباعه القوية الصريحة تعديلاً فعالاً فى هذه الانسانية للنواميس الجائرة ، وكيف كان يحمل الفقر ليكسر به شِرَّةَ النواميس الاقتصادية التى تقضى بجعل الأخلاق أثراً من آثار السعة والضيق فتخرج من الغنىّ متعففاً ومن الفقير لصاً ، وكيف استطاع صلى الله عليه وسلم بفقره السامى أن يحول معنى الغنى فى نفوس أصحابه فيجعله ما استغنى عنه الانسان من شهوات الدنيا لا ما نال منها ؛ أما هذا ونحوه من حقائق النبوة العاملة فى تنظيم الحياة فقد أهملوه ، إذ هو لا يوجد فى الكتب وشروحها وحواشيها ولكن فى الحياة وأثقالها وأكدارها . وبذلك أصبح شيوخنا من الأمة فى مواضع لم يضعهم فيها الدين ولكن وضعتهم فيها الوظيفة

ألا ليتهم يكتبون على أبواب الأزهر هذه الحكمة : سئل بعض العرب : بم ساد فلان فيكم ؟ قالوا : احتجنا الى علمه واستغنى عن دنيانا

(سيدى بشر باسكندرية) مصطفى صادق الرافعى

# من ذكريات عابر سبيل

## للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

كان أحد الأخوان يصحح قول الشاعر : « وسافر فنى الأسفار خمس فوائد » فيقول — بعبارة لا أستطيع أن أرويها بحروفها — إن الفوائد ثلاث فقط : البعد عن المرأة ، والنوم كيفما اتفق ، وتكليم الناس بلا معرفة . فأما البعد عن المرأة — أى الزوجة — فانى لم أعد أدرى أهو مزية وخير أم ضرورة وعيب وشر ؟ . ولكن الذى أدريه أنى حاولته مرة بلا لف أومداورة ، ثم عدلت عن التماسه ووطنت النفس على اليأس منه ، ورضتها على السكون إلى القرب والمودة . وتجاربى فى هذا الباب تخولنى أن أنصح لمن يريد أن يسافر وحده أن يجازف ويلح على زوجته أن تكون معه ، فاذا أبت كان هذا هو المراد من رب العباد ، وإلا فلن يصيبه إلا ما كان مكتوباً عليه . على أنه يجب أن يكون مفهوماً أن المعول فى هذا الامر على أسلوب الحوار وطريقة الكلام . والزواج — كما هو معروف — من مزاياه أنه يكسب الانسان مرونة فى التعبير ، وقدرة على الاحتياط ، وبراعة فى التحرز ، وسعة فى الحيلة . وإنى لأذكر أنى كنت فى سوريا مع أسرتى منذ نحو سنتين ؛ فذهبنا مرة الى بيروت لنشترى أشياء نهديها إلى أهلنا ومعارفنا عند عودتنا ؛ فرأت زوجتى معطفاً من الفرو ثميناً جداً فأعجبها واشتهت أن يكون لها ، ولكنى نظرت إلى ثمنه فدار رأسى ، وأيقنت أنا إذا اشتريناه سنضطر إلى الاستجداء والتسول ، فأصابتنى فجأة نوبة عصبية حادة لم ترها زوجتى قط من قبل ، ففزعت ودعت أصحاب المحل أن يدلوها على طبيب بارع فى الأمراض العصبية ، فقد خيل إليها أن هذا الذى أصابنى لا بد أن يكون ضرباً من الصرع أو التشنج أو لا أدرى ماذا غير هذا ، فحملونى إلى طبيب فرنسى قالوا لها إنه هو الاخصائى الوحيد هنا ، وإنه من آيات الله ومعجزاته فى طب الأمراض العصبية ، فأدخلونى عليه فاتضح له من استجوابى ومما عرفه من تاريخ آبائى وأجدادى من قبلى أن أهلى — فى حداثتى — خوفونى مرة بدب صناعى له فرو كثيف ، وكانت صدمة الفزع الذى انتابنى فى صغرى شديدة جداً ، فأنا من ذلك الحين أضطرب جداً جداً إذا وقعت عينى على الفرو ... فسألته زوجتى التى لم تكن

تعرف هذا الجانب من تاريخ حياتي الحافل بالفاجآت — سألته عن العلاج فقال : « أوه .. لا شيء .. لا داعي للقلق .. ولكن يجب ألا يرى الفرو أبداً .. » ، والحق أقول إنه كان طبيباً بارعاً جداً ، فان مرضى العصبي لم يعاودني بعدها أبداً .. والفضل بعد الطبيب هو بلا شك لزوجتي التي حرصت أعظم الحرص على ألا أرى الفرو ..

وأما النوم كيفما اتفق فهذا أشهد أنه صحيح .. وأذكر بسرور أن قطاراً سافرت فيه مرة كان غاصاً بالركاب . وكانت المسافة طويلة والشقة بعيدة تستنفد الليل كله ولا بد من النوم . ولو كانت الجلسة مريحة لنمت وأنا قاعد ، ولكنني كنت كالباحة في قفة عجوة ، فحرت ماذا أصنع . ثم فتقت الضرورة لي حيلة فنحيت الحقائب عن الشبكة الممدودة لها فوق رؤوسنا ورقدت مكانها ، ونمت أهنأ نوم إلى الصباح ، ولو كنت ضخم الجسم لما تيسر لي ذلك فالحمد لله على الضآلة ..

وأما تكليم الناس على غير معرفة فهذا هو قانون السفر ، ولست تحتاج أن يعرفك أحد بأحد في رحلة ، وما عليك إلا أن تبدأ من تشاء بالكلام كأنما كنت تعرفه من عهد آدم ، ولكن هذا لا يخلو من خطر ؛ فقد تقع على ثقيل أو ثرثار فينغص عليك وقتك ويحرمك كل متعة يمكن أن تفوز بها وأقلها متعة الراحة وخلو البال من المنغصات ؛ ولكثرة ما أصابني من ذلك صرت أكره السفر بالقطار وأوثر السفر بالسيارة ؛ فاذا اضطررت إلى القطار عمدت إلى الحيلة وهي أن أضع حقيبتي في أي مكان حتى يتحرك القطار ، ثم أتركها وأذهب أبحث عن مكان آخر أتوسم في أهله الظرف والايناس ، وهذا يتطلب فراسة صادقة ، والفراسة استعداد ولكنها تكتسب الى حد ما بالتجربة

ومن الفوائد المجربة في الأسفار أن يستصحب المرء معه كتاباً في فن الطبخ ، ولست أعني أنه قد يحتاج أن يصنع طعامه بيده وإن كان هذا محتملاً ، ولكنني أقص ما وقع لي في هذا الباب — أو بعضه على الأصح — فقد كنت مرة في فلسطين وكنت ضيفاً على صديق لي ، فأصابني برد شديد من كثرة التنقل بين البلاد فوق الجبال بالسيارة في الليل وعاودني مغص الكليتين ، فلم يبق بد من الرقاد والحمية وانتظار مشورة الطبيب وإن كنت عارفاً بدائي ودوائه ، ومضى يوم ثان وثالث وطلع الرابع وأنا لا آكل إلا الموصوف من الأطعمة الخفيفة المأمونة ، وهذه لا طعم لها ولا لذة لآكلها ، وكل طعام يفرض على المريض يكون بغيضاً اليه ، فاشتهت نفسي أشياء قالوا لي إنه لا سبيل اليها لأن الطبيب منع أن تقدم إلي ، فاعترضت على هذا وقلت لهم إن الألم قد زال وإن الصحة قد عادت ولله الحمد ، وإني أستطيع الآن أن أفعل ما أشاء وآكل ما أحب ، فقالوا «حتى يراك الطبيب» فقلت إن هذا طعن في ذمتي لا أقبله ولا سيما في أمر يعنيني وحدي ، وأنا على كل حال أدرى من الطبيب بنفسي بل أدرى من أطباء الدنيا جميعاً . وهل كان الطبيب قد أحس بالألم حين جاءني المغص .. هل عرف أني ممغوص إلا مني .. اذن انتهينا .. أنا أنبأته أني مريض ولولا ذلك لما عرف . وأنا أيضاً أنبئه أني شفيت وأنه صار من حقي أن أتمتع بمزايا الصحة .. واذا كان الطبيب قد صدقني في واحدة فيجب حتماً أن تصدقوني في الثانية ، فروحوا هاتوا كذا وكذا من الآكال ، وكيت وكيت من الأشربات ..

فضحكوا وأبوا أن يجيبوني الى ما طلبت قبل أن يأذن لي الطبيب ، فلم يسعني الا أن أذعن للحرمان — فاني في بلد غير بلدي — ولكنني طلبت أن يجيئوني بكتاب في فن الطبخ فاستغربوا وسألوني عما أنوي أن أصنع به فلم أعبأ بهم ، فجاؤوني به فقلت لهم : « ألا تستطيعون أن تذهبوا عني الى حيث تشاؤون فحسبي هذا الكتاب وكفى به أنيساً في وحدتي ومسلياً لي في غربتي »

وفتحته في موضع الفهرس وانتقيت الألوان التي أشتهيها وانطلقت أقرأ بنهم . وصدقوني حين أقول إن ريقي كان يجري وإني كنت أنعم بأقوى من لذة الشره البطان وأنا أقرأ فيه

« كفتة الدجاج — تسيح الزبدة ويضاف الدقيق ثم اللبن بخفة مع استمرار التقليب حتى يصير المزيج في قوام القشدة ، ثم يضاف الملح والبقدونس والفلفل ، ثم تغلى مدة ثلاث دقائق ، ويضاف لحم الدجاج ويخلط جيداً ، ثم يصب هذا فوق طبق مسطح حتى يبرد ويؤخذ من المخلوط بملعقة كبيرة ويوضع في دقيق ويعمل على هيئة كور أو أقراص أو أشكال بيضاوية وتوضع في مكان بارد حتى تتجمد تماماً ، ثم تبل في فتات خبز ، وتغطس في بيض مخفوق مخلوط باللبن ، ثم في فتات الخبز ثانياً وتقلى في سمن ساخن جداً حتى تحمر ثم تنشف على فرخ ورق غير مصقول .. تنبيه — هذه الكمية تصلح أن يعمل منها أربع عشرة قطعة » ولكنني نسيت أن أذكر الكميات والمقادير .. لا بأس . فليس هذا كلاماً عن الطبخ .. ولا عجب أن أذوق بالوهم والخيال مثل

لذات الحقيقة فان هذه حياتنا معشر الأدباء .. وما أكثر ما نترك الحقائق ونروح نجرى وراء الظلال : ثم نحاول أن نعزى أنفسنا بأن الحقائق المشتهاة كثيراً ما أثبتت التجربة أنها دون ما كان متوقعا ، وأن الخيال أفسح رحاباً وأوسع آفاقاً ؛ فهو أقدر على امتاعنا . وأن الحقيقة نفسها إنما تكون ممتعة وجميلة بفضل الخيال ، ولولاه لما كان لها طعم ولا فيها متعة . فعمل الخيال لا بد منه للامتاع على كل حال سواء أكنت آكلا بالفعل أم متوهماً أنك تأكل ؛ والفضل والمزية للخيال لا للمادة فانها بمجردها لا شيء ، وإنما تكون شيئاً بما يفيضه عليها الخيال من السحر والفتنة وما يضفيه عليها ويفيضه إليها ويزينها به

وعلى ذكر فلسطين أقول إنى أحب السفر إليها لأنها لا تكلفنى إلا أجرة القطار . أما الأكل والنوم والنزهة فعلى الله والاخوان بارك الله فيهم . وقد حدث فى العام الماضى أنى تعبت من العمل المتوالى فأشاروا على بالراحة . فقلت اذهب إلى فلسطين . وكان الوقت شتاء والبرد فى جبال فلسطين يكون قارساً . فقال لى صديق اذهب الى الأقصر فقلت : فلسطين أفضل ، فاستغرب وبدأ يجادل ، فضاق صدرى وقلت له : يا أخى إن الاقصر تحتاج إلى مال كثير ، أما فلسطين فيكفينى أن تكون معى أجرة القطار

ومن الغرائب التى لا أظن أن كثيرين وقع لهم مثلها أنى كنت مرة فى جزيرة مع إخوان لى ، فقلنا : نصيد سمكا نشويه ونأكل منه فى يومنا هذا ، فاخترنا شرماً يضرب الماء فيه ويعمق فى البر لأنا قدرنا أن يكثر فيه السمك ، وجئنا بديدان اتخذناها طعاماً وجلسنا ننتظر أن يخدع السمك . فمضت ساعة وأخرى ونحن لا نظفر بشيء ؛ فنفد صبر أحدنا فتركنا وغاب شيئا ثم عاد بفونوغراف أداره وهو يقول مازحا : « لعل السمك يحب الموسيقى .. من يدرى .. أليس له حاسة فنية ؟ » فسررنا أنا وجدنا شيئا نتسلى به فى هذه الجلسة المملة ، وإذا بالسنارة التى كانت معى تضطرب وتنجذب إلى الماء ، فشددتها فخرجت سمكة حسنة ، فصحت بصاحبى « أعد ! أعد .. أعنى للسمك فما جاء إلا على الموسيقى » وكنت أنا أيضاً أمزح ، ولكنا ما لبثنا أن وجدنا هذا حقيقة . فكان السمك يكثر ويشتد إقباله على الناحية التى نكون فيها إذا أدرنا الفونوغراف ، ويقل ويذهب عنا إذا سكت . ولو كانت معنا مجموعة وافية من الاسطوانات لا استطعت أن أجرب أى الأدوار أحب إلى أى أنواع السمك ، ولعرفت أى الأسماك تحب التانجو وأيها يؤثر الفوكس تروت وهكذا . وقد اتفق منذ بضعة شهور وأنا فى العراق أن كنا مدعوين الى الغداء فى بيت على نهر دجلة — والعراقيون يسمون كل مسكن على النهر قصراً أو سراى ولو كان كوخاً — وكان بيت صديقنا هذا ضخما فخما وفيه جهاز للراديو ، وكانت الساعة الأولى مساء — وهى بحساب الوقت فى مصر الساعة الثانية عشرة — فخطر لى أن أجرب تأثير الموسيقى فى السمك ، فرجوت من صديقنا أن يفتح الراديو وأن يسمح لنا بالانحدار الى الحديقة ، وهى متصلة بالنهر ، واتفق أنه كان مغرماً بالصيد ، ولكننا لم نسمع من مصر الا شريطاً مسجلا لأحد المغنين ، ويظهر أن السمك لا يحب المعاد أو لعله لم يعجبه الغناء وان كان يطربنا نحن الآدميين . فقلت أعود فى المساء وأرى . غير أنى لم أستطع أن أعود إليه قبل الساعة التاسعة مساء — أى الثامنة بحساب الوقت فى مصر ، واتفق أن كان الذى يذاع حديثاً فنفرت الأسماك جميعها نفوراً ظاهراً . وفى اعتقادى أن محطة الاذاعة تستطيع أن تساعد على ترقية المصايد المصرية — فتخدم السمك والناس — إذا هى عنيت بأن تدرس طبائع الأسماك وأمزجتها وما يوافقها من ضروب الموسيقى ، وفى وسعها بالاذاعة المتخيرة أن تنظم صيد السمك ، وأن تجعل لكل نوع منه وقتاً معيناً . فاذا كان المراد مثلاً صيد ما يسمى البورى وما يماثله أذاعت للصيادين بعض الأغانى الشجية التى تفتر النفس . وإذا كان المطلوب صيد ثعابين الماء أو حياته أسمعتها أغنية « هاتشى بثى » وهكذا فيكثر المحصول بلا عناء وينتظم الأمر كله . ويعرف الناس ماذا يستطيعون أن يأكلوا من السمك فى كل يوم بمجرد الاطلاع على برنامج الاذاعة ومن غير خوف من أن يغشهم التاجر ويدخل عليهم صنفا باسم صنف آخر

والحجاز وإنجلترا هما — فيما أعرف — البلدان الوحيدان اللذان تستطيع فيهما أن تترك حقائبك أو أشياءك فى الطريق فلا تمسها يد غير يدك ولا يسطو عليها سارق . فاما فى الحجاز فقد سقطت منى عصاً فى الطريق بين جدة ومكة فتعطل السير من الجانبين وانقطع المرور حتى اهتدى الشرطة إلى أنى صاحبها فخاطبونى بالتليفون وأنا فى الشمسية — قرب مكة — فرجوت منهم أن يردوا العصا اللعينة إلى جدة مخافة أن ترتكب اثماً آخر فيأخذونى بذنبها . وأما فى انجلترا فقد تركت حقائبى ساعة وصلت إلى لندن على الرصيف أمام البيت الذى اختاره صديق لى

لأنزل فيه وذهبت معه — أى مع الصديق — إلى بيته حيث اغتسلت وحلقت ذقنى وشربت القهوة واسترحت ثم عدت الى الحقائب بعد ساعتين فوجدتها فى مكانها كما كانت . وأغرب من ذلك أنى راهنت صديق هذا أن أقضى يوماً فى لندن لا أتكلم فيه إلا اللغة العربية نخاف أن نتورط فيما لا يحمد واقترح أن نقتصر على السعى للوصول إلى وستمنستر أبى « من غير أن ننطق كلمة بغير لغتنا . فوافقت وتوكلنا على الله وخرجنا من البيت — هو وزوجته وأنا — وكنا نعرف الطريق ولكنا تجاهلناه ، فراقنى منظر رجل واقف بجانب حانة ينتظر على الأرجح وقت السماح ببيع الخمر — فان لذلك وقته المعين حوالى الظهر وفى المساء — فدنوت منه وحييته التحية المصرية — أى برفع يدى ثم مدها الى يده لمصافحته ، وسألته — بالعربية طبعاً — عن وستمنستر ، وتعمدت أن أحرفها تحريفاً شديداً فنطقتها « وستمنصته » ، وأقول الحق ان الرجل فزع واعتدل بعد الميل ونسى الخمر التى يحلم بها وينتظر أن يسعد باحتسائها ؛ فأعدت السؤال برفق فلم يفهم طبعاً على الرغم من صدق رغبته فى ذلك ، فلما يئس قال تعال معى ، وقادنى الى الشرطى وهو شىء ضخم جداً وأنا شىء ضئيل أو كما يقول ابن الرومى :

انا من خف واستدق فلا يثـ … قل أرضاً ولا يسد فضاء

وقل له إن هذا الغريب يبدو لى أنه يسأل عن شىء لا أستطيع أن أتبينه ، فمال على العملاق الانجليزى وقال يستحثنى : نعم ؟ فسألته عن «وستمنصته» فجعل يهز رأسه ويستعيدنى ، وأنا أهز له رأسى أيضاً كأنى غير فاهم ، وألح فى السؤال عن « وستمنصته » فأحس أن فى الكلمة شيئاً يمكن أن يهديه إلى مرادى وقال « قل هذا مرة أخرى » ولكنى تغابيت وجعلت أتلفت ، ثم قلقت وخفت ، فقد رأيت صديق وزوجته قد تركانى وذهبا فوقفا على الرصيف . وليت هذا كل ما حدث ... اذن لما كان فيه بأس ولكنهما كانا يضحكان حتى لخيل الى أنهما سيقعان على الأرض . وكان ضحكهما بصوت عال فخفت أن يفطن الى أن الأمر مزاح فيستثقله أو يعده سخرية منه فتسوء العاقبة ، فخففت التحريف فلم يلبث أن فطن الى مرادى فاستوقفنى حتى مرت سيارة أمنيبوس معينة فأمرنى أن أصعد وتبعنى صديق وأمر الكمسارى أن يأخذ منا الأجر الى وستمنستر وأن يحرص على أن ينزلنا هناك ، فأخرجت نقوداً ومددت بها يدى الى الكمسارى ليأخذ منها ما يشاء لجاجة منى فى دعوى الجهل باللغة الانجليزية . وهكذا كسبت الرهان

وفى غير بوليس لندن لا تجد مثل هـذا الصبر والرغبة المخلصة فى المعاونة . وأذكر مثالاً آخر فأقول إن صديقاً لى أعارنى سيارته لأذهب بها من لندن الى اسكتلندا وأتمتع فى طريق بأجمل ريف فى العالم ، وهو ريف انجلترا ، وكانت السيارة كبيرة ضخمة ويكفى أنها من طراز « دعلر » ، فكنت إذا جاء الليل قبل أن أصل إلى بلد ما وخفت أن أضل ، أميل عن الطريق إلى الأرض المعشاب وأتعشى بما أعددت من الطعام ، ثم أنام فى السيارة الى الصباح الباكر ، فاتفق يوماً أن فرغ البنزين وأنا سائر قبل أن أنتبه ، فوقفت مضطراً حيث كنت . ولما كانت السيارة كبيرة وثقيلة فقد عجزت عن تحويلها عن الوضع الذى تشغله من الطريق ، فجلست على سلمها وشرعت أدخن حتى يوفقنى الله إلى شىء ، فمر بى شرطى كان قد فرغ من العمل على ما أخبرنى ، فهو ماض إلى بيته ، فسألنى : هل بالسيارة خلل ؟ قلت : لا ، ولكنها أتت على كل ما فى خزانها من الوقود . فقال : انتظر ، ومضى عنى إلى حقل قريب ، وهناك استعار دراجة — بسكليت — ركبها وعاد بها ، وما لبث أن رجع حاملاً معه مقدارا كافياً من البنزين وقمعاً لافراغه فى جوف السيارة ، فشكرته وقدمت له كأساً من الوسكى الذى معى فى السيارة ، وبعد قليل حملت القمع والصفيحة معى وذهبت بهما إلى محل البنزين ، وكان على مسافة ثلاثة أميال ، فرددت الأشياء ودفعت الثمن . ومن الانصاف أن أقول إنك لا تعدم شرطياً غير انجليزى يفعل هذا ، ولكن هذه الروح فى الانجليزى طباع

وأعود إلى فلسطين فأقول إن فى عكة مسجداً كبيراً هو الآن مسجد ومدرسة فى آن معاً ، وقد بناه — على ما أظن — أحمد الجزار باشا الوالى التركى فى ذلك الزمان ، وهو رجل مشهور فلا أحتاج أن أحدثكم عنه ، ولكنى أقول إنى وجدت مكتوباً على باب المسجد من الداخل هذا البيت العجيب فى مدح الجزار باشا :

« ذاك الوزير الشهم أحمد من غدا … جزار أعناق العباد كما يجب »

وأظن هذا بيتاً يستحق التدوين ....

وفى بغداد دعانا الشيخ ابن معمر — القائم بأعمال المفوضية العربيــة فى العراق … إلى أكلة على الطريقة البدوية ، فاستحسنا ذلك جداً ، وآثرناها على وليمة أخرى ؛ فلما ذهبنا ألفينا السماط ممدوداً ... وأصف ما رأيت فأقول إن السجادة غطيت بملاءة بيضاء وضع عليها جفنة ضخمة فوقها صينية عظيمة لا أدرى من أين جاءوا بها ، وقد قالوا لى إن عندهم ما هو أكبر

منها بكثير ، وفوق الصينية طشت هائل ملىء أرزاً مخلوطاً بالزبيب واللوز والفستق ، وعلى الأرز خروف عظيم مشوى — هذا فى الوسط ، وحول الجفنة وعلى مستدارها أطباق عديدة لا يأخذها الحصر ، فيها أنواع شتى من الطعام ... كالدجاج والخضر والمصيدة والولائق المختلفة ، وهى من دقيق وسمن ولبن ، وقد عرفوا أننا لن نستطيع مجاراتهم ، فأعدوا لنا أطباقا وملاعق وسكاكين وأشواكا ، فجعلنا نحن نأكل على طريقتنا ، أى أن نأخذ ما نشتهى فى أطباقنا . أما هم فأكلوا على الطريقة البدوية الصرف ، وهى أن يتناول الواحد قبضة من الأرز ويطوى عليها أصابعه ويضغطها حتى تصير كالكفتة ، وبعد أن يفتلها على هذا النحو يقذف بها فى فمه . وهذا يبدو هيناً سهلا ، ولكن المصيبة أن الطعام يكون كالنار فيحرق الكف ، فكيف بالفم واللسان ؟ أما اللحم فيهبر منه ما تستطيع أصابعه أن تقطعه أو تمزقه ويرمى به فى فمه ، وما يرمى فى الحقيقة إلا جمراً مضطرماً . وعلى ذكر الجمر أقول إن للعرب — أو على الأصح للبدو — طريقة عجيبة فى علاج الجروح ، وقد جربتها فأنا أتكلم عن خبرة ويقين ، ذلك أن راحتى أصابتها النار ، فجعلت أوحوح وأنفخ فيها ، ولا أدرى ماذا أصنع لتسكين الألم على الأقل ، فصاح أحد النجديين الذين كانوا حاضرين هناك : — هذا كان فى الحجاز : « ملح ... ملح ... » فجاءوه بقليل من الملح الخشن فمد به يده الى وقال « خذ قبضة » « فتناولت منه بيدى السليمة وأنا أضحك فى سرى وأقول لعله يظن أن الحروق يفيد فيها السحر » فصاح بى « بيدك المحروقة » ، ففهمت وأخذت قبضة بيدى المحروقة فقال « اطو عليها أصابعك » ففعلت فقال « ابق هكذا » فظللت قابضاً على الملح الخشن دقائق ثم نظر فى وجهى وقال : « استرحت الآن .. زال الألم .. » ففتحت كفى وأنا أبتسم ولا أكاد أصدق ، فما كنت أشعر بأى ألم ولا رأيت أى أثر للحرق ! فما قول الأطباء فى هذا ؟ وليكن رأيهم ما يكون فانى أنا لا أنوى أن أداوى الحروق التى تصيبنى — وعسى ألا يصيبنى شىء — إلا بالملح ...

وفى لبنان أنقذتنى فتاة لا أعرفها من هلاك محقق ، وهذه الفتاة من أعاجيب الخلق ، فان لعينها نظرة تنيم الحية — كما عرفت بالتجربة المرعبة — وأنا قوى النظرة حادها وفى وسعى أن أحدق فى قرص الشمس ، ولكنى لم أستطع أن أحدق فى وجه هذه الفتاة العجيبة . وكنت كلما وقعت عينى على عينها لا أزال أطرف ثم لا أجد بداً من تحويل عينى الى ناحية أخرى . وكنا قد لقيناها فى الصباح ونحن نصعد فى جبل فى رأسه ينبوع أردت أن أرى الموضع الذى يتفجر منه ماؤه . وكانت تحمل جرة فيها من ماء هذه العين ، وكنا نخاف أن نضل ، فسألناها عن الطريق واستملحناها فاستسقيناها وأردت أن أنقدها بضعة قروش فأبت ، وأنبأتها أنى أريد أن أرى مفجر العين فنهتنى عن ذلك ، فسألتها عن السبب فقالت وهى تهز كتفيها : « هيك » ولم تزد ، ولما ودعناها عادت فحذرتنى ، فضحكت وشكرتها وأبيت إلا أن أصعد الى حيث ينبثق الماء ، وصعدت وحدى فقد رأى إخوانى وعورة الطريق فانصرفوا عن مرافقتى ، فوجدت كهفاً على بابه عشب ونبات طويل ورأيت الماء يخرج من الكهف ، فقلت أدخل لأرى فنحيت النبات وإذا بى أرى عينين لامعتين فظيعتين ثابتتين تحدقان فى عينى ، وكانت نظرتهما من القوة بحيث لم أستطع أن أحول وجهى ، وزاد فظاعة النظرة وعمق تأثيرها أن العين لا تطرف والجفون لا تتحرك وأن البريق شديد جداً فى ظلام الغار . وكانت العينان ترتفعان عن الأرض شيئاً فشيئاً وتدنوان منى على مهل وأنا أنظر إليهما ويداى الى جانبى وقد جمدت فى مكانى وشعرت بالخدر فى أعضائى . وكنت قد أدركت أن هذه حية وأنها من النوع الوثاب الذى تتحرك عيناه ولا تطرف جفونه ، ومن هنا عمق تأثير نظرتها ، ولم يخالجنى شك فى أنى مقضى على بالهلاك . وكيف أنجو وأنا مسمر فى مكانى لا أستطيع حراكا ؟ ولو وسعنى أن أتحرك لوثبت الحية على وأنشبت فى أنيابها قبل أن أدور على عقبى . وكانت نفسى تنازعنى أن أصرخ مستنجداً ولكن شفتى كانتا مطبقتين لا تنفرجان . وإذا بالعينين المرعبتين تتراجعان فى الظلام وتهبطان الى الأرض بعد أن كانتا ترتفعان عنها وتزحفان الى ، وأحسست أن نظرتهما تفتر وأن تأثيرهما فى نفسى صار أقل وأضأل ، وشعرت بأنى صرت أملك أن أحرك أعضائى بعد طول الجمود ؛ فتلفت فاذا الفتاة التى لقيناها فى الصباح تحدق فى عينى الحية بأقوى من نظرة الحية . ويكفى أنها ردتها بعينها . واختفت الحية فتنهدت وملت على الفتاة لأشكرها بقدر ما كان يسعنى أن أفعل فى مثل هذه الحالة ، فلامتنى على مخالفتها وذكرتنى أنها حذرتنى وقالت إنها أشفقت على من المصير الذى كان لا مفر منه فأدركتنى قبل أن أفضى نحبى فسكت ولم أقل شيئاً .. وماذا أقول ؟ .

ابراهيم عبد القادر المازنى

من (الكتاب الذهبي) قبل أن يطبع

# لغة الأحكام والمرافعات

للأستاذ زكى عريبي

## دستور (البحث)

أى شىء يراد بهذا العنوان « لغة الأحكام والمرافعات » ؟

الموضوع مطلوب للكتاب الذهبي بمناسبة انقضاء خمسين عاماً على إنشاء المحاكم الأهلية . فهل يجب أن يقتصر على المرافعات القومية كيف كانت لغتها قديماً وكيف تطورت وإلام انتهت وكيف يجب أن تكون ؟

أهذا هو محور البحث ؟ أم إن له مدى أبعد ودائرة أوسع ؟

الحق إن نواحى الموضوع حسبما يوحى عنوانه أكثر من أن تعد أو تحصر . لقد كان للناس محاكم منذ أقدم العصور وفى جميع البلاد المتمدنة ، ولكل عصر من عصور التاريخ ، ولكل بلد من بلاد المعمورة ، مميزاته فى تسيير العدالة وما يرتبط بها ، ومنه ما نحن بصدده . ثم إنك إذا تحدثت عن لغة المرافعات استحال عليك أن تقصر بحثك على نحو الكلام وصرفه وباقى صفاته اللغوية ؛ بل أنت تريد إلى جانب هذا أن تنظر فى الأحكام والمرافعات من حيث الأسلوب ، واختيار اللفظ ، وترتيب الكلام ، ومراعاة المناسبة ، وملاحظة الصوت والاشارة . ثم إن الموضوع ذو شقين بطبعه ، إذ أن لغتك وأنت جالس للقضاء غيرها وأنت قائم للدفاع . ثم إن الحال فى مصر تختلف عنها فى أكثر بلاد الدنيا ، فنحن هنا نطبق أحكام قانون نبت فى بلاد أجنبية ولم تحتضنه لغتنا إلا منذ قريب . فأكثر المشتغلين بتطبيقه قد درسوا مبادئه ثم تعمقوا فى أصوله بغير اللغة التى يكتبون بها أحكامهم أو يعدون بها دفاعهم

أى ناحية من هذه النواحى الكثيرة المتعددة يجب أن تعالج فى مقال أكبر الظن أن الحيز المخصص له محدود وسط الأبحاث الهامة القيمة التى سوف ينطوى عليها « الكتاب الذهبي » ؟

لقد فكرنا فى الأمر ملياً فانتهينا إلى أنه خير لهذا المقال إذا انفرجت حلقة البحث فيه فجاوزت الحدود المصرية البحتة إلى إلمامة بالحال عند غيرنا من المعاصرين ومن سبقهم من النابهين الذين يمكن أن يعدوا بحق واضعى أسس من الكلام القضائى . فاذا فرغنا من ذلك ، ولن نطيل فيه ، عرضنا لتاريخ لغة القضاء عندنا ماضيها القريب وحاضرها وما ينتظر لها على يد حملة لواء نهضتها الحالية

ولا ننتظر من هذا المقال بحثاً لغوياً عميقاً ؛ فليس لنا بذلك طاقة ولا المحل هنا محله . هذا إلى أن نواحى البحث الأخرى أجدى وأنفع . وسوف نعنى بالتفريق بين لغة المرافعات ولغة الأحكام ، فان لكل منهما مميزات تختص بها ونحب التنبيه عليها ، ولو أن كلا منهما تلقى فى مصر صعوبات مشتركة يجب على العائلة القضائية بأسرها التضافر على مغالبتها وتذليلها

ولنبدأ بهذا قبل أن تنفرج قاعدتا الزاوية بحكم اضطرارنا إلى الفصل بين شقى هذا البحث

## متاعب اللغة العربية

المتاعب التى يلقاها المترافعون وصائغو الأحكام على السواء فى مصر جزء من متاعب لغة قديمة كريمة نامت نومة أهل الكهف زمناً ، ثم أوقظت على حين غفلة لتقف على قدميها دفعة واحدة فتتفهم والنعاس ما يزال يغالبها ويعقد أجفانها أحوالاً جديدة ليس لها بها عهد ولا سابق معرفة . أوقظت بشدة ودفعت بعنف لضرورة ملحة لتساير وتلاحق فى ميدان لا تحده سوى حدود العقل البشرى لغاتٍ وثيقة الصلة بنهضة العلوم التى رفعت أوروبا إلى مقامها الممتاز الحالى ، وجعلت منها منارة العلم والفلسفة والأدب والتشريع والاختراع . لغات صقلتها قرون متعاقبة عامرة بجهود متواصلة ربطت طارفها بتليدها وهيأتها أداة مرنة صالحة لما يطلب منها فى مختلف ميادين النشاط العقلى

وأنت فى مصر كاتباً كنت أو أستاذاً فى جامعة ، محامياً أو قاضياً ، مهندساً أو طبيباً ، لا تكاد تذكر أمامك اللغة حتى تتجه بفكرك إلى مختلف الصعوبات التى تعانيها إذا طلب منك أن تكتب أو تحاضر فى فرعك الخاص . لقد أخذت كما أخذ أفراد هذا الجيل والذى تقدمه العلم عن أوروبا ؛ أخذته سهلاً ميسوراً بلغة أجنبية لقنتها صغيراً فى طرازها الأخير مخصات بها

على أداة دقيقة مطواعة لحاجات العصر قد استوفت دقائقهـا من مسميات وأفعال وتعبيرات لها دلالتها الخاصة المحدودة . درست بهذه الواسطة فى لين وسهولة ، ثم إذا بك وقد انتقلت فجأة بمحصولك العلمى إلى محيط يريد أن يفهم منك مافهمته ويأخذ منك ما أخذته ، وليس سبيل للتفاهم مع هذ المحيط إلا لغة قد يكون معدنها ذهباً ولكنه ذهب ما يزال تبراً مخلوطاً بأتربة تراكمت منذ أجيال . فأنت مضطر إلى تطهيره من كل عنصر زائف ، ثم عليك بعد ذلك صهره فى بوتقة العصر ثم صقله ثم ضربه نقوداً من أعيرة وفئات مختلفة . فاذا ما استقام لك هذا كله لزم أن يجرب الناس عملتك هـذه الجديدة وأن يتداولوها زمناً قبل أن تستقر نظاماً مألوفاً معمولاً به

ليس مركز المتكلم أو الكاتب باللغة العربية إذن سهلاً ميسوراً فى هذا العصر . اللهم إلا أن يقول شعراً يحتذى فيه المتنبى ، أو يكتب نثراً ينسج فيه على منوال عبد الحميد الكاتب أو ابن المقفع . أما أن يعرض بقلمه لشيء من مختلف العلوم والفنون الحديثة فهو أعزل إلا من العزم الذى تبعثه الصعاب ، فقير إلا من عناصر الثروة المخبوءة فى لغة مجيدة تتطلب كثيراً من الجهد فى استكشافها ثم مثابرة وصبراً لاقرار ما يكتشف وإحلاله محله من نظام مقبول

ولكن أيمكن حصر هذه الصعوبات ومعالجتها ؟

ليس فى هذه العجالة متسع للخوض فى موضع قلنا ونكرر إنه خارج اختصاصنا وفوق مقدورنا . ولكن ما نراه فى عالم الحقوق يجيز لنا أن نعتقد أنه ليس فى اللغة العربية أدواء أصيلة تمنعها من أن تأخذ مكانها تحت الشمس كلغة عصرية تضرب بسهم فى مختلف العلوم والفنون . فقد سبق لها أن دعيت الى مثل ما تدعى إليه اليوم وهى بعد أقرب الى البداوة منها الى استقرار الحضارة ، فوثبت الى غايتها العلمية وثبة الجواد الكريم . ودرس العرب حضارة الاغريق وفلسفتهم وطبهم بالعربية وحلوا محل الرومان فى حمل مشكاة الحضارة قروناً يؤلفون فى كل علم وفن بل ويزيدون فى ثروة العالم العلمية بما استنبطوا من معارف جديدة . فهل تعجز العربية ولها هذه السابقة المجيدة وذلك التراث الباهر أن تصل فجرها الجديد المتألق بمسائها الباهر ؟ إن لنا أن نأمل بل لنا أن نطمئن الى غد سعيد أخذاً بالقياس

ولكن لنعد الى ما كنا فيه ولنتحدث قليلاً عن صعوبات الحاضر فقد يتعين هنا التنويه باثنتين :

### تجاوز القصد

كثيراً ما عيرنا — وأخشى أن نكون قد عيرنا بحق — بأننا نجاوز إذا جلسنا للكتابة أو قمنا للكلام الغرض الذى نتوخاه بأحدهما ، وأن اللغة التى نستعملها فى عصر اللاسلكى أو الكهرباء ما تزال تغشاها المحسنات اللفظية وتغمرها المترادفات ويفسدها الحشو ويرهقها استطراد يمكن التخفيف من كثيرمنه . فأغلب الكتاب إذا ذكر الظلم ألحق به الاستبداد ، وإذا تكلم عن الرحمة أردفها بالشفقة والحنان . وليس الذنب فى هذا على اللغة العربية بل على تقاليد سيئة وجهل بمقتضيات العصر . إن لغتنا موسيقية بلا مراء ولكن باعرابها . وهى غنية غاية الغنى بأسمائها وأفعالها ونعوتها . ولكن هـذه الثروة لم تجمع للزينة فحسب ، ولم تدخر فى بطون المعاجم لكى يتزن بها الروى وتستقيم القافية ويحسن السجع ، وإنما لتكون منها وسائل لأداء معان مختلفة وان تقاربت . وأول واجب على الكاتب فى هذا العصر أن يستعمل كل لفظ فيما أعد له من الأصل ؛ فيعرف مثلاً متى ينعت صاحبه بالاقدام ومتى يسميه شجاعاً ومتى يصفه بالجرأة . وبعبارة أخرى نحن أحوج ما نكون اليوم الى فقه صحيح دقيق للغة العربية نعرف منه متى نستعمل لفظاً معيناً فى معنى معين . وهذا إذا تم استتبع حتما سير قلم الكاتب ولسان المتكلم فى سبل مرسومة وطرق معبدة ، فلا يكتب ولا يقول إلا بقدر حاجة الموضوع دون استطراد يحاول به تمكين المعنى فى نفس القارئ أو سامع يخشى أن يفوته القصد

على أنه من الانصاف أن نقرر هنا أن لغة الجدل الفقهى فى مصر قد قطعت شوطاً بعيداً فيما نتمناه لأسلوب الكتابة على وجه العموم

وأول مثل يحضرنى أسلوب أستاذى طيب الله ثراه المرحوم أحمد بك لطفى ، فقد كانت لغته مرآة مصقولة لفكره الرائق المرتب : ألفاظ سهلة مختارة ، وجمل على قدر حاجة الكلام لا أقل ولا أكثر لا تستطيع حذف عبارة منها حتى يختل المعنى وتضيع الفائدة . أنظر إليه يترافع عن الوردانى فى قضية اهتزت لها جوانب القطر كيف روى وقائعها فى بساطة وسهولة توطئة لبحثه القانونى :

« نزل رئيس الوزارة المصرية يوم الحادث من ديوانه يحيط

٧٥١

به كمادته رجال الحكومة حتى بلغوا به سلم نظارة الحقانية ولم يكد يودع مشيعيه حتى ابتدره هذا الفتى فأفرغ فيه عدة رصاصات طرحته على الأرض يتخبط فى دمه ؛ أطلقها من مسدس كانت تحمله يد لم تخنها قواها ، يقلبه بقلب كأنه قد من الحديد ، فأنفذ حشوها فيه كما ينفذ الجلاد حكم القضاء فى المنكودين ، ولكن مع الأسف لم يكن حول الفقيد بد شهم مخلص مقدام كيد أحمد البحراوى التى أنقذت سعادة حكمدار العاصمة من الرصاص الذى صوب اليه ، ولذلك وجدت رصاصات ذلك الفتى سبيلاً الى جسم رئيس الوزارة »

بل استمع اليه وهو يختتم هذه المرافعة بتوجيه الخطاب الى المتهم كيف يطلق العنان للعاطفة دون أن يختل ميزان أسلوبه السهل الممتنع :

« أما أنت أيها المتهم : فقد همت بحب بلادك حتى أنساك ذلك الهيام كل شىء حولك . أنساك واجباً مقدساً هو الرأفة بأختك الصغيرة وأمك الحزينة فتركتهما يبكيان هذا الشباب الغض . تركتهما يتقلبان على جمر الغضا . تركتهما يقلبان الطرف حولها فلا يجدان غير منزل مقفر غاب عنه عائله . تركتهما على ألا تعود إليهما وأنت تعلم أنهما لا تطيقان صبراً على فراقك لحظة واحدة فأنت أملهما ورجاؤهما . دفعك حب بلادك الى نسيان هذا الواجب وحجب عنك كل شىء غير وطنك وأمتك وأخيك فلم تعد تفكر فى تلك الوالدة اليائسة وهذه الزهرة اليانعة ولا فيما سينزل بهما من الحزن والشقاء بسبب ما أقدمت عليه . ونسيت كل أملك فى هذه الحياة وقلت إن السعادة فى حب الوطن وخدمة البلاد ، واعتقدت الوسيلة الوحيدة للقيام بهذه الخدمة هى تضحية حياتك : أى أعز شىء لديك ولدى أختك ووالدتك فأقدمت على ما أقدمت راضياً بالموت لا مكرهاً ولا حباً فى الظهور . أقدمت وأنت عالم أن أقل ما يصيبك هو فقدان حريتك ؛ فى سبيل حرية أمتك بعت حريتك بثمن غال

فاعلم إذن أيها الشاب أنه إذا تشدد معك قضاتك ولا إخالهم إلا راحميك ، فذلك لأنهم خدمة القانون ، وهو هذا السلاح المسلول فوق رأس العدالة والحرية . وإذا لم ينصفوك ولا أظنهم إلا منصفيك ، فقد أنصفك ذلك العالم الذى يرى أنك لم ترتكب ما ارتكبته بنية الأجرام ، ولكن باعتقاد أنك تخدم بلادك . وسواء وافق اعتقادك الحقيقة أو خالفها ، فتلك مسألة سيحكم التاريخ فيها وإن هنالك حقيقة عرفها قضاتك وشهد بها الناس ، وهى أنك لست مجرماً سفاكا للدماء ولا فوضياً من مبادئه الفتك ببنى جنسه ولا متعصباً دينياً ، وإنما أنت مغرم ببلدك هائم بوطنك ، فليكن مصيرك أعماق السجن أو جدران المستشفى ، فان صورتك فى البعد والقرب مرسومة على قلوب أهلك وأصدقائك ، وتقبل حكم قضائك باطمئنان ، واذهب إلى مقرك بأمان »

ومثل آخر لأيراد الكلام على قدر المعنى المطلوب تجده فى مذكرات صديقى الأستاذ سليمان حافظ المحامى ، وأغلب ظنى أنه يحتذى إمامنا الراحل . قال فى صدر إحدى هذه المذكرات يحدد موضوع البحث ويبين ما سبق من الرأى ، وينتهى إلى غرضه من الاستشهاد بحكم محكمة النقض . وهذا كله فى أسطر معدودة

« بيعان أحدهما من مورث والثانى من وارث عن عين بذاتها . وبيع الوارث أسبق تأجيلا . فأيهما أحق بالتفضيل ؟ وأى المشترين علك ؟ المشترى من المورث أو المشترى من الوارث ؟ ذلك هو موضوع البحث ومناط الفصل فى هذه الدعوى

قد يقال إن العقد الأسبق تسجيلاً هو العقد الأحق بالتفضيل ؛ غير أن نظرية التفاضل بالتسجيل لا محل لها ما لم يكن البيعان صادرين من مالك واحد . وهنا يحق البحث فيما إذا كان الوارث والمورث شخصاً واحداً بمعنى أن الوارث استمرار لشخص المورث ، أو أن لكليهما شخصية قانونية مستقلة عن الأخرى ؟

وقع الخلاف فيما مضى على هذه المسألة فقال فريق إن شخصية الوارث تكمل شخصية المورث أخذاً بقواعد القانون الفرنسى . وقال فريق آخر إنها مغايرة لشخصية المورث طبقاً للشريعة الاسلامية . وتزاحمت الأحكام بين الرأيين ، وانقسم الفقهاء المصريون إلى شطرين ، حتى طرحت هذه المسألة أمام محكمة النقض وأصدرت فيها حكمها بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٩٣١ : أخذ بالرأى الثانى ووضع نهاية للخلاف السابق »

ترجم هذا الكلام حرفاً بحرف إلى اللغة الفرنسية أو إلى الانكليزية التى اشتهر أهلها بحب الايجاز فلن يجد فيها الفرنسى أو الانكليزى أثراً لحشو أو تزيد مما يؤخذ على كثيرين من كتابنا »

( يتبع )

زكى عريبى
المحامى أمام محكمة النقض والابرام

واطر فى السياحة

# مجاز الشرق والغرب

للأستاذ محمد عبد الله عنان

للسياحة أدب خاص . وربما كان أدب السياحة أقدم أنواع الأدب بعد أدب الأساطير والفروسية . فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد نجد هيرودوت أبا التاريخ يجوب أنحاء آسيا الصغرى وفارس والشام ومصر ، ويقدم لنا دراسته ومشاهداته فى أثر ممتع هو الأول من نوعه . وقد جرى أكابر الرحل والرواد فى كل عصر وقطر على تدوين رحلاتهم ومشاهداتهم . ولدينا فى تراثنا العربى طائفة كبيرة من الآثار الهامة التى تعتبر وثائق نفيسة عن أحوال العصور التى كتبت فيها والبلاد والمجتمعات التى تناولتها

وقد كانت السياحة من قبل مغامرة محفوفة بالمشاق والمخاطر ، ولكنها أضحت فى عصرنا هينة ميسورة ، بل غدت متاعاً ونزهة بما مهد لها من وسائل المواصلة السهلة الأمينة فى البر والبحر والهواء ، وتنوعت سبلها ووسائلها ومرغباتها ، وأضحت فى كثير من البلاد التى حبتها الطبيعة بمحاسنها صناعة قومية تنظم لاجتذاب الموسرين والمترفين

ومن الحقائق المعروفة أن السياحة تذكى الخيال وتلهم القلم ؛ ذلك أن السياحة تقدم إلى الكاتب مادة غزيرة من الجديد فى كل شىء : فى الطبيعة والاقليم ، وفى الأشياء والناس ، وفى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية ؛ وهى بما تحمل من متاع للنفس والعين والروح تمد الكاتب بذلك الغذاء الروحى الذى يستمد منه صوره ، وتبعث اليه فى معظم الأحيان رغبة ملحة فى التحدث والافضاء بما رأى وشاهد

* * *

وصلنا إلى مرسيليا بعد أن قضينا فى البحر خمسة أيام فى جو هادئ وسير ناعم مريح ، وأرسينا فى الصباح الباكر فى مرفئها الشاسع . ومرسيليا ثغر عظيم ، ولكنها لا تمتاز عن غيرها من الثغور الكبيرة فى مظاهر حياتها ونشاطها ؛ بيد أن ما نلاحظه عادة فى حياة الثغور من تباين فى الناس والمجتمع يبدو فى مرسيليا أقوى وأشد وضوحا . فهنالك يلتقى الشرقيون والغربيون من مختلف الأجناس والأمم ، وتغص بهم شوارعها ومقاهيها وفنادقها ، ولكن هذا المجتمع المتباين يجوز دائماً حياة طائرة غير مستقرة ؛ ذلك أن مرسيليا مجاز فقط بين الشرق والغرب ، تجتازها الجموع مسرعة ، سواء إلى المشرق أو إلى المغرب ، ولا تترك فيها أثراً ، ولا تحمل منها ذكريات ذات شأن

وليس فى مرسيليا ما يجذب السائح المتجول من المشاهد الاجتماعية ويترك فى نفسه أثراً خاصاً سوى حيها الشهير المسمى « الكانبيير La Canebiére » ، فهو قلبها النابض ، يضطرم دائماً بحركة زاخرة مستمرة ، وتجتمع فيه أهم مرافقها التجارية ؛ وهو ثغرها الباسم ، يغص من الجانبين بالمقاهى الأنيقة ، ويغدو بالليل قطعة من الأنوار الساطعة ، ويؤمه المجتمع الأنيق المرح ، وهو أشبه الأحياء بشارع عماد الدين عندنا ، بيد أنه أكثر منه ظرفا وبهاء

ومما يجدر ذكره أن هذا الحى الأنيق « الكانبيير » كان منذ عامين مسرحا لفاجعة دموية مروعة اهتزت لها أوربا ، وكادت تودى بالسلم الأوربى ؛ تلك هى مصرع الملك اسكندر ملك يوجوسلافيا ، ومسيو لوى بارتو وزير الخارجية الفرنسية الذى كان يرافقه فى العربة الملوكية ؛ وقد وقع الحادث على مقربة من ملتقى « الكانبيير » بالميناء القديم ؛ ورأت الحكومة الفرنسية أن تخلد ذكرى تلك الفاجعة المرسيلية باقامة نصب تذكارى إلى جانب المكان الذى وقعت فيه ، وقد سطرت فى رأسه هذه العبارة : « هنا سقط اسكندر ملك يوجوسلافيا ، والرئيس لوى بارتو فى سبيل قضية السلام والحرية ، فى ٩ اكتوبر سنة ١٩٣٤ »

أما عن المشاهد الأثرية فليس فى مرسيليا منها ما يستحق الذكرى سوى أثرين : الأول فى داخلها ، وهو قصر لونشان ، وهو قطعة بديعة من الفن تزين واجهته نافورة ضخمة رائعة الجمال ، وتحيط به حدائق عظيمة ، نصبت فيها تماثيل عديدة ، رأينا منها تمثالاً لمسترال الشاعر البروفنسى الشهير ، وآخر

لشاعر الحب والجمال الفونس دى لامرتين

وأما الأثر الثانى فهو خارج الميناء ، فى جزيرة صخرية صغيرة ، وهو حصن « ايف » (شاتوديف) الشهير

وليس لحصن ايف فى ذاته أية أهمية فنية أو أثرية ، ولكنه يلفت النظر بقواعده وجدرانه المنيعة التى قدت من الصخر الهائل ، والتى يتكسر عليها الموج المزبد

وقد ارتبطت بهذا الحصن الصغير الذى أنشأه فرانسوا الأول فى أوائل القرن السادس عشر ليكون سجناً سياسيا ، ذكريات مروعة ، ما زالت أوكاره المظلمة الضيقة تحمل آثارها ؛ ذلك أن هذه الأوكار السحيقة التى لا يكاد يدخلها شىء من الهواء أو الضوء كانت مثوى لطائفة من أكابر الزعماء والساسة ، منهم « ذو القناع الحديدى » الشهير الذى ما زالت شخصيته لغزا على التاريخ ، والذى يعتقد فولتير أنه أخ غير شرعى للويس الرابع عشر ، قضى بسجنه واخفاء وجهه بقناع دائم حتى لا يعرفه انسان قط . ومنهم « ميرابو » خطيب الثورة الفرنسية ، و « فيليب دورليان » ابن عم لويس السادس عشر ، و « لويس فيليب » الذى تولى الملك فيما بعد ، وغيرهم من الزعماء والأكابر الذين سطرت أسماؤهم جميعاً فوق الغرف التى سجنوا فيها

ومن ذكريات « ايف » المروعة تلك المخادع الشاسعة المنخفضة التى تسمى « بمخادع النسيان » Oubliettes والتى كان يزج اليها بعض المغضوب عليهم ، فلا يذكرهم بعد ذلك أحد من أولى الشأن ، وربما تركوا فيها حتى يهلكوا فى غمر الظلام والنسيان

بيد أن لحصن « إيف » ذكرى شهيرة أخرى ، أوحت إلى اسكندر ديما أعظم قصصه وأبدعها ونعنى قصة « الكونت دى مونتى كريستو »

مَن مِن عشاق القصص الرائع لا يعرف « الكونت دى مونتى كريستو » تلك الشخصية العجيبة التى خلقها اسكندر ديما من شخصية أدمون دانتيس سجين شاتوديف ؟ ومن ذا الذى لا تطربه وتشجيه محنة أدمون فى سجنه السحيق ، وقصة اتصاله بالأب فاريا صاحب الكنز العجيب ، ثم فراره من أسره الهائل بعد مخاطرات مروعة ، وحصوله على كنوز جزيرة « مونتى كريستو » ، وظهوره بعد ذلك على مسرح الحوادث فى ثوب تلك الشخصية الخرافية التى يفيض من حولها الذهب والجوهر ؟

فى حصن إيف وكر صغير مظلم قد فى الصخر ، وفيه ثلمة صغيرة تصل بينه وبين مخدع آخر فى مثل روعته وظلامه ؛ فنى أواخر عهد نابليون زج أدمون دانتيس فى المخدع الأول بتهمة مؤامرة ملفقة ؛ وكان جاره فى المخدع الثانى راهب شيخ يدعى الأب فاريا سجن قبله بأعوام طويلة لأسباب مجهولة ؛ ولبث أدمون أعواماً يرسف فى وكره ، وهو يدبر وسائل الفرار حتى وفق إلى حفر ثلمة صغيرة فى جدار كان يظن أنه يفضى إلى فناء السجن أو إلى البحر ، ولكنه ألفاه يفضى إلى مخدع مجاور ، فتعرف بجاره وشريكه فى الأسر ، الأب فاريا ، ووثقت بينهما المحنة أواصر الصداقة ؛ وكان الأب فاريا قد وقف قبل محنته من وثائق كانت فى حوزة بعض الأحبار على سر كنز عظيم من المال والجوهر خبأه الكردينال سبادا فى جزيرة « مونتى كريستو » على مقربة من الشواطىء الايطالية ، فأطلع أدمون على سره حتى إذا فر دونه استطاع الحصول عليه

ثم توفى الأب فاريا فجأة ؛ وكانت العادة أن السجين المتوفى يكفن ويلقى فى البحر ، فدبر أدمون وسيلة عجيبة للفرار خلاصتها أنه بعد أن كُفن الأب فاريا ، وترك فى مخدعه حتى موعد إلقائه ، نفذ أدمون إلى ذلك المخدع من الثلمة الشهيرة ، ووضع نفسه فى الكفن مكان الأب المتوفى ، ووضع الجثة فى مخدعه ؛ وانتظر حتى جاء عمال السجن وحملوه ، وهو مستتر بالكفن وألقوه إلى البحر ظناً أنه هو الأب المتوفى ؛ فاستطاع أن يخرج من كفنه ، وأن يسبح حتى الشاطىء ؛ ونجا بتلك الوسيلة العجيبة ؛ وسافر إلى الجزيرة ، وبحث عن الكنز المنشود حتى عثر به ، وتسمى بالكونت دى مونتى كريستو ، وعاش فى بذخ عجيب ، وهو يعمل للانتقام من أعدائه الذين أوقعوا به حتى أفناهم أو نكبهم جميعاً

تلك هى الحوادث والسير العجيبة التى يثيرها منظر ذينك المخدعين المروعين المتجاورين فى حصن إيف : مخدع أدمون دانتيس وزميله الأب فاريا

ولقد ذكرنا منظر حصن إيف بحصن أقدم وأروع يماثله فى النشأة والغاية هو حصن سانت أنجلو فى رومة ، وهو معقل هائل يرجع إلى العصور الوسطى ، وبه مخادع مظلمة مروعة كانت معقلاً لطائفة من الأكابر ، مثل بنفو نوتوتشلليني الفنان الشهير ، والعلامة جوردانو برونو ؛ وكان مدى عصور سجناً رسمياً لديوان التحقيق (التفتيش) الرومانى ، وكان مسرحاً لكثير من المآسى الدموية وحوادث الفرار الشائقة

***

هذا بعض ما أوحته المناظر والمشاهد المرسيلية إلى الخاطر . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة قصة « البقشيش » (البوربوار) التى قرأنا عنها فى الصحف قبل السفر ، وعلمنا أنها كانت موضع اهتمام خاص من الوزارة الفرنسية الجديدة ؛ فقد استصدرت وزارة مسيو ليون بلوم من البرلمان فى أوائل يونيه تشريعاً يقضى بالغاء « البقشيش » فى جميع فرنسا ، وذلك لما رأته من تغلغل هذا الداء فى جميع المعاملات تغلغلاً يجعله أشبه بضريبة غير رسمية ؛ وقد اعتقدنا حين وصلنا الى مرسيليا أننا تخلصنا من هذا الداء المنغص بفضل المسيو ليون بلوم ، فاذا نحن واهمون ، وإذا البقشيش لا يزال عماد المعاملة فى كل خطوة ، وكل شىء وكان أول مالفت نظرنا فى الفندق إعلان جاء فيه : إنه نظراً لالغاء البقشيش فقد رأت الادارة أن تضيف إلى جملة الحساب عشرة فى المائة نظير الخدمة ! فتساءلنا عندئذ ما الذى ألغاه القانون الجديد ، وما الذى فعلته وزارة المسيو ليون بلوم ؟

ومما يلاحظ الآن فى فرنسا بنوع خاص أن الجبهة الشعبية التى تؤيد الوزارة الجديدة تلق تأييداً شديداً ، وأن النزعة الديموقراطية التى كانت قد فترت فى العهد الأخير قد عادت إلى حدتها ؛ وفى ذلك ما يدل على أن الشعب الفرنسى يشعر اليوم شعوراً قوياً بما يهدد الديموقراطية من الأخطار ، ويزمع أن يتمسك بنظمه الحرة العريقة ، على رغم ما يعتورها أحياناً من أوجه الفساد والضعف ، وأن يدافع عنها ضد تلك النظم الطاغية الهمجية التى تسود اليوم بعض الدول العظمى ، والتى تحاول أن تسود أوربا القديمة كلها

بورڤاندر (سفح البرنيه) فى أواخر يونيه — *محمد عبد الله عنان*

بمناسبة المهرجان الألفى لأبى الطيب فى دمشق

## ٢ — دين المتنبى

[ تتمة ما نشر فى العدد الماضى ]

للأستاذ سعيد الأفغانى

أنتقل الآن الى الكلام عن اعتقاد أبى الطيب ، وهو الموضوع الذى زلت فيه أقدام كثيرين ، إما لميل إلى الرجل أو عليه ، وإما لاكتفائهم من البحث بأدنى نظرة ؛ وتعلقهم مظاهر من القول دون نفاذ الى حقيقته ولا تطلع الى ماحف به من قرائن . والحيطة فى هذا ضرورية لمن يريد استنباط أمور من الشعر العربى وخاصة فى عصر كعصر أبى الطيب فشا فيه المدح والغلو والتلاعب بالألفاظ ، وأصبح كل مادح على مذهب ممدوحه فى الأغلب ، فان كان شيعياً أشاد الشاعر بسراة الشيعة ورفع من مقالتهم ، وان كان يقول بالتناسخ مال الشاعر إليه ، وان كان معتزلياً أوسنياً فالشاعر معتزلى أو سنى . . وهكذا دواليك

فشت هذه الظاهرة من النفاق فى الناس وكانت أشد ماتكون فى الشعراء ، حتى لقد شهد المعرى عليهم وعلى عصرهم بذلك ؛ وحسب التاريخ شهادة شيخ المعرة ، فقد أيدها بالدليل ، وأرسل فيها قولاً حكيما يعرف رشده وصوابه كل من أمعن الفكرة ، ولم يكتف بالنظرة . قال بعد أن ذكر تنبؤ أبى الطيب والأبيات تدل على تألهه :

« وإذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا ينبىء عن اعتقاد الانسان ، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويحتمل أن يظاهر الرجل بالقول تديناً وإنما يريد أن يصل به إلى ثناء أو غرض ؛ ولعله قد ذهب جماعة هم فى الظاهر متعبدون وفيما بطن ملحدون . وما يلحقنى الشك فى أن دعبل بن على لم يكن له دين ، وكان يتظاهر بالتشيع وإنما غرضه التكسب ؛ ولا أرتاب فى أن دعبلاً كان على رأى الحكمى وطبقته ، والزندقة فيهم فاشية ومن ديارهم ناشئة . »

وقال فى موضع آخر : « وفى الناس من يتظاهر بالمذهب ولا يعتقده ، يتوصل به إلى الدنيا الفانية ، وكان لهم (يعنى القائلين بالتناسخ) فى المغرب رجل يعرف بابن هانىء وكان من شعرائهم

المجيدين فكان يغلو فى مدح المعز غلواً عظيما حتى قال فيه وقد نزل بموضع يقال له رقادة :

حل برقادة المسيح  حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو المعالى  وكل شىء سواه ريح »

فمن الضلال البين إذن أن نلزم أبا الطيب عقيدة ذكرت فى شعره عرضاً ، إلا إذا صحبتها قرائن تقويها وتدل على اعتقاده إياها . وليس من الصواب فى شىء اعتبار الشعر — وحاله ما بيّنا — مصدراً من مصادر التاريخ . وما أجهل المؤرخ إذا حكم على أخلاق سيف الدولة أو كافور بشهادة شعر المتنبى فيهما

بهذا الحذر أخوض الكلام فى اعتقاد المتنبى مع علمى بأنه لم ينظم شيئاً يبين فكرته فى الدين خاصة ، وإنما هى أبيات وقعت فى جملة شعره ، بوسع المؤرخ أن يستأنس بها بعد أن يدرس سيرته

جاء فى خزانة الأدب للبغدادى كلام عن اعتقاد أبى الطيب منقول عن الأصفهانى وهذا نصه :

« وهو ( أى أبو الطيب ) فى الجملة خبيث الاعتقاد ؛ وكان فى صغره وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوّسه وأضله كما ضل . وأما ما يدل عليه شعره فتلون ، وقوله :

هون على بصر ما شق منظره  فانما يقظات العين كالحلم

مذهب السوفسطائية . وقوله :

تمتع من سهاد أو رقاد  ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان لثالث الحالين معنى  سوى معنى انتباهك والمنام

مذهب التناسخ . وقوله :

نحن بنو الدنيا فما بالنا  نعاف ما لا بد من شربه
فهذه الأرواح من جوه  وهذه الأجسام من تربه

مذهب القضائية . وقوله :

فان يكن المهدى من بان هديه
فهذا ، وإلا فالهدى ذا ، فما المهدى ؟ !

مذهب الشيعة ( كذا ) . وقوله :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل : تخلص نفس المرء باقيـة
وقيل : تشرك جسم المرء فى العطب

مذهب من يقول بالنفس الناطقة . ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية ، والانسان إذا خلع ربقة الاسلام من عنقه وأسلمه الله عز وجل إلى حوله وقوته وجد فى الضلالات مجالاً واسعاً ، وفى البدع والجهالات مناديح وفسحاً . » اه

فأبو الطيب فى رأى هـذا الفاضل : سوفسطائى ، تناسخى قضائى شيعى حشيشى . . مجموعة مذاهب لو فرقت على مملكة عريضة لخربتها فى يومين ؛ فما الحال اذا اضطلع بها كلها قلب رجل واحد ؟

على أن الشواهد التى استند اليها فى أحكامه هذه لا تحمل ما حمّلها : فالشاهد الثانى ( تمتع من سهاد . . البيت ) ليس فيه ما يصرح بالتناسخ . وقوله : « فان يكن المهدى ... » يخرجه من الشيعية اخراجاً ، لأنه شك فى المهدى أول البيت ، ثم جعل ممدوحه هو المهدى إن كان هناك مهدى ، ثم ختم البيت بهذا الاستفهام التهكمى : ما المهدى !!؟

وإن دل الشاهد الأخير ( تخالف الناس . . البيتين ) على شىء فعلى تردد أبى الطيب بين القولين وعلى شكه وحيرته بدليل البيت الذى بعدهما :

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته  أقامه الفكر بين العجز والتعب

والذى استفدناه من كل ذلك أن المتنبى وقع فى حداثته الى رجل من المتفلسفة فهوّسه وأضله ، والظاهر أن أثر هذا الأستاذ كان فى أبى الطيب بالغاً ، فقد بقى ضعف العقيدة وعدم الاعتداد بآداب الدين ملازماً أبا الطيب حتى مات

ومهما يكن فقد ألم المتنبى بكثير من النحل الشائعة فى عصره دون اعتقاده بواحدة ما . وذكر بعضها فى شعره منزلة خير تنزيل : مدح طاهراً العلوى مرة فقال :

اذا علوى لم يكن مثل طاهر  فما هو الا حجة للنواصب

والنواصب الخوارج الذين نصبوا العداء لعلى

وذكر المانوية أصحاب الاثنين الزاعمين أن الخير كله من النور وأن الشر كله من الظلام فقال :

وكم لظلام الليل عندك من يد  تخبر أن المانوية تكذب

وعرض لذكر المجوس ومذهبهم فى نكاح الأخوات حين أراد الثناء على حسن امرأة ود أخوها لو كانت تحل له لفرط جمالها فقال :

يا أخت معتنق الفوارس فى الوغى
لأخوك ثَمَّ أرق منك وأرحم

يرنو اليك مع العفاف وعنده     أن المجوس تصيب فيما تحكم

ووقع فى شعره ذكر كلمة يصح أن يتعلق بهـا من يريد جر أبى الطيب الى طائفة ما ، وهى كلمة (الوصىّ) فى قوله :

هو ابن رسول الله وابن وصيه     وشبههما شبهت بعد التجارب

وقوله :

وتركت مدحى للوصى تعمداً     إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً

وقد فرغت من بيان أن مثل هـذا لا يدل على شىء ، ولا ينهض دليلاً ولا بعض دليل ، لجريان عادة الشعراء بمجاراة الممدوح فى عقيدته ورأيه

***

وبعد ، فان لم يكن للحكم على دين المتنبى مجال فى شعره ، فنى تلك الشناعات القبيحة التى زجه فيها الغلو فى المدح حتى قل أدبه مع الله ومع رسله وكتبه ، حين زعم لممدوحيه علواً يرفعهم إلى ذلك المستوى . والمدح متى جاوز الواقع فهو محظور فى كل الأديان فكيف إن كان بالباطل وإلى التغالى . دع ما يريق من ماء وجه المادح وما يكسر من عزته ويضيع من كرامته . ومتى كان مسلما من لا حياء له ولا عزة ولا كرامة ؟

وودت والله لو أن شعراءنا هجروا هذا الباب ، باب المديح ، مرة واحدة بمحاسنه ومقابحه ، وشغلوا عنه بغيره من فنون القول الواسعة ، فما هو بالفن المشرف ولا المأسوف عليـه إن فقد . وقد حفظ الأدب العربى كثيراً من المبالغات الممقوتة والغلو الشنيع ، ولـكن ما فى ديوان أبى الطيب وحده هو بكل مافى مكتبتنا قبحا وشناعة واساءة أدب :

مرة يحاول السجود لممدوحه فلا يكفه الا الزجر :

طلبنا رضاه بترك الذى     رضينا له فتركنا السجودا

ومرة يشرك هذا الممدوح بالله فيقول :

ما يرتجى أحد لمكرمة     الا الالـه وأنت يا بدر

ويقول :

ترى القمر الأرضى والملك الذى     له الملك بعد الله والمجد والذكر

ويقول :

اذا بقيت سالما أبا على     فالملك لله العزيز ، ثم لى

ويقول :

أنا مبصر وأظن أنى نائم     من كان يحلم بالالـه فأحلما

ويقول :

تتقاصر الأفهام عن ادراكه     مثل الذى الأفلاك فيه والدنا

يعنى الله سبحانه . ويستخف تارة بالمصطلحات الدينية استخفافا ظاهراً فيقول :

يترشفن من فمى رشفات     هن فيـه أحلى من التوحيد

وقدأرادوا تأويل هـذا البيت فـكان التكلف والتعسف ظاهرين فى تأويلهم . وقال :

وأعطيت الذى لم يعط خلق     عليك صلاة ربك والسلام

وجعل ممدوحه أعظم معجزات النبوة فى قوله :

وأبهر آيات التهامى أنه     أبوك وأسمى مالكم من مناقب

وهو لا يرى لممدوحه شبيها أبداً فيقول :

لم يخلق الرحمن مثل محمد     أبداً وظنى أنه لا يخلق

ويقول :

ان كان مثلك كان أو هو كائن     فبرئت حينئذ من الاسـلام

وانظر هذا الغلو الممقوت فى قوله :

لو كان علمك بالالـه مقسما     فى الناس ما بعث الالـه رسولا
لو كان لفظك فيهمُ ما أنزل الـ     ـقرآن والتوراة والانجيلا

وفى قوله :

أو كان صادف رأس عازر سيفه     فى يوم معركة لأعيا عيسى
أو كان لج البحر مثل يمينه     ما انشق حتى جاز فيه موسى
يا من نلوذ من الزمان بظله     أبداً ونطرد باسمه ابليسا

وهذا الهذيان ما معناه ؟

يأيهـا الملك المصـفى جوهراً
من ذات ذى الملـكوت أسمى من سما

نور تظاهر فيك لا هو تِيَّهُ     فتكاد تعلم علم ما لن يعلما

وهو حيناً كالمسيح (مامقامى بأرض نخلة . . . البيت) وحيناً كصالح (أنا فى أمة . . . البيت) ولا يخجل بعد هـذا الادعاء أن يضرع الى من سجنه بهذه العبودية :

أمالك رق ومن شأنه     هبات اللجين وعتق العبيد

هو من حداثته مهوس مضلل لم يستنر قلبه بنور عقيدة ، ولا شعر صدره ببرد يقين . فلم ينشأ تنشئة دينية فى صباه ، ثم

طرح الى هموم الحياة وأتعابها فاضطر الى التكسب بالمدح من صغره ، وشغل عن عبادة الله والتدين بعبادة الناس والمال لهذا السبب ، لا « لأنه صاحب مطامع دنيوية وعقل موكل بالأعمال والوقائع لا بالعقائد والعادات [1] » فليس هناك تناف بين التوكيل بالأعمال والتدين ، ولم يخل المتدينون يوماً عن مآرب ومطامع فى هذه الحياة

وهذا وليس للمتنبي فلسفة آلهية حتى نقول إنه استهان بالدين تفلسفا ؛ وليس لعقله ما لعقل أبي العلاء من مواهب تؤهل صاحبها للنظر والحكم فى المقالات والمذاهب ، بل هو فى هذا الاستخفاف الذى نم عليه شعره لا يترفع كثيراً عما نرى عليه بعض العامة المستخفين

* * *

كان الى جانب المحن والثورات الداخلية التى منى بها المسلمون فى القرن الرابع غارات أجنبية متواصلة تشن على ثغور المسلمين ؛ وكان أمراء العرب فى تأهب مستمر لرد هذه الغارات فيظفرون تارة وتارة يغلبون ، وسيف الدولة أحد هؤلاء الأمراء الذين أصلوا الروم بنيرانهم وشغلوا برد غاراتهم

ونزعة الحروب فى الشرق — قديما وحديثا — دينية أبداً ما تغيرت يوما من الأيام ، إلا أن الروم كانوا فى القرن الرابع الهجرى صريحين ، لم يهتدوا بعد الى هذا الطلاء الكاذب الذى أسموه تمدينا بعد عشرة قرون[2]

وشاعرنا أبو الطيب شارك سيف الدولة فى جهاده الدينى فقاتل بجسمه وتعرض للخطر ، وناضل بلسانه . وفى شعره من مواطن الغيرة على الدين وأهله من تسلط الروم ما يحمل المنصف على عدها فى حسناته ، كان يرى هذه الحروب كما كان يراها غيره من أهل زمانه وكما هى فى الواقع — دينية لا قومية ، وهذا هو الفارق بينها وبين حروب سيف الدولة مع خصومه من الامراء . فكانت قصائد أبى الطيب التى يصف فيها هذه الحروب تطفح بالحمية الدينية والنزعة الاسلامية ، فهو يثنى على سيف الدولة الذى هزم الدمستق وأنقذ المسلمين من اكراه الروم لهم على الردة فيقول :

خرُّوا لخالقهم سجداً ولو لم تغث سجدوا للصُّلُب

ولم تعجبه هدنتهم مع الروم فقرعهم ومدح سيف الدولة لتدينه فقال :

أرى المسلمين مع المشركين إما لعجز وإما رهب
وأنت مع الله فى جانب قليل الرقاد كثير التعب

ومن هنا تلقيبه سيف الدولة بسيف الرب وسيف الدين فى أقواله :

أيا سيف ربك لا خلقه ويا ذا المكارم لا ذا الشطب
يا سيف دولة دين الله دم أبدا وعش برغم الأعادى عيشة رغدا
يا سيف دولة ذى الجلال ومن له خير الخلائف والأنام سميا
خضعت لمنصلك المناصل عنوة وأذل دينك سائر الأديان

ونعته بنفرته الشديدة من الردة وتعلقه بالاسلام فقال :

كأن سخاءك الاسلام تخشى اذا ما صلت عاقبة ارتداد

وهو رجاء الاسلام والموق من الرحمن ونصير التوحيد :

ولست مليكا هازماً لنظيره ولكنك التوحيد للشرك هازم
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا وراجيك والاسلام أنك سالم
ولمْ لا يقى الرحمن حديك ما وقى وتفليقه هامَ العدا بك دائم

أبو الطيب يذهب أبعد من هذا : لا يكتفى باستنكار سلطان الروم على قومه ، بل يأنف لهم أن يحكمهم مثل كافور ، وإن كان مسلماً مثلهم ، ولا يرضيه سكوت الناس عليه ؛ ويغضبه أن يعظموه فيصرخ فيهم هذه الصرخة ويعرض بأم كافور :

نُوَيبيّة لم تدر أن بنيها الـ نوبى دون الله يعبد فى مصر

ثم يرسلها ملعلعة تنزى بالألم والحسرة والأسف على ما صار اليه الاسلام فيقول :

سادات كل أناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبد القزم

رحم الله أبا الطيب ! ما تراه كان قائلاً لو بُعث اليوم فشاهد ما نشاهد ! إذن لرأى هؤلاء الأعبد القزم شرفاء قياساً إلى غيرهم ، بل أنبياء

* * *

لصاحبنا ازاء ما تقدم من أبيات يأباها الدين والعقل ، أبيات أخرى هى من صميم الدين وروحه ، يتقاضانى الانصاف ذكر شيء منها كما ذكرت تلك ، فقد نص فى بعضها على أنه لا يخضع لمخلوق أبداً

تغرب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالقه حكما

---

(١) كلمة الأستاذ العقاد فى كتابه مطالعات ص ١٢١

(٢) ومع هذا فقد قال الجنرال اللنبي حين دخل القدس فاتحاً : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » وناهيك بها صراحة فاضحة

وقد جعله أبو العلاء بهذا البيت من المتألهين . ويعترف بتصرف الله المطلق فى الكون :

ألا انما كانت وفاة محمـــد دليلاً على أن ليس لله غالب

وأن الله هو الملحوظ فى كل فعل وحركة :

فأنت حسام الملك والله ضارب وأنت لواء الدين والله عاقد

• وهذا البيت ينظر إلى قول الله مخاطباً نبيه : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » وهو يجعل شكر الله واجباً فى دوام النعمة حين قال فى ممدوحه :

مقلداً فوق شكر الله ذا شطب لا تستدام بأمضى منهما النعم

وكما أبى قبول الحكم من غير خالقه أبى الشكوى إلى الناس وهذا غاية ما يأخذ به الموحد نفسه :

ولا تَشَكَّ الى خلق فتشمته

شكوى الجريح الى الغربان والرخم (١)

ولنذكر أن صاحب دمشق وكان يهودياً يعرف بابن ملك حمل المتنبى على مدحه فأبى أنفة ، وكذلك فعل مع ابن كيغلغ وكان رومياً

هذا ما رأيت فى شعر أبى الطيب من تعلق بالدين سلباً أو إيجاباً ، ذكرته على حقه بحرية وصراحة . أما سيرته العملية فقد ذكروا له أخلاقاً يحمده عليها الدين وهى عفة المذهب والصدق . وقد كان المتنبى — كما ذكروا — لم يؤثر عنه فسوق قط . وقوله

إنى على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها ..الخ

صحيح كل الصحة فى الدلالة على عفته ، فقد أيدته سيرته طول حياته . وكذلك فى التزامه جانب الصدق :

ومن هوى الصدق فى نفسى وعادته

رغبت عن شعر فى الرأس مكذوب

ثم ذكروا له خلالاً ثلاثاً دلت على أن الرجل لم يأخذ نفسه بشىء من التكاليف الشرعية ، أى لم يكن مسلماً بالعمل . قال أبو حمزة البصرى :

« بلوت من أبى الطيب ثلاث خلال محمودة : هى أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة وهى أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن . »

فاذا أضفت الى ذلك ما تعرف فى سيرته من البخل والتعاظم وسلاطة اللسان ، وأن له فى القذف فحشاً ما عرف أقبح منه ولا أدنس ، استقام لك من كل ما قدمت رأى لعله أن يكون أقرب الآراء من صواب

وأنا لست أقول فيه ما قالوا من أنه : « خبيث الاعتقاد قد خلع ربقة الاسلام » ولا أتكلف له التأويل والمحال ، فقد قدمت الاشارة إلى بطلان المذهبين معاً

ولكنى ألاحظ أنه شاعر ، والشاعر كثيراً ما يبيع دينه بدنيا غيره ، فان خرج على الاسلام فى غلوه فما قصد إلى هذا الخروج قصداً ، وإنما أراد الزلفى عند الممدوح ، فأداه الغلو إلى الخروج

وليس من الحق أن نحكم على آخرة رجل بنزوة كانت منه فى الحداثة ، أو حماقات صدرت فى فترات من حياته . ومن ذا زعم أن أبا الطيب كان يعتقدها اعتقادا حتى يجعله بها صاحب مذهب فى الدين ، وقد علمنا أن عقله لم يفرغ لهذا قط ؛ فن مره أن يجر النوابغ المشهورين إلى طائفة بالسلاسل والأغلال ، يكثر بهم سوادها فما أرانى مضطراً إلى شىء من هذا ، وقد فرغ أهل البصر من هلهلة هذه الطريقة التى سلكها بعض المؤلفين الحديثين فى كتب التراجم جهلا وعصبية ، فما هى إلى علم ولا إلى أمانة . والحكم على دين رجل أبعد منالا من أن يكتفى فيه بورود اسم هذا الدين فى كلامه ، فما بالك إن كان ذكره له مجاراة أو حكاية أو ردا أو شتيمة ؟

وقد ذكر المتنبى فى شعره هذه الديانات : المانوية ، المجوس ، اليهود ، النصارى ... الخ أفيستقيم فى هذا الزمان أن ينهض منتسب إلى العلم فيعد أبا الطيب مانوياً أو مجوسياً ؟

إن العلم والأدب أمانة ، فلينظر قارئ فى كتاب ما ترك مؤلفه من عقله وأمانته وما أخذ

أما أنا فأستطيع الآن بعد ما قدمت من بحث تحريت فيه بجهدى ، ودعمته بما رأيت من برهان أن أرسل كلمتى مطمئناً فى دين أبى الطيب فأقول :

آمن لسانه وتخلف عمله ، ولم يكن الدين همه يوما من الأيام

( دمشق ) سعيد الأفغانى

---

(١) نسب للمتنبى هذان البيان :

أبعين مفتقر إليك نظرتنى فأهنتنى وقذفتنى من حالق

لست الملوم ، أنا الملوم لأننى أنزلت آمالى بغير الخالق

وهما وإن كانا فى الجملة والمذهب يؤيدان بيت المتنبى المذكور — بعيدان — فى رأيى — عن روحه ، فلم يألف أبو الطيب الاعتراف باهانة نفسه وقذفها من حالق

# فى النقـــد أيضاً

## بقلم محمد مظهر الجلاد

إلى الأساتذة الأكابر :

كان للفصول التى كتبتموها فى النقد أثر كبير فى كشف غوامض العلل التى أصابت الأدب والنقد معاً ، وما أرانى تكلفت الصبر فى شىء كما تكلفته فى انتظار « الرسالة » حين كتابة هذه الفصول . وإنى لها لعلى انتظار واشتياق

كتب الأستاذ الزيات مقالين فى « الرسالة » افتتح بأحدهما باب النقد واختتمه بالآخر ، وكانت بينهما معركة ، وكانت بينهما نفحة من نفحات النصر الجميل تخطَّر لها الأدب ، وانتعش بها النقـد ، والتذت بها الفـكرة ؛ حتى إذا تمتع الطرف ، وأرهف الحس وثارت العاطفة علا هُتاف الالهام يقول : ألا إن لله فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها

كتب الأستاذ أحمد أمين مقالين ألتى فيهما مسئولية النقد على الشيوخ ردَّ فى غضونهما الدكتور طه حسين على الأستاذ الأمين ؛ ثم كتب الدكتور هيكل فصلاً رمى فيه تبعة النقد على الشباب ، ثم ختم الأستاذ الزيات مقاله قائلاً : « الحق إن ركود الأدب وفوضى النقد لا يرجعان إلى الشيب ولا إلى الشباب ، وإنما يرجعان إلى تهريج الصحف وكسل الكتاب »

وأنا لا أجد بأساً من التعليق المجمل على ما كتبه السادة الأدباء فى هذا الموضوع ، لا لأنى سأزيد على ما كتبوه شيئاً لم يكن ، وإنما هى كلمة الأستاذ الزيات أثارت فى نفسى شيئاً حملنى على الكتابة ، ووجدتنى مضطراً إلى التعبير عن هذه الثورة ، وألجأتنى إلى الخجل والاستحياء من أساتذتى الكرام ، حيث كتبت فيما يكتبون ، فى حين أن البون شاسع بينى وبينهم ؛ غير أنى لم أنس أيضاً أن للتلميذ حقاً كما أن للأستاذ حقاً ، ولكل منا مقام

أبدع الأستاذ الأمين فيما كتب ؛ غير أنى أعتقد أن علة النقد ترجع إلى أساسين اثنين : أحدهما العلم ، وثانيهما الخُلق . فأجاد هو فى شرح أكثر الأول ، ولا أدرى علامَ أرجأ الثانى . وهو أحد الأساسين ، وهو الذى يقول فيه الأستاذ الزيات : إنه سطوة الهوى ، وفتنة الغرور ، وغلبة العاطفة

إن الأدب والذوق والعلم عدة النقد الكافية ، وإن هذا الأدب والذوق والعلم ليثقف العقول ويرهف المشاعر ، وإن هذه العقول وهذه المشاعر لتبدع النقد ، وتجيد التمحيص ، وتعرف موضع الداء والدواء . وبقى أن نعرف أن هذه الملكة الأدبية الصافية قد تتحوّل عند النقد أحياناً أو أبداً إلى ملكة نفسية تتصرف بالقلم لا كما يشاء الأدب والفن ، بل كما يشاء الغرور وكما يريد الهوى

ليت شعرى أى رجل من الرجال يتقلد مفاتيح النجاة من حق فاضح ، وحكم صحيح ، ونقد نزيه ، ثم لا يفر من خصمه بأى أساليب الحيلة شاء ، وبأى ضروب القول أراد ، إذا لم يؤت سَعَة فى الصدر وقوة فى الخُلق ترغمه على قبول الحق مهما يكن مُراً ؛ ولا سيما من أوتى قوة الجدل المنطقى والحوار اللانهائى

أين ذلك الخُلق الذى يقول : أخطأ عمر وأصابت امرأة . هناك ناس يخبطون فى النقد خبط عشواء ، فلا يحملون فى نفوسهم غير الضغينة ، ولا تعرف ألسنتهم غير البذاء . وكم يتمجرف هؤلاء وكم يجدون لأنفسهم من مكانة ، ولأدبهم من شعر وفن وجمال ، ولنقدهم الصحة والدقة والذوق ؛ فهم يتطاولون ليجثموا فوق القمر ، ويجاسوا على النجم ، ليكون للناس منهم نصيب وافر وحظ عريض

وهناك من ينقد عن بصيرة وعلم ، فهو يفتش عن علل العيب فى خصمه ، لا لينقده ويرشده إلى الصواب ، بل ليحط من قدره وينال من كرامته . فأنت تجد فى نقده الصحة والذوق والسمو ، ولكنك لا تجد طهر السريرة ونزاهة النقد . على أن هناك أساتذة أدباء وهبهم الله العلم والذوق والخُلق الجميل يكتبون بلغة الناس وروح السماء ، لا تكاد تقرأ لهم شيئاً حتى تخال نفسك طائراً ملائكياً يسبح فى عالم الجمال ، فيه الملائكة والروح تتنزل بإذن الله على من يشاء من عباده

لا بد من الأخلاق فى هذا الموضوع إذن ، وإنها لمن أكبر ضروراته وأعظم مميزاته ؛ وأنا أعرف أن النقد شىء والخلق شىء آخر ، ولكن شدة الصلة بينهما وقرب الوشيجة دعوانى لربط أحدهما بالآخر ، وما أرى أن أحداً ينكر علىَّ هذا

وأرى أيضاً أن فى النقد الحاقد المشوه هدماً لكيان أمة برمتها وسبباً من أسباب الأحن الفتاكة التى تكبر وتكبر حتى لكأنها دولة فيها الجند والأسطول والمدفع والغاز لا تهدأ إلا لتثور ، ولا تخمد إلا لتستقر ، وهكذا دواليك .

لعل قائلاً يقول : إن النقد اللاذع يبعث على النضج الأدبى السريع إذ تشحذ الأذهان ، وتبرى الأقلام ، وتلهب الغيرة ، ولن يتاح هذا الانتاج السريع بهدوء النفس وفتور المشاعر ، فنقول له : إن ما يخسره الأدباء من الصلة الأدبية بينهم وما يكون من اجتماعاتهم وروابطهم حيث تعطى عصارة الرأى وناضج الأدب وصرف الجمال ، أكبر من الربح السريع فيه معانى التجزئة ، وحقيقة التشويه ، وذل الأمة

النقد النزيه وحده كاف لأن يكون أثراً فعالاً وقوة ريِّضة لايقاد الشعور وتحفيز الهمة . ولِمَ لا وقد يجد المنقود فى النقد النزيه أخاً يجادله فى حب ، ويناظره فى لين ، ويكاتبه فى ابتسام وسرور . وكم يجد لعزائه من سلوة حينما يجد ناقده النزيه يكشف له عن عيبه فى رقة وعن خطئه فى إشفاق . ولا تنس أن ذكر المحاسن فى النقد والتماس التشجيع فى امتداح الجودة وشكر الجميل وسيلة كبرى فى نشر الثقافة ورقى الأدب وانتصار النقد

قد يحجم أكثر المتأدبين عن النقد ويركنون إلى الدعة والراحة إذا ما رأوا كاتباً من الكتاب يحترق فى لهيب النقد الغاضب راضين من الغنيمة بالاياب ، وتلك هزيمة منكرة تشنها الفوضى الأخلاقية على العقل والعلم والأدب والنقد جميعاً ، كما أنى لا أقصد الافراط فى التاطف والشكر على قبيح يشوه حقيقة النقد من أجل رعاية الخلق والأخلاق . لا . وإنما أريد الاعتدال والنصفة ، حيث يلتقى كلا الخصمين على شاطئ الأخاء يقودهم الأدب إلى حيث اللقاء الدائم والصفاء المستمر

محمد مظهر الجلاد

# شعراء الموسم فى الميزان

## نقد وتحليل

للأديب عباس حسان خضر

— ٤ —

### ميلاد الرسول

كانت هذه القصيدة من أقوى العمد التى قام عليها نجاح الموسم ، وقد عرف الأستاذ محمد الأسمر كيف يحكم فيها الصلة بين وجدانه ووجدان المستمعين باختيار الموضوع ، وحسن الالقاء ، وبراعة التأدية . وإذا كانت الطبيعة الشعرية خصبة ، وكان التعبير عما تنتجه ، وتوصيل هذا التعبير إلى (مستهلكى) الشعر جيدين ، فقد بلغ الشاعر ما يرمى اليه من غرض الاجادة . فما حظ هذه القصيدة من ذلك ؟ اليك منها فى وصف يوم ميلاد الرسول :

يوم أغر كفاك منه أنه ... يوم كأن الدهر فيه تجمعا
ويكاد غابر كل يوم قبله ... يثنى اليه جيده متطلعا
فلو استطاع لكر من أحقابه ... وثبا على هام السنين ليرجعا
ويكاد مقبل كل يوم بعده ... ينسل من خلف الزمان ليسرعا
فلو استطاع لجاء قبل أوانه ... وانساب يخترق السنين وأتلعا
تتنافس الأيام فى الشرف الذى ... ملأ الوجود فلم يغادر أصبعا

فانظر كيف يمثل الزمان فى ركب يبرز فى وسطه يوم الميلاد كأنما هو المقصود من الدهر كله ، فالأيام قبله تتطاع اليه وتود الرجوع اليه ، والأيام المقبلة توشك أن تفلت من نظام الركب لتسرع اليه ، وكلها تتنافس لنيل شرف الميلاد النبوى ، ومجمع هذه المعانى قوله : « كأن الدهر فيه تجمعا » فهذا التعبير فى تفرعه إلى تلك المعانى يشبه مقذوف النور الذى ينبعث فى الجو على شكل شرارة مقتضبة ، فلا يلبث أن ينبسط متفرعا إلى شجرات أوطائرات أو غير ذلك ، وهكذا يكون فى الولد النبوى !

فهذه الطبيعة التى تنتج هذا الخيال ، هى — ولا شك — صالحة لانتاج الشعر الذى تتم جودته بمثل ذلك التبيين الذى يزاوله

ومن أبيات القصيدة التى لا تصدر إلا عن طبيعة فنية قوله :

والحق أخفى ما يكون مجردا ... وتراه أوضح ما يكون مدرعا

بعد أن ننظر إلى التركيب من حيث تأديته للمعنى التأدية

العادية ، قف عند كلمة « أوضح » فهى بعد أن تعبر عن وضوح الحق والانصياع له إذا كانت تلابسه القوة ، تومئ إيماءة لطيفة إلى وضوح الحق ملبساً بالدروع الملتمعة

وقوله معبراً عن زوال ملك فارس والروم بالفتح الاسلامى :

من لم تزعزعه العواصف قبلها     بعثت له بنسيمها فتزعزعا

فقد صور الشاعر روح الشريعة السمحة وما تشمله من لطف ورقة بالنسيم ، ولكنه أوضح أن النسيم الاسلامى كان قوياً فى لطفه ورقته قوة زعزعت ما تقاصرت عنه عاتية العواصف

والأستاذ الأسمر يسوق المعانى فى الألفاظ ، فتطربك من ذلك وحدة مركبة ، وهذا قوله فى مطلع القصيدة :

فجر أطل على الوجود فأطلعا     شمسين شمس سناً وشمس هدى معا
ظلت مطالع كل شمس لا ترى     من بعده شيئاً كمكة موضعا
قبس من الرحمن لاح فلم يدع     لألائه فوق البسيطة موضعا

فليس من الميسور الفصل بين جمال هذه المعانى وجمال قوالبها

ومن الغريب أن القصيدة مع تجاوز معظمها أصل الموضوع وهو ميلاد الرسول قد جاءت وحدة منسجمة ، فقد تخلص الشاعر — بعد نحو ثلث القصيدة — من القول فى ميلاد الرسول إلى الافاضة فى الدعوة الاسلامية ومدح الرسول : فذلك الخير الذى أصاب الناس بميلاده ، والسنا الذى أزاح الله به الظلمات قد

وافى وليل الجاهلية مطبق     فانجاب عن جنباتها وتقشعا

ومن هنا ينقطع الحديث عن الميلاد الذى هو موضوع القصيدة ، ويشغل معظمها مدح الرسول والاشادة بدعوته ؛ ولكن ما غاية الميلاد ؟ أليست وجود هذا الرسول العظيم ، وأثر دعوته للناس إلى الهدى ؟ قد يقال هذا ، وقد تكون عليه مسحة من الوجاهة ، ولكن كان ينبغى أن يكون أكثر القصيدة فى أصل الموضوع . ولن يخدعنا الشاعر عن ذلك بصنعته فى جمع الشتات والتأليف بين الأجزاء

وفى القصيدة كثير من المعانى المطروقة التى اعتورها جمهور الشعراء قديماً وحديثاً ، حتى أصبحت ( منافع عامة ) كقوله :

نادى إلى الحسنى فلما أعرضوا     واستكبروا شرع الرماح فأسمعا
والحق أعزل لا يروع فان بدا     مستلئماً لاقى الطغاة فروعا

وقوله :

بعض الأنام إذا رأى نور الهدى     عرف الطريق ، ولم يضل المهيعا
ومن البرية معشر لا ينتهى     عن غيه حتى يخاف ويفزعا

## التجديد والتقليد

الأستاذ محمد الهراوى على رأس المحافظين من الشعراء ، فهو يسخر من دعوة التجديد ، ويعلن هذه السخرية فى هذه القصيدة . على أنه يجب أن ينصف نفسه ، فما أظنه يكره التجديد فى ذاته ، وإن كان يحمل على أدعياء الجديد الذين يسترون سخفهم بدعوى التجديد . . ولما كان هؤلاء قد ملأوا الجو بصيحاتهم الجوفاء ، فقد أصبح التجديد فى نظر الشعراء كلمة مقرونة بذلك السخف ، وأصبح السخف من مدلولات التجديد ! والحق أن التجديد مظلوم بين هؤلاء وهؤلاء . ويشير الأستاذ الهراوى إلى ريبته فى الجديد بقوله :

يا قادة الرأى الجديد تحيـــة     لو صح زعمكمو ، وألف سلام

فهو يرتاب فى زعمهم أنهم مجددون ، وأنهم قادة الرأى الجديد . وهو فى القصيدة كلها يفند دعواهم فى التجديد ، ويردها إلى تقليد الغربيين : فالقصص ليست جديدة ، فأسواق الغرب مزدحمة بها ، على أن مهد القصة هو الشرق ، وهذه قصص ألف ليلة وليلة والشهنامة قد نشأت فيه ، وهذا القرآن زاخر بالقصص السامية

وملاحم اليونان أهى جديدة     وحديثها من قبل ألفى عام
أنعيد ثرثرة الحديث مجدداً     ونرده لخرافة الأصـــنام

ثم جعل الأستاذ الهراوى يتهكم على تعبيرات « المجددين » بقوله :

فتقول : « فى إثنين يوم » مثلهم     لا « فى مدى يومين فى الأيام »
وتقول : «مثل الثلج غرة وجهه»     لا « مثل وجه البدر حين تمام »
وتقول : «مثل الأرز مبسم ثغرها»     لا « الدر فى نسق وحسن نظام »
وتقول : «أوكازيون» يامن يشترى     وتقول : هذا السعر « للوكلام »

وفى هـذه الأبيات ركاكة مرجعها العبارات التى يحكيها عن « المجددين » فالاسفاف فى الأصل ، وناقل الاسفاف ليس بمسف ، والشاعر يهجو بهذه الأبيات صنيع المجددين ؛ ويقولون : « إذا هجوت فأضحك » فهو ينحو فيها منحى الفكاهة ، وهذا المنحى يقتضى التبذل فى التعبير . واستمع إلى ما قاله بعد ذلك ، وقد جد الجد :

أنـكرتمو الأعلام فى أوطانـكم     فى ذكر ما للغرب من أعلام
فـكأنما الغربى فى آدابه     هو وحـده المختص بالأحكام
ماذا من التجديد فى تقليدهم     غير الرجوع لأظلم الأيام
لم يضربوا مثـلاً لنا من صنعهم     بكراً ولا جاءوا برميـة رام
لقطوا فتات الأجنبى وأقبلوا     يتمطون لنا بشبه طعام

ورموا بما التقطوا كأنا عندهم    قطط الموائد تكتفى بعظام

هذا هو ( الكلام الجد ) يقوله ( زعيم المحافظين )

إلى هنا ينتهى شأن الشاعر مع المجددين ، ويبتدىء مع النقاد شأناً آخر ، فيقول :

مالى وللنقاد أسمع رأيهم    ما قادنى عقلى الى الأوهام
لى خطة وحدى وملء عقيدتى    رأيى وعقلى رائدى وإمامى
وطنى هو الملى علىّ قصائدى    جددا وشعرى لوحة الرسام

فكيف لا يسمع رأى النقاد ؟ وهل خطة الشاعر ورأيه وعقله وإملاء وطنه عليه قصائده — هل هذه الأشياء تمنع من سماع رأى النقاد ؟

## وطنى

قبل أن أسطر هذه الكلمات محوت كلمات وسطوراً ، إذ أننى عند ما شرعت أكتب عن هذه القصيدة شككت فى كل كلمة كتبتها ، فأنا أريد فيما أكتبه عن هذه القصيدة خاصة أن أطبق المفصل ، كما يقولون ، فليس ينبغى إلا أن يقال عنها مثل ما قيل فيها .. ولعل هذا ايحاء من القصيدة وما صنعه فيها الأستاذ محمد الهياوى من الدقة والتجويد ، وليس هـذا كل ما صنعه ، وليس هو فحسب الذى أوحى الى المهابة ، إن الذى أوحى الى المهابة هو ما أُوحىَ الى الشاعر من المعانى السامية والروائع الوطنية التى ضمنها القصيدة ، والتى ألهمته إياها مصر ، كما قال :

أبدا يلج بك الحنيـ    ن لذات ملهمة الحنين

فجمل يبعث إيحاءه الى النفوس فتمتلىء بما امتلأت به نفسه وتتأثر بما تأثرت به . وها هوذا يقول فيما تعانيه مصر من سالبى حريتها :

قـل للذى بـ ـر اليميـن على يديه ردى اليمين
أضنى الثنين من الوعو    د الخلف أو فوق الثنين
أنت الذى أفتى السجيـ    ن بحسن منقلب السجين
وضع القيود وقال ما    أشجى رنينك من رنين
فاشرب على شدو الحديـ    ـد حلاوة الرق الحنون
واغنم رخاء الطوق جا    ور حبله حبل الوتين

فترى فى هذا الشعر آلام مصر مصورة تصويراً دقيقاً ، تنتظمه الروح المصرية الصميمة ، تكسو كل ذلك أردية عربية متينة . وقوله : « فاشرب على شدو الحديد . . الخ » من الشعر المرقص

وقد ظهر لى مأخذ فى الأبيات الآتية ، وهو من المآخذ التى لا تظهر إلا فى الشعر الجيد ، قال يخاطب مصر :

أجريت فيض مـدامع    من نيلك الباكى الحزين
حمراء حيناً كالدم الـ    جارى على الداء الكمين
فاذا تطامن جأشك انـ    ـهملت كصافية الشؤون

فهو يقول إن المدامع تكون حمراء فى حين ، ولم يبين هذا الحين ، ثم يقول إذا تطامن الجأش انهملت الدموع صافية ، فكيف تنهمل الدموع فى حالة سكون الجأش ؟ إن الدموع لا تكون إلا فى حالة الاضطراب وجيشان العاطفة ، أما احمرارها وصفاؤها فيكونان على درجتين من درجات الاضطراب ؛ على أن الصفاء لا يقابل الاحمرار ولا يقاسمه ، فقد يكون الأحمر صافياً والصافى أحمر

## أنت شاعر

وهذا شاعر يئن من هجر حبيبته ، وهو الأستاذ محمد عزيز رفعت ، والقصيدة كلها مبنية من الكلمات والعبارات المبتذلة التى كثر استعمالها فى الشكوى من فعل الجوى وتبريح الصبابة ، يقول :

أشكو هوى بين الجوانح شفنى    فى هجعتى –سقماً– وفى يقظاتى

وتظهر فى بعض أجزائها محاولة الاجادة ، وتبدو فى قليل من أبياتها مخايل الشعر كقوله :

عبثاً شكوت فيا لصب مغرم    لم يجن غير اليأس من ثمرات
« واليأس إحدى الراحتين » لو اننى    لما يئست ذهلت عن صـبواتى

وفى القصيدة ركاكة فى الأسلوب ، وتكلف فى النظم ، وأخطاء فى بعض المعانى والألفاظ ؛ قال :

واسود وجه الرأى لا لى حيلة    لنوال عطفك أو لكبت وشاة

النوال : العطاء ، وهو يريد النيل مصدر نال ينال ، فاستعمال النوال هنا خطأ

وركاكة البيتين الآتيين لا تحتاج الى بيان ، قال :

وصددت عنى حين أنت مدينة    بالعهد عهـد سرائر المهجات
وقطعت لا رسل اليك شفيعة    لى فى رضاك ولا صدى هتفاتى

وما معنى قوله : « ولا صـدى هتفاتى » ! أيعنى أن صدى الهتفات لم يشفع فى رضاها ؛ وكيف يشفع الصدى ؟ !

ويقول :

والله واليوم الأخير ووقفـة    لله أنذرها على عرفات
لو كنت فى نزع المنون مخيراً    ما بين قربك لحظة وحياتى

لاخترت قربك والمنون ولم أشأ   نعمى الحياة على سرير مماتى
ولو استبنت الدمع يوم منيتى   فى مقلتيك سعى اليك رفاتى

فلماذا كل تلك الأيمان المغلظة ؟ وما معنى هذا النذر ؟ أيعنى أنه ان اختار الحياة على قربها مع الموت يلزمه أن يقف على عرفات ! ثم كيف يستبين الدمع فى مقلتيها وهو ميت ؟ !

**ميتة سكير**

قصيدة الأستاذ محمود رمزى نظيم ، وهى قصيدة عذبة رقيقة ، تنساب فيها روح خفيفة ساحرة ، وأسلوبها من السهل الممتنع ، وإليك الدليل ، وما من شىء يبلغ فى التدليل على جمالها مبلغها هى فى ذلك ؛ قال فى مطلعها :

سقطت أسنانه فى الـ   ـكأس سنا بَجرَّ سنا
وأراق الخمر فى هيـ   ـكله دنا فدنا
جن بالكأس وهل يد   رى الذى بالكأس جنا
يحسب الناس الألى لا   يشربون الخمر جنا
تخذ الحانة دارا   واحتساء الراح فنا
عاش للراح حبيبا   واجف القلب معنى
لو تمنيه بغير الـ   ـكأس شيئاً ما تمنى
إن مشى تحسبه فى   سكره غصناً تثنى
وشمالاً ويميناً   مال تيهاً وارجحنا
ما صحا من سكره إلا   إلى الحانة حنا

فهذا كلام تتراقص فيه الروح الشعرية تراقص الحباب فى الكأس . ونأخذ من بين هذه الأبيات قوله :

يحسب الناس الألى لا   يشربون الخمر جنا

فما الصلة بين الذين لا يشربون الخمر وبين الجن حتى يحسبهم السكير كذلك ؟ اللهم إلا أن يكون قد ضعف تصوره من شدة السكر ..

والأستاذ رمزى نظيم شاعر متفنن ، وتراه فى هذه القصيدة يفتن فى الانتقال من صورة إلى صورة فى حذق ومهارة ؛ فهو بعد أن يصف السكير ينتقل إلى التعبير عن خواطره فيقول :

طالما أوحى إلى النصا   ح ردوا النصح عنا
إن من يترك شرب الـ   ـراح عمداً ليس منا
إن فى الحانة للخا   ئف تشجيعاً وأمنا
نحن للكأس خلقنا   وبها فى الكون عشنا

إلى أن أتى على مصرعه فقال :

أشبه الوهم فما يسـ   ـمع ان ناح وأنا
وقضى بالأمس لم تحـ   ـزن عليه الناس منا

وكنا نحب أن يتفادى الشاعر السناد[1] الذى وقع فى قوله :

ورق الكرم أكف   تحمل الكأس إلينا

**الشباب والزواج**

قصيدة السيدة منيرة توفيق . وهى الشاعرة المصرية البارزة الوحيدة فى هذا العصر ، إذ أن مصر تكاد الآن تكون مقفرة من الشواعر ؛ والمرأة المصرية تستمد صمتها من أبى الهول ، ولا أعنى إلا الامساك عن التعبير عن الاحساس والعواطف تعبيراً صادقاً ؛ فمن شعرت من بنات مصر فانما تقول فى الأخلاق والنصائح ، متجاوزة خوالج النفس ودقائق الحس ، لأن طبعها الصموت الحيى يأبى الحديث عنها . وأعتقد أنها لو فعلت ، وكانت موهوبة التعبير والأداء ، لأتت بالغرائب

وهذه السيدة الفضلى توجه القول إلى الشباب ، محذرة إياهم من الزواج بالأجنبيات ، ناصحة لهم أن يقبلوا على الزواج من بنات وطنهم فتقول :

وتزوجوا من عرضكم   تبقوا على العرض السليم
ودعوا زواج الأجنبيـ   ـة فهو شر مستديم
عجباً ! أللدور احتلا   ل آخر فيها بقيم ؟

والقصيدة وان كانت معنونة بـ(الشباب والزواج ) إلا أنها مقصورة على التحذير من الزواج بالأجنبيات ، فلا تعرض لأعراض الشبان عن الزواج إلا بهذين البيتين :

فدعوا الغواية إنها   باب يؤدى للجحيم
وخذوا الزواج فانه   باب السعادة والنعيم

وقد أحسنت فى قولها :

لا يخدعنكمو جمال الـ   أجنبيات الوسيم
كلا ولا سحر الكلا   م ورقة الصوت الرخيم
هـذا لعمرى مظهر   والله بالخافى عليم

وإن كان فيه ظلم لفتياتنا، فهن فى هذه الصفات مجليات على ما أرى ، والله أعلم .

**عباس حسان خضر**

---

(١) السناد : عيب من عيوب القوافى ، وما هنا نوع من أنواعه ، وهو أن يدخل الشاعر حرف اللين قبل الروى ثم يدعه

أندلسيات

# أبو بكر بن العربي

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

أسلفنا أن المترجم له قدم الأندلس من رحلته بعلم كثير، واتخذ بلده أشبيلية مقاما له، وأخذ يذيع علمه، وجلس للوعظ والتفسير والافادة، ورُحِل اليه للسماع، وصنف فى غير فن تصانيف كثيرة حسنة ضخمة، حتى يروى أنه ألف أربعين مؤلفا فى موضوعات شتى فُقِد معظمها، ذكروا منها كتاب العواصم والقواصم، والمحصول فى أصول الفقه، وكتاب المسالك فى شرح موطأ الامام مالك، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب أنوار الفجر فى تفسير القرآن، قالوا إنه ثمانون ألف ورقة فى ثمانين مجلدا، وكتاب عارضة الأحوذى[1] على كتاب الترمذى الخ ولمناسبة كتابه أنوار الفجر فى التفسير نورد كلة له قالها عند تفسير قوله تعالى: «إنفِروا خِفافا وثِقالا»، تدل على أنه كان إماما طليقا واسع آفاق الفكر عصريا كما نعبر اليوم... وهى هذه: «ولقد نزل بنا العدو — الاسبانيون — قصمه الله سنة ٥٢٧، فجاس ديارنا وأسر جيرتنا، وتوسط بلادنا فى عدد حدّد الناس عدده، وكان كثيرا وإن لم يبلغ ما حددوه، فقلت للوالى والمولى عليه: هذا عدو الله قد حصل فى الشرك والشبكة، فلتكن عندكم بركة، ولتكن منكم إلى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة، فليخرج اليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد فى جميع الأقطار فيحاط بهم فانه هالك لا محالة ان يسركم الله له، فغلبت الذنوب، ورجفت بالمعاصى القلوب، وصار كل أحد من الناس ثعلبا يأوى إلى وجاره، وإن رأى المكيدة بجاره، فانا لله وانا اليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل..» وقد أسند إلى المترجم له قضاء بلده. قال تلميذه القاضى عياض: فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه، وكانت له فى الظالمين سورة مرهوبة، وتؤثر عنه فى قضائه أحكام غريبة، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه ...

## تلاميذه

وقد تتلمذ للمترجم له عدة ممن تخرجوا عليه وكان لهم شأن يذكر، فمنهم القاضى عياض صاحب الشفاء، وسنترجم له إن شاء الله — ومنهم الامام الحافظ ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة وخلافه، ومنهم الامام السهيلى صاحب كتاب الروض الأُنُف فى شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من التواليف، وصاحب هذه الأبيات المشهورة التى أنشدها للامام الحافظ أبى الخطاب بن دحية وقال له: ما سأل الله تعالى بها حاجة إلا أعطاه إياها، وكذلك من استعمل إنشادها، وهن:

يامن يرى مافى الضمير ويسمع ... أنت المُعَدُّ لكل ما يتوقع
يامن يُرَجى فى الشدائد كلها ... يا من اليه المُشْتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن ... أُمْنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة ... فبالافتقار اليك فقرىَ أمنع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة ... فلئن رُددتُ فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه ... ان كان خيرك عن فقيرك يمنع
حاشا لجدك ان تقنط عاصياً ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

## أقوال مؤرخى الأندلس فيه

واليك نتفاً مقتطفة مما قاله فى حق المترجم له مؤرخو الأندلس ممن عاصره وتتلمذ له. قال الحافظ بن بشكوال فى كتابه الصلة: هو الحافظ المستبحر، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها.. كان من أهل التفنن فى العلوم والاستبحار فيها والجمع لها مقدماً فى المعارف كلها، متكلما فى أنواعها، نافذاً فى جميعها، حريصاً على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن فى تمييز الصواب منها، يجمع الى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود الخ الخ وقال أبو نصر الفتح بن خاقان صاحب المطمح والقلائد:

الفقيه الحافظ أبو بكر بن العربى علم الأعلام الطاهر الأثواب، الباهر الألباب الذى أنسى ذكاء إياس، وترك التقليد للقياس، وأنتج الفرع من الأصل، وغدا فى بدء الاسلام أمضى من النصل،

(١) العارضة القدرة على الكلام، يقال فلان شديد العارضة إذا كان ذا قدرة على الكلام، والأحوذى الخفيف فى الشىء لحذقه

سقى الله به الأندلس بعد ما أجدبت من المعارف ، ومد عليها منه الظل الوارف ، وكساها رونق نبله ، وسقاها ريق وبله . وكان أبو محمد باشبيلية بدرا فى فلكها ، وصدرا فى مجلس ملكها ، واصطفاه معتمد بنى عباس اصطفاء المأمون لابن أبى دؤاد ، وولاه الولايات الشريفة ، وبوأه المراتب المنيفة ؛ فلما أقفرت حمص ( يريد أشبيلية ) من ملكهم وخلت ، وألقتهم منها وتخلت ، رحل به إلى المشرق ، وحل فيه محل الخائف الفرق ، فجال فى أكنافه ، وأجال فيها قداح الرجاء فى استقبال العز واستئنافه ، فلم يسترد ذاهباً ، ولم يجد كمعتمده باذلاً له وواهباً ، فعاد إلى الرواية والسماع ، وأبو بكر إذ ذاك فى ثرى الذكاء قضيب ما دوّح ، وفى روض الشباب زهر ما صوّح ، فألزمه مجالس العلم رائحاً وغادياً ، ولازمه سائقاً اليه وحادياً ، حتى استقرت به مجالسه ، واطردت له مقايسه ، فجد فى طلبه ، واستجد به أبوه متمزق أربه ، ثم أدركه حمامه ، وورايته هنالك رجامه ، وبقى أبو بكر منفرداً ، وللطلاب متجرداً ، حتى أصبح فى العلم وحيداً ، ولم تجد عنه رياسته محيداً ، فكرّ إلى الأندلس فحلها والنفوس إليه متطلعة ، ولأنبائه متسمعة ، فناهيك من حظوة لقى ، ومن عزة سقى ، ومن رفعة سما اليها ورقى ، وحسبك من مفاخر قلدها ، ومحاسن أنس أثبتها فيها وخلدها ، الخ الخ .. وقد وصفه القاضى عياض بما أوردنا بعضه عن حاله فى القضاء ، وفى هذا القدرِ غناء . .

### مقتطفات من منظومه ومنثوره

وأظنك لا تجهل أن أكثر علماء الأندلس وفلاسفتها وسائر مثقفيها يقرضون الشعر ، وقلّ أن تظفر بأندلسى لا يقول الشعر ، ومن ثم لا تستغرب أن يكون مثل القاضى أبى بكر بن العربى شاعراً وشاعراً ظريفاً ... فمن شعره وقد ركب مع أحد الأمراء الملثمين ، وكان ذلك الأمير صغيراً ، فهزّ عليه رمحاً كان فى يده مداعبا ، فقال :

يهزّ علىّ الرمح ظبى مهفهف  لعوب بألباب البرية عابث
ولو كان رمحاً واحداً لاتقيته  ولكنه رمح وثان وثالث

ولعل الرمح الثانى والثالث القد واللحظ .. ومن بديع شعره :

أتتنى تؤنبنى بالبكا  فأهلاً بها وبتأنيبها
تقول وفى نفسها حسرة  أتبكى بعين ترانى بها
فقلت إذا استحسنت غيركم  أمرت جفونى بتعذيبها

وحكى رحمه الله قال : دخل على الأديب بن صارة — وهذا ابن سارة أو صارة شاعر فحل من شعراء الأندلس — وبين يدى نار عليها رماد ، فقلت له : قل فى هذه ، فقال :

شابت نواصى النار بعد سوادها  وتسترت عنا بثوب رماد

ثم قال لى أجزْ ، فقلت :

شابت كما شبنا وزال شبابنا  فكأنما كنا على ميعاد

ويروى أنه كتب كتاباً فأشار عليه أحد من حضر أن يذرّ عليه نشارة ، فقال قف ، ثم فكر ساعة . وقال اكتب :

لا تشنه بما تذرّ عليه  فكفاه هبوب هذا الهواء
فكأن الذى تذرّ عليه  جُدَرى بوجنة حسناء

ومن شعره :

ليت شعرى هل دروا  أى قلب ملكوا
وفؤادى لو درى  أى شِعب سلكوا
أتراهم سلموا  أو تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى  فى الهوى وارتبكوا

وشعر هذا القاضى الجليل كثير جميل يدل على صفاء نفس وحِس مرهف وقريحة خصبة مواتية . ونكتفى بهذا القدر ونوردهنا بعض فوائد هن فرائد لهذا الامام العظيم ذكرها فى رحلته وغيرها وأوردها المقرى . فمن هذه الفرائد قوله : سمعت الشيخ فخر الاسلام أبا بكر الشاشى ، وهو ينتصر لمذهب أبى حنيفة فى مجلس النظر يقول : يقال فى اللغة العربية لا تَقْرَبْ كذا بفتح الراء ، أى لا تلتبس بالفعل . وإذا كان بضم الراء كان معناه لا تدن من الموضع .. وهذا الذى قاله صحيح مسموع ... ومنها ما نقله عن ابن عباس رضى الله عنه : لا يقل أحدكم انصرفنا من الصلاة فان قوما قيل فيهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ؛ وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك القيسى الواعظ ، أخبرنا أبو الفضل الجوهرى سماعا منه : كنا فى جنازة فقال المنذر بها : انصرفوا رحمكم الله . فقال : لا يقل أحدكم انصرفوا ، فان الله قال فى قوم ذمهم ، ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا انقلبوا رحمكم الله فان الله تعالى قال فى قوم مدحهم : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ... ومنها قوله فى تصريف المحصنات : يقال أحصن الرجل فهو مُحصَن بفتح الصاد فى اسم الفاعل وأسهب فى الكلام فهو مسهَب — بفتح الهاء — إذا أطال البحث فيه وألفج

فهو مُنْفَج إذا كان معدما — فقيراً — فهذه الثلاثة جاءت بالفتح نوادر لا رابع لها . . ومنها قوله : سمعت إمام الحنابلة بمدينة السلام — بغداد — أبا الوفاء على بن عقيل يقول : إنما تبع الولد الأم في المالية وصار بحكمها في الرق والعبودية لأنه انفصل عن الأب نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة مبثوثة عليه ، وإنما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلذلك تبعها ، كما لو أكل رجل تمراً في أرض رجل وسقطت منه نواةٌ في الأرض من يد الآكل فصارت نخلة فانها ملك صاحب الأرض دون الآكل باجماع من الأمة لأنها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها ، وهذا من البدائع .. ومنها قوله : كان بمدينة السلام إمام من الصوفية وأيّ إمام يعرف بابن عطاء ، فتكلم يوما على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما ينسب إليه من مكروه ، فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة ، فقال : يا شيخ ، ياسيدنا ، إذن يوسف همّ وما تمّ ، فقال : نعم لأن العناية من ثم . . . فانظروا إلى حلاوة العالم والتعلم ، وفطنة العامى فى سؤاله ، والعالم فى اختصاره واستيفائه ، ولذا قال علماؤنا الصوفية إن فائدة قوله تعالى : ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً أن الله أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة ليكون له سبباً للعصمة ... ومنها قوله : تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبى بكر الفهرى الطرطوشى حديث أبى ثعلبة المرفوع : إن من ورائكم أياماً للعامل فيها أجر خمسين منكم . فقال : بل منهم . فقال : بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير أعواناً وهم لا يجدون عليه أعواناً ... وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتى من الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم أسسوا الاسلام ، وعضدوا الدين ، وأقاموا المنار ، وافتتحوا الأمصار ، وحموا البيضة ، ومهدوا الملة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الصحيح : لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه . . فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه فى شرح الصحيح ، وخلاصته : أن الصحابة رضى الله عنهم كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد ولا يدانيهم فيها بشر ، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها فى الأجر من أخلص إخلاصهم ، وخلّصها من شوائب البدع والرياء بعدهم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والاسلام ، وهو أيضاً انتهاؤه . وقد كان قليلاً فى ابتداء الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق ، وفى آخر الزمان يعود كذلك لوعد الصادق صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل ، واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق ، وركوب من يأتى سنن من مضى من أهل الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم : لتركبُنَّ سَنَن مَن قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه ...

وقال صلى الله عليه وسلم : بدا الاسلام غريبا ، وسيعود غريباً كما بدا ... فلا بد والله أعلم بحكم هذا الوعد الصادق من أن يرجع الاسلام إلى واحد كما بدأ من واحد ، ويضعف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى فى الدعاء اليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنا منه معاناً عليه بكثرة الدعاة إلى الله تعالى ، وذلك قوله : لأنكم تجدون على الخير أعواناً وهم لا يجدون عليه أعوانا حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف اليقين وقلة الدين ، كما قال صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله الله . . يروى بفتح الهاء ورفعها ، والرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل ، والنصب على معنى لا يبقى آمر بمعروف ولا ناه عن منكر يقول أخاف الله ، وحينئذ يتمنى العاقل الموت كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى كنت مكانه ....

« وأما بعد » ، فهذا هو تاريخ القاضى أبى بكر بن العربى ، سردناه لك فى أخصر قول وأجزأ اختصار ؛ وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق . ومن هذه الترجمة تتبين منزلة هذا الامام والمكان الذى يشغله بين علماء الاسلام ، وأنه كان إلى تفقهه فى الدين كأكثر السلف الصالح أديبا كاتبا شاعراً فصيحا كثير اللح مليح المجلس وهكذا كان أكثر علماء الأندلس

وقد كانت وفاة هذا الامام سنة ٥٤٣ . وقال القاضى عياض : وتوفى منصرفه من مراكش من الوجهة التى توجه فيها مع أهل بلده الى الحضرة بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية ، فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا ، فأدركته منيته ودفن بفاس وقبره هنالك مقصود رحمة الله عليه .

عبد الرحمن البرقوقى
رئيس قلم المراجعة بمجلس النواب

# السيرة النبوية
## وكيف يجب أن تكتب
### للأستاذ ابراهيم الواعظ

كنت لما ظهر كتاب حديث عليه اسم « محمد » (ص) أسارع لاقتنائه ؛ ذلك لأننى كنت ولا أزال فى رغبة شديدة أن أسمع عن الرسول العربى العظيم ، وعن سيرة النبى الكريم شيئاً جديداً . والعامل الوحيد الذى أوجد فى هذا الشعور ، وحرّك فىّ ذلك الاحساس ، هو الاطراد الموجود فى السير المكتوبة اطراداً يكاد أن يكون نسخةً مطابقة لأصل واحد ، ومحررة على غرار واحد

اننى لم أرسل كلمتى هذه منتقداً بها ما دونه الأقدمون فى السيرة ، وصاحب السيرة ، كلا ، وإنما أردت أن أقول للذين تناولوا السيرة وصاحب السيرة ، بأن الواجب كان يقضى عليكم أن تأتوا للناس بحديث جديد عن محمد (ص) بحديث يصور للناس محمداً كما هو لا كما أراده كتاب السير

طلعت علينا فى الآونة الأخيرة عدة كتب كتبت مؤخراً لتحليل شخصية محمد (ص) ، وما انطوت عليه نفسه من العظة والعبقرية ، فمنهم من أصاب المرمى ومنهم من قارب ؛ فذهب الأستاذ جاد المولى فى كتابه « محمد المثل الكامل » إلى ناحية لم يتطرق إليها الأستاذ محمد رضا فى كتابه « محمد » ؛ وإن هذين الأثرين من حيث الترتيب والتنسيق جديدان ، ولكنهما من حيث المادة لا يزيدان ولا ينقصان عن السير القديمة . على أن هناك أستاذاً كبيراً يكاد أن يكون فرداً فذاً فى تأليفه هو « مولانا شبلى النعمانى » فان هذا العالم الكبير أراد أن يستخرج من السير الموضوعة سيرة مستندة إلى أرجح الأقوال وأصح الروايات ، ويبرز الرسول الأمين للناس صورة حقيقية كما هى ، فألف كتابه الذى أسماه « تاريخ الاسلام » والذى أفرد منه أربعة مجلدات فى السيرة المحمدية . هذا ولا أريد أن أرسل الكلام فى وصف هذا الكتاب جزافاً ، ولا أريد أن أخرج بالقارئ عن الموضوع والصدد ، وإنما قصدى أن أحث كل من يريد أن يتعرف محمداً « ص » كما هو أن يطلع على هذا الكتاب الذى أوضح شخصية محمد « ص » إيضاحاً ، وحلل نفسيته الزكية تحليلاً عجز عنه المتقدمون من كتاب السير والمتأخرون منهم

وقد جرى على غرار هذا المؤلف الأستاذ الكبير محمد حسين هيكل بك فانه كان قد كتب فصولاً فى السياسة الأسبوعية جمعها فى كتاب أخرجه للناس ، كتاباً رد به طعن الطاعنين ودحض به زعم الزاعمين ؛ وكأنى بالأستاذ وقد كتب مؤلفه هذا لمن لا يؤمن بنبوة محمد مباشرة متوخياً فى عمله ذلك الدعاية والتبشير لا نقل ما هو مكتوب فى كتب السير من حادثات ووقائع

وإننى لا أتفق ومنتقدى كتاب الأستاذ هيكل من أنه أغفل كثيراً من الأمور المهمة فى السيرة بأنه أنكر المعجزات . والتطرق لهذا الموضوع يحتاج إلى إفراد بحث بكامله لهذا فليس من الأصول أن أقول كلمة فى ذلك سوى أننى أكتفى بالاشارة إلى ما أورده الأستاذ هيكل فى الطبعة الثانية من كتابه وأضيف إلى ذلك تعريف الكتاب لجمهور القراء من الشيخ محمد مصطفى المراغى العلامة الأكبر ، فان هذا التعريف لكتاب مثل هذا الكتاب له أهميته العلمية

هذا وقد سكتت الأقلام وجفت الصحف كأن « حياة محمد » التى دبجتها يراعة هيكل كانت خاتمة ما يكتب فى هذا الموضوع ، ولكن سرعان ما أتحفنا الأستاذ « الحكيم » بكتابه ( محمد ) (ص) فقد تفنن فى أسلوبه الجديد ، وجدد فى طريقته الفنية ، ولكنه لم يزد ولم ينقص عما ورد فى كتب السير ، فلم نكبر له الموضوع وإنما أكبرنا له الأسلوب

ثم كان بعد ذلك أن خرجت علينا الرسالة فى عددها (١٤٨) بمقال تحت عنوان « رسالة الأزهر فى القرن العشرين » بتوقيع الأستاذ لبيب الرياشى المسيحى وبها دعا الكاتب إلى أن تكون رسالة الأزهر فى القرن العشرين المسيحى ، والقرن الرابع عشر المحمدى ، دورته الأولى لرسالة الأزهر فى هذا القرن كالقرن

الأول المحمدى فيقابل الدور الأول دور التحنث والتعبد ، دور تحقيق ودراسة من ينتخبهم الأزهر من عشاق التضحية ، وعشاق الحق من طلابه ، فيثقفون ثقافة عالية ، ويتعلمون تعلما سامياً ، فيتخصص كل فريق ممن وقع عليهم الاختيار بنتيجة الفحص والاختبار باللغات الحية وبكل فرع من فروع العلوم العالية العالية ، علاوة على ما أتقنوه من علوم القرآن والدين والشريعة والسنة والسيرة واللغة العربية ؛ وبعد هذا فرسالة الأزهر أن تكتب سيرة محمد (ص) بصورة تتفق وما جاء فى القرآن الحكيم وعقلية الرسول البريئة وأعماله الحق

وقد ضرب الأستاذ فى مقاله أمثلة مهمة خطيرة حذر الأزهر من أن يقع فى مثل ما وقع فيه غير واحد من متخرجيه

وإذا بهذا الأستاذ قبل أن كتب مقاله هذا فى الرسالة أخرج لنا كتاباً من قلم مسيحى يحلل نفسية محمد بن عبد الله (ص) ، تحليلا فلسفياً ، ويطرح كتابه هذا أطروحة — كمثل أعلى — لمن يريد أن يكتب السيرة . سيرة الرسول الأعظم (ص)

لقد نحا الأستاذ الرياشى ناحية فى كتابة السيرة لم ينحها قبله ولا بعده أحد من كتاب السيرة ؛ ولقد أظهر للملأ جديداً فى حياة محمد بن عبد الله ووجد ضالته حين كان ينقب عن (السبرمن) ، فوجده محسدا فى شخصية الرسول الكريم قبل أربعة عشر قرناً

وقد أبدع الأستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المغربى فى تعريف الكتاب بمقدمته المحمدية ، كما أحسن الأديب أمين نخلة فى تقديم الكتاب بمقدمته المسيحية

وبعد ، فانى قد وجدت ضالتى المنشودة فى كتاب الرياشى ، وفى مقدمتيه المحمدية والمسيحية ، فأدعو الأزهر ورجال الأزهر كما دعاهم الأستاذ الرياشى أن يكوّنوا جماعة تكتب حياة محمد وسيرة محمد كما كتبها الرياشى

فعلى هذا النسق ، وعلى ذلك الأسلوب ، وعلى تلك الطريقة ، يجب أن تكتب السيرة النبوية

(بغداد) إبراهيم الواعظ

المحامى

# الواحة المجهولة

## للأستاذ فخرى أبو السعود

مأنوسةُ الأفياء والأكناف … موصولة الحسنات بالألطاف
عبقِ الشذا فيها وأصبح دوحها … نُصْباً لكل مباكرٍ وكّاف
وتألقت أزهارها وتمايلت … أغصانها منضورة الألفاف
وتتابعت فيها الثمار شهية … فتانة الألوان والأوصاف
وجرى النمير بها ألذّ مذاقة … للوارديه من رحيق سلاف
أنى تصرّف مقلة لك تكتحل … بجداول رقراقة وضفاف
ما تنتهى من فتنة إلا إلى … أخرى ومن صوَر إلى أطياف
وتشابهت فيها الفصول فحسنُها … سيان فى مشتى وفى مصطاف
ياحُسنها من واحة لو أنها … أهلَتْ وفاز بها الفتى بمطاف
لكنها مجهولة ممنوعة … من دونها حَزن وقفر فيافى
هيهات ما تُنبى صحائفُ عالم … عنها ولا تَهدى رُؤَى عرّاف
لم يدْرِ غيرى سرّها فأنا الذى … فى أضلُعى حمّلْتها وشغافى
هى قلبىَ النائى الذى من دونه … غُم الطريق على الحبيب الوافى
ولو اهتدى يوماً لباءَ إلى حمى … خصبٍ وفاءَ إلى ظليل ضاف
ولقد أبحْتُ صحابةً لىَ حقبةً … أفياء تلك الروضة المئناف
فتمردوا فى ظلها من بعد ما … نعموا بأثمار بها ونطاف
فقبضتُها عنهم وصنت جنانها … عن كل جاسٍ فى القلوب وجاف
فهى الغداةَ تميس فى فتناتها … والكون أجمع عن حُلاها غاف
نضرت أزاهرها ولا مَنْ يجتلى … وزَكَتْ دواليها لغير قطاف
وانساب سلسلها وما من راشف … وذكت نسائمها للامُستاف
هى جنة الود الخلى من القذى … جمعت أفانينَ الوداد الصافى
تندى وتألق فى الأزاهر والسنى … فى مهمه وعر المسالك خاف
وغداً سيذوى حسنها ورواؤها … ويجف منها يانع الأفواف
لم يفتقد منها المحاسنَ فاقدٌ … أو يبكها بالمدمع الذراف
وتغولها تلك القفار وينثنى … يذرُو معالمها الترابُ السافى

فخرى أبو السعود

# البحر

## للأستاذ عبد الرحمن شكري

---

ألا ليتنى لج كلجك زاخر
أعبُّ كما تهوى النهى والبصائر (١)

فكم عبت النفس اللَّجوج وحاولت
كبعض سطاك الآبيات النوافر (٢)

وأخفت من الدر النفوسُ ومن حُلّى
كما اختبأت فيك اللهى والذخائر

كأن بها أُفقاً كأُفقك نائياً    ومن دونه كل المَدَى يتقاصر
أتطرب من لحن الخرير كأنه    خواطر تتلوها عليك السرائر
كاطرب النشوان من لحن صوته    فجاشت لديك الراقصات الزواخر
وإلا فما للموج فى اليمّ راقصاً    دعاه عذارى البحر شادٍ وشاعر (٣)
خريرك يحكى صدحة الدهر صامتاً    كأنك دهر بالحوادث مائر (٤)
هو الدهر لا يخشى المنايا ولا يَهِى    صِباه ولا تقضى عليه المقادر
وأنت شبيه الدهر لا أنت هارم    ولا أنت منقوص ولا أنت خاسر

ويصطخب الآذىُّ فيك كأنما اصـ
ـطخابك من حكم المنية ساخر (٥)

أَخَفْقٌ وإعصار ودفع وهبَّة    كأنك حىٌّ نابض القلب شاعر
فريحك أنفاس وموجك نابض    كنبض قلوب أعجلته البوادر
خلوتَ من السُّمَّار كالبيد وامَّحت    معالم لا تُبْقِى عليها الأعاصر

سِوى شِلْوِ فُلْك قد حدرت إلى الردى
يلوح كما لاحت رسوم غوائر

وكم جُزُرٍ مثل الجِنان مضيئة    كأنْ جهلتها الصائلات الدوائر

لَخِيلَتْ نجومَ السعد والحب والمنى
تحنّ إليها الشّحشحان المُخَاطر (٦)

كما حنَّ للآل الخلوب قوافل    تَخُبُّ بها فى البيد إبل ضوامر (١)
لخلقتَ فى قلب المخَاطِرِ همة    على الدهر لا تبلى وتبلى العمائر
يحن إلى ما خلف أُفْقِكَ ناظرٍ    كما تنشد الغيبَ النهى والبصائر
كأن مُنّى للنفس من خلف أفقه    تلوح كما لاح السراب المبادر
أو أن محال السعد دُرٌّ مُنظَّمٌ    على الأفق ينحوه الطلوب المغامر
بلى كل نفس للغريب مشوقة    وإن خَوَّفتها من سطاه المحاذر
ويصغر فى مرآك عيش ابن يومه    ويكْبُرُ رأىٌ ذاهب فيك سائر
خواطر مثل الفلك فيك شوارد    يضل عليها عازب اللب حائر
تناءت بك الأمواج وهى نوافر    وجاءت بك الأمواج وهى ثوائر
كأن بها عجز المشيب إذا انثنت    وعزم الشباب الغر وهى بوادر

فنم نومة الظل البطىء مسيره
وثِبْ وثبة الغضبان حين يُساور (٢)

فيا رُبَّ حلم خامل البطش هادىء
ضمنت وجهل شره متطاير

كأن لنا من لج مائك واعظاً    بليغاً له مما أثرت زواجر
رأيتك والأمواج فى وثباتها    عساكر حرب قد تلتها عساكر
فبينا يريق الضوء فوقك ماءه    وتجرى عليك الريح وهى خواطر
ويتلو عليك الصائدون غناءهم    يرجِّعه لحن من الماء مائر
ويُسمِعك الملاح من شجو قلبه    أحاديث قد تاقت لهن الحرائر
إذ الجو جهم والرياح كتائب    وإذ أنت مقبوح السريرة غادر
ورب سفين يقرع النجمَ مجدُه    تقاذفها مستوفز اللج هامر
يُرَوِّعها فى كل هوجاء مُوعِدٌ    ويسعى لها قبر من الماء سائر
وما ذلك اللج الذى فى سمائها    بأهدأ من لج نمته الزواخر
إذا ذكر المَلَّاح زوجاً وصبية    طغى شجن فى مِرْجَلِ الصدر فائر
وتذهل عن مهد الوليد رءومه    إذا ما رمتْها بالوعيد الزماجر
وما هى إلا صولة ثُمّتَ انجلت    وأكبر غرقاها المساعى البوائر
كما غرقت فى لجة الدهر دولة    زهت ما زهت والدهر للناس غامر

عبد الرحمن شكرى

(١) أى لج من الحياة والنهى    (٢) أى النفوس الآبيات
(٣) عذارى البحر إشارة إلى الأسطورة الإغريقية
(٤) مائر أى مائج    (٥) الآذى: الموج
(٦) الشحشحان: القوى الشجاع

(١) الخبب العدو
(٢) نومة الظل سكونه الذى يشبه به سكون البحر كما تشبه سورته بسورة الغضبان

**فخر المصايف المصرية :**

# رأس البر ... !

## للأستاذ محمد يوسف المحجوب

مَهْدَ الهدوء وفُرضة الأحباب ... ها قد لقيتكَ بعد طول غياب
أقبلت نحوك ظامئاً ، أُلقى لدى ... عطفيكَ أعبائى ، وأنفض مابى
قد هدَّ سعىُ العام أوْصالى بما ... عانيتُ من درس ومن أوصاب
فاذا أتيت فحسب قلبى أننى ... لاقٍ بظلك منتهى آرابى ... !

***

داويتُ بالصحو الجميـــل متاعبى
ورأيت فيك الشمسَ دون حجاب
وظفرتُ عندك بالسُّكون يلفُّنى ... ويريح من ذهنى ومن أعصابى
وغمرتُ روحى قبل جسمى بالمُنى ... لما استنمت لِموْجك الصخاب
غطَّى على صخب الحياة ولَغْوُ ... فمضى وضاع بلجِّه المُنساب
لا الفكرُ عندك سابح فى مؤلم ... حاشا ولا الوجدان عندك خابى !

***

أصحو مع الصبح الجميل ، فتنتشى ... روحى بشمسٍ أشرقت وعباب
شمس أراها ، لا يصدُّ شعاعها ... عنا رُبًى ، أو ناطحات سحاب
وأرى الخضمَّ ولا شعاب تحدُّه ... فى ناظرى ... فتضلُّ فيه شعابى
وأرى ظباء الأنس حول كِناسها ... يطفِرْن فى مرَحٍ ووقْدِ شباب ..
ترنو إليهن العيونُ ، وترتمى ... حسناً يزلزلُ راسىَ الألباب !
يُقْبِلْنَ فى ساعِ الأصيل ترائباً ... تختال بينَ مُفوَّف الأثواب
وَيَسِرْنَ أسْراباً ، يمايلُ عِطفَها ... فَرْطُ الصِّبا ، ويعُدْنَ فى أسراب !
لا يســتطيع الصَّبُّ تكلما ، ولا
يقْوَى على شىءٍ ... سوى الإعجاب !
يَرْنو إلى ذاك الجمالِ كأنما ... يرْنو إلى المعبود فى محرابِ .. !

***

جوٌّ عليه من العَفاف رِقابةٌ ... صانته عن عبثٍ يُرادُ وعابِ
جَوٌّ يضُمُّ كرائماً وحَرائراً ... باتَ الحياء لهُنَّ خيرَ نِقابِ
وشبيبةً لا يرتضون من الهوَى ... دَنَسًا يَشينهُمُ على الأحقابِ
الكلُّ فيه « أُسْرَةٌ » قد زانَها ... أنْ ليس فيها سَيِّئو الآداب .. !
سَهِروا على الأخلاق واعتصموا بهـا
وَرَعَى الحُضـورُ أمانَةَ الغُيَّابِ
هـذا هو العَيْشُ النبيل ، وهكذا
يَسْمُو « المَصيفُ » بإخوَةٍ وَصِحابِ ..

***

... لا ما تَراه من الغَوَاية والخنَا
فى « الرَّمْلِ » من همَلٍ وَمِنْ أوْشَابِ !
سَلْ شاطئَ « استانْلى » وسل أترابه
كم قد برِمْنَ بفاسدى الآداب ... ؟
ظنُّوا الحياةَ مجانةً وخلاعةً ... فطوَوْا من الأخلاق خير كتابِ
ورأوْا لدى نَزَق الشباب نعيمَهم ... فسعَوْا له ومضوْا بغير حساب !
بذرَ « الفرِنجَةُ » كل مُهْلكةٍ لهم ... وأتوْهمُ بالبَهْرَجِ الخَلاَّب
وَجنَوْا لهم حُرِّيَّةً مزعومةً ... طاحتْ بهم فى هُوَّةٍ وخرابِ !

***

يأيها « الرأسُ » الجميـــلُ : تحيةً
من صادق فى الوُدِّ ليس يحابى ...
لا غرْوَ أنْ صُغْتُ القَريضَ مُخلِّداً
ذِكراك أنتَ ، على مَدَى الأعقابِ :
وَهَبتكَ دُنْياكَ المغيفــةُ بيننا
مَعْنًى سَمَوْتَ به على الأترابِ

محمد يوسف المحجوب

# القصص

## أعصـــاب

للقصصى الروسى تشيكوف

بقــلم محمود البــدوى

عاد المهندس المعارى ديمترى اسيبوفتش فاكسن من المدينة إلى كوخه الذى يقضى فيه عطلته وهو متأثر غاية التأثر مما سمعه فى جلسة استحضار الأرواح التى تشرف بحضورها !

وعندما خلع ملابسه ، ومشى إلى فراشه المنعزل ، ولا أنيس معه فيه — فقد بارحت مدام فاكسن المنزل إلى عمل يستغرق طيلة الليل — لم يستطع أن يطرد عن ذهنه تصور كل ما سمعه ورآه فى هذه الليلة التى لم يكن الحديث فيها ممتعاً على الاطلاق ! فلقد مضوا الليل كله فى حديث مروع بدأته سيدة فى رونق صباها — على ذكر لا شىء — بالكلام عن التفكير عند القراءة ، ومن هنا تشقق بهم الحديث دون ادراك إلى الأرواح ، ومن الأرواح انتقلوا إلى الأشباح ، ومن الأشباح تشعبت بهم سبل الكلام إلى أناس يدفنون أحياء .... ! وقرأ سيد قصة مرعبة عن جثة تسير وهى مدرجة فى الكفن ... وطلب فاكسن نفسه فنجانة وأخذ يشرح للسيدات الصبايا الطريقة المثلى لمخاطبة الأرواح ! وأحضر من بين الموتى روح عمه كلافدى ميرونتش وسأله :

« ألم يحن الوقت بعد لنقل ملكية منزلنا إلى زوجى ؟ »

فأجابته روح عمه : « كل الأشياء حسنة فى حينها »

وفكر فاكسن وهو مضطجع على سريره وقال لنفسه :

« فى الطبيعة أشياء كثيرة ... سرية ... ومفزعة ... فالمجهولات لا الأموات هى المروعة حقا »

ولما دقت الساعة واحدة انقلب فاكسن على جنبه الآخر ، وأخذ يرمق من تحت غطائه نور المصباح الأزرق المحترق أمام الصورة المقدسة ، وقد ارتعش لهبه ، وألقى نوره الخابى على قاعدة الصورة ، وظهرت أمام سريره صورة عمه كلافدى الكبيرة المعلقة على الحائط

وومض هذا الخاطر فى ذهنه : « وماذا ... إذا ظهر فى هذه اللحظة شبح عمى كلافدى ... ولكن بطبيعة الحال ... هذا محال »

ومع أن الأشباح — كما نعرف جميعاً — خرافات من ذرية الذكاء المحدود ... فقد ضم فاكسن غطاءه عليه حتى غطى رأسه وأغمض عينيه تماماً ! على أن الجثة التى سارت وهى ملفوفة فى كفنها عادت إلى ذهنه بعد برهة قليلة ، ورفعت أمام مخيلته صور المرحومة حماته ، وزميل له شنق نفسه ، وفتاة أغرقت نفسها أيضاً ... وحاول فاكسن أن يطرد عن ذهنه هذه الصور السوداء ولكنه كان كلما أمعن فى الطرد أمعنت هذه الصور فى الثبات ، وأحاطت به خيالات مخوفة ، وأخذ يحس بالرعب المتمكن والجزع الشديد

وقال لنفسه :

« إلى المشنقة بهذه الخواطر جميعاً ... هأنذا خائفاً فى هذا الظلام كطفل ... معتوه . وسمع الساعة تدق فى الغرفة المجاورة : « تك .. تك .. تك »

ورن ناقوس الكنيسة فى فنائها القريب مبيناً الوقت .. دق الناقوس فى بطء وانقباض وحزن .. وسرت رعشة شديدة فى عنق فاكسن امتدت إلى عموده الفقرى ، وخيل إليه أنه يسمع إنساناً يتنفس فوق رأسه بثقل ! كأن العم كلافدى قد رأى أن يبرح إطار صورته وينحنى فوق ابن أخيه ... وشعر فاكسن بالرعب الذى لا يحتمل ، فصر بأسنانه ، وعلق أنفاسه فى هول

ولما قفزت حشرة من الحشرات الطائرة إلى النافذة المفتوحة وانقلبت تطن فوق فراشه لم يستطع الاحتمال أكثر مما احتمل فجذب زر الجرس بعنف

وسمع بعد هنيهة صوت الحاضنة الألمانية واقفة على بابه تقول بالألمانية :

« ما الذى تريده يا دمترى اسيبفتش ؟ »

فصاح فاكسن فرحاً « آه .. أأنت يا ... روزاليا كارلوفنا لماذا تتعبين نفسك ؟ .. أين جافريلا ؟ لا بد أن ... »

« بعثت أنت بنفسك جافريلا إلى المدينة ... وجافريلا مضت تقضى الليل فى بعض الجهات ... وليس فى المنزل أحد سواى ... فما الذى تريده من فضلك ؟ »

« حسنا ... الذى أريده ... هو ... ولكن من فضلك ادخلى ... لا داعى للقلق .. انه .. ظلام ... »

ودخلت روزاليا كارلوفنا وهى امرأة بادنة حمراء الخدين !! ووقفت على الباب وقفة المنتظر

« اجلسى من فضلك ... أنت ترين ... أن الأمر هكذا ... »

وعجب وقال لنفسه : أى شىء أسألها فيه وعنه .. ؟ وسارق صورة عمه النظر وشعر بروحه تعود تدريجياً إلى الهدوء

« الذى أوده منك فى الحقيقة هو ... آه ... لما ينطلق الخادم إلى المدينة لا تنسى أن تخبريه بأن أ ... أ ... يجىء ببعض أوراق السجاير ... ولكن من فضلك اجلسى »

« ورق سجاير ... حسناً ... وما الذى تريده أيضاً ؟؟ »

« الذى أريده ... لا شىء أرغب فيه ولكن .. اجلسى .. سأفكر فى شىء آخر بعد دقيقة »

« العذراء ... تخاف البقاء وحيدة فى غرفة رجل يا سيد فاكسن ... فهمت ! إن حاجتك الى ورق سجاير ... كانت فى الواقع لا تستدعى إيقاظ أحد ... فهمتك »

وانقلبت روزاليا كرلوفنا على عقبيها وغادرت الغرفة ، وسكن روع فاكسن لما تحدث معها وخجل من جبنه للغاية ، وغطى رأسه ، وأغمض عينيه ، وشعر مدة عشر دقائق كاملة بالراحة التامة ، وبعد هذا زحفت إلى ذهنه نفس الخزعبلات الماضية . . . فتحسس الثقاب وأشعل شمعة وهو مغمض العينين ! وأصبح النور بعد الهلع الذى هيمن على كيانه عديم الجدوى ، فقد صور له خياله المضطرب أشباحاً طلعت من الأركان وبدت عيون عمه تتحرك . . . ! !

فقرر قاطعاً :

« سأدق لها الجرس مرة أخرى ... لعنة الله على المرأة ... سأخبرها بأنى أشعر بالتعب وفى حاجة إلى بعض أقراص من الحلوى »

وشد فاكسن الجرس فما جاوبه أحد . ودق ثانية فسمع جرس الكنيسة يدق كأنما يجاوب على دقاته بمثلها . واستولى عليه الرعب وشاع فى جسمه البرد فقفز من فوق سريره وغادر مخدعه بعدو راسماً علامة الصليب ، وأخذ يلعن نفسه لجبنه وخوره . وجرى حافى القدمين فى قميصه الليلى حتى بلغ غرفة الحاضنة وقال راجف الصوت وهو يطرق بابها :

« روزاليا كرلوفنا . . . أنمت ؟ أشعر . . . بأنى ر . . . ر . . . تعب . . . أود قليلاً من أقراص الحلوى »

فما جاوبه أحد وخيم الصمت

« أرجوك ! أفهمت ... أرجوك ... لماذا هذا القرف ؟ . . لا أستطيع أن أفهم ... خصوصاً إذا كان الرجل ... مريضاً ... أى عبث ... أنت فى الحى ... وفى مثل سنك » فقالت له :

« سأخبر زوجك .. أنك لا تدع عذراء شريفة فى أمان ... لما كنت عند البارون انزيج ... جاء إلىَّ سعادته يطلب أعواداً من الثقاب ... ففهمت فى الحال معنى هذه الأعواد من الثقاب .!! وأخبرت البارونة ... فأنا عذراء شريفة » فقال لها :

« إلى المشنقة بشرفك هذا ... أنا مريض ... قلت لك هذا ... وأطلب منك بعض أقراص من الحلوى ... أتفهمين .. إنى مريض » فأجابته :

« زوجك امرأة شريفة وطيبة ... ومن الواجب عليك حبها .. أجل ... إنها نبيلة طيبة ... ولن أكون لها عدوة »

فقال لها : « إنك غبية .. غبية ... أتفهمين ... غبية »

***

اعتمد فاكسن على سارية الباب ، طاوياً ذراعيه ، ومنتظراً أن يذهب عنه هلعه الشديد ، فان رجوعه الى غرفته حيث يرتعش المصباح ويحملق فيه عمه . . . أمر لا يجرؤ على مواجهته ، وأن وقوفه على باب الحاضنة وليس عليه سوى قميص نومه أمر غير

لانق من جميع الوجوه ! ! فما الذى يعمله ؟ ؟

ودقت الساعة الثانية وما بارحه جزعه ؛ وكان المر مظلماً فبدا له خيال أسود طلع من كل ركن واستدار ليواجه عقب الباب . على أنه تصور فى هذه اللحظة انساناً جذب قميص نومه من الخلف ولمس كتفه

فأعول ثم صاح :

« عذاب الجحيم ... روزاليا كارلوفنا »

ولما لم يسمع صوتاً فتح فاكسن الباب متردداً ودخل ؛ وكانت الألمانية الفاضلة غارقة فى سبات لذيذ ، وقد أظهر ضوء المصباح الخافت ما على وجهها من بشاشة ، ثم انساب الى داخل الغرفة ووقف بجانب حقيبة عند الباب ، وشعر بارتياح تام وهو فى حضرة مخلوق حى ، حتى ولو كان هذا المخلوق نائماً

ثم قال فى نفسه :

« خل الألمانية البلهاء غارقة فى نومها ... سأجلس هنا ... وحينما يبزغ النور أرجع الى مكانى . . فالصبح يبكر فى هذه الأيام . . . »

استلقى فاكسن على الحقيبة ووضع ذراعه تحت رأسه مترقباً طلوع الفجر

وتأمل ! !

« أى شىء ... لما يكون المرء عصبياً ... ورجل متعلم ذكى ... لنشنق جميعاً ... إنه عار شنيع »

وعند ما تسمع إلى تنفس روزاليا كرلوفنا الرقيق عادت اليه نفسه وثاب حسه وهدأ تماماً

وفى الساعة السادسة عادت زوجه فاكسن من عملها الذى استغرق طول الليل ولما لم تجد زوجها فى مخدعه دلفت الى الحاضنة تسألها عن « فكة » للحوذى

ولما دخلت الغرفة رأت منظراً غريباً ! ! ! بصرت على السرير بروزاليا كارلوفنا غارقة فى النوم ... وعلى قيد ذراعين منها ينكمش زوجها على الحقيبة وينام نوم العادل !! ويغط غطيطاً عالياً

أما الذى قالته لزوجها وكيف كان حاله عند ما استيقظ فسأدع لغيرى تصوره فهو فوق طاقتى

محمود البدوى

# هاجر العـــانس

## للسيدة وداد السكاكينى

تسألينني يا صديقتى عن كآبة « هاجر » ووجومها ، وتتساءلين ملحة عن تجافيها وإيثارها العزلة والانفراد . إنك تريدينني على أن أفضى إليك بخبرها ، وأصرح بما أعلمه عنها ؛ ولا شك أن طلبك هذا يثير فى نفسى ذكريات الطفولة ويحملنى على أن أنحدر إلى أغوار الماضى ، حين كنت أعرف هاجر فى المدرسة تلميذة فى صف الشهادة ، وكم كان يشتد فرحى حين تدخل هذه الفتاة بيتنا فى البكور لتأخذنى معها ، فان عمتى أوصتها بمرافقتى إلى المدرسة ، وكانت رحمها الله صديقة حميمة لأسرة هاجر

كانت تدق باب بيتنا دقات مستعجلة ، فأبادر إلى صدارى الاسود ، وأعلق إلى جانبى محفظة كتبى بنجاد قصير ، فاذا أسرعت هاجر فى سيرها عدوت خلفها ، فأتعثر بمحفظة كتبى التى تتدلى على جنبى أو على ظهرى ، وكنت لا أقف لاصلاحها حتى لا تتأخر هاجر عن ميعاد المدرســة فتحرمنى مرافقتها فى الطريق

وكان يعظم سرورى حين تغيب معلمتنا العجوز الشمطاء ذات النظارة التى تربطها بالخيط إلى أذنيها وتحدرها إلى أرنبة أنفها فتطالعنا بنظرها المخيف من فوقها ، كنت أفرح وأمرح حين تغيب هذه المعلمة الغاشمة فترسل الينا المديرة « هاجر » كبرى تلميذات المدرسة لتحل محل المعلمة الغائبة ، وتعلمنا الدرس فأزهو يومئذ وألهو ، وألمس بأناملى رؤوس رفيقاتى اللاتى أمامى فيتلفتن وراءهن فاذا أنا صنم لا يتحرك

هذه صورة أولى لهاجر ما تزال فى ذاكرتى جلية بينة ؛ إنها كانت غضة الأهاب ، أنيقة الثياب ، ذات وجه أسمر مجدور ، وشعر جعد أسود ، قسمته ضفيرتين كثيفتين تنوسان على كتفها ؛ وكانت صناع اليد تغزل من الصوف أردية شتوية لأختيها سعاد ومليحة ، وقد كان أبوها قاسياً جامداً ندم على تعليمها بعد أن حازت الشهادة ، لـكيلا يفتح العلم بزعمه قلبها وعينها ، فخلف ألا يعلم أختيها

ومرت الأيام فإذا مليحة وسعاد فتاتان ناهدان ، تلوح عليهما ملامح الجمال ، وتبسم لهما الحياة والشباب ، فراحتا تحلمان بالزواج ، وقد خطرت للوالدين هذه الفكرة فتمنيا تحقيقها قريباً ، وكانا يرتاحان لكل من يفاتحهما في خطبة الفتاتين ؛ أما هاجر فكانت تضطرب أعصابها كلما رأت أبويها يسعيان لتوفير الزينة والدلال لأختيها ، ولا سيما بعد أن رأياها تستويان على عرش الأنوثة والجمال

ولا تسألي يا عزيزتي عن أحزان هاجر حين كانت تختصها أمها بتدبير المنزل والخياطة لأختيها ، واعداد ما تستطيع من الجهاز لهما ، خشية أن تخطبا معاً ويضيق الوقت عن تهيئة المعدات اللازمة في حياتهما العتيدة

وكانت هاجر تنمو آلامها وتشتد ، وتحس الغصة تقطع نياط قلبها ، وكثيراً ماخلت إلى نفسها ، وتحدثت عن جدها العاثر عند والديها ، فتلعن الجمال الذي بدا على أختيها ، فحرمها الدلال وجعلهما تستأثران بعناية الأم واهتمام الأب

وأخذ شعورها يطغى على نفسها فلا تستطيع إلى كبته سبيلا ، ولاح الوجوم في وجهها ، وكان تفكيرها في دمامتها يبعث في روحها القلق والعذاب

كانت تناجي ربها حين تلجأ الى فراشها وتحاول النوم فلا يرنق في عينيها ، فتستعرض مظاهر الاهتمام بأختيها وإهمال أمها لها فتطفر الدموع من عينيها حزناً على حياتها الجافة البغيضة . وارحمتاه لهاجر ! كم كانت تتكلف الهناءة والهدوء أمام والديها وأختيها فتتظاهر بالانشراح لخطبتهما !

وكان لسوء مصيرها أن تلألأ حظهما وتكاثر الأخطاب ، ففي عصر يوم جاء بيتهن ثلاث نسوة فاستقبلتهما الأم وهاجر بملابس البيت وأوعزت الأولى الى سعاد ومليحة بأن تتزينا بأحسن ما عندهما من اللباس الجديد وتتضمخا بأزكى العطور ، وما استقر المقام بالسيدات حتى أقبلت مليحة وسعاد وكأنهما عروسان ليلة الزفاف ، فلما رأينهما بهرتاهن وعلقت بهن أنظارهن ، فتجاذبن أطراف الحديث بسهولة وسرعة كأنهن صديقات الدهر ، وبعد قليل طلبت إحداهن من الفتاتين شربة ماء ، ولم يكن بها ظمأ ولا حاجة الى نقع غلة ، بل كان مرامهن جميعاً ، أن يرين انقلابهما بالمشي وانتقال أرجلهما على الأرض ، وأن يتمعن النظر في طولهما وحركاتهما

كل هذا حدث وهاجر المسكينة جالسة الى جانب أمها تنظر الحظ يضحك لأختيها ويقهقه ، وتفكر في نفسها فترى حظها عابساً مكفهراً ، ثم أخذت تطالع في عيون الخاطبات ومضات الافتتان والاعجاب بأختيها ، فلم يسعها البقاء في الغرفة فخرجت منها خشية أن تهي ارادتها وتستحيل كآبة نفسها دموعاً كاوية فتفضح وجومها وآلامها

وآن ذهاب السيدات فقمن يودعن الأم والفتاتين بالسلام والتقبيل ، فلثمن ثغرى سعاد ومليحة ليشممنهما فيعلمن إذا كانت فيهما رائحة تكره ، وعانقنهما لينشقن إبطيهما لعلهما تعرقان ، وهصرنهما الى أجسامهن ليحسسن هل هو عظم جاثم أم لحم رهو لطيف ، وكانت الأم والبنتان يشيعن الزائرات بمنتهى المجاملة والاغراء

كانت هذه الزورة المأنوسة يوم سعادتهن المشهود ، فما أغلق الباب خلف السيدات حتى انثنت الأم الى ابنتيها الجميلتين تدعو الله لهما بفتح البخت ومجيء النصيب السعيد ، وأن يقيض لهما زوجين من أحسن الرجال وأغناهم ، ثم سكتت إذ شعرت أنها استرسلت في الدعاء لهما دون هاجر فقالت وهي تشير الى غرفتها وأنت يا «هاجر» الله لا ينساك يا حنونتي » !

بعد أسبوعين كنت ترين يا صديقتي في إصبعي سعاد ومليحة خاتمي الخطبة ، وكنت أتردد على بيتهما لأساعد الأم وهاجر في اعداد الجهاز ، اما هاجر الكئيبة فكانت ترنو بعينيها الى الخاتم الجاثم في يد أختيها فيحز في روحها الشعور المؤلم بالحقيقة الراهنة ، فتجاهد حسها وتكابد العذاب في مغالبة ما تعانيه من قلق واضطراب لئلا يقال : إن غمامة من الغيرة والحسد تخيم على نفسها فتسيء الى سمعتها ، وبرغم ذلك كله كانت تنتابها من حين لآخر نزوات من السخط ، فتدعي بأنها تبرم بأعمال البيت المرهقة واستعجال الأهل في تهيئة الجهاز بوقت حرج قريب

لقد تزوجت الأختان ويعلم الله كيف حضرت هاجر عرسيهما ، إنها لم تسمع الغناء بأذن واعية ، ولا أبهت للرقص ، ولا ذاقت من صفوف موائد الحلوى

لم تحقد هاجر على أختيها وإنما كان فى قلبها غضب على الأيام كالنار فى الحشا تتمنى لو أن الله خلقها جميلة فاتنة أو خلقها ذكراً

***

أصبحت هاجر وحدها فى البيت مع أمها وأبيها ، وقد جاوزت الثلاثين فكانت تعيش فى نضال دائم بين الأمل والقنوط ، وتتساءل بحرقة وحيرة عما تتوقع من الأيام وهى تمر وشيكة عجلى ، أيشفق الحظ عليها وإن تقدمت سنها ، أتعيء الأقدار لها حياة زوجية كأختيها ؟ ألا يوجد بين الرجال من يؤثر جمال الخلق والنفس على جمال الجسم والوجه ؟ فتزدحم فى مخيلتها صور من الأحلام والآمال تكبح جماح نقمتها وتبعث فى نفسها قليلاً من الاطمئنان ، ثم تقوم الى كتبها فتواسيها بحوثها وتسليها وتبحث فيها عن مآسى الحب والحياة ، ولبثت ردحاً من الزمن تساورها الأمانى برغم ما كان يبعدها من الواقع عن تحقيقها فتلمست فى هذه الظاهرة الجديدة لوناً من العزاء والجمام

لقد صبرت هاجر بضع سنين انقلب عزاؤها بمرور الأيام ثورة نفسية أليمة جعلتها غريبة الأطوار قليلة الكلام ، فأهملت العناية بألبستها وتسريح شعرها الذى عدا عليه الشيب كما أنها هجرت الاكتحال والصباغ وغارت عيناها وبرز جبينها المستدير وبدا فى وجهها الشاحب ما يبدو للمراهق الطرير

عاشت هاجر البائسة فى هذه الحقبة القصيرة يغمرها يأس عاصف وتصدمها الحقيقة الواقعة ، ثم عبثت يد السآمة برغبتها فى المطالعة فأعرضت عنها ونشدت السلوة فى المتنزهات القريبة

كانت أمها تشهد اضطرابها وتديم التأمل والتفكير فيها ، وتطالع فى عينيها أمارات القلق والنقمة فتحس فى نفسها عذاب الضمير لأنها كثيراً ما حالت دون خطبتها بشتى المعاذير ، فكانت ترد أخطابها دون علمها ؛ وكانت هاجر إبان ذلك فى ميعة العمر وريق الشباب ، فأدركت الأم أن أنانيتها الحمقاء هى التى كانت تسول لها الازدراء بفتاتها الكبرى كلما أسرعت بها الأعوام حتى آثرت أن تبقيها عزبة لخدمة شيخوختها ، ولولا أثرتها واهمالها لكانت هاجر مثل أختيها زوجاً سعيدة وأما حنوناً

وطغى على روح الأم شعور الندم ، وران عليها الغم والاكتئاب ، فأحبت أن تكفر عن خطيئتها بتوفير الخدمة والمداراة لهاجر ، وترغيبها فى ممارسة التعليم الخاص فى بيتها وزيارة صديقاتها

واستمرت السنون فى سيرها فمات أبوها ولم يترك لها ما يؤمن معيشتها ، وبقيت أمها عندها ، أما أختاها فشغلهما عنهما الزوج والأولاد ، وكان لكل منهما حماة غاشمة لئيمة ، لا ترتاح لزيارة الأم والأخت لها ، فأهملت المتزوجتان أمهما لئلا تعصف فى بيتهما عواصف السوء والأحقاد

وفى جو هذا العيش القاتم الخانق كانت هاجر تناقش نفسها فى مصيرها فرأت من الحكمة وفصل الخطاب أن تحترف التعليم فعينت فى المدرسة التى نشأت فيها وثقفتها

كان بين هاجر العانس ومديرة المدرسة دالة ومودة ، فكانت تستشف فى أحاديث هاجر حسرة ومرارة وتبرما بتكاليف الحياة ، فتنفس عنها — بعطفها ولطفها — بعض ما يحتدم فى نفسها من ضيق وانقباض

وعهد فى المدرسة إلى هاجر بتعليم العربية لبعض الصفوف الابتدائية ، فكانت شديدة العناية بتعويد التلميذات حسن الالقاء وتجويده ، وكلما آنست منهن تقدما ونجاحا أوصتهن بالمثابرة على لهجتهن التى أخذنها عنها ، إذ كان أملها القديم الذى غدا أوهن من بيت العنكبوت يعاودها الفينة بعد الفينة ، ويوقظ فيها ما رقد من رجاء فى الزواج ، فتقول للتلميذات : حافظن على لهجة الالقاء فربما لا أعود اليكن فى العام القابل

جالت المديرة مساء يوم أرجاء المدرسة وراقبت صفوفها ، فوقفت بباب صف سمعت فيه لغطا ولغوا ، فاقتحمته وهى تظن أن ليس ثمة معلمة فيه ، وشد ما شدهت حين رأت هاجر تحدق بنظرها فى الأفق البعيد دون أن تنتبه لوجودها

تقدمت اليها المديرة بلطف وابتسام ، وسألتها : فيم تفكرين يا هاجر ؟ فأجابت : إننى أتأمل هذه الطفلة الجالسة ههنا ، وأشارت اليها ثم أردفت قائلة :

انظري ياسيدتى مآسى الدهر ومهازله ؛ إننى أفكر فى أم هذه الطفلة ، فلقد كانت تلميذتى !!

(دمشق) وداد سكاكينى

مأساة من سوفوكليس

# ٤ ـ أنتيـــجونى

للأستاذ دريني خشبة

تتمـــة

— ١١ —

الخورس: « مولاى! إن تيرزياس لم ينطق عن هوى قط! لقد أشملت السنون رأسه بشيب التجارب، وإن هذه لنبوءة... إنها لنبوءة!!»

الملك وقد بدا عليه الفزع: « أنا أعرف ذلك! وا أسفاه! لشد ما أزعجتنى نبوءة تيرزياس! ولكن... ما ذا أصنع! ان التقهقر يؤلمنى!

— « ما تزال فسحة من الزمن للتبصر يا مولاى!»

— « ما ذا أصنع؟ أنصحوا لى! سأطيع! سأخضع! أنصحوا لى!

— « انطلق من فورك فاستنقذ الفتاة من قبرها، وابن قبرا للقتيل!»

— « أهـذه نصيحتكم؟ ... ها ... ها ها ... لا ... لن أستسلم! لن أستخزى!

— « البدار البدار! أسرع ما استطعت! إن السماء نفسها تتجهم... إنها تنذرك بلسان الكاهن

— « أواه! أنا مجبر! أنا مغلوب على أمرى! أنا ما أستطيع مغالبة القضاء!

— « هلم الساعة فاصنع كل شيء! بيديك أنت! لا تشرك يداً أخرى!

— « هلموا فى إثرى يا شيعى العزيز! هاتوا عدتكم! سأبنى القبر، وسأحل العقدة التى أحكمت رباطها! لشد ما يضطرب الجزع فى حنايا ضلوعى! لماذا حدث عن طريق قوى؟ يا للشجو!!

« يخرج الملك عجلا »

— ١٢ —

ويردد الخورس عظة الموقف، ثم يدخل رسول فيقول:

— « سلام على جيرة قدموس وأحباء أمفيون (١): قضى الأمر، فلا سعادة تنفع ولا شقاء يبقى! الجميع سواء! المُلْك! ما المُلك! ماهو إن كان موحشاً هكذا! حالك شديد وظلمة تدجى!

— « ماوراءك يارسول! أى ضِغْث نا من جديد بكلكله على هذا البيت؟

— « ماتوا!! وقتلهم ما يزالون أحياء!

— « من القاتل ومن القتيل، أفصح يارسول!

— « هايمون! قتل هايمون! انتحر المسكين!! قتله يأسه وأودى به قنوطه، وحزنه على الفتاة التى قتلها أبوه!

— «ويحك يا كاهن طيبة، ما قلت إلا حقا! وى! الملكة! إنها قادمة! مسكينة يا أم هايمون! لشد ما تحزنين اليوم

— ١٣ —

« تدخل الملكة يوريدس »

— « فيم تناجيكم أيها الأعزاء! أحقاً قتل هايمون نفسه؟ لقد سمعتكم تقولون مثل هـذا؟! نبئونى! لا تنزعجوا! ليست هذه أولى مصائبى، أحقاً مات ولدى!؟ تكلموا!!

— الرسول: « أيتها الملكة! سأقص عليك كل شيء، لقد شهدت المأساة بنفسى! كنا سواء فى الحزن وشركاء فى الأسى! لقد ذهبت فى إثر الملك الى بطحاء طيبة حيث جثمان پولينيسيز، وحيث عمل الملك بيديه فى حفر مقبرة لبقايا القتيل التى أبقت عليها عقبان الجو وذؤبان الفلاة... ثم انثنينا الى القبو المظلم الفظيع الذى أمر بأنتيجونى أن تموت فيه... وما كدنا نقترب حتى سمعنا نشيجاً مؤلماً وأنيناً مفزعاً... ثم اذا صرخة داوية تتردد فى حنايا القبو... وأمرنا الملك أن نتقدم حين أدرك أن الصوت صوت هايمون... تقدمنا أيتها الملكة! واحزناه! لقد بلغنا أقصى زاوية فى القبو! يالهول؟ أنتيجونى؟! مسكينة! لقد شنقت الفتاة نفسها بغلالة حريرية فى سقف القبو!! وركع هايمون على ركبتيه... بجانبها... وأخذ يعانقها... ويبكي... ويبنى حظه... ويبث شكواه! وكان يندب حبه بكلمات مُثنّة تقطع نياط القلوب!... وكلمه أبوه... ولكن حدجه بنظرات غائرة، ثم انتزع سيفه وجعل زُجه الى أرض القبو، وسِنّه فى صدره، واتكأ المسكين بكلكله عليه، فبرز الجراز يلمع من ظهره... وسقط قليلاً على الثرى، وظل ذراعه الضعيف الوانى ملتفاً حول خصر أنتيجونى.!! وتدفق الدم مختلطاً بتراب القبو... وذهبت روحه البريئة محوطة بأرواح الآلهة الى هيدز!!»

« تخرج الملكة كالمجنونة لا تلوى على شيء »

— ١٤ —

— « ما ذا تستنتج من هذا؟ لقد انطلقت الملكة دون أن

(١) هو ابن زيوس وملك طيبة ومن كبار الموسيقيين

تنبس ببنت شفة ؟ !

— عجيب حقاً !! ربما كربتها الخطب ، فهى ذاهبة تجمع له وصيفاتها ثم يبكى الجميع شباب هايمون :

— « ... أ ... الملك !... الملك قادم ... ماذا يحمل ؟ ... وى ؟ إن الحزن كاد يقصمه ! !

« يدخل كريون حاملا جثمان هايمون »

— « ويل لى من قتيل قاتل ! ويل لى مما جنيت على نفسى ! يا رحمتا لك يا ولدى ! ويح لك يا هايمون ! أنا قاتلك فاعف عنى ! اصفح عن والدك يا هايمون ! آه ! ... آه ... !

الخورس : « مسكين ! يندم الآن ولات حين مندم ! انبلج الحق لعينيه ... ولكن ... بعد أن لم يكن شىء !

الملك : « وا أسفاه عليك يا ولدى ! الساعة فقط ألمس أخطائى ! لكأنما كان القدر يعصب عينى ! ! »

« يدخل رسول ثان »

— « مولاى ! أنت هنا تبكى ولدك ... وفى القصر ... بكاء جديد يا مولاى ؟ !

— « بكاء جديد ماذا ؟ ماذا تخبأ لى الأقدار بعد هذا ؟

— « الملكة يا مولاى ... الملكة ...

— « الملكة ؟ ...

— « إى ... ماتت !

— « ماتت ! وا حربا لى آه يا برزخ الموت لم يجرف تيارك قطع نفسى ؟ وأنت يا رسول الشؤم ! لقد قتلتنى مرة أخرى ! ألا حدث أيها الرسول ! أهى مضرجة بدمائها مثل هذا ...

« ترفع ستار عن جثة الملكة فتبدو للعيان »

— « وا حسرتاه على ما قدمت ! بكاء جديد وشجو آخر ، أى خطوب أنكى تتربص بى أيضاً ؟ آه يا ولدى الحبيب ... ويح لك ... ولأمك ... أمك التاعسة ...! »

الرسول : « لقد كانت تصلى للآلهة أمام المذبح ، وكانت أيضاً تبكى ولديها ميجاريوس وهايمون قبل أن تطعن نفسها بخنجرها »

الملك : « ألا من يطعننى أنا الآخر بخنجر ذى شعبتين ، فلا يبقى ولا يذر ! ... واحزناه ! ...

الرسول : « لقد طعنت نفسها بعد أن انطلقت من هنا وبعد أن سمعت بانتحار هايمون !

الملك : « أنا القاتل يارفاق ! أعترف ! أنا القاتل ! لقد قتلتهم جميعاً ... اقبضوا على !

مرحبا بالموت ! مرحبا به من منقذ ! لن أعيش ليوم آخر ، لن تشرق على ياذكاء مرة أخرى

الخورس : «الزمن كفيل بكل شىء ! والقدر يبرم نهايته !»

الملك : « لقد صليت صلاتى وأودعتها كل أمانى ! »

الخورس : «وماذا تجدى الصلاة ؟ إنها لا تدفع حشرجة المحتضر !»

الملك : « هلموا بى ! هلموا بالرجل المتجبر الذى قتل ولده . وقضى على ... زوجه ! ... إن الدنيا بأجمعها تهاوى فوق رأسى حجراً حجراً ! يا للمقادير ! يا للشجوى !... »

الخورس : « العمل الصالح طريق السعادة الممهد ! وطاعة السماء فرض قدسى ! الكبرياء تحطم الكبرياء ! والخيلاء تورث الشقاء ... والسعيد من اتعظ »

دريني خشبة

# البريد الأدبي

## عطف المسلمين على منكوبي فلسطين

كان من أثر ما نشرته (الرسالة) من الوصف الناطق لمآسى فلسطين الدامية أن دفعت الأريحية العربية إخواننا فى (تلمسان) إلى أن يؤلفوا جمعية لاعانة منكوبى فلسطين ، فجمعت فى أول اجتماع ألفا وخمسين فرنكا فرنسيا ؛ أرسلت بها تحويلا إلى إدارة الرسالة على بنك الكريدى ليونيه فى باريس . وقال الفاضل السيد المختار الصبان أحد أعضاء هذه الجمعية فى كتابه الينا : « وقد اقتضى نظر اللاجنة المكلفة بجمع الاعانات فى (تلمسان) أن يُبعث هذا المبلغ باسمكم ، راجين من فضلكم أن تبلغوه أنتم من هناك إلى من هو قائم بقبض الاعانات وتلقيها بفلسطين . وهذا مبلغ أول اجتمع بيننا ، وسنوافيكم بعده إن شاء الله بكل ما يجتمع لدينا ، لأننا ما زلنا فاتحين باب الاعانة ودائبين فى العمل ... »

و (الرسالة) باسم فلسطين تشكر لأهل تلمسان أريحيتهم ، ويسرها أن تكون واسطة خير بين احسانهم وبين لجنة الاعانة

## مسألة الأجناس

وجهت مجلة « النوفيل لترير » البارزية إلى طائفة من أكابر الاخصائيين الفرنسيين فى علوم الأجناس البشرية ( البيولوجيا والانتروبولوجيا ) عدة أسئلة تثيرها اليوم مسألة الأجناس فى أوربا ؛ وأخصها ما يأتى : (١) ماهو مبلغ نظرية جوبينو عن مزايا نقاء الأجناس أو تمازجها من الصحة ؟ وهل يمكن أن تعتبر من الوجهة العلمية من عوامل التأثير فى الحياة العقلية والمادية للأمم ؟ (٢) هل يمكن أن يعتبر وجود الأجناس النقية المنعزلة فى عصرنا حقيقة بيولوجية ؟ أم هل تقتصر هذه الحقيقة على بعض الميول العقلية والمصطنعة التى تتأثر بها اليوم بعض الأمم ؟

وقد أجاب على أسئلة المجلة البارزية عدة من أكابر العلماء، منهم الأستاذ ريبو أستاذ البيولوجيا فى كلية العلوم البارزية ، والسيو رفيرمد بمتحف الأنتروبولوجيا ، والدكتور فرنو أستاذ الأنتروبولوجيا فى معهد باريس . وتتلخص أجوبة هؤلاء العلماء فيما يأتى :

(١) إن الأجناس أو السلالات النقية نادرة الوجود فى عصرنا حتى فى أعرق الأمم حضارة ، ولا يوجد أى نموذج منها فى أوربا . وهى من الوجهة النظرية يجب أن تكون وحدات بيولوجية . ولكن الواقع أن الجماعات التى تزعم أنها قد احتفظت بنقاء الجنس لا تقوم إلا على المصلحة المشتركة ، ولا تجمعها سوى ميول عقلية أو مصطنعة ، وهذه ليست سوى عواطف يستغلها القادة فى الجمهور الساذج

(٢) إن امتزاج الأجناس الرفيعة بالأجناس المنحطة لا ينتج دائماً من الآثار السيئة ما يقول بعض العلماء ؛ فقد ثبت من المشاهدات البيولوجية الحديثة أن هذا الامتزاج ينتج أحياناً نماذج جنسية بديعة . مثال ذلك امتزاج الأسبان والبرتغاليين بالهنود فى البرازيل ، فقد أنتج فى بعض الأقاليم جنساً خلاسياً هو أذكى وأنشط وحدات الشعب البرازيلى

وقد أنتج امتزاج المستعمرين الهولنديين فى جنوب افريقية بالهونتنوت شعباً ذكياً قوياً من الوجهة الحيوية

ويلاحظ الأطباء الفرنسيون أن امتزاج الفرنسيين بالهند الصينيين ينتج نسلاً بديعاً خصباً

وقد لاحظ رحالة انكليزى كبير أن امتزاج السود بالبيض فى الجزر الجنوبية فى المحيط الهندى ينتج نسلاً جميل التكوين وافر الذكاء ؛ وقد لاحظ بنوع خاص أن النساء الخلاسيات فى هذه الجزر يتمتعن بجمال فى الوجه والجسم يندر أن يوجد فى كثير من الأجناس الأوربية

والخلاصة أن آراء أولئك العلماء تكاد تتفق على نقطة جوهرية هى أن نظرية نقاء الأجناس لا تقوم من الوجهة العلمية على أسس صحيحة

رواية عن مصر الفرعونية

كان أول من اتخذ أساطير مصر الفرعونية وتاريخها موضوعا للقصة المصرية الكاتب والرحالة الألمانى الشهير جورج إيبرس، فقد أخرج لنا عن مصر الفرعونية عدة قصص امتازت بحسن السبك والخيال؛ ولم تكن المباحث الأثرية الفرعونية قد تقدمت فى عصر إيبرس، أعنى منذ نحو قرن تقدماً يذكر، وقد أثارت الاكتشافات الأثرية الأخيرة فى تراث مصر القديمة اهتماماً كبيراً، وألفى فيها جماعة من الكتاب من مختلف الأمم مادة حسنة للقصة المتعة. ومن هذه القصص التى ترجع بنا إلى الماضى الغابر، قصة صدرت أخيراً بقلم الكاتب الانكليزى جاك لندسى عنوانها «جولات وينامين» The Wanderings of Wenamen، وهى قصة تدور حوادثها على أواخر عصر طيبة حينما أشرفت مصر على هاوية الفوضى والحرب الأهلية، وبطلها موظف حكومى يدعى وينامين أوفده الكاهن الأكبر «آمين» إلى لبنان ليشترى خشباً من الصندل ليصنع منه قارب مقدس، ويصف المؤلف أحوال مصر المضطربة خلال الرحلة وما يلاقيه وينامين من الاحداث والمفاجآت الخطرة، ويصف بالأخص ظروف الحياة فى طيبة القديمة، ويقارنها بالحياة فى مصر الشمالية (الدلتا)، ويبدى مستر لندسى براعة خاصة فى تنسيق الحوادث التاريخية وسبكها فى قالب القصة المبتكرة دون أن يجنى على روحها أو صبغتها التاريخية، وهذه مقدرة تشهد له بالتوفيق فى فهم روح مصر الفرعونية كما يجب أن يفهمها قصصى يحاول أن يعرض الحقيقة فى ثوب الخيال. ويرى بعض النقدة أن مستر لندسى هو أول قصصى انكليزى استطاع منذ تشارلس كنجسلى مؤلف «هيباسيا» التى تدور حوادثها على العصر اليونانى فى مصر أن يقدم عن مصر القديمة رواية جديرة بالتقدير الأدبى

رحلة فى بلاد العرب

الآنسة فريا ستارك رحالة انكليزية تجولت كثيراً فى الجزء الجنوبى من بلاد العرب. وقد أصدرت أخيراً كتاباً عن بعض رحلاتها عنوانه «أبواب جزيرة العرب الجنوبية The Southern gatesa of Arabi»، وفيه تصف رحلتها فى حضرموت، التى اخترقتها وحيدة فى غمر من الصعاب والمشاق الهائلة. وقد كانت حضرموت منذ الأزمان الغابرة أعظم مركز لتجارة «البخور» والعطور الدينية التى لبثت مراكز انتاجها قروناً فى معزل عن العالم ولا سيما أوربا؛ وقد استطاعت الآنسة ستارك أن تنفذ الى هذه المراكز وأن تتجول فيها؛ وفى كتابها نحو مائة صورة التقطتها بنفسها تمثل كثيراً من المناظر المدهشة عن طبيعة هذه البلاد وسكانها

ذكرى مؤلف المارسييز

احتفل أخيراً فى أنحاء فرنسا بذكرى مؤلف النشيد القومى (المارسييز)، روجيه دى ليل لمناسبة مرور مائة عام على وفاته ونظم الاحتفال الرئيسى فى مدينة ستراسبورج مسقط رأس المحتفل بذكراه، وألقيت الخطب الرسمية تنويهاً بروعة النشيد القومى وعظمة واضعه. وكان روجيه دى ليل ضابطاً فى جيش الثورة، وكان شاعراً بفطرته، فوفق إلى وضع هذا النشيد الذى ما زال منذ نحو قرن ونصف قرن يثير ضرام الحماسة القومية فى فرنسا كلما هبت عليها الأزمات أو قرع نذير الحرب؛ وقد وضع روجيه دى ليل نشيده لجيش الرين الذى كان ينتمى إليه، ولكن جماعة من المتطوعة المرسيليين (أهل مرسيليا) نقلوا هذا النشيد وأذاعوه فى أنحاء فرنسا، فسمى نشيد المارسييز منذ أيام الثورة إلى يومنا، ومازال هذا النشيد القومى الفرنسى يعتبر من أروع الأناشيد القومية؛ وقد وصفه الكاتب الانكليزى الكبير توماس كارليل بأنه أسعد تركيب موسيقى، وأعظم غذاء للعزة والحماسة

وفاة كاتب ألمانى كبير

توفى فى باريس أخيراً كاتب سياسى ألمانى كبير هو جورج برنهارت محرر جريدة «باريز — تسيتونج» التى تصدر بالألمانية فى باريس. وكان برنهارت قبل قيام الحكومة الهتلرية عضواً فى مجلس الريخستاج (البرلمان)، وكان ديمقراطياً متطرفاً، فلما قامت حكومة النازى هرع إلى المنفى فيمن هرع من أكابر الكتاب والساسة اتقاء لبطش طغاة ألمانيا الجدد؛ ووقف قلمه على محاربة الدعوة النازية فى الخارج؛ وكان يكتب بالفرنسية فى بعض المجلات والصحف البارزية بمثل براعته فى اللغة الألمانية

ومعظم أقطاب الكتاب الألمان يعيشون اليوم فى المنفى وعلى رأسهم توماس مان، وأخوه هنريش مان، وأميل لودفيج، وليونارد فرنك، وغيرهم. ومنهم من غادر ألمانيا بسبب يهوديته مثل لودفيج؛ بيد أن معظمهم غادرها لأسباب سياسية، ولأن الحكومة الجديدة لاتسمح بذرة من الحرية للكتاب أو المفكرين

وهكذا يموت أكابر الكتاب الألمانى فى المنفى تباعاً لأنهم لا يستطيعون أن يتنفسوا فى وطنهم

# الكتب

## ســـعد زغلول
## سيرة وتحية
### تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد
### بقلم الأديب عبـد الرحمن صدقى

آية هذا الكتاب أن اجتمعت له خصال ثلاث تجعله فى عداد كتب السير المشهود لها لأعلام المترجين ، وتلك الخصال هى : التحقيق التاريخى ، والتحليل النفسانى ، والتأثير العاطفى

يقول العقاد فى كلمة التمهيد لترجمته : « إن الصديق والمؤرخ فى الكتابة عن رجل كسعد زغلول يستويان أو يتقاربان ، لأن الصديق لن يقول فيه ما ينكره المؤرخ ، والمؤرخ لن يقول فيه ما ينكره الصديق . ومن النقص فى جلاء الحقيقة أن يكتب المؤرخ ترجمة لعظيم ثم لا يكون على مودة لذلك العظيم . ولأن يكون الكاتب مؤرخا وصديقاً خيرٌ للتاريخ نفسه من أن يكون مؤرخا وكفى ، لأن الترجمة فهم حياة ، وفهم الحياة لا يتسق لك بغير عطف ومساجلة شعور »

ولما كان الاستقصاء فى طبيعة مؤلفنا الكبير ، فقد ابتدأ موضوعه من البداية ، فتناول « الطبيعـة المصرية » بالبحث الضافى ، وعرض لمحك النقد أقوال المؤرخين فيها من أقدم عصور التاريخ ، وأخذ باطل المبطلين منهم بالتفنيد المدعم بالأسباب والأسـانيد . ثم أبان فى فصل آخر عن وجه الحقيقة فيها بما لا بدع بعده زيادة لمستزيد

وانتقل إلى أصل المترجم له ، فلم يسكت عن تلميح البعض إلى نسبته إلى غير الأرومة المصرية ، ومن هؤلاء من يرد أعراقه إلى المغول والترك ، وآخرون إلى البدو أو عرب المغرب ، ولقد مرد المؤلف مثار الشبهات عند أولئك المتقولين ليعيد فيها النظر على ضوء علم الأجناس ، ثم باستقراء ما هو معروف من طريق القبائل العربية النازحة ، فانكشف لمرأى العين ضعفها وصرف عنها الأذهان مقررا أن عراقة سعد فى بيئة الفلاح المصرى لا تفوقها عراقة زعيم من أبناء الأمم الأخرى

ثم يجىء الكلام عن جيل سعد وطابعه المميز من طلب الاصلاح والدعوة له والغيرة عليه ، وبيان الدوافع لهذه الحركة الاصلاحية من الداخل والخارج ، وماكان لهذا الجيل من شأن فى نشأة سعد واتجاه همته ، وصفة أعماله فى مستقبل أيامه ، ومن هذا الوصيد الكريم ، يتطرق القارئ إلى حمى البيت القديم ، ويتعرف إلى جد زغلول وأبويه وقرابته وطبائع قومه وأسرته ، ومظاهر الحياة فى بلدته ، وإذا بك بعدها ترى سعدا فى مدارج طفولته ، وتتوسم مخايل نجابته ، وتتتبع خطواته من مكتب القرية ، إلى الجامع الدسوقى ، إلى حلقات معهد الأزهر الكبير

وفى هذه القاهرة المعزية ، اندمج الفتى سـعد فى حركة دعاة الاصلاح وأتى بسهمه مع سهامهم ، وكان يحضر الدرس على الشيخ محمد عبده ، ويختلف الى مجلس السيد جمال الدين الأفغانى ؛ وكان الأول أستاذاً له فى الدرس وقدوة فى الخلق ، وأما لقاؤه للثانى بطبيعته الثورية فكان مرآة مجلوة لنفسه الجائشة وحافزاً للملكاته البيانية والخطابية

ومن ذلك الحين يصح الجزم بأن سـعداً قد اتجه فعلاً الى وجهته ، واستقام على متن طريقه المقدورة له

ويتسع الأفق فاذا الثورة العرابيـة ومقاديرها ومعقباتها من نفى وتشريد وحبس . وتشاء العناية لسعد أن تقوم على خدمته ظروف وملابسات ، فيفرج عنه على كره من أولياء الأمر . ولا يلبث طويلاً حتى يشق طريقه من المحاماة الى منصة القضاء ، ثم

تحمله رغبة الحاكمين فى ارضاء القومية المصرية وتقتنذ الى دست الوزارة

هنا تزخر حياة هذا الرجل بالاحداث ، ويظهر أنه المدخور لنهضة وطنية عارمة تعم البلاد من أقصاها الى أقصاها، وتؤلبها فى قوة وإيمان على الغاصبين . ويمضى المؤلف فى تاريخه الضخم يصورها أروع تصوير ، ويدفع عنها المغالطة والنكير ، فى فصول حافلة طوال : فى طريق الوزارة ، سنة ١٩٠٦ ، وزارة المعارف ووزارة الحقانية ، سعد الوزير ، الحركة الدستورية ، الوزير المصرى فى المعاش ، فى ميدان الانتخاب ، الجمعية التشريعية فى خمسة أشهر ، قبيل الحرب ، الحرب العظمى ، تأليف الوفد المصرى ، بدء العمل ، القارعة ، الثورة ، من القاهرة الى مالطة الى باريس ، تأليف الوفد الأول ، موقف الوزارة الرشدية ، برنامج الوفد والامتيازات ، الوفد فى أوربا ، من سفر الوفد الى لجنة ملنر ، المفاوضة فى لندن ، فى مصر أثناء المفاوضة ، بعد عودة الأعضاء ، الوزارة العدلية ، العودة ، الخلاف على المفاوضة ، القطيعة بين سعد والوزارة ، فضل المفاوضات الرسمية ، النفى ، تصريح ٢٨ فبراير ، من المنفى الى الوزارة ، فى رآسة الوزارة ، الثلاث فؤاد وسعد ، من رآسة الوزارة الى رآسة النواب ، فى رياسة مجلس النواب

وهذه الفصول الطوال تنتظم التاريخ المعاصر كله لمصر الحديثة فى صور حية رائعة تتعاقب على أنظارنا وكأنما كاتبها لا يخط أحرفاً وإنما يرسم تهاويل مجسمة كالتى اشتهر برسمها على جدران المعابد شيخ الرسامين ميشيل انجيلو . على أنه يتخللها هنا وهناك مواقف شتى يقف فيها الفنان موقف المحلل الشارح ، كما يلبس أحياناً رداء المدره المنافح

ويختتم المؤلف كتابه كما استهله بفصول دقيقة عميقة لا تتاح لغيره عن زعامة سعد وأثرها ، وعن سعد وخصومه ، وعن شخصيته وأخلاقه ، وعن ثقافته . ويبلغ العقاد منتهى حنو العاطفة فى كلامه عن سعد فى بيته ، ومبلغ حدبه على أهله ، وكيف كانت السيدة الجليلة أم المصريين بنفسها المحبة وفطنتها الألمعية وقلبها الكبير ، شريكته بحق فى حياته ومجده . وكذلك يعرض عليك المؤلف الناحية اللينة إلى جانب الناحية الصلبة فى وصفه للقاء الأول واللقاء الأخير . وأما كلمته عن فاجعة الوفاة فانها فى عبارتها الصادقة المؤثرة يطالعها القارئ فيغلبه التأثر مهما يكن جلده ، فاذا هو لا يملك وجده ، وإذا الدمع يخنقه والزفرة تكظ صدره ثم لا تبرح ذهنه هذه الصورة آخر العمر :

« ثم ضعف النبض دفعة واحدة ، بعد انتظامه فى جميع الأدوار الماضية ، فغلب اليأس على الرجاء . وعاده الأطباء للمرة الأخيرة فى التاسعة والدقيقة الخامسة والأربعين ، ونزلوا إلى المكتب لكتابة تقريرهم الأخير . وإنهم لكذلك ، إذ دعى فتح الله بركات باشا إلى غرفة خاله وهو يجود بنفسه فى غيبوبة لم تنقطع منذ الصباح . فاشرأبت الأعناق وأمسك الناس أنفاسهم يترقبون . وما هى إلا دقائق معدودات حتى عاد فتح الله باشا إلى المكتب يمشى كالشيخ الهائم شاحب الوجه مذهول العينين . ولم يجرؤ أحدٌ على سؤاله مخافة أن يكون الجواب المحذور . ولكنهم علّقوا أنظارهم جميعاً بعينيه ولبثوا شاخصين ينتظرون . دقيقة واحدة أو دقيقتين ، ولكنهما كانتا من أزمان الأبد فى روع الشاخصين المنتظرين . وفى تلك اللحظة ارتفع صوت ناحب عند الشرفة المطلة على المكتب ، فضرب فتح الله باشا يديه على ركبتيه ، وجلس وهو فى جمود الأموات ...... ومضت ثوانٍ أخرى . مضت والناس فى سكون عميق مرهوب ، وكان كل ما فى بيت الأمة ، وكل ما حوله على أعمق ما يكون السكون ، لا صدى فى المنزل ولا فى الطريق طوال اليومين الماضيين ، حذراً من ازعاج المريض العظيم المأمول الشفاء . فلما ارتفع الصوت الناحب وجم الحاضرون ثوانى قلائل ، كأنما كانوا يستطيلون الأمل الدبر ، أو كأنما كانوا بين تصديق وتكذيب . ثم انفجروا صيحة واحدة بالنشيج والعجيج ، فلم يكن أرهب من ذلك السكون إلا هذا الضجيج الذى اتصل صداه فى لحظات معدودات بكل مكان فى القاهرة ، وكل مكان فى أرجاء البلاد .. »

ولو أرخينا العنان لأعجابنا لأوردنا الكتاب كله شاهداً على فضل كاتبه فى كل ما سطره فيه ، وتبرزه فى نواحيه المتعددة ، وبلوغه الغاية من الفن والوفاء والصدق

ولكننا نقتضب ، فنقول إن جملة القول فى كتاب سعد زغلول للعقاد إنه أعظم نَصَبٍ أقيم للبطل العظيم الراحل

عبد الرحمن صدقى

4 me Année, No. 163

بدل الاشتراك عن سنة

مصـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 17 - 8 - 1936

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٦٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ — ١٧ أغسطس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد



# الأخلاق المحارِبة

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وحدثنى صاحب سرّ (م) باشا بهذا الحديث قال: كنا فى ثورة سنة ١٩١٩ سنةِ الهزَاهِز والفتَن، وقد تفاقمَت الثورة وأخذ الشبابُ يعمل ويفكر فيما يستطيع أن يعمل وما يجب أن يعمل؛ وكان السُّخْطُ العامُّ هو ميراث الوقت، فكانت قلوبُ الشعب تُلهَمُ واجباتِها إلهاماً إذ لم يكن فى هـذه القلوب كلها إلا لَذْعةُ الدم تعين اتجاهَ أعمالها وتحدده

كانت الثورة زلزلةً وقعت فى التاريخ فجاءت تحت زمن راكد لا يتغير إلا بأن يُنسَف، ولا ينسفه إلا مادة إلـهية كالحركة الـكونية التى تخرجُ اليومَ الجديد من اليوم القديم؛ فكان القَدَر يعمل بأيدى الانجليز عملاً مصرياً ويعمل بأيدى المصريين عملاً آخر. وتعلم الشعبُ من دفن شهدائه كيف يَستنبتُ الدمَ فيُنبت الحرية، وكيف يزرع الدمع فيُخرج منه العزم، وكيف يستثمر الحزن فيثمر له المجد

وكان رصاص الانجليز يصيب هدَفين معاً، فيصرع شهداءنا، ويقتل الموتَ السياسى الذى احتلَّ معهم هذه البلاد. وقد أنعموا على الشعب بالصدمة الأولى فنشبت المعركة التى تقاتل فيها الأخلاقُ القومية لتنتصر؛ وشعرت مصر فى جهادها بأنها مصر

فالتمس روحُها التاريخىُّ رمزَه العظيم فى الأمة ليظهر فيه عاتياً جباراً ؛ فكان هذا الرمز الجليل العظيم هو سعد زغلول

* * *

قال صاحب السر : وكان الطلبةُ قد غدوا من أول النهار يتظاهرون ، وقد جملتهم الثورةُ كالأرواح تخلَّصت من الموت بالموت فلا تخشاه ولا تبالى به ، واستقلّت عن العقل بتحولها إلى شعور محض ، وخرجت عن القوانين كلها إلا القانون الخفىّ الذى لا يُعلَم ما هو

كانوا فى معانى قلوبهم لا فى غيرها ، فلستَ تراهم إلا اعظاء فى عظمة المبدأ الذى ينتصرون له ، أقوياء فى قوة الايمان الذى يعملون به ، أجلاء فى جلال الوطن الذى يحيون ويموتون فى سبيله . وكانوا فى الشعب هم خيال الأمة العامل المدرك ، وشعورها الحى المتوثب ، وقواها البارزة من أعماقها ، وأملها الزاحف ليقهر الصُّعوبة . يُفَادُون بأنفسهم الغالية ، ويؤثرون عليها . وليس فى أحدٍ منهم ذاته ولا أغراض شخصه . فما أجلّ وما أعظم ! وما أروعَ وما أسمى ! أيتها الحياة ! هل فيك أشرفُ من هذه الحقيقة إلا حقيقة النبوَّة ؟

* * *

قال : وكان أخى هو زعيم هؤلاء الطلبة فى مدينتنا ؛ قوىٌّ على الزَّعامة وفىٌّ بها ، يحمل قلباً كالجمرة الملتهبة وله صوت بعيد يحسب الرعد يُقَعْقِع به . إذا مشى فى جهاده كان كل ما على الأرض تراباً تحت قدميه فلايمشى إلا محتقراً هذه الدنيا وما فيها ، غير مقدّس منها إلا دينَه ووطنَه . وسلاحُه أن كل شىء فيه هو سلاح على الظلم وضد الظلم

وكان فى ذلك اليوم يقود « المظاهرة » وحوله جماعة من خالصته وصفوة إخوانه يمشون فى الطليعة تحت جو متَّقد كأن فيه غضبَ الشباب ، عنيفٍ كأنما امتزج به السخطُ الذى يفورون به ، رهيب كأنه مُتهيئ لينفجر فلما بلغوا موضعاً من الطريق ينعطفون عنده انصبَّ عليهم الدفع الرشاش . . . .

قال : فانى لجالس بعد ذلك فى الديوان إذ دخل على أخى هذا ينتفض غضباً كأن المعانى تنبعث من جسده لتقاتل ، ورأيت له عينين ينظر الناظر فيهما إلى النار التى فى قلبه ، فخشيت أن يكون القومُ أطلقوا عليهم الجنون والرصاص معاً

واستنبأته خبر أصحابه فقال : إن الذين كانوا حوله وقعوا يتشحَّطون فى دمائهم فوقف هو شاخصاً إليهم كأنه ميت معهم وقد أحسَّ كأنما خلع عن جسمه نواميس الطبيعة فلا يعرف ما هى الحياة ولا ما هو الموت . وكان الرصاص يتطاير من حوله كان أرواح الشهداء تتلقاه وتبعثره كيلا يناله بسوء . قال : وما أنس لا أنس ما رأيتُه فى تلك الساعة بين الدنيا والآخرة ؛ فلقد رأيت بعينى رأسى الدم المصرىَّ يسلِّم على الدم المصرى ويسعى إليه فيعانقه عناق الأحباب

ثم قال : أين هـذا الباشا وما باله لم يصنع شيئاً فى الاحتياط لهذه الفَوْرة ؟ يكاد الخزىُ والله يكون فى هـذه الوظائف على مقدار الرتب . . . . (١)

* * *

قال صاحب السرّ : ولم يتم كلمته حتى خرج علينا الباشا متكسر الوجه من الحزن وقد تغرغرت عيناه فأخذ بيد أخى إلى غرفته وتبعتهما ثم قال : هَوْناً ما يا بنى ، إن العلة فيكم أنتم يا شباب الأمة ، فكل ما ابتلينا أو نبتلى به هو مما يستدعيه خمولكم وتستوجبه أخلاقكم المتخاذلة . إننا من غيركم كالمدافع الفارغة من ذخيرتها لا تصلح إلا شكلا ، وبهذه العلة كان عندنا شكل الحكومة لا الحكومة

أتدرى يا فتى ما هى الحكومة الصحيحة فى مثل حالتنا ؟ هى أن تحكموا أنتم فى الشعب حكومة أخلاقية نافذة القانون فتضبطوا أخلاق النساء والرجال وتردُّوها كلها أخلاقاً محاربةً لا تعرف الا الجد والكرامة وصرامة الحق ، وإلا فكما تكونون يُوَلَّى عليكم . . . .

هذا وحده هو الذى يعيد الأجانب الى رشدهم والى الحقيقة ، فما أراهم يعاملوننا إلا كأننا ثياب معلقة ليس فيها لابسوها . . .

كيف يتصعلك المصرى للأجنبى لو أن فى المصرى حقيقة القوة النفسية ؟ أترى بارجة حربية تتصعلك لزورق صيد جاء يرتزق ؟

إن فى بلادنا المسكينة الأجانب ، وأموال الأجانب ، وغطرسة الأجانب ، لا لأن فيها الاحتلال ، كلا ، بل لأن فيها ضعف أهلها وغفلة أهلها وكرم أهلها . . . . بعض هذا يا بنى شبيه ببعض ، وإلا فما هو كرم الشاة الضعيفة إلا لذة لحمها . . ؟

نريد لهذا الشعب طبيعة جدية صارمة ينظر من خلالها الى الحياة فيستشعر ذاته التاريخية المجيدة فيعمل فى الحياة بقوانينها . وهذا شعور لا تحدثه إلا طبيعة الأخلاق الاجتماعية القوية التى لا تتساهل من ضعف ، ولا تتسمح من كذب ، ولا ترخص من

(١) لا ينس القارئ أن هذا كان فى سنة ١٩١٩

# من ذكريات الحداثة

## للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كان ذلك فى « العيد الكبير » — كما كنا نسمى « عيد الأضحى » — وكنا يومئذ تلاميذ فى مدرسة ثانوية ، ومسا كنتنا بعضها قريب من بعض ، فنحن لهذا أصدقاء وإخوان . فاقترح أحدنا فى صباح يوم أغبر أن نذهب فى ليلتنا تلك إلى «دار التمثيل العربى » — أو تياترو الشيخ سلامه حجازى كما كنا ندعوه — لنشهد رواية « روميو وجوليت » فاعترضت على ذلك وقلت : إنه يكلفنا نفقة لا قِبَلَ لنا بها ، فقد كان الواحد منا يأخذ فى اليوم من أبيه أو ولى أمره قرشاً فى اليوم ، وكنا كثيراً ما نعجز عن إنفاق القرش كله لأنا لم نكن نجلس على « القهاوى » ولا كنا ندخن أو نشرب خمراً ، ولم تكن السينما قد ظهرت فى تلك الأيام ، فكان يتفق أن يبقى مع كل منا فى آخر الأسبوع بضعة قروش — اثنان أو ثلاثة ، أو أربعة فى بعض الأحيان — فنفرح ، ونركب النيل بزورق ، بضع ساعات . ولكن هذه القروش القليلة لا تكفى للذهاب إلى مسرح الشيخ سلامة ، فما العمل ؟؟ وأصر الاخوان على ذلك وقال قائلهم : أمامنا النهار كله ، فلنحتل وليدبر كل منا أمره . فخجلت أن أقول إنى عاجز عن الاحتيال والتدبير ، ومضيت عنهم ببال كاسف وقلب حزين

ورأتنى أمى وكانت هى أبى وأمى — فقالت « مالك ؟ » ولم أكن أستطيع أن أكذبها أو أكتمها شيئاً إذا سألتنى ، فقلت : « إن زملائى قد اتفقوا على الذهاب فى هذه الليلة إلى تياترو الشيخ سلامة ، وليس معى ما يكفى لذلك ، فأنا لهذا مهموم مكروب »

قالت : « كم معك ؟ »

قلت : « ثلاثة قروش ومليمان »

قالت : « وكم تريد ؟ »

قلت : « ريال »

قالت : « أما ريال فلا ... اذهب إليهم وأنبئهم أنك لست معهم »

قلت : « ولكنى أريد أن أذهب »

قالت : « لا شك ... ولو كان معى فضل مال لأعطيتك منه ، ولكن كل ما عندى — على قلته — لازم لمطالب البيت إلى آخر الشهر ، ولن يستطيع أحد منا صبراً على الجوع ، فاذهب وافعل ما أشرت عليك به »

فتركتها وقد زاد كربى وثقل همى ، وفتحت الباب ووقفت على رأس السلم أفكر فيما أقول لأصحابى ، وأنا مطرق ويدى على الدرابزين ، وكانت عندنا فتاة صغيرة فى مثل سنى ، تخدمنا ، فخرجت ورأتنى ثم قالت لى :

« ما لك يا سيدى ؟ »

قلت : « لا شىء ! » . وأشرت لها بيدى أن تدخل

قالت : « ولكنك مطرق .... »

قلت : « ولم لا أطرق إذا شئت ؟ ؟ هل هذا ممنوع ؟ »

قالت : « لا ... ولكنك مكتئب ! »

قلت : « ربما .... »

قالت : « يعز علىَّ أن أراك هكذا .... »

قلت : « أشكرك »

قالت : « ألا تخبرنى ماذا بك ؟ »

قلت : « لا شىء ! »

وماذا بالله أقول لهـا ؟ ؟ أنها خادمة ، فكيف أطلعها على

---

غفلة . والحقيقة فى الحياة كالحقيقة فى المنطق إذا لم يصدق البرهان على كل حالاتها ، لم يصدق على حالة من حالاتها . فاذا كنا ضعفاء كرماء ، أعزاء ، سادة على التاريخ القديم ، فنحن ضعفاء فقط...

إن الكبراء فى الشرق كله لا يصلحون إلا للرأى ، فلا تسوموهم غيرَ هذا ، فهم قد تلقوا الدرس من أغلاطهم الكثيرة ، وبهذا لن تفلح حكومة سياسية فى الشرق الناهض ما لم يكن شبابها حكومة أخلاقية يُعدُّها من نفسه ومن الشعب فى كل حادثة بالأخلاق المحاربة

يا بنى إن القوى لو اتفق مع الضعيف على كلمة واحدة لا تتغير لكان معناها للأقوى أكثر مما هو للأضعف . فان هذا القوى الذى يعمل مع الضعيف يكون فيه دائماً شخص آخر مختف هو القوى الذى يعمل مع نفسه

هكذا هى السياسة ؛ أما فى الانسانية فلا ، إذ يكون الحق دائماً بين الاثنين أقوى من الاثنين

(سيدى بشر . اسكندرية) مصطفى صادق الرافعى

مرى ؟ ؟ وصحيح أنها رُبّيت فى بيتنا — معى — وانا جميعاً ننظر اليها كأنها واحدة منا ، ولكنى لم أعتد أن أرفع الكلفة بينى وبينها على الرغم من ذلك . فلم يسعنى إلا أن أنحدر وأتركها.

ولكنى لم أقل لاخوانى شيئاً ، واكتفيت بأن أجلس على كرسى أمام الباب وأنا أقول لنفسى : « من الآن إلى العشاء يفرجها ربك ... ولست أعرف لى الآن عذراً غير الأفلاس أعتذر به لاخوانى ، ولكن الله قد يفتح علىّ ويلهمنى العذر المقبول »

ولم أفكر قط فى وسيلة لتدبير الريال المطلوب ، فقد كنت من ذلك على يأس كبير ؛ واقتنعت بما قالت لى أمى ، فصار همى أن أهتدى إلى عذر يقتنع به الاخوان ، ولا أخجل أنا منه . وإنى لكذلك وإذا بالفتاة الخادمة تدنو منى وتهمس فى أذنى أن تعال ، فأسألها فتقول : « كلّم » وتسبقنى إلى الفناء فالسلم ، وأصعد درجات فتستوقفنى فألتفت اليها فتمد يدها بريال تضعه فى كفى فأعجب وأنظر اليه واليها وأسألها :

« ما هذا ؟ »

فتقول : « ألست تريد ريالاً ؟ هذا هو »

فأقول — وقد زاد عجبى — : « ولكن من أين لك هـذا الريال ؟ »

فتقول : « إنه من مرتبى »

فأسألها : « هل طلبته من أمى ؟ »

فتقول : « نعم »

فأعود أسألها : « وماذا قلت لها ؟ ؟ لأى شىء طلبته منها ؟ »

فتقول : « طلبته والسلام »

فأقول : « كلا . . . إن أمك هى التى تقبض مرتبك كل بضعة شهور ، ولم يحدث قط أن أخذت أنت شيئاً منه ، فكيف رضيت أمى أن تعطيك الريال هـذه المرة ؟ قولى الحق . . كيف أخذته ؟ »

فأغضت وقد اتقد وجهها — وكانت بيضاء حسناء — وقالت : « سرقته لك ! »

فصحت وقد فزعت : « إيه ؟ »

قالت : « لا تصح هكذا ! ! أتريد أن يقتلونى ؟ »

قلت : « ولكن السرقة ؟ ؟ كيف تجرئين ؟ »

قالت : « وهل هذه سرقة ؟ إنه من مرتبى وسأخبر ستى بعد أن تذهب أنت إلى التياترو »

قلت : « ولكن من أين عرفت أنى أريد ريالا ؟ »

قالت : « سمعت ستى وستى تتكلمان » — تريد والدتى وجدتى —

قلت : « ثم غافلتهما وسرقت ؟ أليس كذلك ؟ »

قالت وهى مطرقة : « نعم »

قلت : « ولماذا ارتكبت هذا الأثم ؟ »

قالت : « لم أستطع أن أراك هكذا »

قلت : « شكرا لك ... ولكن هذا الريال يجب أن يرد إلى مكانه ... حالا ... فمن أين أخذته ؟ »

فوصفت لى المكان الذى كان فيه . فقلت لها : « يجب أن تعلمى أنى لا أريد أن أذهب إلى التياترو ، ولو كانت لى رغبة لألححت على أمى ، ولأعطتنى ما أريد . ثم يجب أن تقسمى ألاّ تعودى إلى مثل هذا العمل فانه إثم كبير ، وإلا أخبرت ستك ، وأنت أدرى بما يكون إذا علمت »

وصعدت قبلى ، وعدت أنا والريال معى إلى كرسىّ على الباب أمام البيت ، فمر أحد أخوانى فناديته وقلت له : إنى آسف ، وإنى لن أكون معهم الليلة ، وليس هـذا لقلة المال ( وأخرجت الريال من جيبى وبسطت به كفى له ليراه ، ولكن سبباً آخر يحول دون الذهاب

ولما تركنى صعدت إلى غرفة والدتى ، وكانت مشغولة باعداد الطعام فى المطبخ ففتحت خزانة الثياب وهممت بأن أدس الريال حيث كان وإذا بوالدتى إلى جانبى تسألنى :

« ما هذا الذى بيدك ؟ »

فمددت يدى إليها بالريال وقلت وأنا مضطرب والعرق يتصبب :

« ريال ، كما ترين »

قالت : « ريال ؟ أخذته ؟ »

فلم أدر ماذا أقول ؟ ! أأقول الحق فيحل غضبها بالفتاة المسكينة التى دفعها العطف الى السرقة ؟ ؟ أم أتهم نفسى وأنا برىء ؟ ! ولم يكن أحـد الأمرين أخف على نفسى من الآخر ، ففكرت بسرعة ، فم أجد أن فى مقدورى أن أشى بالفتاة وأعرضها لنقمة أمى ، وأجعل جزاءها هذا السوء على ما أرادت من الاحسان الى وإن كانت قد أخطأت السبيل

فقلت : « نعم ... أخذته من هنا ... ثم راجعت نفسى ، فندمت وقد كنت أريد أن أعيده الى مكانه ... فهل تصدقيننى »

من (الكتاب الذهبي) قبل أن يطبع

# لغة الأحكام والمرافعات

للأستاذ زكي عريبي

— ٢ —

خلق الألفاظ والتعبيرات العلمية

وثمة صعوبة أخرى يلقاها المترافع المصري : تلك هي صعوبة العثور على اللفظ اللازم أو التعبير اللازم في المحل اللازم

قدمنا أن كثيرا من المشتغلين بالقانون في مصر — بل قل غالبيتهم المطلقة — درسوا القانون بلغة أجنبية استجمعت شروط الصلاحية للتعبير عن كل فكرة أنتجها الفقه الحديث . وجميع هؤلاء ، محامين كانوا أو وكلاء نيابة أو قضاة ، مطلوب منهم أن يصوغوا ما تعلموه بالفرنسية أو الانكليزية كلاماً عربياً فصيحاً

دعك من صعوبة التفكير بلغة والكتابة بأخرى ، فقد يتغلب عليها من ملك زمام اللغتين كقاضي قضاتنا ، يعرض للقاعدة المعروفة أن العقوبة شخصية لا يمكن أن تعدو الجاني إلى غيره فيؤديها بهذا الاقتباس البديع « القاعدة العامة ألا تزر وازرة وزر أخرى » . دعك من هذا فقد يثبت المثل المتقدم أن الأمر مما لا يصعب تذليله ، وتعال إلى ضرورة إيجاد الألفاظ والتراكيب اللازمة لتأدية معان مشهورة مستقرة في فرنسا وغيرها من بلاد الفقه الحديث

هنا الصعوبة الكبرى يلقاها المشتغلون بالكتابة القانونية كل يوم . ولا سبيل لقهرها سوى التعريب والاشتقاق

والأول سهل ميسور على شرط الرضاء بأن تكون لغتنا القضائية شبيهة بالمالطية . ومن ذا الذي يرضى لنفسه الآن أن يقول كما كانوا يقولون في أحكام عثرنا عليها في مجموعة « القضاء » سنة ١٨٨٧ « ابللو » و « محاكم الريفورمه » ؟

لم يتعين إذن سوى طريق الاشتقاق وهو أصعب ما يكون . لا لأن الأمر يتطلب تعمقاً في اللغة وحسن ذوق في الاختيار فحسب ، بل لأن اللفظ المشتق كثيراً ما يلتوي معناه على غير ناحيته . هو في حاجة بفرض التوفيق من هذه الناحية إلى مبايعة رجال القانون له واعترافهم به سيداً غير منازع لمعنى خاص »

خذ مثلاً كلمتي responsabilité delictuelle فقد حار صديقنا القاضي مصطفى مرعي وهو الفصيح المفوه في ترجمتها ولم يوفق بعد طول الجهاد لغير « المسئولية التقصيرية » ، وقد يقول سواه « المسئولية الخطئية » . وكلا التعبيرين قاصر في نظري عن تأدية كل المعنى المنطوي في العبارة الفرنسية

وإن أنس لا أنس ما لاقيته وأنا أحاول تأدية معنى action liée في مذكرة قدمتها لمحكمة النقض عن الشروط الواجب توفرها في جريمة شهادة الزور . بماذا أعبر عن هذا الركن من أركان الجريمة ؟ إن قلت : « دعوى مربوطة » وهي الترجمة الحرفية للفظ الفرنسي كانت ترجمة سقيمة باردة . وإن قلت : « دعوى معلقة » انصرفت الصيغة إلى معنى آخر . وأخيراً استخرت الله فقلت : « دعوى قائمة » وأنا لا أدري أأديت أم لم أؤد ؟

على أن هذا الذي حار فيه عجزي قد استقام لمحكمة النقض برياسة إمام اللغة القضائية المصرية عبد العزيز باشا فهمي ، فقد صدر حكمها مقررا أن لا شهادة زور حتى تؤدى في دعوى « مرددة » بين خصمين ، وهو تعبير بارع دقيق ، لم يكن في

---

قالت : « نعم : ضعه حيث كان »

وتركتني

***

وفي تلك الليلة ، قبل أن أنام ، خلت بي أمي وقالت : « أصدقني ... أنت لم تأخذ الريال ... هه ؟ »

قلت : « عديني أن تصفحي وتغفري وتطوى الأمر فلا تذكريه »

قالت : « لك ذلك »

فقصصت عليها الحكاية ، فقالت : « الحمد لله ! حسبي أن يقيني فيك قد صدق ... »

قلت : « والفتاة ؟ »

قالت : « لا تخف أن أخلف وعدي لك . . . ولولا أني أعرفك واطمئن إليك لما أبقيتها في بيتي ساعة واحدة ، وإن كنت لا أطمع أن أظفر بخادمة مثلها في وفائها وحسن قيامها بعملها ... على كل حال غفرت لها من أجلك ... قم الى نومك »

ابراهيم عبد القادر المازني

ميسور غير الضليع المتفقه فى اللغة العثور عليه

***

ولنقف عنـد هذا الحد من الكلام على مشاق الناطقين بالضاد فى عصر اللاسلكى والكهرباء ، فقد ساقتنا المناسبة إلى أبعد مما نريد ؛ ولنقصد رأسا إلى لغة المرافعات ، كيف كانت ، وكيف يجب أن تكون ، ثم نعقب على ذلك ببحث موجز فى لغة الأحكام

## لغـــة المرافعات

### ضرورة البلاغة فى اظهار الحق

اتفق الناس من قديم على أن البلاغة صفة لازمة لمن جعل الدفاع عن حقوق الناس مهنته ، تواضعوا على وجوب أن يكون المحامى فصيح اللســان ، بالغ الأثر بكلامه ، متلاعباً بالعقول والقلوب ؛ وما يزال الاجماع على لزوم توفر هذه الصفات واقعا ولـكن لمـاذا ؟

أليس الحق هو بغية المترافعين عن الحق ؟ أو ليس الحق حقا بذاته ؟ أيوجد أوضح وأظهر منه ؟ فيم حاجة المترافع عن الحق إذن إلى الصنعة وإلى التفنن فى أساليب الخطاب ؟

أحد أمرين : إما أن المترافع يرمى إلى قلب الحقائق فلا بد له من زخرف القول يموه به ويغرر . وإما أن الحق المجرد بغيته ومطلبه ، والحق المجرد ميسور بمجرد الطلب

خطأ بالغ !

سل طلاب الحق فى كل زمان ومكان ينبئوك بأن الـكلام عن نوره الساطع وشمسه المتألقة وسلطانه القاهر خيال فى خيال . حدثهم عن كنهه يخبروك بأنه جوهر نادر ثمين مستقر فى أعمق الأعماق ، خفى على الباحث ، عصى على المستخرج ؛ وأن وجوده إذا هو اكتشف وجود نسبى يقتصر فى الغالب على المـكتشف ، فاذا ما أراد هذا أن يثبت اكتشافه للغير وجب أن يعد نفسه لحرب عوان ليس له من سلاح فيها غير بيان حسن ، ومنطق واضح ، وبلاغة غالبة

يحكى عن أومرسون أحد جهابذة الفقهاء فى عصره ، وقاضى القضاة فى عهد لويس الخامس عشر ، أنه قال : « والله لو اتهمت بسرقة برجى كنيسة نوتردام وجرى الغوغاء فى أثرى صائحين : ( اللص ، اللص ) لبدأت دفاعى عن نفسى باطلاق ساقى للريح »

مبالغة ولا شك ، ولـكنها مبالغة أراد بها من عرك المحاكم دهرا أن ليس فى عالم القضايا شىء يزاحم البديهة ويقر له بالصحة حتما . وإنه يكفى أن توجد تهمة لـكى يوجد بجانبها خطر الحكم على المتهم ظلما ، أو تبرئة الجانى خطأ

على أنه من ذا الذى يستطيع التحدث عن الحقيقة المجردة المطلقة ؟ أين الحق الذى لا يمازجه باطل ؟ وأين الباطل الذى لا يمازجه حق ؟ النسبية قانون متمش فى كل شىء فى الوجود ؛ وليس أسهل من تبين حكمه فى عالم الحقوق ؛ ورحم الله الامام الأعظم أبا حنيفة ، فقد قال لتلاميذه يوما : « أراكم تسرفون فى الأخذ عنى ، فوالله إنى لأرى اليوم رأيا أعدل عنه غدا إلى عكسه » . وسأله سائل مرة : « هذا الذى تفتى به أهو الحق الذى لا شك فيه ؟ » . قال : « والله لا أدرى ، فقد يكون الباطل الذى لا شك فيه »

فى كل دعوى إذن مزاج من الحق هو أشبه شىء بالذهب تخالطه عناصر كثيرة متنوعة على المترافع أن يطهره منها فيخرج بالمعدن النفيس متألقاً وهاجاً . وأنىَّ له ذلك إلا أن يؤدى رسالته على الوجه الأكمل ، فيجلو ما غمض ، ويبسط ما تعقـد ، ويسهل ما استعصى ، والأمر بعد ذلك ورغم ذلك لا للقضاء وحده ، بل للقضاء والقدر

ورب حجة سائغة قاطعة يمحوها كلام سقيم فتضيع قوتها ، وتخمد جذوتها ، فاذا ناصرها البيان ، وقدمها فصيح اللسان انقلبت سحرا حلالا

### تعريف البلاغة

البلاغة إذن ألزم اللزوميات للمترافع ، ولـكن ما البلاغة ؟ وبعبارة أخرى — حتى لا تظن أننا قد شردنا عن الموضوع الذى نعالجه — كيف يجب أن تـكون لغة المترافع

### احترام قواعد اللغة

من العبث أن ينبه منبه على ضرورة احترام قواعد اللسان الذى يستعمله المترافع أداة للاقناع . إنه يخاطب فى الغالب هيئات نالت حظاً يذكر من الثقافة العامة ، وإنه ليحترم هذه الثقافة إذا

هو نزه سمعهم عن لغة السوقة والغوغاء فكلمهم بلسان سليم يحترم فيه قواعد النحو والصرف

## محل اللغة العامية فى المرافعات

ولكن أمعنى هذا أنه يجب نبذ اللغة العامية وإقصاؤها عن المرافعات حتى ولو طهرت من سفساف القول وخلت من كل ما يؤذى السمع ؟

الحال يختلف فى مصر عنها فى غالب البلاد الأوربية ، فهناك تتكلم الطبقة الراقيـة (ومنها المترافعون عادة) بعين اللغة التى يكتبون بهـا ويقرأون . صحيح أن المتكلم لا يعنى باختيار اللفظ وصقل الكلام عنايته بهذين الأمرين إذا كتب ؛ وصحيح أن لغة الارتجال ما تزال تختلف اليوم عن لغـة التحرير ، فالأولى تسمع والثانيـة تقرأ ، ولـكن مجرى اللسان فى الحالتين واحد فلا يميز بينهما إلا الضليع فى اللغة

وليس الأمر كذلك فى مصر ، فنحن — وأعنى طبقة المتعلمين — نستعمل الى اليوم فى بيوتنا وفى حديثنا مع أصدقائنا بل وفى تفكيرنا إذا خلونا الى أنفسنا لغة نعدل بها عدولاً ظاهراً إذا وقفنا للدفاع أو جلسنا للكتابة

فهل يجب أن نمضى فى هـذه السبيل الى نهايتها ؟ وهل يجب اقصاء اللغة العامية عن المرافعات ؟

المسألة شائكة حقاً . وإنه ليكفيك أن تسمع واحـداً من شيوخ مدارهنا المقاويل لـكى تأخذك الحيرة ويعمى عليك الحكم أينا لم ير الهلباوى فى أحد مواقفه الرائعة ؟ إنه يتكلم الفصحى فيزرى بفقهاء اللغة . ولـكن الرجل محام بطبعه وسليقتـه فهو يعرف أن العربية الصحيحة ما تزال الى اليوم لغة صنعة ، وأنها ما تزال تجهد المتكلم والمخاطب معاً . والاجهاد اذا طال انتهى الى الملل والسآمة . لهذا تراه وقد فرغ من التحليق فى سماء البيان وانتهى من قرع الأسماع فى نقطة معينة بخطاب فخم داوى الألفاظ رنان العبارة ، تراه بعد هذا وقد هبط بك من جوه الأعلى الى سهل موطأ من كلام عامى يروى به لطيفة من لطائفه السائغة ، أو يسوغ منه ملحة من ملحه العذبة البارعة ، أو يبرى منه سهماً من السخر الفتاك ينفذ به الى مقاتل الخصم

أنودع من غير أسى هـذه اللهجة الحلوة التى طبعها الخلق المصرى بطابعه الخاص منذ ألف أو يزيد من السنين وأصبحت مظهراً قومياً تتيه به مصر على جاراتها العربيات كما ذكر موسيق اللفظ وخفة وقع الـكلام على السمع وسرعة نفاذه الى القلب ؟

لا . سوف تبقى العامية الى جانب العربية الفصحى لغة مرافعة إضافية تصاغ منها النكتة البارعـة يخف بها الضجر ويطوى بعمونتها ملل الجلسات الطويلة القاحلة . سوف تبقى لغـة كلام متبخر زائل بزوال الجلسة التى يقال فيها . وليس من بقائها ضرر فهى لن تطغى على الفصحى بحال ، ولن تقوى على الحلول محلها فى موضع الجد وعند المناقشة الحاميـة تدور حول مسائل علمية أو موضوع خطير

بل إن نخش شيئاً فاخش زوال العامية بزوال الأمية وانتشار التعليم . بل لقد بدأت هذه النهاية فعلاً . فان اللغة التى يتفاهم بها عامة أهل المدن هى بالتأكيد غير ما كان يتخاطب بها آباؤهم منذ خمسين عاماً . إنها أقرب الى الفصحى بفضل ما تذيعـه الجرائد السيارة والمجلات المصورة وغيرها من صحيح الألفاظ والعبارات ، ولن يمضى طويل حتى تصبح الحال كذلك فى الأرياف فتـدول دولة العاميـة ويسود مصر من أقصاها الى أقصاها لسان راق أكبر أملنا أن يتجدد به شباب لغة القرآن

## روح الفكاهة فى لغة العرب الفصحى

ولسنا نخاف على روح الفكاهة من هذا التجديد ، فالبرهان قائم على صلاحية الفصحى العصرية لما ينطوى عليه الخلق المصرى من حب للمرح والدعابة . لقـد طاوعت فكرى أباظه الى آخر حدود المطاوعة . وإن تأسف لشىء فلأنه لم يقع لنـا من كلام الأستاذ شىء قضائى يمكن أن يجد له محلاً فى هذا البحث . ولـكن ان فاتتنا دعابة فكرى أباظه القضائية فلم تفتنا لحسن الحظ دعابة عمر بك عارف . أنظر إليه وقد قام يترافع فى قضية قذف مشهورة كان المتهم فيها موظفاً استباح لنفسه أن يتـدخل فى السياسة وجمح به قلمه مرة فنال من رجل كريم

«ولـكن المتهم آثر التعرض للسياسة وما هولها . وانصرف الى التشيع فيها ورضى أن يكون موقفه منها موقف الزبانيـة من جهنم ، فهو يطلع على خصومه يشع وجهه ناراً منتفخ الأوداج

ينضنض بلسانه على لقم الطريق ، إن تعرضوا له يلهث ، وإن تركوه يلهث . ثم إذا فرغ من تعذيب الناس بما رماهم به من جارح القول عاد يتصبب عرقاً ، وأخذ مجلسه من ديوان الصناعة والتجارة عد يداً للوظيفة بعدها قرشاً قرشاً ويمسح عرقه بالأخرى كأنه أبلى في عمله الحكومي الذي اؤتمن عليه »

صورة بارعة بلغت فيها الدعابة الساخرة غاية ما يتمناه صاحب « النكتة البلدية » ولكن بلغة هي من أفصح ما يكون

وليست مطابقة الكلام لقواعد النحو إلا عنصراً واحداً من عناصر لغة المرافعة الجيدة ، فما هي عناصرها الأخرى ؟

( يتبع ) زكي عريبي

المحامي أمام محكمة النقض والإبرام

# الثورة الأسبانية

## بقلم باحث دبلوماسي كبير

كانت أسبانيا قبل بضعة أعوام تحيا حياة عادية ، وتتمتع في ظل الملوكية بنوع من الاستقرار والسكينة ، لا يزعجها سوى بعض الأزمات الداخلية والاضطرابات المحلية . ولكن أسبانيا شاءت منذ بضعة أعوام أن تحطم نير الملوكية ، وأن تقيم حكومة جمهورية شعبية ؛ وكانت الملوكية الأسبانية تحتضر في الواقع قبل ذلك بأعوام ، في ظل حكومة الطغيان العسكري التي فرضها الجنرال بريمو دي رفييرا على أسبانيا منذ حوادث مراكش الشهيرة ؛ وكانت أسبانيا تعاني مرارة هذا الطغيان المرهق ساخطة متربصة ؛ فلما توفي الجنرال دي رفييرا اضمحل نير العسكرية ؛ وحاولت الملوكية أن تستعيد سلطانها القديم ، ولكن الشعب الأسباني كان قد سئم حياة الذلة في ظل النظم المطلقة ، فانتهز فرصة الانتخابات العامة التي أجريت في ربيع سنة ١٩٣١ وأبدى رغبته جلية في مناصرة الجبهة الجمهورية ، وشعرت الملوكية أنه لم يبق لها أمل في البقاء ، فآثرت أن تنسحب في سكينة ، وأن تترك الميدان حراً للشعب الذي لفظها وأباها

وهكذا قامت الجمهورية الأسبانية نتيجة ثورة سلمية لم يشبها سيل الدماء ، ولا ويلات الحرب الأهلية ؛ واعتقد الشعب الأسباني ، واعتقد العالم أن أسبانيا سوف تستقبل في ظل الجمهورية حياة جديدة من الحرية والسكينة والرخاء

ولكن الجمهورية الأسبانية ولدت ضعيفة مفككة العرى ، ولم يستطع زعماؤها منذ البداية أن يجمعوا كلمتها أو يوحدوا قيادتها ضد القوى الرجعية التي كانت تتربص بها ؛ ومنذ البداية انحدرت الأحزاب والقوى الجمهورية إلى غمر الخصومات والمعارك المحلية ؛ ونمت الحركة الاشتراكية في ظل النظام الجديد بسرعة ، واستطاعت ولاية قطلونية مهد الاشتراكية الأسبانية أن تملي إرادتها على حكومة مدريد ، وأن تفوز باستقلالها المحلي ؛ وتوالت الأزمات الداخلية والاعتصابات المحلية ، وزادت الأزمة الاقتصادية في حدة هذه الاضطرابات وخطرها على الجمهورية الفتية ؛ وألفت الجمهورية نفسها عاجزة عن ضبط القوى التي أثارتها ، وتعاقبت الحكومات بسرعة ، وسارت البلاد مسرعة إلى الفوضى ؛ ولم تدرك الأحزاب الجمهورية أنها بهذه المعارك المستمرة تمهد لفوز القوى الرجعية التي تتربص بها

وكان الجيش مهد هذه القوى الرجعية التي تناصرها فلول الملوكية الذاهبة ؛ وقد دبر فلول الملوكية وفلول النظام القديم في الأعوام الأخيرة عدة محاولات ومؤامرات لاسقاط النظام الجمهوري ، ولكنها فشلت جميعاً ، لأنها كانت محاولات محلية لا تؤيدها قوة عامة . على أن روح التبرم والسخط كانت تضطرم دائماً في معظم وحدات الجيش ؛ ولم ينس زعماء العسكرية أنهم تمتعوا بسلطان الحكم في عهد الطغيان العسكري ، وأن قيام الحكومة الجمهورية إنما هو قضاء على سلطانهم ونفوذهم ؛ ورأوا من جهة أخرى ما يشجع آمالهم ومشاريعهم في عجز الحكومة الشعبية ، وتوالي الاضطرابات العامة ، وسأم الشعب من هذه الفوضى التي يذكيها تفاقم الأزمة الاقتصادية ، وتوالي الاعتصابات

وقد ألفت العناصر العسكرية الناقمة فرصتها في الاضطرابات والاعتصابات الأخيرة التي دبرها الشيوعيون بالأخص ، والتي ما زالت منذ أسابيع تزعج حكومة مدريد وتستنفد اهتمامها وقواها ، فأعلنت خروجها على الحكومة ، واتخذت « تيطوان » ،

عاصمة مراكش الأسبانية قاعدة لهـا ؛ وقد كانت مراكش الأسبانية وما زالت معقل العسكرية المتمردة ؛ بيد أن زعماء الثورة كانوا قد اتخذوا أهبتهم فى كثير من القواعد الأسبانية فى الشمال والجنوب حيث تحتشد العناصر المارضة لحكومة مدريد ؛ وكان إعلان الثورة فى الثامن عشر من يوليه فى منطقة الحماية الأسبانية ، حيث أعلن زعيم الثورة الجنرال فرانكو ثورة الجيش على حكومة الجمهورية ، ووجوب تخليها عن الحكم . وفى الحال اجتازت عدة فرق من جيش مراكش البحر الى الشاطىء الأسبانى من جهة الجزيرة ومالقة . ولم تكن حكومة مدريد جاهلة بالأمر ، بيد أنها اضطربت لقيام الثورة فى عدة مناطق دفعة واحدة ، وزاد فى اضطرابها أن الوحدات البحرية والجوية التى سيرتها لمقاتلة الثائرين ، وإطلاق قنابلها على تيطوان ، انضم معظمها الى الجيش الثائر

وفى الحال اتسع نطاق الثورة ، وانضمت حاميات الشمال فى ولايات ليون وأراجون وجليقية إلى جانب الثورة ؛ واخترق الجيش الثائر ولايات الجنوب بسرعة ، واستولى على قواعد الأندلس : قادس وغرناطة وأشبيلية ؛ واتخذ أشبيلية قاعدة للزحف على مدريد ، وأعلنت القيادة الثائرة سقوط حكومة مدريد ، وقيام حكومة أسبانية جديدة فى الأندلس

أما حكومة مدريد فلم تر أمامها بعد الذى رأته من تمرد القوى النظامية سوى الاعتماد على التجنيد العام . ولنلاحظ أنه فى خلال الأيام الثلاثة أو الأربعة الأولى من قيام الثورة تعاقبت ثلاث وزارات فى مدريد ولم تمكث إحداها سوى أربع ساعات ، واستقال رئيس الجمهورية السنيور أزانا ؛ وفى الحال حشدت حكومة مدريد قوات جديدة من بين العمال والطوائف الموالية لهـا وهى التى تجتمع حول الجبهة الاشتراكية ، وسيرتها لمقاتلة الثوار فى الشمال والجنوب مع بعض القوات النظامية التى لبثت موالية لهـا . ومنذ أكثر من أسبوعين تضطرم أسبانيا بسلسلة لا نهاية لهـا من المعارك الدموية ، وتقول الحكومة فى بلاغاتها دائماً إنهـا تقبض على ناصية الموقف وإنها دحرت الثائرين حيثما دارت رحى الحرب الأهلية . وتذيع القيادة الثائرة من محطات الاذاعة اللاسلكية فى أشبيلية أنها دحرت قوى الحكومة ، والأنباء المتضاربة تتوالى من الجانبين ، بيد أنه يلوح من سير الحوادث والظروف أن جيش الثورة إذا استثنينا منطقة قطلونية الاشتراكية حيث دحرت العناصر الثائرة ، يتقدم فى معظم المناطق بسرعة ؛ وقد أشرفت القوات الثائرة على مقربة من مدريد ونشبت بينها وبين قوات الحكومة معركة هائلة فى « وادى راما » يقال إن الخسائر فيها بلغت من الجانبين زهاء عشرين ألفاً ؛ والخسائر فادحة فى جميع المناطق على وجه العموم ، وخصوصاً فى القوات غير النظامية التى حشدتها الحكومة من طوائف لا خبرة لها بالقتال . بيد أن قوات الحكومة استطاعت أن تقف زحف الثوار فى الشمال . وأما فى منطقة مدريد ، فلا تزال المعارك دائرة حتى كتابة هـذه السطور ؛ والظاهر أن قوات الحكومة استطاعت أن تصمد فى وجه الثائرين ، لأن زعماء الثورة يقولون إنهم يعتمدون فى سقوط مدريد على الحصار وقطع مواصلاتها حتى تضطر إلى التسليم جوعاً

ويقول زعيم الثورة الجنرال فرانكو ، إن الثورة ترمى إلى انقاذ اسبانيا من براثن الشيوعية وانتشالها من تلك الهوة السحيقة التى تتردى فيها مذ غلبت عليها أحزاب اليسار واستولت على مقاليد الحكم ، وإن الروح الثورية قد أضرمت فى الشعب واستغلت لجانب الشيوعية ، وإن الجيش لا يستطيع صبراً على تلك الحال المخزية التى تبدو بها أسبانيا أمام العالم ، وإنهم قد اعتزموا إنقاذ أسبانيا من قبضة أعدائها الذين كادوا أن يقضوا على كيانها الاقتصادى . ويقول فى بلاغه الذى أصدره إلى الجيش : « إن الاعتصابات الثورية تشب من كل جانب وتشل حياة الأمة ، وتقضى على رفاهتها ، وتدفع بالشعب الأسبانى إلى الجوع واليأس ، وإن ذخائر أسبانيا الفنية قد أضحت عرضة لهجات الجموع الثائرة التى تصدع بأمر الأجنبى ، وتمالئها السلطات ؛ وإن الأمة تدعو الجيش اليوم وتناديه لانقاذها ... الخ »

أما برنامج الثورة فيلخصه الجنرال فرانكو فيما يأتى : تحقيق السلام والأخاء بين جميع الأسبانيين ، وضمان العمل والعدالة الاجتماعية ، والقضاء على الانتخابات المزيفة ، والاعتصابات

الدبرة ، وحماية الحكومة المدنية من كل النزعات الثورية ، وحماية أسبانيا من الدسائس الأجنبية التي تعمل لخرابها ...

***

على أننا نستطيع أن نتبين من خلال هـذه الحوادث والظروف حقيقة أخرى ، هي أن الحرب الأهليـة تضطرم في أسبانيا من جهتين من المبادئ ، أعني بين الديمقراطية والفاشستية ، وهذه هي نفس المعركة التي نشبت وما زالت تنشب في كثير من الأمم الأوربية بين قوى الطغيان والديمقراطية . ولا ريب أن الفوضى التي تعانيها أسبانيا منذ قيام الجمهورية ، والأزمات الداخلية المستمرة ، هي ذريعة القوى الرجعية في القيام بحركتها ، وهي التي أدت بالحكومة الجمهورية إلى هذا الضعف الذي يعرضها إلى السقوط . ونلاحظ أن أسبانيا توجد اليوم في ظروف تماثل ظروف إيطاليا قبل قيام الفاشستية ؛ فقد انتهت بها الاضطرابات الاشتراكية المتوالية إلى مثل الحالة التي تعانيها أسبانيا اليوم وألفت الفاشستية ، أو بعبارة أخرى قوى الطغيان الفرصة سانحة للقيام بوثبتها ، والقبض على ناصية الحكم إلى يومنا

وليس من ريب في أن العسكرية الأسبانية المتمردة ترمي بوثبتها إلى غايات فاشستية محضة ؛ ومهما كان من الصيغ والتصريحات الخلابة التي تستتر وراءها في القيام بحركتها ، فان ظفرها يعتبر خطراً على أسبانيا من الوجهة الدستورية ؛ ذلك أن قيام الدكتاتورية العسكرية معناه القضاء على النظام الجمهوري ، وما يترتب عليه من الحقوق والحريات العامة ، والعودة إلى نظام الطغيان الذي أنشأه الجنرال دي رفيرا قبل ذلك بعشرة أعوام ، وربما كان ظفر العسكرية من جهة أخرى مقدمة لعود الملوكية الأسبانية ، وقيامها ثانيـة في كنف العسكرية الطاغية ، ورهن نفوذها وإشارتها

وثمة حقيقة أخرى ، هي أن هذه المعركة التي تضطرم اليوم في أسبانيا بين قوى الطغيان والديموقراطية بصورة مادية مروعة ، إنما هي ناحية من المعركة العامة التي تدور رحاها اليوم في أوربا بأسرها ، تارة في الجهر وتارة في الخفاء ، وربما كان من الصعب اليوم أن نتبين نتائج هـذه المعركة الحالية في المستقبل القريب ؛ بيد أن الذي لا ريب فيه هو أن الديموقراطية فقدت كثيراً من قوتها القديمة ، وأدت بضعفها وتخاذلها وما كشفت عنـه في الأعوام الأخيرة من نواحي الفساد ، إلى إضعاف العقيدة الديموقراطية وتحول جانب كبير من أنصارها إلى الجبهة الخصيمة ؛ وهذا وجه الخطر في مستقبل الديموقراطية . وإذا أسفرت المعركة الحالية في أسبانيا عن فوز العسكرية الطاغية ، فان ذلك يكون ضربة جديدة للديموقراطية بأسرها ، وعاملاً جديداً في انتعاش القوى الرجعية ، ونذيراً بالمستقبل المظلم الذي يهدد الديموقراطية في جميع البلاد التي لا زالت تصمد فيها ؟

(***)

# البداوة فى طباع أبى الطيب *

للدكتور عبد الوهاب عزام

فى خلق أبى الطيب قوة وخشونة تميلان به إلى كل قوى وكل خشن ، وتعدلان عن كل ضعيف وكل ليّن ؛ وفى خلقه صراحة تحبب إليه كل صريح من القول والفعل والرأى ، وتنفره عن كل مموّه مزخرف

وقد لاءمت هذه الأخلاقُ التبدّى ، وزادها التبدى تمكناً فيه ، وظهر أثر هذا فى فعله وقوله

وسأمرّ بسيرة أبى الطيب سريعاً منبّهاً إلى الحادثات والأقوال الدالة على حبه البداوة ، والمبينة عن تمكن البداوة فى طبعه ، وأثرها فى نفسه :

— ١ —

عاش الشاعر فى البادية حقبة وهو صبى . روى الخطيب البغدادى عن محمد بن يحيى العلوى الكوفى أن أبا الطيب صحب الأعراب فى البادية سنين ثم رجع إلى الكوفة بدويا قحّا

وعاش فى الشام بين البدو والحضر . وبعض من وحيه هناك من رؤساء البادية مثل سعيد بن عبدالله الكلابى ، وشجاع بن محمد الطائى

وهو يقول فى الشام :

أوانا فى بيوت البدو رحلى     وآونة على قتـد البعير
أعرّض للرماح الصمّ نحرى     وأنصب حرّ وجهى للهجير
وأسرى فى ظلام الليل وحدى     كأنى منـــه فى قمر منير

ويقول :

ومُدقعين بسُبروت صحبتهم     عارين من حلل كاسين من درن
خرابّ بادية غرثى بطونهم     مَكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا أعطيهم خبرى     وما يطيش لهم سهم من الظـن

— ٢ —

وفى مصر حنّ إلى البادية ، وفضّل البداوة على الحضارة ، وتغزل بالبدويات فى القصيدة التى مطلعها :

مَن الجآذر فى زى الأعاريب     حمر الحلى والمطايا والجلابيب

يقول فيها :

ماأوجه الحضر المستحسنات به     كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية     وفى البداوة حسن غير مجلوب
أين المعيز من الآرام ناظرة     وغير ناظرة فى الحسن والطيب
أفدى ظباء فلاة ماعرفن بها     مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام مائلة     أوراكهن صقيلات العراقيب
ومن هوى كل من ليست مموهة     تركت لون مشيبى غير مخضوب
ومن هوى الصدق فى قولى وعادته     رغبت عن شعر فى الرأس مكذوب

وكانت له فى مصر مع بعض رؤساء القبائل مودة . فلما أزمع الرحيل مغاضباً كافور استعان بأحد أصدقائه عبد العزيز ابن يوسف ببلبيس وسأله دليلاً فأنفذه اليه ، وقال فى هذا :

جزى عرباً أمست بِبُلْبَيس ربُّها     بمسعاتها تقرر بذاك عيونها
كراكر من قيس بن عيلان ساهراً     جفون ظباها للعـــلى وجفونها
وخصّ به عبدالعزيزبنَ يوسف     فما هو الا غيثها ومعينها
فتى زان فى عينىّ أقصى قبيله     وكم من فتى فى حـلة لا يزينها

وكان سيره من الفسطاط إلى الكوفة برهاناً بيناً على ما تمكن فى نفسه من أخلاق البادية وعاداتها ، ودليلا على خبرته بالسير فى البيادى ، فقد سلك طريقاً أُنُفا لا تسلكه القوافل . ذكر فى قصيدته التى وصف بها سفره اثنين وعشرين موضعاً ليس على السبل المطروقة منها إلا اثنان أو ثلاثة ، فما سلك طريق الحاج المصرى إلى الحجاز ، ولا طريق دمشق إلى الكوفة ، ولا طريق الفرات ، بل سار على أحياء البادية ، والمياه المورودة والآجنة حتى بلغ غايته

وكانت له فى مسيره وقائع تمثله بدويا قحا خبيرا بقبائل البادية وعاداتها ، مزودا بجرأة الأعراب وإقدامهم :

لما بلغ نخلا فى سينا ألفى خيلا صادرة عن الماء ، فأشفق

---

* هى الكلمة التى ألقاها الأستاذ فى مهرجان المتنبى بدمشق

أن يكونوا عيوناً عليه أو عدوا له ، فقاتلهم وغلبهم . ولما قرب من النقاب رأى رجلين فطردهما وأخذهما فأخبراه أنهما رائدان من بنى سليم فخلاهما وسار وهما معه حتى توسط بيوت بنى سليم آخر الليل فضرب له ملاعب بن أبى النجم خيمة بيضاء ، وذبح له ، وغدا فسار إلى النقع فنزل ببادية من معن وسنبُس فذبح له عُفَيف المعنيّ غنماً وأكرمه ، وغدا من عنده وبين يديه لصان من جذام يدلانه

ولما بلغ حسمى فى شمالى الحجاز وجد بنى فزارة شاتينَ بها ، فنزل بقوم من عديّ فزارة فيهم أولاد لاحق بن مخلّب ، وكان بينه وبين أمير فزارة حسان بن حكمة مودة ، وأراد ألا يعلم ما بينه وبينهم من ودّ فنزل بجار لهم من طيء

واستطاب أبو الطيب حسمى فأقام بها شهراً ، وما أحبَّ المقامَ بالبادية اليه ! ثم استراب ببعض عبيـده ، وظن أنهم يسرقون أمتعته ، ويريدون سرقة سيف ثمين كان معه ، أغراهم على هذا وردان بن ربيعة ، فأرسل إلى فتى من بنى مازن اسمه فليتة ابن محمد ، وكان قد عرفه من قبل ، فلما جاءه المازنيّ تقـدم شاعرنا فشد أحماله وعبيده نيام ثم أيقظهم وطرحهم على الابل وسار والقوم لا يشعرون

وأخذ بعض العبيد السيف فدفعه وفرسـه الى عبد آخر . وجاء الى فرس أبى الطيب ليأخذه فانتبه الشاعر البدوى الشجاع فقال العبد مخادعاً : أخذ الغلام فرسى . عدا الى فرس سـيده ليركبه فالتقى هو وأبو الطيب عند الفرس . وسل العبد السيف فضرب الرسن فضرب أبو الطيب وجهه فقتله : وأرسل رجلاً من بنى خفاجة وآخر من بنى مازن ليدركا العبد الذى أخذ السيف فلم يقدرا عليه

وفى قتل العبد يقول الشاعر :

أعددت للغادرين أسـيـافاً أجدع منهم بهن آنافا
لا يرحم الله أرؤساً لهم أطرن عن هامهن أقحافا
ما ينقم السيف غير قلتهم وأن تكون المئون آلافا
يا شر لحم فجعته بدم وزار للخامعات أجوافا
قد كنتَ أُغنيتَ عن سـؤالك بى من زجر الطير لى ومن عافا
لايذ كر الخير إن ذ كرت ولا تتبعك المقلتـان توكافا
إذا امرؤ راعنى بغدرته أوردته الغـاية التى خافا

وأراد أبو الطيب أن يسلك الى مكان اسمه البياضى فأرسـل فليتة إلى الأعراب الذين فى طريقه فعميت عليه أنباؤهم ، وخشى أن يكون له على الطريق رصد ، فعدل إلى دومة الجندل . وواصل سيره حتى بلغ الـكوفة فى شهر ربيع الأول سنة ٣٥٢ بعد ثلاثة أشهر من خروجه من الفسطاط

فهل يستطيع أن يسير هذا المسير ، ويفعل هذه الافعال إلا بدوى جرىء خبير بالبوادى ؟

أليس فى هذا تصديق قوله :

الخيل والليـل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ألا يحقّ له أن يفخر به فيقول :

فلمـا أنخنا ركزنا الرما ح بين مكارمنا والعـلى
وبتنا نقبّـل أسـيـافنا ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ومن بالعرا ق ومن بالعواصم أنىّ الفتى
وأنى وفيت وأنى أبيت وأنى عتوت على من عتا
وما كل من قال قولاً وفَى ولا كل من سِيم خسفاً أبى
ومن يك قلب كقلبى له يشق إلى العزّ قلب النوى
ولا بد للقلب من آلة ورأى يصدّع صمّ الصـفا

وفى هذه القصيدة روح البداوة وألفاظها . انظر قوله :

وقلنا لها : أين أرض العرا ق فقالت : ونحن بتربان ها
واسأل اليوم بدويا عن مكان قريب يقل لك : ها

— ٤ —

وفى قصة هجاء ضبة بن يزيد العينى دليل آخر على تبدّيه . فقد اجتاز بالطفّ فنزل بأصدقاء له . وساروا إلى ضـبة وسألوه أن يصحبهم فلم يسعه إلا المسير معهم ، كما يقول الشاعر فى بعض الروايات :

فسير الشاعر مع أصدقائه إلى قتال ضبة أوإرهابه دليـل على ما تمـكن فى نفسه من عادات البادية

— ٥ —

ولـمـا رحل الى فارس افتقـد الوجه العربى واليد العربية

واللسان العربى فقال وهو يصف شعب بوان :

ولكن الفتى العربى فيها   غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها   سليمان لسار بترجمان

وافتقد عرب دمشق الذين كانوا يكرمون مثواه فقال :

ولو كانت دمشق ثنى عنانى   لبيق الثرد صينى الجفان
يَلَنجوجىّ ما رُفعت لضيف   به النيران نَدّى الدخان
تحل به على قلب شجاع   وترحل منه عن قلب جبان
منازل لم يزل منها خيال   يشيّعنى الى النوبندجان

وذكره الثرد والنار يدلنا على أنه يريد بادية دمشق لا حاضرتها

وقال فى أول قصيدة مدح بها عضد الدولة :

أحب حمصاً الى خناصرة   وكل نفس تحب محياها
حيث التقى خدها وتفاح لبنان   وثغرى على حُميّاها
وصفت فيها مصيف بادية   شتوت بالصحصحان مشتاها
ان أعشبت روضة رعيناها   أو ذكرت حلة غزوناها الخ

ورجع الى التغزل بالبدويات فى شيراز فقال فى القصيدة التى مطلعها :

أثلث فأنا أيها الطلل   نبكى وترزم تحتنا الأبل
إن الذين أقمتَ وارتحلوا   أيامهم لديارهم دول
الحسن يرحل كلما رحلوا   معهم وينزل حيثما نزلوا
فى مقلتى رشأ تديرها   بدوية فتنت بها الحلل
تشكو المطاعم طول هجرتها   وصدودها ومن الذى تصل
ماأسأرت فى القعب من لبن   تركته وهو المسك والعسل

وقصة قتله برهان آخر على ما ندعى فقد حذره أبو نصر الجبلى وأشار عليه أن يستصحب خفراء فأبى أن يسير فى خفارة

— ٦ —

وشعر أبى الطيب تتجلى فيه قوة البداوة وعزتها . ومن آثار البداوة فيه تهاونه فى خطاب الممدوحين . وخروجه عن الألف أحياناً . ولذلك أخذ عليه النقاد مآخذ لا يتسع المقام لذكرها

ومن آثارها كذلك الكلف بالحرب وآلاتها والخيل ، والسفر . وشعره ملىء بهذا

ومن ذلك وصفه الحبيبة بالمنعة كقوله :

حبيب كأن الحسن كان يحبه   فآثره أو جار فى الحسن قاسمه
تحول رماح الخط دون سبائه   وتُسبى له من كل حىّ كرائمه
ويضحى غبار الخيل أدنى ستوره   وآخرها نشر الكباء الملازمه

———

وما شرق بالماء إلا تذكراً   لماء به أهل الحبيب نزول
يحرّمه لمع الأسنة فوقه   فليس لظمآن إليه وصول

———

متى تزر قوم من تهوى زيارتها   لا يتحفوك بغير البيض والأسل

———

سوائر ربما سارت هوادجها   منيعة بين مطعون ومضروب
وربما وخدت أيدى المطىّ بها   على نجيع من الفرسان مصبوب

ومن أثر البداوة استعماله بعض الألفاظ الغريبة أحياناً ، بما ألِف من خطاب الأعراب والأخذ عنهم

وقد رأيته فى كثير من تعليقاته على ديوانه يحتج بما سمع منهم ، وأكتفى هنا بمثال واحد :

قال فى قصيدة يعزى بها عضد الدولة :

مثلك يُثنى الحزن عن صوبه   ويستردّ الدمع من غربه
أيما لأبقاء على فضله   أيما لتسليم إلى ربه

ثم أتى بشواهد على وضع العرب أيما مكان إمّا إلى أن قال : وقد ظلع فرس لى فقال فلان الأعرابى وكان من أفصح الناس : أيما نسره مفلوق ، وأيما موهوص

— ٧ —

ذلكم إجمال الكلام فى بداوة أبى الطيب

ولست أقول إن البداوة أنتجت هذه النتائج فى أخلاقه وشعره ، ولكنى أقول إن بين طباعه وشعره وبين البداوة صلة قوية ، غرائز فى الشاعر حببت إليه البداوة وما يتصل بها ، وبداوة وكّدت هذه الغرائز فى نفسه

وبهذه الأخلاق الحرة ، والطباع القوية ، والشجاعة والاقدام كان أبو الطيب أقرب إلى الروح العربى من غيره

ولو أن عمرو بن كلثوم ، وعنترة العبسى ، والحارث بن حلزة عاشوا فى القرن الرابع الهجرى حيث عاش أبو الطيب لأشبهوه فى كثير من قوله وفعله

عبد الوهاب عزام

# ٤ – دانتي أليجييري

## والكوميدية الإلهية

## وأبو العلاء المعري ورسالة الغفران

### فردوس دانتي

في آخر المطهر أن دانتي تحسى من فُراتِ (ليث) جرعة نزعت ما في نفسه من أدران هذه الدنيا التي لا يجوز لمن ينطوي عليها أن يجوس خلال الفردوس ... وهي جرعة إلهية جعلت من جسم دانتي هُلاماً شفافاً وهيُولى نقية استطاع بعدها أن يرقى في السماء، ويعرج في الأثير، في إثر بياتريس. (١) وأخذ طيف بياتريس يصَّعَّد في الأديم الأزرق المشرب بنضارة البنفسج، وأخذ طيف دانتي يصَّعَّد في إثرها بقدرة الآله العلي، حتى كانا في السماء الأولى، والفتاة الطاهرة في خلال ذلك تحدثه وتتلطف به، وترفه عنه بعض ما كان يضيق به صدره من وساوس. (٢) إلى أن دخلا تلك الجُنينةَ الصغيرة التي أرضها من فضة وأنهارها من لجين... جنينة القمر! حيث تشرح بياتريس لحبيبها المشدوه سبب تلك الظلال التي تعلو وجه السيار الصغير، والتي يراها الناس من سكان الأرض في هذه الحياة الدنيا. (٣) وفي رحاب القمر، يلقى دانتي الفتاة بيكاردا دوناتي التي تأخذ معه في حديث طويل، فتخبره أن هذا القمر هو جنة المساكين الذين نذروا حياتهم للخير في الدار الأولى، وعاشوا عيشة كلها تقوى وكلها بر وورع، ولكنهم، وا أسفاه، لأمور ما، لم يوفوا بكل ما نذروا من فعل الخيرات، ثم تلفته إلى روح الأمبراطورة كوستانزا، تمرح في بعض جنبات القمر، وتلعب. (٤) وتنطلق بياتريس، وفي إثرها دانتي، وكلما عمي أمر عليه جلته له صاحبته، (٥) حتى يكونا بعد رحلة سماوية جميلة، في كوكب عطارد الذي يقع في السماء الثانية؛ وثمة، يلقيان ثلة من أرواح البررة الأطهار ويتبرع أحدهم فيبدي استعداده للاجابة عن أي سؤال يلقى عليه من أمور الماضي أو الحاضر أو المستقبل. (٦) ثم يعرف دانتي أن الشخص الذي عرض عليه هذا العرض إن هو إلا الأمبراطور العظيم جوستنيان الذي يذكر للشاعر من أمور الحياة الأولى، فيما يتعلق بشخصه الأمبراطوري، الشيء الكثير، ويشرع بعد ذلك يحدثه عن عظمة الرومان القدماء، ويعدد له فتوحهم وخوالد غزواتهم التي دوخوا بها أقاصي الأرض في ظلال بنودهم التي تحمل رمز رومة الخالد... النسر... ويذكر له أن روح روميو فلنيف تمرح في رياض عطارد ذات الزهر والأفواف. (٧) وتتفرق الأرواح عن دانتي، وينطلق جوستنيان غير مستأذن، ولكن شكوكاً كثيرة تثيرها كلمات الأمبراطور في نفس الشاعر من أجل الفداء البشري، فتشرع بياتريس تقشعها واحداً فواحداً من نفس خليلها؛ (٨) ويعرجان إلى السماء الثالثة حيث الكوكب الجميل المتلألئ، فينوس (الزهرة)، وحيث يلقى الشاعر صديقه العزيز الكريم شارل مارتل الذي يحدث دانتي عن مملكته الواسعة المترامية الأطراف التي كان يسيطر عليها في الدار الأولى، ثم يتغير الحديث فجأة إلى الأبناء والأحفاد والسبب في اختلاف فطرتهم وطبائعهم عن طبائع آبائهم (٩) ويمضيان فيلقيان روح ابنة الهوى كيونيزا Cunizza [1] التي طالما فتنت قلوباً وعذبت بحبها أفئدة، والتي كانت تملأ الأرض فسوقاً وتفعم المدائن دعارة، ثم تابت وثابت، وندمت على ما قدمت، وأقبلت على فعل الخيرات؛ وحدث أن ورثت عن أبيها عدداً من الأرقاء فنحتهم حريتهم، وبذلك غفر لها وتُقُبِّل توبتها، وهي في هذا المكان من فينوس لا تطمع في درجة أعلى؛ ويمضيان فيلقيان فولكو الشاعر المنشد فيحدثهم عن الزانية، خضراء الدمن، رحاب Rahab التي تابت هي الأخرى فغفر لها، وسكنت هذا الكوكب مع كيونيزا. وبعد أن ينتقد الشاعر فولكو بابا روما وينعى عليه تغاضيه عن استرجاع الأراضي المقدسة يعود فيتنبأ عن بعض الكوارث التي تتربص به طي الغيب، والتي ستسحق سلطته. (١٠) ويعرجان صعداً فيكونان في الشمس (!!) التي يعتبرها دانتي السماء الرابعة، وما يكادان يبلغانها حتى تحدق بهم ثلة من اثني عشر روحاً، ويتقدم أحدهم (توماس أكويناس [2]) فيقدم أصحابه إلى دانتي ويخبره عن

---

(١) كان الشاعر الايطالي الكبير سوردلو أحد عشاقها وضحية معذبة من ضحاياها العديدين

(٢) شاعر من العصور الوسطى وأحد أعلام النهضة

درجاتهم (١١) ثم يتوسـع أكويناس فى سرد حياة القديس فرنسيس ، الراموز الملائكى للحب ، ويلحظ أثارة من الريب تنشب فى فؤاد دانتى فيحـدثه عنها ويجلو له الحق الذى يعترى فيه . (١٢) وتقبل ثلة أخرى من اثنى عشر تقياً فيتقدم أحدهم ( القـديس دومينيك ) ويسرد أسماء أصحابه لدانتى . والقديس دومينيك هذا هو الراموز الملائكى للحكمة . ( ١٣ ) ويعود توماس أكويناس إلى حديثه مع دانتى ، وكلما لمح أثارة من الشك فى نفسه نبأه بها وجلاها له ، وحذره من الوسواس وحذره من أن يحكم بقلبه أو عقله على شىء دون أن يدرسه ليصل الى حقيقته . ( ١٤ ) ويبرز سليمان النبى من وسط الجماعة فيحدث دانتى عما يكون من مظهر الصالحين من عباد الله بعد البعث . ثم يعرجان الى السماء الخامسة التى هى مارْس ( المريخ ) فى زعم دانتى ، ويريان ثمة أرواح الشهداء الذين حاربوا تحت رايات الصليب الخفاقة ، ولم يخشوا فى سبيل ربهم أن يجرعوا غصص الموت ... أولئك قد بدت عليهم سيماء الصليب ، وما تفتأ أرواحهم ترسل فى الفردوس أناشيد الخلود المرنة تطريباً لعباد الله السعداء . (١٥) ويبرز من بين الأسلف دانتى الصالح كاشيا جَيْدا ، ويأخذ مكانه تحت الصليب ، ثم يتعرف الى دانتى الذى يفرح به ويهش للقائه ، ويأخذ فى حديث طويل عن ماضى فلورنسا السعيد الحافل وينعى على الخلف ما فرطوا فى جانب الوطن وما أوضعوا فى الفتنة ، ومرجوا فى الضلالة (١٦) ويخبر دانتى عن يوم ميلاده ، ويصف له مجد فلورنسا ومدى حدودها فى أيامه والأسر العريقة التى كانت تزدان بها تلك المدينـة الشقية التى انحطت أرومتها وفسد طيب محتدها واتضعت أقدار القروم من أهلها الأعلين (١٧) ويرسل كاشيا جيدا حبل القول فيتنبأ لدانتى عما يتربص به من غدرات الزمان والنفى من حظيرة الوطن حين يعود أدراجه إلى الحياة الدنيا . ثم ينتحى ناحية ويتناول طرساً من أوراق الجنة ، وقلما من قصباتها ويشرع فى كتابة شعر طويل ربق . (١٨) ويمضيان فيريان طوائف شتى من أرواح المحاربين الشهداء الذين خاضوا معامع الحروب الصليبية يمرحون فى أفياء الجنات الوارفة التى يهتز عنها المريخ ؛ ثم ترسل بياتريس عينيها العميقتين فى لازورد السماء ، وتشير الى دانتى فيعرجان فى الأثير الى جوبيتر (المشترى) الذى هو السماء السادسة فى حساب شاعر الكوميدية وهناك يلقيان جموعاً زاخرة من أرواح الصالحين الذين حكموا بين الناس بالعدل ووزنوا بالقسطاط المستقيم . ويكون هؤلاء أنَّى توجهوا مكونين دائماً شكل نسر ( رمز رومة القديمة ) . ثم ينتهى الفصل بحملة شعواء على رجال الأكليروس وما اشتهروا به من الطمع وحب الذات والتكالب على حطام الدنيا وجمع الأموال بالحق وبغير الحق ؛ ويخص دانتى رجال البابا بالقـدح الأكبر من هذه الحملة (١٩) ويتكلم النسر الذى تـكوّنه هذه الجماعة بلسان واحد مبين ، فيقص على دانتى السبب الذى من أجله اتُّخذ رمزاً لعظمة الرومان . ثم يتكلم دانتى كلام المتشكك عمـا إذا كان محتملاً أن ( يَخْلُص ) [1] الرجل من الناس من عذاب الجحيم من غير أن يكون مؤمناً بالمسيح مصدقاً به ، فينبرى النسر للاجابة ويزيل الريب من نفس دانتى ويخاطبه فى شأن أصحاب السيطرة والحكام من المسيحين وماسيؤدونه من الحساب الثقيل يوم القيامة . (٢٠) وكذلك يمتدح النسر عدل بعض الملوك وورعهم ، ويكوِّن هؤلاء عين[2] النسر نفسه ، وفى إنسان عين النسر يقف النبى داود ، وفى الدائرة المحيطة به يقف تراجان وحزقيال وقسطنطين ووليم الثانى ملك صقلية ورفيوس ... ثم يوضح له كيف وصلت أرواح هؤلاء إلى الفردوس وهم لم يؤمنوا قط بالمسيح « ولـكنهم عملوا بما جاء قبله من لدن الرب فاستأهلوا دار المثابة » . (٢١) ويسموان فى السموات العلى ، فيلفان السماء السابعة التى هى سَاتِرْن ( زُحَل ) حيث يسمق منه سلم ذاهب فى الجو لا تدرك آخره عينا دانتى . وفى زحل يلقيان أمماً من أرواح الصالحين الذين قضوا حياتهم الأولى فى اعتزال وصوفية وتأمل . ثم يدنو منهما روح كريم نقى ، هو روح خليل المسيح الورع التقى بييرو داميانو ( أحد كرادلة الكنيسة ومصلحيها العظماء ) فيجيب على أسئلة كثيرة يوجهها إليه دانتى ، ثم يقدح فى ذمم القسس الأخسَّاء ورعاة الكنيسة الذين فتنتهم الدنيا بزخرفها وصرفتهم عن وظائفهم الدينية وشغلتهم عن هداية الناس . (٢٢) ويريان جموعاً أخرى من الأتقياء المتفكرين ومن بينهم القديس الأطهر بندكت Benedict

(١) المقصود من الكلمة معناها المسيحى

(٢) خيال سقيم ضعيف

الذى يذكر لدانتى أسماء أصحابه الراضين فى ظلال الرب فى فراديس زحل . ثم يستطرد فيذكر أن السوح والزنارات وسائر ألبسة القساوسة ورجال الكنيسة لا قيمة لها ما لم تزنها مسوح من الخلق الكريم والتقى والنقاء . ويزيد فيقدح فى خراب ذمم الرهبان والأحبار وفساد ضمائرهم . وينطلق الألفان فيعرجان إلى السماء الثامنة ، سماء الأنجم الثابتة ، التى يدخلانها من الهَنْعَة . ومن ثمة يرجع دانتى بصره كرتين إلى الوراء فتبدهه المسافة الهائلة بينه وبين الأرض (٢٣) وهناك ، يرى المسيح ( صلوات الله عليه ) يأخذ بناصر الكنيسة ويشد أزرها ، ومن حوله الملائك الأطهار يسبحون لله ويلهجون بحمده . ثم يسمو السيد المسيح فيعرج فى السماء العليا وفى أثره أمه البتول مريم ، شاخصة اليها أبصار الجميع . (٢٤) ويتقدم القديس بطرس من دانتى فيسأله بضعة أسئلة يعرف بها إخلاصه ونقاء إيمانه ، ويجيب دانتى فيقنع القديس بالكلم الطيب والبيان البرىء (٢٥) ويتقدم القديس جيمس فيسائل دانتى عن الأمل ، ثم يبدو القديس يوحنا فيدهش دانتى لرؤيته ، ولكن القديس يمحو دهشه ويذكر له أنه عرج إلى السماء بروحه فقط ، ولم يعرج اليها بروحه وجسمه إلا المسيح وأمه مريم . (٢٦) ثم يسائله القديس عن الفضيلة فيجيب دانتى إجابات ناصعة . وينظر الشاعر فيشدهه أن يرى أبانا آدم ، فيتأدب ويتقدم اليه ، فيخبره أبو البشر عن كيفية خلقه وإقامته فى الفردوس ومدى إقامته فيه ، ثم ما تلا ذلك من خروجه منه وسببه ، ثم عوده اليه ، ويتظرف فيذكر له اسم اللسان الذى كان يتكلم به فى بدء الخليقة[1] ويعود القديس بطرس فيصل حديثه ، ويحمل على خلفه حملة شعواء لما اتصفوا به من جشع ذهب برواء الأبرشية الرسولية ، وينسى دانتى فيحدق نظره فى بياتريس غافلاً عما أوصته به فى أول الرحلة إلى الفردوس فتأمره أن يغضى .... فيفعل .... ثم يعرجان إلى السماء التاسعة حيث يطلعان على الحق الجلى من أمر هذا الخلق ، وحيث يشهدان فطرة الطبيعة فى جماع فضائلها ، وتسخط بياتريس على الانسان « ما أكفره ... يكون أمامه الخير بيّنا والشر بيّنا ، ثم يدلف بعلمه فى طريق الشر ، مضحياً هذا الفردوس من أجل هنات هينات» (٢٨) ويؤذن لدانتى فيطالع إلى الوجود الآلهى ، ثم يطلع إلى الخورس الملائكى يرسل ألحانه الكنائسية الرائعة فى قبة الفردوس . (٢٩) وتنظر بياتريس فى مرآة الحق الآلهى (هكذا) فترى أن بضعة شكوك قد نفذت إلى فؤاد دانتى وظلت ثمة تساوره ، فتضاحكه ، ثم تفجأه بما يفكر فيه ، وتجلوله ما نفذ إلى قلبه من ذلك الوسواس ، وتذهب فى القول مذاهب شتى ، وتنتهى إلى ذم رجال الدين الذين شغلتهم الدنيا عن نصرة الانجيل . (٣٠) ثم يدخلان سماء المنتهى[1] ذات السناء الساطع والضوء اللامع ، ويكاد نظره ينبهر لولا أن تدركه بياتريس ... ويرى إلى نهر الضوء المتألق فينظر كيف ينتصر الملائك على شرور العالم وكيف ينتصر معهم المؤمنون المباركون . (٣١) ويتلفت الشاعر فلا يجد فتاته إلى جانبه ، بل يجد مكانها رجلا طاعناً فى السن إذا تفرس فيه عرف فيه القديس برنارد الذى يخبره أن بياتريس قد عادت إلى عرشها ثم يريه بركات العذراء مريم عليها السلام (٣٢) ثم يريه كذلك أرواح القديسين الذين وردت أسماؤهم فى العهدين (الجديد والقديم) (٣٣) ثم يدلف القديس برنارد نحو البتول الكريمة فيرجوها أن تمنح بركتها لدانتى وتسبغ عليه من نورانيتها حتى يستطيع التأمل فى عظمة الله . وتهب له مريم ما سأل ، فينكشف الغطاء ويلقى دانتى ربه فيصلى له ويضرع إليه أن يهبه إشراقة يضفيها على كتاباته وأشعاره . ثم يؤذن له فيخطف لمحة من الثالوث المبارك المظيم الذى يتحد فيه الله القدير ( جل وتعالى ) بالانسان

***

ويفيق دانتى ، وتنتهى رؤياه العجيبة . وسنرى من الكلمات التالية كيف اقتبس الشاعر صور القرآن الكريم وأخيلة الانجيل الجميلة ، وطريقة فرجيل فى الجزء السادس من الأنييد ، فتم له هذا العمل الفريد

( لها بقية ) د . خ

(١) نعتبر هذا الفصل رداً على مقالات المسلمين فى آدم وسنعرض لذلك فى حينه . ونعتبره أيضاً الوحى للشاعر جون ملتون بكتابة قصيدته ( الفردوس المفقود )

(١) نلفت القارىء إلى سورة النجم من سور القرآن الكريم

من الشعر المنثور

# فجرُ القبرة

« مهداة إلى صديقى الأمير عمر الأيوبى »

## للأستاذ خليل هنداوى

كثيرون يعرفون القبرة بشكلها الرمادى الأدكن وصوتها الرفيع الرنان ، ولكن القبرة من الطيور الغريبة فى حياتها وتأملها للحياة .... روحانية تبلغ أسمى ما تبلغه الروح ، ومادية تنحط كثيراً ؛ ففى حالتها الأولى تراها تغزو أطباق الجو عند منبلج الفجر تردد الغناء سكرى بالجمال حتى إذا بزغت الشمس فزعت إلى الأرض تفتش عن غذائها ، ذاهلة عن غنائها ، ومثل هذا المشهد قد يصور أحسن تصوير حالة الذين يرقون إلى شمس المعرفة بأرواحهم ثم لا يقدرون على مقابلتها فيهبطون .. فلا الأرض تذهلهم عن السماء ولا السماء تفصلهم عن الأرض ، ولا شوقهم بمنطفئ ، ولا أرواحهم بساكنة ... هؤلاء هم كهذه القبرة ؟

« خ . ه »

أسمعها : اسمعها بعيدة عنى ، دانية منى !

أسمعها يشق غناؤها الفضاء الذى تفتح جفناه

أسمعها يتسلل شعاع قلبها مع شعاع الفجر !

قد انجلت — يا قبرتى — غياهب الليل بعد ما ظننت أن هذا الليل سرمد لا يزول

وانزاحت عن الأفق كتائب الظلمة بعد ما خلت أن هذه الألوان الربداء لا تحول

أراك تمعنين فى التحليق . . .

حتى لا أرى أنامل الفجر تجذبك اليها

فماذا تركت فى الجو بالأمس ؟

أشيئاً تتفقدينه كل مطلع فجر ؟

أم أمانة تستلمينها من الفجر ؟

أرى جناحيك يرفان ويخفقان !

يربدان طوراً وطوراً يلتهبان

وصوتك المازج المرن يصعد فى السماء

تسمعه الأرض فتهتز قليلاً ثم يتوارى كأن لم يكن شدو ولا شاد

هى سكرة قدسية يا قبرتى ترفعك إلى الأوج السامق

ترفعك على جناحى الشوق وتنطقك بلغة الغناء

فما أسمى هذه السكرة التى لا يتخللها صحو !

وما أبدع هذا الشوق الذى لا يطفئه وصال

أنت من فجرك أيتها القبرة فى صعود دائم

أنت من شوقك فى وصال قائم

تمجدين الشمس قبل بزوغها وترفعين اليها صلاتك وغناءك قبل شروقها

حتى إذا لمعت فى الأفق ووقعت عيناك على نورها الخاطف . .

فررت إلى أطباق الأرض غاشية العينين ، واجفة الفؤاد !

ألا تتمهلين قليلا حتى تراك الشمس

وأنتِ فى الأطباق العالية تغنين لها !

ألا تتمهلين حتى تتمتع عيناك بالكوكب الساطع

ويرتاح قلبك إلى من خفق للقائه شوقا وحنينا ؟

عينك لم تستطع أن تحتمل شعاع « الشمس »

وفؤادك ناء بافراغ شوقه للمشوق

وفى اللحظة الأخيرة تراخى جناحاك وعشيت عيناك

وتدحرجتِ على الأرض بعد أن رقيت معارج السماء !

ألم تتذوق لذة الشروق ؟

ألم تطعمى طعام ذلك العالم العلوى ؟

ألم يكشف لك عن خزائن ذلك الوجود ؟

الشوق والغناء والويل والعناء كلها تذوب تحت لوائك أيتها الشمس !

ما وصلك الذى تتغنين به ؟

ما شوقكِ الذى ملأ الفضاء

ما سكرك الذى لا صحوة له ؟ إذا كان نور « المعرفة » لا تحمله عيناك !

أتخافين احتراقاً فى الأضواء

أتهابين التطلع إلى نور الشمس ؟

أم تصلين كل يوم إلى الشمس ... وتقفين على بابها فاذا أطلت تواريت من وجهها المهيب ، وآثرت أن تنحطى وتتدحرجى صامتة ساكتة

كأنك كلما صعدت مرة ذهب جزء من روحك وراءها فى الفضاء

وهكذا حتى تتوزع أجزاؤك كلها وتبلغى المرحلة الأخيرة

وددتُ ياقبرتى أن أراك تزيدين إمعاناً فى التحليق

وددتُ أن أراك تزيدين فى صعودك حتى لا يبقى منك على الأرض شىء !

ووددت أن اغرودتك لا تزال تتردد فى الجو مبتعدة عنى حتى تصير اغرودة صامتة !

أهلاً بك أيتها العائدة من عالم الشمس ! منتصرة أو منكسرة ، فنى عينيك ذبول الشوق ، وفى قلبك لهيبه ، وفى جناحيك وجيبه !

لم تذوقى بعد تلك السكرة العميقة التى لا يبقيها صحو

ولم يضرمَ قلبك ذلك الشوق الذى لا يسلمك إلا إلى شوق

لم تحيى بعد شمس «المعرفة» محبة شاملة ، ولم تؤثرى الفناء فيها .

أتخافين احتراقاً فى هذه الشمس ؟

ادنى واقتربى أيتها القبرة من الشمس وواصلى أغنيتك حتى تحترقى . . .

وتردك الشمس الى الشمس . . . يا فراشة الطيور المحترقة بغير لهيب ما !

خليل هنداوى

# الحجاب فى الاسلام

## للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

عاد الناس فى هذه الأيام إلى الكلام فى مسألة الحجاب ، وكان سبب عودتهم إليها ما حصل من رغبة طائفة الهنود المنبوذين فى الاسلام بعد خروجهم من ديانتهم ، وقيل إن وجود الحجاب فى الاسلام مما يستعمله بعض أعدائه لصرفهم عن الرغبة فيه ؛ وقد حملنى هذا على بيان حقيقة هذا الحجاب على صفحات مجلة (الرسالة) الغراء ، لانتشارها فى الهند وغيره من الأقطار الشرقية ، ولعلى بهذا أقضى على هذه الدعاية الخبيثة التى يراد بها صرف تلك الطائفة عن الهداية الاسلامية

ويجب لأجل أن نعرف حقيقة هذا الحجاب أن نذكر الآية التى نزلت فيه ، وهى قوله تعالى فى سورة الأحزاب : ( يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث . إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق . وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب . ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن . وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما )

وقد عرفت هذه الآية بآية الحجاب ، وصار الحجاب فى الاسلام اسما لهذا الحجاب الذى نزل فيها ، ولا يوجد شىء آخر مما يتعلق بالنساء يطلق عليه هذا الاسم . وقد نزل هذا الحجاب فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، ويراد منه منع اختلاطهن بالرجال بحيث لا يراهن الرجال أبداً ولا يكلمونهن إلا مع هذا الحجاب . والحكمة فى فرضه عليهن أنه أريد بعد تحريمهن على غير النبى صلى الله عليه وسلم قطع العلائق بينهن وبين الرجال ، ليكون فى هذا صونهن ، والبعد بهن عمن أريد قطع أطماعهم فيهن . وقد جرى الاسلام فى هذا على عادته من إعطاء الوسيلة حكم ما يتوسل بها إليه ، سداً للذرائع ، ولأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . ويؤيد هذا ما فى الآية من قرن هذا الحجاب بحكم ما بينهما من هذه العلاقة

وقد نزل فى ذلك أيضاً قوله تعالى فى سورة الأحزاب : ( يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ، إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولاً معروفاً . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى . وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ؛ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً )

ولم يكن المقصود من فرض هذا الحجاب على أمهات المؤمنين إلا حجبهن عن الأنظار بحيث لا يراهن الرجال ، فلم يكن عليهن حرج بعد ذلك فى أن يخرجن للحج وغيره ، ولا فى أن يجتمعن بالرجال مع هذا الحجاب للعلم والتعلم ، وتبليغ الأحكام التى أخذنها عن النبى صلى الله عليه وسلم لمن يريدها منهن

وقد خرجت عائشة فى هودجها للمطالبة بدم عثمان رضى الله عنه ، وقادت الجيش الذى حارب علياً رضى الله عنه فى وقعة الجمل بالبصرة

وقد مات صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وأم سلمة بنت أبى أمية ، وسودة بنت زمعة ، وزينب بنت جحش ،

وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، وصفية بنت حيي . وما من واحدة من هؤلاء التسع إلا وكان بيتها مجمعاً لطلاب العلم الذين يقصدونها من سائر النواحي ، فيجلسون اليها ويستمعون حديثها ، وتناظرهم في العلم ويناظرونها فيه ، والحجاب مضروب بينها وبينهم ، فيأخذون عنها بدون أن يروها

وممن روى عن عائشة من الصحابة عمر وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى وغيرهم من الصحابة ؛ وممن روى عنها من التابعين سعيد بن المسيب وعمرو بن ميمون وعلقمة بن قيس وغيرهم

وممن روى عن حفصة من الصحابة فمن بعدهم حارثة بن وهب والمطلب بن أبي وداعة وعبد الرحمن بن الحارث وعبد الله ابن صفوان وغيرهم

وممن روى عن أم حبيبة أخواها معاوية وعتبة وأبو سفيان ابن سعيد ومولاها سالم بن شوال وابن الجراح وعروة بن الزبير وغيرهم

وممن روى عن أم سلمة من الصحابة فمن بعدهم أخوها عامر ومولاها عبد الله بن رافع وأبو عثمان النهدي وأبو وائل وسعيد ابن المسيب وغيرهم

وممن روى عن سودة ابن عباس ويحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة

وممن روى عن زينب ابن أخيها محمد عبد الله بن جحش وأم حبيبة وزينب بنت أبي سلمة

وممن روى عن جويرية ابن عباس وجابر وابن عمر وعبيد ابن السباق والطفيل ابن أخيها وغيرهم

وممن روى عن صفية ابن أخيها ومولاها كنانة وزين العابدين على بن الحسين وإسحاق بن عبد الله ومسلم بن صفوان

فلم يكن ذلك الحجاب الذي فرض على أمهات المؤمنين إلا لذلك الغرض الخاص دون غيره من أغراض الحياة ، ولم يحل بينهن وبين القيام بمطالب دينهن ودنياهن ، ولا بينهن وبين مشاركة أولياء الأمور في تدبير شؤون المسلمين . وقد كان الخلفاء يرجعون إليهن في كثير من الأمور ، ويسمعون إلى نصائحهن ويعملون بها

ومن هذا أن عثمان لما اضطرب عليه الأمر في آخر خلافته كتبت اليه أم سلمى تنصحه :

يا بني — ما لي أرى رعيتك عنك نافرين ، وعن جنبك مزورين ؟ لا تعف طريقاً كان النبي صلى الله عليه وسلم لحبها ، ولا تقتدح زنداً كان أكباها . توخَّ حيث توخَّى صاحباك ، فانهما ثَكَما الأمر ثَكْما ، لم يظلما أحداً فتيلاً ولا نقيراً ، ولا يختلف إلا في ظنين — هذه حق بنوتي قضيتها إليك ، ولي عليك حق الطاعة

فكتب اليها عثمان :

يا أمنا — قد قلت ووعيتُ ، ووصيت فاستوصيت ، ولي عليك حق النَّصتَةُ ، إن هؤلاء القوم رعاع غَثَرَة ، تطأطأت لهم تطأطؤ المائح للدِّلاء ، وتَلَدَّدْت لهم تلدُّد المضطر ، فارانيهم الحق إخوانا ، وأراهم الباطل إياى شيطانا ، أجررت المرسون منهم رسنه ، وأبلغت الراتع مسقاه ، فتفرقوا على فرقا : صامت صمته أنفذ من قول غيره ، ومزّين له في ذلك ، فأنا منهم بين ألسنة لدَادٍ ، وقلوبٍ شداد ، وسيوف حداد . عذيري الله ! ألا ينهى منهم حليم سفيهاً ، وعالم جاهلاً — والله حسبي وحسبهم يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون

(للكلام بقية)

عبد المتعال الصعيدي

للتاريخ السياسي

# المعنى السـيـاسى
# لانتخابات مجلس النوّاب الفرنسى
عام ١٩٣٦

## للدكتور يوسف هيكل

مجالس النواب فى البلاد البرلمانية الديمقراطية هى التى ترسم سياسة البلاد ، فان أحسن المجلس العمل كافأه الشعب على ذلك باعادة الأكثرية التى تسند الحكومة إلى المجلس الجديد ؛ وإن أساءه انفضت الأمة من حوله وأرسلت إلى مجلس النواب ، حين الانتخابات عناصر جديدة لاتباع سياسة جديدة . ويسهل على الشعب معاضدة الأكثرية الحاكمة ، أو الحكم عليها ، فى البلاد ذات الحزبين أو الثلاثة ، كما هى الحال فى بريطانيا ؛ ويصعب عليه إلقاء التبعة على حزب ، فى البلاد ذات الأحزاب العديدة والتى لا تستطيع تشكيل حكومة إلا بعد اتفاق عدد منها على الاشتراك فى الحكم : كما هى الحال فى فرنسا . وعلى كل فان الشعب يستطيع التميز بين الأحزاب ، وإن كثر عددها ، فيقوى أحدها ويضعف الآخر

والانتخابات الفرنسية الأخيرة التى جرت فى ٢٦ أبريل و ٣ مايو من هذا العام ، تُرى كيف أن المنتَخِبَ الفرنسى غير فكرته السياسية ، فقوى أحزاب اليسار : الشيوعى والاشتراكى وأضعف أحزاب الوسط ، بما فيهم الحزب الراديكالى وأحزاب اليمين . ومما لا شك فيه أن لعمله هذا معنىً سياسياً . فما هى الأسباب التى دعته إلى تغيير فكرته ؟ . هذا ما نحاول إبانته فى هذا المقال . غير أنه يحسن بادئ الأمر أن نعرض بايجاز موقف مجلس النواب السابق تجاه الحكومة ، لنرى كيف كان ذلك عاملاً كبيراً فى تغيير الناخب الفرنسى رأيه فى الأحزاب . وأخيراً نتساءل فيما إذا كان فى إمكان مسيو بلوم تأسيس وزارة قوية ثابتة ، أم ستجابهه الصعوبات التى جابهت زميله مسيو هريو ؟

— ١ —

جدير بالذكر أن الشعب الفرنسى لم يرسل إلى مجلس نوابه يوم ٨ مارس سنة ١٩٣٢ هيئة فى إمكانها تأسيس حكومة ثابتة ومتجانسة . وكل ما هنالك أن حكمه Verdicte كان سلبيا . لقد أقصى عن الحكم الأكثرية السابقة ، غير أنه لم يستعض عنها بأكثرية متجانسة . لقد أظهر عدم رضاه عن سياسة « تارديه ولافال » غير أنه لم يمكن مسيو هريو من الحكم

ليس بخاف أن الأحزاب فى فرنسا عديدة ، حتى أن عددها بلغ العشرين فى مجلس النواب الأخير ؛ غير أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع : فكان حوالى ١٨٠ نائباً من النوع المعتدل ، و ٢٤٠ من النوع الراديكالى ، و ١٨٠ من النوع الاشتراكى . ورغم أن الحزب الراديكالى كان متفقاً مع الحزب الاشتراكى حين الانتخابات وكونا « الجبهة الشعبية » ليفوزا على أحزاب اليمين ، غير أنهما لم يكونا متفقين على إنشاء حكومة مشتركة بينهما ، لأن مبادئهما الاقتصادية مختلفة . ولذا لم يكن فى مجلس النواب الاخير أكثرية متجانسة تستطيع تأسيس حكومة قوية وثابتة

وكان الحزب الراديكالى ، وهو أكبر حزب فى المجلس ، « مفتاح الحكومة » فان استطاع نيل تأييد الاشتراكيين له فيقال فى اللغة البرلمانية ، إن الحكومة « حكومة ائتلافية » Cartel ؛ وإن اشترك فى الحكم مع المعتدلين ، فيقال إن الحكومة « حكومة الاتحاد القومى »

ولقد رأى مجلس النواب الأخير هذين النوعين من الحكومات : فبعد أن فازت « الجبهة الشعبية » فى الانتخابات شكلت « حكومة ائتلافية » كان فيها معظم الوزراء من الراديكاليين ؛ لأن حزب مسيو بلوم لم يشترك فى الحكم ، ولكنه أيد الحكومة . وكان فى يد الزعيم الاشتراكى مصير هذا النوع من الحكومة ، فان نزع ثقته منها سقطت فوراً . وقد استعمل مسيو بلوم هذه السلطة مراراً ؛ فأدى ذلك إلى أزمات وزارية حادة تلا بعضها بعضاً بفترات قصيرة . وسقوط وزارات بونكور ، دالاديه ، وسارو السريع عام ١٩٣٣ سبب « افلاس » « الائتلاف »

وبعد « الفضيحة الستافسكية » وحوادث ٦ فبراير ، اضطر

الحزب الراديكالى إلى ترك رئاسة الوزارة والاشتراك مع المعتدلين فى الحكم . فتأسست وزارة مسيو دومرك ، وتلتها وزارتا مسيو فلاندان ومسيو لافال . ودُعيت هذه الوزارات « وزارات الاتحاد القومى » . على أن هذا الاتحاد لم يكن عاما إذ لم يشترك فيه طرفا مجلس النواب أى الشيوعيين والاشتراكيين من جهة ، والمحافظين من جهة ثانية . ولذا يمكن القول بأن هـذه الوزارات ما هى إلا وزارات « ائتلاف أحزاب الوسط »

وفى المدة الأخيرة من حيـاة مجلس النواب الأخير ، تخلى الحزب الراديكالى عن وزارة مسيو لافال ، وعاد الى نوع الحكم السابق أى الى اقامة حكومة ائتلافية بالاتفاق مع الاشتراكيين ؛ وعلى رأسها مسيو سارو

وكل من الحكومات التى رآها المجلس الأخير لم تكن متجانسة ، ولم تـكن لهـا قوة حيوية كافية تستطيع بها مجابهة الصعوبات التى وقعت فيها فرنسا طيلة السنين الأربع الأخيرة . لأن الاشتراكيين لم يشتركوا عملياً فى حكومات « الائتلاف » ، ولم يأخذوا على عاتقهم أية مسؤولية ؛ ولهذا كانت الحكومة « مشلولة » إذ وجب عليها مراضاة الحزب الاشتراكى كيما تحتفظ بثقته ؛ وذلك لم يمكن الراديكاليين من تطبيق مناهجهم ، والسير إلى الأمام غير ناظرين إلى مراضاة الخواطر ... ولأنه لا يمكن لأى حكومة « اتحاد قومى » أن تضع منهاجاً فعالاً يرضى عنه جميع الاحزاب الذين يعاضدون الحكومة . فالسياسة الخارجية التى يريد تطبيقها أحزاب اليمين لا يرضى عنهـا الحزب الراديكالى ، وسياسـة الحزب الراديكالى لا يقبلها أحزاب اليمين . وفى الواقع فان هذا النوع من الحكومة ما وجد إلا لظروف خاصة ، ومتى ذهبت هـذه الظروف تصدع الاتحاد ، واتفق الراديكاليون مع الاشـتراكيين ، ودارت المعركة بين أحزاب اليسار وأحزاب اليمين . ولاغرابة فى ذلك إذ الذى يبعد الراديكاليين عن الاشتراكيين هو اختلاف فى السياسة الاقتصادية ، أما الذى يبعدهم عن المعتدلين فهو الاختلاف على المبدأ une opposition idiolagique إذ أن الراديكاليين يدينون بالنظام البرلمانى ، الذى دونه يصبحون لا شىء وهم متعلقون بجمعية الأمم التى هى تطبيق المبادئ الجمهورية فى « الدائرة الدولية » . وعلى عكس ذلك فان كثيراً من المعتدلين يتساهلون فى وجود الجمهورية دون أن يحبذوها ويدينوا بمبادئها ، وهم يحكمون على مبادىء عصبة الأمم ويعتبرونها أكبر عامل على تعكير صفو السلام ...

— ٢ —

فالأزمات الوزارية الحادة التى حدثت خلال السنين الأربع الأخيرة ، والأزمة الاقتصادية العظيمة التى جابهتها فرنسا ابتداء من عام ١٩٣٢ ، والتضارب فى السياسـة الخارجية التى تولدت بين سياسة الحكومات الائتلافية وحكومات الاتحاد القومى ... أدى إلى عدم رضى الشعب الفرنسى عن مجلس النواب السابق فأرسل فى ٢٦ ابريل و٣ مارس أكثرية جديدة

ولنلق بادئ الأمر نظرة عامة على انتخابات الدورة الأولى فنرى أن الذين فازوا فوزاً باهراً فيها هما طرفا مجلس النواب أى الشيوعيين والاتحاد الاشتراكى من جهـة ، والاتحاد الجمهورى الديمقراطى ( حزب اليمين ) من جهة ثانية[1]

والعاملان الايجابيان اللذان أديا إلى هذه النتيجة هما ؛ المعاهدة الروسية الفرنسية ، وحزب الصليب النارى Croix de Feu

غيرت حكومات الاتحاد القومى الثـلاث الأخيرة مجرى السياسة الخارجيـة الفرنسية . فبعد أن كانت فرنسا تعتمد فى المحافظة على سلامتها على عصبة الأمم ومبدأ « السلام المشترك » : أخذ «المعتدلون» يبنون سلامة بلادهم على التحالف ؛ أى سياسة ما قبل الحرب . فتقربوا من إيطاليا وعقدوا معها اتفاق روما عام ١٩٣٤ ، وأخذوا يتفاهمون مع الروسـيا فوصلوا إلى المعاهدة

(١) جدول يرى التغير الذى حدث فى عدد الأصوات ما بين انتخابات الدورة الأولى عام ١٩٣٢ وانتخابات الدورة الأولى عام ١٩٣٦

| أسماء الأحزاب | الزيادة عام ١٩٣٢ | النقصان عام ١٩٣٦ |
|---|---|---|
| الاشتراكيون واتحاد العمال | ٢٠٧٩٥٠ | — |
| الاتحاد الاشتراكى والجمهوريون الاشتراكيون | ٧٢٦٠٠ | — |
| الاشتراكيون ( S. F. I. O. ) | — | ٧٧١٧٥ |
| الراديكاليون الاشتراكيون | — | ٤٣٥٠٠٠ |
| اليسار الراديكالى والاشتراكيون المستقلون | — | ٢٦٥٤٥٠ |
| الديمقراطيون الشعبيون | — | ٦٣٢٠٠ |
| الحلف الديمقراطى وجمهوريو اليسار | — | ٢٩٥٧٥٠ |
| الاتحاد الجمهورى الديمقراطى | ٣٤٥٠٠٠ | — |
| المستقلون | — | ١٤٠٠٠٠ |
| المحافظون | — | ٣٦٣٠٠ |

الروسية الفرنسية عام ١٩٣٥ . فهذه المعاهدات أظهرت للرأى العام الفرنسى أن فرنسا فى حاجه إلى الروسيا لتدفع عنها الخطر النازى . . . ثم إن الروسيا ، فى السنين الأخيرة ، غيرت مجرى سياستها الخارجيه . فبعد أن كانت ثورية هدامة ، أصبحت محافظة ! . وذلك لأنها شعرت بحاجتها الى مساعدة الدول الديمقراطية لترد عنها خطر الحكومة الألمانية التى تضمر لها شراً كبيراً وخطر اليابان ... فوقفت فى جنيف موقف المدافع عن السلام والذائد عن مبدأ « السلام المشترك » ؛ وكان ممثلها فى جنيف وفى لندن السياسى الوحيد الذى هاجم ألمانيا مهاجمة شديدة وتكلم عن خطر سياستها الخارجية بصراحة . ثم ان الشيوعيين الفرنسيين خففوا من حدة ثورتهم فأخذوا يتكلمون عن القومية ووجوب الدفاع عن الوطن ... كل هذا أبان للرأى العام الفرنسى أن لا خطر من الشيوعية وأن كل ما قيل عنها مبالغ فيه ... فكان فوز الشيوعيين فوزاً باهراً لم يتوقعه أحد

وفى أواخر الثلث الأول من حياة المجلس التشريعى السابق قامت فى فرنسا حركة « فاشستية » على رأسها الكولونيل « دى لاروك » . فأسس هذا حزباً دعاه « الصليب النارى » ، وحركته تماثل حركة « الفاشست » فى إيطاليا « والنازى » فى ألمانيا . . . وفى الأيام الأخيرة تقوى هذا الحزب ، ويدعى الآن أن عدد أعضائه من القادرين على حمل السلاح بلغ ثمانمائة ألف . غير أن هذا الحزب الجديد لم يرشح أعضاء إلى مجلس النواب ، بل إنه سند أحد أحزاب اليمين أثناء الانتخابات ، فكان فوز « الاتحاد الجمهورى الديمقراطى »

(يتبع) **يوسف هيكل**

---

# من مـــذكراته

## للأديب أحمد الطاهر

خَفَت إلىّ مع الصباح ، وحيتنى بتحيته ، وعليها من الثياب سواد ، فرددت عليها التحية فى تلطف ورعاية ورفق ، وجلست صامتة واجمة خائرة النفس منهوكة القوى شاردة الفكر . ثم أخذت تجيل النظر فى المكان الذى احتوانا ، وأخذتُ أختلس النظر اليها فاذا هى تنظر إلى الأرض ، ثم ترفع البصر الى السماء ثم تتجه إلى بنظرة وادعة حزينة ، وفى هذه النظرات الثلاث تعبير صادق عما يختلج فى نفسها من المعانى : من تفكير عميق فيما نزل بها من بأساء ، إلى توسل إلى الله بالصبر والرضا بالقضاء ، إلى رجاء فيمن تزور ليدفع عنها بعض هذا البلاء

— ثم قالت : « إنى أعلم ما كان بينك وبين زوجى رحمه الله من صداقة ووفاء وإخلاص ؛ ولقد ذكر لى فيما كان يذكر من شأنه أنك كنت مثابةً له فى الرأى ، وعوناً فى التدبير ، ونصيراً فى الشدة ، أليس كذلك ؟ »

— قلت : « نعم كنا كذلك ، وكنت أجد فيه ما تذكرين لى . رحمه الله ، وطيب ثراه . »

— قالت : « ما أفزعنى اليك اليوم وفى هذا الصباح الباكر إلا ما يحز فى قلبى حزاً ، ويعصر فؤادى عصراً ، مما أجد من همى وهم الناس : فأما همى فهو الذى تعرفه والذى إن أخفاه لسانى أعلنته ثيابى ، وأما هم الناس وما أحمل منه ، فذلك فيما أرى فيهم من قلة الوفاء ، وخراب الذمم ، وتحجر الأكباد ، وضيعة الأخلاق : فلقد كنت أسمع من والدى ووالدتى — رحمهما الله — أن الناس فى العهد الغابر كان الواحد منهم ينطق بالكلمة فاذا هى بينه وبين صاحبه عهد لا ينقض ، وميثاق لا يحل ، وإلٌّ لا ينكث به ؛ أما اليوم فما أرى الناس إلا عن ذلك صادفين : يقول الواحد منهم ما يقول ، ويعد بما يعد : فلا يقام لقوله وزن ، ولا يحسب لوعده حساب ، ما لم يسجل قوله ووعده فى كتاب ، بل لقد ينكرون ما خطت أيديهم فى الكتب ، ولو شهد عليهم شهود ، ولهم فى ذلك طرائق وحيل . هذا زوجى — رحمه الله — قد أقرض فلاناً مائة جنيه ، ولست أدرى إن كان قد كتب بها صكا أم استوثق زوجى من صدق وفائه بلسانه ، وقد ألحت علىّ الحاجة والوفاء لهذه البنت اليتيمة فطالبت الذى عليه الحق بالحقّ : فمطلنى ، ثم ألححت ، فردنى ، ثم رجوته فصدف عنى ، ثم توسلت إليه فنهرنى ، وما وجدت منه الا إنكاراً وجحوداً ، وجفاءً وصدوداً . ولما رجعت من عنده بخيبة الرجاء ، واليأس من الوفاء ، اندفعتُ أهدده وأتوعده برفع الأمر إلى القضاء . فأجابنى بقوله : ( وهل تحت يدك صك بهذا الدين ؟ ) . طار رأسى ، وذهبت نفسى شعاعاً ، وأحسست كأن الدنيا تضيق بى حتى لا تتسع إلا لعنق تعصره عصراً ، وما وجدت ما أدفع به خفته وإنكاره . لذلك جئت إليك بجملة من أوراق المرحوم لعلك واجد فيها صكا أو سجلاً بهذا الدين أو ما يغنى عن الصك والسجل . أرأيت خراب الذمم ؟ أرأيت قلة الوفاء ؟ أرأيت نكث العهود ؟ أرأيت الى الناس لا يستوثقون باللسان الحى الذى هو من صنع الله ، ويستوثقون بالورقة الخرساء التى هى من صنع الانسان ؟ رحماك اللهم رحماك ! ! »

— قلت : « خلى عنك يا أختاه . فلمثل هذا نزلت حدود الله . أما سمعت قوله تعالى ( يأيها الذين آمنوا إذا تَدَايَنْتُم بدين إلى أجَلٍ مُسَمّى فاكْتُبُوهُ ، وليَكْتُبْ بينَكُم كاتِبٌ بالعَدْلِ ، ولا يَأْبَ كاتِبٌ أن يَكْتُبَ كما عَلَّمَهُ الله ، فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الّذى عليه الحقّ وليَتّقِ الله رَبَّه ولا يَبْخَس منه شيئاً . ) »

— قالت : « سبحان الله العظيم ! هذا كلام أزلى قديم وكأنما نزل لأهل هذا العهد الحديث ، بل لكأنما نزلت هذه الآية لتكون فيصلاً بينى وبين هذا المدين . »

— قلت : « وفى هذا وفى مثل هذا تجدين إعجاز القرآن الحكيم »

ودفعت الى بالأوراق فنشرتها ونظرت فيها ورقة ورقة وهى مطرقة مغرقة فى التفكير . وما انتهيت منها إلى ورقة أطلت فيها النظر حتى رفعت رأسها عن يدها ونظرت إلى متلهفة وقالت : « أوجدت الصك ؟ »

— قلت : « لا . ولكنى وجدت ورقة لعلها من مذكرات زوجك رحمه الله — وبودى أن أقرأها لك فستجدين فى سماعها

عزاء وروحاً . وستجدين زوجك فيها يتحدث إلى نفسه بخواطره ولكنه يسوق إليك وإلى ابنتك الحديث »

— قالت : « اقرأ » . . . . فقرأت :

« ما أسعد الانسان المطمئن ! وما أحلى الطمأنينة فى كل شىء ، هذه هى السعادة حقاً ، وما أشقى الانسان الحائر المضطرب ! وما أمر الحيرة والاضطراب فى أى شأن من شؤون الحياة ! هذا هو الشقاء بعينه ، ولست أدرى لم حار الفلاسفة والمفكرون فى تعريف السعادة واختلفوا ، وما لهم لا يقولون إن السعادة هى الطمأنينة ، وما لهم لا يستقرون إلى أن الطمأنينة والسعادة مترادفان يفهم من أحدهما ما يفهم من الآخر ؟ . أغلب ظنى أن الفلاسفة والمفكرين يتسامون فى التفكير ويحلقون فى أجواء البحث فتدق عن أبصارهم هذه الحقائق البسيطة . السعادة هى الطمأنينة والشقاء هو الفزع

هأنذا أخرج من بيتى صباحاً أعدو إلى عملى ثم أروح وقد أديت العمل على خير ما يؤدى الواجب ويحمد لى الناس أداءه ويرضى ضميرى عن أدائه . فأطمئن ولا يفزعنى عن هذه الطمأنينة شىء من الأشياء فلم لا أكون سعيداً ؟ ألقى الناس : منهم الصديق ومنهم العدو ، ومنهم من لا تربطنى به صلة وثيقة ، ومنهم الكبير ومنهم الصغير ، فيلقانى كل واحد من أولئك باسماً مصافحاً لا يسألنى عن شأنى ولا أسأله عن شأنه إلا بمقدار ما تدعو اليه العلاقة التى بيننا فلا يكون سؤالى وسؤاله الا فى رفق ولين ورغبة فى العون إن كان بى أو به حاجة الى العون . وإن لا نتساءل عن شىء فما يكون بينى وبينه إلا التحية وردها . فأنا بين هؤلاء وهؤلاء مطمئن وادع لا يفزعنى عن طمأنينتى شىء من الأشياء . فلم لا أكون سعيداً ؟

وتمضى الأيام والأسابيع والأشهر وما شاء الله من أقسام الزمن وأنا أغدو وأروح بين الناس وأختلف الى ما يختلفون اليه من شؤون الحياة وأنا واجد فى جسمى هذا النشاط وهذه القوة ، لا يعوقنى فى سبيلى مرض ولا تقعدنى علة ، فأنا مطمئن الى صحتى مادمت صحيحاً ، ولا يفزعنى عن هذه الطمأنينة شىء من الأشياء ، فلم لا أكون سعيداً ؟

وأخلاف الرزق فى الحياة تصل الى من طريقَىْ كدى وجهدى وما ترك الوالدون من موارد الرزق للأبناء تصل اليهم فى سعة أو فى ضيق وأنا بذلك راض والى ذلك مطمئن : لا يفزعنى عن طمأنينتى شىء من الأشياء . فلم لا أكون سعيداً ؟

وأنا فى كل يوم من أيام حياتى أؤدى الى الله والى الناس ما يجب على من الشكر والبر بقدر ما أستطيع وكيفما يجب : لا يصدنى عن ذلك صاد ولا يصدف بى عنه صادف ، فأنا مطمئن الى علاقتى بالله وبالناس لا يفزعنى عن الطمأنينة مفزع . فلم لا أكون سعيداً ؟

أما إذا لقيت فى عملى نصباً وعناء ، أو أحسست من نفسى بنفسى عجزا عن أدائه ، أو قصوراً عن وفائه ، فهنا يكون الفزع وهنا الخروج عن الطمأنينة ، وهنا الشقاء

وإن رأيتُ الناس يمدون إلىّ يد السوء ، أو لسان السوء ، أو عين السوء ، فما أشد ما ألقى من الفزع والجزع ، وهنا الشقاء

وإن رأيت معاول المرض تعمل فى جسمى ، وتهد من قواى ، وتبعث فى هذا الجسم رسالات من الألم شديدة أو غير شديدة ، فهنا الفزع وهنا الشقاء

وإن رأيت ... وإن رأيت ... مما يحول بينى وبين السكينة ويوقعنى فى الفزع والاضطراب ، فهنا وهناك الشقاء

والسعادة والطمأنينة غاية ليس وراءها من شىء ، ولا يجد السعيد المطمئن فى مهاد السعادة ما يبعثه على التفكير فى أسبابها ، ومن أين أتت اليه ، وأى السبل اتخذت اليه ، لأنها اطمئنان واستقرار ورضا ، وسبيل لا عوج فيه ولا التواء

أما الشقاء — أعاذنا الله منه — فلا يكاد ينزل بالمرء حتى يفسد عليه نفسه ، ويلقى بالحيرة فى ضميره ، فلا تهدأ النفس عن الاضطراب بين علله وسبل الخروج من مضائقه . ولا يهدأ العقل عن التفكير فى هذه العلل وهذه السبل ، ولا يهدأ الضمير عن أن يتخذ لنفسه أشكالاً وأوضاعاً يسميها الناس وخزاً وتأنيباً وندماً وقلقاً وتبرماً وحسرة ؛ وما الى ذلك من الأسماء تختلف باختلاف أنواع الفزع وأسباب الشقاء . وهنا يكون الشقى بين شقى الرحى : شقائه الذى نزل به واضطراب نفسه وعقله وضميره فى مبعث الشقاء وسبل الخروج منه . وكثير من الناس يزيد فى شقاء نفسه بنفسه حين يخطئ السبيل التى تؤدى إلى الخلاص من الشقاء ، أو حين يضل عن هذا الثقب الصغير الذى نفذ اليه منه البلاء ، أو حين يلتمس الراحة من

العناء فيما لا يزكو بالعاقل التماس الراحة فيه

وما من سبيل لأن تعـدد للناس حصرا أسباب الشقاء . ولا سبل الخلاص من الشقاء ، ولكنني وجدت سبلاً ثلاثاً ، كلما أفزعت عن طمأنينة السعادة إلى مضطرب الشقاء لجأت اليها فوجدت فيها عزاء وشفاء وهناء

* * *

أخلو إلى نفسي فأصل بينها وبين الله بالتفكير في خلقها ، وفي الحدود التي وضعها الله بين العبد وربه ، وبين العبد والعبد . وفي تحديد حياتها بأجل تنتهي عنده ، وأقيس ضعفها بقوة خالقها ، وحقـها في الحياة بحق من أوجدها في الحياة ، وأتبين ما رسم الله لعباده من مناهج وطرائق تؤدي إلى السعادة العاجلة في الدنيا ، أو الآجلة في الأخرى ، وما فرض على العبد أن يأخذ به نفسه إذا اشتد به الضيق ، أو سد في وجهه الطريق ، ثم أرجع الى كتاب الله أقرأ فيه وأتبصر في معانيه ، فأجد فيـه للنفس شفاءها ، وللروح غذاءها ، وأجد قوة على احتمال الشقاء ، وسبلاً للخلاص من البلاء ، ويهون في نفسي كل ما هالها ، ويصغر في عيني كل ما تعاظمها ، فما ألبث حتى تستشعر نفسي شيئاً من الصبر والرضا ، ويشع في أعطافها وحواشيها نور من الأمل والرجاء ، ثم تطمئن الى ما تجد ، ثم تخلو من الهم ، وإذا أنا هادئ وسعيد

* * *

أرجع الى بيتي فتلقاني ابنتي الصغيرة متهللة مستبشرة ، فأحملها بين يدي وأقبلها وتمضي تحدثني بما أفهم ولا أفهم من لغوها ، ثم تسمي بيني وبين أمها ، ويطول لغوها وسعيها ، ثم تنظر الى كل منا وعلى وجهها الصغير آيات البشر بادية ، وتحاول أن تشركنا في هذا المرح الذي تشعر به ، وتود لو تفيض علينا منه . فيعز على أن أعذب هذه الطفلة البريئة بعبوسي ، ويكبر علي أن أكدر صفوها بوجومي ، وأن أحمل اليها والى أمها هماً لا قبل لهما به ولا يد لهما فيه ، ولا حـيلة لهما في صرفه عني . فأتناسى ذلك الهم الذي كان مبعث شقائي ثم أنساه ، وأمزق عن وجهي غشاوة العبوس التي كانت تغشاه ، ثم أمحوها محواً ، وإذا على الوجه ابتسامة تكون قلقة حائرة أولا ، ثم تتصل بالنفس فتستقر وتصدر عن إحساس أخيراً ، حتى إذا انصرف عن النفس بعض همها الذي ملكها

خلت إلي هذه النفس تحدثني ببعض ما يجب على الرجل نحو أبنائه وأهله . وتبسط لي كيف يجزي الطفل على بنوته وطهارته وضعف حيـلته ، وكيف تجزي الزوجة على أنوثتها الضعيفة ، وأمومتها السامية الشريفة ، ورعايتها لزوجها ووفائها له . فأذكر إذ ذاك العطف والحنان ، والرعاية ، والوفاء ، وعرفان الجميـل ، وحسن التقدير ، ويذهب هذا كله بما بقي في نفسي من هم . وإذا أنا بعد هذا وبهذا مطمئن وسعيد

وثالث هذه السبل هو هذا القلم الذي أكتب به : أصل بينه وبين نفسي فاذا ما فيها من الهم والأسى ينساب الى قناته في سهولة ورفق واطراد ، وإذا هو ينثر ما في النفس على الورق ألفاظاً وأسطراً وصحائف . وما أزال أكتب حتى يقف القلم ، فأنظر الى نفسي فاذا القلم قد استنزف كل ما فيها من الهم لم يترك بقية ولا ذُمَامَة . فأقرأ ما كتبت وأقيسه بما كان في نفسي ، فاذا هو هو لا يزيد عنه بمقدار ولا ينقص عنه بمقدار . وإذن لقد أفرغت نفسي من الهم واطمأننت وإنني لسعيد

ولعمري إن هذه السـبل الثلاث لهي خير ما اهتديت اليه من سبل التخفيف من همي . وأنا فيما يحزبني من الأمر أتخذ سمتي اليها مجتمعة أو متفرقة ، فأجد فيها راحة وشـفاء واطمئناناً وسعادة . ولقد اتخـــذت سمتي الليلة الى هذه السبيل الأخيرة « سبيل القلم » فكتبت ما كتبت وأحس أن ليس في نفسي أكثر مما كتبت

وإذن لقد فرغت نفسي من همها واطمأنت وإنني لسعيد اهـ »

* * *

وما انتهيت من القراءة حتى نَظَرَت الىّ باسمة راضية ، وتبددت عن وجهها سحابة الحزن والأسى وقالت : « أي والله ، لهذا خير عندي من الصك ألف مرة . أكان رحمه الله يجد العزاء في كتاب الله ، وفينا ، وفي قلمه ؟ قل لي بربك بِمَ أجزيه عن فضله وبره ؟ وماذا أفعل بهذه الورقة وهي فيما أرى سجل حياته وعهده الكريم بين الله وأهله ونفسه.

— قلت : « أكرميها »

— قالت : « وكيف ؟ »

— قلت : « تحفظينها عنـدك ذخرا ، وأنشرها لك في ( الرسالة ) ذكرى »

اليوزباشي أحمد الطاهر

في الأدب الانكليزي

# هل من انتحال في الأدب الانكليزي ؟

للسيد جريس القسوس

أخي ح . ش :

لقد مضى نحو عام على رسالتك التي بعثت بها إلى تطلب فيها أن أشرح لك المشكلة الشكسبيرية التي تثار من حين إلى آخر . واليوم أراك تبادرني بسؤال آخر قلما التفت له الباحثون في الأدب الانكليزي . وقبل الاجابة على سؤالك لا بد من لفت نظرك إلى الفصل الممتع الذي عقده الدكتور طه حسين تحت موضوع : « ليس الانتحال مقصوراً على العرب » ، في كتابه « الأدب الجاهلي » بين فيه أن الانتحال لم يقتصر على العرب ؛ بل كان عند الأمم القديمة ، كاليونان والرومان ، ولا أعلم هل في الآداب الأوربية الحديثة ، خلا الانكليزية ، شيء من هذا ؛ وكل أملي أن يتعاون الباحثون في الأدب على بحث موضوع الانتحال في آداب الأمم الحية ، لعلهم بذلك يتوصلون إلى نتيجة مرضية ، تشفي الغليل ، وتنير السبيل أمام الباحثين في موضوع الانتحال عند العرب . أما في الأدب الانكليزي ، فلم يُعرف الانتحال ، على ما أعلم ، إلا في القرن الثامن عشر ؛ وقد يكون هناك شيء منه في غير هذا القرن ، لكنه ضئيل تافه إذا قيس بما عُزِي إلى الشاعرين الكبيرين James Macpherson جيمس مكفرسن ، و Thomas Chatterton توماس تشاترتن من الانتحال

— ٢ —

## من هو مكفرسن ؟

وقبل التطرق إلى البحث في الانتحال المنسوب إلى هذين الشاعرين ، لا بد من كلمة مقتضبة ، نترجم بها لكليهما ، ذلك لما للحوادث في حياتهما من علاقة متينة بموضوع هذا البحث . لهذا نشرع بادئ ذي بدء بمكفرسن فنقول :

ولد جيمس مكفرسن قرب كنغوسي Kingussie ، في سكوتلندا ، في ٢٧ أكتوبر سنة ١٧٣٦ . وكان أبوه مزارعاً وضيع النسب ، فقير الحال ؛ لكنه برغم ذلك استطاع بحذقه ودهائه أن يدخل ابنه جامعة أبردين Aberdeen وبعدها جامعة أدنبرغ Edinburgh . ولقد عُرف الشاعر صغيراً بالنبوغ الأدبي فألم بالشعر الغاليقي Gaelic إلماماً كبيراً ؛ ونظم وهو تلميذ ما ينيف على أربعة آلاف بيت من الشعر ، نشر بعضها تحت عنوان « الانجاد » The Highlands سنة ١٧٥٠ ، وأهمل البعض الآخر لأمر ما

ولقد زاده ولوعاً بالأدب ما لاقاه من تشجيع أصدقائه له على نشر منظوماته . ففي نيوفات Neoffat مثلاً التقى بجون هوم John Hume وأطلعه على بعض قصائده ، فأعجب بها ، وأشار عليه بنشر بعضها ، خاصة ما ادّعى أنها مترجمة عن الشعر السكوتلندي القديم مثل « مقطعات من الشعر القديم جمعت في جبال سكوتلندا ، وترجمت عن اللغة الغاليقية » وهي في الأصل الانكليزي كما يلي :

(Fragments of Ancient Poetry, collected in the Highlands, & translated from the Gaelic or Ersie language)

(Edinburgh 760)

ليس هـذا فحسب ، فقد أمدّه الدكتور هيوج بلاير Hugh Blair باعانة مالية مكّنته من نشر هذه الأشعار ، ذلك لظنه بأن أكثر هذه الأشعار مترجمة غير موضوعة

وفي خريف سنة ١٧٦٠ ، زار الشاعر بعض القرى السكوتلندية ، وعثر فيها على مخطوطات قديمة فافتتن بها ، حتى أنه ما عتم أن ترجم أحدها بمعاونة الأديبين الكابتن موريسن Captain Morrison والقس أ . غالي Rev. A. Galle

وفي سنة ١٧٦١ ، أعلن اكتشافه لقصيدة حماسية Epic موضوعها فنغال : Fingal نشرها تحت عنوان ضخم هو «فنغال في ستة كتب ، مرفقة بقصائد أخرى متفرقة للشاعر أوسيان ابن فنغال ، مترجمة عن اللغة الغاليقية »

وعنوانها الأصلي هو : —

(Fingal, an ancient epic poem Six Books, together with several other poems composed by Ossian, the son of Fingal, translated from the Gaelic language)

أما Fingal فهو الاسم الذي وضعه مكفرسن للبطل الايرلندي الخرافي (فن) Finn الذي آزر كثولن حاكم ايرلندا ، ووقف معه في وجه خصمه العنيد سواران Swaran ملك لوخلين Lochlin حتى تمكن في النهاية من قهره ، وإيقاعه في الأسر

وفى سنة ١٧٦٣ ، نشر قصيدة أخرى حماسية ، اسمها ( تيمورا ) Temora ومجموعة شعرية موضوعها Works of Ossian

أما تيمورا Temora هذا فاسم قصر ملوك ألستر Ulster ؛ وفى هذه القصيدة تتمة الحوادث الواردة فى فنغال Fingal

أما أوشان Ossian فهو ابن فنغال نفسه ؛ وقد كان فارساً مغواراً ، وشاعراً مجيداً ؛ عاش على ما جاء فى الأساطير الغاليقية فى القرن الثالث ق . م . ، وإليه يعزو مكفرسن وغيره من الأدباء هذه المنظومات الحماسية الرائعة ، التى تدور على بطولة فنغال وقومه[1]

وجميع هذه الآثار الأدبية التى نشرها مكفرسن ، معلناً أنها مترجمة موضوعة بأسلوب أقرب الى النثر منه الى الشعر ؛ ذلك لما فيه من التسجيع والايقاع المتكلف

ويُعدّ أسلوب مكفرسن الأدبى من أروع الأساليب وأجملها وموضوع أدبه من أبعد المواضيع أثراً فى تعجيل الحركة الابتداعية Romanticism ونشرها قبيل مجىء وردزورث . ولا يقتصر نفوذه على الأدب الانكليزى فحسب ، بل تعداه الى الأدب الأوروبى عامة ، والألمانى خاصة . فقد ترجمت منتوجاته إلى أغلب اللغات الحية وكان غوته وهردر Herder الشاعر والنقادة الألمانى الشهير من هواة أدبه

ويروى أن ترجمة كيساروتى Cesarotti الايطالية لقصائد مكفرسن ، كانت من أحب الكتب إلى نابليون

وبعد رجوعه من رحلاته الكشفية فى سكوتلندا ، تقلب مكفرسن فى وظائف شتى ، فمن سكرتير للجنرال جونستون Johnston فى جزيرة فلوريدا ، إلى عضو فى البرلمان ؛ وهو فى أثناء ذلك لا ينقطع عن الاشتغال بالأدب ، والنشر ، وأهم ما نشره ، خلاف ما عزاه إلى غيره من الترجمات الشعرية ، كتاب « سر تاريخ بريطانيا العظمى » ، ولقد ظل هذا دأبه ، حتى وافته المنية فى ١٧ فبراير سنة ١٧٩٦ ، فدفن فى زاوية الشعراء فى وستمنستر أبى

— ٣ —

## مكفرسن والانتحال

كان صموئيل جونسن Johnson النقادة الانكليزى الشهير ودكتاتور الأدب فى القرن الثامن عشر ، أول من نسب إلى مكفرسن انتحال أشعاره ، وإدعاءه أنها مترجمة من الغاليقية . فقد نشر جونسن سنة ١٧٧٥ كتيباً اسمه « رحلة إلى جزر اسكوتلندا الغربية » A Journey to the Western Islands of Scotland هاجم فيه مكفرسن هجوماً عنيفاً ، مبيناً أن مكفرسن إنما عثر على بعض الأشعار والمقطعات القصصية فى الشعر الغاليقى القديم ، فحاك من هذه المقطعات تلك القصائد المطولة ، التى ادعى أنها مترجمة ، ولقد زاد موقف مكفرسن اضطراباً ، ورأى جونسن وغيره من خصوم مكفرسن ، تأكيداً ، أن الشاعر السكوتلندى ينشر الأشعار الأصلية فى صيغتها الأولى ، فيكون بذلك قد برر موقفه ؛ ورد طعنات خصومه إلى صدورهم ؛ وعذره فى ذلك عجزه عن القيام بنفقات النشر ، وحين لم يستطع أن يصمد أمام الأدباء المعاصرين الذين انقلبوا جميعاً خصوماً له ، لم ير بدًّا من المكوف على نظم بعض القصائد ، والادعاء بأنها الآثار الأدبية الأصلية ، التى نقل عنها

ولقد أثيرتْ بعد وفاته آراء متضاربة ، حول صحة هذه القصائد ؛ وانقسم الأدباء إلى خصوم وشيعة . ومن أشهر خصومه ملكولم لينغ Malcolm Laing ؛ فقد بيّن فى ملحق كتابه « تاريخ اسكوتلندا » ، سنة ١٨٠٠ ، أن الأشعار الأوشانية Ossian Poems ليست مترجمة ، بل نظمها مكفرسن ، وعزاها إلى غيره

وطرق هذا الموضوع أدباء فرنسيون وألمان إخصائيون فى الأدب الكلتى ، ولفتوا أنظار مؤرخى الأدب إلى نقط مهمة تكشف عن الناحية المبهمة من هذا الموضوع الخطير

ومن خصومه أيضاً الدكتور دوجلاس هايد Dr Douglas Hyde فقد ألف كتابا اسمه Whe were the Finians ذكر فيه أن مكفرسن عرف الاسم الحقيق لفنغال تمام المعرفة ، إنما توخى التحريف والتحويل فى هذه الأسماء ليوهم الأدباء أن أسماء أشخاص قصائده ، إنما هى مترجمة ليس إلا

ولقد عرض اسكندر مكبيان Alexander Macbian فى فصل قيم موضوعه : Who were the Feinn? فى كتابه : قضايا الجمعية الغاليقية فى غلاسكو Transactions of the Gaelic Society of Glasgow ، لمختلف الآراء والنظريات المتعلقة بهذا الموضوع ، وبخاتمة ذلك الكتاب تتضمن خلاصة ماوصل اليه معظم الباحثين

(١) اقرأ بعض هذه القصائد الرائعة فى كتاب ( آلام فرتر ) لجوته ترجمة صاحب هذه المجلة

في هذه المشكلة ؛ وخرج من هذا كله بنتيجة معقولة هي أنه لم يعرف في التاريخ شخصية باسم Fian أو Finn ؟ إنما جل ماهنالك بعض مقطعات في الشعر الشعبي الخرافي ، فيها بعض الاشارات إلى أبطال إيرلنديين ، لم يثبت التاريخ وجودهم في عصر ما . أما انتساب (فِنّ) إلى كورمك Cormac أحد ملوك إيرلندا القدماء كما هو ظاهر في القصيدة «فنقال» ، فهذا أيضاً عار عن الحقيقة إن هو إلا نتاج زائف لخيال مكفرسن وتصويره الشائق

ويذهب مكبيان إلى أبعد من هذا ، فهو يرى أن اتخاذ الايرلنديين (فِنّ) بطلا قومياً ليس بالعجيب ؛ إذ كلّل أمته ، عند نشأتها وتكوينها الاجتماعي والأدبي ، أبطال خياليون ، تنسج حول شخصياتهم الأباطيل والخرافات المتعددة ، فما (فِنّ) بالحقيقة إلا بطل شبيه بهرقل ، وتيسيوس ، وبرسيُسْ . ولا يبعد أن يكون (فِنّ) هذا إلهاً محليا ، قدسه قومه ، وجعلوا منه بطلاً قومياً . حتى (أوشان) الشاعر الذي ينسب اليه مكفرسن نظم كثيرٍ من القصائد التي تدور حوادثها على شخصية (فِنّ) ! أقول ، حتى هذا الشاعر ، في رأي مكبيان ، وليد الخيال ! لم يعش قط في عصر ما . أما تفسير كونه ابن فنقال فليس بالأمر العسير ، فهو لا يختلف بذلك عن غيره من الآلهة القديمة التي عُرفت بالاختلاط مع البشر ، والمساهمة معهم في الحروب ، ومختلف الأحداث ؛ وفي كثير من الأحيان التزاوج مع فئةٍ مختارة منهم

أما جواب مكبيان الأخير على القول السائد ، (أن فنقال عاش وأوشان أنشد Fingal lived and Ossian sang )

فهو إنهما عاشا وأنشدا في نفوس الشعب الغاليق ، وأخيلتهم الخصبة . لأن ذاك الشعب وجد في هاتين الشخصيتين الخياليتين ، مثلهم القومية والأدبية العليا مجسمة

أما أنصار مكفرسن فيكتفون بالتشيع لصاحبهم ، دون الاتيان ببراهين وحجج دامغة ، تدحض آراء خصومهم دحضاً ، وتدفع بهجماتهم العنيفة دفعا ؛ وخلاصة ما يرونه أن هذه الأشعار تاريخية ، وأنها من نظم شاعر عاش في القرن الثالث ق . م . وشهد جميع الحوادث الحربية ، التي ورد وصفها في تلك المنظومات الرائعة

والحقيقة الراهنة لا تنشد في قول جونسن الخصم اللدود ، ولا في أقوال أنصار مكفرسن المتحزبين ، إنما تطالب في قول فئة تقف موقف العدل والحق من هذه المسألة

والمقام يقصر عن التعرض لآراء جميع الذين يقفون هذا الموقف لكننا نكتفي بذكر أعظمهم شأناً وأبعدهم أثراً ، وأقربهم من الحقيقة ، أعني به الكاتب الكبير ، والنقادة الاسكتلندي الشهير كامبل أوف إسْلويْ Campbell of Isloy فقد وضع مؤلفاً في هذا الموضوع اسمه : ( قصص شعبية في الجبال الغربية ) Popular Tales of the West Highlands فنّد فيه زعم جونسن أن مكفرسن نظم آثاره الأدبية نظما ، دون أن يتأثر بأشعار عامية قديمة ، أو يقتبس منها أو ينقل عنها ، وإن هذه الحوادث والأسماء الواردة في منظومات مكفرسن إنما هي موضوعة مختلقة ، وردت ليست مترجمة . فهو يقول أن الأبطال الأوشانين ، الذين وردت أسماؤهم في قصائد مكفرسن ، عاشوا بحق ، وعُرفوا قبل أن يدوّن مكفرسن هذه الأشعار بأعوام

( البقية في العدد القادم )

**جريس القسوس**

# الصـــــديق المنشود

للأستاذ فخرى أبو السعود

تحيــــةً فى النوى يا كهف آمالى

من مُصطف لك دون الصحب والآل

يا مخلصاً لىَ فى سر وفى علن    وراعياً لى فى بُعدى و إقبالى

ومن يغالى بودى ليس يبذله    لزخرف العيش من جاه ومن مال

ومُسدياً فضلَهُ من غير مسألةٍ    وعارفاً لىَ إفضالى و إجمالى

ومن يُفرِّحه فوزى بمُطَّلَبى    وليس يهنئُه أن ساء بى حالى

لاشامتاً بىَ فى وقع الخطوب ولا    جذلانَ غفلانَ فى كربى و بلبالى

ومن إذا اغتابنى المغتاب أصْمَتَهُ    فليس يُطربه ما قال عذالى

و إن رأى عِوَجاً بى لم يُسرَّ به    لـكن يُقَوِّمُ آرائى وأفعالى

ومن يُمَحِّضنى نصحاً وأقبس من    ضياء حكمته فى كل إشكال

ومن يماثلنى نفساً ويشبهنى    هوى ويفقه أفكارى وأقوالى

ومن محادثتى إياه أعذَبُ لى    من وقع فاجئة النُّعمى وأشهى لى

ومن إذا زدتُه خُبْراً أزيد له    حمداً ويَعظُم فى عينى وفى بالى

ومن أرى وده نعم العزاء إذا    تقلبت بىَ حالٌ أو قلا قال

ودٌّ أنزهه عن كل شائبة    وأصطفيه بتقديسى و إجلالى

كم تاق قلبى إلى قُدْس أُمَجِّدُهُ    فى عالم فائضٍ بالرِّيب مُنْثَال

قد بتُّ أرقب لقيانا وأنشدها    على تعاقب أيام وأحوال

فهل لها موعد ؟ فالعمر مرتحل    وليس يُرْجى لِعَوْدٍ بعد ترحال

متى تعارُفُنا ؟ أم آين أنشــــده ؟

فقد أطلت — وما ألقاك — تجوالى

كَم توسَّمت من جهـل صفاتِكَ فى

فتى فأخلف فيـــه الخبرُ آمالى

لم يشخُ لى بمغالٍ فى الهوى لَهِجٍ    دهرٌ سخا بمُلِحّ فى القِلى غال

فخرى أبو السعود

# الشــــلال

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

« فلعل الحياة كالماء تجرى    بين هذا الثرى وبين السماء »
( من القصيدة )

يا أخا الصمت فى الجلالة والرو    ع وصنو النكباء والهوجاء(١)

إن فى القلب لوعة ما تقضى    أنت حاكيت همتى ورجائى

أحسب الخلد مثل مائك ينها    ر ونفسى فى مائه كالهباء

أنت فَجَّرْتَ فى ضلوعىَ ينبو    عاً من الشجو مسرعاً فى دمائى

ليت أن الحياة مثلك تعدو    لا تَرَاخَى مثل الجياد البطاءِ

إن للعيش كدرة تذر النف    س ركوداً كآسنٍ فى نهاءِ(٢)

فأَعِنّى على الأواسن من نف    سى بفيض ينهار مثل البناء

يا ابن ماء السماء هل تذكر الر    عد تحاكى إرزامه فى الغناء(٣)

قد هددت الصخور تنشد خصْبا    أم لذخر تبغيه فى الدقعاء(٤)

إنمـا أنت ناقم ينصف السه    ل بفضل الشواهق الشماء(٥)

تجعل السهل والحَزُونَ سواء    ليس نجد ووهدة بسواء(٦)

مَرِحٌ أنت أم كما يسرع الفا    رس فى نجدة إلى الهيجاء

لك بالشم مولد وعلى صد    ر أبيك المحيط وقع الفناء(٧)

غير أن الميـلاد فى قمم الش    م حِمام لهاطل الأنواء

فلعل الحياة كالماء تجرى    بين هذا الثرى و بين السماء

لك فى النفس نشوة مثلما استش    رف راءٍ من شاهقات العلاء(٨)

(١) أى أن صوت الشلال فى روعته كالصمت التام فى روعته فى لكل منهما روعة وهو شبيه بالرياح الأعاصير فى صوته

(٢) النهاء الغدران وأسن الماء أجن وتغير

(٣) الشلال ابن ماء السماء أى المطر ، وارزام الرعد صوته

(٤) الدقعاء : الأرض    (٥) فضل الشواهق أى فضلات الجبال من صخور الخ    (٦) الحزون : الأراضى غير المستوية ، والنجد : الأرض المرتفعة    (٧) المحيط أبو النهر ، لأن النهر من السحاب ، والسحاب من المحيط

(٨) استشرف : أطل من مكان عال ، والمرء يشعر بذهول أو دوار وروعة وخوف اذا أطل من مكان عال كما يشعر وهو يرى تدفق الماء من عل فى الشلال

ويفيض النفوس مرأى جلال     لك حتى تطير كالأنداء (١)
فكأنى فى مائك الغمر أهوى     وكأنى فى كل دان ونائى
أنت أيقظتنى وقد كنت وسنا     نَ فخلت الأكوان طراً ردائى (٢)
هاتف فى خرير مائك قد أذ     كرنى عزمتى وماضى مضائى
أنت أصفى من الوداد وأنقى     من حبور النعيم والسراء
أنت أرجوحة لنفسى وصوت     منك كالظئر هاتف بالغناء (٣)
أنت مثل الشباب عزماً وبطشاً     وَوَضاء أحبب به من وضاء
لك وقع الأقدار حتى لقد خا     تك رمزاً رُمزتَهُ للقضاء
أنت كالدهر تأخذ الترب والعس     جد حتى تعيده فى الحباء (٤)
لم تهبْ كرّة الدهور ولم تجـ     زع لذكر الشقاء والأرزاء
يا سليل السماء حدّث طويلا     بحديث العلى وصدق السناء
تبعث الصخر من صخورك يزهو     فوق صدر العشيقة الحسناء (٥)
سوف تغـدو كالشيخ فى أخريات الـ
نهر تسـعى بهمّة شمطاء (٦)
فاغتبط بالمضاء وامرح طويلا     كل شىء لطيّةٍ وفناء (٧)

**عبد الرحمن شكرى**

(١) مناظر الجلال الهائلة تتضاءل أمامها النفس حتى كأنما تنعدم أو كما يتبخر الندى (٢) الإنسان فى غفلة من الأثرة والأنانية فتوقظه مناظر الروعة والجلال من غفلة أنانيته ، إذ يتضاءل أمام تلك المناظر فيحس وحدة الوجود (٣) كأنما حركة الماء فى الشلال تهز النفس كما يهتز الطفل فى الأرجوحة ، وصوت الشلال يجلب للنفس راحة كراحة الطفل فى غناء المرضع (٤) الحباء : العطية

(٥) ذلك لأنه يصقل الصخور
(٦) إشارة الى بطء النهر عند المصب
(٧) المضاء : المراد به نفوذ العزيمة وقوتها
(٨) لطية : لغاية يستقر عندها



# ضيعة المنى !!

## بقلم فريد عين شوكة

بعض الرضى يا شبابى     عما ذوى من رغابى
مضت عهود التمنى     عَجْلَى كمرّ السحاب
فاسلك سبيل التعزى     ودع حياة التصابى
وانعم ببعض الأمانى     من الزمان المحابى
واركض مع الدهر واهتف     له بكل ركاب
إن الزمان غبىٌّ     يلهو به المتغابى

***

يا حائراً فى ضلوعى     كزورق فى عُباب
وباعث الدم يسرى     كالمهل تحت إهابى
متى تصيب قراراً     تغفو به أعصابى
متى تعود فترضى     من رحلتى بالاياب
متى تهون الغوالى     عليك بعـد الذهاب
متى أراك بجنبى     كراهب المحراب
جفا الحياة ووارى     آماله فى التراب

***

يا قلب صبرك أطفىء     به لواعج ما بى
فأنت وحىُ نزاعى     وثورتى واضطرابى
شـغلتنى بأمان     كواعب أتراب
تركزت فى ضميرى     وغلغلت فى شعابى
حتى جننتُ هياماً     بها وخف صوابى
ما بالها كذبتنى     وأسفرتْ عن سراب
وخلفتنى منهـا     فى وحشة واغتراب
ظمآن أهفو لديها     لرشفة من شراب
أسوان أصلى عليها     نار الأسى والعـذاب
يا حسرة المتمنّى     على الأمانى الكِذابِ

فريد عين شوكة     ( منوف )

# حيرة

للأستاذ محمود محمد شاكر

أشابَ القلبُ أم كَرِهَ الشبابا ؟   وبان الأُنسُ أم نسى الإيابا ؟
وغالبنى الأسى أم غالبَتْنى   حياةٌ تجعل الفَوْزَ اغتصابا ؟
أتَغْضِبُنى الدموعُ الصبرَ حتى   أرَى الدنيا أنيناً وانتحابا !
ويُبْدِلُنى الزمانُ من التصابى   ومن طَرَبى وُجُوماً واكتئابا !
وأَسْأَمُ لَذَّةَ الدُّنْيا ، ولمَّا   أَذُقْ مِنْ لَذَّةٍ إلا حَبابا !
فأَزْجُرُ لَذَّتى زَجْرَ اليتامى   إذا ما الدهرُ أَمَّ بهم ذئابا
أفى وَهَجِ الشباب أعود هِمًّا   يذودُ بضعفه النُّوَبَ الصِّعابا ؟
وأُطْرِقُ للحوادث مستكيناً   كجانى الشرِّ ينتظر العقابا !
وأُصبحُ فى يدِ الدنيا أسيراً   إذا رام الفِكاكَ وَهَى وخابا !
كما عَلِقَ الحِبالةَ ذو جَناح   ولم يَنْفَعْهُ أن صحِبَ السحابا
فصفَّقَ ثم رَنَّقَ ثم أعْيى   بِحِرْنٌ لداره جوًّا وغابا

أمِنْ عَدْلِ الحوادث أن أُضَرَّى   لأطْعَمَ إِثْرَ لَذَّتِهِنَّ صَابا !
وأن أستقبل الغَدَ مُسْتَثيباً   فيُقْبِلَ ، لا أفاد ولا أثابا !
وأحمِلَ من بناتِ الهمِّ قلباً   إذا نَهْنَهتُهُ زاد اضطرابا !
جزاكِ الله من دُنْيَا خَتُولٍ . .   غَذَوْتِ القلبَ شكًّا وارتيابا

أتنهانى عن الجزعِ الليَّالى   وما تنفكُّ تتركُنى مصابا ! !
فَتَسْلُبنى الأحبة عن عيان   وتَمتَحُنى بذكراهم عذابا
وتسألنى اختداعاً : أين بانوا ؟   ومن يُجْرِم توقَّح أو تغابى
سَلِى ما شئت، واستمعى شكاتى   كمثل الدمع تنسكب انسكابا
أعذلٌ منكِ أن أجَّجْتِ قلبى ؟   فلولا الصبرُ يُمسكه لذابا
فصارعتُ الشجون وصارعتنى   إلى أن فُزْتُ بالبقيا غلابا
فان الدهر يُنصف من تأبَّى   ويمنع يائساً من أن يُجابا
ومن يُعطِ التجلد للرَّزايا   تيقَّن أن يصيب وأن يُصابا

وسائلةٍ بظَهْرِ الغيب عنى   وعن جَلَلٍ من الأحداث نابا
تذكِّرُنِى الأحِبَّة يوم ولَّوْا . .   فزاد الدمعُ والجَزَعُ انتيابا
أحافظتى ، فديتُكِ من صديق   يسائلُ من مضى عنى وآبا
هى الدنيا تُفَرِّقُ ساكنيها   وفى الذكرى تزيدهمُ اقترابا
ألا لا تَعْجَبى لِىَ من نحيبى   فإن أماننا العَجَبَ العُجابا

محمود محمد شاكر

# بلبلتى . . . (١)

بُلبُلَتى ! ما شِئت طيـ   ـرى حُرَّةً وغَرِّدى
وَسَقْسِقِى فى جَنَّةٍ   من مُهْجَتى وكبدى
لا تحْسَبينى جئتُ بالْـ   ـقَيْدِ وذُلِّ المُقْوَدِ
تفديك روحى وَسَناَ   عينِى وتَفْدِيكِ يدى
لن تدخلِى فى قَفَصٍ   من جوهر مُنَضَّدِ
بل تدخُلينَ قَلْبى الْـ   ـوافى فغنِّى وأُنْشِدى
رَوْضى أنا ، لا رَوْضَ هٰـ   ـذا العالَمِ المحدَّدِ
إن تَنْفَدِ الدُّنْيا وَجَدْ   تِ رَوْضَنَا لم يَنفَدِ
وأنت فِرْدَوْسى وفى   ظِلِّكِ شِدْتُ مَعْبدى
لكِنَّنى أَحْمِى ذِما   رى وأصونُ مَحْتِدى
وَأَدْفَعُ الذُّؤبَانَ عن   محَامدى وسُؤْدَدِى
شَرْقيةٌ أَنْتِ ؛ وَبِى   بِقيَّةٌ من أَحْمَدِ
فباركيهاَ بارَكَ اللهُ   عليْكِ ، واقصِدى
علىَّ مِنْ حَقِّكِ ما   لَسْتُ عليه أعتدى
يا أملى البَسَّامَ هاَ   تِى ( . . . ) وأسْعِدى
سَهِدْتُ فاشْفِى بعض ما   فى جَفْنِى المُسَهَّدِ
باريسُ ما باريسُ إنْ   فَرَّطْتُ فى ذا البلدِ ؟
فِرْعَوْنُ جَدِّى ، وأبى   عَدْنَانُ ، فَهْوَ مُخْلِدى
وَيَثْرِبٌ مَهْوَى فُؤَا   دِى حِينَ مِصْرٌ مَوْلدى
والمجدُ فى شُطئَانِ هٰـ   ـذا النيلِ فارضَىْ واسعدى

(المحلة الكبرى)   (د ...)

(١) تزوج الشاعر من فتاة مصرية مثقفة بالثقافة الفرنسية وقد حاولت أن تجعله يغضى عما تقتضيه التقاليد التى عرفتها فى المدارس الأجنبية فلفتها برفق الى تقاليد بلدها ، فهل تعد « الرسالة » الشاعر رجعيا أم ان للرسالة رأيا آخر ؟ هذا والشاعر مثقف مثل فتاته ، بل هو مثقف بثلاث ثقافات ، ولكنه ينتسب الى البيت النبوى الكريم . فهل للرسالة ، أو لقارئ ، أن يبديا فى ذلك رأيا مرجوا ؟ !

# القصص

قصة مصرية

## قبلة . . . .

[ الحوار فى هذه القصة المصرية موضوع فى الأصل بالهجة المصرية وقد عرب لانتشار الرسالة فى الأقطار العربية ]

للأستاذ دريني خشبة

كانت شغله الشاغل !

كانت تملأ أحلامه ، وتحتل كل حنية من قلبه ، وكان له قبلها حبيبات كثيرات من حبيبات الضرورة اللائى يعرضن فى حياة الشبان ، ثم ما يلبثن أن ينطفئن كما تلتمع الشهب وتتلألأ ، ثم ما تلبث أن تنطفئ ، ويكون أحدها صاعقة تنقض على أحد فتسحقه ... فلما عرفها ، نسى هواه القديم الموزع ، ووهبها حبه واخلاصه ودموعه ودمه ... ولو استطاع لوهبها كل حبه الذى ضيعه على الحسان عبثاً من قبل

وكان لها هى الأخرى أحباء ... ثلاثة أو أربعة ... تتنقل بينهم كالفراشة الظامئة تمتص من كل زهرة رحيقها ، ثم تلتمس الزهرة الثانية والثالثة ... والرابعة التى تكون أطيب شذى ، وأنضر منظرا ، وأملأ بالعصير الحلو . ثم عرفت (جمال) فشعرت كأن حاجزا ضخما قوياً يفصلها من الماضى المتلىء بمتاعب الحب المصطنع ، والهوى المزوق ، والغرام الكاذب الخداع . وشعرت لأول مرة فى حياتها بنسيم عليل يهب فى صحرائها التلظية فيجعلها جنة تصدح فيها البلابل ، ويتبسم فى أفنانها الورد ، وترقص فى حنيَّاتها الملائكة ... وتنشد وتغنى !

وكانت تهب من نومها فلا تفكر إلا فى (جمال) ، وتذهب من هذه الغرفة إلى تلك وشخصه ماثل ملء ناظريها ، وحبه يغمر نفسها ، وكان يتمثل لها أكثر كلما توجهت إلى الحديقة تقطف الزهر وتأنس إلى الطير ، وتجلس عند حافة الغدير ، وترسل نظراتها الحائرة المضطربة فى الشمس الغاربة خلف النخيل البعيد ... وطالما كانت تستسلم لوحدتها هذه فترسل عَبرة صغيرة ، صغيرة جدا ، تخفيها فى منديل حريرى صغير ، لم تكن حمته قبل أن تعرف (جمال)

وكان (جمال) بدوره يحبها ويفكر فيها ، ولكنه كان فتى غيوراً من مصر ، وكل فتيان مصر غُيُر أشداء فى الغَيرة ، وهو كان يعرف أن (سُميّة) لم تكن له قبل أن يلقاها وتلقاه ، بل هو كان يعرف اثنين أو ثلاثة من أحبائها المدنفين بها ، بل إن اثنين أو ثلاثة من أحبائها كانوا أصدقاءه ، وكانوا يُسرون اليه ، كل على حدة ، بلاعج الحب الذى يعانون من (سمية) ؛ وكانوا يشكون إليه دلالها وقلة اكتراثها بهم ، فلم يتحدث اليه أحدهم عن (سمية) حديث سوء أو فحش ، ولم يقل له أحدهم إنه نال من (سمية) خلوة فبثها غرامه ، أو إنها حفلت به حين لقيها فى الطريق فجزته عن ابتسام بابتسام ، بل هم جميعاً كانوا فى نصب من تمنعها الذى شف قلوبهم ، وأضوى أجسامهم ، وجعلهم فى حيرة من أمرها

على أن (سمية) ، مع ذلك ، كان لها أحباء تخلو إليهم قبل أن تعرف (جمال) ، وكانت تعاطيهم من بضاعة الحب المُزْجاة قبلاً رخيصة ، غير حارة ولا وفية ، ولا معنى فيها من هذه المعانى الرفيعة التى تصون الحب العذرى ، ويتجمل بسموها الهوى الطهرى ؛ وكانت تسرف أحياناً فتغشى المراقص والندى ، وكانت تتضع فتحسو الخمر وتقبل الكئوس ، وكانت ، من النشوة وجنون الشباب ، تراقص الفتيان نصف عارية ؛ وكان جسمها الجميل المشوق ، ونهدها البارز المتأجج ، ووجهها المستدير الحلو ، وخداها الوردان الأسيلان ، وأنفها الدقيق وفمها الرقيق وذراعاها الناعمان ... كان كل أولئك يجذب إليها قلوب الشباب

المستهتر ، وكانت قلوب الشباب المستهتر من حولها كالفراش حول اللهب ، تنقذف فيه لتحترق !

وقد عرفها جمال هنا ! فى نفس المرقص الذى تعودت أن تغشاه أكثر من المراقص الأخرى . وقد قدمها إليه أحد أصدقائه القُنَّع الأغنياء على أنها غانيـة ، ولـكن جمالاً عرف فيها الفتاة العذراء بقلبها ، النقية بسريرتها ، المتبرمة بهذه الحياة التى مظهرها دنس وفجور وفسق ، وباطنها ضمير معذب وقلب محترق ونفس شقية ، ودموع مُكتَّمة وأمل مفقود . لقد كانت الأضواء المصنوعة البرتقالية والبنفسجية والصفراء والحمراء والبيضاء ، تتكسر على ظهرها الأملس وصـدرها المرمرى ، وساقيها الخدلجين ، فتزيد معانى الفسوق فيها فى قلوب محبيها الذين لم يكونوا يعرفون منها إلا ما تعرفه شهواتهم وخباثاتهم ، فى حين كانت هذه الأضواء نفسها تضاعف معانى الطهر والبراءة فيها فى نفس جمال . ولذلك ضغط على يدها الصغيرة الحلوة الناعمة ضغطاً هيناً ليناً حينما قدمها إليه صديقه ... وكان لقاء هو أول الطهر فى حياة هذه الغانية ، وهو أول الأمل المشرق والرجاء البسام

لقد ضغط جمال على يد سميـة ضغطة نقلت الى قلبها الواسع مافى قلبه النحيل من حب ناشئ ، تذوقته فلم تعرف فيه تلك النجاسة التى عرفتها من أحبائها الآخرين ، وحدثت نفسها فوجدتها تنتقل فجأة من هذه الأرض الممتلئة بالأدران ، إلى سماء فسيحة أثيرية ممتلئة بالأناشيد والأمانى

وفـكر فيها جمال ، وكاد عقله يصدفه عنها ولـكن قلبه جذبه إليها بشدة وعنف ، فاستسلم كالحمل ، وألقى بروحه كلها فى قبضة سمية

* * *

والتقيا فى خلوة ، بعد مقدمات غراميـة طويلة كلها حيطة وكلها حذر ، وجلسا فى منزل جمال الخالى من كل مخلوق عداه ، وذهبا يتجاذبان أطراف الحديث الحي ... ثم صمتا فجأة وتوسطت بينهما نظرات مستطيلة غائرة ممتلئة مغناطيساً عجيباً ... ولم يقو جمال على هـذا السحر المنبعث من عينى سمية ، فأطرق برأسه ، وأخذ فوديه بين يديه ، وانفجر يبكى كالطفل ، وسمية تتفرس فيه وتتألم ... ولا تدرى ما ذا تصنع !

سمية التى خبرت من ألوان الحب ألفاً وألفا ، لم تر فى حياتها مثل هذا المشهد العجيب مرة واحدة ، لأن كل الذين اكتووا بنارها كانوا من طلاب جسمها الخصب ، وجمالها الفتان ، أما جمال ، فقد عرف من ابتساماتها الحزينة ، ونظراتها المترعة بالمعانى أنها جديرة بغير هذا اللون من الحب الشهوى الدنس ، جديرة بحب جديد نقى يوائم هـذه الناحية المستورة العميقة من نواحى نفسها الـكريمة الرحيمة الناقمة على الحيـاة ، الباحثة عن قلب واحد كريم من ملايين القلوب التى يزدحم بها العالم من حولها

دهشت سمية ، وجلست تلقاه مسبوهة اللب ذاهلة القلب ، لا تدرى ما ذا تقول ، ولا كيف تعالج منـه هذا البـكاء وذلك النحيب . . . لقـد كانت تظن أنه يستطيع أن ينال منها كل ما يشتهى ، فانهما بنجوة من الناس ، ولا أحد يستطيع أن ينفذ إليهما ولو بنظرة . . . فلم لم يداعبها جمال ؟ ولم لم يداعب كفيها على الأقل ؟ لمَ لمْ يجلس الى جانبها على هذا الـكرسى الرحيب فيضع رأسه على صدرها كما يضع العشاق ، أو يأخذ رأسها فيضعه على صدره ، ثم يبحث بفمه فى شعرها الجعد الأسود الفاحم ! لماذا لم يحاول أن يُقَبِّلها ؟ إن القبلة هى عربون الحب كما يقولون ! فلم لا ينقض جمال على فمها الحلو فيسقى من سلافته قلبه الظامئ ؟ لا ! لم يفعل ، ولم يحاول أن يفعل ... بل ظل يبكى كالطفل ... بكاء ساكناً هادئاً ، لأنه صادر من القلب ، بل من أعمق أغوار الروح . . .

— « أ ... أظن بحسبك ما بكيت يا جمال ؟

— « ... ؟ ...

— « أهذه أول مرة إذن ؟ ...

— « سمية ...

— « جمال ...

— « أتعطينى موثقاً يا سمية ؟

— « وعلى أى شىء أقاسمك يا جمال ؟

— « على أن تكونى لى وحدى يا سمية ... على أن تقطعى صلتك بكل من عرفتِ قبلى

— « وهل عرفت أحداً قبلك ؟ أنت واهم !

— « أنت تهزأين بى يا سمية !

— « لا . لست أهزأ بك ، بل ... أنا ... أحبك

— « وأنا ... وأنا يا سمية ... بل لقد فنيت فيك

— « ثق أنني لم أقلها لأحد قبلك على كثرة من تعرف ممن ظننتهم أحبائى !

— « إذن ستكونين لى وحدى ! أليس كذلك ؟

— « سأكون لك ! وأقسم لك إننى لم أكن لأحد قبلك

— « وعلام تقسمين يا سمية ؟

— « أقسم على نفحة السماء التى غمرت قلبى حين ضغطت على يدى ليلة لقيتك ... بل أقسم على الدموع الغزيرة الغالية التى ذرفتها أنت الآن !

ودنا منها جمال ... وصافحها ، ولكنه لم يقبلها ؟ !

* * *

ونقل من القاهرة إلى أسيوط ، وانتقلت (سمية) معه ، ثم تزوجها هنالك ، ولكنه كان يعاشرها كما يعاشر الفنان دُميته ، يهواها ويتعبدها ، على عكس ما يقول الشاعر العربى ؛ وكان شديد الغيرة عليها ، وكان يغيظه منها كثرة الخطابات التى ترسلها إلى القاهرة والتى تصل منها ، وكانت هى لا تبالى أن تقع هذه الخطابات فى يده فيقرؤها ، ويمزق منها ما يشـاء ، ويبقى على ما يشاء ويرد إليها ما يشاء . ولكن خطابا واحدا أهاجه بما حمل إلى سمية من عبارات ليس يصدر مثلها إلا عن فؤاد العاشق ولا يستطيع أن يكتبها إلا قلم وامق ... وإن تكن التى كتبته امرأة كما يُظَن من الامضاء

— « ومن عَلِيّة هذه التى تكتب هذا الأسلوب المتهدج يا سمية ؟ »

— « الأسلوب المتهدج ؟ »

— « آى ... الأسلوب الذى يخفق بحبك ، ويتنزل كالوحى عليك ؟ »

— « جمال ! ماذا تريد أن تقول ؟ »

— « لاشىء ! ولكنى أعبدك ياسمية ! أعبدك ! أسمعتِ ؟ »

— « بل أنت تعذبنى بشكوكك !

— « فقط أريد أن أعرف من عِلية هذه ؟ »

— « أقسم لك بدموعنا إنها فتاة ... ولكن لا تعرفها ! »

— « ...... ؟ ...... »

وذهب جمال إلى (المصلحة) وغادر سمية تجتر آلامها وحدها ؛ وكان قد أهدى اليها صورته يوم أن تقاسما على أن يكون كل منهما للآخر ، وكانت سمية تعتز بهذه الصورة أيما اعتزاز ، لأنها كانت تذكرها بالقلب الذى نبض بحبها غير مشوب بغرض دنئ ، كما كانت تذكرها بأول نبضـة خفق بها قلبها بحب برئ ... فكانت تدمن النظر اليها وتبكى ...

وعاد جمال مرة من عمله مغضباً حانقاً ، لأن لئيماً من أصدقائه عرف أنه تزوج من سمية فكتب اليه خطابا بامضاء مستعار يهيجه به ، ويذكر له من تاريخ صاحبته ما يريد أن يفصم به عرى تلك الرابطة التى ربطت قلبيهما ، فتعجل جمال موعد انصرافه ، ويرجع إلى المنزل ليرى رأيه فى سمية ، وليضع حدا لافتتانه بها ، وليخلص ضميره المعذب من هذا الشقاء الطويل

وكان يحمل معه مفتاحاً لسكنه ، وكان كل مرة يفتح الباب دون أن يسمعه أحد ، وكان بذلك يؤلم سمية غاية الايلام ، لأنها كانت تعتقد أنه يتجسس عليها

ودخل فى ميعاد مبكر لم تكن تنتظر مجيئه فيه ، وسار يخطى متئدة حتى كان عند باب المخدع ، فوجدها بين مصراعى دولابها الكبير تقلب أوراقاً ، ثم تتناول من بينها صورة فتحدق فيها نظرها ... وتلثمها وتبكى ...

وكان السافل الوغد الذى كتب اليه الخطاب الذى أهاجه قدذكر له فيه أنه أهدى اليها صورته أكثر من مرة ، وأنها أهدت اليه صورتها ، فوقر فى قلبه أنها تلثم الصورة المجرمة التى تدخرها ككنز لهذا الحيوان

وفى ثورة جنونية ، انقض جمال على سمية ، وضغط بكفيه القويتين حول عنقها ، فوقعت على البساط الوردى الفخم ، بين الموت والحياة !

ولكن ... وا أسفاه ! لقد نظر إلى الصورة التى كانت بيد زوجته فوجدها صورته التى كان أهداها اليها ليلة الموثق ، فأفاق من وسواسه ، وانحنى يقبل سمية بفم مجنون ، وشفتين مرتجفتين ، ولكنها لم ترد عليه بكلمة ... فحسبها قد قضت !

وصاح جمال بالخادمة ...

ثم هرول لى الخارج ليحضر طبيباً ...

* * *

ولـكنه عاد ليجد الخادمة تقول له :

— « سيدى ... لقد سافرت !

— « سافرت ؟ !

— « أجل ... سافرت الى القاهرة ! هكـذا قالت لى ، وهاك خطاباً منها . وفض جمال الخطاب فلم يجـدها زادت على هذا السطر

« جمال ! اضطررتنى اضطراراً أن أعود إلى الذئاب لتغتذى بعرضى وتوغل فى دمى ، والذى يؤلمنى أننى أكاد أضعلك ولداً فى طريقى الى القاهرة !! »

وكاد جمال يختنق !

وهرول الى المحطة لأنه نظر الى ساعتـه فوجد أن القطار لا يتحرك قبل عشر دقائق ... ولـكنه وصل الى المحطة ولم يجد سمية هناك ، فانتحى ناحيـة وأخذ يفكر ... ثم ذرف دموعاً سخينة أخفاها فى منديله ، وأيقن أن سمية قد سافرت فى سيارة

وعاد الى المنزل محطم القلب مهدم الجسم خائر القوى

ولـكنه ما كاد يطرق باب المسكن حتى سمع صَوْصَوَة ، ثم دخل فرأى طبيبة كأنها ملاك تحمل بين يديها ابنه ... المولود الصغير ... ورأى سمية ممدودة على السرير ضعيفة موهونة واهية فانهمرت الدموع من عينيه ، وتقدم الى الطبيبة فاحتمل الطفل وطبع على جبينه ذى الأسارير قبلة باكية ، ثم سمع سمية تقول :

— « وأنا أيضاً يا جمال !

— « وأنت أيضاً ماذا يا ملاكى ؟

— « وأنا أيضاً ... قبلة مثل هذه ...

فانحنى على وجهها الحزين وطفق يقبله حتى طبع عليه ألف قبلة ، والطبيبة العذراء تنظر وتتعجب !

***

وكان الفصل شتـاء ، وكان الموقد يتأجج بجمر شديد ، ونظرت سمية فرأت جمالاً يخرج من جيبه خطاباً ويحرقه ، فتبسمت وهى تقول :

« ضحية جديدة لا بد ! »

ولـكن جمالاً لم يرد .... بل مضى يساعد الطبيبة فى لف الطفل !!

درينى خشبة

# ذكرى ....!

للقصصى الفرنسى موباسان

بقلم الأديب محمود البدوى

ما أمتع الربيع وغصن الشباب رطيب وماء الحياة يجرى ! وما أشجاه والشباب يولى والرأس يشتعل والحيـاة تدبر ! لا زلت أذكر أى مخاطرة عظمى كانت الحياة فى تلك الأيام الخوالى ، وقد اعتدنا أن نجوب معاً خلال باريس رانجين مع الصبا بقلوب نزقة ونفوس مرحة ، يملؤنا الرجاء ، وتحف بنا النعماء ، دون أن نعير الدنيا التفاتة أو نحسب لها حساباً

سأقص عليك إحدى هذه المغامرات التى وقعت لى منـذ أمد مديد وعهد بعيد ، حتى يصعب على الاقرار بصحتها والتسليم بما فيها . كنت فى الخامسة والعشرين من عمرى ، ولم يمض على فى باريس غير عهد قصير . كنت أخرج كل أحد مجدا فى البحث عن مخاطرة أو مغامرة وأنا ممتلئ شبابا وفتوة . والآن ... ما الذى تشابهه أيام الآحاد ؟ أيام مروعة يضيق فيها المرء ذرعا بكل فكر يثبته أو يتحدث به وبكل صحب يرافقه

استيقظت فى ذلك الصباح مبكرا وفى نفسى هذا الاحساس بالحرية الذى يعرفه أولئك الذين يعملون طيلة الأسبوع والذين ينظرون إلى يوم الأحد كيوم راحة وحرية . فتحت نافذتى ورمقت الجو البهيج وحرارة الشمس الفائضة والعصافير المغردة

ارتديت ملابسى على عجل ، وخرجت لتمضية يوم فى الغابة الحبيبة خارج باريس ، وكانت المدينة كلها تلمع فى ذلك اليوم المشمس ، ووجوه المـارين تفيض بالبشر والسعادة لحياتها وسط هذا الجلال الرائع ، وانتظرت على شط النهر ذلك القارب الذى سيقلنى إلى « سان كلو »

وانتظارى بهذا القارب بدا لى كأنه مخاطرة فى نفسه ، فقد تصورته آخـذاً بى إلى نهاية الدنيا ، إلى أمصار عجيبة جديدة . وشد ما ابتهجت عند ما لمحته قادما كقطعة صغيرة من السحاب أخـذت تـكبر تدريجياً حتى لاحت أمامى ، ورست على امتداد الرصيف

ركبت القارب فألفيت نفسي وسط رهط من المتنزهين الذين ينعمون بلذائذ الأحد ومتعه ، ووقفت على سطحه أرقب الأرصفة والمنازل والأشجار وهي تتوارى عن العين ، حتى خلفنا باريس وراءنا ، وانساب بنا القارب إلى ماء هادئ ساكن ، تحفه السهول وتقوم على جانبيه التلال الشاهقة ، وفي أسفلها الغابات والأحراج والمراعي الخضراء الرطبة

نزلت في « سان كلو » وتخطيت مسرعاً القرية الصغيرة ثم أشرفت على الطريق الذي سيقودني إلى الغاب ، وكان معي خريطة لباريس وما يجاورها ، ولذا فلن أضل الطريق إذا وليت وجهي شطر إحدى هـذه الطرق الصغيرة التي لا تمد والتي تؤدي على اختلاف امتدادها إلى الأحراج . وبعد فحصها رأيت أنه على أن أتيامن ثم أتياسر ثم أنعطف إلى اليسار ثانية إذا وجب أن أصل فرساي وقت العشاء

سرت متمهلاً أسحق الأوراق الجافة بقدمي وأنشق الهواء العليل المطر ناسياً كل ما يتصل بالمكتب والعمل والرئيس ، وفكرت فقط في المستقبل المجهول الذي سيزاح لي ستره ، والذي فيه كثير من الجمال المحتمل . وذكرتني بساطة الريف عهد الطفولة وجعلتني أشعر حقاً بأنني رجعت إلى الحياة طفلاً . فهناك نفس الزهور التي كنت أرى مثلها يانعة حول باب منزل أمي الصغير والحشرات التي في لون الذهب وهي تنساب متثاقلة على أنصال العشب الذي ينحني تحت ثقلها الضئيل

أخذتني عيناي ، وحلمت بكل هذه الأشياء ، ولما قمت كنت منتعشاً تماماً وواصلت رحلتي . امتدت أمامي طرق جليلة من نبات السرخس وقد خطط بصف من زهر الكاميليا الأبيض الطويل . وهنا تبينت في نهاية الطريق شخصين قادمين نحوي ، رجلا وامرأة ، ودار بذهني أنني سمعت من ناداني فخفقت على هـذا التطفل الذي عكر على صفو وحدتي الهادئة . وكانت المرأة تلوح بمظلتها والرجل في قميصه ذي الأكمام حاملاً معطفه على ذراعه ومشيراً لي

استدرت وانتظرتهما وكانت المرأة تسير بخطوات سريعة قصيرة . أما الرجل فأفسح المجال لقدميه وكان يلوح عليهما الضجر والتعب

تكلمت المرأة أولاً :

« سيدي . . . هل لك أن تتكرم بإخبارنا أين نحن ؟ قال زوجي إنه يعرف كل فتر في الريف المحيط ومع هـذا فقد ضللنا الطريق ! . »

«سيدتي أنت قادمة من فرساي وفي طريقك الى سان كلو»

والتفتت الى زوجها بحقارة :

« ما ذا ! إننا قادمون من نفس المكان الذي نرغب العشاء فيه ! ! »

وهزت كتفيها معنفـة ومزدرية الرجل الذي ارتكب هذا الخطأ

كانت حسناء في رونق شبابها وربما كان هـذا هو الذي حملني على إخبارهما عن رغبتي في العشاء بفرساي . وأخذنا بأطراف الحديث . . . ووبخت زوجها الحائر وهو كأنما أخذته نوبة جنون يعوي عواء غريباً في خفوت كأنما لا تسمعه آذان غير أذني

« تيء ء ء ت . . . . تيء ء ء ء يت »

واستطردت زوجه تقول :

« أنت دائماً مخطئ ، فأنت الذي قلت إن « لاتورنيه » يسكن في شارع دي مارتر والواقع أنه لا يسكن هناك ، وأنت الذي قلت إن «سلست» ليست لصة مع أنها كذلك ، وأنت و...

وأخذت تلوم زوجها على كل أفكاره الخائبة وأعماله وجهوده الضائعة في مدة حياته الزوجية

وعبثاً حاول زوجها اسكاتها بقوله :

« ولكن يا عزيزتي ... أمام هذا السيد ... ما الذي سيتصوره ... ليس هذا بسار له »

وختم هذا بصياحه البربري الوحشي الذي بدا لي أنه عارض لحالة عصبية مضطربة ، وهنا تحولت الزوجة الصبية الى وغيرت سلوكها بسرعة وقالت :

« إذا كان السيد لا يعارض فسنرافقه وعلى هذا فلا خوف علينا من التيه في الغاب»

فانحنيت ... وجذبت بذراعي اليها وأخذت تحدثني عن آلاف الأشياء ، عن نفسها ، عن حياتها ، عن أسرتها ، عن العمل ،

وزوجها يسير بجانبها ناظراً من مرة لأخرى بلهف يميناً وشمالاً صائحاً

« تيه ي ي ي يت »

فقلت له أخيراً :

« ما الذى يجعلك تصيح هكذا ؟ »

فأجاب بقلق :

« فقدت كلبى الصغير المسكين وما أتم الحول ، أخذته معى اليوم لأول مرة ليرى الريف وكاد أن يجن من الفرح ، كان يتوثب وينبح ويجرى إلى الأحراج ، وربما يموت جوعا إذا ضل السبيل ، أواه ، الصغير المسكين »

فعنفته زوجه « إنها غلطتك ... أنت أبله .. آه .. إنك تحملنى على الغضب »

***

غربت الشمس وأخذ الضباب المتكاثف يحجب حوافى الريف ، وتأرج الغاب بعبير الزهور الذابلة .. توقف الزوج يبحث فى جيوب صديريته باهتمام

« عزيزتى إنى آسف .... نسيت ... »

فرمقته وهى تتميز من الغيظ

« ما الذى تعمله الآن ؟ »

« يبدو لى أننى نسيت محفظتى ... وفيها نقودى »

فامتقع لونها من الغضب

« لقد عيل صبرى ... آه .. أيها الغبى .. حتى النساء ترمى بمثل هذا المأفون ... اذهب وابحث عنها حالاً ، وحذاراً من العودة بدونها ، أما أنا فذاهبة إلى فرساى فى حماية هذا السيد فلا أرغب فى المبيت فى الغاب »

فأجاب بوداعة :

« حسنا .. ياعزيزتى ... وأين أراك ؟ »

فحدثته عن مطعم معين أنيق جداً ، ووعد بموافاتنا هناك ، ثم غادرنا يبحث عن كلبه ... ! ومن آونة لأخرى كنا نسمع الصياح الحاد :

« تيه ي ي ي يت » الذى أخذ يتضاءل كما بعد

وتكاثف الضباب فحجب أعالى الأشجار وانساب فى خلال الفروع واستطعت بعد لأى أن أميز بناء جسم مرافقتى ، ونحن نسمع من حين لحين صياح « لامنتابل » :

« تيه ي ي ي يت »

وأسرعت الخطى سعيداً جذلاً بهذه الرياضة الجميلة فى الغسق مع امرأة مجهولة تستند على ذراعى وتميل نحوى . وبحثت عن أشياء أقولها عن عبارات سامية ، أو نكات مستملحة .. على أنى لم أوفق لكلمة واحدة . والحق أقول ما كنت فى حاجة لشيء من هذا

ووصلنا إلى طريق رحب تقع على يمينه مدينة كبيرة فى واد خصيب وسألت ماراً عن اسمها فأخبرنى أنها بوجيفال فدهشت

« بوجيفال ! .. أمتأكد أنت ؟ »

« حسن ! ... تصورى بأننى ولدت هنا »

وأخذت المرأة النحيلة تضحك لأضلالنا الطريق بقلب طروب ، فعزمت على ركوب عربة إلى فرساى ولكنها رفضت

« آه .. لا .. حقاً ... إنى لا أتعطش إلى ذلك ولا أتلهف عليه ، وزوجى فى استطاعته أن يرانى فى وقت ما ، وأضف إلى هذا أنى سأكون أمام مخاطرة سارة لم أرها من قبل »

ودخلنا مطعماً على حافة النهر ، واجترأت على طلب غرفة خاصة ... والحق أنها ... متعت نفسها .. استسلمت .. كنا فى حالة نشوة لذيذة .. غنت وشربت الخمر ، وفعلت أكثر من هذا ... فعلت فى الواقع كل ما تستطيع عمله ...

محمود البدوى

# البريد الأدبي

## مصير الآداب بين مسيو هريو والشاعر بول فاليري

عقدت لجنة التعاون العقلي الملحقة بعصبة الأمم مؤتمرها السنوي في جنيف في أواخر يوليه، برياسة المفكر الانكليزي الكبير الأستاذ جلبرت موري، ومثلت فيها معظم الأمم المنضمة إلى العصبة؛ وجرت فيها عدة بحوث ومناقشات في المسائل الفكرية والأدبية، وكان مما لفت الأنظار بنوع خاص حوار طريف دار حول مستقبل الآداب بين أديبين كبيرين من ممثلي فرنسا هما المسيو ادوار هريو رئيس الوزارة الأسبق والمسيو بول فاليري الشاعر الكبير

يرى مسيو بول فاليري أن أولئك المفكرين الذين يتذوقون جمال الشعر وروعة الأدب يختفون في عصرنا شيئاً فشيئاً حتى غدوا قلة محسوسة؛ وربما شهدنا في المستقبل القريب انقراض القارئ المفكر المتمهل؛ ذلك أن السينما والسيارة والأخبار السريعة التي تلقيها الصحف كل ساعة قد شغلت الأفكار، وأحدثت في الأذهان اضطراباً مريعاً، وأودت بقواعد النقد والكتابة السليمة، وأخذت الأذهان تعدل شيئاً فشيئاً عن البحث والتعمق إلى التعميم والبساطة السطحية، ووصلت العدوى إلى أولئك الذين اعتادوا من قبل أن يزنوا آراءهم وأن يمحصوها، فمستقبل الأدب الرفيع اليوم في ميزان، وليس بعيداً أن يطفو الأدب الشفوي على كل أنواع الأدب السليم الهادئ

على أن مسيو ادوار هريو لا يرى رأي زميله المسيو فاليري، فهو أكثر منه تفاؤلا بمستقبل الأدب الرفيع، ومن رأيه أن تطور الفكر الغربي يسير في مجراه الطبيعي، وأن الأدب يشغل مركزه الهام في المجتمع الجديد الذي يتكون اليوم. ويقول مسيو هريو إن الأدب سيبقى حيا دائماً، ذلك أن وحدة الذهن والأدب الحقيق يرتبطان برباط قوي، ولا يتسنى للأدب أن يعيش وحده على هامش الذهن. وما دام هناك أدب رفيع فسيكون هناك قراء، فليخرج الأديب والفنان كل منهما نتائج فكره، فيجد دائماً من يتذوقها

ويرى مسيو هريو أنه إذا كانت ثمة في آداب عصرنا بعض نواحي الضعف والسقم، فان ذلك يرجع إلى آثار الحرب الكبرى. ذلك أنها كما أضرت في الماديات، أضرت في العقليات أيضاً، وأصابت حركة التفكير بويلاتها

وقد كان هذا الحوار الطريف مثار التعليق الكثير في دوائر الأدب، ونحن أميل إلى الأخذ في ذلك الموضوع برأي الشاعر بول فاليري، ويكفي أن نلاحظ ما أحدثته السينما والراديو ووسائل التسلية الفنية والشفوية من ضعف في الحركة الأدبية، لندرك أن الأدب الرفيع يسير إلى مستقبل غامض مجهول. فما رأي أدبائنا؟

## برنارد شو في الثمانين من عمره

احتفل برنارد شو، واحتفلت معه انكلترا، ببلوغه الثمانين من عمره (في الخامس والعشرين من يوليه) وفي ذلك اليوم قامت جمعية الحفلات بتمثيل روايته الشهيرة «جان دارك» ولبث برنارد شو طوال اليوم عاري الرأس، مشمر الساعدين، يطوف بلحيته البيضاء حول المسرح ليشرف على الاستعدادات، ويدلي بنصائحه للمس وندي هلر التي تقوم بتمثيل الدور الأول. وقد رأى برنارد شو أن يفاجئ أصدقاءه بهذه المناسبة باحدى طرائفه فذكر لهم جميعاً أنه قد جمع من المال ما يكفيه، وأنه يستطيع أن يشتري لنفسه كل التحف والهدايا التي يتصورها الذهن، ولذلك فهو يرجو ألا تتعدى أثمان الهدايا التي ترسل اليه ثلاثة بنسات؛ فصدع أصدقاؤه بالرجاء، وجاءت السلال الى فناء الدار تحمل أقلاماً من الرصاص، وأمشاطاً، ودفاتر للكتابة وأسلحة وأمثالها

وقد ألقى برنارد شو في ذلك اليوم بتصريحين: أولهما أنه بهذه المناسبة يود أن يتجول قليلاً في جبال بلاد الغال، والثاني أنه لا يرى في الواقع فرقاً بين الاحتفال بعامه الثمانين وبين الاحتفال بعامه التاسع والسبعين

## تكريم الأستاذين أحمد أمين وعبد الرحمن عزام فى دار الأيتام ببيروت

لا تترك إدارة دار الأيتام فى بيروت فرصة مرور أديب كبير أو رجل خطير إلا وتخف إلى تكريمه والاستفادة من علمه ومعرفته ، حتى لقد أصبحت هذه المؤسسة فى طليعة المؤسسات العلمية فى الحاضرة بعملها على هذه الغاية وسبقها إلى كل مكرمة علمية ، يقوم على إدارتها رجل شاب مثقف ، دل على همة ونضوج فى عمله ، تراه لا يألو جهداً فى تحسين هذه الدار والتقدم بها تقدما محسوساً يرفع عنها « دالة اليتم » وإن تكن مصنوعة للأيتام



الأستاذ أحمد أمين بين المحتفلين به فى دار الأيتام ببيروت

كانت حفلة التكريم من الحفلات الرائعة التى تجلت فيها العاطفة العربية التى تربط بين الأقطار العربيــة على اختلاف مواضعها . بدأت الحفلة بكلمة مدير المؤسسة الســـيد محمد عبد القادر طبارة ، شكر بها الزائرين على تلبيتهم الدعوة ، وعال الأسباب التى يكرمون بها الأستاذ أحمد أمين ؛ ثم قدّم المحاضر إلى منصة الالقاء ، فعالج موضوع الفقر وأسبابه ومعالجتها ، فجعله آفة اجتماعية لا آفة سماوية يمكن التغلب عليها ، ثم حلل الفقر وجعل له أسباباً طبيعية يتغلب العلم على كثير منها ، وأسباباً غير طبيعية يجد لها المخلصون علاجاً فى إخلاصهم ، وهنا ذكر ما يجب على الحكومات عمــله فى طرد الفقر ، وما يجب على الأوقاف التى تجمدت فى ذهنها معانى الاحسان ! وكان الأستاذ محدثاً موفقاً فى محاضرته ، خالباً ألباب سامعيه ، داخلا فى نفوسهم ، محللا موضوعه تحليل الطبيب الاجتماعى . وما أن انتهت المحاضرة حتى خف الزائرون إلى الميتم يتفقدون حجراته ، فرأوا فى هذه المؤسسة من الأناقة والترتيب والتقدم ما يشهد كله للقائمين على هذه المؤسسة الخيرية بالهمة السامية والعمل الكامل . وبعد لأى بدأت حفلة التكريم فما قات جملاً عن أختها ، فتكلم حضرة مفتش المعارف السيد واصف بارودى كلمة عن أثر اللغة وربطها بين الأقطار ، وعن آثار الأستاذ أحمد أمين ، ثم ألقى الأستاذ جورج كفورى مدير الدروس العربية فى المدرسة العلمانية كلمة بليغة فى تحليل أسلوب الأستاذ أحمد أمين ، وخصه بمزايا منها : نزاهة فى التحليل ، وغوص على أعماق المسائل ؛ وأيد قول زميله الدكتور طه حسين فيــه : « إنه يعمل كالكيمياوى فى مختبره » . ثم ألقى السيد كاظم الصلح خطاباً قيما عن جهاد الأستاذ عبد الرحمن عزام ، وعن وطنيته الدافقة التى تعلن الحرب فى كل ميدان عربى ، لأنها مؤمنة جد الايمان بعروبتها ، وهنا نهض الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام مبلغاً تحيات الأستاذ عبد الرحمن الذى حال بينه وبين قدومه سفره العاجل إلى العراق ، وأكد بكلامه أن البلاد العربية ساعية إلى وحدتها التامة ومتلاقية فيها لأن كل شىء يسبقها على تقريب ذلك وليس فجرها ببعيد . وختم الحفلة الدكتور سليم ادريس شاكراً لليتيم الذى سهل للحشد الكريم اجتماعه وتعارفه ، ثم انصرف الناس تلهج ألسنتهم بالشكر والثناء الجميل على ليــلة كانت من ليالى الدهر ؟

غ . ه

### حول نقد

قرأت فى العدد ١٦٠ من (الرسالة) للأديب عباس خضر نقداً لقصــيدة القاياتى . ولكنى لم أستطع فهم رأيه فى قول الشاعر :

يقولون إن الراح للفكر صيقل ... وربك ما فى الراح عقل ولا فكر

فالأديب قد أخذ على الأستاذ المغالطة فى هذا البيت وهذا قوله فيه :

« فان خلو الراح من العقل والفكر لا يمنع من أن تصقل الفكر ، وهناك كثير من الأشياء تصقل الفكر وليس لهــا عقل ولا فكر . »

فهو قد فهم أن علاقة الراح بالعقل والفكر علاقة الملك ورأى أن للراح عقلاً وفكراً ولكنى أستطيع أن أقول إنه ليس ثم مغالطة فالشاعر لم يقصد إلى ذلك ولم يعنه وإلا لكان جديراً به أن يقول :

وربك ما للراح عقل ولا فكر

ولكان البيت حينئذ سليما والمعنى مستقيما مع رأى الأديب

ولكن الشاعر لم يرد ذلك ولم يعمل له وإنما يعنى نفى العقل والفكر عن شارب الراح وكيف تصقل الراحُ العقلَ والفكرَ وهى تذهب بهما فلا وعى ولا تفكير ، وذلك نظير قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » فالإثم ليس فيهما وإنما فى تعاطيهما

ولو كان الشاعر يعنى رأى الأديب لكان البيت ضعيف المعنى ضعيف السبك لا يجدر بشاعر حدَث بله الشاعر عميق الفكرة دقيق الالتفات

وكيف يبنى الشاعر على القوم قولهم إن الراح تصقل الفكر ثم يقرر ذلك .

محمد جمال الدين محمد
مدرس

## النشيد القومى — الغلطة الأولى

يدور بين الأدباء كلام كثير حول اختيار هذا النشيد الذى وضعه الأستاذ محمود صادق ، والأمر بتلحينه واتخاذه نشيداً قومياً لمصر ؛ ولا يعنينا أن نخوض الآن فى شىء من ذلك

ولكن الذى يعنينا أن أحداً من الأدباء لم يتنبه للأغلاط الموجودة فى هذا النشيد ، وهى أغلاط فاحشة ، ولم تتنبه كذلك وزارة المعارف ، ولم يتنبه علماء الدين إلى جملة فى النشيد تؤدى عن يعتقدها من المسلمين إلى الكفر الصريح ! وهذا هو موضع العجب ! كأن الجميع اتفقوا على إهمال هذا النشيد وتركه يموت من تلقاء نفسه ، وأصرت وزارة المعارف من جهة أخرى على ألا يموت

ونحن نذكر الغلطة الأولى فى هذا النشيد ، ونطلب من أنصاره الاجابة عنها ، فان فعلوا استفتيناهم فى غيرها ، وإلا اعتقدنا أنهم عن غيرها أعجز

يقول واضع النشيد : « سأهتف باسمك ما قد حييت » .

وهذا الشطر يتكرر فى النشيد كله من أوله إلى آخره . والمعروف فى قوانين العربية أن (قد) فى مثل هذا التركيب تكون لتحقيق وقوع الفعل ، فهى تمحص الفعل الذى بعدها للماضوية كما تقول قد رأيت ، أى رأيت وانتهى زمن الرؤية ؛ فاذا كان ذلك فما معنى تعليق فعل وقع وانقطع على فعل سيقع فى المستقبل وهو (سأهتف) ؟

إن معنى الكلام هو بالضبط كقولك سأهتف باسمك فى المدة التى عشتها ، وهذا بالضبط كما تقول سأقابلك أمس . وكل ذلك تركيب فاسد لا يمكن أن يستقيم فى العربية . ونحن الآن نطلب مثالاً من العربى الفصيح تكون (قد) مستعملةً فيه بين ما المصدرية والفعل الماضى الذى سيؤول معها بمصدر ، فان وجد المثال فليتفضل من يدلنا عليه بذكر الكتاب ورقم الصفحة

س . ط
كلية الآداب

## لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر فلسفة المحدثين والمعاصرين تأليف الدكتور ا . وولف أستاذ المنطق بجامعة لندن وتعريب الدكتور أبو العلا عفيفى مدرس الفلسفة بكلية الآداب ، وهى الرسالة الرابعة من خلاصة العلم الحديث ، وقد لخص فيها المؤلف أمهات المسائل الفلسفية والطرق المختلفة التى عالج بها العلماء حلَّ هذه المسائل ، ثم ذكر أهم اتجاهات الفلسفة الحديثة ، وذكر عدداً من الفلاسفة المحدثين الذين يمثلون كل اتجاه من هذه الاتجاهات ، وقد بلغ عدد الفلاسفة الذين كتب عنهم تسعة وثلاثين تتمثل فيهم النزعات الفلسفية والعلمية فى كل نواحيها

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً كطبعات الرسائل السابقة بمطبعة اللجنة ويقع فى ٢٤٩ صفحة ، وفى نهايته قائمة بالمصطلحات الفلسفية الواردة فى الكتاب ومرادفاتها العربية وثمنه ستون مليما ، ويطلب من مركز اللجنة :

« ٩ شارع الكردامى بعابدين — مصر »

ومن المكاتب الشهيرة

4 me Année, No. 164

Lundi - 24 - 8 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٦٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥ — ٢٤ أغسطس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد



# خضع يَخْضَع ...

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وقال صاحب سر (م) باشا فيما حدثنى به : جاء ذات يوم قنصل (الدولة الفلانية) من هــذه الدول الصغيرة التي لو علم الذبابُ فى بلادها أن فى مصر امتيازات أجنبية لطمعت كلُّ ذبابة أن يكون لها فى بلادنا اسم الطيارة الحربيــة ... ورأيته قد دخل علىّ شامخاً باذخاً متجبراً كأنه قبل أن يجيء إلى هــذا الديوان لمقابلة الحاكم المصرى — قد تكلم فى (التلفون) مع إسرافيل يأمره أن يكون مستعداً للنفخ فى الصور ...

جنى صعلوك من رعايا دولته على مصرى فأُخذَ كما يؤخذ أمثاله وقضى ساعة أو ساعتين بين أيدى المحققين يسألونه الأسئلة الهيِّنة اللينة التى تحيط بتعريفه من ظاهره ولا يشبهها فى سخافة المعنى إلا أن يسألوه عن ثيابه من أى مصنع هى فى أوربا ... فزعم القنصل أنه كان يجب أن يكون حاضراً يشهد التحقيق لأن جناية أجنبي على مصرى تقع أجنبية ... فلها شأنٌ ورعاية وامتياز ؛ وادعى أن المحققين ضايقوا المجرم وعاسروه وتجهَّموه بالكلام ؛ ولهذا جاء يحتجّ

ورأيته جلس متوقراً كأنمـا يشعر فى نفسه أنه أثقل من مدفع ضخم لأن فى نفسه وهم القوة ، وخيل إلىَّ أنه يرى موضعه بين السقف والأرض إذ يحمل فى رأسه فكرة أنه الأعلى ، وكانت له هيئة صريحة فى أن الأجنبى المقيم هنا ليس هو كل الأجنبى ، بل لا تزال منه بقيةٌ تتممها دولته ؛ وفى الجملة كان الرجل كلمةً واضحةً مفسرة تنطق بأن للقانون المصرى قانوناً يحكمه فى بلاده

وأنا قد درست القانون الدولى وعرفت ما هى الامتيازات وما أصلُها ، وهى لاتعدو كرمَ الأرنب التى زعموا أنها كانت تملك حماراً تركبه وترتفق به فسألتها أرنب أخرى أن تردفها خلفها ، فلما اندفع بهما الحمار استوطأته فقالت لصاحبته : ياأختى ما أفرَهَ حمارَك ! ثم سكتت مدة وأعجبها الحمار فقالت ياأختى ما أفره حمارَنا ...

وكنا نحن الشرقيين من الضعف والغفلة بحيث لم نبلغ مبلغ الأرنب فى حكمتها وتدبيرها فانهـا أسرعت ودفعت صاحبتها وقالت لها : انزلى ويلك قبل أن تقولى : ما أفره حمارى

قال : غير أنى فى تلك الساعة نسيت القانون الدولى وكنت فى إلهام مصريتى وحدها ، فظهر لى ظهوراً بيِّناً أن لا شىء اسمه القانون الحق فى هذه الدنيا ؛ ولـكن هناك اتفاقاً بين كل خضوع وكل تسلط هو قانون هاتين الحالتين بخصوصهما

وأسرعتُ إلى الباشا فأنبأته ، وأسرع الباشا فغير وجهه وتبسَّط وتهلل وتهيأ بهذا لاستقبال القادم العزيز كأنه أخص محبيه يتطلَّع إلى مؤانسته وقد جاء يزوره فى داره . ثم دخل القنصل ولم أسمع مما دار بينهما إلا الـكلمة الأولى وهى قول الباشا : لنبدأ ياسيدى من الآخر . . .

***

وكانت فى الباشا موهبة عجيبة فى اختلاب الأجانب خاصة ، يديرهم بلباقة كالخاتم فى أصبعه حتى قال لى أحدهم : إن لهذا الباشا حاسةً زائدة لو سُميت حاسة الارضاء لـكان هـذا اسمَها الطبيعى ، وإنه يعمل بها كما يعمل المفكر بتفكيره . فهو يبتكر الأساليب الغريبة التى يصعد ويهبط بها ميزان الحرارة النفسية ، وأن جليسه يكاد يشعر من مهارته فى التمثيل أن فى جو المـكان ستاراً يُرفع وستاراً يُسْدَل بين الفصول

فما لبث القنصل أن خرج بغير الوجه الذى دخل به ، ولـكنه عبس فى وجهى أنا وتَـكَبَّرَ لى كأنه أصغر شأنى فازدرتنى عينه فوثبت إلى رأسه فـكرة الامتيازات . وهذه القوة الطالة لو أنها كانت قوة قاهرة نافذة وأُعين بها طُفيلىّ ليقتحم دُورَ الناس آمناً مطمئناً — لاستحى هـذا الطفيلىُّ أن يأكل بها إذ تجمع عليه التطفل والمقت معاً ؛ ولو قيل لحسام بتَّـار : إن لك امتيازاً على بعض السيوف ألا تقارعك ، وإنك محمىٌّ أن تنالك سطوتها إذا قارعتها - لأنِفَ أن يسمَّى سيفاً بهذا أو بمثل هذا فإن القوة الطالة التى يُعيرونه إياها ليست إلا مهانةً لشرف القوة العادلة التى هى فيه

***

قال صاحب السر : ووصفت للباشا هيئة القنصل التى انصرف بها وتقطيبه فى وجهى وقلت له : إن الذبابة وقعت فى صَحْفتى أنا من هذه الوليمة ... فضحك بملء فيه ثم قال :

ستبطل هذه الامتيازات وليس بيننا وبين نهايتها إلا أن ينتهى الشعب إلى حقيقته القومية ، فمـا تركها فى مكانتها إلا نزولُ الشعب عن مكانته . وتالله لـكأن هؤلاء الأجانب يسألوننا بهذه الامتيازات : أين مكانـكم فى بلادكم ... ؟

أتدرى ما قاله هذا القنصل حين تجاذبنا الحديث فيها بعد أن وضعتُ نفسى منـه فى موضع المحامى الذى يخذله الدليل فيحاول أن يستنزل كرمَ القضاة بعرض بؤس المتهم على شفقتهم ليخفف القانون الذى فى أيديهم بالقانون الذى فى أنفسهم ؟

إنه قال : لا يلومَنَّ الشرقيون إلا أنفسهم ، فهم علَّموا الأجانب أن نتف ريش الطير أولُ أكله . وهذه الامتيازات إن هى إلا معاملة بيننا وبين طبيعة الخضوع فى الشعب . نعم إنها مضرة ومعرَّة ، وظلمٌ وقسوة ، ولـكنها على ذلك طبيعة فى الطبيعة ؛ فما دام هذا الشعب لين المأخذ فان هـذا يوجد له من يأخذه ، وما دامت الـكلمة الأولى فى معجم لغته السياسية هى مادة ( خضع يخضع ) ، فهذه الـكلمة تحمل فى معناها الواحـد ألف معنى ، منها : ظلم يظـلم ، وركب يركب ، وملك يملك ، واستبدَّ يستبدُّ ، ودجَّل يدجِّـل ، وخدع يخدع ؛ فهل يكثر أن يكون منها للأجانب امتاز يمتاز ؟

***

قال صاحب السر : ثم زمَّ الباشا فمه وسكت ، ففهمت الكلمات التى انطبق فمه عليها وإن لم يتكلم بها ، ثم غلبـه الضحك فقال : والله يابنى لو أن برغوثاً طَمَّـر من ثوب صعلوك أجنبى فوقع فى ثوب صعلوك وطنى فتقاتلا فقبض عليهما فأُخذا لما رضى برغوث الأجنبى أن يحاكم إلا فى المحاكم المختلطة ...

ثم سكت الباشا مرة أخرى كأنه يقول كلاماً آخر لا يجوز نشره ثم قال : يا بنى إن الأجانب لا يضعون الحمل إلا على من يحمل ؛ فاذا نحن توخَّينا مرادهم أرادوا لأنفسهم لا لنا ؛ واذا وافقنا لهم غرضاً جعلوه كالدينار فيه مائة قرش وأبوا إلا أن نصارفهم عليه بمائة . هم ويحك يمتازون فى معاملتنا لا فى سطور القوانين والمعاهدات فلنُبطل هذه العاملة يبطل هذا الامتياز

إن الحق يابنى استحقاقٌ لا دعوى ؛ وهذا التنازع على الحياة يجعل وسائله الطبيعية الانتزاع والمطالبة والتجرد له والدأب فيه والاصرار عليه . وكل الأقوياء يعلمون أن موضع الاعتدال بين غَصْب الحق وبين استرداده موضعٌ لا مكان له فى الطبيعة ؛ والأجنبى يعتمد علينا نحن فى جعله أكبر منا وأوفر حرمة . فاذا ألغى الشعب هذه الامتيازات من فكره وروحه وأعصابه وثارت فيه كبرياء الوطنية فاستنكف من الاستخذاء ونفر من الاختضاع وأبى إلا أن يعلن كرامته ، وصرف اهتمامه الى حقوق هذه الكرامة ، وأصر ألا يعامل أجنبياً يرى لنفسه امتيازا على وطنى ، وقرر ذلك فى نفسه ومكَّنه فى رُوعه وأجمع عليه إجماعه على الدين ، إذا جاءت (إذا) هذه بشرْطها من الشعب ، جاء جواب الشرط من الأجانب بنزولهم عن الامتيازات وانحلت المشكلة . إننا يا بنى لا نملك ضغط السياسة ولكنا نملك ما هو أقوى ؛ نملك ضغط الحياة

لهم الامتياز بأنهم أجانب عنا ، فليكن لنا الامتياز الآخر بأننا أجانب عنهم فى المعاملة ، مثْلاً بمثل ، وما يفلُّ الحديد إلا الحديد يقولون النظام الاقتصادى والمال الأجنبى . ولكن أرأيت المال فى يد الأجنبى إلا مالاً وتدبيراً وسلطة وسيادة ، من أنه فى يد الوطنى دَينٌ وإسراف ورقٌّ وذل ؟

لم يظهر لى إلا الساعة أن من حكمة تحريم الربا فى شريعتنا الاسلامية وقايةَ الأمة كلها فى ثروتها وضِياعها ومُستَغلاتها ، وحماية الشعب وملوكه من الاسراف والتخرق والكرم الكاذب وزد الاستعمار الاقتصادى وشل النفوذ الأجنبى

أما لو أننا كتبنا من الأول على أبواب « البنك العقارى » وأبواب ذرّيته : « يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا » فهل كانت تُقرأ هذه الكلمات الثلاث على أبواب تلك البنوك الأجنبية إلا هكذا : « محالٌ خالية للايجار » .. .. ؟

(سيدى بشر . اسكندرية) مصطفى صادق الرافعى

# خطب فلسطين
## بين الصهيونية والاستعمار
### للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

لا يزال العرب فى فلسطين ماضين على سنتهم — يقاتلون ، ويناضلون ، ويذودون عن حقيقتهم ، بل وجودهم . وقد توسط الأمير عبد الله بينهم وبين الانجليز غير مرة فما أجدت وساطته ، وسمع من زعماء العرب الذين استقدمهم اليه فى عمان أنهم ينتظرون منه أن يكف عن كلامهم فى ذلك إلا إذا كان يستطيع أن يبلغهم أن مطالبهم أجيبت بلا نقص ، وليصنع الانجليز ما شاءوا ، وليبلغوا بقوتهم مجهودها . ولو كان الأمر يحتمل المساومة لجنح العرب إلى السلم ، ولكنهم لم يبق لهم اختيار ، فاما أن يموتوا الآن مدافعين وإما أن يوطنوا النفس على الجلاء عن وطنهم والخروج من ديارهم إذا ظلت أبواب « الهجرة الصهيونية » مفتوحة . ومن هنا هذه الاستماتة فى الثورة الفلسطينية

ولو كانت هذه الثورة شبت فى فلسطين فى أعقاب الاحتلال الانجليزى ، لكانت أهول وأروع ، فقد كانت البلاد غاصة بالسلاح والذخيرة ، ولكن الخطر على العرب من « الهجرة الصهيونية » لم يكن قد تجسد كما تجسد الآن ، ولا كان العرب فى البلدان الأخرى — فضلا عن فلسطين — قد أفاقوا من صدمة الغدر الاستعمارى بهم . أما الآن فقد صار الخطر على عرب فلسطين حقيقة يحسها كل واحد فى نفسه وفيما حوله . وانتسخ الأمل فى أن يفئ الانجليز إلى العدل ويؤثروا القصد بعد أن رآهم العرب يهملون ما أوصت به وحضت عليه ثلاث لجان من لجان التحقيق جاءت من لندن إلى فلسطين وأجمعت على أن الهجرة يجب أن تقف لأن البلاد لا تحتمل استمرارها . وكان ذلك قبل سنوات عديدة ، فكيف الآن ؟ ؟

وقد تغيرت الأحوال فى البلدان العربية الأخرى ، فاستقر الأمر فى جزيرة العرب ، ووضع الصلح الكريم بين نجد واليمن الحجر الأول فى بناء الوحدة العربية ، وجاءت المعاهدة التى عقدت فى هذا العام بين العراق والدولة العربية السعودية ، فكانت خطوة أخرى واسعة فى سبيل الحلف العربى ؛ وهبت

مصر تطلب أن يسوى الأمر بينها وبين بريطانيا فبادرت بريطانيا إلى الدخول فى المحادثات التى انتهت منذ أيام إلى الاتفاق ؛ وتلتها سوريا فأضربت شهرين أو أكثر ، فلا بيع ولا شراء ، ولا أخذ ولا عطاء ، وتفاقمت الأزمة واستحال علاجها بغير النزول على حكم الواقع ، فردت فرنسا نفسها على مكروهها وعدلت عن غطرسة القوة التى لا تجدى أمام المقاومة السلبية الشاملة ، ودعت رجال سوريا إلى المفاوضة اقتداء ببريطانيا فى مصر والعراق . ولا تزال هذه المفاوضات دائرة ؛ وإذا كانت تتعثر ، فما من شك فى أن سوريا بالغة سؤلها عاجلا أو آجلا ، فما بقى من هذا مفر ، وإلا قامت القيامة فى وقت لا ينقص فرنســا فيه الأزمات والارتباكات والمشاكل العويصة

فالدنيــا تتغير حول فلسطين ، والانجليز هناك جامــدون لا يغيرون شيئاً من سياستهم ، ولا يبدلونها على ما تقضى به الأحوال الجديدة . وهذا هو وجه العجب منهم ، فان العهد بهم أنهم أهل كياسـة ومرونة وحذق ، وأنهم أساتذة بارعون فى تكييف سياساتهم وفق الأحوال . ولـكنا نراهم الآن يجزعون من الاتفاق المنتظر بين فرنسا وسوريا ، ويشفقون على فلسطين من عدوى الاستقلال السورى حتى ليقال إنهم سعوا سعيهم عند فرنسا ليحبطوا الاتفاق أو يؤخروه على الأقل حتى يفرغوا من ثورة فلسطين

ويبدو لنا أن عناد الانجليز فى فلسطين يرجع الى سببين : أحدهما أنهم يريدون أن يجىء اقتراح وقف الهجرة من الصهيونيين أنفسهم ، مصانعة منهم للنفوذ المـالى للصهيونية فى بلادهم وفى العالم كله . وهم لا ينكرون أن العرب على حق فى المطالبة بوقف الهجرة والاكتفاء بما كان الى الآن ؛ ثم إنهم يعرفون أن وقف الهجرة لا يناقض ما وعدوا به من إنشاء الوطن القومى ولا ينافى عهد بلفور ، لأن هذا الوعد كان بانشاء الوطن « فى » فلسطين لا بجعل فلسطين كلها وطناً قومياً للصهيونية . وقد تم ذلك وأنشئ الوطن وتحقق الوعد وبرت إنجلترا بالعهــد . ثم إن العهد نفسه مقيــد بالمحافظة على مصالح أهل فلسطين الأصليين . فاذا وقفت الهجرة فانها تقف تنفيــذاً للعهد ، كما أبيحت تنفيذاً للعهد . ولـكن الحكومة البريطانية تتلكأ حتى تتقدم اللجنة الصهيونية باقتراح الوقف بعد أن تتبين لها استحالة الاستمرار

والسبب الثانى أن بريطانيا تروم أن تخضع العرب فى فلسطين وتكرههم على إلقاء السلاح قبـل أن توفق سوريا فى مفاوضة فرنسا ، لأن العود الى الثورة يكون عسيراً جـداً ، ولا بد من انقضاء فترة طويلة تستريح فيها الأمة من مجهود الثورة وتستجم . والمعهود فى الانسان أن الحماسة تنبه أعصابه وتشدها فلا يكاد يشعر بعظم الجهد الذى يبذله والمشقة التى يعانيها ، ولـكنه بعد أن يفرغ من ذلك ويسكن لا تكاد حاجته الى الراحة تنقضى . وهذا هو الذى تعول عليه بريطانيا فى فلسطين ؛ فهى تلج فى العناد وتأبى إلا العنف فى القمع وتصر على التسليم والسكون قبل أن تعد بشىء أو تظهر استعدادها لاجابة المطالب العربية ، لعلمها أن العرب إذا سكنوا فبعيــد جداً أن يثوروا كرة أخرى إلا بعد فترة راحة طويلة . وإلا فمتى عهــدنا الانجليز يقاتلون فى سبيل غيرهم ويسخون بدمائهم هذا السخاء من أجل شعب آخر ، ولا سيما إذا كان هــذا الشعب لا يقاتل ولا يدافع عن نفسه بل يلقى عليهم وحــدهم عبء الدفاع كله ؟ ؟ فليس حرص الانجليز على الوطن القومى وإنما هو على مركزهم فى فلسطين ، وهم لا يعبأون شيئاً بوعد بلفور فقد نقضوا ألف وعد ووعد مثـله ولم يعدموا مسوغاً ، وإنما الذى يخشونه هو أن يترقى العرب فى مطالبهم من وقف الهجرة إلى جـلاء الانجليز أنفسهم عن بلادهم . فما يخفى عليهم أن قضية الوحدة العربيـة أو الحلف العربى تتقدم ، وأن الثقة بأمكان ذلك تعظم وتقوى ، وأن الايقان بتحقيق هذا الأمل يعمر الصــدور ، ولـكنا كنا نظن أن الانجليز أبعد نظراً مما يبدون الآن فى فلسطين ، فأن العرب أصدقاء طبيعيون لبريطانيا ؛ وهم يؤثرون محالفتها على سواها لأنها دولة شبعت واكتظت فحسبها أن تتحفظ بما لديها وأن تستبق خير ما فى يديها . فالعرب لا يتوجسون منها كتوجسهم من دولة كايطاليا تحدثها آمالها بنشر الدولة الرومانية التى عفى عليها الزمن . ومن مصلحة بريطانيا أن تضمن ود الأمم الواقعة على طريق امبراطوريتها وأن تثق بمعونتها ووفائها لها عند الحاجة ، وبغير ذلك لا ندرى كيف ترجو السلامة وتأمن أن تتبعثر أجزاء أمبراطوريتها تبعثر حبات العقــد ؟ ؟ ولـكن سلوكها فى فلسطين ينفر العرب جميعاً فى كل رقعــة من رقاع الأرض ويسود قلوبهم ويوغر صــدورهم ، والعرب أمة تكبر العدل كائنة ما كانت الأغراض المحجوبة والغايات المستورة ؛ وليس فى وسعهم أن يعــذروا بريطانيا وهم يرون عرب فلسطين

يكتفون بمطالب اعترفت لجان التحقيق الانجليزية واحدة بعد واحدة بعدلها ووجوب إجابتها . وليس أدل على أن قلوب العرب كلهم يعصرها الألم لمصاب فلسطين من إجماع ملوك العرب على التوسط عند الحكومة البريطانية طالبين الانصاف لهذا الشعب المسكين . وقد تستطيع بريطانيا بقوتها أن تطفئ الثورة وتخمد الوقدة ، ولكنها لا تكسب بذلك بل تخسر : تكسب استقرار الأمر لها على الحد الذي ترومه في فلسطين — إلى حين — وتخسر العرب جميعاً في كل رقعة من رقاع الأرض . ولو فاءت إلى العدل ، لما غض ذلك منها عند العرب ، ولا حمل أحداً على الاستخفاف بقوتها كما تتوهم ، بل لكان ذلك حقيقاً أن يرفع مقامها ويعلى منزلتها ، لأن العرب كما قلنا لا يكبرون شيئاً كما يكبرون العدل ، والعادل عندهم أسمى مكاناً وأرفع درجات وأحق بالتوقير من القوى ، وتاريخهم الطويل كله — في أمجد عصورهم وأحطها — شاهد بذلك

ابرهيم عبد القادر المازني

---

أوربا على المنحدر

# معركة المبادئ والنظم

لباحث دبلوماسي كبير

كانت الثورة الاسبانية نذير عاصفة دولية جديدة من نوع خاص ؛ فقد سرت ريحها خارج الجزيرة بسرعة ، وتكشفت عن نتيجة لم يكن يتوقعها أحد ؛ ذلك أنها لم تبق بعد مسألة داخلية تهم أسبانيا وحدها ، ولكنها تغدو شيئاً فشيئاً مسألة أوربية عامة تشغل بشأنها الدول العظمى . ومما يلفت النظر بنوع خاص ، هو أن ما تثيره الحوادث الاسبانية من الاهتمام لا يقتصر على الناحية السياسية فقط ، بل يتعداها إلى ناحيـة أخرى أهم وأبعد أثرا ، هي الناحية الاجتماعية ، أو بعبارة أخرى ، هي ناحية النظام الاجتماعي الذي تدور حوله رحى الحرب الأهلية في أسبانيا

وقد تناولنا أسباب الثورة الاسبانية وتطوراتها في مقال سابق ، وبينا كيف أنها تقوم على صراع بين المبادئ والنظم مازالت تضطرم اسبانيا بشرره مذ قامت فيها الجمهورية على أنقاض الملوكية القديمة وطغيان العسكرية المطلق ؛ على أن هذه الناحية الاجتماعية في معارك اسبانيا الاهلية لم تبد من قبل بمثل ما تبدو به اليوم من القوة والوضوح ؛ ففي معسكر الحكومة الجمهورية يجتمع جميع الطبقات العاملة من الفلاحين والعمال وجميع القوى الديموقراطية والاشتراكية ، وفي معسكر الثورة تحتشد عناصر الطغيان العسكرية التي حكمت أسبانيا من قبل عدة أعوام ، ورجال الدين الذين جردتهم الجمهورية من نفوذهم وامتيازاتهم القديمة ، وفلول الملوكية القديمة ومن اليهم من النبلاء ورجال المال والصناعة الذين أضرت النظم الاشتراكية بمصالحهم المادية ، وهؤلاء يمدون الثورة بالمال ؛ وهذه الصورة البارزة التي تقدمها الينا الحرب الأهلية الاسبانيـة ، يقدمها الينا زعماء الجهتين الخصيمتين أنفسهم ؛ فزعيم الثورة الجنرال فرانكو يقول لنا إن الثورة الحالية إنما هي حركة قومية يراد بها انقاذ اسبانيا من قبضة الاشتراكية والشيوعية ، ومن الفوضى الاجتماعيـة التي انحدرت اليها في ظل الأنظمة المتطرفة ، وإقامة حكومة قومية تحترم حقوق الفرد والملكية ، وتعيد إلى اسبانيا هيبتها الدولية في ظل أنظمة قوية محترمة ؛ وحكومة مدريد تقول لنا إنها تدافع عن الحريات الجمهورية ازاء الخطر الفاشستي الذي يهدد البلاد بعود الحكم المطلق ، وتناشـد جميع طبقات الأمة ، ولا سيما الطبقات العاملة ، أن تذود عن حرياتها وحقوقها التي اكتسبتها بدمائها وتمتعت بها في ظل النظام الجمهوري

وهذه الناحيـة الاجتماعية البارزة التي تسفر عنها الثورة الاسبانية تغدو اليوم مسألة أوربية شائكة ، تكاد أوربا تنحدر إلى غمرها ، بل لقد ظهرت بوادرها العملية بالفعل ، وبدا خطرها واضحاً على السلم الأوربي ، فقد ظهر أن الثورة العسكرية الاسبانية تتمتع منذ الساعة الأولى بتأييد الدولتين الفاشستيتين الكبيرتين : أعني ايطاليا وألمانيا ، وهو تأييد يتخذ صورته المادية في امداد الثورة بالسلاح والمال ؛ وقد أمدت ايطاليا الثوار علانية بسرب من الطيارات ؛ وبعثت ألمانيا بارجتين من أسطولها إلى مياه سبتة ، واتصل ضباطهما بزعماء الثورة في زيارة رسمية ؛ وازاء هذا التأييد تقوم الدولتان الديموقراطيتان الكبيرتان : أعني فرنسا وانكلترا من جانبهما بتأييد حكومة مدريد ؛ وإذا كانت فرنسا

تؤثر أن تتظاهر بالحيدة فلا ريب أنها مع ذلك تمد حكومة مدريد بالمال والسلاح ؛ أما انكلترا فلم تتردد فى امدادها بالطيارات ، ولكن تحت ستار التجارة الحرة . وفى ميدان السياسة الدولية تعتبر المسألة الاسبانية مسألة اليوم ، وقد طرحتها فرنسا على بساط البحث بتوجيه مذكرة إلى انكلترا وايطاليا وألمانيا ، تقترح فيها أن تجتمع الدول الأربع لبحث المسألة الاسبانية ، واصدار تصريح تتعهد كل منها فيه بالتزام الحيدة وعدم التدخل فى حوادث اسبانيا ؛ وقد أجابت انكلترا بتأييد هذا الاقتراح لاتفاق وجهة نظرها مع وجهة النظر الفرنسية ؛ أما ايطاليا فقد أبدت عليه تحفظاتها ، وأما ألمانيا فقد اشترطت أن تدعى روسيا السوفيتية للاشتراك مع باقى الدول فى القيام بهذه الخطوة . ولاقتراح ألمانيا مغزاه ، وهو أن روسيا السوفيتية تؤيد حكومة مدريد والجبهة الاشتراكية التى تستند اليها ، أو بعبارة أخرى هو أن التدخل البلشفى عامل هام فى تطور الحوادث فى أسبانيا

ويجب أن نلاحظ أن العوامل الاجتماعية التى أملت على الدول موقفها ترجع من جانبها إلى عوامل المصلحة المادية . ذلك أن انكلترا التى تسهر فى جبل طارق على أبواب البحر الأبيض المتوسط ومدخل المحيط الأطلانطى ، تخشى أن تتأثر سيادتها فى هذه المياه بتطور الحوادث الأسبانية تطورا لا ترغب فيه ، وذلك بقيام حكومة فاشستية فى مدريد تتأثر بوحى الفاشستية الايطالية التى غدت منذ المسألة الحبشية شوكة فى جانب الامبراطورية البريطانية . هذا إلى أن لانكلترا فى اسبانيا مصالح مالية خطيرة ، والأموال الانكليزية تغذى معظم شركات التعدين الاسبانية ؛ ومع أن انكلترا تبغض شبح الفاشستية وتخشاه ، فأنها أيضاً تبغض شبح البلشفية والاشتراكية المتطرفة وتخشى أن يؤدى ظفر الجبهة الشعبية الجمهورية فى اسبانيا إلى قيام حكومة تخضع لنفوذ موسكو ، وتعمل على مناوأة نفوذها ومصالحها فى غرب البحر الأبيض المتوسط . فالسياسة الانكليزية تعمل فى هذا الظرف على إيجاد نوع من التوازن القوى فى اسبانيا وقيام حكومة ديموقراطية معتدلة تجانب الغلو والتطرف ؛ أما موقف فرنسا فتمليه مصالحها فى البحر الأبيض المتوسط ، والخوف على سيادتها فى مراكش من أن تتأثر بظفر الفاشستية المتطرفة فى اسبانيا

على أن المسألة الاسبانية تبقى فى جوهرها قائمة على معركة المبادىء التى تلوح اليوم قوية فى أوربا ؛ فالفاشستية — فى شخص إيطاليا وألمانيا — تحاول بمبادئها الطاغية المغرقة أن تهدم حصناً جديداً للديموقراطية ، وأن تضم دولة أوربية جديدة إلى جبهتها بمؤازرة الثورة العسكرية الاسبانية ؛ والديموقراطية — فى شخص انكلترا وفرنسا — تحاول أن تقف فى وجه الفاشستية ؛ وروسيا البلشفية تحاول أن تنتهز الفرص لبث دعايتها لاضرام الثورة العالمية ؛ والفاشستية تمثل جبهة الدول الناقمة التى حرمت من مزايا الاستعمار الباذخ ؛ والديموقراطية تمثل جبهة الدول الراضية التى تتمتع بالثراء والاستعمار الباذخ ؛ ومعركة المبادىء تتحد هنا مع معركة المصالح المادية

وهذا هو وجه الخطر فى الأزمة التى تغيم اليوم فى أفق السياسة الأوربية ، والتى قد تغدو غير بعيد خطراً يهدد السلم الأوربى ، ذلك أن معركة المبادىء والمثل تغذيها هنا مصالح مادية قوية ؛ وهذا الصراع الذى تذكيه شهوات المادة والمبدأ معاً هو أخطر أنواع الصراع الدولى . فالبلشفية من ناحية ، والفاشستية والنازية من الناحية الأخرى تنزل إلى ميدان الصراع مسلحة بأخطر أنواع الدعاية والقوى المادية ؛ والديموقراطية من جانبها تحاول أن تقف موقفاً وسطاً بين المبادىء والمثل المضطرمة ، وأن تدفع تيار التطرف من الجانبين صوناً لوحدتها وكيانها . ولنلاحظ أيضاً أن فرنسا الاشتراكية تؤثر ظفر الجبهة الشعبية الاسبانية ، ولو أن هذا الظفر قد يدفع اسبانيا إلى أحضان الشيوعية ، ذلك أن روسيا البلشفية تقف إلى جانب فرنسا فى ميدان الصراع الدولى ضد ألمانيا ، وألمانيا تعتبر نفسها حاجزاً للبلشفية وترى فى روسيا ألد أعدائها ؛ وإيطاليا ترى فى ألمانيا حليفتها فى المبادىء والمثل ؛ والفاشستية والنازية كالبلشفية تعتبر كلتاهما أنها نظام المستقبل وتحاول أن تدفع مبادئها إلى خارج حدودها بمختلف الوسائل

هذه هى عناصر المعركة الدولية الخطيرة التى أثارتها الحوادث الاسبانية ؛ وهى ما زالت فى طور التمهيد والمقدمات ؛ ومن

الصعب الآن أن نتبين طورها المقبل ؛ ذلك أن سيرها يتوقف كثيراً على سير الحوادث فى اسبانيا ؛ بيد أنا نستطيع أن نتبين بعض وجوه الخطر الذى يهـدد السلم الأوربى ؛ فايطاليا التى ما زالت ثملة بفوزها فى الحبشة تحاول أن تستغل الظروف ، وأن توجه ضربة جديدة إلى الأمبراطورية البريطانية وإلى سيادة بريطانيا فى البحر الأبيض ؛ وألمانيا التى جردت من مستعمراتها تحاول أن تجد فرصة للتدخل فى شؤون البحر الأبيض ، وبخاصة فى شؤون طنجة ومراكش ، وأن تنتهز مخاوف انكلترا وفرنسا لتثير المسألة الاستعمارية من جديد ؛ وانكلترا التى شعرت منذ المأساة الحبشية بما يهدد سيادتها فى البحر الأبيض من الأخطار تتحين الفرص لتوكيد نفوذها وهيبتها ؛ وفرنسا لا تطيق لحظة أن يتعرض مركزها فى مراكش لأى تدخـل أو خطر . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن تحرش ألمانيا بمركز فرنسا فى مراكش يوم ضربت عليها الحماية الفرنسية كان من أهم العوامل فى تسميم جو السياسة الأوربية قبيل الحرب الكبرى ، والتمهيد لذلك الجو المضطرب الذى اجتمعت فيه أسباب الحرب .

هـذا وهناك ظاهرة تتكشف عنها تلك المعركة الخطيرة بين الديموقراطيـة والفاشستية ، هى أن الفاشستية تعمل بسرعة وعزم دون تردد أو تدبر للعواقب ؛ وأما الديموقراطية فما زالت مختلفـة متنازعة ، وما زالت تجنح إلى التردد والتخاذل . وقد استطاعت الفاشستية غير مرة أن تنتهز فرصة هذا التخبط وأن تضرب ضرباتها فى صميم الديموقراطية ؛ ومن جهة أخرى فقد أفسدت الروح الاشتراكية المتطرفة عقلية الجماعات ، وبثت فيها كثيراً من دواعى التخاذل والغرور ، هـذا بينما تجد الصفوف الفاشستية منظمة طائعة تعمل لأول إشارة تلقى اليها

فهل تستحيل تلك المعركة الدوليـة فى القريب العاجل إلى صراع الحياة والموت بين النظم والمثل فى أوربا ؟ وهل تدفع أوربا إلى طريق حرب جـديدة ما زالت عواملها تجتمع فى الأفق منذ حين ؟ هذا ما سوف نتبين فى المستقبل القريب . بيـد أنه مهما كانت ظروف المعركة الحالية ، ومهما كانت نتائجها ، فلا ريب أنها من عوامل الخطر فى مصير السلم ومصير أوربا ؟

(***)

# فن القصـــة
## فى الأدب المصرى الحديث
### للأستاذ هلال أحمد شتا

طالعتنا ( الرسالة ) الغراء ، فى عددها رقم ١٥٧ ، بمقال طلى للكاتب الأديب الأستاذ محمد على غريب ، ألم فيه بدراسة شائقة لنتاج قصصى مصرى شاب . . وقد مهد لدراسته هذه بمقدمة تناول فيها فن القصة فى الأدب المصرى الحديث .

ولقد كانت هـذه المقدمة القصيرة — كما دعت الحال — لمحة خاطفة ، والمامة مقتضبة ، جال فيها قلم الكاتب جولة سريعة كما تجرى أحداث الدنيا فى عصرنا الحاضر . ولكنها ساقت الى رأسى هـذا البحث الذى أطالع القراء به اليوم : وهو بحث فى القصة المصرية ترويت فيه بعض التروى ، لأتمكن من الدراسة الهادئة غير العاجلة ، ولألم فيه بتاريخ القصة فى الأدب العربى ، وبقيمة هذا الفن الجميل ، وبنشأته فى الأدب المصرى الحديث ، وبالمدارس الغربيـة التى تأثر بها منشئو القصة فى مصر ؛ ثم بما حظيت به من جهود الأدباء المصريين ، وما بلغته هذه الجهود من توفيق وما قطعته فى طريقها نحو السداد

***

ويجدر بنا — قبل أن نوغل فى الحديث — أن نستعرض ما لهذا الفن الجميل من آثار جليلة فى تكوين النفوس والعقول على السواء . فالقصة الناجحة القريبـة من الكمال الفنى ، أبلغ تأثيراً فى النفس ، وأقوى سلطاناً على العقل ، من أى عمل فنى آخر .. لأن الفنون الجميلة عامة تفعل فى النفس فعلاً ، ولا تقوى على أن تفعل فى العقل شيئاً . . وإذا نظر الانسان الى لوحة فنية بالغة نهاية الكمال ، أو الى تمثال أفرغت فيه عبقرية فنان موهوب ، أو إذا استمع قطعة موسيقية تضافرت فيها براعة نفر من نوابغ الواضعين والعازفين ، فستطغى على نفسه موجة من الشعور بالسرور أو باحساس يشبه السرور والنشوة ، ولكن عقله لن يتأثر بذلك شيئاً .. فى حين أن القصة الناجحـة قد تخلق من قارئها إنساناً

جديداً ، وقد تسوق إليه رأياً يحتل من عقله موضع العقيدة . .

ومن أجل هذا عنى الغربيون فى نهضاتهم القديمة والحديثة بفن القصة عناية بليغة . فاستطاع قصصيوهم أن يخلقوا بفنهم جماعات قريبة من الكمال .. وكان لهذا الفن فى نهضتهم الحديثة أثر جليل ملموس

وليس مغالياً من يقول : إن فن القصة قد أبرز الى ميدان الزمن والتاريخ فرنسا الحديثة ، وروسيا الحديثة ، وإيطاليا الحديثة .. وقد يكون كذلك خالق بريطانيا الجديدة ، ودافعها الى رقيها الفكرى والخلقى الذى كادت تتفرد به بين الأمم . على أن الذى لا يقبل الجدل أن القصة قد تقدمت فى أوروبا وأمريكا فى العصر القريب الذى نعيش فيه ، فغمرت سوق الأدب ، وتمتعت من الأدباء والمتأدبين بعناية غلبت كل عناية ، وإقبال فاق كل اقبال وجهود بذت كل جهود . .

وإذا كان الغرب اليوم فى أوج عزه وعظمته ؛ وإذا كان مع ذلك منكباً على فن القصة أى انكباب ، فذلك دليل ساطع على أن هذا الفن جدير بالعناية خليق بالاهتمام . .

ولقد عرف الغرب كيف يحتفى بفنانيه عامة ، وقصصييه خاصة ، وكيف يكرمهم ويكبر فيهم فنهم وفضلهم العميم ، فأتاح لهم أن يكونوا من قادة العقول فى المقدمة . وأن يفرغوا الى فنهم فيهبونه وقتهم وجهدهم جميعاً ، بما ضمن لهم من وسائل المعيشة والرزق الكثير ، وبما هيأ لهم من ظروف يخلون فيها لدراساتهم الطويلة ، ويلمسون فيها جوانب الحياة فى مختلف الجماعات ومتباين الطبقات . . .

* * *

ولقد ظل الأدب العربى مفتقراً إلى القصة فى جميع عصوره الأولى ؛ ويلوح أن الأمية والبداوة فى العهد الجاهلى قد ساعدتا على إهمال الفنون الجميلة — ومن بينها القصة — وأن كل ما تمتع به العرب من ضروب الفن الجميل إذ ذاك هو ما حملته ألسنة الرواة من الشعر والنثر ، وما ترنم به حداة الابل من موسيقى بسيطة . .

على أن النهضة الاسلامية التى حمل رايتها محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت فى حاجة إلى القصة أيضاً ؛ لذلك كان القصص فى القرآن جانباً خطيراً من جوانب الاعجاز ، وعاملاً قوياً فى تهذيب نفوس أولئك الجاهليين ، وقوة رائعة تضافرت مع ما خص الله به محمداً فاستطاعت أن تخلق من أشتات الجاهليين فى شبه الجزيرة أمة لم يشهد مثلها التاريخ القديم أو الحديث

فالقرآن الكريم إذن أول من أدخل القصة على الآداب العربية ، ودفع بها إلى مقام العناية . .

وطبيى أن يعنى القرآن بالقصة ، فهو الداعى إلى الكمال العلمى والروحى والخلق ، الجامع لأنواع العلوم والفنون عامة ، والدستور الخالد الذى ينظم حياة إنسانية عالية الأركان دائمة على الزمان

ولقد نال فن القصة بعد ذلك جانباً من عناية الناطقين بالضاد ، فكانت السير النبوية ثانية المحاولات الموفقة لخلق فن جديد فى اللغة العربية ، على أن هذه السير كانت فتحاً لباب واحد من أبواب فن القصة ، هو القصص التاريخى ، كما كان ما فيها من فن لا يزال فجا محتاجا لكثير من العناية والموهبة . . وهى مع ذلك جهود لا يمكن أن يغفل ما لها من فضل عميم على القصة العربية الصميمة . .

وسايرت القصة العربية النهضة الفكرية التى دفع الاسلام العالم العربى إليها فتقدمت خطوات ليست ذات أثر كبير ، إذ كانت فى عصر الأمويين تكاد تقتصر على الرواية والارتجال ، ولم يلتفت إليها — كفن جميل له أثره وفعله — إلا بعض الرواة الذين دبجوا قصص الشعراء المحبين ، وأسبغوا عليها بعض الصناعة والحبكة والطرافة ..

ثم كان بعد ذلك العصران العباسيان الأول والثانى ، حين بلغ الرقى الفكرى ذروته ، وحين فرغ العرب — الهادئون ، الناعمون ، المتمدينون — ينشدون غذاء النفس والروح فى الفنون الجميلة ، وحين ضربوا فى كل جانب من جوانب التفكير الحر والابتكار . فكان طبيعياً أن يبلغ فن القصة أوج عزه وعظمته ، وكان طبيعياً أن يتخصص كبار الفنانين العرب لكتابة القصة وابتكارها ، كما تفرغ إخوانهم للموسيقى والغناء ، والرسم ، والكتابة ، والشعر ، وسائر الفنون العالية .. وكفى دليلاً على رقى القصة فى ذلك العصر الحافل بالروائع والبدائع « ألف ليلة وليلة »

إذا قصدنا جانب الخيال والابتكار ، ثم « المقامات » إذا نشدنا جانب الصياغة والاتقان

غير أن المحنة التى لحقت بالعرب والعربية ، باضمحلال الدولة العباسية ، كانت كافية لأن تحطم الآثار العقلية والفنية والفكرية ، وأن تأتى عليها إتياناً ذريعاً ..

وإذا كان الباحث فى تاريخ الأدب العربى — بعد المحنة العباسية — يعثر بين الحين والحين على بعض الآثار الفنية المتصلة بالقصة ، فليس ذلك إلا ترديداً لبعض ما خلفته يد الزمن من آثار الفنانين العباسيين ..

***

والقصة فى الأدب المصرى ، حديثة العهد ، قريبة المولد ، لأن العصور التى خلفت عصر الفاطميين ، قد أفسدت اللسان العربى الذى تكلم به المصريون منذ الفتح الاسلامى ، وأدخلت على سلاسته وجذالته لكنة الترك وعجمة الفرنجة ...

ولسنا نستطيع أن نسمى قصص « أبى زيد » و « السيد البدوى » وأمثالها قصصاً عربياً أو عجمياً ، فكلها وليدة خيال مشعوذ وقلم مرضوض ...

إذن لم يشهد الأدب العربى المصرى جهوداً تبذل فى سبيل القصة الموفقة إلا بالأمس القريب ، منذ عشرات السنين ، وبعد أن استطاعت النهضة العلوية أن تقوم اللسان ، وتصلح التفكير ، وتنمى الخيال ... حين قامت طائفة من نوابغ الشبان تخلق القصة العربيـة فى معناها الذى نعرفه الآن ، وهى طائفة كل أفرادها اليوم من الكتاب الممتازين والأدباء البارزين ...

وإذا كانت العربيـة ، التى تحدث بها رعاة الابل والأنعام فى شبه الجزيرة ، قد وسعت مدنيـة العباسيين وعلمهم الغزير ، فانها قد وسعت كذلك كل ما جال فى خواطر أولئك الشبان ، أو هؤلاء الكرام الكاتبين . وقد استطاع ذلك النفر — بما أوتى من فن خالص وموهبة — أن يزجى إلى العربيـة هدية لم تألفها من قبـل أبداً . فلقد كان فى محاولاته الموفقة متأثراً بالمدارس الغربية إلى جانب ما خص به من سليقة عربية حلوة الجرس موفقة المرمى ، سديدة المعنى

وإنه لواجب علينا أن نطوف بهذا النفر الجليل ، وأن نمضى على نتاجه سريعاً ، لنسجل له فضله شاكرين . . ولكننا نرى — قبل ذلك — أن نذكر المدارس التى تخرج فيها بكلمة قصيرة : وهى المدرسة الروسية والمدرسة الانجليزية ، والمدرسة الفرنسية . .

فالمدرسة الروسـية قد امتازت بمحاكاة الواقع ومسايرته ، والتعلق بالطبيعة ومظاهرها وأجوائها ـ الملموسة وغير الملموسة ـ ثم بالصدق ، والهدوء ، والتهكم . .

والمدرسة الانجليزية تعشقت الصدق أيضاً ؛ وأحبت التحليل النفسى الدقيق ، ووفقت فى كشف النفس البشرية توفيقاً عظيما ، واستطاعت أن تلمس العواطف وتترجم الأحاسيس فى عمق وسداد عجيبين . .

والمدرسة الفرنسية قد عشقت الخيال ، وتطرفت فبالغت بعض المبالغة ، غير متقيدة بالواقع أو المألوف ، وبرعت فى الحبكة المصنوعة براعة تثير العجب والاعجاب معاً ، ومالت إلى ترجمة الأسى والحزن البليغ . .

***

وهؤلاء الناهضون بالقصة فريقان : كان لأحدهما الفضل فى أن يحمل إلى العربية القصة الغربية الموفقـة فى معناها الحديث الذى دفعتها إليه النهضة الأخيرة ، وأن يخلق فى العربية أو يكشف فى بحرها الزاخر عما يترجم لغة أبناء الغرب أصدق ترجمة ، ويزجيها إلى أسماع العالم العربى سائغة المعنى ، عربية الرنين موفورة الحظ من بلاغة أبناء العرب وفصاحتهم . .

ولن ينسى قراء العربية فضل هذا الفريق أبداً ، فلقد فتح بجهوده وتمكنه وسلامة ذوقه العربى فتحاً فى العربيـة جديداً ، وكان له — وهو المترجم — فضل لا يعلو عليه فضل الواضعين أو المبتكرين ، لأنه البوتقة التى صهرت جميل فن الغربيين ، فاستحال فيها فناً عربياً رائعاً

ويتزعم هـذا النفر ثلاثة من نوابغ الأدباء المصريين ، وهم : الزيات ، والمنفلوطى ، والمـازنى

فأما الزيات ، فيمنعنى عن الاشادة بفضله أنه مدير هذه المجلة ، وأنه رجل يعرف فيه قراء العربيـة التواضع الكثير والنأى عن الضوضاء ، وأخشى — وهو صاحب الحق فى النشر — أن يحول تواضعه الغزير بين هذا البحث وبين أبصار القراء وأسماعهم . .

على أن كل هذا لا يمنعنى من القول بأن جهده فى سبيل القصة لن ينساه له تاريخ هـذا الفن فى الأدب العربى ، ولن ينساه له

أولئك المتادبون الشبان الذين عرفوا من معربانه معنى القصة الناجحة ولونها ، والذين مضوا بعد ذلك يقفون أثره ويتلمسون الطريق التى مهدها لهم وفتحها أمام تفكيرهم . . حين نقل إلى لغة الضاد « لامرتين » و « جوت » فى أبدع ما صورت الشاعرية الفرنسية والألمانية ، وأنجب الخيال اللاتينى والجرمانى . . وستبقى « رفائيل » « وآلام فرتر » على الأيام مثلاً بديعاً للتعريب الكامل الذى تكاد تغلب فيه قوة الترجم ، كما بقيت « كليلة ودمنة » تتحدث إلى يومنا هذا بفضل ابن المقفع

وأما المنفلوطى ، فقد كان جديراً بأن يزجى إلى القصة فضلاً أكثر من فضله ، فهو الأديب بفطرته والقصصى بفطرته .. ولو شاء الله وبسط أمامه سبل دراسة هذا الفن ، أو قارب بين لسانه وبين لغة من اللغات الحية ، لكسبنا فيه قصصياً عظيما ولكان نتاجه فى فننا هذا نتاجاً باقياً خالداً .. على أنه برغم هذا مشكور الأثر باق الذكر ، ممتاز بما خص به من أدب رائع ، وذوق فنى بديع ، وجذالة تفعل فى لسان الناشئة فعلاً محموداً

وأما المازنى — المترجم — فبالغ قمة التوفيق ، كزميله الزيات ، لوفرة علمه بلغة الانجليز ، ولأنه أديب عربى قويم اللسان ، مفطور على الفن .. وقد نرى فيما بعد — أن المازنى المؤلف أسدى إلى القصة يداً فوق يده هذه ، ولكن الفضل لا يمحو الفضل على حال ؛ وسيبقى المازنى المترجم خالداً فى قصة « ابن الطبيعة » فقد كان فيها عظيما حقاً ، إذ استطاع أن يختار للعربية أروع أمثلة الأدب الروسى ، كما استطاع أن ينقل فن أبناء الروس نقل الفنان والأديب الموهوب

***

والفريق الثانى هو فريق المبتكرين ، أو الواضعين ، وهو أول من ساق جمهور القارئين والمعنيين بالأدب إلى فهم معنى القصة الذى عرفها به الغربيون ؛ ونستطيع القول بأن هذا الفريق أحسن إلى القصة حيناً من الزمن فعرفت له أياديه ، ثم أهملها اليوم إهمالاً تأخذه عليه وتشكوه منه .. ولو استمر ذلك النفر فوهب القصة عهد رجولته كما وهبها عهد شبابه ، لاستطاعت أن تبلغ شأناً غير شأنها ، ومنزلاً فوق منزلها ..

وهؤلاء الذين يستطيعون أن يشقوا طريقهم ليأخذوا مقام الصدر بين آلاف المؤلفين وأشباه المؤلفين ، ليسوا إلا أربعه من كرام الكتاب ؛ هم : المازنى ، وهيكل ، وتيمور ، وأبوحديد

ولكل من الأربعة لون خاص يميزه من سواه

فالمازنى . أميز صفاته سلامة أسلوبه العربى وعلوه ، ثم جمال تهكمه وفكاهته ، وميله الى المزاح ، مع شدة احتفاظه بالأرستقراطية . وهو الى جانب هذا فنان من الطبقة الأولى ، فقد اجتمعت فيه فطرة الفنان ، والدراسة الطويلة المستمرة ، فأنجبتا للعالم العربى قوة عزيزة قليلة الوجود

وهو — على رغم كونه تلميذا مخلصاً للمدرسة الانجليزية — لا يستطيع أن يخفى على القارئين أنه تتلمذ على المدرسة الروسية أيضاً . وإذا كان دائم الانكباب على الأدب الانجليزى مولعاً به ولعاً شديداً ، فانه بطبعه وبسليقته الفنية ، كان فيما أنتج ميالاً الى المدرسة الروسية ، فى هدوئها ، وصدقها ، وتفكهها ، وطبيعتها وان استطاع — بما كسب من دراسة — أن يترجم الأحاسيس ترجمة صادقة تميز بها منشئو القصة الانجليزية

والذى قرأ المازنى — المؤلف — فى قصته « ابراهيم الكاتب » لا يمكنه بعد ذلك أن يندب حظ القصة فى الأدب العربى الصميم ؛ لأنه يراها فى قصة المازنى خلقت قوية لأول عهدها بالحياة ، ووجدت من روحه الفنانة ، وقلمه الملهم ، ودراسته الطويلة ، متكأ كان جديراً بأن يحملها الى المقام الذى بلغته بين أبناء أوربا وأمريكا ، لو قدر له أن يضع على عاتقه هذا الواجب الخطير

وكان هيكل فيما أنتج — وأول نتاجه قصة زينب — فرنسياً مخلصاً ؛ فهو يؤثر الصناعة والحبكة القصصية ، ويحب أن يضرب على أوتار تحس ، وأن يعالج بمجهوده موضوعاً ، غير متقيد بمذهب الفن للفن ، بل ذاهباً مذهب استغلال الفن للمصلحة . ولقد أسبغ على فرنسية فنه روحاً عربية جميلة ، بما وفق إليه من براعة فى الوصف ، وقدرة على التصوير الفاتن

ولا شك أن هيكل فنان بطبعه ؛ وقد كان خليقاً بأن يكون من عداد القصصيين المتازين لو عنى بفنه عنايته بأدبه وعلمه ، ولو تابع استغلال روحه الفنية التى فطر عليها

وكان تيمور — ولا يزال — مثالاً للقصصى المصرى الخالص ، وقد يكون تناول بالدراسة المدارس الغربية . . . ثم ترك نفسه بعد ذلك طليقة ، وأطلق قلمه حراً ، فاذا هو المصرى فى فنه وأدبه

وحياته ، وإذا هو عميق فى مصريته إلى المكان الذى يجب أن يكون عنده المصرى العربى الشعبى

والذى قرأ تيمور فى قصته الطويلة « الاطلال » أو فى قصصه القصيرة التى أخرجها قبل ذلك كتباً ، يلمس فيه ميلاً إلى هذا الفن شديداً ، ويؤمل منه بعد ذلك انقطاعاً للقصة وإيثاراً لها على كل شىء ، حتى يسد بذلك فراغاً يجب ألا يترك شاغراً ، أو يباح هباء للعابثين المسيئين إلى القصة وتاريخها شر الاساءة ..

وكان فريد أبو حديد مصرياً كذلك دائماً ، حين أخرج لنا « ابنة الملوك » و« مذكرات المرحوم محمد » ثم عميقاً فى مصريته أيضاً . ويبدو أن دراسته التاريخية الطويلة ، قد انحرفت به إلى القصة التاريخية فعشقها عشقاً عظيماً ، ولم يرض أن يحيد عنها إلى غيرها من جوانب فن القصة

وإذا كانت دراسة التاريخ قد غمرت نتاجه وأفرغت عليه من لونها فيضاً ، فليس ذلك هو الشىء الذى يتميز به أبو حديد أو يتفرد ، وإنما الذى يتميز به على القصصيين المصريين جميعاً هو الخيال الخصب الذى لا يحد ، والقدرة الفائقة على تصور الحياة فى غابر العصور أو حاضرها أو مستقبلها

وهذا الخيال ، وهذه الطبيعة ، وهذه الدراسة ، كانت قادرة على أن تجعل من أبى حديد عوناً للقصة المصرية شديداً ، ومناصراً قوياً ، وفارساً مبرزاً ، لو أقبل يدخل الميدان ويوغل فى ثناياه .. وهو القدير على ذلك أى قدرة ..

ولقد كان لنا أن نضع الدكتور طه حسين بك فى عداد القصصيين النابغين ، حين نقرأ له كتابه « الأيام » الذى بلغ به شأواً من الكمال عظيما ، والذى استطاع أن يفرغ فى سطوره فناً عريقاً ومقدرة فائقة تطالع القارئ فتأخذ عليه حسه .. غير أن الدكتور — فيما عدا الأيام — لا يستطيع أن يكون قصصياً .. ولو أراد الله ووهب الدكتور نعمة الأبصار ، لكسب فن القصة فيه خير نصير وأحسن عون ، ولكان لمصر والشرق العربى أن ينتظرا منه خيراً كثيراً ، لأنه — على حالته تلك — كان يحس إحساس البصرين ، ويدرك ما يجول بخواطرهم ، أو ما يغمر كياناتهم من عوامل نفسية يدفعها إليهم الوسط الذى يحيط بهم — بكل ما فيه

( البقية فى العدد القادم )

**هلال أحمد شتا**
بسكرتيرية مجلس الشيوخ

# ٥ – دانتى أليجييرى

## والكوميدية الإلهية

## وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران



**الجزء السادس من الأنيد ( ÆNEID VI )**

ذكرنا فى الكلمة الأولى أن دانتى فى كوميدياه كان مقلداً لسلفه الشاعر الرومانى العظيم فرجيل ، وأنه كان يحفظ الجزء السادس من ملحمة الأنيد عن ظهر قلب ، وأنه احتذى فى قصيدته مثال فرجيل ، والآن نعطى القارئ ملخصاً سريعاً لهذا الجزء السادس ليرى أننا لم نكن مغالين حين جزمنا أنه لم يقلد أبا العلاء ولا أسطورة المعراج التى سنعرض لها فى كلمة مستقلة

بيد أننا نرى أن إعطاء القارئ ملخصاً موجزاً للجزء السادس من الأنيد دون أن نعرض للأجزاء الخمسة السابقة سيشوه هذا الملخص ويجعله مبتوراً ، وقد يذهب بجمال الأنيد التى تعتبر أطيب طرفة فى الأدب اللاتينى كله ، لذلك آثرنا أن نعرض للأجزاء الخمسة الأولى فى كلمة خاطفة نخلص منها إلى الجزء السادس إتماماً للفائدة

سقطت طروادة ، وأضرم الأغريق النيران فيها وروّع الأهلون ولاذوا بالبرارى والقفار المحيطة بمدينتهم ، وذهب البطل إينياس Aeneas يبحث عن أبيه وزوجه وولده ليفر بهم من هذا البلد ، ولينجو بعزه التالد ومجده المؤثل من ذل الأسار ، ولكن أباه كان رجلاً شيخاً خائر القوة ، فاحتمله إينياس وانطلق يعدو به فى شوارع المدينة المتأججة ، حتى إذا وصل إلى شاطئ الهلسبنت ( الدردنيل ) افتقد زوجه فلم يجدها ، ووجد عنده طرواديين كثيرين يعتزمون الهرب من وجوه الهيلانيين فجعلوه رئيسهم وعملوا فى بناء أسطول ضخم أبحروا فيه إلى تراقيا حيث نزلوا إلى البر وأخذوا فى تأسيس طروادة جديدة بدل طروادة الأسيوية ، لولا أن أوحى إليهم[1] أن هذه أرض ملعونة ، فركبوا فى سفنهم وأبحروا إلى جزيرة ديلوس حيث سمعوا صوت أبوللو يأمرهم (أن يهجروا الجزيرة ويبحثوا عن أرض أمهم الأولى حيث

(١) تركنا هنا أسطورة بوليدور الذى قتله أخيل فى حروب طروادة وذلك لضيق المقام

يعيش شعب إينياس ويحكم وتدين له كل الأمم) ، ولشد ما طرب الطرواديون لهذا النبأ وأبحروا إلى كريد (إقريطش) كما خمّن لهم والد إينياس ، ولـكنهم لم يجدوا ثمة خيراً بل كانت محصولاتهم تصفر وتتلف وأصيبوا بسنين عجاف . ثم رأى إينياس فى منامه من يأمره بالهجرة من الجزيرة والابحار غرباً إلى أرض إسبريا Hesperia التى هى إيطاليا الحديثة حيث ولد مؤسس طروادة (داردانوس) وقد نزلوا فى طريقهم فى جزيرة السعالى[1] ثم أبحروا منهـا إلى أرض إبيروس حيث وجدوا أندروماك زوجة هكتور بطل طروادة يحكم المملـكة وقد تزوجت أحد الأسرى الطرواديين (هلينوس) فحلوا عندها أهلاً ونزلوا فى ضيافتها سهلاً وزودتهم بهدايا قيمة وأبحروا إلى جزيرة صقلية حيث مروا بمملـكة السيكلوب[2] ثم اقتحموا عقبات جمة وصعاباً كثيرة[3] حتى وصلوا إلى قرطاجنة على الساحل الافريقى حيث وجدوا الملـكة (ديدو Dido) تؤسس هـذه المدينة الخالدة التى ستكون أقوى خصم ومنافس لرومة فى المستقبل . وقد أكرمت ديدو مثوى المهاجرين وتزوجت من إينياس وجعلته ملـكاً للمملـكة غير متوج[4] . وكاد إينياس ينسى ما سخرته له السماء لولا أن أرسل إليه جوبيتر (زيوس) ولده ميركيورى (هرمز) يأمره بالرحلة

وبعد مجازفات هائلة وصلوا إلى شطئان إشبريا (ميناء سيكانيا) حيث مات والد إينياس وحيث سخرت جونو (حيرا) كبيرة الآلهة على أسطوله من أحرقه . وقد حزن البطل على سفائنه غاية الحزن حتى إنه ما فتئ يصلى للسماء أن تدركه فاستجابت دعاءه وأرسلت صيبا من المطر فأطفأ النيران ، ورأى إينياس فى المنام أباه يأمره أن يجول جولة فى إسپريا ليلتى (السيبيل Sibyl) لتقوده إلى الدار الآخرة لأنه يريد أن يكلمه ، وهنا يبدأ الجزء السادس من الأنييد

## جولة فى العالم الثانى

وذهب إينياس إلى (كيوميه) حيث لتى النبية الباركة (سيبيل) خابئة متخشعة فى كهفها السحيق وسط غاب الخلنج والشاهبلوط . وقبل أن يتكلم نهضت إليه وكلمته بكلام فعرف أنها تعلم ما جاء من أجله وأوصته بالصبر والتجلد ، ثم ذكرت له أن لا بد ، قبل الهبوط إلى العالم الثانى ، من أن يذهب فى تلك الغابة اللَّفَّاء المشتجرة ، فيبحث فى أيكها المظيم ودوحها النامى عن (الغُصن الذهبى) الذى لا بد من حمله هدية لبروزربين (برسفونيه) زوجة بلوتو إلـه الدار الآخرة

ووصفت له النبية الطريق الذى ينبغى أن يسلك ، ثم أرسلت اليه أمه فينوس حمامتين تطيران أمامه تدلانه فى غياهب الغابة ، فما لبث يتبعهما حتى حطتا على الشجرة التى تحمل الغصن الذهبى فتسلقها واقتطعه وعاد به إلى سيبيل . ونهضت النبية ، وقادته إلى كهف منشق وسط الغابة فوق حَيْدٍ وعر من أحياد فنزوف (البركان المشهور) حيث أمرته أن يقدم قرابينه إلى الآلهة بلوتو وبروزربين وهيكاتيه وسائر أرباب هيـدز . فلما فعل ، ارتفعت صيحات عظيمة من أغوار الـكهف ، ثم نظر فرأى البركان يميد ويزلزل ويكاد يغوص بمن فيـه فى جوف الأرض ، ثم يسمع عواءً ونُباحاً وَوَعْوَعَة فيتلفت فيرى ذؤباناً وكلاباً تهمهم فى جنبات الـكهف ، جائية من الظلمة التى تتدجى فى آخره ، معلنة قدوم أرباب هيدز . وتوصيـه سيبيل بالصبر ! وينطلقان حتى إذا كانا لدى وصيد (عَتَبَة) باب جهنم نظرا فرأيا أشباحاً بربرية مظلمة مربدة الوجوه يسأل عنها إينياس ماهى فتجيبه سيبيل إنها الأحزان والهموم والأوصاب والشيخوخة والخوف والجوع والعناء والفقر والموت . . . وسائر ما فى الحياة الدنيا من آلام ... وقد أقامت عندها ربات الذعر Furies فهى تتقلب على فراش خشن من فراش الجحيم ويرى بينها (دسكورديا) ربة الخصام وفوق رأسها — مكان الشعر — حيات وأفاع تتحوى وتنفث سمومها ، ويرى أيضاً طائفة مروعة من الوحوش والضوارى والتنانين مثل هيدرا وبرياريوس ، فينزعج إينياس ويمتشق سيفه ليحمى نفسه ، ولـكن سيبيل تنهاه وتطمئنه فيلملم أذياله ويقتنى أثرها حتى يكونا عند نهر كوكيتوس المتكون من دموع المعذبين . وهنا ربان (خارون) فى زورقه الجبـار ينقل أرواح الموتى ، كثيرة كأوراق الخريف من عُدوة الى عدوة ، والأرواح تتدافع تريد أن تسبق ، ولـكن خارون ينتخب منها الطائفة بعد الأخرى ويدع الآخرين ، فيسأل إينياس فتجيبه سيبيل أن الأرواح التى أديت لها شعائر الدفن الجنائزية هى وحدها التى تعبر النهر . أما التى حرمت فتهيم فوق الشاطئ دون أن تعبر مدى مائة عام أو تزيد

(١) Harpies ويروى فرجيل هنا أسطورة جيلة نأسف لعدم تلخيصها
(٢) لخصنا هذه الأسطوره فى السنة الثالثة من الرسالة
(٣) أغفلنا هنا أسطورة قيمة عن نضال بين حيرا (جونو) ونبتيون
(٤) من أروع فصول الأنييد انتحار ديدو بعد سفر اينياس

حتى يأتيها الفرج (!) . ويجزع إينياس حين يرى فى هؤلاء كثيرين من أصحابه الذين ذهبوا ضحية العاصفة فكانوا من المغرقين ؛ ويشتد حزنه حين يرى فيهم روح ربّانه الشجاع بالينيوروس الذى غرق فى الرحلة إلى أسبريا . ويكلمه فيرجوه الربان أن يمد إليه يده فيجتاز به اليم إلى الشاطىء الآخر ، ولا يوشك إينياس أن يفعل لولا أن تنهاه سيبيل !! خشية أن يخرق شرائع بلوتو ، وتطمئنُه فتخبره أن الأمواج ستقذف جثمان صاحبه إلى الشاطىء وسيدفنه الناس حين يرونه . ويتقدمان إلى خارون ليركبا فى زورقه ولكنه يغضب حين يرى إينياس ما يزال حياً ببدنه وعليه عدة حربه وعتاده ، ويسأله بأى حق جاز إلى هنا ، فتتولى سيبيل الاجابة وتخبره أنه لن يأتى محرماً فى الدار الآخرة ، وغرضه أن يرى أباه فحسب ويكلمه ثم يعود أدراجه ؛ وتريه الغصن الذهبى الذى احتمله بيمينه هدية لربة الموتى بروزربين ، فيرضى ، ويبتسم . ويحملهما فى زورقه إلى العدوة الآخرة . وما يكادان يطآن الشاطىء حتى يفجأهما الكلب الخبيث سيربيروس ، ذو الرؤوس الثلاثة تقذف اللهب ، وعليها الأفاعى تنفث السم ، فيوشك يفتك بهما ، لولا أن تقذف له سيبيل كعكة بها مخدر عجيب فيلتهمها ويستلقى على رمال الشاطىء ، ويجوزان قليلاً فيسمعان أصوات أطفال صغار ماتوا قبل أن ينهلوا كوثر الحياة فأقاموا هنا ، وعلى مقربة منهم أرواح الذين ماتوا ضحية تهم باطلة وقد قام بينهم القاضى مينوس يفحص قضاياهم[1] ثم يمران بأرواح اليائسين من الحياة الذين ضاقوا بجدها ذرعاً فماتوا منتحرين . وهم الآن يتمنون لو عادوا إلى الدنيا فيعملوا من الصالحات ما يشفع لهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وينطلقان فيجوزان بدركات الأحزان التى ازينت طرقاتها بأزاهير الآس فيريان أرواح الذين ماتوا دون أن يقضوا مأرباً من حبهم الذى خلعوه على عذارى الدنيا ، فباءوا هنا بألم لا ينجيهم منه حتى الموت نفسه : ويشهد إينياس بينهم روح حبيبته ديدو التى ما يزال جرحها دامياً ينفج ، ويكلمها ويحزن لها ، ثم يبكى بين يديها بكاء مراً[2] (و . . . حبيبتى ديدو ! ! لا تتهميني بما أنت فيه من ضنى وتعذيب ! فقد سخرتنى الآلهة لأمر سماوى وكان لزاماً على أن أطيع ؛ فقفى وكلمينى ، ولا تحرمينى حتى كلمة وداع هينة عليك ! وتقف ديدو بعينى حزينتين تفحصان جمرات جهنم ، وتسير مسافة فيتبعها إينياس ، ولكنه يعود بعد إذ لا يقوى على زفير السعير ! ! ) . ثم يعبران فيمران بأودية أرواح الشهداء ، ويحدق به أصحابه من محاربى طروادة مشدوهين ذاهلين ، يسألونه فيم أقبل ، وحين يلمحه أبطال الأغريق مقنعاً فى حديده مُقرّناً فى سلاحه تطير قلوبهم ويهربون منه فى أودية النار خوفاً وهاماً ! وتستحثه سيبيل فيهرول وراءها حتى يكونا عند مفرق طريقين يؤدى أحدهما إلى الفردوس[1] ( إليزيوم Elysium ) والآخر إلى هاوية من هاويات جهنم حيث يقر المجرمون الذين لطخوا حياتهم بالآثام ، ويشهد إينياس على أحد جانبى الطريق مدينة منيفة عالية الذرى ، ذات سور ضخم وبرج مشيد ، تحيط بها أمواه فيليجيتون — أحد أنهار جهنم — وقد وقفت ربة الانتقام المخيفة فى عليائها تحرس طبقات من المعذبين الذين راحوا يملأون الرحب بصراخهم وأنينهم . أولئك قد حسبوا ألا يقدر عليهم أحد فاجترحوا من السيئات ما شوهوا به وجه الحياة . . وهاهم ، قد وقفت على نواصيهم تيزيفون Tisiphone تحاسبهم وتظهر لهم ما أضمروا من الخبائث ، وكلما خلصت من حساب أحدهم قذفته لأخواتها ربات الذعر فتدق عنقه بمقامع من حديد وتشويه بشواظ من نار ونحاس !! وانفتحت بوابة المدينة فجأة ، فلمح إينياس هيدرا هائلة ذات خمسين رأساً تحرس الطريق عندها ؛ وهنا تخبره سيبيل أن هذه الطريق تؤدى إلى جحيم طرطاروس Tartarus ، وهى فى آخر السفل تبعد عنهما بعد السماء من فوقهما ، وفى قرارها يرسف التيتان الذين شقوا عصا الطاعة على جوبيتر كبير آلهة الأولب . ورأى إينياس جماعات جلوساً حول موائد كثيرة وأمامهم آكال وأشربات كلما وضعوا منها شيئاً فى أفواههم نزعته منها ربة من ربات العذاب مكفلة بهم . ورأى قوماً آخرين يحملون فوق هاماتهم حجارة ثقيلة تكاد تقصمهم . وعلم من سيبيل أن هؤلاء هم الذين كانوا يشاقون آباءهم ويضارون إخوتهم ويخادعون أصدقاءهم الذين وضعوا ثقتهم فيهم ويكنزون الذهب والفضة ولا يجعلون للفقراء نصيباً منهما . ورأى كذلك الذين فسخوا خطبة زواجهم بغير حق

(١) إلى هنا تكاد الأنييد تتفق والجحيم ( من الكوميديا ) فى فصولها الأوائل لا سيا فى وصف الدار الآخرة

(٢) أليس دانتى قد نقد هذه الصورة نفسها فى كوميدياه ؟

(١) هكذا جعل فرجيل جنته تحت الأرض . أما دانتى فقد هذبت المسيحة خياله فجعلها فى السماء وإن يكن لغباوته قد جعل الشمس من أطيب منازل الجنة

والذين حاربوا وطنهم وخانوا أماناتهم وخرقوا الشرائع . ورأى أكسيون وسسفيوس يعذبان عذاباً أليما . ورأى تنتالوس واقفا فى بركة من الماء العذب ومع ذاك يوشك الظمأ أن يرديه كلما انحنى ليشرب هرب الماء وغاض فى الأرض ، ومن فوقه أشجار يانعة ذوات أثمار كلما مد يده ليقطف ثمرة ذهبت فروعها فى السماء فهو أبداً ظامئ جائع

* * *

وهنا ، ينتهيان من الجوس خلال الجحيم ، وتذكر له سيبيل أنهما سيبدآن رحلتهما إلى الفردوس ( إلزيوم ) ، فتنخب به فى طريق دامس شديد الظلمة حتى تصل إلى أحراجٍ نورانية فتكون هى الجنة التى وعد المتقون . وينشقان ثمة نسيما عليلاً [1] وريان الصالحين مسربلين بسرابيل من أنوار أرجوانية ، وينظران إلى علٍ فيريان للجنة سماء لها نجومها وشمسها وأقمارها غير ما ترى فى سماء هذه الدنيا . وهناك ، أخذ الفائزون يمرحون ويلعبون ، فبعضهم يضطجع على العشب الأخضر يسامر أصدقاءه ، والبعض يلعب ألعاب الحياة الدنيا من مصارعة وجرى ورماية ، وآخرون يرقصون ويتغنون الأغانى . وفى هؤلاء أقام أرفيوس الموسيقى يشنف آذان أهل الجنة بقيثارته . ثم رأى إينياس فى أولئك الأبرار مؤسسى طروادة وأبطالها الأطهار الذين حاربوا الهيلانيين وعليهم حلل الاستبرق والغار ، ومعهم أرواح كثيرة مطهرة من القديسين والشهداء والشعراء الذين نظموا قصائدهم فى تمجيد أبوللو . وآخرين زانوا الحياة الدنيا بعلومهم وفنونهم [2] وقدموا يداً بيضاء لأخوانهم فى الانسانية . وكان هؤلاء يلبسون طيلسانات بيضاً وقراطق من حرير ، وقد سألتهم سيبيل إذا كان أنخيسيز ( والد اينياس ) بينهم ، فأذنوا لها أن تبحث عنه بين جموعهم الزاخرة ؛ ثم لقيته فى واد نضير ذى فواكه وأثمار فعرفه ابنه ، ومد الوالد ذراعيه يعانق ولده والدمع ينهمر على خديه ويروى لحيته : « وأخيراً أتيت ياإينياس ! ياولدى ! كم حنت روحى إليك وكنت فى خشية عليك مما أعرف من حياتك التى تلطخها دماء الحروب ويغطشها قتار المعامع ! » فيجيبه ابنه « أبتاه ! ليفرخ روعك فان صورتك كانت أبداً ماثلة نصب عينى فكانت تقودنى الى الخيرات وترشدنى الى الصالحات ! » ثم يحاول أن يعانق أباه ، ولـكن ... إنه لم يعانق إلا شبحاً ! !

ونظر إينياس فرأى وادياً مخضلاً سامق الشجر بليل النسيم يجرى من تحته نهر ليث العظيم ، وفى جنباته أمم شتى من أرواح الصالحين كثرت كثرة هائلة حتى لـكأنها أسراب النحل فى إبان الربيع . ويسأل صاحبته عن هؤلاء فتقول سيبيل : « أولئك أرواح المؤمنين تنتظر يوم البعث فتعود إلى أجسادها فتلبسها [1] وهى تشرب النسيان من ليث ليشغلها عن توافه الحياة الدنيا ! »

ويسأل أباه إينياس فيقول : « أبى ألا تكون الحياة الدنيا محببة عند أحد من هؤلاء فيؤثرها على ما هو فيه الآن من طيبات فهو يود لو يعود إليها ؟ » وهنا يأخذ الأب فى شرح طويل عن بدء الخلق وعن العناصر التى صنع الله منها العالم ( النار والهواء والأرض والماء ) وأن هذه باتحادها ينشأ عنها اللهب الذى صنع الله منه الأرواح العلوية وقد انتثرت بذرة من اللهب المقدس فاختلطت بالأرض فصنع منها الآلهة السفليون الانسان والحيوان وكلما كبر الانسان قلت فيه بذرة اللهب المقدس وصغرت وخبثت نفسه لأن كمية الطين تزداد فيه ولذا تجد الأطفال لصغرهم ولقلة كمية الطين فيهم أكثر طهراً وأجم نقاء من الكبار . ولا بد للعبد المؤمن قبل دخول الجنة من إزالة الطين الذى اندس فيـه وذلك بترويحه فى الهواء ، أو غسله فى المـاء أو تحريقه بالنار ليخلص من الشوائب والدنايا وليستحق أن يكون من أهل ألزيوم . أما الصالحون فيرتدون إلى الحياة متقمصين أجساد القطط والذئاب والـكلاب والسعالى والقرود فتزداد بهم الدنيا قبحاً على قبح . وقد يعود بعض الصالحين كذلك ليطهروا الدنيا من دنايا هؤلاء

ثم يحدث أنخيسيز ابنه عما ينتظر أن يتم على يديه من تكون مملكة عظيمة فى إسبريا وعن جلائل الأعمال التى ستتم فيها على يديه وأيدى ذراريه . ويحدثه كذلك عن الحروب التى سيخوضون غمارها والمعارك التى سينتصرون فيها والزوجة الجميلة التى سيفوز بها ، وطروادة [2] الجديدة التى سيشيدون دعائمها فلا يمضى طويل حتى تكون سيدة العالم

ثم يسلم الولد على والده ، وتعود به سيبيل من طريق مختصر إلى هذه الحياة الدنيا

( للبحث بقية )

د . خ

(١) حتى هذه استعملها دانتى حينما خرج من الجحيم الى المطهر
(٢) هكذا ينصف ڤرجيل العلماء والفنانين !! فيا لهذه من جنة إذن ؟

(١) لعل هذا الايمان يبث الأجسام لقاح أصاب رومة عن طريق مصر
(٢) هى رومة بالطبع

# أبو الطيب المتنبي (*)

للأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد

## موضوعات هذا البحث

وبعد فلقد فكرت طويلاً فيما عسى أن يكون موضوع كلمتي التي أتشرف بالقائها بين يديكم من مناحي المتنبي ، وعرضت مسائل البحث على خاطري ، فكنت كلما فكرت في أمر وجدت له ما يبرر التوجه إليه ، ووجدت مع ذلك من الشبهات ما يذودني عنه ويقطعني عن الاسترسال فيه ، ولكني استطعت في آخر الأمر أن أقنع نفسي بأنني وافد الأزهر إليكم ، وبأن الأزهر هو المعهد الذي يقوم على حراسة الدين أصوله وفروعه وعلى حياطة العربية وآدابها ، وبأن بحث من يمثل الأزهر يجب أن يكون متصلاً بما يؤديه الأزهر للعالم من أمانة وما يضطلع به من أعباء ، فاستقام عندي بعد هذه المقدمات أن يدور بحثي حول « دين المتنبي وأخلاقه وتنبئه وموقفه من النحاة » ؛ وما كدت أنتهي من ذلك الأمر وأخلص من التفكير بهذه النتيجة حتى عرض لي أمر آخر ألقيت له بالي كله ، وذلك الأمر هو المقصود بهذا المهرجان : أهو تقريظ المتنبي والثناء عليه ، إما باطرائه وكيل المديح له إن حقاً وإن باطلاً ، وإما باثارة الجميل من أخباره وشعره والاعراض عما عسى أن يغض من شأنه ، أم هو بحث المتنبي من جميع وجوهه لوجه الحق من غير تعنت ولا تحيز ؟ ولم أزل أفكر وأقدر للأمر حتى أيقنت أن هذا الحفل الذي يجمع أقطاب الأدباء والعلماء من كل قطر لا يمكن أن يستوي عنده الأمران فان فرق ما بينهما أوضح من أن يدل عليه . وأي إنسان يستطيع أن ينسى الفرق بين حفل يجتمع لتكريم رجل وبين حفل يجتمع فيه صفوة الأدباء لدراسة رجل من رجال الأدب كان له أشياع وأعداء ، وكان أشياعه ينشرون ممادحه ويذيعون فضائله ويتأولون له ، وكان أعداؤه يملأون الأرض عجيجاً حوله ويرمونه بكل نقائص الانسانية وهم لا يتورعون عن الكذب فيما يحدثون به من أخبار . أليس من أول ما يلزم الباحثين أن يعرضوا مقالات أعدائه وشيعته جميعاً على موازين البحث الصحيحة ليخلصوا بنتيجة ترضى العقل وتسد حاجة التفكير غير مبالين أن تكون هذه النتيجة مما يتمدح به أو مما يعده الناس نقصاً ؟ فان أنا عرضت عليكم شيئاً من هذا فهذه معذرتي وهذا رأيي ، ولعلي لا أكون قد أبعدت أو جانبت الصواب فيما ذهبت إليه

## دين المتنبي

أيها السادة : لقد مني أبو الطيب المتنبي بصنفين من الناس كان لكل واحد منهما من الأثر في حياته وفي أخباره التي نتوارثها إلى اليوم أقبح الأثر ، ولولاهما لعاش الرجل عيشة هادئة ، ولولاهما لكانت صحيفته في تاريخ الشعر والشعراء غير الصحيفة التي نقرؤها اليوم ، ولولاهما لما وجد الباحث عنه هذا الغموض وهذا التناقض اللذين يعانيهما الآن . أما أحدهما فجماعة من ذوي المكانة بين الناس وأصحاب الجاه خافوه على أنفسهم ورهبوا أن تمتد مطامعه إلى مكانتهم وجاههم ، أو طمعوا منه في أن يتملقهم ويرائيهم فيرد حضرتهم كما كان غيره يردها وكما كان هو يرد حضرة غيرهم من الملوك والأمراء فلم ينالوا ذلك منه ، أو دفعت أبا الطيب نوازع نفسية فنال من أعراضهم فكانوا لأحد هذه الأسباب أولها كلها مجتمعة يحنقون عليه ويغضون من شأنه ، وكانوا مع ذلك يؤلبون عليه الشعراء والعلماء لينالوا منه ويؤذوه في نفسه وفي شعره . وكان أبو الطيب يخشاهم ويرهب سلطانهم ، بل لم يكن يخشاهم على نفسه فحسب ، وإنما خشيهم على بعض أصدقائه ومن يشفق عليه ، فقد حدث أبو اسحاق الصابئ قال : « راسلت أبا الطيب رحمه الله في أن يمدحني بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ووسطت بيني وبينه رجلاً من وجوه التجار ، فقال : ( قل له والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا أوجب عليّ في هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت ، وإن أنا مدحتك تنكر لك الوزير ( يعني أبا محمد المهلبي ) وتغير عليك لأنني لم أمدحه ، فان كنت لا تبالي هذه الحال فأنا أجيبك إلى ما التمست وما أريد منك مالاً ولا عن شعري عوضاً ) ، فتنبهت على موضع الغلط ، وعلمت أنه نصح فلم أعاوده اهـ » . وأما الصنف الآخر فجماعة ممن كانوا يأملون أن تكون لهم المنزلة التي أدركها من الحظوة عند الملوك ، وحرص كل واحد منهم أن يكون أبو الطيب من بطانته وتنافسهم في ذلك ، فلما لم يبلغ هؤلاء المؤملون هذه الأمنية

---

(*) وهي الخطبة التي ألقاها الأستاذ في مهرجان المتنبي في المجمع العلمي العربي بدمشق باسم الأزهر

أكل الحقد عليه قلوبهم ، واشتعلت جذوة الحسد بين جوانحهم ، فتفننوا فى القول عليه والدس له ، ونشروا عنه من القبائح مالم يكن يعلم من أمر أكثره شيئاً ؛ ولم يكتفوا بأن يعملوا على إبعاده عن الملوك الذين كان التقرب إليهم منتهى آمالهم ، بل حاولوا التفريق بينه وبين الجمهور ، فجاؤوه من ناحية الدين ثقة منهم أن لادين فى نظر جمهرة الناس وعامتهم المنزلة الأولى ، فاذا أتى الرجل من جهته فقط سقط وإن بقى له كل شىء

رموه بأنه كان رقيق الدين تاركا لأركان الاسلام ، ورموه بأنه كان يستخف بالأنبياء ويستصغر شأنهم ، ورموه بأنه ذهب فى الفلسفة مذهباً بعيداً عما يعتقده المسلمون ؛ وقد نسوا حين رموا أبا الطيب بذلك كله أن دين الاسلام شديد الصرامة فى حكم هذه المسألة ، وأنه لايحل لمن يعتنقه أن يرمى أخاه بأمثال هذه التهم لأرضاء حفيظة نفسه حتى يكون بين يديه دليل لا يقبل التأويل

ولسنا حين نتشكك فى أخبار هؤلاء الناس أو ننكر استنتاجهم ندعى لأبى الطيب أنه كان رجلاً صالحاً ورعاً يقوم الليل ويصوم النهار ويطيل العبادة وقراءة القرآن ، ولكنا نفعل ذلك لنقرر أن حياة أبى الطيب قد أحاطها أعداؤه بكثير من الغموض وأحاطوها مع هذا الغموض بكثير من الأكاذيب والمفتريات كان من شأنها أن تريك حياته سلسلة من المتناقضات

حكى على بن حمزة البصرى قال : « بلوت من أبى الطيب ثلاث خلال محمودة : وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خصال ذميمة : وتلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن » وهذا خبر لم يذكر قائله معه رجها يقربه من الصدق . وهل يستطيع إنسان فى الدنيا أن ينفى عن آخر فعل شىء حتى يزعم أنه لزمه طول حياته فلم يفارقه وأنه ما رآه يفعله قط ؟ ثم إن أمر الصوم فى حديث على بن أبى حمزة أهون من أمر الصلاة وقراءة القرآن ، فهو يستطيع أن يدعى مرة أخرى أنه رأى أبا الطيب كل عام فى شهر رمضان فى حلب ومصر والعراق وشيراز وسائر البلاد التى وطئها قدما أبى الطيب ، وأنه رآه مع ذلك يأكل أويشرب نهاراً ، يستطيع أن يدعى هذا كله وحينئذ يتم له ما أراد من أنه بلا من أبى الطيب خلة ذميمة وهى أنه ما صام ، ولكن أنى له أن يدعى ذلك . فأما أمر الصلاة وقراءة القرآن فنحن نسائله : أكان قد لزم أبا الطيب فى مغداه ومراحه ومتيقظه ومنامه حتى يستطيع أن يزعم أنه ما صلى ؟ وشىء آخر ، ذلك أنه بلا منه خلة محمودة وهى أنه ما كذب ، فهل سأله عن صلاته وقراءته القرآن فحدثه وصدقه الحديث أنه ماصلى ولا قرأ القرآن ؟ والحق أن على بن حمزة البصرى رجل أراد أن يرمى أبا الطيب بما رمى به أمثاله أمثال أبى الطيب من قبل ، وبما لا يزال أمثاله يرمون به أمثال أبى الطيب إلى اليوم . يريد بذلك أن يرضى خصوم أبى الطيب أو يشبع شهوة الانتقام منه ، وأراد أن يعمى على الناس ويحملهم على تصديقه ، فذكر فى صدر حديثه أنه بلا منه ثلاث خلال محمودة ، وهذه العبارة فيما نعلم من أمر الناس احدى الدلائل على اختلاق الحديث . هذا وقد ذكر أبو العلاء فى شأن صلاة أبى الطيب قال : « وحدثت أن أبا الطيب أيام كان اقطاعه بصف رؤى يصلى بموضع بمعرة النعمان يقال له كنيسة الأعراب ، وأنه صلى العصر ركعتين ، فيجوز أن يكون رأى أنه على سفر وأن القصر له جائز » فهل يمكن أن يكون خبر على بن حمزة بعد ذلك موثوقا به ؟ فأما تأول المتنبي وأنه رأى أن القصر له جائز فأمر آخر ليس بحثه من شأننا الآن ؛ وقراءة القرآن التى زعم على بن حمزة أن أبا الطيب لم يفعلها ، أفى الناس من يعقل أن رجلا نشأ على حفظ اللغة واستظهار غريبها ، والتنقل فى البوادى ليلقطها من أفواه الأعراب يجد القرآن بين يديه وهو كتاب لغة وأسلوب وفكر ، فوق أنه كتاب هداية وخلق وآداب ، ثم لا يقرأه ليتأسى به ويتقيل أساليبه ويتخذ من اطراد منطقه وإحكام الحجة فيه منهجاً لنفسه ؟ ونحن نذكر لعلى بن حمزة أن أبا الطيب قد قرأ القرآن وفهمه ، ونذكر له مما يشير إلى ذلك قوله من قصيدة يمدح بها كافوراً :

كأن كل سؤال فى مسامعه قميص يوسف فى أجفان يعقوب

وقوله من قصيدة يمدح فيها محمد بن زريق الطرسوسى :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

فأما ما ذكروه من استخفافه بالأنبياء واستصغاره شأنهم وعدم مبالاته بأصول العقيدة ، فقد رأينا فيما جمعناه من كلام أبى الطيب مما هو متصل بهذه المسألة أن بعض ما ذكروه أهون من أن يؤبه له كقوله :

ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

وكقوله :

إنا فى أمة تداركها اللـــه غريب كصالح فى ثمود

وأى شىء فى أن يشبه نفسه وهو يقيم بين قوم يعتقد أنهم أعداؤه بالمسيح عليه السلام حين أقام بين اليهود ؟ وأى شىء فى أن يدل على أن بقاءه بين قوم لا تجانس بينه وبينهم غربة تشبه غربة صالح عليه السلام ، إذ كان يعيش فى وسط لا يرون رأيه ؟

وبعض ما أخذوه عليه تجد له محملا فى الكلام لو أنت حملته عليه لم يكن به بأس ، وذلك كقوله فى قصيدة مدح بها الحسين ابن اسحاق التنوخى :

فما ترزق الأقدار من أنت حارم وما تحرم الأقدار من أنت رازق

فانه يمكن أن يكون قد أراد أن الحسين بن اسحاق رجل موفق إلى السداد وإصابة المقادير فهى تجرى دائماً موافقة لما اهتدى إليه ولا شىء فى ذلك فيما نظن . وأما بقية ما أخذوه عليه فداخل فى باب المبالغة التى تجرى على ألسنة الشعراء وهى لم تخالط قلوبهم ، وأبو الطيب كثير المبالغة فى شعره ، ونحن نأخذها عليه من الناحية الأدبية ولا نستدل بها على فساد عقيدته ؛ فمن ذلك قوله فى مدح محمد بن زريق :

لو كان للنيران ضوء جبينـه عبدت فصار العالمون مجوسا

ومن ذلك قوله من قصيدة يقولها فى صباه :

عمرك الله هل رأيت بدوراً طلعت فى براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهد ب تشق القلوب قبل الجلود
يترشفن من فمى رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقد اعتذر الناس عن قوله : « هن فيه أحلى من التوحيد » بوجوه : أحدها قاله ابن جنى وملخصه إنكار هذه الرواية ، والرواية عنده « هن فيـه حلاوة التوحيد » وقد سرى إلى ابن جنى داء النحاة فى تحريف الشواهد وتغييرها على ما يوافقهم .

والوجه الثانى : « تفسير التوحيد بأنه تمر من ثمار العراق حلو المذاق ، والوجه الثالث قاله العكبرى وملخصه أنه ليس المراد تفضيل حلاوة الرشفات على حلاوة التوحيد ، وإنما المراد تقريب حلاوتها من حلاوته لأن حلاوته ثابتة غير مشكوك فيها وحلاوتها غير معروفة ، وذانك الوجهان من باب التمحلات البعيدة كما ترون ، وليس لنا إلا أن نعترف بأن هذا غلو أفرط فيه أبو الطيب فتجاوز الحد . ومن ذلك قوله من قصيدة مدح بها أبا شجاع عضد الدولة

الناس كالعابدين آلهة وعبـده كالموحد الله

وقوله من قصيدة مدح بها بدر بن عمار :

لو كان علمك بالإلـه مقسما فى الناس مابعث الإلـه رسولاً
لو كان لفظك فيهم ما أنزل الـــقرآن والتوراة والإنجيلا

وكل هذا من الغلو البعيد كما قدمنا ، ونحن نعتب عليه أنه قد أسلس العنان لفكره حتى جال فى هذا الميدان ، فلا بدع أن يعتلى من غباره وتصيبه إحدى قذائفه

فأما ما اتهموه به من الذهاب فى فلسفتـه مذهباً لا يقره الاسلام فأنى أبادر بانكار ذلك عليهم وأعرض عليكم شيئاً مما ذكروه لتتبينوا بأنفسكم أنهم لم يكونوا منصفين حين نسبوه إلى ما نسبوه إليه ؛ زعموا أنه أنكر المعاد لقوله :

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

وأى دليل فى هذا الكلام على انكار المعاد ؟ وأى شىء فى أن تقول : « إن للموت معنى غير معنى النوم واليقظة ؟ ومن ذا الذى يزعم أن معنى الموت هو معنى النوم واليقظة أو أن حال الانسان فيه كحاله فيهما » وزعموا أنه يرى رأى السوفسطائية الذين ينكرون ثبوت حقائق الأشياء لقوله :

هون على بصر ما شق منظره فانما يقظات العين كالحلم

ولو كان ذلك من مذهب السوفسطائية لما جاز لأحد أن يشبه شيئاً بضده إذا اشتركا فى أمر من الأمور ونحن ما نزال نسمع الناس يقولون إن نوم فلان ويقظته سواء إذا كان لا يستفاد من يقظته أو كان لا يجد الراحة فى نومه كما لا يجدها فى يقظته . ومازال نسمعهم يشبهون الموجود بالمعدوم والمنير بالمظلم . وهكذا يجرى على الألسنة من غير أن يلتفت أحد الى هذا الذى زعموه ونسبوه الى القول بقدم العالم مستنتجين ذلك من قوله فى قصيدة رثى فيها أخت سيف الدولة :

تخالف النـاس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيـــل تخلص نفس المرء سالمة
وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

وهذا استنتاج لا يقضى العجب منه ، بل أنا أصارحكم — ولا ضير على فى ذلك — بأنى لم أعرف وجه هذا الاستنتاج ،

من (الكتاب الذهبي) قبل أن يطبع

# لغة الأحكام والمرافعات

للأستاذ زكي عريبي

— ٣ —

**مطابقة المرافعة لمقتضى الحال**

إن أهمها بلا شك هو مطابقتها لمقتضى الحال . فللاسهاب منها مواضع وللايجاز مواضع . يجب استعمال اللفظ المجلجل مرة والسهل البسيط أخرى . يغلب المنطق هنا والعاطفة هناك حسب الظروف والأحوال

وليس يستطيع هذا إلا المتكلم المصقع المتصل بالأدب بأوثق صلة ، العالم بطبائع الناس العارف لمواقع الكلام ، المتصرف فى أنواعه المختلفة بما يريد ويشتهى

كفايات صعبة بلا شك ، ولكنها لازمة أدرك الأقدمون ضرورة توفرها فيمن اتخذ الكلام صناعة . فكان محامو اليونان أفصح أهل زمانهم وأعلمهم . وسار الرومان فى أثرهم فلم يكن لطلاب البلاغة فى عهدهم غير ساحة القضاء يقصدونها للأخذ عن أئمتها وحاملى لوائها من الترافعين المبرزين أمثال أنطونيوس وهورتنسس وشيشرون . ثم تجددت هذه الحال فى عصر النهضة فكان على طالب المحاماة بعد الفراغ من دراسة الحقوق أن يتنسك أربع سنوات يقضيها متأملاً باحثاً قبل أن يقدم على المهمة المقدسة الكبرى — مهمة الدفاع

وقد بلغ من إغراق الأسرة القضائية فى ذلك العهد فى التأدب أن أصبحت المرافعات والأحكام عبارة عن اقتباسات مكدسة من كتب اليونان والرومان تلوح بينها الألفاظ الفرنسية وتختفى

بل إنك لتقرأ فى أخبار ذلك الزمن أن باسكييه أشهر محامى القرن السادس عشر أورد فى إحدى مذكراته بيتاً لاتينيا لم يشر إلى قائله ووقعت المذكرة فى يد دى نو قاضى القضاة فلم يشأ أن يحكم فى الدعوى حتى يعرف مصدر الشعر

وبقى الاتصال وثيقاً بين الأدب والقانون خلال القرن السابع عشر والذى يليه . فأصبح من تقاليد المجمع اللغوى تخصيص أحد كراسيه لأبرع المحامين أدباً . وكان يشغل هذا الكرسى فى عصرنا الحاضر إلى عهد قريب النقيب الأشهر المرحوم هنرى روبير

وتجد مثل هذه الرابطة بين الأدب والقانون فى انجلترا ، فكثير من أشهر أدبائها شغلوا كراسى القضاء أولبسوا رداء المحاماة

وقد بقيت لغة الأحكام والمرافعات فى مصر سقيمة تافهة حتى دخل الميدان أمثال محمد عبده وحفنى ناصف ومحمد صالح وقاسم أمين وسعد زغلول فرقوا بها إلى طبقات لم تكن تحلم بها

وهذه الصلة ما زالت إلى اليوم معقودة يوثق عراها أعلام من أدباء العصر ، فالدكتور هيكل كان محامياً ، وفكرى أباظه والدكتور مرسى محمود ولطفى جمعه محامون مشتغلون . وكان على رأس محكمة النقض والنيابة العامة أديبان لم تسعد اللغة القضائية حتى الساعة بخير من قلميهما

***

لغة المحاكم إذن جزء من أدب كل أمة . ليس لها عنه غنى وله فيها كل الغناء

لا غنى لها عنه لأنها من دونه ضئيلة عليلة مملة مسئمة وله فيها غناء لأنه يجد فى ساحتها ميداناً مترامى الأطراف

---

ولو استنتجوا من هذين البيتين أنه ينكر المعاد لكان لاستنتاجهم وجه . على أنه إذا صح أن يكفر رجل بهذا الكلام وجب أن نحكم على علماء المسلمين عامة بالكفر ونحكم بذلك بادىء الأمر على المشتغلين بعلم الكلام والرد على فرق الملاحدة ، ذلك بأنهم يحكون لنا أقوال الكفار كما حكاها أبو الطيب فى هذين البيتين ، بل إن علماء المسلمين أولى بهذا الحكم منه لأنهم يذكرون مع ما يحكونه من الآراء شبهة أهل هذه الآراء ، وقد يصورون شبهاتهم فى صورة الأدلة ؛ يجب عند خصوم أبى الطيب أن يكون علماء المسلمين كفارا وان لم يعتقدوا ما يحكونه من آراء وان كان عندهم من الأدلة على بطلانها ما لا يدخل فى حساب أحد ، وفى الحق أن أعداء أبى الطيب لم يكونوا موفقين فيما رموه به ، وأن أبا الطيب نفسه لم يسعفه التوفيق فى كل ما جرى على لسانه

(له بقية)

محمد محيي الدين عبد الحميد
المدرس بكلية اللغة العربية

تلتق فيه الحقيقة بالخيال ويسـعد قلم الأديب بمواضيع لا حد لـكثرتها ولا تباينها . فمنها العظيم الفخم ومنها الصغير الدقيق . فيها الباكى المفجع وفيها الفكه الضاحك . الانسانية كلها هنا ، بأفراحها وأتراحها ، بآلامها وأحلامها ، بنبلها وضعتها ، بخيرها وشرها . فالقلم الذى لا يجرى فى هذه الحلبة الواسعة خير له أن يكسر

ولـكن للغة المرافعات مع ذلك خصائصها ولها مميزاتها

## لغة المرافعات لغة حديث لا كتابة

إنها قبل كل شيء لغة حديث لا لغة كتابة

وإن كان للحديث على الـكتابة مزايا فان له متاعبه وله صعابه

فمن مزاياه أن المحـدث يلق السامع وجهاً لوجه ؛ وفى استطاعته إذ يلقاه على هذه الصورة أن يستعين على اقناعه باسانه وعينه ، بصوته واشارته ، بحركته وسكونه ، ببديهته ودقة ملاحظته ، بل بما فيه من قوة مغناطيسية كامنة

ولـكن يقابل هذه المزايا أن المحدث مضطر بحكم طبيعة الموقف إلى الابتكار السريع والـكلام المرتجل ومواصلة الحديث فى غير توقف ولا تردد

فـكيف يجب أن تكون لغته ؟

إن أولى صفاتها من غير شك بساطة التعبير

بل قل إن هذا الشرط شرط ضرورة ؛ فقد يملك الـكاتب أن يستعمل اللفظ المنمق ، وأن يحتال على المعانى البعيدة ، وأن يطلق العنان للخيال فيواتيه بصور شعرية رائعة . ولـكن شيئاً من هذا غير مستطاع ولا ميسور لمتكلم تكتنفه صعاب الارتجال ، وتستحثه الحاجة اللحة إلى افهام سامع يرمقه بعين تتسع انتظارا قد ينقلب فى لحظة إلى تململ أو سآمة

صحيح أن الطبيعة لم توات جميع الناس بالبديهة الحاضرة التى تستطيع الـكلام عفوا ، فهم مضطرون إلى تحبير مرافعتهم ثم إلقائها . ولـكن حتى هؤلاء يجب أن يكتبوا بغير اللغة المعدة للقراءة ، إن عليهم أن يتصنعوا لغة الارتجال ؛ وليس هذا بميسور إلا أن يحتذوا حذو محام نابغة بدعى فارر ، تكلم عن طريقته فى كتابه الممتع فقال إنه يرى صامتاً مفكراً مدى أيام كلما اعتزم الدفاع فى قضية هامة ، فاذا ما كان قبل الجلسة بقليل اعتكف فى مكتبه ثم جلس للـكتابة فأطلق العنان لقلمه لا يلوى على شيء مما يعنى به الـكاتب من فصل أو وصل ، وبعبارة أخرى إن الرجل كان يترافع بقلمه فى القضية متمثلا أنه أمام المحـكمة ، حتى إذا فرغ طوى صحفه وقام عنها وقد رسمت هذه المرافعة المـكتوبة فى رأسه معالم واضحة توجه فـكره إذا ما وقف للدفاع ، وتقيه شر جموح الخاطر دون أن تمنع تدفق بيانه المطابق لمقتضى الحال

## العاطفة فى لغة المرافعات

وليس أجمل فى لغة المرافعات بل ليس ألزم من غلبة العاطفة فيها

إن كلام المحامى ليبقى مجرد كلام لا طائل تحته حتى تنشاه عاطفة صادقة فتصبح له قوة السحر . وقديماً قالوا إن القول ينفذ إلى القلب إذا صدر من القلب . ولـكن كيف السبيل إلى مثل هـذا القول ؟ ليس أعصى فى موضوعنا من التعبير عما نقصد « بالعاطفة » هى لا شيء . وهى كل شيء .

يقف محاميان يطلبان الرأفة لمتهم ، فيفوه أحدهما بكلام لا يعدو السمع . ويقول الآخر قولاً يهز القلوب هزاً

كلاهما يترافع بالعربية . وكلاهما يستعمل كلمة الرأفة أو الشفقة . فـكيف يتفاوت أثر مرافعتهما هذا التفاوت ؟

فتش وابحث وسل علماء النفس ينبئوك بأن واحداً من الاثنين حساس يستشعر ما يقول ويتأثر به فتنتقل منه عدوى التأثر إلى الغير

والتأثر لـكى يكون له هذا الأثر يجب أن يكون صادقاً . وهو لا يكون صادقاً إلا أن يصدر عن يقين واقتناع

وإن تعجب لشيء فاعجب لهذا الاقتناع يبدو لك صادقاً — وهو صادق بالفعل — فى قضايا يستحيل على العقل أن يصدق أن كلام المحامى فيها وليد الاقتناع وليس فى الأمر مع ذلك معمى ذلك أن المحامى القادر إذا ما أخذ على عاتقه المرافعة فى قضية صعبة راح يفكر فى صعوبتها ورائده الرغبة فى التغلب عليها وتلح عليه هذه الرغبة وتلحف بقدر ما يستعصى المخرج ويبعد الحل . ثم ينتهى الأمر بتذليل المحامى للعقبة أو اعتقاده أنه ذللها . وفى

هذه الحالة الثانية تطغى الرغبة على العقل وتستعبده ، وقد يكون جباراً قوياً يندفع بقوة الايمان الصحيح

جمعني وأستاذي الكبير مرقس فهمي قضية مخدرات كان المتهم الأول فيها رجلاً معروفاً . ولم يكن في القضية منفذ لأبرة لا من حيث أدلتها ولا من حيث أدبياتها . فالمتهم ضبط متلبساً بالجريمة ولم يكن له عذر مقبول من أي نوع . بل بالعكس كانت الأسباب تحتشد وتتضافر لأخذه بالشدة ، فقد كان الرجل مثقفاً غنياً لا يشفع له جهل ولا مسيس حاجة . فجثت الجلسة وكلي آذان لسماع مرقس فهمي . ماذا يستطيع الأستاذ العظيم أن يقول في هذه القضية اللعينة ؟ أي دفاع يتحسس وأي عذر يتلمس ؟ جلست أترقب وأنتظر . وأخيراً وقف مرقس للكلام . فاذا به يهاجم هذا الحصن المنيع من أكثر نواحيه منعة وأقلها توقعاً للهجوم . أجل لقد أخذ مرقس القضية عنوة من ناحيتها الأدبية ، متوسلاً بما لاحظه من أن التحقيق كان سرياً فيها وأن المحامين قد منعوا من حضوره . وانظر اليه كيف يرقى بقضيته التاعسة من أعماق الحضيض الى سماء الرفعة ، يجعلها مثار الكلام على الضمانات التي يشترطها القانون لصحة التحقيق وقدسية مهمة المحامي . أنظر إليه كيف يبدأ هذا الدفاع المجيد وقل إن في مصر محامين :

« نحن المحامين نعالج آلام الناس ونرافقهم في شقائهم ، ولهذا نرتدي الثوب الأسود ونقف في هذا المكان المنخفض . فاذا ما أعيانا التعب جلسنا على هذا الحجر الصلب فيزيدنا تعباً . فنحن حقيقة بؤساء ، رفقاء البؤساء . ولكن برغم هذه المظاهر الخداعة فان الذي في قلبه إيمان بالحق يرتفع من هذا المركز المتواضع إلى السمو الذي لا حد له . ذلك لأن عماده كله الحق ، ولأن مأمورية المحامي تمثل حق الدفاع المقدس . والقداسة لا تحتاج لسلطة ولا تحتاج لمظهر قوة بل هي جميلة ، جميلة بنفسها مهما كانت مظاهرها . مظاهر التعس والتواضع ، ولأن المحامي مأموريته التي تسمو به إلى أقصى ما يعرف من معاني السمو هي أن يوجه ضمير القاضي وأن يحدثه فيما يصح أن يتجه إليه عدله . فحقيقة لا يوجد سمو آخر يمكن أن يتصور

قلت هذا لا تفاخراً بموقف المحامي ، لأن الذي يدرك واجبه ليس في حاجة — بل عيب عليه — أن يفخر ، لكني قلته ليعلم حضرة القاضي أني أعاهد نفسي بألا أعرف لها كرامة إلا إذا تقدمت إلى ضميره بكلمة الحق ، وفي هذا السبيل فليقفني في الكلام حضرة وكيل النيابة في الوقت الذي يريده . إلى أن قال :

« إن التحقيق ليس هو ما يكتب لا . لا . التحقيق هو أولاً وبالذات الضمانات ، احترام الكفالات التي قررها القانون في حق المتهم . كيف تستجوبه ؟ من هو الشخص الذي وضع فيه الشارع ثقته في أن يتلقى هذا المتهم المسكين وديعة في يده ليتصرف في شأنه ،لعله يعنفه ، لعله يخدعه ، لعله يمنيه ، لعله يخيفه أو يهدده . فحتى لا تكون قداسة القضاء مستندة إلى تلك الطرق المخجلة المعيبة قال المشرع إن المتهم في حماية النيابة وحدها ، والمتهم أول ما تقربه النيابة تستجوبه في ساعات ٢٤ ساعة . والمتهم إذا حبسته له ضمانة معينة . والمتهم ياسيدي القاضي لا يقابله أحد في سجنه حتى إذا أراد المحامي أن يقابله . المحامي ممثل حق الدفاع إن رأى أن يقابله ليأخذ سر هذا المسكين . لا يقابله إلا باذن

ولكن ماذا جرى في هذه الدعوى ؟ جرى أن المتهمين جميعاً قذف بهم يا حضرة القاضي إلى هوة من النار »

ويذكرني تلمس مواضع الاحساس هنا بما يرويه هنري روبير عن سلفه العظيم لاشو إذ قبل أن يضطلع بمهمة الدفاع عن القائد بازين أمام المجلس الحربي الأعلى في قضية اتهامه بالخيانة العظمى في حرب السبعين . وكان مركز المتهم بالغاً نهاية السوء ، والبلاد من أقصاها إلى أقصاها مرجلاً يغلي بالحقد على من سلم إلى العدو مائة ألف مقاتل بعدائهم وأسلحتهم . فمضى لاشو يترافع ثلاثة أيام ، وهو كمن يضرب في حديد بارد حتى أسعفه الحظ وقد أخذ اليأس منه كل مأخذ بسقطة لسان من النائب العام إذ وصفه في رده على مرافعته « بالمدافع عن المزورين وقطاع الطريق » . وهنا وثب لاشو وثبة الأسد قد وخز بسكين . وعاودته قوته الهائلة بفعل الكرامة المجروحة ، وانطلق بيانه الساحر من عقاله فأتى بما لم يسبقه إليه متكلم . واستطاع بعد دفاع مرتجل ملتهب أن ينقذ رأس موكله

(يتبع)

زكي عريبي
المحامي أمام محكمة النقض والابرام

# فى النقــد

بقلم داود حمدان

فى الأسابيع الأخيرة كتب فى (الرسالة) أساتذة كبار بحوثاً جليلة فى النقد، توخوا منها شحذ همم النقاد، وحملهم على النقد المفيد الذى طالما كان عاملا هاما فى نمو الأدب وتمحيص العلم. وكان فى كلام بعضهم كلام يوهم التعريض بأشخاص انبروا للدفاع عن أنفسهم، فكان لنا معشر القراء من ذلك فائدة ولذة

وما كنت، وأنا من القراء، لأزج بنفسى بين الكتاب، لولا أن شيئا مما كتبه الأستاذ اسماعيل مظهر فى العدد ١٦١ من (الرسالة) لم أفهمه، فجئت أستأذن (الرسالة) بنشر ما يقوم بنفسى حول هذا الوضوع، لعل الأستاذ يتفضل بتصحيح فهمى، فأكون له من الشاكرين

يتساءل الأستاذ: (هل وضعنا للنقد قواعد يقوم عليها هيكله وتشيد من فوقها أركانه؟ ألنا فى النقد مذاهب مقررة ينتحيها الناقدون؟ وهل لنا فى النقد قواعد تحدد للنقد حدوده، وترسم تخومه، وتعين اصطلاحاته، شأن كل الأشياء العلميــة والأدبية التى لها أثر فى تطور العقليات والمعقولات؟)

ثم ينفى الأستاذ أن لنا فى النقد مذاهب (وإنما اتبعنا الى الآن فى النقد طريقة ميزانها الذوق والشعور)

وفهمى الكليل لا يرى محلاً لهـذا التساؤل، ولا يتصور كيف يكون للنقد قواعد ومذاهب، لأن النقد — كما أفهم أنا — شىء إضافى ليس له حقيقة مستقلة، ولذا يقال: نقد الدراهم، ونقد العلم، ونقد الأدب، وغير ذلك. وهو فى كل ذلك معناه التميز والتمحيص ومعرفة الزائف من الصحيح

ولما كان لكل علم وفن حدود وقواعد فهى هى حدود وقواعد للنقد، وليس للنقد بعدها حدود ولا قواعد

وإنما للنقد شروط لا بد من توفرها فى الناقد قبل الاقدام على النقد: فأولها أن يكون الناقد عالماً بالشىء المنقود علم إحاطة لئلا ينقد شيئاً لا يكون داخلاً فى حدود علمه. ولعل هذا ما حمل الأستاذ أحمد أمين على أن يعيب على النقاد أن ينتقدوا ما ليس من اختصاصهم، وذلك لأن عدم الاختصاص لا يتيح للناقد الاحاطة بالشىء المنقود. فناقد الدراهم مثلاً يجب أن يكون عالماً بماهية الدراهم ليستطيع نقدها، وناقد علم من العلوم يجب أن يكون عالماً بقضايا ذلك العلم واصطلاحاته، وناقد الأدب يجب أن يكون عالماً بأصول الأدب ومقاييسه ليستطيع تميز الصحيح من الفاسد، فمعرفة الصحيح من الفاسد فى شىء ما، هى عبارة عن معرفة ذلك الشىء نفسه، ومن هذا يتبين أنه ليس للنقد حقيقة قائمة بذاتها ليوضع لها حدود وقواعد

وثانى الشروط أن يكون الناقد حسن النية فى النقد غير ميال مع الهوى بحيث ينظر إلى العمل من حيث هو عمل لا إلى العامل، فان ذلك أدعى إلى العدل وأحفظ للسان من الوقوع فى الافراط فى المدح أو الذم. وليس معنى هـذا أنه لا يجوز مدح المحسن فى عمل ما بما يستحق، فان هذا كفران للجميل وقتل للمواهب التى ينميها التشجيع ويحييها الاطراء، وأما المسىء فيكفى بيان إساءته ووقف الناس على خطئه ما دام المقصود من النقد نفى الباطل وإقرار الحق

وشرط آخر لناقد الأدب ونحوه من الفنون التى يكون للذوق فيها نصيب. وهو: أن يكون ذوق الناقد وذوق المنقود من بيئة واحدة أو متقاربة، وأن يكون المؤثر فيهما واحداً أو متقارباً ليكونا متقاربين لا متساويين فان هذا مستحيل، فلا ينقد مشرقى مغربيا مثلاً فى شىء تختلف فيه أذواق المشارقة عن أذواق المغاربة

وشرط التقارب هـذا يعتبر ضابطاً لا بأس به فى الأدب ويكون الحكم بعد بين الناقد والمنقود الرأى الأدبى العام فى تلك البيئة

وإنما لزم هذا الشرط فى الأدب لأن الأدب من ضمن عناصره الذوق والشعور فلا جرم يكون الذوق والشعور من عناصر النقد الأدبى، بيد أنهما لا يكونان كل ما فى النقد الأدبى من شىء. وما دام الذوق والشعور غير محددين فمن المستحيل وضع قواعد وضوابط لهما، ولذا يكفى لقبول النقد القائم على الذوق تقارب ذوق الناقد والمنقود

وبعد، فقد ظهر — بحسب ما أفهم — أن قواعد النقد

# هيكل عظمى !...

## للأستاذ على الطنطاوى

[ كنت أمس عند قريب لى يمارس صناعة الطب ؛ فخرج لبعض حاجته ، حتى أطال الغياب ، وتسرب إلى الملل ، فقمت إلى خزانة كانت حيالى ، فقلت : لعل فيها كتاباً أقرؤه فما راعنى حين فتحتها إلا هيكل عظمى معلق بسقف الخزانة ... وإلى جانبه هيكل ثان ... ]

... من أنت أيها الانسان الذى انتهى به الأمر إلى أن يحبس فى خزانة ، ويلبث الدهر معلقا بسلكة ، ويعد متاعا من المتاع ؟ أأنت رجل أم امرأة ؟ أغنىّ أم فقير ؟ أملك أنت أم صعلوك ؟ ......

هل كان فى هاتين الحفرتين البشعتين عيون ساحرات الطرف ، يفتن ذا اللب حتى لا حراك به ، ويفعلن بالألباب ما تفعل الخمر ؟ وهل كان على هذا الثغر المخيف شفاه لعس ، تأخذ دنيا البخيل بضمة على شفتيه ، ويبذل حياته الجبان فى قبلة منها ؟ وهل كان على هذا القفص العظمى صدر بلورى ، يضيع بين ثدييه عقل العالم ، ويذهب فيه لبّ الحليم ، وينسى امرؤ أسند اليه رأسه الدنيا وما فيها ؟ هل كانت هذه العظام المستطيلة المرعبة سواعد بضة ، وأفخاذا رجراجة طالما أثارت من هوى وأذكت من خيال وطالما أنطقت بالشعر الشعراء ؟ أ كنت أيها الانسان امرأة فاتنة جميلة ؟

وهذا الانسان الآخر ؟ هل كان عشيقكِ أيتها الفتاة ؟ اعترفى فلا بأس عليك اليوم ؟ هل كان يهيم بك حبا ، ويحيا الليالى يحوم حول منزلك ، أو يَرقب شرفتك فاذا رأى شارة منك أو أبصر على الشرفة ظلّك أو لمح طرف ثوبك الأبيض أو الأصفر أو ... أو « الأرجوانى » انصرف وهو أسعد الناس حالاً ، وراح يحبر فيك « المقالات » ، وطفق يرى صورتك التى نسجها من خيوط حبّه ، لا صورتك التى هى لك : طفق يراها فى السماء التى يرنو إليها ويعدّ نجومها . وفى صفحة الكتاب الذى يفتحه وينظر فيه . وبين أغصان الأشجار التى تمتد إلى شرفته . وحيثما تلفت أو نظر « تلوح له ليلى بكل سبيل » ؟

أم كان هذا الانسان شابا غضّ الشباب طرى العود ، ينظر بعيون الغيد ، ويتثنى كأنه قضيب بان ، ويتكلم بصوت ليّن المكاسر ، كأن ألفاظه ورنّاته غادة أخرى تميل وتتدلل ، ولم يكن يحبّك أو يفكر فيك ، أو يفتش هو الآخر على من يحبه ويفكر فيه ...

***

أم كنت أيها الانسان ملكا يفىء على مفرقه التاج المحلى بالدر ، ويلمع تحته السرير المصنوع من الذهب ، إذا أمر تقاتلوا على السبق إلى طاعته ، وإذا اشتهى شيئاً أسرعوا إلى تحقيق شهوته ، وإذا مرض لم يكن للناس حديث إلا حديث مرضه ، وإذا أبلّ لم يكن سرور إلا ببشرى إبلاله ، وإذا قام أو قعد أو قدم أو ذهب لهجت الألسن بقيامه وقعوده ، واشتغلت الصحف بذهابه وقدومه ، وإذا مشى فى الطريق لم يمش على رجليه كما كان يمشى أبونا آدم عليه السلام ، وكما تمشى ذريته ، ولكنه يمشى على رءوس الناس الذين يحسون لفرط الاجلال أو لفرط السخط بأنه يمشى على رءوسهم جميعاً ؟

أم كنت أيها الانسان صعلوكا حقيراً عاش على هامش الحياة ، ودفن فى حاشية المقبرة ، فلم يحس أحد بحياته ، ولم يدر أحد بمماته ، ولعل حياته أشرف حياة لأنها حافلة بالفضائل ، مترعة بالشرف ، فكان يكدح طول نهاره . ليحصل خبزه وخبز عياله ، فيأ كله مأدوماً بعرق جبينه ، لا يؤذى أحداً ، ولا يسرق مال الدولة ، ولا يتخذ وظيفته جسراً إلى تحقيق شهواته ، وتحصيل لذاته ، ولعل موته أشرف موت ، لأنه مات مجاهداً وسط المعمل ، وسقط وفى عينيه المعول

---

هى قواعد العلم والفن والأدب المنقود ، وأنه لا يمكن وضع قواعد خاصة للمقدمن حيث هو فن خاص ، وإنما له شروط — والشروط غير القواعد — وهى لا تكاد تخفى معرفتها على أحد من كثرة مانوه بها الكاتبون فى هذا الموضوع

أقول قولى هذا وأنا خجل من نفسى ومن الناس أن أناقش أستاذاً كبيراً فى رأيه حول موضوع ليس لى من الخبرة به عشر معشار ماله ، ولكننى أضع رأيى بين يديه ليدلنى على مكان الخطأ منه ، وليتفضل ببيان أوسع عن رأيه اذا بقى مصراً عليه ولحضرته منى الشكر الجزيل

(اللد — فلسطين) داود حمدان

انظر ياصديقى ! التفت إلى يمينك . إن الملك الذى طالما خفته وأ كبرته وأعظمت زينته وبزته وشارته وحليتـه ، فلت عن طريقه ولم تجرؤ أن ترفع نظرك الى طلعته الكريمة .. إنه معك فى هذه الخزانة قد نزع عنـه ثوب الملك والبهاء . وعاد مثلك : لا الملك دام له ولا دام الغنى !

***

هل كنت أيهـا الانسان رجلاً عفيفاً مستقيما ، أم كنت لصاً خبيثاً ؟ اعترف : إنه لن يضرك اليوم اعتراف ، هل كنت لص أعراض تلبس ثوب التاجر ، أو ترتدى حلة الموظف أوتتيه ببردة الغنى . كم من الأعراض سطوت عليه باسم الوظيفة أو بصلة الصداقة ، أو ولجت اليه من باب «السفور المتهتك» ؟

أم كنت لصاً رسمياً لا سبيل للقانون عليه ، لأنه يسرق من الناس ويسكتون . لأنهم يريدون أن تمشى أعمالهم . ويسرق من الخزينة بأسناد مصدقة !

أم كنت لص أدب ، تسرق فكرة الفيلسوف وصورة الشاعر وموضوع الكاتب ، فتلبسها ثوباً من أثوابك الخسيسة المرقعة ، ثم تخرج بها على النـــاس على أنها بنت خيالك ووليدة عقلك !

أم كنت مظلوما ولم تكن لصا ولم تحترف السرقة ، ولـكن رأيت صبية مشرفين على الموت من الجوع ، وأسرة كادت تودى من أجل رغيف ، ورأيت حقك فى بيت مال الأمة ، قد سرقه السادة الأ كابر فغطيت وجهك حياء ، وأخذت رغيفا ليس لك ، فثـار بك المجتمع وقامت عليك الصحف ، وتعلق بك القانون حتى استاقك الى السجن ، فمت فيه مفجوعا بشرفك وأولادك !

اقترب أيها المجرم . أدن أيها الشهيد ، تعال انتقم ، هذا هو القاضى الذى حكم عليك ، لأ نك سرقت رغيفا تعيش به أسرة ، ثم خرج يخترق الصفوف ، صفوف الشعب الذى اجتمع ليشهد انتصار الحق وظفر العدالة ، فلما رآه حياه وهتف له حتى بح صوته ، وصفق حتى احمرت كفاه ، فلما ابتعدوا لم يعد يراه أحد مد يده التى حمل بها (مطرقة العدل) فأخذ ثمن وجدانه الذى باعه ، أخذ الرشوة ... تعال انتقم . إن القاضى والمجرم قد التقيا وزالت من بينهما الفروق !

***

أم أنت أيها الانسان جندىّ صاحوا به : الوطن فى خطر ! الحضارة مهددة بالزوال ! لقد أوشك أن يموت الحق وتذهب الفضيلة ! فاشتعلت الحمية فى رأسك ، والتهب الدم فى عروقك ، وقدحت عيناك بالشرر ، فتركت أمك المسكينة ليس لها بعدك إلا الله ، وأسلمتها إلى الحزن الطويل ، والثكل القاتل ، وأولادك الذين تعلقوا بك يصيحون : بابا .. بابا .. أسلمتهم إلى اليتم والفقر والبؤس ، وذهبت تلبى نداء الحق والفضيلة ، وتخلص الحضارة ، وتنقذ الوطن .. فنمت على الجثث ، وتجلببت باللهب ، وتوسدت القنابل ، حتى إذا أدركك أجلك سقطت صريعاً ، وأقبل رفاقك يدوسون على جثتك ، لا يجدون وقتاً لازاحتها ودفنها ، لأنهم يخافون إذا أبطأوا ألا يدركهم الموت فى سبيل الانسانية . . . فلمـا ماتوا جميعاً ربحت الانسانية وساماً زين صـدر القائد ، وصفحة فى تاريخ العدوان ، وثبت كرسى طاغيـة من الطغاة . أو استقرت مكانة حزب من الأحزاب ، أما الأطفال الأيتام والعجائز الثاكلات ، فحسبهم عوضاً من آبائهم ، وحسبهن بدلاً من أبنائهن التمتع برؤية موكب القائد الظافر

أم أنت أيها الانسان القائد نفسه ، قد جرّد صـدره من الأوسمة والشارات ، وجسمه من الحلة المزدانة بالقصب ، ووجهه من الأنف والعينين ، وعاد قفصاً من العظام ، لا يمتاز من أصغر جندى وأحقر صعلوك ، فلم يعد لك تانك العينان اللتان تبرقان ، فترجف لبريقهما أقسى القـلوب ، وذانك الشاربان القائمان كساريتى مركب ، وذلك الصوت القوى ، الذى كان يصيح بالجنود : إلى الأمام ! أى إلى الموت . . . إلى الثكل . . . إلى اليتم . . . إلى الحرب . « جحيم الحياة الدنيا » !

وأنت أيها الآخر . أأنت ذلك الجندى ، مالك تقف جامداً ؟ هذا قائدك ، ألا تضم شفتيك ، وتثبت بصرك ، وتزوى ما بين عينيك ، وتأخذ هيئة الجـد لتؤدى التحية العسكرية ، ويحك ! أما أنت جندى ؟ امرأة أنت ، أأنت عشيقة القائد العظيم ، رآك منصرفة من المعركة التى طوّح فيها بالمئات من شباب أمته فى سبيل العدوان على بقعة ليست له أو إعطائها إلى غير أصحابها ،

ومنحها للبعض الطارئين من الشعوب الذليلة المسكينة ، فماتوا كلهم ولم يقدروا على شيء ، لأن للحق قوة كقوة النار والحديد ، أأنت التي اخترقت سهام لحظها هذا القلب الذي طالما هزيء بالقنابل والمدمرات ، فجاء يصب جبروته على قدميك ، وأصبح هذا الذي يصرف عشرات الألوف من الكماة المستلئمين تصرفينه أنت وتجرينه من زمامه ، حتى صار يفكر فيك وهو في ساحة الحرب ، يزلزل الأرض تحت أقدام أهلها ، ويتأمل صورتك والعدوّ على أبواب معسكره لا يخاف عليه أن تحيله الأعداء ، ما يخاف عليك أن تمص لماك غير شفتيه ، أو يضم جسمك غير ذراعيه ...

اقترب يا سعادة القائد ، اقترب منها ، فضمها واشرب لماها . إنها هي التي تحب !

***

أم أنتما رجلان ؟ أعدوان أنتما أم صديقان ؟ أ كان بينكما مسافة على الأرض ومسافة في الزمان ، أم أنتما رفيقان متلازمان ؟ هل التقيتما في معمل ، أو عملتما في منجم ، أو اشتغلتما في ديوان ، أو اصطحبتما إلى الحرب ، أو تجاورتما في السوق ؟

أم كنتما مضطجعين في قصريكما المتقابلين ، قد مللتما من التسلية ، وشبعتما من الحب ، فأنتما تدفعان العمر دفعاً ، لا تتنازلان أن تنظرا من النافذة إلى هؤلاء البؤساء الذين يشتغلون دائماً وأبداً ، كأنهم آلات تدور ، تحت الشمس في الصيف ، وتحت المطر في الشتاء ، وفي الحرّ وفي الزمهرير ، وفي الصحة وفي المرض ، ليأخذوا بعد ذلك الواحد وتأخذوا أنتم التسعة والتسعين ، مكافأة لكم على غصبكم حريتهم وعسفكم إياهم ، وزرايتكم عليهم ، فتنفقوها على الموائد الخضر ، وفي كؤوس الخمر ، وعلى الشقر والسمر ... ثم إذا خرجتم تمسحوا بأذيالكم ، وقبلوا السياط التي تلهبون بها ظهورهم !

***

من أنتما أيها الانسانان ! وما شأنكما ؟ أأنتما هنا لتقولا : إن الملك والغنى ، والمجد والجاه ، والفتنة والجمال ، كل أولئك أثواب تلبس وتخلع ؟

فأيّ معنى — إذن — لقصائد ساداتنا الشعراء العاطفين ؟

(دمشق) علي الطنطاوي

# الحجاب في الاسلام

## للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

من علماء الأزهر

— ٢ —

أما غير أمهات المؤمنين من نساء المسلمين فلم يفرض عليهن هذا الحجاب الذي فرض عليهن ، لأن فرضه عليهن كان للغرض السابق الخاص بهن ، وقد ترك الاسلام أمر هذا الحجاب للرجل وزوجه ، يجريان فيه على ما تقتضيه المصلحة التي تختلف باختلاف النساء ، وشأنه في هذا شأن غيره من الأمور التي تركها الاسلام لحكم العرف والعادة وغيرها

ولهذا كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرى مع نسائه على ترك تقييدهن بشيء من أمر هذا الحجاب كالزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جعفر وغيرهم . وكان منهم من جرى على تقييد نسائه به مثل ما قيدت به أمهات المؤمنين ، وقد ورد من هذا أن سلمة بن قيس أرسل رجلاً إلى عمر يخبره بواقعة من الوقائع ، فلما قدم له عمر الطعام نادى امرأته أم كلثوم بنت علي : ألا تأكلين معنا ؟ فقالت له : لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر والزبير وطلحة نساءهم

ولعل الزبير كان يفعل هذا مع زوجه أسماء بنت أبي بكر ، فقد تزوج بعدها عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت امرأة عجزاء بادنة ، ولها جمال وكمال وتمام في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها ، وهي التي يقول فيها عبد الله بن أبي بكر :

أعاتكُ لا أنساك ما ذرّ شارقٌ وما ناح قُمْرِيُّ الحمام المطوَّقُ
أعاتِكُ قلبي كلَّ يوم وليلةٍ لديك بما تخفي النفوسُ معلَّقُ
لها خُلُقٌ جزْلٌ ورأيٌ ومنطقٌ وخَلْقٌ مَصُونٌ في حياء ومصدق
فلم أرَ مثلي طلَّق اليومَ مثلها ولا مثلها في غير شيء تطلَّقُ

وكانت عاتكة تحت عبد الله فشغل بها ، وغلبته على رأيه ، فمر عليه أبو بكر أبوه وهو في علية يناغيها في يوم جمعة ، وأبو بكر متوجه إلى الجمعة ، ثم رجع وهو يناغيها ، فقال يا عبد الله أجمعت ؟ قال أوصلى الناس ؟ قال نعم ، فقال له أبو بكر : قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة ، وقد ألهتك عن فرائض

الصلاة — طلقها — فطلقها تطليقة ثم ندم على طلاقها وقال هذه الأبيات فيها ، فأذن له أبوه فى مراجعتها ؛ وقد مكثت تحته حتى مات فتزوجت بعده عمر ، ثم تزوجت بعد عمر الزبير . فلما ملكها الزبير قال لها : يا عاتكة لا تخرجى إلى المسجد ، فقالت له : يا ابن العوام — أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فيه ؟ قال فانى لا أمنعك ، فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج ، فقام لها فى سقيفة بنى ساعدة . فلما مرت به ضرب بيده على عجيزتها ، فقالت مالك قطع الله يدك ورجعت . فلما رجع من المسجد قال يا عاتكة مالى لم أرك فى مصلاك ؟ قالت يرحمك الله أبا عبد الله ، فسد الناس بعدك . الصلاة اليوم فى القيطون أفضل منها فى البيت ، وفى البيت أفضل منها فى الحجرة

وهكذا كان بعض الرجال يحاولون أن يفرضوا على نسائهم هذا الحجاب بحكم الغيرة لا بحكم الدين ؛ وكانت عائشة رضى الله عنها هى التى حالت بين النساء والمساجد ، وكن يصلين فيها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تقوم صفوفهن خلف صفوف الرجال . فلما فتحت الأمصار وأقبلت الدنيا على المسلمين ظهرت المرأة فى زينتها ، وأخذت تحضر إلى المسجد بحالة تدعو إلى الفتنة ، فرأت عائشة فى حضورهن المساجد هذا الرأى ، وقالت فى ذلك : لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل

ولقد كان فى نفسى شىء من هذا المنع إلى أن شفاها منه عالم الأندلس ، وإمام أهل الظاهر ، أبو محمد على بن حزم . قال رحمه الله وأرضاه : أما ما حدثت عائشة فلا حجة فيه لوجوه :

أولها أنه عليه السلام لم يدرك ما أحدثن فلم يمنعهن ، فاذا لم يمنعهن فنعهن بدعة وخطأ ، وما نعلم احتجاجا أسخف من احتجاج من يحتج بقول قائل لو كان كذا لكان كذا

ووجه ثان وهو أن الله تعالى قد علم ما يحدث النساء ، ومن أنكر هذا فقد كفر ، فلم يوح قط إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بمنعهن من أجل ما استحدثنه ، ولا أوحى تعالى قط إليه — أخبر الناس إذا أحدث النساء فامنعوهن من المساجد

ووجه ثالث وهو أننا ما ندرى ما أحدث النساء مما لم يحدثن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شىء أعظم فى إحداثهن من الزنا ، فقد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجم فيه وجلد ، فما منع النساء من أجل ذلك قط

ووجه رابع ، وهو أن الأحداث إنما هو لبعض النساء بلا شك دون بعض ، ومن المحال منع الخير عمن لم يحدث من أجل من أحدث ، وقد قال تعالى : ( ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى )

ومن يدقق النظر فى ذلك يجد أن هذه المحاولات فى الحجر على النساء كانت ترجع إلى أسباب اجتماعية لا دينية ، وأن الرجال كانوا يلجأون إلى هذا الحجر إذا أسرف النساء فى استعمال ما أطلق الشارع لهن فى هذا الأمر ، وقد بدأ الرجال كما ذكرنا يلجأون إلى ذلك بعد قليل من عهد النبوة ، حتى كان ذلك يخرج بهم إلى حد الاثم . قال صاحب الأغانى : قال إسحاق قال المدائنى وأخبرنى أبو مسكين عن فليح بن سليمان قال : كان الدلال ملازماً لأم سعيد الأسلمية ، وبنت ليحيى بن الحكم بن أبى العاصى ، وكانتا من أمجن النساء ، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدو خلاخيلهما ، فقال معاوية لمروان : اكفنى بنت أخيك ، فقال : أفعل ، فاستزارها وأمر ببئر فحفرت فى طريقها وغطيت بحصير ، فلما مشت عليه سقطت فى البئر فكانت قبرها

وقد كانت النساء الحرائر من العربيات وغيرهن يقاومن ما يحاوله الرجال من الحجر عليهن ، ولا يفرطن فيما أباحه الشارع لهن ، كما سبق من عاتكة بنت زيد مع زوجها الزبير ؛ وقد حاول عمر قبله ذلك معها أيضاً . روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت تحت عمر بن الخطاب وكانت تشهد الصلاة فى المسجد ، وكان عمر يقول لها : والله إنك لتعلمين أنى ما أحب هذا ، فقالت : والله لا أنتهى حتى تنهانى ، قال عمر : فأنى لا أنهاك ، فلقد طعن عمر يوم طعن وإنها لفى المسجد

فلما أخذ الرجال يفضلون الاماء على الحرائر ضعفن عن هذه المقاومة ، وآل الأمر بالرجال إلى أن جعلوا بيوتهم سجناً للنساء ، وحرموا عليهن الخروج إلى المساجد وغيرها ، ومنعوهن من الاختلاط بالرجال ولو فى حضورهم . ثم طال الأمر على ذلك بين المسلمين حتى ظن أنه من دينهم وما هو منه فى شىء ، وإنما كان مثل هذا مفروضاً على نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يبلغ فى الشدة إلى مثل هذا الحد ، ثم انتهى ذلك بموت ميمونة رضى الله عنها ، وكانت فيما قيل آخرهن موتاً ما ؟

( للكلام بقية )

عبد المتعال الصعيدى

للتاريخ السياسي

# المعنى السياسي لانتخابات مجلس النواب الفرنسي عام ١٩٣٦

للدكتور يوسف هيكل

[ تتمة ما نشر فى العدد الماضى ]

وأدت انتخابات الدورة الثانية التى جرت يوم الأحد الموافق ٣ مايو إلى فوز « الجبهة الشعبية » فوزا باهرا لم تكن تنتظره بهذه الصورة ، ولم يعتقد خصومها أنهم سيخذلون هذا الخذلان

وكان الحزب الاشتراكى الفائز الكبير فى هذه الانتخابات ؛ أما الحزب الراديكالى فتبادل مركزه مع الحزب الاشتراكى فبلغ عدده ١١٦ نائباً بعد أن كان ١٥٩ نائباً فى المجلس السابق

وهذه قائمة تبين عدد الأحزاب فى مجلس النواب الفرنسى الجديد ، ومقدار ما ربحه أو خسره كل منها من المقاعد :

| أسماء الأحزاب | عدد النواب يوم ٣ مايو ١٩٣٦ | مقدار الربح | مقدار الخسارة |
|---|---|---|---|
| الشيوعيون والشيوعيون الخارجون | ٨٢ | ٦٢ | — |
| الاشتراكيون | ١٤٦ | ٤٥ | — |
| الاتحاد الاشتراكى | ٢٦ | — | ٩ |
| الاشتراكيون المستقلون | ١١ | — | ٢٦ |
| الراديكاليون الاشتراكيون | ١١٦ | — | ٤٣ |
| الراديكاليون المستقلون | ٣١ | — | ٣٦ |
| جمهوريو اليسار | ٨٤ | ١٢ | — |
| الشعبيون الديمقراطيون | ٢٣ | ٧ | — |
| الاتحاد الجمهورى الديموقراطى | ٨٨ | ١٢ | — |
| المحافظون | ١١ | — | ٢٤ |
| المجموع | ٦١٨ | | |

فما هى الأسباب التى أدت إلى تقهقر الحزب الراديكالى ؟ وما هى العوامل التى ساعدت على فوز الاشتراكيين حتى إنهم أصبحوا أكبر حزب فى مجلس النواب الفرنسى لأول مرة فى التاريخ ؟

قبل كل شىء يجب القول بأن الحزب الراديكالى الاشتراكى لن يبيد فى فرنسا ، لأن هذا الحزب يمثل « البورجوازى » ، أى الطبقة المتوسطة ، وهى أعظم طبقة اجتماعية فى فرنسا ، ورغم هذا فان النجم السياسى للحزب الراديكالى أخذ يأفل لعوامل بعضها ناجم عنه والبعض الآخر طرأ عليه من الخارج

على رغم الظروف الحرجة التى واجهها الحزب الأكبر فى مجلس نواب عام ١٩٣٢ ، فانه لم يظهر وحدة فى صفوفه ، ولا فى سياسته ، ولا مقدرة على الحكم

لم يكن النظام سائداً داخل هذا الحزب ، وكثيراً ما انقسم أعضاؤه إلى فرق أثناء التصويت فى مجلس النواب ، مما أدى إلى خذلان الحكومة القائمة حينئذ وكانت راديكالية ! وكثيرا ما خالف قسم كبير من الأعضاء قرار هيئتهم التنفيذية . وكثيرا ما عمل بعض الراديكاليين خلاف ما قال به رئيسهم . فهو إذن لم يكن كتلة واحدة ، بل كان منقسما بعضه على بعض حتى فى أحرج الأوقات ... وإن أزمات الوزارات الراديكالية التى تعاقبت عام ١٩٣٣ ، وفضيحة ستافسكى التى أظهرت بأن كثيراً من الراديكاليين قد أفسدتهم أموال « المحتال » ، وأن اضطرابات ٦ فبراير ، وسيلان الدماء فى شوارع باريس زمن حكم وزارة راديكالية ... كل هذا أزال الاحترام الذى كان للحزب الراديكالى الاشتراكى فى أعين الشعب

وتلا ذلك انسحاب مسيو هريو رئيس الحزب الراديكالى حينئذ والوزراء الراديكاليين من حكومة « الرئيس دومرج » ذات الشهرة الشعبية ، حينما كادت مجهودات « الشيخ الجليل » تثمر وتعود على فرنسا بالخير ، مما أدى إلى سقوط هذه الوزارة الشعبية وعودة مسيو دومرج إلى « تورنفى » . فأبغض موقف الراديكاليين كثيرا من أنصارهم ؛ كما أن موافقة الراديكاليين على سياسة مسيو لافال الخارجية المنافية لمبادئ أحزاب الشمال كانت سببا كبيرا فى اضاعة شهرة هذا الحزب

وكانت العوامل الايجابية التى أدت إلى تفوق الحزب الاشتراكى سببا سلبيا فى خذلان الحزب الراديكالى

يمكن القول بأن الحزب الاشتراكى الفرنسى هو الحزب السياسى الوحيد الذى يستحق هذا اللقب ، إذ هو يحتوى على

جميع التشكيلات الأساسية لحزب سياسي ... موحد الصفوف والنظام سائد فيه ، ولا يمكن لعضو ما أن يقوم بعمل يخالف ما اتفق عليه الحزب دون أن ينال جزاءه . ولا تستطيع الهيئة التنفيذية ، وعلى رأسها الرئيس ، اتباع سياسة لم يقرها المؤتمر العام ... والاشتراكيون كتلة واحدة في مجلس النواب ، يصوتون جميعاً مع الحكومة أو عليها . ولهم تشكيلات اجتماعية مفيدة وتقوم بتهذيب الشباب والنساء تهذيباً مدنيا وسياسيا ... فالحزم والنظام موجودان فيه وهما ما يحتاجه الشعب الفرنسي ، ولاعجب أن تكون هذه الصفات السياسية التي يتصف بها الحزب الاشتراكي قد ساعدت كثيرا على تقدير الشعب له

وللحزب الاشتراكي رئيس قدير : مسيو بلوم ، يعرف كيف يتطور ويضع مبادئ حزبه الاشتراكية في شكل يقبله قسم كبير من الشعب

إن أكثرية الشعب الفرنسي الساحقة مؤلفة من الفلاحين الصغار الذين يعملون بأيديهم مع أفراد عائلاتهم في الحقول ويعتاشون من عملهم ؛ ومن صغار التجار الذين لا يكونون ثروة ذات اعتبار . وقد تيقن مسيو بلوم بأن لا قائمة تقوم لحزبه إن لم يربح عطف هذا القسم من الشعب . ولما كان الفلاح في فرنسا متعلقا بأرضه تعلقا يفوق حد التصور ويموت في سبيلها ، رأى مسيو بلوم من الواجب عليه تأمين الفلاح على أرضه إن رام نيل صوته ؛ فخفف حدة النظرية الاشتراكية ، وأعلم الفلاح والتاجر الصغير بأن حزبه لا يريد وضع يده على جميع الأملاك والثروات ، بل على رؤوس الأموال الكبيرة ؛ وأنه يعتبر المالك والتاجر الصغيرين ضمن طبقة العمال ، والاشتراكية تحترم أملاكهم ... وهكذا تقرب مسيو بلوم وحزبه من هذه الطبقة التي كانت تعاضد الحزب الراديكالي وانتزع قسما كبيرا منها

ثم خفف الحزب الاشتراكي حدة ثورته على السياسة القومية ، وأخذ يقول بوجوب الدفاع عن الوطن ، ولم يردد نغمة الاشتراكية الدولية في خطاباته ... فجميع هذه العوامل الايجابية أدت إلى فوز هذا الحزب ، كما أنها كانت أسبابا سلبية لاضعاف الحزب الراديكالي

***

وكان لتفوق « الجبهة الشعبية » بصورة عامة على أحزاب الوسط واليمين أسباب عدة

كانت الأزمة المالية ، ولا سيما أزمة ميزانية الحكومة ، شديدة على فرنسا طيلة السنين الأربع الأخيرة ، وقد حاولت الحكومات السابقة حلها في تطبيق نظرية «الاقتصاد في كل شيء» فلم توفق . وعملها هذا أرغم الفرنسي على اختلاف مقدرته المالية على الاقتصاد والتقتير على نفسه وعائلته ، فقلل ذلك تداول العملة من جهة ، وزاد في الأزمة الاقتصادية وفي البطالة من جهة ثانية . وقد سئم الشعب الفرنسي هذه السياسة المالية ولم يرد مجابهة أزمات ١٩٢٦ و ١٩٣٤ من جديد ، وود اتباع تجربة اقتصادية جديدة آملاً أن تكون نتيجتها حل الأزمة وإعادة الرخاء . فعمل على التخلص من النظام البرلماني القديم الذي أفسدته الأكثريات السابقة ، فأرسل الى مجلس النواب أكثرية يسرى مؤلفة من عناصر جديدة شابة ، إذ أن ما يقرب من نصف أعضاء المجلس الجديد لم يشتركوا فيه من قبل . وهذه النفسية عملت كثيراً على خذلان الراديكاليين وإضعاف أحزاب الوسط ، وضياع شهرة عدد كبير من رجال أحزاب اليمين

وقد ساعد مسيو لافال كثيراً في فوز هذه الجبهة ! فالسياسة التي اتبعها في جنيف ، والتي أدت الى إضعاف مركز العصبة ، ان لم يكن زوالها ، والى إبعاد باريس عن لندن ، والتي مهدت للهر هتلر الطريق لاحتلال أراضي الرين ، لم ترض الفرنسيين الذين يعتقدون بأن لا سلامة لفرنسا إلا بتقوية مؤسسة جنيف ومبدأ « السلام المشترك » ، وهم أكثرية الشعب . ولما أتت الساعة لابداء رأيهم حكموا على سياسته باعطاء أخصامه وسيلة الحكم

وكان لمسيو « دي لاروك » مجهودات عظيمة أدت الى فوز الشيوعيين والاشتراكيين ! فالشعب الفرنسي محب للحرية ولا يبغى بالديمقراطية بديلا . فلما قام الكولونيل دي لاروك بحركته الفاشستية وأخذ فريقه « الصليب الناري » يتسع بين العائلات الثرية ، أحس الجمهور الفرنسي بالخطر الذي يهدد حريته وديمقراطيته ، فعمل على تلافيه قبل استفحاله ، فأرسل الى «قصر البربون» أكبر عدوين للفاشستية مظهراً بذلك مقته للدكتاتورية وسخطه على « المائتي عائلة » ... وهكذا تحققت كلمة مسيو بوانكاريه : « كلما خافت فرنسا الدكتاتورية رمت بنفسها في أحضان اليسار »

ومما لا شك فيه أن تنظيم صفوف أحزاب اليسار ، ووضعهم منهاجاً مشتركا للانتخابات ، كان عاملاً قويا في تفوقهم ؛ كما أن

الفوضى فى أحزاب اليمين وتنازعهم أصوات المنتخبين وعدم إيجاد منهاج مشترك لهم أدى الى خذلانهم وساعد على فوز الجبهة الشعبية. على أن هذا لم يكن كل شيء، بل كانت الأسباب السياسية التى تحدثنا عنها أكبر عوامل للوصول الى نتيجة الانتخابات الأخيرة

— ٣ —

لقد فاز الحزب الاشتراكى وأصبح أكبر حزب فى مجلس النواب، وشكل حكومة ذات منهاج متين تؤيده أكثرية كبرى فى مجلس النواب. فهل ستظل هذه الأكثرية الكبيرة معاضدة للحكومة، أم ستجابه مسيو بلوم الصعوبات التى جابهت زميله مسيو هريو من قبل؟.

مما لا شك فيه أن مسيو بلوم رجل عمل و « رجل دولة » ولكن هذا وحده لا يكفى لايجاد حكومة ثابتة، إذ يجب، قبل كل شيء، أن تسند هذه الحكومة أكثرية دائمة. فالحزب الاشتراكى وحده لا يستطيع الحكم وان اتفق مع الحزب الراديكالى فلا يكونان أكثرية. ولذا فهو فى حاجة الى إشراك الحزبين الجالسين عن يمينه وعن يساره فى الحكم. غير أن الحزب الشيوعى رفض الاشتراك فى الحكومة، ولكنه أيدها وليس للاشتراك والتأييد نفس المفعول، لأنه عند مايشترك حزب فى حكومة يشترك فى المسؤولية أيضاً، فخذلان الحكومة معناه خذلانه فى تلك الحالة. لذا وجب عليه المدافعة عن الحكومة ومعاضدتها. أما إن أيد الحكومة فحسب، فانه لا يشترك فى المسؤولية ويستطيع سحب ثقته من الحكومة فى أى وقت شاء دون أن يناله أى ضرر؛ فتصبح الحكومة حينئذ تحت رحمته. وقد لعب الاشتراكيون هذا الدور مع الحكومات الراديكالية، ويريد الشيوعيون الآن تمثيله مع الحكومة الاشتراكية. ومسيو بلوم أعرف الناس بالضرر الذى سيلحق حكومته ان اتبع الشيوعيون هذه السياسة

وهذه الصعوبة حجر عثرة أمام الزعيم الاشتراكى، فان تمكن من حفظ الائتلاف بين الأحزاب الثلاثة، وان استطاع الاحتفاظ بثقة الحزب الشيوعى، كانت لوزارته مكانة قوية وثابتة، وأن لم يتمكن من ذلك فستجابه فرنسا سلسلة أزمات وزارية أشد خطراً من التى جابهتها خلال السنين الأخيرة، وستكون عاقبة ذلك جد وخيمة ولربما أدت الى حرب أهلية ...

ولحسن حظ مسيو بلوم فان حزبه قد فاز وتسلم زمام الحكم، والحالة الاقتصادية فى فرنسا آخذة فى الانتعاش والتحسن، فهو بذلك أسعد حظاً من زميله مسيو هريو الذى فاز وتسلم زمام الحكم والبلاد مجابهة أشد الأزمات الاقتصادية والمالية، عام ١٩٢٤و١٩٣٢. فالانتعاش الاقتصادى الحالى يساعد مسيو بلوم كثيراً، ويسمح له بصرف جهوده فى مكافحة الصعوبات البرلمانية، وفى تعديل اعوجاج السياسة الخارجية وتحسين علاقات فرنسا مع الدول وخصوصاً مع بريطانيا ... فان تمكن مسيو بلوم من الاحتفاظ بالأكثرية التى تعاضده فى مجلس النواب زالت الأزمات الوزارية التى كانت أكبر عامل فى إضعاف مركز فرنسا فى الدوائر الدولية؛ ويعود للحكومة احترامها وثباتها، وهما ضروريان لنجاح أية حكومة؛ وبالتالى يعود لفرنسا مركزها الدولى السامى الذى كانت تتمتع به أمام المرحوم مسيو بريان . . .

فلوراك (فرنسا) **يوسف هيكل**
دكتور فى الحقوق

فى الأدب الانكليزى

# هل من انتحال فى الأدب الانكليزى ؟

للسيد جريس القسوس

— ٢ —

وحجة كامبل فى ذلك اكتشافه مخطوطات قديمة ورد فيها ذكر (فنّ) و «أوشان» وغيرهما من الأسماء الواردة فى منظومات مكفرسن ، مما يدلّ على أن هذه الأسماء كانت ، على الأقل ، شائعة معروفة فى اسكوتلندا وايرلندا الشمالية قبل مجىء مكفرسن . فلا يبعد أن يكون مكفرسن قد اطلع على هذه المخطوطات فأغرم بحوادثها التاريخية وافتتن ؛ فعلق بذهنه ما علق وتأثر بأسلوبها الشعرى واقتبس منها بعض الشىء فظهر أثر ذلك فى تلك المنظومات التى ادعى أنها مترجمة

وكامبل لا يجحد لمكفرسن فضله فى جميع هذه الآثار المتفرّقة وترتيبها وتدوينها حتى ظهرت بذلك الشكل الفنى الرائع ، إذ لولاه لعبث الزمان بهذه الآثار الخالدة عبثه بغيرها من القصائد التى تروى على ألسنة العامة ، وخاصة أهل الأرياف ، وسكان الصحراء

ولا يقف كامبل عند هذا الحدّ فى الردّ على جونسن ، بل يرى أنه من النادر أن تلقى واحداً من سكان ايرلندا الشمالية لم يسمع قط بالأسماء التى وردت فى قصائد مكفرسن ؛ وأن هذه الأسماء هى فى الحقيقة محور عدد غير يسير من القصص العامية التى يتلوها الأمهات على أطفالهن حول المواقد فى ليالى الشتاء الباردة

ويصرف كامبل جونسن ، ويعود إلى مناقشة الآراء السخيفة التى يتمسك بها أنصار مكفرسن ، وخاصة بروفسور أوكرى Prof. O'Curry ؛ فهذا وغيره من أنصار مكفرسن يرون أن (أوشان) وغيره من الأبطال شخصيات تاريخية حقيقية ، وأنهم ايرلنديو النسب ؛ نشأوا فى القرن الثالث قبل المسيح ؛ وأن (فنّ) يرجع فى نسبه إلى نحو ١١٠ ق . م . وأن اسم Fene ورد فى قصيدة نظمت سنة ١٠٢٤ ، وضُمنت كتاب باليموت Ballymote سنة ١٣٩١ . أقول إن كامبل يردّ على ذلك رداً عنيفاً مبيناً تناقض الروايات المختلفة واضطرابها فى تحديد نسب هؤلاء الأبطال وتبيان التاريخ الصحيح لنشأتهم . فبعض أنصار مكفرسن — ومعظمهم ايرلنديون — يرون مثلاً ، أن هذه الأشعار الغاليقية صينت فى مخطوطات قديمة ، وأنها تنسب إلى أوشان وغيره من أبطال أساطير ايرلندا الأولية ، وأن جميع هؤلاء الأبطال ايرلنديون لا اسكوتلنديو الجنس ، بينما البعض الآخر يرى أن هؤلاء الأبطال نشأوا فى عصر متأخر . بل منهم من يجعل (فنّ) اسكتلندى الجنس ومنهم من يجعله انكليزياً

وآخرون يرون أن البطل أوسكار الوارد ذكره فى الأدب الايرلندى القديم اسكوتلندى الجنس والمولد ، بل غيرهم موقن أنه دنمركىّ برغم ورود اسمه فى الأدب الايرلندى

ويزيد موقف الناصرين وهناً واضطراباً ، نسبتهم الأعمال الجسيمة الباهرة التى قام بها أشخاص هذه الآثار الأدبية إلى الكائنات الغيبية كالجنّ والآلهة المتعدّدة

ولا يقتصر كامبل على هذا بل يعود إلى مهاجمة الناصرين من ناحية أخرى ؛ فيقول إنه لم يطلع ، فى حياته ، على مخطوطة أو سجل تاريخى فيه ذكر لمملكة (مورڤن) Morven أو ملكها فنغال . فمن أين جاء مكفرسن بهذه الأسماء التى تتخلل معظم أشعاره ؟ ذلك مما يحمله على الاعتقاد الأكيد بأن هذه المملكة إنما هى من اختلاق جامع هذه القصص الأوشانية ومرتبها ، مكفرسن كان أم غيره

أما أوشان بن فنغال الشاعر الذى عزا اليه مكفرسن نظم الآثار الأدبية المعروفة باسمه ، فأمره ، كأمر والده غامض مبهم اذ لا يمكن أن يعمر أوشان — مسلمين جدلاً أنه حقاً ابن (فنّ) — الى حدّ من الزمن يتمكن معه من الاجتماع بالقديس باترك St. Patrick ، أو أن يختلط بنساء الجنّ فى بلاد الشباب ، ويتحوّل فى شتى أدوار حياته من نبى الى ساحر ومن ساحر الى شاعر ، وهلم جرّا ، كما هو ظاهر فى الآثار الأدبية المنسوبة اليه . والخلاصة أن كلّ ظاهرة فى حياة هذا الشاعر تدلّ دلالة

صريحة واضحة على أنه لم يكن فى الحقيقة الا من بعض آلهة الأساطير الكلتية القديمة

ولا يقف كامبل عند هذا الحد ، بل يهاجم أنصار مكفرسن من ناحية أخرى . فهو يرى ، من مقابلة هـذه المنظومات التى ادعى أنها مترجمة مع غيرها من الأشعار المتحدرة عن طريق الرواية والنقل الشفهى أن هناك اختلافاً وفرقاً كبيرين وواضحين فى الموضوع واللغة . فـا ( فنّ ) كما هو مذكور فى القصائد التى تتداولها العامة إلا بطل إنسانى الخلق ، وديع الطبع سهله ، رقيق الاحساس ، ولطيف النفس ؛ لا يعرف العنف والكبرياء ، فهو لذلك ذو نفوذ فى قبيلته ، تقوم سلطته على حبهم له وتعلقهم به ، بينما الناظر فى صفات ( فنّ ) كما جاء فى شعر مكفرسن يرى أنه فارس ساط غشوم ، وجهم عنيف ، خلو من كل عاطفة رقيقة وإحساس لطيف ! لهذا كان نفوذه وسلطانه مبنيين على خشية القوم له ورهبتهم منه

هذا ، عدا أنه لا ذكر فى القصائد المنقولة شفاهاً لمملكة ( مورفن ) التى ورد ذكرها فى أشعار مكفرسن

أما من ناحية اللغة والأسلوب فالباحث فى هذا الأدب فى كلتا سبيليه : سبيل الرواية والنقل الشفهى ، وسبيل مكفرسن ، يرى أن لغة أدب مكفرسن مفعمة بالتعابير الحوشيـة ، والاصطلاحات الأجنبية التى تتميز بها من اللغة المعروفة فى سكوتلندا الشمالية ، بينما لغة أدب الرواية والنقل الشفهى محكمة السبك ، موحدة التركيب متسقة الأسلوب ، لا اضطراب فى معانيها ولا ضعف

وخلاصـة رأى كامبل أنه لم يكن فى اللغة الغاليقية أشعار كالتى ادعى مكفرسن أنها مترجمة ، وأن هذه اللغة التى استعملها فى كتاباته لم تكن فى الحقيقة إلا لغة القرن الثامن عشر ، وجلّ ما هنالك مجموعة أشعار قديمة وحـديثة متنوعة ، كانت العامة تتداول معظمها بينها ، جمعها مكفرسن ورتبها وسواها بشكلها المعروف ، شأن المهندس الذى يخلق من البيت الأغريقى القديم بيتاً حديث الشكل والطراز

— ٤ —

والباحث يخرج من كل ما مرّ بخمس حقائق مجرّدة ، هى زبدة ما وصل اليه مؤرخو الأدب الانكليزى فى هـذا السبيل الوعر الشاق :

١ — أن قصيدة أوسيان أو أوشان التى تنسب إلى مكفرسن لم تكن ترجمة خالصة عن الآثار الأدبية الأصلية

٢ — أن مكفرسن استخلص منظوماته من آثار أدبية قديمة متفرقة ، وذلك بالجمع والغربلة والحذف والتعديل ، وخلع عليها ثوباً جديداً كفل لها الخلود فى عالم الأدب

٣ — أن جميع الظواهر تدل دلالة واضحة على أن مكفرسن لم يضع هذه الآثار الأدبية من عنـده ، وأنه لم يتعد كونه فناناً حاذقاً عرف كيف يستخرج من أمزجة ومركبات عتيقة بالية قطعاً فنية رائعة ، وأن أوشان نفسه لم يكن المؤلف الحقيقى لهذا القصائد كما ادعى مكفرسن

٤ — اذا كان أوشان ناظم هـذه القصائد ، عُدّ بحق فى طليعة شعراء العالم على الاطلاق

٥ — أن مكفرسن فتح بذلك فتحاً جديداً فى عالم الأدب ، فعمّت شهرته الأدبية أوروبا وبعـد أثره فى الأدب الأوروبى عامة ، والانكليزى والألمانى خاصة

( يتبع ) جريس القسوس

الشعر فى مهرجان المتنبى

# صوت دمشق

## للأستاذ عز الدين التنوخى

عاش فوق الثرى وتحت الترب … خالداً فى قلوبنا المتنبى
ظل ألفاً من السنين يسمى … شاعرَ اللفظ والعلى والحربِ
ربّ بيت من شعره يتلظى … كافلا أن يشبَّ نارَ الشعب
يصف الحرب للجبان فيغدو … وهو بالطعن هائم والضرب
يا لعينٍ من شعره العذب فيه … غمزات الهوى وسحرُ القلبِ
ذاب من رقة الخدود ومن قسـ … ـوة قلب من عاذل غير صبٍّ
غزلٌ حسن صوغه حمل الظنَّـ … (م) ـنَ على أنه صريع الُحب
يذر الغافل الخلىَّ شـجياً … ويردُّ الأبىَّ طوعاً يلبى
ساحرُ الشـعر فاتناً كهديل الـ … ـوُرْقِ فى الروض غِبَّ جودِ السّحب
رائد من مسالك الروح ما بيْـ … ـن شغاف من القلوبِ وخِلْبِ

***

يحتذى فى البديع حذو أبى تمّـ … ـامَ والبحترى بنسج العَصْبِ
إن يعيبوه بالغريب وضعف الـ … ـطبع حيناً وباقتعادِ الصعب
فهو شِبه الجبار يأخـذ ما يلـ … ـقاهُ بالقهر حوله والغصب
شعره فيض طبعه لا كشعر … قدَّهُ العِىُّ من صخور صلب
لم يُؤوَّل ديوانُ شعر كديوا … ن أبى الطيب المرير العذب
هو مرٌّ على الأعادى وعذبٌ … للمحبين فى الجفا والقرب

***

لست أنسى رؤياه وهو مليك … فوق عرش من القنا والكتب
وحواليه دولة الشعر قامت … تسلُب اللب بالبيان وتسبى
من رعاياه سيف حمدانَ من كا … ن إذا ما ذكرته قلت حسبى
والسرىُّ الرفّاء أنداهم لفـ … ـظاً وأدناهم لمنى القلب
وابن جنى رأيته يشرحُ الدّيـ … ـوانَ شرحاً له يروق ويُصبى
لو حسبناهم من الطير كان الـ … ـمتنبى أميرَ ذاك السِّرب
يُنشد الشـعر بينهم فتراهم … كالرحى إذ تدور حول القطب
كسُكارى وما همُ بسكارى … بل نشاوى خمر الهوى والعجْب
سمعوا لحنه فهاموا جميعاً … لا ترى غيرَ هائم أو صب
برخيمٍ يُنسيك مزمار داو … دَ وألحانَ معبدٍ فى الحب
فهو فينا ذاك الطبيبُ المُرجَّى … من مريضٍ لروحه مستطبٍّ
حفظ الناسُ شعره فهو درس الـ … ـدّهرِ فيهم والدهرُ خير مربى
كم وردنا ماءً فلم يروِ منا … ظمأً غيرُ مستقاه العـذب
وتلونا من آيه سور المجـ … ـد وشِمْنا برق المنى ليس يُخبى
حكمةٌ يبهر المعرى سـناها … فهى صوب النهى وذوب اللبِّ
حالفته منـذ الشبيبة حتى … أن توارى فؤاده فى الترب
لم يذرها يوم الصريخ ولا يو … م نشيدِ الألحان بين الصحب
ينظم البيت غادياً وهوفى الشر … ق فيمسى لسحره فى الغرب
حابٌ قد غدت بأحمد شهباً … ء لشعب له خلود الشهب
مادح (السيف) كان يدعى فأمسى الـ … (م) ـيفُ يدعى أمدوحـة المتنبى
إن مجداً أُوتيه أخلدهُ الدهْـ … ـرُ خلود الآداب مجدُ الشعب
ضامهُ أن يرى بنى العرب فى ضيْـ … ـم علوج بغير عهد ولب
وبنو العرب ليس تفلح إلا … بملوك منهم أباةٍ عرب
لا يبالى الشرقُ المضيمُ إذا ما … اتحد العرب ساعة بالغرب
يثب الليثُ إن أُثيرَ وليث الـ … ـعُرب فى الناس رابضٌ للوثب
أىَّ يوم أرى الطلائع منا … غائراتٍ على الجياد القُب
يهجر الطِّرسَ واليراعَ فتانا … ليراع من القنا والقُضب
لا يرى المجد غيرَ فتكته البكْـ … ـر ونَيل اُستقلاله بالغصب
ذاك يوم محجَّلٌ فيـه تحطيـ … ـمُ قيود وفيـه تهتيك حُجب
ذاك يومٌ يقرُّ عينَ أبى الطيـ (م) … ـب بالعُرب وهو تحت الترب
إنما شـعره الشعور المروَّى … بسلافٍ من البلاغة عذب
وقصـيد الفحول يهرم إلا … شعره فهو فى شباب رطب

فالمبانى مُختارها ملء عينى      والمعانى أبكارها ملء قلبى
ينتمى كل شاعر لحماه      وهو للعُرب ينتمى والشهب
شعراء الأجيال يمشون فوق الا      أرض طراً ومشيه فى السحب
ملأ الكونَ شعره شغل النا      س بأحوال جدهم واللعب
سار فى الناس جائباً كشعاع الـ      شمس يذكو فى كل قطر وشعب
فهو مسعار ثورة وهدى قلـ      ـب ولحن الهوى وحَدْوُ الركب
شعرهُ صورة الحياة لهذا      يتمشى مع الحياةِ لجنب

عز الدين التنوخى
كاتب سر المهرجان العام

---

ومن قصيدة الأستاذ محمد رضا الشبيبى فى المتنبى :

خلت العصور وماخلت من ناقل      أو قائل هـذا الحكيم الخالد
أو مورد للقول فيمن حيرت      منه الفحول مصادر وموارد
ما العبقرى الفذ إلا فكرة      إن مات عاش بها الرميم الهامد
وإذا تأملت الخلود أصبته      فى الصالحات وحيث يفنى الفاسد
لا بد من نقد الزمان فانما      محن المعادن والزمان الناقد
حسدوا النبوغ وناوأوه فلم يمت      بل مات بالداء الدفين الحاسد
يا شاعراً قاد القلوب لغاية      لم يدن منها شاعر أو قائد
قرنوا بكل مفوه شيطانه      أما قرينك فالعظيم المارد
أمتعتنا بذخائر الشعر الذى      لولاه ما نبذ المتاع الكاسد
نُشرت به فى كل فج حكمة      وتعوطى المثل البليغ الشارد

---

ومن كلمة الأستاذ محمد البزم :

إله القوافى إن عصتك نبوة      فذا الشعر تجرى فى علاك جحافله
ففى كل بيت صاهل ومدجج      وكل قصيد عسكر وقنابله
فكم وحدة مارستها وهواجر      ولا الف إلا أهيف القد ناحله
يراع لأهواء المعالى مسخر      يكايلها اهواءها وتكايله
يحس دبيب الحزن من قلب ذى الجوى      ويقلقه فى صدر ذى السقم واغله
وتوقظ منـه خطرة الشك والمنى      ومجرى الهوى يسطو بذى اللب خابله
إذا ماج رقراق السراب نسجته      غلائل شعر لا ترام مغازله
تطيف بك الجنان حتى كأنها      تلقف عنك السحر ينهل سائله
كأن وفود الجن فى كل فدفد      عفاة تليهم من همام طوائله
ولو كان للأصقاع لب يسومها      سعت تجتديك السحر فى الشام بابله

---

ومن قصيدة الأستاذ باقر الشبيبى :

يا ناشد الوحدة ما أوضحها      فى وحدة الدم ووحدة النسب
هـذا أبو الطيب حى خالد      ما مات من أسس دولة الأدب
أحدث فى قلب الزمان هزة      لولا المقادير تقيه لا تقلب
وفت دمشق حقه معربة      فى حفلها ، إن الوفاء للعرب
وليس يكفى مهرجان واحد      ينشد فيه الشعر أو تلقى الخطب

* * *

مغانىَ الكوفة ! هذا بَرَدَى      قد صفقت أمواجه من الطرب
ساهم فى الذكرى فكم مهذب      فى الغوطة الغناء يشرب النخب
ما أنجبت هذى البلاد شاعرا      إلا أبا الطيب شاعر العرب

---

ومن قصيدة الأستاذ خليل مردم :

يا مالىء الدنيا وشاغل ناسها      الدهر راوية لشعرك منشد
ضمن الزمان بقاءه فكأنما      أنفاسه فى صدره تتردد
آياته لا تنقضى وعظاته      كالبحر زاخر موجه لا ينفد
لله رأيك فى السياسة إنه      سهم إلى كبد الصواب مسدد
العرب ما صلحت على يد أعجم      حكم الأعاجم للعروبة مفسد
أخذوا عليك قساوة ولو انهم      خبروا النفوس كما خبرت لأيدوا
شكواك ما زلنا نعانى مثلها      كف مضرجة ووجه أسود !

# القصص

قصة مصرية

## شباب...

للأستاذ دريني خشبه

« الأغانى والحوار موضوعات
فى الأصل باللهجة المصرية... »

— « بل لا بد أن أذكر لوالدتها كل شيء ! »

— « ياسيدتى مالنا وللناس ، حسبنا أن نأكل خبزاً ونشرب لَبناً وعسلاً ! »

— « آه ... لا ... نأكل خبزاً ونشرب لبناً وعسلا ونترك هذا الموظف اللاهى يعبث بابنة صاحب المنزل ! لا ! ليست هذه أمانة يا متولى ، لا بد أن أنقذ عرض هـذه الصغيرة ... إن ليلى شابة ، والشباب لا عقل له ، وربما اعتدى ... »

— « أوه ! مالك وللناس ! إنهما لابد يحبان بعضهما بعضاً يا بخيتــة . ألا تذكرين ما كنا نصنع ، أنا وأنت ، قبل أن نتزوج . ؟ ! »

وتستحى بخيتة وتسكت قليلاً ثم تتنفس تَنفَّسَةً عميقة وتقول :

— « الحمد لله يا متولى ، لقد كنا نحب بعضنا ، هذا صحيح ، ولـكن ، الحمد لله ، لم نُغضب ربنا ! ؟ »

— « مرحى مرحى ! صحيح نحن لم نُغضبه قط ، وأحسبه قد غفر لنـا الألف ألف قبلة التى تبادلناها ! »

ويشتد خجلها ، وتصمت لحظة ثم تقول :

— « أنت دائماً مبالغ يا متولى ! ألف ألف قبلة ؟ إن هذا العدد لا يؤخذ فى أقل من عشر سنين ، ونحن لم نحب بعضنا أكثر من شهر ! »

— « ثم انقطع ما بيننا من حب ؟ أم ماذا ؟ »

— « بل تزوجنا ! »

— « وليتنا ما تزوجنا ! »

— « فأل الله ولا فألك يا متولى ! لماذا يا شيخ ؟ »

— « لأن قُبلنا كانت حلوة جداً قبل زواجنا ! »

— « والآن ؟ هل هى مرة ؟ أم ماذا ؟ »

— « ... ؟ ... »

— « قم بنا »

— « إلى أين ؟ »

— « إلى السطح ! »

— « لماذا يا امرأة ؟ »

— « لأريك ماذا تصنع ليلى مع هـذا الموظف « سامى افنـدى » . !

وهرولا فوق الدَّرَج ووقفا خلف ( المَنْوَر ) الزجاجى المطل على غرفة سامى ، يريانه ولا يراهما ...

***

فتى فى الرابعة والعشرين ترف على جبينه سحابة من الحزن ، يلونها الحب بأمواه باكية من الحنان والرحمة والهدوء .. له عينان عميقتان كأنما تخرقان حجب الزمان أو تناجيان سكان السماء ؛ ينظم الشعر ويهيم بالغناء ويشغف بالموسيقى ، ويجمع فى مسكنه بالطابق العلوى من هذا المنزل المتوسط طائفة مختارة من التماثيل أهداها إليـه أصدقاؤه الوامون به لنفر من فنانين مصريين وعرب . وهو موظف فى مصرف أجنبى يتقاضى مرتباً لا بأس به ، يستطيع أن يضمن به صفاءه الذى لا بد منه للشعر والغناء والموسيقى ... والحب الذى يسقى هؤلاء

كان إذا هدأ الليل ، هدأ هو إلى عوده ، وطفق يمر أنامله على أوتاره فى لين ورفق ، كما ترى النسمات النحيلة العليلة على صفحة الغدير الصغير ؛ فاذا غنى ، أرسل من قلبه ألحاناً هى لا شك روحه ممتزجة بموسيقاه ؛ ولم يكن يغنى إلا ما ينظم هو ، لا ما ينظم الشعراء ؛ وكان ، إذا سئل فى ذلك ، يتعلل بأنه يأبى

أن يكون كنادبات الجنائز ، يُرجِّعْن كلاماً محفوظاً ليبكين به النساء ... فالشعر شعره ، والغناء غناؤه ، والموسيقى موسيقاه ، وجملة أولئك صورة روحه التى تشعر وتغنى ، وترن وتئن على أوتار العود

وكانت ليلى ابنة صاحب المنزل الذى يقيم فيـه سامى ، فتاة فى الثامنة عشرة ، لها لَفْتةٌ وفى عينيها سحر ، وملء قلبها أمانى ... ما كاد الساكن الجديد يملأ منزلها بصباه العطر ، وغنائه ذى الشذى ، وموسيقاه ذات المعانى ، حتى رجعت هى أصداءه جميعاً ، وأحست كأن الساكن الجديد لم يأت ليشغل الطابق العلوى من بيتها ، بل ليحتل السويداء من قلبها ؛ فكانت كلما أقبل سامى من عمله فى المساء تشعر كأن كهرباء ملأ قلبها ، فهو يدق ويدق ، ويخفق خفقاناً شديداً ، ويسرى فى جميع أعصابها بكل حاجات الشباب الذى أضر به كبت المحبسين : المنزل الشرقى والتقاليد !

وكانت موجات أثيرية من غناء سامى وموسيقاه تشيع فى أرجاء المنزل فتهز أركان ليلى ، وتذيب فى عينيها دموعاً ليست كهذه الدموع التى يحتلبها البكاء ، ولكنها دموع علوية لا يدرى المحب من أين تنهمل ، لولا ما فى أغواره من معانى الهوى ...

وانسرقت ليلى فى أمسية إلى (السطح) ووقفت مختبئةً فى نفس المكان الذى وقف فيـه هذان العجوزان — متولى وبخيتة — يتلصصان على كيوبيد ، حين يرشق القلبين الحبيبين بسهامه الذهبية !

وقفت ليلى ثمة ، وتلبثت طويلاً تملأ أذنيها وقلبها بغناء سامى وحبه ، ثم جعلت بعد ذلك تنسرق كالمرة الأولى ، حتى تنبه غافل الشباب ، فراح بدوره يرسل إليها أغانيه حاملة قلبه ، ثم لم يجد بأساً ، وقد تأكدت بينهما أواصر الحب ، من أن يغافلها وينسرق إلى حيث هى ، فلا يكاد يسقط فى يديهـا وترتبك ارتباكة يسيرة حتى يقدم إليهـا يده المرتجفة ، فتصافحه وتنفتل منه فتطوى الدرج إلى ... حيث تكون بخيتة مصعدةً فتكتشف السر الناشئ الذى لمـا يكد يشب أو يترعرع ...

***

كان سامى يجلس على كرسيه محتضناً عوده ، وأمامه ليلى على (كنبة) تحدق فيه ، وقد وضعت رجلا على رجل ، وبدا ساقاها المتلئتان طراوةً ونعومة وحياة وانسجاماً ، واتكأت بظهرها على المسند فنهد جيدها المرمرى ، وبدت انفلاقة الثديين من فتحة الثوب الوردى الذى كانت ترتديه ، فاختلط ورده بوردها المتفتح فى كل جزء من جسمها الناضج السَّوِى ، وأسندت فَوْدها على يمينها قليلا ، وتهدلت خصلة من شعرها الأسود الفاحم على أصابعها فزادتها فتنة

وكان سامى يداعب عوده ، ولم يكن ينظر إلى ليلى ، بل كان مطرقاً برأسه قليلا ، حتى إذا استغرقته الموسيقى أرسل من عينيه عَـبْرتين لحتهما ليلى فنهضت مسرعة وتلقتهما فى منديلها الحريرى الجميل ... ثم جلست إلى جانبه ، وأرسلت ذراعها البضة فوق كاهله ، وأدنت رأسها من رأسه ... ولم تكلمه !

وصمت سامى لحظة ، ثم شرع يتغنى أغنية مطلعها :

إيه يا ليـل ، وقد طاب الهـوى
وصَفَتْ أنفاسُهُ للأنفس
ما لقلبى خَـفِـقاً ؟ ! هل من جوى
ومُـنى نفسى معى فى مجلسى ؟

وكان الفتى يرسل غناءه هادئاً يترقرق فى أذنى ليلى ، وكانت نبراته ونبرات العود تأتلف وتسرى فى الهواء فيرقص من أسْرها لهب الشـمعة التى كان سامى يؤثرها على لألاء الكهرباء كلمـا غـنى ... وكلما زارته ليلى

وفرغ سامى من غنائه ، وسكنت الحجرة قليلا ، ثم نادته فتاته :

— « سامى ! »
— « ليلى ! »
— « هل أسعد منا حبيبان فى هذه الحياة ؟ »
— « كنت أرجو ذلك يا ليلى ... »
— « ولم لا نكون يا سامى ؟ »
— « آه ... أكثر الناس يحبون على أمل ... أما نحن ... »
— « ما لنا ؟ »

« لا شىء ... لا شىء مطلقاً يا ليلى ، لنعـد إلى أحلامنا وموسيقانا فهى غذاء روحينا . دعى هذا الحديث فإنه يزعجنى . بحسبى أن أكون معك لحظة بعد أخرى فأذوب وأحترق ! »

— « بل سنتحدث ؛ بل ينبغى أن نفكر فى المستقبل ، إنى

لم أعد أطيق فكرة بعدى عنك يا سامى ! إغفر لفتاة عذراء مثلى أن تكلمك هكذا ! لقد امتزجت روحانا فليس يضيرنى أن أصارحك ! لقـد اقتنع قلبانا ألا غناء لأحدهما عن الآخر ، فلم نجلس صامتين تلقاء المستقبل الذى يروعنا بالفراق ولا نفكر فى أن نحسم مشاكله ؟ »

— « وهل نستطيع ذلك يا ليلى ؟ أنسيتِ ... »

— « نَسيتُ ماذا ؟ لا ... لا تظن ذلك محالا ! »

— « ليلى ! ما ذا تريدين أن تقولى ؟ »

— « إطمئن ! »

— « أطمئن كيف ؟ »

— « أجل ، يجب أن تطمئن ، لقـد صممت على أمر عظيم ! »

— « ليلى ! »

— « بل لن تردنى أية قوة فى العالم عما اعتزمته يا سامى ، أليس كل ما يقوله الأغبياء إننى انهزمت بدينى أمام حبى ؟ »

— « ليلى ! »

— « لينهزم هذا الدين فأنا لم أعرفه بنفسى ... أما الحب... »

— « أنت جريئة جـداً يا ليلى ! لا ... لا ينبغى ... هذا كثير ! »

— « لا ينبغى ما ذا ؟ ألست تتفق معى ؟ »

— « وكيف أتفق معك يا ليلى ودينى يرينى الله من خلَل الحب ؟ »

— « إذن اتفقنا ، إننى لم أر الله إلا يوم أن رأيتك : ويجب أن أصل الى الله عن طريقك يا سـامى ... إهدنى يا سامى ... لا تردنى بعنف هكـذا ، إنك مسلم رقيق القلب مرهف الحس فياض العاطفة ، وإن روحك تتكلم بلسان الموسيقى يا سامى ، فلا تحاول أن تكون جباراً علىّ ، لا تحاول أن تردنى عما اعتزمته . . . أ . . . ألا تريد أن نأمن غائلة الفراق ، والفراق الأبدى يا سامى ؟ »

— « وكيف لا أريد يا ليلى ! »

— « ساعدنى إذن ، خذ بيدى الى ناحيتك ... سامى ... سامى ... »

وانفجرت الفتاة تبكى بين يدى حبيبها ، وأخذ سامى يلاطفها ويُرَفِّه عنها ، ولكنها دَسَّت رأسها الجميل فى صدره ، وأغفت إغفاءة هينة لم يوقظها منها إلا شـدة خفقان قلب سامى ... قلبه الكبير جداً ، الذى أُشرب حب ليـلى ، وامتزجت كل قطرة من دمه بتقديسها !

— « صحوت يا ليلى ؟ »

ولكنها أجابته بنظرة فاتنة من طرف عينيها المبللتين بالدموع

— « كلمينى يا حبيبتى ... ليلى ؟ »

— « سامى . . . اسكت ! إن هذه الفترة الصامتة الباكية أسعد فترات حياتى ! »

وطوقها سامى بذراعيه ، وأخذ ينزح أسرار عينيها الباكيتين بعينيه العميقتين ، ثم أهوى على فمها القرمزى ذى الثنايا المفلجة يقبله ... ويقبله

***

— « أرأيت يا متولى ؟ هل صـدقت ما قلته لك ؟ والله لأخبرن أمها ! »

— « بخيتة ! ! أنت طالق إن فعلت ! يا غبيـة ! يا أقبح النساء ! »

— « أنا ؟ أنا أقبح النساء ؟ وأنت ؟ أتحسب أنك زين الرجال ؟ »

— « لا ... ولكنى كنت أطمع فى ... فتاة طيبة ... »

— « مثل ليلى أظن ؟ »

— « أجل ... »

— « إسم الله عليك يا سامى أفندى ! »

— « أحببته ؟ أم ماذا يا امرأة ؟ »

— « صوته جميل ... أما صوتك ، فحميرى خالص !! »

— « اسكتى يا خنزيرة ... هلمى بنا ، كاد شباب الحبيبين يتلف قلبينا العجوزين ! »

***

ونزل الخادمان وفى قلب كل منهما غصة تزلزله

وبعد أيام همس الناس فى هـذا الحى من أحياء المدينة أن ليلى ابنة (...) اليهودى قد صبأت ... واعتنقت الاسلام

وبعد أيام أخريات ، تأكد هذا الهمس ، لأنها تزوجت سامى أفندى بالفعل ، ونقل العروسان الى الاسكندرية ليعيشا ثمة حياة هانئة ناعمة موفورة

دريني خشبة

من دروس البادية

# محنة الرجـــولة

للأستاذ أديب عباسي

مرت السنون وتصرمت الأعوام ، والأمير الكبير يلتمس رحمة المولى ويرتقب جداه ليهبه وارثاً من صلبه . يرث اسمه ويخلد ذكره ، وينتهى اليه ماله وجاهه . بيد أن الأيام كانت كلها سواء فى إذهاب الرجاء وتخييب الأمل ، وأوشك الأمير أن يُصفى ولما يجئ الوارث المرتقب

غير أن المولى افتقد الأمير فى سنة من سنى يأسه ، وحملت زوجته بعد طول الخيبة ، ووضعت طفلة أسمياها (سلافة) . ولم ييأس الأمير أو يبتئس إذ كان الوليد أنثى ولم يكن ذكراً . وماذا كان يرجو من الأيام ليبتئس بعد أن خاصمته فى آماله وتجهمت له هذه الأعوام الطوال ؟

ونشطت عواطف الأبوّة قوية جائشة بعد طول الكبت وغياب الحافز ، وهبّ الأب يريق على الصغيرة من عطفه وحبه ما صيرها سلواه وكل أمله فى باقى حياته

وشبت الصغيرة كما تشبُّ بنات البادية غضة نضيرة ، بقامة هيفاء وصحة مترعة ؛ هذا إلى ما حباها الله وأفردها به افراداً من جيد أغيد ، وثغر أبلج ، ووجنتين تفيضان بالحياة وتنضحان البشر نضحاً ، إلى جبين مشرق نبيل يكلله ويزينه فرع أثيث وحف ، ثم ما تجمع جميع ذلك النور والسحر فى مجتمعين للنور والسحر ، ومن ثمّ كل ذلك الفيض فيهما من الفتنة القاسرة والقوة الآسرة

هذا ، ولم يدع الأمير وسيلة من وسائل التهذيب التى تيسرها البادية إلا اصطنعها فى تهذيب (سلافة) ، حتى غدت إذ شبت فتنة البادية ، وحديث المجالس ، ومدار الهواجس ، ومطاف الأحلام فى صدور الشباب . وذاعت شهرة الأميرة فى طول البلاد وعرضها ، وتواصفها الأمراء والأشراف ، وأخذت تحوم حولها الأنظار ، ويهطع اليها الخيال من جميع نواحى الطموح فى البادية

بيد أن الأمير اشترط على الخطاب الطامحين أن يجوزوا امتحاناً يعدُّه لهم ، ومن يفز فيه فاز بفتاته وأضحى الوارث الشرعى له فى أمارته . وأما من فاته الفوز وخانه التوفيق فيتلقى عقابه لوعةَ الحرمان ومرارة الفشل ، ومائة جلدة وجزّ شعر الناصية ؛ وأباح الأمير امتحانه هذا كلّ طامح بلا تفريق فى الجاه أو المال أو الشهرة أو خلافها من وسائل التميز

وخشيت (سلافة) ، مع هذه المساواة التامة بين الخاطبين ، أن يجوز الامتحان غيرُ كفء ، وغير من تهوى وتحبُّ ، وقد يكون الفائز صعلوكا من صعاليك البادية ، أو ذئباً من ذؤبانها ؛ وقد يكون أسود بغيضاً مرخى المشافر واللحيين ؛ وقد يكون فتىً مخنثاً فاتر العزم ، باهت الرجولة ؛ وثمّة فللموت أهون عليها وأعذب

فاتحت أباها فيما يساورها من مخاوف ويدب اليها من ريب ، ولكن أباها الأمير طمأنها وأكد لها أن امتحانه لن يجوزه غير كفء ، وأنها سوف تحمد له عاقبة هذا التدبير الذى يدبر

* * *

جاء الخاطب الأول ، وكان زعيما ذائع الشهرة كثير المال ، شريف المنتسب ، حسن البزّة والمظهر ، وجاء يسوق بين يديه عديد الهدايا وأنواع الطرف ، وقدمها وسيلة للأغراء والزلفى ، وحلّ ضيفاً كريماً على الأمير بعد أن كشف عن غرضه ومبتغاه

واستقبله الأمير — كعادته مع جميع الأضياف — مرحباً مؤهلا ، ثم عمد إلى خير نياقه وأعزها عليه وعقرها ثم نحرها أمام البيت ، ودعا إلى الوليمة أدنى من فى الحى ؛ وبعد أن نال الجميع من الطعام إلى حد الشبع ثم أديرت القهوة التفت الضيف الخاطب يخاطب الأمير :

أى أميرنا العزيز ! لقد جئناك فى (سلافة) درة البادية ، وفتنة العقول ، وغاية السول ؛ فماذا ترى أن تضع بيننا من الحواجز ، وماذا ترى أن تقيم بيننا من العقبات ؟ لقد ملأ نفسى ذكر فتاتك ، ولست بعائد ومؤيدى بعد الله همتى إلا بها

فأجاب الأمير : على رسلك يا ضيفنا العزيز ! إن ضيفنا يقيم بيننا أياما عشرة ، ثم يكون الامتحان ، وعندها إما (سلافة) له ، وإما المائة جلدة والشعر المجزوز

ولم يسع الخاطب الطامح إلا الاذعان والصبر حتى يحل اليوم الموعود

وفى صبيحة اليوم التالى عمد الأمير إلى ناقتين من خير نياقه ليجزرهما كاليوم الفائت ، وهنا أراد الضيف الخاطب أن يعارض الأمير ويمنعه أن يعقر ناقتيه محتجاً بأن فى جزور البارحة الكفاء وأن نحرهما إسراف وإتلاف المال لا مبرر لهما . إلا أن أميرنا لم يجبه بشىء ومضى يعقر الناقتين ويجزرهما ويعدُّ الوليمة ، وعند الظهر أقبل المدعوون من أدنى الحى وأواسطه وتناولوا الطعام مع ضيف الأمير . ومضى الأمير يفعلها كل صباح ويزيد العدد المنحور ناقة ناقة إلى اليوم العاشر ؛ ومضى الضيف يزداد لجاجة فى الاحتجاج وإلحافاً على الأمير أن يقتصد فى ماله فلا يتلفه هذا الاتلاف ، ولكن بلا جدوى

وتقدم الضيف بعد اليوم العاشر يطلب إلى الأمير أن يجرى امتحانه ، فلقد طال ثواؤه وعيل صبره وافتقده أهله ، ولكن كم دهش وكم حلَّ عزمه اليأس والخيبة إذ فاجأه الأمير :

أى ضيفنا ! يعزُّ علينا أنك خسرت الرهان وفاتك الفوز ، فلتذعن إذا لجزائى المفروض وتستكن

عندها أجاب الخاطب المحنق محتجاً بأنه لم يجر عليه امتحان ليعد فاشلاً يستحق العقاب ، وطلب إلى الأمير أن يفسر له مايدعى إن يكن يروم الاقناع بالدليل والبرهان ، ولكن الأمير أصرَّ على أنه خسر الرهان وأن ليس حاجة إلى التفسير ثم أشار إلى غلمانه أن يتسلموه . . . .

وقام صاحبنا ينكث أذياله وغادر الحى بناصية مجزوزة ، ومائة أثر فى ظهره لمائة جلدة ، وصدر يغلى بالحقد ومرارة الفشل ، واعتقاد جازم أن بصاحبه الأمير لَمًّا أو لمماً إن لم يكن ذا جنة وخبال

وذاع أمر المحنة والجزاء ثم ما أصاب أول الخاطبين من جز الشعرِ والضرب الأليم . إلا أن ذلك لم يوئس الخطاب بادىء الأمر ولم يمنعهم من الوفود على الأمير علهم ينجحون من حيث فشل صاحبهم . على أن نصيبهم لم يكن بخير من نصيب أولهم ، فكلهم كان يعود باللمة المجزوزة والظهر المجلود ، ولولا أن الأمير كان برجاله وفروسيته عزيز الأبطال لكان لهم معه شأن غير ذلك الشأن ، ولنالوا منه بحد السيف ما فاتهم بالامتحان

وبعد الفشل المتوالى الذى منى به عديد الخطاب تجافى الخاطبون مضارب الأمير وعافوا الوفود عليه خاطبين ، إلا فتى شريفاً جاء من أطراف البادية وآلى ألية لينالنَّ سلافة أو يقتلن أباها ويريح البادية من عتوِّه أو يهلكن على حد السيوف دونهما

ولم ير فتانا أن يثقل كاهله بنفيس الحلل وغالى الثياب ، ولم يسق بين يديه الهدايا والطرف ، واكتفى ببزة بسيطة وتخفف من كل ما يحمل المسافر إلا سيفه القاطع وبعض الزاد ، وسار يغذُّ السير أياماً إلى أن وافى الأمير وحل ضيفاً عليه وأبان غايته من الوفود عليه

وشرع الأمير كدأبه مع جميع الخاطبين ، ينحر الجزر يوماً بعد يوم والفتى صامت لا يعترض ولا يجادل ، ولا يتكلم إلا حيث يجمل الكلام ، ويصمت حيث يجب الصمت

وقد اجتذب فتانا بحسن سمته وقلة حديثه عن نفسه أنظار القوم وأيقنوا بأنه فتىً يختلف أبين الاختلاف وأشده عن بقية الخطاب ، فلا ظهور ولا إدلال بالجاه ولا غرور ولا شىء من ذلك الذى كان يُضفيه أولئك الخطاب إلى شخوصهم ليتقربوا به زلفى إلى الأمير . هذا إلى رجولة صريحة وفكر موزون ونبل ظاهر . وصار همَّ الجميع أن يجوز الفتى الامتحان القيد ليكون هو وارث أميرهم والمؤمر عليهم بعده

وبلغت أوصاف الفتى وذكر شمائله خدور النساء ، وأضحى اسمه لديهن ملء الأفواه والأسماع . ولم تكتف سلافة بالسماع وكثيراً ما يفتن ، وأرادت أن تشاهد هذا الفتى الموصوف وترى هل يصدِّق الخبر عنه الخُبرُ أو لا يصدِّق . وانتحت ناحية خفية من بيت الأمير الواسع وأخذت تتقرى الرجال وتتفرَّس فى الملامح وتصغى إلى الحديث ، إلى أن وقع بصرها على الفتى الموصوف . . . .

وفجأة شعرت أن قلبها يخفق أكثر مما اعتاد أن يخفق ، وخيِّل إليها كأن رئتيها لا تتسعان لكل ما تريد أن تدفعه إليهما من الهواء ، وشعرت كذلك كأن هذا الفتى قليل الكلام يتحدث إليها ويخاطبها أعذب الخطاب ... وخشيت إن هى بقيت حيث هى أن يشى بها اضطرابها أو تنم عليها أنفاسها المتهدِّجة ، ويعلم القوم أن فتاتهم الرصينة الخفرة قد خفَّت ورعنت لفجاءات تشهد خطابها خلسة من وراء السجوف ، فتركت مكانها وفى قلبها كالسهام من العواطف المتباينة المتأججة ، فثمَّة هذا الحب

المفاجئ الذى أخذ عليها جميع مسارب الشعور ؛ وثم خشيتها أن يفشل الفتى فى الامتحان — إن يكن ثمة امتحان - وأخيراً إحساس قوى باللوم لهذا الأب المتعنت الذى لا يرضيه من الفتى ما رأى ورأى الجميع إلا أن يجوز الامتحان . وفى الحق لقد بدأ يخامر سلافته أن أباها إنما يصطنع هذه الأساليب الغريبة لينفر الخطاب ويبقيها عانساً يتأكلها الجوى ويغويها الحرمان . والحب — كما تعلم — إذا أحب حباً قوياً فقد التميز واختلطت عليه الأفكار ، ولا عجب إذن أن تنتهى فى أبيها الذى يعبدها إلى مثل هذا الرأى الغريب

***

حلَّ اليوم العاشر وأوشك أن يزول ، فقام الأمير يوجه الحديث إلى فتانا وقال : أيها الفتى النبيل ، هل أنت مستعد لامتحانى أم أنت تخشى العاقبة فتعود سالماً لا لك ولا عليك ؟ فأجاب الفتى باختصار وحزم : إنى لعلى استعداد . وعندها أقبل الأمير على قومه يخاطبهم : أهنئكم يا رجالى بوارثى العتيد وأهنئ نفسى . ثم التفت إلى الفتى وخاطبه : أهنئ بك سلافة وأهنئها بك . فلأنت خير من يستأهلها يابنى وهى خير من يستأهلك

ووجم الجميع إلاَّ سلافة التى برزت من وراء الخباء [ إذ كانت جاءت خفية لتشهد المحنة ] وخاطبت إباها عاتبة أو كالعاتبة :

أى ابت ، كيف تتعجل وتسمِّينى لهذا الفتى ولما يجز الامتحان بعد ؟ فهلا أبقيت ذلك لنرى مبلغ همته ومقدار رجولته التى سيتكشف لنا عنها فى ذاك الامتحان ؟

فأجاب الأب ، أى بنيتى العزيزة ، لقد جاز فتاك الامتحان من حيث لا يعلم ولا تعلمين . جاءنا هذا الفتى الشريف مستبهماً لم يسم نفسه قط ولم ينتسب ، ثم هو لم يحاول أن يدهشنا بثروته وجاهه وإن يكن له من ذلك الشىء الكثير ( كما دلنى على ذلك العيون وعيناى ) ، لقد جاءنا واثقاً من نفسه واثقاً أنه أهل لك دون أن يضيف الى شخصه الأسماء الكبيرة والمال الوفير والدعوى العريضة . ثم ألم يبلغك كيف لم يعارض ولم يجادل فيما حاولنا أن نغمره ونحرجه به من وسائل الاكرام ، شأن الخطاب الآخرين لنرى ما هو قدر نفسه عند نفسه ؟ ولو كان رأيه فى نفسه كرأيهم فى نفوسهم وإن حاولوا الظهور بخلاف ذلك ، لفعل فعلتهم وناله مثل ما نالهم . ولكن هو المحتد الكريم يأبى ألا أن يظهر ويستعلن . ثم أليس فى سكوته دون الذى حاولنا من غمره بأسباب الاكرام ما يدل على أن فضيلة الكرم هى طبع فيه وسجية فلا يستهولها فى غيره ؟ أو لم يكن استهوال الخطاب الآخرين مظاهر الجود والكرم التى رأونا نغمرهم بها دليلاً لا يخطئ على أنهم ليسوا الكرام الذين يدعون ؟ أليس المقل من المال أو الشحيح هو الذى يستكثر أعطيات الناس ومظاهر جودهم ؟

ولم يبق بعد هذا التفسير من لم يقتنع بخطة الأمير الحكيمة وأسلوبه المبتكر فى امتحان الرجال . وفى اليوم التالى عقد للفتى على فتاته بين أشد مظاهر الغبطة والحبور . وقضياها حياة مديدة هى السعادة والهناء .

أديب عباسى

# البريد الأدبي

## المباحث الأثرية الأولمبية

من أنباء ألمانيا الأخيرة أن الهير هتلر ، أعلن أن الحكومة الألمانية قررت لمناسبة عيد الألعاب الأولمبية أن تستأنف المباحث الأثرية فى أولمبيا (من أعمال مقاطعة بلوبنيس اليونانية).

وقد كانت أولمبيا منذ نحو ألفى عام مستودع التماثيل والذخائر اليونانية المقدسة ، وكانت ساحاتها معرضاً للحفلات الرياضية الشائقة . وفى عهد الامبراطور تيودوسيوس الرومانى فى القرن الرابع الميلادى منعت الألعاب الأولمبية ، وخربت الهياكل الدينية ، ونقلت تماثيل الآلهة إلى قسطنطينية بعد ذلك ، وفى القرن السادس وقعت زلزلة هدمت كثيراً مما بقى من الهياكل الأولمبية

وكان أول من لفت النظر إلى البحث فى الاطلال الأولمبية العلامة الفرنسى برنار دى مونفوكون فى أوائل القرن الثامن عشر . ثم تلاه العلامة الألمانى فنكلمان ونظم بعثة للقيام بالحفريات والمباحث الأثرية فى أولمبيا ، ولكن الموت عاجله وهو فى طريقه إلى اليونان . وفى سنة ١٨٢٩ أوفدت الحكومة الفرنسية حملة الى اليونان لمعاونتها فى حرب التحرير ، فقام بعض أفرادها بالحفر فى أولمبيا . وفى سنة ١٨٥٢ ، قام العلامة الألمانى أرنست كورتيوس — وقد كان أستاذاً للتاريخ القديم — بدعوة قوية للبحث فى أولمبيا ، واستطاع أن يحمل تلميذه القيصر فريدريش الثالث على تنفيذ مشروعه ؛ وأقر البرلمان الألمانى الاعتمادات اللازمة ؛ وقامت بعثة ألمانية بالحفر فى أولمبيا بين سنتى ١٨٧٥ و١٨٨١ ؛ واستطاعت أن تكشف عن ساحة « ألتس » الشهيرة برمتها ، وظهرت أيضاً اطلال معبد زيوس القديم ؛ وكان أعظم اكتشاف وفقت اليه البعثة تمثال « هرميس » الذى صنعه المثال الأشهر « براكستليس » ووصفه الرحالة باوزنيوس فى رحلته ، ووجدت أيضاً نحو سبعمائة قطعة أثرية مختلفة . وقامت بعد ذلك بعثات مختلفة أخرى بالحفر فى أولمبيا ؛ وعثرت بآثار كثيرة ، ولكن ما يزال هنالك مجال عظيم للبحث والحفر

وتزمع الحكومة الألمانية أن توفد فى القريب العاجل بعثة من علماء الآثار لاستئناف المباحث الأولمبية ، وسوف تزودها بجميع الاعتمادات التى تعاونها على القيام بأعمال واسعة النطاق

## فى أكاديمية الآثار والآداب

ألقى مسيو كلود شيفر رئيس البعثة الأثرية السورية فى أكاديمية الآثار والآداب الفرنسية خطاباً عن النتائج التى انتهت إليها مباحث البعثة فى رأس شمرا وخلاصتها أنه قد اكتشف حى جديد من مدينة أوجاريت عاصمة مملكة أوجاريت التى ترجع إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، ووجدت عدة وثائق مكتوبة وقطع فنية من آثار هذا العهد ؛ ووجدت بالأخص إلى جانب أوجاريت أطلال مدينة قديمة يطبعها الطابع الفرعونى وترجع إلى نحو الأسرة الثامنة عشر . كما وجدت عدة ألواح مكتوبة بخط غير معروف يظن أنه قلم أوجاريت فى هذه العصور

## مؤتمر نسوى فى باريس

عقد فى باريس فى السادس والعشرين من يوليه مؤتمر دولى للنساء ذوات الأعمال والمهن ، واستمرت أعماله أسبوعاً ؛ وقد اجتمع فيه نحو مائتى مندوبة يمثلن أربعاً وعشرين دولة ؛ ومثلت الولايات المتحدة السيدة فرنسيس بركنس وزيرة العمل ؛ وقد استقبلتها الحكومة الفرنسية بصفة رسمية ، على يد مدام برونشفيج ممثلة لوزارة الخارجية ؛ وأقيم احتفال رسمى لتكريم المندوبات فى وزارة الخارجية ؛ وكان أهم الموضوعات التى ألقيت فى المؤتمر خطاب للسيدة بركنس تحدثت فيه عن « الحكومة والعمل » وتناول المؤتمر كثيراً من المسائل والموضوعات المتعلقة بالمهن والحرف التى تزاولها المرأة وحقوقها فى ذلك الميدان ، وما تصدره الأمم المختلفة من القوانين فى هذا الشأن

## مؤتمر تقدم العلوم

عقد فى شهر يوليه فى مرسيليا مؤتمر تقدم العلوم ، ومثل فيه العلماء الفرنسيون من كل فن ، الطب والهندسة والكيمياء

والرياضيات وغيرها . وألقيت فيه مباحث مختلفة عن أحدث النظريات العلمية ؛ وكان مما لفت الأنظار بنوع خاص الأبحاث التي قامت بها لجنة الهندسة البحرية التي تدور بالاخص حول هندسة الموانى الحديثة المدنية والحربية ، وألقيت مباحث هامة أخرى فى الطب والنبات والحيوان وغيرها

## كتاب عن السحر

صدر أخيراً بالانكليزية كتاب عن السحر عنوانه « الفن الأسود » The Black Art ومؤلفه مستر « رولو أحمد » . وقد اختار المؤلف لكتابه عنوان : « الفن الأسود » لان اللون الأسود كالسحر فى مختلف العصور ، يقترن فى أذهان الناس بالخشية والروع ؛ ويقول لنا المؤلف : إن السحر معروف عند الانسان فى عصور ما قبل التاريخ ، يدل على ذلك طائفة من الرسوم الحجرية التى وجدت فى بعض الكهوف ؛ وقد كان المصريون القدماء أساتذة فى « الفن الأسود » وكان له عندهم المقام الأعلى ؛ وكذلك عرف السحر جميع الأمم القديمة مثل الكلدانيين والأشوريين واليونان والرومان وغيرهم

ويستعرض المؤلف تاريخ السحر منذ العصر القديم إلى عصرنا ، ويحاول أن يشرح أساطير السحر ووسائله ؛ وأهم قسم فى الكتاب هو المتعلق بالسحر فى العصور الوسطى ، فهنا يجد المؤلف مجالاً كبيراً للتحدث ، ويصف لنا كيف ذاعت فكرة الشيطان فى تلك العصور إلى حدود مدهشة ، وكيف كانت تمثل فى كل شىء فى الحياة العقلية والدينية

وقد زين المؤلف كتابه بطائفة كبيرة من الرسوم والنقوش والتعاويذ السحرية

## وفاة راقصة شهيرة

توفيت فى أواخر يوليه فنانة كبيرة هى الراقصة والموسيقية الكبيرة « ارجنتينا » ، ولم تحرر راقصة فى عصرنا من الشهرة الفنية بعد الراقصة الروسية الشهيرة آنا بافلوفا ؛ قدر ما أحرزت « ارجنتينا » . وكان ظهورها على المسرح فى أوائل هذا القرن حيث ظهرت لأول مرة فى بروكسل ولفتت الأنظار بروعة فنها وابتكارها . ولم تكن ارجنتينا راقصة فقط ، بل كانت موسيقية بارعة ؛ ولما ذاعت شهرتها أخذت تطوف مسارح العالم الكبرى ، فى باريس ، ولندن ، وأمريكا ، وغيرها وهى تثير الاعجاب أينما حلت ؛ وكانت فى فنها ، أى الرقص الأندلسى القديم قرينة بافلوفا ، وفى رقصتها الشهيرة « احتضار البجعة » . وكانت أبرع راقصة فى استعمال الصنج « الصاجات » الأندلسية . وكانت أرجنتينا مثل زميلتها بافلوفا تحتفظ ببراعتها ورشاقتها حتى أعوامها الأخيرة ، أعنى وهى فى حدود الخمسين . وكانت وفاتها فى مدينة بايون على مقربة من بياريتز حيث كانت تمضى معظم أوقاتها فى قصر بديع هنالك

وقد أحرزت أرجنتينا كثيراً من آيات التقدير لفنها وبراعتها ومن ذلك أن الحكومة الفرنسية أنعمت عليها بأرفع وسام من اللجيون دونير

## كتاب عن أرنولد بنيت

لم يمض قليل على وفاة الكاتب الانجليزى الكبير أرنولد بنيت حتى ظهرت عنه عدة تراجم وكتب نقدية . منها كتاب ظهر أخيراً بقلم النقادة سيمونس J. B. Simons بعنوان « أرنولد بنيت وقصصه » Arnold Bennet and his Novels ؛ وهو عرض نقدى مستفيض لآثار الكاتب الراحل ، وتلخيص بديع لقصصه ، وتعليق ممتع على خواص تفكيره وأسلوبه ؛ ويبدى المستر سيمونس فى عرضه مقدرة فنية واضحة ، ويتتبع العوامل والمؤثرات التى اشتركت فى تكوين أرنولد بنيت ، ويقول لنا إنه تأثر بالأدبين الفرنسى والروسى ، فكان من أساتذته هوسمان ، والأخوان جونكور ، وموباسان ، وتورجنيف وتولستوى ؛ ويرد مستر سيمونس على نقدة بنيت من قبله ولا سيما مستر بريستلى الذى اشتهر بشدته فى نقد بنيت ، ولكن مما يلاحظ أن مستر سيمونس يميل الى التنويه بمحاسن بنيت والاشادة بخواصه ومقدرته ، وقلما يمس جوانب الضعف فيه ، وهو من هذه الناحية يغفل قاعدة النقد الصحيح : ويؤيد هذا التحيز إلى بنيت حملاته على جميع نقدته السابقين ؛ وينكر مستر سيمونس بشدة مايسنده بعض النقدة ، ولا سيما الكاتبة الشهيرة فرجنيا وولف ، الى بنيت من الميول المادية فى الكتابة والتوجيه ، بيد أن الكتاب فى مجموعه عرض حسن لآثار بنيت يقدم عن الكاتب وآثاره فكرة واضحة ، وقد لخصت فيه كل كتبه الهامة تلخيصاً وافياً ، وكتب بأسلوب علمى بليغ ، يشهد لمؤلفه بمقدرة نقدية لا شك فيها

4 me Année, No. 165 — Lundi - 31 - 8 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٦٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥ — ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

## فهرس العـــــدد



# فلنتعصب .....!

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

قال صاحب سر (م) باشا : جاءنى يوما صحفىٌّ إنجليزى من هؤلاء الكتاب المتعصبين الذين تُطلقهم انجلترا كما تطلق مدافعها ؛ غير أن هذه للبارود والرصاص والقنابل ، وأولئك للكذب والتهم والمغالطات ؛ وهو أُذنٌ وعينٌ ولسانٌ وقلم لجريدة انجليزية كبيرة معروفة بثقل وطأتها على الشرق والاسلام ؛ تُصلح بافساد ، وتداوى الحمى بالطاعون ، وتعمل فى نهضة الشرقيين واستقلالهم ما يشبه قطع ثدى الأم وهو فى شفتى رضيعها المسكين

ودخل علىّ هذا الكاتب فى الساعة التى خرج فيها من غرفتى صاحب جريدة أسبوعية فى مدينتنا ؛ وكان قد نفخ الضِّفْدع ليجعلها ثورا فحول صحيفته إلى جريدة يومية وهو لايجد مادّتها ولا يستطيع أسبابها ، إلا أنه كدأب الناس عندنا كان يحسب الكذب فى العمل سهلا مهلا [1] كالكذب فى القول ،

(١) هذا الاستعمال مما وضعناه نحن وليس فى اللغة ، وهو من باب الاتباع كقولهم : حسن بسن وشيطان ليطان الخ

فلم يتعاظم للأمر العظيم ، واقترض لعمله كل ألفاظ النجاح من اللغة ....

وظن عند نفسه أنه سيخوّف بجريدته الكبراء والأعيان والمياسير حتى يغلب على جميعهم ويشرك أصابعه مع أصابعهم فى استخراج ما يحتاج اليه من جيوبهم ، فلم تعش جريدته إلا أياما وأتلف ما جمع ، ورهن فيها داره التى لا يملك غيرها . وعلم آخراً أن الذى يكذب فيسمى الحروف جملاً ، لا يُقبل منه أن يكذب على الكذب نفسه فيزعم أن الناقة هى التى نتجت هذا الحروف .....

ولما انقلبت هذه الجريدة يومية كان الباشا هو ملجأ الرجل ووَزَره ، وكان لكل يوم فى الجريدة أخبار عن الباشا لا تقع فى الدنيا ولا تجمع من الحوادث ، ولكن تقع فى ذهن الكاتب ، وتجمع من صناديق الحروف ، حتى قال لى الباشا مرة : إن اسمى قد أصبح موظفاً فى هذه الجريدة لجمع الاشتراك ....

وتحرّى هذا الصحفى أن يستأذن يوماً على الباشا وفى مجلسه حشدٌ عظيم من السراة والأعيان والعمد ، وكان جمعهم لأمر ، فما هو إلا أن دخل الصحفى حتى ابتدره الباشا بهذا السؤال : يا أستاذ . ما هى تلغرافات أوربا عن الحوادث التى ستقع غداً . . . . ؟

فضجّ المجلس بالضحك وفقد المسكين بهذه النكتة أربعين ديناراً كان يؤمل أن يخرج بها ، وأعلن الباشا فى أظرف إعلان وأبلغه كذبَ الرجل ونفاقَه وإسفافَه وأنه من رجال الصحافة المدّورة تدور الرغيف . . .

* * *

قال : ونظرت إلى الصحفى الانجليزى نظرةً أكشفُه بها فاذا أولُ الفرق بينه وبين أمثاله عندنا ـ شعورُه أن بلاده قد ربته (للخارج) فهو عند نفسه كأنه انجليزى مرتين ؛ ويأتى من ذلك إحساسُه بعزة المالك وقوة المستعمِر فلا يكون حيث يكون إلا فى صراحة الأمر النافذ أو غموض الحيلة المبهمة ؛ ويستحكم بهذا وذاك طبعُه العملىُّ ، فهو بغريزته مُقاتل من مقاتِلة الفكر يلتمس ميدانه بين القوى المتضاربة لا يبالى أن يكون فيه الموت ما دام فيه العمل ؛ وبهذا كله تراه نافذَ البصيرة قائماً على سواء الطريق ، لأن الانجليزىَّ الباطن فيه يوجِّه الانجليزىَّ الظاهر منه ويُسانِده ؛ وفى أعماق الاثنين نجد انجلترا وليس غير انجلترا

ثم تفرّست فى الرجل أريد كُنهَه وحقيقته فاذا له نفسٌ مفتوحةٌ مقفَلة معاً كغُرَف الدار الواحدة يُفتح بعضُها لما فيه كيما يُرى ، ويُقفل بعضها على ما فيه كيلا يُرى . وله وجه عملى يكاد يحاسبك على نظراتك إليه ، تدور فى هذا الوجه عينانِ قد اعتادتا وزْن الأشياء والمعانى ، يتلألأ فى هاتين العينين شعاعُ النفس القوية المرِنة قد نَفَت الثقةُ بها نصفَ هموم الحياة عن صاحبها ، تُمِدُّ هذه النفسَ طبيعةٌ مؤمنة بأن أكبر سرورها فى أعمالها ، فواجبها فى الحياة أن تعمل كل ما يَحسنُ بها وكل ما يَحسنُ منها

لقد خُيل الىّ وأنا أنظر الى نفسية هذا الانجليزى أن كلمة الخيْبَةَ عند هؤلاء الانجليز غير كلمة الخيبة عندنا نحن الشرقيين ، فان خيبة النفس لا تتم معانيها أبداً فى النفس العاملة الدائبة التى يشعرها الواجب أنه شىء إلٓهى لا يخيب ، وأن ما يرفض على هذه الأرض من العمل الطيب لا يرفض فى السماء

وكأن الرجل قد أدرك غرضى بملكته الصحافية الدقيقة فأجابنى عن السؤال الذى لم أسأله وقال لى مبتدئاً : إن أساسنا الشخصية وحاسة الواجب ؛ وإن فيكم أنتم كل شىء إلا هذين . فأخلاقنا تظهر دائماً فى العمل ، وأخلاقكم تظهر دائماً فى الكلام الفارغ ؛ ونحن نطلب الحقيقة وأنتم تطلبون الألفاظ ، حتى إنه لو خسر المصرى ألف دينار ثم أعلن أنها مائة فقط وصدق الناس أنها مائة ، لكان عند نفسه كأنه ربح تسعمائة . . . .

* * *

قال صاحب السر : واستأذنت له على الباشا فسهّل ورحب ؛ ثم هممتُ بالانصراف عنهما ولكن الانجليزى قال : يا باشا ! إنه قد تمكن فى روعى أن صاحب سرك هذا متعصب دينى ، وقد علمت أنه ابن فلان القاضى الشرعى فطربوشه ابن العمامة ؛ ولقد كان ينظر إلىّ وكأنه يتأمل من أين يذبحنى . . .

فضحك الباشا وقال لى : يا فلان ! إن هذا الكاتب من تلاميذ برنارد شو ، فهو كأستاذه يجعل لكل حقيقة ذَنَباً كذيل

الهر ثم يمسكها منه فاذا هي تعض وتتلوى . . .

والتفت بعد ذلك إلى الانجليزي ثم قال له : جاءني كتابك فاذا كنت تريد رأيي فيما تسميه التعصب الديني عند المسلمين فعجيب أن تضعوا أنتم الغلطة ثم تسألونا نحن فيها . إنك لتعلم أن هذا التعصب الكذب الذي أكثرتم الكلام فيه إنما هو لفظ من ألفاظ السياسة الأوربية أرسلتموه الينا ليقاتل لفظ التعصب الحقيق ؛ ومن قبل هذا اخترعتم لفظة ( الأقليات ) وأجريتموها في لغتكم السياسية لتجعلوا بها لتعصبنا الوطني شكلا آخر غير شكله فتفسدوه علينا بهذه المادة المفسدة ؛ وبذلك تضربون اليد اليمنى من غير أن تلمسوها إذ تضربونها بشل اليد اليسرى

إن الاسلام في نفسه عدو شديد على التعصب الذي تفهمونه ، فهو يقول لأهله في كتابه العزيز : « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »

فاذا كان العدل في هذا الدين عدلاً صارماً وحقا محضا لا يميز بشيء ألبتة ، لا ذات النفس التي فيها اشتهاء الدم ، ولا أصلها من الأبوين اللذين جاءت منهما وراثة الدم ، ولا أطرافها من الأقربين الذين يلتفون حول نسب الدم — إذا كان هذا فأين في هذا العدل محل الظلم ؟

لعلك تشير إلى هذه الرعونة التي تعرفها في الأغمار والأغفال من العامة ، فهذه ليست من أثر الدين بل هي أثر الجهل بالدين . إن هذا ليس تعصباً بل هو معنى من معاني الحمية النفسية الخرقاء لم تجدوا أنتم له لفظاً ، وكان أقرب الألفاظ اليه عندكم هو التعصب فأطلقتموه عليه للمعنى الذي في نفسه والمعنى الذي في أنفسكم . ألا فاعلم أن إسلام العامة اليوم هو كالدعوى المقبولة شكلا والمرفوضة بعد ذلك

قال الانجليزي : ولكن لهؤلاء العامة علماء دينيين يدبرونهم من ورائهم وهم عندكم ورثة النبي (ص) أي منبع الفكرة وقوتها

قال الباشا : غير أن هؤلاء قد أصبحوا كلهم أو أكثرهم لا يندس فيهم عرق من تلك الوراثة ، وذلك هو الذي بلغ بنا ما ترى . فالقوم إلا قليلاً منهم كالأسلاك الكهربائية المعطلة لا فيها سلب ولا إيجاب ؛ ولو أن هؤلاء العلماء كانت فيهم كهرباء النبوة لكهربوا الأمم الاسلامية في أقطارها المختلفة . إذن لقام في وجه الاستعمار الأوربي أربعمائة مليون مسلم جلد صارم شديد متظاهرين متعاونين قد أعدوا كل ما استطاعوا من قوة العلم وقوة النفس ، وهم لو قذف كل منهم بحجرين لردموا البحر . . .

أتريد معنى التعصب في الاسلام ؟ إنه بعينه كتعصب كل إنجليزي للأسطول ، فهو تشابك المسلمين في أرجاء الأرض قاطبة وأخذهم بأسباب القوة الى آخر الاستطاعة لدفع ظلم القوة بآخر ما في الاستطاعة

وهو بذلك يعمل عملين : استكمال الوجود الاسلامي والدفاع عن كماله

وإذا أنت ترجمت هذا إلى معناه السياسي كان معناه إصرار جميع المسلمين على نوع الحياة وكرامتها لا على استمرار الحياة ووجودها فقط . وذلك هو مبدؤكم أنتم أيها الانجليز لا تقبلون إلا حياة السيادة والحكم والحرية فأنتم مسلمون في هذا المبدأ لو عدلتم

أليس من البلاء أن المسلمين اليوم لا يدرس بعضهم بلاد بعض إلا على الخريطة . . . مع أن الحج لم يشرع في دينهم إلا لتعويدهم دراسة الأرض في الأرض نفسها لا في الورق ، ثم ليكون من مبادئهم العملية أن العالم مفتوح لا مقفل ؟

إن التعصب في حقيقته هو إعلان الأمة أنها في طاعة الشريعة الكاملة ، وأن لها الروح الحادة لا البليدة ، وأن أساسها في السياسة الاحترام الذاتي لا تقبل غيره ، وأن أفكارها الاجتماعية حقائق ثابتة لا أشكال نظرية ، وأن مبدأها هو الحق ولا شيء غير الحق ، وأن قاعدتها « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » فالهداية أولاً والهداية أخيراً : الهداية في القوة والهداية في السياسة والهداية في الاجتماع . فقل لي بحياتك وحياة انجلترا : أيعاب ذلك على المسلمين إلا بالألفاظ التي يعيب اللص بها أهل الدار لأنهم يحكمون في وجهه إقفال الباب . . . ؟

قال : فوجم الانجليزي حتى ذهل عن نفسه وصاح : إذا كان هذا فلنتعصب فلنتعصب

(سيدي بشر . اسكندرية) مصطفى صادق الرافعي

# السيارة المسروقة

## للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« إن من الواضح أن تربيتك ناقصة ... ناقصة جداً ... هذا أنا — بجلال قدرى — أ كلك منذ عشر ساعات وخمس وعشرين دقيقة وثلاث وأربعين ثانية وأنت لا تجيبين ... »

فقالت زوجتى أخيراً ، وألقت ما بيدها — وكان شيئاً تطرزه — أو لا أدرى ماذا تصنع به — : « إنى لست اليوم كفؤاً لك ولهزلك ، فاسكت من فضلك ! »

قلت : « هذا بديل جميل من الاعتذار ! ... ألا تستحين يا امرأة ؟ .. ثم ما هذا الذى تتشاغلين به عن التقاط الحكمة من فم سيدك وتاج رأسك وبعلك ؟ »

قالت : « أرجوك ! . أرجوك يامسلم !! ثم إن الطباخة خرجت ! ... »

فانتفضت واقفاً وصحت : « نهارها اسود ! لماذا ؟ »

قالت : « استحسن زوجها أن يكون ذهابها اليه يوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد »

فانحططت على الكرسى وقلت : «ووافقت أنت بالطبع ..»

قالت : « وماذا أصنع غير ذلك ؟ وقد أصرّا على يوم الجمعة ، فلو رفضت لفارقتنا ، ولعدنا إلى حيرتنا القديمة »

قلت : « يا امرأة .... هل تعرفين أنى أتضور فى هذا البيت ؟ ... يوم الجمعة الذى أستريح فيه ، وأظل أحلم طول الليل بما أطمع أن أنعم فيه من الآ كال ؟ ؟ أوه ! إن هذا لا يطاق ! هذه ... هذه ... هذه ... نعم هذه بلشفية صريحة ! ومع ذلك تزعم الحكومة أنها تكافحها ! ما عيب يوم الأحد بالله ؟ لماذا يجب — حتماً — أن تكون بطالتها يوم الجمعة لا غيره ؟ ... »

فضجرت زوجتى وبدأت تنفخ ، وقالت : « ألا تسكت ؟ ما لك أنت ؟ إن لك أن تأكل والسلام ... ثم إنها مسلمة ، وكذلك زوجها ، فيوم الجمعة أوفق لهما »

قلت : « وهل من الضرورى أن تتزوج هذه الدميمة وذلك المغفل ؟ »

قالت — وهى تتمطى — : « إنى أشعر بفتور وخدر ، فأعفنى بالله من وجع الدماغ ، وحسبى همّ إطعامك فى هذا اليوم الثقيل .... »

قلت — وقد خطرت لى فكرة — : « اسمى أقل لك »

قالت — وهى تضحك — وهل ترانى اليوم هنا إلا لأسمع .. تفضل يا سيدى ونور عينى ... وماذا أيضاً ؟ »

قلت : « وتاج رأسك ! اسمى ... إن الفتور يغشى جسمك كما تقولين ، وأنا رأسى يكاد يطير مذ عرفت أن هذه الطباخة الكريهة الوجه قد تخلت عنا فى يومنا هذا ، فما قولك فى أ كلة ناشفة خفيفة نصنعها هنا أو نشتريها ؟ »

فقالت وقد لمعت عينها : « لماذا ؟ »

قلت : « وندعو لولو وسليا — من أقربائنا — ونذهب جميعاً ومعنا الأولاد إلى القناطر الخيرية ، فنقضى يوما هناك بين الخضرة والماء »

قالت : « ولكنه سينقصك الوجه الحسن »

قلت : « يا خبيثة ....... هل تظنين أنى تزوجتك وأنا مغمض العينين ؟ »

وحشرتهم جميعاً فى السيارة ، ودسست السلة التى فيها الطعام والشراب فى مكان مجعول لما يحمل المسافر من زاد ومتاع ، وكانت الساعة الثانية مساء حين انطلقنا فبلغنا القناطر بعد نصف ساعة ، فحملنا أشياءنا وتركنا السيارة فى حراسة رجل من الواقفين هناك المستعدين لمثل هذه المهمات ، وتخيرنا مكانا يشرف على الماء وتظلله أشجار باسقة وبسطنا السجادة وألقينا عليها صفحات من جرائد الصباح والمساء ووضعنا عليها الصحون والصوانى ثم شرعنا نأ كل . ولم يكن الطعام فيما يبدو لعيوننا الفارغة كثيراً ، فجعل بعضنا يخطف من بعض ، فكانت ألذ أ كلة وأهناها ، ثم طرحنا الوسائد على السجادة واستلقينا ، فنام من نام . ولما آذنت الشمس بالغروب ركبنا زورقا فى ترعة أثمون ، ثم بدا لنا أن نعود لندرك «الشيخ رفعت» وهو يتلو القرآن الكريم — فما نحب أن يفوتنا ذلك منه قط — فرجعنا الى حيث السيارة . . فاذا بها قد اختفت ! ! ؟

بهتُ حين رأيت مكانها خالياً ، فوقفت كالصنم وأقبلت على

زوجتى تسألنى وتهز ذراعى ، فقلت لها وقد أفقت قليلاً « نعم . . هزى ذراعى .. بقوة .. إن بى حاجة الى الشعور بأنى لست أحلم وأن هذا ليس كابوساً .. »

قالت : « أين ذهبت ؟ »

قلت : «فتشينى !.. لقد كانت هنا .. تركتها فى هذا المكان وليس فى الأرض ما يدل على أنها انشقت وابتلعتها . . . ولست أعرف أن لها أجنحة فلا يمكن أن تكون طارت .. إنَّ الطريقة الصحيحة للاهتداء الى الحقيقـة هى أن يبدأ المرء بنفى كل الاحتمالات غير المعقولة — كما ترينني أصنع الآن »

فصاحت «لولو» : « لقد سرقها اللصوص »

فصحت بها : « تالله ما أذكاك يا فتاتى ! ! . كيف لم نفطن الى هذا بمثل هذه السرعة المدهشة ؟ »

فقالت لولو : « وماذا تكون مزية العبقرية وفضيلتها إذن ؟ »

قلت : « صدقت يا فتاتى النابغة .. »

فقالت زوجتى مقاطعة : « أهذا وقت الكلام الفارغ ؟ . ألا تفكرون فى طريقة لاستردادها ؟ »

فقلت : « آه .. هنا أيضاً عبقرية ولكن من ضرب آخر ، ضرب عملى لا يرتاح الى النظريات .. عبقرية يمكن أن ننعتها بأنها نابليونية ؛ ولست أرى أنه ينقصنا — لنوقن من أن السيارة عائدة باذن الله — إلا ضرب ثالث »

فقالت زوجتى متهكمة « نعم يا سيدى .. ؟ »

قلت بحدة : « لا تتهكمى يا امرأة .. نعم ينقصنا الضرب الشِّرلُـكْمُزِى »

فصاحوا جميعاً : « إيه ؟ »

فقلت : « أعوذ بالله ! ! ما لكم تصرخون هكذا ؟ . نعم الشرلـكمزى . . يا جهلة . . لو كنتم تعنون بتثقيف عقولكم الفارغة قدر عنايتكم بخلافى والمكابرة معى وإنكار نعمتى عليكم وجحود فضلى ..لعرفتم أن الشرلـكمزى نسبة الى شرلوك هولمز»

فقالت زوجتى وهى تضع كفها على فمى : «طيب اسكت بق !»

فلثمت راحتها وسكت — كما أمرت !

* * *

وقال سليم — أخو لولو — : « إن من الواضح أن علينا أن نتفرق »

قلت : « بديهى . . حتى لا يرانا اللصوص فيخافوا . . نعم يحسن ألا نضع شيئاً يزعج اللصوص ويفسد عليهم متعتهم »

فصاح بى : « يا أخى ألا تكف عن هذا العبث ؟ »

قلت : « كففت باذن الله . . تفضل . . ولكن اسمح لى أن أسأل هل تعنى أن نرسل الأطفال وحدهم فى ناحية ، وأمهم وأختك فى ناحية ، وتذهب أنت إلى حيث ألقت ، وأعود أنا إلى البيت ، وقد تخلصت منكم جميعاً ؟ ؟ إن كان هـذا مرادك فأنا من الآن موافق ، والسلام عليكم ، ولا تكلفوا أنفسكم إرسال عناوينكم »

وبعـد أن هدأت الضجة التى أثارتها هذه الكلمات البريئة قال سليم : « تأخذ أنت الأطفال وهاتين أيضاً — وأشار إلى زوجتى وأختـه — وتركب تاكسى وتمر أولاً بمركز البوليس ثم لا تتكل عليـه بل تذهب تبحث . . وأنا أذهب أبحث من ناحية أخرى »

فقالت زوجتى لسليم : « بل أكون أنا معك فانى لا أكاد أطيق مزحه فى هذه الساعات . . إنه لا يفرق بين جد وهزل .. كل وقت عنده صالح للضحك . . شىء فظيع . . »

قلت : « أشكرك . . على أنى أستطيع أن أهذب لك خطتك العقيمة . . »

فقالت زوجتى : « بالله اسكت . . . أرجوك . . . أو . . . جوووووك »

قلت : « حالاً . حالاً . كل شىء فى وقته يا امرأة . . وهل هذا وقت رجاء ؟ ؟ إنه وقت العمـل . . ألا تفهمين ؟ . اسمع يا هذا . . تذهب أنت إلى البوليس وتعفينى من هذه المهمة التى لا أرتاح إليها ، ولا أعتقد أن فيهـا فائدة ، وتأخذ معك هذه الزوجة الجاحدة الناكرة للجميل ، وافعل بعد ذلك ماتستطيع ، وإلى الملتقى فى البيت العامر إن شاء الله »

فقالت زوجتى : « أيوه . . أنا أقول لكم ماذا ينوى أن يصنع . . سيذهب إلى البيت مباشرة ولا يكلف نفسه أى عناء فى البحث عن سيارته . . وسترون »

فقلت : « وهبينى فعلت ذلك فهل كنت تحسبين أنى شرطى أو بوليس سرى ؟ ؟ وماذا أصنع إذا كانت السيارة قد سرقت ؟ هل أجرى فى الشوارع كالمجنون ؟ . . أو أقعد على هذا الرصيف

وأبكي؟ . . ثم إن مي طفلين صغيرين يريدان أن يناما . . أليس كذلك يا ميدو — اختصار عبد الحميد من فضلك — ومي أيضا هذه الفتاة الطويلة البلهاء التي لا رأس في عقلها — أعني لا عقل في رأسها ! »

فضيا عني ولم يجيبا بشيء . وضحكت لولو فقلت : « هـذا أحسن . . ما فائدة الحزن واللطم والنـدب ؟ ؟ ثم إنهما مغفلان — ولا مؤاخذة — فتعالى نسأل أولاً الحارس الذي كان هنـا متى رآها آخر مرة فقـد خطرت لي فـكرة أرجو من ورائها خيراً كثيراً وراحة تامة »

وبحثنا عن الحارس حتى وجدناه نائماً تحت شجرة فأيقظناه فقال لنا : إنها كانت هنا منذ وقت قصير جدا وقد ركبها رجل وفتاة ، وإن الرجل قال حين سألته عن الباقين — منا — : إنه ذاهب ليشتري لهم شيئاً ثم يعود . فسألته عن الاتجاه الذي ذهبا فيه فأشار الى القناطر وطريق القاهرة

فطلبت أن يجيئنا بتاكسي بسرعة ، وقلت للولو : « إذا حقق الله ظني فسيخيب أمل السارق وفتاته ، لأن السيارة ليس فيها من البنزين ما يكفي إلا عشرة كيلو مترات على أكثر تقدير ، وأنا أرجو أن يخطئ الخطأ المعقول أي أن يتوهم أن من يجيء إلى القناطر بسيارة لا بد أن يكون قد تزود الـكفاية من البنزين للذهاب والاياب معاً ، فيمضي معولاً على ذلك ومتخوفاً من أن يقف في القناطر لأخذ بنزين آخر فتقف به السـيارة في الطريق حيث لا بنزين ، ولا يخطر له في أول الأمر أن هذه هي العلة فيدور يبحث عن سبب آخر لوقوفها ويضيع في هذا وقتاً ثميناً ثم ييأس فيتركها في الطريق وينجو بجلده »

وكنت أنا مقتنعاً بهذا الرأي حتى لقد اشتريت « صفيحة بنزين » من القناطر وضعناها معنا في التاكسي وقلت للولو : « لهذا فائدة أخرى هي أن يعتقـد سائق التاكسي حين نتركه ونركب سيارتنا أنا ما استأجرنا سيارته إلا لهذا السبب ، فلا يروح يعجب أو يسأل عن شيء ولا يبدو له شيء غريب في عملنا »

وقد شاء الله أن يحقق ظني فما كدنا نقطع خمسة كيلو مترات من الطريق بعد أن تركنا القناطر وأخذنا في سكة قليوب حتى وجدنا السيارة . وأوجز فأقول إنا ركبناها فرحين وعدنا إلى القناطر عسى أن نجد بقيتنا . فلما لم نجد أحداً تركنا لهم خبراً عند الحارس النائم ثم حملناه معنا إلى مركز البوليس لنسرهم ونعفيهم من البحث فعلمنا أن أصحابنا أبلغوهم خبر السرقة ، وأن بعض الشرطة خرج للبحث وأن الخبر طير بالتليفون إلى قليوب والقاهرة وجهات أخرى أيضاً لضبط السارق في الطريق . فشكرنا لهم هذه الهمة التي لم تـكن متوقعة ثم قلت لهم : « إن المهم الآن هو البحث عن زوجتي ! »

فصاح الرجل « إيه ؟ »

قلت : « إنها مع قريبي وقريبها »

قال : « انتهينا »

قلت : « كلا لم تنته . . وما أدراك أن هـذه ليست سرقة أخرى أفظع وأشنع ؟ »

فضحك الرجل وجرتني لولو وهي تحتج

***

تركنا السيارة أمام رصيف البيت وجلسنا في الشرفة نأكل لحم الغائبين — أعني ننتظرهما — وإذا بهما عائدان بعـد نحو ساعتين في سيارة — هي أخت سيارتنا بلا فرق — فانحدرت إلى الطريق بسرعة فوجدتهما يتأملان هـذه المعجزة . فقلت : « تمام .. لقد سرقت هذه السيارة يا صاحبي ولم أكن أعرف أن قريبي ونسيبي لص .. ولـكن ماذا أصنع ؟ . لقد أخفوك عني قبل أن أتزوج . فصار واجبي أن أخفيك أنت عن الناس بعد أن تزوجتُ »

فهم بكلام فمنعته ودعوته أن ينظر إلى رقم السيارتين ، فاقتنع وقال ما العمل الآن ؟ قلت : « تستعد للسجن . . لقد كان هذا واجباً من زمان طويل في الحقيقة ، ولـكن ما أكثر من يستحقون السجن وهم طلقاء .. والآن اذهب بالسيارة إلى الجراج — السيارة المسروقة — ثم أبلغ البوليس بالتليفون وقل له إنك عندي تنتظر حضوره للقبض عليك »

وعرفنا منهما بعد ذلك أنهما ركبا القطار ثم الترام إلى العتبة الخضراء وإذا بهما يريان السيارة عند رصيف إدارة البريد فذهبا إليها يعدوان فألفياها خالية فركبا ، وساقها هو وانطلقا بها من غير أن يعنيا بالنظر الى رقمها وانحدرا بها في شارع فاروق وتركا

صاحبها المسكين يجرى وراءها ويصيح ويصرخ ويستنجد وهما يضحكان مسرورين ! بارك الله فيهما من لصين جريئين !

فقلت لهما : « لا عليكما .. ستكون العتبة الخضراء كلها عندنا بعد دقائق ببوليسها وصبيانها وباعتها .. إلى آخره .. إلى آخره .. وسيشهد الجيران وجيران الجيران ، أمتع رواية رأوها أو يمكن أن يروها فى حياتهم أو حياة هذا الشارع الرزين »

وجاء الشرطة والمسروق المسكين فى تاكسى . وكان لا بد أن يروا السيارة وأن ينزلوا ، وكنت واقفاً إلى جانبها أنتظر هذا التشريف ، فقال الرجل « هذه هى .. » ومسح العرق المتصبب ودنا منها وهم بأن يفتح بابها فتصديت له وقلت : « عفواً .. هل من خدمة ؟ . »

فصاح « خدمة ؟؟ خدمة يا حرامى يا مجرم !! أين أخفيت شريكتك ؟ المرأة التى كانت معك ؟ »

فنظرت إلى الشرطى وأنا أبتسم — فقد كان الموقف يتطلب الهدوء والكياسة — وقلت : « هذه سيارتى يا حضرة الشاويش فما خطب هذا الرجل ؟ »

فصاح الرجل « سيارتك يا حرامى يا صفيق الوجه ؟ »

قلت : « إنى أسمح لك بأن تتأملها »

فدار حولها ونظر إليها من الأمام ثم من الخلف ، ثم وقف أمامى وهو يرعد وينتفض ويقول : « أما مجرم !! .. بسرعة غيرت أرقامها ؟؟ ولكن هل تظن أن هذا ينفعك ؟ »

فبدا على وجه الشرطى التردد حينما سمع أن الأرقام مختلفة ، وإذا كان المفجوع فى سيارته قد طار عقله ، فان الشرطى لا يوجد ما يدعو إلى ذهاب عقله أيضاً . وقلت أنا : المسألة بسيطة . ومن المعقول أن أغير لوح المرور بسرعة ، ولكن ليس من المعقول أن أغير رقم الشاسيه المحفور على محرك السيارة ، فتفضل واذكر هذا الرقم بعد مراجعة رخصتك إذا شئت ثم ارفع غطاء المحرك وانظر . »

ففعل فاذا الرقم مختلف جداً وشعر بالهزيمة ، وأدرك أنه تجنى على جداً ، فبدأ يعتذر ، فسألته

« ولكن كيف يمكن أن تخطئ إلى هذا الحد ؟؟ هل يعقل ألا تعرف سيارتك ؟ »

قال : « إنه لا فرق بينهما على الاطلاق — لا من الداخل ولا من الخارج ؟ »

فقال الشرطى : وهو يريد أن يفض النزاع الذى تهور فيه صاحبنا : « مادامت السيارتان متشابهتين إلى هذا الحد فانه معذور ، فسامحه »

قلت : « وهل كنت تعذرنى لو أنى أخطأت مثل خطئه ، وذهبت أسب الناس وأتهمهم بالسرقة ؟ »

قال « طبعاً .. صحيح إنه تهور فى الاتهام قبل التثبت ، ولكنه معذور فى خطئه فى معرفة السيارة »

قلت « وإذا دللتك على سيارتك هل تشكرنى ؟؟ أم تستأنف اتهامك لى بالسرقة ؟ »

فعاد إلى الاعتذار ، وأكد لى أنه يكون شاكراً جداً ، فلم يبق داع للاطالة ، فرويت له وللشرطى القصة من أولها إلى آخرها كما وقعت ، وقلت لهما : إننا أبلغنا مركز البوليس أنا وجدنا السيارة الأخرى التى ظنها قريبى سيارتنا ، وأن البوليس لا شك سيحضر بعد قليل ليتسلمها

وبهذا انتهى الحادث

وقلت لزوجتى وأنا أدخل بعد الفراغ من ذلك : « هل تعترفين الآن أن الذى كان يضحك ويمزح كان هو الحكيم السديد الرأى الصحيح النظر ؟ »

فآثرت المكابرة وقالت إنها مصادفة واتفاق ، فشهدت لو بأنى أحسنت التقدير ، فعادت زوجتى تلوم لأنى كتمت رأيى الحقيق وتركتها تذهب وتلف وتدور مع سليم ، وأنى آثرت لها التعب ولنفسى الراحة ، فقلت « ليكون هذا لك درساً .. ألم أقل لك إن تربيتك ناقصة ؟ » فهاجوا بى وثاروا ولكن هذا لا يعنى القراء لا قليلاً ولا كثيراً .

ابراهيم عبد القادر المازنى

# أسبوع فى سبتمانيا

## من ذكريات العرب والاسلام فى غاليس

للاستاذ محمد عبد الله عنان

فى أحد أبهاء قصر فرساى مجموعة من الصور الرائعة تمثل مناظر من الوقائع الحربية الشهيرة التى انتصر فيها ملوك فرنسا؛ وبين هذه المجموعة صورة لموقعة بلاط الشهداء التى نشبت بين العرب والفرنج على ضفاف اللوار فى سنة ٧٣٢ م ، يبدو فيها عبد الرحمن الغافقى أمير الأندلس ، وقائد الجيش الاسلامى ، شيخاً رائعاً ذا لحية طويلة بيضاء ، وهو شاهر سيفه ، ومن حوله بعض جنوده قتلى ، وأمامه جنود الفرنج يكرون على خصومهم بشدة ، وتبدو عليهم أمارات التفوق والنصر

وهذه الصورة إحدى الذكريات القليلة التى تحتفظ بها فرنسا عن عصر يكاد يمحوه النسيان من صحف تاريخها ، ونحن نعرف ماذا كان من أمر العرب فى بلاط الشهداء ، فقد قتل قائدهم عبد الرحمن خلال الموقعة ، ثم ارتدوا فى ظلام الليل إلى الجنوب؛ وغنم الفرنج الموقعة ، واقترنت ذكرى النصر إلى الأبد باسم قائدهم وزعيمهم كارل مارتل ، واعتبرته التواريخ النصرانية منقذ أوربا والنصرانية من الاسلام وسلطانه وتعاليمه

بيد أن ذكرى هذا النصر الفرنجى لا يمكن أن تحجب ذكريات عصر قصير باهر قضاه العرب فى جنوب فرنسا ، فقد افتتح المسلمون ولايات فرنسا الجنوبية فى أوائل القرن الثامن واستقروا فى سبتمانيا زهاء نصف قرن؛ ثم عادوا فى أوائل القرن العاشر جماعات مغامرة مجاهدة واحتلوا كثيراً من أنحاء بروفانس والرفييرا ، واستعمروها زهاء قرن ، وتركوا كثيراً من آثارهم وذكرياتهم المعنوية فى تلك الأنحاء

ولكن الأوربى ، والفرنسى بنوع خاص ، قلما يذكر هذا الفصل من تاريخ العرب والاسلام فى أوربا؛ وإذا كان بعض الباحثين والمؤرخين الاخصائيين يعرضون إليه فى كتبهم ، فان التواريخ الغربية العامة تمر عليه غالباً بالصمت ، أو تذكره عرضاً كحادث طارىء طوى صفحته تعاقب الأحقاب؛ وإذا قصصت على الفرنسى المثقف شيئاً من تفاصيل هذه الغزوات الاسلامية لجنوب فرنسا ، وذكرت له أن العرب قد انتهوا فى فتوحاتهم إلى أعالى نهر الرون ، وأنهم استولوا على بيزانصون مسقط رأس شاعرهم فكتور هوجو ، وعلى ليون وماسون وصانص ، وأنهم احتلوا الأنجدول وبروفانس دهراً ، وأن قواعد سبتمانيا مثل أربونه وأجده ومجلونه وقرقشونه ، ما زالت تسمى بأسمائها العربية محرفة إلى الفرنسية : إذا ذكرت للفرنسى المثقف شيئاً من ذلك أصغى إليك بمنتهى الدهشة وكأنما يصغى الى قصة خرافية يطبعها الخيال المغرق

***

ولقد أتيح لى أن أقضى أسبوعاً فى هاتيك الربوع التى خفقت عليها الأعلام العربية حقبة من الدهر . أجل ، خطر لى أن أجوز إلى سبتمانيا القديمة ، وأن أشاهد قواعدها التى ما زالت أسماؤها تنم عن ذكرياتها العربية . ولقد كانت سبتمانيا — وهو اسمها القديم ومعناه ذات المدن السبعة — أو لانجدولا الحديثة ، أول أرض فرنجية غزاها العرب عقب افتتاح الأندلس ، واتخذوها قاعدة لغزواتهم فى جنوب فرنسا ، وجعلوها ولاية أندلسية سميت بالثغر (La Marehe) أو الرباط لوقوعها على ساحل البحر الأحمر؛ وكانت مدن سبتمانيا السبعة : أرله ، وأربونه ، ونيمه ، وقرقشونه ، وبيزيه ، وأجده ، ومجلونه . وكانت أربونه عاصمتها ، وكانت أمنع المعاقل العربية فى غاليس ( جنوب فرنسا ) . ولما وقعت الحرب الأهلية فى الأندلس ، عند ما أشرفت الخلافة الأموية على نهايتها ، كانت أربونة قاعدة المعارضة لحكومة قرطبة ، وكانت منزل الحركة التى قام بها حاكمها عبد الرحمن اللخمى « أشجع فرسان الأندلس » لانتزاع أمارة الأندلس؛ ولما اضطربت أحوال الأندلس الداخلية ، انتهز الفرنج الفرصة لاسترداد سبتمانيا ، وكانت أربونه آخر معقل عربى وقف فى وجه الفرنج ، ولم تسقط إلا بعد دفاع مجيد سجلته الروايات المعاصرة ، وكان ذلك فى منتصف القرن الثامن الميلادى ( سنة ٧٥٨ م )

تلك هى خلاصة المأساة العربية فى سبتمانيا . أجل كان العرب سادة فى هاتيك الربوع منذ ألف ومائتى عام؛ ولكن سبتمانيا

لا تحمل اليوم أقل أثر مادى من طابعها العربى القديم . بيد أنه مما يلفت نظر السائح المتجول أن اسم « حى العرب » أو « شارع العرب » يطلق على كثير من الأنحاء فى مدن الرفييرا وسبتمانيا ؛ وهذا يرجع بلا ريب إلى وحى الذكريات العربيـة ؛ وقد توجد أيضاً أطلال دارسة لبعض الحصون العربية ، ولـكنها مما يصعب تعيينه وتحقيقه

على أنه توجد ثمـة آثار معنوية كثيرة من العهد العربى فى الحياة الاجتماعية فى تلك المنطقة ، وبخاصة فى بروڤانس حيث تأثر التفكير والآداب عصراً بالمؤثرات والأساليب العربية ، وحيث طبع المستعمرون المسلمون فى القرن العاشر حياة هذا الاقليم بطابع من عاداتهم وتقاليدهم . وقد كانت هذه الحقائق التاريخية موضع عناية بعض الباحثين فى القرن الماضى فتناولوها بالشرح والاستقصاء ، وكانت مباحثهم فتحاً جديداً فى هـذا الميدان ؛ ونستطيع أن نخص بالذكر منهم العلامة المستشرق رينو ، فقد كتب عدة فصول بديعة فى كتابه « غزوات العرب فى فرنسا » Hist. des Invasions des Sarazins en France عن الآثار الفكرية والاجتماعية فى جنوب فرنسا وبخاصة فى بروڤانس

ولقد اخترقتُ سبتمانيا من آرله Arles حتى جبال البرنيه ؛ ووقفت مدى حين فى مدينة أربونه Narbonne . وقد أذكى خيالى حين شهدت عاصمة الرباط الأندلسى القديم ، تلك الذكريات العربية البعيدة التى تغيض فى عالم القرون والتى لم أجد لهـا أثراً فى المدينة الفرنسية الحديثة . وحينما وقفت فى « بربنيان » تذكرت أنها كانت مجاز الجيوش الأندلسية إلى غاليس ، وأن عرب الأندلس كانوا يفضلون اجتياز جبال البرنيه من الناحية الشرقية من ممر بربنيان ، مخترقين قطلونية إلى « الثغر » ثم يتجهون بعد ذلك شمالاً إلى أقاليم الرون ، أو غرباً نحو « اكوتين » ؛ بيد أنه توجد إلى جانب ممر بربنيان ممرات أخرى كان يتدفق منها عرب الأندلس إلى جنوب فرنسا ، وأشهرها ممر « رونشفال » الشهير الذى يسميه الادريسى « باب الشزرى » . ولرونشفال ذكرى خالدة فى التاريخ والقصص الفرنسيين ، فقد كانت مسرحاً للموقعة الشهيرة التى مزق فيها العرب جيش كارل الأكبر ( شارلمان ) حين عوده من غزوته لأسبانيا الشمالية ، التى نظم فيها رولان وصيف شارلمان أنشودته الشهيرة Chanson de Roland

وإن السائح المتجول ليتساءل حين يتأمل تلك الوهاد كيف استطاع العرب الذين برزوا من بسيط الصحراء إلى الغزو أن يجتاحوا تلك الهضاب الوعرة ، وأن يحرزوا النصر الباهر فى هاتيك السهول النائية على حين أن أعداءهم أعرف بطبائعها وجنباتها . ولقد كان اجتياز جبال البرنيه الشامخة أعجوبة فى التاريخ القديم ، ولـكن العرب اجتازوا تلك الربى الهـائلة واقتحموها مراراً فى سبيل الفتح . ولقد خالجنى مثل هذا الشعور حينما اجتزت صحراء العرب منذ بضعة أعوام ، وأذكى القفر الشاسع خيالى ، فتساءلت كيف استطاعت الجيوش العربية الزاخرة أن تجتاح هـذا القفر الرائع فى عصر كان التنقل فيـه محفوفاً بأعظم المشاق ؟ وكيف كانت هذه الجيوش تمون نفسها بالزاد والماء خلال أسابيع طويلة تستقبل فيها الشمس المحرقة والرياح السافية ؟ أجل لقد كان اجتياز الجيوش الاسـلامية فى مختلف العصور لصحراء العرب وصحارى الشام وشمال افريقية أعجوبة من أعاجيب العصر ، بل إن اجتياز هـذه الصحارى فى عصرنا يعتبر عملاً من أعظم الأعمال الحربية

ولقد ذكرت بهذه المناسـبة ملاحظة غريبة أبداها المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون عن خواص الفتح العربى ، فقد عقد فى مقدمته فصلاً ذهب فيه إلى « أن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط » وأورد كعادته أمثلة وأسباباً ، ولـكنى أعتقد أن ابن خلدون غير محق فى ملاحظته ؛ ويكفى أن نذكر أن العرب افتتحوا هضاب فارس وأرمينية والأناضول والغرب ، وافتتحوا أسبانيا وتغلبوا على وعرها بأيسر أمر ، ثم اقتحموا جبال البرنيه الشامخة إلى فرنسا وافتتحوا ما وراءها من الهضاب والسهول ؛ ولم تكن هذه كلها من البسائط التى يعنيها ابن خلدون

* * *

هذه خواطر أثارتها فى نفسى زيارتى لسبتمانيا أو الرباط الأندلسى القديم ؛ ولقد قضيت فى تلك الربوع أياماً ؛ وكنت كلما وقفت بأحد هـذه المعاهد القديمة ارتد خيالى إلى ما قبل ألف ومائتى عام وتصورت العصر الاسلامى كله ماثلا أمام عينى بحوادثه ووقائعه الحافلة ، ومرت بذاكرتى أسماء عربية رنانة روت بدمائها تلك

الأرض: السمح بن مالك بطل موقعة تولوشة، عبد الرحمن الغافقي بطل موقعة بلاط الشهداء . . . . ولقد كنت في الواقع على سفر إلى الأندلس، وكنت أعتزم أن أتجول في ربوعها التي ما زالت تحمل ذكريات عزيزة للاسلام وآثاره، ولكن الثورة الاسبانية المشئومة حالت دون تحقيق هذا الأمل، فلبثت أياماً في سفح جبال البرنيه أرقب الحوادث وأنتظر سنوح الفرصة، ولكن شاء ربك أن يندلع لهيب الثورة في جميع أنحاء أسبانيا بصورة مروعة تحمل أشد المغامرين على الزهد في زيارتها

على أن الزمن كفيل بتحقيق الأمل، والصعاب تشحذ العزائم . وسوف أستعين بالله دائماً على المضي في مباحثي الأندلسية إلى أن يحقق أملي كاملاً في إخراج تاريخ العرب والاسلام في أسبانيا

فينا في ١٨ أغسطس **محمد عبد الله عنان**

# لَمَعَــات

## الى الفيلسوف الشاعر محمد اقبال

جواباً لكتابيه: «أسرار خودى» و «رموز بى خودى»

## للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

للصوفية فلسفة عالية في العالم والانسان والخالق، ولهم آراء حكيمة في الأخلاق والاجتماع . وقد صاغوا كثيرا من آرائهم في صور شعرية جميلة تجلى فيها القلب الانساني في أرق مداركه، وأسمى منازعه، وصوروا فيها خفايا النفس الانسانية

وفي العربية كثير من الشعر الصوفي مفرّق في الكتب . وفيها دواوين خصّت بهذا الضرب من الشعر، أسيرها ذكراً ديوان ابن الفارض، ودواوين ابن العربي، وديوان النابلسي

ولشعراء الفارسية المقام الأسمى في الشعر الصوفي، وقد حاكاهم فيه شعراء التركية والأردية . وأعظم شعراء الفارسية في هذا مجد الدين سنائي وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي، وهو زعيم شعراء الصوفية وفلاسفتهم جميعاً

— ٢ —

وكأن الله سبحانه أراد أن يبعث مولانا جلال الدين في هذا العصر مزوّداً بفلسفته وعلومه، إلى فلسفة الصوفية، وصفاء نفوسهم، فبعثه في صورة شاعر الاسلام وفيلسوفه محمد إقبال الهندي

ولاقبال منظومات كثيرة معظمها بالفارسية، وبعضها بالأردية، وقد ضمنها من الفلسفة والتصوف والأخلاق والاجتماع والسياسة ونقد المدنية ما يملأ القارىء إعجاباً . والرجل حرّ، يكره التقليد ويحذّر منه، فعقله وقلبه ظاهران في كل ما يكتب . ومن منظوماته كتابان سماهما «أسرار خودى» و «رموز بى خودى» أي أسرار الذاتية، ورموز اللاذاتية . ومدار البحث في الأول بيان أن العالم قائم على «الذاتية» وأن حياة الانسان بابراز ما أودع في فطرته من المواهب، وتقوية نفسه . ومدار البحث في الكتاب الثاني بيان ائتلاف الأفراد في الجماعة، وما تقوى به الجماعات . وقد شرح ذلك كله شرحاً مبيناً، وضرب الأمثال، واستشهد التاريخ، وسما إلى الدرجة العليا في الشعر

وقد ترجمت في مجلة (الرسالة) صفحات من هذين الكتابين، ومن ديوانه پيام مشرق الذي جعله الشاعر جواباً للشاعر الألماني جوته

— ٣ —

وقد بدا لي أن أنشر في (الرسالة) منظومة أهديها إلى إقبال، وأجعلها صدى لكتابيه المذكورين آنفاً

وأريد مع هذا أن أنهج بها في العربية نهجاً جديداً، وأجعلها مثالاً للمعاني السامية التي يتناولها الشعر إذا أطلق من عقاله، وحرّر من الموضوعات الضيقة التي اعتادها جمهور الشعراء، ولا سيما المعاني التي تكثر في أشعار الصوفية العظام . ثم أريد أن أجعلها مثالاً للقافية المزدوجة التي قصرها شعراء العربية على الرجز المشطور كما قصروا الرجز على نظم العلوم كالألفية والجوهر المكنون، والتاريخ كمنظومة ابن عبد ربه في أمراء بني أمية، والقصص ككتاب كليلة ودمنة، والصادح والباغم . وينبغي أن يسرى هذا الضرب من التقفية الى أبحر الشعر الأخرى حين تعالج الموضوعات الواسعة . فهذا الذي سنّى لشعراء الفارسية

وغيرهم أن ينظموا عشرات الآلاف من الأبيات فى قصة واحدة أو كتاب واحد

وقد اخترت وزن الرمل ليُسره وخفّته واقتداء بجلال الدين فى المثنوى ومحمد اقبال فى بعض كتبه ولا سيما أسرار خودى ورموز بى خودى

— ٤ —

ثم التفعيلة الثالثة فى الرمل تأتى تامة ( فاعلاتن ) ومقطوعة ( فاعلاتْ ) ومحذوفة ( فاعلا ) . والقافيـة المزدوجة تجعل كل شطرين متفقين فى الروى منفصلين بعض الانفصال عن غيرهما . فينبغى أن يسوّغ الجمع فى المنظومة الواحدة بين أبيات على فاعلاتن وأخرى على فاعلاتْ أو فاعلا تيسيرا للناظم . ولـكن الجمع بين فاعلا ، وفاعلاتْ حسن لا عيب فيـه لأن الحرف الأخير فى فاعلاتْ لا يأتى إلا بعد مدّ . وبهذا المدّ يتم الوزن فيأتى الحرف بعد المدّ نهايةً للصوت فلا يشـعر المنشد باختلاف النغمة بين فاعلا وفاعلاتْ . مثال هذا البيتان الآتيان :

رُبَّ معنى فى ضمير يكتَمُ ليس فى الناس عليه محرمُ
وقلوب رمسها هذى الصدور أترانى مسمعاً من فى القبورْ

البيت الأول بنى على فاعلا ، والثانى على فاعلات لـكن الراء فى كلمتى الصدور والقبور واقعتان بعد مد فتأتيان فى نهاية الصوت كأنهما لا تحسبان فى وزن البيت . وليس الأمر كذلك فى الجمع بين فاعلاتن وغيرها ، ففى البيتين الآتيين :

كان لى الليل مداداً فنفـدْ وطنى قلبى بمدّ بعد مدّ
جاشت الظلماء موجاً بعد موج وغزانى الوجد فوجاً بعد فوج

إذا سكَنت الجيم فى موج وفوج بنى البيت على فاعلاتْ فتجده قريباً جداً مما قبله . وإذا حركت الجيم بنى على فاعلاتن فيبعد عما قبله بعض البعد . فينبغى أن يجتهد الناظم ألا يجمع بين فاعلا أو فاعلاتْ وبين فاعلاتن فى منظومة واحـدة رعاية لانسجام النغمات

وإنى أدعو أدباء العربية الى العناية بهذا المثال الذى أقدمه فى المعانى والقوافى ليقبلوه على بينة أو يردوه بالحجـة . والله ولى التيسير

***

أيها الليـل إليك المفزعُ كم حنت منك علينا أضلع
كم خفينا فى غيابات الدجى وملأنا الليـل هماً وشجى
كم أَلِفتُ الليل أماً حانيه وكرهت النجم عيناً رانيه
كم ألفت الليل وحشاً راقبا فى شعاع الصبح سهماً صائبا
كم بثثت الليل سراً كتِما فوعاه الليل عنى ألما
كانت الظلماء لوحاً للألمْ خطّتْ الآهات فيه كالقلمْ
كان لى الليل مداداً فنفد وطنى قلبى بمدّ بعد مدّ
جاشت الظلماء موجاً بعد موجْ وغزانى الوجد فوجاً بعد فوجْ
فنيت هذى وهـذا زاخرُ وانجلت هذى ، وهذا غامرُ
خلتنى فى الليل جمراً سُعّرا. ونجوم الليل منـه شررا
إرَةٌ قد وقدت فى أضلعى[1] وسحاب هاطل من أدمعى

***

كنت سطراً لم يفسره أحدْ خطّه فى غيبه الله الصمد
فى ضميرى كل معنى مُنبَهِمْ. حرت فى الاعراب عنه بالكِلم
قد ثوى العالم فى قلبى وما خطَّ شىء فيه إلا الحرف «ما»[2]
جلّ قلبى أن أراه جامَ جم[3] صُور الأقطار فيـه تنتظم
إنما الأقطار فى قلبى العميدْ أحرف أوحت إلى معنى بعيد
ربّ معنى فى ضمير يكتَمُ ليس فى الناس عليه محرَمُ[4]
وقلوب رمسها هذى الصدورْ أترانى مسمعاً من فى القبور[5]
أنا فى الناس فصيح أعجمُ ناطق فيهم كأنى أبكم
صمّت الآذان عن هذا البيان ضاع فى ضوضائهم هذا الأذان
كيف يجدى القوم هذا النغمُ وعلى الآذان ران الصممُ ؟
كيف يجدى القدح فى هذا الحجر ؟ قلبه رخو خلىّ من شرر
إن خفق القلب قدح مُجهِدُ بعضه يورى وبعضٌ يصلد
كيف يجدى النفخ فى هذا الرمادْ طفىء الجمر ولم تور الزناد

( يتبع ) عبد الوهاب عزام

---

(١) الارة جبل النار
(٢) يعنى لم يكن العالم فى قلبه إلا نفياً
(٣) جام جم أو كأس جمشيد فى خرافات الفرس كأس كانت ترى فيها الأقاليم السبعة
(٤) المحرم هنا الأمين على السر كما يؤتمن المحرم من الأقارب على الحرمات
(٥) إشارة الى الآية : وما أنت بمسمع من فى القبور

# فن القصـة

## فى الأدب المصرى الحديث

[ تتمة ما نشر فى العدد الماضى ]

للأستاذ هلال أحمد شتا

ويلاحظ المتتبع لتاريخ القصة المصرية أن ثلاثة من كتابها الأفذاذ قد تنحوا عن الجهاد فى سبيلها أو كادوا ، وبقى واحد فرد يحاول ما يستطيعه الواحد الفرد . . فلقد أقبل هيكل على ميدان آخر يشحذ له قلمه وحسه ، هو ميدان الصحافة والبحث العلمى والدينى والسياسة ، وانهمك أبو حديد فى عمله التعليمى ودراساته التاريخية ، وذهب تيمور مذاهب أخرى فى الدراسة والأدب . . . ثم بقى المـازنى بعد ذلك يسير فى طريقه سيراً هادئاً ، ويخص القصة ببعض عنايته ، بقـدر ما تنحت أعماله الصحفية ، وما أفسحت لفنه من مجال قصير

ولقد كان هذا مما أوقف القصة المصرية العربية الناشـئة موقفاً نشفق منـه عليها ، وما زالت فى عهد الصبا تنشد الرعاية والعناية ؛ ولـكن فريقاً آخر من الشبان قد أقبـل يمد لها يداً مباركة نرجو أن تدفعها إلى عهد الشباب قوية سريعة الخطوات

ومن بين هذا الفريق ثلاثة نلمح فيهم اسـتعداداً كثيراً ، وفناً عزيزاً ، وهم : محمود البدوى ، وشوكت التونى ، وطاهر لاشين

فمحمود البدوى ، الذى عرفناه مترجماً للقصة الروسـية القصـيرة على صفحات الرسالة الغراء ، قد آنس فى نفسه قدرة على الـكتابة ألهبت شغفه وشحذت عزيمته ، فاذا هو يدفع إلى ميدان القصة كتابيه « الرحيل » و « رجل »

والذى يعرف البدوى فى هدوئه وصمته ، وبعده عن مجالات الأدباء والـكتاب ، قد يستولى عليـه عجب ، حين يرى اهتمام الـكتاب بأمر كتابيه وتهافتهم على نقدهما وبحثهما . . ولـكن الذى يعرف البدوى من ثنايا سطوره ، لا يرى عناء كبيراً فى أن يعرف الدافع الشريف الذى حمل هؤلاء الـكتاب على العناية بفنه وأدبه

وقد تتلمذ البدوى على المدرستين الروسية والانجليزية ، فكان مزاجا منهما معاً ، ثم أضاف الى ذلك شخصيته التى استقل بها ، فكان قصصياً موفقاً . وأميز صفاته أنه مخلص لفنه إخلاصاً شديداً حتى ليكاد يعجز عن أن يزاول سواه ، لأنه استغرق كل تفكيره واستبد بجميع جهوده ، وسيكون لنا منه من يسد فراغاً عزيزاً

وشوكت التونى قصصى موهوب ، وكاتب قادر ، غير أنه كاد يسىء الى فنه إساءة بالغة ، حين صمت عن الـكتابة صمتاً غير محمود ، متفرغاً لدراساته القانونيـة وقضاياه . . ولو لم يغمره — منذ قريب — نشاط أدبى نعرفه ، لفقده عالم القصة آسفاً أسفاً شديداً ، لأنه يعرف فيه ما يدفعه الى التشبث به .. وقد يمحو آثار صمته الطويل أنه أقبل اليوم قوياً بدراساته وميله بعد انقطاع عن الفن الذى يحبه ويقدسه .. وسوف لا نغفر له — بعد ذلك — صمتاً أو تحولاً . لأن الفن الذى فقـد رجاله أو كاد ، فى حاجة شديدة الى الشباب يشد أزره

وطاهر لاشين قصصى مصرى بديع التكوين ، قد بلغ بفنه وأدبه منزلة جليـلة ، ومجهوده فى سبيل القصة المصرية كبير ، وأسلوبه العربى سليم أنيق ، نقى البيان لا يحب الاسفاف ، ونأمل فيه خيراً كثيراً . . ونشكر له ما أسـدى . . وما سوف يسدى إن شاء الله

* * *

أولئك وهؤلاء هم المحسنون إلى القصة المصرية إحساناً محموداً الجديرون بالذكر والشكر والاعتراف بالجميل . . . ولـكن طائفة كبيرة ، غير محدودة ولا محصورة ، قد أقبلت منذ سنوات ترمى القصة المصرية العربية بالاساءة المرذولة ، وتفتح فيها فتحاً قذراً على أن يهلـكها ويحطمها تحطيماً . .

وهؤلاء الذين يتخذون من كتابة القصة تجارة ورزقاً ، ويسوقون إلى الميدان كل يوم عملاً جديداً ، قد فقد نتاجهم كل فن أو طرافة أو توفيق ، ولـكنه لم يفقد القراء أو الضالين من المتأدبين ، وهذه هى الاساءة التى تؤلمنا ألماً مراً وتحز فى صدورنا حزاً موجعاً . .

نعم . . فقد استطاع بعض هذا النفر ، أن يجعل من نتاجه المشوش مدرسة يسير تلاميذها على طريقته الملتوية التى لا تؤدى

إلى فلاح ، فأفسد بذلك الذوق الأدبي ونال منه ، وألحق بالفن خسراناً مبينا

والذى يقرأ اليوم هـذه القصص التجارية التى تحفل بها المجلات والكتب ، ناشداً منها تسلية أو اتلافاً للوقت ، لا شك يخرج من قراءته وقد خسر وقتاً حقيقاً بألا يعثر ويعبث به ، ويتأثر — بعد ذلك — بما قرأ تأثراً قد ينال من تفكيره ، وقلمه ، وذوقه جميعاً

ولسنا نقصد بالقصة التجارية القصة المترجمة وحسب ، بل إننا نقصد المترجمة والموضوعة على السواء ، لا بل ونعنى الموضوعة باهتمام خاص .. فلقد سار كتابها اليوم على طريق لا ندرى إلى أية هاوية تصل بهم وبقرائهم ، حين أدخلوا فى قصصهم نوعاً من الأسلوب نستطيع أن نسميه « أدبا خليعاً » ، وهو مزاج من العامية الرخوة ، والعربية المهدمة ، والفرنسية التى يتحدث بها خليعات النساء

هذه هى المحنة التى تهدد اليوم فن القصة فى مصر ، وأعترف أنى عاجز عن أن أصف لها دواء ، فلا أقل إذن من أن أدعو الأدباء والكتاب إلى أن يعلنوا عليها حرباً عواناً تقتلها أو تخرجها عن ميدان الأدب خاسرة ...

***

ولا يمنعنى هذا من أن أضع أمام أعين الشباب مثلا للقصصى كيف يكون ، عسى أن أبلغ بهذا الذى أقول أملا طالمـا نشدته وسعيت اليه ، وهو أن يقبل الشباب على ما يستأهل العناية ، وأن يعرض عما يصل بذوقه الفنى والأدبى إلى هاوية ليس لها من قرار ..

وأعتقد أن القصصى يجب أن يكون جامعاً لجوانب خمسة ، غير فاقد منها شيئاً

وأول هذه الجوانب : أن يكون عربى اللفظ والأسلوب ، أديباً قوى البيان مشحوذ القلم واللسان ، وأن يكون حريصاً على عربيته معتزا بها عاشقا لها أميناً عليها

وثانيها : أن يكون فناناً بطبعه موهوباً ، قادراً على تصور كل ما يحيط به وبأبطال قصصه من أجواء الطبيعة ومشاهدها وكل ما يغمر نفوسهم من شعور ، أو ينتابها من أحاسيس ، أو يتكون فيها من عواطف .. وكل ما يجول بأذهانهم من خواطر ، أو يحتدم فى صدورهم من رغبات

وثالثها : أن يكون على حظ من الثقافة موفور ، واسع الاطلاع مجرباً ، قد لمس بيديه كثيراً من الحقائق ، وأوغل بنفسه فى جوانب الحياة وحواشيها

ورابعها : أن يكون متنبه الحواس يقظاً ، مغذياً لميله الفنى ، سائراً فى ذلك على نهج قويم ، لأن الميل الطبيعى لا يورق ويؤتى ثماره بغير مران وتنمية ، والفن الجميل يقوم على عمادين من الدراسة والميل ، ولا يقوم على واحد منهما ..

وخامسها : أن يتميز بشخصية مستقلة ، وأن يكون ذا خيال واسع لا يضيق أمام قلمه وبيانه ، وما ينشدانه من بلوغ إلى بعض الحقائق ..

***

والقصة التى يكتبها كاتبها فى أسلوب عربى مبين ، والتى تحمل إلى قارئها صوراً صادقة — طبيعية ونفسية — والتى تترجم دقائق الحياة وبسائطها فترفع للذهن قطعة من صميم الوجود ، والتى يفيض من بين سطورها جمال يهز مشاعر عشاق الجمال ، والتى تنتصر فيها حقائق على حقائق ، هى القصة الكاملة التى نريدها . والتى نرجو أن يوفق إلى إخراجها منشئو الجيل الجديد ..

***

وبعد — فقد بلغت بحمد الله نهاية البحث ، بعد أن تراقصت أمام عينى الخواطر والأفكار ، وأرجو أن أكون قد ذهبت فيما قلت مذهباً حقاً ، لا يخاصم العرف الأدبى الذى كسبه الذوق الحديث من بلاغة أبناء العرب وتراثهم الفكرى ، ومن دراسات جديدة وفق فيها أبناء الغرب توفيقاً عظيما ..

وهذا تاريخ موجز للقصة المصرية العربية ، وما أثر فيها فأحسن إليها أو أساء إلى يومنا هذا .. فأما مستقبلها فأخشى أن يذهب بها إلى موضع لا يرضاه المصريون أو الشرقيون . وأرجو — من الأعماق — أن تجد القصة من يرفعها وينهض بها ، وهو أمر ليس باليسير ، وإنما يحتاج رجالاً أشداء عاملين مخلصين .. ولسنا — والحمد لله — فقراء من الرجال ..

هلال أحمد شتا
بسكرتيرية مجلس الشيوخ

# الخيـــال

## فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

الخيال – وهو القدرة على انتزاع شتى الصور من الواقع الشاهد واستحضارها فى الذهن فى أى وقت ، والتصرف فيها على مختلف الأشكال والأوضاع – عنصر من أهم عناصر الأدب مهما اختلفت أنصبة الأدباء منـه ، وهو أساس التشبيهات والمجازات ، ولولاه لالتزم الفكر الانسـانى الواقع المتحجر أيما التزام

وللخيال فى الأدب وظائف شتى : فالخيال الصحيح يعين الأديب على إبراز الحقائق بشتى الوسائل ، ويقدره على سبك موضوعه سبكا فنياً لا شذوذ فيه ، وعلى نبذ ما لا حاجة به اليه من تفصيلات قد تشوه ما هو بسبيله ، ويساعده على إضفاء ثوب من الجمال على ما ينشئ

وللخيال يد طولى فى الأدب الانجليزى ؛ فالأديب الانجليزى غزير العاطفة ، إذا جاشت أطلق لها العنان واسترسل مع خياله ، وأثار به منظر طبيعى أو غناء طائر أو ذكرى طارئة أو أثر من آثار الغابرين أو أسطورة من أساطيرهم ، أو غير هذا وذاك كله ، شتى الخيالات والأحلام والأطياف ، وتناهت به عاطفته إلى حدود الأمانى وآفاق المـاضى والمستقبل ، وهذا الاسترسال للخيال إذا أثارته فـكرة رئيسية هو مرجع وحدة القصـيدة فى الانجليزية

وهناك عدا هذا الخيال المنبث فى كل مناحى الأدب أغراض خاصة من الأدب قوامها وهيكلها الخيال ، يجمع أطرافها وينهض بكيانها ، ويوثق وشائجها ، وهذه هى الملاحم الطوال فى الشعر والقصص الممثلة أو المقروءة شعراً أو نثراً ، فنى هذه لا يلتزم الأديب الواقع المجرد ، بل يفترق عنه افتراقا جسيما ، ويصوغ من شتى أفكاره وتجاريبه وأمانيه عالماً يجيش بالحياة والحركة ، ويموج بالعواطف والنوازع ، ويفيض بالجمال والامتاع

والأدب الانجليزى حافل بهذه الضروب القائمة على أساس من التخيل المحض ؛ فهناك ملاحم ملتون وهاردى ، وفيها يستعرض كلٌّ من الشاعرين مشاغل عصره ويبحث آراءه وينفث لواعج نفسه ؛ ومن طبيعة أشعار الملاحم أنها تعج بالمردة والجبابرة والآلهة ، وتحفل بخوارق الأعمال وجسائم البطولة ، وهى على رغم هذا كله لا تخرج عن عالمنا الانسانى ولا تغفل النفس الانسانية ، بل تظل نوازع تلك النفس ومشاغلها هى الهدف الوحيد الذى يرمى اليه ناظموها ، إذ فيها يتخذ أولئك الأرباب والجبابرة طبائع الناس وميول الأفراد وإن فاقوا البشر قوة وعظما ، ومن هنا يتأتى للشاعر أن يبسط آراءه فى ميدان متسع وإلى مدى فسيح ، فالخيال هنا لا يعدو الحقيقة ، وإنما يوضحها أحسن توضيح ، فضلا عما يمتع النفس به من قصص متسق وجمال وجلال

وفى الأدب الانجليزى مالا يعد من قصص فى الشعر أو النثر ممثلة ومقروءة . وقوام القصة بطبيعتها الخيال ، وإن تراوح نصيبها منه ؛ فهناك القصص الواقعية التى تلتزم الحقيقة إلى أكبر حـد مستطاع وتصور المجتمع الحاضر تصويرا دقيقاً ، كقصص هاردى ودرامات جالزوردى ؛ وهناك القصص التى ترمى إلى أغوار المـاضى وتدور حول عظيم من رجال التاريخ أو الأساطير ، من طَمُـوح يبيع نفسه للشيطان ليعينه على مطامحه ، إلى دائن يتقاضى دينه من لحم غريمه ودمه ، كما فى روايات شكسبير ومارلو وغيرهما ؛ كما أن هناك القصص التى تتطاول إلى آفاق المستقبل ، وفارس هذه الحلبة ولز

هذه الأغراض والأوضاع التى سداها ولحمتها الخيال غير ظاهرة فى الأدب العربى : فلا قصص ولا ملاحم . والمقامات وأشباهها إذا زج بها فى هذا المجال بدت هزيلة عجفاء تدعو الى السخرية ، فأولى بها أن تظل حيث أراد كاتبوها وقصدوا بها من غرض بعيد عن القصص . والأثر الوحيد الذى يعتد به – بل يفتخر به – فى هذا الباب رسالة الغفران : ففيها من آثار الخيال ومتعاته ما لا نظير له فى الأدب كله . على رغم اكتظاظها بأخبار الأدباء ومسائل الأدب والنحو

وفضلاً عن انعدام هـذه الفنون الخاصة فان نصيب الأدب العربى عامة من الخيال ضئيل إذا قيس بنصيب الأدب الانجليزى

منه ، فالأديب العربى كان شـديد الحرص على الواقع يلزمه فى موضوعه وأفكاره ، شديد الاختصار فى مقاله وتعبيره عما يحس ، يعبر عن تلك الأفكار أشتاتاً كلما عنَّ له حافز الى الكتابة ، لا يدخر أفكاره ولا يربط منها حاضراً بماض ، بل يرسلها على السجية أبياتاً محكمة النسج موجزة البيان . فالفكرة التى تخطر للأديب الانجليزى فيحوك حولها قصـة تربط ما يتصل بها من أفكار ، وتنشئ حولها شتى الصور المنتزعة من الحياة ، يكتفى الأديب العربى بصوغها فى بيت شعر محكم يذهب مثلاً ثم « ينام ملء جفونه »

فكبح عنان الخيال هذا سبب انعدام القصص وكثرة الحكم والأمثـال فى الأدب العربى . وهو كذلك سبب توسط طول القصائد وعدم تراوحها بين الملاحم الطوال والمقطوعات الصغار ، ثم هو سبب اكتظاظها بالأفكار لا يربطها رباط جامع من خيال وثيق

ولا ترجع ندرة آثار الخيـال فى الأدب العربى إلى ضعف ملكته بين الشعوب العربية ، فان كثيراً من تلك الآثار تدوولت فى العامية دون الفصحى بين الشعوب الناطقة بالضاد ، وإنما ترجع تلك الندرة الى التقاليد الجامدة الشديدة التى تسلطت على الأدب العربى لظروف خاصة سبقت الاشارة إليها فى كلمات ماضية : من محاكاة للأدب القديم — وهو نادر آثار الخيال لأنه أدب بدائى — ومجانبة للآداب الأخرى ولا سيما الأدب الاغريقى

وليس أدل على أثر الثقافة الاغريقية فى تربية الخيال من أن اطلاع العرب على جمهورية أفلاطون حدا ببعض فلاسفتهم الى محاكاته فى تخيل الدولة المثلى ، فكان من ذلك « المدينة الفاضلة » و « حديث حى بن يقظان » وغيرهما ، مما هو داخل فى موضوع الفلسفة لا الأدب ، فلو درس العرب أدب الاغريق دراستهم لفلسفتهم لكان لذلك أثره المحتوم

فالأدب الاغريقى حافل بالخيال البعيد المرامى ، ملىء بالعوالم الزاخرة بشتى المظالم والمحاسن ، واغتراف الأدب الانجليزى من مناهله هو الذى أمده بفيض من الخيـال لا يفنى : وضّح أمامه مذاهب التخيل وأشكاله ، وأمده بالخرافات والأقاصيص العديدة تحاك حولها أعمال الخيال فى الشعر والنثر ، وتفعم بصور الجمال وترصع بالآراء النقدية والنظرات الثاقبة فى شؤون العالم وأحوال المجتمع ، وتلك لعمر الحق مادة الأدب وصميمه

أما الأدب العربى فظل الواقع قبلته والحاضر ديدنه ، وحين ضرب فى مرامى الخيال فى الغزل الاستهلالى والمكرمات المصطنعة ينسبونها الى الممدوحين والمرثيين إنما كان يفعل ذلك مطمئناً إنه يحذو حذو المتقدمين ولا يخرج عن الحدود المرسومة للأدب فى عهودهم ، فجاء ذلك الخيال غثاً ممجوجاً لا يتجاوز جانب الأوهام والتلفيقات الى جانب التعبير الصادق عن الحقيقة العميقة

وبينما أساغ الأدب العربى هذا الخيـال الغث المتكلف نبذ ضروب الخيال المطبوع الصادق الذى يمت الى الحياة والذى هو عماد القصة النثرية والشعرية ، فترفَّعَ عن ذلك تاركا إياه للعامة يروون به غلتهم ، تلك الغلة التى يشعر بها كل انسان وتنزع به الى القصص والى الخيال

فخرى أبو السعود

# ٦ - دانتى أليجييرى

### والكوميدية الالهية

## وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

### تتمــــــة البحث

---

### الأسراء والمعراج

اختلف المؤرخون ومفسرو القرآن الكريم فى هذه الأساطير الكثيرة التى زخرف بها كل من حادثى الأسراء والمعراج ، ولم يشأ الثقات منهم أن يتورطوا فى تصديق كل ما عُزِى الى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قاله ؛ ورجح بطلانَ هذه الأحاديث اختلافُ روايتها بالزيادة والنقصان فى مختلف كتب التفاسير والسِّيَر . وقد وقف منها الامامان — البخارى ومسلم — موقفاً حازماً فلم يُثبتا فى صحيحيهما إلا هـذا الحديث المشهور القصير الخاص بزيارة جبريل للنبى وركوبه (ص) البراق ثم الأسراء به فروره ببعض قوافل العرب ثم بلوغه بيت المقـدس ، فصلاته بالأنبياء ثمة ، فعروجه إلى السماء الأولى وفيهـا فلان النبى وإلى الثانية وفيها فلان ، حتى يبلغ سدرة المنتهى

ولعل أقدم المصادر التى أوردت زيادات على حديث البخارى ومسلم ، ويبدو عليها أثر شديد من الصنعة والتكلف ، هى سيرة ابن هشام التى نسج على منوالها كتاب السير الآخرون . وقد رفض صاحب الكشاف أن يثبت فى تفسيره شيئاً من تلك الزيادات ، ولكن مع الأسف الشديد ، تورط مفسرون أجلاء مثل الطبرى والألوسى وابن كثير وغيرهم فرووا كل ما وضع الوضّاعون وزخرف المبطلون من حواشٍ وتهاويل عن الأسراء والمعراج ثم تركوا كل ما رَوَوْا من غير ما تمحيص ولا تزييف ، فكان عملهم تزكيةً صامتة لهـذه الترهات التى لم تنفرج شفتا الرسول عن حرف واحد منها

ولقـد بدا لنا ونحن نقارن ما جاءت به أسطورة المعراج الموضوعة عمـا جاء فى كوميدية دانتى ؛ ولا سيما فى الجزء الخاص بجهنم فى كل منهما ، أن يكون هؤلاء الوضّاع قد سطوا على خيال دانتى نفسه فانتحلوه لحادث المعراج ، ورَوَوْا ، وليتبوأوا مقمدهم من النار ، عن الرسول الكريم هذا الحديث الطويل عن فئات المجرمين الذين رآهم يتعـذبون بمختلف ألوان العذاب فى دركات السعير ... خيـل إلينا أنهم سطوْا على دانتى ، ولكنا عدنا فوجدنا هؤلاء الوضاع يسبقون دانتى بمئات السنين ، فأسقط فى أيدينا ، وأوشكنا نقر القائلين بأن دانتى تأثر فى كوميدياه بأسطورة المعراج الملفقـة ، بعد إذ نفينا ذلك ، وهنا ، رأينا المخرج صـعباً ، وفى فشل البحث الذى أخذناه على عاتقنا هوان علينا ؛ ولكنا ما كدنا نلخص الجزء السادس من الأنيد للشاعر اللاتينى الخالد ڤرجيل حتى حصحصت الحقيقـة أمام أعيننا ، وحتى أيقنا أن كلا من دانتى ووُضّاع الأحاديث الملفقة عن حادث المعراج كَلٌّ على ڤرجيل وعيال على خياله الخصب وتصوُّرِه العميق

والمحققون من علماء المسلمين والمستشرقين على السواء على أن الترهات الكثيرة والزخارف الباطلة التى نقرؤها فى غضون كتب التفسير ( كالخازن وغيره ) هى إسرائيليات انتقلت إلى الاسلام باعتناق بعض اليهود لهذه الحنيفية الغراء ، فهم عند ما قرأوا فى القرآن أسماء أنبيائهم وبعض الحوادث المشهورة الواردة فى كتبهم راحوا من تلقاء أنفسهم يقصون قصصهم الاسرائيلية على أنها إسلاميات يقرها كتاب الله وحديث رسول الله ، ومن هنا هذا الهرج الكثير الذى دخل على القصص الاسلامى ، ومن هنا أيضاً ضياع الحقيقة بين ما قال الرسول الكريم وما لم يقل

على أننا لا ندرى لماذا يكون كل ما دخل على الرواية الاسلامية اسرائيليا ولا يكون أشمل من ذلك ؟ لم لا يكون هنديا مع من اعتنق الاسلام من الهنود ، ومصريا مع من اعتنق الاسلام من المصريين ، وفارسيا مع الفرس وأشوريا مع الأشوريين ويونانيا مع اليونان ، ثم لم لا يكون لاتينيا مع من اعتنق الاسـلام من أمم البحر الأبيض المتوسط ، وفيها أسبانيا وصقلية وجزر كثيرة من جزر هذا البحر ؟ !

لقد ازدهرت الثقافة الاسلاميـة فى فارس والعراق والشام

ومصر وتونس والمغرب والأندلس وصقلية ، بل هى كانت تمتد إلى أبعد من ذلك ، إذ أثبت المحققون أنها كانت تغزو فرنسا وسويسرا وبعض المدن الايطاليــة ، ولم تكن ثقافة إسلامية بحتة ، بل كانت خليطاً عجيباً من أشتات الثقافات ، كانت مزيجاً أقله إسلامى وأكثره محلى بحسب الأقليم الذى تتفشى فيــه .

ومن الارهاق أن تفرض الثقافة الاسلاميــة نفسها على الأمم المغزوة دون أن تتأثر هى بثقافات تلك الأمم ، ونحن نعلم أن رومة حينما فتحت أثينا عسكريا كانت أثينا تتوثب لفتح عدوتها ثقافيا ، وقد تم لهــا ذلك بأسهل مما تم الفتح العسكرى لرومة فأصبح الأثينيون أساتذة للرومان فى بضع سنين ، ولم يبدأ العصر الرومانى الذهبى بالفعل إلا بعد أن تلقحت أذهان الرومان بهــذا اللقاح اليونانى العجيب

والمسلمون أيضاً . فعصرهم الذهبى لم يكن عصر النبى صلى الله عليه وسلم ولا عصر الخليفتين أبى بكر وعمر ، ولا عصر معاوية أو عبد الملك بن مروان أو الوليد بن عبد الملك ، بل كان ذلك فى عصر هرون وابنــه المأمون فى الشرق ، وفى عصر عبد الرحمن الناصر فى الغرب . أما العصور الاسلامية قبل ذلك فقد كانت عصور دعوة وجهاد فى سبيل الله وتعليم المسلمين الجدد تعاليم الدين الجديد ، فلما استقر له الأمر فى البلاد المفتوحة جاء دور الحضارة وجاء دور التفكير الهادئ ، وجاء دور التلقيح للذهن الاسلامى بثقافات الأمم المختلفة التى دخلت زرافات فى دين الله ، فأثرت فى الآداب الاسلامية كما أثر الاسرائيليون سواء بسواء

وقد رجعنا الى عشرات من المصادر علنا نوفق الى أصــل لأحاديث المعراج الملفقة فى المائة سنة الهجرية الأولى فلم نهتد الى شىء منها ، وأكبر ظننا أنها لم تكن قد لفقت بعد ، وأكبر ظننا أيضاً أن الأمم اللاتينية لم تكن قد تحرشت بالمسلمين فى هذه الفترة ... أما بعد أن عرفت هــذه الأمم الاسلام والمسلمين فقــد راجت السير عن المسلمين وعن نبى المسلمين وعن الفتوح الاسلامية ، وقد ازدحمت هذه السير بالأخيلة الرائعة والقصص المتع الجميل الذى يستحيل أن يكون إسلاميا بحتا ، لأن نظرية رومة ( فتحت أثينا عسكريا وأثينا فتحت رومة ثقافيا ) لابد أن تنطبق على المدينة من جهة ، وعلى فارس والشام ومصر والأندلس من جهة أخرى . وما أشبه الرومان بالعرب وما أشبه الأعاجم بالأثينيين فى تلك العصور السحيقة المتقادمة !

ولسنا نزعم أن وضاع الأحاديث الملفقة عن حادث المعراج قد انتحلوا ما جاء فى الأنيد اعتباطاً ، بل هم انتحلوه كما فعل الاسرائيليون حينما انتحلوا كل ما جاء فى كتبهم أو أكثره فزودوا به القصص الاسلامى . وإن مقارنة سريعة بين الجزء السادس من أنيد ڤرچيل وبين الروايات التى نَسَّقها وجعل منها قصة المعراج العالم المسلم نجم الدين الغيطى (٩٩٩ هـ) [١] لتجعلك تتأكد صدق استنباطنا ، وتتفق معنا على أن الأدب اللاتينى ، ومنه أدب ڤرچيل ، قد صبغ ناحية هامة من الأدب الاسلامى لم تكن مزدهرة قبل ذلك . ولولا مخافة الأملال لسقنا لك هذه المقارنة ، فارجع أنت إلى الخلاصــة التى أعطيناكها فى العدد السابق للكتاب السادس من الأنيد ، ثم ارجع إلى سيرة ابن هشام أو تفسير الطبرى أو قصة المعراج لنجم الدين الغيطى تجد أننا لم نبالغ قط فى كلمة مما قلناه

## صور تأثر بها دانتى من القرآن الكريم

كانت هزائم المسيحيين المتوالية فى الحروب الصليبية والتى انتهت بفشل هذه الحرب تذكى نيران البغضاء والحنق فى قلب دانتى على الاسلام والمسلمين ، وقد رأينا كيف بلغ به عَتَهُهُ وضيق عطنه أن زج بالرسول صلى الله عليه وسلم وبابن عمه على وبالسلطان صلاح الدين فى جحيمه ، وكيف جعلهم مع الفجار وأهل الفسق والهرجين فى درك واحد . وليس معقولاً أن تنتهى هذه الحرب دون أن تكون لهــا نتائجها من احتكاك الأذهان بين الشرق والغرب ومن إلمام الغرب بشطر كبير عن الاسلام ونبى المسلمين وكتاب المسلمين ، والذى يتلو ما جاء فى السور المكية من نذير شديد وأوصاف ممتعة لجهنم ودركاتها لا سيما فى سور الأعراف والصافات والواقعة وجزء عم يروعه تأثر دانتى بالقرآن الكريم فيما ذكره فى الـ Inferno ( الجحيم ) ، فبرغم وثوقنا من أنه سار على درب ڤرچيل فى الجزء السادس من الأنيد فى هذا الجزء من كوميدياه إلا أننا ندهش لكثير من وجوه الشبه بين ما جاء فى جحيمه وما جاء فى القرآن من وصف جهنم وأهلها . ونحن

(١) طبعة بولاق منذ ستين سنة

نحيل القارئ هنا أيضاً على السور التي ذكرنا وعلى الملخص الذي عملناه لجحيم دانتي

ولا ريب أنه تأثر أيضاً بالقرآن الكريم في فردوسه ، ولكنه أثر غير عميق ، إذ كان ينهج في جنته منهاج فرجيل في الأنيد ، ويحسبنا ما قدمنا من خلاصات

## دانتي والأدب اليوناني

المشهور عن دانتي أنه لم يكن يعرف اليونانية ، ولكن هذا لم يمنعه من الاطلاع على الأدب اليوناني اطلاعاً وإن يكن أبتر قليل الغناء إلا أنه كان ذا أثر كبير في تكوينه الأدبي . ومما لا شك فيه أن دانتي قرأ ما قرأ من أدب اليونان في التراجم التي قام بها مواطنه الشاعر الكبير أوفيد Ovid تلك التراجم الخالدة التي حفظت لنا جانباً كبيراً من أساطير الأغريق وتراثهم الأدبي . ولعل رحلة هرقل ورحلة أرفيوس الموسيقي [1] إلى الدار الآخرة كانتا ذواتي أثر كبير أو قليل في دانتي حينما كتب كوميدياه ، ففيهما وصف بارع للجحيم نسج على منواله فرجيل في الأنيد

## دانتي ورؤيا يوحنا اللاهوتي والأدب المسيحي

وإذا كان دانتي قد تأثر بكل ما ذكرنا من هذه الآداب المتفرقة ، فما لا ريب فيه أنه تأثر بالأدب المسيحي عامة ، والعهد الجديد خاصة ، ونخص من العهد الجديد آخر أسفاره (رؤيا يوحنا اللاهوتي) ، فهي رؤيا جميلة حقاً ، وفيها من ألوان الخيال (الخيال الأدبي طبعاً) شيء كثير ، ونحسب أن دانتي قد اقتبس الفصل الخاص ببحيرته في جحيمه من نفس المنظر الخاص بالبحيرة في هذه الرؤيا ، بل نحسب أن الوضّاع الذين لفقوا أحاديث المعراج الموضوعة قد دسوا هذا المنظر في أسطورتهم من رؤيا يوحنا نفسها . بيد أنه ينبغي ألا نغالي في مقدار تأثر دانتي بهذه الرؤيا كما ذهب اليه بعض إخواننا من الأدباء المسيحيين بل ربما كان تأثر دانتي بأخيلة القرآن (نقصد دائماً معنى الكلمة الأدبي) أبعد مدى من تأثره بأخيلة الأنجيل ، لأن القرآن وصف جنة النعيم وشقاء الجحيم بما لا يسمو اليه خيال شاعر مهما تفنن وأبدع ، ولأن دانتي كان يرد بكوميدياه على أعدائه خاصة وأعداء المسيحية من المسلمين في زمانه عامة ، ولذا كان يحسب أنه يحارب بسلاح أعدائه

## خاتمة

هذا ما عن لنا أن نقول في دانتي وأبي العلاء ، وشتان بينهما ! شتان بين أعمى المعرة الساخر الملحد الفيلسوف المتفنن القانع بالعدس والفول والتين والخيار من لذائذ الدنيا الخائلة ، وبين دانتي السني المتدين المتعصب للكنيسة ولو أذلت رومة وطنه ووضعت أنف فلورنسا في التراب ، الساخط على مواطنيه لأنهم حرموه المناصب التي تدر عليه العسل واللبن ، المتبرم بزوجه ، الناقم على أطفاله ، المقلد لغيره في كل خطوة من قصيدته

ليس ضيرا إذن على أبي العلاء ألا يكون دانتي قد قلده ونسج على منواله ، بل الضير كل الضير هو في مقارنة قصيدة دانتي برسالة أبي العلاء ، فلقد كان دانتي عالة على فرجيل في الكوميدية الآلهية كما شهدنا ، ولكن أبا العلاء لم يكن عالة على أحد ، بل كان الشاعر ذا الخيال الخصب والفكر الجبار والقلب المتمرد على الأديان وما تقول به من جنة ونار . هذا ولا ننكر أن أبا العلاء كان خاضعاً في رسالته لتداعي المعاني كما ذكرنا في الكلمة الأولى من هذا البحث ؟

د . خ

(١) نكتفي بتوجيه القارئ إلى هاتين الأسطورتين إلى النصف الأول من السنة الثالثة في الرسالة خشية الاسهاب

# توكيد الذات

للأستاذ أديب عباسى

لمحت فى ذات صباح ، وأنا فى الشمس انفض عن نفسى بقية من ليل ، هرًّا مهزولا يسير متوجِّسا متسرِّقا على مقربة منى ؛ ولم يطل بهذا الهرّ ارتيابه وتوجُّسه ، وتحقق له سوء ظنِّه بكلاب الحى ، إذ لم يمض إلا قليلا حتى أقبل عليه من إحدى الجوادّ القريبة كلب بطِر شديد الجاب شديد العزم على أذيته ، كأن له ترة قديمة عنده وحسابا ينوى وفاءه

وأدرك هرّنا أىّ شىءٍ لا بدّ لاحقٌ به ، وأدرك كذلك أن الهرب ليس بمنجيه ولا مخلِّصه من هذا الذى أخذ عليه الطريق وسدّ المهرب . فاستدار فى الحال وازبأرّ وهرّ هريراً وأبدى عن أنيابه ، وأثار بالخصم بصره ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، وتنفَّش شعره ، وتقوّس ظهره ، وشال ذنبه ، ووقف يتحفز

ولم يفت كلبنا المعتدى مغزى ذلك جميعاً ، ووقف تلقاءه يرمقه ويروزه ببصره مليًّا ، حتى إذا بدا له أن الهجوم من الناحية الأمامية — وقد حصنتها مخالب مرهفة وأنياب حديدة — قد لا يخلو من خطر أكيد ؛ انفتل منسلاً كدأب الكلاب ، وباغته من الخلف مباغتة استطار لها لبُّه وانخلع قلبه . وأقبلت كلاب الحى تتعاوى من بعيد ومن قريب ، وكلها فى البغى والأثم سواء ، فكأنها وكأنه ما عناه الشاعر حين قال :

تكاثرت (الكلاب) على خراش فلا يدرى خراش ما (يصدُّ)

وهممت عندها أن أقوم وأنجد هرّنا المسكين وأذبّ عنه هذه العرجلة الباغية من الكلاب ، إلا أن هرّنا لم يدع لى لأتدخل ، وحلّ الاشكال بطريقة مسدَّدة من إلهام الطبع ، وهداية الغريزة ، واستعداد الفطرة ، إذ عمد إلى هذه الكلاب يستلُّ سخيمتها ويزيل شرَّها بالاستسلام لها والكف عن قتالها ، ولسان حاله يقول :

ولو كان « كلبا » واحدا لاحتملته
ولكنه « كلب » وثانٍ وثالث

ولم تنتظر الكلاب منه حركة كهذه ، فوجمت حيالة تفكر ماذا هى صانعة بعد الذى رأت من استسلامه وانقطاعه عن كل مظهر من مظاهر الخصومة والدفاع ، وكأن كلابنا فهمت عنه ما أراد وفطنت إلى مغزى حركته تلك ، وأدركت دلالتها ومعناها ، فابذعرَّت قانعة بما هيأ لها هرنا المغلوب من معانى الفوز والغلب ؛ وقام هرنا وسار لطيَّته يرهف سمعه ويقلب بصره ذات اليمين وذات الشمال ، ويُعدُّ نفسه مرة ثانية لتمثيل الدور نفسه إذا أحوجه الأمر

* * *

وفكرت ملياً فيما شهدت وطفقت أسائل نفسى : أنحن هنا أمام ظاهرة خاصة من ظواهر الحياة قاصرة على الكلاب وخلافها من ذوات الظفر والناب ، أم نحن أمام ظاهرة عامة شاملة من ظواهر الحياة تشمل الانسان والحيوان جميعاً ويخضع كافة الأحياء لحكمها وقيودها ؟

ولم يطل أمد الهجس والارتياب ، وأيقنت بعد القليل من التدبر أنها حالة عامة شاملة كأعم وأشمل ما تكونه حال من أحوال الحياة وظواهرها

ونسأل : ما تلك الظاهرة ، وما طبيعتها ؟ ولا نطيل فهى مما وصفنا ورأيت ما يمكن أن ندعوه « توكيد الذات » وإبراز الشخصية . فكلبنا المعتدى الأول لما هاجم الهرّ بلا عداوة سابقة أو حقد قديم ، إنما فعلها ليتثبت من قدرة نفسه وحدة أنيابه وقوة عضله ، وليؤكد لنفسه أنه ذو غلبة وبطش ، ومثله فى ذلك الكلاب الأخرى ، وعليه لما رأت الهر يتخاذل ويتنازل لها جميعاً عن كل حق من حقوق توكيد الذات غادرته ولم تؤذه

وأنت ترى مما أثبتنا هنا من عمل الكلاب أن هذا الدافع إلى توكيد الذات فى الحيوان دافع فطرى غريزى لايخرج بمجمله عن معنى القتال المباشر الذى تمارسه جميع الحيوانات على اختلاف طفيف بينها فى أساليبه وطرائقه

أما فى الانسان فيتخذ هذا الدافع من توكيد الذات وتقريرها شتى المظاهر ومختلف الأشكال والصور ، ولن تخطىء مظاهره — فى لون من ألوانه — فى الطفل واليافع والشاب والشيخ جميعاً والطفل يبدأ سلوكه يتأثر بهذا الدافع من العام الأول فى

عمره ، وكانا يعرف جيداً ما هى الأساليب التى يصطنعها الصغار ليتنبهوا إليهم الكبار ويستجلبوا رضاهم وتقديرهم ، ومن هنا كان الفهم الصحيح للطفولة يوجب على المربين الانتباه الشديد لهذا الدافع والانتفاع به فى توجيه الصغار توجيهاً صالحاً وتحريضهم على الاجادة والتبريز فى حدود إمكانهم وكفاياتهم . وفى الحق ليس أقتل لروح الطموح فى الطفل ولا أدعى لفشله من أن يغفل الآباء والمربون هذا الطور الدقيق فى حياة الطفل ويتركوه وشأنه بلا تشجيع ولا استحسان حيث يُستحقان ، أو يعكسوا الأمر عليه ويملأوا سمعه بالنقد ويقابلوا حماسته بالفتور وثقته من نفسه بالتشكيك والريبة . ولا نغالى إذا نحسب أن أكثر الفاشلين فى الحياة هم ممن كانت طفولتهم نزاعاً بين إهمال الوالدين وقسوة المحيط وبين ما ركِّب فى نفوسهم وغرس فى طباعهم من ميل جامح قوى لتأييد النفس وتوكيد الذات . وكم من طفل أعجزه أن يحوز رضى البيئة وتقدير الوالدين بأساليب مقبولة ووسائل سليمة ، فراح بعدها يصطنع أغرب الوسائل وأخطرها فى حاضر حياته وآتيها ، كأن يعمد إلى نفسه يؤذيها أذى بليغاً أو يعمد إلى الغير يؤذيه مثل ذلك الأذى ، أو كأن يعمد إلى الآنية يحطمها والثياب يمزقها ولسان حاله يقول : هوذا أنا أثبت كيانى وأؤكِّد اقتدارى و كفايتى بما ترون إن كان لا يعجبكم ولا ينبهكم الى إلاَّ مثل ما تشهدون

وليس من المتعذر أن تتصور حال مثل هذا الطفل ، إذ يشب ، كيف تكون . وليس من الصعب أن تتبين فى مثل هذه الأعمال الشاذة أولى بوادر الأجرام والخروج على النظام وأوضاع الاجتماع . يحكى أن افراد الشرطة فى أمريكا ألقوا القبض ، بعد لأى ، على لص خطير اعتاد أن يتصدَّى للقطارات ويسلبها ، واقتادوه إلى قاعة التحقيق . وبعد استجواب سيكولوجى دقيق دهش المحققون إذ استبان لهم أن هذا اللص كان فى طفولته وحداثته كأشد الناس حياءً وخجلاً . ولما سئل فيمَ إصراره على أعمال العنف والاجرام أجاب بأنه إنما يفعلها ليؤكد لنفسه أنه ليس من الحياء وخور العزيمة كالذى يحسُّ ويشعر

هذا ويجب ألاَّ يفوتنا أن معظم أنظمة التربية الحديثة مبنية على هذا الميل مستهدية به . فنظام الصفوف والمباريات والجوائز وما إليها من وسائل التحضيض والتشجيع تتهدَّى هذا الميل وتستغله . وليس من السهل أبداً أن تستبدل بهذا الدافع للعمل والاغراء به دافعاً آخر من ميول النفس وأهوائها

ويشب الطفل فيجد نفسه بين الأمر الواقع من جد الحياة وبين هذا الميل القوى الذى لا يغفل ولا يهادن ، ويجد نفسه بين المدد الذى لا يحصى من مثبِّطات العزم ومفترات السعى وبين ما أجِّج فى نفسه وغرس فى طبعه من حبِّ الغلب وشهوة الفوز وبروز الشخصية . فاذا أسعدته الهمَّة ولاءمته الظروف وسار سيرة ناجحة فى الحياة نشأ نشأة بعيدة إجمالاً من شذوذ الطبع وغرابة الخلق وما يصحبها من شذوذ العمل وانحراف السلوك . أما إذا عاندته الظروف وخانته الكفاية فهناك ما تشاء من شذوذ الطبع وغرابة السلوك . ولدينا صنوف وصنوف ممن ينشأون هذه النشأة الشاذة فى الحياة

فالمتقشفون هم إجمالاً نفر فشلوا فى الحياة بعد أن خوَّضوا فيها ، أو قدروا الفشل قبل ذلك ، فاختصروا على أنفسهم العمل ووقفوا فى أول جادة الحياة وبداءة السعى دون أن يحاولوا مضياً فى الطريق وزيادة فى السعى . لقد أعياهم أن يغلبوا بيئتهم ويتغلبوا على ضعفهم ، فانقلبوا على أنفسهم — وهى أهون شىء عليهم — وأحالوا عليها بالخصومة وأضووها بالحرمان وتعوَّضوا بخصومتها عن خصومة المحيط والأضداد من الخارج . ولسنا بالطبع نعزو إلى هذا العكس فى ميول الاستعلاء ورغبة البروز وتوكيد الذات جميع نماذج التقشف وإنكار الذات المشهودة ، إذ لا ريب أن من حوادث التقشف مالا يرجع فى بواعثه الى فشل المرء فى الحياة كالذى يُرى من تقشُّف أناس قد تهيَّأت لهم أسباب النجاح فى الحياة وذاقوا لذات الفوز والغلب ولكنهم مع ذلك آثروا حرمان الذات ومطاردة اللذات . على أننا نعود ونقرِّر أن معظم حوادث التقشف هى فى مجملها وسيلة العجز فى تقرير الشخصية وتوكيد الذات

والحسد — كذلك — تعبير صامت واتجاه سلبى معكوس لدافع توكيد الذات . والحسد ينشأ ويتأصل فى النفوس كلما تسامت مطالب المرء وبعدت غايته ثم أعجزته القدرة وعاكسه المحيط فلم يسم ، عملاً وواقعاً ، الى مستوى مطالبه . ومن هنا يحسب

الأخلاقيون وعلماء النفس أن الحسد ظاهرة عامة شاملة بين الناس إذ كان النجاح المطلق الذى يرضى عنـده المرء عن كل شىء فى الحياة مطلباً صعباً وغاية لا يسمو اليها جهد بشرى . ويخيل الينا أنه لو يسر لامرئ من الناس كل أمانيه ومهدت فى سبيله جميع الصعاب ودمثت جميع العقبات وأنيـل كافة ما تتشهاه النفوس وتصبو اليه ، لفـكر بجد وحرقة زائدة فى أن ينال كمنزلة الآلهة من خلود مطلق وعلم كامل وقدرة فائقة . ومرجع ذلك أن المرء بطبيعة تكوينه النفسى والفكرى مثالى يكره النقص أبداً ويتطلب المزيد والـكمال ، والـكمال لا حد له ولا انتهاء . وهذا لا ريب يفسر لنا لماذا ينسينا نجاحنا الـكبير نجاحنا الصغير ، ولماذا ينسينا فشلنا الأكبر أبداً فشلنا الأصغر

والرجل الحساس هو الآخر صنف خاص من الناس فشل فى أن يؤكد نفسه ويرغم المحيط على اعتبارها وتقـديرها بالقدر القائم له منها فى خياله ، فغدا — لذلك — سيء الظن بالناس كثير الارتياب لهم ، وصار لـكل حركة من حركاتهم معنى الاجتداء عليه والانتقاص له والزراية به ، وغدا — كذلك — قليل الاحتمال دائم النفرة سيء التقدير

ومثل الحسَّـاس — على اختلاف طفيف — الرجل الحيىّ . هذا اذا فشل فى توكيـد نفسه وتمييز شخصه ، قام فى وهمه أنه امرؤ لا يصلح للعمل ولا يقوى على الجهاد ، فانزوى منطوياً على نفسه عاكفاً على همومه مجترًا لآلامه . إلاَّ أن بينه وبين الحسَّـاس فرقَ أنَّ الحسَّـاس يعالن الناس غالباً بما يقـدِّر من سوء رأيهم فيه ويحتجُّ على ذلك ويدافع عن نفسه ، بينما الحيىُّ فى غالب أمره لا يفعل شيئاً من ذلك بل يتجرَّع آلامه صابراً متحاشياً ، بقدر الامكان ، أن يجئ والناس بسبيل واحد . ومرجع الفرق هنا الى أنَّ الحسَّـاس له رأى طيِّب فى نفسه بالاضافة الى ما يتصوَّر من سوء رأى الغير به ، بينما الحيىُّ يسيئ الظن بذاته ويعتقد أن الناس لهم فيه مثل رأيه فى نفسه

ينضاف الى هذه المظاهر المعكوسة من توكيد الذات مظهر آخر هو مظهر الاسراف فى الغرور وتقدير الذات . وهو ينشأ إذ يشبُّ المرء — لأسباب عدة من إساءَة التوجيـه — على اعتقاد قوى أنه امرؤٌ فوق الناس ، وأن من سخافة الأقدار وغفلة الزمان وجور البيئة أن يولد بين الناس ، يعيش كما يعيشون ، فيشقى كما يشـقون وينعم كما ينعمون ويكتفى من الأمانى والآمال بمثل مايتمنـون ويؤملون ، ويخيَّـل إليك كأنه عاتب على ربه الذى خلق من الناس غيره ! !

هـذا وقد يتخذ الغرور مظهراً آخر غير مظهره العام حده التشدُّق بالـكمال ونقـد الزمان والتبرُّم بالبيئة ، ويسير فى اتجاه معاكس أو موارب كالذى يُرى فى نفرٍ من الناس لم يستطيعوا أن يفرضوا أنفسهم على المحيط ولم يستطيعوا أن يجاهروا بكمالهم ويعالنوا الناس بكفاياتهم واقتدارهم ( كما يقدِّرون لأنفسهم ) ، فانقلبوا — لذلك — صنفاً متواضعاً من الناس لا يهمهم — ظاهراً فقط — أن يتلبَّسوا حالات زريَّة وينتقدوا أنفسهم على مشهد ومسمع من الناس . وقد تغشُّ غير الفطن مثلُ هـذه المظاهر حتى ليعتقد اللاحظ السطحى الذى لم يسبر غور الأمور أن هذه المظاهر تصدر عن عقيدة صادقة بالنفس وإخلاص فى التقدير . إلا أنها مظاهر — على كل حال — لا تخفى على المتبصِّر الذى لا يخدعه ظاهر الاخلاص وجودة التمثيل . يحكى أن سـقراط رأى فتى أثينياً موسراً يعتلى منصة الخطابة فى أسمال بالية وثياب مهلهلة ، فنظر فيه سقراط متفرِّساً زمناً ثم خاطبه بلهجة صارمة : أيها الأثينى الشاب ، إنى لأكاد أرى الغرور والـكبرياء ينزَّان من اهابك ، ويطلاَّن من وراء كل خرق ورقعة من ثيابك !

تلك بعض المظاهر المسرفة لدافع توكيـد الذات . وأما مظاهره الطبيعية التى لا إغراب فيها ولا شذوذ فتقع فى أشكال وألوان عديدة لا تقل عن مظاهر الشذوذ والغرابة

من ذلك هذا الميل العام الشامل لدى جميع الأمم والأجناس إلى التقسيم والتدريج وتأليف الطبقات يتميَّز بعضها من بعض ويعلو بعضها بعضاً ، ثم هذا السعى الدائب والاشرئباب الدائم من الناس إلى تغيير الأمكنة وتبـديل المنزل حيث يستحب التغيير والتبديل ، ثم ذلك الجمود على ذات الحال والحرص على البقاء فى ذات المنزلة حيث لا يُشتهى التغيير والانتقال . ولعله ما كان يتحوَّل أبناء الطبقة من الطبقات ولا يتزحزحون عن محلهم صعوداً ولا هبوطاً لو خلا الناس من حافز توكيد الذات والاستباق إلى الأمكنة العلية والمنازل البارزة

وكما يقع التزاحم على المنازل الرفيعة بين الطبقات يقع كذلك بين الأجناس والأمم والممالك والدول . ولعل دافعاً قوياً من دوافع

الحروب كان يزول لو زالت من النفوس رغبة الامتياز وهوى الاستعلاء.

وفى الناحية الفردية يظهر الميل إلى توكيد الذات توكيداً طبيعياً مقبولاً فى مظاهر عديدة ؛ منها رغبة التميز والتبذير فى الاكتشاف والاختراع والابداع الفنى والأدبى ؛ ومنها رغبة البروز والامتياز فى مجال الاقتصاد وجمع الثروة ؛ ومنها حب الغلب والانتصار فى ميادين الرياضة البدنية من محاضرة ومصارعة وملاكمة وخلافها ؛ ومنها — كذلك — حب الانتصار فى ميادين الرياضة العقلية والترويح عن النفس بالنكتة البارعة والفكاهة الطليقة والهزل المستجدّ ؛ ومنها حب التبرز والسمو فى ميادين القيادة الاجتماعية ؛ ومنها شهوة التغلب والقهر فى ميادين الحب والغزل ، ومنها خلاف هذا شىء كثير

فرغبة الامتياز وشهرة البروز فى ميادين العلم والاكتشاف والاختراع ، وفى ميدانى الابداع الفنى والأدبى ، هى فى أول دوافع الانشاء والابداع العلمى والفنى . وليست الرغبة فى الاختراع والاكتشاف ، وفى الابداع الفنى ناجمة فقط مما ركب فى النفوس من غرائز الاستغراب وحب الطرافة وما يكون من تسامى دوافع الغريزة الجنسية من مستواها الحسى إلى مستوى أعلى وأجلُ ، إنمـا هى ناجمة إلى حدٍ كبير ممـا رُكِّب فى الطباع من ميل قوى إلى تقرير الذات والتغلب على الصعاب والعقبات

وفى مجال جمع الثروة وحشد المال مظهرُ توكيد الذات ما تراه من عدم وقوف الناس فى جمع الثروة عند الحد الذى ييسر جميع مطالب العيش وأسباب الرفاه والدعة . فالمرء يعمل أولاً لرد غائلة الجوع وسد الحاجات الضرورية ، فاذا تيسر له مقدار من الثراء يحقّق له سدَّ الحاجة وطرد الفاقة انتقل حافز الانتاج من مجال الحسّ إلى مجال الشعور ، وغدا هدف الانتاج وتكثيره لذة التميز والانفراد بالشىء . ومن هنا قلما نرى ربَّـا من أرباب المال يعتريه الفتور والونـاء فى الجمع والانتاج ، لأن فى ذلك وسيلة صامتة يكاثر بها الأعداء ويراغم الخصوم ويدل على الأقران . وهـذا الدافع لا ريب يفسر لنا تفسيراً مقبولاً كثيراً من أنواع الاستملاك السخيف ، كشهوة جميع الطوابع وتواقيع العظماء ومخطوطات الكتاب ، وخلاف هذا مما لا قيمة له فى ذاته ، وإنما كل قيمته ما يشعر مالكه بلذة الانفراد بالشىء والامتياز عن النـاس ولو بالسخيف الذى لا قيمة له فى ذاته ولا وزن

وفى ميادين الرياضة البدنية من أثر هذا الدافع أن اللاعبين والمتثاقفين والمتحاضرين يقررون أشخاصهم ويؤكدون ذواتهم لدى النظارة والمشاهدين . ولولا ذلك لظلت الألعاب الرياضية ظاهرة فردية أكثر منها ظاهرة اجتماعية . وأنت تلمس أثر ذلك جيداً من الحماس الذى يستولى على قلوب اللاعبين كلمـا كثر عـدد المشاهدين وزاد تحريضهم وتحمسهم للاعبين . ولو كان ترويض الأجسام وحده هو المقصود من الألعاب الرياضية لاكتفى اللاعبون بملاعبة ذواتهم ومثاقفة أنفسهم وحسب

وفى ميدان الرياضة العقلية والترويح عن النفس بالنكتة والهزل يقع هذا الميل موقعاً أول . وما يؤلف من نكتة ويروج من نادرة ويذيع من فكاهة مرجعه فى الأصل ميل النفوس الى التسرية بالظهور والبروز والاستعلاء على الخصم المشهود أو الغائب . فنحن إذ نضحك من موضوع النـادرة أو الفكاهة ، إنما نضحك لأنها تضع لنـا شخصاً أو أشخاصاً موضماً غريباً ضعيفاً يثير فينا حس الاستعلاء والبراءَة من الغفلة أو الجهل أو البقاء . على أن النادرة — فى الأحوال الطبيعية — تعجز المعجز كله أن تستثير الضحك فينا إذا بلغ الضعف فى موضوعها حسَّ الاستعلاء ، ويثير بديلاً منه حسَّ الاشفاق والخشية أن يصيب هذا الموضوع شرٌّ أو أذى بليغ . ومن هنـا قد يصوِّر لك الكاتب صورة هزلية تستثير الضحك والابتسام ، ولـكنك لا يسعك إلا أن تجم وتـكف عن الابتسام والضحك متى بلغ كاتبك بموضوع هزله حداً مخطراً كأن يتعرَّض لخطر أكيد أو يضحى على حال تدعو إلى الاشـفاق والأسى ، ولن يعيدك إلى استشمار الغبطة والسرور إلا أن يعيد لك الكاتب موضوع هزله إلى مثل حاله الأولى التى لا تبلغ من القوة إضعاف حس الاستعلاء فيك ولا تبلغ من الضعف توليد حسَّ الاشفاق والأسى فى نفسـك

والميـل إلى توكيد الذات وما يستتبعه من شهوة البروز ورغبة الاستعلاء تعمل عملها الأكيد فى ميدان العمل الاجتماعى وفى مجال القيادة الاجتماعية ، إذ كان الانقياد وحب التعاون يستحيلان على الجمهور اذا لم يقم فيه القادة الذين يفرضون ذواتهم فرضاً على الناس ويقودونهم قيادة حازمة قوية الى حيث

يشاءون لهم من رفعة وخير وصلاح

وقد يستدرك القارىء هنا ويسأل : أيكون الميل الى توكيد الذات وشهوة البروز فى مجال القيادة والزعامة عامل خير ووسيلة صلاح فى ميادين العمل الاجتماعى ، ونحن نشهد من آثارهما هذا الميل المسرف والتكالب المزرى على أسباب البروز والرفعة فى ميادين الزعامة المختلفة ، وان يكن ذلك — فى كثير الأحيان — على حساب الأمانى العامة واهدار المصالح الكبرى للشعب ؟

ونجيب أن الميل إلى توكيد الذات عن طريق السيادة الاجتماعية ككل ميل آخر من ميول النفس يضحى أداة فاسدة ووسيلة هادمة إذا خبثت النفوس وأسفَّت الغاية ، وعلى أن فى يد الشعب — فى معظم أمره — القدرة على كبح هذا الميل وحصره ضمن حدود الصالح العام ، بما يداول من ثقته بين الزعماء والقادة وبما يشهِّر بالقيادة النفعية التاجرة وبما يوليها من المقت والمحاسبة الشديدة ، مما يقمع فى القيادة عواطف الأثرة وحب الانتهاز والاستغلال حيث يَهمُّ أن تبرز وتستعلن . ولا مراء فى أن الانتهاز والاستغلال عن طريق القيادة الاجتماعية يقلان فى شرقنا إجمالاً قلة مطردة بما تحدثه التربية من رفع مستوى التعليم والتنبه الفكرى وتعميق غور العواطف الاجتماعية

وأخيراً أثر هذا الميل فى ميدان الحب ، فنرى أن دافع توكيد الذات هذا يعمل عمله القوى فى طلب التنويع فى الحب وعدم الاكتفاء بحبيب واحد يقصر عليه الهم وينيط به القلب إلى آخر العمر . وذلك أن من الناس من يبلغ حسُّ الاستعلاء وشهوة الغلب ورغبة البروز عندهم مبلغاً يطغى عندهم على عاطفة الحب الصحيح فيغدو لا يهمهم من يحبون بقدر ما يهمهم كم من الخلق وقع فى حبائل حبهم ، فكأنهم بهذا يقيسون قدرتهم على الغلب والفوز فى ميادين الحب بعدد اللواتى يهمْنَ ذكرهم واستحوذت على قلوبهن صورهم

ونقف عند هذا الحد من التفصيل والتمثيل لهذا الميل فى أحواله الطبيعية والشاذة موقنين أن الاستقصاء التام والجلاء الكامل لجميع آثاره إنما هو استقصاء لأعظم حالات النفس أثراً مطبوعاً فى الخلق والسلوك وأشدها دافعاً وحافزاً على العمل ، وليس هذا المجال بمجال ذلك

أديب عباسى

من (الكتاب الذهبى) قبل أن يطبع

# لغة الأحكام والمرافعات

للأستاذ زكى عريبى

— ٤ —

## لغة المرافعة لغة التماس

ويجب ألا يغرب عن الذهن أن الترافع ملتمس ، فلغته يجب أن تكون لغة التماس يحوطها الاحترام الكلى للهيئة التى يترافع أمامها . قد يكون أغزر من سامعيه علماً وأظهر فضلاً ، وقد يكون كلامه لهم تعليما ، ولكن عبارته يجب أن تكون عبارة إكبار وإعظام

والاحترام والاكبار لا يقتضى التذلل ولا الضعة فى توجيه الخطاب . وشد ما أكره عبارة « سيدى البيه » يوجهها بعض الزملاء إلى قاض ليس « بيكا » ولا هو بحاجة إلى رتبة تخلع عليه على سبيل التأدب الزائد وقد يحمل خلعها على أنه زلفى وتقرب

## وفى الوقت عينه لغة جرأة

على أنه إن كانت لغة المرافعة لغة تعظيم وتوقير فهى فى الوقت عينه لغة عزة وجرأة . وقد روى التاريخ مواقف للمحامين رقوا فيها إلى درجة البطولة . انظر إلى ديسيز وقد دعاه لويس السادس عشر إلى الدفاع عنه أمام الجمعية التأسيسية فى وقت جمعت فيه هذه الهيئة فى يدها جميع السلطات ، وأصبح مجرد الاشارة إلى الملوكية جريمة . انظر إليه وهو يواجه هيئة ضمنها أمثال روبسبيير ودانتون ومارات . انظر إليه وهو يقرع أسماعهم وقلوبهم بهذا الخطاب الخالد

« أيها المواطنون : سأخاطبكم بلسان الرجل الحر . إنى أبحث بينكم عن قضاة فلا أجد غير متهمين

أتريدون أن تجعلوا من أنفسكم قضاة « للويس » وأنتم خصومه ؟ أتريدون أن تجلسوا للحكم فى قضية لويس ولكم فيها رأى يجوب أوروبا من أقصاها إلى أقصاها ؟

أيكون لويس الفرنسوى الوحيد الذى لا يحميه قانون ولا يتبع فى محاكمته إجراء واحد صحيح ؟

أيجرد من امتيازاته كملك ومن حقوقه كمواطن ؟

أيخذله القانون حاكما ومحكوماً ؟

يا له من مصير عجيب لا يتصور ! »

لقد ضربت أعناق كثيرة فى عهد الثورة لكلام أقل خطورة من هذا بما لا يقاس . ولكن لأعمال الجرأة روعة تهاب وتحترم ، فان التاريخ الذى حفظ هذه المرافعة الخالدة بين صحفه الذهبية . هذا التاريخ عينه يحدثنا بأن شعرة من رأس ديسيز لم تمس بسبب هذا الكلام الجرىء وأنه ترافع بعد ذلك أكثر من مرة فى أشد أوقات الثورة حلوكة وسوادا

## الاعتدال فى لغة المرافعات

وليس أزرى بالمرافعات ولا أضيع لبهجتها ولا أفل لسلاحها من سفه لغتها . إن عبارة قاذعة واحدة يرمى بها خصم كريم — أو غير كريم — لتكفى فى تنفير القاضى

وليس بعد النفرة تفويت للغرض الأصيل المقصود بالمرافعات وأقبح من رمى الخصم بما لا يحب جرح الزميل

صحيح أن المرافعة دفع وجذب ، ونادر هو المترافع الذى يملك زمام أعصابه فلا تجمح به حدة الدفاع ؛ ولكن المسألة مسألة مران ، وإنك لتدهش وقد عودت نفسك التزام حدود الاعتدال كيف يسمو موقفك ، وتعلو حجتك ويمتاز بيانك

## المرافعات فى مصر

بقيت كلمة كان يمكن أن تكون موضوع مقال خاص ، فلسنا نملك الاطالة فيها هنا ، وهى عن المرافعات فى مصر

لقد انقضى على انشاء المحاكم المختلطة نيف وستون عاما ، وأقل منها قليلاً على قيام المحاكم الأهلية ، وقد غلبت على الأولى اللغة الفرنسية ، وكانت العربية لغة الثانية منذ الانشاء وقبله

وقد زهت اللغة فى كلا القضاءين إلى حد يشهد لمصر بالتفوق البعيد

حضرت الأستاذين كاتسفليس وبادوا (وكلاهما شرق متمصر) يترافعان فى قضية قناة السويس . وكان إلى جانبى الأستاذ جرانمولان الناظر الأسبق لمدرسة الحقوق ، فهمس فى أذنى والأول مندفع فى بيانه الساحر : « لا تطمع أن تسمع خيرا من هذه الفرنسية من خيرة المترافعين أمام محكمة السين »

وفى المحاكم الأهلية سابقت لغة المرافعات الزمن فسبقته لقد وجد مداره مقاويل — على حد تعبير رئيس محكمة النقض — قبل أن تخطو اللغة العربية خطواتها الأخيرة الواسعة وجد (حسين صقر) ، و (اللقانى) ، و (نقولا توما) وغيرهم من بناة المجد فى زمن كانت المحاماة فيه مجرد اجتهاد

وثمة نموذج من هذا المجد الغابر تجده إلى اليوم قائماً بيننا فى شخص شيخ الجماعة وإمام الصناعة الأستاذ الأكبر ابراهيم الهلباوى بك

من ذا يستطيع إلى اليوم تحدى بديهته الوثابة ولغته الفكهة اللاذعة وسخره القتال ؟

ومن ذا الذى يستطيع أن ينسى سعد زغلول وأبا شادى من جبابرة ذلك العصر وكلاهما كان إلى الأمس القريب صداحا بأروع الأدب

وجاءت بعد هؤلاء طبقة هى فخر المحاماة بمعناها الصحيح وفخر أئمة العصر : أحمد لطفى بلغته السهلة الممتعة وعبد العزيز فهمى بقلمه ولسانه الجبارين يتصرفان فى المعنى وفى المبنى بما يريد ويشتهى . ووهيب دوس صاحب المنطق الجزل والديباجة الرشيقة والبيان المتدفق فى غير متعة ولا تزيد . ومرقس ! مرقس الذى لا يلحق ولا يدانى ، مرقس الجذاب الأخاذ ، المتغلغل بسامعه إلى الأعماق ، السامى به إلى السبع الطباق

كل من هؤلاء يستحق أن يدرس دراسة خاصة ، وأن يقدمه إلى الناس قلم غير هذا القلم ، وأن تقف عليه جهود لا تستطيعها هذه العجالة

وفى دراسة هؤلاء الفحول دراسة لناحية مجيدة من أدبنا القومى يجب ألا تهمل . وحسبك منا هنا الاشارة إلى آثارهم فى مختلف ألوان فنى الكلام القضائى مما لا يحصيه محص

## مرافعات النيابة

ومن الاجرام أن نغفل فى صدد الكلام على المرافعات فى مصر جهود القائمين بالدعوى العامة

لقد ضربوا فى فنى الكلام القضائى بسهم . ورقوا بالمرافعات الجنائية إلى عليين

من نذكر على سبيل المثال ؟

أثروت أم أبو السعود من المغيبين فى جوار الله ؟ الابراشى أم لبيب عطيه أم عمر عارف من الأحياء النابهين ؟

كلهم يصح أن يحتذى

اسمع ما يقول النائب العام الأسبق فى قضية الوردانى

« إن الوطنية التى يدعى الدفاع عنها بهذا السلاح المسموم لبراء من مثل هذا المنكر

إن الوطنية الصحيحة لا تحل فى قلب ملأته مبادىء تستحل اغتيال النفس . إن مثل هذه المبادئ مقوضة لكل اجتماع

وماذا يكون حال أمة إذا كانت حياة أولى الأمر فيها رهينة حكم متهوس يبيت ليله فيضطرب نومه وتكثر هواجسه فيصبح صباحه ويحمل سلاحه يفشاهم فى دار أعمالهم فيسقيهم كأس المنون ؟

ثم إذا سئل فى ذلك تبجح وقال إنما أخدم وطنى لأنى أعتقد أن مثلهم خائنون للبلاد ضارون بها : تباً لتلك المبادئ وسحقاً لها ! كيف يقوم لنظام قائمة مع تلك المبادئ الفاسدة ؟ إن مبادئ كل اجتماع ألا ينال إنسان جزاء على عمل مهما كان هـذا الجزاء صغيراً إلا عن يد قضاة اشترطت فيهم ضمانات قوية وبعـد أن يتمكن من الدفاع عن نفسه حتى ينتج الجزاء النتيجة الصالحـة التى وضع لها من حماية الاجتماع

فاذا كان هذا هو الشأن فى أقل جزاء يلحق بالنفس أو بالمال فما بالك بجزاء هو ازهاق الروح والحرمان من الحياة ؟

تلك مبادئ لا وجود لمجتمع إلا بها ولا سعادة له بدونها ، فالطمأنينة على المال والنفس هى أساس العمران ومن الدعائم التى ادعم عليها فى كل زمان ومكان ، ولـكن الوردانى له مذهب آخر فى الاجتماع ، فهو يضع نفسه موضع الحـكم على أعمال الرجال فما ارتضاه منها كان هو النافع ، وما لم يرتضه كان هو الضار . ويريد أيضاً أن يكون القاضى الذى يقدر الجزاء ثم يقضى به من غير معقب ولا راد

كل ذلك والأمر لم يتعد ارجاء صدره ولا يعلم ذلك المسكين الذى سينصب عليه هذا القضاء أنه على قيد شبر من الموت جزاء له على جناية لم يسأل عنها ولم يعلم من أمرها شيئاً

إن مثل هذا الحق لا يمكن أن يكون إلا لله سبحانه وتعالى المطلع على السرائر العليم بالنيات ، ومع ذلك فانه جل شأنه شرع الحساب قبل العقاب ؛ ثم إن هذا الحق لم يتطلع إليه أحد من العالمين حتى الأنبياء أنفسهم ، وقد أجمعت الشرائع على عصمتهم من الزلل والخطأ ، ولـكن الوردانى يريد أن يضع نفسه فوق كل الدرجات المتصورة لحاكم وحكم وقتل

إنى لترتعد فرائصى إذا تصورت منظر البلاد وقد نشأ فيها البلاء الأكبر بفشو تلك المبادئ القاضية »

واسمع ما يقوله النائب العام السابق خاتماً به مرافعته الرائعة فى قضية الفلال

« لقد أبنت مبلغ نذالة الجريمة ومدى شرها إذا هى وقعت على كار جليل المقام

أبنت ذلك بقدر ما فسح لى موقف النائب العمومى وأجازته الأمانة التى فى عنق

ولو أن المجال حر لقائل لسمعتم كل ما يتطلبه حزمكم وترضاه عدالتكم ، ولـكننى كما أسلفت مؤمن بفطنتكم ولى فيها كل الغناء على أن هناك أمراً أجل شأناً وأعظم خطراً لا أستطيع حمل ضميرى على كتمانه ، ولا عقد لسانى عن بيانه . هذا الأمر الخطير هو ما أشرت إليه فى صدر مرافعتى وألحت به عنـد حديثى عن الباعث الذى دفع المتهم إلى جنايته ، ذلك هو ولع التبطل وغواية الاستعظام ، وما أجملت فى جلسة الاحالة بأنه داء اجتماعى وبيل يهدد الحـكومات فى كيانها ويشل النظام من أساسه ، وأنه إن لم يؤخذ بيـد عسراء استفحل ضرره وعز اتقاء شره . نعم استفحل ضرره وعز اتقاء شره

ارسموا لأنفسكم بواسع خبرتـكم ونافذ بصيرتـكم حال البلاد وقد أصبح كل عظيم فيهـا هدفا لرأى شق تربعت فى نفسـه الشريرة هذه الأفـكار الخطرة ! تلك حال أستعيذ بالله منها

هى مضيعة للطمأنينة ومقتلة للنبوغ ومفسدة لنفس العاملين ؛ بل هى حفرة يتردى فيهـا إخلاص المخلصين ونشاط المجدين وإيمان الصالحين

أنتم قضاة الحق ولـكنكم أيضاً مربو الخلق . وكلمة العـدل التى بها تنطقون يتجاوب صداها فى نفوس ناشئة ونفوس ثائرة ونفوس فزعة خائرة . فاجعلوا حكمكم رسالة عدل وبلاغ عبرة وبشرى سلام

وإذا جنحتم إلى الرحمة فاشملوا بها النشء وقد أوشك أن يلتوى ، والبلاد وقد دب فيها ذاك الداء الوخيم

أنتم أطباء النفس كما أنتم قضاة العدل ، والطبيب البصير لا يتردد ولا ينى عند الضرورة الحاكمة ، والقاضى الحازم يهذب بالزجر الحكيم وهو فى زجره من الراحمين

وازنوا بين روعـة الرحمة ، وقد حلت بالبلاد وبالنشء وبين

# الحجاب فى الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى
من علماء الأزهر

— ٣ —

وقد عرف الاسلام أن إطلاقه الأمر للنساء فى ذلك قد يؤدى بهن إلى إساءة استعمال حقهن فيه ، فيضيق الرجال باساءة استعمالهن له ، ويعملون على التضييق عليهن وسلبهن إياه ، كما حدث ذلك بين المسلمين فآل بهم إلى هذا الحجاب المقوت الذى يحسب زوراً على الاسلام ، وكما يحدث الآن فى بعض البلاد الأوربية التى سئمت إسراف النساء فى السفور ، فأخذت تحد من حريتهن فيه ، وتضيق عليهن بعض التضييق

فلما عرف الاسلام هذا شرع للنساء فى الخروج من البيت والاختلاط بالرجال سنناً تصونها عن تلك الاساءة ، ولا تجعل للرجال عليهن سبيلا فى سلبهن ما أعطاه لهن من ذلك الحق . وليست تلك السنن من الحجاب فى شىء ، وإنما هى تنظيم لهذا الحق بين الرجل والمرأة

ومن تلك السنن ألا تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها ، لأن له حقوقاً عليها فى منزلها ، فلا يصح لها أن تخرج منه إلا إذا سمحت بذلك نفسه ، وليس له أن يمنعها من الخروج لحاجتها بعد قيامها بحاجاته

ومن تلك السنن ألا تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم لها . وقد ورد فى ذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم لها . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم . فقام رجل فقال يا رسول الله : إن امرأتى خرجت حاجَّة ، وإنى كتبت فى غزوة كذا وكذا ، قال : فانطلق فحج مع امرأتك

ومن تلك السنن تحريم الخلوة ، لأن فى اختلاء المرأة بالأجنبى مفاسد كثيرة ، وهى وسيلة من وسائل إغوائها ، ودفعها فى طرق لا ترضى الدين ولا الشرف . ولم يحرم الاسلام على المرأة الاختلاط بالأجانب مع وجود زوج أو محرم لها ، ليكون هذا الاختلاط بريئاً بعيداً عن الريبة ، وينحصر فى الأغراض الصحيحة التى تقصد منه ، كاستفادة علم أو أدب ، أو أنس بحديث ونحوه

ومن تلك السنن ألا يتبرجن عند خروجهن من بيوتهن ، ولا ينظرن إلى الرجال نظرات غير بريئة ، ولا يظهرن من أجسامهن ما لا حاجة إلى إظهاره ، وما إلى هذا مما جاء فى قوله تعالى من سورة النور : ( وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ) . وكما أمر النساء بالغض من أبصارهن فى هذه الآية أمر الرجال بالغض من أبصارهم فى الآية التى قبلها : ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون )

---

ضآلتها إن هى حلت بهذ المجرم العتيد ، ثم اقضوا قضاءكم والله معكم إنه نعم الهادى ونعم النصير »

تلك وايم الحق بلاغة ليس بعدها بلاغة . معنى حكيم فى لفظ سليم ، وفصيح عبارة فى أوجز إشارة

وتعال إن أردت تسريح الطرف فى خير ما تقع عليه العين من أدب فى قضية أدب إلى مرافعة عمر عارف فى دعوى القذف التى سبقت الاشارة إليها . اسمع ما مهد به هذا الأديب المتشح برداء النيابة لمرافعته القيمة :

« تعرض اليوم أمام القضاء قضية جنى فيها رجلان ينتسبان إلى الأدب على طهر الأدب عامة فى شخص مصرى له مكانه من العلم . ولو لم يكن إلا أنه محام نذر نفسه لنصرة الحق أمام شرف القضاء لكان ذلك من المنزلة فى الثقافة العلمية والفضل المشكور حسبه »

(يتبع)

زكى عريبى
المحامى أمام محكمة النقض والابرام

قال الفخر الرازى فى تفسـير ذلك : جميع بدن الحرة عورة ، ولا يجوز للرجل أن ينظر إلى شىء منـه إلا الوجه والـكفين ، لأنها تحتاج إلى كشفهما لأجل البيع والشراء والأخذ والعطاء . ولهذا لمـا نهى النساء أن يبدين زينتهن استثنى من ذلك ما ظهر منها . وقد قال القفال : إنه الوجه والـكفان . وألحق بعض الفقهاء بهما الذراعين والقدمين . ثم إن نظر الرجل إما أن يكون لغرض كنكاح أو معاملة ، وهو جائز بلا خلاف ، وإما أن يكون خالياً من الغرض ، فان كان بشهوة كان حراماً ، وإن لم يكن بشهوة كان جائزاً فى مذهب بعض الفقهاء . وقيل إنه لا يجوز ، ولـكن هذا لا يلزمه إلا وجوب غض البصر ، ولا يلزمه وجوب سـتر المرأة وجهها بنقاب ونحوه ، بدليل أن النظر إلى الأمرد بشهوة حرام ، ولم يقل أحد أنه يلزمه أن يستر وجهه ، لأن هذا حرام عليه لمـا فيه من التشبه بالنساء . وأظهر من هذا فى ذلك أن النظر بشهوة الى حيوان جميل أو صورة جميلة حرام أيضاً ، ولا يعقل أن يكلفا بهذا النقاب ، وإنما يحرم النظر بشهوة لمـا يصحبه من إرادة الفسق . فاذا كان مجرد استحسان خالياً من هذه الارادة الذميمة فانى أرى أنه ليس فيه شىء من الحرمة ، بشرط ألا يصحبه مايفعله رجالنا من التعريض القبيح إذا مر بهن النساء ، وتلك عادة ذميمة يجب على رجالنا أن يقلعوا عنها ، وأن يعنوا بجد الحياة بدل هذا الهزل والمزاح

فالمرأة المسلمة فى حل من هذا النقاب الذى يظن أنه فرض عليها فى دينها ، إذا شاءت سترت به وجهها ، وإذا شاءت تركت وجهها بلا نقاب ؛ ولا يطلب منها دينها الا أن تترك التبرج والتهتك والتزين بما يزيد على الحاجة ، أو يدعو الى الفتنة . ولا دلالة فى قوله تعالى : ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ) على وجوب هذا النقاب ، لأن سبب نزول هذا أن نساء الجاهلية كن يشددن خمرهن من خلفهن ، وكانت جيوبهن من قدام ، فـكانت نحورهن تنكشف ، وكذلك قلائدهن ، فأمرن بضربها على الجيوب لتغطى القلائد والنحور . ولا يعقل أن يراد من هذا تغطية الوجه أيضا بعد استثنائه فى قوله : (إلا ما ظهر منها)

ومما يحتج به لهذا النقاب قوله تعالى فى سورة الأحزاب : (يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما ) ، قيل فى تفسـير ذلك إنه كان رجال من الفساق يتعرضون فى الطرق للنساء ويتبعونهن ، فاذا لامهم الناس قالوا كنا نحسبهن إماء ، فنزلت هذه الآية باتخاذ الجلباب للحرائر ليعرفن من الاماء فلا يؤذين . وقد مر عمر بن الخطاب بجارية ذات نقاب فضربها وقال لها : أتتشبهين بالحرائر يا لـكاع !

وإنى أرى أن مثل هذا لا يصح أن يكون حجة على وجوب هذا النقاب ، وأرى أن قوله تعالى ( ذلك أدنى أن يعرفن ) ليس معناه أن يعرف أنهن حرائر ، لأن دفع هذا الأذى عن النساء واجب فى الاسلام بلا فرق بين الحرائر والاماء ، وإنما معنى هذا عندى أنهن يعرفن بأنهن عفيفات فلا يطمع فيهن الرجال

أما أن ذلك لا دلالة فيه على وجوب هذا النقاب فلأن هذه الصيغة ( يأيها النبى قل ) لا تدل على الوجوب ، لأن الأمر بالأمر بشىء لا يفيد وجوب هذا الشىء ، كما هو مذهب جمهور علماء الأصول ، ولأن قوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) يدل على أن هذا لا يقطع ذلك الأذى ، وإنما هو أقرب الى دفعه ، ومثل هذا لا يكون واجباً ، بل يكون مندوباً . على أنه قد اختلف فى إدناء هـذا الجلباب ، فقال ابن عباس : أمر نساء المؤمنين بذلك أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلاليب إلا عيناً واحـدة يبصرن بها الطريق . وقال الحسن : يكفى أن تغطى المرأة نصف وجهها . وقال قتادة يكفى أن تغطى معظمه

وإذا كانوا قد صاروا إلى هذا الخلاف فانا يمكننا أن نحمل إدناء الجلباب على ستر مالا يبدو عند الزينة ، لأن هذا قد استثنى استثناء صريحاً فى آية سورة النور السابقة ، وهذا هو الواجب فى الجمع بين الآيتين . وقد قيل إن الجلاليب الثياب ، لأن الجلباب يطاق لغة على الثوب والملحفة والخمار ، وهو فى الآية محتمل للثـلاثة ، فيكون معنى إدناء الجلباب أن يطلن أطرافه حتى لا يظهر منهن شىء غير الوجه والـكفين

وهذا هو حكم الاسلام فى الحجاب والنقاب ، وخلاصته أن يرى ترك أمرهما لحـكم العرف والعادة ، وما يرضاه كل من الرجل والمرأة على وجه يصونها من الفسـاد ، ويحفظ ما له عليها من حقوق

( تم البحث ) عبد المتعال الصعيدى

دين المتنبي

# ٢ - أبو الطيب المتنبي

للأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد

ومما يتصل بالكلام على دين أبي الطيب أنه لم يشرب الخمر إلا فى القليل النادر ، فليس هو من المدمنين الماجنين ، ولذلك لا تجد فى شعره شيئاً من المجون إلا أن يهجو فيقذع فى هجائه . وما لأبى الطيب والخمر ، وهى انما يشربها الغواة وذوو البطالة ، ومن لا مطمع لهم فى الحياة يسعون لتحقيقه ، فأما الرجل الذى يفكر فى المجد ويأمل أن يصل إلى ذروته ، فليس ممن يفكرون فى الخمر . حدثوا أن صديقاً لأبى الطيب كنيته أبو ضبيس سأله يوما أن يشرب معه فأجابه بقوله :

ألذ من المدام الخندريس ... وأحلى من معاطاة الكؤوس
معاطاة الصفائح والعوالى ... وإقحامى خميسا فى خميس
فموتى فى الوغى أربى لأنى ... رأيت الموت فى أرب النفوس
ولو أسقيتها بيدى كريم ... أسر به لكان أبا ضبيس

وهو ينادم اخوانه إذا شربوا الخمر ، فيشرب كأسا من الماء فقد قال له بعض بنى كلاب : أشرب هذه الكأس سرورا بك ، فأجابه بقوله :

إذا ما شربت الخمر صرفا مهنأ ... شربنا الذى من مثله شرب الكرم
ألا حبذا قوم نداماهم القنا ... يُسَقُّونها ريا وساقيهم العزم

ومد إنسان له يده بكأس من الخمر وحلف بالطلاق ليشربنها ، فقال :

وأخ لنا بعث الطلاق ألية ... لأعللن بهذه الخرطوم
فجعلت ردى عرسه كفارة ... عن شربها وشربت غير أثيم

وهذه احدى المرات التى شرب فيها الخمر ، ولم يصب حكم الشريعة فى قوله : « وشربت غير أثيم » ولكنها إحدى تظرفات الشعراء . ولعلها مع ذلك تدل على أن امتناعه عن الشرب فى غير هذه المرة لمخافة الاثم

## أخلاق أبى الطيب

سنتكلم فى هذه العجالة على أربع خلال كان لها أثر ظاهر فى حياة أبى الطيب وأخباره وشعره ، وهى : الشجاعة والكبر والبخل والغدر . فأما شجاعته فهى أظهر من أن تلتمس لها الشواهد ، فهو شجاع يحن شوقا إلى لقاء العدى ويستصغر المخاطر فى هذه السبيل ، ويستهين بما يكابد فيه من أهوال ، ولقد كان مسوقا إلى اقتحام الردى تدفعه إليه نفسه المتوثبة الطامحة وتغريه به آماله الجسام التى يحرص على إدراكها الحرص كله ، والتى يعتقد أن الوسيلة اليها هى التضحية وبذل النفس . وقد كانت فيه مع ذلك عجلة تشبه الرعونة نبتت فيه من تلهفه على بلوغ الغاية التى يصبو إليها حتى كان يخشى أن يعجل إليه الموت قبل بلوغها . أنظر اليه وهو يحدثك عن المجد الذى يتطلع اليه ويشير الى أن الحياة أضيق من أن تتسع لانتظاره

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها ... فمفترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقاً وقينة ... فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك فى الدنيا دوياً كأنما ... تداول سمع المرء أنمله العشر

ثم انظر إليه وهو يحدثك عن مطلبه ويصف لك أن إدراكه بعيد ويحضك على ألا تبالى بما تلقاه فى حياتك من الشدائد والمحن

أريد من زمنى ذا أن يبلغنى ... ما ليس يدركه من نفسه الزمن
لا تلق دهرك إلا غير مكترث ... مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ما سررت به ... ولا يرد عليك الفائت الحزن

ثم انظر إليه وهو يدلك على أن هناءة العيش وسعته وطيب الحياة وسائر ما فى الدنيا من متاع أمور لا تدرك إلا بحد السيف وخضرة ثوب العيش فى الخضرة التى

أرتك احمرار الموت فى مدرج النمل

وتراه لا يترك الحديث عن آماله وشجاعته حتى فى المواقف التى لا يحسن فيها الفخر ، ولقد كان مما اشتهر به شعره أنه يتحدث عن نفسه فى أثناء المديح والرثاء . استمع إليه وهو يقول لكافور :

فارم بى حيثما أردت فانى ... أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كا ... ن لسانى يرى من الشعراء

وهو مفتون بذلك منذ صباه ، ولا عجب فى ذلك فان كثيراً

من الناس تولد معهم الآمال فى طراءة السن وميعة الشباب ، وعصر أبى الطيب الصاخب الملىء بحوادث الانقلاب خليق بأن يثير فى نفسه لواعج الآمال ؛ قيل له وهو صبى « ما أحسن وفرتك » فأجاب :

لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعدة يعلها من كل وافى السبال

فأما الكبر فقد كان أبو الطيب مستكبراً تياهاً صلفاً يرى أن لا أحد مثله وأن أعلم أهل زمانه فدم وأحزمهم وغد ، وأن كل ما خلق الله وما لم يخلق حقير الى جانب عظمته كشعرة فى مفرقه. ولقد كان من آثار كبره أن ترفع عن مدح الوزير المهلبى والصاحب ابن عباد ، وحدثته نفسه أن يتأبى على عضد الدولة ، ولولا أن ابن العميد زين له الذهاب إليه وأغراه بما سينال لديه من التكرمة والمال لكان قد امتنع . ولقد جر على نفسه بهذا الترفع عداوة الوزير والصاحب وعداوة أشياعهما من الشعراء والكتاب والعلماء . فأما الوزير فقد أغرى به شعراء العراق يزدرونه وينالون من عرضه ويبالغون فى هجائه ، وأغرى به جماعة من العلماء منهم أبو الفرج صاحب كتاب الأغانى يتعقبونه ويشهرون به . وأما الصاحب فلم يسكته عنه علمه بمحاسنه وكثرة ما كان ينتفع بمعانيه ، بل أخذ يتتبع هفواته ويعد عليه سقطاته ويغرى به المترددين عليه الطامعين فى عطاياه ، وما أكثر هؤلاء !!!

ونحب أن ندل هنا على أمرين : الأول أن آثار كبر أبى الطيب وترفعه لم تظهر جلية واضحة إلا بعد أن اتصل بسيف الدولة ونبه شأنه . فأنت تراه قبل ذلك يمدح قوماً لا نباهة لهم ولا ذكر ، وتراه يمدح على أتفه العطايا ، وقد تنبه إلى ذلك أبو منصور الثعالبى فهو يقول : « وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصاد ما بين الكركى والعندليب » اه ، وأبو الطيب معذور فى ذلك فان سيف الدولة قد غمره بعطاياه حتى درت له أخلاف الدنيا ولقى فى جواره من الكرامة ما شجا حاسديه فكان خليقاً أن يقول فيه :

تركت السرى خلفى لمن قل ماله وأنعمت أفراسى بنعماك عسجدا
وقيدت نفسى فى هواك محبة ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا

الأمر الثانى : أنه قد اختلط على بعض الناس كثير من مواقف أبى الطيب فاعتبروها كبراً أو تكبراً وليست هى من الكبر فى شىء ، وإنما هى عزة النفس والاحتفاظ بالكرامة ، وتقدير المرء نفسه وإكرامه إياها من الكبر بالمكان النائى البعيد ؛ فليس لأحد أن يزعم أن من الكبر إنشاد أبى الطيب سيف الدولة وهو جالس واشتراطه عليه ألا يقبل الأرض بين يديه إلا أن يكون ممن تختلط الأخلاق فى أنظارهم فيرونها بغير المنظار الذى يراها به الناس ؛ وعسيت أن تسأل بعد ذلك أين ذهبت عزة نفسه حين أنشد كافور وهو واقف ؛ والجواب على ذلك أن ننبهك إلى أنه فارق سيف الدولة حانقاً متبرماً فلعل وقوفه بين يدى كافور وهو من أعداء سيف الدولة ليثير غيظه ، أو لعله أراد به مصانعة كافور لينال منه الذى وفد عليه من أجله . على أنه إن كان قد ترك معه ما جرت به عادته مع سيف الدولة فقد اتخذ لعزته لوناً آخر ، فقد كان يقف بين يديه وفى رجليه خفان وفى وسطه سيفه ومنطقته

فأما البخل فقد رماه الناس به وحكوا فى ذلك عنه أنه أحضر مالاً من صلات سيف الدولة وصب بين يديه على حصير قد افترشه ووزن وأعيد فى الكيس وإذا قطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت الحصيرة فأكب عليها ينقرها ويعالج استنقاذها ويشتغل بذلك عن جلسائه حتى إذا ظهر له بعضها تمثل بقول قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ولم يزل كذلك حتى استخرجها وأمر باعادتها الى مكانها من الكيس . وعجيب أن يكون بخيلاً ذلك الذى يقول

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى صنع الفقر

ولكنهم يروون عنه أنه قال : (إنى وجدت الناس لا يكرمون أحداً إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة ألف دينار فاعتمدت أن يكون عندى مثلها . فأنا أجد فى ذلك حتى يقول الناس إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار) اه . وإن يكن القوم صادقين وكان لأبى الطيب عذر فى حرصه على المال وفى ضنه أن تضيع منه قطعة كأصغر ما يكون فليس هو هذا العذر الذى نسبوه اليه ، وإنما عذره أن المجد الذى كانت نفسه تحدثه به فى حاجة الى المال وهذه إشارة نجتزئ بها فى هذا الموضوع

فأما الغدر فآيته أنك تراه كل يوم بين يدى ملك أو وزير وتراه كلما وقف بين يدى واحد منهم يمدحه بأنه أكرم الناس

# علم المتنبي باللغة والأدب ★

تصحيح كتاب المقصور والممدود — تعليقات على ديوان

للدكتور عبد الوهاب عزام

يعرف جمهور المتأدبين أبا الطيب شاعرا واسع المعرفة باللغة ، ولكنهم لا يعرفونه إماما من أئمة اللغة فى القرن الرابع كما يتبين فيما يلى :

قدمت فى الكلام على نشأة أبى الطيب أنه درس اللغة والأدب ، وأثبتّ رواية تتضمن أنه لقى جماعة من كبار الأدباء فى عصره ، ولكن هذه الرواية على ما أظهرتُـه من الوهن فى بعض نواحيها لم تبين كم طلب اللغة والأدب على هؤلاء الشيوخ ولا كيف طلب . وقد بينت آنفا أن رحيل الشاعر إلى الشام كان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة وهو فى سن الثامنة عشرة

وما روى لنا أنه طلب الأدب على أحد فى الشام إلا قول الثعالبى إن أباه رحل به إلى الشام فلم يزل يردده فى مكاتبها الخ[(1)]

وجائز أن يكون الشاب المتوقد ذكاء قد درس الأدب واللغة على بعض أدباء الشام أيضا

والذى لا ريب فيه أن أبا الطيب بلغ من العلم باللغة وغريبها وشواهدها ولقن عن أهل البادية منها ما لا نعلمه لشاعر آخر من شعرائنا ؛ وقد بلغ فى هذا أن عدّ فى عصره من علماء اللغة ، وأن غلب الشعر عليه

واثبات هذه الدعوى على النسق الآتى :

١ — رويت لنا حوادث وأقوال متفرقة تبين عن اشتهاره بمعرفة اللغة وتعرب عن رأى معاصريه فيه :

قال ابن الانبارى : « ويحكى أن أبا الطيب اجتمع هو وأبو على الفارسى ، فقال له أبو على : كم جاء من الجموع على وزن فِعلى ؟ فقال : حجلى وظربى ، جمع حَجَل وظَرِبان . قال أبو على : فسهرت تلك الليلة ألتمس لهما ثالثا فلم أجد . وقال فى حقه « ما رأيت رجلا فى معناه مثله . » وهذه الجملة الأخيرة ذكرها ابن جنى فى مقدمة شرحه الديوان ، وقال : «ولو لم يكن له من الفضيلة إلا قول أبى على هذا فيه لكفاه . لأن أبا علىّ ، على جلالة قدره فى العلم ونباهة محله واقتدائه بسنة ذوى الفضل من قبله ، لم يكن ليطلق عليه هذا القول إلا وهو مستحق له عنده »

فسؤال أبى على أبا الطيب هذا السؤال دليل على أنه لفت الناس اليه بسعة معرفته باللغة ، ثم شهادته له دليل آخر

ولما وقع الجدل بين أبى الطيب اللغوى وابن خالويه فى اللغة بحضرة سيف الدولة ، قال الأمير : ألا تتكلم يا أبا الطيب ؟ فتكلم ونصر أبا الطيب اللغوى على ابن خالويه[(1)] . فسؤال سيف الدولة أبا الطيب أن يتكلم فى أمر يتجادل فيه اثنان من اللغويين دليل على عدّه من علماء اللغة

ولما دخل على الوزير المهلبى فى بغداد أنشد بعض الحاضرين وفيهم أبو الفرج الأصفهانى هذا البيت :

سقى الله أمواها عرفت مكانها جُراباً وملكوماً وبذّر فالغمرا

فقال أبو الطيب : هو جرابا ، وهذه أمكنة قتلتها علما ؛ وإنما الخطأ وقع من النقلة[(2)]

---

★ من كتاب « ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام » للدكتور عزام الذى طبع فى بغداد ويطلب فى مصر من لجنة التأليف والترجمة والنشر

(١) انظر ص ٤٥

(١) انظر ص ١٢٦ (٢) انظر ص ٢٢١

---

وأشجع الناس وخير الناس ؛ وقد يتجاوز ذلك الى التعريض بمن مدحه من قبل ، وقد يتجاوز التعريض والتلويح الى التصريح ، ثم قد يتجاوز ذلك كله الى الهجاء ، اسمع اليه يقول لسيف الدولة :

وحاشى لارتياحك أن يبارى وللكرم الذى لك أن يباقى
ولكنا نداعب منك قرما تراجعت القروم له حقاقا

فانه لم يكتف بأن جعل ارتياحه للبذل لا يباريه ارتياح ، وكرمه لا يطاوله فى البقاء كرم ، حتى جعله سيداً خلا وجعل الناس فى موازنته حقاقاً ، فلما وفد على كافور كان فى أول قصيدة قالها له قوله :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

(يتبع) محمد محيي الدين عبد الحميد

المدرس بكلية اللغة العربية

وقد حكى الحاتمى أنه ناظر أبا الطيب ببغداد فلم يقتصر على مناظرته فى الشعر، بل ناظره فى اللغة أيضا. وحكى أن أبا الطيب قال له اللغة مسلّمة لك، فقال: وكيف تسلمها وأنت أبو عذرتها وأولى الناس بها، وأعرفهم باشتقاقها، والكلام على أفانينها، وما أحد أولى بأن يسأل عن غريبها منك[1]

وفى هذا برهان على اشتهار أبى الطيب بمعرفة اللغة ولو كان كلام الحاتمى تهكما وسخرية أو كانت قصته كذبا

ولما نزل عند ابن العميد فى أرّجان قرأ عليه كتابا جمعه فى اللغة. قال فى الايضاح: «وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه»[2]

وقال الخالديان: «كان أبو الطيب المتنبى كثير الرواية، جيد النقد... وكان من المكثرين فى نقل اللغة والمطلعين على غريبها، ولا يسأل عن شىء إلا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر». وقال صاحب الايضاح: «وجملة القول فيه أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر»[3]

وقال ابن جنى: «ولقد كان من الجد فيما يعانيه، ولزوم أهل العلم فيما يقوله ويحكيه، على أسد وتيرة، وأحسن سيرة»

٢ — وقد أرنا بعض كلامه فى اللغة، وذلك قسمان مجادلته ابن جنى فى مسائل عرضت أثناء قراءة الديوان عليه، وحسبك بمن يناظر فى اللغة والصرف ابن جنى امام اهل العربية فى التصريف، ثم يشهد له ابن جنى الشهادة السالفة، وعندنا من هذه المجادلات أمثلة

والثانى ما أملاه أبو الطيب نفسه شرحا لبعض شعره. وقد عثرت على نسختين من الديوان فيهما كثير من هذا الشرح، وفيه من التبيين وإيراد الشواهد ونسبة الأقوال إلى أصحابها ما يشعر القارئ أنه يقرأ لأحد أئمة اللغة

وأنقل هنا مثالين من إملائه على بعض أبيات ديوانه تبصرة للقارئ. جاء فى شرح البيت:

أحاد أم سُداس فى أُحاد … لييلتنا المنوطـــة بالتناد:

« قال أبو الطيب: يقال أُحاد وثناء وثلاث ورباع إلى عشار فى المؤنث والمذكر غير مصروف، والفراء يصرفها إذا جعلها نكرات، وكل ما لا ينصرف من الأسماء يصرف فى الشعر، لأن الصرف الأصل. وهذا الذى ينسب اليه فى العدد فيقال ثنائى وثلاثى ورباعى وخماسى إلى عشارى. قال أبو النجم:

فوق الخماسى قليـــلا بفضله … أدرك عقـــلا والرهان عمله

وأنشد:

ضربت خماس ضربة عبشمى … أدار ســـداس ألا يستقيما

وللكميت:

فلم يستريثوك حتى رمـ … ـيت فوق الرجال خصالا عُشارا

والهذلى:

يصيّد أُحدان الرجال وإن يجد … ثُناءهم يفرج بهم ثم يزدد

وأنشدنى:

أحمَّ الله ذلك من لقاء … أُحاد أُحاد فى شهر حلال

وحكى ابن السكيت عن أبى عمرو: ادخلوا موحد موحد ومثنى مثنى ومثلث مثلث ومربع مربع وكذلك إلى العشرة. وكذلك ادخلوا أُحاد أُحاد وثناء ثناء وثلاث ثلاث ورباع رباع إلى العشرة. قال على (يعنى ابن حمزة راوية أبى الطيب) وقال أبو الطيب: وكان أبو حاتم تبع أبا عبيدة فى قوله فى كتاب المذكر والمؤنث: «ورباع رباع. ولا نعلمهم قالوا فوق ذلك» ثم رجع عنه فقال فى كتاب الابل: «ورباع إلى العشرة»

قال أبو الطيب: وأما لييلتنا فتصغير تعظيم كقول لبيد

وكل أناس سوف تدخل بينهم … دويهية تصفرّ منها الأنامل

الرواية التى أعرفها خويخته. وكذا أنشده المبرد واليزيدى وثعلب وأنشدنيه المتنبى دويهية (هذا من قول على ابن حمزة) وقال الأنصارى: أنا جُذَيلها المحكك، وعُذَيقها المرجب، قال: وتصغير الأسماء على هذا المعنى كقولهم كليب وعمير. قال وما يروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه: أنا هوى ومنى سلاحى فصغره

والتنادى، أراد التنادى بالرحيل». اهـ

وفى شرح البيت:

إذا عرضت حاج إليه فنفسه … إلى نفسه فيها شفيع مشفع

قال أبو الطيب: يقال حاجة وحاج وحاجات وحِوَج،

(١) ياقوت: الحاتمى والصبح ص ٧٩
(٢) الخزانة ج ١ ص ٣٨٦
(٣) الصبح ص ٨٠ والخزانة ص ٣٨٩

وعلى غير القياس حوائج . وتقول العرب : فى نفسى منه حوجاء أى حاجة ، وأنشد :

ألا ليت شوقا بالكناسة لم يكن  اليها لحاج المسلمين طريق

وقال آخر :

لعمرى لقد لبّثتنى عن صحابتى  وعن حِوَجٍ قضاؤها من شفائيا

وأنشد لامرئ القيس :

لتقضى حاجات الفؤاد المعذب

وأنشد الفراء :

نهار المرء أمثل حين يقضى  حوائجه من الليل الطويل

وزعم الأصمعى أن حوائج مولدة . قال أبو الطيب : وهى كثيرة على ألسن العرب خرجت عن القياس . قال البصرى (على بن حمزة) وأنشدنى أبو الطيب للشماخ :

تقطع بيننا الحاجات إلا  حوائج يعتسفن مع الجرىّ

قال : حوائج جمع حائجة على القياس وهو صحيح . وقد ذكر ذلك ابن دريد فقال حاجة وحائجة وحوجاء » . اه

ذلكم مثال مما أملاه الشاعر على رواة ديوانه . وانى لراج أن ييسر الله لى عما قليل طبع الديوان مجرداً من كل شرح إلا أمالى الشاعر والمقدمات التاريخية التى تصدّر بها بعض القصائد وأحسبها من إملاء الشاعر كذلك

٣ — وقد قرئ على أبى الطيب فى مصر كتاب المقصور والممدود لأبى العباس بن ولاد فصححه وأخذ على مؤلفه غلطات ، وقد عثرت على رسالة اسمها « التنبيهات على مقصور ابن ولاد النحوى » جاء فى مقدمتها :

« قال أبو القاسم : وكان هــذا الكتاب أعنى المقصور والممدود قرئ على أبى الطيب بمصر سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، فردّ فيه على ابن ولاد أغلاطاً وبينها ، واستشهد عند بعضها ، فجمع رد أبى الطيب وشواهده بعض المصريين وادّعاه لنفسه بعد خروج أبى الطيب من مصر ، وأضاف اليها أشياء من عنده غلط فيها هو وأشياء أصاب فيها . وكان هذا المدعى سمع هذا الكتاب وغيره من ابن ولاد وعنه سمعته ، وهذا المدعى يعرف بأبى الحسين المهلبى ، فاذا مرّ من تلك الأغلاط والشواهد شىء فى كتابنا عزوناه إلى مستحقه وبيناه إن شاء الله » ...

وقد قرأت كتاب التنبيهات على مقصــور ابن ولاد وهو كتاب صغير فجمعت ما نسبه المؤلف إلى أبى الطيب من الرد على ابن ولاد وأثبته هنا :

« وقال ابن ولاد فى باب الشين : وذكر عن أبى عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمرو أنهما قالا الشِّذو لون المسك ، قال الشاعر :

إن لك الفضل على صحبتى  والمسك قد يستصحب الرامكا

حتى يعود الشذو من لونه  أسود مضنونا به حالكا

وهذا ما أخذه عليه المتنبي قبلنا فقال هو الشَّذو . وقد أصاب المتنبىْ وغلط ابن ولاد فى فتحه

وقال ابن ولاد فى هــذا الباب (باب الطاء) : والطُرق فى النسب من قولهم الطُرق والقُعدى فالطُرق أبعدهما نسباً والقعدى أدناهما نسباً

وهذا ما أخذه عليه المتنبى قبلنا فقال الصواب الطرف بالفاء . وقال ابن الأعرابىّ يقال فلان أقعد من فلان أى أقل آباء وأطرف من فلان أى أكثر آباء . وهو مأخوذ من الطرف وهو البعد . وقال الأصمعى يقال فلان بين الطرافة إذا كان كثير الآباء إلى الجدّ الأكبر . وهو عندهم مدح كما قال الشاعر :

طرفون لا يرثون سهم القُعدُدِ(١)

وهــذا الذى حكاه المتنبى مشهور معروف من قول ابن الأعرابى والأصمعى (وهو) الصحيح . وقد ادعى هذا الرد ابن الملتقط (يريد أبا الحسن المهلبى) وكذب فى ادعائه وهو من رد المتنبى

وقال ابن ولاد فى هذا الباب (باب الغين) غضيى مائة من الابل معروفة كقولك هنيدة وأنشد :

ومستخلف من بعد غضبى صُريمَة

فأحربه لطول فقــر وأحربا

وهــذا ما رواه المتنبى فادعاه ابن المنبوذ (يريد المهلبى أيضاً) فقال الذى رواه أبو العباس (ابن ولاد) غضبى بالنون . وهو خطأ إنمــا هو غضيى بالياء . وهذا صحيح »

ذلكم أبو الطيب فى علمه باللغة وشواهدها ونحوها وصرفها ... الخ الخ

عبد الوهاب عزام

(١) هو لأبى وجزة . وصدره : أمرون (بكسر الميم) ولا دون كل سميدع

# يا ضــــوء

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

تضىء ما يستر الظلام من الـ ... قبح وتكسوه حُلَّة البدرِ (١)

وأمسك النار وهى صائلة ... للخير والشر صولة الغِيَرِ (٢)

كسوتَ وجهى وخاطرى خُللاً ... وكنت للبين علة النظر

لولاك لم يرحم الذى حمد الـ ... حسن أخاه ذا الآفة الكَدِرِ (٣)

تلوح للهالك السقيم فيه ... تدك خير اللذات والذُخُرِ (٤)

تلوح للجارم الحبيس كما ... يلوح ماضى النعيم فى الصِّوَرِ (٥)

تغذوه أم فى عينها أبدا ... سحر حنان يضىء فى البصر (٦)

وهو وليد قد أولِعت يده ... بخطفة الضوء حلية الحجر

وكلنا ذلك الوليـــد إذا ... لاح سراب الرجاء والوطر

وأنت فى المعبد المَشِيدِ كضو ... ء الله فى صالح من الخبر (٧)

أو مثل ضوء الضمير محتبس ... فى النفس أو كالصفاء فى السِّيَر

تهبط فوق الغديرِ فى مرح ... مثل هبوط الطيور فى الشجر

أم أنت روح الحبور قد برزت ... تنير وجه الحياة فى خَفَرَ

سنابل النبت أنت صغت لها ... من عسجد حُلَّة من الحَبَرَ

ترقص رقص الحسناء إن لها ... رقصاً كرقص الضياء فى النَهَرَ

يا علَماً للحياة ينشره الـ ... كون فيقصى القلوب عن خَوَرَ (٨)

ورُب فجر بَنَمْنَمَه بَهِج ... كفجر حب فى القلب منفجر

أو مثل فجر الآمال إن لها ... فجراً وليلاً يُضَاه بالذِّكَرِ

فطرز السحب مثلما حسن الـ ... محسن بضوء الرجاء فى الكدر

كأنما أنت سُلَّمٌ لعلا ... ء النفس تسمو لآية العُمُرِ

أم أنت حسن الجِنَانِ نبصره ... منفجراً خارجاً من الثُغَر (١)

ترمد طرف الحزن إن أخا ... ك الليل برّ بالخاطر الكدر

تليحُ بالسعد والمنى أبداً ... لذى طموح بالترب منعفر

وأنت كالبحر دره الفلك الـ ... دوار أو فاقع من الزهر (٢)

ويا بشيراً بما نخال من الـ ... آلاء فى مقبل من الغِيَرَ (٣)

حكيت ذخر الآمال تبعثها ... للوهم يزهو كالتبر فى الذُخُرِ

تخال من رقة المراسم معـ ... نى لا يراه البصير بالبصر (٤)

أشهى ضياء يكسو الحبيب خما ... رأنعم ذاك الكساء فى الخُمُرِ (٥)

تستبق الطير فى أشعتك الـ ... غراء فعل الحسان فى الغُدُر (٦)

وضاءة الماس منك قد قبست ... وأنت فى الروض خمرة الزهر

والضوء فى المنزل الخراب كقلـ ... ب الندب يشفى بالجسم فى الكِبَرَ (٧)

خواطر الخير كالملائك أو ... كالضوء يزهو فى قمة الشجر

كل جليلٍ مُشَبَّهٌ بك فى الـ ... مدح وليس التراب كالدُرَرِ (٨)

فالحق والحسن والمطامع أشـ ... باهك فى قول ناعت الغُرَرَ

أضِئْ إن اسطعت ما يرام من الـ ... غيوب والطارقات والقدر (٩)

كم ذا رأيت الأنام فى عنت الـ ... عيش نشاوى من غير ماسُكُر

فلم تقطب على الشقاء ولم ... تَبْدُ كوجه الليل معتكر

كالشيخ شام الخطوب قاطبة ... يذخر غُفْراً لزلة البشر (١٠)

عبد الرحمن شكرى

---

(١) البدر : جمع بدرة مقادير من النقود (٢) غير الدهر : صروفه (٣) ذا الآفة : أى الكفيف (٤) لان الهالك يعد الضوء رمزاً للحياة التى سيفارقها (٥) يرى الحبيس الضوء فى سجنه فيذكره بعهده وهو طليق برئ (٦) أى أن المجرم الحبيس يتذكر ضوء سحر الحنان فى نظر أمه وهو طفل برئ (٧) سطوع الضوء فى معابد الصلاة له جلال وأثر فى النفس ، والمشيد بفتح الميم (٨) الخور الضعف والجبن

(١) الثغر جمع ثغرة أى فتحة (٢) يغمر الضوء الفلك والأزهار فكأنه بحر وكأنها دره (٣) استقبال الضوء كاستقبال البشرى من بهجة وجذل (٤) أى من لطافته يخيل للرأى أن أثره فى النفس لا فى العين (٥) الخُمر بضمتين جمع خمار (٦) والغدر جمع غدير (٧) الندب : المرجو فى الأمور لنشاطه (٨) كل جليل مشبه بالضوء فيقال نور الحق ، ونور الحسن ، ونور الأمل ، ونور الطهر ، الخ (٩) إن اسطعت : أى استطعت بحذف التاء والخطاب للضوء (١٠) أى كما أن الشيخ قد يعزيه علمه بالحياة أن يغتفر للناس زلاتهم فلا يعبس كذلك أنت لا تعبس بالرغم من عنت الحياة وشقائها

## مأساة فراق

ما البرق لاح لتائه وخبا | والكون عاد يغب فى الظُّلَم
أو منية لنفس سُرَّ بها | قلب ولم يك ذا سوى حُلُم
بأمض وقعاً من نوى قرنت | بتعارف فتآلف النسم
يا لحظة ما كان أسعدها | لو لم تدع قلبين فى ضرم
لم يكف سرعتها فنغصها | يا للقساوة حقد منتقم
هل فى قريضك بعدُ تسلية | يا صائغ الأشجان فى نغم
أم قد يضاعف ذاك من أسف | وهل القريض يرد من عدم
شلت يد التفريق حين رمت | متآلفين بسهمها الشبم
متجاوبين بكل عاطفة | متفاهمين بأعين وفم
يتساقيان على الكئوس هوى | أغضى الرقيب له على رغم
كل يحس بقلب صاحبه | ويرى له كالروح من سجم
تلك السعادة وهى إن قصرت | حسب المحب لذاذة الألم

(...)

## الشعب الباسل

### للسيد عبد الرحيم محمود

شعب تمرّس فى الصعا | بِ ولم تنل منه الصعابْ
لو همّه انتابَ الهضا | بَ لدُكدكت منه الهضابْ
متمردٌ لم يرضَ يو | ماً أن يقرّ على عذاب
عرنينــه بلغ السما | ء ورأســه نطح السحاب
وعُــداته رغم الأنو | ف تذللا حانوا الرقاب
مثل حدا حادى الزما | ن به وناقلت الرّكاب
إن يجهل العجبَ العجا | بَ فإننا العجبُ العجاب
نحن الأُولى هابَ الوجو | دُ وليس فينا من يهاب
وسلِ الذى خضع الهوا | ء له وذلّ له العباب
هل لان عود قناتنا | أم هل نبت عند الضراب
أو شام عيباً غــير أنا (م) | ليس نرضى أن نُعاب
حييت من شعب تخــا | لد ليس يعروه ذهاب
لفتَ الورى منك الزئيـ | ر مزمجراً من حول غاب
وأرى العدى ما أذهلَ الـ | دنيا وشاب له الغراب
عرف الطريق لحقــه | ومشى له الجِدد الصواب
الحقُ ليس براجع | لذويه إلا بالحراب
الصرخــة النكراء تجـ | دى لا التلطف والعتاب
والنار تضمن والحديـ | د لمن تساءل أن يجاب
حكِّمهما فيما تريـ | د فقيهما فصل الخطاب

(فلسطين) عبد الرحيم محمود

## الراعى الشيخ

### للدكتور هوجو — ترجمة أحمد فتحى مرسى

مالت الشمس للغروب وعاد الـ | ليل فى إثرها عبوساً مهيبا
وعلى الصخر قد تطرّح شيخ | أوشكت شمس عمره أن تغيبا
غارقاً فى السكون والصمت يرعى الـ | شمس فى الغرب والفضاء الرحيبا

لحظة أى لحظــة قد تولت | هـدأ البحر والجبال لديها
رقد الشيخ والرياح حواليـ | ـه وقد رفرف السكون عليها
غابت الشمس وهى ترنو إليه | وقضى الشيخ وهو يرنو اليها

## إلى باكيــة

### للسيد شفيق معلوف

وَيحِ لو كنتُ عالماً أن شعرى | سوف ينتابُ منكِ غصّةَ حُزنِ
لرميتُ اليراعَ عنى بعيداً | ونفيتُ العذاب عنكِ وعنى
ولو انى لمحتُ دمعتكِ الحرّى | لشيّعتُها بآخر لحن
وبسطتُ ابتسامَ ثغرى عليها | وتلقيتها بأهداب جفنى

***

أىُّ لحن أثار شجو العذارى | وتمنّيتُ أننى لم أكُنْهُ
أىُّ دمعٍ أريق من غير جفنى | ورآه جفنى فلم يحتضنْهُ
أينَ ذنبى؟ وفى مدامعك الذنبُ | وقلبى الذى يكفرُ عنهُ
إنْ يقرّحْ جفنيكِ شعرى — لكِ | اللهُ — فقلبى تقتصُّ عيناكِ منهُ

# القصص

قصة مصرية

## صراع مع الشيطان !

للأستاذ دريني خشبه

« الحوار في الأصل باللهجة المصرية ... »

انبسطت حقول الأرز حول القرية الساكنة الشاحبة، وهدأ الليل الفضي إلا من ضفادع تنق، ونسمة ترف فتحرك أغصان (الجميزة) الكبيرة التي ترسل فروعها فوق شاطئ النيل من جهة، وفوق (الدوّار) الواسع في شرق القرية من جهة أخرى؛ وسفر البدر الجميل الساحر، ففضض عباب النيل، واختلط لجينه بمائه النجاشي، وتدفق فوق (اللسان) الحجرى الأبيض الذي أقاموه ليفل من غربه فأحدث خريراً موسيقياً بديعاً

وجلس (حماده) بن العمدة في منعزل عند ضفة النهر مما يلي الماء ينتظر فاطمة ... الفلاحة الصغيرة الجميلة، التي رآها ابن العمدة حاسرة عن ساقيها وهي تنق الأرز مع الفلاحات الأخريات، فجن بها جنوناً، وافتتن بها افتتانا

لقد رشقت قلبه بنظرةٍ ماكرة حين رأته يكاد يأكلها بعينيه الجائعتين، وحين أحسَّت أنها حلت من فؤاده منزلة لا تعدلها منزلة فتاة أخرى، حتى ولا زوجته الغنية التي بنى بها منذ شهر وبعض شهر، فكان لعرسها صدى أي صدى في كل القرى المجاورة، لا سيما وقد غنى فيه المطرب المشهور الشيخ عبد الأله .. والعياذ بالله ...

ولسيقانُ الفلاحات جمالها الرائع، وهي دائماً محاطة بظل من الفتنة، يزيده الخلخال النائم على العقبين، والملاءة السوداء القصيرة، رونقاً ورواء. وكان لفاطمة جيد بارز وقوام ممشوق، وكان لها عنق طويل أبيض، يزينه عقد كبير من الكارم الأصفر، ينتهي بحلية من النحاس المصفح بالذهب فتقر على الصدر، عند انفراج الثديين، فتزيد اهتزازات النهد خفقاناً في قلب حمادة ... حمادة المسكين ... الذي ربط حياته أبوه بحياة هذه الزوجة الغنية التي لم يحبها، والتي ألقاها أبوه على كاهله حملا ثقيلا من الهم والشقاء ... والذهب !! والذهب لا يصلح علاجا للهم والشقاء مهما كان كثيرا طائلا

لقد كان حمادة فتى ذكيا من فتيان الأزهر، فقطعه أبوه عن العلم ليزوجه هذه الزيجة الغنية قبل أن تفلت من يده، لأن أبناء العمد في القرى المجاورة كانوا قد بدأوا يخطبونها إلى والدها، وقد غادر حمادة الأزهر وفي قلبه حسرة، ولكنه خضع لمشيئة والده بعد أن خدعه بالأماني والآمال، وبعد أن زين له مستقبلاً مليئاً بالحور العين والدعة، وبعد أن بغض اليه مستقبل التحصيل الأزهري الشاق بتكرار هذه العبارة المنكرة : « الأزهر ما مستقبله ؟ علومه ما قيمتها ؟ أتريد أن تفقد بصرك وصحتك لتكون مأذوناً شرعياً آخر الأمر مثل الشيخ عرفه ؟ »

وتزوج حمادة من نظيرة، فلما كانت ليلة العرس، ودخل إلى عروسه، دارت به الأرض، وشعر كأن هواء الغرفة يخنقه، وانطفأت في عينيه الشموع الكثيرة الموقدة في (الصواني) النحاسية تحملها القرويات الصغيرات، وخيل اليه كأن جهنم بكل ما فيها من سعير تزفر من لهب هذه الشموع فتكاد تحرقه

لقد نظر الى عروسه فطاشت أحلامه؛ وذهبت أمانيه في الجمال الذي كان ينشده أباديد . . . حماده، الذي كان يعبد الله في الجمال يبتليه أبوه بهذه المرأة التي فقدت نصف أذنها اليمنى، وأتلف الجدري أنفها، ونما لها في كل يد إصبع سادس ما ينفك يرقص كأنه الجلجل الصغير في عنق الدابة، ثم هي قصيرة مكلثمة

شائهة ، وقد زادتها الأساور والقلائد والقرط والخواتم وأرطال الذهب قبحاً على قبحها

وتدرع حمادة بالصبر ، ولم يشأ أن يجرح عزة هذه العروس التاعسة التى ليس ذنبها ألا تكون جميلة ، فهى لم تخلق من نفسها شيئاً ، بل هو قد رحمها وأشفق عليها رثاء لها ؛ وصرف أهله وأهلها ، وغلّق الباب ، وخلا اليها ، ثم راح يكلمها كلام الذاهل عن نفسه ، المستسلم لقضاء الله . . . ولكنها لم ترد عليه ، بل تركت دمعة غليظة تنحدر على خدها فجأة ، ثم استخرطت بعد ذلك فى البكاء :

— « ما الذى يبكيك يا ... »

— « لا شىء ! فقط ، كنت ولا زلت أعتقد أننى لم أكن أصلح لك كزوجة ، ولكنهم أرغمونى كما أرغموك ياحمادة ، فليس هذا الذنب ذنبى ! »

— « ولكنك مخطئة ، فأنت امرأة صالحة وغنية ! »

— « وهذا هو موضع أسباى وسبب بلواى . . . إسمع يا حمادة ، لك مطلق الحرية فى أن تسرِّحنى من الغد وأن تكون حراً بعد ذلك ، وسأرد لك صداقك ، بل سأرده مضاعفاً إن شئت . فان أردت أن تستبقينى لديك فسأعيش معك عذراء الى الأبد ، ولن أنغص عليك بخلقى الشائه متاع قلبك ونعيم نفسك ولذة شبابك ونضرة صباك . فهذه أشياء لك أن تنعم بها ، ومن الظلم أن أفرض عليك هذا القبح الذى رزأتنى به المقادير ، فأقف به بينك وبين لذات الحياة وهناءاتها . . . أرسلنى أشكر لك ، أو استبقنى أحمدك . فان كانت الأولى تكن قد خلصت من خطأ أوقعك فيه غيرك ، ولم تتكلف فى سبيل الخلاص منه قليلاً ولا كثيراً ؛ وإن تكن الثانية ، فثق أننى سأعيش فى كنفك كما تعيش الراهبة فى دير ساكن هادئ على هامش صحراء ، يقنعها أن قد انقطعت عن بهارج الحياة وزخارفها وآمنت ببطلان لذاتها . . . آه ! يا إلهى ! لم لا تتخذ نحن المسلمين مثل هذه الديور ؟ ! . . .

— « كفى يا نظيرة كفى ! بل تعيشين معى على أحسن ماتعيش فتاة تفرح برجلها ! . . .

***

وعاشت نظيرة فى كنفه ، عذراء كما عاهدته ، وكان هو يحنو عليها ويعطف كل العطف ، وكان يسامرها ويلاطفها ويهش لها ويبش ، حتى كلفه أبوه بمراقبة الفلاحات إذ ينقين الأرز من الحشائش الغريبة وسائر الطفيليات ، فرأى فاطمة ... فاطمة الشابة الجميلة التى تتأرج كالزهر بشذاها وعَرْفها ، وتتبرج كالدنيا بمفاتنها وظرفها ... لقد بسمت له عن فم رقيق ، وغمزت قلبه بعين خبيثة ماكرة ففجّرت فيه أحاسيسه المكبوتة ، وأطلقت عواطفه الحبيسة ، وأحيت فى صميمه مطالب الشباب فثارت كالبركان ، وصعد الدم الحار يغلى فى رأسه ، وتدفقت فى أعصابه قوى هائلة من الطبيعة البشرية بغّضت إليه هذا الزهد المصطنع الذى فرضته عليه نظيرة ، وقبحت إليه تلك الرهبانية التى عرفها وهو فى ميعة الصبى وشرخ الشباب منذ الليلة الأولى التى رأى فيها زوجته الشائهة المسكينة

وكان يرسل من يشترى له بلحاً أحمر يأكله بعد الغداء ، وكان يوزع على الفلاحات بيده من ذلك البلح إذا فرغن من غدائهن ؛ وكان نصيب فاطمة من هذا البلح الأحمر كبيراً منتقى ، أثار فى قلوب أترابها غيرة شديدة وجعلهن يهمسن بكلام كثير

ومرت الأيام ... وتأكد الحب بين حمادة وفاطمة ، وإنه لينتظرها الليلة فى هذا المنزل الفريد عند ضفة النيل مما يلى الماء ، قريباً من تلك الجميزة الكبيرة الوارفة ، وإنها لتتأخر عن موعدها فيقلق حمادة ويضطرب ، ويسمج فى عينيه كل شىء من الطبيعة الساحرة التى حوله ، حتى بدرها الذى كان للحظة قصيرة يتلو عليه مزامير الحب ، يخيل اليه أنه مظلم قاتم ، أو أنه جذوة من الشك السادر الحزين تجوب أقطار السموات

« لم لم تأت يا ترى ؟ آه اللعينة ! أخشى أن يكون فى الطريق الى قلبها فتى سواى ... سأعرف ... لابد ... لابد أن أعرف ... سأسألها الليلة ، لابد أن ألقاها مهما كانت ظروفها ، لن تستطيع أن تنكر ، ماذا تقول ؟ هيه ! »

وصعد إلى الجميزة لأنه لم يحتمل مرور الزمن وهو يترقب وينتظر ، وجمع قليلا من الجميز الفلكى الأحمر الكبير ، وهبط ليلقى فاطمة تنتظره ، فقذف بالثمر الناضج على العشب ، وفتح ذراعيه وضم الى صدره فاطمة ، واحتملها كاللعبة ، ويمم شطر

المنزل الهادئ القريب من الماء ... ثم جلسا يتناجيان ...

— « لماذا أبطأتِ عليّ يا بطة ؟ »

— « لاشيء ، غير أنني كان يخيل الىّ أن الطريق كلها عيون ترقب جميع حركاتي ، وكنت على غير عادتي أشعر بقلبي يخفق خفقاناً شديداً ... حمادة أليس قلبك يخفق مثل قلبي ؟ »

— « يخفق ؟ يخفق فقط ؟ إنه كاد ينخلع هذه الليلة يا طمطم لأنك أبطأت كثيراً ... »

— « حمادة ، أنا خائفة ... »

— « خائفة ؟ من ماذا ياحلوة ؟ هل هنا عفاريت ؟ »

— « لا ، ليس من العفاريت ، فالليلة مقمرة ... الحمد لله ... »

— « إذن مم تخافين ؟ هل تعقبك أحد إلى هنا ؟ »

— « لا ... لا أظن ، ولكن ... »

— « فاطمة ... كفى ! يجب ألا تفكرى فى شيء مادمت معى ... تعالى يا فاطمة ، هاتى فمك الخمرى الجميل ، الله ! ما أشهاه يا فاطمة ! قبلة ثانية ، لا والله ، لا بد ، لا بد ، فاطمة ، أنت ترفضين ؟ آه ! يا قلبي ! »

— « حمادة ! أنا خائفة قلت لك ! »

— « خائفة من أى شيء يا طمطم ؟ »

— « من ... من ... منك ... أنا خائفة منك ياحمادة ؟! »

— « منى ؟ منى أنا ؟ أنت خائفة منى ؟ »

— « نعم أنا خائفة منك ... خائفة جداً ! »

— « لماذا ؟ هل أنا عفريت ؟ القمر طالع والحمد لله ؟... »

— « حرام عليك يا حمادة ! »

— « حرام على ماذا ؟ »

— « شيء ... فقط ... زوجتك نظيرة ... إنها لو علمت تقتلنى ! »

— « امرأتى نظيرة ! العياذ بالله ؟ نظيرة ليست امرأتى يا فاطمة ! »

— « ليست امرأتك ؟ امرأة من إذن ؟ »

— « أجل ، نظيرة ليست امرأتى : إنها فريسة أبى »

— « فريسة أبيك كيف يا حمادة ! »

— « فريسة أبى ، لأنه تجاهل قلبي وشبابى حين اشتراهالى »

— « اشتراها لك ؟ وهل العرائس تشترى ! ماذا تقول يا حمادة ؟ »

— « اشتراها ، أجل اشتراها ، اشتراها لأنها تملك خمسين فداناً ومنزلين وعندها نقود كثيرة ، ولكنها ، كامرأة ... لا تسوى منك قلامة ظفر يا فاطمة ! »

— « لم ؟ أليست جميلة ؟ »

— « جميلة ؟ كلا ! انها شوهاء ! أكل الجدرى نصف أنفها وذهب الجزار بنصف أذنها ، ونبت النصفان ، نصف الأنف ونصف الأذن ، فى يديها ، فكانا فى كلٍّ إصبعاً سادساً ؟ ... »

— « ولكنك تخونها الآن يا حمادة ؟ أليس كذلك ؟ »

— « أخونها ، لقد صرحت لى ليلة الدخلة أنها لن تقف فى سبيل لذاتى ! »

— « ورضيت أن تعاشرها على هذا الشرط ؟ »

— « ... ؟ .. »

— « وأنا أرفض أن أكون مطية للذاتك ! هذا كثير ! دعنى ! لا بد أن أعود أدراجى ! »

— « إلى أين ؟ »

— « ليس هذا شأنك ! »

— « آه ! اعترفى إذن : الى عشيقك الثانى ! الذى أخرك هذه الليلة ! »

— « حمادة ؟ ماذا تقول ؟ أنت جبان ! »

— « جبان ؟ لا ... أنا لست جباناً ... ألذلك تخافين منى ؟ ولكن لا ، لن يتمتع بك أحد غيرى ، أنت لى وحدى ، أفهمتِ ؟ أنتِ لى وحدى : فاطمة ! انزعى هذا الثوب ... وذاك النصيف ! »

— « يا حمادة عيب ! »

— « عيب ؟ لا ، ليس فى ذلك عيب مطلقاً ! قد عرفتك الليلة فقط ، ولا بد أن أنالك رضيت أو لم ترضى ! ستكونين جميلة جداً وأنت عارية !

— « حمادة : ان لم ترجع ( فسأصوّت )

— « صوّتى ما شئت ! لا تفضحين إلا نفسك ! أنا رجل على كل حال ، ماذا يهمنى اذا اجتمع الناس ؟ ...

وانقض عليها المسكين ينزع عنها ثيابها ثوباً ثوباً .
وما استعصى عليه منها جبذه فمزقه ، حتى وقفت أمامه فاطمة دمية من المرمر الناصع ... تمثالاً ! تمثالاً فاتناً خلاباً ... ولكنه لا يتحرك ! لقد ذهلت فاطمة عن نفسها فلم تدر ماذا تصنع ؟ أتصوّت كما أنذرته ؟ ولكنه قال لها إنها إن فعلت فلا تفضح إلا نفسها ... جبنت فاطمة فلم تصوت إذن ... ووقفت مشدوهة حائرة ، وصب القمر على بدنها الجميل المذعور أضواءه الفضية فزادها فتنة ؛ وهبت نسمات عليلة فداعبت شعرها الأسود فانتثرت على جيدها وظهرها وحول عنقها ... وجاء دور الشيطان ... نوبة إبليس الأكبر ! فراح يصقل فخذيها ويلون خديها ويثقل ردفها وينفخ ثدييها ... وانطلق يوسوس فى قلب حمادة « هلم ! اهجم عليها ! لماذا تنتظر ! هاهى ذى ! إنها لك الساعة واذا فارقتك فلن تراها بعد ! أنت شاب ، وللشباب مآربه ! زوجتك الشائهة ! لا تخش شيئا ! اقطف الثمرة قبل أن يلتقطها عشيق غيرك ! الجدرى ! فاطمة جميلة ساحرة ؟ الأصبع السادس ! هاك متاع الدنيا ! ... »

وأزله الشيطان فانقض على الفتاة البائسة ... وطرحها على ( الدريس ) اليابس وأعواد البردى المنداة ... ووقف برهة يملأ ناظريه الفاسقين من جمالها المظلوم ... وقبل أن يتقدم فيخطو الخطوة الأخيرة ، وحين أيقنت فاطمة أنه موشك أن يعتدى عليها ... اغرورقت عيناها بدموع غليظة ، وقالت له :

— « حماده ! والقرآن يا حماده ! القرآن الذى حفظته فى الأزهر ؟ نسيته ؟ نسيته يا حماده ... بهذه السرعة ؟ »

— « القرآن ؟ القرآن ! ! هه ! ... »

وجد الفتى فى مكانه لحظة ... ثم ولى الفتاة ظهره ، ونظر الى السماء وقال :

— « ربى ! غفرانك اللهم ... فاطمة ! »

— « ... ؟ ... »

— « انهضى فالبسى ثيابك ! »

***

ونهضت فاطمة وهى لا تصدق ، فارتدت ملابسها ، الممزق منها وغير الممزق ، ثم قالت لحمادة بصوت خاشع متهدج :

— « حمادة ! أنت ... مالك يا حمادة ؟ »

ولكن الفتى ازورّ عنها وقال :

— « لا شىء يا فاطمة ... عودى أدراجك الى منزل أبيك ، وسأحرسك من بعيد ... »

وانطلقت الفتاة فى الطريق المقفر الموحش ، وانطلق فى إثرها حمادة ، وهو لا يكاد ينظر اليها ...

***

— « نظيرة ! هل يحزنك أن أتزوج ؟ »

— « يحزننى ؟ بل يسرنى أن تمتع شبابك كما يحلو لك : »

— « إذن فقد عقدت على فتاة فلاحة ... فقيرة فى غاية الفقر وستكون خادمة لك إذا شئت ! »

— « من ؟ من هى يا حمادة ؟ من هى بالله عليك ! »

— « فاطمة بنت عم عبد القادر العتال ! »

— « مبارك ... مبارك يا حماده »

***

ولم تحتمل نظيرة الموسرة هذه الرهبانية التى فرضتها على نفسها فى منزل العمدة الذى خدع ابنه فرجت حمادة فى طلاقها ... وذهبت بكل ما عليها من ذهب الى منزلها الرحب الفسيح فى إحدى القرى المجاورة للمنصورة !

دريني خشبة

# البريد الأدبي

## احياء الموسوعات العربية العامة

رأى صاحب المعالى الأستاذ زكى باشا العرابى وزير المعارف أن تقوم وزارته باحياء المصادر التاريخية والأدبيـة للمخلفات العربية العامة ، وأمر أن تؤلف لجنة من رجال الأدب لبحث هذا المشروع الخطير

وقد اجتمعت هذه اللجنة بوزارة المعارف ظهر الاثنين الماضى (٢٤ أغسطس) برياسة الأستاذ محمد العشماوى بك وكيل المعارف ، وحضور حضرات أصحاب العزة محمد عوض ابراهيم بك ، والأستاذ على الجارم بك ، ومحمد أحمد جاد المولى بك ، ومراقبى التعليم ومساعديهم ، واختارت لجنة فرعية من شيوخ اللغة العربية بالوزارة لتنفيذ رغبـة معالى الوزير بمراجعة الأصول العربية واخراجها باشراف الوزارة ورعايتها ، بحيث تمكن هذه المراجع الهامة من اعطاء مادة كافية من وضع كبار مؤلفى العرب لمشروع دائرة معارف عربيـة كاملة بشكل يتفق مع زعامة مصر للأمم العربية

وقد شرعت الوزارة فى اعتماد المبالغ اللازمة لتنفيذ المشروع .

ومن المصادر التى رأت اللجنة مراجعتها : ابن الأثير ، والطبرى ، وتاريخ ابن مسكويه ، وتاريخ ابن خلدون ، وطبقات ابن سعد ، ونحو خمسين مؤلفا غيرها لها أهميتها الأدبية كالأمالى والكامل والأغانى والتراجم المختلفة فى القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر

ولا شك فى أن وزارة المعارف بهذا المشروع ستسدى خدمة جليلة للناطقين بالضاد فى جميع أنحاء العالم العربى

## الحقيقة والتاريخ

ضمنـا مجلس مع فخامة حقى بك العظم ، رئيس مجلس الشورى ، وكانت لا تزال فى خاطرى ذكرى القصة الشجية التى قرأتها فى مجلة (الرسالة) الغراء فى عددها (١٦١) للأستاذ على الطنطاوى بعنوان (النهاية) ... وما تضمنته من حوادث خاصة عن والى دمشق ناظم باشا والجفاء الذى لقيه عند زيارته لها فيما بعد ؛ فذكرت ذلك لحقى بك ، وكان يومئذ حاكم دمشق ، فاستغربه وقال : إنى أربأ بالـكاتب أن يصل به خياله لهذه الدرجة برغم أن كتابته عالية . ثم أخذ يسرد علينا قصة مجىء ناظم باشا إلى دمشق والحفاوة البالغة التى حظى بها قال :

« ... ثم أتى دمشق بعد أن زار ابنتيه فى بيروت ، وكان ببزة عادية ، فبقى فيها عدة أيام زارنى خلالها فى «السرايا» فاستقبلته بكل حفاوة وتعظيم تقديراً له واكراماً لأعماله العمرانية التى أودعها فى مدينتنا ... وعند خروجه اصطفت له جنود الحرس وأقامت له التحية الرسمية ، وودعته أنا حتى الباب الخارجى ، وقد احتفى به معظم وجوه دمشق ، وتقدموا اليه بهدايا عديدة رفضها بكل إباء . وكان قد أحس نقيب الأشراف بوجوده فأتاه فى اليوم التالى ورجاه أن يطيل بقاءه بضعة أيام أخر لتقوم دمشق بواجبها نحوه ، فاعتـذر بضرورة مغادرته المدينة إلى بيروت ، حتى أن السلطة الفرنسية تقدمت اليه بمنتهى الاكرام . وإنى أذكر أن الـكولونيل كاترو أدّب له وليمة فاخرة كنت من المدعوين اليها . ولم يُظهر ناظم باشا مدة اقامته بدمشق عجزا أو حاجة مالية قط . وربما شعر بعض أصدقائه بشىء فتقدموا نحوه بعطايا كما ذكرنا فرفضها . ومن ذلك أن رجلا يدعى « شيخو آغا » كان « ياورا » عند الوالى ، جاءه بكل خضوع وبيده كيس صغير فيه (٥٠٠) دينار ، واستعطفه بلطف ورجاه أن يقبله منه كهدية ، قلت أو كثرت ، فهى من خيراته السالفة التى أنعمها عليه ، فأبى بعفة نادرة ... ثم مات منذ خمس سنوات ... »

حدثت هذه المقابلة اتفاقا ، فلم أرد أن أهملها أو أخفيها على قراء (الرسالة) الغراء خدمة للحقيقة والتاريخ

وإنا وإن كنا نستسيغ للأستاذ الطنطاوى الخيال المبدع فى القصص ، فاننا لا نود أن يتسامح فى الحقائق التاريخية . وإن إعجابى الشديد بمتانة أسلوب أخى الأستاذ الطنطاوى ، وقوة انشائه ، شجعانى لتصحيح هذه الناحية من قصته إتماما لفنه القصصى البارع ، والسلام ؟

( دمشق ) علاء الدين الخانى

## المسألة الاستعمارية

ظهرت فى العهد الأخير نزعة استعمارية جديدة فى بعض الدول التى لم تتح لها فرصة امتلاك المستعمرات من قبل أو التى فقدت مستعمراتها لأسباب خاصة ؛ وترجع الدول التى تضطرم بهذه النزعة الجديدة مثل إيطاليا واليابان وألمانيا وبولونيا مطالبها إلى حق المشاطرة فى امتلاك المستعمرات على قدم المساواة مع الدول الأخرى التى تتمتع بالأملاك الاستعمارية الواسعة مثل فرنسا وانكلترا وهولندة ؛ وتزعم فوق ذلك أن لها حق الفتح والامتلاك بالقوة ما استطاعت سبيلا الى ذلك ، وتدعى أن العوامل الاقتصادية تدفعها إلى ذلك دفعاً ؛ فزيادة السكان ، والعطلة ، وفقد المواد الأولية ، وغيرها مما يرغمها على تلمس السبيل إلى تخفيف متاعبها الاقتصادية بامتلاك المستعمرات واستثمارها

وقد بحث هذه المسألة كاتب سياسى واقتصادى كبير هو المستر جروفر كلارك ، وأصدر عنها أخيراً كتاباً ضافياً بعنوان « مكان تحت الشمس » A Place in the Sun وألحقه برسالة أخرى عنوانها « قوائم الاستعمار » Balance Sheet of Imperialism ، وفى الكتاب الأول يفند مستر كلارك مزاعم الدول الاستعمارية من الوجهة السياسية والتاريخية ، وفى الثانية يفند مزاعمها من الوجهة الاقتصادية بايراد الاحصاءات التى تدل على أن الغايات الثلاث التى تستتر وراءها : أعنى إيجاد منفذ للسكان ، وافتتاح الأسواق المحلية ، والحصول على المواد الأولية ، إنما هى غايات مزعومة

ويلاحظ مستر كلارك أن تحقيق هذه المزايا لا يتوقف على امتلاك المستعمرات فقط ، بل يتوقف قبل كل شىء ، وخصوصاً أيام الحرب ، على القوة البحرية التى تملكها الدولة المستعمرة . ومن جهة أخرى فان معظم البلاد التى تطمح إليها الدول المستعمرة قد أصبحت تغص بسكانها الأصليين ، ومن الصعب أن ينافسهم فى استثمار مواردها ومرافقها مهاجرون من الخارج ، وينطبق هذا بنوع خاص على البلاد الواقعة فى المناطق الحارة

بيد أن العوامل الاقتصادية ليست كل شىء فى الموضوع ، فهناك ما يسمى بالعزة القومية ، وهى مسألة أثارتها ألمانيا بنوع خاص . وهذا العامل المعنوى يراه المؤلف ضرباً من اللغو ولا يرى أن يقف به طويلاً ، إذ أن المبدأ المسلم به هو « أن تحصد أينما بذرت »

وبحوث مستر كلارك وملاحظته جديرة بالاطلاع والتقدير

## من أخبار السفهاء فى مصر

قرأنا فى أحد أعداد جريدة الجورنال البارزية ما يأتى :

« فى مصر ، على مقربة من الأقصر ، يبنى الآن قصر فخم ، وذلك من أجل سحر عيون ممثلة من أشهر ممثلاتنا السينمائيات . وقد قال لها محبها ، وهو فتى ساحر ، يملك قرى بأسرها وحقول قطن على ضفاف النيل : « سوف تعيشين هناك كملكة ! » فأجابته الممثلة : ولكنى الى أن يتم ذلك سأعود الى فرنسا وأشتغل باخراج فلم « الملك » . وقد كانت ممثلتنا العظيمة الرشيقة عند قولها . ذلك أن ج . م ( جابى مورلى ) سوف تأتى فى مدى أيام قلائل لتقوم باخراج شريطها »

أجل تبنى القصور فى مصر وتنفق الألوف من أجل عيون الممثلات والغانيات الأجنبيات ! وهذا الفتى المصرى (الساحر) الذى تشير إليه الجريدة البارزية هو أحد أولئك الفتيان الذين ورثوا أموالاً مكدسة لم يعرفوا كيف حصلت أو كيف تحصل بعرق آلاف الفلاحين ، وإنما يعرفون كيف تنفق على الموائد والغانيات بلا حساب فى مصر وفى غير مصر : أولئك السفهاء هم فى الواقع عنصر مسموم فى المجتمع المصرى يجب القضاء عليه بكل الوسائل

## أوراق العظماء

صدر أخيراً فى فرنسا قانون جديد يقضى باعتبار المراسلات والمذكرات الصادرة من العظماء سواء فى الحكومة أو خارجها من الآثار العامة التى يجب حفظها وحمايتها ، وقد كانت أمثال هذه المراسلات والوثائق تعتبر حتى اليوم بطريق العرف والتقليد من الآثار العامة . ولكن الحكومة الفرنسية رأت أن تسبغ على هذا العرف صفة رسمية كى تستطيع فى بعض الأحوال أن تضع يدها على الوثائق والمراسلات المخلفة عن العظماء وأن تودعها على ذمة التاريخ فى دار المحفوظات العامة على رغم معارضة المعارضين

4 me Année, No. 166

Lundi - 7 - 9 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

| | |
|---|---|
| ٦٠ | فى مصر والسودان |
| ٨٠ | فى الأقطار العربية |
| ١٠٠ | فى سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | فى العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

السنة الرابعة — « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥ — ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٦ » — العــدد ١٦٦

فهرس العــــدد



# وَزْنُ المــاضى

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وقال صاحب سر (م) باشا : إنى لجالسٌ ذات يوم وفى يدى كتابٌ لبعض المتفلسفة من مَلاحدة أوربا الذين يريدون أن يفهموا مالا يُفهم ؛ وكان الباشا قد رآنى مرّة أنظر فيه وأتدبر مسائلَه الغامضة ، فقال لى : يا بنى إن أحد الكلاب كان شاعراً فيلسوفا ، فنظر ليلةً فى النجوم فراعته وحيّرته ؛ فآلى أن يفهمها بعقله وتفرغ لدرسها مدة طويلة ، ثم وضع فيهـا كتاباً نفيساً ضخماً كان أعظمَ كتب الفلسفة وأشدها غموضاً عند الـكلاب ، وكان اسمُه : العظام المبعثَرة فوقنا ....

قال : فأنا جالسٌ أقرأ هذا الـكلامَ الذى لا صحيح فيه إلا أنه غير صحيح ... إذ دخل علىَّ كاتب متفلسف ملحد من هؤلاء المدخولين فى عقولهم المفتونين بأوربا ومذاهبها وعُلويّاتها وسُفليّاتها .. وهو يكتب فى الصحف ويؤلف الرسائل ، وقد جاء يستصرخ الباشا على فلاّح شاركه فى زراعة أرضه فزرعه الفلاح فيها وحصده ، ودهاه بكيده ، وابتلاه بغلظته ، وتهدّده بالنقمة

وكان هذا الفلاح الساذج الغرير قد سبقه إلىَّ وعرّفه لى تعريفاً قاموسيا محيطاً من مادة كَـفَـر يكْـفُـر ... ثم قال بعد ذلك

إنه ( بيّاع كلام ) يصدق ويكذب حسب الطلب ... والذمة نفسها ليست عنده إلا ( عملية حسابية ) ؛ وهو فى أقوى جهاته لا ينفع الدنيا بما تنفعها به البهيمة من أضعف جهاتها

أما الكاتب فيقول عن هذا الفلاح : إنه لا يدرى أهو يتمم بهاءه أم بهائمه هى التى تتمه ، وان الذى يرفع القضية على مثل هذا المخلوق إلى المحكمة لا يكون إلا كالذى يقمقع بالعصا على جحر فيه الحية السامة

ورأى المتفلسف الكتاب على يدى فتهلل واستبشر وقال لى : هذا نسب بيننا .. فأدركت من كلمته هذه جملته وتفصيله ، وخيل إلى أنى أرى فيه نفسه الشرقية كالمرأة المطلقة . . . فقلت له : أنا اشتريت هذا الكتاب من أوربا ولكنى لم أشتر منها دماغى..

وكلمته أستخرج ما عنده فاذا هو فى قومه وتاريخ قومه كالسائح فى بلاد أجنبية يفتح لها عينه ولا يفتح لها قلبه

***

وكان جريئاً فى كلامه مع الباشا يطرد القول حيث شاء حقاً وباطلاً ، ثم لا سناد لرأيه ولا تثبيت لحجته إلا قول فلان ورأى فلان كأن فى رأسه عقلاً شحاذاً ... ثم ذكر آخر الأمر ماجاء له فخجله الباشا وقال : هذه مسئلة ككل مسائلك تحتاج إلى رأى فيلسوف أوربى ... وأعرض عنه ولم يدخل فى شىء من أمره

ولما انصرف قال الباشا : يحسب هذا نفسه عالماً وهو صعلوك علمى ... وإنما يكون دماغه وأدمغة أمثاله عند الفلاسفة والعلماء الذين يذكرونهم كما تكون سلة المهملات عند الصحافيين . إن هذا الرجل يتم ضعف عقله فى الرأى بقوة عناده فيه ليجعل له ثبات الحقيقة فيظن حقيقة ، كأن خضخضة الماء باليد فى وعاء صغير ينقل الى هذا الوعاء طبيعة الموج . وعند أمثال هذا المفتون من الصعاليك العلميين — أنك إذا تناولت مسئلة فأخطأت فيها خطأ جريئاً فقد جعلتها بخطئك الجرىء مسئلة من العلم . . . وأنك إذا عاندت فثبت الخطأ فى وجه الناقدين سنة ، كان حقيقة مدة سنة . . .

هم مفتونون زائغون ، ومن فتنتهم أنهم يرون البعد بينهم وبين أهل الفضائل الشرقية كالبعد بين العالم والجاهل ؛ ولو حققوا لرأوه بعداً فى الغرائز لا فى العقل ، أى كالبعد بين الفجور وما أشبه الفجور وبين التقوى وما أشبه التقوى

زعم الأحمق أن خصمه الفلاح رجل راسخ فى الماضى كأنه باقٍ فى أمسٍ لم ينتقل منه ، مع أن أمس قد انقطع من الزمن ؛ وخرج من ذلك إلى أن الأمة يجب أن تنبذ ماضيها ؛ وادعى أن الاسلام يتعصب للماضى . هذه ثلاث كلمات تخرج منها الرابعة التى سكت عنها ... (١)

وأنا لو شئت أن أسخر من مثل هذا الصعلوك العلمى لما وجدت فى أساليب السخرية أبلغ من أن أبعث إليه بقارورة فارغة وأقول له املأها لى من آراء الفلاسفة ...

يغفل هذا وأمثاله عن أن الدين الاسلامى لا يعرف الماضى بمعنى ما مضى على إطلاقه ، بل هو يشترط فيه ألا يخالف العقل ولا العلم وألا يناقض الهداية . « قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » . وفى الآية الأخرى : « قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » . وفى الثالثة : « قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير » وفى الرابعة : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم »

فانظر كيف صوّر ما نسميه اليوم بالجمود فى قوله ( حسبنا ) وكيف صور ما نسميه بالرجعية فى قوله ( نتبع ) . وتأمل كيف رفض الجمود والرجعية معاً فى العلم والعقل والهداية أى فى آثارها من العلوم والمخترعات والفضائل الانسانية ، وكيف أبطل فى تلك الثلاث الاحتجاج بالماضى بهذا الأسلوب الدقيق العالى وهو قوله فى كل آية : أولو ، أولو ، لم يغيرها بل كررها بلفظها أربع مرات

فالمعجز هنا مجىء الآيات بهذه الصورة المنطقية لاسقاط حججهم ونفى معنى التقديس عن الماضى فيهن اذا كان العلم دائم التغير ، وكان العقل دائم التجديد والابداع ، وكانت الهداية شديدة على الطبيعة الحيوانية التى هى ماضى النفس فكأنها جديدة على النفس عند كل شهوة

إن الانسان بماضيه وحاضره كأنه مقسوم إلى قسمين يقول أحدهما : أريد أن أكون ، ويقول الآخر : أنا قد كنت . فالاسلام بهذه الآيات قد أوجب وزن الكلمتين فى كل زمن بما هو الأصح ، وبما هو الأنفع ، وبما هو الأهدى ؛ وباشتراطه الهداية فى جميعها أشار إلى أن الكمال النفسى للفرد يجب أن يكون

(١) الرابعة التى يستلزمها هذا السياق المنطقى ، هى تجرد الأمة من الدين وذلك ما يعمل له بعض الصعاليك العلميين .

مرتبطاً بالكمال الانسانى للجنس ؛ وهذا معنى عجيب ، وأعجب منه ما ترى من أن الاسلام قد أصلح فكرة الماضى فنقلها من معنى الآباء والأجداد للناس إلى المعانى التى هى كالآباء والأجداد لانسانية الناس . والأخذ ( بالأهدى ) فى اجتماع أمة من الأمم إنما هو بعينه ناموس الترقى والتطور

ومن أدق الأسرار قوله : « إنا وجدنا آباءنا على أُمَّة » . فكلمة ( أُمَّة ) هذه لم يعرفها أحد على حقيقتها ، ولم تفسرها إلا علوم هذا الزمن ، فهى المشاعر النفسية التى يتكون منها مزاج الشعب وفيها يستقر الماضى ؛ كأن الآية قد عبّرت بآخر ما انتهى اليه علماء النفس من أن الانسان ابن أبويه وابن شعبه أيضاً . فالتعصب فى الاسلام هو للعلم النافع وللمجد الصحيح وللهداية الباعثة على الكمال ؛ وتعصب الجيل لمثل هذا فى ماضيه هو فى اسمه تعصب ، غير أنه فى معناه إنما هو العمل لتسليم مجد الأمة إلى الجيل التالى .

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

---

من ذكريات لبنان

# بعد نهار جميل

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« والآن ما ذا ينبغى أن نأخذ معنا ؟ — حاذروا أن تنسوا شيئاً »

فقالت زوجتى : « لا تنسوا الكميرا . . فسنحتاج إليها ولا شك »

وقالت فكتورين — جارتنا — : « الأفلام . . ما فائدة الكميرا بلا أفلام ؟ »

قلت : « صدقت .. وماذا أيضاً ؟ »

فقالت زوجتى : « والصابون ! »

وقالت فكتورين : « ورق اللعب .. أليس كذلك ؟ »

فقلت . « والأطباق والملاعق والفوط والسكاكين ! ! . إن من يسمعكما يخيل إليه أننا ذاهبون الى بعض مجاهل الدنيا »

فقالت زوجتى : « الحق أقول لكم إنى أخشى علينا . . . إن هذه الجبال لا عهد لنا بها وسنعود بالليل .. وقد كنت أفضل أن يقود السيارة رجل يعرف الطرق .. رجل من أهل البلاد »

قلت : « الحق معك .. فانى أخشى الثلج على الجبال »

فصاحت زوجتى : « ثلج ؟ ؟ هل قلت الثلج ؟ »

قلت : « نعم . . جبال من الجليد . . وسنحتاج أن نربط السيارتين معاً بحبل واحد . . فاذا سقطت إحداهما فى الهاوية جرت الأخرى معها ... ألا تكفون عن التخريف ؟ »

فكفوا .. وقمنا الى مضاجعنا استعداداً للسير فى بكرة الصباح

***

وكنا ثمانية فى سيارتين : زوجتى وأولادى وأنا فى سيارتنا ، وجيراننا فى سيارتهم . فانطلقنا منحدرين فى الطريق الى بيروت وهو طريق وعر كثير التعرج والتلوى ، ولكنه أملس كبطن الكف . غير أنه مخيف — يقوم الجبل على جانب منه ، والوادى تحته من الجانب الآخر . ولا ترى منه وأنت تقطعه إلا القليل لأن تلويه حول الجبل وانثناءه كالحبل أو كالحية يخفيانه . وكان الضباب فى أول الأمر يمنعنا أن نسرع ، ولكن الشمس بددته فانكشفت الدنيا لعيوننا فنعمنا بجمال الوادى الأخضر ، وجلال الجبل الشامخ ، وقد قام الشجر الثمير على سفحه بين كتل الصخور ، واختلطت فيه بهجة النور وزهرته بنضارة الخضرة . وليس أوقع فى النفس من السير فى طريق تشرف عليه الجبال وتغيب قننها فى السحاب فكأنها عروش للطبيعة ! ! !

وظللنا ننحدر وندور حول جبل بعد جبل ، ونمرق من القرى والضياع واحدة بعد واحدة ، وما هو إلا أن نلف مع الطريق حتى تختفى فجأة ، ثم إذا هى بعد لفة أخرى تبدو لنا منازلها منتثرة وبعضها فوق بعض ؛ ثم ندور مرة أخرى فتحتجب ونحن لا نكف عن الانحدار ولا نزال نهبط حتى استوى الطريق واستقام ، فعلمنا أننا دنونا من بيروت . ولم تكن هى غايتنا فلنا عن طريقها وأخذنا فى طريق « عالية » ثم شعرت أن السيارة صهدت جداً حتى صارت سخونتها لا تطاق ؛ فعجبت ، وخفت ووقفت ، فسألتنى زوجتى عن الخبر ، فقلت : إن السيارة سخنة

جداً ، ولا أعرف لهذا من سبب إلا أن تكون أنابيب الماء قد ثقبت ، فهو يسيل منها ولا يبقى فيها . وكنا لحسن الحظ فى مدخل إحدى القرى فلم نجد عناء فى الحصول على ماء صببناه فيها ، وملأنا زجاجتين استعرناهما من بعض القوم . وبعد ذلك صرنا نضطر أن نقف من حين الى حين لنصب الماء فى السيارة ولم يكن ما حملنا منه كافياً ، فكنا كلما بلغنا قرية نأخذ منها حاجتنا ونحتفظ بما فى الزجاجتين للطريق بين القرى حتى بلغنا « الشاغور » وكان جيراننا قد سبقونا إليه

***

وقفت بالسيارة وراء زميلتها وفتحت بابها فشدت زوجتى ذراعى وصاحت بى : « انظر ... انظر ... »

فنظرت إلى حيث تشير ، فرأيت صبياً غريب الثياب . يلبس سروالاً — أو شروالاً كما يسمونه أحياناً فى مصر — وقد لف على خصره — إذا جاز أن يسمى هذا خصراً — حزاماً أحمر غليظاً ، ومن فوق ذلك — أو من تحته إذا شئت — صدرية من الحرير المخطط يجمع طرفيها سلسلة من الأزرار تنتهى عند العنق . وعلى رأسه لفة كبيرة . وفى كلتا يديه تفاحة عظيمة يهوى عليها بأسنانه

وقالت زوجتى : « أين الكميرا ؟ دعه يقف حتى أصوره ! »

فدنوت من الصبى وأنا أقول لنفسى : « أصيب عصفورين بحجر » أستوقفه حتى ترسمه زوجتى ، وأكل إليه حراسة السيارة . ولكن الغلام رآنى مقبلاً عليه ، فجعل يتراجع ، وعينه علىّ ، وأسنانه تعمل فى التفاحة ، ولم يكن ثم شك فى أن الصبى الأحمق يخشى أن أخطف التفاحة منه ، فهو لهذا يدبر كما أقبلت ، وكنت أطمئنه وأؤكد له أنى لا أريد به سوءاً وأن فى وسعه أن يأكل تفاحته على مهل ، ولكن هذا كان يزيده خوفاً ، فقد أسرع فى القضم وصار فيما أرى يزدرد ولا يمضغ . ولا أدرى لماذا ألححت فى دعوته أن يقف ويتمهل فقد كان هناك غيره ولم يكن ثم ما يدعو إلى الخوف على السيارة ، ولكن الذى أدريه أنه فرغ من التفاحة ورمى وجهى بما بقى منها فأصاب أنفى ولما أفقت ، التفت إلى زوجتى ، وقلت :

« هذه جنايتك . . . وقد كان أنفك أولى ، ولكن الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون » فضحكت

وكان جيراننا قد خفوا إلى « مكان الحادثة » وعرفوا ما كان فانطلقوا يقهقهون معها . وقالت زوجتى :

« لقد استطعت أن ألقط صورتك حين وقعت التفاحة على أنفك »

قلت : « ستكون الصورة ذكرى جميلة ... أليس كذلك ؟ وهذا جزاء الأحمق الذى يتزوج . . . يجىء بامرأة فيطعمها ، ويكسوها ، ويبرها ويسرها ويعانى من أجلها وفى سبيلها المتاعب والمنغصات ، وتضحك منه حين ينبغى أن تعطف عليه وتألم له »

فلم تعبأ بى ، ومضت عنى مع الجيران ، وهى تضحك

***

ونعمنا بيوم جميل فى الشاغور ، ولم يكن أقل ما سرنا نومنا على العشب ، والماء إلى جانبنا يخرج من بين الصخور دافقا راغيا يتحدر من صخرة إلى صخرة كالشلال . وانقضى النهار ، وآن أن نعود من حيث جئنا . وكانت السيارة قد أصلحت فى خلال ذلك ، فركبنا وانطلقنا راجعين

وقلت لزوجتى وقد بلغنا البيت « هاتى المفتاح ! »

قالت : « أى مفتاح ؟ إنه معك ... لقد كنت أنت الذى أغلقت الباب ، وأظنك وضعت المفتاح فى جيب البنطلون »

وكان مفتاحا كبيراً عتيقاً لا يعقل إلاّ أشعر به إذا كان فى جيبى ، ومع ذلك بحثت ، وأخرجت الجيوب ونفضتها أمامها ، وأوسعت السيارة بحثاً عسى أن يكون قد سقط منى فيها ، فلم أجد له أثراً . فقلت وقد تعبت « أسوأ ختام لخير نهار . . . لا بأس ... والآن لم يبق إلا أن نجىء بخيمة نقيمها هنا ، أو أن يضيفنا الجيران وإن كان بيتهم لا يكاد يسعهم ، أو أن ندخل البيت من النافذة ... ولم لا ؟ صحيح أنها مغلقة ... ولكن ما قيمة هذا ؟ ؟ نفلق خشبها بالفأس ، ونحطم زجاجها . . . . وكل ما ينقصنا ليتيسر ذلك .... سلم طوله ستة أمتار على الأقل . . . وفأس ... الأمر سهل جداً كما ترين ... أم خير من ذلك أن أحملك على أسنانى وأنفخك إلى النافذة ، فانك خفيفة كغلالة الورد .... ولكنى أخشى أن تطيرى إلى بيت آخر ! »

فقرصتنى قرصا وجيعا ولم أكن أتوقع ذلك فصرخت من الألم

صور سياحة

# منشن

## مهد الحركة الاشتراكية الوطنية

« بقلم سائح متجول »

كانت العاصمة الألمانية تغص منذ شهر يولية بمئات الألوف من الزائرين الذين اجتذبهم موسم الألعاب الأولمبية ؛ ولهذا السبب ذاته لم يجذبنا برلين الزاخرة اليها ، ولم نر فى الألعاب الأولمبية وضجيجها ما يؤذن بالاقامة الهادئة ؛ لذلك تركنا برلين وضجيجها ، وآثرنا أن نمضى أياماً فى بافاريا وعاصمتها مِنشِن ( ميونيخ ) مهد الاشتراكية الوطنية ، ومبعث المبادىء والنظم التى تسود ألمانيا منذ أربعة أعوام

إن أول ما يلفت نظر الزائر لألمانيا الجديدة طابعها الاشتراكى الوطنى أو بعبارة أخرى طابعها الهتلرى ؛ ففى كل مكان تخفق الأعلام النازية الضخمة بكثرة مدهشة ، وفى كل مكان تعلق صورة « الزعيم » ( الفيرر ) ؛ وفى كثير من الأمكنة العامة مثل دور البريد والبنوك تعلق لوحات عليها ما يأتى : « تحيتنا : ليحى هتلر ! » Unser Gruss: Heil Hitler! ؛ ويحمل الأفراد الشارات النازية بكثرة ، على صدورهم وأذرعهم ، وفى قبعاتهم ؛ وهكذا فى كل مكان تشهد كثيراً من المظاهر المادية للطابع النازى (الاشتراكى الوطنى) العميق الذى يسود ألمانيا الجديدة

وليس الطابع المعنوى لهذه الظاهرة أقل قوة ووضوحاً ؛ ذلك أن الزائر الذى يلاحظ عن كثب يشعر بأنه يعيش فى أفق عميق من المبادىء الجديدة . ويخيل اليه أن ألمانيا كلها تتنفس هذا الريح الجديد الذى نفثته فيها الحركة الهتلرية . ولست بحاجة لأن تتحدث مع أحد لتأنس هذا الشعور ، وإنما تشعر به من تلقاء نفسك شعوراً قوياً تنفثه فيك ألمانيا الجديدة فى كل مكان

ولا ريب أن من الصعب أن تتبين ماوراء هذه المظاهر ، وما تختلج به الصدور ؛ ذلك أن ألمانيا الجديدة تنطق كلها بلسان واحد ، ومن أشد الخطر أن يكون لأحد رأى على رأى أولئك الذين يقودونها ؛ وليس فى ألمانيا صحيفة واحدة تستطيع أن تلاحظ أو تعلق ، والصحافة الألمانية كلها لسان واحد لما يرسمه القادة من الآراء والملاحظات

***

هذا أول ما يلاحظ الزائر المتأمل فى ألمانيا الجديدة . ولقد كانت منشن مهد الحركة الاشتراكية ، وفيها بزغ نجم هتلر وصحبه ، وهى لذلك أشد العواصم الألمانية حماسة للزعيم ومبادئه . وما زالت منشن فى الواقع قبلة الاشتراكية الوطنية ، ومستودع آثارها وذكرياتها ؛ واليها يحج أولئك الذين يعبدون المبادىء والذكريات من كل فج ليقفوا خاشعين أمام الهياكل والآثار التى أسبغت عليها السلطات نوعاً من القدسية المؤثرة : تلك هى بعض الآثار والذكريات المادية لقيام الحركة الاشتراكية الوطنية ، البيت الأسمر Dos Brue Haus ، وهيا كل الضحايا ، ودار « الزعيم » أو دار الحزب الاشتراكى الوطنى ، وهى جميعاً تقع فى « ميدان الملك » وفى شارع منعزل هادىء يسمى شارع « أرسيس » . ولقد شهدنا هذه الآثار السياسية التى عدت رمز

---

ولما قرت الضجة ، قالت : « ألا يوجد فى هذه البلدة نجار ؟ »

فاستحسنت الرأى ، وأشرت عليها بالصعود مع الجيران إلى بيتهم حتى أجد نجاراً ، وكنت أظن أن الأمر لا يكلفنى إلا سؤالاً ألقيه إلى واحد من أهل البلدة فاذا النجار حاضر بقدرة ربك ، ولكنى مشيت بضعة أمتار — لا أقل من خمسة — وأنا أدور وألف ، وضيعت أكثر من ثلاث ساعات قبل أن أجد النجار . ولما وجدته أخبرنى أنه ليس عنده شىء يستطيع أن يفتح به الأقفال ، واستمهلنى ريثما يبحث . . . . واستغرق ذلك ساعتين أخريين . فلم ندخل بيتنا إلا بعد منتصف الليل !

ولا أزال أحاول أن أحتفظ بذكرى ذلك النهار — على الرغم من التفاحة التى بططت أنفى — وأن أنسى عناء تلك الليلة ولكن الذكريين فى قرن ، وكل منهما تثير الأخرى ، فما العمل ؟؟

ابراهيم عبد القادر المازنى

التقديس فى ألمانيا الجديدة لأنها ترتبط أشد الارتباط بتاريخ « الزعيم » وتاريخ الحركة الاشتراكية الوطنية . فأما « البيت الأسمر » فقد كان من قبل مقهى يجتمع فيه الزعيم وصحبه فى بداية الحركة ، وفيه وضع هتلر نواة حزبه ، وفيه أطلق ذات يوم فى الهواء رصاصة من مسدسه إيذاناً ببدء الكفاح والسير إلى الظفر ؛ وكان ذلك منذ نحو عشرة أعوام ، وهتلر وصحبه جماعة مغمورة لا يكاد يشعر بوجودها أحد . فهذا المقهى القديم يغدو اليوم أثراً يحج اليه ، ويحرسه الجند شاهرى السلاح . وعلى مقربة من البيت الأسمر يقوم هيكلان متقابلان عليهما مظاهر البساطة والروعة معاً ، قد صفت فى فناء كل منهما ثمانية توابيت متقابلة تحوى رفات أولئك الذين سقطوا من أعضاء الحزب الوطنى الاشتراكى فى المعارك والمحاولات الأولى ؛ وقد كتب على كل تابوت منها : « الانذار الأخير » Der letzte Rappel ، ثم اسم صاحب الرفات ؛ وإن منظر هذه التوابيت المصفوفة فى العراء لما يبعث الخشوع والروعة معاً ؛ ولقد رأيت الجموع تدنو منها كما تدنو من الحرم المقدس ، وتلقى التحية النازية ببسط الذراع ، والوجوه خاشعة ، والرؤوس محنية ، والصمت العميق يسود المكان : تلك هى مظاهر القوة السياسية الظافرة يسبغها الظافر على ذكريات ما كانت لتكون شيئاً لولا أن توجها الظفر الباهر

وعلى مقربة من الهياكل أقيمت دار جديدة ضخمة تسمى بدار الزعيم ، لتكون مقراً لادارة الحزب الاشتراكى واجتماعاته

***

فأما عن الحياة الاجتماعية فى منشن فيمكن أن يقال إنها صورة حقيقية للحياة الاجتماعية الألمانية . ومنشن مدينة ضخمة ، ولكن يبدو عليها كثير من آثار القديم ، فى شوارعها وفى مبانيها ، وما زالت بها عدة أبواب من آثار العصور الوسطى . وفنادق منشن عديدة ، ولكن ينقصها شىء من الاناقة وحسن التنسيق . على أن أروع ما فى منشن مطاعمها وبيرها الضخمة Braü التى لا تضارعها أية أمكنة أخرى فى أوربا : « ليفن بروى » « ماتيزن بروى » « توماس بروى » « منشنر بروى » وكثير غيرها ؛ وإنك لتدخل أحد هذه الأبهاء الشاسعة فيدهشك منظرها ويسحرك معاً . تصور أبهاء هائلة طول كل منها نحو مائة متر أو يزيد ، وعرضه خمسون متراً أو يزيد ، وقد عقدت عليها منحنيات رائعة ، وصفت فيها مئات الموائد ، وغصت بآلاف الشاربين والآكلين ؛ وأروع ما فى هذه الأمكنة القاعات التى تحت الأرض أو الأقبية الهائلة التى تمتد تحت بناء ضخم أو أكثر . وتصور هذه الجموع البشرية المكتظة وهى تحتسى أقداح البيرة ؛ وأى أقداح ؟ أقداح هائلة من الخزف أو المعدن يسع القدح منها لتراً أو أكثر من البيرة الصابحة اللذيذة ، ولا يتجاوز ثمنه قرشين ! ثم تصور أطباقاً ضخمة تغص بمقادير وافرة من الطعام الشهى بأثمان معتدلة جداً . وإنك لتشهد الأقداح المزبدة والأطباق الحافلة تنفث الدخان العطر ، والحنايا المعقودة والثريات الساطعة فوق رؤوس الجالسين فى هذا الرحب الشاسع ، والآنسات يهرولن للخدمة — والآنسات يقمن بالخدمة فى مقاهى منشن ومطاعمها — ذلك منظر رائع ساحر معاً لا يستطيع السائح أن يشهده فى أية عاصمة أخرى

وأهل منشن يأكلون ويشربون بكثرة ؛ والألمانى على وجه العموم نهم يفرط فى الأكل وفى الشراب فى كل وقت ، وهو على خلاف الفرنسى لا يحب الأحجام والمقادير الصغيرة ، بل يؤثر الأحجام والمقادير الوفيرة فى كل شىء . وللطعام الشهى لديه لذة خاصة يستمرئها ؛ والطهى الألمانى غنى بمادته الوفيرة من مختلف اللحوم والخضروات ، ولكنه قليل التنوع ؛ أما الطهى الفرنسى فيلاحظ فيه فقر المادة مع كثرة فى التنوع

ومما يلاحظ أن الشعب البافارى لا يتمتع بكثير من التناسق فى الجسم والملبس ، فهم يرتدون أغرب الأزياء والألوان دون تناسق ولا ذوق ؛ ويمتاز الرجال فى الغالب بالتكرش والترهل ؛ والشباب لا تبدو عليه آيات النضارة كالشباب السويسرى مثلاً . وكثير من الشباب يضعون النظارات على عيونهم ، بل يضعها كثير من الضباط والجند . ولا يتمتع النساء بكثير من الرشاقة والاناقة وحسن الهندام ؛ وقلما تجد حسناء تلفت النظر برائع قوامها أو زينتها ؛ وتغلب لديهن ضخامة الصدور ، بيد أنهن لا يسرفن فى الزينة والاصباغ كالفرنسيات ، وهم أميل إلى الحشمة والتحفظ

وقد قلنا إن منشن مهد الحركة الاشتراكية الوطنية وإنها أشد العواصم الألمانية تأثراً بالروح والمبادىء الجديدة .

والاشتراكية الوطنية تقوم فى جوهرها على الفكرة العنصرية، وعلى الاعتزاز بالجنس؛ وقد بث الغلو فى فهم هذه العنصرية إلى الشعب الألمانى روحاً عنصرية قوية تقوم من بعض الوجوه على خصومة الجنس؛ ومن ثم فان الغرباء، ولا سيما الذين تنم عليهم ألوانهم من الشعوب السامية والشرقية يشعرون بأنهم فى جو غير ودى. وقد لا يتخذ هذا الشعور أية مظاهر مادية، ولكن ما يلقاه الغريب من مظاهر الأدب والمجاملة يشوبه غالباً شىء من الخشونة والجفاء؛ وقد سمعت هذه الملاحظة من كثير من الأوربيين والأمريكيين الذين تجولوا فى ألمانيا. على أنه يمكن أن يقال إن الأجنبى يشعر رغم هذه الظاهرة التى تمازجها الصراحة بأنه فى جو أكثر قبولاً مما يأنسه فى فرنسا من مظاهر يمازجها الرياء فى كل شىء

ومنشن غنية بالتاحف الأثرية؛ وفى متحف قصر «الرزيدانس» وهو قصر ملوك بافاريا السابقين، مجموعات بديعة من الصور والأثاث؛ وفى المتحف الوطنى مجموعات زاخرة من الأثاث والأسلحة والأزياء والصور الزيتية؛ وتوجد عدة متاحف هامة أخرى أشهرها المتحف الفنى الذى يعتبر أعظم متحف فى العالم من نوعه. ولا غرو فقد كانت منشن حتى الحرب الكبرى عاصمة لملكة بافاريا، وكانت مقر ملوكية عظيمة لبثت مدى قرنين تسيطر على ألمانيا الجنوبية؛ وهى ما زالت تعتبر عاصمة ألمانيا الثانية من الوجهة التاريخية والمعنوية

وتتمتع منشن بموقع جغرافى بديع فى هضاب الألب البافارية، وعلى مقربة من الغابة السوداء؛ وقد جعلها موقعها مركزاً هاماً للسياحة فى ألمانيا الجنوبية، ولقد كانت المدينة حين زرناها تموج بجموع غفيرة من السياح من سائر الأنحاء ولا سيما البلدان الشمالية مثل السويد والنرويج والدانماركة وهولندة

هذه صور أملتها الملاحظة والتأمل؛ بيد أنه يمكن أن يقال رغم كل شىء إن السائح يلقى فى ألمانيا كثيراً من حسن الوفادة. وقد كان لما وضعته الحكومة الألمانية من التسهيلات بالنسبة لمسألة العملة وتخفيض أجور السفر أكبر الأثر فى تقدم السياحة فى ألمانيا ؟

( *** )

# المـــرأة

### فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

للمرأة أثرها البين فى كل مجتمع وبالتالى فى أدب ذلك المجتمع، بل إن مكانتها فى المجتمع وأثرها فى الأدب أوضح دليل على مدى رقى الأمة. وأول ما نصادف من فرق بين تاريخى المرأة العربية والمرأة الانجليزية أن مكانة الأولى تبدأ رفيعة وتظل كذلك حيناً ثم تسير فى انحلال مستمر، بينما تاريخ الثانية هو تاريخ رقى مطرد الى الوقت الحاضر

كانت للمرأة العربية منزلة سامية وأثر بعيد فى حياة الجاهليين والمسلمين فى صدر الاسلام زادها الاسلام توكيدا، ويتضح ذلك جلياً فى عظائم الأعمال التى قامت بها المرأة فى ظهور الاسلام وانتشاره والمشادات التى تبعت ذلك؛ فذاك عصر حافل بأسماء فضليات النساء اللائى تركن أثرهن فى سير الحوادث وفى الأدب، وفى ذلك العصر احترفت المرأة شتى الأعمال كالطب والتدريس فى الشرق وفى الأندلس. ومما له دلالته على مكانة المرأة إذ ذاك أن كبار الرجال كانوا يفخرون بالانتساب الى أمهاتهم وعصبيتهن، وكانوا يلقَّبون بابن هند وابن عائشة وابن ذات النطاقين فى مجال التبجيل والمدح؛ وكان للزوجة رأى مسموع، يشاورها زوجها قبل الاقدام على عمل، وآثار ذلك فى الأدب عديدة؛ وقد جرت عادة كثير من الشعراء على تسجيل تلك الشاورات فى أشعارهم يبدأونها بقولهم: «وقائلة . . .»

ذلك عصر المرأة العربية الذهبى فى الأدب، ضربت فيه فى الشعر ونقده ومجالسه وفى الخطابة بسهم وافر. وكان فى طليعة الأديبات والبليغات بنات الخلفاء والأمراء، ولنقتصر من المعددات اللاتى نبغن فى هذا العصر الطويل على ذكر الخنساء وليلى الأخيلية وليلى بنت طريف وعلية بنت المهدى فى الشرق، وولادة بنت المستكفى وحمدونة بنت زياد فى الأندلس

فلما اتسعت المملكة الاسلامية واختلطت فيها الأجناس وتكاثرت الجوارى واستفحل التسرى وفشا الترف واستحل

ما حرم من المفاسد ، دب دبيب الفساد فى المجتمع كله ، وأخذت حالة المرأة خاصة فى انحطاط شديد مستمر : وهنت رابطة الأسرة ، وتنوسيت أوامر الدين التى تعلى مكانة المرأة وحقوقها ، وأهمل تعليمها ، وشدد عليها الحجاب حتى انفصلت عن عالم الأحياء ، فتلاشى أثرها فى المجتمع وفى الأدب ، فلم يكد يذكر التاريخ اسم امرأة عظيمة ذات أثر فى حياة الأمة أو أدبها

أما مكانة المرأة الانجليزية فى المجتمع فبدأت كما نراها فى قصص تشوسر وروايات شكسبير على درجة من الرقى محسوسة : فهى فى قصص تشوسر تبارى الرجل فى الأعمال العامة ؛ وفى روايات شكسبير تصوير لنساء على جانب عظيم من القدرة والطموح والسمو . وليس أدل على ارتفاع مكانة النساء فى ذلك العهد من قبول الشعب إليزابث — وهى بعد فى حداثتها — ملكة عليه دون تردد ، وإيلائه إياها من الولاء ما لم يوله غيرها من الملوك ، وإظهارها هى من الحنكة السياسية ما بذت به الفحول . وازِنْ ذلك بما كان من ارتياع الناس فى عهد انحطاط المرأة العربية السالف ذكره ، حين وليت شجرة الدر عرش مصر ، حتى بعث الخليفة العباسى يوبخ أمراء مصر ويتوعدهم بالويل والثبور إن لم ينضحوا ذلك العار ، على حين لم يحرك أسلافه ساكناً يوم ولى نفسَ العرش عبدٌ خصى

واطرد رقى المرأة الانجليزية باطراد رقى المجتمع الانجليزى ، وتزايد حظها من التعليم . وفى القرن الثامن عشر زاد التفاتها إلى الأدب وظهرت الصحف فأقبلت على قراءتها ، وانصرفت همة بعض كتاب العصر إلى تحسين حالها وتثقيفها وترغيبها فى الأدب . وظهرت المنتديات النسائية التى اشتهر بها ذلك القرن وكان يجتمع بها رجال الأدب . فلما كان القرن التاسع عشر طفرت حالة المرأة طفرة عظيمة فى طريق التقدم الاجتماعى والأدبى بانتشار التعليم العام ومشاركة المرأة الرجل فى كثير من الحقوق السياسية والأعمال اليومية ، فلا غرو إن تعاظم أثر المرأة فى الأدب الانجليزى ، وتدفق إنتاجها فى عالمى الشعر والنثر

ولقد اعترضت هذا الرقى فترةُ انحطاط فى القرن السابع عشر ترجع إلى انتشار الترف والفساد الخلقى اللذين صحبا عودة الملكية الانجليزية التى كانت لاجئة إلى فرنسا ؛ وهذا شبيهٌ بالترف الذى أدخله الفرس فى المجتمع العباسى ؛ ولكن بَيْنا نرى هذا الأخير يستمر ويستفحل حتى يكون فيه القضاء الأخير على الخلق العربى وعلى مكانة المرأة وعلى المجتمع عامة ، نرى المجتمع الانجليزى لا يلبث أن يتحرر من تلك النوبة الطارئة ، وينصبُ كبارُ الكتاب — أمثال ستيل وأديسون وجونسون — أنفسهم لتطهير الأدب ورفع مستوى المرأة ، وهى حركة عديمة المثيل فى الأدب العربى : فبدل أن ينصرف أدباء العصر العباسى المترف إلى إصلاح كهذا الاصلاح الحميد تهالك شطر منهم على مفاسد ذلك العصر واعتزل شطر منهم قليل وتوفرَ على نظم أشعار الزهد

وأثر المرأة فى أدب مجتمعها مزدوج : فمنه ما يقوله الرجل متأثراً بوحيها ، ومنه ما تنتجه هى ذاتها . وتتساوى المرأة العربية والانجليزية من جهة الانتاج فى تقصيرهما عن الرجل وضآلة أثرهما فى الأدب إذا قيس بأثر الرجل فى شتى أغراض القول ؛ غير أن المرأة الانجليزية تفوق العربية فى كثرة إنتاجها الأدبى ، وكذلك فى كثرة ما أنشأ الرجل حولها من أدب ، لظروف مساعدة أحاطت بتاريخها وحُرِمَتْها المرأة العربية فى خير عصورها : من انتشار التعليم العام والطباعة والصحف ، ووجود فن من فنون الأدب فى الانجليزية دون لغة الضاد هو القصة

فالقصة المقروءة أو الممثَّلة التى تدرس المجتمع والنفس الانسانية سبب كبير من أسباب تكاثر الأدب المكتوب حول المرأة : إذ لا غنى ثمت عن درس المرأة بجانب الرجل سواء بسواء ووصف أعمالها وميولها وأثرها فى سير الحوادث ، ومن ثم زخرت روايات شكسبير ومعاصريه ، وقصص سكوت ودكنز ومريدث وهاردى وأضرابهم بشتى الصور لمختلف عناصر النساء ، ومتباين طبقاتهن ومتعدد طبائعهن ، وقد حرمت المرأة العربية هذه الدراسة الأدبية حرماناً تاماً

والقصة من جهة أخرى سبب كبير من أسباب تكاثر الأدب الذى تنشئه المرأة ذاتها ، لأنها تلائم طبع المرأة أكثر مما يلائم نظم الشعر الذى هو أشبه بالرجل ، لأنه يحتاج إلى قوة وفخامة وشمول نظرة لا تتسق لكثير من النساء . أما القصة التى تدرس الحياة الاجتماعية وتصف الحركات والسكنات وتحصى التفاصيل وتتبع الحوادث ، فتجد فيها المرأة خير مجال للتعبير عن خلجاتها ومشاهداتها . زد على ذلك أن للمرأة من لطف النفس ودقة الملاحظة ما يمكنها من فهم الآخرين والأخريات والالمام بنوازعهم

ومراميهم ، وفضلاً عن هذا وذاك تستطيع المرأة فى القصة أن تعبر على لسان غيرها عن نزعات الحب وأطواره تعبيراً لا يستساغ منها إن أرسلته شعراً

لذلك كله لم تكد تظهر القصة وينتشر التعليم العام حتى نبغ فى القرن الماضى جمهرة من كبريات القصصيات بارين كبار قصصى العصر الحديث ، وفى مقدمتهن جين أوستن وشارلوت برونتى ومسز جاسكل ؛ وفى هذا الفن ، فن القصص ، أنتجت المرأة الانجليزية أحسن ما أنتجت من أدب ، على حين كان الشعر هو الفن الذى نبغت فيه المرأة العربية

ومن وجوه الاتفاق بين تاريخى المرأتين أنْ ظهر لكل منهما فى الأدب الذى تنتمى إليه عدوٌ عنيد أنحى عليها بقوارص الكلام : ففى العربية صب المعرى جام نقمته على الحياة على المرأة التى خيل إليه أن طباعها هى طباع الحياة الخاتلة ، وفى الانجليزية ندد ملتون بالمرأة فى كتاباته وأشعاره ، وأنزلها منزلة دون الرجل ، ووصمها بالحمق والختل ، وجعل شخصية دليلة فى قصته الشعرية عن سمسون الجبار مثال تلك المرأة . على أن ممـا له دلالته أن ملتون كان فرداً يعبر عن أفكاره الفردية التى اكتسبها من ظروفه التعسة ولا يجد من حوله سميعاً ، بينما كان المعرى ينعب نعيبه فى أوائل عهد انحطاط المرأة العربية واشتداد وطأة الحجاب عليها ، فلا ريب أنه كان يجد آذاناً صاغية وأنه مسؤول عن بعض ما حاق بها بعد ذلك من قهر وإهمال

وقد عرف الأدب العربى عنصراً من النساء لم يعهده الأدب الانجليزى : هو عنصر الجوارى اللائى كن يبرعن فى الأدب والموسيقى ويجتمع إليهن الأدباء ويشببون بهن ، ولكن الأدب الجزل الصحيح لم يستفد كثيراً من ذلك العنصر المترف المتبذل ، فى حين أن أثر أولئك الجوارى فى سقوط منزلة المرأة واضح محقق

ويمكن حصر الأدب المتعلق بالمرأة فى اللغة العربية فى أبواب أربعة : النسيب ، وحوادث عظيمات النساء ، والتمدح بالعفة واحترام المرأة فى عصرها الأول ، والغض منها فى عصرها المظلم

والتمدح بالعفة وتوقير المرأة والتقرب إليها بمكارم الأعمال من أنبل أغراض الأدب العربى وهو ضرب من القول ينفرد به دون الأدب الانجليزى ؛ وبديهى ألا يكون ذلك إلا فى عهد علو مكانتها فى النفوس ، ومنه قول مسكين الدارمى :

ما ضر جارى إذ أجاوره ... ألا يكون لبيته ستر

أعمى إذا ما جارتى خرجت ... حتى يوارى جارتى الخدر

وقول أبى فراس :

ورحت أجر ردمى عن مجال ... تحدث عنه ربات الحجال

ارتدت هـذه الرعاية الكريمة للمرأة تحقيراً وسخرية حين فسد المجتمع ، فلم يستحى الشعراء أن يطلقوا فيهـا ألسنتهم ، فمن قائل :

عسر النساء إلى مياسرة ... والشىء يسهل بعد ما جمحا

وقائل :

ومن خبر الغوانى فالغوانى ... ضياء فى بواطنه ظلام

وقائل :

وإن حلفت لا يخلف النأى عهـدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

وهو هجاء للجنس اللطيف استمرأه ساقطو الهمة من الشعراء وتنزه عنه الأدب الانجليزى ، فاقتصر على النسيب الرقيق والدعابة الرقيقة والدراسة العلمية البريئة لشتى الطبائع والشخصيات النسوية

والنسيب هو مجال ظهور المرأة الأول فى الشعر ، وفيه أى دليل على رقى المجتمع ومكانة المرأة فيـه . وفى الأدبين العربى والانجليزى نسيب على غاية من السمو والنقاء ؛ وأكثر ما كان ذلك فى الأدب العربى فى عهد ارتقاء مكانة النساء الاجتماعية ، هنالك كان شعر النسيب فى جملته عفيف اللفظ نقى الاشارة صادق العاطفة على خشونة وسذاجة فى بعضه ، فلما كان عصر الترف والفساد هوى النسيب إلى حضيض الشهوات وداخله التكلف فى الشعور وفى اللفظ ، وخالطه من الفحش والنسيب بالمذكر ما تنزه عنه الشعر الانجليزى

ففيما عدا فترة الفساد الخلقى الوجيزة فى التاريخ الانجليزى التى تقدم ذكرها ، يمتاز النسيب الانجليزى بسمو العاطفة وطهارة اللفظ والترفع عن ذكر الشهوات والتسامى عن الأوصاف الجسمية التى تشغل حيزاً غير ضئيل من النسيب العربى ، فالشاعر الانجليزى يعد جمال محبوبته أمراً مفروغاً منه ، فان أشار إشارة عاجلة إلى محاسنها فالى نقاء بشرتها أو لمة شعرها ، وإن عمد إلى التشبيه فانما يشبه عينيها بالسماء صفاء أو صدرها بالدر نقاء وبعداً عن منال الرجال ، إلى غير ذلك مما هو أدخل فى الأوصاف النفسية وأدل على السمو الروحى ؟

فخرى أبو السعود

# عادة الختـــان
## أصلها وتاريخها وانتشارها

بمناسبة المبوزين والاسلام

بقلم الدكتور مأمون عبد السلام

إنه لمن الصعب على المشتغلين بدراسة طبائع الأمم وأحوالها أن يهتدوا الى تحديد العصر الذى بدأ فيه الانسان يختتن . وهم لا يزالون فى حيرة من الدوافع التى حملته على تلك العادة ، فتقول فئة منهم إن بعض القبائل لجأت الى الختان كعلامة تميز بها نفسها عن سواها كما يلجأ بعض قبائل السودان الى تشريط خـدودهم أو الى اقتلاع إحدى أسنانهم القاطعة . ويعلله آخرون بأنه وقاية سحرية ، ويظن غيرهم بأنه عقيـدة دينية يضحى الفرد بمقتضاها جزءاً من جسمه فداء عن نفسه وتقرباً الى ربه . ويعتقد آخرون بأنه ميزة ارستقراطية

وعادة الختان عريقة فى القدم ، يدل على ذلك انتشارها فى أنحاء قاصية من المعمور بين أجناس من البشر قد فصلت الطبيعة بعضهم عن بعض منذ أحقاب سحيقة . فلا تكاد تخلو قارة من شعوب تمارس تلك العادة ، فتراها بين قبائل السود من سكان استراليا ، كما أنهـا توجد بين قبائل الجالا والفلاشه ، يهود الأحباش ، وبين غيرهم من قبائل الحبشة ، وعنـد قبائل البانتو والمساى والكفار والناندى بافريقيا ، وقبائل الأوتاهيت وسكان جزائر التونجا والبولينزيا وجزيرة فيجى وكاليدونيا الجديدة

ولـما اكتشف الأسبانيون أمريكا منذ أكثر من أربعمائة سنة مضت وجدوا عادة الختان منتشرة بين أقوام الناهواطل وبين أمة الأزتيك سكان بلاد المكسيك القدماء كما شاهدوها بين سكان حوض نهر الأمازون بأمريكا الجنوبية

وكان قدماء المصريين يختتنون من عصور غابرة قبل سـنة ١٤٠٠ ق.م . فتراهم قد صوروا ولدين يختتنان على جدران معبد خونسو بالكرنك . وقد ذكر التاريخ أن مصر فى عهد مرينبتاح قد غزاها قوم من سكان بحر الروم كانوا يختتنون

والختان من مميزات الشعوب السامية وخاصة اليهود منهم ، فقد كان بنو اسرائيل من قديم الزمان يختنون الرجل وقت زفافهم ، فاذا أظهر العريس أى خوف أو وجل كان ذلك دليلاً على نقص فى رجولته فتهجره عروسه وتلبسه المعرة . وقد علمت من بعض المعمرين أنه كانت العادة فى بلدة التلين بمركز منيا القمح أن يختتن الرجل يوم زفافه

وقد فرض الله سبحانه وتعالى الختان على سيدنا ابراهيم عليـه السلام وعلى ذريته وعبيده ، وكان قد أمره بأن يغير اسمه من إبرام إلى إبراهيم لأنه سيكون أباً للبشر . فقـد جاء فى سفر التكوين (١٧ ÷ ٢٣ — ٢٧) : « فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غرلتهم فى ذلك البيت عينه كما كلمه الله ، وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن فى لحم غرلته ، وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن فى لحم غرلته ، فى ذلك اليوم عينه ختن ابراهيم اسماعيل ابنه وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه »

ويختتن اليهود أولادهم فى اليوم الثامن من ولادتهم كما ختن ابراهيم ابنه اسحق فريضة الله عليه . ففى سـفر التكوين (١٧) ابن ثمانية أيام يختن كل ذكر فى أجيالكم

وقد قام اليهود بهذه الفريضة إبان أسرهم فى أرض مصر ، ولـكنهم أقلعوا عنها وهم فى برية سينا فلم يختن موسى عليه السلام ابنه إلى أن قطعت زوجته صفورة غرلته استجلاباً لرضى الرب ومنعاً لنقمته ؛ فقد جاء فى سفر الخروج (٤) : وحدث فى الطريق فى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه

ولـما بلغ بنو اسرائيل كنعان أرض الموعد رجعوا إلى التختن فتختنوا بسكاكين من صوان فى مكان جلجال كما ورد فى يشوع ٥ (٢) : « فى ذلك اليوم قال الرب ليشوع اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بنى إسرائيل ثانية . فصنع يشوع سكاكين من صوان وختن بنى إسرائيل فى تل الغلف . وهذا هو ختن يشوع اياهم . إن جميع الشعب الخارجين من مصر الذكور جميع رجال الحرب ماتوا فى البرية على الطريق بخروجهم من مصر . لأن جميع الشعب الذين خرجوا كلهم

مختونين . وأما جميع الشعب الذين ولدوا فى القفر على الطريق بخروجهم من مصر فلم يختتنوا لأن بنى إسرائيل ساروا أربعين سنة فى القفر حتى فنى جميع الشعب رجال الحرب الخارجين من مصر الذين لم يسمعوا لقول الرب الذين حلف الرب لهم ألا يريهم الأرض التى حلف الرب لآبائهم أن يعطينا اياها ، الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً . وأما بنوهم فأقامهم مكانهم فاياهم ختن يشوع لأنهم كانوا قلفا إذ لم يختنوهم فى الطريق . وكان بعد ما انتهى جميع الشعب من الاختتان أنهم أقاموا فى أماكنهم فى المحلة حتى برئوا . وقال الرب ليشوع اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر فدعى اسم ذلك المكان الجلجال إلى هذا اليوم »

ويختن اليهود أولادهم فى منازلهم وفى الكنيس ، فيقوم بهذه العملية والد الطفل ، أو رجل اختص بذلك يشترط فيه التدين وحسن السيرة وألا يؤجر على عمله ، بل يقوم به ابتغاء وجه الله . وكانوا يقطعون القلفة بسكين من الصوان أو من الزجاج أسوة ببنى إسرائيل ، ولكنهم استعاضوا الآن عنها بمشارط من الصلب . ويجب أن يسيل الدم وقت العملية ، فكانوا فيما سلف يمصون الجرح ليكثروا من نزول الدم ثم يقفونه بعد ذلك بالخمر يرشه المختن بفمه ، ولكن ذلك قد بطل . ومن عادتهم أن يدفنوا القلفة أو يحرقوها

ويعتبر اليهود الختان طهارة ، والطهارة عندهم إما ظاهرية وهى الختان ، أو باطنية وهى طهارة القلب كما ورد فى الكتاب المقدس — أرميا ٩ (٢٥)

ويقول المؤرخون إن هركانوس أجبر الأنيدوميين على الختان ، وأن بطليموس أبيفانيس ختن ولديه أنطونيوس والأجيالوس

ولكن الامبراطور يوستينيانوس قد حرمه على الرومانيين ومن خالف ذلك يقتل . وقد حذا حذوه انطيوكوس ابيفانيس ، وعذب من أجل ذلك كثير من اليهود وقتلوا . وقد حرمه كذلك الامبراطور هادريانوس وقسطنطين

ولما جلا المسلمون عن بلاد الأندلس وقامت محكمة التفتيش بالقضاء على ما بقى من آثاره جرمت الختان فى أواخر عهدها

والعادة ألا يختتن المسيحيون ولو أن الكثير منهم يختتنون كما يفعل الأحباش . وقد ظهر فى إيطاليا فى القرن الثانى عشر الميلادى طائفة مسيحية اسمها « سركمسيسى » تأمر بالختان كما يدل اسمها على ذلك

والختان سنة كونية كتربية اللحية عند المسلمين وقد أفتى بذلك جمهور العلماء.

ويتبع عادة الختان عادات أخرى على غاية من الغرابة . ففى بلاد البوسنه مثلاً يمنع الصبى من شرب الماء شهراً كاملاً

ويختتن الصبيان عند قبائل الكفار فى جنوب أفريقيا عند بلوغهم الحلم باحتفال رائع عظيم . فيضربون حتى تدمى جلودهم ، ثم يذر الفلفل الأحمر ( الشطة ) على جروحهم كى يختبر مقدار صبرهم على الألم وبعد ذلك يختتنون

ويرتدى شبان قبيلة المساى ( وهم من السود بافريقيا الشرقية ) عند ما يقرب وقت ختانهم ملابس النساء ، ويطلون وجوههم بالأبيض والأحمر ويتخضبون ويظهرون كل علامات الأنوثة اعتقاداً منهم بأن ذلك يبعد الشياطين عنهم فلا يصيبهم منها أذى

ومن عادة قبائل الناندى بشرق أفريقيا البريطانى أن يزور البنات الفتيان قبيل الختان ويقرضنهم ملابسهن وحليهن ليلبسوها ، فاذا تم الختان يرتدى الشبان المختتنون ملابس المتزوجات من النساء ويتبخترون بها بكل دلال النساء عدة أشهر حتى تبرأ جروحهم

ويختتن الشبان من قبائل السود باستراليا قبل زواجهم فيجبرون على الجرى فى الادغال ووراءهم القوم يستحثونهم على المثابرة ساعات عدة بالضرب الشديد حتى يسقطوا من الاعياء . فيوقد الرجال بعد ذلك ناراً ويختنون الشبان بقطعتين من الزجاج ويتركونهم فى حراسة رجل أو امرأة من القبيلة إلى أن يلتئم الجرح ثم يكون لهم حق التزوج . والغريب فى أمرهم أن المختتن يلبس فوق وجهه نقاباً خشبياً ( وجهاً من خشب ) كيلا يراه أحد مدة أسبوعين

ومن عادة بعض هذه القبائل أن تلف القلفة فى قطعة من جلد الكانجرو . ثم تعطى لزوجته فتحتفظ بها طول حياتها

ومن عادة أهل أواسط استراليا أن يلعقوا ما يسيل من الدم وقت الختان أو يطلوا به صدورهم وجباههم لاعتقادهم أن ذلك يزيد فى قوتهم

وعند ما يختن قوم الأرونطا أولادهم يصرخ الرجال بأعلى

صوتهم قائلين : (بررر) فيسممهم النسوة فى عششهن فيعمدن فى التو إلى أخوات المختتنين وإلى خالاتهم ومن يحل لهم التزوج بهن من النسوة فيشرطن جلد بطونهن وأكتافهن اعتقاداً منهن بأن ذلك يمنع الألم عن الصبي . ثم تعطى القلفة لأخى المختتن الصغير فيبتلعها كى ينمو ويترعرع

وعند قبائل السكوكودون فى شمال كوينزلاندا باستراليا تخيط المرأة قلفة ابنها بخيط تضمه حول جيدها لتتقى بذلك شر الشيطان فلا يؤذى ولدها

وفى بعض بلادنا يربط الولد القلفة فى خرقة يلبسها حول عنقه إلى أن يلتئم الجرح فيلقيها فى النيل

ويمسح بعض قبائل استراليا دم الختان بورق من قلف الأشجار ثم يلقون ذلك فى البرك التى ينمو بها نبات الزنبق المائى اعتقاداً منهم بأن ذلك يقوى هذه النباتات لأنهم يتغذون بسوقها وجذورها

مأمون عبد السلام

# نهضة المرأة المصرية

## وكيف نوجهها للخير العام

### للأستاذ فلكس فارس

لا تستغل نهضة المرأة ما لم توجّه الى تكوين المرأة الصالحة لتثمر بطبيعتها خيراً ، إذ من العبث أن نجنى الخير نهضة مضللة

لا ينهض بالشرق إلا حضارة شرقية تستمدّ نظمها من المبادئ الأدبية العليا التى أنزلت وحياً على رسله وأنبيائه ، وإلهاماً على فلاسفته وشعرائه

فاذا ما أردنا تحديد موقف المرأة فى المجتمع ونحن نستنير بهذه المبادئ يمتنع علينا أن نسلم لها بحالة تكون فيها قوامة على نفسها مستقلة بحياتها ، لأن الحضارة الشرقية التى نتجه بحوافزنا إليها لا مقام فيها لامرأة لا مرجع لها ولا قوام عليها ؛ وما المرأة المنسلخة عن سيطرة رجل يكفلها المتصلة بالمجتمع اتصالاً مباشراً إلا بدعة فى الانسانية أوجدتها أنانية الرجل فى الغرب لشقائه وشقائها على السواء

إن التشريع الأول الذى أيده جميع الأنبياء والمرسلين قد أورد الوضع الصحيح للأسرة الانسانية بقوله للرجل :

« بعرق جبينك تأكل خبزاً حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها » وبقوله للمرأة : « بالأوجاع تلدين والى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك »

فالمرأة إذن موقوفة على حياة الاشتياق بحسب تعبير الكتاب وعلى تأمين النسل الصحيح ، فكل استثمار لها فى أية دائرة أخرى من دوائر الحياة المادية ، إنما هو خرق للناموس وجناية على العاطفة والأنسال

ان لم تكن المرأة زوجة وأماً ، فهى مرتكبة جناية أو هى ضحية جناية . وأشد شقاء من هذه السائبة ، وأوفر ضرراً بالمجتمع ، الزوجة المسلوبة الخيار ، والأم المكرهة على التوليد

إن فى اشتياق المرأة وخضوعها بهذا الاشتياق نفسه لرجلها سر اعتلاء الأمم وانحطاطها ، وما جهل شعب فى التاريخ أهمية الانتخاب الطبيعى ، فتسلط رجاله على نسائه بشهواتهم لا بشوقهن دون أن تصبح المرأة فى ذلك الشعب أمَة تورث مذلتها بنيها فيتشربون العبودية فى فطرتهم قبل أن يبصروا النور

إن أولى الخطوات التى تقود الشعوب الى التدهور إنما هى تجاهل أهمية المرأة ، لا من حيث تربية الطفل فحسب ، بل أيضاً وبخاصة من حيث تكوين الجنين ، وما ينهض شعب يعتقد بمبدأ الزمخشرى القائل :

وإنما أمهات الناس أوعية   مستودعات وللأبناء آباء

إن الرجل الأنانى الجاهل يعتقد أنه هو وحده مستودع للحياة ، وإن بقاء النوع يتوقف على ما يحمل من جرثومة حية ، فما المرأة فى تقديره إلا الأرض يستنبتها خصبة ويتحول عنها مجدبة

وعلى هذا المبدأ الذى ينافى روح الشرع وحكمته ويناقض ما يؤيده من العلم الحديث ، يستولد الرجال النساء أطفالا كان خيراً لهم لو أنهم لم يولدوا

إن علم وظائف الأحياء قد اكتشف ذرات مستقرها خلايا الجسم وهى تعرف (بالكروموسوم) وعددها فى كل خلية إنسانية ٤٨ ، نصفها من الأب ونصفها الآخر من الأم ، لأن نطفة

الحياة فى الرجل وفى المرأة لا تحوى سوى ٢٤ ذرة فقط ، فيتضح من هذا أن العناية قد أرادت أن يكون المولود منبثقاً من شخصين متحدين على تواز تام بين ما ينفصل عن كل منهما لتكوين الحياة الجديدة

ويؤكد العلم أن هـذه الذرات منظمة فى الخلية على شكل سلسلة متصلة الحلقات وهى مزدوجة متقابلة فى سطحها ، وأن فى هذه الحلقات تستقر العوامل التى تنقل إلى الأبناء طوابع الآباء والأمهات

وقد عقد التخصصون لهذه الأبحاث فصولاً بينوا فيها كيف تتغلب عناصر الارتقاء أو الانحطاط فى السلالات ، فذهبوا إلى أن كل حلقة فى العقد المزدوج تكمن فيها صحة عضو معين ، فان كانت هذه الحلقة ضعيفة فى الأب وقابلها فى الأم حلقة قوية تغلبت الصحة على المرض فيجىء الطفل سليما وإلا فينشأ معتلاً لأن الحلقة التى يرثها عن أبويه لا مناعة فيها

إن هذا المظهر المحسوس لاختلاف القوى الكامنة فى كل من الرجل والمرأة لما يفسر لنا علة التنافر والتجاذب بينهما ، فان الطبيعة الطامحة إلى الارتقاء وإصـلاح ما تفسده الحياة تعمل بحوافزها الخفية متسلحة بالانتخاب الغريزى للوصول إلى أهدافها

مما لا ريب فيه ، إذن ، أن ليس كل رجل يصلح زوجا لأية امرأة ، كما أنه ليست كل امرأة تصلح زوجة لأى رجل كان

إن الحياة تغالب الموت فى هـذا الوجود مفتشة عن أصلح المنافذ للنشوء والارتقاء ، وهذه الحياة التى خرجت من الأزل متجهة إلى الأبد إنما تهب كالعاصف الجبار على الجنسين فتلويهما لسلطانها معتلية بالنوع فوق رمم أفراده . على أنه فى حين أن هذه الحياة تختار سبيلها بالسائق الغريزى فى النبات وفى الحيوان عاملة على تحسين مجاليها بالقضاء على الضعف الطارىء والاستبقاء على القوة الصامدة فى الجسوم ، فأنك لترى هذه الحياة فى المملكة الانسانية وهى أرق وأشرف مجاليها تتلوى فى مسالك الشهوات المضللة والعقليات السخيفة منزلة بالتائهين أوجع الزواجر وأبلغ العبر ، وهؤلاء التائهون لا يرجمون عن غيهم فلا يشفعون على أنفسهم ولا يبالون بأنسالهم

إن الولد المختل العليل إنمـا هو الضحية البريئة التى تصفع الطبيعة به أوجه الرجال الفاحشين والنسوة الطامعات المضللات ، ولـكن الطبيعة لا تعنو دائما لتحكم الانسان ولا تهيب زجره وارغامه فتضرب عن الظهور وتمتنع عن إيجاد الضحية ، وآخر ما اكتشفه العلماء فى جامعة كولومبيا بالاستقراء بعد أن كان الفكر يفترضه افتراضاً هو التنافر بين عنصرى الذكر والأنثى فى بعض الأحوال ممـا يقضى بالعقم التام مع أن كلا من الزوجين ليس عقيما

وما كان الانسان ليحتاج إلى الاستقراء العلمى خلال دقائقه وذراته ليعلم أن الطباق والانسجام يؤديان إلى الارتباط المكين ، وان الشذوذ والتنافر ينشأ عنهما التدافع والافتراق ، وليس الرجل والمرأة وترين على آلة صماء يشد احدهما جواباً على قرار الآخر ، لأنه ان لم يكن هناك طباق ، فان المرأة أو الرجل المختار أو المختارة للشدّ على طبقة رفيقة ليسمعك صوت انقطاعه بدلاً من الايقاع المنشود

ليكن منشأ هذا الانسجام تناسباً بين ذرات الخلايا والعوامل كما يقول العلماء المستقرون ، أو فليكن ضعف هذه الذرات أو قوتها منسبباً عن عوامل الـكهارب التى تسود الخلايا بتفاعل مجهول ، أو فليكن هنالك ما يذهب إليه الروحيون من أن الخلايا والـكهارب وكل ما يحوى هذا الجسم من مادة ليس إلا خيالاً لروح كامنة هى الحقيقة المستترة وأن من العبث أن يستقر فى العلم منشأ التجاذب والتدافع بتشريح هذا الخيال المـادىّ ، فأننا تجاه جميع هذه الافتراضات ، نبقى دائماً أمام حقيقة لا ريب فيها وهى أن الانسان سواء أكان رجلاً أو امرأة مدفوع بالفطرة إلى طلب الرقى لنسله باصلاح ما أفسدت الحياة فى أعضائه ، وبخاصة إلى إصلاح ما تطرق إلى الصفات الأدبية من عيوب ؛ ولعلّ فى هذا بعض التفسير لسيادة الانسجام بين رجل وامرأة تخالف أشكالها وأوضاع أعضائهما ومظاهر القوى الأدبية فيهما ، فقـد لا تجد مصارعاً يعشق مصارعة ولا فيلسوفاً يغرم بفيلسوفة . ولـكم وقف المفكرون مندهشين أمام امرأة فاضلة تحس بانجذاب نحو رجل عادىّ ، أو بارعة فى الجمال تندفع إلى الالتصاق برجل دميم . إن بعض العشق ينشأ عن حنان خفى فى الطبيعة يشبه عطف الطبيب المداوى على العليل المستجدى الشفاء

نورد هـذه النظرية دون أن نتخذها قاعدة بالرغم من تجليها لدينا فى عديد الحوادث ، فان النقائص التى تتجه فى الازدواج إلى الزوال والعلل التى تطلب الشفاء أبعد مستقراً من أن ينالها استقراء أو تحديد ، والضعف الكامن فى أحد الناس يبقى مستتراً فيه خفياً حتى عن شعوره ، فكيف يتسنى لنا كشفه وتعيينه ؟ لذلك ورد فى الأمثال وهى حكمة الأمم : أن لا جدال فى الذوق ، وما أرى المتنبى إلا سابرا أقصى أسرار الحب إذ قال :

إلام طواعية العاذل ولا رأى فى الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

للحب إذن وهو صلح العيوب والدافع إلى ارتقاء الانسان ناموسه الجبار ، ناموسه الصامت الهامس فى أرواح المحبين كلمتين هما دستور السعادة لكل منهما — كلمة العبرة من الماضى للرجل ، وكلمة الحذر من المستقبل للمرأة

يقول الفتى للفتاة : أحبك

فلا يرد جوابها إلا بصورة الاستفهام :

وهل ستحبنى إلى الأبد ؟

فالرجل لا يتوجه إلى المستقبل بقلبه بل يلتفت إلى الوراء ، إلى الماضى ، وهو يقسم بالوفاء والثبات ، ماداً بأبصاره إلى أعماق عينى الفتاة سابراً أقصاها ليتحقق ما إذا كان هذا الهيكل الأبدى الذى يتخذه مقاماً ومصلى لروحه ، لم يرتفع فيه صوت غير صوته ولم يحرق عليه بخور غير بخوره

هكذا تصطفى الطبيعة المحبين لاستنبات الطفل الصحيح ، وهكذا تقبض الغريزة على القلبين لتسخرهما لبقاء النوع وتسييره على مدارج الارتقاء

ولماذا خصت الطبيعة الرجل بالعبرة من الماضى والمرأة بالحذر من المستقبل ؟ لماذا وضعت الطبيعة دليل الطهر فى عين العذراء ، ودليل العفاف فى جسمها ؟ ولماذا غرست فيها هـذا الخوف من تقلب الرجل وانحرافه عنها ؟

فى هـذا المجال أيضاً توصل العلم إلى استجلاء حقيقة رائعة نستدل منها على منشأ هذه الغيرة وهذا الحذر ، وتلك الحقيقة هى أن الطبيعة تتجه دائماً إلى الوحدة وتأنف من الشرك وتتمرد عليه ؛ وقد شوهدت حوادث كان فيها نتاج الزواج الثانى من المرأة أقرب إلى مشابهة أطفال الزواج الأول ، وبتعبير أوضح تحقق العلم أن امرأة يستنبت نتاجها الأول من رجل تبقى معرضة للاستمرار على الانتاج طابعة أبناءها على غرار ذلك الرجل

إن هذا الاكتشاف يبرر لدى المفكر هـذه الغيرة المقدسة التى تتجلى فى الرجل الطبيعى غير الفاسد بمبادىء الاطلاق وضعف الحيوية فيه ، وهذه الحقيقة نفسها تفسر لنا هذا الحذر الغريزى فى المرأة من تخلى المحب الأول عنها ، لأن الطبيعة تتمرد فى نفسها فهى تربأ بشخصيتها أن تصبح مستقراً للشرك ، والكون بأسره يتجه إلى التوحيد فى ارتقائه

إن ناموس الحب والزواج فى الأصل إنما هو اندماج بين روحين وجسدين اندماجا حراً تحت سيطرة التجاذب المطلق من كل تضليل ، فاذا هو تمّ وفقاً لهذا الناموس ، يندر أن تنفصم عراه مدى الحياة

على أننا فى هـذا العصر الذى سبقته أدوار عديدة استنبت فيها النسل من التزاوج المكذوب لا يمكننا أن نحتم باستمرار الاتفاق بين عاشقين ما لم نثق أولاً من أنهما كليهما قد نشآ من زواجين ساد الحب الحقيقى فيهما ، إذ أننا كثيراً ما نرى امرأة جن جنونها بمن أصبحت له زوجة حتى إذا انقضت فترة من الزمن نراها مضعضعة تحلم بالشرك والضلال . وكثيراً ما نرى رجلاً يهيم بفتاة حتى إذا أصبحت زوجة له عافتها نفسه ، فذهب نائماً فى المواخير يحصد ما جناه أبواه عليه

من الصعب إن لم نقل من الممتنع أن يعرف حقيقة الحب ووحدته من ولد من زواج لا انسجام فيه ، أن أبناء الكره لا يحبون ، والطفل المولود من شهوة حيوانية حوالة يمتزج كوثر حبه أبداً بغسلين الفحشاء

إن استثمار المرأة المصرية والمرأة العربية بوجه عام فى سبيل الخير إنما يتوقف على إعدادها منبتاً صالحاً للأطفال ، وما نشأت الأمة إلا من منابت أطفالها

إن النبات ينمو على الأسمدة يمتصها فيحولها نسغاً صافياً ، وتلك أزاهر الدمن تنور فواحة باسمة فوق أقذارها ، أما الحياة الانسانية فانها إن نبتت على الأقذار فهى أقذار من منابتها

( يتبع )

فلكس فارس

من (الكتاب الذهبي) قبل أن يطبع

# لغة الأحكام والمرافعات

للأستاذ زكى عريبى

— ٥ —

« أما المتهمان على الأدب الزاريان على الفضل فى أشخاص المثقفين فهما ...

وأما المجنى عليه فهو ...

ولو شئنا التوسع لقلنا إن المجنى عليهم قوم كانوا فى عزلة من القوة فتجرد لهم المتهمان يسطوان عليهم بالقلم المسموم والقول القاذع والعبارة التى تقطر سما وحقداً وحفيظة

وما علمنا أن أمة صقلتها الحضارة أو كانت على الفطرة من البداوة جعلت من فضائلها تجنيها على الوادعين الذين هم فى أمن وعزلة لا يملكون لأنفسهم أمام الساطين عليهم دفعاً

إن لهذا الايجاز إيضاحاً ولهذه الجملة تفصيلاً »

ولغة التفصيل الموعود أروع وأمجد . اقرأ هذا البيان لما وقع من المتهمين وهذا التنويه بشناعة الجريمة

« أقبل مديرون من ولاة الأقاليم ، وما كانوا نكرة فينساهم الناس ، وما كان التشيع الحزبى ليميت العواطف الكريمة ، بل ما كان للنبل أن يموت ، وما فقدت مصر الرجولة فراح قوم يمشون الى هؤلاء المعزولين بالكلم الطيب ودعوهم الى وليمة ، ورأى من يحسن القول فى هذا الحفل أن يتقدم بكلمة طيبة لا ينكرها إلا حقود

وقديماً كان الناس يمشون الى الولاة المعزولين يرفهون عنهم ويذكرون لهم حميد فعالهم ... ولكن المتهمين هاجهما أن يرضى الناس عمن غضبا هما عليهم

ثم هاجهما أن يعيش هؤلاء الولاة وأن يرضى عنهم الناس فراحا يقولان عنهم فى جريدة ... إنهم أسفل المجرمين

يا شرف اللغة العربية كيف طاوعت هذين الرجلين حتى جعلا من بعض الأكرمين « أسفل المجرمين »

خبرونى إذا كان الوالى الذى يعزل لا لنقصية فى شرف يعد « أسفل المجرمين » فمن يكون القاتل الذى يقتل صاحب الفضل عليه عند الثقة به والركون إليه ، والسارق الذى يسطو على الآمنين ثم يسلب الأموال والأعراض ولا يبقى على الأطفال والنساء . هذا القاتل السارق بماذا نعرفه ومن يكون ؟

« أسفل المجرمين » لا يعرف حتى تنسب إليه تهمة ، وحتى يأخذه بها القضاء العادل بعد مدافعة ومطاولة . ومع هذا فانه من المؤلم أن نصفه بأنه « أسفل المجرمين »

أما فى الخصومة الحزبية هوادة ونصفة ؟ أما لهذا الفجر الزاخر آخر ؟ أما لهذا الظلام نهاية ؟ »

بل انظر إلى هذا الانفعال الحق يستولى على النائب المترافع وقد قرأ للمحكمة بعض هذا المقال القادح فراح يؤدب العادى على الأدب بعصا الأدب ولا يفل الحديد إلا الحديد

« إنى آسف كل الأسف لأيلام المجنى عليه بهذا النقل ولكنى أنقل هذا الكفر مكرهاً عن المتهم

أ كل هذا يقوله هذا المسكين المعدم فى أدبه الفقير إلى عصا التأديب ، ويتقدم صاحبه الشيخ الوقور بالتنويه به والتهليل له ويدعوه فى صحيفته بالأستاذ

المتهم . . . صاحب القلم الجارح ما منشؤه وأين من كوّنه ؟

لله أبوه ! ألا يكون لى الشرف فأراه لأعرف رأيه فيه وهو يغمس قلمه المسموم فى دماء الوادعين كما تنفث الرقطاء الزعاف ؟ بل قلمه أسفل وأقتل ، فالرقطاء قد تذود عن نفسها بسلاح أعد لها ، وهذا يذود عن الرذيلة بسلاح لم يخلق لرجل كريم العنصر وله ضمير حى »

وها هوذا يهدأ بعد هذا العنف اللازم فيعرض لتعريف النقد المشروع فى إحكام وحسن تعبير مدهشين فيقول :

« أساس النقد أن تعنى بدرس الأمر فتتبينه جملة جملة ، وترى أى أجزائه خير ، وأى أجزائه لا يتسق مع باقيه فى جمال الوضع وتناسق التكوين ؛ على أن يكون الناقد نزيهاً لا غرض له إلا الحق . ولا تتم له ملكة النقد إلا بعد أن يكون من القوة على تمييز الأشياء بعضها من بعض فى الموضع المسلم له به

والناقد حكم ، والحكم قاض ، والقاضى أعلى من أن يتصف بهجر القول وإلا فليس بناقد . . . »

ولنقف عند هذا الحد فى الاستعراض وإلا ساقنا هـذا الابداع وأمثاله إلى أبعد مما يريد القائمون على الـكتاب الذهبى

***

# لغـــة الأحكام

## تمهيد ومقارنة

الحقيقة مطلب البشر منـذ أن قام للبشر مدنية . طلبها فى الدين ، طلبها فى العلم والفلسـفة ، وطلبها فى التشريع وفى توزيع العدالة

والأحكام هى أداة هذا التوزيع . فهى عنوان الحقيقة وعنوان الحقيقة يجب أن يكون جديراً بها من حيث شكله على الأقل وهو الذى يعنينا فى هذا البحث

لقد تحدثنا عما يجب توفره فى لغة المرافعات فوجدناه كثيراً بل مرهقاً . يتطلب كفايات عدة ألمعنا الى بعضها . فهل يصدق على الأحكام ما يصدق على المرافعات ؟

لنتدبر طبيعة كل قبل أن نحاول الاجابة على هذا السؤال .

المرافعـة نوع من الأدب الخطابى يرمى بالاقناع أو تحريك العواطف الى خدمة مصلحة معينة

والحكم تقرير للحقيقة كما استطاع أن يراها القاضى على ضوء عناصر الدعوى ومرافعات الخصوم

الأولى ثمرة جهاد مقاتل يبتـكر الوسائل الـكلامية المؤدية الى الظفر . والثانى عمل حكيم هادئ يتحسس مكان النصفة فيدل عليه

يستحيل إذن أن يكون نوع اللغتين واحداً : فاحداها متنيرة متوثبة أبدا ، والأخرى ساكنة مستقرة أبدا

ولـكن أمعنى هذا أن مهمة القاضى إذا ما جلس لـكتابة الحـكم أيسر من مهمة المحامى إذا وقف للدفاع ؟

إياك وهذا الاعتقاد ! صحيح أن مهمة القاضى لا تستلزم الابتـكار ، وهو عمل شاق يرهق المحامى الى آخر حدود الارهاق ويتطلب فيه استعداداً خاصاً يرقى بالمران ، وقد يصل بالمحامى النابغة الى سماء كبار المخترعين ، ولـكن عمل القاضى إذ يجلس لتمييز الحق من الباطل لا يقل عن عمل زميله دقة وصعوبة

إنه قبل كل شىء ناقد ؛ والنقد يتطلب قدرة على فهم الرأى المعروض ، ثم قوة على تحليله ورده إلى عناصره الأولية ، ثم صحة نظر وسلامة تقدير يستطيع بهما الوقوع على الحقيقة وسط بحر زاخر من الآراء المتناقضة ، وقد ينطوى كل منها على بعض الوجاهة

جلس هنرى الرابع ملك فرنسا العظيم يوماً ليفصل فى قضية هامة بنفسه . وقام للمرافعة بين يديه اثنان من أعلام المحاماة فى عصره ، فأبدع كلاهما وأعجز إلى حد أن صاح الملك يائساً : « رباه ! إن الخصمين على حق »

والخصمان فى كثير من الأحوال على حق إلى حد ما . والصعوبة الـكبرى ، الصعوبة الهائلة ، هى أن يتبين القاضى هذا الحد فيركز عليه حكمه . على أن مهمة القاضى وقد أصاب الحز لا تنتهى باصابته ، إذ عليه بعد ذلك أن يؤيد حكمه بقلمه

وفى الحق إن الأمر ليس من السهولة بحيث يبدو . دعك من القضايا السهلة التى يزاحم فيهـا الحق البديهة ولا يتطلب إلا تقريره بكلمة قد يكفى فيها قلم كاتب الجلسة . ودعك من قاض يعتقد أن عبارة « حيث » تتقـدم سطوراً جرى بها التقليد الراكد تـكفى فى إلباس رأيه ثوب الأحكام

ليس هذه القضايا ولا ذلك القاضى نعنى ، وإنما نريد القضية العصية يتسابق فيها لسانان أو قلمان لملمين من أعلام البيان . فيخضع كل منهما لرأيه طائفة من الحجج الدامغة والأدلة القوية . ويقف القاضى بين هذين السيلين فيصلا للملحمة ، ثم يقول أخيراً كلمته الحاسمة . كيف يقولها ؟ ليس القاضى بمحلف يكفيه أن يجيب بنعم أو لا

كلا الخصمين — كاسب الدعوى وخاسرها — بل وجمهور الناس يتطلع إلى أسباب حكمه ليحكم له أو عليه . لذا وجب أن تـكون هذه الأسباب مقنعة . وليس الاقناع فى مكنتها إلا أن يكون كاتبها من القدرة بحيث يستطيع أن يعالج بقلمه القضية من جميع نواحيها ؛ يبين وقائعها بجلاء ، ويستعرض مختلف الآراء فيها بدقة وايجاز ؛ يناهض ما يرى مناهضته ويؤيد ما يرى تأييده ، ثم يقف عند الرأى الذى يعتقد صحته موقفاً له قوته وله جلاله

تلك هى مهمة القاضى كـكاتب . وليس يستسهلها إلا جاهل بأعباء الـكتابة ومشاقها

## خصائص لغة الأحكام

لكل قلم قوته ، ولكل كاتب طريقته ، فمن العبث أن نضع قواعد مطلقة لصياغة الأحكام . الأمر قبل كل شىء حسن ذوق وحسن تصرف ، ولكن للغة الأحكام مع ذلك مميزات يجب التنويه بها

## حسن اختيار اللفظ ودقة الأداء

المفهوم فى الأحكام أنها نتيجة أعمال فكرة وتمعن ، يصيغها القاضى وهو جالس إلى مكتبه لا تواجهه أنظار شاخصة ولا تتعجله وجوه مستحثة . فليس يغتفر له ما قد يغتفر المترافع المندفع من تساهل فى اختيار اللفظ ودقة الأداء . ليست المسألة مسألة أدب فحسب . فان الحكم الذى تصدره محكمة ابتدائية هو سفيرها أمام محكمة الدرجة الثانية ، وحكم محكمة الاستئناف عنوان جهودها أمام محكمة النقض ، وقد ينبنى على سوء تعبير أو غموض يعتور أسباب الحكم تشويه الرأى كله أو إضعاف حجته أمام المحكمة العليا

## الابتعاد عن التعمل

على أن الاحسان فى التحرير لا يستلزم التعمل ولا التزيد ، وليس أبعد عن كرامة القاضى من سعيه وراء الاعلان بأحكام تتبين فيها صنعة الأعداد للنشر والرغبة فى استجلاب الثناء

## الوقار فى لغة الأحكام

كذلك يكره فى لغـــة الأحكام العنف والشدة وجموح العاطفة . فالقضاء وقور بطبعه وبالمهمة السامية التى يؤديها وبالاسم العالى الذى يتوج به أحكامه . فليس يليق به إذا ما تبين الحق فى جانب خصم من الخصمين أن يحمل على الخصم الآخر فيصفه بما لا يحب . صحيح أن مهمة القضاء فى بعض الأحايين التأديب والزجر : ولكن للزجر مواضعه فى القليل من الأحوال . أما على العموم وفى القضاء المدنى على الخصوص فيجب أن يكون الحكم عنوان الاعتدال والحشمة والتهذيب

ويجب على القاضى أن يذكر إذا ما ناقش دفاعاً لمحام أو رأياً قانونياً أبداه أنه إنمـا يناقش زميلا له فى السعى وراء الحقيقة . فليس جميلاً منـه ولا كريماً أن يسفه رأيه بمثل هذه العبارة التى قرأناها فى حكم جنائى : « أما ما ذهب إليه الدفاع من أن عقلية المتهم غير ناضجة ويجب أن نصدقه لهذا السبب ، فهو من لغو القول ولا تلتفت إليه المحكمة »

وقد يبدو لك ما فى هذا القول من إساءة إذا قارنته بتصرف محكمة النقض وقد عرضت لأسباب تقرير مقدم من النيابة ، فعركتها عرك الرحا وأطارتها هباء ثم ختمت بحثها بهذه التحية الجميلة « وإن المحكمة لتقدر للنيابة ما قامت به من المجهود الفنى العظيم فى سبيل تأييد نظريتها »

وقد جرت على هذه السنة عينها مع الدفاع إذا أحسن

## لغة الأحكام قديما وحديثا فى مصر

وليس يبقى لاختتام هذا البحث إلا إشارة موجزة إلى تاريخ لغة الأحكام فى مصر

من عبث التحدث عما قبل عهد منشىء مصر الحديثة ، فالمؤكد أنه لم يكن بمصر إلا قضاء شرعى غير محدود الاختصاص . بل لقد استمرت الحال فوضى قضائية فى العهد المسمى بعهد المجالس الملغاة ، فلم يكن هناك محاكم بالمعنى الصحيح المفهوم اليوم ، بل كان رجال يجلسون للقضاء وليس لهم من مؤهلاته إلا الاسم . يقوم بين أيديهم وكلاء دعاوى يسعون إلى كسب قضاياهم بجميع الوسائل . وكانت اللغة فى ذلك الوسط من أحط ما عرف فى تاريخ العربية : كانت نوعاً من العامية الجوفاء يعتورها تعقيد متعمل ينطوى فى نظر أصحاب ذلك اللسان على أروع الأدب . أنظر إلى رواية الوقائع فى هـذا الحكم الذى أورده محررو الوقائع الرسمية سنة ١٨٨١ نموذجاً للغموض والتعقيد المتمشيين فى أحكام ذلك العهد ، وفك رموزها إن استطعت وقل ما شئت

« فى ليلة الجمعة ٢٢ شعبان سنة ٢٩٤ صار قتل شخص يدعى شعبان نجم من كفر سعودن غربية بالغيط تعلقه وورثاه حصروا شبهتهم فى شخص بلديه يدعا (يدعى) أحمد شوره ، وبما أن المذكور لم يقر على ذلك وأنسب سيد احمد عبد الدايم رئيس المشيخة أغرى الورثة ومن سئلوا فى القضية على تهمته وما قيل فيحقه (فى حقه) بسبب مطاعنته فيحق (فى حق) الرئيس المذكور مما أبداه من المعادات (ة)

فى ذلك قد أخذت الحكومة فى أسباب الفحص والتدقيق فى هذه المسألة ولما تبين براءة أحمد الشورة المذكور وعدم صحة تهمته كونها بأغرى ذلك العمدة وشبهة العمدة المذكور بما حل بشعبان نجم وما اتضح من بعد شخص يدعى أبو السعود ابراهيم من كفر أبو جندى تابع اسماعيل الفار صهر سيد أحمد المذكور ليلة قتل شعبان المذكور وما تورى بالتحريات التى جرت عن ذلك من أن فقده بمعرفة ابراهيم الفار لعدم إفشا أم شعبان نجم الذى قتلوه ليلتها مراعاة لخاطر سيد أحمد عبد الذايم بقصد نسبة قتله لأحمد الشورى المحكى عنه بسبب مطاعنته فيحقه قد حكم من الاستئناف ببراءة أحمد المذكور ومجازاة سيد أحمد عبدالدايم بليمان اسكندرية مدة سنة ونصف الخ »

على أن لغة محرر الوقائع الرسمية الذى شهَّر بهذا الحكم وسخر منه وقام يدعو إلى الاصلاح تستحق الاثبات هى أيضاً لطرافتها :

« منذ أيام جرى قلم النصيحة بمداد حب المنفعة على قرطاس القصد الجميل فرقم كلمات فى الانشاء وبيان مراتبه وتفصيل الممدوح منه وغير الممدوح ، وتقسيم أرباب القلم فى ديارنا المصرية ، وختمها بنداء عمومى صادر عن سليم القلب وصميم الفؤاد

« ولقد كانت الآمال ترسل فى مخيلتى بأقلام الرجاء أن سيكون لتلك الكلمات عند أهل الديار وقع جميل فتنفعل عنها النفوس ويظهر لها أثر يذكر فى عالم المحسوسات ، فكنت لذلك كالواقف على أقدام الانتظار ، لانتهاز الفرصة فى لقاء المحبوب يقلقه الضجر ويضنيه الاصطبار ، فاذا مضى اليوم الطويل ولم أر فيه من أثر يذكر على نوال المطلوب رددت أنفاس الأسف ومنيت النفس باليوم الثانى عساه يسفر فجره عما يسكن الروع ويدفع الوسواس شأن المحب يتعلل بالأمانى ويعتذر بتوارد الأيام ؛ ولما طال بى المدى وتطاولت الأزمان . . . »

وقد يطول بنا وبك المدى وتطاول الأزمان قبل أن ننتهى من هذه المقدمة التى لا تحوى فائدة ولا تؤدى غرضاً فلنتركها ونترك عهدها السعيد إلى العهد التالى

( التتمة فى العدد القادم )

زكى عريبى

المحامى أمام محكمة النقض والابرام

# المؤمن المحتضر (*)

## للشاعر الفرنسى لامرتين

## بقلم محمد طه الحاجرى

تفجرت هذه المقطوعات من قلبى ، فكتبها أحد أصدقائى ، ذات صباح ، وهو الى جانب سريرى ، ذلك هو السيد مونشلان الذى عنى بأمرى ، عناية أخ ، فى مرضى الطويل الخطر الذى نزل بى فى باريس عام ١٨١٩

* * *

ماذا أسمع ؟ الناقوس المقدَّس يرنّ من حَوليه ! وما هذه الثُّلة من رجال الدين تحيط بى باكيَة ؟ ولمن هذه الأُغنيَّة الحزينة وهذه الشّعلة الخافتة ؟ إيه أيتها المنية ! أهذا صَوتك الذى يقرع أذنى للمرة الأخيرة ؟ أجل ! إنى لأستيقظ على حافة القبر !

* * *

وأنت أيتها الشرارة العزيزة من الجذوة الآلهيَّة ، والقطينة الخالدة فى هذه الجثة الفانية ، لا تخافى ولا تفزعى : فالموت آتٍ لخلاصِك ! طيرِى طَيَرا نَك يانفسى ، وتجرّدى من أغلالِك ! فهل الموتُ إلا وضع آصار التعاسة البشرية ؟

* * *

أجل ! لقد انتهى الزّمن من قياس حياتى . فيأيتها الملائكة النورانيّة فى مقامها السماوى ، الى أى دار جديدة أنتم آخذون بى ؟ الآن ! الآنَ أنا أسبح فى أمواج من الضياء ، وإن الفضاء ليتسع أمامى ، وكأن الأرضَ تفِرُّ من تحت أقدامى !

* * *

ولكن ما هذا الذى أسمع ؟ فى اللحظة التى تستيقظ فيها روحى ، أسمع الحسراتِ والتنهداتِ تقرع أذنى ! ما هذا يارفاق المنفى ! أتبكون مماتى ! ولقد شربت منذ قليل من الكأس المقدسة نسيان الآلام ، وولَجَت روحى المنتشيَة أبواب السماء ؟

محمد طه الحاجرى

(*) الأصل : Le Crétien Mourant

للتاريخ السياسي

# معاهدة الصداقة والتحالف
## بين مصر وانجلترا
### نص المعاهدة

مقدمة :

إن حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأرلندا والأملاك البريطانية وراء البحار وأمبراطور الهند

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر

بما أنهما يرغبان فى توطيد الصداقة وعلاقات حسن التفاهم بينهما والتعاون على القيام بالتزاماتهما الدولية لحفظ سلام العالم

وبما أن هذه الأغراض تتحقق على الوجه الأكمل بعقد معاهدة صداقة وتحالف تنص لمصلحتهما المشتركة على التعاون الفعال لحفظ السلام وضمان الدفاع عن أراضيهما وتنظيم علاقاتهما المتبادلة فى المستقبل

قد اتفقا على عقد معاهدة لهذه الغاية وأنابا عنهما المفوضين الآتية أسماؤهم :

حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وأرلندا والأملاك البريطانية وراء البحار وأمبراطور الهند ( الذى سيشار إليه فى نصوص هذه المعاهدة بعبارة « صاحب الجلالة الملك والأمبراطور » )

قد أناب عن بريطانيا العظمى وشمال ارلندا :

. . . . . . . . . . . . . . . . . .

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر

قد أناب عن مصر :

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس الوفد المصرى ورئيس الوفد الرسمى

حضرة صاحب السعادة الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب

حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء سابقاً

حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا رئيس مجلس الوزراء سابقاً

حضرة صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا رئيس مجلس الوزراء سابقاً

حضرة صاحب المعالى واصف بطرس غالى باشا وزير الخارجية

حضرة صاحب المعالى عثمان محرم باشا وزير الأشغال العمومية

حضرة صاحب المعالى مكرم عبيد باشا وزير المالية

حضرة صاحب المعالى محمود فهمى النقراشى باشا وزير المواصلات

حضرة صاحب المعالى أحمد حمدى سيف النصر باشا وزير الزراعة

حضرة صاحب السعادة على الشمسى باشا الوزير السابق

حضرة صاحب المعالى محمد حلمى عيسى باشا الوزير السابق

حضرة صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا الوزير السابق

الذين بعد تبادل وثائق تفويضهم التى تخولهم سلطة كاملة والتى وجدت صالحة مستوفية الشكل قد اتفقوا على ما يأتى :

## مواد المعاهدة

**المادة الأولى**

انتهى احتلال مصر عسكرياً بواسطة قوات صاحب الجلالة الملك والأمبراطور

**المادة الثانية**

يقوم من الآن فصاعدا بتمثيل صاحب الجلالة الملك والأمبراطور لدى بلاط جلالة ملك مصر وبتمثيل صاحب الجلالة ملك مصر لدى بلاط سان جيمس سفراء معتمدون بالطرق المرعية

**المادة الثالثة**

تنوى مصر أن تطلب الانضمام إلى عضوية عصبة الأمم .

وبما أن حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة تعترف بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة فأنها ستؤيد أى طلب تقدمه الحكومة المصرية لدخول عصبة الأمم بالشروط المنصوص عليها فى المادة الأولى من عهد العصبة

**المادة الرابعة**

تعقد محالفة بين الطرفين المتعاقدين الغرض منها توطيد الصداقة والتفاهم الودى وحسن العلاقات بينهما

**المادة الخامسة**

يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين بألا يتخذ فى علاقاته مع البلاد الأجنبية موقفاً يتعارض مع المحالفة وألا يبرم معاهدات سياسية تتعارض مع أحكام المعاهدة الحالية

**المادة السادسة**

إذا أفضى خلاف بين أحد الطرفين المتعاقدين ودولة أخرى إلى حالة تنطوى على خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة يتبادل الطرفان المتعاقدان الرأى لحل ذلك الخلاف بالوسائل السلمية طبقاً لأحكام عهد عصبة الأمم أو لأى تعهدات دولية أخرى تكون منطبقة على تلك الحالة

**المادة السابعة**

إذا اشتبك أحد الطرفين فى حرب بالرغم من أحكام المادة السادسة المتقدم ذكرها فان الطرف الآخر يقوم فى الحال بانجاده بصفته حليفاً ، وذلك مع مراعاة أحكام المادة العاشرة الآتى ذكرها

وتنحصر معاونة صاحب الجلالة ملك مصر فى حالة الحرب ، أو خطر الحرب الداهم ، أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها ، فى أن يقدم إلى صاحب الجلالة الملك والامبراطور داخل حدود الأراضى المصرية مع مراعاة النظام المصرى للادارة والتشريع ، جميع التسهيلات والمساعدة التى فى وسعه بما فى ذلك استخدام موانئه ومطاراته وطرق المواصلات

وبناء على هذا فالحكومة المصرية هى التى لها أن تتخذ جميع الاجراءات الادارية والتشريعية بما فى ذلك إعلان الأحكام العرفية وإقامة رقابة وافية على الأنباء لجعل هذه التسهيلات والمساعدة فعالة

**المادة الثامنة**

بما أن قنال السويس الذى هو جزء لا يتجزأ من مصر هو فى نفس الوقت طريق عالمى للمواصلات كما هو أيضاً طريق أساسى للمواصلات بين الاجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية ، فالى أن يحين الوقت الذى يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على أن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة على القنال وسلامتها التامة ، يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن يضع فى الأراضى المصرية بجوار القنال بالمنطقة المحدودة فى ملحق هذه المادة قوات تتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عن القنال . ويشمل ملحق هذه المادة تفاصيل الترتيبات الخاصة بتنفيذها

ولا يكون لوجود تلك القوات صفة الاحتلال بأى حال من الأحوال . كما أنه لا يخل بأى وجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية

ومن المتفق عليه أنه إذا اختلف الطرفان المتعاقدان عند نهاية مدة العشرين سنة المحدودة فى المادة السادسة عشرة على مسألة ما إذا كان وجود القوات البريطانية لم يعد ضرورياً لأن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة على القنال وسلامتها التامة ، فان هذا الخلاف يجوز عرضه على مجلس عصبة الأمم للفصل فيه طبقاً لأحكام عهد العصبة النافذ وقت توقيع هذه المعاهدة ، أو على أى شخص أو هيئة للفصل فيه طبقاً للاجراءات التى يتفق عليها الطرفان المتعاقدان

**المادة التاسعة**

يحدد باتفاق خاص يبرم بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة ما تتمتع به من إعفاء وميزات فى المسائل القضائية والمالية قوات صاحب الجلالة الملك والامبراطور التى تكون موجودة بمصر طبقاً لأحكام هذه المعاهدة

**المادة العاشرة**

ليس فى أحكام هذه المادة ما يمس أو ما يقصد به أن يمس بأى حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التى تترتب لأحد الطرفين المتعاقدين أو عليه بمقتضى عهد عصبة الأمم أو ميثاق منع الحرب الموقع عليه بباريس فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٨

**المادة الحادية عشرة**

١ — مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل لتعديل اتفاقيتى ١٩ يناير و١٠ يوليوسنة ١٨٩٩ قد اتفق الطرفان المتعاقدان على أن إدارة السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين

ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين

والطرفان المتعاقدان متفقان على أن الغاية الأولى لادارتهما فى السودان يجب أن تكون رفاهية السودانيين

وليس فى نصوص هذه المادة أى مساس بمسألة السيادة على السودان

٢ — وبناء على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين فى السودان وترقيتهم مخولة للحاكم العام الذى يختار المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين فى الوظائف الجديدة التى لا يتوفر لها سودانيون أكفاء

٣ — يكون جنود بريطانيون وجنود مصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلا عن الجنود السودانيين

٤ — تكون الهجرة المصرية إلى السودان خالية من كل قيد إلا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام

٥ — لا يكون هناك تميز فى السودان بين الرعايا البريطانيين وبين الوطنيين المصريين فى شؤون التجارة والمهاجرة أو فى الملكية

٦ — اتفق الطرفان المتعاقدان على الأحكام الواردة فى ملحق المادة فيما يتعلق بالطريقة التى تصير بها المعاهدات الدولية سارية فى السودان

## المادة الثانية عشرة

يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن المسئولية عن أرواح الأجانب وأموالهم فى مصر هى من خصائص الحكومة المصرية دون سواها ، وهى التى تتولى تنفيذ واجباتها فى هذا الصدد

## المادة الثالثة عشره

يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن نظام الامتيازات القائم الآن لم يعد يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة

ويرغب صاحب الجلالة ملك مصر فى الغاء هذا النظام دون إبطاء

وقد اتفق الطرفان المتعاقدان على الترتيبات الواردة بهذا الخصوص فى ملحق هذه المادة

## المادة الرابعة عشرة

تلغى المعاهدة الحالية جميع الاتفاقات أو الوثائق القائمة التى يكون استمرار بقائها منافياً لأحكام هذه المعاهدة ، ويجب أن يعد باتفاق الطرفين إذا طلب أحدهما ذلك بيان الاتفاقات والوثائق الملغاة وذلك فى مدى ستة أشهر من نفاذ هذه المعاهدة

## المادة الخامسة عشرة

اتفق الطرفان المتعاقدان على أن أى خلاف ينشأ بينهما بصدد تطبيق أحكام المعاهدة الحالية أو تفسيرها ولا يتسنى لهما تسويته بالمفاوضات بينهما مباشرة يعالج بمقتضى أحكام عهد عصبة الأمم

## المادة السادسة عشرة

يدخل الطرفان المتعاقدان فى مفاوضات بناء على طلب أى منهما فى أى وقت بعد انقضاء مدة عشرين سنة على تنفيذ هذه المعاهدة ، وذلك بقصد اعادة النظر بالاتفاق بينهما فى نصوص المعاهدة بما يلائم الظروف السائدة حينذاك

فاذا لم يستطع الطرفان المتعاقدان الاتفاق على نصوص المعاهدة التى أعيد نظرها يحال الخلاف إلى مجلس عصبة الأمم للفصل فيه طبقاً لأحكام عهد العصبة النافذ وقت توقيع هذه المعاهدة ، أو إلى أى شخص أو هيئة للفصل فيه طبقاً للاجراءات التى يتفق عليها الطرفان المتعاقدان

ومن المتفق عليه أن أى تفسير فى المعاهدة عند إعادة نظرها يكفل استمرار التحالف بين الطرفين المتعاقدين طبقاً للمبادىء التى تنطوى عليها المواد ٤ و ٥ و ٦ و ٧

ومع ذلك ففى أى وقت بعد انقضاء مدة عشر سنوات على تنفيذ المعاهدة يمكن الدخول فى مفاوضات برضا الطرفين المتعاقدين بقصد إعادة النظر فيها كما سبق بيانه

## المادة السابعة عشرة

يصدق على المعاهدة الحالية ويتبادل التصديق عليها فى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ، ويبدأ تنفيذها من تاريخ تبادل التصديق عليها ، وعندئذ تسجل لدى السكرتير العام لعصبة الأمم

وإقراراً بما تقدم وقع المفوضون السابق ذكرهم على هذه المعاهدة ووضعوا أختامهم عليها

( فى العدد القادم « ملحقات المعاهدة » )

# حَوْلَ النشيد الوطنى

## للأستاذ محمد ابراهيم المغازى

عند ما أعلنت لجنة التحكيم فى المباراة الأدبية الرسمية التى أقيمت فى عهد الوزارة الماهرية رأيها فى الموضوع العاشر من موضوعات المباراة وهو « النشيد القومى » ، ومنحت فيه الجائزة الأولى وقدرها مائة جنيه لنشيد الأستاذ محمود صادق ، اطلعت على النشيد المحظوظ فى الصحف السيارة فلم أجد له فى نفسى الوقع الذى يقنعنى بأن هذا النشيد يصلح لأن يكون نشيداً قومياً رسمياً لبلد ناهض كمصر فيه من صفوة الأدباء ونوابغ الشعراء عدد لم يتوفر لغيره من الأقطار العربية ؛ وعجبت فى نفسى « طبعاً » لهذا الاختيار ، ولكنى عدت فاتهمت ذوقى وفهمى وشرعت آخذ آراء المحيطين بى ممن لهم بصر بالأدب فرأيتهم فى الجملة يشاركوننى شعورى بالنسبة لهذا النشيد ، فعدت إلى اتهام ذوقى من جديد ، واتهمت أيضاً ذوق من استطلعت آراءهم ، وحسنت ظنى فى النشيد حتى أسمع تلحينه ، فقد يظهر فيه التلحين محاسن لم تكن تظهر قبله ، وكم كانت خيبة أملى عميقة يوم سمعت تلحين هذا النشيد من المذياع ! لقد كان ميتاً لا حياة فيه ؛ ولست مبالغاً فى قولى هذا ، فأنى أشهد لقد سمعت أناشيد أخرى يلقيها فتيان الكشافة وفرق القمصان الزرقاء وجنود مصر الفتاة ، ومع أن الأناشيد التى سمعتها منهم لم يعط واضعوها عليها مائة جنيه جائزة ، ولم تجد لها ملحنين يأخذون فى تلحين الواحد منها مائة جنيه أخرى — كما جرى لنشيد الأستاذ محمود صادق — أقول إنه برغم كل هذا فان الانسان يحس الحرارة والقوة والوطنية تتدفق فى الأناشيد الأخرى ، مثل نشيد اسلمى يامصر للأستاذ صادق الرافعى ، ويغلب على ظنى أنه لم يتقدم به للمباراة واكتفى بالنشيد الجديد الذى حاز به الجائزة الثانية . ومطلع النشيد الأول للرافعى :

اسلمى يا مصرُ إننى الفدا ذى يدى إن مدت الدنيا يدا

ومنه :

للعُلا أبناءَ مصرٍ للعُلاَ وبمصرٍ شرّفوا المستقبلاَ
وفدًى لمصرنا الدنيا فلا تضعوا الاوطانَ إلاّ أوّلاَ
جانبى الايسرُ قلبه الفؤادْ وبلادى هى لى قلبى اليمينْ
لكِ يا مصرُ السلامهْ وسلاماً يا بلادِى
إن رمى الدهر سهامهْ أتقيها بفؤادِى
واسلمى فى كلِّ حينْ

هذا نموذج من النشيد وقد سمعته وأعطيته محفوظات لتلامذتى لأنه وقع منى موقع الرضا واطمأنت إليه نفسى لأول وهلة

وهناك نشيد آخر لا يقل عن هذا النشيد وهو النشيد الذى وضعه الاستاذ عباس محمود العقاد من سنوات قلائل وأقيمت له من أجله حفلة تكريمية كبرى . ومطلع نشيد العقاد :

قد رفعنا العلمْ للعُلا والفِدا فى ضمان السماءْ

وكله على هذا النمط السهل الجميل ، وهو يصلح لأن يكون نشيداً شعبياً لسهولته واختصاره ووفائه بكل المعانى التى يطلب توفرها فى الأناشيد القومية . ويطول بى المقام لو حاولت استقصاء الأناشيد الأخرى القوية الجميلة التى هى خير ألف مرة من نشيد الأستاذ محمود صادق

والآن أحب أن يتأمل القارئ الكريم مطلع نشيد صاحب الجائزة الأولى :

بلادى بلادى فداكِ دمى وهبتُ حياتى فدًا فاسلمى
غرامُك أول ما فى الفؤادْ ونجواكِ آخر ما فى فمى

ثم يقارن بينه وبين بيت من الشعر للأستاذ الرافعى كنا نحفظه ضمن قطعة له من الشعر فى المدرسة الأولية :

بلادى هواها فى لسانى وفى دمى يمجّدُها قلبى ويدعو لها فمِى

فسيجد أن البلاد والدم والقلب والفم والفداء والهوى أو الغرام تتكرر كلها فى مطلع نشيد الأستاذ محمود صادق كما تتكرر فى بيت الأستاذ الرافعى تماماً . فهل نسمى هذا توارد خواطر أم ما ذا ؟ مع أننى أحفظ البيت المذكور من سنة ١٩٣٦ أى قبل ظهور النشيد الجديد بعشر سنوات ، ولا أدرى كم من السنين مرت قبل أن أحفظه

وتأمل هذا المقطع :

غرامك يا مصر لو تعلمين قُصارى شعورىَ دنيا ودينْ
فنك حياتى وفيك مماتى وحبك آخرتى واليقين

ما ذا تركت مصر لله فى هذا الوجود يا صاحب النشيد ؟ أليس هذا كفراً صريحاً ؟ ! ...

الحق إن النشيد الوطنى الجدير بهذا الاسم يجب أن يكون خالياً من هذا الشرك وأن يكون بعيداً عن « توادر الخواطر »

الى هذا الحد . وأن تنتقى ألفاظه وقافيته بحيث تكون كلها من حروف المد أومسبوقة بحروف مد لأنها تكون شجية الترديد .

وإذا كنا نجيز مكافأة مؤلف نشيد كهذا بمائة جنيه فلسنا نفهم كيف يمنح ملحنه مبلغاً مماثلاً لما أخذه المؤلف . اللهم ان هذا إسراف فى بلد هو أحوج البلاد الى الاقتصاد ! ...

«وبعد» فقد أحسنت الوزارة الماهرية فى سن تلك السنة الحميدة باقامتها مباراة ذات جوائز مالية سخية لتشجيع الأدب ورجاله ونرجو أن تحافظ وزارة الشعب المحبوبة على هذه السنة الجميلة ! . . .

وأحسب أن المدى الذى كان محدداً للمباراة لم يكن يصح تطبيقه على موضوع النشيد الوطنى — وكان الأولى أن يفسح فى أجله ليكون هناك متسع من الزمن أمام الشعراء فيتسع مجال الاجادة فلا تجيء الأناشيد ناقصة ضعيفة من عدم التروى والأناة مما دعا لجنة التحكيم إلى أن تقول فى تقريرها — كما ورد فى الرسالة الغراء — «إن أجود الأناشيد التى عرضت عليها لم تخل من أبيات أو فقرات ضعيفة إلى جانب أبيات أو فقرات جيدة ، ولهذا أخذت كل نشيد بمجموعه ، لا ببعض أجزائه »

لقد كانت هذه الخواطر وغيرها تتردد فى نفسى ، وكلما هممت بالكتابة فى الموضوع ثنانى عنه أننى لم أر أحداً يقدم على نقد النشيد بعد أن « اعتمدته » وزارة المعارف ولُقن لأفراد البعثة الرياضية التى سافرت إلى برلين ، وظللت على ذلك حتى طلع علينا الأديب (س ط) بكلمة قصيرة فى العدد ١٦٣ من « الرسالة » الزهراء عن الغلطة الاولى فى النشيد ، ولما وجدت أن (ابن الحلال) قد فتح الباب تقدمت أنا الآخر بكلمتى

ورجائى أن يعيد أولو الأمر نظرهم فى المسألة من جديد ويقيموا مباراة لوضع نشيد قوى كامل يحدد لها نصف سنة على الأقل ، ويدعى لها الشعراء المصريون المعروفون للتقدم بما عندهم من الأناشيد أو لوضع غيرها حتى يكون لنا نشيد جدير بالخلود كما للدول الأخرى الراقية

وأخيراً فانه من الوفاء لهذا البلد أن يقف العمل بنشيد الأستاذ محمود صادق حتى يوضع نشيد جديد أو يثبت أنه الأفضل، وهنيئاً لصاحبه ما ناله من مال وشهرة والسلام ! . . ؟

(النحارية) محمد ابراهيم المغازى
مدرس

# دورة الأرض ودورة النفس

## للأستاذ خليل هنداوى

كم لهذه المدنية من جنايات منكرة على الانسان ، فلقد شاءت فى كل ما تضمه أن تعطيه صور الطبيعة مشاهد ممسوخة وأن تعطيه كتاب الكائنات سطوراً مبهمة

لقد كان الانسان فى العهد الأول يوم كان يزحف إلى رحلاته على آلات تسير كالسلحفاة أكثر اتصالاً بالطبيعة ، لأنه يقف ازاءها وجهاً لوجه ، يتأمل جمالها وجلالها ويتحمل مشاقها ويرى فى تحمله لذة الانتصار . فالراحل رحلة قصيرة يتألب حوله من يهتف له ويعجب به ويسأله أن يحدثه عن عجائب رحلته لأنه يراها رحلة حُبلى بالغرائب . وترى صاحبها كلما تحدث عن رحلته تحدث برغبة وحماس ، يصور تلك المشاهد ويحبب لسامعه القيام بمثل رحلته حتى يطلع على جمال لا يغنى الكلام عنه

جمال هذه الرحلات طغى عليه جيل السرعة فلم يُبق لتلك المشاهد روعة ، ولم يدع للرحلات البطيئة معنى . . . فالسيارة والقطار والطيارة أعداء هذه الرحلات البطيئة لأنها تجعل من مشاهد الطبيعة الغزيرة المعانى صوراً وأخيلة سينمائية لا ينفذ الناظر إلى دقائقها وائتلاف صورها . فالراحل من بيروت إلى دمشق فى العهد السابق على عجلة كان يلبث ثلاثة أيام قد يقاسى فيها بعض الشدائد ، ولكنه ينال مقابل هذا من جمال الطبيعة والتأمل فى خفاياها ما لا ينسى روعتها أيام عمره ، فهو يكاد يعى مصوراً جغرافياً بالطريق وقرى الطريق ، وهو لا يكاد ينسى المواطن التى بات فيها لياليه . أما اليوم فهو لا يلبث فى رحلته الا ساعتين يقطعهما كلحظتين فى قلب سيارة تحجب عنه كل شيء ولا يحس لذة فى السيارة إلا لذة السرعة ، وبهذا انطوت عنه آفاق وتوارت عنه مشاهد كثيرة . لقد ظفر إنسان اليوم بالسرعة وأصبح يقلب الأرض قطراً قطراً ولا يصحبه منها شيء ، ولكنه يعود من أقطارها كأن لم ينظر شيئاً ، لأن هذه السرعة قد محت من ذاكرته أكثر المشاهد . ربح هذه السرعة وخسر هذا الجمال المتغلغل فى الأشياء والأكوان ، وسرى فوق الأرض كشاهد غريب عنها لا يتصل بها ولا يعى من

مشاهدها شيئاً . وليته خسر من مشاهدها روعتها ! ولكنه خسر التأمل الذى يترك أكبر الأثر فى النفس . فكم درس كان يتولد من مشهد ! وكم قصيدة تنشأ من تأمل فى أعماق الطبيعة ! أضاعت السرعة كل هذا وزادت فى فصل الانسان عن الطبيعة الأمر الذى ضج له بعض الفلاسفة وخشوا على الانسان أن يزداد انجذابه بالمادة ، والمادة قاتلة فيه كل روح وضمير . وبهذا تثبت الانسانية فى أجيالها الحاضرة أنها أصبحت طائعة خاضعة للمادة ، وأنها لا يستفيق فيها نداء الروح إلا حين تفشل مادتها ويضعف تعلقها بها !

أجد السائح على الآلة البطيئة يحدثنى عن جمال مشاهد غاب جمالها فى نفسه وأثر فى قلبه وربما غير اتصاله بها وجوها كثيرة من حياته ، وهذا سر كل رحلة وغايتها . وأجد السائح على الآلة السريعة فأجده سيد رحلته . انتهى منها كما بدأ بها ... لم يضف إلى خزانة نفسه من هـذه الرحلة شيئاً إلا أسماء رآها على المصور كما أراها إذا أردتُ . وما عسى تحدينى رحلة طويلة أطوى الأرض من قطبها إلى قطبها وأجمع بيدى كل آفاقها ، تدور بى آلة تسير كالجن تربنى السماء والأرض طائرتين ، أو أرى الأرض من السماء كخيال لا يتبدل ما فيه إلا قليلاً . إنى لأوثر على مثل هـذه الرحلة التى اختلط رأسها بذنبها رحلة قصيرة بطيئة تتصل نفسى فيها بالأرض وتسمع نداءها وتدرك جمالها وتتأمل جلالها ، وإذا انتهيت من رحلتى أحسستُ شيئاً جديداً فى نفسى ! أليس فى تبدل كل مشهد وحى جديد يهبط على نفسى ؟ أليس فى كل طود شامخ أجاهد النفس فى اقتحامه انتصار قوى يشجع نفسى على المثابرة ؟ أليس فى انتصارى على كل شدة وكل نكبة ومجاهدتى بنفسى فى اقتحام المخاطر مايعيننى على اقتحام مخاطر الحياة التى تشبه من وجوه عديدة هذه المخاطر ؟ وكيف تريد من الغنى الذى ينشأ فى النعيم والنعومة أن يقوى على مجابهة الحياة حين تقابله مصاعبها ؟

إن فى مثل هـذه الرحلات نوعاً من المقاومة — كما يفهمه الكشافون — يعين على احتمال المصاعب ، وفيه نوع آخر يجب أن نسبق إلى تفهمه هو محادثة الطبيعة فماً لفم ، وعناقها صدراً لصدر ، والتغلغل فى خفايا جمالها الرائع ، وفى هذا ما يجعل قلوبنا تطفح رضاً بالحياة ونفوسنا تحبها وتتمتع بها

حقاً لقد كسبوا كثيراً من السرعة فى رحلاتهم ، وكثيراً من الراحة فى هذه السرعة ، وكثيراً من الرحلات فى هذا العصر ، ولكنهم فقدوا أجمل شىء كانوا يأخذونه من الطبيعة ، فقدوا الأساليب التى كانت تدخل بها الطبيعة إلى أنفسهم ، والأساليب التى كانوا بها يدخلون إلى نفس الطبيعـة . . . وقد أخطأوا إذ حسبوا أن قيمة الرحلة بأبعادها ومسافاتها وتعدد مشاهدها ، وما عسى أن تكون قيمة رحلة مثل هذه إذا أبعدتنى عن نفسى ولم تستطع أن تصل ما بينى وبين الطبيعة ! على أن دورة النفس هى أكثر التفافات وتعاريج وأبعاداً — على قربها — من دورة الأرض وإن كثرت فيها التعاريج والأبعاد

سيحوا فى الأرض وطيروا فى أجوائها واسبقوا الزمن على دورته ، ولكن اجعلوا من سياحاتكم سياحات قصيرة تعيدكم إلى الأرض وجبالها ووديانها وجمالها ، ففى تأملها حياة فى قلب حياة ، وفى الاتصال بها انفصال عن متاعب الحياة

وقد كان الاتصال بالأرض الخاليـة علاجاً يداوى به سقيم الهوى ومريض الفؤاد والمسلول ، لأن نفحاتها النقية تعيد إليه ما نزعته منه الأرض التى سممتها الشهوات وقتلت روحها اللذات

مشاهد هذه الأرض لا تزال غنية تعطى كل قاصد مهما كانت غايته لأنها غنية ... فما أغناك أيتها الأرض حتى عند ما يظنونك فقيرة !

**خليل هنداوى**

في الأدب الانكليزي

# ٣ - هل من انتحال في الأدب الانكليزي ?

للسيد جريس القسوس

— ٦ —

## من هو طوماس تشاترتن ? Chatterton

وُلد هذا الشاعر في برستل ، في ٢٠ نوفبر سنة ١٧٥٢ ، بعد وفاة أبيه بثلاثة أشهر . وكان أبوه كاتباً بسيطاً في كاتدرائية برستل ، يتقاضى منها راتباً زهيداً ؛ فمات ولم يخلف لابنه تراثاً مادياً يُذكر

دخل الشاعر مدرسة كولستُن Colston الابتدائية حيث قضى ثماني سنين متتالية ، نظم في خلالها بعض قصائد ، منها واحدة نظمها سنة ١٧٦٤ بعنوان « وصية الكافر » Apostate Will

ثم عنّ له أن يقصد عمه حارس كنيسة القديسة ماري في « ردكلف » Redcliffe لعله يجد في كنفه طمأنينة وعزاء . كانت تلك الكنيسة على جمال فني بديع ، فتن الشاعر وأذهله ، فعاش بالخيال في العصور التي أبدعت ذلك الفن الرائع . ليس هذا فحسب ، بل عثر في خزانة الكنيسة على مخطوطات أدبية قديمة ، وسجلات دينية تعود في تاريخها إلى العصور الوسطى ، فكان الشاعر الصبي في خياله وشعوره نهباً بين هذين التراثين الخالدين : التراث الفني البديع ، والأدبي الرائع . فلم يعش في الحقيقة في عصره إلا بالجسد ؛ أما روحه فقد كانت بكليتها في العصور الوسطى

وانزوى تشاترتن لنفسه في تلك البيئة الروحية الهادئة عاكفاً على بحث تلك الآثار الأدبية ومطالعتها . وبقي هذا شأنه لا يعرف من أمره شيء ، حتى سنة ١٧٦٩ حين فاجأ العالم الأدبي بنشر قصيدة « الينور ويوغا » « Elinoure & Juga » ، في مجلة Town & Country Magazine ولقد نظم تلك القصيدة في حين لم يتجاوز فيه عمره الثانية عشرة ؛ وأطلع عليها رئيس مستشفى « كلستُن » ، مدّعياً أنها من آثار شاعر من شعراء القرن الخامس عشر . أما اسم ذلك الشاعر الخيالي فالكاهن طوماس رولي Rowley عاش في مدينة برستل ، في عهد الملك ادوارد الرابع وكان — على ما ادعى تشاترتن — صديقاً لوليم كاننغ ووليم كاننغ هذا شخصية تاريخية ؛ كان تاجراً مثرياً ، يتعاطى هذه المهنة في برستل — بلد تشاترتن نفسه — ؛ وكان من غواة الأدب وأعوانه . وادعى تشاترتن أن الكاهن رولي كان يؤمّه ليتلو في حضرته أشعاره ، فيلقى منه كل حدب والتفات . وتقوم بطولة كاننغ على الفضل والتقوى ، ومتانة الخلق ، وقوة العزيمة ، والمحافظة على المبدأ ؛ لهذا لما أرغمه الملك ادوارد على تزوج إحدى الغانيات لغاية في نفسه ، رأى كاننغ نجاته في الهرب من وجه ذلك الملك العسوف ؛ فقصد كلية وستبري Westbury في مقاطعة جلوسترشاير Gloucestershire ، مفضلاً الحياة بجانب الكاهن الشاعر على التقرب من الملك العاتي الجبار

درس تشاترتن هذه الحوادث دَرْس الولوع المفتن ؛ وألمّ بها إلماماً عجيباً ، واختلق قسما كبيراً منها . ومعظم قصائده تدور حول هذه الحوادث ، الصحيح منها والمختلق . ويتخلل اسم كاننغ كثيراً من أشعاره التي نظمها ، وعزاها الى الشاعر رولي مثل مأساة برستو Bristowe Tragedie ، أوقصيدة The Accounte of W. Canynge's Feast

ادعى تشاترتن أن يراع ذلك الكاهن الخيالي دبجت هذه القصائد وغيرها ؛ وأنه خلّفها في مخطوطات أودعت خزانة كنيسة ردكلف . هذا كل ما يقوله تشاترتن عن رولي : ولم يذكر عنه أكثر من ذلك ، فيعزز بذلك ادعاءه ، ويقوي حجته

وفي سنة ١٧٦٧ ، عين الشاعر كاتباً في بعض دوائر العدل لكنه رغم ذلك كان له متسع كاف من الوقت للمطالعة والانتاج والنشر خاصة في مجلة Felix Farley's Journal

وأشهر ما ظهر له في ذلك الحين قصيدة اسمها « أنشودة إلاّ » The Song of Aella وهي مأساة تمثيلية فيها ابتكار ، وغنائية lyricism ساحرة ، وروعة فنية سامية . « ومأساة برستو » Bristowe Tragedie وهي من أجلّ مآسيه الشعرية القصصية وأروعها موضوعاً وأسلوباً ، وتنتهي بأعدام البطل بودون Badwin

اذ اشتمّ منه الملك ادوارد معاندة وعصياناً . وفيها وصف بديع للبطل بودوِنْ اذ آثر الموت على مصانعة الملك ادوارد والتلطف له والتحبّب إليه . وفيها وصف بارع رقيق للوداع الحلوّ بين ذلك البطل وزوجه البار

ومن هذه أيضاً قصة شعرية تمثيلية اسمها « الرّهان » Tournament وأخر مثل « جودوِنْ » Goddwyn و « أنشودة الجمال » Ode To Beauty و « البرلمان » The Parliament و « معركة هيستنج » The Battle of Hasting و « أغنية الصّدقة » Balade of Charitie وغيرها من المقطّعات المتفرقة ، وهى كلها شبيهة بأشعار كيتس Keats الخالدة ، من حيث جمال الفن وقوة العاطفة ودقّة التصوير . وجميع هذه القصائد تؤلّف مجلداً كبيراً من الشعر ، جُمِعَ ونُشِر سنة ١٨٠٤ ؛ وتشاترتن كان ينسب أهم ما فيه إلى الشاعر رولى

لهذا بينما كان العالم الأدبى يهيج فى خطى پوپ pope وجونسن Johnson الأدبية الكلاسيكية ، كان هذا الشاعر الشاب يمهّد السبل القومية للابتداعية Romanticism ، ذلك بأنه كان يعود إلى ينابيع قديمة فيستق منها نتاجه الأدبى أو يستوحى منها عبقريته الخالدة ؛ فيعمل بذلك على نشر الميزات التى يختصّ بها أدب الابتداعية

ولقد وجد شعراء القرن التاسع عشر فى أدب تشاترتن وحياته الرومانتيكية مرتعاً خصباً للخيال والروح ، فقد تأثر الشاعر كولردج Coleridge بأدبه إلى حد بعيد ؛ وهذا يظهر جلياً واضحاً فى قصيدته المشهورة Christabel . ولكولردج هذا قصيدة بديعة ، اختصها برثاء تشاترتن اسمها Amonody on the Deathof chatterton . وقلْ مثل ذلك عن كيتس ؛ إذ يستدلّ من أهدائه قصيدته الخالدة Endymion إلى تشاترتن أنه كان يستوحى عبقريته ، ويستمد نشاطه الأدبى من روح الشاعر الشاب . ليس هذا فحسب ، بل أقر غيرهما من الشعراء الابتداعيين بنبوغ تشاترتن ؛ فذكره شلى Shelley مثلاً فى قصيدته ( أدونيس ) Adonais التى رثى بها كيتس فى عداد الشعراء الذين قضوا فى ميعة الصبا ، ووردزورث Wordsworth لم يشأ إلا أن يقول فيه ، فى قصيدته « الانحلال والاستقلال » Resolution & Indapendenee تلك الكلمات الرائعة ، التى أصبحت مثلاً سائراً بين الشعراء وهى :

« I thought of Chatterton, the marvellous Boy,
The s'eepless Soul that Periphed in his Pride. »

ومعنى ذلك :

« لقد فكرت طويلاً فى ذلك الصبى العجيب بل فى تلك الروح اليقظة التى قضت آن شموخها وعزها »

والشاعر الشهير دانتى روزيتى Dante Rosetti يذكره مع أعاظم شعراء الانكليز فى Fine Eng · Poets

ولقد لاقى تشاترتن فى خريف سنة ١٧٧٠ من ضنك العيش وسوء الحال مادفعه مراراً إلى الانتحار ، حتى إنه كتب مرة وصية ينبئ فيها بعزمه الأكيد على الانتحار فى أقرب الفرص ، شارحاً الأسباب الحافزة له على التخلص من الحياة ، لكنه عدل عن ذلك لسبب ما ؛ فاستقال من وظيفته ، وقصد لندن حيث قضى نحو تسعة أسابيع ؛ ومن ثمّ توجه إلى هولبرن Holborne حيث صرف مدة انعزل فى خلالها عن العالم وعاش عيشة تصوف وهدوء عميقين ؛ فتمكن بذلك من استعادة خيالاته ، وتصوراته الروحية الشائقة ؛ فانتعشت روحه واطمأنت نفسه ، ورضى عن حاله تلك بعض الرضى ؛ فسولت له النفس الاستزادة من العيش ، لكنه ماعتم أن اصطدمت الروح والمادة فى ميدان نفسه ، فاحتدم النزاع بينهما احتداما ؛ إذ أن فقره المدقع وعدم اقبال الصحف على نشر آثاره ، وشعوره بفضيحة أمره ، جميعها ملأت حياته كآبة وألماً ، وزادت عيشه ضنكا ومضضاً ؛ فاستسلم لليأس والقنوط ، وعاودته فكرة الانتحار ؛ لكنه عزّ عليه الموت فى ريعان الشباب ، فقاوم فكرة الموت ، وعقد النية على دراسة الطب مؤملا من وراء ذلك سعادة وغبطة دنيوية دائمة ، فراسل أصدقاءه يطلب المؤازرة ، لكنه باء بالفشل ، فكانت تلك آخر خفقة فى سراج حياته ، إذ عاد على أثر ذلك إلى صومعته عازما على الموت المحتم ، فتجرّع الزرنيخ ، بعد أن مزقّ كل ما عثر عليه من آثاره الأدبية غير المنشورة

وهكذا كانت حياته صراعا بين البؤس والهناء ، واليأس والأمل ، والقناعة والطموح ، والموت والحياة ؛ حتى غلب البؤس فى النهاية على الهناء ، وانتصر اليأس على الأمل ، فانهار ذلك البنيان الروحى الرخيص تحت كاهل المادة ولما يبلغ

دين المتنبي

# ٣ ـ أبو الطيب المتنبي

للأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد

ثم يقول بعد ذلك في شأن سيف الدولة :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ... ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل ... وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم ... حتى يعاقبه التنغيص والمنن
فغادر الهجر ما بيني وبينكم ... يهماء تكذب فيها العين والأذن

وكان كلما نازعته نفسه الى سيف الدولة واستشعر شيئاً من الأسف على فراقه يعلل نفسه بأنه لقي أهلا بأهل فيقول :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه ... وإن لم أشأ تملى علىّ فأكتب
إذا ترك الانسان أهلا وراءه ... ويمم كافوراً فما يتغرب

ولكنه ماعتم أن اجتوى كافوراً وتبرم به ويئس مما كان أمله فيه ، فلما اعتزم أن يتركه أسف على غدره ونازعته نفسه إلى ممدوحه الأول وهو يهجو كافورا :

وفارقت خير الناس قاصد شرهم ... وأكرمهم طرا لألأمهم طرا
فعاقبني المخصي بالغدر جازيا ... لأن رحيلي كان عن حلب غدرا
وما كنت إلا فائل الرأي لم أعن ... بحزم ولا استصحبت في وجهتي حجرا

ومع أنه يعترف بالغدر فقد حانت له فرصة ليعود إلى الوفاء فلم يهتبلها ، تلك أن سيف الدولة حين علم رجوعه من مصر أرسل إليه ابنه بهدية فاكتفى بأن يوسل إليه قصيدة يقول فيها :

كلما رحبت بنا الروض قلنا ... حلب قصدنا وأنت السبيل
فيك مرعى جيادنا والمطايا ... وإليها وجيفنا والذميل
والمسمون بالأمير كثير ... والأمير الذى بها المأمول
الذى زلت عنه شرقاً وغرباً ... ونداه مقابلي ما يزول
ومعى أينما سلكت كأنى ... كل وجه له بوجهى كفيل

ويمر بعد ذلك عامان وبضعة أشهر فيرسل اليه سيف الدولة كتاباً بخطه يسأله فيه المسير إليه فيعتذر له بقوله :

وما عاقنى غير خوف الوشاة ... وإن الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم ... وتقريبهم بيننا والخبب

وقد عاوده طبعه الذى دللنا عليه حين ورد على عضد الدولة فقد قال له في أول لقاء :

وقد رأيت الملوك قاطبة ... وسرت حتى رأيت مولاها

ثم يقول له بعد ذلك :

يقول بشعب بوان حصانى ... أعن هذا يسار إلى الطعان
أبوكم آدم سن المعاصى ... وعلمكم مفارقة الجنان
فقلت : إذا رأيت أبا شجاع ... سلوت عن العباد وذا المكان
فان الناس والدنيا طريق ... إلى من ماله في الناس ثان
لقد علمت نفسى القول فيهم ... كتعليم الطراد بلا سنان

وانظر إلى هذا البيت الأخير فانه يعتذر فيه عن كل مدائحه التى قالها من قبل عضد الدولة بأنه كان يقولها ليروض نفسه ويعلمها حتى إذا اعتادت لم يحسن منه القول إلا فيه

## تنبؤه

ليس في حياة أبي الطيب مسألة أشد غموضاً من سر هذا للقب الذى نبزوه به ، ومهما يكن في حياته من الدقة والغموض فانا نعترف بقوة الدقة والغموض اللذين أحاطا بهذا اللقب . وآية ذلكم أن الكتاب ما زالوا يكتبون عن أبى الطيب منذ كان الى يوم الناس هذا وهم يختلفون في الابانة عن حقيقة هذا اللقب . وكتاب عصرنا هذا يختلفون أيضاً في الاستنتاج والتعليل . ولقد حاولت أن أقف على الوضع الحقيقى لهذه المسألة متخذاً من شعره وأخباره نبراساً أستضيء به فأعياني تطلابه ووقعت في حيرة

---

بعد من العمر عتياً ، فكانت وفاته في ٢٤ أوغسطس سنة ١٧٧٠ عن ١٧ سنة ونحو ٩ أشهر

لو أتيح له أن يعمر طويلا لربما بذّ الكثيرين من أعاظم الشعراء ، وتبوأ مكاناً ليس بعيدا من شكسبير وغوته ودانتى

وتقديراً لنبوغه أقام هواة أدبه نصباً تذكارياً لاسمه في ساحة كنيسة ردكلف Redcliffe في برستل ، نقشوا عليه كلمات مقتبسة من وصيته الأخيرة ، وهى :

« ذكرى طوماس تشاترتن ، لا تحكم علىّ أيها القارئ إن كنت تقيّاً ؛ إذ الحكم لقوة عليا ؛ ولهذه القوة وحدها سأجيب . . . . »

(يتبع) جريس القسوس

ولبس وإبهام هى شر من الاعراض عنه ، ذلك أنه لم يعن أحد ممن عاصر المتنبي أو قرب من عصره بالبحث عما يشوقنا اليوم أن نعرفه بحثاً يثلج صدر الحقيقة ويملأ قلب الناس بصحة أسبابه ونتائجه ؛ فكل ما بين أيدينا كلمات منثورة فى بطون الكتب جرى بعضها على ألسنة قوم عرفوا بالهوى فيه والتعصب له الى حد التغاضى عن القبح ، وجرى بعضها الآخر على لسان قوم لم يعرف الناس عنهم شيئاً أو عرفوا عنهم الكراهية له الى حد تشويه محاسنه ؛ فمهمة الباحث اليوم من أشق المهام ؛ وكل ما يمكن أن يصل إليه باحث ظنون قد لا يطول به الأمد حتى تتكشف له عن نفسها لخدعة من خدع الغرور

حكى أبو الفتح عثمان بن جنى قال :

سمعت المتنبي يقول : « إنما لقبت بالمتنبي لقولى » :

أنا ترب الندى ورب القوافى وسمام العدى وغيظ الحسود
أنا فى أمــة تداركها الله (م) غريب كصالح فى ثمود

وفى هذه القصيدة يقول :

ما مقامى بأرض نخــلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

وليس هذا الذى ذكره أبو الفتح إلا كالتمحلات التى يرتكبها بعض الناس باخراج الألفاظ عن أوضاعها ومعانيها . ذلك بأن أبا الطيب نفسه كان يتألم إذا نبزوه بهذا اللقب ، فهو يعلم أن الناس لا يطلقون عليه ذلك تشبيهاً له بالأنبياء وان كانت هذه الصيغة قد تستعمل فى العربية لافادة معنى التشبيه . وذكر أبو العلاء فى رسالة الغفران ما كان أعداء أبى الطيب يتحدثون به عنه فقال :

« وحدثنى الثقة عنــه حديثاً معناه أنه لـما حصل فى بنى عدى وحاول أن يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ( ههنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ) وأنه مضى الى تلك الناقة وهى رائحــة فى الابل فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وتنكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشى المسمحة ، وأنه ورد بها المحلة وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم . وحدث أيضاً أنه كان فى ديوان اللاذقية وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين فجرحته جرحا مفرطاً ، وأن أبا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر ، وقال للمجروح لا تحلها فى يومك وعد له أياماً وليالى ، وأن ذلك الكاتب قبل منه فبرئ الجرح فصاروا يعتقدون فى أبى الطيب أكبر اعتقاد ويقولون هو كمحيى الأموات . وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده فى اللاذقيــة أو فى غيرها من السواحل أنه أراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألح عليهما فى النباح ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : « إنك ستجد ذلك الكلب قد مات . فلما عاد الرجل ألفى الأمر على ما ذكر . ولا يمتنع أن يكون أعد له شيئاً من المطاعم مسموماً وألقاه له وهو يخفى عن صاحبه مافعل » اهـ . وقال أبو العلاء فى رسالة الغفران مرة أخرى :

« وحدثت أنه كان إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة بمعنى المرتفع من الأرض . وكان قد طمع فى شىء قد طمع فيه من هو دونه وإنما هى مقادير يديرها فى العلو مدير يظفر بها من وفق ولا يراع بالمجتهد أن يخفق ، وقد دلت أشياء فى ديوانه أنه كان متألهاً ، ومثل غيره من الناس متدلهاً ، فمن ذلك قوله :

. . . . . . . . . . . ولا قابلا إلا لخالقــه حكما

وقوله :

ما أقدر الله أن يخزى بريته ولا يصدق قوماً فى الذى زعموا

وإذا رجع الى الحقائق فنطق اللسان ، لا ينبئ عن اعتقاد الجنان لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويحتمل أن يظهر الرجل تدنيا وإنما يجعل ذلك تزيناً يريد أن يصل الى الثناء ، أو غرض من أغراض الخالبة أم الفناء » اهـ وأبو العلاء فى هــذه العبارات مضطرب كل الاضطراب ، فبينا هو يقص عليك معجزات أبى الطيب التى يخرق بها على بنى عدى إذا هو يذكر لك أنه إنما طمع فيما طمع فيه من هو دونه بعــد همة وعلو نفس ، ولا يمكن أن يكون مقصوده بذلك النبوة ، ثم هو بعد ذلك يعود فيذكر لك أن أبا الطيب كان يعترف بالله تعالى ويرشدك الى دلائل هذه العقيدة من شعره ، ويعود الى التشكك فى دلالة هذه الأقوال على ما فى نفسه لأن نطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الجنان ؛ وكأن أبا العلاء كان يعانى ما نعانيه اليوم من غموض حال المتنبي وشدة خفائها

والذى نستطيع أن نعقله أن هذا اللقب قد نبزه به أعداؤه وليس له حقيقــة برزت فى الوجود ، وأن أبا الطيب كان يقوم بدعوى سياسية : كان يطلب الملك ويمنى نفسه به ويعد له عدته التى ظن أنها تصل به إليه من المران على الحرب وجمع المــال والاستكثار من الأعوان وتدبير المؤامرات ، ولم يكن يجسر على

الجمهر بذلك فى عواصم الملك التى عاش فيها فكان يخرج الى البوادى يتحين الفرصة ويستجمع للوثوب وتحقيق ما فى نفسه من آمال ؛ وهذا سر من أسرار انتقاله من ملك الى ملك ، وقد ساعده على هذا الحلم اللذيذ ما كان يقع تحت نظره كل يوم من ثورات وفتن وانقلاب ، وقوة إيمانه بأنه أفضل من سعت به قدم ؛ وكان ربما قنع بأقل من الملك فرغب فى ولاية من الولايات يخلعها عليه كافور ، ولعل هذه القناعة لم تكن إلا لأنه فهم أن الولاية سبب يصل من طريقه الى الملك كالذى يراه فى جماعة من ملوك عصره . ولعل كافوراً لم تخف عليه سريرته فحرمه الولاية التى كان وعده إياها . ولعله هو نفسه قد شعر بأن كافوراً فطن لدخيلة نفسه ففر من مصر تحت جنح الليل . أفلست تراه يقول لكافور أول وروده عليه :

وغير كثير أن يزورك راجل ... فيرجع ملكا للعراقين واليا

حتى إذا تأخر جواب كافور وخشى أن يفوته المأمول أو أن يظن به عدم الكفاية للاضطلاع بأعباء الولاية عاوده بقوله :

فارم بى حيثما أردت فانى ... أسد القلب آدمى الرواء

وفؤادى من الملوك وإن كا ... ن لسانى يرى من الشعراء

ولم يزل يظهر لكافور تلهفه على إنجاز موعوده بالتعريض مرة وبالتصريح مرة أخرى حتى أدركه اليأس وعلم أن فى الأمر شيئاً . أنظر إلى قوله :

إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية ... فجودك يكسونى وشغلك يسلب

ثم انظر إلى قوله :

وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا ... ودون الذى أملت منك حجاب

وفى النفس حاجات وفيك فطانة ... سكوتى بيان عندها وخطاب

قال أبو منصور الثعالبى : «وما زال فى برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه وتضاعفت عقود عمره بدور حب الولاية والرياسة فى رأسه ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه فى الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان والاستيلاء على بعض الأطراف ويستكثر من التصويح بذلك فى مثل قوله :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر ... فالآن أقحم حتى لات مقتحم

لأتركن وجوه الخيل ساهمة ... والحرب أقوم من ساق على قدم

وكقوله :

سأطلب حقى بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دُعوا ... كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا

وطعن كأن الطعن لا طعن عنده ... وضرب كأن النار من حره برد

إذا شئت حفت بى على كل سابح ... رجال كأن الموت فى فمها شهد

وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله وعنى فى مناكب الأرض ويطوى المناهل والمراحل ولا زاد إلا من ضرب الحراب على صفحة المحراب » اه .

هذه فيما نعتقد حقيقة حاله ؛ فأما ادعاء النبوة فلا نستطيع أن نتقبله مهما زعم الناس أن العصر الذى عاش فيه ورغبته فى أن يكون أبعد أهل عصره أملاً ، وكثرة الدعوات الدينية والسياسية ، كل أولئك تقرب إلى العقل أنه ادعى النبوة . نقول ذلك بعد علمنا تقدير الناس لمقام النبوة ورسوخ عقيدة الاسلام فى أذهانهم ، ومنها أن محمداً (ص) ختام الأنبياء حتى أن الدعوات الدينية التى ادعاها المدعون بعد ذلك لم تكن إلا فى نواحى الامامة وما يتصل بها . ونحن نرى كل هذه الدعوات كانت تستند إلى نصوص زعم الراوون لها أنها صدرت عن رسول الله أو أفهام فى نصوص أخرى ثابتة . ولو أن أبا الطيب كان قد ادعى النبوة لما وجد من الناس من ينتظر عليه حتى يتم دعواه . ولعله لم يكن من الحكمة فى دعواه التى ارتضينا أمرها بحيث يخفى شأنه ، فكان لذلك لا يأمن جانب أحد ، وكان لا يدخل بلداً إلا ليقذف به إلى بلد ، ثم كانت بعد ذلك نهايته المحتومة

## أبو الطيب والنحاة (١)

ليس يسوغ لى فى مستهل هذا البحث أن أغفل أن أبا الطيب كان قد أخذ من العربية بأوفر حظ ؛ فهو حافظ لغريبها حفظ الباحث المستقصى حتى ليسأله أبو على الفارسى : « كم لنا من الجموع على وزن فِعَلَى » ؟ فيبادره بقوله « حِجْلَى وظِرْبَى » ويبحث أبو على ليلته فى كتب اللغة لعله يعثر لهما على ثالث فلا يجد . ويقول أبو على فى شأنه : « ما رأيت رجلاً فى معناه مثله » وهذه الشهادة من أبى على الذى كان يناصبه العداوة

(١) لنا بحث مستفيض فى هذا الموضوع : فصلنا فيه القول بأمثلته وشواهده ورددنا أكثره إلى لغات القبائل ، ولم نشأ أن ننقيه كله خوف الاطالة ، ولكنا سننشره فيما بعد بحثا مستقلا فى مجلة الرسالة

ويتحامل عليـه كافية للدلالة على قدره ؛ وكان مع اطلاعه على مفردات اللغة وغريبها عالماً بمواطن استعمالها متمكناً من قواعدها خبيراً بلغات القبائل . وله شعر جزل لا نظير له فى شعر أحد من شعراء العربية . وقد خلا كثير من شـعره من كل مأخذ وتجانب كل انتقاد ، ولـكن له مع ذلك شعراً قد جانب الطرق المشهورة فى العربية إلى طرق لا يقرها النحاة الذين جعلوا مهمتهم تتبع المعروف الجارى على الألسنة ورسموه قواعد أرادوا أن تكون هى لسان الناس عامة ؛ وإن يكن أحد قد نال من أبى الطيب فى حياته وبعد موته منالاً له وجه صحيح وقد بقى أثره والدليل عليه فأولئك هم النحاة ، ولسنا نعنى بالنحاة علماء الأعراب فحسب ، وإنما نريد بهم كل من كان يتكلم فى فرع من فروع العربية ؛ فهؤلاء هم الذين جرحوا عزة المتنبى وطامنوا من كبريائه ؛ وهؤلاء هم الذين كان أبو الطيب يضيق بهم ذرعاً وتتألم نفسه إذا وجه واحد منهم خطابه إليـه . وكيف لا يضيق صدره وشعره هو وسيلته التى يكتسب بها رضاء الناس وهم يعمدون إلى هـذه الوسيلة فيضعفون من شأنها ويحاولون أن يقللوا من قيمتها . لم يكن النحاة فيما نعتقد قد أكثروا من تعقبه والحملة عليه لوجه العلم ولا انتصاراً للحق ، وإنما كان ذلك منهم سلاحاً من أسلحة السياسة التى وجهت إلى الرجل ؛ وليس يعنينا بحث ذلك الآن ولـكننا نذكر أنه — مع عدم توفر حسن النية — قد أمكن للنحاة أن يجدوا فى شـعر أبى الطيب ما يستمسكون به عليـه ويتخذونه ذريعة للتشفى منه ولأرضاء سادتهم . وكانوا يجبهونه بذلك أحياناً ؛ وكانت تأخذه العزة فيسب ويقذع فى سبابه أحياناً شأن المغيظ المحنق الذى يداخله الشك فى أمرهم ؛ وكان ربما ضن عليهم بالاجابة فأحالهم على بعض أصدقائه من النحاة . حدثوا أن ابن خالويه وجه إلى أبى الطيب نقداً فى حضرة سيف الدولة فقال له أبو الطيب : « أسكت ويحك فانك أعجمى ! فما لك وللعربية ؟ » وكان مع ابن خالويه مفتاح فضربه به فشج رأسه . وحدثوا أن سائلاً سأله عن قوله فى مطلع قصيدة مدح بها أبا الفضل ابن العميد :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أوجرى

فقال له : كيف قلت لم تصبرا فقال : لو كان أبو الفتح حاضراً لأجاب ، يريد أبا الفتح عثمان بن جنى وكان صديقاً حميماً له . وبعض المآخذ التى أخذها عليه النحاة تافه أو لا وجه له كالذى حدثوا أن ابن خالويه سمعه ينشد سيف الدولة :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

فقال له : ياأبا الطيب إنما يقال شجاه بتوهمه فعلاً ماضياً . فقال له أبو الطيب : أسكت فما وصل الأمر إليك . يعنى أنه أفعل تفضيل

وبعض المآخذ التى أخذوها عليه صحيح لاشبهة فى أنه أخطأ فيه الجادة كالتعقيد اللفظى والمعنوى ، واستعمال الغريب الوحشى ، والعدول عن سنن القياس ، وقبح بعض المطالع ، وبعض المقاطع ، واستعمال اللغات المهجورة . وأمثلة ذلك كله ميسورة قريبة التناول

وفى كتب علماء البلاغة أمثلة وشواهد كثيرة من شعر المتنبى يعدون بعضها فى عيون الشعر ومحاسنه ، ويعدون بعضها الآخر فى رذيل الشعر ومستكرهه

أما علماء الأعراب فقد جروا على قاعدتهم فى عدم الاحتجاج بشعر المولدين مع أبى الطيب ، ولـكن كثيراً منهم يذكر أبياتاً من شعره فى موطن من ثلاثة مواطن : موطن التمثيل لا الاستشهاد ، وموطن مخالفة القياس ، وموطن التطبيق ، وذلك فى المعقد من شعره . وقد ذكر العلامة رضى الدين فى شرح الـكافية بعض أبيات للمتنبى على أنها مخالفة للقياس . وللعلامة المحقق جمال الدين ابن هشام صاحب مغنى اللبيب ، ولأبى السعادات ابن الشجرى فى أماليه شروح وتخريجات لأبيات كثيرة من معقد أبيات أبى الطيب . وقد كان لأبى الفتح عثمان بن جنى صديق المتنبى اليد الطولى فى توجيه أنظارهما إلى هذه الناحية بما بذله من جهد فى تخريج شعر المتنبى حتى كان أبو الطيب نفسه يقول له : إنى لم أقل هذا الشعر لهؤلاء النحاة وإنما أقوله لك

أيها السادة ؛ هذه كلمتى التى كتبتها على عجل ، وإنى لسعيد بأن أتشرف بالقائها بين أيديكم ، وأشكر لجنة المهرجان التى أتاحت لى هذه الفرصة النادرة للتعرف إليكم . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمد محيي الدين عبد الحميد
المدرس بكلية اللغة العربية

# لمعات

## إلى شاعر الإسلام وفيلسوفه محمد إقبال

جوابًا لكتابيه أسرار خودى ورموزبى خودى

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

يخرق الليل شعاع يخفق    ثم يلتف عليه الغسق

كمنار البحر يخفى ويلوح    فيه بين الغيب والومض وضوح

أو يراع الليل يخفى وينير    فهو سطر من غياب وحضور[1]

تارة يبـدو طريقاً لحبا    قامت الظلماء فيه نصبا

أو بياناً من بياض وسوادْ    كبياض الطرس يعلوه المداد

كل لون فيه حرف مفصِحُ    أُلِّفت منه سطور وُضَّح

وأراه تارة خطاً أحمّ    وكأن الضوء تفصيل الظُّلَم

فهو سطر من ظلام أرقطُ    أعجمت معناه تلك النقط

كل لون فيـه حرف أعجم    وحوى الأحرف سطر مظلم[2]

* * *

يا لُبَيْنَى أوقدى ، طال المدى    أوقدى علّ على النار هدى[3]

أوقدى يا لُبنَ قد حار الدليل    أوقدى النار لأبناء السبيل

ارفعى النـار وأذكى جمرها    عل هذا الركب يعشو شطرها

شرّدى هذا الظلام الجاثما    أرشدى هذا الفراش الهائما

حبـذا النار بليل توقد    حبذا المؤنس هذا الموقد

حبذا عندكِ هـذا المنزل    لوحدانا فى سفار منزل

ما لذا المنزل قد سار الفريقْ    إنما النيران أعلام الطريق

قد ترحّلنا من الفج العميقْ    لا نبالى بقريب أو سحيق

رنّ فى آفاقنا هـذا النداء    فأمَمْنا البيت يحدونا الرجاء[1]

قد غنينا عن مبيت ومقيلْ    وعن الأمواه والظل الظليل

وعن الرغبة والخوف سُوى    خلع النعلان فى وادى طوى[2]

نحن لا نرضى بنار الغسق    نحن لا نرضى بنور الشفق

نحن لا نرضى بنجم الصبح لاحْ    لا ولا نرضى تباشير الصباح

نحن لا نرضى نجوماً لامعه    إنما نبغى ذُكاء طالعه

قد رحلنا بالجوى والحُرَقِ    وغنينا عن رسيم الأينُق

أين منا طائرات سُبَّق    جُمع الغرب لها والمشرق

نحن ركب فى جواه مُوضِعُ    لم يسعه فى جواه مَوضع

كل حرّ ضاق عنه الموطنُ    وانطوى دون مناه الزمن

كل طيار على متن الفِكر    وعلى متن هيام لا يقرّ

طائر منه يغار المَلَكْ    طائر من تحته ذا الفلك

بارق فى اللُّوح لا ينطفىء    كل غايات لديه مبدأ

زوّدينا بهيام ووجيبْ    زوّدى يا لُبنَ من هذا اللهيب

(يتبع)    عبد الوهاب عزام

(١) هذا من قول اقبال :
أى كرمك شبتاب سراناى تونوراست
برواز تويك سلسلة غيب وحضور ست
( يابراعة الليل كاك نور ، وطيرانك سلسلة من الغيبة والحضور )

(٢) حاصل المعنى فى هذه الأبيات أن النفس تارة تدرك إدراكا واضحاً وتارة تغم عليها الحقائق

(٣) إشارة إلى الآية فى قصة موسى : لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى

(١) إشارة إلى الآية : وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق

(٢) النعلان هنا كناية عن الرغبة والخوف والاشارة إلى الآية فى قصة موسى : إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى

# زهر وثمر

١ — الاسراف سَرِقَة المالك

٢ — الحظ الصاعد كرة يحذفها الدهر ، فيلقَفُها المتخلّف

٣ — الأدب وحدَه صِفْر وحدَه ، فما يقوم حسابه إلا أن يَسَرَه رَقم من فضل مال ، أو رِفْعة منصب

٤ — تستوى وثبـة العقاب الكاسر ، وهزة الفرخ الدارج ؛ إذا استويا فى حدود قَفَص

٥ — ما أظلمَ من يُمايزُ بين اثنين بما تاح لكلٍّ منهما من مكانة ، لا بما بذل كلٌّ منهما من جهد

٦ — ليس دهاءً أن تكتم السر ، وإنما الدهاء أن تكتم أن لديك سرًا تكتمه

محمد شوقى أمين

# جهاد فلســـطين

## للأستاذ بشاره الخورى

سائلِ العلياء عنّا والزمانا    هل خفرنا ذمةً مذ عرفانا
المروءاتُ التى عاشت بنا    لم تزل تجرى سعيراً فى دمانا
قل «لجون بول» إذا عاتبته    سوف تدعونا ولكن لا ترانا
قد شفينا غلةً فى صدره    وعطشنا ، فانظروا ماذا سقانا
يومَ نادانا فلبينا النـدا    وتركنا نهبة الدين ورانا
ضجت الصحراء تشكو عريها    فكسوناها زئيراً ودخانا
مذ سقيناها العلى من دمنا    أيقنت أنَّ مَعَدًّا قد نمانا
ضحك المجدُ لنا لما رآنا    بدم الأبطال مصبوغاً لوانا
عرس الأحرار أن تسقى العدى    أكؤساً حمراً وأنغاماً حزانى
نركب الموت إلى (العهد) الذى    نحرته دون ذنب خُلفانا
أمن العـدل لديهم أننا    نزرع النصر ويجنيه سوانا
كلما لوّحتَ بالذكرى لهم    أوسعوا القول طلاءً ودهانا
ذنبنا والدهر فى صرعتهِ    أن وفينا لأخى الود وخانا

* * *

يا جهاداً صفق المجدُ لهُ    لبس الغارُ عليه الأرجوانا
شرفٌ باهت فلسطين بهِ    وبناءٌ للمعالى لا يدانى
إنَّ جرحاً سال من جبهتها    لثمته بخشوعٍ شفتانا
وأنيناً باحت النجوى به    عربياً رشفته مقلتانا
فى فم العلياء عنها نبأ    خضب الآفاق واسترعى الزمانا
فاذا «المهد» غسيلٌ بالدما    ويسوعٌ يذرف الدمع حنانا
أيذود العرب عن حرمته    ونصارىَ الغرب ترضى أن يهانا

* * *

يا فلسطين التى كدنا لما    كابدته من أسى ننسى أسانا
نحن يا أخت على العهد الذى    قد رضعناه من المهد كلانا
يثرب والقدس منذ احتلما    كعبتانا وهوى العرب هوانا
من لعدنانَ وغسان بأن    يزهوا تيهاً بنا إذ نسلانا
شرف للموت ان نطعمه    أنفساً جبارة تأبى الهوانا
وردةٌ من دمنا فى يده    لو أتى النار بها حالت جِنانا
قل لمن يبنى على أشلائنا    وطناً هلا حذرت البُرُكانا
ضلَّ من دك كيانا قائما    ومضى يبنى لمهووسٍ كيانا
انشروا الهول وصبوا ناركم    كيفما شئتم فلن تلقوا جبانا
غذت الأحداث منا أنفساً    لم يزدها العنف إلا عنفوانا
قرع الدوتشى لكم ظهر العصا    وتحداكم حساماً ولسانا
انه كفء لكم فانتقموا    ودعونا نسأل الله الأمانا

* * *

قم إلى الأبطال نلمس جرحهم    لمسةً تسبحُ بالطِّيب يدانا
قم نجع يوماً من العمر لهم    هبه صوم الفصح ، هبه رمضانا
إنما الحق الذى ماتوا له    حقنا ، نمشى إليـه أين كانا

* * *

دمعةٌ للشعر فى جفن العلى    كفكفتها أكرم الخلق بنانا
حمصُ . . . والجنة من أسمائها    آنةً والمعقل الجبارُ آنا
لو مشى (خالد) فى فتيانها    بهرج الخلد وزاد الفتح شانا
هم سياج الحق من أمتهم    جعلتهم فى يد المجد ضمانا

بشاره الخورى

# بقية من حلم

## للسيد محيي الدين الدرويش

الوردُ فى ناديك غضٌّ الجنى    يختال نشوانَ فأين الشرابْ ؟
وطيرك الهَيْمانُ فى كرمتى    ينشد ألحان الهوى والشباب
والكأس فى يمناك يا فاتنى    قد رقصت فيها الأمانى العِذاب
وقلبىَ الخفاق مُسْتَطْرَبٌ    يكاد أن يطفر فوق الإهاب
يهفو به الشوق إلى قبلةٍ    حالمةٍ تكفيه مرَّ العذاب
والليل يقظان سريع الخطا    قد نشر البهجة فوق الشعاب
أودع فى جفنيك هذا الدجى    بقية من حُلمٍ مستطاب

(حمص) محيي الدين الدرويش

# القصص

قصة مصرية

## حب اللحم ...

للأستاذ دريني خشبه

« الحوار فى الأصل باللهجة المصرية ... »

— «لا ، بل يخيل إلى أنه مجرد من كل عواطف الحنان والمحبة ، وهو بالفعل عاطل من كل ما يسمو بالانسانية عن حضيض البهيمية الخرساء التى يرسف فيها ويجعل بها حياتى معه ضرباً من الشقاء والتعاسة لا مثيل له »

— « لا أفهم ! بل الذى سمعته هو أنه يحبك حباً لاحد له ، إنه يكاد يعبدك ! »

— « يعبدنى ! هه . . . إنه يعبد جسمى فقط يا أختاه ! إنه وثنى شرير ! »

— « يعبد جسمك فقط ؟ ماذا تقولين يا روحية ؟ »

— « آه يا أمينة ! كم يخجلنى هـذا الحديث الذى يدور أكثره عن اللحم والجنس ، ولا يدور شىء منـه عن القلب والروح ؟ . . . يا لتعاستى ! »

— « يبدو لى أنك وجدانية أكثر مما يجب يا صديقتى ! »

— « وجدانية ؟ إن النبع الوحيد الذى تصدر عنه الفضائل هو الوجدان يا أمينة ؛ إن الأنبياء والشعراء والفنانين لا يفهمون الحياة إلا عن طريق الوجـدان ؛ بل الله جل وعلا حين خاطب الناس فى كتبه المنزلة لم يخاطبهم إلا عن طريق بصائرهم ، والمؤمن الحق هو كل صاحب بصيرة نيرة ووجـدان سليم وقلب نابض رقيق . . . والحب ، الذى ينبغى أن يكون أساس كل حياة زوجية ، أليس هو أصدق صورة له . . . »

— « صار حديثنا فلسفة ! يا روحيـة احمدى الله على أن رزقك زوجاً لا يقصر فى شىء من طلباتك . . . زوجاً غنياً ذا سمعة طيبة . . . له مركزه فى الحياة »

— « هـذا حق . . . ولـكن الحياة ليست قصراً منيفاً وأكلة سمينة وخزاً وديباجا . . . إن هذه الأشياء أحقر ما تصبو إليه نفس عالية يا صديقتى ، ألا تفهمينى ؟ »

— « بل أفهمك جيـداً ؟ أنت شاعرة ، وكنت تحلمين بزوج شاعر ! أفيقى يا أختاه إلى حقيقة هذه الحياة الدنيا ! الدنيا جد فلا تجعليها حلماً طارئاً وخيالاً مغرقاً فى خيال . ماذا كنت تريدين من بيومى أفندى أن يكون ؟ »

— « يا أمينه أنت تقسين على قسوة شديدة . يا أمينة أنت فتاة متعلمة مثلى ، وقد طالمـا حلمنا بزواج هنىء يتصل بالروح أكثر مما يتصل بالجسم . . . أنت على حق ، لا ريب فى ذلك ، فيما يتعلق ببيومى من الوجهة المـادية . هو رجل غنى ، ولـكنه فقير جداً فى ثقافته ، فقير جداً فى حساسيته ، فقير جداً فى فهم الدنيا الجديدة والحياة الجديدة . . إنه يأكل جيداً ويلبس بأناقة ويشترى لى الجواهر والحلى بسـخاء . . . ولـكنه يمزق كتبى ويخرق رواياتى ويعنفنى كلمـا رآنى أقرأ مجلة ، وإذا أحببت أن ألعب على بيانى برم وتسخط وتـكلم بصوت عال ليفسـد على موسيقاى ، والويل لى كل الويل إذا استأذنته فى رياضة إلى الريف أو فى متنزه عام . . . إنه يحنق ، وسرعان ما يتهم ، وهو إذا اتهم كان كالبركان يقذف بما فيـه دون وعى . . . إنه لا يطاق . . . إنه بهيم يا أمينة . . . إنه بهيم ، وأستحى أن أزيد ! ! »

— « وما هذا الذى تستحين من ذكره ؟ أيستعمل الـ . . . »

— « يستعملها ؟ . . . إنه يحب أن تـكون لياليه كليالى ألف ليلة . . . وهو يتفنن فى ذلك ، وهو بذلك يرهقنى ويضاعف بلواى ، وهو يجعل ليالى جحيما مستمراً وشقاء مستديماً . . . تشممى بخيالك فمه القذر الملوث الـكريه ، الذى تتصاعد منه مع رائحة الخمر ألف رائحة ، يعبث بفمى وخدى ووجهى عبثاً وحشياً

لا حنان فيه ولا تلطف ، عبث الذئب الجائع بجثة الحمل البرىء ... يا أمينة ... ارحميني ... بحسبنا هذا الحديث الطويل ... وإلى الملتقى . . . ! »

***

ولم تدر هذه الزوجة التاعسة أنها كانت تشكو بثها إلى غريمتها الشقية التي كانت تحاول جهدها أن تصيد هـذا الزوج الغنيّ الشهوانيّ المتلاف وأن تقسر خيره كله : مالاً ودماً على نفسها ! لم تدر الزوجة التاعسة أنها كانت تفعل ذلك ، وأنها كانت تعد السم لنفسها وتضمه بيدها الساذجة البريئة فى كأسها !

لقد حاولت روحية بكل الوسائل أن تصلح من حال بيومى افندى ؛ كانت تعظه مترفقة به ، وكانت لا تغلظ عليه إما خوفاً من بطشه بها ، وإما إبعاداً فى محاولة التأثير عليه بالأسلوب الرقيق والبيان الرشيق والروح الطيبة والقلب البار ، وكانت تنيله منها لذة الوحش ، ثم تنتزع منه الوعد بعـد الوعد بالتوبة عن الخمر وهجر المخدرات ، وكان يخبث ويعكر فيصغى اليهاجين تنهض إلى بيانها فتوقع لحناً أو نصف لحن ، ولـكن البهيم الثاوى بين أضلاعه كان يهيج به فينهض لجأة ويحتملها بين ذراعيه الجبارتين ويمضى إلى المخدع

لقد كان يعبد جسمها عبادة ! ولـكنه لم يكن يؤمن بجسم واحد ! بل كانت له آلهة كثيرة وأرباب متعددة ، يخلو إلى أى منها كلما أمره شيطانه أو هاجه هواه ... وكانت أمينة الفاجرة إحدى هذه الآلهة ، وقد عبدها أول ما عبدها فى منزله ... حينما كانت تزور زوجتـه البائسة التاعسة ، فسمع صوتها المخنث وضحكها الفاسق يرن فى أرجاء المنزل ، فزلزل قلبه ، ومادت نفسه ، وسال لعاب شـيطانه المجرم إلى قطف الثمرة المحرمة ... التفاحة المشئومة التي ما زالت تينع وتتأرج ، وتملأ الدنيا باللذاذات الوضيعة والفسوق والخبائث

ولم يكن من العسير على بيومى أن يصيد هذا الصيد ، فلقد غافل زوجه وشك قلب أمينة بغمزة قوية قاتلة من عينه الصنَّاع لحملت اليه أولى رسائل الني ، وأول وحى الضلال ؛ وسهل عليهما بعد ذلك التلاقى فى أقاصى المدينة ، هذا فى غفلة من زوجه ، وهذه فى غفلة من أعين الرقباء

لـكن أمينة كانت فتاة تعمل على أن تصيد لا أن تصاد ، لذلك كانت تمنى بيومى ولا تقع فى شراكه ، وكانت تشترى منه ولا تبيع له ، وكانت موقنة أنه لها يوماً من الأيام ، وكان لا يهمها أن يشتغل قلبه بالعصبة القوية من الساقطات اللائى يتجرن بأعراضهن ، فهى تعرف ، إذا خلص لهـا أمره ، كيف تعالج هؤلاء بالنعْل ، لا بالأسلوب الرشيق والبيان الرقيق كما تعودت روحية أن تصنع ! وكان لأمينـة من جسمها الممتلىء وقوتها الخرافية كنز مدخر ليوم الفصل بينها وبين غريماتها

***

وضاقت روحية ببيومى وبأمينة ، ولاحظت ما رابها من سلوكها الأخير ، وأفلحت فى ضبطهما مرة يتناجيان ، فراحت غير مبقية على شىء ... راحت تفرج عن جمالها الحزين ، وانطلقت فى المتنزهات ودور السينما تمثل فصولاً من درامة الشباب وتستعيد ذكريات سعيدة وأحلاماً أثيرية محببة ... ذكريات الحب الذى كانت تعذب به قلوباً غضة وأنفساً رطبة ، وأحلام الماضى القريب الذى أفلت بالمناءة كلها من يديها . . . راحت ترسـل من عينيها الساجيتين سهاماً تعرف كيف تحيى بها آمالاً قضى عليها هذا الزواج التاعس النكد ، ومطامح هدمها السـيد بيومى بذهبه الـكثير الجم ، وجاهه الطويل العتيد

— « روحية ! ... أوه ! عفواً ! »

ولم تـكلم صاحب الصوت المتاجلج ، وهو شاب طِوالٌ تبدو عليـه مظاهر الفتوة ومخايل القوة ، ولـكنها لم ترفض أن تبتسم ابتسامة خمرية ساحرة ، ومضت نحو شباك التذاكر تبتاع واحدة ؛ وارتبك الفتى قليلاً ، ثم أصلح من هندامه (ربطة الرقبة فقط) وابتلع ريقه ، وانطلق يزاحم الجمهور حتى أخذ مكانه خلفها ، وانتظر حتى كانت عند الشباك ، ومدت يدها بالنقود ، فصاح هو من خلفها :

— « من فضلك يا آنسة ! التذكرتان متجاورتان . لا تأخذى نقوداً ! هاتى بقية جنيه ! ... »

والتفتت روحيـة فوجدته الشاب نفسه ! صلاح ! صلاح الذى كان يوماً من الأيام أجمل ابتسامة فى حياتها ، والنور الآلـهى الذى يضىء ظلمات نفسها ... لقد أوشكت أول الأمر أن ترده وتقسو عليه كزوجة أبية وفية ، ولـكنها لم تستطع ، بل التفتت اليه ... وشكرته باسمة ... ودخلا إلى الصالة وجلسا على كرسيين متجاورين ، ولم يسعهما أن يتكلما كلة واحـدة ! ... وكان بيد كل منهما منهاج للحفـلة ، فظلا يقلبانهما ألف مرة ، وأكبر

الظن أنهما لم يقرآ حرفاً واحداً مما فيهما ... وكان صلاح ، كل دقيقتين أو ثلاث دقائق ، يخالس روحيـة نظرة فائضة بالحزن ، مبللة بالدمع ، صادرة من أبعد غور فى روحه المعذبة الشقية ... ثم يقول لها « سلامات يا روحية ! ! » وتجيبه روحية ، بلسان خجول متلعثم ، عارف بما يعنيه صلاح : « أهلاً ...و... مهلاً ! »

ثم قال لها صلاح فجأة : « روحيـة ، أليس خيراً لنا أن نؤجل هذه الحفلة إلى غد ، ونمضى من هنا فنستنشق الهواء الطلق فى سفح الأهرام ... الليلة مقمرة ... أليست هذه فكرة ؟ ! »

ووافقت روحية ، ثم حملتهما السيارة فى طريق الأهرام ... ومع ذلك لم يتكلما أيضاً ! ! أليسا هما الآن فى طريق خوفو ؟ وهل تكلم خوفو من يوم أن دفن فى حصنه المشيد ! ! »

وانتحيا من الناس ناحيـة ، وصعدا فوق الصف الرابع أو الخامس من حجارة الهرم الأكبر مما يواجه الضوء الفضى المنبثق من القمر ...

يا لياليك الساحرة المقمرة يا مصر ! الصحراء الأبدية تتواثب فى اللانهاية ، تتسمع شكوى الفتاة المعذبة التى فقدت حبها وشـقيت بزوجها ؛ وأبو الهول الرهيب الصامت يرهف سمعيه هو الآخر ؛ ومائة فرعون عظيم سيسمعون قضية الحب والشباب والزواج ، والنسيم الشمالى سيمهد للعتاب البرىء . . . والقبل ! وحب اللحم سيغدو شبحاً بعيداً قاصياً ، ويحل محله حب مأواه الروح ومصدره القلب ومطهره العين وموسيقاه الـكلمة الطيبة ، والتمتمة الحـلوة ، والعبارة التى تخنقها العبرة ، والآهة العميقة الحارة يرسلها الفؤاد الملتاع الحزين ! وستكون القبلة ترجمان هذا الحب القديم الذى أتاحت له المصادفة أن يحيا حياة ثانية موفورة ، وسيغار القمر المطل من لازورد السماء المصرية من كل قبلة يطبعها صلاح على جبين روحية ... ذلك لأن القمر يحب ؛ ألست تراه ممتقعاً مسهداً ولهاناً ؟ !

— « روحية ! ... »

— « ... ؟ ... »

— « لعلك سعدت بهذا الزواج الغنى الموفق ؟ »

— « سعادة لا نهائية يا صلاح ... مثل هذه الصحراء ... هه . . . »

— « والسعادة اللانهائية التى تـكون كالصحراء ، تـكون كيف ! »

— « تـكون غامضة مشحونة بالأسرار ... ألغاز ! ألغاز يا صلاح ! أتعرف الألغاز ؟ »

— « إذن ، أنت سـعيدة ، لأن السعادة الغامضة أروع ألوان السعادات ! »

— « هه ! متى صرت فيلسوفاً يا صلاح أفندى ؟ »

— « منذ افترقنا هذا الفراق الذى حطم ... »

— « حطم ... حطم ماذا ؟ »

— « حطم أمانى ، وهدم قلبى ... »

— « خير لى ولك ألا نفتح كتاب المـاضى ! »

— « بل سنقرؤه صفحة فصفحة ! »

— « صلاح ! »

— « ماذا ؟ »

— « أتحب أن نزور معبد أبى الهول الساعة ؟ »

— « لمـاذا ؟ ماذا نصنع هناك ؟ »

— « نتحنَّث ! نتعلم الصمت فلا نتكلم فى هذه المسألة ! »

— « إذن لن نذهب ، بل سنبقى هنـا ! وسأكلمك فى زوجك ؟ هل أنت سعيدة به حقاً ؟ »

— « قلت لك سعيدة ! سـعيدة جداً ، إنه يحبنى . . بل يعبدنى ! لقد كان يأكلنى منذ أسبوعين ! ! »

— « يأكلك ؟ »

— « أى والله ! ألست حلوة جداً ؟ »

— « الوحش ! »

— « لا ، لا تسب زوجى ! »

— « بل أنت شقيـــة به . . . قلبى يحدثنى ! أنت تـكرهينه ؟ »

— « صلاح ! »

— « أنت تـكرهينه جداً ! »

— « إذن من عسى أن أحب ؟ »

— « تحبين ... ! تحبين فتى غيره ! الحب لا يشترى بذهب الأغنياء ! الحب لا يشترى بذهب الأغنياء ! الحب تصنعه الأعين وتزرعه فى القلوب ، بذرة من الطهارة يرويها نبع من الإخلاص ! »

— « ومن يا ترى يكون هذا الفتى إذا كان ؟ »

— « من يكون ! يكون الفتى الذى عرفك وتغلغل فى كل جوانحك »

— « الفتى الذى عرفنى وتغلغل فى كل جوانحى لم يخلق بعد ! . . . »

— « روحية ! »

— « أؤكد لك ! »

— « روحية ؟ أنت تقتليننى ! »

— « آه ! أهو أنت هذا الفتى إذن ؟ »

— « روحية ! أنا هو ... أنا صلاح ... هل نسيت ؟ »

— « ... ؟ ... »

— « إلى متى تفترق أجسامنا وقلوبنا متحدة متآلفة يا روحية ؟ »

— « ... ؟ ... »

— « تكلمى ! غير معقول أن تكونى نسيتِ ! يجب أن نلتمس مخرجاً ... »

— « كفى ! ... صلاح ! أسكت ! »

— « لا ! بل أتكلم ! لن يخدعنى لسانك ! إنى مطمئن إلى قلبك ، إنه ينبض لى كما كان ينبض قبل زواجك . . . بل هو الآن يخفق خفقاناً شديداً ، إنه يدعونى ويعطف على . . . إنه يُفضّلنى . . . ولكنك تعاندين . . . إرحمينى يا روحية . . . لن أدعك تفلتين هذه المرة ولو ربطتك السماء نفسها بسلاسل ذهبية ! أنت لى ، أنت لى دون هذا الحيوان الذى انتزعك منى ، أنا أعرف هذا ! أنا أعرف ما بينكما من بغضاء ! أعرفه كله ! ثق أنه لن ينتهى عما نهيته عنه ! البهيم ! الوحش الذى يعذبك ويضنيك ! سيصير فقيراً معوزاً عما قريب ! لقد بدأ يبيع (أطيانه) ويرهن مالم يبع ! وجسمه سيتهدم ، وقد يجرنك سيل خرابه ؟ روحية ! كبرياؤك تذيب قلبى وتصهره ! صديقتك أمينة ! لقد ذكرت لى كل شىء ... أ ... »

— « أمينة ! »

— « أجل ... أمينة أعز صديقاتك ... الأفعى ! اتركيه لها ! سيقصم ظهرها أو تقصم ظهره قريباً . . . لقد سقطنا يا روحية فاطمئنى .

— « حسبك يا صلاح ... كفى .. كفى ..

— « لا ... ليس حسبى ... ينبغى أن ننتهى !

— « ننتهى كيف !

— بأن تكونى لى ...

— « أكون لك ... وهل تقبل ! أنا ؟

— « أقبل ؟ أنا أرجوك وأضرع إليك .. لا حياة لى بدونك يا روحية !

***

وصمتا ساعةً ، وكانت دموع نحيلة تسقى حبهما الذى انتعش بكل ما كان له من قوة وحياة ، وكان الليل المصرى الجميل يرثى لهما فيهب نسيمه عليلاً رخياً كأنفاس العذارى ، وكان صلاح قد حمل رأس حبيبته على صدره الرحيب وراح يقبله ويربت عليه بأصابعه المرتجفة ... وكانت أصابعه المرتجفة تنسى فتمر بكل ما فيها من حب وبراءة على الذقن وفوق الخدين ... ثم ... ثم انحنى صلاح يتشمم بفمه المرتعش فم ملاكه الغارّ فى أحلامه فوق صدره . فاضطربت روحية ، وانتفضت انتفاضة هائلة ، وهبت من آلامها مذعورة ، وتمتمت : « صلاح ! لا يصح ! أنا زوجة ... لا أخونه حتى أرى ! »

وكانت الساعة الواحدة ! وقد سافرت آخر قاطرة من قاطرات الترام الى القاهرة منذ بعيد ! ولم يبق فى الجهة سيارة تحملهما الى هناك ! فهل يقطعان الطريق على الأقدام ؟ هذا أمر شاق . . .

— « لا تنزعجا ! سأوصلكما فى سيارتى ! !

من هذا ؟ من صاحب هذا الصوت ! يا الهول ؟ إنه بيومى ، خرج الساعة فقط من فندق ميناهاوس !! إنه يترنح من السكر وهو لايكاد يعى ! وأمينة ! أمينة معه أيضاً فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ؟ ما ذا كانا يصنعان هنالك ؟

— « أوه ؟ أنت روحية ؟ ومن هذا ؟ آه ! أحد عشاقك ! ترى ! أين كان يتمتع بك الليلة ؟ هه ؟ هناك ! فى حرم الفراعنة ولكن ، اركبا ، اركبا ، ليس الآن ! ... »

وصعد الدم يغلى فى رأس صلاح ، وأوشك أن ينقض على غريمه الوقح فيضغط على عنقه ليذيقه وبال أمره لولا أن نحته روحية وأشارت عليه بركوب السيارة ... وحينئذ ، فكر قليلا وتقدم الى مكان السائق . وجلست روحية إلى جانبه ، وجلس بيومى وأمينة فى الخلف ، وانطلق صلاح ينهب الطريق الهادئ ، وبرزت الأجيال القديمة كلها من تحت الرمال تنظر إلى أبطال

القصة المؤلمة ... الزوج الخائن ... والصديقة الخائنة ... والمحب الهائم ... والزوجة الثائرة ...

وجعل صلاح يفكر ... وأيقن أن الخمر قد سيطرت على دماغ خصمه ... فهل يستطيع أن يجعلها من جنوده ضده ؟ ! سيرى ...

واقتربت السيارة من الجيزة ... وبدا النيل يصطخب من بعد ... وأزبد عبابه وجرجرت أواذيه ... وأوقف صلاح السيارة على بعد مائة متر أو نحوها من النهر المظيم ، ثم نزل منها وأشار إلى روحية فأطاعته ونزلت هي الأخرى ... وهي لا تدرى لماذا نزلا ، وحملق صلاح في غريمه فوجده يخاصر أمينة وقد غلبهما النعاس والسكر فناما نوماً عميقاً ...

— « بيومى افندى ! بيومى افندى ! استيقظ ! هل أنت فسق سيارتك ، أنا ماض إلى بعض شؤونى في الجيزة ! »

وشخر بيومى شخيراً مفزعاً بأنفه الغليظ ، ونهض من مكانه متثائباً ليجلس مكان السائق وهو لا يعى من أمره ولا من أمر سيارته شيئاً ... ثم أدار العجلة دورة آلية فانطلقت السيارة تطوى الطريق في خط مستقيم إلى ... النيل ... النيل الزاخر الأبدى ! »

— « حرام عليك ياصلاح ... »

— « إسكتى ! لقد أنقذتك ! »

— « وَىْ ! إسمع ! لقد انقذفت السيارة في الماء ! »

— « بمن فيها طبعاً ... »

— « يا للقوة ! »

— « روحية ، هلمى من هنا ... من هذا الطريق »

دريني خشبة

(الرسالة) إن الحل في هذه الأقصوصة الجميلة لا يرضى الخلق الجميل

# البريد الأدبي

## الخطر على تراث الاسلام فى أسبانيا

قرأنا فى أخبار الحرب الأهلية الأسبانية غير مرة أن القنابل ألقيت على غرناطة وقرطبة ومالقة . ونحن نعرف أن الأندلس تقع منذ بدء الحرب الأهليـة فى يد القوات الثائرة وأن حكومة مدريد تحاول تطويقها من البر والبحر ، وترسل قواتها الجوية لضرب قواعـدها بالقنابل من آن لآخر ؛ وقد كانت غرناطة وقرطبـة فى الآونة الأخيرة هدفاً لتلك الهجمات الجوية ؛ وقد قرأنا فى روعة وجزع أن القنابل أصابت قصر الحمراء وأتلفت بعض نواحيه ؛ فاذا صح هذا الخبر كنا أمام حادث بربرى ، وأمام كارثة حقيقية تنزل بتراث العرب والاسلام فى أسـبانيا . إن قوانين الحرب فى كل عصر ودولة تنص على احترام الذخائر الأثرية ، ومهما كان فى خطورة المعارك الأهلية الدائرة فى أسبانيا وروعتها فان الاقدام على تخريب المعاهد الأثرية سواء من هـذا الفريق أو ذاك يعتبر عملاً بربرياً لا تبرره أية غاية . وقد منيت الآثار الاسلامية فى أسبانيا بسبب التعصب والاهمال خلال القرون بكثير من التلف ، فتركت كنوز المحفوظات العربية فى الأسكوريال لتلتهمها النيران ، وأضحت لا تجاوز ألفاً وثمانمائة بعد أن كانت حتى القرن السابع عشر تربى على عشرة آلاف ؛ وحولت معظم المساجد الاسلامية الجامعة وفى مقدمتها مسجد قرطبة الى كنائس وشوهت بذلك معالمها وخواصها الفنية ؛ وهدم قسم من قصر الحمراء ليبنى مكانه قصر صيفى للامبراطور شارلكان ؛ ولم تبق يد التعصب والجهل إلا على بقية ضئيلة من النقوش واللوحات الأثرية . وهذه البقية الباقيـة من تراث الاسلام والعرب فى مدريد وغرناطة وقرطبة ومالقة تعرض اليوم للتخريب والفناء الأخير . وليس بعيداً أن نقرأ اليوم أو غداً أن قنابل الثوار سقطت على قصر الأسكوريال وأحرقته بما فيه من المخطوطات العربية ، أو أن قنابل القوات الحكومية ألقيت من جديد على قرطبة فهدمت مسجدها الجامع ، أو على غرناطة فهدمت قصر الحمراء ؛ ذلك أن الحرب الأهلية الأسبانية تدور بلا شفقة ولا رحمة لا بالناس ولا بالأشياء .

وإنه ليحسن فى مثل هذه الظروف الدقيقة أن ترفع الحكومات والهيئات الاسلامية صوتها للمطالبة باحترام التراث الاسلامى فى أسبانيا وحمايته من الغارات الخطرة ؛ فحق الأمم الاسـلامية كلها متعلق بهذا التراث ، وفى اعتقادنا أن مثل هذه الخطوة إذا اتخذت يكون لها أثرها

## مدام جوليت آدم

توفيت مدام جوليت آدم الـكاتبة الفرنسية الشهيرة وعميدة كتّاب فرنسا من حيث السن . وكانت وفاتها فى قصرها فى كانيول من أعمال مقاطعة الڤار حيث اعتكفت منذ أعوام طويلة تعيش فى عزلة مطلقة . وقد بلغت مدام آدم المائة عام تقريباً ، وكان مولدها فى ڤربرى من أعمال « الواز » فى أكتوبر سـنة ١٨٣٦ ؛ وكان زوجها أدمون آدم مديراً لشرطة باريس ، ثم استقال من منصبه على أثر حادثة فرار هنرى روشفور من سجنه فى كاليدونيا الجديدة ؛ ثم انتخب عضواً فى مجلس الشيوخ فى سـنة ١٨٧٥ وتوفى بعد ذلك بعامين ، وكان من رجالات الامبراطورية ومن شخصيات القرن الماضى

وتبوأت مدام آدم منصة التحرير والـكتابة منـذ أكثر من ستين عاماً ، وتولت تحرير « المجلة الجديدة » فى أواخر القرن الماضى ، وبرزت بين كتّـاب هذا العصر بذلاقتها وروعة أسلوبها ، وكتبت عدة كتب وروايات قيمة منها كتاب « حصار باريس » Siége de Paris ، وهو من أشهر الـكتب فى هذا الموضوع ، وفيه تصف مدام آدم ذلك الحصار الشهير الذى شهدته بعينيها ؛ ومنها « مذكرات باريزية » Journal d'une Parisienne ، وهى مذكرات طريفة تقدم إلينا صوراً شائقة من الحياة الفرنسـية فى القرن الماضى . ولمدام آدم عشرات أخرى من الروايات والـكتب .

وكانت مدام آدم تستقبل في بهوها الأدبي أشهر كتاب العصر ورجالاته، وكان من أشهر الأبهاء الأدبية في أواخر القرن الماضي

ومن مآثر مدام آدم التي يذكرها المصريون بنوع خاص صلتها الروحية بمصطفى كامل زعيم الوطنية المصرية ومراسلتها معه. وكانت مدام آدم من أشد أنصار القضية المصرية، وكانت تشجع مصطفى كامل بمراسلاتها ونصائحها، وتنشر عن القضية المصرية مقالات كثيرة تدعو فيها إلى تأييد مصر في جهادها وإلى إنصافها وتحقيق أمانيها

وكان ذلك منذ أكثر من ثلاثين عاماً. وهاهوذا الزمن يحقق بعد ثلث قرن من صيحة الكاتبة الشهيرة لمصر بعض أمانيها، وتجنى مصر بعض ثمار جهاد زعمائها وأبنائها البررة. فليذكر المصريون مدام آدم وأمثالها ممن نادوا بحق مصر في الحياة والحرية، وليقرأوا كتبها ورسائلها القيمة

## معهد «الجتيانوم»

هذا معهد من نوع فريد لا يعرف عنه سوى القليل، ومع ذلك فهو جدير بالتعريف لطرافته. يقوم في وسط الأحراج على رابية عالية، في إحدى القرى السويسرية الجميلة: ذلك هو معهد «الجتيانوم» Goetheanum القائم في ضاحية درناخ على مقربة من مدينة بازل. وقد أتيح لي أن أزور درناخ ومعهدها الفريد في وسط الأحراج والربى العالية، وأن أحيط بشيء من تاريخه وغاياته؛ فهو معهد دولي للعلوم العقلية كان أول عامل لتأسيسه الدكتور رودلف شتينر Steiner العلامة النمسوي. وشتينر من أقطاب التربية الحديثة، ولد سنة ١٨٦١، ودرس في النمسا وألمانيا، واشتغل منذ حداثته بشؤون التربيـة، وأبدى براعة خاصة في فهم الوسائل التربيوية وتنظيمها، وبذل جهوداً جمة لتحقيق نظرياته الجديدة في التربيـة، وعمل لانشاء مدارس جديدة من طراز خاص في بعض المدن الألمانية والنمسوية، واشتهر بمحاضراته في التربية في أوروبا وأمريكا. وللدكتور شتينر عدة مؤلفات شهيرة منها: «نظر جيته الى العالم» Goethes Weltanschaung، وكتاب «الحقيقة والعلم» Wahieit und Wissen schaft و«فلسفة الحرية» Philosophie du Frecheit؛ وكتب أيضاً قصة حياته في كتاب مؤثر. وفي سنة ١٩٢٣، بدئ تأسيس «الجتيانوم» تحت رعايته وبارشاده في قرية درناخ، وبني على طراز الملاعب اليونانية القديمة؛ ثم قام بوضع أسسه ونظمه العلمية، وأريد به أن يكون معهداً دوليا لترقية العلوم العقلية يجري على نظم الثقافة الحرة دون قيد ولا شرط؛ وأنشئت فيه أقسام للتربيـة والفنون الموسيقية والطب والعلوم والفلسفة، وغدت درناخ منذ عدة أعوام مركزاً لحركة عقلية دولية يساهم فيها كثيرون من مختلف أنحاء الأرض. وفي الصيف تلقى في «الجتيانوم» محاضرات دورية من أشهر الأساتذة في مختلف العلوم والفنون التي يعمل المعهد لترقيتها، وقد كانت قرية دورناخ حين زرتها غاصة بالنزلاء الوافدين على المعهد، ومنهم كثير من الانكليز والأمريكيين ما؟

(ع)

## كتابان عن روبسبيير

صدر أخيراً كتابان جديدان عن روبسبير زعيم المرحلة الأخيرة من الثورة الفرنسية، أحدهما بالألمـانية ومؤلفه الأستاذ فريدريش زيبرج، والثاني بالانكليزية ومؤلفه المؤرخ الأمريكي جيرارد والتر

وقد صدرت في مختلف اللغات كتب كثيرة عن الثورة الفرنسية وعن روبسبير، ولكن شخصية روبسبير ما فتئت لغزاً على التاريخ؛ فبعض الباحثين يرى أن روبسبير كانت شخصيته ضعيفة تستتر بمظاهر الورع والتصوف، وتسيرها مثل متواضعة؛ ويرى البعض الآخر أن روبسبير كان في الواقع شخصية عظيمة، ولكن الظروف والشهوات التي أحاطت بها حالت دون ظهورها بمظهرها الحقيق

ويقدم لنا المؤلفان في هذين الكتابين الجديدين صورتين جديدتين لروبسبير، تختلف إحداهما عن الأخرى من حيث التقدير والتصور؛ ولكن المؤلفين يتفقان في الأخذ برأي واحد فيما يتعلق بوثائق الثورة الفرنسية عن روبسبير وحياته، فهما يرفضان الأخذ بما في هذه الوثائق، ويعتقدان أن كثيراً منها قد زيف لأغراض خاصة. ويرى الأستاذ زيبرج بنوع خاص أن المؤرخ لا يستطيع أن يحلل شخصية ما دون أن يشعر نحوها بشيء من العطف؛ ولكنه لا يجد في شخصية روبسبير ولا في صفاته ما يجذب أو يروق. وفي رأيه أن روبسبير كان مع ذلك شخصية عظيمة تتمتع بمواهب ممتازة، وأنه من الخطأ مع

استبعاد الوثائق الثورية أن نعتبر روبسبيير زعيما صغيراً من زعماء الطبقة الوسطى لا يمثل سوى أماني طبقته كما يصوره بعض المؤرخين

وينحو الأستاذ زيبرج في عرض حياة روبسبيير نحواً جديداً معتمداً في آرائه على الوقائع الثابتة والأعمال الشخصية ، ويميل إلى الناحية العلمية أكثر مما يميل إلى الناحية الروائية

أما الأستاذ والتر فيميل نوعاً إلى الناحية الروائية ، ويقص علينا حياة روبسبيير الأولى في باريس حيث كان يسكن في غرفة حقيرة مع صديق له في بناء عتيق في شارع سانتونج ما زال قائماً إلى يومنا ؛ ثم يقص علينا قصة اتصاله بأسرة دوبلاي بعد أن غدا زعيماً يشار إليه ، وكيف أحب الفتاة إلينور ابنة دوبلاي حباً لم يزهر ، بل انتهى في غمرات الحزن والشجن ، بعد أن سقطت رأس الزعيم على النطع ؛ وكيف أنه يوم حمل على عربة المحكوم عليهم ، مرت عربته بمنزل أسرة دوبلاي — أقصداً أم عرضاً ؟ — وما كان لذلك من وقع أليم في نفسه

وفي الكتابين من الجديد ما يغرى بقراءتهما

## الأحجار السماوية

ألقى العلامة لاكروا الأخصائي في مباحث الأحجار السماوية أمام أكاديمية العلوم بيانات طريفة عن الأحجار السماوية التي اكتشفها في المدة الأخيرة ؛ فقال إنه قد شهد في الصحراء الكبرى أحجارا كبيرة سوداء تتميز بلونها ، وإنه قد وجدت منها قطع تزن نحو خمسة كيلو جرامات . ولاحظ مسيو لاكروا أن مظاهر القطع الساقطة تدل على أنها سقطت حديثاً

وتحدث مسيو لاكروا عن الحجر السماوي الشهير الذي اكتشف في المغرب الأقصى فقال إنه يقدر طوله بمائة متر ، ووزنه بنحو مليون طن ، وأنه استطاع أن يعثر منه على شظية صغيرة ، وأنه يقدر أن هذا الحجر سيسقط على بعد نحو خمسين كيلومتراً من جنوب غربي شاجوتي على أنه لم توجد حتى اليوم علامات تدل على سقوطه

## إلى إخواننا في المغرب

يتفضل إخواننا في المغرب على (الرسالة) بمقالات وقصائد لا شك في أنها قيمة ؛ ولكن يعسر علينا في الغالب قراءة الخط المغربي فنضطر إلى تأخيرها آسفين . فنرجو أن يكتبوها بالخط المعروف أو بالآلة الكاتبة حتى لا يحرم إخوانهم في سائر الأقطار العربية الاستفادة مما ينتجون

## التنبيهات على أغلاط الرواة

اطلعت ( في العدد ١٦٥ من الرسالة الغراء ) على المقالة التي نشرها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام من كتابه ( ذكرى أبي الطيب ) وذكر فيها أنه وقف على رسالة اسمها ( التنبيهات على مقصور ابن ولاد النحوي ) . ولم يذكر لنا الأستاذ الدكتور اسم مؤلف هذه الرسالة مما يدل على أنها عنده غفل من ذلك . ولما كان مؤلفها من كبار اللغويين من علماء الأدب ، رأيت من الواجب الاستدراك ببيان اسمه وهو ( أبو القاسم علي بن حمزة البصري ) ترجم له ياقوت والسيوطي وغيرهما

والرسالة هذه قسم من كتابه الممتع ( التنبيهات على أغلاط الرواة ) الذي جمع فيه التنبيه على ما في نوادر أبي زياد الكلابي ، والتنبيه على ما في نوادر أبي عمرو الشيباني ، والتنبيه على ما في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، والتنبيه على ما في الكامل للمبرد ، والتنبيه على ما في الفصيح لثعلب ، والتنبيه على ما في الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ، والتنبيه على ما في اصلاح المنطق لابن السكيت ، والتنبيه على ما في المقصور والممدود لابن ولاد

من قراء الرسالة

## للحقيقة والتاريخ

قال دولة حقي بك العظم ( رئيس مجلس الوزراء الأسبق في سورية ) في الرسالة ( ١٦٥ ) أن في قصتي (النهاية) غلطاً تاريخيا لأني قلت أن ناظم باشا ( والي دمشق ) زارها فقيراً محتاجاً ، وخرج منها يائساً منكراً ؛ وناظم باشا قد زار دمشق مكرماً ، وخرج منها مودعاً معظما . وكان ذلك في عهد حاكمية دولة الرئيس

وقد كان دولة حاكم دمشق في بدء عهد الاحتلال ، فلا تكون الزيارة التي يتحدث عنها دولته هي التي تحدثت عنها في قصتي ، وإنما هي زيارة أخرى ، لأن حوادث القصة وقعت سنة ١٩٢٩ كما قلت في أول سطر منها ، وكان هو حاكم دمشق قبل ذلك بسنين طويلة ؛ وعلى ذلك لا يكون في قصتي خطأ ، لأن ناظم باشا جاء دمشق آخر مرة في سنة ١٩٢٩ ، وكانت حاله قريباً مما قلت في القصة ، ولا يكون في كلام دولة الرئيس تصحيح للقصة . هذا ولدولته ولحضرة الكاتب شكري واحترامي . علي الطنطاوي

4 me Année, No. 167 — Lundi - 14 - 9 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٦٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥ — ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

## فهرس العـــــدد



٢٦ - ٧

بعد المعاهدة

## من الجهـــاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر

### للدكتور عبد الوهاب عزام

يروى بعض الصوفية أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه كان إذا قفل من غزاة قال : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ؛ ويقولون إن الجهاد الأصغر قتال الأعداء وخوض المعامع وقراع المنايا ، والجهاد الأكبر تقويم النفس وتطهيرها وإعدادها للرقابة على أعمالها والقيام بالعدل فيما بينها وبين الناس ، ثم مجاهدة الأنفس الأخرى بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالرغبة والرهبة واللين والشدة ، حتى تستقيم على السنن القويم ، وتحتمل كل ما يحمّلها الواجب ، وتأخذ كل ما يعطيها الحق ؛ وحتى يجتمع الناس على شرع لا تفرّقهم الأهواء ، ولا تثور بينهم البغضاء ؛ ثم النظر بعد هذا فيما يصلح الجماعة ويسعدها فى معايشها

صدق هؤلاء القائلون . فحرب العدوّ جهاد بيّن لا تقعد عنه

الأنفس العزيزة ولا تختلف فيه الكلمة ؛ تدعو إليـه العزة والكبرياء ، والذود عن الأنفس والحرمات ، ويصمد فيه المجاهد إلى عدو مرئىّ فى معترك محدود . ولكن جهاد النفس ، و إصلاح الجماعة و إسعادها ، خفىّ المسالك غامض الجوانب ، تعترك به فى النفس الواحدة منازع مختلفة ، وتفترق بالجماعة أهواء متشاكسة ، ويطول فيه المدى ، وتمتحن العقول والعزائم

فان تكن الأمة المصرية قد مشت فى عزتها إلى غايتها أو أشرفت على الغاية ، إن تكن قد بلغت بالإباء والكبرياء والدأب والصبر ما أمّلت أو بعض ما أمّلت ، إن تكن فرغت من الثورة والعداء إلى السلم والمودة ، فإنما قفلت من جهادها الأصغر إلى جهادها الأكبر — الجهاد الذى ينظر فى أحوال الأمة ما بطن منها وماظهر ، ليربّيها على الخير والحق ، وينشئها على الخلق القويم ، ويردّها جماعة صالحة متآخية ، تجمعها المودّة ويعدل بينها الانصاف ، تلقى الخير والشر بقلوب موحدة وعزائم مجتمعة وآراء متناصرة — الجهاد الذى يعنى بالجهلاء فيعلمهم ، وبالمرضى فيأسوهم ، وبالبائسين من الزراع والصناع فيأخذ بأيديهم إلى العيشة الراضية ، ويقارب بين طبقات الأمة حتى يجمع شملها الخيرُ العام والمصلحة الشاملة — الجهاد الذى يهيّئ للأمة وُلاة ينشرون السلام والأمان ، ويقومون بين الناس بالقسط فى كل كبيرة وصغيرة ، حتى تتمّ النصَفَةُ القويّ والضعيف ، والنصير والمخالف ، والمحبّ والمبغض ؛ وتقوم للأمة حكومة يحمل كل واحد فيها قانوناً فى الخلق ، يكفل ألا يحيد قيد شعرة عن القانون الذى فى الورق ؛ ويتنزّل فيها المثل الصالح من الرؤساء إلى من دونهم حتى يشعر كل عامل أنه يتلقى العدل من فوقه يوحيه إلى من دونه ، وأنه حين يعدل لا يتبرع ولا يمن على أحد ، وإنما هو الحق والواجب لا محيد عنهما ولا مفر منهما ، ولا يسع الأمر غيرها ؛ وحتى لا يُقضى فى أمر إلا بما يقضى به عمر بن الخطاب لو عرض هـذا الأمر عليه ، لا محاباة ولا حيف ولا هوادة ؛ القوىّ ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف قوى حتى يؤخذ الحق له ؛ وحتى يكون العامل الصغير فى أقصى الأرض نائلا حقه آمناً عليه ، كالحاكم الكبير فى دواوين القاهرة ؛ وحتى ييأس أكبر الموظفين وأقرب المقرّبين من المحاباة يأس أصغرهم وأبعدهم . لكلٍّ حقه ، وعلى كل واجبه ، وفوق الناس جميعاً قانون الأمة وعدل الله — الجهاد الأكبر الذى يذهب بهذه المساوئ البادية فى أنفسنا وأجسامنا وأزيائنا وطرقنا وأنديتنا ودواويننا ودورنا ، والذى يأخذ الأمة بيد رحيمة حازمة لتوفى بها على النجاة غير مبالية بصيحات المرضى الذين يكرهون الدواء ، والمفسدين الذين ينفرون من الإصلاح الخ الخ

لست أقول إن أمتنا ابتليت بالشر والفساد من بين الأمم ، ولكننى أريد لها أن تكون « خير أمة أخرجت للناس » وأن تصير مضرب المثل بين الأمم فى أخلاق أفرادها ، ونُظُم جماعتها ، وسعادة أولادها

سيقول الضعفاء : هذا مطلب عسير ! وأنا أقول إنما تَطمح عزائمنا إلى المطالب العسيرة ، وإنما يكافئ هممنا المقاصد البعيدة . وسيقول الذين فى قلوبهم زيغ : هذا هذيان ! وينسون أن هذا الهذيان تنطق به القوانين كلها . فان لم يكن عملنا مصدقاً قوانيننا فما جدوى هذه القوانين ؟. ليس فى الأمر عسر ، وليس فى الأمر هذيان ، ولكنه حق يسير إذا برئت النفوس من يأسها ، وخرست الألسن عن هذيانها ؛ وحسبنا أن يقوم على رأس الأمة « عُمر » واحد يضرب المثل ولا يتهاون فى إنفاذه فاذا الناس كلهم رغبةً ورهبة يقتدون به ، ويحاول كل منهم أن يجعل نفسه عُمَر آخر .

إن نفوس هذه الأمة معمورة بالخير ، وإنما أضرّ بنا أن رفعت فى كنف العدو رايات للشر انحاز إليها كل شرير ، وأشفق منها كل خيّر ، فازداد المسيئون إساءة ، وضعفت نوازع الإحسان فى نفوس المحسنين . فاليوم نريد أن تُرفع فى هذا البلد للخير رايات ، ويُهاب بما فى الأمة من أخلاق ليزداد المحسن إحساناً ، ويكف المسيء عن إساءته ، فاذا الناس أعوان على الخير أنصار له ، فرحون به مغتبطون سعداء

ذلكم الجهاد الأكبر تضطلع به هذه الأمة الكريمة ، وتقودها إليه حكومتها الرشيدة مؤيدة موفقة مسددة إن شاء الله

عبد الوهاب عزام

# القطط

## للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

القط حيوان مغرور ؛ وله العذر يا أخى والله . . ولو أن أمة من الأمم بدا لها فى عصر من العصور أن تعبد أجدادى أو أن تعتقد أن روح الله حالة فى أجسادهم لكنت حقيقاً أن أزهى وأ تكبر وأتفطرس وأرفع رأسى حين أ كلم الناس، وأزم بأنفى وأتبجح عليهم بما ليس عندى، وأتمدح بما ليس فى، وأ كون على العموم — وباختصار — نفاجاً فياشاً إذا كنت تفهم ما أعنى

ولست أتخذ القطط ولا أحبها أو أطيقها، لأن آبائى لم يكونوا ممن عبدوها أو آمنوا بحلول روح الله فيها وإن كانوا قد عبدوا فى جاهليتهم ما هو أحط منها فى مراتب الحياة — الأصنام والحجارة — ولكنك تكفر بالحجر فتكسره وتفرغ من أمره. أما القطط فتئ فى أمرها إلى الرشد ولكنها هى لا ترشد أبدا ولا يفارقها الغرور العظيم الذى داخلها مذ رأت نفسها معززة مكرمة — بل معبودة — بلا موجب، فالبلاء لهذا مقيم والمصيبة خالدة والعياذ بالله

ومن غرور القط أنه لا يستأنس أبدا — يسكن بيتك ويأ كل طعامك برضاك أو على الرغم منك، ومع ذلك لا يكون معك إلا على حرف ... تمسح له شعره فيثنى أرجله تحته ويرخى جفنيه ويروح يزوم أو « يقرأ » كما يقول العوام فكأنك تستلم حجراً مقدساً من فرط ما يكون من انصراف هذا الحيوان المتكبر عنك، وتدغدغه فلايعنى بأن ينظر إليك ليرى من أنت — أغريب أم صاحبه الذى يطعمه ويؤويه — بل ينحى عليك بأظافر يده وبفمه فى آن معا . وتقدم له اللقمة من الخبز فينظر إليها شزراً ويعرض عنها محتقراً لها ويحول رأسه عنك بكبر دونه كل كبر وتَرفع لا يطاق حتى لكأنك تلغو فى حضرة البابا .. فاذا كان ما تعرضه عليه لحماً أو سمكا أهوى عليه بأسنانه وهو معبس متجهم وانتزعه منك كأنما أنت تدنسه بلمسه أو حمله . ولا يكون معك أبداً إلا متحرزاً متوثباً متوقماً منك الغدر ومتهيئاً لمباغتتك بالخيانة، وليس أطغى منه ولا أغلظ كبدا . وما أظن بالقارئ إلا أنه رأى ما يصنع القط بالفار وكيف يمسكه بين يديه حتى يكاد عينيه من الفزع ثم يطلقه ويقصر عنه فيقف الفار المسكين جامداً لا يتحرك ولا يكاد يصدق أنه حر وأن فى وسعه أن يذهب ويجرى . والقط ساكت لا يمد إليه يدا ولا يبرز مخلباً فيطمئن الفار ويشرع فى الهرب وهو يتلفت حتى إذا وثق أنه آمن وثب عليه القط وهو يضحك فى سره وغرس فى جنبيه مخالبه وراح يشكه بها شكا يكون خفيفاً تارة وثقيلاً أخرى ثم يكف عنه مرة أخرى — وعينه عليه — ويكتفى بأن يربض ويتربص له وأن يلاحظه وهو يتلوى من الألم . ويدرك الفار أن الشك قد انقطع وإن كان حر ما اتقى منه لا يزال شديداً فيتنهد ويقول « ياحفيظ .. أعوذ بالله ... على وجه من أصبحت فى يومى المنحوس هذا ياترى ... على كل حال الحمد لله .. قدر ولطف .. وترى أين ذهب هذا الوحش الضارى .. ياحفيظ .. ياحفيظ .. اللهم استرنا ... اللهم الآن أن أذهب إلى جحرى فانه على ضيقه خير ألف مرة من ميدان هذه الغرفة التى لا آمن أن يثب على فيها قط آخر .. والعياذ بالله » ويتوكل المسكين على الله ويقول « هيه .. يامعين » ويروح يجر رجلاً بعد رجل ؛ وذيله مسحوب وراءه على الأرض ؛ ولا تبقى له قدرة على التلفت من فرط الأعياء ومن كثرة ما نزف منه من الدم القانى فيمضى إلى الجحر وهو لا ينظر لا إلى اليمين ولا إلى الشمال ولا قدامه ولا خلفه ؛ حتى إذا قارب الجحر وانتعشت نفسه قليلاً وعظم أمله فى النجاة والسلامة وطول العمر وهم بوثبة أخيرة إلى حيث لا تدركه القطط ولا تستطيع أن تتبعه، إذا بالقط المتربص على ظهره، ومخالبه فى لحمه الطرى، فيدرك الفار اليأس ويستسلم ويقول فى سره وهو يؤكل عسى الله أن يعوضنى يوم النشور داراً أخرى لا قطط فيها .. ويلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يحلم بجنة الفيران

والقطط تولد عمياء مطبقة الأجفان فيدركنا العطف عليها وترق قلوبنا لها فنعنى بها ونتعهدها ونسقيها اللبن الذى هو لطعامنا، ونبرها ونسرها سنة بعد سنة، ونفرح بها ونعجب بمنظرها ونباهى الجيران، ثم يتفق أن نخرج يوماً وأن نوصد الأبواب ونحن لا ندرى أن القط فى إحدى الغرف ونغيب شيئاً ثم نعود إلى البيت ويدخل أحدنا حجرة النوم ليخلع ثيابه فيغلق الباب وراءه كعادته وإذا بالقط على السرير يتحفز للوثوب عليه وتمزيق لحمه — ما فى ذلك شك — فكأنه ليس أمام قط صغير وإنما هو

أمام نمر مفترس فيضطرب الرجل وتتخاذل ركبتاه ولا يعود يعرف أين الباب، والقط يموء بل يعوى ويتوثب كالمجنون وقد نسى كل ما كان من سابق النعمة ولم يبق له هم إلا الخروج من الغرفة أو افتراس هذا الذى دخلها عليه وإن كان سيده وصاحب الفضل عليه

وقد لقيت من قطط الجيران الأمرين فما أحب القطط كما أسلفت . وما أكثر ما يحدث أن أنسى نافذة مفتوحة أو باباً مواربا فيدخل القط ويمضى إلى أوانى الطعام ويكشف عنها الغطاء — أى والله ولو كانت من النحاس الثقيل — ويلتهم كل ما بقى .... وقد كان لى جيران ما رأيتهم قط ينامون إلا بعد أن يغلقوا الأبواب والنوافذ جميعاً . وكنت أضحك إذ أسمع رب بيتهم يصيح فى الليل — والصوت فى الليل يسرى — « يا حنيفة .. هل أغلقت باب المطبخ ؟ » فتصيح حنيفة من مرقدها والنوم يغالبها : « أيوه ياسيدى ... » فلايقتنع ويخشى أن يكون الكسل قد أغراها بالكذب فيقول « يحسن أن تقومى وتستوثقى » وبعد قليل أسمعه يؤنبها ويقول لها « ألم أقل لك .. هذه النافذة لم تكن محكمة الأيصاد ... وهذا الباب ... انظرى ... لو دفعه إنسان بيده لا نفتح » فتحلف أنها أوصدت كل الأبواب والنوافذ فيقول « لا يا بنتى . . . دورى قبل النوم على كل الأبواب وكل نافذة وامتحنى كل منفذ بيدك لتتحققى » وكنت أعجب لهذا التفزع وأسأل نفسى عما يخيفه وهو فى عمارة لها بواب لا ينام إلا بعد أن يدخل كل السكان ثم يغلق بابها بالمفتاح ويضعه — أعنى المفتاح لا الباب — فى جيبه . فاذا تأخر أحد السكان احتاج أن يدق ويقرع الباب .. ثم زال عجبى لما بلوت قطط الجيران .. وأيقنت أنه لا يخاف اللصوص وإنما يخاف القطط .. وله العذر

والعامة تعتقد أن للقط سبع أرواح وما أظنهم إلا صدقوا، ومن كان يشك فى ذلك فليتأمل كيف يسقط القط من فوق السطح العالى فلا يزيد على أن ينظر يمنة ويسرة — فان فى القطط تحرزاً شديداً — ثم ينهض ويمضى كأنما كان قد انحدر على بساط كهربائى . وتضربه بالحجر فلا يهيضه بل يرتد عنه . وهو مثال الفردية الصارخة والأثرة المجسدة . وما رأيت قطتين اتفقتا قط ، وما اجتمع قطان فى مكان إلا تحفزاً للقتال فترى كلا منهما قد رفع ذيله وقوس ظهره وراح يجس الآخر بعينه وهو يزوم ويقول : « واووووووو » ويدور حوله ليغافله وينشب فيه أظفاره . والقطة هى الدابة الوحيدة التى تأكل صغارها فتفعل ذلك . ومن كان يعرف أن حيواناً مستأنساً آخر يفعل ذلك فليخبرنى فان العلم بهذا ينقصنى

ومن غرور القط أنه يعتقد أن ريقه ترياق ، فتراه يضطجع على جنبه ويلوى عنقه ويقبل على شعره بلسانه يلحسه ولا يخجل أن يستحم على هذا النحو أمام الناس ، بل لعله يباهى بذلك ويفخر قبحه الله ؛ وهو مفطور على الغدر والخيانة فلا أمان له ولا اطمئنان منه لأحد من الخلق ولا لشىء من الأشياء فهو لهذا سىء الظن ، حتى إنك لتراه إذا صار على رف أو لوح من الخشب يخطو كأنما هو يمشى على الجمر فيضع كفاً وينتظر ويخيل إليك من وقفته أنه يختبر المواطىء بكفه ويقدر مبلغ ثباتها وقدرتها على احتمال ثقله . ثم يمد يده الأخرى وينتظر شيئاً زيادة فى الاستيثاق ومبالغة فى الحذر ولا يجد ما يبعثه على الشك ، ومع ذلك يظل يتريث حتى تزهق روحى وأنا أنظر اليه . وإذا رابه شىء رد يده وسحبها من موضعها بسرعة وخفة ؛ ولو كان الانجليز قد خلقوا قبل القطط وسبقوها إلى الدنيا والحياة لقلت إن القطط أخذت ذلك منهم وقلدتهم فيه فانهم مثلها يقدمون على الشىء متحرزين ، ويخطون خطوة ثم يقفون ينظرون ما يكون ، فاذا جرت الأمور على غير مايحبون أو يتوقعون ارتدوا بخفة وبسرعة وإلا نقلوا رجلاً أخرى وهكذا ، فيظهر أنهم هم الذين يتقيلون القطاط ويحاكونهم فى هذا والله أعلم

ولم يسرنى قط وجود قطة فى بيتى إلا مرة واحدة ، وكان قطا ملعونا لا يزال كلما أوينا إلى مضاجعنا يتسلل — لا أدرى من أين — إلى المطبخ ويرفع كل غطاء عن كل وعاء ويقلب كل صحن ويروح يعبث بما فى المكان . وليست نقمتى عليه من أجل ما يسرق فقلما يجد شيئاً فى المطبخ لأن عادتنا أن نأكل كل شىء ولا نبقى شيئاً قبل أن ننام ، فلا تبيت الأوعية والصحون إلا فارغة نظيفة ، والحمد لله الذى لا يحمد على المكروه سواه . وإنما نقمتى عليه من أجل الضجة المزعجة التى يحدثها والصحون والأطباق التى يكسرها فنهب مذعورين من فرط الضوضاء ونذهب نعدو إلى المطبخ عسى أن ندرك شيئاً قبل أن يتحطم ، وإذا بالقط اللعين يثب من الرف حين يرانا إلى النافذة دفعة واحدة . وأقسم أن

كنت اغلقت النافذة واستوثقت منها قبل أن أنام كما رأيت جارى يفعل ولكن من يصدق .. وتروح زوجتى تكذبنى وتزعم أنى لا شك أهملت كعادتى أو أنى اكتفيت بأن ألمس النافذة بيدى وباركتها ثم قفلت راجعاً وأنا واثق أنها ستنغلق نفسها بقدرة الله ومن غير حاجة إلى معونتى . ونظل فى هذا الخلاف السخيف الذى سببه لنا القط إلى الصباح . واتفق يوماً أن دخل علينا قط ضخم بلا استئذان فهممت بطرده إذ حسبنا ما يصيبنا من القطط بالليل ، ولكنى لمحت قطاً آخر واقفاً بالباب يشاور نفسه ، ولم أكد أراه حتى كانت المعركة ناشبة بين القطين ، وكانا يدوران وذيلاهما مرفوعان وكل منهما يتحين الفرصة للوقوع فى خصمه ، وكانت أصواتهما المنكرة كأنها المسامير فى آذاننا ولكنها كانت لهما كموسيقى الحرب على مايظهر ، ثم اشتبكا بعد أن وزن كل منهما صاحبه وأخذت المخالب تطول وتنغرز فى أجسامهما والأسنان تساعدها ، وكانا يتقلبان على الأرض — أعنى على البساط — وهما يتصايحان بصيحات الحرب وأنا واقف من فرط السرور أشجعهما وأستحثهما وأقول للذى أراه يفتر منهما : «عليك به ! اغرز مخلبك فى عينه .. افقأها له ليعمى ولا يعود يرى النافذة .. برافو .. برافو .. أحسنت ! هكذا تكون البطولة وإلا فلا .. أيوه .. أعد .. أعد .. بارك الله فيك .. مزق جلده .. أسلخه .. تمام .. مضبوط .. عضه .. عضه ياأبله .. لا لالا .. لاتبعد .. عد اليه .. تذكر الدجاجة التى خطفها وحرمنى وحرمك لذتها ... تذكر — إذا كنت لا تعبأ بالدجاج — الفيران الطرية السمينة التى يصيدها كل ليلة ويأكل لحمها الغريض ويشرب دمها القانى ... أقدم ياشيخ ... أقدم ... أو لم تسمع بقول الشاعر الحكيم : « وفاز بالطيبات الفاتك اللهج » ... » وهكذا صرت أهيجهما حتى أوسع كل منهما صاحبه عضاً ونهشاً ولاذ أحدهما بالفرار ... ووقف الآخر برهة يلحس جراحه ، ولكن الغريب أنى لم أر دما يسيل أو يقطر ، ولم تأخذ عينى تمزيقاً فى جلد أحد القطين على الرغم من عنف القتال ... فهل كان مزاحا ... أم ريقه ترياق كما يدعى ؟ ومهما يكن من ذلك فقد استرحت من القطط المتلصصة بعد هذه المعركة ولله الحمد ... وبقيت الفيران قوانا الله عليها إنه سميع مجيب

ابراهيم عبد القادر المازنى

صور سياحة

# ليلة فى براتر

بقلم «سائح متجول»

للمدن العظيمة كما للأفراد روح وخواص معنوية تحدث أثرها فى النفس ؛ وللمدن العظيمة أيضاً ذكريات وتقاليد تنم عن هذه الروح والخواص . ومن خواص مدينة ڤينا أنها تتمتع بجاذبية مدهشة تنبعث من جميع مظاهرها وحياتها العامة ؛ وللعاصمة النمسوية ماض باهر حافل بالذكريات العظيمة ، واذا كانت صروف الحرب والسياسة قد أسبلت على هذا الماضى الباهر سحابة من النسيان فان المدينة التالدة مازالت تحتفظ بهذا الروح المرح الجذاب الذى عرفته أيام المجد ، فى ظل امبراطورية عظيمة ، وفى ظل دولة الفن والموسيقى الزاهرة أيام أن كان يطربها ويشجيها ويبكيها آناً بعد آخر آلهة الفن الرائع : موتسارت وشوبرت ويوهان شتراوس

ومازالت ڤينا برغم جميع الأحداث والمحن تفيض بالذكريات الحافلة ، ومازال الروح النمسوى يرفرف نحو الماضى ويستوحيه ويستمد من تراثه كثيراً من آيات الظرف والأناقة والسحر ؛ والخلق النمسوى يجنح بطبعه الى الأدب الجم والرقة المتناهية ؛ وإنك لن تشعر فى أية عاصمة أوربية أخرى بما تشعر به فى العاصمة النمسوية من آيات الترحيب وحسن الوفادة ورقة الشمائل والخلال

ومن ربوع ڤينا وذكرياتها العزيزة حى « براتر » brater ؛ ومن ذا الذى لم يسمع باسم براتر من زوار العاصمة النمسوية ، بل من ذا الذى لم يجذبه ذلك الحى المرح الضاحك الذى كان أيام الامبراطورية مرتع الأمراء والنبلاء . والذى مازال مرتع الشباب والحداثة من كل الطبقات ؟ إن حى براتر يمثل ناحية خاصة من حياة العاصمة النمسوية ؛ ومع أنه حدث فى روحه ومظاهره ، فانه مازال من أشد الربوع والمعاهد إعراباً عن روح ڤينا الحقيقية . وإن أولئك الذين يعرفون كم تعبر أحياء مونمارتر وميجال ومونبارناس عن الحياة الباريزية الشعبية يستطيعون أن يفهموا

كم يعبر حي براتر عن ذلك الجانب من حياة العاصمة النمسوية

وليس حي براتر في الواقع أكثر من مجموعة كبيرة من الألعاب والملاهي الغريبة ؛ ولقد عرفت القاهرة في بعض المناسبات شيئاً من هذه الملاهي باسم « لونابرك » ، وكان آخرها ما نظم في الشتاء الماضي أيام المعرض الزراعي ؛ ولكن ما نشهده نحن في القاهرة من هذه الألعاب والملاهي ليس إلا جزءاً يسيراً مما يضمه حي براتر من الأندية والمسارح المختلفة التي تعرض فيها أحدث وأغرب الألعاب والمناظر البهلوانية المدهشة التي يطبعها جميعاً طابع المرح والحداثة والدعابة

وفي براتر يجتمع أخلاط المجتمع من جميع الطبقات ؛ ذلك أنه يضم فضلاً عن الملاهي والألعاب الكثيرة ، طائفة من المقاهي والمطاعم الأنيقة التي يرتادها زوار الطبقات الرفيعة ، ويقصدها المحبون ليعتكفوا في أركانها ومخادعها ، ولينهلوا كؤوس الحب بعيداً عن صخب الأندية الحافلة ؛ وقد كانت براتر وما تزال مهبط الحب . ولكم كانت في الماضي مسرحاً للحوادث الغرامية الأنيقة بين أبناء الطبقات الرفيعة ؛ بل إن اسم براتر ليمثل في مأساة غرامية من أشهر وأروع ما عرف تاريخ الحب : ففي دروب براتر التقى الأرشيدوق رودلف وماري فتشرا في أواخر القرن الماضي ؛ وكان الأرشيدوق رودلف ولد الامبرطور فرنز يوسف وولي عهده يومئذ ؛ وكان فتى مضطرم الأهواء يثور على الرسوم والتقاليد الملوكية ، ويشغف بالتجوال في أحياء فينا والاغتراف من مسراتها الشعبية ، وكان كثيراً ما يرتاد معاهد براتر ويمرح فيها . وكانت ماري فتشرا فتاة رائعة الحسن من أسرة نبيلة ، فلمحها الأرشـيدوق ذات يوم في براتر وهام بها حباً ، وهنالك تفتحت في قلبيهما زهرة الحب . وكان العاشقان يتنزهان أحياناً في طريق براتر السلطانية المعروفة « بالدرب الكبير » Hsnbt Allee ، وأحياناً يلتقيان في مقهى هنالك يعرف « بدار الأنس » Lnst Hals ، وهو ما يزال قائماً في براتر إلى يومنا . ونحن نعرف كيف كانت خاتمة العاشقين المؤسية في قصر مايرلنج في ضواحي فينا ، حيث وجد الأمير وماري فتشرا في صباح ذات يوم من سنة ١٨٨٩ قتيلين برصاص المسدس ولم تعرف أسباب المأساة وظروفها قط ، وكل ما قيل يومئذ إن الأمير في نزعة من نزغاته قتل حبيبته ثم انتحر ؛ وذاعت بعد ذلك روايات أخرى ، بيد أن سر المأساة لم يعرف قط

وفي هـذه الحادثة التاريخية التي اقترنت باسم براتر ما يفسر منزلة براتر ومعاهده في قلوب المجتمع النمسوي ؛ وما زالت ذكريات هذه المأساة الغرامية تغشى أفق براتو ، وما زالت ذكريات شهيرة أخرى تمتزج بمعاهد براتر وأنديته ومغانيه ؛ وقد كانت هـذه الحوادث والذكريات ، وما زالت مستقى لأقلام كثيرة ، ومبعثاً لطائفة من القصص الشائق الشجي

* * *

ومن الصعب أن نصف هنا كل ما ينتظم في براتر من المناظر والألعاب المدهشة ؛ بيد أننا نعرض هنا بعض ما رأيناه وخبرناه منها ، وإن منها لما يترك في النفس أثراً لا يمحى ؛ وإذا كان معظم الألعاب والنزه مما قد أعد للأحداث ، فان منها ما تقتضي ممارسته إقداماً وجلداً ، ولقد شهدنا ذات مساء لعبة أو نزهة مروعة خطرة معاً . وكنا أربعة من الأخوان ، فاقترح علينا صديقنا الدكتور ( ق ) أن نركب القطار الطائر Fluh Bahn ، وصديقنا الدكتور أعرف الناس بفينا وبراتر ، وكان منظر هـذه القطر الطائرة بريئاً متواضعاً ، فهي عبارة عن سيارات صغيرة أعدت لشخص واحد ، وركبت على خطوط مكهربة ، فركبنا جميعاً ، وكان كل ما نصح به « ق » أن نمسك أنفسنا جيداً ، وانطلقت القطر الطائرة بسرعة حتى جزنا نفقاً كبيراً مظلماً قد رتب على هيئة الجو والسماء ، ونظمت في أفقه نجوم كهربائية ، وهنا أخذت القطر الطائرة تسير الهوينا منعطفة حتى لقد تصورنا وشعرنا حقاً أننا نركب طيارة تعالج الرياح في الأفق ، ولكن حدثت بعد ذلك مفاجأة مروعة ؛ ذلك أن هذه الطيارات الخيالية اندفعت فجأة الى الضوء بسرعة هائلة لتمثل حالة سقوط الطائرة ، وأخذت ترتفع وتهبط في منحدرات متعاقبة بعنف مروع مدى دقيقة أو اثنتين ، حتى لقد خيل إلينا غير مرة أن الطائرة ستقذف بنا من حالق ، وكانت دورة عنيفة خطرة اقتضت منا أعظم جهد وجلد ؛ ثم انطلقنا بعدها إلى الضوء ، وتمت التجربة الهائلة ، ونهضنا بأقدام وأعصاب مزلزلة ، وصديقنا الدكتور في القاطرة الأخيرة يحدجنا بخبث ويبسم لما ارتسم على وجوهنا من بوادر الانزعاج والشحوب

وثمة مشهد آخر في براتر يستحق الوصف هو « دار الأشباح »

gagst Haus ، وهو اسم يطابق المسمى ، وهى عبارة عن دار كبيرة تخترقها أروقة مظلمة ، ويجوبها المشاهد فى عربة صغيرة تنطلق به فى ظلام الأروقة ، ثم تعترضه خلال التجوال هيا كل عظيمة وأشباح مروعة ، وأحياناً تلطمه يد رقيقه خفية ، أو يرى فى الظلام شبحاً يخرج من قبره فجأة ثم يعود بسرعة ، أو يمر فوق هيكل عظمى فيرسل صيحة مزعجة ، وهكذا يرى عدة من صور الفناء والعالم الأخير خلال وميض النور فى الظلماء

وربما كانت أشهر نُزه براتر وملاهيها نزهة العجلة الكبرى Riesen Raq ، وعجلة براتر تشرف على ڤينا منذ نصف قرن أو أكثر ، وهى عبارة عن عجلة ضخمة يبلغ قطرها نحو سبعين متراً أو أكثر ، وقد ركبت حولها مخادع كبيرة يركبها الرواد ، ثم تدور بهم ببطء فترتفع بهم شيئاً فشيئاً ، حتى تبلغ المخادع الذروة واحداً بعد الآخر ، وعندئذ يشهد الراكب ڤينا بأنوارها الساطعة وأبراجها الشاهقه ، ثم تهبط العجلة بعد ذلك حتى يبلغ الراكب مكان النزول ، وتستغرق الدورة نحو ربع ساعة . ولهذه العجلة الكبيرة شهرة خاصة بين الشباب ، ولها فى الحب ذكريات أيضاً ، ذلك أن كثيراً من المحبين الذين تضيق بهم سبل اللقيا ، يلتمسون مخادع منفردة فى العجلة ، ثم يقضون هذه الدقائق القليلة فى بث لواعج الهوى ، وتبادل القبلات الحارة

وفى براتر يوجد معرض هو أغرب معرض من نوعه يسمى معرض المخلوقات العجيبة Wunder Menschen ، وفيه تعرض حقاً طائفة من أغرب المخلوقات البشرية مثل أضخم امرأة فى العالم يبلغ وزنها ثلثمائة كيلو ، وأطول وأضخم رجل فى العالم وهو عملاق يبلغ طوله نحو ثلاثة أمتار ، وأصغر مخلوقات بشرية ، ونحو ذلك من غرائب المخلوقات والطبيعة

وهنالك أيضاً فى دروب براتر نزه ومناظر وألعاب عديدة أخرى يضيق المقام عن وصفها ، وقد أعدت جميعاً للأحداث والشباب

ويهرع الشباب كل مساء إلى براتر ، يتفرقون فى دروبها وأنديتها وملاهيها ، وهى تغص بهم دائماً ، وهناك يقضون ساعات فى الحبور والمرح ، وينسون هموم الحياة الثقيلة ، وبؤس العيش والعطلة ، لقاء دريهمات قليلة

لقد كانت براتر وما تزال مرتعاً ومتنفساً للشباب ؛ وهنالك بين هذه الدروب المتشعبة والمسارح الساطعة الصافية يجب أن ينسى المرء نفسه برهة ، ويرجع إلى عهد الحداثة ، ليشهد ويمارس هـذه الألعاب الصبيانية التى تنفث رغم طابعها الصبيانى كثيراً من روح المرح والدعابة ، وهذا ما يفعله أهل ڤينا جميعاً ، وهذا ما يفعله كل أولئـك الذين يزورون العاصمة النمسوية ، ذلك أن سحر براتر لا يقف عند مسارحها ومناظرها وألعابها ، بل إن لبراتر سحراً معنويا عميقاً يرتبط بماضيها وذكرياتها ، وهذا السحر المعنوى يسبغ على اسم براتر نوعاً من الجلال لا تتمتع به عادة أمثال هذه الربوع المرحة الضاحكة ؛ وإنما تتمتع به براتر ، لأنها استطاعت خـلال الأحداث والعواصف أن تحتفظ بماضيها وذكرياتها ، وأن تبقى كما كانت فى الماضى مرتع الأنس والمرح والهوى

وإذا كانت العاصمة النمسوية تفخر وتزهى بمتاحفها ومعاهدها الأثرية ، وقصورها ومتنزهاتها البديعة ، فانها تحل براتر دائماً بين ربوعها محلاً عزيزاً ؛ ذلك لأنها أيضاً أثر الماضى المجيد ، ولأنها رمز العهد الضاحك ؛ والمدن العظيمة ، كما الأشخاص ، شعور يتجه نحو الماضى ويخفق للذكرى

فلا تنس إن زرت العاصمة النمســوية يوما أن تزور براتر ، ولا تنس بالأخص أن تركب القطار الطائر رغم هوله وروعته ، وأن تصعد فى المجلة الكبيرة التى تجثم دائما فى قلب براتر زاهية بأنوارها الحمراء والخضراء ، ولا تنس أن تزور دار الأشباح ومنزل الأنس ، وكل هذه المعاهد والمغانى

( *** )

مهداة إلى الأستاذ دريني خشبة

# من ذكريات زواجي

## لأستاذ كبير

فوجئ قراء الرسالة منذ أيام بخبر زواج الأديب الكبير الأستاذ (د). عند ما طلع عليهم بأغرودته التي جعل عنوانها « بلبلتي » . فوجب على المعجبين بأدبه أن يتقدموا اليه بهدايا العرس، وكاتب هذه الكلمة واحد من هؤلاء المعجبين شعر بهذا الواجب فنهض لتنفيذه على الطريقة التي تتفق مع جهده . فهو يتقدم — على استحياء — بهذه الكلمات . وليسعد النطق إن لم تسعد الحال . . .

***

أذكر أني بعد أن خطبت زوجتي جلست إلى نفسي وقلت :

« اسمع يا فتى . . . ما أكثر أن تسمع الأزواج يشكون من زوجاتهم ، وما أقل أن تجد من هو راض عن حالة زواجه ! فهذا يشكو شدة غيرة زوجته عليه حتى إنها لتفتش جيوبه سراً كلما عاد من محل عمله لعلها تجد فيها رسالة تكشف عن سر مستور، أو ورقة تنم عن علاقة غير مشكورة . . .

وهذا يشكو شدة رقابة زوجته عليه حتى أنه لا يكاد يصل إلى مكتبه في محل عمله ساعة الصباح ، وتعلم زوجته أن قد انقضت الدقائق العشر التي بين البيت والمكتب حتى تنهض إلى « تلفونها » تطلبه لتتم عليه خشية أن يكون قد انصرف مبكراً إلى غير عمله . . .

وذلك يشكو من استعداد زوجته المدهش في إثارة الشكوك حول كل ما يعمل حتى ما ينقطع بينهما الجدال والشجار بسبب « سوء التفاهم » الذي تثيره دواما بارتيابها وعدم وثوقها فيه ...

وذلك يشكو من أنه لا يكاد يقضي ساعة أو بعض ساعة مع إخوانه في جلسة مسائية هنيئة ثم يعود إلى بيته من بعدها راضياً منشرح الصدر حتى يلقى من عنت زوجته وعتابها له على أنه تأخر في هذا المساء عن موعده المعتاد ما يطارد من رأسه كل أثر من نشوة السرور التي أفادها في تلك الجلسة فما تلبث أن تنقلب نشوته إلى ثورة ، وانشراحه إلى انقباض . ويبيت مهموماً كئيباً بعد أن كان يمني النفس بليلة سعيدة كلها بشر واغتباط »

***

استعرضت تلك الصور جميعها أمام عيني وعدت أقول لنفسي :

« هذه يا فتى حال إخوانك ممن سبقوك إلى ما أنت مقبل عليه من هذا الزواج ! فماذا أنت صانع ؟ وفتاتك ليست إلا واحدة من نساء الله اللائى طبعن على غرار واحد ، وصببن في قوالب متشابهة ! ؟ فأنت وفتاتك بين أن تندمجا في زمرة أولئك التعساء الساخطين الشاكين إذا أنت سرت معها على نهج بقية الأزواج ، وبين أن تعيشا عيش السعادة والهناء إذا أنت أغضيت عما هو عيب « جنسها » في الواقع قبل أن يكون عيب شخصها »

وعاهدت نفسي في ذلك اليوم على ألا تثيرني من زوجتي نزعة من تلك النزعات التي رأيتها تعمل على تعكير صفو الأزواج من إخواني ومعارفي ، وقضيت قضاء سابقاً لأوانه بأنها حماقة ما بعدها حماقة أن يغضب الانسان من أمر هو يعرف أنه لا شك حاصل ثم هو يتوقع حدوثه قبل أن يحدث !

***

وتزوجت . . . . . .

***

ورأيت أن نقضي شهرنا الأول في رمل الأسكندرية ، فسافرنا على أجنحة الطائر الميمون الذي يقول الشعراء إن السعداء من الناس يسافرون عليه ، وكنت في زياراتي السابقة القصيرة لثغر الأسكندرية قد عرفت أن بجهة الشاطبي توجد سلسلة من الحدائق البديعة التي تليق بعروسين أن يقضيا بين خمائلها بعض سويعاتهما الوردية اللون ، ولكني لم أكن أعلم أين تقع بالضبط تلك الحدائق من محطة الشاطبي ، ولم أشأ أن أتأبط ذراع فتاتي وأذهب أتخبط بها وأتسكع حتى أهتدي إلى موقع تلك الحدائق . وكان من عادتي أن أصحبها كل مساء لقضاء الوقت في مغنى من مغاني الثغر وملاهيه ، ورأيت في ذلك المساء أن أفاجئها بارتياد تلك الحدائق دون أن أخبرها بوجهتي حين أخرج بها في نزهة المساء لكي تكون الزيارة أمتع لها وأوقع في نفسها .

فانتهزت فرصة القيلولة وأنها غلبها النعاس وتسللت أنا من الفراش فوضعت ملابسي في عجلة وتلصص وخرجت من المنزل في هدوء وحذر أطير إلى جهة الشاطبي لأرى كيف يكون وصولنا إلى تلك الحدائق ، وأى مواقف الترام أقرب إليها ، وأى مداخلها أمتع منظراً ، وأى طرقاتها أشهى مسلكا ، وأى أركانها أهنأ جلسة وأنعم مقاماً

ووفقنى الله فى مهمتى فلم أغب عن منزلى أكثر من ساعة عدت بعدها وأنا أكاد أطير بجناحين لألقى عروسى فأحتملها إلى هذه الفاجأة السارة التى خبأتها لها . . . . . .

***

ودخلت الغرفة عليها ، فوجدت وجها مربداً ، ونظرات شزراء ، وعينين حمراوين فيهما أثر الدموع ووقدة الشر . وأشهد لقد كانت مفاجأتها التى أعدتها هى لى أقوى ألف مرة من تلك الفاجأة الفاترة التى كنت جهدت فى أن أعدها لها . . . . . .

— كفى الله الشر ! مالك ؟

— ! ؟

— خير إن شاء الله ؟

— ! ؟

— هل حضر أحد بعد خروجى أو حدث حادث ؟

— ! ؟

— تكلمى يا « ستى ! »

— ! ؟

وأخيراً وبعد مناورات أعفى القارئ من سردها تبينت جلية الأمر فاذا هى غضبى لأنى خرجت : أولاً — بغير علمها . . . . وثانياً — إلى مكان لا تعرفه هى . . . . . وثالثاً — لأن هـذا الخروج حدث فى وقت لم يخلقه الله لخروج الرجل البرئ . . . ورابعاً — لأنى تغفلتها وهى نائمة وأتيت كل هـذه الآثام ؛ كل ذلك ولما ينقض على زواجنا أسبوع ! أفلم يكن من الأليق تصفية هذه (الرنديفوهات) قبل الزواج ؟ أم هى مقابلة عارضة حصلت فى الصباح فتم ترتيب الموعد ليكون فى هذا الوقت من المساء ؟ وهل يليق . . . ؟ وهل يجوز . . . ؟ وهل يصح . . . ؟ وما إلى ذلك من طوفان الأسئلة التى ليس أسهل من توجيهها بصرامة مدهشة عند النساء وليس أسهل من الغرق فيها باستسلام غريب عند الرجال !

***

يا سبحان الله ! أبهذه البساطة تنعكس الآمال ؟ وهل يمكن أن يغمر الانسان كل هـذا الخير فلا يأتى إلا كل هذا الشر ؟ ! وماذا يكون من أمر زوجتى إذا أنا هفوت حقيقة كما قد يهفو الانسان ما دام أنه ليس بمبرأ ولا معصوم ! ؟ وما فضل الحب إذا لم تكن دولة الحلم فيه غالبة على دولة الجهل ، وساحة الغفران فيه أرحب من ساحة القصاص ! ؟

***

منذ ذلك اليوم بدأت أشعر بصعوبة قيامى بتعهداتى التى كنت عاهدت نفسى عليها من الاحتفاظ بهدوء الجو فى بيتى وبصفاء العلاقات التى تقوم فيه . وأدركت أن الزوج مهما سعى لرفع مستوى حياته الزوجية إلى درجة مناسبة من السعادة فانه لن يوفق إلى شىء من ذلك ما دام مبدأ الزوجة هو أن تتهم زوجها قبل أن تستمع إليـه ، وتحكم عليه قبل أن تحاكمه ! وعرفت أن الزواج الموفق هو الذى يجمع بين « صديقين » يتحابان فى الله ويدخل كلاهما هذه الشركة العاطفية بذخيرة صالحة من التسامح وبعقيدة ثابتة فى أن الهفوة الزوجية ينميها العقاب ويؤكدها الانتقام — وتقتلها المغفرة ويمحو أثرها الصفح الجميل ، وأن « المثل الأعلى » سواء للزوج أو للزوجة لم يتم خلقه بعـد فلا ينبغى لأحد الزوجين أن يطالب زوجه بأن يكونه !

« زوج سعيد »

# القول المكشوف

## فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

لعل الأدب الانجليزى أشد الآداب تحفظاً فى المقال والتزاماً للوقار وعزوفاً عن المجون ، فبينه وبين الأدبين الفرنسى والروسى ، مثلاً ، بون كبير فى هذا المجال . وبعكس ذلك كان الأدب العربى الذى وسع من صريح العبارة عن ماجن القول وسفسافه ما لا يسيغه العصر الحالى ؛ بل لم يكن يسيغه فضلاء العصر الذى قيل فيه ، وذلك راجع للظروف المحيطة بالأدبين

فسيماء الوقار والتسامى التى تعلو الأدب الانجليزى راجعة إلى ثلاثة عوامل رئيسية متشابكة هى : طبيعة الانجليزى الهادئة ، والتربية الانجليزية التى تجعل غرضها الأول كبح نزعات الناشئ الجامحة وإلزامه ضغط النفس ، وثالث العوامل هو الرأى العام القوى

والرأى العام نتيجة للعاملين الأولين ، ونتيجة أيضاً للنظام السياسى الديمقراطى الذى يجعل الأمر للشعب فى كل مناحى الحياة ، وهذا الرأى العام محافظ حريص على تقاليد الفضيلة يشهر الحرب على من يهم بخدشها ، وهو من القوة بحيث لا يجسر كاتب أو شاعر أو ناشر على تحديه وإلا كان عليه الغرم المادى والأدبى ، وقد ثار بالمستهترَين المتجاسرَين على الدين والتقاليد أمثال بيرون وشلى فاضطرهم إلى مغادرة البلاد ولم يشفع لهم عنده نبوغهم ولا ما نالوه فى غير انجلترا من الصيت البعيد

أما الأدب العربى فخالطته عوامل اجتماعية وسياسية جعلت اجتثاث جرىء القول وبذيئه منه متعذراً : فهو قد ورث جفوة بداوته الأولى ، وسرى إليه الفساد الذى تبع الفتوح واختلاط الأعاجم والموالى ، وشجعت الحكومة الفردية المطلقة سريان هُجر القول بدل أن تدرأه ، فكان من الخلفاء والأمراء من حرضوا على المهاجاة بين الشعراء ، وأغضوا عن مجونهم ما داموا مشغولين به عن مناوأة سلطانهم ، وأجازوا من وقعوا فى خصومهم بقبيح الهجاء

فالحكومة الفردية المستبدة قد حالت دون قيام رأى عام يقف للخارجين على تقاليده بالمرصاد ، أو هى لم تَدَعْ لذلك الرأى العام السلطة أو الهيبة الكافية لأن ينضح عن تقاليده ، بل كثيراً ما حَمَتْ الشعراء الماجنين من غضبه . وهكذا الحكومة القائمة على أساس فاسد لا يسعها — لشعورها بضعف مركزها — إلا مناصرة عوامل الفساد التى ترى مصلحة لها فى بقائها ، أو خَلْقُ تلك العوامل

ولقد كان فى الدولة الاسلامية عامل جليل الأهمية لو بقى تأثيره فاشيا لكان الأدب العربى أرق الآداب على الاطلاق لفظا وأعفها قصداً ، وأعظمها تساميا : ألا وهو الدين الاسلامى الذى يحض على مكارم الأخلاق والذى كانت الدولة تقوم على أساس منه ، ويتضح أثره فى عصر الخلفاء الراشدين ، وما كان من تأديب الحطيئة وردعه عن أعراض الناس

ولكن هذا العامل السامى الجليل تُنُوسِىَ فى غمار السياسة ، وجرفه تيار التكالب على الملك والسلطة ، فلم يَعُدْ الخليفة أو الأمير يغضب إلا أن يناله الشاعر ببذائه ، فبشار بن برد الذى ضج علية القوم ودهاؤهم عهداً طويلاً من فجوره وإقذاعه ظل مُعافىً ولم يمس بسوء حتى تمادت به جسارته إلى عرض الخليفة ذاته . أما ما دام الشاعر متقيا غضب الحاكم أو مجتلبا رضاه فلا ضير عليه أن يرمى باللؤم أنصار الرسول أو يفضل إبليس على آدم ، أو يتهكم بيوم الحشر ، أو يتفاخر بشرب الخمر ، أو يتلهى بسب الرجال وقذف المحصنات ، أو يتباهى بالتسلل إلى الخدور فى غلس الظلام

هكذا ضم الأدب العربى بجانب سامى الأغراض وشريف الأقوال وكريم الحكم والأمثال سقطاً من القول قوامه الاباحية والاستهتار ، وقام من الأدباء من صدموا الناس فى عقيدتهم وتقاليدهم ونالوا من أعراضهم وسمعتهم ، وأودعوا الأدب من خسيس الأقوال ووضيع الأغراض ما ينافى مقاصد الأدب وسمو الفن بالنفس الانسانية . ولما لم يكن للناس عاصم من شرهم من رأى عام أو حكومة ساهرة عَمَدَ مَن استطاع منهم بحول أو مكيدة إلى الذب عن نفسه بنفسه ، وهكذا لقى المتنبى وابن الرومى حتفهما على أيدى مهجويهما

وهناك عامل اجتماعى لا بد أنه كان من عوامل ذيوع هُجر

القول فى الأدب العربى ، بل فى المجتمع العربى ذاته : ألا وهو انسحاب المرأة من المجتمع شيئا فشيئا ، ففقدَ الأدب باحتجازها وراء الحجاب عاملَ تجمُّلٍ وتوَقُّرٍ وتعفُّفٍ فى اللفظ والغرض ، وصار الاخفاش من الذيوع بحيث لم يتردد كاتبان فحلان يمثلان مجتمعيهما تمثيلاً كبيراً : وهما البديع والحريرى ، فى حشد مقاماتهما بمقذع السباب ؛ بل خَصَّصَا لذاك مقامات بذاتها

وأظهر ما يكون المجون والفحش فى الشعر فى أبواب الهجاء والخمريات والنسيب الخليع والتشبيب بالغلمان . وقد أوغل بعض الشعراء فى هـذه الأبواب إيغالاً لا يكاد يصدقه العقل . ومن العجيب أن الطريقة التقليـدية التى يجرى عليها تاريخ الأدب العربى لا تزال تعد من فحول العربية شعراء ولم يكد يؤثر عنهم مقال فى سوى هذه الأغراض الحيوانية . ومن البديهى أنه مهما تفنن الناظم وابتدع فى وصف الخمر وتصوير الشهوات فلن يرفعه ذلك الى مصاف الشعراء العظام ، إذ الشعر الرفيع لا يقاس بحسن الديباجة وبراعة المعنى فحسب بل بشرف الغرض أيضاً

فدواوين ابن أبى ربيعة وبشار وابن هانئ إن هى إلا استهتار واستسلام للشهوات وتمدح بالمخازى محكمة الديباجة بارعة النظم متنوعة الأوزان والقوافى ، تتخللها حكمة شاردة أو مثل سائر ليس للناظم فيه إلا فضل التأنق فى إعادة صوغه ، فاذا كان هؤلاء وأشباههم من فحول الأدب العربى فما أقصره عن بلوغ المثل الأعلى للأدب الراقى !

ومما يفترق الأدبان العربى والانجليزى فى استجازته من أبواب القول — وإن كان بمنجى من الفحش — الفخر ، الذى لا يسيغه الأدب الانجليزى بحال ، على حين قد زخر الأدب العربى بما قيل فيه وعدّ باباً من أبواب الشعر التى تظهر فيها براعة الشاعر وتكمل بها منزلته . فالذوق الانجليزى لا يسيغ أن يُزْهَى إنسان بما يتخيله فى نفسه من مكارم وعظائم ، بل من أول ما تطمح إليه التربية الانجليزية — كما سبق الالماع — أن تكبح فى الناشئ نزعة الزهو والعجب ، وليس أمْقَت فى المجتمع الانجليزى ممن يدل بنفسه . ولم يكن الشعر العربى فى أول أمره يعرف الفخر بالنفس ، وإنما كان فيه فخر بالقبيلة والعصبية ولا بأس بهذا ، ثم استباح بعض الشعراء فيما استباحوا لأنفسهم التمدح بالنفس صدقاً وادعاء ، وغلوا فى مدح أنفسهم غلوهم فى مدح أصحاب النوال ، بل أغربوا فى المفارقة فجمعوا بين المدحين فى القصـيدة الواحدة ، ونسبوا لأنفسهم الحكمة والشجاعة والمجد وشرف المحتد ، وأجلسوا أنفسهم بجانب الشموس والبدور ، وأوسعوا الدهر والحظ والناس ذماً بقـدر ما أوسعوا أنفسهم مدحاً ، وتلك جميعا لعمر الحق بضائع النوكى !

فحرية القول — أو قل إباحته — فاشية فى الأدب العربى القديم ، بينما التحفظ ميزة الأدب الانجليزى ، وربما تغالى الرأى العام الانجليزى فى تحفظه وتشبثه بما يليق وحَجْرِهِ على ما لا يليق الخوض فيـه من حديث ، فناهض مفـكرين كان الخير الانسانى أو النفع العلمى كل مقصدهم ، كما كان موقفه من أوائل الداعين الى ضبط النسل مثلاً ، إلا أنه لا يلبث أن يخفف من غلوائه حين يتبين له شرف القصد وفائدة الدعوة

ولئن حمدت الحرية الفـكرية الواسعة التى تمتع بها الفلاسفة والعلماء فى الدول الاسلامية فما كذلك الحرية التى استباحها المجان من الأدباء ، فالأولى حرية تساعد تقدم الفكر ورقى العلم ، والثانية تؤدى الى انحطاط الخلق وتضرب فى دعائم المجتمع ؛ الأولى حرية فـكرية نافعة ، والثانية إباحية خلقية ضارة . والأدب يرسم للأمة مثلا عليا تتوخاها ، فاذا تمادى فى تصوير دنىء النوازع فانه يهبط بالنفوس الى مستوى منحط لا تريد عنه ارتفاعا

وللأدب المـكشوف فى العصر الحديث دعاته الذين يحضون على اطراح النفاق الذى تفرضه التقاليد وتصوير الطباع على حقائقها ، على أن هناك فرقا بين المذهب الحديث وبين ما كان فاشـيا فى الأدب العربى القديم : فأنصار هذا المذهب ذوو مبدإ هم مقتنعون برجاحته يرون أن الأدب يؤدى مهمته ورقى الأخلاق الانسانية بوصف دخائلها ومظاهرها دون تمويه ، أما الآخرون فلم يكن لهم مبدأ ولا غاية سـوى إرضاء الشهوات والنزوات وعلى الخلق الـكريم العفاء

وهيهات أن يخلو المجتمع الانجليزى أو غيره من آثار تلك المفاسـد التى أفصح الأدباء المتقدمون فى التعبير عنها ، ولـكن ما لا يقبله ذلك المجتمع هو المجاهرة بذلك والمفاخرة والتجاسر على تقاليد المجتمع التى ارتضاها لنفسه وقامت عليها أسسه ، وإيغال ذلك فى عالم الأدب الذى تحويه بطون الـكتب وترويه الأجيال ويُقصد منه الى السمو بالانسانية

فخرى أبو السعود

# نبـــــوة المتنبي

للأستاذ محمود محمد شاكر

كتب الأخ سعيد الأفغاني كلمة عن (دين المتنبيّ) في العددين من الرسالة (١٦١ و١٦٢) سنة ١٩٣٦، وقد عرض فيها لنبوّة أبي الطيّب التي يزعمونها وقعت وكانت منه، ولم يجد مندوحةً عن القول (أو كما قال): (بأن تنبؤه في الأعراب أمر وقع حقيقة ولا سبيل إلى الشكّ فيه، تضافرت على ذلك كل المصادر الموثوقة حتى التي كانت تميل إليه كل الميل، فانها لم تنف الأمر وإنما التمست له المعاذير) ثم علق على هذا فقال:

« قرأتُ أخيراً عدد المقتطف الذي كتبه الأستاذ شاكر عن المتنبيّ خاصّةً، فاذا به يذهبُ إلى نفي تنبؤ أبي الطيب الذي اتفقت عليــه كل المصادر تقريبا. وقد أنعمت في تدبُّر الأسباب الحادية على النَّفْي فلم أجدَ فيهـا مقنعا به من القوّةِ ما يقف لهذه الروايات الصحيحة!!

والتاريخُ لا يثبت خبراً أو ينفيه تبعا لميل مؤلّف أو رأيه، ولا بد فيه حالَ النفي من التعرُّض لجميع الأخبار المثبتة خبراً خبرا وهذا لم يصنعه الأستاذ شاكر!!

وأمر ادعاء المتنبي العلوية ليس فيه ما يهيج عليه الناس كل هذا، على رغم ذلك الخيال الجميـــل الذى لبس ادعاءه إياها في الكتاب المذكور!!

وإذا كان ماذهب إليه الأستاذ صحيحا، ففيم خجَلُ أبي الطيب وحياؤه كلما سئل عن أمر لقبه المتنبي؟ ولم كان يعمدُ إلى اشتقاقه من النبوة تارةً، ويعتذر بأنه شيء كان في الحداثة تارة، ويقول إنه يكره التلقب به، وأنه (يناديه) به من يريدُ الغضّ منه؟ وعلى أيّ شيءٍ تقع كلمةُ كافور: « من ادعى النبوة بعد محمد أما يدّعي الملك مع كافور »؟ وكافور ليسَ من الذين يختلقون على شاعر، ولا ممن يروّج الاختلاق!!.

وقد روى المعرّي — وهو الحجّة الثبت — أمر التنبُّؤ، وما حفّ به من حادثٍ ومعجزاتٍ في رسالة الغفران. وأبو العلاء كان أحرى أن يشكّ أو يكذب الخبر، لو أن في الأمر مجالاً للشكّ واحتمالاً للتكذيب، لأنه أشدُّ حبا للمتنبي، وعصبيّة له، وهو أنفذ بصيرة فيما يقال وأحكمُ نقدا للأخبار، مع قرب زمان، وصفاء ذهن، وقوة حجة، ومواتاة وسائل التحقيق إذ ذاك!! ». انتهى.. الرسالة سنة ١٩٣٦ (العدد ١٦١ — ص ١٢٥٥)

وأنا قد قرأتُ هذا الكلام في موعده حين صدرت الرسالة وأردتُ أن أردّه، ثم بدا لي أن أدَعه حيث هُوَ، فان الذى قرأ ما كتبت يعلمُ مقدار ما في هذا الكلام من الجودة وحُسن الأداءِ وقوّة الحجة وجلاءِ البيان وسعة الاضطلاع وبلاغة الفهم، ولكن بعض أصحابنا لم يزل بي حتى أخذ مني موثقا أنْ أقول كلمتي فيه

وهذا النقْد الذى رماني به أخي الأستاذ سعيد ليسَ ممّا يثيرني ويُغريني بحمل السلاح والاستعداد للمعركة. ولستُ أقول هذا استصغاراً لما يقول أخي أو استكباراً لما قلتُ، بل هو حكمي عليه مجرَّداً من كلّ ما يجعل الحكم قاصرا أو باغيا

وهذا الذى كتبه الأخ سعيد ليس ممــا أعدّه عندي نقداً، وإنما هو اعتراضٌ، والاعتراض شبهة، والشبهة يُزيلُها البيانُ. أما النقد فأمر آخرُ لم يسوّغ للأخ أن يظفرَ بالقدرة عليه فيما كتب(١)

وقد أتى الأخ سـعيد في كلامه من قِبَل أنه عدّ الأخبار المرويّة عن نبوّة المتنبيّ وغيرها أخباراً صحيحةً ابتداء، وهـذا أوّلُ الزلل في نقد الناقِد. ولا بد لمن يريدُ أن ينقد ناقداً أو يكتبَ فيما يتناولُ الروايات والأخبار أن يتحقق بَدءاً بمعرفة الأصول في عِلم الرواية، وأن يستيقن من قدرتـه على ضَبْطِ الفكرة حتى لا تنتشر عليه وتتفرّق، ويقع فيهـا الاختلاف والتضاربُ والمناقضة. فلا بُدّ لي هنا من أن أدلّ الأخ على الأصل في الأخبار حتى يعرف فرقَ ما بين الذى انتهينا إليـه، والذى وقف عنـده غيرنا، ثمّ نكشِفَ لَهُ عن الشبهة التي

(١) سنبين رأينا في النقد فيما كتبناه للمقتطف الذى سيصدر في أكتوبر القادم، رداً على كلمة نقد جليلة للأخ وديع تلحوق نشرها المقتطف في عدد يوليه سنة ١٩٣٦ (عن أبي الطيب المتنبي، ونسبه العلوى)، فلينتظرها الأخ سعيد تَمّ

جملته بمعترضٍ الذى كتبناه بالذى رفضناهُ ورددناه وأسقطنا الثقة به والاعتماد عليه

فالأخبارُ جميعاً تحتمل الصدقَ والكذبَ كما يقولون ، ومعنى ذلك أنها على حالة من البراءة الأولى لا توصفُ بصدقٍ ولا بكذبٍ . ولا يستحقُ الخبرُ صفة الصدق إلاّ بالدليل الذى يدلُّ على صدقِه ، فاذا لم تجد الدّليلَ على صدقِه ذهبت عنهُ صفةُ الصدقِ وبقى موقوفا . فاذا اعترضتْهُ الشبهات من قِبَل روايته أو من قِبَل درايته مالت به الشبهة إلى ترجيح الكذب فيه ، فلا يؤخذُ به ولا يعتمدُ عليه ، ويكونُ عملُ الناقدِ بعد ذلك أن ينظرَ فى هذا الخبر نظرة التدبر ليستخرج الحقيقة التى من أجلها تكذّبهُ راويه ، وبذلك يقعَ على حقائق مدفونة قد سترها الراوى بما كَذَب . وقد أشرنا إلى ذلك فى كتابنا ( المقتطف يناير سنة ١٩٣٦ ص ١١١ ) وإليك ما قلناهُ :

« اعلم أن أكثر ما يُروى فى ترجمة هذا الرجل وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التى تتناقلها مجالسُ الأدباء ، ولا يرادُ بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ؛ بل إن كثيراً مما روى فى تراجم رجالنا كان مما يُرادُ به مضغُ الكلام فى مجالس الأمراء أو فى سامر الأدباء — هذا على أنها ربما حملت فيما تحمل أشياء لولا ورودها فى هذه النصوص لافتقدنا من حلقات التاريخ حلقات لا ينتظم أمره إلاّ بها ، ولا يستمر إلاّ عليها . فلمثل هذا كان لا بُدّ لنا من النظر فى النصوص وتمييزها ، وردّ بعضها والأخذ ببعض ، حتى لا تنقطع بنا السبل فى الترجمة لهؤلاء الأعلام . فلا يفوتنك هذا إذا قرأت ما نكتب ، أو أردت أن تقرأ أو تكتب »

وأنا حين أردت أن أكتب عن المتنبى نظرت فى هذه الاخبار خبراً خبراً ، فلم أجد دليلاً واحداً يجعلها تستحق عندى صفة الصدقَ فأبقيتها موقوفة ، ثم عدت فنظرتُ فتناوشتها الشبهات واعتورتها الطعون ، فلم أجد بدّاً من وسمها بالكذب ، ثم عدت اليها فعارضتها بالعقل وشعر الرجل وحوادث التاريخ لأستخرج منها الحقائق التى يسترُها الرواة والمتكذّبون فوقعت لى أشياء هى التى جعلتها أصلاً فيما كتبت ، وأنا على يقين من أن الأستاذ سعيد لم يتنبه إلى هذا الذى فعلناه ، مع أنه هو الأصل فى الكتابة والتحقيق ، أما التسليمُ فليسَ يجدى شيئاً إلا التكرار والمتابعة ، ثم الزلل والتورط فيما أراد الكذابون أن يحملوا الناس عليه ويوقعوهم فيه

ويقينى أن الأخ سعيد لا يجد دليلاً على صحة هذه الروايات فيما يزعم إلا أنه قد رواها فلانٌ وفلانٌ ، ورواها المعرى — وهو الحجة الثبت — « وهو أشد منا حباً للمتنبى ، وعصبية له ، وهو أنفذ بصيرة وأحكم نقداً للأخبار مع قرب زمان وصفاء ذهنٍ وقوةِ حجة ومواتاة وسائل التحقيق إذ ذاك » ، ونحن لا ننكر على المعرّى شيئاً من ذلك ، ولكن الذى ننكره أن الذى كتبناه كان عصبيةً لأبى الطيب ، أو حُبّاً له أو فيه . ليكن المعرى صاحب عصبية ، فذلك لا يجعلنا نحن من أهل العصبية حتى نعبث بالحقيقة ، ونلعب بفن النقد من أجل أبى الطيب أوغيره من الرجال

أما أن رواية المعرى — وهو صاحب عصبية لأبى الطيب — مما يصحح هذه الأخبار أو يرجح الصدق فيها ، فهو حكم خطأ لا يصح لأحد أن يتابع عليه ، فان أبا العلاء لم يُشهِد كتبَه أنه لا يروى إلا الصحيح من الأخبار ؛ وترك المعرّى الشك فيها أو تكذيبها ليس يقوم أيضاً دليلاً على صحتها ، وليس المعرى بمنزهٍ عن الخطأ والغفلة ، وهو من هو ، فذهاب وجه النقد عن المعرى ليس يكون طعناً فيه ، ولا يوجب نسبة الكذب اليه ، ولا نفى صفة الصدق عنه

وأحبُّ أن أقرّب إلى الأخ حقيقة هذه الروايات . . . فهو يعلم أن الرواة قد رووا للرسول صلى الله عليه وسلم معجزاتٍ كثيرة ؛ وكثير من الذى رووه لم يثبته أهل العلم بالحديث على طريقتهم ؛ وقد رواها قومٌ على عهد الصحابة والتابعين ، وهى كذبٌ مخترعٌ بشهادة أئمة هذا العلم ، وقد بقيت هذه الآثارُ مروية إلى يوم الناس هذا ، وهى عند المتأخرين شائعة معروفة متداولة مصدقة ، وقد وردت فى كتب كثير من الأئمة العلماء . أفيكون تداولها وذيوعها وتصديق العامة لها ، وورودها فى بعض كتب العلماء ، هو الدليل الذى لا دليل غيره على صحة هذه الأخبار ؟ ! وأكثر من ذلك ، أيكون ظهورها على عهد الصحابة والتابعين — على قرب زمن كما يقول الأستاذ —

وتصديق بعض العامة لها فى ذلك العصر ، وسكوت بعض العلماء عن الكلام فيها مما يدل على صدقها ؟!

ونحن قد أتينا فى الذى كتبناه عن المتنبي بالشبهات التى ترجح الكذب فى هذه الروايات التى يراد بها الوضع من قدر الرجل والتحقير له ، والطعن فى نسبه أو عقله أو خلقه أو أدبه . لا .. بل بينا أن ألفاظ هذه الروايات وحدها تحمل أكبر شبهة ، كالذى روى عن هذا اللاذقى المسمى معاذ بن إسماعيل ، وقد روى الخبر بطوله فى كتب كثيرة ، وأوردناه بتمامه فى كتابنا ص ٤٥ — ٤٧ واختصره الأخ سعيد فى كلامه فى العدد ( ١٦١ ) من الرسالة ، ولا أدرى لم اختصره ، فان الذى يقرؤه يجد فيه سمة الوضع والكذب مستعلنة كما لم تستعلن فى حديث غيره . وقد بينا بعض وجوه نقده فى كتابنا من ص ٤٩ — ٥٢ . فكانت حجة الأستاذ سعيد فى رد قولنا وإسقاطه أنه ( لم يجد فيه مقنعاً به من القوة مايقف لهذه الروايات الصحيحة ) ، وكان حقاً على الأستاذ أن يعلمنى وجوه الضعف فى قولى حتى استبرىء منه ، أما هذه الكلمة المجرّدة فليست بالتى تسقط كلامنا جملة واحدة حتى ولو كان هذا الكلام سقطاً محضاً

أما ما اعترض به علينا فنحن نبين له وجه بُطلانه . يقول : « وإذا كان ما ذهب إليه الأستاذ صحيحاً ، ففيم كان خجل أبى الطيب كلما سئل عن أمر لقبه المتنبي . . . ؟ » إلى آخر قوله : فان هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواية ، وقد أتى به القومُ ليعْضَدوا قولهم فى خرافة النبُوّةِ . وإذا كان أمر نبوته مشهوراً متعالماً أو كما يقول اللاذقى إن دعوته ( قد عمت كل مدينة بالشام ) ، وقد بلغ من شهرتها أنه قبض عليه من أجلها بالشام أيضاً وحبس ( دهراً طويلاً ) ، وأن له قرآناً أنزل عليه .. يزعمُ أبو على بن أبى حامد أن أهل الشام كانوا يحكون له سوراً منه كثيرة وأبو الطيب إذ ذاك بحلب ، فكيف يُعقَل بعد هذه الشهرة أن يبتدر إليه هؤلاء فيسألونه عن حقيقة هذا اللَّقَبِ ؟ إن السؤال عن ( حقيقة اللقب ) بعد هذه الشهرة التى يزعمونها ليدل دلالة قاطعة على وضع هذه الأحاديث المروية والأخبار المتداولة التى تهور كثير من الأدباء فى التسليم بصحتها كما فعل الأخ سعيد . ولقد كان هؤلاء الذين يزعمون أنهم سألوا أبا الطيب عن حقيقة اللقب ( المتنبى ) يسألونه وهو بالشام ، وفى الشام أظهر نبوته وفى الشام اشتهر أمره ، وأكبر من ذلك أنهم يزعمون أنهم كتبوا عليه وثيقة أشهدوا عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأنه تائب منه ولا يعاود مثله . فهلا كان الأولى بهم أن يظهروا على هذه الوثيقة ولما يمض عليها كثير دهر ، وقد أخذها وال من الولاة فهى — ولا بد — محفوظة فى ولايته . وكان أبو الطيب شجا فى حلوق الأدباء والشعراء وكثير من أصحاب السلطان وهو فى جوار سيف الدولة . وقد أوقعوا بينه وبين أميره بكل ما ملكوا من أسباب للوقيعة ، أفتظن أنهم كانوا يحجمون عن إظهار هذه الوثيقة ، وإحراجه بها ، والعمل بها على تحقيره ، ثم على المنافرة بينه وبين سيف الدولة ! ! كانت كل هذه النقائض بالشام ، ومع ذلك لم يكن من أثرها إلا هذه الروايات الضعيفة التى تحمل ألفاظها الشكوك والريب

وأسخفُ من هذه الرواية رواية من يروى أنه كان يعمدُ إلى التمويه على الناس بقوله : إن هذا اللقب ( المتنبّ ) مشتقٌ من النبوة ، فليس يُعقل أن أبا الطيب — وهو يعلم أن نبوته كانت مشهورة كما ذكر الرواة — يعمدُ إلى هذا التوجيه الضعيف الميِّت ، وهو يعلمُ أنه كاذبٌ ، وأن الناسَ مكذبوه لأنهم يعلمون حقيقة أمره

واعتذارُه بأنه يكرهُ التلقبَ به ، وأنه يدعوه به من يريد الغَضَ منه فهو بسبيلٍ من ذلك فى الضعف والسخف . على أنه مع ذلك لا يدلُّ دلالة ما على حدوث النبوة التى يزعمونها ، بل على العكس من ذلك . . . إنه ليَدلُّ على أن هذا اللقب مفتعل موضوع للكيد لَهُ والغضّ منه ، وأنهم كانوا قد وضعوه لَهُ ليغيظُوهُ به . ومثلُ ذلك كثيرٌ فى كل عصر ومكان . ولعل الأخ سعيد لا يعدمُ رجلاً فى بلدهِ قد نبزه الناس بنبزٍ يغيظونه به ، ولا نشكّ أن هذا الرجل ( يكره التلقبَ به ، وإنما يدعوه به من يريد الغضّ منه )

وأما كلمة كافورٍ فهى كلمة مفتعلة موضوعة ، وإلاّ تكن كذلكَ ، فليس فيها أيضاً ما يدلُّ على شيءٍ تحقق كان قد حدث من أبى الطيب . وكافورُ كان قد سمعَ هذه الدعوى التى يزعمونها عن نبوة أبى الطيب وسلم بها ، ثم تكلم ، وليس تسليمُ كافور بها

سنداً لها يحقق تاريخها ، ويثبتُ وُقوعَها بعدَ الذى ذكرنا لكَ من ضعف الروايات

هذا وقد أراد الأستاذ سعيد أن يعلمنا سُبل التحقيق فى التاريخ فقال : « والتاريخُ لايثبت خبرا أو ينفيه تبعاً لميل مؤلف أو رأيه ... إلى آخر قوله » وهو قد فعل أكثر من ذلك وأكبر ، وذلك أنه بعد اعتراضه قال : « وكافور ليس من الذين يختلقون على شاعر ، ولا ممن يروج الاختلاق » ، ولم يرد فى كلامنا ذكر كافور واختلافه حتى يعقب الأستاذ هذا التعقيب . هذه واحدة ، والأخرى أن الأستاذ قد حكم على كافور حكما لم يرد له ذكر فى كتاب ، فهل يستطيع أن يؤيد هذا الحكم بالدليل التاريخى والبرهان العقلى أن كافوراً لم يكن يختلق على الناس ، ولا يروج الاختلاق . . ؟ ! لقد أتينا نحن بالروايات ونقضناها بالدليل — ضعيفاً كان أو قويا — أما أستاذنا فقد حكم على رجل بغير دليل ولا بينة من التاريخ أو غيره

ثم بقى اعتراض الأستاذ الذى يقول فيه : « وأمر ادعاء المتنبى العلوية ليس فيه ما يهيجُ عليه الناس كلَّ هذا » . وأنا لا أعلم ماذا يريد الأستاذ سعيد بقوله ( كل هذا ) ، وإذا أرادنى على أن أجيبه على ذلك فليبين لى صورة المبالغة فى قوله ( كل هذا ) ، فأنا لا أعلمُ من أمر هذه المسألة أكثر من أن الرجُل قبض عليه بالشام وحبس . أما هياجُ الناس فلم يرد لَهُ ذِكرٌ فى كلامنا ولا فى كلام الرُّواة . وأما حبسهُ أو قتالهُ من أجل العلوية فليس ببدع فى التاريخ ، وكان لزاماً على الأستاذ قبل أن يكتب هذه الجملة ويصوغ هذا الاعتراض أن يرجع إلى كتب التاريخ ليعلم أن الذين قاتلوا أبا الطيب وحبسوه ، كانوا قد قاتلوا من قبله قوما أو حبسوهم من أجل ادعاء العلوية ، وكذلك فعلوا مع العلويين الذين خرجوا عليهم فى أرضهم وديارهم . فقتاله وحبسه ليسا يثبتان أن هذا الذى كان من أبى الطيب إنما كان إظهاره النبوة لا ادعاءه العلوية

وبعد ، فلو حمل الأخ سعيد نفسه على تدبر الذى كتبناه فى المقتطف عن المتنبى لما وقع هذا الاعتراض الذى حاك فى صدره ، وقد أشرنا مرات فى كتابنا إلى وجوب ذلك ، فقد كنا نترجم للرجل ترجمة صحيحة يقرؤها القارئ ليتمثل صورة هذا الشاعر العبقرى وفاء له وتقديراً بعد مرور ألف سنة على وفاته ، فلم يكن سبيلنا أن نتعرض لأصول النقد وشرحها وتفصيلها ، ولم نأخذ الروايات جميعها بالنقد مرة واحدة ، فإن ذلك كان يقتضى منا وقتاً كثيراً وكتاباً كبيراً ، ولكن من يطالع على الذى كتبناه منصفاً متدبراً عارفا بطرف من أصول نقد الرواية يعلم يقينا أننا لم نكتب حرفا واحداً إلا بعد أن استوفينا عندنا نقد الأخبار ( خبراً خبراً ) كما يريد الأستاذ سعيد ، وليس عسيراً على المتدبر أن يستخرج من الذى كتبناه الأصول التى نقدنا بها هذه الأخبار . ولعل الأستاذ قد قرأ كثيراً مما فاضت به الصحف والمجلات عن المتنبى ، وقرأ فى خلال ذلك كثيراً من نقد الأخبار التى رويت ، ولعله رأى أيضاً أن هؤلاء قد اتخذوا كتابنا مصدراً استنبطوا منه أصول النقد التى وضعناها ، وقاسوا عليها فأخطأوا وأصابوا ، وليس هو بأقل منهم حتى يفوته ما أصاب غيره

محمود محمد شاكر

# الحنـــين . . .

للأستاذ محمد شوكت التونى

أخى الصديق . . .

تناولت منذ يومين رسالتك التى أثرها صمت سنين خمس لم أتلق طوالها كلمة منك ، ولا نبأ عنك — بمزيج مبهم من العواطف والأحاسيس . وأدركت — كما تدرك بعض الحقائق الخفية — أو المنكورة فى بعض المناسبات — أن كثيراً مما نعتبره مبالغة قد يقع ويظهر لكل عين مجردة كحقيقة عارية ، كما يصبح كثير من الوهم أو الخيال مخترعات تحس وتلمس ، إذ أن محيط الحياة خفى الأمواج ، وخفاء الأمواج يلد العجائب !

لقد كنت أحسبه مبالغة قول من يقول : « إن وصول خطابك قد أعاد إلىّ بصرى كما أعاد قميص يوسف الضوء إلى بصر يعقوب الحزين الكظيم »

فعرفت بعد ورود خطابك إلىّ أن فى هذا القول كثيراً من الحقيقة ، وأن البصر قد يكون حاسة من الحواس الخمس وقد يكون نوراً ينبعث وهاجاً فى القلب ، والخاطر ، والنفس ، وأن بعض الانفعالات قد تسمو وترتقى فتمسى عند صاحبها أقوى من البصر ، وأعظم من نفس الحياة . . .

لم ترد يا صديق أن تكتب الىّ بالتحية ، ومحوتها سلفاً من جبين كتابك مدركا أن التحية إذا ألقيت مجاملة كانت نافلة وعملاً بين الصحاب غير نافع ، وإن قصد بها التعبير عن الشوق فتحصيل حاصل . فليس بمنكر أن سنين خمساً لجديرة بأن تلهب قلبى صديقين مخلصين لم يتساقيا من كؤوس الود إلا أصفاها عنصراً وأحلاها مذاقاً وأبقاها أثراً

ولكم كنت لبقاً وأريباً . وكانت كلماتك مؤثرة حين ذكرتنى بمهدى الأدبى الخالى ، وأيامه ولياليه الصافية المورد ، والساعات التى كنا نمضيها باحثين فى فنون الأدب ، منتجين أبطال قصصنا ، نراهم تحت أسماعنا وفى محيط أبصارنا يعيشون قطعاً من أكبادنا وخفقات من قلوبنا ، ودمى تملؤها عواطفنا دماً وروحاً ، فينبعث فينا شعور بالرضا والغبطة إن لم يصل إلى غبطة الالـه عن خلق — سبحانه — فهى تسمو وتعلو عن غبطة الوالد عند مرآى أبنائه ونماء فلذات كبده . . . لأن نظرة الأب إلى أبنائه ، وارهاف أذنيه إلى أحاديثهم يغمرها الحنان الأبوى الغريزى فيعطل فيهما نواحى التفكير ويفسد عليهما حسن التقدير . أما أبناؤنا نحن فكانوا دائماً محاطين منا بالعاطفة والفكر . . . !

. . . ولعلك يا صديق حين تذكرنى بهذا المهد السعيد الفائت لا تبغى أن تقطع نفسى ونفسك حسرات وتلهب سعير الحزن وتشعل جمرة الأسى ، وإنما تقصد الهتاف للخفى المغيب فى أعماق كى تثيره للحركة بعد الخمود ، فأنت تقول : « لقد انصرفت عن ميدان الأدب كى تؤدى واجباً وجب . وتقف فى الصف الأمين تجاهد فى سبيل بلادك وحريتها ، وتناضل عن حرية الأفراد المرهقين بعسف المستبدين . والآن وقد انجلى الفجر البديع عن حياة جديدة لمصر بدأت تسفر عن وجهها وترفع النقاب عن جمالها ، أما راجعك الحنين إلى الأدب تغذى عاله بقلمك ..؟ »

أما الحنين يا صديق فأقسم ما فارقنى طوال ذلك العهد ، وإنما كان معذبى ومسعدى

فان هوى النفس — كما تعلم — غلاب لا يقهر ، نفاذ إلى مقصده لا يتقهقر ، وهو أقوى من الرغبات وأشد منها عناداً ، وأسبقها فى النفس وجوداً ، وهو — بعد — مرآتها العاكسة لعنصرها ، فاذا كانت أمارة بالخير ، فهواها هو الرشد ، يبرز مقنعاً فى صورة رأى صائب ، أو حركة نافعة

وكل من فى هذا الوجود مسير بالنفس — الامارة بالخير أو بالشر . ولكل هوى صورة كائنة حية هى ظاهرة فى أعمال صاحبه تبدو لأعين الرائين من الناس . كما أن لها ناحيتها الخفية التى لا تظهر ولا تنم ولا تبين . وتلك أرق الصور وألطفها . تولد فى الاعماق ، وتعيش وتنمو إذا راقها المهد ، ولذتها الحضانة ، فتطول حتى تصاحب العمر إلى نهاية الأجل . . . تلك الصورة يا صديق هى « الحنين » . . . أثر قوى من هوى النفس وصورته الخفية ، يعيش فى جوانب العالم الانسانى الخفى ويسبح مع الأمل فى الخيال ، ويرف مع الرجاء فى مسابح الروح ، ولكنه أبداً لطيف لا يشف ولا يكتشف ولا يحاول غدر صاحبه فيبدو غصباً

لا يعاند صاحبه ولا يجادله أو يخاصمه ولكنه أبداً متفق معه متسق وخياله وتفكيره ، يقرب له جامحات الأمانى ويهون

عنده بالغات المصائب ، ويذلل له شامسات المصاعب

يناجيه ويناغيه ويغذيه فى أوقات تأملاته وحين البأس ،

ويسعده ويبث فى نفسه الترسل فى العزاء فى لحظات الأسى واليأس

***

وصاحبك يا صديق — كما تعرف ولا يعرف الكثيرون — فنان اتقدت شعلة الفن بين جوانحه منذ الصبى فأدرك معناها مبهمة كأنها الغريزة ، واندفع فى سيال مجراها يقرأ وينتج لا لمال أو شهرة ، واستطاع أن يوفق بين حياة الدرس وحياة الفن ، غير أن العمر قد تقدم بصاحبك إلى ميدان المسئوليات ، وتوزع الجهد بين مختلف ما يطلبه الجهاد فى سبيل بلاده ، والجهاد فى سبيل مهنته ، ما يستغرق يومه كله إلا ساعات للنوم ما عرف النوم فيها إلا اسماً ورؤى ! فألفى لذلك قلمه لا يكتب فى الأدب ولا فى الفن ، وإنما يكتفى باختلاس بعض الوقت يغذى فيه بعض نهمته للقراءة والاطلاع

وشقى صاحبك بهذا الحرمان ، فقد تزاحمت عليه فى حياته الجديدة موجبات للفن من حوادث ذاك الجهاد ومن ألوان ذلك العيش المتيد

ولكم جلس إلى فكره وخياله ونفسه والشعلة متقدة والنفس راغبة ، وقلمه فى يده ملتهب الشوق ، ويود بقطع الوتين أن يعيش فى حياة الدنيا التى يرسمها ويصورها — بل يخلقها — ساعات هى من العمر إن كان بعض العمر حياة وبعضه عدم ، فلا يلبث أن يناديه واجبه ولا يسمه إلا رد النداء

ولعلك تعرف يا صديق أن صاحبك المحامى يحيا — فى مهنته — فى محيط من آلام الناس وعذاب بنى البشر ، يعيش للمظلوم ويجاهد فى سبيل الباكى الأسير

والفنان كما تعرف أيضاً لا يعيش لنفسه وإنما يعيش للانسانية مختزلة — فى زمن حياته — فى جيل معين وقوم معينين لا يستريح أو تسعده حياته إذا ظلت خواطره وأفانين انتاجه وثمار فنه رهن محبسها — فى قرارة النفس أو فى مستقر الخيال والفكر — وإنما هو شقى بفنه إن لم يؤده إلى مستحقيه ، فالشمعة وهى غير مضاءة فيها عناصر الضوء ولكن قيمتها عدم ، فاذا أشعلت واتقد لهبها وبدأت تحترق أعطت نفعها وهى تبذل حياتها طبقة طبقة حتى تخبو وتفنى ، وحياة صاحبك — فى عمله تعطى له فى كل لحظة وحياً وإلهاماً ... أولئك المظلومون يستصرخ لهم القضاء ، والقضاء ظل الله فى الأرض ولسان كلمته ويد قضائه وقدره ، ولكنها فيه من قدسيته وتنزهه القليل اليسير ، فقد ينصف المظلوم وقد ينخدع فى حيلة الظالم ، وكم تموت حقوق فى يد قضاة الحقوق ، وأولئك الأبرياء يقفون بين شاطئ الموت وشاطئ النجاة فوق موجة قلقة غير مستقرة ، كلمة واحدة تقذف بالموجة إما إلى اليمين حيث الحرية والحياة ، وإما إلى اليسار حيث الفناء وملاقاة رب عادل منتقم كريم . حولهم — فى هول موقفهم — أهل وصحب يبكى بعضهم بدموع من قلب حزين ، ويتباكى بعضهم بدموع خادعة كاذبة . تتنازع الحياة بآلامها وحسراتها — نفوسهم أضعاف ما تنازع من يبكون عليه ...

وذلك الأب قتل فى سبيل دفع عار عن آله وأبنائه وأحفاده أو فى سبيل الحصول على طعام يرد عن أولاده شر المسغبة ، تقسو عليه الحياة فيقف فى القفص الحديدى ينصت إلى شهادة ولده الصغير وهو يقص على القضاة ما رآى من جريمة أبيه ...

وتلك الأم الحانية الرؤوم حاول ولدها قتلها عن غواية وطيش ، فتدلف محطمة إلى ساحة القضاء تطالب البراءة له وتسترحم فى مصيره من بيدهم المصير

وذلك الزوج أعز زوجه ودللها ومهد لها نعيم الحياة فبادلته بالحب غواية وبالاخلاص خيانة ، فأرداها وفقد نعيمها وهو يسير فى اغلاله إلى جحيمه ، وبذلك فقد النعيمين . . . فى الدنيا وفى الآخرة !

ثم أولئك المجرمون — الباغون السفاكون فعلوا فعلتهم — فى غاشية ، ثم ردت إليهم إنسانيتهم فوقفوا أمام القضاء فى ساعة الهول يوقنون بالنهاية المحتومة ويفزعون بالوهم إلى الأمل ويمدون — بأيديهم — حبل أعمارهم . . . بنظرة باسمة من محاميهم !

. . . هؤلاء وغيرهم ، وحياتهم تلك اللحظات هى مختصر لكل محيط الحياة يعيش صاحبك فى وسطهم ويحيا لهم ومن أجلهم يوحون إليه الرثاء للانسانية والبكاء على أطلال الفانين وأشباح المعذبين ... ويحاول فنه أن يقوم بواجبه كفنان ، ولكن واجباً

آخر أقوى جذباً وأشد فعلاً يطنى ولا يرضى إلا أن يكون وحده صاحب الحق على شؤون صاحبك الذى يعمل ويمهل ، والحنين ماثل فى عالمه الخفى يسعده ويعذبه . . . ذلك الحنين الذى ولدته العواطف المحبوسة والآلام الطائفة كل يوم — بل كل لحظة — بالنفس والقلب ، ثم كبر ونما وطال واستطال على كل منزع ، وركب كل منفذ ، وصعد مع الروح إلى أعلى سبحاتها ، وجرى مع الدم إلى أقصى شوط من شرايينه ، وغاص إلى أعمق أعماق النفس وسبح فى ظلماتها وتراوح فى أمواج ضوئها وجاب أنحاء القلب وارتقى صخوره واتأد فوق لينه وامتطى متون غيومه . . حتى أصبحت أحسه كياناً فى جوار كيانى ، أراه فى بعض الأحيان ممثلاً إلى جانبى فى صورة طيف أو خيال ، وقد أسمعه ينادينى ويناجينى ، وقد أضطر إلى أن أجيبه فأحدثه وأقارضه نداء بجواب ومناجاة بنجوى . . يسير معى — كالصديق الوفى — فى النهار فيكاد يعزلنى عن سائر الناس ، وفى الليل ... فى الليل الأخير حيث تنام الناس وترقد الأعمال فأبقى فى الوحدة والسكون ... أنا وهو ... والله ثالثنا ...

ولكم حاولت أن أفلت من زمامه وأنجو من إساره وأفك عقالى من يديه فما زدت إلا تعلقاً به وتشبثاً بأردانه وأطرافه ...

لقد غلبنى على أمرى ونزع شأنى من إرادتى فرضيت أسره ولذت لى غلبته ... وبات كما كان ... مسعدى ومعذبى ...

***

أما اليوم يا صديق وقد انجلت الغمرة وهدأ ميدان المعركة ، وبسم الشهداء فى عليين وترنحت النفوس طربا ، ورقصت القلوب فرحاً ، وآن للمجاهد فى سبيل الحرية أن يغمد سيف جهاده ، ويولى وجهه شطر إصلاح بلاده ، فقد توفر لى من الوقت نصفه أو يزيد

وسأراجع عهدى القديم وأحاول أن أفك إسار الحنين وأشفى داءه وأروى صداه وأتحرر أنا من اغلاله ... لعله لا يبقى معذبى ويظل مسعدى وحسب

سأمسك قلمى وأكتب للأدب والفن . لا أريد مالاً ولا شهرة ، فحسبى من الثانية ما نلت ؛ وحسبى من غنًى شبع ورى ... وإنما لوجه الحق فى صوره السامية : الله والوطن . نجاهد فى ميدان الأدب والفن ، وعذاب الجهاد فى سبيل الحق أسمى مراتب اللذات

*محمد شوكت التونى*

*للتاريخ السياسى*

# معاهدة الصداقة والتحالف
## بين مصر وانجلترا

— ٢ —

### ملحقات المعاهدة

*ملحق للمادة الثامنة*

١ — من غير اخلال بأحكام المادة السابعة يجب ألا يزيد عدد قوات صاحب الجلالة الملك والأمبراطور التى توجد بقرب القنال على عشرة آلاف من القوات البرية وأربعمائة طيار من القوات الجوية ومعهم العدد الضرورى من المستخدمين الملحقين للادارة والأعمال الفنية ، ولا يشمل هذا العدد الموظفين المدنيين كالكتبة والصناع والعمال

٢ — توزع القوات البريطانية التى توجد بقرب القنال كما يأتى :

( ا ) فيما يتعلق بالقوات البرية فى المعسكر ومنطقة جنيفة على الجانب الجنوبى الغربى للبحيرة المرة الكبرى

(ب) وفيما يتعلق بالقوات الجوية على مسافة خمسة أميال من سكة حديد بور سعيد — السويس ، من القنطرة شمالاً إلى ملتقى سكة حديد السويس — القاهرة والسويس الاسماعيلية جنوباً مع امتداد على خط سكة حديد الاسماعيلية — القاهرة بحيث يشمل محطة القوات الملكية للطيران بأبى صوير وما يتبعها من الأراضى المعدة لنزول الطائرات والميادين الصالحة التى قد تنشأ شرق القنال لاطلاق النار وإلقاء القنابل من الطائرات

٣ — يعد فى الأماكن المحددة آنفاً للقوات البريطانية البرية التى حدد عددها فى الفقرة الأولى سالفة الذكر بما فى ذلك أربعة آلاف من الموظفين المدنيين ( مع خصم ألفين من رجال القوات البرية وسبعمائة من رجال القوات الجوية وأربعمائة وخمسين موظفاً مدنياً وهم الذين توجد لهم الآن معدات السكن ) ما تحتاج إليه من الأراضى والثكنات الثابتة والمستلزمات الفنية بما فيها توفير الماء الذى قد تستلزمه الطوارئ ، وتكون الأراضى والمساكن وموارد المياه مطابقة للنظم الحديثة ؛ وفضلاً عن ذلك تقدم للجنود

وسائل الراحة المعقولة مع مراعاة طبيعة هذه الجهات وذلك بغرس الأشجار وإنشاء الحدائق وميادين الألعاب الخ . ويعد موقع لاقامة مصحة للنقاهة على ساحل البحر الأبيض المتوسط

٤ — تقدم الحكومة المصرية الأراضى وتنشئ المساكن وموارد المياه ووسائل الراحة ومصحة النقاهة المشار إليها فى الفقرة السابقة باعتبارها ضرورية علاوة على ما هو موجود منها الآن فى تلك الجهات وذلك على نفقتها الخاصة على أن تساهم حكومة جلالة الملك فى المملكة المتحدة بدفع ما يأتى :

١ — المبلغ الذى أنفقته الحكومة المصرية فعلاً قبل سنة ١٩١٤ فى إقامة ثكنات جديدة أنشئت لتحل محل ثكنات قصر النيل فى القاهرة

٢ — تكاليف ربع الثكنات والمستلزمات الفنية للقوات البرية على أن يدفع أول هذين المبلغين فى الوقت المحدد بالفقرة الثامنة الآتى ذكرها لانسحاب القوات البريطانية من القاهرة . ويدفع المبلغ الآخر فى الوقت المعين لانسحاب القوات البريطانية من الاسكندرية طبقاً للفقرة الثامنة عشرة الآتى ذكرها ؛ وللحكومة المصرية أن تتقاضى إيجاراً مناسباً نظير استعمال المساكن المعدة لاقامة المستخدمين المدنيين ويتفق على قيمة الايجار بين حكومة صاحب الجلالة والحكومة المصرية

٥ — بمجرد نفاذ هذه المعاهدة تعين كل من الحكومتين فوراً شخصين أو أكثر تتألف منهم لجنة يعهد إليها بجميع المسائل المرتبطة بتنفيذ هذه الأعمال من وقت البدء فيها إلى حين تمامها . وتقبل مشروعات التصميمات ورسومها التخطيطية (الكروكية) والمواصفات التى يقدمها ممثلو حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة بشرط أن تكون معقولة وألا تتجاوز مدى التزامات الحكومة المصرية الواردة فى الفقرة الرابعة . ويجب أن يقر ممثلو كل من الحكومتين فى هذه اللجنة التصميمات والمواصفات الخاصة بكل عمل تقوم به الحكومة المصرية قبل البدء فيه . ويكون لكل عضو فى هذه اللجنة وكذلك لقواد القوات البريطانية أو ممثلهم حق فحص الأعمال فى جميع أدوار إنشائها كما يجوز لممثلى المملكة المتحدة من أعضاء اللجنة تقديم مقترحات بشأن طريقة تنفيذ العمل . ولهم أيضاً حق اقتراح تعديل التصميمات والمواصفات أو تغييرها فى أى وقت أثناء سير العمل ، وتنفذ المقترحات والشروحات التى يقدمها ممثلو المملكة المتحدة فى اللجنة بشرط أن تكون معقولة وأن لا تتجاوز مدى التزامات الحكومة المصرية الواردة فى الفقرة الرابعة . وفيما يتعلق بالآلات وغيرها من المهمات حيث تكون لوحدة الطراز أهميتها قد اتفق على أن تكون المهمات التى تشترى وتركب من الطراز المقرر والمستعمل عامة فى الجيش البريطانى

ومن المفهوم طبعاً أنه يجوز لحكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة أن تقوم على نفقتها الخاصة بعد استعمال القوات البريطانية هذه الثكنات والمساكن بادخال التحسينات والتغييرات وإنشاء مبان جديدة فى المنطقة المحددة فى الفقرة الثانية السالف ذكرها

٦ — تحقيقاً لبرنامج الحكومة المصرية فى تحسين الطرق ومواصلات السكك الحديدية فى القطر المصرى ولابلاغ وسائل المواصلات فيها إلى مستوى حاجات الفنون الحربية الحديثة — تتولى الحكومة المصرية إنشاء الطرق والكبارى والسكك الحديدية المبينة بعد وصيانتها

## ١ — الطرق

١ — بين الاسماعيلية والاسكندرية عن طريق التل الكبير والزقازيق وزفتى وطنطا وكفر الزيات ودمنهور

٢ — بين الاسماعيلية والقاهرة عن طريق التل الكبير ومنه يستمر على ترعة المياه الحلوة إلى هليوبوليس

٣ — بين بورسعيد والاسماعيلية فالسويس

٤ — مواصلة بين الطرف الجنوبى للبحيرة المرة الكبرى والطريق الممتد من القاهرة إلى السويس على مسافة خمسة عشر ميلا تقريباً غربى السويس

ولابلاغ هذه الطرق إلى المستوى العام للطرق الجيدة الصالحة لحركة المرور العامة سيكون عرضها عشرين قدما ويكون لها تحويلات حول القرى الخ وتنشأ من مواد من شأنها أن تجعلها صالحة دائماً للانتفاع بها فى الأغراض الحربية ، وأن تنشأ بحسب ترتيب أهميتها سالف الذكر ، وأن تطابق المواصفات الفنية المبينة بعد وهى المواصفات العادية للطرق الجيدة الصالحة لحركة المرور العام

وتكون الكبارى والطرق صالحة لتحمل صفين كاملين من سيارات النقل الميكانيكى الثقيلة ذات الأربع عجلات أو من

ذوات الست عجلات أو من الدبابات المتوسطة الحجم . ففيما يتعلق بالسيارات ذات العجلات الأربع يكون البعد بين الدنجل الأمامى لأية سيارة وبين الدنجل الخلفى للسيارة التى أمامها عشرين قدماً ويكون الثقل على كل دنجل خلفى أربعة عشر طنا وعلى كل دنجل أمامى ستة أطنان ، وتكون المسافة بين الدنجلين ثمانى عشرة قدماً . وفيما يتعلق بالسيارات ذات العجلات الست تكون المسافة بين الدنجل الأمامى لكل سيارة منها وبين الدنجل الخلفى للسيارة التى أمامها عشرين قدماً ، والمسافة بين الدنجل الخلفى والدنجل الأوسط أربع أقدام ، وبين الدنجل الأوسط والدنجل الأمامى ثلاث عشرة قدماً ، ويكون الثقل على كل من الدنجلين الخلفى والأوسط ٨,١ طنا وعلى كل دنجل أمامى أربعة أطنان . أما الدبابات فتقدر باعتبار أن وزنها ١٩,٢٥ طنا وطولها الكلى خمسا وعشرين قدما والبعد بين مقدم إحداها ومؤخر التالية لها رأسا ثلاثة أقدام ، ويكون ثقل الـ ١٩,٢٥ طنا محملاً على شريطين يرتكزان على مسطح قدره ثلاث عشرة قدما من الطريق أو الكوبرى

## السكك الحـــــديدية

١ — تزاد تسهيلات السكك الحديدية فى منطقة القنال وتحسن لسد حاجة القوات بعد زيادتها فى تلك المنطقة ولتسهيل سرعة نقل الرجال والمدافع والعجلات والمهات بالقطارات وفقا لما تقتضيه حاجة الجيوش الحديثة

ويرخص بموجب هذا لحكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة بأن تنشىء على نفقتها الخاصة ما قد تقتضيه حاجات القوات البريطانية فى المستقبل من الاضافات والتعديلات على السكك الحديدية . فاذا مست هـذه الاضافات أو التعديلات الخطوط الحديدية المستعملة للنقل العام وجب الحصول على اذن بذلك من الحكومة المصرية

٢ — يجعل الخط بين الزقازيق وطنطا مزدوجاً

٣ — يحسن الخط بين الأسكندرية ومرسى مطروح ويجعل دائماً

٧ — فضلاً عن الطرق المبينة فى الفقرة السادسة ١ السالف ذكرها وللأغراض ذاتها ستنشىء الحكومة المصرية الطرق المبينة بعد وتقوم بصيانتها

١ — الطريق من القاهرة بمحاذاة النيل جنوباً إلى قنا وقوص

٢ — من قوص إلى القصير

٣ — من قنا إلى الغردقة

وستنشأ هذه الطرق والكبارى التى تقام عليها وفق نفس المستوى المبين فى الفقرة السادسة السالف ذكرها

وقد لا يتيسر إنشاء الطرق المشار اليها فى هذه الفقرة والطرق المشار اليها فى الفقرة السادسة فى وقت واحد ولكنها ستنجز بقدر المستطاع

٨ — وحينما تتم الأماكن المشار إليها فى الفقرة الرابعة على ما يرضى الطرفين المتعاقدين ( ولا تدخل فى ذلك المساكن الخاصة بالقوات التى ستبقى موقتاً بالاسكندرية طبقا للفقرة الثامنة عشرة الآتى ذكرها ) وتتم الأعمال المشار إليها فى الفقرة السادسة السالف ذكرها ( عدا السكك الحديدية المبينة فى الشطرين ٢و٣ من الجزء ب من تلك الفقرة ) تنسحب القوات البريطانية الموجودة فى أنحاء القطر المصرى غير الجهات الواقعة فى منطقة القنال والمبينة فى الفقرة الثانية السالف ذكرها مع استثناء القوات الباقية مؤقتاً بالاسكندرية ، وتخلى الأراضى والثكنات ومنازل الطائرات البرية ومراسى الطائرات البحرية والأبنية التى تشغلها القوات وتسلم إلى الحكومة المصرية إلا ما قد يكون منها ملكا للأفراد

٩ — أى خلاف فى الرأى بين الحكومتين فى تنفيذ الفقرات ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ السالف ذكرها يعرض للفصل فيه على لجنة تحكيم مؤلفة من ثلاثة أعضاء تعين كل من الحكومتين عضواً منهم ويعين الثالث بالاتفاق بين الحكومتين ويكون قرار اللجنة نهائياً

١٠ — تحقيقاً لحسن تدريب الجنود البريطانية قد اتفق على إعداد المناطق المحددة بعد لتدريبها . ويجرى التدريب فى المنطقتين ا و ب طول السنة . وتكون المنطقة حـ للمناورات السنوية خلال شهرى فبراير ومارس

ا — غربى القنال من القنطرة شمالاً إلى خط سكة حديد السويس القاهرة جنوباً ( بما فى ذلك الخط المذكور ) وإلى خط طول ٣١,٣٠ شرقاً بحيث تستمد كل الأراضى المنزرعة

ب — شرق القنال . حسب الحاجة

حـ — امتداد المنطقة (١) جنوباً إلى خط العرض الشمالى ٢٩,٥٢ ومن ثم فى الجنوب الشرق إلى ملتقى خط العرض الشمالى

٣٠ر٢٩ بخط الطول الشرقى ٤٤ر٣١ ومن هذه المنطقة شرقاً على امتداد خط العرض الشمالى ٣٠ ر ٢٩ ومساحات المناطق المشار إليها فيما سبق مبينة على الخريطة الملحقة بالمعاهدة « مقاييس رسم ١ — ٠٠٠ر٥٠٠ »

١١ — تمنع الحكومة المصرية الطيران فوق الأراضى الواقعة على جانبى قنال السويس وعلى مسافة عشرين كيلو مترا منها إلا ما كان بقصد العبور من الشرق الى الغرب أو بالعكس فى ممر عرضه عشرة كيلو مترات عند القنطرة مالم تتفق الحكومتان على غير ذلك . على أن هذا المنع لا يسرى على قوات الطرفين المتعاقدين ولا على هيئات الطيران المصرية الصميمة ولا على هيئات الطيران التى تتبع تبعية حقيقية أى جزء من أجزاء مجموعة الأمم التى تتكون منها الدولة البريطانية وتعمل تحت سلطة الحكومة المصرية

١٢ — تضم الحكومة المصرية عند الضرورة وسائل المواصلات المعقولة للوصول من وإلى الجهات التى ترابط فيها القوات البريطانية كما أنها تقدم ببور سعيد والسويس التسهيلات الضرورية لتفريغ المهمات الحربية والمؤن اللازمة للقوات البريطانية وخزنها ، ومن هذه التسهيلات إبقاء فصيلة صغيرة بريطانية فى هاتين الميناءين لتسلم وحراسة هذه المهمات والمؤن عند مرورها

١٣ — نظراً لأن سرعة الطيران الحديث وسعة مداه تقتضيان استخدام مساحات واسعة لحسن تدريب القوات الجوية فان الحكومة المصرية تأذن للقوات الجوية البريطانية فى الطيران حيثما ترى ضرورة لذلك من أجل التدريب . ويكون لقوات الطيران المصرية مثل هذه المعاملة فى الأراضى البريطانية

١٤ — نظراً لأن سلامة الطيران تتوقف على اعداد كثير من الأماكن لنزول الطائرات فان الحكومة المصرية ستهيئ وتيسر على الدوام المنازل والمراسى الصالحة لنزول الطائرات البرية والبحرية فى الأراضى والمياه المصرية . وستحقق الحكومة المصرية أى طلب يقدم من القوات البريطانية لاعداد المنازل والمراسى الاضافية التى تدل التجربة على ضرورتها لجعل العدد كافياً لحاجة المحالفة

١٥ — تأذن الحكومة المصرية للقوات الجوية البريطانية فى استخدام منازل الطائرات البرية ومراسى الطائرات البحرية السالفة الذكر وفى إرسال مقادير من الوقود والمهمات الى القوة منها لخزنها فى مكان تقام عليها لهذا الغرض وفى القيام فى أحوال الاستعجال بأى عمل قد تقتضيه سلامة الطائرات

١٦ — تمنح الحكومة المصرية جميع التسهيلات اللازمة لمرور مستخدمى القوات البريطانية والطائرات والمهمات من والى منازل الطائرات البرية ومراسى الطائرات البحرية السالفة الذكر وتمنح مثل هذه التسهيلات لموظفى القوات المصرية وطائراتها ومهماتها فى القواعد الجوية للقوات البريطانية

١٧ — تكون للسلطات الحربية البريطانية حرية استئذان الحكومة المصرية فى إرسال جماعات من الضباط يرتدون الملابس الملكية الى الصحراء الغربية لدراسة الأرض ورسم الخطط الحربية ولا يرفض هذا الاذن دون مبرر معقول

١٨ — يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة الملك والأمبراطور فى إبقاء وحدات من قواته فى الأسكندرية أو على مقربة منها لمدة لا تتجاوز ثمانى سنوات من تاريخ نفاذ هذه المعاهدة وهى المدة التقريبية التى اعتبرها الطرفان ضرورية لما يأتى :

ا — لاتمام بناء الثكنات فى منطقة القنال نهائياً

ب — لتحسين الطرق الآتية :

١ — الطريق بين القاهرة والسويس

٢ — بين القاهرة والاسكندرية عن طريق الجيزة والصحراء

٣ — بين الأسكندرية ومرسى مطروح ، وذلك للوصول بها إلى المستوى المبين فى جزء ا من الفقرة السادسة

حـ — تحسين السكك الحديدية بين الاسماعيلية والاسكندرية وبين الاسكندرية ومرسى مطروح كما أشير إلى ذلك فى الشطرين ٢ و ٣ من الجزء ب من الفقرة السادسة

وتتم الحكومة المصرية العمل المبين فى الشطرات ا وب وحـ السالفة الذكر قبل انقضاء مدة الثمانى السنوات المذكورة آنفاً ، وستتولى الحكومة المصرية طبعاً صيانة الطرق ووسائل المواصلات المذكورة فيما تقدم

١٩ — تظل القوات البريطانية الموجودة بالقاهرة أو بجوارها إلى وقت انسحابها طبقاً لنص الفقرة الثامنة السالف ذكرها كما تظل القوات البريطانية الموجودة بالاسكندرية أو بجوارها إلى نهاية الوقت المحدد فى الفقرة الثامنة عشرة السالف ذكرها متمتعة بالتسهيلات التى لها الآن

« البقية فى العدد القادم » تتمة الملحقات

# الفلسفة والالهيات*

اتفقت كلمة الشعوب الاسلامية على أن العصر الذهبي للخلافة قد ازدهرت فيه مذاهب فى الفلسفة ، كانت عربية إسلامية ذاعت فى العالم ذيوعا واسع المدى ، وأن المعاهد الاسلامية قد مهدت لظهور الجامعات الأوربية ، وكانت المثال الذى به تقتدى وعلى هداه تسير

وهذه النظرة المنطوية على اعتبار الاسلام مصدر الحضارة الأوربية ، نشأت فى رحابه ، ودرجت فى ظلاله ، واستقت من معينه ، لا نراها منبثة فى الكتب الأدبية التى أريد بها مجرد الدعاية فحسب ، بل نراها شائعة — بحق أو بغير حق — فى أكثر البحوث القيمة التى ساهم فيها العلماء من المسلمين المحدثين وتناولت تقدم الأنظمة الاسلامية وتاريخها فى العصر الوسيط

وإنا لنرى فى الأدب الغربى بين الحين والحين إشارة إلى ما يطلقون عليه اسم « الفلسفة العربية » ، كما نرى طائفة من كتاب الغرب تذهب إلى أن الفلسفة المسماة بهذا الاسم ليست إلا خليطا من آراء القدماء لا تجانس بين مواده المتنوعة ، قد ترك ليتفاعل وينضج ، فهم منتهون إلى أن ليس هناك شىء اسمه « فلسفة عربية » وإلى أن الشعوب الناطقة بالضاد لم تفعل شيئا أكثر من أنها استولت على الفلسفة اليونانية التى كانت شائعة بين المسيحيين من أهل سوريا ، والمثقفين من أهل حران الوثنيين ، ثم أضافت إليها بعض عناصر استمدتها من فارس والهند[1]

ومهما يكن من شىء فان من الحق أن نرد الفلسفة العربية فى مادتها وصورتها وغايتها إلى حضارة البلاد التى غزاها العرب ، وأن نعتبر الفلسفة اليونانية المعين الذى استقوا منه مذاهبهم

ومهما قيل عن هذا الأمر فى العصور الحديثة فان العلماء المسلمين فى العصور المتقـــدمة لم يخطئوا السبيل إلى فهم هذه الحقيقة . فالجاحظ البصرى المتوفى سنة تسع وستين وثمانمائة بعد الميلاد — وهو كاتب قدير متبحر كان تأثيره فى أسبانيا الاسلامية على جانب عظيم من الأهميـة — يعترف اعترافاً واضحاً بفضل الفكر اليونانى على أهل ملتـه فيقول : ألم تبلغنا كتب القدماء التى خلدوا فيها حكمتهم الرائعـة ، وعالجوا بين صفحاتها دروس التاريخ المتشعبة ، حتى بدا المـاضى حيا أمام أبصارنا ؟ ألم تصل إلى أيدينا نفائس تجاربهم التى ما كنا بغير هذه الكتب لنعرفها أو لنصيب فى الحكمة حظاً يذكر ، أو نسلك للتحصـيل سبلاً معقولة ؟

وفوق ذلك فان الفلاسفة وعلماء الكلام لم يحاولوا فى أكثر أبحاثهم أن يخفوا عن الناس النبع الذى نهلوا منه[1]

---

(*) هــذا المقال هو بداية فصل الفلسفة والالهيات فى كتاب تراث الاسلام الذى ستصدره لجنة الجامعيين فى هذا الشهر — وقد تولى كتابة الفصل « الفريد جيوم » وقام بتعريبه والتعليق عليه « توفيق الطويل »

(١) على أن من الانصاف أن نقول إن بين مؤرخى الفلسفة فى الغرب طائفة أخرى لا يرضيها هــذا الحكم ، إذ انعقد رأيها على أن للفلسفة الاسلامية كياناً خاصاً يميزها من مذاهب أرسطو ومفسريها ، بل من الآراء الهندية والفارسية ، لأن فيها ثمرات من عبقرية أهلها — وإذا كان قد وجد من يقول كأرنست رينان فى كتاب ابن رشـد ومذهبه : « ومن عجائب القدر أن هذا الجنس — السامى — الذى اســـتطاع أن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع القوة فى أسمى درجاتها لم يثمر أدنى بحث فلسفى خاص ، وما كانت الفلسفة قط عند الساميين إلا اقتباساً صرفاً جدياً وتقليداً للفلسفة اليونانية » أو شملدير القائل فى رسالة له فى المذاهب الفلسفية عند العرب : « لا نستطيع أن نذكر قط فلسفة عربية على الوجه الدقيق لما = = يفهم من هذه العبارة كما نذكر فلسفة يونانية أو ألمانية ... ومهما ذكرنا هذه العبارة فاننا لا نريد شيئا غير الفلسفة اليونانية كما فهمها العرب » إذا كان قد وجد من يذهب إلى هذا فقد وجد المنصفون من مؤرخى الفلسفة الاسلامية فى الغرب أمثال جوستاف دوجا القائل فى كتابه : ( تاريخ الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين ) : « وما أسوق إلا شاهداً واحداً : فهل يظن ظان أن عقلا كعقل ابن سينا لم ينتج فى الفلسفة شيئاً طريفاً وأنه لم يكن غير مقلد لليونان ؟ وهل مذاهب المعتزلة والأشعرية ليست ثماراً بديعة أنتجها الجنس العربى ؟ » أو ليون جوتييه القائل : « إن الفلاسفة الاسلاميين لم يألوا جهداً فى القيام بواجبهم من هذه الناحية — التوفيق بين الفلسفة والدين — وقد أبدوا فى ممارسـتهم على ما فيهم من دقة وعناية خصالا منقطعة النظير ، ونفاذاً وبعد نظر ، ورأيهم فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال هو معقد الطرافة فى هذه الفلسفة اليونانية الاسلامية »

قد خفتت صيحة العصبية الدينية والجنسية فى أواخر القرن التاسع عشر حتى إذا أقبل القرن العشرون كاد أن ينعقد الاجماع بين مؤرخى الفلسفة فى الغرب على أن الفلسفة الاسلامية قد كملت نقص أرسطو بتوضيح نظرية الامكان على نحو ما أبانها هورتن الألمانى

استعنت فى هـــذا التعليق بمحاضرات أســتاذنا الجليل فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق لطلبة الفلسفة بالجامعة المصرية فى السنة الدراسية ١٩٣٢ — ١٩٣٣ : وهى لم تطبع بعد ( المعرب )

(١) ومن المؤلفين الاسلاميين الذين يذهبون إلى هذا الرأى الشهرستانى الذى يقول فى الملل والنحل : « قد سلكوا — أى الفلاسفة الاسلاميون — طريقة أرسطاطاليس فى جميع ما ذهب إليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى أفلاطون والمتقدمين عليه » — ويقول ابن خلدون فى =

وما كان التعلل بالعلم ليخدع المسرفين فى التعصب للقرآن وسنة النبى . فكانت الأبحاث العقلية المجهولة للعرب فى عصر الرسول تاقى استنكاراً شديداً كما كان الذين يدخلون فى الاسلام بدعة يستمدونها من مصدر أجنبى معرضين لهذا النوع من الاستنكار ، وكانوا يقولون إن الفلسفة « حكمة مشوبة بالكفر » — واذا استعرضت أسماء المؤلفات ككتاب : عرض لمخازى الاغريق ومنهل للحكم الدينيـة — وكتاب البرهان الحسى على تفنيد الفلسفة فى القرآن [١] عرفت ما تتضمنه الكتب مما يؤيد ما نقول — وثمة حكاية متداولة عن فيلسوف معروف عدل عن آرائه وهو على فراش الموت ، وكانت آخر عبارة قالها : صدق الله العظيم وكذب ابن سينا

ومن الحق كذلك أن نذهب إلى القول بأن ما أضافه العرب من الثقافة الانسانية إلى تراث من سبقهم من المفكرين لم يكن كبير الشأن ملموس الأثر . وبالرغم من هذا ، ومع أننا على يقين من أن ما خلفته الحضارة الاسلامية لا خطر له ، أوليس أكثر مما ورثته عن غيرها من الحضارات ، فليس من العدل فى شىء أن ننكر عليها توصلها إلى الجمع بين الأفكار الفلسفية على نمط مميز لها ، تلك الأفكار التى عزاها علماء المسلمين إلى أنفسهم

وإنه لمن الظلم البين أن نحقر من شأن الشغف فى طلب العلم من أجل العلم ، ذلك الحماس الذى كان يتقد فى صدور جموع غفيرة من الناس فى رحاب الدولة الاسلامية المترامية الأطراف

وفى الحق أن لعبارة « الفلسفة العربية » معنى معيناً عند المستشرقين [١] ، فهم يعرفون أن بين العرب الخلص الدم واحداً فذا هو « الكندى » قد امتاز بطول باعه فى المسائل الفلسفية ، ولكنهم يعرفون — إلى جانب هذا — أن ذلك الخليط الغريب الذى يغلب عليه التنافر — والذى ائتلف من الأرسطاطالية والأفلاطونية الحديثة ، وسلم به أكبر الفلاسفة المسلمين كتفسير معقول للكون — يعتبر عربياً قبل كل شىء وإن لم يكن إسلامياً ، لأن أكبر زعمائه كثيراً ما كانوا مسلمين بالاسم أو زنادقة جهروا بذلك جهراً أدى إلى ضياع حياتهم أو فقدان حرياتهم

ولو أن العرب كانوا برابرة كالمغول الذين أطفأوا جذوة العلم فى الشرق إطفاء لم ينبعث من بعدهم ألبتة — وقد لا ينبعث أبدا بسبب ضياع دور الكتب وفقدان الآثار الأدبيـة — لو أنهم كانوا كذلك ، لتأخر عصر الأحياء عن موعده فى أوربا أكثر من قرن

وليس من شك فى أن حياة طالب العلم قبل عهد الطباعة كانت تفيض دائماً بالضجر واليأس ، وكان مألوفاً عند الكثيرين من طلاب العلم أن يقوموا فى طلبه برحلة يقطعون فيها ألف ميل أو يزيد فى سبيل البحث عن معلم يتلقنون عنه العلم . ولبثوا يقاسون هـذه المشقة حتى العصر الذى قامت فيه الجامعات الاسلامية — بل إلى ما بعـد هذا العصر — وقد قام الشبان برحلات طويلة من الأندلس إلى مكة أو من مراكش إلى بغداد ، تاركين دورهم وهم خالو الوفاض أملاً فى التتلمذ لأستاذ يصادف اختيـارهم

* * *

ولعل فى وسعنا الآن أن نقول كلمة فى نشأة الجامعات الاسلامية : فأولاها هى المدرسة النظامية المعروفة ببغداد ، وقد قام بتأسيسها نظام الملك صديق عمر الخيام ووزير السلطان السلجوقى « ألب أرسلان » سنة سبع وخمسين وأربعمائة للهجرة ، أى فى العام السابق للفتح النورماندى لانجلترا [٢] . ثم قامت

= مقدمته : « ثم كان من بعده — أى أرسطو — فى الاسلام من أخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل إلا فى القليل النادر » — ومن الفلاسفة المتصوفة الذين ذهبوا إلى هذا الرأى ابن سبعين فى تصويره لابن رشد والفارابى وابن سينا والغزالى ( أنظر كتاب الأستاذ ماسينيون : مجموع نصوص لم تنشر متعلقة بتاريخ التصوف فى بلاد الاسلام . على أن من الانصاف أن نقول إن بين الفلاسفة الإسلاميين فلاسفة على الحقيقة كانت وجهتهم أن يشيدوا هيكلاً فلسفياً يقوم على قواعد مما محصه النقد وترفع أركانه بما عملته أيديهم وما كسبوه من غير اليونانيين ، وقد أبان عن هذا ابن سينا فى مقدمته لكتاب « منطق المشرقيين » طبع المطبعة السلفية . استعنت فى هذا التعليق بالمحاضرات التى أسلفت الاشارة إليها فى التعليق السابق ( المعرب )

(١) ترجمت العنوانين بعد أن حاولت الاهتداء إلى نصهما فى العربية فلم أوفق . وقد اتصلت بالأستاذ « جيوم » — مؤلف هذا الفصل — فى انجلترا لعله يهدينى إلى معرفة النص الصحيح . فقال فى رسالته إلى : إنه كان يكتب للقارىء الغربى الذى يجهل العربيـة ، ولو أنه كان يكتب للمستشرقين أو للناطقين بالضاد لاهتم بذكر جميع أسماء المصادر والكتب التى أشار إليها فى بحثه ( المعرب ).

(١) كما أن لها عند غيرهم معنى معيناً : قارن Keicher's monograph Ravmundus Lullus und Seine Stellung zur arabischen Philosophie

(٢) جاء فى الجزء الثانى من ضحى الإسلام للأستاذ الجليل أحمد أمين أن الذهبى قد ذهب إلى أن نظام الملك كان أول من أنشأ المدارس : فبنى مدرسة ببغداد ، ومدرسة ببلخ ، ومدرسة بنيسابور ، ومدرسة بهراة ، ومدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ، ومدرسة بمرو ، ومدرسة بآمل =

بعد ذلك بقليل جامعات أخرى فى نيسابور ودمشق وبيت المقدس والقاهرة [١] والاسكندرية وغيرها من البلدان ، وكثيراً ما قامت فى مدن اشتهرت بالعلم قبل قيام الاسلام كما سيأتى ذكر ذلك بعد

---

= طبرستان ، ومدرسة بالموصل ؛ حتى قيل إن له فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة ، ولكن بعض المؤرخين كالسبكى والسيوطى قد ردوا عليه هذا الرأى وقالوا إن المدرسة البيهقية بنيسابور قد أنشئت قبل أن يولد نظام الملك ، وأن المدرسة السعيدية بنيسابور قد بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود

وقد قرأت فى المقريزى (فى الجزء الرابع من خططه طبعة عادية) : « والمدارس مما حدث فى الإسلام ، ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة ، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة فى الاسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية ، وبنى بها أيضاً الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أيضاً المدرسة السعيدية ، وبنى بها أيضاً مدرسة رابعة . وأشهر ما بنى فى القديم المدرسة النظامية ببغداد لأنها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم ، وهى منسوبة إلى الوزير نظام الملك ... وشرع فى بنائها فى سنة سبع وخمسين وأربعمائة وفرغت فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، ودرس فيها الشيخ أبو إسحاق الشيرازى الفيروزبادى صاحب كتاب التنبيه فى الفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه ، فاقتدى الناس به من حينئذ فى بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفى بلاد الجزيرة وديار بكر »

(١) الذى أعرفه أن الأزهر قد أنشأه جوهر الكاتب الصقلى بعد عام من فتح الفاطميين لمصر ، إذ تم بناء القاهرة فى رمضان سنة ٣٦١ هـ وفتح الجامع الأزهر للصلاة فى الشهر نفسه من العام ذاته (وهو يوافق يونية — يولية سنة ٩٨٢ م) وسرعان ما نشأت صفته الجامعية فى ظروف عرضية ولم تلبث أن استقرت بعد ذلك وتأثلت ، وقد لاحظ الأستاذ محمد عبد الله عنان أن الوزير العلامة ابن كلس — الذى كان أيام العزيز بالله — كان له أثر كبير فى إسباغ هذه الصفة العلمية على الأزهر ، وذكر من بين الأساتذة الذين كانوا فى مقدمة من تولى التدريس والإقراء بالأزهر منذ إنشائه بنى النعمان قضاة مصر ، وكان القاضى أبو الحسن على بن النعمان أول من درس بالأزهر ، وقد عقد أول حلقاته فى صفر سنة ٣٦٥ وقرأ فيها مختصر أبيه فى فقه آل البيت . وجاء فى كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر أن أول من أقام الدرس بمعلوم هو العزيز بالله ابن المعز ، وأن فى سنة ٣٧٨ سأل الوزير أبو الفرج يعقوب الخليفة العزيز بالله أبا منصور نزار فى صلة رزق لجماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم ، وبنى لهم مسكناً إلى جوار المسجد وأمدهم الوزير من ماله بصلات فى كل عام ، وكان عدتهم خمسة وثلاثين فقيهاً ، وأن فى سنة ٣٨٠ رتب المتصدرون لقراءة العلم بالأزهر . ولكن الأستاذ جيوم ينص على أن الجامعات قد نشأت فى القاهرة بعد المدرسة النظامية التى نشأت سنة ٤٥٧ أى قبل الفتح النورمندى (١٠٦٦ موقعة هستنجس Hastings) بعام واحد — على أن ما أسلفت ذكره يبرر القول بأن القاهرة قد عرفت الجامعات فى الأزهر قبل نشأة المدرسة النظامية بما يقرب من قرن من الزمان

من (الكتاب الذهبى) قبل أن يطبع

# لغة الأحكام والمرافعات

تتمة

للأستاذ زكى عريبى

— ٦ —

أنشئت المحاكم الأهلية سنة ١٨٨٣ فلم يزل عهد الركاكة دفعة واحدة . صحيح أنك لم تعد تطالع « هذا المرأة » و « ثلاث الرجل » و « هؤلاء الشخص » و « منه ينفهم » و « لذا وكون ماذكر » و « من حيث ليس » و « ما تورى » و « سبوق المخاطبة » و « تحت الأهمية » و « كون من سابقة التحقيق » و « كون من ذا يتضح » و « كان جارى المشاجرة » ، لم تعد تطالع هذا وأمثاله ، ولكنك تقع على لغة ما زالت سقيمة معتلة كلغة هذا الحكم الصادر من محكمة الجنايات الاستئنافية سنة ١٨٨٧ ، قال يروى وقائع الجريمة :

« وكان عند القتيل قبلاً واصف أغا متبنيه وجاعلاً له نصيب فى بعض ملكه ، ثم كرهه وطرده واستبعده من المنزل قبل الواقعة بشهر وكان فيروز أغا مدخراً فى منزله أمتعة ذات قيمة ، فواصف وعبد الله وخديجة المذكورة عملوا على قتله باتفاق بينهم ، وفى الليلة المعهودة توجه واصف أغا إلى المنزل وكان فيروز أغا خارجاً عنه وكمن فى السطح بواسطة خديجة حتى حضر فيروز أغا وكانت خديجة فى صالة معتاد نومها فيها وعبد الله معد له محل بالحوش وفى آخر الليل اجتمع الثلاثة على بعضهم ودخلوا على فيروز أغا وأعدموه الحياة »

إلى أن قال يورد الأدلة على سبق الاصرار ويشير إلى النصوص :

« ومنها اعترافه (أى القاتل) أن خديجة كانت تشترى له ملابس وتناوله نقود من مصروف الأغا على أمل الأغا سيزوجها وهذا يفيد سبوق سعيه فى إعدام الأغا

وحيث أن هذه الأدلة قد أثبتت على عبد الله السودانى التعمد وسبق الاصرار والتربص على قتل فيروز أغا بالأسباب المذكورة

صار عبد الله يستحق العقاب بالقتل عملاً بالمادة ٢٠٨

وحيث أن من يحكم عليه بالاعدام يشنق

وحيث أن باقي المتهمين مثبوت اشتراكهم في السرقة باعتراف اثنيهم »

وهاك ما يقوله حكم مدني ابتدائي صدر في السنة عينها (صحيفة ٢٥٠ حقوق) يردد ما جاء في صحيفة الدعوى

« وحيث أن حالة المرض الذي اعترى المدعي لا يمكن شفاه قطعياً وأن بمينه اليمنى غطاطه وأن علته من الجسيمة ولا يمكن أن يؤدي أشغاله بالبرى ، ولما كان قضى حياته في خدمة الحكومة وأفقد بصره في أثناء تأدية خدماته كان من باب العدالة أن يربط له معاش »

على أن المحكمة لم تكن أفصح عبارة فيما رأته من « أن المدعي يمكن معالجته واستحصاله بعدها على كمية من النظر »

بل انظر ماذا تقوله محكمة الاستئناف « في الأودة المدنية والتجارية » :

« من حيث أن الأعمال المدعي باجراها سلامة بك (المدعي) في المدة المذكورة هذه ليست أعمال مستجدة صار تكليفه بها بل إنها استعلامات واستفهامات ويجب عليه في كل الأحوال استبقا تلك المأمورية في يوم اخلاه منها

« وأن سلامة بك أجرى مناظرة المهمات المذكورة

« ولهذا توضح للبيك الموما اليه بتلك الافادة بأنه يعلم مسألة تلك الرسوم وأنه يلزم إعطا أفكاره فيما تطلبه مصلحة السكة الحديد وهذا لا يعد عمل جديد

« وحيث أنه لما علم للحربية بناء على طلب سلامه بك قررت اللجنة بتعيين واحد كاتب بماهية شهري ١٢٠٠ قرش

وحيث بناء على هذه الأسباب يتعين لنو الحكم الابتدائي »

وفي السنة عينها نشرت مجلة الحقوق بحثاً في « الاقتصاد المدني » ؛ ولكن بوادر لغة سليمة بدأت تظهر وسط هذا الضعف كتلك التي يشرح بها هذا الحكم الصادر من إحدى المحاكم الابتدائية عدم قابلية بعض الالتزامات للانقسام

« فلنبحث الآن عن ماهية التعهد غير القابل للانقسام فنجد أنهم عرفوه بقولهم هو ما كان موضوعه شيئاً أو عملاً لا يمكن الوفاء به مقسما وقت تكوين العقد . وقد قسم العلامة ديمولان الشهير التعهدات غير القابلة للانقسام إلى ثلاثة أنواع : النوع الأول عدم الانقسام الناشيء عن العقد وهو المعبر عنه بعدم الانقسام الطبيعي أو المطلق أو الضروري . . .

فيظهر جلياً أن عدم الانقسام هذا هو اضطراري وخارج عن ارادة المتعاقدين لأنه ليس في وسعهم وقدرتهم تغيير ماهية وطبيعة الأشياء »

* * *

ثم طفرت لغة المحاكم طفرة سعيدة وظهر التحسن واضحاً ملموساً في العشر السنوات التالية على يد فحول غذى بهم القضاء الأهلي بعد سنة ١٨٩٠ . أنظر إلى هذه الدائرة بمحكمة الاستئناف كيف أصبحت تكتب برياسة حامد محمود وعضوية قاسم أمين ودوهلتس (حقوق سنة ١٨٩٦)

« وحيث أن القاضي بتخطيه هذه الحدود (أي حين يتخطى القيود الموضوعة في قانون تشكيل المحكمة) صار عديم الصفة في الفصل وأصبح كأنه في بلد أجنبي . ومتى انعدمت صفة المحكمة في الفصل لا تكون أحكامها أحكاماً ولا قضاتها قضاة ، وإنما يكونون كأفراد فصلوا فيما رفع إليهم وصاغوا فصلهم في قالب الأحكام . وإن كان ذلك في استطاعتهم فليس في وسعهم أن يمنحوها من عندياتهم ما حرمه الشارع من القوة »

وما أجمل هذا الايجاز في بيان موضوع النزاع المطروح على دائرة أخرى (دائرة أحمد عفيفي وسعد زغلول وكوريت) :

« حيث أن نقطة النزاع في هذه الدعوى هي من هو ملزم بدفع مبلغ المائة وثمانين جنيهاً إلى الخواجه سكوبو ، هل تكون الست نفيسة ملزمة أو الشيخ أحمد الحكيم أو الاثنان معاً ؟ وفي الحالة الأخيرة : هل تلك اللزومية بالتضامن أم لا ؟ »

* * *

ومضى الرقي في طريقه بعد ذلك غير وان ولا متردد ، فساير سمو الأسلوب نضوج الفكر ، واكتشفت أو نحتت ألفاظ عربية كثيرة لتؤدي معاني فقهية حديثة ، وغمر سيل هذه النهضة المباركة دور المحاكم كلها لا فرق بين جزئية وابتدائية واستئنافية . ثم جاءت محكمة النقض في العهد الأخير فطبعت لغة الأحكام بطابع جليل ممتاز جمع إلى دقة الأداء رشاقة اللفظ وجمال الأسلوب

لسنا نبالغ ولا نلقى القول بغير دليل . « وعلى من مارى — كما يقول رئيس محكمة النقض الجليل فى خطبته الخالدة — أن يقرأ فانه لا رأى لغير مطلع عليم »

وإن المطلع العليم ليحار أى زهر يقتطف وسط هذه الجنة الفيحاء . لقد طغى تيار الاجادة فاكتسح بقايا العجمة وضآلة التعبير وأصبحنا حتى فى القضايا البسيطة أمام أحكام حبك نسجها وأشرقت ديباجتها . اقرأ هـذا الحكم لقاض جزئى فاضل (اسكندر حنا) يقرر فيه القواعد التى يجب على سائقى السيارات مراعاتها إذا ما اقتربوا من تقاطع شارعين ، ويتحدث عن ماهية هذه القواعد قانوناً :

« وحيث أن المدعى المدنى يقول إنه كان سائراً فى شارع رئيسى ومن حقه أن يأمن السير فيه ولا يعكر عليه أمنه السيارات الخارجة من الشوارع المتقاطعة فواجبها ألا تخرج إلى الشارع الرئيسى إلا بعد الاستيثاق من خلوه

وحيث أنه ليس فى اللوائح أو الأوامر الادارية تقسيم الشوارع بين رئيسية وفرعية وما هى إلا قواعد أوحى بها العقل ، فتواضع الناس على العمل بها اتباعاً لما تقضى به مصالحهم وما يستوجبه ضمان أرواحهم أثناء سيرهم فى الطرق العمومية وتنظيمها لمرورهم ... والواجب يقضى على من يقود سيارة فى شارع متقاطع مع شارع رئيسى أن يتحقق قبل محاولة اجتيازه من خلوه أو من إمكانه المرور فيه قبل أن تدركه السيارات السائرة فيه ، ولكن ليس معنى ذلك أن السائق الذى يسير فى شارع رئيسى يتهاون فى قيادته إلى حد الخطأ أو الاهمال ، فانه يتعين عليه أن يكون شديد الحذر كلما اقترب من نقطة التقاطع وأن يخفف من سرعة سيارته اجتناباً للمفاجآت التى قد تحصل على غرة »

بيان كامل لما احتواه رأس الكاتب من فهم صحيح لقواعد السير ، خطته براعة مالكة لناصية الألفاظ تضعها حيث يجب أن توضع فى أسلوب سهل وشيق

واقرأ هذا الحكم للقاضى « حسن جاد » فى قضية رفعها رجل على شريكه فى الجريمة بطلب استرداد ما دفعه إليه ثمناً لاشتراكه ، ووجد القاضى نفسه أمام رأيين فقهيين لكل منهما أنصاره ومخالفوه . أنظر كيف يؤيد الرأى الذى اختاره لنفسه تأييد أديب بارع :

« وحيث أن المدعى عليه دفع بعدم قبول الدعوى قولاً منه بأن استرداد المبلغ على فرض حصول دفعه أمر غير جائز لأن الدفع إنما حصل تنفيذاً لارتكاب جريمة يعاقب عليها القانون

وحيث أن هذه المسألة وإن اشتد الجدل وكثر التحاور واختلفت الآراء وتناقضت الأحكام بشأنها ، إلا أن المحكمة ترى رجحان المذهب القائل بجواز الاسترداد . لا لأنه هو المذهب السائد المتغلب بين الشارحين والمحاكم فقط ، بل لما فيه من مزايا وما فى عكسه من آفات

وتعليل ذلك ظاهر لأن فى اعتماد الدفع إقراراً للمحظور وتشجيعاً للفاجر على فجره . دع أن القانون نفسه لا يرتب أثراً للعقد القائم على سبب غير مشروع ، ولا يمكن أن تفهم هذه القاعدة وتدرك حكمتها إلا إذا محوت أثر التعاقد وعاد ما كان إلى ما كان

ذلك خير من الرأى القائل بأنه لا ينبغى مساعدة أى من طرفى التعاقد لأنه ليس لمن خالف القانون أن يستعين بالقانون ليحميه . ذلك بأن أصحاب هذا الرأى وهذه حجتهم لم يعبأوا بما يترتب على المنع من معاملة القابض على السحت معاملة أخف وأصلح من معاملة القابض على الحلال . بل إن هذه الحجة قد تلتوى على أصحابها فى بعض الأحوال ويكون من نتائجها أن تتفاوت المعاملة بين العاقدين فيحل لأحدهما ما يحرم على الآخر

هذا من الوجهة القانونية . وأدب النفس يقضى بأن ما خرج عن النظام العام يجب إرجاعه اليه ؛ ولما كان تنفيذ العقد الباطل خروجاً عن النظام وجب إلغاء التنفيذ ورد الحالة إلى ما كانت عليه قبله . ومن مصلحة المجموع أن يعلم سلفاً كل مقدم على مباشرة عقد باطل أنه لا يملك تنفيذ العقد بل ولا يملك الاحتفاظ بما تم لمصلحته تنفيذاً للتعاقد »

لغة ممشوقة تحبب إليك لو كنت من قضاة الدرجة الثانية البحث فى الدعوى وتصور لك قاضى الدرجة الأولى رجلاً له قيمته فلا تقبل على هدم حكمه إن أردت الالغاء إلا بحذر واحتراس

وهذا قاض ثالث — مصطفى مرعى — يجيد كتابة الأحكام على حداثة عهده بالقضاء . أنظر كيف انقلب قلم الذكرات الجامح براعة متزنة هادئة تتخير لكل لفظ موضعه ولا تتزيد فى الأسباب حرفاً . أنظر اليه يطبق قاعدة أن العبرة فى العقود بمعانيها لا بمبانيها :

« وحيث أن الطعن الثانى الذى وجهه المدعى للعقد يتطاب

البحث فيما إذا كان العقد المذكور قد استوفى شروط البيع فيكون ملزماً للبائع أو هو لم يستوف هذه الشروط خلافاً لظاهره فيكون هبة أو وصية يسترها بيع

وحيث أن المحكمة عند إجراء هذا البحث لا تستطيع أن تنظر إلى العقد فى ظاهره دون أن ترجع إلى الظروف التى أحاطت بالمتعاقدين ، لأن العبرة فى وصف العقود بالحقيقة التى قصدها المتعاقدون لا بالصورة التى تدل عليها الألفاظ والنصوص . كما أن المحكمة لا تستطيع أن تنظر إلى العقد المذكور مستقلاً عن الورقة الأخرى التى استصدرها الوالد من ابنه على طول المدة التى تقرب من سنة بين تاريخ العقد وتاريخ الورقة سابقة الذكر لأن تحرير هذه الورقة معناه أن المتعاقدين أرادا أن يكملا بها العقد بحيث يصبح منه جزءاً لا ينفصل ، أو تكون معه كلا لا يقبل التجزئة »

تلك نماذج للغة الأحكام فى يومنا الحاضر أتينا بها على سبيل التمثيل لا الحصر ، فان مجموعات الأحكام زاخرة بثمار قرائح خصبة وأقلام مواتية

« وعلى من مارى أن يقرأ فانه لا رأى لغير مطالع عليم »

وحدث ولا حرج عن أحكام محكمة النقض والابرام فى عهدها الحاضر . ارجع إلى أى حكم تقع عليه يدك من أحكام دائرتيها . اقرأ ما شئت بلا تمييز تقرأ أدباً عالياً قد أسبغ على قضاء المحكمة العليا ما كان يجب له من روعة وجلال

لسنا نحاول هنا تحليلاً لهذه الناحية من أدب العصر ، ولكن من ذا يملك أن يمر دون أن يقف وقفة إعجاب وطرب على مثل هذا القول لمحكمة النقض ترسم به حدود حرية النقد :

« وبما أن ما ذهب اليه الحكم المطعون فيه من أن العرف جرى على المساجلة بالعبارات الحماسية والأساليب التخيلية وألفاظ التهويل والمبالغة والتحذير والترهيب لمجرد التأثير على النفس وحملها على التصديق فى الشؤون التى ليس من المستطاع حمل الناظر على تصديقها بالطرق البرهانية الهادئة . هذا الرأى لا تجيزه محكمة النقض والابرام ، بل إنها تصرح بأن فيه خطراً على كرامة الناس وطمأنينتهم وتشجيعاً للبذاءة ودنس الشتائم . والحقيقة ليست بنت التهويل والتشهير والمبالغة والترهيب بل بنت البحث الهادىء والجدل الكريم . وإذا كان لحسن النية مظهر ناطق فانه الأدب فى المناظرة ، والصدق فى المساجلة »

بل انظر إلى لغة هذه العاطفة الجياشة تجلجل بحق الانسان إذا عذبه انسان لا فرق لدى حارسة القانون بين رجل ورجل :

« وبما أن هذه المعاملة التى أثبتت المحكمة أن المجنى عليه كان يعامل الطاعنين بها هى إجرام فى إجرام ، ومن وقائعها ما هو جناية هتك عرض يعاقب عليها القانون بالأشغال الشاقة . وكلها من أشد المخازى إثارة للنفس واهتياجاً لها ودفعاً بها إلى الانتقام . ولو صح أن المأمور كان يطلب نوم الطاعنين بمركز البوليس كما يقول الشاهد الذى اعتمدت المحكمة شهادته ، وكان هذان الطاعنان يتخوفان من تكرار ارتكاب مثل هذه المنكرات فى حقهما كما يقول وكيل أحدهما فى تقرير الأسباب وفى المرافعة الشفهية ، فلا شك أن مثلهما الذى أوذى واهتيج ظلماً وطغياناً والذى ينتظر أن يتجدد إيقاع هذا الأذى الفظيع به — لا شك أنه إذا اتجهت نفسه إلى قتل معذبه فأنها تتجه إلى هذا الجرم موتورة مما كان ، منزعجة واجمة مما سيكون ؛ والنفس الموتورة المنزعجة هى هائجة أبداً لا يدع انزعاجها سبيلاً إلى التبصر والسكون حتى يحكم العقل هادئاً متزناً مترويا فيما تتجه اليه الارادة من الأغراض الاجرامية التى تتخيلها قاطعة لشقائها . ولا شك بناء على هذا أن لا محل للقول بسبق الاصرار ، إذ هذا الظرف يستلزم ألا يكون لدى الجانى من الفرصة ما يسمح له بالتروى والتفكير المطمئن فيما هو مقدم عليه »

## نظرة الى الأمام

والآن وقد استدبرنا حياة اللغـــة القضائية كما كانت ، واستعرضنا بعض الأدلة القائمة على نهضة حالية لا تنكر ، نود لو استطعنا أن نزيح طرفاً من سجف المستقبل فنطل على ما يعده الزمن لهذه اللغة الكريمة العزيزة

كأنى بها وقد راق لها الجو وانبسط أمامها ميدان العمل فسيحاً غير محدود ، كأنى بها وقد استولت على مشاعر جيل جديد ممعن فى الأدب وثقافة العصر ، فراح يفكر فيها ويكتب ويؤلف ، وكأنى بهذا الجيل وقد ضرب بسهم فى جهود البشرية نحو الكمال ، وكأنى بمصر وقفت على قدميها فى طليعة العالم العربى تبادل الغرب ثقافة بثقافة وتبيعه علماً بعلم

لست بحالم . إنى أرى هذا اليوم رأى العين !

( تم البحث ) زكى عريبى

# ٢ - نهضة المرأة المصرية

## وكيف نوجه للخير العام

للأستاذ فلكس فارس

نحن فى الشرق ، وما أعنى سوى الشرق العربى ، مجلى ثقافتنا وقوميتنا ، لا يهمنا سوى إيجاد الطفل ، ولم نزل مسيرين بعقلية القبائل الغازية فنطمح الى ايجاد الأطفال دون مبالاة بما تؤثر منابتهم عليهم

إن خير ما تستثمر به المرأة للخير العام إنما هو استثمارها أطفالاً يصلحون لتكوين الأمة القوية أجساماً والسليمة عقولاً ، وما النهضة المتجلية بين العدد القليل من بنات الشرق بالنهضة التى يصح أن نراها نهضة عامة متغلغلة فى قلب الشعب نفسه ؛ فالمجتمع لم يزل فى الشرق العربى بأسره يتبع الافراط والتفريط فى تكوين الأسرة ، فالمرأة عندنا اثنتان : ضحية استبداد الرجل ، وضحية الضلال والغرور بنفسها لضعف الرجل إزاءها

ليس لنا إلا إلقاء نظرة على ما حولنا ليأخذ بصرنا مشهدين هما مقتل الأمة وعلة دمارها

المشهد الأول : شاب يفتش عن فتاة لتكون أماً لبنيه ، قيل له إن فى إحدى الأسر الشريفة فتاة بيضاء اللون أو سمراء ، واسعة الأحداق طويلة القامة فاتنة ساحرة فسعى فى أثرها متوسلاً الى أهلها بكفاءته ، فأصبح زوجاً للمجهولة ، نكرة ضمت الى نكرة . . . . فلا يطول الزمن حتى يظهر التنافر الخفى الكامن فى الفطرتين فتبدأ المآسى التى تختتم على الأغلب باهداء المجتمع أطفالاً تيتموا وآباؤهم وأمهاتهم لا يزالون على قيد الحياة . وهنالك الأسر المتعددة لرجل واحد امتنع عليه العدل المشروط فأهدى المجتمع الأخوة الأعداء ، وما يبر بابيه من كان لأخيه عدواً . . .

المشهد الثانى : فتاة فى ربيع الحياة ، مقصوصة الشعر ، غلامية تصادر وتباطن أى رجل كان ، مهتوكة الستر ، محولة هيكل الانسانية الى مهبط غواية وطيش ، إن لم يتجاوز عدد مراقصيها المئات ، عدت مقصرة فى ميدان الثقافة ، متأخرة فى حلبة الحضارة والارتقاء ، لا يصل قلبها الى من تقف عنده وتختاره زوجاً لماله أو لجاهه إلا بعد أن يكون هذا القلب قد تقطعت أعشاره خفوقاً ، فهى إذ ذاك كالنعجة التائهة راجعة الى حظيرتها بعد أن تركت قطعاً من صوفها ، وقد تكون تركت قطرات من دمها على أشواك الطريق ...

هى فى بيت الزوج لنفسها أولاً ، وكل غيرة تبدو منه إنما تتجلى لديها كفراً بالتمدن وتقهقراً معيباً ، تعودت أوتار قلبها أن تشد جواباً لكل قرار ، فهى تدفع بالايقاع الموقت مرافقة رنين أى وتر تستعذب نغماته ، روحها شاردة مضللة ، فهى منبت أطفال يأتون الحياة مروعين ، فى أعصابهم تشوش ، وفى أدمغتهم اختلال . . .

هذه خطوط كبرى لرسوم تمر مشاهدها أمامنا كل يوم فى هذه البلاد الشرقية ، وهذه المشاهد هى مركز العلة فينا ومصدر كل ما نشكو من تأخر وانحطاط

إن سيادة الرجل على المرأة لا تعنى قتل الحوافز الطبيعية لتضليل الانتخاب الخفى وفيه سر تحسين الأنسال ، كما أنه لا يعنى استضعاف الرجل أمامها لتجعل نفسها ملهاة وألعوبة بين أيدى الفاحشين من الرجال

لقد ادخلت مدنية الفرس على الحضارة العربية بدعاً لابد من التحرر منها ، وجاءت المدنية الغربية تستهوى مجتمعنا بما اتضح زيفه لدى مفكرى الغرب أنفسهم لخروجه عن المحور الطبيعى للحياة ، وهذا الذى يراه أنصار الطفرة خليقاً بالاعجاب من حرية المرأة ، المتطرفة ، إن هو فى نظرنا إلا عنوان عبوديتها وذل الرجل المتساهل فيها

إن آدم وحواء أخرجا من الجنة وكل منهما حامل ناموس حياته ، وسواء أكان ما جاء فى التوراة تاريخاً حقيقاً للمؤمنين أم كان أسطورة خيالية لغيرهم ، فان المفكر ليجد فيه النظام الذى لا تستقر الانسانية على سواه

لقد تمردت المرأة فى العالم الحديث على وظيفتها الطبيعية وصاح كثيرات من الكاتبات فى وجه الدنيا قائلات : لا نريد أن يحسبنا الرجل آلة للاستيلاد ، نحن مساويات له فى مجال التفكير والعمل . وكهربت هذه الكلمات أعصاب العدد الأوفر من النساء فتمردن على الأمومة واندفعن مطالبات بالعمل الحر استناداً إلى مبدأ الشخصية قبل النوع ؛ وهكذا نشأ العراك بين

الرجل والمرأة فى ميدان الأعمال وفى مجال الحقوق والواجبات

إن الطبيعة نفسها قد قسمت العمل بين الرجل والمرأة فألصقت كفه بالمحراث وألصقت صدرها بالمهد . فحسبت المرأة أن فى موضعها كل العبودية ، وخيل لها أن فى مركض جهود الرجل كل الحرية ، فساخت صدرها عن مستقر الطفل واندفعت إلى المحراث ، فتعطل الحرث العميق فى الأرض منابت القوت ، وساد الظلام على البيت منابت الأطفال

إننا نسمع المعترضات يصرخن قائلات : إننا لا ننازع الفلاح محراثه ، بل ننازع الرجل حقنا فى الاشتراك فى الأعمال التى تقوم المدنية عليها ؛ نريد التغلغل فى دوائر الحكم والادارات والمصالح فان الله لم يحرمنا القوة الفكرية التى جاد بمثلها على الرجل . ونحن نجيب السيدات بحقيقة إن أنكرها العاملات منهن كنّ كاذبات مكابرات ، فنقول وهل هذه الأعمال كلها على اختلاف مظاهرها سوى محراث يحتك بالأرض القاسية وهو يرتوى بعرق العبودية والشقاء ؟ أليس الرجل فى الحكم والادارة والتجارة والصناعة مرتبطاً بمحراث العبودية لهذا التراب يعالجه لاستخراج الخبز بعرق الجبين ؟ وهل الأم تملأ البيت نوراً وحكمة وشعراً مستندة إلى ذراع زوجها ومنحنية على سرير طفلها أقل مجداً أمام الحياة من أكبر رئيس لأعظم مصلحة من مصالح الشعوب ؟

ليس فى العالم رجل عامل ، أيا كان عمله لا يخضع إرادته لمن فوقه ولمن حوله ، بل ولمن دونه فى مراتب الهيئات العاملة ، فليس ما تتوهمه المرأة حرية فى أعمال الرجال إلا عبودية لهم . على أنه إذا تسنى للرجل أن يحتفظ بشيء من الكرامة لنفسه فى هذه العبودية ، فانه ليمتنع على المرأة ألا تصطدم فى مواقفه باهانات أخف منها أثقل ما يمكن أن يلحقها من القيمين عليها ، آباء أو إخوة أو أزواج

لقد كان حق المرأة فى جميع العصور تابعاً لحق الرجل وهو يسود عليها ، إلى أن طرأ على أوروبا انقلابها المعروف فى بداية القرن التاسع عشر ، فنشأ فى المجتمع حق جديد غريب فى عناصره ، هو حق المرأة منفصلاً عن حق الأسرة التى يرأسها الرجل ، وهكذا شاهدت الشمس ما لم تشهد مثله فى أى عصر من العصور الغابرة : شاهدت النوع البشرى منشقاً إلى فريقين متناظرين يتطاحنان فى الميادين العامة ، بعد أن كان هذا النوع البشرى إنساناً واحداً من جسدين مندغمين ينبثق من اندغامهما فجر الحياة

أما منشأ هذا التطور فانقلاب خطير لم يصور فجائعه أحد كما صوره الشاعر الخالد الفرد دى ميسيه ، فاذا ما اقتطفنا بعض عباراته لا نخرج عن دائرة الموضوع الذى نحاول الألمام بأطرافه

قال : « فى إبان الحروب الامبراطورية ، بينما كان الآباء والاخوة فى بلاد الألمان قذفت الأمهات المضطربات بسلالة شاحبة جاءت الوجود عنيفة مستعرة الاحشاء

تلك سلالة تمخضت بها الحياة بين حربين ، وربيت فى المدارس على دوى الطبول ، فكان إذ ذاك ألوف من الأولاد يحدج بعضهم البعض الآخر شزراً وهم يمرنون على القوة عضلاتهم الضعيفة ، وكان الآباء الملطخون بالدم يلوحون للأبناء من حين إلى حين فيرفعونهم لحظة إلى صدورهم المحلاة بالذهب ثم يتركونهم إلى الأرض ويعودون ممتطين صهوات الجياد »

وبعد أن وصف ميسيه سقوط نابوليون مدفوعا بجناحى القدر إلى أغوار الأوقيانوس البعيد ، قال :

« وجرت فى مجتمعات باريس أمور مروّعة ، إذ انشق الرجال عن النساء ، فلبس النساء البياض كالعرائس ، واتشح الرجال السواد كالأيتام ، ووقفت الفئتان تحدج إحداهما الأخرى بنظارات العداء . انفصل الرجال عن النساء فتولد عن هذا الانفصال شيء أشبه بالنصل القاطع لا شفاء لجرحه ، وما ذلك النصل إلا عاطفة الاحتقار

فقد الرجل حبّ المرأة ، فاندفع إلى الخمر ليستعيض عما فقد ، ونظر الناس إلى الحب نظرهم إلى الدين كأن كليهما توهم واغترار ، وغصت المواخير بالرجال فأصبحت الفتاة مهملة بعد أن كانت تغذى الشبيبة بحبها الطاهر السامى ، وعندما احتاجت هذه الفتاة إلى غذاء ورداء باعت نفسها وبذلت عرضها لتعيش . إن الشاب الذى ترك الفتاة وكان يمكنه أن يستنير وإياها بأنوار شمس الله ، ذلك الشاب الذى كان فى وسعه أن يقتسم مع حبيبته لقمة الخبز مبللة بعرق جبينه ويتمتع بحبها فى فقره ، أصبح مستفرشاً لدمن الانسانية فى مواخير الفسق حيث يتلاقى بالفتاة التى تركها وهى مثقلة بالأوصاب ، شاحبة مضعضعة ؛ يجول على فمها الجوع ويرعى قلبها التبذل والفساد . . »

( يتبع )

فلكس فارس

في الأدب الانكليزي

# ٤ ـ هل من انتحال في الأدب الانكليزي ؟

للسيد جريس القسوس

— ٧ —

## تشاترتن والانتحال

لم يكن أحد من معاصري تشاترتن يشك في صحة ادعائه أن هذه الأشعار منسوبة إلى الكاهن رولى ، بل كلهم يوقنون أن تشاترتن إنما عثر على هذه المنظومات في مخطوطات الكنيسة وسجلاتها ، فنقحها ونشرها في مختلف الصحف ، معلناً أنها اكتشافات أدبية جديدة

لهذا كان في برستل أديبان كبيران من هواة الأدب الرولى ، هما جورج كتكوت Catcott وهنرى برْجمْ Burgum ، هذان حفزهما الولع بهذا النوع من الأدب إلى جمع كلّ ما يعزى إلى ذلك الكاهن الخيالى ؛ من ذلك مخطوطة أدبية وضعها تشاترتن ، ونسبها إلى رولى ، فابتاعها برْجمْ منه بخمسة شلنات ، ظاناً أنها بقلم الكاهن رولى

ولقد بلغ بتشاترتن طموحه الأدبى إلى مراسلة الصحف ، سنة ١٧٦١ ، حين بلغ السابعة عشر من العمر ، أن أعلن اكتشافه لقصائد شهيرة « من نظم كاهن من كهنة برستل ، اسمه رولى ، عاصر هنرى السادس ، وادوارد السابع » ، لكنه لم يتلقّ جواباً مرضياً شافياً ؛ لهذا بعث إلى الأديب النبيل هوراس ولبول Horace Walpole مؤلف قصة «قلعة أوترانتو» Castle of otranto ينبئه باكتشافاته الأدبية . فردّ عليه الأديب ولبول رداً حسناً ، يستزيد فيه معرفة عن ناظم هذه الأشعار ، وعن مقدارها ، واعداً أن ينشرها على نفقته الخاصة

وما كان من تشاترتن إلا أن عاد فبعث اليه بكتاب رقيق ، يشرح فيه بؤسه وفقره ، ويتوسّل إليه في إيجاد عمل له ، يستطيع به أن يسد عوزه ؛ وأرفق ذلك الكتاب ببعض الأشعار الرولية الممتعة . غير أنه ما كاد ولبول يتسلم هذه الأشعار ، حتى سرّ بها سروراً دفعه إلى إطلاع أصدقائه عليها ؛ من هؤلاء الشاعران الكبيران طوماس جرى Gray وميسن Mason فأدهشهما الأسلوب الرائع ، والفن البديع ، والنفس الشعرى العالى إدهاشاً خالطت معه أفكارها الريبة في أمر انتسابها الى كاهن قديم العهد . فكان ذلك بدء المشكلة الرولية في عالم الأدب الانكليزى

لكن المشكلة لم تتطور وتتعقد إلا بعد وفاة تشاترتن ، فقد جمعت هذه الأشعار ونشرت في مجلد خاص ، كما بينا ، سنة ١٨٠٣ ؛ فأحدث نشرها ضجة صاخبة في عالم الأدب لم تخمد حتى يومنا الحاضر

عندئذ بادر علماء اللغة إلى دراسة لغة هذه الأشعار دراسة وافية دقيقة ، استطاعوا بها أن يكشفوا بعض الكشف عن حقيقة الأمر . فقد توصلوا في بحثهم الى الاعتقاد الجازم بأن لغة هذه الأشعار لا يمكن أن تنسب إلى الشاعر رولى ، إذ كيف يصح ذلك وكثير من مفرداتها لم تتسرب إلى اللغة الانكليزية إلا بعد القرن الذى عاش فيها الكاهن رولى ؟

وأخيراً استدلوا من بحثهم العميق على أن تشاترتن كان يعتمد في كتابة أشعاره على قاموسين في الاشتقاق للعالمين اللغويين بيلى Nathan Bailey وكرْسى Kersey . فقد كان دأبه في بدء الأمر جمع كل ما تقع عليه يده من المعانى والمفردات القديمة البالية ؛ ثم كان ينحت ما يستطيع نحته منها ، إذا رأى أن الوزن والقافية لا يستقيمان بغير ذلك

ولقد أدرك علماء اللغة ، وخاصة العلامة اللغوى الشهير ولتر سكيت Skeat أنه كان يكتب أولاً بلغة عصره ، وبعد ذلك يحولها بمضاعفة حروف المفردات وغير ذلك من السبل الحاذقة الى أسلوبه ولهجته الخاصة ، بطريقة يحافظ فيها على جمال الأسلوب الشعرى وروعته الفنية

ولقد عثر علماء اللغة في شعر تشاترتن المنسوب الى رولى على اقتباسات من شعر سبنسر Spenser ، وشكسبير ، ودرايدن Dryden وبوب ، وقرى ؛ لكنها موضوعة بطريقة لا يشتم منها سرقة أدبية ، وإنما تدل على ذاكرة حادة ، وعتْ هذه

الأشعار، وأرسلها فى شتى المناسبات، بطريقة يتعذر معها على القارئ التمييز بين ماهو لتشاترتن، وما هو لغيره. وذلك مما يدل كل الدلالة على أن هذه الأشعار من نظم تشاترتن، لا الشاعر الخيالى رولى. إذ كيف يصح ذلك، ورولى — فى رأى تشاترتن — عاش فى عصر متقدم على هؤلاء الشعراء جميعاً؟

ومما زادهم ريبة وشكا فى أمر هذه الأشعار الرولية، إدراكهم — على ممر الأيام — حذق تشاترتن ومهارته فى تقليد أساليب الكتاب والشعراء المعاصرين تقليداً يتعذر معه على القارئ التمييز بين أدب تشاترتن وأدب غيره. فكان مثلاً ينشر فى مجلة Town & Country Magazine ومجلة Middlesex Journal مقالات رائعة، حاكى فيها أسلوب جونيس Junius[١] محاكاة مدهشة؛ ليس هذا فحسب، بل دفعه حذقه فى فنون الكتابة وأساليبها الشعرية والنثرية إلى تقليد صمُلِتْ Smollet[٢] وتشارتشل Churchill[٣]، ومكفرسن فى أوشان Ossian، وبوب فى أسلوبه الكلاسيكى، وقرى وكولنز Collins[٤]

وقد طرق — فرق ذلك — معظم أبواب الأدب تخلّف آثاراً قيّمة فى الرسائل السياسية، وأناشيد الرعاة Eclogues، والشعر الغنائى Lyric والهجائى، والرواية الملحّنة Opera ومن أشهر آثاره فى هذا الباب أوبرا (الثأر) The Revenge

والحاصل أن دراسة تطوّر اللغة، واشتقاق مفرداتها؛ وعثور العلماء على معان فى شعر تشاترتن مقتبسة من شعراء متأخرين، وإدراكهم حذقه فى محاكاة الأساليب والفنون النثرية والشعرية، ونفى المؤرخين زعم تشاترتن بوجود كاهن اسمه رولى عاش فى القرن الخامس عشر وعرفه الناس واستمعوا إليه — جميع هذه أظهرت بجلاء واضح بطلان زعم تشاترتن، ودلّت دلالة صريحة أن هذه الأشعار لم تكن فى الحقيقة إلا من نفثات يراعة ذلك الشاعر الشاب، وأنه إنما اخترع الكاهن رولى اختراعاً لتمثيل فكرة أو نحو خاص فى حياته، أو ليلهى به الناس، وليُرضى به حاجة أدبية أو خلقية فى نفسه

عندئذ سما تشاترتن فى أعين الأدباء وكبر، وأصبح ديوانه خير ما يمثل عبقرية الشباب فى ميدان هذا الفنّ الجميل

الكرك — شرق الأردن　　　　جريس القسوس

مصادر هذا البحث


1. Encyclopedia Brit.
2. Samuel johnson's journey to the Western Island of Scotland
3. Dr. D. Hyde's Who were the Finians?
4. Alexander Macbian's Transactions of The Gaelic Society of Glasgow
5. Campbell of Isloy's Popular Tales of the west Highlands
6. Sir J. Sinclair's Dissertation on the authenticity of the poems of Ossian (1806)
7. The poems of Ossian, tr. by James Macpherson, with notes & introduction by William Sharp (Edinburgh - 1926)
8. Charles D. Warner's Library of the World's best Literature, Voll. III
9. Prof. Byron Smith's Lecturesoon the Hist. of Eng. Lit. in the American University of Beirut.
10. Harvey's Oxford Companion to Eng. Lit


(١) هو الاسم المستعار للكاتب السياسى المجهول فيليب فرنسيس Francis (١٨٠ن – ١٨١٨) مدبج تلك المقالات السياسية، التى هاجم فيها الحكومة مهاجمة عنيفة، أحرجت مركزها، وأوقعتها فى حيرة كبيرة

(٢) هو الكاتب القصصى الشهير، عاش (١٧٢٠ — ١٧٧١)؛ ومن أشهر قصصه (رودريق راندم) Roderick Random (وهمفرى كلنكر) Humphry Clinker

(٣) هو شارل تشارتشل (١٣٧١ — ٦٤)؛ شاعر هجاء مقذع من أشهر قصائده The Rosciad هجا بها ممثلين معاصرين

(٤) قرى وكولنز من شعراء القرن الثامن عشر المجيدين، وتديرى الحركة الابتداعية فى الأدب الانكليزى. اشتهر الأول بقصيدته (مرثاة فى ساحة الكنيسة) Elegy in the Country Churchyard والثانى بأغانيه Odes المتعددة وخاصة «أغنية الليل» Ode to Evening

# الشاعر وسريره

## للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

فى عزلتى — والصمت فى أفقها     وفى ثراها الوحشة القاتله —
أدير عينىّ فما إن ترى     عيناى إلا ظلمة شامله !
تقطّعت فيها خيوط المنى     يا ويلتا .. حتى المنى الباطله !!
كنت بها أمرح فى جنّةٍ     تسخر منها النُّوَب الهازله
وحين غابَتْ فتلمستها     دوّتْ بسمعى ضحكة هائله !

* * *

عدتُ بها أحمل جَنْبى إلى     سريرىَ المضطرب الحائر
كبائس أضناه فرط الطوى     مرّ بقصرٍ شامخ عامر
خارت به أركانه فارتمى     وارحمتا للحَدَث الخاثر !
يرنو إلى النور.. ويُذكى الأسى     فى قلبه قهقهةُ السّامر !
مثـــل أغانى الموت طنانة     فى أُذن المحتضر البائر !

* * *

ويح سريرى ! هو بى مشفق     يوسعنى عطفاً وتحنانا
يحضننى جذلان ... حتى إذا     أدركـ مابى ارتدّ أسوانا !
كم وَدّ أن يسلس جنبى له     فما ارتضى جنبى ولا لانا !
لا . . يا سريرى ، خلّنى والأسى !
نَمْ . لا تُبَلْ فوقك سهرانا !
ما كان أحراكـ بتنفيس ما     يبهظنى لو كنتَ إنسانا !

* * *

أُقسُ على جنبى ترفّهً به     عنّى ، ففى لينك آلامى !
يُذْكِرُنى لينَ الرضى والهوى     ولين آمالى وأحلامى !
ولن أعاقى ما تذكّرتُها     ناكئةً فى قلبى الدامى !
أعدُّ ساعاتىَ . . . يا ليتنى     أسهو فلا أحسب أعوامى !
يا ليت لليأس سبيلا إلى     قلبى فأُوقَى سُخر أيامى !

* * *

يا ليت لليأس سبيلا إلى     قلبى فأحيا بفؤاد خلى
واعجبا منّىَ أستَنْجد الْ     يأس كأنّى لم يمتْ مأملى !
ما أنا فيه اليأسُ ! لو لم أَكن     عن راحة اليائس فى معزل !!
مصيبتى هـــذا الشعور الّذى     يربط ماضىّ بمستقبلى
مَنْ لى بإنسانىَ نفسى ، فلا     أذكرما أُسمى : خالد أم على ؟!

# نجمة المساء[1]

L'étoile du soir.

## لألفريد دى موسيه

## ترجمة أحمد فتحى مرسى

يا رسولَ السماء فى ذلك اللّيْـ     ـلِ ويا بهجة الظلام المهيبِ
من سُجوفِ المساء جبهتكِ الغرّ (م)     اء لاحت تنيرُ بعـد الغروبِ
ما الذى ترقبين — من قصركِ الأز
رق — فى ذلك الفضاء الرحيبِ

* * *

هدأت ثورةُ الرياح وقرّت     وبدا الكونُ غارقاً فى السكونِ
وغصون الرياض فى الليل تبكى     فيُهزّ الربى بكاه الغصونِ
والفراش الجميلُ فى هدأةِ اللّيْـ     ـلِ يجوب الحُزونَ إثرَ الحُزونِ

* * *

هو ذا ضوؤك البهيج تجلى     وبدا زاهياً على الآكامِ
أنت فى الليل دمعة من لجين     تتلالا على رداء الظلامِ
ترقبين المروجَ والراعىَ الشيْـ     ـخَ يجوب الربى مع الأغنامِ

* * *

ما الذى تنشدين يا نجمتى الزهـ     ـراء فى ذلك الوجود الغافى
فوق هذى التلال قدبتُّ أرعى     وجهك الضاحك الجميل الصافى
أظلمَ الليلُ غير نظرتك الحيْـ     ـرى تجلّى وضوئك الرجّاف

(١) من ديوان « ألحان الفجر » يصدر قريباً

# فلسطين

## للسيد جورج سلستى

إىْ فلسطين ، قطعةً من سماءِ     كنتِ قبلاً ، وجنّةً من رُوَاءِ
تملأ العينَ ساحراتُ مغانيـ     ـك وتسبى الفؤاد منكِ المرائى
فالجمالُ المُناف ماشعّ إلاَّ     تحت أجوائكِ الحسانِ الوِضاءِ !
يطفحُ السهـ ـمنكِ بالرونقِ الضحـ     ـيان ، والسفحُ بالسنى والسناءِ
وترفُّ الأمجادُ فوقكِ يا أرضَ النـ     ـبوءاتِ ، رقّةَ الأضواءِ
وجلالُ الماضى المضمّخ بالسؤ     ددِ والعزّ والعلى والإباء !

# القصص

قصة مصرية

## قبلت زواجها

للأستاذ دريني خشبة

( الحوار فى الأصل باللهجة المصرية )

جلس ( عم حامد ) على حفافى المـاء يغسل آثاراً من الدم الأحمر القانى فى ملابسـه ، ثم توضأ وولى وجهه شـطر القبلة وطفق يصلى . . .

ولكنه كان يصلى صلوات غير منتظمة ولا متساوقة ... فتارة كان يطيل الركوع جـداً ، وتارة كان يخطفه خطفاً ... ومرة كان يطيل السجود حتى يظن أنه نائم ، ومرة أخرى كان لا يكاد يمس الأرض بجبينه حتى يستوى جالساً ؛ وكان مرة يصلى ركعة واحدة ويسلم ، ثم يصـلى ركعتين أو ثلاثا أو أربعا . . . ومرة كان يستمر فى صلاة طويلة لا تـكاد تنتهى ! . . . عشر ركعات أو خمس عشرة ركعة . . . وهكذا ! !

وكان يعود إلى الترعة فيتوضأ ويتوضأ ، ثم يعود فيصـلى ويصلى . . . وكان يرفع كفيه إلى السماء ، ويعلق عينيه المغرورقتين بزرقتها ، ثم يلهج بذكر الله ، ويصلى على نبيه ، ويكثر من قول : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! ! » ولـكنه كان يكثر كذلك من قول : « عمر ، عمر ، عمر ! » ثم يبكى بكاء مرا !

وكان كلبه الأمين يُقعى بعيداً عنه ، وينظر اليه ويتعجب !

— « من عمر يا عم حامد ؟ السلام عليكم ! »

— « أوه ! عبد الله ! تعال يا عبد الله نصلى ركعتين لله ! »

— « أى صلاةٍ الآن ؟ باق على الظهر ساعة يا عم حامد ! »

— « ساعة على الظهر ! والله يا بنى أنا فاكر أن الشمس لم تطلع بعد ! »

— « لا يا عم حامد ! نحن فى الشتاء والغيوم تحجب السماء ، ولـكن من عمر الذى تناديه يا عم حامد ؟ »

— « عمر ؟ عمر من ؟ عمر بن الخطاب ! »

— « وماذا تريد من عمر بن الخطاب فى هذا البرد القارس؟ »

---

كم تهاديتِ فوقَ هام التواريـ خ ، دنيـا سحريَّـةَ الأنحاءِ
يلعبُ النور فوق ضاحى صياصيـ ـها ويلهو على ثرى الأَوْداءِ !
كم تجلَّيتِ فى الوجود سماءً رصَّعتْها كواكبُ الأنبياءِ !
تنفحُ الناسَ بالعـدالة والسلا م وبالحلم والتقى والإخاءِ !

***

إنْ فلسطينُ ، مهبطَ الوحى والالـ ـهامِ والدينِ والهدى والحيـاءِ
جنةً كنتِ فاستحلتِ جحيماً بوجود اليهودِ والأوصياءِ !
كنتِ بالأمسِ ملءَ باحاتكِ السلمُ فأصبحتِ سـاحة الهيجاءِ !
فثراكِ الفسيحُ قد غصَّ « بالتَّنْك » ، وبالطائراتِ رحبُ الفضـاءِ
وتبارى بأهلك العُرْب تمثيـ ـلاً وفتكاً ، جندُ الوصىِّ المرائى !
فاستحلوا قتلَ البرئ ، فما يُبْـ صَرُ إلاَّ مضرَّجٌ بالدماءِ
وأديمٌ مخضَّبٌ وصعيدٌ قد علتْهُ نثارةُ الاشلاءِ
إن تحت الدم المرقرقِ أفوا هاً وطئ الاشلاءِ رجْعَ نداءِ
تستفزّ النفوس للأَخْذ بالثأْ رِ وللإنتقامِ للشهـداءِ !
والميامينُ لا تنامُ على الضيـ م ولا تستكينُ للأعداءِ
ودماء الأحرارِ مَهْرُ المعالى وصَداقُ الحريَّةِ الحمراءِ ! !

***

إصعدى، إصعدى، فانَّ الضحايا يا فلسطينُ سُلَّمُ العلياءِ

— « لا شيء ... فقط ... ذكرته في جاهليته وقد خرج الفجرَ ليدس ابنته في التراب وكانت الطفلة تعبث بشعر ذقنه فينظر إليها ويبكي .. مسكين سيدنا عمر ! كان له حق ! كان له حق

— « كان له حق حين ذهب يدفن ابنته حية ؟! يا للقسوة ؟ »

— « والله كان له حق يا عبد الله ! البنات ! آه من البنات يا بني ! »

— « استغفر الله ياشيخ ! مالك مضطرباً هكذا يا عم حامد ؟ »

— « أستغفر الله ! صحيح ! أستغفر الله ، أستغفر الله »

— « الله أكبر . . . ما هذا الدم يا عم حامد ! »

— « دم ! أيّ دم ؟ آه ! هذا من جرح بسيط في ذراعي يا عبد الله »

— « وماذا جرح ذراعك ؟ »

— « وقعت على هذا الحجر وأنا أتوضأ ، وكانت عنده زجاجة ... هل بذرتم البرسيم ؟ »

— « بذرنا البرسيم ؟ نحن ( نعلف ) بهائمنا منـه وأنت تسأل عن بذره ؟ ماذا بك يا عم حامد ؟ »

— « لا شيء ! اتركني يا عبد الله ! أود أن أنام قليلاً ، أنا متعب يابني ، لم أنم طول الليل ... »

— « السلام عليكم يا عم حامد ، كان الله في عونك ! كان الله في عونك يا شيخ »

***

وانصرف الشاب الفلاح وفي قلبه وسواس يشغله ؛ فهو لم يعهد عم حامد ، الرجل الطيب ، كما عهده اليوم شديد الحيرة بادي الارتباك مغبر الوجه ؛ وعهده به الشيخ الهـادىء الدمث المشرق الجبين الضاحك المُحَيَّا ؛ ولكن الشاب مع ذلك لم ير أن يلحف حتى يقف على سر الفلاح الشيخ ، الذي لا يوجد في القرية بأكملها من يصلي أكثر منـه ، أو يعطف على الضعفاء والمحتاجين كما يعطف هو على الضعفاء والمحتاجين . . .

ثم تعب عم حامد من كثرة ما صلى وناجى ربه ، فنام على الحشيش اليابس المنتثر في المصلى ، وطرح فوقه ذلك (البشْت°[1]) الذي صنعه بيديه من الصوف الغليظ الذي لا يُرى الشيخ إلا وهو يغزله ، واسترسل في سبات عميق ممتلىء بالأحلام المخيفة والرُّؤى الدامية وأقبلت فتاة جريحة ... فلاحة ساذجة ، تضع فوق رأسها ( طرحةً ) من الشاش الأسود مُسبلةً على العنق الطويل المربوط برباط كبير من الشاش الأبيض انتفخ القطن من تحته ليدل على جرح كبير في مكان خطر ؛ وربطت كذلك ذراعها اليسرى كما ربطت عنقها

أقبلت هذه الفتاة نحو المصَلى ، ووقفت عند رأس عم حامد تنظر إليه في ذلة وانكسار ، وترسل من عينيها الدعجاوين دموعاً كالمطر حارَّةً سخينة كأنهـا تفور من قِدْر تغلي . . . وكانت ثيابها البسيطة تزيد في جمالها الهادىء الحزين ، وتبرز من الصدر ثديين ناهدين ينحدر عليهما الجلباب الفضفاض فيجعلها كتماثيل مختار ، وتبدى من أسفل قدمين صغيرتين بَلُّوريتين هـدأ على كعبيهما خلخال كبير ففي تمتاز به أقدام الغيد الأماليد من قرويات مصر ، وهو دائمـا فتنة الأنظار في الريف المصري . على أن وجهها الشاحب المنزعج كان هو الآخر فتنة المفاتن ! حاجبان رفيعان مقوسان تحت جبين ناصع فوق عينين كبيرتين حوراوين ، تضاعف سحرهما أهداب طويلة كحيلة ، تلقي ظلالاً من الجمال المصري على الخدين البارزين المثمرين ... كأنمـا خالقها الله محوراً لأمور جسَام تقع في ذلك البيت الصغير من تلك القرية الكبيرة البارزة في ريف المنوفية ، توكيداً لخلق الفلاح المصري الذي يقدس العفاف في الفتاة ، ولا يسمح أن يُفتَحَ قلبها إلا عن طريق أبويها

وكان عم حامد يتقلب على شوك أحلامه ، ثم استيقظ فجأة ليرى فوق رأسه « ثُرَيّا » ابنته ... ثريا ... التي حسب أنه قتلها وعشيقها بمحشته الكبيرة ..

وفرك عينيـه مرتين أو ثلاث مرات ، ولكنه تأكد أنها هي ... هي ثريا من غير شك

— « بنت ؟ ... »

— « ... ؟ ... »

— « ثريا ؟ ! »

— « أبي . . . »

— « وكيف تركت محمود ؟ »

— « حالته خطرة جداً ... قد يموت بعد ساعات »

— « آه . . . يا رب . . . يا رب . . . يا لطيف ! غفرانك يا لطيف ! »

وصمت لحظة ، ثم نادى ابنته ...

(١) هذا اسمه المصري ويسمى بالعربية ( البت ) بغير شين ذكره الثعالبي في فقه اللغة وجاء في اللسان والقاموس

— « ثريا ... سامحيني يا ثريا ... سامحيني يا ابنتي ... سامحيني ... قولى الله يسامحك يا أبي ... قولى ... الله ! لما ذا تبكين ؟ الجروح تؤلمك ؟ لا ، لا ... ستشفى هذه الجروح إن شاء الله ... تعالى يا ثريا ، تعالى ، اجلسى الى جانبي ؛ تعالى ، أنت خائفة ! اطمئني يا بُنَية ! اطمئني ... لقد غسل دمك ودم محمود كل ما كان فى قلبي من غيظ ... الله يشفيه محمود ابن خالى ، هل كنت تحبينه يا ثريا ؟ »

— « والله يا أبي لقد كان يبشرنى بأنه سيخطبنى إليك اليوم ! »

— « لا حول ولا قوة إلا بالله ! ولكن ! على كل حال كان يجب ألا تسمحى له بتقبيلك ...

أنا ظننت ، لاسمح الله ، أن بينكما ... (شيئاً حراماً) ! »

— « لا والله يا أبي ، ما كان بيننا إلا كل طهارة »

— « لا عليك يا ثريا إذن ... الله يشفيه يا بنية ويتزوجك وتتمتعان بشبابكما ... لا حول ولا قوة إلا بالله ، أنا (أخطأت) لا ريب فى ذلك ... صحيح ، أنا تسرعت... ولكن الحمد لله ... لا بد أن أصلى ركعتين شكراً لله على سلامتك يا بنتي ! »

وذهب عم حامد الى الماء وتوضأ ثم راح يصلى صلاة خاشعة هادئة منظمة

* * *

لقد كانت خلية من النحل تطن فى رأس ثريا من أجل محمود ، فلقد كانت تحبه ، بل تعبده ؛ ولقد كان يحاول أن يحملها بين ذراعيه الواهيتين الضعيفتين بعد أن فاجأهما عم حامد يتناجيان فى منزله الخالى ، فضربهما بمحشته تلك الضربات التى حسبها قضت عليهما ، وغسلت عن عرضه عار الفضيحة التى زعمها تلحقه فى ابنته ... ولكن محموداً ، القوى الجبار ذا العضل ، عجز حتى عن حمل نفسه ، لأن جروحه كانت أكبر ، ولأن الدماء ظلت تتفجر منها وتنهمر ، فسارت ثريا الى جانبه تسنده على رغم ضعفها وإعيائها حتى بلغا دار حلاق الصحة القريبة ، حيث وجداه يطبب فلاحين كثيرين ثمة ، وحيث كان ابنه يضع (العَلَق) على أورام العجائز ، أو يعالج الحصى فى مرضى مساكين

— « عم أبا طالب .. وحياة أبيك تلحق ، اربط جروح ثريا ، و ... جروحى بعد ذلك ... »

— « لا ... لا ياعم أباطالب ... الحمدلله ... عليك بمحمود أولاً ! »

ولم يكن أحد من المرضى الكثيرين فى دار عم أبى طالب من أهل القرية لحسن حظ الجريحين ، فكانا يتكلمان بجرأة وصراحة ، وأراد عم أبو طالب أن يصيد سمك الجنة من دم الفتى والفتاة ، فقال : « الله أكبر ، ماهذه الجروح ؟ هذه جناية بالتأكيد ! لابد أن أبلِّغ ! سأبلغ الشرطة لضبط الحادثة ... »

وترك مايشغله من أعمل بالفعل ، ثم لبس معطفه الكحلى الكبير ويمم شطر الباب يوهم الجريحين أنه منصرف الى مركز الشرطة للتبليغ عن الحادث

— « ياعم أبا طالب ! يا عم أبا طالب ! خذ من فضلك ! »

وكان صوت محمود وهو ينادى حلاق الصحة ضعيفاً وانياً

— مالك يا سيد محمود ؟ هذه جناية ولا بد أن أبلغ ...

ثم اقترب الحلاق من الجريح البائس الذى لم يكن يمتلك أكثر من عشرة قروش ، ومد يده

— « هاك (بريزة) ياعم أباطالب ، ولما (أخف وتخف) ثريا ... »

— « بريزة ! ما شاء الله ، والله إنها مسألة لا يكفينى فيها جنيه وغراراتان من الأرز ... »

— « لك ذلك يا عم أبا طالب ... أسرع وحياة أبيك »

ورفضت ثريا أن تضمد جروحها قبل محمود ، وحاول محمود أن يؤثرها على نفسه ولكن الحلاق الذى لا يعرف هذه العواطف تقدم بقطع القطن والشاش القذر وصبغة اليود والمرهم ، فضمد جروح الفتى ، ثم جروح الفتاة »

— « كيف حال محمود يا عم أبا طالب ؟ »

— « اسكتى ، حالتك أحسن منه بكثير ، مسكين ، ربما لا يأتى عليه ثانى يوم يا ...

على كل حال الجنيه وغرارتا الأرز لا آخذهما إلا منك ... والا ... فالفضيحة إن شاء الله !! »

— « ربنا يستر يا عم أبا طالب ... ان شاء الله ربنا يشفى محمود ، ويرى خاطرك »

وتركت ثريا حبيبها فى منزل الحلاق وتهالكت على نفسها الى الحقل لتلقى أباها ، لأنها أعرف به ، ولأنها واثقة أن ثورة الغضب التى سيطرت عليه لا بد أن تكون قد هدأت وسكنت ريحها ... ثم هى عارفة بورعه وتقاه وقلبه المؤمن الذى لا يحب لصاحبه أن يكون سافك دماء زكية بغير جرم غير

الظن ، وكم من الظن ما هو إثم لو تدبر صاحبه ... ذهبت إليه إذن ... وكانت ألف فكرة تزدحم فى رأسها طيلة الطريق ... « تُرى ؟ كيف أكلمه ؟ وكيف أبدأ حديثى معه ؟ هل سكن روعه ؟ أم هو حين يرانى ما أزال على قيد الحياة يثور ثائره ويتمم المأساة ؟ آه يا ربى ! أنحلم بالزواج وتأبى المقادير التاعسة الا الفضيحة ؟ ... ... »

واختتم الشيخ المحطم صلاته ، ونظر الى ابنته بعينين رجراجتين تفيضان بدمع غزير ، ثم دعاها لتجلس إلى جانبه فامتثلت ثريا ، ودنت منه وقلبها يخفق وجسمها يرتجف ، ثم جلست معه فى المصلى ، وبدلاً من أن يضغط بذراعيه على عنقها فيخنقها كما كان يخيل اليها ، تناول رأسها الجميل فطبع على جبينها قبلة هادئة صامتة ، وتحدرت دموعه على خديها ، ثم جعل يرجو منها أن تسامحه !

وصمت الوالد وابنته لحظة ، ولكن صراخاً مرعباً ارتفع فجأة من جهة القرية ، فنظرت ثريا ، وهالها أن ترى نسوة متشحات بالسواد يجتمعن قرب الحارة التى فيها دكان الحلاق !

— « أبى ! . . أبى ! . . محمود ! . . »

— « محمود ؟ ماله يا ثريا ؟ . . . »

— « مات ! »

— « مات ! لا حول ولا قوة الا بالله ... مسكين محمود ! »

ومرّ غلام بهما كان مقبلاً من جهة القرية فسألاه : من مات . ؟ فأجابهما : « انه محمود ابن عم حنفى .. مات عند حلاق الصحة من جروح فى عنقه .. قتلوه ! الله ينتقم منهم ! قتلوه من أجل قفة ذرة ! »

واسودت الدنيا فى عينى عم حامد ، وأيقن أنه ممض بقية حياته فى غيابة السجن ، وما كان أحوجه الى نهاية مريحة ناعمة ... أما ثريا ، فقد انهدت قواها ، وطار لونها ، وامتلأت عيناها الجميلتان الحزينتان بأشباح الوحشة ، وفكرت فى أحلامها التى طاشت ، فكانت تتراءى لها طيوراً سوداً كالخفافيش تملأ الغرب الذهبى الذى أوشكت شمسه أن تغيب !

— « أبتاه ! »

— « نعم يا ثريا ! »

— « لازم نروح ! »

— « الى أين يا بنتى ؟ »

— « هناك ! عند ... الـ ... ( عزا ) »

— « طبعاً يا بنتى ... هيا ... لا علىّ أن يضعوا الحديد فى يدىّ ! هذا أمر الله وقضاؤه ! واذا سألوك فيجب أن تعترفى بالحقيقة يا ثريا ... لا حول ولا قوة الا بالله ... »

وسار الشيخ المسكين وسارت فى إثره ابنته ، حتى اذا بلغا القرية وبما شطر منزل حلاق الصحة لم يجدا أثراً لجنازة أو نحوها ، فظن عم حامد أنهم ذهبوا بالميت الى مسجد القرية للصلاة عليه ، ولذلك انثنى ليأخذ طريقه الى المسجد ، ولكن رأساً برز من نافذة فى باب الحلاق أخذ يناديه فجأة : « يا عم حامد ... ياعم حامد ... هات ثريا وتعال ... »

ونظر الشيخ ، فرأى الحلاق نفسه هو الذى يناديه ، فذهب إليه وصمت لحظة وهو يرمقه ، ثم قال له :

— « أبا طالب ! استرنى يسترك الله ! أنا ما صنعت ذلك إلا دفاعاً عن عرضى ! هل بلّغت الشرطة ؟ »

— « اطمئن ياعم حامد ، اطمئن ، ولكن قبل كل شىء كم جنيهاً ستعطينى ؟ »

— « كل ما تطلب يا أبا طالب ! »

— « خمسة جنيهات على الأقل ياعم حامد ؟ »

— « لك ذلك يا ولدى ... »

— « تعال إذن ... شرّف منزلى ... »

***

ودخل الرجل . . . ودخلت فى إثره ابنته ، يحملان هموم الدنيا والآخرة !

ياللعجب ! ماذا يرى ؟ ها هوذا محمود .. محمود حى لم يمت ! وهو يدخن لفافةً بشغف ولذة . . . وإلى جانبه مأذون القرية ، ورجلان من أكرم رجالها

— « قبلت زواجها ! »

— « قبلت زواجها ! »

— « قولى يا ثريا ... وأنا قبلته بعلاً لى ! »

وتقدم الغلام الخبيث الذى كان أخبرهما أن محموداً قد مات ، فسقاهم شراب الليمون المعطر بماء الورد . . .

دريني خشبة

# البريد الأدبي

## نظريات في الحرب

الجنرال لودندورف من أعظم قواد ألمانيا في الحرب الكبرى وأعظم الخبراء العسكريين المعاصرين ، وله في الحرب ووسائلها وغاياتها نظريات خاصة بسطها في كتاب وضعه بعنوان : « الأمة أثناء الحرب » ، وقد ظهرت أخيراً ترجمة انكليزية لهذا الكتاب بنفس العنوان The Nation at war ، وفي هذا الكتاب يحمل الجنرال لودندورف على نظريات كلاوزافتش في الحرب ، وخلاصتها أن السياسة يجب أن تكون أداة للمشرعات العسكرية ، وأن هذه المشروعات يجب أن تكون طريقاً مباشراً للحرب ؛ ومع أن نظريات كلاوزافتش تعتبر في كثير من الأمم ولا سيما انكلترا نظريات متطرفة خطرة ، فانها تعتبر في رأى لودندورف لينة قاصرة ؛ ذلك لأنها في نظره تفسح للسياسة مجالاً أكثر مما يجب ، ولأنها لم تدرك أهمية السيطرة العسكرية المطلقة . وكل ما يسلم به الجنرال لودندورف من نظريات سلفه هو أن الحقيقة الخالدة في الحرب « هي حصر الأغراض العسكرية في سحق جيوش العدو خلال الحرب » . أما ما تبقى من نظريات كلاوزافتش فيرجع إلى ماض انقضى وحل محله عهد جديد . ويرى لودندورف أن الحرب الحديثة لم تبق حرب جيوش وقوى عسكرية فقط ، وإنما هي حرب مطلقة تقوم على حرب الأمم ضد الأمم . ويجب بناء على ذلك أن تضع الأمة كل قواها العقلية والأدبية والمادية في خدمة الحرب ، وأن تكون هذه القوة أثناء السلام مخصصة للحرب التالية . ذلك لأن الحرب في نظر لودندورف هي أعظم تعبير عن إرادة الأمة في الحياة ، ولهذا يجب أن تكون السياسة عبداً مطلقاً للحرب وأداة مطيعة لها

ويرى لودندورف أن الحرب وسيلة لا غاية لها ؛ ولهذا يجب أن تعد الأمة للحرب ، وأن تكون دائماً على قدم الاستعداد له . ويرجع لودندورف هزيمة ألمانيا في الحرب الكبرى إلى الدعاية النصرانية والدعاية اليهودية ، ويقول إن العقيدة النصرانية ، والحياة التي تترتب عليها ، لهما أهم أسباب الانحلال القومي في الحرب المطلقة ؛ ولهذا يجب أن تستبدل بهذه العقيدة أخرى تقوم على العقائد الجنسية ، أو بعبارة أخرى تقوم على الايمان « بألمانيا » وألمانيا وحدها ؛ ومن ذلك تتفجر الوطنية الصحيحة . وتؤمن المرأة بأن أعظم واجباتها ينحصر في إنتاج أبناء أقوياء للأمة يحملون أعباء الحرب المطلقة ، ويخصص الرجال كل قواهم لهذه الغاية . والخلاصة أن لودندورف يرى أن الغاية القومية المثلى هي أن يربى الشعب ويعد لغاية هي الحرب

## كتاب عن لوبية

نظمت في العام الماضي بعثة انكليزية لتكتشف مجاهل صحراء لوبية بالسيارة ، وأسندت رياستها للمستر كندى شو . وقد قطعت البعثة في جولاتها في الصحراء أكثر من ستة آلاف ميل ؛ وأصدر أخيراً مستر ماسون هودر أحد أعضاء البعثة كتاباً عن هذه الرحلة الصحراوية عنوانه : « جنة الجهلاء Paradise of Fools » وفيه يصف رحلة البعثة منذ قيامها بالسيارات من القاهرة واختراقها لصحراء لوبية جنوباً حتى الفاشر من أعمال السودان على خط ١٤ شمال خط الاستواء ، ثم عودها إلى سواحل البحر الأبيض من طريق آخر ، واختراقها « بحر الرمال الأعظم » الذي يغمر واحة سيوه . وقد كانت البعثة تجرى في جولتها مباحث جيولوجية وجغرافية ونباتية وحيوانية لحساب الجمعية الجغرافية البريطانية التي جهزتها . وقد لقى أحد أعضاء البعثة حتفه أثناء السير ، وهو الكولونل ستروث

ويغرق مستر ماسون في وصف أهوال الصحراء ويقول لنا : إن الانسان في الصحراء يفقد حواسه الحقيقية ، ويرى في السهل الشاسع ، وفي ضوء الشمس الساطع ، الأرض المنبسطة تغلى وتترنح في السراب ، وتملأ العين هواجس متعبة ؛ وتُرى أشياء لا توجد ، على حين لا تُرى أشياء خطرة ، وقد لا ترى حتى بقع المكروه

ويقول مستر ماسون : إن أغرب ما يلفت النظر وجود الحيوانات في هذا القفر الشاسع الذي لا توجد فيه قطرة من

الماء ؛ وكذلك مما يدهش الانسان أن يرى فى قلب الصحراء وادياً عجيباً تظله الأشجار الباسقة هو « وادى حوار » وهو واد لا يصل الماء إليه من أى النواحى

## معلومات عن بلاد التتار

وقعت فى بلاد التركستان الصينية منذ ثلاثة أعوام حوادث عسكرية وسياسية خطيرة لم تتضح حقائقها لبعد الشقة وانقطاع المواصلات ، ولكن جريدة « التيمس » الانكليزية أوفدت إلى الصين مراسلاً خاصاً لها هو المستر بترفلمنج ليقف على سير الحوادث بنفسه ويملها للعالم ، فسافر مستر فلمنج إلى الصين ، وانقطعت أخباره شهوراً عدة حتى ظن أنه قتل أو ضل ؛ ولكن ظهر فيما بعد أنه اضطر أن يخترق الصين كلها من بكين إلى الغرب ليصل إلى مدينة كشغر عاصمة بلاد التتار (التركستان الصينية) ، وأنه نجح فى مهمته ، ودرس الحوادث والشئون فى تلك الأنحاء درساً حسناً

وقد أصدر مستر فلمنج أخيراً كتاباً جامعاً عن رحلته بعنوان « أنباء من بلاد التتار News from Tartary » ؛ ويستخلص من روايته أن حكومة سنكيانج (التركستان الصينية) التى يرأسها الجنرال شنج واجهت ثورة خطيرة قام بها التتار والتونجان ، وكادت الثورة تكتسح كل شىء لولا تدخل السوفييت العسكرى ومعاونتهم للجنرال على تثبيت أقدامه ؛ وكان الجنرال شنج قد قبض على زمام الحكومة منذ سنة ١٩٣٣ ، وأرغم حكومة نانكين الصينية على الاعتراف بمركزه . والآن يسود حكم الجنرال شنج فى معظم بلاد التتار ، ولكن السلطان الحقيق فى يد السوفييت الذين يحتلون مراكز السلطة فى البلاد كلها ، ويحاذر السوفييت الآن من بث الدعوة الشيوعية فى بلاد التتار ، ولكنهم يبعثون أبناء الكبراء والموظفين فى كل عام مجاناً إلى طشقند ليتعلموا فى مدارسها ، ويعدون بذور دعوتهم من طريق النشء

وكتاب مستر فلمنج جدير بالقراءة ، لأنه يتحدث عن بلاد شرقية لا نعلم الكثير من شؤونها . وقد كتب بأسلوب شائق

## النشيد القومى — « الغلطة الثانية »

نبهنا إلى الغلطة الأولى فى هذا النشيد الذى يراد فرضه على مصر ، وطالبنا الرد عليها وانتظرنا ثلاثة أسابيع فلم يرد أحد ، وعلى ذلك فقد سلموا بها تسليما تاماً بلا قيد ولا شرط ، وأصبح قول ناظم النشيد : ( سأهتف باسمك ما قد حييت ) كلاماً معكوساً فاسداً يخالف العربية والعامية

والآن نذكر الغلطة الثانية ، ونحن على يقين أن صاحب المعالى وزير المعارف الرجل العالم والأديب سيكتفى بالغلطتين . أما القراء فلا بد أن ينتظروا إلى نهاية العدد

يقول ناظم النشيد :

غرامك يامصر لو تعلمين    قصارى شعورى (دنيا ودين)

قصارى شعورى معناها غاية شعورى ونهاية شعورى . ومن الطريف أن بعض قراء الصحف قرأ هذه الكلمة (قَصَارِى) بفتح القاف وكسر الراء !

ولكن ما هو إعراب (دنيا ودين) ؟

أهى مرفوعة ؟ لا . أهى مجرورة ؟ لا . إذن هى منصوبة ولا وجه لنصبها إلا على التميز ، فهل تصلح تميزاً أولاً ؟

يشترط فى التميز أن يكون رافعاً لابهام . والشعور هنا جنس مبهم يحتاج إلى تمام يفسر معناه ، كالحب أو الكره أو الغضب وغير ذلك من أنواع الشعور . ولكن (الدنيا) ليست من أنواع الشعور فلا تصلح لرفع الابهام عنه وتفسيره إلا إذا صح أن يقال : غرامك يامصر غاية شعورى قمحاً وبناً وسكراً ، أو نهاراً وجبالاً وحيواناً وسماء وأرضاً . وهذا كلام فاسد لا معنى له

ثم إن الدين ليس شعوراً ، بل هو عقيدة وعمل ، فهو كذلك لا يصلح للتميز هنا ؛ وإذا صلح فأى مسلم يتجرأ على أن يعتقد أن غاية الشعور ونهايته من الدين الاسلامى غرام مصر ؟ إذا اعتقد المسلم هذا ونادى به فهو زائغ العقيدة ، ويكون النشيد القومى ضلالة يجب محوها ، ويحرم على جميع المسلمين أن يقبلوه

وإذا أريد من (دنيا ودين) الحياة الدنيا والحياة الأخرى كان هذا أقبح وأسخف . وأى مسلم يتجرأ على أن يقول : إن غرام مصر غاية شعوره من الحياة الآخرة ؟

س . ط
بكلية الآداب

## أقصوصة حب اللحم

علقت الرسالة على أقصوصتى ( حب اللحم ) تعليقاً فهمت منه أنها لم تفطن للسبب الذى من أجله آثرت هذا الحل الذى لم يرقها والذى (لا يرضى الخلق الجميل) على حد تعبيرها — ولعل الأستاذ المحترم صاحب التعليق فاته أن (روحية) هى بطلة القصة ،

# الكتب

## الحياة الجديدة

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

للأستاذ دريني خشبه

للأستاذ سلامة موسى فى مصر مدرسة عرف تلاميذها بالدؤوب والنشاط الذهنى، وهم جميعاً من الشباب المثقف المتشوّف دائماً لمستقبل حافل ملىء بالأمانى والآمال والأحلام. وهم دائماً يفخرون بأنهم يمثلون ثقافة اليسار فى مصر خاصة والشرق عامة، ومن هنا نزوعهم الى الثورة فى تفكيرهم، ومن هنا أيضاً تبرمهم بثقافة اليمين وتحرشهم بزعماء مدارسها. ونحن لا يسعنا إلا أن نمتدح تلاميذ هذه المدرسة بالرغم مما يتورط فيه بعضهم من البذاء والتطاول، وبالرغم من أن الأستاذ سلامه نفسه يفسح فى مجلته لهذا البعض من السفهاء مجالاً واسعاً يهرجون فيه تهريجاً لا يتفق ومقام الأستاذ ومكانته الرفيعة فى نهضة هذا البلد

بيد أن للأستاذ تلاميذ بارزين، استطاعوا بعد كفاح عظيم وجهد متصل أن يفسحوا لأسمائهم أماكن ظاهرة فى محيط التفكير المصرى. ولعل من أفضل هؤلاء التلاميذ الأستاذ المفكر المطلع صديقنا (نقولا يوسف) الذى أخذ نجمه يتألق فى السياسة الأسبوعية، ثم فى عشرات من المجلات والصحف والأندية، عُرف فيها جميعاً بسمو الغاية فى تفكيره وحرارته الوطنية فى حبه لمصر، ومحاولته دائماً الاندماج فى الأوساط المختلفة ليترك فيها خمائر من ذهنه الخصب وثقافته الواسعة واطلاعه الشامل

ولقد بدا للأستاذ الصديق أن يجمع كل ما كتب، ويصدره فى مجلد حافل غنى (عن دار المجلة الجديدة) وكتب إلى يسألنى عن رأيى فى كتابه هذا ... ولا أحسب فى ذلك توريطاً لى من قلمه البارع يجعلنى أثنى على عمله الثناء كله من دون أن أعرض لبعض نواحى الكتاب بنقد شديد يكاد يشبه الذم

جمع الأستاذ فصوله القيمة وجعلها فى ثلاثة أبواب، أولها (بحوث عالية) من مثل (فن الحياة، الانسانية بين الحرب والسلم، فى الوحدة العالمية، فى الأدب الجديد ... الخ). وثانيها (شئون مصرية) من مثل: «فى الأدب المصرى. الكاتب المصرى بين البيئة والوصف، تجديد الموسيقى المصرية، احتضار الحجاب،

---

وأنها لم تكن موافقة على تلك الجريمة التى دبرها صلاح. ولذلك قالت له: «حرام عليك يا صلاح ...» ثم راعها أن تسمع السيارة تنقذف فى النيل، فقالت: «وَىْ ... اسمع! لقد انقذفت السيارة فى الماء!!» فلما قال لها صلاح: «عن فيها طبعاً!» لم تزد على أن قالت: «يا للقسوة!!» وقد أخطأ الصفاف، فجعلها (باللقوة) مُسقِطاً السين

وأحسب الأستاذ صاحب التعليق يعلم أن بطل القصة عادة يحمل رأى الكاتب وان لم يكن هذا شرطاً عاماً، فقد تكون القصة كلاً لا يتجزأ، وقد تكون — بل ينبغى أن تكون عادةً — درساً يرمى الى غرض ما. ومن سياق القصة نحس الكراهية الشديدة لقصر العلاقة بين الزوجين على الجنس دون القلب، وكان بيومى أفندى رمز الجنس فى القصة، وكان صلاح رمز الروح فيها.

فأى شىء لا يرضى الخلق الجميل فى أن ينتصر الروح على الجنس ويقذف به فى النيل؟

وأحسبنى أهيج زعماء ثقافة اليسار إذا قلت إن القانون الجنائى فى الشريعة الاسلامية معطل فى مصر، فكيف يكون القصاص من زوج زان وسكير ومبذر تضبطه زوجته غير مرة زانياً وسكيراً ومبذراً؟ هل تملك تطليقه؟

هذا ولا يفوتنى أن أعتب على صاحب التعليق أسلوبه، فانى لا أنشد بقصصى الكثيرة إلا خُلُقاً جميلاً ما؟

دريني

(الرسالة) نوافق الأستاذ الدرينى على أنه ينشد بقصصه الخلق الجميل، وهو ولا شك يوافقنا على أن الدين والقانون هما جوهر الخلق الجميل، والدين يأذن للزوجة المضرورة أن تطلب الطلاق وتثبت الضرار فيحكم القاضى بالتفريق، والقانون لا يجيز لحبيب الزوجة ولا لغيره أن يقتل الزوج وعشيقته على هذه الصورة

الفلاح ، وتجديد القرية .. الخ» . وثالثها (دراسات أدبية وفنية) من مثل : « فى الفن الاغريقى . شعراء الأرستقراطية ، فى الأدب الهندى ، ساعات مع بوذا وطاغور وملتون وشلى ، ولز والعصر الجديد ... الخ »

ولست أدرى لماذا حشد الأستاذ كل هذه الفصول فى كتاب واحد ؟ ولم لم يصدرها فى ثلاثة كتب حتى يكون من الممكن أن يستقل كل منها بفكرة متحدة وغاية واحدة ؟ إن الكتاب كبير ضخم ، وهو بضخامته غير المتناسبة يتخم القارئ ويصده عن متابعة القراءة ، خصوصاً وأكثر القراء كسالى ، وأكثر بحوث الكتاب دسمة غزيرة الفكر ، والكتاب ليس قصة يغرى أولها بآخرها ، ولكنه حشد من الآراء التى لا يربطها فى الظاهر أى رابط ، وإن رمَت فى النهاية إلى التثقيف العام

إن القسم الثالث من الكتاب ، وهو أمتع أقسامه الثلاثة ، كان يمكن أن يكون كتاباً مستقلاً يكاد لا يكون له نظير فى المكتبات العامة . وإن أى بحث من بحوثه ليشهد للكاتب بسعة الاطلاع وعظم الجهد الذى عانى فى كتابته بعد تحضير مواده الكثيرة . . . فالبحث الأخير مثلاً ( ولز والعصر الجديد ) هو عصارة شهية لهذا الكاتب الانجليزى المأسوف عليه ، لقى فى إعدادها حضرة الكاتب كل عناء ومشقة ؛ ويكفى أن تعرف أنه تناول أكثر كتب ولز ، فلخصها وشرح لك طريقته فى كتابة كل منها ؛ لتعلم أى جهد جبار كان يبذل أديبنا عند ما اعتزم كتابة فصوله فى هذا القسم الثالث من الكتاب . ومثل هذا الفصل لا يمكن أن ينتهى منه الكاتب فى أقل من شهر تقريباً . أفليس من الحرام إذن أن يجتمع ذلك البحث الكلى و ( شؤون مصرية ) أو ( تأملات على شاطىء البحر ) فى كتاب واحد ؟ ! مالولز وما لهذه الموضوعات ( وليست المواضيع يا أستاذ نقولا ! ) الانشائية يا صديق ؟ مالولز وتنيسون وطاغور وبوذا وأندريه شينيه وهوراس ... وما لخواطر فى مقبرة وخواطر فى حديقة وخواطر فى الطريق وفى العمل ؟ ! أفلم يكن أخلق بهذه التراجم العالمية أن تستقل فى كتاب واحد يكون له خطره وفائدته ؟ !

وقل مثل ذلك فى القسمين الآخرين

هذا من حيث شكل الكتاب ، وإن يكن إغفال الصور — خصوصاً للمترجم لهم — قد شوه بعض جمال هذا العمل . أما من حيث موضوعه ، فأكاد أمدحه ( على طول الخط ) لولا هذا الغلو فى الدعوة إلى العالمية فى زمن تقوم فيه دكتاتوريات تريد أن تلتهم العالم وتذل الحريات . أجل ، إن الأخاء الانسانى الذى يراد أن يشمل قارات الأرض جميعاً حلم جميل ، ولكنه فى زمننا هذا يعتبر حلم الضعفاء والنَّوْكى والمهزومين ؛ ونحن فى عصر تنشد فيه مصر من أبنائها وطنيةً حادةً متأججة ، وطنية الدبابات والطائرات والغازات السامة التى هى أسلحة هذا الزمان الظالم المقاحم . . . الزمان الذى شهد بعينيه الكليلتين سقوط عرش أسد يهوذا تحت سنابك نيرون !

أنا أعرف أن الأستاذ نقولا رجل الأحلام والشعر والموسيقى ، ولن أنسى مطلقا رنين كمانه فى أذنى فى ليالى أسيوط القمرة ... ولكنى أوقظه فى غير رحمة ولا عطف ، ليقرأ بعينيه النفاذتين بنود المعاهدة المصرية الانجليزية ، والبرقيات المخيفة المزمجة عن تسلح الدول

لنعطف ولتسِلْ نفوسنا رقة ورحمة ، ولكن على المصريين .. على أنفسنا ... أما على الثعابين والعقارب ، فلا !

وليثق الصديق نقولا أن ولز الذى مات فلم يشعر به أحد ، كما مات توماس مور فلم يشعر به أحد كذلك ، لابد أنه ندم على جميع طوبوياته التى كتبها . وليفكر الصديق نقولا أيضا فى مصر اليوم فقط ، أو إلى ما بعد عشرين سنة فحسب ... أما فى العالم بعد ألفين سنة ، فهذه أضغاث أحلام ...

عمل جليل لا شك يستحق من أجله نقولا يوسف ألف تهنئة ، وهدية سنية من المجلة الجديدة

دريني خشبة

4 me Année, No. 168
Lundi - 21 - 9 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٦٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ رجب سنة ١٣٥٥ — ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٦» السنة الرابعة

فهرس العـــــــدد



# مصر والبلاد العربية

## للدكتور عبد الوهاب عزام

بين مصر والبلاد العربية كل ما يؤلّف بين الأقوام من وشائج القربى والتاريخ ، وكل ما يُحكم القرابة من عقائد وعواطف وآلام وآمال ، وكل ما يؤكد الأخوة من حقائق ومنافع . والكلام فى هذا تبيين ما لا يعوزه البيان

يذهب المصرى إلى أحد الأقطار العربية فكأنما برح بقعة فى مصر إلى أخرى ؛ يرى وجوهاً يعرفها ولا تنكره ، ويسمع من أحاديث الماضى والحاضر ما يسمعه فى بلاده ، ويحدَّث عن الهموم والمطامح التى تنطوى عليها نفسه ويخفق بها قلبه . حيثما توجه وجد أهلاً بأهل واخواناً باخوان ، وأبصر من ذكَر التاريخ ، ومشاهد الحاضر ، وخطط المستقبل ، ما يوحى اليه أنه فى وطنه وبين قومه . وكأنه لا يذهب إلى هذه البلاد إلا ليرى بعينيه ما حدّثه به التاريخ وأحكمته فى نفسه النشأة والتعلّم

ذهبت مرات إلى فلسطين والشام والعراق ، فكان يخيّل الىّ أينما سرت أنى لا أخطو إلا على صفحات من التاريخ المجيد ،

ولا أرفع بصرى إلا الى عنوان من عناوينه فى صورة مسجد ، أو مدرسة ، أو قبة حنت على عظيم من أسلافنا أبطال الاسلام والعربية . وطوّفت فى العراق مدنه وقراه ، وحضره وباديته ؛ فكانت بغداد عندى القاهرة ، بل أجل ذكراً ؛ وكانت الكوفة والبصرة والموصل أعظم أثراً فى نفسى من طنطا والمنصورة وأسيوط ؛ وكانت مضارب شمر وبنى تميم أذهب بى فى التاريخ من مضارب القبائل المصرية . وأما دمشق الجيلة الجليلة فما دخلتها إلا ازدحمت علىّ أحداث التاريخ ورفعتنى مواكبه فسارعتُ إلى الجامع الأموى أنشد قول شوق :

هذا الأديم كتاب لا كفاء له ... رثّ الصحائف باق منه عنوان

ولست بدعاً فى هذا فا أحسب مصرياً ذهب إلى هذه البلاد إلا شعر بما أشعر به

***

وليس الأمر بيننا تشابك أقوام واتصال أوطان فحسب ، ولكنه الحبّ المؤكّد ، والودّ الصريح ، ينطق على ألسنة القوم ، ويتجلّى فى أساريرهم ، ويبين فى أعمالهم ، ويشهد به اهتمام القوم بكل صغيرة وكبيرة فى مصر ، وتحدّثهم عن علمائها وأدبائها وأحزابها وقادتها حديث المحبّ العارف الخبير ، وحرصهم على قراءة ما تخرجه مصر من كتب ومجلات وجرائد . وكثيراً ما نرى فى الشام والعراق من يعلم عن مصر أكثر من أبنائها . وإذا تحدّث هؤلاء الاخوة الكرام عن مصر أشادوا بذكرها ، وأكبروا حضارتها ، وأعظموا مآثرها على العربية والاسلام ، معترفين مغتبطين لا جاحدين ولا كارهين ، وعدوا مجدها مجدهم ، وعزها عزهم ، وفخروا بها كما يفخرون ببلادهم

***

وتطلع البلاد العربية إلى مصر ، وانزالها هذه المنزلة أجدى الوسائل إلى التقريب بينها ، وتوحيد سننها فى التربية والتعليم ، والتأليف بين أبنائها . ولم يأل إخواننا جهداً فى التودد والتقرب . فماذا يجب على مصر ؟ ليست مصر أقل شعوراً باسلامها وعربيتها ، ولا أضعف تقديراً للوشائج التى تُحكم بهذه البلاد أواصرها ، والمصالح التى توثق بها علائقها ، ولكن التاريخ السياسى فى العصر الأخير فرّق بين هموم مصر وهموم أخواتها ، وشغلها بغير الذى شغلوا به ؛ فلما أفاقت قليلا إلى نفسها وموقفها بين الأقطار والأمم لم يلحقها شك فيما بينها وبين أخواتها من أواصر وعرى لا تقوى الحادثات على فصمها . وكلما خف عنها عبء المصائب ازدادت شعوراً وبصراً بمكانتها بين اخواتها وما يجب عليها

إن على مصر أن ترعى القرابة وتجزى الود بالود ؛ وعليها أن تضطلع بالتبعات التى تحمّلها إياها ثقة البلاد العربية بها ، واقامتها منها مقام الأخ الأكبر . أسمع أحياناً بعض المتحدثين بهذا يقولون إن على مصر أن تستغلّ هذه الثقة ؛ وحاشا لله أن يكون الأمر استغلالاً أو اتّجارا ، إنما هو أخوة ومودة ، وتبعات وواجبات ، وتعاون على الوقوف فى معترك الحياة ، وتآزر على بلوغ الغاية التى تلتقى عندها مقاصدنا جميعاً . يجب على مصر أن تصلح نفسها وتكمل حضارتها ، وتعمل ما يوافق مكانتها ، وتسن السنن الصالحة لنفسها وغيرها . يجب عليها أن تشارك فى السراء والضراء ، ولا تقف بمعزل فى مصائب البلاد العربية ومسراتها ، بل تشارك جهد اليد واللسان والقلب . وعليها ألا تألو جهداً فى امداد من يستمدها ، وبذل ما تُسأل من معونة فى العلم والأدب وغيرها موحية إلى كل مصرى يذهب إلى البلاد العربية أنه يذهب ليؤدى واجبا ويعاون أخا ، وأن واجبه حيثما كان من هذه البلاد كواجبه فى مصر ، وأن مقصده الأول أن يبذل من قواه على قدر طاقته ، لا يبغى جزاء ولا شكورا ، وإن لم يقصر إخواننا فى الجزاء والشكر

ثم على مصر ألا تتردد فى الاستفادة بما فى هذه البلاد من مزايا ، فلا ريب أن فيها من الآداب والأخلاق والصناعات ما يجدى علينا أن نتلقاه عنها ونحتذيها فيه

بالمودة والتآخى والتعاون وشعور كل جماعة بمكانها من الجماعات الأخرى ، وإدراكها ما لها وما عليها فى الجماعة الكبيرة الشاملة ، يتهيأ للبلاد العربية ما بين بحر الظلمات ونهر دجلة ما تطمح إليه من مجد وسعادة ، وما يكافئ تاريخها من حضارة ، حتى تؤدى نصيبها من الخير للجماعة البشرية كلها . وما أعظم ما ينتظر المجد من العرب ! وما أعظم ما تؤمل الانسانية فيهم !

عبد الوهاب عزام

# مصرع هرة

للأستاذ عبد الحميد العبادى

كانت لنا هرة لطيفة ، ظريفة ، خفيفة الجسم ، مرهفة الحس ، طوافة بالليل ، جوالة بالنهار ؛ وكان أولادى يحبونها هى وصغارها الثلاث ، ويَحْبونها بالفضل من طعامهم ، والكثير من عبثهم ؛ وعلى مر الأيام نشأت بين صغار الأنس وصغار الحيوان ألفة جعلت كلا يحتمل عبث كل ، ويجد فى ذلك لذة ومتاعاً

وشاء حر القاهرة الذى انقدت جذوته فى أوائل الشهر المنصرم أن ينتجع أولادى بعض السواحل فراراً من وقدة الحر ، وابترداً بهواء البحر ومائه ؛ وشاءت ظروفى الخاصة أن أبقى فى القاهرة وحيداً إلا من خادم يرعى شؤونى إذا حضرت ، ويحرس المنزل إذا غبت . ففقدت الهرة وصغارها بتبدل الحال ما اعتدنه من الطعام إلا قليلاً يمسك الرمق ويستبقى الحياة

وكأن الهرة استشعرت شيئاً من الأنفة والأباء ، فلم ترض بالدون ، ولم تصبر على الهون ، وانطلقت تضرب فى الأرض تبتغى سعة الرزق لنفسها ولصغارها ، فكانت تعود من حين لآخر مطبقة فمها على مسلاخ أرنب ، أو مشاش عظم ، أو عصفور اقتنصته فى بعض الحدائق ، فتجمع صغارها على ما وفقت له من الرزق ، فيكون لهن منه عوض عما فقدن من الزاد

وأحبت الهرة أن تعود صغارها السعى معها فى كسب القوت ، فكانت تبرز خارج الدار وتناديهن فيتسارعن اليها ، متواثبات ، شائلات الأذناب ، مؤللات الآذان ، محدقات العيون ، فيجسن جميعاً خلال الحديقة ، فلا يعدمن صرصراً أو جرادة يتبلغن بها بعد أن يلعبن بها طويلاً

ودرجت الأيام على تلك الحال ، وكأن القطط استطبن حياة السعى ، وذقن حلاوة الرزق المجلوب بالجد ، فعدن لا يأبهن لما كنت أرفدهن به من وقت لآخر من كسرة خبز ، أو نغبة لبن ، أو عرق لحم ينهسنه ، أو عظمة يتعرقنها

***

غير أن صروف الأيام لا ينجو من كيدها إنسان ولا حيوان ، ولا يسلم من آفاتها من يمشى على اثنتين ، وما يدب على أربع . فقد كنت ذات يوم جالساً فى منزلى وقت الظهيرة ، وكنت ضيق الصدر ، لَقِس النفس ، كأنما أتوقع حدثاً يحدث ، أو خطباً يلم ، وإذا بى أبصر الهرة تلج من باب الدار بهيئة أنكرتها : أبصرتها تمشى متخلجة ، متخلعة ، تخالف بين يديها ورجليها ، وتقوم وتقع ، وتصطدم بما يلقاها فى طريقها ، فأثبتها النظر ، فرأيت ، وما أفظع ما رأيت ! رأيتها مشجوجة شجاً قبيحاً ، فأدركت من فورى أن فظاً غليظ القلب ، محققاً من طباخى الحى قد أعنتته الهرة فى طلاب العيش ، فأهوى إلى رأسها بسكينه ، فشتر إحدى عينيها ، وكاد يشطر الرأس شطراً

وأدركت أن المسكينة تحاول الوصول ، على ما بها ، الى صغارها ، فطفقت أجمعهن لها من هنا وهنا ، وما هى إلا أن أحسسن حتى تحوّت عليهن ، ترضعهن وتمسحهن بلسانها على عادتها . فلما جن الليل جعلت أريد الهرة على الخروج من المنزل ، لعل برد هواء العشى ونسيم السحر ينفعها ، ولكنها رفعت الى رأسها وكأنها تستعفينى من الخروج ليلتها تلك ، ولأقض بعد ذلك ما أنا قاض . فنزلت على وحى حالها ودلالة منظرها ، وانصرفت الى مضجعى . فلما كان الصباح إذا بى أصحو على مواء موجع صادر من الهرة ، فأسرعت إليها فوجدتها تعالج سكرات الموت ؛ وما هى إلا لحظة حتى غدت جثة هامدة لا حراك بها . كل ذلك والقطيطات حيال ذلك المنظر الذى لم يعرفنه بعد ، مبهوتات صامتات مأخوذات . وكأنهن وقد سكنت حركة أمهن يتمثلن بالشعر الذى وضعه الشاعر الانجليزى ، بيرون ، على لسان (قابيل) عند ما رأى أخاه (هابيل) ميتاً ، ولم يكن رأى الموت قط :

أخى ! ماعراك ؟ وكنت الغداة ... ذكى الفؤاد ، قوى البدن
على العشب ملق ، فماذا دهاك ؟ ... أنوم ، وما الوقت وقت الوسن ؟
سكنت ، وأمسك منك اللسان ... وهل مات حى إذا ما سكن ؟
ألا ما هلكت ! وإن كان فى ... شحوبك معنى يهيج الحزن[1]

نعم ! لقد كان فى تغير حال الهرة الميتة معنى هاج حزن القطط ، فقد لذن بأركان المكان واجمات ، ولو ألهمن النطق لتمثلن بقول النابغة :

من يطلب الدهر تدركه مخالبه ... والدهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوى مجد ومكرمة ... ألا يشد عليهم شدة الذيب
حتى يبيد على عمد سراتهم ... بالنافذات من النبل المصاييب

(١) كتاب ( مبادئ الفلسفة ) ترجمة الأستاذ أحمد أمين

إني وجدت سهام الموت معرضة بكل حتم من الآجال مكتوب

***

وثارت نفسي لهذا المنظر الأليم ، وذكرت قسوة الانسان على العجماوات مع أنه مستأمن عليها ، مستحفظ لها ، مسؤول عنها . وذكرت ما جاء في صحيح الأثر من أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي أسقتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . وذكرت قول الرسول العربي : « إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » : ونهيه عليه السلام أصحابه عن اقتعاد الرحال في المجالس حتى لا يعلق بها شوك يؤذي الابل عند ما توضع على ظهورها ، وقول عمر لرجل رآه يعنف بماشية يسير بها ليذبحها : « ياهذا سقها الى الموت سوقاً رفيقاً » ، وذكرت رسالة ( الحيوان والانسان ) التي ختم بها إخوان الصفاء رسائلهم ، وكيف ذهبوا فيها مذهباً لطيفاً في التدليل على أن الانسان في حقيقة الأمر حيوان من الحيوان ، لا يفضل غيره من الأنواع إلا بالعمل الصالح المنجي له في الدنيا والآخرة . ذكرت كل ذلك فعلمت أن البون لا يزال عندنا شاسعاً بين القول والعمل ، وأن المبادئ الجليلة لا تزال الى حد بعيد مجرد حبر على ورق ، وذلك من سوء حظ الانسانية الصحيحة

أما بعد ! فلا تبعدي أيتها الهرة المظلومة ! فكأس المنية لا تبرح دائرة على الخلائق ، يشرب بها الرفيع والوضيع ؛ وسيان في حكمها من يمشي سوياً وما يمشي مكباً على وجهه . إن الموت لعمري واحد ، ولكن الموتات تختلف ؛ وموتتك أيتها الهرة ؛ من أشرف الموتات . لم تموتي حتف أنفك ، ولم تموتي في مسعى باطل . لقد قضيت جاهدة ، مجاهدة ، وذهبت في ريعان عمرك ضحية الواجب ، والسعي الصالح . إذا طالت الأعمار بأقوام رضوا بالهوان والمسكنة ، وآثروا العافية المذلة على الجهاد المشرف . نعم ، إنك لم تجدي في هذا العالم من ينصفك ، ويطلب بثأرك ، ولكنك واجدة عند القوة الممسكة لهذا الكون خير الجزاء . ألم تدخل امرأة النار في هرة أماتتها ظمأ وجوعاً ؟ أليس معنى أن الانسان إذا تجرد من الرحمة فهو عند الله أحط شأناً من العجماء ، وأن الله لا يستحي أن يقصها منه إذا طغى عليها وتجبر ؟ ألا كفى بذلك للنفس ، لو تعلمين ، تأساء وتعزية ؟

١٩٣٦/٩/٨ عبد الحميد العبادي

# الجانب الصوفي
## في الفلسفة الاسلامية (١)
للدكتور ابراهيم بيومي مدكور

— ٢ —

عني الفارابي كل العناية بموضوع السعادة علماً وعملاً ، فخصه بكتابين من كتبه شرح فيهما مختلف آرائه الصوفية ، وبين الوسائل الموصلة إلى السعادة ؛ وهذان الكتابان هما : تحصيل السعادة ، والتنبيه على السعادة ، اللذان طبعا في حيدرآباد سنة ١٣٤٥ و ١٣٤٦ هـ ، وقد امتازا — مقرونين إلى الرسائل الفارابية الأخرى التي وصلت الينا — بغزارة مادتهما ووضوح أسلوبهما ؛ وحبذا لو فكرنا في اعادة طبعهما بمصر . ولم يكتف الفارابي بهذه الدراسة النظرية ؛ بل جد في أن يتذوق السعادة بنفسه ، وأن يصل بتفكيره وتأمله إلى مرتبة الفيض والالهام كما صنع أفلوطين من قبل . ويقال إنه حظي بذلك مرة أو مرتين

وواضح أنه ليس في مكنة الناس جميعاً الصعود إلى مرتبة هذه السعادة ، ولا يبلغها إلا النفوس الطاهرة المقدسة التي تستطيع أن تخترق حجب الغيب وتصعد إلى عالم النور والبهجة . يقول الفارابي : « الروح القدسية لا تشغلها جهة تحت عن جهة فوق ، ولا يستغرق الحس الظاهر حسها الباطن ، وقد يتعدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالم وما فيه ، وتتقبل المعلومات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس ، والأرواح العامية الضعيفة إذا مالت إلى الباطن غابت عن الظاهر ، وإذا مالت إلى الظاهر غابت عن الباطن ... وإذا اجتمعت من الحس الباطن إلى قوة غابت عن أخرى مثل البصر يُخَبِّل بالسمع ، والخوف يَشغَل عن الشهوة ، والشهوة تشغل عن الغضب ، والفكرة تصد عن الذكر ، والتذكر يصير عن التفكر ، أما الروح القدسية فلا يشغلها شأن عن شأن »(٢)

(١) اضطرنا سفر مفاجئ إلى أوربا لقطع هذه السلسلة التي بدئت في العدد ١٥٧ من أعداد الرسالة ، فمعذرة إلى القراء

(٢) الفارابي ، الثمرة المرضية في بعض الرسائل الفارابية ، ص ٧٥

فالروح القدسية إذن واصلة ، ترى المغيب ، وتسمع الخفى ، وتجاوز عالم الحس إلى عالم المشاهدة الحقيقية والبهجة الدائمة . هذه هى نظرية الاتصال التى قال بها الفارابى واعتنقها الفلاسفة اللاحقون ، وقد لعبت دورا هاما بوجه خاص لدى فلاسفة الأندلس . وهى كما ترى ضرب من التصوف النظرى القائم على البحث والدراسة يقربنا إلى الله ونعيمه المقيم . والتصوف فى جملته ساد العالم الاسلامى منذ زمن بعيد تحت مؤثرات كثيرة بين فارسية وهندية ومسيحية وإغريقية . وفى رأى كل متصوف أن الغرض الرئيسى من العمل والتأمل هو الاتصال أو الفناء فى الله . يقول رينان : « لم يعرف الشرق أن يقف فى العبادة عنـد حد المبالغة والاسراف ، بل كان الاتحاد مع العقل الكلى بوسائل خارجية حلم الطوائف الصوفيـة فى الهند والفرس . وهناك سبع درجات — كما يقول المتصوفة — تقود المرء إلى الغاية النهائيـة التى هى الفناء المطلق أو النرفانا البوذية ، حيث يصل الانسان أن يقول : أنا الله » [1] ومشكلة أنا وأنت من المشاكل الهامة فى تاريخ التصوف الاسلامى ، فأنا وهو الشخص الانســانى يعمل على أن ينمحى فى أنت وهو الله ، وما الحلول الذى قال به الحلاج والذى درسه الأسـتاذ ماسنيون دراسة عظيمة إلا أوضح مظهر لهذه المشكلة فى الاسلام ، فهو يتلخص فى اختفاء الانسان فى الله ، وبذا يتحد أنا وأنت اتحادا كاملاً

كان الفارابى صوفياً فى قرارة نفسه ، يعيش عيشة الزهد والتقشف ويميل إلى الوحدة والخلوة . وقد أفاض مؤرخو العرب فى وصف تقشفه وإعراضه عن الدنيا . وابن خلـكان خاصة يضعه فى مصاف الزهاد والنساك [2] . وبالرغم من أنه عاش فى بلاط سيف الدولة بن حمدان وجالس العظماء والرؤساء لم يغـيـر شيئاً من عوائده ولم يخرج عن زهده وتقشفه . فجليس الملوك هذا وسمى الأمراء كان يرى فى أغلب الأحيان بالقرب من الطبيعة يناجيها ويستكشفها أسرارها ويستمليها ما حوت من عظات . وقد رووا أنه كتب الـكثير من كتبه على شواطىء المجارى

(١) Renan, Averroès, p p. 144—145.

(٢) ابن خلـكان ، وفيات الأعيان ، طبعة بولاق ، ج ٢ ص ١٠٢

المائية وبين الثمار والأزهار [1] . فهذا الاستعداد الفطرى الذى نشأ عليه ، وهذه النزعة الصوفية التى تمـكنت منه ، أثرت من غير شك فى آرائه وأفكاره ، وكانت عاملاً فى تكوين نظرية السعادة الفارابيـة . وأسلوب الفارابى نفسه يتفق مع هذا الاستعداد ويتلاءم مع هذه النزعة ؛ فهو إلى الغموض أميل ، وفى باب التعمق والتركيز أدخل [2] . وهـذا شأن الصوفية جميعاً يرسلون الجمل المختصرة المعماة . وكثيراً ما عانى المستشرقون صعوبات فى تفهم عبارات الفارابى وإدراك كنهها ، وشكوا من غموضها وتعقدها [3]

ويجب أن نضم إلى هذا المؤثر الداخلى عاملاً آخر خارجيا ، ألا وهو الوسط الذى عاش فيه أبو نصر ، فقد تفشت فى العالم الاسلامى لعهده أفكار صوفية كثيرة صادرة عن أصل هندى أو فارسى أو إغريقى أو مسيحى . ولا يستطيع أحد أن ينكر تأثره بهذه الأفكار ، وفى كتاباته ما ينهض دليلاً على ذلك . فقد جارى المتصوفة وشرح لنـا المراتب التى يمر بها من يرغب فى السعادة . والمرتبة الأولى فى رأيه هى مرتبة الارادة ، وتتلخص فى شوق زائد ورغبة أكيـدة فى تنمية المعلومات واكتساب الحقائق الخالدة . فان كانت هذه الرغبة مؤسسة على دوافع حسية أو خيالية فهى مجرد إرادة ، وإن قامت على التفكير والتأمل فهى اختيار حقيقى . وبعد الاختيار تجىء السعادة التى تحدثنا عنها من قبل [4] . فهذا التدرج فى جملته يشبه من بعض الوجوه منازل الصوفية

وفوق هذا فقد عاصر الفارابى كبار الصوفية الذين يقولون بالحلول ، وعلى رأسهم الجنيد المتوفى سـنة ٩١١ ميلادية وناشر نظرية الاتحاد الصوفية ومردد الجملة المأثورة : اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب » [5] : ويروى أن الشبلى دخل عليـه يوماً وبحضرته زوجه ، فأرادت أن تحتجب ، ولـكنه أبى عليها ذلك قائلاً : لا خير للشبلى عندك . ولم يكد الأخير يسمع هذه الكلمة حتى بكى . فقال الجنيد لزوجه على الأثر : استترى

(١) المصدر نفسه

(٢) I. Madkour, La Place d'al Fârâbî, pp. 15 — 16.

(٣) Carra de Vaux, Encye-de l'Islam, II p. 58-; Massignon Archives d'hist., IV, p. 158.

(٤) الفارابى ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٤٥ — ٤٦

(٥) Massignon, Essai, pp, 274-75.

فقد أفاق الشبلى من غيبته[١] . والحلاج تلميذ الجنيد من معاصرى الفارابى كذلك ، فقد توفى سنة ٩٢٢ للميلاد . وهو صاحب الجملة المشهورة : ( أنا الحق ) التى لاقى من جرائها حتفه . وعلى يديه سما مذهب الحلول إلى أوجه وبدا فى أوضح صوره ، وتم الاتحاد الكامل بين أنا وأنت . وأشعار هذا العصر الصوفية مملوءة بالغيبة والحضور ، والوجد والوجود ، والنسيان والذكر . يقول بعضهم :

وجودى أن أغيب عن الوجود     بما يبدو على من الشهود

ويقول الآخر :

عجبت لمن يقول ذكرت ربى     فهل أنسى فأذكر ما نسيت<br>
شربت الحب كأساً بعد كأس     فما نفد الشراب ولا رويت[٢]

وبما يبدو بعد الذى تقدم أنا ميالون إلى أن نعقد صلة بين تصوف الحلاج وتصوف الفارابى ، وأن نثبت أن آراء أوائل المتصوفة قد أثرت تأثيراً مباشراً فى أفكار فلاسفة الاسلام الصوفية ، ولكننا نسلم بذلك من ناحية النزعة والتوجيه العام فقط ، أما من جهة النظريات فى تكوينها وتفاصيلها فانا نرفضه للأسباب الآتية :

أولاً : تصوف الفارابى نظرى مبنى على الدراسة والبحث قبل كل شيء . فبالعلم ، والعلم وحده ، تقريباً نصل إلى السعادة . أما العمل ففى المرتبة الثانيــة ومهمته ثانوية للغاية . على عكس هذا يقرر الصوفية أن التقشف والحرمان من اللذات الجسمية وتعذيب الجسم هو الوسيلة الناجعة للاتحاد بالله . يقول الجنيد : « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات[٣] »

ثانياً : — وهذا فرق جوهرى — الاتصال الذى يقول به الفارابى مجرد سمو إلى العالم العلوى وارتباط بين الانسان والعقل الفعال دون أن يمتزج أحدهما بالآخر . أما المتصوفة فينظمون من العبد والرب وحدة غير منفصلة ، ويقولون بحلول اللاهوت فى الناسوت . وعلى هذا يتلاشى أنا فى أنت تماماً ولا يتميز الخلق من الخالق . وهــذا هو سر حملة أهل السنة على هذا الخلط غير المقبول والغلو المفرط . حقاً إن الفارابى يذهب فى فقرة واحدة غريبة إلى أن الانسان حين يصل إلى درجة السعادة يحل فيه العقل الفعال[١] . غير أنه لا يمكن أن يقبل هــذا التعبير على علاته ويجب أن يحمل حملاً مجازياً . فان صاحبه يلاحظ غير مرة أن العقل المستفاد وهو أسمى درجات الكمال الانسانى يختلف فى طبيعته ووظيفته ومرتبته عن العقل الفعال . ويرى الفارابى فوق هــذا أن الموجودات فى تدرجها مكونة من طبقات بعضها فوق بعض ؛ والله مثال الكمال المطلق ، وبينه وبين الانسان والعالم الأرضى كله فواصل متعددة[٢] . فنظريات الفارابى الميتافيزيقية والفلكية المختلفة لا تسمح بأن يتحد الخلق مع الخالق أو أن يمتزج العقل الانسانى بالعقل الفعال

وأخيراً على كلمة اتحاد واتصال تؤذنان بالفرق الواضح بين نظرية الحلول الحلاجية ونظرية السعادة الفارابية ؛ فان الكلمة الأولى التى تنصرف عادة إلى نظرية المتصوفة تدل على الاندماج التام بين المخلوق والخالق ، فى حين أن الكلمة الثانية التى تطلق على نظرية الفلاسفة تشعر فقط بمجرد علاقة بين الانسان والعالم الروحى

فالواجب علينا إذن أن نبحث عن منبع آخر يمكن أن تكون نظرية السعادة الفارابية فى جملتها قد استقيت منه . وإذا شئنا تعرف هذا المنبع وجب علينا أن نصعد إلى أرسطو وإلى كتابه الأخلاق النيقوماخية بوجه خاص . يقول جلسون : « ليس ثمت فكرة ولا عبارة لدى أرسطو لم تنظر ولم ينتفع بها شراحه . وهذه الملاحظة صادقة على العموم فى كل المشاكل التى درسها وخاصة فى مشكلة العقل »[٣] . ونظرية الاتصال التى نحن بصددها تؤيد هذه الملاحظة تمام التأييد ، فانها مأخوذة نصاً عن أصل أرسطى ؛ وذلك أن أرسطو فى شرحه للخير الأسمى يقول فى الكتاب العاشر من الأخلاق النيقوماخية إنه فضيلة تتكون فى الوحدة وبالتأمل العقلى وتخالف الفضائل الانسانية الأخرى المتعلقة بالجسم . هو قوة تأملية تكتفى بنفسها وتدرك الحق المطلق ، وفضيلة عليا لأنه يتصل بأسمى شيء فى الانسان وهو العقل . وباختصار هو

(١) القشيرى الرسالة القشيرية ، ص ٤٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٧ ، ٤٣

(٣) Massignon, Recueil, p. 169.

(١) الفارابى ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٥٨

(٢) الفارابى ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ١٧

(٣) Gilson, Archives, IV, pp. 5-6.

فضيلة الفضائل لأنه يصدق على الجانب القدسي حقيقة في الانسان [١]. ليس هناك شك في أن هذه الفقرات أساس لنظرية الفارابي في السعادة والاتصال. ففي رأيه، كما في رأي أرسطو، الحياة العقلية غاية في نفسها. ومتى جد الانسان في الدراسة والنظر والبحث والتفكير تشبه بالله والعقول المفارقة التي هي إدراك مستمر وتأمل دائم. ومتى انقطع الانسان إلى هذا المجهود النظري اقترب من الكائنات العلوية، وفاز بسعادة ليست وراءها سعادة. فأرسطو الواقعي مصدر الجانب الصوفي في الفلسفة الاسلامية، و« الأديمونيا [٢] » الأرسطية عماد لنظرية السعادة الفارابية. وإذا تتبعنا كل ما وصل إلينا من كتب أرسطو لم نجد فيه إلا نصين اثنين يشعران بروح خفية وينزعان نزعة صوفية. وهما ما أشرنا إليه آنفاً في كتاب الأخلاق النيقوماخية وما جاء في كتاب النفس خاصاً بوظيفة العقل الفعال وأثره في تكوين المعلومات العامة [٣]. وكلا النصين أثر تأثيراً عميقاً في فلاسفة الاسلام وآرائهم الصوفية والنفسية. حقاً إن الفارابي ضنين بأسراره ولا يحب أن يقف قراءه على مصادر أفكاره؛ بيد أن عباراته تكفي للبرهنة على ما ذهبنا إليه. وابن رشد الذي يعتنق نظرية الفارابي في الاتصال يقول لنا إن هذه النظرية جواب على سؤال وجهه أرسطو ولم يجب عليه [٤]. فبعد أن وضح كيف يدرك « النوس » أو العقل الحقائق المجردة قال: « سنرى فيما بعد إذا كان في مقدور العقل الانساني — ولو أنه غير مفارق — أن يدرك أشياء مفارقة بذاتها » [٥]. ولما لم يف أرسطو بوعده أخذ فلاسفة الاسلام على عاتقهم أن يتلافوا هذا النقص ويجيبوا على هذا السؤال

غير أن أرسطو وحده لا يكفي في توضيح نظريات الفارابي التصوفية؛ ذلك لأن بينه وبين الفيلسوف العربي مدرسة الاسكندرية التي أثرت كذلك في فلاسفة الاسلام عامة وعلى رأسهم الفارابي. والاتصال الذي يقول به الفارابي لا يختلف كثيراً من «الاكستاسيس» أو الجذب الذي قالت به مدرسة الاسكندرية. فالاثنان يعتمدان على التأمل والنظر وينتجان هياماً وغبطة تخرج بنا من عالم الحس والمادة إلى نور الحقيقة واليقين. نعم إنه يصعب علينا أن نحلل هاتين الظاهرتين تحليلاً نفسياً دقيقاً، ولكنا نستطيع أن نلاحظ أنهما يمثلان أسمى أعمال العقل الانساني التي ترمي إلى الخير الأعلى. ومتى وصل المرء إلى مرتبتهما أحس بسعادة تجل عن الوصف وغبطة لا نهاية لها. وفي عبارات الفارابي ما يعلن عن الأصل الاسكندري الذي اعتمد عليه والذي لا يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى كتاب الربوبية. ولنكتف بتقديم نص واحد من كل طرف يشهد بذلك. يقول الفارابي: « إن لك منك غطاء فضلاً عن لباسك من البدن، فاجتهد أن ترفع الحجاب وتتجرد، وحينئذ تلحق. فلا تسل عما تباشره، فان ألمت فويل لك، وإن سلمت فطوبى لك. وأنت في بدنك تكون كأنك لست في بدنك، وكأنك في صقع الملكوت، فترى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاتخذ لك عند الحق عهداً، إلى أن تأتيه فرداً [١] ». ويقول صاحب كتاب الربوبية أو أثولوجيا: « ربما خلوت أحياناً بنفسي وخلعت بدني فصرت كأني جوهر مجرد بلا جسم. فأكون داخلاً في ذاتي وراجعاً إليها وخارجاً من سائر الأشياء سواي، وأكون العلم والعالم والمعلوم جميعاً. وأرى في ذاتي من الحسن والبهاء ما أبقى معه متعجباً، وأعلم عند ذلك أني من العالم الشريف جزء صغير. وحين أوقن بذلك أرقى بذهني إلى العالم الآلهي، ويخيل إلي كأني قطعة منه. فعند ذلك يلمع لي من النور والبهاء ما تكل الألسن عن وصفه والآذان عن سمعه. ومن الغريب أني أشعر بأن روحي مملوءة بالنور مع أنها لم تفارق البدن [٢] ». هذان النصان من غير تعليق ناطقان بالقرابة القربى والعلاقة الوثيقة بين الجذب الذي دعا اليه رجال مدرسة الاسكندرية، والاتصال الذي جد في طلبه الفارابي. وكتاب الربوبية هو المرآة التي عكست كثيراً من آراء أفلوطين وأتباعه على العالم الاسلامي

(يتبع) ابراهيم بيومي مدكور

---

(١) Aristote, Ethique, a Nic. L. X, ch. VII,VIII.- انظر أيضاً الترجمة العربية للطفي باشا السيد، ج ٢ ص ٣٤٩ — ٣٦٢

(٢) كلمة يونانية معناها السعادة، وقد أطلقها أرسطو على نظرية الخير الاسمى، وفي هذا ما يبين الصلة بين هذه النظرية ونظرية السعادة الفارابية

(٣) Aristote, de Anima, L.III.

(٤) Renan, Averroes, p. 184.

(٥) Aristote de Anima, L. III, ch. VII, 88.

---

(١) الفارابي، الثمرة المرضية، ص ٧١.

(٢) كتاب الربوبية، ص ٨ — والفارابي نفسه يستشهد بهذا النص ويسوقه مع شيء من التحريف في رسالة الجمع بين رأي الحكيمين، ص ٣١

# العـــــودة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

ها نحن أولاء نعود الى الوطن بعد طول الغيبة والتجوال ؛ نعود إليه بقلوب تخفق ابتهاجاً بالعود ، كما غادرناه بقلوب تخفق ابتهاجاً للسفر واستقبال أسابيع نخالها دائماً تفيض متاعاً للنفس واستجماماً للجسم وانتعاشاً للروح المضنى

ولكن السفر لا يحقق دائماً ذلك الأمل ؛ فنى كثير من الأحيان يغدو التجوال مشقة وضنى ؛ ذلك أن الذهن المضطرم يذكيه الجديد فى كل لحظة فلا يفتأ يطلب المزيد من المناظر والصور ، والمشاعر الحساسة تجد دائماً ما يثيرها فى تلك الآفاق الاجتماعية الجديدة التى تلامسها فى كل خطوة ؛ وشغف الملاحظة يحفز دائماً الى المعرفة والبحث ؛ وإذا كان فى ذلك متاع للعقل والروح ، ففيه دائماً ضنى للجسم والقوى

على أن السياحة نزهة العصر ؛ ولقد كانت السياحة فيما مضى مشقة ومخاطرة ؛ وإنه ليحضرنا ونحن نكتب هذه السطور ، ونخترق العباب المتلاطم ، فى بهو أنيق وثير من أبهاء «الكوثر» وصف المقرى مؤرخ الأندلس لرحلته من المغرب الى الاسكندرية فى نفس المياه ، وما يصوره لنا من روعة البحر وأهواله ، فنذكر كيف استطاعت العبقرية البشرية أن تذلل الموج المروع ، وأن تسير فوقه المدن الأنيقة السابحة آمنــة مطمئنة ، وأن تجعل من اختراق العباب المضطرم آية النزه والمسرات

ولقد شاد الشعراء والكتاب من قبل بمزايا السياحة ومتاعها على ما كان يحفها فى تلك العصور من المشاق والمخاطر ؛ ذلك أن للجديد دائماً سحرا لا يقاوم ، والنفس البشرية مفطورة على حب الاطلاع واكتشاف المجهول ؛ وقد كانت بلاد العالم يومئذ مجاهل بعضها بالنسبة لبعض ، فكان السفر اكتشافا لآفاق ومجتمعات مجهولة ؛ أما اليوم فقد اختفى المجهول من العالم المتمدن ، ولكن بقى الجديد يجذبنا سحره دائماً الى عوالم ومجتمعات مختلفة نأنس فى اكتشافها ودراستها لذة ومتاعاً للعين والنفس والروح

وقد يستغرق التجوال فى تلك العوالم والمجتمعات الجديدة كل حواسك وأفكارك ؛ ولكنــه مهما أفاض عليك من البهجة والسحر ، لا يستطيع أن يخمد فى نفسك نزعة الحنين الى الوطن وما تزال ذكرى الوطن تمثل فى ذهنك فى كل خطوة ؛ أحياناً مقرونة بالزهو ، وأحياناً بالأسف ، وفقاً لمختلف الظروف والأحوال ؛ وما يزال شبح العود الذى لا يفارقك منذ اليوم الذى تغادر فيه الوطن يلوح لك ، ويقوى كلما ضعف سحر التجوال ، حتى يحل دور السأم ؛ وعندئذ يجذبك الوطن إليه بكل ما فيه من تأثير وسحر ، ويغدو العود سعادة تسارع الى اجتنائها

وها نحن نعود الى الوطن سعداء بالعود

***

ولقد غادرنا الوطن فى ظروف دقيقة تبحث فيها قضيته ، وتعالج مصايره على يد زعمائه الأوفياء ، فكنا خلال المرحلة نتطلع إلى أنباء المفاوضات المصرية الانكليزية ونتلقفها حيث كنا وأنى استطعنا ؛ وكانت الصحف والأنباء الأوروبية ضنينة بها كل الضن فلا تنشر عنها إلا كلمات يسيرة ؛ وكانت الصحف الانكليزية بالطبع أكثر تحدثاً عنها ؛ وكنا كلما شعرنا خلال السطور بأن أزمة تعترض المفاوضات زدنا لهفة وقلقاً ؛ فلما جاءت الأنباء بأن الأزمات كلها قد ذللت ، وبأن المعاهدة قد وقعت بالحروف الأولى ، وبأن وفد مصر سيمثل إلى لندن ، هللنا وكبرنا ، وفاضت نفوسنا أملاً واستبشاراً ؛ ولما جاء يوم الأربعاء السادس والعشرين من أغسطس ، وهو اليوم الذى حدد لتوقيع المعاهدة لبثنا — ونحن فى فينا — ننتظر النبأ الخطير بفارغ الصبر ، وكان الراديو أسبق المصادر إلى إذاعته فى مساء نفس اليوم ؛ وفى صباح اليوم التالى ظهرت الصحف النمسوية وفى صدرها نبأ توقيع المعاهدة ، ووصف موجز للعبارات التى تبادلها زعيم الأمة المصرية ومستر إيدن وزير الخارجية الانكليزية ؛ ثم توالت الأنباء بعد ذلك عن استقبال مصر للحادث المشهود ، واحتفائها به احتفاء يتفق مع عظمته وخطورته ، فكان أكبر أسفنا أننا لم نكن عصر فى تلك الأيام التاريخية لنشهد بأعيننا ذلك المنظر الرائع : منظر أمة تستقبــل وثيقة تحريرها وتمان ابتهاجها بما

جنت من ثمار جهاد طويل شاق

ومن غرائب الاتفاق أن تكون نفس الفترة التى تمت فيها المفاوضات بين مصر وانكلترا ووقعت معاهدة الصداقة المصرية الانكليزية ، أعنى ما بين يولية وأغسطس هى نفس الفترة التى شهدت فيها مصر ضياع استقلالها وحريتها منذ أربعة وخمسين عاماً

الله أكبر ! لقد دخلت مصر فى عهد جديد وافتتحت صفحة جديدة من تاريخها

فرعى الله مصر فى عهدها الجديد ، ووفقها على يد زعمائها وقادتها الأوفياء الى تحقيق ما تطمح إليه من عظمة وسعود

* * *

وحان وقت الرحيل بعد أيام ، واستحكم حنين العود ، فكان التردد على مكاتب السفر والتحرى عن المواعيد وعن مختلف الطرق ، وكانت أزمة الأمكنة فى البواخر من أى الثغور دليلاً على اضطرام حمى العود ؛ وإنك لتأنس فى هذه الفترة التى تهيأ فيها اجراءات العود ، والتى تقوم فيها بآخر جولة فى المدينة وفى منتدياتها شعوراً غريباً من الأسف والارتياح معاً .. أما الأسف فلاختتام فترة من الرياضة النفسية والعقلية قلما نظفر بها فى مصر . وأما الارتياح فلاختتام فترة من التجوال المبهظ والوحشة ؛ ذلك لأن السياحة مازالت ترفاً غالياً برغم ما تقدمه بعض الدول لتذليلها من التسهيلات فى مسائل العملة والسكك الحديدية ؛ وقد ذهبت ألمانيا وإيطاليا فى ذلك الى حدود مغرية حقاً ، ولكنك ما تكاد تزور ألمانيا أو إيطاليا حتى تشعر بأن هذه التسهيلات لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة لما تعانيه من غلاء فادح فى كل شىء ؛ وليس من المبالغة أن نقول إن نفقات المعيشة فى أوروبا وبخاصة فى فرنسا وسويسرا ؛ تبلغ على الأقل مثليها فى مصر ؛ ولقد قيل مراراً إن مصر لا تقدم شيئاً لتسهيل السياحة ، وإنها يجب أن تجارى الدول الأخرى فى تنظيم بعض تسهيلات مغرية للسياح ؛ ولكن من المحقق أن تكاليف السياحة فى مصر هى أرخص منها فى أى بلد من بلاد العالم ؛ ويكفى أن تتقدم مصر بهذه الميزة للسائحين

هذا وليس من ريب فى أنه مهما كانت مسرات السياحة ومغرياتها فان السائح يشعر فى بلاد الغربة بنوع من الوحشة يمروه من آن لآخر ، فاذا حان أوان العود شعر بنوع من الارتياح للتخلص من هذه الوحشة واستعادة الإيناس فى الوطن والأهل

* * *

ودعنا العاصمة النمسوية فى صمت ، وتزودنا بالنظرات الأخيرة من هاتيك الربوع والمعاهد الضاحكة ، وازدلفنا إلى محطة الجنوب لنستقل القطار إلى «جنوة» حيث نستطيع اللحاق «بالكوثر» وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب حين مررنا بجبال الالب قبالة «زيمرنج» ، وهنالك تأخذك الطبيعة بجمالها الرائع ، وتمتد الأشجار والأزهار على الربى إلى مالا تدرك العين

وفى ضحى اليوم التالى كنا فى البندقية نتجول فى ساحة سان ماركو ، ونطوف بكنيسة سان ماركو وقصر الدوجات ونقطع «قنطرة الزفرات» ما بين القصر والسجن ، ونتأمل هاتيك المعاهد والآثار التى تذكرنا بصفحة من أروع صحف العصور الوسطى

ولقد شعرنا حين هبطنا البندقية أن يد التجديد قد صقلتها وأسبغت عليها مسحة من البهاء لم تكن لها من قبل ، ووصلت كثيراً من أحيائها وطرقاتها المائية باليابسة ، وكان عهدنا بها أنك لا تستطيع التنقل فيها إلا «بالجندولا» ، فاذا بك اليوم تستطيع أن تقطعها سيراً من المحطة إلى الميدان — ثم إلى أنحاء كثيرة منها ؛ وإنك لتشهد اليوم هذا التجديد أينما حللت فى إيطاليا ؛ وتلك آثار الفاشستية بلا ريب ، وآثار تلك الروح الانشائية التى تنفث إلى إيطاليا حياة جديدة فى كل شىء

وأخيراً انتهينا مساء إلى جنوة ؛ وفى ضحى اليوم التالى ازدلفنا إلى الميناء فرحين باستقبال أول قطعة من أرض مصر ؛ أجل هاهى ذى الكوثر تقف باسمة فى ركن من خليج جنوة الكبير ، وهاهو ذا العلم المصرى الأخضر يخفق على ساريتها ؛ وإنه لمنظر يبعث إلى الفخر والزهو أن ترى سفناً مصرية صميمة تشق عباب هذه المياه ؛ ولقد كان لمصر مدى العصور الوسطى بحرية عظيمة تجوس خلال هذا البحر ، وكانت سفنها التجارية كثيراً ما تنتقل إلى البندقية وسرقوسة وجنوة ؛ وكان للربابنة والبحارة السكندريين فى تلك

بين عالمين

# مصـــــر ...

شهد الخلائق إنها لنجيبة
بدليل من ولدت من النجباء

لفضيلة الشيخ الأكبر

## الأستاذ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

غير مجازف كثيراً — لو قال قائل — ليست مصر وليدة الأزمان وبنت الدهر، ونسيلة الأحقاب، بل هي أم الزمان ووالدة الدهر، وجدة الليالي والأيام؛ كما أن ما نرى لها اليوم من الحضارة الزاهرة، والثقافة الباهرة، ليس بالأمر الحديث، ولا الشيء المستطرف؛ وتقدمها في العلوم والصنائع والمعارف والفنون يكاد يتصل تاريخه بتاريخ دورة الأفلاك، ونشأة الكون ولكن لا شيء من هذا أريد، ولا إياه أعني بالبيان؛ وإنما أريد بهذه الكلمة التمهيدية أن أقول: إن الفقه الاسلامي وأحكام الشريعة الاسلامية قد تحورت عن وضعها القديم ونشأتها الأولى فأصبحت (ولا سيما في القرون المتوسطة) كعقد الجمان المتلألئ، ولكن قد طمرته الأتربة وغمرته الأقذاء والأقذار حتى حجبت جماله، ولم يستبن منه سوى بصيص من اللمعان ينبئ العارف عن كنز دفين، وجوهر ثمين؛ وما كانت صحاح أحكام هذه الشريعة المقدسة توجد الا عند رجالات من فرق المسلمين أو عند بعض طوائف منهم، ولكن لا صوت لهم ولا صيت، ولا تعرفهم أمم العالم من شرق أو غرب، وإنما كان مراجع الاسلام الذين تؤخذ منهم الأحكام هم أولئك الخشب المسندة والهيا كل المفخمة التي لها بزتها الخاصة وشاراتها المعينة، الذين تنصبهم السلطات الزمنية لسياستهم حسب تلك الظروف بأسماء مصطلحة كما يقال (شيخ الاسلام) و (أمين الفتوى) و (مفتي الحنفية) و (مفتي الشافعية) وهكذا وهلم جراً الى ما شاء الله.

وكانت الشريعة الاسلامية تضج الى الله وإلى العلماء الأصحاء في تطهيرها من تلك الأوضار وفكها من تلك القيود والأغلال وبقي الحال على هذه الكوارث لا يزداد الأمر على تمادي الأيام ومرور القرون إلاّ شدة في العمى ورسوخاً في الجهل، وضياعاً للحقائق، وتكاثفاً في الحجب على محيا الشريعة الغراء، مثل تكاثف الغيوم السوداء على جبين الشمس. ويعرف كل ذي لبّ: أن (مصر) قد سبقت الأقطار العربية في كثير من أسباب الحضارة، فدخلت قبلها في أكثر أبواب الثقافة، ولها فضيلة السبق الى التطور الحديث والأنظمة الجديدة — إن في الأدب أو في العلم والتعليم، أو التأليف والنشر، أو غير ذلك من من أبواب المعارف

ولكنني أتنسم أن العناية قضت أن يكون لها السبق أيضاً حتى في نشر ما قبرته قرون الجهل والعصور المظلمة من الفقه الاسلامي وأحكامه الصحيحة وكشف ما تراكم على محياه من غيوم الأوهام وتحطيم تلك القيود والأغلال وطرحها عنه. وأحد شواهدي على ذلك — الكتيب الصغير، وأقول: الصغير على حد قوله:

---

العصور شهرة خاصة؛ وكان لمصر أسطولها الحربي والتجاري إلى ماقبل زهاء قرن فقط، ولكن صروف الزمن حرمت مصر مدى قرن من امتطاء صهوة المياه؛ والآن يستأنف التاريخ سيره، وتعود مصر فتسير سفنها في هذا العباب، وتعيد لنا النيل والكوثر سيرة غمرها النسيان دهراً؛ فعسى أن تكون النيل والكوثر نواة بحرية مصرية تجارية عظيمة تملأ جوانب هذا البحر نشاطاً، وتملأ نفوسنا غبطة وفخراً

تلك خواطر وعواطف تثيرها في النفس تلك السويعات الفريدة في حياتنا: سويعات يغمرها متاع التجوال وبهجة الجديد دائماً، ويملأها شجن البعاد أحياناً؛ على أنها ذكريات عزيزة في حياتنا نتطلع دائماً الى تجديدها. وإن نعود الى الوطن ليملأ اليوم نفوسنا غبطة وسعادة خصوصاً وأننا نعود إليه في مستهل عهد جديد يجيش بآمال وأماني جديدة؛ ولكن أمل العود الى التجوال يهتف بنا في نفس الوقت لنجوز نفس المشاعر والظروف مرة أخرى ما؟

(الباخرة كوثر في ١٣ سبتمبر) محمد عبد الله عنان

ان الكواكب فى علو محلها      لترى صغاراً وهى غير صغار

ذاك كتاب ( نظام الطلاق فى الاسلام ) ، وكان مؤلفه الأستاذ العلاّمة أهدى الى نسخة منه . وبعد أن طالعته مرة أو مرتين راقنى وأعجبنى ؛ ولا أقول : أعجبنى دقة بحثه ، وبراعة تحقيقه ، ولطف أسلوبه ، واعتدال سليقته ، وان كان حائزاً على أوفر نصيب من كل ذلك ، وانما الأمر الذى يوشك أن يكون قد تفرّد به وامتاز — هو صراحته وبسالته ومشيه على ضوء دلالة الكتاب والسنة ، وعدم مبالاته بما اصطلحوا عليــه من الاجماع الذى جعلوه آلة تخويف ومهماز تهويل ، وإن قام على خلافه الدليـل . يعرف هذه البسالة أهل هذا الفن ومن خاض لجج تلك الغمرات

كان بعض أساتيـذى العظام وقد انحصرت به فى أواخر عمره مرجعية تقليد الامامية فى سائر الأقطار ، وحاز من النفوذ والاكبار — ما قلما كان يتفق لغيره من السلف — وفى الوقت نفسه كان يقول :

وددت لو أعرف سنة وفاتى حتى أعلن وأجاهر بفتاوى فى نفسى يساعد عليها الدليل ، وتخفف عن المسلمين العبء الثقيل . فكأنه رضوان الله عليـه — كان يخشى من إفشاء تلك الفتاوى حدوث الضوضاء من جهل العامة وجمود الخاصة المتسلحة بدعوى تلك الاجماعات . وكم لتلك الـكلمة من الأكابر من نظائر !

فمثل — طلاق الثلاث ، وطلاق الحائض ، والحلف بالطلاق والعتاق وأمثالها من القضايا التى لم تزل من عهد قديم من المسلمات الرائجة عنـد جمهرة المسلمين ، ويُدعى اتفاق المذاهب الأربعة عليها ، فاذا نهض رجل فى هذا العصر يهدم تلك المبانى الراسخة بمعول الحجة البالغة والبرهان القاطع ، أفلا يكون شجاعاً باسلاً وعالماً نحريراً ؟

نعم طالعت الـكتاب فما سنح لى موضع للملاحظة والتعليق عليه إلا فى اختياره وجوب الاشهاد فى الرجعة كوجوبه فى الطلاق ، واستغرابه من علمـاء الاماميـة الفرق بينهما ، فـكتبت إليه كتاباً فى بيان الفارق بينهما من ناحيـة الدليل تارة ومن ناحية الاعتبار أخرى ، فـكنت أحسبه كتاباً خصوصياً لا يتجاوز حظيرة ما بينى وبينه ؛ ولـكن كأن مروءته ، وكأن شهامته ، وكأن حبه للخير وتعميم الفائدة دفعته الى نشره والتعليق عليه ؛

فما أنا ذات يوم إلا وبعض شـباب النجف من تلامذة المدارس يقول لى : إن مجلة ( الرسـالة الغراء ) نشرت كتاباً لـكم مع الجواب عليه ... وحيث أن صديقنا الأسـتاذ الزيات حفظه الله منذ حمل الرسالة ، وأنشأ مجلتها الزاهرة ، لم يتكرم بإتحافنا بهـا كما يصنعه جملة من الصحافيين الـكرام ، لذلك استعلمنا من ذلك الشاب مظانها ، فذكر المـكتبة العامة الحـكوميـة فى النجف الأشرف ، فأوعزنا الى إدارتها فأرسلت إلينا عددى ١٥٧و١٥٩ فقط ؛ نظرت فيهما المقالين نظرة خفيفة ثم استرجعتهما الادارة عملاً بقانونها ، ولـكن بعض أبناء أعيان النجفيين الذين فى بغداد أرسل الى عفواً من غير طلب الأعداد الثلاثة ، فوجدت بعد إعادة النظر فيها ان الأستاذ السابق الذكر قد أسهب فى الجواب عما قدمنا إليه فى الـكتاب . وفى الحق أنه قد استفرغ وسعه وبذل جهده وأحاط بالموضوع من جميع أطرافه شأن المجتهد الفقيه الذى يلزمه فى سبيل استنباط الحـكم الشرعى استفراغ الوسع ، واستقصاء النظر ، وبذل أقصى الجهد فى تحصيل الدليـل على الفتوى من الـكتاب والسنة وكلمـات العلماء . وهكذا صنع الأستاذ سدده الله فيما ذهب إليه من وجوب الاشهاد على الرجعة والتقصى عما أبديناه من الفرق ، فقد حشد زمرة من كلمـات الأساطين وجملة من الروايات والأحاديث التى يراها تشهد بصحة دعواه . . . وحيث أن من سجيتى التجافى عن إطالة المناظرة وتسلسلها خوفاً من أن يؤدى ذلك الى الجدل والمراء وحب الغلب بحق أو باطل ، وإذا أبديت رأيى فى موضوع فلست بملتزم أن يقبله كل أحد ، ولا يلزمنى أن أدفع كل مايقال عليه ، وإنما على أن أحتج وأقول ، ولغيرى حرية الاختيار فى الرد أو القبول . ولذلك لا أريد هنا أن أتعقب كل جملة مما ذكره الأستاذ بالمناقشة والمناوشة فيكون ذلك تطويلاً ولعله من غير طائل ، ولـكنى أيضاً — شغفاً بنشد العلم وتعميم الفائدة أريد أن أؤسس قاعدة أصولية فقهية ينتفع بها الفقيه والمتفقه فى مقام الاستنباط ، ويرجع كل منهما إليها عند الحيرة والارتباك ، مستفادة أيضاً من ذات الـكتاب والسنة ، وهى أنه إذا قام فى الدليل الشرعى من كتاب أو سـنة احتمالان متكافئان لا يترجح أحدهما على الآخر بمرجح داخلى أو خارجى ، هنالك ينظر الفقيه أى الاحتمالين أسهل على العباد وأيسر فى مقام

العمل ، فيلزم الأخذ به والفتوى على طبقه ، لما ورد فى الأدلة العامة من أن الشريعة الاسلامية مبنية على الرفق والتسهيل ، مثل قوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقوله عز شأنه : « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقول صاحب الشريعة : « جئتكم بالشريعة السمحاء » وقوله : « يسروا ولا تعسروا » وكثير من أمثال ذلك

ونضرب لذلك مثلاً فنقول : قوله تعالى : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » قام فيه احتمالان : احتمال العود الى الطلاق فقط ، واحتمال العود إليه والى الرجعة المشار إليها بقوله تعالى « فامساك بمعروف » . فلزوم الاشهاد فى الطلاق متيقن على كلا التقديرين ، أما فى الرجعة فحتمل لزومه ومحتمل عدمه . ولو تنازلنا مع الخصم وقلنا بتكافؤ الاحتمالين من حيث نفس الآية ، وأغمضنا عما قلناه من دلالة السياق على اختصاصه بالطلاق فقط ، وإن الرجعة والاشهاد كليهما من أحكام الطلاق وهما فى رتبة واحدة ، فلو كان الاشهاد واجباً فى الرجعة أيضاً للزم أن يكون ماهو فى رتبة الشىء متأخراً عن ذلك الشىء ضرورة تأخر الحكم عن الموضوع ، فيكون الشىء متقدماً ومتأخراً — حكما وموضوعاً — وهذا خلف وإحالة ، وتناقض فى الدلالة . ولكن أغمضنا عن ذلك كله وقلنا بتكافؤ الاحتمالين ، فاللازم بحكم تلك القاعدة الأخذ بأسهلهما وأقلهما كلفة وهو عدم لزوم الاشهاد . وقد تقرر فى فن الأصول أيضاً أنه إذا تعارضت الأدلة أو تزاحمت الاحتمالات فالمرجع الذى يستراح اليه هو الأصل المقرر فى ذلك المورد . ولا ريب أن الأصل فى المورد هو عدم الوجوب وعدم اللزوم ، ويعضد ذلك ما يزيح العلة ويقطع دابر الشكوك والأوهام . ذاك ما ورد فى أخبار أهل البيت سلام الله عليهم مثل ما فى صحيحة محمد بن مسلم قال : سئل أبو جعفر الباقر ( ع ) عن رجل طلق امرأته واحدة ثم راجعها قبل أن تنقضى عدتها ولم يشهد على رجعتها ، قال : هى امرأته مالم تنقض العدة . وقد كان ينبغى له أن يشهد على رجعتها . وإن كان جهل ذلك فليشهد حين علم . ولا أرى بالذى صنع بأساً ، وإن يشهد فهو أحسن . وفى أخرى : يشهد رجلين إذا طلق وإذا رجع . فان جهل فغشيها فليشهد الآن على ما صنع وهى امرأته ؛ وإن كان لم يشهد حين طلق فليس طلاقه بشىء . وفى ثالثه : الطلاق لا يكون بغير شهود ، والرجعة بغير شهود رجعة ، ولكن ليشهد بعد فهو أفضل . وعلى هذا النمط أخبار أخرى كثيرة صريحة فى الفرق بين الطلاق والرجعة ، وأن الأول لا يصح وليس بشىء بدون الاشهاد بخلاف الثانى غايته أنه يستحب فى الرجعة الأشهاد ، وهو استحباب ارشادى معلوم المصلحة وهى الحذر من الجحود وإنكار الزوج أو الزوجة مشياً مع الأغراض والأهواء التى قد تتفق لأحدهما . ومثل هذا لا يصلح أن يكون علة للوجوب ، فان الالزامات الشرعية وجوباً أو تحريماً إنما هى لأحداث الدواعى إلى فعل الواجب واجتناب الحرام . فاذا كانت الدواعى فى الغالب حاصلة فى النفوس فلا مقتضى للالزام . ألا ترى أن الله سبحانه قال فى كتابه الكريم : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ولكن الفقهاء من الفريقين اتفقوا على الظاهر ، على أن الأمر هنا للاستحباب وأنه ارشادى محض ، لأن الدواعى للاشهاد ولاسيما فى الأموال الخطيرة كالعقار والضياع وأمثالها متوفرة عتيدة ، فلا حاجة إلى الزام الشارع به بعد أن كانت الناس مندفعة اليه بأنفسها حرصاً على الضبط واستعداداً للطوارىء من جحود وإنكار . فأمر الشارع بالاشهاد إرشاد إلى أمر واقع ، وتحفظ لازم ، وليس معناه أن البيع باطل بدون الاشهاد ، بل معناه أنك إذا تبايعت بغير إشهاد فقد غررت بنفسك ، وخاطرت بمالك فلا لوم إلا عليك . وهكذا الأمر بالاشهاد فى الرجعة إذا خشى كل منهما إنكار الآخر فانه يندفع اليه طبعاً ، وينساق له قسراً .

والاشهاد فى الطلاق ليس لهذه الغاية فقط ، وإلا لكان حاله كحالى سائر العقود والايقاعات كالبيع والاجارة والصلح والعتق والوقف ، فلا شىء من هذه وغيرها يجب فيه الاشهاد سوى الطلاق لحكمة هى أدق وأعمق ، وهى ما أشرنا اليه فى كتابنا السابق . وكذا النكاح لا يجب الاشهاد فيه عندنا بحيث لا يصح بدونه ، ولكن النفوس منساقة ومجبولة على الاشهاد فيه للضبط والاستعداد للطوارىء من ميراث وغيره . وأحسب أن هذا البيان سيكون كافياً عما أفاده الأستاذ فى ملاحظته الأخيرة إذ يقول صفحة ١٣١٩ من المقال المنشور فى ( الرسالة ) : « وما اشترط فى صحة الرجعة إنما اشترط ضماناً لبقاء الحياة الزوجية صحيحة سالمة من إرادة العبث بها وبعداً عن مواطن الشبهات

وعن الاضرار بالمرأة عن إرادة النكول والجحد لاضاعة حقها » إلى آخر ما أفاد حفظه الله . فان هذا كله صحيح ومتين ، ولكن لا يصح بل لا يصلح أن يكون علة تبعث الشارع على الحكم بالوجوب بعد أن كانت الدواعي والبواعث متمكنة من النفوس بالاشهاد عند ملابسة الشك والخوف كما يشهدون فى النكاح والبيع مع عدم وجوبه شرعاً . . . ومصاص الحقيقة وزبدة المخض أن الكلام تارة فى صحة العمل فى حد نفسه مجرداً عن كل الملابسات والعوارض فنقول مثلاً : إن العتق يصح بقول السيد لعبده (أنت حرّ) فيصير العبد حراً بمجرد إنشاء المولى هذه الصيغة ، ولا حاجة إلى شهادة ولا كتابة ولا غيرهما ... والكلام تارة أخرى من حيث الطوارئ كعروض خصومة أو نزاع بين السيد والعبد واحتمال الجحود والانكار ، فلا إشكال فى أن الحاجة من هذه الناحية ماسة إلى الاشهاد وهو ضرورى . وكذا الكلام فى سائر الايقاعات والعقود كالبيع مع أن الكتاب المجيد أمر فيه بالاشهاد (وأشهدوا إذا تبايعتم) ولكن لم ينسب القول بوجوبه إلا إلى بعض أهل الظاهر ، وهو شاذ نادر . والخلاصة أن مقام الثبوت شىء ، ومقام الاثبات شىء آخر ؛ ونحن حيث قلنا بعدم وجوب الاشهاد فى الرجعة أردنا مقام الثبوت على حدة فى الطلاق الذى يتوقف ثبوته على الاشهاد . أما مقام الاثبات فالرجعة وغيرها سواء فى أنها محتاجة ومتوقفة على الشهادة فى الجملة (وإنما أقضى بينكم بالبينات والايمان)

وأرجو أن تكون هذه النبذة كافية فى سد باب هذه المساجلة ، وأخشى لو زاد البحث على هذا أن تدخل فى نوع المجادلة . نعم بقيت فى الطلاق قضايا مهمة كثيراً ما يقع بها الابتلاء ولم يتعرض الأستاذ أيده الله لها فى كتابه

(منها) طلاق المفقود زوجها الغائب غيبة منقطعة كما وقع الابتلاء بهذا فى الحرب العامة بكثرة . ولفقهاء الأمامية طريقة خاصة حسب الوارد عندهم من أحاديث أهل البيت (ع) فى التحرى أربع سنوات ، ومع اليأس وعدم النفقة يطلقها حاكم الشرع

(ومنها) ولى الصغير فانهم جوزوا أن يعقد له ولم يجوزوا الطلاق عنه ، وإطلاق كلماتهم يشمل حتى صورة المصلحة

(ومنها) طلاق الممتنع زوجها عن القيام بنفقتها تمرداً وعصياناً ومشاقة وإضراراً ، حاضراً كان أو مسافراً ، فانهم لم يجوزوا لحاكم الشرع طلاقها عنه تمسكاً فى هذه القضايا بسياق الحديث المشهور (الطلاق بيد من أخذ بالساق) وأنها ابتليت فلتصبر ، وهو عندنا محل نظر ، والجواز أقرب ، والأدلة عليه متوفرة، وقد طال المقال وضاق المقام عن ذكرها

وفى الختام — أرد على أخى وخليلى فى الله — تحيته الطيبة المباركة — بمثلها بل بأحسن منها ، داعياً له بطول العمر ومزيد التوفيق ، وأن يؤلف بين قلوبنا ، ويجمع كلمتنا على الهدى والحق فى خدمة الاسلام ، ومناصرة هذا الدين الحنيف إن شاء الله

(النجف الأشرف) محمد الحسين آل كاشف الغطاء

---

في الأدب المقارن

# الأثر الأجنـــبي

## في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخرى أبو السعود

تتفق اللغتان العربيـة والانجليزية فى خروجهما من جزيرة منعزلة ، وانتشارهما فى امبراطوريتين مترامیتین ، وفى تأثر أدبيهما بهذا التوسع العظيم وبالاختلاط بالأمم الأخرى وآدابها ، ولـكنهما يختلفان فى كيفية هذا التأثر ونواحيه ومداه ، لاختلاف الظروف التى اكتنفت قيام الامبراطوريتين

فقد صحبت قيام الدولة الاسلامية ظروف أربعة كان لها أبعد الأثر فى تاريخها السياسى وفى تاريخ أدبها : فهى أولاً قد قامت على أساس دعوة دينية تنتظم الأمم ، وتسوى بين الناس ، وتعد المؤمنين بها من مختلف الأجناس إخواناً . وهى ثانياً جاءت مبكرة غاية التبكير ، ولم تنقض على تأسيس الدولة العربية الأصليـة فى الوطن الأصلى — جزيرة العرب — غير سنوات قلائل . وثالثاً تم تأسيسها بسرعة نادرة المثال فى التاريخ نتيجة نجاح العرب الحربى الباهر ، وأخيراً انبسط سلطانها على أمم تفوق العرب الفاتحين غنى وحضارة وثقافة

هذه العوامل الأربعة — بما انطوت عليه من خير وشر — كانت حاسمة فى مستقبل الدولة العربية . فمساواة الاسلام بين الناس — مساواته بين العرب الفاتحين وبين الأعاجم المغلوبين — هيأت لهؤلاء أن ينافسوا العرب فى الحكم والرياسة وكافة أسباب الحياة . وقيام الامبراطورية مبكرة قبل أن تتوطد الدولة فى وطنها الأصلى من جهـة جعل قبضة الوطن الأول على ممتلـكاته واهية سرعان ما انحلت ، وانفصلت جزيرة العرب أو كادت عن بقية الامبراطورية وعادت إلى ركودها الأول ، وخرجت منها عاصمة الحكم ؛ ومن جهة أخرى جعل الحكم الفردى المطلق هو النظام الوحيد القادر على إدارة تلك الاصقاع المترامية ، فأهملت الشورى التى حض عليها الاسلام ، والتى كانت مرعية قبل أن تمتد أطراف الدولة وتخرج العاصمة من الجزيرة . وسرعة تأسيس الأمبراطورية غمر الفاتحين بطوفان من الثروة نشر الترف والفساد نشراً يزرى بكل ما عرفته رومة عقب فتوحها شرقاً وغرباً . وامتداد سلطان العرب على أمم تفوقهم حضارة وثقافة جعل من الحتم استعانتهم بأبناء تلك الأمم فى الادارات والصناعات التى لم يكن لهم بها عهد من قبل

وقد استفاد العرب من سـياسة المساواة والتسامح والعدل التى جروا عليها فى إدارة امبراطوريتهم أن انتشر دينهم ولغتهم فمحقا الأديان واللغات السابقة فى معظم أملاكهم وحلا محلها . ولـكن دولتهم جاءت — من جراء أربعة العوامل آنفة الذكر — شعوبية لا عربية صميمة ، مستبدة الحـكومة ، مترفة المجتمع ، متنافرة العناصر ، منطوية على عناصر كثيرة من عناصر الانحلال

***

كانت الظروف التى لابست قيام الامبراطورية الانجليزية وانتشار اللغة والأدب الانجليزيين عكس هذه تماماً : فقد توطدت الدولة الانجليزية فى وطنها الأول توطداً تاما مدى قرون قبل أن تتجـه إلى التوسع الخارجى ؛ واقتبس الانجليز حضارة جيرانهم وثقافتهم حتى صاروا فى مقدمة الأمم . فلمـا راحوا ينشرون سلطانهم لم يُخضعوا أمماً تفوقهم مدنية كما كانت حالة العرب مع الفرس ، أوحالة الرومان مع الاغريق ؛ وتـكامل بناء امبراطوريتهم تدريجاً مع سير الزمن وتطور الحوادث ، فلم يُبتـلَوْا بسيل مفاجئ من الثروة والترف يزعزع دعائم مجتمعهم ويوهن متانة أخلاقهم ، ولم يكونوا بسبيل دعوة دينية أو إنسانية تسوّى بين القاهر والمقهور ، بل كانوا وما يزالون يعتبرون رسالتهم إخضاع الآخرين وحكمهم لا مساواتهم بأنفسهم ؛ ومن ثم ظلوا متعالين عن الأمم المغلوبة مستأثرين بالـكلمة العليا دونها متحاجزين عن أفرادها فى المجتمع لا يخالطونهم ولا يزاوجونهم إلا فى النَّدر

لذلك كله قامت دولتهم إنجليزية صميمـة ، واتسق للنظام الديمقراطى أن يزداد تمكناً مع ازدياد اتساع الدولة ، بعكس ما كان فى حالتى العرب والرومان ؛ وظل للوطن الأول فى الامبراطورية الانجليزية المقام الأول ، وبقيت به حاضرة الحكم التى تجمع سلطتها الأطراف وتؤثر فى غيرها من أجزاء الامبراطورية أضعاف ما تتأثر بالغير

***

تلك الظروف التي صاحبت امتداد الامبراطوريتين واختلاط الأمتين بالعناصر الأجنبية كان لها جميعاً أعظم أثر في تاريخ أدبيهما كما كان لها أثر في تاريخها السياسي ، وهو أثر مزدوج يشمل معالجة أبناء الأمم المفتوحة لأدب الأمة الغالبة ، كما يشمل اطلاع أبناء هذه الأخيرة على آداب الأمم المقهورة ؛ وهنا أيضاً يتباين الأدبان العربي والانجليزي

فالعرب قد سمحوا للمسلم من أية أمة أن يباريهم في معاناة أدبهم كما باراهم في شؤون الحرب والحكم ، فما لبث الأجانب الداخلون في العربية أن بذوا العرب في هذا الباب بحكم قديم ثقافتهم وتليد حضارتهم كما بذوهم في غيره ، وما لبثوا أن صار منهم أئمة الأدب العربي ، واستأثروا أو كادوا بكتابة الدواوين ووزارة الخلفاء وصلات الأمراء

ولم يكن من الخير في شيء للأدب العربي أن يتسلط عليه أولئك الغرباء الواغلون ، وكانت لهم فيه آثار سيئة : فهم مهما تكن ثقافتهم ومهما بلغ انكبابهم على دراسة العربية غرباء بطبعهم عن الأدب واللغة والذوق الأدبي العربي وتقاليده ومراميه ، فلم يكتبوا أو ينظموا على السجية بل كانوا دائماً مقلدين متعلمين : قلدوا متقدمي العرب تظاهراً باندماجهم في العربية ، فكانوا عنصر تقليد ومحافظة ، لا عنصر ابتداع وتجديد في الأدب ؛ وتعملوا في اللفظ تظاهراً بتفقههم في اللغة ، فأدخلوا الصنعة والبهرج الزيغ في الأدب بدل أن يوسعوا أغراضه ويسموا بمعانيه

فَسَرَيانُ العنصر الأجنبي الأعجمي في الأدب هو مرجع تغلب الصنعة على الطبع في كثير منه ، ومرجع تغلب نزعة التقليد على نزعة التجديد في كل عصوره . وكفى بهذين داعياً الى جمود الأدب ثم تدهوره . ولا شك أنه لو بقي الأدب وقفاً على العرب الصميميين ، وظلت الكلمة العليا للعرب في الدولة ، وظلت هذه الدولة محدودة المساحة لا تتجاوز كثيراً حدودها الطبيعية ، لجاء الأدب أقرب إلى الطبع وأحفل بمظاهر الفن وأوسع مدى وأسمى أفقاً وأطول عمراً ، ولكان له تاريخ غير الذي كان

أما الأدب الانجليز — وسنن الانجليز التي جروا عليها في توسعهم واتصالهم بالأمم الأخرى هي ما قدمنا — فكان أقطابه بعد قيام الامبراطورية — كما كانوا قبلها — انجليزاً أقحاحاً يعبرون عن الطبع الانجليزي والبيئة الانجليزية ، ويفقهون روح لغتهم وتراث أدبهم ، ويصدرون عن تقاليدهم المجيدة ؛ فلا غرو جاء الأدب الانجليزي طبيعياً فنياً صادق التعبير سامي القصد بعيداً عن التكلف ثواراً على الجمود

فهذا فرق ما بين الأمتين في الاتصال بالأجانب ؛ وهناك فرق بينهما في الاتصال بآداب أولئك الأجانب لا يقل خطورة عن سابقه . فالعرب الذين قبلوا الأعاجم أنداداً في دينهم ولغتهم وأدبهم ترفعوا عن آداب تلك الأمم ، ولم يروا بأنفسهم — وهم معادن البلاغة وفحول الخطابة ، ولغتهم لغة الدين والدولة والقرآن — حاجة إلى الاطلاع على آداب غيرهم ، فنظروا إلى الأدبين الفارسي واليوناني وغيرهما شزراً ، وخسروا بذلك كثيراً وضاق أفق أدبهم كثيراً لاعتزاله غيره

على حين أن الانجليز الذين ضنوا بقوميتهم وترفعوا عن سواهم من الأمم في الحكم وفي المجتمع لم يترفعوا عن آداب تلك الأمم الجديرة بالدرس ، فانتفعوا قبل توسعهم وبعده بالآداب الايطالية والفرنسية والألمانية ، بله آداب الأمم البائدة من إغريق ورومان ؛ أوسعوا كل ذلك درساً واطلاعاً ونقلاً ، فأخصبوا أدبهم أي إخصاب ، ووسعوا أطراف لغتهم ذاتها . وعلى هذا النحو استفاد الانجليز بخير ما في الآداب الأجنبية دون أن يفقدوا شخصيتهم في غمار تلك الآداب ، أو يسمحوا للأثر الأجنبي أن يفسد ملكتهم الأصلية وطبعهم الخاص

فالظروف التي أحاطت باتصال العرب بغيرهم ، وتأثر أدبهم بالآداب الأجنبية ، والسنن التي استنها العرب في معاملة الأجانب ، لم تكن خير ما يساعد الأدب العربي على النمو الصحيح والازدهار الطويل ؛ واللغة العربية المحكمة البناء ، البارعة التعبير ، الغنية الجوانب ، التي أينعت أحسن إيناع تحت سماء البادية لم يتح لها في أرض الحضارة من يوجهون بليغ أساليبها أحسن التوجيه إلى دراسة النفس الانسانية ووصف المجتمع البشري ، وكان رقيها العلمي في ظل الامبراطورية الاسلامية أعظم بكثير من رقيها الأدبي

فخري أبو السعود

# عمر بن الخطاب *

## للأستاذ على الطنطاوى

« أهدى هذا الفصل إلى ... ... صاحب ( الرسالة ) ، اعترافاً بفضله وفضل رسالته على ، فانه لولا التشجيع الذى تفضل على به يوم صدر كتابى ( أبو بكر الصديق ) لم يؤلف هذا الكتاب » « على »

— ١ —

... فى يوم وَهِج من أيام الصيف ، قد خَدِر واشتدّ حرّه ، فى الهاجرة الملتهبة ، كان يسير على رَمْضاء مكة — وقد تسعّرت الأرض وتوقدت ، واستحالت جمرة مشتعلة — رجل ضخم الجثة مُفرط الطول ، شديد الأَسْرِ ، قد توشح سيفه ، وأقبل مسرعاً يطأ الأرض وطأ عنيفاً ، فتحسّ كأنّ قد تقلقلت تحت أقدامه ، ويرمى كل شىء حوله بنظرات حادّة ينبعث منها الغضب ، ويتطاير منها الشَّرَر ، لا يبالى الشّمس المتّقدة ، ولا الحصى المتسعّرة ، ولا يحفل السَّموم الذى هبّ سخناً يلفح الوجوه ، كأنه فيح جهنم ... لأنّ له غاية فهو يسعى إليها ، إنه يريد أن يقتل «سيّد العالم» !

ذاك هو «عمر» الجاهليّةِ ... رجل يعيش فى الظلام ، وراء سور التاريخ ، لم يَدْنُ منه ، ولم يلجْ حماه ، ولم يُلْقَ عليه نوره ؛ رجل يمشى فى هذه القافلة الجاهليّة ، التى تبدأ من وسط الرمال ، فى قلب الصحراء ، ثم تسير على الرمال ، رمال الصحراء ، ثم تنتهى فى الرمال ، فى الصحراء ... تبدأ من العدم ، وتنتهى إلى العدم ، قبل أن تبلغ أرض المدنيّة ، أو تصل إلى حدود العمران ، أو تدنو من مهاد العلم والحضارة والحياة ... رجل يعيش بغير اسم ، ويموت بلا ذكر !

— ٢ —

قف أيها الرّجل ! تودع من جاهليتك ، إنّ عرشك فى التاريخ قد أُعِدّ لك لتستوى عليه ، إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) سيضع فى يدك المفتاح الذى يفتح لك أبواب (التاريخ) الذى جهلك وأنكرك ، ولم يَدْنُ بك ... لتدخل حرمه ، ثم تعلو فى مراقيه ، ثم توغل فى ساحاته وأبهائه ، حتى تصل إلى السدّة العليا ، فتجلس عليها ، دون الأنبياء وفوق العظماء (١) !

قف أيها الرجل ! أَلْقِ عنك هذا السلاح الذى جئت تحارب به دين الله : إنّ دين الله لا يحارب !

إرم هذا السيف الذى توشحته لتقتل محمداً ، وتقضى على بدعته الجديدة ، وتبيد أصحابه التسعة والثلاثين ! إن محمداً رسول الله وسيّد كل من قال : أنا إنسان ، لن يقتل ! إن هذه البدعة التى كتب لها أن تغلب على العالم ، وتبقى ما بقى الزمان ظافرة منصورة لن يقضى عليها . إن هؤلاء التسعة والثلاثين رجلاً سيملكون الدنيا ؛ سيصيرون أربعين ألفاً ، أربعين ألف ألف ، أربعمائة ألف ألف ، سيصيرون هم سكان هذه الكرة ... إنهم لن يبيدهم سيفُك يا عمر !

بل سيعزّهم الله بك ، ويستجيب فيك دعاء نبيّه ومصطفاه ، صلى الله عليه وسلم ... فتعال ! اغمد هذا السيف . اقبض هذه اليد التى رفعتها لتضرب بها امرأة . تعال اغتسل من شِركك وجهالتك وجفائك وقسوتك . إنك ستمشى إلى مشرق النور ، إلى دار الأرقم فى أصل الصفا ، فتشهد فيها أنه لا إلـه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله !

***

يا لسرّ الكلمة السماوية : لا إلـه إلا الله محمد رسول الله !

لقد نقلت عمر من ظلمة الجاهلية إلى نور الاسلام ، ومن حضيض الخمول إلى قُنّة المجد ، ومن مهامه النسيان إلى صدر التاريخ .. لقد ذهب عمر الفظّ القاسى الذى كان مطية لقريش فى ظلمها وشركها وجبروتها الزائف ، فينصر الباطل على الحقّ ، والشرك على التوحيد ، وجاء الفاروق العادل الرؤوف الرحيم ، البطل الخالد العظيم ، العبقرىّ الذى أدار أربع ممالك ، لقد جاء أمير المؤمنين ، سيف الاسلام وعزّ الدين !

يا للعجب العجاب ! إن الرجل الذى خرج فى الهاجرة المحرقة ، فى هذا اليوم العصيب ، منتضياً سيفه ، لا يلوى على

(١) حاشا أبا بكر أعظم العظماء بعد الأنبياء

(*) من (الفصل الختامى) لكتاب (عمر بن الخطاب — تأليف على الطنطاوى وأخيه ناجى الطنطاوى) — تحت الطبع — تصدره قريباً (المكتبة العربية بدمشق) فى أكثر من (٦٠٠) صفحة

شيء حتى يقتل محمداً ، قد رجع وهو يحب محمداً (صلى الله عليه وسلم) أكثر من أمه وأبيه والناس أجمعين !

إنها قد تعرض للمرء لحظات تبدل مجرى حياته ، ولكننا لا نعرف — ولا يكاد يعرف أحد — مثل هذه اللحظة المباركة ، التي قلبت هذا الرجل قلباً ، فارتقى مرّة واحدة من بدوىّ منكر لا يعرفه إلا قومه ، إلى عبقرىّ سيعرفه التاريخ بأنه قاهر كسرى وقيصر وبانى الكوفة والبصرة ، وأنه أقوى وأرق وأعقل وأعدل ملوك الزمان — هذه اللحظة التى أثرت فى حياة العالم فأزاحت دُولاً وأقامت دولاً ، وثلت عروشاً ، وبَنت حضارات

***

أسلم الفاروق ، فليفرق بين الحق والباطل ، ولينتقل الاسلام من دين مستتر يفرّ من قريش العاتية الظالمة المستكبرة ، يختبئ فى حاشية من حواشى مكة التى يصول فى بطاحها الشرك ويجول ، وتقوم حول كعبتها الأصنام ، إلى دين ظاهر مجاهد ، يجابه الخصوم ، ويصمد للأعداء . لقد كان الاسلام ساكناً تحت الصفا يعمل بهدوء ، ويتكامل فى الخفاء ، كما تتكامل البذرة فى باطن الأرض ؛ فَلْيَخْرجِ الغصن ولينمُ فى الهواء ، ولْيسمُ إلى العلاء ، ليكون منه بعد ثلاثين سنة الدوحة التى تمتد فروعها من صحراء افريقيا إلى سهول خُراسان ، ومن جبال الأناضول ، إلى ساحل عُمان ...

ليعلن الاسلام (بمظاهرة) تسير فى شوارع مكة على رأسها « حمزة » أسد الله و « عمر » الفاروق حتى تنتهى إلى المسجد الحرام ، فيصلى المسلمون عند الكعبة أول صلاة بجماعة ، وإمامهم إمام الأنبياء وسيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم) ، ولتتقطع أفئدة قريش من الحنق ، وليموتوا بغيظهم . انهم لا يستطيعون أن يصنعوا شيئاً . لقد أسلم الفاروق ، وفرق الله به بين الحق والباطل ! إنها (مظاهرة) صغيرة ، لم يسر فيها الا أربعون رجلاً ، ولكنّ هؤلاء الأربعين هم الذين صنعوا الأربعمائة مليون مسلمى اليوم ، ولا يعلم إلا الله ماذا يصنعون غدا ... ولكن فيهم حمزة ، فيهم عمر العظيم ، فيهم خلاصة الانسانية ، وأفضل الانس والجنّ والملائكة ، محمد رسول الله !

إن هذه (المظاهرة) التى سار فيها أربعون شخصاً مائتى خطوة ، من الصفا الى الكعبة ، لهى أعظم (مظاهرة) عرفها التاريخ لأعظم مبدأ قام لتقرير التوحيد ، وتأبيد الحق ونصرة الفضيلة ، وتحقيق المثل العليا فى الحق والخير والجمال

انها تسير أبدا ، تسير فى الأدمغة والقلوب ، ما بقيت أدمغة وقلوب يحفّ بها الاجلال والاكبار

— ٣ —

ولكن ماذا كان عمر لولا الاسلام ؟ هل كانت هذه العبقرية النادرة ، وهذه النفس العجيبة التى تظهر لو لم يلمسها (محمد) بيده الكريمة ويهزها ويُفِضْ عليها من نوره ؟

هل كان لعمر هذه المكانة فى التاريخ وهذه المنزلة فى النفوس ؟ هل كان يعيش الى هذا العصر ويؤلف فيه عشرون كتاباً ، ويبقى الى العصر الآتى ويكتب فيه ألف كتاب ؟

إن من يدقق فى سيرة عمر ، ويقابل بين عمر الجاهلية — على قلّة ما لدينا من أخباره — وعمر الاسلام ، ويرى كيف استحال عمر من شخص إلى شخص ، وتبدلت طبائعه وأفكاره فى اللحظة التى وقف فيها أمام النبى صلى الله عليه وسلم ونطق بكلمة الشهادة وكيف ولد فى تلك اللحظة ولادة جديدة وبدأ يصعد فى مدارج العلاء . . . إلى ذروة المجد . . . إلى الجنّة ، علم أن عمر مدين للاسلام بكل شىء

نعم ، قد تظهر هذه العبقرية ولو لم يتداركها الاسلام ، وتبدو آثارها ، ويصبح عمر زعيما من زعماء مكة ، يبرز ويعظم أثره فى قريش ، ثم لا يتجاوز اسمه هذا الوادى الذى يمتد ستة أكيال من جرول إلى الحجون ، بعرض كيلين اثنين — أما أن يتخطى أثره الأخشبين إلى البادية ، ويقطع البادية إلى الشام والعراق ، وينفذ إلى الأجيال الآتية فشىء لم يكن يناله عمر لولا الاسلام

وماذا كانت تصنع هذه العبقرية وهى محصورة فى هذا الأفق الضيّق ؟ وما كان يصنع عمر وهو يعيش فى بلدة منقطعة عن العالم تائهة فى لجٍّ من الرمال ما له آخر لا صلة لها بالبلدان العامرة إلا صلة التجارة الضعيفة ، ولا تأتيها أخبار العالم إلا رثة بالية ، ولا نبأ عندها من فلسفة يونان ، أو حكمة الهند ، أو أخبار

السياسة الدَّوْلية بين فارس والروم ؟

هل ينير مصباح محبوسٌ فى صندوق مغلق ؟ أم يشتعل وحده لايدرى به أحد ، ثم يفنى زيته ، فينطفئ وحده لايعلم به إنسان ؟

أما كانت تمضى عبقرية عمر كما مضت ألوف من العبقريات دفنت حيّة فى بقعة معتزلة من بقاع الأرض ، فى قوم متأخرين ، ولم تتصل بسمع التاريخ ؟

أما إن عمر شعاعة من نور الاسلام ، ومعجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم !

— ٤ —

لما استفاق بنو قريش من الغشية التى أصابتهم عند ما أسلم عمر عادوا يكيدون للدين ، ويؤذون النبىّ والمسلمين ، والنبى (صلى عليه وسلم) ماضٍ فى دعوتهم ، صابر على أذاهم ، ينذرهم بطش الله ، ويعدهم إذاهم أسلموا ملك فارس والروم ، ويعدهم جنة عرضها السموات والأرض ، وهم ماضون فى إعراضهم ، لا يتدبرون القرآن ، ولا تخشع له قلوبهم التى هى أشد قسوة من الحجارة (وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأنهارُ ، وإنَّ منها لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخرُجُ مِنهُ المَاء ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهبطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) يا لهذه القلوب التى هى أغلظ من الجبال ! (لَوْ أَنْزَلْنا هٰذا القرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) . وهذه القلوب التى أنزل عليها القرآن لا تخشع ولاتلين !

طلعت الشمس على وادى مكة أربعة آلاف وأربعمائة وأربعا وعشرين مرّة [١] والمشهد واحد لم يتغير

نبىّ الله يدعو الناس إلى الله ، سراً وعلناً ، فرادى وجمعاً ، ليلاً ونهاراً ؛ وبنو قريش يناوئونه ويحاربونه ويؤذونه ، يلقون الشوك فى طريقه وهو ماشٍ ، ويرمون سلى الجزور على رأسه وهو ساجد ، ويُغرون به سفهاءهم وأحداثهم ، ويفتنّون فى تعذيب المسلمين ، وتخرق لهم أدمغتهم الشيطانية طرقاً فى التعذيب تقشعر لهولها الأبدان [٢] ، ويقاطعون المسلمين لا يكلمونهم ولا يبايعونهم ولا يزوجونهم ، ويحصرونهم فى الشِّعب سنتين ، ثم يعدّون عدد الجريمة الكبرى ، يأتمرون بالنبى ليقتلوه ، ويضيّعوا دمه فى القبائل ، فلا يقدر عليه بنو عبد مناف

لختام الصبر على هذا ؟ أيقف هؤلاء المشركون الجاهلون من رؤوس قريش وزعماء مكة فى وجه الاسلام ، الذى ما جاء لقريش ولا للعرب ، ولا للقرن السابع الميلادى ، ولكن جاء رحمة للعالمين ، وهدى للناس أجمعين ، فى كل عصر وفى كل بادية ومصر ؟ أهؤلاء يمحون الاسلام من الأرض محواً ؟ يا للسخفاء المغرورين ! (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) وينصر نبيه ، ويظهر دينه (عَلَى الدِّينِ كُلِّه)

لم يعد فى قوس الصبر مَنْزَع ، فليسر الاسلام فى طريقه — نحو أرض الشام — نحو الظلال والأعناب ، فليستقر فى الطريق ، (فى المدينة) حيناً ، ثم ليخرج من يثرب ، ليعم العالمين

أيها المسلمون ... هاجروا إلى المدينة !

***

أذن النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى المدينة ، فخرجوا أرسالاً مستخفين مستترين ، ينسلّون من مكة انسلالاً ، فلا تدرى بهم قريش ، إلا وهم فى المدينة على رأس الجيش الذى يسحق رؤوس الكفر فى (بدر) ، ثم يمضى إلى (فتح مكة)

لكن عمر ؟ عمر القوىّ الذى ما لان للمشركين ؛ عمر الذى أعلن إسلامه وذهب يضرب المشركين ويضربونه ، ويجد فى ذلك لذة وراحة ؛ عمر الذى حماه خاله أبو جهل ، وأجاره من أذى قريش ، فضرب وجهه بجواره وأباه ، وعاد إلى قريش يَضرب ويُضرب ، ثم لا يكون إلا غالباً ، يدفع عن نفسه ، وعن المستضعفين من المسلمين

عمرُ يذهب من مكة مستخفياً ؟ معاذ الله يا عمر !

تهيأ عمر للهجرة ، فتقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى بيده أسهما ، واختصر عنزته [١] وذهب إلى المسجد ، فاستقبل قريشاً بالسلاح الكامل ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف على الملأ من قريش ، فأعلن وحده الحرب عليهم جميعا .... فقال :

« شاهت الوجوه ! لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ! من أراد

---

(١) من يوم الاثنين ٦ أغسطس ٦١٠ إلى يوم الاثنين ٢٠ سبتمبر ٦٢٢ (أى من البعثة إلى الهجرة)

(٢) لكنها لم تكن تعد شيئاً فيما ابتكره ديوان التفتيش فى أسبانيا لتعذيب المسلمين من طرق لم تخطر على بال ابليس نفسه ...

(١) عصا فى رأسها زج ، كالرمح الصغير

أن يُثكل أمه ؟ أو يوتِم ولده ، أو يُرمل زوجتَه ، فليلقنى وراء هذا الوادى ! »

قال على رضى الله عنه : فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين ، علمهم ما أرشدهم ، ثم مضى لوجهه

— ٥ —

سيقول قائل : ما لعمر يعلن هجرته ، ويمشى على رؤوس الأشهاد من صناديد قريش ، والنبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه يهاجران مستخفيين ؟ أيكون عمر أشجع من النبى ومن أبى بكر ؟

لا والله ، ما هو بأشجع منهما ، ولقد وقف عمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بعد لم يسلم ، ولم يجىء إلا ليقتله ، فلما أمسك بتلابيبه ونتره ، سقط على الأرض ، على قدم النبى ، وهو يرتعد من هيبته صلى الله عليه وسلم . وكان الصحابة — وفيهم عمر — إذا جد الجد ، وحمى الوطيس ، ودارت رحى الحرب ، استتروا بالنبى صلى الله عليه وسلم واحتموا به . ولما كانت الردة ورمت العرب عن قوس واحدة ، وخاف الصحابة وخاف عمر ، وأرادوا المسالة والملاينة ، قام أبو بكر وحده فى وجه العالم وصارعه حتى صرعه . فكان عمر يعرفها له أبداً ... فعلام إذن هاجر عمر جهاراً نهاراً ؛ وهاجرا مستخفيين ؟

إن فى الأمر لسراً ، هو غير الشجاعة والجبن ، ذلك أن القائد العام عند ما ينتقل من جبهة من جبهات الحرب الى جبهة أخرى ، لا يقف فى الطريق على عدو ، ولا يلقى حرباً ، وإذا رأى نفراً من الأعداء ، يستتر منهم ، وينأى عنهم ، لأنه إذا سلك سبيل الشجاعة الساذجة ، وأقبل عليهم يقاتلهم ، ضيع الجيش الذى ينتظره ، ولا يعمل إلا به ، وخسر المعركة الكبرى لينتصر على نفر من الأعداء فى معركة على الهامش ، ثم إن فراره لا يعد جبناً ولا عجزاً ، وإقدامه لا يعد شجاعة ولا استبسالا

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم القائد الأكبر ، لا فى حرب قريش أو هوازن — فما قريش ؟ وما هوازن ؟ ولكن فى حرب الشرك والجهل والظلم ، فى الحروب التى تمتد أبدا بين الحق والباطل ، فلا يدافع عن الحق قوم إلا كانوا تحت راية محمد ، فهل يدع مهمته الكبرى ، لينتشر على نفر من قريش ؟

ذلك هو سرّ الهجرة

( لم ينته الفصل )

**على الطنطاوى**

# ٢ــ جامعة الاسكندرية *

## بقلم الأديب ابراهيم جمعة

علماء الجامعة فى عصرها الأول — فليتاس القوصى — زنودوتس — زيارة ميناندر الأثينى وافتتاح مسرح الاسكندرية — اكتشاف فيلون للبحر الأبيض الجنوبى — دراسة مانيتو وتيموثيوس وهيكتاتس للعقائد المصرية القديمة — اقليدس وهيروفيلوس — سوتر يكلف بالدراسة والتصنيف آخر الأمر — قيمة كتاباته — الفن — أخذ الايطاليين عن الاسكندريين

---

يميل الباحثون الألمان إلى نسبة هذه الجمهرة من العلماء إلى بطليموس الأول المعروف باسم بطليموس سوتر ، وهو الذى يعتبره « سسميل » صاحب الفضل الأوفى فى خلق حركة فكرية أدبية علمية فى الاسكندرية قام هو بحمايتها ، وترأس مجالسها ، وأصغى إلى المناقشات الشديدة الاحتدام التى خات فى بعض الأحايين من الفائدة العلمية ، فأصبحت جدلاً شخصيا لاطائل تحته

عهد بطليموس سوتر بتربية ابنه « فيلادلف » إلى عالم ذاع صيته فى ذلك العصر هو فليتاس القوصى ، وهو شاعر ينسب إليه أول مجهود أدبى عرفته الاسكندرية فى الشعر الرثائى ، بل أول مجهود عرفه العالم أجمع من هذا النوع من الشعر ، وهو الى هذا من أشهر علماء اللغة الاغريقية الذين صنفوا فيها ، ووضعوا لها موسوعة كبرى حوت كل مصطلحاتها

هذا وقد تابع زنودوتس البيزنطى التأليف والتصنيف فى قواعد الاغريقية ، وقام بجهد يشكر فى مراجعة مخلفات « هوميروس »

ويحتمل أن يكون بطليموس سوتر هو المؤسس لمسرح الاسكندرية ، وأن تكون دعوته « لميناندر الأثينى » بقصد حضور حفلة افتتاح المسرح الكبير وشهود بعض رواياته التى وضعها فى أثينا تمثل فى الاسكندرية ؛ وقد كانت زيارة ميناندر للاسكندرية تطويقاً لجيد الجامعة بأثمن درر العصر ، واعترافاً بالمكانة الناشئة والنجاح الظاهر الذى صحب جهود البطالسة الأوائل فى توفير جو علمى من الطراز الأول لمدينتهم الجديدة

ووكل سوتر إلى أمير البحر « فيلون » أمر التجوال فى البحر الأحمر قصد الوصول إلى أطرافه الجنوبية ؛ وقد وفق هذا إلى اكتشاف البحر الأحمر الجنوبى ، وكان لهذا الاكتشاف أثره فى عصر بطليموس فيلادلف ومن خلفه فى التجارة وفى تزويد

---

(*) انظر العدد ١٦١ من الرسالة

الجامعة بأبحاث عظيمة القيمة سنأتي على ذكرها في موضعها — كما عهد سوتر أيضاً إلى هيكتاتيس الأبديرى ، ومانيثو ، وتيموثيوس أمر دراسة (الميثولوجيا) المصرية القديمة ، ابتغاء تزويد الأمبراطورية البطليموسية الناشئة بما يحتاج إليه كيانها من العقائد

***

والحقيقة أن كل هذه الجهود هي دون ما بلغته جامعة الاسكندرية في هذا العصر من التفوق في الهندسة على يد أستاذها الأكبر « اقليدس الاسكندرى » وفي التشريح على يد أستاذه الفذ « هيروفيلوس »

وإقليدس أشهر معلمي هذا العصر اطلاقا ، وهو أبو الهندسة كما يقولون ، مؤسس مذهب البحث العلمي ؛ وكتابه « الأصول » أنماط في صميم المنطق أكثر منها موضوعات في الرياضة ، واليه يرجع الفضل في جعل عصر سيده بطليموس سوتر عصر تفوق رياضي عظيم الشأن ، كان ولا يزال له أثره في تقدم العلم والعقل البشرى

وكان « هيروفيلوس » أبا للتشريح ، كما كان « أبقراط » اليوناني أبا للطب من قبل ، وبفضل هيروفيلوس سجل التاريخ لمصر السبق في دراسة (الأمعاء) دراسة دقيقة ، وكانت الحكومة تمده بالمجرمين المقضي عليهم بعقوبة الاعدام ليجرى فيهم تجاربه — كما أمدته حظيرة الحيوان الملحقة بالمتحف بأنواع من الحيوان شرحها ودرسها واستنبط من كل ذلك طريقة علمية للتشريح ساعدت بدورها على رفع شأن الاسكندرية في العلوم الطبية

وتآزرت جهود هذا العالم وجهود إقليدس على خلق مكانة للاسكندرية ظلت مقترنة باسم المتحف الاسكندرى حتى وقتنا هذا

***

ويجدر بنا أن نذكر أنه بينما كان الاسكندريون مشغوفين بمباحث العلم البحت في الرياضة والطب وما شاكلهما ، كان الأثينيون مشغولين بدراسة الفلسفة من رواقية وأبيقورية ، أما اشتغال الاسكندرية بالفلسفة فقد جاء متأخراً حين أسس فلاسفتها مذاهبها الخاصة التي أشهرها الأفلاطونية الحديثة وسنعرض لها في بحثنا هذا بكثير من التفصيل

***

كانت لبطليموس سوتر شواغل سياسية الى جانب انهما كه في رفع شأن الاسكندرية ، وأهم تلك الشواغل منافسته لديمتريوس ملك مقدونية ، لانتزاع السلطة البحرية على البحر الأبيض الشرقي من يده ، وما لبث حتى انتزع قبرص من الملك المقدوني وجعلها مركزاً لأسطوله ، وغدت له بهذا سيطرة غير منازعة على المياه الشرقية من البحر الأبيض . وكان من شواغله أيضاً رغبته الملحة في نقل جثمان سيده «الاسكندر» الى مصر ، ابتغاء الفخر بحيازة جثمان العاهل العظيم ، ولم يهدأ لسوتر بال حتى تم له ذلك ، وبهذا خلا نهائياً من مشاغله الخارجية ، وخصص كل عنايته بعد ذلك للمكتبة والمتحف اللذين نالا من ماله وانتباهه الشيء الكبير . ومن أمره أنه شغف مع المشغوفين بالدراسة والتصنيف ؛ ومن المعروف عنه أنه وضع مصنفاً في حروب الاسكندر الأكبر التي ساهم فيها كأحد قوادها . ويصف (أريان) مؤلَّف سوتر بأنه من أدق المراجع وأوفاها في هذا الشأن ، ويضعه في رأس كتب المراجع التي صدر عنها تاريخه ، وقد يكون هذا حقاً ، كما قد يكون ملقاً للملك المؤلف

والمذكرات الخاصة التي يضعها القواد عن أعمالهم في الحروب يغلب عليها المبالغة ، وحسن تقدير تلك الأعمال وتعظيم نتائجها مما قد يكون إغراقا وتورطا في الباطل ، وهي لهذا لا يصح أن تتخذ سندا من أسانيد التاريخ إلا بكثير من الحيطة والحذر . وينسب الى نابليون الأول شيء من هذا في مذكراته التي كتبها عن نفسه ، ولم يتحرر يوليوس قيصر من مثل ما ينسب الى نابليون في مذكراته عن « الحرب الغالية »

ويذكرون أن سوتر كتب أيضاً عدة رسائل عن الشؤون العامة في عصره نشرها «ديونيسو دورس» أحد تلاميذ «أرستاركاس» العالم الاسكندرى ، يؤسفنا أننا لم نعثر على شيء منها حتى الآن

***

وفي أواخر أيام سوتر كان لا بد له من تسوية مسألة وراثة العرش ، إذ كان له أكثر من وريث ، وكان أكثر هؤلاء الوراث خطراً على العرش البطليموسي «بطليموس» ابن له من يونانية ، أخذ ديمتريوس ملك مقدونية الموتور يشد أزره ويناصره على بطليموس «فيلادلف» . وكان النزاع بين هذين الوريثين نزاعا بين روحين مختلفتين : روح مصرية ، وروح يونانية ؛ وكان انتصار إحداهما على الأخرى انتصاراً لأحدى الروحين ، وتحديداً لمستقبل البلاد . وكان ميل الملك الأب مع ابنه فيلادلف ، وكان هوى الشعب مع الأخير إذكاء للروح القومية الجديدة التي بدأها وارث ملك الاسكندر في مصر سوتر العظيم ، وإنهاضاً لمدنية هلينية الأصل حقاً ، ولكنها من حق الاسكندرية ، ومن جهدها وإحيائها . كان الملك الأول يأنس في الملك الابن فيلادلف سياسة مشابهة لسياسته ، أساسها المحافظة على الصبغة المشتركة التي جمعت

بين اليونانية الهلينية والمصرية الفرعونية ، والتي حرص البطالسة على التمسك بها كأساس لملكهم الجديد ، لا مناص منه ، إبقاء على دولتهم من أن تبيد

والذي يتأمل كيف عني سوتر بتربية ابنه فيلادلف على أيدي خير الأساتذة ، يرى كيف كان يحرص على أن ينتهي ملكه إلى هذا الوريث دون سواه ، وقد كان أن نزل سوتر لابنه فيلادلف عن العرش ، ولكنه ظل يظهر في بلاط ابنه مدة عامين كأحد الرعايا ، ومات عام ٢٨٣ ق . م مخلفا على الزمن سجلاً حافلاً بالحوادث الجسام قلَّ أن تتوفر لحاكم

استطاع سوتر أن يركز دراسة العلوم والآداب والفلسفة والطب في عاصمة ملكه ، ولكن هل استطاع أن يجعل الاسكندرية كعبة الفنون في هذا العصر ؟

إذا كان لنا أن نحكم بالشواهد التي بين أيدينا وهي تلك النقوش البديعة التي ترى فوق العملة المتخلفة عن هذا العصر في دور العاديات ، لما تأخرنا عن الحكم قطعا بتقدم الفن في ذلك العصر ؛ غير أنه لا يجب أن يغيب عن بالنا ونحن في هذا الصدد أن الفن الاغريقي كان عليه أن يغالب فنا من أقوى الفنون التي عرفها تاريخ العمارة هو الفن الفرعوني . والمشاهد بوجه عام أن المباني التي أقامها البطالسة خارج الاسكندرية روعي فيها أن تكون فرعونية الصبغة ، ولكنها لم تخل من التأثر بالفن الاغريقي ؛ ولم يكن للبطالسة من ذلك مناص ، تشبهاً بالفراعنة وإرضاء لذوق الشعب المصري الذي لم تنسه الأحداث السياسية قوميته ، ولم يمجد على مرور الزمن أبطالاً غير أبطاله ، ولم يعرف عنه أنه أسلم القياد كله للمدنية الدخيلة ، ولا سيما للجانب الديني منها ، بل بقي محافظاً على دين أجداده محافظة تامة . لهذا ظلت المباني ذات الصبغة الدينية على النمط الفرعوني

تأثر البطالسة بالديانة المصرية أكثر مما تأثر المصريون بالفن الاغريقي ، ولذلك بقيت الصبغة المصرية كما أسلفنا ظاهرة في الفن الذي عرف عن العصر البطليموسي ، إلا في الاسكندرية ذاتها ، حيث كان كل شيء يونانياً صرفا ؛ فأقيم في الاسكندرية في هذا العصر المتحف والملعب والمسرح والسيما حيث دفن الاسكندر ، وكانت كلها من غير جدال آية في إبداع الصنعة الاغريقية ، رغم ما يحاول البعض إشاعته من تأخر الفن في هذه الفترة من الزمن

والأدلة المادية على تقدم الفن الاغريقي في مصر في هذا الزمن ما أبدعته يد نحات لتابوت من الرخام البديع الصنع مازال محفوظا في متحف القسطنطينية لملك مجهول الاسم من ملوك صيدا ، هو تحفة من تحف الحفر وحذق الألوان ، وتلك المشاهد التاريخية التي ترى محفورة على الأحجار تمثل المعارك بين الفرس والاغريق ، إلى تلك الصور الرمزية التي قصد بها الاشارة إلى امتزاج الشرق والغرب عن طريق الحضارة الاغريقية ، إلى مناظر الصيد وغير ذلك مما لا يفوقه سوى « البارتنون » في أثينا

وأغلب الظن أن الاسكندرية بما توفر لها من سمو المكانة لا بد أن تكون قد استهوت أمهر البنائين ، ورجال الفنون حيث بلاط سوتر وفيلادلف وعطاؤهما المغدق لكل من برز في ناحية من النواحي ؛ ولا شك أن الاسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط لم تكن إلا من خلق هؤلاء الفنانين وإبداعهم

وقد كتب م . شريير مقالاً ممتعاً عن فن نشأ بالاسكندرية وتقدم فيها ، وانفردت به ، هو صناعة الأواني الذهبية والفضية التي تتخذ عادة مقياساً لتقدم الحرف اليدوية ، والتي لا تزال شاهدة على قولنا بين محتويات دور الآثار . ويحاول هو أن يثبت أن الاسكندريين كانوا الأساتذة في هذا المضمار وفي غيره . ففي رأيه أن أسلاف « بنفنتو سليني » الايطالي ، والمدرسة الايطالية التي زعيمها هذا الأخير حاكت فن الاسكندرية في الشعر والفن . وهو يدلل بقوة على حب الاسكندريين للطبيعة وتقديرهم لروائعها ، وعلى أن الاسكندرية كانت حلقة الاتصال بين العلم والفن ، وبين القديم والحديث ، وبين الشرق والغرب .... الخ

ليس الفن في ذاته ناحية من نواحي نشاط جامعة الاسكندرية ، ولا هو عادة يتصل بالدراسة الجامعية اتصالاً مباشراً ، ولكنا سقنا هذه الكلمة القصيرة عن الفن الاغريقي الاسكندري ، لأنه جانب من جوانب المدنية ، كان يستلزم من الاسكندريين ولا شك إلماماً بالأصول الهندسية التي لا غنى لفن العمارة عنها . ونحن وإن كنا لم نحصل على ما نقطع الرأي به من أن الهندسة التي اشتهرت بها الاسكندرية منذ عهد اقليدس كانت تطبق ويستفاد منها عمليا في فن العمارة ، إلا أننا نرجح إمكان استفادة الفن من هندسة إقليدس استفادة كبرى

ولنا في بعض مقالاتنا التالية عود إلى نقل إيطاليا وخاصة جامعة « بدوا » في العصور الوسطى عن جامعة الاسكندرية نظامها والكثير من تراثها الفكري حيث شاع منها إلى أوربا من قطر إلى قطر ومن عصر إلى عصر .



ابراهيم جمعة

للتاريخ السياسي

# معاهدة الصداقة والتحالف
## بين مصر وانجلترا
## – ٣ –

### محضر متفق عليه

رغب الوفد المصرى ووفد المملكة المتحدة أن يسجلا فى محضر المفاوضات ما اتفقا عليه من تفسير لبعض نصوص معاهدة التحالف ، وفيما يلى بيان هذه التفسيرات :

١ — من المفهوم طبعاً أن التسهيلات المنصوص عليها فى المادة السابعة التى تقدم إلى صاحب الجلالة الملك والأمبراطور تشمل إرسال قوات أو امدادات بريطانية فى الحالات المعينة بتلك المادة

٢ — من المفهوم أنه كنتيجة لأحكام المادة السادسة تتبادل الحكومتان المشورة فى حالة خطر قطع العلاقات

وعليه ففى حالة قيام ضرورة دولية مفاجئة يخشى خطرها يعمل بمبدأ التشاور المتبادل نفسه

٣ — تشمل « طرق المواصلات » المشار إليها فى الجملة الثانية من المادة السابعة المواصلات الاخبارية ( الأسلاك البحرية والتلغرافات والتليفونات واللاسلكى )

٤ — تشمل الاجراءات الحربيـة والادارية والتشريعية الوارد ذكرها فى الجملة الثالثة من المادة السابعة الاجراءات التى بموجبها تراعى الحكومة المصرية فى استعمال حقها بالنسبة لمواصلات الراديو الكهربائية مستلزمات محطات التلغراف اللاسلكى التابعة للقوات البريطانية فى مصر ، وتواصل العمل مع السلطات البريطانية لمنع أى تدخل بين موجات محطات التلغراف اللاسلكى البريطانية والمصرية ، كما تشمل الاجراءات التى تكفل الرقابة الفعالة على جميع وسائل المواصلات المشار اليها فى تلك المادة

٥ — يراد بكلمتى « منطقة جنيفة » الواردتين فى الفقرة الثانية (ا) من ملحق المادة الثامنة امتداد شاطئ البحيرة المرة الكبرى من نقطة تبعد ثلاثة كيلو مترات شمالى محطة جنيفة إلى نقطة تبعد ثلاثة كيلو مترات جنوب شرق محطة فايد بعرض ثلاثة كيلو مترات من شاطئ البحيرة

٦ — من المتفق عليه بالنسبة إلى (ب) من الفقرة الثانية من ملحق المادة الثامنة أن تحدد بالضبط وفى أقرب وقت مستطاع الأماكن التى ستحل بها القوات الجوية بالمنطقة المشار اليها هناك

وينقل كذلك إلى هـذه المنطقة مستودع قوات الطيران الملكية الموجودة الآن بأبى قير ، على ألا يتأخر ذلك عن تاريخ انسحاب القوات البريطانية من القاهرة طبقاً للفقرة الثامنة

٧ — من المتفق عليه بالنسبة للفقرة الثالثة من ملحق المادة الثامنة (ا) أن تشمل أبنية الثكنات البريطانية أماكن للمتزوجين من الضباط ، ولنسبة معينة من الرتب الأخرى . (ب) إنه وإن كان يمكن الآن تحديد موضع مصحة النقاهة تحديدا نهائياً إلا أن العريش قد تصلح لهذا الغرض . (ح) إن الحكومة المصرية جرياً على الخطة التى سلكتها فعلا لمصلحة سكان تلك المناطق ستتخذ جميع التدابير الصحية الممكنة لمكافحة الملاريا فى الجهات المجاورة للمناطق التى توجد بها القوات البريطانية

٨ — من المتفق عليه بالنسبة للفقرة السادسة من ملحق المادة الثامنة أنه فيما يتعلق بالطريق رقم (٢) إذا لم تستطع الحكومة المصرية الاتفاق مع شركة قنال السويس على استخدام القوات البريطانية والمصرية لهذا الطريق واصلاح الأجزاء التى لم تصل بعد إلى مستوى الأجزاء الأخرى إلى أن تفى بالشروط المبينة فى الفقرة السادسة فان الحكومة المصرية ستنشئ طريقاً جديداً يصل ما بين هذه الأماكن

٩ — من المتفق عليه بالنسبة للفقرة الثانيـة عشرة من ملحق المادة الثامنة أن يقتصر عدد أفراد الفصيلة المشار اليها على الحد الأدنى اللازم بالضبط لاستلام هذه الأدوات وحراستها

١٠ — من المتفق عليه بالنسبة للفقرة الثالثة عشرة من ملحق المادة الثامنة أن الطيران سيكون لأغراض التدريب ؛ على أن يكون فى الغالب فوق المناطق الصحراوية ، ولا يكون فوق المناطق المسكونة إلا حين تقتضى الضرورة ذلك

١١ — من المتفق عليه طبعاً فيما يتعلق بالفقرة الثانية من المذكرة المصرية الثانية أن الحكومة المصرية هى التى تدفع نفقات البعثة العسكرية ، وأن كلمتى « التدريب الصحيح » الواردتين

فى هذه الفقرة يشملان التدريب فى الكليات والمعاهد الحربية والبريطانية

١٢ — لا تنطبق الفقرة الثانية من المذكرة الثانية إلا على الأشخاص الذين يكونون بالفعل فى ذلك الوقت من أفراد القوات المصرية المسلحة

١٣ — يراد بكلمة « المعدات » الواردة بالفقرة الثالثة من المذكرة المصرية الثانية كل المهمات التى يحسن بالقوات التى تعمل معاً أن تتخذها من صنف واحد فلا تشمل الملابس ولا المنتجات المحلية

## ملحق للمادة الحادية عشرة

إلى أن يتفق الطرفان على غير ما يأتى تطبيقاً للفقرة الأولى من هذه المادة يتعين أن تكون المبادىء العامة التى يراعيانها فى المستقبل بالنسبة للاتفاقات الدولية هى أنها لا تطبق على السودان إلا بعمل مشترك تقوم به حكومة المملكة المتحدة وحكومة مصر وأن مثل هذا العمل المشترك يكون لازماً تماماً كذلك إذا أريد إنهاء اشتراك السودان فى اتفاق دولى كان ينطبق عليه

والاتفاقات التى يراد سريانها على السودان تكون على العموم اتفاقات ذات صفة فنية أو إنسانية ، وتشمل مثل هذه الاتفاقات فى الغالب على الدوام حكما خاصاً بالانضمام اللاحق اليها ، وفى مثل هذه الأحوال تتبع هذه الطريقة لجعل الاتفاق سارياً على السودان . ويجرى الانضمام بوثيقة مشتركة يوقعها عن مصر وعن المملكة المتحدة كل فيما يخصه شخصان مفوضان فى ذلك تفويضاً صحيحاً . وتكون طريقة إيداع وثيقة الانضمام فى كل حالة موضع اتفاق بين الحكومتين

وفى حالة ما إذا أريد أن يطبق على السودان اتفاق لا يحتوى على نص خاص بالانضمام تكون طريقة تحقيق ذلك موضع تشاور واتفاق بين الحكومتين

وإذا كان السودان بالفعل طرفاً فى اتفاق وأريد إنهاء اشتراكه فيه تشترك المملكة المتحدة ومصر فى إصدار الاعلان اللازم لهذا الانهاء

ومن المتفق عليه أن اشتراك السودان فى اتفاق ما وإنهاء ذلك الاشتراك لا يكونان إلا بعمل مشترك يجرى خصيصاً بالنسبة للسودان ولا يستنتجان من مجرد كون المملكة المتحدة ومصر طرفين فى الاتفاق أو من نقضهما لهذا الاتفاق

وفى المؤتمرات الدولية التى تجرى فيها المفاوضات فى مثل هذه الاتفاقات يكون المندوبان البريطانى والمصرى بطبيعة الحال على اتصال دائم بالنسبة لأى إجراء قد يتفقان على أنه مرغوب فيه لصالح السودان

### محضر متفق عليه

١ — من المتفق عليه بالاشارة إلى الفقرة الأولى من المادة الحادية عشرة أن يقدم الحاكم العام إلى حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة وإلى الحكومة المصرية تقريراً سنوياً عن إدارة السودان ، وأن يبلغ التشريع السودانى إلى رئيس مجلس الوزراء المصرى مباشرة

٢ — من المتفق عليه بالاشارة الى الفقرة الثانية من المادة الحادية عشرة أنه بينما يكون تعيين الوطنيين المصريين فى الوظائف الرسمية بالسودان خاضعاً بالضرورة لعدد الوظائف المناسبة الخالية ووقت خلوها ومؤهلات المرشحين المتقدمين لها فان أحكام تلك الفقرة تسرى فوراً بمجرد نفاذ المعاهدة ؛ وتكون ترقية الموظفين فى حكومة السودان بدون اعتبار للجنسية الى أية درجة كانت وذلك بالاختيار تبعاً للجدارة الشخصية

٣ — ومن المفهوم أيضاً أن هذه النصوص لا تمنع الحاكم العام من أن يعين أحياناً فى بعض الوظائف الخاصة أشخاصاً من جنسيات أخرى إذا لم يتيسر وجود ذوى المؤهلات من الرعايا البريطانيين والوطنيين المصريين أو من السودانيين

٤ — من المتفق عليه فيما يتعلق بالفقرة الثالثة من المادة الحادية عشرة أنه نظراً لأن الحكومة المصرية ترغب فى إرسال الجنود الى السودان فان الحاكم العام سيبادر بالنظر فى أمر عدد الجنود المصرية اللازمة للخدمة فى السودان والأماكن التى يقيمون فيها والثكنات اللازمة لهم ؛ وسترسل الحكومة المصرية فوراً بمجرد نفاذ المعاهدة ضابطاً مصرياً عظيما يستطيع الحاكم العام استشارته فى هذه الأمور

٥ — بما أنه قد تم الاتفاق بين الحكومة المصرية وحكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة على أن مسألة الدين المستحق لمصر على السودان والمسائل المالية الأخرى المتعلقة بهما تبحث بين وزارة المالية المصرية ووزارة المالية بالمملكة المتحدة ، وبما أن هذا البحث قد ابتدأ بالفعل فقد رؤى أنه ليس من الضرورى أن

تتضمن المعاهدة أي نص خاص بهذه المسألة

### خطاب من فخامة المندوب السامي

خطاب للمندوب السامي

إلى دولة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء

سيدي :

في خلال مناقشتنا في المسائل التفصيلية المتصلة بالفقرة الثانية من المادة الحادية عشرة أقترح ندب خبير اقتصادي مصري للخدمة في الخرطوم وأبدى الحاكم العام رغبته في تعيين ضابط مصري سكرتيراً حربياً له ، وقد سجل الاقتراح والرغبة المشار اليهما واعتبرا مقبولين من جهة المبدأ ؛ كما إنه قد اعتبر من المرغوب فيه ومن المقبول أن يدعى مفتش عام الري المصري بالسودان إلى الاشتراك في مجلس الحاكم العام كلما نظر المجلس في مسائل متصلة بأعمال مصلحته

وتفضلوا ... الخ امضاء

### ملحق للمادة الثالثة عشرة

إن الأغراض التي ترمي إليها التدابير الواردة في هذا اللحق هي :

١ — الوصول على وجه السرعة إلى إلغاء الامتيازات في مصر وما يتبع ذلك حتما من إلغاء القيود الحالية التي تقيد السيادة المصرية في مسألة سريان التشريع المصري ( بما في ذلك التشريع المالي ) على الأجانب

٢ — إقامة نظام انتقال لمدة معقولة تحدد ، ولا تطول بغير مبرر . وفي حدود تلك المدة تبقى المحاكم المختلطة وتباشر الاختصاصات المخولة الآن للمحاكم القنصلية فضلاً عن اختصاصها القضائي الحالي

وفي نهاية فترة الانتقال هذه تكون الحكومة المصرية حرة في الاستغناء عن المحاكم المختلطة

٢ — تتصل الحكومة المصرية كخطوة أولى في أقرب وقت مستطاع بالدول ذوات الامتيازات بقصد (ا) إلغاء كل قيد يقيد التشريع المصري على الأجانب ، و (ب) إقامة نظام انتقال للمحاكم المختلطة كما هو وارد في الشطرة الثانية من الفقرة الأولى سالفة الذكر

٣ — إن حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة بصفتها دولة من ذوات الامتيازات وبصفتها حليفة لمصر لا تعارض بتاتاً في التدابير المشار إليها في الفقرة السابقة ، وستتعاون تعاوناً فعلياً مع الحكومة المصرية في تحقيق هذه التدابير باستعمال كامل نفوذها لدى الدول ذوات الامتيازات في مصر

٤ — من المتفق عليه أنه في حالة ما إذا وجد من المستحيل تحقيق التدابير المشار إليها في الفقرة الثانية فان الحكومة المصرية تحتفظ بحقوقها كاملة غير منقوصة إزاء نظام الامتيازات بما فيه المحاكم المختلطة

٥ — من المتفق عليه أن الشطرة (ا) من الفقرة الثانية لا تعني فقط أن موافقة الدول ذوات الامتيازات لن تكون ضرورية لسريان التشريع المصري على رعاياها ، ولكنها تعني أيضاً انتهاء الاختصاص التشريعي الحالي الذي تباشره المحاكم المختلطة بالنسبة لتطبيق التشريع المصري على الأجانب ، ويتبع ذلك ألا يكون للمحاكم المختلطة في سلطتها القضائية أن تقضي في صلاحية سريان قانون أو مرسوم مصري طبقه البرلمان المصري أو الحكومة المصرية على الأجانب

٦ — يصرح صاحب الجلالة ملك مصر بمقتضى هذا أن أي تشريع مصري يطبق على الأجانب لن يتنافى مع المبادىء المعمول بها على وجه العموم في التشريع الحديث ، وأنه فيما يتعلق بالتشريع المالي على الخصوص فان هذا التشريع لن يتضمن تمييزاً مجحفاً بالأجانب بما في ذلك الشركات الأجنبية

٧ — لما كان من المعمول به في أكثر البلاد أن يطبق على الأجانب قانون جنسيتهم في مسائل الأحوال الشخصية فسينظر بعين الاعتبار إلى أنه من المرغوب فيه أن تستثنى من نقل الاختصاص — على الأقل في البداية — مسائل الأحوال الشخصية الخاصة برعايا الدول الممتازة التي ترغب في أن تستمر محاكمها القنصلية في مباشرة هذا الاختصاص

سيقتضي نظام الانتقال الذي يوضع للمحاكم المختلطة ونقل الاختصاص الحالي للمحاكم القنصلية إليها ( الأمر الذي سيكون بطبيعة الحال خاضعاً لأحكام الاتفاق الخاص المشار إليه في المادة التاسعة ) إعادة النظر في القوانين الحالية الخاصة بتكوين المحاكم المختلطة واختصاصها بما في ذلك إعداد وإصدار قانون جديد لتحقيق الجنايات

ومن المفهوم أن إعادة النظر هذه ستتضمن فيما تتضمنه المسائل الآتية :

١ — تعريف كلمة أجنبي بصدد الاختصاص القبل للمحاكم المختلطة

٢ — زيادة عدد موظفي المحاكم والنيابات المختلطة بما يقتضيه التوسيع المقترح لاختصاصها

٣ — الاجراءات المتعلقة بمسائل العفو أو تخفيف عقوبة الأحكام الصادرة على الأجانب والاجراءات المتعلقة بتنفيذ عقوبة الاعدام الصادرة عليهم

محضر متفق عليه

من المتفق عليه بالنسبة للفقرة السادسة من ملحق المادة الثالثة عشرة أن المسائل التي ينطوي عليها هذا التصريح لا تخضع لقضاء أي محكمة في مصر

## المذكرة المصرية الأولى

سيدي :

بالاشارة إلى المادة الثانية من المعاهدة التي وقعناها اليوم أتشرف بإخباركم أنه نظراً لأن حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وإرلندا والأملاك البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند سيكون أول ملك أجنبي يمثله في مصر سفير فان السفراء البريطانيين سيعتبرون ذوي أقدمية على باقي الممثلين السياسيين المعتمدين لدى بلاط صاحب الجلالة ملك مصر . وتكون محتويات هذه المذكرة خاضعة لاعادة النظر في الوقت وبالشروط المنصوص عنها في المادة السادسة عشرة من المعاهدة

## المذكرة المصرية الثانية

سيدي :

أريد أن أسجل هنا مسائل معينة أخرى تم التفاهم عليها وتتصل بالشؤون العسكرية في معاهدة التحالف التي وقعناها اليوم

١ — يسحب الموظفون البريطانيون من الجيش المصري وتلغى وظائف المفتش العام والموظفين التابعين له

٢ — نظراً لأن الحكومة المصرية ترغب في استكمال تدريب الجيش المصري بما فيه سلاح الطيران وتنوي لمصلحة المحالفة التي تم عقدها أن تختار المدربين الأجانب الذين قد ترى حاجة اليهم من بين الرعايا البريطانيين وحدهم فانها قد اعتزمت أن تنتفع بمشورة بعثة عسكرية بريطانية للمدة التي تراها ضرورية للغرض المذكور ، وتتعهد حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة بأن تقدم البعثة العسكرية التي تطلبها الحكومة المصرية كما تتعهد بأن تقبل من ترى الحكومة المصرية إيفاده من رجال جيشها للتعلم بالمملكة المتحدة وأن تكفل لهم التدريب الملائم . ونظراً للظروف التي هيأتها هذه المعاهدة سوف لا ترغب الحكومة المصرية بطبيعة الحال في إيفاد أحد من أفراد قواتها المسلحة لتلقي دراسته في أي معهد أو وحدة من معاهد التدريب أو وحداته في غير المملكة المتحدة ، على ألا يمنع ذلك الحكومة المصرية من أن توفد إلى أي بلد آخر رجال الجيش الذين لا يتيسر قبولهم في معاهد المملكة المتحدة ووحداتها

٣ — يتعين لصالح المحالفة ونظراً لاحتمال ضرورة التعاون في العمل بين القوات البريطانية والمصرية ألا يختلف طراز أسلحة القوات المصرية من برية وجوية ومعداتها عن الطراز الذي تستعمله القوات البريطانية . وتتعهد حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة بأن تبذل وساطتها لتسهيل توريد تلك الأسلحة والمعدات من المملكة المتحدة بمثل الأثمان التي تدفعها حكومة صاحب الجلالة كلما رغبت الحكومة المصرية في ذلك

## المذكرة المصرية الثالثة

سيدي :

بالاشارة إلى المادة الرابعة عشرة من المعاهدة التي وقعناها اليوم أتشرف بابلاغكم أن الحكومة المصرية تنوي إلغاء إدارة الأمن العام الأوربية فوراً ، ولكنها ستستبقي لمدة خمس سنوات من نفاذ المعاهدة عنصراً أوروبياً معيناً في بوليس المدن ، ويبقى هذا البوليس في المدة المذكورة تحت إمرة ضباط بريطانيين

وتسهيلاً لأحلال موظفين مصريين بالتدريج محل العنصر الأوربي المذكور مما يضمن تجانس العمل في نظام البوليس تنوي الحكومة المصرية أن تستغني كل عام عن خدمة خمس موظفي البوليس الأوربي

وستفضل الحكومة المصرية على العموم بالنظر لمعاهدة الصداقة والتحالف التي وقعناها اليوم الرعايا البريطانيين الحائزين للمؤهلات المطلوبة عندما تستخدم خبراء من الأجانب

( تتمة ملحقات المعاهدة )

# ٣ – نهضة المرأة المصرية

### وكيف نومه للخبر العام

### للأستاذ فليكس فارس

من هذا الموقف دفعت الانسانية فى الغرب أوائل خطواتها على سبيل المدنية الحديثة ، فكان التمرد على النظم القديمة البالية ، وكانت الثورات التى خضبت الأرض بدماء الأسياد والعبيد ، بدماء الظالمين والمظلومين ، بدماء الأبرياء والمجرمين ، نجيعاً واحداً رقص الشعب فوقه صاخباً باكياً ضاحكا فى سكرة الأمانى المحطمة والآلام المخدرة

من مثل موقف الرومان ومن مثل موقف العرب حين سادت الخرافات بين الشعوب خرجت أوروبا الى عهدها الجديد ، ولكن عيسى لم يكن هاديها ، ولا كان محمد ماشياً فى طليعتها . كان إنجيل الغرب حقوق الانسان التى كتبها الثائرون بالدم التمرد ، وكان قرآنها القوانين التى سنها نابليون لأقامة الموازنة بين الحقوق ، ولكن هذا الانجيل الحديث الذى استمد من إنجيل عيسى المساواة والانصاف لم يتناول سواهما من مبادىء الاحسان والعطف والمغفرة والرحمة ، وهذا القرآن الجديد : قوانين نابليون المستمدة من مذاهب الأئمة فى الشرع الاسلامى وقف عند حد التنظيم المادى لحقوق الناس ، فقصر عن الأخذ بما فى قرآن النبى الهادى من الدعوة الى المعروف والبر بالادنين والأبعدين من بنى الانسان

رأت بلاد الغرب أن الدين قد أصبح سلطة تواطأت طويلاً مع السلطان المدنى المطلق وما حوله من سادات الاقطاع ، وامتنع عليها أن تسلخ إنجيل عيسى عن هذه السلطة فأنكرتها وأنكرت عيسى وتعاليمه معها . وسارت المدنية الحديثة فى طريقها مستنيرة بالعلم الوضعى منكرة كل ما لا تقع الحواس عليه ، فأصبحت القوة وحدها المسيطر الأعلى تنبسط قاعدة رهيبة للعجل الذهبى فتمده باعتلائها وتعدها بلمعانه وصولته

وبقيت المسيحية دين الغرب ، ولكنها حصرت فى كنائسه وانكمشت مبادئها عن الحياة نفسها ، وبينما كانت تتلى فى المعابد كل يوم الآيات التى هبطت على جبل فلسطين فهزت الدنيا وقلبت المدنيات القديمة ، وتتلى بعدها رسائل الحواريين التى كتبت فى السجون لتحرير الانسان ، كانت مدنية روما الوثنية تنبعث من كل جانب لتدور حول الكنائس مقهقهة ساخرة

كان العذارى يخرجن من الكنائس بعد سماعهن قول بولس الرسول بالتستر وحجب الشعور والاحتشام والطاعة للقيمين ، فيذهبن الى المرافص نصف عاريات كأنهن الدمى الرومانية نفخ إبليس فيهن نسمة الحياة

إن غريزة المرأة فى الأصل لا تطمح إلا الى الطريق الذى اختطه لها الناموس الطبيعى فى تكوينها ، وما أحبت امرأة رجلا إلا وكانت محبتها خيالاً سابقاً لمحبة الطفل الكامنة فيها

وإذا كانت الفتاة قد لجأت الى المواخير كما يقول الفريد دى ميسيه لتأكل بثديها ، وتلتقى هناك بمن منع على نفسه أن يكون قيما عليها فأصبح مستثمراً لشقائها ، فانها لم تلبث أن تعودت إذلاله لها فى عرضها فلجأت الى العمل لتأكل بعرق جبينها احتفاظاً على الأقل بحق اختيارها للرفيق الموقت أو بحق التمرد على أنوثتها الكاسرة من عزتها ، وهكذا بعد أن كان الفتى يلتقى الفتاة التى تحول عنها فى المواخير ليذلها ، أصبحت هى تلاقيه فى ميادين الأعمال لتزاحمه متملصة من إذلاله

سوف يأتى يوم وهو غير بعيد تنتبه المدنية فيه الى أن الرجل الكامل الذى ينشده العلماء فى الغرب لن يخلق لهم من التمرين لقوى العقل وقوى الجسد ولا من فحص الخلايا بالمجهر حتى ولا من التلقيح بالمواد الكيميائية أو غدد القرود ، فيتحققون أن الرجل المتفوق إنما هو ابن الحب الصحيح ؛ فالمحبة وحدها هى السبيل الى إدراك الحق والقوة والجمال

لندع العالم المتمدن يفتش بعلومه ونهضته على هذا الحب الذى تخيله كارل ماركس متجلياً فى الحرية التامة للناس فى أهوائهم فجاءت روسيا البلشفية تثبت انخداعه فى نظرياته ، ليقتنعوا أنهم لن يتوصلوا فى تجاربهم إلا إلى العبر الزاجرة المؤلمة

أما نحن أبناء هذا الشرق العربى الذى انبثق الحق فيه انصباباً من الداخل بالالهام لا تلمساً من الخارج ، فلنا المسلك المفتوح منفرجاً أمامنا للاعتلاء والخروج إلى النور بعد هذا الليل الطويل ، إذا نحن أخذنا بروح ما أوحاه الحق الينا

لا بترقية الزراعة والصناعة ، ولا بنشر التعليم والتهذيب ، ولا بجعل البلاد جنة فى أرضها غنى وتنظيما ، تنشأ الأمة ويخلق الشعب الحر السعيد

إن الجنين الذى يحمل أسباب شقائه وهو فى بطن أمه لا تمكنه أن يصير رجلاً حراً قوياً يفهم حقيقـة الحياة ويتمتع بالعظمة الـكامنة فيها

إن الاهتمام بإيجاد الطفل الصالح أولى من العمل لأعداد العلم والتهذيب لطفل نصقل مظاهره صقلاً وتتحطم كل محاولة نصرفها للنفوذ إلى علته المستقرة فيه منذ تـكوينه

ليس الفقير المتسول ، ولا العليـل المتألم ، ولا الشيخ الهرم يتمشى بلا عزاء إلى قبره ؛ ليست المرأة المستعبدة بلقمة ، ولا الفتاة المخدوعة المنطرحة على أقذار المواخير ؛ ليس كل هؤلاء الناس الأشقياء فى الحياة بأشقى من الأطفال يجور عليهم الآباء والأمهات قبـل أن يقذفوا بهم إلى الوجود ثم يرهقوهم بالقطيعة والاهمال حين يدرجون على الأرض بأقدامهم الناحلة المرتجفة

الرجل الذى يمسخ حبه شهوة ، والمرأة المتقصـفة المتهـتكة التى تجعل هيكل نسمات الله مركماً لنفايات البشر من عباد الخيانة والطيش ، إنما هما آدم وحواء مطرودين من الجنان إلى أرض الجهود المضيعة والآلام المحتمة . ومن يدرى أن حديث معصية الأبوين الأولين ليس رمزاً لخيانة الحب ، تلك الخيانة التى تنزل اللعنة بمرتكبيها وبأبنائهم من بعدهم

***

إن هذه الحقائق التى استجليناها من قلب الحياة لتملى علينا المبادىء التى يجب أن نأخذ بها لتوجيه المرأة للخير العام

إننا ، ولا ريب ، تجاه نهضة نسائية تبشر بارتقاء قريب ، ولـكن هذه النهضة مقصورة على عدد قليـــل من السيدات اللواتى لم ينخدعن بمظاهر المدنيـة الغرارة فأدركن أن المرأة المترجلة الضلول ليست هى من نرجو لاحياء الأسرة وخلق الأمة الحية

الظلمات كثيفة ، والمشاعل قليـلة ، ولـكن هذه المشاعل كفيلة إذا رفعت بانارة نساء اليوم ونساء الغـد وإرشادهن إلى ما نوى فيهن من فطرة شرقية سامية

ليس كالمرأة من يصلح المرأة أو يفسدها . فليذهب صوت المرشدات متغلغـلاً فى كل طبقات الأمة مهيباً بنسائها إلى النهوض . وليست النهضة التى نرجوها للخير العام بين النساء مما يستلزم الوقت الطويل ؛ لأنه إذا كانت نهضة الرجال فى أمة تقتضى تحصيل العـلوم بأنواعها وفروعها سياسية وإدارية وصناعية وزراعية وفلسفية ؛ وتستلزم لبلوغ هذا الغرض امرار السنين الطوال درساً وتفكيراً ، فليس الحال على هذا المنوال فى إنهاض المرأة

نهضة الرجل فـكرية عملية ، أما نهضة المرأة فاحياء إيمان وإشـمال عاطفة . وقد لا تحتاج نساء بلدة لأ كثر من خطب معـدودة تلقيها امرأة ملهمة على عليها الحق الأعلى ما تقول ، فتخلق من كل فتاة زوجة صالحة ، ومن كل زوجة أماً رؤوما

إن الشريعة فى هذا الشرق العربى إنمـا هى وحى من السماء لخير المجتمع فى مختلف الأحوال والعصور ؛ ولشرعة الزواج بخاصة فى هذه البلاد ما ليس لأى قانون ابتدعه الناس فى سائر المعمور من حكمة ومرونة ؛ فهى عقد فيه للجاهلة المنحطة روادع وقيود ، وللمستنيرة الراقية الفاضلة مجال رحب يتمد فيـه حقها قدر استحقاقها

الحق استحقاق وليس هبة ؛ وما ظلمت نساء الشرق فى أدوار انحطاطه إلا لقصورهن عن نيل هذا الحق

أما وقد آذنت الساعة بالنهوض ، وقيض الله لمصر والشرق العربى من يرى إصلاح المجتمع بتساوى أهميـة وإصلاح الهيئات الحاكمة فيه ، فقد حق على الناهبين رجالاً ونساء أن يؤدوا رسالة الاصلاح لاحياء الأمة واستعادة مجدها

فلنستثمر إذن نهضة الناهضات فى سبيل الخير العام لأوله الأمر من كبواتها على الأسس الآتية :

١ — إحياء شعور المرأة بقـداسة رسالتها ، فتحس بأن لها شخصية مستقلة يسودها الانتخاب الطبيعى لرفيق مترفعاً عن كل استهواء للمطامع والشهوات الضالة . إن أشقى الناس من ضعفت شخصيته إلى درجة التردد فى اختياره ، وأذل فتاة فى الحياة من تقف حائرة بين طلابها فتنصب ميزان الترجيح ذاهبـة مع الاعتبارات الفانية للتحكم بالحوافز الخفية العالقة بأهداب الخلود

٢ — تمـكين عقيدة المرأة فى أن حريتها كامنة فى عبوديتها ( لاشتياقها ) كزوجة وكأم ، وإن انعتاقها من هـذه العبودية إنما هو كفر بربها وبذاتها

٣ — تفهيم سيادة الرجل القوام على المرأة على ما قصده الشرع من تأمين الحاجة والرعاية والصيانة ، فلا تؤول كما يحلو لبعض الرجال تأويلها بأنها تحكم وإرهاق واستبداد بالشخصية التي خلقها الله فأودعها إرادته . إن من يفهم السيادة تحكماً بالذات لا خدمة لها إنما ينصب نفسه قواماً على فضل الله وقدره

٤ — إقصاء المرأة عن كل عمل يقصيها عن واجباتها ؛ إذ لا بد لكل مجتمع تترجل نساؤه أن تتأنث رجاله ، وليس برجل من لا غيرة فيه

٥ — أن تتيقن المرأة أن قسطها أوفر من قسط الرجل في تكوين رجال الأمة ، لأنه وإن تساوت وإياه بتكوين جسم الجنين من ذرات متساوية قيمة وعدداً ، فإن أثر شخصيتها فيه ليفوق أثر شخصية الرجل ، فهي المستودع والمرضع والمربي الأول

٦ — أن تعلم المرأة ويعلم الرجل قبلها أن إقامة أسرة على أنقاض أسرة إنما هو من قبيل البناء على الرماد ، وما يصلح الرماد أساساً يثبت عليه أيّ بناء

٧ — أن تثق الفتاة من أن طهارة روحها وعفاف جسمها إنما هما الركن الذي يبني الرجل سعادته عليه ، فتحرص على هذا العفاف لأن عثرته حتى في زواج خاطئ عثرة لا تقال ؛ وقلما نرى امرأة خرجت ظالمة أو مظلومة من بيت مهدّم وتمكنت من بناء بيت جديد لا تساوره الأشباح ولا تدور في زواياه الخفية الوساوس والشكوك

٨ — أن ينتبه رجال الشرع إلى ظاهرة خطيرة في أحوال الأسرة المصرية وهي ظاهرة الطلاق بنسبة مروعة تدل على ضعف العقيدة الدينية وعلى انحطاط في الأخلاق ، وكلاهما نذير الدمار

٩ — أن تعمل المصلحات النابهات بخاصة على إيجاد حضارة واحدة تتبعها نساء مختلف العناصر المكوّنة للوطن ، إذ لا معنى لهذا الاختلاف في حياة الأسر التي تتفق كتبها السماوية على تنظيم الحياة بالمبادئ الأدبية العليا

إن لم يقم المجتمع على عادات وتقاليد وأزياء واحدة ، فإن إقامة الوطن على مثل هـذا المجتمع المختلط لمن أصعب الأمور . وما تجتمع النساء في بلادنا من عديد الطوائف إلا بين طبقة معلومة اقتبست من المدنية الغربية ما يضج منه عقلاؤها ؛ وليس الاتحاد الذي ننشده بين الأسر ما نرى فيه نساءنا الشرقيات من كل طائفة عاريات على الشواطئ أو نصف عاريات في الملاعب والمراقص .

إن وحدة العادات والأخلاق التي نصبو إليها إنما تقوم على الحرية المصونة التي تبيح للمرأة المباهاة بفكرها ومزاياها الشريفة وتصدها عن المباراة بجمالها وعواطفها وهما نور بيتها الذي يجب ألا يوقد إلا بين جدرانه

على هـذه المبادئ تعم النهضة نساء البلاد فتنشئ الحضارة الخاصة اللائقة لهذا الشعب ؛ وما تسعد أمة تقتبس أساليب حياتها مما يتنافر وحوافز دمها وصوت القبور في روحها

كل إنسان يجبن أمام الحوادث في حياته فيلين لها حوافزه وفطرته إنما هو الشخصية المفقودة التائهة والشبح الباكي والحيّ المستحجر ؛ وقد تلمع أحداق مثل هـذا الانسان بالمجد والظافر ، ولكن أنوار السعادة تبقى منطفئة في عينيه

ونحن كأمة لا تمكننا الانفلات من هذا الناموس الثابت . إن فطرتنا مقدورة علينا كامنة فينا ؛ وكل أمة تحيا على غير فطرتها فهي أمة باكية بدموع صامتة ، هي أمة مستضعفة مستعبدة لا معنى لحياتها ولا سعادة فيها

نحن بحاجة إلى نهضة روحية أدبية تصالح منابت أطفالنا بعقيدة يحييها النابهون في الشعب تحت جنح إيمانه الشرقي المسكين ، وليس كالعقائد في شعب ما يكفل كرامته ويضمن اعتلاءه

بين بعض قبائل الصحراء عقيدة أصبحت فطرة في أفرادها ، وهي اعتبار الكذب عاراً دونه أي عار ، فإذا ما ارتكب الكذب أحد أفراد القبيلة اضطر رئيس أسرته إلى قلع أطنابه والهرب بنسائه وأطفاله إلى بعيد حيث يواري في النفي الأبدي ما التصق به من عار

إلى خلق مثل هذه العقائد يجب أن تتوجه جهود الناهضات من النساء فيصبح الرأي العام سياجاً حرابه الزراية والاحتقار ، يصد كل امرأة تقصر عن المحافظة على حقها أو تطمح إلى تجاوزه ، وتصد كل رجل يقصر في واجباته كقوام على المرأة أو يسيء استعمال هذه الواجبات . وهكذا يساق الرجل إلى معاملة زوجته كما يريد أن تعامل ابنته في زواجها

إن عقائد الأمم الاجتماعية إنما تحفظها صدور النساء قبل صدور الرجال ، وتنبيه مثل هذه العقائد والتقاليد في فطرة بنات الشرق لعمل يسهل على رسولات الحق إذا عضدتهن السلطات الزمنية والروحية في هذا السبيل

( تم البحث )

فليكس فارس

# الجاحظ

## فى مقالة « الفلسفة والالهيات »

للأديب محمد طه الحاجرى

جاء فى المقالة التى نشرتها (الرسالة) عن « الفلسفة والالـهيات » مترجمة عن الأستاذ الفرد جيوم ، بقلم الأديب الفاضل توفيق الطويل عبارة مروية عن شيخ الكتاب أبى عثمان الجاحظ فى صدد الدعوى بأن مرد الفلسفة العربية فى مادتها وصورتها وغايتها إلى حضارة البلاد التى غزاها العرب ، وأن المعين الذى استقوا منه مذاهبهم هو الفلسفة اليونانية

والذى يجب التنبيه اليه أولاً هو أن هذه العبارة مروية بالمعنى ، بل بأصل المعنى ، لا بالنص الذى كتبه الجاحظ ، والذى لا ينبغى أن يعدل عنه أو يتسامح فى إيراده ، إذا كنا نلتزم الأسلوب العلمى « الجامعى » فى البحث والاستشهاد ، ولا سيما حين يكون النص المروى من ميراثنا الأدبى ، ردّ الينا ، وورد فى سياق عربى وموضوع عربى ، ثم كان بعد ذلك لأمام من أئمة الأدب العربى . أما أن يترجم النص إلى الانجليزية ، مع ما تستلزمه طبيعة الترجمة من اضعاف المعنى واخفاء بعض خصائصه ، ثم ترجمة هذه الترجمة إلى اللغة العربية ، فصنيع غريب من شأنه أن يهلهل المعنى وينهكه ، حتى لا يبقى منه فى العبارة المنقولة إلا ظل خفيف ناصل . ولقد عرض الجاحظ نفسه لهذا المعنى فى كتابه « الحيوان » فى سياق كلامه عن الترجمة وخصائصها

ولكن وزر هذه المخالفة للأسلوب العلمى لا يرجع ، فيما نحسب ، إلى المترجم الفاضل بقدر ما يرجع إلى ضعف الروح الأدبية العربية التى تركت الجاحظ — وهو شيخ الكتاب وأمير البيان العربى بلا منازع — مغمور القدر مجهول المكان ، وتركت ما أبقت عليه أحداث الزمن من ذخائر كتبه — وهى طرف فنية لا تكاد تظفر المكتبة العربية بما يناظرها — وكأنما هى كتب ألغاز وطلسمات من كثرة ما منيت به فى نشرها من تحريف وتصحيف وخرم وتشويه وسوء طبع وفساد كبير

أما أصل هذه العبارة المترجمة فهو — فيما نرى — ما يلى :

( مأخوذاً من كتاب الحيوان ، الجزء الأول ، صفحة ٤٢ ، ٤٣ فى أثناء الفصل القيم المستفيض الذى كتبه الجاحظ فى فضل الكتب والترغيب فى اصطناعها)

« ولولا ما أودعت لنا الأوائل فى كتبها ، وخلدت من عجيب حكمها ، ودونت من أنواع سيَرها ؛ حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم ، لما حسن حظنا من الحكمة ، ولضعف سببنا إلى المعرفة »

أما الاستشهاد بهذه العبارة التى سيقت فى فضل الكتب على تلك الدعوى العريضة التى يلج الكاتب فيها ، والتى يزجيها الهوى وتصوغها العصبية ، فاستشهاد ضعيف متهافت كما ترى ، فليس فيها إلا ما يقوله كل ناظر فى تاريخ العلم من أنه حلقات متصلة مترادفة ، يكمل لاحقها سابقها ، وينبنى آخرها على أولها انبناء الحاضر على الماضى ، فى جميع مجالات الحياة وفروع المعرفة ، وإن كتب الأوائل هى التى أوجدت هذه الصلة ، ومهدت للفكر العربى سبيله

على أن هذا الاستشهاد غريب من ناحية شخصية الجاحظ ، فانه من المثل القوية التى تبين إلى حد كبير بروز الشخصية العربية فى عالم المعرفة ، واصطباغها صبغة مستقلة . ويلاحظ قارئ كتابه الحيوان أنه كثيراً ما ينقل عن صاحب المنطق بصيغة التمريض : «وزعم صاحب المنطق» ويعقب عليه أحياناً بعبارات يتبين فيها اعتداده بنفسه ، إذ يقول مثلاً : « وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل ، وما يليق بمثله أن يخلّد على نفسه فى الكتب شهادات لا يحققها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء »

أمثل صاحب هذا الأسلوب الشامخ بنفسه يزج فى معرض الاستشهاد على أن الفلسفة العربية ليست الا صورة من الفلسفة اليونانية ، مشوبة ببعض الفلسفات الفارسية والهندية ؟ !

وبعد ، فنرجو ألا يحسب أحد أننا نغض بهذه الكلمة العاجلة ، وبهذا التعقيب على صورة من صور الاستدلال من القيمة العلمية لكتاب « تراث الاسلام » الذى نرجو أن نرى فيه صورة من صور البحث الدقيق إن شاء الله ؟

محمد طه الحاجرى

ترجمة وتلخيص

# خطاب أندريه جيد

## فى تأبين مكسيم جوركى

للسيد ماجد شيخ الأرض

ألقى كاتب فرنسا العظيم خطابه التأبينى فى ساحة موسكو الحمراء حيث شيع جثمان كاتب روسيا العالمى مكسيم جوركى إلى مقره الأخير قال :

ليست المصيبة بموت الكاتب الكبير مكسيم جوركى بمصيبة الاتحاد السوفييتى وحده ، إنما هى رزء العالم كله ، مادت لهوله الأرض من أقصاها لأقصاها . ولقد كان يسمع هذا الصوت الجبار الناطق بلسان الشعب الروسى العظيم فى كل قطر ، وينفذ صداه إلى كل قلب . ولست أعبر فى هـذا الموقف عن شعورى وحدى ، فهو شعور الآداب الفرنسية ، بل هو شعور الأدب فى أوروبا ، بل هو شعور الثقافة فى العالم كله

بقيت الثقافة زمناً طويلاً وقفاً على الطبقات الرفيعة ، فلا رد منهلها إلا فئة من الناس توفرت لهم أسباب الفراغ ، وما إخالكم تجهلون كيف تتوفر أسباب هذا الفراغ الذى تـكدح من أجله الأغلبية الساحقة من البشر ، لتدع وقتاً تتاوى فيه تلك الطبقة الرفيعة القليلة بالثقافة والفنون الجميلة . وما أظنكم تجهلون أيضاً أن ورود منهل الثقافة ليس بمستطاع لكل من آنس فى نفسه ميلا أو ذكاء أو مقدرة . لقد ظهر فى ميدان الثقافة رجال كبار من عامة الشعب أمثال موليير وديدرو وروسو ، لكنهم كتبوا لغير طبقتهم وما قرأهم إلا الذين توفر لهم الفراغ

تشاءم الناس لثورة أكتوبر العظمى التى حررت الأغلبية الساحقة من النير المستحكم على رقابها ، فقالوا وكرروا القول بأن الثقافة أساس مدنية الانسان مهددة بالتأخر والانقراض ، لكن الأمور برهنت على عكس ما توهموه ، فان النظام الجديد رحب بالثقافة وعمل على ازدهارها

ودلت التجارب على أن الخطر آتٍ من نظام الرجعة الذى ارتأته الطبقة السائدة . وقد اجتمع الكتاب لحفظ الثقافة فى مؤتمر وجدوا فيه أن الخطر عليها كان فى العناصر الفاشستية التى تبغى الهيمنة على الفكر وجعله أداة تسخره فى سبيل أغراضها ، وفى العناصر الوطنية المتطرفة البعيدة عن محبة الوطن الصحيحة ، وأخيراً وجدوه فى الحرب التى تسعى إليها تلك العناصر القائمة على البغضاء وحب الذات

لقد كان علىّ أن أرأس مؤتمر الكتاب المنوى عقده فى لندن ، لكن النبأ السيء باشتداد مرض جوركى اضطرنى أن أشخص مسرعاً إلى موسكو . فى هذه الساحة الحمراء التى شهدت أحداثاً كثيرة سجل بها التاريخ صحائف بعضها فى الشرف والمجد ، وبعضها فى الخزى والعار ، وإلى جانب ضريح لينين العظيم الذى تصوب إليه أعين لا يحصى لها عد ، أعلن بالنيابة عن الكتاب المجتمعين فى لندن وبالأصالة عن نفسى أن حفظ الثقافة وتقدمها معلق بأهداب الرجال القائمين بالحركات الثورية التقدمية ، ومصيرها منوط بمصير الاتحاد السوفييتى الذى نحميه نحن الثوريين بكل ما أوتينا من قوة

إن فوق كل مصلحة لأى شعب على هذه البسيطة مصلحة تجمع بين الطبقات العاملة المشتغلة الموزعة بين هذه الشعوب ، وإن فوق كل أدب ناطق بلسان من الألسن ، أدبا إنسانيا يعمل على نشر ما فى كل أدب خاص من الفضائل ؛ وقد وصفها ستالين بقوله : « وطنية فى الشكل ، اشتراكية فى الأصل »

لقد قلت مراراً بأن الكاتب بقدر ما يكون ذاتياً مخلصاً لذاتيته ، تكون غاياته سامية وعامة . وليس من كاتب روسى شديد الميل لروسيته مثل مكسيم جوركى ، لذلك فانا لا نجد كاتباً روسيا ذاع صيته وكثر قراؤه مثل مكسيم جوركى

شاهدت أمس الجماهير الغفيرة التى جاءت تلقى التحية الأخيرة على جثمان جوركى المسجى على فراش الموت ، واسمحوا لى إذا صارحتكم ، بأنى ظللت أسرح النظر فى هذا الموج المتدفق من الأطفال والنساء والعمال الذين كان جوركى صديقهم وترجمانهم ، بنشوة وإعجاب ؛ لكن نشوتى لا تلبث أن تنقلب إلى ألم يحز فى قلبى كلما تذكرت بأن كل هؤلاء فى غير

# فلسطين

## بقلم أبو سلمى

هذى الدماء من وراء الأبدِ    تصيح : أين العالَمَ المحمدى
لا روحه تلهب آفاق الورى    أو نفسه تغفو على المهنَدِ
تحرر العبيد فى أوطانهم    ولا أرى فيه سوى مستعبد
هذى فلسطين استحالت حَرَماً    مقدّساً فقبلوا الترب الندى
من كل قطرٍ عربىٍ فتيةٌ    ثائرة ترعى أصول المحتد
هبَّت على الوادى وأجرت دمها    متحـدا ، يا للدم المتّحد !
فيه من الخلود أزكى طيبه    وهو يَدُ الثورة بل أسمى يدِ

***

أخت صلاح الدين عشت حرّةً    تأبى لك العلياء أن تهوّدى
دعى «عصابة اللصوص» جانباً    واُعتمدى على بنيك اُعتمدى
كم وعدوا ؟ ! إن الرصاص وحده
هو الذى يُنجز كل موعد
معركة اليرموك هذا نقعها    يروح فوق هامنا ويغتدى
يُطلّ من بين العصور عاطراً    فيه من الماضى عبير السؤدد
كل شعوب الأرض فى جهادها    تمشى على آثارنا وتقتدى
أيامنا تطوى دهوراً جمة    النار فيها تنتهى وتبتدى

***

يا قائد الثورة سعّر نارها    وزجّ فى قاع السعير المعتدى
واُخضب لياليها دماً واسمع صدى
قول الزمان : يا كواكب اُشهدى
واُطلع على الأيام واُنشر وهجاً    فيه سنى الجهاد والتمرّد
واخلع على الجبال أبراد العلى    حق لها يوم اللقا أن ترتدى
وقدْ فلسطين إلى تاريخها    وقل لها سودى وإلاّ اُستشهدى

***

أمّ العروبة اضحكى يا أُمّنا    فكلُّنا اليوم أبرّ وَلد
يهفو إلى بيض الصفاح باسما    الخود قبل الشيخ قبلَ الأمرد
تنثر ما فوق الثرى قلوبنا    لينبت استقلالنا بعد غد
فيا قلوب الثائرين أنشدى    على المدى ويا سفوح ردّدى
(فلسطين)

أبو سلمى

---

الاتحاد السوفييتى ، من الذين لا يسمح لهم بالدخول إلى مثل هذه القاعة ، وهم من الطبقة التى كتب لها الشقاء ، وحرمت عليها لذة العلم والتثقيف ، كأنما ألصق على باب حديقة العلوم ( ممنوع الدخول ، هنا حديقة خاصة ) ولكن إعجابى لا يلبث أيضاً أن يصبح كمداً يقطع فى أحشائى كلما شعرت بأن ما يبدو لهم طبيعياً ما زال عندى شيئاً خارقاً يدهش له حسى وبصرى ، فلا أتمالك كلما ذكرت أو شعرت بذلك عن إرسال عبرة

ماجد شيخ الأرض

---

# المجنونة

## بقلم عثمان حلمى

فى غابة مجهولةِ السرِّ    مملوءةٍ بالشوك والزهرِ
أبصرتها فى ظلمةٍ تجرى    من خلفها ولدانُها تجرى
إنسيّةٌ هى أو لسرعتها    جنيّةٌ فالعين لا تدرى !
تبكى وتضحكُ فى تقلبها    بمدامعٍ تجرى على النحر
وبكاؤها سخرٌ فإنَّ لها    قلباً يضمُّ صلابةَ الصخر
تقسو وتعطف فهى غاضبةٌ    فى حين تُبدى باسمَ الثغر
وتكاد تذهل من تلونها    فكأنَّها الحرباء فى قفر !
سحرتْ بنيها فهى ساحرةٌ    بالطبع لم تعكف على سحر
فتّانةٌ تغرى مظاهرها    أمّا الحقيقة فهى كالقبر !
فتنتْ بنيها فهى غانيةٌ    فى العين منهم بل وفى الفكر
وهى العجوزُ ، هى العجوزُ إذا
ذكرتْ تبوء بأشنع الذكر
لكنّها معبودةٌ أبداً    منهم ، لعل لذاك من سرّ !

كم بلّغوا عن غدرها قصصاً   وأقاها المملوء بالغـدر !

وهمو سكارى في محبتها   من غير ما كأس ولا خمر

وهمو حيارى في وجودهمو   ووجودهم كسحابة تجرى

أبصرتها في الغاب جارية   صخّابة مسدولة الشعر

وتكادُ تغضبُ حيث لا تدرى

وتكادُ تبسم حيث لا تدرى

تغدو بنيها حين تفجعهم   في أنفس صيغت من الشرّ

ورأيتها في الغاب تأكلهم   أكلا ولكن أكل مضطر

ولقد أراها جِدَّ ساكنة

من بعـد طول الضحك والبشر

ظلّت طويل الدهر عابثة   بهمو وهم في غمرة الدهر

حتى توارى الكلُّ عن نظرى

بين النجود وشامخ الصخر

مجنونة دنيا كمو ، وكفى   بىَ ما أبنتُ لها من السرّ !

(الاسكندرية)   عثمان حلمي

# في ربى لبنان

بقلم عبد الوهاب أدهم

قف حىّ لبنـانَ وانظر حسن لبنانا

إن كنت مثلى كئيب النفس أسوانا

في كل بقعـة أرض أيكة برزت

توحى إلى النفس أحلاماً وسلوانا

يعانق الأرزُ فيها الأرزَ مغتبطا   ويسحب الدوح أذيالا وأردانا

ترقرق الماء في أنحائها فغدت   خمائلا ، وغدا لبنـان بستانا

والطير يرقص من لهو ومن طرب

فيملأ الأرض أنغـاماً وألحانا

تبارك الله ! ما أسمى بدائعه   فكيف أضمر بهتاناً وكفرانا ؟

***

لبنان ! يا جنّة الدنيا وزينتها   خلّفت قلبى غداة البين ولهانا

ما زلت أذكر «فالوغا» و«عاليةً»

و«بحمدونَ» و«شاغورا» و«حمّانا» (١)

حتى امتطيت إلى «الفيحاء» هادية (٢)

تطوى بيَ الأرضَ أنجـادا ووهدانا

***

يا أهل لبنان ! إنا أمة قبضت   نواصى الأرض أحقاباً وأزمانا

لا تأنفوا أن تقولوا : إننا عربٌ   كم أبقت العرب للأقوام إحسانا

والحرّ يفخر بالأنساب فافتخروا   بعبد شمسٍ وقحطان وعدنانا

إن دال سلطانهم فالدهر ذو عجب

يهوى الأبيُّ ويسمو النذلُ أحيانا

***

أشبالَ «غسان» هبّوا من ضلالتكم

ألهاكمُ الغىُّ عن رُشـدٍ وألهانا !

«غسّانُ» باقٍ على الأيام مفخرة

فهل سعيتم لِتُحيوا مجد «غسانا» ؟!

(دمشق)   عبد الوهاب أدهم

(١) أسماء مصايف في لبنان

(٢) الهادية من الخيل والابل هي التي تتقدمها وتكون في أوائلها ، والمقصود بها هنا : السيارة

## مخطوطات قديمة

المخطوطات القديمة النادرة الوجود ، يهتم بجمعها وحفظها صاحب مكتبة العرب بشارع الفجالة ، جمع الكثير منها في الأدب والتاريخ والشعر ، والروحاني والفلك والطب ، والجفر والزيج ، وخلافه من الكتب الاسلاميـة والمصاحف الأثرية ؛ كما أنه مستعد لشراء مثل هذه الكتب بأثمان جيدة . والمكتبة فهرس بالمطبوعات يرسل مجاناً

# القصص

قصص مختارة من الأدب التركي[1]

## النـــار الموقدة . . .

### لمحمود يساري بك

أثبتت مرفقيها فوق المنضدة ، وأسندت رأسها بكفيها وعيناها السوداوان شاخصتان نحو نقطة مجهولة وهي تفكر ، وكان نظرها الحاد يرسل شعاعاً زاد في لمعانه سواد المقلتين ولون الكحل الحالك وها قد مضت بضع دقائق بدون أن تمس شفتاها هذا القدح البلوري وتذوق هذا الشراب السائغ

لمَ كانت غارقة في بحر عميق من التفكير ؟ وما الذي كانت تفكر فيـه ؟ وما عسى أن يدور في هذا الرأس المتوج بالشعر الأصفر المقصوص على آخر (مودة) ؟ وهل هي كاذبة حتى في تفكرها العميق يا ترى ؟ وهل يحاول هذا الرأس أن يخدع نفسه أيضاً ؟

نظرت إليها نظرة الفاحص المدقق ، فوجدتها قد غيرت شكل حاجبيهـا بالنقوش والتخطيط الأسود فحرمتـه تلك الصورة الطبيعية التي صورها الخالق فيها . أما الحمرة التي تبدو على وجنتيها فلم تـكن ذلـكم اللون القرمزي الذي ابتدعته يد القدرة فيها ، بل كانت من مفعول الأصباغ ، وأضاع هذا أيضاً شـكله الطبيعي . ونظرت الى شفتيها فاذا لونهما ليس ذلك اللون القاني الذي أودعته يد القدرة في شفتي حواء ! . . ثم استمعت الى حديثها فاذا صوتها ليس ذلك الصوت الملائكي الذي كانت تناجي به أمها وهي في المهد صبية ، بل يكاد يكون خشناً من تأثير الخمر والسهر

— فيم تفكرين ؟

ظلت جالسة في مكانها لا تتحرك ولا تتململ ولم تجب على سؤالي هذا بغير أنة طويلة

— أوه . . .

ولو كان بين ذرات الهواء بارود لأشـعله هذا الشهيق الذي خرج من صدرها كما يشتعل الغاز إذ تمسه نار

— إنك تتألمين هذه الليلة

— إني أحب . . .

— أوَ تحبين أنت ؟

وكانت لا تزال محافظة على هيئتها . .

— إنك لا تصدق ذلك ، أليس كذلك ؟

كانت جالسة معي كي أنعم عليها بثمن شرابها ، وكنت أعرفها منذ أمدٍ بعيد . . . منذ صباها ، ولم تنس أن تفاتحني ساعة أن اقتعدت مقعدها بجانبي بعزمها على الشرب بقولها :

— أريد أن أشرب اليوم

ولم أرفض رجاءها هـذا فأمرت لها بقدح من الشراب لا إكراماً لسواد عينيها ولا حباً بجمالها ، بل شفقة عليها ورحمة بها ، فلقد كنت أراها كئيبة حزينة هذه الأيام

— ومن تحبين ؟

فرفعت رأسها من بين يديها كمن أفاق من ذهول عميق وأجابت :

— إن من أحبه « نكرة »

وكأن سؤالي هذا قد أثار منها سراً دفيناً وهاج لها ذكرى أليمة حتى راحت تحرق الأرم وتهدد الهواء بقبضتها كمن يتوعد أحداً . . . فتفرست في وجهها ملياً

فدمدمت بكلمات غامضة . . .

— لِمَ تتفرس في وجهي هكذا كأنك تعرفه ؟ أو كأنك تقول لي بأنه (معلوم) لديك ! إنه « أحد النكرات » ! . فلا تتعب نفسك في معرفته سدى !

(١) اسم لكتاب تحت الطبع سيصدر قريباً ، وهو مجموعة خمس وعشرين قصة لأحسن الكتاب الروائيين ومشاهير القصاصين الأتراك نقلها إلى العربية السيد خلف شوقي الداودي من كبار أدباء العراق

قالت ذلك وأنشبت أظافرها الحادة فى خديها من فرط تأثرها وابتسمت ابتسامة الحزين طفح كأس اصطباره :

« هو أحد (النكرات) أما إنه لم يكن كذلك ؟ فلأن هؤلاء (النكرات) يفهمون أقوالنا ويتكلمون مثلنا ويشعرون كما نشعر. ويرون كما نرى ! أما أنتم ! فان تكلمنا معكم اضطررنا إلى أن نزن كلامنا كلمة كلمة وقلوبنا تخفق رعباً ، خوفاً من أن تمتز ألسنتنا وتلفظ كلمة سهواً فنصبح أضحوكة فى نظركم ! وإذا تكلمتم أنتم أصغينا إليكم بكل حواسنا حتى نفهم ما تقولونه . . . وترانا نعمل المستحيل حتى لانظهر أمامكم بمظهر الجاهل الغر والأحمق البليد ! ولا أقول أنتم معشر « المهذبين » المثقفين – لا تحبوننا نحن معشر النساء ، كلا فأنكم تحبوننا ولكنكم تريدون من « المرأة » أن يكون شعورها وعواطفها جميلة ، مصبوغة ، مزينة ، رقيقة كوجهها وشفتيها وأظافرها ! ولا تكلفون أنفسكم مشقة فهم المرأة ، وإنما تريدون من المرأة أن تفهمكم !

– أو تحبين ؟ !

وكان صوتها يزداد اضطراباً كلما ازدادت حزناً

– « لقد أصبت فى سؤالك هذا !

– وكيف أصبتُ فى سؤالى ؟

– لأنك عنيت به فى الحقيقة . . أيمكن أن أحبّ أنا ، أوَ نحب نحن ؟ حقاً أنحب نحن ؟ أو تصدق أنت ذلك ؟ لقد سألت نفسى أنا مراراً . . فلقد تمرّ من أدمغتنا أفكار عوجاء وهوجاء ، وتربنا الأيام حوادث عصبية رهيبة تدك أعصابنا دكا فتجملها واهنة القوى ضعيفة التفكير معدومة المقاومة تفقد معها خاصة التفريق بين الشعور الذى نشعر به من صميم القلب ، وبين الاحساس الذى نحس به لمجرد اللهو والعبث ، وفى أيهما نحن صادقون ... ومن ثم أنتم ! ... آه منكم ! ! قالت ذلك وصرت أسنانها وضربت الأرض بقدميها كمن يحاول أن يسحق شيئاً سحقاً ، أو يقطعه إرباً إرباً . نحن نخدعكم ما دمتم على وجه البسيطة ونسىء إليكم دواماً . أليس كذلك ؟ ولكن ماذا تقولون فى الاساءة التى تسيئون إلينا بها أنتم معشر الرجال ؟

أكبر الاساءة التى تُرتكب نحونا هى إساءتكم . . نصدُق لكم قولاً وفعلاً فلاتثقون فينا ! وإذا ما أحببنا كم فلا تصدقوننا ! نقسم لكم الأيمان المغلظة فلا تؤمنون بنا ! ! ونشتبهون حتى فى طعامنا وفى شرابنا ! والشبهة مرض يسرى إلينا أيضاً وينشب أظفاره فينا ، ونأخذ نشتبه حتى فى أنفسنا فنحب ، فتأتى الشبهة على بالنا فتحملنا على الشك فى حبنا هذا ! وتنغص منا العيش . . وتتسع دائرة الشبهة هذه فلا نثق حتى فى أنفسنا !

تحسبون أننا نحب من أجل المال . أو يظهر أننا نحب من أجل المال ! وأضرب لك مثالاً . . أنا ذلك المثال . فأنا أيضاً امرأة أحب من أجل المال ، أليس كذلك ؟

قالت ذلك وتوقفت عن الكلام ومدت يدها إلى القدح الذى كان أمامها فشربته إلى الثمالة

لم يصدقوا أننى أحب حقاً . . . وهذا الرجل الذى أحبه أيضاً يعطينى كل ما يربحه من عمله وأرد له عطاءه . فيصرّ هو أيضاً ... يظن أننى ما أحببته إلا من أجل المال ! هو أيضاً . . . هو أيضاً . . .

وكانت أكتافها تهتز من شدة انفعالها

حيث أننا لانحب . . وأن قلوبنا قدت من صخر . . أو أنها لا تعرف للصدق معنى وحبنا كاذب . . وأن أساسنا كاذب ... »

وكانت عيناها تنظران نحو الباب . . وما كادت تلفظ الكلمة الأخيرة من كلامها حتى هبت مذعورة تطلب منى السماح لها بالذهاب

– أستميحك عذراً ، ها هو ذا قدجاء . قالت ذلك ومدت يدها تصافحنى وعيناها شاخصتان نحوه ، فودعتها وأنا أنظر إلى القادم أتفحصه . . نظرت ملياً فرأيت « الخطاط » الأسود قد كسا حاجبيها لوناً غير اللون الطبيعى ، ولعب « المنقاش » فيه فأضاع بلعبه ذلك الشكل الطبيعى الالآهى . . .

وهـذا اللون القرمزى الذى يعـلو خديها ليس ذلك اللون الذى أودعه الله فى الوجنات . . .

ونظرت إلى شفتيها فما رأيت فيهما تلك الحمرة الطبيعية التى نحا كى الدم القانى . . واستمعت إلى صوتها فاذا به قد فقـد حلاوته ، وليس بذلك الصوت اللائكى الساحر الذى كانت تنادى به أمها وهى فى المهد

وشىء واحد لم يتغير فيها ، ذلك هو عيناها ! . . .

لقد كانت عيناها تشتعلان بنار الحرص كما اشتعلت عينا حواء حينما نظرت إلى آدم لأول مرة . . !

محمود بسارى

# بيت الحظ !!...

بقلم عبد المعطى المسيرى

كان الشيخ مرسى غانم — أو الشيخ النزهى كما يسمونه فى القرية — جالساً مع نفر من القرويين ينصتون بانتباه للعمدة وهو يحدثهم نفس الحديث الذى يقصه كل ليلة منذ انتهى إليه أن سعادة المدير ونجله سيشرفان القرية ليقيم بها الابن بضعة أيام إراحة لأعصابه كما أشار الطبيب . وكان العمدة يتحدث فى هذه الليلة بحماس ، ويلقى التعليمات والأوامر بوجه متجهم وصوت أجش كعادته فى بعض الأحيان ، وذلك لأن المأمور أنبأه فى الصباح أن سعادة الباشا ستكون زيارته بعد الغد وأنه — أى المأمور — يهمه أن يهتف الأهالى بحياة الباشا وأن يكون بأيديهم سعف النخل وأغصان الأشجار وأن تستقبله النساء بالزغاريد ...

وانصرف شيخنا النزهى بعد أن عرف نصيبه فى هذا الاحتفال وهو أن يبعث زوجته وابنته زينب لتنظيف غرف المنزل المعد لنجل المدير وأن يكون مع المستقبلين الهاتفين ...

سار الشيخ صوب النهر الى أن أتى الشاطئ فخلع نعليه وشمر عن ساعديه وجلس يتوضأ ، وبعد أن انتهى من صلاة العشاء أخذ طريقه الى المنزل وهو يكثر من الحوقلة التى اعتادها عقب كل صلاة ، ولكنه كان فى هذه المرة يرددها بنغمة الأسف على تأخره هذا وتوقعه ضجر الزوجة والأولاد ...

دفع الباب واحتوته الغرفة فعاود الحوقلة بصوت عال ، وأحزنه أن يرى الطعام على المائدة الخشبية وحوله عائلته ، وقد غلب النعاس جميع أفرادها ، فبدأ بايقاظ الزوجة ، وهذه أخذت تهز الأولاد من أكتافهم معلنة إليهم فى ابتهاج وفرح عودة أبيهم ؛ ثم أخذ الجميع يتناولون الطعام حتى أتوا عليه فقامت زينب — الفتاة الكبرى — وأتت بالماء فغسلوا أيديهم ومدت أختها يدها وتناولت أرغول والدها من شباك الحجرة وقدمته إليه ، بينما تدحرج أحمد الصغير خارج الغرفة وعاد وهو يدفع أمامه آنية نحاسية وضعها أمام أمه

تناول الشيخ أرغوله وبعد أن تثاءب وتمطى قربه من فمه ، فسرى الصوت فى فضاء الحجرة وتبعته نقرات الأم على الآنية النحاسية ، وأخذ الأولاد فى التصفيق متبعين نفس النغمة حتى حمى الوطيس ، وأخذت زينب تغنى أغنية ريفية مطلعها :

يَلْحِنَّا ، يَلْحِنَّا ، يا قَطر الندى

ياشباك حبيبى يا عينى جلاب الهوى

وقامت فاطمة الصغيرة وتأهبت للرقص كعادتها حتى إذا أدركها التعب ارتمت على الأرض ليأخذ أحمد دوره ... خفت صوت الأرغول وسكنت النقرات والأصوات ، وساد فى جو الغرفة الهدوء الى أن عاود أحمد النشاط فنطق بأغنيته المحبوبة ياليل ياليل ... ثم عاد الشيخ لأرغوله مشجعاً ولده وطاب لهم أن يغنوا ثانية أغانيهم البلدية ، وعاد المرح وارتفع صوت زينب وتبعها الجميع مرددين مصفقين ، وقامت فاطمة للرقص ونافسها أحمد بحركات ساذجة تبعث على الضحك والسرور ، وبين آونة وأخرى يتعثر أحمد فيسقط على الأرض وأحياناً تسقط معه فاطمة فتتزايد القهقهة من الجميع الى أن أدركهم الكلال فنهضت زينب وقادت أمامها اخوتها الى الغرفة الثانية المعدة لنومهم

***

على هذه الوتيرة كانت تعيش عائلة الشيخ مرسى ، وعلى هذا الضرب كانوا يقضون لياليهم . أما فى النهار فكانوا يعملون فى الحقل بكل نشاط وابتهاج ، لكل منهم عمله حتى أحمد الصغير كان يتدرب على مراقبة البقرة التى تدور حول الساقية ...

حياة بسيطة لا تعقيد فيها ، كلها سعادة وكلها أمن واطمئنان : الشيخ يرى أن سعادته فى ابتسامة زوجته وفى نماء المحصول وصحة أولاده ، والأولاد يرونها فى هذا الحب المتبادل الذى يربط بين قلوب الجميع ، والزوجة تراها فى رضاء الزوج ومرح الأولاد ... وفى هذه الليالى الضاحكة حيث يرقصون وينشدون وكثيراً ما التمس سكان القرية السرور والفرح والترويح عن النفس فى بيت هذه الفرقة الموسيقية التى لم تعرف الشقاء

الطريق الى أفرادها حتى أطلق سكان القرية على بيت الشيخ « بيت الحظ »

***

قبيل الفجر كانت زينب توقظ أمها وأخوتها لقضاء ما يلزم للمنزل وتهيئة الماشية واعداد الفطور استعداداً للذهاب الى بيت العمدة المعد لسكن « البك الصغير » وتم كل شيء وأخذت هي وأمها طريقهما الى بيت العمدة

قامتا بما يجب عليهما من غسل أرضية الغرف وتنظيف ماعلق بها من الغبار وغير ذلك ، وما وافت الظهيرة حتى كان كل شيء على ما يرام ، وحضر العمدة وجاءت على أثره سيارة كبيرة تحمل الأشياء التي يتألف منها الأثاث ، وأخذ الرجال في الترتيب وأصدر العمدة أمره إلى الأم وابنتها بتهيئة الطعام للرجال

بينما كانت زينب تعمل مع أمها سمعت صوت موسيقى رائعة ينبعث من إحدى الغرف فتركت ما بيدها وانطلقت إلى مصدر الصوت يدفعها حب الاستطلاع : نغمة جديدة تطرق أذنيها لأول مرة ، وعلى باب الغرفة وقفت تنصت للصوت المنبعث من جهاز الراديو مأخوذة لا تستطيع ضبط عواطفها ولا امتلاك نفسها لم يكن يخطر ببالها قبل الآن أن في العالم غير أرغول أبيها وآنية أمها ، ولم تسمع أن هناك أغاني سوى تلك التي تغنيها ؛ نعم إنها شاهدت وسمعت فرقة الشيخ راشد التي تزور القرية من حين إلى آخر لتقيم الأفراح لعائلاتها ، ولكن زينب كانت تفضل دائماً حفلات منزلها ، وأين موسيقى الشيخ راشد من الموسيقى التي تسمعها الآن ؟ ؟ وعقب اسطوانة الموسيقى سمعت زينب صوتاً رائعاً حنوناً :

« اللي حبك يا هناه »

ثم موالاً بلدياً فرأت اختلافاً بيناً بين ما سمعت الآن وبين ما تسمع وتقول كل ليلة فأنكرت موسيقى منزلها ، بل أنكرت نفسها وصغرت أمامها الألاعيب التي يقومون بها كل ليلة وأيقنت أن في العالم لذة وسعادة أشهى وأمتع من لذتهم وسعادتهم

***

في مساء تلك الليلة كانت زينب تسمع أرغول والدها بملل وضجر كأن أذنيها لم تتعوداه ، وودت لو ينتهي الوالد لتذهب إلى حجرتها حيث تتمثل في هدوء ذلك الصوت الشجي الساحر ، وانتظر الوالد طويلاً أن يسمع صوتها ولكن دون جدوى ، وظن أن لعملها الشاق في بيت العمدة أثرا في ذلك فأذن لها في الذهاب الى النوم وهو لا يخفي كدره ، وأخذ يلعن الباشا والبك والعمدة لأنهم كانوا سبباً في حرمان زينب من قسطها في الغناء والسرور ، وحاول أن يشرك معه فاطمه وأحمد في الزمر والرقص ولكنهما آثرا أن يذهبا مع زينب ، ومضت تلك الليلة صامتة فاترة على غير المألوف

وفي الصباح كان البشر يلوح على محيا زينب عند ما علمت أن زوجة العمدة أرسلت في طلبها لاعادة نظافة غرف البك الصغير » بعد أن أتمت ما أشارت به زوجة العمدة انسلت حيث غرفة الراديو وجلست القرفصاء بجوار الباب تنصت بنشوة غريبة ولذة قوية ، ودهشت إذ رأت فاطمة وأحمد يبلغانها غضب أمها لغيابها وقلقها ، ولكنهما لم يلحا عليها في الاياب واطمأنا لصوت الراديو ، وقفز أحمد على كتفيها يحاول رؤية مصدر الصوت من فرجة الباب ، وارتسم الذهول على وجه فاطمة واستولى على ثلاثتهم الصمت ، ولم ينتبهوا إلا على صوت العمدة وهو يحدث « البك » عند ما هما بمغادرة الغرفة لتناول الغداء ، والتفت العمدة إلى زينب فنهرها وأمرها بأخذ أخويها والرجوع إلى المنزل حتى لا تقلق أمهم

***

في هذا المساء لم تنهض فاطمة لمناولة والدها الأرغول ، ولم يتأهب أحمد للرقص وارتسم الوجوم على وجوه الجميع ، وفقدت تلك الفرقة الساذجة الانسجام والتجانس ، فرفع الشيخ يده وتناول الأرغول ، ولكن الأولاد نفروا واستنكروا هذا الصوت ، وفزعت زينب من نقرات أمها على الآنية النحاسية وملكها الحياء فلم تعد تغني ، وكيف تغني بعد أن سمعت « اللي حبك يا هناه ! »

لم يعرف الرجل حلا لهذه المشكلة ولم يقو على فهم الدافع الذي ألح على زينب فحال بينها وبين مشاركته في الغناء فتحول عنها إلى أخويها وأومأ إليهما أن يأخذا بنصيبهما ، ولكن فاطمة

فأفأت لتعبر عن تأففها وتأتأ أحمد ففهم الشيخ السر ... !!
قرأ فى لغتهما المضطربة ذلك اللغز الذى أفسد حياته وذهب بسعادته
وحار الشيخ فى الأمر . لقـد سمع هو أيضاً وسمعت أمهم
ولكنهما لم يتأثرا ، وأدرك بفطرته أن الصغار على استعداد للتمرد
والثورة ... أدرك الشيخ أنه ناضل نفسه لأنه آمن بأنه المغلوب
إذا التمس السبيل الى حياة الترف فآثر أن يكبح جماح نفسـه
ويعيش بأحلامه ، وأدرك أن صغاره قد بهرهم النور وأن بريقه
الساطع قد ألهب فى قلوبهم ناراً فثاروا على حياتهم المظلمة ...
فلم يملك إلا التنهد العميق ... وأراد أن يلعن ذلك اليوم الذى
جاء فيه « البك » الى القرية ، ولكن الكلام مات على شفتيه ...
ولأول مرة تراقصت الدموع فى عينى الشيخ وعز على الأم
أن ترى هذا المشهد الذى لم تدرك سببه ، فهزت الأولاد وحاولت
أن تدفعهم الى المرح ، ولكن ذلك كان عبثاً ، فرمى الشيخ أرغوله
وتمدد على فراشه يبكى سعادته الهاربة ...

ونهضت زينب فغادرت أخويها وهى تقلب بصرها فيما
حولها من القذارة وتقارن بين ما ترى وبين الأثاث الثمين والصور
الجميلة والموسيقى الرائعة الحنون ، وكانت تود لو أن حياتها كلها
نهار حتى لا تقع عينها على منزلها هذا الذى صار كل ما فيه يجلب
الى نفسها الحزن والأسف

وانتقل الرقص والمرح من بيت الحظ الريفى إلى بيت العمدة
حيث المدنية يجذب ظلها هؤلاء السذج ويفرض عليهم سلطانه ،
وبينما كان الأول للوجوم والامتعاض فى الليل كان الثانى للفرح
والسرور بالنهار

وانقضت أيام البـك فى القرية ورحل بأثاثه وجهازه وترك
وراءه أسرة سلبها سعادتها وأحلامها ... وبينما كانت سيارته تنهب
الأرض فى طريقها الى المدينة كان الشيخ النزهى ينظر اليها
والأسى يملك عليه نفسه ، حتى اذا غابت عن بصره حطم أرغوله
والتى يبقاياه فى النهر ... ؟

عبد المعطى المسيرى

# البريد الأدبي

## ٥ ج . ولز . لمناسبة عيده السبعيني

يبلغ الكاتب الانكليزي الكبير هربرت جورج ولز H. G. Wells اليوم ، أعني في الحادي والعشرين من سبتمبر ، السبعين من عمره ، وبهذه المناسبة تستعد دوائر الأدب الانكليزي لتكريم الكاتب الكبير والاحتفاء بذكراه السبعينية . فى مساء الثالث عشر من أكتوبر يقيم نادي القلم الانكليزي مأدبة كبرى يدعو اليها أقطاب الكتاب من جميع أنحاء العالم ، ويتولى الكلام عن شخصية ولز ومواهبه الأدبية عدة من أكابر الكتاب مثل جورج برنارد شو ، وأندريه موروا ، وجوليان هكسلي ، وأرثر بليس وغيرهم

ونذكر بهذه المناسبة كلة عن ولز وعن آثاره ؛ فهو اليوم في طليعة كتاب انكلترا وكتاب العالم ، وهو كاتب اجتماعي من النوع الشامل (أنسيكلوبيدي) فله فى القصة ، وفى التاريخ ، وفى النقد ، وفى الاجتماع وغيرها . وكان مولده فى سبتمبر سنة ١٨٦٦ فى بروملي ؛ وكان أبوه رياضياً محترماً ؛ وقد وصفه ولز فى كتابه « لاعب الكركيت القديم » The Veteran Cricketer . ولم يتلق ولز أولاً تربية جامعية ، ولكنه انصرف منذ حداثته إلى القراءة وتأثر أيما تأثر بكتب أفلاطون وفولتير ؛ واشتغل أولاً صانعاً بمعمل أحد الكيميائيين ، وعكف على الدراسة فى نفس الوقت ؛ ورأى فيه ناظر مدرسته نجابته فعينه مدرساً معه فاستمر فى هذا المنصب حتى سنة ١٨٨٤ ، ثم رحل إلى لندن ، والتحق بمدرسة العلوم في كنسنجتون ؛ وقد وصف هذه المرحلة من حياته في قصته Ann Veronica ، التي يؤيد فيها قضية المرأة تأييداً قوياً .

ودرس ولز البيولوجيا والجيولوجيا والطبيعيات والفلك ؛ وفى أواخر ذلك العهد فكر فى أن يضع تاريخاً جامعاً للعالم . وحصل ولز أخيراً على أجازة العلوم بتفوق ؛ وعاد إلى الاشتغال بالتدريس ، مع الاستمرار فى الدرس حتى حصل على أجازة جديدة للعلوم من جامعة لندن فى سنة ١٨٩٠ . وفى ذلك الحين التقى بكاثرين روبنس التى غدت زوجته فيما بعد . وفى سنة ١٨٩٣ أصيب ولز بصدع فى الأوعية الدموية أرغمه على ترك التدريس والانقطاع إلى التأليف . وكان أول ظفر أدبى حقيقى ناله ولز مقالاته فى مجلة « فورتنتيلي » بعنوان Rediscovery of rhe amique ؛ ثم كتب بعد ذلك عدة مقالات ورسائل علمية فى بعض المجلات الكبرى . ومنذ سنة ١٨٩٤ يعالج ولز كتابة القصة وقد بدأها بكتابة « جزيرة الدكتور مورو » Island of Dr Moreau ، ثم أتمها بقصة الزيارة العجيبة Wonderful Visit . وكان الصحفي الكبير ستيد أكبر عون لولز على إظهار مواهبه القصصية ؛ وكانت الصبغة العلمية تطبع قصصه الأولى مع خيال فائق متزن ؛ ونستطيع أن نذكر من هذه المجموعة ما يأتي : Plabiner و Stolen Basillus و Story و Invisible Man و Sleeper Awakes و Tales of Space and Time و First men in the Moon و Food of fhe gods وغيرها

وعالج ولز بعد ذلك القصة الاجتماعية ، وعرض فى قصصه إلى مشكلة الحب والزواج والعلائق الجنسية ؛ ومن هذه المجموعة قصصه الآتية : Love and Mr Leursham و Kipps و Marraige

ولستر ولز ميول اشتراكية معتدلة تبدو فى كتاباته . بيد أنه ليس اشتراكياً بالمعنى السياسي ، وكل ما هنالك أنه يرى أن الاشتراكية يجب أن تطبق فى حدود اقتصادية معقولة بعيداً عن المؤثرات والعوامل السياسية

وأشهر كتب ولز تلك التى يعرض فيها إلى تنظيم المجتمع ؛ وفى هذه المجموعة يصل ولز إلى ذروة قوته وافتنانه ، ونستطيع أن نذكر من هذه المجموعة ما يأتي : The World of Wiliam Clissold وهى قصة ؛ God, the Invisible King ، وهو عرض فلسفي

وأما فى التاريخ فقد كتب ولز بطريقة جديدة موجزة ولكن قوية ؛ وأشهر كتبه فى التاريخ : Outline of History ( سنة ١٩٢٠ ) Short History of the World ( سنة ١٩٢٠ ) و Short History of Mankind ( سنة ١٩٢٥ )

ويعرض ولز نظرياته الاجتماعية عن طريق الأدب بجميع صنوفه ، ويمتاز فى ذلك بقوة لا نظير لها اليوم فى الأدب الانكليزى . وإليك طائفة أخرى من كتب ولز التى اشتهرت بتأثيرها الاجتماعى : A Modern Ubopias ، The Corintry of the Blind ، In the Days of the Cemet و War in the Air و Secret Treasure و Un Dying Fire و Meanwhile و Places of the Heart و in the Forest و Mr Praham وغيرها

ولمستر ولز كتب كثيرة أخرى يضيق المقام عن ذكرها

## جوستاف كان

توفى أخيراً كاتب وشاعر فرنسى كبير هو جوستاف كان زعيم النزعة الرمزية فى الشعر ؛ ومن الغريب أنه توفى فى ختام الحفلات التى نظمت هذا الصيف فى باريس احتفاء بهذا الضرب من الأدب . وقد ولد كان فى متز سنة ١٨٥٩ وتلقى تربية جامعية حسنة ودرس اللغات الشرقية واشتغل منذ فتوته بالصحافة . وفى سنة ١٨٨٧ ظهر ديوانه الأول بعنوان القصور الريفية Palais Nomades ، فكان فتحاً جديداً فى عالم الشعر ؛ ذلك لأن (كان) نزع فيه نزعة جديدة حرة كانت قدوة لجيل جديد من الشعراء ؛ وأتبع كان ديوانه الأول عدة مجموعات شعرية أخرى نذكر منها : « أغانى المحب » Chansons d' amant و القصائد الأولى « Premiers Poèmes وعالم الأشباح Domaine de Fées والمطر والربيع La Pluie et le beau temps وغيرها

وكتب كان أيضاً فى القصة ، وله فى ذلك عدة آثار حسنة نذكر منها : (الملك المجنون) Le Roi Fon و (زهرات الهوى) Fleurs des passions ، و (الزانية الحساسة) L'adulterèSentimentale وله مجموعة قصص صغيرة عنوانها : (قصص هولندية) Contes Hollandais

وقد اشتهر جوستاف كان بمقدرته النقدية ؛ وكانت جولاته النقدية الأولى فى الشعر والأدب فى مجلاته التى أنشأها تباعاً مثل La Vogu ، و Le Sympoliste ، وكانت آراؤه النقدية نماذج حسنة للنقد القوى المتزن

ولجوستاف كان أثر ظاهر فى تطور الشعر الفرنسى فى العصر الأخير

## العلاقة بين الطلاق والجنون

من أنباء أمريكا الأخيرة أن إحصاءات اجتماعية دقيقة قد عملت فى أقسام الأمراض العقلية فى ولاية « مساشاست » لتعرف العلاقات الزوجية والأمراض العقلية ، وقد دلت هذه الاحصاءات دلالة واضحة على أن للزواج أثراً محسوساً فى ضبط الأعصاب وتحسن الميول العقلية . مثال ذلك أنه وجد أن معظم سكان المصحات العقلية أناس مطلقون بين رجال ونساء ، ثم يأتى بعد ذلك فى الترتيب العددى الأرامل رجالاً ثم الأرامل نساء ، ثم الأعزبون من الجنسين ؛ كذلك دلت الاحصاءات على أن نسبة المجانين من المتزوجين هى أقل النسب العددية بالنسبة لجميع الطوائف الأخرى

وهذه الملاحظات تقوم على دراسة عدد كبير من المصابين بأمراض عقلية يبلغ عددهم زهاء ٦٢ ألفاً فى ملاجىء نيويورك ومساشاست ، خلال خمسة الأعوام الأخيرة

## حول قصيدة البلبل

بعثت إلىّ (الرسالة) بهدايا الشعراء والشاعرات والكتاب والأدباء المشكورين الذين ثارت فيهم نخوة الشرق العزيز فناصرونى بأغاريدهم العذبة الحلوة التى يضيق عنها نطاق هذه المجلة المحبوبة ، والتى سأحتفظ بها إلى الأبد تحية وذكرى . ولست أفضل أحداً من أصدقائى حين أرانى مضطرا إلى التنويه بشاعرة الزقازيق الحزينة (السيدة م . أبو السعود) التى نرجو لها — أنا وفتاتى — توفيقاً من الله العلىّ ، وبأن يهدى لها رجلها الغوىّ

أما أستاذنا العظيم (حسن جلال بك) فله منا أجزل الثناء وسنتخذ من كلمته العالية ، بعد كتاب الله ، نبراساً وحكمة

(د ...)

## أثر اسلامى هام

علمنا أن الجمعية الأسيوية البنجالية بكلكته فى الهند اقتنت أخيراً أثراً هاماً من أندر الآثار الاسلامية وهو كتاب « خريدة القصر » لعماد الدين الأصفهانى المتوفى فى القرن السابع الهجرى . والكتاب فى تراجم الشعراء فى عصر المصنف فى جميع البلاد الاسلامية العربية وهو كبير ولا يوجد كاملاً فيما نعرف فى مكاتب

العالم . وهذه النسخة أيضاً جزء من الكتاب ويحتوى على تراجم شعراء حلب وغيرها ، ولكن الذى يزيد فى قيمة هذه النسخة وندرتها أنها مكتوبة بخط المصنف

### مخطوط نادر فى مكتبة الأزهر

فى أثناء نقل مكتبة رواق المغاربة الى مكتبة الأزهر العامة عثروا على مخطوط نادر هو نسخة من كتاب الذخيرة فى أصول مذهب الامام مالك ، للامام القرافى ، ولا يوجد من هـذا الكتاب الا جزء واحد فى مكتبة الجامع الأحمدى بطنطا وقسم صغير فى دار الكتب المصرية

### النشيد القومى — غلطة الكفر

المصيبة الكبرى فى هذا النشيد أنه موضوع على مبادئ (أنقره) من نقل ألفاظ الالوهية والشريعة وصرفها عن الله ودين الله الى الوطن . وهذا إلحاد فظيع إن جاز فى غير مصر لم يجز أن يكون فى مصر

يعين الدين الاسـلامى معنى الآخرة ومعنى اليقين بالحساب والبعث ، فيجيء صاحب هذا النشيد فيقول : غرامك يامصر .. قصارى شعورى دنيا ودين ، وحبك آخرتى واليقين

إذن فلا آخرة ولا يقين بالآخرة

وكما يقال : تعالى الله ، وسبحانه وتعـالى ، يقول صاحب النشيد : تعاليت يا مصر ! !

ويقول الله فى كتابه العزيز عن جنة الآخرة : « تلك الجنةُ التى وُعِدَ المتقون » ، فينقلها صاحب النشيد الى مصر ويقول :

ألستِ الكنانةَ فى أرضه « وموعود جنته والنعيم »

إذن فالجنة التى وعد المتقون هى مصر ، وإلا فما معنى قوله : ( وموعود جنته ) ؟

والطامة الكبرى قوله : وصوتك يا مصر وحى الآلـه

فتى أضيف الوحى الى الله فقد تعين معناه وخرج من كل المعانى اللغوية التى تفيدها لفظة الوحى كالاشارة والرمز ووسوسة الشيطان ، ولا يفهم أى مسلم على وجه الأرض من قولك : وحى الله ، أو وحى الآلـه ، أو الوحى الالهى إلا معنىً واحداً . فـكأن هذا النشيد موضوع عمداً لافساد عقيدة المسلمين وتشكيكهم فيها وحملهم على اعتقاد خلافها والنزول بألفاظ الألوهية والشريعة ومجرىء الناس عليها

ونحن لا نصدق أبداً أن وزارة المعارف تعمل لهذا الغرض باذاعة هذا النشيد . فان لم تعلن تبرؤها منه وتأمر بابطال إذاعته وتنشر ذلك فى الصحف كلها ، فقد وجب على الأزهر أن يتقدم الى المعركة ويفهم وزارة المعارف أن الآلـه الذى يعبده المسلمون ليس هو الآلـه رع ! !

وسنرى ويرى الشباب الاسلامى

س . ط
بكلية الآداب

### حول النشيد القومى

راقنى ما كتبه الأديب « س ط » عن النشيد القوى وأرى تعقيباً على ذكر الغلطة الثانية « قصارى شعورى دنيا ودين » أن « دين » معطوفة على التمييز المنصوب فمن حقها أن تكون منصوبة منونة « ديناً » فاذا أريد الوقوف عليها انقلب تنوينها ألفاً فتصير « دينا » لا غير . ولا وجه لحذف الألف منها اعتذاراً بضرورة الشعر فليست هذه من ضرورات الشعر المباحة فتكون هذه غلطة مزدوجة

متولى أحمد كيوان

### ديوانان جديدان للدكتور اقبال

علمنا أن الدكتور محمد إقبال الشاعر الفيلسوف الهندى الكبير صنف ديوانين جديدين فى الشعر أحدهما باللغة الأردية ، وسماه ( صور إسرافيل ) وهو تحت الطبع ، والآخر باللغة الفارسية وقد صنفه متأثراً من مرضه الأخير ومن الحادثة الفاجعة الشرقية وهى سقوط الحبشة أمام القوة الايطالية الغاشمة وقد سماه بشطر من البيت وهو ( پس چيه بايد كرد اى أقوام شرق ) معناه « وماذا يجب أن نعمل أيتها الأمم الشرقية ؟ » وفى آخر هذا الديوان قصيدة طويلة خاطب فيها روح النبى عليـه الصلاة والسلام للشؤون الاسلامية والشرقية الحاضرة وهو أيضاً تحت الطبع . ونحن نهنئ الدكتور على شفائه وإصداره هذين الديوانين ، وندعو الله أن يوفقه للكتاب الذى ينوى تصنيفه من زمن بعيد باللغة الانجليزية وهو An interoduction for the Stupy « مقدمة لدراسة الاسلام »

السيد أبو النصر الحسينى الهندى

4 me Année, No. 169

Lundi - 28 - 9 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٦٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ رجب سنة ١٣٥٥ — ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العــــــدد



# المُعْجَم السيـــاسى

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وحدثنى صاحبُ سر (م) باشا قال: كنا فى سنة ١٩٢٠ وهى بنت سنة ١٩١٩[1]؛ وقد اجتمعت الأمة على مقاطعة لجنة (ملنر) لا تكلِّمها فحملت السكوت ثورة. وأعلن الشعبُ أن كلمَته فى لسان الوفد ينطق الوفد بها نطق النبى بما يُوحَى اليه، فما يكونُ لأحدٍ غيرِه أن يقولهَا ولا أن يقول أُوحى إلىّ. وأبى اللورد ملنر أن يصدّق أن للمصريين إجماعاً يُعتَدُّ به، وأنهم دخلوا فى السياسة دخولاً ثابتاً فرَسَخُوا فيها، وأنهم أصبحوا مع الانجليز كالانجليز الذين يقولون عن أنفسهم فى مثَلهم السائر: ينبغى أن نكونَ أحراراً مثلَ أعمالنا

وزعم اللورد لنفسه أن هذه الأحزابَ المصرية لا يتفق منها اثنان أبداً إلا كان بينهما ثالثٌ يختلفان عليه وهو الطمعُ فى مناصبِ الحكم، واستخرج من ذلك أن المصرىَّ والمصرىَّ كشِقَّى المِقراض لا يتحركان فى عمل إلا على تمزيق شىء بينهما؛ فان لم يكن بينهما (الشىء) لم يكن منهما شىء

(١) سنة الثورة المصرية وقد مر وصفها فى مقالة (الأخلاق المحاربة)

وذهب الرجلُ يَتَظَنّى ويحدس على ما يُخيِّلُ له الظن ، وقد حسب أن انجلترا يحقُّ لها أن تقولَ في المصريين ما يقولُ الله في خلقه كما ورد في الأثر : إنما يتقلبون في قبضتي ؛ وكما تقول اليوم لأهل فلسطين من العرب : « إن يَشَأْ يُذْهِبْكم ويَأْتِ بخَلْقٍ جديد » . . . . وكان اللورد هذا رجلاً ممارساً لشاكل السياسة ، دَخالاً فيها ، داهيةً من دُهاة القوم ، له في قلبه عينان وأذنان غير ما في وجهه كحُذّاقِ السياسيين ؛ وهو يعرف أن سياسةَ قومه لا تدخل في شيء إلا دخولَ الابرة بخيطها في الثوب ، إن خرجت هي تركت الخيطَ وقد جَمَعَ وشد . . . .

فأراد أن يمتحنَ مذهبَ المصريين في اجماعهم على الاستقلال ، وقدَّر أنه واجدٌ من الفلاحين عوناً ومادةً لمكرِه السياسي ، وحسب الوفدَ صورةً جديدةً من طبقة (الباشاوات) القديمة ، ينزلون من الشعب منزلة اليد التي تُمسِكُ القيدَ من الرِّجْلِ التي فيها القيد ، ويضمون معنى كلمة الحاجة في كلمة السياسة ، ويقولون الوطن وهم يريدون الجاه ، ويقيمون الشعبَ كالسُّلم ينتصبُ قائماً بأيديهم ليحمل أرجلَهم الصاعدةَ عليه

فجاء اللورد إلى مصر ، فوجد الأمة كلها قد حَذِرَت منه وتيقظت له ، حتى نصحه رشدي باشا بأنه لن يجدَ في مصر هرَّةً تفاوضه ؛ ولكنه كان مستيقناً أن أُذُنَ السياسة الانكليزية ( كالرديو ) لصوتين : صوتِ الدنانير وصوتِ الجماهير ، فرَّ في البلاد يرسم على الهواء علامات استفهام ، وانْصَفَقَ عنه الناسُ وأهملوه ، وكان يسير في دائرة الصمت التي مركزها أبو الهول ، فبدأ وظلَّ يبدأ حتى انتهى وما زال يبدأ ... وساح في البلاد سياحةً طويلة وكأنه لم يسافر إلا من شَفَة (أبو الهول) السُّفلى إلى شفته العُليا

* * *

قال صاحب السر : وجاء اللورد لمقابلة الباشا ، فرَّ عليَّ مرورَ كتابٍ مقفَلٍ لا أعرفُ منه إلا العنوان ؛ غير أنه رجلٌ بمقدار الرجلِ الذي يخالف أُمةً كاملة تكاد تحسبه مطويًّا على زوبعة ، وترى له قوتين تُحِسُّ من أثرها الرهبةَ والاعجاب ، وإذا تأملتَه قلتَ إن اللطف والظَّرف أضعفُ شمائله ، وإن الدَّهاءَ والحيلة أقوى مواهبه

فلما لقيتُ الباشا من الغد سألني كيف رأيت اللورد ملنر ؟ فقلت : والله يا باشا إنه كالضرورة ما يتمناها أحدٌ ولكنها تجيءُ

فضحك الباشا وقال : ياليت لنا نحن الشرقيين ضرورةً تصنع ما صنع اللورد ؛ إنه كشف لنا في ذات أنفسِنا عن حقيقةٍ من أسمى الحقائق السياسية ، وهي أن الشعبَ الذي يُبصِرُ ولا يزال يُبصرُ ، يجعل الاغراءَ لا يُغْرى والخوفَ لا يُخيف

وياليتَ الأممَ الشرقيةَ تتعلم هذا الصمتَ السياسيَّ عن مجاوبة الكلمة الاستعمارية أحياناً ، فان صمْتَ الأمة المصرية عن جواب (ملنر) كان معناه أن قدرةَ الأمة هي المتكلمةُ كلاماً بهذا الصمت ، تُعلن للعالم أن الواجبَ الشعبيَّ قد وضع قُفْلَه على كل فم

ولقد فسر اللورد هذا السكوت بتفسيره السياسي فأدرك منه أن في الشعب أَنَفَةً وحميَّةً وقوة ، وأن حساب الضمير الوطني أصبح لهذه الأفئدة كالحساب الالٓهي للنفوس المؤمنة ، كلاهما مُسْتعلِنٌ يُخافُ ويُتَّقى ، وكلاهما له كلمة محرَّمة

أيةَ معجزة هذه التي جعلت كلمةَ الأجنبيِّ تتخذُ في أذهان أمة كاملة شكلَ قائلها ، فاجتمعت لها الجلودُ على معنى الرفض ، وأصبح كلُّ فرد يعرف محلَّه من الكل ، وخضعت الطبائع بجملتها لقانون العزة القومية الذي يُلزمها ألا تخضع للأجنبي ؟

إن الأمم بعضُ مسائل نفسية كهذه المسئلة ؛ فلو أن لنا خمسة دروس سياسية مختلفة كدرس (ملنر) لكانت لنا في الايمان الوطني كالصلوات الخمس

والآن تعلمت الأمةُ أن الشعبَ العزيز هو الذي ينظر في فض مشاكله إلى الحلِّ وإلى طريقة الحلِّ أيضاً ، وقد كان (ملنر) هو أول أساتذتنا في تعليمنا الطريقة

وهذا الدرسُ يجب أن يكون درساً للشرق كله ، فان السياسة الاستعماريةَ قائمةٌ فيه على خداع الطريقة في حل مشاكله ، فيحلونها ويعقدونها في نصٍّ واحد ؛ ويُثبت الكلام الذي يتفقون عليه أن المرادَ منه زوالُ الخلاف ، ويثبت العملُ بعد ذلك أن المراد كان زوالَ المقاوَمة

وفي السياسة الأوربية موافقات دميمة كالنساء المشوَّهات ، فاذا عرضوا واحدةً منها على من يريدون أن يزوِّجوه . . . . فأباها وفتح لها عينيه بكل ما فيهما من قوة الأبصار ، أعفوه منها وقالوا له سنأتيك بالجميلة . ثم يذهبون بها الى معهد التجميل اللغوي فيصقلونها ويصبغونها ويضعون لها أحمرَ السياسة وأبيضها ثم يعرضونها جديدة على صاحبهم ذاك ، وما صنعوا ما به صارت الدميمةُ غيرَ دميمة ، ولكن ما به رجع غيرُ الأعمى كالأعمى

# وجع القلب

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

وجدت بالتجربة أنى لا أستطيع أن أحب كما تريد المرأة من الرجل — ولست أعنى أنى عاجز عن الحب ، فما أعرف لى فى هـذه الدنيا عملاً غير ذلك . فأنا أحب الطعام الجيد والشراب اللذيذ والنوم الهنىء والراحة التامة ؛ وأحب الكتب والصديق الموافق الذى لا ينغّص الحياة على صاحبه بطول المخالفة وكثرة المكابرة ودوام الشذوذ ؛ وأحب أشياء كثيرة لا أستطيع أن أحصيها . ولكنى أحب نفسى وهذا هو البلاء الأكبر . وليس هو ببلاء ، إذا أردت الحق ، ولكن المرأة تراه كذلك . وعندها أنك تبيع نفسك حين تحبها . ولا بأس بأن يبيع المرء نفسه أحياناً ، ولكن بيعها لا يستلزم أن تترك حبها وتكف عنه . وهل يعقل أن تفيض حبك على الناس والأشياء ولا تختص نفسك ببعض هذا « الفيضان ؟ » غير أن غير المعقول عندك هو المعقول عندها والذى لا يجوز خلافه ولا صبر لهـا على سواه ، فهى من أجل ذلك تسود عيشك وتريك النجوم فى الظهر الأحمر . على أن الرجل يستطيع أن يخفى حبه لنفسه أو يموهه ويستره عما يحجبه ، ولا أظن أن فى هـذا عسراً فأنه يفعل هذا كل ساعة ولا يزال يعزو أعماله إلى بواعث أخرى يظنها أشرف وأسمى من حب النفس ، فهو مثلاً يأكل لا لأنه يشتهى الطعام بل لأن من واجبه أن يحرص على أن يظل قوياً قادراً على خدمة النوع الانسانى ، وعلى هذا فقس ! غير أن هناك ما لا سبيل إلى ستره وكتمانه أو تمويهه ، إذ من الواضح مثلاً أن من العبث أن تنظر إلى اليمين وأن تروح تزعم أنك إنما كنت تنظر إلى الشمال ، فان اتجاه العين لا يخفى ولفتة الوجه لا مغالطة فيها . فاذا كانت النظرة إلى امرأة وأنت مع أخرى فالويل لك ولستُ مسئولاً عنك .... قالت لى مرة إحداهن وأنا معها وقد رأت عينى تدور : « بص هنا » وجذبتنى من ذراعى ، فقلت وأنا مستغرب : « ولمـاذا لا أبص هناك ؟ » قالت : « كده » بهذا الايجاز الذى لا يفيد شيئاً ؛ فقلت : « كده يعنى ماذا ؟ » قالت : « كده » ولم تزد . فضاق صدرى فقد عجزت أن أفهم سر هذا الأمر المتعب أو حكمته وقلت : « ياستى .. إن الله قد خلق عينى متحركة غير ثابتة فكيف ألزمها الثبات ؟ ثم هبينى استطعت ذلك فلماذا أتكلفه ؟ »

فقالت : « عيب ! »

فصحت « عيب ؟؟ ياخبر اسود !! »

فقالت : « لا يليق أن تنظر إلى الفتيات فى الطريق »

ففهمت ولكنى لم أقتنع وقلت : « إن لى على هذا رداً طويلاً فهل تسمحين بأن تسمعيه ؟ »

قالت بتهكم : « نعم يا سيدى ... »

فتجاوزت عن لهجة السخرية إذ حسبى موضوع واحد للخلاف وقلت : « أولا — لماذا تظهر الفتيات لنا معاشر الرجال فى الطريق إذا كن لا يردن أن ينظر اليهن أحد ؟ ثانياً — وهذا أهم — لمـاذا يظهرن فى حفل من الزينة إذا كان لا يرضيهن أن يدر الرجال فيهن عيونهم ؟ ثالثاً — وهذا هو الأهم — بأى وجه ألقى الله يوم القيامة إذا كنت أغمض عينى وأتكلف العمى ولا

---

ولهم عقول عجيبة فى اختراع الألفاظ حتى لتكون شدة الوضوح فى عبارة هى بعينها الطريقة لاخفاء الغموض فى عبارة أخرى . وكثيراً ما يأتون بألفاظٍ منتفخةٍ تحسَب جَزْلةً بادنةً قد ملأها معناها وهى فى السياسة ألفاظٌ حُبَالى تستكملُ حملها مدة ثم تلد

ولهم من بعض الكلمات السياسية كما لهم من بعض الرجال السياسيين ، فيكون الرجلُ من دُهاتهم رجلاً كالناس وهو عندهم مِسْمَارٌ دَقُّوه فى أرض كذا أو مملكة كذا ، ويكون اللفظ لفظاً كاللغة وهو مسمارٌ دقُّوه فى وثيقة أو معاهدة

ثم ضحك الباشا وقال : إن أرضنا تُخرج القطن وسياستنا تخرج ألفاظاً كالقطن لا توضع فى المِغزَل إلا مدت وتحولت [1] . وإذا ذهبنا نخالفهم فى التأويل والتفسير لم نجد عندنا المعجم السياسى الذى يُملى النص . أتدرى يا بنى ما هو المعجم السياسى ؟ أما إنه لو كان كتاباً يتألف من مليون كلمة لذهبت كلها عبثاً وباطلاً وهُراء ، ولكنه ذلك المعجم الحى ، ذلك المعجم الذى يتألف من مليون جندى ......

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

(١) لا ينس القارىء أن هذا كان فى سنة ١٩٢٠

أنظر إلى مخلوقاته التي أبدعها ؟؟ وقد خلق لي عينين فلا عذر لي ، ورزقني غير ذلك وسائل القدرة على إدراك معاني الجمال في خلقه سبحانه .. أليس من الواضح أن مما يخجلني يوم القيامة أنه تعالى خلقني بصيراً فآثرت العمى ، ومحساً مدركا ففضلت الجهل والبلادة ؟؟ وأخيراً — لا آخرا — ما الضرر على كل حال من النظر إلى الناس ؟؟ ماذا خسرت الفتاة التي نظرت اليها ؟ .. هل أنا أكلتها بعيني ؟، هل نقصت شيئاً ؟؟ إني أراها على العكس قد زادت ... نعم زادت ... لماذا تنظرين إلى هكذا ؟؟ هل نطقت كفراً ؟؟ أقول لك زادت لأنها استفادت إحساساً جديداً مؤيداً لاحساسها بجمالها ، ولو كنت لم أنظر إليها لكانت خليقة أن يساورها الشك فيما تحس من نفسها أو تعتقد ، فأنا قد افدتها راحة البال واطمئنان الخاطر ، وإني لجدير بالشكر على هذا لا اللوم »

فصاحت بي بعد طول الصمت : « طيب اسكت بقى »

فقلت وأنا ضجر : « هكذا أنتن يا نساء ! : إذا أعوزتكن الحجة قلتن : طيب اسكت بقى . . ولكني لا أنوى أن أسكت « بقى » فقد مرن لساني على الدوران وأنا أحس اليوم أني أوشك أن أقول كلاماً بديعاً »

فصاحت بي : « أنا معك فكيف تنظر إلى غيري ؟ »

فقلت : — وقد فهمت — « آه .... هذه هي المسألة ... قولي هذا من الصبح يا ستي ... نعم أنت معي ... وإنك لحسبي من عالم الجمال والفتنة ، ولو وسعني غير هذا لما كنت حسبي ... ولكني قانع غير متذمر ... غير أنك مع الأسف لست كل النساء .. وأنت تغنين عن جنسك أحياناً ولكنك لا تستطيعين أن تغني عن هذا الجنس في كل حين ؛ وليس ذنبي أنك قاصرة »

فقاطعتني صائحة : « قاصرة ؟؟ أشكرك »

قلت : « نعم قاصرة عن اختزال جنسك كله في شخصك الواحد »

فأبت أن تسمع مني بعد ذلك فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله .. الأمر لله ... سكتنا يا ستي .. فلعلك تكونين مسرورة »

ولكنها لم تكن مسرورة ولم تغفرها لي قط ... وأنا أقول تغفرها بغير تعيين أو تبيين لأني والله لا أدري إلى هذه الساعة أي شيء أغضبها وأثار نقمتها علي

وحدث مرة أخرى أن كلفتني أن أشتري لها فاكهة وكنت أعرفها تحب الجوافة حباً جماً فانتقيت حبات طيبة الرائحة ذكية العبق واشتريت لها فاكهة أخرى ، ولكن الجوافة كانت هي المهمة والتي عليها الكلام ؛ وذهبت بحملي اليها ، ودخلت به حجرة الانتظار ، وقلت لخادمتها : « قولي لسيدتك صباح الخير يانور العين . لقد حضر سيدك ، ونور عينك اليمنى — واليسرى أيضاً في الحقيقة — ومعه حمل بعير من الجوافة بل من أبدع أنواعها »

فذهبت الخادمة وأبلغتها الرسالة فأطلت تلك من باب غرفتها — بوجهها فقط — وصاحت وهي فرحة — صحيح ؟؟ جوافة ؟؟ حلوة ؟؟ »

ففتحت الكيس وأخرجت واحدة ورفعتها لها بين أصابعي وأدرتها أمام عينيها فابتسمت ابتسامة السرور وقالت : « حالاً . حالاً ... دقيقة واحدة » ودخلت

وبقيت أنا أتمشى في الحجرة ، ولم يكن فيها ما يسلي المرء ، ولم يكن معي كتاب أقرأه وأزجي به الفراغ فجعلت أقوم وأقعد ، وأنظر تارة في المرآة ، وأمسح الطربوش تارة أخرى ، وأنفض عنه ما علق به من التراب . . ومسحت الحذاء أيضاً . . مسحته مرتين حتى صار جلده كالمرآة ، وحتى حدثتني نفسي أن أخلعه أنظر إلى وجهي فيه ، ولكني خفت أن تدخل علي وأنا أفعل ذلك . . وتأملت الحرير الذي كسيت به الكراسي ، ورفعت طرف السجادة وجسستها وفركت وبرها بأصابعي ، ثم لم أجد شيئاً آخر أصنعه في هذه الغرفة ، فانحططت على كرسي كبير وثير واضطجعت وفي مأمولي إذا نمت ألا توقظني حين تدخل . ولكني لم أنم لأن رائحة الجوافة الذكية كانت قوية ، فقد نسيت الكيس الذي هي فيه مفتوحاً ، فتسور إلى أنفي أريجها وملأ صدري وأدار رأسي ، فأحسست بالجوع ولكني ضبطت نفسي وشددت على اللجام وقلت : « اللهم اخزك يا شيطان ! » غير أن الشيطان شديد الغواية قوي الفتنة فجعل يقول لي : « وما حبة واحدة تأكلها فتنيم بها هذه الثعالب التي تمزق أحشاءك ؟ » فقلت : « والله لقد صدق اللعين .. فلا كل حبة واحدة من الجوافة اللذيذة .. ثم إن هذا عدل . . أفأحملها وأحرمها ؟ ؟ وأكون كالعير التي يقولون إنها

بقتلها الظمأ وهى تحمل المـاء على ظهورها فى القرب ؟ أو كالحمار الذى يحمل أسفاراً ؟ ؟ . »

ومددت يدى إلى الـكيس وأنا يقظان كنائم ، وتناولت منه من غير أن أنظر إليه : وطابت الجوافة فى فمى ، فأقبلت عليها آكل وآكل — ولـكن بغير احتفال والله — وإذا بصاحبتنا تدخل مؤهّلة مرحّبة باسطة يديها للسلام ، ثم إذا بها تقف فى وسط الغرفة الفسيحة وعينها مفتوحة جداً علىّ ، فلم أستغرب ، فقد كان فمى محشوا وأسنانى تعمل دائبة كالليل والنهار . وتنبهت إلى واجبى حين رأيتها تحملق على هذا النحو ، فبلعت ما بقى فى فمى بسرعة ، ومططت عنقى ليسهل الانزلاق — أعنى البلع — وانحنيت على الـكيس لأتناوله وأقدمه إليها وأمرها به — أعنى بالجوافة التى فيه — وإذا به ينطبق بين يدى لأنه فارغ ! !

الحق أقول إنى بهتّ، فما كان يخطر لى فى بال أن آكل كل هذه الجوافة . ولو أن إنساناً راهننى أن أفعل لفزعت وأشفقت على نفسى ، ولـكن هذا الذى لم أكن أحسب أن لى قدرة عليه وقع اتفاقاً . . وقد سرنى هذا فى الحقيقة لأنه كان من بواعث الاطمئنان لى على صحتى ، وكان جديراً بها أن تهنئنى وتفرح لى ، فان الجوافة كثيرة وهى فى السوق أكوام عظيمة ، والجيد الطيب ليس بالقليل ، وثمنه شىء تافه لا يستحق الذكر ... ولـكنها وجمت يا أخى لا أدرى لماذا ؟ ووقفت جامدة لا تتحرك كأنما سمرت إلى الأرض ، فأزعجنى ذلك وخفت أن يكون قد أصابها شىء لا قدر الله ، وأقبلت عليها أسألها عما جرى لها ؛ فلما أفاقت أشارت بيدها — دون أن تتكلم — أن اذهب . . اذهب ولا ترنى وجهك ! فاستغربت أن تلقانى بهذه الجفوة بعد ذاك الترحيب والتأهيل والبشر الذى كان يفيض به وجهها وهى مطلة به من بين مصراعى الباب ، وتمنيت لو أنها تبقى أبداً ووجهها بين المصراعين ليبقى لى بشرها وحلاوة ابتسامها ! !

الحق أنى لا أفهم النساء .... وهل تستطيع أنت أن تفهم كيف يفسد الحال وتقع النبوة بين رجل وامرأة من أجل أقة من الجوافة ثمنها قرش ونصف قرش ؟ إن كنت تفهم هذا فانى أحسدك وأدعو لك بالتوفيق إن شاء الله

ابراهيم عبد القادر المازنى

صور سياحة

# ١ — فرنسا وباريس

## بقلم سائح متجول

تأثرت مصر بالثقافة الفرنسـية طوال القرن المـاضى ؛ ولم يكن ذلك لأن مصر أمة من أمم البحر الأبيض تميل بخواصها وموقعها إلى الأخذ بالثقافة اللاتينية ، ولـكن لأن ظروفا خاصة اجتمعت منـذ الغزوة البونابارتية لتحمل مصر فيما بعد على الاستعانة بالفرنسيين فى مشروعات الاصلاح والتجديد وإرسال بعوثها العلمية الأولى إلى فرنسـا . هذا هو الأصل فى تأثر مصر بالثقافة الفرنسـية ، وهو عارض تاريخى محض ، لا دخل فيه للعوامل الجغرافية أو الميول والخواص الجنسية ؛ ومن ثم فانا نرى أثر الثقافة الفرنسية فى مصر يضمحل اليوم ، لأن مصر تختار اليوم لنفسها من مختلف الثقافات ، لتبنى ثقافتها القومية ، ولا تقف عند ثقافة دون أخرى

ومع ذلك فما تزال الثقافة والآداب الفرنسـية تحظى منا بأكبر عناية ؛ وما تزال فرنسا تجذب منا أكبر عدد من الزائرين ؛ وما يزال اسم باريس يثير فى نفوسنا سحرا لا يقاوم ؛ بل إن كثيراً من أولئك الذين لم يروا باريس يعرفونها معرفة عقلية وروحية شاملة : يعرفونها من الـكتب والصحف والسينما ، وتربطهم بها روابط فـكرية قوية ؛ وما تزال أول أمنية للسائح المبتدى أن يرى باريس

وقد حظيت باريس من العربية بكتب ورسائل عديدة ، وحظيت فى العهد الأخير بكتابين لاثنين من كتابنا المعروفين ، وصفت فيهما معاهدها ومغانيها وجوانب كثيرة من حياتها الاجتماعية ، وانك لتقرأ فى الـكتابين فصولاً وشذوراً تفيض اعجاباً بفرنسا وباريس وكل ما هو فرنسى ، بل إنك لتشعر من خلال تلك الفصول الحارة المنمقة أن فرنسا هى أمة الأمم ، وأن باريس هى مدينة المدن وإلـهة الجمال والعلوم والفنون ؛ وما زالت هذه الألوان الوردية المغرقة تطبع كل ما نكتب عن فرنسا وباريس

على أنه يلوح لنا أن هذه الفتنة التى قد تجـد مبرراتها فى بعض المؤثرات والظروف الخاصة ، والتى تثيرها فى معظم الأحيان

أهواء وميول خاصة ، ويذكيها الجهل بأحوال الأمم والعواصم الأخرى ، وانعدام روح المقارنة الذى تتضاءل أمامه الصور والألوان الخلابة ؛ يلوح لنا أنها فتنة مبالغ فيها ، وأن شيئاً من الملاحظة البريئة ، وقليلاً من الاتزان فى الوصف والرواية ، وطرح المؤثرات والاعتبارات الخاصة مما يعاون على عرض صور أصدق وأدق من تلك الصور الوردية التى عرفناها وألفناها

ومهما يكن فى هذه الصور القديمة من صدق ؛ ومهما يكن لهذه الفتنة القديمة من مبررات ، فأنا نقول لأولئك الذين يرون العالم كله فى فرنسا وفى باريس : إن الأمور قد تغيرت أعظم تغير فى فرنسا وفى باريس

وكاتب هذه السطور سائح متجول يرى ويلاحظ ، ولكنه لايدعى الوصول إلى المجهول والخارق ، وإنما يلاحظ ويقدرما تهدى إليه المشاهدة والتجارب بعيداً عن كل اعتبار وهوى

***

لم تقدم فرنسا أية تسهيلات للسياحة سواء فى مسألة النقد أو السكك الحديدية أو الفنادق أو غيرها كما فعلت ألمانيا وإيطاليا ، وما زالت تعتمد على جاذبيتها القديمة ؛ غير أن فرنسا تخدع اليوم فى قيمة هذه الجاذبية ؛ وقد انحط موسم السياحة فى فرنسا انحطاطاً عظيما ، ولم تعد باريس كما كانت فى الماضى تعج بعشرات الألوف من الأجانب ولا سيما الأمريكيين والانكليز ؛ وأهم عامل فى هذا التحول هو ارتفاع قيمة الفرنك الفرنسى بالنسبة لنقد البلاد التى خرجت عن معيار الذهب . فالأمريكى أو الانكليزى أو المصرى الذى يزور فرنسا يفقد نحو أربعين فى المائة من قيمة نقده ؛ أضف إلى ذلك الغلاء الفاحش الذى يغمر كل شىء فى فرنسا ؛ فى الفندق والمطعم والمقهى ، وفى الملاهى والتنقل وكل ما يتصل بالحياة اليومية ، نشعر بوطأة هذا الغلاء المرهق ، وتشعر كأن النقد يذوب بين يديك سراعاً

ولنضرب أمثلة مادية ؛ فالغرفة البسيطة فى فندق متوسط تكلف فى اليوم من ٢٥ إلى ٤٠ فرنكا [1] ( من ٣٣ إلى ٥٢ قرشاً ) ووجبة الطعام فى مطعم متوسط تكلف من ١٥ — ٢٥ فرنكا ( ٢٠ — ٣٣ قرشاً ) هذا عدا الخدمة وهى من ١٠ إلى ١٥ فى المائة ؛ وثمن البيضة الواحدة فى المقهى أو حيث تتناول إفطارك فرنكان ونصف ( ٣٫٥ قروش ) وثمن الواحدة من الموز أو التفاح أو الخوخ شراء يتراوح بين فرنك ونصف وثلاثة حسب النوع والحجم ؛ وأما فى المقهى فما خلا القهوة والنبيذ والكونياك والبيرة ، فان أثمان المشروبات الأجنبية تبلغ حدوداً تزهدك دائماً فى طلبها ؛ والسجائر الفرنسية رخيصة ولكنها سخيفة لا يقبلها الذوق ، والسجائر الأجنبية تكلف ضعف ثمنها وأحياناً ثلاثة أمثال ؛ وأما التنقل فى مدينة عظيمة كباريس فلست أحدثك عن « التاكسى » لأنه ترف لا يطيقه سوى الأغنياء ، ولكنى أقول إن أجور الأمنيبوس والترام الذى بقيت منه خطوط قليلة هى الضعف وأحياناً ثلاثة أمثال أجورها التى نعرفها هنا ؛ ولولا شبكة الترام الأرضى ( المتروبولتان ) التى تربط أحياء باريس وأطرافها ربطاً محبباً بأجر زهيد ( سبعين سنتيما أو نحو قرش صاغ ) لكانت باريس أتعس العواصم من حيث المواصلات

هذه أمثلة وملاحظات نعنى بها السائح المتوسط ولا نعنى بها طبقة الطلبة أو أولئك الذين يلجأون إلى بعض الفنادق الشعبية الرخيصة حول الحى الجامعى فى سان ميشيل وفوجيرار ، ويتناولون طعامهم فى مطاعم العمال ، فهؤلاء حقاً يستطيعون أن يستمرئوا نوعا من العيش الرخيص لا يستسيغه السائح المتجول مهما كان من تواضعه وقناعته

ولا تنس إلى جانب ذلك الغلاء المرهق تلك الضريبة التعسفية التى أصبحت رذيلة اجتماعية شنيعة فى فرنسا ( وفى غيرها أيضاً ) ونعنى «البقشيش» ، ففى كل مكان وفى كل مناسبة ، فى التاكسى وفى المطعم والمقهى والمسرح وأينما حللت ، يمثل شبح البقشيش ، ويطلب بالحاح خشن ؛ وكل شىء يتطلب عطية حتى ولو لم تقدم أية خدمة ؛ والشره خلة بارزة لتلك الطبقة التى تحتك بها فى كل لحظة ونعنى طبقة الخدم والسقاة ؛ وروح الجشع تبدو فى كل مكان ؛ وقد تدخل المسرح أو الملهى الواحد فيطلب اليك البقشيش أربعة أو خمسة متعاقبون من الخدم قبل أن تجلس فى موضعك ، وإذا ترددت قيل لك إنا هنا لا نتناول أجراً ونعتمد على البقشيش ، وإذا لم تتذرع بشىء من الحزم والبرود كانت الخسارة فادحة ؛ هذا إلى المفاجآت السيئة فى الحساب ؛ ففى معظم الأحيان تدفع أكثر مما تتوقع لأسباب وأبواب غير معقولة ولكن لا مفر من إجابتها

ولقد قيل فى يونيه الماضى إن البرلمان الفرنسى قد أقر قانونا بالغاء « البقشيش » ، وقد صدر القانون فعلاً ، ولكننا أسأنا فهمه وإدراك مقصده ، فلم يكن قصد الحكومة الاشتراكية أن تحرم

(١) الفرنك نحو ١٣ مليما

الخدمة ومن إليهم من نعم هذه الضريبة المرذولة ، بل كان قصدها أن تجعل « البقشيش » حقاً وضريبة مشروعة لا عطية فقط ، وأن تحفظ كرامة هذا الخادم أو العامل فلا ينتظر البقشيش كعطية أو نفحة وإنما يرى فيه حقاً مكتسباً ينظم دفعه حسب الظروف والأحوال ؛ ولهذا كان أول ما قرأنا فى تعليمات الفندق فى مرسيليا ما يأتى : « بما أن البقشيش قد ألغى ، فقد قررت إدارة الفندق أن تحتسب بدل خدمة قدره عشرة فى المائة ! »

ومما يلاحظه السائح فى فرنسا ، وفى باريس بنوع خاص ، أن الأمانة فى المعاملات ليست متوفرة دائماً ؛ وربما كان أول وأشهر التجارب التى يلاقيها السائح فى ذلك هى مسألة التاكسى ؛ فاذا لم تكن تعرف الطريق أو لك فكرة عنه فويل لك من السائق ؛ وقلما تجد سائقاً يقودك الى المكان المقصود مباشرة ، ولا بد أن يطوف بك حيناً قبل أن يقودك إليه ، وعبثاً تلاحظ أو تعترض ، وعند الحساب تضاف إلى الأجر ملحقات زائفة يؤيدها السائق بالصخب والوعيد ؛ والويل لك إذا ترددت فى الدفع ؛ وهذه تجربة أعتقد أن كل سائح مستجد يلقاها فى فرنسا ؛ وقد بلوتها غير مرة وسمعت فى شأنها روايات مدهشة مضحكة معاً عن تفنن السائقين فى ابتزاز الملحقات غير المشروعة . وإنك لتلقى مثل هذا الغش أحياناً فى المطعم والمقهى إذا لم تحسن مراجعة الحساب ؛ ومن الحق أن نقول إنك تلقى مثل هذه التجارب فى غير فرنسا ، وإنك تلقاها فى إيطاليا وباقى أمم البحر الأبيض ، ولكن يندر أن تلقاها فى أمة من الأمم الشمالية

وحب المال خلة مشهورة فى فرنسا ، وهى تذهب الى حد الجشع المثير ، وإنك لتلمس هذا الشره فى كل المعاملات ، وتشعر بأن روح المادة والاستغلال تطغى على كل شىء وكل اعتبار ، ومن ثم كان شغف الكسب بأى الوسائل ، وكان تجلى الأثرة وانعدام روح المعاونة والمروءة فى معظم الطبقات التى تحتك بها . ومن النادر أن تجد فى باريس من يتقدم لمعاونتك أو إرشادك لمعرفة مكان أو غيره بشىء من التطوع أو الرقة التى تأنسها فى بلاد أوربية أخرى ؛ وإذا قدم إليك مثل هذا العون شعرت أنه مقرون بالسرعة والمن ، وأحياناً بالتكلف والجفاء ، كأن وقت الفرنسى كله وكلماته كلها من ذهب ؛ وكثيراً ما تجاب بهز الأكتاف و« ليس عندى وقت » وأمثالها

هذا وقد أفسدت الروح الاشتراكية أخلاق الطبقات الدنيا وآدابها ، فالعامل والصانع والبائع والخادم والموظف الصغير ، هؤلاء جميعاً يتصورون أنهم سادة الموقف فى فرنسا ، وأن المستقبل لهم . وإنك لتلاحظ هذا الأثر السيئ بنوع خاص فى طبقة العمال والخدم ، فهم يؤدون أعمالهم بتكلف ولا يحفلون بشىء ؛ وهم يشعرونك دائماً عند الحديث أنهم سادة مثلك ، ولهم فى ذلك إشارات وألفاظ وقحة . وقد كان لحوادث أسبانيا فى هذه الطبقات أثر عميق ملموس ؛ وكم سمعنا فى الفندق والمطعم وفى الشارع والمترو من بعض أفراد هذه الطبقات أن الحكومة الاشتراكية إذا لم تجب مطالب الطبقات العاملة ، وإذا لم تسع الى تحسين الأجور وتخفيض مستوى المعيشة ، فان ما وقع فى أسبانيا سوف يقع قريباً فى فرنسا

وقد عرفت فرنسا أنها بلد الجدل السياسى ؛ ولكن هذا الجدل يحتدم اليوم فى فرنسا بشدة ظاهرة ويغمر كل الطبقات ؛ وقد تشهد هذا الجدل فى الشارع وفى المقهى وفى الترام ، وتسمع أغرب الآراء وأشدها تطرفاً . وتلقى الصحف على اختلاف نزعاتها رواجاً عظيماً بين كل الطبقات . وتلقى الصحف والنشرات الاشتراكية رواجاً خاصاً بين الطبقات العاملة . وقد لفت نظرى كتابان يعرضان للبيع بكثرة ويقبل الناس على شرائهما ، أولهما رسالة عن حياة مسيو « ليون بلوم » رئيس الوزارة الفرنسية الحاضرة ، والثانى كتاب عنوانه « دوريو رجل الغد » ، ودوريو هو النائب الشيوعى الذى خرج على الحزب الشيوعى وعلى أوامر موسكو وكون لنفسه شعبة خاصة تتقدم كل يوم فى الاهمية والعدد ؛ ويرى كثيرون أن دوريو هذا سيكون من قادة الغد ، وأنه ربما اضطلع بدور عظيم فى التطورات السياسية المقبلة

ومما يلفت النظر بنوع خاص حالة القلق السياسى التى تسود فرنسا اليوم ، وتبدو ظاهرة فى كتابات الصحف وفى تعليقات الأفراد ، ويشمل هذا القلق الشؤون الداخلية والخارجية معاً ؛ ففى ميدان الشؤون الداخلية يشعر الكثيرون بأن فرنسا مقبلة على تطورات سياسية هامة ، وأنه ربما اقترنت هذه التطورات بشىء من العنف . وفى ميدان الشؤون الخارجية يرى الكثيرون أن احتمالات الحرب الأوربية تتقدم بسرعة ، وأن نشوبها ربما كان أقرب مما يتصور الناس ، وأن فرنسا ستدعى فى القريب العاجل إلى خوضها ؟

( يتبع ) ( *** )

# الجانب الصـــوفى

## فى الفلسفة الاسلامية

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

— ٣ —

تمتاز فلسفة الفارابى بظاهرتين رئيسيتين : نزعة روحية نامية ، واتجاه صوفى واضح . والمذهب الروحى والتصوف يقتربان فى الواقع ويتلاقيان فى نواح كثيرة . وهاتان الظاهرتان تبدوان لدى فلاسفة الاسلام بدرجات مختلفة . وقد نفذ التصوف الفارابى على الخصوص إلى أعماق المدرسة الفلسفية العربية وأثر فى صوفية المسلمين بوجه عام . ولم يقف أثره عند القرون الوسطى ، بل تعداها إلى التاريخ الحديث . وبما أنا أسلفنا القول فى شرح نظرية السعادة الفارابية وبيان مصادرها الأرسطية والأفلوطينية فانه يجدر بنا الآن أن نلقى نظرة على الأثر الذى أحدثته فيمن جاء بعد الفارابى من فلاسفة ومفكرين ؛ ولكى تكون هذه النظرة مستوفاة يحسن أن نبين من جانب إلى أى حد تأثر كبار فلاسفة الاسلام بآراء الفارابى التصوفية ، كما تأثروا بأبحاثه الأخرى ؛ ومن جانب آخر ينبغى أن نحدد العلاقة بين هذا التصوف الفلسفى وما ذهب اليه صوفية المسلمين المتأخرون . وحبذا لو استطعنا أخيرا أن نوازن بين نظرية السعادة الفارابية وبعض الأفكار الصوفية التى اعتنقتها طائفة من الفلاسفة المحدثين . وبالجملة سنتابع هذه النظرية فى خطواتها المتتالية إلى أن نسلمها إلى العصور الحديثة ، وسنحاول عرض صورة مختصرة لتاريخها العام

إذا كان فى فلاسفة الاسلام من يصح أن نسميه تلميذ الفارابى وخليفته الأعظم فهو بلا جدال ابن سينا . حقا إن التلميذ عدا على الأستاذ وأخنى اسمه وانتزع مكانته وقضى على شهرته ، وأصبحنا ونحن نعزو إلى ابن سينا آراء وأفكاراً هى فى الحقيقة من صنع الفارابى وابتكاره ؛ بيد أن الأول يعترف للثانى بأياديه عليه ، ويقر له بالسبق والأولوية ، ويدين له بالخضوع والأستاذية (١) . ولقد بلغ من تعلق ابن سينا بنظريات أستاذه أن بذل كل مجهود فى تفهمها وأفاض فى شرحها وتوضيحها بحيث منحها نفوذا وسلطانا لم تنله على يدى صاحبها ومبتكرها . ورب فكرة فارابية غامضة مبهمة تبدو لدى ابن سينا ، وهو صناع اليدين ، فى ثوب قشيب ومظهر خلاب . وإذا كان ابن رشد هو شارح أرسطو غير منازع فى الفلسفة المدرسية ، فان ابن سينا هو شارح الفارابى الماهر فى الفلسفة الاسلامية . وقد يؤخذ علينا أحياناً أنا نحاول تحليل أفكار الفارابى على ضوء ما كتب ابن سينا (٢) ، إلا أن الرجلين فى رأينا متضافران ومتكاملان ، يوضح كل واحد منهما صاحبه ويتممه . ولئن كان للفارابى فضل السبق ، فلابن سينا فضل البيان والايضاح . ومن ذا الذى يدعى أن فى مقدوره دراسة أرسطو دراسة كاملة دون الرجوع إلى شراحه من المشائين وغيرهم ؟ ولو احتفظ لنا الدهر بكل ما كتب الفارابى فلعلنا لم نستعن دائماً على تفهمه بمؤلفات أتباعه ؛ فأما وما وصل الينا من كتبه نزر يسير ، فنحن مضطرون إلى توضيح غامضه بمختلف الوسائل . على أن المؤرخ الذى يعنيه أن يبين كيف نشأت فكرة ما ، يلزمه كذلك أن يوضح كيف نمت وتطورت

اعتنق ابن سينا مختلف آراء الفارابى التصوفية وتولاها بالشرح والدرس فى رسائل متعددة نخص بالذكر منها كتاب الاشارات والتنبيهات ، وهذا الكتاب بين المؤلفات السينوية ( نسبة الى ابن سينا) يتيمة العقد وجوهرة التاج الثمينة وثمرة النضوج الكامل . يمتاز بسمو أسلوبه وعمق أفكاره وتعبيره عن آراء ابن سينا الخالصة التى لا تشوبها نظريات المدارس الأخرى . وقد وقف صاحبه الجزء الأخير منه على الأبحاث التصوفية ، ويقع فى نحو خمسين صفحة تعد من أحسن ما خلفته المدرسة الفلسفية الاسلامية فى هذا الباب . فقد أخذ ابن سينا على حسب عادته أفكار الفارابى وفصل القول فيها وعرضها عرضاً مسهباً مرتباً . فهو يحدثنا عن

(١) القفطى ، أخبار الحكماء ، ص ٤١٦ — ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٢ ص ٤

(٢) هذا أمر عابه علينا حديثاً صديقنا المسيو كراوس فى مجلة الأبحاث الاسلامية ( Rev. des Etudes Isl., 1935, p. 226 ) وقد أردنا أن نلفت الأنظار اليه

« التجريد » و « البهجة والسعادة » و « مقامات العارفين » و « أسرار الآيات » ويشرح نظرية الاتصال شرحاً مستفيضاً . وهذا هو القدر الذى جمعه وترجمه مهرن الى الفرنسية ونشره تحت عنوان : Traités mystiques d'Avicenne وها كم نموذجاً من حديث ابن سينا المهذب ولغته السامية التى تترجم عن معان سبقه بها الفارابى يقول : « إن للعارفين مقامات ودرجات يُخَصّون بها فى حياتهم الدنيا دون غيرهم . فكأنهم فى جلاليب من أبدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس . ولهم أمور خفية فيهم ، وأمور ظاهرة عنهم ، يستنكرها من ينكرها ، ويستكبرها من يعرفها ، ونحن نقصها عليك . . . العارف يريد الحق الأول لا لشىء غيره ولا يؤثر شيئاً على عرفانه ، وتعبده له فقط ؛ لأنه مستحق للعبادة ولأنها نسبة شريفة إليه ، لا لرغبة أو رهبة ... العارف هشّ بشّ بسّام يبجل الصغير من تواضعه مثل ما يبجل الكبير ، وينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من النبيه . وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق وبكل شىء فانه يرى فيه الحق . وكيف لا يسوى والجميع عنده سواسية ؟ . . العارف لا يعنيه التجسس والتحسس ، ولا يستهويه الغضب عند مشاهدة المنكر كما تعتريه الرحمة فانه مستبصر بسر الله فى القدر . وإذا أمر بالمعروف أمر برفق ناصح لا بعنف مُعَيِّر . وإذا جُسِّم المعروف فربما غار عليه من غير أهله . العارف شجاع ، وكيف لا وهو بمعزل عن تَقيّة الموت ؟ وجواد ، وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل ؟ وصفّاح ، وكيف لا ونفسه أهون من أن تحرجها زلة بَشر ؟ ونَسّاء للأحقاد ، وكيف لا وذكره مشغول بالحق (١) »

يصف ابن سينا كأستاذه المراحل التى تقود المرء الى السعادة ويتكلم عن الزهد والعبادة ، ثم عن العرفان الذى هو السعادة الحق . « فالمعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد ، والمواظب على نفل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يُخص باسم العابد ، والمنصرف بفكره الى قدس الجبروت مستديما (٢) لشروق نور الحق فى سره يخص باسم العارف » . وليست السعادة مجرد لذة جسمية ، بل هى غبطة روحية وسمو معنوى

(١) ابن سينا ، الأشارات والتنبيهات ، ١٩٨ — ٢٠٦

(٢) المصدر نفسه ، ١٩٩

واتصال بالعالم العلوى ؛ هى عشق وشوق مستمران ، وما العشق الحقيقى إلا الابتهاج بتصور حضرة الحق ؛ وما الشوق إلا الرغبة الدائمة فى كمال هذا الابتهاج (١) . « والنفوس البشرية إذا نالت الغبطة العليا فى حياتها الدنيا كان أجل أحوالها أن تبقى عاشقة مشتاقة لا تخلص من علاقة الشوق ، اللهم إلا فى الحياة الأخرى . وتتلو هذه النفوس نفوس بشرية مترددة بين جهتى الربوبية والسفالة على درجاتها ، ثم تتلوها النفوس المغموسة فى عالم الطبيعة المنحوسة ، التى لا مفاصل لرقابها المنكوسة (٢) » . والوسيلة الأولى والرئيسية لادراك السعادة هى الدراسة والبحث والنظر والتأمل . وأما الأعمال البدنية والحركات الجسمية ففى المرتبة الثانية ، ولا يمكن أن تحل محل التهذيب الفكرى والرقى العقلى بحال

قد يخيل للقارئ بعد هذا التحليل أن ابن سينا أميل من أستاذه إلى متصوفة القرن العاشر أمثال الجنيد والحلاج . ولاسيما وكتاباته مملوءة بمصطلحات الصوفية وألفاظهم الفنية . فهو يردد كلمة الزهد والوجد والوقت ، ويبين حقيقة المريد والعارف والعابد ، ويحلل بعض العواطف النفسية كالعشق والشوق التى شغلت كبار متصوفى المسلمين . غير أنه على الرغم من كل هذا لا يزال ابن سينا وفياً لأستاذه فى نظرياته التصوفية كما وفى له فى كل مذهبه الفلسفى ، ولا أدل على هذا من إعراضه عن فكرة الاتحاد التى زعمها الجنيد والحلاج ونقده لها نقداً فيه دقة وتعمق . فهو يرى أن غاية السعادة ليست إلا مجرد اتصال بين العبد وربه يحظى فيه الانسان بضرب من الاشراق لا يصدران عن الله مباشرة ، بل بواسطة العقل الفعال . وأما الاتحاد المزعوم الذى يقضى بأن يندمج الخلق فى الخالق فغير مقبول عقلاً ، لأنه يستلزم أن يكون الشىء واحداً ومتعدداً فى آن واحد . ذلك لأنا لا نقبل أن نعد العقل الفعال فرداً واحداً فى الوقت الذى نقرر فيه أنه يحتو على كل النفوس الواصلة ، كما لا نستطيع أن نسلم بفردية العارف فى حين أنا نعترف باشتماله على حقيقة أخرى خارجة عنه . وانظر كيف يصوغ ابن سينا هذا الدليل . « قد يقولون إن النفس

(١) المصدر نفسه ، ١٩٧

(٢) المصدر نفسه ، ١٩٨

الناطقة إذا عقلت شيئاً فانما تعقل ذلك الشيء باتصالها بالعقل الفعال وهذا حق. قالوا واتصالها بالعقل الفعال هو أن تصير هي نفس العقل الفعال، لأنها تصير العقل المستفاد، والعقل الفعال هو نفسه يتصل بالنفس فيكون العقل المستفاد، وهؤلاء بين أن يجعلوا العقل الفعال متجزئاً قد يتصل منه شيء دون شيء، أو يجعلوه متصلاً بكليته بحيث يُصيّر النفس كاملة واصلة إلى كل معقول (وكلا الغرضين باطل)، على أن الاحالة في قولهم إن النفس الناطقة هي العقل المستفاد حينما يتصورونه قائمة [1]». ويضيف ابن سينا إلى هذا: «إن قول القائل إن شيئاً ما يصير شيئاً آخر لا على سبيل الاستحالة من حال إلى حال ولا على سبيل التركيب مع شيء آخر ليحدث شيء ثالث بل على أنه كان شيئاً واحداً فصار واحداً آخر، قول شعري غير معقول، فانه إن كان كل واحد من الأمرين موجوداً فهما اثنان متميزان، وإن كان أحدهما غير موجود فقد بطل الذي كان موجوداً [2]»

فتصوف ابن سينا لا يختلف إذن عن تصوف الفارابي في شيء، وسبلهما وغايتهما متحدتان. يقول البارون كارادي فو: «لا يبدو التصوف عند ابن سينا إلا في آخر المذهب كتاج له، وهو متميز تماما من الأجزاء الأخرى؛ وابن سينا يدرسه دراسة فنية كأنه فصل من الفلسفة يشرحه شرحا موضوعيا، وبالعكس ينفذ تصوف الفارابي إلى كل شيء، والألفاظ الصوفية منتشرة في كل ناحية من مؤلفاته؛ ونشعر جيداً أن التصوف ليس مجرد نظرية اعتنقها، بل حالا نفسية [3]». ونحن نسلم مع البارون أن تصوف الفارابي — على عكس ابن سينا — يعبر عن عاطفة صادرة من القلب، وحياة الرجلين تشهد بذلك، ولكنا نرفض من الناحيـة النظرية أن يكون ثمت فرق بين تصوف التلميذ وتصوف الأستاذ، كلاهما يعتمد على أساس واحد، ويشغل مكانا متعادلا في مذهبيهما؛ وكل ما هنالك من تباين هو وضوح ابن سينا وطريقته التعليمية المنظمة التي يدرس بها المسائل على

(1) المصدر نفسه، بتصرف، ص ١٧٩ — ١٨٠

(2) المصدر نفسه، ص ١٨٠

(3) Carra de Vaux, Eucyc. de l'Isiam, II. p. 58.

اختلافها. وأما الألفاظ الصوفية فقد لاحظنا آنفاً أنها أكثر لدى ابن سينا منها عند أستاذه

إذا كان الفارابي وابن سينا هما بطلي الدراسة الفلسفية في الشرق، فابن باجة وابن طفيل وابن رشد هم أعلامها في الغرب. وعلى أن البحث العلمي في الشرق أسبق منه في الغرب فان أهل الأندلس مدينون لاخوانهم المشارقة بكثير من آرائهم ونظرياتهم. لذلك لم يكن بدعاً أن تقتفي المدرسة الفلسفية الأسبانية أثر المدرسة الشرقية، وأن نرى ابن باجة وابن طفيل مثلاً يتبعان خطى الفارابي وابن سينا. وكم يسوءنا أنا لا نعرف حتى الآن عن ابن باجة الشيء الكثير، فان معظم كتبه قد باد، وما بقي منها لا يزال مخطوطاً وموزعاً بين المكاتب الأوربية. وكتابه الرئيسي وهو تدبير المتوحد لم يصلنا عن طريق عربي، ولو لم تحتفظ لنا الترجمات العبرية بأجزائه الهامة ما وقفنا على خبره. ويرجع الفضل في استكشافه الى مستشرق إسرائيلي من رجال القرن التاسع عشر هو سلمون منك صاحب الفلسفة اليهودية والعربية ومترجم دلالة الحائرين الى الفرنسية. وإذا اعتمدنا على ما نقله (منك) أمكننا أن نقرر أن نظرية الاتصال الفارابية قد نالت حظوة كبيرة لدى ابن باجة. وكتابه تدبير المتوحد قائم على إثبات أن الانسان يستطيع الاتصال بالعقل الفعال بواسطة العلم وتنمية القوى الانسانية [1]. والفضائل والأعمال الخلقية جميعاً ترمي الى سيادة النفس العاملة واستيلائها على النفس الحيوانية. وبالجملة يجب على المرء أن يسعى جهده الى الاتصال بالعالم العلوي مشتركا مع الجمعية أو منعزلاً عنها، فان كانت الجمعية صالحة قاسمها في مختلف شؤونها، وان كانت طالحة لازم الخلوة والانفراد [2]. وهنا يبدو ابن باجه متأثراً بالصوفية المسلمين فوق تأثره بالفارابي، فان الأخير لم يدع الى الوحدة قط؛ ومن شرائط المدينة الفاضلة في رأيه أن تقود الأفراد الى السعادة ان لم تصل بهم إليها. وكتـاب تدبير المتوحد في جملته مستقى من مؤلفات الفارابي وابن سينا، اللهم إلا الجزء الخاص بنظام العزلة والانفراد فهذا تغلب عليه نزعة صوفية بحتة

ومهما يكن فقـد وضع ابن باجة الحجر الأساسي في بناء

(1) Munk, Mélanges, p. 410.

(2) Ibid, pp. 398—99.

المدرسة الفلسفية الأسبانية وسار على نهجه ابن طفيل . وحياة ابن طفيل غامضة غموض حياة ابن باجة ، ومؤلفاته ليست أعظم حظا من مؤلفات سابقه فقد باد معظمها ولم يبق منها إلا شذرات متفرقة . بيد أن روايته الفلسفية المشهورة ( حى بن يقظان ) التى وصلت الينا تشتمل على مذهبه عامة فى أسلوب جذاب وخيال بديع ، وتعد هذه الرواية من أطرف ما خلف فلاسفة الاسلام ، وقد ترجمت الى لغات عدة ، وكانت فى غالب الظن نموذجا نسج على منواله روبنسون كروزو . وابن طفيل يحاول أن يثبت فيها أن القوى الانسانية تستطيع وحدها الاتصال بالله . فقد تصور شخصاً نشأ منعزلاً عن الناس ولم يتأثر بالجمعية قط ومع هذا تمكن بعقله الفردى إدراك الحقائق الكونية والتدرج منها إلى حقيقة الحقائق التى أفاضت عليه بالنور والمعرفة ، وهذا الشخص هو « حى بن يقظان » الذى ولد فى جزيرة قرب خط الاستواء ولم ير أباً ولا أماً ، وإنما منحته الطبيعة غزالة تولت إرضاعه وتغذيته[1] . ولم يكد يشب ويترعرع حتى اتجه نظره إلى ما حوله ، فبحث فى الظواهر الكونية وسير تغيرها ، وانتهى إلى أن وراءها أسبابا خفية تتصرف فيها وصوراً تشكلها ، وهذه الصور صادرة عن كائن قديم يسميه الفلاسفة العقل الفعال[2] . ولم يزل يبحث ويعلل حتى أدرك أن سعادة الانسان وشقاءه راجعان إلى قربه من ربه وبعده عنه . ووسيلة القرب والصعود إلى عالم النور والملائكة هى النظر والتأمل[3] . وسواء أكان هذا الفرض مقبولا أم مرفوضاً لدى علماء الاجتماع المحدثين فانه يبين لنا أولا كيف تأثر ابن طفيل بفيلسوف الأندلس الأول ابن باجة ، فان « حى بن يقظان » يحمل فى ثناياه كثيراً من خصائص « التوحيد » الذى أشرنا إليه من قبل . وثانياً فى لغة « حى » الخيالية وصوره المجازية ما يعبر تعبيراً صادقاً عن نظريات الفارابى فى السعادة والاتصال

أما ابن رشد فلم ينح هذا النحو الخيالى الفرضى ، بل درس

(١) ابن طفيل ، حى بن يقظان ، ص ٣٠ — ٣٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٥ — ٨٦ ، ١١٣ — ١١٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ — ١٥٨

مشكلة الاتصال بالعقل الفعال دراسة علمية منظمة ، مبيناً أن هذا الاتصال فى ذاته لا يتنافى مع أصول علم النفس المعروفة . وقد وضع فى هذا الموضوع ثلاث رسائل مستقلة احتفظت لنا المصادر العبرية باثنتين منها[1] . وهو يرى أن الطفل يولد وفيه استعداد لتقبل المعلومات العامة ، فاذا ما أخذ فى الدراسة والتعلم تحول هذا الاستعداد إلى عقل بالفعل ، ولا يزال هذا العقل ينمو ويرقى حتى يتصل بالعقول المفارقة ويستمد منها الفيض والالهام ، وهذا هو الكمال الأسمى الذى نطمح اليه جميعاً ؛ والطريق الموصلة اليه هى تنمية المعلومات وترقية المدارك الانسانية ، فالعلم وحده سبيل السعادة والاتصال بعالم العقول والأرواح . أما ما يذهب اليه المتصوفة من أن الانسان يستطيع الصعود إلى هذه المرتبة دون علم ولا بحث فادعاء باطل وقول هراء[2] . وعل فى هذا الذى قدمنا ما يكفى لاثبات أن ابن رشد اعتنق كزملائه فلاسفة الأندلس الآخرين — وإن يكن أقلهم تصوفا — نظرية السعادة الفارابية . ومن الغريب أنه لم يدخر وسعاً فى نقد الفارابى وابن سينا وتجريحهما ، ولا سيما إذا أحس منهما انحرافاً عن سنة أرسطو ، ومع ذلك لم ينج من أثرهما ، ولم يستطع أن يكون لنفسه مذهباً مستقلاً يخالف مذهبهما ، وهو أشد ما يكون تأثراً بهما فى المسائل التصوفية . فهو يعلن مثلهما أن العلم سبيل الوصول والسعادة الروحية ، وأن أسمى درجات الكمال أن يخترق المرء الحجب ويرى نفسه وجهاً لوجه أمام الحقائق العلوية ، ويرفض رفضاً باتا أن يكون تقشف الصوفية وزهدهم وسيلة التجرد والاتصال ؛ فمن الفارابى إلى ابن رشد اعتنق فلاسفة الاسلام بلا استثناء نظرية السعادة . والفارابى وابن سينا يدعمان هذه السعادة رأساً على الدراسة والنظر ، مع الاحتفاظ بمكان للعقل العملى والحركات الجسمية ؛ وابن باجة وابن طفيل يوسمان الجانب العملى ؛ وابن رشد يعود أخيراً فيقرر مع أرسطو أن الخير الأسمى لا يتم إلا بالعلم والتأمل

( يتبع )

ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

(١) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٢ ص ٧٧ — ٧٨
Munk, Mélanges, p. 437

(٢) Ibid., p. 454

في الأدب المقارن

# طور الثقـــافة

## في الأدبين العربي والانكليزي

للأستاذ فخرى أبو السعود

تمر أدب كل أمة بثلاثة أطوار كبرى تتبع عهود رقى الجماعة: فطور الهمجية يليه طور البداوة ويلى هذا طور الحضارة؛ وفى الطور الأول لا يكون للأدب وجود مستقل بنفسه، بل يكون الشعر تعبيراً ساذجاً عن بسيط العواطف ممتزجاً بالغناء والرقص، ويكون النثر شذوراً من الخرافات والمعتقدات المتوارثة عن الآلهة والجان وقوى الطبيعة؛ ويأتى الطور الثانى بارتقاء عقلية الجماعة بممارستها أعمالاً أرق وأدق واختلاطها بالأمم الراقية؛ وفى هذا الطور يتميز الشعر ويستقل عن غيره من الفنون وتتسع جوانب النثر، ولكن يظل الشعب على رغم ارتقائه العقلى فطرياً متبدّياً، حتى إذا عبر هـذا الطور إلى طور الحضارة ازداد ترفاً فى الحياة ومارس العلوم المنظمة وعرف الكتابة، فظهر فى أدبه أثر الثقافة والفن والصناعة

وقد مر الأدب العربي بالطور الثانى من هـذه الأطوار فى عهد الجاهلية وصدر من الاسلام: ففى ذلك العهد كان العرب على جانب يعتد به من الرقى العقـلى لمزاولتهم التجارة ووقوفهم على حضارة الفرس والروم، وفى ذلك العهد نضجت اللغة العربيـة نضجاً عظيما وبلغ الشعر من الرقى شأواً بعيداً، بيد أن الأدب ظل فطرياً بعيداً عن أثر الثقافة والدراسة والتدوين والصنعة، ثم نهض العرب نهضتين علميتين فى مدى قرنين: أولاهما بظهور الاسـلام ونزول القرآن وفتح الأقطار، والثانية بترجمة علوم الأقدمين، وبذلك انتقـل الأدب العربي إلى الطور الثالث من أطوار رقيه: طور الحضارة والثقافة

وقد انتقل الأدب الانجليزى إلى هذا الطور أيضاً بنهضتين متواليتين: الأولى فى القرن السادس عشر بوصول حركة إحياء علوم الأقدمين — اليونان والرومان — من أوربا إلى انجلترا، والثانية فى القرن التاسع عشر عقب التقدم الصناعى العلمى الذى كانت انجلترا رائدته وكان من أبنائها كثير من أئمة النهضـة العلمية الحديثة فى علوم الفلك والحياة والطب والنفس وغيرها

ويلاحظ أن هناك اختلافاً فى توالى النهضتين فى الأمتين: فقد كانت نهضة العرب العلمية الأولى داخلية وليدة الدين الذى نشأ بين أظهرهم، وكانت الثانية خارجية آتية من نقـل علوم الأمم الأخرى، بينما فى انجلترا جاء هذا النقل عن الأقدمين أولاً ثم كانت النهضة التاليـة داخلية نتيجة لتحسين أبناء البلاد لمـا نقلوه من علوم غيرهم

وقد أوفى العرب على الغاية فى الشغف بالعـلوم والجد فى تحصيلها، وأظهر أمراؤهم من التقدير للعـلم وأهله والرغبة فى خدمته والبـذل فى سبيله مالم يظهره ملوك دولة فى التاريخ، وكانت رعايتهم للعلماء — بعكس ما كان تقريبهم للشـعراء — جليل النفع بعيد الأثر

وكان للعرب من اللغة العربية الرحبة الجوانب، الطيّعة الأسلوب، الغنية بطرائق الاشتقاق، خير معوان فى جِدهم فى درس العلوم، وامتلأت جوانب اللغة بضروب الدراسات والثقافات، وكان رقيها العلمى فى عهد الدول الاسلاميـة يفوق كثيراً رقيها الأدبى: فبينما ظل أدباء الجاهلية دائماً أساتذة للمتأخرين يحتذونهم فى الأدب، أمعن علماء الاسلام وفلاسفته فى مذاهب من التفكير والبحث لم يسمع بها الجاهليون ولا خطرت لهم على بال

ولم يقصر أدباء العربيـة عن غيرهم فى تلك الحلبة العلمية المحتدمة، ولم يكونوا دون سواهم شغفاً بالعلم وطلباً لشوارده، بل كان أكثرهم مثقفين ثقافة علمية وأدبية عالية، وقد تلقوا علومهم على طريقة عهدهم: فمن نشأ فى يسار أُحضر له المؤدبون، ومن ترعرع فى بيت علم وفضل قام أبوه بتأديبه، ومن قصر به جده عن هذا وذاك تنقل بين الأدباء واختلف إلى العلماء حيث كانوا يجلسون للدرس؛ أما المدارس والجامعات فلم تنشأ إلا متأخرة، قبيل بدء عهد الركود الفكرى، ولم يكد يتخرج فيها عَلم من أعلام الأدب

وكان من خصائص الثقافة الاسلاميـــة ترامى أطرافها واختلاف أجناس الخائضين غمارها وشمولها شتى العلوم والمذاهب والعقائد من متفرق الأمم وامتزاج العلم بالأدب والدين بالفلسفة فيها، وقد ظهر أثر كل هذا فى المؤلفين وفى مؤلفاتهم: كانوا

طموحين فى طلبهم العلم يبغون تمثل كل ما فى عصرهم من مناحى التفكير ، وكانوا كذلك طموحين فى مؤلفاتهم يحبون أن يودعوها كل فن . ولو أردنا أن نشير إلى الأدباء الذين نالوا حظاً عظيماً من الثقافة لأحصينا أكثر أدباء العصر العباسى الزاهى بين القرنين الثانى والخامس الهجرى . ويكفى أن نذكر من الشعراء المعرى الحكيم المعنى بشؤون الكون والفلك والحياة الاجتماعية ، ومن الكتاب الجاحظ العالم الكلف بدراسة الحيوان وتذوق كل قديم وجديد وقريب وبعيد فى الحياة والكتب ، والذى كان — كما قيل — يستأجر المكاتب ليلاً ليبيت فيها يستوعب محتوياتها

تماثل الكتاب والشعراء فى الأخذ من الثقافة بنصيب ، ولكن كان الكتاب على العموم أوفر حظاً من الثقافة عامة ومن العلوم خاصة ، واقتصر بعض الشعراء على الدراسة الأدبية ، لأن الكتاب كانوا يترشحون للوزارة وكتابة الدواوين والولاية وتأديب أبناء الأمراء ، ولا بد لتلك المناصب من دراية واسعة وإلمام شامل ، ولأن كثيراً من الشعراء لم يكن للشعر عندهم غاية وراء استدرار الصلات والجوائز ، ولم تكن وظيفته عندهم تسجيل الآراء والخوالج النفسية ، فلم يكن بهم كبير حاجة إلى دراسة العلوم التى تهذب الفكر ، بل كان حسبهم أن يقفوا على مذاهب القول التى سلكها المتقدمون من الشعراء المداحين ، والبحترى أبرز أولئك الشعراء الذين عاشوا فى صميم عهد الثقافة بنجوة عنها ، فقد كان حريصاً على استبقاء السذاجة البدوية ، وجاء أكثر ديوانه الضخم مدحاً لمن يرجو عندهم العطاء ، وهجواً لمن خيبوا منه ذلك الرجاء

كان أعلام الأدب الانجليزى كذلك على جانب عظيم من الثقافة ، وقد حصلوا — عدا من قعدت بهم ظروف غير مواتية كشكسبير وجونسون — علومهم فى الجامعات التى أخذ نظامها عن العرب وأصبحت مواطن العلم والدرس ، ونبه صيت بعضهم وهم ما يزالون طلاباً بها ، وتشترك ثقافتهم مع ثقافة أدباء العربية فى الاشتمال على الفلسفة اليونانية ؛ ولكن بينما كانت دراسة الأدب العربى القديم تتم الباقى من ثقافة الأديب العربى ، كانت دراسة الأدب اليونانى تكمل ذلك الجانب من ثقافة الأديب الانجليزى . ومن ثم كان معظم الأدباء الانجليز ملمين باللغتين اليونانية واللاتينية ؛ ولمعرفة اللغات أثرها العظيم فى تكوين الأديب وتوسيع أغراض القول ؛ ويكثر الالماع إلى اليونان والرومان : تاريخهم وأساطيرهم ومشهورى رجالهم فى الأدب الانجليزى ، كما تكثر الاشارة إلى الجاهلية والجاهليين فى الأدب العربى

ويتشابه رجال الأدبين فى الرحلة عن الوطن فى نشدان العلم : فقد كان أدباء العربية يطوفون فى البلاد فى طلب أئمة العلوم يلزمونهم ، وفى طلب نوادر الكتب يستنسخونها ، وربما أضافوا إلى ذلك حج البيت الحرام . وكذلك جرت سنة الأدباء والمتعلمين عامة من ذوى اليسار الانجليز على الارتحال بعد نيل درجاتهم العلمية إلى أوربا وخاصة إلى إيطاليا مبعث النهضة الأوربية ، وربما أضافوا إلى ذلك الحج إلى آثار بلاد الأغريق مهد العلوم والآداب والفنون القديمة ؛ ولهذه الرحلة عن الوطن — فضلاً عن كسب العلم ومصاحبة العلماء — أعظم الأثر فى تكوين نفس الأديب وتوسيع أفق خياله

وكان لانتشار الثقافة فى الأمتين آثاره المتشابهة فى الأدبين : فارتقيا خيالاً وأسلوباً وأغراضاً ومعانى ، واتسعت جوانبهما ، وظهر فيهما التفنن والصنعة المقصودة ، وظهرت لغة علمية دقيقة التعبير بجانب لغة أدبية أنيقة التحبير ، وظهرت روح النقد وتجلت نزعة الشك من جراء اصطدام العلوم المستحدثة بالعقائد الموروثة ، واشتدت المنازعات الأدبية ، واحتدمت المشادات بين أنصار القديم وأتباع الجديد ، وظهرت آثار المذاهب الفلسفية واصطلاحات النظريات العلمية فى رسائل الكتاب وقصائد الشعراء ، ونبغ من المثقفين من يجمعون بين صناعتى العلم والأدب

ولا ريب أن هذا الطور الثالث من أطوار رقى الأدب التى أشير إليها فى صدر هذه الكلمة — طور الحضارة والثقافة — هو أرقى ما يصل إليه الأدب وفيه ينال ما قدر له من أسباب الكمال ، وفيه أنتج الأدب العربى خير نتاجه ، فالأدب لا يبلغ غايته إلا فى حضارة تحيط به ، وثقافة تغذيه ، وروح نقد تستحثه . وقد دام هذا الطور الأدبى فى العربية زهاء ثلاثة قرون حافلة ، تخلف لنا منها تراث زاخر يشهد بشغف العرب بالعلم وولوعهم بالأدب ، ثم عملت عوامل الفساد السياسية والاجتماعية عملها ، فاضطرب المجتمع ، وجمدت الأفكار ، ودخل الأدب فى طور تدهوره الطويل .

فخرى أبو السعود

# قصـــــة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

مدير مصلحة الكيمياء

صلة الحديث[1]

أراد متشنيكوف أن يفسر حصانة الانسان من الأمراض فنسبها الى كريات دمه البيضاء ، وأسمى هذه الكريات بالفاجوسات ومعناها ( الملتهمة ) لأنها تلتهم المكروب الداخل فى الدم فتهضمه وتعدمه . فالحصين من الناس من قويت فاجوساته على المكروب الغازى ، والقابل للعدوى منهم هو الذى تضعف فاجوساته من المكروب فتنهزم أمامه . وقاد متشنيكوف الدفاع عن النظرية الفاجوسية فى باريس ، وقاد الألمان مدفوعين بالعداء السياسى للفرنسيين حركة منظمة ضد هذه النظرية . وعزوا حصانة الناس الى بعض خصال فى مصل دمائهم . وبالغ متشنيكوف فى كراهة الألمان فلم يطق أن يسمع من أحد أن لمصل الدم شأناً فى حصانة الانسان أصلا

## الحصانة واليهودى الأفاق

ولم يكن المعمل الذى استقله متشنيكوف فى معهد بستور معملا فحسب ، فقد كان فيه من الألوان ومقتضيات الفن ما فى مَشغَل رسام Studio ، وكان فيه من أسباب التفريج والتسلى ما فى مهرجان لهوٍ منصوب بقرية ، وكان فيه من الحمية والحرارة واللذة القوية ما يجده المشاهد فى سِرك[2] circus كثير الشعاب رحب الجناب ، فلا تعجب بعد ذلك إذا علمت أن الشباب من أطباء أوربا قصدوه من كل ركن فيها يطلبون صيادة المكروب عنده ؛ أما عقولهم فانطاعت عفوا لهذا الباحث الكبير ، وقد كان كذلك منوّماً مغناطيسياً خطيراً ، وأما أصابعهم فقد سبقتهم الى إجراء عشرات الألوف من التجارب التى انطلقت من رأس أستاذهم حثيثة كما تنطلق الصواريخ فى الألعاب النارية من أصولها المتفرقعة

كأنى بك تسمعه ينادى : « ياسيد سَلْتيكوف ! هذا تلميذ للأستاذ بفيفار الألمانى يقول إن مصل الخنزير الغيني يستطيع أن يحيي خنازير أخرى غينية من الموت بكوليرا الخنازير . فهل لك أن تتفضل باجراء تجربة تمتحن بها هذه الدعوى ؟ » فلا يكاد يتلقى هذا العابد لسيّده مشيئةَ متشنيكوف حتى يهرع الى تحقيقها ، وهو يعلم حق العلم أى تحقيق يُراد — تحقيق أن هذا الأستاذ الألمانى إنما ادعى باطلا وقال خَرَفا . وكانت تعرض لمتشنيكوف مئات من تجارب دقيقة لا تصبر عليها أصابعه الملولة فيدفع بها الى بلاجو فستشنسكى Blagovestchensky أو الى هوجنشمت Hugenschmidt أو الى فجنر Wagner أو الى غرجيفسكى Gheorgiewski أو الى سفتشنكو Savtchenko الذى نسيه الناس الآن ، أو إذا كان هؤلاء مشغولين إذن فالى زوجته أُلجا فقد كان يغريها بترك ماهى فيه من رسم الزيت أو تشكيل الصلصال لتقوم ببعض هذه التجارب ؛ وكانت جديرة بحل أعقد العُقَد . فى هذا المعمل كان مائة قلب ولكنها دقت معا ؛ وكان به مائة رأس ولكن بها فكرة واحدة ولها غاية واحدة : أن تكتب أنشودة شعرية حماسية كبرى عن تلك الكرات الصغيرة المكوّرة الشفّافة الأفاقة التى تدور فى دمائنا تتشمم عن مكروبة عادية قاتلة ، فاذا وجدتها سبحت نحوها واخترقت جدران الأوعية الدموية اليها حيثما كانت ؛ فاذا لقيتها فالحرب العوان بينهما حتى يذهب السوء المنذر عن الجسم أو هى تموت دونه

وكانت المؤتمرات الطبية الكبرى فى تلك الأيام مؤتمرات صاخبة ثائرة ملؤها الحجاج فى أمر المكروب وأمر الحصانة ؛ وكان متشنيكوف يحضرها دائماً ؛ فقُبيل اجتماع أحدها بأسابيع كنت ترى معمله لا يهدأ أبدا من كثرة ما تروح الأقدام وتجئ فيــه ؛ وكنت تسمع متشنيكوف يصيح برجاله : « هيّا ، هيّا ، فلا مندوحة عن الاسراع حتى تتم كل التجارب التى نريدها لأثبات حجتى » . فيقوم الأعوان المخلصون العابدون باقتصاد ساعتين فساعتين من نومهم كل ليلة فى سبيل العمل ؛ ويشمّر متشنيكوف نفسه عن ساعديه ، ويرفع محقنه بيمينه ويضرب به فى شتيت الحيوانات وعديدها ، يحضرها له مساعدوه حتى يتصبب العرق من جباههم . فمن صغار أنواع كبيرة من الخنافس Rhinoceros beetles إلى الضفادع الخضراء[1] إلى التماسيح ، إلى سميدرات مكسيكية عجيبة axolotls[2] ، حتى لجرُّوا الشــباك فى قيعان البرك يطلبون سمك الفرخ perch والجدجون[3] gudgeon . نعم يقوم بحمَاتنا الفيلسوف المجنون على

(١) انظر العدد ١٥٨ من الرسالة

(٢) ملعب متنقل غالبا يتضمن ألعابا بهلوانية يظهر فيها اللاعبون حذقا نادراً ومخاطرة بالأرواح كبيرة

(١) نوع من الضفدع تكثر سكناه فى الولايات المتحدة وكندا ظهره أخضر (٢) أنواع من المظاءات تعيش فى بحيرات المكسيك الجبلية

(٣) كلاهما سمك يعيش فى الماء العذب

كل هذه الخلائق الهادئة المتطامنة التي لا تشكو ولا تتضرر فيطلق فيها المكروب من محاقنه وقد لمعت عيناه واحمر وجهه العريض فبات كالهب المتأجج من خلف لحيته ، وقد تلوث شاربه بما تناثر عليه من المكروبات بسبب انفعالاته النفسية وتلويحاته الشعرية . وكان يقول : « أنا إنما أكثر تجاربي هذا التكثير لأزيد نظريتي إثباتاً »

كان عقل متشنيكوف لا يفتأ يتخيل الخيالات عن الطبيعة ، ويبتدع القصص عن الكون ، ولكن من العجيب المدهش أن هذه الخيالات كثيراً ما تحققت عند التجربة ، وهذه القصص كثيراً ما ثبتت عند البحث والاستقصاء . صاح ألمانيّ يقول : « ليس في نظرية الفاجوسات التي خلقها متشنيكوف شيء ذو بال أو خطرٌ كبير ، فكل الناس يعلم أن المكروبات قد تُرَى داخل الفاجوسات ، ولكن هذه الفاجوسات الأفاقة لا تَخفُر الجسم ولا تدفع عنه سوءا ، وإنما هي قَشّاشة تأكل من الفضلات ما تلقَى ، فهي إذا أكلت المكروبات فلا تأكل إلا الميِّت منها » . وكان المؤتمر اللندنيّ لعام ١٨٩١ يزداد موعده اقترابا ، فصاح متشنيكوف يطلب خنازير غينية ، فلما جاءته حقنها فخصّنها بيشلات تشبه بشلات الكوليرا كان اكتشفها صديقه القديم المنكود الدكتور (جماليـه) ؛ وبعد أسبوع أو نحو أسبوع قام هذا الفيلسوف اللحيانيّ [1] فحقن زريبة حية شريرة خُطِرة من هذه البشلات في بطون الحيوانات الحصينة ، وأخذ في الساعات التي تلت يمتص من هذه البطون في فترات قصيرة قطرات من سائلها بواسطة أنبوبة دقيقة من الزجاج ، ثم يضع هذه القطرات تحت عدسة مجهره القذرة ، قَذَرَ قلةٍ أو قذر كثرة ، ليرى ما تصنع فاجوسات الحيوانات الحصينة ببشلات الدكتور جماليـه . حدّق في المجهر ليرى ، فرأى غاية مُناه ! رأى هذه الفاجوسات المكوّرة الزاحفة المتثاقلة قد أكلت من هذه البشلات حتى امتلأت !

قال متشنيكوف : «والآن علي أن أثبت أن هذه المكروبات التي بداخل هذه الفاجوسات مكروبات لا تزال حيـّة تُرزق » . وقتل الخنزير الغيني وشق بطنه فانفتح ، فمصّ منه شيئاً من هلامه الرمادي ؛ وما كان هـذا الهلام إلا خلاياه الأفاقة اجتمعت في البطن لحرب المكروب الداخل والتهامه . وبعد زمن قليل ماتت تلك الخلايا الأفاقة ، تلك الفاجوسات التي لا تحتمل الحياة خارج الجسم طويلاً ؛ ماتت فانشقّت فخرجت منها تلك البشلات الحية التي كانت ابتلعتها وهي في بطن الخنزير . فلم يُلبّث متشنيكوف طويلاً حتى حقن هذه البشلات في خنازير غير حصينة فما أسرع ما قتلتها

وبهذه التجربة ، وبعشرات من تجارب بارعة من أمثالها ، أرغم متشنيكوف خصومه فاعترفوا له بأن الفاجوسات تلتقم المكروبات الخبيثة أحياناً . ولكن الذي يؤسف له أن متشنيكوف أضاع حياته وأنفق طاقة عقله الجبار في عمل تجارب قصد بها الدفاعَ عن فكرة حِوارِيّةٍ لا كشفَ أسرار الطبيعة . نعم لقد كانت تجاربه بديعة مألوفة ، وكثيراً ما كانت تلذّ الفكر وتُمتع الخيال ، ولكنها كانت مصطنعة اصطناعا ، وكانت ترى بعيداً عن الغرض الأهم الأخطر وهو كشف السر في أننا حصينون .

كان له رأس يَقـدر على احتواء الكثير الشتيت من المعارف ، فما كان أجـدرها أن تتجه بكل حولها وذخيرتها الى حل عقدة الحصانة ، فتفسر لنا كيف أن الطفل قد ينشأ في مباءة من السل ثم هو لا يجيئه ، بينما طفلة أخرى تُنَشَّأُ على قواعد الصحة في عناية وحذر فلا تبلغ سن العشرين حتى تموت من السل : هذه هي أُحْجية الحصانة المستغلِقة ، وهي الى اليوم حجية مستغلقة . فانظر ما كان يصنع تجاهها متشنيكوف ؟ كان يقول : لا شك أن الفاجوسات في هذه الحالة لا تعمل عملها ، فهي لا شك لأمرٍ ما تعطلت » ، ثم هو يهرع الى المعمل ليُدهش خصيمه باثبات أن فاجوسات التماسيح تأكل بشلات حمى التيفود . وما للتماسيح وللتيفود وهو لا يصيبها أبداً !

وأخلص له مساعدوه في المعمل إخلاصاً نادراً عجيباً ، فأذنوا له فأطعمهم بشلاّت حيّة خبيثة من بشلات الكوليرا ليثبت أن الدم لا دخل له في حصانتنا منها . وبلعَ البشلاتِ فيمن بلع شابةٌ من تلك الأوانس الجميلات اللاتي كان يسترشد بوجوههن ويستوحي من فتنتهن ، ومضت سنوات أُغرِم فيها باللعب بأرواح أعوانه البُحّاث وهم عبّاده الطائعون ، وأقرّ بأنه إنما كان جنوناً ذلك الاغرام . وليس شيءٌ يُعذره من هذا الاغرام ويصفح عنه هذا الاجرام إلا أنه هو نفسه لم يتأخر خطوة عن مسايرتهم بالمخاطرة بحياته ، بل لقد بلع هو نفسه من أنابيب البشلات أكثر مما بلعه أيهم منها ؛ وفي أثناء هـذا التلاعب

(١) العظيم اللحية

بالنار مرض أحد أعوانه مرضاً شديداً وظهرت عليه أعراض الكوليرا الأسيوية الصميمة ، فندم متشنيكوف ندامة كبرى ، وكان يقول فى وجيمته وأساه : « أى جوبى ! ليس لى بعد موتك حياة » ، فلما سمعت أُلجا ذلك منه اتخذت حيطتها فلزمت زوجها الشهير ليلَ نهارَ خشيةَ أن يعاوده خاطر انتحاره القديم ؛ وكثيراً ما كان جاءه ولكنه لم يثمر ثماره أبداً . وفى ختام هذه التجارب الغريبة ، أخذ من دم الناجين من أعوانه فحقنه فى دم خنازير غينية ، ثم حقن هذه الخنازير بزريعات من بشلات كوليرا حادة ، فماتت هذه الخنازير ولم تنفعها دماء هؤلاء الرجال شيئاً . فاغتبط بهذا الفلاح ، وكان يكره أشد الكره أن يكون للدم خطر فى هذا أبداً ، وكتب : « إن كوليرا الانسان مَثَل آخر من أمثلة الأمراض التى لا يمكن أن يُعزى سبب الشفاء منها لمناعة الدم أصلاً »

وقد يكون من تلاميذه تلميذ وهبه الله مقداراً غير عادى من استقلال الرأى وحرية الفكر ، فيقع فى أبحاثه على خاصة عجيبة من خواص الدم ، فيأتى إلى أستاذه يهمس فى أذنه بالذى اكتشف ، فاذا بالاستاذ تطول قامته ، وترتفع هامته ، وينتفخ صدره زهواً وكبراً كأنه موسى الكليم يهبط جبل الطور إلى الوادى ؛ وإذا به يأمر بهذا الخارج الثائر الزنديق الذى لا يؤمن بنظريته أن تُحرق جثته ، ثم هو يقوم على الجثة يفرغ ماء عينيه بكاء وقد عزّه العزاء وافتقد فيه الصبر والسلوان . لم يكن معمله بالمكان الهانىء الوادع السعيد للبحّاث الذين يطلبون الحقيقة الصرف . ومع هذا فالى متشنيكوف يعزى بعض الفضل فى اكتشاف طائفة من أعجب خواص الدم ، ذلك لكثرة التجارب التى أجريت فى معمله ولاختلاف عدد كبير من بحّاث متحمسين عليه فيه . مثال ذلك الباحث الشهير بردبه Bordet جاء يعمل مع الأستاذ ، والأستاذ فى أكبر مجده وأذيع صيته . وكان برديه ابن معلم قرية صونبى Soignies ببلجيكا ؛ وكان حيياً لا يُؤبه لظهره ؛ وكانت به عادات من إهمال وقلة مبالاة ؛ وكانت له عينان زرقاوان كالماء ذاهلتان لاتبصران شيئاً مما تقعان عليه ، ولكنهما أبصرتا ما لم يبصره غيره من البحاث . بدأ عمله فى معمل متشنيكوف ، وأخذ يبحث فى الدم يستجلى خفاياه ، فاستجلى أموراً جليلة منه ، وذلك فى ظل لحية متشنيكوف وعلى صدى صيحته الصارخة بالفاجوسات وللفاجوسات . ووضع هذا البلجيكى أسس تلك الاختبارات العجيبة الدقيقة التى يختبر بها الدم اليوم فى جنايات القتل ليُعرَف أهو من إنسان أو حيوان . وفى هذا المعمل قام بأبحاث أدّت بعد سنوات إلى اختبار الدم الشهير الذى به يُكشَف عن وجود الزُّهرى فى دم الانسان ، ذلك الاختبار المعروف اليوم باختبار فَسَرْمَنْ Wassermann

على أن بردْيه لم يَسلم من غضبات متشنيكوف أحياناً كثيرة، ولكن الأستاذ كان كثير العُجْب بتلميذه ، وكان كلما وجد برديه فى الدم شيئاً يضر بسمعة المكروبات — ومع هذا قد ينفع فى تحصين الناس منها — أغمض متشنيكوف عينه على القذى كارهاً وقام يغرى نفسه باجراء تجارب لا بأس بها تثبت أن هذا الشىء الذى وجده برديه فى الدم إنما جاء أصلاً من الفاجوسات . ولم يُقم برديه فى معمل متشنيكوف طويلا . . . .

واقترب ختام القرن التاسع عشر ، وتحوّل بحث المكروبات ، فبعد أن كان يَنفُر اليه كل مخاطر مغامر ، أخذت تعالجه طائفة من شباب الأطباء انصرفوا اليه فى هدوء وسلام وتؤدة وتبصر واحترفوه احترافاً ، فلم يجمحوا فيه بالخيال ، ولم يتنبأوا فيه بالغيب . عندئذ تحوّل متشنيكوف كذلك بعض التحوّل عن غضباته المرة وإساءاته المنكَرة إلى كل من لم يكن يرى الأمور بعينه . ونال الشارات وحظِىَ بالمكافآت المالية . ودخل يوماً مؤتمراً دخول الملك المستعظم فحظى فيه حتى بتصفيق الألمان واحترامهم . وكان عندئذ آلافٌ من البحّاث قد لمحوا آلافا من الفاجوسات تبتلع آلافا من المكروبات . ولو أن هذه لم تفسر لنا سبب الحصانة — لم تفسر لنا كيف أن رجلاً تصيب صدره النيومونيا فتقتله ، بينا رجل آخر تصيبه فتعتريه نوبة من عرق صبيب يُشفى عقبها — إلا أنه مع ذلك ثبت يقيناً أن الفاجوسات تأكل مكروب النيومنيا أحياناً وتذهب به وبشره . وهذا الثبوت لا شك يرجع فضله إلى متشنيكوف بصرف النظر عن فساد حججه وضيق صدره وقلة تسامحه وعناده . ولا شك كذلك فى أن هذا ثبوت لحقيقة علمية كبرى ليس بمستغرَبٍ أن تؤدى إلى تخفيف آلام البشرية لو أن القدر ساق إلى هذا العالم البائس عبقرياً حلاّماً حذّاقاً للتجربة يفضح لنا السر فى أن الفاجوسات تأكل المكروبات أحياناً ثم هى تَعَفّ عنها أحياناً ، أو لعله فوق ذلك يغريها بأكلها دائماً أبداً

(يتبع)

أحمد زكى

# ميـــلاد . . . !

للأديب محمد طه الحاجرى

لم يكد الفجر يستفيض من وراء الأفق ، كما يستفيض الأمل الباسم من وراء الضلوع ، حتى استيقظ أهل ذلك البيت الصغير من إغفاءتهم ، ونفضوا عنهم بقايا أحلامهم ، واستقبلوا نور الفجر الساحر فأشرقت به قلوبهم ، وانبسطت له وجوههم ، ثم لم يلبثوا حتى كانوا يحفون بفتاة لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها ، تئن أنيناً خافتاً لا يكاد يتجاوز نطاق صدرها ، وقد نطقت حركاتها وأسارير وجهها بما يعتلج فى أحشائها من ألم ، وما تبذله لقاءه من جهد ؛ فكانت تنحنى إلى أمامها — من ذلك الألم الممض — فتعتمد على يديها ، ثم ترفع كفها لتخفى دموعاً تترقرق فى عينيها ، والسيدتان الجالستان إلى سريرها تحاولان التسرية عنها ، وتخفيفَ همّها ، وطردَ الأشباح المفزعة التى كانت تساور خيالها ، وتضاعف من آلامها ؛ ولم يمنعهما وقار السنّ من أن يصطنعا فى الحديث شيئاً من الفكاهة والمرح ، يبدد وجوم الموقف ... ويبعد شياطين الوساوس

أما ذلك الرجل الفاضل الذى كان ينظر اليها ، وإن وجهه ليعبر عن شتى العواطف من الألم والعطف والاشفاق والرجاء ، فانه لم يلبث أن غلبته عواطفه ، فقام من مكانه ، وذهب إلى غرفة أخرى ، وأخذ يدعو الله ويضرع اليه أن يكون فى عون هذه المسكينة التى تعانى — للمرة الأولى فى حياتها — ما تعانيه كل امرأة مثلها خلقت لتكون وسيلة امتداد النوع الانسانى

تُرى ماذا كان يجول فى خاطر ذلك الرجل الذى لبث زماناً لا يحس بعاطفة الأبوة إلاّ حنيناً اليها ، ورغبة قوية حافزة فى الاشتمال عليها ، وها هو ذا الآن يوشك أن يكون أباً كما صار أنداده من قبل ، وها هى ذى رجولته توشك أن تستوى وتأخذ كمالها بهذا القادم المنتظر ؟ ؟

سبحانك اللهم ! جعلت فى الأبناء كمال الرجولة ، فاتسمت الأثرة بالطفولة ، ثم جعلت الرجولة درجات بعضها فوق بعض : هذا زوج يكد لنفسه ولغيره ، وهذا أب يرى خير بنيه فوق خيره ، وهذا عميد أسرة يتولى أمرها ويكدح لمجدها وينافح من دونها ، وهذا زعيم أمة قد اضطلع بشؤونها ، وسهر على شجونها ، وباع ماله ونفسه فى سبيلها ، فبلغ الذروة فى الرجولة ، وأشرف على أقصى غايات الكمال الانسانى

أيقولون إن الانسان أنانىّ بطبعه ؟ فما الذى يدفع بالرجل الكامل لأن يكون زوجا يشرك امرأته فى أسباب حياته ، وأبا يخلط بين غيره وذاته ، وقائداً يضحى بنفسه فى سبيل أمته ، ومصلحا ينير لغيره فيطفىء من ذبالته ؟ إنما هى غريزة التكمل ، فاذا ضعفت تلك الغريزة ، فرغب الشبان عن الزيجة ، وانصرفوا عن بناء الجماعة ، واحتفلوا بخيرهم الذاتى وحده ، فقد رجعوا على أعقابهم ، ونكسوا على رؤوسهم ، وانعكست سنة الخليقة فيهم ، فعادوا أطفالاً ، وكان من الطبيعى أن يكونوا رجالا

تُرى ماذا كان يجول فى نفس ذلك الشاب الذى نيّف على الثلاثين ، وقد جلس يتمتم بالدعاء ، ويرفع يديه إلى السماء ، فى زى شرقى أنيق ، ومحيا مشرق وضىء ، لولا ما يرتسم عليه من خطوط فيها من معنى الألم قسط موفور ؟

إنما هى مشاعر مبهمة لا تكاد تبين أو تتعين ، مترادفة ينسخ لاحقها سابقها ، مختلطة بين الماضى والحاضر والمستقبل ، لا تكاد تستقر على عهد من العهود الماضية ، حتى تحط على آخر فى حدود الغيب المحجوب ؛ ولا يكاد يألم لما تعانيه زوجه من ألم المخاض ، حتى تنسخ هذه الغاشية موجة من النور البهى الساطع المنتشر من عالم الغيب على نفسه الحائرة بين عالم الغيب وعالم الشهود

أما تلك المرأة الصغيرة فلعل خواطرها كانت حزينة مبتئسة ، أكثر منها فرحة مستبشرة ، ملتفتة إلى الوراء أكثر من اتجاهها إلى الأمام ؛ تنظر إلى الماضى الماثل أمام قلبها ، فتغرورق عيناها بالدموع ، فتحاول إخفاءها عمن جلس حولها ؛ ثم يعروها الألم فتئن وتتوجع وتنحنى انحناءة تستل كل ما فى النفس من معانى الاشفاق والعطف والرحمة ، وتبعث فى القلب كل مشاعر الأسى والوجيعة ؛ ثم تنظر حولها فتعود بها الذاكرة إلى الفقيدة العزيزة التى فقدتها منذ بضعة من الشهور قليلة ، فلا تزال صورتها تلقاءها ، متألقة بنور الحب ، محفوفة بمعانى الدموع . . . أمها التى لم تكن تشعر بعطف غير عطفها ، ولم يكن لها من القلوب

غير قلبها ، ولم تكن تدرى من صور الحب غير صورة حبها . كانت تلك الفتاة وحيدتها ، فكانت تستأثر بعطفها وحنانها . ثم ضرب القدر ضربته الصارمة القاضية ، وانتزعها انتزاعة عنيفة قاسية ، حين كانت ترجو وترقب أن تستمتع بحفيدها وامتداد وجودها

إيه يا روح الأم المرفرفة على سرير فتاتها ! امسحى على قلب هذه المسكينة بيدك الروحية الطاهرة ، وانشرى عليها من ذلك الضوء الذى يغمر ذاتك المجردة ، وابعثى فى قلبها الطمأنينة التى تسود عالم الروح الأسمى ، وانقليه فى شفقة الأم الرحيمة ، ورقة الروح الكريمة ، من الماضى القريب الزاخر بمعانى الأحزان والآلام ، إلى المستقبل الزاهر بورود الآمال والأحلام . . !

***

مضى الزوج الى مصلاه ، يلتمس الروح والطمأنينة فى جوار ربه ، ويعوذ به من القلق الذى جعل يعبث بقلبه ، ويستروح نفحات الملأ الأعلى التى تتأرج فيه . ثم عاد الى بيته فاذا هو يتلألأ بمعانى الفرح الطروب ، كأن الحياة قد أفرغت فى هذه البقعة الصغيرة كل ما تدخره من السرور والبهجة . لشتان ما بين هذه الساعة والتى قبلها فى رأى قلبه ! فقد امتلأ الفراغ الذى كان يشعر به بين جنبيه ، والذى كان يشعره أن حياته فارغة لا قيمة لها ، والذى كان لا يملؤه إلا الهم والابتئاس حين يرى رجلاً يداعب طفله ويدلله ، فتثور غريزته المحرومة ، وتضطرب فى صدره أيما اضطراب . . . لقد ابتدأ منذ اليوم حياة الأبوة الجيدة والرجولة الصحيحة ، وأصبح يشعر لوجوده بكيانين : أما أحدهما فقد بلغ الذروة ، وأما الثانى فلا يزال فى سفح الحياة يحبو ويتشبث ... فأى سعادة تغمر قلبه ! وأى صورة من الفرح والغبطة ترتسم على وجهه ! لقد ظفر اليوم لنفسه بالحياة فى أنضر صورها ، فما كهذا اليوم فى حياته كلها

وأما الأم فقد تنزلت عليها رحمة ربها ، فنسخت تلك المعانى الحزينة من قلبها ، وأقبلت عليها الحياة الجديدة المنبعثة من وليدها ، فمسحت كل ما أبقى الموت من أثر فى نفسها ، وقد استغرقت كل عواطفها فى تلك الفلذة المشتقة منها

***

إيه أيها الوليد الملقى فى مهده فى جو من الغموض والابهام وفى هالة من الحب والرعاية والاعظام ! ما هو ذلك الشأن الذى جعلك مناط الأمل ومعقد الرجاء ، وقد تكون سبب الشقوة ومستقر العناء ؟ وما هى تلك الخطورة التى جعلت مقدمك بين التهليل والتكبير ، وجعلت استهلالك مقروناً بهتاف الفرح وصوت البشير ؟ وما أنت فى ذلك الوجود الزاخر إلا ذرة أو أقل من ذرة فى عباب المحيط الواسع ! ألأنك تمثل الحياة فى شتى أشكالها ؟ ألأنك تحمل بين جنبيك ميراث الانسانية جميعها ؟ ألأنك الوحدة التى يقوم عليها بناء الكون بما يضم من أشتات ويجمع من مفارقات ؟ قد يكون كل ذلك صحيحاً لا ريب فيه . ولكن سنن الوجود ونواميس الخليقة قد طبعت على التحتيم الذى لا مفر منه ، والجبر الذى لا اختيار فيه ، حتى ليعد من العبث الذى يهيم به العقل أحياناً أن يحاول تعليلها ، أو يجتهد فى تأويلها . فأنت أنت كما أراد الله أن تكون ؛ وهذا الاحتفال الذى يحف موكبك العظيم هو جزء من النواميس التى قدرها الله لنظام الوجود ، ولا مبدل لكلمات الله .

**محمد طه الحاجرى**

# الفـــخر
## فى شعر أبى الطيب

للأستاذ طه الراوى
عضو المجمع العلمى العربى

نريد أن نتحدث عن أبى الطيب ، ولكن هل غادر المتحدثون عنه من متردم ؟ ماذا نقول فى شاعر ملأ الدنيا وشغل النـاس من متقدمين ومتأخرين ، بله المعاصرين ، من بين مادح وقادح ، وناقد وشارح ، حتى كان من ازدحام أولئك الأعلام حول هذا المنهل أن ازدهرت خزانة الأدب بعشرات الأسفار ، فهل من جديد نقوله ؟ هذا ما جال فى خاطرى عنـد ما تلقيت دعوة لجنة المهرجان المحترمة

على أنه لابد من القول ، فلا بد من اختيار ناحية من نواحى شاعرنا والتحدث عنها ، فان وفقت إلى جديد فهو الهدف ، وإلا فقد أبلغت عذراً . لا خلاف فى أن أبرز نواحى أبى الطيب وأبرعها جمالاً وأروعها جلالاً هى العظمة ؛ وقد صورها لنا بشعره أبرع تصوير وأروعه ، وقد فخر فى ذلك ما شاء وشاءت عبقريته ، فليكن موضوعنا إذن : ( الفخر فى شعر أبى الطيب )

والفخر فى شعر هذا الناقم الثائر جذوة من نفسه ونفحة من روحـه ، بل هو ترجان طموحه ، أو قل هو ذوب نفسه الكبيرة ، تارة يتألف قولاً وطوراً يتمثل فعلاً

ومن ثم جاء هذا الضرب من شعر شاعرنا مطبوعاً بطابعه الخاص ، بعيداً من التكلف والتعسف ، بريئاً من كثير من العاهات التى علقت بغيره من شعر أبى الطيب ، ولا يدانيه فى ذلك إلا الوصف ، ووصف المعارك خاصة ، وكل ما يتصل بالرجولة والبطولة

ويرى المخلفون الرعاديد أن الفخر ضرب من ضروب المجرفة الفارغة والجبروت الكاذب ، وتلك خديعـة طباعهم الخاملة ، وسجية نفوسهم الخانعة المستخذية التى تستمرىء الهون ، وتقنع بالدون . أما النفوس المجبولة من طينة الشرف فتأبى إلا مساماة النجوم ومغالبة الخصوم ، ذلك لأن الله برأها حرة فلا تلين للذلة ، ولا تدين بالقلة ، والعربى مجبول على الأباء والأنفة ، مفطور على العزة وسمو الهمة والطموح إلى معالى الأمور

وبهذه السجايا أحرز ما أحرز فى ماضى الزمان من عظمة الشأن وبسطة السلطان

وقد افتخر سيد ولد آدم عليه السلام فى غير ما موقف ، وهو القائل فى بعض مواقفه الحربية :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبـد المطلب

وهذا داهية بنى حرب يقول : وضعت رجلى فى الركاب يوم صفين للحرب ، فتذكرت قول ابن الاطنابة :

أبت لى همتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

فانثنيت عما أنا فى سبيله

ولعمرى ما أُخذنا فى عصورنا المتأخرة إلا من ناحية تلك الفلسفة السقيمة العقيمة ، فلسفة الاستكانة والتماوت التى تسربت الينا من بثوق المغلوبين على أمرهم ، المفجوعين بحريتهم ، المصابين بعزتهم وأنفتهم ؛ ثم جاء الطامعون بنا فنفخوا فى نارها ، وضاعفوا من أضرارها ، إلى أن أصبحنا نخاف من كل شىء حتى من أنفسنا ، ونرى يومنا أسوأ من أمسنا

فاذا أردنا أن نعيد سيرة أولينا جـذعة ، فعلينا أن نغذى نفوس ناشئتنا بكل ما من شأنه أن يغرس فيها الشمم والطموح الى معالى الأمور والترفع عن دناياها ، وإرخاص الحياة فى سبيل العز ، والاعتقاد بأن الحياة بغير الحرية ضرب من ضروب الموت الخفى ؛ والشعر الفاخر أو الفخر الشاعر من أجـدى الأغذية النفسية وأنجع الأدوية الروحية

ودوحه الفخر فى شعر أبى الطيب كثيرة الأفنان ، باسقة الأغصان ؛ وموقفنا هذا المحدود بالدقائق أضيق من أن يتسع للاحاطة بجميع أطراف هذا الموضوع فلا بد من الاقتصار والاختصار . وليكن اقتصارنا على غصنين هما أكثر تلك الأغصان أزهاراً وأينعها ثماراً ، وهما إمامته الأدبية ، وأمنيته السياسية

نشأ أبو الطيب صباً بالمعالى متيماً بها ، لا يفارقه طيفها مُسرى أمامه وتأويباً على أثره . وتمثلت له أمنيته بالسيادة والملك فكان يبغى أن يقهر العتاة من جبابرة عصره ، ويديل للعرب من أولئك

الموالى الذين تسنموا العروش من طريق الختل والغدر

وإنمـا الناس بالملوك ولا   تُفلح عرب ملوكهـا عجم

---

بكل منصلت ما زال منتظرى   حتى أدلت له من دولة الخدم

أعلك الملك والأسياف ظامئة   والطير جائعة لحم على وضم

نبتت هذه الأمنية فى رأس أبى الطيب من يوم عرف نفسه ، وملكت عليه مشاعره واستبدت براحتـه ، ولم تزل تطوح به من بلد إلى بلد حتى لفظ نفسه وسكن رمسه

وكان لها فاتحةُ شعره وخاتمته . قيل له وهو فى المكتب ما أحسن هذه الوفرة ! فقال :

لا تحسن الوفرة حتى ترى   منشورة الضفرين يوم القتال

على فتى معتقل صـعدة   يَعُلها من كل وافى السبال

وقال من قصيدة هى آخر ما نظم ، وقد وجدت فى رحله بعد قتله :

سدِكت بصرف الدهر طفلاً ويافعاً   فأفنيته عزماً ولم يُفننى صبرا

أريد من الأيام ما لا يريده   سواى ولا يجرى بخاطره فكرا

وأسألها ما أستحق قضاءه   وما أنا ممن رام حاجته قسرا

انظر كيف تبادرت هذه الأمنية فى نفسه حتى أصبح يراها من حقه الذى لا ينبنى أن يغالب عليه

ولى همة من رأى همها النوى   فتركبنى فى عزمها الركب الوعرا

تروق بنى الدنيا عجائبها ولى   فؤاد ببيض الهند لا بيضها مغرى

ومن كان عزمى بين جنبيه حثه   وخيَّلَ طوال الأرض فى عينـه شبرا

صحبت ملوك الأرض مغتبطا بهم   وفارقتهم ملآن من حنق صدرا

ولما رأيت العبد للحر مالكا   أبيت إباء الحر مسترزقاً حرا

إلى أن قال :

فان بلغت نفسى المنى فبعزمها   وإلا فقد أبلغت فى حرصها عذرا

الملك هدف أبى الطيب ؛ ولكن المسالك اشتبهت عليه ؟ فتارة يسلك طريق البراعة فى اليراعة ، وطوراً يرى طريق السيف أهدى وأجدى ، وحيناً يرى أن المال هو الذى يجمع عليه الرجال ، وآناً يرى السبيل أن يتولى عملا لبعض الملوك ، ثم يجعله مركزا لحركته ونواة لمملكته

فهو فى هذه السبل إلى أن لقى مصرعه

وقد جرب الثورة الحمراء فى مقتبل عمره فأخفق ، وعاد ممتطياً صهوة البيان ، يغالب الأقران ويصارع أحداث الزمان ، وتغزوه الرزايا من كل مكان ، وهو معتصم بالصبر ثابت العزم

كان شاعرنا قوى الثقة بمكانته البيانية منذ حداثته ، يقول فى صباه :

إن أكن مُعجباً فعُجْب عجيب   لم يجد فوق نفسه من مزيد

أنا ترب الندى ورب القوافى   وسمام العدا وغيظ الحسود

وقال :

أنا صخرة الوادى إذا ما زوحمت   وإذا نطقت فأننى الجوزاء

وإذا خفيت على الغبى فعاذر   ألاّ ترانى مقـلة عمياء

ولما تكاثر حساده واحتشدوا له وأسمعوه مر الهجاء قال :

أرى المتشـاعرين غروا بذمى   ومن ذا يحمل الداء العضالا

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مرا به المـاء الزلالا

وقال لعلى بن أحمد الأنطاكى :

دعانى اليك العلم والحلم والحجا   وهذا الكلام النظم والنائل النثر

وما قلت من شعر تكاد بيوته   إذا كتبت يبيض من نورها الحبر

كأن المعانى فى فصاحة لفظها   نجوم الثريا أو خلائقك الغر

ويقول للقاضى أبى الفضل الأنطاكى :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا   بيتاً ولكنى الهزبر الباسل

ما نال أهل الجاهليـة كلهم   شعرى ولا سمعت بسحرى بابل

ويقول لأبى العشائر :

شاعر المجد خدنه شاعر اللف   ظ كلانا رب المعانى الدقاق

ونظر إلى من حوله من شعراء سيف الدولة وفيهم الصفوة من سحرة ذلك العصر فلم يعتبرهم شيئاً مذكورا :

خليلى إنى لا أرى غير شاعر   فَلِمْ منهم الدعوى ومنى القصائد

ويقول عن سيف الدولة :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق   أراه غبارى ثم قال له الحق

وقد لحظ فى شعره عناصر الخلود فقال :

وما الدهر إلا من رواة قصـائدى   إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

على أن اعتداد شاعرنا بامامته فى البيان لم يشغل باله كثيراً ، إذ كان يقينه بهذه الأمامة أقوى من أن يحتاج إلى الجدال والنضال إلا حين يبخسه حقه بعض الشعراء ، أو يغفل عنه بعض الأمراء ، فينبه هذا ويجيب ذاك ؛ وإنما الشغل الشاغل لذهنه تلك الأمنية التى عقد بها فكره وحبس عليها جهده ، ومارس منها معشوقة خلابة جذابة ، ولكنها لا تلين بحال ، ولا تدين بوصال ؛ فأكثر من التغنى بها وهى لاهيــة عنه بالسود التنابيل :

سيصحب النصل منى مثل مضربه ... وينجلى خبرى عن صِمَّة الصِّمِم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر ... فالآن أقحم حتى لات مقتحم

* * *

إلى أى حين أنت فى زى محرم ... وحتى متى فى شقوة والى كم
وإلا تمت تحت السيوف مكرماً ... تمت وتلاق الذل غير مكرم
فثب واثقاً بالله وثبــة ماجد ... يرى القتل فى الهيجا جنى النحل فى الفم

أعجب الأدباء بامرئ القيس حيث يقرن فى شعره بين معاطاة الكؤوس ومشهد الحرب الضروس ؛ قالوا : وهـذا غاية فى الشجاعة . أما شاعرنا فقـد خلف امرأ القيس وراءه ، وقصر كل لذته على اصطـدام الصفوف بالصفوف ومقارعة الحتوف بالحتوف . طلب إليه بعض أصحابه أن يشرب معه فقال :

ألذ من المدام الخندريس ... وأحلى من معاطاة الكؤوس
معاطاة الصفائح والعوالى ... وإقحامى خميساً فى خميس
فموتى فى الوغى عيشى لأنى ... رأيت العيش فى أرب النفوس

وقال فى مثلها :

لأحبتى أن يملأوا ... بالصافيات الأكـوُبا
وعليهم أن يبذلوا ... وعلى ألا أشربا
حتى تكون الباترا ... ت المسمعاتِ فأشربا

وقال :

ألا حبــذا قوم نداماهم القنا ... يُسقونها رياً وساقيهم العزم

وكثيراً ما كان يفسح لهذا المطمح مجالاً فى صدور قصائده التى يمدح بها أمراء زمانه ، وبذلك يتنكب نهج الشعراء فى تصدير قصائدهم بالغزل ويتغزل هو بقدود الرماح وبيض الصفاح ، ويتغنى بالجلاد والكفاح ، فكأنه يقول لهم : لكم ليلا كم ولى ليلاى ولكل أن يتغزل بحبيبته . قال فى صدر قصيدة يمدح بها على بن أحمد الانطاكى :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر ... وحيداً وما قولى كذا ومعى الصبر
وأشجع منى كل يوم سلامتى ... وما ثبتت إلا وفى نفسها أمر
تمرست بالآفات حتى تركتها ... تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
ولا تحسبن المجد زقاً وقينة ... فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجر

وفى صدر أخرى يمدح بها على بن أحمد المرى :

لا افتخار إلا لمن لا يضام ... مدرك أو محارب لا ينام
أقراراً ألذ فوق شرار ... ومراماً أبنى وظلمى يرام
دون أن يشرق الحجاز ونجد ... والعراقان بالقنا والشام

ولم يفارقه هواه فى ليلاه بعد أن حل بكنف سيف الدولة ووجد فيه ذلك الملك الهمام ، ملء العين والسمع والفؤاد ، فهو ذا يقول :

ولقد ذخرت لكل أرض ساعة ... تستجفل الضرغام عن أشباله
تلقى الوجوه بها الوجوه وبينها ... ضرب يجول الموت فى أجواله

أما فى مصر فقد صانع الأسود أولا ثم لما أعياه أمره نفث من سمه ما شاء ، وفارقه على تلك الحال الملومة ، حتى ضمته الكوفة الى صدرها ، وهناك أملى قصيدتيه المشهورتين المقصورة والميمية ، وأودعهما ذلك اللهيب المتأجج ، فمن قوله فى الثانية :

ما زلت أضحك إبلى كلما نظرت ... الى من اختضبت أخفافها بدم
أُسيرها بين أصنام أشاهدها ... ولا أشاهد فيها عفة الصنم
حتى رجعت وأقلامى قوائل لى ... المجد للسيف ليس المجد للقلم
أكتب بنا أبداً بعد الكتاب به ... فانما نحن للأسياف كالخدم

وهنا كرر إيمانه بهذه الحقيقة :

أسمعتنى ودوائى ما أمرت به ... فان غفلت فدائى قلة الفهم

وهذا الايمان لم يمنع شاعرنا من ارتياد عضــد الدولة وامتداحه ؛ فهل نتهمه بقلة الفهم على حد تعبيره هو ؟ لا . والذى يلوح لنا من منطق الحوادث أن شاعرنا رأى يده فارغة وأن الأقدام على الثورة يتطلب رجالاً ، ولا رجال فى مثـل ظروف

شاعرنا إلا بالمال ، فانطلق يلتمسه فى مواطنه ؛ ويظهر أنه جاء بما فيه البلغة ، ولكن المنيـة حالت دون الأمنية ، ولنا على هذا كلام يضيق الوقت عن بسطه

والمال فى نظر أبى الطيب إنما هو وسـيلة إلى غيره ، وقد اتهمه بعض حساده بالشح وفى طليعتهم أبو بكر الخوارزمى ذلك الشتامة الذى لم يسلم من أوضار لسانه إلا القليل

وحالة شاعرنا تنطق ببراءته من هـذه التهمة . أما أقواله فبرهان آخر :

وما حاجتى فى عسجد أستفيده ولكنها فى مفخر استجده

---

غَنائه عيشى أن تغث كرامتى وليس بغث أن تغث المآ كل

---

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر

بقى علينا أن نسأل من أين تسربت هذه الفكرة إلى رأس أبى الطيب ؟ والجواب أن لنفسه المجبولة على التعالى أقوى نصيب فى تكوين هذه الفكرة وتغذيتها وتنميتها ، فقد خلق شاعرنا شجاع القلب ، أبى النفس ، حمى الأنف ، خصيب العقل ، ملتهب الفطنة ، فياض العاطفة ، صباً بمعالى الأمور زاهداً فى سفسافها

والعامل الآخر فى هذه الفكرة الأوضاع السياسية فى البلاد الاسلامية يومئذ ، فقد كانت هذه البلاد مسرحاً للفتن والدسائس ، ونهباً مقسماً بين رجال الثورات وأرباب الدعوات وأهل الختل والغدر ، وقد ساهم فى ذلك حتى العبيد ، وحسبك بكافور على ذلك مثالاً فقد صار :

يدبر الأمر من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الروم فالنوب

فما بالك بفتى يعربى توفرت فيه كل أسباب السيادة ومزايا الرياسة ؟

ولكن ما الحيلة وقد كبا به جده دون الغاية ، وحالت المنية دون الأمنية ؟ ولا ضير فقد سعى وليس عليه إدراك النجاح

على أن الجد الذى خانه فى ميدان السياسة ، حلق به فى سماء المجد الأدبى فأطلعه فيها شمساً تفيض بالنور على مر الدهور ؛ وإن أخطأته امارته السياسية فقد عوضت بامارته الأدبيـة ، وتلك فانية لأنها تدور حول الحطام ، أما هذه فباقية على مر الأيام

طه الراوى

# المرأة المسـلمة

## فى القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد)

### بقلم الآنسة نعيمة المغربى

---

تطلع علينا مكتبة الأديب السيد حسام الدين القدسى بالقاهرة من حين الى آخر — بطائفـة صالحة من الكتب العربية القديمة ، فينبش كنوزها الدفينة ، ويعرض جواهرها على أنظار عشاق الأدب ، وهواة لغة العرب ، وهى خدمة موفقة يضطلع بها الأديب المذكور ، ويقصد من ورائها خدمة ثقافتنا العربية القديمة وأبنائها الذين يقدرون حسن اختياره وحميد مجهوده . من ذلك أنه باشر طبع كتاب (الضوء اللامع) فى تراجم رجال القرن التاسع تأليف المحدث الكبير والمؤرخ النقادة شمس الدين السخاوى ؛ وهذا الأثر من أعظم آثار السخاوى وأكثرها شهرة ، يقع فى عـدة مجلدات ضخمة ، ظهر منها الى اليوم اثنا عشر جزءا . وقد خص المؤلف الجزء الثانى عشر من كتابه بتراجم نساء القرن التاسع . وكثيراً ما اقتصر على اسم المترجمة وتاريخ ولادتها ووفاتها والاجازة التى تلقتها من شيوخها إن كان ثمة إجازة . ومع هذا فالباحث يستطيع أن يستخرج من (الضوء) فوائد جمة ذات قيمة تزداد وضوحا كلما أوغل المطالع فى مطالعته وازداد للمؤلف صحبة فى تتبع أخبار من ترجم من نساء عصره ، فهو يقع من وقت الى آخر على حوادث طريفة وفوائد ممتعة من أحوال نساء ذلك العهد

والكتاب يشتمل على ترجمة ألف امرأة ونيف ؛ وهو عدد كبير لا يسعه كتاب واحـد لو أن المؤلف توخى الاسهاب والاطالة ، ولكنه لجأ الى الايجاز واهمال التفاصيل كما مر . ولا أعرف السبب الذى حدا بالمؤلف رحمه الله الى ذكر بعض نساء عصره ما دام انه لم يظفر من أخبار حياتهن بما يستحق الذكر والتدوين . وكنت أرجع أحياناً الى كتاب (شذرات الذهب) بغية زيادة الاستيثاق من ترجمة بعض من ترجم المؤلف لهن ، فأجد صاحب (الشذرات) أيضاً قد نحا منحى (صاحب الضوء) فى الاختصار والاقتصار على الاسم والوفاة . ولعل عذر

المؤلفين فى ذلك أن نساء عصرهم كن ذوات حياة مختصرة فتبع ذلك اختصار فى الترجمة ، وقد يكون السبب فى ترجمة هؤلاء فى (الضوء اللامع) أنهن يمتن إلى مؤلفه بقرابة أو تلمذة أو جوار أو صداقة والد ؛ كما لمحنا ذلك فى تراجم كثيرات منهن . وما يدرينا أن بعضهن كن يكلفنه ترجمتهن حباً لتخليد ذكرهن ولو بالاقتصار على اسمهن ، وهذا كما يفعل بعض نساء زماننا ؛ (بل وبعض رجاله) إذ يرغبن الى رجال الصحافة أن يذكروهن فى صحفهن مباهاة بين أترابهن

وعلى كل فان هذا الجزء روض نسائى حافل بشتى أنواع الأزهار والرياحين ؛ تقرؤه بلذة وشغف ، إذ تتوفر لديك فيه النماذج المتنوعة عن المرأة المسلمة فى ذلك العهد الذى ساد أو بدأ يسود فيه الانحطاط . ولعل أبرز طابع فى (الضوء) هى الصراحة التى امتاز بها المؤلف فى معظم ما كتب وخلد من أثر ، وفى هذه الصراحة ما يشوق القارئ ويُغريه بالمطالعة ومرافقة المؤلف إلى النهاية

أتى المؤلف على طائفة كبيرة من نساء عصره وعرض علينا من أحوالهن وجوهاً مختلفة وأشكالاً متعددة ونفسيات متباينة وعقليات متغايرة . فمنهن المحدثة العالمة ، والحافظة البارعة ؛ ومنهن التقية الورعة والمحتسبة الصابرة ؛ ومنهن الحبشية السوداء والجركسية الحسناء ، ومنهن سليلة الملوك والسلاطين ؛ ومن أثر فيها كيد الحاسدين وسحر الساحرين . يذكرهن لنا كما عرفهن ووصلته أخبارهن . وكثيرات منهن عاصرن المؤلف وكن من المعجبات به المعتقدات بسعة فضله وغزارة علمه

ففى القرن التاسع للهجرة كانت المرأة المسلمة فى مصر والشام برغم مايعزى إليها من تأخر تتلقى عن الأئمة ويتلقون عنها . يجيزها العلماء وتجيزهن ؛ يناظرها الأدباء وتناظرهن ؛ تحفظ دواوين الشعر وتروى عن الشعراء ؛ ذات فكر ثاقب وقريحة نيرة ورَغبة ملحة فى التحصيل ، لا يعتريها سأم ولا ملل فى طلب العلم والأخذ عن أساطينه ، وحفظ كتب الفقه والأدب ، ودواوين الشعر والمذاكرة فيها

ومما يلحظه المطالع أن معظم نجوم (الضوء) لمعن فى سماء مصر وتفيأن ظلال نخيلها وارتوين من ماء نيلها ؛ واغترفن من بحار علومها . وقد أحببت أن أحصى الشواعر فلم أظفر بسوى واحدة نظمت الشعر وكان بينها وبين المؤلف وسواه من العلماء مساجلة ومناظرة ، فهى تشبه من هذه الجهة شاعرة الشام فى القرن العاشر للهجرة السيدة عائشة الباعونية المدفونة فى صالحية دمشق . ومن هنا يتبين أن إقبال النساء على قرض الشعر فى ذلك العصر أعنى القرن التاسع كان قليلاً ، وكانت جل رغبتهن يومئذ فى تلقى علوم الحديث وروايته . وللبيئة — ولا ريب — أثر فى خلق هذا الميل فيهن وطبعهن بهذا الطابع

والشاعرة الوحيدة التى ذكرها (السخاوى) وترجمها ترجمة مفصلة هى (فاطمة) المشهورة بلقب (ستيتة) ابنة القاضى كمال الدين محمود بن شيرين الحنفى . قال المؤلف ما نصه :

(ولدت كما كتبته لى بخطها فى سادس المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة بالقاهرة ونشأت فتعلمت الكتابة وتزوجت الناصرى محمد بن الطلبغا ثم مات عنها فتزوجها العلاء على بن محمد ابن بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر برقوق فاستولدها بيبرس ، ولاحظ لها فى ذلك مع براعتها فى النظم وحسن فهمها وقوة جنانها حتى كانت فريدة فيما اشتملت عليه . وقد حجت وجاورت وسكنت بجوارنا . ومما كتبت به الى بعد مجئ الخبر بموت أخوىّ من نظمها :

قفا واسمعا منى حديث أحبتى … فأوصاف معناهم عن الحسن جلت
أناس أطاعوا الله نارت قلوبهم … وأبصرت الأشياء من غير نبأة
وقد كوشفوا عن كل ما أضمر الفتى … ونارت قلوب منهم ببصيرة

ومنها :

أتانيكم ربى وعظم أجركم … على فقد أحباب وأحسن جيرة
كرام سموا علماً وحلماً وسؤددا … وكنتم بهم فى غبطة ومسرة
قطعتم لذيذ العيش وصلاً بقربهم … فوا أسفا عند الفراق وحسرة

ومما كتبه اليها المؤلف مجاوباً : (يا بديعة المعانى ، ورفيعة المبانى ، ومن فاقت الكثير من الرجال فضلاً عن النساء ، وراقت أبياتاً حاكت الخنساء ؛ حفظ الله تعالى دينك ودنياك الخ)

ولها أشعار كثيرة وقصائد مطولة تدل على مبلغ اجتهادها فى تحصيل العلم والأدب . ولها أيضاً مطارحات شعرية مع بعض الأدباء رجحوها بها عليهم

ومما يستحسن ذكره ومرت الاشارة إليه أن المؤلف ذكر ترجمة موجزة لبعض قريباته : منهن جدته وعمته وابنة

شقيقه وأخته بالرضاع ووالدة امرأته التي أصيبت بالفالج وماتت عقب ذلك لدى سماعها خبراً مكذوباً عن وفاة المؤلف وابنتها زوجته وهما في الحج. وكذلك جاريته (أبرك) الحبشية (التي كانت ضابطة لبيتهم قانعة صافية)

ومن يتأمل الكتاب وتراجم نسائه يلمح وقوع أمور في ذلك العصر لا يزال يقع مثلها في عصرنا الحاضر مع تقادم العهد وتطاول الزمن: فمن هذا القبيل:

(سعادات) ابنة الشيخ نور الدين البوشي. تزوجها البقاعي بعد موت والدها ونالها منه من الذل ما لم يكن لها في حساب، بل نال طلبة أبيها من أجل مساعدتها ما شاء الله، وكذا مس أخاها منه كل سوء فلم تحتمل وسألته الطلاق بعد ولادتها منه وأشهدت عليها أنها متى رامت نظر الولد أو أخذه كانت ملتزمة بخمسمائة دينار، وسمحت بمفارقة ولدها ومهجتها مع مزيد حبها له).

وكذلك (فاطمة) ابنة البدر الحنبلي تزوجها سبط العز الحنبلي عز الدين محمد بن الشهاب الجوجري فلم يحصل التئام ففارقها بعد بذل له وإبراء)

وما كان المؤلف ليحجم عن انتقاد ما يجب انتقاده من أحوال مترجمات كتابه:

(إلف) ابنة القاضي علم الدين البلقيني، تزوجها عبد القادر ابن الأحمدي، ثم عبد القادر بن الرسام الحموي، ثم أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف، ثم فارقها واتصلت بابن عمها البدر أبي السعادات بعد موت زوجته أختها وأقبلت حينئذ على الخير وقررت في مدرسة جدها عند قبره قراء في كل يوم، وقامت بأمر المدرسة وبتفقد الفقراء والأرامل، وتزايد ذلك بعد موت ولدها حتى صارت فريدة في أقربائها وأمثالها، ورتبت قراء يقرأون عندها الحديث والتفسير)، الى أن يقول: (ولا أحمد كثيرا من تصرفاتها خصوصاً فيما يتعلق بالأيتام)

وكنا نرغب لو أن المؤلف كان أكثر ايضاحا فيذكر لنا ما لم يعجبه من تصرفاتها وهي التقية الصالحة التي زخرت حياتها بعمل البر والاحسان

وقد قص علينا حادثة لعب فيها السحر دوره، وذهب ضحيته نفسان بريئتان لا نعلم مبلغ التهمة المنسوبة اليهما من الصحة

(شيرين) الرومية، هي أم الملك الناصر فرج بن برقوق، ولما تسلطن ابنها صارت (خوند الكبرى) وسكنت قاعة العواميد بقلعة الجبل بعد أن تحولت منها (خوند ازد) زوجة سيدها، ولم تلبث الا يسيرا حتى تعللت ولزمت الفراش، وكثرت القالة بسببه، واتهم جماعة بسحرها، وظن ابنها أن ذلك من بعض الخوندات زوجات أبيه حسدا وبغضاً، لأنها مع كونها بارعة الجمال سارت سيرة جميلة من الحشمة والرياسة والكرم مع الاتضاع الزائد والخير والدين. ولها معروف ومآثر حسنة، جددت بمكة رباط الخوزي ووقفت عليه وقفاً وأصلحت ما كان تهدم منه. ماتت في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانمائة ودفنت بالمدرسة البرقوقية رحمها الله. ذكرها شيخنا في (إنبائه) باختصار وقال: «كانت كثيرة المعروف والبر». زاد العيني: (واتهمت جارية بسحرها فضربت حتى اتهمت نصرانياً كاتباً فعوقب فلم يقر فحبس حتى مات هو والجارية)

وما زال هذا الضعف الخُلقي في الخوف من السحر والاعتقاد به سائداً إلى اليوم في الأقطار العربية على اختلاف بينها في درجة ذلك، وحوادث ملوك الجان، ما زالت ترن في الآذان

والكتاب مفيد لا تمل قراءته ولا تسأم صحبته. فهو كالبستان فيه من كل فاكهة زوجان، وما أحوجنا إلى مطالعة أمثال هذه الكتب التي ترينا صورة واضحة جلية عن حياة نساء تلك العصور وتطلعنا على درجة ثقافتهن، وطريقة تعلمهن. والكتب في تراجم النساء مما تركه لنا السلف قليلة جداً وهذا منها، ولا تنس الجزء الثامن من طبقات ابن سعد الخاص بالصحابيات رضوان الله عليهن

(دمشق) نعمة المغربي

# نزهات في الخريف

للكاتب الفرنسي جوستاف دروز
ترجمة السيد حسين رفعت

اطّلعت على الخريف في حقوله الوسيعة، وعواصفه المريعة وتنهداته الذاهبة في الفضاء، وأوراقه الذابلة الصفراء، وهي تترنح بين أنفاس الجو ونسمات الريح ؟ ؟

أعرفت مخارفه البتلة، وشمسه المعتلة، وأشعتها الواهنة، الواهنة في مثل بسمة العليل وضحكة المضنى ؟

أبصرت بضحضاحه الراكد ومائه الراقد في جنبات الطريق ؟ أعرفت كل هذا ؟

إن كنت علمته فأنت غير خال من التعصب له، أو التحامل عليه، كما أحبه بعضهم فجنوا به، وكرهه آخرون فتطوعوا لسبه. أما أنا — علم الله — فهو أثير عنـدي، حبيب الي. ولخريف واحد أثمن عنـدي من صيفين وأجل. فأنا أهيم بقطع اللهب الكبيرة، وأستريح بقربة الدفأة المتواضعة، وكلبي ممدد ساكن بين دزلـكي المبلل الرطب، ومقعدي الدافئ الوثير

وكم يحلو لك التأمل في سعير اللهب المضطرب، يلعق بأنيابه الدقيقة قطع الحديد العتيقة، ويضيء الظلمات النائية البعيدة

وتسمع زفيف الريح في أهراء القمح، ويطرق أذنك صرير الأبواب ونباح الكلاب، وقد تمردت على سلاسلها الحديدية ومقاودها المعدنيـة. وتميز برغم دوي الغابة الملاصقة وهي تزجر بظهرها المقصوف صراخ الأغربة القاتم، وهي تصارع العاصفة وتنازل الرياح القاصفة

وتشاهد الوسمي بقرع ألواح الزجاج الصغيرة، فتفكر في هؤلاء الذين هم في الخارج وأنت تمدد رجليك نحو المصطلى

أجل أنا جد مفتون بالخريف، وصغيري العزيز يهواه كما أهواه. وليس مظهر جماله ومبعث جلاله في اجتماع العائلة حول الموقد، ينعمون بدفئه المثير، ولألائه الـكثير، وإنما له أيضاً من عواصفه الهوج، ورياحه الداوية، وأوراقه الذاوية ما يحبب الى النفس المجازفة بين هذه الأنواء الصاخبة، وتلك الرياح الغاضبة

وكم من المرات ذهبنا كلانا نرود الحقول والمزارع، بين سفعات القر، وتلبدات السحب، وقد أحسنا الـكساء، وأثقلنا الرداء، ولبسنا أحذيتنا الضخمة المتينة، فكنت أرتفق ساعده وآخذ عضده، ثم نسير دون اتجاه معين ولا غرض مقصود

وكان حينئذ لم يتجاوز الخامسة من عمره، ولـكنه يخب في مشيته خبب الرجال ؛ فكنا نأخذ الطريق الضيقة المفروشة بالأعشاب النضرة السوداء، خلال أشجار الحور الرمادية التي كانت تسمح للعين بأن تخاص الى ما وراءها من الأفق، وتخترق ما دونها الى بسمات البرق، فتلمح في قرارة البعد تحت السماء البنفسجية صفحة من العصائب الصفر الباردة، وتشاهد سقوف الأكواخ المتهدمة، ورؤوس المداخن المتداعية، تتصاعد منها سحب رهوة في زرقة لطيفة كأن الريح تطاردها بعنف وتصاعدها بقسوة

وكان طفلي الصغير يطفر من المرح وقد أمسك بيده قبعته حـذراً من أن تطير، وكان يحدجني بعينيه الرجراجتين تحت فيض المدامع وقد ضرج البرد وجنته، وفي مؤخر أنفه لؤلؤة صافية قد أشرفت على السقوط، وكان على ما به فرحاً مسروراً. وكنا نقطع السهل الرطب وقد حفت جوانبـه بنمير النهر العذب، وزينت شواطئه بالقصب المتشابك، وعرائس النيل المتلاحمة وزهور النهر المتنوعة

وكنا نشاهد قطعاناً من البقر وقد غاصت حتى أعالي سوقها بين الأعشاب السامقة، وهي ترعى في سكون واطمئنان، وفي حفرة صغيرة عنـد جذور شجرة من الحور تجثم طفلتان متناظرتان في جلستهما في ظل معطف كبير، وقد لفهما إليـه وجذبهما عليه ؛ وهما ترعيان رعيلهما والرجلان نصف عاريتين في الحذاء الممزق، والوجهان المرتجفان قد برزا من واقية المطر

وكان يقتطع علينا سيرنا المجد — في الفينة بعد الفينـة — غدران واسعة قد عكست عليها صفحة السماء الخافتة، فكنا نتريث برهة على ضفاف هـذه البحيرات، وقد داعبت صفحتها ريح الشمال ونشاهد الأوراق الطافية وهي تساقط من أعالي الأشجار، وتسبح في مهاوي الريح، وتثوى على وجه المستنقع، فأحمل طفلي الحبيب بين ذراعي ومجوز العـدوة الأخرى فنشاهد في أطراف الحقول السمراء الخـاوية المحراث المقلوب، والوتد المنصوب، وعسالج الـكرم المعراة قد امتدت على الأرض، والحمائل الصلبة الرطبة قد تجمعت أكواماً، وتكدست أقساماً

(يتبع)

حسين رفعت

# المجــاهد

للأستاذ عبد الحليم عباس

هات لى عتادى

فقد انتهت المعركة بينى وبين نفسى . هى تريدنى أن أقرّ ، وأريدها تحيا ساعةً من نهار فى جحيم المعركة ؛ وهى تريدنى أن أعيش فى الحياة ، وأريدها أن تسعد مع الموت

ها هو ذا الظلم مستعلياً أبداً ، كشأنه فى كل عصر ؛ لا أزعم أنى سأمحقه ، فقصارى الجهد أن أضع من جمجمتى حجرا فى الزاوية

هات لى عتادى

فما قيمة العمر يمضى ، وصليل القيد يصك سمعى ، ورؤية الظلم تُعشى نواظرى ... وما الحياة إن خلت من جمال الحق وعظمة الحرية ، إلا جبٌ منتن أُكبرنا فيه حشرة

هات لى عتادى

فلو عرف الناس لذة الحيـاة لقدّسوا الموت ، ولو ذاقوا حلاوة الايمان بالحق لدلفوا طُعمةً للنار ... وما خير عيشٍ يرين عليه الظلم ، وما لذةُ حياةٍ كل ما فيها متعة للظالمين ؟

هات لى عتادى

فلست أرهب موتاً يتساوى فيـه الشقىُّ مع السعيد ، والراسف بالقيد مع الذى قيَّده ، فرب جفنٍ ما رقأت دموعه ، ورب قلبٍ ما التأمت كلومه ، وجد له فى الموت وفى ظل القبر برد الراحة وهناوة العزاء

هات لى عتادى

وتعالى انظرى عزة الحق الأعزل ، واستخذاء البـاطل المسلح ... ها هما يتلاحمان ... فلمن الغلبـة ؟ أللباطل فقديماً غَلَب ، أم للحق فتلك ومضات فى حلوكة التاريخ ؟

منذ ساعة فتحَّ الحق عينى ، وأنار الايمان قلبى ، فرأيت مواكب الأحيـاء على حقيقتها سائرة تتململ ولا تشكو ، وتجرع الغصة ولا تئن ، ورأيت الحقَّ فيما بينها مهيض الجناح ، مشنوءا حامله ، فعلمت أن من يعرف الحق ويؤمن به كل عمره ، مهما طال — ساعةً من نهار

منذ ساعة فتحَّ الحق عينى ، فرأيت الانسانية ، ترجع إلى الوراء فعلمت أنه إنْ لم يصدها الايمان ، وتلتقى بها القوة المؤمنة ، فغير بعيدٍ ذلك اليوم الذى تحتفل به لأكل لحم البشر !

وسار المجاهد ، رافع الرأس ، منتصب القامة ، يتلألأ على وجهه نور اليقين ، ويرف عليه روح من الحق ، قال وكأنه يخاطب نفسه :

ليست حقيقة الحياة فى الحياة ، وإنما هى فيما وراءها ؛ وليس الموت فى سبيل الحق غير اتحاد بهذه الحقيقة التى هى « الله » للفضيلة دربٌ مختصر ، وهو أن تضع بدل كلمة « أنا » « نحن » ، والحجة القاطعة على أنك وضعت هذه بدل تلك أن تكتبها بدمك ، لتقيمها على حجارة رمسك

ليس العمر مجموعة أيام ، وإنما هو سجل أعمال ؛ فرب كهل لم يعش غير أيام ، ورب فتًى لا تحصر عمره الأعوام ؛ فاذا لم يك من الموت بد ، فلمْ لا تزد بعمرك ساعة جهاد ، لتطاول الحقب ولتدرج مع الأجيال ؟

يقولون إن الجهاد بابٌ من أبواب الجنـة ، أتدرى لمـاذا ؟ لأن منْ يستعلى على الظلم ساعة فى ساحة الموت ، يشارك الحكمة الأزلية فى عملها ، وهى الجهاد لتثبيت الحق ، فى هذه الأرض . فمحالٌ أن ترضى الحكمة الخالدة فى غير نزوله فى كنفها ..... فى الجنة

* * *

وطويت الأرض تحت قدمى المجاهد ؛ فسار يلفُّ السهل بالحزن ، ويطوى البيد ، حتى شارف المعركة ، فوقف يتأملها برهة ، وقد فاضت عليه قدسية الجهاد ، والتمعت عيناه ببريق جميل ، هو بريق عظمة الموت ، فأخذ يتمتم :

إيه ياوطنى ! سماؤك وأرضك ، جبالك الشم ووهادك الفيح ، كلٌّ لهـا فى القلب موطن حرمةٍ وجلال . تمنيت أن لى ألف نفسٍ أفديك بها ، ولكنها نفسٌ واحدة ، فدونكها جهد المُقل

إيه ياوطنى ! مهبط الذكريات ، ومغدى الأمل ، غذتنى تربتك ، وبعثت فىَّ الحياة نسماتك ؛ ليس الظلم المخيم على ربوعك إلا جزءاً من الظلم المنيخ على العالم بكلكله ، وفى هذا بعض العزاء

إيه ياوطنى ! ها نحن أولاء تسارعنا لنجدتك ، لا نطلب خلوداً ، فاننا نعرف التاريخ لا يتسع صدره لذكر أمثالنا . ليس التاريخ إلا سير العظماء ، وهيهات أن تعرف الدنيا إلا ضرباً واحداً منهم ، أقواهم وأقدرهم على الفتك والظلم الذى زحفنا لصدامه ،

# ٣ - لمعات

مهداة إلى شاعر الاسلام وفيلسوفه محمد إقبال جواباً لكتابيه «أسرار خودى» و «رموز بى خودى»

## للدكتور عبد الوهاب عزام

جال فى الظلماء صوت هاتف     فظلام الليل منـه راجف
مدّ فى الظلماء نوراً من نغمْ     مُزّقَتْ منـه دياجير الظلُم
أشُعاعٌ فيـه صوت صائح     أم كلام منـه نورٌ لائح ؟
أذِن الركب لهـذا المنشد     أطرب الناشدَ صوت المنشد[1]
سال فى القلب مسيل المطر     ينبتِ الروح بسهب مُقفر
أو خرير الماء من نبع زلال     بشّر الفارق فى بحر الرمال
رنّ فى نفسى رنين الجرس     صاح فى أذنى فقيد مُبلِس
طوت البيداء عنـه السابله     وهداه الصوت شطر القافله
سبق القلبُ إليـه الأذنا     كبلال لصـلاة أذّنا
دار قلبى شطر هـذا المطربِ     دورة الابرة شطر القطُب
« غنّنى يا مُنيتى لحن النشور     أبركى يا ناقتى . تم السرور
عُدت يا هيدى إلينا . مرحباً     نعمَ ما روّحتِ يا ريح الصبا»[1]

(١) المنشد فى الشطر الأول منشِد الشعر ، وفى الثانى الذى يدل على الضالة ، والناشد من ينشدها

---

ولسنا نطلب جاها أو متاعاً من متاع الفانية فاننا نعرف أن التكالب على الجاه فى ظل العبودية ، قتالٌ على الجيفة ، تقوم به طائفة نسميها الكلاب

ولكننا آثرنا الموت على الحياة ، لتزهو الحياة فى يوم ، وليسعد فيها هذا البشر اللاغب المتعب . . وثرنا لأننا علمنا أن الموت فى سبيل الحق حياةٌ رائعةٌ مديدة ... ودوت قنبلة أعقبتها طلقات ، فانتفض المجاهد وانحدر يهدر كالسيل الأتىّ ... إلى المعركة ، إلى الموت ! وما هى إلا ساعة حتى استشهد ، فقد كان يقاتل كالمجنون !

أين المجاهد ؟ !

أما جسمه ( فكم مقلةٍ فى منقار طائر ، وكم خـد عتيق ، وجبين رقيق ، قد فلق بعمد الحديد )

أما روحه فقد مشت كالنسيم ، توقظ الرمم ، وتدفع الأمم إلى الموت فى سبيل الحرية . . .

(شرق الأردن)     عبد الحليم عباس

---

حبذا الصوت فمن هذا البشير ؟     ومن الهاتف بالقلب الكسير ؟
ومَن المسعد فى هذى الهموم ؟     ومن البارق فى هذى الغيوم ؟
ومن الهابط فى نور السما     هادياً فى الأرض جيلاً مظلما ؟
ومن الهادى إلى أرض الحبيب     يعرف النهج وقد حار اللبيب ؟
ومن السائق شطر الحرَمِ     وإلى الأصنام سير الأممِ ؟
ومن القارىء فى بيت الصنم     سورة الاخلاص فى هذا النغم ؟
ومن الحرّ الذى قد حطما     فى قيود الأسر هذا الأدهما ؟
ومن الآبى على كل القيودْ     ومن القاطع أغلالَ العبيـد ؟
ومن الباعث فى ميْت الأمم     ثورة العزة من هذى الهِمم ؟
لاح كالغُرة فى هـذا السواد     بصّ كالجمرة فى هـذا الرماد
جرف النـاس أتِىٌّ مزبد     ضل فيه المقتـدى والمرشد
وطغى اللج عليـه والتطم     فرسا كالصخر فى هذا الخِضمّ
عارض الموج على أغماره     وطوى اللج على تياره
سبح اللج وبالشط استقر     داعياً والناس غرقى فى النهَر
يجرف التيار جسما جامداً     تقذف اللجـة قلباً خامداً
إن عزم الحر بحر مزبد     جائش فى الدهر لا يتئد
هـذه الأقدار فى تسيارها     همم الأحرار فى أسفارها[2]
ومَن الشاعر يذكى القافيـه     فهى نور وهى نار حاميـه ؟
تقشعر الأرض من أوزانه     ويهيم النجم من ألحانه
وكأن الدهر صوت كُتبا     قد حكاه الشعر صوتاً مطربا[3]
هو بالأشـعار بحر فائض     وهو للأزمان قلب نابض
حدّثته الأرض عن أخبارها     وحبتـه الزهر من أسرارها
هو بالأمس خبـير بغدِ     وهو اليوم نجىُّ الأبد
كشف الله عن الغيب له     فلسان الغيب يُملى قوله
عرف الشرق وراد المغربا     فانجلى السرّ له . ما كُذِبا
فرأى العلم سبيلاً للردى     إذ رأى القلب خلياً من هدى

---

صوت « إقبال » على شط المزار     أسمع اليقظان فى هذى الديار

(يتبع)     عبد الوهاب عزام

(١) جاء هذان البيتان بألفاظهما العربية فى الجزء الثانى من المثنوى

(٢) هذه : مبتدأ ، وهمم : خبر     (٣) يعنى أن الدهر أمام الشاعر كعلامات الموسيقى ، والشعر قراءة هذه العلامات

على الشاطىء

# يا شراع . . . !

## بقلم أحمد فتحى مرسى

اتئد واجرِ فى العباب رُوَيداً     واسرِ فى اليمِّ آمناً يا شراع

يلثم الماءُ صفحتيْك ، ويمضى     ويحييكَ فى الشروق الشعاع

قدمضيتَ الغداةَ تنسابُ فى الما     ءِ كما انساب فى السطورِ اليراع

وكأنَّ المياهَ شِقًّا مِقصٌ . .     صاغَهُ ماهرُ البنانِ صَناع

فإذا جئت مُقْبِلاً فافتراقٌ     وإذا رُحت مُدبِراً فاجتماع

***

لهف نفسِى عليك فى لُجّةِ اليمِّ (م) وللبمِّ     ثورةٌ ونزاع

حارَ ربانُكَ القديرُ لديْهِ     أخفقت حِيلةٌ ، وأقصر باع

وادلهمَّ الفضاء واشتدت الريـ     ـح فصُمَّتْ لهولها الأسماع

وكأن المجدافَ إذ يضربُ الما     ءَ وللماءِ رجَّةٌ واندفاع

طائرٌ فى شراكِهِ يتلوّى     ولرجليه فى الشباك صراع

***

أيهذا الذى تولى بعيداً     لك منى تحيــةٌ ووداع

يا عروسَ العباب قد زفّها الطيْـ     ـرُ وراقت من حولها الأسجاع

و بناتُ الهديل فى البرِّ تشدو     ردّدَ السهل شدوَها واليفاع

ومياهُ العبابِ ترقُصُ نشوى     فانخفاضٌ على المدى وارتفاع

***

ياغريباً عن الحمى ووحيداً     أترى أنت فى النوى ملتاع

أنت فى لجة الحياة مضاعٌ     وكذا كلُّنا لديها مُضَاع

وخداعٌ هذى الحياة . فهل يغْـ     ـريك من جانب الحياةِ الخداع

***

حولك اليمُّ فى جلال وصمت     سيِّد آمر ، ومَلْك مطاع

ثابت فى الخطى يروقك لينٌ     فى خطاهُ وهدأةٌ واتداع

فاتئد واجرِ فى العبابِ رُويداً     واسر فى اليمِّ آمناً يا شراع

أحمد فتحى مرسى

# أغنيــة

فى سكونِ الليل فى صمت الهدوء     فى شعاع القمر المنسكب

زورق ضمَّ ملاكين سرَى     يتهادى فوق شط العرب

فوق غصن البان     رفرف القُمْرى

يُنْشِدُ الألحان     بالهوى العُذْرى

أنتِ عطر مجنّحٌ شــفقى     طاف يذكو على الفضاء ويعبق

أنتِ معنى مقدس علوِىّ     شعَّ نوراً فى مهجتى يتألق

أنتِ حلم منور ذهبىّ     هللَّ القلب مذ رآه وصفق

علمى الغيد التثنى     كيف بالله يكون

غرد الطيرُ فغنِّى     حبذا منكِ اللحون

(البصرة)     ع . غ . ط

# قبـــل النوى

## للسيد إلياس قنصل

كفكفى هذه الدموع الغوالى     إنها بين أضلعى جمرات

أمر الدهر أن نلوّع بالبعـ     ـد ، وليست تردُّه العبرات

واحفظيها لمن يعيش خليا     وأمانىُّ نفسه ذاويات

قد يكون الشقاء فى الحب لكن     حيث لا حبَّ لا تكون حياة !

***

كفكفى هذه الدموعَ فلن يُدْ     رِكِ منا البعاد ما يتمنى

إن يكن حب غيرنا ثمراتٍ     تشتهى فى ابتدائه ، ثم تُجْنى

فهوانا عواطف عاليات     نفث الطهرُ بينها ألف معنى

والشعور الذى تغلغل فى القلـ     ـب وأمسى من نبضه ليس يفنى

***

كفكفى هذه الدموع الغوالى     إن لله مأرباً يخفيه

وليحلْ شوقنا الملح سروراً     بكؤوس من الرجا نسقيه

وليكن صبرُنا على البعد قربا     نًا إلى معبد الهوى نهديه

ليس يبغى عنادنا الدهر لكن     جوهر الحب أن نعذَّبَ فيه !

(عاصمة الأرجنتين)     الياس قنصل

# القصص

قصة مصرية

## القبلة الأولى و... الأخيرة!

للأستاذ دريني خشبة

[ الحوار فى الأصل باللهجة المصرية ]

كان ذلك فى مصحة . . . .

وكانت فتاة شاحبة ذات عينين كبيرتين شاعرتين ، تطل منهما نفس حزينة متألمة ، تارة تحلق فى السماء تدعو الله اللطيف وتصلى له ، وتارة تنظر إلى المصحة التى اجتمعت فيها أمراض وأحزان وأمانى ؛ وكانت تجلس فوق مقعد منفرد فى زاوية منعزلة فى الحديقة الصينية التى تكسبها التماثيل البوذية والظُّلات والرابية الكبيرة ومساقط المياه ذات الخرير جلالاً ورونقاً وهدوءاً يشبه موسيقى الأرواح الباكية التى ترفرف أبداً فى سماء تلك المصحة الرحيمة

وكانت الفتاة تسبل فوق رأسها شُفوفاً من الحرير البنفسجى تداعبه نسمات الحديقة كلما هبت رُخاءً فى ناحيتها ... ولكنها تركت السماء كلها ، بما تفيض به من رحمة ولطف ، واتجهت بكل روحها الى نافذة بعينها فى المصحة ، وراحت تحدق فيها تحديقاً شديداً ، ثم أخرجت من (شنطتها) منديلاً صغيراً وضعت فيه لآلئَ غالية كانت أوشكت تنهمر من عينيها

وكانت الشمس قد آذنت بغروب ، وكانت تصب ذهب أشعتها على نواصى التماثيل الرائعة ، ولكنها كانت تصب أكثر هذا الذهب على ناصية بوذا الأكبر كأنها تستهزئ به ، لأنه إله من حجر ! وكانت ألف فكرة تزدحم فى رأس «سِهام» كلما تَقَشَّعَت الشمس قليلاً قليلاً عن رأس التمثال ، فتبتسم ابتسامة ساخرة ... وتخفى دمعة كبيرة فى منديلها الصغير

وأقبلت جارية «حبشية» فحيّت الفتاة ، وأشارت إليها سهام فجلست عند طرف المقعد المنفرد المصنوع من جريد النخل ...

— « سيدتى ! »

— « ... ؟ ... »

— « أرسلنى البك الكبير أناديك »

— « ولماذا عاد مبكراً هذا المساء ؟ »

— « لا أدرى ، وهو يقول إنه يود أن يشرب الشاى مع سهام هانم »

— « وإذا لم تكن لسهام رغبة فى الشاى ولا فى القيام من هنا ف ... »

— « سيدتى ! ألا ترحمين شبابك ؟ »

— « أرحم شبابى كيف يا مسعدة ؟ »

— « مِن هذا الذى أنت فيه ! »

— « وما ذا أنا فيه يا مسعدة ؟ »

— « الفكر المتصل والحزن الذى لا حد له ... »

— « أشكرك يا مسعدة . إذهبى فاعتذرى عنى للبك — أنا لم أعد أحب الشاى فى هذه الساعة »

— ولم فى هذه الساعة ؟ »

— « لأنها كانت أول شكواه من هذا المرض الخبيث ، ومن يدرى ، فربما كانت أول شكواى أنا أيضاً ... »

— « يا سيدتى ارحمى شبابك قلت لك . إنها أيام ويغادر المصحة سليما معافى ، ألست تثقين فى تأكيدات الدكتور ؟ »

— « الدكتور ؟ ... أنت طيبة القلب يا مسعدة ! أنت طيبة القلب جداً »

— « الدكتور يؤكد أن سيدى نادر بك يتعافى يومياً ، وسيتماثل للشفاء قريباً ، وأنا أرى أنك تتلفين صحتك بهذا اليأس

الذي يدمي قلبك ويجرح نفسك ويقرح عينيك ؛ سيدتي سهام هانم : ألا تسمعين نصيحتي ؟ »

— « وأي نصيحة يا مسعده ؟ »

— أنت شابة جميلة ، والمستقبل أمامك مشرق بسام ، والدنيا مقبلة تكاد تتمرغ تحت قدميك و ... أوه ... لا أجرؤ أن أقول ... »

— بل قولي يامسعده ، قولي ... أنا شابة جميلة ... والمستقبل أمامي مشرق بسام ... والدنيا مقبلة تكاد تتمرغ تحت قدمي ... ... الله الله يا مسعدة ... ثم ما ذا ؟ »

— « سيدتي سهام ... إني أعتذر ! ! »

— « تعتذرين ! تعتذرين من أي شيء ! بل لا بد أن تقولي ألستِ (داده) يا مسعدة »

— « لا ... لا أجرؤ ... »

— « لا تجرئين على أي شيء يا مسعدة ... إن لم تقولي فانك تحزنينني »

— « ولكن على شرط ... إن لم ترقك الفكرة فلا تضمريها لي »

— « لك هذا يا مسعدة »

— « ألا تستطيعين أن تصرفي قلبك عن نادر بك .. »

— « أهذه نصيحتك أيتها العجوز ! إذهبي فلن أشرب شاياً قلت لك »

— « أ ... أ ... »

— « إذهبي ... إذهبي »

* * *

— « يامسعدة قلت لك لا شأن لك بسهام ونادر ، لقد كان يعبدها قبل مرضه . وكان يوشك أن يخطبها لولا وفاة والدته ... وهي أيضاً تحبه حباً يمتزج بكل قطرة من دمائها ، إنها تكاد تجن من أجله ... إنها لا تنام أبداً ، و ... »

— « وماذا يا عثمان ... »

— « وهي تتسرق كل ليلة إلى المصحة وتزوره ، وأخشى أن تكون أصيبت بمرضه ، لأني أسمعها تسعل كالمسلولين . . . مسكينة ... »

— « لا قدر الله يا شيخ . . . إنها حزينة فقط ، وأنا لا أدري لحزنها سبباً ، فألف شاب جميل غني يتمنون أن تصبح لأحدهم زوجة . . ولكنها تأبى إلا أن تسمع لقلبها .. قُتل الحب ، إنه لا عقل له ! لقد كلمني اليوم عصام بك وألح علي في محاولة التأثير عليها ، وهو يضع كل ما يملك رهن تصرفها ، فماله هذا الشاب الوجيه ؟ ! صحة وثروة وأسرة ... وشباب ! »

* * *

— « يا ابنتي رفقاً بنفسك ، أقسم لك بالله وبشرفي أن الدكتور أكد لي اليوم أن لنادر أياماً قليلة جداً ويغادر المستشفى سليماً معافى ... »

— « سليماً معافى ... متمتعاً ... بكامل صحته . ، هيه ... يارب ، سيغادر المستشفى إلى الأبد ... هذه هي الحقيقة ! »

— « أجل ، سيغادره لتعيشا معاً في نعيم إلى الأبد ! سهام ! »

— « بابا ... »

— « هلمي نجلس قليلاً في الحديقة ، هلمي يا ابنتي ، القمر جميل ، والنسيم رَخيّ ، و ... »

— « بابا ... »

— « سهام ! »

— « أنا لا أحب الحديقة ولا أحب القمر ... لنبق هنا ... الدنيا برد ! »

— « يا ابنتي لا تعبسي للدنيا هكذا ... »

— « الدنيا ؟ آه يا بابا ... سأعبس لها إلى أن يشاء الله ! »

— « لا حول ولا قوة إلا بالله ... سهام ، أنت تحرقين نفسك وتتلفين روحك في نار عاطفية كان ينبغي ألا تجعلي لها وزناً في رجاحة عقلك وسلامة تفكيرك ... لقد كنت أحاول أن أصارحك بحقيقة نادر ولكني كنت أخشى على قلبك الغض وشبابك الرطب أن تعصف بهما كلماتي ، مع أنها الخيرك ... سهام ! استيقظي يا ابنتي ! حقاً لقد أحبك نادر كما تحبينه ، وكنت أنا نفسي ألمس محبته لك وهو يكلمني من أجلك ، وعندما سلّمني (السوار الماسي الجميل) الذي جعله تقدمةً لزواجه منك ، كنت أشهد في عينيه دموعاً محبوسة تريد أن تنهمر ، عرفت منها أثر تحقيق الأحلام في نفوس الشباب — ولقد كنت أوشك أن

أرفض هذا الزواج أول الأمر ، لما كنت ألحظه فى صحة نادر من التدهور والهدم ، لكنى قرأت حبه فى عينيك ، وشهدت حرارة روحه تتورد فى خديك ، فتألمت ، وفرحت ، وذكرت (المرحومة) والدتك وما كانت تتمناه لك من السعادة الأبدية ورخاء البال ، فوافقت ، وضاعف ألمى وفرحى أن رأيتك سعيدة به بقدر ما هو سعيد بك ، وهنا فقط ... غلطتى ... غلطتى التى لا يغفرها لى إلا أنى لم أكن أعرف أن تدهور صحة هذا الشاب النبيل هو أول هذا المرض الخبيث العضال ... سهام ! استجمعى قواك ! لا تجزعى هكذا ... إن ألف شاب جميل رقيق القلب وافر الغنى فى انتظارك ... وقد خاطبنى الكثيرون فعلا قبل أن يعترض طريق حظك ولدى نادر ... سهام ... تشجعى ! أنت صغيرة يافعة يا بُنيَّة ! نحن كلنا نرثى لشباب نادر ، وكنا نضرع إلى الله أن يشفيه ! ... و ...

— « بابا ... »

— « سهام ! »

— « ماذا تقول ؟ كنا نضرع إلى الله ! ... ماذا قال لك الدكتور اليوم ؟ »

— « هذا هو الذى كنت أخشى أن يكون ! ليهدأ قلبك يا بُنيَّتى ، وليستيقظ عقلك الساهى ... أريد ألا أفقد ابنتى الوحيدة كما فقدت زوجتى ! إرحمى أباك الشيخ المحطم الذى لم يعد له أمل فى الحياة غيرك ... أنت شمسه الشرنة فلا تحرميه من دفئها إلى الأبد ... إن ثلج المشيب يطفئ روحى قليلاً قليلاً ... وكلما رأيتك يا سهام ارتد إلىَّ شبابى ، وانهزمت آلامى ، وتفرجت كروبى ... فلولاك للحقت بأمك ، ولولاك لأغطش ظلام المنون حياتى ... سهام ! انظرى إلىَّ ! أرهفى أذنيك ! تحملى الصدمة منى ... نادر فى الطور الأخير من المرض ... »

— « بابا ... »

— « سو ... ! سهام ! هى صدمة كبيرة لا شك ، وأشد منها أننى أرجوك ... أرجوك يا ابنتى ... أرجوك ... يا ... سهام ! »

وساد بين الرجل وابنته صمت عميق ، تخللته دموع أسوانة ... ثم وصل الأب حديثه قائلا :

— « أرجوك يا ابنتى أن تقطعى علائقك بنادر ... دعى ما فى القلب للقلب ، ولكن لا تذهبى إليه ... لا تروحى فى المصحة ... لقد أنذرنى الدكتور مرتين ، وقد فصل ممرضة المسكينة التى كانت ترحم دموعك وترثى لحبك فتوصلك إليه فى ظلام الليل خلسة ! العدوى يا سهام ! أنت غالية عندى جدا وعزيزة علىَّ جدا ، وإذا فقدتك فقدت كل شىء ... سهام ! تكلمى يا ابنتى ! ردى علىَّ ! ماذا ؟ تبكين ! أنت طفلة ... لا ، لا ... ألم يخلق الله غير نادر ... »

— « بلى ... بلى يا أبى ! لم يخلق الله غير نادر لى ... أنا على الأقل ! ولذلك ... لا أعدك ! لا يمكن أن أعدك يا بابا ... و ... أنا متعبة جدا ... أريد أن أنام ... عن إذنك ؟ »

* * *

مسكينة سهام ! لقد جاءت نصيحة والدها متأخرة جدا ! لقد كانت تنتظر حتى تنام أعين الرقباء ، وتغفى جفون الليل ، ثم تنسل فى جنح الظلام إلى المصحة ، غير حافلة ببرد الشتاء ، ولا قر الصحراء ؛ وهناك كانت ترشو البواب الفقير ، وتجزل له العطاء ، ثم تعرج إلى الطابق العلوى ، فاذا لقيها بعض الخدم حفوا بها واحتفوا ، فتنفح هذا قرشاً وذاك قرشين ، حتى تلقى الممرضة الصغيرة الجميلة التى كانت تعرف سر قلبها وعلاقة نفسها ، فتنسى هذه كل قوانين المصحة فى سبيل قوانين الحب ، وتمضى بين يديها إلى غرفة نادر ... السلول الدنف البائس ... فتقف لحظة خاطفة ، وتستأذن ... لتخلى الطريق المكهرب بين القلبين الحبيبين

وكان نادر يقدر لسهام تجشمها الصعاب من أجله ، وكان يلقاها دائماً بابتسامة عذبة محزونة ، وعينين سادرتين مغرورقتين ، وروح تكاد تثب لتلقاها بذراعين من سرور !

يا لله ... ويا للحب ! !

لم يكن نادر يجهل خبائة مرضه ، ولم يكن يجهل أن عدواه شديدة الفتك ، وكانت سهام كنزه الروحى الذى يضمن له السعادة والأحلام ، ولذلك كان يحرمها دائماً بابعاد فمه عن فمها ، وكان يزوى وجهه عنها أو يدسه فى منديل كلما كلمها ، وكانت هى لا تبالى أن تدنو منه لتدلل له على أنه حياتها ، وأنها لا تبالى أن تصاب بمثل ما يشكو منه ، وذلك من عمى الحب وجهله ؛ بيد أنه كان يرجوها فى حرارة أن تبتعد ، فاذا لم تصغ ...

رأسه بين الوسادتين ، وراح ينتحب . فتشفق عليه وتبتعد

وفُصلت الممرضة التي كانت تُسهل لها زيارة نادر لفتنةٍ شبت بين الخدم من أجل قروش سهام . . . والحق أن الرحمة بالمحبين في هذه الأماكن الخطيرة حماقة من الرحماء المشفقين !

على أن سهاما لم تَنىَ بزيارة نادر ، بل استطاعت بقروشها أيضاً أن تنفذ إليه مرات ومرات !

ولم تكن سهام تجهل أن فتاها في الطور الأخير من مرضه ، ولم تكن في حاجة لأن يخبرها أبوها بذلك ، ولكن تلقّي الأخبار السيئة يكون جديداً كلما امتلأت به الأذن مرة بعد أخرى ، وضاعف وقع الخبر في نفس سهام أن الدكتور أكّده . فلما ذهبت إلى مخدعها لتنام طفقت تتقلب في أشواك من الهموم ، وفوق إبر من الأفكار السوداء التي تشبه الخفافيش

وذهب أبوها إلى مخدعه كذلك ، ولكنه ما كاد يستقر فيه حتى سمع ابنته تسعل . . . ثم تسعل . . . وهنا هاجت خلية من اليعاسيب في رأسه ، فنهض من فوره وتوجه إلى غرفتها ؛ ولكنه وقف عند الباب يَتسمّع ويتسمّع ...

« آه يا نادر ... يا حبيبي يا نادر . . . كيف أعيش بعدك يانادر ؟ . . . »

وكان الصوت ضعيفاً عميقاً ينشق عن صدر ممزق ونفس محروبة ؟

ودخل الوالد الذاهل عن نفسه فجلس بجانب ابنته على سريرها ومر بأصابعه على رأسها فأحس كأنه يحترق

وكانت سهام ما تنفك تسعل ... وتسعل

ونهض أبوها فتكلم مع أحد أصدقائه الأطباء في (التليفون) فجاء على عجل ... وزار سهاما ... وبكل أسف كان هو نفس الدكتور الذي تسبب في فصل الممرضة من المصحة

وداعبها الطبيب بكلمات حلوة منمقة معسولة ، وخرج ولم يكلم أباها .. ولكنها سمعته يقول وهو يطوى الدرج «أنا قلت ، أنا قلت ... » فكانت حماقة أدهى من حماقة الممرضة !

وتبسمت سهام تبسما حزيناً ، وجعلت تتمتم « نادر ؟ سويا يا نادر !! »

ولما أحضرت قوارير الدواء وزجاجاته حدجتها الفتاة بنظرات الاشمئزاز ولم تذق منها جرعة !

* * *

واشتدت وطأة المرض على سهام ، ولم تكن هناك وسيلة خير من انتقالها إلى المصحة ، المصحة نفسها .... ولم تشعر بغضاضة وهي تلم شعثها لتنتقل إليها ، بل كانت تحس كأنها ذاهبة إلى الجنة لتلقى ثمة حبيبها الذي خيل لها كأنه دخلها منذ بعيد .. ومن العجيب أن صحتها تقدمت تقدما محسوساً في الأيام الأولى ، لأن شعور الفرح والرضى لمجاورة نادر كان يغمر قلبها ويفعمه بالمسرة

وجاءت ساعة الهول والفزع الأكبر

أقضت سهام ليلة مقرورة ممتلئة بالوساوس ؛ ولم تكن عينها تغفل قليلا إلا لتصحو فزعة من أحلام سوداء تتعلق بنادر . . . فلقد رأته مسجى فوق سريره ، وقد تناثر الورد من حوله ، ولف في ثوب حريري أبيض كبير هفهاف ، ووقف عند رأسه عصفوران أبيضان يغردان تغريداً مشجياً حزيناً .. ثم ما هي إلا لحظة حتى أغمض النائم عينيه ... وطار العصفوران إلى السماء ... !

وهبت سهام مذعورة . . . وآلت أن تذهب إلى نادر ، وعبثا حاولت الممرضة الطيبة الموكلة بها أن تطمئنها ... وعبثا حاول الخدم معاونة الممرضة في تسكين روح سهام ... التي راحت تصرخ بملء صوتها الضعيف المحشرج . . . وهبت تناضل الجميع لتمضي إلى حيث فتاها المريض

وجاء الطبيب ... وفشلت كل مساعيه في إقناعها بالنوم والراحة ... وأخيراً سمح لها

كانت تمشي ضعيفةً موهونة متثاقلة ، وطوت الدرج في مشقة ... وكانت تسعل سعالاً مؤلماً . ولما دنت من غرفة حبيبها المسكين وقفت تسترق السمع

« آه .... آه » ثم سعال يعقبه سعال « « سهام ! يا سهام ! أنائمة أنت ! شفاك الله يا حبيبتي ! ألا أراك ! وداعاً إذن ! »

وكان الصوت خشناً كأنه يخرج من بين شقي رحا !

— « نادر ! مالك يا نادر ! »

— « سهام ! »

— « أجل ! أنا سهام ، مالك ! أمتعب أنت ؟ »

— « لا ، ولكني أعتب عليك ، أ ... أتنزلين ... آه »

— « مالك يا نادر ؟ »

— « إذهبي إلى غرفتك فاستريحي ... الدنيا برد ... ارحمي نفسك ... أنا شاكر لك ... آه ... »

— « بل أجلس معك يا نادر ... مالك ! »

— « لا شيء لا تنزعجي ؟ »

وكان الطبيب الرحيم البار ينظر إليهما ويبكي ؟

— « خبرني يا حبيبي ... أتشكو شيئاً ! »

— «اطمئني ياسهام ... يجب أن تعيشي لوالدك ولشبابك»

— « أنت تزعجني ! »

— « لا تنزعجي أبداً ! ... فأنا ... »

وضعف الصوت قليلاً ... ثم قليلا

— « مالك ... مالك ... يا دكتور ، تعال ... إكشف عليه ! »

— « لا فائدة يا سهام ! يجب أن تعيشي ! سهام ! »

— « نعم يا حبيبي ! »

— « ألا ... آه ... كم أستحي أن أقول لك ؟ »

« — بل قل ... قل يا نادر ! »

— « كنت أحلم أن أفوز منك بقبلة تنير لي طريق إلى الدار الآخرة ! »

ودنت منه ، وقبل أن تهوى على فمه تقبله ، انقض الدكتور فحال بينهما ! ؟ !

يا للسخف !

ولان قلب الدكتور فوضع منديله على وجه نادر ، وأشار إلى الفتاة ، فدنت منه ... وطبعت عليه قبلة باكية ... ولكنها أحست بشفتيه الباردتين المثلوجتين ... وبحركة خاطفة رفعت المنديل وحدقت في وجه الفتى ... ولكن ... وا أسفاه ... لقد فارق الحياة

وتوجهت سهام إلى الله بنفس حزينة راضية ... وغادرت المصحة بعد أيام ، ولكن لا إلى قصر أبيها وحدائقه ... ولا إلى أحلامها وأمانيها !

دريني خشبة

# البريد الأدبي

## رد وبيان — حول أغلاط مزعومة

نشرت (الرسالة) فى عددها الصادر فى ٣١ أغسطس (العدد رقم ١٦٥) مقالاً بعثت به اليها أثنـاء غيبتى فى أوربا عنوانه «أسبوع فى سبتمانيا : من ذكريات العرب والاسلام فى غاليس» ، عرضت فيـه بعض حقائق وملاحظات أثارتها فى نفسى زيارتى لسبتمانيا وقواعدها فى أواخر شهر يوليه المـاضى

وقد لفت نظرى عقب عودتى بأيام قلائل إلى كلة نشرتها إحدى الصحف السورية لـكاتب يزعم أنه اكتشف فى مقالى أغلاطا شنيعة فى التاريخ والجغرافيا ، وينتهز الفرصة فيوجه إلىّ وإلى (الرسالة) وصاحبها فيضاً من الغمز البذىء الذى ينم فى كل كلة منـه عن حقد مضطرم وسوء نية يعلم الله وحده مصدرها والباعث عليهما

وأنا أربأ بقلمى و (بالرسالة) عن التورط فى هذا المعترك الوضيع ، معترك السباب والقذف ، وأكتفى بالرد على ما جاء فى الـكلمة خاصا بالأغلاط المزعومة

نقل الـكاتب عبارتين من مقالى هما موضوع المناقشـة ، وهذه أولهما :

« ولقد كانت سبتمانيا — وهو اسمها القديم ، ومعناه ذات المدن السبعة — أو لانجدوك الحديثة ، أول أرض فرنجية غزاها العرب عقب افتتاح الأندلس ، واتخذوها قاعدة لغزواتهم فى جنوب فرنسا ، وجعلوها ولاية أندلسية سميت بالثغر أو الرباط لوقوعها على ساحل البحر الأحمر ... »

وأظن أنه لا يخفى على فطنة أى قارئ أن كلة « الأحمر » هنا إنما هى خطأ مطبعى أو سهو قلمى لاشك فيه ، جاءت مكان « البحر الأبيض » ؛ ولا يمكن بداهة — والمقال كله على سبتمانيا وجنوب فرنسا والأندلس — أن يخطر ببال قارئ أن كاتب هذا المقال يقع فى مثل هذا الخطأ الساذج . وإذن فالجهل المقرون بسوء النية هو وحده الذى يملى على الـكاتب ملاحظته الخرقاء ، وقوله إنى أجهل الجغرافيا ، وأنتقل بالقارئ من شواطئ البحر الأبيض إلى شواطئ البحر الأحمر

وكيف يتصور إنسان سوى هذا الحاقد المصدور أن الخطأ هنا حقيق وقد كتبتُ مسودة المقال وأنا أتجول فى سبتمانيا ذاتها وعلى شواطئ البحر الأبيض نفسه ؟

ومن الأسف أنه قد تسربت إلى المقـال بعض أغلاط وتحريفات مطبعية أخرى ، خصوصاً وأنى لم أتول تصحيحه بنفسى كما هى عادتى نظراً لتغيبى فى أوربا ، وكان ثمة تحريف آخر هول فى شأنه الـكاتب تهويلاً سخيفاً ؛ فقد نقل العبارة الآتية التى وردت أثناء حديثى عن موقعة رونشفال :

«ولرونشفال ذكرى خالدة فى التاريخ والقصص الفرنسيين ، فقد كانت مسرحا للموقعة الشهيرة التى مزق فيها العرب جيش كارل الأكبر (شارلمـان) ، حين عوده من غزوته لاسبانيا الشمالية ، التى نظم فيها رولان وصيف شارلمـان أنشودته الشهيرة « Chanson de Roland »

والـكاتب يظن أنه يقول جديداً حين ينقل الينا من «لاروس» أن رولان ليس هو ناظم الأنشودة ، وأن ناظمها لم يعرف

ونعود فنقول هنا إن سوء النية الذى يملى على الـكاتب كل عباراته أعماه عن أن يرى فى العبارة كلها ثغرة ونقصاً يقطعان بأن هناك تحريفاً ؛ فقد سقطت فى الواقع منها كلمات غيرت كل مبناها ومعناها ؛ وقد كان النص ، على ما أذكر : « وفى تلك الموقعة ، وفى أبطالها الفرنج ولا سيما هرودلاند أو رولان وصيف شارلمـان نظمت الأنشودة الشهيرة » أو ما فى معناه

ومع ذلك فالحديث عن موقعة رونشفال ومصرع رولان وأنشودته يكوّن فصلا من كتابنا « تاريخ العرب والموريسكيين فى أسبانيا » ؛ وقد نشر هذا الفصل فعلا فى مجلة (الهلال) الغراء فى عددها الصادر فى أول فبراير سنة ١٩٣٤ (ص ٤٥٣ وما بعدها) ؛ وهذا ما ورد فيه خاصا بهذه النقطة :

« وتضع الرواية الفرنجية تاريخ الموقعة فى ١٨ أغسطس سنة ٧٧٨ (ذى القعدة سنة ١٦١) ؛ وبينما تقنع الرواية العربية بالاشارة اليها فى عبارات موجزة إذا بالرواية الفرنجية والكنسية تفيض فى تفاصيلها افاضة ظاهرة . وأوثق وأدق الروايات الفرنجية عنها هى رواية ايجنهارت مؤرخ شارلمان ومعاصره ، فهو يفصل حوادثها ويذكر من هلك فيها من الأمراء والسادة ، ومنهم اجهارد رئيس الخاصة ، وانسلم محافظ القصر ، وهرودلاند حاكم القصر البريتانى . وهرودلاند هو رولان بطل الأنشودة الشهيرة التى نظمت عن هذه الموقعة ، والتى ما زالت أثراً خالداً لقريض الفروسية فى العصور الوسطى ؛ ذلك أن الأسطورة اتخذت من حوادث هذه الموقعة موضوعا لقصة حربية حماسية حرفت فيها الوقائع الأصلية أيما تحريف ، ولكنها تستبقى مكان الموقعة وبعض أشخاص التاريخ

« وهى نورمانية الأصل ظهرت لأول مرة فى القرن الحادى عشر أعنى بعد الموقعة بثلاثة قرون ، ودونت أولاً فى بعض القصص اللاتينية ، ثم دونت بالنظم فى قصيدة طويلة بعنوان « أنشودة رولان »

هذا ما كتبناه ونشرناه منذ أعوام عن أنشودة رولان ؛ نكرره هنا ليعرف الكاتب أننا لسنا فى حاجة إلى تصحيحاته المستقاة من معجم الأحداث

أما كون رولان كان وصيفاً لشارلمان أم لا ، فهذه نقطة لا أهمية لها ، وقد كان رولان أو هرودلاند أحد البارونات الاقطاعيين ؛ وكان من الشرف الملوكى يومئذ أن يلتحق البارونات بمناصب الوصفاء فى البلاط ، وكان هرودلاند من هؤلاء

وبعد ، فهذا ما يزعم الكاتب أنه أخطاء شنيعة اكتشفها فى مقالنا ، وهذا ما يريد أن يتخذه تكأة للتعريض بنا وبالكتاب المصريين والأدب المصرى

وهذه نغمة نعرفها ؛ وقد نعرف الباعث عليها

بيد أن الكاتب يوهم إذ يحسب أنه يستطيع أن ينال منا بمثل هذا الاسفاف

أما إشارته إلى كتابنا « ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى » فنكتفى بأن نرد عليه بأن المراجع التى ذيلنا بها كل فصل من فصوله تكفى لأن تخرس ألسنة السفهاء والمتحاملين ؟

محمد عبد الله عنان

## الجاحظ فى كتاب (تراث الاسلام)

نشرت (الرسالة) القراء منذ عددين استهلال فصل الفلسفة والالهيات فى كتاب (تراث الاسلام) ورد فيه كلام للجاحظ يتضمن الاعتراف بفضل الفكر اليونانى على أهل الملة الاسلامية ؛ ثم نشرت فى العدد الماضى مقالاً للأديب الكريم محمد طه الحاجرى أثبت فيه نص الجاحظ وذكر الكتاب الذى ورد فيه هذا النص

والذين سيطلعون على فصل الفلسفة والالهيات فى هذا الكتاب سيعرفون من تعليقاتى الجهد الشاق الذى تحملته فى البحث عن النصوص التى وردت فيه ، ولا سيما أن المؤلف كان فى أكثر هذه النصوص لا يشير الى المراجع التى استقاها منها

والقراء يعرفون أن الجاحظ قد ألف العديد من الكتب والرسائل وأنه كان يتناول فى الكتاب الواحد موضوعات شتى واتجاهات متباينة قد لا يربطها عنوان الكتاب . فمعرفة نص له فى كتاب مجهول الاسم أمر عسير كل العسر . ومع ذلك فقد حاولت جهد الطاقة أن أعرف الكتاب الذى ورد فيه هذا النص فلم أوفق ؛ فاتصلت بالأستاذ جيوم مؤلف الفصل — فى انجلترا — لعله يهدينى الى الكتاب الذى ورد فيه النص ، فرد معتذراً بنسيان المصدر ... ولما كنت أعلم أن لهذا النص خطره من حيث إنه يحمل اعترافاً له قيمته العلمية فقد تعمدت أن أثبت فى ذيل الصفحة التى ورد فيها كلام الجاحظ تعليقاً أوردت فيه نصوصاً لعلماء المسلمين وفلاسفتهم (كالشهرستانى ، وابن خلدون ، وابن سبعين) وكلها تؤيد هذه النظرة التى ذهب إليها الجاحظ

ويستنكر الأديب الكريم من المؤلف استشهاده بهذا النص على أن الفلسفة العربية ليست إلا صورة من الفلسفة اليونانية مشوبة ببعض الفلسفات الفارسية والهندية . وهذه ملحوظة لم أهمل الالتفات إليها والرد عليها فى تعليق آخر قد نشرته الرسالة مع المقال وذكرت فيه آراء بعض مؤرخى الفلسفة الاسلامية من علماء الغرب وانتهيت الى تقرير الرأى القائل بأن للفلسفة الاسلامية كياناً خاصاً يميزها من غيرها من سائر الفلسفات لأن فيها ثمرات من عبقرية أهلها

على أن هذا الرأى لا ينفى القول بأن الجاحظ وغير الجاحظ من علماء المسلمين وفلاسفتهم قد اعترفوا بما كان لليونان من فضل

على أهل الملة الاسلامية ؛ بل أسرف أكثرهم فعزا إليهم الفلسفة الاسلامية فى شتى آفاقها

وإنى لأشكر للأديب الكريم اهتمامه بالأمر ومسارعته بالرد ؛ فلو تأخر رده أسبوعاً واحداً لكان الكتاب فى أيدى قرائه . وتعذر علينا تبليغ النص إليهم ؟

توفيق الطويل
عضو لجنة الجامعيين لنشر العلم

## هل للشاعرة ما للشاعر من الحرية فى التعبير الشعرى ؟

حول رسالة آنسة

قلت فى إحدى مقالات « شعراء الموسم فى الميزان » أثناء نقد قصيدة السيدة منيرة توفيق : « والمرأة المصرية تستمد صمتها من أبى الهول ، ولا أعنى إلا الامساك عن التعبير عن الاحساس والعواطف تعبيراً صادقاً ؛ فمن شعرت من بنات مصر فانما تقول فى الأخلاق والنصائح ، متجاوزة خوالج النفس ودقائق الحس ، لأن طبعها الصموت الحيى يأبى الحديث عنها ، وأعتقد أنها لو فعلت ، وكانت موهوبة التعبير والأداء لأتت بالغرائب »

ومنذ أيام وردت إلى هـذه الرسالة فى بريد « الرسالة » ، وهى بعد الديباجة :

« طالعتنى الرسالة فى عددها — ١٦٢ — بكلمتكم الغراء عن المرأة المصرية وتنحيها عن التعبير الشعرى فى ميادين الأدب باحساس النفس وخوالجها

أقول الشعر بالسليقة ثم أخذته دراسة لبلى الفطرى ، ولدى الكثير فى الغزل والوصف والرثاء والحماسة إلى غيره من أبواب الشعر ولكنى لا أجرؤ على نشره ؛ وقد دفعتنى كلمتكم إلى إرفاق مقطوعات من بعض ما لدى دفاعاً عن المرأة المصرية . فان استشعر أستاذى فيها خيراً أقبلت على النشر وواليت الانتاج

أنتظر رأيكم على صفحات « الرسالة » وكم فى « الكنانة » من مثيلاتى ؛ وتنازل بقبول أسمى تحياتى

ف . ع . ح آنسة

فهذه الآنسة ، وإن كانت تعبر عن إحساسها لا تجرؤ على نشر ما تقول ، كما تقول ، وتدفع عن المرأة المصرية تهمة القصور باطلاعنا على قطع من شعرها أكثرها فى الغزل ... ونسوق إلى القارىء منه شيئاً :

تقول فى أبيات عنوانها ( سهام ) :

كان الفؤاد يقول لو ذقت الهوى ... ونعمت حيناً مثل ناجى اللوى
ظن الغرام سعادة لم يدر ما ... يخفيه من ليل المحب وما طوى
ذكر اللقاء وما به من لذة ... لكنه جهل الصبابة والنوى
فنصحت مهلاً يا فؤادى واتئد ... ليس الغرام كما ظننت بما احتوى
لكنه ما يرعوى عن غيه ... ومضى به شوق الغرام إلى الهوى
والآن من سهم اللحاظ معذب ... قد ذاب من وله يود لو ارعوى

وهذه جرأة نجرؤ على أن نقول إن فيها كسباً جديداً للأدب ، فاذا كان الشعر يستمد أكثر ما يستمد من العاطفة ، فالمرأة هى العاطفة ، وهى تلهم الرجل الشعر ، فاذ تشعر هى فانما تنفق عن سعة وتتدفق من معين

والحق أن المرأة إنما تحجم عن هـذا الميدان لأنها تخشى إنكار الرجل عليها ، فهى لا تقول الشعر المعبر عن حقائق نفسها لأنها ترى أنها ستقوله لنفسها ، فتؤثر الصمت ؛ ولعل رسائل الحب الخاصة أفسح مجال لها ، فهى تحسن فيها وتبدع ، فلو أتيح لها أن تظهر فى حلبة الشعر مطلقة الحرية فى التعبير لبذت وفاقت

وبعد ، فالى الانسة « ف . ع . ح » يساق الحديث :

أشكرك على خطابك الرقيق ، وأحيى فيك هبة الشعر التى تبدو فيما بعثت به ، وإن كان يعوزه الشىء الكثير من سلامة الأسلوب ومتانة النسج وصحة المعانى ، وترتيب الأفكار . ولعل ما قرأته فى نقدنا للشعراء يهون عليك وقع هذا الكلام ، فقد عاهدنا الحق أن نسلك سبيله لا نحيد عنه . وإن كان هذا بدء معالجتك لقرض الشعر فهو يبشر بالاجادة ؛ فأحب لك الآن أن تقبلى على المطالعة والدراسة أكثر مما تقبلين على الانتاج والنشر

عباس حسان خضر

## عيد جوسلين وذكرى لامارتين

فى أوائل شهر سبتمبر أقيم فى مدينـة ما كون بفرنسا عيد أدبى مؤثر ؛ وما كون هى مسقط رأس الفونس دى لامارتين ومرتع طفولته وحداثته ؛ ولكن العيد الأدبى الذى أقيم بها لم يكن خاصاً بشخص لامرتين ، بل باحدى منظوماته الشعرية الشهيرة ، ونعنى « جوسلين » Jocelyn التى مضى على صدورها مائة عام

احتفل إذن بالعيد المئوى « لجوسلين » فى ما كون ، وأثيرت ذكرى الشاعر الكبير ، ورأس هذه الحفلات المؤثرة مسيو هنرى بوردو عضو الأكاديمية الفرنسية ، وكان من ضمنها حج أصدقاء الشاعر الى ضيعته «ميلى» التى قضى فيها أعذب أعوامه وشاد بذكرها فى «مذكراته» والى قصر سان بوان حيث قضى أعوام مجده ، ثم إلى قصر مونصو حيث قضى أعوامه الأخيرة فى غمر من البؤس والنسيان

أما منظومته «جوسلين» التى عرفت أيام صدورها منذ مائة عام أعظم ظفر أدبى يمكن تصوره فتكاد تنسى اليوم الى جانب منظومات وروايات أخرى للامارتين ؛ ذلك أنها لم تكن خير ما نظم من حيث الصناعة والصقل ، ولكنها كانت من أبدع ما نظم من حيث الروح ، والقوة ، والطابع الغنائى

وجوسلين قصة شعرية كبيرة فى أكثر من ثمانية آلاف بيت ، وكانت حسبما يريد ناظمها أول قسم من ديوان شعرى ضخم يسمى «الرؤى» Visions ؛ وبطلها جوسلين وهو فتى يتيم وولد قروية فقيرة ، حملته ظروف الأسرة على الالتحاق بمدرسة الكهنة على رغم إرادته ؛ وكان ذلك أيام الثورة ، فلم يلبث أن طرد من المعهد قبل إتمام دروسه ؛ وعندئذ فر الى الجبال ليتقى المطاردة التى كان يعرض إليها رجال الدين يومئذ ، وعاش فى كهف فى الجبال ، وعطف عليه راع كان يمده خفية بالطعام والشراب

وفى ذات يوم رأى جوسلين شيخاً وفتى يطاردهما القتلة فتقدم لعونهما ، وأسلمه الشيخ فتاه ، ولكن لم ينج من رصاص القتلة فخر قتيلاً ، بينما التجأ ولده ناجياً الى كهف جوسلين

وعاش جوسلين مع هذا الفتى الحدث فى وئام وحب أخوى ؛ ولكن حدث ذات يوم أثناء هبوب العاصفة أن جرح الفتى ، ولاحظ جوسلين دهشاً مرتاعاً ، أثناء العناية به ، أنه يعنى بفتاة لا بفتى ، فعندئذ هام جوسلين بالفتاة « لورانس » ، وأخذ يحلم بالاقتران بها

ولكن الدهر لم يلبث أن فرق بينهما . ذلك أن جوسلين دعاه أسقفه ومربيه وهو على أهبة الموت ليقوم له بالواجبات الأخيرة ، ولم ير جوسلين بداً من قبول التضحية ، فهرول الى الأسقف ، وقام بواجبه . وفى أثناء ذلك تركت لورانس العنان لأهوائها وغدت فتاة خاطئة ، ودارت الأيام دورتها ، فالتقى جوسلين ثانية بلورانس يطلب إليها الصفح ويحمل اليها الغفران

تلك هى خلاصة « جوسلين » والمعروف أنها صورة لقصة واقعة بطلها راهب من أصدقاء الشاعر يدعى الأب « دومون » ، كان من رجال الدين أيام الثورة ، فعهد إليه ذات يوم أحد أصدقائه الأشراف بصغرى بناته لكى ينقذها من خطر السجن والاعدام فهام كل منهما بالآخر ، وأثمر الحب ابنة سميت الآنسة ميلى ؛ وعاش القس محترماً مبجلاً يزاول مهنته بعطف ورقة حتى توفى ؛ ونظم لامارتين فيه قصيدة مؤثرة ؛ وما زال قبره فى تلك الأنحاء يعرف بقبر « جوسلين » بطل منظومة لامارتين

## من أرض البكم

صدر أخيراً بالألمانية كتاب عنوانه « من أرض البكم » Aus dem Lande der Stummen بقلم الكسندرا آنسروفا :
وأرض البكم هى سجون روسيا السوفيتية ومعاقلها التى خصصت لنفى الأحياء واخراس الألسن ؛ والكسندرا آنسروفا هى نبيلة من نبيلات روسيا القيصرية ، كانت أيام الثورة فتاة فى السادسة عشرة ، فقبض عليها البلاشفة وزجوها إلى السجن بين من زج من النبلاء والنبيلات ؛ ومازالت الكسندرا تتقلب من سجن إلى سجن ومن منفى إلى منفى بلا تهمة ولا ذنب معين إلا أنها من النبيلات ، وتعانى أروع الآلام المادية والمعنوية ، تارة فى جزر البحر الأبيض الشمالى ، وتارة فى سيبيريا حتى سنة ١٩٣٢ ؛ وعندئذ أفرج عنها بعد اعتقال دام نحو خمسة عشر عاماً ، وبعد أن ظهرت براءتها ناصعة ؛ فلبثت فى موسكو مدى عامين تدون مذكراتها عن « أرض البكم » ثم غادرت بعد ذلك موسكو إلى ألمانيا ، وهنالك نشرت كتابها المذكور

والكتاب يصف السجون والمعاقل الروسية فى عهد البلاشفة وصفاً دقيقاً مروعاً ، ومنه يتبين أنها ليست فى العهد الحالى أقل شناعة وروعة منها أيام القياصرة ؛ وفى الكتاب ملاحظات وحقائق غريبة عن الحياة الجديدة فى روسيا البلشفية

## الثقافة الألمانية فى عصر النازى

نشرت الكاتبة الأمريكية دوروثى تومبسون فى مجلة

« الشؤون الخارجية » Foreign affairs الأمريكيـة مقالاً عن « الثقافة فى عصر النـازى » استعرضت فيـه خواص الحركة الأدبية والثقافية فى ألمانيا الحاضرة ، ومما قالته إن العالم الخارجى يدهش اليوم لأن أصوات الـكتاب الألمـان لا تسمع ، ولأنهم رضوا طائعين أن يكونوا آلة صماء للسياسة والوحى السياسى ، ولـكن الحقيقة أن هنالك مبررات قوية لهذا الخضوع المطبق ؛ ذلك أن الحركة الفكرية والثقافة كلها قد وضعت فى ألمانيا الحاضرة تحت نظام حديدى مطلق ، ومن المستحيل اليوم أن يصدر فى ألمـانيا كتاب أو نشرة ديموقراطية أو اشتراكيـة ، أو أدب يصطبغ بالصبغة الدولية مخالفاً للنزعة القومية الداخلية . وقانون الصحافة الجديد قوامه عصبـة من الـكتاب المتعصبين لنظريات الجنس هم أعضاء جمعية الصحافة القومية ، ولهم وحدهم الحق فى الـكتابة تحت الرقابة الحزبية ، ويعاقب من يخرج منهم على قانون الجمعية أو على مبادئها بالحبس سنة ؛ وكل ناشر يشجع كاتبا ليس ملتحقاً بجمعية الصحافة وينشر له شيئاً يعاقب بالحبس والغرامة وكل ما يكتب تفرض عليه رقابة صارمة ؛ وتخضع الحركة الفنية لمثل هذا النظام الحديدى ؛ وترى مس تومبسون أن ما يسود الحركة الثقافية اليوم من تلون ونفاق أساسه الاضطهاد والخوف يجعلها فى نظر العالم المتمدن مأساة مروعة تفوق تلك المأساة التى يعرضها الـكتاب المنفيون أنفسهم ؛ فبين أولئك المنفيين اليوم أعظم كتاب ألمـانيا المعاصرة مثل توماس مان ، وأخيـه هينريش ، وأرنولد زفايج ، وأريك ريمارك ، وطائفة أخرى من أقطاب الـكتاب اليهود

والأدب الألمانى يصدر اليوم فى ظل النازى بكثرة ، ولـكنه أدب محتضر تنقصه روح الابتكار ، وينتظر زعماء النازى عبثاً ظهور العبقريات الأدبيـة الممتازة . ذلك أن حرية الفـكر هى روح كل أدب وفن ؛ وما دام التفكير مصفداً والآراء مملاة ، فسوف يكون ثمة أدب وثمة كتب ومجلات ، ولـكن لن يكون ثمة أدب جميل أو رفيع ؛ وسيكون ثمة كتاب ، ولـكن كتاب محترفون أرقاء

### دائرة معارف للجنس الأسود

سيكون للسود فى القريب العاجل دائرة معارف خاصة تتحدث عن كل ما يتعلق بهم من الخواص الجنسية والشؤون السياسية والاجتماعية ، والتاريخ والمدنية ؛ وتعد هذه الموسوعة الجديدة الآن فى أمريكا ؛ وقد وضع المشروع منذ سنة ١٩٣٢ ، وانتخب لرآسة اللجنة المشرفة على تنفيذه زعيم السود الدكتور دى بوا أستاذ علم الاجتماع فى جامعة اتلانتا ؛ وتشمل اللجنة ممثلين لجمعية تقدم العلوم الافريقية ، ومجلس الجمعيات العلمية الأمريكية ولجنة التعاون الدولى ؛ وستعنى الموسوعة بالتحدث عن جميع أطوار حياة الجنس الأسود وتاريخه ومدنيته ، سواء فى إفريقية أو أمريكا ؛ وسيكون لهذه الموسوعة الطريفة شأن عظيم فى دوائر الأدب والسياسة والاجتماع ؛ وسيعطى لها اسم ( موسوعة الرجل الأسود ) Encyclopaedia of the Negro

### مذكرات ملوكية

صدرت أخيراً ترجمة انكليزية لمذكرات الأميرة أولاليا الأسبانيه ، وهى ابنة الملـكة إزابيلا وعمة الفونسو ملك أسبانيا السابق ؛ وتشغل هذه المذكرات زهاء سبعين عاماً تنتهى بقيام الجمهورية فى أسبانيا سنة ١٩٣١ ؛ وتتضمن أخباراً وقصصاً ونبذاً كثيرة عن معظم الحوادث التى تمس أسبانيا ، وعن جميع القصور الأوربية التى تتصل الأميرة أولاليا بمعظمها بصلة القرابة ؛ وتبسط الأميرة بنوع خاص الأسباب والعوامل التى أدت إلى سقوط الملـكية الاسبانية ، والتى شرحتها غير مرة للأسرة المالـكة ، ولم يحفل بنذيرها إنسان . كذلك تتضمن المذكرات نبذاً كثيرة عن عظماء هذا العصر الذين اتصلوا بالبلاط الأسبانى

## مخطوطات قديمة

المخطوطات القديمة النادرة الوجود ، يهتم بجمعها وحفظها صاحب مكتبة العرب بشارع الفجالة ، جمع الـكثير منها فى الأدب والتاريخ والشعر ، والروحانى والفلك والطب ، والجفر والزيج ، وخلافه من الـكتب الاسلاميـة والمصاحف الأثرية ؛ كما أنه مستعد لشراء مثل هذه الـكتب بأثمان جيدة . وللمكتبة فهرس بالمطبوعات يرسل مجاناً

# الكتب

رسائل الاهالى

## على طريق الهند

للأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى

رسالة قيمة أخرجتها إلى شباب الشرق جريدة الأهالى التى كانت تصدر فى بغداد وعُطلت وا أسفاه منذ طويل ، وهى بحث علمى قوى رجع كاتبه الفاضل فيه إلى أكثر من تسعين مرجعاً من السجلات والمحفوظات الرسمية والأوراق البرلمانية وتقارير الخبراء العسكريين والدبلوماسيين ونصوص المعاهدات ، وكتب المؤلفين المهتمين بدراسة شؤون الشرق أمثال أندريو وبوشام وتشرشل وكرزون وفوكس ومون وإسكويث والسير وليم ولكوكس والسير ارنولد ولسون وغيرهم

وقد تبد أهـذه الرسالة بمقدمة جغرافية عن أهميـة الخليج الفارسى وسواحله العربيـة والفارسية والشماليـة ، ثم يجاوز الـكاتب هـذا إلى كلام فى تاريخ الخليج ، ثم يثبت أن المصالح المادية وتجارة أوروبا مع الشرق كانت سابقة للأطماع السياسية ، وينتهى إلى أن الانجليز إنما سيطروا على الخليج الفارسى فى سبيل الهند موضحاً أهمية الهند للرأسمالية الانجليزية وكاشفاً فى قوة وجرءة عن سياسة هذه الرأسمالية واستخدامها الهنود لمصلحة الاستعمار وارتكابها الأخطاء الوحشية فى سبيل تحقيق ذلك كله . ويرى الـكاتب الفاضل أن وادى الفرات أقرب الطرق إلى الهند ؛ ويشرح موقف انجلترا إزاء المسألة الشرقية ، واهتمامها بطريق السويس والفرات ؛ ويبين ما نشأ من نزاع بين الرأسمالية الدولية من أجل سكة حديد بغداد حتى قيام الحرب العالمية

ويرى كاتب الرسالة فوق ما تقدم أن الثورة الصناعية جعلت الانجليز فى حاجة إلى كثير من المواد الغفل ، وقد يكون اهتمامهم بالعراق لأنها طريق الهند أولاً ولأنها أيضاً حقل يستطيعون أن يحصلوا منه على القطن والحبوب ، وتفسير ذلك اهتمام الانجليز بمشروعات الرى العراقية التى أسفرت عن فشل مروّع . ثم يشـير إلى مرحلة أخرى كشف فيها النفط ودعى الجنرال فيشر إلى الاستعاضة به عن الفحم وما بذلته انجلترا فى سبيل تأسيس الشركات وعقد الصفقات والمقاولات حتى سنة ١٩٣١

وينتقل إلى أن الحالة السياسية كان لها أثرها فى علاقات الانجليز بالشرق ، فقد قامت النهضة التركية وسيقت تركيا لاعلان الحرب وتقاسم الاستعماريون أملاكها ، ثم كان أخيراً انتصار مصطفى كمال والقضاء على الأطماع البريطانية فى تركيا ذاتها

كذلك ظهر السيد جمال الدين الأفغانى ونشر آراءه الحرة فى إيران فقامت حركات دستورية واضطرابات عنيفة سنة ١٩٠٥ و١٩٠٨ . ثم قامت الحركة الوطنية بعد ١٩١٧ نخذلت الاستعمار البريطانى ونصّبت رضا شاه بهلوى ملكاً على إيران الجديدة

كذلك قاتل الأفغان ضد الاستعمار تحت راية أمان الله حتى الحرب العامة التى أعلن أمان الله بعدها الاستقلال وأسس العلاقات السياسية مع روسيا . ثم جاوز هذا إلى حرب الانجليز وعقد معهم صلح ( راوال بندى ) ، وسار فى سبيل الاصلاح الداخلى والنهوض بالأفغان حتى قامت عليه الثورة المدبرة التى أزالته عن عرشه وأجلست مكانه نادر شاه

وتشير الرسالة إلى بوادر اليقظة فى الهند بعد فظائع الاستعمار البريطانى مما أدى الى عقد المؤتمر الوطنى الهندى ونجاحه فى الدعوة إلى الثورة فى وجه الانجليز حتى سنة ١٩١٢ ، ثم اقتربت الحرب العظمى فاستمالت انجلترا الهنود لتضمهم إلى صفوفها . وبعـد انتهاء الحرب عمد الانجليز إلى إصلاحات سنة ١٩١٩ ثم قامت الحركة الوطنية بزعامة غاندى لحكم عليه وانقسمت الجبهة الوطنية ودارت مفاوضات مؤتمر الطاولة المستديرة وانتهى الأمر بتخاذل غاندى وانصرافه عن قضية الوطن الهندى إلى قضية المنبوذين

كذلك مصر قامت فيها حركة وطنية بدأها محمد على الـكبير ورعاها اسماعيل والطبقة الارستقراطية ؛ وهنا يناقش الـكاتب

الوضع الاقتصادى للبلاد ، ويتتبع أدوار الوطنيـة التقليدية على يد عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول ، ويبين كيف أن اتحاد الجهات العليا مع الانجليز، وتآمر الأرستقراطيين مع السياسة الاستعمارية جعل الوطنية التقليدية على وشك الزوال . ذلك ختام الفصل الذى تعرضت فيه الرسالة لمصر . على أن ما شهده العالم من تضحيات الشباب المصرى ، وتكوين الجبهة الوطنية ممثلة جميع الأحزاب ، وعقد معاهدة ١٩٣٦ ، لا شك يجعل الوطنية التقليدية التى أشار اليها الكاتب الفاضل تدخل فى دور جديد يُقضى فيه على مساومة المستعمرين وخذلان قضية الوطن برعاية مصالح الطبقة الخاصة

ثم يناقش الكاتب الفاضل بعد هذا تعاون روسيا السوفيتية مع الشرقين الأوسط والأدنى ، وإلغاء الامتيازات ، وعقد المعاهدات مع تركيا وإيران وأفغانستان ، وتكوين الجبهة الشرقية ضد الاستعمار ، وما كان فوق ذلك من أثر النظام السوفيتى فى حكومة تركيا الجمهورية مستدلاً بمشروع السنوات الخمس التركى

ويبحث الفصل الأخير من فصول هذه الرسالة القيمة فى النزاع الاستعمارى فى الشرق الأدنى وكيف أن الانجليز يستعينون بأمراء العرب ضد الوحدة الاسلامية ، وكيف أن سياستهم قد انخذلت فى الشرق بعد الانقلاب الروسى ، فعمدت انجلترا إلى سياسة جديدة هى مفاوضة فرنسا وعقد المؤتمرات لتوزيع العروش والتيجان ، وبذلك حكمت جبهة الدفاع فى البلاد العربية واتخذت العراق مقراً لها . وأخيراً يشير إلى المعاهدة العراقية الانجليزية ويرى أن الخلاص لا يكون إلا بالانتباه إلى مكائد الاستعمار للعراقيين ولشعوب الشرق على حد سواء ، وبالاستفادة من موقع العراق الخطير على إنقاذ أنفسهم من ويلات المستعمرين ، وأن يتذكروا دائماً أن خلاصهم من الاستعمار منوط بتعاون شعوب الشرق كافة وبزوال الاستعمار من جميع البلاد الشرقية

* * *

ذلك نموذج سام للكتابة القومية الشرقية التى لا يختص بها قطر دون آخر من بلاد الشرق ، والتى تريد أن تجعل من الشرق بأسره جبهة قوية فى وجه الاستعمار . والواقع أن الشعوب المغلوبة على أمرها فى أشد الحاجة إلى مثل هذه الكتابة الشعبية التى تنير لها سبل الحياة الحرة وتشعرها بما ينصب فوق رأسها من إرهاق وعسف ؛ ذلك هو الأدب الحى الذى يقلب أوضاع الجماعات ويهدم الفاسد من أنظمة الحكم ليقيم محلها أنظمة صالحة تنفذها حكومات صالحة تعمل لصالح المحكومين وتستمد منهم وجودها وقوتها ، والشرق العربى والطورانى ظلاً طويلاً مسخرين لصالح الحاكمين والمستعمرين الذين أذلوا الجماعات ، ووقفوا فى سبيل إظهار مواهب الفرد وقوته ، وحالوا دون أن يعمل لصالح الجماعة التى يعيش فيها . ورسائل الأهالى التى نحن بصددها كتابة شعبية صريحة كتبتها أقلام جريئة قوية لا تخشى فى الحق لومة لائم ووجهتها إلى شباب الشرق تثير فيه الحماسة وتذكى جذوة القومية الشرقية العزيزة وتجلى عن ويلات الاستعمار ومساوئه وتفتح عين الشرق على خير وسائل الخلاص ، وهذه الأقلام المخلصة لا ريب حقيقة بالتعظيم والتقدير ؟

**عبد الفتاح السرنجاوى**

مدرس التاريخ بمعهد القاهرة

4 me Année. No. 170

Lundi - 5 - 10 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٧٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ رجب سنة ١٣٥٥ — ٥ أكتوبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد



## سعد زغلول

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وقال صاحب سرّ (م) باشا : ألقى إلىّ الباشا ذاتَ يوم أن (سعداً) مُصَبِّحُنا زائراً(١) ، وكانت بين الرجلين خاصة وأسبابٌ وطيدة . وللباشا موقعٌ أعرفه من نفس سعد كما أعرف الشُّعلةَ فى بركانها ؛ أما سعدٌ فكان قد انتهى إلى النهاية التى جعلته رجلاً فى إحدى يديه السِّحرُ وفى الأخرى المعجزة ، فهو من عظماء هذه البلاد كقاموس اللغةِ من كلماتِ اللغةِ يَرُدّ كلَّ مُفرَدٍ إليه فى تعريفه ، ولا تصح الكلمةُ عند أحدٍ إلا إذا كانت فيه الشهادةُ على صحتها

وجاءنا سعدٌ غُدْوَةً فأسرعتُ إلى تقبيل يده قبلةً لا تشبهها القبلات ، إذ مثلت لى من فرحها كأنها كانت منفيةً ورجعت إلى وطنها العزيز حين وُضعتْ على تلك اليد . إن ابنَ الرجل العظيم إذا كان باراً بأبيه عارفاً قدرَه مدركاً عظمته ، يشعر حين يقبِّل يدَه كأنه يسجدُ بروحه سجدةً لله على تلك اليد التى يقبلها ، ويجد فى نفسه اتصالاً كهربائياً بين قلبه وبين سرّ وجوده ،

(١) يقال صبحه (بتشديد الباء) أى جاءه صبحاً

ويَخُصُّه العالَمُ بلمسةٍ كأن قُبلتَه نبضتْ في الكون ؛ وكل هذا قد أحسسته أنا في تقبيلي يدَ سعد ، وزدتُ عليه شعوري بمثل المعنى الذي يكون في نفس البطل حين يقبل سيفَه المنتصر

وضحك لي سعد باشا ضحكتَه المعروفة التي يبدأها فمه ، وتتممها عيناه ، ويشرحها وجهُه كلُّه ، فتجد جوابها في روحك كأنه في روحك ألقاها

والرجلُ من الناس إذا نظر إلى سعد وهو يتبسّم ، رأى له ابتسامةً كأنها كمالٌ يتواضع ، فيُحس كأن شيئاً غيرَ طبيعي يتصل منه بشيء طبيعي ، فينتعشُ ويثب في وجوده الروحيّ وثبةً عاليةً تكون فرحاً أو طرباً أو إعجاباً أو خشوعاً أو كلَّها معاً . غير أن الرجلَ من الحكماء إذا تأمل وجهَ سعد وهو يضحك ضحكتَه المطمئنةَ المتمكنةَ من معناها القرِ أو المنكِر أو الساخر أو أيِّ المعاني — حسب نفسَه يرى شكلاً من القول لا من الضحك ، وظهرت له تلك الابتسامة الفلسفية متكامةً كأنها مرة تقول هذا حقيق ، ومرة تقول هذا غير حقيق

إن سعداً العظيم كان رجلاً ما نظر إليه وطنيٌّ إلا بعين فيها دلائلُ أحلامِها ، كأنما هو شخصٌ فكرةٌ لا شخص إنسان ؛ فإذا أنت رأيتَه كان في فكرك قبل أن يكون في نظرك ، فأنت تشهدُه بنظرين : أحدُهما هذا الذي تُبصِرُ به والآخر ذاك الذي تؤمن به

عبقريٌّ كالجمرة الملتهبة لا تحسبه يعيش بل يحترق ويُحرق ؛ ثائرٌ كالزلزلة فهو أبداً يرجُّ وهو أبداً يَرُجُّ ما حوله ؛ صريح كصراحة الرسُل ، تلك التي معناها أن الأخلاق تقول كلمتها

رجلُ الشعب الذي يُحس كلُّ مصري أنه يملك فيه ملكاً من المجد . وقد بلغ في بعض مواقفه مبلغ الشريعة فاستطاع أن يقولَ للناس : ضعوا هذا المعنى في الحياة ، وانزعوا هذا المعنى من الحياة

***

قال صاحب السر : وانقضت الزيارة وخرج سعد والباشا إلى يساره ، فلما رجع من وداعه قال لي : والله يا بني لكأنما زاد هذا الرجل في ألقاب الدولة لقباً جديداً ؛ ثم ضحك وقال : أتدري ما هو هذا اللقب ؟ قلت : فما هو يا باشا ؟

قال : والله يا بني ما من (باشا) في هذه الدولة يكون الى جانب سعد إلا وهو يشعر أن رتبته (نصف باشا) . . .

هذا رجل قد بلغ من العظمة مبلغاً تصاغر معه الكبير ، وتضاءلَ العظيم ، وتقاصَر الشامخ ؛ نعم وحتى ترك أقواماً من خصومه العظماء كفلان وفلان وإن الواحدَ منهم ليلوحُ للشعب من فراغه وضعفِه وتطرُّحه كأنه ظلُّ رجلٍ لا رجل

وقد أصبح قوةً عاملةً لا بد من فعلها في كل حيّ تحت هذا الأفق حتى كأن معاني نفسه الكبيرة تنتشر في الهواء على الناس فهو قوة مرسَلة لا تُمسَك ، ماضيةٌ لا تُرد ، مقدورة لا يحتال لها بحيلة

هذا وضع إلهي خاص لا يشبهه أحد في هذه الأمة كميدان الحرب لا تشبهه الأمكنة الأخرى ؛ فقد غامر سعد في الثورة العرابية وخرج منها ولكنها هي لم تخرج منه بل بقيت فيه . بقيت فيه تتعلم القانونَ والسياسةَ وتُصلح أغلاطها ثم ظهرت منه في شكلها القانوني الدقيق . وبهذا تراه يغمُر الرجال مهما كانوا أذكياء لأن فيه ماليس فيهم ؛ وتراهم يظهرون الى جانبه أشياء ثابتة في معانيها ، أما هو فتراه من جميع نواحيه يتلاطم كالأمواج العاتية

وتلك الثورة هي التي تتكلم في فمه أحياناً فتجعل لبعض كلماته قوة كقوة النصر وشهرة كشهرة موقعة حربية مذكورة

ولما كان هو المختار ليكون أباً للثورة — حرمته القدرةُ الالهية النسل وصرفت نزعةَ الأبوة فيه الى أعماله التاريخية ، ففيها عنايتُه وقلبُه وهمومُه ، وهي نسل حيٌّ من روحه ، ويكاد معها يكون أسداً يزأرُ حول أشباله

ولن يُذكَر السياسيون المصريون مع سعد ، ولن يذكر سعد نفسُه إذا انقلب سياسياً ، فان المكانَ الخالي في الطبيعة الآن هو مكانُ رجل المقاومة لا رجل السياسة . وهذا هو السبب في أن سعداً يُشعِر الأمة بوجوده لذةً كلذة الفوز والانتصار وإن لم يفز بشيء ولم ينتصر على شيء ؛ فاطمئنان الشعب إلى زعيم المقاومة هو بطبيعته كاطمئنان حامل السلاح إلى سلاحه

وسعد وحده هو الذي أفلح في أن يكون أستاذَ المقاومة لهذه الأمة ، فنسخ قوانين وأوجد قوانين ، وحمل الشعب على الاعجاب بأعماله العظيمة ، فنبَّه فيه قوةَ الاحساس بالعظمة فجعله عظيما ، وصرفه بالمعاني الكبيرة عن الصغائر ، فدفعه إلى طريق مستقبله يُبدع إبداعَه فيه

صور سياحية

# ٢ - صروح باريس

## وطرف من معالمها وآثارها

### بقلم سائح متجول

دار الحديث على ظهر السفينة بيني وبين صديق ممن درسوا في باريس وعرفوا كثيراً من معالمها وأحوالها ، فقال لى حين أعربت له عن آرائى فى باريس ومجتمعاتها وخواص حياتها الاجتماعية : « خذ باريس وحدها ، واترك من فيها »

وهى تفرقة فى موضعها ؛ ففرق بين باريس العاصمة التالدة التى تزخر بالربوع والمعاهد الأثرية والعلمية الجليلة ، وبين المجتمع البارزى وخلاله ومظاهر حياته

وسنخص باريس بالحديث فى هذا الفصل ، ونحاول أن نعرض لمحة من معالمها ومعاهدها وآثارها العظيمة

باريس عاصمة القرون والأجيال المتعاقبة ؛ وإنك لتلمح فى ربوعها ومعاهدها هذا التعاقب فى القرون والأجيال ، فمن آثار رومانية وقوطية ، الى آثار العصور الوسطى ، ثم عصور الملكية الزاهرة وآثار الثورة ثم الامبراطورية والعصر الحديث ؛ وهذه الأجيال المتعاقبة هى فخر العاصمة الفرنسية ، وتراثها من أجل ما عرفت الأمم والعواصم التالدة

وهذا التعاقب فى العصور ظاهر الأثر فى باريس وفى أحيائها ، فباريس مدينة عظيمة شاسعة الأرجاء ولكنها تبدو كأنها عدة مدن متباينة شيدت فى عصور وظروف مختلفة ؛ فمن أحياء قديمة تغص بالشوارع الضيقة والمبانى العتيقة وتحمل أسماء تاريخية لا شك فى قدمها ، ومن أحياء جديدة تلمح أثر التجديد فى شوارعها وميادينها الشاسعة ، ومن أحياء مزجت بين القديم والجديد ؛ وهذا التباين فى تخطيط العاصمة الفرنسية وفى أحيائها يجعل منها مدينة قليلة التجانس والتناسق ، بيد أن مسحة من الجلال والعظمة تطبع هذه المجموعة الضخمة المتباينة من المعالم والربوع

وفى باريس من المشاهد التاريخيـة الجليلة ومن المواطن والأحياء العظيمة ما يقتضى وصفه فصولا بأسرها ؛ ولقد خصت هذه المواطن ببعض الكتب الساحرة من قلم المؤرخ لينوتر وغيره ؛ وسنحاول أن نمر مسرعين بطائفة من هـذه المشاهد والمواطن التى كتب عنها الكثيرون من قبل

إن أروع المشاهد التاريخية البارزية فى نظرنا هو قصر اللوفر وذخائره الفنية الجليلة ؛ فهذا القصر القديم الذى يجثم كالخلود على ضفاف السين ، يمثل أجيالاً من عظمة فرنسا وعظمة الملوكيـة الفرنسية ، وفى أبهاء اللوفر وقاعاته الرائعة تذكر عصور آل فالوا وآل بوربون : عصور فرانسوا الأول وكاترين دى مديتشى ، وهنرى الرابع ، ولويس الرابع عشر ، بكل ما فيها من روعة ودسائس ومنافسات ، ومآس دموية ، وأيام زاهرة

وتضم أجنحة اللوفر اليوم عدة من المجموعات الفنية الجليلة ، ولاريب أن متحف التصوير الذى يشغل عدة أبهاء شاسعة من اللوفر هو أعظم هـذه المجموعات وأغناها ؛ فهنالك تمثل أقدم مدارس التصوير منذ بدء عهد الأحياء إلى أحدثها ، وهنالك مجموعات حافلة لأعظم أساتذة التصوير الايطاليين مثل ليوناردو داڤنشى ، ولى تسيان ، ورافائيل سانزيو ، وبورجينو وغيرهم ، وأعظم الأساتذة الأسبانيين مثل موريليو وفيلاسكيز ، وهنالك أيضاً مجموعات حافلة لأعظم المصورين المحدثين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ؛ وربما كانت مجموعات عصر الأحياء التى يحتويها اللوفر أعظم وأغنى مجموعات من نوعها بعد مجموعات قصر

---

إن هذا الشرق لا يحيا بالسياسـة ، ولكن بالمقاومة مادام ذلك الغربُ بإزائه ؛ والفريسة لا تتخلص من الحلق الوحشىّ إلا باعتراض عظامها الصُّلبة القوية

وكم فى الشرق من سياسى كبير يجعلونه وزيرا فتكون الوظيفة هى الوزير لا نفس الوزير ، حتى لو خلعوا ثيابه على خشبةٍ ونصَّبوها فى كرسيه لكانت أكثر نفعا منه للأمة بأنها أقل شراً منه ....

يا بنى كل الناس يرضون أن يتمتعوا بالمـال والجاه والسيادة والحكم ، فليست هذه هى مسألة الشرق ، ولكن المسألة : من هو النبى السياسىُّ الذى يرضى أن يُصلَب .... ؟

( منظا ) مصطفى صادق الرافعى

الفاتيكان ، بل يلوح لنا أن فى اللوفر مجموعات لبعض الأساتذة أغنى من نظائرها فى الفاتيكان : وفى اللوفر أيضاً مجموعات فاخرة من التحف والحلى الملوكية التى تبهر الأبصار بجمالها وروعتها ؛ وبه أجنحة ومجموعات فنية أخرى تقتضى عدة زيارات لاستعراضها وتأملها

وما زال قصر اللوفر يحتفظ بروعته الملوكية سواء فى أبهائه وغرفه الداخلية أو فى واجهاته الخارجية ، وما زالت ساحاته الشاسعة وأبراجه القائمة تحتفظ بجلالها القديم ؛ ومما يبعث الى الأسف أن ساحة اللوفر الكبرى مفتوحة من جانبيها لمرور السيارات الضخمة (الأومنبوس) ذهاباً وإياباً ، وفى ذلك تشويه للساحة وللقصر ذاته ، وإن كان فيه تسهيل للمرور ، واختصار للطريق

وفى قلب باريس عدة قصور تاريخية شهيرة أخرى نذكر منها قصر اللكسمبور الذى يقع فى حديقة اللكسمبور الشهيرة ، ويشغله الآن مجلس الشيوخ ( السينا ) ، وقصر بوربون الذى يشغله الآن مجلس النواب ؛ والقصر الملكى ( الباليه رويال ) الذى بناه الكردينال ريشليو لاقامته ، وتركه بعد وفاته للملك ، وسمى الباليه رويال ؛ وقصر التويلرى الذى بدأته كاترين دى مديتشى ، وأتمه هنرى الرابع ؛ ولهذه القصور التاريخية كلها سيروذ كريات شهيرة تملأ صحفاً حافلة من الأدب الفرنسى ؛ وهنالك أيضاً قصر « الأليزيه » الذى يرجع إلى القرن الثامن عشر ، والذى جعل مقراً لرآسة الجمهورية فى العصر الأخير

وثمة أثران يحوطهما جلال مؤثر ، ويبثان إلى المتأمل شجناً خاصاً ، هما « دار الانفاليد » و « البانتيون » ؛ ويحتوى « دار الانفاليد » أو دار العجزة ، التى تقع فى شمال غربى باريس فى ميدان شاسع جداً ، فضلاً عن المستشفى الذى يخلد اسمها وصفتها ، على « قبر الأمبراطور » أو قبر نابليون . ويقع القبر فى طرفها الشمالى ، وهو عبارة عن حظيرة مستديرة تغطيها قبة عظيمة ، وقد نصبت فى وسطها منصة رخامية عاليــة ، ووضع فوقها تابوت فاخر من الرمر الأحمر القاتم يحوى رفات الأمبراطور ؛ ونصبت حول المنصة مجموعة من الأعلام التاريخيــة التى غنمها الأمبراطور فى مختلف المواقع الشهيرة ؛ مارنجو ، فاجرام ، أوسترلتز ، إيلو ، يينا وغيرها ؛ ومن بين هذه الأعلام علم كتب عليه « موقعة الأهرام » ، ولكن ليست عليه كتابة عربيــة تدل على أصله ؛ والحق أن منظر قبر الأمبراطور يبعث إليك كثيراً من الروع والاجلال لذكرى ذلك الذى ملأت حياته وأعماله العسكرية الباهرة مرحلة كاملة من تاريخ أوربا بأسرها

وأما البانتيون ، فهو كما تعلم مقبرة الخالدين ؛ وقد كان فى الأصل كنيسة تسمى « سانت چنڤياڤ » ، حولت أيام الثورة إلى مقبرة قوميــة للعظماء ؛ ويقع البانتيون فى شارع سوفلو فى الحى الجامعى على مقربة من الكليات ؛ وما زال البانتيون على وضعه الأول كنيسة فخمة تزين جدرانها طائفة من الصور الدينية البديعة ؛ ولكن جلال البانتيون فى أقبيته السفلى ؛ ففى تلك الأقبية التى قسمت إلى أروقة وحظائر مختلفة يرقد عدة من أبناء فرنسا الخالدين من القواد والكتاب والمفكرين ؛ وربما كانت أسماء فولتير ، وروسو ، وديدرو ، وزولا ، وجوريس ، هى أعظم الأسماء رنيناً فى أقبيــة البانتيون ؛ بيد أن هنالك أسماء كثيرة من القادة والزعماء السياسيين أيام الأمبراطورية الأولى والأمبراطورية الثانية : هذا تابوت الماريشال ناى ، وهذا إناء يحتوى قلب ليون جامبتا ... وهذا تابوت جان جوريس الذى اعتبر يوم مقتله فى سنة ١٩١٤ خائناً للوطن ، واعتبر بعد ذلك بعشرة أعوام من أبطال الوطن ونقلت رفاته إلى البانتيون ! وهذا تابوت ڤولتير ؛ ولكن هل عثر الخلف حقاً برفات ڤولتير ؟ لقد ثار حول ذلك جدل منذ أعوام ، وقرأنا فى بعض الصحف الفرنسية الكبرى أنه قد عثر على هيكل عظمى فى بعض أقبية كنيسة فى روان ، يظن من شكل جمجمته وفكيه أنه هيكل ڤولتير ، خصوصاً وأنه يروى أن الذى تولى دفنــه هو عمه راعى هذه الكنيسة ، وأنه دفنه فى بعض أقبيتها ، ولكن دليل البانتيون رفض أن يستمع الى هــذه الرواية ويؤكد بكل قواه أن رفات فولتير ترقد فى التابوت المرقوم باسمه !

وكما أن باريس غنية بالقصور الملوكية القــديمة ، فهى غنية أيضاً بالكنائس الأثرية ؛ ومن أقدم وأشهر كنائس باريس كنيسة « نوتردام » التى يرجع بناؤها إلى القرن الثانى عشر ، والتى يقترن اسمها وسيرتها بكثير من الحوادث التاريخية ؛ وكنيسة « سانت شابيل » التى تقع فى « الباليه دى جستيس » (دار العدل) ، والتى بناها لويس التاسع فى القرن الثالث عشر ؛ وهذه الكنيسة الصغيرة هى حلية ساطعة بين الآثار البارزية ، وقد بنيت على الطراز القوطى بافتنان بارع ، وزينت بنقوش

ذهبية رائعة ، وجعلت من طبقتين ؛ وكنيسة المادلين الفخمة التي تقع فى الميدان الشهير المسمى باسمها ، والتي ترجع إلى القرن الثامن عشر ؛ وكنيسة سان سلبيس التي تقع فى نهاية حى سان جرمان على مقربة من اللوكسمبور ، وقد أقيمت أمامها فى الميدان المسمى باسمها نافورة أثرية تحوطها تماثيل أربعة لبوسويه وفنيلون وفلشييه وماسيون ؛ وهنالك غير ذلك من الكنائس الأثرية مما يضيق المقام عن ذكره

وهنالك ، على مقربة من «سانت شابيل» ، فى الناحية الأخرى من دار العدل يوجد صرح يثير اسمه وذكرياته فى النفس شجناً وأسى : ذلك هو سجن « الكونسيرجيرى » الشهير الذى كان أيام الثورة مسرحاً لطائفة من المآسى المؤثرة . كم شهدت تلك الأبراج والغرف الحجرية الضيقة من محن وآلام ، وكم سكبت بين تلك الجدران القاتمة من دموع ؟ أجل هذا هو سجن « الكونسيرجيرى » الرائع الذى نقلت إليه مارى انتوانيت لتمضى أيامها الأخيرة قبل المحاكمة ؛ لقد كانت هذه الكهوف المظلمة تغص أيام الثورة بالمحكوم عليهم ، ومنها ينقلون إلى العالم الآخر . هذه غرفة مارى انتوانيت ، وهذا هو الأثاث الحقير الذى استعملته ملكة فرنسا زهاء شهرين ، وهذا هو مخدع الزينة الأخيرة الذى قص فيه شعرها وأعدت لتنفيذ حكم الأعدام : وهذه هى بعض مراسلات ووثائق رسمية تتعلق بالمحاكمة . . . . أجل هذه هى الآثار المادية لمأساة من أروع وأشنع مآسى التاريخ ! وإن القلب لينكمش أسى حينما يتأمل هذه الآثار المحزنة ويذكر ذلك العهد الدموى — عهد الأرهاب — بكل محنه وجرائمه وفظائعه

وماذا نذكر أيضاً من صروح باريس العظيمة ؟ هنالك الأوتيل دى ڤيل ، أو « دار البلدية » بماضيها الحافل ؛ ولقد كانت « الأوتيل دى ڤيل » فى مستهل الثورة مستودعاً للسلاح ، فاقتحمها الثوار يوم ١٤ يوليه ، وأخذوا منها السلاح الذى هاجموا به الباستيل : غير أن الدار التى تقوم اليوم ليست هى الدار القديمة ، وإنما هى دار جديدة أنشئت فى مكانها وباسمها ؛ وهنالك دار الأوبرا ، وهى محدثة ترجع إلى نحو سبعين عاماً فقط ؛ ولكن توجد ثمة طائفة أخرى من المسارح القديمة أشهرها مسرح « الاوديون » الذى أنشىء فى أواخر القرن الثامن عشر ، والذى ما زال يحتفظ بطابعه القديم ، ويشرف بحناياه وأعمدته القصيرة القائمة على الميدان الذى سمى باسمه من ناحية ، وعلى اللوكسمبور من الناحية الأخرى

وأما ميادين باريس فهى من أعظم وأروع ما تزدان به العواصم الجليلة : ؛ وربما كان أعظمها وأبدعها ميدان «الشانزليزيه» الذى لا تكاد تلم العين بجنباته الشاسعة ، والذى تنساب من إحدى ضفتيه حدائق الشانزليزيه الرائعة ؛ وميدان « الأتوال » المستدير الشاسع الذى يقوم فى وسطه قوس النصر ، وتنساب من أطرافه عدة شوارع هامة سميت بأسماء قادة فرنسا ، مثل لازار هوش ، وكليبر ، وفوش ؛ وقوس النصر من أعلام الآثار البارزية يثوى تحت ظلاله « الجندى المجهول » ، ويحج إليه الزائرون أفراداً وجماعات فى خشوع وإجلال ؛ وميدان الشان دى مارس حيث يقوم برج إيفل الشهير ، وميدان الكونكورد حيث تقوم مسلتنا المصرية ، وميدان فندوم الذى يقع بجواره ويزينه عمود من أعمدة الحرية ، وميدان المادلين الذى تتفرع منه أهم الشوارع التجارية ؛ وميدان الباستيل الذى كان يشغله سجن الباستيل قبل الثورة ، ويدل الآن عليه عمود الحرية القائم مكانه

وتزدان باريس بعدة من الحدائق والبساتين الشهيرة ، وفى مقدمتها حديقة اللوكسمبور الشاسعة ، التى تزينها بعض البحيرات الصغيرة وتماثيل لملوك فرنسا وملكاتها ؛ وبستان مونصو ؛ وحدائق الاليزيه وغيرها ؛ وأروع من ذلك كله غابة بولونيا التى تقع فى غربى باريس ، وهى بسيط شاسع من الأحراج النضرة تتخللها طرق نظمت أبدع تنظيم ، بعضها للسيارات ، وبعضها للفرسان ، وبعضها للسائرين ؛ وتقدم هذه الغابة الشهيرة بطرقها ومتنزهاتها منظراً يأخذ باللب ، ويذكى الخيال ، وينعش المشاعر ؛ ولقد كانت غابة بولونيا وما زالت متنزه الأرستوقراطية ، وملتقى المحبين ، يؤمون طرقاتها وأحراجها الساكنة فى أمن وطمأنينة ؛ ولم نر فيما رأينا من متنزهات أوربا وأحراجها النضرة ، أبدع منظراً من هذه الغابة الساحرة التى تحمل طابع العناية الشاملة فى سائر أنحائها

هذه لمحة سريعة عن صروح باريس ومواطنها الأثرية العظيمة ، ولسنا ندعى أنها لمحة شاملة ، وكل ما هنالك أننا ذكرنا أهم ما يسترعى عناية السائح المتجول ؛ أما الحديث عن الصروح والمعاهد العلمية فقد رأينا أن نستبقيه إلى فصل خاص

(يتبع) (***)

# الجانب الصوفى

## فى الفلسفة الاسلامية

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب

— ٤ —

لم يقف تصوف الفارابى عند المدرسة الفلسفية، بل تعداها إلى مدارس أخرى صوفية فى الاسلام. وعلى رأس هذه المدارس يجب أن نضع مدرسة الأشراقيين التى عاشت فى بلاد الفرس إلى القرن السابع عشر. ومؤسس هذه المدرسة هو السهروردى أو الشيخ المقتول المتوفى سنة ١١٩١ م. وكان ذا اطلاع واسع وخبرة تامة بالفرق الفلسفية التى تأثر بها عامة وبرجال مدرسة الاسكندرية وفلاسفة الاسلام السابقين بوجه خص. ويظهر أن سعة اطلاعه ولدت فيه رغبة التوفيق بين الفلسفات والفلاسفة المختلفين[1]. فالفلاسفة عنده رجال أسرة واحدة وفروع شجرة مباركة تمد الأنسانية بما فيها من ثمار وخيرات. أميدوقل وفيثاغورس وأفلاطون وأرسطوطاليس وبوذا وهرمس ومزدك ومانى، وإن انتسبوا الى شعوب مختلفة، هم أبناء الأنسانية أولا وبالذات ورسل السلام والاصلاح[2]. وعلى الجملة زهاد الهند وفلاسفة الاغريق وحكماء العراق يسمون وراء غاية واحدة، ويعملون على نشر نظرية ثابتة، وينطوون تحت لواء فلسفة واحدة، هى الفلسفة الأشراقية. ومبدأ هذه الفلسفة وأساسها الأول أن الله نور الأنوار ومصدر جميع الكائنات. فمن نوره خرجت أنوار أخرى هى عماد العالم المادى والروحى. والعقول المفارقة ليست إلا وحدات من هذه الأنوار تحرك الأفلاك وتشرف على نظامها[3]. فالفلسفة الأشراقية تعتمد إذن على نظرية العقول العشرة الفارابية مختلطة بعناصر مزدكية ومانوية

وإذا كان العالم فى جملته قد برز من أشراق الله وفيضه، فالنفس تصل كذلك إلى بهجتها بواسطة الفيض والأشراق. فاذا ماتجردنا من اللذات الجسمية تجلى علينا نور السمى لا ينقطع مدده عنا. وهذا النور صادر عن كائن منزلته منا كمنزلة الأب والسيد الأعظم للنوع الانسانى؛ وهو الواهب لجميع الصور ومصدر النفوس على اختلافها. ويسمى الروح المقدسة أو على لغة الفلاسفة العقل الفعال[1]. ومتى ارتبطنا به أدركنا المعلومات المختلفة واتصلت أرواحنا بالنفوس السماوية التى تعيننا على كشف الغيب فى حال اليقظة والنوم. وليس للتصوف من غاية إلا هذا الارتباط؛ والأشراقيون يسمون اليه ما استطاعوا وكثيراً ما ينعمون به. أما الأنبياء فهم فى اتصال دائم وسعادة مستمرة. يقول السهروردى: «إن النفوس الناطقة من جوهر الملكوت، وإنما يشغلها عن عالمها هذا القوى البدنية ومشاغلها، فاذا قويت النفس بالفضائل الروحانية وضعف سلطان القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر تتخلص أحياناً إلى عالم القدس، وتتصل بأبيها المقدس وتتلقى منه المعارف، وتتصل بالنفوس الفلكية العالمة بحركاتها وبلوازم حركاتها، وتتلقى منها المغيبات فى نومها ويقظتها كمرآة تنتقش بمقابلة ذى نفس»[2]

فالفلسفة الاشراقية التى دعا اليها السهروردى متأثرة فى بدئها ونهايتها بتعاليم الفارابى، ذلك لأنها مؤسسة على نظرية الفيض الفارابية ونزّاعة إلى العالم العلوى؛ غير أن هذه الفلسفة صوفية كلها أو التصوف هو كل شىء فيها، فى حين أنه لدى الفارابى ليس إلا قطعة من مذهب متنوع الأجزاء. هذا إلى أن الأشراق لا يقنع بالاتصال بالعقل الفعال وحده، بل يطمع فى الاتحاد بالله مباشرة والامتزاج بنور الأنوار[3]؛ فكأن السهروردى حين دعى للاختيار بين تصوف الحلاج وتصوف الفارابى رأى أن يجمع بينهما، وأن يقول بالاتصال والاتحاد معاً؛ وهذه نزعة توفيق أخرى تتفق مع روحه العامة

هذا التصوف العقلى المبنى على فكرة الفيض يبدو كذلك عند صوفى وفيلسوف آخر من رجال القرن الثالث عشر. ونعنى

---

(١) Van den Bergh, Suhrawardi, dans Encyc. de l. Islam

(٢) السهروردى، حكمة الأشراق، ص ٣٧١

(٣) السهروردى، هياكل النور، ص ٢٨ — ٢٩ و ٣٢

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤ — ٤٥

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥ — ٤٦ — حكمة الاشراق — ص ٣٨١

به ابن سبعين المفكر النقادة الذى لم يُدرس بعد دراسة كافية ، ولا ثقة به على الرغم مما فى آرائه من حصافة وفى أفكاره من عمق ودقة . ولعل أكبر مصـدر نعتمد عليه فى تعرف نظرياته هو المراسلات التى دارت بينه وبين فردريك الثانى ملك ألمانيا وأمبراطورها المتوفى سنة ١٢٥٠ . وقد بقيت هذه المراسلات مجهولة الى أن اهتدى إليها المستشرق الايطالى أمارِى سنة ١٨٥٣ فى مخطوطة من مخطوطات أكسفورد تحت عنوان : الرسائل الصقلية[١] . وبعده بنحو عشرين سنة قام بتحليلها فى الصحيفة الأسيوية الفرنسية المستشرق الدنمركى المشهور مهرن[٢] . وقد وقفنا بأنفسنا على هذه المخطوطة فوجدناها مملوءة بالعلامات والملاحظات الدقيقة ، وما أجدرها بأن تطبع وتنشر . وكلنا يعلم ما كان عليه فردريك الثانى من رغبة فى العلم وحب للأدب والفلسفة العربية . لهذا وجه الى ابن سبعين عالم صقلية وفيلسوفها فى ذلك العهد أربعة أسئلة متعلقة بقدم العالم ، والمقولات العشر وما وراء الطبيعة فى غايته ومبادئه ، وطبيعة النفس . وهذه الأسئلة تلخص تماماً المشاكل الهامة التى كانت تشغل المفكرين عامة وتلاميذ أرسطو على الخصوص فى ذلك العصر . وقد أجاب عليها ابن سبعين إجابة موسعة مستفيضة بحيث ضمنها كل مذهبه وآرائه الخاصة ؛ وفى مقدور من يرجع إليها معتمداً على بعض المصادر الأخرى أن يكوّن فكرة كاملة عن نظرياته الصوفية والفلسفية . ولسنا هنا بصدد هذا العرض المطول ؛ وسنكتفى بأن نشير إلى ما يتصل منه بموضوعنا . فالله فى رأى ابن سبعين أصل العقول المتصرفة فى الكون ، صدرت عنه بمحض الفيض والأنعام ، والعقل الفعال وهو أحدها يدبر شؤون الأرض ويمد الكائنات بصورها النباتية ، فهو مصدر النفوس البشرية على الاطلاق ؛ وإذا كانت النفوس صادرة عنه فهى ميالة دائماً إلى الاتصال به ؛ ولا يحول دونها وذلك إلا أدران الجسم وشهواته . فاذا ما تفرغ الانسان للدراسة والنظر فاز بالمعرفة الكاملة والحقيقة المجردة ، وسما إلى درجة العقل الفعال[٣]

هذه النظرية ، كما ترى ، تكرار حرفى لما قاله الفارابى وابن سينا ، وصاحبها نفسه يصرح بأنه أرسطى كسابقيه من فلاسفة الاسلام وإن كان ينقدهم نقداً مراً[١] . وقد بنى تصوفاً عقلياً على أساس فلسفى فهو صوفى على طريقة الفلاسفة[٢] ؛ وفيما يتعلق بمشكلة الجذب والالهام يخيل إلينا أنه أميل إلى الفلاسفة منه إلى الصوفية ؛ فهو يرفض الحلول والاتحاد اللذين ذهب إليهما الحلاج ويقصر السعادة على مجرد اتصالنا بالعقل الفعال وارتباطنا به ارتباطاً روحياً معنوياً[٣]

فتصوف السهروردى وابن سبعين مؤسس على دعائم فلسفية . وفى رأيهما أن الكائن الممكن يستلزم كائناً آخر واجب الوجود بذاته ليمنحه الوجود ويفيض عليه بالخلق والابداع . وهذا الكائن الواجب الوجود هو الله جل شأنه ؛ فهو موجود أزلاً بنفسه ودون حاجة إلى أى موجد آخر وإلا امتدت السلسلة إلى ما لا نهاية . والكائنات الأخرى جميعها مظاهر لعلمه وإرادته ، ومنه تستمد الحياة والوجود ؛ فوجودها إذن عرضى وبالتبع . وعلى هذا ليس ثمت إلا كائن واحد موجود حقيقة وضرورة ، بل هو الوجود كله ، والكائنات الأخرى لا تسمى موجودات إلا بضرب من التوسع والمجاز . هذه هى نظرية وحدة الوجود التى اعتنقها جماعة من الصوفية بعد انحطاط الدراسات الفلسفية فى الاسلام . وقد تكونت فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى ، وانتشرت بعد ذلك فى بلاد الأندلس والمشرق . ومن أكبر أنصارها محى الدين بن العربى المتوفى سنة ١٢٤٠ ميلادية ، وجلال الدين الرومى المتوفى سنة ١٢٧٣ ، وشعراء آخرون من متصوفة الفرس[٤] . ويصعد مذهب الوحدة هذا كما لاحظ ابن تيمية إلى ابن سينا ، أو كما نلاحظ نحن إلى الفارابى[٥] . وإذا كان الله هو الوجود الحق وجب أن تتلاشى فيه سائر الموجودات الأخرى . وهنا يختلط التصوف بالفلسفة اختلاطاً كبيراً . فكأن مذهب الشائين من العرب لما حورب فى شخص

---

(١) Amari, Journal asiatique, 1853, 5e série, t. I, Fév-mars.

(٢) Mehren, Ibu Sab'in. Correspondance avec l'empereur Frédéric II dans Journal asiatique, t. XIV (1879).

(٣) Ibid., p p. 459 — 360, 423 — Massignon, Rècueil. p. 133.

(١) Ibid., p p. 129 et suiv.

(٢) Mehreu, Journal asiatique 145.

(٣) Ibid., p. 390.

(٤) Nicholson, The Legacy of Islam, p p. 223 et suiv.

(٥) Massignon, Recueil, p. 187.

في الأدب المقارن

# الفكاهة

## في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

إذا انطوت الفكاهة على صادق حكمة أو نافذ نظرة، وأودعت العبارة المحكمة اللائقة بها، كانت في الفرد دليل صفاء الذهن ولطافة الحس، وفي الأدب مظهر الرقي والحيوية، وفي الأمة عنوان التحضر ورقة الطبع. والفكاهة عند ذلك لا تقل مكانة عن أرزن الجد، بل ربما بذته وكانت مرآة لميول الفرد والمجتمع أصدق تصوراً من مرآة الجد المحض؛ والأدبان العربي والانجليزي حافلان بضروب الفكاهة وأوضاعها، يتفقان في بعضها ويفترقان في بعض آخر، تبعاً للأحوال الاجتماعية

وإذ كانت الفكاهة كما تقدم دليل التحضر ورقة الحاشية قلّت آثارها في الأدب العربي حين كان أقرب إلى البداوة زمن الجاهلية ومستهل الاسلام. ففي أدب ذلك العهد نرى آثار اللَّسَن وحضور البديهة وقوة العارضة، وتخطئ مظاهر الدعابة

---

الفلسفة وجد ملجأ لدى الصوفية. وكثير من الأفكار الفلسفية المقوتة تبناه الصوفية وأبرزوه في صور أخرى مقبولة ولو إلى حين. وفي رأينا أنه لا يمكن أن يدرس تاريخ التفكير الفلسفي الاسلامي في العصور الأخيرة دراسة كاملة منعزلاً عما كتبه المتصوفة وعلماء الكلام

بيد أن الصوفية بدورهم لم يسلموا من شرور الفلسفة وويلاتها، وما أن تفلسفوا حتى أضحوا عرضة للمحاربة والانتقام. فالسهروردي قتل بأمر صلاح الدين؛ وابن سبعين انتحر في مكة بسبب مهاجمات وجهت إليه في الغالب؛ واتهم معاصره ابن العربي بالالحاد والزندقة من كثير من أهل السنة [١]

(يتبع) ابراهيم مدكور

(١) Mehren, Journal Asiatique, (1879), p p. 338 et suiv. C. de Vaux, Les Penseurs de l'Islam, t. IV, p. 232.

الدمثة والعبث الرقيق. وما نحسب إلا أن الرسول (ص) الذي كان يمزح ولا يقول إلا حقاً كان يمتاز من معاصريه — في جملة ما امتاز — بلطف الروح وعذوبة الدعابة؛ فقد أُثِرَتْ عن صحابته المقربين وخلفائه الراشدين أخبار تنبئ عن متانة الخلق وحرارة الايمان وقوة الجلد والكفاح، ولم يُؤْثَرْ عن كثير منهم براعة الدعابة ولا الميل إلى الفكاهة

فلما استوطن العرب الأمصار، واصطنعوا حياة الدعة والاستقرار، وتذوقوا الحضارة والترف، ظهرت نتائج كل ذلك في أدبهم، وكثرت الفكاهة في الشعر والنثر، بل ظهرت طوائف من المجان المتظرفين الذين يصطنعون خفة الروح ويتهكمون بالجد والجادّين من رجال العلم والدين، جاعلين شعارهم قول أحدهم ابن هانئ:

دع عنك ما جدوا به وتبطل ... وإذا لقيت أخا الحقيقة فاهزل

ومن أظهر مواضيع الفكاهة في العربية التبرم بالثقلاء، والنيل من البخلاء، ووصف الأكولين والمطفلين، والتهكم بمدّعي العربية من الموالي، وعبث المجان بالمتخشمين المتورعين، والسخرية بالمنهزمين من القواد والمقاتلين؛ وكل هذه أبواب من القول منتزعة من حياة العرب في ذلك العهد، وكلها صفات مضادة لما كان الرجل ذو المروءة الحريص على حسن الأحدوثة يتحلى به أو يحب أن يعرف عنه

وتفنن المتهكمون بالبخلاء، فتحدثوا عن وعودهم المطولة، وحجابهم الغلاظ، وهباتهم الضئيلة: كالطيالس التي تتجنى الذنوب على الرياح، وتعرف الطريق إلى الرفاء، من كثرة تردادها عليه صباح مساء

ومن بارع التهكم بأدعياء النسبة العربية قول بشار:

ارفق بعمرو إذا حركت نِسْبَتَهُ ... فانه عربي من قوارير

ما زال في كير حداد يردده ... حتى غدا عربياً مظلم النور

ويشترك الأدبان العربي والانجليزي في أبواب من الفكاهة خاصة، لعلها تستثير روح العبث في النفس الانسانية على اختلاف الأجيال والأمم، كالمتحذلقين من أهل الفنون من شعراء وممثلين ومغنين والمدعين لتلك الفنون وأشباهها. فالتحذلق والادعاء سببان خالدان من أسباب ولوع الناس بالتصفين بهما، وما زال

المرء بخير حتى يدّعى ما ليس له ويتكلف الاغراب ؛ والنفس الانسانية بطيئة متثاقلة إلى الاعتراف بفضل الأغيار ، دع عنك الاعتراف بالفضل لمن يدعيه وليس من ذويه ؛ هناك تثور النفوس وتلجأ إلى أقسى أسلحتها وهو التهكم

فشكسبير يسخر على لسان هملت من متحذلقى الممثلين فى عصره ، ويجعل الثائرين الطالبين بدم قيصر ينصرفون هنيهة عن وجهتهم إلى مهاجمة شاعر لغثاثة شعره ؛ والجاحظ يقول فى صاحب له متحـذلق متعالم : « يعد أسماء الـكتب ولا يفهم معانيها ، ويحسد العلماء من غير أن يتعلق منهم بسبب ، وليس فى يده من جميع الآداب إلا الانتحال لاسم الأدب » ، وابن الرومى أوْسَعَ مَن لم يَحمَدْ من المغنين والمغنيات تهكما ، وصوّر أحدهم أقبح صورة فى قوله :

ويحسب العينُ فكّيه إذا اختلفا
عنـد التنغُّم فكّىْ بغل طحان

وفى الأدب الانجليزى ضروب من الفكاهة منتزعة من مجتمعه الخاصة : كالتهكم بالمدعين النبل الاجتماعى ، والمحْدَثى النعمة ، والمتشدقين بضخم الـكلمات لا يفقهون معانيها ؛ ذلك أن المجتمع الانجليزى — على كون نظامه الحكومى ديموقراطياً — هو أرستقراطى شديد التفريق بين الطبقات ، يتعالى النبلاء فيه عن الدهماء تعالياً لا يقل عن ترفعهم عن أبناء الشعوب الأخرى ، ويكاد يجعلهم أمة داخل أمة ؛ وبعض العصاميين الذين يؤثّلون ثرواتهم فى ميادين الأعمال أو فى المستعمرات يتطلعون إلى الانغمار فيهم ، ويتشبهون بهم تشبهاً يتعلق بالظواهر ويستثير السخرية . أما التشدق بضخم الـكلمات فمرجعه إلى تكوُّن اللغة الانجليزية من أصـول كثيرة أبرزها اللاتينية الوعرة الألفاظ الـكبيرة المشتقات

فنى كثير من القصص والروايات الانجليزية يظهر الأشخاص المتصنعون السمو الاجتماعى المتكلفون رقة المظهر ودماثة الحديث ، والآخرون المـكاثرون باطلاعهم على اللغات الـكلاسية المقحِمون لجافى الألفاظ فى أحاديثهم ، خالطين صحيحها بخطئها ، حتى ليقولون عكس الذى يقصدون أحياناً

وللفكاهة مجال رحب فى القصة ، حيث يتحرك الأشخاص ويعملون أعمالهم ويتبادلون الأحاديث ؛ ومن ثم تحفل القصص والروايات الانجليزية ببارع النكات ، وفكه اللفتات ، ومضحك المواقف والشخصيات ؛ ونجد الـكثير من ذلك فيما قارب القصة من أوضاع فى الأدب العربى : فنى مقامات بديع الزمان ورسالة الغفران للمعرى فكاهات وسخريات هى غاية فى الامتاع والبراعة

والفكاهة من أمضى أسلحة الاصلاح الاجتماعى ؛ وقد استخدمها لهذا الغرض بعض فرسانها من الأدباء الانجليز . والمجال لها متسع فى الأدب الانجليزى ، حيث التمثيل والقصص يصوّران المجتمع وينقدانه ، وفى المجتمع الانجليزى ، حيث النقد النزيه مباح وحيث للرأى العام القول الفصل فى الحكم على الأنظمة والتقاليد . أما فى الأدب العربى فقلما اتجهت الفكاهة اتجاهاً اجتماعياً ، بل ظلت فردية كغيرها من أغراض الأدب ، إذ لم يكن الحكم المطلق الذى خضعت له الدولة العربية بمساعد على نمو النقد واشتداد ساعد الرأى العام

وهناك لون من الفكاهة يرمى به المتفكه إلى ضد ما يقول : فيتقنّع بالجد وهو يبنى الهزل ، ويبدى الوقار ويخفى العبث ، ويتظاهر بالمدحِ والقدحَ يريد ، ويغالى فى التفخيم قاصداً التهوين . ويُدعى هذا الضرب من الفكاهة بالانجليزية irony ، وربما أمكن تسميته « التَّنَـدُّر » ، والأدب الانجليزى حافل به ، ولعله يناسب الطبع الانجليزى ، وهو شديد المضاء فى أيدى الناقدين لأحوال المجتمع . ومن فرسانه المجلين (سويفت) . أما فى العربية فهذا النوع من الفكاهة نادر ؛ ولعل أصلح مثال له مقطوعة المتنبى التى نظمها حين رأى أعرابيين يتفاخران بقتل جرذ ، ومنها يقول :

وأيكما كان من خلفه ؟ فان به عضة فى الذنَب

وقول بشار وقد تفاخر أمامه رجل بأنه شاعر من نسل شعراء : « إذن أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »

ويشترك الأدبان فى ضرب من الفكاهة هو هجاء المرء نفسه وضحكه من عيوبه . على أنه فى كلا الأدبين غرض من القول متكلف ، يُطلب به التظرف ويعوزه الصدق والعمق . فالانحاء على النفس بالتثريب ليس خلقاً فى الانسان بله الأديب ، والذى يتصنع نقد نفسه لا يضع يده على مغامزه وعوراته الصحيحة ، ولا يسطر لنفسه إلا مدحاً بما يشبه الذم ، ولو رماه غيره بما يرمى به نفسه طلباً للظرف لثار به وأنكر مزاعمه أشد إنكار

ولما كانت المرأة الانجليزية أكثر بروزاً فى المجتمع والأدب من المرأة العربية ، فقد نالت دونها حظاً عظيماً من مداعبة الأدباء الذين أوسعوا غرائزها ومتناقضات أفعالها درساً وتصويراً . ومن أبرع من كتبوا فى ذلك (پوپ) الذى نظم قصيدة طويلة على طراز الملاحم الكلاسية أودعها وصفاً دقيقاً لأحوال فتاة جعلها نموذج المرأة فى مجتمعها ، من احتفالها بالأزياء وتذبذبها بين المعجبين بها ، إلى كل صغيرة وكبيرة فى حياتها المنزلية والخارجية فى أسلوب متهكم شائق

ومن الفكاهات ما قوامه التلاعب بالألفاظ المتشابهة فى النطق أو الكتابة ؛ وقد كان هذا العبث اللفظى شائعاً على عهد شكسبير الذى ضرب فيه بسهم ، ثم أهمل بعد ذلك فى الانجليزية واستثقل . أما فى العربية — حيث كانت للألفاظ عند الأدباء دائماً مكانة عالية — فظل هذا الضرب من التفكه مألوفاً . فأبو نواس يوافق مدعياً للنسبة العربية على انتمائه إلى طى ، ولكن مع إضافة نون وباء فى أول الكلمة . ويقول فى بخيل :

وما خبزه إلا كآوى يُرَى ابنه ولم يُرَ آوى فى حزون ولا سهل

وقد ازدهرت الفكاهة فى الشعر العربى فى صدر العصر العباسى ، وبرز فى مضمارها فى أجيال متتالية طبقاتٌ على رأسها بشار فأبو نواس فدعبل فابن الرومى ؛ وتمتاز فى شعر الأولَيْن بالاستهتار ، وفى شعر الثانى بالصرامة ولذع السخرية ، وفى شعر الأخير ببراعة التصوير . وازدهرت الفكاهة فى الشعر الانجليزى فى العهد الكلاسى أى فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر ، وهو العهد الذى اشتد فيه الأثر الفرنسى فى الأدب والمجتمع الانجليزيين ، وكان من فحول الفكاهة فيه سويفت وپوپ ودريدن

والحق أن ذلك العهد هو أشبه عهود الأدب الانجليزى بالأدب العربى ؛ ففيه انضوى الأدب حيناً تحت جناح الملكية وسار فى ركاب الحاكمين ، واختلط بالسياسة وخاض غمارها ، وانغمر فى جو المدنية وأهمل جانب الطبيعة ، وتأنق فى اللفظ وأغرب فى المعنى ، واحتدمت الخصومات الأدبية السياسية بين رجاله مماثلةً لما كان بين جرير والفرزدق ، وبشار وحماد ، والبديع والخوارزمى ، من مصاولات ومقارعات ؛ وولِعَ الأدباء بالوزراء والقواد ، وفشت الفكاهة واتخذها فريق سبيلا للمجون ، وفريق ذريعة للنقد الاجتماعى والاصلاح

وقد نظم دريدن أحد فحول ذلك العهد قصيدة هجاء لشاعر مزاحم له أفعمها بالتهكم المكسو بثوب الجد ، وبوّأ غريمه « عرش الغباوة » فى جو من الجلبة والمراسيم والمواكب والشارات مماثل لتتويج الملوك ، وجعله يلى ذلك العرش معهوداً اليه من شاعر غبى من شعراء الجيل السابق لجيلهما . ولهذا القصيد الساخر مماثل فى النثر العربى شديد الشبه به ، وإن يكن قد كُتب قبله بنحو ثمانية قرون ، أعنى العهد الذى كتبه الصابى على غرار عهود الخلفاء والأمراء إلى عمالهم ، على لسان مطفل أكول إلى آخر هو المقصود بالدعابة ، وقد بدأه بقوله : « هذا ما عهد به على بن أحمد المعروف بعليكا ، إلى على بن عرس الموصلى حين استخلفه على إحياء سننه ، واستنابه فى حفظ رسومه ، من التطفيل على أهل مدينة السلام وما يتصل بها من أرباضها وأكنافها ، ويجرى معها فى سوادها وأطرافها ، لما توسمه فيه من قلة الحياء ، وشدة اللقاء ، وكثرة اللَّقم ، وجودة الهضم »

وتتسم الفكاهة فى الأدب الانجليزى على العموم بالعفة التى هى سمة الأدب كله كما سبق ذكره فى كلمة سالفة ؛ أما فى الأدب العربى فتهوى أحياناً فى يد الهجائين إلى حضيض السباب ، وفى يد المجان المستهترين إلى وهدة الأفحاش . وتتعلق الفكاهة الانجليزية بالصفات والأخلاق والأعمال وتكشف التناقضات من آراء الناس وأفوالهم ؛ وفى العربية يتناول العبث الخَلْقَ بجانب الخُلُق . فدعابات ابن الرومى ملأى بذكر أعضاء الجسم من أنوف وأقفية ولحى ، وعيوبه من حدب وصلع وعور . ويُشَبَّهُ المعبوثُ بهم بالحيوان ، فيقول حماد وقد زعم بشار أن له جنياً يُوحى إليه :

إذا خاطب الجنى قرداً مشنَّفاً فقل لخنازير الجزيرة أبشرى

وفى كلا الأدبين فحول من الأدباء نأى بهم طبعهم عن الفكاهة ، وسما بهم قصدهم فى الحياة عن العبث ، واتسمت آثارهم وحياتهم بالجد والعبوس ، منهم فى الانجليزية ملتون ووردزورث وتنيسون ، وفى العربية المتنبى والشريف الرضى ؛ وأمثال أولئك عادة ذوو مطامع بعيدة يستغرق نشدانها أنفسهم ، أو رسالات لا ينفكون عن النظر اليها ، أو مُثُل عليا يُحسون أن التفكه يهبط بهم من عنانها

فخرى أبو السعود

# نابليـــــون
## وخطواته الأولى فى سبيل المجد
للأستاذ عبد المجيد نافع

لا يعرف التاريخ رجلاً اختلف الناس فى تقديره والحكم عليه ، مثل نابليون بونابرت . كان ولا يزال له أنصار ومعجبون يضعونه فى طليعة العظماء الذين أنجبهم العالم ، ويسبغون عليه أثواب الفضائل الانسانية التى ينبغى أن يتحلى بها الرجل العظيم . وكان ولا يزال له خصوم وحاقدون يجردونه من جميع الفضائل ، أستغفر الله بل يخرجونه من صفوف الانسانيـة ويسلكونه فى عداد الوحوش . فاذا كان «تين» يعترف له بالعبقرية الحربية ، والقدرة الادارية ، وينادى بأنه صب فى قالب لم يصب فيه أحد من قبل فى التاريخ الحديث ، وأن لا سبيل إلى وجود ضريب له إلا بأن نعود بالذاكرة إلى شخصيات الاسكندر وهانيبال ويوليوس قيصر – بعد أن يعطيك «تين» هذه الصورة الرائعة عن نابليون تراه يسارع إلى إدراجه فى عـداد الوحوش الخارجة عن دائرة الانسانية . وإذا كان بعض مؤرخى الانجليز ينادى بأعلى الصوت وملء الفم أن نابليون كان أعظم قائد حربى ، وأعظم رجل إدارى عرفه التاريخ ، فان بعض المرضى بمخالفة الاجماع ، والمولعين بالآراء الغريبة ، يجحدون عبقرية نابليون الحربية ، ويجترئون على الدعوى بأن جميع المعارك الحربية التى عقد له فيها لواء النصر ، انمـا يرجع الفضل فيها الى قواده ، بل الى رجال مغمورين كانوا يعملون تحت رايته ، وأن التاريخ هو الذى أضفى عليه ذلك المجد الحربى ، حتى جعله أشبه الناس بالشخصيات الخيالية ، بل أقرب إلى الأساطير منه إلى الشخصيات التاريخية ؛ بل ترى نفراً يمعنون فى الاغراب فيزعمون أن نابليون لم يوجد ، وأن الاساطير هى التى خلقت تلك الشخصية الخيالية ، وصاغت تلك الخرافة النابليونية ، وأن شيئا من التحقيق التاريخى لا يلبث أن يمزق الأستار عن تلك الأوهام العالقة بالأذهان !

ومهما يكن من شىء ، فليس فى التاريخ شخصية شغلت أذهان الكتاب والباحثين مثل شخصية نابليون . وعلى الرغم من وفرة ما كتب عنه ، فان البحث فى تاريخه لم تخلق جدته ؛ ذلك بأن حياته العاصفة الحافلة بالعظائم تجمع بين روعة القصص وجلال الحقائق التاريخية

على أن ذلك الرجل العظيم لم يجد طريق المجد أمامه ممهدة ، بل اجتاز الصعاب ، وتخطى العقبات ، وخاض غمرات الأهوال . ولقد تجهمت له الاقدار فى أول مرحلة من مراحل حياته ، ولم تبتسم له إلا بعد أن كاد يهوى فى غمرة اليأس ، ولم يفرض وجوده وكفايته على خصومه إلا بعد أن لقى منهم شتى ضروب العنت والمناهضة

ولا يتورع خصومه عن اتهامه بمجافاة وسائل الشرف فى سبيل بلوغ غاياته ، وتحقيق لباناته ؛ بل لا يتعفف الوالغون فى عرضه عن الجهر بأنه توسل بزواج جوزفين لتسلم قيادة الحملة الايطالية

هل وصل نابليون بكفايته وحدها أم أنه كان يدين بمبدأ : الغاية تبرر الوسائل ؟ وزواجه بجوزفين . هل أملته المصلحة ، أم كان مبعثه الحب ؟

مها يزعم الذين يشوهون نابليون ويهدرون آدميته ، فقد كان إنساناً بأوفى معانى الكلمة ، له قلب يصبو للنساء ، وعواطف تهوى اليهن ؛ وإذ كان فى ربيع العمر ، فقد ترجم عن هذه العاطفة باعلان رغبته فى الزواج ؛ وكان يغبط أخاه جوزيف على توفيقه فى الزواج ، وطلب يد أخت زوجته فلم تبادله حبا بحب ، فتولاه اليأس منها ؛ على أنه لبث يحمل لها فى صدره أصدق عواطف الحب ، فلما بات رب التاج والصولجان ، وصاحب الهيل والهيلمان ، زوجها ببرنادوت ، وبوأ ذريه كليرى التى أخفق فى حبها ، عرش هولندا

واستطاع نابليون أن يندمج فى الأعمال الحربية ، ويعمل فى قسم الطبوغرافيا بلجنة السلام العام ؛ فكيف كان سبيله إلى الوصول ؟

لا نكتم الحق ، ولا نكذب التاريخ ، فقد دفع ثمناً غالياً فى سبيل ما وصل إليه ، وتوسل بذوى النفوذ وأصحاب السلطان وأقوياء الساعة لبلوغ ما بلغ ؛ ولعله بذل من عزة نفسه ، وطامن من كبريائه ، وأراق من ماء وجهه ، رجاء أن يطفئ شهوة الطموح

التى كانت تضطرم نيرانها بين جوانحه

ومهما حاول فى رسائله أن يكتم آلام نفسه ويخفى جروح قلبه ، فقد كان بائساً من الوجهتين الأدبية والمادية . ولقد طالما رآه الراؤون يضرب على غير هدى فى طرقات باريس ، يسير بخطى هوجاء مضطربة ، يحمل فوق رأسه قبعة تكاد تحجب عينيه ، ويرتدى سترة رمادية أخذت فيها بعد مكانها فى التاريخ . وإذا رأيت ثم رأيت ذراعين طويلتين تجنحان إلى الطول ، وتضربان إلى السمرة ، وقد جردهما صاحبهما من القفاز زعما منه بأن تلك نفقة لا غناء فيها ولا طائل تحتها ، ورأيت فى قدميه حذاء قد أسرع إليه البلى ، وما كان يروعك منه إلا النظرة الهائلة ، والابتسامة الخلابة اللتان تشرقان على مظهر ينم على مرض فى الجسم والنفس معاً

وكذلك كان نابليون يتهادى بيؤسه وحزنه فى الطرقات . ولقد قالت مدام بورين إنه شهد معهم رواية فى مسرح ، وكان النظارة جميعاً ينفجرون بالضحك ، فما راعها من نابليون إلا أن تراه وحده فى مثل صمت القبور

نعم ، فلقد كان فى ذلك الحين يحلق بخياله فى جو غير جو المسرح ، ويجهد قريحته فى ابتكار وسيلة للعيش ، إذ كان يرقب من ساعة لأخرى فصله من عمله . ولقد خيل إليه أنه شق طريقاً جديدة بالاتجار بتصدير أدوات المكاتب ؛ على أن تصدير صندوق كتب إلى مدينة « بال » ما لبث أن أيقظه من حلمه اللذيذ إيقاظاً خشناً ! ثم داعب الأمل بأن يأذنوا له فى الشخوص إلى تركيا لتدريب جيش السلطان

وما كان يلمح فى الأفق بارقة أمل ، وذهبت جهوده فى تولون وإيطاليا أدراج الرياح ، لأنه منى بوزير للحربيـة اسمه « أوبرى » لا يقوى على فهمه ، ولا يدرى من الأمور الحربيـة كثيراً أو قليلاً . فأما الذين كانوا يظللونه بحمايتهم وهم « باراس » و « فربرون » و « ماريت » ، وقد حارب تحت لواء الأولين ، وانتشل الأخير من بين مخالب الدهماء فى مدينة تولون ، فقد كانوا يغذونه بالوعود

على أن بارقة النجاح كانت تبدو فى الأفق الذى لا يرقبـه نابليون ؛ وكان « بوامى دنجلاس » هو الذى أخذ بيده فوضعه فى الموضع الذى تتجلى فيه مواهبه لتولى القيادة العامة

وفى شهر يونيه من عام ١٧٩٥ ضاق « بونتيكولان » ذرعا باضطراب ادارة الحرب فى لجنة السلام العام ، فأشار عليه « بوامى دنجلاس » أن يستعين بخبرة جنرال عائد من ايطاليا وهو كفيل بأن يبذل له أثمن النصائح وأغلاها

فلما كان الغد قصد اليه نابليون ، فما هاله إلا أن يرى الضعف والهزال ماثلين فى شخصه . ولقد وعى التاريخ قوله : « رأيت شاباً أصفر اللون ، مكفهر الوجه ، مقوس الظهر ، تبـدو عليه مظاهر الضعف والمرض » . على أن « بونتيكولان » قد استرعى نظره أن ذلك المخلوق الضعيف المهزول بصير بشؤون الحرب ، فطلب اليه أن يدون كتابة ما ألقاه أمامه شفهياً ، وأن يرفع اليه تقريراً . وكرت أيام ، والتقى « بونتيكولان » « ببوامى دنجلاس » فقال له : « لقد رأيت رجلك الذى بعثت به إلى ، ويلوح لى أنه مجنون ، إذ لم تحدثه نفسه بالعودة إلى ، وأكبر الظن عندى أنه وقع فى روعه أنك تسخر منه . كلفه بالحضور إلى غدا »

وتحت ضغط « بوامى دنجلاس » والحاحه قدم نابليون تقريره عن الحملة الايطالية ، فما راع « بونتيكولان » إلا علو كعبه فى الفنون الحربية ، فطلب اليه أن يعمل معه ؛ ولـما سأله عن مطالبه أبدى رغبته فى العودة إلى جيش المدفعية برتبة قائد فرقة ، فأنـكروا عليه الطموح إلى تلك القيادة وما يزال فى الخامسة والعشرين من عمره

وقد كان « ليتورنير » هو الذى وقف عقبة فى سبيل تولى نابليون ذلك المركز ، ومع ذلك لم يحمل له حفيظة فى قلبه ؛ فما لبث أن أصبح امبراطورا حتى عينه مديرا ثم مستشارا

وإن شئت أن ترى آية حية على وفاء نابليون فاذكر أنه ما كاد يصير قنصلاً حتى استقدم « بونتيكولان » ، فلما قدم إليه قال له : إنك اليوم المستشار ، فاعتذر بعـدم بلوغه الأربعين ، فقال إذن فأنت مدير فى بروكسل أو فى أى بلد تختاره ، ذلك بأنى حريص على ألا أنسى خدمة قدمت إلىّ

وكان « بونتيكولان » ضامناً كفيلاً لأحد أصدقائه ، فلما أفلس تحمل بدين يبلغ ثلثمائة ألف فرنك ؛ فلما بلغ سمع نابليون ضـيقه استقدمه إلى قصر التويلرى ولامه فى رفق على كتم ضيقه عنه ، ثم مالبث أن وفى له دينه

ولا نملك أن نترك تلك الصورة الرائعة للوفاء دون أن نضع

إلى جانبها صورة للجحود والكنود والمفوق الأسود ؛ أجل فى جلسة ٢٢ يونيو من عام ١٨١٥ كان « بونتيكولان » الذى أغدق عليه نابليون ، بل الفارق إلى أذنيه فى نعيم نابليون ، أول من خذل نابليون ، وعارض فى بقاء الأمبراطورية !!!

وبينا كان بونابرت يرقب بفارغ الصبر أن تعينه لجنة السلام العام على رأس البعثة الحربيـة المزمع إرسالها إلى تركيا ، إذا به يتلقى والدهشة ملء نفسـه ، والأسى ملء فؤاده ، خبر تجريده من رتبته العسكرية ، تحت سـتار الدعوى بأنه رفض قبول المركز المعين له فى جيش الغرب

وكذلك تـكون سخرية الأقدار !

وآمن نابليون بأن من المستطاع إلغاء قرار التجريد ، لـكن لا مندوحة له عن التماس المعونة من أقوياء اليوم ، المسموعى الـكلمة والاشارة ، فجد فى طلبهم ، وتلمس العون من جانبهم

والتمس نابليون العون عند مدام تليان فحملته كتاب توصية إلى المسيو لوفوف ، فأجاب سؤلها وأذن لنابليون بالقماش الذى يصنع منه سترته التى أخذ منها البلى كل مأخذ

وطوع لنابليون ضميره أن يتوسـل بمدام تليان لينتفع بجاه « باراس » ونفوذه . وإن تنس فلا ينبغى أن تنسى أن تلك السيدة كانت متبوئة عرش الجمال فى باريس ، وأن صالونها كان الـكعبة التى يحج إليها العظماء والـكبراء ، وأن نابليون كان زرى الهيئة تكاد تقتحمه العيون ؛ ولذلك لم يكن يسترعى نظر أحد ، أو يلقى إليه المجتمعون بالاً ، وما كان يخوض معهم فى الحديث إلا نادراً ؛ على أنه إذا تكلم تكشف عن بديهة حاضرة وذكاء متوقد

وفى ذات مساء اشتغل نابليون فى صالون مدام تليان عرافاً ! أى والله عرافاً « يشوف البخت » ويجرى على سبيل العرافين ولهجتهم ! نعم لقد أخذ نابليون بيد مدام تليان يقلب النظر فى كفها وينبئها بالمستقبل ، ويفيض عليها بطائفة كبيرة من الخيالات

وكم كانت صورة رائعة تحتاج الى ريشة المصور ! فهذا عاهل فرنسا فى المستقبل ، والرجل الذى دانت له أوروبا وثل عروشها عرشاً فعرشاً ، ودك حصونها حصناً فحصنا ، وقوض ممالـكها واحدة بعد أخرى ؛ هذا الضعيف المهزول ، الأنكد الأغبر ، الزرى الهيئة ، الخلق الثياب ، يقرأ المستقبل فى كف ملـكة الجمال فى ذلك العصر ! فمـا أبعد الفارق وأعمق الهوة بين تلك المرأة المشرقة التى تخطر فى مطارف النعيم ، وبين ذلك البائس الذى لا يكاد يخفى بؤسه ، ولا يستطيع أن يكتم حزنه وبثه من سخرية الأقدار ! وأية فكرة كانت تجول فى ذلك الرأس المتعطش للمجد وصاحبها « يشوف البخت » التماساً لوجوه المعونة ! وإذا رأيت ثم رأيت جمعاً من السيدات يشهدن هذا المنظر وهن يضحكن ملء أفواههن من النبوءات التى يرتجلها نابليون ارتجالاً ومظهره الذى يدعو الى الرحمة ويبعث على الرثاء ! أنظر الى تلك السمراء الجميلة إنها جوزفين بوهارنيه . . . ولن تمضى خمسة شهور حتى تصبح قرينة للعراف الذى «يشوف البخت» . ولن تمر ثلاث سنين سوياً حتى تمسى شبه ملـكة لفرنسا ، وما تلبث غير بعيد حتى يهرع البابا إلى باريس ليضع على رأسها تاج الأمبراطورة على الفرنسـيين ! تلك هى جوزفين التى ارتسمت صورتها فى أفق المستقبل النابليونى من الليلة التى كان القائد الصغير يشتغل فيها عرافاً « ويشوف البخت »

كل أولئك لم ينفذ اليه نظر نابليون ، وهو يقلب كف مدام تاليان ، على رغم بعده ونفوذه ، ولو استطاع أن يشق حجب المستقبل ، وينبىء حقاً بمـا سيكون ، لملأ قلوب الحاضرات سروراً وأفواههن ابتسامات

لـكن المستقبل علمه عنـد ربى ، والغد لله لا لنابليون ولا لغير نابليون

( البقية فى العدد القادم )

عبد المجيد نافع
المحامى

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

### ترجمة الدكتور أحمد زكى

مدير مصلحة الكيمياء

— ٧ —

وأخيراً بدأت السعادة تدخل إلى قلب متشنيكوف ، فخصماؤه كانوا اقتنعوا بنظريته ولو بعض اقتناع ، والبعض كفّ عن مخاصمته لقلة جدواها ؛ ذلك أنه كان أصبر على التجربة منهم وأبعد عن الملل فيها ، وأنه كان أقدر على الكلام وأطول نَفَسا فيه ؛ ثم هو فى حجاجه أعلى صوتاً وأبعد صدى . فلما طلع عليه القرن العشرون استطاع أن يجلس فى سلام ويقعد إلى مكتبه فى اطمئنان فيكتب كتاباً كبيرا ضمنه كل الذى وجده فى أمر الحصانة . فكان رسالة ضخمة تحسبه قضى عمره فى إنجازها . وكتبها بأسلوب رائع يحسده عليه فلوبير Flaubert[1] ؛ وجاء فيها بآلاف الحقائق ، وصوّر كل حقيقة منها تصويراً واضحاً جدّاً ؛ ولوى تلك الحقائق لية جميلة ظريفة لتجتمع كلها عند قصد واحد هو تدعيم نظريته وتعزيز آرائه فيها . كانت رسالته أشبه بقصة أبطالها الألوف المؤلفة من تلك الخلايا الأفّاقة التوّاهة — فاجوسات حيوانات الأرض جميعاً

وحبّبه صيته الذى كسبه فى الحياة ، فصار يلتذّ لذة عميقة بكونه حيّاً ، وقد كان قبل ذلك بعشرين عاماً يعاف الدنيا ويبغض العيش ، ويكره الناس أجداداً وأحفاداً ، ويرثى لنفسه أنه كائن ، حتى كان من ذلك أن قال لزوجته أُلجا : « إن من الاجرام طلب النسل ، وأن آدمياً يَمُدّ فى حبل الوجود بما يخلّفه من آدميّين لا يفعل ذلك وهو خالص الذمّة بريئها » . أما الآن وقد ابتسمت له الحياة فقد عطف على أطفال القرية : قرية سفر Sevres التى عاش بها ، وربّت على رؤوسهم وفرق فيهم الحلوى فأسموه

(١) هو جستاف فلوبير الكاتب الفرنسى الشهير ولد عام ١٨٢١ ومات عام ١٨٨٠ . اشتهر أول ما اشتهر بمؤلفه « مدام بوفارى » عام ١٨٥٧ (المعرب)

« بابا نوئيل »[1] . قال : « ما ألطف العيش وما أجمل الوجود ! » ولكن ما السبيل إلى استبقائه ، ما السبيل إلى التشبّث به وهو يُفلت من يديه هكذا سريعاً ؟ سبيل ذلك واحدة وحيدة — سبيل ذلك لا ريب العلم

كتب يقول : « ما المرض إلا حادث عارض من أحداث الحياة » . وقال : « إن العلاج لا يكفى ( وهو لم يكتشف قط علاجا ) ... فلا بد من تفهّم هذا المآل الذى يؤول إليه الناس تلك الغاية التى ينتهون إليها جميعاً . لا بد من تفهّم ذلك الدافع القاهر الذى يدفع بالانسان الى الشيخوخة فالموت على حين هو أحب ما يكون للعيش وأكثر تشبثاً بالحياة » . عندئذ نفض متشنيكوف يده من الفاجوسات وأخذ يبتدع علوماً جديدة يكون من غرضها فهم غاية الحياة وتفسير الموت ، وإن أمكن فالافلات منه ؛ وكان أحد هذه العلوم يبحث فى الشيخوخة فطلب له اسماً طنّاناً فكان جيرنتولوجيا Gerontology . وأسمى علم الموت ثاناتولوجيا Thanatology ، وما كان أفظعها من علوم . ولكن الآراء التى تضمنتها كانت مما تتفتح بها الآمال ويزدهر عليها الرجاء فى الأيام . وأجرى متشنيكوف فيها تجاريب ، وسجل فيها أموراً كانت بعيدة عن الصحة ، قليلة الحظ من الدقة ، بحيث يتحرك لها لوفن هوك قَلقاً فى مضجعه ، ويرغى بستور منها ويزبد فى قبره أسفاً على أن كان أذِنَ لهذا الروسى المتبجّح أن يخطو خطوة واحدة فى معمله . ومع هذا ، ومع كل هذا ، فان طريقة استئصال داء من أقبح الأدواء المكروبيّة إنما اهتُدى إليها من هذه التجارب غير الدقيقة

خشى متشنيكوف الموت خشية شديدة ، ولكنه استيقن كارهاً أن الموت حتم لا مفر منه ، فانصرف يبحث عن أمل فى موت سهل يسير . وكان واسع القراءة شديد النهم فيها ، فذكر أنه جاء فى قراءاته على تقرير عن سيدتين عجوزين بلغت بهما الشيخوخة حداً رغبتا فيه عن الحياة وتمنتا الموت كما يتمنى أحدنا

(١) هو القديس نقولا . عاش حول نهاية القرن الثالث للميلاد فى آسيا الصغرى . ويتخذه الروس قديساً راعياً ، وهو كذلك راعى البحارة واللصوص والعذارى والأطفال ، وتجرى الخرافة بين أطفال أوروبا بأنه هو الذى يحمل إليهم هدايا عيد الميلاد يدخل بها إلى منازلهم من مداخن الدفايات . والفرنسيون يسمونه بابا نوئيل . وللانجليز فاذر كرسمس أو سانتا كلاوس

ويطلب السرير بعد يوم مجهود مكدود . فصاح متشنيكوف : « هذا يدل على أن الانسان فى غريزته ميل الى الموت كما فيها ميل إلى النوم . فلنرجو الآن أن نبحث عن طريقة تطيل الحياة فى صحة وقوة حتى تنكشف فينا هذه الغريزة فنطلب القبر طوعاً »

وأخذ يَذْرع الأرض ويَشْبُرها بحثاً عن أمثال أخرى لهاتين السيدتين المبخوتتين ، فزار عجائز فى بيوتهن ، وجرى وراء شيخات درداوات صمّاوات يمتحنهن تسآلا وهن لا يكدن يسمعن ما يقول . وذهب مرة كل المسافة من باريس إلى روان Ronen من أجل شائعة أشاعتها الجرائد ليلقَى سيدة قيل إنها بلغت الستة بعد المائة من عمرها . ولكن للأسف لم يلق فيمن لقى إلا كل امرأة تقوى على الحياة وتعتزّ بها ، ولم يجد أحدا يشتهى الموت اشتهاءَه النوم كما اشتهته السيدتان فى الأقاصيص التى قرأها ، وبرغم هذا صاح قائلاً : « إن فى غريزة الخلْق حبَّ الموت واشتهاءَه » ، أما الوقائع التى تنقض دعواه فما كانت تقلق باله أبدا

ودرس الشيخوخة فى الحيوانات ، وأرسل له الناس كلاباً شِيبا وقططا هدّها الكِبَر ، ودأبوا على إرسالها اليه ، ونشر بحثا جِدّيا فى بَبّغاء خرق العادةَ فعاش سبعين عاما . وكان يملك سلحفاة ذكرا من سلاحف البحر أسكنه حديقة داره ، وكان له من العمر ستة وثمانون عاما ، فألّف بينه وبين سلحفاتين أنثيين فى مقتبل شبابهما فنتج عن هذا التأليف نسل عديد من سلاحف صغيرة ، ففرح متشنيكوف بذلك وامتلأ سرورا حتى فاض ، فقد كان دائم الخوف أن تذهب الشيخوخة بلذائذ الحب . وقد ذكر ما وقع من السلاحف : « إن الشيخوخة لا تتضمن هذا الضعف البالغ الذى يتصوره الناس »

ولكن لا بد من مدافعة الشيخوخة على كل حال فكيف السبيل إلى صدّها ؟ وكان عالمٌ إسكندناڤىّ يُدعى إدجرن Edgren درس تصلّب الشرايين ، فاقترح أن هذا التصلب هو علة الشيخوخة ، وارتأى أن من أسبابه شربَ الكحول وداءَ الزّهرى Syphilis وطائفة أخرى من الأدواء

وحدّث متشنيكوف نفسه : « إن تصلب الشرايين علّة الشيخوخة . وما عمر المرء إلا عمر شرايينه ! هذا حق لا مرية فيه » . اعتزم أن يدرس كيف أن داء الزّهرى يصلب الشرايين وكان ذلك عام ١٩٠٣ . وكان متشنيكوف قبض جائزة مقدارها ٥٠٠٠ فرنك . وكان رو Roux نال جائزة أوزيرس الكبرى Osiris ومقدارها ١٠٠٫٠٠٠ فرنك . وكان الفرق كبيراً بين الرجلين ، والبون واسعاً بين طرائقهما فى البحث ، وكان رو أقوم الرجلين طريقة ، ولكنه لزم متشنيكوف دائماً وربط حبله بحبله واطمأن إليه رغم جموحه . اختلف الرجلان اختلافاً كبيراً ، ولكنهما كانا سيَّين فى قلة حرصهما على المال ، فاتفقا على أن يضمّا كل هذه الفرنكات ، وثلاثين ألفاً أخرى ابتزّها متشنيكوف تملّقاً وملاطفة من بعض أثرياء الروس ، وأن ينفقاها جميعاً فى بحث هذا البلاء التناسلىّ المسَمّى بالزُّهْرىّ ذلك بأن يصيبا به بعض القردة Apes ، ثم يبحثا فيها بعد ذلك عن جرثومته ثم يتدرّجان من هذا إلى طريقة لمنعه فعلاجه إن وجدا إلى ذلك سبيلا . وفوق كل هذا أراد متشنيكوف أن يدرس فيه كيف تتصلب منه الشرايين

واشتريا بالمال قردة ، وأعانهما الحكام الفرنسيون بالكنغو الأفريقى على صيد القردة فبعثوا أولاداً من أهل السواد يجوبون الغاب ويمشطون الاحراج فى طلبها ، ولم يمض طويل من الزمان حتى امتلأت حجرات واسعة فى معهد بستور بأصوات الشمبانزى والأوران أوتان ، وامتزج صراخ هذه بصريخ قردة الهندوس المقدسة ومواء الماكاكس المضحك الصغير Macacus cynemolgus (١) ولم يلبثا أن وقعا على أمر خطير . وكانت تجاربهما لبقة بارعة ، وكان بها حسن نظام ووضوح لم يعهدا فى تجارب متشنيكوف . وأخذ يتردد على معملهما طائفة من مناكيد الناس أصابها الزهرى حديثا ، ومن أحد هؤلاء لقّحا قرداً فنجحت فيه التلقيحة الأولى وسرى فيه الداء . ثم قضيا بعد ذلك أكثر من أربع سنين فى عمل شاق ينقلان الداء من قرد إلى قرد ، ويبحثان عن مكروبه الصغير الدقيق الخدّاع فلا يجدانه . ثم أخذا يُضْعفان سمّ الداء الذى استخرجاه وفشلا فى رؤية المكروب فيه ، وأخذا يضعفانه بالأسلوب الذى اتبعه بستور فى إضعاف جرثومة الكلب رجاء أن يَخْرجا من ذلك على لقاح يقى منه . وماتت القردة من النيومونيا وبالسل موتة شنيعة ، ووجد بعضها الفرصة إلى الهرب فهرب . وبينا متشنيكوف يجرح القردة لينقل سم الزهرى إليها فى غير خفة يد كبيرة انقضت عليه تمضّه

(١) كل هذه فصائل من القردة واختيارها فى البحث لأنها أقرب ما تكون فى جثمانها شبهاً بالانسان (المترجم)

وتجرحه . ثم قام متشنيكوف بتجربة غريبة إلا أنها تنم عن ذكاء كثير : خدش أذن قرد وسقاه فى هذا الخدش من سم الزهرى ، وتركه أربعا وعشرين ساعة ، ثم عاد إليه فقطع أذنه ، ثم امتحن جسمه فلم يجد بأى عضو منه أثراً من داء الزهرى

عندئذ صاح متشنيكوف : « إن معنى هذا أن جرثومة الداء تتريث ساعات فى الموضع الذى تدخل منه إلى الجسم ، وفى الانسان نعلم من أى عضو من أعضائه يدخل الجرثوم ، ونعلم فوق ذلك متى يدخل فيه ، إذن فلعلنا نستطيع أن نقتل الجرثوم ، عند مدخله من جسم الانسان قبل أن ينتشر فيه »

ثم قام فأجرى تلك التجربة الكبرى ذات الأثر العملى الواسع فى أبحاث المكروب ، أجراها بعد كل هذا الكلام الطويل العريض الذى قضى السنين يقوله ويكتبه فى تعليل حصانة الانسان ، وأجراها وإلى جانبه رو يؤازره ويلح عليه باعادة كل اختبار يأتيانه للتأكد منه . وفى هذه التجربة اخترع متشنيكوف مرهم كلورور الزئبق Calomel الذى به اليوم يطارد داء الزهرى فى جيوش البر وجيوش البحر فى كل قطر من أقطار الأرض : أخذ قردين وجرحهما ، ثم أعداهما حيث الجرح عادة للزهرى جاء بها صبيحة من إنسان ، وبعد ساعة دلك جرح أحد القردين بالمرهم وترك الآخر ، وأخذ بقية زمنه يرقبهما ، فسلم المرهوم وظهرت أعراض الداء فظيعة بشعة على الآخر المتروك

ثم عاود متشنيكوف جنونه الغريب القديم ، فلما تملكه نسى نذره الذى كان وأغرى طالب طب شاب يُدعَى مازونيف Maisonneuve بأن يتطوع له ، فلما رضى جاء به فى مجتمع محكم من أكابر رجال الطب وعلمائه فى فرنسا ، وفى وسط هذا الجمع الوقر وقف هذا الطالب المقدام ونظر إلى جلده وهو يجرح ست جراحات طويلة ، ونظر إلى هذه الجراحات الخطيرة وجرثوم الزهرى الخطير يُحَكُّ فيها . وكان مقداراً من الجرثوم أكثر كثيراً من المقدار الذى يدخل جسم الرجل الذى يصاب بالداء بالطريقة المألوفة فى الحياة . واحتمل الطالب بقوة مصيره المخوف : رجلاً بشعاً مبثوراً منقط الجسم مأكوله ، ثم يجيئه الجنون ، ثم يجيئه الموت

وجرح متشنيكوف فى الوقت نفسه وأعدى بالداء قرداً وشمبانزى ، واصطبر ساعة علاه إيمان قوى ، فلما انتهت قام يحك المرهم فى جراح الشاب ، ولم يفعل ذلك لا فى الشمبانزى ولا فى القرد .

فأما الشاب فنجا فلم تظهر عليه بثرة واحدة من بثور الداء ، وأما القردان فجاءتهما العاقبة المحتومة بعد ثلاثين يوماً : نتيجة لا ريبة فيها ونصر مبين

وقامت قيامة الأخلاقيين ومنهم بعض الأطباء يلحون متشنيكوف فيما صنع . قالوا : « إن داء الزهرى عقوبة ينالها الآثم تكفيراً عن إثمه ، وخشيتها تردع المترددين . فهذا العلاج الهين السهل لهذا الداء يزيل العقوبة ويذهب بالخشية فلا يكون منه إلا إشاعة الخطيئة فى الناس » . فأجابهم متشنيكوف : « إنى حاولت فوجدت السبيل إلى منع هذا الداء أن يمتد ، فقيل إنى أسأت إلى الأخلاق ، ولكن الأخلاق والأخلاقيين عجزت رقاهم عن منع الداء أن ينتشر ، وأن يصاب به بطريق العدوى البريئة أبرياء منه لم يجنوه ، فصار من الاساءة إلى الخلق الكريم أن نجد السبيل فلا نمنع انتشار هذا الداء الوبيل . . »

— ٨ —

وبينا هو فى هذا كان يتلمس الطرق ويختط الخطط ويحلم الأحلام عسى أن يجد سبباً آخر لتصلب الشرايين ، وإذا به يخترع هذا السبب الآخر — ولا أظن أن أحداً يود أن يقول اكتشفه[1] . قال إن هذا السبب هو : « تسمم الجسم من ذات نفسه بانحلالات تعفنية تحدثها بشلات وحشية فى أمعائنا الغلاظ . هذا هو سبب لا شك فيه لتصلب شراييننا ولشيخوختنا قبل الأوان » . ودبر اختبارات كيميائية يستدل بها على التسمم الذاتى للأجسام ، وكانت اختبارات فظيعة . قال : « إن أعمارنا تطول كثيراً لو لم يكن لنا هذه المعى الغليظ ، بل إن سجل الطب يخبرنا أن رجلين قطعت منهما هذه الأمعاء فعاشا أطيب العيش بدونها » . والغريب بعد هذا أنه لم ينصح بقطعها للناس ، وإنما أخذ يفكر كيف السبيل الى تعكير الصفو وتنغيص العيش على البشلات الوحشية التى تسكن هذه الأمعاء

وجاء بنظرية غريبة أثارت الضحك منه والسخرية به ، وأخذت توقعه فى المتاعب من جديد . وكتب اليه بعض الناس يذكره كأنما نسى بأن الفيلة لها أمعاء غليظة هائلة ، وهى مع

(١) نستخدم لفظة اخترع Invent بمعنى خلق شيئاً لم يوجد كاختراع الآلة البخارية وآلة الراديو ونستخدم لفظ اكتشف بمعنى كشف عن شىء كائن ولكنه مجهول كاكتشاف أمريكا واكتشاف مكروب السل (المترجم)

هذا تعيش مائة عام . وكتب آخرون يقولون إن الجنس الانسانى من أطول الأجناس أعماراً برغم هذا المصران . ثم دخل فى حوار واسع بذئ عن الحكمة فى أن سنة النشوء أذنت للحيوانات أن تحتفظ بالمصارين الغليظة ، وبغتةً وقع على دوائه الكبير للتسمم الذاتى : تحدّث بعضهم قال إن فى بلاد البلغار قرى يعيش أهلها أكثر من مائة عام . ولم يكن متشنيكوف ذهب اليها ورأى هذه الأعمار الطويلة بعينه ، ولكنه برغم ذلك صدّق ما سمع ، وعلم أن هؤلاء المعمّرين يعيشون على اللبن الرائب [1] ، فأسرّ لنفسه : « أى والله ! هذا هو السرّ فى طول هذه الأعمار » ، ولم يلبث أن كلّف بعض الشبان البحّاث فى معمله دراسةَ المكروبة التى تُرِيب اللبن ، ولم تلبث هذه المكروبة الشهيرة — البشلة البلغاريّة — أن اتخذت مكانها رفيعاً بين المستحضرات الطبية

وفسّر متشنيكوف عملها فقال : « إن هذه الجرثومة تصنع حامض اللبن الرائب وهى بذلك تطرد البشلات الوحشيّة من الأمعاء » . وبدأ بأن شرب هو نفسه مقادير هائلة من اللبن الرائب ثم عقّب بأكل زريعات من البشلة البلغارية وبظل يأكل منها سنوات . وألّف كتباً كبيرة فى هذه النظرية الجديدة ، وأشادت بهذه المؤلفات صحيفة انجليزية لا يُعرَف الهزل منها فقالت إنها أخطر الكتب الطبية منذ ظهور كتاب « أصول الأجناس » لداروِنْ . وشاع أكل هذه البشلات السخيفة فى الناس ، وتألفت شركات لصناعتها أثْرَى أصحابُها إثراء كبيراً من بيعها ، وأذن لهم متشنيكوف أن يكتبوا اسمه عليها ولو أن زوجته تؤكد أنه لم يُفِدْ من ذلك قرشا

وعاش عشرين عاماً عيشة صارمة على الأسلوب التى تقضى به هذه النظرية . وجانب الطبّاق ولم يذق كحولاً فى شراب ولم يأذن لنفسه أن تستمتع بشهوةٍ داعرة ، وامتحنه أشهر أطباء العصر وأداموا امتحانه ، وجاءه الخبز فى أكياس معقمّة من الورق حتى لا تَعْلَق به هذه البشلات المعوية التى يتسمم الجسم من فعلها . واختبر دائماً عصارات جسمه وإفرازاته . وشرب فى هذه السنوات الأخيرة جالونات لا عدّ لها من اللبن الرائب وبلع اللابين من البشلات البلغارية النفّاعة . . .

ثم مات فى عامه الواحد والسبعين

(انتهى متشنيكوف)

أحمد زكى

---

(١) منه اللبن الزبادى

# خواطر سياسية

بنيرها بوم ١٤ سبتمبر

## للأستاذ محمد محمود جلال

---

نزلنا ( برتشاخ ) فى أوائل أغسطس المنصرم نستجم بعد الاستشفاء فى (بادجاستين) ، وبرتشاخ محلة تمتاز بالهدوء وتوسط الارتفاع عن سطح البحر فلا تكاد تصل إلى خمسمائة متر ، وهى واقعة على بحيرة ( فرتر ) التى تعد من أجمل البحيرات فى أوربا

وهناك تقوم البواخر والزوارق من بخارية وشراعية مقام الترام والعربة والسيارة من وسائل النقل

فى أصيل أحد الأيام وبينما نهم لنستقل أحد تلك الزوارق التى تسير ( بالبنزين ) لمحنا فى الأفق وعلى بعد نحو ميلين أو ثلاثة قوساً يعلو البحيرة ويبدأ من الشاطىء الأيمن ، فصاح ولدى وهو بجانبى : « هذا ماء وكأنه يخرج من مضخة » قلت كلا ، وكيف ذلك وليس فيما نرى مساكن وهذا موضع بحذاء الطريق المعد للسيارات ، ولولا أن القوس لا تظهر معها ألوان لقلنا إنه قوس قزح الذى نسميه فى ريفنا المبارك ( قصمة الرخاء ) ونعده فألاً حسناً للعام

طلبنا إلى السائق أن يتجه إلى هذا المكان المنهم علينا وهناك سألناه الايضاح ، قال : إن إلى يميننا بحيرة صغيرة تملونا بكثير ، ويزداد ماؤها بين وقت وآخر بحيث يخشى طغيانه ، فأقامت له الحكومة محطة كهربائية تنقل منه جانباً فى يوم معين من الأسبوع وقد يتكرر ذلك فى أيام أخرى غير معينة

قلت : ولم تعملون على أن يتخذ فى تصريفه هذا الوضع وفى الامكان صرفه دون أن يرى وعلى وضع مستقيم

قال : « إن أسماك بحيرتنا تموت من قوة الاندفاع ، فحرصاً عليها لجأ المهندسون إلى هذه الطريقة »

قلت : « أهكذا دائماً قوانين الطبيعة لا تتغير ؟ فالغريب من الماء كالغريب من الناس حين ينزل على غير بلاده مغيرا أو محتلا غاصباً يخرب ويدمر ويعصف بالأوضاع كما يعصف بالأرواح ، ولو رد جميع الناس إلى آدم وحواء كما يرد أصل هذه الأنهار والبحيرات إلى المطر ! !

ذكرت على التو بلادى وما عانت منذ أكثر من خمسين عاماً فى نظمها وأوضاعها وأخلاقها وأموالها ، ومضت برغمى فترة طويلة منصرفاً إلى ما أكتنفنى من هم مسخ النزهة وكاد يعفى أثر الملاج وأنا مطرق . . مستعبر

قبع جنود الاحتلال فى قصر النيل ووصل أثرهم إلى أقصى الوجه السودانى جنوباً والبحر الأبيض شمالاً . وجلس عميده الأول بقصر الدوبارة ونغص عيشنا فى ريفنا وصعيدنا ، وانساب كالأفعى إلى عقل الطالب بما قدم من كتب ممسوخة وإلى الزارع بامتصاص دمه وإلى الدوائر العليا يخضد من شوكتها ويعلن أوامره فأفسد الأخلاق ، وإلى الجيش فجعله لا يشعر بوجود ولا يتقدم خطوة ولو فى الدراسة النظرية

* * *

ولقد أراد الله أن تصل بنا الباخرة فى العودة إلى الوطن فى السادسة من صباح ٢ سبتمبر ، وما كدنا نفرغ من الاستعداد حتى قاربت الثامنة ، وإذا بأحد الخدم يطرق الباب ، وكم كان سرورى عظيما حين سلمنى جوازات السفر فأراحنى بذلك من المشهد المؤلم الذى كان على كالضربة الثقيلة ، إذ شاء الاحتلال أن تكون الأمرة فى بوليس الموانى للانجليز ! فلكم كنت أشعر بالتنغيص المفاجئ فى الذهاب والعودة حين أرى المسيطر الباحث فى جواز مصرى ولمسافر مصرى غير مصرى

فتحت الخادم وتناولت الجوازات مغتبطا ، وطرت مع الفأل فرحاً وقلت فى نفسى سيحقق الله للبلاد بجهودها ما حققت لى المصادفة اليوم

وهكذا يشاء الله أن يمر ١٤ سبتمبر وأنا بعيد عن القاهرة ، كما تمنيت من قديم ، وكما أنالنى الله وقد عودنى جميله

* * *

عدنا إلى الوطن ونزلنا منازلنا والموسم الزراعى فى أحفل مراحله ، إذ تموج الحقول فى جميع أرجاء البلاد بالعديد من أبنائها يجمعون بأيديهم ثروتها ، وإنهم بذلك يتظاهرون للجهاد لا فى سبيل العيش فقط ، ولكن فى سبيل سمعة الوطن فى جانب غنائه ؛ وليس أقوى من مظهرهم حافزا للهمم بين وهج الشمس وأثر الرطوبة المتخلفة عن الفيضان . فلا يحسون سوءا من الأولى ولا من الثانية ، لأن وهج الهمة أقوى ، وسورة الجهاد أطغى وأعم

ويتفق أن يحفل الموسم مبكراً فيتفق واليوم المنكود الذى طلعت على رحى الاحتلال شمسه ، وخيمت على عاصمة البلاد سحب الشر فيه مختلطة بغبار الخيل قادمة فى غير حرب ، وشامخة كأنما انتهت من فتح ، وهو الغصب الصارخ يؤيده العذر الذى لا يعدو خيوط العنكبوت فى قوته ، ثم تدرج عليه سنون فوق الخمسين

انظر واعتبر ! ثم انظر وأمل فى الله الخير ، فان الشعب الذى تعركه المحن وتنغصه الذكريات يكون أقوى الشعوب حينما يستفيد من ماضيه ، وأقدرها على السير ناضجاً بفعل الأيام وهى خير مرب

وإذا كان الزمان استدار فظهرت العزائم متجهة والقوى متراصة جهاداً فى سبيل العيش ، فما قريب تظهر هذه العزائم فى العمل فى كل ميدان للتخلص مما أصاب البلاد

* * *

وكان أول كتاب للمرحوم مصطفى كامل الى مدام جوليت آدم فى ١٢ سبتمبر وكان كتاباً له ما بعده . وكان ما تلاه بادرة ظهور القائد الشاب وبادرة الأمل ، وأول العمل المستمر الذى أفنى فيه حياته

ولئن كانت الصحف اليومية وأكثر الهيئات لم تعر هذا اليوم ما يناسبه من عناية ، فقد يكفل الأدب للأمم استخراج العبرة البالغة من المأساة ، والفخرة الغالية من الحادث الصغير . وقديماً قام الأدب أميناً على تراث الماضى وثأراً للفضل والفضائل . ولقد صدق المرحوم شوقى بك حين رأى كسرى وإيوانه فى سفينة النجوى أبقى على الزمن من الايوان فى فخامته وبنيانه . فكيف به أمام يوم غير من حال أمة ورزأها أكبر الرزء ؟

كنت إلى أمس أقرأ تعليقاً قيما للكاتب الكبير أناطول فرانس على بحث فنى بصدد أحد القصور التاريخية فى فرنسا وهو قصر الوزير (فوكيه) وزير المالية فى عهد لويس الرابع عشر ، فحين عرض لمحنته ثم لمصرعه ذكر تنكر الأيام للوزير وتغير صحبه وخلانه ، وحتى ذلك الجمع الذى لا يحصى ممن له عليهم أيد وآلاء لم يقم بالواجب نحوه ويذكره فى محنته ، ويفصل بين السيئة والحسنة ، ويمنع طغيان الشهوات على قديم مآثره ، إلا الأدباء ، فتسابقوا دفاعاً عنه نظما ونثراً ومن بينهم كورنيل « Corneille » والرئيس هينو « Henault »

وهل أقرب إلى الحق من الأدب ؟ ومن يحمل عبء الايقاظ للخير غيره ؟ وهل يصرع الظلم سواه ؟

والحق عرض الله ، كل أبية    بين النفوس حمى له ووقاء

محمد محمود جلال

# حول «نبوة المتنبي»

للأستاذ سعيد الأفغاني

كنت عائداً من جولةٍ فى قرى (البقاع) حين قرأت كلمة الأستاذ الفاضل محمود محمد شاكر فى العدد (١٦٧) من الرسالة الغراء، التى كتبها رداً على حاشية بحثنا فى دين المتنبي المنشور فى العددين (١٦١، ١٦٢) من المجلة المذكورة

وكانت قراءتى لرده، بعد عشرة أيام من صدوره. فاذا تأخرت فى التعليق عليه فهذا عذرى أبسطه للقراء الكرام؛ وأنا أعوذ بالله من الغرور والذهاب بالنفس ومن الجهل بمقدارها والمكابرة فى العلم والعصبية للرأى والهوى، فما يزال الناس — ولله الحمد — يقيسون فضل المرء بخضوعه للحق وإتقانه لعمله لا بدعواه وتبجحه؛ وقد ولى زمن كان فيه الولوع بالاغراب والاتيان بالجديد — ولو تافهاً — سبيلاً إلى الشهرة وذيوع الصيت، وأقبل زمان فيه للتفكير حرمة وللعقل وزن، وكفى فيه المؤلفون مؤونة الثناء على النفس والتحدث إلى القراء بمزايا آثارهم وما تفردت به من معجزات

وهؤلاء ذوو البصيرة من القراء يقلّبون ما يطالعون كل مُقلّب؛ يقع إليهم الكتاب فيمحصونه ويفلونه ويتدبرون ما فيه حتى تنكشف لهم منه مواطن الحسن والقبح، ويلمسون فيه آثار العجلة كما يلمسون مواضع التؤدة والروية

وفى هذا ما كاد يصرفنى عن الرد، سيراً على قاعدتى فى ألا أحفل نقداً ولا رداً الا إذا كان حقاً؛ وسبيلى حينئذ أن آخذ نفسى به وأشكر لصاحبه، وإلا فان الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس فيمكث فى الأرض. وخروجى اليوم على قاعدتى إنما كان لمنزلة الكاتب الفاضل لا لما فى الرد نفسه. وليس فى الأمر كل ما ظنه الأستاذ شاكر: فلا إثارة ولا إغراء ولا إسلاح ولا استعداد لمعارك؛ إنما هى حاشية على كلام له المحل الثانى من بحثى، لم أرد بها نقد كتاب ولا التعرض لمؤلف؛ وشتان بين أسطر علقت عرضاً فى حاشية وبين كلام مطول أنشىء للنقد خاصة

أنا أدرى — والانصاف شريعة — أن الكلام على كتاب الأستاذ شاكر لا يكفيه فصل كبير، ففى الكتاب إحسان، وفيه إصابة واجتهاد، وفيه أماكن جديرة بالثناء حظيت بجهود حالفها التوفيق مرة وأخطأها مرة

* * *

وبعد، فانى أشكر الأستاذ على نقله كلامى بحروفه، لأن عمله هذا سمح للقراء أن ينظروا: هل بلغ الأستاذ فى الجواب على أسئلتى ما يريد من إزالة الشبهات الواردة عليه أم قصر دون هذه الغاية؟ أما أنا فقد عدت إلى كتاب الأستاذ كما طلب إلىّ «وأنعمت — ثانية — فى تدبر الأسباب الحادية على نفى تنبؤ أبى الطيب فلم أجد فيها مقنعاً» كما لم أعثر فى رده الذى تفضل به على شىء من الحجة؛ وإليك البيان:

(١) وهّن الأستاذ رواية التنوخى لأنه صاحب الوزير المهلبى، ولأن المهلبى عدو المتنبى، فلا يبعد أن يكون التنوخى تحامل على أبى الطيب إرضاء للمهلبى[1]. فنحن نسأله: هل يكفى هذا الاحتمال فى تبرير رد رواية التنوخى وهى كما يراها المنصف تحمل فى مطاويها دليل الصدق والأمانة فى نقل الحديث، لا دليل الوضع والكذب؟ سأل التنوخى أبا الطيب عن معنى (المتنبى) فأجابه: «إن هذا شىء كان فى الحداثة». وظاهر أنه يعنى التلقيب لا التنبؤ، فجوابه غير صريح، وهو كما قال الراوى جواب مغالط، وكان فى وسع التنوخى أن يحمّل المتنبى — لو أراد وضعاً وتحاملاً — جواباً صريحاً فى ادعائه النبوة، ولو استقام هذا الأصل الذى بنى عليه الأستاذ رواية التنوخى لجاز لكل من أراد نفى خبر أن يورد عليه مثل هذه الاحتمالات الخيالية فيسقطه. وما أحسب أن خبراً — مهما كان صحيحاً — يستعصى إسقاطه على هذا الأصل!

إنما السبيل أن ينقّب الأستاذ عن نص صحيح صريح فى تجريح الراوى التنوخى وأنه عهد منه وضع الأخبار ودسّ الروايات، أو أن يلجأ إلى حجةٍ — لا إلى احتمال — قوية يرضاها العقل والمنطق السليم

(٢) استهل الأستاذ كتابه بفرضٍ فرضه، وخلاصته أن المتنبى علوى صحيح النسب، وأنه أخذ بكتمان هذا النسب لعداوة بينه وبين العلويين زعمها الأستاذ ولم يعرفها التاريخ. ثم ذهل حضرته عن أن هذا كان منه فرضاً ودعوى فراح بعده بعد

(١) انظر مقتطف يناير سنة ١٩٣٦ ص ١٣ وأرقام الصفحات التى تأتى فى هذا المقال كلها لهذا العدد من المقتطف

صفحات حقيقة واقعة يبنى عليها ويشرح بموجبها أبيات الديوان ويكذب مستنداً إليها الروايات ، ويتهم الراوين . وهو بذلك يخرج على أصول سنها هو لنفسه وأخبر عنها فى رده علينا حين قال : « ولا بد لمن يريد أن ينقـد ناقداً أو يكتب فيما يتناول الروايات والأخبار أن يتحقق بدءاً بمعرفة الأصول فى علم الرواية ، وأن يستيقن من قدرته على ضبط الفكرة حتى لا تنتشر عليه وتتفرق ويقع فيها الاختلاف والتضارب والمناقضـة . » ونحن ننقل للقارئ أدلة على هـذا الذهول من مواضع متفرقة من كتابه ليستبين أن الكاتب لم يتمكن من ضبط فكرته فانتشرت عليه وتفرقت . قال فى ص ٤٨ : « بينا لك فيما مر ما بين أبى الطيب وبين العلويين ، وأن صاحبنا كان له عندهم ثأر قديم ... » يقصد بما مر احتماله الذى لخصناه آنفاً . وقال فى ص ٥٢ : « وبينّا على مذهبنا فى نسب المتنبى أن الرجل حبس من أجل دعوى العلوية » وقال فى ص ٥٨ : « وكأنى بالمتنبى فى طريقه يظهر فى القبائل والمدن أمر نسبه ويذيع بينهم أنه علوى الأصل شريف النسب محتالاً لذلك بالدهاء . . ! » فأنت ترى أن هـذا النسب العلوى وعداء العلويين كانا فرضا أول الكتاب ثم صارا حقيقة مقررة فى وسطه

وماذا فى أن يكون المتنبى علوياً حتى يهتم به العلويون هذا الاهتمام ، وحتى يحتال هو لأذاعته فى القبائل والمـدن بالدهاء والبلاد تعج عجيجاً بالعلويين والأشراف ؟

والغريب أن يتخذ الأستاذ من نظريته هـذه التى افترضها برهاناً يضرب به كل الروايات والأخبار التى تحمل أمر تنبئه ويشـغل الأمراء والنـاس والعلويين ودعاتهم بأمر فتى دون العشرين يدعى العلوية فقط ، فيقول فى رد رواية اللاذقى ص ٤٨ : « أما اللاذقى فمجهول ولا يتيسر نقد سنده ، ولـكن مما لاشك فيه أن اللاذقية التى نسب إليها كانت لوقت أبى الطيب موطناً لفئة من العلويين ومحطاً لـكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة فى التاريخ العربى كله » هل اهتمامهم بفتى دون العشرين من عمره من الأحداث العظيمـة التى أحدثوها فى التاريخ العربى كله أيها الأسـتاذ ؟ ! ولم لا يغتالونه مرة واحدة ويريحون أنفسهم من وضع الأخبار والدس عند الحكام ؟ إن فى الأمر مطامح لنفس هذا الفتى جعل سلمه إليها شيئاً آخر مع العلوية هو أكبر منها وأخطر

وقد رددت أنا قسما كبيراً من رواية اللاذقى هذا ، ولـكن لشىء غير ما ذهب إليه الأستاذ الكريم وسأبينه قريباً . وما أكثر ما يبين الانسان لنفسه الخطة فى البحث ثم « تنتشر عليـه الفكرة » فيبنى على غير أساس . ولست أجد كلاماً فى تصوير عمل الأسـتاذ وأصوله فى بحوثه أصدق من قول الجاحظ فى ابراهيم النظام وهو هذا : « وكان عيبه الذى لا يفارقه سوء ظنه وجودة قياسه على العارض والخاطر السابق الذى لا يوثق بمثله ، فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الأصل الذى قاس عليه لـكان أمره على الخلاص ، ولـكنه يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدء أمره كان ظناً[1] »

(٣) يورد الأستاذ على حديث أبى على بن أبى حامد شبهة واحدة بعد أن يقر بأحكامه ، ويقول عنه ص ٤٩ : «فهو حديث محكم لا يأتيه التوهين إلا من قبل غرابته عما جرت عليه الأحكام فى شأن من يدعون النبوة . . . الخ » وقد أطال فى بيان وجه الغرابة بما لا فائدة بنقله هنـا . والذى فى كلام أبى على هو هذا : « فاستتابه وكتب عليه وثيقة وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسـلام » وجلى أنهم استتابوه من دعوى النبوة فرجع بذلك الى الاسلام . أما الوثيقة فهى ببطلان علويته وبهذا تزول شبهة الأستاذ ، فان من المألوف أن تكتب الوثائق فى إثبات الأنساب ونفيها

(٤) عرض الأسـتاذ لرواية الهاشمى التى فيها : «كان أبو الطيب لما خرج الى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوى ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى الى أن أشهد عليه فى الشام بالتوبة وأطلق » وهـذه الرواية تعنى أنه ما تخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوة بقى على دعواه الأولى . ومنها ومن الرواية التى قبلها نفهم أنه لما أطلق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين . وليس فى الأمر مشكلة ولا تناقض ولا داع لأن يرجح الأستاذ ص ٤٩ إقحام لفظ النبوة بين العلويتين فى حديث الهاشمى ، وليقول : « إن المراد بالنبوة فى حديث أبى على بن أبى حامد العـلوية » فعلوية أبى الطيب التى أراد أن يفسر بها النبوة الواردة فى الروايات على اختلاف مصادرها لم تسلم له من الأصل وبقى المتنبى جعفياً عنياً . وإذا كان لا بد من إيراد احتمال فالأولى أن تجعل العلوية الثانية من زيادات

(١) الحيوان ج ٢ ص ٨٣

النساخ وإخامهم . على أن الرواية فى غنى عن هـذا الفرض أيضاً وليس فيها داع الى شك أو تأويل . فمن الغريب جداً أن ينكر أبو الطيب دعوى النبوة من ساعة القبض عليـه وأن يظل على العلوية طول أيام سجنه حتى كتابة الوثيقة

(٥) بقيت رواية الناشئ القائلة : « كنت بالـكوفة سنة ٣٢٥ وأنا أملى شعرى فى المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عنى ، وكان المتنبى إذ ذاك يحضر معهم وهو بعـد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبى » . هذا الخبر هو مظنة أن يكون فيه بعض الحجة فلنفرضه صحيحاً ولننظر ماذا تحته : إن فيه نصاً على أن أبا الطيب لم يلقب بعد بالمتنبى ولم يعرف فى الـكوفة ، وإذا شئنا الدقة فى التعبير قلنا إنه لم يبلغ أهل الـكوفة أمر هذا اللقب ، فيجوز أن يكون لقب به فى الشام ويجوز ألا يكون . وليس فى خبر الناشئ شيء آخر غير هذا . وبيـان ذلك أن أبا الطيب ادعى النبوة للأعراب ثم سجن ثم أطلق وانتهى أمره ونسيه الناس ، ثم حصل فى الـكوفة سنة ٣٢٥ وحضر مجلس الناشئ فتى فى الثانية والعشرين ؛ ولما عاد الى الشعر واتصل بالأمراء وبسيف الدولة وناوش النـاس وناوشوه ، وصاول الشعراء وصاولوه ، وتفاقم الشر بينه وبين الناس نبشوا تاريخه — وهو هناك معروف — فأذاعوا منه هذه الزلة التى كانت فى حداثته وتعلقوا بها وسار له فى الناس هذا اللقب : ( المتنبى )

***

لهذه الأسـباب — وهى للقارئ معروضة — لم أجد فى كلام الأستاذ شاكر « مقنعاً به من القوة ما يقف لهذه الروايات الصحيحة » وأظن أنى أبنت له — كما أحب هو — وجوه الضعف فى قوله ، وسواء على وعلى الحق : أستبرأ الأستاذ من قوله أم لا . ولا بد أن يكون القارئ شـمر بحرصى على وزن كلامى حرفاً حرفاً ، وأنى لم أسرف ولم أرسل القول على عواهنه .

وقد عجبت كل العجب من الأسـتاذ — وهو الناقد الأصولى الفنان — حين لم يدر لم اختصرت حديث اللاذقى ؟ إذ أن الأمر ظاهر ، فان الزيادات التى أهملتها يرفضها العقل ويكذبها الواقع ، ولم تكن ثمة حاجة لأدل القراء على سبب إهمالها لأن تهافتها بين . وكثير أن يجرد عليها حملة كالتى نزل بها الأستاذ الميدان فخصص لها صفحتين من كتابه القيم . وهو يعلم — حفظه الله — أن من أدلة الوضع عنـد المحدثين مخالفة الواقع والمعقول كما هو مستوفى يكتب مصطلح الحديث . وأنا أستحيى من شرح هـذا فى مجلة ( الرسالة ) على رغم أن الأستاذ لم يجد بأساً فى أن يعرفنا أن الخبر ما يحتمل الصدق والـكذب ، وأن وأن ... الخ الخ مما يدرسه الطلاب المبتدئون . وأنا قد عملت بما أعرف من أصول البحث والتمحيص من دون أن أمن على قرائى . أما أستاذنا الفاضل فقد ملأ رده من مثل هذه الألفاظ : رواية ، دراية ، أصول نقد .. الخ وكلامى وكلامه أمام القارئ ، وله وحده أن يحـكم أين الرواية والدراية والأصول حقيقة لا ادعاء ، وما التهويل بمغن عن أحدنا فتيلا

كنت أتوقع أن يتحفنا الأستاذ بالبراهين التى سوغت له رد الروايات فلم يفعل . أقول لم يفعـل لأن أقواله : « رفضناه ورددناه وأسقطنا الثقة به والاعتماد عليه » ، « إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيـل الرواة » ، « أخبار متداولة تهور كثير من الأدباء فى التسليم بصحتها » ، «أما كلمة كافور فمفتعلة» « وأسخف من هـذه الرواية رواية من يروى . . » إن أقواله هذه ولو أتبع كل كلمة منها بجميع مرادفاتها ومؤكداتها اللفظية والمعنوية . . هى أليق بمظاهرة هتافية ينادى فيها بسقوط فلان وفلان منها ببحث علمى العمدة فيه الحجة والبرهان . وأى شيء فى أن ينبز كاتب روايات التاريخ بالبطلان والـكذب ، ثم لا يكون دليله عليها إلا أنها كذب وبطلان ! !

هذا وقد حمل الأسـتاذ أقوالى ما ليس تحمل : فأنا لم أدع للمعرى تنزهاً عن الخطأ ، ولم أقل بأن « ورود خبر فى كتب العلماء هو الدليل الذى لا دليل غيره » ، وما جعلت قرب الزمن دليلاً على الصحة بل هو مما ييسر للمحقق وسائله . كما أنى لم أسـلم بكل الروايات ولم أعدها صحيحة ابتداء ، فقد رددت منها ماوجدت فيه الى الرد سبيلاً ، ونقدت حكما أدرج فى مصدر من أمهات المصادر وأجلها وهو خزانة الأدب حين وجدت للنقد مجالاً ؛ ولـكل من النقد والرد والتسليم مواطن . وكيف تريدنى أن أقنع قرائى بأمر لم أقتنع به ، والى أشياء أخرى يتحقق من رجع الى مقالى أنى لم أذهب إليها ؟

ونحن لم نتهم الأستاذ بالعصبية للمتنبى ولـكنه هو هو قدم لنا فى رده دليلاً على عصبيته لرأيه ، وليس لنا فى هذا الأمر يدان . ولما قلت عن كافور : « وكافور ليس من الذين يختالون على شاعر ، ولا ممن يروج الاختلاق » خُيِّل للأستاذ أن ثمة نصراً مؤزراً

فقال: «إن الأستاذ قد حكم على كافور حكماً لم يرد به ذكر فى كتاب، فهل يستطيع أن يؤيد هذا الحكم بالدليل التاريخى والبرهان العقلى أن كافوراً لم يكن يختلق على الناس ولا يروج الاختلاق؟ لقد أتينا نحن (بارك الله) بالروايات ونقضناها بالدليل — ضعيفاً أو قوياً — أما أستاذنا فقد حكم على رجل بغير دليل ولا بينة من التاريخ أو غيره» اه. وعلى رغم أن الدليل على المثبت لا على النافى — كما لا يخفى على الأستاذ الأصولى — وأن على من يدعى على كافور الاختلاق وترويجه أن يقيم البينة، على رغم هذا يحيل الأستاذ على الذهبى الذى وصف دينه وتواضعه فقال: «وكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس، وكان يتهجد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول: اللهم لا تسلط على مخلوقاً»، و«كان يرسل كل ليلة عيد وقر بغل دراهم فى صرر بأسماء من أرسلت إليهم من العلماء والزهاد والفقراء..» ويحيله أيضاً على الذهبى وغيره من المؤرخين الذين أجمعوا على وفور عقله وحسن تدبيره وصلاحه.. ويرى الأستاذ معنا أن فقه هذه الروايات — وهو الخبير بالرواية والدراية — يجعل كافوراً بمنجاة من النزول إلى هذا الدرك، وإن فى أمور ملكه وبعد غوره ما يشغله عن الاختلاق على شاعر تكفى إشارة منه لتذهب برأسه. إن ما يسبغه المؤرخون على كافور من الصفات يكفى لقول يبعده عن جميع السفاسف جملة واحدة. ففى التاريخ بينة وفيه دليل ولكن للعجلة فى الحكم آفات

هذا وفى نفسى مما أورده الأستاذ المحقق شىء؛ فهل يسمح لى أن أطالبه بالدليل العلمى على قوله الجازم: «أعلم أن أكثر ما يروى فى ترجمة هذا الرجل (المتنبى) وغيره من الرجال، إنما كان من الأحاديث التى تتناقلها مجالس الأدباء ولا يراد بها التحقيق، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما الى ذلك، بل إن كثيراً مما يروى فى تراجم رجالنا كان مما يراد به مضغ الكلام فى مجالس الأمراء أو فى سامر الأدباء... الخ» وهل يتفضل فيبين لنا البرهان القاطع فى قوله جواباً على سؤالى: «إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواة الخ» فمن هم هؤلاء الرواة الذين لفقوا الأباطيل؟ إلى متى أعرفهم يسهل على من دون شك أن أسأل عن الأسباب الحادية لهم على التلفيق

وأنا غير مطمئن إلى قول ابن جنى فى سبب تلقيب أبى الطيب بالمتنبى، فابن جنى مفرط فى حبه لصاحبه والدفاع عنه وهو متهم فيه. فهل لأستاذنا أن يعزز قوله بروايات أخرى سبيلها على غير ابن جنى وعلى غير ما حوله؟ فان تعذر هذا فلا عليه أن يؤيدها بأدلة لا اعتراض للفكر السليم عليها. ولا بأس أن نقول له وقد قرأنا ختام رده الذى أثنى فيه على نفسه وعلى كتابه بما هو له أهل: أنت كما أثنيت على نفسك، ولكن إذا كان كتابك قد اتخذه — كما زعمت — بعض الكتاب «مصدراً استنبطوا به أصول النقد» فلسنا بالذين نسمى الطعن المجرد للروايات أصولاً فى النقد، وما لهذا أيضاً علاقة بالبحث. وهلا إذ ذكرت ذلك دللتنا على أسماء هؤلاء الكتاب والمجلات التى نشروا بها والمواطن التى قلدوك فيها لنهنئك على شيوع مذهبك وكثرة المؤمنين به؟ ولعلك فاعل عن قريب إن شاء الله

أما أنا فما كنت أظن قط أن أسطراً تذكر عرضاً فى رد فكرة، تثير مثل هذا الفاضل فيحمل منها هماً يجد وقره وعنته اثنين وأربعين يوماً ثم ينفثه فى رده الذى تكرم به على مثل هذا الشكل

لقد وددت والله لو أن الأستاذ شاكراً نقّب عن الحجة وتحرى الحق لأعترف له به وأرجع إلى قوله. وصحف (الرسالة) أحوج إلى أن تملأ بالحقائق والبرهان منها إلى الدعوى والانتقاص. وأتمنى للأستاذ أن يهجر هذا الأسلوب فى الجدال، فما هو بمغنيه عن الحق شيئاً كما لم يغن طنين الأستاذ صروف بالاشادة بمزايا الكتاب فى مقدمته. والمأمول من الله أن يأخذ بيد الأستاذ شاكر فيتمم لنا كتابه الضخم عن المتنبى الذى قُدِّر بأربعة مجلدات؛ وأتمنى أن أراه قريباً، وأن أرى فيه حقائق الرواية والدراية وأصول النقد لا ألفاظها فقط. وليس يهمهم بعد ذلك أن تكون هذه الأصول حديثة يخترعها الأستاذ أو قديمة على غرار ما تألف عقول هذا الناس، إنما المهم أن تكون صحيحة سوية

وسأكون سعيداً حقاً يوم ينقد الأستاذ الأخبار خبراً خبراً، فيعارض بينها ويقابل، ويمحصها تمحيصاً يرضيه هو ويستفيد منه القراء الذين لا يخفى عليهم وجه الحق فى كلام اثنين، ولا يصرفهم عنه نيلٌ من صاحبه ومراوغةٌ فى الحط منه؛ فان هذا هو الأشكل بالأستاذ الكريم والأليق بفضله والأولى بسجاياه، وله — فى الختام — شكرى وخالص تقديرى والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

(دمشق) سعيد الأفغانى

# وحى الدم المتحد

## للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

لم تعد الوحدة العربية خيالاً تغازله الأحلام فى أفق بعيد ، ولا فكرة سطحية تطفو على عقل مخبل كما تطفو الفقاقيع ... وإنما صارت كوناً موجوداً وأمراً مجسداً له ذرية وأنسال يتوادون ويتظاهرون فى المأساة وفى فرح الحياة ... وله دماء قرب منها مزيجاً مزجته الأقطار العربية وقدمته لحماية فلسطين من عابدى الذهب ... فللعروبة من ذلك قرة عين لأنها رأت على صفحة الدم المتحد صورة المجد القديم الذى أوشك الزمان أن يستدير بجدته ويقبل بدولته

أجل ! سلوا أشجاراً يابسة وجذوعاً جافة بشعاب فلسطين وبطون وديانها ، وقد حالت إلى الايراق والحياة : ما الذى نضَّر عودك ورد عهودك وأطال عمودك ؟ وستجيب : إنها الدماء التى لم أُسْقَها من عهد صلاح الدين ... الدماء التى مزجت أمشاجها فكرة إلـهية فجعلت فيها إكسير الحياة حتى للاحجار والأشجار والمدر والوبر .. الدماء التى تسيل من الأسود والأبيض والأصفر والأحمر فتجمع خلاصة ما فى الانسانية من إخاء ، وسر ما فى المسلمين من توحيد ... الدماء التى تطفئ ما للظالمين من نار ، وتجرف مالهم من آلات الهول والدمار ... الدماء التى تدخرها الحياة ثم تطلقها سيالاً طهوراً هداراً رجافاً يغسل الأرض ويحدث الانقلاب وينقل الانسانية إلى الأمام ... الدماء التى تحمل عناصر إخصاب الانسانية بالفكرة الآلـهية والحرية والاخاء والمساواة والعدالة والرحمة والسلام والبر والتعاون حتى تلد الأمهات أمثال ابن الخطاب وابن عبد العزيز والرشيد وصلاح الدين ...

* * *

يا فلسطين يا أرض النبوات ! تلك رسالة جديدة تهبط من شعاب جبالك ومن بين « التين والزيتون » مرة أخرى على قلوب العرب والمسلمين ، وقد كتبت بالدم الممزوج من نفوس تمثل أربعة أقطار من ميراث محمد بن عبد الله ... تحدث أهل الأرض الذين استحالت حياتهم إلى نوع من حياة الأوابد والفواتك لقبح الثقة وسوء الظن ، وشر المعاملة ، أن الأخوة الانسانية لا زال لها تحت جناح تعاليم محمد مكان تأرِزُ إليه وتلوذ به ، وأن الأسرة التى كان يفيها أبو البشر آدم على وداد وترابط وتضام حتى يكون له من ذلك معنى السمو على الأفق الحيوانى ... لا زالت هى الأمة العربية المطبوعة على إجابة الصريخ وتلبية الدعاء ونصرة اللهيف واحترام الجامعة ومعنى الدم . . .

* * *

يا أهل فلسطين ! إنكم عرفتم كيف تموتون عند الاقتضاء ، ولذلك لم تموتوا ! بل ضوعف فيكم سر الحياة لأنكم أمددتموه بالدم وفعال المجد وحسن البلاء . . بل لقد ضوعف بعملكم سر الحياة فى العرب والمسلمين جميعاً ، وصار لهم منكم مثل جديد يضربونه مفتخرين بين يدى هذا الزمان على مسمع الأمم وبصر التاريخ .. وقد غدوتم فى فم الزمان مثلاً شروداً وحديثاً مردَّداً أنسى التاريخ خبر الاسبرطيين وأجناد الرومان والجرمان وغير أولئك من العصبة أولى القوة ! وقد أضفتم إلى مكتبة البطولة كتاباً ضافى الصفحات واضح الغرات فرح به عشاق الأبطال وعارفو أقدار الرجال !

ومهما يكن عدد مستشهديكم الذين ساقوا إلى المعالى مهرها من صبيب الدم ومسفوك النجيع . . . ومهما يكن من سطوة القوة ، وعنف الظلم ، ووقاحة الطاغوت . . فان الدرس الذى تلقونه على المتآمرين على كسر شوكتكم وازدرادكم وهضمكم ، درس هائل مزق أعصابهم ، وأطار صوابهم ، ومحا خططهم ، وأفهمهم أنكم أعظم بأساً وأشد مراساً وأطول أنفاساً

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قَرح فقد مس القوم قرح مثله »

يا صهيونيون ! كذبٌ من الأحلام وخُدعة من الأمانى أن تملكوا أرضاً تنكركم وتلفظكم . لقد سخرتم إلـهكم الذهب فى شراء سطوة أمة مخدوعة بكم أو خادعة لكم تتخذون منها آلة تهدم وطناً على أهله لتبنوا لكم على أنقاضه وطناً فى عالم الأحلام ... وستبصرون وتبصرون : أينا المحروب المغلوب . فارتقبوا إنا مرتقبون ، « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم

لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار » ، ففروا من مجزرة أنتم شاؤها وأرانبها . . وكونوا أكيس من أن تبنوا لكم عشاً فى طريق الفيل . . أو تناموا بين فكى الأسد ... !

ثم هبوا أنكم غصبتم فلسطين من العرب ، فما هى ضمانات دوامها لكم وسط هذا البحر العربى الذى يكتنفها ويلفها ويقذفها بموجه من الشمال والجنوب والشمال واليمين ؟ هى الحراب الحليفة لا شك . ولكن الحماة مواطنهم فى شمال الأرض ، وهم أمة لامناص من أن يلحقها داء الأمم وتدركها عقابيل الشيخوخة ، وحينذاك أو قبله بكثير يستيقظ الثأر الراقد ، وينهض الوتر الرابض ، ويتنادى أبناء الشرق عليكم ، فلو نفخوكم لأطاروكم ... فأيما أمانٍ وقرارٍ وقيمةٍ لبلد فقد أهم عناصر الاستيطان وهو الدوام ؟ !

ألا إنها خدعة عبقرية ، أو قل هى عصا القدر تسوقهم إلى شبكة محبوكة فاغرة لتصديق نبوءة النبى العربى الكريم (١) . « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » !

أيها المؤتمرون بتراث العروبة ! كلمة من شباب العرب والاسلام : إننا اعتزمنا أن نحيا أعز حياة وأمجدها ، مدفوعين إلى ذلك بوحى أرضنا أرض التاريخ والرسالات ، والميراث الروحى ، وبهتاف أبطالنا وأعلام تاريخنا ، تحيط بنا أفواج مجندة من أرواح الشرق التى نعيش معها ونلقن عنها ؛ ولن يعوق اندفاعنا عائق ، لأن عجلة الفلك تدفعها يد القدر ، وهى التى تدفعنا لنأخذ دورنا الثانى فى تنمية الميراث الانسانى وغسل الأرض . . .

ألا فافسحوا الطريق ولكم حسنة ، قبل أن تفسحوه وعليكم كلمة السوء ! فأننا عما قليل سيلٌ يتحدر من صبَب ، ونار تشتعل فى حطب ! « ومنذا يرد على الله القدر » !

عبد المنعم محمد خلاف

(١) ورد فى صحيح البخارى ما معناه : « تقاتلكم يهود فتقاتلونهم حتى تقول الحجر : يا مسلم : ورائى يهودى فاقتله »

جولة ريفية

# صحبة النهر المقدس

فى الطريق الريفى الملوّن بالأضواء والظلال لا تجد أجمل من رؤية النهر المقدس ، يشق الوادى الجميل ، فيُنفِّسُ بالخضرة طلعته ، ويزين بالعشب والشجر حافته ، وينفث من روحه فى الطير الحياة ، ويطيف من حوله أرواحاً تغنى بجماله وتبتسم فى عذوبته !

ولقد مرَّت قرون وقرون ، ومياه النهر تغنى للوجود أغنية الخلود ، وتفنى المخلوقات فى كر السنين ، ويبقى وجه الماء العذب الطهور تصافحه أضواءُ الشمس الذهبية ، وتباركه أنفاس الهواء ، فيملأ هذا الثالوث الطبيعى القلوب والعقول بِشراً وصفاء وذكاء وحياة !

ويالها من قوى سحرية ، تُقوى الايمان بالخلود ، وتزيد الحب للوجود ، وتبعث الزهد فى الحياة ، وتعلن فى الدنيا مجد الله !

ومن ذا الذى يمكنه أن يصف سحر النهر ؟ وكيف لأديب أو مفتنّ أن يصور روحاً من الأرواح عاشت من جودها الحقول ، وطفرت فى براءتها الطيور ، ورقصت فى دلالها الهوام رقصات الجنون !

ومن الغريب أن آلاف الأناسىّ تسير إلى جوار هذا الروح الهائل ، كظل من الظلال العابرة ، لا تهتز لجوده ، ولا تنحنى لبره ، ولا تهتف بجماله ، كأنما نضبت فيهم عاطفة الاعتراف بالجميل ، على حين كان الآباء الأولون يقدرُون للنهر أياديه ، فيقدمون له الهدايا ، ويحملون لصدره أعز الأرواح !

فلماذا لا تُزجى لهذا الماء الغنى هدايا الفن الحديث ، وقرابين القلب العارف النبيل ؟ وها هى ذى روح النهر تشدو بأنفاس الحنان ، وهاهى ذى أمواجه تتنفس البهجة والفرحة فى الحياة :

(ميت غمر) مصطفى عبد اللطيف السحرتى
المحامى

مشرقيات

# فى الأدب العربى الحديث

## للأستاذ أغناطيوس كراتشقويفسكى

الأستاذ بجامعة لينتجراد

تمهيد : امتاز الأستاذ أغناطيوس كراتشقويفسكى صاحب هذا البحث بدقتـه وسعة مداركه ، وتساميه عن المواضيع المطروقة ؛ وهو لا يفرق مطلقا بين الآداب العربية وبين الأمة التى أنتجت هذه الآداب

وقد لا أعرف بين علماء المشرقيات فى أوربا من توفر على دراسة الأدب العربى الحديث غيره وغير البروفسور جب صاحب الدراسات الوافية فى القصة المصرية والأدباء المعاصرين ، والأستاذ كامفماير الألمانى مؤلف كتاب «قادة الأدب العربى الحديث» ، والمستشرق السويسرى الدكتور ويدمار الذى يذيع دراسات مستقلة عن الأدباء والشعراء المعاصرين ، كمحمود تيمور والزهاوى ، والمستشرق نيفل باربور الذى كتب دراسة وافية عن المنفلوطى وعن تاريخ المسرح المصرى ، وكذلك المرحوم مارتين هارتمان المتوفى لأعوام قلائل ، فاليه يعود الفضل فى تنبيه علماء أوربا إلى الأدب العربى الحديث

وقد زار العلامة كراتشقويفسكى مصر وسوريا وفلسطين عام ١٩٠٨ ، وانكب فى خلال اقامته بهذه الأقطار على دراسـة آدابها الحديثـة ، ومكث بها فترة طويلة بمدرسة اليسوعيين فى بيروت . وظهرت نتيجة زيارته ودراسته فى بحث ممتع قرأته له منـذ أعوام ناشد فيه الأدباء المعاصرين أن يدونوا تراجمهم ويدرسوا آثارهم

وللأستاذ أيضاً يعود الفضـل فى تعريفنا بالعالم المصرى المرحوم الشيخ محمد عياد الطنطاوى المدفون فى مدينة بطرسبرج (لينتجراد) ، فقـد نزح هذا العالم الأزهرى منذ نحو قرن تقريباً إلى روسيا ليدرس الأدب العربى فى جامعاتها ، ووافاه الأجل وهو هناك فدفن فى الأراضى الروسية ، ويوجد رسم فوتوغرافى لقبره فى الخزانة التيمورية ، وقد نقشت بعض عبارات بالعربية على شاهد القبر تفيد هذا المعنى

وقد ظهر أول بحث علمى للأستاذ كراتشقويفسكى عن « شاعرية أبى العتاهية » وضعه عام ١٩٠٦ ، فرسالة « خلافة المهتدى » التى تقدم بها إلى الجامعة للحصول على درجة علمية ، فـكتاب « المتنبى وأبو العلاء المعرى » وهو بحث ممتع دقيق فيما كان للمتنبى من التأثير فى فلسفة أبى العلاء وشعره وبالأخص فلسفة التشاؤم الغالبة فى شعر فيلسوف المعرة وفى آرائه الدينية ، ودراسة عن شعر الشاعر الدمشقى « أبى الفرج الوأواء » ، وترجمة ديوانه ، وكتاب « البديع لابن المعتز » ، ودراسة عن « الرواية التاريخية فى الآداب العربية العصرية » ، ثم هذا البحث الممتع الذى نشره فى الملحق الأول من دائرة المعارف الاسلامية

ومما يجدر بنا ذكره أن العلامة كراتشقويفسكى أشرف على ترجمة كتاب « الأيام » لطه حسين ، و « عودة الروح » لتوفيق الحكيم إلى الروسية ، وهو يشغل الآن كرسى أستاذ الأدب العربى بجامعة لينتجراد ، تعاونه فى مهمته سيدة فلسطينية هى كلثوم فاسيلفا التى وقفت جهودها على نقل الآثار النفيسة فى الأدب العربى إلى الروسية (المترجم)

***

### ١ — لمحة عامة — عوامل التقدم — العصور

ليس من اليسير على الباحث المحقق أن يعثر على بعض آثار النهضة الأدبية فى العصور السابقـة للقرن التاسع عشر . فانها كانت مجرد مظاهر فردية الغرض منها إحياء الفنون اللغوية القديمة ، دون محاولة التجديد فى الأدب ؛ وكان من جراء الروابط المتينة التى نشأت بين الأقليات المسيحية فى سوريا ودوائر روما واستامبول أن بزغت مدرسة أدبية خاصة ، يتصـدرها مطران حلب المارونى السيد جرمانوس فرحات (١٦٧٠ — ١٧٣٢) ؛ إلا أن العرب لم يتأثروا بالتيارات الفكرية فى أوربا إلا بعد الحملة الفرنسية (١٧٩٨ — ١٨٠١) . فاذا أردنا أن نبين مظاهر الثقافة الأوربية التى تركت أثراً أعمق من غيرها فى التفكير العربى ، ألفيناها فى الوصف الذى أورده الجبرتى لأول مطبعة حروف ، ورأيناه فى أول مكتبة نظمت على النمط الأوربى فى دار الشيخ حسن العطار (١٧٦٦ — ١٨٣٤) الذى أصبح فيما بعـد شيخ الجامع الأزهر . وإن فى هذين المثلين فـكرة عن بعض العوامل

التى قامت بدور هام فى تكوين الأدب العربى الحديث ، وقد أنشئت فى ذلك الحين دور جديدة للعلم على الطراز الأوربى ، فأنشأ محمد على الكبير مدارس لتعليم الطب والعلوم الفنية بنوع خاص ، لكنها خصصت أيضاً لتدريس فن الترجمة . أما فى سوريا فقد عملت الرسالات الأوربية والأمريكية المديدة عملاً مجدياً فى هذا السبيل ، فأسست مدارس منوعة ، وراح الأهلون ينسجون على منوالها فى إنشاء دور العلم . فكانت مدرسة بطرس البستانى (١٨١٩ — ١٨٨٣) أولى المدارس الوطنية . وفى خلال القرن التاسع عشر أدخلت على تلك المدارس تعديلات عدة ، فأصبح للبلاد العربية الآن مجموعة رائعة من المعاهد العلمية الكبرى التى أحدثت أثراً مباشراً أو غير مباشر فى تقدم الأدب الحديث . وإنا نذكر منها الجامعة الأمريكية ، وجامعة القديس يوسف ببيروت ، والجامعة المصرية بالقاهرة . ثم انتعشت حركة البعثات العلمية فأكملت ما قامت به المدارس من الخدمات . وهناك وصف طريف لأولى البعثات التى أرسلها محمد على الكبير ، وهذا الوصف الشائق بقلم أحد المبعوثين ، رفاعة بك الطهطاوى (١٨٠٠ — ١٨٧٣) الذى أصبح فيما بعد مترجماً مجتهداً ، واحتل مكانته الأدبية كزعيم من زعماء الاتجاه الجديد . وقد اتخذت تلك البعثات صبغة منظمة ابتداء من مستهل القرن العشرين . ومن السهل استجلاء أهميتها فى تكوين الثقافة العربية إذا اطلعنا على الرسائل التى قدمها شباب العلماء العرب فى جل السنوات (خصوصاً إلى الجامعات الفرنسية) . وفيما عدا الطباعة التى كانت معروفة فى سوريا منذ فجر القرن الثامن عشر ، دون أن يكون لها أثر كبير ، فقد أدخلت الحملة الفرنسية إلى مصر عنصرا جديداً وهو الصحافة الدورية . لكن أثرها ظل فى حيز ضيق إلى أن كانت سنة ١٨٢٨ حين أعاد تنظيمها محمد على الكبير . وكان لهـا الفضل العميم فى تقدم الأدب الحديث ، إذ وجهت بعض الأنواع الأدبية وجهات جديدة كما ساعدت على ظهور أنواع أخرى . وكان الاقبال المتواصل على الترجمة مرتبطا تمام الارتباط بالطباعة . واستهلت الحركة بترجمة الكتب العلمية ثم شرع فى نقل الكتب الأدبية البحتة . وكما أن بعض الكتب القديمة كمؤلفات ابن المقفع والجاحظ كان من الصعب نقلها إلى اللغات الأخرى لولا مترجمو العصر العباسى ، فان الأدب العربى الحديث كان مستحيل النشوء لولا مترجمو القرن التاسع عشر . وللمرة الأولى فى التاريخ أصبح الأدب القديم فى متناول القراء بفضل الطباعة . وقد شرع فى خلال العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة فى دراسة هذا الأدب دراسة صحيحة مؤسسة على القواعد الحديثة . وقد قامت هذه الحركة على أساس أنه لا يجوز نبذ الأدب القديم كله لتشييد أدب عربى حديث ، بل يتعين الاحتفاظ بجزء كبير من الأدب القديم واعادة تنظيمه . وقد تأسست دور كتب على النمط الأوربى فسهلت تلك الدراسات المنظمة وساعدت على نشر الكتب القديمة . وإلى جانب الصحافة الدورية ، قامت المنتديات والجماعات العلمية والسياسية والأدبية تدريجياً منذ منتصف القرن الماضى فأحدثت أثراً عميقاً فى الجو الأدبى . بل إن النثر الخطابى نشأ وتدرج فى تلك المنتديات . أما المسرح فلم يكن له حظ يذكر ، فقد ظهرت بواكيره فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر بفضل جهود بعض الهواة ، لكنه لم يعتبر مظهراً جدياً من مظاهر الفن إلا فى القرن العشرين إذ برزت طائفة من الممثلين الأكفاء يرشدهم فريق من النقدة المسرحيين

وللهجرة أهمية خاصة ترجع إلى تقلبات مصير العرب فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، وذلك لاعتبارات متنوعة من سياسية واقتصادية . ولقد سارت الهجرة جنباً لجنب مع الأدب العربى الحديث منذ فجره حتى اليوم ، سارت منذ غداة الحملة الفرنسية إذ نزحت بعض الأسر عن مصر وأقامت فى فرنسا ، كميخائيل صباغ (١٧٨٤ — ١٨١٦) والياس بقطر (١٧٨٤ — ١٨٢١) . وكثير من أولئك المهاجرين كانوا أساتذة الآداب العربية فى جامعات أوربا كالشيخ الطنطاوى المدفون بيطرسبرج (١٨١٠ — ١٨٦١) وكان جل اهتمامهم موجهاً إلى إحياء الأدب القديم ، إذ أن الأدب العربى الحديث كان فى مستهل نهضته فلم يثر اهتمام المستعربين وعلماء المشرقيات . لكن الحالة تطورت بعد سنة ١٨٧٠ إذ تدفق سيل المهاجرين تدفقاً كبيراً (خصوصاً النازحين من سوريا) لا إلى أوربا فحسب ، بل إلى أمريكا الشمالية والجنوبية . وكان لهجرة هذه العناصر أهمية عظمى فى تكوين الأدب العربى الحديث ، إذ ظهر جيل من الكتاب بدأوا دورهم على مسرح الأدب وإن لم يتموه إلى الآن

استناداً إلى هذه العوامل يمكن القول بأن تاريخ الأدب

العربى الحديث ليس إلا تاريخ النفوذ الأوربى ، فقد اتجه هذا الأدب اتجاهين رئيسيين : النضال بين الأفكار القديمة وبين الأفكار الحديثة ، والمشكلات التى نشأت من طابع الفن الأدبى الحديث . وقد اتخذ هذا النضال أشكالاً متباينة فى المضمار الأدبى ، فشوهدت فى كل مرحلة تقلبات تختلف عن الأخرى . وأهم الميول التى ظهرت بجلاء هى أولاً : الاحتجاج على كل جديد ومحاولة البقاء فى دائرة القديم ، وإحياء الأساليب القديمة . ثانياً : السير سيراً سطحياً على منوال الأوربيين وتقليد أفكارهم ، واحتقار الماضى العربى بأسره . ثالثاً : محاولة صبغ الأصول الصحيحة للأدب العربى بأشكال جديدة مبتكرة من أساسها ، مع اتخاذ الطرق الأوربية والثقافة الغربية وسيلة للوصول إلى هذا الغرض . ولا تزال هذه الميول قائمة حتى الآن جنباً لجنب

ويلاحظ أن الفريق الأخير هو الذى فاز بأوفى عدد من الأنصار . وبديهى أن مصير العرب السياسى فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين أثر تأثيراً كبيراً فى التيار الأدبى . فتاريخ هذا العصر هو تاريخ الانفصال تدريجياً عن تركيا ( سواء من الوجهة السياسية أو الأدبية ) ونشأة الروح القومية العربية التى اجتازت مراحل نموها بخطوات تختلف سرعتها باختلاف البلاد . وقد شاهدنا فى الأيام الأخيرة أن تقدم الروح القومية أدى إلى نزعة فردية عند بعض الأمم العربية . أما فى ميدان الأدب فان تلك النزعة تنمو وتقوى فى مصر حيث يدعو بعض المفكرين إلى تمصير اللغة وإحياء الأدب القومى

***

إن من الصعب تقسيم الأدب العربى فى القرن التاسع عشر إلى عصور تميزه تميزاً واضحاً ، فقد كان الانتاج الأدبى فى حد ذاته إلى عام ١٨٨٠ تافهاً نوعاً ، بل إن العرب أنفسهم كانوا لا يذكرون أسماء كتابهم ، ذلك لأن مؤلفات هؤلاء الكتاب لا قيمة لها إلا فى نظر معاصريهم ، فهى مرآة لأفكار عصرهم ومشكلاته ، وأهميتها اليوم لا تعدو أن تكون تاريخية بحتة . بل هو عصر بحث واستطلاع أكثر منه عصر إنشاء أدبى

ويمكن تحديد هذا العصر بخمس قرن ، أى من سنة ١٨٨٠ إلى سنة ١٨٩٠ ، ثم من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٠٠ ، وهى الفترة التى اختفى فيها من المضمار الجيل الأول لناشرى النور الجديد ودعاة الأدب الغربى ، وكانت كل من سورية ومصر تعملان وقتئذ مستقلتين ، فالتفتت مصر إلى المضمار العلمى بنوع خاص ، أما سوريا فوجهت اهتمامها إلى ميدان اللغة والأدب ، وبرز فى كل من البلدين رجال عظماء كبطرس البستانى فى سوريا ، ورفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك (١٨٢٤ — ١٨٦٣) ، وعبد الله فكرى (١٨٣٤ — ١٨٩٠) بمصر ، وفى البلاد غير العربية امتاز العصر بظهور بعض الكتاب النوابغ كأحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ — ١٨٨٧)

فى هذه الفترة أنشئت الصحافة الدورية وتكون الأسلوب الصحفى ، وشهدت السنوات العشر المتخللة بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٧٠ تغيرات خطيرة فى مركز الأدب العربى الحديث ، فحوادث دمشق فى سنة ١٨٦٠ ، واستقلال لبنان استقلالاً داخلياً من جهة ، وافتتاح قنال السويس (١٨٦٩) ، ثم نشوب الثورة العرابية (١٨٨٢) أدت إلى احتلال القطر المصرى من جهة أخرى ؛ كل هذه العوامل ساهمت فى تعديل الطرق التى سار عليها الادب . ولقد اتسع نطاق الهجرة السورية إلى مصر اتساعاً كبيراً فى الفترة من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٠٠ ، فانتقلت إلى أيدى السوريين جميع الصحف الاصلاحية القوية النفوذ

( يتبع ) ترجمة محمد أمين حسونة

# الطيف...

## للأستاذ فليكس فارس

ياجيرةَ الحيِّ هل فى الحيِّ من آسِ    يردُّ ذكرى وآلامى ووسواسى؟
ساختُها عن شغافِ القلب فاقتلعت
جُذورُها من صَميم القلبِ إحساسى

***

أعلو المنابرَ طلَّاباً بنشوتها    بعثَ القديمِ بأفكارى وأنفاسى
فتنجلى بىَ نفسى وهىَ خافيةٌ    عنى لتبدو لمَنْ حولى من الناسِ
أُنيرُ نبراسَ شعرى أستبيحُ به    مابَهتكُ الستر للمُستذكرِ الناسى
فيجتلى شاهدى روحى بروعتها    ويحجبُ الشعرُ عنى نور نبراسى

***

نشدتُ نفسى فى الإعصار أقحمها    نشدتُها فى ظِلالِ الوردِ والآسِ
نشدتُها فى عيونِ الغيدِ طامعةً    منى بإحياء تدانيهى وإيناسى
فروَّعتنى شرارات الحياة بها    وراءها فى عيونى أربدُ أليأسِ
يخالنىَ الناسُ أمشى فى ربوعهم    ولم أكن غيرَ طيفٍ بين أرماسِ
فإنْ جلستُ إلى الإخوانِ مؤتنساً    لمحتُ ذاتىَ وهماً بين جُلَّاسى
أُراودُ الكأسَ عن سكرٍ تجودُ به    فلاأرى غيرَوهمِ السكرِ فى الكاسِ

***

ياجيرة الحىّ هل فى الحى من آس    يردُّ ذكرى وآلامى ووسواسى؟
ساختُها عن شُـغافِ القلبِ فاقتلعت
جذورُها من صميمِ القلبِ إحساسى

(اسكندرية)    فليكس فارس

# الشاعر وسريره (١)

## للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

— ٢ —

فى غرفة واجمـةٍ قفرةٍ    ليست بها بارقة للمُنى
هادئة لاعن طمأنينة    ساكنة مثل سكون الفنا؟
النور فى أرجائها حائر    يصيح من يأس: أقبرى هنا؟!
ولا جواب غير همسٍ بها:    ويبكَ يا ابن الشمس أين السنا؟
لا ذنب للنور ولا غيره    فى غرفة خالية مِن «أنا»!

***

ثاقبة السمع، تـكاد الرؤى    تُسمَعُ فيها وخُطا الأزمنـه!
كأنما كل جـــدار بها    أُبدل آذاناً عن الألسـنه
ضلّت بها الأشياء ناموسها    فما لها من صِـفةٍ أو زِنه!
يمتدّ فيها الزمن المنقضى    حتى كأن اليوم فيها سَـنه
كأنما الدهر بها مُتعب    أوغل فى غيبوبة من سِـنه!

***

ثَمَّ «سرير» مُفرد، لاغِب    مُمتَقَع الوجـه، كليم الفؤاد
ينتحل البشر إذا جئتُه    وهمُّه ما بين خافٍ وباد
يرثى لقابٍ فى ضجيج الدُّنَى    يشكو من الوحشة والانفراد
واضيعةَ الجمر بلا مُصطلٍ!    وليس بعد الجمر إلا الرماد!!
ينشد قلباً واحـداً عاطفاً    من ضعضعت شكواه هذا الجماد!

***

رَقّ لحالى، وهو أحرى بأن    يبكينى العطف على حاله!
كأنه فى شـمـثه راهب    لا تخطر الدنيـــا على باله
يحمل منى جســداً مائراً    طول الدُّجى يمطى (١) بسرباله
يقوم عنـــه وهو مستنفدٌ    قواه، ملعوبٌ بأوصاله
يلفيه بؤساً صاحبٌ فوقه    يطرقه الليـــل بأهواله

***

من لسريرى بيــدٍ عَذبةٍ    تنفخ فيه الرّوح والعافيـه؟
تجولُ فيـــه فإذا جِسْمُه    أريكة منضودة زاهيـــه!
ينتشر الريحان فى جوها    وتنتشى فى ظلها الفاغيـه!
آوى بها من غرفتى جنـــةً    يمر فيها الدهر كالثانيـه!
رُبَّ سرير حسُنت حاله    يعود بالحسنى على حاليه!!

على أحمد باكثير

(١) تابع لما نشر فى العدد ١٦٧

(١) يمطى: يتمطى

# وداع صديقين (*)

## للأستاذ أمجد الطرابلسى

عِندى التهانى عذبة لكما    فرْحى ، فمالى اليومَ عندكما ؟
ومع التهانى الطيباتِ أسىً    وارٍ يجوبُ الصدْر مُضطرما
إمّا انْتَشى قلبى لمجدكما    ذِكرِ النوى فهفا لبُعدكما
فرح وتحنان ، فأيُّهما    أُخْلى له الخفّاق ، أيهما ؟
قد حارَ قلبى قبلَ بينكما    ما يفعل المِسكين بعدكما !

* * *

أخَوىَّ سِيرا واتركا كبدى    تَلْهو بها الأشواقُ إثركما
تبًّا لها مكلومة أبداً    ما إن تُسيغ الأعْذب الشما
أو تُنكران أساى فى عُرس    رن السرور بساحِـــهِ نغما
إن الوفاء يهزُّ بى شجناً    جمَّ اللهيب ويَنْظِم الكلما
ويهيجنى قسراً فمعذرةً    تَسَع الوفاءَ البرَّ ، أو كرما

* * *

أخوىَّ سيرا للفخار معاً    إن القلوبَ تحوط ركْبكما
لا تأسيا لملاعبٍ كرُمت    نبت الصِّبا فى قدْسها ونما
أو ترْهبا الصحراء قاحلة    لجُّ الرِّمال طغى بها وطما
فالمجد والذكْرُ الجميل لمن    يجرى على الأرماح مبتسِما
كم أطلعت صحراؤنا قمراً    حول النبى ، وعلمتَ أُمما

* * *

وعلامَ ظعنكما يُروّعنى    ومرابضُ الأحرار قصدكما !
إن العراق على الجِوارِ أخٌ    برٌّ كريم يكلأُ الرّحِما
فى رأسه من هاشمٍ أسدٌ    يرعى العرينَ ويحرس الأجما
غازى بن فيصل جلَّ محْتِدُه    شرفاً ، وطابَ أُبُوّةً وحمى
ملكٌ به تزْهو العروش ، جرى    نحو العلاء بشعبه وسما

* * *

فخر الشباب ، وحسن طلْعتِه    وضياءه إذ يكشفُ الظُّلَما

لِلّهِ همَّـكما ، ودركما    من كوكبين توهّجا هِمما
قلبا كما قد أُترِعا أملاً    وعزائمًا ، وتوقّداً شمما
أصبحتُما مثلاً فمِثلكما    من سارَ فى طلبِ العلى قُدُما
نضْوانِ ، والقلبُ الكبير لظىً    تضوى به الأجسام ما اضطرما
خاضاً عُباب الجد مُضطرباً    صخباً : ودربِ المجد مزدحما
ملأ الصحائفُ كلَّ مفخرةٍ    وتشاطرا الأمجاد واقتسما
فاذا سألت المجدَ ، أى فتى    نزهو به فى الشام ؟ قال : هما !

* * *

ثملان بالعزِّ التليد فكم    بعثا محاسِنه ، وما كرُما
طَرِبان لم ذا مجداً ظفراً    أو ردَّدا نغما ، وما سمَا
أوَ يسأمانِ ، ومجدُنا زهرٌ    فى مَفرِق التاريخ قد نظما
مجد العروبةِ ساطعٌ أبداً    لا يرْهبُ الأحقابَ والقدما
تعنو له الأجيالُ خاشعةً    وتخُصُّه التبجيلَ والعِظَما

* * *

يا مجدَنا الماضى تحيَّتنا    اليومَ تُرْنا نبعثُ الرِّمَما
سنُعيد صوتك داوياً غرداً    فى الخافقيْن وننشر العلما
نحنُ الشِّبالُ فداء رايتنا    سنُحطِّمُ الأصفادَ واللُّجما
آمالنا وخيالنا وطنٌ    سُقِيت دُموعاً أرضُه ودما
جُبلت من الشُّهداءِ طينتُه    فغدا لقُدْسِ تُرابه حرما
وطنى تخذْتُك فى الصبا أملاً    حُلْواً يرِفُّ ، وفى الكرى حلُما
وطنى عبدْتُ تراك مِن وَلَهِى    لو كنت ممّن يعبدُ الصنما

* * *

يا صاحبيَّ ستنزلانِ حِمًى    شبَّ الفخارُ لديه واحتلما
بغدادَ أم المجدِ من ولدتْ    للمجد مأموناً ومُعتصما
إن تأتياها ، فاذكرا زمناً    كلُّ العصور غدت له خدما
ثم اسقِيا العبراتِ تُربتها    قد جلَّ دمعٌ للوفاءِ همى
البصرتان هناك كم ولدا    حبْراً وكم ذا أطلعا علما
والرّافدان هُناك كم حملا    عرشا ، أظلَّ العُرْب والعجما
أىُّ العروشِ يظلُّ منبسطاً    أى الجديد من البلى سلِما ؟
هذى دمشقُ ، فكم بها أثر    من عبدِ شمسٍ شارف العدما
كم جرَّ ذيلاً فى حدائقِها    مروانُ أو كم نقل القدما

(*) ألقيت فى الحفلة التكريمية الكبرى التى أقامتها جمعية التمدن الاسلامى بدمشق للأستاذين على الطنطاوى وأحمد مظهر العظمة بمناسبة سفرهما إلى العراق للتدريس فى مدارسه

# من وراء القرون

هـذه الأحداث تتوالى ، والمصائب تتعاقب ، والأمم الاسلامية تخوض كل يوم بحراً من اللهيب ، فأين الأدب الذى يصف الأحداث ، ويصور آثارها ؟ وأين الشعر الذى يشحذ الهمم ، ويستثير العزائم ؟ وأين الأدباء والشعراء الذين يشعرون بشعور الأمة ويألمون لآلامها . ويشاركون فى بناء مستقبلها ؟ ...

أما حركتكم أيها الشعراء نكبة فلسطين ؟ أما هزت قرائحكم ؟ أما هاجت عواطفكم ؟ اقرأوا الآن هذه الأبيات من قصيدة الأبيوردى فى استيلاء الفرنج على بيت المقدس فى سنة اثنين وتسعين وأربعمائة . ثم افتحوا (ديوان فلسطين) الذى ستؤلفونه من قصائدكم فى فلسطين بمعارضة هـذه القصيدة ، عل قصائدكم تهز الأمة الغافلة فيخرج منها صلاح الدين جديد

« ع »

قال الأبيوردى المتوفى سنة . . .

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشرّ سلاح المرء دمع يفيضه ... إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فإيها بنى الاسلام ! إن وراءكم ... وقائع يلحقن الذُرى بالمناسم
أتهويمة فى ظلّ أمن وغبطة ... وعيش كنوّار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هبوات أيقظت كل نائم
وإخوانكم بالشام [1] يضحى مقيلهم ... ظهورَ المذاكى أو بطون القشاعم
يسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دُمَى ... توارى حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبى ... وسمر العوالى داميات اللهاذم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة ... تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها ... ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللن بأيدى المسلمين قواضباً ... ستغمد منهم فى الطُلى والجماجم
يكاد بهنّ المستجنّ بطيبة ... ينادى بأعلى الصوت : يا آل هاشم !
أرى أمتى لا يشرعون إلى العدا ... رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من العدا ... ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الأعاريب بالأذى ... وتغضى على ذلّ كماة الأعاجم
فليتهم إذ لم يذودوا حميّة ... عن الدين ضنّوا غيرة بالمحارم
وإن زهدوا فى الأجر إذ حمّس الوغى ... فهلاّ أتوه رغبة فى المغانم
لئن أذعنت تلك الخياشيم للثرى ... فلا عطسوا إلا بأجدع راغم
دعونا كم والحرب ترنو ملحّة ... إلينا بألحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارةً عربيّة ... تطيل عليها الروم عضّ الأباهم

***

فان أنتم لم تغضبوا عند « هذه ... » ... رمتنا إلى أعدائنا بالجرائم

(١) الشام أو سورية ما بين جبال طوروس ، وبادية العرب « خلقها الله وحدة » ، فلا يستطيع بشر أن يجزئها !

---

جبّارة فى الخطبِ باسمة ... لا تشتكى لجراحها ألما
سخِرت من الطُغيانِ فاغرةً ... قبراً لكلّ مدجَّج ظلما
دامِ حشاها ، وهى عابثة ... كالغيدِ ، تضحكُ مُقْلةً وفما
لا تنسياها صاحِبىَّ غداً ... أو تنسيا شملاً بها التأما
أو تنسيا بردَى وواديَهُ ... والغوطةَ الغناء والنّسما

***

مالى أذكرُ ! أين مثلكما ... من يحفظ التذكار والذِّمما ؟

(دمشق) أمجد الطرابلسى

# القصص

## ليلة ... من عمر فتاة !

للأستاذ محمد شوكت التونى

منذ الساعة الثالثة بعد الظهر وأمينة فى عراك بينها وبين نفسها . فمرة تقوم لترتدى ثيابها وتعد نفسها لملاقاة « صادق » . ولكنها لا تلبث حتى تلقى الملابس وترمى أدوات الزينة مهتاجة الأعصاب ثائرة النفس . فانها لا تريد لقاءه ولا تبغى أن تشاهد وجهه ولا أن تستمع إلى حديثه ، ولا أن تبادله ذياك الحديث . فقد أصبح بغيضاً لديها ، كريهاً فى عينها ، منبوذاً من كل عواطفها إلا عاطفة الحقد . لقد عرفته أول ما عرفته شاباً وادعاً رقيقاً ملأ أذنيها بأحاديث الهوى ، وصور لها دنياها زهوراً ورياحين ، وأضاء فى قلبها نور الأمل ، وأشعل فى نفسها جمرة الحياة الحلوة الهنيئة ، وحسبته صادقاً فى قوله مخلصاً فى حبه ، وفياً بعواطفه ، يريدها شريكة له تقاسمه نعماء الحياة وبأساءها ، يبنيان معاً كالعصفورين عشاً يتذوقان فيه جمال الدنيا وينعمان فيه بسقسقة صغارهما زينة الحياة وذخر الباقية

وكانت قد اطمأنت إليه وأنست لحبه ، وبادلته النجوى كما بادلته رسائل تفيض سطورها بأشد العواطف ، وتسجل فى كلماتها خفقات قلبها

وكان لقاؤها أول العهد نادراً لا يستطيعانه ، فكانت الرسائل عزاءهما وسلوتهما ، ورسول قلبيهما ؛ وكان والدها رجلاً شهماً قوى الشكيمة ، يحيط منزله بعنايته ويتعهده برعايته ، فكان الافلات من حضانته عسيراً : ولكن الشباب لا يُغلب والعاطفة فى زمنه لا تقهر ، تستطيع أن تنفذ ولو فى الصخر الصلد . وعلى ذلك فقد تقابل العاشقان بعد طول البعد . وبعد أن ربط بين قلبيهما مجرد النظر والميل الغريزى والخيال البارع ، ووثقت الروابط والعلاقات الرسائل التى كانا يتبادلانها ، والتى كانت ألفاظها تحمل من المعانى ما هو أبعد ما يكون عن الحقيقة لأنه نضح الخيال وثمرة الأمل الواسع والرجاء الفسيح

ولكن المقابلة وتكرارها مرة أخرى باعدت بين العاشقين ، فقد عرفت من أمره ما غاب عنها بين سطور الرسائل ، فهو يريدها كما يريد الرجل المرأة ، تدفعه شهوة الشباب الغلابة التى تتشكل فى صورة العاطفة وقد تسمو وترق ، وتأخذ هيكل المثل الأعلى ولكنها لا تلبث عند اللقاء واللمس وتذوق القبلة والعناق أن تنكشف وتتساقط جافة صفراء من فوقها ومن حولها الأوراق التى كانت تسترها مخضرة منداة ، عليها طلاوة الغضارة ورونق النضارة . ويصفق فى ذلك الكيان البشرى كفا الرغبة فيزلزل الجسم ويخون اللسان صاحبه ، وتكشف النظرات خديعة الخيال

أدركت « أمينة » كل هذا ، وكشفت من أمر صاحبها ما رابها أول الأمر ، فتعللت بالآمال واستنجدت بخداع نفسها ، ولكنها لم تستطع الثبات وأيقنت فى آخر الأمر أنه باطل ما أملت ، وخيبة مارجت ، ووهم ما تخيلت ، وأن العش الذى بنته فى سبحات الروح إنما هو فى الحقيقة كهف مظلم ينتظرها فيه إنسان فى صورته الوحشية الأولى ، أو بالحرى حيوان على أديمه طيف إنسان ! فجفلت ونفرت وارتاعت ، وكان عنصر نفسها قوياً فلم تستسلم أو ترتمى حطاماً وتتكسر هشيما ، فأعرضت وصدت عن « صادق » وأرسلت إليه تعلنه بالقطيعة وتحول بينه وبين قلبها وبين جسمها ، وتحذره أن يعاود أمره معها أو يحاول الاتصال من جديد بها

ولكن الوحش الذى كان ينظر فريسته فى الكهف المظلم هاجه أن تفلت فى لحظة قد أعد فيها الوقود ، وتلهب سعير ذلك الوقود فى كل قطعة من كيانه ، وناداه غريزته أن لا بد من الفوز ولو بارتكاب الجريمة ، فعمد إلى تهديدها وسطر لها الخطاب الآتى :

« أمينة » !

« لا تحسبي أمرى من الهون بحيث تنقضين وتبرمين فى حياتى

بمجرد رغبتـك وحسب إرادتك . أنت لى ، قلباً وجسماً ، ولو اصطف أهلك جيشاً ، وأعدوا من السلاح أشده وأقتله . فارجعى إلىّ وعودى إلى أحضانى ، وإلا فليس فى يدى غير الانتقام ، وعدته جاهزة ، وسلاحه مرهف ، وخطاباتك أمامى الآن بخط يدك ، أرسل بعضها إلى أبيك ، وأضعها فى يد زملاء أخيك بالمدرسة ، وأذيعها على صفحات الجرائد ، وفى كل صالون من جيرتك ، فتنهال فوق جسمك الذى تضنين به على قبلاتى ومتعتى ، العصى والسياط ، وينتشر العار حول اسمك : فينالك من رفيقاتك الخزى ومن الراغبين فى زواجك الصد والبعد

إنى أنتظرك فى الساعة الخامسة من مساء اليوم فى مكان لقائنا المعروف . فان لم تحضرى فى الساعة الثامنة غداً صباحا سأبدأ انتقامى وتكون فى يد أبيك رسائلك ، ولقد أنذرتك فأعذرت »

(صادق)

***

لم تكن أمينة تترقب وقوع هذه الكارثة ، وكانت تحسب أنه يكفى أن تعلنـه بالقطيعة حتى ينقطع ، وأنه حسبها ما تعانى من ألم الخيبة وصدمة الفشل

لقد كان أول حب نما فى قلبها ، وكانت فجيعتها فيه لا تقل عن فجيعة الأم الشابة فى وليدها الأول الذى لم تكن تصدق أنه يموت من بين يديها ، فأعدت له الآمال وحاطته برجاء نفسها المطمئنة

ولقد كان صادق فى نظرها شاباً وادعاً هادئاً ، ثم رأت منه جنوحا إلى تكييف العلاقة التى بينهما بصورة لا تريدها . ولم يكن يخطر ببالها أنه سوف ينحط عن هذا درجة بله درجات فيهبط من السماء التى كان يتيه فيها ملكا فيصبح مجرما كملايين المجرمين الذين يملأون فجاج الأرض !

إنها نادمة على ما فرط منها من التسرع فى مبادلتها الحب لشاب عرفته بالنظر ولم تعرفه بالفكر ولا التجربة ، ورأت فى نفسها مجرمة فى حق نفسها ، فهى تريده عاشقاً روحياً عذرياً ، ينظر اليها كزوجة المستقبل ، مع أن حبهما كان وليد النظرة ، ولم يكن ثمرة التعاطف الروحى ...

إذن هى لم تحبه ؛ لم تعشق هذا الانسان المدعو « صادقاً » ، ولكنها أحبت « محبوباً » ، رجلا ، لأن « سالبها » الروحى كان معداً « لموجب » ، بصرف النظر عن شخصية من يمثله ، فأى شاب كان قد حل محله كان جديراً بأن ينال مركزه فى قلبها .

وهذه هى الخفقة الأولى للحب ، تتكون عناصرها بسرعة البرق ، وتعيش فى قلب صاحبها بلهاء ! والسعيد من فارقته وشيكا ، والشقى من أطالت رفقتها معه وأثمرت له زواجاً ، أو عشرة محرمة ، كلاهما يفضى بحياة صاحبه إلى التعاسة

مرّ كل هذا بخاطر أمينة ، ولكنها تذكرت أن هذا الشاب الذى يكتب مثل هذا الكتاب ويتقلب مثل هذا التقلب ، لا يحجم عن تنفيذ تهديده ، فهو لا بد فاعل ما انتوى ؛ وغدا فى الصباح ستقع فى يد أبيها رزمة من الأوراق بخط ابنته التى يعتقد أنها قديسة ، والتى يعيش من أجل رفاهتها وسعادتها ، ويحوطها بحنانه وشدته كى يبعد عنها عناصر الشر والسوء

إن التفكير فى هول السعير كان ألطف وقعاً عندها من التفكير فيما عسى أن يفعل أبوها ، وهو ذلك الرجل القوى الذى يبعث الرعب فى نفس كل من حوله من نظرته ، والذى إذا قدم البيت شاع فيه السكون وعقد الصمت ألسنة سكانه ، والذى يضرب المثل بالمصلحة الحكومية التى يديرها من حيث انجاز العمل فيها والهدوء الذى يهيمن على نواحيها ، والذى يخافه أهل العزبة خوفا لعلهم — بينهم وبين أنفسهم — لا يخافون الله مثله

العزبة ! لقد مرت على رأسها ذكريات ذلك الشاب القروى الذى يسكن العزبة ، والذى اتهمه شيخها بأنه يتصل بفتاة قروية مثله ، فأحضره أبوها وجلده بالسوط حتى كاد أن يموت ، وأجبره على الزواج منها والرحيل عن العزبة !

ترى إذا كان هذا فعله بالقروى الحقير ، الغريب عنه ، فماذا هو فاعل بابنته ، عرضه ، دمه ولحمه ؟ !

أتراه إذا قرأ خطاباتها إلى صادق ، وهى تدعوه فيها « حبيبها » و « أملها » ، والتى تسهب فيها فى شرح عواطفها وما يخالج فؤادها من عشق مبرح وهوى جائح ، والتى تصف فيها سهرها الليل ومناجاتها إياه ، وتفكيرها فى السعى اليه وهجران الدار إلى لقائه ، لولا ما وضع أمامها من موانع ، والتى تذكر فى بعضها كيف حطمت هذه الموانع ولاقته ؟ ! ...

وكانت كلما تذكرت أباها عند ما يدرك أن ابنته الصغيرة كانت تخدعه وتسخر من قواعده المقررة فى الدار ، وتعصى أوامره ، وتتستر بالأعذار الكاذبة لتلاقى ... عشيقاً لها ! ينتصب

شعر رأسها فزعاً وترتعش كمن مسه تيار كهربائي ، وتتساءل : يا ترى إذا رحم شبابها ، وذكر أنها كبده وثمرة حشاه ، هل يكتفي بقتلها برصاصة تودى بحياتها دون أن يطيل عذابها ؟ !

عند هذا الخاطر كانت تضعف أمينة ، فتقوم من نورها إلى ثيابها ترتديها تنوى الذهاب لملاقاته والتوسل اليه كي يقلع عما قطع فيه بعزمه ، لعله يلين ويرفق بحالها ، ولكنها سرعان ما ترجع عما نوت ، وتظهر لها خسة هذا الشاب وحقارته ، وكيف أنه لجأ إلى التهديد بدل أن يلجأ إلى الرجاء ، « وهذا الخلق من شأنه » أن يجعل صاحبه يتمادى لا يرق للرجاء والتوسل ! ثم .. كيف ترجو وكيف تتوسل ؟ وترجو من ؟ هذا الوضيع ؟ إن الموت أحب اليها من أن تفعل ، وملاقاة حتفها أيسر من تحطيم كبريائها وعيشها ذليلة يتصرف في شأنها رجل تكرهه ، بل ذئب يشتهيها ، وهي كالأمة ، لا تملك إلا الرضاء والتسليم

ترجع فتخلع مالبست وترتمي محطمة على الأريكة وحياتها أمامها مظلمة لا ينبثق منها نور ولو من بعيد

ثم تتذكر تهديد صادق لها بأن يعرض رسائلها على زملاء أخيها في المدرسة ، وتتصور أخاها الشاب الكامل ، البسام ، المرح ، المعتز بقوة عقله وقوة جسمه ، فهو الأول بين أقرانه ، وهو بطل المدرسة في الملاكمة ، وهو يعد نفسه ليدخل مدرسة البوليس ليصبح ضابطاً . كيف يكون حاله لو شاع هذا الأمر بين زملائه وأصبح عرضة للازدراء والتحقير والتعيير ؟ ستتحطم كبرياؤه ويمشي بينهم منكس الرأس عاني الجبين . . .

يا ترى هل ينتقم منها هو الآخر ، أم يكفيه مايحل به هو نفسه ؟ إذن جنايتها مزدوجة . لقد حطمت نفسها وقتلت أخاها ! ما أكره هذا الحب . ما أبعده عما يصور الكتاب والشعراء وينطق الممثلون ويرسم المصورون ! إنه خداع وكذب ووهم يعيش في ظلمات الرؤوس والنفوس ، حتى إذا ما برز إلى ضوء الحياة ظهر كالمسيخ المجذوم المهزول !

***

وكان الليل يهبط ، وظلامه ينبث في الكون ، ونافذتها المطلة على الخلاء البعيد تسرق لها كثيراً من جمال الليل وجلاله ، ولكنها كانت ترى كل جمال مشوهاً وكل جلال حقيراً

لم تتناول طعاماً ، ولم تخرج من غرفتها . فهي تروح فيها وتجيء ، وترتمي على الأرائك والحشايا . ثم تهب مذعورة كأن في هذه المقاعد جمرات تتوقد ثم لا تلبث أن تسرع فتجلس مرة أخرى وتستسلم للتفكير ... والليل يوغل في المسير ، وكأنه يسير على صدرها بكلكله ، والأفكار تتوالى على رأسها سوداء فتاكة . . .

إنه قد ينفذ تهديده الأخير وينشر أمره وأمرها في الصحف ، والصحف أصبحت ميداناً لنشر فضائح الناس حقيقها ومكذوبها ، ويعرف هؤلاء الناس عندئذ أن هذا ( البك ) الجبار الذي يشمخ بأنفه ويعتز بكرامته إنما هو أب فاسد عربيد لم يستطع أن يحتفظ بعرضه ، فما باله يريد أن يعلي إرادته على الناس أجمعين ؟ ! يا له من أبله ذي غفلة ! !

وأهلها وأصدقاؤها الذين يتوددون إليها ويبدون لها الزلفى ، ويسعون لها بالحب سيزدرونها ويتنكرون لها ويصبحون ألسنة تذيع ما قد يستطيع أن ينشئه الخيال من قصتها

لقد فقدت الأب والأخ والأهل والأصدقاء ، وفقدت الكرامة ، وفقدت آمالها وسوف تعيش منعزلة منبوذة — إن عاشت — وسوف تموت ذليلة مزدراة إن عاجلها الموت فأراحها ، وسوف تتلى ذكراها على جر القول السيء مادام في الزمن أيام تمر وليال تعقبها . . .

لا مفر إذن من الموت . فلتعجل به لنفسها لعل موتها يدفن كل هذه المصائب ، وتفتدى به حياة أبيها وأخيها ، ولعل الذئب عندئذ تأخذ روعة الموت وجلاله بسفالته عن أن يستمرئ السير في انتقامه إلى النهاية . . وقامت عندئذ إلى « صيدليتها » الصغيرة فانتقت منها « البزول » « واليود » . ولكنها تراجعت تفكر . وهل من الصواب أن تثير فتنة نائمة ؟ وهلا يتساءل الناس عما حدا بها إلى الانتحار ودفعها الى معالجة شبابها الغض بهذا الدواء النكد المشئوم ؟ وهلا يقول الناس أكثر من الحقيقة ؟ وهل تضمن هي أن يكون لدى صادق ضمير يوقظه موتها فيستحي عن الاستمرار في سفالته ؟

الأوفق إذن أن تسعى إلى قتله ... هل تقتله حقيقة ؟ هل تستطيع ؟ إن سلاح أبيها في متناول يدها . ولكن هل تقوى على ارتكاب هذه الجريمة ؟ أتحتمل أعصاب ساقيها السير الى داره وارتقاء درجات مسكنه ؟ وهل تقوى أعصاب يدها على حمل السلاح

واطلاق الرصاص ؟ وهل تستطيع مواجهة ما يعقب الحادث ؟ ؟

لا ، إن هذا فوق الطاقة !

إذن أين المفر ؟ وأين المهرب ؟ لا منقذ اليوم !

اندفعت إلى النافذة ، وكان الليل قد انتصف ودلف بنصفه الثانى إلى الفجر ، وسكن السكون وسجا الليل ، وكان يخيل للانسان البائس الشقى أن الله مستمع اليه

وقفت أمينة فى النافذة وساءلت ربها : « يا ترى يا آلهى كم فتاة وقفت موقفى وسقطت من تأثير هذا الهول ، ولم يعرف الناس أمرها ، فراحوا يستعدون عليها انتقامك ، ولو دروا لرحموها كرحمتك »

يا ترى يا رب أنت منقذى أم يشاء قضاؤك وقدرك أن أنحدر كالحصاة الضئيلة عند ما تراوحها الريح ، ثم تقذفها إلى المجرى ويلمها الخضم فى أحشائه ؟

إنك يا رب أنزلت المعجزات فى زمن الطغيان والعصيان ، وكم أريت الانسان عجزه أمام قدرتك ، من حيث لم يكن يتصور وجودك ولا يخشى بطشك . فهل تتركنى يا آلهى فريسة أمام انسان عاجز وأنت القوى الجبار ؟

إننى أريد أن أعيش . وأنت يا رب قدرت لى العيش . أريد أن أسعد ، ولا أريد أن أشق أبى وأخى . وأحب أن أقضى عمرى شريفة لزوج كريم وأولاد أحباء .. عاونى يا إلهى واشملنى برحمتك ، إننى أمد لك يد الضراعة وقلبى يسبقنى الى ملكوتك باكياً مسترحماً

أنت يا إله الضعفاء ، يا نصير البائسين ، يا رب هذه المخلوقات جميعها أدركنى برحمتك فقد شملت رحمتك كل كائن حتى هوام الأرض وحشراتها تقدر لها الرزق وتعد لها الحماية والحصانة »

... ومرت نسمة رطبة باردة على وجهها المحتقن المتوقد فبعثت الراحة إلى أعصابها وأفسحت مكاناً للايمان بالله والاطمئنان إلى قدرته تسرى الى قلبها الخافق المعذب ونفسها الممزقة حسرات ..

وكان الفجر بدأ يشرق بضوئه الشعرى الرقيق يحمل فى جبينه ابتسامة ، ويخفى فى يده وراء ظهره الشمس المضيئة وهى قادمة تحمل الحياة ، وتحمل الأمل الجديد لكل بائس حزين

اغرورقت عينا الساهرة المسهدة المضناة وغسلت دموع اضطرابها . وارتاحت أعصابها ولمعت فى رأسها فكرة كادت أن تثب بقلبها من صدرها

إنها سترى آخر مهم ، فأما فازت وإما يئست — واليأس إحدى الراحتين — فبقيت تنتظر مصيرها الذى يحمله لها الغيب المحجب

* * *

قامت تحمل هذه الفكرة مندفعة الى غرفة أخيها الشاب فأيقظته ورجته أن يستعد لسماع حديث لها هام . فقام مرحاً كعادته واغتسل وجاءها طلقاً ضاحكا . فجلست الى جواره وأخذت تسرد عليه كل أمرها ، صريحة واضحة ، فعرفته كيف ابتدأت علاقتها بصادق ، وكيف استمرت ، وكيف كشفت حقيقة نواياه وكيف هددها ، وكيف قضت ليلتها ... وسألته أن يقوم بواجبه كأخ وكصديق ومنقذ فوضت إليه أن يفعل شيئاً . ولو أن ... يقتلها !

وكأن الموضوع قد أحال هذا الشاب المرح رجلاً قوياً يستمع فى جد ورزانة ، ووجهه ينم على أن قراره يتكون فى نفسه وفى رأسه

وما إن أتمت حديثها حتى قام يربت على كتفها بيده وكأنه يعدها بانجاز ما سألته . وارتدى ثيابه فى صمت وخرج من الدار ولم تكن الشمس قد برزت فى السماء

وانتظرت أمينة المصير مستسلمة لحكم الله أعدل الحاكمين..

* * *

وبعد نصف ساعة رجع أخوها الى غرفتها وسألها .

— « كم عدد رسائلك ؟ »

— « عشرون ... »

— « هاك العشرين رسالة »

وألقى بين يديها عشرين رسالة أخذت تقلبها باكية مضطربة فرحة . حتى إذا ما اطمأنت الى أن رسالة منها لم تغب أخذت تمزقها وترميها وقودا لنار أشعلتها لتدفن فيها ماضيها الصغير !

وبعد ساعة كانت العربات تنقل أثاث منزل صادق وهو يسير وراءها مذعوراً لا يكاد يستطيع أن يرفع جبينه الى منزل أمينة ، فقد هاجمه أخوها بقوته وبسالته وأرغمه على تسليم الرسائل وإخلاء سكنه والابتعاد عن الحى بأكمله وإلا فهو قاتله ، وارتاع الجبان وخضع وفنيت قوته الكاذبة أمام قوة الرجل الباسل . وأدرك أن الرجل الذى لا يستطيع أن يواجه رجلاً مثله أحرى به ألا يقف فى وجه امرأة !

محمد شوكت التونى

# الســــعادة

« لا أراك إلا مكباً على كتب الدراسة فلهذه وقت وللراحة أوبقات ، وهذا انهماك قد يودى بصحتك وأنت ما تزال طفلا ، هلا تذهب معى إلى الشيخ ، إنى أعتزم زيارته الآن »

هكذا فاجأنى أخى الأكبر ، ولم تكد شفتاه تنفرجان عن آخر كلمة حتى ألقيت ما بيدى جانباً ، وسارعت للحاق به نطوى سهولاً واسعة نغذّ السير على الأقدام ، بينما ترسل الشمس علينا شواظها لهيباً لافحاً ، وقدماى تغوصان برمال محرقة تجعل مشيتى بخطوات لا اتزان بها

وما إن تراءت لنا تلك البناية ، وهى تقوم على أكمة جرداء تشرف على جانب من سهول قفراء حتى عاودنى نشاطى ، بيد أن أخى استحثنى أيضاً فلوح إلىّ بالشجرة التى تبدو إلى جانب الدار وإلى اللجوء اليها من شعاع الهاجرة اللاذع

وبرز الينا رجل استفزه هرير الكلب الملح ، وإذ عرفنا أومأ إلى كلبه فتنحى إلى ركن أقصى خافتاً عواءه ، كأنه يتلمس عذرا

رحب بنا مضيفنا العجوز واحتوانا مجلس وثير ، وثير بفراش يتألف من حصير تعلوه وسادة ومخدتان ، فتراخت أعصابى بهدوء حيث الاستمتاع بنئ عميق ، تلاشى معه عنت السفر

وانطلقت عيناى كأنهما تبحثان عن شارد فى نواحى هذا المنزل الظليل وفيما احتواه من أثاث بسيط ، وإلى هدوء هذا الشيخ ووقاره . إنه منزل رحيب ولو أنه مكون من غرفة واحدة تحيط بها أكوام الأحجرة الدائرة من آثار القرون الأولى ، لا يتصل بها من عمران سوى هذا المغار المعد لمأوى عنزاته ، وهى تبلغ العشر عدا

وفى نشوة هذا الاستمتاع أدركت مغزى اطلاق البدو اسم القصر على أى كوخ يقوم فى عرض الصحراء ، وأقررت أنهم على حق

فأية فخامة تحلم بها فى غبراء يابسة تعدل هناءك حين تحضنك جدران أربعة تغدق عليك فيأها وتطمئن الى سلامتك فيها . إذن هو قصر باذخ . ويزيده رواء هـذه الشجرة التى لا ثانية لها فهى تخلع على هذا الكوخ ترفاً يتضاءل معه ترف القصور . هى مخضرة الأوراق وارفة الظلال وهى أبداً باسمة مادام كل ما يكتنفها قاتماً ، ويرحب بنا المضيف فى جلال الشيوخ مخاطباً إيانا فى حكمة من وقرت ظهره السنون فتخرج كلماته متزنة فى حين تلمع أسنانه البيضاء التى لم يسقط منها سن واحدة على ما أظن

وقلما يتزحزح من متكئه ، فالى جانبه إناء الماء البارد وأمامه معدّات القهوة العربية ويرتفع قريباً منه رف مصنوع من أعواد غير متناسقة يحمل أكواماً من المخطوطات عبث البلى بأكثرها . فهذه كتب يدعوها أسفار الحكمة ، وتلك وريقات يزعم أنها تضاهى صحف موسى ، ولماذا ؟ فهى اتصلت به من جامع قرطبة بواسطة المغاربة الجوّابين

وذلك كتيب يقول إنه توارثه عن آبائه الأقدمين وهو يقسم أن القلم الذى بين أصابعه مضى عليه زهاء ثلاثين عاماً لم يبره مرة ثانية بل زامله فى عزلته طيلة هذه السنين فى حالته الراهنة . وهو يجرى عليه رزقاً متواصلاً ، إنه رائد الخير ، به يكتب الرقى للبدو ويحبر الرسائل الخاصة ويثبت به كل ما اختزن فى المغار ، وهو لم ير سبباً لتجهيز هذا المغار بباب يحول دون سرقة ما احتواه من سمن وحبوب وصوف ائتمنه عليها البدو مقابل جعل خاص

وهولاء البدو تغمرهم الطهارة . هكذا يوجه كلامه إلى أخى لأنهم لا يسألونه عن زيادة أو نقصان فى أماناتهم ولا يأخذون بها مستنداً منه . وهم إذ ينسابون مع مواشيهم فى عرض الصحراء طلباً للكلأ والماء ويعمنون فى توغلهم بأطرافها المترامية يرسلون قوافل تمدهم بالمؤونة مما ادّخروه واختزنوه عنده

وما يدرّه عليه القلم إذا أضيف إلى هذا الجعل عن الخزين هى الثروة التى يقنع بها ويحرص على الشكران عليها

واندفع يسرد علينا اطمئنانه إلى عيشه ووجهه يطفح ايناساً وملامحه تفيض بشراً وهناء واعتدل فى متكئه كمن يحاول أن يحاضر فى موضوع فكرر الشكر لله إذ هيأ له حياة وادعة ويقول : لم لا أكون مرتاحا وهذا رزقى يأتينى رغداً ، وهذه عنزاتى تدر علينا حليبها ، ولنا دجاجات تغذينا ببيضها ، ونستقى ماءنا عذباً بارداً من البئر القريبة لمنزلنا ؟

# البريد الأدبي

## المؤرخ الألماني كونراد بورداخ

من أنباء ألمانيا الأخيرة أن المؤرخ الكبير كونراد بورداخ Burdach قد توفى فى السابعة والسبعين من عمره . وبورداخ من أعظم مؤرخى ألمانيا المعاصرين ، وقد اشتهر بالأخص بمباحثه وآرائه فى تاريخ العصور الوسطى ونظمها وخواصها الفكرية والاجتماعية ، وكان مولده بمدينة كونجزبرج فى سنة ١٨٥٩ ، ودرس دراسة حسنة فى جامعتها ونال اجازة الفلسفة ؛ وفى سنة ١٨٨٤ ، انتدب للدراسة فى جامعة هاله واستمر بها حتى عين أستاذا لتاريخ الأدب الألمانى فى سنة ١٨٩٢ . وفى سنة ١٨٩٣ ظهر أول جزء من كتابه الشهير فى تاريخ العصور الوسطى المسمى « من العصور الوسطى الى عهد الاصلاح » Vom Mittelalter zur Reformation فأثار ظهوره اهتماما عظيما فى دوائر البحث ؛ واستمر فى اصداره أعواماً عديدة وترجم الى عدة لغات أوربية ؛ وتوفر بورداخ على دراسة هـذا العصر دراسة مستفيضة . وكتب عن « لوثر » بطل الاصـلاح الدينى مباحث عديدة ؛ وقام بعدة سياحات ومباحث مختلفة فى دور المحفوظات الألمانية لحساب أكاديمية العلوم البرلينية ، وأصدر لحسابها أيضاً مؤلفات همبولد ، وله فى الأدب والحياة الفكرية عدة مؤلفات هامة نذكر منها كتابه عن « ڤالتر فوجلڤايده » Walther von der Vogelweide وكتاب « علم الحياة الألمانية » Wissenschaft vom deutschen Leben وغيرها

وفى سنة ١٩٢٧ أخرج بورداخ أعظم كتبه وأهمها وهو كتاب « الاصلاح والاحياء والحركة الانسانية » Reformation, Renaissance; Humanismus ولبورداخ رأى جديد فى نشأة حركة الأحياء فهو يرى أنها ثورة عقلية ترجع الى بواعث روحية عامة ، وأن هذه البواعث ترجع الى الاعتقاد الدينى فى السمو الآلهى للعالم والحياة ، وترجع أيضا إلى نفوذ الكنيسة والى مؤثراتها ؛ وفى رأيه أن الكنيسة قد لعبت دورا عظيما فى تهيئة أسباب الاحياء الفكرى ؛ وقد تناول بورداخ فى كتابه بالبحث المستفيض خواص الحياة العقلية فى القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، والتى يبحثه كبير ضوء على سير حركة الاحياء الأوربى

## كتاب جديد عن مصر

المسيو كلود آفلين من كتاب فرنسا الشبان ، وهو السكرتير المساعد لنادى القلم الفرنسى ؛ وقد زار مصر منذ نحو عامين ، ورأى أن يكتب عما شاهده فى هذه البلاد ، فوضع عن مشاهداته كتاباً صدر أخيراً فى باريس وعنوانه : « النزهة المصرية » La Promenade Egyptionne

ومسيو آفلين كاتب ذلق خفيف الروح ، ولكن الوقار يطبع أسلوبه ؛ فهو قد كتب عن مشاهداته فى مصر مجلداً يبلغ نحو ثلثمائة وخمسين صفحة ، وضمنه كثيراً من الملاحظات

---

أما زوجى فهى تشاطرنى هذا الهناء وهى وأنا عجوزان طال بنا انتظار الموت وهو إذ يغشانا أحدنا أو كلينا ألفانا على أهبة للقاء الله

يا ولدى ( يخاطب أخى ) إذا حان وقت الصلاة أنزوى إلى محرابى هذا ، وإذا شعرت بالسأم فهاهى ذى كتبى . إنها تحوى كل شىء . إنها عندى بمثابة عالم كامل

وأزيدك اطمئناناً علىّ بأننى لم أشك مرضاً ولم ألق ولم أتعرف قط إلى رجل السراى فى كرسيّه وزهوه حتى ولا أدرى شيئاً عن أحوال مايطلقون عليها من أسماء ، حكومة أو دولة أو حكومات وعساكر فأنا بعيد عن الناس قريب الى الله سعيد بلقائه

وفى عودتنا رأيت أخى يهز رأسه غيز مرة يردد كلمتى : إنه سعيد ! إنه سعيد !

( عمانه ) ( جار الصمراء )

والنكت الظريفة ، ولكنه لم يدع فى كتابه أنه أصبح بهذه الزيارة أعرف الناس بمصر والمصريين ، بل هو يصارحنا فى مقدمته بأنه يكتب متهيباً لأنه لم يحسن معرفة مصر ، وأن مصر لا تعرف فى زيارة أو زيارات ، وإنما لابد لمعرفتها من وقت ودراسات كثيرة

ومما يجدر ذكره أن مسيو آڤلين لم ينحدر الى شىء من ذلك الاسفاف الذى رأيناه فى كتابات بعض الفرنسيين الذين زاروا مصر فى العهد الأخير ، ولا سيما فرانسيس كاركو الذى يصور مصر فى كتاباته أقبح تصوير ، ويزعم أنها من أكبر مراكز البغاء فى العالم ، ولا يجد لأحاديثه سوى المواخير والمنازل السرية والمقابلات الغرامية المزعومة مع بنات الباشوات ... الخ ؛ هذا الاسفاف الذى ينحدر إليه فرانسيس كاركو وأمثاله يتعفف عنه مسيو آڤلين غاية التعفف ، ولا يطالعنا إلا بأحاديث شائقة ظريفة تفيض عطفاً وحباً

## سفينة جوية هائلة

يظهر أن عجائب الاختراع البشرى لن تقف عند حد ، وأننا قد نشهد فى المستقبل القريب سفناً جوية جبارة تشق جو المحيط ، كما نشهد اليوم السفن المائية الجبارة تشق عباب المحيط ؛ ففى أنباء أمريكا الأخيرة أن المستر شولز كلنهاز مهندس الشركة الجوية الكبرى التى أنشأت أهم وحدات الأسطول الجوى التجارى الأمريكى ، قد وضع تصميما جديدا لسفينة هوائية جبارة لا تقل فى حجمها عن سفينة بحرية حقيقية

وقد شرح المستر كلنهاز تصميمه أمام مجمع العلوم الجوية فى سان فرنسيسكو ، وقال إن تكاليف السفينة الجديدة تبلغ نحو أربعة ملايين جنيه ، وأنها تستطيع أن تخترق المحيط من نيويورك إلى ليفربول فى إحدى عشرة ساعة فقط ، ويستغرق صنعها على الأقل أربعة أعوام من العمل المتواصل

ويقول المستر كلنهاز إن الأمر ليس خيالاً وإنما هو مشروع علمى قتل بحثاً ودرساً من الوجهة الفنية ، وتأكدت صلاحيته وامكان تحقيقه بالتجارب العملية ، وسيكون وزن السفينة الجديدة نحو ١٥٠٠ طن ، وطولها نحو ٣٧٥ قدما ، ومحيطها نحو ٥٥٠ قدما وسيجهز محركها بقوة مائتى ألف حصان ، ويمكن أن تحمل مائة عامل ومهندس ، وخمسمائة راكب ، وخمسمائة طن من الوقود لتكفى اختراق المحيط ، وخمسة وعشرين طناً من العفش

وتطير هذه السفينة الجبارة بسرعة ثلثمائة ميل فى الساعة ، وعلى ارتفاع اثنى عشر ألف قدم

ويقول مستر كلنهاز فى ختام تقريره إنه يكفى وجود المال اللازم ليخرج مشروعه فى الحال إلى التحقيق العملى

## وفاة كاتب روسى كبير

توفى أخيراً فى براج عاصمة تشكيوسلوفاكيا الكاتب والقصصى الروسى الكبير فاسيلى نميروفتش دانشنكو بعد حياة طويلة حافلة ؛ وكان مولد هذا الكاتب الذى يمثل العهد القديم بكل ما فيه منذ ثلاثة وتسعين عاما ؛ وكان بدء ظهوره فى عالم الأدب منذ خمسة وستين عاما أيام الحرب الروسية التركية ، إذ كان جنديا ملتحياً ، وكان يكتب فى الصحف الروسية فصولا شائقة عن الحوادث العسكرية التى شهدها ؛ واستمر دانشنكو أعواما طويلة على وصف الأحداث والمغامرات العسكرية حتى أصبحت له فى هذا النوع من الكتابة براعة خاصة ؛ وكان له فى النظم جولات حسنة ؛ حتى كان يلفت الأنظار بقصائده الحربية ، وكان مثله الأعلى فى الشعر الشاعر الانجليزى الكبير « بيرون » حتى سمى فيما بعد « بيرون روسيا » وذاعت شهرة دانشنكو بنوع خاص حينما أخرج قصته « نسر الجبل » Berg Adler

وكان لدانشنكو فى بلاد البلقان شهرة خاصة لأنه حارب من أجل حرياتها ضد الترك ؛ وفى سنة ١٩٢٣ ، ذهب إلى بلغاريا لمناسبة احتفالها بعيد استقلالها الخمسينى ، فاحتفت به احتفاء عظيما ، وكان يومئذ فى الثمانين من عمره ، ولكنه كان شيخاً وافر النشاط والانتاج

وكان دانشنكو يعيش فى أيامه الأخيرة فى تشيكوسلوفاكيا متريضاً مستشفياً حتى وافاه الأجل المحتوم

## أسبوع المؤلفين

قام نادى القلم فى زيلندة الجديدة بمشروع طريف لترويج الكتب ، سماه « أسبوع المؤلفين » وخلاصة المشروع أن تعرض مؤلفات الكتاب وصورهم مدى أسبوع فى المدن الهامة مثل ولنتون العاصمة وكريستشرشى ودندين وغيرها . وقد افتتح الحاكم العام هذا المعرض الأدبى وألقى خطاباً رسمياً ؛ وألقى آخرون من أكابر الكتاب خطباً أخرى ؛ وكانت النتائج باهرة ، إذ كانت المعارض فى جميع المدن تغص بالزائرين والمشترين ؛ وقد بيعت كميات كبيرة من الكتب فى مختلف الفنون

وتلاحظ جريدة التيمس الأدبية التى ننقل عنها هذا الخبر ،

أن لهذا المشروع فوائد معنوية عظيمة فوق فوائده المادية ؛ ذلك أنه يبث إلى الجمهور روح التشجيع للحركة الفكرية ، ويعاونه على الاطلاع على مداها وعلى حسن تقديرها . فهل لكتابنا أن يفكروا فى تنظيم أسبوع « للمؤلفين المصريين » ؟

### معركة العقائد فى ألمانيا

تضطرم فى ألمانيا منذ قيام الحكم الهتلرى معركة دينية خفية بين النظام الجديد وبين الكنيسة البروتستانتية ؛ ذلك أن شعائر النظام الألمانى الجديد تميل إلى الوثنية والجرمانية القديمة ، ويرى قادة ألمانيا الجدد أن يسحقوا كل نفوذ للكنيسة فى حياة ألمانيا العامة . وترى الكنيسة من جانبها أن هذه السياسة خطر على نفوذها وعلى العقائد التى يرتكز إليها هذا النفوذ ، وتحاول أن تقف فى وجه النظام الجديد . وفى أنباء ألمانيا الأخيرة أن السلطات الكنسية فى بروسيا وبافاريا وبعض أقاليم أخرى أذاعت من منابرها خطاباً على المؤمنين تطلب فيه إليهم ألا ينزلوا عن تعاليم النظام الهتلرى وأن يحرصوا على عقائدهم من الفساد والدنس . وقد وقع هذا الخطاب الأسقف كوخ أسقف أومينهاوزن والأب مولر رئيس كنيسة دالهم . ويقول الخطاب إن التعاليم الهتلرية تنافى تعاليم الانجيل والمسيح . وقد اهتمت الحكومة لهذه الحركة الجديدة من جانب الأساقفة وذاع أنها تنوى دعوة البرلمان إلى الانعقاد فى مدينة ورمس حيث ظهر لوثر أيام اتهامه بالكفر ، وحيث أحرق الأوامر البابوية . وهكذا نرى أن المبادئ الهتلرية ما زالت تصطدم من بعض نواحيها بالمبادئ والعقائد القديمة

### دور العذاب

تعتبر ملاجئ الأحداث والعجزة فى الأمم المتمدنة من مظاهر الرقى الانسانى . وفى فرنسا كثير من هذه الملاجئ . ولكن كاتباً كبيراً هو مسيو الكسى دنان نشر أخيراً كتاباً عن هذه الملاجئ . سماه « دور العذاب » Maison de Supplics ؛ ذلك لأن هذه الملاجئ تعتبر فى نظره جحيماً للأحداث ، ولا تشرف السلطات التى تقوم على إدارتها ، وهو يصف لنا النظم العسكرية الشائنة التى تفرض على الصغار فى هذه الدور ، ويقول إنها أشنع ما يمكن ما تصوره ، وأسوأ ما يمكن أن يؤثر فى هذه النفوس الناشئة ؛ ويقارن المؤلف هذه الحالة السيئة بما تتخذه بعض الأمم الأخرى ولاسيما بلجيكا لتقويم الاحداث وإصلاحهم . وقد كان لنشر هذا الكتاب وقع عميق لدى السلطات ذات الشأن

### جبل الأهرام

تكاد لا تجد فى مصر مثقفاً يجهل قرية من قرى لبنان ، ولا خميلة من خمائله ، ولكنك تجد فى إخواننا أدباء لبنان مَن لا يعرف إلى اليوم إن كانت الأهرام جبالاً أو قبوراً ! فقد قرأنا للسيد فاضل سليم عقل مقالاً يتهم فيه أديبين مصريين بأنهما سرقا فى مقدمتهما لرحلة ابن بطوطة مقدمة كتبها الأستاذ فؤاد البستانى لهذه الرحلة . ويقول فى آخر مقاله : « وقد كنت أرغب شخصياً من كل قلبى أن أنقل نص المقدمتين إلى هذه الصفحة ، حتى يطلع القراء كلهم على هذه الجناية ... ويحكموا بأنفسهم ، بعد التفكير والاختبار ، لا بعد الهوس والتطبيل ، فى المستوى الأدبى ، والزعامة الأدبية ، التى لا تزال حائرة بين جبل الأهرام الخجول وقمم لبنان الشامخة .... »

وحسبنا من التعليق على هذا الكلام أن نعتب على السيد الكاتب أنه لم يقرأ تاريخ مصر ، ومصر على (ضعفها فى الأدب) لا تزال أقوى جزء من أجزاء الوطن العربى الأكبر !!

# الكتب

## التربيب

تأليف الأستاذ حسن نبيه المصرى بك

وكيل مجلس الشيوخ

بقلم الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى

يصرح الأستاذ الفاضل مؤلف هذا السفر أن كتابه مجرد ملاحظات استنتجها من التجارب الشخصية وخبرة من يعول على رأيهم وصحة حكمهم ؛ ويبدى صراحة أنه لا يبرز للناس قواعد جديدة فى التربية . وكنا نود أن لو كفانا تصريحه هذا مؤونة التعليق الفنى على الكتاب لولا مقام المؤلف الفاضل فى المجتمع المصرى ، ذلك المقام الذى يحملنا — كمربين قبل كل شىء — على أن نتفهم الكتاب ونقول فيه كلمة نقر بها الحق ونرضى بها الضمير

إن مجمل ما يقوله الناقد فى ذلك الكتاب أنه يشمل عدة مقالات كتبت فى ظروف مختلفة عنونها كاتبها بعنوانات وثيقة الاتصال بالتربية ، بينما المقالات نفسها لم تعالج علاجا فنياً دقيقاً أى ناحية من نواحى التربيب ؛ وأرى فوق ذلك أن هذه المقالات مجتمعة لا تكوّن وحدة علمية جديرة بالعنوان الذى جعله المؤلف لكتابه ، وأقصد بذلك أنها تفقد أسباب الاتصال بعضها ببعض على نحو يجعلها بحثاً جديداً يهم المشتغلين بشئون التربية . ولقد لفت نظرى أن يفرد الكاتب فصلا عن التربية والتعليم يقول فيه أن المعلومات التى يتلقاها التلاميذ فى المدارس لا تؤثر فى سلوكهم ، فهى فى نظره تعليم بعيد عن التربية . ويقول كذلك إنه قد استفاض خلط التعليم بالتربية ، وكأنه بكلامه هذا يريد أن يقيم سداً منيعاً بين التعليم والتربية

والحقيقة أنه لا يوجد حد جلى بين التعليم والتربية ، وأن ما يقول به البعض من أن التربية تشمل التعليم كما يشمل الكل الجزء ، إنما يحتاج إلى تدليل وتدعيم . أما الواقع والمعقول فهو أن كل من يعلم غيره فهو يربيه فى نفس الوقت ؛ ونحن لا نستطيع بأى حال أن نعلم دون أن نكون مربين إلى حد معين ، ولكننا نستطيع أن نربى دون أن نباشر عملية التدريس مباشرة فعلية . والآراء الحديثة أميل إلى تحديد التربية بغاياتها لا بوسائلها التى منها التدريس . والواقع أننى وأنا أعلم تلاميذى انما أترك بطريقة غير مباشرة آثاراً خطيرة فى خلقهم ، وطرق تفكيرهم ومثلهم العليا دون أن أقول لهم انى أربيكم أو أعدكم إعداداً خاصاً . ذلك أن سلوكى معهم وموقفى إزاء سلوك بعضهم مع بعض ، وتعليقى على بعض الدروس الوجدانية كالتاريخ والتربية الوطنية لا شك تؤثر فى المتعلمين بحيث تكون وسائل لاعدادهم لغايات بعيدة هى السلوك الطيب القويم فى الحياة المستقبلة

***

لنترك ذلك الخلاف ولنعرض لأمر آخر هو أن المؤلف لم يعالج الموضوعات علاجاً فنياً دقيقاً ، ولست أجد فى التدليل على ذلك أبلغ من تلخيص فصلين من الكتاب تلخيصاً أميناً دقيقاً ؛ الأول عنوانه ( كيفية التغذية ) يقول فى أوله إن غذاء الطفل يبتدئ وهو جنين فى رحم أمه بالسُّجد والحولاء والفرس . وبعد الوضع يكون الغذاء بالرضاع سنتين ، ( والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ) ، والتغذية بعد الفطام يشترك فيها الوالدان حتى يبلغ الطفل أربع عشرة سنة . وسنة الكون لا تكلف الانسان اختيار المأكولات ، فنظامها الدقيق ينتج الأشياء فى وقت حاجة الناس إليها . ويختلف بعض الاطباء والفلاسفة فى نوع غذاء الطفل ، فمنهم من يحرم عليه الحلواء والفطير والفاكهة ومنهم من يحض عليها ، وإنى لا أرى مجالاً لهذا الاختلاف الذى ينحسم باتباع الاعتدال والقسط

ومراعاة الظروف والأحوال ، وأما من أشار منهم باعطاء القليل من الأنبذة فانى لا أرى رأيه ، وأما المشروبات الروحية الأخرى فانها تهدم الجسم وتسلب العقل . وهنا يقول المؤلف كلاماً طويلاً فى مضار الخمر ويستشهد بالآية الكريمة : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » وبعد هـذا يقول ما يأتى : « حسنوا تقويم الولد جنيناً ، وأنشزوا عظامه وأنبتوا لحمه رضيعاً ، وعللوا بالغذاء ليجزأ عن اللبن فطيما ، وناولوه الأكل أدنى تناول فصيلا ، وأحسنوا غذاءه اللّـذ صبياً ، وأترفوه يافعاً ، وأعظموه مراهقاً ، ثم ألقوا حبله على غاربه » وبعد أن فصلنا للناس نختم المقال بهذه اللآلئ القرآنية :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين »

« قل من حرم زينـة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق الخ »

« والأنعام خلقها لـكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون »

« وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً »

هكذا يعالج الأستاذ الفاضل موضوعاً خطيراً كهذا ، فيقول كلاماً هو بعينه ما يعرفه المتعلمون وغير المتعلمين والمتربون وغير المتربين ، مع أن البحث العلمى يستلزم الاجلاء عن الوسائل المؤدية الى هذه الغايات التى ذكرها المؤلف ، فيبين لنا بطريقة عمليـة كيف تنشز عظام الولد وتنبت لحمه رضيعاً الى آخر ما ساقته هـذه الوصايا الذهبية والحكم البالغة فى ذلك اللفظ الخالب والسحر الغالب . عفواً سيدى الفاضل ، فالتربيب شىء عملى يضمه أهله بعيداً عن استمراء الألفاظ وإضاعة الوقت فى صناعة العبارات ، الأمر يا سـيدى أخطر من هذا وأدق ، والتخصص وحده هو الذى يخرج للناس الكتابة الفنية التى يحتاجون اليها فى الحياة حاجة عملية

* * *

وثَمَّ فصل آخر عنوانه (الغريزة) ، يعالجها الـكاتب الفاضل فى صحيفة واحدة من ذلك السفر الضخم ، فلا يعدو أن يحددها بأنها الأعمال غير الارادية ، ثم يفرق بين العقل والغريزة فى هذا الـكلام المنمق الجميل :

« العقل حر والغريزة عبد ، العقل علم والغريزة حدس ، العقل بصير وهى شعور ، العقل نور يتدرج والغريزة برق يخطف ، العقل ضوء النفس وهى سنا الحس ، وإذا العقل وقف للتدبير فهى تقفز للوثب والمسير »

فهل يكفى ذلك القصيد المنثور لبحث الغريزة فى كتاب عنوانه (التربيب) ، وأين يا سـيدى علاقة الغرائز بالتربية وأثر التربية فى تعديلها وعلاقة ذلك كله بحياة الأطفال ؟ ؟

* * *

وأخيراً لا بد من الاشارة هنا إلى أن الـكاتب الفاضل يهتم اهتماماً شديدا بحشر الـكلمات اللغوية فى كتابه كما يصنع كتاب المقامات ، ثم يجاوز هذا إلى شرح هذه الألفاظ والتعليق عليها ، وهذه المحاولات لا شك تجعل الموضوع مفككا وتصرف الـكاتب عن المعانى ، ولا سيما إذا عرفنا أن الأسلوب العلمى يتميز عن الأساليب الأدبية الأخرى بالسهولة وعدم التكلف فى البحث عن الألفاظ

هذا ما نقوله عن الـكتاب ، أما شخصية المؤلف ذاته فانها تبدو من خلال كتابه رزينة وقورة رائدها الخير وغايتها إسعاد المجتمع .

عبد الفتاح السرنجاوى

4 me Année, No. 171

Lundi - 12 - 10 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـدد ١٧١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ رجب سنة ١٣٥٥ — ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة


فهرس العـــــدد



فى العهد الجديد

## يومـــــان ...

قطعنى منذ طويل عن مواصلة الكتابة قواطع الأسى والمرض. وفى هذه الفترة الفاترة تقلبت على العين مشاهد، وتعاقبت على الأذن أحاديث، وتواردت على الذهن خواطر: فكان المصرى الذى فى دمى، والكاتب الذى فى طبعى، والصحفى الذى فى همى، يحاولون أن ينفعلوا على القلم كلما نجم فى الوطن حادثة، أو جرى فى الشعور عاطفة، أو بدا على (الرسالة) حاجة: ولكن الجسد الموهون لا يستجيب لنشاط، والفؤاد المحزون لا يهتز لأثر. وهل الدنيا إلا دنياك أنت؟ تدوم فيها ما دامت فيك، فاذا ما انعدمت فى نفسك انعدمت فى حسك: وإذن لا يكون سرورها سرورك، ولا حزنها حزنك، ولا متاعها متاعك: ماذا يفيدك الترياق بعد أن مات حبيبك مسموما، وماذا تردُّ عليك مباهج الناس إذا بات قلبك مهموماً؟

كنت وأنا فى الاسكندرية أقف على سياج الكرنيش، أو أسير على رمال الساحل، فأرى فيض الحياة يتدافع فى أمواج البحر وفى أفواج الناس، وروعة الجمال تتجلى فى رواء الشباب

فى الشارع وألوان الأصيل فى السحب ومغرب الشمس فى الماء ، وإشراق الغبطة يلمع فى العيون القريرة وعلى الشفاه المفترّة ، وصفاء الوجود يشيع فى زمر المصطافين فيكون فى أُهب الأطفال مرحا وفى قلوب الرجال فرحا وعلى مضاحك الغيد فتنة . وأسمع لغة الفردوس المفقود من فمى آدم وحواء وقد اضطجعا عاريين على رمال الشاطئ بين وسوسة الشيطان وفحيح الأفعى ، وهديرَ الأمواج المتعاقبة منذ يومها الأول على سِيف البحر ، وقد خلطه الخيال الشاعر بهتفات القيصر وضحكات كليو بطرة ، وغماغمَ الهوى والشباب تطّاير إلى الآذان الخلية فتقع منها موقع النغم الساحر فى جوف الليل الساجى البعيد ، وأحاديثَ المفاوضة والمعاهدة والمعارضة تتشقق بين الجماعات فتكون فى الغالب حماسة من دلائل الصحة ، وفى النادر هذياناً من أعراض المرض . كنت أرى وأسمع كل أولئك وأنا فى وحشة الغريب و بلادة الذاهل ، كأنما انقطع التيار الروحى بينى و بين الناس ، فأنا مظلم وهم فى نور ، وساكن وهم فى حركة ، ونافر وهم وحدات متسقة فى نظام المجتمع ، وناشز وهم نغمات منسجمة فى نشيد الكون

* * *

يوم واحد من أيام الاسكندرية استطاع أن ينقلنى من عدمى إلى الوجود ، ويخرجنى من نفسى إلى الناس : ذلك يوم سفر المفاوضين المعاهدين إلى انجلترا ! فقد ازدهانى أن يتفاهم الحق والقوة ، ويتفق منطق القلم ومنطق السيف ، ويقتنع (المبرنطون) بأن وطننا لنا وحدنا ، وأن أصحاب (الامتياز) أصبحوا بشراً مثلنا ، فدخلت فى غمار الشعب الهاتف ، وآثرت زحمة الدهماء ووقدة الشمس على مخالطة الأقدار الكبيرة والأحلام الرصينة فى ظلال السرادق ، وركبت زورقا من زوارق الميناء فى جمهرة من الشباب الفقراء الذين يجهلون معانى (النيابة) والوظيفة والجاه ، فيشاركون فى المظاهرات لأنها صرخة الوطن ، ويهتفون للزعيم لأنه ممثل الأمة ، ويصفقون للمعاهدة لأنها صك التحرر

سار بنا الزورق الراقص الشادى بين عشرات من الزوارق المزدانة المهللة حتى حاذينا (النيل) : والنيل قطعة من الوطن المحبوب تجمّع فيها أمله المنتشر ، وبدأ عليها تاريخه الجديد ، ستقطع هذا الخضم المزبد إلى الشاطئ البعيد عليها صداقة مصر لانجلترة ، يقدمها وفدها الأمين إلى الذين عرفوه بعد انكار وسالموه بعد حرب ؛ وما كانت سياسته فى الأول إلا سياسته فى الآخر لولا سوء الفهم وسوء الظن وسوء الضمير . فلما انحسر لثام الرياء عن الأوجه المغشوشة فينا وفيهم ، خلص منطق النحاس إلى عقل إيدن ، واقتحمت النيل الوادعة مرابض الأسطول

تحركت الباخرة المزهوة الفخور بعد حفلة الوداع بين عزف الموسيقى وقصف المدافع وصفير البواخر وتصفيق المودعين وهتاف المتفرجين وزغردة النساء ؛ فكان من ذلك كله نشيد وطنى عجيب التأليف بديع التلحين سحرى الايقاع عبر بهذه القوّة عن الشكر لقادته ، والخير لحليفته ، والاطمئنان إلى مستقبله

كان اعتماد الجمهور فى التنفيس عن حماسته المضطرمة على الضرب بالأرجل ، والتصدية بالأيدى ، والتلويح بالأذرع ، وما يلازم هذا من اضطراب الحركة وفقدان الاتزان وشيوع الفوضى ، وانتقال أثر ذلك كله إلى الزورق ! فلو كان للشعب شعراء وموسيقيون : كما كان له زعماء وصحفيون ، فوضعوا له الأناشيد التى تعبر عن عواطفه فى وحدة ، وتهيمن على مواقفه فى نظام ، لما تعرضنا مراراً للغرق ! ! !

على أن الغرق لم يقع فى حسابى وأظنه لم يقع فى حساب أحد ، فقد كان فُلكنا المتواضع يجرى تحت (النيل) الباذخة كأنه الفرخ الوليد تحت جناح النسر ؛ عيوننا ترمق الزعيم الجليل وصحبه فلا تكاد تطرف ، وقلوبنا تنتشر دعاء ورجاء فلا تكاد تتماسك ، وألسنتنا تضطرب فى سيل من الهتاف فلا تكاد تسكن ، وفُلكنا المجنون فى يد القدر ، يميل و يعتدل ، و يجور و يهتدى ، وقد نسينا من روعة الموقف أننا فيه

* * *

يومئذ شعرت بأنى جزء من كل وفرد من مجموع ، وأدركت أن المشاعر المشتركة كالدين والوطنية هى أوثق روابط الألفة ، وأن المشاعر المختصة كنوازى الهوى ونوازع « البلاج » هى أقرب السبل إلى الفرقة

هذا يوم ؛ أما الآخر فله مقال آخر ! ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود !

احمد حسن الزيات

# سر القبعة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

وحدثنى صاحب سر (م) باشا ، قال : نجمت فى مصر حركة بعقب أيام البدعة التركية حين لم تبق لشىء هناك قاعدة إلا القاعدة الواحدة التى تقررها المشانق ... فمن أبى أن يخلع العمامة عن رأسه خلعوا رأسه ، ومن قال (لا) انقلبت (لا) هذه مشنقة فعلق فيها

وكانت فكرة اتخاذ القبعة فى تركيا غطاء للرأس قد جاءت بعد نزعات من مثلها كما يجئ الحذاء فى آخر ما يلبس اللابس ، فلم يشك أحد أنها ليست قبعة على الرأس أكثر مما هى طريقة لتربية الرأس المسلم تربية جديدة ليس فيها ركعة ولا سجدة ؛ وإلا فنحن نرى هذه القبعة على رأس الزنجى والهمجى ، وعلى رأس الأبله والمجنون ، فما رأيناها جعلت الأسود أبيض ، ولا عرفناها نقلت همجياً عن طبعه ، ولا زعم أحد أنها أكملت العقل الناقص أو ردت العقل الذاهب ، أو انقلبت آلة لحل مشكلات الرأس البليد ، أو غصبت الطبيعة شيئاً وقالت هذا لحاملى دون حامل الطربوش والعمامة

وقد احتجوا يومئذ لصاحب تلك البدعة أنه لا يرى الوجه إلا المدنية ، ولا يعرف المدنية إلا مدنية أوربا ، فهو يمتثلها كما هى فى حسناتها وسيئاتها ، وما يحل وما يحرم ، وما يكون فى حاجة اليه وما يكون فى غنى عنه ؛ حتى لو أن الأوربيين كانوا عوراً بالطبيعة لجعل هو قومه عوراً بالصناعة ليشبهوا الأوربيين ..

نعم إنها حجة تامة لولا نقص قليل فى البرهان يمكن تلافيه باخراج طبعة جديدة من كتب الفتوح العثمانية يظهر فيها الخلفاء العظام والأبطال المغاوير الذين قهروا الأوربيين لابسين قبعات ليشبهوا الأوربيين ....

***

قال صاحب السر : وتهور فى هذه الضلالة رهط من قومنا ، وأخذوا يدعون إلى التقبع فى مصر احتذاء لتركيا ، وذهب بعضهم إلى سعد باشا رحمه الله يطلب رأيه ، فكان رأيه (لا) بعد الألف ... وعهد إلى بعضهم أن أسأل الباشا فقال :

ويحهم ! ألا يخجلون أن نكون نحن المصريين مقلدين للتقليد نفسه ؟ إن هذه بدعة تنحط عندنا درجة عن الأصل فكأنها بدعتان . ثم ضحك الباشا وقال : كان فى القديم رجل سمع أن البصل بالخل نافع للصفراء ، فذهب إلى بستان يملكه وقال لوكيله : ازرع لى بصلاً بخل .... هكذا يريدون من القبعات أن تخرج لهم تركا بأوربيين

ليست هذه القبعة فى تركيا هى القبعة ، بل هى كلمة سب للعرب ورد على الاسلام ، ضاقت بها كل الأساليب أن تظهرها واضحة بينة فلم يف بها إلا هذا الأسلوب وحده ، وهى اعلان سياسى بالمناوأة والمخالفة والانحراف عنا واطراحنا ، فان الذى يخرج من أمته لا يخرج منها وهو فى ثيابها وشعارها ؛ فبهذا انفتح لهم باب الخروج فى القبعة دون غيرها مما يجرى فيه التقليد أو يدعه الابتكار ؛ وإلا فأى سر فى هذه القبعات ، ومتى كانت الأمم تقاس بمقاييس الخياطين .... ؟

ههنا سيف أراد أن يكون مقصاً ، فعمل ما يعمل الحسام البتار فأجاد وأبدع وأكبره الناس وأعظموه ، ثم صنع ما يصنع المقص فاذا عساه يأتى به إلا ما ينكره الأبطال والخياطون جميعاً

أكتب علينا أن نظل دهرنا نبحث فى التقليد الأعمى وألا يحيا الشرق إلا مستعبداً ينتظر فى كل أموره من يقول له : اشرع لى . . . إن بحثنا فلنبحث فى زى جديد نتميز به فتكون القوى الكامنة فينا وفى طبيعة أرضنا وجونا هى التى اخترعت لظاهرها ما يجعله ظاهرها ، كما يخرج زور الأسد لبدة الأسد غاية فى النفعة والجمال والملاءمة

أنا ألبس ما شئت ولكنى عند القبعة أجد حداً تقف إليه ذاتيتى الفردية فلا أرى ثمة موضع انفراد ولكن موضع مشاكلة ، ولا أعرف صفة منفعة لى بل صفة حقيقة منى ، ويعترضنى من هناك المعنى الذى يصير به النوع الى الجنس والواحد الى الجماعة . وما دمت مسلماً أصلى وأركع وأسجد فالقبعة نفسها تقول لى دعنى فلست لك

وهؤلاء الرجال الذين لبسوها فى مصر إنما اشتقوها من

الصدر نفس المصدر الذى يخرج منه التهتك فى النساء ، وكلاهما مَنْزَعٌ من المخالفة ، وكلاهما ضِدٌّ من صفةٍ اجتماعية تقوم بها فضيلة شرقية عامة . وليس يعدم قائل وجهاً من القول فى تزيين القبعة ولا مذهباً من الرأى فى الاحتجاج لها ، غير أن المذاهب الفلسفية لا يُعجِزها أن تقيم لك البرهانَ جَدَلاً محضاً على أن حياء المرأة وعفتها إن هما إلا رذيلتان فى الفن . . . وان هما إلا مرض وضعف ، وإن هما إلا كَيت وكيت . ثم تنتهى الفلسفة الى عدّهما من البلاهة والغفلة ، وما الغفلة والبلاهةُ إلا أن تريدَ فلسفةٌ من فلسفات الدنيا أن تُقْحِمَ فى كتاب الصلاة مثلاً فصلاً فى ... فى ... فى الدَّعارة

لا يهولنَّك ما أقرر لك من أن القبعة الأوربيـة على رأس المسلم المصرى تهتكٌ أخلاقىّ أو سياسىّ أو دينىّ أو من هذه كلها معاً ، فانك لتعلم أن الذين لبسوها لم يلبسوها إلا منذ قريب بعد أن تهتكت الأخلاق الشرقية الكريمة وتحللا أكثر عقدها ، وبعد أن قاربت الحرية العصرية بين النقائض حتى كادت تختلط الحدود اللغوية . فحرية المنفعة مثلا تجعل الصادقَ والكاذب بمعنى واحد ، فلا يقال إلا أنه وجد منفعته فصدق ، ووجد منفعته فكذب ؛ وعند الحرية العصرية أنه ما فرّق بين اللفظين وجعل لكل منهما حدوداً إلا جهلُ القدماء وفضيلةُ القدماء ودين القدماء . وهذه الثلاثة : الجهل والفضيلة والدين هى أيضاً فى المعجم اللغوى الفلسفى الجديد مترادفات لمعنى واحد هو الاستعباد أو الوهم أو الخرافة

ومتى أزيلت الحدودُ بين المعانى كان طبيعياً أن يلتبسَ شىءٌ بشىء ، وأن يحلّ معنى فى موضع معنى غيره . وأصبح الباطلُ باطلا بسبب وحقًّا بسبب آخر ، فلا يحكم الناسَ إلا مجموعة من الاخلاق المتنافرة تجعل كلَّ حقيقة فى الأرض شبهةً مزورة عند من لا تكون من أهوائه ونزعاته ، فيحتاج الناس بالضرورة إلى قوة تفصل بينهم فصلا مساحاً ، فيكسبون القانونَ بمدنيتهم قوة همجية تضطره أن يُعِدّ للوحشية الانسانية ، وتدفع هذه الوحشية أن تُعِدّ له

ومن اختلاط الحدود تجىء القبعة على رأس المسلم ، وماهى إلا حد يطمس حداً ، وفكرة تهزم فكرة ، ورذيلة تقول لفضيلة : هأنذى قد جئت فاذهبى

ما هو الأكبرُ من شيئين لا حدَّ بينهما لتعيين الصَّغر ، وما هو الأصغر من شيئين لا حدَّ بينهما لتعيين الكبر ؟ إنها الفوضى كما ترى ما دام الحدُّ لا موضع له فى التمييز ولا مقرّ له فى العُرف ولا فصلَ به فى العادة ؛ ومن هنا كان الدينُ عند أقوام أكبرَ كلمات الانسانية فى عامة لغاتها وأملأها بالمعنى ، وكان عند آخرين أصغرها وأفرغها من المعنى ؛ وما كبر عند أولئك إلا من أنه يسع الاجتماع الانسانى وهو محدود بغاياته العليا ، وما صغر عند هؤلاء إلا بأن الاجتماع لا يسعه فلا حدَّ له ، وكأنه معنى مُتوهَّم لا وجود له إلا فى أحرف كلمته

فجماعة القبعة لا يرون لأنفسهم حداً يحدونها به من أخلاقنا أو ديننا أو شرقيتنا ، وقد مرقوا من كل ذلك وأصبحوا لا يرون فى زيّنا الوطنى ما فيه من قوة السر الخفى الذى يُلهمنا ما أودعه التاريخ من قوميتنا ومعانى أسلافنا

وأنا أعرف أن منا قوماً يرى أحدُهم فى ظن نفسه أنه قانون من قوانين التطور ؛ فهو فيما يُلابسُه لا ينظر إلى أنه واحد من الناس بل واحدٌ من النواميس . . . ومن هنا الثقَلُ والدعوى الفارغةُ وما هو أكبر من الثقل وفراغ الدعوى . وإنه لحقٌّ أن يكون بعضُ الناس أنبياء ، ولكن أقبح ما فى الباطل أن يظن كل إنسان نفسه نبيًّا

واعلم أن كثيراً مما يزينونه للشرق من رذائل المدنية الأوربية إن هو إلا منطق شهوات فى جملته ، ولقد تسمعُ الجائعَ يتكلم عن الطعام فترى كلاماً تحته معانٍ ومعانٍ لا يعدها غيرُ الجائع إلا حماقةَ ساعتها

( طنطا ) مصطفى صادق الرافعي

# كل شيء بخير

# سيدتي المركيزة !

للأستاذ عبد الحليم الجندي

في فاتحة الصيف جلسنا عند سفح الهرم نستمع إلى آخر أناشيد باريس عاصمة فرنسا ، التي يقول عنها أبناؤها إن كل شيء فيها ينتهي بأغنية ، والتي يُزلفها « كوت » إلى الهاوية في سرعة الطائرات التي يبعث بها إلى مدريد ، والتي يسوقها « توريز دجوهر » إلى جهنم الحمراء : أي إلى الشيوعية ، فأدار لنا « الأستاذ » تلك الأنشودة البديعة الواردة أخيرا :

كل شيء بخير : سيدتي المركيزة : المتاع سرق
وكل شيء بخير : سيدتي المركيزة : والقصر يحترق
وكل شيء بخير : سيدتي المركيزة

استمعنا ، واستمتعنا : ثم نسينا — طبعا — ورجعنا ؛ حتى إذا كنت في أوائل الشهر الماضي برأس البر طفرت تلك الأغنية إلى ذهني وإلى فمي فطفقت أرددها ، في المساء وفي الصباح ، وعلى الشط وفي السامر

* * *

نحن الآن في مجلس خاص ، في الكازينو ، على قيد أمتار من اللسان ، حيث العذب الفرات والملح الأجاج يلتقيان ؛ وهؤلاء أكبر الأساتذة في أقدم جامعة في العالم ، وفي أحدث جامعة في العالم ، أخذوا في خلوتهم البديعة بأطراف الأحاديث ، وسالت تلك القرائح السامية بخواطر عالية في الحضارة والاجتماع

الأستاذ الكبير — في جامعتنا المصرية — يعالج ترجمة فصحى لكلمة « المودة » La mode ويعرض على الفقيهين الكبيرين كلمة بديعة بارعة ، فتأخذهما النشوة ويطربان ؛ والأستاذ يقص علينا حديث رحلته الأخيرة إلى الشام ، تلك الأمة المجاهدة في الحرية ، المجاهدة في الأدب ، المجاهدة في الاقتصاد ... وبنوها الذين ضربوا لنا الأمثال في كل ضرب ! الذين حذوه عن مصر عما لا يعرفه أبناء مصر ! ... لقد كان أروع ما راعه في ذلك القطر الشقيق أنه لم يجد فوارق بين الطبقات ؛ وعلة ذلك عنده أن العروبة أعمق أصولاً عند إخواننا ، وأن العروبة معناها النخوة والمساواة ؛ وعلته أيضاً أن التفاوت في المرتبات ليس هائلاً ؛ وأخيرا أن ليس ثمة أسرات تضرب في مظاهر الأبهة كأنها تضرب بروقين في السماء ...

أما هنا — وانحدر الحديث الى من هنا . قال قائل : هنا نجد ستة عشر مليوناً ولا نجد ستة عشر رجلاً ممن ينفذون الى الأعماق ! قلت : إني أطلق على حضارتنا الحالية : « حضارة السندوتش » ؛ فالناس يمرون عجال « السندوتش » ليطعموا طعامهم على وجه الاستعجال ، كما يعبر رجال القانون ، ولا يضيرهم بعد ذلك أن تتأذى معداتهم وأعصابهم ما داموا قد تناولوا وجبتهم بحال من الأحوال . . . ! ولقد طغت تلك الحال على المطعم الأصيل فكادت تجليه عن مكانه . أنظر حيثما شئت تجد أنوارا لامعة في الأرض تكاد تباهي كواكب السماء ! إنها ليست أنوار معهد ولا مستشفى ، ولكنها أنوار السينما والسندوتش . وكلما ذهبت الفتاة الى الطبيب أو شكا الطالب الى أستاذه رجاهما الطبيب أو الأستاذ أن يقلعا ، أو يقللا ، من ارتياد السينما ومن ازدراد السندوتش ...

وكما قضى السندوتش على المطعم تكاد تقضي المذكرات في الجامعة على المراجع ، والخليلات على الحليلات ، والمسكنات السياسية على الاصلاح العميق ، وشهوات الساعة على واجب التاريخ . . . والأدب الرخيص على الأدب العالي . . . والمجلات الخفيفة على الكتب ... ولنفس الأسباب .. وفي عبارة موجزة : لكأن هذا الجيل ليس من مصر ! وكأنما هو يقضي منها وطراً ، أو كأنه فيها عابر سبيل . . . .

وتطرق الحديث — حتما — الى البلاج ، الى الماء ، والى فنون الماء ، وما أدراك ما فنون الماء : العراء . والاغراء ، واستهتار الرجال وتبذل النساء ! وخرج كل منا من الحديث غضبان أسفا

ومع ذلك فالدولاب يسير ... وظواهر الأشياء لا تنبئ إلا عن خير الأشياء ...

وكل شيء بخير : سيدتي المركيزة ! المتاع سرق
وكل شيء بخير : سيدتي المركيزة ! والقصر يحترق
وكل شيء بخير : سيدتي المركيزة !

* * *

وانفرط العقد ، وانصرم الليل ، وأرسلت الشمس شعاعها في الصباح أصفر وهاجاً نافذا في أعماق اليم كأنه سهم ذهبي بديع يتوهج في طبقات الأفق ، والتقى الصديقان بعد عشرة أعوام

وبعد رحلة طويلة فى أوربا ، وبعد أن (كانا يظنان كل الظن أنْ لا تلاقيا) ... وانطلقا على الشاطئ

قال الذى رجع من أوربا : أرأيت أنى وجدت فى مصر ما لم أجد فى أوربا ؟ قال له صاحبه : أنسيت أن إسماعيل قد جعلها قطعة من أوربا ؟ ومنذ ستين عاماً ! قال إنها كلمة تعدل كل ديون اسماعيل ، فهو كما أفقر الأمة فى أموالها أفقرها بهذا الذى ظن أنه صيّرها إليه ... إنك لا ترى على هذا الشاطئ إلا أقبح القبيح الذى تنكره أوروبا .. لكأن الناس ياصديقى قد جاءوا إليه ليتعروا فيه لا ليصطافوا عنده ....

وانطلقا حتى بلغا مجمع البحرين قال : انظر الى النيل يقذف بنفسه فى صميم البحر الأبيض ؛ إنه ينطلق كالقذيفة فى البحر .. وترى ماءه الأحمر أو الأسمر ، بل تستطيع أن تشربه عذباً على بعد أميال من الشاطئ ؛ ولكنك بعد أميال أخرى لا تراه ؛ ويفنى اللون الأسمر فى اللون الأزرق ، والماء العذب فى الماء الملح ؛ وهكذا نحن نقذف بأنفسنا فى ذلك الخضم الأوربى ولكن مع فارق ضخم : هو أن الماء يسع الماء ، أما الحضارة الأخرى فانها تلفظنا ...

وانطلقا . . . فهما الآن عند الكازينو : حيث الفتيات يواعدن الفتيان جهرة ... ! لكأنه يوم الزينة ، وكأن الناس قد حُشروا ضحى .. ! لا ليشهدوا سحرة فرعون ولا آية موسى ، ولكن ليشهدوا السحر الحرام .. فيرى الأناث الرجال المتأنثين ، ويرى الرجال النساء المسترجلات .... وإلا فلماذا لا يحتشد ذلك الجمع على الشاطئ الذى يبدأ من بور سعيد وينتهى عند البرلس بعصيف آخر ؟ لماذا لا يحتشد ذلك الجمع إلا أمام الكازينو ؟ ارجع البصر يا صديقى إلى ذلك الحوت المستلق على الشاطئ ! ثم ارجع البصر كرتين ، هنالك ، تلك الفتاة التى وصفها النقيب (سانت أوبان) فى مرافعته عن فكتور مرجريت عندما قدموه للمحاكمة من جراء (لا جارسون) — تلك الرواية التى صارت بعد خمسة عشر عاما من أعف الروايات !! — قال سنت أوبان (.. أين تلك البطة المسربلة بالبياض وهى تقسم يمين الطاعة لزوجها فى المعبد من هذه الفتاة العارية المتمددة على رمال الشاطئ تعرض جسدها على الطبيعة تستقبل أشعة الشمس حقاً ولكنها تستقبل أيضاً تلك الأشعة النارية المسلطة عليها من عيون الناظرين ... )

وانطلقا نحو علم أخضر يتراءى على البعد . قال أحدهما إنك ترهقنى عسرا إذا سرت بى إلى حيث هذا العلم ؛ إننى أراه فوق الشاطئ الذى نحن عليه كطربوش الميت على الآلة الحدباء التى تحمله ؛ وهو من مجد هذا الشعب المنتشر على هذا الشاطئ كالنشيد الذى أجازوه مائة جنيه لأنه خال من المعنى ، خال من الاحساس ، ومع ذلك جعلوه نشيدنا القومى ! ! ... إننى سمعت الأنشودة التى غنيتها لك فى المرقص ، ولكن المرقص يحمار خجلاً ، ويتفصد جبينه عرقاً ، إذا وقف أزواجه أمام هذا الشاطئ ... إن الشباب يتعلم ليتعطل ، والعامل يعمل ليجوع ، والاقتصاد المصرى يزخر كتيار النيل ليصب فى البحر الذى يجمعنا بأوربا ... أفهذا الشباب الناهض ، بل الرابض ، هو الذى سيبنى الأسطول البحرى ، والأسطول الجوى ، ويقطع الصحراء راجلاً إلى الحدود ... !! ومع هذا فقد شرع له أساتذة الجيل أسوأ شرعة عندما أعطوا جائزة لذلك الباحث الذى شرط على رجل القرن العشرين أن يكون « وصوليا » لكى ينجح ... ! ! فاذا سألت عن هؤلاء الأساتذة ، فاعلم أن منهم صاحب « حياة محمد » ، وأن منهم أيضاً تلميذ محمد عبده ! !

ومع ذلك أيضاً ... فكل شىء بخير

كل شىء بخير : سيدتى المركيزة ، المتاع مرق ، والقصر يحترق ، وكل شىء بخير ...

***

وكنا كلما بعدنا عن الكازينو هدأ الموج وسكن البحر ؛ قلت : ما للموج لا يرغى ولا يزبد إلا حيث هؤلاء الناس يجتمعون ؟ فأجاب صديقى : «إننى سمعت إحداهن تقول لأختها : إن الموج يتدافع نحوها كما يتدافع الهوى أو الهواء ، تارة فى عنف ، وتارة على استحياء . فردت عليها الفاجرة تقول : اسمى ! إننى سأذيع لك السر الذى بينى وبينه : « إنه يتظاهر أمام الناس بأنه يلاطم الشط ولكنه فى الحقيقة يقبل قدمى .. وهأنذى أركض بهما فى ذلك المغتسل البارد .. وأسلمهما للقبل »

وكنا قد دنونا من السارية ، ثم وقفنا تحت العلم ، فيا لتوفيق الله سبحانه ! إنه علم فرق الجوالة من شباب الجامعة الأشداء جاءوا يضربون خيامهم على هذا الشاطئ ويضربون لفتيانه المثل العالى .. وجاءوا ليبعثوا فينا الأمل الذى قضى أو كاد

ورجعنا فى العاشرة صباحا ، وكان الراديو يجاجل فى الآفاق جيمها بآيات الله العلى ! قلت يا صديقى بل هنا الأمل فلنراجع البرنامج !

عبد الحليم الجندى المحامى

# رواية ورواية

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

قال محدثي :

« كنت في ذلك الوقت غارقاً في دروسي ، فقد رسبت ، كما تعلم ، في الامتحان وأبيح التقدم له مرة أخرى ، فعدت من البلد ، ونزلت على أقربائي هؤلاء ، وشرعت أستعد لأداء الامتحان في المواد التي أخفقت فيها ، وكانت أربعاً ، تضاف إليها ثلاث أخرى اخترتها طمعاً في « المجموع » فعكفت على دروسي وأقبلت على تحصيلها . وما أكثر ما كنت أفني ليلي بالسهر في مراجعتها فكانت « سميحة » تزجرني عن ذلك وتقول : إن سهر الليل يهد القوى ويكثف العقل ، وإن عمل النهار أوفر عائدة وأرفق بالجسم والعقل . وكانت هي قد فازت « بالبكالوريا » ولم تتلكأ عندها مثلي ووثبت منها الى كلية الطب . ولم تكن قد قضت فيها غير عام واحد ولكنها — مذ التحقت بها — أصبحت تتحدث عن الصحة والعلل وطبابها كأنها جالينوس . وكنت أحبها غير أن دروسي شغلتني عنها ، وكانت معي في البيت فلا داعي للشعور بالوحشة وفراغ الدنيا حول المرء . وكنت إذا تعبت أقوم فأتمشى في البيت وأدور بالغرف — فما ثم غيرها — وقد ألبث شيئاً عند سميحة وهي مستلقيـة على سريرها — أو على الأصح نائمة كقاعدة فوقه — وفي يدها قصة تزجي بها الفراغ وكانت تحب الروايات البوليسية مثلي فلا يفوتها شيء مما ينقل الى العربية في هذا الباب . وأنا مثلها وعسى أن يكون هذا هو الذي دهورني ، ولكنه لم يدهورها فلا أدري ما علة إخفاقي وسر نجاحها ؟ . لا تعترض !! إني أعرف ما تريد أن تقول ، ولهذا أقول لك إنها ليست أذكى مني وإن كان لا يسعني إلا أن أعترف أنها أمضى عزماً وأقوى إرادة وأقوم طريقاً الى غايتها حين تكون لها غاية . وما أظن بها إلا أنها أرادت أن أعشقها فعشقتها ، ولكن الذي يحيرني أنها تأبى على راحة القلب واطمئنان البال ، ولا تنفك تظهر لي النفور من هذا الحب والكراهة له والزهد فيه . وأحسب أن هذه هي طبـاع المرأة ، فهي تعني « أريد » حين تقول « لا أريد » .. ما علينا .. انتهى الامتحان واستطعت أن أنام مرتاحاً ووسعني أن أدير عيني فيما حولي وأن أجعل لقلبي حظاً بعد طول الحرمان ، ولـكن سميحة كانت تنفيني عن البيت وتقول لي إني أتلفت صحتي فهي في حاجة الى الهواء الطلق ؛ وكان هذا صحيحاً لا شك فيه ، ولـكن هذه « الأستاذية » التي كانت تتكلفها معي كانت تثقل على نفسي . وكانت تخرج معي أحياناً ولـكن كما يخرج المعلم مع تلاميذه الصغار الى حدائق الحيوانات أو مرصد حلوان ، فلا أشعر أني مع الفتـاة التي أحبها ، ولا أجد متعة أستفيدها من هذه الرحلات التي يطيب فيها الغزل عادة والتي كنت أمني بها نفسي وأحلم . وقد قلت لها مرة ونحن في « حديقة الأورمان » :

« يا ستي ما هذا الحال المقلوب ؟ »

قالت : « أي حال ؟ . مالك ؟ . »

قلت : « لـكأني أسير مع شرطي ! »

فلم تضحك — وكنت أظنها ستفعل — فغاظني ذلك فقلت : « أليس حالاً مقلوباً أن نضحك في المطبخ ونعبس في الحديقة الحالية ؟ ؟ »

فسألتني مستغربة : « المطبخ ؟؟ متى ضحكنا في المطبخ ؟ »

فقلت لها بضجر : « لا تكوني حرفية ! ! إنما أعني البيت وأنت تعرفين ما أعني فلا تغالطي »

قالت : « إن البيت ليس من مرادفاته المطبخ »

فسكت ولم أقل شيئاً — وماذا عسى أن أقول ؟ — »

وحـدث مرة أخرى وكنا معاً — على ما يبدو للناس ، أما في الحقيقة فقد كان كل منا وحده — فضاق صدري ، فقلت أرفـه عن نفسي بالغناء ، فرفعت صوتي وانطلقت أغني :

« يا بت انا بدّي أبوسك    بس أبوسك !<br>
واطرب وأحظى بكؤوسك    رقي شوية ! »

فلم يرعني إلا قولها : « ليس أضر من الخمر ولا أقتل »

فقلت : « يا ستي إن المراد بالـكؤوس هنا الشفاه الرقيقة ، وبالخمر الريق العذب »

فقالت : « إخص ! ... »

فقلت مندهشاً : « إخص ؟ ؟ »

قالت : « إخص ! ... »

قلت : « طيب ! ... »

وهذا يريك من أى معدن صيغت سميحة ، ولكنى على هذا كنت أحبها حباً عظيما لأنى كنت واثقاً أن هذه قشرة نشرتها كلية الطب على صفحة معدنها الصافى ، وستزول ولا شك مع الأيام

وصح ظنى ، فقد كانت كما قلت لك تحب الروايات البوليسية حباً جماً ، وكان قد صدر منها أخيراً رواية طويلة فى مجلدين اسمها « السم فى الدسم » ، فاشتريتهما وغرقت فيهما — أعنى فى المجلد الأول — واستغنيت بهما عن هذه النزهات والرحلات التى لم أكن أفيد منها أى متعة ، بل كنت أفيد منها التنغيص وكنت أخفيهما عن عينها مخافة أن تسطو عليهما ، وكانت الرواية قد نفدت بسرعة ، فلا سبيل إلى نسخة أخرى غير التى كانت معى إذا هى ضاعت ، فلا عجب إذا كنت قد حرصت عليها وضننت بها . ولا أكتمك أن نفسى حدثتنى أن أعذبها — أعنى سميحة — بعد أن أفرغ من الرواية وأعرف سر الجريمة ، وذلك بأن أخايلها بها وأحرك نفسها لها ولا أمكنها منها ، ولماذا لا أعذبها كما عذبتنى ؟ ثم إن تعذيب المرأة أحياناً لا يكون من القسوة ، فقد وجدت على ضآلة تجربتى وقلة خبرتى أنها تستحلى هذا — أعنى المكايدة إذا لم تخرج إلى الايلام ولم تجاوز الحدود المعقولة ... ومع ذلك من يدرى ؟ فلعلها تستعذب العذاب بلا قيد أو شرط .. لا أدرى !

وفى إحدى الليالى عدت من مأدبة كنت مدعواً اليها مع لفيف من إخوانى وأندادى ، أقيمت لتوديع واحد منا مسافر إلى انجلترا لاتمام تعليمه هناك ، فلما رجعت إلى البيت دخلت غرفتى وأنا أمنى النفس بساعة جميلة أقضيها مع الروائى البارع الذى أبدع ذهنه صوغ هذه القصة الممتعة ، وإذا بها قد اختفت .. وكنت قد دسستها بين المرتبتين المطروحتين على السرير ، فان أقاربى هؤلاء يخافون الفيران والصراصير ، فيكدسون المراتب على السرير فتعلو جدا ويحتاج المرء إلى كرسى يصعد عليه . ولم أشك فى أن سميحة سرقت روايتى ، وأنها الآن تنعم بها فى سريرها على عادتها حين تريد القراءة . وكانت الساعة الحادية عشرة فقدرت أن تكون قد قطعت مرحلة طويلة وبلغت العقدة التى لا يمكن أن يستريح القلب إذا لم يقف على حلها ، فمضيت إلى غرفتها ونقرت ودخلت ، فقالت : « خير إن شاء الله ! » ، فقلت وأنا أرفع نفسى لأجلس على حرف السرير — فانه عال كما قلت لك —

« أوه لا شىء ... إنما جئت لأتحدث معك قليلاً »

قالت بجفوة : « ليس هذا وقت الحديث فقم من فضلك »

قلت : « بل قولى إنك تقرئين رواية ( السم فى الدسم ) .. أليست بديعة ؟ »

فاطمأنت لظنها أنى فرغت منها ، ففى وسعها الآن أن تمضى فى قراءتها من غير أن تخاف أن أقطع عليها — بالسرقة أو الخطف — حلاوة المتعة ، ورأيت أمارات هذا الاطمئنان فى وجهها ففرحت فان الانتقام يكون أوقع إذا خيب أملاً قوياً ، وأطلتُ الحديث فسئمَت واشتهت أن تعود إلى روايتها ، وقالت : « هل تنوى أن تنام هنا الليلة ؟ إذا كنت تنوى هذا فقل لى لأنتقل إلى غرفة أخرى ! »

ونهضتُ عن السرير ومضت إلى الشرفة ففتحتها وأطلت منها ، فلمحت الرواية تحت الوسادة فما أسرع ما دسستها فى جيبى ، ثم قلت وأنا أمضى إلى الباب : « إذا كنت تكرهين وجودى إلى هذا الحد ، فانى ذاهب إلى حيث ... »

فقالت من الشرفة : « ألقت » وضحكت

فلم يسؤنى ذلك ، فان الذى يضحك أخيرا يضحك كثيراً كما يقول الانجليز على ما حدثنا معلمنا ؛ وأوصدت باب غرفتى بالمفتاح ، واستوثقت منه بهزه مراراً وبقوة لأرى هل يستطيع محنق مغيظ أن يكسره ، ثم قعدت على كرسى وراء الباب ، ورحت أنتظر

ولم يطل انتظارى ، فقد اهتز الباب فصحت وأنا أتكلف الفزع : « من ؟ »

قالت : « افتح من فضلك ! »

قلت : « إذا كنت تنوين أن تقضى الليل فى هذه الغرفة فقولى لى لأنتقل إلى سواها »

قالت : « لا تكن فظاً ... لماذا سرقت الرواية ؟ »

قلت « بضاعتنا ردت إلينا . هل عرفت من القاتل .. لعلك تظنين أنه « رودلف » . كما كان المحققون يتوهمون ؟ ؟ كلا يا فتاتى ! ... إن السر أعمق وأخفى من ذلك وإن الروائى لبارع حقاً .. والآن أرجو أن تذهبى فقد بلغت الفصل الذى يشق صبر

المرء إذا لم يتمه فى مثل لمح البصر .. إذهبى وناى يا حبيبتى واحلمى «بالصينى» فان له لدخلاً فى الأمر وعلاقة بالسر »

قالت : « صحيح ؟ . »

قلت : « طبعاً .. لقد عرفت ذلك منذ دقيقة واحدة »

قالت : « ألا تخبرنى من القاتل ؟ ؟ إنى أكاد أجن ولا أستطيع أن أنام حتى أعرف هذا ، فكن لطيفاً واخبرنى »

قلت : « حتى تكونى أنت لطيفة »

قالت : « ما ذا تطلب قل وخذ وهات الرواية »

قلت : «الرواية كلها ؟؟ لا !. إن ثمنها غال جداً ... على أنى بعد التفكير العميق أرى أن المساومة لا تليق ولهذا أرفض كل ما تعرضينه كائناً ما كان »

قالت برقة : « ترفض أن تعلم أنى . . . أنى . . . أنى . . . أحبك ؟ » ( بصوت خافت )

فانتفضت واقفاً وصحت « إيه ؟ »

قالت : « لا تصح هكذا . . »

ووضعت فمها فى ثقب المفتاح وهمست : « يا عبيط . . إنى أحبك .. هل تفهم ؟ . وأنوى أن أتزوجك على رغم أنفك ؟ . . فنضع لهذه المنافسة السخيفة حداً ونستطيع حينئذ أن نقرأ الروايات البوليسية كلهاسعاً .. تقرأ لى فأسمع .. وأقرأ لك فتسمع »

فاعترضت وقلت : « ولكنى قد أحب أن أسرع وأقلب بضع صفحات ليطمئن قلبى ، ولا تحبين أنت ذلك فيقع الخلاف »

قالت : « كلا .. على كل حال .. سأكون واثقة أن الرواية باقية فى البيت فأنا أتعهد لك أن أقدمك على نفسى وأتركك تسرع أو تبطئ كما تحب .. وحسبى أن تترك لى فتات المائدة »

فأثر فى نفسى هذا الاخلاص والايثار .. وأى إيثار أعظم ، وأى تضحية أكبر ، من أن تتركنى أقرأ — أو أتم — رواية بوليسية قبلها ؟ ؟ هذا اخلاص وإيثار لم يسمع — أو على الأقل لم أسمع أنا — بمثلهما . فلا عجب إذا كنت قد فتحت الباب بسرعة وفتحت مع الباب ذراعىّ لها فدخلت فى ذراعى قبل أن تدخل من الباب

وكان لا بد أن أجزيها إخلاصاً باخلاص ، وإيثاراً بايثار ، فدفعت إليها الرواية وقلت : « إقرئيها قبلى يا نور العين »

ابراهيم عبد القادر المازنى

صور سياحة

# ٣ — معاهد باريس

## الحى الجامعى والمدينة الجامعية ومسجد باريس

بقلم سائح متجول

لا ريب أن ما تتمتع به فرنسا وباريس فى مصر من حب وتقدير يرجع قبل كل شىء إلى غرسها العلمى والثقافى ؛ وإذا كان هذا الغرس يذبل اليوم ويتضاءل لأن عوامل كثيرة جديدة دخلت فى الثقافة المصرية المحدثة ، فان الثقافة والآداب الفرنسية ما زالت تحتفظ فى مصر بكثير من جاذبيتها وسحرها

لقد تلقى كثير من المصريين علومهم بفرنسا ، وما زالوا لثقافتها رسلاً مخلصين

بيد أنه من حسن الطالع أن هذا الجيل المتعصب لثقافته الأجنبية يضمحل اليوم ؛ ذلك أن مصر يجب ألا تكون ميداناً بعد لنضال الثقافات الغربية التى تبغى دائماً من بسط نفوذها العلمى والثقافى أغراضاً خاصة ، ويجب أن تسير مصر فى تكوين ثقافتها القومية على مبدأ الاختيار الحر بعيداً عن دعاية أولئك الرسل المتعصبين

إن فرنسا تتمتع منذ الأحقاب بسمعة جامعية وعلمية راسخة . وما زالت باريس بجامعتها الشهيرة كعبة الطلاب من سائر الأنحاء والأمم ، وما زال حيها الجامعى أو الحى اللاتينى على تقشف مظهره من أشهر أحيائها وأجدرها بالحب والعطف ، وأغناها بالذكريات

ففى الحى اللاتينى يتفتح الذكاء الفرنسى ، وفيه تشع العبقرية الفرنسية ، وفيه ينهل ألوف من الشباب الأجنبى مورد الثقافة الرفيعة ، ويلمسون كثيراً من نعم النظم الديموقراطية التى تسود أفق الحياة العامة فى فرنسا

وفدنا على باريس فى صميم الصيف والحياة الجامعية معطلة ، فلم يتح لنا أن نرى شيئاً من مظاهر نشاطها ، ولكننا مع ذلك طفنا بأرجاء الحى الجامعى مراراً ولمحنا آثار الصبغة الجامعية تطبع الحى فى معالمه ، وفى فنادقه ومقاهيه ، ومظاهر حياته المتواضعة

يشغل الحى الجامعى ركناً من أقدم أركان باريس وأكثره

تواضعاً ، كما يشغل حيناً الأزهرى أقدم أركان القاهرة وأكثرها تواضعاً ؛ وقوام الحى الجامعى شارع سان ميشيل : فى صفته اليسرى يقع ميدان السوربون . وشارع سوفلو ، وفيما بينهما وبين شارع سان جاك تقع السوربون والكليات المختلفة الملحقة بها فيما بين دروب وشعاب ضيقة قاتمة ؛ وفيما بينهما أيضاً تقع عدة من المعاهد العلمية القديمة مثل كلية «لوى الأكبر» ؛ ومن الحق أن يقال إن هذه المجموعة القديمة من المبانى القائمة لا تتفق فى مظاهرها المادية المتواضعة مع ما لها من سمعة جامعية مؤثلة ؛ بيد أن هذا الحرص على القديم ربما كان فى ذاته مثاراً للاجلال والاعجاب بهذه المعاهد التالدة التى يرجع بعضها الى نحو سبعمائة عام ، فنحن نعرف أن معهد السوربون أسس فى منتصف القرن الثالث عشر ، فى عهد لويس التاسع ، وكان فى الأصل معهداً لتدريس العلوم الدينية ، وأن تنظيم الكليات الجديدة فى السوربون يرجع إلى عصر نابليون ، أى إلى نحو قرن وربع

وحى سان ميشيل الذى يضم هذا الحشد الجامعى ، كما قلنا حى متواضع بيد أنه حى عامر ضخم ، ويمتد بولفارسان ميشيل من أحد طرفيه الى مونبارناس ، وشارع « البور رويال » وما زال يخترقه الى اليوم خط الترام بعد أن ألغيت خطوطه من معظم الشوارع الكبرى ؛ ويتصل من الناحية الأخرى بشارع ڤوجيرار على مقربة من الأوديون وحديقة اللوكسومبور التى تبث نسيمها الصبوح الى الأحياء المجاورة ، والتى يهرع اليها جمهور الطلبة والشعب يتفيأون ظلالها ورياضها ؛ وفى سان ميشيل والشوارع المتفرعة منه عدة من الفنادق الرخيصة التى تنم عن تواضع روادها ؛ وهنالك أيضا طائفة من المكتبات التى تتاجر فى الكتب المستعملة ؛ وإنك لتلمس على الجملة فى كل ناحية من أنحاء سان ميشيل وما اليه ما يدل على صفة الحى المتواضعة النبيلة معاً

* * *

ولا بد لنا بهذه المناسبة أن نذكر كلمة عن المدينة الجامعية Cité Universitaire التى تربطها بالحى اللاتينى أوثق الروابط ؛ والتى لا يعرفها كثيرون من المصريين الذين درسوا فى فرنسا لأنها أنشئت منذ أعوام قلائل فقط

تقع المدينة الجامعية فى ظاهر باريس من جهة الشمال الشرق فى شارع جوردان Jourdain فى بسيط أخضر من الحدائق والحقول النضرة ؛ وقد كان من حظى أن زرت المدينة الجامعية وطفت بأنحائها برفقة مدموازيل ليجران ، وهى آنسة رفيعة الثقافة تتولى منصبا فى إدارة المدينة الجامعية نفسها ، وهى التى تفضلت بالشرح والتعريف لكل ما سألت وشاهدت

كان أول من فكر فى هذا المشروع الجليل عضو من أعضاء مجلس الشيوخ غاب عنى اسمه ، فدعا اليه فى المجلس وفى الصحافة ، ولم يلبث أن صادف نجاح التحقيق ؛ وكان المثرى الأمريكى روكفلر أول من اهتم بأمره ونفحه بهبة مالية حسنة ساعدت على تحقيقه

وتنقسم المدينة الجامعية إلى قسمين : القسم العام ويشمل الأبهاء والمرافق العامة وإدارة المدينة الجامعية نفسها ، وهذا القسم هو روح المدينة وهيكلها الحقيق ؛ والقسم الخاص ، وهو الذى يضم دور الطلبة لمختلف البلدان ، وهو خاص بسكنى الطلبة ؛ وفى القسم الأول حديقة بديعة وعدة أبهاء كبيرة للمطالعة والكتابة والجلوس قد أثثت جميعها ببساطة واتقان معاً ؛ وهنالك مطعمان كبيران قد صفت فيهما موائد بسيطة نظيفة ، وكذلك مقهيان كبيران ؛ وفى وسع الطلبة أن يجلسوا للمذاكرة أو الكتابة أو السمر فى هذه الأبهاء الشاسعة النيرة ، وأن يتناولوا الطعام أو القهوة أو الشاى أو غيرهما فى تلك المطاعم أو المقاهى النظيفة بأثمان زهيدة جداً تناسب أحوالهم وماليتهم ؛ ووجبة الطعام الحسنة تكلف الطالب من ٣ إلى ٥ فرنكات ، وثمن المشروب فرنك أو نصفه ، وهذه أثمان لا تحلم بها فى مطاعم المدينة ومقاهيها ؛ وهناك حمامات وملاعب ومسرح يقوم الطلبة بالتمثيل فيه أو تمثل فيه الفرق التى تدعوها إدارة المدينة لتسلية الطلبة ، وهنالك فى الطابق الأرضى مكتبة بدىء بتأثيثها وإعدادها لتغذى الطلبة وتعاونهم على المذاكرة والبحث : هذه هى محتويات القسم العام للمدينة الجامعية شرحناها بإيجاز ؛ وإنك لتشعر أثناء الطواف بهذه الأبهاء والغرف الشاسعة التى تشرف على الحدائق والحقول النضرة ، إنها أبدع ملاذ يمكن أن يأوى إليه الطالب فى أوقات المذاكرة والفراغ معاً ، بعيداً عن صخب المدينة وضجيجها ، وإنك لتأنس شعوراً من الغبطة والاعجاب بما هيء للشباب من وسائل الراحة والمتاع البرىء

وأما القسم الخاص من المدينة الجامعية فيحتوى على عدة دور كبيرة أنشئت إلى جانبي القسم العام عن يمينه وعن يساره على طول شارع جوردان ؛ لكل دولة دارها ؛ فهنالك دور لانكلترا وأمريكا واليابان وفرنسا وهولنده وبلجيكا وكندا وغيرها ؛ وتخصص هذه الدور القومية التي تتولى الدول المختلفة تشييدها على أرض تمنح لها ، لسكنى طلبة هذه الدول ، فدار انكلترا خاصة بالطلبة الانكليز ، ودار أمريكا بالطلبة الأمريكيين ، وهولنده بالهولنديين ، وهكذا ؛ وأبدع الدور وأعظمها هي دار الولايات المتحدة ؛ وهنالك دار صغيرة ولكن أنيقة لليابان ؛ وقد أعدت هذه الدور لتكون فنادق للطلبة وجهزت بوسائل الراحة والنظافة ، وأثثت ببساطة واتقان ؛ ويستطيع الطالب أن يجد سكناً في دار البلد الذي ينتمي إليه بأجر شهري قدره مائة فرنك ؛ ويستطيع أن يجد غرفة خاصة حسنة الأثاث بأجر شهري قدره مائتا فرنك ، وتغص هذه الدور بالطلبة لما لها من مواقع جذابة تغمرها الشمس والضوء والهواء ، ولما للسكن فيها من المزايا المريحة

ولقد وددنا أن نرى في المدينة الجامعية بين هذه الدور الأنيقة الضاحكة ، دارا مصرية ! ففي باريس يدرس دائماً عدد كبير من الطلبة المصريين ، وإنها لدعاية حسنة لمصر المستقلة الفتية أن يكون لها دار جامعية في العاصمة الفرنسية إلى جانب دور الأمم الأخرى ، وإنها لنعمة سابغة لطلبتنا أن يكون لهم في باريس دار مصرية يأوون اليها بعيداً عن صخب المدينة ومغرياتها ؛ فهل تفكر وزارة المعارف في هذه المسألة الهامة ، وهل توليها شيئاً من عنايتها وعطفها ؟ إنا لنرجو مخلصين داعين بالتوفيق والتحقيق

* * *

هذا ولا تنس وأنت في باريس أن تزور «المكتبة الوطنية» في شارع ريشليو ، ففي هذا المعهد الثقافي الضخم كنوز زاخرة من الكتب في مختلف العلوم والفنون ؛ وفي المكتبة الوطنية قسم شرقي ضخم ، وقسم خاص بالمخطوطات العربية ، ولكل قسم فهارسه المنظمة ، ومرشدون يفهمون أعمالهم حق الفهم ، وقد لفت نظرنا عند مراجعة فهارس المخطوطات العربية عدة أسماء لمخطوطات نادرة مثل : أحاديث الامامة والسياسة ( رقم ١٥٦٦) ، وحسن المسالك لاخبار البرامك (٢١٠٧) وعيون المعارف للقضاعي (١٤٩٠) ، وتراجم الصواعق في وقعة الصناجق (١٨٥٣) ، وتاريخ المهديين والحفصيين (١٨٧٤) ، وتاريخ مصر لابن زولاق (٤٧٢٧) . بيد أننا لم نجد متسعاً من الوقت لبحث هذه المخطوطات لمعرفة حقيقتها ومبلغ أهميتها

وهنالك في باريس صرح لا بد لكل مسلم أن يزوره ، هو مسجد باريس ؛ ويقع المسجد في قاصية باريس ، وفي حي من الأحياء القديمة المتواضعة على شوارع جوفرى سانت هيلير ، وجورج دوبلا ودبانتون ، وقد بني على الطراز المغربي ، ويشرف بابه العمومي ومئذنته على شارع دبانتون ، وفي فنائه حديقة صغيرة حولها أروقة أربعة تفضي إلى أبهاء وأجنحة ومرافق مختلفة ، وفي الجهة اليمنى من الفناء يقع المصلى ، وهو بهو شاسع أنيق ، قد فرش بالبسط النفيسة ، وبه عند القبلة منبر مكسو بالديباج الأخضر من إهداء مليكنا المغفور له فؤاد الأول ؛ ولقد يممنا في عصر ذات يوم إلى هذا الحرم الاسلامي المقدس الذي يحفه الصمت العميق من سائر نواحيه ، ولم نتمالك أن نجثو خاشعين لله عز وجل ، وأن نؤدي ما تيسر من الصلاة مغتبطين لذكر الله ورسوله في هذا الحرم النائي عن أرض الاسلام

وبالمسجد مكتبة صغيرة ومعهد قيل لنا إنه تلقى به محاضرات اسلامية مختلفة ، ومستشفى صغير لبعض الأمراض الخطيرة ؛ وبه أيضاً حمام عربي ، ومقهى ومطعم عربي ، قد صفت موائده في حديقة داخلية صغيرة تقع في الجهة الشرقية ، وتعزف فيها الموسيقى العربية أحياناً ، ويقوم بهذا العزف بعض الموسيقيين المغاربة . وقد تناولنا القهوة العربية لأول مرة في باريس في هذا المنتدى الأنيق وسمعنا الموسيقى العربية في مجتمع قوامه مسلمون من مختلف الأمم

بيد أن شعور الغبطة الذي قد يأنسه المسلم مدى لحظة لقيام هذا الصرح الاسلامي في باريس لا يلبث أن يمازجه شعور بالمرارة والأسف حين يستعرض المعاني والظروف التي أقيم فيها . إن فرنسا لم تعمل لاقامة هذا المسجد حباً بالمسلمين أو احتراماً لشعائرهم ومشاعرهم ، وإنما أقامته أداة من أدوات التأثير الاستعماري ، وهو في الواقع رمز لسيادتها على الأمم الاسلامية التي تسودها أكثر منه رمزاً للعطف والتقدير

وإلى هنا نقف اليوم ؛ وسنحدثك في الفصل القادم عن الحياة الليلية في باريس ، وعن بعض مظاهر المجتمع الباريزي

(...)

# الجانب الصـــوفى
## فى الفلسفة الاسلامية

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب

— ٥ —

إلى هنا انتهينا من بيان أثر نظرية السعادة الفارابية فى رجال المدرسة الفلسفية الاسلامية وفى طائفة من المتصوفة الذين تشوبهم روح فلسفية . والآن يجدر بنا أن نبين ما إذا كانت هذه النظرية قد أثرت فى الصوفية الآخرين المعتدلين أو المحافظين إن صح هذا التعبير . وإن مهمتنا فى هـذه المرحلة أشق منها فى سابقتها ، لأنه ليس بغريب أن تُفترض صلة بين فلاسفة وصوفية متفلسفين . أما محاولة إثبات علاقة بين الفلسفة والتصوف البحت الذى يرى من واجباته الأولى محاربة الفلاسفة والمتفلسفين فهذا أمر عسير ، ومهما يكن فسندرس هـذه النقطة بنفس الطريقة والمنهج اللذين درسنا بهما النقط السابقة مبينين أولاً السر فيما ذهبنا إليه من تقسيم الصوفية إلى معتدلين ومتطرفين

لم يكن الاسلام فسيح الصدر للرهبنة المسيحية والتقشف الهنـدى ، وكثيراً ما دعا إلى العمل للدنيا والتمتع المباح بلذائذ الحياة : « قل من حرم زينـة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » فهو بعيد إلى حـد كبير عن طريقة القسس والرهبان فى بيعهم وصوامعهم وسنة فقراء الهند وعبادهم فى ألمهم وعذابهم المستطاب . ومع هـذا فـكل دين كائناً ما كان يشتمل بعباداته ونصائحه على قدر من التصوف لا يحتمل الشك . وسـبق أن أشرنا إلى أن هناك عوامل كثيرة وتعاليم مختلفة : هندية وفارسية وأغريقية ومسيحية أثرت فى تـكوين التصوف الاسلامى ، ولـكن يجب أن نضم إلى هذه المؤثرات الخارجية عاملاً آخر داخلياً وجوهرياً ، ألا وهو الآيات القرآنيـة والأحاديث النبوية وبعض الأعمال الدينية . ولو لم يكن فى طبيعة الاسـلام ما يسمح بشىء من التصوف ما وجد التقشف الهندى والرهبنة المسيحية إلى المسلمين سبيلاً . وقد دار نقاش طويل بين المستشرقين متعلق بأثر القرآن فى تـكوين نظريات الاسلام التصوفية ، وهم فى هـذا فريقان : فريق ينكر هذا الأثر وآخر يثبته . وفى مقدمة الفريق الأول يجب أن يذكر البارون كارادى ڤو الذى يزعم « أن القرآن لم يكن مطلقاً الـكتاب الذى استطاع مبدئياً أن يجتذب الصوفية نحوه كثيراً ، لأنه متعلق جداً بالأمور الخارجية وليس فيه الحنو الداخلى والروحى حقيقة »(1) . وعلى عكس هذا يقرر أستاذنا ماسينيون ، وبجانبه الأستاذ مرجليوث ، « إن فى القرآن البذور الحقيقية للتصوف . وهذه البذور كفيلة بتنميته فى استقلال عن أى غذاء أجنبى »(2) . ونحن نعتقد أن القرآن أعان الصوفيـة كما أعان المتكلمين والفقهاء على نصرة آرائهم . فان كتاب الله فى العالم الاسـلامى قاموس للنحاة واللغويين ، ومذهب فلسفى للباحثين والمفكرين ، وذكر يتقرب به المبتهلون والمتضرعون ، ولائحة يرجع إليها المشرعون ، وعقيـدة يحتج بها المتكلمون . وكثيراً ما حاول أصحاب الآراء الجديدة والنظريات الحديثة الاحتجاج به والاعتماد عليه ، بل إن هؤلاء أحوج إلى نصرته من غيرهم فان آية منه قد تقرّب آراءهم إلى من حولهم وتـكسب نظرياتهم سلطاناً دينياً وصفات شرعية . فالصوفية إذن لا فرق بين متطرفيهم ومعتدليهم أفادوا من القرآن بقدر ما أفاد غيرهم من الباحثين . وأما ما فى هـذا الـكتاب الـكريم من حنو ورقة وعطف وشـفقة فأمر لا يقبل الشك . ويدهشنا أن البارون كارادى ڤو لم يتنبه إليـه ؛ ذلك لأن القرآن لا يخاطب العقل وحـده بل يناجى كذلك القلب ؛ ولا يعنى بالظاهر أكثر من عنايته بالباطن . وكم فيه من تحاليل شائقة وأساليب جذابة تصف أحوال النفس وأحاديثها الداخلية . وكيف يتصور أن يخلو كتاب سماوى من مناجاة القلوب والأرواح وهو إنما أعد أولاً وبالذات للجماهير التى تحس قبل أن تفكر وتسير غالباً وراء العاطفـة والوجدان . وإنه لجهل بطبيعة الأديان أن يقال إن تعاليمها مصوغة فى قوالب منطقية ولغة عقلية بحتة . ويطول بنا البحث لو حاولنا أن نسرد هنا كل الآيات القرآنية المتصلة بالقلب والروح والتى

(1) Ibid., p. 219.

(2) Massignon, La Passion, p. 480. — Margoliouth, Early Development of Mohammedanism, p. 199.

استطاع الصوفية استغلالها فى نواح كثيرة ، ونكتفى بأن نشير إلى دراسة تحليلية عميقة أبان فيها الأستاذ ماسنيون الألفاظ الصوفية المقتبسة من القرآن الكريم[1] . فمصطلحات المتصوفة فضلاً عن نظرياتهم ترجع إلى أصل فى كتاب الله . وغنى عن البيان أن حديث المعراج وقصة يوسف كانا أساساً لنظريتين هامتين من النظريات الصوفية وهما الجذب والحب . والعلم اللدنى الذى يتباهى به أهل الكشف والواصلون صورة مأخوذة عن الخضر عليه السلام الذى قال الله فى شأنه : « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً » . وعلى هذا يجب أن نبحث عن أصول التصوف الاسلامى فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كما نبحث عنها فى الصوامع الهندية والبيع اليهودية والكنائس المسيحية وتعاليم مدرسة الاسكندرية . غير أنه لا يفوتنا ، وهذا أمر ينبغى التنبه إليه ، أن الألفاظ والآيات القرآنية مرت بأدوار مختلفة من حيث مدلولها وتفهم الناس لها . فقد يفهم صحابى من لفظة قرآنية مالا يفهمه تابعى أو رجل من رجال القرن الثالث الهجرى . ولسنا فى حاجة إلى أن نشير إلى مرونة الألفاظ القرآنية ومسايرتها للزمن والتقدم العلمى . ولو جارينا متصوفى العصور الأخيرة لرددنا كل بحث صوفى إلى آية قرآنية أو حديث نبوى ، وهذا إسراف من غير شك . فلا يصح إذن أن نبحث عن أساس التصوف الاسلامى فى القرآن وحده أو فيه كما فهمه الصوفية المتأخرون ، بل يلزمنا أن ننشد هذا الأساس فى الألفاظ والآيات القرآنية كما بدت للمتصوفين الأول . يقول الأستاذ نكلسون : « صواب أن نعد المتصوفة بين خواص دارسى القرآن ، ولكن لا يصح ، فيما أظن ، أن نعتبر التصوف مجرد نتيجة للدراسات القرآنية »[2] . وفى هذه الجملة القول الفصل والحكم السديد فى تلك الخصومة الآنفة الذكر التى شجرت بين المستشرقين . فأنا لا نسلم بأبعاد القرآن رأساً عن النظريات الصوفية ، كما لا نوافق على عده وحده كفيلاً بخلق تصوف كامل . ولا يفوتنا أن نشير أخيراً إلى أن هذه المعركة فقدت اليوم كثيراً من أهميتها

(١) Massignon, Essai sur les origines du lexique te-chuique de la mystique musulmane, p p. 28 — 29.

(٢) Nicholson, Legacy of Islam, p p. 212 — 213.

بدأ التصوف فعلاً على صورته الفطرية البسيطة منذ الصدر الأول للاسلام ، فلوحظ على كثير من الصحابة ميلهم إلى الزهد والتقشف وإعراضهم عن الدنيا ، بل لقد خطا بعضهم فى هذه السبيل خطوات فسيحة وبالغ فيها مبالغة واضحة . بيد أن هؤلاء الزهاد والتقشفين لم يتسموا باسم خاص ولم ينتسبوا إلى طائفة معينة ، ولم تطلق كلمة « صوفية » على جماعة محددة إلا فى أواخر القرن الثانى للهجرة[1] . وما زال هذا النوع من السلوك ينمو ويزيد أنصاره إلى أن ولد بعض الابحاث والنظريات ، والعلم نتيجة العمل ، والنظرية فى الغالب وليدة التطبيق . لهذا رأينا رجالا من مفكرى القرن الثالث الهجرى ، وعلى رأسهم المحاسبى وذو النون المصرى ، يبدأون بوصف بعض الأحوال النفسية والظواهر الصوفية ، ومخلفاتهم من أقدم ما كتب فى هذا الباب[2] . ونظرية الاتحاد بوجه خاص ترجع إلى عهد متأخر ، فان البسطامى هو أول من قال بها[3] . ثم جاء الجنيد والحلاج فرفعاها إلى عنان السماء . وهذه النظرية أدق شىء فى التصوف الاسلامى ، وقد قسمت إلى طائفتين : طائفة تقبلها وأخرى ترفضها . والقرآن لا يشير اليها مطلقاً بعبارة صريحة ، بيد أن أنصارها لم يعدموا الحيلة فى دعمها ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى نستطيع أن نذكر منها قوله تعالى : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » « وهو معكم أينما كنتم » « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم » وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى : « ما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى يحبنى وأحبه . فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به[4] »

بيد أن الاتحاد الصوفى يؤدى إلى الاشتراك فى ذات البارى جل شأنه وحلول اللاهوت فى الناسوت . وقبول شىء إلهى فى داخل العبد معناه هدم الوحدة الربانية . وكل الخلاف بين الأشاعرة والمتصوفة يتلخص فى هذه النقطة . فالأشاعرة

(١) القشيرى ، الرسالة ص ٨

(٢) Nicholson, Legacy, p p. 215—Massignou, Recueil, p 15

(٣) Nicholson, Lsgacy, p p. 215 — 216

(٤) Ibid., p. 214 — القشيرى ، الرسالة ، ص ٤٥

لا يقبلون أن ينزل الآلهي فى الانسانى ولا أن يصعد الانسانى إلى الآلهي ، ويرفضون ضرورة مذهب الحلول وإن كانوا يسلمون بالتصوف فى جملته . إلا أن التصوف عندهم مقصور على وصف بعض الأحوال النفسية ودراسة الأخلاق العملية التى تسمو بالمرء إلى درجة الكمال دون أن تدعى الوصول إلى حلول الحلاج المزعوم . ومن هنا خرجت الصوفية المحافظة وانقسم المتصوفون إلى معتدلين ومتطرفين ، وليس هذا التقسيم بالجديد فى العالم الاسلامى ولا فى كل المدارس التى تسودها نزعة دينية . وإنا نلاحظ فى مختلف الدراسات الاسلامية — لا فرق بين التوحيد والفقه والتصوف — أن هناك شعبتين متميزتين : شعبة السنيين وشعبة المبتدعين ، أو شعبة المحافظين وشعبة الأحرار . وإذا كان الغزالى هو أكبر خليفة لأبى موسى الأشعرى فى نصرة مذهب أهل السنة الكلامى فهو بحق مؤسس التصوف السنى . وكأنما أخذ على عاتقه نصرة أهل السنة على طول الخط ومحاربة أهل البدعة كيفما كانت فرقهم ونحلهم ، فلاسفة كانوا أو باطنية ، متصوفة كانوا أو متكلمين ، حلاجيين كانوا أو معتزلة ، وقد آذت حملته الفلاسفة والمتفلسفين بقدر ما أخذت بيد أهل السنة من الكلاميين . أما التصوف السنى فهو تقريبا واضع أصوله وقواعده ومبين طرقه ووسائله فى إحياء علوم الدين الذى أضحى عمدة المتصوفين المتأخرين بلا استثناء .

نعم إن الغزالى يجهر هنا بنظريات متناقضة تناقض آراءه الكلامية والفلسفية ، فتراه مثلاً يحارب محاربة عنيفة ويرفض رفضاً باتاً نظرية الاتحاد الحلاجية فى كتاب الأحياء على حين أنه يميل إليها ويقول شيئاً يشابهها تمام المشابهة فى كتاب مشكاة الأنوار ، وهذه نقطة ضعف لاحظناها عليه من قبل[١] ، ولعل تطوراً حدث فى آراء الرجل هو السر فى هذه النظريات المتناقضة ، ومهما يكن فكتاب الأحياء هو مصدر التصوف السنى من غير جدال ، وعليه نعتمد هنا أولاً وبالذات ، وهو الذى أثر وحده تقريباً من بين كتب الغزالى الصوفية فى المتصوفين المتأخرين . وما كان الغزالى لينكر التصوف وقد ركن إليه بعد أن خبر الدراسات الأخرى ولم يطمئن إليها ووجد فيه حصنه الحصين[٢] . فهو يرى أن علم القلوب لازم لزوم علم المرئيات والملموسات ، لأن هناك عالمين عالم الباطن وعالم الظاهر . فإذا كان بعض العلوم يتولى عالم الظاهر بالدراسة والشرح فلا بد من علم خاص لتوضيح عالم الباطن . والمعلومات نفسها ضربان : حسية وصوفية أو ظاهرية وباطنية ؛ وفى هذا التقسيم ما يقابل أنواع العلوم التى أشرنا إليها من قبل[١] . ولكن قد يقال إن وسيلتنا فى تعرف المعلومات الظاهرية هى الحواس فبأى طريق نستطيع الوصول إلى المعلومات الباطنية ؟ والأمر فى هذا يسير إذا ما رجعنا إلى الصوفية فإنهم يقولون إن التقشف والزهد والفضائل العملية جميعها سبيل ادراك الحقائق الخفية والألهامات التى تجاوز عالم السمع والبصر . فالمعرفة إذن هى غاية التصوف السامية . أما اتحاد العبد مع الرب فهذه قضية منقوضة عقلاً وغير مقبولة نقلاً . وإذا شئنا أن نقارن بين تصوف الغزالى وتصوف الفارابى وجدناهما متفقين على رفض مذهب الحلول الذى ذهب إليه الحلاج والألهام الذى يعمل له الغزالى يشبه من وجوه كثيرة الاتصال الذى جد فى طلبه الفارابى . وكلا الرجلين يؤمن بوجود معارف باطنية وراء الحقائق الحسية ، وهذه غاية الحياة العملية والنظرية ومقصد الصوفية والأنبياء . ولقائل أن يقول إن الغزالى يستمد إلهاماته من الله مباشرة على حين أن الفارابى يقنع بالاتصال بالعقل الفعال . ولكن هذا الفرق فى الواقع سطحى فأن العقل الفعال فى رأى فلاسفة الأسلام جميعاً ليس إلا فاصلا معنويا ومرحلة تدرج بين العبد وربه ، وكل فيض مصدره الأخير والحقيقى هو الله جل شأنه . وعلى هذا يمكننا أن نستنتج من كل ما سبق أن نظرية السعادة الفارابية أثرت فى جميع المتصوفة المسلمين المتطرفين منهم والمعتدلين أو الأحرار والمحافظين

( يتبع ) ابراهيم بيومى مدكور

(١) الرسالة ، العدد ١٤٢ ، ص ٤٥٤ — ٤٥٥

(٢) الغزالى ، المنقذ من الضلال ، ٢ — ٧ ص

(١) انظر أيضاً الغزالى ، الأحياء ، جـ ١ ص ٢٢ ، ٢٤ Carra de Vaux, gazali p p. 304 — 205

في الأدب المقارن

# أسباب النباهة والخمول في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

الدارسون للآداب نثراً ونظماً في كل أمة وفي كل جيل أكثر من أن يُعدوا، لأن الافصاح عن خوالج النفس وتأثراتها بما تحس وما ترى طبعي في الانسان، وإنما يَنْبُهُ من أولئك الدارسين للآداب القليلون ويخلد الأقل؛ يميزهم من غيرهم سداد الفكر ولطف الشعور وروعة الأسلوب، ومن أولئك يكون أعلام كل أدب، ترفعهم عبقريتهم فوق رؤوس معاصريهم وتمشي بهم على عواتق الأجيال

غير أن للمصادفات والحظوظ والظروف دخلاً كبيراً أو صغيراً في صعود الأدباء وهبوطهم، فتَعدِل أحياناً وأحياناً تجور. والأرجح أنها كانت كثيرة الجور والاجحاف في الأدب العربي، وكانت أشبه بالعدل والانصاف في الأدب الانجليزي، فقد صاحبت الأدب الانجليزي ظروف طبيعية مساعدة تسمح للعبقرية الفردية أن تسلك سبيلها غير معتاقة، وأحاطت بالأدب العربي عوامل عارضة أدت الى رفع بعض من لا يستحقون الرفعة بجوار من يستحقونها، والى خفض من هم أولى بالرفعة والنباهة

فقد ترعرع الأدب العربي ونضج وقومه أميون لا يقيدون في القرطاس آثار أدبائهم وأخبارهم، وإنما يروونها رواية ويتوارثونها تواتراً جيلاً بعد جيل؛ والرواية أقل من الكتابة نصيباً من الدقة وحفظ الآثار والتمييز بين الغث والسمين والبصر بما يستحق البقاء، فكان من جراء ذلك أن ضاع شعر كثير ونثر أكثر، واندثرت أخبار أدباء لعل منهم من كان أجدر بالخلود وأجدر باعجاب الأجيال التالية ممن خلد؛ ولم يصلنا من أخبار قرون طويلة قبل الاسلام وبعده إلا كل مبتور غير مستوثق

فلما صارت الرواية صناعة يطلب بها علو الذكر ودرُّ الرزق وتقريب الأمراء، كان ذلك ضغثاً على إبالة، إذ اشتد عبث الرواة بما بين أيديهم من الأدب العربي، وشوهوه بالبتر والوصل والاختراع والنحل، وحملهم تنافسهم وتكاثرهم بسعة العلم على تخليد أسماء أنصاف الأدباء وأشباه الشعراء، وخلقوا شعراء وفصحاء لم يخلقوا من قبل، وعزَوْا الى غيرهم من الآثار ما هم براء منه؛ وهكذا خمل من رجال الأدب من عاشوا في عالم الأحياء، وعاش في عالم الأدب من لم يشهدوا نور الحياة

ولما استُعملت الكتابة الخطية وقل الاعتماد على الرواية، ظلت الكتب نادرة والاستنساخ أمراً غير يسير، ولم تكن الكتب في شيء من الكثرة التي صارت اليها بعد انتشار الطباعة. ثم تعاورت الدولةَ العربية الغزوات البربرية المدمرة، فأباد الوثنيون في الشرق، والنصارى في الأندلس، كرائم المؤلفات ونفائس الكتب العربية، فذهبت بذهاب ذلك آثار أعلام من الأدباء واندثر ذكر آخرين

وكان للمشادات والمقارعات الدينية والمذهبية والعصبية والسياسية والجنسية التي صحبت قيام الدولة الاسلامية ولازمتها في حياتها يد طولى في العبث بالتراث الأدبي، فأخمل ذكر أدباء انهزم حزبهم أو انخذل مبدؤهم، ونُشر عمداً ذكر من ناصروا الغالبين في كل تلك الحلبات، وتبارى الغالبون والمغلوبون في العبث بتراث أسلافهم الأدبي ونسبة الروايات الملفقة اليهم، ولهم من انتشار الرواية وندرة الكتابة خير معوان

ويتصل بهذا تقريب الخلفاء والأمراء لرجال الأدب، لا براً بالأدب ولكن طلباً للأبهة وبعد الصيت، فقد أصبح اتصال الشاعر أو الأديب بالخليفة أو الأمير ضمان النباهة وسيرورة آثاره في البلاد، كما كان الأخفاق في التقرب الى أولئك الحاكمين داعياً في كثير من الأحيان الى خمول الأديب، فنَدَرَ من أعلام العربية النابهين من لم يتصل بالخلفاء والوزراء. ولا يسع المرء إلا أن يتصور أن عصور أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحتري كانت حافلة بأندادهم، وإنما خلصت بهؤلاء لطافة حيلتهم الى حضرة الأمراء فاشتهروا، وعثر بغيرهم مسعاهم فخملوا. ولقد خمل ذكر ابن الرومي طويلاً وإنه لأشعَرُ ممن ذكروا جميعاً؛ ولعل من أسباب خمول ذكره فشله في الاتصال بالخلفاء والوزراء

ولما استرقَّت جوائز الملوك أعناق الشعراء ، وأعمل هؤلاء الحيل ، وأذالوا الشعر فى استرضاء الممدوحين واستجداء الأثرياء ، ترفع كثير من ذوى الشرف والأباء عن الهبوط الى ذلك المجال ، وأحجموا عن نظم الشعر أو التوفر عليه أو الاشتهار به ، ولسان حالهم قول الشافعى :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

وإن يكن أبو تمام يقول :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بغاة العلا من أين تؤتى المكارم

فانما كان يعنى شعر المتقدمين من جاهليين ومخضرمين ممن تغنوا فى شعرهم بالنجدة والمروءة والعزة ، وما نخاله كان يعنى الشعر الذى كان ينظمه هو وأضرابه تمليقا واستجداء للرؤساء

وبذلك حُرمت العربية طائفة من الشعراء لعلهم أسمى طباعا وأشرف أغراضا وأصدق شاعرية وأشد حباً للفن من مرتزقة المداحين الذين استأثروا بالجوائز ونباهة الذكر

ولما فسدت الفصحى تدريجاً باختلاط العرب بالأعاجم ، اشتد الحرص على آثار المتقدمين وتعاظم الاعجاب بهم والرفع من شأنهم ، لا لشىء سوى صحة لغتهم واستقامة أساليبهم ، وإن كانت أفكار كثيرين منهم على جانب من السذاجة ، وأغراض شعرهم على حظ من البساطة ، كالحطيئة وابن أبى ربيعة وكثير من الجاهليين

فهذه عوامل شتى فعلت فعلها البعيد المدى فى التراث الأدبى العربى ، وساعدت على إعلاء ذكر رجال وخفض آخرين ، وهى : ندرة الكتب والاعتماد على الرواية ، والأغراض المذهبية ، وتسخير الأمراء للشعر ، وتكسب الشعراء به ، وفساد لغة الكلام ، وكوارث الغارات . تحكمت كل هاتيك فى أقدار الأدباء وحظوظهم من النباهة ، ولم يكن مردّ أمرهم دائماً إلى النبوغ الشخصى والذوق الناقد ، فلا نبعد عن الصدق إذا قلنا إن الأدب العربى لم يحتو على خير عناصر المجتمع العربى أو يمثله أصح تمثيل ، وإن سجل تاريخ الأدب العربى لا يحتوى على جميع أفذاذ الموهوبين من أصحاب البيان الذين أنجبهم المجتمع العربى

ومن ثم احتل مكان الصدارة من تاريخ الأدب العربى بعض من لا يستحقون ذلك المكان ، ومن لا يعبرون خير تعبير عن أفكار عصورهم وشعورها ؛ ومنهم مَن نال من رفيع الذكر ما هو أهله ، ولكنه لم ينله لمزاياه الصحيحة وأسرار نبوغه الحق بل لمساعدة بعض تلك العوامل السالفة الذكر له ؛ فقد كان وما يزال من النقاد من يعظم المتنبى لا لأشعاره الصادقة التى أودعها عصارة روحه الكبير ، بل لاختراعاته الكاذبة فى مدح سيف الدولة وتهنئته وتعزيته ، مِن مثل قوله :

إذا نحن سميناك خلنا سيوفنا ... من التيه فى أغمادها تتبسم

وبجانب تلك النباهة غير المستأهلة أو المبنية على غير أساسها الصحيح ، خمولٌ ما كان أحق أصحابه بالذكر والتمجيد ، ولقد قال البحترى :

إذا أرت الدنيا نباهة خامل ... فلا ترتقب إلا خمول نبيه

ولعله هو خير من يعلم كم أخملت الدنيا بنباهته من شعراء ، حين وقفه الحظ دونهم إلى الاتصال بالولاة والخلفاء

فمن أفذاذ الخوارج أمثال قطرى بن الفجاءة وشبيب بن يزيد من كانوا أسمى غرضا وأشرف شعراً ونثراً من معاصريهم المداحين ولكنهم أخمل منهم ذكرا . ومن الأبيات السائرة المجهولة القائلين ما تشمل حكمة يقصر دون مداها أشباه بشار وأبى نواس ، أو تحوى نسيباً تزرى روعته بكل ما لُفق فى صدور المدائح من نسيب مصطنع ، أو تعبر عن شاعرية صحيحة ما كان أحرى صاحبها أن يتوفر على إثراء اللغة بفيض قريحته ، ولكن طوفان تلك العوامل القاسية غمره ورفع غيره ، فمن تلك الآثار الشاردة قول القائل :

أهابك إجلالا وما بك قدرة ... على ولكن ملء عين حبيبها

وماهجرتك النفس أنك عندها ... قليل ولكن قل منك نصيبها

وقول الآخر :

إذا زرت أرضاً بعد طول اجتنابها ... فقدت صديقى والبلاد كما هيا

فأكرم أخاك الدهر ما دمتما معا ... كفى بالممات فرقة وتنائيا

ولم يخلُ الأدب الانجليزى من آثار الاجحاف وتقلُّب الظروف : فأمام شعرائه شكسبير لم ينل فى حياته مثل ما له اليوم من مكانة ، وخمل ذكره بعد مماته أجيالاً ، وعلا شأنه خارج انجلترا قبل أن يعلو فيها . وقريعه فى سماء الشعر الانجليزى ملتون

قضى أواخر حياته فى غمرة من النسيان لانخذال مذهب المطهرين الذى كان هو لسانه الناطق ، وباع ملحمته الذائعة الصيت لورّاق بدراهم معدودة ، وظل حقبة مهملا . وكبير النهضة الرومانسية وردزورث قضى زهرة عمره منبوذاً مُعْرَضاً عنه . وبعكس ذلك سما تنيسون فى حياته الى أوج الشهرة والاعجاب ، ولم يكد يقضى نحبه حتى هبط ذكره وانصرف الجيل التالى عن شعره

على أن تلك كلها أمثلة لتقلب الأذواق بتعاقب الأجيال ، وهو أمر طبيعى لا محيد عنه . وقد خلا الأدب الانجليزى أو كاد من تلك الظروف العاتية التى لابست الأدب العربى وتحكمت فى مصاير رجاله : فقد شب الأدب الانجليزى من عهد اليزابث وقد اخترعت الطباعة ، واطرد رقى الطباعة وانتشار الكتب والصحافة والتعليم مع اطراد رقى الأدب ، ولم يخضع الأدب طويلاً لسيطرة الحكام ، وظل مرد الأمر فى تقدير الأدباء إلى الرأى العام المتعلم الذى يقوّم الأديب لفنه الخالص ؛ فان رانت على بصيرته غشاوة من تقليد موروث أو مذهب سائد أو مشادة محتدمة فى السياسة لم يلبث بعد أن ينجلى ذلك أن يعود إلى إنصاف من أجحف بهم وإسقاط من لم يستحقوا سالف تقديره

فالى أمرين اثنين يدين أعلام الأدب الانجليزى فى مراحله المتتالية بنباهتهم وخلودهم : نبوغهم الشخصى ، والذوق العام . وليس بين أقطابه الذين يعتد بهم من لا تؤهله عبقريته لما أوليه فى تاريخ الأدب من مكانة ، أو من هو مدين بخلود ذكره الى أهواء السياسة أو أغراض الحاكمين أو دسائس الأحزاب أو تحريف الرواة أو عبث النقاد

فالنابهون فى الأدب الانجليزى أكثر استحقاقاً لمكانتهم من النابهين فى الأدب العربى ، والخاملون المغبونون فى هذا الأخير أكثر منهم فى الأول ؛ والأدب الانجليزى بما أحاط به من ظروف مواتية أسهل تأريخاً ودرساً من الأدب العربى . وهذا الأخير محتاج الى مراجعة ودرس طويل وتاريخ جديد غير التأريخ الذى جرى عليه العرف حتى الآن ليمنح كل أديب حقه من التقديم أو التأخير ، ويُزَحْزِحَ عن الصدر من لا تؤهلهم له آدابهم ونظراتهم فى الحياة ، ويستنقذ من يستطاع استنقاذهم من غمرة الخمول .

فخرى أبو السعود



# نابليــــون
## وخطواته الأولى فى سبيل المجد
للأستاذ عبد المجيد نافع

تتمـــة

وشبت نيران الثورة فى باريس ، ودعت الحاجة إلى قمعها ، فأشاروا على باراس أن يعهد باخمادها إلى نابليون ، فعرض أن يوليه قيادة مجلس الأمة وأمهله ثلاث دقائق ليفكر فى الأمر ملياً

فياعجباً للأقدار ! ثلاث دقائق ، ثم يتقرر مصير نابليون ، ومستقبل فرنسا ، لا بل مستقبل أوربا بأسرها

واستعرض نابليون الموقف ، فلم يتردد فى القبول حين رأى خمسين ألف جندى من جنود النمسا يظهرون على أسوار ستراسبورج ، والانجليز يحاصرون بيوارجهم ثغر برست ، وحينذاك نسى خصومة الخصوم ، وعياءهم وعجزهم ، واستلهم الوطنية الحق فألهمته أن الوطن إذا أحدق به الأعداء وجب دفن الخصومات ، ودوس الحزازات ، ووضع اليد فى أيدى القائمين بالحكم مهما كانت صبغتهم وألوانهم ونزعات نفوسهم

فقال نابليون لباراس : إنى أقبل ولكنى أنذرك بأنى لن أرد السيف إلى غمده إلا بعد أن أعيد النظام إلى نصابه

وكذلك تجلى نابليون فى ثوب الوطنى الصادق والمحارب الصحيح الذى لا يطيق بحال أن تعرقل مساعيه أعمال السياسيين

وكان القبول فى الساعة الواحدة صباحا . فلما أقبل المساء إذا بباراس يعلن فى المجلس انتصار جنوده . فاذا جاء الغد رقى نابليون إلى رتبة قائد قسم ، وسمع الناس اسمه يتردد فى جوانب المجلس ، ثم يجتاز اسمه منبر الخطابة لينقش على صفحات الصحف فينفض عنه غبار الخمول الذى حجب اسمه عن الأسماع والأنظار ردحا من الزمن

وتقلد بونابارت قيادة الجيش فى الداخل ، واتخذ « ذان » سكرتيراً له ، فكان هو الذى كتب أوامره حين بات قنصلاً

وهو هو الذى ، بعد أربعة عشر عاماً ، كتب وثيقة تخليه عن عرش فرنسا

وكان نابليون يختلف إلى صالون مدام تليان فرأى جوزفين فشغفته حباً ، وملكت عواطفه ؛ وكان فى السابعة والعشرين ، وكانت فى الثامنة والثلاثين ، ولكنها كانت على جانب من الجمال والروعة فأضرمت نيران الغرام فى صدره

على أن الذين يحاولون تشويه شخصية نابليون بخلق البواعث غير الشريفة لأعماله ، وابتداع الحوافز لمشاعره ، تراهم يسارعون إلى القول بأن حبه لجوزفين إنما كان حباً مسرحياً ، وإن أكبر همه ، وغاية الغايات عنده أن يتذرع بذلك الزواج لتولى قيادة الحملة الايطالية

ولكنك قد رأيت كيف كان يتهالك وجداً على الزواج ، وكيف داعب الأمل بالاقتران بكليرى . وبعد فما هى الملالى والقصور التى كان يبنيها على الاقتران ببنت تاجر صابون !

ولو أنه لم يصادف هوى فى قلب مدام دى بوهارنيه ، إلا أنه وجد منها عند الزواج سمياً وعجيباً ؛ فقد كانت ، على رغم موت زوجها ، ووجود ولد وبنت لها ، تحيا حياة خليعة ، وتتردد على مدام تليان ، وتغشى صالون باراس ؛ ومن كانت فى مثل حالتها كانت خليقة أن تستند إلى ذراع رجل قوى كنابليون الذى أصبح فى طليعة القواد وأنقذ فرنسا من الأخطار التى تتهددها

ولكن هل كانت جوزفين خليلة لباراس ؟ إن بعض الكتاب المعاصرين يتبرعون بهذا التأكيد . على أن الذى يسترعى النظر أن جوزفين لم تظهر فى بيت باراس إلا باعتبارها صديقة لمدام تليان . والمنطق والبداهة يتضافران على أن الأخيرة لم تكن لتسمح لكائنة من كانت أن تنازعها هوى الرجل القابض بكلتا يديه على مصاير فرنسا

وإذا كانت جوزفين ، قبل الزواج ، شاءت أن تستوثق من باراس ، سواء بنفسها أم بواسطة مدام تليان ، أن زوجها المقبل سوف يكون موضع رعاية حكومة الديركتوار ، بل إذا كانت لمحت الى أن مكانه الحق أن يكون على رأس الحملة الايطالية ، فكل أولئك لا ينبغى أن يكون مثاراً للدهشة ما دامت جوزفين قد أرادت بهذا الزواج وجه المصلحة لا وجه نابليون

ولما كاشفت جوزفين نابليون بحديث باراس وعزمه على تقليده قيادة الحملة الايطالية قال لها لا تحسبى أنى التمس حمايتهم بل على العكس من ذلك هم الذين سوف يشعرون بالسعادة حين أظلهم بحمايتى . إن سيفى إلى جانبى ، وبه سأصل إلى أبعد الغايات

ولو أتيح لك أن تطالع الرسائل التى خطها نابليون إلى جوزفين لقرأت فيها آيات الحب مسطورة ، ذلك الحب المضطرم الذى ظلت حرارته متأججة من يوم أن عرفها وهو يحبو فى طريق المجد إلى يوم بات فى ذروة القوة وقمة السلطان

على أن وضع الخطة لاجتياز جبال الالب والانحدار الى سهول لومبارديا والانقضاض على الجيوش النمساوية وسحقها سحقاً ، كل أولئك قد استغرق وقت نابليون واستنفد جهوده حتى قلت زيارته لجوزفين . ولم تكن إلا فى شهر يناير من عام ١٧٩٦ حيث تقدم لها بطلب الزواج ولقى ذلك الطلب قبولاً

وكانت جوزفين لا تزال مترددة ، فأحبت أن تفزع الى نصيحة موثق العقود الأستاذ راجيدو ، فلما أقبلت على مكتبه توسلت الى نابليون أن ينتظرها فى غرفة الاستقبال ، ولم يكن من شأن نصيحة كاتب العقود أن تنتشل جوزفين من غمرة التردد إذ قال لها : « إيه لك ! أو تتزوجين بجنرال لا يملك غير الكبود والسيف ؟ فاذا صح أنه يملك شيئاً فانما يملك كوخاً حقيراً ! إنه لجنرال صغير ، لا اسم له ، ولا مستقبل ! يجىء مرتبته وراء مراتب جميع قواد الجمهورية ! انه لخير لك أن تقترنى بمورد للجيش ! »

ولم يكن نابليون يسترق السمع ؛ على أن الباب كان نصف مغلق ، وبذلك تطاير إلى سمعه حديث موثق العقود ، فملك عواطفه ولم ينبس ببنت شفة ؛ ثم استطاع أن يثأر لكرامته الجريح بعد ثمانى سنين . ففى غداة حفلة التتويج ، استدعى الرجل الطيب راجيدو إلى قصر التويلرى وأعطاه مكاناً فى الصف الأول بكنيسة نوتردام حيث تقام حفلة تتويجه امبراطوراً لفرنسا ، وبذلك يتاح له أن يرى بعينيه التى فى رأسه إلى أية ذروة من ذرى المجد يستطيع الجنرال الصغير الذى لا مستقبل له أن يسمو بموكلة موثق العقود الأستاذ راجيدو !

وفى ٢٣ فبراير نودى ببونابرت قائداً عاماً للحملة الايطالية ،

وحدد للزواج يوم ٩ مارس سنة ١٧٩٦ . وفى أوراق الزواج أنقصت جوزفين من عمرها أربع سنين سوياً ، وزاد نابليون فى عمره سنة كاملة ! فالتقى الزوجان فى العمر وإن لم يتلاقيا فى الحب !

على أن حملة المتهجمين على نابليون لا تقف عند حد . لذلك نرى جمهرة المؤرخين يملؤون أفواههم بأن قيادة الحملة الايطالية كانت هى البائنة ( الدوطة ) التى أعطاها باراس الى جوزفين

ومهما يكن هذا القول جارحا لذاعا فانه يتجافى مع الحقيقة . فليس يجوز فى عقل عاقل أن رجلا مثل باراس يجازف بتسليم القيادة الى قائد لا يقوى على الاضطلاع بأعبائها فيغامر بأقدس المصالح ، لا بل يقامر بمستقبل فرنسا

على أن الوقائع تهدم هذه الدعوى من أساسها ، وتضع قصة زواج نابليون بجوزفين فى نصابها الحق ؛ فلم يكن باراس يملك التصرف وحده فى مصير قيادة الحملة الايطالية بل كان لابد من موافقة الأغلبية فى حكومة الديركتوار ، وقد كانت مؤلفة من كارنو وباراس وليبو وريبل ولوتورنور

وإذا جاز لنا أن نستصرخ ضمير رجل ، أو نفزع الى عدالة شاهد ، فأولى لنا ثم أولى أن نفزع الى ريفيير لوبو وقد كان لنابليون من ألد الخصوم ؛ وهو فى ذلك يقول : « لقد قيل إن زواجه بأرملة بوهارنيه كان شرطا لا يستطيع بدونه أن يحصل على القيادة التى جعلها مناط آماله . إن ذلك لم يكن ! والذى أستطيع أن أؤكده هو أن الاختيار الذى تم من حكومة الديركتوار لم يكن تحت تأثير باراس ولا شخص غيره »

كيف إذن كان سبيل بونابرت الى تولى القيادة ؟ ينبغى لنا أن نذكر أن الجنرال الصغير قد وضع خطة لغزو بيمون فى ١٩ يناير وأن تلك الخطة قد أرسلت الى القائد العام شيرير ، فتلاها ثم بعث بها فى الحال الى حكومة الديركتوار معلنا أنها من عمل مجنون ، وأنه لابد من استدعاء هذا المجنون وتكليفه بتنفيذها

فاختلط الأمر على حكومة الديركتوار ، واحتدم وطيس الجدل بين أعضائها ، وما لبثت الغالبية وقوامها ليبو وكارنو وباراس أن جنحت الى جانب نابليون ، وانحازت اليه لترجيح كفته ، فعهدت اليه بانفاذ الخطة التى وضعها

وفى الحق ، فما كان نابليون مدينا بتلك القيادة لا الى زواجه ، ولا الى باراس ، وإنما كان مدينا بها الى كفاية كارنو الحربية التى أمكنته من التعمق فى درس الخطة التى وضعها نابليون ، وتفهم روحها ، فأتيح له أن يصل الى مكان الاقناع من نفوس زملائه

وما لبث نابليون أن انتزع نفسه من بين أحضان المرأة التى أحبها من أعماق قلبه ليبدأ سلسلة المعارك الدموية التى خاض غمراتها عشرين عاما

ومضى فى طريق المجد صعدا ، لا يلوى على شىء ، ولا يقف فى وجهه سهل ولا جبل ، حتى تألبت عليه أوربا بأسرها ، وظاهرتها فى تألبها شر أنواع الخيانات

والآن نسأل : ماذا كان أثر ذلك المجد فى نفس نابليون ؟ لقد كان يمكن أن ينسى نشأته ، ويتنكر لعائلته ، ولا يأبه لعوز المعوزين ، ولا يحفل ببؤس البائسين . على أن شيئا من ذلك لم يكن ، وظل نابليون فى حاضر مجده ، كما كان فى ماضى بؤسه ، ينطوى على أصدق الود لذوى قرباه ؛ لا ينسى يد الصنيعة لمن اصطنعها ، ولا تفتر حرارة اخلاصه لأصدقائه ؛ يشعر قلبه حب الواجب ، ولا يتطرق الى ارادته الوهن أو تصيب عزيمته الكلال

ما كان نابليون فى مصاف الملائكة كما تخيله أنصاره ، ولا كان فى عداد الوحوش الضارية كما تصوره خصومه ، وإنما كان رجلا عظيما خالدا فى التاريخ ، وانسانا له عواطفه وأهواؤه ، ورذائله وفضائله

**عبد المجيد نافع**
المحامى

# من دمشق .... إلى بغداد

للأستاذ على الطنطاوى

لما جاوزنا (أبا الشامات) وأصحرنا ، ونظرت بين يدىّ وعن يمينى وعن شمالى ، فلم أجد إلا الصحراء الصامتة الرهيبة الموحشة ، ووجدت دمشق التى أحببتها ولقيت فيها من يحبنى ، وألفتها وتركت فى كل بقعة منها قطعة من حياتى وطائفة من ذكرياتى قد اختفت وراء الأفق ، وتضاءل (قاسيونها) وصغر حتى ما يبدو منه إلا خيال علوىّ يلوح فى السماء له وميض ولمعان ، أحسست بلوعة الفراق تخفق قلبى خفقاناً شديداً :

كأن القلب ليلة قيل يُغدى ... بليلى العامريّة أو يُراح
قطاة غرّها شرك فباتت ... تعالجه وقد علق الجناح

وخالطنى حزن عميق وشعور مبهم ، أعرفه من نفسى كلما سافرت سفراً بعيداً — على كثرة ما أسافر وأبتعد — شعور من يجد الموت ويبصره بعينه ! ولم لا ؟ وهل الحياة إلا أن تقيم فى المكان الذى تألفه ، وترى الناس الذين تحبهم ، وتصل ماضيك بحاضرك بصورة تراها ، أو نغمة تسمعها ، أو بقعة تحلّها ؟ وهل يحيا المرء إلا فى الأمكنة والوجوه ، وبالذكريات والآمال ؟ وهل الموت إلا أن ينبتر مما يحيط به ، وينقطع عن كل ما يعرف ، ويقدم على بلد مجهول وحياة غريبة عنه لا عهد له بها ولا نبأ عنده منها ؟ أو ليس للانسان حياة ظاهرة فى قيامه وقعوده وطعامه وشرابه وجيئته وذهابه ، وحياة باطنة فى أفكاره وذكرياته وآماله وآلامه وميوله وعواطفه ؟ أو ليست حياته الباطنة هى الأصل وهى الأساس ، فلا يحيا إلا بها ولا يقوم إلا عليها ، كما أن الشجرة لا تحيا إلا بجذورها الممتدة فى جوف الأرض المختفية فى بطن الثرى ، فاذا انقطع المرء عن عادته ، وابتعد عن أهله وصحابته ، لم ينفعه أنه لا يزال يقوم ويقعد ويأكل ويشرب ، كما أن الشجرة لا تنفعها أغصانها وفروعها ، إذا هى بُتّت من أرضها ، وقطعت من أصلها ، وفصلت عن جذرها . وأحسب أن الله جلّ وعزّ ما قرن الموت بالاخراج من الديار ، وأجزل ثواب المهاجرين فى سبيل الله ، التاركين أوطانهم ابتغاء مرضاة الله ، إلا لأن الهجرة ضرب من ضروب الموت ولون من ألوانه ... فان (تعدّدت الألوان فالموت واحد) !

وازدحمت فى نفسى صور حياتى فى دمشق ، وحبّبت إلىّ أضعاف ما كنت أحبّها ، ومرّت أمامى صور إخوتى وأهلى وإخوانى ، وذكرت مهراتنا البيتية ، ومجالسنا الأدبية ، وهذه الحفلات الوداعية الكثيرة التى تفضلت فأقامتها أسرة التعليم ، وجمعية التمدن الاسلامى ، والمدرسة التجارية ، تكريماً لى قبل أن أعمل شيئاً أستحق عليه التكريم ، وأفيض فيها علىّ من النعوت ما ليس فىّ ولا أستحق الأقل منه ... وذكرت من دمشق كلّ حبيب إلىّ جميل فى عينى ، فازددت بها تعلقاً ، ووددت لو أنى أبيت فلم أذهب ولم أتغرب

وكانت الصحراء قد امتدت من حولنا ، وأحدقت بنا ، وصرنا فى قبضتها لا شأن لنا ولا خطر ، وآضت هذه السيارات الفخمة التى كانت تملأ الشارع بطوله وعرضه ، وكانت تعدوهى فى دمشق شيئاً عظيما ، أهون على الصحراء من حبة رمل ! وضاعت فى أرجائها فلم تعدْ تعدّ شيئاً . وكان قد بلغ منى الحزن ، وحزّت فى نفسى لوعة الفراق ، فأغمضت عينىّ ورجعت إلى نفسى ، حتى إذا استروحت فتحتهما وجعلت أحدّق فى هذه البادية ، فأرى السيارة تعدو فيها وتسرع حتى نحسّ كأنها تطوى الأرض طياً ؛ وأراها تلهث من التعب ، والبادية باقية على حالها ، كأننا لم نقطع منها شبراً ، وكأننا بعد فى أماكننا . ولست غريباً عن البوادى ، فقد عرفتها فى رحلتنا تلك . . . إلى مكة . وبقيت فيها سبعة عشر يوماً . ما من ساعة منها إلا وهى أشدّ من عشرة أسفار إلى بغداد ؛ ولكن هذه البادية (بادية الشام) ، تختلف عن جزيرة العرب ؛ ففى الجزيرة مناظر متباينة ، وأراض مختلفة ، فيها الجبل وفيها السهل ، وفيها الوعر وفيها الرمل ، وما فى هذه إلا شىء واحد لا يكاد يختلف أو يتغير ، أرض منبسطة ترابية قاحلة ، تمتد إلى الأفق ، كأنها بحر ليس فيه ماء ! فكنا نقرأ ونتحدث لنقطع الصحراء بحديثنا ، فتقطع الصحراء بصمتها وجلالها حديثنا ، وكنا ننام ونفيق والصحراء هى هى ... حتى قطعنا يوماً كاملاً ، وكان صباح اليوم التالى ، (وللصباح فى البادية جمال وروعة ، لا يكون مثلهما فى المدن) وبدّدت الشمس

ظلمة الليل ، فتبدّدت من نفسى ظلمة الكآبة والحزن ، وانزاحت عنى نوبة المرض ، ( وما العاطفة الرقيقة المؤنثة إلا مرض فى الرجال ... ) فصحوت ، ونظرت فى أمرى فاذا أنا لم أغترب ولم أفارق بلدى . وهل بغداد الادارى وبلدى وفيها أهلى وإخوتى ، إن لم تقرر هـذه الأخوّة الأنظمةُ ولم تسجَّل فى الدساتير ، فلقد قررها الله من فوق سبع سمواته وسجّلها فى القرآن : « إنما المؤمنون إخوة » . وليس ينقض ما أبرم الله ، وإن فرقت بيننا شارات على الأرض ، وألوان على المصوَّر ، فلقد جمع بيننا الدين واللغة والعادات ، وألّف بيننا تاريخ الماضى ، وأمل المستقبل وألم الحاضر ، ووحّد بيننا الدم الذى جاء من نبعة واحدة . فأنى ننكر هذه الأخوّة وشاهدها فينا ، ودمها فى عروقنا ؟

وكيف أجهل بغداد ولها فى نفسى مائة صورة ، وفى ذاكرتى عنها ما لا أحصى من الأخبار والتواريخ والأشعار

وبغداد عاصمة الاسلام ، ومشرق شمس الحضارة ، وحاملة راية العصر الذهبى الاسلامى ، وأم الدنيا ، ومنزل المنصور والرشيد والمأمون . . .

فدى لك يا بغـداد كل قبيلة ... من الأرض (إلا) خطتى وديارياً
فقد طفت فى شرق البلاد وغربها ... وسيّرت رحلى بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغـداد منزلاً ... ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثـل أهليها أرقّ شمائلاً ... وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا

* * *

وكنت أرانا نخاف هذه البادية ونحن على طريق مسلوكة ، فى سيارة متينة ، ونمل من طولها ونحن نقطع منها ثمانين أو تسعين كيلا فى الساعة ، ونشكو ومعنا اللحم والفاكهة والماء المثلج ، ونتعب ونحن مضطجعون على المقـاعد الوثيرة ، ثم إذا وصلنا الى الفندق نمنا أربع عشرة ساعة ، لنستريح ونسترد الروح فأفكر فى أجدادنا أى ناس كانوا ؟ ... وكيف قطعوا هذه البادية وهم على ظهور الابل ، يخوضون لجة الرمل الملتهب ، يلتحفون أشعة الشمس المحرقة ، يتبلّغون من الطعام بتمرة ، ويكتفون من الماء بجرعة ، ثم إذا وصلوا قابلوا جيوشاً أوفر منهم عـدداً وعُدداً ، فحاربوها وانتصروا عليها ، وفتحوا بلادها ... فأقول : هذا هو فرق ما بيننا وبين أجـدادنا ؛ هو الفرق بين الشاب منهم تصيبه ضربة فى المعركة ، فتقطع يده من كتفه وتلبث متعلقة به ، فتؤذيه وتعيقه عن القتال ، فيعمد الى أصابع يده المقطوعة ، فيـدوس عليها بقدمه ، ثم يتمطى حتى يبترها ، ثم يلقيها ويعود الى جهاده ، والشاب منا يزاحم المرأة على كل شىء هولها ، فيخطر فى الشارع كالعروس ليـلة الزفاف ، وإذا شاكته شوكة أو لفحته الشمس أوى الى الفراش !

* * *

ولمـا كان ضحى الغد بدا لنا نخيل العراق ، وأشرفنا منه على مثل الليل ، فعرفت لمـاذا سمى العرب السواد سواداً ، وذهبت أتذكر الفتوح وعهدى بمطالعتها قريب — فأحسّ بأنى أسمو عن زمانى وأعيش فى أيام الصدر الأول — وأقدر بعد نظر المستعمرين وصحة رأيهم فى تعطيلهم التاريخ الاسلامى فى مدارسنا ، وتنشئة أبنائنا على الجهل به والبعد عنه ، لمـا لهذا التاريخ من العمل السحرى على بث روح الشرف والنبل والقوة والعزة والفضيلة فى نفوس شباب العرب ، ولأنه شمس إذا طلعت كسفت هذه الأنوار الـكهربائية التى أضاء بها الغربيون أرجاء تاريخهم فبدت تواريخهم سوداء مظلمة . . . وبدا وحده المشرق النير

وجعلت أتشوّق الى بغداد — وأعرض فى ذاكرتى صوراً منها حلوة ، وأنتظر أن أرى مدينة المنصور بأسوارها المستديرة وأبوابها الفخمة — وألمح قبتها الخضراء العاليـة الشمخرة ، الذاهبـة فى السماء ثمانين ذراعاً طالعة علينا من عرض الفلاة ، تضطرب صورتها فى دجلة ، ثم أذكر ليـلة الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٢٩ وقد كانت ليلة مطر ورعد هائل وسيل شديد ، فهوت هذه القبة التى كانت تاج بغداد — وعَلَم البلد ، ومأثرة من مآثر بنى العباس عظيمة ، بنيت أول ملكهم وبقيت الى آخر أيام الواثق ، فكان بين بنائها وسقوطها مائة وثمانون سنة

وأرى دار الخلافة — وقد قدم رسل ملك الروم على المقتدر ، فرسم أن يطاف بهم فى الدار ، وليس فيها من العسكر أحد ألبتة ، وإنما فيها الخدم والحجاب والغلمان ، سبعة آلاف خادم ، وسبعمائة حاجب ، وأربعة آلاف غلام — قد جعلوا على السطوح والعلالى وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل لخزائن العرائس ، وقد علقت الستور ، ونظم الجوهر وصف على درج غشيت بالديباج الأسود ، وكان عدد ما علق فى قصور المقتدر من الستور الديباج الذهبية المصوّرة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع .. ثمانية وثلاثين ألف ستر ، وعدد البسط فى الممرات والصحون التى وطىء عليها القواد ورسل صاحب الروم سوى ما فى المقاصير والمجالس

من الأنماط اثنان وعشرون ألف قطعة . وأدخل الرسل من دهاليز باب العـامة الأعظم الى الدار المعروفة بخان الخليل ، وهى دار أكثرها أروقة بأساطين رخام ، وكان فيها من الجانب الأيمن خمسمائة فرس عليها خمسمائة مركب ذهباً وفضة بغير أغشية ، ومن الجانب الأيسر خمسمائة فرس عليها الجلال الديباج بالبراقع الطوال ، وكل فرس فى يدى شاكرى بالبزّة الجميلة ؛ ثم أدخلوا من هذه الدار الى الممرّات والدهاليز المتصلة بحير الوحش ، وكان فى هذه الدار من أصناف الوحش التى أخرجت من الحير قطعان تقرب من الناس ، وتتشمم وتأكل من أيديهم ؛ ثم أخرجوا الى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالديباج والوشى ، على كل فيل ثمانية نفر من السند والزراقين بالنار ، فهال الرسل أمرها ؛ ثم أخرجوا الى دار فيها مائة سبع ، خمسون يمنة وخمسون يسرة ، كل سبع فى يد سبّاع وفى رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد ؛ ثم أخرجوا الى الجوسق المحدث ، وهى دار بين بساتين فى وسطها بركة رصاص ، حواليها نهر رصاص أحسن من الفضة المجلوّة ، طول البركة ثلاثون ذراعاً ، فيها أربع طيارات لطاف بمجالس مزينة بالديبقى المطرّز ، وأغشيتها ديبقى مذهب ، وحوالى هذه البركة بستان عيادين فيه نخل ، عددها أربعمائة نخلة ، طول كل واحـدة خمسة أذرع ، قد لبّس جميعها ساجا منقوشاً من أصلها الى حد الجمارة بحلق من شبه مذهبة . . . ثم أخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة ، وفيها شجرة فى وسط بركة كبيرة مدوّرة ، فيها ماء صاف ، والشجرة ثمانية عشر غصناً ، عليها الطيور والعصافير من كل نوع ، مذهبة ومفضضة ، وأكثر قضبان الشجرة فضة ، وبعضها مذهب ، وهى تتمايل فى أوقات ، ولها ورق مختلف الألوان ، يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر ، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر ... الى أن أدخلوا الى الخليفة

وملأ نفسى الشعور بعظمة بغداد ، المدينة التى كانت وحدها دنيا ، كان فيها ستّون ألف حمّام ، فلو أن فى كل حمّام خمسة نفر حمامى وقيم وزبّال ووقّاد وسقاء وذلك أقل ما يكون ، لـكان أصحاب الحمامات ثلثمائة ألف رجل ، وكان حيال كلّ حمام خمسة مساجد ، فلو أن فى كل مسجد خمسة أشخاص ، لـكان ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف انسان . وأحصيت الزوارق التى فى دجلة أيام الناصر فكانت ثلاثين ألفاً [1]

(١) تاريخ بغداد

قال الخطيب : « لم يكن لبغـداد فى الدنيا نظير ، فى جلال قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها وأعـلامها ، وتميّز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها ، وسعة أطرارها ، وكثرة دورها ومنازلها ، ودروبها وشـعوبها ، ومحالها وأسواقها ، وسككها وأزقتها ، ومساجدها وحماماتها ، وطرزها وخاناتها ، وطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وبرد ظلالها وأفيائها ، واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيعها وخريفها ، وزيادة ما حصر من عدّة سكانها »

وبعد فهأنذا على (جسر بغداد[1]) فى نشوة من خمرة الذكرى أذكر ما لا سبيل إلى تلخيصه ، وأحس ما لا طاقة على وصفه ، وقد قال أبو الوليد : قال لى شعبة : أرأيت بغداد ؟ قلت : لا . قال : فكأنك لم تر الدنيا . أما أنا فقد رأيت جسر بغداد ، ورأيت الدنيا ؛ لا أقول إنّه أعظم من جسر إسماعيل ، أو أجمل من جسر الزمالك ، ولـكن لجسر بغداد سرّاً آخر ، يعرفه كل من نظر فى كتب الأدب والتاريخ وقرأ عن جسر بغداد ... هذا الذى جازه القواد الفاتحون ، والفقهاء والمحدثون ، والشعراء والماجنون ؛ هذا الذى وقف عليه الرشيد والمأمون ، وأبو حنيفة والشافعى ، والفضل وابن دينار ، ومطيع وأبو نواس ، وعبد الله بن طاهر ويزيد بن مزيد ، وشهد جلال الخلافة ، وعظمة الملك ، وروعة الزهد ، وضحك المجون ، وقوة الجيش .... وجرى عليه نهر التاريخ . . . وتداعت على جوانبه القرون ... هذا الذى كان سرة الأرض !

***

أيا حبّـذا جسر على متن دجلة ... باتقان تأسيس وحسن ورونق
جمـال وفخر للعراق ونزهة ... وسلوة من أضناه فرط التشوق
تراه إذا ما جئتـــه متأملاً ... كسطر عبير خط فى وسط مهرق
أو العاج فيه الآبنوس مرقش ... مثال فيول تحتها أرض زئبق

أما إننى إن أحببت مصر لأن منها أصلى ، وأحببت الشام لأن فيها مولدى ، فانى أحب العراق لأن فيها أجمل ذكر الماضى ، وأحب الحجاز لأن اليها قبلتى ، وأحب كل بلد يقول أهله : لا إلـه إلا الله محمد رسول الله . لأنه بلدى ، وأهله أهلى

( بغداد ) **على الطنطاوى**

(١) كان المنصور قد أمر بعقد ثلاثة جسور أحدها للنساء ، ثم عقد لنفسه ولحشمه جسرين ، وكان بالزندورد جسران عقدهما محمد ، وكان الرشيد قد عقد عند باب الشماسية جسرين ، فلم تزل هذه الجسور إلى أن قتل محمد ، ثم عطلت وبقى منها ثلاثة إلى أيام المأمون ، ثم عطل واحـد ، فصار هنالك جسران يمضى الناس على أحدهما ، ويرجعون على الآخر ، وهما اليوم جسران

# نبوة المتنبي أيضاً

للأستاذ محمود محمد شاكر

« أخي سعيد الأفغاني : »

وعليك السلامُ ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فإني أشكر لأخي حُسن ظنِّه بي في بعض كلامه ، ومسارعته في الرد على كلمتي التي نشرتها الرسالة (العدد ١٦٧) . هذا على أنه ليس يجمُلُ بالأستاذ أن يحمِّل نفسه تكاليف الرد على مثلي ، فإن الذي بيننا من التخالُفِ في الطبيعة ، والتبايُنِ في الجِبِلَّة ليقوم في هذا الأمر مقامَ الردِّ . وأيضاً ، فليس مما يحسُنُ به أن يبسُطُ عذره للقراءِ عن تأخر الرد بجولتـه في قرى (البقاع) ، وأن قراءته للذي أتيت به من الكلام كانت بعد عشرة أيام من صدوره . وليعلم الأستاذُ الجليلُ أني أحب أن يحملني على طبيعتي ، وأن يتقبلني على علتي ، وأن يعرفني رجلاً شيمتهُ العجزُ ودأبهُ التخلُّف ، فلا قبلَ له بمثل قدرة الأستاذ وقوته على مد الشوْط ؛ هذا على ما ركِّب في أصل خلقتي من الحدة والثورة وضيق الصدْر . وليس أدلّ على ما بيننا من تباين الجبلة — من الذي استيقنه الأستاذ وأثبته فيَّ من التخلُّفِ والعجز ، والذي رأيته فيه من القدرة والمسارعة ، فهو لم يضق ذرعاً بكل الذي كتبناه ، ولا تخلّف في رد كلامنا وإسقاطه بالحجة والبيان والبرهان ، في أوجز لفظ ، وأوزن فكر ، وأدق فهم . . . ثم في أقل وقت . وأنا — على نقيضه ، فأنا كما وصفني الأستاذ حين يقول . « أما أنا فما كنت أظنُّ ! ! أسطراً تذكر عرضاً في ردِّ فكرة تثير (مثل هذا) الفاضل ، فيحمل هماً يجد وقره وعنته اثنين وأربعين يوماً ، ثم ينفثه في رده الذي تكرم به على مثل هذا الشكل » ، ولا أدري لم لا يظنُّ الأستاذُ ذلك ؟ ألا فليعلم أخي سعيد أن اثنين وأربعين يوماً ليس كثير دهر على عاجزٍ وجل هيَّابٍ متخلِّف ، وأن كلمته الصغيرة — التي أثارتني فحملتُ همها أجد وقره وعنته اثنين وأربعين يوماً — كانت مما يقتضيني عامين على الأقلِّ في تقليبها وفهمها ودراستها أواصل ليلهما بالنهار ، ثم في الاستعداد للردّ ، ثم في جمع شتات الذهن ، ثم في نفض الذهول عن العقل والفكر ، ثم في كتابة ما يُسوِّل لي قليل علمي وتحريره والنظر في صدوره وأعقابه

وبعدُ أيضاً ، فإن أخي سعيد قد رماني بقارصاتٍ ، وهو الذي يقول عن كلمتي في الرسالة : « وصحف الرسالة أحوجُ إلى أن تملأ بالحقائق والبرهان مِنها إلى الدعوى والانتقاض ؛ وأنمى للأستاذ أن يهجُر هذا الأسلوب في الجدال ، فما هو بمغنيه عن الحق شيئاً ، كما لم يغن (طنينُ) الأستاذ صروف بالإشادة بمزايا الكتاب في مقدمته » اهـ ، ولست أدري ! فلعل صُحف الرسالة قد غنيت بأساليب البيان العبقري ، والسخرية النابغة من مثل قوله عن كلمات فؤاد صروف (طنين الأستاذ صروف) ، فالطنين في هذه العبارة كلمة بيانية مبتدعة فيها من الفنّ والموسيقى ما يتضاءلُ معهُ ابداع جلّة الكُتّاب والشعراء والموسيقيين . ومثلُ الذي يقول : « وأنا أعوذُ بالله من الغرور ، والذهابِ بالنفس ، ومن الجهل بمقدارها ، والمكابرة في العلم ، والعصبية للرأي والهوى ؛ فما يزال الناس — ولله الحمد — يقيسون فضل المرءِ بخضوعه للحق ، وإتقانه لعمله ، لا بدعواه و (تبجُّحه) » إلى آخر هذا الكلام البليغ الذي لو أراده الجاحظ وجهد فيه ، واحتفَلَ له ، لما تعلّق بذيلهِ ، ولا جرى في غباره . وأنا أعوذ بالأخ أن يعودَ إلى مثل هذا القولِ ، فإني أكره أن أجزي أخاً لي بالذي أعلمُ أنَّه يؤذيه ويرمضُه ، فيذهله عن منازل الصّبر ، ويستفزُّهُ عن مواطن الحلم

وليسَ أحب إلى نفسي من أن اهتدِيَ إلى الحق على علم وبصيرة ، وأن أخضَعَ له على الرضى والغضب ، وأن أعمل على إقراره ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً . فلا يتبعنّ — أخي الأستاذ سعيد — ظنّه أنا من أهل الغرور ، والذهاب بالنفس ، والجهل بمقدارها ، والمكابرة في العلم ، والجدال فيما لا جدوى منه ولا منفعة . وسأنتهي — إن شاء الله — مع الأخ إلى النهاية التي يرضاها غير باغ ولا ظالم . فأولُ ما أبدأ به بيانُ ما ورد في كلمته (الرسالة ١٧٠) من التهافُت في بعض القولِ ، ثم أعقّبُ على ذلك بذكر نبوّة أبي الطيب ، وتقرير القول في نفيها على وجه يبلغ بنا رضاه ، ثم أجيبه عن كل ما سألنيه من شيء ، فإن اعترض في خلال ذلك ، نظرت في الذي يأتي به ، فإن غلبنا

على الحق أسلمنا وبذلنا له الطاعة ، وإن رضى قولنا فهو عند قاعدته التي ذكرها « ألا يحفِلَ نقداً أو رداً إلا إذا كان حقاً ، وسبيله أن يأخذ نفسه به ، ويشكر لصاحبه »

١ — قال الأستاذ سعيد حين ذكر خبر التنوخي ورأينا في رده : « سأل التنوخي أبا الطيب عن معنى ( المتنبي ) فأجابه : « إن هذا شيء كان في الحداثة » وظاهر أنه يعني التلقيب لا التنبؤ ، فجوابه غير صريح ، وهو كما قال الراوي جواب مغالط » ا هـ . والأصل الذي اعتمد عليه الأستاذ فيما ينقل هو ( طبقات الأدباء ) لابن الأنباري ، ونص الخبر : ثم « قال التنوخي : قال لي أبي ، فأما أنا فسألته بالأهواز عن معنى المتنبي ، لأني أردت أن أسمع منه هل تنبأ أولاً ، فجاوبني بجواب مغالط ، وقال : إن هذا شيء كان في الحداثة ، فاستحييت أن أستقصي عليه وأمسكت » وهذا نصٌّ قد اختصره ابن الأنباري على عادته . وجاء الأستاذ سعيد فأراد أن يبين وجه المغالطة في الجواب ، فزعم أن أبا الطيب يعني التلقيب لا التنبؤ في جوابه . وكان أولى بالأستاذ قبل أن يؤول الكلام على هذا الوجه أن يتدبر القول وينظر فيه على الصورة التي يؤوله بها ، ثم يبين وجه المغالطة بياناً لا يسقطه العقل . . . يقول التنوخي إنه سأل أبا الطيب عن معنى ( المتنبي ) ليسمَعَ منه هل تنبأ أو لا — أي هل كان اللقبَ لحادث نبوة كانت منه أم هو نَبْزٌ نُبِزَ به ولُقِّب — فيجيبه أبو الطيب : «إن هذا التلقيب كان في الحداثة » فأي المغالطة في هـذا الجواب ! وفي المسألة وجهان : إما أن يكون التنوخي قد سأل أبا الطيب مصرحا بالذي أراده فقال له : هل ادعيت فسميت المتنبي فيقول أبو الطيب « هذا شيء كان في الحداثة » فيكون المراد ( النبوّة ) ولا شك ، وإما أن يكون قد سأله عن علة تلقيبه بالمتنبي ، فيقول : « هذا شيء كان في الحـداثة » فيكون جواب رجل لا يحب أن يمتد في الحـديث فهو يقطعه على سائله ، فهو يقول له : إن هـذا اللقب وسببه كانا في الحـداثة ولست براض عن سؤالك ؛ فليس في هذا مغالطة . ثم إن امتناعه عن ذكر علة غير النبوة في سبب التسمية دليـل على أن النبوة هي العلة في التلقيب ، لأن اللفظ صريح في الدلالة على المعنى . وليس يغفُلُ أبو الطيب عن معنى هـذا اللقب ، ولا يظن أن الناس غافلون عنه ، فيكون امتناعه عن ذكر العلة مما يوقعهم في حيرة من تأويل معناه . ثم ما الذي يضر أبا الطيب لو كان هذا التلقيب في الكبر ولم يكن في الحداثة ؟ فحرصه على تخصيص ما أراد من المعنى بالحداثة ينفي إرادة ( التلقيب ) ألبتة . وأولى حين يكون التخصيص بالحداثة أن يراد بذلك النبوة ، فإن قوة التدفع ، وسمو الطموح ، وإشراف النفس ، وتهاويل الأمل ، هي بالحداثة ألزم ، وهي التي تؤرث نيران الشباب فتدفعه إلى المغامرة والتهدر والمخاطرة على غير هدى ولا بصيرة ، حتى يركب بهـا صاحبها الحدَثُ الغرُّ كلَّ مركب من الحماقة ، ويرد بها كل مورد من الغرور ، فلا يرعوى عن أن يدّعى مالا مطمَع له فيه ولو كانَ النبوّة . وقول التنوخي بعد جواب أبي الطيب : « فاستحييت أن أستقصي عليه فأمسكت » دليل على أن الرجل اكتفى باشارة أبي الطيب إلى حادث النبوة ، وأمسك عن الذي كان يريده أولاً من التصريح في إثبات ما كان من أمره في ادعاء النبوة

واختصار ابن الأنباري خبر التنوخي هو الذي دفع الأستاذ إلى هذا التأويل . وأصل خبر التنوخي أنه قال : حدثني أبي قال : أما أنا فإني سألته بالأهواز سنة أربع وخمسين وثلثمائة — عند اجتيازه بها إلى فارس في حديث طويل جرى بيننا — عن معنى المتنبي ، لأني أردت أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ، فأجابني بجواب مغالط لي ، وهو أن قال : هـذا شيء كان في الحداثة أوجبته الصورة ! فاستحييت أن أستقصي عليه وأمسكت » فالمغالطة في قوله « أوجبته الصورة » والصورة ههنا الصفة على اصطلاح أهل الكلام ، وصفة الحداثة لا توجب ادعاء النبوّة ، فهذا هو وجه المغالطة . فلما رأى التنوخي — وهو شابٌ لم يعدُ السابعة والعشرين من عمره ، وأبو الطيب إذ ذاك شيخٌ قد نيَّف على الخمسين — ما أصاب هذا الشيخ من الحرج وضيق الصـدر حتى لجأ إلى المغالطة في التعليل ، وتبرير فعلته على السفسطة ، استحيا أن يستقصي على هذا الشيخ فأمسك عن الذي يؤله ويغيظه ويضع من كبريائه ويحط من شيخوخته ، ويلجئُه إلى ركوب الاحالة في المنطق ، والفساد في التعليل

٢ — ويقول الأستاذ سعيد : « يورد الأستاذ على حديث أبي عليّ بن أبي حامد شبهة واحدة بعد أن يقرّ باحكامه ، ويقول

عنه فى ص ٤٩ : « فهو حديث محكم لا يأتيه التوهين إلا من قبل غرابته عما جرت عليه الأحكامُ فى شأن من يدعون النبوّة ... الخ »

وقد أطال فى بيان وجه الغرابة بمـا لا فائدة بنقله هنا .

(سبحان الله يا سعيد ! !) والذى فى كلام أبى علىّ هو هذا : « فاستتابه وكتب عليه وثيقة وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاهُ ورجوعه إلى الاسلام » ، وجلىّ أنهم استتابوه من دعوى النبوّة فرجع بذلك إلى الاسلام ، أما الوثيقة فهى ببطلان علويته ، وبهذا تزول شبهة الأستاذ (!!) فان من المألوف أن تكتب الوثائق فى اثبات الأنساب ونفيها » اهـ

وعجبٌ أمر الأستاذ سعيد فى حرصه على تأويل الكلام بما لا وجه له ولا أصل ؛ وهو فى نقله هذا النص قد اعتمد على كتاب ابن الانبارى ، وهو مولعٌ باختصار الأخبار (واختزالها) وهذا تمام خبر أبى على بن أبى حامد :

« أخبرنا التنوخى ، حدثنى أبى ، قال حدثنى أبو علىّ بن أبى حامد ، قال : سمعت خلقاً بحلب يحكون — وأبو الطيب بها إذ ذاك — أنه تنبأ ببادية السماوة ونواحيها ، إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدية ، فقاتله وأنفره وشرد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب . وحبسه فى السجن حبساً طويلاً ، فاعتـلّ وكاد أن يتلفَ حتى سُئِل فى أمره فاستتابه . وكتب عليـه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاهُ ، ورجوعه الى الاسلام ، وأنه تائبٌ منه ، ولا يعاودُ مثلَهُ ، وأطلقه » . فأنت ترى أن لا ذكر للعلوية فى هذا الخبر ، ولا فى غيره مما رُوِى عن أبى علىّ بن أبى حامد هـذا ، فكيف يتأتى لكَ أن تقحم العلوية فيه ، وهو لم يذكرها فيه ولم ترد عنه فى خبر غيره ، ثم تعمد إلى الكلام فتؤوّلَ بعضهُ على النبوّة وبعضهُ على العلوية فتجعل التوبة للأولى والوثيقة للآخرة ؟ ورحم الله أبا عثمان الجاحظ ، فلو أنه أدركَ عصرنا هذا لقال فى ذلك أمثل مما قال فى إبراهيم النظام(١) ، فنصُّ الخبر مبينٌ عن أن أمير حمص كتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها (١) بأن ما ادعاه باطلٌ — وهو النبوة — (٢) وأنه رجع إلى الاسلام (٣) وأنه تائبٌ منه (٤) وأنه لا يعاودُ مثله . فهذه أربعةٌ فى قَرَن كانت فى هذه الوثيقة ، فكيف تسوّغُ عربيـّةُ الكلام للأستاذ سعيد تأويله وبيانه ؟ فلو سلمنا للأستاذ سعيد بالذى ذهب إليه لـكان سياقُ الـكلام هكذا : « حتى سئل فى أمره واستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ادعائه العلوية ، وأنه رجع الى الاسلام ، وأنه تائبٌ (منـه) ، وأنه لا يعاود مثله » فعلى أى الـكلام عطفت جملة قوله « وأنه رجع الى الاسـلام » والى أى مذ كور يرجع الضمير فى قوله « وأنه تائب ( منه ) » ؟ وكيف ترد أوائل هذا الـكلام على أواخره ليستقيم على عربيته ؟ !

إن أخى الأسـتاذ سعيدا ليأخذ من الـكلام ما يشاء ويدع ما يشاء ، وبذلك ( تزول شبهة الأستاذ ) أو كما قال .

٣ — ثم يقول : «عرض الأستاذ لرواية الهاشمى التى فيها : ( كان أبو الطيب لـمـا خرج الى كلب وأقام فيها ادعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى الى أن أشهد عليه فى الشام بالتوبة وأطلق) وهـذه الرواية تعنى أنه ما تخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوة بقى على دعواه الأولى . ومنها ومن الرواية التى قبلها نفهم أنه لما أطلق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقـة ببطلان انتسابه للعلويين وليس فى الأمر مشكلة ولا تناقض ... » اهـ

يقول الأستاذ سـعيد إن هذا الخبر الذى رواه يعنى ( أنه ماتخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوّةِ بقى على دعواه الأولى ) والخبر يقول إنه ( ادعىّ العلوية ، ثم ادّعى النبوّة ، ثم عاد يدعى أنه علوى » ، والعربية تقول إن هذا النص لايمكن تأويله على الوجه الذى أراده الأسـتاذ فان لها ألفاظاً ، وإن لألفاظها معانى ، وإن لمانيها حدوداً ؛ فاخراج المعنى عن حده إخراج للفظ عن معناه ، وإخراجُ اللفظ عن معناه إخراج له عن العربية . يقول الخبر : « ثم عاد يدّعى أنه علوىّ » فيقول الأستاذ مؤوّله ، ومعنى ذلك « ثم بقى على دعوى العلوية » !! ثم يقول الأستاذ : « ومنها ومن الرواية التى قبلها نفهم ( أولا نفهم ، فالأمر بعد هذا سواء ) أنه لـمـا أطلق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ؛ وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين » . فى الخبر الذى قبل هذا أقحم الأستاذ العلوية ولا ذكر لها فيه وحمل الوثيقة المذكورة فيه يراد بها دعوى العلوية ، وفى هذا الخبر الذى رواهُ ولا ذكر للوثيقة فيه أقحم الوثيقة التى يراد بها الاشهاد عليه فيها ببطلان انتسابه للعلوية التى ادعاها ، وذكرها الخبر مرتين . فهذا أروعُ

(١) وصفنا الأسـتاذ سعيد فى ( الرسالة ) بمقالة أبى عثمان فى ابراهيم النظام ، فراجعها !!

ماوقع لى من القـدرة على الجمع بين الروايات (كما هو مستوفى بكتب مصطلح الحديث ، وأنا أستحى أن أشرح هـذا فى مجلة (الرسالة) ... مما يدرسهُ الطلاب المبتدئون) [1]

وهذا الخبر أيضاً اعتمد الأستاذ فى نقله على (اختزال) أبى البركات (ابن الأنبارى) فى طبقات الأدباء . وسياقُ الرواية هكذا : « وقد كان المتنبى لما خرج إلى كلبٍ وأقامَ فيهم ادّعى أنه علوىٌّ حسنىٌّ ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوىٌّ ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب فى الدعويين ، وحبس دهراً طويلاً وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » . وقد كان هذا النصُّ أمثل من (مختزل) ابن الأنبارىّ للذى يعتمده الأستاذ من التأويل ، وهو أحفل له فى استخراج مادة الجدل فى التفسير والتوجيه . على أن هذا الخبر هو كما وصفناهُ فى كتابنا ص ٤٨ « عجيبٌ لا يفرغ من العجب من اختصاره وتداخله » . فمن ذلك أنه صريحٌ بيِّنٌ فى الدلالة على أنه قد أشهد على أبى الطيب مرتين : (الأولى) إشهادٌ عليه بأنه قد كذب فى (الدعويين) و (الآخرة) استتابةٌ وإشهادٌ عليه بالتوبة

ففى المرة الأولى ذكر ابن شيبان الهاشمى (دعويين) أشهد أبو الطيب على نفسه بالكذب فيهما ، فان أراد (بالدعويين) دعوى العلوية ودعوى النبوّة جميعاً كان كلامُه كلُّهُ خلطاً متداخلاً ، فانه ليسَ يكفى فيمن ادعى النبوّة أن يشهد على نفسه بالكذب ، بل لا بُدَّ معهُ من الاستتابة والرجوع الى الاسلام والاقرار به ، فان لم يُعط ذلك قُتِل ، فان كان فُعِل معهُ ذلك وتاب وأقرّ فما قوله بعد ذلك « وحُبس دهراً طويلاً (سنتين) وأشرف على القتل (ثم) استتيب ، وأشهد عليه بالتوبة وأطلق» ولم أعيدت استتابته ؟ أيكون هذا كله لغواً باطلاً من القول !!

فان أراد (بالدعويين) ادعاء العلوية فى المرة الأولى والمرة الآخرة فالأمر فى ذلك على خلاف المعقول . أيقدم الوالى الاشهاد بالكذب فى دعوى العلوية ، وهى لا تخرج من الاسلام ، ولا يكفر بها مدعيها ، ولا يقتل من أجلها إن أصر عليها ، ويدع ادعاءه النبوة فلا يقتله أو يستتيبه إلا بعد أن يحبسه دهرا طويلاً حتى يشرف على القتل ، فيومئذ يستتيبه ويشهد عليه بالتوبة ! !

ولفساد هذا الخبر وجوهٌ أخرى ، ولكنه على أى وجهيه أدرته ، لا يسوغ للأستاذ أن يقول فيه « وهذه الرواية تعنى أنه ما تخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك النبوة بقى على ادعائه العلوية » إلا أن يلغى معانى الكلمات التى وردت فيه ، أو يحيلها عن وجهها ؛ فتكون ثم ، وعاد ، كلمات معدولة من المعانى ، ثم يزيد على ذلك أن يزيد فى الكلام معانى ألفاظ لم تكن فيه كقوله « وحين ترك النبوة بقى على ادعائه العلوية » ولو أراد الأستاذ أن يتأول هذا الخبر على وجه مقارب لما خرج له إلا أن يقول فيه « إن أبا الطيب تخلى عن دعوى العلوية ، وحين تركها بقى على ادعاء النبوة حتى استتيب فأطلق» وهذا محال

وليعلم الأستاذ أنى تركت له أبواباً من القول توطىء له أن ينفذ الى الاعتراض ، فليعترض قولى بما شاء . ولكنى أسأله أن ينظر فى اعتراضه أولا ثم فى الخبر بعد ، ثم فى كلامى آخراً ، فلعله يجد فى ذلك ما يغنيه من الاعـتراض ويقنعه بالصواب . وأسأله أيضاً أن يتحرى فى فهم الأخبار ما تقتضيه عربية الكلام حتى تستقيم له المعانى ، وتتجه به الآراء الى الحق والهدى إن شاء الله

(للكلام بقية)

محمود محمد شاكر



(١) الرسالة عدد ١٧٠ ص ١٦٢١

مشرقيات

# فى الأدب العربى الحديث

للأستاذ أغناطيوس كراتشقويفسكى

الأستاذ بجامعة لينتجراد

— ٢ —

وبعد كل من الشيخ محمد عبده (١٨٤٣ — ١٩٠٥) وجورجى زيدان (١٨٦١ — ١٩١٤) فى مقدمة الكتاب الذين امتاز بهم هذا العصر. نعم إن أولهم لم ينتج شيئاً من المؤلفات الأدبية، لكن ذلك لا يدعو إلى انكار الدور الهام الذى لعبه، فبفضل جهوده استقر رأى المسلمين على السير فى طريق التجديد، وازداد نفوذ الحركة الأدبية شيئاً فشيئاً، بحيث أثر على الشطر الأكبر من المصريين. وظهرت فى خلال ذلك أنواع أدبية جديدة كالرواية التاريخية. واصطبغت هذه الأنواع بصبغة خاصة تختلف كل الاختلاف عن نظيراتها، فكان الكاتب يوجه جل اهتمامه إلى تنسيق الألفاظ، إلى ان جاء المنفلوطى (١٨٧٦ — ١٩٢٤) فاتجه بهذا النوع إلى طريقه الكمالى

أما المدرسة السورية المتأمركة فقد برزت إلى الميدان فى خلال السنوات العشر الأولى من القرن العشرين، وهى على ما نظن كانت أقوى المدارس الأدبية العربية الحديثة من حيث استقلال شخصيتها. وزعماؤها: أمين الريحانى (١٨٧٩) وجبران خليل جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١) الذى كان يمثل طابع جهودها. فقد رأس بمدينة نيويورك جماعة « الرابطة القلمية »، وكانت تلك الجماعة الأدبية تنشر دعوتها على صفحات مجلة « السائح » التى تولى إدارتها عبد المسيح حداد. ومن أهم الصفات المميزة لهذه المدرسة، أنها قطعت كل صلة بأساليب الأدب القديم وبطريقة الكتابة العادية، واصطفت الأساليب القلمية المتطورة، أساليب الرسائل النثرية، والشعر المنثور المنمق إلى حد التكلف. وقد نال كثيرون من أنصار هذه المدرسة شهرة ذائعة فى العالم العربى (حتى تونس والحجاز) فتأثر الكتاب بأسلوبهم. ومنهم أيضاً الشاعر الروائى ميخائيل نعيمه (١٨٨٩) والشاعر رشيد أيوب (١٨٦٢) وإيليا أبوماضى (١٨٨٩) ونسيب عريضه ... الخ. وللمدرسة السورية الأمريكية بالبرازيل مركز خاص وأهمية محلية لا تأثير لها فى البلاد العربية. والشعر هو المفضل المختار عند أنصار هذه المدرسة التى قوامها: الياس فرحات (١٨٩١)؛ ورشيد سليم خورى (١٨٨٧)؛ وفوزى المعلوف (١٨٩٩ — ١٩٣٠). وقد شرع شكرى الخورى (١٨٧١) فى محاولة طريفة، هى استعمال اللهجة السورية الدارجة فى الكتابة الأدبية، ولكن أحداً لم ينسج على منواله

وقد انتهت سيطرة المدرسة السورية المتأمركة بانتهاء الحرب العظمى، فانقطعت الصلة بين روادها وبين الحياة الراهنة فى العالم العربى، ورجع بعض زعمائها (كالريحانى ونعيمه) الى وطنهم الأول. وقد عادت الآن زعامة الأدب الى مصر وتركزت فى المدرسة الموسومة بمدرسة المصريين. وترجع بوادر هذه الزعامة إلى عام ١٩٠٧ حين تألف حزب الأمة وأنشأ « الجريدة » وتولى رياسة تحريرها أحمد لطفى السيد مترجم « الأخلاق » لأرسطو ومدير الجامعة المصرية الآن. وفى عام ١٩٢٢ التف الكتاب المجددون حول جريدة « السياسة » التى يتولى إدارتها أحد الكتاب المصريين الذائعى الشهرة: محمد حسين هيكل بك (١٨٨٨)، وأهم ما تمتاز به هذه المدرسة التعمق فى فكرة الأدب وفى حاجات رجاله المتزايدة يوماً بعد يوم، وهى تختلف عن المدرسة السورية المتأمركة فى أنها توجه جل جهودها إلى الأدب العربى القديم، وتبدى شغفاً خاصاً بالنقد وبتاريخ الأدب. وفى مؤلفات أنصار هذه المدرسة، نلاحظ للمرة الأولى أن روح الوطنية المصرية الخالصة تحل — عن عمد وإدراك — محل القومية العربية. وقد وجهت هذه المدرسة عناية خاصة إلى « الأقصوصة المصرية »، كما استطاعت أن تكسب شهرة ذائعة وأنصاراً مخلصين متحمسين فى سائر الأقطار العربية، بفضل اتساع نطاق الصحافة وانتشارها. وهكذا عادت مصر فتوات الزعامة للمرة الثانية فى تاريخ الأدب العربى الجديد، وستظل محتفظة بهذه الزعامة، مرتكزة على دعائمها بثبات أعظم مما كانت عليه فى نهاية القرن الماضى

## ٢ — أنواع خاصة

١ — الشعر: لا يزال الشعر أكثر الأنواع انتشاراً وأدقها

محافظة ، شأنه فى عصور الأدب العربى القديم . فى جميع الأقطار العربية نجد شعراء لا عداد لهم . لكن تاريخ الشعر فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ليس إلا تاريخ تجديد شباب الشعر القديم بطرق معدلة كل التعديل . فبينما كان الشعراء فى الماضى يقلدون شعر عصور الانحطاط نراهم الآن ينسجون على منوال المتنبى والشعراء العباسيين وأحياناً شعراء الجاهلية . وقد لعب ناصيف اليازجى ( ١٨٠٠ — ١٨٧٦ ) دوراً هاماً فى سوريا ، إذ ظل محافظاً دقيقاً ، لكنه كان مالكا لناصية اللغة . وظهرت بوادر الأثر الأوربى فى دوائر أخرى ظهوراً واضحاً ، فرأينا فرنسيس مراش ( ١٨٣٦ — ١٨٧٣ ) الشاعر الحلبى ، يحاول التعبير عن أفكار فلسفية اجتماعية فى قصائد يسودها روح التشاؤم .

أما فى مصر فقد جاء تجديد شباب الشعر العربى متأخراً نوعاً ، فاستهل الحركة محمود سامى البارودى ( ١٨٣٩ — ١٩٠٤ ) واسماعيل صبرى ( ١٨٥٤ — ١٩٢٣ ) ، وقصائد كل منهما تطابق كل المطابقة أسلوب الشعر العباسى أو القديم ، بل إنهما كانا يشيران أحياناً بوضوح الى القصائد الأصلية المعارضة ، ونلاحظ أن الحياة تدب بقوة فى مؤلفات الشعراء المصريين المتعاقبين أمثال شوقى (١٨٦٨—١٩٣٢) ، ومحمد حافظ ابراهيم (١٨٧١—١٩٣٢)

قبل الحرب العظمى كان شوقى شاعراً بالمعية (شاعر الأمير) وكان من نوع ممتاز ، قديراً فى صناعة اللغة وصياغة الألفاظ ، لكنه حصر شعره فى دائرة الأسلوب التقليدى . وبعد الهدنة أخذت شهرته تتطاير فى أنحاء العالم العربى وأطلق عليه لقب « أمير الشعراء » . وقد حاول شوقى فى السنوات الأخيرة أن يخلق المأساة « التراجيدى » فى الأدب العربى . أما حافظ إبراهيم فهو من أبناء الشعب ولذا انحصر ميله فى المواضيع السياسية والاجتماعية مع النسج على منوال المتقدمين من وجهة الاسلوب . وثالث الشعراء المصريين المعروفين هو خليل مطران ، وقد ولد ببعلبك بسوريا حوالى سنة ١٨٧١ وأبدى نبوغاً ممتازاً فى المصنفات الغنائية والروائية ذات الاسلوب الطليق الحر والنوع (خصوصاً فى القافية والوزن) . وهنالك كتاب من الجيل الجديد نشر دواوين طلية كعباس محمود العقاد المولود فى سنة ١٨٨٩ ، وابراهيم عبد القادر المازنى المولود فى سنة ١٨٧٧ ، واحمد محرم المولود فى سنة ١٨٧٧ ، واحمد رامى المولود فى سنة ١٨٩٢ . ومصطفى صادق الرافعى المولود فى سنة ١٨٨٠ ، واحمد نسيم المولود فى سنة ١٨٧٨ . وفى الأيام الأخيرة أظهر الجمهور ميلا إلى تذوق شعر أحمد زكى أبى شادى . ومن الصعب أن نتكهن بالشاعر الذى سوف يحمل زعامة الشعر العربى بعد شوقى وحافظ

وفى العراق جمع الشعر فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين أغرب الصفات على اختلافها وتباينها . فقد ازدهرت التقاليد الأدبية القديمة فى المدن الكبرى كبغداد والموصل . وقاد حركتها شعراء أفذاذ أمثال عبد الغفار الأخرس ( ١٨٧٣ — ١٨٠٥ ) وعبد الباقى العمرى الفاروقى ( ١٧٨٩ — ١٨٦١ ) كما أن أسرة الألوسى لعبت دوراً هاماً فى هذا الميدان . وفى النجف الأشرف وكربلاء ، مدينتى الشيعة المقدستين ، ازدهر الشعر العباسى وشعر البادية الصحيح فى الأوساط الأدبية الشيعية . ولم نصل الى معرفة أصول هذه المدرسة إلا بفضل ما نشره أحمد عارف الزين زعيم الطائفة الشيعية بصيدا ( سوريا ) . وكان أبرز زعمائها ابراهيم الطباطبائى ( ١٨٣٢ — ١٩٠١ ) . وفى العراق كما فى مصر — حاول المجددون إعادة الشباب إلى الشعر العربى القديم . وأتيح لنا أن نقتبس هذه الظاهرة بوضوح فى شعر عبد المحسن الكاظمى ( ١٨٦٥ — ١٩٣٤ ) . وبالنظر إلى أنه يقيم فى مصر منذ نهاية القرن الماضى فقد خصص بعض قصائده لسرد الحوادث المصرية . وهنالك شاعران آخران جديران بالذكر وهما يمثلان الاتجاه الجديد خير تمثيل ، أولهما جميل صدقى الزهاوى ( ١٨٦٩ — ١٩٣٦ ) ومعروف الرصافى (١٨٧٥) . وقد كان الزهاوى مشربا إلى أقصى حد بالروح الفلسفية ، وكان يطلق لنفسه الحرية التامة فيما يتعلق بالأسلوب . ولم يتردد مطلقاً فى ابتكار الاوزان والقوافى المختلطة . وكثيراً ما نظم الشعر المرسل حيث يسير على الوزن دون القافية . بعكس الرصافى إذ حصر شعره فى دائرة الاسلوب التقليدى ، لكنه يمتاز بعبقرية الشاعر الواقعى ، سواء فى شعره الغنائى والوصفى ، أو السياسى والاجتماعى ؛ وقد جاوزت شهرة هذين الشاعرين حدود بلادهما . أما فى سائر الاقطار العربية ، فالشعر رغم وفرته وكثرة إنتاجه ، لا تتعدى أهميته الحدود المحلية

ومن شعراء سوريا سليم عنحورى (١٨٥٥)وهو شيخ مسن على اتصال دائم بمصر ومتشبع بالآراء المصرية إلى حد بعيد ، وعيسى اسكندر المعلوف (١٨٦٩) شاعر وعالم من نوع وحيد ،

وهنالك طبقة من كتاب الجيل الحديث اشتهروا الآن فى الأوساط الادبية ، نخص بالذكر منهم : شفيق جبرى (١٨٩٥) وخليل مردم (١٨٩٥) وحليم دموس (١٨٨٨) وأحمد عبيد ، ومحمد البزم (١٨٨٧) ، ومحمد الشريقى (١٨٩٦) وسليمان الأحمد المعروف باسم « بدوى الجبل » الخ

وفى المهجر كثير من الشعراء الذين تطبع مؤلفاتهم وتذاع فى بلاد أخرى ، بخلاف الأمر فى سائر الأقطار العربية حيث لا تتعدى شهرة الشعراء النطاق المحلى ولا يقدر مؤلفاتهم سوى مواطنيهم (مثال ذلك محمد الشاذلى خازندار بتونس) . أجل ، إن الشعر الغنائى المصرى منوع المقاصد ، مشبع بروح الفن الناضج الدقيق ، ولكن المجال لا يزال متسعاً لابتكار أساليب أرحب مدى . وقد ظهرت ترجمة « الالياذة » للبستانى فى عام ١٩٠٤ لكنها لم تسفر إلا عن بعض محاولات تقليدية ، أما الشعر الشعبى « الزجل » الذى تستعمل فيه العامية بدلاً من الفصحى ، فالواقع أنه لم ينتج سوى مؤلفات فكاهية انتقادية ، شأنه كما كان فى الأزمنة السالفة (أسعد رستم بأمريكا) ، وأكثرها يرمى الى أغراض سياسية (عمر الزعنى بسوريا)

ب — *القصة والأقصوصة* : لم تنشأ القصة أو الأقصوصة من أصل عربى كالمقامات والقصص الحماسية بل ترعرعا بتأثير الأدب الأوربى المباشر . وقد ظهرت أولاً القصة التاريخية التى لم تصل الى شأو الكمال من الوجهة الأدبية . كان أول بزوغ هذا النوع فى محيط البستانى بسوريا ، وعنى به ابنه سليم (١٨٤٨ — ١٨٨٤) بقصد اتخاذه وسيلة فى التربية والتعليم . وفى عام ١٨٨٤ وضع جميل المدور (١٨٦٢ — ١٩٠٧) أخبار أيام هارون الرشيد (؟) فارتفع بهذا النوع إلى مكانة أسمى ، وإن كانت تلك « الأخبار » أقرب إلى الآثار منها إلى الأدب ، وقد بلغت القصة التاريخية ذروتها فى مؤلفات جورجى زيدان ، حيث كان يطالع القراء بقصة فى كل سنة تقريباً ، قصة جديدة من سلسلة تاريخية طويلة الحلقات

ولقد ولد زيدان مؤرخا بطبعه ، فأراد أن يتخذ من قصصه وسيلة لجعل التأريخ فى متناول العامة ، وأن يهيئ للجمهور مطالعات طريفة سهلة ، فالغرض الذى كان يرمى اليه هو التعليم والتثقيف ، ولذا تراه لا يعلق أهمية تذكر على المسائل الأدبية البحتة . وقد نالت مؤلفاته اقبالاً منقطع النظير ، بل إنها كانت فاتحة عهد جديد فى الأدب العربى الحديث

(يتبع) ترجمة محمد أمين حسونة

# على أطلال الماضى

## للسيد ابراهيم أدهم الزهاوى

ما بكائى لزينب وانتحابى　　وسؤالى ربوعها وجوابى
ووقوفى بها وقوف حجيج الـ　　ـبيت لولا تفردى واكتئابى
وملامى النوى على ما أحالت　　من رسوم وقوضت من قباب
سنة تلك سنها شعراء　　ما بهم من زمانهم غيرُ ما بى
إن أولى الربوع بالدمع سحاً　　أربع المجد والعلا والغلاب
سفهت نفسها الليالى اللواتى　　سحبت فوقها ذيول الخراب
أربعٌ لا تزال منها بقايا　　أفلتت من حبائل الأحقاب
شوهتها يد البلى ككتاب　　رث إلا عنوان ذاك الكتاب
أنا صبٌّ بها وكل محب　　تتصباه أربع الأحباب
كلما طاف طائف من هواها　　فى فؤادى وجدته فى خطابى
لا قرضت القريض إن لم أذدْ فيـ　　ـه ذياداً يغنى عن القرضاب
عن عُلا معشرى وأى علاء　　كعلا معشرى الرفيع الجناب
كيف لا يعتلى وبانيه بانٍ　　كل نجم فى الكائنات الرحاب

***

يا أبا القاسم الذى حار عقلى　　فى مدى عقله وتاه حسابى
كيف لا تنحنى الأكابر إكبا　　راً لأسمى طبيعة فى إهاب
أى باب فتحته لأولى الأل　　باب مستغلق من الأبواب
ومنار نصبتها فى طريق　　طالما ضلت مسير الركاب
إن محياك فى الحقيقة محيا　　كل حى يسير فوق التراب
فأعاديك فى الورى كموالـ　　ـيك يدورون حول ذاك الشهاب
أين دنياهمُ التى هى دنيا　　أشبهت ذات جِنّة فى يباب
طال أظفارها التى لم تعهدْ　　ها يمين ورث حسن الثياب
فتعهدتها بيمنـــاك حتى　　عاودتها شوارد الألباب
فعليها طلاسم تقتنيها　　فتقيها رجعاً على الأعقاب
ها مراقى الحياة فانظر أكانت　　تترقى لو لم تزل فى احتجاب
تثبت الصخرة العظيمة آبا　　داً إذا لم تدفع بأيد صلاب

أم يقولون كان ينبغ منهم　　من يعيد الحياة بعد ذهاب
والذى تشهد البرية طراً　　أن مسعاك فوق قدر الطلاب
قد ترحلت عن مفاوير أدوا　　كل دَين مؤجل فى الرقاب
ضربوا الأرض إذ أصرت على البغـ　　ـى وهبت إلى رؤوس الحراب
فشفوها من دائها بدواها　　قد يكون الدواء ضرب الرقاب
ذاك دور لن تشهد الأرض دوراً　　مثله والقشور غير اللباب

***

وبدت لى أمية فبدت لى　　دولة المكرمات والأحساب
وسألت الدهياء كيف ترقت　　للثريا فلم يكن من جواب
أين مُلكٌ أبو سليمان يرعا　　ه فيرعى صبابة الأنساب
عبقرى، زمانه عبقرى　　كل شىء يجرى به بنصاب
ما حسام الحجاج لو كنت تدرى　　غير تعويذة من الأوشاب
لم يكن مثله بقبضة مروا　　ن فرت أيامه فى تباب

***

واجتبى الله للأعاريب أملا　　كاً حراصاً على اتباع الصواب
واجتباهم من هاشم من بنى الـ　　ـعباس من خير دوحة فى انتساب
جل هارون أن تكون كهرو　　ن ملوك تسربلت بالسراب
عجم يعجمون عود الرزايا　　ثم لا يهتدون للأسباب
ذاك نجم يدور فى الفلك السا　　بع لا فى مهابط التوراب
سجدت للذى يريد لياليـ　　ـه سجود العبدان للأرباب
واتقته الآباء فى كل أرض　　واقتفتها الأبناء فى الأصلاب
مالك الملك قائماً بالذى يطـ　　ـلب عدلاً عقابه كالثواب
يحسن الرحمة الوثيرة إلا　　لجنوب تقلبت فى الكذاب
فأنِمْها على الظُّبى لا توثق
من ذئاب تريك صدق الكلاب
إنما تُعصم البلاد بسيف　　نائم قائم مجيب مجاب
خطة فى سنى الضحى ضيعوها　　فأضاعوا مِلاك مُلك رُحاب
اشتراك فى الموبقات وخوف　　من شراراتها على الأثواب
وهى الريح زعزع تحمل النا　　ر فمن ذا ينجو من الالتهاب

***

واستفاقت بغداد بعـد دهور  أنقضت ظهرها من الأوصاب
استفاقت فلم تجد لا فتى الصو  ـام فيها ولا فتى المحراب
واستجارت جا اتها فإذا الجا  رات يرزحن مثلها بالعذاب
فدعت دعـوة أبى الله إلا  أن يكون الجواب فصل الخطاب

نحن إبان نهضة بسوى الوحـ  ـدة لا ترتضى من الأحزاب
ضاع كل الطلاب إن لم تكن أو  لَ شىء نريده فى الطـلاب
لا تصح الأعضاء فى الجسم ما لم  تك فيه مشدودة الأعصاب
تمرع الأرض بالربيع على مقدا  ر ما التمّ فوقها من سحاب
وتضيع الأنهار فى لجج البحـ  ـر ويكفى العباب شر العباب
وأحق الشعوب بالوحـدة الـكـ
برى شعوب ذاقت وبال انشعاب

(بغداد) إبراهيم أدهم الزهاوى

# بعـد هجر طويل

## بقلم العوضى الوكيل

أثرتِ فى نفسىَ ماضى الذِّكَرْ  وهجت فيها ما انطوى واندثر
وهجتِ أحـ لاما عِذاب المنى  كالنور، أو كالظل، أو كالزهَر
إن لم أنل منها، فحسب النهى  مرآك، من رىٍّ لهذا النظر!

***

عودى إلى النفس، وكونى بها  لهفة شوق ساهر ذى شررْ
عودى إلى النفس، وأحيى بها  ما كان من نجوى بها أو سَمَر
يا طالما عاد إلى داره  مسافر من بعد طول السفر!
وأمتعينى بحياة الهوى  إمتاعك العين بوجـه أغر
بل جدديني ... أنت محفوفة  بجدّةٍ ليست لحسن القمر
فى كل يوم فيك معنى هوى  يخالف المعنى الذى قد غبر
وفى كل يوم صورة فذة  غير الذى شاهدته من صور
أأنت من شاهدتها أمس؟ أم  أنت سواها؟ أصدقينى الخبر

***

عودى، فقد عدت إلى جنتى  وعادنى الهم وطول السهر
عودى، فما أحراك أن ترجعى  أمس الينا، عبقرى الغُرر
أمس الذى نُيِّحَ فى قبره  بهجتينا، لابثاً فى الحفر
أحييتُه عندى بتذكاره  وربما تحيى الفقيد الذِّكر
فلتنسخى لذاته فى غدٍ  وعشت للقلب الوفى الأبرْ

العوضى الوكيل

# نكبة فلسطين

## بقلم عبد الوهاب أدهم

البلدُ المقدسُ الطاهرُ  عاث به ذو حنقٍ غادرُ
ومهبط الوحى غدا بلقعا  يجول فى أرجائه الـكافر
والجنـة المئناف قد صوّحت  لم يشدُ فيها البلبلُ الساحرُ
فمن لها؟ قد أجدبتْ أرضها  ولم يُغثها العارض الماطرُ

***

هذى فلسطينُ على شجوها  ليس لها، من أهلها، ناصرُ
أعداؤها قد استباحوا الحمى  لله ذياك الحمى الزاهر!
كم قتلوا من نسوة زانها  عفافُها وذيلها الطاهر
كم صرعوا من فتيةٍ ذنبها  إيمانها ودينها السافر
كم روّعوا الأطفال فى مهدها  وغادروها جفنها قاطر

***

العُرْب فى أوطانهم عصبة  يغمزها العاجمُ والـكاسرُ
يقذفها الغربىّ فى مهمه  فمن لها؟ لقد طغى الماكر؟
لله يا غافل عن دهره  دهرك لا يغلبـه السادر
والحق لا يناله ضارع  كفاه لم يصحبهما الباتر
فـكن جسوراً فاتـكا قادراً  ما فاز إلا الفاتك القادر!

***

هذى فلسطينُ أشتكت ضيْمها  وسمعكم عن صوتها واقرُ
فمن لها؟ قد أجدبت أرضها  ولم يغثها العارض الماطر

(دمشق) عبد الوهاب أدهم

# القصص

## الكذب

للقصصي الروسي نيكولا يفتش اندريف

ترجمة الأديب محمود البدوى

« أنت كاذبة ! أنا أعرف أنك كاذبة ! »

« لماذا تصيح هكذا . . ؟ أمن الضرورى أن يسمعنا كل انسان ؟ »

وكذبت مرة أخرى فما كنت أصيح كما ادعت، وإنما كنت أتكلم على أتم هدوء ورقة . أمسكت بيدها وأخذت أحدثها فى لين هادىء، والكلمة السامة : « كذب » تفح حولى كفحيح الحية الصغيرة

« واستطردت تقول : « أحبك ... ويجب عليك أن تكون على ثقة تامة بى . . ألا يقنعك هذا ؟ » وقبلتنى .. ولكنى لما أردت أن أطوقها بذراعى وأضمها الى صدرى لم أجدها : . كانت قد أفلتت منى وبارحت الممر المظلم ، فتبعتها الى الغرفة التى أخذ الحفل البهيج فيها يقوض خيامه ، ومن أين لى أن أعرف — فى مكان كهذا — أين أنا ! لقد طلبت منى المجىء اليه فجئت ، ورأيت القوم يدورون حولى مثنى مثنى طول الليل . وما تقدم إلى أحد ولا خاطبنى انسان . كنت هناك غريبا عن كل الناس ، جلست فى ركن يقرب من العازفين على الآلات الموسيقية وفم البوق النحاسى الضخم يوجه فى خط مستقيم الى ... وسمعت فى ناحية شخصاً سجيناً يزمجر ويضحك بعد كل دقيقة فى هزة وخشونة ويصيح :

« هو . . . هو . . . هو . . . »

وكانت تقرب منى من حين الى حين سحابة بيضاء عطرة . كانت هى .. ولم أكن أدرى كيف دبرت بمهارة فائقة ملاطفتى وهى متقية أعين الناس ، ففى ثانية خاطفة ضغط كتفها على كتفى ، وفى لحظة قصيرة خفضت بصرى فاستطعت أن أرى الجيد الأتلع والدثار الأبيض الضيق العروة .. ولما رفعت طرفى رأيت جانب الوجه الأبيض الصارم الهادىء كوجه الملاك المفكر فوق مقابر الموتى ، فوق مقابر المنسيين من الموتى ، رأيت عينيها .... كانتا نجلاوين سا كنتين حبيبتين تتعطشان للنور . . تحف بهما دائرتهما الزرقاء ، وقد برق فيهما إنساناها فى قتامة . وكنت كلما نظرت الى هاتين العينين أراهما على حال واحدة لا تتغير : سوداوان عميقتان لا يدرك كنههما ، وإذا ما نظرت اليهما ولو نظرة قصيرة اشتد وجيب قلبى ، ولكنى لم أشعر قط بمعنى اللانهاية يمثل هذا العمق وهذا الخوف الذى شعرت به الآن ؛ ولم أعرف مطلقا قوتها كهذا الحد القوى الجارف . شعرت خائفاً متألماً أن حياتى كلها غدت كشعاع ضئيل من النور ابتلعته عيناها ، حتى أصبحت غريبا عن نفسى فارغا أجوف غالباً فى عداد الموتى ... ثم بارحتنى وخلفتنى وحيدا وأخذت معها حياتى .. حياتى كلها ، ورقصت ثانية مع رجل وضىء الوجه طويل متعجرف ، أخذت فى انقباض وحزن أنعم فيه البصر وأدرس أجزاء جسمه ، وشكل نعليه ، وعرض كتفيه المرتفعتين ، وخصل شعره المتموج المنتظم . والرجل بنظرته غير العابئة ولا المكترثة ولا الباصرة يلصقنى بالحائط ، أصبحت فى نظره مخلوقا تافها كالحائط نفسه

ولما أطفئت الشموع تقدمت نحوها وقلت :

« حان وقت العودة .. سآخذك الى المنزل »

فاستغربت وقالت : « ولكنى ... ذاهبة معه ! »

وأشارت الى الرجل الطويل الجميل الذى لم ينظر إلينا مطلقاً ثم جرتنى الى غرفة خالية من الناس وقبلتنى . فقلت بهدوء ورقة :

« إنك كاذبة »

فأجابت : « سنتقابل اليوم ... لا بد أن تجىء ... »

ولما ركبت العربة الى المنزل ، كان الصباح الضبابى الأخضر

قد لاح فوق السطوح العالية ، ولم يكن فى الشارع كله إلا أنا وسائقى ؛ وجلس الرجل متجمعاً يحنى وجهه من الريح ، وأنا جالس خلفه منكمشاً فى معطفى ومغطياً وجهى حتى عينى . وكان للسائق أفكاره ولى أفكارى ، وخلف الجدران الكثيفة المحيطة ألوف من الناس يغطون فى النوم سابحين فى أحلامهم وأفكارهم ... فكرت فيها ، وفى أكاذيبها ، وفى الموت الرهيب ، وبدا لى أن هذه الجدران المحيطة بعد أن أضاءتها تباشير الصباح ، كانت تنظر الى كمخلوق ميت ، وهذا هو السبب الذى جعلها جامدة معتدلة هكذا . ولم أكن أعرف فى أى شىء يفكر السائق ، ولم أكن أدرى ما الذى يحلم به أولئك المختفون وراء الجدران ، ولا كانوا هم يعرفون ما أفكر فيه وأحلم به ...

وعلى هذا المنوال من التفكير والسكون والتأمل زحفنا فى الشوارع الطويلة المستقيمة ، بينما يفضض نور الصباح أعالى السقوف ، وكل ماحولنا كان أبيض ساكناً . وقربت منى سحابة بيضاء عطرة ... وأخذ إنسان سجين يضحك عند أذنى ويصيح :

« هو ... هو ... هو ... »

***

لقد كذبت . لم تبر بوعدها ولم تجىء ، وكان انتظارى قدومها عبثاً ، كان وهما باطلاً وأملا خائباً ... وأخذ الغبش يهبط من السماء القاتمة أشهب بارداً متجمداً ... ولم أعد أعرف متى يتحول الغبش إلى مساء ، أو متى ينقلب المساء ليلاً أسود . فكرت فيه كله كليل طويل حالك فوقه ليل ، وأخذت دائماً ، بخطى الانتظار المنتظمة الرتيبة ، أروح وأجىء فى الطريق ، ولم أشأ أن أقترب من منزل حبيبتى الشاهق ، ولا من الباب الزجاجى الأمامى الذى بدا لى شاحباً فى ظل سقفه الحديدى ، ولكنى رحت بنفس الخطى المنتظمة أذرع الجانب الآخر من الشارع . رائحاً غادياً ... رائحاً غادياً ... وعندما كنت أواجه المنزل لا أستطيع أن أنزع عينى من الباب الزجاجى ، فاذا ما بعدت عنه كنت غالباً أقف وأدير رأسى وأسارقه الطرف ، وهنا يخز الثلج الساقط وجهى بوخزاته الحادة ... كانت هاته الأبر الثلجية طويلة نافذة ، حتى إنها نفذت الى قلبى ومزقته وهو المعنّى بالشوق المضنى والانفعال الشديد للانتظار الخائب ! وهبت الريح الباردة من الضوء فى الشمال الى الظلام فى الجنوب ، وصفرت وعوت ، ولعبت على السقوف المتجمدة وخلصت نفسها منها وضربت وجهى بسفعات جادة من الندف الثلجية ، وخشخشت كما يخشخش الرمل على مصابيح الشوارع الفارغة حيث يرتجف اللهب الأصفر وينقبض من البرد وينحنى أمامها . كم أسفت على هذا اللهب المنفرد الذى يعيش فى الليل فقط ، وفكرت فى الحياة التى ستقف حركتها فى الشارع بعد لحظات ، وفىّ بعد أن أغادر المكان وتبقى الندف الثلجية تهطل وتضربه بضرباتها ، واللهب الأصفر يستمر راجفاً منحنياً فى كنف الوحدة والبرودة المحيطة به

انتظرتها فلم تجىء . وبدا لى أنى وهذا اللهب المنفرد متشابهان ، وكل ما بيننا من خلاف أن مصباحى لم يكن فارغاً كمصباحه ، وأخذ الناس يظهرون من وقت لآخر فى المكان الذى ذرعته بخطواتى يكبرون فى صمت وسكون ، ويتضخمون ورائى ، ويبدون سوداً ضخاماً حذائى ، ثم يختفون فجأة كالأشباح السنجابية حول ركن بيت أبيض قائم هناك ، ثم يقدمون ثانية نحوى من حول الركن ويذوبون فى المسافة الرمادية المفعمة بالثلج الصامت المتحرك مدثرين فى معاطفهم الضخمة حتى انعدمت أشكالهم واختفت أجسامهم ، سائرين صامتين على غرار واحد يشابهوننى ، وفكرت فى أن رهطاً من هؤلاء الناس كانوا يمشون مثلى رائحين غادين منتظرين مترقبين راجفين فى صمت .... ويفكرون تفكيرهم المبهم الحزين

انتظرتها فلم تجىء . . . ولم أدر لم لم أعول وأذرف الدمع السخين وأرسل العبرات الغزار ؟ لم أدر لم لم أبك فى ألم وحزن ؟ لم أدر لم ضحكت وكنت سعيداً جذلاً طروبا ؟ قبضت أصابعى الى راحتى بقوة كأنها المخالب ، وتخيلت أنى أقبض بشدة على المخلوق السام .... الحية .... الكذب .... فالتفت على ذراعى وعضت قلبى وأصابنى من سمها الزعاف الدوار الشديد . بدا كل ما حولى أكاذيب مجسمة ، وانمحى الحد الفاصل بين الحاضر والمستقبل ، بين الحاضر والماضى ، انمحى الحد بين الوقت الذى كنت فيه فى غيابات العدم ، والوقت الذى بعثت فيه فى هذه الحياة الدنيا ... ... وفكرت فى نفسى — سواء وجدت أو لم أوجد — كانت أبداً قبل أن أوجد وبعد أن وجدت متسلطة على كيانى وجثمانى . ومن الغريب على أن أفكر فى أن لها اسما وجسما وأن لكيانها ووجودها نهاية وبداية ... ليس لها اسم مطلقاً ، وإنما كانت دائماً المخلوقة الكاذبة ، والتى تمد

ولا تفى بوعدها أبداً ... لم أدر لمــاذا هكذا . ولـكننى ضحكت ، وغاصت الابر الحادة فى قلبى ، وضحك عند أذنى إنسان سجين :

« هو ... هو ... هو .. »

وفتحت عينى ورأيت نوافذ المنزل الشاهق المضيئة ، وأخذت النوافذ تحدثنى بألسنتها الزرقاء الحمراء بكل هدوء :

« إنها تخونك فى هذه اللحظة ، فبينما أنت تتجول ذارعاً الأرصفة مترقباً حضورها معذبا كئيباً ، إذا بهــا وكلها جمال ونور وإشراق ... وخيانة ، جالسة هنا تسمع همسات الرجل الصبوح الطويل الذى احتقرك وازدراك . إنك إذا اندفعت إلى داخل المنزل وقتلتها ستعمل عملاً عظيما . لأنك ستقتل الـكذب»

وقبضت يدى بشـدة وقد أمسكت بسكين وأجبت ضاحكا :

« أجل ... سأقتلها ... »

ولـكن النوافذ نظرت إلى بوجوم وقالت فى حزن :

« إنك لن تقتلها أبداً.. لأن الآلة التى فى يدك هى الـكذب بعينه ، كقبلاتها تماماً »

واختفت الظلال المترقبة الصامتة وبقيت وحيداً فى هــذه البقعة الباردة ، أنا وألسنة اللهب المنعزلة التى ترجف من البرد والخيبة .. وأخذت الساعة فى قبة الـكنيسة القريبة تدق ، وكان صوتها المعدنى الحزين يرجف وينتحب ويتمدد . ويفقد نفسه فى الثلج الدوم المجنون الهاطل ؛ وأحصيت الدقات وضحكت ، دقت الساعة الخامسة عشرة . كانت قبة جرس الـكنيسة قديمة بالية كساعتها . ومع أن الساعة كانت سائرة على منوال حسن ، فانها كانت تدق غالباً أكثر من اللازم ، حتى إن الرجل العجوز الذى كان يحركها صعد إلى القبة ليقف بيديه اللسان الضارب . علام كانت تكذب هــذه الأصوات الراجفة الحزينة التى يخنقها الظلام الضبابى ؟

وانفتح الباب الزجاجى مع آخر دقة كاذبة للساعة ، وهبط الرجل الطويل نفسه الدرجات . وعلى الرغم من أنى رأيت ظهره عرفته لأنى كنت قد شاهدته أمس بوقاحته وغطرسته ... عرفت مشيته وكانت اليوم أخف حركة وأكثر ثباتا منها بالأمس . . لقد غادرت من قبل هذا المنزل كما غادره هذا الرجل الآن . إنها الطريقة التى يمشى بها الرجال الذين لا تزال على شفاههم قبلات المرأة الـكاذبة

***

هددت ... رجوت ... قضقضت بأسنانى ...

« قولى الحقيقة ... »

فسألتنى ، ووجهها جامد كالثلج ، وحاجباها مرتفعان فى استغراب ، ومن عينيها يطل انسانان سوداوان سريّان هادئان ، لا يسبر غورهما :

« ولـكن ... هل كذبت عليك ؟ »

وكانت تعرف أنى لا أستطيع البرهان على كذبها ، وأن كل أبحاثى وأوهامى وجهودى فى معرفة الحقيقة ستذهب هباء بعد كلمة واحدة منها ... كلمة كذب واحدة ... ولقد ترقبت هذه الـكلمة وندت عن فمها أخيرا ، وظاهرها يتلألأ بالصدق على أن باطنها كان مظلما قاتما ... « أحبك ... ألست كلى لك ؟ »

وكنا بعيدين عن المدينة ، والحقول المغطاة بالثلج ترنو إلى النوافذ المظلمة ، وفوقها الظلام مخيم ، وحولها الظلام جاثم ، الظلام الـكثيف الجلد الصامت الساكن ، ولـكن الحقول كانت تلمع بضوئها المـكتنز كوجه جثة فى الظلام ... وأضاءت شمعة واحدة فى الغرفة الرحبة الشديدة الحرارة ، وعلى ضوئها الأحمر انعكست الحقول الميتة ...

« أود أن أعرف الصدق ، بغض النظر عما يسببه لى من حزن ؛ ربمــا مت بعد سماعه ... ولـكن خير للمرء أن يموت من ألا يعرفه . أرى الـكذب يطل من عينيك . قولى الصدق ، وسأذهب بعد ذلك بعيدا عنك إلى الأبد »

ولـكنها كانت صامتة ، والنظرة التى فى عينيها ، النظرة الجامدة المتفرسـة نفذت إلى سويداء قلبى وأخرجت أعماق نفسى وأبدتها للعيان ... وأخذت بفضول غريب أمتحنها وأنعم النظر فيها ، ثم صحت بها :

« أجيبى ... وإلا قتلتك ! »

فأجابت بهدوء : « اقتلنى ... بعض الأحيان يضيق المرء ذرعا بالحياة ... هل تستطيع الوقوف على الحقيقة بالتهديد ؟ ! »

فجثوت على ركبتى وضغطت على يدها ، وأخذت أتوسل اليها وأرجوها أن ترحمنى وتقول الصدق

فقالت ، وقد وضعت يدها على شعرى : « مسكين ... مسكين ... »

فرجوتها : « ارحمينى ... أود الصدق ... أتلهف عليه ... »

ونظرت إلى جبينها الناعم ، وفكرت فى أن الصدق الصراح

هناك .. وراء هذا الفاصل الرقيق ، فوددت بجنون لو هشمت جمجمتها لأراه ؛ وهنا تحت هذا الصدر المرمرى الأبيض كان قلبها ينبض ، فوددت فى خبل لو مزقت هذا الصدر بمخالبى لأرى ولو مرة القلب البشرى العارى ... وكان لهب الشمعة المحدد كالسنان يشتعل بعيداً ساكناً لا يتحرك ، والجدران المظلمة قد غابت فى القتامة المحيطة ، كان كل شىء يبعث على الأسى والوحشة والرعب

وقالت : « مسكين .... مسكين »

وارتعش اللهب الأصفر وتشنج ، وضرب لونه إلى الزرقة ، ثم تمايل واحتضر ... وطوانا الظلام فى جوفه ، ولم أعد أستطيع أن أرى وجهها ولا عينيها ؛ وكانت ذراعاها تطوقان رأسى ... لم أعد أحس بالكذب ، وأغمضت عينى وغدوت لا أفكر ... ولا أعيش فى هذه الدنيا ... وإنما فنيت بكليتى فى لمسات يديها ، فى الاحساس اللذيذ ، فى النشوة العجيبة التى هيمنت على حواسى ومشاعرى ، وبدا الصدق فى عملها هذا ووضح وبان ... وجاء من أعماق الظلام همسها وانياً غريباً مخوفاً :

« ضمنى اليك .. أنا خائفة ... »

وخيم الصمت ثانيـة ... ثم همست مرة أخرى فى صوت خافت جازع :

« إنك تود الصدق ... وهل أنا أعرفه ؟ حتى أنا ... أود أن أعرفه ... احمنى ... أوه ... أى رعب ! ! »

وفتحت عينى وقد أخذ الظلام الشاحب يهرب من النوافذ العالية ، ويتجمع على الجدران ، ويختبئ فى الأركان ، ولاح من النوافذ شىء ضخم فى بياض الموتى ... كأن عين انسان ميت تبحث عنا ... كأن شخصاً ضمنا فى قبضته الباردة ... فالتصق كلانا بالآخر ونحن نرتجف ، وهمست :

« أوه ... ... ما أفظع هذا ! »

* * *

لقد قتلتها ! ...

قتلتها ... ولما تمددت كتلة بشرية لا حس لها ولا حركة على النافذة ووراءها الحقول البيضاء تمتد وتتشعب وضعت قدمى على جسمها وانطلقت أضحك ، وأقهقه ... ولم يكن ضحكى ضحك المجنون ، لا ... لقد ضحكت لأن أنفاسى خلصت وصدرى استراح ، ولأن فى أعماق نفسى السعادة والسلام والفراغ ...

لقد انمحت من قلبى الدودة التى كانت تنخره ، وانحنيت وأخذت أتطلع إلى العينين الميتتين ، عيناز نجلاوان تتعطشان للنور ، بقيتا مفتوحتين شبيهتين بعينى تمثال من الشمع ، العيون المستديرة القاتمة التى تبـدو مغطاة « بالميكا » أستطيع الآن أن ألمسهما بأصابعى ، وأفتحهما وأسباهما ولا أرهب شيئاً ما ، لأن شيطان الكذب والشك مات من هذين الانسانين السوداوين المبهمين إلى الأبد ، مات من هذين الانسانين اللذين كثيراً ما ارتويا من دمى

ولما قبضوا علىّ انطلقت أضحك جذلاً ، وكل من رآنى عد فعلتى عملاً وحشياً مرعباً ؛ كانوا يديرون ظهورهم نافرين متراجعين ، وأخذ بعضهم وقد روّع يوجه إلى ضروب اللوم والتعنيف الشديد ، على أنهم لما بصروا بمحالى المرح الطروب ، شحبت وجوههم ، وسمرت أقدامهم ، وقالوا : « مجنون »

ويبدو لى أن هذه الكلمة هدأت ثائرتهم وأقرت هائجهم ، لأنها أعانتهم على حل اللغز . كيف وأنا المحب الوامق أقتل عشيقتى ، وفى الوقت نفسه أضحك ؟ على أن رجلاً بادناً أحمر الوجه طروبا سمانى اسما آخر . ولشد ما ساءنى منه هذا حتى اسود فى عينى النور ، النور الذى كان أمامى

« مسكين ... » قالها فى عطف لا تشوبه المرارة ، لأنه كان بادناً طروباً :

« مسكين »

فصحت فى وجهه : « لا تقل هذا .. ... ... لا تسمنى بهذا الاسم »

ولم أدر لم صحت فى وجه الرجل ، ما كنت بالطبع أرغب فى قتله ، ولا حتى فى لمسه ، ولكن القوم الذين أذهلهم الحادث وأخذونى كمجنون ومجرم ، انقلبوا أكثر رعباً وفزعاً ، وصاحوا بطريقة جعلتنى أضحك مرة أخرى

ولما قادونى بعيداً عن الغرفة التى تمددت فيها الجثة قلت ثانية فى صوت عال ملتفتاً إلى الرجل البادن الطروب :

« أنا سعيد ... أنا سعيد »

وكان هذا حقاً

* * *

رأيت مرة فى صباى نمرا أرقط فى حديقة الحيوانات ، لفت نظرى وشغل تفكيرى ، لم يكن كالحيوانات الأخرى التى نامت فى حماقة وأخذت ترى الزوار بالنظر الشزر . وإنما مشى فى قفصه فى خط مستقيم من ركن الى ركن فى دقة حسابية عجيبة ! كان فى كل مرة يرجع الى المكان الذى بدأ منه ، وفى كل مرة يحك فروته الذهبية فى حاجز القفص ورأسه الحاد المفترس مطأطئ ، وعيناه تتطلعان الى الأمام ، ولم يتجه قط بنظره الى الناس ... والناس يتجمعون حول قفصه طول اليوم ، متحدثين صاخبين ، وهو يواصل تجولاته ولا ينظر إليهم مطلقاً . وقليل من الوجوه فى هذا الحشد كانت باسمة ، وكثرتها كانت عابسة بل حزينة وهى ترقب هذه الصورة البشعة وتتحول عنها بزفرة حارة . وعند ما كانوا يبارحونه كانوا يلقون عليه نظرة فضولية أخيرة وهم عاجزون عن الفهم ، ثم يصعدون الزفرات ! كأن هناك شيئاً مشتركا بين هؤلاء الرجال الأحرار وهذا الوحش السجين . وأخذت بعد ذلك كلما ذكر الناس الخلود وتحدثت الكتب عن الأبدية ، أفكر فى هذا النمر الارقط ، وأتصور أنى أعرف الخلود وعذابه

لقد غدوت فى محبسى الحجرى نمراً أرقط . . . سرت فى المكان مفكرا على خط واحد فى عرض محبسى من ركن الى ركن ، وفكرى يتجول معى فى خط قصير أيضاً . أفكار ثقيلة وطأتها على ، خيل إلىّ بأنى لا أحمل رأساً على كاهلى ، وإنما أحمل الدنيا كلها على عاتقى .. وكانت هذه الأفكار تحوى كلمة واحدة ولكن ما أكبرها وأهولها كلمة . وما أعلقها بغيابات الأقدار !

« أكاذيب . . . » هذه هى الكلمة

وأخذت هذه الكلمة تفح مرة أخرى من كل ركن ، ثم التفت حولى . . ولكنها لم تعد حية صغيرة كما كانت ، وإنما انقلبت ثعباناً ضخما مفترساً تلمع عيناه . أخذ يلسعنى بلسعاته . ولما صحت متألماً خرج من فمى صفير كربه .... كصفير الثعابين ، كأنما احتشد صدرى بضروب الزواحف

« أكاذيب »

مشيت غارقاً فى أفكارى والأرض المقبّرة الناعمة الخضراء ... غدت فى عينى هاوية شفافة سحيقة مالها من قرار ، وأصبحت قدماى لا تحسان ببرودة الحجر تحتهما ، وتصورت نفسى أسبح فى علو شاهق فوق الضباب والظلام ، ولما خاص صدرى من الزفرة السامة ... من هناك ... من القاع ... من هذا الحجاب الرقيق الذى مع رقته لا تنفذ إليه العين ، دوى بيطء صدى مروع ... كان الصدى بطيئاً جداً كأنه يعبر آلاف السنين ، وهو فى كل دقيقة وزفرة يفقد بعض قوته . أدركت بأن هناك فى باطن القاع كانت الرياح الهوج التى تعصف بالأشجار تصفر ... ولكن صفيرها وصل الى أذنى كأعقاب الأخبار السيئة تحمل فى طياتها كلمة واحدة قصيرة :

« أكاذيب »

هذا الهمس الوضيع أخذ يخنق وحبس أنفاسى ، فألصقت قدمى بالأحجار وصحت بأعلى صوتى :

« لم تعد هناك أكاذيب ... بعد ... لقد قتلت الأكاذيب »

وتحولت عامداً بوجهى لأنى كنت أعرف أن الجواب سيجىء من أعماق الهاوية السحيقة . وكان الجواب :

« أكاذيب ... »

أنت ترى أن الأمر هكذا ... لقد ارتكبت خطأ جسيما . قتلت المرأة ... ولكنى خلدت الكذب . لاتقتل المرأة إلا بعد أن تنتزع — بكل وسائل التعذيب والنار والوعيد — الصدق من أعماق نفسها . فكرت فى هذا وأنا أسير فى محبسى من ركن الى ركن ؟

***

لقد حملت معها الصدق والكذب الى مكان مظلم مرعب... وهل أذهب إليه ...؟ هل أذهب الى هناك ... وعند عرش إبليس سأقبض عليها وأجثو على ركبتى وأبكى وأقول :

« أرينى الصدق »

رباه ... رباه ... هذا أيضاً كذب ... الظلام هناك ... وفراغ القرون ... والخلود أيضاً ... ولكنها ليست هناك ... ليست فى كل مكان ... بقى الكذب ... إنه خالد أزلى سرمدى . . . أحسست به فى كل ذرة فى الهواء ...وعندما أنشقه أنشق معه فى صدرى الضعيف فحيح الثعابين فيمزقه ... فيمزقه ...

أواه ... أى جنون عندما يطلب الرجل الصدق ... وأى عذاب وألم ؟

رباه ... أنقذنى ... ... أنقذنى ! !

محمود البدوى

# البريد الأدبي

## كتاب جديد عن الشاه

يعتبر جلالة رضا خان عاهل إيران من أعظم قادة العصر وملوكه؛ ومن أعظم زعماء الاصلاح فى الشرق؛ وقد استرعت شخصيته وأعماله الباهرة اهتمام كثير من الكتاب والمؤرخين المعاصرين، فصدرت عنه عدة كتب بمختلف اللغات؛ ومن ذلك كتاب صدر أخيراً بالألمانية عنوانه: رضا شاه Reza Schah بقلم الكاتب الألمانى «هوبرت ملتسج Hupert Melzeg »، ويستعرض المؤلف فى كتابه حياة الشاه منذ مولده فى سنة ١٨٧٨ فى قرية علشت من أعمال مزنداران، ووفاة والده وهو طفل فى نحو الخامسة، وتربيته على يد أخيه الجنرال نصر الله خان. ومما يذكر عن الشاه أنه تلقى تربيته العسكرية فى فرقة القوزاق الروسية الشهيرة حيث اشتهر بالفروسية والبراعة فى الأعمال العسكرية؛ وفى سنة ١٩٢١ حينما اضطربت شئون فارس وتجاذبها النفوذان الروسى والانكليزى زحف رضا خان على رأس كتيبة من الجند الوطنيين على طهران، وعاون على تأليف وزارة وطنية برآسة السيد ضياء الدين، ودخلها هو وزيراً للحربية؛ ومن ذلك الحين يقوى نفوذ رضا خان فى الحكومة وفى توجيه السياسة الايرانية، وكان معظم الجيش من ورائه يشد أزره، وما زال يتحين الفرص حتى قام بضربته الأخيرة، وتولى العرش سنة ١٩٢٥، وأقصى عنه أسرة قاجار الملوكية التى سقطت إيران فى ظلها الى الحضيض

ويصف المؤلف شخصية الشاه ووسائله فى الحكم، ويقول إنه يؤثر سياسة الروية والتريث على سياسة الاندفاع والتسرع التى يأخذ بها الكماليون فى تركيا؛ وهو قد استطاع أن يحرر بلاده من النفوذ الأجنبى، وأن يلغى المعاهدات الأجنبية المجحفة، وكذلك الامتيازات الأجنبية والمحاكم القنصلية، وكل ما يعترض السيادة القومية، ولكنه قطع هذه الخطوات فى روية وتمهل، ونجح إلى أبعد حدود النجاح، وأبدى براعة سياسية تخلق بأعظم الزعماء والساسة، ثم عمد رضا خان بعد ذلك إلى الاصلاحات الداخلية فأصلح الدستور والقوانين، وأدخل النظم والعادات العصرية فى المجتمع الايرانى، ومع ذلك فلم يعمد إلى العنف أو الاندفاع وإنما سار فى كل ذلك بطريقته الرفيقة المستنيرة معاً

ويكتب المؤلف بأسلوب قوى واضح معاً؛ ويعتبر مؤلفه خير ما أخرج فى موضوعه فى العهد الأخير

## ترجمة ضحى الاسلام الى الفارسية

وصل إلينا بالبريد ترجمة الجزء الأول من «ضحى الاسلام» تأليف الأستاذ الجليل أحمد أمين مترجماً إلى اللغة الفارسية، وقد قام بترجمته الأستاذ عباس خليلى صاحب جريدة «اقدام»، وطبع بطهران طبعة أنيقة على ورق مصقول جيد، وهو يقع فى نحو ٤٥٠ صفحة، وسنعود إلى الكلام عن الترجمة فى مقام آخر

## الطب والحركة الهتلرية

عقد أخيراً فى مدينة درسدن مؤتمر للطب والطب الطبيعى، وقد ألقى خلاله الجراح الألمانى الكبير الدكتور فرديناند زاور بروخ خطاباً استرعى الأنظار بقوته وجرأته؛ ذلك أنه حمل فيه على سياسة النظام الجديد (أعنى النظام الهتلرى) فى محاربة الجامعة الطبية القديمة، وأطرى المدرسة القديمة التى كانت قائمة قبل حكم النازى؛ وقال إنه يجب ألا ننسى أن هذه المدرسة هى التى اشتركت فى تكوين أعظم الأساتذة، وفى معتركها سقط كثير من الأساتذة والطلبة

ودعا الدكتور زاور بروخ إلى وقف المناقشات العقيمة ورد الهدوء إلى الجامعة، لأن الهدوء ضرورة لا بد منها لمتابعة المباحث العلمية؛ وحمل على الجهود الجديدة التى تبذل لاحلال الطب الطبيعى مكان الطب الفنى، وقال إنها جهود زائفة من الوجهة العلمية، وأنه لا يوجد طب دون درس ودون تقاليد،

وأن العلم لا يمكن أن يفنى فى فكرة قوميــة ، بل إن مملـكة العلم لا تقف عنـد هذا العالم ، ويجب أن يبقى العلم مخلصا لغايته الأبدية ، وهى البحث عن الحقيقة بإخلاص

وقال أيضا إن أسلحة الذهن ضرورية لمستقبل الأمة كضرورة الأسلحة المادية ، وإن الفلسفة هى امتياز للرجال الناضجين ، وليست ميدان الأحداث الناشئين

وقد أحدثت خطبة العلامة الكبير امتعاضا فى الدوائر النازية ، وصدرت الأوامر للصحف النازية بعـدم اذاعتها ؛ ولـكنها أذيعت مع ذلك فى جميع الصحف الأجنبية

**فرنسا وثقافة البحر الأبيض المتوسط**

تهتم فرنسا دائما بأن تساهم فى توجيه الثقافة فى حوض البحر الأبيض المتوسط مساهمة قوية ، فنى رومة وفى أثينا ، وفى مصر وسوريا ، وفى تركيا ، تقوم معاهد فرنسية كبيرة لنشر الثقافة الفرنسية ؛ وفى موناكو (جنوب فرنسا) تقوم أكاديمية خاصــة تسمى أكاديمية البحر الأبيض المتوسط ، مهمتها أن تساهم فى تأدية هذا الدور الذى تضطلع به فرنسا ، وقد أذيع أخيرا أن هذه الأكاديمية أنشأت معهداً عاليا للتربيــة يسمى « كلية البحر الأبيض المتوسط » تعقد فيه محاضرات ودراسات عالية فى الحضارات والثقافات الخاصة بأمم البحر الأبيض المتوسط منذ العصور الغابرة إلى يومنا ، ويقوم على توجيه هذه الدراسات عدة من علماء فرنسا ومفكريها الأعلام ، وفى مقدمتهم المسيو بول فاليرى الشاعر الكبير ورئيس مركز هذه الدراسات ، ومسيو شارل فيلاى ، وأندريه بونيه العالم الأثرى ، وجان دستيه المتخصص فى آداب البحر الأبيض ، وغيرهم من كبار الأساتذة والمفكرين

ويرجع اهتمام فرنسا بتوجيه الثقافة فى أمم البحر الأبيض المتوسط إلى عهد الصليبيين ؛ وقد بدأت فرنسا بهذه المهمة فعلا فى بلاد لبنان منذ القرن الرابع عشر الميلادى ، ولعبت المعاهد الفرنسية فى تثقيف الشعب اللبنانى دوراً كبيراً

**وفاة ملك النوَر**

توفى أخيراً فى سانت بلتن من أعمال النمسا ملك النوَر بطرس ڤادوس Peter Vados ؛ وقد يبدو غريباً أن نتحدث عن ملك النور ولـكن الواقع أن النور ( أو الغجر ) وهم فى أواسط أوربا ولا سيما فى بولونيا والمجر ورومانيا كثرة تبلغ نحو المليون لهم ملك يختارونه بالانتخاب ، وقد كان ڤادوس آخر ملوكهم ، وهو من النور النمسويين ؛ وعند وفاته ازدحمت سانت بلتن بالوافدين عليها من زعماء النور وأعيانهم من جميع أنحاء النمسا والمجر ؛ وغمر منزل الملك المتوفى بالزهر ، وتولى السهر على جثته طبقاً للعادات النورية اثنا عشر من خاصة أسرته ؛ واقتيد نعشه إلى القبر فى موكب حافل ، وكان المشيعون رجالاً ونساء يرتدون الثياب الرسمية ، وهم زهاء ألف من مختلف الطبقات والأعمار . ولما ووري التراب أخذ النساء ينشـدن الأغنية المحزنة وفى تقطيع شعورهن طبقاً للعادة ؛ ثم طاف الجميع بالقبر حفاة الاقدام . ولما كان قانون النور يقضى بانتخاب الملك الجديد فى مدى ثلاثة أيام من وفاته سلفه ، وكانت السلطات النمسوية قد منحت المشيعين أربعا وعشرين ساعة فقط ، فقد سهر الجميع طول الليل وأتموا انتخاب ملـكهم الجديد .

**تصحيح خطأ**

وقع فى مقال ( حول نبوة المتنبي ) المنشور فى العدد الماضى تحريف مطبعى رأيت أن أنبه إليه لما فيه من تغيير للمعنى :

| ص | عمود | سطر | | |
|---|---|---|---|---|
| ١٦٢١ | ١ | ٢ | فن الغريب | صوابها فمن الغريب |
| ١٦٢٢ | ٢ | ١٨ | الانتقاض | « الانتقاص |

# الكتب

## الشيخ عفا الله

تأليف الأستاذ محمود تيمور

١٧٥ صفحة — قطع متوسط — طبع المطبعة السلفية — غلاف أنيق فاخر — خمسة قروش

بقلم محمود البدوى

يكتب محمود تيمور القصة منذ أكثر من عشر سنوات، ويوجه إليها كل عنايته وجهده وفنه. والذى قرأ مجموعة تيمور القصصية الأولى ثم يقرأ « الشيخ عفا الله » الكتاب الذى بين أيدينا الآن يرى مبلغ ما وصل إليه المؤلف من توفيق، ويرى أيضاً أنه يتطور ويخطو نحو الكمال الفنى خطوات سريعة، وأنه كلما تقدم فى السن أكسبته الحياة تجارب، وصقلت فنه وهذبت أسلوبه، ووسعت دائرة فكره، وفتقت ذهنه، وعمقت إحساسه، وجملته دقيق الملاحظة بعيد النظر، حتى أصبح من نوابغ كتاب القصة القصيرة فى مصر ومن الآخذين بيدها القابضين على زمامها الذين يوجهونها خير توجيه وأحسنه

والذى يعرف تيمورا، وهو يقف من أبطال قصصه موقف اللاحظ الشاهد دائماً ولا ينزل الى الميدان أبداً، قد يدهش عند ما يراه يصور الطبقات الدنيا من الشعب، ويتغلغل فى حياتها، وينفذ الى أعماق نفوسهم ويتكلم بلسانهم ويصور أحلامهم وأمانيهم تصويراً دقيقاً فيه الكثير من الصدق .. على أن هذه الدهشة لا تلبث أن تنقلب الى إعجاب وتقدير متى أدرك القارئ أن تيموراً وإن كان ينظر الى هذه الطبقة من بعيد ولكنه يراها بعينى قلبه، ويحس بالعطف والشفقة والحنان على هؤلاء التعساء المساكين الذين يعيشون أبداً فى الظلام مستسلمين صاغرين

وتيمور قصصى واقعى يصور الحياة المصرية على بساطتها وسذاجتها أبدع تصوير، وقد يحيد بعض الأحيان عن الواقع ويميل الى المغالاة فى بسط الحوادث ليخلق المفاجأة ويرهف حس القارئ ويأسر لبه، على أن ذلك لا يكون إلا فى سبيل فكرة سامية جليلة

وأول ما يسرك فى هذا الكتاب أن صاحبه تمشى فيه مع كتاب القصة الحديثة فى أوروبا الذين خضعوا راغبين لعلم النفس، فبسطوا النظريات النفسية وحللوا الانسان تحليلا دقيقاً على ضوء هذا العلم الجليل الشأن العظيم الأثر، وعنوا عناية فائقة بالغرائز وخفايا اللاشعور، ووفقوا وبرعوا فى سبر أغوار النفس البشرية والوصول الى أعماقها . . وتصوير أدق خلجات الفؤاد، ورد كل ما يجيش فى صدر الانسان وعقله من عواطف وخواطر وانفعالات الى أسبابه وبواعثه الحقيقية . لقد كشف هؤلاء العلماء الأفذاذ الانسان البشرى — بعد جهل طويل — وجردوه من لباسه المستعار وأبرزوه فى ضوء النهار أمام هؤلاء المتزمتين العاجزين الذين يشوهون بنفاقهم حقائق الوجود

والشيخ عفا الله أولى قصص الكتاب الاحدى عشرة هى أوضح صورة قوية على ما قدمنا، فيها الكثير من التحليل النفسى العميق . فهذا الرجل الذى يحب ويكبت الغريزة فيضطرب ويكاد يجن ثم يضعف أمامها ويتركها تسير فى طريقها ويقوم منها على صوت ضميره القوى الملح عليه .. الذى يأخذ عليه دائماً السبيل ويبرز أمامه جرمه مجسما على أبشع صورة هى قطعة حية من صميم الحياة وصميم النفس وصميم الواقع

و« قصيدة غرام » هى وصف رائع لحياة طبيب شاعر عاشق فيها الكثير من الصدق والحرارة والاخلاص، وتعرف من خلال سطورها أن المؤلف كتبها بعناية وحرارة، وأنه أفرغ فيها كل فنه، ولولا أنه أقحم فيها مسألة الزواج إقحاماً وجرى

فى ذلك مع العرف والتفكير المصرى الساذج ليوافق هوى القراء فحاد بذلك عن الفن وانحرف عن السبيل لكانت من أروع ما كتب تيمور عن الحب وصور . وفيها إحساس صادق يعرفه المسافرون الراحلون عن أوطانهم . . وليس ذلك لأن المؤلف قام بدور البطل نفسه ، بل لأن المؤلف قام بهذه الرحلة — كما يبدو لى — ومن هنا يدرك القراء مبلغ الصدق فى التصوير عند ما يكون المؤلف جزءاً من البطل فكيف به إذا كان البطل كله ؟

ثم قصة « الشيخ علوان » هذا الرجل الذى يضرب بتقاليد المجتمع وأوضاع الناس عرض الحائط ويعيش على هامش الحياة لا يتقيد بعرف ولا يخضع لنظام ولا يتورع عن التزوج بزوجات أخيه الثلاث . . . ولا يأنف من أن يفرض على الموسرين من الشبان ضريبة ليطعم وينعم ويعيش ، كما يعيشون وينعمون ويلتذون ! . . . لو رأيت الشيخ علوانا هذا فى الطريق لصافحته بحرارة !

ومحمد عوف مجلد الكتب فى « الكسيح » هذا الرجل القوى الشخصية الجبار الجسم الذى بسط سلطانه على صبيه ، فأسره وأحاطه بالأغلال والقيود ، فما استطاع الغلام التملص أو الفكاك من الأسر حتى بعد أن بتر الترام ساق معلمه وغدا عاجزاً كسيحاً يصب لعنته على الناس أجمعين

وعادل الدرديرى فى « إفلاس » هذا الشاب الطموح الجامح القلق ، الذى ضاق ذرعاً بالمدينة وتقاليدها وسخفها ومفاسدها ونفاقها ، وحن إلى الريف فى هدوئه وبساطته وطهره . . فلما اختبره اجتواه وارتد عنه حائراً لا يدرى كيف يعيش ولا كيف يعيش هؤلاء السعداء الذين يعيشون على نسق ونظام وقانون !

وعلى هذا المنوال الحسن باقى قصص الكتاب ، وكلها من أقوى القصص المصرية الرائعة

وأبطال تيمور على العموم مرضى يحيون فى دائرة ضيقة خانقة ، ويحسون بثقل الحياة عليهم ، ومع هذا لا يتحركون ولا يفكرون فى التحرك .. لتغيير مآلهم .. أبداً خاضعين مستسلمين لمن هو أقوى منهم ، ولهذا لا تأسف على فراقهم ولا ترسل الدمع وراءهم ، وهم يخرون صرعى فى ميدان الحياة ، لأنك تشعر فى أعماق نفسك بأنهم لا يصلحون لغير الموت

وتيمور مغرم بهذا النفر المريض من الناس غراماً كبيرا ، وهذا ما كان يعيبه النقاد على تشيكوف ، وهو أنه ضيع عمره وقضى حياته فى وصف قوم مرضى لا خير فيهم ، ولكن هؤلاء المرضى هم غالبية الطبقة العامة التى يصورها المؤلف . وتشيكوف كان يصف روسيا المريضة ، وتيمور يصف مصر المريضة أيضاً . . والقصصى الواقعى ينتزع أبطاله من صميم الواقع ... فالى أن ينشأ جيل قوى جديد بدل هذا الجيل المريض العاجز سيستمر تيمور يعالج حياة هؤلاء المرضى ويسخر منهم ويتركهم صرعى عاجزين

وبعد فهذه كلمة قصيرة عن كتاب جديد يستحق عليه صاحبه التهنئة والاعجاب والتقدير .

محمود البدوى

## قصص مختارة من الأدب التركى

**تعريب خلف شوقى أمين الداودى**

١٨١ صفحة — قطع متوسط — طبع مطبعة عيسى البابى الحلبى

فى هذا الكتاب أكثر من خمس وعشرين قصة قصيرة اختارها المعرب لطائفة من أدباء الأتراك الذين تغنى شهرتهم عن التقريظ كما يقول ؛ ومن بينها قصص « محاكمة الحاجة فطومة » و « النار الموقدة » — نشرت فى الرسالة — و « اعترافات سيدة » و « الكلب بوبى » . وهذه الأخيرة فيها القليل من الفن القصصى ، أما الثلاث الأولى فكل ما يمكن أن يقال عنها أنها تقرأ .

هذا ونرجو أن يوفق المترجم فى كتابه المقبل إلى ما هو أحسن من هذا وأفضل وإن كنا نرجو لكتابه هذا ما يستحق من تشجيع وتعضيد ؟

البدوى

4 me Année, No. 172

Lundi - 19 - 10 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
*
الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٧٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ شعبان سنة ١٣٥٥ — ١٩ أكتوبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

## فهرس العـــــدد



# اليـــوم المشهود...

ذلك يوم الأوبة ! وأوبة الزعيم العظيم عنوان من النور على فصل جليل الخطر بارز الأثر من تاريخنا الجديد : تجمعت فى هذه الأوبة أشتات من المعانى والمنى ، فكان يومها الأغر مظاهرة شعبية هاتفة ، جلجل فيها صوت الحق ، واستعلى بها شأن الأمة ، واستعلن فيها مجد الوطن ؛ وكأنما انبثقت فى النفوس لأول مرة مشاعر المصرية والحمية والعزة ، فكل امرئ يحس بوجوده المستقل ، ويُزْهَى بسلطانه القادر ، ويفخر بإرادته الحاكمة

احتفل حَشْدُ الناس يوم الثلاثاء على حواشى الميناء وفوق متون الماء لاستقبال الرئيس الجليل على ( كوثر ) ، وقد عاد إلى وطنه الشاكر الذاكر بتحقيق المسعى وتصديق الأمل ؛ فكان هذا الاستقبال النادر مشرق الدلالة على معناه : نَمَّ بهزة السرور عن لذة النصر ، وبهشاشة الوجوه عن جمال الشكر ، وبحماسة الهتاف عن وجهة الرأى . وكانت الاسكندرية فى ذلك اليوم صورة منسقة الألوان مهذبة الأطراف منمنمة الخطوط للقطر كله ؛ تمثلت فيها من أعلى الجنوب إلى أسفل الشمال وجوه البلد ،

وأنماط الزى ، ونوازع الهوى ، ومرامى النظر ؛ فالأندية والمقاهى والمطاعم والفنادق والطرقات والمركبات سيول متدافعة من فنون القول ، ولكنها لا تخرج فى عنصرها وجوهرها عن تفنيد المعارضة وتأييد المعاهدة وتمجيد الزعيم

لا أكذِبُ الله ، كانت الحجج كثيراً ما تسقط إعياء فى حَلْبة الجدل ، ولكن تهافتها كان يرجع إلى ضعف المدافع لا إلى ضعف القضية ؛ وكان الغالب على منطق السواد من وفود البلاد الايمان الثابت برأى الوفد ، أو الاذعان المريح لحكم الواقع .

فهم يقولون مالنا ولجدال المحامين بمواد القوانين وآراء العلماء ونصوص الكتب ؟ إن الوفد لم نجرب عليه تدليسا فى رأى ، ولا تفريطاً فى حق ، ولا توريطاً فى باطل ، وقد مضى فى ضمان الوحدة والخبرة ففاوض ، واطمأن على سلامة الحق والعدالة فعاهد ؛ فاذا قال لنا هذا هو الاستقلال الذى استنفدتم إليه الجهود والوسائل ، وأرخصتم فيه الأموال والمهج ، كنا أحرياء أن نقبل عليه بالسمع ، ونخلد إليه بالثقة . ثم تبلغ الثقة الراجحة حد اليقين المحض إذا عارض هذا القول من نستريب بسياسته ونستوحش من ناحيته .

كذلك يقولون إذا أخرجهم نشاط الحديث من التسليم الأعمى إلى التدليل البصير : لا جدال فى أن للمعاهدة محت الاحتلال وأثبتت الاستقلال وفتحت السودان ، وحطت عن كاهلك امتياز الأجنبى ، وأذهبت عن ضميرك رجس الهون ، وجعلتك مطلق السيادة حر الارادة تحت سمائك وفوق أرضك ؛ فاذا توخينا وجوه الاصلاح الداخلى ونحن على هذه الحال الجديدة من حرية الرأى والعزيمة والعمل ، وبذلنا فى سبيله ما كنا نبذل فى سبيل الاستقلال من نقود وجهود وتضحية وزمن ، جرينا من سُبل التقدم إلى أبعد الغايات فى أيسر كلفة وأقصر مدة

***

كان اسم النحاس ولفظ المعاهدة هتافَ المظاهرات وموضوع الخطب وحديث الأندية فى الاسكندرية ، ذلك لأنهما كلمتان استوعبتا أحفل المواقف وأنبل العواطف وأجمل الذكريات من جهادنا المجيد . فالنحاس اسم يشمل الزعامة والوطنية والوفد ، ويتضمن أسماء عرابى ومصطفى وسعد ، ثم يستغرق كذلك أسماء مكرم والنقراشى وماهر ؛ والمعاهدة لفظ يتناول مدلوله أهوال الثورة التى بذرتْها ، ودماء الشباب التى أسقتها ، وأشلاء الضحايا التى غذتها ، وجهود الأبطال التى تعهدتها ثم جنتها ؛ ثم يشمل كذلك ما قر فى أذهاننا من معانى الحرية ، وشاع فى نفوسنا من مشاعر المجد ، وحصل فى أيدينا من وسائل السيادة ، وامتد فى خيالنا من حدود الأمل

ما أجمل الاسكندرية اليوم ! لقد أصبحت خالصة المصرية حتى فى الطبيعة والمظهر ! الجو راكد الريح زاهق الأنفاس كأنه طلعة المختنق ، والبحر راقد الموج مصقول الأديم كأنه صفحة المرآة ؛ فلا العباب زاخر يبعث الروعة فى القلب الشاعر ، ولا النسيم نَدِىٌّ ينضح بالنعيم الجسد المحرور ؛ ومع ذلك نراها أقرب ما كانت إلى القلب ، وأروع ما تكون فى النفس ! لقد ذوب هذا اليوم عنصرها الدخيل كما تذوب حبات الملح فى لجج الفرات العذب . لم يبق إلا مواكب الأهلين تشدو بأهازيج النصر ، ووفود الأعيان تناقل أحاديث الوطنية ، وكتائب الوفديين تنشد أغانى الحماسة ، وخطباء المحتفلين يرسلون على أمواج الأثير عواطف مصر الشابة إلى الجهات الأربع

***

تجددت مظاهر النصر والشكر والتأييد والفرح فى سُوح القاهرة ، فكان يوم السبت فى مدينة المعز أبهر جلالا وأروع استقبالا من يوم الثلاثاء فى مدينة الاسكندر ! ذكرنا به أيام سعد ! وأيام سعد خوالد يتحدين النسيان ويعاجزن البلى ، وقد كن لهذه الأيام السعيدة شروقا وبكرة

سننعم بأصائل هذه الأيام حيناً من الدهر يقصر أو يطول ، ولكن شمسها ستدخل فى ملكوت الخيال وعالم الذكرى ، ثم لا يبقى فى أيدينا من ثمارها غير المعاهدة . والمعاهدة وثيقة الاستقلال فى القانون ، ولكنها ورقة الامتحان فى العمل . ولا ريب أن الذين عرفوا كيف يحررونها ، سيعرفون كيف ينفذونها . ومن عمل واليد شلاء ، وبلغ والطريق غفلاء ، فهل تخشى عليه والسبيل واضحة ، والغاية لائحة ، والساعد حر والساق طليق ؟

احمد حسن الزيات

# الجمهور

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وقال صاحب سر (م) باشا : كان من بعض عملى فى الحكومة سنة ١٩٢٢ أن أراقبَ الحركاتِ والسكنات ، وأبثَّ العيون والأرصادَ ، وأعرفَ المضطرَب والمنقلَب فى أيام الفِتن ونوازل المحنة ، محافظةً على الأمن ومبادرةً لما يُتوقَّع ؛ فكنت كالمرصدِ المهيَّأ بآلاته لتدوين حركات الزلازل

وانتهى إلينا يوماً أن راجفةً من هذه الزلازل سترجُفُ بفلان من أهل الرأى الحر الذى يستقلُّ ولا يُتابع ، وينتقد ولا يحابى ، ويصرِّح ولا يُجَمْجِمُ ، وأن قوماً ثوَّروا عليه الغبارَ الأدىَّ من العامة وأشباهِ العامة ، وأنهم يتحيَّنون الوقت لتوجيه المكيدة له فى شكلها المفترس من هذا الجمهور الناقم

أما فلان هذا فرجلٌ سياسى عنيد أضاع الحقَّ كلَّه لأنه لا يرضى بنصف الحق ... وكلمته فى السياسة كأنما تلقى على لسانه من الغيب فلا يتحول عنها ولا يملك أن يتكلم بما يتكلم ؛ وقد ذهب بصوته أنه فى قوم لا يسمعون إلا ما أرادوا ، فهو بينهم كالحق المغلوب لا يموت لأنه غير باطل ، ولا يحيا لأنه لا ينتصر . وقد كان رجلاً كالمصباح الوهَّاج فألقوا عليه الغطاءَ فاذا هو فى طبيعته ويبدو للناس بغير طبيعته ، وتركه رأيه الحرُّ الصريح كالنبى المكذَّب يُردُّ عليه صدقه لا لأنه غير صدق ولكن لأنه غير مستطاع أو غيرُ ملائم

ومن آفاتنا نحن الشرقيين أننا نستمرئُ العداوةَ وننقادُ لأسبابها ونتطاوعُ لها تطاوُعَ الصغار بأنفسهم لما فى أنفسهم ، كأن المستبدين الذين كانوا فى تاريخنا قد انتقلوا إلى طبائعنا ؛ فردُّ الفكر على الفكر فى مناقشةٍ تجرى بيننا — لا يكون من دفع الحقيقة للحقيقة ، ولكن من رد الاستبداد على الاستبداد ومن توثُّب الطغيان على الطغيان ؛ فهو الثَّلبُ والطعنُ والتجريح ، وهو الجفوة والخصومةُ واللَّدَد ، وهو المنازعةُ والعنفُ والتحامل ؛ وهو بهذه وتلك شرٌّ وفسادٌ وسقوط . والجدال بين العقلاء يبعث الفكر فينتهى إلى الحق . ولكنه فينا نحن يهيج الخلق فينتهى إلى الشر ، والردُّ على عظيم منا كأنه ردٌّ على منزلته فى الناس لا على منزلته فى الرأى ، وكشف الخطأ عندنا تعبيرٌ بالخطأ لا تبصيرٌ بالصواب ، واستلابُ الحجة من صاحبها وإفسادُها عليه كاستلاب المِلك من مالكه وطرده منه ..

ومن ثمَّ كان الدفاع بالمكابرة أصلاً من أصول الطبيعة فينا ، وكان الاضطهادُ حجةً للحجة العاجزة ، وكان الاعناتُ دليلاً للدليل الذى لا ينهض بنفسه ، ومتى اعتبر كلُّ إنسانٍ نفسه أمبراطوراً على الحق ... فلا جرَمَ لا تردُّ كلمةٌ على كلمة إلا بحرب

* * *

قال صاحب السر : وكبر الأمر على الباشا فجمع رؤوسَ المؤتمِرين بذلك الرجل الحر ، وأخذ يقلِّبهم تقليبَه بين التودد والملاطفة ، وقال لهم فيما قال : إن فضيلة الجمهور هى التى تضمن تربية الفضيلة وحفظَها وغلبتَها على الرذائل ، وان كل صحيح يكون فاسدا إذا لم يكن الجمهور صحيحاً ، وإن غير العقلاء هم الذين يقبلون الحقيقة فى يوم ثم يرفضونها هى ذاتها فى يوم آخر ، فان ذهبتَ تجادلهم وتحتجُّ عليهم بأنهم قبلوها — قالوا : هذا كان أمس ... فكأنما الفاصل بين زمنين يجعل الشىءَ الواحد ضدين

ثم سألهم : ما هو ذنب الرجل ؟ فقال منهم قائل : إنه خارج علينا فى الرأى . فقال الباشا : إن المعنى فى أنه يخالفكم هو أنكم أنتم تخالفونه ؛ فقد تكافأت الناحيتان ، وخلافٌ بخلاف ؛ فما الذى جعل لكم حقَّ رده عن الرأى دون أن يكون له مثل هذا الحق فى ردكم أنتم ؟ قالوا : إننا الكثرة . قال الباشا : يا أصدقائى إن خوف الكثرة من رأى فرد أو أفراد هو أسوأ المعنيَيين فى تفسير رأيها هى ؛ وعشرة جنيهات لا تعبأ بالجنيه الواحد فانها تستغرقه ، بيد أن هذه ليست حالَ عشرة قروش يا أصدقائى . .

نعم إن قطعَ الخلاف ضرورةٌ من ضرورات الوطنية ، ولكن إذا كان الأمر فى ظاهره وباطنه كالخلاف فى أيهما أطول : العصا أو المِئذنة . . ؟ فذلك جدال محسومٌ من نفسه بلا جدال

إن أساس انخذالنا نحن الشرقيين فى قلوبنا إذلا نعتبر المعانىَ العامة إلا من جهة أنها قائمةٌ بالرجال ، ثم لا نعتبر الرجالَ إلا من ناحية ما فى أنفسنا منهم ، ثم لا نعتبر أنفسَنا إلا من جهة ما يُرضينا أو يغضبنا ، وقد لا يغضبنا إلا الحق والجِد ، وقد

لا يرضينا إلا الباطل والتهاون ، ولكننا لا نبالي إلا ما ترضى وما نغضب

لستم أحراراً في أن تجعلوا غيركم غير حر ، فان يكن الرأي الذي يعارضكم رأياً حقاً وتركتم منا بذته فقد نصرتم الحق ؛ وإن يكن باطلا فاظهاره باطلا هو برهان الحق الذي أنتم عليه ؛ ولن تجردوا أحداً من اختيار الرأي إلا إذا تجردتم أنتم من اختيار العدل ، فان فعلتم فهذه كبرياء ظالمة ، تدعي أنها الحق ثم تدعي لنفسها حكمه ، فقد كذبت مرتين

اسمعوا أيها السادة : قامت بين اثنين من فلاسفة الرأي مناظرة في صحيفة من الصحف وتساجلا في مقالات عدة ، فلما عجز أضعفهما حجة وكممه الجدال ، كتب مقالته الأخيرة لجاءت سقيمة ، فلم ترضه فبيتها ونام عنها على أن يرسلها من الغداة بعد أن يردد نظره فيها ويصحح آراءه بالحجج التي يفتح بها عليه . قالوا : فلما نام تمثلت له المقالة في أحلامه جسما حياً موهوناً مترضضاً ، مخلوعاً من هنا مكسوراً من هناك ، مجروحاً مما بينهما ؛ ثم كلمته فقالت له : ويحك أيها الأبله . إن أردت أن تغلب صاحبك وتسكته عنك فاحمل مقالتك إلى رأسه في العصا لا في الجريدة . . .

* * *

قال صاحب السر : وضحك القوم جميعاً وأذعنوا وانصرفوا مقتنعين قد خلصت دخلتهم لذلك الرجل الحر وتفصلوا من جريمة كانت في أيديهم ، وما جاء الباشا بمعجز من القول ولكن تصويره للمسألة كان حلالها في نفوسهم . فلما أدبروا تنفس الباشا كأنما خرج من البحر وكان يتعاطى إنقاذ غريق ويعاني فيه حتى نجا ؛ ثم قال لي : إن هذا كان جوابا عن شيء في أنفسهم ولكنه هو سؤال عن شيء في أنفسنا : ما الذي يجعل الناس عندنا يخشون المعارضة في الرأي الوطني حتى إنهم ليجازون عليها بهذه العقوبة الشعبية المنكرة ، وما بالهم لا يعطون الرأي حكمه وحقيقته بل يعطونه من حكم أنفسهم وحقائقها وشهواتها المتقلبة حتى لترجع الفروق الضعيفة المتجانسة في أبناء الوطن الواحد — وكأنها من الخلاف والمباينة فروق جنسية كالتي تكون بين إنسان من أمة وإنسان من أمة أخرى تعاديها به

قلت : إن رأي الكثرة قانون يا باشا

قال : هذا صحيح ولكن بشرطين لا بشرط واحد : الأول ألا يخرج الرأي على القانون ، والثاني ألا تكون الحقيقة في الرأي الذي يناقضه ؛ ومحاولة إكراه المعارضة نقض للشرطين معاً[1] . ثم إن أساس الوطنية سلامة القلوب وصفاء النيات واستواء الموافق والمخالف في هذا الحكم ؛ ومتى وقع الخلاف بين اثنين وكانت النية صادقة مخلصة لم يكن اختلافهما إلا من تنوع الرأي ، وانتهيا إلى الاتفاق بغلبة أقوى الرأيين ما من ذلك بد

الحقيقة يا بني أن الجماهير الشرقية ليست في تربيتها من الجماهير السياسية التي يعتد بها إذ لا تزال في أول عمرها السياسي وبهذا السبب وحده كان اختلاف الكبراء في السياسة لا يشبه إلا نزاع الخصمين بغير شهود ولا قاض نافذ الحكم ، فهو نزاع قوة تفوز بوسائلها لا نزاع حق يستعلي بأدلته

وهذه المجالس النيابية الشرقية كلها صور ممثلة جافة منقطعة النماء من أسبابها كالفرع المقطوع من الشجرة ، وإنما يتنضر الفرع ويثمر أثماره إذا قام بشجرته لا بنفسه ، وما شجرة الفرع السياسي إلا الجمهور السياسي

فسبيل الاصلاح في كل مملكة شرقية أن ينهض أهل الرأي من كل مدينة فيها بين عالم وأديب ومحام وسري ومن كان بسبيل من هؤلاء ، فيجعلوا لمدينتهم دار ندوة للاجتماع والبحث والمشورة وقول (نعم) بالحجة وقول (لا) بالحجة . ثم يعلنون ذلك في جمهورهم وينزلون منه منزلة الأستاذ والأب والصديق في تعليمه وهدايته وإرشاده ؛ وتتصل هذه الدور في كل مملكة بعضها ببعض وتنتهي بالمجالس النيابية . وبغير ذلك لا يملأ الفراغ الذي نراه خاويا بين الشعب والحكومة وبين الكبراء والجماهير ، وإنما أكثر مصائبنا من هذا الفراغ فهو الذي يضيع فيه ما يضيع ويختفي ما يختفي

منا قوم موظفون في الحكومة ؛ ولكن أين القوم الذين تكون الحكومة نفسها موظفة عندهم ؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

(اعتذار) بهذا المقال انتهت أحاديث الباشا فقد أنبأنا صاحب السر أنه سيكتم السر . . . .

---

(١) لا ينس القارئ أن هذا كان سنة ١٩٢٢

# انقذوا تراث الأندلس

### واجب الأمم العربية والاسلامية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

---

قرأنا فى الأنباء الأخيرة أن مندوب بوليفيا (من جمهوريات أمريكا الجنوبية) لدى عصبة الأمم قد أثار أمام إحدى لجان العصبة مسألة الآثار الفنية فى اسبانيا وما يهددها من الأخطار من جراء الحرب الأهلية الطاحنة التى تجتاح اسبانيا من أقصاها إلى أقصاها ، وطلب أن تعمل العصبة لحماية هذه الذخائر الفنية ولا سيما فى الأماكن التى تهددها ويلات الحرب

ونحن نعرف أن عصبة الأمم لا تملك وسيلة للتدخل الفعلى فى المأساة الاسبانية ، ولا تستطيع مع الأسف أن تعمل شيئاً لحماية الآثار الفنية فى اسبانيا

بيد أن لهذه الصيحة الكريمة التى يرسلها مندوب بوليفيا قيمتها وأهميتها فى تذكير العالم المتمدن بأن فى اسبانيا تراثاً فنياً بديعاً هو اليوم رهين القــدر ، ووشيك التبدد والفناء ، إذا لم تتداركه يد الحماية والغوث

وهذه صيحة يجدر بنا أن نرددها . ذلك أن بين هذا التراث الذى تحدق به الأخطار من كل صوب بقيــة نفيسة من تراث الاسلام فى اسبانيا : هنالك فى غرناطة الحمراء وجنــة العريف وأبهاؤهما ونقوشهما الرائعة ، وهنالك فى أشبيلية قصر بنى عباد ، وبرج « الجيرالدا » ، وهنالك فى قرطبة مسجدها الأموى الجامع الذى ما زال رغم تحويله إلى كنيسة من أروع الآثار الاسلامية ، وهنالك تراث الاسلام الفكرى فى قصر الأسكوريال ؛ وهنالك آثار ونقوش اسلامية كثيرة فى معظم التاحف والدن الاسبانية ؛ وكلها مما يلقى أعظم ضياء على تاريخ اسبانيا المسلمة وحضارتها فى أزهر وأمجد عصورها (١)

ولقد كنا أول من أرسل هذه الصيحة منذ بدء الحرب الأهلية الاسبانية ، إذ كنا يومئذ على مقربة من اسبانيا مسرح المأساة ، وقرأنا فيما قرأنا من أنبائها أن طيارات حكومة مدريد قد ضربت مدينة غرناطة بالقنابل ( وغرناطة ومعظم قواعد الأندلس الأخرى ما زالت بيد الثوار ) ، وأن قنابل قد سقطت على قصر الحمراء فأتلفت بعض جدرانه ، فأثار هذا النبأ فى نفوسنا شجنا وأسى ، وكتبنا يومئــذ نلفت نظر العالم المتمدن ، ونظر العــالم الاسلامى خاصة الى ذلك الخطر الداهم الذى يهدد تراث الاسلام فى أسبانيا

وهذه مأساة القصر (الكاثار) المروعة بجوار طليطلة ، وقد خرب فيها حصن القصر القديم الذى يرجع معظم بنائه الى العصر الاسلامى

وفى الأنباء الأخيرة أيضا أن زعماء الثورة رأوا أن يجتذبوا ولاء الجنود المغاربة وأن يثيروا حماستهم بأن يسمحوا لهم باقامة الصلاة فى جامع قرطبة الكبير الذى هو اليوم كنيسة جامعة ؛ ونحن نغتبط إذ يستطيع المسلمون أن يؤدوا شعائرهم فى ذلك المسجد الجامع القديم الذى هو أبدع آثار الدولة الأموية فى الأندلس ؛ ولكننا نخشى أن تؤدى الفوضى العسكرية فى مثل هذه الظروف الى تشويه هذا الأثر الاسلامى الخالد أو تخريبه

والآن يزحف الثوار على مــدريد ويطوقونها من الشمال والجنوب والغرب ؛ وتضطرم حول العاصمة الاسبانيــة وفى سمائها حرب طاحنة لايقف المتحاربون فيها عند شىء ولا يفرون شيئا ؛ وفى مــدريد متحف يضم كثيرا من الآثار والنقوش الاسلامية ؛ وعلى مقربة من مدريد تقع ضاحية الاسكوريال ، وفيها الدير المسمى بهــذا الاسم والقصر الملحق به الذى يضم المكتبة العربية الشهيرة ؛ فالآن وهــذه المعارك الطاحنة تدور حول مدريد بين جيوش الحكومة وجيوش الثورة ، ماذا يكون مصير الاسكوريال ومصير الآثار والكتب العربية ؟ هذا سؤال نردده جزعين خصوصا بعد الذى رأينا من روعة هذه الحرب التى تجتاح فى طريقها كل شىء ولا تقف عند أى اعتبار انسانى

لقد عملت اسبانيا النصرانية فى إبان غلوائها وتعصبها على تبديد معظم تراث الاســلام ، وكانت يوم مصرع الاندلس ، ويوم كانت لا تزال تضطرم بروح العصور الوسطى ، تعتبر هذا التراث رجسا يجب أن يمحى من أرضها ومن تاريخها القومى ؛

---

(١) عنى الأستاذ المستشرق ليفى بروفنسال بجمع النقوش والنصوص الأثرية الاسلامية فى اسبانيا وشرحها وترجمتها إلى الفرنسية فى كتاب ضخم فى مجلدين عنوانه « النقوش الاسلامية فى اسبانيا » Inscriptions Arabes d'Espagns وبه صور عديدة لهذه النقوش والنصوص

فلم تمض أعوام قلائل على سقوط غرناطة حتى أمر الكردينال كمنيس بالكتب العربية فجمعت من سائر الأنحاء، وأحرقت أكداساً فى أكبر ميادين غرناطة، وكان منها ألوف مؤلفة من كتب الدين والفقه والتاريخ والأدب وغيرها، ولم يستثن منها سوى ثلثمائة من كتب الطب والرياضة وهبت لجامعة الكالا (القلعة) التى أنشأها كمنيس، وأبيد بتلك الجريمة البربرية التى ارتكبت عام ١٤٩٩ معظم تراث الأندلس الفكرى (١)

ومع ذلك فقد بقيت من الكتب العربية فى اسبانيا مجموعة كبيرة أودعت فى أقبية الأسكوريال، وأخفيت بعناية عن نظر كل باحث ومتطلع؛ وكان عددها حتى أواسط القرن السابع عشر يبلغ نحو عشرة آلاف مجلد؛ ولكن محنة جديدة أصابت هذه البقية الباقية من تراث الأندلس، ففى سنة ١٦٧١ شبت النار فى الأسكوريال والتهمت معظم هذا الكنز الفريد، ولم ينقذ منه سوى ألفين، هى التى عهدت الحكومة الاسبانية فى منتصف القرن الثامن عشر الى العلامة اللبنانى ميشيل الغزيرى ببحثها وتصنيفها فى فهرسه الجامع (٢)، وهى التى بقيت إلى يومنا من تراث الأندلس

هذا عن تراث الأندلس الفكرى. أما عن الآثار المادية، فقد حولت جميع المساجد الجامعة إلى كنائس، وتناولتها يد التدمير بالهدم والتحوير، وضحيت جميع الذخائر والاعتبارات الفنية فى سبيل تحقيق الشهوات الدينية؛ ولم يأت القرن الثامن عشر حتى كادت آثار الاسلام كلها أن تمحي من اسبانيا؛ ولم يبق منها سوى حمراء غرناطة ومسجد قرطبة والقصر فى أشبيلية ومجموعة من اللوحات والتحف والنقوش الأثرية فى متاحف مدريد وقرطبة وبنبلونة وأشبيلية وغيرها

هذه البقية الباقية من تراث الاسلام فى اسبانيا يحدق الآن بها خطر داهم، ويخشى بحق أن تمتد إليها يد التدمير التى تحطم الآن كل شىء فى طريقها؛ فهل تبق الأمم الاسلامية على صمتها وجمودها حتى تقع الفاجعة ويمحى ذلك التراث العزيز تحت وابل النار والقنابل، أم يجدر بالأمم الاسلامية أن تحذو حذو مندوب بوليفيا لدى عصبة الأمم فترفع صوتها مطالبة بالعمل لانقاذه وحمايته؟ نعتقد أن الأمم الاسلامية المختلفة تستطيع أن تبذل على يد حكوماتها من المساعى فى هذا السبيل ما يكفل لفت نظر الفريقين المتحاربين فى اسبانيا إلى احترام هذا التراث المقدس الذى لا يعنى أمره اسبانيا وحدها، بل يعنى أمره العالم العربى والاسلامى أيضاً، ويعنى أمره العالم المتمدن بأسره

ولسنا نعرف أى سبيل ستتخذ عصبة الأمم إذا استجابت لدعوة مندوب بوليفيا، وهى بلا شك سوف تحلها مكانها من الأهمية والعناية؛ وليست الوسيلة مما يهم فى الواقع، وكل ما يهم هو أن يصل هذا النداء إلى حماية الآثار والذخائر الفنية إلى الفريقين المتحاربين فى أسبانيا؛ وإذا لم يكن فى وسع الأمم والحكومات ذات الشأن أن تساهم فى هذه الدعوة بطريق مباشر، وأن تتصل فى ذلك بطريق الثوار، وهم يسيطرون على أشبيلية وقرطبة وغرناطة، فلا بأس من أن تساهم فيها على يد عصبة الأمم ذاتها

ونحن نعرف أن حوادث الحرب الاسبانية، ووسائلها المخربة، ومناظرها المؤسية، كانت مثار الروع والأسى فى جميع الأمم المتمدنة، ونعرف أن حكومات بعض الدول العظمى قد فكرت فى أن تقوم بالسعى فى سبيل تخفيف ويلات هذه الحرب الأهلية الطاحنة، وحمل الفريقين المتحاربين على اتباع القواعد الانسانية، وربما بذلت بعض النصح فى هذا السبيل؛ ولا ريب أن تحطيم الآثار والذخائر الفنية لا يقل شناعة عن سفك الدماء ذاته، ومن أقدس واجبات الجيوش المتمدنة أن تحرص على قدسية هذا التراث الفنى وصونه من كل اعتداء

هذا ويجدر بالهيئات العلمية والثقافية فى الأمم العربية والاسلامية أن تتخذ الخطوة الأولى فى هذا السبيل، فتبث إلى حكوماتها المختلفة ما يساورها على مصير الآثار الأندلسية من جزع، وترجوها أن ترفع صوتها الرسمى بالدعوة إلى حمايته، وأن تبذل فى ذلك السبيل ما استطاعت من السعى الودى؛ وفى وسع هذه الهيئات العلمية والثقافية أيضاً أن تذيع دعوتها فى الصحافة الدولية، فللصحافة الدولية صوت مسموع، وفى وسعها أن تقوم بدور فى هذا الشأن، وهى ما زالت تنوه بشناعة الاجراءات

---

(١) تقدر الرواية الاسبانية عدد الكتب العربية التى ذهبت ضحية هذه الجريمة الشائنة بنحو ثمانين ألفا

(٢) Casisi: Bibliotheca Arabico Hispāna Escurialensis أو «المكتبة العربية الاسبانية فى الأسكوريال» وهو باللاتينية فى مجلدين كبيرين

# الجانب الصوفى فى الفلسفة الاسلامية

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب

تتمة

— ٦ —

وقبل أن نختم بحثنا هذا نقول كلمة مختصرة فى أثر هذه النظرية فى الفلسفة المدرسية اليهودية والمسيحية ، وفى بعض فلاسفة العصور الحديثة ، وفلسفة اليهود فى القرون الوسطى ، أو بعبارة أدق الدراسة اليهودية الفلسفية فى ذلك العهد هى فى الواقع صدى للفلسفة الاسلامية [1] ، واليهود هم خلفاء العرب على تراث أرسطو والفلاسفة الآخرين ، وقد فازت الفلسفة على أيديهم منذ القرن الثالث عشر الميلادى فوزا عظيما ، وأضحوا أنصارها طوال القرون الثلاثة التالية حين خذلتها الشعوب الأخرى ، فأخذوا الأفكار العربية أو المعرَّبة ونقلوها إلى لغتهم وتدارسوها فيما بينهم ، وتتلمذوا لفلاسفة الاسلام تلمذة صادقة مخلصة ، ودون أن نستقصى هنا كل مفكريهم نكتفى بأن نشير إلى شيخهم الأعظم وأستاذهم الأكبر موسى بن ميمون الذى يعد بحق الممثل الأول للفلسفة اليهودية المدرسية ، وإذا ما ذكر ابن ميمون ذكرت الفلسفة الاسلامية على الفور ، فقد اعتنق كل نظرياتها تقريباً ، وصادفت نظرية السعادة بوجه خاص من نفسه هوى ، ووجد فيها مجالاً فسيحاً للتوفيق بين الفلسفة والدين ، فهو يعتقد أن البحث والثقافة سبيل الكمال الانسانى ، وأن العلم هو العبادة الحق التى يستطيع العبد التقرب بها إلى ربه وكشف الحقائق الغامضة ؛ وكلما أمعن الانسان فى الدراسة والنظر كلما ازداد قرباً من ربه ، ويشَبه ابن ميمون الخالق والخلق فى رتبهم المختلفة بملك عظيم يسكن قصر منيفاً فى مدينة كبيرة ، وسكان هذه المدينة بين المعجب بهذا القصر المصوب النظر اليه ، والغافل عنه المعرض عن جماله وجلاله ، ومن فتنوا به قد يدفعهم الشوق إلى السعى نحوه والطواف حول جدرانه الفخمة ، وربما اقتحموا عتبته وانسابوا إلى حدائقه وأفنيته اللائى بالأزهار والرياحين والمناظر البهجة ، ومنهم من يقنع بهذه الغاية ولا يطلب وراءها مزيدا ، وذوو النفوس السامية والهمم العالية يأبون إلا التشرف بالمليك فى حضرته والاصغاء إلى حديثه والتمتع برؤيته ، وحينئذاك يحظون بالغبطة الدائمة والنعيم المقيم [1] ، وواضح أن هؤلاء الماثلين فى الحضرة الملكية هم من فازوا بالسعادة الفارابية ، والمليك الذى يرمز اليه ابن ميمون ليس شيئاً آخر سوى العالم الروحانى الذى نسعى إلى الاتصال به

تأثر فلاسفة القرون الوسطى المسيحيون كذلك بكثير من الآراء الفلسفية الاسلامية ، ولم يكن التصوف الفارابى بوجه خاص بالغريب عليهم ، ذلك لأن المسيحية نفسها تشايع الأفكار الصوفية فى جملتها وتدعو إلى قدر منها غير قليل ، وإذا كانت الأشياء كلها صادرة من الله وعائدة إليه فخطيئة عظمى أن ينسى المخلوق خالقه أو أن يتراخى فى السعى نحوه والقرب منه . على أن الوصول إلى الذات الأقدس ليس بالمسير فى رأى المتصوفين المسيحيين ، فانا ندنو من الله كلما خففنا أحمالنا وأعرضنا عن

(١) مدكور ، الرسالة ، العدد ٩١ ، ص ٤٩٥

(١) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ؛ ج ٣ ؛ ص ٤٣٣ وتوابعها

---

والوسائل المخربة التى ترتكب خلال الحرب الاسبانية ؛ وقد لفتت نظرها فظائع موقعة القصر الأخيرة ، وما أصاب القصر من حرق وتخريب ، فأخذت تنوه بهذه الخسارة الأثرية وبالخطر الداهم الذى يهدد تراث أسبانيا الأثرى والفنى من جراء هذه الحوادث ؛ وعلى أثر ذلك ارتفع صوت مندوب بوليفيا فى أرجاء عصبة الأمم بمثل هذا النذير

وهانحن أولاء نردد هذا النذير بدورنا ؛ ونحن على يقين من أنه سيحدث صداه وأثره فى جميع الهيئات العلمية والثقافية فى الأمم العربية والاسلامية ؛ وإذا كانت بوليفيا ، تلك الجمهورية النائية فى أعماق أمريكا الجنوبية قد حفزتها البواعث التاريخية والانسانية على أن توحى لمندوبها أن يلقى نداءه أمام عصبة الأمم ، فأولى وأجدر بالأمم الاسلامية أن تلبى داعى الواجب والمساهمة فى هذا المسعى الكريم الذى يبذل صوناً لتراث الاسلام فى أسبانيا ؟

محمد عبد الله عنان

شواغل الحياة (١) ، وقد كتب المسيو جاسون أستاذ الفلسفة المدرسية المسيحية الآن فى « كلويج دى فرنس » ؛ وهو الحجة فى هـذا الباب فصلاً ممتعاً فى نظرية الحب المسيحية وأبان ما انطوت عليه من مدلولات خفية ونزعات صوفية (٢) ، ومحبة الله هى السبيل الذى يقربنا منه ويقودنا إلى السعادة الفارابية ، ويجب أن نضيف إلى هـذا أن السعادة التى تعشقها الفارابى تعتمد على قوة أخرى وتستمد نفوذاً آخر من سلطان عظيم ، ألا وهو سلطان أرسطو الذى استولى على القرون الوسطى المسيحية استيلاء تاماً منذ القرن الثالث عشر للميلاد . فان هـذه السعادة أشبه ما يكون « بالأديمونيا » الأرسطية ؛ وقد أسلفنا القول فيما بينهما من صـلة (٣) . لذلك لم يتردد كثير من أنصار أرسطو المسيحيين فى اعتناق هذه النظرية وإن حاربوا فى عنف غيرها من آراء الفلاسفة المسلمين . فألبير لجراند وسان توماس يتحدثان عن عقل مقدس Intellectus sanctus هو فى الغالب ابن « للروح القدسـية » التى أشاد بذكرها الفارابى من قبل (٤) . وسان توماس يقرر فى وضوح أن سرور النفس وغبطتها تنحصر فى تأمل الحقائق الأزلية (٥) . فالسعادة الفارابية أثرت إذن فى يهود القرون الوسطى ومسيحيها على السـواء ، وليس بعزيز علينا أن نبين المصدر الذى أخذ عنه المسيحيون هذه النظرية ، فقد قرأوا عنها شيئاً فيما ترجم من رسائل الفارابى إلى اللاتينية ووقفوا عليها مفصلة فى مؤلفات ابن سينا وابن رشد وفى كتاب موسى بن ميمون المشهور « دلالة الحائرين » الذى استقى منه الغرب كثيراً من الأفكار الشرقية

***

لم يقف أثر هذا الكتاب فى نشر الأفكار الاسلامية عند القرون الوسطى ، بل جاوزها إلى العصور الحديثة ، وذلك أنا نجد لدى واحد كاسبينوزا أو لَيْبنتز آراء كثيرة الشبه بآراء فلاسفة الاسلام : فنظرية النبوة عند الأول تشبه شبها عظيما النظرية التى أخذ بها الفارابى ؛ ومشكلة العناية عند الثانى لا تختلف كثيراً عما قال به ابن سينا من قبل (١) . وربما يبدو غريباً أن نحاول إثبات علاقة بين مفكرى الاسلام وهؤلاء الفلاسفة المحدثين ، خصوصاً وقد جرت عادة مؤرخى الفلسفة الاسلامية أن يقفوا بها عند القرون الوسطى . وما فكر واحد منهم ، فيما أعلم ، أن يدرس الصلة بينها وبين فلسفة العصور الحديثة دراسة منظمة . غير أنا نرى أن هذه الصلة جديرة بالبحث والدرس ومعتمدة على أسس تعززها ؛ فقد عرف اسبينوزا كتاب دلالة الحائرين وعنى به عناية كبيرة ، كما عرفه ليبنتز وأثنى عليه ثناء مستطاباً (٢) فعلى ضوء هـذا الكتاب نستطيع أن نحدد إلى أى مدى تأثر رجال العصور الحديثة بالأفكار الاسلامية . ويخيل إلينا أنا أول من تنبه إلى هذه العلاقات التاريخية ، وقد حققناها فيما يتعلق بنظرية النبوة (٣)

ويمكننا أن نلاحظ كذلك وجوه شبه بين نظرية السعادة الفارابيـة وبعض الأفكار الصوفية الحديثة ، وخاصة لدى اسبينوزا الذى تربطه بالفارابى أكثر من علاقة واحدة . فكلاهما يعد السعادة غاية لمذهبه الفلسفى ؛ ويعملان على تحقيقها بوسائل متماثلة . وكلاهما صوفى النزعة فى سلوكه وآرائه ، وتصوفهما عقلى نظرى مبنى على العلم والدراسة . ونظرياتهما الكلامية متقاربة ومتشابهة ؛ فصفات البارى عند الفارابى لا تختلف كثيراً عنها لدى اسبينوزا . الله فى رأيهما علم ومعلوم وعالم فى آن واحد ، وهوية وماهية معاً ؛ هو مسبب الأسباب والجوهر المطلق أو الجوهر الوحيد (٤) . فهو موجود بنفسه وجودا أزليا قديمـا ، وكل الكائنات تستمد جودها منه . وعلى هـذا نرى أن الفيلسوف العربى والفيلسوف الاسرائيلى يقولان بمذهب وحدة الوجود . وإذا كانت النفوس البشرية قد استمدت وجودها من الله فهى دائما فى نزوع اليه ؛ وكمالها فى أن تتجه نحوه وتقترب منه وتحبه

(١) Guignes Le Chartreux, Méditations, II et V.

(٢) Gilson, L'Esprit de lo philosophie médiévale, t. I, pp. 65 — 85.

(٣) مدكور ، الرسالة ، العدد ١٦٨ ص ١٥٢٧

(٤) Gilson, Archives, t. IV, p. 74. انظر الرسالة أيضاً (١٦٨) ص ١٥٢٤

(٥) Carra de Vaux, Les penseurs de l'Islam, t. IV, p. 73.

(١) Madkour, Le place d'al Fârâbî, pp. 206 — 209.

(٢) Madkour, La place d'al Fârâbî, pp. 208 — 209

(٣) نشير هنا إلى بحث عالجناه من قبـل ؛ وربما وفقنا لنشره على صفحات الرسالة

(٤) Spinoga, Ethique, II ch. 7.

حبا صادقا . وهـذا هو الحب الفلسفى الذى يتغنى به اسپينوزا ، ويرى فيه لذة لاتنقطع وغبطة تجل عن الوصف (١)

الآن وقد تتبعنا نظرية السعادة الفارابية منذ نشأتها الى أن أسلمناها الى العصور الحديثة نستطيع أن نقرر أن المشائين من العرب أثروا فيمن جاء بعدهم تأثيرا واضحا . فأفاد منهم مفكرو الاسلام لا فرق بين متطرفيهم ومعتدليهم فى نواح كثيرة ، وإن تحاملوا عليهم وحاربوا معظم نظرياتهم . وأخذ عنهم رجال الفلسفة المدرسية من يهود ومسيحيين كثيرا من آرائهم وأفكارهم . ولم يقف أثرهم عند القرون الوسطى بل تعداها الى العصور الحديثة ، وقد أوضحنا فيما سلف وجوه الشبه بين بعض النظريات الفارابية والآراء الأسبينوزية ، نحن لا ندعى طبعا أن الفلسفة الاسلامية أثرت تأثيرا مباشرا فى رجال العصر الحديث وجماعة الديكارتيين بوجه خاص ؛ فان أحدا منهم لم يعرف العربية . ولـكن الأفكار الاسلامية نفذت اليهم ، فيما نعتقد ، عن طريقين : طريق اليهود وطريق المسيحيين ، ففيما كتب موسى بن ميمون مثلا أو سان توماس ما يحكى بعض الأبحاث الاسلامية . وإذا كانت الفلسفة الاسلامية نفسها لا تزال غامضة ومجهولة ، فبديهى أن يبقى أثرها فى طى الخفاء ، ولا سيما إذا كان هـذا الأثر متعلقا بناحية يزعم الناس أنها بمنأى عن التأثر . فقد شاع خطأ أن ديكارت يفصل فصلا تاما بين عهدين ، وأنه أب لفلسفة لا تحمل فى ثناياها شيئاً من آثار الفلسفات السابقة ، غير أن هذه الفواصل المزعومة بين العصور قد انمحت ، وهذه السدود المقـامة باطلاً بين مراحل التفكير الانسانى قد انهارت . وقد ثبت فعلاً أن ديكارت سبق الى كثير من أفكاره فى القرون الوسطى المسيحية ، كما أن مذهب ليبنتز مثلاً يقترب من الفلسفية المدرسية والاغريقية بقدر قربه من النظريات الديكارتية (٢) . فلم لا نحاول بدورنا أن نوازن بين شك ديكارت وشك الغزالى ؟ ولم لا نبحث عن أصل للتفرقة الاسبينوزية بين الذات والوجود عند الفارابى كما بحثنا عنه لدى كثير من الفلاسـفة المتقدمين ، إنا إن فعلنا خـدمنا القرون الوسطى والتاريخ الحديث ، وألقينا جزءاً من الضوء على طائفة كبيرة من النقط الغامضة ، وقمنا بقسطنا فى ربط الفلسـفة الاسلامية بسلسلة التفكير الانسانى

ولنا رجاء آخر ، وهو أن تتجه الجهود نحو العصور المتأخرة من تاريخ الثقافة الاسلاميـة ؛ فان ما كتب عنها لا يكاد يذكر ومعلوماتنا عنها محدودة للغاية . وقد حاول هورتن فى أبحاث متفرقة أن يوضح جانبها الفلسفى ؛ إلا أن أبحاثه غير ناضجة ، وهى أشبه ما يكون بمقدمات لدراسة كاملة لم تبـدأ بعد . وأما اللغة والتشريع والتوحيد والتصوف فلا تزال فى طى الـكتمان تماماً . ومن غريب المصادفات أن أحد قراء (الرسالة) بعث إلينا ، ونحن نكتب هذه الـكلمة ، مستفسراً عن بعض أبيات للصوفيـة المتأخرين . فالجمهور المثقف يشعر إذن بهذا النقص ويشاركنا فى الشكوى منـه ، وعل أغمض شىء فى هذا الدور حقيقة هو تاريخ التصوف على الرغم مما فيـه من طرافة ، وما له من أهمية اجتماعية وفلسفيـة . نحن لا ننكر أن عصور الظلام ثقيلة على النفس وليس فيها شىء كثير يجتذب الباحث أو القارىء ، هذا إلى قلة مصادرها وتعـذر السير فيها والاهتداء الى معالمها . بيد أن ربط حاضرنا بماضينا يسـتلزم أن نجلى غامضها وندرسها دراسة كافية .

ابراهيم بيومى مدكور

(١) Bréhier, Hist. de la philos. t. II 159

(٢) Blanchet, Les antécedénts hist. du « Je pense done je suis Paris, 1920.

## تصويب

جاء فى مقال الدكتور المنشور فى العـدد الماضى ص ١٦٥٤ « وإذا كان الغزالى هو أكبر خليفة لأبى موسى الأشعرى » وهو سهو قلمى ، والصواب : « أبو الحسن الأشعرى » كما لا يخفى

في الأدب المقارن

# الطبيعـــة

## في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخرى أبو السعود

الطبيعة إلف الشاعر الحميم ، وتوأم روحه ، ومرتع فكره ومتاع بصره ، ومهبط وحيه ، ومعاهد متعاته وذكرياته ، إلى ظلالها يسكن ، وبين محاسنها يهيم ، وعندها ينفض أوشاب العيش ويطرح أعباءه ، ويستريح فكره الذى أنضاه التعب ، ونفسه التى أضجرتها معاشرة الناس ، وتتهادى إليه عذارى الشعر طائعة ، وتسلس إليه شوارد الأفكار مقادها ، ويظل يلتفت إلى ماضى أوقاته بين مباهجها بحنين عذب ، ويأمل معاودتها بقلب شيق ؛ فلا غرو يكون للطبيعة فى نفس الشاعر المطبوع مكان أثير ، وفى أدب الأمة الراقية منزلة رفيعة

وقد نالت الطبيعة لدى أدباء الانجليزية فى أغلب عصورها هذه المكانة التى هى بها جديرة : فعكفوا جيلاً بعد جيل وأديباً إثر أديب على وصف مظاهرها وعبادة مفاتنها ، وملأوا جانباً كبيراً من نظمهم ونثرهم بأوصاف الوديان اليانعة ، والربى الحالية والأمواه الجارية ، والأطيار الصادحة والافلاك الدائبة والغيوث الساجمة ، ووصفوا الطبيعة فى حالى رضاها وغضبها ، وابترادها ودفئها ، واكتسائها وعريها

وتوسلوا للتعبير عن فرط هيامهم بمحاسنها المتجددة بشتى الوسائل : فبثوا أوصافها فى رواياتهم الشعرية وقصصهم النثرية ، كما فعل شكسبير وهاردى ، وطاروا على أجنحة الخيال إلى الوديان السحرية ، والغابات المجهولة ، والشواطئ النائية ، يرصعون كل أولئك ببدائع الأوصاف ونفثات العواطف ، وعبادة الجمال الطبيعى ، متخذين مسرحا لكل ذلك خرافات الأقدمين كما كان يفعل سبنسر وكولردج وتنيسون وبروننج ، أو جنات الفردوس كما فعل ملتون

ومن أولئك الشعراء من يدينون بخلودهم لأوصافهم الطبيعية الرائعة ، وقلما يهتم أحد اليوم لما نظموه فى النسيب أو الاجتماع أو السياسة ، مثل تنيسون ، بل منهم من لم يكد يؤثر عنه قول فى غير الطبيعة ، أو تخلو قصيدة له من أثر لها ، مثل وردزورث.

ولا غرو فالطبيعة مادة الشعر وصميمه ، ولربما عَرَضَ فى القصيدة قد نُظِمَتْ فى أى غرض كان بيتٌ أو بيتان يحويان وصفاً طبيعياً بديعاً ، فاذا هما يرفعان من قدرها ويحببانها إلى النفوس ويكونان سبب اشتهارها وسيرورتها

ولا ندحة عن القول بأن الطبيعة لم تنل هذه الرعاية ولم تحتل هذه المكانة فى الأدب العربى ، ففى العربية لا ريب أوصاف طبيعية بالغة غاية الجودة ، ولكنها قليلة إذا قيست بنظائرها فى الانجليزية ، قليلة إذا قيست بما نظم أو نثر فى العربية ذاتها فى غير الطبيعة من أغراض ، فليس ما قيل فى وصف جمال الطبيعة يبالغ عشر معشار ما قيل فى التشبيب بالجمال الانسانى ، ولم يُعرف من شعراء العربية من قَصَرَ شعره على التغنى بمباهج الطبيعة ، وإن منهم لَمَنْ قَصَرَ قوله على النسيب بهند وليلى وأترابهما

وقلما جاءت أوصاف محاسن الطبيعة مقصودة لذاتها مستقلة بنفسها فى قصيدة أو رسالة ، بل كان ذكرها غالباً يأتى عرضاً كأنها غير جديرة وحدها بالتفات الشاعر وتكلفه عناء النظم ، وكانت تستعار مظاهرها وأحوالها لبيان أغراض أخرى عن طريق التشبيه تُرَصَّعُ القصيدةُ بفنونه ، وجاء أصحاب المجموعات الشعرية الذين اختاروا صفوة أشعار العرب فى أقوى عصور الأدب ، كأبى تمام والمفضل الضبى ، فما أفردوا للطبيعة باباً من أبواب مختاراتهم ، وإنها لأجدر بالصدر

وكان فحول الشعراء ينصرفون عن وصف محاسن الطبيعة التى تكتنفهم ، ومفاتن الجنات الزاهية التى كانت مهاد الدولة الاسلامية ، بمروجها وأنهارها وجبالها وأجوائها ، إلى وصف قصور الأمراء وحدائقها ونافوراتها وبركها الصناعية ، فالبحترى يعرض ببصره عن جبال لبنان الفاتنة متجهاً إلى مقاصير ابن خاقان :

تلفتُّ من عليا دمشق ودوننا ... للبنان هضب كالغمام المعلق
إلى الحيرة البيضاء فالكرخ بعدما ... ذممت مقامى بين بصرى وجلق
رباع من الفتح بن خاقان لم تزل ... غنى لعديم أو فكاكا لمرهق

ولابن المعتز وابن حمديس وابن خفاجة شهرة بوصف الطبيعة ،

ولـكن كثيراً من أشعارهم يتسم بالفتور ويصطبغ بالصـنعة وترين عليه مسحة التكلف والتظرف ، وتنقصه حرارة الهيام بالطبيعة والامتزاج بروحها والنفاذ إلى خفى معانيها وأسرارها ، وتجرى فى أشعارهم تشبيهات تـكررت حتى مُلَّت : فالأصيل ذهب والحصباء در والنسيم ينسج من المـاء درعاً ، ويُفسد الـكثيرَ من تلك الأشـعار الحرصُ على حسن التعليل كقول ابن حمديس فى نهر :

جريح بأطراف الحصى كلما جرى   عليها شكا أوجاعه بخريره

فشتان بين خرير النهر الحى المتدفع وبين الجراح والشكوى والأوجاع ، وأمثال هذا القول تدل على شعور زائف وملاحظة سطحية

وبعض أولئك الشعراء إذا استهزتهم فتنـة الطبيعة وصفاء الأوان ، نظموا فى ذاك أبياتاً شـفعوها للتو بدعوة لصديق أو عشيق أو نديم يناشدونه أن يتحفهم برفقته ويعجل لهم بالراح والأوتار ، فالبحترى بعد أن تأنق فى وصف الربيع قال :

فما يحبس الراح التى أنت خلها ؟   وما يمنع الأوتار أن تترنما ؟

وغيره يقول :

ولـما حللنا منزلاً طله الندى   أنيقاً وبستاناً من النور حاليا

أجد لنا طيب المقام وحسـنه   منى فتمنينا فـكنت الأمانيا

ولا يدل هذا على كبير شغف بالطبيعة أو حسن فهم لجمالها ، وليس بمشغوف بالطبيعة ولا فاهم لأسرارها من لا تـكفيه مفاتنها السافرة حتى يستمين لا كمال سروره بالسَّمَر والغزل والغناء والسكر ، وإن أحب ما تـكون الطبيعة إلى عاشـقها الصادق لحينَ يصحبها وحيداً ، فهو يرى مفاتنها خير رفقـة له وخير مؤانس لمهجته

وقد حظى الربيع دون غيره من الفصول بالتفات شـعراء العربية ، كأن الربيع وحده هو فصل الجمال والصفاء والحبور ، وبقية الفصول أوانٌ لـكسب الرزق واحتمال قبح الحياة ، كما قال الطائى :

دنيا معاش للورى حتى إذا   جاء الربيع فإنما هى منظر

ولو درى لعلم أن هذه الدنيا منظر لمن شاء أن يرى ويشعر فى كل الفصول وفى جميع حالاتها ومظاهرها ، وإن للشتاء لروائعه وجاذبيته كما للربيع ، وإن جميع مجالى الطبيعة وأشكالها لمسارح للب الشاعر ومجالات لفنه وتصوره ، وقد تغنى شعراء الانجليزية بفتنة الخريف كما ترنموا بسحر الربيع ، واستجاشهم غضب اليم وتجهُّم الأفق كما استهواهم صفاؤهما ووداعتهما

ومن شعراء العربية من يضيق باعهم فى وصف الطبيعة قبل أن يقولوا فى المنظر المجلو أمامهم أبياتاً ، ويدركهم العجز والاحالة فيسبحون بقدرة البارىء ووحدانيته ، كما قال النواسى :

على قضب الزبرجد شاهدات   بأن الله ليس له شريك

وقول أبى تمـام :

صبغُ الذى لولا بدائع لطفه   ما عاد أخضر بعد إذ هو أصفر

فقدرة الخالق أمر لا شك فيـه ، والاشارة إليها فى هـذه المواقف سذاجة فى القول والتواء فى استرسال الفكر ، وهرب من مواصلة التأمل والوصف ، والموقف موقف استمتاع بالجمال وتصوير له ، لا موقف وعظ وخشوع . وازن هذين البيتين بقول تنيسون فى زهرة ضئيلة : « أيتها الزهرة النامية بين شقوق الجدار ، ها قد انتزعتـك أناملى ، وها أنت كلك محمولة فى كفى ، بيد أنى لو استطعت استكناه سرك لعرفتُ سر الله والانسان جميعاً » فهذا شاعر يفكر ويتأمل ويتوق إلى المعرفة ، وذانك شاعران يسلمان تسليم العجز ، فلا أجادا التصوير ولا استرسلا فى التفكير

فأغلب شعر الطبيعة فى العربية — على قلته — تنقصه حرارة الشغف بها وطول مصاحبتها وممازجتها روحا بروح ، وإدمان التأمل فى محاسنها ومحاولة النفاذ إلى معانيها ، وصدق التعبير عن وحيها ودقة الوصف لمجاليها المتعددة ، وظلَّ الالتفاتُ إليها دائما ثانويا ، والانتباه إليها عرضيا ، والأُنس بها وقتيا وشيك الزوال

بل كان من فحول العربية من كأن بينهم وبين الطبيعة حجاباً كثيفاً ، فندر أن أعاروها بالا ، ولم يقع ذكرها فى شعرهم ونثرهم ، إلا وقوع الغلط ، كالمتنبى والشريف الرضى ، برغم كثرة أسفار الأول بين العواصم والفلوات ، وقد صرف الـكُتَّاب صناعتهم إلى كثير من وجوه البيان ، فلم يختصوا الطبيعة بكبير عناية ، وتوخى بديع الزمان فى مقاماته أن يضرب فى كل ناحية من نواحى القول بسهم ، ليبدى براعته للقارئين ، إلا الطبيعة فإنها لم تفز منه بالتفات

فالعربية تكاد تقفر من الوصف الطبيعى السامى المقصود لذاته ، لولا شاعر فرد هو ابن الرومى الذى تنطق أشعاره بحب للطبيعة عميق ، وانجذاب لسحرها لا يدافع ، ونظر فى محاسنها وأغوارها نافذ ، وقد أنشأ لوصف مختلف مظاهرها قصائد كثيرة ، أودعها خير ما فى العربية من وصف الجنان والفلوات ، والأصائل والأسحار ، والغيم والمطر ، والطير والوحش ، وشعره فى كل هذا يضارع أسمى ما فى الشعر الانجليزى

وضآلة حظ الطبيعة فى الأدب العربى راجعـة إلى عوامل متتابعة توالت على الأدب فى مختلف عصوره ، فحالت دون أن يكون ترجماناً صادقاً مبيناً لشعور أصحابه فى هـذا الباب ، وهى أولاً بداوة العرب فى أول تاريخهم ، وثانياً تـكسب الشـعراء بشعرهم فى عهد الحضارة والدولة ، وثالثاً شدة محافظتهم وتقليدهم للمتقدمين ، وأخيراً تغلب الصنعة اللفظية فى عهد تدهور الأدب

فوصف محاسن الطبيعة وآثارها فى النفس وصفاً مسهباً محكماً مقصوداً لذاته عمل فنى لا يتأتى إلا باعمال الفكر ورياضة النظم ، وهو مالا يتيسر فى عهد البداوة ، فضلاً عن أن المناظر الصحراوية واحدة متكررة صارمة لا تحفز إلى التصوير الشعرى المسهب كما تحفز إلى التأمل فى الخالق ورهبته وحكمة صنعه ، وقد ظلت هذه النزعة الدينية التى بثتها البادية فى نفوس العرب ، وكانت التنشئة الدينية فى العصور التالية تنميها فيهم منذ الصغر ، مصاحبة لهم فيما بعـد ، تغلـبهم على الاستمتاع بروائع الجمال الطبيعى وآيات الفن الانسانى ، فترى شاعرهم إذا وقف بمنظر فتان أو أثر خلـّفه القدماء فسرعان ما ينصرف عما ثمت من معانى الجمال أو القوة إلى التسليم بعظمة الخالق وضعف المخلوق وفناء الأفلاك وسقوط الجبابرة ، وقد سبق التمثيل لشىء من ذلك ، والبحترى يقول :

أناة أيهـا الفلك المدار    أنهب ما تصرف أم جُبار ؟
ستَـفنى مثل ما تُفنى وتَبـلى    كما تُبلى فيدرك منـــك ثار

ولـما تحضر العرب وشاهـدوا الأقطار الواسعة ونعموا فى الجنات اليانعة ، ودخل أدبهم فى طور الثقافة والصناعة الفنية ، ظهرت آثار الوصف الطبيعى فى بعض أشعارهم ، ولـكنها كانت قليلة كما تقدم ، وعمهت عيون أكثر الشعراء عن محاسن الطبيعة وأسرارها فى غمار المدينة ، حيث تكأكأوا متزاحمين على عطايا الأمراء ، وزهدهم فى وصف المناظر الطبيعية قلة ما ورد منها فى شعر المتقدمين الذين كانوا يترسمون خطاهم ، حتى إذا كان عهد الاضمحلال الأدبى غلب التظرُّف واصطناع الرقة والنكتة اللفظية على الشعر ففقد كل روح وحرارة

أما الأدب الانجليزى فلم يخنقه جو المدينة أو يرهقه تقليد القدماء إلا فى عصر محدود ما لبث أن بددته النهضة الرومانسية التى كانت فى جوهرها عودةً الى الطبيعة أى الى الشعر الصحيح وبين النقاد المحدثين من يأبى قبول مانظمه أقطاب العهد الكلاسى فى عداد الشعر الصحيح ، وفيما عدا ذلك العهد كانت الطبيعة دائما قبلة الشعراء شَغَفَهم بها حباً أمران : تعدُّدُ مجاليها وتتابع تقلباتها واختلاف صورها فى بلادهم ، ودراستهم للشعر الاغريقى الحافل بالصور الطبيعية ، ويتجلى أثر هـذا العامل الأخير فى المقطوعة التى نظمها كيتس معبراً عن شديد حبوره وبالغ متعته عقب قراءة ترجمة الالياذة

بيـد أن اللغة العربية ذاتها حافلة بالأسماء والأوصاف لشتى مظاهر الطبيعة وآثارها ، وحالاتها وأوقاتها ، غنية بكل مايحتاج اليه الأديب القـدير لينقل على القرطاس أىّ المناظر الطبيعية شاء ، نقل المصور الصناع ، وهنا أيضاً يبـدو لنا التفاوت بين مقدرة اللغة واستعدادها ، وتقصير أدباء العربية فى عهد ازدهار الحضارة دون كثير من غايات الأدب

فخرى أبو السعود

# فى الخطـــابة

## للأستاذ عبد المجيد نافع

كانت الخطابة ولا تزال من أقوى وسائل الاقناع ، وهى أفعل فى النفوس من الكتابة ؛ وشتان بين الكلام الحى والكلمات الجامدة ؛ وإذا كان الكاتب يعرض عقله ومنطقه فان الخطيب يبلغ موضع الاقناع من نفوس السامعين بروحه ، ويطبعهم بطابع شخصيته . ولا شك أن لروح الاجتماع أثرها فى النفوس ، فقد فرغ علماء النفس من تقرير أن الفرد فى الجماعة أشد قابلية للتأثر ، وأعظم اندفاعا فى طريق الحماسة ، ولذلك ترى بعض الناس إذا خلوا إلى أنفسهم ، وتخلصوا من حماسة الجماعة فقرأوا فى هدوء الخطب التى سبق لهم سماعها عجبوا كيف كان لهذا الكلام العادى المبتذل كل هذا الأثر البليغ فى نفوسهم . ولا تنس أن للبيئة والظروف المحيطة والذكريات المثارة أثرها الفعال فى النفوس . وليس من يمارى فى أن المرحوم سعد باشا كان فى طليعة الخطباء ؛ شخصية بارزة ، وذهنية خصبة ، وعقلية جبارة ، وبديهة حاضرة ، ولفظ مختار ، وقدرة على الارتجال لا تجارى ولا تبارى ، ولكن لا تعتقد أن هذه المواهب مجتمعة كانت هى وحدها العناصر المؤلفة لشخصية « سعد الخطيب » . وإنما كان سعد إذا نهض يخطب نهضت معه الذكريات ، وتراءت حوله المثل الوطنية العليا . كان سعد إذا خطب ثارت أمام الخواطر ذكريات مالطة ، وسيشيل ، وجبل طارق ؛ والحرية المسلوبة ، والاستقلال المغصوب ، والضحايا والشهداء الذين بذلوا أرواحهم وأراقوا دماءهم فى سبيل الحرية والاستقلال . والخطب الخالدة فى التاريخ التى ألقاها عظماء الرجال تستمد قوتها وخلودها من عظمة شخصياتهم ورهبة المواقف التى كانوا يقفونها ، أكثر مما تستمد هذه القوة وذلك الخلود من قيمتها الذاتية . ولو أنك عرضتها على محك النقد الصادق ، وحللتها فى ضوء المنطق والمعقول ، لوجدت أنها لا تكاد تجاوز دائرة غيرها من الخطب المألوفة . وإنما أثار طارق بن زياد الحمية فى نفوس جنوده حين أهاب بهم : « العدو أمامكم والبحر وراءكم ... » لا بجمال الصورة وروعة التمثيل وحدهما ، وإنما أثارها بشخصيته العظيمة ، والموقف التاريخى الذى كان يقفه . وإذ هتف نابليون فى جنود حملة ايطاليا غداة المعركة التى اشتبك فيها مع جنود النمسا فسحقهم فى سهول لومبارديا : « إن الحكومة مدينة لكم بالشىء الكثير ، ولكنها لا تستطيع أن توفيكم حقوقكم ، واليوم ترون أمامكم الثراء والمجد » . نقول إن روح نابليون وموقف الجند هما اللذان أضرما فى نفوسهم جذوة الحماسة أكثر مما أججتها كلمات نابليون . والزعيم الشاب مصطفى كامل حين أرسل الصيحة الخالدة : « بلادى ! بلادى ! لك حبى وفؤادى » تغلغلت فى نفوس المصريين ، لأنها خرجت من أعماق نفس وطنية مخلصة ، ونفذت إلى أعماق قلوب تؤمن بالحرية وتدين بالاستقلال . وإن نظريتنا لتصبح بمأمن من كل معارضة ، وبنجوة من أى نقد ، إذا ذكرت أن الخطيب العظيم يُسمع ولا يقرأ ، وأن الخطب الخالدة فى التاريخ لا تكاد ترتفع فوق المستوى العادى

كان للخطابة فى الماضى شأن أى شأن ، فقد ثلت عروشا ودكت دعائم ممالك ، وأقامت عروشا وممالك مكانها ، ونصرت أقواماً وخذلت آخرين ، وقبرت دعوات وبعثت أخرى ، ودفنت مبادئ وأحيت غيرها . وإنما تبلغ الخطابة شأوها وتصل إلى أوج مجدها إبان الثورات والفورات والهبات والانقلابات والفتن السياسية والاجتماعية وأطوار التحول والانتقال . ذلك بأن غليان النفوس وثورة الأفكار يجعل الناس كالهشيم اليابس الذى تكفى شرارة واحدة لاضرام النار فيه ، وإذا كان هذا هو شأن الخطابة فى الماضى فلا شك أن شأنها قد ارتفع ، وأثرها قد تضاعف فى عصر الديمقراطية الحديث

وفى الواقع أن الخطابة أقوى أداة من أدوات النضال السياسى والتطاحن الحزبى ، وكل حزب بحاجة إلى بث دعوته وترويج سياسته ، والهتاف بمبادئه ، وكسب الأنصار واجتذاب الأشياع . وهو يتوجه إلى جمهور متباين العقليات مختلف المشارب والمشاعر ، جم النازع والأهواء ، فلا مندوحة للخطيب عن قوة الشخصية وسحر البلاغة ، والالمام بنفسية الجماعات لبلوغ مكان الاقناع من نفوسهم . ولا بد للدعوة ، سواء أكانت

سياسية أم اجتماعية أن تبلغ الكوخ والقصر ، وتصل إلى أدنى الطبقات وأسماها . والديمقراطية الحديثة أتاحت لكل رجل مهما كانت الطبقة التي نبت فيها ، والبيئة التي نشأ بين أحضانها أن يصل بمواهبه وكفايته وملكته وجهوده إلى أسمى مناصب الدولة ، وهو إنما يتخذ من أكتاف الجماهير سلما يصعد عليه إلى قمة السلطة وذروة المجد . أرأيت إلى لويد جورج وهتلر ومصطفى كمال وموسوليني كيف بلغوا مكان الزعامة من أقوامهم ، ومركز السلطان من شعوبهم ؟ ليس من ينكر أن الخطابة كانت أحد العناصر البارزة في تكوين نجاحهم . ولقد بات الكلام في الجماهير فناً يحرص الزعماء والقادة على اتقانه وتجويده ، وأضحى التعبير عن إجادة الكلام يدل دلالة صريحة على مبلغ القوة والسحر الكامنة في ثنايا الكلام الخلاب ، أو لا تذكر قول الرسول عليه صلوات الله وسلامه : « إن من البيان لسحرا » ؟ ثم ألا يسترعى نظرك تحولهم هذا من ملوك الكلام وذاك من أمراء البيان ؟ ولو أنك رحت تفتش في تاريخ معظم القابضين على زمام الشعوب والآخذين بأعنة السلطة القائمين على مصاير الأمم لوجدتهم من الخطباء المصاقع والمداره المقاويل . فالوزراء في انجلترا وألمانيا وفرنسا وايطاليا وغيرها من دول الغرب جلهم إن لم يكن كلهم من الخطباء المفوهين

بل لقد أصبحت الخطابة هي الوسيلة التي تسمو بصاحبها إلى أسمى مناصب الدولة ، وتبوئه مكان الزعامة من أمته ، حتى ضاق خصوم الخطباء بنفوذهم صدرا وتبرموا بتضخم سلطانهم ، فتراهم ينعون على الديمقراطية الحديثة طغيان حكومات المحامين عليهم

طغت موجة الخطابة على الأمم في العصر الحاضر حتى لترى بعضهم ينسب مصـــــدر المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الحاضرة إلى نقص في كفاية المتولين لزعامة الأمم الذين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بتزويق الكلام ، وتنميق العبارات . ولا يرى هذا البعض دواء لداء المدنية الغربية إلا بالعدول عن الاسترسال بالثقة إلى تجار الكلام ، وتفويض الأمور العامة إلى الفنيين من ذوى الكفايات

والمعارك الانتخابية هي الميدان الفسيح لتجلي المواهب الكلامية ، والملكات الخطابية . ولا بد من تعمق في درس نفسية الجماعات وتفهم ميول الجماهير لكفالة النجاح في ميدان النضال الانتخابي . ولذلك ترى بعض الخطباء لا يتورعون عن بذل الوعود والاسراف في العهود . بل إنك لترى بعض زعماء الأحزاب وقادة الهيئات لا تتراجع ضمائرهم أمام تصوير الخيالات حقائق والمستحيل ممكناً مستطاعاً . والنظام البرلماني الحديث يتطلب نجاح أكبر عدد ممكن من مرشحي الحزب الذي يخوض غمار المعركة الانتخابية لا نجاح فرد أو أفراد . فقد تعددت الأحزاب والهيئات في أمم الأرض جميعاً . وإذا كانت تختلف في البرامج والميول الشخصية ، فنجاح حزب من الأحزاب بالأغلبية في الانتخابات له أهميته وخطره . فاذا كانت التقاليد البرلمانية تقضى بأن الأغلبية هي التي تتسلم مقاليد السلطة ، وتتولى زمام الحكم ، وتوجه السياسة العامة ، فنجاح هذا الحزب أو ذاك في الانتخابات له أهميته لأنه يدل على طريقة الحكم ، وأسلوب إدارة شؤون الأمة ، والطابع الذي تطبع به سياسة الدولة . وليس يستوى أن يكون على رأس الأحكام في انجلترا حزب المحافظين ، أو حزب الأحرار ، أو حزب العمال ، فلكل حزب أسلوبه في الحكم ومبدؤه في السياسة العامة . كذلك ليس من الظواهر التي لا تسترعى النظر أن يكون على رأس الحكومة الفرنسية المسيو ليون بلوم أو المسيو بيير لافال

ودور النيابة هي ميدان يتبارى فيه الخطباء السياسيون كل يحاول كسب الأصوات وجذب الأنصار إلى جانبه ، وإذا كان أحد البارزين في مجلس العموم البريطاني قد قال : « إن الخطب البرلمانية تغير رأيي ولكنها لا تغير صوتي » ، فلا يمنع أن للخطابة شأنا أي شأن في مجالس النواب . أو لم يكن كليمنصو يسقط وزارة بخطبة حتى لقبه مواطنوه الفرنسيون بالنمر وأسموه « هدام الوزارات » ؟ أوليس ينقذ سفينة الوزارة من الغرق خطبة من تلكم الخطب الخالدة الموفقة ؟ أرأيت كيف أن بريان يوم ضيق عليه خصومه الخناق واستجوبوه في مجلس النواب عن تصرفه إزاء العمال المضربين حين أنذرهم بالتجنيد إن لم يكفوا عن الاضراب ، نقول أرأيت كيف أن بريان انتزع تصفيق المجلس وحصل على قرار الثقة بوزارته حين لوح بيده صائحاً من أعماق نفسه : « هذه يدي فانظروا إن كانت تلطخها قطرة من الدماء ! »

وهل من يجادل فى أن القادة فى المجالس النيابيـة يتجاذبون الأغلبية ، ويبذلون الجهود الجبارة لانحياز الأنصار إلى صفوفهم ؟ بل إن غزو السلطة والتنازع على الحكم وشهوة السلطان ، لتهدد فى بعض الأمم بالتقلقل الوزارى ، والخطابة بلا ريب ، سلاح من أسلحة النضال

ولا تستطيع المعارضة أن تؤدى واجبها فى النقـد البرىء النزيه حيال الأغلبية القابضة على زمام السلطة إلا بالكلام . بل لا يستطيع أى مجلس نيابى أن يقوم بواجبه المقدس فى الاشراف والهيمنـة على السلطة التنفيذية بغير الخطب الداوية . صحيح أن خطباء المجالس لا ينبغى لهم أن يحرصوا فى خطبهم البرلمـانية على ارضاء الجماهير وتملق شعور الجماعات ، وإنمـا لا بد لهم من الكلام المستمد من الشعور ومن الدرس العميق ومن مصلحة البلد ليؤدوا أمانة النيابة عن الأمة . لقد كان خصوم لامرتين يتهمونه ظلماً بأنه « يتكلم من النـافذة » : أى يرى بخطبه البرلمانية الى إسماع صوته للجماهير خارج المجلس . ولـكن الرجل كان بريئاً مما افتروا عليه ، وإنما كان حراً فى عقيدته ، مستقلاً فى رأيه ، غير فان فى شخصية أحد ، ولا واقع تحت سلطان حزب من الأحزاب ؛ ولذلك كنت تراه تارة يؤيد بيتر ، وطوراً يؤيد جيزو على بعد الشقة بين السياستين ، ولم يكن يأخذ عليه المنصفون شيئاً لأن الرجل جعل قبلته الحق ومصلحة الوطن

وإذا كانت الخطابة سلاح المعارضة فى الهجوم ، فهى كذلك سلاح الأغلبية فى الدفاع ؛ وليس أمتع من قراءة الخطب التى يلقيها مصاقع الخطباء البرلمـانيين فى الغرب كرًّا وفرًّا وهجوما ودفاعا ، ناهيك بسماعها ! وهل أروع وأبدع من قراءة خطب بت وفوكس ودزرائيلى وجلادستون ولويدجورج وبريان وڤيڤيانى وجوريس ؟ كان عام ١٩٠٦ أول عهد كليمنصو بالدخول فى الوزارة ؛ ولطالمـا مزق النمر الفرنسى وهو فى المعارضة خصومه تمزيقا ؛ وأصبح وزيراً للداخلية وأمست سياسـته حيال العمال المضربين هدفاً يصوب اليه الحملات جماعة الاشترا كيين ، وعلى رأسهم جوريس ، وجوريس مدره مفوه ؛ بل لقد ذهب بعض المؤرخين الى اعتباره أعظم خطيب فى القرن التاسع عشر فى أوربا بأسرها . ووقف كليمنصو فى وجه العاصفة الاشترا كية لا يجد الروع سبيلاً الى قلبـه . ثم صاح صيحته : « لقد لمست فى الحال أن الحملة تنطوى على الرغبة فى ذبحى على مذبح الاشترا كية ، لـكن وا أسفاه ! فانى لست من تلك الضحايا المستسلمة ، المستعدة لتقديم أعناقها البريئـة طائعة الى سكين القصاب . إنى لأقاوم وأقاتل . إنى لأصيح وأتمرد ، وما حفزنى الى اعتـلاء المنبر إلا الرغبة فى إرسال صيحة الاحتجاج »

والمؤتمرات السياسية وغيرها هى الأخرى مجال فسيح لظهور المواهب الخطابية

على أنى أحب ألا يفهم أن قولى ينصب على الخطابة السياسية ، والخطابة السياسية وحدها ، فى دور القضاء تتجلى الخطابة القضائية ؛ وترى بين المحامين وأصحاب الدعوى العمومية والجالسين فى كراسى الاتهام الخطباء المصاقع وأمراء الكلام ، لـكن لا ينبغى أن ننسى أن لون البلاغة السياسية يفترق عن لون البلاغة القضائية وإن كانا يتفقان فى الغاية وهى الوصول الى مكان الاقناع من النفوس . ومن الطبيعى أن تختلف هذه عن تلك ، فالجمهور غير الجمهور والبيئـة ليست هذه البيئة . وفارق بعيد بين أن تخاطب قضاة مرنوا على سماع مختلف الكلام حتى لا يخدعوا بالمزوق المنمق منه وبين جمهور محدود المواهب والملـكات . وشتان بين موقف محام درس ملف قضيتـه وتأهب للرد على كافة حجج الخصوم ، واستمد تمام الاستعداد لدفع اعتراضاتهم ، وبين خطيب برلمـانى أمامه خصوم ومنافسون ، وتنهال عليه الاعتراضات والمقاطعات من كل جانب . ومهما يكن من شىء فالبلاغة هى البلاغة ، وسحر البيان هو سحر البيان ، ولا بد من التدرع بالبديهـة الحاضرة والتذرع بالدرس العميق وعدم الاعتماد على شقشقة الكلام

ولا نرى مندوحة عن أن ندرج المحاضرات العامة تحت كلمة الخطابة فالمراد هو الكلام فى الجماهير

ولم يخل عصر من العصور من الخطباء المصاقع الذين يملـكون أعنة البلاغة . فلقد عرفت جزيرة العرب خطباء مفوهين من أمثال قس بن ساعدة الأيادى ، وعلى بن أبى طالب ، وزياد بن أبيـه ، والحجاج الثقفى ، وسحبان وائل ، وغيرهم وغيرهم . وديموستين اليونانى أبقى على الأيام من الأيام ، وشيشرون الرومانى

# الثمرة الأولى لثورة فلسطين

## للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لم تعد قضية فلسطين خافية على أحد

فلقد امتلأت الأجواء بضجيج الأمواج اللاسلكية حاملة على أجنحتها أخبار فلسطين وأنباءها ، وأصبحت ثورتها حديث الناس فى مجتمعاتهم وأنديتهم ومجالسهم ، حازت إعجابهم إعجاباً أحاطه عطف وشعور وإشفاق . وقال الناس للناس : ألم تروْا كيف عرف عرب فلسطين طريق الحياة فشقوها ، وقاموا بالمعجزات فى نهضتهم ، وضربوا المثل الأعلى فى التضحية ، ودقوا باب الحرية باليد المضرجة ، فأعلنوا سخطهم على سياسة الانتداب بالاضراب العام الشامل والاضطراب ؛ وقد مر عليهما ما يقرب من ستة أشهر ، وهم معطلون أشغالهم ومصالحهم ، ثائرون فى سبيل قضية إنسانية عادلة — قضية الدفاع عن الكيان — ناقمون على من يريد إذلالهم وإخضاعهم ، عازمون على مواصلة الكفاح ، الى أن يحق الله الحق ، والى أن ترجع بريطانيا عن نواياها نحو بلادهم

لفتت قضية فلسطين أنظار العالم ، وتطلع إليها ، فشملها المسلمون بعطفهم والعرب بتأييدهم ، وامتلأت نفوسهم آلاماً لما أصاب عرب الأرض المقدسة

وقاموا متضافرين غاضبين من أجلهم يناصرونهم ويدعون الى إنصافهم ومساعدتهم ، وعقدوا الخناصر على صيانة فلسطين وحفظها ، فقويت الأواصر بينها وبين البلاد المحيطة بها ، وتوثقت العُرى واشتبكت الوشائج ، وتعهد ملوك العرب وأمراؤهم ورجالات الاسلام بقضية فلسطين تعهداً يرفع عنها الظلم النازل بها ويضمن لها كيانها العربى ويدفع عنها أى اعتداء على مقدساتها ، تعهداً أخرج فلسطين من حيزها الضيق الى حيز العالم العربى ، فأصبحت بذلك جزءاً من القضية العربية الكبرى وعاملاً من عوامل السلام فى الشرق العربى

هذه هى الثمرة الأولى التى جنتها فلسطين من ثورتها وغضبتها وما كان لهذه الثورة أن تثمر هذه الأثمار لولا خاصيتان امتازت بهما على غيرها من الثورات :

الأولى أنها امتازت بالشمول ، إذ اشترك فيها جميع الطبقات كل بحسب دائرة اختصاصه ، ولم يحن الوقت لتفصيل ذلك ، ولولا هذه الخاصية لما كانت حركة فلسطين على ما هى عليه من القوة والعزيمة والمضاء

والثانية أنها امتازت بالسموّ ، وهذه الخاصية هى التى أكسبت الثورة روعتها وجلالها وقدسيتها وجعلتها محل إكبار الشعوب وموضع دهشتهم . فقدسمت النفوس وبعدت عن الأهواء والغايات الشخصية واعتنقت مبادئ الثورة المقدسة ، فاذا العربى فى فلسطين يسمو بنفسه ويرتفع بها إلى العلاء ، وإذا هو فى جوّ من الروحانية نزع الأحقاد من الصدور وأحل الوئام محل الخصام ونشر ألوية المودة والمحبة والرغبة فى التعاون بين الناس

وإذا هو لا يرى فى سماء بلاده إلاّ أرواح الصحابة والصديقين والشهداء ، ولا يرى فى أرض بلاده إلاّ دماء هؤلاء مبثوثة بين ذرات التراب ، وإذا العرب فى فلسطين اليوم غيرهم بالأمس ، شغلهم الاخلاص وشغلهم حب الوطن فشغلوا العالم بما شغلهم وقالوا قولاً صريحاً إلى الأجيال لا غموض فيه ولا التواء :

لن تكون فلسطين وطنا قومياً لليهود

ولن يكون فى فلسطين وطنٌ قوميٌّ لليهود

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

---

أبقى على الزمن الباقى من الزمن . ثم ألا تزال صيحة ميرابو داوية يوم صاح فى وجه رسول الملك : « إذهب وقل لمولاك : إننا مجتمعون هنا بارادة الشعب ولا نخرج إلا بقوة السيوف ! » . ثم ألا يزال التاريخ يذكر صيحة نابليون وجنوده : « إن أربعين قرناً تشرف عليكم من سماء هذه الأهرام » . وأخيراً أو ليست خطبة طارق بن زياد خالدة على وجه الزمان حين جلجل بكلمة الحق وأهاب بجنوده : « العدو أمامكم والبحر وراءكم ... » فأقسموا أن يقاتلوا حتى تدين لهم بلاد الأندلس أو يموتوا دون الغاية

والآن نسأل : هل الخطابة ملكة أم اكتساب ، وموهبة أم مران ؟

ولكنا نرى أن قد امتد بنا نفس الكلام الى حد نخشى معه الملل فوعدنا معك الأسبوع القادم إن شاء الله

عبد المجيد نافع المحامى

# نهضـــة المرأة المصرية

## رسالة وجوابها

رسالة الآنسة أمينة

سيدى الأستاذ فليكس فارس : —

دفعنى إعجابى الشديد بمقالتكم فى « الرسالة » الى الأقدام على الكتابة لأقدم لكم خالص شكرى وشكر زميلاتى على ما تفضلتم به (على الجنس الضعيف) من نصائح ثمينة ، ودرس عميق فى سبيل رفع مستوى المرأة المصرية

ومع أننى يا سيدى أومن بكل كلة كتبتها تحت عنوان : «نهضة المرأة المصرية» وواثقة بأنكم درستم الموضوع من جميع نواحيه ، فانى أرجو أن تتفضلوا بالسماح لى أن أضيف مشهدين آخرين « هما مقتل الأمة ، وعلة دمارها » :

الفتاة المصرية الحديثة ضحية استبداد أهلها وضحيــة ضلال الرجل وغروره

المشهد الأول : أسرة مؤلفة من أب وأم وبنين وبنات ، ثقفت الفتاة منهن أحسن ثقافة ، وتحلت بأجل ما فى الأخلاق الغربية والشرقيــة ، وبعد ذلك تقبر فى بيت ذويها حيث تبقى مسلوبة الحرية ، الى أن يمن الله عليها بمن يخطبها من أهلها فتصبح زوجة لمجهول « نكرة ضمت الى نكرة ، فتبدأ المآسى . . . . » فهى فاقدة حرية التصرف فى مسألة اختيــار زوجها ، كما أنها مضطرة الى التسليم بمن يختار لها بعلاً كى تتخلص مما هى فيه من...

سيدى : إننى أشفق على نفسى وعليكم من ذكر بعض ماتتحمله الفتاة المصرية من آلام نفسـية ومادية وهى بين أهلها . فهى دائماً فى خلاف مستمر لـما بينها وبينهم من تفاوت فى العلم والتفكير والرقى ، وتعسة مع زوجها النكرة لـما بينها وبينه من تنافر الأخلاق والطباع . إن الأمة المصرية اليوم فى دور انتقال من القديم الى الجديد ، ومن الاستعباد الى الحرية فى حياتها السـياسية والعلمية والأخلاقية والنفسية ؛ ومن الصعب جداً التوفيق بين القديم والجديد ، ولا بد لـكل دور انتقال فى حياة الشعوب من ضحية — والفتاة المصرية اليوم هى ضحية هذا التطور

المشهد الثانى : ينقسم الشباب المصرى الى قسمين : قسم لا يفكر فى الزواج مطلقاً بل يفضل أن « يتلاق بالفتــاة التى تركها وهى مثقلة بالأوصاب من أن يعيش وإياها مستنيراً بأنوار شمس الله » . وقسم يتطلب فى الفتاة المستحيل من الـكمال والجمال والمال ، وأهمها المــال ، فيجعل نصب عينه الزواج كصفقة مالية فيبحث عنها أين كانت ؛ وزواج أساسه المــال هو بالطبع بدء حياة الشقاء للزوجين

أراك يا سيدى بالرغم من دفاعك عن المرأة ومعالجة مسألتها معالجة صحيحة قويمة تلومها لنزولها إلى ميدان العمل . اسمح لى يا سيدى أن أقول إن المرأة المصرية الحديثة لم تتمرد مطلقاً على وظيفتها الطبيعية . فانها بالرغم عن ثورة نساء العالم الغربى المتمدين ومطالبتهن بالمساواة فان المرأة المصرية ما زالت هادئة وادعة لا تهمها إلا شؤون بيتها وأولادها أو علمها وثقافتها — قانعة بكل ما يأتيها الزمان من سعادة أو شـقاء . تقول يا سيدى « إن المرأة المترجلة الضلول ليست هى من نرجو لأحياء الأسرة وخلق الأمة الحية » وأظنك تقصد بالمترجلة المرأة العاملة . إن المرأة يا سيدى لاتنزل إلى ميدان العمل إلا إذا ألزمتها الحاجة القصوى إلى ذلك . أؤكد ذلك باختبار شخصى كما أننى شاهدت حالات كثيرة كان الدافع فيها لخروج الفتاة إلى العمل الاضطرار

إن الفتاة المصرية هى الوحيدة التى لم تفقد أنوثتها ورقتها بالعمل ؛ فهى وإن اضطرت إلى العمل تحن دائماً إلى تكوين بيتها والاهتمام بزوج مخلص يعولهــا وإيجاد أطفال يصلحون لتكوين الأمة القوية أجساماً السليمة عقولاً

إنك ياسيدى تنكر على المرأة العمل ولـكنك إذا بحثت فى سبب ذلك تجد أن الرجل هو الذى دفعها إليه . فهو يهملها ، أى يضرب عن الزواج ، فتضطر إلى العمل لتمضية وقتها الطويل الممل ، أو لكسب عيشها ، وربما كانت تعول أسرة بأسرها . كل امرأة متهتكة أو عاملة هى صنيعة الرجل لأنه هو الذى حرمها العيش ومرر حياتها فدفعها إلى ما هى فيه من بؤس

وأخيراً تقول يا سيدى : « ليس كالمرأة من يصلح المرأة أو يفسدها ... » ونقول : « ليس كالرجل من يصلح المرأة

أو يفسدها . فهو بيده كل شيء . هو القادر أن يصونها فى بيته فتصير له زوجة صالحة شريكة حياته وأم أولاده . كما لو كان أباً أو أخاً يمكنه أن يعول ابنته أو أخته فيعاملها بحنو ومحبة حتى لا يضطرها إلى السعى وراء عيشها . الفتاة المصرية الحديثة وديعة وضعيفة جداً ، فهى تهاب العمل وتأباه ولا تلجأ إليه إلا مرغمة . تجد يا سيدى اليوم ألوفاً من الفتيات المصريات المتعلمات الراقيات قعيدات البيوت ؛ فماذا يفعلن وكيف يضعن ساعاتهن التى تبدو لهن أبدية ؟ ؟ لذا تجدهن حيارى لا يعرفن كيف يتصرفن ليكسبن قلب الرجل . فان هن اشتغلن قيل عنهن مسترجلات غير صالحات للزواج ، وإن هن مكثن فى منازلهن ذقن من أهلهن كل أنواع التقريع والهوان لأنهن بائرات . فكيف الحل وأين المصير ؟ »

عفواً يا سيدى ومعذرة ، فما دعانى الى كتابة هذا إلا يقينى من إخلاصكم فى سبيل الخير العام لخدمة المرأة المصرية الحديثة . وما هذه إلا نفثة من نفثات حارة مكتومة

(قصر الدوبارة) أمينة

## جواب الأستاذ فارس

سيدتى الآنسة الناهضة :

أشكر لك شكرك لما أدليت به من آراء فى مبحث المرأة ، وأعجب فيك بعاطفة تنير وفكر يحلل ما يراه ظلماً وارهاقاً . وقد حقّ على كل عربى يتوق إلى إحياء حضارته أن ينحنى إجلالاً أمام الرجولة فى خُلق فتاة قومه ، كما حقّ له أن يرد جموح الترجّل فى حياتها الاجتماعية

إن ما فاتنى ذكره فى مقالى (نهضة المرأة) من محن الفتاة المصرية خاصة والعربيــة عامة لم يفته إيلامى وإيلام كل مفكر وطنى لا تفتح الحياة جرحاً فى كيان قومه دون أن يشعر بذلك الجرح فى صميم فؤاده . وما اصطدام الفتاة بمن وبما حولها ، وتعارضُ حياتها وما استقرّ فيها من الحوافز شعوراً وتفكيراً إلا من أعمق هذه الجراح وأخطرها عاقبة وأصدقها إنذارا

إن ما تلفتيننى اليه ، أيتها الآنسة الفاضلة ، يتناول جزءا من بحث كامل فى حالة المرأة أوردته فى فصل (منابت الأطفال) فى كتاب رسالة المنبر إلى الشرق العربى ، ولكنت أكتفى بهذه الاشارة لولا أننى أعلم أن كل معضلة اجتماعية لها منافذها العديدة يتطلع اليها المفكرون كلٌ من موقفه الخاص ، فلا يمكن للحلول التى يوردها أى كاتب اجمالاً فى أية قضية اجتماعية أن تشمل جميع دقائقها وأنواعها ، لذلك رأيت من واجبى الوقوف معك أمام ما تبين لك من أعراض الداء لأحاول معالجته جهدى

إنك ترين أولاً أن الفتاة المصرية ضحية استبداد أهلها
فملامَ يمكن أن يقع الخلافُ بين فتاةٍ وأهلها ؟

إنه إن وقع على طُرق المعيشة فى البيت ، من حيث المأكل والملبس والرياش ، فلا أحسب الأهل معارضين ابنتهم فى كل تحسين تريد إدخاله ، إذا هى لم تتجاوز حدود طاقة العائل ، وليست المسألة فى هذا الأمر من قبيل اصطدام الجديد بالقديم ، بل هى مسألة تقدير بين ما يمكن الحصول عليه والطاقة المتوفرة . وللفتاة الرأى وليس لها الحكم فى هذا ، ولا أعتقد أن فى العالم آباء وأُمهات يضنون على فلذة أكبادهم بما يرونه ضرورياً . فاذا كان هنالك أبٌ يجود على نفسه ويحرم رعيته ، وهى وديعةُ الله بين يديه ، فمثل هذا الأب مسخٌ لا يصح أن يتخذ أساساً لبحثٍ اجتماعى

لقد لاح لك ، يا سيدتى ، أن سوء التفاهم ناشئٌ من التطور ، وأن الفتاة هى الضحية بين رقيها وجمود أهلها ، أما أنا فيلوح لى أن فى وصف كل قديم بالجمود ، ووصف كل جديد بالرقى على الاطلاق خطأ قد يكون هو السبب فى ازورار الأبناء عن الآباء فى هذا العصر وفى كل عصر ، فالحقيقة التى يقع الخلاف عليها إنما هى حقيقة لا دخل للقديم والجديد فيها ، لأن الحقيقة قد تكون فى أحدهما دون الآخر أو فى كليهما ، ولا يمكن للباحث أن يقف فى جنب الأبناء على كل حال آخذا برقيهم كبرهان على جمود آبائهم . وكثيراً ما تغتر الشبيبة بتطورها ، فاذا ما تحسبه رقياً نوعٌ من الهوس وضربٌ من الغرور . ويقينى أن ليس للفتاة من يعطف عليها عطف أمها وأبيها مهما بعدت بينها وبينهما شقة الثقافة والعلم . ومهما بلغ حب الفتاة لأبويها فانه يبقى دون حبهما لها ، ولكن قد يتلبس حب الأبوين بعقيدة لهما فى الحياة تختلف وعقيــدة الفتاة فيبدو لها هذا الحب بغضاً وتحكما

واستبداداً . فاذا كان العلم والتهذيب لم يرفعا بروح هذه الفتاة إلى مرتبة الرق الحقيقي ولم ينيلاها من النور ما تكشف به الظلام عن بصيرتها وبصائر من حولها أخذت بالظواهر فانقلبت ثائرة تطمح إلى إقناع أهلها بالعنف معتقدةً أن من حقها وقد تعلمت وجهلوا أن تصبح أماً لأبويها فلها الأمر وعليهم الطاعةُ العمياء

إن الفتاة التي لا يوصلها علمها وثقافتها إلى إقصاء الأوهام عن كل قديم وعن كل جديد ، وإلى الوقوف تجاه أهلها موقف من يحمل نوراً لا من يحمل ناراً ، لا تكون قد قطعت شوطاً بعيداً في مجال الثقافة الحق

إن في العالم اتجاهاً إلى التكامل بارتقاء الأنسال المتتالية ، وفي طبيعة الأبوين ما يجاري هذا الاتجاه بشعورهم الخفي بتفوّق أبنائهما ، وليس من كائن في الأرض لا يقف في نصف طريق حياته مدركاً أنه ضيّع الكثير من عمره ، فهو يؤمل أن يفوز أبناؤه بما فاته من الحياة . فاذا ما عرفت الفتاة هذا واستعانت على أبويها بحبهما لها ، فلا بد لها من استجلابهما إلى ما ترى إذا هي اتجهت إلى الصواب ولم تؤخذ من بهارج التجديد بما يقودها ويقودّ أهلها معها إلى الدمار

أما إذا كان الخلاف واقعاً من طموح الأهل إلى إرغام الفتاة في اختيار الزوج ، فما أراه ، هو أن الآباء كانوا في كل زمان يغالون في حرصهم على مستقبل بناتهن فيتجاوزن بحق الاختيار الحدَّ الذي يتحصّن وراءه الاختيار الطبيعي الكامن في فطرة الفتاة ، وعلى حرية هذا الاختيار تُبنى السعادة في الزواج ويضمن إيجاد النسل الصحيح

وظاهرةُ هذا التحكم تصطدم اليوم بما تنبّه في الفتاة من شعور وقد أصبحت تدرك مميزاتها الشخصية وتستجلي سريرتها . وما إخالني قصرتُ في مقالي عن نهضة المرأة عند ما حملتُ فيه على هذا التحكم الذي وصفتُه تحكما في قضاءِ الله وقدره

إنني وأنا أدرك الأسباب التي تحدو بالآباء إلى الاهتمام بمستقبل بناتهنّ ، مقدراً هذا العطف وهذا الحنان قدرهما ، لا يسعني إلا لفت هؤلاء الآباء إلى خطورة موقفهم في هذا الأمر فأدعوهم إلى احترام الأمانة الضعيفة ولها رجاحتها في الذمم ، كما أدعوهم أيضاً إلى التبصر في عاقبة الزواج المبني على الاكراه

أي أب يقدم على إكراه ابنته على الزواج بمن تنفر فطرتها منه ، إذا هو عرف أن حفيده من هذا الزواج سيجيء الحياة معتلاً بجسمه أو مختلاً بعقله . . .

وهل في الشرق العربي اليوم من لا يزال يقول :

بنونا بنو أبنائِنا وبناتُنا بنوهنَّ أبناءُ الرجالِ الأباعد؟

أبيننا من لا يزال يعتقد وهو في القرن العشرين أن الرجل هو مصدر الحياة وأن المرأة ليست إلا مستودعاً للجنين

لو يعلم القيمون المُكرهون أية جناية يأتون بتحكّمهم في الفطرة التي لا يسع الفتاة نفسها أن تتحكم فيها لكانوا يرعوون عن غيهم ، إذ يتضح لهم أن وأد البنت في الجاهلية كان أقل فظاعةً من وأدها في زواج تموت فيه حيةً لتقذف الى الدنيا بأطفالٍ تتعثر الانسانية بهم في سيرها نحو الرق

غير أنني لا أعتقد أن في هذه الأيام من هؤلاء القيمين الأغرار عدداً كبيراً ؛ وإذا كان هنالك بقية منهم ، فأنني لا أعتقد أن من فتيات اليوم من تستنيم لهذا الضيم ، فان الفتاة المهذبة التي تشعر بشخصيتها لا يسهل على وليها أن يرغمها على الزواج بمن تكره ، وهي تعلم أن الشرع السامي لا يأخذ بالايجاب دون قبولها الصريح ، ولكن إذا كان الاكراه غير مباشر وكانت الفتاة تلجأ الى القبول بأي زوج للتخلّص من أهلها ، فانها في هذا الموقف مشاركةٌ لهم في جرمهم إذا هي تصنّعت الحب ، وتكلفت الاغواء تكلفاً لرجل يريد إدخال الحياة الى مسكنه فلا تدخل اليه إلا مبدأ الشقاء والموت

على الفتاة المثقفة في مثل هذه الحال أن تجاري فطرتها وتتحصّن بحوافزها فلا تستسلم للتمثيل الدنيء ، لأنها إذا كانت مُرغَمة على عدم النفور فلاشيء يرغمها على التظاهر بالحب والقبول لتسقط أبرياء في شركٍ تكون هي الضحية الأولى فيه

ولكن هنالك من الرجال من غلظت رقابهم ، وانطمس شعورهم الى درجة لا يميزون فيها بين فتاة تميل اليهم وفتاة تنفر وتشمئز منهم . فويلٌ للمجتمع من مثل هؤلاء الرجال الذين تطفح فطرتهم بالشهوة وليس في قلبهم من الحب إلا خياله الأسود . أولئك الذين طغت عليهم الأنانية حتى خيّل لهم أن كل فتاة يطلعون عليها بغثا كبهم العريضة وفي يدهم بعض المال وبعض الحلي تخر ساجدة

أمام بهائهم وعظمة أقدارهم ، وبلٌ لبنات الأولياء المتغطرسين من رجل يحسب نفور الضحية حياء وازورارها دلالا

إن مثل هذا المخلوق لأشبه بالقابل الكهربائى لا بطّارية فيه ليحس باتصال الجهاز القابل به أو انصرافه عنه . وكم من رجلٍ فى القرن العشرين يذكّرنا برجل الكهف يترصد الأنثى على الطريق فيبدأ بقرع رأسها بحجر ليفقدها رشدها أولاً . . .

ولو عرف هؤلاء المغرورون عواقب اعتدائهم لا بتعدوا عمن تجول شهوتهم حولها لا رحمة بها ، وهم لا رحمة فيهم ، بل إشفاقاً على أنفسهم التى اتخذوها من دون الحق معبودا

لابدّ لنا ونحن فى موقف الباحث يشفق على المعتدى فى جهله كإشفاقه على الضحية فى ضعفها ، من أن نشير ولو تلميحاً الى حقيقة أدى الجهل بها الى معظم هذه المصائب التى تقضى على الأسر وتهدّ من بنيان المجتمع

إن المرأة المُكرَهة فى زواجها لا تُضار فى جسمها ونفسها بقدر ما يُضار زوجها الباغى عليها ، لأن فى تكوين المرأة ما يساعدها على عزل قسطها من الايجاب فى وضعها السلبى ، فتقى خلاياها من أن ينفذ اليها ما هو ترياق لها فى حالة شوقها وما يصبح سماً زعافاً فى حالة نفورها كما لها أن تقى أعصابها أيضاً من الهزّة الشاذّة عن طبقتها فينزلق الاكراه عليها انزلاقاً ، وعندئذ تعمل الطبيعة عملها بردّ الفعل فى جسم الرجل ونفسه وهو لا يدرى ، فكأنه لاحس المبرد يحس بالارتواء الكاذب وهو يشرب من دمه

ما أكثر من عرفت من هؤلاء الرجال الذين تزوجوا بالاغراء ، فقامت شهوتهم وأطماع الفتاة نفسها أو أطماع أهلها مقام الحب المتبادل ، فرأيتهم يباهون بزوجاتهم كأنهن تكملة للرياش الفاخر فى مساكنهم ، ثم تمرّ الشهور فاذا هم يجرّون أرجلهم جرا بعد أن كانوا يسيرون فى الأرض مرحا ، وإذا النور ينطفىء فى أحداقهم وحق الطبيعة يكتب على جباههم آية الفاشلين

ويلٌ لمن يخدع نفسه بمظاهر القبول ولا يبالى بايجاب مايشعر به كاملاً فى سريرة من يريدها شريكة لحياته وأماً لأطفاله ، إن هذا الرجل لأشبهُ بالتائه فى الصحراء يتوقّع فى كل مرحلة إرواء غليله من السراب يتوهج ماؤه ، يتباعد الى الآفاق كلما توهم الوصول اليه

هذا ما نراه فى معضلة الاكراه الذى تشكو منه بعض فتيات البلاد ، وما نشأت هذه المعضلة إلا من أطماع المزوّجين وضعف المروءات فى المتزوجين

أما علاج هذا الداء فميسور بعد بيان ماتقدم بيانه إذا نفذت أشعة الحقيقة الى قلوب الغواة والطامعين ، إذ لا يمكن أن يبصر عبيدُ الشهوات ما تفتح ضلالاتُهم من مهاوٍ تحت أرجلهم دون أن يرتدعوا عن الانتحار والقضاء على أنسالهم ، ولكنّ فى الحياة كثيرين ممن اتسعت أحداقهم ولكنهم عمىٌ لا يبصرون

( تتمة البحث عن شبابنا وسبب اضرابهم عن الزواج وعن العلة فى بوار الفتيات فى مقال آخر )

( الاسكندرية ) فليكس فارس

# نبـــوّة المتنبي أيضا

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٢ —

اللهمّ إنا نعوذ بك من فتنة الرأى والهوى ، كما نعوذُ بك من سوءِ الاقتداء والتقليد

٤ — يقول الأستاذ سعيد الأفغانى فى العدد (١٧١) من (الرسالة) بعقب حديثه عن رأينا فى ردّ رواية اللاذقىّ — الذى كان قد آمنَ بنبوّة المتنبى أبى الطيب ، وأسلمَ له ، وبايعه بيعة الاقرار بصدق نبوّته ، وزاد أن أخذ البيعة لأهله كذلك : « وقد رددتُ أنا قسما كبيراً من رواية اللاذقىّ هذا لشىء غير ما ذهب اليه الأستاذ الكريم ، وسأبينه قريباً » . وقد وفى الأستاذ بعِدَته فأبان خيرَ الابانة عن (الشىء) الذى من أجله (ردّ قسما كبيراً) من رواية (اللاذقىّ هذا) . وهذا بيانه بعد كلامٍ كثير ، يقول : « وقد عجِبتُ كل العجب من الأستاذ — وهو الناقد الأصولىّ الفنّان (أستغفر الله ياسعيد) — حين لم يدرِ لم اختصرتُ حديث اللاذقىّ ؟ إذ أن الأمر ظاهر ، فان الزيادات التى أهملتُها يرفضها العقل ويكذبها الواقع ، ولم تكن ثمّتَ حاجة لأدُلّ القراء على سبب إهمالها لأن تهافتها بيّنٌ . وكثيرٌ أن تجرّدَ عليها حملةٌ كالتى نزل بها الأستاذُ الميدان ! ! تخصَّص لها صفحتين من كتابه القيم ، وهو يعلمُ حفظه الله أن من أدِلّة الوضع عند المحدّثين مخالفة الواقع والمعقول كما هو مستوفى بكتب مصطلح الحديث » اهـ

عونكَ اللهمّ ! فلستُ أدرى من أين أبدأ فى بيانِ تهافتِ هذا القول وتناقضه ! هذا رجُلٌ سمّاه أبوه معاذاً فكان عند الذين قرأوا حديثه « أبا عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقىّ » ، وهو فى الرواة مجهول غيرُ معروف بصدق ولا بكذبٍ ؛ وقد جاءنا هذا الرَّجُل ينبئنا عن أبى الطيب خبر قدومه اللاذقية سنة نيفٍ وعشرين وثلثمائة ، فيأتى بحديثٍ طويل ممتدٍّ ، (١) يذكر فيه حلية أبى الطيب وصفته وسمته وحسن أدبه ، (٢) ثم يذكر حديثاً جرى بينه وبين أبى الطيب ، فيقول له اللاذقى : « والله إنك لشابٌ خطير ، تصلح لمنادمة ملكٍ كبير ! » فيكون جواب أبى الطيب : « ويحك ! أتدرى ما تقول ؟ أنا نبىٌّ مرسل » (٣) ثم يذكر رسالة أبى الطيب إلى أمته الضالة المُضِلة ! وغرض رسالته ؛ (٤) ثم ما سمع من قرآن أبى الطيب الذى وصفه بقوله : « فأتانى بكلامٍ ما مرّ بسمعى أحسنُ منه » (٥) ثم يذكرُ عدد آيات هذا القرآن ، (٦) ثم يخرجُ إلى ذكر معجزة هذا المتنبى فى حبس الدرار (المطر) ، لقطع أرزاق العصاةِ والفجار ، (٧) ثم يقولُ إنه خرج مع غلام أبى الطيب ليرى المعجزة ، فلمّا استيقنها واطمأن بها قلبُه انفاتَ إلى أبى الطيب وهو يقولُ : « ابسُط يدك ... أشهدُ أنك رسولُ الله » فبسط يدهُ فبايعه بيعة الاقرار بنبوّته ، (٨) ثم لم يَنِ هذا اللاذقىّ حتى أخذ بيعته لأهله ، (٩) ثم يقول بعد : « ثم (صَحّ) أن البيعة عمّت كل مدينة بالشام » (يا سبحان الله) ، (١٠) ثم يعقّبُ على ذلك أن معجزةَ أبى الطيب كانت « بأصغر حيلةٍ تعلمها من بعض العرب وهى (صدحة المطر) » ، (١١) ثم يزعُم أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى رضى الله عنه ! « أنه رأى أهل السُّكون وحضرموت والسكاسك من اليمن يفعلون ذلك ولا يتماظمونه ، حتى إن أحدهم ليصدح عن غنمه وابله وعن القرية التى هو فيها فلا يصيبها شىء من المطر ، (١٢) ثم يقول إنه سأل أبا الطيب هل دخلت السكون ، فيقول له : نعم ! أما سمعت قولى :

مُلِثَّ القطرِ ، أعْطِشْها ربوعا ... وإلاَّ فاسقِها السَّمَّ النقيعا
أُمُنسِىَّ السَّكونَ وحضرموتاً ... ووالدَتى وكِندةَ والسَّبيعا

ثم يقول هـذا اللاذقى بعقب ذلك : « فمن ثمَّ استفادَ (أبو الطيب) ما جوّزه على طغام أهل الشام » ، (١٣) ثم يختم حديثه بما كان يُمَخرقُ به أبو الطيب على أهل البادية بإيهامهم أن الأرض تُطْوىَ له ، وكيف كان ذلك ؛ (١٤) ثم يزعم أنَّ أبا الطيب سئلَ فى تلك الأيام عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أخبر بنبوّتى حيث قال : « لا نبىّ بعدى » . وأنا اسمى فى السماء (لا) »

هذا مختصر حديث هذا اللاذقىّ ، وأنت إذا قرأته بتمامه رأيته أحمق قولٍ يعجزُ عن الاتيان بمثله أحمق معتوهٍ لما فيه

من الاضطرابِ والسخف والتلفيق والكذب ، وقلة مبالاة هذا الرجل بنسبة الكفرِ إلى نفسه حين زعم أنه قال لأبي الطيب : « ابسط يدك ، أشهد أنك رسول الله » ولا حول ولا قوة إلا بالله

فهذه أغراضٌ فى كلام اللاذقى قد بينا لك عددها (١٤) تناول منها الأخ سعيد ثلاثة أغراضٍ هى الثلاثة المتتابعة فى تعدادنا ، وقذف بالباقيات وردها وأهملها لأنها مما ( يرفضه العقل ، ويكذبه الواقع ) كما قال فى كلمته الأخيرة ، ومن قبل ماقال فى كلمته التى نشرها فى (الرسالة — العدد ١٦١) : « وسأعنى نفسى من أشياء كثيرة ، وردت فى ( الصبح المنبى ) لا يقبلها عقلٌ ولا تؤيدُها قرائن » ويعنى هذه الرواية عن اللاذقىّ

وأنا أسأل الأستاذ سعيد أن ينصف نفسه وينصفنا ، وأن يعفينا من التأويل وطلب الحجة فيما لا تأتى منه الحجة إلا متكلفة على أبعد وجه وأضل سبيل . فانظر أيها الأستاذ سعيد إما جاءك رجل بحديث قد استيقنت أن نصفه كذب قد مزج بقول غير معقول ، أفأنت مصدقه فى سائر الذى جاءك به من الحديث ؟ فان قلت : لا أصدقه فى سائر حديثه فقد بطل ما جاء به هذا اللاذقى كله ، لأن أربعة أخماس من حديثه مما ( يرفضها العقل ويكذبها الواقع ) كما قلت أخيرا : ومما لا يقبلها عقل ؛ ولا تؤيدها قرائن كما قلت أولاً . وإن شئت أن تتطلب الجدل فقلت أصدق بعضه ، وأكذب بعضه ، فأنك غير قادر على أن تنشىء لهذا الرأى حجة يلجأ اليها أو دعامة يعتمد عليها ، فان هذا اللاذقى رجُلٌ مجهول فى الرواة لا يعلم حاله فى صدق أو كذب ، ومن كان كذلك نُظر فى قوله ، فان كان الذى يأتى به من الرواية صدقا كان ذلك مانعاً من اتهامه بالكذب إلا ببينة أخرى ، وإن كان كذباً لم تجد بُدًّا من وسمه بالكذبِ واسقاط روايته كلها ، وجملةً واحدةً ؛ ويصبحُ ما أتى به كله كأن لم يُرْوَ ولم يعرفْ ، فلا ينظرُ اليه فى رواية أو تاريخ ؛ فان قلت أقبل المعقول وأردُّ غير المعقول ، فلا بُدَّ من أن نقول لك إنك قد اعتمدت فى بعض قولك على مذهب أهل الحديث فى علم الرواية ، فقلت : « إن من أدلة الوضع عند المحدثين مخالفة الواقع والمعقول » ، ونعمْ ، فان رواية ما يستحيل أن يقع ، وما لا يأتى على وجهٍ يرتضيه العقل ، ساقط عند المحدثين ، وهم يتهمون صاحبه بالكذب لوضع فلا تقبل له روايةٌ أبداً ، ولو كانت صادقة ، ولو كان فى قول غيره من الصادقين ما يقعُ عليها حرفاً حرفاً وكلمة كلمة . فهذا مذهب القوم بتمامه ، ومذهب عقلاءِ الناس فى أمر دينهم ودنياهم . واعلم أيها الأستاذ سعيد أن القول يُردّ ويُرفض ويكذب صاحبه لأنه غير معقول ويستحيل وقوعه ، ولا يمكن فى العقل أن يطرد عكسُ هذه القضية : فليس يقبل القولُ ويرتضى ويصدق صاحبه لأنه معقول وجائزٌ وقوعه وحدوثه ، ولست أشكُّ فى موافقتك لى على هذا ؛ إذن فليس من الحكمة ولا من الصواب ولا من العدل ولا من العلم أن تختصر حديث اللاذقىّ فتأخذ منه المعقول الجائز الحدوث ، وأنت تردّ سائر حديثه بل أكثره ، ثم تقول عنه فى عدد الرسالة (١٦١) : « وقد حفظ لنا (التاريخُ) مشهداً من مشاهد هذه الدعوة ( النبوّة ) فى اللاذقية » . فليس شىء من كلام الوضاعين والكذابين مما يصحُّ أن يعتمد عليه فى تاريخ أو غيره

ثم لو نظر الأستاذ سعيد إلى هذا الحديث الذى عدّه ( مما حفظ التاريخ من مشاهد دعوة أبى الطيب إلى نبوته ) لوجدَ يقيناً أن هذا المختصر من حديث اللاذقىّ هو أيضاً (مما يرفضه العقل ، ويكذبه الواقع ) و (مما لا يقبله عقل ، ولا تؤيده قرائن) ، فان فيه من الوهن والضعف والتخالف والتناقض مالو تدبره الأستاذُ — وهو يدرس شعر أبى الطيب ، ويصورُ منه نفسه وطبائعها وغرائزها — لعلم أنه موضوعٌ متكلفٌ ليس فيه من الصدق شىء ؛ ولم أردك بسوءٍ أيها الأخ إذ قلت فى كلمتى السابقة إنك تأخذ من الكلام ما تشاءُ ، وتدع ما تشاء ، فتزول بذلك شبهاتك

إن للرواية أصولاً لا يأتى لأحد أن يخرج عنها إلا بحجة لا تسقط عند النقد والنقض ؛ ومن أصول الرواية ألا تقبل روايةُ من كذَب فى أحاديث أو وضعها ، وإن كان سائر الذى يرويه مما يعضده فيه رواية غيره من الصادقين ، فكيف بمن يكون أمرُه فى الحديث الواحد : أربعة أخماس كذبٌ غير معقول ، والخمس الباقى تختلفُ عليه الآراء فى وصفه بأنه صدق أو كذبٌ ، أو معقول وغير معقول ، أو تؤيده قرينة أو لا تؤيده قرينة ؟ ألا إن هذا أولى بالاسقاط والرفض والنبذ حيثما ثُقِف ، وكذلك هو حديث هذا اللاذقىّ المجهول

٥ – وقد أراد أستاذنا سعيد أن يوهم قارىء كلامه أننا اتخذنا رأينا – فى نسبة أبى الطيب إلى الشجرة العلوية المباركة – ( برهاناً ) على رد رواية هذا اللاذقىّ المجهول لقولنا فى ص ٤٨ « أما اللاذقى فمجهولٌ ولا يتيسر لنا نقد سنده ، ولكن مما لا شك فيه أن اللاذقية التى نسب إليها ، كانت لوقت أبى الطيب موطناً لفئة من العلويين ومحطاً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة فى التاريخ العربى كلّه » . فلذلك لم يتورع عن بتر بقية كلامنا ، فقد قلنا بعقب هذا وبغير فصل « فلا بأس من أن تجعل هذا ذكراً مذكوراً وأنت تتبصّر فى أصل الرواية على وهنها وتضاربها ، وتهالك معانيها التى يفسدُ بعضها بعضاً كما سترى » . فلو كنا قد اتخذنا هذا ( برهاناً ) لقلنا مكان (فلا بأس) (فلا بد) ليستقيم المعنى الذى أراده لنا الأستاذ الجليل . ويخيل إلىّ أن الأستاذ سعيد سيحاول أن يقع فى هذا الكلام بالتأويل . فأنا أضرب له المثل على الفرق بين هذا وذاك ، ليدع هذا الذى يمد إليه من أفانين الكلام . فانك لو أردت أن تعلم جاهلاً دين الاسلام بعد إيمانه بصدق القرآن وأنه وحىٌ من العزيز الحكيم ، ثم أخذت تفهمه أن الصلاة عمود الدين وأن الله أمرَ بها عباده ، والبرهان والدليل على ذلك قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة » ، فلست تقول له بعقب ذلك ( فلا بأس ) من الصلاة ، وإنما تقول : « فلا بد من الصلاة » .

ولو تدبر الأستاذ قليلاً كما سألناه فى كلمتنا الأولى (عدد الرسالة ١٦٧) لعلم أن الاشارة فى هذا الموضع هى إلى الذى قلناهُ فى كتابنا ص ١٧ – ١٩ من أنه كان بينه وبين العلويين[1] عداءٌ وحفيظة بلغ من أمرها أنهم أرصدوا له قوماً من السودان عبيدهم فى طريقه بكفر عاقب ليقتلوه – وذلك مُنْصَرَفه من طبرية سنة ٣٣٦ – حتى إن أبا الطيب لم يُحجم عن التعريض بهم ، وهو يمدح كبيراً من أولاد علىّ رضى الله عنه بالرملة هو أبو القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى فقال فى مديحه :

أتانى وعيدُ (الأدعياءِ) وأنهم  أعدُّوا لى السودانَ فى كفر عاقب
ولو صدقوا فى جدِّهم لحذرتهم  فهل فىّ وحدى قولهم غير كاذب

(١) قد صرفنا القول فى كتابنا ونحن نذكر العلويين ، ونريد بذلك العلويين نسباً ، والعلويين مذهباً ( الشيعة ) ، إذ لم نجد ضرورة للتفريق بين هؤلاء وهؤلاء . وليس يخفى على القارىء موضع هذا وذاك

وقال فى مدح الأمير ابن طغج ، وقد صحبه أبو القاسم العلوى وأقام معه فى الرملة يحضر مجالسه

وفارقت شرَّ الأرض أهلاً وتربة  بها (علوىٌّ) جدُّه غير هاشم

فلهذا ولغيره من آثار العداوة والبغضاء بين أبى الطيب والعلويين (مذهباً أو نسباً ) قلنا فى ص ١٧ « إن عندنا فى أقوال العلويين المعاصرين عن أبى الطيب سبباً للتوقف دون التسليم »

هذا على أن عندنا من الأسباب ما يحملنا على رد رواية العلويين فى أخبار أبى الطيب ، وقد ذكرنا بعضها متفرّقاً فى كتابنا ، وبعضٌ آخر لم نذكره لضيق الوقتِ ، ورغبة فى اختصار القول ، واعتماداً على فطنة القارىء إذ كان فى وضع كلامنا ما يُشيرُ إلى أطرافه

٦ – قلت فى كلمتى التى نشرتها الرسالة (العدد ١٦٧) إن الأخ سعيد قد لا يجد دليلاً على صحة هذه الروايات التى رويتْ فى نبوّة أبى الطيب ، فيما يزعم ، إلا أنه قد رواها فلانٌ وفلانٌ ورواها المعرى – وهو الحجة الثبتُ – وقلنا إن الحكم – بأن رواية المعرى أو غيره من العلماء – هذه الأخبارَ مما يصححها أو يرجّح الصدق فيها – حكم خطأ لا يصح لأحد أن يتابع عليه ، ولم أقل ذلك إلا لقول الأستاذ فى عدد الرسالة (١٦١) ، « وسأعتمد فى قص الحادث (يعنى النبوّة) على أبى العلاء خاصة ، لفضله وتحريه وقرب زمانه » ، وهذه الكلمة الأخيرة وحدها تدل على أن الأستاذ يَعُد ما يرويه أبو العلاءِ عن أبى الطيب مما ترجحُ فيه كفة الصدق على كفة الكذب ، ولكن الأستاذ لم يرضَ قولنا هذا ، فعادَ يقولُ فى كلمته الأخيرة : « هذا وقد حمل الأستاذ أقوالى ما ليس تحمل : فأنا لم أدّعِ للمعرّى تنزُّهاً عن الخطأ ، ولم أقل بأن « ورود خبر فى كتب العلماء هو الدليل الذى لا دليل غيره ، وما جعلت قرب الزمن دليلاً على الصحة بل هو مما ييسر للمحقق وسائله » اه . وأنا لا أحبّ أن أكثر القول على أستاذنا فى نقد كلامه هذا بل أقولُ : إن كان فى يدكَ دليل على صحة هذه الروايات والأخبار فأظهرهُ ولا تكتمهُ ، فمن قبلُ ما قلنا لك فى مقالنا بعدد الرسالة (١٦٧) إن « الخبر لا يستحقّ صفة الصدق إلا بالدليل الذى يدُل على صدقه ، فاذا لم تجد الدليل على صدقه ذهبت عنه صفة الصدق وبقى موقوفاً . فاذا اعترضت الشبهات من قبل روايته أو درايته مالت به الشبهة

إلى ترجيح الكذب فيه ... » . ولكن أستاذنا لم يرد أن يقف عند هذا القول ، وزعمه من (التهويل) ويقول : « وما التهويل بمغن عن أحدنا فتيلاً » ، وزعم أني « لم أجد بأساً في أن أعرفه أنّ الخبر ما يحتمل الصدق والكذب ، وأنّ وأن ... الخ الخ مما يدرسه الطلاب المبتدئون » . وظنّ أن في هذا القول مذهباً لهُ عن الاتيان بدليله على صدق الروايات التي يزعمُ أنها من التاريخ وأنها صحيحة . ويخرجُ من هذا ويدعه ليقول : « إننا نرمي روايات التاريخ بالبطلان والكذب ، ثم لا يكون دليلنا عليها إلا أنها كذب وبطلان » . وليس الأستاذ يبالغ من كلامنا مبلغاً يسقطه أو يحزّ فيه إلا أن يثبت لنا أوّلاً صحة هذه الروايات ، ومن أين لأحد أن يسلم بصحتها ويقتنع بأنها خالية من الكذب والوضع وسوء القصد في الاساءة والتشهير والتسميع بأبي الطيب ؟ فاذا فعل ذلك فقد بلغ أوّل الحق ، وكان لهُ أن يجبهنا بما شاء من القول مصرّحاً ومعرّضاً . فالدليل الدليل أيها الأستاذ سعيد

٧ — ومن أعجب أمر الأستاذ سعيد أنه ينشئ من الكلمة الواحدة تردُ في الكلام جملة لهـا معنى يوجهه هو كيف أراد على ما خيّلت ، ويضعها حيث شاء من الحديث غير متهيب ولا متلفت عن يمين وشمال ، ولو خرج بالكلام الذي أمامه من العربية ... كما مرّ بك في كلمتنا السابقة . فمن ذلك أنه وقف عند قولنا في الكلمة الأولى (الرسالة عدد ١٦٧) : « وتركُ المعرّي الشكّ (في تلك الأخبار) أو تكذيبها ليس يقومُ أيضاً دليلاً على صحتها ، وليس المعرّي بمنزه عن الخطأ والغفلة ، وهو من هو ، فذهاب وجه النقد عن المعرّي ليس يكون طعناً فيه ، ولا يوجب نسبة الكذب إليه ، ولا ينفي صفة الصدق عنه » . وليس يذهب عن أحد من القراء أننا أردنا بهذا الكلام أن ندفع ظنّ من يظنّ — أي الناس كان — أن توقفنا دون التسليم بما رواه المعري في خبر نبوة أبي الطيب ، أو نقدنا له ، أو تكذيبنا أو إسقاطنا لما روى — يكون طعناً فيه ، أو بعد مما يوجب نسبة الكذب إلى أبي العلاء . ولكن الأستاذ سعيداً ترك هذا ، وأراد أن يبالغ وينشئ حول كلامه (خطا من النار) ، فأخذ كلمتنا : « وليس المعري بمنزّه عن الخطأ والغفلة » وردّها بقوله : « وأنا لا أدّعِ للمعري تنزهاً عن الخطأ » ، فكيف — أيهذا الأستاذ سعيد — تزعم أننا قلنا إنك ادعيت للمعرّي تنزهاً عن الخطأ وكيف تخرّج هذا الذي ذهبت إليه من كلامنا ؟

ليعلم الأستاذ أني لا أحفلُ بمثل هذا ، ولا أنظر إليه ، ولا أقف عنده ، ولكني أبينه له ولغيره ، ليعلم أن كل أحد يستطيع أن يقول ما يشاء فيما يشاء على أي وجه يشاء . . . ولكن ذلك لا يجوز على أحد ، ولا يغفل عنه من قرأ الأول والآخر ، ونظر وفهم وجمع وعرف معاني الكلام ، وكيف خرج وإلى أين ينتهي ؛ وليعلم أيضاً أن كل أحد يستطيع أن يفهم من الكلام ما يشاء على غير قاعدة من منطق أو عربية ، ولكن فهمه لا يكون حجة يأتي بها الناس ويظهر بها عليهم ، ويحاول أن يسقط أقوالهم بها . لابد للكلام من منطق عقل وفقه عربية حتى يفهم ، وإلا أصبحت المعاني فوضى لا ضابط لها ولا وكيل عليها ولا حفيظ

وللقارئ أن ينظر إلى فعلات الأخ سعيد هذه فقد قلنا في كلمتنا الأولى (الرسالة عدد ١٦٧) عند رد اعتراضه : « إن هذا الخجل الذي يزعمونه إنما هو من أباطيل (الرواية) ، وقد أتى به القوم ليعضدوا قولهم في خرافة النبوة ... الخ » فجاء ينقل هذا في كلامه مرتين هكذا « إن هذا الخجل الذي يزعمونه إنما هو من أباطيل (الرواة) » فنحن نقول : « الرواية » ، وهو يقول على لساننا « الرواة » وبين اللفظين فرق « كبير » في عربيتهما وفي موقعهما من الكلام . ولو أردنا الذي أراده الأخ سعيد لكلامنا لقلنا « من أكاذيب الرواة » . ولو رجع الأخ إلى كلامنا الذي أعقب هذه الكلمة لعلم لم قلنا (أباطيل الرواية) ولم نقل (أكاذيب الرواة) . هذا على أني أقول أيضاً إن الذي زعموه من خجل أبي الطيب حين كان يسأل عن أمر لقب المتنبي — هو من أكاذيب الرواة . فاذا أراد الأستاذ أن يعرف من هم هؤلاء الرواة ، فليرجع إلى الكتاب الذي نقل عنه هذا الكلام ، فينظرَ من همْ ؛ ومع ذلك فليسَ تغني معرفة الرواة شيئاً في هذا الأمر . وتعب أن أمضي على هذا الوجه في تعريف الأستاذ سعيد بوجوه بطلان كلام هؤلاء الناس الذين نقل كلامهم . فعليه أن يريحنا قليلاً بتدبره في كلام هؤلاء الناس ، والنظر في معاني رواياتهم بالذي توجبه العربية ، مع المقارنة بين هذه المعاني المختلفة المتباينة فعند ذلك يعرفُ كيف كان التناقُضُ في الرواية ، وكيف هدمتْ الرواياتُ بعضها بعضاً في خبر نبوة أبي الطيب

وبعد ... فان في كلام الأستاذ من وجوه التهافت ما لا تطيعني

(الرسالة) على الافاضة فيه ، ولا يواتيني الزمنُ على إزهاقه من أجله ، ولكني أنصح للأخ ألا يلجأ إلى ضروب القول التي يخرج بها الكلامُ عن حده إلى مجاهل من المغالطة والاعتراض ، وإرادة الغلبة ، واتباع الظن ، وفتنة الرأى ، والاصرار على خطرات النفس . وليعلم الأستاذ أنى لست ممن يغفل عن مواضع التحريف فى القول ، أو الاحالة فى الحجة ، أو الفساد فى التأويل ، فان أراد أن يعود الى الحديث والكتابة ، فليعمد على مذهب مرضىٍّ متبع معروف غير منكر . فان فعل فما أنا بالذى يسوءه أو يغضبه ، وما أريد من شىء إلا أن أهتدى إلى الحق على يدىَ من كان له فضلُ السبق ، وحسنُ الحديث ، وكمالُ الغلبة بالحق . . .

هذا وقد أعفينا الأستاذ من كثير قولٍ فى الذى جاء فى مقاله الأخير – لو أردنا أن نكيل له من جرّائه بمثل كيله لفعلنا فأشوينا . . . ولكن

عبأت له حِلمى لأُكرمَ غيره      وأعرضت عنه ، وهو بادمقاتله

محمود محمد شاكر

# النظرية العامة للالتزامات

## فى الشريعة الاسلامية*

للدكتور شفيق شحاته

إن صرح القانون مشيد على فكرة الالتزام . وقد ارتدت هذه الفكرة فى القانون الخاص رداء خاصاً ، حيث ظهرت فى صورة الحق الشخصى ، القابل للحق العينى . ثم هى فيه ، تخضع لقواعد عامة ، تحكم مختلف المسائل التى تعرض للالتزام . وقد استخلص هذه القواعد فقهاء الرومان ، ونقلت عنهم فى القوانين المستمدة من التشريع الرومانى . وجمعت هذه القواعد ، النظرية المعروفة بالنظرية العامة للالتزامات ، وهى نظرية أجمعت الآراء على أنها من خير ما أنتجت قريحة الرومان القانونية

أما فى الشريعة الاسلامية ، فقد وجه الفقهاء جهودهم نحو الحلول الفرعية ، ولم يحاولوا وضع قواعد عامة تحكم الالتزام فى مصادره ، وفى آثاره ، وفى طرق انقضائه . على أن بالشريعة الاسلامية كنوزاً من الأفكار والآراء والتصويرات القانونية ، فاذا نحن أردنا الانتفاع بها يتحتم علينا أولاً الوصول إلى القواعد العامة التى تحكمها جميعاً ، إذ لا يقوم العلم إلا على أساس من القواعد العامة

ثم إن الفقه الاسلامى ، قام وترعرع فى مدى أجيال عديدة ، وساد فى مختلف الأقطار التى جمعتها المدنية العربية ، تلك المدنية التى تركت آثاراً خالدة فى جميع مناحى العلوم والفنون . فليس من الغريب أن يكون أثرها كذلك فى ناحية التفكير القانونى . وفى الواقع قد ظهر هذا التفكير فى صورة من أبهى صوره ، ولا تزال آثار هذا التفكير من أنفس مايدخر الشرق من التراث العلمى

فمن العقوق إذن أن يهمل هذا التراث ؛ ومن العناية به أن يعمد إلى التأليف بين فروعه . ففى جميع الأمم وفى مختلف العلوم عمد العلماء إلى التركيب بعد التحليل ؛ وقد قام الفقهاء بقسطهم الوافر من التحليل ، فيتعين البدء من حيث انتهوا ، وبهذا العمل نكون قد وصلنا ما كان قد انقطع . فعسى أن يكون الاهتمام بالآثار القانونية لفقهاء المسلمين على هذا الوجه فاتحة عصر إحياء لتشريع لا يمكن أن يكون غيره ملائماً مثله فى بلاد كانت مهداً له ومرتعاً

وإن فى هذا العمل تحقيقاً كذلك لغرض من أغراض التشريع المقارن ، وقد أعلن المؤتمر الدولى المنعقد بلاهاى فى سنة ١٩٣٢ ، ما يعلقه من الأهمية على التشريع الاسلامى ، كمصدر من مصادر التشريع المقارن

### ١ – طريقة البحث

١ – الطريقة الموضوعية

لا يخفى أن القيام بهذا العمل يقتضى من الباحث اعتماد خطة معينة ، فقد لوحظ أن الخطة التى اتبعت للآن لم تكن مما ترتضيه دائماً القواعد العلمية

فانا نجد من جهة أن من تصدى من العلماء الغربيين لمعالجة هذه المسائل لم يصل أبداً إلى تفهم روح النصوص ، وهم فى الغالب ، يجهلون أيضاً اللغة التى وردت بها هذه

(*) مقدمة الرسالة القيمة التى تقدم بها إلى كلية الحقوق المصرية لنيل الدكتوراه

النصوص . أما المستشرقون ، فلا نجـد بينهم القانونى الفقيه الذى سرعان ما يلحظ ما للنص من خطر

ومن جهة أخرى ، نرى المؤلفين الشرقيين تنقصهم الروح العلمية ، ومؤلف (ساقاس باشا) على شهرته مثل ناطق لهذا النقص

وكذلك الأمر فى الرسائل والمؤلفات التى حاول فيهـا مؤلفوها التقريب بين الفقه الاسلامى وبين آخر ما وصلت إليه اتجاهات المحاكم فى عصورنا هـذه ، فما كان من تأثير حماسهم الصبيانى إلا مسخ الشريعة الاسلامية

فمن المتعين إذن أن نضع فى مواجهة هؤلاء وهؤلاء الطريقة التى نرى وجوب اتباعها ، وقد سميناها الطريقـة الموضوعية التاريخية لأنها تتناول موضوعات البحث وتقررها كما وردت فى النصوص مراعية فى ذلك منتهى الأمانة ، ثم هى تتتبع هذه النصوص على مدى الأجيال لتتلمس تطورها التاريخى . فهى قائمة على فكرة أساسـية ، ألا وهى أن التشريع كائن حى وليد الهيئة الاجتماعية ، ينمو بها ولها ، ويتطور معها ، ويجمد عند جمودها

وهذه الطريقـة تعمد لذلك إلى المسائل . فقـد رأينا أن التشريع الاسـلامى لم يعن إلا بالمسائل ، فاذا أردنا تفهمه على حقيقته ، وجب أن نتقصى المسائل ونستوعب ما ورد عليها من الحلول ، فتكون هى الحجارة التى بها يتم بناء هيكل النظريات بصرف النظر عما حشر فى الـكتب حشراً لتفسـير هذه الحلول إذا كانت هذه التفسيرات لا تتفق والواقع

فمن يتصفح كتب الفقـه يتبين أن التفسير الذى يرد على الحلول لا يكون صادراً دائماً عن مبادىء عامة ، متمشية فى جميع أجزاء الجسم الواحد ، بل هو يرمى إلى تبرير الحل الذى ورد بشأنه فقط ، تبريراً يستند سواء إلى فكرة مقبولة عقلاً ، أو إلى أن حلولاً مشابهة قد جاءت فى مناسبات أخرى

ولـكن هذا التبرير المباشر لا يمكن اعتباره كافياً ، إذ قد تـكون هناك مسائل أخرى مماثلة أيضاً ولم تحـل على نفس الشكل . فالتفسير الصحيح يكون بإيراد التعليـل الذى ينطبق على أكثر المسائل المتشابهة ، مع ذكر ما دعا إلى الأخـذ بغير ما يقضى به فى مسائل معينة أخرى

وهذه الطريقة تصل بنا إلى العلل الرئيسية والأخيرة للحلول ، وهذه العلل وحدها هى التى يقبلها العلم ، ويجب اعتبارها دون غيرها وإحلالها محل ما استبعد من التعليلات

وقد تتعـدد فى كتب الفقه الطرق لتبرير الحل الواحد . أما تعدد الأدلة فأمر لا شائبة فيه لو كانت الأدلة جميعها تتضافر لتكوين مبدأ واحد يقضى بالحل موضوع النظر

ولـكننا نجد فى الغالب الطرق لا الأدلة تتعدد ، وكل طريق منهـا صادر عن فـكرة قد تـكون متنافرة مع الفكرة التى أوحت بالطريق الآخر

فى الخطة التى نقول بها تلزم الاسـتعانة بالروح العامة للتشريع ، لاستبعاد ما يتبين فضوله من الطرق . فاذا ما اكتفى بأحـدها وجب الاحتفاظ به فى جميع المناسبات ، حتى إذا ما اضطر الباحث اضـطراراً إلى الرجوع إلى الطريق الآخر فى حالات أخرى معينة وجب اعتبار هذه الحالات استثناءات لمـا سبق تقريره كمبدأ عام ، وقد تنم هـذه الحالات عن اتجاه التطور فى التفكير

وكذلك التكييف القانونى النظرى لا يخضع دائماً عنـد الفقهاء لفكرة واحدة . صحيح أن تعقد الظاهرة القانونية قد يحول فى بعض الأحوال دون تصورها على أساس الفكرة الواحدة . ولـكن فى هذه الأحوال يقتضى منا المنطق أن نغلب العنصر المسيطر على هذه الظاهرة ؛ وعند تصورنا لها نلاحظ ما شذ على تكييفنا القانونى من الحلول ؛ ولا يلجأ الى ذلك إلا إذا لم يعثر فى التشريع الاسـلامى نفسه على تصور ينتظم النظرية بما حوته من الحلول جميعاً

يتضح مما تقدم أنه إذا كان تقيـدنا بالحلول وثيق العرى فالأمر بخلاف ذلك بالنسبة للشروح ؛ ولا يخشى من هذا التحرر على صحة تفهم روح التشريع ، فقد قلنا إن التشريع الاسلامى قائم على هذه الحلول ، وروحه فيها وحدها

على أن هناك محظوراً آخر . فاذا إذا نحن فرضنا على التشريع الاسلامى أفكاراً غربية ، اقتضتها أساليب التشريعات التى نشأت فيها نكون قد مسخنا هذا التشريع بالفعل

فيلزمنا إذن التجرد من أساليب هـذه التشريعات ، وإذا

نحن حاولنا الوصول الى المبادئ الأولية ، فلن تكون إلا تلك التى يتطلبها كل تشريع لمجرد كونه وليد العقل البشرى ، وهو واحد مهما اختلفت الأمكنة والأزمنة

وذلك كله لا يحول دون الاستعانة فى عرض المسائل بما جرينا عليه فى بحث قوانيننا الحديثة على أن يكون هذا إطاراً خارجياً ، وعرضة للتحوير وفقاً لمقتضيات التشريع الاسلامى

لذلك لن نعير كثيراً من الاهتمام ما حوته الكتب الفقهية من الأمثال والأصول ، فهى فى الغالب عبارة عن مبادىء يقضى بها المنطق أو العدل ، لا نفس النصوص التى وردت بمناسبتها . ونذكر هنا أن مما استنفد نصيبا من نشاط الفقهاء مقارنة الحلول بعضها ببعض لاظهار الفروق والأشباه ، على أنهم فى هذا كله قلما يرتقون الى المبادىء الأولية العامة

أما علم أصول الفقه فهو شديد الاتصال بعلم الكلام ، ولا يفيد فى دراسة موضوعية للنصوص ، فهو أشبه بفلسفة القانون منه بالقانون

وقد قرب فقهاء الحنفية بينه وبين الفروع ، ومع ذلك يقول (الحموى) (أنظر « الغمز » ج ١ ، ص ٢٤٥) إنه : « لا عبرة بما فى كتب الأصول إذا خالف ما ذكر فى كتب الفروع كما صرحوا به »

وكذلك لا يلتفت فى دراستنا الموضوعية الى مصادر التشريع ، ذلك أن « القرآن الكريم » ، لم يأت إلا بقليل من الآيات فى موضوع الالتزامات ، وهى فى الغالب من قبيل القواعد الأخلاقية

أما « الأحاديث النبوية » ، فهى أيضاً قليلة العدد ، وسيؤخذ بها على أنها نصوص إذا جاءت بحلول معينة لبعض المسائل . ولن نتعرض لما وجه من الطعون إلى بعض هذه الأحاديث ، فهى لمجرد ورودها تنم عن اتجاه خاص فى التفكير

فالعبرة إذن دائماً بالمسائل وأحكامها . ومما يؤيد وجهة النظر هذه أن فى عقد البيع قد وردت أحاديث متعددة فى صيغة النهى ، وقد فرع الفقهاء عليها البطلان فى بعض الأحوال ، ومجرد الكراهية فى البعض الآخر بالرغم من اتحاد الصيغة فى جميع الأحوال

يتضح من ذلك أن التشريع الاسلامى فى موضوع الالتزامات يفقد صبغته الدينية

ونذكر هنا أن هذا التشريع لا يمنع مصدره الدينى من اعتباره تشريعاً بالمعنى الصحيح ، ذلك أنا إذا نظرنا إلى ماهية القاعدة القانونية فى هذا التشريع ألفيناها تتضمن جميع العناصر التى تلاحظ فى القواعد القانونية

من ذلك ابتناؤها على المظان ، وابتعادها عن التوغل فى الدوافع النفسية ؛ ومن ذلك أيضاً الجزاء المترتب على مخالفتها ، فقد فرق الفقهاء بجلاء بين ما هو واجب قضاء ، وما هو واجب ديانة

أما « القياس » وقد اعتبروه مصدراً من مصادر التشريع ، فهو ، فى الواقع ، عملية من عمليات الاستدلال يقوم بها العقل ، إذا أراد الوصول الى حكم عن طريق الاستنتاج

وهذه العمليات العقلية تؤدى إلى وضع حدود وتقسيمات ، وشأن علم الفقه منها شأن سائر العلوم الأخرى

وإذا استعمل العقل فى مهمة استنباط الأحكام ، فقد يؤدى به منطقه الجامد إلى حلول قد تتعارض مع فكرة العدالة المطلقة أو مع بعض الأحاديث الصريحة فيلجأ الفقهاء عندئذ إلى ما يسمونه « الاستحسان »

فالحكم الذى يقضى به الاستحسان ليس فى الواقع إلا استثناء اقتضته قواعد العدل والانصاف أو أسباب أخرى

وقد يستعمل الاستحسان لادخال ما استقر عليه «الاجماع» فى التشريع

وقد يتعين اعتباره كالعادة والعرف ، عاملا من عوامل التطور ، إذا تبين أن التشريع الاسلامى قد تأثر بالفعل بواسطته . وهذا هو موضوع الطريقة التاريخية

(يتبع) شفيق شحاتة

## مكتبة العرب

# الجوائز الأدبية ومغزاها

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

ستصبح الجوائز الأدبية يوماً ما ، وإن بعد ، موضوع رسالة أحد طلاب العلم يتقدم بها إلى إحدى الجامعات لينال أجازة « الدكتوراه » فى الآداب . ولا ريب فى أن مثل هذا الموضوع سيكون فى نظر أدباء ذياك الجيل المقبل طريفاً غاية الطرافة ، كما يجد أدباء هذا العصر متعة وأى متعة فى حديث التقدير الأدبى الذى لقيه أدباء القرن التاسع عشر فى أوربا وأمريكا . فقد كان تقدير الأدباء لذلك الجيل يجرى على منوال خاص . ففى انكلترا مثلاً منح الشاعر « لوريت » Laureate الذى نشأ راعياً مرعى خصيباً . ومنح الكثير من الأدباء ألقاباً بمناسبة إحياء أيام مولدهم أو نحوها من المناسبات . أما تقدير الأدباء فى أمريكا فكان يجرى على منوال آخر أساسه الانتفاع الضمنى بالناحية المادية لمظهر الهبة أو المكافأة ، إذ يذكر عن « ناثانيل هوثورن » Nathaniel Hawthorne أنه عين قنصلاً لأمريكا فى ليفربول لمجرد الاعتراف بقدره الأدبى . وكذلك قلد « هرمن ملفيل » Hermen Melville مثل هذه الوظيفة ليتمكن من التغلب على ضائقته المالية . وتابعت أمريكا السير فى ذلك حتى عام ١٩٠٤ حين عين الرئيس روزفلت « ادوين أرلنجتون روبنصن » Edwin Arlington Robinson فى إدارة المكوس تشجيعاً له على النهوض بالشعر . جرى مثل ذلك على البعض فى حين أن فطاحل الأدباء للعصر الفيكتورى مثلا لم يصيبوا شيئاً من هذه الهبات ، إلا أنهم استعاضوا عن ذلك بادراك الحقيقة الراهنة التى كانت تتجلى لهم يوما بعد يوم فى زيادة طبقات القراء ، فأوحت لهم ثقتهم بأنفسهم ألا يضعوا أمانيهم فى غير المستقبل . وسرعان ما اطمأنت نفوسهم عندما صدر عام ١٨٨٠ قرار يجعل حق الطبع والنشر ملكا للمؤلف . وقضى هذا القرار على قرصنة الناشرين وسطو المغتصبين على أعمال الأدباء . وبطبيعة الحال كان تكرار نشر عمل أدبى يدر على صاحبه رزقاً جديداً . ولهذا لم يأبهوا الهبات والجوائز

وأول الجوائز الأدبية التى ظهرت خلال القرن العشرين ولم تكن لها سمة التجارة هى « جوائز نوبل » Nobl فى بلاد السويد و « جائزة جونكور » Goncourt و « جائزة فيمنا » Femina فى فرنسا ، والجائزة « الهوثورنية » Hawthorne فى انكلترا ، و « جائزة بولتزر » Pulitzer فى أمريكا . وظهرت بعد ذلك جوائز أخرى فى هذه البلاد وغيرها . ومهما تكن هذه الجوائز صادقة فى التعبير عن عصر بذاته ، أو عن أثرة الروح القومية ، أو هى مسألة قاصرة على المؤلف دون غيره ، فهى على أى حال جوائز اعتراف بالتفوق الأدبى

وليس من شك فى أن جوائز نوبل خلدت ذكر الفرد برنهارد نوبل Alfred Bernhard Nobel ، ذلك المخترع السويدى الذى تمكن من اكتشاف الديناميت فيما بين سنة ١٨٦٥ وسنة ١٨٦٦ . وكأنما أراد أن يوازن بين خطر ما اخترعه بعمل آخر فأثبت فى وصيته عدداً من الهبات ظنها مؤدية إلى القضاء على استعمال الديناميت . ولعل ذكرى السنين العجاف من حياته ، التى أضناه فيها الكفاح بعد ما زار الولايات المتحدة عام ١٨٥٠ ليعمل فى خدمة المخترع الاسكندنافى الأسبق جون إريكسون John Ericsson ، أوحت إليه بوجوب تخصيص إعانات للعلماء كى يتيسر لهم متابعة أبحاثهم ووجوب مساعدتهم حين الاخفاق . فلما واتاه الحظ حقق ذلك فى وصيته إذ أثبت فيها قبل وفاته أن فوائد ما يتركه من رأس مال يجب أن تقسم سنويا إلى خمس جوائز ، تبقى إحداها وقفاً على علم الطبيعة ، وأخرى وقفاً على الكيمياء ، وواحدة للطب أو علم التحليل النفسانى ، ورابعة تخص مشكلة السلام ، وخامسة ترصد للأدب . وتمنح جائزة الأدب سنويا كما هو نص الوصية ، « إلى الشخص الذى أنتج فى عالم الأدب أحسن كتاب حوى نزعات مثالية » . ووكل أمر اختيار ذلك إلى المجمع السويدى . والحق أن هذه الجائزة التى تتراوح بين اثنى عشر ألفاً وخمسة عشر ألف جنيه تهيئ لأى أديب حياة راضية مرضية

أما جائزة جونكور فلا زالت على عهدها منذ نشأتها فى سنة ١٩٠٣ أشهى ثمرة يتهافت عليها الأدباء فى فرنسا . وهذه تمنح دون استثناء للأدباء الناشئين . وهى أرفع منزلة من مقعد ثابت فى المجمع الفرنسى . وتعد جائزة جونكور الدرجة الأولى من سلم

العلياء الأدبى . وهنالك جائزة فرنسية أخرى لها صـداها فى خارج البلاد الفرنسـية هى جائزة ڤمينا . وكانت « مجلة ڤمينا » Femina قد تآزرت عام ١٩٠٤ مع « مجـلة لاڤى أوروز » La Vie Heureuse على منح جائزة قدرها خمسـة آلاف فرنك لأحسن رواية توضع باللغة الفرنسـية فى نظر لجنة الـكاتبات الفرنسـيات . وأنشأت هذه اللجنة النسائية عام ١٩١٩ جائزة شبيهة بتلك وقفتها على المؤلفين الانكليز لـما بين البـلدين من صداقة . ثم أنشأن عام ١٩٣٢ « جائزة ڤمينا الأمريكية » لتكون قاصرة على الأدباء الأمريكيين

وأهم الجوائز الأدبية التى تمنح فى بريطانيا العظمى هى أولاً : الجوائز التذكارية لجيمس تيب بلاك James Tait Black Memorial Prizes التى تمنح فى ربيع كل عام من أجل تاريخ حياة شخص عظيم أو من أجل رواية طابعها بريطانى . وعلى أستاذ آداب اللغة الانـكليزية فى جامعـة أدنبرج أن يختار أحسن الأعمال . وثانية الجوائز « جائزة هوثرن » Hawthornded Prize التى تمنح لأحسن قصة يضعها كاتب انـكليزى دون الحادية والأربعين من عمره . أما جوائز بولتزر Pulitzer Prizes فقاصرة على الـكتاب الأمريكيين من ذوى المواهب الفذة ، على أن تظهر هذه المواهب فى أعمالهم الأدبية

* * *

ولا ريب فى أن جائزة نوبل اليوم هى أعظم الجوائز فى عالم الأدب إطلاقاً ، إذ هى لا تؤثر قومية على أخرى . ثم إنه لا يحكم بها من أجل كتاب مفرد ، بل يجرى الحـكم بها بعد التثبت من صلاحية شطر من مؤلفات أديب بذاته ، وهى لهذا السبب غالباً ما تمنح فى خريف حياة الـكاتب الأدبية وبعـد أن يستـكمل نضوجه الأدبى . وتشبه جائزة نوبل فى ذلك اعتراف الشهود على ميت بطيبته وحسن عمله فى الحياة ، ولعل مستر سنكلر لويس Sinclair Lewis أحد الشواذ الذين يثبتون صحة هـذه القاعدة ، فقد أنتج كثيراً بعد ما أحرز جائزة نوبل

أما الجوائز الاخرى التى تقـل عن جائزة نوبل شأناً ، وقد ذكرت من قبل ، فهى كثيراً ما كانت متحزبة فى قصدها متأثرة بروح العصر فى اختيارها . ثم إن الضيق المـالى الذى شمل العالم فى السنين الأخيرة لم يدع لواحدة من هذه الجوائز أن تصل إلى جزء من أربعين جزءا من جائزة نوبل ، وإن كانت تطبع صاحبها بطابع الجودة وتدمغه بخاتم الذهب الابريز فى نظر القارىء والناشر على السواء . ومن ثم يحرز المؤلف مكانة بعد أن يكون مهملاً الاهمال كله . والحق أن الجائزة أياً كانت تدق الطبول لصاحبها فيتنبه الناس إلى أن لهذا الرجل كتاباً لا يمكن التغاضى عن قراءته . وهذا مثلاً هنرى وليمصن Henry Williamson لم يكن معروفاً إلا لنفر قليل ، فما هو إلا أن منح جائزة هوثورن من أجل كتابه « تاركا ، كلبة الصيد » Tàrka the Otter حتى تهافت الناس على قراءة كتابه وذاع اسمه فى كل محيط . وعند ما قضى المحكمون بمنح جائزة جونـكور لأندريه مارلو André Malraux لـكتابه حظ شخص Man's Fate لفتوا العالم الى واحد من أدباء الشباب فى فرنسا الذين يعملون ويجاهدون للمثل العليا . وكانت جوزفينا جونصن Josephine Johnson قد باعت من كتابهـا « الآن فى نوفبر » Now in November مدى أحد عشر شهراً من بدء ظهوره ١٠ آلاف نسخة . وما إن منحت جائزة بولتزر من أجله حتى وصلها بين عشية وضحاها ٩ آلاف طلب ممن يريدون الاستمتاع بهذا الـكتاب . وخلاصة القول إن هذه الجوائز القومية تحرض الناس على القراءة وتدفع الأدباء إلى تحسين الانتاج

ثم هنالك معركة حامية أبدا مستعرة دائماً فى الخفاء بين الـكتب ، وليس لدى الذين لم يندمجوا بعد فى تجارة الـكتب أى فـكرة عنها ، فالتنافس بين المؤلفين بلغ شـدته القصوى ، وهو فى هذه الشدة قاس عظيم القسوة صلف قوى ، وليس للتسامح أو اللين أو الهوادة اليه سبيل ؛ ولعل هذه الحرب اليوم أشد استعاراً مما كانت عليه فى سابق الأيام

ومهما تـكن الحال فستبقى الديموقراطية عرجاء حتى يكون من واجبات الدولة تمرين الجماهير على كيفية القراءة المنتجة . وأول الخطوات فى ذلك أن تبين للناس أحسن وأثمن وأنفع الـكتب ، ولـكن إلى أن نصل إلى مثل هذا العهد ستبقى أسواق الـكتب مملوءة بمـا يظهره الناشرون فى كل يوم ، أولئك الناشرون المنتشرون فى كل بلاد الشرق والغرب ، وستبقى جمهرة القراء فى حيرة عندما يعمدون إلى انتخاب كتب للقراءة ، ويكفى دليلاً على هذا حال الولايات المتحدة ، فقد أصدر الناشرون فيها برغم كساد سوق الـكتب منذ عام ١٩٣٠ قدرا لا يقل من ٥٠٠٠

# تعزية باطلة

للأستاذ خليل هنداوى

« إن فى العمر مرحلة تنفق الحقيقة والذكرى
فيها على بث الألم »

سمرنا إلى أن غفا السامر وأعيا من السهر الساهر
تعالى إلىَّ لنطوى الزمان وننشر ما لفَّه الغابر
فليس لنا من غد حاضر وليس لنا أمل سافر
تعالى نفر إلى عزلة يفر إلى مثلها الشاعر
تعالى نعود إلى نجوَيات تقربها النفس والناظر
تعالى نعود إلى الذكريات الـ متاق ، فقد يشتهى الذاكر
تعالى إلى حيث لذاتنا خفقن كما يخفق الطائر
ففى كل صوب لنا مشهد نضير بآمالنا زاهر
وفى كل وادٍ لنا نشوة يعربد شيطانها الفاجر
تعالى الى حيث فاح القديم بأحلامنا ، وانتشى الحاضر

***

دنا ودنت ، والشفاه التقت فما باح من سرها خاطر
ولم تتوثب عليها أمانٍ ولم يمش فيها هوى ساعر
فأدركه وجل خائف وأدركها وجل حائر
أيرجع عهد الشباب النضير ويسطع منه الشذا العاطر ؟
هو العمر غاضت بشاشاته يعذبنا طيفه الزائر . . .

(دير الزور) خليل هنداوى

---

كتاب جديد فى كل سنة من سنى الأزمة ، ومع ذلك فالكتب التى تقرأ محدودة العدد

ولهذا فالحاجة ماسة إلى حسن الانتخاب وصحة التأكيد .

وليس أجدر بحل هذا المشكل من الجوائز الأدبية . وليتنا نحن الناطقين بلغة الضاد نأخذ بهذه السنة

ابرهيم ابراهيم يوسف

ملخصة عن :
The Meaning of Literary Prizes by Edward Weeks

وحى الريف

# زهرة القطن

أو

# ذات الثوب الذهبى

بقلم أحمد فتحى مرسى

أشرقت فى البلادِ سهلاً فسهلاً زهرة فى الحقولِ ياما أُحَيْلَى
تنثنى فى الغصون إن هبت الريـ حُ وجر النسيمُ فى الحقل ذيلا
الندى سائلٌ على وجنتيها رطَّب الخد والجبين وحلّى
تلثمُ الريحُ ثغرَها ثم تمضى وتجوب الحقول حقلاً فحقلا
وتُسِرُّ الغداةَ فى مسمعيها عن مدى حبِّها حديثاً وقولا

***

قمتُ بين الرياض ذات صباح أقتل الوقت والفراغ المُملا
وتخيَّرتُ فى الفضاءِ مكاناً راقَ فى ناظرى مياها وظلا
ووقفتُ الغداةَ أرعى الحقول الـ خضر مستعرضاً بهاها مُطلا
شدَّ ماراقنى جمالُ رياضٍ أشرقت فى الضحى شعاعاً وطَلّا
وزهورُ القطن البهيجة فى الحقـ ـل تَهاوى على الرُّبى وتَجلّى
يرقصُ اللوزُ فى سنا الصبح رقصاً وتميل الزهورُ فى الغصن ميلا
والحقول الوِضاء تبدو سماء أطلعت زاهر الكواكب ليلا
وكأنَّ الحقول مائدة خضـ ـراء والريح لاعبٌ يتسلى
وكأن الزهور أوراق لعب نُثرت فوقها وحلت محلا

***

قد أثرت الربوع يا زهرة القطـ ـن فهلا أثرت قلبىَ هلا
أنت حسن الحقول فى ذلك الريـ ـف ومصباحها الجميلُ المحلى
أنت دنيا الفلاح والعقل والما ل ولولاك ضاع مالاً وعقلا
أنت ليلاهُ فى الغدوِّ وفى الرو ح وقد جُنَّ فى الحياة بليلى
أنت سؤل البلاد والأمل المنشو د والمطمح العزيز المُجلَّى

أحمد فتحى مرسى

# القصص

## صديقة الطلبة

للشاعر الفرنسي الشهير دبمسيه

ترجمة السيد مظفر البقاعي

— ١ —

كان بين طلاب معهد الطب في جامعة باريس فتى لم يتجاوز التاسعة عشرة من العمر يدعى « أوجين أوبرت » ، وهو من أسرة طيبة أقام أبواه في الريف وخصصا له نفقات ضئيلة كانت تقوم بأوده ، وكان الشاب محبباً إلى رفاقه لطيب عنصره ودماثته وسخائه ، وإنما كانوا يأخذون عليه انصرافه إلى الوحدة ورغبته عن الملاهي حتى لقبوه « بالطفلة » فكان يبتسم لدن سماع اللقب يقيناً منه أنه دعابة نزيهة

وكان أوجين يمقت الغانيات ويعدهن من جنس خطر غادر ، فيسرد بين سمع صحبه وبصرهم أدلته الوفيرة على رأيه ، إلا أن هؤلاء كانوا يسخرون من مزاعمه ، وبذهم في ذلك فتىً من خلانه مرح ماجن يدعى مارسيل كان لا يفتأ يحاوره ويجادله :

— أتزعم أن خطأ أو عارضاً حدث اتفاقا يجيز لك وضع قاعدة مطردة ! ...

— بل إني أرى وجوب اجتناب أمثال هذه الأخطاء خيفة تكررها

— هذه سفسطة ...

ويطول الحوار في المقهى ، والرفاق شهود ، ويحرص مارسيل خلاله أن يثبت لأوجين أن النساء وخصوصاً العاملات منهن طاهرات وفيات ، ثم يتخلص من ذلك إلى وصف جارة لأوجين اسمها ميمي بنسون بأوصاف مغرية يعل منها هذا فيتناول قبعته وينسل بلطف تاركا مارسيل والمواعظ تتدفق من بين شفتيه ...

— ٢ —

لم تكن ميمي بنسون جميلة بالمعنى المعروف لدى الباريسيين ، ولكنها كانت عاملة فتانة ، وهناك فرق بين الغادة الوسيمة والعاملة الوضيئة ، فتلك إذا ما ارتدت ثوباً بسيطاً وصدارا من حرير وخمارا صارت عاملة رشيقة ، وأما هذه فانها لو لبست رداء زاهياً ومعطفاً مخملياً فوقه وغطت رأسها بقبعة ، فربما بدت حسناء ، وقد تتراآى للعيان كمشجب علقت عليه الثياب المذكورة

وقد كانت الآنسة بنسون ذات أنف أخنس وفم أشدق وأسنان جميلة ووجه مستدير وعينين براقتين فيهما حور ، وشعر أسود ؛ وليست هذه أوصاف حسن باهر ، ومع ذلك فقد قرر مارسيل اغواء أوجين واغراءه بحب هذه الفتاة ؛ ولعل هذا لأنه كان هو نفسه مغرماً بالآنسة زليا صديقة الآنسة بنسون الحميمة ، راجياً أن يكون التحبب داعية الحب . ولئن كان ذلك ممكناً ، بل لو كانت المصادفة أقوى الفتن والغوايات ، فكم من أناس عجز الاتفاق عن التغلب عليهم وباءت المصادفة بالفشل ازاءهم ... ومن تلكم النفوس كانت نفس أوجين

لم يكن مارسل يجهل سجايا خدينه ، فرسم خطة سهلة أيقن أنها رائعة فعالة في التغلب على ثبات صاحبه ومقاومته ، ذلك أنه أولم احتفاء بعيد مولده ولمة كان قد هيأ لها بضع زجاجات من الجعة ، وقطعة لحم قديد ، وشيئاً من السلطة ، وقرص حلوى كبير ، وزجاجة من خمر شمبانيا . ودعا طالبين من رفاقه ، وطلب إلى صديقته زليا أن تأتيه مساء يومئذ وبصحبتها الآنسة بنسون . وفي الموعد المضروب عندما كانت الساعة تدق السابعة طرقت العاملتان الباب ودخلتا : زليا مرتدية ثوباً قصيراً مخططاً ، وبنسون رداء أسود لم يكن يفارقها . وبعد أن جلستا واحتستا الكأسين الأوليين استأذنهما رب المنزل في التغيب قليلاً ،

وقصد توا إلى منزل أوجين فوجده كعادته محاطاً بكتبه مكباً عليها، فبعد كلمات منمقة غير ذات معنى، بدأ يلومه برقة وينعى عليه اجهاده نفسه، وينصحه بوجوب الاستراحة والتلهي، ثم اقترح عليه القيام بنزهة قصيرة، فقبل أوجين الاقتراح لأنه كان متعباً بعد إذ قضى يومه فى الدرس والمطالعة. وبعد جولة لم يعد صعباً على مارسيل أن يستزير صديقه، وكان الفتاتان قد أطلقتا لنفسيهما العنان إذ داخلهما السأم من الانتظار، فخلعتا وشاحيهما وحسرتا، ثم أخذتا ترقصان وتتذوقان ما على الخوان على سبيل التسلية. فلما دخل الشابان وقفتا فى ذهول وقد توردت وجنتاهما، ثم حيتا أوجين فى استحياء وحيرة ودهشة لعرفانهما سلوكه واعتزاله، وبعد أن أجالتا فيه النظر عادتا إلى الرقص والغناء؛ أما أوجين فقد تقهقر ليولى الأدبار لولا أن أقفل مارسيل الباب وألقى المفتاح على المائدة وصاح:

— لقد امتلكنا هذا النافر المتكف.. أقدم لكما يا آنستىّ أفضل شاب فى فرنسا، وهو راغب فى التشرف بمعرفتكما منذ زمن طويل، وإنه جد معجب بالآنسة بنسون

فكفت الصبيتان عن الرقص، وحيتا أوجين كرة أخرى، وقال له مارسيل:

— إنى قدتك بالرغم منك لتشاركنى فى عيدى الخاص، فهلا فعلت؟

وباشارة من مارسيل قالت له بنسون بصوت عذب: ذلك رجاؤنا يا سيدى

ووافى القوم آنئذ الطالبان المدعوان، فلم يعد لأوجين سبيل إلى الخلاص فجلس على مضض

— ٣ —

دام العشاء إلى ساعة متأخرة أكثر خلاله الفتية من تدخين اللفائف واحتساء العقار. أما العاملتان فكانتا فكاهة المجلس وتعلة السامر بأحاديثهما الشائقة وفيها المعقول والمبالغ فيه: فنها أن كاتبين ربحا فى القمار عشرين ألف فرنك وبدداها مع عاملتين خلال ستة أسابيع؛ وأن ابن أحد أعاظم أغنياء باريس قدم لفسالة معروفة «لوجا» فى الأوبرا وداراً فى الضاحية فرفضتهما وآثرت أن تظل بارة بأبويها المعجوزين؛ وأن وجيهاً زار عاملة فنفاها أولو الأمر إلى أمريكا وأعطوها محفظة مفعمة بالأوراق المالية...

فقاطعهما مارسيل أخيراً قائلاً: إن زليا تبتكر وتغرق، أما الآنسة ميمى فقد فاتها أن الكاتبين ما ربحا شيئاً، وما قدم الفتى غير برتقالة، والعاملة فى المستشفى فى أشد حاجة إلى القوت...

نهضت عندئذ بنسون — وقد لاح لأوجين أنها اصفرت عند سماعها الجملة الأخيرة — فقالت:

— إن كان مارسيل لا يصدق القصص فليسمع هذه الحادثة وقد كنت أحد أبطالها:

ذهبت فى الأسبوع الفائت مع اثنتين من صديقاتى وهما بلانشت وروجيت إلى مسرح (الأدبون) لمشاهدة رواية، فاستأجرنا لوجاً ودفعت روجيت الثمن — إذ كانت قد ورثت مالاً، فرآنا ثلاثة طلاب ودعونا للعشاء، فقمنا إلى مطعم المسرح مع الأبطال وأخذنا نطلب أنخر الأطعمة وأغلاها وأسرفنا فى الطلب؛ وكنا كلما قدمت صحفة تناولنا منها لقمة أو لقمتين ثم نستبدلها من غيرها، والشبان الثلاثة يحرقون الأرم على أن لو استطاعوا ازدراد شىء من الصحون المرفوضة أو المعادة؛ وجعلوا أخيراً يفكرون فى أمر الدفع فقد كان مع أحدهم ستة فرنكات ومع الثانى دون ذلك ومع الأخير ساعته. ثم قاموا متثاقلين يجرون أرجلهم نحو المحاسب الذى ابتدرهم بقوله: الثمن مدفوع، لأن روجيت دفعت الثمن سلفاً. ثم عرضنا على السادة المذكورين إبلاغهم إلى دورهم ولكنهم مانعوا ورفضوا جهدهم فأصررنا وقد تظاهرنا بأننا ثريات نبيلات، وكانت روجيت تقول لى:

— يجدر بنا أيتها المركيزة أن نقود السادة إلى منازلهم

فأجيبها: حباً وكرامة يا كونتس!

لم ترق هذه القصة للتلميذين صديقى مارسيل، فوجما وقد اغبر وجهاهما، ولعلهما كانا يعرفان تفاصيل الحديث أكثر من الآنسة بنسون التى طلب منها مارسيل أن تسميهم له فرفضت، فسر أوجين من إبائها وأثنى عليها قائلاً:

— أنت محقة أيتها الآنسة، إذ ليس بين الشبان الذين علأون الجامعات والمدارس من خلا من خطيئة ارتكبها، أو طيش فعله، ومع ذلك فكل رجال فرنسا البارزين من سياسيين وقضاة وأطباء إنما يخرجون من هناك...

وقال مارسيل: هذا حق، فكم من عين قضى طفولته يتناول الطعام فى أحقر المطاعم، بل ربما لم يكن لديه ثمن القوت

ثم سألها وهو يغمز بعينه : ألم ترى بمدئذٍ العشاق المجهولين ؟ فأجابته غضبى نافرة : من تحسبنا ؟ أو لا تعرف بلانشت ورروجيت . . . فقاطعها قائلا : حسناً لا تغضبى ، ولكنها قصة ثلاث طائشات يدذن مالهن وأضمنه جزافاً كى يسخرن بثلاثة مساكين لا يد لهم فى الأمر !

فأجابته : ولم إذن دعونا ؟

— ٤ —

طلب مارسل إلى ميمى أن تغنى ، فأنشدت مديحاً قيل فيها يتلخص فيما يلى :

« ليس لميمى غير ثوب واحد وقبعة . رداؤها لا يرتهن مدى الزمن مهما اعتراها من محن »

وكانت الجمل الثلاث الأخيرة لازمة الأغنية ، جعل السامعون يرددونها ، ويضربون الطاولة بمقابض السكاكين أو بالغلايين فيحدث من ذلك دوى شديد أزعج الآنسة المغنية فقالت : كفى ، ليت عندنا آلة موسيقية نرقص شوطاً على إيقاعها

قال مارسل : لدى قيثارة لكن أوتارها ناقصة

وقالت زليا : هو ذا بيانو وسيعزف عليه ما رسل . فحدجها هذا بنظرة غضب قاسية وقال : إنك تعلمين أننى لا أكاد أعرف عزفاً ، وأن ليس سواك من يستطيع أن يلاعب أصابع العاج ؛ ولو كنت طلبت ذلك من أوجين لسقطت على الخبير ولكنى لا أريد إزعاجه

فاحمر وجه أوجين وانسل بكياسة فجلس إلى البيانو وأخذ يعزف فابتدأ الرقص ، ولكنه لم ينته إلا بعد أمد طويل إذ جعل القوم يتنقلون من رقص إلى رقص دون كلال أو ملال ، وأنهك السهر والصياح أعصاب أوجين فاستولى عليه النعاس ولكنه استمر يعزف بصورة آلية كالفارس النائم على فرسه ، وكانت الراقصات تمررن من أمامه كأشباح فى الحلم . ولا مرية فى أن الحزن يستولى على من يرى غيره يضحك بمعزل عنه ، وكذلك عاودت أوجين بلابله ووساوسه فجعل يناجى نفسه :

هذا لعمرى سرور من حزن واغتباط من بؤس ، وإنها لحظات يخيل إلى أنها اختلست من أوقات الشقاء . ومن يدرى أى واحد من هؤلاء الخمسة لديه ما يسد به رمقه غداً ؟ !

وبينا هو غارق فى لجة أفكاره وهواجسه مرت بقربه الآنسة بدسون وخيل اليه أنها اختلست قطعة الحلوى من الخوان ودستها فى جيبها

— ٥ —

وانبلج الصباح فانفض السامر وتفرق السمار ، ومضى أوجين يدلف فى الدروب والسكك يستنشق نسيم الصباح العليل وهو ممعن فى خوض عيلم من أفكاره السوداء وصار يردد على رغمه :

« ليس لميمى غير ثوب واحد وقبعة » . ويتساءل : — هل تدفع التعاسة الانسان إلى التظاهر بالجذل والسخر من البؤس ؟ وهل يفتر ثغر جائع عن ابتسامة ! . . .

وكان يعتاده الأسى إذا ما ذكر أمر اختلاس الحلوى فيهتز حنواً ورحمة ويقلب الأمر ظهراً لبطن ويقول :

— ترى لم سرقت الحلوى ولم تسرق الخبز ! . . . ثم لا يلبث أن يلتمس لها عذراً

لم ينتبه أوجين ليرى أين طاحت به قدماه ، فدخل اتفاقاً بعض المنعطفات التى أدت به إلى أزقة ضيقة ، فلما تبين ذلك عاد أدراجه فرأى امرأة هزيلة صفراء الوجه شعثاء الشعر أطمارها بالية خرجت من دار قديمة ، وقد بدا عليها السقام واصطكت ركبتاها حتى لم تكد تستطيع مشياً فجعلت تعتمد على الجدران

وبدا لأوجين أنها تقصد صندوق البريد القريب فابتدرها مضطرباً وسألها عن أمرها وهدفها ، ثم مد لها ذراعيه لتستند عليهما وقد شارفت على السقوط فازورت فى كبرياء ووجل وألقت إليه بالبطاقة التى تحملها ، وأشارت إليه أن يضعها فى الصندوق وعادت تجر ساقيها مشية النزيف أمضه الونى حتى دخلت دارها ، فتحرك لها فؤاده ورقت لها حناياه وأشاطه الحنو بعد رزانة ففض غلاف الرقعة دون ما روية أو تريث إذ أدرك أن هذه السقيمة قد تقضى قبل أن تتلقى جواباً ، وكان عنوان الغلاف : « الى حضرة البارون . . . » وفحواه ما يأتى :

« انل يا سيدى كتابى ولا تهمله ، فأنا أموت جوعاً إذ لم أحصل على بلغة منذ أيام ، وأمس بت على الطوى وما أزال ، وقد لا يصل كتابى إليك إلا وأصبح شريدة بلا مأوى ، فقد أقعدنى المرض عن العمل لأكسب قوتى وأدفع أجرة المسكن . أرسل لى بربك ديناراً بلا تأخر ، ولا تدعنى فى شك يلتهم ما أبقت الآلام منى ، إنى منتظرة حتى نهار الخميس فى دارى : شارع

الهماز ، واسمي الجديد الآنسة برنان » « روجيت »

دهش أوجين أشد دهشة لما رأى التوقيع وتمتم قائلاً :

— إنها الفتاة التي بددت دراهمها نفسها ... لقد ألقى بها الداء إلى هذه الهاوية من الذل ! ... وأردف يتابع نجواه :

— ليت شعري ألم تعلم صديقاتها بأمرها ؟ أم ترى تركنها تتضور جوعاً وفي العراء من غير ملجأ ! ...

وأفاق من ذهوله كأنما كان في حلم مريع فسارع إلى طاه كان يفتح حانوته فابتاع طعاماً ثم سار يقود أجير الطاهي إلى دار روجيت ، فلما وصلها أوعز للغلام أن يطرق الباب ويعطيها الطعام فان سألته عن مرسله فليقل إنه « البارون ... » ثم سار متثاقلاً فأصلح من شأن الرسالة وألقاها في صندوق البريد وهمس يحدث نفسه :

« أما إذا رأت روجيت أن جواب بطاقتها كان سريعاً فستفهم السر من البارون »

— ٦ —

كان أوجين يرى من الواجب أن يرفق المائدة المرسلة بالدينار المطلوب ولكنه كان خالي الوفاض صفر اليدين . فان الطلاب كالعاملات فقراء ، وليست الدراهم بضاعة رائجة في الحي اللاتيني ؛ لذا قصد فتانا حلاقاً مرابياً في ساحة البانطيون ليرهن بعض حاجاته وهناك ألفى خليله مارسل يحلق لحيته ويقترض مالاً يفي به ثمن عشاء الأمس ، فلما أبصره هذا سأله عن جلية أمره فأطلعه بإيجاز على قصده ، فسخر منه مارسل وصار يعنفه وأوجين لا يزداد إلا متانة وعزماً ، وأخذ يلوم ميمي بنسون وأضرابها من الصديقات اللواتي يتناسين عشيراتهن بالأمس ويوجه إليهن سهاماً صائبة من الانتقاد والاحتقار الشديد إلى أن قال :

— إن فتاتك بنسون غول فظيع عدا كونها متهللة خليعة ماجنة . أما صداقتها فمادية ممقوتة

فقال الحلاق المرابي واسمه الأب كاديديس :

— إنك قاس وحكمك جائر لأني أعرف الآنسة بنسون وأعتقد أنها نبيلة سامية وهي عظيمة

فأجاب أوجين : — نعم هي عظيمة في شراهتها وكثرة تدخينها

فقال المرابي : — ذلك ممكن وأكثر الشبان ما بين آكل وضاحك ومغن ومدخن ، على أن منهم من له قلب يحس ويتألم

فسأله مارسل : — ما ذا تقصد ؟

فأجاب الحلاق : — هناك في مؤخرة الحانوت ثوب حريري تعرفانه يا سيدي لأنكما تعلمان أن صاحبته لا تملك سواه ، وهي الآنسة ميمي التي رهنتنيه فجر اليوم لكي تدفئ روجيت أولاً فانها في أشد عوز

ودخل مارسل إلى أقصى الحانوت ليشاهد الثوب العتيد وتبعه أوجين فقال الأول :

— إن أنشودة ميمي كاذبة إذ رهنت رداءها ! ... كم أعطيتها أيها الأب كاديديس على هذه الرهينة الثمينة

— أقرضتها أربعة فرنكات وكنت لها محسناً لأن الثوب بال قديم . فصاح مارسل :

— مسكينة ميمي ! أراهن على أنها رهنت الرداء لتساعد روجيت ؟

فقال أوجين : — أو لتدفع ديناً مطولاً

وأردف المرابي قائلاً : وإني لأذكر أن بعض دائنيها حجزوا على أثاث دارها ولم يتركوا لها سوى سريرها وكانت نائمة عليه وقد ارتدت أربعة أثواب فوق بعضها كيلا يأخذ الغرماء واحداً منها ، وقد كانت يومئذ في حال خير من حالها اليوم ، فلم ترهن ثوبها إذن لتفي ديناً ، ويدهشني أن يكون ذلك لمونة بائسة مثلها

واسترد مارسل الثوب بعد أن دفع قيمة الرهن ، وخرج مع صديقه — الذي أصر على أن الرهن ليس من أجل روجيت — فقصد دار ميمي تنفيذاً لرهان عقداه

— ٧ —

— ذهبت الآنسة إلى الصلاة

هذا ما قاله البواب للطالبين عند ما سألاه عن ميمي

فصاح أوجين في عجب : إلى الصلاة !

وردد مارسل : إلى الصلاة ! هذا مستحيل لأنها لم تبرح الدار . دعنا ندخل فنحن أصدقاء قدماء

ولكن البواب أكد لهم أنها خرجت مذ هنيهة إلى الكنيسة المجاورة دأبها كل صباح . وفيما هم كذلك إذ ظهرت تجتاز الشارع فأسرع مارسل ينعم النظر في أثوابها فرآها ترتدي غلالة عتيقة مؤزرة بستارة نافذة من الصوف الأخضر ، وقد

سترت رأسها بنصيف أبيض فبدت بهذه الأطمار خلابة وأزاحت الستر قليلاً فبانت قامتها الهيفاء . وقالت للفتيين : — هـذا ثوب تنفضل

فقال مارسل — لعمرى إنك فاتنـة . قالت : إنى غدوت كحزمة . قال : بل طاقة ورد ، وإنى نادم إذ رددت لك ثوبك .

قالت : وأين وجدته ؟ !

قال : فككت أسره ، وأطلقت رقه ، ودفعت فديته ، فهل تغفرين جرأتى ؟

قالت : نعم وسأنتقم

وأخذت ترق الدرج إلى غرفتها وخلفها الصديقان حتى وصلت إليها ، فدخلوا جيماً . وقال مارسيل : — لا أعيد لك الرداء إلا على شرط

قالت : ويحك ! أشروط ! إنها حماقة لا أريدها

قال : لقد تراهنا ! فقولى بصراحة لم رهنت ثوبك ؟

قالت : دعنى أرتديه ثم أخبركما عن السبب . استرا وجهيكما كى لا أضطر الى لبسه فى الخزانة أو على السطح . فأجاب مارسل : — اطمئنى فلن نختلس نظرات

— إنى أثق بكما ولـكن قيل : احذر الأمين

وخلعت الستارة وألقتها على وجهى الشابين ، وأمرتهما بالصمت والخضوع ، فقال مارسيل : احذرى أن يكون فى الستر خرق نراك منـه ، فقد جعلنا فعلك فى حل من كلامنا

فهتكت الستار ضاحكة فقالا :

— سرك يا آنسة هلا بحت لنا به وأنجزت وعدك ؟

فترددت هنيهة ثم دفعتهما نحو الباب وقالت :

— تعاليا معى فتريا

— ٨ —

بعد مسير غير قصير فى طرق ملتوية ودروب ضيقة سار فيها أوجين من قبـل وصل الثلاثة إلى دار روجيت فدخلوها ، وقد ربح مارسل الرهان لأن الأربعة فرنكات وقطعة الحلوى التى سرقتها الآنسة بنسون أمس كانت على المائدة مع فضلات الدجاجة التى أرسلها أوجين

وكان حال المريضة خيراً من قبل ، وكان شكرها للمحسن المجهول عظيما . وقد اعتذرت بواسطة صديقها بأنها غير قادرة أن تستقبل الشابين فانصرفا متعجبين من هذه الكبرياء وهذه العفة

وبعـد أن حضرا دروسهما فى المعهد تغديا معاً ، وفى المساء خطرا يتنزهان فى الشارع الايطالى . وأخذ مارسل يحاور عشيره ويحاول إقناعه قائلاً :

— طالمـا لمتنى على حبى هؤلاء العاملات ، وقد رأيت من طيب أنفسهن ونبلهن البرهان القاطع . من هو ذلك المحسن الذى قام بما قامت به ميمى من أجل صديقتها ؟ إن فتاة ترهن ثوبها الوحيد وتسرق قطعة حلوى لتساعد رفيقتها لجديرة بالتقديس وخلود الذكر . أما تلك العليلة فانها لا تقل عن خدينتها شرفاً وطهراً ؛ ولو أن فيها أدنى شائبة لمـا طلبت كسائلة صدقة من أحد . وكادت تقضى منتظرة لولاك ، فلم تخش موتاً محققاً ، وهى التى عرفت حلاوة العيش عند ما ألقت بنفسها فى النهر مرة من قبل

فقال أوجين : حسبك يا مارسل ! أتظن أن أيامى كهؤلاء بلا عائل ولا سند هن ذوات حنكة أو دراية كافية ؟ وهل يا ترى نذرن أنفسهن البائسة للشقاء والتعاسة ؟ ليت شعرى متى يعدن إلى جادة الخير والصلاح ؟ ألا قل لى أو لا تعاملوهن يا معاشر الشباب بطيشكم ومجونكم المعهودين ؟ ! هيا بنا إلى دار روجيت المريضة علّنا نحملها على أن تسلك الصراط المستقيم ، ولن أطلب منها قسما بل لا أؤنبها ولا أوبخها ، ولـكنى سأقترب من سريرها فآخذ بيديها وبدى صاحبتها وأقول لهما . . .

ومرّ آنئذٍ أمام مقهى لاح لهما فيه على ضوء المصباح وجها فتاتين تأكلان حليباً مجمداً ، فلما رأتا الشابين لوحت لهما الأولى بمنديلها ، وقهقهت الأخرى ضاحكة . فقال مارسل مقاطعاً أوجين :

— واهاً ! إن كنت ترغب أن تحدثهما فهم هنا فى مرح ولهو ، ويظهر أن البارون قام بالمطلوب

فأجابه :

أولا يخيفك جنون كهذا ؟

نعم ! لـكنى أرجو ألا تطمن فى العاملات وخصوصاً اللواتى على شاكلة بنسون

(دمشق) مظفر البقاعى

# البريد الأدبي

## كتاب عن الحبشة للجنرال فرجين

صدر أخيراً في السويد كتاب جديد عن المسألة الحبشية بقلم شخصية كانت تشغل في الحبشة حتى الغزوة الايطالية المكانة الأولى، تلك هي شخصية الجنرال فرجين السويدي مستشار امبراطور الحبشة السياسي والعسكري من مايو سنة ٩٣٤ إلى ديسمبر سنة ٩٣٥، وقد ذاع اسم الجنرال فرجين أثناء الحرب الحبشية، وكاد وجوده إلى جانب الأمبراطور في بدء الهجوم الايطالي يؤدي إلى اضطراب العلائق السياسية بين ايطاليا والسويد؛ ذلك أن الجنرال فرجين عين مستشاراً للأمبراطور بواسطة حكومته، وكان تعيينه حلقة اتصال قوي بين الحبشة والسويد، وكان يوجد في الحبشة في بدء الهجوم الايطالي عدة ضباط من السويد يعملون لتنظيم جيش النجاشي، وكانت المعامل السويدية تصدر الأسلحة والذخائر إلى الحبشة، ولكن السويد رأت في النهاية أن تبتعد عن التدخل في هذه المغامرة فأمرت الجنرال فرجين وزملاءه بالانسحاب من الحبشة

والكتاب الذي ألفه الجنرال فرجين بالسويدية، وترجم أخيراً إلى الانكليزية عنوانه الحبشة كما عرفتها Abyssinia as I Knew وفيه يعرض الجنرال إلى الظروف والحوادث التي انتهت بهجوم ايطاليا على الحبشة، ويفصل حوادث الغزو حتى ديسمبر الماضي أي إلى انسحابه من ميدان الحوادث، وربما كان هذا القسم الأخير هو أهم أقسام الكتاب، ففيه يسرد الجنرال كل المقدمات والوسائل التي تذرعت بها ايطاليا لتنفيذ اعتدائها، ويقول إنه لم يكن خافياً أن ايطاليا تدبر هذا الاعتداء منذ زمن طويل، وأنها أرسلت قبل وقوع الاعتداء بأعوام عدة من الرسل والمندوبين بصفة قناصل في طول الحبشة وعرضها؛ واشتغل هؤلاء ببث الدعاية لايطاليا وكسب ولاء القبائل والزعماء بالرشوة والوعود، واشتغلوا أيضاً بتدبير المشاكل والمشاغبات مع السلطات المحلية لاثارة الخواطر وتحدي الأمبراطور

ومن جهة أخرى، فقد عملت ايطاليا من جانبها على اذاعة دعوى قوية في أنحاء أوربا والعالم كله ضد الحبشة وصورتها بصورة أمة همجية تهدد باستعداداتها الحربية مركز البيض في أفريقية، وتدبر الاعتداء على مستعمراتها، وأنه يجب على أوربا أن تشد أزر إيطاليا في موقفها وفي محاولتها أن تحمي مركز البيض في أفريقية، وأن تحمل رسالة الحضارة الأوربية إلى تلك البلاد الهمجية الوعرة

ويعتبر كتاب الجنرال فرجين بما فيه من حقائق وبيانات وثيقة عن هذه الحوادث الخطيرة أهم الوثائق التي صدرت عن الحبشة قبيل محنتها وسقوطها في يد الاستعمار الغربي

## حول مقالات الأستاذ كراتشقوفسكي

وردت في «ترجمة» الفصول التي تنشرها الرسالة للأستاذ المستشرق أغناتيوس كرانشكوفسكي عدة وقائع ونقط تحتاج الى الضبط والتصحيح وهذا بيان ما لفت نظرنا منها

(١) إن الأستاذ كراتشوقسكي يشغل منصبه العلمي «بأكاديمية العلوم بلننجراد» وليس بجامعة لننجراد كما ورد في تعريف المترجم، وانه ليس هو مترجم قصة «عودة الروح» لتوفيق الحكيم ولكن الذي ترجمها هو كاتب روسي آخر يدعى مسيو سالبير

(٢) وأن كتاب «زعماء الأدب العربي المعاصر» ليس من من تصنيف الدكتور كمبفاير وحده ولكنه اشترك في وضعه مع الدكتور طاهر خميري الأديب التونسي الذي يشغل الآن منصب محاضر في المعهد الشرقي بهامبورج

هذا عن المقال الأول

(٣) وأما عن المقال الثاني فقد ورد في آخره ما يأتي:
«وفي عام سنة ١٨٨٤» وضع جميل المدور «أخبار أيام هرون الرشيد» ؟

ونحن نجيب المترجم عن استفهامه وهو أن الكتاب المشار اليه يسمى «حضارة الاسلام في دار السلام» بقلم جميل بن نخله المدور؛ وقد طبع بالقاهرة سنة ١٨٨٨

## ذكرى الموسيقى بروكنر

من أنباء فينا أنه قد احتفل فيها فى الأسبوع الماضى بذكرى الموسيقى النمسوى الشهير أنتون بروكنر وذلك لمناسبة مرور أربعين عاماً على وفاته ؛ فأقيمت عدة احتفالات موسيقية كبيرة فى بهو جمعية الموسيقى النمسوية وفى بهو الكونسر فتوار وفى معظم أبهاء العاصمة النمسوية الأخرى ، واتخذت هذه الاحتفالات صفة رسمية . وأنتون بروكنر أحد أقطاب هذه الموسيقية الزاهرة التى غمرت النمسا وأوربا بفنها الرائع فى أواخر القرن الماضى ، وكان مولده فى سنة ١٨٢٤ ؛ وتوفى فى سنة ١٨٩٦ ؛ وتخصص فى الموسيقى الكنسية ؛ واشتغل أولاً موسيقياً لكنيسة لنز ، ثم انتخب موسيقياً لكنيسة البلاط ؛ وعين بعدئذ أستاذاً للكونسر فتوار ؛ وطاف بروكنر أنحاء العواصم الأوربية وعرض فيها « سمفونياته » الشهيرة وهى من أبدع ما وضع من مقطوعات الموسيقى الكنسية . ومما يؤثر عنه أنه كان ورعاً جداً حتى إنه أهدى مقطوعته الأخيرة المعروفة « بالمقطوعة التاسعة » إلى « الله سبحانه وتعالى » ولكن الموت عاجله ولم يتمها ؛ وكان القيصر فرانز يوسف يغدق عليه حبه وعطفه حتى إنه أهدى إليه مسكناً فخماً فى قصر « البلفدير » الشهير

## هرمان فندل

نمت إلينا أنباء باريس الأخيرة الكاتب الألمانى المعروف هرمان فندل فقد توفى فيها فى الثانية والخمسين من عمره ؛ وقد ولد هرمان فندل ألمانياً فى مدينة متزمن أعمال اللورين ، ولكن اللورين ضمت بعد الحرب إلى فرنسا ، فغدا فرنسياً ، وتلقى فندل دراسته فى ميونيخ ودرس الفلسفة والتاريخ ؛ وخاض منذ الحداثة غمار السياسة ، وانضم إلى الحزب الديموقراطى ، واشتغل بالصحافة ، واشتهر بمقالاته القوية اللاذعة ، ثم اعتزل السياسة واشتغل بالتاريخ ، وتوفر على دراسة تاريخ يوجوسلافيا السياسى والاجتماعى ، وقام فيها برحلات ومباحث عديدة حتى غدا مؤرخها الاخصائى . وأهم كتبه عنها كتابه المسمى : « نضال السلافيين فى سبيل الحرية والوحدة »

Der Kampf der Sudslaueu um Freiheib und Einheit

وله كتاب آخر فى دراسات مختلفة عن يوجوسلافيا عنوانه :

« فى أرجاء يوجوسلافيا الجنوبية »

Krewz und quer qurch den Slawisehen Süden

وفى سنة ١٩٢٠ ، طلبت إليه الحكومة الألمانية أن يكون سفيراً لها فى بلغراد فأبى ؛ وفى سنة ١٩٢٩ ، أنعمت عليه جامعة بلغراد بلقب الدكتوراه الفخرية لخدماته الجليلة لقضية السلافيين

## تبادل المؤلفات بين البلاد العربية

قررت الحكومة المصرية أن تتبادل إدارة الصحافة والثقافة والنشر مع حكومات البلدان العربية العراق والحجاز وسوريا وفلسطين واليمن وغيرها المؤلفات والمطبوعات التى تطبع فى مصر وفى تلك البلاد فترسل هذه الادارة إلى هذه الحكومات نسخة من كل ما يطبع أو يصدر فى مصر وترسل هذه البلاد إلى الادارة نسخة من كل ما يطبع أو يصدر بها من المؤلفات ، وهذا القرار جزء من الخطة التى رسمتها الحكومة المصرية لتوحيد الثقافة العربية فى جميع هذه الأقطار

## تاريخ العرب الأدبى للأستاذ نيكلسون

تبدأ ( الرسالة ) من العدد القادم فى نشر كتاب « تاريخ العرب الأدبى » للمستشرق الانجليزى الكبير الأستاذ رينولد نيكلسون صاحب التآليف المعروفة لكل مشتغل بالدراسات الاسلامية والتاريخ العربى . والأستاذ نيكلسون من المستشرقين الذين درسوا الأدب العربى دراسة دقيقة ووقفوا على أسرار العربية ، وله معرفة تامة بكثير من اللغات الغربية كالفرنسية والألمانية واليونانية واللاتينية والايطالية وبعض اللغات الشرقية كالسريانية والعبرية والفارسية والعربية . وقد ولد فى ١٩ أغسطس سنة ١٨٦٨ وتعلم فى جامعة أبردين التى صار فيها — فيما بعد — أستاذاً للعربية والفارسية ، وكذلك فى جامعة ترينتى كولدج بكمبردج ، وله كثير من المؤلفات والترجمات التى تتعلق بالآداب الشرقية وعلى الأخص العربية والفارسية ومن أهمها : (١) مختارات من ديوان شمس تبريزى ( ١٨٩٨ ) وتذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ( جزءان ١٩٠٠ ) ومبادىء العربية (٣ مجلدات) ١٩٠٧ ، ١٩٠٩ ، ١٩١١ ، وتاريخ العرب الأدبى ( طبع لأول مرة سنة ١٩٠٧ ولآخر مرة سنة ١٩٣١ ) وترجمان الأشواق لابن العربى مع ترجمته الانكليزية وتعليقات بقلمه ( ١٩١١ ) وكتاب « فى التصوف الاسلامى » وصوفيو الاسلام ( ١٩١٤ ) ونظرات فى التصوف ، وأسرار الروح (عن محمد إقبال ) ١٩٢٠ ، ودراسات فى الشعر الاسلامى ، وكتاب

# الكتب

## تاريخ الفلسفة اليونانية

تأليف الأستاذ يوسف كرم

المدرس بكلية الآداب

بقلم الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

منذ عام تقريباً ندبنا على صفحات « الرسالة » حظ الفلسفة فى بلدنا ؛ وأخذنا على العامة ازدراءهم لها وإعراضهم عنها وجهلهم بها ، وساءنا من الخاصة أنهم لا يأخذون بيدها ولا يقومون على نشرها ولا يحببون الناس فيها (١) ، وربما كان قسط الخاصة من شكوانا أعظم من غيرهم ؛ فانهم إن قاموا بواجبهم وكتبوا لنا فلسفة بلغة العصر وروح العصر اجتذبوا القراء إليهم ورغبوهم فى أبحاثهم . وكم شكا عشاق الفلسفة — وحق لهم أن يشكوا — من أنهم لا يجدون منها فى العربية الغذاء الكافى لأرواحهم وعقولهم ، وكأنى بهذه الشكوى جاءت إرهاصاً لما بعدها وإعلاناً عن نقص انفقت عليه الآراء ، ولا أدل على هذا من أن لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهى أعرف ما يكون بحوائج البلد العلمية ووسائل مدها ، قد وجهت عناية خاصة فى هذا العام إلى الدراسات الفلسفية وأخرجت لنا خمسة كتب فى نواحيها المختلفة (١)

ومن بين هذه الكتب تاريخ الفلسفة اليونانيـة الذى وضعه زميلنا الأستاذ كرم بعد خبرة طويلة وتجارب عديدة ، فقد وكل إليه تدريس الفلسفة بكلية الآداب بالجامعة المصرية منذ عشر سنوات أو يزيد استطاع فيها أن يعرف فلاسفة الأغريق عن قرب وأن ينفذ إلى صميم أفكارهم . ويقع مؤلَّفه فى ثلثمائة وخمسين صفحة تقريباً من القطع الكبير درست فيها المدارس الفلسفية اليونانية منذ عهد الشعراء إلى أواخر أيام مدرسة الأسكندرية ؛ وذيلت ببيان عن المراجع الهامة وقاموس مفيد فى الأعلام والألفاظ الفلسفية . وينقسم هـذا الكتاب إلى خمسة أقسام : مقدمة وأربعة أبواب . فنى القـدمة يعرض المؤلِّف للفكر اليونانى قبل الفلسفة ويتحدث عن عصر الشعراء والحكماء السبعة ، وفى الباب الأول يدرس الطبيعيين الأول والمتأخرين والفيثاغوريين ، والايليين ، والسفسطائيين ، وسقراط الذى يفصل بين مرحلتين متحيزتين من مراحل تاريخ الفلسفة ؛ ويقف الباب الثانى على أفلاطون ، والثالث على أرسطو . أما الباب الرابع والأخير فيتكلم فيه عن صغار السقراطيين والأبيقوريين وأصحاب الرواق والشكاك ورجال مدرسة الأسكندرية . وإنا لنلاحظ فى هذا التقسيم أنه عنى عناية خاصة وجديرة بالتقدير بالشخصيتين العظيمتين فى تاريخ الفلسفة اليونانية وهما أفلاطون وأرسطو ؛ فقد درس كل واحد منهما فى باب مستقل ، وليس هذان البابان من الأبواب الصغيرة ، فحديثه عن أفلاطون يقع فى ست وستين صفحة ، وترجمته لأرسطو تشغل ما يزيد على ثلث الكتاب جميعه (١٣٤ ص)

وفى الواقع لقد وزن المؤلف المدارس الفلسفية الأغريقية

---

(١) مدكور ، « الرسالة » (العدد ١٢٥) ص ١٨٨٩ — ١٨٩٠

(١) نشير هنا إلى كتاب البراجماتزم ليعقوب أفندى فام ، وعرض تاريخى لفلسفة والعلم تأليف وترجمة الأستاذ خلاف ، وفلسفة المحدثين والمعاصرين تأليف وولف كذلك وترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى ، وموسى بن ميمون تأليف الدكتور ولفنسون ثم إلى الكتاب الذى نتحدث عنه

---

كشف المحجوب مع ترجمة وتعليق بقلمه (١٩١١) وأشعار عمر الخيام ترجمة وتعليق ١٩٠٩ والمسعودى وغـير هذه من الكتب القيمة . وهو يعيش اليوم فى هدوء الشيخوخة بين أسفار الأدبين العربى والفارسى . ولكتابه فى الأدب العربى قيمة ممتازة بين كتب المستشرقين تتجلى فى سداد بحثه ووضوح أسلوبه واستقامة منهجه وقوة إدراكه لمختلف الآثار والعوامل التى طبعت أدب العرب فى كل عصر وفى كل بيئة

بميزان صحيح وقسم بحثه بينها قسمة عادلة ومتناسبة دون أن يفوته منها شيء هام، اللهم إلا أصحاب مذهب الاختبار الذين أهملهم رأساً وبعض شراح أرسطو فى الدور الأخير وفى مدرسة الأسكندرية بوجه خاص أمثال الأسكندر الأفروديسى، وسمبليسيوس، وثامسيتوس، الذين لم يشر إليهم إشارة كافية. وبالرغم من تشعب هذه المدارس وتعددها فقد عرضها فى صورة مرتبة مهذبة، وقسم أبحاثه إلى أبواب وفصول وفقرات هى غاية فى الدقة والوضوح. وليس بغريب أن يعنى مدرس بوسائل العرض والأيضاح؛ فهذه سنته كل يوم فى دروسه ومحاضراته. وهى سنة صالحة من غير شك ومعينة على تذليل بعض الصعاب التى يلاقيها القارئ فى أبحاث دقيقة كهذه. وقد ضم المؤلف إلى هذا حسنة أخرى، فختم كثيراً من مباحثه بنظرة عامة وربط تاريخى شائق (1)

ليس صعباً على من يدرس الفلسفة اليونانية أن يجد المصادر التى يستقى منها، فهى كثيرة ومتنوعة؛ إنما الصعب أن يختار من بين هذه المصادر أصلحها. وقد وفق المؤلف فى هذه كما وفق فى غيرها؛ فقد اعتمد فيما وراء أفلاطون وأرسطو على أوثق مصادر الفلسفة اليونانية. وكنا نفضل أن يحيل على هذه المصادر فى صلب الموضوع بدل أن يكتفى بسردها فى الفهرست. وفيما يتعلق بأفلاطون وأرسطو سلك سبيلا يحمد عليها؛ فقد درسهما دراسة مباشرة وقدم لنا صورة ناصعة عن مؤلفاتهما وحكم عليهما بناء على ما قالا لا اعتماداً على ما قال الناس عنهما. وهذه الطريقة علمية قطعاً ومعينة على تفهم الفيلسوفين على ضوء ما كتبنا. غير أنها مدعاة التكرار والاستطراد أحياناً، كما قد تسوق إلى سرد تفاصيل جزئية قليلة الفائدة وفى حذفها ما يفسح المجال للمشاكل الهامة (2).

ذلك لأن الملخص قد يؤخذ أحياناً عما هو أمامه وينسى بحثه الرئيسى. وعلى كل فلئن فات المؤلف إبراز بعض المشاكل الأفلاطونية والأرسطية فى ثوبها الكامل لقد نجح نجاحاً كبيراً فى إعطاء فكرة صحيحة عن مؤلفات أفلاطون وأرسطو وتلخيصها على وجه حسن. وكنا نود أن تستخدم المصادر العربية فى بحث كهذا؛ وفى استخدامها ما يسمح بتحقيقات ومقارنات علمية وتاريخية جديدة فاتت مؤلفى الغرب ومؤرخيه، وقد تنبه زميلنا إلى هذه النقطة فى بعض الفصول، إلا أنه لم يلتزمها فى كل بحثه (1)

الأستاذ كرم هادئ فى كل شيء؛ هادئ فى أسلوبه، فلا يحفل بالتراكيب الضخمة والعبارات الطنانة، وما أحوج اللغة العلمية إلى هذا الهدوء. فهو يكتب كتابة موضوعية كل همه فيها أداء المعانى العلمية فى عبارة مقبولة. بدأ كلامه وختمه بالتحدث عن الفلسفة وتاريخها دون أن ترى فى أسلوبه حشواً أو فضولاً. إلا أنه قد يصل به حبه للأيضاح أحياناً إلى استعمال بعض الألفاظ والتراكيب الدارجة بالرغم من ابتذالها أو ضعفها.

ومع هذا ينبغى أن نشير الى المجهود الصادق الذى بذله فى اختيار الألفاظ العربية الملائمة لأداء الأفكار الأجنبية. وقد كلَّل هذا المجهود بذلك القاموس اللغوى الاصطلاحى الذى ختم به كتابه.

وفى اختصار لقد استطاع أن يقدم لنا تاريخ الفلسفة اليونانية فى قالب علمى لا بأس به. وهذه ناحية يجب أن يتنبه لها الباحثون إن كنا نريد لأنفسنا لغة علمية محترمة. وها كم قطعة من قلم المؤلف يلخص فيها الفلسفة الأفلاطونية ويبين أصولها ومميزاتها يقول: « أما أسلوبه (يعنى أفلاطون ولو قال أما مذهبه أو طريقته لكان أولى) فى الفلسفة فهو التوفيق والتنسيق: لم ير فى تعارض المذاهب سبباً للشك مثل السوفسطائيين، وإنما وجد أنها حقائق جزئية، وأن الحقيقة الكاملة تقوم بالجمع بينها وتنسيقها فى كلٍّ مؤتلف الأجزاء. وطريقة التوفيق حصر كل وجهة فى دائرة، وإخضاع المحسوس للمعقول، والحادث للضرورى، فنحن نجد عنده تغير هرقليطس، ووجود بارمنيدس، ورياضيات الفيثاغوريين وعقيدتهم فى النفس، وجواهر ديموقريطس، وعناصر أنبادوقليس، وعقل أنكساغورس فضلاً عن مذهب سقراط، وسندل على هذه الظاهرة كلما صادفناها، وثمت ظاهرة أخرى هى محاولته تحويل العقائد الأرفية آراء فلسفية، أى وضعها فى صيغة عقلية ودعمها بالدليل. فهو لم يزدر شيئاً من تراث الماضى، وأراد أن ينتفع بكل شيء، ثم طبع هذا التراث بطابعه الخاص، وزاد فيه فتوسع وتعمق إلى حد لم يُسبَق إليه» (2)

والأستاذ كرم هادئ كذلك فى مناقشاته وأحكامه، فهو يناقش النظريات الفلسفية فى هدوء وسكون، ويحكم على مختلف

---

(1) انظر مثلا ص 44، 65، 96 — 97 الخ

(2) المصدر نفسه، ص 109 — 111، 226 — 228، 246 — 249

(1) المصدر نفسه، ص 46.

(2) المصدر نفسه، ص 83

الآراء أحكاماً بعيدة فى جملتها عن الشطط والمغالاة . بيد أن هدوءه هذا قد يؤخذ عليه ، وكم كنا نوده عنيفاً نوعاً فى بعض المواقف . فان هدوءه دفعه إلى تبسيط المسائل إلى درجة ربما ضاع معها لبها ، ولم يمكّنه من استيفاء بعض المشاكل التاريخية . فلم يثر مثلاً أسئلة كهذه : هل سقراط أو ميتافزيقى ؟ وكيف تفسر الرموز ( Les mythes ) فى أسلوب أفلاطون ؟ وعلام يحمل التذكر ( la réminisceuce ) عنده ؟ ولم يفصِّل القول فى مشكلة الآله عند أفلاطون ونظرية العقل عند أرسطو تفصيلاً مقنعاً ومرضياً ، وكأنه تناسى ما كتبه الباحثون السابقون هذه فى المسائل واكتفى بعرضها كما يرى هو دون أن يبين آراء الآخرين . وقد حال هدوء المؤلف أيضاً دونه والاسترسال فى النقد بعض الشيء . نحن لا ننكر أنه نقد طائفة من الآراء والنظريات التى عرضها فى حكمة ودقة ؛ ولكنا كنا نتمنى أن يعنى بالنقد أكثر من هذا وخاصة فى دراسة الفلسفة الأرسطية ، ويظهر أن الخلاف بيننا وبينه فى هذه النقطة راجع إلى المبدأ ووجهة النظر ؛ فانه فيما يبدو لنا ، يرى فى أرسطو الكمال والتبرؤ من كل نقص وخطأ ، وهذا رأى قد لا يقره عليه كثيرون الآن

وكيفما كانت الاعتراضات التى يصح أن توجه إلى تاريخ الفلسفة اليونانية فانه يحوى أكبر وأنفس مصدر عربى عرف حتى اليوم فى هذه الناحية ، ولم يدع مؤلِّفه أنه جاءنا بنظرية جديدة أو طريقة مبتكرة فى دراسة تاريخ الفلسفة ؛ وكل ما صنع أنه قرأ ودرس ومثَّل فى تأن وتؤدة ، ثم استخلص من قراءته ودراسته تلك الثمرة الطيبة . وهو لم يمنِّنا مطلقاً بأمان ولم يعدنا بوعود حتى نحاسبه على إنجازها ؛ بل ترك تاريخ الفلسفة يتحدث عن نفسه ، ولم يزل هذا التاريخ فى حديثه حتى انتهى إلى مرحلة نرجو أن تكون أخيرة لا آخرة . ويقيننا أن من بدأ تاريخ الفلسفة على هذا النحو وبهذا التوفيق لا بد واصل إلى نهايته

**ابراهيم مدكور**

4 me Année, No. 173

Lundi - 26 - 10 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٧٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ شعبان سنة ١٣٥٥ — ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة



فهرس العـــــدد



# رغبـــات الأدب
## فى العهد الجديد

ورغبات الأدب هى الخوالج القدسية العليا للشعب الكريم؛ تمثل فى عقله نزوعاً إلى الحق، وفى نفسه طموحاً إلى الخير، وفى ذوقه صبواً إلى الجمال. فاذا أتيح لها نَفَس من الديمقراطية وفَرَج من الحرية ورَوْح من العدل، سطعت فى أرجائه وأجوائه سطوع الأرج المنعش، فنضرت الحياة وعطَّرت الأرواح وطهَّرت الأنفس، وإلا ذوت فى مناشئها ذُوِيَّ النبات المكروب والأمل المخيَّب. وفى هذا العهد الجديد الذى انتعشت فيه عواثر المنى، وانفسحت به مناحى الجد، يحاول كل عامل من عوامل الرقى أن يستعيد قوته ويستفيد كماله. والأدب المصرى ظل إلى اليوم فريسة الإهمال والفوضى؛ يكابد طغيان السياسة فى استسلام، ويجاهد سطوة الجهالة فى يأس، ويقاسى مضض الحرمان فى ضراعة؛ وأولو الأمر يقابلون جهده بالاستهانة، ويكافئون بره بالعقوق، ويستغلون سلطانه فى الصحف وعلى المنابر، ثم لا يدخلونه فى الحساب يوم الغنيمة

هاهم أولاء رجاله الصابرون البواسل، يؤدون رسالة الروح

المضنية وقرائحهم المجهودة تنضح بالمداد كما تنضح الجباه الناصبة بالعرق، والصدور المحاربة بالدم، ثم لا يلقون ممن يحملون لهم الشعلة إلا ما لقى أصحاب الرسالات من الكفران الغادر والخذلان المهين. وما حال الأدب فى الأمة الأمية، إلا كحال النبوة فى الأمة المشركة، إذا لم يكن له سند من الله وعون من الحكومة ذهب ذهاب المصباح فى عواصف البيد المظلمة. فالأديب المضطر إنما يشتق للقوت لا للفن، ويسعى للشهوة لا للمجد، وينتج للحاضر لا للمستقبل؛ وإذن لا يكون الأدب إلا كما نرى: بخس فى الكيف، ونقص فى الكم، وشعوذة فى الوسيلة، وإسفاف فى الغاية

***

يرغب الأدب إلى أولياء العهد الجديد أن يبسطوا عليه ظل الحماية، فما يستطيع اليوم لضعف دولته وجهل رعيته أن يستقل. يرغب إليهم أن يقوه تضييق الحرية ليتسع فكره، ويكفوه تمليق الجمهور ليسمو إنتاجه؛ فان العبث بحرية الرأى تعطيل لموهبة العقل وإفساد لفطرة الله وصدٌّ عن سبيل التقدم. ومزية الإنسان الحر فى الحكومة الحرة أن يقول ما يعتقده صواباً، ويفعل ما يراه حسناً، ما دام هنالك دين يردع غواية النفس، وقانون يحبس عنان الإرادة. وإن إذلال الأدب لشهوات الناس وضرورات العيش اضعاف لملكة الذوق وتدنيس لنقاء الضمير وتشويه لجمال الإلهام؛ ورقى الأدب قائم على استقلال رأيه ونبل غرضه وتأمين حياته؛ ولا تجد أنهض به وأعود عليه من الجوائز والمكافآت، فانها تحفز القرائح للعمل، وتضمن الإجادة بالتنافس، وترفع المستوى بانتخاب الأجود؛ وبضعة آلاف جنيه من الخزانة العامة ينفَق أضعافها فى تمهيد طريق أو تجميل بناء تخلق فى الأمة أدباء موهوبين عالميين، وتجمع لها من الأدب الصحيح ثروة

***

ويرغب الأدب إلى أولياء العهد الجديد أن يضيفوا إلى غذائه ثمار العقول الخصيبة لتوابغ الأمم الأخرى، فان لكل أمة مزايا ولكل بيئة خصائص؛ ولن يكون أدبنا عالميًّا ما لم يلقح بآداب العالم؛ والتقليد والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً فى الأدب. ولو شاء الله لأدبنا الكمال من نقصه لألهم المترجمين فى عصر المأمون أن ينقلوا روائع الأدبين الإغريقى واللاتينى من الشعر والقصص والروايات والملاحم كما نقلوا العلم والحكمة، إذن لقلدهم أدباء العرب فى ذلك، ولسدوا فى الأدب العربى خللا مابرئ منه حتى اليوم

ذلك ميسور بإنشاء دار للترجمة فى دار الكتب تنقل أدب الأمم الكبرى نقلا صحيحاً، ثم تُنشر عن الدار على نحو ما تفعل اليوم فى نشر الكتب العربية القديمة، فيجتمع للأدب الحديث رافدان زاخران يرفده أحدهما بعصارة المدنيات الغابرة، ويرفده الآخر بخلاصة المدنية الحاضرة. والواقع الأليم أنك تستطيع أن تقرأ أى نابغة فى أى لغة محترمة إلا فى اللغة العربية!!

***

كذلك يرغب الأدب إلى أولياء العهد الجديد أن تكون له مراجع عليا تقوم عليه، فتتعرف أطواره وتتعقب آثاره، وترتاد له سبل الكمال، فتسد ما فيه من خلل، وتعالج ما به من جمود، وتدفع ما عثا فيه من فوضى؛ ثم تكون لقرائح الشباب وهى فى أول الشوط مناراً وحمى، ولعبقريات الشيوخ وهى فى آخره أمناً ومثابة

والمفروض اليوم أن مراجعه التى تقوم بطبيعة إنشائها على تسديده وتعضيده هى مجمع اللغة العربية الملكى بالمعارف، وإدارة الصحافة والنشر والثقافة بالداخلية، وجمعية كبار العلماء بالأزهر؛ ولكنها على هذا الوضع المقلوب والعزم المتخاذل والحركة الوانية لا تنفعه بنافعة؛ فان العضوية فى بعضها تشريف، وفى بعضها الآخر طُعمة؛ أما العمل ففضل من العامل، فاذا تفضل به كان له فى نهضة الأدب شأن ضئيل وأثر حائل

على أن إدارة الصحافة والنشر والثقافة حديثة النشأة، والمظهر البادى عليها مظهر الطموح والفتوة، ومن الممكن أن نعقد بها أسباب الأمل لأنها وليدة هذا العهد، ولكن الأدب لا يزال يرغب إلى زعماء العهد الجديد، أن يساعدوه على أن يكون خليقاً بهذا العصر السعيد

احمد حسن الزيات

# القلب المسكين

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أقبل عليَّ صاحبي الأديب وقال : أنظر هذه هي ، وقد حلت بهذا البلد وما لى عهدٌ بها منذ سنة . ومدَّ إليّ يده فنظرتُ إلى صورة امرأة كأحسن النساء وجهاً وجسما ، تتأوَّدُ في غلالة من اللاذ (١)

وكأن شعاعَ الضُّحى في وجهها ، وكأنها القمرُ طالعاً من غيمة ، ويكاد صدرها يتنهد وهي صورة ، وتبدو هيئةُ فمها كأنها وعدٌ بقبلة ، وفي عينيها نظرةٌ كالسكوت بعد الكلمة التي قيلت همساً بينها وبين محبها ...

فقلت : هذه صورة ما أراها قد رسمها إلا اثنان : المصوِّر وابليس . فمن هي ؟

قال : سَلْها ، أما تراها تكاد تَثِبُ من الورقة ؟ إنها إلاَّ تخبرْك بشيء أخبرك عنها وجهها أنها أجمل النساء وأظرفهن وأحسنُ من شاهدتَ وجهاً وأعيناً ، وثغراً وجيداً ، والذي بعد ذلك ...

قلت : ويحك ، لقد شعرتَ بعدى ، إن هذا شعر موزون

وأحسنُ من شاهدتَ وجهاً وأعينا
وثغراً وجيدا والذي بعد ذلكا ...

قال : إن شيطان هذه لا يكون إلا شاعراً ؛ ألستَ تراه ناظماً من فنونها على الرسم شعرا معجزا كل شاعر ؟

قلت : وهذا أيضاً شعر موزون :

ألستَ تراه ناظما من فنونها
على الرسم شعراً معجزا كل شاعر

قال : بلى والله إنه الشيطان ، إنه شيطانها يريك لهذا الجسم روحاً رشيقة ، تلين كلين الجسم بل هي أرشق

قلت : وهذا أيضاً ، والقافيةُ التي بعد هذا البيت : وبها شقوا ....

فضحك صاحبنا وقال : حرِّكْ الصورة في يدك ، فانها ستراها وما تشك أنها ترقص

قلت : الآن انقطع شيطانك ، فهذا ليس شعرا ولا يجئ منه وزن ....

وتضاحكنا وضحك الشيطان ، وظهر الوجه الجميل في الرسم كأنه يضحك ....

***

قال صاحبُ القلب المسكين : انظر إلى هاتين العينين ، إنهما من العيون التي تفتن الرجل وتسحره متى نظرتْ اليه ، وتعذبه وتضنيه متى غابت عنه . إن في شعاعهما قُدرةً على وضع النور في القلب السعيد ، كما أن في سوادهما القدرة على وضع الظلمة في القلب المهجور ...

وانظر إلى هذا الفم ، إلى هذا الفم الذى تعجز كلُّ حدائق الأرض أن تُخرج وردةً حمراء تشبهه

وانظر إلى هذا الجِيد تحته ذلك الصدر العارى ، فوقه ذلك الوجهُ المشرق ؛ تلك ثلاثة أنواع من الضوء : أما الوجه ففيه روحُ الشمس ، وأما الجيد ففيه روحُ النجم ، وأما الصدر ففيه روحُ القمر الضاحى

انظر إلى هذه المسافة البيضاء من أعلى جبينها إلى أسفل نهديها ، تلك مِنطقةُ القُبُلات في جغرافيا هذا الجمال ...

وانظر إلى الصدر يحمل ذينك الثديين الناهدين ؛ إنه المعرضُ الذي اختارته الطبيعة من جسم المرأة الجميلة للاعلان عن ثمار البستان ...

انظر إلى النهدين لِمَ برَزَا في صدر المرأة إلا إذا كانا يتحدَّيان الصدرَ الآخر .... ؟

وانظر لهذا الخصر الدقيق وما فوقه وما تحته ، ألا تراه فتنةً متواضعةً بين فتنتين متكبِّرتين .... ؟

انظر اليها كلِّها ، انظر إلى كل هذا الجمال ، وهذا السحر ، وهذا الاغراء ؛ ألا ترى الكنزَ الذى يحول القلب إلى لص .... ؟

هذه مخلوقة مرتين ، إحداهما من الله فى العالم ، والأخرى

(١) اللاذ الحرير الصينى الرقيق ، والغلالة مثل القميص الذى تحت الثياب

من حبي أنا فى نفسى أنا ، فكلمة « جميلة » التى تصف المرأة التامة ، لا تصفها هى إلا بعض الوصف ؛ ورسمها هذا الذى تراه إنما هو حدود لتلك الروح التى فيها قوة التسلط ، وهيهات يُظهر من تلك الروح إلا ما يُظهر من الجمرة المشتعلة رسم هذه الجمرة فى ورقة

أشهد ما نظرت مرة إلى هـذا الرسم ثم نظرت اليها إلا وجدت الفرق بينها فى نفسها وبينها فى الصورة ، كأنه اعتذار ناطق من آلة التصوير بأنها ليست إلا أداة ...

***

قلت : اللهمَّ غفراً ؛ ثم ماذا يا صديق المجنون ؟

فأطرق الأديب مهموماً ، وكانت أفكاره تنفجر فى دماغه انفجارا هنا وانفجارا هناك ؛ ثم رفع إلىَّ رأسه وقال :

هذه الغانية قد حبست أفكارى كلها فى فكرة واحدة منها هى ؛ وأغلقت أبواب نفسى ومنافذها إلى الدنيا ، وألهبت فى دمى جمرة من جهنم فيها عذاب الاحراق وليس فيها الاحراق نفسه كيلا ينتهى منها العذاب

وبيننا حبٌ بغير طريقة الحب ، فان طبيعتى الروحانيةَ الكاملة تهوى فيها طبيعتها البشرية الناقصة ، فأنا أمازجها بروحى فأتألم لها ، وأتجنبها بجسمى فأتألم بها

حبٌ عقيم مهما يكن من شىء فيـه لا يكن فيه شىءٌ من الواقع

حب عجيب لا تنتفى منه آلامه ولا تكون فيه لذاته

حب معقد لا يزال يلقى المسألة بعد المسألة ، ثم يرفض الحل الذى لا تحل المسألة إلا به

حب أحمق يعشق المرأة المبذولة للناس ، ولا يراها لنفسه إلا قديسة لا مطمع فيها

حب أبله لا يزال فى حقائق الدنيا كالمنتظر أن تقع على شفتيه قبلةٌ من الفم الذى فى الصورة

حب مجنون كالذى يرى الحسناءَ أمام مرآتها فيقول لها : اذهبى أنت وستبقى لى هذه التى فى المرآة ...

***

قلت : اللهم رحمة ؛ ثم ماذا يا صاحبى المسكين ؟

قال : ثم هذه التى أحبها هى التى لا أريد الاستمتاع بها ، ولا أُطيقه ولا أجد فى طبيعتى جرأة عليه ، فكأنها الذهب وكأننى الفقير الذى لا يريد أن يكون لصاً . يقول له شيطانُ المال : تستطيع أن تطمع ؛ ويقول له شيطان الحاجـة : وتستطيع أن تفعل ؛ ويقول هو لنفسه : لا أستطيع إلا الفضيلة

إن عذاب هذا بشيطانين لا بشيطان واحد ، غير أن لذته فى انتصاره كلذة من يقهر بطلين كلاهما أقوى منه وأشد

***

قلت : اللهم عفوا ؛ ثم ماذا يا قاهر الشيطانين ؟

فأطرق مليًّا كالذى ينظر فى أمر قد حيَّره لا يتوجه له فى أمره وجه ، ثم تنهد وقال : يا طول علة قلبى . من أين أجيء لأحلامى بغير ما تجيء الأحلامُ به ، وإنمـا هى تحت النوم ووراء العقل وفوق الارادة ؟ لقـد بلغ بى هواها أن كل كلمة من كلام الحب فى كتاب أو رواية أو شعر أو حديث — أراها موجَّهة إلى أنا

ثم قال : انطلقْ بنا فتراها حتى تعلم منها علما فهى فى ذلك المسرح ، هى فى ذلك الشر ، هى فى تلك الظلمات ، هى كاللؤلؤة لا تربىٌ لؤلؤةً إلا فى أعماق بحر

***

وذهبنا الى مسرح يقوم فى حديقة غنَّاءَ مترامية الجهات بعيـدة الأطراف تظهر تحت الليل من ظلماتها وأنوارها كأنها مُثْقَلَةٌ بمعانى الهجر والعشق

وتقدَّمنَا نسـير فى الغَبَش ، فقال صاحبنا المحب : إنى لأشعر أن الظلام هنا حىٌ كأن فيه غوامض قلب كبير فما أرى فرقاً بين أن أجلس فيه وبين الجلوس الى فيلسوف عظيم مهموم يهمّ اللانهاية . فتعال نبرز الى ذلك النور حول المسرح لنراها وهى مقبلة فأن رؤيتها سيدةً غير رؤيتها راقصـة ، ولهذه جمالُ فن ولتلك فنُ جمال

ولم نلبث إلا يسـيرا حتى وافتْ ، ورأيتها تمشى مِشيَةَ الخفِرات كأنما تحترم أفكارَ الناس ، يزهوها على ذلك إحساسٌ

نبيل كأحساس الملكة الشاعرة بمحبة شعبها . وانتفض مجنوننا وأغمض عينيه كأنها تمر بين ذراعيه لا فى طريقها ، وكأن لذة قربها منه هى المكان الذى لا يمكن غيره .

وكان عجباً من العجب أن تحرك الهواء فى الحديقة واضطربت أشجارها فقال : أنت ترى . فهذا احتجاج من راقصات الطبيعة على دخول هذه الراقصة . قلت : آه يا صديقى ! إن المرأة لاتكون امرأةً بمعانيها إلا إذا وجدت فى جو قلب يعشقها

ونفذنا الى المسرح وتحرّى صاحبُنا موضعا يكون فيه منظرَ العين من صاحبته ويكون مستخفياً منها . ثم رُفع الستار عنها بين اثنتين يكتنفانها ، وقد لبسن ثلاثتهنّ أثواب الريفيات وظهرن كهيئتهن حين يجنين القطن

وبرزت ( تلك ) فى ثوب من الحرير الأسود وهى بيضاء بياضَ القمر حين يتمّ ، وقد شدّت وسطها بِعَشَدةٍ من الحرير الأحمر فتحبّكتْ بها وظهرت شيئين : أعلى وأسفل ، ثم ألقت على شعرها الذهبى قَلَنْسوةً حمراء من ذلك الحرير أمالتْها جانبا فخبستْ شيئاً منه وأظهرتْ سائره . وأخذت بيديها صفَّاقتين (١) وأقبل الثلاث يرقصن ويغنّين نشيد الفلاحة

لم أنظر الى غيرها فقد كانت صاحبتاها دليلين على جمالها لا أكثر ولا أقل . وما أحسب الحرير الأحمرَ كان معها أحمر ولا الأسودَ كان عليها أسود ، ولا لونَ الذهب فى مِعْصمها كان لونَ الذهب . كلاَّ كلاَّ هذه ألوان فوق الطبيعة لأن ذلك الوجهَ يُشرق عليها بالجمال والحياة ، وذلك الجسم يَفيضُ لها بالخفة والطرب ، وتلك الروح تبعث فيها المرح والنشوة ؛ هذا مزيج من خمر الألوان لا من الألوان نفسها

وقال مجنوننا : إن أجمل الجمال فى المرأة الفاتنة هو ذاك الذى يجعل لكل انسان نوعَ شعوره بها ، وأنا أشعر الساعة أن قلبى نصفُ قلب فقط وأن نصفه الآخر فى هذه وحدها ، فما شعورك أنت ؟

قلت ، ياصديقى إن الله رحيم ، ومن رحمته أنه أخفى القلبَ وأخفى بواعثه ليظلَّ كلُّ انسانٍ مخبوءاً عن كل انسان ، فدعنى مخبوءاً عنك

قال : لا بد

قلت : إن المصباح فى الوضع النجس لايبعث النور نجسا ، وما أشعر إلا أن النور الذى فى قلبى قد امتزج بالنور الذى فى عينيها

ثم كأنها أحسّت بأن إنساناً قد امتلأ بها فأدارت وجهها وهى ترقص فتلمّحت صاحبنا وجعلت تُقطّع الطّرفَ بينها وبينه كأنها تعرفه وتجهله ، ثم تبيّنت إلحاحَ نظره فضحكت لأنها تعرفه ولا تجهله

أما هو ، أما المجنون ، أما صاحب القلب المسكين ؟

(لها بقية) طنطا مصطفى صادق الرافعى

(١) الصفاقات هى التى يقال لها الساجات تكون فى أصابع الراقصة ، والكلمة واردة فى كتاب الأغانى

( تنبيه ) تلقينا كتبا كثيرة يريد أصحابها مثل مقال (السمكة) وسنصطاد لهم إن شاء الله

# تبســـــم !!

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« تبسم !! »

« إيه ؟؟ »

« تبسم !! »

« أتبسم ؟؟ »

« نعم .. »

« هل تريد منى أن أتبسم ؟ . »

« نعم .. هذا ما أعنى »

« ولكن كيف ؟ . أعنى أنى لا أريد . . . لا أشعر بحاجة إلى الابتسام ؟ »

« ألا تستطيع أن تتبسم ؟ . »

« ربما أمكن أن أتبسم بفمى فقط ولكن هذا ليس ابتساما »

« بفمك .... برجلك ... تبسم والسلام »

فقلت : « طيب هه » وتكلفت الابتسام كما أراد فقال : « حسنا .. والآن .. جرب مرة أخرى »

فنظرت إليه — حدقت فى وجهه فقد خامرنى الشك فى عقله ولكنه كان ساكناً لا يبدو عليه غير ما ألفت منه . ولما طال نظرى إليه قال : « هل فرغت ؟؟ إنى منتظر »

فسألته « ماذا تنتظر ؟ . »

قال : « أن تتبسم .. تفضل »

فلم يسعنى إلا أن أضحك وأن أضرب كفاً بكف فقال : « هذا أحسن ... ولا بد أنك تشعر أنك أحسن حالاً بعد هذه الضحكة العالية »

فأمسكت عن القهقهة — أعنى حبست ما كنت أريد أن أنفجر به من ذلك — وقلت له : « ما هى الحكاية .... لست أكتمك أنى مستغرب سلوكك فى هذه الليلة »

فقال : « استغرب ما بدالك أن تستغرب .... إنما المهم أن تتبسم »

قلت : « شىء جميل ولكن ألا ترى أن الأمر يحتاج إلى شىء من الايضاح .. الواقع أنى لست فاهماً شيئاً »

قال : « لا بأس . إسمع . إنك رجل كاد ينسى الابتسام وهذا هو مرضك لا ما تتوهم أن معدتك وأمعاءك مصابة به . ليس بك شىء . كن من هذا على يقين جازم . وإنما الذى بك أنك لم تعد تعرف سرور الحياة . والذنب فى هذا لك لا للحياة . لا تقل لى إن الحياة لم تعرض عليك إلا صفحاتها الدميمة التى تثير الاشمئزاز والتقزز وتغرى النفس بالكآبة والجهامة فان هذا الكلام فارغ . وأنت الذى أغريت عينك بهذه الصور القبيحة ولولا ذلك لاستطعت أن ترى الصفحات الأخرى المشرقة الوضيئة التى تنعش النفس وتحييها وتجددها . بل إن الذى تتعلق به عينك من صور القبح والدمامة لا يخلو من جمال يشرح الصدر ويفرح القلب . وليست هذه فلسفة ولكنها هى وصف للواقع من أمرك وأمر المتفلسفين الذين يقرأون ولا يفهمون . نعم لا تفهمون .. تقول إنك قرأت الأدب الانجليزى وتوفرت عليه وأنا أعرف ذلك ولا أجهله ، وأعرف أنك قرأت أديسون فلماذا لم تفهم صورته الوصفية لجبل الهموم أو تله أو ما شئت فسمه . الواقع أنك قرأت ولم تعن إلا بالجانب الذى يوافق مزاجك النفسى الذى أسمح لنفسى أن أسميه الأعور — أى الذى لا يرى إلا بعين واحدة ولا يتأثر إلا من جانب واحد . أتقول إن الأمر أمر خلقة وطباع .. لا يا سيدى ... إننا نتعلم كيف نضبط غرائزنا وطباعنا الحيوانية ، وكذلك نستطيع أن نهذب ما نظنه طباعا فطرية فى نفوسنا لا تقبل التهذيب والتنقيح والصقل . على أن المسألة ليست مسألة طباع وإنما هى مسألة نظر ، فلماذا تنظر إلى جانب السوء وحده ولا تنظر أيضاً إلى جانب الخير والحسن والجمال والفكاهة ... باختصار — أنظر واضحك يا سيدى ... وان تعدم ما يضحك فى أى أمر وأى حال ، واعلم أنك حين تضحك يتأثر جسمك كله وأعصابك أيضاً . وثق أن ضحكة واحدة تطلقها كافية لتغيير حالتك النفسية ... هذا علاجك .. فاذهب عنى ولا تعد إلى فأن شفاءك فى يديك »

وخرجت أقول إن هذه فلسفة جديدة لا تستحق ما غرمت فى سبيلها ، ومشيت أفكر فى هذا ومضيت أبدئ وأعيد فيه بينى

وبين نفسى فاصطدمت برجل كان مقبلاً على فصاح بى بعد أن حك أنفه كما حككت أنا أنفى « اللى واخد عقلك يتهنا به ... مالك كده زى المسطول » فغلا دمى حين سمعت ذلك ثم ذكرت نصيحة الطبيب فضحكت فقال الرجل « وبتضحك كمان » فقلت له « يا أخى إذا كنت أنا مسطولاً فأنت مثلى ، وإذا كان شىء قد أخذ عقلى فان عقلك لم يكن على ما يظهر فى مكانه . ثم إن منظرنا حين اصطدمنا لا شك يبعث على الضحك . وقد ضحك الأطفال والرجال والنساء وكادت الحيوانات تضحك حين وقعت المصادمة والتقى الأنف بالأنف فلماذا تضحك الدنيا كلها ولا يعبس فيها ويتشاجر ويتشاتم إلا أنا وأنت » فقال صدقت .. معك الحق » وصافحنى ومضى عنى راضياً

ودخلت « قهوة » أو « مقهى » فألفيت إخواناً لى يلعبون « الورق » وهو شىء لا أحسنه ولا استعداد عندى لفهمه . وكان مع أصحابى اثنان لا أعرفهم فقدمونى إليهم وسموهم لى بأسمائهم فقعدت على كرسى بعيداً عنهم ، ثم ضجرت فوقفت أنظر إلى اللاعب وإن كنت لا أفهم شيئاً ، ولكنى رأيت هذا خيراً من الوحدة . ولم أشأ أن أظهر جهلى فجعلت أتظاهر بالفهم . ولم أكن أقول شيئاً ولكنى كنت أبتسم كأنى فاهم . واتفق أن أحد الغريبين كان أكثرهم كسباً فنظر إلى فألفانى أبتسم فقلب الورق وأشار إلى وقال : « كلمة من فضلك » وتراجع عن الكرسى فدرت إليه ووقفنا بجانب مرآة كانت خلفه فقال — أوهمس على الأصح — : « إنك تعرف بالطبع أن هذا اللعب مزاح لا جد فيه »

قلت : وأنا أستغرب هذا الكلام الذى لا أرى له داعياً « لم أكن أظن هذا » وابتسمت ، فقد بدا لى أن من المستغرب بل من المضحك أن يكلف نفسه عناء التأكيد لى أن اللعب لا يراد به أكثر من تزجية الفراغ . ومالى أنا .. ما شأنى بهم ... أتراه توهمنى من الشرطة . . أم ترى هذا المحل من المحلات التى لا يباح فيها لعب الورق

كان هذا يدور فى نفسى وهو يقول لى : « بالطبع مزاح .. وسيرد كل منا ما كسبه إلى إخوانه .. وقد أردنا أن يظهر كل منا براعته فى ... فى ... فاهم ... أليس كذلك .... هذا لا يسمى غشاً ... لالا .. أستغفر الله ... لو كنا نلعب جادين لكان غشاً ولا شك ، ولكن فى المزاح يجوز ما لا يجوز عند ما يجد المرء . . أليس كذلك ... هه هه .. »

ومضت أيام فلقيت واحداً أعرفه ومعه فتاة فى بعض الطريق ولم أنظر إليهما ولكنى كنت أنظر إلى الناحية التى أقبلا منها ، وكنت أبتسم لخاطر فى نفسى فوقعت عينى فى عين صاحبى هذا والابتسامة على فمى فأقبل يعدو ورائى حتى أدركنى ثم تنحنح وقال : « مممممم أظنك ... يظهر ... أريد أن أقول ... الحقيقة إنها بنت عرفتها أمس .. ولكن .. أعتقد أنك .. أعنى أنى .. الواقع أنه لا شىء هناك بيننا .. معرفة جديدة ... بنت حلال ... »

وقد سقت عباراته بعضها وراء بعض ولكنه كان يتنحنح كثيراً ويمسح العرق المتصبب بمنديل كبير فلم يسعنى إلا أن أضحك فما استطعت أن أفهم لماذا رأى من واجبه أن يجشم نفسه هذا البيان أو الاعتذار ... لست أباه ولا أخاه ولا أنا وصى عليه ولا لى عليه أى سبيل ...

وقد حال الضحك دون الكلام — أعنى دون الجواب — فصافحته وتركته يمسح عرقه

وركبت الترام مرة وكان الجالس أمامى فى يده جريدة يتأمل صفحتها المصورة وكنت أنا أتسلى بالنظر إلى الطريق من النافذة التى وراءه فرأيت فتى علق ثوبه الفضفاض بدراجة ولم يستطع تخليصه منها فجعل يجرى معها وراكبها لا يعنى بالوقوف فابتسمت وكانت الدراجة تساير الترام فظللت أبتسم ولولا الحياء لقهقهت وإذا بجليسى يتكلف الابتسام ويتحرك فى مقعده ويقول فجأة — فما كان بالى إليه بل إلى المنظر الذى وراءه — « الحقيقة أن الفن الصحفى تقدم جداً »

فتنبهت وقلت : « جداً .. صحيح » وجازيته ابتساماً بابتسام فعمل وقال : « الانسان معذور إذا بدأ بصفحة الصور وما فيها من المناظر الجيلة »

فاستغربت كلمة « المناظر » وسألته « المناظر »

قال : « أعنى صور الفتيات الجميلات ... ولكنى لا أشترى الجريدة لهذا وحده .... لا لا لا أعوذ بالله .. أرجو ألا تكون جملتنى من هذا الفريق الذى لا يعنيه من الصحف إلا صور النساء لا لا لا .... أؤكد لك أنى أقرأ .... أقرأ .... أقرأ كل شىء

قلت : « طبعاً . طبعاً ... ظاهر يا سيدي ظاهر »

قال : « ثم إني موظف ورب عائلة .. لي زوجة وأولاد .. »

فهممت بأن أقول له إن كونه رب أسرة وذا زوجة وأولاد لا يبدو أنه منعه أن يعترف لي — وأنا غريب بما أراد أن ينفيه ولكني لم أقل شيئاً واكتفيت بالابتسام ونزلت عند أول محطة وقفنا عندها

الحقيقة التي أعترف بها أن طبيبي هذا لم يكن مخرفاً فقد أفادني الابتسام صحة وعافية وانشراحا وزاد فعلمني مالم أكن أعلم ، وإذا كان القارىء في شك مما أقول فما عليه إلا أن يجرب فعل الابتسام لأمر أو خاطر لا علاقة له بجليسه مقترنا بسقوط النظرة في عينه عفواً . وليخبرني بعد ذلك بالنتيجة إذا شاء ، فما أشك أنا في أنها ستدهشه وتكشف له عن كثير من أسرار النفوس لم يكن يخطر له على بال

ابراهيم عبد القادر المازني

---

صور سياحية

# ٤ ـ ليالي باريس

## مونمارتر ومونبارناس

### المسارح والمنتديات الليلية

بقلم سائح متجول

للمدن العظيمة في الليل حياة أخرى غير حياة النهار ، ولهذه الحياة الليلية متاعها وسحرها ، ولها أحياناً خطرها وألوانها القاتمة ؛ ففي تلك المقاهي والمنتديات الساطعة ، وفي تلك المسارح الأنيقة ، وفي تلك الأبهاء والحانات الليلية التي تزينها أسراب من الحسان ينفثن السحر من عيونهن ومن عطرهن ، وفي تلك الأحياء الشهيرة التي غدت أسماؤها أعلاماً في القصة والأدب ؛ هنالك في تلك الربوع والمنتديات ينسى الانسان مدى لحظة متاعب الحياة الدنيا ، ويستطيع أن يتذوق شيئاً من متاع الحياة الليلية الضاحكة واللهو المرىء

وباريس مدينة عظيمة ، وفيها حياة ليلية مضطرمة ، قوامها تلك المنتديات والمسارح والحانات الشهيرة التي كثيراً ما تقرأ عنها في القصص وتشهدها في السينما ، فيخيل إليك أنها عالم بأسره من الفتنة والجمال والسحر

وسنعرض في هذا الفصل صوراً من تلك الحياة الليلية البارزية الشهيرة مما رأينا وشهدنا

تقع مراكز الحياة الليلية البارزية في أحياء معينة اشتهرت بأسمائها كما اشتهرت بماضيها وتقاليدها ، وأضحت علماً على حياة الليل في باريس

وأشهر هذه الأحياء وأهمها من هذه الناحية هي بلا ريب أحياء : مونمارتر ومونبارناس وبيجال وكليشي وما اليها من مسالك ودروب

ولقد كان حي مونمارتر يستأثر فيما مضى بأكبر قسط من الشهرة الليلية ، بيد أنه على ما يظهر يفقد اليوم شيئاً من هذه الشهرة التي غدا ينافسه في أسبابها وبواعثها حي مونبارناس ؛ وكان مونمارتر وما زال أعظم الأحياء البارزية الشعبية شهرة ، وأكثرها جاذبية لشباب الطبقات المتوسطة والدنيا ، وما زال رغم تقلبات الزمن وفقدان الكثير من سحره السابق ، يجذب اليه طوائف الشباب المثقف والناشئين من الكتاب والأدباء وذوي المهن ، يجدون ملاذا سهلا في فنادقه ومطاعمه ومقاهيه الرخيصة ؛ ويستمرئون فيه ما استطاعوا من مسرات الحياة الليلية ، حيثما يتفتح الحب السهل بين شباب كثير التواضع والطموح

ويقع حي مونمارتر في قلب باريس ، وما زال يحتفظ بكثير من معالمه القديمة ؛ دروب ضيقة ملتوية ، وأبنية عتيقة لم تنلها يد التجديد ، وفنادق ومطاعم ومقاه لم تعرف شيئاً من الأناقة الحديثة ؛ ومع ذلك فربما كانت هذه المطاعم والمقاهي المتواضعة في مظاهرها أفضل من كثير من المحال الأنيقة المحدثة ، لأنها ما زالت تحتفظ بشيء من التقاليد الحسنة من حيث تقديم الألوان والمشروبات الجيدة بأثمان معتدلة ، وعدم التورط في تلك المظاهر الخلابة التي تؤذي الجيب دون مبرر

هذا إلى أن مونمارتر مازالت تزخر بالمسارح والأبهاء والأندية الليلية ، من حانات ومراقص شهيرة ؛ وقد كانت مونمارتر

وما زالت تستمد شهرتها من تلك الأندية الليلية ومما يعرض فيها من أصناف اللهو والمرح التي تقوم في معظمها على السحر النسوى ؛ وأشهر تلك المنتديات بلا ريب هو مسرح « الفولى برجير » Folies Bergères الذى يقع فى منعطف من شارع « فوبور مونمارتر » ؛ ومسرح « الكازار » Alcazar الذى يقع فى هذا الشارع نفسه على مقربة من اتصاله « ببوافار الايطاليين » ، والذى تقوم بالتمثيل فيه سيسيل سوربل العجوز الحسناء وفرقتها الشهيرة ؛ ومسرح « معرض العراء » Chez les Nudistes الذى يقع أيضاً فى نفس الشارع ؛ هذا فى « فوبور مونمارتر » ، وأما فى حى مونمارتر ذاته ، وهو على مقربة من « الفوبور » فتقع حانات ومراقص لا حصر لها

وتغص دروب بيجال وكليشى وهما على مقربة من مونمارتر بالحانات والمقاهى المريبة التى تؤمها الغانيات من طبقات متواضعة ، ويؤمها طلاب اللهو من جميع الطبقات والجنسيات . ويمتاز شارع بيجال بالأخص بما يعرض فيه من الألعاب الصبيانية المختلفة مما يعرض عادة فى « لونابارك »

وفيما بين بيجال وكليشى توجد عدة من المسارح والمراقص الممتازة ؛ وهنالك يقع « كازينودى بارى » الشهير الذى تعرض فيه مناظر العراء المطلق من الممثلة الأمريكية الحسناء « جوان وارنر » وفرقتها ؛ ويقع مرقص « الكليزيوم » فى شارع روشوار ، وهو من أشهر مراقص باريس ، وفيه سرب من الفتيات الحسان الأجيرات أو Taxi girls كما يسمون ، يرتدين أثواباً مشقوقة من أحد الجانبين تسفر عن ساق عارية ؛ وهؤلاء يرقصن مع الطالبين بتذاكر خاصة يصرفها المحل للراغبين وقيمة التذكرة التى تعطى عن رقصة واحدة فرنكان ؛ هذا إلى عدة حانات ليلية للرقص والغناء تفتح أبوابها حتى الصباح

وقد ذاعت مناظر الرقص العارى فى باريس وأصبحت أشهر دعاية تذيعها المسارح والمراقص الأنيقة ؛ ففى الفولى برجير والكازينو دى بارى ، والكازار ، تعرض المناظر والرقصات العارية بانتظام ؛ ويمتاز الكازينو دى بارى بعرض أشهر هذه المناظر وأجملها ، ويشترك فى المنظر الواحد نحو عشرين فتاة عارية لا يسترن سوى ملمس العفة بغلالة صغيرة على شكل « فينوس » ويسدلن على ظهورهن شعوراً طويلة مستعارة لتستر الألية بعض الشىء ؛ وبطلة الرقص العارى أو ملكته هى مس جوان وارنر التى ترأس فرقة العراء فى « الكازينو » ؛ وقد كان لها منذ عامين أو ثلاثة قصة مع القضاء ، حيث عرضت بعض رقصاتها العارية الأولى ، فاعتبرها البوليس عملاً فاضحاً ، وحُقق معها ، وقدمت إلى محكمة الجنح ، ولكنها دافعت عن نفسها بأنها تقوم بمناظر فنية محضة ، وأخذ القضاء بنظريتها وقضى ببراءتها . ومن ذلك الحين ذاع الرقص العارى فى باريس ، ونظم فى أشهر المسارح ، وسميت مس وارنر « ملكة العراء المطلق » La Reine de nu integral ؛ والواقع أن مس وارنر تتمتع بجسم باهر التكوين والتقاسيم كأنه تمثال رومانى رائع

وقد شهدنا هذه المناظر البارزية العارية فى « الفولى برجير » وفى « الكازينو » وفى « الكازار » ، وشهدنا عدة أخرى من المنتديات والحانات الليلية فى مونمارتر وكليشى ومونبارناس ، فماذا رأينا وماذا شعرنا ؟ رأينا مناظر كثيرة الألوان والضوء ، ولكن قليلة السحر حقاً . وإن منظر هذه الأجسام العارية قد يثير الغرائز الوضيعة ، ولكنه قلما يثير السحر الرفيع ، وأى سحر فى مناظر تسودها مسحة البغاء أكثر مما تسودها مسحة الفن والجمال ؟ والظاهر أن هذه المسارح البارزية الليلية إنما تعتمد على إثارة الغرائز فى النظارة قبل كل شىء ، ولهذا أصبحت تعتمد على الأجسام النسوية العارية كعامل أساسى فى اجتذاب النظارة ، وإنك لتقرأ الاعلانات الخلابة فى الصحف عن مناظر العراء فيخيل إليك أنك سترى مناظر من الجنة ؛ Plaisirs de Paris; Folie sur Folie : Vive le nu ! ; le Nu intégral ; 24 Beautés nues هذه وأمثالها من العبارات الرنانة تقرأها دائماً فى برامج هذه المسارح ؛ ولقد كانت أسماء « الفولى برجير » و « الكازينو دى بارى » و « الكازار » تثير فينا قبل رؤيتها سحراً لا يقاوم ، فلما أتيح لنا أن نراها آنسنا خيبة أمل مرة ، لأننا لم نر فيها من المناظر الرفيعة الرائعة ما يتفق مع تلك الدعاية الرنانة التى تثار حول أسمائها فى الصحف وفى السينما ؛ وهى دعاية يفهمها الفرنسى ، ولذلك فهو قليل الاقبال على هذه المسارح والمناظر التى ترتب لاجتذاب الأجانب وتقتضى من روادها أجوراً فاحشة حتى إن

الكرسى المتواضع (فى نهاية البارتير أو فى الجاليرى) فى الفولى برجير أو الكازينو لا يكلف أقل من ثلاثين أو أربعين فرنكا (٤٠ — ٥٢ قرشاً)(١)

***

ومونبارناس؟ إن اسم مونبارناس كمونمارتر يغمر الأدب البارزى، ولكن مونبارناس أحدث عهداً فى الأخذ بناصية الحياة الليلية البارزية؛ ومونبارناس شارع مديد شاسع فى جنوب باريس على مقربة من اللكسمبور وسان ميشيل، وهو أكثر رحابة وأقل صخباً من مونمارتر، وبه على مقربة من محطة «مونبارناس» عدة مقاه حسنة أشهرها وأجملها «لا كوبول» وهو مقهى أنيق وبه مرقص ليلى؛ وهنالك فى الجانب الآخر أشهر حانة ليلية فى الحى وهى حانة «جوكى»، وهى غنائية راقصة وينحصر الجانب الساهر النير من مونبارناس بين «لا كوبول» والمحطة؛ وهنالك تلمح تحت أنوار الشارع والمقاهى كثيراً من الغوانى وأنصاف الحرائر

وقد اشتهرت مونبارناس بأنها مهبط الأدباء والفنانين الناشئين؛ والواقع أنك حين تتجول فى مقاهى الحى ومطاعمه ترى كثيراً من الفنانين الذين أطلقوا لحاهم والذين تدل عليهم مظاهرهم يؤمون أندية الحى ويتجولون فى دروبه؛ والمعروف أن رواد مونبارناس هم غالباً من الطبقة المثقفة، وهى بذلك تمتاز عن مونمارتر التى عرفت بأنها مهبط الطبقات الدنيا أيضاً؛ وقد أخذت مونبارناس فى العهد الأخير تنافس مونمارتر فى الأخذ بزمام الحياة الليلية، ونجحت فى ذلك إلى حد ما؛ بيد أنها مازالت تضيق بأنديتها القليلة عن أن تضم كثيراً من تلك الجماهير الغفيرة التى تهرع إلى مونمارتر بالليل، هذا إلى أنها لا تحتوى كثيراً من تلك المنتديات الشعبية التى تغص بها مونمارتر والتى تموج بروادها دائماً

والظاهر أن مونبارناس تقف فى منافستها لمونمارتر عند ناحية خاصة، فهى بموقعها وشوارعها الشاسعة الفخمة أقدر على اجتذاب الخاصة من مونمارتر؛ وقد سمعت من بعض البارزيين الخبيرين بشؤون الحياة الاجتماعية أن المستقبل لمونبارناس فى تحول تيار الحياة الليلية إليها؛ وأن مدى هذا التحول يتوقف على مدى قيام المقاهى والمنتديات الجديدة فى حى مونبارناس

***

هذه صورة موجزة مما استطعنا أن نقف عليه من نواحى الحياة الليلية فى باريس؛ ولا ريب أن توجد ثمة نواح أخرى يعرفها أولئك الذين أقاموا فى العاصمة الفرنسية أكثر مما أقمنا وعرفوها أكثر مما عرفنا. بيد أنا نعتقد أن ما أتيح لنا أن نشهده من المنتديات والمناظر المختلفة التى وصفناها هو عنوان الحياة الليلية البارزية يعبر عنها تعبيراً حقيقياً؛ وقد حرصنا على تعرف هذه الحياة مااستطعنا، ولم نبخل بأنفاق ليال عديدة برمتها فى التجوال والمشاهدة، ولم نضن بما اقتضاه التجوال من نفقات فاحشة فى غالب الأحيان؛ ولم نر فى كل ما شهدنا، فى تلك الأحياء الشهيرة، وفى تلك المنتديات والمسارح الليلية ذات المظاهر الأنيقة والأنوار الساطعة والبرامج الخلابة، من المتاع والفتنة ما يتفق مع تلك الدعاية المغرقة التى يبثها فى مصر عن باريس وعن منتدياتها ولياليها أولئك الذين لم يعرفوا غير باريس، والذين يقدمون الينا عنها فى كتبهم ومقالاتهم أجمل الصور وأروعها

(يتبع) (...)

(١) هذا التقدير قبل نزول الفرنك الأخير

# نظرية النبوة عند الفارابي [1]

للدكتور ابراهيم بيومي مدكور

يستمد كل دين سماوي أولاً وبالذات على الوحي والالهام ، فعنهما صدر ، وبما لهما من إعجاز فاز ، وعلى تعاليمهما تأسست قواعده وأركانه . وما النبي إلا بشر منح القدرة على الاتصال بالله والتعبير عن إرادته ؛ وهذا هو كل ما له من امتياز ، فلا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، ولا يروى خبرا إلا وهو تنزيل من حكيم حميد ، ولا يقضي بقضاء إلا وهو ينفذ إرادة الله . والاسلام كـكل الديانات السامية يستمد قوته من السماء ، فعقائده وقوانينه مأخوذة من الكتاب والسنة اللذين هما وحي مباشر أو غير مباشر : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى » ، فمن ينكر الوحي يرفض الاسلام في جملته ، أو يهاجمه على الأقل في أساسه ويهدم دعائمه الأولى والرئيسية . وتلك جريمة شنعاء قل أن يجرؤ عليها أشخاص عاشوا فوق أرض الاسلام وتحت سمائه . وليس شيء ألزم لفيلسوف مسلم من أن يحتفظ في مذهبه بمكان للنبوة والوحي إذا شاء أن تقبل فلسفته وتقابل بالتسامح من جانب إخوانه المسلمين . وقد كان فلاسفة الاسلام حريصين كل الحرص على أن يوفقوا بين الفلسفة والدين ، بين العقل والنقل ، بين لغة الأرض ولغة السماء ، لهذا لم يفتهم أن يشرحوا لغة السماء ويوضحوا كيفية وصولها إلى سكان العالم الأرضي ويبنوا الدين في اختصار على أساس عقلي ، فكونوا نظرية النبوة التي هي أهم محاولة قاموا بها للتوفيق بين الفلسفة والدين . والفارابي هو أول من ذهب إلى هذه النظرية وفصل القول فيها بحيث لم يدع فيها زيادة لخلفائه فلاسفة الاسلام الآخرين . وهذه النظرية هي أسمى جزء في مذهبه الفلسفي ، تقوم على دعائم من علم النفس وما وراء الطبيعة ، وتتصل اتصالاً وثيقاً بالسياسة والأخلاق ، ذلك لأن الفارابي يفسر النبوة تفسيرا سيكولوجيا نفسيا ، ويعدها وسيلة من وسائل الاتصال بين عالم الأرض وعالم السماء ، ويرى فوق هذا أن النبي لازم لحياة المدينة الفاضلة من الناحية السياسية والأخلاقية ، فمنزلته لا ترجع إلى سموه الشخصي فحسب ، بل لما له من أثر في الوسط الاجتماعي

قد يكون الفارابي أكثر فلاسفة الاسلام اشتغالاً بالمسائل الاجتماعية ، فهو يتعرض لها في كثير من مؤلفاته ، ويعنى بها عناية تدل على الرغبة والاهتمام ، وبين رسائله القليلة التي وصلت الينا رسالتان رئيسيتان موقوفتان على السياسة والاجتماع ، وهما : السياسة المدنية ، وآراء أهل المدينة الفاضلة . وله شرح مختصر على نواميس أفلاطون لا يزال مخطوطاً حتى اليوم ومحتفظاً به في مكتبة ليدن ، وقد رأيناه هذا الصيف فيما رأينا من مخطوطات عربية أخرى بالمكاتب الأوربية ؛ وكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة يكفي وحده في أن نعد الفارابي بين من فكروا تفكيرا منظما في النظريات السياسية ، ولعله أشهر كتبه وألصقها به ؛ وقد عرف المتأخرون له هذه المنزلة ، فلقبوا مؤلفه به وسموه « صاحب المدينة الفاضلة » ، وهذا الكتاب يحاكي جمهورية أفلاطون إلى حد بعيد ، ويحوي كثيراً من الآراء الأفلاطونية . والواقع أن شيخ الأكاديمية انفرد تقريباً ، بين مفكري الأغريق ، بالتأثير في دراسة العرب الاجتماعية ، وبرز في هذا المضمار على أرسطو الذي ساد الفلسفة الاسلامية في نواحيها الأخرى

فعلى طريقة أفلاطون يرى الفارابي أن المدينة كل مرتبط الأجزاء ومتضامها ؛ هي كالبدن إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . فالألم الذي يحس به أحد أفراد الجمعية لا بد أن يعدوه إلى الآخرين ، والسرور الفردي لا يصح أن يعرف في جمعية صالحة . فلا يألم شخص وحده ، ولا يُسر وحده ، بل يجب أن تسري في الجميع روح واحدة تحس بأحساس مشترك . وإذا كانت أعضاء الجسم ذات وظائف متميزة فواجب أن يكون لـكل فرد من أفراد المجتمع عمل خاص ، ولن تتم للجمعية سعادتها إلا إذا قسم العمل بين أفرادها تقسيما متناسباً

(١) ألقي هذا الموضوع مختصراً في محاضرة من محاضرات الجامعة الأمريكية العامة في ٣ أبريل سنة ١٩٣٦

مع كفاياتهم ومشوباً بروح التضامن والتعاون[١]، وبديهى أن الأعمال الاجتماعيـة متفاوتة بتفاوت غاياتها ؛ وأسماها وأشرفها ما اتصل برئيس الجمعية ومهمته ، لأنه من المدينة كالقلب من الجسم ، فهو مصـدر الحياة وأصل التناسق والنظام ؛ وليست وظيفته بسياسية فقط ، بل هى أخلاقيـة كذلك ؛ فانه مثال يحتذى وسعادة الأفراد تتلخص فى التشبه به[٢]

يبنى الفارابى كل آماله على رئيس المدينة ويعلق عليـه كل الأهمية ، كما علق شيخ أثينا أهمية كبيرة على رئيس الجمهورية ، ويشترط فيه شروطاً كثيرة تشبه تمام الشبه الشروط التى قال بها أفلاطون من قبل ، بل هى مأخوذة عنها نصاً . ويعقد لها فى كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) فصلاً مستقلاً عنوانه : « فى خصال رئيس المدينة الفاضلة » ، وفى هذا الفصل يقرر أنه لا بد أن يكون رئيس المدينـة سليم البنية قوى الأعضاء تامها ، جيد الفهم والتصور ، قوى الذاكرة ، كبير الفطنة ، سريع البديهة ، حسن العبارة ، محباً للعلم والاستفادة ، متحلياً بالصدق والأمانة ، نصيراً للعـدالة ، عظيم الارادة ، ماضى العزيمة ، قانعاً متجنباً للملذات الجسمية[٣] . شرائط صـعبة التحقيق ونادرة الوجود مجتمعة فى شخص واحد كما يلاحظ الفارابى نفسه ، ومع هذا لا يتردد فى أن يزيدها تعقيداً ؛ فيضيف إليها شرطاً آخر أملاه عليه مذهبه العام واستعداده الصوفى ، أو بعبارة أخرى يضيف إليها الشرط الذى يبعده عن أفلاطون بقـدر ما يقربه من التعاليم الاسلامية ، وذلك الشرط هو أنه لا بد لرئيس المدينـة من أن يسمو إلى درجة العقل الفعال الذى يستمد منه الوحى والالهام ، والعقل الفعال ، كما نعلم ، أحـد العقول العشرة المتصرفة فى الكون ، ونقطة الاتصال بين العبد وربه ، ومصـدر الشرائع والقوانين الضرورية للحياة الخلقية والاجتماعية[٤] ، وعلنا نلاحظ

(١) الفارابى ، آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٥٤ — ٥٥ وانظر أيضاً :
Plston, Réxuplique, 370 a b 373 c.

(٢) الفارابى ، آراء أهل المدينـة الفاضلة ، ص ٥٥ — ٥٦ = تحصيل السعادة ، ١٦ ، ٤٣

(٣) الفارابى ، للمدينة الفاضلة ، ٥٩ — ٦٠ = تحصيل السعادة ، ص ٤٤ ، ٤٥ وانظر أيضاً : Platon, Republique, 490 c.

(٤) الفارابى ، المدينة الفاضلة ، ٥٧ — ٥٨

من هذا أن خيال الفارابى — ولو فى هذه النقطة على الأقل — أخصب من خيال أفلاطون . ففى حين أن مؤلف الجمهورية يريد أن يرغم الفيلسوف على النزول من سماء التأملات إلى عالم الشؤون السياسية ، يطلب الفارابى من رئيس مدينته أن يندمج فى العالم الروحى وأن يحيا بروحـه أكثر من حياته بجسمه ، ويشترط فيه أن يكون قادراً باستمرار على الاتصال بالعقل الفعال . فالحاكم الفيلسوف الذى قال به أفلاطون يتحول إلى حكيم واصل عنـد الفارابى . يقول دى بور فى حق : « يُبرز الفارابى رئيسه فى كل الصفات الانسانية والفلسفية ؛ فهو أفلاطون فى ثوب محمد النبوى[١] » . وواجب على رئيس كهذا قد حظى بالسعادة الحقة ونعم بالاتصال بالـكائنات الروحية أن يجتذب مرءوسيه نحوه ، ويقوم على تهذيب أرواحهم أولا وبالذات ، ويصـعد بهم إلى مستوى النور والاشراق . فنحن إذن أمام مدينة سكانها قديسون ورئيسها نبى ، وهى مدينة لا وجود لها إلا فى مخيلة الفارابى

بيد أن الفيلسوف العربى يأبى إلا أن يصوِّر لنا من هـذا الخيال حقيقة ويحملنا على التسليم بامكان المدينـة الفاضلة التى ينشدها ، ذلك لأن الاتصال بالعقل الفعال ، وإن يكن نادر الوجود وخاصاً بعظماء الرجال ، ميسور من طريقين : طريق العقل وطريق الخيالة ، أو طريق التأمل وطريق الالهام ؛ فبالنظر والتأمل يستطيع الانسان أن يصعد إلى منزلة العقول العشرة ، وبالدراسة والبحث ترقى نفسه إلى درجة العقـــل المستفاد حيث تتقبل الأنوار الآلـهية[٢] ، وليست النفوس كلها قادرة طبعاً على هذا الاتصال ، وإنما تسمو إليه الأرواح القدسية التى تستطيع أن تخترق حجب الغيب وتدرك عالم النور . يقول الفارابى : « الروح القدسـية لا تشغلها جهة تحت عن جهة فوق ؛ ولا يستغرق الحس الظاهر حسها الباطن ؛ وقد يتعـدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالم وما فيه ؛ وتقبل المعـلومات من الروح والملائـكة بلا تعليم من الناس »[٣] . فبفضـل الدراسات النظرية الطويلة والتأملات العقلية الـكثيرة يستطيع الحـكيم الاتصال بالعقل الفعال ، وهذا الحـكيم الواصل هو الذى يسمح الفارابى بأن يكل إليه مقاليـد

(١) I. de Boer, Geschichte der Philosophle im Islam, p. 112.

(٢) الفارابى ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٤٦ = تعليقات ص ١٤

(٣) الفارابى ، الثمرة المرضية ، ص ٧٥

أمور مدينته ، وبهذا يحل « صاحب المدينة الفاضلة » ، على طريقته طبعاً مشكلة الرئيس السياسي والاجتماعي ، وهو حل صوفي كما ترى ؛ وليس غريباً أن يصدر عن فيلسوف يقول بنظرية السعادة والاتصال . فآراء الفارابي السياسية ، وإن اعتمدت على دعائم أفلاطونية مشوبة بنزعة صوفية واضحة

على أن الاتصال بالعقل الفعال ممكن أيضاً عن طريق الخيالة ، وهذه هي حال الأنبياء ؛ فكل إلهاماتهم وما ينقلون إلينا من وحي منزل أثر من آثار الخيالة ونتيجة من نتائجها ، وإذا ما رجعنا إلى علم النفس عند الفارابي وجدنا أن المخيلة تلعب فيه دوراً هاماً وتنفذ إلى نواحي الظواهر النفسية المختلفة . فهي منبتة الصلة بالميول والعواطف وذات دخل في الأعمال العقلية والحركات الارادية . تمد القوى النزوعية بما يستثيرها ويوجهها نحو غرض ما ؛ وتغذي الرغبة والشوق بما يؤججهما ويدفعهما إلى السير في الطريق حتى النهاية . هذا إلى أنها تحتفظ بالآثار الحسية وصور العالم الخارجي المنقولة إلى الذهن عن طريق الحواس ، وقد لا يقف عملها عند ادخار الصور الذهنية والاحتفاظ بها ، بل تخلق منها قدراً مبتكراً لا تحاكي فيه الأشياء الحسية ، وبهذا يشير الفارابي إلى الخيالة المبدعة ( imagination créatrice ) التي تنبه اليها علماء النفس المحدثون بجانب الخيالة الحافظة ( imagination conservatrice ) ، ومن الصور الجديدة التي تخترعها الخيالة تنتج الأحلام والرؤى . ويعنينا هنا قبل كل شيء أن نبين أثر الخيالة في الأحلام وتكوينها . فانا إن فسرنا الأحلام تفسيراً علمياً استطعنا أن نفسر النبوة وآثارها . ذلك لأن الالهامات النبوية إما أن تتم في حال النوم أو في حال اليقظة ؛ وبعبارة أخرى إما أن تبدو على صورة الرؤيا الصادقة أو الوحي . والفرق بين هذين الطريقين نسبي ، والاختلاف بينهما في الرتبة لا في الحقيقة . وما الرؤيا الصادقة إلا شعبة من شعب النبوة تمت إلى الوحي بصلة وتتحد معه في الغاية وإن اختلفت عنه في الوسيلة . فاذا فسرنا أحدهما أمكن تفسير الآخر . وقد عقد الفارابي في كتابه : آراء أهل المدينة الفاضلة فصلين متتاليين « في سبب المنامات » « وفي الوحي ورؤية الملك » ؛ وفي هذا ما يبين الصلة بين هذين البحثين [1]

(١) الفارابي ؛ آراء أهل المدينة الفاضلة ؛ ص ٤٧ — ٥٣

فهو يبدأ أولاً بالأحلام فيوضحها توضيحاً يقرب كثيراً من بعض الآراء العلمية الحديثة ، ويرى أن المخيلة متى تخلصت من أعمال اليقظة تفرغت أثناء النوم لبعض الظواهر النفسية ، فتخلق صورا جديدة أو تجمع صورا ذهنية قديمة على أشكال مختلفة محاكية ومتأثرة في ذلك ببعض الاحساسات والمشاعر الجسمية أو العواطف النفسية والمدركات العقلية ، فهي قوة مخترعة قادرة على الخلق والايجاد والتصوير والتشكيل ، ولها أيضاً قدرة عظيمة على المحاكاة والتقليد ، وفيها استعداد كبير للانفعال والتأثر [1] فأحوال النائم العضوية والنفسية واحساساته ذات أثر واضح في مخيلته ، وبالتالي في تكوين أحلامه ، وما اختلفت الأحلام فيما بينها إلا لاختلاف العوامل المؤثرة فيها ، فنحلم بالماء أو السباحة مثلاً في لحظة يكون مزاجنا فيها رطبا ، وكثيرا ما مثلت الأحلام تحقيق رغبة أو الفرار من فكرة بغيضة ؛ فقد يتحرك الانسان أثناء نومه تلبية لنداء عاطفة خاصة ، أو يجاوز مرقده ويضرب شخصاً لا يعرفه أو يجري وراءه [2] ، وعلى الجملة الميول الكامنة والاحساسات السابقة أو المصاحبة لحلم ما ذات دخل عظيم في تكوينه وتشكيله . ولسنا في حاجة لأن نشير إلى أن هذه اللاحظات على بساطتها تشبه التجارب العلمية التي قام بها فرويد وهرفي وموري من علماء النفس المحدثين الذين اشتغلوا بالأحلام وتحليلها . وقد أبان فرويد في جلاء أثر الميول الكامنة في تشكيل الرؤى والأحلام ، وخاصة لدى الكهول والشبان ؛ واستطاع هرفي وموري أن يبرهنا على أن الحلم غالباً ما يكون امتداداً لاحساس سابق أو نتيجة لاحساس مقارن ، فقد يحلم الانسان بحريق في حجرته في الوقت الذي يقع فيه بصيص من الضوء على حدقته أثناء نومه ، أو بأنه يُضرَب على أثر ألم في ظهره . وقد حدث مرة أن رأى شخص أن داره تنهار به في الوقت الذي انكسرت فيه إحدى قوائم سريره . ولقد وصل الأمر بهرفي أن ظن — بناء على ما سبق — أنه يمكن أن يتصرف الانسان في أحلامه ويشكلها كما يشاء ، فمتى ربط صلة بين بعض الاحساسات وذكريات معينة استطاع في نومه استعادة هذه الذكريات باثارة الاحساسات المتصلة بها . وقديماً حاول

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٨ — ٤٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩ — ٥٠

الأغريق أن يحتفظوا بأحلامهم أو يثيروها بواسطة بعض الطقوس الدينية

وإذا كان فى مقدور الخيالة أن تحدث كل هذه الصور فهى تستطيع أن تشكلها بشكل العالم الروحانى ، فيرى النائم السموات ومن فيها ، ويشعر بما فيها من لذة وبهجة [١] . وفوق هذا فقد تصعد المخيلة إلى هذا العالم وتتصل بالعقل الفعال الذى تتقبل منه الأحكام المتعلقة بالأعمال الجزئية والحوادث الفردية ، وبذا يكون التنبؤ ؛ وهذا الاتصال يحدث ليلاً ونهارا ، وبه نفسر النبوة ، فهومصدر الرؤيا الصادقة والوحى . يقول الفارابى : « إن القوة المتخيلة إذا كانت فى انسان ما قوية كاملة جداً ، وكانت المحسوسات الواردة عليها من خارج لا تستولى عليها استيلاء يستغرقها بأسرها ، ولا يستخدمها للقوة الناطقة ، بل كان فيها مع اشتغالها بهذين فضل كثير تفعل به أيضاً أفعالها التى تخصها ، وكانت حالها عند اشتغالها بهذين فى وقت اليقظة مثل حالها عند تحللها منها فى وقت النوم .... اتصلت بالعقل الفعال وانعكست عليها منه صور فى نهاية الجمال والكمال ، وقال الذى يرى ذلك إن لله عظمة جليلة عجيبة ، ورأى أشياء عجيبة لا يمكن وجود واحد منها فى سائر الموجودات أصلاً ، ولا يمتنع إذا بلغت قوة الانسان المتخيلة نهاية الكمال أن يقبل فى يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها ، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الالٓهية . وهذا هو أكمل المراتب التى تنتهى اليها القوة المتخيلة والتى يبلغها الانسان بهذه القوة [٢] فميزة النبى الأولى فى رأى الفارابى أن تكون له خيالة قوية تمكنه من الانصال بالعقل الفعال أثناء اليقظة وفى حال النوم ، وبهذه الخيالة يصل إلى ما يصل اليه من إدراكات وحقائق تظهر على صورة الوحى أو الرؤيا الصادقة ، وليس الوحى شيئاً آخر سوى فيض من الله عن طريق العقل الفعال ، وهناك أشخاص قويو الخيالة ، ولكنهم دون الأنبياء فلا يتصلون بالعقل الفعال إلا فى حال النوم ، وقد يعز عليهم أن يعربوا عما وقفوا عليه ، أما العامة والدهماء فخيلتهم ضعيفة هزيلة لا تسمو إلى درجة الانصال هذه لا فى الليل ولا فى النهار .

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥١ — ٥٢

يقول الفارابى : « ودون الأنبياء من يرى بعض الصور الشريفة فى يقظته وبعضها فى نومه ، ومن يتخيل فى نفسه هذه الأشياء كلها ولكن لا يراها ببصره ، ودون هذا من يرى جميع هذه فى نومه فقط ؛ وهؤلاء تكون أقاويلهم التى يعبرون بها أقاويل محاكية ورموزاً وألغازاً وإبدالات وتشبيهات ، ثم يتفاوت هؤلاء تفاوتاً كثيراً [١] » . وهنا يشير الفارابى إلى جماعة الأولياء والواصلين الذين يتفقون مع الأنبياء فى بعض النواحى ويختلفون عنهم فى نواحى أخرى

هذه هى نظرية النبوة التى انتهى إليها الفارابى بعد أبحاثه الاجتماعية والنفسية . فالنبي والحكيم فى رأيه هما الشخصان الصالحان لرياسة المدينة الفاضلة ؛ وكلاهما يحظى فى الواقع بالاتصال بالعقل الفعال الذى هو مصدر الشرائع والقوانين الضرورية لنظام الجمعية ، وكل ما بينهما من فارق أن الأول يحظى بهذا الاتصال عن طريق الخيالة والثانى عن طريق البحث والنظر . وسندع الحكيم وطريق اتصاله جانباً فقد تعرضنا له من قبل على صفحات الرسالة حين تكلمنا عن نظرية السعادة [٢] ، وسنوجه عنايتنا فيما يلى إلى بيان أصول نظرية النبوة وأثرها فيمن جاء بعد الفارابى من فلاسفة ومفكرين

(يتبع) ابراهيم بيومى مدكور

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٢

(٢) الرسالة ، العدد ١٥٧ ، ١٦٨ — ١٧١

في الأدب المقارن

# أثر الدين في الأدبين
## العربي والانجليزي
### للأستاذ فخري أبو السعود

للدين في أدب كل أمة أثر عميق متشعب ، بل هو أصل الآداب والفنون والعلوم ، تنشأ كلها في الجماعات البدائية لخدمته ، ويستأثر بالتبحر فيها رجاله ، ثم تذيع عنهم في بقية الشعب وتنفصل تدريجاً عن الدين ، ويستقل كل منها بنفسه ، ويظل للدين مع ذلك أثر فيها قل أو كثر ، يؤثر فيها من جراء تأثيره في المجتمع الذي تستقي منه العلوم والفنون ؛ هكذا كان الدين عند قدماء المصريين واليونان والرومان واليهود وغيرهم من الأمم

ولا يشذ الأدبان العربي والانجليزي عن هذه القاعدة : فقد تأثر كل منهما بالوثنية أولاً ثم بدين سماوي وكتاب منزل ، وشهد نهضة دينية كبرى كان لها أثر عظيم في مجتمعه ، واختلط الدين بالسياسة في كلتا الأمتين وتأثر الأدب بهذا الاختلاط ، وكان من رجال الدين في الأمتين بلغاء ذوو أذواق أدبية أتحفوا أدب اللغة بآثار جليلة في الحض على الفضيلة والكمال الروحي ، وكان من أدباء كلتا الأمتين متشيعون للطوائف الدينية دافعوا عنها في نظمهم ونثرهم

شهد الأدب العربي أعظم النهضات الدينية طرا بظهور الاسلام ، الذي غير وجه المجتمع العربي وأغنى الأدب بخير ما فيه من الخطب الدينية والسياسية ، وإن يكن الأدب الانجليزي لم يشهد نشأة النصرانية فلم تفته نهضة دينية عظيمة الشأن هي الاصلاح الديني الذي شمل أوربا في عهد الاحياء وامتد في انجلترا إلى القرن السابع عشر ، وانتهى بانتصار طائفة المطهرين ، وأنجب هذا العهد رهطاً من الكتاب والشعراء البرزين أمثال ملتون وبنيان ودن وهربك وهربرت وكراشو ، الذين خلفوا أحسن ما في اللغة من أشعار الورع والطهر والسمو الروحي

وحبت تلك النهضة الدينية الأدب العربي بكتاب سماوي لن يزال مثلاً أعلى في البلاغة ومعينا لا ينضب للبلغاء ، ومنذ ترجم الانجيل إلى الانجليزية ترجمة بليغة ، كان له فضل عظيم على اللغة وعلى أدبها ، فقد أقام قواعدها ووضح أساليبها ، ولم يزل مثلاً رائعاً للسلاسة والامتاع

واختلط الدين بالسياسة في الدولة العربية ، وكان محور التقائهما مشكلة الخلاف التي اصطرعت حولها الأحزاب وقامت باسمها الدولات ، وامتزج الدين بالسياسة في انجلترا عهداً ، وكان مدار امتزاجهما سلطة الملك وحقوق الشعب ، فالملكية تدعي الحق الالهي والسلطان المطلق في شؤون الدين والدنيا ، والشعب يريد الحرية في كلا الأمرين ويحد سلطة الملك في الناحيتين ، وتأثر الأدبان بهذا التداخل بين الدين والسياسة

ويدين الأدب الانجليزي للديانة بثلاث أياد : الأولى وضع من أوضاع الأدب هو الرواية التمثيلية ، التي نشأت في العصور الوسطى في الكنيسة حيث كان يمثل عذاب المسيح وآلام الشهداء وخبائث إبليس ، وتمثل الفضائل والرذائل شخوصاً متحاورة ، فمن هذا البدء الساذج نمت الرواية التمثيلية التي ازدهرت في عهد شكسبير ، والتفتت إلى دراسة الانسان والمجتمع ، واليد الثانية أثر أدبي خطير من نفائس الأدب الانجليزي ، هو ملحمة ملتون الفردوس المفقود ، التي أوحى إليه بها الروح الديني الذي ساد عصره ، والعراك الديني الذي خاض غماره ، واستمرار مشاهدها ومعالمها من الانجيل الذي كان له في عهده أسمى مكانة ، وأخيراً للكنيسة فضل على الأدب الانجليزي إذ كان من رجالها من ساعدهم الفراغ الذي ينعمون به على الانصراف إلى الأدب ، بل كان منهم من ألحقوا بالكنيسة عمداً ليحظوا بذلك الفراغ وذلك الانصراف ، ومن مشهوريهم سويفت ودن وكنجزلي

وليس في الأدب العربي ما يقابل هذه الأيادي التي أسدتها الديانة والكنيسة إلى الأدب الانجليزي : فقد أكبر المسلمون شخص نبيهم عن كل تمثيل وتشخيص ، وانتهت حياته بالظفر الأكبر لا بمأساة كمأساة المسيح ، وإن يكن في تاريخ الاسلام ما يشابه تلك المأساة فهو مصارع أبناء الامام عليّ التي خلدتها الأشعار الباكية ؛ وإذا كانت رسالة الغفران تشابه الفردوس

المفقود فى امتداد مشاهدها فى العالم الآخر فهى تخالفها فى كل شىء آخر لاختلاف المؤلِّفَيْن ؛ ثم إنه لم تكن فى الاسـلام هيئة دينية رسمية تكاد تقصر على أبناء العليـــة ومن يلوذ بهم كالـكنيسة الانجليزية

وفى الأدبين العربى والانجليزى آثار طريفة للنزعة الصوفية ، التى هى من أسمى مظاهر الروح الدينى ، وإن خرجت عن مألوف المتدينين فى أشياء ، وأنـكر منها رجال الدين أحياناً أموراً ، واتخذت لها رموزها وطرقها الخاصة التى تستغلق على غير أربابها ، وأظهرُ أصحاب هذه الطريقة الرمزية فى الأدب الانجليزى بليك ، وأجزلهم فى العربية شعراً وأسيرهم ذكراً ابن الفارض

وجاءت النهضة العلمية والفلسفية بعد النهضة الدينية فى كلتا الأمتين ، تمثَّلَ ذلك عند العرب فى ذيوع الفلسفة اليونانية ، وعند الانجليز فى ارتقاء العلوم المادية كعلوم الحياة وطبقات الأرض والـكيمياء والطب ، وتطبيق نظرية النشوء والارتقاء عليها وعلى العلوم الاجتماعيـة ، فقام الصدام بين الدين والعلم والفلسفة ، وانعكس ظله فى الأدب ، وأوضح مثال للشك العلمى فى العربية شعر المعرى ، وفى الانجليزية شعر تنيسون وهاردى

كان انتصار المطهرين الذين وضعوا أساس حرية الشعب الدينية والسياسية أوج احتفال الانجليز بالمسائل الدينيـة وظهور آثارها فى أدبهم ، وبعدها هبط إلى المحل الثانى من تفكيرهم ، ولم تقم له إلا حركات قليلة الشأن فى القرن الماضى ، إذ كان يحاول كل من فريقى البروتستانت والـكاثوليك جمع الأنصار حوله ، وظهر فى ذلك المعترك من الأدباء المتحمسين للدين جملة ، أشهرهم نيومان ثم تشسترتون المتوفى حديثاً ، وكانت آراء داروين فى منتصف القرن الماضى ضربة شديدة وُجهت إلى روايات الانجيل فى شأن الخلق ، فانصرف جمهور الناس نهائياً عن التحمس للدين ورجاله ، وهكذا بَعُدَ الأدب الانجليزى عن الدين وتأثيره فى العصور الحديثة بعداً كبيراً

أما تأثر الأدب العربى بالاسـلام فكان أشمل وأبعد مدى وأطول أمداً من تأثر الأدب الانجليزى بالمسيحية لأسـباب عديدة : أولا إن الاسلام نشأ بين أظهر العرب فشهدوا مبعثه وجهاده وظفره على الوثنية ؛ وثانياً أنه كان أساس دولتهم وقطب سياستهم الداخلية ؛ وثالثاً أنه ظل دائما مجاهدا أعداءه مغيرا تارة ومدافعاً أخرى ، فكان قطب السياسة الخارجية أيضاً فى أحوال كثيرة ؛ ورابعا أنه كان بعد انتشاره محور العلوم والآداب وكان القرآن أساس الثقافة التى يؤخذ بها الناشئون ؛ وخامسا أنه سوَّى بين الداخلين فيه فقام منهم مقام الوطنية فى الأمم الأخرى ؛ وأخيرا أنه بأحكامه يشمل أمور الدنيا شموله شؤون الآخرة ، ويحيط بقواعد المجتمع الذى هو مبعث الأدب ، فلا غرو إن تأثر الأدب العربى فى كل عصوره بالدين روحا ومظهراً وغرضاً وأسلوباً

فظهور الاسلام بين العرب ترك أثره فى شعر الشعراء ، بين مهاجم له ومدافع عنه ومادح للرسول (ص) ، وظلت مدحة الرسول فى كل العصور غرضا من أغراض الشعر ؛ وجهادُ الاسـلام أعداءه فاتحا أو منافحا مدى القرون الطويلة ، تجلى أثره فى خطب الخلفاء والقواد وأشعار المـادحين للأمراء المنتصرين على الروم أو الوثنيين أو الأسبان أو الصليبيين ، لا سيما وقد كان ذلك دائما مصطبغا بصبغة القومية ، فقد كان الاسلام يجمع شعوبه فى عصبة أمم واحدة ذات شعور مشترك وأعداء مشتركين ، ومن أشهر آثار ذلك كله فى الأدب بائية أبى تمام فى فتح عمورية ، ومدائح المتنبى لسيف الدولة ، وقصائد الأبيوردى ، والبهاء زهير ، وابن مطروح فى الحروب الصليبية ، ومدائحهم للأيوبيين ، ومراثى الأندلس وصقلية ، كل هاتيك يخفق فيها الروح الدينى ، ممتزجا بالوطنية والسياسة وتمجيد الدولة القائمة

وفى داخل الدولة كان الدين — متمثلا فى مسألة الخلافة — محور السياسة ومصطرع الفرق ومشتجر الآراء ولثام المطامع ولواء الثورات وشـغل الشعوب ، فلم يكن هناك صراع بين ملـكية مستبدة وشعب متشبث بحرياته ، ولم يكن هناك محافظون وأحرار ، ولا اشتراكيون ورأسماليون ، ولـكن كان هناك خوارج غلاة فى الدين يحبـذون الشورى ويقرون الخلافة فى الأصلح لهـا ، وأمويون وعباسيون وعلويون ، كل منهم يدعى الامامة ، ومرجئة ومعتزلة يحظون حينا بتقريب البلاط ، ويستهدفون حينا لمقتـه ، وعامة الشعب فى أغلب العصور مع شيعة علىّ لمـكانة سلفهم العظيم من النبى وقدَمِه فى الاسلام ، ولِمـا حاق بالغطاريف من ذريته من تنكيل جَمَعَ بينهم وبين الشعب المقهور بعطف متبادل

ومرآة كل ذلك جلية فى أشعار أقطاب الخوارج ، ومتشيعى

الشعراء من عهد الكميت وكثير والفرزدق ، الى زمن ابن الرومى الى عصر عمارة اليمنى الذى رثى دولة الفاطميين رثاء موجعاً ، وفى أشعار طالبى الدنيا الناصرين للدولة القائمة المؤيدين لدعواها ، كمروان بن أبى حفصة ، وفى نثر زعماء المذاهب ونظمهم فى بيان آرائهم والنضح عن مبادئهم ، كخطب واصل بن عطاء وشعر صاحب المرجئة الذى يقول منه :

نرجى الأمور إذا كانت مشابهة   ولا نحاور فيمن جار أو عندا
ولا نرى أن ذنبا بالغ أحدا   ما الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا

وشمول روح الدين أو مظهره لكل مرافق المجتمع وقواعده الدولة على هذا النحو ترك أثره فى الأدب عامة : إذ صبغ أكثره بصبغة الجد والرزانة والقصد فى القول واجتناب الايغال فى الخيال ، والولع بالحكم والعبر والأمثال ، ورغب الأدباء فى الأخبار الصادقة عن السلف من جاهليين واسلاميين ، وزهدهم فى الأساطير ومختلق الأحاديث ، والى رهبة الدين الذى كان عماد الدنيا والآخرة ترجع أشعار الزهد والوعظ التى يحفل بها الأدب كأشعار أبى العتاهية وابن عبد القدوس ، وإلى جلالته وجلالة الانتماء اليه ترجع مسحة التسامى والعفة التى ترين على شعر الشريف الرضى

كان الدين دائما منبث الروح ، وإلا فمتجسم المظهر فى شؤون الحياتين ، وإن صدمته الأهواء السياسية كثيرا ، وغلبته الأهواء الفردية ، وتغافل عنه حماته فلم ينشطوا للذود عن حرماته إلا أن يكون فى ذاك قضاء لمآربهم أو شفاء لسخائمهم ، حتى كان من المتناقضات حقاً أن الأدب العربى الذى ازدهر فى ظل دول إسلامية حوى من جرىء القول مالم يحو غيره

وخلاصة القول أن كلا الأدبين العربى والانجليزى تأثر بدين قومه تأثرا بينا ، ولكن بينما كان تأثر الأخير بالمسيحية مقصوراً على عهود بذاتها وأمور بعينها ، ثم ركد أمر الدين ، وأحس الأدب أنه قد استفاد منه كل ما يمكنه أن يستفيد ، فانصرف عنه ، ظل للدين فى الأدب العربى دائما مكانة عالية وأثر بعيد ، وسيظل له مثل هذه المكانة ومثل هذا الأثر ، فى كل أدب يدين مجتمعه بالاسلام وينطق بالضاد .

فخرى أبو السعود

# بين شوقى وابن زيدون ★

بقلم الدكتور زكى مبارك

— ١ —

عرفنا ابن زيدون العاشق الذى يحسن التحدث عن مآسى القلوب ، ويكاد يعرف أسرار النفوس ، فماذا نقول عن شوقى ؟ لقد طال الحديث عن هذا الشاعر فى فصول هذا الكتاب ، ونخشى أن يتحيف حقوق مَن عرضنا لهم من الشعراء ، ولكن كيف نستكثر القول فى شوقى ، وقد بذّ ابن زيدون ؟ إن نونية شوقى أعجوبة من الأعاجيب ، وقد أرسلها من الأندلس فى أعقاب الحرب العالمية فضجّ لها شعراء مصر ، وأجابه اسماعيل صبرى ، وحافظ ابراهيم ، وعبد الحليم المصرى ؛ ولكنهم عجزوا جميعاً عن الجرى فى ميدانه ، ولم يُؤثَر لهم فى معارضته شىء ذو بال بالقياس إلى نونية أمير الشعراء

ابتدأ ابن زيدون نونيته بشكوى البين والأعداء والزمان ، وكانت الأبيات السبعة التى تحدث بها عن جواه زفرة محرقة لم يعبها ما وشيت به من الزخرف ، ولكن أين هى من بداية شوقى حين خاطب الطائر الحزين فى وادى الطلح بضاحية اشبيلية ؟ لقد تمثل الطائر شبيها به فى لوعته وجواه فاندفع يقول :

يا نائح الطَّلح أشباهٌ عوادينا   نشجى لواديكَ أم نأسى لوادينا
ماذا تَقُصُّ علينا غيرَ أنَّ يدًا   قصت جناحك جالت فى حواشينا
رَمى بنا البينُ أيكا غير سامِرِنا   أخا الغَريب وَظِلاً غيرَ نادينا
كلٌّ رَمَتْهُ النَّوى ، ريشَ الفِراقُ لنا   سَهْما ، وسُلَّ عليكَ البَينُ سكِّينا
إذا دعا الشوقُ لم نبرح بمُنصدعٍ   من الجناحين عَيٍّ لا يُلبِّينا
فان يكُ الجنسُ يا ابن الطلح فرَّقنا   إن المصائب يجمعن المُصابينا
لم تألُ ماءَكَ تحنانًا ولا ظَمأً   ولا ادِّكارًا ولاشجوًا أفانينا

★ فصل من كتاب الموازنة بين الشعراء ، وستصدره مطبعة مصطفى الحلبى فى أوائل الشهر المقبل ، وهذا الفصل نموذج للفصول التى أضيفت إلى الطبعة الجديدة

تَجُرُّ من فَنَنٍ ذيلاً إلى فَنَنٍ     وتسحب الذيلَ ترتادُ المؤاسينا
أُساةُ جسمك شتى حين تطلبهم     فمن لروحك بالنُّطس المُداوينا

والشاعر فى هذه الأبيات حيران ، يجعل الطائر فى حالين : حال المغترب ، وحال المقيم ، فما تدرى أيبكى من الغربة أم ينوح من فقد الأليف ؛ ومع حيرة الشاعر وضلاله عن تحديد ما يريد نراه بلغ غاية الرفق حين قال :

تجُرُّ من فَنَنٍ ذَيلاً إلى فَنَنٍ     وتسحبُ الذيلَ ترتاد المؤاسينا

وهى حال نشهدها فى الطائر المحزون ، فقد نرى الطائر يتنقل على غير هُدىً من أيكٍ إلى أيكٍ ، فنعرف أنه يبحث عمن يواسيه ، ولكن أين من يواسى الطائر الحزين ؟ إن شوق نفسه أخطأ حين قال :

أُساةُ جسمك شتى حين تطلبهم     فمن لروحك بالنُّطس المُداوينا

فان الطائر لا يجد من يأسو جسمه ، وإنما يجد من يذبحه ويشويه ، والناس ألأم من أن يَطِبُّوا لطائر جريح !

وانتقل ابن زيدون من شكوى البين والأعداء والزمان إلى معاتبة حبيبته ، فذكر أنه لم يستمع وشاية ولم يعتقد إلا الوفاء ، أما شوقى فقد انتقل من خطاب الطائر إلى بكاء الأندلس والحنين إلى مصر ، فقال :

واهاً لنا نازحىْ أيكٍ بأندلسٍ     وإن حللنا رَفيفاً من رَوابينا
رسمٌ وقفنا على رسمِ الوفاءِ لهُ     نجيش بالدمع والاجلالُ يثنينا
لفتيةٍ لاتنالُ الأرضُ أدمعهم     ولا مفارقهُم إلاَّ مصلّينا
لو لم يسودُوا بدينٍ فيه منبهةٌ     للناس كانت لهم أخلاقهم دينا
لم نسر من حرمٍ إلا إلى حرمٍ     كالخمر من بابل سارت لدارينا
لما نبا الخلدُ نابت عنه نُسختهُ     تماثُلَ الوردِ خيرياً ونسرينا
نسقى ثراهمْ ثناءً ، كلما نُثرتْ     دموعُنا نُظمتْ منها مراثينا
كادت عيونُ قوافينا تحرّكهُ     وكدنَ يوقظن فى الترب السلاطينا

وللقارىء أن يتأمل الحسن فى هذه الأبيات ، فالشاعر يغلبه الدمع ، وهو يتذكر ملوك الأندلس ، ولكن الاجلال يثنيه عن البكاء ، لأنه فى ديار قوم لم تنل الأرض أدمعهم ومفارقهم إلا عند السجود ، فهم لم يعرفوا الخشوع لغير الله ، وذلك من أبعد الغايات فى الثناء

ويأبى شوقى إلا أن يحرص على المعانى الشعرية ، فهو فى الأندلس لا يسرى من حرم إلا إلى حرم ، ولكن كيف ؟ كالخمر سارت من بابل إلى دارين ! وقدسية الخمر لا تجوز فى غير مذاهب الشعراء

ثم قال فى الحنين إلى وطن النيل :

لكن مصر وإن أغضت على مقةٍ     عينٌ من الخلدِ بالكافور تسقينا
على جوانبها رفَّت تمائمُنا     وحول حافاتها قامت رواقينا

وهذا معنى قديم سبقه إليه من قال :

أحبُّ بلاد اللهِ ما بين منْعِجٍ     إلى وسلمى لو يصوبُ سحابها
بلادٌ بها نيطتْ علىَّ تمائمى     وأول أرض مسَّ جسمى ترابُها

والبِكْرُ هو قول شوق :

ملاعبٌ مَرِحت فيها مآرُبنا     وأربُعٌ أَنِسَتْ فيها أمانينا

وإنما كان هذا معنى بكراً لما فيه من طرافة الخيال ، أرأيتم كيف تمرح المآرب ، وكيف تأنس الأمانى ؟

لقد رأيت شوقى أول ما رأيته سنة ١٩٢١ ، وكان دعانى للغداء عنده بالمطرية مع الأصدقاء الأكرمين مصطفى القشاشى ، وسعيد عبده ، وأحمد علام ، فعجبت يومئذ لذلك المبسم الساحر وسألت نفسى : كيف كان ذلك الملاك فى صباه !

إن حنين شوقى إلى مصر حنينٌ عميق ، وإنما كان كذلك لأن الشاعر شهد فى مصر دنيا من الحب والمجد لم يظفر بها إلا الأقلون ؛ ودنيا شوقى لم تكن مثل دنيا الناس فى هذا الزمان ، كانت الدنيا فى شباب شوقى تفيض بالبشر والايناس ، وكان الشاعر يعيش فيها عيشة مُضمَّخة بالسِّحر والفتُون ، وكان للجمال قُدْسِيَّة ، وكان للصِّبا سلطان ، وكانت خطوب الزمن لا تهدّ النفوس كما تفعل فى هذه الأيام

ومن البكر أيضاً قول شوقى :

بنَّافلم نخلُ من رَوحٍ يُراوحنا     من برِّ مصرَ وريحان يُغادينا
كأُمِّ موسى على اسم الله تكفلنا     وباسمه ذهبت فى اليمِّ تُلقينا

يريد أن يقول إن مصر لم تُلقهِ فى يمِّ النفى إلا خوفاً عليه من كيد فرعون ، فرعون القرن العشرين المستر جون بول !

— ٢ —

تذكرون قول ابن زيدون :

يا سارىَ البرقِ غادِ القصرَ فاسق به     من كان صِرفَ الهوى والودِّ يسقينا

واسألْ هُنالك هل عنى تذكُّرُنا
إلفاً تذكرهُ أمسى يُمنّينا

وهذا شعر جميل ، ولكن انظر كيف عارضه شوق فقال :

يا سارىَ البرقِ يرمى عن جوانحنا ... بعد الهدوِ ويهمى عن مآقينا
لما ترقرقَ فى دمعِ السماءِ دماً ... هاجَ البكا فخضبنا الأرضَ باكينا
الليلُ يشهدُ لم نهتِك دياجيهُ ... على نيامٍ ولم نهتِفْ بسالينا
والنَّجمُ لم يرَنا إلاّ على قدمٍ ... قيامَ ليلِ الهوى للعهدِ راعينا
كزفرةٍ فى سماءِ الليلِ حائرةٍ ... مِمَّا نُردِّدُ فيه حينَ يضوينا
باللهِ إن جُبتَ ظلماءَ العبابِ على ... نجائبِ النور مَحْدواً (بجريّنا)
تَرُدُّ عنكَ يداهُ كلَّ عاديةٍ ... إنْساً يعِثْنَ فساداً أو شياطينا
حتى حوتْكَ سماءُ النيل عاليةً ... على الغيوثِ وإن كانت ميامينا
وأحرزتْك شفوف اللازَوَرْدِ على ... وشى الزبرْجدِ من أفوافِ وادينا
وحازكَ الريفُ أرجاءً مؤرَّجة ... ربت خمائلَ واهتزّت بساتينا
فقفْ إلى النيل واهتفْ فى خمائله ... وانزل كما نزلَ الطَّلُّ الرَّياحينا
وآسِ ما باتَ يذوى من منازلنا ... بالحادثاتِ ويضوى من مغانينا

انظروا . ابن زيدون يسأل البرق أن يسقى القصر ، وشوق يسأل البرق أن يأسو المنازل الذاوية ، والمغانى الضاوية ، والمعنيان مقتربان ، ولكن شوق أعطانا صورة شعرية لتنقل البرق من أفق إلى أفق ، وانحداره من أرض إلى أرض ، وأعطى صوراً من ريف مصر وخمائل النيل لا تشوقُ إلا شاعراً ودَّع دنياه حين ودَّع النيل

وقال ابن زيدون :

ويا نسيمَ الصَّبا بلِّغ تحيتنا ... من لو على البعد حيًّا كان يحيينا

عارضه شوق فقال :

ويا معطَّرة الوادى سَرت سحراً ... فطاب كلُّ طروحٍ من مرامينا
ذكيَّةَ الذَّيل لو خِلْنا غلالتها ... قميصَ يوسف لم نُحسب مُغالينا
جَشِمتِ شوكَ السرى حتى أتيت لنا ... بالورد كُتْباً وبالريّا عناوينا
فلوْ جزيْنَاك بالأرواحِ غاليـةً ... عنْ طيبِ مسراكِ لم تنهَض جوازينا
هل من ذيولك مِسكيٌّ نحمِّلُه ... غرائبَ الشوقِ وشياً من أماليِنا
إلى الذين وجدْنا وُدَّ غيرهمو ... دُنيا وودُّهمُ الصافى هو الدِّينا

إن ابن زيدون لم يزد على أن قال : « يا نسيمَ الصَّبا » ، وهو تعبير ورد فى مئات القصائد ، أما شوق فراح يفتنُّ افتناناً يدل على قوة الشاعرية ، وبراعة الخيال ، فوصف النسمة بأنها معطرة الوادى ، وأنها سارت فى السحَر فطاب بمسراها كلُّ مرمىً سحيق ، وأنها ذكيَّةُ الذيل كأنها قميص يوسف ، وأنها جشِمت شوك السرى حتى أتت بالورْد مجسماً فى رسائل ، وأتت بالريّا مُمثَّلةً فى عناوين ، وشكر لها النعمى فقال :

فلوْ جزيْناكِ بالأرْواح غاليةً
عنْ طيبِ مسراكِ لم تنهض جوازينا

وابن زيدون يقول : « بلِّغْ تحيَّتنا » وهى عبارة جافيةٌ ، لأنها وردت فى صورة الأمر ، أما شوق فيترفق ، ويقول :

هلْ من ذُيولكِ مِسكيٌّ نُحمِّلُهُ
غرائبَ الشَّوقِ وشْياً من أمالينا

وابن زيدون يصف أحبابه بالقدرة على إحيائه لو أسعفوه بتحية ، وشوق يجعل كل هوى غير هوى أحبابه بعصر صورة من الدنيا ، أما هوى أحبابه الذين يتشوق اليهم فهو فى صفاء الدِّين

ولا ننكر أن بعض أخيلة شوق مقتبس من ابن زيدون ، فقول شوق :

يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا

اختُلس برفق وحذق من قول ابن زيدون :

بنتم وبنّا فما ابتلّت جوانحُنا ... شوقاً اليكم ولا جفّت مآقينا

والمعنى الذى عرضه ابن زيدون فى ثلاثة أبيات بسطه شوق فى ثمانية عشر بيتاً ، وإنما اتفق له ذلك لأنه كان يعارض ابن زيدون ، فكان لا بدَّ له من توشيةٍ بارعة تُعفِّى على النظرة الفطرية فى أبيات ابن زيدون ، ولابن زيدون فضل السبق ، ولشوق فضل البراعة فى تلوين الصور الشعرية ، وهو فضل ليس بالقليل

وأراد ابن زيدون أن يتذكر أيام الأنس فقال :

حالت لفقدكمو أيامُنا فغدت ... سُوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
إذ جانبُ العيش طلقٌ من تألُّفنا ... ومربع اللهو صافٍ من تصافينا
وإذ هصرنا فُنون الوصل دانية ... قُطوفُه فجنينا منه ما شِينا
ليُسقَ عهدُكمُ عهدُ السرور فما ... كُنتم لأرْواحنا إلاّ رَياحينا

وهذا شعرٌ صافى الديباجة ، رائع المعانى ، ولكن انظروا

كيف عارضه شوقى فجمع بين الأسى والفخر حين قال :

سقياً لِعهدٍ كأكناف الرُّبا رِفَةً (١)
أنَّى ذهبنا وأعطافِ الصِّبا لينا
إذِ الزمانُ بنا غيناءُ زاهيةٌ     ترِفُ أوقاتنا فيها رياحينا
الوصلُ صافيةٌ والعيشُ ناغيةٌ     والسعدُ حاشيةٌ والدهرُ ماشينا
والشمسُ تختالُ في العِقيانِ تحسبُها
بلقيسَ ترفلُ في وشي اليمانينا
والنيلُ يقبلُ كالدنيا إذا احتفلت     لو كان فيها وفاءٌ للمصافينا
والسعد لو دام والدنيا لو اطردت     والسيل لو عفَّ والمقدار لو دِينا
ألقى على الأرضِ حتى ردَّها ذهباً     ماءً لمسنا به الاكسيرَ أو طينا
أعداهُ من يُمنِه (التابوتُ) وارتسمت
على جوانبهِ الأنوارُ مِن سينا
لهُ مبالغُ ما فى الخُلقِ من كرمٍ     عهدُ الكرام وميثاق الوفيِّينا
لم يجرِ للدهرِ إعذارٌ ولا عُرُسٌ     إلاَّ بأيامنا أوْ فى ليالينا (٢)
ولا حوى السعدُ أطغى فى أعنته     منَّا جياداً ولا أرخى ميادينا
نحنُ اليواقيتُ خاضَ النارَ جوهرُنا
ولم يَهُن بيدِ التشتيت غالينا
ولا يحولُ لنا صبغ ولا خلق     إذا تلوَّن كالحرباءِ شانينا

والقارىء حين يوازن بين هاتين القطعتين لا يدرى أيهما أجود ، لأن ابن زيدون على قصر نفسه فى هذا الشوط بلغ غاية الرشاقة حين قال :

وإذا هصرنا فنون الأنس دانية     قطوفه فجنينا منه ما شينا

وبلغ غاية الدقة حين قال :

إذ جانب العيش طلق من تألفنا     ومورد اللهو صاف من تصافينا

والدقة فى هذا البيت تؤخذ من صدق التعليل ، فالعيش لم تتسع جوانبه إلا بفضل التألف ، تألف القلبين ، واللهو لم يصف مورده إلا بفضل التصافى ، تصافى الحبيبين ، والدنيا لا كدر فيها ولا صفاء ، وإنما تصفو حين تصفو النفوس ، وتقسو حين تقسو القلوب ، فالزهر الذى يبسم لك لا يبسم لك وحدك ، وانما تراه يخصك بالرفق لأن الدنيا صفت لك ، وقد يراه غيرك فى ابتسامه صورة من صور العبوس ، والنهر الذى تنظر اليه فى الليالى المقمرة فتراه عاشقاً يغازل القمر ويتاقى دعابته فى حنان ، هذا النهر لا يتمثل لك كذلك إلا لأنك تشاهد أمواجه الفضية بقلب مرح وحس طروب ، وهو نفسه قد يبدو للمحزون صورة من صور الاكتئاب

ويروقنا قول شوقى :

سقياً لعهد كأكناف الرُّبا رفة     أنَّى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا
إذ الزمان بنا غيناءُ زاهيةٌ     ترِفُ أوقاتُنا فيها رياحينا
الوصلُ صافيةٌ ، والعيش ناغيةٌ     والسعد حاشيةٌ ، والدهر ماشينا
والنيل يقبل كالدنيا إذا احتفلت     لو كان فيها وفاءٌ للمصافينا

يروقنا هذا الشعر ، لأن الشاعر جعل عهده فى نضرة الزهر الذى يتفتح فى أكناف الربوات ، ولأنه رأى اللين فى أيام الأنس شبيهاً باللين فى أعطاف الصبا ، وأعطاف الصبا جوهرٌ نبيل لا يعرف طيب لينها إلا شاعر أمكنته من أعطاف الصبا سَورةُ الصبوات ، ويروقنا أيضاً لطرافة هذا الخيال :

« ترف أوقاتنا فيها رياحينا »

ورفيف الأوقات معنىً يعرفه العشاق الذين دار بهم الزمن فى أُرجوحة اللهو الجموح

ويروقنا هذا الشعر مرة ثالثة لأن الشاعر يرى اقبال النيل كالدنيا حين تحتفل ، وانظروا كيف تكون الدنيا حين تحتفل ، ثم تأملوا روعة هذا الاستدراك :

« لو كان فيها وفاء للمصافينا »

ولكن هذه الطرافة فى أخيلة شوقى لا تنسينا براعة ابن زيدون حين جعل محبوبته كل شىء حين قال :

يا روضة طالما أجنت لواحظنا     وردا جلاه الصبا غضاً ونسرينا
ويا حياة تملينا بزهرتها     منىً ضروباً ولذاتٍ أفانينا
ويا نعيما خطرنا من نضارته     فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا

إن لم يكن هذا هو الشعر فما عسى الشعر أن يكون ؟ أترون العذوبة فى الهتاف بالروضة التى « طالما أجنت لواحظنا وردا جلاه الصبا » ، تأملوا عبارة « أجنت لواحظنا » ، وانظروا كيف تغزونا الروضة فتقهرنا على تذوق جناها المرموق ، والشاعر لا ينتظر حتى تهفو نفسه إلى مناعم الروضة ، وإنما تهجم الروضة عليه فتعلمه كيف يهصر الأفنان ، وكيف يجنى القطوف ، وعبارة

(١) الرفة : النضرة : (٢) الاعذار : طعام يتخذ لأيام السرور

من الأدب التحليلي

# صـــــورة . . . !

[ مهداة إلى أخي الأستاذ أنور العطار ]

## للأستاذ على الطنطاوى

. . . كان معروفاً بالشذوذ والخروج عن المألوف ، لا يبالى إذا اتجه له الرأى ما يقول فيه الناس ، ولا يحفل إذا أزمع الأمر نَهْىَ ناهٍ ولا نصيحة ناصح ، وكان يعرف ذلك من نفسه ولا يغضبه أن يوصف به ، بل كثيراً ما سمعناه يتحدث به ويطيل الحديث ، يجد فى كشف دخيلته للناس لذة وارتياحاً ، كأنما هو يلقى عن عاتقه حملاً ثقيلاً . . .

يجمع فى نفسه المتناقضات : فبينا هو منغمس فى لج الحياة المضطربة المائجة يفزع من الوحدة ، ويكره الهدوء ، ويركب متن المغامرات فى الأدب وفى السياسة ، يخطب فى المجامع ، ويناقش فى الصحف ، وبينما هو مطمئن إلى هذه الحياة ، مقبل عليها ، إذا به قد استولت على نفسه « فكرة صوفية . . . » ، فغمرت الكآبة روحه ، وفاض اليأس على قلبه ، وأحس الحاجة إلى الفرار من الناس ، والرغبة فى العزلة المنقطعة ، وأصبح يكره أن يرى أمس أصحابه به ، وأدناهم إلى قلبه ، ويحب الحياة الساكنة الهادئة ، ويجد الأنس فى حديث قلبه ومناجاة ربه . . .

وهو أسرع الناس إلى المزاح والفكاهة ، وأضيقهم بمجالس الجد ، وأبعدهم عن تكلف الوقار ، واتباع ( الرسميات ) ، فلا يكون فى مجلس إلا حركه بحديثه وإشاراته ونكاته ، وأفاض عليه روح المرح ، والود الخالص ، ولكن موجة من الحزن المفاجىء ، قد تطغى على قلبه فى أشد الساعات سروراً ، وأكثر المجالس طرباً فاذا هو حزين كئيب . قد ضاق بالناس وتبرم بمزاحهم وهزلهم ، وغدا راغباً فى الجد محباً للوقار ، متلبساً بالصرامة والحزم ، منصرفاً عما كان فيه منذ لحظة واحدة ، لا يعرف الناس ولا يعرف هو ، ماذا أصابه ، فنقله من حال إلى حال

تغلب عليه العاطفة حيناً فيمسى أرق الناس شعوراً ، وأرهفهم حساً ؛ يرى المشهد الجميل من مشاهد الكون ، أو يسمع النغمة العذبة الشجية ، أو يقرأ البيت الغزلى الرقيق ، أو القصة العاطفية المحزنة ، فتوقظ فى نفسه عالماً من الذكريات ، فيخفق لها قلبه ، ويهفو لها فؤاده ، ويحس بها تلذعه لذعاً ، وتفيض على نفسه شعوراً طاغياً ، بحب مُبهم غامض ، لا يجد طريقاً ينبعث منه ، فيزلزل كيانه زلزلة ، كما يزلزل البركان الأرض ، إن لم يجد فوهة يندفع منها . . . ويدعه شخصاً متهافتاً ، لا يقوم إلا على أعواد من العواطف الرقيقة المتداعية . . . ويسيطر عليه العقل أحياناً فيحتقر العاطفة ، ويدعو إلى أدب قوى نافذ ، ويسخر من الحب ويهزأ بالعاشقين ، ويزدرى هذه القصص وهذه الأشعار التى كان يرقص لها قلبه وتفيض لها مدامعه . . .

ويقبل على العمل بهمة عجيبة ورغبة قوية ، فيطالع ويكتب ، ويعمل كآلة دائبة الحركة ، لا يأخذه ضعف ولا خور ، ثم يشعر فجأة بكراهية العمل والنفور من المطالعة الجدية والعزوف عن الكتابة والتأليف ويستولى عليه كسل عقلى عجيب ، لا يطيق معه عملاً من الأعمال . . .

***

عرفته فى دمشق ، وقد كان يعمل فى مدرسة ابتدائية ، نزلوا به اليها ، فلا يكلفه العمل فيها جهداً ولا مشقة ، ولا يشغل من تفكيره شيئاً ، فكان يستمتع بوقته ونفسه كما يشاء ، ويشتغل بالأدب للذة والمتعة الفنية . فيقرأ ما طابت له القراءة ، ويكتب ما رغب فى الكتابة ، ويؤلف ما مال إلى التأليف . . .

---

« جلاء الصبا » ما رأيكم فيما تحويه من سحر أخاذ ؟ ثم ما هذا التعبير الطريف :

«منىً ضروبا ولذات أفانينا»

أتعرفون كيف يكون للمنى ألوانٌ وللذاتِ أفانينُ ؟ إن هذا خيال شاعر غرق مرة فى كوثر الوصال

وانظروا هذا البيت :

ويا نعيما خطرْنا من غضارته     فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا

أتحسون قوة هذا المعنى ؟ ألا يُريكم الخيال صورة فتىً منعم يسحب ذيل النعيم ؟ إن ابن زيدون فى هذه الأبيات أقوى من شوق فى التحسر على ما ضاع من دنيا الهوى المفقود

زكى مبارك

( البقية فى العدد القادم )

فكره هذه الحياة وهوى الحياة العقلية المنظمة التي تضطره الى نوع من الدرس بعينه، وتجبره على نوع من الكتابة بذاتها — وكان يعيش في أسرة رفرف عليها الحبّ، وسادها الاخلاص وأسبغ عليها ثوب السعادة، بين إخوة له ما رأى الراؤون مثلهم في ذكائهم واستقامتهم وطاعتهم إياه، وحبّهم له، وحرصهم على رضاه، وصحابة له ما فيهم إلا أريب طيب النفس، صادق الودّ صافي السريرة حسن السيرة، وكان له في بلده منزلة يحسده عليها من هو أكبر منه سناً وجاهاً، وأكثر علماً ومالاً، فملّ هذه الحياة ومال الى الهجرة وانتجاع أفق جديد... وأزمع السفر الى بغداد، تاركا عمله في وزارة معارف الشام، عاصيا الناصحين والناهين من الأهل والأصحاب... وجاء معنا الى بغداد، فلم يكد يلقي فيها رَحله حتى عراه اكتئاب وملل لا يعرف له سببا، وأحس الحنين يحز في قلبه والشوق يدمي فؤاده، وانتابته إحدى نوباته العاطفية، فلم تدع في رأسه إلا فكرة واحدة، هي الرغبة في العودة، لا يبالي معها ماذا قيل عنه، وماذا ضاع منه، ولكنه لم يكد يستجيب لها، حتى أدركه مددٌ من عقله، فصحا من نوبته، وتخلص من عاطفته، فآثر البقاء وأقبل على العمل، فلم يمض عليه يوم حتى سمع من ينشد:

فيم الاقامة بالزوراء؟ لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي!

فنشطت عاطفته المكبوتة من عقالها، تصرخ في وجه العقل، أن: فيم الاقامة بالزوراء؟ فغلب العقل واستخذى وذهب يستعد لمعركة أخرى...

ولقد وجد في بغداد من الاكبار فوق ما كان يرجو ورجو له، ووجد اسمه قد سبقه اليها، وحف به قراؤه والمعجبون به، وأسرعوا للسلام عليه والاجتماع به، فلم يكن أبغض اليه وأشد عليه من هذه الاجتماعات، فكان يعرض عنهم ويرتكب في هذا الباب أشد الحماقات، حتى إنه ليدع الجماعة من علية القوم في ردهة الفندق ويفر منهم، وما جاءوا إلا من أجله، فيقوم من غير استئذان ولا اعتذار، ويذهب الى غرفته فيعتصم بها.. وإنه ليعلم ما في عمله من الجفاء، ولكنه يضطر اليه اضطراراً، فهو يشعر أن جو هذه المجالس ثقيل عليه حتى ليوشك أن يخنقه ويغدو فيه كمن سد أنفه وفمه، وإنا لنلومه ونثقل عليه الملام، فلا يدفع عن نفسه لوماً ولا يحاول إنكاراً، ويعترف بالضعف، ويقر بالعجز، فنرحمه ونكف عنه

إنه لا يستطيع أن يحمل اسمه، لا يقدر أن يتلقى بوجهه وجسمه هذا الاعجاب الذي يزعمون أنهم يوجهونه إلى الشخص الآخر الذي ينشر في (الرسالة) كأن له شخصيتين، فهذه التي يأكل بها ويشرب ويمشي ويضحك ويمزح غير تلك التي يفكر بها ويكتب ويؤلف وليس بينهما من صلة ولا يربطهما سبب من الأسباب. والعجيب من أمره أنه يضيق بالكلام في مثل هذه المجالس ويتهيبه، وتظنه أول ما تلقاه حَيياً عَيياً لا يفصح ولا يبين، فاذا أنت اتصلت به وعلقت حبالك بحباله، رأيته مفوها طلق اللسان شديد البيان. وإن أنت خالطته وعرفت دخيلته أبصرته لا يتهيب موقفاً خطابياً مهما كان شأنه، ولا يتحشاه ما يخشى الرد على ألفاظ المجاملة ويتهيب مجلس تعارف وانتساب

***

كان يأمل أن يجد لذة في تدريس الأدب، ولكنه لم يكد يمارسه حتى اجتواه ومله، وعلم أن الاشتغال بالأدب للذة لا يستقيم مع هذا العمل النظامي المستمر، إنه يصبح وفي رأسه فكرة يريد أن يكتب فيها فصلاً، فيدركه وقت المدرسة، فيذهب وتذهب الفكرة في طريقها، أو يصبح وهو يكره الكلام ويميل إلى الصمت، يحب أن يفكر فيطيل التفكير، ويحلم فيغرق في الأحلام، فيراه ملزماً بالكلام خمس ساعات أو ستاً، وهو يحب الشاعر أو الكاتب ويميل اليه فيكرهه المنهج على درس شاعر آخر لا يحبه ولا يفهم أدبه، ويضطره الطلاب إلى إطالة الحديث حيث ينبغي له الايجاز، أو إيجازه حيث تطالب الاطالة، أو لا يفهمونه ولا يسايرونه فيهبط من سماء متعته الأدبية، ليمشي مع أفهامهم وعقولهم...

***

إنه رجل شاذ الطباع متناقض العواطف، يشتاق إلى بلده فان عاد ندم على العودة، وإن أقام هاجه الشوق، وإن لجأ إلى عقله ثارت عاطفته، وإن اتبع عاطفته أبى عقله...

لا يفهمه أحد، ولا يفهم هو نفسه.. مسكين! إنه أديب!

(بغداد)

علي الطنطاوي

# تاريخ العـــرب الأدبى

## للأستاذ رينولد نيكلسون

المستشرق الانجليزى

ذلك هو كتاب تاريخ الأدب العربى للأستاذ رينولد نيكلسون ننشره ابتداء من هذا العـدد تباعا كما وعدنا فى العدد الماضى

## المدخل لتاريخ العرب

العرب أمة من الأمم العظيمة التى تناسلت كما يقال من سام ابن نوح ، ومن ثم يعرفون عادة بالساميين ذلك اللفظ الذى يدخل فيـه البابليون والأشوريون والعبرانيون والكنعانيون والسبئيون والأحباش والآراميون والعرب ، وبالرغم من أن هذا مبنى على تقسيم غير مضبوط اجتماعياً (لأنه ورد فى الاصحاح العاشر من سفر التكوين ، أن الكنعانيين والسبئيين من ذرية حام) بالرغم من هذا فقد أحسن الاختيار Sickhorn المتوفى سنة ١٨٢٨م فى فهمه للشعوب الشـديدة الارتباط ببعضها التى ذكرناها . وسواء أكان الوطن الأصلى للجنس السامى المتماسك جزءاً من آسيا (كبلاد العرب أو أرمينية أو أدنى الفرات) أم أنه دخل آسيا من أفريقية[١] فهذا شىء لم يثبت بعد ، فهم (منذ زمن بعيد قبل بدء العصر الذى ظهروا إبانه على مسرح التاريخ) قد تشعبوا وكوّنوا أقواماً منفصلة ، ولا يمكن فى هذا المجال شرح علاقات اللغات الساميـة ببعضها البعض . ولـكن قد يستطاع ترتيبها ترتيباً زمنياً حسب انتشار الأدب كما يلى[٢] :

١ — البابلية أو الأشورية (من ٣٠٠٠ — ٥٠٠ ق . م)
٢ — العبرية (من ١٥٠٠ ق . م)
٣ — العربية الجنوبية أو كما تسمى أحياناً السبئية أو الحميرية (نقوش منذ ٨٠٠ ق . م)
٤ — الأرامية (نقوش منذ ٨٠٠ ق . م)
٥ — الفينيقية (نقوش منذ ٧٠٠ ق . م)
٦ — الحبشية (نقوش منذ ٣٥٠م)
٧ — العربية (من ٥٠٠ م)

وبالرغم من أن العربيـة على هذا الاعتبار أحدث اللغات السامية إلا أنها تعتبر عادة أقرب صلة من أية واحدة أخرى إلى النموذج الأصلى السامى Urs emitich الذى اشتقت جميعها منه ، كما هو الحال فى العرب — تبعاً لمركزهم الجغرافى وحياتهم الصحراوية المطردة التناسق — فقـد حافظوا على الطبع السامى وظل فيهم — لاعتبارات خاصة — أنقى وأبرز مما هو عند بقية الأمم المتفرعة من هذا الجنس . ومنذ عصر الفتوح الاسلامية الـكبرى (٧٠٠ م) حتى اليوم نشر العرب لغتهم ودينهم وثقافتهم فى مساحـة كبيرة من المعمورة تفوق كل ما كانت تشمله الامبراطوريات الساميـة القديمة . حقاً إن العرب لم يلبثوا طويلاً على الحـال التى كانوا عليها خـلال العصور الوسطى ، فلم يعودوا الأمة المسيطرة على العـالم ، إلاّ أنهم قد استعاضوا عن ضياع السلطة الزمنية بالجدّ فى نشر سلطانهم الدينى . ولا يزال الاسـلام حتى اليوم الحاكم الأعظم لآسيا الغربية ؛ أما فى أفريقيا فهو فى تقدّم مستمر ، حتى فى أوربا ، فقد وجـد فى تركيا عوضاً له عن طرده من اسبانيا وصقلية . وبينما نرى أن معظم الشعوب السامية قد اّمحت غير مخلفة وراءها سوى ثبت طفيف غامض لا نأمل من ورائه أن نلمّ بتاريخها تماماً نرى فى دراستنا للعرب مادة وفيرة تساعـدنا على دراسة معظم أطوار تقدمهم منـذ القرن السادس للميلاد ، تساعدنا على كتابة التاريخ العام للحياة والتفكير عندهم . ولست فى حاجة لأن أقول إن هذا الـكتاب لا يحاول أداء هذه المهمة حتى ولو زاد حجمه مراراً ؛ إذْ لابد من انقضاء زمن طويل قبـل أن يقتحم الباحث ميـدان الأدب العربى الواسع المناحى المختلفة ، وقبل أن تكون النتائج مقبولة لدى المؤرّخ

لم يكن « الربع الخالى » فحسب — الذى يخترق شبه الجزيرة ويقوم فصلا طبيعياً دون الاتصال بالداخل — هو الذى

(١) H. G rimme : Weltgeschichte Karahterbildem Muhammed, (Munich 1904), P. 6 S 99.

(٢) راجع نلدكه فى Die Semitischen Sprachen (ليزج ١٨٩٩) ومقاله «اللغات السامية Semitic Languages» فى دائرة المعارف البريطانية (الطبعة الحادية عشرة) أما كتاب رينان Histoire générale des langues فقد أصبح قديماً . وقد طبع هومل مقالا قيما عن أهمية الساميين فى تاريخ الحضارة كمقدمة لـكتابه المطبوع فى ليزج سنة ١٨٨٣ المسمى : Semitischen Völker und Sprachen, Vol 1 والتواريخ المذكورة فى هـذا الجدول تقريبية

يقسم بلاد العرب منذ القديم الى قسمين : شمالى وجنوبى ، بل كان هناك أيضاً العداء الناشب بين جنسين بينهما بون شاسع من ناحية الطبع وأسلوب العيش . فبينما كان سكان القسم الشمالى (الحجاز وهضبة نجد الوسطى) بدوا غلاظاً يسكنون بيوتاً من الوبر وينتقلون من مكان الى آخر انتجاعا للعشب والكلأ لأبلهم كان أهل اليمن Arabia Felix معروفين لدى التاريخ — قبل كل شيء — كورثة لحضارة تالدة وأصحاب ثروة ضخمة خيالية من الطيب والذهب والأحجار الكريمة تحت إمرة الملك سليمان . وقد تكلم بدو الشمال اللغة العربية — أى لغة قصائد العصر السابق للاسلام والقرآن — على حين كان أهل الجنوب يستعملون لهجة يسميها المسلمون « الحميرية » التى عثر حديثاً على نموذج من خطوطها وفسّر . وسنسهب فى الكلام حالاً عن هؤلاء السبئيين الذين أُطلق عليهم هذا الاسم جغرافيو اليونان والرومان . وقد أخذ نجمهم فى الأفول فى القرون الأولى للمسيحية حتى تلاشوا نهائياً من صفحة التاريخ قبل سنة ٦٠٠ م حينما أخذ جيرانهم أهل الشمال فى الظهور والقوة .

وليس من شك فى أن ما نشر بين علماء الأنساب المسلمين الفكرة القائلة بأن العرب يرجعون فى أصلهم الى رهطين منفصلين تسلسلا من جدّهم المشترك سام بن نوح هو الفارق الجنسى العظيم من الذكاء . أما فيما يختص بأهل الشمال فان تسلسلهم من عدنان (من ذرية اسماعيل) أمر معترف به من الجميع . أما أهل الجنوب فيرجعون الى قحطان الذى يزعم النسابون أنه نفس يقطان بن عابر ؛ وتحت اليقطانيين الذين هم الأصل القديم نجد مدرجا مع السبئيين كثيرا من القبائل القويّة كطىّ وتنوخ وكندة وغيرها من التى استوطنت بلاد العرب الوسطى قبل ظهور الاسلام بوقت طويل ، ولم يكن هناك ما يميّزهم من البدو الذين يرجع أصلهم الى اسماعيل . أما فيما يتعلق بعدنان فان سلسلة نسبه لا تزال موضع جدال وحجاج وإن اتفق الجميع على أنه من ذرية اسماعيل بن ابراهيم من هاجر . وتذكر القصة أنه عند ميلاد اسماعيل أمر الله ابراهيم أن يرحل الى مكة بزوجه هاجر وابنها ويتركهما هناك ، فامتثل لأمره وتركهما ، وجاءت رفقة من جرهم (وهم من ولد يقطان) فنزلوا شعاب مكة فنشأ اسماعيل مع أولاد الغرباء ، وتعلم الرمى ، ونطق بلسانهم ثم خطب اليهم فزوجوه امرأة منهم (١)

* * *

ولا جدال فى أن هذه الانساب خيالية إلى حد ما ، إذ لم يكن علم النسب موجودا فى العصر السابق للاسلام ، حتى لم يكن لدى المحققين المسلمين المتقدمين سوى أخبار طفيفة محيرة اعتمدوا عليها (٢) . أضف إلى هذا أنهم راعوا الظروف السياسية والدينية وغيرها ، ومن ثم فان دراستهم للقرآن والتاريخ الدينى قادتهم لدراسة رءوس القبائل الذين يوضعون فى المقدمة . أما سلسلة النسب التى تبدأ بعدنان فلسنا نستطيع قبولها كمسألة تاريخية خالصة ، ولو أن أغلبها قد تراكم فى ذاكرة العرب قبل ظهور الاسلام ، يؤيد هذا شهادات شعراء الجاهلية (٣) ؛ ومن ناحية أخرى أن نسبة كل قبيلة إلى جدّها الأول تخالف الحقائق التى أثبتها البحاث المحدثون (٤) ، من أن كثيراً من الأسماء تشير إلى اتحاد محلى ، فمعدّ مثلاً تشير فى الأصل إلى جماعات كبيرة أو محالفات قبلية . وقد يكون الخلاف الاجتماعى بين عرب الشمال وعرب الجنوب (كالعداء الحاد الذى فرّق بينهم منذ صدر عهد الاسلام (٥)) قد يكون هذا الخلاف مقبولاً إذا قصرنا لفظ اليمنية (أهل الجنوب) على أهل سبأ وحمير وغيرهم من المتحضرين الذين سكنوا اليمن وتكلموا لهجتهم الخاصة ، ولكن يصعب أن يقصد به البدو اليمنيون المتكلمون بالعربية الذين انتشروا فى جميع رحاب شبه الجزيرة . وإن مثل هذا النقد لا يؤثر فى قيمة وثائق النسب باعتبارها صورة للعقلية العامة ، ومن وجهة النظر هذه تكون الخرافة أحياناً أهم من الحقيقة . وينبغى علينا أن يكون هدفنا فى الفصول التالية إيضاح معتقدات العرب غاضين النظر عن نقدها وبيان حظها من الخطأ والصواب

* * *

إن للعربية بأوسع معانيها لهجتين رئيسيتين هما :

ا — العربية الجنوبية وهى لسان اليمن ، وتشمل السبئية

---

(١) كتاب المعارف لابن قتيبة طبعة وستنفلد ص ١٨

(٢) Goldziher : Mohammedanische Studien part I, II. 133 e 99 177 s 99

(٣) Noldeke Z. D. N. G. Vol. 40, p. 177

(٤) Margoliouth : Mohammed and the tise of Islam

(٥) فى يتعلق بطبيعة الخصومة وأسبابها ارجع إلى كتاب جولد زيهر Muh. Studieu ج ١ ص ٧٨ وما يليها

والحميرية والمعينية واللهجات القريبة منها كلهجة مهرة والشحر

ب — العربية الفصحى التى ينطق بها فى بلاد العرب عامة ما عدا اليمن . أما عن اللغة الأولى — دون التعرض لمهرى وسكُـنزى وغيرهما من اللهجات الحية — فليس لدينا سوى هذه المخطوطات العـدة التى جمعها الروّاد الأوربيون ، وستكون موضوع بحثنا فى الفصل التالى الذى سأقدم فيه بحثاً موجزاً يتناول تاريخ السبئيين والحميريين القديم . والعربية الجنوبية تماثل العربية فى تراكيبها القوية من الجمع الشاذ وعلامة التثنية ، واشارة الجمع باضافة م (وتستعيض العربية عنها بحرف ن) وكذلك فى كلماتها . أما حروفها الهجائية التى تشمل تسعة وعشرين حرفاً فهى أقرب إلى الحبشية ؛ وقد استولى الأحباش على الأمبراطورية الحميرية فى القرن السادس الميلادى ، حتى إذا كان حوالى سنة ٦٠٠ م أصبحت العربية الجنوبية لغة ميتة ، ومنذ ذلك الحين صار لهجة عرب الشمال السيطرة العظمى واتخذت لنفسها كلمة « العربية »

* * *

إن أقدم الآثار المكتوبة للعربية جديدة إذا قورنت بالنقوش السبئية التى يرجع بنا بعضها إلى ٢٥٠٠ سنة أو ما يقرب من ذلك إلى الوراء ، وباستثناء نقوش الحِجر فى شمال الحجاز ونقوش الصفا المجاورة لدمشق ( التى بالرغم من أنها قد كتبت بالعربيـة الشمالية قبل العهد المسيحى فهى أقرب إلى السبئية ولا يستطاع تسميتها بالعربية بالمعنى المفهوم من هذا اللفظ ) باستثناء ذلك فان معظم أقدم أمثلة الخط العربى التى اكتشفت قد كتبت بخطوط لهجات زبد[١] الثلاثية[٢] ، وهى السريانية والأغريقية والعربية وترجع إلى سنة ٥١٢ أو ٥١٣ ، ولغتى حرّان[٣] اليونانيـة والعربية التى ترجع إلى سنة ٥٦٨ م . ولسنا نريد أن نشغل أنفسنا كثيرا بهذه الوثائق[١] خاصـة ؛ وإن ترجمتها تتطلب مشقات عظمى ، وكان القليلون من عرب العصر السابق للاسلام ملمين بالقراءة أو الكتابة[٢] ، ويرجع الفضل فى قدرة هذا النفر إلى المعلمين اليهود والنصارى ، أو إلى الثقافـة الأجنبية التى انبثقت أضواؤها من الحيرة وغسان ، ولـكن بالرغم من أن القرآن ( وقد جمع لأول مرة بعد واقعة اليمامة سـنة ٦٣٣ م ) هو أول كتاب عربى ، إلا أنه يمكن ارجاع بداءة الكتابة بلغة الضاد إلى عصر متقدم . ومن الأرجح أن كل قصائد عصر قبل الاسلام التى وصلت الينا إنما ترجع إلى القرن السابق لظهور الاسلام ( أى من ٥٠٠ — ٦٢٢ ) ولـكن يد التفنن الصناع وإبداعها الفنىّ اللذين غيرا من شكلها الأول يقفان حائلاً دون الأمل بأن نعثر خلالها على الصورة الأولى للقصيدة العربية . وقد يمكن القول بشأن هذه القصائد الفخمة — كما هو الحال فى الألياذة والأوديسّة — إنها « نتيجة فن بالغ حد الاتقان ، يستحيل أن يكون قد صار إلى ما صار اليه إلا بعد مرور عهد طويل على ممارسته » وقد ظلت هذه القصائد محفوظة طوال مئات السنين بالحديث الشفهى كما سنوضح ذلك فى مكان آخر . وفى صدر عهد بنى العباس أى بين عامى ٥٧٠ و ٩٠٠ م شرع الأدباء المسلمون فى تدوين معظمها . ومن الحقائق الثابتة أن اللغة واحدة فى القصائد التى يمثل أصحابها قبائل عدة مختلفة ونواحى متعددة من شبه الجزيرة . كما أن الفروق اللسانية طفيفة جداً إلى درجة لا يؤبه بها ، ومن ذلك نستنبط أن الشعراء كانوا يتخذون لهجة صناعية تخالف لغة المحادثة وهى أشبه ما تـكون باللهجة الأيونية التى استعارها الشعراء الدوريون والأيوليون

( يتبع ) مترجمة محمد حسن حبشى

(١) زبد كما قال ياقوت : « زبد بفتح أوله وثانيه وآخره دال مهملة بلفظ زبد الماء والبعير ... قبل قرية بقنسرين لبنى أسد ، قال محمد بن موسى زبد بفتح الزاى والباء فى غربى مدينة السلام له ذكر فى المتأخرين » (معجم البلدان ج ٤ ص ٣٧٤ طبعة مصر ١٩٠٦)

(٢) وقد طبعها لأول مرة Sachau فى :

Monatsberi chte des Kōs. Preuss. Ahad. der Wissenschaften zu Berlin

( فبراير سنة ١٨٨١ ) ص ١٦٩ وما يليها

(٣) De Vogüe : Syrie Centrale, Inscriptions Sémitiques, p. 117

ويجد القارئ مراجع أخرى عن هذه الناحية مذكورة فى Z. D. M. G. المجلد ٣٥ ص ٧٤٩

(١) يمكن للقارئ أن يراجع فى هذا الموضوع ما كتبه جولدزيهر فى Muh. Studien ج ١ ص ١١٠ وما يليها

(٢) أخذت العربية فى الظهور بخط العربية الشمالية فى القرن الثالث للميلاد ، وربما كان أقدم ما كشف حتى الآن من الخطوط نقش يرجع إلى سـنة ٢٦٨ م وهو الذى طبعه Jaussen و Savignac فى : Mission Arche,ologique enl, Arabie, Vol 1, P. 172 ومع أنه مكتوب بحروف آرامية إلا أن كلماته جميعها تقريباً عربية كما يرى ذلك مما نقله الأستاذ Horovitz فى مجلة Islamic Culture ( حيدر أباد الدكن ) عدد شهر إبريل ١٩٢٩ ج ٣ رقم ٢ ١٦٩ هامش رقم ٢

# النظرية العامة للالتزامات

## فى الشريعة الاسلامية

للدكتور شفيق شحاته

— ٢ —

٢ — الطريقة التاريخية

أما عن منشأ التشريع الاسلامى ، فانا نرى الاعراض عن البحوث التى حاول بها العلماء تأييد رأى دون آخر . أما حججنا فسنتلمسها من دراستنا الموضوعية نفسها ، ذلك أنه من العبث الاستناد إلى التشابه بين بعض الأفكار للقول باتحاد المصدر أو بالاستمداد . فان أهمية هذا التشابه لا يصلح تقديرها إلا إذا وضعت الأفكار فى الجسم الذى انتزعت منه

لذلك لن يوجد أبداً دليل أقطع على التشابه أو عدمه من استعراض نظرية الالتزامات فى التشريع الاسلامى بعد بناء هيكلها . فعندئذ فقط سيظهر لنا إن كانت ثمة استعارات ومن أين أتت ، وماهى ؛ وإن لم تكن ، فكيف كان التشريع متماسك الأطراف ظاهر الابداع

ونلاحظ هنا فقط فشل المحاولات التى ظهرت قديماً وحديثاً لأثبات استمداد التشريع الاسلامى من القانون الرومانى . أما محاولة (كاروزى) فقد هدمها المستشرق (نالينو) . وحديثاً ظهرت رسالة فى الشفعة (طبعت فى ميلانو سنة ١٩٣٣) رمى بها مؤلفها إلى إثبات هذا الاستمداد . على أن استنتاجاته لم تقنع أحداً كما يظهر من تعليق الأستاذ (روسيبه) على هذا الكتاب فى (مجلة تاريخ القانون ص ٣٢٣ لسنة ١٩٣٤)

على أنه ليس بين أيدينا فى الواقع من الآثار القانونية شىء يرجع إلى ماقبل العصر العباسى . أما عن الجاهلية فان هناك بعض الاشارات البعيدة مبعثرة فى آثار متأخرة عن هذا العهد ؛ وكذلك يقال عن عصر الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين ، فان جل ما نجده هو بعض الحلول لمسائل عرضت على بعض الحكام ولكن لا يظهر أنه فى مدى هذه العصور الطوال قد كانت هناك مجموعة من القواعد أوحت بهذه الحلول الطفيفة

ويبدو لنا أن التشريع فى هذا العهد لم يكن شيئاً آخر سوى العادات المحلية السائدة سواء فى جزيرة العرب أو فى الأقطار المفتوحة ، وإن ما ورد من الأحكام يعبر تماماً عن هذه العادات مع اتجاه خاص أملاه الدين الجديد

ثم يضعنا العصر العباسى فجأة فى أول عهده أمام مجموعة كاملة من الأحكام ؛ فنى نظر التاريخ لا يظهر التشريع الاسلامى كتشريع بالمعنى الصحيح إلا مع (أبى حنيفة) الذى وردت آراؤه فى جميع المسائل كما وردت آراء صاحبه (أبى يوسف) بمجموعات الكتب التى وضعها (محمد) صاحبه الآخر المتوفى سنة ١٨٩ هـ

فأول أثر من الآثار القانونية هو إذن أثر كامل الأجزاء . وإذا كانت هذه الكتب قد ذكرت فى بعض الأحوال آراء لبعض الفقهاء ممن سبقوا (أبا حنيفة) فان هذه الآراء لا تكون فى مجموعها تشريعاً يعتد به

فهذه الكتب تعطينا صورة كاملة للتشريع الاسلامى كما ارتآها (أبو حنيفة) ، وفى نفس هذا الكتاب نلاحظ اتجاهاً خاصاً يمثله (أبو يوسف) وهو اتجاه ظاهر الميل نحو الأخذ بقواعد العدل والانصاف

وقد انتقل هذا التشريع كما هو مع اتجاهاته المختلفة إلى الأجيال المتعاقبة من الفقهاء — بواسطة كتب (محمد)

وإذا كان الفقهاء فى زمن (السمرقندى) (حوالى سنة ٣٧٥ هـ) قد وضعوا حلولاً لبعض المسائل التى استجدت والتى أسموها « النوازل » فلم يكن عملهم هذا إلا بمثابة الملحق من الكتاب

ولم يكن للفقهاء حتى فى عصور الاجتهاد سوى تطبيق الأحكام الموضوعة على مسائل يقيسونها قياساً على ما سبقها ، أو الترجيح بين حلين قام بشأنهما الجدل ؛ ويلاحظ أن الفقهاء لم يترددوا فى الواقع عن القياس والترجيح حتى فى العصور التى تلت ما أسموه « إقفال باب الاجتهاد »

ولذلك نلاحظ أن القرون التى مرت على هذه الكتب

لم تضف اليها الشيء الكثير . وما قد جاء من الحلول عن طريق الاجماع أو العادة موجود في الغالب بتلك الكتب . ومع ذلك فما لا شك فيه أن « العرف والعادات » قد ساعدت على جعل بعض القواعد أكثر مرونة أو على تحديد مدى تطبيقها ، إلا أن الأسس بقية ثابتة كما كانت من « المبسوط » إلى « رد المحتار » ( ١٢٥٢ هـ )

ويلاحظ أخيراً أن بعض المسائل أتتنا لا عن طريق كتب (محمد) الستة ، بل عن طريق كتب أخرى له أو لغيره ، وهي معتبرة أضعف سنداً من الكتب الستة ؛ ولذلك عبر عنها « بغير ظاهر الرواية » على أن المفهوم أن هذه المسائل كذلك قد عرضت (لأبي حنيفة) أو لأصحابه

أما مؤلفات (ابن سماعة) و (ابن رستم) التي وردت بها هذه الرواية فلم تصلنا ، وعلى ذلك تكون ثقتنا بصحة هذه الرواية بقدر ثقتنا فيمن رواها من المؤلفين وهم يوردون هذه الرواية كثيرها أثناء عرضهم للموضوع

وفي بحثنا هذا قد رجعنا أولاً وبادىء ذي بدء إلى كتب (محمد) وبذلك انتهجنا نهجاً جديداً كان الباحثون بعيدين عنه ، فهم في الغالب يرجعون إلى أحد الكتب المتداولة للمتأخرين

ولما كان « مبسوط » (محمد) هو « الأصل » كما يسمونه كان من المتعين الرجوع إليه أولاً . والواقع أن الرجوع إليه ليس من الميسور فهو لم يطبع بعد ، والمخطوطات الموجودة منه بمصر أكثرها ناقص ، على أنا قد وفقنا إلى العثور على نسخة وردت حديثاً على دار الكتب وهي من محتويات مكتبة المغفور له ( محمد على الكبير )

أما ثاني الكتب الستة وهو «الجامع الصغير» فهو مطبوع ، على أنه لا يروى غلة لاختصاره

و«الجامع الكبير» هو ثالثها وقد عثرنا على جزء صغير منه بدار الكتب وتمكنا من تتبع بقية النصوص خلال ما ورد عليه من الشروح الكثيرة ، وهو يختلف كثيراً في أسلوبه عن « المبسوط » ، ذلك أن المسائل ترد به موجهة ، بينما « المبسوط » خلو تماماً من التفسير والتوجيه

أما رابع الكتب الستة وهو « الزيادات » فقد تقصينا نصوصه من خلال شروح (العتابي) و (قاضي خان)

والخامس والسادس من الكتب الستة موضوعان في السير ، أي في قوانين الحرب فلم يدخلا في نطاق بحثنا

وبعد أن تمكنا من هذا الأساس ، سرنا في بحثنا متتبعين المؤلفين ، على حسب الترتيب الزمني ، ابتداء من (الخصاف) ( ٢٦١ هـ ) ، لغاية ( السندي ) ( ١٢٥٧ هـ )

ولم نتراجع أمام المخطوطات القديمة فتيسر لنا بذلك الانتفاع ببعض المؤلفات العظيمة التي لم تتداولها الأيدي بعد . ومن ذلك « مختصر » ( الطحاوي ) ( المتوفى سنة ٣٢١ هـ ) . و « محيط » (رضي الدين السرخسي) (المتوفى سنة ٥٤٤ هـ) ، وقد ذكر هذا المؤلف الأخير ، المسائل مرتبة ، وهو يورد دائماً مسائل غير ظاهر الرواية ومسائل النوازل في فصول مستقلة . ونذكر من ذلك أيضاً « الذخيرة البرهانيـة » ، و « خلاصة » ( افتخار الدين )

أما مؤلفات « العصر الذهبي » للفقه الاسلامي ، وهو الذي يمتد من مجموعات ( محمد ) لغاية ( قاضي خان ) ، فنذكر منها « مبسوط » ( السرخسي ) ، وهو شرح لما اختصره ( الحاكم الشهيد ) من الكتب الستة . و « جامع الفقه » ( للعتابي ) وهو مجموعة مسائل ، تمتاز بشيء من الطرافة وبدائع ( الكاساني ) وهي بلا ريب أروع ما ألف في الفقـه الاسلامي ، وهي تمتاز بحسن ترتيبها ، ووضوح أسلوبها . وهـذا المؤلف هو في الواقع فريد في تقسيماته ، وطريقة عرضه للمسائل . وقد جعلناه عمدتنا في جميع بحوثنا

أما في العصر الذي يلي العصر الذهبي ، وقد سميناه « عصر الشرح والتحشية » ، فأول ما يقابلنا من المؤلفات العظيمة ، « الهداية » وقد كتب في شرحها ما تقوم به مكتبة واسعة الأرجاء . ونذكر أيضاً مجموعة الشروح التي وردت على « الكنز » ، وكذلك مجموعة الشروح التي وردت على « الدر المختار »

وعند الحلقة الأخيرة نجد « رد المحتار » ( لابن عابدين ) وهو عبارة عن دائرة معارف فقهية ، على أنها تفتقر إلى التنسيق ،

وقد تبعه (السندى) (١٢٥٧ هـ) فى شرح « الدر المختار ، ومؤلفه يقع فى ستة عشر مجلداً ولا يزال مخطوطاً ، وهو من محفوظات مكتبة الأزهر

وهناك بعض المؤلفات اكتفى أصحابها بسرد المسائل ، دون إيراد وجوهها ، وقد سميت « بالفتاوى » . وليس معنى ذلك أنها ، فى الواقع ، أجوبة عن أسئلة عرضت ، ونذكر منها « الظهيرية » و « التتارخانية » و « الهندية »

ومما يستحق التنويه ، تلك المؤلفات ، التى حاول مؤلفوها الارتقاء بها عن مجرد الحلول والعلل المباشرة ، متقصين أسباب الفروق والنظائر ؛ ونذكر منها « فروق » (الكرابيسى) ولا يزال مخطوطا ، وأشباه (ابن نجيم) وشهرتها تغنى عن وصفها ، وشرح (التاجى) عن هذه « الأشباه » ولا يزال مخطوطاً

وأخيراً ، نجد فريقاً من المؤلفين ، قد وجه عنايته إلى الناحية القضائية المسائل . وأهم ما وضع فى ذلك « جامع الفصولين » (لابن قاضى سماوه) وتنقيحه « نور العين »

ولا يسعنا هنا إلا أن نشير الى ما كابدناه من الصعاب عند البحث فى هذه المؤلفات ، وقد اقتضى ذلك منا مجهودا مضاعفاً يعرفه فقط من عالج هـذه البحوث . فمن ذلك أنه لا يكفى الباحث التطلع الى العنوان ليتعرف ما سيتناوله الباب من الموضوعات . فالمسائل فى الواقع مبعثرة فى مختلف الأبواب لغير ما سبب ظاهر

ولا يستطيع الباحث الجزم بأن مسألة بعينها ليست موجودة فى كتاب معين إلا إذا طالع جميع صفحات هذا الكتاب بإمعان تام . ولذلك نجد المؤلفين فى إشاراتهم الى المراجع ينقل بعضهم عن بعض . فاذا ذكر أحدهم عن مسألة أنها وردت «بالمبسوط» فلا يفيد ذلك أنه تحقق بنفسه من صحة ورودها

لهذه الأسباب اضطررنا إلى دراسة بعض الكتب من الغلاف الى الغلاف ، وراجعنا جميع أبوابها باباً باباً لتقصى ما يهم موضوعنا من المسائل

ويلاحظ أيضاً أن هـذه المؤلفات لا تتبع ترتيباً واحداً فى تسلسل الأبواب ، ولو أن هـذه الأبواب أو الكتب واحدة لم تتغير فى الغالب منذ وضع « المبسوط »

على أن « المبسوط » جاء خليطاً من الأبواب ولا يراعى ترتيباً ما . أما الترتيب الذى نجد عليه « الجامع الصغير » فهو ليس (لمحمد) وقد اتبع هذا الترتيب غالب المؤلفين

ومهما يكن الأمر فلا أهمية فى الواقع لهذا الترتيب ، فهو لم تقض به أسباب مقبولة ، أما ما يذكره أحياناً المؤلفون من الأسباب فهو مجرد أسباب لفظية أو شكلية لا قيمة لها . وانا نجد مثلاً أن كتاب الاجارة جاء فى « بدائع الصنائع » قبل كتاب البيع ، مع أن (الكاسانى) نفسه قد أحال فى كتاب الاجارة على كتاب البيع فى كثير من المسائل

(يتبع)

شفيق شحاته

# دمشـــــق

## لشاعر الشباب السورى أنور العطار

زَنبقةَ الصحراء   يا فتنةَ الوجودِ
نشرْتِ فى الفضاء   روائحَ الخلودِ

وشوشتَ فى الأسماع   قصائدَ البقاء
من أطيبِ الأسجاع   وأسلسِ الغناء

سربْتَ فى الأفكار   روحاً يفيضُ عطفا
وغِبت فى الأنظار   طيفاً يذوب لطفاً

يا مُتحفَ الدُّهور   ومعرِض الألباب
خبأتِ للعصور   سُلافةَ الأحقاب

لم تأسَنِ الدِّنانُ   ولا ذوى العُنقودُ
كأنها الزمانُ   قديمُهُ جديد

غوطتكِ الفتانُ   ما إن لها مثيل
سماؤها الألحانُ   وأرضها الحقول

وبَرداكِ الطُّهر   ينسابُ فى الوِهادِ
نايٌ براهُ السكْر   يفتنُّ فى الإنشاد

خطٌّ من البقاء   فى مصحفِ الوجود
وسَلْسلُ الشِّفاء   فرَّ من الخلودِ

وقاسيونُ لاحا   وأنت بين سوحِهِ
مُتْرعةً مِراحاً   تلعبُ فى سُفوحِهِ

كملكٍ ينامُ   وسفحُه وسادَهْ
حاش له السلامُ   وما اشتهاهُ عادهْ

رباعُك الجميلهْ   تطفحُ بالمنائرِ
ألحانُها الجليلهْ   أصداؤها سوائر

تموجُ فى الفضاء   كما يموجُ النورُ
تسرى إلى السماء   يحفزُها السرورُ

والرَّبوةُ الفتانه   عرسٌ على الأيام
أنهارُها طنانه   تحملُ بالأنغام

والنيربانِ فتنهْ   وعبقٌ وعطرُ
ومسرب للجنه   وبهجةٌ وسِحر

دِمَشْقُ أنتِ مأوى   للحسنِ والفنونِ
عِشْتِ الدُّهورَ نجوى   للشاعرِ المفتون

زَيَّنتِ الرِّياضُ   أنحاءَها البعيده
ولَفَّتِ الغياض   أفياءها السعيده

فيالها مطافاً   للحُبِّ والرساله
تزيَّنتْ أعطافاً   وائتلقتْ غلالهْ

أنَّى التفتَّ عُرسُ   وحُلمٌ مديدُ
وفرحٌ وأُنسٌ   وعالمٌ جديد

وهاتفٌ يُغنِّى   يذيبه الغرامُ
يعيشُ بالتَّمنى   وقوتُهُ الأنغام

وبلبلٌ صداح   يهيمُ بالوِرادِ
تهدُّه الجراح   وهو على الوِداد

وها هنا الآباد   لم يطوها الفناء
تكلَّم الجماد   واختلج العفاء

وها هنا الليالى   كأنها الأعياد
تناجتِ الدوالى   وانتشتِ الأعواد

ظلَّت على الأحقاب   ندية الأفياء
زاهيةَ الشباب   ضاحكة الرُّواء

وها هنا حسانُ   ينشدُ آل جفنه
فيزدهى الزمانُ   وترقص الأسنه

أين بنو أُميَّــه وأين عبد الملِك
والراية البهيَّــه على جبين الفلك

وأين ملك زاهر تجرى الفتوح باسمه
طاحت به الدائرُ لم يبق غيرُ رسمه

ودالتِ الأيام من جلَّقَ البهيه
فانطوتِ الأعلام وحاقتِ الأذيه

وغاضت البشائر وضاعت الأفراح
وناحت المنائرُ وعمت الأتراح

أخيــــلة تمرُّ أرواحُنا فداها
وصورٌ تــكرُّ ما تنتهى رؤاها

(بغداد) أنور العطار

# مساء القرية
## بقلم محيي الدين الدرويش

جثم الصمت على هام الطُّلول وأقام الهمُّ فيها مأتما
فهى من حيرتها سكرى ملول تتنزَّى من عناء ألما

تجمد العينُ لدى رؤيتها ويطير القلب منها هلعا
تلمح الوحشةَ فى نظرتها وترى البؤس عليها رتعا

وإذا ما الليل أرخى السُّجفا واستسرَّ الناس فى سُدفته
خِلتُ جنًّا فى عراء هُتَّفا فيلجُ القلب فى رعدته

ضمت الأطلالُ قوماً حُرموا لذة العيش وعدل القدر
شظف العيش لديهم مغنمُ وصفير الريح صوت الوتر

رب غيداء كما شاء الهوى تأسر القلب بلحظ أصْيد
هى من شقوتها رهن الجوى تتلظى فى بلاء أنكد

حملت يا ويحها أكوابها وإلى «العاصى» تولت مسرعه
قد نفت من حرقة جلبابها وتعايت من وناها جازعه

قدسئمت العيش فى هذى الربوع حيث لا عيش بها يحتمل
ذكريات تتوالى ودموع كلما ترتادها تنهمل

أين منى زمن طالعنى من ثنايا العمر رفافٌ أنيق ؟
ما عهدت الهمَّ يوماً ضافنى أحتسى اللذات فيه لا أفيق

آه لو ترجع هاتيك العهود ويسود الصفوُ أيام الحياه
فنعيم العيش فى لثم الخدود
وانتعاش الروح من «ماء الحياه»[1]

إنما الدنيا بلا قصف جمود موحش يغمره يأس عميق
فاغنم اللذات فى هذا الوجود فحياة المرء إيماض بروق

غاية العــلم ضلال باطل وجهــالات بها تضطرب
هل درى والموت فينا نازل ما مصير الروح أنى يذهب ؟

ينشد المرء نبوغاً سامياً وهو لا يعقل ما رام النبوغ
سيريه الكون شراً طاميا هو عنه يتجافى ويروغ

يجتنى الناس أفانين الهناء وهو فى عزلته مكتئب
ما جنى من عيشه غير العناء هو يشقى والليالى تاعب

(حمص) محيي الدين الدرويش

(١) ماء الحياة : هى الخمرة

# القصص

من الحياة الواقعية

## مليم العظماء ... ؟ !

بقلم السيد محمد زيادة

وقف هذا العظيم وقفة ناطقة بعظمته أمام دكان حلاق ، ثم جاز بابه متهادياً منتفخاً كما يجوز باب داره التي لا تحوى إلا ما هو مالكه ؛ وكان الحلاق جالساً كالنائم ، لا يصل بصره وذهنه إلى أبعد من مجلسه ، فهب واقفاً تدق على قلبه هيبة الداخل عليه

وجلس الرجل على الكرسى جلسة أمير متواضع ، ووقف الحلاق من خلفه كما يقف المتهم فى ساحة العدل ... وكان دهشاً يزدهيه ويربكه أنه على فقره وخموله يحظى بشرف التصرف فى نبات ذلك الرأس العظيم وتزيينه وريه بأغلى ما عنده من المعطور ؛ ولكنه استجمع نفسه وذهب يجلب من نواحى دكانه أجود مقصاته وأحد أمواسه ، وبدأ يعمل بفكره وعينيه ويديه ، حتى يخرج من مهارته تحفة فنية رائعة ترضى عظمة ( الزبون ) وتفتح للدكان باباً فى الشهرة ومن ورائه باباً فى السعادة ...

وتواردت على رأس الحلاق أحلام خلابة تنبئه بحياة هنيئة ناعمة ، وصيت ذائع منتشر ... فتصور أن بعد ذلك الرأس الرفيع رؤوساً رفيعة أخرى ستظاهر عليها بدائع يديه ... وأيقن أن قد حان الوقت لينال حقه المهضوم وينصف فنه المظلوم . . . وتصور أنه إذ يتعب فى تزيين ذلك الشعر وتجميله إنما يتعب فى تزيين دنياه الجميلة التى فى خياله ... ثم اعتقد أنه ولا شك بالغ بعد ذلك غاية الأمل ما دام قد حلق لهذا العظيم ، وما دام العظيم رضى عنه ، فجمل يبذل ما فى وسعه من حذق لتجىء الصنعة فاتنة لا عيب فيها فتجىء الدنيا كاملة لا نقص فيها

وراح الزبون الكريم المتواضع يطلب موسى غير الموسى لتكون أمضى ، ويطلب فرشاة غير الفرشاة لتكون أطهر ؛ ثم أخذ ينبسط مع الحلاق ويؤنسه من نفسه العظيمة ويحاضره فى تواضع العظمة وعظمائها . ويقص عليه نوادر تبين له أن الكبير من لا يتكبر ، وأن الحلال حلو ولو مرّ ، والحرام مرّ ولو حلا ، وأن الدنيا والآخرة للأمين ، والدنيا والآخرة على الخائن ؛ ثم كان يفصّل قصصه بأحكم الحكم وأصدق الأمثال . والحلاق غارق بسمعه فى لذة الحديث ، مستغرق بعينه فى لذة الصنعة ، سابح بفكره فى لذة الأحلام . . .

قال الزبون فيما قال : كل شىء يقع فى هذه الحياة بقضاء ، فما من شر يصيب وما من خير يصاب إلا وهو مكتوب من قبل فى لوح القدر

قال الحلاق : صدقت والله يا أفندينا ... فقد يكون الانسان غافلاً فتنساق اليه الأسباب من تلقاء نفسها ، وقد يكون خاملا فينصب عليه الرزق من حيث لا يدرى . والمثل فىّ أنا . . . أنا جالس يا أفندينا فى غفلتى وخمول شأنى وضعة مكانى — فاذا بك تشرفنى بالدخول علىّ ؛ فهل هـذه إلا مفاجأة ؟ « وفى السماء رزقكم وما توعدون »

قال الزبون : وفى حقيقة الأمر أنها لم تكن منى عن تدبير ولا نيّة ، ولم تكن فى حسبانى ولا ألقيت لها بالاً ، ولا كنت فى حاجة ماسة للحلاقة اليوم . . . فما هى إلا خطرة مالت بى إليك ولا أدرى سببها ، وكأنما كان للألهام فيها عمل

فأحس الحلاق أن فى حديث زبونه ما فى حديث نفسه ، فانتشى ظاهره بما فى باطنه وقال : إى والله إنه لألهام وإنه لحظ سعيد وإنه لشرف عظيم ؛ .. وأرجو ببركة تواضعك الميمون أن أصبح فى القريب حلاق إخوانك العظماء من هامات الناس وكبرائهم . وبذلك أكون صنيعة فضلك وخادم إحسانك

قال الزبون : لا ريب فى أنك ستكون حلاقى الخاص وحلاق إخوانى الدائم إذا ما أعجبتُ أنا بحلاقتك وصنعتك

وانتهى الحلاق من جهاده فى سبيل المجد ، ووقف مضموم اليدين ينتظر الرضى والثناء ؛ وأعجب العظيم بحلاقته أيما إعجاب

ووقف يعرض نفسه على هذه المرآة وتلك المرآة وهو ينثر كلمات الاعجاب فى كرم وسخاء . والحلاق لا يدرى أهو كالناس على الأرض أم طائر مع ملائكة الحظ والسعادة ...

وأخرج الزبون من جيبه دخينة ضخمة فخمة كأنها من نوع ممتاز لخلق ممتاز — وأشعلها ثم قال : ألا تدرى أن هذه الدخينة من صنع بلادنا ؟ .

قال الحلاق : يا عجباً !! وهل تقدمت بلادنا إلى هذا الحد ؟

قال الزبون : أنت تعجب فكيف عجبك لو علمت أن ثمن العلبة من هذه عشرون قرشاً ؟ وكيف بك لو علمت أن هناك نوعاً آخر ثمن العلبة منه مائة قرش ؟. وكل الذين يتشرفون بزيارة السراى الملكية يقدم لهم من هذا النوع .. وأنا أكاد لا أصدق أن فى (السجائر) ما هو رخيص ، فكم هو ثمن أرخص (سيجارة) عند الناس ؟

قال الحلاق : يا مولاى إن معظم السجائر من هذا النوع الرخيص الدون ، وثمن الواحدة منه مليم واحد وهو ثمن نصف رغيف للفقير المسكين ..

قال الزبون : إذن فالمليم له معنى كبير !! ؟ يا له بؤساً وشقاء للانسانية .. أمعك واحدة من هذا النوع الرخيص ؟. لا ريب أنها ستكون لذة جديدة مشتهاة لغرابتها

قال الحلاق : أنا يا أفندينا لا أدخن فليم ومليم ثمن رغيف

قال : آه ... أظن أن معى مليما فريداً حائراً فى جيبى . خذه فاشتر لى به واحدة لأرى

وذهب الحلاق يتكفأ ومعه المليم ، وغاب دقائق ثم عاد يتوثب ومعه ( السيجارة ) الرخيصة ... ونظر فلم ير أحداً فى الدكان ؛ ثم نظر فلم يجد آلاته لا فى موضعها ولا فى غير موضعها ، وحينئذ ... حينئذ فقط أدرك الحلاق أن الزبون العظيم ما هو إلا محتال عظيم ، وأن الأحلام التى ألقاها فى خياله إنما ألقاها غشاء على بصيرته ؛ فلطم وصرخ واستغاث ؛ واجتمع الناس يتناولون الحادث كما حدث ويتبادلون الرأى فيه ... ومال بعضهم إلى الأرض يقلب شعر اللص الجرىء لعله يعثر فيه على سر

وقال بعضهم : ما أغلى التضحية ! لقد طمع الحلاق المسكين فى العظيم والعظماء فضيع آلاته وأسباب رزقه ليعلم من كل ذلك أن العظمة قد لا تساوى فى بعض أهلها غير مليم

(طنطا) السيد محمد زياده

# دون جوان لبنان يفكر ...

بقلم الآنسة فلك طرزى

جلس « موفق » على حافة البركة التى تتوسط حديقة منزله الصغير وأخذ يداعب المياه الصافية التى تتساقط فى الحوض وتتسابق بأصابعه ، ويرسم على صفحتها خطوطاً وحلقات سرعان ما كان سير الماء يبددها ويمحوها لتعود صفحته جلية ملساء تتراكض فى وسطها الحبات اللؤلؤية ، وكأنها قطع صغيرة من الماس تتقاطر من ثقوب النافورة وتتساقط على صفحة الماء رذاذاً فتبعث نغمة خافتة ووسوسة شجية . لم يصغ موفق إلى الوسيقى العذبة التى كانت تنبعث من لحنها لأن نفسه كانت بعيدة ، بعيدة جداً عن هذا الحوض الصغير الذى كانت أنامله تعبث بمائه وتلهو به

لقد ذكر موفق فى هذه اللحظة أياماً ولّت وليالى انقضت كان خلالها يتمتع بأهنأ اللذات والمسرات ، إذ كان النعيم يكسو ساعاتها ولحظاتها بأثواب السعادة الزاهية الألوان المختلفة الأشكال ، ويبسط عليها ظلال الهناء والمرح والسرور ، فكان كل من هذه الظلال الثلاثة يرشده إلى جنات وفراديس تجرى من تحتها الأنهار ، وتغرد على أفنانها الأطيار ... فكان موفق يتمتع ويتلذذ ، وكان يرشف كؤوس اللذة صافية حتى الثمالة ، وكان يقطف ما حلا له من الزهر وما طاب من الثمر ، ثم يعرض عن هذه وتلك حينما يتضح له أن ذبولاً قد ذهب بنضرة الزهر ، أو أن مرارة قد مازجت حلاوة الثمرة ، حتى شاع أمره بين الناس وذاع بين جميع البيئات ، فدعوه « دون جوان لبنان » لما عرف عنه من حبه للنساء وإغرائه إياهن بشتى الوسائل ، وإيقاعهن فى حبائله بمختلف الطرق والأساليب

وكان موفق يسر بهذا اللقب أيما سرور ؛ وهل من شىء يعتز به كل دون جوان فى الحياة أكثر من اعتزازه بالحظوة الرفيعة التى يلاقيها عند النساء ؟ فكان يذيع هذا النبأ الجديد هنا وهناك ويطلع الذين لم يعلموا بأمره أنه كان يحلم بهذا اللقب منذ حداثته ، بل منذ كان صبياً يلعب والصبية الصغار من أبناء الحى . وكان كثيراً ما يقص عليهم حوادث وحكايات جرت له

وهو مازال فى الثامنة عشرة من عمره ، وكم من مغامرات غامرها ، وكم من نسوة ساذجات كان يغريهن بالكلمات المعسولة والمجاملات اللطيفة ليجذبهن اليه ويوقعهن فى شباكه ؛ ثم ليعرض عنهن ويوليهن ظهره بعد أن ينال منهن بغيته ويتركهن وشأنهن ويذهب ليبحث عن اللذة عند غيرهن

ولما كبر وصار رجلاً جعله أبوه مديراً للمتجر الكبير الذى كان يعد من أشهر المحال التجارية فى بيروت ، وقسم الأعمال الأخرى على إخوته الثلاثة الذين يصغرونه ببضع سنين ، وترك له حرية التصرف فى الدخل الذى كان ينهال على هذا المحل كأنه النهر المتدفق يجرف فى طريقه كل الأشياء ولا يبقى منها شيئاً واحداً ... أخذ موفق ينفق بسخاء وإسراف ويبدد الأموال هنا وهناك وفى كل مكان دون أن يفطن للآخرة ودون أن يحسب لها حساباً ، وكم كلفته شخصية دون جوان ، هذه الشخصية التى تقمصته وامتزجت به واختلطت بنفسه فصارتا نفساً واحدة

أجل ! كم كلفته أموالاً وإسرافا ، بل كلفته جهوداً فى العدو وراء كل امرأة يستهويه جمالها ويجذبه حمرة شفتيها

وما لبث موفق أن أخذ يستعرض فى ذاكرته أشكال النسوة اللاتى تولى زمامهن فى الحياة إلى حين . وأخذ يذكر النعيم والهناء اللذين تذوق حلاوتهما فى عشرتهن ومصاحبتهن ، ويذكر هذه النشوة التى كانت تعتريه حينما كان يظفر بفريسة يشبع نهمه بلحمها ودمها . . .

فهذه التى تمثل الآن شبحها وتجسم فى مخيلته ، كانت هيفاء القد نحيلة الخصر ، وتلك التى عقبت أختها الآن وتصورها خياله كانت ، وياشد ما كانت ! كانت ناعسة الجفون ، حالمة العينين ، تزيد نظراتهما رقة وعذوبة أهداب كثيفة سوداء كثيراً ما كانت تسدل فوقهما لتخفى بين الجفون معانى تلوح فى حدقتيهما . وأما هذه الأخرى فيا لشفتيها ! كم كانتا رقيقتين كأنهما وردتان نضرتان متفتحتان فى روض وجهها الذى تتلألأ فيه فتنيره عينان وضاءتان كحيلتان تريقان عليه نوراً مشرقاً ساطعاً يزيد فى إشراق بهائه وجماله ، وهؤلاء الفتيات الخمس اللاتى وضعهن يوما فى السيارة وسار بهن من بيروت إلى أحد مصايف لبنان حيث قضى معهن سهرة أحياها إلى الصباح . . . لقد جلس بينهن أمام مائدة قد صف عليها جميع أنواع الكحول ، وتكدست فوقها أصناف النقل المتنوعة والأثمار المشكلة ... وما أسعدها ليلة قضاها موفق بين نزعات الهوى الباسم ونغمات الهواء البليل الناعم ، يتمتع بمغازلة خمس حسان من أجمل الفتيات وأرشقهن قدودا وأعذبهن صوتاً وأحلاهن حديثاً . . . وما أهنأها ليلة وما أجملها ، تنشق موفق النسمات اللطيفة التى ينفحها جو لبنان الصافى العليل

غير أن الأوراق المالية كانت فى هذه الليلة تسيل من جيبه كما كانت الشمبانيا تسيل من القوارير

كان موفق يفعل هذا كله لأرضاء نفس لا يستطيع كبحها ، وأهواء ليس فى وسعه ردها ؛ ولم يذكر موفق أن الحب ، الذى يدعونه بالحب الخالص الصافى ، قد خالط نفسه يوماً من الأيام . كلا ؛ فهو ما شعر قط بلذة الروح — هذه اللذة العالية التى ترفع بصر الانسان إلى مافوق المادة وتجعل القلب يخفق بأنبل العواطف وأشرفها — تعتور نفسه ، وتشعرها برعشة تهتز لها أضالعه وتختلج جوانحه . كلا ! إنه لم يعرف من الحب سوى المعنى الوضيع الذى تولده حيوانيته ، وجهل وما زال يجهل المعنى الرفيع الذى تولده نورانيته ، والذى يفىء الروح بنور الفضيلة والهدى والحق ...

لقد كانت أهواؤه شغل حياته الشاغل ، إذ هو لا يجيد من فنون الحياة إلا فن الاغراء والاغواء والمخادعة . . .وما فكر قط أن آخرة مؤلمة ستنتج عن حياة الطيش والفوضى ؛ لقد انتهى موفق إلى إنفاق ما فى خزائن المتجر وتجاوزها إلى رأس المال ، فأفلست التجارة .. ولم يجد الدائنون بداً من عرض جميع ما يملك موفق وأسرته فى المزاد العلنى ، فبيع المنزل وجميع مفروشاته الفاخرة ، وبيعت الحديقة الغناء الواسعة الجوانب التى تحيط به من جميع أطرافه ، ونزحت الأسرة المنكودة عن البيت بعد أن نعموا باجتماع الشمل حقبة ، وراح موفق ينشد العمل فى كل مكان فلم يعثر عليه إلاَّ بعد جهد جهيد مقابل أجر زهيد يكاد لا يكفى نفقته ونفقة أخته التى تقاسمه الحياة وتشاطره البؤس . . .

أحس موفق حين رجع بذكرياته إلى هذه الذكرى المؤلمة ، كأن هزة عنيفة تعترى جسمه فانتفض واختلج ، وشعر كأن شيئاً أخذ يحز فى نفسه حزاً مؤلماً ، فانتصب واقفاً وغادر حافة البركة التى كان جالساً عليها يداعب مياهها ، وأخذ يجول بنظره فى أطراف الحديقة ، ويتلفت يمنة ويسرة ، يحدق بكل مايبصر ، ويصغى إلى كل ما يسمع ، فاذا به يشاهد براعيم الأزاهر

# البريد الأدبي

## وفاة الأبيوردي — رد على الأستاذ على الطنطاوى

أخى الأستاذ صاحب الرسالة

كتب إلىّ الأديب الفارسى المحقق عباس إقبال نزيل باريس أثناء رسالة فارسية يقول ما ترجمته :

قرأت فى العدد ١٥٨ من مجلة الرسالة مقالا بقلم الأستاذ على الطنطاوى تحت عنوان « الأبيوردى المتوفى فى مثل هذا اليوم سنة ٥٥٧ بمناسبة مرور ٧٩٨ سنة على وفاته » والظاهر أن الكاتب الفاضل خدع برأى ناشر الديوان قليل الاطلاع الذى أخطأ فجعل وفاة هذا الشاعر سنة ٥٥٧ ، وهذا غلط صريح . والصواب أن وفاته سنة ٥٠٧ كما روى ابن خلكان وياقوت فى معجم الأدباء (ج ٤ ص ٣٤١) وسائر المؤرخين ، ويؤيد هذا ما رواه ياقوت فى المعجم (٤ ص ٣٤٣) نقلا عن خريدة القصر للعماد الكاتب من أن الأبيوردى تولى فى آخر عمره عملاً للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى ، وأنه سُمّ وهو يتولى هذا العمل ، وبينما كان واقفاً عند سرير السلطان محمد ضعفت رجلاه وسقط على الأرض وقال :

وقفنا بحيث العدل مدّ رواقه ... وخيّم فى أرجائه الجود والباس
وفوق السرير ابن الملوك محمد ... تخر له من فرط هيبته الناس

وغياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه مات سنة ٥١١ ، فمحال أن يكون الأبيوردى الذى وقع فى مرض موته أمام سرير السلطان قد مات سنة ٥٥٧ . وبهذا يبطل اجتهاد الأستاذ الطنطاوى ودعوته الى الاحتفال بعد سنتين بمرور ثمانية قرون على وفاة الأبيوردى ، إلا أن يحتفل بعد سنتين بمرور ٨٥٠ سنة على وفاة الشاعر أو عد الله فى عمر الكاتب اثنتين وخمسين سنة أخرى ليحيي ذكرى الشاعر بعد تسعة قرون

وناشر ديوان الأبيوردى قليل الاطلاع جدا ، فقد نشر فى الديوان قصائد من شعر أبى اسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الغزى (٤٤١ — ٥٢٤) ولا شك أنها من شعر الغزى ومنها اللامية المطبوعة فى الصفحات ٢٧٤ — ٢٧٩ من ديوان الأبيوردى والتى يقول فيها الشاعر صراحة :

قصدتك لا بالشعر من أرض غزة ... ولكن بقولى اننى لك آمل

ومثل هذا الغلط فى مواضع أخرى لا يتسع المجال لبيانها الآن . »

ولم يطلب إلى الأديب الفاضل نشر كلمته ، ولكننى آثرت نشرها إفادة للقراء ، واذاعة لتحقيقات هذا الأديب البحاثة الذى يطرفنا بين الحين والحين بأبحاثه فى الأدب العربى وكتبه

عبد الوهاب عزام

## مهرجان أدبى عظيم تمثل فيه مصر

أشرنا من قبل إلى أن مهرجانا أدبياً كبيرا سيقام فى لندن فى الثالث عشر من شهر أكتوبر الجارى لتكريم الكاتب الانجليزى الكبير المستر هربرت جورج ولز (هـ . ج . ولز) ، لمناسبة بلوغه السبعين من عمره ، وأتينا بهذه المناسبة على ترجمة وجيزة لمستر ولز ، ونزيد الآن أن هذا المهرجان الأدبى المظيم قد أقيم فى الموعد المحدد له بفندق سافوى بلندن ، واتخذ صورة مأدبة عشاء كبرى شهدها أربعمائة كاتب وأديب يمثلون معظم دول

---

ترنو إليه وترفع نحوه أكمامها المتضوعة العبير تشكو ظمأها ، فاقترب من البركة وأخذ ابريقاً من المعدن الأبيض وملأه وسق الأزاهر وبلل أغصانها بقطرات الماء النمير ، ثم بعد ما فرغ من سقيها أخذ وعاء صغيراً ووضع فيه دقيقاً خلطه بماء ، ثم أخذ يعجنه حتى إذا تماسك قدمه إلى حمامة سمعها تنوح شاكية له جوعها . . .

وهكذا تعزى دون جوان المنهزم عن عزه الغابر المفقود باطعام الحمام وسقى الأزهار !

فلك طرزى

العالم . ولما كان مستر ولز رئيس نادى القلم الدولى ، ورئيس نادى القلم الانجليزى ، فان معظم المندوبين الذين شهدوا المأدبة كانوا يمثلون نوادى القلم فى أنحاء العالم وعددها نحو خمسين ناديا . وكانت مصر ممثلة فى هذا الاحتفال بواسطة نادى القلم المصرى على يد الأستاذ حسين محمد قنصل مصر فى لندن الذى شهد الاحتفال بالنيابة عن نادى القلم المصرى ، ورأس الاحتفال الكاتب الانجليزى الشهير مستر چون بريستلى ؛ وبعد تناول العشاء تعاقب على الخطابة كل من مستر برنارد شو الكاتب الأشهر ووكيل نادى القلم الانجليزى ، ومسيو اندريه موروا الكاتب الفرنسى ، ومسيو كاريل شابيك الكاتب البولونى ، وچوليان هكسلى الكاتب الانجليزى ، والكاتبة الانجليزية مس ج . سترن ؛ وقد تبارى الخطباء فى تحية مستر ولز والاشادة بمواهبه وعبقريته الأدبية ، فرد عليهم بخطاب طويل يفيض شكراً وعرفانا . وقد ناب الأستاذ حسين محمد فى إبلاغ مستر ولز تهنئة نادى القلم المصرى وتحياته ، فرجاه أن يحمل شكره وتحياته للنادى المصرى

وقد أفاضت الصحف الانجليزية فى ذكر هذا المهرجان الأدبى العظيم ، وقالت إن لندن لم تشهد منذ بعيد احتفالاً أدبياً فى عظمته وروعته

## ترجمة للسير جرنفيل

من أهم كتب الموسم التى صدرت أخيراً بانكلترا كتاب عن السير رتشارد جرنفيل أمير البحر المشهور فى القرن السادس عشر ، ومؤلفه مستر جورج هربرت بوشنل ؛ وقد كان العصر الذى ظهر فيه السير جرنفيل ، وهو عصر الملكة اليزابيث ، أشهر عصور البحرية الانكليزية ، وفيه ظهر مع جرنفيل عدة من أمراء البحر المشهورين مثل السير فرنسيس دريك ، والسير رالى ، وچون هوكنس وغيرهم . وكانت البحرية الاسبانية يومئذ فى أوج قوتها ، وكانت المعارك الهائلة تنشب بين الانكليز والاسبان باستمرار فى المياه الأوربية والمياه الأمريكية ، وتملأ سير هذه المعارك وتراجم أبطالها من الانكليز والاسبان أسفاراً بديعة تفيض بأغرب الحوادث حتى يخيل لقارئها أنه يتلو صحفاً من الخيال المغرق . وكتاب مستر بوشنل عن السير جرنفيل وعنوانه : Sir Richard Grenville أحد هذه الأسفار العجيبة التى تذكرنا بكل ما يحتويه القرن السادس عشر من الحوادث والمعارك البحرية المدهشة ومن أعمال البطولة الرائعة

وقد كان السير جرنفيل من أبناء كورنوال ، وظهر فى البحر منذ حداثته ، وقاد أول حملة بحرية إلى مياه فرجنيا ( أمريكا ) فى سنة ١٥٨٦ ، واشترك فى كثير من المعارك البحرية التى وقعت يومئذ بين الانكليز والاسبان ، وحارب أيضاً ضد الترك فى البحر الأبيض ، واشترك فى موقعة «الأرمادا» الشهيرة ضد الأسطول الأسبانى ؛ بيد أن أعظم موقعة خلدت اسم جرانفيل هى موقعة « آزورس » التى قتل فيها ؛ وكان يومئذ قائد سفينة « رفنج » Revenge الشهيرة فى الحملة التى سارت بقيادة الأميرال توماس هوارد لضبط السفن الأسبانية القافلة من أمريكا محملة بالذهب والفضة ؛ وفى مياه « آزورس » نشبت المعركة ، وكان الأسطول الأسبانى يفوق السفن الانكليزية ضعفين . ولما رأى الانكليز ضعف مركزهم قرروا الانسحاب ، وكانت سفينة جرنفيل فى المؤخرة فاشتد عليها الضغط ، ولكنها لبثت تقاتل حتى آخر لحظة وجرنفيل يرفض التسليم حتى جرح جرحاً عميقاً ، وعندئذ سلمت برغم إرادته ، بيد أنها لم تسلم إلا بعد أن أغرقت عدة سفن أسبانية ؛ وتوفى جرنفيل بعد ذلك بساعات قلائل

هذه الحياة المضطربة الحافلة يعرضها مستر بوشنل عرضاً قوياً ممتعاً يخيل إليك عند تلاوته أنك تقرأ قصة رائعة الخيال

## كتاب جديد لجون كنتل

مستر چون كنتل J. Kniettel من أكابر الكتاب السويسريين المعاصرين ، وهو من ضيوفنا الأجانب ، يستقر بمصر كل شتاء ويمتزج بالمجتمع المصرى ، ويعرف الكثير عن مصر وشؤونها ؛ وقد ساح كثيرا فى شمال أفريقيا ، وأقام حيناً فى مراكش وتونس ، وله خبرة واسعة بشؤون البلاد العربية وأحوالها السياسية والاجتماعية

وقد كان لهذا الاتصال بالأمم الشرقية وهذه المعرفة بأحوالها تأثير كبير فى توجيه كنتل الأدبى فى الأعوام الأخيرة ، وظهر هذا الأثر واضحاً فى روايته الدكتور ابراهيم Dr. Ibrahim التى صدرت فى العام الماضى ، وصدرت فى نفس الوقت بالألمانية بعنوان « El Hakim » ؛ ففى هذه القصة التى اختار كنتل أبطالها من المصريين واختار مصر مسرحا لحوادثها يدال كنتل على خبرته بشؤون القرية المصرية والمجتمع المصرى الريفى ، وأحوال المستشفيات المصرية ، وما هنالك فى ذلك المجتمع من مثالب وعيوب يجب اصلاحها

على أن جون كنتل لم ينس وطنه الأصلى حيث نشأ وترعرع فهو من أبناء مقاطعة « تسين » السويسرية ، وقد كتب عنها روايته الشهيرة «ڤيامالا» Via mala ؛ وهو يصدر الآن بالألمانية روايته الجديدة عن سويسرا ، « تريز انيين » Therese Etienne وصدرت أخيرا ببرلين عن مطبعة « كتر بحر » ومسرح هذه الرواية الجديدة هضاب ولاية « برن » وبطلتها فتاة من سويسرا الفرنسية من مقاطعة « ڤاليه » أو « ڤاليش » هى « تريز » وهى فتاة بائسة شريدة ، تجوب البلاد والطرقات باحثة مستجدية لقوتها ، ولكنها كانت فتيـة حسناء ، نحيلة القوام جذابة المحيا ؛ وفى ذات يوم بينما كانت تستجدى فى إحدى ضياع برن لمحها قروى شيخ من أعيان الناحية فأشفق عليها وألحقها بخدمته وكان يحبوها بعطفه ، ولكن الخدم كانوا يكرهونها لحسنها وتأثيرها على السيد ؛ وأخيرا أحبها الشيخ وتزوجها ؛ ولكن الشيخ كان له ولد فتى يدرس فى المدينة ، فلما عاد الى المنزل والتى تريز هنالك شغف بها حبا ، وشغفت به حبا ؛ وذهب الهيام بتريز الى أن فكرت فى التخلص من الوالد الشيخ ، فلم تجـد سبيلاً غير الجريمة ، فقتلته ؛ ولكنها وقعت بين براثن القضاء ، واختتمت بذلك حياتها

هذا هو مجمل القصة الجديدة التى يخرجها جون كنتل ؛ وقد لوحظ أنها ضعيفة الخاتمة كما لوحظ ذلك فى روايته الدكتور ابراهيم ؛ بيد أن كنتل يبـدى فيها كما يبدى فى معظم رواياته براعة فنيـة فى العرض والوصف ، ولا سيما فى عرض مجتمع القرية ، وسيدها الذى يتمتع بالحول والنفوذ

والجون كنتل بالانكليزية عدة قصص شهيرة أخرى نذكر منها : Nile gold , Gypms wine , Into the Alyss , Midnight , Poepie ، وغيرها

## الحرف V

أشارت هذه المجلة فى أحد أعدادها الفائتة إلى ما وافق عليه المجمع اللغوى من الاصطلاحات فى كتابة الأعلام الأعجمية ، وكان من ذلك الاصطلاح على كتابة الحرف v واواً بثلاث نقط فوقها عوضاً عن كتابته فاء بثلاث نقط ، وذلك لأن أهل المغرب يستعملون هذا الحرف للاشارة إلى حرف الجاف الخ

فاذا كان المراد هو توحيد الاصطلاحات ونفى الخلاف بين أهل اللغـة الواحدة ، فلا معنى لمراعاة ما يستعمله أهل المغرب ولا أهل المشرق ، لأن الاصطلاح على شىء مع ابقاء خلافه ينافى المقصود من المهمة التى يعمل لها المجمع ، فيجب إذا حصل الاتفاق على شىء — مع مراعاة أنه لا بد من أخذ رأى جميع ممثلى الأقطار العربية — وجب نبذ خلافه وعدم اعتباره بعد ذلك أصلاً

على أن العلة المذكورة فى عدول المجمع عن كتابة الحرف v بفاء منقوطة ثلاثاً غير صحيحة ، لأننا فى المغرب نكتب الكاف بفاء منقوطة ثلاثاً ، بل الغالب عندنا كتابته بكاف ذات ثلاث نقط على ما اصطلح عليه المجمع ، وسبق إلى قريب من ذلك العلامة ابن خلدون . وبعض الناس عندنا يكتبه بقاف منقوطة كذلك بثلاث ؛ ولعل هذا ما اشتبه على أعضاء المجمع الكرام ، فظنوا القاف فاء ، مع أن الاشتباه بعيد ، إذ أن أهل المغرب ينقطون الفاء من تحت لا من فوق فلا اشتباه بينها وبين القاف

وعلى كل حال فان العدول عن كتابة v بالفاء لا موجب له إلا هذا التوهم الخاطئ ، ولا سيما والواو حرف غير معجم ، وقد اصطلح الناس قبل المجمع بكثير على كتابته بالفاء ، فعسى أن يتفضل المجمع بتعديل قراره بالنسبة إلى هذا الحرف ، وينظر فى إدخال عضو جديد إلى هيئته من علماء المغرب

(المغرب) ع . ك

## رباعيات عمر الخيام تعرض للبيع فى لندن

ستباع فى قاعة سوبنى فى التاسع من نوفمبر أقدم نسخة خطية من رباعيات عمر الخيام وهى مكتوبة على خمس وعشرين ورقة مذهبة وعمرها أكثر من خمسة قرون

وكان عالكها رجل يدعى « محمد سالم » وجىء بها من لاهور منذ خمس سنوات إلى معرض الفن الفارسى ، والأرجح أن تبقى فى انجلترا . وقد درس العلماء — من الشرق والغرب — الأوراق وقرروا أنها تلى فى القدم نسخة أوزلى المكتوبة فى سنة ١٤٦٠ وهى المكتبة البودلية وعنها ترجم فتزجرالد الرباعيات

ولا تزال هذه النسخة الأخرى كأزهى ما كانت عند ما كتبها « حافظ فرج الله » فى بغداد سنة ١٤٧٣

وقد صينت نسخة « لاهور » على القرون ؛ وبعد كتابتها بمائتى عام أهداها « محمد شافعى » ( كذا ) إلى محمد مهدى بن موسى دهلى

# الكتب

## صدى أحلامي

للآنسة الشاعرة جميلة العلايلي

بقلم الأديب محمود البدوي

ديوان صغير الحجم أنيق الشكل جيد الشعر عذبه ، فيه روح الفنانة الملهمة والشاعرة المطبوعة على قول الشعر دون تكلف ولا صنعة ولا محاكاة . . ولا يعيبه كثرة ما فيه من نواح وشكوى وأنين فهذا كله لا بأس به إذا جاء من المرأة ، ومن فتاة كجميلة العلايلي فنانة بطبعها تعشق الحرية وتتعلق بالمثل العليا — التي لا تتحقق — وتحس بثقل البيئة الخانقة التي تكتم أنفاسها وتهيض جناحيها وتبدد أحلامها الذهبية وتذيب في صـــدرها أمانيها العذاب . . وفي الديوان قطع شعرية جزلة نحسد عليها ، وقصيدة تديرها الشاعرة دوران القصة القصيرة ، وهذا توجيه منها حسن ومقبول يحبب الشعر إلى نفوس القراء الذين انصرفوا عنه — مع الأسف — إلى القصة !

والقارئ لهذا الديوان سيشعر بعواطف المرأة الخالصة الصادقة الصريحة ، وهذا ما نطلبه من كل فتاة تحاول المحاولات الأدبية مثلها وتجارى الرجل في الفن . . فليست البراعة في تقليد الرجل في عواطفه ومشاعره وتفكيره وحبه ، وإنما البراعة في أن تبرز خصائص المرأة وتبدو أنوثتها قوية من خلال السطور ؛ والدنيا بأسرها تصفق اليوم « لفيكى باوم » لأنها تمتاز بالحنان .. الحنان الذي لا يعرفه الرجل . والذي يقرأ لكثير من فتياتنا المتأدبات يرى أن أقلام الرجال تجول في أعمالهن الأدبية وتصول ، وهذا عيب فاضح تضيع معه شخصية المرأة ، ولكن المرأة عندنا تحس بضعفها وعجزها وتستسلم للرجل حتى وإن ضيع شخصيتها وهي أسمى ما يمكن أن تعتز به

والدراسة القوية المتواصلة لبعض شعراء العرب العباسيين كالبحتري وابن الرومي والنواسي ، ولطائفة من شعراء الانجليز الخالدين كشيلي وبيرون وهاردي ووردزورث — وهذا عاشق للطبيعة كجميلة — سيصقل فنها وأسلوبها ، ويكسب شعرها الرنين الموسيقي الذي لا حياة للشعر بدونه ، ويوجهها التوجيه الذي نرجوه لها ، ويدفعها على توالي السنين إلى القمة

هذا ونحب أن تسقط الشاعرة من ديوانها — في طبعته الثانية — القصيدتين اللتين سمتهما الشعر المنثور فما نعرف لهذا الشعر الغث المرذول لوناً ولا طعماً حتى ولو كان قائله ابن الرومي

الواقع أن ديوان « صدى أحلامي » هو خير الجهود الأدبية الموفقة التي بذلتها فتاة في السنين الأخيرة وصاحبته تستحق عليه التهنئة القلبية الخالصة ... من بنات جنسها ! ! ؟

## الحياة الجديدة

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

الآنسة أمينة شاكر فهمي

لقد دفعني مقال الأستاذ دريني خشبة المنشور « بالرسالة » عن كتاب « الحياة الجديدة » للأستاذ نقولا يوسف إلى مطالعة الكتاب ودرسه درساً دقيقاً ، فدهشت جداً لما ذكر الأستاذ من محاسن الموضوعات وما أنكر عليه من طوبيات وتوحيد وعالية ، دون أن يذكر شيئاً عما حاول المؤلف اثباته بقوة وبلاغة عن عدم صلاحية اللغة العربية للتمشي وأدب القرن العشرين . يخيل إلى أن الأستاذ دريني خشبة مر سهواً بقول المؤلف الفاضل في موضوعه « الأدب الجديد » صفحة ٩١ : « لم نعد اليوم في عصر الفراغ والعبث بالوقت نقتله فيخرج لنا الكتاب دواوين مطولة في السجع والتورية والكنايات والمجازات والاستعارات مما اكتظ به الأدب التقليدي الجامد القديم » . فلا يسعني إلا أن أنكر على المؤلف انتقاده المر للغتنا العربية وما بها من مجازات واستعارات وهي أجمل ما في لغتنا وأرقها

فهلا قرأت أجمل من فن العرب فى قول أحدهم :

ولما برزنا لتوديعهم بكوا لؤلؤاً وبكينا عقيقا
أداروا علينا كؤوس الفراق وهيهات من سكرها أن نفيقا
تولوا فاتبعتهم أدمعى فصاحوا الغريق وصحت الحريقا

أو قول بعضهم :

سألتها عن فؤادى أين موضعه فانه ضل عنى عند مسراها
قالت لدينا قلوب جمة جمعت فأيها أنت تعنى ؟ قلت أشقاها

لقد قرأت الكثير من دواوين الشعر الانجليزى والفرنسى فلم أجد أجمل ولا أدق تعبيراً من الشعر العربى القديم الذى تقول عنه يا سيدى فى كتابكم صفحة ١٩٣ : « إنه يشبه القبر المزين بالنقوش وفى جوفه الرمم »

إن التجديد يا سيدى الأستاذ لا يكون فى تغيير اللغة وتشويهها ، بل فى تغيير الأفكار والنزعات والأخلاق . إنه ليؤلمنى جدا أن أقرأ لأحد كتابنا النابغين المجددين العصريين قوله : « إن الأدب العربى القديم محتاج إلى زركشة اللفظ وزخرف الكنايات ليسترا عيبه وقبحه » ، فهل تعد جمال اللفظ والمعنى زخرفا ؟ وطرافة التورية وبساطتها زركشة ؟

فما قولك فى قول ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرْم
لها البدر كأس وهى شمس يديرها . . . . . . . . . . . . . .

وما قولك فى الأدب المصرى الحديث ، كقول الأستاذ عبد الرحمن شكرى فى قصيدته « البحر » :

ألا ليتنى لج كلجك زاخر أعب كما تهوى النهى والبصائر
خريرك يحكى صدحة الدهر صامتاً كأنك دهر بالحوادث مائر

وقوله :

فلعل الحياة كالماء تجرى بين هذا الثرى وبين السماء

وقول الأستاذ محمود محمد شاكر فى قصيدته « حيرة » :

أتنهانى عن الجزع الليالى وما تنفك تتركنى مصابا ؟ !
فتسلبنى الأحبة عن عيان وتمنحنى بذكرهم عذابا

لذا تجد يا سيدى أن اللغة العربية ليست بقاصرة عن التعبير ووصف حياتنا العصرية . إننى يا أستاذى لست ممن يدين بالرجعية والتمسك بالقديم ولكننى فى كل ما قرأت من لغات أجنبية لم أجد أجمل ولا أقوى من لغتنا العربية القديمة . وأراك يا سيدى تعيب على العرب وضعهم مائة اسم للأسد ومائتين للجمل كأن لم يكتب العرب شيئاً إلا أسماء الأسد والجمل

لقد دهشت لقولك فى « الحياة الجديدة » صفحة ١٣٥ : « ولسنا نجهل مركز الأدب العربى بين تلك الآداب وهو الأدب الذى تتخذه مصر لها أدباً قومياً حتى اليوم ، وهو لا يمت إلينا بصلة ولا بنسب ، فنحن لا نتحادث فى حياتنا اليومية بلغته الفصحى . . . » إننى والحق يا سيدى عاجزة عن الرد على هذا القول ، وإننى أترك الرد لأدبائنا الأفاضل . فهل نفهم من ذلك أن اللغة العربية الفصحى ليست بلغتنا وأننا يجب أن نتكلم بلغة أخرى ؟ وأى لغة يا ترى تشير بها علينا : الهيروغلفية أم الانكليزية أم العربية العامية ؟ عفواً ياسيدى ومعذرة ، فاننى لا أقصد التهكم أو الانتقاد ، ولكن آلمنى جداً احتقاركم للغتنا العربية بكل ما فيها من جمال وقوة . وبالرغم من كل هذا فانه لا يسعنى إلا أن أبدى إعجابى الوافر بكل ما حوى الكتاب من بحوث علمية وعالية ، ودفاعكم الحار عن الفلاح المصرى ، وقولكم : « إذا أنصفنا أخانا الفلاح فانما ننصف البلاد المصرية كلها » وكم كنت أود لو أذكر كل فصل على حدة لما جمع كل منها من أبحاث قيمة ودرس عميق وتحليل سيكولوجى دقيق وإحصائية مدهشة عن تاريخ تقدم العلم فى سبيل الوقاية من الأوبئة الفتاكة التى اجتاحت فى القرن الماضى عددا عظيما من سكان العالم . أما بحث عدة النجاح فى العصر الجديد » فهو فصل ممتع وأبحاث قيمة دقيقة عن تاريخ أجناس الشعوب المختلفة وتطور الأديان والعلوم والفنون ونشأتها فى كل الأمم ، ويختم مقاله بقوله : « كذا الفن كالعلم والأدب لا وطن له ولا لغة لأنه ينبثق من النفس البشرية ويعود اليها »

وهو — على طول الخط — يدل على ثقافة المؤلف الواسعة ودرسه التحليلى العميق . ولقد أعجبت جداً بفصول المؤلف الخيالية ، وخصوصاً فصل « مصر بعد خمسة قرون » إذ جمع بين الخيال الواسع والحقيقة والنبوءة . كما أبدع فى التحدث عن فلسفة الجمال والحياة فى فصل « فن الحياة » و « البشرية » . أما تأملاتكم ياسيدى « على شاطئ البحر » فهى من أجمل وأرق ما قرأت فى الخيال ، وأخص بالذكر منها قولكم « وما تلك الفترات التى يسعد فيها بنو البشر إلا لحظات مختلسة فى غفلة الزمن لا بد أن ندفع لها ثمناً غالياً »

# العالم المسرحي والسينمائي

## موسم الفرقة القومية الجديد

من حديث للأستاذ طاهر حقي

لمحرر «الرسالة» الفني

في مجلس يضم بعض كبار المشتغلين بالمسرح جرت أحاديث الموسم المقبل على الألسنة ، فمن قائل إنه عادي ، ومن قائل إنه مزدهر ، وأصحاب الرأي الأخير يستندون إلى قيام أكثر من فرقة واحدة تعمل إلى جانب الفرقة القومية وما سيجره قيام هذه الفرق من منافسة قوية

فالى جانب الفرقة القومية تقوم فرقة رمسيس وقد بدأت عملها هذا الأسبوع برحلة إلى الأقاليم ؛ وتتكون في هذه الأيام فرقة فاطمه رشدي للسفر إلى العراق وسوف تستأنف العمل في القاهرة بعد عودتها . وهنالك فرقة استعراضية ألفتها السيدة بديعة مصابني ، ثم فرقة مختار عثمان ، هذا إلى جانب فرقة الريحاني التي تبدأ متأخرة كعادتها

وقد خطر لي أثناء الحديث أن أوجه بعض الأسئلة عن الفرقة القومية ومبلغ استعدادها للموسم الجديد إلى سكرتيرها الأستاذ طاهر حقي وهو كما يعرف القراء من الأدباء الذين اشتغلوا بالمسرح من زمن بعيد ، وقد أخرجت له أكبر الفرق المصرية فيما مضى أكثر من رواية تمثيلية نالت نصيباً كبيراً من التوفيق والنجاح ، فآراؤه في المسرح لها قيمتها

قلت : « ما هو مدى النجاح الذي تتوقعه للفرقة القومية في الموسم الجديد ؟ وإلى أي شيء يعزى ؟ » فأجاب قائلاً : « إني أتوقع للفرقة نجاحاً هائلاً في الموسم الجديد ، لأن استعدادنا تام من جميع النواحي ؛ فالنظام يسود أعمال الفرقة من انتقاء للروايات ، إلى توزيع الأدوار على الممثلين توزيعاً عادلاً بحيث ينال كل ممثل الدور الذي يليق به ويصلح له ، إلى حفظ الممثلين لأدوارهم . ولا أظنك تجهل قرار اللجنة بأن تسير الفرقة في التمثيل على القاعدة الانجليزية التي تقضي على الممثلين بأن يستظهروا أدوارهم ويشتغلوا دون ملقن ، وفي رأيي أن هذه الطريقة ستخطو بالمسرح خطوات واسعة إذ تجعل الممثل يعتمد على نفسه ويدرس دوره دراسة كافية ، فلا إهمال بعد اليوم اعتماداً على الملقن

قلت : « ما رأيك في المنافسة بين الفرقة والفرق الأخرى ؟ »

قال : أعفني من هذا السؤال . إن بضاعتنا غير بضاعة الفرق الأخرى ، فالفرقة القومية قامت للنهوض بالمسرح ، ونحن ننشد الفن الخالص والأدب الرفيع لا نهتم بكسب مادي أو نجاح اسمي ؛ ولكني أقول إن الفرقة القومية ترحب بكل منافسة وهي على استعداد لمساعدة الهيئات والنوادي والجمعيات بكل ما يبيحه لها قانونها

قلت : « هل لك أن تبدي رأيا في الروايات التي وقع عليها الاختيار للموسم الجديد ، وفي قيمة هذه الروايات الأدبية والفنية »

فأجاب قائلاً : « إن الموسم سيكون حافلاً بروايات منتقاة بعناية زائدة وهي بين مصرية مؤلفة وأجنبية ممصرة أو مترجمة

فأما الروايات المؤلفة فهي من قلم أدباء معروفين ، وقد حازت رضاء أعضاء اللجنة وهم كما تعرف من زعماء الأدب العربي ، ولا أظن الجمهور إلا معجباً بهذه الروايات . ويسرني أن أقول إن الفرقة

---

أما فصول الساعات مع نوابغ الأدب الشعري والفلسفي والعلمي مثل تاجور وشللي وملتون وويلز وغيرهم فهي مجموعة ثمينة جدا عن تاريخهم وكتاباتهم وفلسفاتهم . ولكن فات حضرة الأستاذ أن يذكرنا بساعة مع شوقي أو حافظ ابرهيم

وأخيرا أضم صوتي الى حضرة الأستاذ د . خ . وأقول إن بحوث «الحياة الجديدة» دسمة غزيرة الفكر . فهي مجموعة ثمينة جامعة بين جمال الخيال ودرس التاريخ وتحليل للعصر الجديد دقيق ، وتراجم متقنة للأدب القديم والحديث ، وهو حقيقة يكاد لا يكون له نظير في مكتباتنا العربية . أمينه

القومية قد فتحت الطريق أمام ذوى العقول الخالقة المنتجة ليخرجوا إلى عالم الأدب والفن روايات هادئة لا تحوى طعاناً ولا تقتيلاً ولا أحاديث ثائرة عنيفة تصدم الأعصاب وتلهب الحواس، بل تحوى أحاديث هادئة فيها من الجمال ما يصدم الأعصاب ويبعثها على التأمل والاعتبار، وتعالج الشؤون الاجتماعية التى تشغل الرأى العام وتوجه تيار المدنية إلى الناحية التى تجدى على البيت والأسرة

والروايات المصرة مأخوذة عن روايات أجنبية لأكبر الكتاب نالت فى بلادها من النجاح ما جعل شركات السينما تتهافت على اقتباسها . وقد بذل الكتاب المصريون مجهوداً كبيراً فى تمصيرها حتى أصبحت وكأنها مصرية الفكرة والوضوع والحوادث . ولا شك أن هذه الروايات ستنال رضا رواد المسرح كما تنال رضا الأدباء . أما الروايات المترجمة ، فهى من روائع الأدب الأوربى الحديث ، وقد أخرجت على أكبر مسارح أوربا . ولم نوجه أنظارنا عند الاختيار إلى ناحية المسرح الفرنسى وحده كما كانت الحال فيما مضى ، بل كان الاختيار موزعاً بين الأدب الروسى والانجليزى والألمانى والفرنسى . وليس بين الروايات واحدة لكاتب مغمور ، بل جميع الروايات لكتاب معروفين فى بلادهم والبلاد الأخرى ، فالموسم كما ترى حافل ، حافل

قلت : ومتى تبدأ الفرقة عملها ، ومتى ينتظر إنشاء المعهد ؟

قال : ليس لدى قرار أستند اليه ، فلجنة المسرح التى يرأسها صاحب المعالى حافظ عفيفى باشا هى التى تقرر ذلك ؛ وينتظر أن تجتمع بعد عودة معاليه من أثينا قريباً . على أنى أعتقد أن الافتتاح سيكون فى النصف الثانى من شهر نوفمبر ، وذلك ريثما تتم الاصلاحات القائمة فى دار الأوبرا . ومن المنتظر أن يشرف حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول حفظه الله دار الأوبرا ويشهد أكثر من رواية . أما المعهد وارسال البعوث إلى أوربا فقد أرجىء البت فيهما لحين مجىء المخرج الفرنسى الذى استدعته اللجنة ليعاونها فى تنظيم المسرح المصرى

قلت : على ذكر هذا المخرج أو الخبير الفرنسى ، هل تعتقد أن فى مجيئه فائدة كبيرة ، وفى أى ناحية يفيدنا ، وإلى أى مدى ؟

فأجاب : « ليس من شك فى أن آراء الخبراء ذات قيمة كبيرة ، فان لهؤلاء الرجال من الخبرة ما يجعلهم جديرين بأبداء الآراء التى تؤدى إلى الاصلاح السريع . وقد يرى بعض الناس أن مسرحنا مصرى ، فكيف يستطيع هذا المخرج ، وهو أجنبى عنا لم يدرس أدبنا العربى ولم يعرف خلقنا المصرى ، أن يساهم فى رقى المسرح وتنظيمه ، ولكن الواقع يا صديق أن المسرح لم يكن يوماً مصرياً أو عربياً ، وهو ليس من أدبنا بل منقول عن الغرب ورجال الغرب أجدر بارشادنا إلى الاصلاح

وقد عانى المسرح فى فرنسا بعض ما يعانيه مسرحنا المصرى ، وقد بذلت جهود عديدة لاقالته من عثرته وقد وفق القوم هناك . فمجىء هذا المخرج سيفيدنا دون ريب ، وأعتقد أنه سوف يشير باجراء اصلاحات كبيرة فى مسرح دار الأوبرا سيكون لها شأن غير قليل فى تسهيل مهمة المخرج المصرى »

« يوسف »

### السينما

# اليد السوداء

## اخراج استكماله الصغير

دار العرض ، سينما النهضة

لست أدرى لم اختار المؤلف للفلم هذا الاسم المخيف الذى يبعث الرعب فى نفوس رواد السينما ويمنعهم من الاقبال على مشاهدته فى حين أن التسمية لا تتفق مع غرض القصة وموضوعها وروحها ولا تتصل بها كبير اتصال . فالناقد يرى بجلاء أن الحوادث العنيفة والمؤامرات بالشكل الذى عرضت به تجعل الجزء المضحك غير مرتبط بالجزء الآخر حتى ليبدو العنف دخيلاً على قصة الفلم ، وفى رأيى أن نجاح الفلم يكون مضاعفاً لو أن المؤلف عالج قصته على أنها كوميدية فقط

وليس للقارئ من فائدة فى تلخيص هذا الفلم إلا أن يأخذ عنه فكرة سيئة ، مع أن الواقع أن الفلم ظريف ومضحك وهو من نوع روايات الجزائرلى ولكنه أرقى موضوعاً

قام عبد النبى محمد بالدور الأول ، وعبد النبى محمد من المثلين المسرحيين المعروفين ، وقد أدى دوره بنجاح كبير ؛ وأعتقد أن الشركة التى عهدت إليه بهذا الدور سوف تستغله فى أدوار أخرى . وقامت السيدة عقيلة راتب بدور البطلة فكانت موفقة هى الأخرى . وأبدى مختار حسين مجهوداً كبيراً ولكن طبيعة جسمه تجعله لا يصلح لتمثيل دور رجل الشرطة السرى لا سيما وأنه كان يبدو دون تخفٍ . ونصيحتى للمخرج ألا يختار الأسماء وحدها ، بل الشخصية التى تصلح للدور ، وما أقوله فى مختار أقوله فى حامد مرسى فلم يكن هو الآخر ناجحاً فى دوره النجاح المنتظر .

4 me Année, No. 174

Lundi - 2 - 11 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٧٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ شعبان سنة ١٣٥٥ — ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العــــدد



# حماسة الشعب*

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وحدثنى صاحب سر (م) باشا قال: لما رجع سعد باشا من أوربا فى سنة ١٩٢١ كانت الأمة فى استقباله كأنها طائر مد جناحيه لا خلاف لشىء منه على شىء منه، بل كله هو كله؛ وكانت المعارضة فى الاستحالة يومئذ كاستحالة وجود رقعة فى ريش الطائر

على أن ثوبَ السياسة المصرية كثير الرُّقع دائماً بالجديد والخلق. فرقعةٌ من المعارضين، وأخرى من المتعنتين، وثالثة من المتخاذلين، ورابعة من المادحين، وخامسة وسادسة وسابعة من الحاسدين والمنافسين والمختلفين لشهوة الخلاف، ورقاع بعد ذلك مما نعلم وما لا نعلم، فان من العجيب أن هذا الجو الذى لا يتقلب إلا بطيئاً يتقلب أهله بسرعة، وهذه الطبيعة التى لا تكاد تختلف لا يكاد أهلها يتفقون

ولكن سعداً رحمه الله رجع من أوربا رجعة الكرامة لأمة

* هذا فصل من أحاديث الباشا وكنا قد نسيناه

كاملة ، ففاز بأنه لم يخسر شيئاً من الحق ، وانتصر بأنه لم يهزم ، ودل على ثباته بأنه لم يتزعزع ، وذهب صولةً ورجع صولةً وعزيمة ؛ فكان إيمان الشعب هو الذى يتلقاه ، وكانت الثورة هى التى تحتفل به ، وبطلت العلل كلها فلم يجد الاعتراض ما يعترض عليه ، واتفقت الأسباب فاجتمعت الكلمة ، وظهر سعد كأنه روح الأمة متمثلاً فى قدرة ، حاكما بقوة ، متسلطاً بيقين ....

نعم لم ينتصر البطل ولكن الأمة احتفت به لأنه يمثل فيها كمالاً من نوع آخر هو سرُّ الانتصار ، فكانت حماسة الشعب فى ذلك اليوم حماسة المبدأ المتمكن يُظهر شجاعة الحياة وفورة العزائم وفضيلة الاخلاص وشدة الصولة وعناد التصميم ، ويثبت بقوة ظاهره قوة باطنة ، وكان فرح الأمة عناداً سياسياً يفرح بأنه لا يزال قوياً لم يضعف ، وكان ابتهاجُها مجداً يشعر بأنه لا يزال وافراً لم يُنتقص ، وكان الاجماع رداً على اليأس ، وكانت الحماسةُ رداً على الضعف

انبعثت صولةُ الحياة فى الشعب كله وابتدأ المستقبل من يومئذ ، فلو نزلت الملائكة من السماء فى سحابة مجلجلة يُسمع تسبيحهم ليؤيدوا سعداً — لما زادوه شيئاً ؛ فقد كان محله من القلوب كأنه العقيدة ، وكان التصديق مبذولاً له كأنه الكلمة الأخيرة ، وكانت الطاعةُ موقوفة عليه كأنه الباعث الطبيعى ، وكان البطل فى كل ذلك يشبه نبياً من قِبلِ أن كلا منهما صورة كاملة للسمو فى أفكار أمة

* * *

قال صاحب السر : ورجع الباشا من القاهرة وقد رأى ما رأى من مسامحة النفوس وصحة العهد واجتماع الكلمة وإعداد الشعب للمراس والمعاناة فقال :

تالله لقد أثبت (سعد) للدنيا كلها أن مصر الجبارة متى شاءت بنت الرجالَ على طريقة الهرم الأكبر فى العظمة والشهرة والمنزلة والقوة . ولقد صنع هذا الرجل العظيم ما تصنع حربٌ كبيرة فجمع الأمة كلها على معنى واحد لا يتناقض ، ودفعها بروح قومية واحدة لا تختلف ، وجعل عرق السياسة يفور كما يفور العرق المجروح بالدم

إن هذه الأمة بين شيئين لا ثالث لهما : إما الحزم الى الآخر وإما الاضاعة . ولا حزم إلا أن يبقى الشعبُ كما ظهر اليوم طوفاناً حياً مستوىَ الطبيعة مندفعَ الحركة غامراً كلَّ ما يعترضه الى أن يُقضىَ الأمر ويقولَ أعداؤنا يا سماء أقلعى

هكذا يعمل الوطن مع أهله كأنه شخصٌ حىّ بينهم حين يستوى الجميع فى الثقة ، ويتآزر الجميع فى الأمل ، ويشترك الجميع فى العطف الروحى ، ولا يبقى لجماعة منهم حظ فى رغبة غير الرغبة الواحدة للجميع ؛ وهكذا يعمل الوطن بأهله حين يعمل مع أهله

كان أعداؤنا يحسبوننا ذباباً سياسياً لاشأن له إلا بفضَلات السياسة ولا عمل له فى أزهارها وأثمارها وعِطرها وحَلواها ؛ فأسمعهم الشعبُ اليوم طنين النحل وأراهم إبَرَ النحل ، ليعلموا أن الأزهار والأثمار والعطر والحلوى هى له بالطبيعة

وكانوا يتخرّصون أن مذهبنا فى الحياة لمصلحة المعاش فقط ، وأن المصرى حاكما أو محكوماً لا يعدُّ آماله الوطنية الى أبعد من مدة عمره سبعين أو ثمانين سنة ، فاذا أطلقوا أيديَنا فى حاضر الأمة أطلقنا أيديَهم فى مستقبلها . ومن ثم طمعوا أن يكون الحق الناقص فى نفسه حقاً تاماً فى أنفسنا لهذه العلة ؛ وحسبوا أن السياسى المصرى لا يتجرأ أن يقول ما يقوله السياسى الأوربى من أنه لا يخشى الموت ولكنه يخشى العار ، فانه إذا مات مات وحده ، وإذا جلب العار جلبه على نفسه وعلى أمته وعلى تاريخ أمته ؛ بَيْدَ أن سعدا قالها ؛ وفى مثل هذا قد يكون قول (لا) معركة

وها هى ذى معركة اليوم التاريخية ، فأن الذرات الحية التى تخلق من دمائنا نحن المصريين قد ثارت فى هذه الدماء فى هذا النهار تعلن أنها لا ترضى أن تولد مقيدة بقيود(١)

أندرى ماذا عرضوا على سعد ؟ إنهم عرضوا عليه ما يشبه فى السخرية طاحونة تامة الأدوات والآلات من آخر طراز ، ثم لا تقدم لها إلا حبةُ قمح واحدة لتطحنها .... نتيجة تسخر من أسبابها وأسباب تهزأ بالنتيجة

إن أوربا لا تحترم إلا من يحملها على احترامه ، فما أدرى

(١) لا ينس القارى أن هذا كان فى سنة ١٩٢١

للسياسيين فى هذا الشرق عملا أفضل ولا أقوى ولا أردّ بالفائدة من إحياء الحماسة فى كل شعب شرقى ، ثم حياطتها وحسن توجيهها ؛ فهذه الحماسة الشعبية الدائمة القوية البصيرة هى قوة الرفض لما يجب أن يرفض ، وقوة التأييد لما يجب أن يُقبل وهى تعد ذلك وسيلة جمع الأمر وإحكام الشأن وإقرار العزيمة فى الأخلاق وتربية الثقة بالنفس ، وبها يكون إذكاء الحس وتعويده إدراكَ الأعمال العظيمة والتحمس لها والبذل فيها

وما علة العلل فينا إلا ضعف الحماسة الشعبية فى الشرق وسوء تدبيرها وقبح سياستها ، وإنا لنأخذ عن الأوربيين من نظامهم وأساليبهم وسياستهم وعلومهم وفنونهم فنأخذ كل ذلك بروحنا الفاترة فى خمول وإهمال وتواكل وتفرُّد بالمصلحة واستبداد بالرأى ، فاذا دينارهم فى أيدينا درهم ، وإذا نحن وإياهم فى الشيء الواحد كالنحلة والذبابة على زهرة

ليست لنا حماسةُ الحياة وبهذا تختلف أعمالُنا وأعمالهم ، وذلك هو السر أيضاً فى أن أكثر حماستنا كلامية محضة إذ يكون الصراخ والصياح والتشدُّق ونحوها من هذه المظاهر الفارغة — تنفيحاً للطبيعة الساكنة فينا وتنويماً منها بغير أن نجهدَ فى التنقيح والتنويع . ومن هذا كانت لنا أنواع من الكلام ينطلق اللسان فيها للخروج من الصمت لا غير .... ومنه كثير من هذا الهراء السياسى الذى يدور فى المجالس والأحزاب والصحف

إن حماسة الشعب لا تكون على أعدائه فقط بل على معايبه أيضاً وعلى ضعفه بخاصة . والشعب الفاتر فى حماسته لو نال حقين مغصوبين لعاد نخسر أحدهما أو كليهما ؛ أما الشعبُ المتحمسُ القويُّ فى حماسته ، فلو غُصِبَ حقين ونال أحدهما لعاد فابتزَّ الآخر

طنطا مصطفى صادق الرافعى

---

إلى المؤلف الصغير : وصلت رسالتك يا بنى وأرى لك أن تنتظر عشرين سنة ثم تؤلفها مرة أخرى ....

الرافعى

# نظرية النبوة عند الفارابى

## للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

— ٢ —

أثيرت مشكلة الوحى فى العالم العربى منذ بدأ النبى صلى الله عليه وسلم دعوته . فكفار قريش ما كانوا يريدون أن يقبلوا أن محمد بن عبد الله يَنزل عليه وحى سماوى ، وكثيرا ما رددوا جملتهم التهكمية المشهورة : هذا ابن أبى كبشة يُكلَّم من السماء . واستبعدوا عليه كل البعد أن يتصل بالعالم الآلهى وهو بشر مثلهم يأكل ويشرب ويتردد الى الحوانيت والأسواق : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق ؛ لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى اليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها » بيد أن معجزاته بهرتهم وفصاحته أفحمتهم وهم أهل القول واللسن ، وزعماء البلاغة والبيان . فأخذوا يتهمونه تارة بالسحر والشعوذة ، وأخرى بالكهانة والتنجيم ؛ وعزوا اليه قوى خفية لا حصر لها . ولم يكن له من جواب على هذه الدعاوى الباطلة والاتهامات القاسية إلا أن يقول : « ما أنا إلا بشر مثلكم يوحى إلى » . فهو لا يجيء بشيء من عنده ، ولا يفترى عليهم الكذب ، وإنما يبلغ رسالة الله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين » .

ونظرية الاسلام فى الوحى وطرائقه سهلة واضحة . فهناك ملك خاص هو جبريل عليه السلام ، قادر على التشكل بأشكال مختلفة شأن الملائكة الآخرين ؛ وكل وظيفته تتلخص فى أنه واسطة بين الله وانبيائه . وعنه تلقى محمد صلى الله عليه وسلم كل الأوامر الدينية ، اللهم إلا فى ليلة المعراج فقد اتصل بربه مباشرة واستمع ما فُرِض عليه وعلى أمته . ويجب أن نشير كذلك الى أن الأحلام وسيلة من وسائل الكشف والالهام ، فان النفوس الطاهرة تصعد أثناء النوم الى عالم الملكوت ، حيث تقف على الأمور الخفية والحقائق الغامضة . وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبدأ دعوته أحلاما آذنت بمهمته ، وكانت ارهاصا لنبوته

وبشيرا برسالته : والرؤيا الصادقة جزء من أربعـين جزءاً من أجزاء النبوة . وفى القرآن الكريم سورة كاملة تشرح الأحلام وأثرها فى التنبؤ بالغيب ، ونعنى بها سورة يوسف

لم يتردد رجال الاسـلام فى الصدر الأول مطلقا فى التسليم بهذه الوسائل الخاصة بالوحى والالهام . ولم يحاول واحد منهم أن يسأل عن النبوة فى سرها وأساسها ، ولا عن المعجزات فى عللها وأسبابها . وآمنوا إيماناً صادقاً بكل ما جاء من عنـد الله دون بحث أو تعليل . وقد عنوا منـذ الفجر الأول للاسلام بالرؤيا وتعبيرها ووضعوا فى ذلك أبحاثا مستقلة لم تلبث أن كونت علما خاصا . وإنا لنجد بين التابعين تلك الشخصية الجليلة المعروفة بين رواة الحديث ، وهى شخصية ابن سيرين التى كانت تعد حجة فى تأويل الأحلام وتفسيرها . وعلّ هذا فى الغالب هو السر فى أن المتأخرين نسبوا اليها فى هذا الباب كتباً ليست من صنعها (١)

بيد أن هذا التسـليم الهادىء لم يطل أمده ، وهذا الاذعان الفطرى لم يبق فى مأمن من الشكوك والأوهام . فقد اختلط المسلمون بعناصر أجنبية مختلفة نفثت فيهم كثيرا من سمومها ، ولم ترع أصلا من أصول دينهم إلا وضعته موضع النقد والتشكيك والتضليل . ولا غرو فقد كانت هذه العناصر موتورة من الدين الذى ألغى أديانها ومن الحضارة الجديدة التى سلبتها مجدها وعزها . لهذا تألبت فى كل جموعها ، وأخذت تحارب الاسـلام بشتى الوسائل لتثأر لنفسها ودينها وتسترد نفوذها وسلطانها ، ولـكنها عبثا حاولت وباءت بالخيبة والفشل : « انا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون » . فالمزدكية والمانوية من الفرس ، وأنصارهم من زنادقة العرب ، بدأوا فى القرن الثانى للهجرة ينشرون دعوة التثنية ويهدمون فكرة التوحيـد التى قام عليها الأسلام . وكلنا يعلم خبر بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس الثنويين اللذين كانت لهما مجالس خاصة تذاع فيها الآراء المزدكية والمانوية (٢) السُّمنيّة وغيرهم من براهمة الهند أخـذوا فى ذلك العهد نفسه ينادون بتناسخ الأرواح ، وينكرون النبوة والأنبياء ، ولا يرون حاجة البشر اليهم . وصاحب الأغانى يقص علينا حـديث جرير بن حازم الأزدى السمنى وما كان بينه وبين عمر بن عبيد فى البصرة من حوار ونقاش (١) . وملأ اليهود كتب الحـديث والتفسير باسرائيلياتهم ، وقالوا بالرجعة والتشبيه وخلق القرآن كما قالوا بخلق التوراة من قبل (٢) . وأرسل آباء الـكنيسة على المسلمين شواظا من أسئلتهم واعتراضاتهم المتعلقة بمشكلة الجبر والاختيار فزادوها تعقيدا ، وشـغلوا الناس بها فوق عرفهم ومألوفهم ، وذهبوا الى إنكار أبدية عذاب النار فقال الجهم بن صفوان معهم إن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلهما (٣) واجترأ الدهرية على أن ينكروا البارىء جل شأنه والعقاب والمسؤولية ، وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلـكنا إلا الدهر

وقد سل المعتزلة وغيرهم من مفكرى الاسلام لهؤلاء وهؤلاء سيف الحجة والبرهان وجادلوهم جـدالا قد لا نجد له نظيرا فى تاريخ الأديان الأخرى . فأبلى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد بلاء حسناً فى معارضة بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس . وناظر أبو الهذيل العلاف الثنوية فى البصرة وهدى بعضهم الى الاسلام . وكان للنظام ، وهو أحذق الجدليين فى الشرق ، قدم صادقة فى مناقشة الزنادقة والدهرية والديصانية . ثم جاء من بعده تلميذه الجاحظ فسار على سنته ، وبذل فى هذا النضال همة طائلة ومهارة فائقة ، واستعان عليـه باطلاعه الواسع واسلوبه العـذب وقلمه السيال (٤) . وفى كتاب الانتصار لأبى الحسـين الخياط المعتزلى الذى طبع فى مصر أخـيرا تفاصيل كثيرة عن هذه الـملاحم الـكلامية والمعارك الجدلية . وكثر الحوار بين المسلمين والنصارى من جانب وبين المسـلمين واليهود من جانب آخر . وأخـذت طائفة من الاسماعيلية على عاتقها رد شبه مفكرى النبوة والأنبياء ومعجزاتهم . وفى اختصار كان القرنان الثالث والرابع للهجرة — أو التاسع والعاشر للميلاد — ميدانا فسيحا لجـدال عنيف شمل معظم أصول الاسلام ومبادئه

وليس هناك شك فى أن التسليم بالوحى والمعجزة ألزم هـذه الأصول وأوجبها ؛ فان منكرى النبوة ينقضون الدين من أساسه ويهدمون الحضارة الاسـلامية كلها . وعلى الرغم مما فى هذه

(١) Encyc. de l'Islam, II, 449

(٢) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ١٥٧

(١) الأغانى ، ج ٣ ص ٢٤

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٦٧ — الشهرستانى ، الملل ، ج ١ ص ٨٥ — ٨٦

(٣) ابن حزم ، الفصل ، ج ٤ ، ص ٨٣

(٤) نيبرج ، الانتصار ، مقدمة ، ص ٥٤ — ٥٨

الدعوى من جرأة وفى هذا الموقف من تهجم ، فانا نجد بين المسلمين من وقفوه . ودون أن نعرض لكل من خاضوا غمار هذا الموضوع فى القرنين الثالث والرابع للهجرة نشير الى رجلين : هما أحمد بن اسحق الراوندى ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب .

فأما الأول فشخصية غريبة للغاية ، ولا يعرف بالدقة تاريخ مولده ولا وفاته ، ويغلب على الظن أنه مات فى أخريات القرن الثالث . وهو من أصل يهودى نشأ فى راوند قرب اصبهان ، ثم سكن بغداد واتصل بالمعتزلة ، وكان من حذاقهم ، وعده المرتضى بين طبقتهم الثامنة [1] . إلا أنه لم يلبث أن خرج عليهم لأسباب لم يجلّها التاريخ بعد ، وحمل عليهم ، بل وعلى الاسلام وتعاليمه المختلفة ، حملة عنيفة . ولازم الملحدين واتصل بهم اتصالاً وثيقاً . ويظهر أنه أضحى دسيسة ضد المسلمين يدبر لهم المكائد ويُستأجر للطعن عليهم وينشر فيهم عناصر الزيغ والألحاد . ولم يخف أمره على بعض اليهود المخلصين الذين حذروا المسلمين منه وقالوا لهم : ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا [2] . وقد كتب كتباً كثيرة كلها انتقاص للاسلام ورجاله ؛ منها كتاب فضيحة المعتزلة فى الرد على كتاب فضيلة المعتزلة ، الذى وضعه الجاحظ من قبل ، وكتاب الدامغ يعارض به القرآن ، وكتاب الفرند فى الطعن على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الزمردة فى انكار الرسل وابطال رسالتهم [3] . والكتاب الأخير يعنينا بوجه خاص فانه يعطينا فكرة عن مسألة النبوة ، وكيف كانت تثار فى ذلك العهد . وقد بقى هذا الكتاب مجهولا الى زمن قريب ؛ ويرجع الفضل فى التعريف عنه الى صديقنا المسيو كراوس الذى اهتدى اليه فى مخطوطة من المخطوطات الاسماعيلية الموجودة فى الهند ، وهذه المخطوطة ليست إلا جزءاً من المجالس المؤيدية المنسوبة الى المؤيد فى الدين هبة الله بن أبى عمران الشيرازى داعى الدعاة الاسماعيلى أيام الخليفة الفاطمى المنتصر بالله [4] وتشتمل المجالس المؤيدية فى جملتها على ٨٠٠ محاضرة ألقيت فى « دار العلم » بالقاهرة فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ودرست فيها المشاكل الاسلامية على اختلافها [1] .

وفى المجلس السابع عشر من المائة الخامسة الى المجلس الثانى والعشرين يعرض المحاضر لأقوال الراوندى فى الطعن على النبوة ويعقب عليها بالنقض والرد . وهذه المجالس الستة هى التى نشرها المسيو كراوس وترجمها الى الألمانية وعلق عليها تعليقاً ضافياً يدل على اطلاعه الواسع وبحثه العميق فى مجلة الرفستا الايطالية سنة ١٩٣٤ [2] . فهى لا تحوى كتاب الزمردة فى مجموعه ، بل فقرات منه تولى الاسماعيلية مناقشتها وإظهار ما فيها من خطأ ومغالطة . وقد صيغت هذه المناقشة فى قالب مشوق جذاب ، وإن تكن مسجعة سجعاً ثقيلاً أحيانا . وفيها دفاع وردود عقلية هى أثر من آثار الثقافة الاسماعيلية المترامية الأطراف . ولا يتسع المقام لعرض هذه المناقشة فى تفصيلها ؛ وسنكتفى بأن نستخلص دعاوى ابن الراوندى واعتراضاته

قد يكون أول شىء يلحظه المطلع على هذا الحوار هو ما فى ابن الراوندى من حذق ومهارة ومكر ودهاء . يقف موقفاً بعيداً عن التحيز — ولو فى الظاهر على الأقل — كى يجتذب اليه كل القراء ، فهو لا يتعرض للنبوة بالنفى والانكار فقط ، بل يناقش موضوعها مناقشة جرة طليقة يأتى فيها على أقوال المثبتين والمنكرين . وكم نأسف لأن صاحب المجالس المؤيدية أهمل جانب الاثبات فى هذه القضية [3] . ولو وافانا به لاستطعنا أن نحكم فى وضوح ما إذا كان واضع كتاب الزمردة يكيل بكيلين . على أن هناك ظاهرة أخرى تؤيد أن ابن الراوندى يمعن فى الدهاء والمكر ؛ فهو يعلن فى أول بحثه أنه لا يعمل شيئا سوى أنه يردد أقوالا جرت على ألسنة البراهمة ، فى رد النبوات [4] . وسواء أكانت هذه الأقوال من آثار الفكر الهندى أم من اختراع ابن الراوندى فهى تتلخص فيما يلى : إنكار للنبوات عامة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، نقد لبعض تعاليم الاسلام وعباداته ، ثم رفض فى شىء من التهكم للمعجزات فى جملتها . فأما الرسل فلا حاجة إليهم لأن الله قد منح خلقه عقولاً يميزون بها

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٣٨ — ٣٩ — المرتضى : المنية والأمل ، ص ٥٣

(٢) معاهد التنصيص ، جـ ١ ، ص ٧٦ — ٧٧

(٣) نيبرج ، الانتصار ، ص ٣٢ — ٣٧

(٤) P. Kraus, Beiträge zur isla michen Ketzerges chichte, in Rivista (1934), p. 94

---

(١) Hamdaui, The Hist. of the Js mâ'ilì Da'wat, p p, 126—139.

(٢) Kraus, Rivisto, 96—109,110—120

(٣) Ibid. p. 96

(٤) Ibid.

الخير من الشر ويفصلون الحق عن الباطل ، وفى هدى العقل ما يغنى عن كل رسالة . يقول ابن الراوندى : « إن البراهمة يقولون إنه قد ثبت عندنا وعند خصومنا أن العقل أعظم نعم الله سبحانه على خلقه ، وأنه هو الذى يُعرف به الرب ونعمه ، ومن أجله صح الأمر والنهى والترغيب والترهيب . فان كان الرسول يأتى مؤكداً لما فيه من التحسين والتقبيح والايجاب والحظر ، فساقط عنا النظر فى حجته واجابة دعوته ؛ إذ قد غنينا بما فى العقل عنه ، والارسال على هذا الوجه خطأ . وإن كان بخلاف ما فى العقل من التحسين والتقبيح والاطلاق والحظر فحينئذ يسقط عنا الاقرار بنبوته [1] » . وسيراً فى هذا الطريق العقلى المزعوم يرى ابن الراوندى أن بعض تعاليم الدين منافٍ لمبادئ العقل ، كالصلاة والغسل والطواف ورمى الحجارة والسعى بين الصفا والمروة اللذين هما حجران لا ينفعان ولا يضران . على أنهما لا يختلفان عن أبى قبيس وحراء فى شىء ، فلم امتازا على غيرهما ؟ وزيادة على هذا أليس الطواف بالكعبة كالطواف بغيرها من البيوت [2] ؟ والمعجزات أخيراً غير مقبولة فى جملتها ولا فى تفاصيلها ؛ ومن الجائز أن يكون رواتها ، وهم شرذمة قليلة ، قد تواطأوا على الكذب فيها . فمن ذا الذى يسلم أن الحصى يسبح أو أن الذئب يتكلم [3] ؛ ومن هم هؤلاء الملائكة الذين أنزلهم الله يوم بدر لنصرة نبيه ؟ يظهر أنهم كانوا مفلولى الشوكة قليلى البطش ، فانهم على كثرتهم واجتماع أيديهم وأيدى المسلمين معهم لم يقتلوا أكثر من سبعين رجلاً . وأين كانت الملائكة يوم أحد حين توارى النبى صلى الله عليه وسلم بين القتلى ولم ينصره أحد [4] ؟ وبلاغة القرآن على تسليمها ليست بالأمر الخارق للعادة ، فانه لا يمتنع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها ، ويكون فى هذه القبيلة طائفة أفصح من البقية ، ويكون فى هذه الطائفة واحد هو أفصحها . وهب أن محمداً صلى الله عليه وسلم غالب العرب فى فصاحتهم وغلبهم ، فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون هذا اللسان وما حجته عليهم [5] ؟

لسنا فى حاجة مطلقاً لأن نرد على هذه الشبه الواهية والدعاوى الباطلة ، وسيدرك القارىء بنفسه ما فيها من تضليل ومغالطة . ولا نظننا فى حاجة كذلك إلى سرد الدفاع المجيد الذى دبجه يراع الاسماعيلية ضدها ، وفى مقدور كل باحث أن يرد عليها بآرائه الخاصة وأفكاره المستقلة ؛ وكل ما نريد أن نلاحظه هو أن ابن الراوندى يردد نغمة ألفناها لدى المعتزلة من قبل . فهو ينادى بالحسن والقبح الملقيين ، ويذكرنا بذلك السؤال الذى وضعته مدرسة المعتزلة لأول مرة وهو : هل الايمان واجب بالشرع أو بالعقل ؟ بيد أن المعتزلة المخلصين لم يستخدموا العقل هذا الاستخدام السىء ، وبذلوا جهدهم فى أن يوفقوا بينه وبين الدين ، وأن يردوا على شبه الزنادقة والملحدين بكل ما أوتوا من حجة بينة وبرهان قاطع . ومسألة العقل والنقل هى عقدة العقد ومشكلة المشاكل فى ذلك العهد ! وسنعرف فيما يلى كيف استطاع الباحثون الآخرون حلها

(يتبع) ابرهيم مدكور



(١) Idid. 90 (٢) Ibid. 99. (٣) Ibid. 101
(٤) Ibid. 105 — 106 (٥) Ibid., 102

صور سياحية

# ٥ – فرنسا وباريس

## الحريات المتطرفة

### وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية

بقلم سائح متجول

ليس بين أمم العالم أكثر ترديداً لكلمات الحرية والأخاء والمساواة من فرنسا

ولا غرو فقد كانت الثورة الفرنسية مهد الحريات الديمقراطية فى أوربا ، ومنها انبثق فجر الديمقراطية الأوربية الحديثة ، وفيها تقررت حقوق الانسان ، وكانت صيحة الحرية والأخاء والمساواة أقدس شعائرها

وقد خاضت الأمة الفرنسية كثيراً من الحوادث والخطوب وبذلت كثيراً من دمائها للاحتفاظ بذلك التراث المقدس : تراث الثورة الفرنسية ، وتراث الحريات الديمقراطية ؛ وما زالت فرنسا على رغم الحوادث والخطوب حصن الديمقراطية فى أوربا ، وما زال شعارها المقدس : « الأخاء والحرية والمساواة » ترقمه على نقدها ، وعلى جميع دورها العامة ، وتقرؤه فى كل مكان وكل مناسبة

ولا ريب أن الحريات العامة والحريات الشخصية أكثر توفرا فى فرنسا منها فى أى بلد أوربى آخر ؛ حرية القول والكتابة ، وحرية التصرف ، فى حدود القوانين طبعاً ؛ وفى فرنسا يعقد أى اجتماع ، ويلقى أى خطاب ، وينشر أى كتاب أو مقال سياسى أو اجتماعى ، دون أن تتدخل السلطات أو تعترض إلا ما كان واقعاً تحت طائلة القانون ، أو ما كان ينذر فعلاً بتكدير الأمن العام

هذا فى فرنسا فقط ؛ ولكن فرنسا تفهم الحريات خارج فرنسا فهماً آخر ؛ والسياسة الفرنسية لا تطيق أن تسمع لفظ الحرية فى شمال أفريقية مثلاً أو فى غيرها من الأملاك والمستعمرات ، ولها وسائلها الخاصة فى اخماد كل نزعة أو حركة حرة ، وفى سحق كل رأى حر

ولكن ذلك لا يمنع أن تكون فرنسا ذاتها بلد الحريات المتطرفة ، بل إن أولئك الذين يسلبون حرية الرأى والتصرف فى بلادهم يجدون فى فرنسا ملاذاً لهذه الحريات

والحرية أسمى ما يتمتع به الانسان ، وأثمن ما تزدان به الكرامة الانسانية ، ولكن التطرف فى فهمها وتطبيقها يخرجها أحياناً عن دائرة المعانى الرفيعة التى قصدت اليها ، وعندئذ تغدو ابتذالاً وخروجاً على النظم والقوانين ، وأحياناً على الحشمة والحياء

وقد وصلت الحريات السياسية فى فرنسا إلى حدود التطرف والاغراق ، ووصلت الحريات الاجتماعية إلى حدود الاباحة والابتذال

وإنه ليكفى أن نتتبع مايقع فى فرنسا كل يوم من مظاهرات واعتصابات عنيفة ، وما يحيط المعارك والمناقشات الحزبية فيها من مناظر الاضطراب والفوضى ، وما تتكشف عنه حياتها ونظمها العامة من ألوان الفساد والضعف فى تكرار الفضائح المالية والسياسية المثيرة ، لنحكم بأن هذه الصورة من النظم الديمقراطية التى تقدمها الينا فرنسا ليست من أفضل صور الديمقراطية وأحبها

وفى وسع السائح المتجول أن يلمح كثيراً من ألوان الفوضى السياسية فى فرنسا ، فى أقوال الصحف وفى مناقشات الأفراد ، وفيما يعرض للبيع من النشرات السياسية والشيوعية التى تسمم الآراء وتذكى الشهوات والأحقاد . ولقد حدث ونحن فى باريس فى الأيام الأولى لاضطرام الثورة الاسبانية أن هب فريق كبير من الصحافة البارزية يتهم الحكومة الفرنسية بأنها ترسل الذخائر والطيارات سراً إلى حكومة مدريد ، وأنها بذلك تزيد نار الثورة ضراما وتعرض السلام للخطر ، فاضطرت الحكومة أن تصدر بلاغا رسمياً تنكر فيه هذه الوقائع ، واضطرت بعد ذلك أن تثير مسألة عدم التدخل فى الحوادث الاسبانية ، هذا بينما انتهزت الدول الفاشستية ( ايطاليا وألمانيا ) كل فرصة لامداد الثوار بكل صنوف المعاونة فى الوقت الذى لبثت تتظاهر فيه

بقبول فكرة عدم التدخل ؛ وهكذا افسدت الصحافة برعونتها على الحكومة موقفها وسياستها

وفى فرنسا اليوم حزب شيوعى قوى يحتل أربعة وسبعين كرسياً من كراسى البرلمان ، ويبث دعايته فى عدة صحف ونشرات قوية فى مقدمتها جريدة « الأومانتيه » التى أسسها جان جوريس ، ويكتب فيها اليوم أشهر الكتاب والنواب الشيوعيين مثل مارسل كاشان ، وبول لوى ، وفايان كوتربيه ، وموريس توريز وغيرهم

وكثيراً ما سمعنا ، عند ما نشبت الثورة فى اسبانيا ، أن فرنسا قد تضطرم عما قريب بمثل تلك الثورة ، إذا لم تعمل الحكومة لتحسين الأجور وتأمين العمال على حقوقهم ورفاهتهم ، كنا نسمع ذلك فى مقاهى باريس ومطاعمها وشوارعها

* * *

وكما أن الحريات السياسية تتخذ ألواناً من التطرف والافراط فكذلك الحريات الاجتماعية فى فرنسا

ولا ريب أن معظم المجتمعات الأوربية تتمتع بحريات اجتماعية واسعة ، ترجع الى نظام المجتمع ذاته ، والى ما تتمتع به المرأة من حريات مطلقة ، كما ترجع الى روح القوانين ، والى فهم المبادىء الاخلاقية ومعيار الحياء بطرق وأساليب خاصة

ولكن لا ريب أيضاً أن فهم الحريات الاجتماعية يتخذ فى فرنسا ألواناً من التطرف قد لا يسيغها كثير من المجتمعات الأوربية ، كما يتخذ التساهل فى فهم معيار الحياء ألواناً تستهجنها المجتمعات الأخرى

مثال ذلك مناظر العرى التى حدثناك عنها فى مقال سابق ؛ ففى باريس تنتشر مسارح العرى ؛ وتعرض المناظر والرقصات العارية فى أفخم مسارح باريس مثل الفولى برجير والكازينو دى بارى ، ويعلن عنها فى أكبر الصحف مثل الطان والفيجارو والجورنال والماتان وغيرها ، وتعرض أسراب الراقصات العاريات بلاحرج ، ويعتقد القضاء أن هذا الضرب من التمثيل العارى عمل فنى لا اعتراض عليه ، ويتحدث النقدة الفنيون فى الصحف المحترمة عن نجاح مس جوان وارنر « ملكة العراء المطلق » وعن رقصاتها العارية

وفى باريس تصدر مجلات جنسية كثيرة ، ويكتب بعضها بأساليب مثيرة ، وينشر صوراً عارية ، واعلانات غرامية هى اتجار مكشوف بالحب ، ولنمثل لذلك بمجلة « فرو فرو » التى ربما كانت أكثر تحفظا من غيرها ، كذلك تعرض الكتب الجنسية بكثرة فى المكاتب ومع الباعة وتلقى رواجاً مدهشاً

وفى باريس ترى مناظر الحب فى النهار وفى الليل ، فى الشارع وفى الحديقة ، وفى المقهى ، وفى المترو ؛ ومن المناظر العادية أن ترى فتى وفتاة يتبادلان القبلات الحارة وقد أمسك الفتى بخصر الفتاة ، أو يتبادلان العناق المضطرم ؛ ترى ذلك فى أى وقت وأى مكان ، وتراه بنوع خاص فى أقبية المترو ، وفى المترو ذاته ، ولا يمنع ذلك أن يكون وسط الجمهور الحاشد ، والأعين ترمقهما من كل صوب ؛ بل ترى فى أقبية المترو ، فى المنعطفات المستترة أو حين ينسدل الظلام كثيراً من المناظر الغرامية المريبة

وتكثر مثل هذه المناظر المثيرة أو المريبة مساء فى منعطفات مونمارتر وبيجال وكليشى وفى المراقص والحانات الليلية

ولا تختص باريس وحدها بهذه المناظر الاباحية ، فقد رأيت فى الجنوب أثناء انتظارى بمحطة ناربون جماعة رياضية من طلبة الجامعات شباناً وفتيات وقد ارتدى الجميع الثياب الرياضية واشترك الفتيات فى ارتداء السراويل القصيرة التى تترك الساقين عاريين ؛ وفى أثناء انتظار القطار جاءت الفتيات فجلست كل واحدة منهن فى حجر فتى ، وساقاها العاريتان على ساقيه العاريتين وأخذ الجميع ينشدون النشيد الجمهورى ، وقد طوق كل فتى فتاته بلا حرج

ولكن من الانصاف أن نقول إن الطبقات الدنيا هى التى تذهب فى فهم الحب والحريات الاجتماعية الى هذا الابتذال المثير على أننا نعرف كما يعرف الذين زاروا العواصم الأوربية الأخرى أن رقص العراء المطلق لا يسمح به إلا فى باريس ، وأنه يندر أن ترى فى غيرها من العواصم مثل هذا الابتذال العلنى فى مناظر الحب والغرام ، أو مثل هذه المجلات والكتب الجنسية التى تغمر باريس

وإذا كانت الحريات الاجتماعية فى برلين وفينا مثلاً لا تقل إطلاقاً وتسامحاً عنها فى باريس ، فان معيار الحياء يرتفع فيهما

كثيرا عنه فى باريس ؛ ومن النادر أن ترى فى الشارع أو الحديقة أو الترام أمثال هذه المناظر الغرامية المكشوفة التى تراها فى باريس

وإذا كانت باريس قد اشتهرت دائما باللهو الخليع ، فتلك شهرة فى محلها ، وباريس تموج بالملاهى الخليعة من كل ضرب ، وتغمرها بالليل ريح شاملة من المرح الخليع ، ومن الغريب أن هذه الملاهى يعلن عنها بمنتهى البراعة ، وتصور فى اعلاناتها وبراجها كأنها أروع ما انتهى اليه الفن ؛ فاذا ازدلفت اليها منيت بخيبة الأمل ، ورأيت الابتذال بعينه ، وأدركت ما فى هذه الدعاية الخلابة من ختل وتضليل

* * *

ولقد تحدثوا كثيراً عن سحر البارزية وأناقتها ورشاقتها ؛ ونحن نستميح عشاق العاصمة الفرنسية عذراً ، إذا قلنا إننا لم نستطع أن نكتشف فى البارزية كثيراً من هذا السحر وهاته الأناقة ؛ فالمرأة البارزية تعتمد فى جمالها وسحرها على المظاهر والصناعة أكثر مما تعتمد على الحقيقة ؛ وهى تكثر من صباغة الشعر والأظافر وتفرط فى استعمال المساحيق ؛ والشقرة هى لون الشعر المحبوب فى باريس ، ولكنها شقرة صناعية فى الغالب ؛ والواقع أن البارزية لا تتمتع بذلك اللون الوردى الباهر الذى تتمتع به الانكليزية أو النمسوية مثلاً ، بل يغلب عليها اللون الثلجى أو اللون الباهت ، فتعمد فى تجميله إلى الصناعة ؛ ويبدو عناء التجمل فى وجهها دائماً ؛ وأما عن الأناقة فان البارزية لا تتمتع منها بقسط كبير ، فهى تميل إلى الأزياء المعقدة أو الغريبة ، وتكثر من الألوان بلا تناسق ؛ والخلاصة أن البارزية تعشق المظاهر ، وتفرط فى التجمل ، وتعتمد على الصناعة ؛ بيدأنها تتمتع مع ذلك بخفة روح لا شك فيها

وإن أولئك الذين عرفوا فينا وباريس معاً ، يعرفون كم تحوى فينا من الجمال النسوى الرائع ، وأى صباحة ورشاقة وأناقة طبيعية تتمتع بها الفتاة النمسوية ، وأى فرق شاسع بين هذا السحر الطبيعى وبين ذلك السحر الصناعى الذى تلجأ إليه البارزية فى تكلف وعناء

ويصح أن نشير هنا إلى مسألة الصحة العامة والنظافة الشعبية ، فقد لاحظنا أن الصحة العامة ليست فى أوجها ، وأن الشباب لا يتمتع بكثير من النضرة ومظاهر القوة والفتوة ؛ وتبدو مظاهر السقم والعناء على وجوه الطبقات العاملة من رجال ونساء ؛ وقد لاحظنا فوق ذلك أن هذه الطبقات وربما بعض الطبقات الوسطى أيضاً لا تعنى كثيراً بمسألة النظافة ؛ وإنه ليكفى أن تركب المترو ظهرا أو مساء حين يكتظ بالعمال والمستخدمين لتدرك هذه الحقيقة ، ولانشذ عن ذلك أسراب الفتيات الحسان ؛ وربما كان فى ظروف حياة هذه الطبقات ما يفسر هذه الظاهرة ، فالنظافة تحتاج الى كثير من النفقة ، والاستحمام فى باريس ترف يصعب على الفقراء الاكثار منه ؛ وفى الفنادق المتوسطة قد يكتفى بغرفة حمام واحدة فى طبقات الفندق كلها ؛ والغرفة ذات الحمام الخاص ترف رفيع لا يسمع به إلا فى الفنادق الارستقراطية ؛ وهذه حقائق لا يصعب على السائح اكتشافها

* * *

والى هنا نقف فى حديثنا عن باريس وعن الحياة البارزية والمجتمع البارزى ؛ ولقد قلنا فى بدء هذه الفصول إننا لا ندعى الوصول إلى أعماق المسائل والشؤون ، وإننا إنما ندون حقائق وملاحظات انتهينا اليها بالتجوال والمشاهدة ، وأحيانا بالتجارب والدرس ؛ وقد حفزنا الى كتابة هذه الفصول ما سبق أن نوهنا به فى البداية وهو أننا ما زلنا نقرأ بالعربية عن فرنسا وعن باريس كتبا وفصولا يطبعها الاغراق والمبالغة فى التغنى بمحاسن العاصمة الفرنسية وكل ما فى الحياة الفرنسية ؛ وها نحن أولاء قد حاولنا بهذه الفصول المتواضعة أن نقدم بعض الحقائق والصور حسبما رأينا وشعرنا بعيدا عن كل إغراق ومبالغة ؛ وربما كانت باريس بالأمس أعظم فتنة وأشد سحرا منها اليوم ، وربما فقدت العاصمة الفرنسية كثيرا من هذا السحر بفعل الظروف والتقلبات الاقتصادية والاجتماعية ، ولكنا نصرح مخلصين أننا لم نشعر أن لباريس هذا السحر الفياض الذى ينسب لها ، أو أن لها تلك الفتنة التى أملت على كثير من كتابنا تلك الفصول الوردية الرنانة . هذا ومما يبعث الى الغبطة أن كثيرا من الأصدقاء البارزين الذين عرفوا باريس وعرفوا حياتها ومجتمعاتها أكثر مما عرفنا ، يقرون كثيرا من هذه الصور التى قدمناها والملاحظات التى أبديناها

( يتبع ) ( *** )

في الأدب المقارن

# الخـــرافة
## في الأدبين العربي والانجليزي
للأستاذ فخري أبو السعود

تفشو الخرافة — وهي الاعتقاد بالمستحيل عقلاً — بين الجماعات الأولية ، حتى تشمل دياناتهم وعلومهم وفنونهم القليلة ، وعرفهم وتقاليدهم ، لأن تلك الجماعات في نشأتها كالطفل في صغره ، قليلة الادراك للأسباب والمسببات ، سريعة الانقياد للعواطف والأوهام والمخاوف ، فلا تلبث أن تنمو بينها شتى الأساطير ، تفسر بها قوى الطبيعة ومظاهرها ، وتمجد بها أسلافها ، وتدعم كيان مجتمعها . هكذا كان لقدماء المصريين خرافاتهم المتعلقة بواديهم ونهرهم ، وآلهتهم وفراعنتهم ؛ وكانت لليونان والرومان أساطيرهم التي تدور حول أعمال آلهتهم وحروبها ، وحبها وغضبها

وكانت للعرب خرافات شتى ، انتزعت من حياتهم البادية ، وما توحي إلى النفس من رهبة وبأس ، بفلواتها وحزونها ، وسباعها وأنوائها ، وحيكت حول الآلهة والجن والغيلان ، وحول أبطالهم وملوكهم وغابر دولهم ، وتناولتها الأجيال المتعاقبة بالزيادة والتهويل ، والتغيير والتبديل ، في حوادثها ومشاهدها

وكانت للانجليز في عهود همجيتهم أساطير متشعبة ، مشتقة من حياة أهل الشمال ، المضطربة بين ظلمات الأحراج ومتون البحار ، حافلة بأخبار هجراتهم وغزواتهم ، ممتلئة بأوصاف شياطين البر والبحر ، ممجدة لبلاء ملوكهم أمثال الملك أرثر ، وألفرد الأكبر ، في دفع هجمات المغيرين الذين تعاوروا الجزيرة على كر العصور ، من رومان وسكسون ونورمانديين ؛ وتمازجت أساطير كل هؤلاء ، واختلط مسيحيها بوثنيها ، وجنوبيها بشماليها

والخرافة على ما بها من مجاوزة للمنطق وتهويل وتحريف واستحالة — لا تقل عن حوادث التاريخ صدقاً في وصف أحوال المجتمع الذي هي وليدته ، والبيئة التي هي نتاجها ؛ فالخرافة العربية التي نمت في البادية ، مثلاً ، ملأى بذكر الغيلان والسعالي والعنقاء ، وبأسماء العدائين الذين يسبقون الظباء ، والحديدي النظر الذين يرون القادم والمغير من رأس أميال ، كزرقاء اليمامة . والخرافة الانجليزية التي ترعرعت في الغابة ودرجت على أثباج اليم حافلة بحكايات عرائس الغاب وآلهة البحار ، ومناظر الغسق والضباب

على أن الخرافتين تلتقيان ، والمخيلتين تتقابلان في نواح ، حتى لتخال إحداها صدى الأخرى أو محاكاة لها ، لولا بعد الأمتين في تاريخيهما بعداً يحول دون كل محاكاة أو اقتباس ؛ فأخبار تأبط شراً ، وسليك بن السلكة وأشباههما من شذاذ العرب وطريدي العرف والمجتمع ، مماثلة لحكايات روبن هود وأصحابه الذين كانوا يعيشون على اقتناص الظباء في غابات ملك انجلترا ؛ وقصة مقتل أحد أقيال اليمن على يد أخيه الطامع في عرشه ، التي وردت في كتب الأدب العربي وروى فيها شعر لشاعر يدعى ذا رُعَيْن ، منه قوله :

فأما حِمْيَرٌ غدرت وخانت فمعذرة الإله لذي رعين

واستشارة الخائن للعرافين قبل اقتراف جريمته ، والخدعة الحربية التي لجأ اليها جيش ابن الملك القتيل من استتار كل مقاتل بشجرة اقتلعها في طريقه وحملها أمامه ، حتى بدا الجيش كأنه غابة تسير ؛ كل ذلك مشابه للحوادث التي اتخذها شكسبير موضوعا لروايته ماكبث ، والتي تدور حول مصرع بعض ملوك اسكتلندا ، وهي بلاد تشبه بوعورتها واستقلالها وبأسها وتأثيرها في عقول أهل انجلترا ، حالة اليمن في جزيرة العرب ؛ وقد عبثت الخرافة بكلتا القصتين ونمقتهما بمظاهر السحر والتنبؤ بالغيب

حتى إذا ما ارتقت الجماعة البشرية ، وأخذت بأسباب العلم الصحيح ، وعرفت الفلسفة المنطقية ، واعتنقت ديناً راقياً ، فترت حماستها لخرافاتها القديمة ، وقل تصديقها لها ، وسخر منها العلماء والفلاسفة والأتقياء ، وهبطت إلى طبقة العامة ، فوجدت فيهم وحدهم أمناءها الأوفياء ، يتوارثونها كما توارثها آباؤهم من قبل ، وتروى من نفوسهم ما لا تروى العلوم الجافة ، فهم يؤثرونها على تلك العلوم ، ويمزجون رواياتها بحقائق العلم

تارة ، ويخلطون عقائدها بعقائد دينهم الجديد الراقى تارة أخرى

على أن أكثر الأمم ، كاليونان والرومان وأمم أوربا الحديثة ، حين بلغت طور نضجها العلمى والدينى ، لم تنبذ خرافات طفولتها ظهريا ، وإن بطل تصديقها برواياتها ، وذهب إيمانها بخوارقها ومعجزاتها ، ولكنها اتخذتها غذاء دسماً للعلم والفن ؛ فجعلها العلم موضع فحصه وبحثه وتنقيبه ، وأقامها مقام الشك حتى تثبت البينة على مافيها من بذور الصدق ؛ واستمد منها النحت والتصوير والشعر والنثر مادة لا تفنى للتفنن فى الوصف والتأمل والتجوال فى مشاهد الحياة ومرامى التاريخ ومنازع النفس الانسانية

ذاك أن أكثر تلك الخرافات — على ما بها من وهم ومغالاة — تحوى ما لا يُحصر من صفات الجمال ومظاهر الروعة ، ودلائل العظمة ، وأحاديث البطولة والمخاطرة التى يغرم بها الطبع الانسانى ، وصور الفضائل والرذائل ، التى يرتاح الانسان إلى رؤيتها مصورة معروضة ، كما أن تلك الخرافات ، بما تقص من وقائع بعيدة العهد وتعرض من مشاهد نازحة المزار ، تروى فى النفس حب البعيد والشغف بالماضى القديم والولوع بالمثل الأعلى ، وهى النزعة التى تعرف فى الانجليزية بالرومانس ؛ زد على ذلك أن استعارة مشاهد تلك الخرافات ووقائعها وأسمائها فى الوصف ، يكسب التشبيه قوة ووضوحاً . فما أجود قول امرئ القيس ، وليت الشعراء أكثروا الضرب على وتيرته :

أيقتلنى والمشرفىُّ مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال ؟

لذلك حفل الأدب الانجليزى بالخرافات الانجليزية ، وما تحوى من جسائم الأعمال وبدائع الصور ، كحروب الملك أرثر ومغامرات فرسان المائدة المستديرة ، تلك التى كانت وحياً لسبنسر وتنيسون فى أجود قصيدهما . ولم يكتف الأدباء بخرافاتهم الوطنية ، فاصطنعوا خرافات اليونان والرومان ، وتحدثوا طويلاً عن آلهتهم واقتبسوا كثيراً من الالياذة والأوديسة ؛ وزاد غيرهم فاستعاروا خرافات كل من عرفوا أو سمعوا عنهم من أمم الغرب والشرق : فاتخذ ملتون لقصيدته الكبيرة شمسون الجبار موضوعاً عبرانياً ، وتحدث تنيسون عن هارون الرشيد ، وطار كولردج على جناح الخيال إلى قصر قبلاى خان عاهل الصين . أما شكسبير فاستعار مواضيع رواياته من كل ما أصاب من تراث الأمم لا فرق بين تاريخيها وخرافيها ، ورصعها بما كان لا يزال يساور أهل جيله من اعتقاد فى عجائب السحر والمعجزات

ومن الأدباء من لم يكفه كل هذا المدد الزاخر من غرائب الأساطير وأفانين خيال الأقدمين ، فأطلق لخياله هو نفسه العنان ، وابتكر مواضيع لقصائده من صنعة الوهم ، وحلاها بروائع الصور وممتع الخطرات ، كما فعل كولردج فى خريدته الملاح القديم ، وبرونج فى فريدته تشايلد رولاند ، وتوماس هود فى أنشودته أينس الحسناء ، وكما صنع سويفت فى كتابه العالى الصيت « رحلات جليفر »

ألفى أدباء الانجليزية فى أرجاء تلك الخرافات ، مجالاً رحباً لفنهم وخيالاً ، وتحريراً لأفكارهم من عقال الحقائق المتحجرة ، وغذاء لعقولهم الجوالة فى مظاهر الكون وشؤون الخلق ، المستطلعة إلى المجهول ، ووسيلة لتصوير المناظر الطبيعية ، بين جبال ووهاد ، وغياض ومياه ، ورصعوا أشعارهم فى كل ذلك وكتاباتهم بأشتات الآراء ، فى المسائل التى كانت تشغل أذهان معاصريهم ، ولوّنوا خرافات الأجيال المتقادمة بألوان أجيالهم ومجتمعهم الذى عاشوا فى مضطربه

أما موقف العرب من خرافات أسلافهم — حين اعتنقوا دينهم الحنيف وتحضروا وتثقفوا — فكان غير هذا : فقد أعرضوا عنها ترفعاً وازدراء ، ولم يحفظوا منها إلا ما كان أشبه بالصدق ، وما دار حول يوم عظيم من أيامهم ، أو شاد بمجد بعض قبائلهم . وفى تلك الحال كانت الروايات تُختلق اختلاقاً ، ويُبذل الجهد لوسمها بميسم الصدق . ولما اطلع العرب على ثقافات الأمم الأخرى من يونان وفرس وهند ، لم يهتموا إلا بما صدّقوه من تواريخهم ، وما استملحوه من حِكمهم وأمثالهم ، ولم يَعنّ لأحد من الأدباء أن يستخدم الخرافة مادة لفنه ، أو يستعير ما فيها من جمال وروعة ليفيد بهما أدبه

وغاية ما يذكر فى هذا الباب ، أن بعض الأدباء — كابن دريد أطلق لخياله شيئاً قليلاً من الحرية ، ومضى يخترع الروايات والنوادر ، يفسر بها بعض الأمثال السائرة المنحدرة من عهود الجاهلية ، كقولهم « عند جهينة الخبر اليقين » ، و « الصيف ضيعت اللبن » ، و « جزاء سنمار » ؛ وقد أخرج من صنعوا ذلك أحاديثهم مخرج الحق ، وأسندوا بعضها ، كى يضمنوا لها الرواج بين المتأدبين ، كما أن أصحاب المقامات الذين أسلسوا لخيالهم

العنان قليلاً حرصوا على ألا يبعدوا كثيراً عن حيز الامكان ، لئلا يُعرض عنهم أولو الألباب

ذلك بأن العرب كانوا شديدى الحرص على العلم الصحيح حيث ثقفوه ، موكلين بالصدق التاريخى ، زاهدين جدا فى الأساطير وجمحات الخيال ، وهو خلق أورثهم إياه دينهم منذ اعتنقوه ، فانه وإن أثبت وجود الجان وائتمارهم بأمر سليمان ، واستماع نفر منهم إلى القرآن ، قد أوسع أساطير الأولين سخراً واستخفافاً ؛ وكثيراً ماجمع بينها وبين الشرك ، وهو قد جَبَّ ما قبله مما هو شبيه بالكفر والزيغ ، ودعا المؤمنين إلى التفكير فى خلق السموات والأرض ، وطلب العلم الصحيح ، فلا غرو أن زهد المسلمون فى تخريف الجاهليين وأوهامهم ؛ وقد زادهم نفرة من الأساطير ومختلق الأقاصيص ما تنبهوا اليه من جرأة بعض الدخلاء والمغرضين على الأحاديث النبوية ، يخترعونها ويفسرونها بما تمليه أهواؤهم

زد على ذلك أن الاسلام قد حرم الخمر ، وهو تحريم راعته أغلبية الأمة ، وإن تجاوزه بعض الشعراء ، بل الخلفاء والكبراء . وهذا الامساك عن المسكر قد كسب الأمة عامة صفات التؤدة والصحو والتوقر والاحجام عن مجاراة الخيال ، والتحليق فى فضاء الأوهام ؛ وطبيعة بلادهم ذاتها تبث هذا الصحو فى طبائعهم ، فانها فى الغالب مصحية سريعة التحول من وضح النهار إلى حلك الظلام ، لا تطول بها كما تطول فى البلاد الشمالية فترات ذلك التحول ، من غلس وغسق ، ولا يكثر بها انتشار الضباب الذى يحجب الأشياء إلا أشباحها ويوقع فى النفس التوجس والوهم ، والخرافة الانجليزية حافلة بتلك المشاهد بين غلس وغسق وضباب

كل ذلك جعل مثقفى المسلمين سريعين إلى إنكار الخوارق ونبذ الاغراب والسخرية من المغربين ، فدعبل الخزاعى مثلاً يهزأ ملياً بنفر من قبيلته ذاتها زعموا أن أحد أجدادهم حادث ذئباً ، فهو يقول :

يَهتم علينا بأن الذئب كلمكم ... فقد لعمرى أبوكم كلم الذيبا
فكيف لو كلم الليث الهصور ؟ إذن ... أفنيتم النـاس مأكولا ومشروبا

ومن جهة أخرى لم يحس أدباء العربية كبير حاجة إلى ذلك الضرب من الأدب ، يحفزهم إلى التأول فى الدين وتمييز ما نهى عنه مما لم ينه ، فهم لم يكونوا شديدى الولع بتقصى مناظر الطبيعة وتصويرها ، فيتوسلوا للتفنن فى ذلك بالطيران على أجنحة الخيال إلى شتى المناظر والأودية والشطآن ؛ ولا كانوا شديدى التوفر على نقد أحوال عصورهم السياسية والاجتماعية ، فينتزعوا لذلك الصور من خرافات الأقدمين مماثلة لصور مجتمعهم ؛ أضف إلى ذلك ما لازم الأدب العربى دائماً من نزعة محافظة وولع بمحاكاة بدائع المتقدمين ، ولعاً لا طموح معه إلى تجديد شديد المباينة لمناهجهم فى الأدب

تلك هى العوامل التى صرفت أدباء العربية عن الاحتفال بالأساطير ، وجعلتهم جميعاً يسلكون الطريق « المباشر » للافصاح عن خواطرهم ، طريقة القصائد المتوسطة الطول ، والأبيات المحكمة الموجزة ، ورائدهم قول قائلهم :

وإنَّ أشعر بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته : صدَقا

وقد رُوى أن سهل بن أبى غالب صنَّف كتاباً فى سير الجن وأحوالهم ورفعه إلى الرشيد ، فقال له الخليفة : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجباً ، وإن كنت اخترعت ما رأيته فقد وضعت أدباً . ولكن أحداً من معاصرى ذلك المؤلف أو من جاءوا بعده لم يحفل بهذا الضرب من الأدب ، وأهمل الكتاب حتى ضاع

أُقصيت الخرافة عن حظيرة الأدب العربى ، وتركت للعامة يخففون بالاستماع اليها أعباء عيشهم ، ويُسرُّون بالانصات إلى مغامراتها ومصاولاتها هموم حياتهم المتشابهة الرتيبة ، ويلونها لهم القُصَّاص بألوان الدول المتعاقبة والأحوال المتوالية ، وتنفث فيها السياسة أحياناً أغراضها ، حتى أتيح لها مَنْ دوَّنها فكان منها أقاصيص ألف ليلة وليلة ، وعنترة ومهلهل ، وسيف بن ذى يزن ، وقد اطلع عليها بعض أدباء العربية فى العصر الذى دُوِّنت فيه فاستخفوا بها ونبذوها

بيد أن تلك الأقاصيص على عاميتها وركاكة أسلوبها ، وفحش بعض مواقفها ، تحوى من روائع الوقائع ، وجميل المناظر ، وآثار الخيال ، ما يعوز الأدب العربى كله ؛ وبفضل ما فيها من روعة وجمال وخيال قد نالت الخلود وحظيت بالشهرة والترجمة إلى شتى اللغات ، وأعجب بها من الغربيين من لم يسمعوا بحِكَم المتنبى ، وأمثال الطائى ، وبديع ابن المعتز

فخرى أبو السعود

# الدكتور ألفرد بتلر

## للأستاذ محمد فريد أبو حديد

نعت لنا الأخبار منذ قليل المغفور له الدكتور ألفرد بتلر المؤرخ الانجليزى الكبير والعالم بالآثار المصرية

وقد كان ذلك الرجل العظيم انجليزى الجنس واللغة ، ولكنه كان مصرى العقلية عربى الثقافة ؛ قضى الشطر الأكبر من حياته منصرفا إلى دراسة الحياة فى وادى النيل وتاريخ حضاراتها الغابرة ، حتى لقد قيل إن عاطفته كانت فى قرارتها مصرية ، فكانت آخر أنفاسه متجهة إلى النيل ، وآخر أمنياته منصرفة إلى التملى به وتنسم نسماته

وقد كان ارتباطه الروحى والعقلى بمصر وواديها داعياً إلى أن تكون كل آثاره العلمية مرتبطة بها ، فليس له مؤلف لا يتصل بمصر وتاريخها وآثارها ، وكان همه الأكبر منصرفا إلى تلك الفترة التى تتعسر دراستها على الأكثرين ، وهى فترة الحكم الرومانى الأخير وأول العصر الاسلامى ، فألف كتاباً فى الأديرة والكنائس المصرية ، وكتاباً آخر فى تاريخ الفتح العربى لمصر ؛ ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن تاريخ مصر فى هذه الفترة مدين أكبر الدين لهذا المؤلف الكبير ، إذ لولا دراسته العميقة وعقله الكبير وعلمه الواسع لظلت هذه الفترة من أظلم فترات تاريخ هذه البلاد

لقد فقدت مصر استقلالها على يد الرومان بعد أن استولى عليها قيصر وذهبت دولة البطالسة عنها، ودخلت منذ ذلك العهد فى دائرة الدولة الرومانية الكبرى ، واختفى تاريخها فى غمار تاريخ الدولة المتبوعة ، وما زالت بعد ذلك تنحدر على جوانب الحوادث من هوة إلى هوة كما تنحدر البلاد التابعة المغلوبة فى كل عصور التاريخ ، وغطت على صورتها ركام من آثار المظالم والمهانة والاضطراب

فاذا كان الدكتور بتلر قد استطاع أن يستخرج صورة مصر فى تلك الحقبة من طبقات تلك الركام ، فقد أدى أكبر خدمة لأبنائها ، فليس من الهين أن يستطيع باحث الوصول إلى مثل هذا الكشف ، ولا سيما إن كان يحيط بعمله الظلام والابهام وتقادم العصور

على أن ظلام تلك العصور التى جلاها الدكتور بتلر لم يقتصر أثره على إخفاء معالم تاريخ البلاد ، بل لقد أدى إلى نتيجة أشد ضررا وأقسى وقعاً ؛ وذلك أنه قد نشأت فى هذه الأثناء قصص لا أساس لها وخرافات من خلق الخيال والجهل وجهت الباحثين إلى وجهة مضلة جعلت التاريخ يظلم أهل مصر فى تلك العصور ، فيصمهم بأقسى الوصمات والتهم ، وكان للدكتور بتلر فضل اظهار الحق وإعادة الكرامة المصرية إلى ذكرى أهلها

ولما فتح العرب مصر كانوا لا يعبأون بغير الفتح فى أول فورة التوسع والنضال ، وما كانوا يخرجون من حرب إلا ليدخلوا فى غمار حرب جديدة ، ولم يكن لهم سجلات عند ذلك يقيد بها تسلسل الحوادث ولا يثبت فيها وصفها ، فلم يكن بد من أن يلجأ المؤرخون فى القرون التالية إلى روايات المحدثين وقصاص الأخبار ؛ وكان المؤرخون يبذلون فى التحرى عن أخبارهم جهد المستطاع ، ولكنهم مع ذلك كانوا لا يجدون مناصاً من تلقفها من أصحابها واسنادها إلى أصحابها تخلصاً من عبء الأمانة ، ولهذا صار تاريخ الفتوح العربية خليطاً من الأخبار والقصص والروايات ؛ فاذا أراد باحث أن يتتبع سلسلة من الحوادث وجد نفسه حيال ابهام شديد وغموض يسد عليه السبل ؛ ثم تتابعت العصور على هذه الأخبار فتناولها الباحثون وتصرفوا فيها واستخدموها فى تآليفهم بالزيادة والنقص والتصرف ، حتى صارت الأخبار الصحيحة مختفية تحت طبقات أخرى من الركام المتخلفة من العصور المتعاقبة

فاذا نظرنا إلى عمل الدكتور بتلر نظرة عادلة عرفنا مقدار خدمته لتاريخ مصر ، إذ استطاع أن يستخرج تاريخ العصر الرومانى فى مصر أولاً ، وأن يصفى أخبار العصر العربى الأول مما شابه من القذى والصدأ . ولقد كان عمله عظيما فى نواح متعددة لا نستطيع هنا حصرها . على أننا نضرب مثلاً أو مثلين منها :

نشأت خرافة سخيفة فى العصور المتأخرة من التاريخ الاسلامى وهى خرافة إحراق العرب لمكتبة الأسكندرية عند

ما تم لهم فتحها، ولسنا ندرى على سبيل التحقيق ما هى الخطوات الأولى التى أدت إلى خلق تلك الخرافة، ولكن أحد المؤرخين أوردها فى بعض مؤلفاته فرددها من جاء بعده، وما زال صداها يتردد بعد ذلك حتى صار الناس يتلقونها بغير تمحيص ويوردونها موارد الحقائق الثابتة التى لا يرون ضرورة لمناقشتها؛ واتخذ أهل الأغراض تلك الخرافة وسيلة يتوصلون بها إلى الحط من شأن المدنية العربيـة والغض من الذكاء العربى . وأى وسيلة أنجع فى الدعاية على العرب والاسلام من أن يذكر اسم مكتبة الأسكندرية العظمى ويقال إن العرب قد أحرقوا تلك الثروة الفكرية النادرة وأبادوا بذلك ما خلفته أذهان النوابغ فى كل العصور القديمة ؟

ولقد كان للدكتور بتلر الفضل الأكبر فى أنه تتبع أثر تلك المكتبة كما يتبع الرائد آثار الأقدام وهو هادئ النفس مطمئن العين حتى أظهر لأهل القرن العشرين تقلب القرون الماضية على تلك المكتبة وبين لهم ما آل إليه أمرها على يد قيصر ثم على يد أحزاب المسيحية الأولى المتحمسة التى دفعتها حماسة الدين أو سورة العصبية إلى القضاء على ذلك الأثر العلمى النفيس

ولقد حمد المنصفون للدكتور بتلر ذلك المجهود العظيم فى إظهار الحق والابانة فى نصرته، وكان من بين هؤلاء المنصفين اللورد كرومر إذ كتب إلى ذلك المؤلف خطاباً خاصاً جاء فيه : « لقد قضيت القضاء الأخير على تلك الخرافة السخيفة، خرافة إحراق العرب لمكتبة الأسكندرية »

ولعل الدكتور بتلر أول من حاول محاولة منتجة أن يكشف القناع عن شخصية لم تزل منذ بدء الاسلام مثار التساؤل والابهام ألا وهى شخصية ( المقوقس ) فانه استطاع بعد جهد عظيم وبحث علمى يكاد يكون معجزاً أن يبين للناس من هو ذلك الرجل أو من هم هؤلاء الذين أطلق عليهم ذلك الاسم . ولم يكن فى بحثه يدع ثغرة للأبهام ولا للشك، بل كان ينخل الحقائق ويصفيها حتى لا يتسرب إليها فى أثناء البحث ما يشوبها

ولقد كان من أكبر آماله أن يرى كتابه منقولاً إلى لغة العرب، ولكن ذلك الأمل قد طال العهد به حتى بلغ نيفاً وعشرين عاماً، ثم توفقت لجنة التأليف والترجمة والنشر إلى ترجمته،

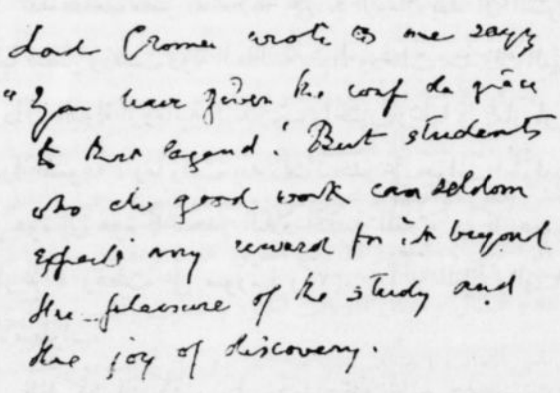
فلما بلغه نبأ ذلك الحدث كان اغتباطه به أشد اغتباط حتى إنه لم يتمالك أن لام المصريين فى خطاب بعث به إلى بعض أصدقائه على أنهم لم يعنوا بنقل ذلك الكتاب من قبل مع أنه كتاب يخدم تاريخهم ويسد فيه فراغا عظيما

وكان الدكتور بتلر فوق خدمته لتاريخ مصر كثير العناية بما يهمها . ولقد أرسل إليه صديق كتابا مرة يشير فيه إلى ما جاء فى كتابه « فتح العرب لمصر » من أن قبر سيدنا عمرو ابن العاص غير معروف، وأن ذلك الصديق ذكر له أن ذكر قبر ذلك الرجل العظيم وارد فى بعض المؤلفات العربية وأنه بجوار مدفن سيدنا عقبة بن عامر بالقرافة الصغرى

فأثار ذلك النبأ حماسة الشيخ الانجليزى فأرسل إلى صديقه يقول : « لئن صح أنك استطعت معرفة مكان قبر عمرو بن العاص واستطعت التثبت من ذلك بالوسائل العلمية التى لا تدع مجالاً للشك، فما أحراك أن تثير فى الناس دعوة لاقامة أثر عظيم على ذلك القبر جدير بعظمة فاتح مصر الكبير »

ولا أجد لهذه الكلمة خاتمة خيراً من أن أقتطف قطعة من الخطاب الذى أرسله إلى صديقه يذكر له فيه ثناء اللورد كرومر عليه، وقد جاءت فى تلك الكلمة حكمة بالغة أحب أن أسوقها لأهل البحث والعلم . قال : « ولكن أهل البحث الذين يجيدون فى أعمالهم قلما ينتظرون ثوابا على عملهم، اللهم إلا ما يجدون فيه من لذة البحث ونشوة الكشف عن الحقائق » .

وهذه صورة تلك القطعة من خطابه بخطه أقدمها لقراء الرسالة أثراً من ذلك الصديق الكبير عليه رحمة الله


Lord Cromer wrote to me saying
"You have given the coup de grâce
to the legend.' But students
who do good work can seldom
expect any reward for it beyond
the pleasure of the study and
the joy of discovery.

محمد فريد أبو حديد

# الخطابة ملكة وفن

للأستاذ عبد المجيد نافع

يولد الانسان خطيباً ، كما يولد شاعراً أو فناناً ، أو عسكرياً أو سياسياً ؛ وتلك الملكة ، وهى وليدة الفطرة ، لا تنمو وتؤتى ثمارها إلا بالمران والصقل ؛ فالخطابة إذن موهبة وفن معاً ، فلا يسيغ العقل أن يكون المرء عاطلا من الموهبة الخطابية ثم يصبح بين عشية وضحاها من الخطباء الخالدين فى التاريخ ، كما لا يهضم الفكر أن يكون الانسان خطيباً موهوباً ثم يصبح بين بياض يوم وسواد ليلة من الخطباء المدودين دون درس وتحصيل ومران . ولقد يحلو لبعض المؤرخين أن يرسم صورة لخطيب مفوه كان فى حداثته خلواً من ملكة الخطابة ، بل يصورونه فى طفولته مثال الفهاهة والعى ، ثم يصيرونه فى رجولته الخطيب المصقع ، والمفوه المنطيق ! فقد زعموا أن « ديموستين » خطيب اليونان العظيم كان فى حداثته به عى وفهاهة ، فطمح إلى الخطابة وصحت عزيمته على مغالبة ذلك النقص والتغلب عليه ، فكان فى كل يوم يذهب إلى البحر فيملأ فمه بالحصى ، ثم يقف أمام الموج المضطرب المصطخب ، فيصيح الصيحات العالية ، وما لبث أن تغلب على الفهاهة والعى وبات فى طليعة الخطباء القادرين ! تلك صورة أدنى إلى خيال الشعراء منها إلى تحقيق الثقات من المؤرخين ، بل لعلها أسطورة من الأساطير التى تحيط بحياة عظماء الرجال عادة ، أو التاج الذى يضعونه على رأس البطل ، أو إكليل الغار الذى يضعونه على هامته ، أو هالة المجد التى يحيطون بها تاريخه . فقد يكون صحيحاً أن الخطيب اليونانى كان يقف حيال الموج المصطخب فيرسل الصيحة عالية ؛ على أن العقل لا يسلم بأنه كان عيياً ، وكل ما يستطاع التسليم به أنه كان يروض نفسه على الكلام بنجوة من الناس

وقد تبقى ملكة الخطابة دفينة إذا لم تتح الظروف لبعثها ؛ وقد يظل الخطيب الموهوب خاملاً مغموراً إذا لم يوجد أمامه الميدان الذى تتجلى فيه مواهبه ، ولولا الثورة الفرنسية ورغبة الفرنسيين فى ثل عرش الاستعباد ، وكسر قيود الاستبداد ، وتقويض دعائم الماضى وتشييد صروح المستقبل وهدم النظم العتيقة البالية ، وبناء النظم الدستورية الحديثة ، وغرس مبادئ الحرية والمساواة والإخاء — لولا ذلك الغليان الفكرى لما ارتفع « ميرابو » من غمرة الخمول إلى ذروة الشهرة والمجد . وما كان الزعيم الشاب مصطفى كامل لتتجلى مواهبه الخطابية ، فيلقى بالاسكندرية فى عام ١٩٠٧ خطابه الذى يعد برنامجاً وطنياً ، لولا رغبة المصريين فى الجلاء وتشييد صروح الاستقلال ؛ بل لولا فورة عام ١٩١٩ ورغبة الشعب المصرى فى تقرير مصيره بنفسه ، ما بات سعد زغلول الخطيب الخالد فى التاريخ

ولا مندوحة لمن ينشد الكلام أن يدرع بالعلم ، فالخطيب ينبغى له أن يعلم ما يقول ، وأن يعلم جمهور سامعيه منه جديداً ، وإلا عُدَّ من تجار الكلام لا من الخطباء ، وكان قوله ثرثرة لا طائل تحتها ولا غناء فيها ، لا خطابة تحق حقاً وتبطل باطلاً ، وتنصر دعوة وتخذل أخرى ، وتبث مبـــدأ قويماً وتكافح غيره فاسداً

إن الخطيب الذى يقرأ شعر الشعراء ونثر الناثرين وخطب الخطباء ، ويكون على اتصال روحى بالحركة العلمية والأدبية ، لهو الخطيب الذى يعرف كيف يضفى على فكرته الثوب الذى يلائمها ويأتى بالصور الأخاذة والعبارات الخلابة والآراء الناضجة ويملك شعور سامعيه

والخطيب الذى لا يُعنى دائماً بتجديد ثروته العلمية واللفظية خليق ألا يسمع الناس منه إلا الرأى المبتذل ، والفكرة الغثة التافهة ، والعبارات الممجوجة المملولة

على أن الاسراف فى المطالعة يوشك أن يصيب المرء بنوع من الشلل العقلى ، وإن شئت فانه يصيب الذهنية الخصبة بضرب من الاجداب والامحال ، فمن يفكر برأس غيره دائماً ، وينظر بغير عينه ، ينتهى أن تشل حركة تفكيره فلا يفكر ولا يرى . ومن ير العالم من ثنايا الكتب يعش رجلاً خيالياً لا يدرك من شؤون العالم شيئاً . ومن لا يقتصد فى المطالعة خليق أن يداخله اليأس فيهتف : ليس فى الامكان أبدع مما كان ! وينادى : لا جديد تحت الشمس ، ويصيح صيحة اليأس : ما ترك الأوائل للأواخر شيئاً !

والحق أن الأوائل خاضوا فى كل شىء ، على أنهم تركوا

للأواخر كثيراً ، ومن يذهب غير هذا المذهب فانما ينكر حركة التطور العقلى والفكرى فى العالم

ومن الناس من يلتهم الكتب التهاماً دون تفهمها والتغلغل فى روحها ، وخير من هذا للخطيب الطامح أن يطيل النظر فى خطب الخطباء فيتذوق الأثواب التى يسبغونها على آرائهم ، بغير أن يتعسف فى محاكاة طرائقهم فلكل خطيب شخصيته وأسلوبه فى عرض أفكاره

ويجمل بمن يأنس فى نفسه الاستعداد الخطابى أن يستمع إلى كبار الخطباء ليشهد وسائلهم فى بسط آرائهم واقناع جمهور السامعين

ومن نافلة القول أن يلفت الخطيب إلى وجوب تفهم نفسية الجماعة التى يوجه اليها الخطاب ليتولى اقناعها ، فالخطب البرلمانية تفترق عن المرافعة فى مجلس القضاء ، والكلام فى اجتماع انتخابى يختلف عن التحدث إلى مجمع علمى ، على أن الخطيب الموهوب مطبوع على فهم روح الجماعة التى يخاطبها

وفى كل حال ينبغى أن يتوفر فى كل خطاب عناصر وضوح الفكرة وترتيب المنطق وروعة الأسلوب ، ولكن التأنق فى العبارة لا ضرورة له على الاطلاق ، بل قد يأتى التزويق والتنميق هادماً لدعوى الارتجال الخطابى ، والجمهور لا يتعنت فيطالب الخطيب بما يطالب به الكاتب ، والأسلوب الذى يخلو من الكلفة والصنعة يكون أفعل فى النفوس من الأسلوب الذى تغلب عليه البهرجة والتأنق . والخطيب الذى يتراءى أمام السامعين وقد ضاق صدرا بالعبارة التى يبرز فيها فكرته ثم يوفق اليها يكون شأنه فى التأثير شأن من يلقى قنبلة ، أو من يشهد بركاناً ينفجر . وإنى لأذكر فيما أذكر قول أحد كتاب الفرنسيين إنه يؤثر بربرية « جبنتا » فى الخطابة على أناقة « جوريس » فيها ؛ فالغابة الطبيعية أحب إلى القلب ، وأشهى إلى النفس ، وأمتع للنظر من الغابة التى نسقتها يد الانسان

ولقد ألِفَ الكتاب تقسيم الخطباء إلى : قارئ ، وحافظ ، ومرتجل ؛ فأما القارئ فهو الذى يتلو من ورقة يحملها بيده ؛ وأما الحافظ فهو الذى يلقى خطابه عن ظهر غيب كما يلقى الطلبة محفوظاتهم فى المدارس ؛ وأما المرتجل فهو الذى يلقى من وحى الخاطر وحاضر البديهة

ولقـد دلت التجارب على أن السامعين يتبرمون بالخطيب القارئ ، ويشيع السأم فى نفوسهم ، وبخاصة حين يلمحون أكداس الورق أمامه ، وإذا لم يُجدْ الالقاء جاءت عباراته بمثابة قطع الثلج تتساقط فوق رؤوسهم ، وهم يؤثرون أن يتلوها حين يخلون إلى ضمائرهم ليتذوقوا جمال الأسلوب ونضوج الفكرة فيها . والخطب المكتوبة تدعو للاطالة والاسهاب فتبعث على الملل ، ولذلك جرت التقاليد البرلمانية على تحريمها . ثم إن ما يغتفر للخطيب المرتجل الذى يلقى من حاضر البديهة لا يغتفر للخطيب القارئ الذى أمعن فى التحضير وأطال فى الكتابة . فالأول ، خلال فورة الخطابة وغليانها ، إذا جرح أحداً ، أو فاه بعبارة نابية ، افترض فيه حسن النية ، وسقط عنه ركن العمد . فأما الثانى وقد قال عبارته فى دم بارد ، وضمير جامد ، فانه يتحمل الظروف المشددة المترتبة على العمد وسبق الاصرار

على أنه لا مندوحة عن تلاوة الخطب الرسمية ؛ لخطورة الموقف ، ودقة المسئولية ، بحتمان وزن العبارات ، ولا تسمحان بمغامرات الارتجال الخطابى . وهنا تحضرنى رواية « فون بيلوف » مستشار الأمبراطورية الألمانية قبل الحرب العالمية إذ قال فى مذكراته أنه كان يُعِدُّ لغليوم الثانى أمبراطور ألمانيا السابق الخطب التى يزمع إلقاءها فى المواقف الرسمية الخطيرة ، مخافة أن يتورط ، وقت الاندفاع الخطابى ، فى عبارات تمس مسئولية الدولة الألمانية . على أن الأمبراطور كان كلفاً بالخطابة ، وكان يزعم لنفسه قدرة على الارتجال لا تجارى ولا تبارى . وتحدد يوم ليلتقى بقيصر الروسيا على ظهر بارجة حربية ، وأعدَّ له « فون بيلوف » الخطاب الذى سيلقيه ، فما أن نهض غليوم للخطابة حتى ضرب صفحاً عن الخطبة الرسمية ، وفاه بعبارات أقامت الدوائر السياسية البريطانية وأقعدتها ؛ ففطنت الدبلوماسية الألمانية للأمر ، ونشطت لانقاذ الموقف ، وإصلاح ما أفسده زهو الطاووس

والخطيب القادر على الارتجال لا يلبث أن يشعر بثقل قيود التلاوة حتى فى أدق المواطن الرسمية وأخطرها . وسعد زغلول ، وهو المثل الأعلى للخطيب المرتجل ، كان يضيق بالتلاوة صدراً ، فيلقى الأوراق من يده ويعمد إلى الارتجال ، فيحلق فى سماء البلاغة

ولا بد للخطيب الحافظ من ذاكرة جبارة لأنه إذا خانته الذاكرة بات فى أدق المواقف وأحرجها ؛ فقد روى أن نائباً من نواب الأمبراطورية الفرنسية ألقى خطاباً شهد الجميع بأنه رائع

فما لبث محرر صحيفة « الفيجارو » أن أماط اللثام عن أن الخطاب منتحل . فأقر النائب بمصدر الخطاب ، وقال إن له ذاكرة قوية فيحفظ عن ظهر قلب أغلب ما يقرأ . وأنه قرأ ذاك الخطاب فوعتــه ذاكرته . فلما حمى وطيس الجدل فى المجلس ألقاه وهو يؤمن بينه وبين نفسه « أنه له » ! ودارت الأيام دورتها وأصبح عضواً بمجلس الشيوخ ، فقام للخطابة وظل يهدر ويتدفق حتى اصطدم بكلمة فما يدرى ما بعـــدها ؛ ولبث يحاول ثم يحاول فلا يجد ما يقوله كأن ما بذهنه قد تبخر . فأنقذ رئيس المجلس الموقف بأن رفع الجلسة ، فلما أعيدت نهض صاحبنا وعالج الـكلام فلما بلغ تلك الـكلمة ارتج عليه ، وما كان يغنى عنه أن يبدأ الجملة من أولها إذ كان عند ما يبلغ تلك الـكلمة يرتج عليه ثانية ، فبادر الرئيس إلى إنقاذ الموقف برفع الجلسة نهائياً ، وما ارتقى صاحبنا المنبر بعد ذلك أبداً

والخطيب الحافظ إن لم يكن حسن الالقاء ، لطيف الايماءة ، كان ضعيف التأثير فى سامعيه ؛ وشعور الجمهور يهديه إلى اكتشاف الخطب المحفوظة عن ظهر قلب . فالألفاظ البراقة ، والصور الخلابة ، والعبارات المصقولة ، والجمل المسجوعة ، مضافة إلى الاندفاع الخطابى ؛ كل أولئك يمزق القناع عن وجه الخطب المحفوظة ويهدم دعوى الارتجال من أساسها

استغفر الله أن يفهم من قولى أن الخطيب لا ينبغى له أن يلبس فكرته ثوباً جيـلاً ، وإنمـا أريد أن أقول إن الخطيب الجدير بحمل هـذا اللقب لا يجمل به أن يكون أسيراً لألفاظ رصها وعبارات رصفها . فليس العيب فى العناية باعداد الخطاب ، وإنما العيب أن يكون الخطيب عبداً للاستعارات والمجازات والتشبيهات والـكنايات ، وعلى الجملة عبداً لـكافة المحسنات اللفظية وعبارات البديع والبيان

كان « جان جوريس » الخطيب الاشتراكى العظيم يعترف صراحة بأنه يعد خطبه ولا يرى فى ذلك عيباً على الاطلاق . فى ٢١ نوفمبر من عام ١٨٩٣ كان يستجوب الوزارة الفرنسـية عن سياستها العامة ، فلما فرغ من خطابه نهض المسيو شارل ديبوى رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية للرد عليه فقال : « أعتقد أنكم بعد أن سمعتم خطاب مسيو جوريس تجدون بعض العناء فى تصديق دعواه بأنى لم أدع له الوقت الـكافى لاعداد خطابه » فنهض جوريس وجهر بتلك العبارة : « إنى لأشعر قلبى الاحترام لمنبر الخطابة ولزملائى فأعد ما ألقيه »

وكان « بربو » المحامى الفرنسى المدره يترافع يوما فدفعت الصفاقة خصمه لأن يداعبه مداعبة ثقيلة ، فقال : إن رائحة الزيت تنبعث من ثنايا مرافعته ؛ كناية عن أنه أفنى الليل فى اعدادها على ضوء المصباح . فأجاب « بربو » : « ليس يضيرنى أن يسجل على أنى أعد مرافعاتى بدقة ، وإن اجلالى للقضاء يحول بينى وبين التورط فى العبارات الجوفاء والصيحات الفارغة التى تجـد لها موطنا فى ساحة أخرى غير ساحة العدل » ، وكان المحامى الخصم عضوا بمجلس النواب فأفحمته عبارة شيخ المحاماة

ومن الأوهام الشائعة أنــ الارتجال فى الخطابة يعنى أن الخطيب ينهض ولم يعد خطبته ، بل إن ذهنه خلو من كل مايتعلق بالحديث الذى سيخوض فيـه ، ولسنا نتردد فى الجهر بأن مثل هذا الخطيب عاجز إلا عن الثرثرة والـكلام الأجوف الفارغ ، وكل بضاعته ألفاظ طنانة وعبارات رنانة لشد ما لاكها حتى حفظها عن ظهر غيب ، فأصبح يتجر بها فى كل موقف خطابى . وصدقونى أن الخطيب لا يستطيع أن يرتجل الـكلام عن موضوع إلا إذا درسه دراسة عميقة ، ولا يقوى على الارتجال فى كل المواقف إلا إذا كانت له ثقافة عالية ومعلومات عامة واطلاع واسع فى العلم والفلسفة والأدب والتاريخ ؛ وفى كلمة ، أن يكون عبارة عن « دائرة معارف » . ولا بد له من اعداد فكرته ، أستغفر الله ، بل لا بد له من اعداد ألفاظه وعباراته قبل إلقاء خطابه ، إنما لا ينبغى له أن يكون أسيراً لألفاظ بعينها أو عبداً لعبارات بذاتها وإلا انحدر إلى طبقة الخطباء الحافظين . وليست تهم طريقة اعداد الخطبة وإنما تهم اجادتها ، فمن الخطباء من يفكر وهو يكتب ، ومنهم من يفكر وهو يمشى ، ومنهم من يفكر وهو يتحدث إلى صحبه ، ومنهم من يفكر وهو فى مضجعه ، ومنهم من يفكر فى الفترة بين دعوته للخطابة ووقوفه على المنبر ؛ وإنمـا يلتقى الخطباء المرتجلون عند أمرين : سعة الاطلاع ، وهبوط وحى الفكرة وسط حرارة الاندفاع الخطابى

وما إخالك بعد هذا الشرح الوجز إلا قد فهمت مغزى عبارة « بربيه » الخطيب الفرنسى العظيم : « إن سر الخطباء المرتجلين هو أنهم لا يرتجلون على الاطلاق »

عبد المجيد نافع
المحامى

# بين شوقي وابن زيدون

## بقلم الدكتور زكي مبارك

تتمة

— ٤ —

واشترك شوقي وابن زيدون في التفجع والحنين ، أما ابن زيدون فيقول :

يا جنة الخلد أُبدلنا بسَلْسلها … والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كأننا لم نبتْ والوصلُ ثالثنا … والدهر قد غض من أجفان واشينا
سِرّان في خاطر الظلماء يكتمنا … حتى يكاد لسانُ الصبح يفشينا
لا غرْوَ أنّا ذكرنا الحبَّ حين نهتْ … عنهُ النُّهى وتركنا الصبرَ ناسينا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سوراً … مكتوبةً وأخذنا الصبرَ تلقينا
أما هواكِ فلم نعدلْ بمنهلهِ … شربا وإن كان يروينا فيظمينا
لم نجفُ أفقَ جمالٍ أنتِ كوكبُهُ … سالينَ عنه ولم نهجرْهُ قالينا
ولا اختياراً تجنبناكِ عن كثب … لكن عدَتنا على كرهٍ عوادينا

والشاعر في هذه الأبيات يصف أيام الوصل أجمل وصف ، ويرى نفسه انتقل من كوثر الخلد إلى الزَّقُّوم والغِسلين ، ويرى وِرْدَ الهوى القديم شِربا لا يشدُّ له شرب ، وإن كان يرويه فيظميه ، ونعيم الوصل يُرهف الحِسَّ فيزيد القلب ظمأ إلى ظمأ والتياعا إلى التياع ، ويحدث الشاعر عن البين فذكر أنه لم يقع عن سلوة ولا صدود ، وإنما أكرهته العوادي

ويروقنا هذا التعبير المونق :

« لم نجفُ أفقَ جمالٍ أنتِ كوكبُهُ »

فكأن الدنيا كانت لعهده أفقا من الفاتن ، وكانت محبوبته كوكب ذلك الأفق المطلول بأنداء الفتون

هذا جزعٌ من صُنع الدهر صرخ به ابن زيدون ، وعارضه شوقي فقال يصف قسوة الليل وقسوة الفراق :

ونابغيٍّ كأنَّ الحشرَ آخرُهُ … تميتُنا فيه ذكراكم وتحيينا
نطوي دُجاهُ بجُرحٍ من فِراقِكمُو … يكادُ في غَلَسِ الأسحارِ يطوينا
إذا رسا النَّجم لم ترقأ محاجرُنا … حتى يزولَ ولم تهدأ تراقينا
بتنا نُقاسي الدَّواهي من كواكبه … حتى قعَدْنا بها حسرى تقاسينا
يبدُو النهارُ فيُخفيه تجلدُنا … للشَّامتين ويأسُوه تأسِّينا

وهذا من الشعر الرفيع ، ومن العجز ألا نجد غير هذا الوصف ، وإلا فكيف نصل إلى بيان الفتنة في هذا البيت :

يطوى دُجاه بجرح من فراقكمو … يكادُ في غلس الأسحار يطوينا

أترون كيف يُطوَى الدُّجى بالجرح ؟ أترون كيف تكون الجراح أعظم من ظلمات الليل ؟

ثم ما هذه الوثبة الشعرية حين يقاسي الشاعر بطء الكواكب ، ثم ينظر فيراها ابتُليتْ به فباتت تقاسيه ، وهي حسرى لواغب ؟ والشاعر قد يعظم سلطانه على الوجود فيرى الدنيا تجزع لجزعه وتأسى لأساه

وكان الشعراء الأقدمون يرون النهار يبدد الأشجان بفضل ما فيه من الشواغل ، أما شوقي فيرى أشجانه لا تهدأ نهاراً إلا بفضل التأسي والتجلد للشامتين

— ٥ —

بقي النظر فيما تفرد به الشاعران

ونحن نرى ابن زيدون تفرد بهذين البيتين في خطاب حبيبته التي أقصاه عنها الزمان

نأسى عليك إذا حثت مشعشعة … فينا الشَّمول وغنّانا مُغنّينا
لا أكؤسُ الرَّاح تبدي من شمائلنا … سِيما ارتياحٍ ولا الأوتارُ تلهينا

وهذا من أدق المعاني النفسية ، فالشراب والغناء يهيجان العواطف الغافية ، ويبعثان الوجد الدفين ؛ وللشوق في أمثال هذه اللحظات لذعات أعنف من الجمر المشبوب . وأين الجمر بجانب مايثور في القلب عند الشراب والسماع ؟ إن هذه لحظات تكشف المقنع من سرائر النفوس ، وتصنع ما تصنع الحمى العاتية حين تنطق المحموم بأسماء لم يهذ بها لسانه ولا وجدانه منذ سنين

وقول ابن زيدون :

ولو صبا نحونا من علو مطلعه … بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا

هو أصل المعنى الذي ساقه شوقي في السينية :

وطني لو شغلت بالخلد عنه … نازعتني اليه في الخلد نفسي

وهو أخذ رفيق لا يحاسب على مثله الشعراء

وتفرد شوقى بالفخر ، الفخر بنفسه وبأمجاد النيل ، فقال :

لم يجر للدهر إعذارٌ ولا عُرسٌ ... إلا بأيامنا أو فى ليالينا
ولا حوى السعدُ أطغى فى أعنّته ... منّا جياداً ولا أرخى ميادينا
نحن اليواقيتُ خاض النارَ جوهرُنا ... ولم يَهُن بيدِ التشتيت غالينا
ولا يحول لنا صِبغ ولا خُلُقٌ ... إذا تلوّن كالحرباء شانينا
لم تنزل الشمس ميداناً ولا صعِدت ... فى ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا
ألم تُؤلّه على حافاته ورأت ... عليه أبناءها الغُرَّ المياميناً
إن غازلت شاطئيه فى الضحى لبسا ... خمائل السندس الموشية الغينا (١)
وبات كل مجاج الواد من شجر ... لوافظَ القزِّ بالخيطان ترمينا

وبهذا دافع الشاعر عن الوثنية المصرية أجمل دفاع ، وهل عبد المصريون الشمس إلا لأنهم عرفوا فضل الشمس ؟ وما الدنيا بدون الشمس إلا وجود تافه سخيف !

وشوقى لم يعن إلا نفسه حين قال :

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا
ولم يَهُن بيـدِ التّشتيت غالينا

وقد صدق ، فقد قامت فى وجه الرجل أحداث تهد الجبال ، وانتاشه الخصوم أشد انتياش ، ولكن من كان يملك مثل قلبه واحساسه وشاعريته يصعب هدمه ، وإن تكاثرت المعاول ، واستحصدت سواعد الهادمين

وتفرد شوقى بالحديث عن الاهرام فقال :

وهذه الأرض من سهل ومن جبل ... قبل القياصر دِنّاها فراعينا
ولم يضع حجراً بان على حجر ... فى الأرض إلا على آثار بانينا
كأن أهرام مصر حائط نهضت ... به يدُ الدهر لا بنيانِ بانينا
إيوانه الفخم من عُليا مقاصره ... يُفنى الملوك ولا يُبقى الأواوينا (٢)
كأنها ورمالاً حولها التطمت ... سفينة غرقت إلا أساطينا
كأنها تحت لألاء الضحى ذهباً ... كنوز فرعون غطين الموازينا

وللقارىء أن يتأمل هذه الأبيات ، له أن يتأمل قوة الفخر فى هذا البيت :

ولم يضع حجراً بان على حجر ... فى الأرض إلا على آثار بانينا

وله أن يعجب من روعة الخيال فى هذا البيت :

كأن أهرام مصر حائط نهضت ... به يد الدهر لا بنيـان بانينا

وله أن يتأمل دقة التشبيه فى هذا البيت :

كأنها ورمالاً حولها التطمت ... سفينةٌ غرقت إلاّ أساطينا

ذلك شوقى وتلك آياته البينات .

— ٦ —

وتفرد ابن زيدون بوصف الجمال الانسانى ، وتفرد شوقى بوصف الجمال الطبيعى . أعطى ابن زيدون محبوبته صورةً هى تحفة فى الصور الانسانية ، وأعطى شوقى مفاتن النيل صورةً هى غرةٌ فى الصور الطبيعية ؛ أما صورة النيل فقد رآها القارئ من قبل ، وأما محبوبة ابن زيدون فقد صوّرها بهذه الأبيات :

ربيبُ ملكٍ كأن الله أنشأهُ ... مسكا وقدّر إنشاءَ الورى طينا
أو صاغه وَرِقاً محضاً وتوّجه ... من ناصع التبر إبداعاً وتحسينا
إذا تأوّدَ آدتهُ رَفاهيـةً ... تومُ العقودِ وأدته البُرى لينا
كانت له الشمس ظئراً فى أكِلّته ... بل ما تجلى لها إلا أحايينا
كأنما أُثبتت فى صحن وجنته ... زُهر الكواكب تعويذاً وتزيينا
ما ضرّ أن لم نكن أكفاءه شرفاً ... وفى المودة كافٍ من تكافينا

وهذه نظرة شاعر يعرف جواهر الصّباحة . وفى الحسن ألوفٌ من الأفانين يعرفها الراسخون فى علم الجمال ، فالجمال المنعَّم غير الجمال المحروم ، والزهر النضير الذى يُضاحك الشمس فى حديقة غناء بقصر من قصور الملك ، غير الزهر الظمآن المنسىّ الذى يتفتح وهو مهجور فى ربوةٍ قاسية لا يعرفها غير الذئاب . إن جواهر الجمال تختلف أشد الاختلاف ، ولكل لون من ألوان الجمال وحىٌ خاص . وجوهر الشعر يتبع جوهر الجمال ، وهل يمكن أن يكون ما يوحيه الجمال المحجّبُ شبيهاً بما يوحيه الجمال المباح ؟ إن الطبيعة قد يبدو لها أحياناً أن تُكايدَ الناس فتنشىءُ من الحسن فى حىّ بولاق ما تغيظ به الناعمين فى حىّ القصر العالى (١) ، ولكنها لا تفلح ، فالجمال الذى ينبت فى البيئات السوقية يظل سوقىّ الشمائل والنوازع ، أما الجمال الذى يتفتح فى البيئات المنعّمة فيظل ملحوظَ المشارب والميول

فمعشوقة ابن زيدون ربيبةُ ملك ، وربيبة الملك تألف السيطرة

(١) الغين جمع أغين ، وهو الأخضر ، والمؤنث غيناء
(٢) الأواوين جمع ايوان

(١) القصر العالى : حى بالقاهرة يشارف النيل ، ويسميه السخفاء : ( جاردن سيتى )

منذ أيام المهد ، ويظلُّ دلالها طول الحياة دلالاً سماوياً يأخذ فيضهُ من قوة الطبع ، لا من لؤم التمنُّع ، وينزل رضاها على القلب نزول الطَّل على الريحان . وابن زيدون يتمثَّل محبوبته خُـلقت من المسك ، ويرى الناس ماعداها خلقوا من طين ، وكلة (طين) وقعت قبيحة فى شعر ابن زيدون ، إلا أن يكون أراد الاشارة إلى بعض الناس ؛ والمرء حين يغضب يرى الناس خلقوا من طين ، وإن كان الطين أشرف من بعض من نرى من المخلوقات ؛ والطين تُربةٌ يحيا بها الزهر ويتغـذى منها الشوك ، وفوقه تتخطر الظباء ، وعليه تزحف الأفاعى والصِّلال

وبلغ ابن زيدون نهاية الترفق حين قال :

إذا تأوَّد آدته رفاهيـــــةً ... توم العقود وأدمته البرى لينا

والجمال الذى تؤذيه العقود والدمالج والأساور والخلاخيل جمال غضٌّ رقيق يشبه فى رقته نواظر العيون ، ولفائف القلوب ، وهذا الجمال منثور فى المدائن نثر الزهر واللؤلؤ ، ولولا وجوده فى هـذه الدنيا لما عرف شاعر قيمة النعمة العظيمة ، نعمة البصر والحسِّ والذَّوق ، لولا الجمال المنعم المصون الذى لا يطمع فى تفيىء ظلاله غنىٌّ ولا لئيم لأقفرتِ الدنيا من الشعر وخلت من الأنفاس المعطرة ، أنفاس الشعراء ؛ لولا الجمال المنعم المصون الذى لا يطمع فى تفيىء ظلاله غنى ولا لئيم لما استطاب شاعرٌ سهر الليـل ، وألم الجفون . وهل يعنى القلب فى سبيل الجمال المبتذل الذى ترنو إليه جميع العيون ؟ إن الجمال المبتذل شبيه بالكوكب المتهالك الذى لا تألم من النظر إليـه عينٌ رمداء ، أما الجمال المنعم المصون فشبيه بالشمس لا يقوى على النظر إليـه الا الفحول من الشعراء ، والأقطاب من الكتاب ، هو الجمال الفرد ؛ ولا يصاوله إلا الرجل الفرد ، وإن كان يتواضع فيقول :

ماضرَّ أنلم نكن أكفاءه شرفاً ... وفى المودة كافٍ من تكافينا

هذا تواضعٌ ، فان جوهر الحب فى قلب الشاعر أنفسُ من جوهر الحسن فى وجهِ الجميل . وهل تُعربد معانى الصباحة فى الوجه المليح كما تعربد عرائس الشعر فى قلب الشاعر الذى يلاقى الأنوار والظلمات وحوله جيشٌ من الهوى المتمرِّد والوجد المشبوب ؟

إن قلب الشاعر جوهر نفيس ، ولولا فضله على الدنيا ماعرف أحـد جمال الصبح المشرق ، ولا تنبه مخلوق إلى لمح الكواكب ولألاء النجوم ، ولا تلفت باحث إلى شعر ابن زيدون وقد طمره الزمن بتسعة أحجار تسمى تسعة قرون

— ٧ —

ثم ماذا ! بقىَ أن نشرب صبابة الكأس من نونية شوقى ، وكلُّ صبابة فى الكأس صاب ، بقى أن نتوجع لبلواه وهو يتشوَّق إلى مصر فيقول :

أرض الأبوّة والميـلاد طيّبها ... مر الصبا فى ذيول من تصابينا
كانت محجَّلة فيها مـواقفُنا ... غرّاً مسلسلة المجْرى قوافينا
فآب من كُـرة الأيام لاعبُنا ... وثاب من سِنة الأحلام لاهينا
ولم ندع للَّيالى صافياً فدَعتْ ... ( بأن نغص فقال الدهر آمينا )
لو استطعنا لخضنا الجو صاعقة ... والبر نار وغى والبحر غسلينا
سعياً الى مصر نقضى حق ذاكرنا ... فيها إذا نسى الوافى وباكينا

أرأيتم هذا الشعر ؟ أرأيتم الخيال فى هذا البيت :

فآب من كرة الأيام لاعبنـا ... وثاب من سنة الأحلام لاهينا

أرأيتم صورة الهول المقتحم فى هذا البيت :

لو استطعنا لخضنا الجو صاعقة ... والبر نار وغى والبحر غسلينا

ثم ماذا ؟ بقى ختام القصيدة ، وهى أبيات ما قرأتها إلا بكيت على أمى يرحمها الله . وانظروا كيف هفا قلب الشاعر إلى أمه فى حلوان :

كنز بحلوان عنـد الله نطلبه ... خير الودائع من خير المؤدينا
لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا ... لم يأته الشوق إلا من نواحينا
إذا حملنا لمصر أو له شجناً ... لم ندر أى هوى الأمين شاجينا

طيب الله ثراك أيها الشاعر ، ورحم والدىَّ ووالديك ، فالدعاء فى أعقاب شعرك كالدعاء فى أعقاب الصلوات

زكى مبارك

# هكذا قال زرادشت *

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

مقدمة لابد منها

نشر نيتشه كتابه هـذا فى أربعة أجزاء بين سنتى ١٨٨٣ و١٨٨٥ ، فأشعل ثورة فكرية لا فى ألمانيا فحسب ، بل فى سائر الأقطار الأوربية والعالم الجديد . ولم يكن العالم العربى فى ذلك العهد على اتصال وثيق بالحركة الفكرية الغربية ، فلم يسمع بنيتشه وفلسفته حتى مر زهاء ثلث قرن ، فورد اسمه على بعض الأقلام عرضاً ، وكل ما عُرف عنه حينذاك فى هذه البلاد هو أنه يدعو الى مذهب تمجيد القوة والعمل على إيجاد الانسان الأعلى بالقضاء على كل اعتقاد يشل الارادة ويثبط الهمم فى معترك الحياة

وفى الواقع أن نيتشه الفيلسوف الألمانى الأشهر قد دعا الى هذا المذهب ليعارض الفلسفة الدينية التى أخذ بها الغرب عن المسيحية فأغرق فى احتقار الحياة باسمها ، وضل ضلالاً بعيداً فى تفهمها ، إذ اعتبرها دعوة عن الاعراض عن الزائلة إعراضاً تاماً ، ورأى الكمال للانسان فى التقشف والزهد والترفع حتى عن العاطفة الجنسية التى يقوم الكون عليها

ولاح لنيتشه أن هذه النظريات الاجتماعية منحدرة من الايمان بالخالق وخلود الروح ما وراء المنظور فثار بعقله الجبار عليها وأنكرها جاحداً معها كل إيمان بغير الانسان نفسه والحياة نفسها

ولو كان تسنى لنيتشه أن ينفذ الى حقيقة الايمان الذى دعا عيسى اليه لكان تجلى له إيماناً بالقوة التى ترفع الضعفاء ، لا بالضعف الذى يسلط الأقوياء عليهم . ولو كان تسنى لنيتشه أن يستنير بما فى الاسلام من مبادىء اجتماعية عليا لأدرك أنه باتباع مثل هذه المبادئ ينشأ الانسان الأعلى لا بالالتصاق بالأرض دون الاتجاه الى السماء

ولقد يلوح للبعض أن لا فائدة من ترجمة نيتشه الى العربية لأن فلسفته راسية على الجحود ؛ أما نحن فنرى أن خلو المكتبة من هذا المؤلف الذى أثر التأثير الكبير فى تطور الحركة الفكرية فى أواخر القرن الثامن عشر فى العالم الغربى يعد نقصاً فيها وقصوراً علينا ؛ إذ لم يتردد أى شعب فى نقله الى لغته . وفوق ذلك فان ما يتجلى فى فلسفة نيتشه من جحود لا نراه يتجه الى الله الواحد الأحد الذى نعبده وبوحيه ندين ، بل هو يتجه الى الألوهية المزيفة التى ارتسمت فى ذهنه من إدراكه الناقص لحقيقة الوحى كما يفهمه المؤمنون

فلنمر ، إذن ، بجحود نيتشه باسمين ، ولنقف عند نظراته فى الحياة مفكرين

إن فى كتاب زرادشت من المبادىء الاجتماعية ما يجدر بنا الوقوف عنده ، لأنه يتفق والقاعدة التى وضعها الاسلام للحياة بحديث للنبى ( صلعم ) على قول ، أو بكلمة لأمير المؤمنين عمر على قول آخر وهى :

( اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً . )

لقد أدرك نيتشه الشق الأول من هذه الحكمة ، وفاته الشق الأخير فلم يأمن الضلال والعثار ؛ أما نحن أبناء هذا الشرق العربى فآخر هذه الحكمة راسخ فى أعماق نفوسنا مما يجعل الشق الأول منها هداية لا ضلالا

هذا وإننا سنورد فى آخر الترجمة بعد بسط فلسفة نيتشه التحليل الذى تقتضيه لاظهار فاسدها وصحيحها ، فنقف فى وجه المادية التى تطغى موجتها على المدنية ، ونثبت أن لا خير فى حضارة يعمل الانسان فيها لدنياه كأنه يعيش أبدا دون أن يعمل لآخرته كأنه يموت غداً .

فليكس فارس

وسنوالى نشر الكتاب كاملا ابتداء من العدد القادم

(*) لا علاقة بين بطل رواية نيتشه وحكيم الفرس ، وقد اخترنا فى سياق الحديث اختصار اسم زارادشت بزارا تخفيفا ، وسوف نشير أيضا بعلامة الى كل عبارة سنتناولها بالبحث لاثبات خطأ نيتشه فيها

كلمة أخيرة

# حول «نبوة المتنبي أيضاً»

## للأستاذ سعيد الأفغاني

قرأت للأخ شاكر مقاليه الأخيرين المطولين جداً في الرسالة (١٧١، ١٧٢) فاذا ما أريد أن أقوله قد قلته سابقاً في الرسالة (١٧٠) فليرجع إليه فهو ردٌ على مقاليه هذين أيضاً

لما عرف الأستاذ شاكر أنا «لا نحفل رداً ولا نقداً إلا إذا كان حقاً، وسبيلنا حينئذٍ أن نأخذ به أنفسنا ونشكر لصاحبه.» عاذ بذلك فراغ روغة عدل فيها بالكلام عن وجهه الذي يجب أن يكون فيه، فلم تظفر اعتراضاتنا — لسوء حظها — منه بجواب. وقد كنا طلبنا إليه التعرض لهذه الأخبار التي رماها جملةً بالكذب فيبين وجوه بطلانها والسبب الحادي لرواتها على وضعها ببيان يزيل اللبس ويرضى الأمانة والعقل، فأبى وطفق يتعلق بتوافه الأمور: فهذا كلام شغل أربعة أعمدة من (الرسالة) في تزييف رواية اللاذقي وقد عرف القراء قيمتها عندنا، وذاك كلام يعرض لبسطي عذرى في التأخر بالرد، وذلك كلام آخر طويل يدور حول ياء سقطت من كلام له نقلناه ... الخ

استوفى الأخ ستة عشر عموداً زوى عنا فيهن حججه المزعومة ونافع بيانه وأطلق قلمه فسطر من القول النبيل ما نمر به مر الكرام؛ ولما أشرف على الختام قال: «وتعب أن أمضى على هذا الوجه في تعريف الأستاذ سعيد بوجوه بطلان كلام هؤلاء الناس الذين نقل كلامهم.» وقد علم أصلحه الله وعلم القراء أن البحث والحوار كله يدور حول هذا فقط، ففيم الهرب منه والاشتغال بغيره؟ ولست أنا الذي ادعى بطلان الروايات فأحتاج لمعرفة وجوه البطلان، وإنما نفع ذلك وغناؤه — إن تم — عائدان عليه وحده، فهو الذي ألف واستهدف، وهو الذي ادعى وأعوزه البرهان

وقد كنت ظننت أني مع أستاذ يعينني في إزالة ما حول هذا البحث من شبه بالعلم الواسع والحجة البالغة ولطف التأني وحسن القصد، فاذا بي أمام امرئ يريدها جدلاً ومراء أو استطالة قول وحب غلبة مع معرفته من نفسه الحدة وضيق الصدر

فما أنا — وقد عرض الأستاذ لنا أدبه عرضاً صحيحاً — بالذي يجاريه في أسلوبه. وكل ما تفضل به من غمز احتل من كلامه محل الحجة لا يحدوني على مقابلته أو مشاكلته، ولا على الخروج على قاعدتي التي أطمعته فورطته وكانت خليقة منه بغير ما فعل

ليت الأستاذ شاكرا كان تريث قليلاً فلم يحرص على صدور رده عقب كلمتي بلا تأخر، ولم يخرج عما أخبرنا من طبعه في الابطاء والتخلف، فان الناس لا يقدرون الكلام بسرعة صدوره، وإنما يقدرونه بما يحمل من الحق والصواب

ليته تريث وتدبر وأنعم في كلامه وكلام غيره، إذن لما أعجله حب الرد للرد فجعله ينقض فكرة هي له على أنها لغيره، ويستنجد لدفعها بالعربية والمنطق والأصول؛ وبيان ذلك باختصار أنه:

كان أشكل عليه في كلام أبي علي بن أبي حامد أمر الوثيقة التي كتبوها على المتنبي بعد أن استتابوه من دعوى النبوة؛ فذهبنا نحن إلى أنها في إبطال علويته لا نتنبئه، وأمر علويته ورد في روايات ثانية، فكان من الأستاذ أن أورد رواية أبي علي ثم علق على كلامنا فيها بقوله: (الرسالة ص ١٦٦٥)

«فأنت ترى أن لا ذكر للعلوية في هذا الخبر ولا في غيره مما روى عن علي بن أبي حامد هذا، فكيف يتأتى لك أن تقحم العلوية فيه وهو لم يذكرها فيه ولم ترد عنه في خبر غيره، ثم تعمد إلى الكلام فتؤول بعضه على النبوة وبعضه على العلوية فتجعل التوبة للأولى والوثيقة للآخرة؟»

والذي قلناه نحن هو هذا (الرسالة ١٧٠): «وليس في الأمر مشكلة ولا تناقض ولا داع لأن يرجح الأستاذ (ص٤٩) من كتابه إقحام لفظ النبوة بين العلويتين في حديث الهاشمي، وليقول: (إن المراد بالنبوة (تأمل) في حديث أبي علي بن أبي حامد العلوية) فمن المقحم ومن المؤول أيها البحاثة المحقق الذي لا يذكر اليوم ما قاله أمس؟! ثم قلنا: «فعلوية أبي الطيب التي أراد أن يفسر بها النبوة الواردة في الروايات على اختلاف مصادرها لم تسلم له من الأصل، وبقي المتنبي جعفياً يمنياً، وإذا كان لا بد

( تدبر ) من ايراد احتمال فالأولى أن تجعل العلوية الثانية من زيادات النساخ وإقحامهم . على أن الروايات فى غنى عن هذا الفرض أيضاً ( تأمل وتدبر ) وليس فيها داع إلى شك أو تأويل . فمن الغريب جداً أن ينكر أبو الطيب دعوى النبوة من ساعة القبض عليه وأن يظل على العلوية طول أيام سجنه حتى كتابة الوثيقة »

فنظرية الاقحام أنت قلت بها أيها الأستاذ الجليل لا نحن ، وكلمتنا بدئت بقولنا ( إذا كان لا بد من احتمال ) أما كلمتك فبدئت : ( إن المراد بالنبوة فى حديث أبى على . . العلوية ص٤٩ من كتابك القيم ) وأياً كان صاحب اكتشاف الاقحام ومؤول النبوة بالعلوية فهو ونظريته خليقان بما تفضل به الأستاذ من استنكار واستبشاع

لقد رمانى الأستاذ بدائه : عدم التدبر والتحريف ، وأراد أن يتناول فكرة لى كيفما اتفق له لينقدها ، فوقعت يده على فكرته هومنقولة فى كلامى ! وقاتل الله العجلة ، فقديماً ذكروا أن تاجراً أضمر أخذ عِدل من أعدال شريكه فوضع رداءه عليه ليعرفه فى الظلمة ؛ ثم ذهب وجاء رفيقه ليصلح أعداله فوجد رداء رفيقه على عدله وظن أنه نسيه فرفعه ووضعه على عدل شريكه . ولما كان الليل أتى الشريك بحمال واطأه ففتح الحانوت واحتمل العدل الذى عليه الرداء وأخرجه هو والرجل ، وجعلا يتراوحان على حمله حتى أتى منزله ورمى نفسه تعباً ، فلما أصبح افتقده فاذا هو بعض أعداله ! !

***

فعلى القارىء المتتبع أن يرجع حيثما وجد نقلا لكلامى الى الأصل المنقول عنه فلست أفرغ دائما لبيان ما حُرّف ولا أحتمل إلا تبعة ما قلت على ما قلته بحروفه ، غير مروى بكلام من غيرى . ومن أول كلامى بجمل من عنده ثم شرع فى ردها فانما رده على تأويله فحسب

كان رغب الينا الأخ شاكر ألا نتبع ظننا فى أنه من أهل الغرور والذهاب بالنفس والجهل بمقدارها ، والمكابرة فى العلم والجدال فيما لا جدوى منه ولا منفعة . وقبل كلمته هذه كان ادعى لنفسه تدبرا وإمعاناً وأصولاً ودراية ، ثم فى الأخير حلماً عند المقاتل البادية حين لزنا بالحاجة الى هذه الصفات ، وكلام كلينا معروض لمن أراد تثبتاً ، وسبحان الذى قال : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »

فهل أجد حرجاً فى أن أقول ثانية « صحف الرسالة أحوج إلى أن تمـلأ بالحقائق والبرهان منها الى الدعوى والانتقاص » وإن القراء « لا يخفى عليهم وجه الحق فى كلام اثنين ، ولا يصرفهم عنه نيل من صاحبه ومراوغة فى الحط منه » ، وحرام أن أقتل الوقت فى تتبع المزالق التى زل فيها صاحبنا فى مقاليه هذين ، فما هى بنافعتنا فيما ظهر لتباين أسلوبينا فى البحث و ( اختلاف فى الجبلة ) على ما قال الأخ شاكر

وما أنا بعائد اليه لأن الحقيقة لم تفد شيئاً بخوض هذا البحث معه ، ولن أجارى أخى فى طريقه التى سلكها فما هى لى بطريق ، ولا أرب لى بتعسف المتاهات ، ولولا أن يظن العجول من القراء أن نظرية الاقحام وتأويل النبوة بالعلوية التى رمانى بها الأستاذ على عجلة وخطأ هى نظريتى وفكرتى لما خططت حرفاً من كلمتى هذه

وبعد ، فليس عندى لأخى الأستاذ على أقواله فىّ غير السلام

سعيد الأفغانى

# الفصل فى نبوة المتنبى

## من شعره

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

يعتمد الباحثون فى نبوة المتنبى على تلك الأخبار المتناقضة فى أمر نبوته ، فيـذهبون فيها مذهبين متناقضين : فريق يجزم بوقوع هذه الدعوى منه ، وفريق يجزم بأنها من اختراع أعدائه ؛ وكل فريق يتعصب للأخبار التى تؤيد مذهبه ، ويجزم بصحتها كل الجزم ، ويطعن فى صحـة الأخبار التى لا توافق مذهبه ، وتؤيد مـذهب الفريق الآخر ، وقد ضاع الحق فى ذلك بين التعصب للمتنبى والتعصب عليه ، ولم تنهض فيه حجة واضحة تقطع بالحق من ذينك المذهبين ، وتقضى على هذا الخلاف الذى لم ينته الى الآن

ولا خـلاف بين الفريقين فى إطـلاق لقب المتنى على أبى الطيب ، وإنمـا الخلاف فى أنه أطلق عليـه لادعائه النبوة فى حداثته ، أو لقوله :

أنا تِربُ الندى وربُّ القوافى   وسِمام العدى وغيظ الحسُود
أنا فى أمةٍ تداركها اللـ   ـه غريب كصالح فى ثمود
ما مُقامى بأرض نخـلة إلا   كمقام المسيح بين اليهود

هذا هو ما حكاه أبو الفتح عثمان بن جنى عن أبى الطيب نفسه ؛ وأما الأول فحكاه أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى قال : قدم أبو الطيب المتنبى اللاذقية فى سنة نيف وعشرين وثلثمائة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتى أذنيـه فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته ، فلما تمـكن الأنس بينى وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتناماً لمشاهدته ، واقتباساً من أدبه ، قلت : والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير ، فقال : ويحك أتدرى ما تقول ؟ أنا نبى مرسل ، فظننت أنه يهزل ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له ما تقول ؟ فقال أنا نبى مرســـل ، فقلت له : إلى من مرسل ؟ فقال الى هذه الأمة الضالة المضلة . قلت تفعل ماذا ؟ قال : أملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً . قلت بماذا ؟ قال : بادرار الأرزاق ، والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الرقاب لمن عصى وأبى . فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه ، وعذلته على ذلك ، فقال بديهة :

أبا عبد الالـه مُعـاذ إنى   خفىٌّ عنك فى الهيجا مقامى
ذكرتَ جسيم مطَّـابى وأنى   أخاطر فيه بالمُهج الجسام
أمثلى تأخذ النـكباتُ منه   ويجزع من مـلاقاة الحمام
ولو برز الزمان الى شخصاً   لخضَّـب شعر مفرقه حُسامى
وما بلغت مشيئتها الليالى   ولا سارتْ وفى يدها زمامى
إذا امتلأت عيون الخيل منى   فويل فى التيقظ والمنام

ثم ذكر بعد هذا أنه لم يزل معـه حتى قال له : ابسط يدك أشهد أنك رسول الله ، قال : فبسط يده فبايعته بيعة الاقرار بنبوته ، ثم قال :

أىَّ محلٍّ أرتقى   أىَّ عظيم أتقى
وكلُّ ما قد خلق الـلـ   ـه وما لم يخلق
محتقر فى همتى   كشعرة فى مفرق

وقد يكون هذ الذى ذكره أبو عبـد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى صحيحاً ، ولم يكن المتنبى إذا صح أنه ادعى النبوة أول من ادعاها فى الاسلام ، فقد ادعاها قبله وبعـده خلق كثير ، وقد يكون هذا غير صحيح ؛ وربما يؤيد هذا أن الأبيات الأولى رويت فى ديوانه على أنه قالها وقد عزله معاذ فى إقدامه فى الحرب ، وأن الأبيات الثانيـة لا تتفق مع دعواه النبوة ، وكثير من الناس يتخذها دليلاً على إلحاده

وقد يكون ما رواه ابن جنى هو الصحيح ، وله شواهد كثيرة فى الأدب العربى ، ومن هـذا أن شاس بن نهار من شعراء الجاهلية لقب بالمزق لقوله :

فان كنت مأكولاً فكن أنت آكلاً   وإلا فأدركنى ولما أُمزَّق

وأن محصن بن ثعلبة وهو شاعر جاهلى أيضاً لقب بالمثقب لقوله :

رددْن تحيـة وكنَنَّ أخرى   وثقبن الوَصاوِصَ للعيون

وأن خداش بن بشر المجاشعى وهو شاعر إسلامى لقب بالبعيث لقوله :

تبعث منى ما تبعثُ بعـد ما (م) استمر فؤادى واستمر عزيمى

ومن ذلك أن جران العود العبدى سمى بهذا لقوله :

# تاريخ العـــرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون

المستشرق الانجليزى

## المدخل لتاريخ العرب

– ٢ –

وإذا وجدنا أن اللغة لا تجرى فحسب على ألسنة الشعراء الجوّالين ( الذين كانوا عادة على جانب من الثقافة ) أو عرب الحيرة المسيحيين ، بل تتداولها ألسن الرعاة واللصوص والبدو الغلاظ فى كل البقاع ، إذا وجدنا هذا فليس ثمت داع للشك فى أننا نسمع من خلال شعر القرن السادس اللغة العربية التى كانت مستعملة فى طول بلاد العرب وعرضها . وقد زاد انتصار محمد والفتوح الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين من شأن هذه اللغة وأصبحت العربية لساناً مقدساً فى جميع الأمصار الاسلامية . ولا مراء أن الفضل فى هذا يرجع إلى القرآن ، ولكن من ناحية أخرى أمر اعتبار لهجة مكة ( التى نزل بها القرآن ) الأصل للعربية ، وتسمية العربية « لغة قريش » كاف لدحض كل حقيقة حول هذا الموضوع . وقد اتخذ محمد (ص) — كما لاحظ نلدكه — الشعر القديم مثالاً . وفى صدر الاسلام كانت سلطة الشعراء الجاهليين ( وقليل منهم كان من قريش ) هى التى ثبتت قدم اللغة الفصحى وعممت استعمال الأسلوب الفصيح . وطبيعى أن يكون المسلمون — وهم الذين عدوا القرآن كلمة الله والمعجزة البالغة فى أسلوبها — قد قدموا لهجة قبيلة النبى على كل لهجة أخرى ، كما أنكروا القول بأن كل قبيلة أبعد من مكة أقلّ فصاحة ، ولكن هذه النظرة لا تاقى قبولاً لدى الباحث المحايد . ولو أنه كان للقرآن تأثير عظيم فى تاريخ اللغة العربية وآدابها ، وسنرى فى فصل خاص أن ضرورة حفظ أصل الكتاب الكريم سليما ، وشرح غوامضه بعثت المسلمين على استنباط علم النحو واللغة ، ودعَتْ إلى جمع شعر الجاهلية والأخبار التى لا بد قد تطرّق إليها الضياع . ولما استقر العرب — كفاتحين — فى سورية وفارس واختلطوا بالشعوب الغريبة عنهم ، لم تلبث لغتهم محافظة على فصاحتها الأولى ، أما فى بلاد العرب نفسها وخاصة بين بدو الصحراء فلم يكن الفارق محسوساً ، وكذلك فى البلدان المجاورة ومراكز التجارة الكبرى كالبصرة والكوفة حيث كان معظم السكان من الأجانب الذين اعتنقوا الاسلام وسرعان ما استعربوا ؛ وظل الباب مفتوحاً على مصراعيه لجميع ضروب الفساد . وقد أعلن علماء اللغة حرباً ضروساً على هذه العربية التى شابتها العجمة ، وإن الفضل فى انتصار العربية الفصحى وتغلبها على الأخطار الجسام التى هددتها ليرجع إلى ما بذله هؤلاء من جهود ، وبالرغم من أن لغة البدو الوثنيين لم تبق كما هى — أو ظلت على أى حال حية على ألسنة المتحذلقين والشعراء فحسب — إلا أنها أصبحت بعد تحوير قليل الوسيط العالمى للحديث بين الطبقات العليا فى المجتمع الاسلامى ، وفى مستهل العصور الوسطى كانت لغة الحديث والكتابة لجميع مثقفى المسلمين من أى جنسية كانوا : من بلاد الهند حتى المحيط الأطلسى ، فكانت لغة البلاط والدين ، ولغة الشرع والتجارة ، ولغة السياسة والأدب والعلم ، وفى القرن العاشر حينما ثل الغزو المغولى عرش الخلافة العباسية وانفرط عقد الوحدة الاسلامية السياسية لم تعد العربية Kolve أو اللغة العامة للعالم المحمدى ، بل حلت مكانها لهجة سوقية فى

---

خذا حذراً يا جارتى فإننى  رأيت جرانَ العود قد كاد يصلح

تخوفهما بسير قدٍّ من صدر جمل مسن

ومن ذلك أن المرقش الأكبر لقب بهذا لقوله :

الدار قفر والرسومُ كما  رقَّش فى ظهر الأديم قلم

واسم المرقش ربيعة بن سعد بن ملك

ومن ذلك أن مدرج الريح لقب بهذا لقوله :

ولها بأعلى الجزع رسمٌ دارس  درجت عليه الريح بعدك فاستوى

فاذا نظرنا إلى هذه الأخبار المتناقضة فى ذاتها لم تشف غليلنا فى هذه النبوة المزعومة ؛ وليس أمامنا فيها إلا اللجوء إلى ما يسموه علم الجرح والتعديل ، وإنى لا أثق كثيراً بهذا العلم ، لأنه مختلف أيضاً فى أمر رواة الأخبار ، ولأنه يعتمد على ظاهر أمرهم وهو لا يدل حقيقة عليهم

فلا بد من اللجوء إلى أمر آخر يشفى غليلنا فى أمر هذه النبوة ، وذلك الأمر هو الشعر الذى قيل فى العهد الذى يقال إن المتنبى ادعى فيه هذه الدعوى ، وسنبدأ بهذا فى المقال الآتى

( يتبع )  عبد المتعال الصعيدى

بلاد العرب وسورية ومصر وبعض الأقطار الناطقة بالضاد ، ولو أنها ظلت فى هذه الأمصار لغة الأعمال والأدب والتعليم . ونسمع اليوم من مصدر ثقة « أنها آخذة فى النهوض ، وأنها على وشك أن تسترد ثانية مكانتها الأدبية العظمى [1] » وهى إذا كانت تشغل — بالنسبة إلى هؤلاء المسلمين من غير العرب — نفس المكانة التى تشغلها اللاتينية والاغريقية فى الثقافة الأوربية الحديثة ، فينبغى ألا يغرب عن ذهننا أن القرآن ( وهو أروع آثارها ) يحفظه كل مسلم لأول ذهابه إلى المدرسة ، وهو يتلوه فى صلواته اليومية ، ويسيطر على مجرى حياته كلها إلى درجة يكاد لا يصدقها المسيحى العادى

وآمل أن يغفر لى القارئ تجاهلى — فى كتاب كهذا — ما يتعلق بالتاريخ العربى القديم الذى يمكن الالمام به من الآثار الأشورية والبابلية ، كما أن أى كتابة يحاول من ورائها دراسة العرب من سنة ٢٥٠٠ ق . م حتى بداية العصر المسيحى لأشبه بخريطة Cathay رسمتها يد سير جون ماندفيل ؛ بيد أن شعباً (غير سبأ أو حمير) من بين شعوب الجزيرة استطاع أن يترك أثراً أبقى من غيره ، ذلك هو شعب النبط الذين سكنوا المدن واحترفوا التجارة قبل ميلاد المسيح بزمن طويل ، وأسسوا مملكة « بترا » التى كانت رخية متقدمة فى الزراعة حتى كان عام ١٠٥ م حين ضربها ودمرها تراجان ، وكان هؤلاء الأنباط يتكلمون العربية بالرغم من أنه قد ورد خطأ فى أحد نقوشهم أنهم كانوا يستعملون الآرامية فى الكتابة [2] ؛ ويخلط المؤلفون المسلمون بينهم وبين الآراميين إلا أن الدراسة العميقة لنقوشهم أثبتت خطأ هذه الفكرة التى أقرها كاترمير [3] ، وإن كتاب « الفلاحة النبطية [4] » الذى ألفه عام ٩٠٤ م الكاتب المسلم ابن وحشية الذى اعترف بأنه ترجمه من الكلدانية ، فقد ظهر الآن أنه مختلق ، وما أشرت اليه فى هذا المجال إلا كمثال للوسيلة التى يستعمل فيها المسلمون لفظ « نبطى » ، لأن العنوان المشار اليه حالاً لا يرجع بالطبع إلى بترا ولكن إلى بابل

من كل ما قيل يستطيع القارئ أن يلاحظ أن تاريخ العرب — وجل معلوماتنا عنه مقتبسة من مصادر عربية — يمكن تقسيمه إلى ثلاثة عصور

(١) العصر السبأى والحميرى من ٨٠٠ ق . م وهو تاريخ أقدم نقوش العربية الجنوبية حتى سنة ٥٠٠ م

(٢) العصر السابق للاسلام ( أى من ٥٠٠ م — ٦٢٢ م)

(٣) العصر الاسلامى ويبدأ من هجرة الرسول من مكة إلى المدينة أى من سنة ٦٢٢ حتى الوقت الحاضر

أما عن العصر الأول الذى يتعلق بتاريخ اليمن أو بلاد العرب الجنوبية فليس لدينا مراجع عربية معاصرة له سوى النقوش ؛ كما أن المورد القيم الذى تمدنا به هذه النقوش على نقصه هو الأحاديث الواردة فى قصائد الجاهلية والقرآن وخاصة فى الأدب المحمدى المتأخر ؛ ولا مراء فى أن معظم هذه الأخبار أساطير ، ومن الأجدر أن يتجاهلها الباحث المشتغل بالبحث التاريخى ، ولكنى سأخصص جزءاً وافياً لدراستها ، خاصة وأن غرضى الأول هو التعريف بمعتقدات العرب أنفسهم وآرائهم

أما العصر الثانى فيسميه المسلمون عصر الجاهلية أو عهد البربرية [1] وتنطبع مميزات هذه الفترة فى دقة وأمانة فيما وصلنا من أغانى وقصائد الشعراء الوثنيين ، إذ لم يكن هناك إبان هذا الوقت أدب نثرى فكان من مهمة الشاعر التغنى بتاريخ قومه والافتخار بنسبهم ، وتمجيد استعمالهم للسلاح ، وتبجيل فضائلهم ، ورغماً من أن مقداراً عظيماً من شعر الجاهلية قد فقد إلى الأبد ، إلا أنه

---

(١) من مقال للأستاذ مرجليوث فى J. R. A. S لسنة ١٩٠٥ ص ٤١٨

(٢) Nöldeke: Die Semitischen Sprachen, p. 36 399 and. 51

(٣) راجع ما كتبه « Quatremère » فى « الجريدة الاسيوية » شهر مارس سنة ١٨٣٥ ص ٢٠٩ وما يليها

(٤) يقول الأستاذ إسرائيل ولفنسون بصدد هذا الكتاب « ألفه سنة ٢٩٦ هـ باللغة العربية أبو بكر أحمد بن على بن وحشية الذى كان من أسرة نبطية وثنية اعتنقت الاسلام وحسن إسلامها ونبغ بعض أفرادها . والكتاب خلاصة لنظريات المعتقدات الوثنية عند النبط والآراميين وما فيه مستمد من آراء عالم وثنى عرف عند ابن وحشية باسم كوثامى ؛ ومع أن كتاب الفلاحة النبطية يشتمل على معلومات ونظريات فى علم الفلاحة والنبات = فانه يحتوى على روايات وقصص عن حياة الأمم الوثنية البائدة فى الشام والعراق والديار الفارسية ... وكان العالم كاترمير يعتقد أن كوثامى المذكور فى كتاب الفلاحة النبطية من رجال القرن السادس ق . م . وقد عارضه فولسون Chwolson فى ذلك إذ بدا له أن كوثامى عاش فى القرن الرابع عشر ق . م أما المؤرخ أرنست رينان فيميل إلى أن معلومات ابن وحشية عن حضارة الأصنام الآرامية ترجع إلى القرون الأولى بعد الميلاد لذلك يؤثر أن يكون كوثامى ممن عاشوا فى ذلك الزمن أيضاً » ( راجع موسى بن ميمون ص١١٢ هامش رقم ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سبتمبر١٩٣٦)

(١) فى الحقيقة أن الجاهلية تشمل كل الفترة منذ آدم إلى محمد ، ولكنها قد تستعمل — فى دائرة محدودة كما هو الحال هنا — للاشارة إلى عصر ما قبل الاسلام للأدب العربى

لا تزال لدينا بقية كبيرة (بإضافتها إلى ما وضعه علماء اللغة والآثار المسلمون من قصص تترى) تساعدنا على تصوير حياة هذه الأيام الغابرة تصويرا دقيقاً

أما أهم العصور الثلاثة وآخرها فهو تاريخ العرب تحت ظل الاسلام، وينقسم طبيعيا الأقسام التالية التى ألممت بها فى هذا المكان حتى إذا ألقى القارىء عليها نظرة تبين من خلالها مجمل المظاهر السياسية المتعددة لهذا العهد المضطرب الدقيق الذى يقوم بجاهه؛ وهذه الأقسام هى:

## ا — حياة محمد

حوالى مستهل القرن السابع المسيحى ظهر فى مكة رجل من قريش هو محمد بن عبد الله بكتاب سماوى هو القرآن، دعا قومه لنبذ الأوثان ولعبادة «الله الواحد»، وقد ظل مثابراً عدة أعوام على الدعوة لدين الاسلام فى مكة على رغم ما لاقاه من سخرية القوم منه واضطهادهم إياه، ولما وجد أن تقدم دعوته ضئيل هاجر عام ٦٢٢ م إلى بلدة مجاورة تلك هى المدينة، ومنذ ذلك التاريخ كان النصر المؤزر حليفه، وفى خلال السنوات العشر التالية دانت بلاد العرب جميعها لديانته، ودعت بلسانها للايمان الجديد

## ب — خلافة الراشدين (٦٣٢ — ٦٦١)

بعد أن قبض الرسول (ص) تعاور حكم المسلمين بالتتابع أربعة من أعظم صحابته، هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، وسمى كل منهم خليفة، ويعرفون عادة بالخلفاء الراشدين، وفى ظلهم وبارشادهم ثبتت دعائم الاسلام فى شبه الجزيرة وخفق لواؤه بعيدا وراء الحدود، أما أعداؤه من البدو فقد استقروا كمستعمرين حربيين فى السهول الخصبة من سورية وفارس، وسرعان ما وقعت الأمبراطورية الحديثة النشأة فى حرب أهلية، وكان مقتل عثمان إيذاناً باشتعال النضال بين طلاب الخلافة المتنافسين، وتمسك على — صهر الرسول — بلقبه، ولكن حاكم سورية القوى معاوية بن أبى سفيان أنكر خلافته ونافسه

## حـ — الدولة الأموية (٦٦١ — ٧٥٠)

لما سقط على صريعاً بضربة خنجر اعتلى معاوية عرش الخلافة الذى ظل وقفاً على أسرته تسعين عاماً، وكان الفارق الوحيد فى الأمويين أنهم كانوا عرباً قبل أن يكونوا مسلمين، وكان أثر الدين فيهم ضئيلا، ولكن ظهر منهم بعض حكام أكفاء مهرة، جديرين بأن يكونوا قادة جنس آمر. وقد بلغت الفتوح الاسلامية أقصى اتساعها عام ٧٣٢ م، وكان للخليفة القائم فى دمشق قواده فيما وراء أكسوس والبرانس وعلى شواطىء بحر قزوين ووادى النيل؛ وفى غضون ذلك كان بأس الدولة آخذا فى التدهور والانحطاط من جراء المنازعات السياسية والدينية القائمة فيها؛ أما الشيعة الذين تمسكوا بحصر الخلافة فى على وأبنائه بأمر مقدّس، فقد ثاروا مراراً عدّة، وانضم اليهم المسلمون الفرس الذين كانوا يمقتون العرب والحكومة الأموية الظالمة، كما كان العبّاسيون — وهم ذوو وشيجة قربى قوية بالرسول — قادة الاضطراب الذى انتهى بخلع البيت الحاكم نهائياً واستئصال شأفته

## د — الدولة العباسية (٧٥٠ — ١٢٥٨)

كان العرب حتى ذلك الوقت أصحاب السلطان فى المجتمع الاسلامى، وقد شمخوا بأنفهم تيها على المسلمين من غير العرب وازدروهم، ولكن انعكست الآية بعد ذلك، إذ نجد أنفسنا قد انتقلنا من عصر العصبية العربية الى عصر النفوذ الفارسى والثقافة الجامعة، وكان صفوة القوات العباسية من فرس خراسان، وشاد العباسيون «بغداد» عاصمتهم الزهراء على أرض فارسية، ونال أشراف الفرس أسمى مناصب الدولة وأرفعها فى بلاط بنى العباس، وإن لم تكن الدولة الجديدة دينية، إلا أنها كانت على الأقل حدبة على الدين مجتهدة فى أن تحيط نفسها بمظاهر الورع، ونسى العرب والفرس حينا ما بينهم من خلاف وفروق، وتعاونوا جميعاً كما ينبغى على المسلمين الأتقياء، ولقى التعاليم تشجيعا عظيما، وكان هذا العصر العصرَ الذهبى للاسلام، وقد بلغ أوجه أيام هرون الرشيد الزاهرة (٧٨٦ — ٨٠٩). ولما مات تداعت عمد السلام مرة ثانية، وابتدأ نجم الأمبراطورية القوية البأس فى المغيب، وأخذت القاطعات تنسلخ واحدة بعد أخرى عن الخلافة، وتقتطع نفسها منها، ومن ثم ظهرت دول مستقلة كثيرة، بينما صار الخلفاء دُمًى فى أيدى الجند الأتراك، وظلت معظم الأقطار الاسلامية معترفة بسيادتها اسمياً، ولكن منذ أواسط القرن التاسع لم يعد لهم إلا القليل منها، أو لم يعد لهم شأن مطلقاً

(يتبع) ترجمة محمد حسن حبشى

مشرقيات

# فى الأدب العربى الحديث

## للأستاذ أغناطيوس كراتشقويفسكى

الأستاذ بجامعة لينتجراد

— ٣ —

وهنالك محاولات فردية بذلت فى سبيل كتابة القصة الاخلاقية (سعيد البستانى ويعقوب صروف) . والقصة النفسية (فرح أنطون ١٨٧٤ — ١٩٢٢) ، وإن كانت لم تضارع قصص زيدان فى مضمار النجاح

لكن معين القصة التاريخية عند العرب لم ينضب بعد كما يتضح من قصة « ابنة المملوك » التى وضعها فى عام١٩٢٦ القصصى المصرى محمد فريد أبو حديد . وهى من نوع يختلف كل الاختلاف عن قصص زيدان ، بل إنها وصلت من بعض الوجوه الى مستوى أعلى

أما الأقصوصة فقد رأت النور فى مصر بخلاف القصة التاريخية ، ولا بأس من ذكر المحاولات التى بذلت فى سوريا ، ولكن ما كتب هناك من الأقاصيص كان قاصرا على طبقة المبتدئين . فقد شرع جبران خليل جبران وهو فى شرخ الشباب فى كتابة الأقصوصة على سبيل التمرن ، لكنه لم يعد الى ممارسة هذا النوع من الكتابة . أضف الى ذلك أن المجال لم يفسح لهذا النوع الجديد فى مصر إلا ببطء كبير . ولقد حاول الجيل القديم أن يستعمل أسلوب المقامات فى النقد الاجتماعى ، كحديث عيسى ابن هشام لمحمد المويلحى المتوفى فى عام ١٩٣٠ ، وهو ابن الصحفى النابه ابراهيم المويلحى (١٨٤٦ — ١٩٠٦) . أما المحاولات الأخرى (عائشة التيمورية ومحمد حافظ ابراهيم) فقد كانت أقل توفيقاً . وهناك مُؤلف معروف جرّب حظّه فى الأقصوصة ، هو المنفلوطى ، وكانت أقصوصته تارة موضوعة ، وتارة أخرى منقولة بتصرف ، لكن كتابته امتازت بجمال التنسيق وسلامة الأسلوب دون دقة الموضوع أو البراعة القصصية . أما محمد تيمور الذى توفى فى شرخ الشباب (١٨٩٢ — ١٩٢١) فيمكننا أن نعده منشىء الأقصوصة المصرية ومبتكر التصوير الواقعى للحياة الاجتماعية الحديثة . فقد كان ملماً كل الالمام بالآداب الأوربية ، قوى الملاحظة ، دقيقاً . فوضع أقاصيص صغيرة مأخوذة من صميم الحياة المصرية ، بأسلوب يحاكى أسلوب موباسان أو تشيكوف تحت هذا العنوان « ما تراه العيون »

وتقدمت الأقصوصة خطوات إلى الأمام فى مؤلفات شقيقه محمود تيمور (المولود فى سنة ١٨٩٤) وهى مجموعة فى ستة مجلدات[1] . وأقاصيص محمود تيمور واقعية كأقاصيص شقيقه محمد ، لكنها أكثر تنوعاً ، وأعمق تحليلاً ، وأفصح لغة ، وأسهل أسلوباً

وقد أثر فن التيموريين القصصى تأثيراً كبيراً فى جيل الكتاب المعاصرين ، ولنذكر منهم : أخوى عبيد ، المرحوم عيسى عبيد المتوفى عام ١٩٢٤ ، الذى وضع مجموعتى « إحسان هانم وثريا » ، وشحاته عبيد الذى كتبَ « درس مؤلم » ، وطاهر لاشين مؤلف « سخرية الناى ، ويحكى أن ... وحواء بلا آدم » . وهى مجموعة قصصية امتازت بالطلاوة والفكاهة ، ومحمد أمين حسونه مؤلف « الورد الأبيض »

ومن المميزات الجديرة بالملاحظة أن هذا النوع من الأدب وجد أنصاراً مخلصين فى البلاد العربية ، وجلها تأثرت بمصر إلى مدى بعيد

وفى العراق كاتبان ذاعت شهرتهما إلى ما وراء وطنهما هما : محمود أحمد (المولود فى سنة ١٩٠١) ، وقد وضع قصة طويلة بعنوان « خالد » ، ومجموعة باسم « الطلائع » وأخرى موسومة «فى ساع من الزمن» ، والقصصى العراقى الثانى هو أنور شاؤول الذى كتب مجموعة « الحصاد الأول »

ولقد ظهرت الأقصوصة العربية فى أمريكا « المهجر » فى الوقت الذى ظهرت فيه فى مصر ، وربما قبل ذلك ، ولنذكر أولاً عبد المسيح حداد الذى كتب أقاصيص صغيرة كلها فكاهة

(١) بلغت مجموعة محمود تيمور القصصية إلى الآن ثمانية مجلدات وهى : الشيخ جمعة ، وعم متولى ، والحاج شلبى ، والشيخ سيد العبيط ، ورجب أفندى وأبو على عامل ارتست ، والأطلال ، والشيخ عفا الله (المترجم)

بعنوان «حكايات المهجر» وهى تكاد تكون صوراً سريعة للحياة العربية فى أمريكا ، وقد أخذ المؤلف كثيراً من روح أقصوصات جبران . وهناك أيضاً ميخائيل نعيمه الذى خصص فى أقصوصته النفسية مجالاً واسعاً لتحليل الروح تحليلاً عميقاً ، متأثراً بالأدب الروسى فى القرن التاسع عشر

***

إذا استطعنا القول بأن الأقصوصة العربية الجديدة وجدت أمامها الطريق اللائق بتقدمها وازدهارها حتى بلغت المكانة الجديرة بها ، فان القصة لم تصل إلى هذا المدى من النشاط ، وكل ما رأيناه فى هذا المضمار هو بعض محاولات طفيفة

وقد استهل هـذا النشاط بقصة « زينب » ، وهى قصة طويلة وضعها فى عام ١٩١٤ محمد حسين هيكل بك الذى أصبح فيما بعد صحفياً وأديباً نابهاً ، وموضوعها منقول عن الحياة الريفية فى مصر . أما من حيث اللغة والأسلوب وطريقة الكتابة فقد فتحت فتحاً جديدا ، إذ امتازت القصة بأسلوبها الطبيعى الخالى من الصناعة والتكلف ، لكنها رغم ذلك لم تلفت الأنظار فى بدء ظهورها

ووضع الدكتور طه حسين ( المولود فى سنة ١٨٨٩ ) قصة دعاها « الأيام » فى عام ١٩٢٧ ، وسار فيها على أسلوب الأخبار العائلية ، وهى تصف طفولة صبى مصرى يافع ، عاش فى قرية صغيرة على ضفاف النيل ، والقصة جديرة حقاً بالتقدير ، لا من حيث الوصف الحى للحياة الواقعة فحسب ، بل كمؤلف أدبى من الطراز الأول فى اللغة والأسلوب وطريقة الرواية

أما مجموعة القصص الثلاث لتوفيق الحكيم فقد رسمت لها خطة واسعة النطاق ، ولم ينشر منها حتى الآن سوى القسم الأوسط « عودة الروح » فى جزءين ( كتبا فى سنة ١٩٢٧ ونشرا فى سنة ١٩٣٣ ) ، وقد خصص هذا القسم للحوادث التى توالت على مصر ابتداء من عام ١٩٢٠

وكان لظهور توفيق الحكيم فى سماء الأدب أحسن وقع لما امتاز به من التعمق فى الفن الروائى ، وبراعة الوضع ، وسلاسة اللغة ؛ وهذه الأمثلة تحملنا على أجنحة الأمل وتدفعنا إلى الاعتقاد الجازم بأن القصة ستحل قريباً المحل اللائق بها فى الأدب العربى الحديث

## حـ — المسرحية (الدرامة)

لم تنبت المسرحية العربية الجديدة من أصول محلية ، شأنها فى ذلك شأن القصة ( فهى لم تأخذ شيئاً من المقامة أو القراقوز أو أسرار الدين الشيعى ) . وقد شاع فن التمثيل بين الطلبة بفضل الحفلات السنوية التى كانت تقيمها المدارس الأوربية ، واعتاد المدرسون أن يضعوا بأنفسهم المسرحيات التى يقوم الطلبة بتمثيلها إذ كانوا يختارون موضوعاتها من التوراة أو من التاريخ اليونانى والرومانى القديم « الكلاسيك » ، وأخيراً من ماضى العرب

لم يقتصر المسيحيون وحدهم على توجيه عبقريتهم نحو هذا النوع ، بل اشترك معهم المسلمون . ففى سوريا ، كتب ابراهيم الأحدب مسرحيتى « اسكندر القدونى » و « ابن زيدون الأندلسى » ، ووصل فن المسرحيات الهزلية الأخلاقية إلى نتائج جديرة بالثناء منذ أوائل عهد النهضة الأدبية ، بفضل التأثير الأوربى ، فقد زار الكاتب السورى مارون نقاش (١٨١٧ — ١٨٥٥) إيطاليا عدة مرات ، واطلع على مؤلفات موليير ودرس حالة المسرح الايطالى الجديد . وما إن عاد إلى وطنه حتى شرع فى كتابة ثلاث مسرحيات هزلية على أسلوب موليير ، وعهد بتمثيلها إلى فرقة من الهواة ، وفى اثنتين منهما صور المؤلف الحياة السورية الحالية . أما الثالثة فهى مقتبسة عن « ألف ليلة وليلة » ، وقد نالت تلك المسرحيات بعض النجاح ، لكن بعد وفاة المؤلف وهو فى ريعان الشباب ، لم يحاول أحد أن يسير على خطته ، اللهم إلا فى بعض المسرحيات الهزلية الصغيرة التى وضعها طنوس الحر (عام ١٨٦٠) فانها لم تصادف من النجاح إلا القليل

وبعد مضى عشرين سنة ألف الكاتب السورى أديب اسحاق (١٨٥٦ — ١٨٨٥) فرقة تمثيلية صغيرة بمدينة الأسكندرية ، وهو شقيق سليم النقاش المتوفى عام ١٨٨٤ ، واتجهت الميول وتنتذ شيئاً فشيئاً إلى المأساة شبه الكلاسيكية . وكان أغلب أنصار هذه النزعة من رجال حلقة اليازجى والبستانى

وأول ما ظهر من المآسى « المروءة والوفاء » ، لخليل اليازجى ( ١٨٥٦ — ١٨٨٩ ) ، وهى قطعة شعرية مستقاة من حادث معروف فى أساطير الأدب الجاهلى . وبعد نجيب حداد

(١٨٦٧ — ١٨٩٩) من أغزر الكتاب المسرحيين فى هذا العهد إنتاجاً ، فقد ترك ست عشرة رواية مسرحية ، أغلبها منقول بتصرف عن مؤلفات كورنى وفيكتور هيجو واسكندر دوماس وشكسبير ، لكنه ليس من السهل غالباً العثور على الأصل . وكتب أيضاً بعض تراجيديات من وضعه ، وهى لا تختلف عن سابقتها فى النوع ، نذكر منها « صلاح الدين » و « ثارات العرب » . ونالت مسرحيات حداد إعجاب الجمهور إذ ظل يتذوقها ويفضلها على سائر المسرحيات العربية حتى نشوب الحرب العظمى ، وإن كان الأوربيون يعتبرونها فطرية وغير متناسقة مع حاجات المسرح

وحاول الكاتب المصرى محمد عثمان جلال (١٨٢٩ — ١٨٩٨) أن ينفث روحاً جديدة فى المسرحية الهزلية الأخلاقية ، وفيما عدا ترجمته لمسرحيات راسين وكورنى إلى اللغة العربية الفصحى ، عزم هذا الكاتب على تنفيذ فكرة جريئة ، هى نقل مؤلفات موليير إلى اللهجة المصرية العامية مع مراعاة الأحوال الأخلاقية المصرية

لسنا ننكر أن محاولته تدل على مهارة فائقة وعبقرية ناضجة ، ولكن اللهجة العامية كانت غريبة على المسرح الذى لم يألفها ، ولذا لم تمثل مسرحياته إلا فى سنة ١٩١٢

تلك هى أهم البواعث التى يعزى إليها قصور التأليف المسرحى العربى على النوع شبه الكلاسيكى

لما جاءت سنة ١٩٢٠ كانت بعض الروايات مترجمة وبعضها موضوعة على طريقة نجيب حداد ، الذى كان قد أفسح المجال لعدة مؤلفين قديرين نسجوا على منواله . أما بعد سنة ١٩٢٠ فقد بدأ عهد جديد للأدب المسرحى فى مصر بفضل جهود محمد تيمور الذى تحدثنا عنه فى صدر هذا المقال

كان الفن المسرحى موضع عنايته الخاصة ، وطالما كتب عن المسائل الخاصة بنظريات الفن المسرحى وتاريخه ، كما أنه وضع عدة منولوجات لالقائها على المسرح ، وقد ترك أربع روايات مسرحية : روايتين هزليتين ، ودرامة وأوبريت [١] . أما حوادثها فتجرى كلها فى مصر الحديثة ، عدا الأخيرة فهى مقتبسة عن مصر فى عهد المماليك

(١) هى : العصفور فى القفص ، والهاوية ، وعبد الستار افنــدى ، والعشرة الطيبة (المترجم)

ومسرحيات تيمور تمتاز بالروح القوى ، وتراه يدب فيها بفضل استعماله اللغة المصرية الدارجة ، كما أن صفاتها المسرحية العظيمة جديرة بالتسجيل ، ولا شك أنها فى مقدمة المسرحيات المعبرة عن الحياة العصرية ، وهذا من أقوى البواعث التى يعزى إليها نجاحها

وفيما عدا هذه المسرحيات ، فقد نجح ميخائيل نعيمه فى المهجر ، وفى وضع مسرحية هزلية أخلاقية ، امتازت بما فيها من التحليلات النفسية الاخلاقية الرائعة ؛ هى رواية « آباء وأبناء » — ١٩١٧ — ووقائعها مأخوذة عن الحياة السورية العصرية ، وخصصت القدمة لمسائل مبدئية ، مما يدل على اهتمام المؤلف اهتماما جديا بالمشاكل التى يثيرها التأليف المسرحى ، ولاريب فى أن هذه الجهود تعد فاتحة خير للفن المسرحى العربى

والمسرحيات المصرية التى وضعها أنطون يزبك ( خصوصاً الذبائح ) المكتوبة باللهجة العامية ، تدل على تقدم مطرد بالنسبة لسابقاتها . وقبيل عام ١٩٣٠ حاول الشاعر الكبير أحمد شوقى بك أن يعيد الى التراجيدية شبه الكلاسيكية رونقها وبهاءها ، فخلف بعد وفاته عددا من المسرحيات الشعرية المنقولة عن التاريخ المصرى القديم أو تاريخ العرب [١] ونجحت هذه المسرحيات نجاحا باهرا بفضل تناسق روحها الشعرية الجميلة المكتوبة بأسلوب عربى قديم صحيح « كلاسيك » فجاءت مطابقة لذوق الجيل الحالى ، وإن كانت لا تعد تقدما فى تاريخ المسرح العربى

( يتبع ) ترجمة محمد أمين حسونة

(١) هى : كليوباترا وقمبيز وعلى بك ومجنون ليلى وأميرة الأندلس

الى الوفد السورى

# أيها الظافر المتوج بالنور !

## للشاعر (أبو غسان)

أقبل الفجر يا هزار ومَنْ منـ لك ومنى بمتعة الفجر أحرى
ما ترى الورد قد تفتح للنو ر وقد أوشك الندى أن يفرا
والشحارير قد تيقظن للشد و وأيقظن فى الخمائل عطرا
والفراشات قد جرين إلى الحقـ ل يفيض النثير عنهن تبرا
وسرت رعشة الحياة إلى الكو ن تهز الوجود أنساً و بشرا
موكب من مفاتن وجلال هب يستقبل الصباح الأغرا
موكب للجمال ، للحق ، للحب ترفُّ المنى حواليـــه سكرى
طِرْ بنا يا هزار نلتمس الرو ض فقد آن للأسى أن يُسَرَّى
ننفض الصبر والأسار فقد كد نا ، رعاك الآله ، نهلك صبرا
نحن فى هدنة الكفاح مع الليل وقد يعقب الكفاح الأمَرَّا
فتعجل شـذا الصباح فما تد رى لعـل المساء يحدث أمرا
كم ترقبت ذا الضياء وقد جن (م) عليك الدجى أذًى واكفهرا
وشكوت الظـلام يصهر جنبيـ لك عذاباً و يفعم الأرض ذعرا
فاستمع للبشير يالدة النفـ س يساقط عليك أسعد بشرى
ينضح الأفق بالسناء فتفتر (م) الروابى و يرقص الدوح سكرا
ويغنى الأرواح بالأمل العذ ب فتهفو الأرواح لله شكرا
هو فجر الخلود إثر دياج غمرت بالفناء عشك دهرا
هو فجر الأحـلام منَّ به الله (م) على أنفسٍ إلى الفجر حَرَّى

***

أى بشير السماء : ألأرضُ قد ضا قت لك الله بالتنظُّر صدرا
هاتها نفحة من النغم الد ويّ ترجعْ ذوابل الحلم نضرا
هات ماشئت عن وفادة باريس وأحـدث مما هنالك ذكرا
هل عنا الخصم بعد كبرٍ وهل آ من بالحق بعـد كفر و برا
وصراخ الضعيف هل لقى السمـ ع وقد طالما نأى عنه وقرا
وهل القوم أيقنوا أن فى الشا م أباةً لا ترتضى العيش أسرا
قد نماها إلى العـلاء أماجيـ د لهم فى الزمان أمجد ذكرى
لقنوا الكون برهة مثل العد ل وفاقوا الأنام عزماً وفكرا
وأفاضوا على دُنى الغرب بالنو ر وكانت ، إلامن الجهل قفرا
والأمانىُّ يا بشـــير أحقًّا شوهت حسنها الثعالب مكرا
أم أراجيف ذو الضلالة قد دس (م) لظاها على الحقيقـة كفرا
فأزل باليقين من يدك الريـ ب وأدرك به النفوس فتبرا
قد شرى الشعب بالدماء أمانيـ ه فلا غرو إن غلا الشعب حذرا
ولأنت الحـكيم يا قائد الشعب وحاشاك أن تُزَلّ وتغرى
إن فى وجهك النبيل من العز لآيا على جبينك تُقرا
و بكفيك من جراح العوالى لخضاب الكمى أحرز نصرا
أولست الصفىَّ من حرس المجد عركت الأيام مداً وجزرا
فيك من قلب (هاشم) حكمة الدهـ ر ودنيا من رأس (فارس) أخرى
و بك العبقرى من دوحة الصلـ ح يروع النهى جلالاً وسحرا[1]
ومن « السعد » عزمة الليث قد سيـ م اعتسافاً فطبق الجو زأرا
ودهاء ابن « مردم » فى السياسا ت ومن ثَمَّ كان « مردم » خبرا
هِمم تصـدع الجبال وتنهد لديها معاقل الدهر حسرى
ليس بدعاً أن تسترد إلى الر بع سليب الرجاء والحق قسرا

***

أى بشير انظر الخلائق يكتظ (م) بها الرحب كالخضمات زخرا
زحفت من جوانب الأرض تجتا ز إليك الدروب سهلاً ووعرا
ترهف السمع ترقب النبأ الأعلى وترنو إليك تسأل بشرى
ملت العيش فى القيود فما تأ لو كفاحاً أو تنزع العيش حرا
راعها الأفك من حضارة أورو با تجنى على الحضارة وزرا
محجب المخلب المحدد بالصبـ غ خداعاً وتزعم الخير شرا
وستراق الشعوب أمناً وتحر يراً وقتل الأرواح بالرق نشرا
فمشت تنشـد الحياة لتمحو وصمة الغرب بالحضارة غرا

(١) رياض بك الصلح

تستمد اليقين من شرف الأمـ  س وتنضو إلى الغد العزم بكرا
فتوقل بها ذرى المجد تطلع  فى سماء التاريخ ما شئت فخرا
جادلتك الخصوم فيها وما كنـ  ـت لتعيى وأنت أكرم عذرا
فأقم للخصوم فى مقبل العهـ  ـد على قدرها الدليل الأغرا
وأدر دفة السفينة تجنبْ  عاصفاً يرمق السفينة شزرا
لأرى الأفق قد تلبد بالسحـ  ـب وقرن الخلاف فى الركب ذرا
شرر يستطير فى الوطن البا كي  وخطب يكاد أن يستحرا
فتـدارك بالمبضع الداء فى المهـ  ـد وإلا فيا لله أمرا
واصطلمها فوضى يسعرها الطيـ  ـش على الحى ذو الحماقة غرا (١)
قد ختمت اليوم الجهاد صغيراً  وبدأت الجهاد أكبر حرا
إن يك العهد فى النضال عسيراً  إن عهـد البناء أوفر عسرا
ولأنت المرجو إن حزب الدهـ  ـر وأعظِم « بكتلة » الحزم ذخرا

***

أيها الظافر المتوج بالنو  ر تباركت للهداية بدرا
قد مَهَدْتَ السبيل للهدف الأسـ  ـمى ووفيت جهدك العهد برا
فتقبل تحيـة الساحل الشا  كرعصماء صغتها لك شعرا (٢)
حرة لم تهم بغيرك عرساً  وَهْيَ تأبى إلا رضاك مهرا
حفها بالحياة والروح غرا  ن بهم أنت والمكارم أدرى
من بقايا سيوف « فيصل » فى الشط
رعى الله عهـد « فيصل » ذكرى
المشبين ثورة الجبـل السا
مى دجى الأمس والشدائد تترى (٣)
جبناء اللسان فى زمن القول  وأسدُ الوغى إذا الهول كرا

***

وعظيمٌ تحية الوطن المفجو  ع تمناه فى مدى الروع تُغرى
يملى بمقـلة فرح الشـ  ـم وتبكى منه فلسطين أخرى
غرقت بالدماء فى الحرم الأ  قصى وعاثت بها يد اللص غدرا
تتلظى حمراء فى « جبـل النا
ر » وتهوى بجانب « المهد » كسرى
تسأل الغوث أهلها فإذا الغو  ثُ من الأهل كالقطيعة نزرا
لـكأنى بالقوم قد حسبوا الحق  عطاء والواجب المحض برا
وكأن لم تسكن فلسطين للإسلا  م قلباً وللجزيرة طرا
أيبيت الأحرار فى حُفر الأر  ض ونأوى إلى القصور مقرا!
وتعانى الطوى ويُتخمنا الشبـ  ـع، ونختال فى الحرير وتعرى!
ونصبُّ الأموال فى سُبل اللهـ  ـو ونشكو إذا دعا الجد فقرا!
نوَّر الله يا دمشق محيا  كِ ولا زلت للعروبة ظئرا
قد شفيت الأخاء نحو فلسطين  وقاسمتها الأسى مستمرا
فأعدى، وقد فرغت، لها الجهـ  ـد جديداً والعون أعظم قدرا

(اللاذقية) « أبو غسان »



(١) الطيش بالنصب مفعول لأجله ومنه قول الشاعر : شنوا الأغارة فرسانا وركبانا

(٢) الساحل هو منطقة اللاذقية التى كانت مفصولة عن أمها دمشق فردتها المعاهدة

(٣) ثورة الجبل العلوى المعروفة سنة ١٩١٩ — ١٩٢٢ بقيادة الشيخ صالح العلى

# القصص

## نومان ...

— مكانكم !

لويت عنان فرسى نحو مصدر الصوت الآمر ، ولكن العثير الذى أثارته حوافر الشياه حال دون أن أرى شيئاً ، وصبرت قليلاً فلاح لى خلال ذرات التراب الحائرة أربعة أشباح قد اعترضت سبيل الماشية فحالت دون سيرها ، ولما همد الغبار تبينت فى الأربعة الأشباح أربعة رجال قد ضرب كل منهم لثامه على وجهه فلم يبن منه إلا عينان كعينى الصقر ، وتمنطق كل منهم بحزام من الرصاص لمعت ظروفه النحاسية تحت أشعة الشمس المائلة للمغيب ، وسدد كل منهم فوهة بندقيته الكامدة نحونا ، لا يتحرك ولا تطرف عينه

وانطلق الصوت الآمر مرة أخرى أجش :

— مكانكم قبل الهلاك ! ...

وأدرت رأسى ببطء نحو رفاق فى رحلتى ، وكانوا أربعة نفر من جنود الشرطة السورية ، فتبينت وجوهاً علاها الاضطراب ، ورؤوساً منكسة الأذقان ؛ ورأيتهم وكل قد خفض بصره فزعا ، يخالسون الأنظار ويسترقون الرؤية ؛ فكدت ، أنا موظف الحجز فى محكمة « الرقة » أقهقه فى الموقف المصيب من أمر هؤلاء النفر ، يرتعدون هلعاً وفى كتف كل منهم بندقية كأنما علقت إشارة ناطقة على الجبن والخور

وساد صمت قصير لم يقطعه إلا حوافر الخيل تضرب الأرض ، وارتفع بعدها الصوت الأجش :

— هذا الطريق إلى « الخان » فدونكموه ... هيا !

سكت أصحابى ولكنى قلت مستفهماً :

— وهذه الماشية المحجوزة ؟

— هيا ... الماشية لنا ...

كان جواباً حاسماً ، ولكن رئيس الجنود جمع شتات شجاعته وصاح معترضاً :

— وكيف نتركها لكم ؟ هذا لن يكون

وقبل أن يلفظ الحرف الأخير دوى صوت الطلقة التى أطاحت قبعته ...

— هاء ! هيا سيروا ، ولا يلتفتن أحد وراءه ...

وكان أول من لكز حصانه رئيس الجنود وقد ملكه الذعر فأرسل العنان لفرسه لا يلوى على شىء ، وأرسلنا الأعنة لخيلنا ، نريد أن نبلغ « الخان » قبل المغيب

***

لاحت لنا بيوت الشعر من قرية الخان وبين الشمس وبين أن تغيب قليل ، وكانت خيولنا تسير ببطء وتثاقل ، كأنما تحس بما عليها من عار وخزى ، وكان الجنود ساهمين لا ينبس أحدهم ببنت شفة ، فكأن الخوف والخجل تكاتفا على إظهارهم بمظهرهم هذا الذليل ؛ وسرت خلفهم منعزلاً عنهم أفكر فى هذه المهزلة التى أكرهنا على تمثيلها . فلما لاحت لى أطلال « الخان » العتيق تحيط بها بيوت الشعر عنت لى فكرة ، فعزمت على أمر

تلقانا مختار [1] القرية ، الذى كنت به وبأهل قريته عارفاً ، بخير ما يتلقى المرء ، ولما ترجلت انتحيت به ناحية وقلت له :

— أريد نومان

فرفع إلى رأسه ثم ألقى على أصحابه الجنود نظرة أعادها إلى فى دهشة وتساؤل ، فتبسمت وقلت :

— لا تخش شيئاً ، لست أجهل أن نومان طريد الحكومة ولكنى أطلبه

فحرك كتفيه باستسلام وقال :

— كما تشاء

ومضى ، ولم تكن إلا برهة حتى عاد وأسر إلى : « هو منتظرك عند الجدار الغربى من الخان » ، فيممت المكان الذى

(١) مختار القرية السورى هو عمدتها للمصرى

ذكر ، فلاح لعينى فتى طويل القامة متين البناء ، ملق عباءته على رأسه ، ومرخ لثامه على وجهه ، وفوق منكبيه تنوس ضفيرتان بلون الليل على ثيابه البيضاء ، قد اقترن حاجباه فوق اللثام ، ولمع مقبض خنجره خلف الحزام ؛ ومذ رآنى خف إلى مصافحتى فتعانقنا ، وبادرته :

— هيه يا نومان !

فأجابنى صوت صافى النبرات رنان :

— يا لبيك ! ما وراءك ؟

فأخبرته الخبر وما سينجم عنه ، ثم قلت له :

— أنت وما ترى ، فلقد طرحت الأمر عن عاتقى

فلمحت الابتسـامة خلف اللثام الكثيف ، وقال بلهجة الحازم الواثق :

— لعينيك أبا خالد ، فسيبلغك خبرى ...

وابتعد عنى يتخطى الأطناب متغلغلاً بين البيوت ، وعاد بعد يسير ممتلياً صهوة فرسه وقد تمنطق بحزامين من الرصاص وبندقيته فى يده ، فلما بلغ موقفى لكز الجواد وجال على ظهره جولة ثم قذف بالبندقية فى الهواء وتلقفها بأصابعه والجواد يعدو ، ثم هتف بى :

— إلى اللقاء ، فانتظرنى

وأتبعته نظرى وقد سار فى الطريق الذى جئنا منـه حتى حجبه عن عينى الغبار الثائر

* * *

تعددت الطلقات تمزق سكون الليل البهيم ، فانتبه رفاقى بعد أن أخذ الكرى بمعاقد أجفانهم فهوموا ، وأرجف من فى مضيف المختار من رجال القرية أسماعهم إلى الأصوات برهة ، ثم انصرفوا إلى ما هم فيه من حديث ؛ أما المختار فقد نظر إلى نظرة المستفهم ، فأجبته بابتسامة الخبث وقد فهمت ما يريد ؛ فهز رأسه وتمتم بكلمات غير مفهومة . وكانت أصوات البنادق لا تزال تلملع حيناً بعد حين ، آناً متفرقة وطوراً متوالية متقاطعة ؛ وبعد هنيهة سكت كل شىء ، فوجب قلبى وتوجست خوفاً من هذا السكون ، وقد حدثتنى النفس بمصاب نومان ، غير أنى طردت أفكار السوء وخرجت من المضيف

كان ليل البادية زاهياً ، بنجومه الوضيئة المنتثرة فى نواحى السماء الزرقاء ، ونسيم أول الربيع البليـــل يعبث بأروقة البيوت وكواسرها ، وعواء الكلاب يتردد فى أطراف المنازل تارة وينقطع أخرى ، ولاح لى « الخان » كشبح جبار أسود جاثم فى الفلاة المترامية الأطراف ، فوضعته نصب عينى وأصخت بسمعى إلى الطبيعة الساكنة .

كم هى رهيبة هـذه القناطر المعقودة والأقواس المتتالية فى ردهات « الخان » العتيق !

كم هى مهيبة هذه الأعمدة المتوازية التى تملأ أبهاءه مشققة السـطوح مهشمة الرؤوس ! وهـذه الجدران التى لم يذهب من حجارتها ، على كر القرون والعصور ، إلا ما أخذ أثافى للقدور وأركاناً للمواقد ! لقد جلت فى قاعات هذا القصر القديم ونظرت خلال خروق السقوف من غرفة إلى الكواكب الزاهرة ، ثم رقيت الجدار وأرسلت بصرى يجوب أنحاء البادية ، ولكن عينى لم تقع إلا على فلاة موحشة سوداء ونجوم تليها نجوم لا يبلغها حصر ، ويعيا عن عدها الفكر .

وانتابتنى الهواجس مرة أخرى ، ولكن الغبار القاتم الذى ثار عند مدّ البصر قشـع غيومها ؛ فقد ميز سمعى فى هدأة الليل وقع حوافر الشياه على رمال الطريق فانجابت عنى الشكوك وملأ قلبى الفرح وقد تبينت صوت نومان يحث الشياه على السير .

ونبحت الكلاب هذا الفوج من الطارقين فأوقدت النيران وحمل كلّ قبساً ليتبين هذه الغبرة الغريبة ، فلما اقترب القادمون رأيت على ضوء المشاعل منظراً يملأ الصدور حبوراً ويثير العواطف والشعور : قطيع من الغنم يتلوه أربعة رجال مشمرو المآزر ملثمو الوجوه ، قد كتفت أيديهم من خلاف وعلقت بنادقهم فى الأعناق ، يسوقهم سوق الماشية فتى متين الهيكل ، شديد الأسر ، ملطخ الثياب بالدماء القانية ، قد اعتلى صهوة جوادٍ أشـقر ، تنوس على كتفيه ذؤابتان طويلتان كلما حرك رأسه ليرد تحية محىّ قفزت عن الجدار وعدوت أشق الجموع إلى نومان هاتفاً

— الذبّـةَ الذبّـةَ أبا صخر !

— ابشر أتاكُ الخير . . .

ومد ذراعيه فاعتنقته .

كان لهيب النار الموقدة فى ساحة « الخانة الكبرى » يتلوى كرؤوس الثعابين فترقص له الظلال على الأقواس الرهيبة والأعمدة المرمرية الهائلة ، وكان نومان قائماً فى وسط الساحة معتمداً على بندقيته ينظر إلى أسراه نظر الصقر إلى الفريسة ، كرمز للبطولة والنبل .

# البريد الأدبي

## نقل تراث الأندلس من الاسكوريال

فى الأنباء الأخيرة عن الحرب الأهلية الأسبانية أن حكومة مدريد قد نقلت على جناح السرعة جميع التحف الفنية والكتب الخطية من دير الاسكوريال إلى مدريد خوفاً عليها من التلف الذى تتعرض إليه من جراء الحرائق والقنابل ، ونحن نعرف أن قوات الثوار تحدق الآن بمدريد وأنها على قيد مسافة قليلة من ضاحية الاسكوريال ، وقد وقعت أخيراً حول الاسكوريال عدة معارك طاحنة . وفى تصرف حكومة مدريد ما يدعو إلى الثناء خصوصاً إذا علمنا أن بين هذه التحف الفنية التى نقلت إلى مدريد مجموعة الكتب الأندلسية التى كانت محفوظة بالاسكوريال ؛ ويبلغ عدد هذه المخطوطات النفيسة التى هى آخر بقية من تراث الأندلس الفكرى نحو ألف وتسعمائة مجلد ؛ بيد أن نقلها إلى مدريد لا يبعد عنها كل الأخطار المحتملة ، ذلك لأن مدريد أصبحت محصورة بالقوات الثائرة من كل ناحية ، وقد لا تمضى أيام قلائل حتى تسقط فى يد الثوار ، وعندئذ يعلم الله وحده ما يصيب المدينة وكل ما فيها من ألوان التخريب ، غير أن هنالك من جهة أخرى ما يحمل على الاعتقاد بأن حكومة مدريد تعنى بنقل جميع هذه التحف الفنية إلى مكان أمين بعيد عن العاصمة ، وربما نقلت إلى برشلونة حصن الحكومة الديموقراطية وملاذها بعد مدريد ، وهى أبعد ما يكون عن الخطر . فاذا صح ذلك كان باعثاً إلى نوع من الاطمئنان على هذا التراث النفيس الذى يزعجنا اليوم مصيره ، والذى نوهت (الرسالة) غير مرة بما يتهدده من الأخطار ، وما يجب على الأمم الاسلامية والعربية فى شأن الدعوة إلى حمايته وصونه

## ترجمة للفيلسوف مندلسون

صدرت ترجمة جديدة جامعة للفيلسوف الألمانى اليهودى الأشهر موسى مندلسون بقلم الكاتب الألمانى أوتو تسارك O. Zarek وقد ظهر الكتاب فى امستردام (هولانده) لأن الكتب المتعلقة بالتاريخ اليهودى أو الفلسفة اليهودية لا يسمح الآن بنشرها فى ألمانيا ، وعنوانه « ترجمـــة مندلسون » Eine Mendelssohn Biographie ؛ وفيه يستعرض الكاتب حياة هذا الفيلسوف منذ مولده فى سنة ١٧٢٩ فى دسّاو ، وهى نفس السنة التى ولد فيها الشاعر لسنج صديقه الحميم فيما بعد . وقد اشتغل مندلسون بادئ ذى بدء كاتباً فى محل تجارى ، كما اشتغل الفيلسوف موسى بن ميمون بتجارة السمك ، والفيلسوف اسبنوزا بصقل الزجاج ؛ وفى سنة ١٧٥٤ تعرف بالشاعر لسنج وتوثقت بينهما أواصر صداقة أدبية متينة ، وأصدرا معاً كتاباً عنوانه « بوب المشتغل بما وراء الطبيعة » ، ونشر له لسنج بعد ذلك « محادثاته الفلسفية » غفلا من اسمه ، لأن العصر لم يكن يسمح بالتوسع فى المسائل الفلسفية العميقة ؛ وأصدر لسنج بعد ذلك كتابه « ناتان الحكيم » واتخذ مندلسون بطلا لقصته . ولكن مندلسون بلغ ذروة القوة والابتكار حين أصدر كتابه « فيدوز » Pheadon فى سنة ١٧٦٧ ؛ ويعتبر كتاب مندلسون بداية عصر

---

رفع البطل رأسه ثم أداره ببطء على الحاضرين ثم قال :

— لقد اجترأ هؤلاء فقطعوا الطريق على فلانٍ وصحبه ، فأشهدكم أنه حر فى حكمه عليهم . . . أعندك ما تقول يا أبا خالد ؟

— لا ، غير الشكر الذى أعجز عن وصفه .

فأطرق قليلاً ثم قال :

— لقد وفيت بما وعدت ، وحكمتك فحكمنى

فقلت له :

— إنما أنا رهن اشارتك ، وحكمك نافذ . فم تطع

— اسراى أطلقهم

. . . وبين زغاريد النساء وهتاف الرجال فكّ نومان وثاق الأسرى ، وسار إلى الباب رافع الرأس ، بقدم ثابتة وخطى جبارة .

( حلب ) « ع »

جديد فى الأدب الألمانى الصحيح لأنه يحمل فيه على الحركة الأدبية المتأثرة بنفوذ الأدب الفرنسى ونفوذ فولتير ، ويحمل كذلك على فردريك الأكبر لأنه شجع هذه الحركة ؛ ولم يغضب فردريك الأكبر لهذه الحملة بل بالعكس سر لها وطلب مندلسون لرؤيته ؛ ولمندلسون نظرية فى الجنسية اليهودية خلاصتها أن يندمج يهود كل أمة فى جنسية هذه الأمة اندماجا تاماً ، وألا يجعلوا لأنفسهم من اليهودية نفسها جنسية خاصة ، ولكن المتعصبين لم يقبلوا نظريته ، وأصروا دائما على اتخاذ اليهودية ذاتها جنسا ودينا ؛ وقد كان لمندلسون تأثير عظيم فى توجيه الأدب الألمانى الحديث

وموسى مندلسون هو جد الموسيقى العظيم فيلكس مندلسون الذى ولد فى سنة ١٨٠٩ وتوفى فى سنة ١٨٤٧

وتعتبر هذه الترجمة الجديدة من أقوى التراجم التى صدرت عن مندلسون ، وقد اشتهر مؤلفها أوتو سارك من قبل بترجمته لكوسوت بطل المجر القومى

## الوطنية واستعباد الفكر

خطب الدكتور جبلز وزير الدعاية الألمانية فى معرض الكتب فى مدينة ڤيمار ، فأشار الى مركز الكاتب بالأمس ومركزه اليوم فى ألمانيا النازية ، وشبه الكاتب بالجندى الذى لا يصح له أن يطلق الرصاص إلا متى أمر وحيث أمر ، فكذلك الكاتب يجب أن يكون جنديا من جنود الوطن لا يكتب إلا فيما اتفق مع مُثل الوطن وغاياته ؛ ويجب أن تحد حرية القلم بالحدود التى يتطلبها الوطن وألا يتخذ الكاتب من « فرديته » وحريته الفكرية سبيلا الى التصريح بما يخرج عن المثل القومية . والدكتور جبلز هو أوفر العصبة النازية ثقافة ، وربما كان أشدهم شعورا بما انتهت اليه الحركة الفكرية والثقافية فى ألمانيا النازية من التدهور ، ولذا نراه ينتهز كل فرصة للدفاع عن السياسة النازية فى تصفيد الذهن والقلم ؛ بيد أن الدكتور جبلز يدافع عن قضية لا يمكن الدفاع عنها ؛ فالفردية وحرية الفكر هما أساس المدنية ؛ والفردية معناها الكرامة الانسانية ، وحرية الرأى هى أسمى ما يتمتع به الفرد فى أمة متمدنة ، ويكفى أن نعرف أن الصحافة الألمانية انتهت فى عهد النازى ، وبفضل القوانين الحديدية التى يسهر على تنفيذها الدكتور جبلز الى حالة تدعو إلى الرثاء ، وقد اختفت الصحف الكبرى الصحافة الألمانية ، وأضحى الألمانى يرغب عن قراءة الصحف الألمانية ، ويؤثر قراءة الصحف الأجنبية ، ولم تظهر فى الأعوام الثلاثة الأخيرة عبقرية فنية ذات شأن أو أى انتاج أدبى يلفت النظر ، ولا يمكن أن تظهر فى ظل هذا النظام الحديدى الذى يجعل من القلم أداة مصفدة توجهها السلطات حيث شاءت . ومما يدعو إلى التأمل أن الدكتور جبلز يلقى خطابه فى استعباد حرية الذهن فى ڤيمار حيثما سطعت أعظم عبقرية أدبية المانية فى ظل الحرية ونعنى جيته

## كتاب عن روبرت والبول

روبرت والبول من أعظم ساسة انكلترا وساسة العصر الحديث ؛ ويعتبر هو الواضع للأساليب السياسية المحافظة التى مازالت إلى اليوم توجه السياسة الانكليزية

وقد صدرت أخيراً ترجمة مطولة لهذا السياسى الكبير فى ثلاثة أجزاء بقلم الكاتب الانكليزى ف . س . أوليفر الذى توفى قبل تمام ظهور كتابه ، بعنوان « المغامرة اللانهائية » The Endless adventure ومستر أوليفر ليس من الكتاب المحترفين ، ولكنه كاتب هاو ، وقد كان تاجراً كبيراً ، ولكنه اشتهر حينما أصدر كتابه عن « اللورد هاملتون » السياسى الكبير ، وظهرت مقدرته فى الوصف والتحليل فى كتابة التراجم

ويعرض مستر أوليفر حياة روبرت والبول فى إفاضة ، ويصف الأساليب السياسية فى القرن الثامن عشر فى العصر الذى ملك فيه والبول زمامها (أوائل القرن الثامن عشر) ؛ ويدلل على أن هذه الأساليب كانت تقوم على نوع من الطغيان السياسى الذى يسود اليوم بعض الدول العظمى ؛ ويقص علينا خلال ذلك حوادث هذا العصر السياسية

ويرى مستر أوليفر أن أعظم فارق بين السياسة فى ذلك العصر وبين السياسة فى عصرنا هو فى مقدار القوى التى يجب على السياسى العظيم أن يسيرها : ففى القرن الثامن عشر كان عليه أن يقود زمام جماعة من الملاك ، وملك ، وملكة ، وبعض الحظايا ؛ ولكن عليه اليوم أن يقود زمام ملايين الناخبين ، وزمام صحافة غدت فى عصرنا قوة هائلة تختلف نزعاتها ومصالحها

## مدرسة للفن المسرحي

أنشأت الحكومة النمسوية أخيراً مدرسة فنية من نوع خاص هي « مدرسة أساتذة الفن المسرحي » ؛ وتمنى هذه المدرسة الجديدة التي ألحقت بأكاديمية الفنون الجميلة ، بتعليم كل ما يتعلق بتنظيم المناظر المسرحية وزخرفة المسرح والاخراج المسرحي ، وانتدب للتعليم فيها أشهر أساتذة هـذا الفن من الاخصائيين في الزخارف وتنظيم الثياب والاخراج وغيرها . ومدة التعليم فيها سنتان ؛ ويدخلها الطلبة بعد جواز امتحان فني يثبت أهليتهم لتلقي الشؤون المسرحية ؛ والتعليم علمي وعملي بحيث يقضي الطلبة نصف اليوم في تلقي الدروس النظرية ، ثم يقضون باقي اليوم في نفس المسـارح لتلقي التجارب العملية . وتمنح للطلبة الفائزين بعد عامين « دبلوم فنية » تؤهلهم للعمل في المسـارح كأساتذة للاخراج الفني

## ذكريات صحفي شهير

صدر أخيراً بالفرنسية كتاب للصحفي الشهير لوسيان كوربشيه عنوانه « ذكريات صحفي » Souvenirs d'un Journaliste ، في مجلدين كبيرين ؛ وقد كان كوربشيه من أعظم صحافيي ما قبل الحرب ، يكتب في أشهر الصحف البارزية ، وكانت له علائق أدبية وثيقة بأعاظم كتاب العصر ولا سيما الكاتب اللوريني الأشهر موريس باريس . ويتناول الجزء الأول منه ذكريات كوربشـيه أحوال باريس ومجتمعاتها قبل الحرب ، وهو بهذه الصفة وثيقة تاريخية ثقافية لها قيمتهـا ؛ ويتناول الجزء الثاني حياة كاتبين عظيمين هما موريس باريس وبول بورجيه ، وقد كان باريس يتولى زعامة فرنسا الأدبية في بعض النواحي ولا سيما الكتابة السياسية الوطنية ، وكان بورجيه يتولى الزعامة الأدبية في عالم النقد والتحليل النفسي ؛ وقد استطاع كوربشيه أن يقدم لنا صوراً حية قوية من هذين الكاتبين ، ومن الآثار العميقة التي أحدثاها في جيل عصرهما الأدبي والثقافي ؛ ويبدي كوربشيه فوق ذلك حبه واعجابه العميق لهما . ويعتبر كتاب كوربشيه نداء للشباب والجيل الجديد يذكره بالقديم وما كان فيه من عظمة في التفكير ، وارتفاع عن مناحي الأدب المنحل الذي يغمر كل شيء في عصرنا .

## ذكرى الموسيقى لست

احتفل أخيراً في فينا بذكرى الموسيقى الشهير فرانز لست Liszt لمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ؛ وهذا الاحتفال هو صدى احتفالات قومية عديدة أقيمت في بودابست احتفاء بهذه الذكرى لأن لست مجري المولد والجنس ، ولكنه درس في فينا ، وفيها بزغ مجده ، وكان مولده في سنة ١٨١١ ووفاته سنة ١٨٨٦ ؛ وبرع لست في العزف على البيانو وفي التصنيف الموسيقي ، وله بالأخص قطع كنسية رائعـة ؛ وطاف بباريس ولندن ومعظم عواصم القارة وخلب الألباب بافتنانه وسحره ، وكتب عن رحلته كتاباً سماه « أعوام الحج » ، وله مصنفات موسيقية في المقام الأول

وقد أهدت الحكومة المجرية بهذه المناسبة الى مدينة فينا لوحة تذكارية عن لست ؛ واحتفلت الحكومة بوضعها في دير « شوتنهوف » في احتفال رسمي فخم شهده وفد عن الحكومة المجرية ، وشهده جمع كبير من الوزراء وأقطاب الفن ؛ وألقيت خطب عديدة عن حياة لست وعن عبقريته الفنية ؛ وعزفت قطع من تصنيفه ونوه الفريقان بالدور العظيم التي تقوم به ذكرى لست في توثيق الروابط الثقافية والفنية بين الشعبين المجري والنمسوي

## دوهامل ومستقبل الكتب

يكتب الآن مسيو جورج دوهامل عضو الأكاديمية الفرنسية في مجلة « مركير » الشهيرة عدة مقالات عن مستقبل الكتب ، وما يهددها من أخطار عظيمة من جراء السينما والراديو وغيرهما من الوسائل المصطنعة لنشر الثقافة السطحية ؛ وقد كان مسيو الفريد فاليت يكتب في مجلة « مركير » في نفس الموضوع قبل جورج دوهامل ؛ ويلاحظ مسيو دوهامل في مقالاته القوية الممتعة أن هذا العصر الذي يهـــدد فيه مصير الكتب بأشد الأخطار ، هو العصر الذي اشتدت فيه حاجة الانسان إلى « الكتاب » الجيد ، وينعى على الحركة الأدبية المعاصرة ما تبديه من الميل إلى جعل الأدب سلعة تجارية وجعله آلياً وتجريده من كل عناصره المعنوية ، وذلك طبقاً لأساليب تجعل من الذهن سلعة تجارية منحطة . ويزمع مسيو دوهامل أن يجمع هذه المقالات في كتاب خاص تنتظره الدوائر الأدبية بفارغ الصبر

## وفاة علامة أثرى

نمت أنباء ڤينا الأخيرة العلامة الأثرى الدكتور ولهلم كوبتشك توفى فى التاسعة والسبعين من عمره ، وكان مولده بمدينة برسبورج ؛ ودرس التاريخ القديم واللغات القديمة فى ڤينا وبرلين ، واشتغل منذ شبابه بالتدريس فى جامعة ڤينا ، ثم عين بعد ذلك أميناً لمتحف النقود والداليات القديمة ، وأستاذاً للتاريخ الرومانى فى جامعة ڤينا

وقد اشتهر الأستاذ كوبتشك بمباحثه فى مسائل التاريخ ، القديم ولاسيما التاريخ الرومانى وقراءة النصوص والآثار القديمة وفحص النقود والداليات القديمة واستقراء التواريخ والحوادث فيها ؛ واشتهر أيضاً بمباحثه فى الجغرافيا الرومانية القديمة

## خريدة القصر للاصبهانى والذخيرة للامام القرافى

ذكرنا فى العدد ١٦٨ من ( الرسالة ) أن الجمعية الأسيوية البنجالية بكلكتا عثرت على جزء من كتاب ( خريدة القصر ) للأصبهانى ، وأنه عثر على نسخة من كتاب الذخيرة للامام القرافى فى مكتبة الأزهر . وقد جاءنا من أمين مكتبة كلية القرويين بفاس ما يأتى :

يوجد بخزانة كلية القرويين العامة بمدينة فاس تحت نمرة ( البرنامج الجديد ) ل ٥٧٦ جزءان من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر للامام أبى عبد الله محمد بن محمد الكاتب عماد الدين الاصبهانى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ موافق ١٢٠٠ م وهما الجزء الخامس والسادس من النسخة . أول الخامس ( قافية العين من شعر القاضى أبى بكر الأرجانى فى مدح الوزير جمال الدين أبى على وزير المسترشد بالله ، وفى آخره آخر القسم الثانى من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر يتلوه القسم الثالث فى ذكر محاسن شعراء الشام فى الجزء السادس ، وينتهى هذا الجزء السادس بقوله : تم الجزء السادس ويتلوه الجزء السابع وهو الثانى من القسم الثالث الأمراء الكنانيون من شيراز ، وهما جزءان ضخمان كتبا بخط جميل أندلسى فى كاغد متين خاليين من كل طرة فاقدين اسم الناسخ وتاريخ النسخ إلا أن أمارات القدم تلوح عليهما ، وقد كانا مملوكين لجناب أمير المؤمنين المنصور الذهبى السعدى المتوفى سنة ١٠١٢ هـ موافق ١٧٨٥ م بآخر أحدهما مانصه : برسم خزانة مولانا أمير المؤمنين الخليفة المجاهد أبى العباس المنصور بن مولانا أمير المؤمنين الخليفة المجاهد أبى عبدالله محمد الشيخ . وعلى الجزءين معاً وقف هذين الجزءين على خزانة كلية القرويين العامرة ، وعلى التحبيس خط يد السلطان المنصور الذهبى السعدى سنة ١٠١٢ هـ موافق ١٧٨٢ م

ويوجد أيضاً منه قطعة أخرى مبتورة الأول والآخر كانت مجهولة فأعملت المجهود للكشف عنها فوجدتها من جريدة القصر ونظمت تحت عدد ل ٦٠٤

كذلك توجد الذخيرة على مذهب إمام دار الهجرة للعلامة الشهير الامام القرافى شهاب الدين أبى العباس أحمد بن ادريس المالكى مذهباً المتوفى سنة ٦٨٤ هـ ١٢٨٢ م تحت نمرة ل ٣٥٤ غير تامة . الموجود منه الآن تحت النظام ثلاثة أجزاء ضخام جداً ، وأصل هاته النسخة من ثمانية أجزاء بدليل ما رقم على الجزء الثامن منها ونصه : ( السفر الثامن من كتاب الذخيرة على مذهب إمام دار الهجرة النبوية وفيه من الأبواب الفقهية كتاب أمهات الأولاد ، كتاب الجنايات ، كتاب موجبات الضمان ، كتاب الفرايض والمواريث ، كتاب الجامع . فلا شك أن هذا هو الجزء الأخير ، وعندنا الجزء السادس وفيه من الأبواب الفقهية كتاب الحبس والوصية والشفعة والشركة . وبآخره : كمل الجزء السادس من الذخيرة بحمد الله وحسن عونه يتلوه فى السابع إن شاء الله كتاب الرهون

وعندنا جزء آخر كتب عليه أنه الخامس من كتاب الذخيرة وعند الفحص لوضع البرنامج الجديد تبين أنه جزء مختلط إذ أوله فى الجنايات والمواريث وآخره فى العتق والكتابة ، وبآخره : تم السفر الخامس من كتاب الذخيرة على يد عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الحضرمى سنة ٧٢٧ هـ ويظهر أن هذا غلط من الناسخ حيث ضم أول الثامن مع آخر الخامس وجعلهما سفراً واحداً . أما الأولان أعنى السادس والثامن فسالمان . أجزاء ثلاثة ضخام جدا فى أوراق متينة مكتوبة بالسواك بخط أندلسى جميل خاليين من اسم الواقف .

محمد العربى

# الكتب

## كتاب البلاغة العالية
### للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

١٣٠ صفحة من القطع الكبير ، طبع المطبعة السلفية ، ثمنه خمسة قروش

يمتاز الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى المدرس فى كلية اللغة العربية ، بحرية الرأى وحب التجديد ، والمثابرة على البحث والتأليف ، فهو لا يفتأ الفينة بعد الفينة يدبج الرسائل الضافية ، والكتب العالية التى تنم عن علم غزير ، وأدب وفير ، وفكر دقيق لاقف ، وذهن رهيف خاطف

وقد أخرج للناس فى هـذه الأيام الجزء الأول من كتابه البلاغة العالية ، وهو خاص بعلم المعانى . وأهم ميزة لهذا الكتاب أنه خالف الترتيب المعهود من عهد السكاكى والخطيب ، الى ترتيب آخر جـديد ، فزاد فى علم المعانى فصولاً وحذف منه فصولاً ، واجتهد فى مسائله برأيه الذى يحرص الحرص كله على إظهاره فى كل ما تخطه براعته

وهناك ميزة ثانيـة لا تقل عن هذه الميزة أهمية ، وهى أنه أزاح طائفة كبيرة من المسائل النحوية التى أقحمها الأقدمون فى البلاغة إقحاماً عابثاً ، كما ذكروا فى أحوال التعريف بالاضمار أنه يكون لأن المقـام للتكلم أو للخطاب أو للغيبة ، وكارغامهم وإزبادهم فى تقسيم القصر باعتبـار المقصور الى قصر موصوف على صفة وقصر صفة على موصوف ، وباعتبار حال المخاطب به إلى قصر أفراد وقصر قلب وقصر تعيين ، الى غير ذلك من المباحث النحوية التى طفحت بها كتب البلاغة وهى أبعد ما تكون عنها . وقد صنع الأستاذ المؤلف خيرا بازاحته تلك الأعباء النحوية عن كاهل البلاغة ، وجعلها خالصة لمعانيها الخاصة بها

وإنا نشكر للأستاذ اتحافه طلاب البلاغة بهذا الكتاب الذى جرد فيـــه العناية وأظهر الكفاية حتى استحصفت وثائقه ، واستحصدت علائقه ، وغدا حريا — من أجله — بأن يوشح حلل الحمد والثناء ، حجياً بأن يطوق قلائد الشكر والدعاء

س . ص

---

## ديوان السرى الرفاء

طبعته مكتبة القدسى بباب الخلق

السرى شاعر من شعراء سيف الدولة كان فى صباه يرفو الثياب ويطرزها ثم تولع بالأدب ونظم الشعر وتفنن فى التشبيهات والأوصاف فأحسن فى كثير منها ، وشعره نمط سهل يتحدر عن طبع صاف كما يجرى الماء من الينبوع وليس وراءه العلم والفلسفة ولـكن وراءه النفس والطبيعة

وقد قال فيه الامام أبو هلال العسكرى صاحب كتاب الصناعتين : ليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة والسهولة وألزم لعمود الشعر منـه . ويريد أبو هلال بلزوم عمود الشعر تجنب الغموض فى تركيب النظم والبعد من تدقيق المعانى تدقيقاً فلسفياً ، وذلك رأى كان قديما فى النقد يفرقون بين الشاعر الذى يصنع شعره صناعة عقلية دقيقة وبين المطبوع الذى يرسل شعره فى جمال سبكه وصفاء لفته وإشراق معانيه كما يرسل الطائر المتغرد لحنه فى التغريد

وشعر الطبع من أحسن ما يفيد الناشئين فى نهضتنا هذه فانه صقل وجلاء وتصحيح للطريقة وتهيئته للسمو فى هذه الصناعة ، وديوان السرى قوى الأثر فى ذلك ؛ وهل فى الغزل أصفى وأرق وأجمل من مثل قوله :

بنفسى من أجود له بنفسى ويبخل بالتحيـــة والسلام

ويلقانى بعزة مستطيل وألقاه بذلة مستهام
وحتفى كامن فى مقلتيـــه كمون الموت فى حد الحسام

وله فى شكوى الدهر :

يرتد عنه جريحاً من يُسالمه فكيف يسلم منه من يحاربه ؟
ولو أمنت الذى تجنى أراقمه على ، هان الذى تجنى عقاربه

# الاســــلام فى بولونيا

## تأليف على فورونوفتش و محمد سيد الحموى

### بقلم الأديب محمود البدوى

رسالة صغيرة فى أربع وستين صفحة من القطع المتوسط طبعت بمطبعة الاعتماد على ورق جيد ومحلاة بكثير من اللوحات والخرائط وصور كبار رجال الاسلام فى بولونيا وبعض الفرق الاسلامية والأندية والمساجد هناك . . . وتقرأ فيها كيف نشأ الاسلام فى بولونيا وامتد وتشعب واضطهد من الروس وثار عليهم وتحرر وثبتت دعائمه بعد أن استقلت بولونيا حتى غدا الآن فى عصره الذهبى

والرسالة فى إيجازها تشبه المختصرات التى تلقى على تلاميذ المدارس . وأسلوبها سهل بسيط يفهمه كل قارئ ، يود أن يقف على حال المسلمين فى تلك البلاد

وليقرأ معنا القارئ الكريم :

« يبلغ عدد المسلمين فى بولونيا ١٢٠٠٠ نفس وليس هذا العدد بالقليل إذا نحن وازنا بينه وبين عدد المسلمين فى دول غرب وشمال أوربا ، وحالتهم المعيشية على جانب عظيم من التحسن ، وهذا التحسن آخذ فى الزيادة لاهتمام الدولة بهم ومحافظتها على مصالحهم الدينية ؛ وهم يعترفون بفضل الحكومة القائمة وكرمها ، ويعتبرون هذه الأيام العصر الذهبى للاسلام فى تلك البلاد ، وهم ينعمون فى بحبوحة من العيش وقد توطدت صلاتهم بالخارج وزادت معارفهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية وسافر بعضهم لطلب العلم فى الخارج وخصوصاً العلوم الدينية وحج بيت الله الحرام وزيارة الأماكن المقدسة

# وحيد

## تأليف الأستاذ حسين عفيف المحامى

قصة تمثيلية طريفة فى ١٩١ صفحة من القطع الصغير طبعت بمطبعة حجازى بالقاهرة على ورق جيد . وهى فى أربعة فصول طوال وحوارها شائق وأسلوبها متماسك وخيال مؤلفها فياض يروق القارئ المصرى . وبطلها وحيد شاعر موسيقى فنان يعيش فى كوخ فى الجبل ، مرت عليه سميرة إحدى بنات الباشوات فأحبها الشاعر وأحبته من أول نظرة ... وجاءته فى اليوم الثانى يدفعها وجدها وحبها ودار بينهما حديث غرامى طويل انتهى إلى عناق أطول .. وافترقا على وعد بلقاء قريب ... ومرضت سميرة فى اليوم التالى وأرسلت أختها « ألفت » ومعها رسالة رقيقة إلى وحيد فأعجب الشاعر بجمالها وأحبها وأحبته وضمهما عناق . . . وعلمت سميرة بخيانة ألفت وحب وحيد الجديد فكسر قلبها ، ومرضت وماتت . . . ! ! ولحقت بها ألفت ومات بعدهما وحيد وهو يقول :

« هأنذا الآن أقضى ومن قبل قضت سميرة ، غداً يلتقى الخلان ويعودون كما كانوا إلى الصفاء بعد أن لم يبق ثمت للعداوة موجب

والقصة كما قلت خيالية ممتعة وسيعجب بها القارئ كثيراً

4 me Année, No. 175

Lundi - 9 - 11 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٧٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ شعبان سنة ١٣٥٥ — ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

## فهرس العـــــدد



من ذكريات بغداد

# الحلقـــة ...

ذلك اسم كان (1) يطلقه الزعيم (ياسين) على ستة من الإخوان جمعهم تشابه الذوق ، وألَّف بينهم تجانس الهوى ، فتساهموا الصفاء ، وتقاسموا المودة ، وخلطوا حياتهم بحياة بعض ، فما كانوا يفترقون أصائل الأيام ولا عشايا الليالى . كانوا يتخذون سامرهم كل ليلة فى دار أحدهم ، فيتحلقون على مائدة الشاى السخية ، أو يتقابلون أمام المدفأة الواهجة ، ثم يديرون بينهم سِقاط الحديث على أروع ما تُشققه الأذهان الخصيبة من براعة الفكرة وملاحة النكتة وطلاوة الخبر وسلامة النقد وصحة الحكم ، فلا يدعون شأناً من شؤون الحياة ، ولا وجهاً من وجوه السياسة ، ولا أمراً من أمور البلد ، إلاَّ تناولوه باللسان المرهف والفؤاد اليقظ والنظر المستقل ؛ فهم معارضون ولا لسان لهم فى حزب ، ومصلحون ولا يدَ لهم فى زعامة

كانوا يمثلون نواحى النشاط الفكرى فى العراق أصدق التمثيل ؛ ففيهم رجل الجيش ، ورجل التعليم ، ورجل القانون ،

(1) كان ذلك فى سنة ١٩٣٢

ورجل الطب ، ورجل المال ، ورجل الشعب ؛ ذلك إلى امتياز كل منهم بِسِمة من سمات الطبع وصفة من صفات الْخُلق ؛ فطه الهاشمي [1] عذب الروح ، سَرِيُّ الأخلاق ، وقور النفس ، مصروف الهم إلى القراءة المنتجة والتأليف المحكم فيما يتصل بالتاريخ والحرب ، ولو تُرِك إلى نفسه لما خرج من مكتبته ولا قام عن مكتبه ؛ وناجي الأصيل [2] نبيل العاطفة ، حلو الفكاهة ، سمح المقادة ، أفلاطوني النزعة ، يعيش في السماء ويحلم دائماً بالمدينة الفاضلة ؛ ويوسف عز الدين [3] متئد اللسان ، حصين الصدر ، سريع الفطنة ، يتبسط في هزل الكلام ويتحوّط في جده ، وهو لا يَنفَكُّ لإخوانه موضع السرّ ومرجع المشورة ؛ وكامل الجادرجي [4] متوقد الذكاء ، متمرد الطبع ، متوثب العزيمة ، دائب الحركة ، صليب الرأي ، يدين بالديمقراطية ، ويميل إلى الاشتراكية ، ويرفرف بجناحيه على الفلاح والعامل والعاطل ؛ وموفَّق الألوسي [5] طموح القلب ، سريع البادرة ، بارز الشخصية ، يعتد برأيه إلى حد العناد ، ويعتز بنفسه إلى حد المخاطرة ؛ وشوكت الزهاوي [6] واسع البال ، ضيق الأفق ، قد قصر جهده على عمله فلا يكاد يطمع في شيء ، ولا يشارك في رأي ، ولا يحفل بحادث ؛ وأولئك كانوا لِما اجتمع لهم من ضروب الثقافة وشتى الخلال صورة مصغرة للأمة ، يعيشون منعزلين وهم فيها ، ويفكرون مستقلين وهم منها ، كأنهم كانوا لآمالها رموزاً تتميز تميز العنوان ، وتنفرد انفراد العلم . كانوا جميعاً في ربقة الحكومة إلا كاملاً ، فكان للجماعة الكلمة الحرة والفكرة الطليقة . وقف على السياسة الصريحة قواه ، وأيقظ لأطوارها المختلفة رأيه ، فكان يناصر الحزب ما دام معارضاً ، فإذا قَبِلَ الحكم تركه إلى غيره ، حتى انفرد ذات يوم بالمعارضة . كان اليد اليمنى لياسين في حزب الإخاء الوطني ، وياسين أمل البلاد المرجو وزعيمها المنتظر ، فلما رآه يقصد الحكم عن طريق الملاينة والمسايرة خالفه ومعه مقاعد البرلمان ووظائف الديوان ومزايا السلطة ، وخرج مُغاضباً إلى الجهاد بالنفس والمال ، فزاول المحاماة ، وعالج الصحافة ، ولقي في سبيل ذلك ما يلقى المعارضون المتزمتون من الضيق والعنت

***

كان لي في هذه (الحلقة) كرسي وثير دائم ، يحيطه الإخوان بالعطف ويخصونه بالكرامة ؛ وكنت أجد في نفسي من الأنس بهم والطمأنينة إليهم ما لا أجده لجماعة أخرى ، فكنت أناقلهم شجون الحديث فأعلم منهم ما لا أقرأ في الصحف ولا أسمع من الناس ولا أرى في الحكومة . كانوا يحملون في نفوسهم آمال العراق الناشئ ، وفي رؤوسهم ثورة الشباب الجديد : سياستهم الجماعة قبل الفرد ، والعامة قبل الخاصة ، والعراق قبل العروبة . ولكن آراءهم كانت في رأيي أشبه بأحلام الفلاسفة تحت رواق المعبد ؛ لأنك إذا استثنيت كاملاً لا تجد فيهم من يفكر في انقلاب أو يجهر بمعارضة

تَركتُ العراق وفيصل ونوري وجعفر قد مكَّنوا لدولته بالمرونة اللبقة والسياسة التجارية التي تعطي لتأخذ ؛ وكان شباب البلاد قد سئموا سياسة الأمر الواقع وبَرِموا بالإرداة المطلقة ، فتمنوا حكومة زعيمهم المحبوب ياسين ؛ وتسلم ياسين مقاليد الأمور ، وانضوى إليه رفيقاه ، وآل إليهم سلطان البلاط بالفعل ، ونفوذ (دار الاعتماد) بالقانون ؛ وسارت السفينة آمنة — كما يرى البعيد — من الألغام والصخور ، ثم تفرقت السبل بعدئذ برجال الحلقة

***

طخ ! طخ ! طخ ! ثلاث قنابل ألقتها ثلاث طوائر على سراي الحكومة ! فروّعت الموظفين وأفزعت الأهلين ، فأخلوا السراي وأغلقوا المدينة ! ماذا ؟ الجيش الثائر يحاصر بغداد ويطلب إلى المليك إقالة الوزارة ! وبكر صدقي الفاتك الطماح يقترح للوزارة الجديدة حكمت سليمان ! وحكمت سليمان يُدخل في وزارته الحلقة ما عدا طرفيها . لقد كان صديق الحلقة ، وكان في معارضته من طراز (كامل) لا يحفل الثراء ولا يبالي المنصب ، حتى رووا أنه ضاق يوماً براتب سائقه فذهب به إلى قائد الشرطة يرجو منه أن يجد له عملاً يعيش عليه !

احمد حسن الزيات

(١) رئيس أركان الجيش (٢) مدير دار المعلمين العليا (٣) مراقب الميزانية (٤) من سراة بغداد (٥) مدير كلية الحقوق (٦) طبيب بالصحة

# ٢ – القلب المسكين [١]

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

أما صاحب القلب المسكين فرأى الضحكة التى ألقت بها صاحبتــه وهى ترقص حين عرفته – غيرَ ما رأيتها أنا وغيرَ ما رأى الناس . كانت لنا نحن ابتساماً عذباً من فم جميــل يتمُّ جماله بهذه الصورة ، وكانت له هو لغة من هذا الفم الجميل يُتم بها حديثاً قديماً كان بينهما . واعترانا منها الطربُ واعتراه منها الفكر ، ووصفت لنا نوعاً من الحسن ووصفت له نوعاً من الشوق ، ومرت علينا شعاعاً فى الضوء ووقعت فى يده هو كبطاقة الزيارة عليها اسم مكتوب . . .

وقوى إحساسُ الراقصة الجميلة بعد ذلك فانبعث يدلُّ على نفسه ضروباً من الدلالة الخفية ، ورجعت بهــذا الاحساس كالحقيقة الشعرية الغامضة الملوءة بفنون الرمز والأيماء وكأنها زادت بهذا الغموض زيادة ظاهرة ، والمرأة لحظاتٌ تــكون فيها بفكرين حينما يكون أحــدُ الفكرين ماثلاً أمامها فى رجل تهواه ؛ فى هذه الساعة تتحدثُ المرأة بكلام فيه صمت يشرح ويفسر ، وتضطرب بحركة فيها استرخاءٌ يميل ويعتنق ، وتنظر بألحاظ فيها انكسارٌ يأمر ويتوســل ، وكانت هى فى هذه الساعة ... فقلبت والله على صاحبها المسكين وتركت نفسه كأنها تتقطع فيه من أسفٍ وحسرة ؛ ثم كانت له كالزهرة العبقةِ بينه وبينها جمالها وعطرُها وهواؤها والحاسةُ التى فيه

وجمــل يستشِفُّها من خِلال أعضائها وهى ترقص ، ثم قال لى : انظر ويحك ! لـكأن ثيابها تضمُّها وتلتصق بها ضمَّ ذى الهوى لمن يهوى

قلت : ماهى إلا كهاتين اللتين ترقصان معها : امرأة بين امرأتين وإن كانت أحسن الثلاث

قال : كلا ، هذه وحدها قصيدة من أروع الشعر تتحرك بدلاً من أن تُقرأ ، وتُـرى بدلاً من أن تُسمع ؛ قصيدة بلا ألفاظ ولـكنَّ من شاء وضع لها ألفاظاً من دمه إذا هو فهمها بحواسه وفـكره وشعوره

قلت : والأخريان ؟

قال : كلا كلا ، هذا فن آخر ، فالواحدة من هؤلاء المسكينات إنمــا ترقص بمعِدَتِها . . . ترقص للخبز لا غير . أما ( تلك ) فرقصها الطرب مصنوعاً على جسمها ومصنوعاً من جسمها ؛ إنها كالطاووس يتبختر فى أصباغه ، فى ريشه ، فى خُيلائه ، بخترةً يضاعفها الحسنُ ثلاثَ مرات . ولو خلق الله جسمين أحدهما من الجواهر أحمرِها وأخضرِها وأصفرِها وأزرقها ، والآخر من الأزهار فى ألوانها ووشْيها ، ثم اختال الطاووس بينهما ناشراً ذيله فى كبرياء روحه الملوَّنة – لظهر فيه وحدهُ اللون الملِكُ بين ألوان هى رعيته الخاضعة

***

وانتهى رقص الحسناء الفاتنة وغابت وراء الستارة بعد أن أرسلت قُبلةً فى الهواء ... فقال صاحبنا : آه لو أن هذه الحسناء تصدقت بدرهم على فقير ، لجعلته لمسة يدها درهما وقُبلة ...

قلت : ياعدوَّ نفسه ؛ هذه قبلة مُحرَّرة مسددة وقد رأيتها وقعتْ هنا ... ولـكنك دائماً فى خصام بين نفسك وبين حقائق الحياة . تعشق القبلة وتخاصم الفم الذى يلقيها ، وتبنى العُشَّ وتتركه فارغاً من طيره . إن المرأة التى تحبك لا بد أن تنتهى إلى الجنون مادامت معك فى غير المفهوم وغير المعقول وغير الممكن

ثم بدأ فصــل آخر على المسرح وظهر رجال ونساء وقصة ؛ وكان من هؤلاء الرجال شيخ يمثل فقيها وآخر يمثــل شُرطياً ، فقال صاحبنا الفيلسوف : لقد جاءت هذه الثيابُ فارغة وكأنها الآن تنطق أن صحــة أكثر الأشياء فى هــذه الحياة صحة الظاهر فقط ما دام الظاهر يُخلع ويلبس بهذه السهولة ؛ فكم فى هــذه الدنيا من شرفاء لو حققت أمرهم وبلوت الباطنَ منهم لرأيتهم إنمــا يشرِّفون الرذائل لأنهم يرتكبونها بشرف ظاهر ... وكم من أغنياء ليس بينهم وبين اللصوص إلا أنهم يسرقون بقانون ... وكم من فقهاء ليس بينهم وبين الفَجَرة إلا أنهم يفجرون بمنطق وحجة ... ليست الانسانية بهذه السهولة التى يظنها من

(١) نشرت المقالة الأولى فى العدد ١٧٣ من الرسالة

يظن والا ففيم كان تعبُ الأنبياء وشقاء الحكماء وجهادُ أهل النفوس ؟

العقدة السماوية في هذه الأرض أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الانسان إلا حيوانا متلطفاً تلطيفاً إنسانياً ؛ ثم أراه الخير والشر وقال له اجعل نفسك بنفسك انسانا وجئنى

قلت : ياعدوَّ نفسك ، فما تقول في حبك هذه الراقصةَ وأنت حيوان ملطف تلطيفاً انسانياً ؟

قال : ويحك ! وهل العقدةُ إلا هنا ؟ فهذه مبذولة ممكنة ، ثم هي لى كالضرورة القاهرة ، فلا يكون حبها إلا إغراءً بنَيلها ، ولا تكون سهولةُ نيلها إلا إغراءً لذلك الاغراء ؛ فأنا منها في امرأة وحب ، ولكنى في امتحانٍ شديد عسِر أغالب ناموسا من نواميس الكون ، وأدافع قانوناً من قوانين الغريزة ، وأظهر قوتى على قوة الضرورة الميسرة بأسبابها ، وهى أشد الضرورات عنفاً وإلحاحاً وقهرا للنفس من قِبَل أنها ضرورة لازمة ، وأنها مهيَّأة سهلة . فلو أن هذه المرأة المحبوبة كانت ممتنعة بعيدةَ المنال لما كانت لى فضيلة في هذا الحب العفيف ، ولكنها دانية ميسرة على الشغف والهوى ؛ فهذا هو الامتحان لأصنع أنا بنفسى فضيلةَ نفسى

* * *

ومن الفصل الذى مثَّلوه وما نشعر منه بتمثيل فقد كان كالصورة العقلية المعترضة للعقل وهو يفكر في غيرها ، وكانت (الحقيقة) في شيء آخر غير هذا . ومتى لم يتعلق الشعورُ بالفن لم يكن فيه فن ؛ وهذا هو سر كل امرأة محبوبة ، فهى وحدها التى تثير شعورَ المحب في نفسه فيشعر من حسنها بحقيقة الحسن المطلق ، ويجد في معانيها جواب معانيه ، وتأتيه كأنها صُنعت له وحده ، وتجعل له في الزمان زمناً قلبياً يحصر وجوده في وجودها

وليس فن الحب شيئاً إلا استطاعةَ الحبيب أن يجعل شهواتِ المحب شاعرة به ممتلئةً منه متعلقة عليه ، كأن به وحده ظهور جَسَدِيّة هذا الجسد وروحانية هذه الروح . وكل ما يتزين به المحبوب للمحب ، فانما هو وسائل من المبالغة لاظهار تلك المعانى التى فيه كيما تكبر فيدركها المحب بدقة ، وتثور فيحسها العاشق بعنف ، وتستبد فيخضع لها المسكين بقوة

والشهوات كالطبيعة الواحدة في أعصاب الانسان ، وهى تتبع فكره وخياله ؛ ولا تَفاوُتَ بينها إلا بالقوة والضعف ، أو التنبه والخمود ، أو الحدة والسكون ؛ غير أنها في الحب تجدها فكراً وخيالاً من المحبوب ، فتكون كأنها قد غيرت طبيعتها بسرٍ مجهول من أسرار الألوهية . ومن هنا يتأله الحبيب ، وهو هو لم يزد ولم ينقص ولم يتغير ولم يتبدل ، وتراه في وهم محبه يفرض فروضاً ، ويشرع شريعة من حيث لا قيمة لفروضه وشريعته إلا في الشهوة المؤمنة به وحدها

ومن ثم لا عصمة على المحب إلا إذا وجد بين إيمانين أقواهما الايمانُ بالحلال والحرام ، وبين خوفين أشدهما الخوف من الله ، وبين رغبتين أعظمهما الرغبةُ في السموّ

فان لم يكن الفاسق ذا دين وفضيلة فلا عصمة على الحب إلا أن يكون أقوى الايمانين الحرص على مكانة المحبوب في الناس ، وأشد الخوفين الخوف من القانون ... وأعظم الرغبتين الرغبة في نتيجة مشروعة كالزواج

فان لم يكن شيء من هذا أو ذاك فقلما تجد الحب إلا وهو في جراءة كفرين ، وحماقة جنونين ، وانحطاط سفالتين . وبهذا لا يكون في الانسانين إلا دون ما هو في بهيمتين

* * *

ثم جاء الفصل الثالث وظهرت هى على المسرح . ظهرت هذه المرة في ثوب مركزة أوربية تخاصر عشيقا لها فيرقصان في أدب أوربى متمدن ... متمدن بنصف وقاحة ؛ متأدب ... متأدب بنصف تسفّل ؛ مشروع ... مشروع بنصف كفر ؛ هو على النصف في كل شيء حتى ليجعل العذراء نصف عذراء ؛ والزوجة نصف زوجة ...

وكان الذى يمثل دور العشيق فتاةٌ أخرى غلامية مُجَمَّمَةَ الشعر (١) ممسوخةً بين المرأة والرجل . فلما رآها صاحبنا قال : هذا أفضل . . . .

---

(١) المجمات هن اللواتى يتخذن شعورهن جمة ( بضم الجيم ) أى يقصصنها كما يفعل نساء هذه الأيام تشبهاً بالرجل . وقد كان ذلك مما تصنعه نساء العرب ونهى الاسلام عنه كراهة لهذا التشبه . فقص الشعر (على المودة) هو التجميم

وهشّت الحسناء وتبسّمت وأخذت فى رقصها البديع فانفصل عنى الصديق وأهملنى وأقبل عليها بالنظرة بعد النظرة بعد نظرة ، كأنه يكرر غير المفهوم ليفهمه ، ورجع وإياها كأنه فى عالم من غير زمننا تقدّمه عن عالمنا ساعة أو تؤخره ساعة . وكانت جملةُ حاله كأنها تقول لى : إن الدنيا الآن امرأة ! وكان من السرور كأنما نقله الحب الى رتبة آدم ونقل صاحبته الى رتبة حواء ، ونقل المسرح الى رتبة الجنة

والعجيب أن القمر طلع فى هذه الساعة وأفاض نوراً جديداً على المسرح المكشوف فى الحديقة فكأنه فعل هذا ليُتمّ الحسن والحب . وأخذ شعاع القمر السماوىّ يرقص حول هذا القمر الأرضى فكانت الصلة تامة وثيقة بين نفس صاحبنا وبين الأرض والسماء والقمرين

ما هذا الوجه لهذه المرأة ؟ إنه بين اللحظة واللحظة يعبّر تعبيراً جديداً بقَسماته وملامحه الفتانة . كل البياض الخاطف فى نجوم السماء يجول فى أديمة المُشرق ؛ وكل السواد الذى فى عيون المَها يجتمع فى عينيه ؛ وكل الحمرة التى فى الورد هى فى حمرة هاتين الشفتين

ما هذا الجسمُ المتزن المتموجُ المفرَغ كأنه يندفق هنا وهنا ؟ إنه جسم كامل الأنوثة ؛ إنه صارخ صارخ ؛ إنه عالم جمالٍ فيه كما تقول الفلسفة حين تصف العالم : فيه «جهةُ فوق» و «جهة تحت» . لو امتدت له يد عاشقه لجعل فى خمسِ أصابعها خمسَ حواس . . . .

ما هذا ؟ ما هذا ؟ لقد خُتم الرقصُ بقبلة ألقاها الخليل على شفتى الخليلة ، وكانت تركت خصرها فى يديه وانفلتت تميل بأعلاها راجعة برأسها الى خَلْف ، نازلةً به رُوَيداً رويداً الى الأرض ، هاربة بشفتيها من الفم المُطِل عليها . وكان هذا الفم ينزل رُويداً رويدا ليدرك الهارب ...

وقبل أن تقع القبلة التفتت لفتةً الى ... ثم تلقّت القبلة أما هو ؛ أما مجنوننا ؛ أما صاحب القلب المسكين ؟

(طنطا) «لها بقية» مصطفى صادق الرافعى

# الأدب والخلود

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

---

عشت سنين عديدة — أكثر عمرى — بالخيال والهم . وكانت دنياى تحد من كل ناحية بجدران مكتبتى ومنظارى المكبر الذى أتدبر به الحياة وأستعين على درسها بقوته وقدرته على الجلاء والكشف والتوضيح ، الكتب الكثيرة المرصوصة على رفوفها . وكانت رياضتى حين آ كل وأتعب ويبلغ منى الجهد أن أدير عينى فى صفوف هذه الكتب التى كنت أنتقى أنفس الطبعات منها وأحسنها ورقا وأجودها جلداً وأحلاها منظراً . فلما صدمتنى الحياة — مرة وأخرى — ورأيت أزهار آمالى وورق آرائى التى كنت أحسبها خالدة النضرة دائمة البهجة ولا أظن بها إلا أنها ستظل رفافة أبداً — أقول لما رأيتها تصفر وتتساقط وتذوى وتجف وتتكسر وتتفرك فى يدى وتحت قدمى راعنى عظم جهلى ، وهالنى الشعور بالوحدة والوحشة والغربة فى هذا العالم الزاخر الذى احتجت برغمى أن أخوض بحره وأرمى بنفسى فى عبابه وأنا لا أدرى كيف أسبح فيه وأتقى الغرق

وأنصف الكتب فأقول إنها لم تغشنى ولم تخدعنى ولم تتعمد أن تزيف صور الحياة ، ولكنى اقتصرت عليها واستغنيت بها ، فصرت لا أرى الحياة إلا بعيون أصحابها ، ولا أحسها بغير أعصابهم ، حتى ليخيل إلى الآن — من حيث معرفتى يومئذ بالحياة وإحساسى بوقعها وفهمى لها وتجربتى لأحوالها — أنى كنت أشبه بكتاب مختارات من جملة ما قرأت وحصلت ، ولست بانسان له وجود وشخصية وكيان مستقل. ومن متناقضات ذلك العهد أنى كنت من أعظم الكتاب تحمساً للدعوة إلى تحرير الأدب العربى من رق التقليد وإن كنت أنا لا أعدو أن أكون نسخة مختصرة لكل قديم من الآراء والمذاهب والاحساسات والخوالج . وليس هذا ذنب الكتب وإنما هو ذنبى . على أنى لو كنت وجدت من يرشدنى لرشدت ولا نتفعت بما ضاع من عمرى ، ولكنى لم أجد هذا المرشد والناصح الأمين والقدوة الحسنة لا فى المدرسة ولا فى البيت ولا فى الاخوان ، فقد كان شأنهم كشأنى ، سوى أنهم

كانوا أحكم منى وأرشد بطبيعتهم وأهدى سبيلاً ، فلم يقعوا فيما وقعت فيه ولم يضيعوا مثل ما ضيعت من عمرى

وأحسست بخيبة الأمل والضيعة فى كل ناحية ، فاسودت الدنيا فى عينى وخامرنى اليأس ، وظهر ذلك فى كل ماعالجت من فنون الأدب وألوانه ، وهجرت العمار إلى الخراب ، وانتقلت من المدينة الحية التى تعج بالناس وتزخر بالحياة إلى الصحراء المنقطعة ورمالها الصفراء وجدبها الرائع وفضائها الرحيب وسمتها العقيمة ، لأنى رأيت أنها أولى بى ، وأن المقام فى خرابها العظيم أرفق بنفسى المتهدمة وآمالى التى درست وهماتى التى فترت

وتعاقبت السنون — أربعة عشر عاما كاملاً — وأنا أجد الأنس بالصحراء والروح فيها والراحة بها . نعم كنت أنحدر إلى المدينة كل يوم وأرى الناس وأعمل معهم وأكد وأسعى ، ولكنى كنت لا أشاطرهم شعورهم بالحياة وإن كنت لا أثقل عليهم بما أحس . وكنت أكون معهم ، ولكنى بقلبى وعقلى مع الصحراء ، فلا أكاد أعود إليها حتى أحس أن حجراً قد انحط عن صدرى وأنه صار فى وسعى أن أتنفس وأن أنضو ما أتكلفه مع الناس وأواجه حقيقة نفسى التى أضمرها وأخفيها عن العيون واسترها حتى لا أوذى الناس بها

ولكن الصحراء معدنها خصب وإن كانت ظاهرة الجدب حتى لتبدو كأن لا أمل فيها ، وإن قلبها لعامر وإن كانت فى رأى العين خواء قواء . وإن الاحتمالات التى تنطوى عليها لأكثر من أن يأخذها حصر ، وما ينقصها إلا أن تساعفها الأحوال . وهل مصر كلها إلا صحراء جرى فيها نهر واحد فانقلبت من جنات الدنيا ؟ فهذه الصحراء أيضاً جنة مضمرة وفردوس مكنون

وصار يجرى هذا الخاطر فى نفسى عميقاً على الأيام ، فقلت لنفسى فى خلواتى الكثيرة بها : إن هذه الصحراء فيها قوى مستورة مقيدة تنتظر الانطلاق ، وخصباً محجوباً لو وجد مايظهره لربا فيها النبات واهتز ورف وزكا . وأنا أيضاً مثلها . ولم لا ؟ أأكون أعقم وأجدب من التراب والحصى والرمال الصفراء ؟ . . . وقد انتشرت على سطح نفسى طبقة كثيفة من القنوط غطت ماانطوى عليه من الزكاء والطيب والريع الكثير الوفير ، وما أظن بها إلا أن فيها خمائل أمل مدفونة ورياض خير أحسبها على الرغم من كل شىء لا تزال مخضلة يترشش نداها . وإن النفس لأقدر — أو هى ينبغى أن تكون أقدر من التراب على تربيت الندى وحفظه وادخاره . وإذا كانت تربة بعض النفوس مبكراً فليس بضائرى أن تكون تربة نفسى متخاراً . ومايمنعها التأخر بعد أن تبشر ويخرج نباتها أن يسرع ويطول ويقوى . وإذا كانت هذه الصحراء تنتظر أن يجيئها الغوث من الخارج فان النفس غياثها فيها . وللصحراء السحب التى تجرى الماء على وجهها ، وللنفس مدد كاف من حيويتها التى هى فى أعمق أعماقها . وأحسب أنى لو حفرت فى هذه الأرض لبلغت الماء ولو بعد عمق كبير . كذلك أحسب أنى لو مهت نفسى وحفرت فيها لوقعت فى بعض أعماقها على ماء غير قليل ؛ وسأحتاج أن أرمى التراب وأخرج الطين والحجارة وأن أنكشها من حين إلى حين حتى لا تعود حمأتها فتتجمع وتسدها مرة أخرى

واقتنعت بذلك وصح عزمى على أن من الواجب تنقية نفسى — أو بئرها — مما سد منابع الماء فى أعماقها المجهولة ، فأعددت العدة لذلك وجئت بالمتلات والمعاول والمجارف والحبال والقاطف والدلاء إلى آخر ذلك مما يحتاج اليه المرء فى الحفر . وقلت لنفسى : « إسمع ياهذا .. إنك لاتستطيع أن تحتفر إلا إذا وسعت ، فماتدرى أقريبة المنزع بئر نفسك هذه أم بعيدته ؟ والأرجح أن تكون بعيدة وأن تكون قد تكدست فوقها أكوام شتى وطبقات متراكبة من أوحال السخافات المختلفة المتعددة التى عشت بها هذا العمر كله . فيجب من الآن — وقبل الشروع فى الحفر — أن توسع صدرك وتوطن نفسك على الشك فى كل ما أخذت به من الآراء والمذاهب ، أى على اعتبار أن كل ما كان عندك بمنزلة العقائد التى لاتقبل الجدل يجب أن يعاد بحثه بغير هوى ، وإلا كان ما يوشك أن تحاوله الآن من الحفر عملاً لاخير فيه ولا جدوى منه ، وأولى بك حينئذ أن تنصرف عنه . وكما أن الذى يحتفر بئراً لا يستطيع ذلك إذا هو اجتزأ بثقب ضيق إشفاقا على الأرض أن يفسد منظرها بتوسيع الفوهة وأن يشوه استواءها ، كذلك أنت لا تستطيع أن تصل إلى شىء إذا كنت ستصر على آرائك القديمة ، فاضرب فيها كلها بمعولك وانظر كيف ثباتها ، وهل تحتمل ذلك أم تتناثر وتتبعثر ذراتها وتنقلب ترابا يطير كالهباء ،

وهـذا أول ما ينبغى أن تروض وتوطن نفسك عليه وإلا فتعبك ضائع مع الرياح الأربع

ولم أجد لى ممدى عن الرضى بمراجعة النفس وإعادة النظر بغير هوى فى كل ما كنت أعده من الحقائق المفروغ منهـا . فقلت لنفسى : « يجب أن أبدأ من البداية . والبداية هى أنى خلقت لأعيش وأعطيت الحياة لأحيا . وهذا من البداهة ، إذ لا يعقل أن أكون أعطيت الحياة لأرميها للكلاب ، وإلا فلماذا أُعطيتها إذن ؟ وما دام الأمر كذلك فأن واجبى الأول هو أن أعيش وأحيا ، وأن أحرص على الحياة وأضن بالعيش أن يفسده شىء بقدر ما يدخل هذا فى الوسع . ثم إنى لم أعط حياة الأبد ، وإنما أعطيت حياة محدودة لها آخر كما لها أول ، وهذا يضاعف وجوب الحرص عليها والضن بها على المفسدات ، لأنها فضلاً عن القصر يسهل زوالها ويضيع معناها بسوء الرأى . وعلى إذن أن أنقى من جوها كل ما ينغص هذه الحياة أو يقصر عمرها أو يفسد فترتها . وأول ما ينغص هذه الحياة ويضيع معناها ويفسد الغاية منها ويعكس الآية فيها ويقلبها عذابا وجحيما ، هذا الأدب الذى جننت به وضيعت خير شطر من عمرى فيه . وما هو الأدب على كل حال ..؟ هو شىء — أعنى كلاما — يحاول صاحبه به أن يوهم الناس أنه خير منهم وأرقى وأذكى وأفطن وأحس وأعلم ، وأن خطوهم وراءه باجيال إذ يخطو هو على مهل . ثم يرتقى المرء من إيهام الناس إلى إدخال الوهم على نفسه هو فيزعمها خالدة باقية على الزمن بآثاره — أى بالكلام الذى يصوغه — على حين تفنى كل هذه الملايين من معاصريه وممن جاءوا قبله ومن سيجيئون بعده . فلماذا بالله يخلد كلامه وحده دون كلام هـذه المئات العديدة من الملايين فى كل أمة وكل زمن ؟ . . . ثم كيف يتاح هذا الخلود فى حياة قائمة على الفناء المحقق ؟ . . وليس الخلود ألف سنة ولا ألفين ولا ثلاثة ولا أربعـة أو أكثر . . وانظر من ذا الذى خلد إلى الآن ... وفكر فى أمل الذين نذكرهم إلى اليوم فى دوام الذكر على الزمن . . . وإذا كنت الآن أعجب لشىء فانى أتعجب لذاك الذى يستطيع أن يفهم الخلود ويقنع بما فهم من معناه نفسه . وأعترف بأنى كنت أومن بالخلود فى هذه الدنيا الفانية ، ولكنى أعترف أيضاً أنها كانت عندى كلمة حلوة أرتاح إليها وأحس لها ندى على النفس وبرداً على القلب من غير أن أدرك لها معنى محدوداً جلياً . وإذا كان هناك من يؤمن بهذا الخلود فيخيل إلى أنه إما أن يكون شاباً لم يعان الحياة ولم يواجه حقائقها ، أو هو رجل لا يزال قادراً على مغالطة نفسه أو على الايحاء اليها ، أو فيه لوثة تمنع أن يجىء تفكيره مستقيماً ؛ وقد يكون هناك غير هؤلاء فما أدعى الأحاطة ولا ما هو قريب منها . وبدا لى وأنا أفكر فى هذا أن من السخف أن يتصور المرء أنه سيخلد بآثاره لا لسبب إلا أنه نشر كتاباً وأن الصحف أثنت عليه ومدحته . كأن الأجيال المقبلة ستعقم صحفاً وكتاباً هم أقرب إلى نفسها ومزاجها وأساليب تفكيرها وإلى إحساساتها واتجاهاتها ونزعاتها من كتاب الجيل الذى مضى أو الأجيال التى اندثرت . وغريب أن يعتقد إنسان أن آراءه وأساليب تفكيره وكتابته الخ تظل هى الحبيبة الأثيرة إلى كل عصر على الأزمان كلها !

كانت فكرة الخلود أول ما أخرجته وألقيته من الأوحال التى تراكمت على نفسى وحرمتنى نعمة الشعور بالحياة — كما ينبغى أن يكون الشعور بها — والارتياح اليها . فقد كنت أستسخف الناس وأستحمقهم وأستقل عقولهم وأحتقر عواطفهم وأراهم دونى فى كل شىء ، ولا أكاد أطيق منهم معارضة أو مخالفة يسيرة أو ملاحظة بريئة يحسن فيها القصـد ولا تسوء النية ؛ وكنت أترفع عنهم وأحس أنى متواضع جداً حين أجالس أحدهم ؛ وكان يزيد شعورى بالتواضع ويضاعفه أن أرانى أكلمهم كما يتكلمون وأجاريهم فى أحاديثهم الفارغة وثرثرتهم الجوفاء فأرضى عن نفسى كل الرضى وأقول لها فى تسويغ هذا التواضع : « وماذا عسى أن يصنع المبصر بين العميان ؟ » وما أكثر الأعمال التى تركتها وفقدت رزقى منها لأنى لم أطق من صاحبها الذى كنت أعمل معه أن يكلم رجلاً خالداً مثلى كأنه من أندادى — أو أن أسمع كلاماً يشعرنى أنه لا يفطن إلى قيمة من هو معه ولا يدرك أنه خالد وأنه حقيق بالتقديس وجدير بأن يركع أمامه على ركبتيه . ولقد خاصمت مرة رجلاً لأنه لم يأخذ برأيى ولم يصدر عن مشورتى ، فعددت منه هـذا تطاولاً على مقامى ؛ وغضبت على آخر لأنه نظر إلى نظرة تبينت فيها الحسد كأن ما وهبنيه الله يمكن أن يطمع فى مثـله طامع . والويل لمن كان يحدثنى ولا

يحرص على أن تكون عينه فى عينى . . إذن هو يتعمـد أن يفهمنى أنه يستخف بى وأنا الذى يعيى الزمان مكان نده

وبعد أن أخرجت الخلود وأفرغت القفة من طينه أحسست أنى حططت عن صدرى جبلاً فقلت : « يا سلام . . . أما إنها لراحة كنت محروماً منها ... والله لقد كنت مغفلاً .. وما الذى أغرانى بوضع هذا الجبل كله على صدرى ... وكيف بالله كنت أرجو أن أتنفس ... أعوذ بالله .. والحمد لله . . »

وبعد أن أخـذت حظى من الراحة قلت لنفسى : « إذن ما الرأى فى هذا الأدب الذى نكبنى بفكرة الخلود وزين لى هذه المصيبة التى رزأت بها نفسى ؟ » وفـكرت ثم قلت » ما دمنا قد خلصنا من مصيبة الخلود ، فالأدب أولاً يكون وسيلة للتنفيس عن النفس والتخفيف عنها وإراحتها من ثقـل العواطف والخوالج ، وهذا هو الذى يسميه غيرى فناً ذاتياً — وقد كنت مثلهم أفعل ذلك — وأسميه أنا سلوى شخصية ، والمسألة ميل واستعداد . . فهذا يجد ما يسليه ويرفه عنه فى الألعاب الرياضية ، وذاك يلتمس الترفيه فى القمار ، وثالث يجد التسرية فى الرقص ، ورابع يفوز بها من الأدب — أى من رص الكلام الفارغ . وليس الكلام الفارغ هو الذى يسرى عن النفس ، وإنما هو المجهود الذى يبذله المرء فى رصف هذا الكلام . ومجهود رصف الكلام هو مجهود بدنى كـكل مجهود آخر ، والمرء يحس بالأعياء والتعب بعده كما يحس بعد لعب الكرة أو غيرها . ولعـل الأعياء فيه أشد لقلة الحركة الجسمية ، وكثرة ما ينهك من الأعصاب

ثم ينقلب الأدب صناعة مع طول المزاولة والتدريب ، كما يمكن أن ينقلب أى فن آخر ؛ ويصبح كما هو الحال والواقع عندى . ومن الناس فى الأدب الهاوى أى الأديب الذى لم يتحول على الأيام وبالمزاولة صانعاً ، فهذا لا يزال يتخذه سلوى وملهاة يزجى بهـا الفراغ ويريح بها النفس ويرفه عن الأعصاب وإن كان يتعبها من ناحية أخرى كما يتعب المرء نفسه بالتنس والسباحة وغير ذلك : أما من صار مثلى فالأدب عنده صناعة وإن شق عليه أن يعترف بذلك ورأى فى الاعتراف به غضاضـة أو توهمها على الأصح لطول ما راض نفسـه على النظر إلى الأدب كأنه فن سماوى يُغرى به الذى تميزه الطبيعة وتـكتب له عندها الخلود كأن الطبيعة تحابى الناس على نحو ما يحابى الخلق بعضهم بعضاً

وخرجت من هـذا التفكير بأنى فى الواقع فتحت دكان أدب إذا أحسنت الاعلان عنهـا ولفت النظر إليها وأجدت عرض ما فيها من البضاعة فأنى خليق أن أفوز بالاقبال عليها والطلب لمـا فيها فيكثر كسبى ويعظم ربحى كما هو الحال فى كل تجارة أخرى . ولا فرق بين غيرى من الأدباء وبينى إلا على قدر اعتمادهم فى رزقهم على الأدب ؛ فمن كان معوله مثلى عليه فالأدب عنده صناعة لا شك فى ذلك ، وإلا فهو رجل يسر الله له رزقه فى وسـعه أن يتسلى بالأدب كما يمكن أن يتسلى باقتناء الديكة أو الثعـابين أو السـجاجيد أو بالـكرة أو التنس أو السباحة أو التوغل فى مجاهل الأرض لصيد الأسود والفهود والفيلة إلى آخر ما يمكن أن يلهو به انسان إذا رزق الوسيلة

ولمـا انتهيت من هذا كله سهل على أن أتاقى الحياة كما يتفق أن تجىء وأن أتقبلها بلا تذمر أو تسخط . وهان على ما كان يبـدو لى عسيراً فيما مضى قبل أن يرتد إلى عقلى الذى ذهب به جنون الأدب ، فان لـكل فن ضرباً من الجنون ، وليس الأديب الذى يتوهم أنه خالد ويطلب أن يعامله الناس على هذا الاعتبار بأقل جنوناً من بائع الفول المدمس الذى يأبى أن يبيعك منه شيئاً ولو بذلت له مال قارون إلا إذا تقدمت إليه فى تواضع ظاهر وقلت له إنى أريد « لوزاً » بقرش . ولا فرق عندى — الآن — بين اعتداد الأديب بأدبه إلى ذلك الحد البالغ فيه وبين تجبر بائع الفول وتحتيمه عليك أن تسمى فوله لوزاً لظنه أن تسميته لوزاً أبلغ فى التبجيل وأدل على التوقير . وما يطلب بائع الفول فى الحقيقة أن توقر الفول وإنما يطلب أن توقره هو ، ولـكنه يشعر أن طلب التوقير لشخصه مباشرة قد لا يلقى الارتياح ، فهو يجعل من الفول أداة لمـا يشتهى ويروم ولا يفطن إلى أن الناس يجارونه ويضحكون منه ويتفكهون فيما بينهم بالتنكيت عليه لأنه لا يرى الضحك ولا يسمع النكت ، وإنما يرى مظاهر الاحترام المتكلف ويسمع فوله يدعى لوزاً . وليست النعامة وحدها هى التى تستطيع أن تغالط نفسها وتتجاهل ما تغمض عينها عنه فأننـا جميعاً مثلها وان كنا لغرورنا نضرب بها المثل فى الحماقة . وكذلك الأديب الذى يطلب منك الاحترام والتوقير لخلوده إنما يطالب

هذا لشخصه لا لأدبه ؛ ولو أمكن أن يهتدى إلى وسيلة أخرى تنيله ما يشتهى وما تتعلق به نفسه من الاجلال والاكبار غير الأدب لما قصر فى اتخاذها ، ولكان الأرجح — إذا وجدها أجدى عليه — أن يتساهل فيما يجب للأدب من الاكبار ، بل لرأيته يدعى أنه إنما يكتب أو ينظم أحياناً للتسلية لا لمنافسة الأدباء المحترفين . وكل انسان يشتهى المجد أو التمجيد من الطريق الذى يراه أوفق له ويرى نفسه أقدر على انتهاجه ولا فرق من هذه الناحية بين الأدب وبين رفع الأثقال والحرب والموسيقى والسياسة وغير ذلك ، فأنها جميعاً وسائل يستعين بها الانسان على ما يريد من الفوز بالتمجيد الذى تصبو إليه نفسه .

وقد وجدت وأنا أنقب وأحتفر حجارة كثيرة تفتتت من صخرة الخلود الضخمة زحزحتها وأخرجتها ورميتها مثل النبوغ والعبقرية وماأشبه ذلك فألقيتها جميعاً ، فشعرت بالراحة وأحسست أن ما كان يسد متنفسات روحى قد زال والحمد لله على التوفيق ؛ ورأيتنى قد رجعت إنساناً بعد أن كنت دفتراً أو كتاباً كالكتب التى عندى ، وكل ما كان ينقصنى هو أن أجد من يغلفنى أو يجلدنى ليتسنى أن أوضع على رف كبقية الكتب وعلى ظهرى كما على ظهورها « كشكول المازنى » . والواقع أنى لم أكن إلا كشكولاً فيه خليط مضطرب غير متسق من الآراء المستمدة أو المولدة من هنا وههنا فصرت بعد التنقية الدقيقة التى أجريتها فى نفسى إنساناً يشعر بالحياة التى وهبها وبلذتها وينعم بها ويحرص عليها كما ينبغى أن يفعل ويوفر لها الأسباب التى تعين على زيادة الامتاع المستفاد منها

وكنت كالذى وقف وفى يده ما يشبه المنظار فاذا رفعه إلى عينيه لم ير إلا الصورة المطبوعة أو المنقوشة على زجاجة وهو يحسب أنه يكبر له الأشياء ويجسم له المناظر . أما بعد التنقية فقد رميت هذا الذى كنت أحسبه منظاراً مكبراً ونظرت بعينى لا بعيون الغير فبدت لى الدنيا بما فيها من جمال وقبح ومن خير وشر ومن عرف ونكر ، وأنا الآن أخوض العباب وأغالب التيار وأصارع الموج ، وأطفو تارة وأرسب أخرى ، ولا أعدم ما أتعلق به فأنجو وأستريح وأستجم إذا أدركنى التعب لا كما كنت — واقفاً على الساحل أصف مالم أجرب وأتحدث عما لم أختبر تقليداً لأحساس غيرى ومجاراة لنظرائه وأنا لا أدرى أنى لست سوى مقلد وإن كنت أزعمنى مبتكراً

وخطرت لى حكاية ، فقد زعموا أن صانعاً بارعاً منقطع النظير خاف المعجبون بحذقه وأستاذيته أن يدركه الأجل فيموت معه فنه ويلف عليه وعلى براعته كفن واحد ، فتقدموا اليه يرجون منه أن يتخذ له تلاميذ يعلمهم فأبى ، فألحوا فلم يلن ، فشكوه إلى الحاكم فأمره أن يفعل فلم يطع فسجنه ، ولبث فى السجن أياماً ، فتشاور محبوه وإخوانه فى الأمر فقال أحدهم : «أنا أحل لكم هذا المشكل » ودعا اليه واحداً من أتباعه وقال له إنا سنسجنك مع هذا الصانع فى حجرة واحدة فكن معه الرفيق المخالف ، فاذا ضحك فاعبس أنت ، وإذا رأيته يعبس فاضحك أنت وقهقه ، وهكذا فى كل شىء . « ففعل الرجل كما أمره فكاد الصانع يجن وطلب أن يأخذوه إلى الحاكم ، فلما صار عنده قال له إنه مستعد أن يعلم ألف تلميذ ولا يبقى ساعة واحدة مع هذا الرفيق المخالف فى غرفة واحدة

بمثل هذا يجب — فى رأيى — أن يعالج الذين يصرون على الحكم لنفسهم بالخلود قبل أن تحكم لهم الأيام فما أعرف طريقة أجدى وأكفل بشفائهم من طريقة الرفيق المخالف

ابراهيم عبد القادر المازنى

# نظرية النبوة عند الفارابى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٣ —

أسلفنا القول عن إحـدى الشخصيتين اللتين أثارتا مشكلة النبوة أثناء القرن الثالث والرابع للهجرة فى شكل حاد ، ونعنى بها ابن الراوندى . واليوم نريد أن نتحدث عن الشخصية الأخرى التى ليست أقل من الأولى خطراً فى هذا المضمار والتى ربما كانت أعرف لدى جمهور القراء ، وهى شخصية أبى بكر محمد بن زكريا الرازى الذى ولد سنة ٢٥٠ هجرية بالرى حيث تعلم الرياضيات والفلك والأدب والـكيمياء . ويظهر أنه لم يتقـدم للدراسات الطبية إلا بعد أن بلغ سناً خاصة ، ولـكنه لم يلبث أن برَّز فيها على جميع معاصريه وأحرز شهرة كبيرة . فصار يتنقل من بلاط إلى بلاط ، ومن مدينة إلى مدينة ، يشرف على مستشفاها ويأخذ بيد العلاج والطب فيها . وكان فى كل هـذا يحنُّ إلى الرى ويعود إليها من حين لآخر إلى أن توفى بها فى العقـد الثانى من القرن الرابع [١] . وليس هناك شك فى أن الرازى هو أكبر طبيب فى الاسلام ، بل وفى القرون الوسطى على الاطلاق . فقد أحاط بكل النظريات الطبية القديمة وأدخل عليها عناصر جديدة هدته اليها تجاربه الـكثيرة ، ومنح الـكيمياء كذلك قسطاً كبيراً من عنايته ، ودرسها دراسـة واقعية تجريبية قضت على كثير من الخرافات والأباطيل التى لصقت بها فى ذلك العهـد . ولم يكن الرازى طبيباً وكيميائياً فحسب ، بل اتجه نحو الفلسفة وكتب فيها عدة أبحاث . ولقد كان حريصاً كل الحرص على أن يلقب بالفيلسوف ؛ ولذلك لـما أحس أن بعض معاصريه ينكرون عليه هـذا اللقب سارع إلى الرد عليهم ، وبين فى رسالة خاصة مميزات الفيلسوف العلمية والعملية محاولاً أن يطبقها على نفسه [٢] . وهو فى طبه وفلسفته واثق من نفسه كل الوثوق وإلى درجة لا نـكاد نجدها لدى أى شخص من مفكرى الاسـلام . فهو ينتقد جالينوس فى بعض آرائه ، ولا يتردد فى أن يرفض فريقاً من النظريات الأرسطية ، ويضع نفسـه فى مصف أبقراط وسـقراط من الأطباء والفلاسـفة السابقين [١] . وفوق هذا فهو لا يسلم بتلك الجملة المشهورة : « ما ترك الأول للآخر شيئاً » ويعتقد على العكس منها أن السابقين تركوا للاحقين أشـياء كثيرة . وقد استدرك هو نفسـه على القـدامى جزءاً من نقصهم وأصلح بعض أخطائهم . ولا نظنه ينكر علينا إذا حاولنا اليوم أن نثبت ما فى آرائه من ضعف أو خطأ ، وما أشبهه فى هذا ببيكون بين الطبيعيين والفلاسـفة المحدثين . وليس بغريب أن يقف هذا الوقف أشخاص ينادون بالتجربة ويؤمنون بنظرية التقدم العلمى المستمر . فالرازى إذن مجدد وذو آراء مستقلة يجدر بنا أن نعرفها بصرف النظر عن خطئها أو صوابها ، شذوذها أو اعتدالها

لم تستبق لنا الأيام ، ويا للأسف ، كثيراً من مؤلفات الرازى الطبية والـكيميائية والفلسفية ، إلا أنا ربما كنا أعرف بطبـه وكيميائه منا بفلسفته . والسبب فى ذلك أن الباحثين من المحدثين عنوا بالرازى الطبيب والـكيميائى أكثر من عنايتهم بالرازى الفيلسوف . ونحن لا ننكر أن جانبـه العلمى أوضح وأقوى من جانبه الفلسفى ، وأن ما وصل إلينا من كتبه الطبية والـكيميائية يزيد نسبياً على مخلفاته الفلسفية . بيد أن فى فلسفته جرأة وغرابة تدفع الباحث إلى دراستها وتفهمها . وإذا كانت شذوذها وخروجها على المألوف هما من دواعى الاعراض عنها والتنفير منها فأنهما فى الوقت نفسه من وسائل الترغيب فيها والتشويق إليها . ونعتقد أنا نستطيع الآن أن نـكوِّن عنها فكرة كاملة على ضوء ما نقله أبو حاتم الرازى والبيرونى والـكرمانى ونصيرى خسرو ، وبعض الرسائل القليلة التى وصلت إلينا والتى كتبها الرازى نفسه

لئن كان الرازى قد اشتغل بالفلسفة فانه يفترق عن فلاسفة الاسلام المعروفين فى نواح كثيرة . فهو يهاجم أولاً أستاذهم وزعيمهم أرسطو ويخرج على كثير من نظرياته الطبيعية والميتافيزيقية [٢] .

(١) لا يعرف بالدقة تاريخ وفاته ، فمن قائل إنه سنة ٣١١ وآخر سنة ٣٢٠ ؛ وعلى أرجح الروايات ما ذهب إليه البيرونى من أنه فى الخامس من شعبان سنة ٣١٣

(٢) الرازى ، السيرة الفلسفية ، نشره المسيو كراوس فى Orientalio 1935, p p. 318—320.

(١) البيرونى ، رسالة فى فهرست كتب محمد بن زكرياء ، ص ١٣ . أبو حاتم الرازى ؛ أعلام النبوة ( in orientalio, 1936 ) ص ٤٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ من المخطوطة

ويبالغ ثانياً على العكس منهم فى التعلق بأهداب الآراء المزدكية والمانوية والمعتقدات الهندية[١] . وينكر أخيراً كل الانكار محاولتهم التوفيق بين الفلسفة والدين . ويرى أن الفلسفة هى السبيل الوحيد لاصلاح الفرد والمجتمع ، وأن الأديان مدعاة التنافس والتطاحن والحروب المتتالية . وقد كتب كتابين عدهما البيرونى بين الكفريات ، وهما : مخاريق الأنبياء أو حيل المتنبئين ، و نقض الأديان أو فى النبوات[٢] . وقد صادف الكتاب الأول نجاحاً لدى بعض الطوائف التى انتشرت فيها الزندقة والالحاد وخاصة لدى القرامطة[٣] . ويذهب الأستاذ ماسنيون إلى أن أثره تعدى إلى الغرب وكان منبع تلك الاعتراضات التى وجهها عقليو أوربا إلى الدين والنبوة فى عهد فردريك الثانى[٤] . وحتى اليوم لم يوقف له على أثر بين المطبوعات والمخطوطات العربيــة . وأما الكتاب الثانى فقد وصلنا منه فقرات عن طريق غير مباشر فى كتاب أعلام النبوة لأبى حاتم الرازى المتوفى سنة ٣٣٠ هجرية . وأبو حاتم هذا من أكبر دعاة الاسماعيلية الذين أبلوا بلاء حسناً فى طبرستان وأذربيجان فى أوائل القرن الرابع للهجرة . وقد كان معاصراً ومواطناً للرازى الطبيب ، ودارت بينهما مناقشات حادة ومتعددة حضرها بعض العلماء والرؤساء السياسيين

وقد شاء أبو حاتم أن يدوِّن هذه المناقشات فى كتابه أعلام النبوة . حقاً إنه لا يصرح فى هذا الكتاب باسم الرازى ويكتفى بأن يوجه نقده إلى من سماه الملحد ؛ غير أن هناك أدلة قاطعة على أن هذا الملحد ليس شخصاً آخر سوى الرازى . فان حميــد الدين الكرمانى المتوفى سنة ٤١٢ ﻫ وزعيم الدعاة الاسماعيليين فى عصر الحاكم بأمر الله يصرح فى كتابه الأقوال الذهبية بأن مناقشات فى النبوة والمناسك الشرعيــة دارت بين الرازى والشيخ أبى حاتم بجزيرة الرى أيام مَرْدَاوِج وفى حضرته[٥] . والكرمانى حجة فى هذا الباب فانه أعرف ما يكون بأخبار الاسماعيليين زملائه وبمواقف الرازى وآرائه التى أخذ على عاتقه أن ينقض بعضها فى كتابه الآنف الذكر . ومما يؤسف له أن مخطوطة أعلام النبوة الوحيدة ، التى وصلت إلينا ، بدون مقدمة ؛ ويغلب على الظن أن هذه المقدمة المفقودة كانت تشتمل على غرض الكتاب والدافع إلى تأليفه[١] . فكتاب أعلام النبوة يقفنا على الاعتراضات الرئيسية التى وجهها الرازى إلى النبوة وأثرها الاجتماعى ؛ وعليه نعتمد هنا أولاً وبالذات

وهذه الاعتراضات فى جملتها تقترب بعض الشىء من الاعتراضات التى أثارها ابن الراوندى من قبل . وكأن الرجلين يرددان نغمة واحدة ويصدران عن أصل معين ، أو كأن تعاليم هندية وآراء مانوية اختفت وراء حملتهما . ونحن نعلم من جهة أخرى أن الرازى يقول بالتناسخ الذى عرفت به السُّمنية من الهنود ، وبتشيع للمانوية الذين كانوا يدسون فى غير ملل للاسلام ومبادئه ؛ ولا يبعد أن يكون قد وقف على نقد الاغريق للديانات على اختلافها . وسواء أكان الرازى متأثراً بعوامل أجنبية أم معبراً عن آرائه الشخصية فأنه يصرح بأن الأنبيــاء لا حق لهم فى أن يَدَّعوا لأنفسهم ميزة خاصة ، عقليــة كانت أو روحية ، فان الناس كلهم سواسية ، وعدل الله وحكمته تقضى بألا يمتاز واحــد على الآخر . أما المعجزات النبوية فهى ضرب من الأقاصيص الدينيــة أو اللباقة والمهارة التى يراد بها التغرير والتضليل . والتعاليم الدينية متناقضة يهدم بعضها بعضا ولا تتفق مع المبدأ القائل إن هناك حقيقة ثابتة ؛ ذلك لأن كل نبى يلغى رسالة سابقه وينادى بأن ماجاء به هو الحق ولا حق سواه ؛ والناس فى حــيرة فى أمر الأمام والمأموم والتابع والمتبوع . والأديان فى جملتها هى أصل الحروب التى وقعت فيها الانسانيــة من قديم ، وعدو الفلسفة والعلم . وربما كانت مؤلفات القدامى أمثال أبقراط وأقليدس وأفلاطون وأرسطو أنفع من الكتب المقدسة[٢] . يقول الرازى : «الأولى بحكمة الحكيم ورحمة الرحيم أن يلهم عباده أجمعين معرفة منافعهم ومضارهم فى عاجلهم وآجلهم ولا يُفضِّل بعضهم على بعض ، فلا يكون بينهم تنازع ولا اختلاف فيهلكوا. وذلك أحوط لهم من أن يجعل بعضهم أئمة

(١) البيرونى ، رسالة ، ص ٣ — ٤
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠
(٣) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٤١
(٤) Massignon, R. H. R., 1920. — cf. Encyc. de l,Islam Râz.
(٥) الكرمانى ، الأقوال الذهبية ، ص ٤ من مخطوطة فى مجموعة الحمدانى

(١) هذه المخطوطة من مجموعة الحمدانى أيضاً ، وقد بدأ المسيو كراوس الذى وقفنا عليها منذ زمن بنشر أجزاء منها فى Orientalio ، ونرجو أن يتابع نشره كى تنجلى هذه النواحى الغامضة
(٢) P.ikraus et Pines, Encyc. de l'Islam, Fasc. 54, .1136

لبعض فتصدِّق كل فرقة أمامها وتكذب غيره ، ويضرب بعضهم بالسيف ويعم البلاء ويهلكوا بالتعادى والمجاذبات ، وقد هلك بذلك كثير من الناس كما نرى [١] »

نظننا فى غنى عن أن نشير الى أن أقوال الرازى هذه تمثل أعنف حملة وجهت الى الدين والنبوة طوال القرون الوسطى . بيد أن الشيخ أبا حاتم استطاع أن يقابل هذه الحملة وجهاً لوجه ويخذلها ، وأن يهدم هذه الفتنة من أساسها . وفى كتابه أعلام النبوة صفحات تفيض إفحاماً وإعجازاً ، ومناقشات تسد على المكابرين والمعاندين سبل التخلص والفرار . وحبذا لو نشر هذا الكتاب فى جملته فضم آية الى آيات الاسماعيلية الكثيرة وأثراً الى آثارهم العلمية النفيسة . وأبو حاتم ممن أحسنوا الجدل والمناقشة والأخذ والرد . وكيف لا وهو داع مهمته أن ينتصر لدعوته ، ويردّ عنها شبه الخصوم والمعارضين ؟ فهو لا يرد على الرازى بقضايا مسلمة وأدلة مشهورة ، وإنما يحمله على أن يرفض نفسَه بنفسه ، ويبين له أن أقواله وآراءه متهافتة ومتناقضة [٢] وهو فوق هذا لا يتكلم باسم الاسماعيلية وحدهم ، بل باسم الاسلام والعقل والانسانية جمعاء . ذلك لأن مشكلة النبوة لا تتصل بفرقة دون فرقة ، ولا تعنى طائفة منفردة من طوائف الاسلام . وقارىء كتاب أعلام النبوة لا يشعر مطلقا أنه يحمل شارة خاصة على عكس كتب الفرق المختلفة . وهنا نقطة نحب أن نلفت النظر اليها ، وهى أن حملة الرازى وابن الراوندى من قبله على الأديان والنبوات أثارت الأوساط الاسلامية على اختلافها ، وحفزتها الى الدفاع عن معتقداتها . فأبو على الجبائى [٣] الكبير ( المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ) وابنه أبو هاشم [٤] ( المتوفى سنة ٣٢٤ هـ . ) المعتزليان ، وأبو الحسن الأشعرى [٥] ( المتوفى سنة ٣٢٤ هـ . ) زعيم أهل السنة رأوا من واجبهم أن يردوا على ابن الراوندى ؛ ومحمد بن الهيثم [٦] الفلكى والرياضى ( المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ) أخذ على عاتقه أن ينقض رأى الرازى فى الآلهيات والنبوات .

(١) أبو حاتم ، أعلام النبوة ( in Orientalio ) ص ٣٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢

(٣) ابن الجوزى ، فرق الشيعة ، ص XX

(٤) M. Horten, Die philos. Sys., p : 364.

(٥) Spitta, Zur Gesch. Abu,l Hasan al - as'ari, p. 63.

(٦) Kraus, Riviata, 1934, p. 363.

إلا أن الاسماعيلية بوجه خاص قد بذلوا فى هذا المضمار همة عالية ومجهوداً صادقا ؛ ومعظم الردود على منكرى النبوة إنما وصلتنا عن طريقهم . وليس هذا بغريب ، فأن الاسماعيلية فى تعاليمها الدينية ومبادئها السياسية تقوم على النبوة وتعتمد عليها

فى هذا الجو المملوء بالحوار والمناقشة فى موضوع النبوة الخطير نشأ الفارابى ، وكان لا بد له أن يقاسم فى هذه المعركة بنصيب . لاسيما وهو معاصر لابن الراوندى والرازى معا ؛ فقد ولد سنة ٢٥٩ هجرية وتوفى سنة ٣٣٩ . ويروى المؤرخون أنه كتب ردين ، أحدهما على ابن الراوندى والآخر على الرازى ؛ ونأسف جد الأسف لأن هذين الردين لم يصلا الينا [١] . وقد نستطيع أن نتكهن بموضوعهما على ضوء الملاحظات السابقة . فانه لا يتوقع أن يرد الفارابى المنطقى الفيلسوف على ابن الراوندى إلا فى شىء يتصل بالمنطق والجدل اللذين أخل الأخير بقواعدهما ، أوفى مبدأ من مبادىء الفلسفة والالهيات التى خرج عليها [٢]

ولا بد أن يكون الفارابى ، وهو الأرسطى المخلص والمعنى بالسياسة والاجتماع ، قد أخذ على الرازى كذلك أشياء كثيرة ، فى مقدمتها التهجم على أرسطو وإنكار مهمة الرسول السياسية والاجتماعية . على أن الفارابى لم يكتف بهذا الموقف السلبى وهذا الدفاع الذى إن ردَّ عن النبوة بعض خصومها الحاضرين فهو لا يمنحها أسلحة تستعين بها على هجمات المستقبل . وعلى هذا أجهد نفسه فى أن يقيم النبوة على دعائم عقلية ويفسرها تفسيراً علمياً ، وبذا استطاع أن يبطل كلمة أنصار العقل الموهومين ، ويدحض دعوى المتفلسفين الذين يزعمون أن الدين لا يمكنه التآخى مع الفلسفة ، ولا القرب منها . ومن غريب المصادفات أن هذه الدعائم الجديدة ترجع إلى أصل أرسطى ؛ فكأن الفارابى قد تمكن فى نظرية النبوة أن يصوب إلى هدفين ويحظى بغايتين ، فأسس الأديان تأسيساً عقلياً فلسفياً وأبان للناس أن أرسطو الذى تهجم عليه الرازى وأنكره آخرون جدير بحظ كبير من الاجلال والتقدير

( يتبع ) ابراهيم بيومى مدكور

(١) ابن أبى أصيبعة ، عيون ، ١١ ، ١٣٩ . — القفطى ، تاريخ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

(٢) ينبغى أن نلاحظ أن ابن أصيبعة يصرح بأن الفارابى كتب كتاباً فى الرد على ابن الراوندى فى آداب الجدل ، والقفطى يعد هذا كتابين : أحدهما فى آداب الجدل والآخر فى الرد على ابن الراوندى

# الحرب الأهلية الاسبانية

## صراع بين الطغيان والحرية

### خطر الفاشستية على السلم الأوربى

بقلم باحث دبلوماسى كبير

انتهت المأساة الاسبانية إلى موقف شديد الحرج ، فنذ أسابيع تطوق القوات الثائرة مدريد ، وتشدد عليها الحصار والضغط ، وتصلى المدافعين عنها والمسالمين من أهلها ناراً تحصد الأرواح بلا رأفة ؛ ومنذ أسابيع تضطرب الجمهورية الاسبانية فى يد القدر ، وتبذل جهود المستميت للدفاع عن حياتها وكيانها ؛ وقد لاح مدى لحظة حينما زحف الجيش الثائر على مدريد ، وطوقها من معظم النواحى أن مدريد ستسقط تواً ، وأن الجمهورية الاسبانية قد تلفظ أنفاسها الأخيرة فى أيام قلائل ؛ ولكن الجيش الثائر لقى مقاومة شديدة لم يكن يتوقعها ؛ وتدل الأنباء الأخيرة التى وردت ونحن نكتب هذه السطور أن القوى الجمهورية التى تدافع عن مدريد قد عادت إلى الهجوم ، واستردت بعض المواقع التى تشرف على العاصمة ، وأن الأمل قد يتجدد بانقاذ مدريد وإنقاذ الحكومة الجمهورية ؛ بيد أن مصاير الحرب قد تتغير فجأة ، وقد تسقط مدريد فى يد الثوار قبل أن تطلع ( الرسالة ) على القارئ بهذا المقال

على أنه يجب أن نلاحظ أولاً أن سقوط مدريد لا يعنى ختام الحرب الأهلية الاسبانية ؛ ولا يعتبر نصراً حاسماً للثورة العسكرية ؛ ذلك أن سقوط العاصمة قد قدر منذ بعيد وبحثت الحكومة الجمهورية كل ما يترتب عليه من الاحتمالات ؛ ولن يترتب عليه من الوجهة المادية سوى كسب الثوار لمدينة جديدة ، وإن كان يعتبر من الوجهة المعنوية فوزاً له قيمته ؛ وما زالت الجمهورية مسيطرة على شرق اسبانيا كله من قطلونية حتى مالقة ، وكذلك على قسم كبير من الأقاليم الوسطى والشمالية ؛ فاذا سقطت مدريد ؛ قامت الحكومة الجمهورية فى برشلونة أو فى قاعدة أخرى ، واستمر النضال مضطرماً بين الفريقين

ولكن هزيمة الثوار أمام مدريد قد تكون بالعكس موقعة الفصل فى هذه الحرب البربرية المخربة ؛ ذلك أن قوى الثوار ومواردهم محدودة ، وقد دفعوا إلى المعارك الأخيرة بكل قواهم ومواردهم الاحتياطية . فاذا هزموا أمام العاصمة بعد أن لاح لهم أمل الظفر ، تفككت قواهم وخبت روحهم المعنوية ، وربما اضطروا إلى الانسحاب عن جزء كبير من الأقاليم التى يحتلونها ؛ وعندئذ تتطور مصاير الحرب فى صالح الجمهورية

* * *

ولقد عالجنا موضوع الحرب الأهلية الاسبانية منذ نشوبها فى أواخر يوليه الماضى ، وقلنا يومئذ والحوادث فى بدايتها إن هذه الحرب الأهلية الداخلية ليست إلا طورا من أطوار الصراع الأوربى العام بين الديمقراطية والفاشستية ، أو بعبارة أخرى بين النظم الحرة والطغيان العسكرى ؛ وقد أبدت الحوادث رأينا وما زالت كل يوم تكشف لنا عن هذه الحقيقة بأدلة مادية لاشك فيها ؛ وإذا كان مما يدعو الى الأسف أن حكومة مدريد الشعبية قد اضطرت إزاء الظروف القاهرة أن تعتمد فى نضالها على بعض العناصر غير المرغوب فيها من شيوعية وفوضوية ؛ فليس معنى ذلك أنها حكومة شيوعية كما تصورها لنا الدعاية الفاشستية ، بل هى فى الواقع حكومة جمهورية شعبية من ورائها العمال والفلاحون والطبقات الوسطى أو بعبارة أخرى من ورائها الشعب الاسبانى . أما الثورة التى يرفع لواءها الجنرال فرانكو وزملاؤه من القواد والضباط الخوارج فهى ثورة النظم الطاغية التى حطمتها الجمهورية فى سنة ١٩٣١ ، ومن ورائها الملوكية الذاهبة والكنيسة وأحبارها وكبار الملاك وأصحاب الأموال ، والقواد والضباط الخوارج ، وهى العناصر التى كانت تتمتع بالنفوذ والسلطان فى ظل الملكية الذاهبة ، وترهق الشعب الاسبانى بطغيانها وامتيازاتها وجشعها ؛ فلما ظفر الشعب الاسبانى بالقضاء على الملوكية فى سنة ١٩٣١ لبث أنصارها من الأحبار والملاك يترقبون الفرص للانتقاض على النظام الذى قضى على نفوذهم ؛ وقامت الوزارة الجمهورية الأولى التى يرأسها السنيور أزانا ببعض الاصلاحات السياسية والاجتماعية كنزع ملكية بعض الضياع الكبيرة وتوزيعها على الفلاحين ، وفصل جماعة من الضباط

الذين يشك فى ولائهم ، والحد من سلطات الكنيسة وأحبارها ، فزادت هذه الاجراءات فى غضب العناصر الرجعية ؛ وفرت رؤوس الأموال الكبيرة الى الخارج ، وزادت العطلة والبأساء وأخذت الجمهورية الجديدة تتخبط فى غمار من الصعاب السياسية والاقتصادية ؛ وجاءت بعد وزارة أزانا فى أواخر سنة ١٩٣٣ وزارة محافظة فألغت هذه الاصلاحات ، ولكنها فشلت فى معالجة الأزمة الاقتصادية ؛ وأسفرت هذه الأزمة غير بعيد عن قيام بعض الحركات الثورية الخطيرة ، ولا سيما فى منطقة الاستورياس وفى قطلونية حيث يشتد الاحتشاد الصناعى ؛ وعملت العناصر الرجعية على إذكاء الثورة ، ولكنها أخفقت وسحقت فى سيل من الدماء ؛ وقامت وزارة اشتراكية جديدة برآسة السنيور أزانا فى فبراير الماضى ، وعاد الفلاحون إلى المطالبة بنصيبهم من الأرض ، واستولوا على كثير من الضياع واضطرت الحكومة أمام الضغط العام أن تقر هذه الحركة ، واشتدت فى محاسبة الكنيسة ونزع أملاكها وفى مطاردة أحبارها وتجريدهم من كل حول ونفوذ ؛ ولكنها لم تفعل شيئاً لاصلاح الجيش وتطهيره من العناصر الناقمة ، مع أن الجيش كان مصدر الخطر على الجمهورية ، ولو فعلت لتغير سير الحوادث ؛ ورأت العناصر الرجعية أن تلتف حول العناصر الناقمة فى الجيش من قادة وضباط ، وأن يتحد الجميع على مقاومة هذه الحركة الخطيرة التى ستنتهى بالقضاء عليهم وعلى أملاكهم وامتيازاتهم ، وكانوا يضمون آمالهم فى الجيش والحرس المدنى ، ويعولون على إسقاط الجمهورية بثورة عسكرية محلية ، لأن الشعب لا يحبهم ولا يمكن أن يصغى اليهم ؛ ولكن الحكومة الجمهورية كانت على شىء من التحوط والحذر ، فاضطروا أن يولوا شطرهم إلى مراكش حيث تكثر العناصر الناقمة فى الجيش ، وحيث يستطيعون الاعتماد على الجند المغاربة ، وعلى المعاونة الخارجية

***

هكذا اجتمعت أسباب الثورة الاسبانية التى انفجرت فى ١٧ يوليه الماضى ، وتولى قيادتها الجنرال فرانكو حاكم جزر الكنارى ، وأحد زعماء الجيش الناقمين ؛ على أن هذه الثورة لم تنشأ مستقلة ، ولم تكن داخلية محضة ، فقد كانت تعتمد منذ الساعة الأولى على المعاونة الأجنبية ، ولم يك ثمة شك فى المصدر أو المصادر التى قدمت هذه المعاونة ؛ فقد رأت الفاشستية الايطالية وهى عماد النظم العسكرية الطاغية فى أوربا الجنوبية لأسباب سياسية وعسكرية أن تشد أزر الجنرال فرانكو ، وأن تعاونه بكل الوسائل ؛ ورأت ألمانيا النازية من جانبها أن تشترك فى هذه المعاونة لأسباب وبواعث مشابهة ، ذلك أن قيام حكومة عسكرية رجعية فى مدريد تقوم على وسائل الطغيان والعنف التى تقوم عليها الفاشستية الايطالية والنازية الألمانية ، مما يقوى هذه النظم من الوجهة المعنوية ، ومما يضعف جبهة الديموقراطية الأوربية التى تقف فى وجه الفاشستية والنازية ؛ وحصن الديموقراطية الأوربية انكلترا خصيمة إيطاليا منذ الحرب الحبشية ، وفرنسا خصيمة ألمانيا التاريخية ؛ وإيطاليا ترى فى قيام حكومة فاشستية فى أسبانيا تقع تحت نفوذها وتأثيرها وسيلة لتقوية نفوذها فى غرب البحر الأبيض وتهديد مركز إنكلترا فى هذه المياه ؛ ولذلك لم تدخر إيطاليا وألمانيا وسعاً فى إمداد الثورة الأسبانية بالسلاح والذخائر والرجال ؛ ولم يبق سراً أن أسطول الثوار الجوى كله يتكون من طيارات إيطالية وألمانية ، وأن ضباطه جميعاً من الايطاليين والألمانيين ؛ وأن إيطاليا قد اتخذت من جزيرة ميورقة مركزاً لامداد الثورة الأسبانية وتموينها ، وأن الامدادات الألمانية تصل إلى الثوار من الشمال ، ومن الغرب بواسطة البرتغال التى تعمل أيضاً فى معاونة الثورة وإمدادها تحقيقاً لأطماع ومصالح خاصة ؛ وقد ترددت فوق ذلك إشاعة قوية بأن هنالك اتفاقاً سرياً بين الثوار وبين إيطاليا وألمانيا والبرتغال ، يقضى بأن تأخذ إيطاليا جزر البليار ثمناً لمعاونتها ، وتأخذ ألمانيا جزر الكنارى ، وتأخذ البرتغال بعض الأراضى المجاورة لحدودها الشرقية ؛ وهو اتفاق لايبعد صدوره من زعماء عسكريين يعملون بمال الأجنبى وسلاحه لسحق الحريات الشعبية فى بلادهم وإراقة دماء مواطنيهم على هذا النحو الذريع الذى تطالعنا به الأنباء كل يوم ؛ وهذا الاحتمال مما يثير اليوم فى فرنسا وانكلترا أشد الجزع ، لأن جزائر البليار على مقربة من المياه الفرنسية وهى واقعة فى طريق الجزائر ، ولأن حلول إيطاليا بها يعرض سيادة انكلترا فى غرب البحر الأبيض

ومواصلاتها الامبراطورية من طريق جبل طارق إلى أشد الأخطار

على أن تدخل الدول الفاشستية فى الحوادث الأسبانية على هذا النحو كان له رد فعل مماثل ؛ فقد رأت روسيا السوفيتية من جانبها أن تقاوم نفوذ الفاشستية فى أسبانيا بمعاونة الحكومة الجمهورية ، وقد قابلت المثل بارسال السلاح والذخائر والطائرات إلى حكومة مدريد ، وقد ظهر أثر هذه المعاونة أخيراً بثبات الجنود الجمهوريين وانقلابهم إلى الهجوم فى كثير من المواقع حول مدريد ؛ ولهذا التدخل الثنائى فى الحوادث الأسبانية قصة دولية مضحكة ، فقد اقترحت فرنسا فى بدء نشوب الحرب الأهلية الأسبانية على الدول أن تتبع إزاءها سياسة الحياد المطلق ، ووافقت على هذا الرأى انكلترا وألمانيا وإيطاليا وروسيا والبرتغال ، وأنشئت لجنة عدم التدخل لتراقب تنفيذ هذه السياسة المشتركة ولكن الدول الفاشستية كانت تعبث منذ الساعة الأولى بمبدأ الحياد ، وكانت روسيا تقابلها بالمثل ، وقد اشتركت فرنسا أيضاً فى معاونة حكومة مدريد ولكن بشكل مستتر ؛ فلما ظهر أن الدولة الفاشستية تمادى فى معاونة الثورة ، رفعت روسيا القناع أيضاً وأنذرت أنها تستأنف كل حريتها فى العمل إذا لم تقم الدول الأخرى ، أعنى ألمانيا وإيطاليا ، بالكف عن مساعدة الثوار ؛ والآن تبدو مساعدة روسيا لحكومة مدريد بشكل واضح وتتقاطر السفن الروسية من البحر الأسود إلى مياه برشلونة وبلنسية واليقنت مشحونة بالذخائر والمؤن ، وقد يتطور الموقف إلى أشد من ذلك ، وقد يفضى هذا التدخل المزدوج غير بعيد إلى مصادمات وحوادث لا تؤمن عواقبها على السلام الأوربى

لقد غدت الفاشستية مصدر الخطر على سلام أوربا ، وكانت البلشفية قبل عامين مصدر هذا الخطر العام ، ولكن روسيا السوفيتية رأت فى النهاية أنها لا تستطيع أن تبقى فى عزلتها الخطرة خصوصاً بعد أن استعادت ألمانيا جيشها وتسليحاتها فى ظل الفاشستية الهتلرية ، فانضمت إلى جبهة الدول الغربية ، وعقدت مع فرنسا الميثاق الشهير الذى اتخذته ألمانيا ذريعة لنقض جميع تعهداتها العسكرية فى معاهدة الصلح ؛ وقد حل الخطر الفاشستى الآن فى تهديد سلام أوربا محل الخطر البلشفى ؛ وقوام هذا الخطر مطامع ألمانيا وإيطاليا العسكرية والاستعمارية ؛ وقد رأت روسيا أن قيام دولة فاشستية جديدة فى أسبانيا مما يقوى جبهة الدول الفاشستية ضدها ، فرأت أن تخوض المعركة فى أسبانيا ضد التدخل الفاشستى ، وأن تعاون حكومة مدريد ما استطاعت لأن فى فوزها فوزاً للجبهة الديموقراطية التى اندمجت فيها روسيا

فالمعركة التى تضطرم الآن فى أسبانيا هى معركة مبادئ تذكيها المصالح والمطامع السياسية والعسكرية ؛ وهى مظهر محلى لتلك المعركة العامة التى تضطرم فى أوربا بين الجبهتين الخصيمتين ؛ ومن الخطر على سلام أوربا وعلى حريات الأمم الضعيفة أن تنتصر هذه الثورة الفاشستية ؛ وربما كان انتصارها نذير حرب أوربية إذا لم تنجح أوربا فى حصر هذه الشعلة المضطرمة داخل أسبانيا ؛ بيد أن المعركة ستستمر حيناً آخر ، وقد تتغير مصاير الحرب بين آونة وأخرى ، فتحرز الجمهورية الأسبانية نصرها الحاسم ، وتتحطم مشاريع الدول الفاشستية ، وينجو السلام الأوربى مما يتهدده من الأخطار

(٠٠٠)

# من النيل ... الى الرافدين

## للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

حينما قيل لى فى وزارة المعارف : إنك ممن اختيروا الانتدابهم للتـدريس فى مدارس العراق ، أحسست أن واجبا ينادينى ويطلب التلبية مهما كانت فجأة النقلة ووعثاء السفر ولوعة الفرقة للأهل والوطن . . . تحقيقاً للثقـة العراقية فى السمعة المصرية التى رفع الله ذكرها فى الشرق العربى الاسلامى ، ووفاء لناشئة العراق ببعض ما لأجدادهم على العقلية العربية العامة من دَيْن المجد والدين والعلم ... وإيغالا بالجسم فى صميم الشرق ... وملأ للنفس من روحه الذى أومن بسره وسحره . . وتوثيقا للعلائق بين البلدان العربية التى ما يبزغ فجر يوم جـديد إلا وفيه أمل مشرق بوحدتها التى يرسم القلم الأعلى حدودها ، وينسج الزمان بنودها ، ويصنع جنودها

***

وانطلق الجسم من حدود الأرض التى له فيها تاريخ وأطوار . . إلى الأرض التى للروح والعقل فيها أشواق وأوطار ! فقد عاشا فى ميرانها ، وقبسا من هداها للجنان واللسان ، واعتزا بفتوح أقلامها وسيوفها ، فهما منها على غير نُكْر

واستدبرت السـفينة شاطىء الوطن الذى فى ترابه أبى ، وعلى ترابه أمى ، فأحسست شعور الانفصال له وقدة على كبدى!

وسارت الفلك واحتواها الماء الذى قامت على عبريه بواكير الحضارات ، وذابت فى عبابه دولات ، فقرأناه كـكلمة خالدة فى التاريخ ، وعبرناه كقطرة فى محيط الطبيعة

وأقبل الليل ونحن على موج نرى جهاد السـفينة فيه ، والتقاء الظلام به ، وإشراق النجوم عليه ، فاذا القلب خافق صريع بسحر هذه الأكوان الثـلاثة التى فى كل منها محراب لعبادة الجمال الأعلى

وتنفس الصبح على صفحة البحر فاذا لون من بهجة الحياة يشيع فى النفس فتود لو أن الفَـلَك والفُـلك وقفا فلا يريمـان !

ولاح حاجب الشمس من صوب فلسطين الثائرة ضد البطش والدس ، فاذا بالعيون تشخص والخيال يطوف فى بطون الوديان وقنن الجبال ، فلا يرى إلا ثائرا رابضاً وراء صخرة ، أو طائراً يقذف « بالبَـيْـض » مصارعَ ، أو شِلوا فى فم ذئب ، أو عينا فى منقار طير ، أو طراداً عنيفاً بين قوة جبارة تعتمد على حذق للجديد من أساليب الحرب ، وبين مقاومة صلبة فدائية تعتمد على الحق وامداد الايمان ؛ فسألنا الشمس أم الحياة أن تشرق بالأمل على قلوب أبناء عمومتنا ، وأن تنضح مضاجع الشهداء بالشعاع المسكوب !

ثم أوفت بنا السفينة الى بيروت وقد مال ميزان النهار الى الغروب ، فلاحت « الحمراء » فى سفح لبنان كغادة نائمة فى حضن جبار . فودعنا البحر واستجممنا قليلاً ، ثم اجتزنا لبنان فى طريق كسير الأفعى فلم نر منه غـير جماله النائم ، وعهدى به منذ ثلاث سنين فى ضحوة النهار ، أرض الفتنة والسحر

لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بأجمل منهما ملكوته

ونزلنا دمشق عرش أميـة الفاتحة الماهدة لدولات العرب طريق الحضارة والاستقرار فى الوطن الـكبير ، فما رأينا منها إلا كما يرى النظر الطائر من مدينة تتثاءب لهجمة الليل . وما هى إلا بقية من سواد قضيناها فى فندق أمية حتى غدونا مصبحين مسرعين الى سيارات الصحراء . . وهكذا خرجنا من الفيحاء من غير أن نرى أفراحها ومباهجها لاسترداد حريتها واستقبال وفدها ، ومن غـير أن نحج الى مناسك جهادها وأعلام تاريخها

***

فلما جاوزنا أرباض المدينة ، وابتدأت صفرة الصحراء تطغى على خضرة الزرع ، أخذت أجمع نفسى وأرهف حسى لأستقبل المجهول الذى طالما تاقت الروح إلى اختراق غيوبه وهتك حجابه حتى ترى ما فيه من صور الصمت والهول والوحشة ، ونستلهم سماءه بعض المعانى التى فتقت ألسنة آبائنا بهذه الألفاظ البدوية الواعية لما أتت به الحضارات والمترجمة عن خلجات النفس ودقائق الأحاسيس

وهنا ابتدأ شعور مفاجىء لا تاريخ له فى قلبى ، فحملق البصر وتفرس فى ذلك الرحب ليرى ظلال الأجناد والأحداث التى قلب بها القـدر أوضاع الأرض بأيدى محمد وأبى بكر وعمر ، وطغيان الموجات العربية فى فترات التاريخ ، وولادة الجزيرة ،

واحتضان العراق والشام ومصر لما تلد ؛ ثم انحسرت هذه النظرة الأولى وارتدت تستنشد اللسان قول لبيد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع !

***

ثم احتدمت الهاجرة ، والتهب الهواء ، والتمع السراب ، وبرزت الصحراء الحمراء عارية تحت عين الشمس ، ونحن فيها « كركب من الجن في زي ناس » فوق مركب « يملأ الآفاق صوتاً وصدى » فتصطف له أرواح الصحراء ترى ، في عجب ، سحر الحياة الجديدة !

وفى خطفة من خطفات الروح تلفت القلب صوب الجنوب فرأى المدينتين الغريقتين فى أمواج الرمال تتحديان بصمتهما وعزلتهما ضجة الدنيا بالشهوات ، وسعارها بالآفات ، فحيتهما تحية القدوم على أقرب الحدود لهما ، وأخذت الطمأنينة والسلام لنفسى منهما . . .

وفى مغرب الشمس وافينا « الرطبة » أول محطة عراقية ، فكان أول صوت رن فى آذاننا صوت الحاكى يغنى أغانى من « دموع الحب » فى مقهى هناك وقد التف حوله السمار فى إنصات وطرب . فقلنا ها هى ذى مصر تسبقنا إلى العراق ، فلا وحشة ولا اغتراب . ثم وجدنا من البشاشة لنا والأنس بنا ما أنسانا أننا فى صحراء تبعد عن مصر بأربعين ساعة بالوسائل السريعة !

وما غشى الليل وحبك الظلام حتى واصلنا السير فكنا فى الصحراء كسر فى ضمير حليم ! وجعلنا نسرح الطرف من خلال زجاج السيارة وقد غشيه الغبار فلا نرى غير نجوم وهنانة سأمانة من طول الوقوف على هذا الديموم

وجاءت سكرة النوم فهمدت الأجساد ونام كل « على نفسه » فى مجلسه ، واستراحت المقل من التصويب والتصعيد فى الأفق البعيد ، وهكذا نمنا على دوى الرحى . . . ولم يوقظنا إلا وقوفها فى « الرمادى » فى الهزيع الأخير . . . فألممنا بها للتأشير على جوازات السفر . . . ثم وصل ما انقطع . . . اطراد السير والنوم حتى نرد بغداد مع الصباح . .

***

« هذه هى بغداد أيها الركب ؟ » هكذا قال الصبح الوليد . . . فسحت جفونى ، وجعلت أتلفت عن شمالى ويمينى لأرى مدخل دار السلام . . . المدينة التى احتضنت نتاج مكة ويثرب ودمشق وأثينا وروما والمدائن والاسكندرية ، وزاوجت بين ألوانه ، ومزجت ثقافاته حتى رأت الدنيا من تفاعلها عالماً جديداً غريباً . . . !

المدينة التى اضطلعت بالوصاية على ميراث الدين والعلم فى زمن الجهل فربا فى أيدى بنيها الممثلين لأجناس الناس وأديانهم وألوانهم ، فجمعوا خلاصة ما فى الانسانية من تسامح وتلاق على المعنى الموحد والرأى المجتمع

المدينة التى كان الحج اليها واجبا على من كان يريد أن يتملى من دنيا القرون الوسطى فى عظمة ملوكها وبطولة قوادها وفحولة علمائها وبلاغة صناع الكلام بها وضجة سوامرها بالأنشاد ، ورنين الكؤوس ، وضحك المجان ، وعزف القيان . . .

ومهما يكن من عبث الزمان بها وتقلب الأحداث عليها ، وتبدل المشاهد فيها ، فان أطياف الماضى لا تزال تخايل أمام العيون التى تعرفت اليها فى دنيا الكتب وصحائف الآثار . والذين يجدون فى أنفسهم قدرة على ذكرى الأضواء والألوان لا يستطيعون أن يمروا على تراب كتراب بغداد ، وقد ضم بين معادنه أشمة سقطت من أمجاد تاريخهم وعرش دينهم وعلمهم . . دون أن يتفرسوا بين طياته ، وتحن قلوبهم الى الالتصاق بذراته !

***

وبعد . فان ما رأيناه من حفاوة إخواننا العراقيين حكومة وشعبا بنا ، وتقديرهم الجليل لجهود المصريين فى المعاونة على تنفيذ سياسة الانشاء والتعمير ، وثقتهم فيهم حتى لقد أسلموا إليهم أعز شىء فى الدولة وهو نفوس الناشئين ، ووقوفهم على الدقيق والجليل من شؤون مصر . . وامتلاء دورهم ونواديهم بأغانى مصر فى المذياع والحاكى . . . كل أولئك مما يجعل الأمل يوشك أن يكون يقيناً بأن الشرق العربى قادم على عهد من وحدة النزع ومجابهة الحياة فى صفوف يجمعها نظام موحد وإن اختلفت أوضاعها فى الميدان العام

وإنه ليسرنى الى ما يقارب الفخر . . . أن تكون مهمتى فى مصر والعراق من أمس المهمات باعداد العقلية العامة فى الناشئين لهذه الحال الموموقة والتوسيد لها . . وأنعم بها من رسالة لمعلم !

(كوت العمارة) عبد المنعم محمد خلاف

في الأدب المقارن

# أثر الفنـــون

## في الأدبين العربي والانجليزي

### للأستاذ فخري أبو السعود

تختلف الفنون في مجالاتها وبعض وسائلها : فللشعر من القدرة على وصف الحركة وتناول الأشياء المتباعدة في الزمان والمكان ما ليس للتصوير ، ولهذا من القدرة على بيان دقائق الموصوف وتحديد ماهيته ما يعوز الشعر ؛ ولكن الفنون تتفق جميعاً في غايتها التي هي التعبير عن تأثر الانسان بروائع الحياة وشغفه بجمالها ، وفي كثير من وسائلها التي تتصل بطبائع الانسان وميوله : كالتناسب والتماثل والتكرار في الشكل أو في النغمة أو في الروى ، والتقابل والتضاد في كل أولئك

فالفنون على تعددها مظاهر شتى لصفة إنسانية واحدة ، هي رهف الشعور وحب الجمال . ولا يخلو المبرز في أحد الفنون من بَصَر بسائرها وإن قل ، وحب لها يعلو على حب الفرد العادي . وكثيراً ما جمع الفنان الموهوب بين فنون عديدة يبرع فيها جميعاً ؛ وقد نبتت الموسيقى والشعر والرقص بين الجماعات الأولية من أصل واحد ونمت حتى استقل كل منها . وكان الشعر في بدئه موسيقى عجماء وصيحات غنائيـة غير ذات معنى ، ثم داخلها المعنى تافهاً في أول أمره ، وما زال يتعاظم شأنه حتى احتل المكانة الأولى في الشعر ، وإن لم تفقد الموسيقى أهميتها في رصانة القصيد ، فأي شعر خلا منها قصر عن أوج الكمال مهما سما معناه

وقد مارس العرب والانجليز تلك الفنون الثلاثة : الموسيقى والرقص والشعر ، منـذ عهودهم الأولى ، وارتقت موسيقاهم بمخالطة الأمم الأخرى : فأخذ العرب عن الفرس ، والانجليز عن الايطاليين خاصة والفرنسيين ما لم يكونوا يعرفون من أصوات الموسيقى وآلاتها ومصطلحاتها وبان أثر ذلك في أدبهم . وأبدع أمثلة لشعر الغناء والرقص في الانجليزية قصائد ملتون التي نظمها قبل انغماره في حركة المطهرين . وممن تغنى من شعراء الانجليزية بتأثير الموسيقى والغناء دريدن في قصيدته « مأدبة الاسكندر » ، وكولنز في قصيدته « العواطف »

وبذلك تغنَّى أيضاً شعراء العربية ، بل بلغ انكبابهم على غشيان مجالس الغناء والرقص حداً بعيداً ، بعد أن انتشر الترف عقب الفتوح ، حتى كاد شعر كثير منهم ، كبشار وأبي نواس ، ينقسم إلى بابين رئيسيين : المدح الذي يُطاب من ورائه المال الوفير ، والتغني بمجالس اللهو والطرب التي يُنفق فيها ذلك المال . ومن جيِّد ما قيل في وصف المغنيات وآلات الموسيقى قول ابن الرومي :

وقيان كأنها أمهات ... عاطفات على بنيها حوان
كل طفل يدعى بأسماء شتى ... بين عود ومِزْهَرٍ وكران
أمه دهرَها تترجم عنـه ... وهو بادي الغنى عن الترجمان
ذات صوت تهزه كيف شاءت ... مثلما هزت الصَّبا غصنَ بان

وقوله في راقصة :

إذا هي قامت في الشفوف أضاءها
سناها فشفَّتْ عن سبيكة سابكِ

وارتقى بين الأمتين حين تحضرتا فن العمارة ، وقامت في بلادهما بيوت الملك والعبادة ، والحصون والمعاقل ، وتأثر فن العمارة في كلتيهما تأثراً كبيراً بالطراز القوطي ، واسترعت الأدباء تلك المباني الضخمة والحصون المشيدة ، تروع الناظر بفخامتها ، ويعجب اللب من مغالبتها كر السنين ومصاحبتها جيلا من الناس بعد جيل ؛ وشغل شعراء العربيـة خاصة بوصف قصور الملوك ، وما حوَتْ من ضروب الزخرف . ولفتت أذهانَ شعراء الانجليزية وكتّابها القصور والبروج المتخلفة من عصور الاقطاع تلك التي تجيش بذكريات الماضي والتي شهدت مصارعات الأمراء ومحنهم في غياباتها . وكانت لكثير من الأدباء مواقف بالكنائس والكندرائيات ، ولا سيما وستمنستر أبي التي تعج رحابها بآثار الماضي

ووصلت يد كل من الأمتين إلى تراث اليونان ، فاختلف موقفاهما : فأما الانجليز فلم يتركوا شاردة ولا واردة من آثار

ثقافة اليونان وفنونهم إلا تزودوا منها ، فأحدث اطلاعهم على روايات سوفوكليس وأوربيدس انقلاباً فى « رواية المعجزات » التى ترعرعت فى الكنيسة فى العصور الوسطى ، فانتقلت إلى تصوير طبائع النفس الانسانية ، أى صارت فناً ؛ وأخذ الانجليز عن اليونان وتلامذتهم الطليان النحت والتصوير . وكانت بلاد اليونان وإيطاليا وما تزالان محج رجال الفنون الانجليز من شعراء ومصورين ونحاتين وموسيقيين ، وكانت صورهم وتماثيلهم ومازال وحياً ونماذج لفنانى الانجليز ؛ وأنجبت إنجلترا عدداً عديداً من نوابغ المصورين والمثالين جارَوْا أساتذتهم من أهل القارة فى مجالات النحت والتصوير ، كما جاروهم فى مضمار الأدب

وظهرت آثار تلك الفنون فى الأدب الانجليزى : فالتمثيل صار باباً من أبواب الأدب له خطره ، وتوفر عليه أكثر نوابغ العصر الاليزابثى وكثير ممن تلاهم . والصور والتماثيل التى أبدعها رجال الفن الانجليز أمثال رينولدز وكنستبل وترنر ، والأجانب أمثال رافائيل ودورر وفانديك ، وسير أولئك النوابغ ، صار كل ذلك مجالاً لتأمل الشعراء والكتاب ، ومهبطاً لآثار أخرى فى عالم الأدب لا تقل مكانة عن تلك الآثار فى عالم النحت والتصوير ؛ وصرف بعض الأدباء هممهم إلى نقد أعمال المصورين والنحاتين والمثلين ، ومن أولئك هازلت ورسكن ، وإلى الأخير يرجع الفضل فى إظهار المصور ترنر

وقد قضى كيتس وشلى وبيرون وبروننج وهاردى ردحاً طويلاً أو قصيراً من أعمارهم فى إيطاليا ، حيث استطابوا مناظر الطبيعة وتفيأوا ظلال آثار الرومان واستلهموا بدائع المصورين والمثالين الطليان ، بين رومة وفلورنسة والبندقية ، وقضى الشاعران الأولان نحبهما هناك ، ودفنا فى أرباض تلك المعاهد التى ألِفاها حيَّيْن . وبين أطلال رومة نبتت فكرة عمل من أكبر أعمال النثر الفنى فى الانجليزية ، ألا وهو تاريخ جيبون عن انحطاط الدولة الرومانية وسقوطها ، فهو يحدثنا فى مذكراته أن الرغبة فى وضع مؤلَّفه عنَّت له أثناء تجواله هناك بين آثار الوثنية ومعالم النصرانية

ولم تقتصر الصلة بين الأدب وغيره من الفنون على اقتباسه منها واستلهامه إياها ، بل حدث العكس : إذ عمد أعلام تلك الفنون إلى الأدب يطلبون الوحى وينشدون النماذج ، فوجدوا فى روايات شكسبير العديدة ، ومناظرها الكثيرة ، وشخصياتها الحية ، ومواقفها الحافلة بشتى العواطف ، وفى خرائد ملتون المملوءة بالأوصاف والصور والحالات النفسية ، وفى روائع تنيسون وبروننج المنسوجة من أشتات الخرافات البديعة ، مسارح لفنهم ومسرى لخيالهم . والمتاحف الانجليزية ملأى بتلك الآثار المنتزعة من قصائد الشعراء . كصور ليدى شيلوت ، وأوفيليا ، والحسناء القاسية

وكان من شعراء الانجليزية المعدودين من ضربوا بسهم فى الفنون الأخرى ، واشتهروا بها اشتهارهم بصناعة القلم : فشكسبير كان ممثلاً كما كان شاعراً ومؤلفاً للمسرح ، ووليم موريس كان مصوراً وشاعراً ، وروزيتى ألَّف جماعة « ما قبل الرافائيليين » التى كانت لها مبادئها فى التصوير ، كما كان لها مذهبها فى الأدب ؛ وأكثر من هؤلاء من لم تدركهم الشهرة فى غير الأدب من الفنون ، وإن كانوا شديدى الولع بها ، شديدى الشغف بممارستها والتثقف فيها

وهكذا أصبح من غير النادر فى الانجليزية أن ترى الأسطورة أو القصة التاريخية ، كوقائع يوليسيز ومخاطرات فرسان المائدة المستديرة . وقد تناولها الشاعر والممثل والمصور والنحات كل من ناحيته مستقلاً بنظرته ، أو معتمداً على الآخرين ، مستلهماً محاسنها ومغازيها ، مبرزاً من صورها وأفكارها ما يلائم فنه ويجرى فى مجال صنعته ، نافثاً فيها من خلاصة تفكيره وعصارة شعوره واتجاهات عصره ما يزيدها جدة وروعة

هذا التواصل والتجاوب والتعاون المستمر بين الفنون زاد الأدب الانجليزى خصباً على خصب أفسح أمامه أغراض القول ، وزاد رجاله بصراً بحقائق الفن وغاياته ووسائله ، واعتقاداً بوحدة الفنون جميعاً وتلاقيها فى الوسائل والغايات ؛ فحرصوا فى نثرهم ونظمهم على صدق النظرة وصحة الشعور ونشدان الجمال ، واستعاروا وسائل الموسيقار والمصور والممثل والنحات ، فاهتموا بالأوصاف الجميلة للطبيعة والانسان ، واعتنوا بتوضيحها وإبرازها ، متوسلين لتصوير المعنى بجرس اللفظ ومناسبة التعبير واختيار القوافى . وتصرفوا فى الوزن والروى بما يلائم الحالة الموصوفة من سكون

أو حركة ، وفرح أو حزن ، وقـوة أو لطف : وتأنقوا فى صوغ الحوار بين أبطال قصائدهم ، معبراً حوارهم عن منازعهم ؛ فاذا قرأت القصيدة القصيرة أوالطويلة لأحدهم ، لم تجدك حيال معانٍ ذهنية متزاحمة ، بل رأيت صوراً محكمة التصوير ، وموسيقى مطربة النغمات ، وأشخاصاً ممتلئين حياة وقوة وألواناً وظلالا

ولم يغفل الشعراء الذين مجدوا الفنون الأخرى ذلك التمجيد عن فنهم الخاص : فنظم پوپ وكيتس وتنيسون وغيرهم من الأعلام قصائد غراء فى الشعر والشعراء . وللتون وماثيو أرنولد أشعار فى شكسبير تفيض إعجاباً وتقديساً ، ولوردزورث وتنيسون وأبركرومبى الشاعر المعاصر فى ذكرى ملتون أشعار كهذه . وكان هاردى لايمل ذكر شلى وتعظيمه فى قصيده ؛ وكانت لشعراء الأمم الأخرى لدى شعراء الانجليز منزلة كهذه ، فأشعارهم ملأى بمحاكاة الشعراء الأقدمين كهوميروس وفرجيل ودانتى والخيام ، والمحدثين كشيلر وجيته وهيجو ، وترجمتهم والتحدث عنهم ، لأن الفن يجمعهم طراً فى صعيد واحد ، ويمحو بينهم فوارق الزمان والمكان

وما أعظم الفرق بين هذا الاعجاب النبيل بمتقدمى الشعراء ، وبين ما نراه فى العربية من وثوب بعض الشعراء ببعض ، ووقوع حماد فى بشار ، وحملة ابن الرومى على البحترى ، وحقد دعبل على الطائى ؛ أذهلهم التناحر على متاع الدنيا عن الصلة السامية التى يصلهم بها الفن ؛ وقد نعلم أن البحترى كان يقدِّم أبا تمام ، وأن المعرى كان يعظم أبا الطيب ، ولـكن ذلك التقدير لم يتخذ شكلا فنيا ، ولم يبرز فى عالم الشعر قصيداً رائعاً يفيض بتقديس الفن وتبجيل رجاله . وبينما كان ذلك التحاقد ديدن شعراء العربية فيما بينهم كان جهلهم بشعراء الأمم الأخرى مطبقا

لقد حجب العرب عن تلك العوالم الفنية إعراضهم عن تراث اليونان الفنى ، ودعاهم إلى ذلك الأعراض تمكن الملكة البيانية منهم ؛ تمكنت من نفوسهم فى البادية ، حيث لا تتوفر أدوات فن من الفنون سوى فن البيان الذى لا يحتاج إلى أدوات غير صفاء الذهن وطلاقة اللسان ، وقوَّى اعتداد العرب بتلك الملكة وتوفرهم عليها نزول القرآن الكريم الذى زادهم كلفا بالفصاحة ، وكان دائماً أساس ثقافتهم التى يؤخذون بها من الصغر . فالانجليز اتصلوا بتراث اليونان وهم بعد مقصرون دون جميع غايات الثقافة ، فاغترفوا من جميع مناهله ؛ ولم يتصل العرب به وبغيره من تراث الأمم إلا بعد أن توطد أدبهم وتمكن سلطانه من نفوسهم ، فشمخوا به على سائر الآداب ، واستغنوا به عن كل الفنون

لذلك لم يحفل العرب بالتمثيـل ، ولم يزدهر بينهم التصوير والنحت ، ولم يتعديا حدود الصناعة ذات الغرض المـادى إلى حدود الفن السامى الذى هو غاية نفسه ، واقتصروا من التصوير والزخرفة والنحت على ما كان يزين قصور كبرائهم من تهاويل ودُمى قليلة الحظ من الفن ، لا تحمل وراءها من المعانى السامية ما تحمله الصور والتماثيل الفنية ؛ واستبد الأدب بالتعبير عن أسمى مشاعر العرب وأرق أفكارهم . وإذا تذكرنا أن الفنَّين الآخرين سالفى الذكر ـ الموسيقى والرقص ـ لم يتخلصا من ربقة المـادية وشبهة الشهوات إلى عوالم الفن المتسامى بالنفوس ، وظلا دائماً مقرونين بالشراب والقصف وخلع العذار ، تبين لنا أن الأدب كان فنَّ العرب الفرد ، وأن الشعر ظل ديوانهم فى مختلف عصورهم ، أودعوه حوارهم فاستغنوا عن التمثيل ، وأوصافهم فاستغنوا عن التصوير ، وأمداحهم فقام مقام التماثيل

ومن ثم نرى أثر فنون التمثيل والتصوير والنحت فى الأدب العربى ضئيلاً : فلم يكن بين العرب ممارسون لتلك الفنون ينعكس ظل فنونهم فى الأدب ؛ ولم يكن لدى أدباء العربية كبير اهتمام بمخلفات الأمم السالفة فى مشارق دولتهم ومغاربها . ومن القليل الجيد الذى نظموه فى تلك المناحى سينية البحترى التى يصف فيها نقوش إيوان كسرى ، ورائية ابن حمديس التى يصف فيها تماثيل الأسود فى بعض القصور ، وسينية أبى نواس التى يصف عرَضاً فى أثنائها تصاوير كأسه فى قوله :

قرارتها كسرى وفى جنباتها ... مهاً تدَّريها بالقسى الفوارس
فللخمر ما زُرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس

وقول بعض شعراء الأندلس فى تمثال امرأة وولدها :

ودمية مرمر تزهو بجيـد ... تناهى فى التورد والبياض
لهـا ولد ولم تعرف حليلا ... ولا ألمَّتْ بأوجاع المخاض
ونعلم أنها حَجَرٌ ولـكن ... تتيمنا بألحاظٍ مِرَاض

ولا تخلو كل هذه الشواهد من آيات البراعة وحسن الملاحظة

والوصف ، حتى ليأسى المرء على أن لم يول العرب هذه المناحى من القول اهتماماً أكثر مما أولوها . وسينية البحترى مَثلٌ شرود من أمثلة الشعور الصادق والعاطفة الانسانية والروح الفنيـة فى الأدب العربى ؛ وأعجب من تفردها فى الأدب العربى صدورُها عن البحترى الذى سخَّر بيانه للمدح والهجاء . وقد كان نقاد العرب يطربون لهـذه الأشعار الفنية الجميلة ، البعيدة عن آثار المدح والهجاء والنسيب المتكلف ، فقد أعجب الجاحظ وغيره بسينيتى البحترى وأبى نواس سالفتى الذكر ، وعدوهما من ذخائر الشعر العربى ، ولـكن دواعى مثل هذا النظم كانت نادرة ، وتيار محاكاة السابقين كان يدفع الأدباء فى غير هذا الاتجاه

فالأمتان العربية والانجليزية تتفقان فى ظهور الأدب فيهما على سائر الفنون واجتـذابه أغلب نوابغهما ، واشتهارهما بالسبق فيه بين الأمم ، فان الانجليز وإن جاروا الأوربيين فى مجالات النحت والتصوير لم يبلغوا شأوهم كما بلغوا الشأو والغاية فى صناعتى الشعر والنثر ، ولم ينجبوا من أعلام النحت والتصوير من توازى مكانته العالمية مكانة شكسبير وملتون وبيرون ؛ ولـكن تفترق الأمتان فى أنه بينما مارس الانجليز الفنون الأخرى وهاموا بها ومجدوا آثار الأمم الأخرى فيها أهمل العرب الفنون الأخرى إهمالاً يكاد يكون تاما ، فلم تجتذب اهتمام نوابغهم ومثقفيهم ، وظل ما عرفوه منها أدنى إلى الصناعات منه إلى الفنون ، وظل الأدب — ولا سيما الشعر — يشـغل فى عالم الفن والوجدان مكاناً عالياً وسلطة مطلقة فردية بين العرب ، كسلطة الخلفاء والأمراء المستبدة فى عالم السياسة ، متوحداً بالافصاح عن أفكارهم مستأثراً برعايتهم وإجلالهم

وقد خسر الأدب العربى بتفرده هذا الشىء الـكثير ، لأن الفن الواحد لا ينمو خير نموه بعزلتـه ، بل بمواصلته الفنون الأخرى ؛ خسر ما كان ينتظر أن تمده به تلك الفنون من إلهامات ومنادح للقول ، وما كان ينتظر أن تبثه فى رجاله من فهم دقيق للفن وسمو غايته وتعاليه عن المـادة وبُعد مراميه ، وما توحيه إليهم من وسائل للتعبير والتصوير والملاءمة بين المعنى واللفظ ، وجعل الأخير دائماً خادما للأول . وبالجملة خسر الأدب معاونة الفنون التى استأثر بالمكانة دونها ، كما خسر مساعدة الآداب الأجنبية التى ترفَّع عنها

**فخرى أبو السعود**

# صــــديق !

## للأستاذ على الطنطاوى

أستأذن أستاذنا المازنى فأستعير منه تلك الـكليشيه المعهودة التى كان يصدر بها مقالات ذات الثوب الأرجوانى ، لأقول : إن المقالة خيالية لا حقيقية ، وأؤكد هـذا للقراء !

( على )

قال :

... لا أدرى كيف عرفته ، ولا أعلم السبيل التى دخل منها إلى قلبى ؛ فاحتل فيه هذه المنزلة ، ولم أنتبه له إلا وهو ملء سمعى وبصرى وعقلى ...

وإننى لأعرفه منذ عشرين يوما ، ولـكنى أحاول عبثاً حين أحاول ادكار بدايتى معه ، لأنه عماد حياتى ؛ لا أستطيع أن أتصور لصلتى به بداية ؛ عرفته يوم عرفت الدنيا ؛ لم أجهله قط ولم أنفرد عنه ساعة ؛ وهو دنياى ، إن لقيته لقيت الحياة ، وإن نأى عنى وجدت كل شىء فى الحياة ميتا

ولست أدرى أى صلة هذه ، ولا أعرف لها تحديداً مضبوطاً ، ولـكن الذى أدريه وأعرفه أنه ليس له فى أعماق قلبى إلا الصداقة . إننى لم أنظر إلا إلى روحه ، بل أنا لا أقدر أبداً أن أتخيله بشراً من لحم ودم . إننى أراه فكرة سامية ، صورة شعرية بارعة ، معنى من المعانى العبقرية ... إننى أراه وحده معنى كلمـة الوجود ... لقد ضاعت معه حدود شخصيتى ، ومحيت معالمها ، فلم أعد أعرف أين أنتهى (أنا) ، وأين يبدأ (هو) ، وامتزجت نفسى بنفسـه ، فكأنى ( أنا من أهوى ومن أهوى أنا . . . ) ، وكدت أقول بالحلول ، وأرتكب هذه الحماقة الـكبرى ، التى لا يقول بها ذو عقل . . . حين رأيتنى أضحك إذا سر ( هو ) ، وأحزن إذا تألم ، وأشبع إذا أكل ، وإذا أصابه الصّداع وجعنى رأسه ، وإذا رأى (هو) حلماً هنيئاً تبسمت وأنا غارقٌ فى منامى ، أجد اللذة الـكبرى فى رفاهيته وراحته ، وآلم لشقائه أكثر مما آلم لشقائى ، وأريد أن أمنحه صحتى وحياتى وكل ما أملك ؛ أريد أن أفنى فيه ولا أجد فى شىء من ذلك عملاً كبيراً ، ولا أحس أنى مقدم على تضحية ، لأنه اندمج فى أعمق عاطفة من عواطفى ، ونزل إلى

أبعد غور من نفسي ، وسيطر على قواى كلها ، فلم يبق لى عاطفة مستقلة أو حاسة حرة أفكر بها فيه ، وأزن صلاتى به . . .

* * *

اختلف نظرى الى الحياة ، وتبدلت المشاهد فى عينى ، فكأن الدنيا كانت فى ظلام ، حتى طلع فى سمائها بدراً منيراً فأصبحت أرى كل شىء جميلاً فى بصرى : هذا السطح المشرف على الفضاء الرحيب ، سطح دارنا فى «الأعظمية» ، وهذا النخيل الممتد الى غير ما نهاية ، وبغداد التى تلوح منائرها وقبابها كأنها معلقة فى السماء حيال الأفق ، ودجلة التى تبدو من خلال الأغصان لامعة كصفحة المرآة المجلوة تشق عبابها الزوارق ، تتمايل شرعها البيض مع نسيم المساء الناعش الخفيف ، والبدر الذى طلع من الشرق يبدو منه حاجب ويختفى حاجب وراء نقاب من الغيوم ... وهذا الطريق الذى لم تمتد اليه يد الحكومة بالتعبيد فبقى على فطرته وجماله لم تشوهه كف الانسان ، يظهر تارة ، ويلتوى تارات ، ويضيع بين النخيل ويضل الطريق ... والفلاحين الذين يرجمون إلى دورهم حين تعود الشمس الى خدرها ، ويزدحمون على هذا الطريق الشمرى الضيق ، هم ودوابهم ومواشيهم تطنطن الأجراس فى أعناقها والقطعان يسوقها الرعاة الذين تنكبوا عصيهم ثم ساروا وراءها يزمرون أو يغنون ، وهؤلاء الأطفال من تلاميذ المدارس الذين يلعبون فى هذه الرحبة ، يتقاذفون الكرة يتصايحون ويتراكضون ، فاذا أمسك أحدهم بها ضربها برجله فانطلقت تشق الفضاء كأنها القنبلة ، ووقف الصبية صامتين قد علقوا أنفاسهم وتبعتها عيونهم ، تبصر مسيرها ، فاذا هبطت واستقرت على الأرض عادوا يركضون ويصيحون

أصبحت أرى كل شىء جميلاً فى عينى حبيباً إلىّ : الفلاحين الآوين الى بيوتهم ، والأطفال العاكفين على كرتهم ، والدواب والمواشى ... وأسمع فى كل صوت أغنية عذبة ، أسمعها فى حفيف الأوراق ، وزقزقة العصافير ، ونباح الكلاب ، ودوى الرعد ... وأرى الجمال فى ظلام الليل الدامس ، كما أراه فى صفحة البدر المنير ، وأبصره فى الصحراء المقفرة ، كما أبصره فى الروضة المزهرة ، وأسمعه فى صفير الرياح المرعب ، كما أسمعه فى تغريد البلبل المطرب ، وألمسه فى الخريف كما ألمسه فى الربيع ؛ بل إنى لأعجب من هؤلاء الناظمين المتشاعرين الذين يسميهم الناس شعراء ، كيف يعمون عن صفحة الكون ، ثم يذهبون فيحدقون فى صفحات الكتب ، وينظرون فيها بالمجهر : هؤلاء المقلدين الذين يظنون أن الخريف معناه الوحشة أبداً والموت والكآبة ، وأن معنى الربيع الأنس دائماً والبهجة والسرور ، كأن العواطف البشرية تسير على التقويم الفلكى ، وتدور مع الأيام ... فليس على الشاعر إلا أن ينظر فى التقويم حتى يرى أيوم حزن هو ، أم يوم سرور ؟! وكأن فى وجه الأديب زجاجتى فوتوغراف لا تريان إلا ما فى الوجود ، لا عينى إنسان يحس ويشعر

أين إذن عاطفة الشاعر ؟ وهل يرى الشاعر الحزين اليائس ربيعاً مشرقاً جميلاً ؟ ألا يرى فى الربيع الوحشة والكآبة والحزن ؟ وهل يشعر المسلول القانط بجمال الزهر ؟ والشاعر الفرح ؟ ألا يرى فى الشتاء وفى الخريف جمالاً وبهجة ، ويبصر فيهما ورداً وزهراً ؟

إن فى شعر هؤلاء المتشاعرين المقلدين كل شىء إلا الحياة ، إلا العاطفة ، إلا الروح . هو شعر ميت ، تمثال حسناء ، ولكنه من الشمع !

* * *

لقد ظهر هذا الصديق فجأة فى طريقى ، فملك علىّ أمرى ، وأخذ بيدى فسلك بى طريقاً جديدة ، حتى نأى بى عن الناس فأصبحت لا أرى فى الدنيا غيره ، ولا أبصر سواه ، وصبّ فى نفسى عزيمة وقوة ، فأحسست بالنشاط فى جسمى وروحى ، ودفعنى إلى أداء الواجب علىّ ، فوفّيته على وجهه ، وساقنى فى سبيل الاستقامة والشرف ، وسما بى عن ( الأنانية ) والاستئثار فأضحيت أشفق حتى على أعدائى المخاصمين ، وأعطف حتى على المجرمين والساقطين ؛ وفتح لى مغاليق هذا الكون ، فاذا وراء هذه المظاهر دنيا من الجمال والجلال والسحر والفتون ، وإذا حيال هذه الدنيا دنيا أكبر ، وأحفل بالكائنات ، هى فى نفسى ، فرأيت وأبصرت ونعمت وانتفعت ...

* * *

لقد دفعتنى هذه الصداقة إلى الصلة بربى ، والقيام بواجبى ، والتعلق بأهلى ، فلست أريد بعدها شيئاً ، نخذوا الدنيا كلها ، حسبى أنى أخذت منها صديقاً

( بغداد )

على الطنطاوى

# هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

## الجزء الأول

### مستهل زرادشت

— ١ —

لما بلغ زارا الثلاثين من عمره ، هجر وطنه وبحيرته وسار إلى الجبل حيث أقام عشر سنوات يتمتع بعزلته وتفكيره إلى أن تبدلت سريرته ، فنهض يوماً من رقاده مع انبثاق الفجر وانتصب أمام الشمس يناجيها قائلاً :

— لو لم يكن لشعاعك من يُنير ، أ كان لك غبطة ، أيها الكوكب العظيم ؟ منذ عشر سنوات مابرحت تشرق على كهفى ، فلولاى ولولا نسرى وأفعاى ، لكنت مللت أنوارك وسئمت ذرع هذا السبيل ، ولكننا كنا نترقب بزوغك كل صباح لنتمتع بفيضك ونرسل بركتنا إليك . أصغ إلىّ ، لقد كرهت نفسى حكمتى كالنحلة أتخمها ما جمعت ، فمن لى بالأكف تنبسط أمامى لأهب وأغدق إلى أن يغتبط الحكماءُ من الناس بجنونهم ويسعد الفقراء منهم بثروتهم

تلك هى الأمنية التى تهيب بى للجنوح إلى الأعناق ، كما تجنح أنت كل مساء منحدراً وراء البحار حاملاً إشعاعك إلى الشقة السفلى من العالم ، أيها الكوكب الطافح بالكنوز

لقد وجب علىّ أن أتوارى أسوة بك ، وجب علىّ أن أرقد على حد تعبير الأناسىّ الذين أهفو إليهم

باركنى ، إذن ، أيها الكوكب ، فأنت المقلة المطمئنة التى يسعها أن تشهد مالا يحد من السعادة دون أن تختلج كمقلة الحاسدين

بارك الكأس الدهاق تسكب سلسبيلاً مذهباً ينثر على الآفاق وهجاً من مسراتك .

أنظر ! إن هذه الكأس تريد أن تندفق ثانية ، ويريد زارا أن يعود إنساناً

وهكذا بدأ جنوح زارا إلى المغيب

— ٢ —

وانحدر زارا من الجبال فما لقى أحداً حتى بلغ الغاب حيث انتصب أمامه شيخٌ خرج من كوخه بغتةً ليفتش عن بعض الجذور والأعشاب ، فقال الشيخ :

— ليس هذا الرحّالة غريباً عن ذا كرتى ، لقد اجتاز هذا المكان منذ عشر سنوات ، ولكنه اليوم غيره بالأمس

لقد كنتَ تحمل رمادَك فى ذلك الحين إلى الجبل ، يا زارا ، فهل أنت تحمل الآن نارك إلى الوادى ؟ أفما تحاذر يا هذا أن ينزل بك عقاب من يضرم النار ؟

لقد عرفت زارا ، هذه عينه الصافية ، وليس على شفتيه للاشمئزاز أثر ؛ أفما تراه يتقدم بخطوات الراقصين ؟

لقد تبدلت هيئة زارا ، إذ رجع بنفسه إلى طفولته . لقد استيقظت يا زارا فماذا أنت فاعل قرب النائمين

كنت تعيش فى العزلة كمن يعوم فى بحر والبحر يحمل أثقاله ، وأراك الآن تتجه إلى اليابسة ، أفتريد الاستغناء عمن حملك لتسحب هامتك على الأرض بنفسك ؟

فأجاب زارا : إننى أحب الناس

فقال الشيخ الحكيم : إننى ما طلبتُ العزلة واتجهتُ إلى الغاب إلا لاستغراقى فى حبهم . أما الآن فقد حولت حبى إلى الله ، وما الانسان فى نظرى إلا كائن ناقص ، فاذا ما أحببته قتلنى حبه

فأجاب زارا : ومن يصف لك الحب الآن ! إننى لا أقصد الناس إلا لأنفحهم بالهدايا

فقال الحكيم القديس : إياك أن تعطيهم شيئاً ، والأجدر بك أن تأخذ منهم ما تساعدهم على حمله ، ذلك أجدى لهم على أن تنعم مهمك من هذا الخير ، وإذا كان لا بد لك من العطاء فلا تمنح الناس إلا صدقة على أن يتقدموا اليك مستجدين أولاً

فأجاب زارا : أنا لا أتصدق ، إذ لم أبلغ من الفقر ما يجيز لى أن أكون من المتصدقين

فضحك القديس مستهزئاً وقال : حاول جهدك إذن إقناعهم بقبول كنوزك ، إنهم يحاذرون المنعزلين عن العالم ، ولا يصدقون بأننا نأتيهم بالهبات ؛ إن لخطوات الناسك فى الشارع وقعاً مستغرباً فى آذان الناس . إنهم ليجفلون على

مراقدهم إذ يسمعونها فيتساءلون : إلى أين يزحف هذا اللص ؟!

لا تقترب من هؤلاء الناس . لا تبارح مقامك فى الغاب ، فالأجدر بك أن تعود إلى مراتع الحيوان ، أفلا يرضيك أن تكون مثلى دباً بين الدببة وطيراً بين الأطيار ؟

فسأل زارا : وما هو عمل القديس فى هذا الغاب ؟

فأجاب القديس : إننى أنظم الأناشيد لأترنم بها ، فأرانى حمدت الله إذ أسر نجواى فيها بين الضحك والبكاء ، لأننى بالانشاد والبكاء والضحك والمناجاة أسبح الله ربى ، ومع هذا ، فما هى الهدية التى تحملها الينا ؟

فانحنى زارا مسلما وقال للقديس : أى شىء أعطيك ؟ دعنى أذهب عنك مسرعا كيلا آخذ منك شيئاً

وهكذا افترقا وهما يضحكان كأنهما طفلان

وعندما انفرد زارا قال فى نفسه :

— إنه لأمر جد مستغرب ، ألما يسمع هذا الشيخ فى غابه أن الآلـه قد مات[1]

— ٣ —

وإذ وصل زارا إلى المدينـة المجاورة ، وهى أقرب المدن إلى الغاب ، رأى الساحة مكتظة بخلق كثير أعلنوا من قبل أن بهلواناً سيقوم هنالك بالألعاب ، فوقف زارا فى الحشـد يخطبه قائلاً :

— إننى آت اليكم بنبأ الانسان المتفوق ، فما الانسان العادى إلا كائن يجب أن نفوقه ، فماذا أعددتم للتفوق عليه ؟

إن كلا من الـكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه ، وأنتم تريدون أن تكونوا جزراً يصد الموجة الـكبرى فى مدها ؛ بل إنـكم تؤثرون التقهقر إلى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوق على الانسان . وهل القرد من الانسان إلا سخريته وعاره ؟ لقد اتجهتم على طريق مبدؤها الدودة ومنتهاها الانسان ، غير أنـكم أبقيتم على جل ما تتصف ديدان الأرض به . لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى ؛ على أن الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود فى قرديته

ليس أوفركم حكمة إلا كائن مشوش لا يمت بنسبه إلى أصل صريح ، فهو مزيج من النبات والأشباح ، وما أدعو الانسان ليتحول إلى شبح أو إلى نبات

لقد أتيتكم بنبأ الانسان المتفوق

إنه من الأرض كالمعنى من المبنى ، فلتتجه إرادتكم إلى جعل الانسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحاً لها

أتوسل اليكم ، أيها الأخوة بأن تحتفظوا للأرض باخلاصكم فلا تصدقوا من يعنونـكم بآمال تتعالى فوقها ؛ إنهم يملئونـكم بالمحال فيدسون لـكم السم ، سواء أجهلوا أم عرفوا ما يعملون ، أولئك هم المزدرون للحياة ، لقد رعى السم أحشاءهم فهم يحتضرون ؛ لقد تعبت الأرض منهم فليقلعوا عنها

لقد كانت الروح تنظر فيما مضى إلى الجسد نظرة الاحتقار فلم يكن حينذاك من مجد يطاول عظمة هذا الاحتقار . لقد كانت الروح تتمنى الجسد ناحلاً قبيحاً جائعاً متوهمة أنها تتمكن بذلك من الانعتاق منه ومن الأرض التى يدب عليها . وما كانت تلك الروح إلا على مثال ما تشتهى لجسدها ناحلة قبيحة جائعـة ، تتوهم أن أقصى لذتها إنما يكمن فى قسوتها وإرغامها

أفليست روحكم ، أيها الأخوة ، مثل هذه الروح ؟ أفما تعلن لـكم أجسادكم عنها أنها مسكنةٌ وقذارةٌ وأنها غرورٌ يسترعى الاشفاق ؟

والحق ما الانسان إلا غديرٌ دنس ، وليس إلا لمن أصبح محيطاً أن يقتبل انصباب مثل هذا الغدير فى عبابه دون أن يتدنس

تعلموا من هو الانسان المتفوق

إن هو إلا ذلك المحيط تُغرقون احتقاركم فى أغواره

وهل تتوقعون بلوغ معجزة أعظم من هذه المعجزة ؟

لقد آن للاحتقار أن يبلغ أشدّه فيكم ، بعـد أن استحال شرفـكم ذاته كما استحالت عقولـكم وفضائلـكم إلى كره واشمئزاز

لقد آن لـكم أن تقولوا : ما يهمنى شرفى ، وما هو إلا مسكنة وقذارة وغرور ، فى حين أن على الشرف أن يبرّر الحياة نفسها

لقـد آن لـكم أن تقولوا : ما تهمنى القوى العاقلة فىّ ، إذا لم تطلب الحـكمة بجوع الأسد ، وما هى الآن إلا مسكنةٌ وقذارة وغرور

لقد آن لـكم أن تقولوا : ما تهمنى فضيلتى فانها لمّا تصل بى

(١) راجع المقدمة فى العدد الماضى من الرسالة

# تاريخ العـــرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون

المستشرق الانجليزى

## المدخل لتاريخ العرب

— ٣ —

هـ — من الفتح المغولى الى اليوم (من ١٢٥٨ —)

انتهى عصر الخلافة بسقوط بغداد عام ١٢٥٨ م فى يد المغول الرحّل الذين كانوا تحت زعامة هولا كو . وما كادوا يتقدّمون إلى الأمام حتى صدهم المماليك المصريون وردوهم على أعقابهم إلى فارس التى اعتنقوا فيها الاسلام بعد زهاء خمسين عاماً ، أما الخانات خلفاء هولا كو فقد حكموا فى فارس

ثم أغار على آسيا الغربيـة فريق من البرابرة بقيادة تيمور واندفعوا كالأتىّ المزبد ، ونشروا الفساد والفوضى فى ربوعها (١٣٨٠ — ١٤٠٥ م) وإذ ذاك تفككت رابطة الاسلام من الناحية السياسية . وفى هذه الفوضى الضاربة بأجرانها نشأت ثلاث أمبراطوريات اسلامية . فى سـنة ١٣٥٨ عبر الأتراك العثمانيون البسفور ودخلوا القسطنطينية عام ١٤٥٣ ، حتى إذا كان عام ١٥١٧ دخلت فى حوزتهم سورية ومصر وبلاد العرب وأصبحت فارس مملـكة مستقلة تحت حكم الصفويين (١٥٠٢ — ١٧٣٦) بينما أسس بابُر وهو من ولد تيمور — امبراطورية التتار العظمى والهند ، وظلت قوية الشوكة تحت خلفائه وخاصة أكبر وأورنجزيب (١٥٢٥ — ١٧٠٧)

أما الحوادث السياسية التى أجملناها آنفاً فسنعالجها بالتفصيل فى صلب هذا الـكتاب ؛ على حين أن غيرها لن يكون نصيبه منا سوى الاشارة الموجزة والنظرة العابرة . ولما كانت الآراء التى انتشرت فى الأدب العربى شديدة الارتباط بتاريخ الناس ولاسبيل الى فهمها بعيداً عن الحوادث الخارجية التى نشأت فيها ، فقد وجدت نفسى مضطراً إلى الأسهاب فى بعض النواحى التاريخية حتى يتبين القارىء الحقائق المهمة من وجهة نظرنا الخاصة . كما سيرى أن ليس من إطناب فى الـكلام عن العصور المتقدّمة السابقة (٥٠٠ — ٧٥٠ م) .خاصة إذا علم أن هذه تمـد محور التاريخ العربى ومركزه . وقد بلغت الحضارة الاسلامية أقصى شأوها خلال القرنين التاليين لهذا التاريخ وإن أخذ العرب يتراجعون إلى الوراء سريعاً . وقد طمس الهجوم التتارى — فى الغالب — معالم حياتهم الأهلية وإن ظلوا متمسكين فى سورية ومصر تحت الحكم التركى بأهـداب ثقافتهم كما نراهم يستميتون فى الـكفاح باسبانيا ضد النصرانية . وفى أيام ازدهار الدولة العباسية كان أثر العرب الخلص Pur sang فى الأدب الذى حمل اسمهم ضئيلاً قياسـياً ؛ ولم ألتزم جادّة القياس الوطنى وإلا استثنيت جميع الأجانب والمولدين الذين كتبوا بالعربيـــة . أما الفرس الذين ألفوا حتى يومنا هـــذا استعمال الضاد فى كتاباتهم الدينيـة أو الفلسفية فيمكن القول بأن عملهم لا يصور تاريخ الفكر العربى ؛ ومن ثم كان من الضرورى دراستها معا كى نصـل إلى الغاية المقصودة . ولـكن ما ذا يكون موقفنا إزاء هؤلاء المؤلفـين الـكثيرين الذائعى الصيت الذين ليسوا عرباً أقحاحا ولا فرساً خالصين ، بل هم مزيج من الجنسين . أترانا نسترجع أنسابهم ونحاول أن نزن أى دم الجنسين أرجح كفة ؟ إن مثل هذه المحاولة يطول أمدها ، وليس من ورائها جدوى . والمؤكد أنه بعـد العصر الأموى لا يستطاع وضع حد فاصل صحيح بين العناصر الأهلية والأجنبية الموجودة فى الأدب العربى ، فقد امتزج كل منها

---

إلى الاستغراق ، وقد أتعبنى خيرى وشرى ، وما هما إلا مسكنةٌ وقذارةٌ وغرور

لقد آن لـكم أن تقولوا : ما يهمنى عدلى ، إن العادل يقدح شرراً ولمـا أشتعل

لقد آن لـكم أن تقولوا : ما تهمنى رحمتى ، أفليست الرحمةُ صليباً يُسمَّر عليه من يحب البشر . ورحمتى لما ترفعنى على الصليب

أقلتم مثل هذا وناديتم به ؟ ليتنى سمعتكم تهتفون بمثله !

إن ما يرفع عقيرته على السماء إن هو إلا غروركم لاخطاياكم ، إن هو إلا حرصكم حتى فى خطاياكم

أين هو اللهب الذى يمتد اليكم ليطهركم ؟ أين هو الجنون الذى يجب أن يستولى عليكم ؟

هأنذا أنبئكم عن الانسان المتفوق

إن هو إلا ذلك اللهب وذلك الجنون

(يتبع) فليكس فارس

بالآخر امتزاجاً قويا . وإذا كان لا بد من التمييز بينهما إلى أبعد حد مستطاع ، فلابد لنا من اتباع طريقة ضيقة واهية فى عرض التاريخ الأدبى إذا أصررنا على اعتبار كل منهما منفصلاً عن الآخر

# الفصل الأول

## سبأ وحمير

قد يمكن القول بأن تاريخ العرب يبدأ بما نعرفه عن أهل سبأ ، ولكن خطوة تمهيدية ينبغى لنا أن نلمّ ببعض الأجناس التى تعرض علينا صورها فى الأساطير والقصص ، والتى يعتبرها المؤرخون المسلمون السكان الأصليين للبلاد . ومن بين هؤلاء قوم عاد وثمود ، أولئك الذين طالما ورد ذكرهم فى القرآن مثلاً للكبرياء والجبروت اللذين أديا بهم إلى التهلكة . وكان موطن « عاد » أرض حضرموت التى تتاخم بلاد اليمن على حدود الصحراء المسماة بالأحقاف . ولايستطاع الجزم أهم من الجنس السامى من سلالة الأراميين الذين أخضعهم وأبادهم الغزاة المغيرون على بلادهم من الشمال أم أنهم — كما يقرر هومل [(١)] — ممثلو ثقافة غير سامية خلفت إرم ذات العماد [(٢)] ، تلك الجنة الأرضية التى بناها « شدّاد » أحد ملوكهم . وإن قصة هلاكهم لتروى على النمط التالى [(٣)] : ذلك أنهم كانوا جبارين ضخام الأجسام ، يعبدون الأصنام ويقترفون شتى الموبقات ، فلما بعث الله فيهم نبيه « هودا » نصح لهم أن يتوبوا عما اقترفوه من الآثام فقالوا له : ( ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء [(٤)] ) . ثم نزل قحط شديد بأرض عاد فأرسلوا بعض رءوسهم إلى مكة ليصلّوا عسى أن ينزل القطر ويستقوا ، وإذ بلغت رسلهم مكة لقيهم أمير العمالقة « معاوية بن بكر » بالبشر والترحاب ، ومدّ لهم الموائد ، فشربوا الخمر ودارت بالدفوف جاريتان ذواتا غناء شجى تسمّيان بالجرادتين ، فألهاهم ذلك عما جاءوا من أجله شهراً كاملاً ، فلما حان وقت أوبتهم قام أحدهم ليصلّى ، فلم يكد ينتهى من صلاته حتى حلّقَتْ فى السماء ثلاث سحابات مختلفة الألوان إحداها حمراء والثانية بيضاء والثالثة دكناء ، ثم رنّ صوت من خلف السموات يقول « يا قيل : اختر لنفسك وقومك من هذا السحاب » فاختار الرسل السوداء ظناً منهم أنها تعج بالماء ، وأنها أكثر السحاب فيضا ، وحينذاك أنشد الصوت :

« خذها رماداً رمددا     لا تدع من عاد أحدا
لا والداً تترك ولاولدا     إلا جعلته همدا »

ثم ساق الآله السحابة السوداء حتى حوّمت فوق أرض عاد فانبعثت منها إذ ذاك ريح صرصر عاتية أفنت الناس جميعاً إلا فئة [(١)] قليلة لبّت نداء هود وأجابته إلى دعوته ونبذت عبادة الأوثان . وإذ ذاك ظهر بطبيعة الحال وعلى ممر الزمن شعب آخر يدعى بقوم عاد الثانية وكان مقره اليمن فى مملكة سبأ ؛ وإن السد العظيم سدّ مأرب لينسب إلى ملكهم لقمان بن عاد الذى تحاك حوله طائفة من الخرافات ، وكان يكنى بذى النسور إذ أوحى إليه أنه سيعمر ويفنى سبعة أنسر كلما مات واحد خلا إلى آخر

وفى شمال بلاد العرب بين الحجاز وسورية سكن قوم ثمود الذين ورد ذكرهم فى القرآن [(٢)] بأنهم كانوا يسكنون مغارات ينحتوها فى الجبال . ولا شك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يجهل طبيعة هذه البيوت المنحوتة فى الصخور ، والتى لا تزال آثارها قائمة فى الحجر ( مدائن صالح ) على مسيرة أسبوع من شمال المدينة ، والتى تدل عليها النقوش النبطية [(٣)] التى عثر عليها فى القبور . وقد أخطأت ثمود كما أخطأت عاد من قبل . وتشابهت النهايتان ، فهزأت ثمود من نبيها صالح وأبت أن تطيعه أو يأتى بمعجزة خارقة ، فأطلع لهم صالح من الصخر ناقة ضخمة وفصيلها ، وأمر ثمود ألا تمس بسوء ؛ بيد أن أحد الأئمة الأشرار واسمه « قُدار الأحمر » عقرها وذبحها ( فأخَذَتْهُمُ الرَّجفَةُ فأصْبحُوا فى دَارِهِمْ جاثِمِين ) وصارت [(٤)] العرب تقول لكل من باء بجرم كبير ، وحظ أغبر « أنكد حظاً من عاقر الناقة أوأحمر ثمود » وينبغى أن نشير إلى أن ديودور الصقلى وبطليموس

---

(١) Die Namen der Säugethiere bei den Südsemitischen Völkern , P. 343 seq

(٢) راجع تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٣١ ، وما كتبه O. Loth فى Z. D. M. G. فى المجلد ٣٥ ص ٦٢٦ وما يليها

(٣) راجع تاريخ الطبرى ج ١ ص ٢٣١ والسور رقم ٧ ، ١١ ، ٢٦ ، ٤٦ من القرآن

(٤) سورة هود : ٥٢ ، ٥٤

---

(١) هذه الفئة القليلة التى أشار اليها المؤلف هى بنو اللوذية الذين ذكرهم الطبرى فقال « ...إلاجعلته همداً ، إلا بنى اللوذية المهدى » (المترجم)

(٢) يشير المؤلف إلى قوله تعالى ( واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتاً ) (المترجم)

(٣) Doughty : Documents epigraphiques recueillis dans le nord de l'Arabie, P. 12 suiv

(٤) إشارة إلى قوله تعالى ( قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب الله ) (المترجم)

قد أشارا إلى وجود آل ثمود ، أما قوم عاد فلا نجد لهم أثراً يذكر في العصور التاريخية ، على حين أن ثمود قد عاشوا حتى القرن الخامس الميلادى ، وكان أباطرة الدولة البيزنطية يستخدمونهم كفرسان ثموديين Equites Thamudeni في جيوشهم

وبجانب عاد وثمود نرى العمالقة مدرجين بين أهل الفترة ، وقد جاء في علم الآثار العربية الاسلامية ما ينبىء عن وجود عدة أقوام سلفوا في عصر بعيد ، كالكنعانيين والفلسطينيين . وإنا لنسمع أن مقر العمالقة كان في تهامة مكة ، وفي بعض أنحاء أخرى من شبه الجزيرة . ويجب أن نشير أخيراً إلى قبيلتى طسم وجديس اللتين لم يدوّن عنهما شيء إلا حقيقة هلكهما ، والدواعى التى أدت إلى ذلك . وإن القصص الخرافية التى أشارت إليهما لا تخلو من لذة بالنسبة لوجودهم في المجتمع العربى القديم

* * *

أما تاريخ القحطانيين[1] – أو عرب الجنوب – قبل الاسلام فهو تاريخ شعبين : السبأى والحميرى اللذين خلّفا زعماء الامبراطورية العربية الجنوبية التى امتدت من البحر الأحمر حتى الخليج الفارسى . وسبأ ( أو شبا كما هي في العهد القديم ) تستعمل خطأ إذا قُصِد بها كل بلاد اليمن Arabria Felix ، على حين لم تكن سوى إقليم منها وإن كانت بلا جدال أقوى شكيمة وأعظم أهمية من كل الممالك والأقاليم التى ورد ذكرها في كتابات الأغريق والرومان القدامى ؛ ومهما بولغ في عظمتها وثراها فمن المحقق أن سبأ هذه كانت ذات مركز تجارى ممتاز قبل ظهور المسيح بعدّة قرون[2] . « ولقد قامت السفن منذ زمن بعيد تمخر عباب المياه بين موانى بلاد العرب الشرقية وبين الهند محمَّلة بالبضائع ، وكانت منتجات الأخيرة وخاصة الطيب والبخور والحيوانات النادرة ( كالقردة والطواويس ) تنقل إلى ساحل عمان ؛ ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد كانت ثَم دراية بالخليج الفارسى حيث كانوا ييممون شطر مصر يبيعون لفراعنتها وأمرائها بضائعهم ، وقد كانت صعوبة الملاحة في البحر الأحمر سبباً في تفضيل الطريق البرى للتجارة بين اليمن وسورية . وكانت القوافل تقوم من « شبوت » في حضرموت وتذهب إلى مأرب عاصمة سبأ ، ثم تتجه شمالاً إلى مكُرَبة ( مكة فيما بعد ) وتظل في طريقها من بترا حتى غزة المطلة على البحر الأبيض المتوسط[1] »

وظل رخاء السبئيين قائماً حتى أخذت التجارة الهندية تهجر البر وتسلك عبر البحار على طول شواطىء حضرموت وخلال مضيق باب المندب ، وكانت نتيجة هذا التغير – الذى يظهر أنه حدث في القرن الأول للميلاد – أن أخذت قوتهم تتضعضع شيئاً فشيئاً ، كما أن جزءاً كبيراً من السكان اضطر للبحث عن مساكن جديدة في الشمال ، ومن ثم أقفرت مدنهم ونضبت العيون المائية ، وسنرى حالاً ، كيف بلورت القصة العربية نتيجة انحطاطهم الهائل في حقيقة واحدة تلك هي انفجار سد مأرب

وإن انحاء السبئيين قد أخلى الطريق لظهور جماعة من نفس الجنس يسمون بالحميريين أو كما يسميهم المؤلفون القدامى Homeritæ وتقع بلادهم بين سبأ والبحر ، وتحت حكم ملوكهم المعروفين بالتبابعة أصبحوا قوة يرهب جانبها في الجنوب من بلاد العرب . وظل عظم نفوذهم – ولو ظاهرياً – على القبائل الشمالية حتى القرن الخامس بعد الميلاد حينما ثار الأخيرون تحت زعامة كليب ابن ربيعة ، وأزالوا قوة اليمن المسيطرة عليهم في واقعة تعرف بواقعة « خزازة »[2] ولم يفلح الحميريون كما أفلح السبئيون فان موقعهم البحرى جعلهم عرضة للغارات كما كان جدب البلاد من السكان مضعفاً لقوتهم الحربية . وقد قام الأحباش – وأصلهم من مستعمرى اليمن – بمحاولات عدة لتثبيت أقدامهم ، وكانوا يتخذون عادة حكاماً قد نفهم أمراء وطنيون ، ومن أشهر الولاة الأحباش « ابرهة » الذى سنقص خبر مهاجمته الفاشلة لمكة في موضعها الخاص ، وانتهى الأمر بأن وقعت امبراطورية حمير أخيراً تحت حكم فارس ولم تقم لها قومة سياسية مدة قرن من الزمان قبل ظهور الاسلام

ترجمة حسين حبشى

---

(١) فيما يتعلق بالنقوش السبئية والعربية الجنوبية يمكن للقارىء أن يقرأ ما سيكتبه J. Tkatsch في مقالة « صنعاء » بدائرة معارف الاسلام ففيها معلومات قيمة ، ويشير الكاتب فيها إلى أهمية المكتشفات الخطية التى أماط اللثام عنها F. Glaser الذى جمع في خلال أربع رحلات (١٨٨٢ — ١٨٨٤) ما ينيف على ٢٠٠٠ مخطوط . راجع أيضا :
P. Nielsen: Handbuch der Altaranbisehen Altertumskunde. Vol, I ( Copenhagen and Paris 1927)

(١) إن أقدم وثيقة تاريخية يمكن الاشارة اليها وجدت مكتوبة بالخط المسمارى الأشورى وتقرأ في تاريخ الملك سرجون ٧١٥ ق . م . « لقد استلمت جزية فرعون ملك مصر وشمسية ملكة بلاد العرب وأثمرة السبأى من الذهب والطيب والعبيد والخيل والابل » وإثمرة مرادفة ليثعمر وهو لفظ تسمى به كثير من ملوك سبأ

(١) A. Müller : Der Islam in morgen und Abendland, P. 24

(٢) ومع ذلك فان نلدكه يقول (في المعلقات الخمس Funr Mo'ollaqat ج ١ ص ٤٤ ) إن الأخبار التى تنبئ أن كليبا كان يقود فرسان ربيعة إلى نزال قوى اليمن المتجمعة ليست تاريخية مطلقا

# الفصل في نبوة المتنبي

## من شعره

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٢ —

وتوجد قصيدتان تنسبان الى المتنبي في هذا العهد ، إحداهما قالها وهو بأرض نخلة ، وهى ديار بنى كلب الذين يقال إنه تنبأ فيهم وهى هذه القصيدة :

كم قتيلٍ كما قُتِلْتُ شهيدِ ‏ ‏ ببياضِ الطُّلي ووَرد الخدودِ
وعيونِ المهَا ولا كعيونٍ ‏ ‏ فتكتْ بالمُتَيَّم المعمود
دَرَّ دَرُّ الصِّبا أأيامَ تجرْ ‏ ‏ رِ ذيولى بدار أثلة عودى
عمْركَ الله هل رأيتَ بدورا ‏ ‏ طلعتْ في براقع وعقود
راميات بأسهم رِيشُها الهُدْ ‏ ‏ بُ تشق القلوبَ قبل الجلود
يترشَّفنَ من فمى رشفات ‏ ‏ هُنَّ فيه أحلى من التوحيد
كلُّ خمصانةٍ أرقّ من الخمـ ‏ ‏ ـر بقلبٍ أقسى من الجلمود
ذات فرعٍ كأنما ضرب العنـ ‏ ‏ ـبر فيه بماء ورد وعود
حالكٍ كالغُداف جَثْلٍ دَجُوجِـ ‏ ‏ ـيٍّ أثيثٍ جَعْدٍ بلا تجعيد
تحمل المسْكَ عن غدائرها الرِّ ‏ ‏ يحُ وتفترُّ عن شتيتٍ برود
جمعتْ بين جسم أحمدَ والسُّقْـ ‏ ‏ ـم وبين الجفون والتسهيد
هذه مهجتى لديك لِحَيْنى ‏ ‏ فانقصى من عذابها أو فزيدى
أهل ما بى من الضنا بطلٌ صيـ ‏ ‏ ـد بتصفيف طُرَّةٍ وبجيد
كلُّ شيء من الدماء حرام ‏ ‏ شربهُ ما خلا دم المنقود
فاسقنيها فدًى لعينيك نفسى ‏ ‏ من غزال وطارفى وتليدى
شيبُ رأسى وذلتى ونحولى ‏ ‏ ودموعى على هواك شهودى
أىَّ يوم سررتنى بوصالٍ ‏ ‏ لم تَرُعْنى ثلاثةً بصدود
ما مُقامى بأرض نخلةَ إلا ‏ ‏ كمُقام المسيح بين اليهود
مفرشى صهوة الحصان ولكـ (م) ‏ ‏ ن قميصى مسرودة من حديد
لأمةٌ فاضةٌ أضاةٌ دِلاصٌ ‏ ‏ أحكمت نسجها يدا داود
أين فضلى إذا قنعتُ من الدهـ ‏ ‏ ـر بعيش مُعجَّل التنكيد
ضاق صدرى وطال في طلب الرِّزْ ‏ ‏ ق قيامى وقلَّ عنه قعودى
أبداً أقطع البلاد ونجمى ‏ ‏ في نحوس وهمتى في سعود
فلعلى مؤمِّلٌ بعض ما أبـ ‏ ‏ ـلغ باللطف من عزيز حميد
لِسرىٍّ لباسُهُ خشنُ القطـ ‏ ‏ ـن ومروىُّ مروَ لبس القرود
عش عزيزا أومت وأنت كريمٌ ‏ ‏ بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوسُ الرِّماح أذهبُ للغيـ ‏ ‏ ـظ وأشفى لغلِّ صدر الحقود
لا كما قد حييتَ غير حميد ‏ ‏ وإذا متَّ متَّ غير فقيد
فاطلب العِزَّ في لظىً وذر الذُّ ‏ ‏ لَّ ولو كان في جنان الخلود
يقتلُ العاجز الجبان وقد يعـ ‏ ‏ ـجز عن قطع بخنق المولود
ويُوَقى الفتى المخشُّ وقد خوَّ ‏ ‏ ض في ماء لبَّةِ الصنديد
لا بقومى شرفت بل شرفوا بى ‏ ‏ وبنفسى فخرتُ لا بجدودى
وبهم فخر كل من نطق الضا ‏ ‏ د وعوذُ الجانى وغوث الطريد
إن أكن معجباً فعُجبُ عجيب ‏ ‏ لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا تربُ الندى وربُّ القوافى ‏ ‏ وسمامُ العدى وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها اللـ ‏ ‏ ـه غريبٌ كصالح في ثمود

ويجب قبل أن ننظر في هذه القصيدة من جهة اتفاقها مع دعوى النبوة التى تنسب إلى المتنبي ، أن ننبه إلى أن النبوة لا تتفق مع صناعة الشعر ، لأن الشعر العربي إلى ذلك الوقت كان صناعة أوزان وكلام ؛ ووظيفة النبوة أسمى من أن تتقيد بقيود الشعر ، أو تعنى عنايته بزخرف اللفظ ، أو تعتمد اعتماده على الخيال ، وقد أشار إلى هذا قوله تعالى في سورة يس : (وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين —) كما يشير إلى ذلك وإلى بعد النبوة مما كان يلابس الشعر من اللهو والعبث قوله صلى الله عليه وسلم : لما نشأت بغضت إلى الأوثان ، وبغض إلى الشعر ، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، كل ذلك يحول الله بينى وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى أكرمنى الله برسالته . قلت ليلة لغلام كان يرعى معى لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم ، فجلست لذلك فضرب الله على أذنى فنمت ، فما أيقظنى الا مس الشمس ، ولم أقض شيئاً . عرانى مرة أخرى مثل ذلك

وهذا كله لم يكن المتنبي ليجهله ، وما كان له أن يقدم على دعوى النبوة معه . ولعل الذين نسبوا اليه هذه الدعوى قد شعروا بشيء من هذا حينما جعلوا له قرآنا يعارض به القرآن الكريم ، لأنهم رأوا أن الشعر وحده لا يصح أن يستقل بأمر النبوة ، أو لا يلتئم معها . ومن ذلك الذي نسبوه اليه وذكروا أنه زعم أنه قرآن أنزل عليه : والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، امض على سنتك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين ، وضل عن السبيل

وكم يكون الشعر أبعد من وظيفة النبوة إذا كان صاحبه يتكسب به كصاحبنا المتنبي ، فانه نشأ شاعراً مداحا يتكسب بشعره ، ويسأل به ، ومن هذا قصيدته في مدح محمد بن عبيد الله العلوى ، ومطلعها :

أهلاً بدارٍ سباك أغيدُها ... أبعدُ ما بان عنكَ خردَّها

وقد ذكر فيها أن ناقته حملته إلى هذا الممدوح :

إلى فتًى يَصدر الرماحَ وقد ... أنهلها في القلوب مُوردُها
له أيادٍ إليَّ سالفةٌ ... أعُدُّ منها ولا أعَدِّدُها

ثم طفق يمدحه إلى أن قال :

وكم وكم نعمةٍ مُجلَّلةٍ ... ربيتها كان منك مولدُها
وكم وكم حاجةٍ سمحت بها ... أقرب مني إليَّ موعدُها
ومكرمات مشت على قدم الـ ... ـبر إلى منزلي تَردُّدُها
أقرَّ جلدي بها عليَّ فلا ... أقدرُ حتى المماتِ أجحدُها
فعد بها لا عدمتُها أبداً ... خير صِلات الكريم أعودُها

وقد عذله أبو سعيد المجيمرى في ذلك العهد على تركه لقاء الملوك وامتداحهم ، فقال له :

أبا سعيدٍ جَنِّب العتابا ... فرُبَّ رأى أخطأ الصوابا
فانهم قد أكثروا الحجَّابا ... واستوقفوا لردِّنا البوابا
وإن حدَّ الصارمِ القرضابا ... والذَّابلات السُّمر والعرابا
ترفعُ فيما بيننا الحجابا

ولا شك أن طبقة الشعراء المتكسبين أدنى طبقات الشعراء نفوساً ، وأبعدها عن الصلاح والتقوى ، وهي طائفة تتخذ الشعر وسيلة لجمع المال ، ولا يهمها في دنياه غيره ، ولا تطمح نفوسها الى وظيفة كوظيفة النبوة تكلفها من الكمال الروحي ما ليس في طبيعتها

وإن هذه الحادثة لتدل على مقدار ما بلغ اليه المتنبي في ذلك قال : أذكر وقد وردت في صباى من الكوفة الى بغداد ، فأخذت بجانب منديلي خمسة دراهم ، وخرجت أمشي في أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التي معي ، فتقدمت اليه وقلت : بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ ! فقال بغير اكتراث : إذهب فليس هذا من أكلك ، فتماسكت معه وقلت : يا هذا دع ما يغيظ واقصد الثمن ، فقالَ ثمنها عشرة دراهم ، فلشدة ما جبهني ما استطعت أن أخاطبه في المساومة ، فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من الدكان ودعا له وقال : يا مولاى بطيخ باكور ، باجازتك أحمله إلى البيت فقال الشيخ : ويحك بكم هذا ؟ قال بخمسة دراهم ، قال بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين وحملها إلى داره ، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل ، فقلت له : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استَمْتَ علي في هذا البطيخ ، وفعلت فعلتك التي فعلت ، وكنت أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولاً ! فقال : أسكت . هذا يملك مائة ألف دينار ، قال المتنبي : فعلمت أن الناس لا يكرمون أحداً إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة ألف دينار ، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار

(يتبع) عبد المتعال الصعيدى

من ديوان البغضاء

# عقوق ...

## للأستاذ محمود محمد شاكر

ملْ بنا ، يا فؤادُ ! ننسى المودّا … ت ، ونُلقى إلى العداوة حَبَّا
وتعالَىْ ! يا ربة الأرقش الخدّا … ع ، وارعى ماببين جنبيَّ خصبا
وجناحيك ، فانشرى وأظلّى … بُقعـةً من مقابر الحب جربا
وامنعى نفثةَ الوفا واحجبيها … رُبَّ ذكرى أحيتْ مواتاً أجبّا
وانظرى نظرةَ العُقاب إذا أبـ … ـصر صيداً ، فرامه فاشرأبّا
وانقضى الناسَ نفضةَ الأسد الجـ … ـروح أشلاءَ صيده والأزبّا
وتعالَىْ ! أنا الصديق ، ويا أعـ … ـجب من يجعل العداوة صحبا !
ولئن كان ما رعيت من الأضـ … ـلاع جدباً ، فلن أسومكِ جدبا
واعلمى أننى تركتُ وفاء الـ … ـحُبِّ زُهداً ، ورمتُ فيك الحبا

***

هذه كفُّ خائضٍ غمراتِ الـ … ـحب أبلى فيها بلاءً صعبا
مستميتاً قد غالب الموت والحـ … ـرب ونال الحياة كسباً وغصبا
تيك أُنثى ! ودونها الآبدُ الطّـا … وى إذا ساور الفريسةَ وثْبا
يا لعينيك ... شبتا فى دمى النا … رَ شُواظا ، يعبُّ فى الدم عبّا
وبنانٍ أقسى من القِدِّ فى النفـ … ـسِ ، وإن خلته بناناً رطبا

***

آهِ من غفلة ... إذا خطرت لى … ملأتْنى غيظاً وحقداً وحربا
قد رمتنى فى جاحمٍ يتلظّى … فاذا مات أرّثتـه فشبّا
أوَفاءٌ ... لغادرٍ يتسلى … بعذابى ! تبّاً – لذا الحب – تبّا
المُحبّات تقتُلُ القلب قتلاً … والعداوات تُردف القلب قلبا
فتعالى ! يكن كمكرِكِ مكرى … وأكن فى الحروب روعاً ورُعبا
لا تولىْ ، وتتركينى وحيداً ؛ … لست أبغى بغير قُربك قربا
وانفثى فىَّ نفثةَ السّحر حتى … أقهر الناسَ والأسودَ الغُلبا
فالّذُّ الأعداء من علّمتْهُ … مِحَنُ الحب أن يعُق الحُبّا...

محمود محمد شاكر

# الشاعر وسريره

## للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

— ٣ —

تهللٌ يعـــلو محياكا … وبسمةٌ لائحة فاكا !
وفرحة خجلى عروسية … تطلقها كالفجر عيناكا
وأى عطر منعش ، مؤسف … هـذا الذى يحمل رُدناكا
قل ياسريرى ، أى شىء جرى … أنساك شكواى وشكواكا ؟
أتاركى أنت بلا رحمة … قد عوّدتنيها سجاياكا ؟

***

أشامتٌ بى أنت فى محنتى ؟ … معاذ إخلاصك لى فى هواىْ
بالله حـدثنى عما جرى … لعل فيـه مايسرّى أساى
ها هوذا يهمس — رؤيا محت … بلواه ؛ ويلى ! أين ضلت رؤاى؟
جاءته طيفاً فى الكرى ماسحاً … شكواه؛ ويلى! أين ولى كراى؟
رأى ، وعى ، لامس — ياليته … يداى ، أو أذناى أو مقلتاى!

***

رق سريرى لى ، ورقت له … حسناء مما قلتـه فيه !
مرّت يمناها على صـدره … فانتعشت بيض أمانيـه !
لكن قلبى الحى ... قلبى الذى … يستنزف الرحمة داميه !
قلبى الذى يصرخ فى سره … من ألم مرّ يقاسيه
لم يُلف قلباً من بنى آدم ... … يحنو عليـه أو يسليه !

***

إهنأ سريرى بالذى ناله … جدُّك إذ أخطأنى الجدُّ
لست بغيرانَ ولا حاسدٍ … يمنعنى — أن أحسد — الودُّ
ولى نصيبى بعـد فى كل ما … حلتك من أطيافها « هند »
لكن كفًّا أنت قبّلتها … أشتاق أن ألثمها بعد !
لعل أن يُطعمنى بعـدها : … الثغر والعينان والخد !

***

ويلى عليها .. ! لكأنى بها … مقبلة نحوك فى لطف

حاملة في ثغرها بسمة حائرة تبدو وتستخفى
كمائش (١) في جنةٍ وحده ... نازعه شوق إلى إلْفِ ! !
ياليت شعرى : أنت مقصودها أمر بك البائس — بالعطف ؟
فابنة حوّاء متى أظهرت فربُّها يعلم ما تخفى !

**على أحمد باكثير**

(١) قوله كمائش في جنة الخ . هذه الجملة تابعة لقوله بسمة

# على النيل

## بقلم العوضى الوكيل

وقفت على النيل الوديع عشية أطالع في أمواجه ما أُطالعُ
وأسمع من أمواجه لحن فتنةٍ ومعنى يُغشّينى ، وذكرى تتابع
كأنى اليها من قديم مُوجَّهٌ وكلّىَ إصغاءٌ ، وكلى مسامع
كأنى قبل الآن أسمعت مرة صداها ، له دفق وفيه تدافعُ
وماذاك إلا رمز ما أنا حالم به قبل أن تهتزّ منى الأضالع
وناجيت ماءَ النيل في صمت راهب
بأسطورة الحب الذى لا يخادع
أيا نيل حدثنى فإنى عالم ولكن لسانى شاسٌ أو ممانع
علمت وكم معنى يدور بخاطرى
أضلته في نفسى فيافٍ قواطع
لكم مرت الأجيال محلى بمُحبة عليك وإذ تبدو كأنك هاجع
وأنت الطهور الفرد في هذه الدنى وفى قُدسك الأسمى معان تطالع
عليك هدوء الهازئين ، وربما يلوح لنفس في الهدوء تواضع
أتلحظنى هيمان في العيش سادراً قد انعدمت منى إليه الدوافع
وصرت أعيش اليوم للأهل وحدهم
فما أنا في دنياى — ما عشت — طامع
أتلحظ دمعى وهو ينهلّ مسبلا وأيْينُ شىء فىَّ هذى المدامع
أسير فلا أدرى لأية غاية أسير وتدعونى إلىَّ المواجع
خلقنا لندرى العيش وهو يضلنا كمن بت تثنيه وبات يقاطع

***

أيا نيلُ قُصَّ السرَّ إنك عالمٌ
به من شباب الكون والكون يافع
وحدِّثْ عن المجهولِ واكشف دفينه
فإنك نور في الأحاسيس ساطعُ
وبُلَّ بنفسى غُلةً بعد غُلةٍ ولا تنس أنى عابد لك خاشع
تمل فؤادى في غلاف من الشجى
وفيه جراحات ، وفيه مصادع

***

أيا شاهد الأدهار مرَّت بناسها كسبحة مرت عليها الأصابع
فأُفْنِيَ منها الناس ؛ والزمن الذى حواهم تبقى لم تَضِرْهُ الفواجع
كسبحة يُستلُّ معدود حبها ويبقى بها الخيط الذى هو جامع

**العوضى الوكيل**

# القصص

من صور الحياة

## قصة مجرم

### للآنسة نعيمة المغربي

انعقدت محكمة الجنايات للنظر فى قضايا مختلفة ومنها جناية قتل اتهم فيها فتى طيب الأحدوثة لم يسبق له الاجرام . وظهر من التحقيق أن الجناية لم تقع بقصد السرقة ، إذ أن خاتم القتيل الماسى وساعته الذهبية — وهو كهل غنى — وأشياء أخر ذات قيمة لم يمسها القاتل ، مع أن المجال كان فسيحاً أمامه لسرقتها والاختفاء بها ، وإنما اكتفى القاتل بما فعل واللجوء إلى مسكنه الذى كان قريباً من محل الحادثة والذى كان يأوى إليه مع أمه المقعدة ، وقد قضت المسكينة نحبها حينما قبض الجند على ابنها من غلبة الخوف والرعب عليها

ذلك ملخص خبر الجناية التى شغلت أهل المدينة وخاصة سكان الحى الذى وقعت فيه الحادثة وكانت موضع سمرهم لا أسفاً على القتيل الذى عرف بعتوه وصلفه وشحه ، بل شفقة على القاتل الذى عرفوا فيه الفتى الحسن الخلق ، يكد ويشتغل لينفق على أمه البائسة التى لم يك لها من عائل سواه . لذلك كله امتازت هذه الجلسة بوفرة عدد المستمعين فيها ، وكلهم مشفقون على القاتل راثون له

ظهر فى قفص المتهمين شاب لا يتجاوز العشرين من عمره ، نحيل الجسم غائر العينين لا تظهر عليه علامة من تلك العلامات التى يمتاز بها المجرمون ، بل كان بادى الانكسار هادئ النظرات مستسلماً لخواطر تجول فى رأسه وأحاديث تهجس فى نفسه . وبعد سماع شهادة الشهود ومرافعة النيابة ومحامى الدفاع سأله الرئيس الأسئلة المعتادة التى تلقى على المتهمين وطلب منه إذا كان عنده ما يدافع به عن نفسه . وهنا أرهف المستمعون آذانهم وتطاولوا بأعناقهم حتى لا تفوتهم كلمة من قصة ذلك المجرم البائس قال :

إننى إذا سردت قصتى فأننى لا أسردها بغية الدفاع عن نفسى أو حباً فى الحياة فقد سئمت العيش واستولت على النفرة من الناس ، بل لتعلموا أننى فرد من أفراد المجتمع البشرى قدر عليه أن يعيش عيشة ضنك وشقاء ويحيا حياة مليئة بضروب الألم والعذاب ، وكنت فى ربيعى الثانى عشر حينما فُتحت عيناى على صورة من صور الحياة المؤلمة التى تركتنى أرزح تحت كلكلها وأصبحت حياتى بعدها جافة قاسية خالية من المباهج التى تساعد المرء على اجتياز ما قد يتخلل طريقه من حصى وأشواك

مات أبى وأنا صغير ، ولم يترك لنا أنا وأمى من حطام الدنيا سوى أساس عتيق بال فى مسكن صغير تداعت أركانه ، وتشققت سقوفه وجدرانه ، وكان ذلك المسكن لجار لنا غنى كنا نؤدى إليه أجرته من دون مطل أو تسويف . وكان أبى بنّاء يتناول فى يومه بضعة قروش يأتى بها إلينا وهو فرح مغتبط مع ما يحيط به من فاقة وبلاء . فيملأ البيت بهجة ورواء ، ويحوله إلى قصر من أوفر القصور سعادة وأعظمها هناء

وبالرغم من قدم العهد فأنا أذكر ذلك اليوم الرهيب يوم أن عرفت أن ذلك الانسان الذى يستنزف قواه ليدفع عنا غائلة السغب والعرى قد أخرسه الموت ونام نومه الأبدى

ففى أمسية من أمسيات الشتاء الباردة ، وفى ليلة دجوجية الجناح غدافية الأديم ، كانت الريح صرصراً عاتية ، وكرات الجليد تتساقط على جوانب بيتنا المتداعى فيسمع لسقوطها صوت كأصوات الأرواح الهائمة . طرق الباب فدخل رجلان يماثلاننا فى الفاقة والبؤس يحملان جثة أبى مهشمة أو كتلة من لحم ودم . ولقد نسيت كيف مرت علينا تلك الليلة المشؤومة ، غير أننى أذكر أن جثمانه ظل مسجى طول اليوم التالى حتى شعر بذلك من لم

تخل قلوبهم من عناصر الرحمة والشفقة فأمدونا بقليل من المال جهزنا به فقيدنا وأودعناه مرقده الأخير . ومما زاد لوعتنا أن الطبيب الذى قام بفحص الجثة قرر أنه كان مريضاً بعلة القلب فلم يستطع احتمال العمل المجهد تحت حر الشمس فى أعلى البناء فأصابه دوار عرضه للسقوط والموت السريع . وكان ذلك الأب الشفيق كان يخفى علته هذه عن أمى خشية قلقها أو محاولتها منعه من متابعة عمله المضنى ، وقد أصيبت تلك التاعسة على أثر هذه الصدمة التى بلينا بهـا بمرض عضال أقعدها عن مواصلة السعى لكسب القوت ودفع أجرة المسكن ، ومع هذا فقد كانت تتحمل الفقر والشقاء والمرض والاعياء بصبر واستسلام

لقد ألقت الأقدار بى من حيث لا أشعر فى بيداء هذه الحياة وضربتنى ضربة قاسية لا رفق فيها ولا هوادة ، وأرادتنى أحداث الزمان على أن أحمل حملاً أعجز عنـه وأنا صبى صغير فتلاشت ابتسامتى واربدّ وجهى ، وعادت الحياة فى نظرى هماً ناصباً . أمى مقعـدة لا تستطيع حراكا وهى تحتاج إلى قوت ودواء ، وصاحب المسكن يطالبنا بأجرته فى نهاية كل شهر ، وعلينا أن نؤديها إليه صاغرين وإلا كان الشارع لنا مأوى ، وقد أشار علىّ بعضهم بإيداع المريضة فى إحدى المستشفيات ، فقبلت ذلك على مضض ، ولـكن إدارة المستشفى أبت قبولها بحجة أن مرضها عضال لا يرجى منه شـفاء . على أننى مع ذلك لم أيأس ولم أحزن رغبة فى أن أظل بجانبها أخدمها وأروح عنها ما تجده من آلام محرقة تحاول جهد طاقتها أن تخفيها عنى فتتكلف لى الابتسام ، ابتسام المريضـة الصبور المستسلمة . لقد ذاق أطفال قبلى مرارة اليتم ، وذاق الـكثيرون مثلى مرارة الحرمان والعُـدم ، ولـكن آلامهم لم تك تشبه آلامى : إذ كانت آلامى آلام صبى فى أول مرحلة من مراحل حياته يرى تحت نظره أعز الناس لديه يدنو من الموت أو يدنو الموت منه بخطى سريعة فلا يستطيع التخفيف عنه أو إسعافه بجرعة دواء

أجل كنت أذرع البلدة وأجوس خـلال شوارعها باحثاً بحث اليائس عن لقمة أتبلغ بها أو عن عمـل يكفل العيش لى ولتلك المريضة المدنفة ، وكنت إذا حصلت على بضع دريهمات أضن بها على نفسى فأعود وأنا أطفر فرحاً فأشترى لها ما تحتاج إليه من غذاء ودواء وأوفر الباقى أجرة لمسكننا الحقير

وقد كنت أستطيع أن ألجأ إلى تلك الطريقة التى يلجأ إليها الـكثيرون من أمثالى — أعنى السرقة — وكانت أحياناً تتجسم هـذه الفكرة فى مخيلتى حينما أصاب بتلك الآفة المشئوم — آفة الجوع — ولـكننى لا ألبث أن أرجع عن هـذا العزم إذ أربأ بنفسى أن تنحط إلى هذه المنزلة مفضلاً كل شـقاء على الوقوع فى هذا المنحدر الرهيب

وكنت أعرف أيضاً أن هناك سبيلاً أفضل من هـذا كله أقصر مدى وأقل تعباً وجهداً . سبيلاً ينتهى بى إلى تخفيف متاعبى وآلامى وينقطع به همومى وأحزانى . فقد كان فى استطاعتى أن أقصر ساعات عذابى بالانتحار ، ولـكن ذكرى المريضـة المقعدة كانت تبعـد عنى هذا الخاطر ، وتجعلنى أبتسم لليأس المميت فى ظل الحياة التعيسة التى أحياها

سدت فى وجهى أبواب الرزق ، وأمى تزداد مرضاً على مرض فلجأت إلى بيع أثاثنا البالى ، فبدأت بالفراش الذى أنام عليـه والـكرسى الذى أجلس فوقه وجميع الأمتعة الحقيرة التى يضمها مسكننا، فنفد ذلك كله وهو مبلغ تافه لا تأثير له فى دفع الشقاء . ومما زاد فى بليتنا أن صاحب المسكن أخذ يطالبنا بتأدية ما تأخر له عندنا من الأجرة التى لا نملك منها شيئاً ، وأمهلنا بذلك ثلاثة أيام وإلا طردنا دون شفقة أو رحمة

طوفت فى هـذه الأيام الثلاثة فى الشوارع ضاوياً متعباً مريض النفس والجسم والفكر ، صفر الـكف ، فلم يفتح على بشىء حتى أعيانى التجوال ، وأرهقنى اليأس ، فرجعت إلى البيت أبكى بدموع غزار

انقضت المهلة المعينة لتنفيذ وعيد ذلك الظالم ، ولم يبق منها سوى ليـلة واحدة لم يغمض لى فيها جفن ولم يرقأ لى دمع . وشعرت آنئذ بجميع ضروب اليأس ، وذقت من الألم أشكالا ، ثم اعترانى بحران عميق ، أصبحت فيه أشبه بالصنم . وعنـد ما انبلج الصبح ولاح لى وجه ذكاء بدا وجه أمى النحيـل الشاحب ، وهى تتنفس تنفسا خافتا ، فانبثق فى لبى خاطر استجبت له : هو لقاء صاحب المسكن واستعطافه علنى أجـد بذلك من الضيق مخرجا . فنهضت متثاقلاً ، وأنا ضـائع الفكر مضطرب البال ، أقرب إلى اليأس من ذلك الغريق الذى يرتجف وسط الخضم وقد تعلق بأوهى الأسباب أملاً فى النجاة .

# البريد الأدبي

## كتاب عن تاريخ الحبشة وبلاد العرب

أصدرت الجمعية الجغرافية الملكية مجلداً جديداً من كتاب « البحر الأحمر والحبشة وبلاد العرب منذ العصر الغابر » Le Mer Rouge L'Abyssinie et L'Arabie depuis L'Antiquité بقلم المسيو « كامرر » ؛ وفي هذا المجلد الجديد مباحث شائقة عن « حرب الفلفل » وعن اكتشافات البرتغاليين البحرية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ؛ ومن المعروف أن هذه الاكتشافات كانت ذات أثر فعال في تطور مركز مصر التجاري ؛ لأنها لبثت عصوراً طريق الهند ، ولبثت ثغورها مهبط هذه التجارة ، فلما اكتشف البرتغاليون طريق الهند تحول قسم عظيم من تجارة الغرب إلى هذه الطريق الجديدة ، وهجرت الطريق القديمة التي كانت تمر بمصر أو الشأم ، ودخل البحارة البرتغاليون الميدان وأنشأوا مراكز تجارية وحربية في موزنبيق وقاليقوط وجوا ومسقط وغيرها ، وغزوا جزائر الهند الشرقية ووصلوا إلى شواطىء الصين ؛ وانتبه سلاطين مصر لهذا الخطر المحدق بموارد بلادهم فتحالفوا مع البندقية على محاربة هذا الخطر لأنه يمس تجارتها أيضاً ؛ ولبثت مصر مدى حين قابضة على مفتاح البحر الأحمر ، ولكن البرتغاليين قبضوا على طريق الهند ، ورأوا من جهة أخرى أن يغزوا البحر الأحمر فتحالفوا مع الحبشة ، وكانت تخشى مصر ؛ وأرسلت بعثة برتغالية إلى بلاط النجاشي ؛ ولكن الحبشة لبثت حذرة من أولئك الأصدقاء الجدد ومن نياتهم

واستمرت المعركة مدى حين على سيادة البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وفي المشرق للاستئثار بغنم السيادة التجارية ، ولعبت

---

وعند ما وصلت قصر صاحب الدار تجلدت وطرقت الباب ففتح لي خادم كنت أجد عنده بعض العطف ، فسهل لي لقاء سيده فدخلت عليه وأنا أرتجف كريشة في مهب الريح

تذللت بين يديه واستعطفته وشرحت له ما أقاسيه من بؤس وهمّ ، واستلهمته ربما تقضى تلك البائسة فهي على أبواب الأبدية ، وكنت أحدثه وهو صامت ساكن لا تطرف عينه ولا يرفع نظره إليّ ، حتى إذا فرغت من شكواي صرخ في وجهي صرخة جافة قاسية ملؤها العنف والقسوة وختمها بأبشع الشتائم وأقبح النعوت

يصبر عزيز النفس على الموت والخطر والعذاب والجوع ، ولكنه لا يصبر على الاهانة والطرد . يهون على أبي النفس كبيرها أن يرمى في أتون ملتهب يشوى جسمه شياً دون أن تلقى عليه نظرة ازدراء أو كلمة اشمئزاز . ومع هذا لم أحرك ساكناً بادئ ذي بدء بل تصاممت عن سماع كلماته المرة عسى أن تهدأ ثورة غضبه ويثوب الى رشده ويرفق بي . ولكنه أعاد الكرة وأمعن في طردي وتحقيري بلهجة تفوق الأولى عظما وهولا ، فكانت كلماته هذه كسهم أصاب مركز الصبر من فؤادي فزقه ، فأحسست أن الدم يتصاعد الى رأسي ، وأن الأرض تدور بي ، ولاح لي طيف أمي وهو ملقى في العراء . فلم أشعر إلا وأنا ممسك بخناقه أضغط عليه بين يدي حتى سقط جثة هامدة

يقولون عني إنني مجرم خطر ، وإني أستحق الموت عبرة لأمثالي ، وما أنا إلا انسان حكمت عليه الظروف القاسية بأقسى أحكامها ، وأراد له أخوه الانسان أن يصبح مجرماً بعد ما تعب واجتهد اجتهاد الأبيّ ليعيش عيشة الكفاف فلم ير قلباً يعطف عليه وينتشله مما هو فيه

هذه قصتي المكتومة أعلنتها . وأحزاني الحبيسة أطلقتها ، فلتحكم عليّ محكمتكم الموقرة بما يمليه ضميرها ويرضاه عدلها

وأخيراً خلت المحكمة للمداولة ، فأجلت البتّ في هذه القضية إلى أسبوع آخر

نعيمة المغربي

منتجات المشرق مثل الفلفل والبهار دوراً فى هذه المعركة ؛ وتخللتها معارك وأحداث بحرية عظيمة ما زالت مضرب الأمثال فى الروعة والشجاعة

ولكتاب مسيو كامرر مزية أخرى ، هى أنه يتتبع تاريخ الآراء والتطورات الجغرافية فى كتابه خلال هذه العصور ؛ وهذه التطوات مشروحة بالخرائط والوثائق الوافية ، وفيها خرائط قديمة كانت سرية لم تعرف فى عصرها ، لأن الخرائط التى كانت توضع عن الطرق البحرية فى ذلك العصر ، كانت كالخرائط الحربية يحرص أصحابها على سرها

وقد زين الكتاب فوق ذلك بعشرات من الصور التاريخية الهامة

## الكاتب الألمانى رودلف شتراتس

نعت إلينا أنباء ألمانيا الأخيرة الكاتب القصصى الألمانى الكبير رودلف شتراتس R. stratz ؛ توفى فى الثالثة والسبعين من عمره فى ضيعته فى « كيم زى » على مقربة من ميونيخ ؛ وبوفاته اختفى كاتب من أخصب وأعظم الكتاب الألمان فى عصر الامبراطورية ، وكان شتراتس مدى الحرب ومن بعدها أيضاً فى طليعة الكتاب الذين يدهشون الجمهور بوفرة إنتاجهم وبراعة ابتكارهم ؛ وقد نشأ شتراتس ضابطاً ، وقضى أعواماً عديدة فى خدمة الجيش ، وكتب أولى قصصه عن حياة الجندية ، وشرح فيها حالة الضباط وأحوال معيشتهم . وكان يدعو دائماً إلى ابتعاد الجيش عن الأحزاب والسياسة ؛ وكان شتراتس يتمتع بمواهب القصصى البارع ، ووفرة فى الخيال ، وهو يصف لنا فى رواياته مدينة برلين وحياتها قبل الحرب وصفاً بديعاً مدهشاً ، وكان يختار دائماً لأبطال قصصه النبلاء وكبار الأغنياء فيصف حياتهم وأحوالهم بدقة مدهشة ، ولم يتخذ قط من بين الطبقات الدنيا أبطالا لقصصه ، ولم يعن بمعالجة المسائل الاجتماعية ولا يتوخى الغايات الاجتماعية ، وإنما كان يكتب قصصاً شائقاً مشجياً مؤثراً فحسب ؛ ولكن ذلك لم يمنع من انتشار كتبه انتشاراً هائلاً حتى إن بعضها طبع مائة مرة . ومن أشهر كتاباته بعد الحرب قصص يصف فيها حالة برلين أيام التضخم النقدى ؛ وقد ساح شتراتس كثيراً ، وظهر أثر سياحاته فى كتبه ، ولكنه كان دائماً فى أعماق نفسه « وطنياً » ألمانياً ، يتجه بالوصف إلى إذكاء الوطنية الألمانية ؛ وأشهر رواياته على الاطلاق هى رواية « هيدلبرج القديمة » Alt Heidelberg ؛ ومن رواياته الشهيرة الأخرى : « مكان فى الشمس » Platz ander Sonne « المعجزة الألمانية » Das Deulsch Wunder « سفينة بلا دفة » Das Schlff ohne Steuer « لو كان العالم مليئاً بالعفاريت ween die Well von Teufel wàre وغيرها وقد بلغت كتبه زهاء ثلثمائة مجلد

## لجنة تفسير معانى القرآن الكريم

أصدرت مشيخة الأزهر قراراً بتأليف لجنة لتفسير القرآن الكريم توطئة لترجمته من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة : الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية رئيساً ، والأستاذ محمد أحمد جاد المولى بك مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف ، والأستاذ على الجارم مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف ، والشيخ مصطفى عبد الرازق والأستاذ أحمد أمين من الجامعة المصرية ، والشيخ ابراهيم حروش شيخ كلية اللغة العربية ، والشيخ أمين الخولى من الجامعة المصرية ، والشيخ على سرور الزنكلونى من كلية أصول الدين ، والشيخ ابراهيم الجبالى من كلية أصول الدين ، والشيخ محمود الغمراوى من كلية اللغة العربية ، والشيخ محمود شلتوت من كلية الشريعة ، والشيخ محمد أحمد العدوى من كلية أصول الدين أعضاء

## استكشاف جبال هملايا

استطاعت البعثة الألمانية التى أوفدت لتسلق جبال هملايا الهندية أن تصل الى أكمة سمفو الواقعة فى شرق كانشن جونجا على ارتفاع أكثر من ٢٣ ألف قدم ، وهى أول مرة يستطيع الانسان أن يصعد اليها ، والبعثة المذكورة مكونة من الدكتور باور البافارى وهو من الاخصائيين فى صعود الجبال ، والهر ڤين والهر هاب ، والهر جنتر ؛ وقد وصلت البعثة الى قلب أراضى نبال منذ أشهر ؛ ووصلت منطقة زعمو الثلجية فى سبتمبر ، ثم انقسمت الى فريقين ؛ فسار الهر ڤين مع بعض الحمالين الى وادى تالونج ، ونفد منه الطعام بعد أيام ، وقضوا نحو يومين بلا طعام قبل أن يصلوا الى المساكن ؛ وكان تقدمهم بطيئاً حتى كانوا

يقطمون فى هذه الهضاب ميلاً واحداً فقط فى اليوم ، ثم تلاقى الفريقان بعد ذلك وسارت البعثة كلها الى سنجيك ، وصعدت الى قمة سيمڤو

وقد اقتنعت الفرقة أن طريق سيمڤو هو أفضل الطرق للصعود الى الآ كام العالية التى لم يتوصل المكتشفون بعد الى ارتيادها ؛ ويزمعون العودة الى الهند فى العام القادم ، وقد سبق أن استطاع الدكتور باور مع بعض زملائه الصعود الى ما دون ثلاثة آلاف قدم من هذه الأكمة الشهيرة ، ولكنه رد بعاصفة من الثلج ، فعاود الكرة فى هذا العام ونجح فى محاولته

## وثيقة مصرية قديمة

اكتشفت أخيراً فى إحدى قرى الفيوم المسماة ارسيم أو مدينة التماسيح وثيقة غريبة تدل على أن العقود الخاصة بأعمال الصبيان موجودة من أقدم العصور ؛ وقد استطاع الأستاذ فولزن العلامة الدانمركى أن يقف على محتويات هذه الوثيقة فاذا فيها ما يأتى :

« يشهد تريفون بأن ولده القاصر تيونيس قد عين صبياً لمدة سنة من تاريخه عند تولوماتوس النساج »

وسوف يتعلم الصبى طول مدة العقد من أستاذه كل أصول حرفة النسج ، ويتقاضى فوق ذلك كل شهر خمسة دراهم مقابل الكسوة ، وفى آخر العام يتقاضى ١٢ درهما

وفى مقابل ذلك يدفع والد تيونيس إلى الحكومة ضريبة الأحداث عن ولده ، ويجب عليه أن يدفع عن كل يوم يتغيب فيه الغلام درهما بصفة غرامة ، وفى حالة فسخ العهد يجب عليه أن يدفع مائة لخزينة الدولة ؛ وإذا لم يقم المعلم تولوماتوس بتعليم الغلام كما يجب ، فانه يدفع مثل هذا القدر للخزينة

## جواهر الطيب المفردة ليوحنا بن ماسويه

احتفل المجمع العلمى المصرى بافتتاح جلساته لعامى ١٩٣٦ و١٩٣٧ فألقى القس بولس سباط محاضرة عن كتاب « جواهر الطيب المفردة » ليوحنا بن ماسويه العالم النصرانى الكبير ، والطبيب الشهير الذى عاش فى القرن التاسع ، وكان رئيس دار الحكمة التى أنشأها الخليفة المأمون ببغداد سنة ٨٣٠

وفى هذا الكتاب النفيس وصف ابن ماسويه جواهر الطيب المفردة وذكر أسماءها وموادها وأنواعها وخواصها وفوائدها بالنظر إلى الطب والعطارة وقسمها قسمين : الأصول ، والأفاويه ، وقال : إن الأصول خمسة : المسك والعنبر والعود والكافور والزعفران ، وأن الأفاويه أربعة وعشرون : السنبل والقرنفل والصندل والجوزبوا والبسباس والورد والفلنجة والزرنب والقرفة والهرنوة والقاقلة والكبابة والهال بوا وحب البلسم والفاغرة والمحلب والورس والقسط والأظفار والبنك والضرو واللاذن والميعة والقنبيل

ولهذا الكتاب مخطوطان : أحدهما محفوظ فى دار الكتب بمدينة ليبسيك بألمانيا ، والآخر عثر عليه القس بولس سباط فى مدينة حلب سنة ١٩٣٣ نسخة الأرخيدياكون يوحنا بن عبد المسيح الانطاكى بمدينة حلب سنة ١٥٦٣

وقد اهتم القس بولس سباط بتنقيح هذا السفر الجليل والتعليق عليه ، وإضافة فهارس علمية له وسينشره المجمع العلمى المصرى فى مجلته لهذا العام

## الحركة الفكرية العنصرية فى ألمانيا

تمضى ألمانيا الجديدة فى سياستها العنصرية إلى النهاية ؛ وآخر ما قررته فى هذا السبيل القضاء على الآثار والمؤلفات الفقهية اليهودية . ومن المعروف أن أعظم الآثار القانونية الألمانية كتبها اليهود الألمان ولا زالت إلى اليوم مرجع البحث فى ألمانيا ، ولكن الدكتور فرنك رئيس الجمعية القانونية الألمانية أصدر أمره إلى جميع المكاتب العامة ودور البحث أن تستبعد جميع المؤلفات اليهودية فى القوانين الألمانية ، كما أصدر أمره إلى جميع الناشرين بألا يعيدوا طبع شىء من هذه المؤلفات أسوة بالامتناع عن نشر المؤلفات الجديدة التى يضعها اليهود ، وبذلك لا يمضى طويل حتى تختفى هذه الآثار اليهودية من الأدب القانونى الألمانى

ويرى الدكتور فرنك أنه يجب على العنصر الألمانى أن يبدأ عصراً جديداً فى التأليف القانونى ، وأن الذهن الآرى يجب عليه أن يعرب عن عبقريته ونقائه فى هذه المؤلفات

# الكتب

## موسى بن ميمون

### حياته ومصنفاته

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون

بقلم الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

هنالك كتب تقرأ لموضوعها وأخرى لأصحابها ؛ وكأن منظمي المكتبات العامة أدركوا هذا المعنى تماماً فأعدوا طائفتين متميزتين من الفهارس : إحداهما للمادة والأخرى للمؤلفين ؛ والكتاب الذى نحن بصدده يجذب القراء بموضوعه وبما يبذله مؤلفه من وسائل فى سبيل نشره . فهو يدرس أولاً أعظم شخصية بين مفكرى اليهود فى القرون الوسطى ، ومن ذا الذى لا يرغب فى أن يعرف شيئاً عن ابن ميمون بعد ذلك الحفل العظيم الذى أقيم فى العام الماضى تخليداً لذكراه المئوية الثامنة ؟ وأعتقد أن هذا الحفل نجح نجاحاً كبيراً ؛ فقد وجه الباحثين إلى دراسته وتعريف الناس به ، وأضحت شخصيته بعده شعبية إلى حد ما ، ولو لم يكن من آثاره إلا كتاب اليوم لكفى . وعلنا نحتذى هذه السنة الصالحة ونخلد ذكرى فلاسفة الشرق وعلمائه الآخرين كى نبعثهم من مرقدهم وننشر تراثهم ونلفت الأنظار إليهم ونحلهم فى المحل اللائق بهم . وفوق هذا فى الدكتور ولفنسون نشاط يغبط عليه ؛ وليس نشاطه فى التحدث عن كتبه بأقل من نشاطه فى جمعها وتأليفها ، ولا تكاد تلقاه إلا ويحدثك عن أبحاثه الماضية ومؤلفاته الحاضرة ومشروعاته المستقبلة ؛ وإذا ما ظهر له فى عالم التأليف كتاب خيل إليك أنك تلمح باستمرار على وجهه السؤال الآتى : هل قرأت كتابى ؟ ولسنا ندرى ماذا كان يصنع لو قدر له أن يشتغل بالأعمال المالية والشؤون الاقتصادية ! يغلب على ظننا أنه ما كان يُبارى فى هذا المضمار !

ولسنا فى حاجة لأن نؤكد للدكتور ولفنسون أنا قرأنا كتابه الأخير ؛ فهو يعلم أنا عُنينا به وهو لا يزال فى مهده ، وقمنا بعض الشىء على تنشئته وتكوينه ، وقد ناقشناه غير مرة فى طريقته وأسلوبه وموضوعه ومصادره ؛ وها نحن أولاء مسرورون بظهوره فى ثوبه الحاضر سروراً مزدوجاً ، فيسرنا منه ما فيه من أبحاث قيمة أضافت إلى اللغة العربية ثروة طائلة ، ونغتبط بأن نرى فيه زهرة يانعة شهدنا من قبل ساعة تفتحها وتابعنا أدوار نموها وكمالها . وإذا كنا قد أسررنا بالأمس إلى الدكتور ولفنسون بما لاحظنا على مخطوطته ، فنحن اليوم فى حل من أن نعلن إلى قرائه ما خلفه كتابه فى نفسنا من أثر ؛ والأبحاث العقلية وقف على أصحابها ما لم ينشروها ؛ فان نشرت أصبحت ملكا للانسانية جمعاء

يشتمل كتاب موسى بن ميمون على تصدير ، وأربعة أبواب وفهرس بأسماء المصادر العربية والعبرية والافرنجية . فى التصدير يبين المؤلف الأسباب التى دفعته إلى وضع كتابه ، والطريق الذى سلكه ، والصعوبات التى صادفته ، ويلخص النتائج التى انتهى إليها ؛ وفى الباب الأول يدرس حياة ابن ميمون ويأتى على الظروف المختلفة التى أثرت فى نشأته وتكوين آرائه ، ويعرض فى إسهاب لمشكلة إسلامه مدلياً فيها بأقوال المؤرخين السابقين ومناقشاً لها مناقشة طويلة . وهذا الباب حافل بالمعلومات يدل على اطلاع واسع وبحث مستفيض ، إلا أنه لم يرتب ترتيباً كافياً . وقد عنى فيه بجمع الحقائق وسردها أكثر مما عنى بطريقة عرضها وربط بعضها ببعض . وكنا نود أن يرجع المؤلف العوامل التى أثرت فى حياة ابن ميمون إلى نقط رئيسية يأتى عليها الواحدة بعد الأخرى . نحن لا ننكر أن ملخصه الجامع الذى صدَّر به كل باب من أبوابه حدد بحثه بعض الشىء ؛ ولكن كنا نفضل أن يَقْسم هذه الأبواب إلى فقرات يُعَنْوِن لكل واحدة منها بعنوان خاص ، كما صنع فى مشكلة إسلام ابن ميمون مثلاً (١)

(١) موسى بن ميمون ، ص ٢٧

وهذه الفقرات فى جملتها لا تخرج عن الملخصات الآنفة الذكر . وقد وقف المؤلف على إسلام أسرة ابن ميمون ١٤ صفحة كاملة ؛ وهـذا الموضوع هام حقاً وجدير بهذه العناية . غير أنا لا نكاد نجد فيـه جديداً ؛ ذلك لأن المؤلف شُغِل بجمع ونقل آراء الباحثين السابقين دون أن يرجح واحداً منها على آخر ترجيحاً واضحاً . والواقع أن هذه المسألة درست من قبل دراسة موسعة ، فلم يرَ صاحب كتاب موسى بن ميمون بداً من أن ينقـل آراء من سبقوه ويعول عليها التعويل كله حتى فى مناقشة النصوص التى عرض لهـا . ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه قد يسهب أحياناً فى سرد هـذه النصوص وينقل منها ما يجاوز بحثـه ويناقشها مناقشة سطحية . ونعتقد أنه كان فى مقدوره ، وهو ذو خبرة لغوية واسعة أن يشرح النصوص العربية شرحا أضبط ، ويستكمل ما فات المستشرقين السابقين

وفى الباب الثانى الذى هو أصغر أبواب الـكتاب درست مؤلفات ابن ميمون الدينية . وهذا الباب واضح فى جملته ومحتو على ملاحظات ونقد لا بأس به ، وما اتصل فيـه بتثنية التوراة والتلمود جيد للغاية . ولا غرو فالمؤلف حين يدرس الفقه والتشريع الاسرائيلى إنما يتكلم عن خبرة تامة ومعرفة حق ؛ فهنا يبدو بجلاء اختصاصه وتمـكنه من مادته . هـذا إلى أنه أحسن اختيار ما قدمه ؛ فلم يشغل القارىء العربى بتفاصيل جزئية عن الديانة اليهودية قد لا تعنيه كثيراً معرفتها .

والآن ننتقل إلى الباب الثالث الذى هو عمدة الـكتاب وأكبر أبوابه ، وقد عنون له المؤلف كالآتى : « فلسفة موسى بن ميمون ومصنفه دلالة الحائرين »[1] . ويخيل إلينا أنه كان الأولى أن يكون عنوانه كما يلى : « دلالة الحائرين وما يحوى من آراء فلسفية ودينية » . فالمؤلف لم يشرح فى هذا الباب فلسفة ابن ميمون شرحاً نظرياً وتاريخياً منظماً ؛ وإنما جعل كل همه أن يلخص كتاب دلالة الحائرين وينقل أهم ما جاء فيـه من آراء وأفـكار ، ويعطى فـكرة عامة عن تاريخ تأليفه والأدوار التى مر بها منـذ ابن ميمون إلى اليوم ، ويبين أثره فى العالم الغربى والشرقى . ولئن فاته أن يدرس فلسفة ابن ميمون الدرس اللائق بها لقد وفق توفيقاً كبيراً فى تلخيص كتابه دلالة الحائرين ، ونستطيع أن نقرر أن هذا الملخص الذى يقع فى نحو خمسين صفحة قد يغنى عن قراءة أجزاء دلالة الحائرين الثلاثة . ولم يلخص المؤلف هـذا الـكتاب بالمعنى ، بل ترك ابن ميمون يعبر فى أغلب الأحايين عن آرائه بنفسه . وفى هذا ما يسمح للقارئ أن يتصل اتصالا مباشراً بالفيلسوف المترجم له . ويجدر بنا أن نلاحظ أنا فى حاجة ماسة إلى طبع دلالة الحائرين بحروف عربية . ففى انتظار هـذه الطبعة المنشودة قدم لنا الدكتور ولفنسون فصولا ممتعـة من كتاب عربى هام كتب بالعربية دون أن يعرفه كثير من أبنائها . وكل ما يؤخذ على هذا الملخص نقص فى الترتيب وربط المسائل بعضها ببعض أحيانا ، أو قصور فى عرض بعض النقط أحيانا أخرى . ففى صفحة ٥٨ يحكم المؤلف مثلا على الترجمات العربية حكما غير مبنى على أساس صحيح ، ويشير إشارة ناقصة إلى أثر الفلسفة الاسلامية فى الفلسفة اليهودية . وكنا نتوقع أن يعير هذه المسألة ما تستحق من أهمية ، ولاسيما وهو يدرس شخصية يبدو فيها الأثر الاسلامى بشكل واضح . والتاريخ والواقع يشهدان بأن الفلسفة اليهودية فى جملتها ليست إلا امتداداً للفلسفة الاسلامية . وفى صفحة ١٢١ يتكلم عن أسلوب ابن ميمون ؛ وفى رأينا أنه كان ينبغى أن يقدم هذه النقطة ويبدأ بها قبل الدخول فى تفاصيل كتاب دلالة الحائرين ؛ على أن المؤلف فاته أن يشير إلى جلاء ابن ميمون ، ووضوح لغته ، وعنايته بتوصيل المعنى إلى القارىء ، وطريقته المنطقية البرهانية فى المناقشة والتعليل

وفى الباب الرابع والأخير يدرس المؤلف كتب ابن ميمون الطبية . وهذه تكملة لا بد منها ؛ فابن ميمون فوق تشريعه وفلسفته كان طبيباً يشار اليه بالبنان فى علمه وعمله ، وقد خلف كتباً طبية عديدة استفاد منها الشرق والغرب أثناء القرون الوسطى . وقد نجح المؤلف فى التعريف عنها ، وعرض نماذج من موضوعاتها ؛ وإن كان قد فاته أن يبين فى وضوح الصلة بينها وبين المؤلفات الطبية العربية الأخرى المعاصرة لهـا أو السابقة عليها . ولعل هذه الدراسة ألصق بكتاب طبى منهـا ببحث تاريخى

وفى الفهرس نرى مجموعة طيبة من المراجع القديمة والحديثة العربية والعبرية والافرنجية التى تتصل بحياة ابن ميمون وآرائه ومؤلفاته . ويا ليت المؤلف أضاف اليها بعض الملاحظات النقدية

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٧

# العالم المسرحي والسينمائي

## أدب السيناريو

**صورة جديدة من الأدب أوجدها الفيلم الناطق**

لناقد «الرسالة» الفني

---

ظل الأدباء حتى السنين الأخيرة لا يعرفون الفنون والآداب إلا فى صورها القديمة من الشعر والنثر الفنى والقصص التمثيلى وغير التمثيلى . وظهرت صورة جديدة من الأدب فى القصة القصيرة ، وهى على رغم انتشارها وذيوعها ليست جديدة وإنما هى صورة مصغَّرة من القصة الطويلة ، أو هى قصة ملخصة تلخيصاً حكيما

واخترعت السينما الناطقة فرأينا القصص تعرض على اللوحات ولم يؤثر هذا الاختراع أى تأثير فى العالم الأدبى حتى ظهرت السينما الناطقة فسمعنا الممثلين ينطقون بحوار فنى وضعه المؤلفون من أكبر رجال الأدب والفن فى العالم

بعض هذه القصص بما تحوى من حوار مقتبس عن قصص معروفة ، ولكنه يظهر فى صورة خاصة وترتيب فنى جديد لم يألفه الناس وعرف بالسيناريو

والسيناريو كلمة أطلقها رجال السينما على القصة السينمائية فى وضعها الخاص الذى يعاون المصور والمدير الفنى ومساعديه على القيام بمهمتهم فى سبيل إخراج فيلم من الأفلام

ظلت هذه الصورة الجديدة لا يعرفها الناس وكأنها سر من الأسرار ، وكان المتلهفون على المجلات السينمائية وكتب السينما يعرفون القليل عنها من أمثال بسيطة يضربها المؤلفون والكتاب فى بعض ما يكتبون ، حتى جازفت إحدى دور النشر فى أوربا وقامت بطبع أكثر من سيناريو فكان هذا العمل الجرىء هو الباعث على ظهور هذه الصورة الجديدة من الأدب

أقبل الناس على قراءة هذه الكتب للتسلية والدرس ،

---

التى تبين قيمتها العلمية وما احتوت من أبحاث مفيدة . وعلى كل فهذا الفهرس ثمرة من ثمرات اطلاعه الواسع ، وأداة صالحة من أدوات البحث والدراسة . وسيجد فيه القراء والمطلعون نبراساً يستضيئون به فى ظلمات القرون الوسطى ، وهاديا يرشدهم إن أرادوا التوسع فى بعض النقط التاريخية والفلسفية

هذا هو كتاب موسى بن ميمون فى محتوياته . وأما أسلوبه فمقبول فى جملته ، وإن أعوزه شىء من العناية والدقة . وأما مصادره — على الرغم من تعددها وحسن اختيارها — فلم تستخدم استخداماً كافيا . ونعتقد أنه لو كان المؤلف قد تريث أكثر فى دراستها ، ودقق أطول فى قراءتها ، لأخرج لنا عن ابن ميمون بحثاً أشمل وأوسع

ومهما يكن من اعتراض يمكن أن يوجه إلى كتابه فإنا لا نتردد مطلقا فى أن نقرر أنه ضم إلى سلسلة أعماله المتواصلة حلقة ذهبية ناصعة . وهو من غير شك ، كما قرر فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق فى المقدمة التى قدم له بها « ثمرة جهد كبير فى الاطلاع على مراجع مختلفة فى لغات شتى [1] » وإذا لاحظنا أنه يدرس شخصية جليلة من كبار المفكرين الذين تربوا فوق أرض الاسلام وتحت سمائه أكبرنا ماله من قيمة ؛ وسيستعين به أصدقاء الفلسفة الاسلامية وطلابها على تفهم كثير من الآراء والأفكار العربية . وأملنا كبير فى أن ينحفنا الدكتور ولفنسون وهو مؤرخ استكمل وسائل البحث التاريخى ، بمؤلفات أخرى تكشف الغطاء عن فلسفة القرون الوسطى اليهودية

ابراهيم مدكور

(١) المصدر نفسه

وهناك من المؤلفين والكتاب من كانت لديهم الموضوعات التى تصلح وتليق بأكبر الأفلام ، ولكن جهلهم بشؤون السينما وعدم تمكنهم من التفصيلات كثيرا ما صرفهم عن السير فى هذا السبيل ، فظهور هذه المطبوعات أفادهم فائدة كبيرة ، فهى فى الحقيقة شرح تفصيلى عملى يمكنهم من فهم السيناريو وطريقة وضعه

وليست فائدة هذه المطبوعات قاصرة على هذا وحده ، فقارئ السيناريو يجد لذة كبيرة فى تلاوة قصة سبق له أن شاهدها على ستار السينما

قرأت أكثر من كتاب واحد مما أخرج ، وأقرر أننى وجدت تسلية كبيرة فيما قرأت ، وخرجت بفائدة لم أكن أحلم بها ، فقد جعلتنى أفهم السينما على حقيقتها وأعرف دقائقها تمام المعرفة إذ وجدت تطبيقا عملياً على كل ما قرأت من الكتب الخاصة بالسينما وأحوالها

فهذه الصورة الجديدة من الأدب تدين بخلقها الى الفلم الناطق ، وأنا زعيم بأن الأدباء سوف يجدون فى هذه الصورة ما يرضى ميولهم ويدفعهم الى تأليف السيناريو . ولقد كتب المؤلفون قصصاً تمثيلية وقاموا بطبعها قبل أن يعرضوها على الفرق التمثيلية ووجدت من الرواج والاقبال ما يعوض على الكاتب مجهوده ؛ وأعتقد أننا سوف نرى فى القريب من المؤلفين من يقوم بطبع « سيناريو » قبل أن تقوم شركة من الشركات باخراجه ، وسوف يقبل الناس على تلاوته بدافع اللذة والتسلية

وهكذا يضيف الفلم الناطق صورة جديدة الى الآداب والفنون

يوسف

## فى الفرقة القومية

تأكدت لدينا استقالة الأستاذ زكى طليمات من الفرقة القومية المصرية فهو قد قدم فعلاً استقالة إلى الأستاذ خليل بك مطران مدير الفرقة ، وسوف تعرض على لجنة ترقية المسرح المصرى فى أول اجتماع لها ، وقد كان من المنتظر أن تعقد اللجنة اجتماعاً فى تمام الخامسة بعد ظهر يوم الأربعاء الماضى ولكنه أجل لتغيب معالى رئيس اللجنة حافظ عفيفى باشا فى الأسكندرية

وقد رفع الأستاذ طليمات أيضاً إلى معالى وزير المعارف التماساً يرجو فيه إلغاء انتدابه فى الفرقة القومية المصرية

ولسنا ندرى حقيقة الأسباب التى دفعت الأستاذ طليمات إلى تطليق المسرح والفرقة القومية التى طالما تمنى قيامها وعمل كثيراً فى سبيل إنشائها ، فالاشاعات كثيرة : منها أن هنالك من يضع فى طريقه العقبات وأن بين رجال الفرقة من يعمل على الحد من السلطة التى كانت له فى الموسم الماضى ويذكرون مسائل معينة للتدليل على صحة ما يقولون

والسبب المباشر فى استقالته أنه تقرر سحب رواية الجريمة والعقاب التى نقلها إلى العربية الدكتور الشاعر ابراهيم ناجى والمثل فتوح نشاطى بعد أن استعد لها وأتم دراستها واختار لنفسه أحد أدوارها ، وقد عهد باخراج هذه الرواية إلى الأستاذ عزيز عيد ، وكان الدور الذى اختاره الأستاذ طليمات لنفسه من نصيب الأستاذ حسين رياض

وقد يرى القارىء الملم بالوسط المسرحى المصرى أن هذا التصرف عادى فى الفرق ولهذا فان دهشتهم لتقديم الاستقالة كانت كبيرة ، ولكن المتصلين بالأستاذ طليمات يقولون إن هذا الحادث هو القشة التى قصمت ظهر البعير

ونحن يسوؤنا جدا أن تنتهى المسألة بهذه النتيجة المؤلمة ، ونحن نأسف جد الأسف على خروجه من الوسط المسرحى ونعد اعتزاله خسارة كبيرة فهو المخرج الوحيد فى مصر الذى درس فن الاخراج والتمثيل فى أوربا دراسة تهيئه لأن يتولى هذه المهمة فى مصر ، وهو إلى جانب هذا أديب مطلع لا نجد بين المثلين أكثر من اثنين فى مثل اطلاعه وإخلاصه للفن

والمسرح المصرى فى هذه الفترة فى حاجة إلى توحيد الجهود لاقالته من عثرته . وخروج الأستاذ طليمات يضعف من الجهود التى تبذلها اللجنة ورجالها المحترمون . ونحن نرجو مخلصين أن يعدل الأستاذ طليمات عن هذه الاستقالة ، وأن تمهد له اللجنة الطريق إلى سحبها بأن تزيل ما فى النفوس من الصغائر التى تفسد الجو المسرحى ، كما نرجو ألا يوافق معالى وزير المعارف وسعادة وكيل الوزارة الأستاذ العشماوى بك على إلغاء انتدابه

يوسف

4 me Année, No. 176

Lundi - 16 - 11 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٧٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ رمضان سنة ١٣٥٥ — ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة



فهرس العـــــدد

صفحة



مشروع خطير

## تطعيم الأدب العربى

كانت اللغة العربية فى عصر من عصورها مجمع الثقافات ، وملتقى المدنيات ، ومنتهى الألسن ؛ وكان الأدب العربى فى حدود مراميه التعبيرَ العام عن خوالج الإنسانية فى أكثر بقاع الأرض ، لأن الإسلام الذى جمع قلوب الأمم على قرآنه ، جمع ألسنتهم على لسانه ، فلم تكن هناك فكرة تجول فى ذهن كاتب ، ولا صورة تتمثل فى خاطر شاعر ، إلا وجدت فى هذا الخضم المحيط صدفة تستقر فيها . فلما تحولت عن مذاهبه الأنهار ، وجفّت على جوانبه الروافد ، عاد كالبحيرة المحدودة الراكدة ، لا يمدها إلا قطرات المطر ودفعات السيل فى الحين بعد الحين . فإذا أردنا لأدبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس : نرفده بآداب الأمم الأجنبية ، ونطعّمه بأنواع الفنون الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة ، ونخلى بينه وبين الحرية ليزدهر وينتشر ويساهم الآداب العالمية فى تبليغ رسالة الجمال والخير والحق .

ذلك كلام يدخل فى بدائه العقل لوضوحه ، ويجرى فى قوانين الطبع لضرورته ؛ فإذا عدنا إليه فإنما نعود لنحتال فى تنفيذه لا لناح فى تعزيزه . وقد رغبنا إلى الحكومة فى عدد مضى أن تنشىء داراً للترجمة تنقل آداب الأمم الكبرى نقلاً صحيحاً ، ثم تنشرها كما تنشر دار الكتب الأسفار العربية القديمة ؛ والأمر فى ذاته قريب المنال قليل المؤونة ، ولكن رغبة الفرد إلى الحكومة تكون فى الغالب أملا يتنفس به الصدر ولا يتعلق به صدق ولا ظفر . رغبنا إلى الحكومة هذه الرغبة اليائسة وما كنا نعلم أن ترجمة الآداب الغربية على خطة مرسومة هى مشروع فى لجنة التأليف والترجمة والنشر قد أنضجت له الرأى ووجَّهت إليه العزيمة . ولجنة التأليف والترجمة والنشر فرقة من فرق الجنود المجهولة ، تجاهد فى صمت ، وتكابد فى صبر ، وتبذل فى إيثار . وقد طوت فى جهاد الجهالة اثنتين وعشرين سنة فلم تنخزل عن صعوبة ، ولم تنهزم عن تضحية ، ولا تزال تضطلع وحدها بحماية الكتاب وقد غلبه على مكانه الطفيليات العابثة من المجلات الهازلة والنشرات الهزيلة

تريد لجنة التأليف والترجمة والنشر أن تنقل إلى العربية آداب اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية ، كل أدب منها فى عام . وستنتقى لكل أدب عشرة أو أكثر من أعلام المترجمين الذين حذقوا أدب اللسانين المترجِم والمترجَم فى دقة فهم وجمال صياغة . ثم تجعل مع هؤلاء أديباً من أهل اللسان الأوربى يتولى اختيار الكتب الخالدة لكل كاتب أو شاعر ، ثم يكون مرجعاً للمترجمين فيما عسى أن يغمض عليهم من خفايا الكنايات وأسرار الجمل ؛ فاذا خرج الكتاب من الترجمة والمراجعة انتهى إلى أستاذين من أساتذة البيان العربى فيصقلان أسلوبه ويهذبان لفظه ؛ ثم تنشر مطبعة اللجنة هذه الكتب تباعاً على غرار واحد وشكل رائق وتصحيح دقيق . واللجنة تهيئ الأسباب لتبدأ عما قريب فى إخراج الأدب الانجليزى ، حتى إذا فرغت منه اشتغلت بغيره . والتعليق على مثل هذا المجهود الخطير المعجز لا يكون بغير الدعاء إلى الله أن يقرن العمل بالتوفيق ويقطع الأمل بالفوز . وليس بعد الله من يعين على هذا الجهد إلا الحكومة . فان الجمهور القارىء فى مصر وفى غير مصر قليل ، وأكثر هذا القليل يكاد لا يعرف طريق المكتبة ولا يألف صحبة الكتاب . فترك اللجنة إلى أهواء القراء معناه حبس أموالها القليلة فى المخازن والمكاتب فلا تقلبها فى تأليف ولا نشر ؛ والحكومة التى تساعد المدارس والجامع والصحف ، وتعول المجمع اللغوى ودار التمثيل ودار الكتب ، لا تستطيع أن تضن بالمساعدة السخية على هذا المشروع الضخم تقوم به صفوة من أقطاب الثقافة فى هذا البلد وقد كان من واجباتها الأولى أن تفكر فيه وتنهض به

***

ولقد كان من فضل الله على (الرسالة) أن تحمل عِبْئها من هذا العمل الجليل المثمر ، فقد أمضت النية على أن تصدر بجانبها أختها (الرواية) وهى مجلة أسبوعية تعتمد على نقل ما راع وخلد من بدائع الأدب الغربى فى القَصص على أوسع معانيه من الأقاصيص والروايات والمذكرات والاعترافات والرحلات والسير . وسيكون شعار (الرواية) الجمال فى الأسلوب ، والحسن فى الاختيار ، والنبل فى الغرض ؛ فترضى الذوق كما ترضى (الرسالة) العقل ، وترفع القصة كما ترفع (الرسالة) المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل (الرسالة) أدب العرب .

ولا جرم أن الأدب العربى سيكون له فى كل عام مما تنتجه (اللجنة) وتترجمه (الرواية) وتنقله الصحف الأخرى ، مورد ثَرُّ الينابيع ، فياض الجوانب ، من العبقريات الممتازة والقرائح السمحة ، يحيى مواته ، ويُزكى نباته ، ويجعل من سهوبه الفيح جناناً ناضرة ، فيها متاع الأذن بالتغريد والشدو ، ولذة العين بالرّواء والبهجة ، وشهوة النفس بالزكاء والعطر ، وسعادة العالم بالسلام والوئام والمحبة

احمد حسن الزيات

# ٣ ـ القلب المسكين

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما صاحب القلب المسكين فرَمَقها وهي تلتفت إليه التفات الظبية بسواد عينيها بجمل سوادها الجميل في النظرة الواحدة نظرتين لعاشق الجمال، تقول إحداهما: أنت، وتقول الأخرى: أنا؛ ثم أراها وقد كسرَت أجفانها وتفترتْ في يدي الممثل المشيق وأفصح منظرها ببلاغة... ببلاغة جسم المرأة المحبوبة بين ذراعيْ من تحبه؛ ثم اختـلجت وصوَّبتْ وجهها، وأهدَفَت شفتيها؛ وتلقَّت القبلة

وكان به منها ما الله عليم به، فانبعثت من صدره آهةٌ مُعولةٌ تئن أنيناً، غير أنها كلمته بعينيها أنها تقبله هو؛ فلا ريب قد حملت اليه إحدى النسمات شيئاً جميلاً عن ذلك الفم لمست به النفسُ النفس، والقبلة هي هي ولـكن وقع خطأ في طريقة إرسالها...

ليس تحت الخيال شيء موجود، ولـكنَّ الخيال المتسرِّح بين الحبيبين تكون فيه أشياء كثيرة واجبة الوجود، إذ هو بطبيعته مجرى أحلام من فكر إلى فكر، ومسرحُ شعور يصدر ويرد بين القلبين في حياة كاملة الاحساس متجاوبة المعاني. وبهذا الخيال يكون مع القلبين المتحابَّين روحٌ طبيعيٌ كأنه قلب ثالث ينقل للواحد عن الآخر، ويصل السرَّ بالسر، ويزيد في الأشياء وينقص منها، ويدخل في غير الحقيق فيجعله أكثر من الحقيق. ومن هنا لم يكن فرح ولا حزن، ولا أمل ولا يأس، ولا سعادة ولا شقاء، إلا وكل ذلك مضاعف للمحب الصادق الحب بقدر قلبين؛ والذين يعرفون قُبلة الشغف والهوى يعرفون أن العاشق يقبّل بلذة اربع شفاه

* * *

وانسدلت بعد هذه القبلة ستارة المسرح، وغابت الجميلة المشوقة غيبة التمثيل فقلت لصاحب القلب المسكين: إن روحيكما متزوجتان... قال: آه، ومدَّها من قلبه كأنه دَنِفٌ سقيم

قلت: وماذا بعد آه؟

قال: وماذا كان قبلها؟ إنه الحب فيه مثل ما في (عملية جراحية) من تنهدات الألم ولذعاته، غير أنها مفرقة على الأوقات والأسباب مبعثرة غير مجموعة. «آه»: هـذه هي الـكلمة التي لا تفرغ منها القلوب الانسانية، وهي تقال بلهفة واحدة في المصيبة الداهمة، والألم البالغ، والمرض المدنف، والحب الشديد. فحينما توشك النفس أن تختنق تتنفس «بآه»

قلت: أما رأيتها مرة وقد أوشكت نفسها أن تختنق...؟

قال: لقد هِجتْ لي داءً قديماً؛ إن لهذه الحبيبة ساعات مغروسة في زمني غرس الشجر، فبين الحين والحين تثمر هـذه الساعات مرها وحلوها في نفسي كما يثمر الشجر المختلف؛ ولقد رأيتها ذات مرة في ساعة همها؛ ثم ضحك وسكت

قلت: ياعدوَّ نفسه! ماذا رأيت منها؟ وكيف أراك الوجدُ ما رأيتَ منها؟

قال: أتصدّقني؟ قلت: نعم.

قال: رأيت الهمَّ على وجه هـذه الجميلة كأنه همٌّ مؤنَّث بمشقه همٌّ مذكر... فله جمال ودلال وفتنة وجاذبية، وكأن وجهها يصنع من حزنها حزنين: أحدهما يعني الهم لقلبها والآخر يعني الثورة لقلبي.

قلت: ياعدو نفسه هذا كلام آخر؛ فهذه امرأة ناعمةٌ بضَّةٌ مطوي بعضُها على بعضها، لَفَّاء من جهة هَيفاء من جهة، ثقيلةُ شيءٍ وخفيفةُ شيءٍ، جمعت الحسنَ والجسم وفناً بارعاً في هذا وفناً مُفرداً في ذاك، وهي جميلةٌ كلَّما تتأمل منها، ساحرةٌ كلَّ ما تتخيل فيها، وهي مزَّاحة دَحْداحةٌ[1] وهي تطالعك وتطمعك، وأنت امرُؤٌ عاشق ورجل قويٌّ الرجولة؛ فالجميلة والمرأة هما لك في هـذا الجسم الواحد، إن ذهبتَ تفصلهما في خيالك امتزجتا في دمك؛ ولو أمسكتْ آلةُ التصوير نظراتك إليها لبانت فيها أطرافُ اللهب الأحمر ممـا في نفسك منها. ولعَمري لو مرت عربة تَدْرجُ في الطريق ونظرتَ إليها نظرتك لهذه المرأة بهذه الغريزة المحتَبَسة المـكفوفة[2] لظننتك

(١) هذه كلمة استعملها بعض المولدين في معنى الظريفة (المدردحة) وليس كذلك معناها في اللغة، ولـكن الاستعمال صحيح عندنا واللغة لاتأباه

(٢) يستعمل الـكتاب في هـذا المعنى لفظ (المـكبوتة) وهو تعبير ضعيف والأفصح ماذكرنا هنا

سترى العجلة الخلفية عاشقاً مهتاجاً يطارد العجلة الأمامية وهى تفر منه فرار العذراء . . .

***

فضحك وقال : لا ، لا . إن نوع التصوير لأنسان هو نوع المعرفة لهذا الانسان ، ومن كل حبيب وحبيبة تجتمع مقدمة ونتيجة بينهما تلازم فى المعنى ؛ والمقدمة عندى أن إبليس هنا فى غير إبليسيته ، فلا يمكن أن تكون النتيجةُ وضعَه فى إبليسيته . وما أتصور فى هذه الجميلة إلا الفنَّ الذى أسبغه الجمال عليها ، فهى فى معرفتى وخيالى كالتمثال المبدَع بداعة لا يستطيع أن يعمل عملاً إلا إظهارَ شكله الجميل التام حافلاً بمعانيه .

ليست هذه المرأة هى الأولى ولا الثانية ولا الثالثة فيمن أحببت ؛ إنها تكرار وإيضاح وتكملة لشىء لا يكمل أبداً ، هو هذه المعانى النسوية الجميلة التى يزيد الشيطانُ فيها من عشق كل عاشق . إن بطن المرأة بلد ، ووجه المرأة بلد

قلت : هذا إن كان وجهها كوجه صاحبتك ، ولكن ما بال الدميمة ؟

قال : لا هذا وجهٌ عاقر ...

***

قلت : ولكن الخطأ فى فلسفتك هذه أنك تنظر إلى المرأة نظرةً عملية تريد أن تعمل ثم تمنعها أن تعمل ؛ فتأتى فلسفتك بعيدة من الفلسفة ، وكأنك تغذو المعدةَ الجائعة برائحة الخبز فقط

قال : نعم هذا خطأ ، ولكنه الخطأ الذى يخرج الحقائق الخيالية من هذا الجمال ؛ فاذا سخرتَ من الحقيقة المادية بأسلوب فبهذا الأسلوب عينه تثبت الحقيقة نفسها فى شكل آخر قد يكون أجمل من شكلها الأول

أتعلم كيف كانت نظرتى الى نور القمر على هذه والى حسن هذه على القمر ؟ إن القمر كان يُنسينى بشريَّتَها فأراها متممة له كأنه ينظر وجهه فى مرآة ، فهى خيال وجهه ؛ وكانت هى تُنسينى مادية القمر فأراه متمماً لها كأنه خيال وجهها

أتدرى ما نظرةُ الحب ؟ إن فى هذا القلب الانسانى شرارةً كهربائية متى انقدحتْ زادت فى العين ألحاظاً كشَّافة وزادت فى الحواس أضواءً مُدرِكة ، فينفذ العاشق بنظره وحواسه جميعاً فى حقائق الأشياء فتكون له على الناس زيادة فى الرؤية وزيادة فى الادراك يعمل بها عملا فيما يراه وما يدركه . وبهذه الزيادة الجديدة على النفس تكون للدنيا حالةٌ جديدة فى هذه النفس ؛ ويأتى السرور جديداً ويأتى الحزن جديداً أيضاً . فألفُ قُبلة يتناولها ألف عاشق من ألف حبيب ؛ هى ألف نوع من اللذة ولو كانت كلها فى صورة واحدة . ولو بكى ألف عاشق من هجر ألف معشوق لكان فى كل دمع نوع من الحزن ليس فى الآخر

***

قلت : فنوعُ تصورك لهذه الراقصة التى تحبها ، أن إبليس هنا فى غير ابليسيته . . . .

قال : هكذا هى عندى ، وبهذا أسخر من الحقيقة الأبليسية

قلت : أو تسخر الحقيقة الأبليسية منك وهو الأصح وعليه الفتوى . . . .

فضحك طويلا وقال : سأحدثك بغريبة . أنت تعرف أن هذه الغادة لا تظهر أبداً إلا فى الحرير الأسود ؛ وهى رقيقة البشرة ناصعة اللون فيكون لها من سواد الحرير بياضُ البياض وجمال الجمال . فلقد كنت أمس بعد العشاء فى طريقى الى هذا المكان لأراها ، وكان الليل مظلماً يتدجَّى ، وقد لبس وتلبَّس وغلب على مصابيح الطريق فحصر أنوارها حتى بين كل مصباحين ظلمةٌ قائمة كالرقيب بين الحبيبين يمنعهما أن يلتقيا ؛ فبينا أقلِّب عينى فى النور والغَسق وأنا فى مثل الحالة التى تكون فيها الأفكار المحزنة أشدَّ حزناً -- إذ رفع لى من بعيد شبحٌ أسود يمشى مِشْيته متفتّرا قصير الخَطْو يهتز ويتبختر ؛ فتبصرته فى هيئته فما شككت أنها هى ، وفتحت الجنة التى فى خيالى وبرزت الحقائق الكثيرة تلتمس معانيها من لذة الحب ، وكان الطريق خالياً فأحسست به لنا وحدنا كالمسافة المحصورة بين ثغرين متعاشقين يدنو أحدهما من الآخر ، وأسرعت إسراع القلب إلى الفرصة حين تمكن ، فلما صرت بحيث أتبين ذلك الشبح

إذا هو . . . إذا هو قسّيس . . . . . . .

***

فقلت : ياعجباً ، ما أظرفَ ما داعبك إبليس هذه المرة وكأنه يقول لك : إيه ياصاحب الفضيلة ...

وكان الممثلون يتناوبون المسرح ونحن عنهم فى شغل إذ لم تكن نوبتها قد جاءت بعد ؛ وألقى الشيطانُ على لسانى فقلت لصاحبنا : مايمنعك أن تبعث اليها فلاناً يستفتح كلامها ثم يدعوها فليس بينك وبينها كلمة تعالَىْ أو تفضَّلى

قال : كلا ، يجب أن تنفصل عنى لأراها فى نفسى أشكالاً وأشكالاً ؛ ويجب أن تبتعد لألمِسَها لمساتٍ روحية ؛ ويجب أن أجهل منها أشياء لأحقق فيها علم قلبى ؛ ويجب أن تدعَ جسمها وأدعَ جسمى وهناك نلتقى رجلاً وامرأة ولكن على فهم جديد وطبيعة جديدة . بهذا الفهم أنا أكتب وبهذه الطبيعة أنا أحب ماهو الجزء الذى يفتننى منها ؟ هو هذا الكل بجميع أجزائه

وما هو هذا الكل ؟ هو الذى يفسر نفسه فى قلبى بهذا الحب

وماهو هذا الحب ؟ هو أنا وهى على هذه الحالة من اليأس

نعم أنا بائس ولكن شعور البؤس هو نوع من الغنى فى الفن لا يكون هذا الغنى إلا من هذا الشعور المؤلم . والحبيب الذى لا تناله هو وحده القادرُ قدرةَ الجمال والسحر ؛ يجعلك لا تدرى أين يختبىء منه جماله فيدعك تبحث عنه بلذة ؛ ولا تدرى أين يُسْفِر منه جماله فيدعك تراه بلذة أخرى . أنا أنضج هذه الحلوى على نار مشبوبة ؛ على نار مشبوبة فى قلبى

قلت : يا صديقى المسكين هذه مشكلة عرضتْ بها المصادفة وستحلها المصادفة أيضاً . وما كان أشد عجبى إذ لم أفرغ من الكلمة حتى رأينا ( المشكلة ) مقبلة علينا . . .

أما هو : أما صاحب القلب المسكين ؟

( طنطا ) « لها بقية » مصطفى صادق الرافعى

( وحى القلم ) أوشكت المطبعة أن تتم طبع هذا الكتاب فنرجو من كل مشترك غيّر عنوانه أن يكتب إلينا بعنوانه الجديد

( الرافعى )

# المشيرة عايدة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

قلما يستطيع الانسان أن يضع نفسه موضع إنسان آخر فى أمر يعنيه ، ولو كان هذا يسعه فى كل حال لكان الأرجح أن يضحكه الذى يمضه ويثقل عليه أو يبكيه . — فى هذا كنت أفكر وأنا أسمع قصة صديقى وكان قد دخل على وهو ينفخ ويمسح العرق المتصبب — عرق الخجل لا التعب والنصب ، فانه صاحب سيارة فخمة ضخمة لا تتعب الراكب ولا تكلفه جهداً غير النظر إلى الطريق وسكون الأعصاب واتزانها وهو يمرق بها بين المارة الذين لا يحلو لهم السير إلا وسط الشارع كأنما كان الشارع متنزهاً عاما وكأنما ينبغى على سائق السيارة أن يسير بها فوق الرصيف ليفسح لهم

وكان يحاول أن يقص على القصة وهو يمسح وجهه بالمنديل فكان نصف ما يقول يخرج مخنوقا فى مطاوى المنديل فقلت له : « هلا انتظرت حتى ينشف هذا العرق »

فغضب وقال : بلهجة المعاتب « وأنت أيضاً . . ؟ ؟ »

فقلت : له وأنا أحاول أن أفىء به إلى الرضى « إنما أردت أن أقول إن المنديل يغيب فيه بعض الكلام فيجىء ما أسمع غير مفهوم . . على كل حال يحسن أن تبدأ من البداية »

قال : « البداية ؟ . ياخبر ! »

قلت : « عمن تتحدث ؟ . . يخيل إلى أنك ذكرت اسماً . . . »

قال : نعم . . عايدة . . »

قلت : « آه . . عايدة ؟ ؟ ومن عسى أن تكون هذه المجرمة ؟ ؟ »

قال : ألا تعرفها ؟ . هذا مدهش . . كيف يمكن . ؟ »

قلت : « يا أخى لا تغضب . . إنك تعرف أن ذاكرتى خوانة . . وليس من النادر أن أنسى أسماء من أعرف من الناس . . فاذا سمحت بأن تذكرنى بها فانى أعدك أن . . »

فقال : « أوه . . إنك تمزح ولاشك . . لا يمكن أن تجهلها »

قلت : أشكر لك هذه الثقة بسعة معارفى . . ولكنى أؤكد لك أن الاسم لا يحرك فى نفسى أى ذكرى . . . لا يثير أى اختلاج . . وليس هذا لأنها لا تستحق الذكر بل لأن الأسماء تقع من رأسى فى غربال واسع الخروق »

فاقتنع وشرع يصفها لى فهززت له رأسى وقلت : « خير من هـذا الوصف الذى لا يصف شيئاً أن تقول لى : أين تسكن أو أن تذكر لى بقية اسمها ... شىء من هذا القبيل ... أما أن تظن أنه يكفى أن تقول : « بنت جميلة هيفاء ممشوقة القوام .. فاسمح لى أن أؤكد لك أنك .. »

فرمانى بنظرة وأومأ إلى أن أقصر ، فأمسكت إشفاقا عليه . وبلع ريقه ثم أخذ يصف لى بيتها فضقت ذرعا بهذا الحال وقلت له : « يا أخى ما حاجتى إلى كل هذا ؟؟ وكيف تظن أن فى وسعى أن أعرف إنسانا من قولك إن لبيته شرفتين وأربع نوافذ أو عشرا وأن فيه خمس غرف أو ستا .؟ إنما أسألك عن الموقع ... عن الشارع أو الحارة أو الدرب ... ماذا جرى لعقلك اليوم »

وبعد لأى ما استطعت أن أعرف الشارع الذى فيه بيتها فتذكرت

وكانت عايدة هذه — كما قال — جميلة ، ولكن فى قولى « جميلة » اقتصاداً — أو إن شئت فقل إيجازاً مخلا — وما أكثر الجميلات ولكن ما أقلهن أيضاً . والجميلات التى تقع العين عليهن أكثر من أن يأخذهن إحصاء ، ولكن اللواتى يقعن من نفس المرء وتثبت على صفحة القلب صورهن — هؤلاء هن القليلات وعايدة هذه إحداهن . وإنه لسر ولغز لا يحل أنها بقيت إلى الآن بلا زواج ، فما تنقصها لا الرشاقة ولا الظرف ، ولا أنس الحديث وعذوبته ، ولا دماثة الطباع وحلاوتها ، ولا وفاء الثقافة ولا حسن التدبير وكياسة التصرف . وكانت — ولعلها لا تزال — تلازم شرفتها ولا تكاد تغادر بيتها إلا لضرورة ملحة أو حاجة ملجئة ، ولا تخرج حين تخرج إلا ومعها أبوها أو أمها أو واحد غير هؤلاء من أهلها . ولعل هذا هو الذى زهد فيها ونفر منها فما أدرى . على أنى أعرف أن هذا الحبس قد أغراها بضروب من العبث ، فهى لا تزال فى شرفتها فى حفل من الزينة أو فى قميص نوم هفهاف يتركها عارية النحر إلى الثديين ، مكشوفة الذراعين إلى ما فوق الكتف ، أو فى منامة — بيجامة — من الحرير الرقيق محبوكة التفصيل على قدها الممشوق وجسمها الرخص ، وإذا كانت لا تخرج وكان فى البيت من يغنيها عن العمل ويعفيها من مشقاته ، وكانت الشقة على اتساعها أضيق من أن تكفى فتاة متعلمة حديثة الآراء فأنها لا تكاد تفارق الشرفة — فيها تقعد لتروح عن نفسها ولتقرأ إذا شاءت ، ولتنظر إلى الرائحين والغادين وتتسلى بالمناظر التى تأخذها عينها ، وقد ألفت ذلك فهى لا تستطيع أن تفطم نفسها عنه ؛ وأحسب أنها لو صرفها أهلها عن الشرفة لجنت ، فما لها عزاء غيرها ولا سلوى سواها ، وإذ كانت ترى كل ما يرى من الشرفة ولا يفوت عينها المفتوحة ما يقع أحياناً بين بعض الرجال والنساء فى حيها المكتظ بالناس وكانت لا تخالط إلا أهلها ، فليس من المستغرب — بل هذا لا غيره هو المتوقع — أن يغلبها صباها أحياناً فيصدر عنها ما قد يعده المتشددون — وما أقلهم فى هذا الزمان — مخالفاً لمقتضيات الحشمة ، وما هو كذلك ؛ ولو قضى على شاب أن يحبس فى بيت ولم يؤذن له فى أكثر من النظر من الشرفة على حين يرى أنداده جميعاً يخرجون متى شاءوا إلى حيث يشاءون لكان من المحقق أن ينتحر ، ولكن عايدة لم تنتحر لأن نشأتها جعلتها تألف هذه الحياة ، وإن كانت لا تعزيها عن الحرمان مما ترى أترابها ينعمن به ، وأقله أن تزور أترابها كما يزرنها ، وحدهن ، وفى غير حاشية من الأهل والآباء والأمهات

ولكنى استطردت عن حكاية صديق فلأعد إليه ، قال : « لعلك تذكر أنى كنت جارا لهذه الفتاة — أعنى كنت أسكن بيتاً يقابل بيتها ، وكان لا بد أن أراها وأن أعجب بها فأنها كما يقول الشاعر : « بيرنز » — ( يكفى أن تراها لتعشقها ) .. »

فقاطعته عامداً وقلت : « عفواً !! لو كان بيرنز قد قال هذا لما كان فى قوله ما يستحق الذكر ، ومن الصعب ترجمة هذا البيت من شعره ، ولكنى أظن أن الذى أراده هو أن معنى أن تراها أن تحبها . . أى أنه لا حيلة لمن يراها إلا أن يحبها . . على كل حال تفضل »

فنفخ وتأفف وقام وتمشى ثم عاد إلى مجلسه فما له صديق غيرى

يستطيع أن يبيحه دخلته

وقال بعد هنيهة : « طيب . . قل ما بدا لك . . المهم أنى أعجبت بها . . شغلت بها زمناً حتى لكدت أهمل عملى وأمىء إلى نفسى . . ويجب أن أعترف لك بالفضل فى رد ما ذهب من عقلى ... »

فهممت بأن أقول شيئاً مثل « العفو » أو ما هو من هذا بسبيل ، ولكنه أشار إلى فرددت الكلمة التى كانت على لسانى ومضى هو فى كلامه فقال : « وتعلم أنى تركت البيت إلى سواه فراراً منها »

قلت : « أعلم ذلك وأظن أنى أشرت به فأن البعيد عن العين بعيد عن القلب »

قال : ولكنى أمس مررت من هناك ووقفت أتحدث إلى البواب زمناً وأنا أرجو أن تلتفت إلى ، فلما لم تفعل شرعت أنفخ فى البوق وعينى على الشرفة ، فرمت إلى نظرة وضيئة وابتسمت ، فكدت أطير من الفرح ، وكان البواب يحادثنى وأنا لا أصغى إليه ولا أدرى ما ذا يقول ولعله كان يرد على كلام لى نسيته ، فما كان لى غاية إلا أن أجعل لوقوفى مسوغاً فى نظر البواب . ولما كان البواب لا يكف عن الكلام وكان ينتظر منى أن أقول شيئاً فقد طلبت منه أن يجيئنى بقليل من الماء أفرغه فى جوف السيارة وما كانت بها حاجة إلى ذلك ، ولكن هذا ما خطر لى أن أصرفه عنى به فمضى عنى فرفعت عينى إليها فألفيتها لا تزال تبتسم فتظاهرت بأنى أصلح البوق ولكن عينى كانت عليها ، فأشارت إلى بيدها أن أمضى إلى آخر الشارع وأن أنتظرها هناك فأسرعت إلى مقعد القيادة ولم أنتظر البواب المسكين الذى أرسلته ليجيئنى بالماء وذهبت فى الطريق الذى أشارت إليه ووقفت أنتظر »

فقلت : « على أحر من الجمر ؟ »

قال : « لا تتهكم . . إن المسألة ليست مزاحاً . . نعم كنت على أحر من الجمر . . . فماذا تريد ؟ »

قلت : « لا شىء . . إنما أنتظر أن تذكر بيتاً لشاعر . . ألا يحضرك شىء من محفوظك . ؟ »

قال بلهجة جادة لم أكن أنتظرها : « أنا أقول لك ماذا كان يجول فى خاطرى . . لقد كنت أمنى النفس بوشك اللقاء الذى ظللت أرجوه عاماً كاملاً ولم يصرفنى عنه سواك . . . وكان لك حق . . الآن فقط أدركت أن الشباب يحتاج إلى التجربة التى تغرى بالتؤدة وتقص أجنحة الخيال . . كنت أحلم بأن أراها إلى جانبى فى السيارة وأحدث نفسى بقربها ؛ ولا أكتمك أنى ذهبت أنشىء أحاديث بينى وبينها .. أحاديث كانت تبدأ بالعتاب وتنتهى بالقبلات والعناق . . وكنت أتصورها تدنى ساقها منى — عفواً بالطبع — فأغتنم الفرصة وأدنى أنا أيضاً ساقى من ساقها فتنأى بها فأرد ساقى على مهل كأن الأمر كله جاء عفواً ، ثم نعود إلى هذا التدانى ولا تبعد عنى فى هذه المرة بل تبقى ساقها ملاصقة لساقى فأنعم بهذا القرب الذى لم أكن أطمع فيه بل الذى قطعت الأمل من إمكانه فى هذه الدنيا .. ونذهب إلى مكان خلوى .. وكان خيالى يتشبث بأن يكون المكان خلوياً لا يخلو من أنس ولكنه لا يبلغ من ضجة الناس وزحامهم فيه أن يعكر وجودهم الصفو وينغصه ، فاذا بلغناه وقفنا وطلبنا شيئاً نبل به ريقنا ويدور الحديث بغير انقطاع ، كما لا بد أن ينقطع والسيارة تخطف فى الطريق ، وتلتقى العين بالعين ويحن القلب إلى القلب وتتصل الأيدى وتتداخل الأصابع وتسرى الوقدة منها إلىّ ، ومنى إليها ، فتتلامس الشفاه ويستريح الصدر إلى الصدر ويحف ذراعى بخصرها ويحيط ذراعها بعنقى ، ثم نتباعد ونتنهد وقد شفى كل منا بعض ما يجد وأوحى بشىء مما يجن فى تلك القبلة الطويلة التى يفرغ فيها روحه ويفضى بشوقه وصبوته . . . وكنت على استغراق هذا الحلم اللذيذ لمشاعرى وحواسى أنظر إلى الطريق ولا يفوتنى أحد ممن يمشون فيه . . . ولم يكن حلمى يمنعنى أن أنظر فى الساعة كل بضع ثوان . . وليس أشق من الانتظار ولكنى استطعت أن أنتظر نصف ساعة . . وما أقلها لو فكرت . . . وما نصف ساعة يقضيه شاب فى انتظار الفوز بلقاء ظل عاماً كاملاً يطمع فيه ثم انتهى به الأمر إلى اليأس منه ؟ ؟ ولكنى على هذا مللت وحدثتنى النفس أن شيئاً لابد أن يكون قد عاقها . . ذلك أنى أعلم أنها لا يسهل الخروج عليها وحدها ؛ فقلت لنفسى إنه لا ضرر على كل حال من الرجوع والمرور ببيتها لعلى أرى ما يهدينى إلى سبب هذه الغيبة الطويلة على الرغم من إشارتها اللحة أن أسير بسرعة وأنتظرها فى آخر الطريق ... وأوجز فأقول إنى رجعت من حيث جئت وتظاهرت بأن شيئاً فى السيارة يحوجنى

إلى الوقوف وترجلت وفتحت غطاء المحرك ولكنى لم أنظر اليه وإنما رفعت عينى إلى الشرفة ، وكانت عائدة واقفة فيها ومستندة كمادتها على حافتها وكأنما لا شيء هنالك ... لا أحد ينتظرها فى آخر الشارع منذ نصف ساعة ... كأنها لم ترسلنى إلى آخر هذا الشارع ... أدهى من هذا يا صاحبى أنها لم تكد ترانى حتى كادت تسقط على الأرض من الضحك .. نعم الضحك .. كانت تضحك لأنها ضحكت على وكلفتنى أن أنتظرها وهى لا تنوى أن تجيء ... ماذا يضرها أن أنفلق نصف ساعة ؟؟ ماذا خسرت هى إذا كنت أنا مغفلاً ؟؟ ماذا عليها إذا كنت صدقتها وتوهمت أنها تجن لى مثل الذى أجنه لها وأنى لبثت نصف ساعة أحلم وأمنى النفس بقربها وحديثها وابتسامها وقبلاتها وضماتها وعناقها ؟؟ لا يضيرها شيء بل يسرها أنها ضحكت على وخدعتنى واستغفلتنى واستحمقتنى وتركتنى أرتفع بخيالى إلى حيث شاءت لى السخافة ثم رمت بى إلى الأرض الصلبة . . . هل يعنيها أن عظامى رضت أو أنها تحطمت ؟؟ هل تبالى أن آمالى خابت ؟؟. هل تحفل الصدمة التى لا بد أن أحسها حين أعرف أنها كانت تعابثنى وتستغفلنى . . ؟؟ »

فقلت له « خذ » ومددت له يدى بسيجارة فتناولها وهو ذاهل ، وأضرمت له عود الثقاب وأنا أرد الضحك الذى أحس أنى سأنفجر به ... ونفخ الدخان مرة وأخرى ، وأحسست أنه صار أهدأ أعصابا ، فقلت « الحقيقة أنه » فصل « بارد ... لا شك فى ذلك »

وكان لا بد أن أتألفه بكلام كهذا ليهدأ ثائره ، ثم قلت له وقد آنست منه إقبالا « هى فتاة تعد محرومة من متع الحياة ... كل ما تعرفه من متع الدنيا أن تجلس فى الشرفة وتنظر ... أظن أن هذا لا يجوز أن يحسب فى المتع ... أولى به أن يزيد شموزها بالحرمان الذى تقاسيه ... بالحجر المضروب عليها ... أهلها ليسوا مخطئين لأنهم لا يعرفون إلا هذا الأسلوب ... وهى ليست مسرفة فى احساسها بالحرمان لأنها تعلمت ما لم يتعلمه أبوها وأمها ، وعرفت ما لم يعرفا ... والمجتمع المصرى عرف السفور ، ولكنه لا يزال بعيداً عن الحياة الاجتماعية التى تجعل السفور ذا معنى وفائدة . . . والبنت المصرية سافرة ولكنها لا تحيا الحياة الاجتماعية التى يستدعيها السفور . . . فكأنها تسفر لترى بعينها ما هى محرومة منه ... والنتيجة أن الفتاة صارت كالحجلة فى حكايات كليلة ودمنة ... لا هى بقيت محبوسة فى البيت ، ولا هى فازت بالمتع البريئة التى يقتضيها السفور ... لست أريد أن ألقى عليك محاضرة ، وإنما أريد أن ألفت نظرك إلى أن هذه الفتاة معذورة إذا هى التمست التسلية والضحك . . . وليس من العدل والانصاف أن نأبى عليها أن تضحك ، وأن نحرّم عليها أن تتسلى ... وليس من حقك أن تدعى أن لك عليها حقا فما هى بزوجة لك ولا صاحبة ... ولقد عرفت اسمها من أفواه الناس لا من أبيها ولا من أحد من أهلها . . . والمغازلة يا صاحبى مقامرة ... والمقامر يجب أن يحتمل الخسارة كما ينتظر من ملاعبيه أن يحتملوا الخسارة حين يربح هو ... وقد قامرت وخسرت ... ومن واجبك أن تتلقى حظك بابتسامة ... ضع نفسك فى مكانها . . . فأنك خليق أن تضحك مما حدث كما أضحك أنا الآن »

وانفجرت بالضحك المكتوم فنهض كالمغضب وقال : « أو تضحك ؟ »

قلت : « سبحان الله . . وهل كنت تنتظر منى أن أبكى ؟؟ والله إنى لأراها قد عاملتك كما تستحق . . . برافو عليها . . وياسخيف . . . ألا تعرف أنها لا تخرج قط فكيف صدقت أنها لاحقة بك . . »

قال : « يا أخى ألم أقل لك إنها أشارت إلى أن أسبقها »

قلت : « أنا أيضاً أشارت إلىّ مرات حين كنت أزورك . . وكنت أرى يدها تشير إلى أن أسبق فأتريث حتى أرى ما يؤيد ما فهمته من هذه الاشارة فكان تريثى يريها أنى لست بالخفيف الطياش . . ويخيل إلى الآن أن أساليبها لا تعدد فيها ولا ابتكار . . . مسكينة لا تعرف إلا أن تشير إلى الرجل أن يسبقها فاذا فعل ضحكت . . هذا كل ما عندها على ما يظهر »

قال : « أو تعذرها ؟ . . تلتمس الأعذار لها ؟ »

قلت : « المرة الآتية . . حين تستغفلك مرة أخرى . . اضربها علقة . . قم يا أبله . . واجبك الآن أن تقلب الصورة لترى وجهها الآخر . . صورتك أنت وأنت تنتظر وتحلم ولا تعرف ما أعدت لك . . . اقلب الصورة واضحك . . . »

فسرنى أن وقف هنيهة كالمفكر ثم انطلق يقهقه

ابراهيم عبد القادر المازنى

# نظرية النبوة عند الفارابى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٤ —

لم يكن عبثاً أن يسمى فلاسفة الاسلام أرسطو عظيم حكماء اليونان والرجل الآلهى ، وأن يرفعوه إلى منزلة لم يسم إليها واحد من الفلاسفة السابقين أو اللاحقين[١] . ذلك لأنهم وجدوا لديه حلولاً لكل مشكلة اعترضتهم ، ووقفوا فى كتبه على مختلف المعلومات التى تاقت إليها نفوسهم . ودائرة المعارف الأرسطية واسعة وشاملة حقيقة بحيث يصادف الانسان فيها كل المسائل الفلسفية مدروسة دراسة مفصلة أو مشاراً اليها على الأقل . ولا تكاد توجد مشكلة من المشاكل الحديثة إلا وفى عبارات أرسطو ما يتصل بها تصريحاً أو تلويحاً . ويمكننا أن نقول إن هناك كتباً دبجها يراع أرسطو على أن تخدم فلاسفة الاسلام أولاً وبالذات . وحظ كتابٍ ما لا يقاس فى الواقع فقط بمقدار ما يحوى من أفكار ، بل يرجع أيضاً إلى ما يحيط به من ظروف ومناسبات . فقد يكون ثانوياً فى نظر مؤلفه ، ولكن الخلف يقدره تقديراً كبيراً لأنه اهتدى فيه إلى أجوبة على أسئلة العصر وحلول لمشاكل الجيل . ومن هذا الباب تماماً رسالتان صغيرتان لأرسطو لا يذكران فى شئ قطعاً إذا ما نسبا إلى مجموعة مؤلفاته ، ومع هذا صادفا نجاحاً عظيماً فى الفلسفة المدرسية الاسلامية ، ونعنى بهما رسالة الأحلام (Traité des Rêves أو Peri Enupnion) ورسالة التنبؤ بواسطة النوم (La divination par le sommeil) ونحن لا ننكر أن هاتين الرسالتين تحتويان على ملاحظات دقيقة فى علم النفس فاقت كل النتائج التى انتهت إليها المدارس القديمة ، وإن تلاميذ أرسطو وأتباعه من المشائين اليونانيين عنوا بهما عناية خاصة . ولاسيما الأحلام وتعبيرها كانت

(١) ابن رشد ، مقدمة كتاب الطبيعة ( الترجمة اللاتينية ) انظر أيضاً Rennan, Averroès p. 55
٤٠ و ٧

من المسائل التى شغلت العامة والمفكرين فى القرنين السابقين للميلاد والقرون الخمسة التى تليه ، وبعبارة أخرى فى ذلك العصر الذى سادت فيه العرافة والتنجيم . غير أنا نلاحظ أن الرسالتين الآنفتى الذكر أحرزتا فى العالم العربى منزلة لا نظير لها ، ولا نظن أن أرسطو نفسه كان يحلم بها . ويكفى لتعرف هذه المنزلة أن نشير إلى أنهما الدعامة الأولى التى قامت عليها نظرية الأحلام والنبوة عند الفارابى

لا نظننا فى حاجة إلى أن نثبت أن هاتين الرسالتين أرسطيتان ، فأسلوبهما وطريقتهما دليل واضح على ذلك ، وأرسطو يشير إليهما فى بعض رسائله الأخرى الثابتة[١] . وقد تولى زلر (Zeller) من قبل توضيح هذه النقطة بما لا يدع زيادة لمستزيد[٢] . والذى يعنينا هنا أن نبين ما إذا كانت هاتان الرسالتان ترجمتا إلى العربية أولاً . وهذه مسألة غامضة بعض الشئ ، وليس من السهل البت فيها برأى جازم . فأن المؤرخين ، وخاصة ابن النديم والقفطى ، حين يتحدثون عن كتب أرسطو التى ترجمت إلى العربية لا يشيرون إليهما ؛ وكأن ما ترجم من كتبه السيكولوجية ليس إلا كتاب النفس المعروف ، ورسالة الحس والمحسوس[٣] .

والفارابى نفسه فى رسالته المسماة : « ما ينبغى أن يقدم قبل تعلم الفلسفة » يقسم الكتب الأرسطية من حيث موضوعها إلى ثلاثة أقسام : تعليمية وطبيعية وإلهية . وبين الكتب الطبيعية لا يذكر رسالتى الأحلام والتنبؤ بواسطة النوم اللتين اعتاد الشراح السابقون عدهما فيما بينهما[٤] . وكل ما يحظى به الباحث إنما هو إشارة غامضة إليهما فى ثبت الكتب المنسوبة إلى أرسطو ، والذى أخذه العرب عن بطليموس الغريب[٥] . بيد أنا على الرغم من كل هذا نميل إلى الاعتقاد بأن

(١) Aristote, De sonno, 11, 456 d, 16.
(٢) Zeller, Die Philos. der Griechen, 11, 2, p. 44-96.
(٣) ابن النديم ، الفهرست ، طبعة القاهرة . ص ٣٥١ — ٣٥٢ القفطى ، تاريخ الحكماء ، طبعة ليبزج ، ص ٤١
(٤) الفارابى الثمرة المرضية ، ص ٥١ . نجد هذا التقسيم بنصه تقريباً فى طبقات الأمم لابن صاعد ( ص ٢٥ ) . ويغلب على الظن أن هذا الأخير أخذه عن الفارابى
(٥) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٤٤ . يظهر أن العرب أطلقوا كتاب الذكر والنوم على المجموعة التي يسميها المحدثون :

هاتين الرسالتين إن لم تكونا قد ترجمتا إلى العربية رأساً ، فقد وصلتا إليها عن طريق غير مباشر . وابن النديم يحدثنا عن كتاب فى تعبير الرؤيا لأرطا ميدورس نقله حنين بن اسحق إلى العربية (١) ؛ ولا يبعد أن يكون العرب قد استقوا من هـــذا الكتاب أو من أى مصدر تاريخى آخر أبحاث أرسطو المتعلقة بالأحلام وتأويلها . ذلك لأن فلاسفة الاسلام يدلون فى هذا الصدد بآراء تشبه تمام الشبه الآراء الأرسطية . فحديث الفارابى عن النوم وظواهره والأحلام وأسبابها لا يدع مجالاً للشك فى أنه متأثر بأرسطو وآخذ عنه . وقد كتب الكندى من قبل رسالة فى ماهية النوم والرؤيا وصل الأمر ببعضهم أن عدها ترجمة لبعض الرسائل الأرسطية (٢) . وربمـا كان أقطع شىء فى هـذه المسألة أن نلخص آراء أرسطو ، وفيها وحدها ما يكفى لاثبات أن فلاسفة الاســـلام تتلمذوا له هنا كما أخلصوا له التلمذة فى مواقف أخرى

يذهب فيلسوف اليونان إلى أن النوم هو فقد الاحساس ، وأن الحلم صورة ناتجـة عن المخيلة التى تعظم قوتها أثناء النوم على أثر تخلصها من أعمـال اليقظة (٣) . وبيان ذلك أن الحواس تحدث فينا آثاراً تبقى بعد زوال الأشياء المحسة . فاذا ما جاوزنا الشمس إلى الظل قضينا لحظة ونحن لا نرى شيئاً ، لأن أثر ضوء الشمس على العينين لا يزال باقياً . وإذا ما حدقنا النظر إلى لون واحد طويلاً خيل إلينا بعـد مفارقته أن الأجسام كلها ملونة بهذا اللون (٤) . وقد نصم بعد سماع قصف الرعد ؛ ولا نميز بين الروائح المختلفة إذا شممنا رائحة قوية (٥) . كل ذلك يؤيد أن الاحساسات تترك فينا آثاراً واضحة . وهـذه الآثار الخارجية تعطينا فكرة مقربة عن آثارها الداخلية التى تحتفظ بها المخيلة وتبرزها عنـد الظروف المناسبة (١) . فالأحلام إذن احساسات سابقة ، أو بعبارة أدق ، صور ذهنية لهذه الاحساسات تشكلها الخيالة بأشكال مختلفة . على أن الاحساسات العضوية أثناء النوم قد تؤثر فى الأحلام كذلك ، فيحلم الأنسان بالرعد مثلاً إذا صاح صائح أو ديك بالقرب منه ، أو أنه يأكل عسلا أو طعاماً لذيذاً لأن نقطة غير محسوسة من المزاج جرت على لسانه . وقد يرى النائم أنه يحترق فى اللحظة التى يقترب فيها من جسمه لهب ضئيل (٢) . وليست الاحساسات وحدها هى التى تؤثر فى الأحلام ، فأن الميول والعواطف ذات دخل كبير فيها . فالمحب يحلم بما يتفق وحبه ، والخائف يرى فى نومه عوامل خوفه ويعمل على اتقائها (٣) . وكثيراً ما نحلم بأشياء رغبت فيها نفوسنا أو فكرنا فيها طويلا (٤) . هـذه هى الأحلام فى حقيقتها وأسبابها . وعل فى هذه الأسباب ما يسمح لنا بتأويلها أحيانا . وقد يستعين الأطباء على معالجة مرضاهم وتشخيص دائهم بسؤالهم عن بعض أحلامهم (٥) . وإذا عرفت الأحساسات والظواهر النفسية المحيطة بحلم ما أمكن تعبيره . ومهارة مفسرى الأحلام قائمة على أنهم يتلمسون وجوه الشبه الموجودة بين الأحلام بعضها وبعض ، والعلاقات التى بينها وبين ظروف أصحابها الخاصة (٦) . بيد أن كل هذا لا يبيح لنا أن نتقبل الرأى الشائع القائل بأن الأحلام وحى من الله ، فأن العامة والدهماء يحلمون كثيرا بل المصبيون والثرثارون أكثر أحلاماً من غيرهم ؛ ولا يستطيع العقل أن يسلم بأن الله خص هؤلاء أو أغدق عليهم فيضه (٧)

لابد أن تكون هذه الأفكار الأرسطية قد وجدت السبيل الى العالم العربى حيث شغل موضوع الأحلام المفكرين على اختلافهم . فأهل الحديث ، معتمدين على بعض الآثار ، يفرقون بين الرؤيا الصادقة وأضغاث الأحلام (٨) . وهناك أحاديث كثيرة

= ( Parwo naturalia ) وهـذه المجموعة تشتمل على رسالة الأحلام والتنبؤ بواسطة النوم

وبطليموس الغريب شخصية مجهولة ، ويرجح أنه من مفكرى الرومان فى القرن الأول أو الثانى الميلادى . وقد اشتغل بأرسطو وترجم له وأبان كتبه ( القفطى ، ٨٩ — ٩٠ )

(١) الفهرست ، ٣٥٧ . أرطاميدورس أو أرطيميدور هـذا كاتب يونانى من رجال القرن الثانى الميلادى ؛ وله كتاب حقيقة عنوانه : تأويل الأحلام

(٢) Hanreau, Notices sur les manuscrits latins de la Bibliothéque nationale, Paris, 1889, t. v, p. 201.

(٣) Aristote, Trairé des Rêves, 1, 9 — 10

(٤) Ibid., II, 4

(٥) Ibid., II, 5,

(١) Ibid., II, 11.

(٢) Arstote, La divination, II, 7

(٣) « Traité des Rêves, II, 12

(٤) « La divination, II, 9.

(٥) Ibid., II, — 6.

(٦) Ibid., II 9.

(٧) Ibid., 1, 2 — 3

(٨) الأشـعرى مقالات الاسلاميين ، II ، ٤٣٤

متصلة بالأحلام وأنواعها نكتفى بأن نشير الى بعضها . روى ابن ماجة عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الرؤيا ثلاث : فبشرى من الله ، وحديث من النفس ، وتخويف الشيطان . وفى الصحيحين : « الرؤيا ثلاث : رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان . والمعتزلة يرون فى الأحلام آراء مختلفة : فيرجعها بعضهم الى الله ، ويذهب بعض آخر إلى أنها من فعل الطبائع (١) ومنهم من يجمع بين هذين ويقول إنها على ثلاثة أنحاء : نحو يحذر الله به الانسان فى منامه من الشر ويرغبه فى الخير ، ونحو من قبل الانسان ، ثم نحو أخير من قبل حديث النفس والفكر (٢) . ويقول النظام إن الرؤيا خواطر مثل ما يخطر البصر (٣) . وهذا التفسير على اختصاره يحمل فى ثناياه بعض الأفكار الأرسطية

إلا أن رأى أرسطو فى الأحلام يبدو بشكل واضح لدى الفلاسفة . وقد خلف الكندى رسالة فى ماهية النوم والرؤيا سبق أن أشرنا إليها . وهذه الرسالة لا تزال حتى اليوم بين مخطوطات استامبول ، ونرجو أن نوفق الى نشرها قريباً (٤) وقد وقفنا عليها من طريق آخر ، فان المستشرق الايطالى البينوناجى نشر فى أخريات القرن الماضى بضع رسائل للكندى مترجمة الى اللاتينية (٥) وبين هذه الرسائل واحدة عنوانها De somuo et visions (النوم والرؤيا) ، ويكاد يكون من المحقق أن هذه الرسالة اللاتينية ليست إلا ترجمة للرسالة العربية المتقدمة . ونظرة الى هذه الترجمة اللاتينية تكفى لأثبات أن الكندى تأثر تمام التأثر بأبحاث أرسطو السابقة المتعلقة بالنوم والرؤيا . وقد قارن البينوناجى بعض التعريفات الكندية بما يقابلها من التعريفات الأرسطية وأظهر فى جلاء ما بينهما من قرابة (٦) . وبهذا وضع الفيلسوف العربى أساس نظرية الأحلام الفلسفية فى الاسلام

(يتبع) ابراهيم مدكور

(١) المصدر نفسه ، II ، ٣٤٣
(٢) المصدر نفسه ، II ، ٤٣٣ ، ٤٣٤
(٣) المصدر نفسه ، II ، ٤٣٣
(٤) Bitler, Archiv Orientalni IV 1932, p. 64.
(٥) A l Kundi, Die philos. Abh. p 12 et suiv.
(٦) Ibid., p. xzIII.

صور سياحية

# ٦ – يوم فى ڤرساى

بقلم سائح متجول

فى باريس جمهرة من الصروح والمشاهد التاريخية العظيمة التى تجذب الزائرين بماضيها وروعتها ؛ ولكن ڤرساى تتمتع بشهرة خاصة فى التاريخ والسياسة ؛ وقد كانت مسرح بعض الأحداث العالمية الكبرى التى غيرت مصاير التاريخ والأمم ؛ وبستان ڤرساى آية فى العظمة والروعة والجمال

فمتى كنت فى باريس ، فيجب ألا تفوتك زيارة ڤرساى وقصرها العظيم

وڤرساى فى الواقع من ضواحى باريس ، ولا تبعد عنها أكثر من ثمانية عشر كيلو متراً ؛ وفى وسعك أن تصل إليها بواسطة قطر خاصة من المترو تسير إليها يوم الآحاد ، وفى وسعك أن تقصد إليها بواسطة القطار العادى من محطة مونبارناس

وڤرساى مع ذلك مدينة كبيرة يبلغ سكانها زهاء ستين ألفاً تخترقها شوارع كبيرة ، وبها كثير من الفنادق والمطاعم التى أعدت على ما يظهر خصيصاً للوافدين عليها ؛ وفى يوم الآحاد تبدو ڤرساى كأنها فى عيد ، وتكثر فيها الحركة بما يتقاطر عليها من وفود الزائرين من أهالى باريس ، ومن الأجانب من مختلف الأمم

قصدنا إلى ڤرساى فى صباح يوم أحد بالقطار العادى ، وكان غاصاً بالقاصدين إليها من فرنسيين وأجانب ؛ وكان يوماً بديعاً سطعت شمسه بعد أن أزعجنا المطر فى باريس أياماً متوالية ؛ فوصلنا إلى ڤرساى فى نحو نصف ساعة ؛ وقصدنا إلى القصر تواً ، وهو قريب من المحطة ، يشرف على ساحة واسعة ؛ ولفت نظرنا لأول وهلة كثرة الجند الذين يتجولون فى المدينة ، وفى ڤرساى كما علمنا حامية كبيرة

ومن الغريب أن واجهة القصر الخارجية لا تتمتع بكثير من الجمال والروعة ، ومنها يبدو البناء كأنه معسكر ضخم ؛ ولقد ذكرنا ذلك بواجهة قصر الفاتيكان الخارجية التى لا تدلى بشىء من عظمته الداخلية ؛ بيد أننا ما كدنا نجوز إلى ساحة القصر

الداخلية ، ونشرف منها على بستانه العظيم حتى وقعنا على منظر من أروع ما شهدنا

يشرف قصر ڤرساي من الوجهة الخلفية على بستان شاسع ، قد نظم أبدع تنظيم ، ونمت به الأشجار الباسقة من أنواع لا نظائر لها في حدائقنا . وفي مقدمة البستان مما يلي القصر مباشرة بحيرة صغيرة ساحرة ؛ وأرض البستان مدرجة ، تمتد منحدرة في حظائر بديعة من الأحراج الصغيرة ، وحظائر من الزهر تأخذ اللب بمناظرها وألوانها الرائعة ، ويطبع مناظر البستان كلها طابع ساحر من الرشاقة والأناقة والتنسيق

وقد حول قصر ڤرساي كما حول قصر اللوڤر إلى متحف ، ولكن القصر في ذاته تحفة فنية رائعة ؛ وأعتقد أنه يفوق قصر اللوڤر من حيث الجمال والخواص الفنية ، وإن كان اللوڤر يفوقه من حيث الجلال والهيبة الملوكية ؛ ذلك أن قصر اللوڤر كان مقر العرش ، ومقر الملوكية الفرنسية في أوج عظمتها وازدهارها ، ولم يكن قصر ڤرساي إلا مصيفا ومقاما مؤقتا ، ولم يغد مقر البلاط الدائم إلا في فترات قليلة في أواخر عصر لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر

وقصر ڤرساي أحدث عهداً من قصر اللوڤر ؛ وقد بدأ قصراً متواضعاً أنشأه لويس الثالث عشر ؛ ولكن ولده لويس الرابع عشر فكر في أوائل حكمه في توسيع البناء وتحويله إلى قصر ملوكي عظيم الشأن ، فعهد بذلك إلى المهندس « لي ڤان » أشهر مهندسي العصر ، وخلفه في تلك المهمة المهندس مانسار ، ثم دي كوتيه ؛ وقام بتنظيم البستان وإنشائه « لي نوتر » وأشرف على زخرفة القصر الفنان « لي بران » وكلهم من أعلام هذا العصر الزاهر ، فجاء القصر وبستانه آية من آيات الفخامة الملوكية والفن الرائع

وقد كان القصر في المبدأ مصيفاً ومقاماً مؤقتاً للملك وخاصته ، ولكنه غدا في عصر لويس الخامس عشر مقراً للملك والبلاط ، وكان لويس الخامس عشر يؤثر الاقامة فيه ويمضي فيه معظم أوقاته تحيط به خاصته ، وتقيم فيه خليلاته إلى جانب زوجه الملكة الشرعية كما سنرى

***

ويتألف قصر ڤرساي من طبقتين غير الطبقة الأرضية ؛ والطبقة الثانية والوسطى هي أبدع ما فيه ، وهي التي تضم تحفه وذخائره ؛ وتتكون هذه الطبقة من عدة أجنحة وأبهاء ملوكية شاسعة ، وتضم مجموعة ثمينة من الصور التاريخية التي تمثل كثيراً من المناظر الشهيرة والشخصيات الملوكية في عصر لويس الرابع عشر ، ولويس الخامس عشر ؛ ويشغل جناح الملك لويس الخامس عشر الطرف الأيمن من القصر ، وقد عرضت في غرفه الأنيقة مجموعات من الأثاث الملوكي النفيس ، ومنها أثاث غرفة الاستقبال ، وغرفة المكتبة وغرفة النوم ، والتزين وكلها مما لا يزال يعتبر في عصرنا من أجمل وأبدع النماذج الفنية ؛ وقد زينت الجدران ببعض المناظر الملوكية من حفلات الاستقبال والصيد وغيرها ، وزينت السقف بأبدع النقوش ؛ وتوجد في هذا الجناح مجموعة من الصور للملك لويس الخامس عشر وزوجه الملكة ماري لكزنزكا ، وبعض أفراد الأسرة المالكة ورجال الدولة من صنع أعظم مصوري العصر ؛ وفي هذا الطرف أيضاً ، وإلى جانب جناح الملك يوجد الجناح الذي كان مخصصاً لسكنى خليلته المركيزة دي بومبادور ، ومن بعدها لسكنى خليلته الدوقة دوباري ، ومن الغريب أنه لا يبعد كثيراً عن الجناح الذي كان مخصصاً لسكنى الملكة الشرعية ماري لكزنزكا

ويلي هذا الجناح ، في وسط القصر ، جناح لويس الرابع عشر ، وهو أفخم وأروع ، وبه غرفة نوم ملوكية مازالت تحتفظ بأثاثها ، وإلى جوارها ترى متزين الملك ، وخزائن الثياب ؛ وقد زين هذا الجناح بصور عديدة للويس الرابع عشر ، في أوضاع ومناسبات مختلفة ؛ والملك يبدو فيها جميعاً قصير القامة ، محدودب الأنف ؛ وقد انسدل على كتفيه شعره الغزير ، وبدت على وجه ملامح الكبر والخيلاء

ويوجد في الطرف الآخر من القصر بهو شاسع تزينه مجموعة كبيرة من الصور التاريخية الضخمة التي تمثل أعظم الوقائع الحربية التي انتصرت فيها فرنسا منذ فجر العصور الوسطى حتى عصر ناپوليون ، وقد صورت معظم هذه المناظر في عصر ناپوليون واشترك في تصويرها أعظم مصوري العصر مثل لوي داڤيد ، وايزابي ، وڤرنيه ؛ وتبدأ المجموعة بمنظر يمثل انتصار الملك كلوڤيس على الرومان الغاليين (سنة ٤٨٦ م) ، ويليه منظر استوقفنا طويلاً لروعته وطرافته ، هو منظر انتصار الفرنج على العرب في سهول تورو بواتييه سنة (٧٣٢ م) ، وهي الموقعة الشهيرة التي تعرف في

التاريخ الإسلامى بموقعة البلاط أو بلاط الشهداء ، وفيها يبدو عبد الرحمن الغافقى قائد العرب شيخاً مهيب الطلعة تتدلى لحيته البيضاء الطويلة حتى صدره ، وقد وثب بجواده المضطرم إلى الطليعة وهو شاهر سيفه ، ولكن جنده يتساقطون من حوله أمام ضربات الفرنج ؛ وأذكر أننى رأيت هذه الصورة منذ أعوام فى طبعة انكليزية لكتاب المستشرق دوزى عن الأندلس ، وكنت أتوق إلى معرفة الأصل الذى نقلت عنه ، فاذا بى فى بهو ڤرساى أمام المنظر الرائع وجهاً لوجه

ويلى ذلك فى صفين متقابلين مناظر لأعظم المعارك التى انتصرت فيها فرنسا مرتبة حسب العصور والتواريخ ؛ مواقع شارلمان ، ولويس الحادى عشر ، ولويس الرابع عشر ، وموقعة ڤالمى أشهر معارك الثورة الفرنسية ضد أوربا ، ثم طائفة كبيرة من مواقع نابوليون مثل مارنجو ، ڤاجرام ، أوسترلتز ، وغيرها

بيد أن أعظم ما يثير الخيال فى أرجاء هذا القصر الشاسع ، هو الذكريات التاريخية العظيمة التى كان مسرحاً لها ، والتى أسبغت عليه طابعاً خاصاً من الروعة والخلود ؛ ففى قصر ڤرساى عقدت مؤتمرات ووقعت معاهدات كان لها أكبر الأثر فى تاريخ فرنسا وتاريخ العالم بأسره ؛ نذكر منها عهد استقلال الولايات المتحدة ( أمريكا ) الذى وقعته انكلترا فى سنة ١٧٨٣ على أثر هزيمتها فى حرب الاستقلال الأمريكية ، وقد وقع هذا العهد فى قصر ڤرساى ترضية لفرنسا وتكريماً لها لما بذلته من كبير عون للأمريكيين فى هذه الحرب التحريرية ؛ وكانت نتيجة هذا العهد الخالد أن قامت فى العالم الجديد أمة حديثة مستقلة من أعظم الدول الديموقراطية ؛ وفى سنة ١٨٧١ ، على أثر محنة فرنسا وهزيمتها أمام ألمانيا فى الحرب السبعينية ( سنة ١٨٧٠ ) أرغمت فرنسا على أن توقع وثيقة هزيمتها وذلتها فى قصر ڤرساى نفسه ، فى بهو المرايا الشهير Galerie des Glaces ، وهو البهو الشاسع الذى يتوسط القصر فيطل على البستان من ناحيتيه ، وأرغمت على أن تتنازل لألمانيا عن الالزاس واللورين ؛ وفى بهو المرايا أيضاً أعلنت الامبراطورية الألمانية ، وتوج أول امبراطور ألمانى ، وهو ڤلهلم الأول ( جيوم ) ، وأجريت مراسيم التتويج فى نفس البهو بحضور ملوك الولايات الألمانية المتحدة ، وهذه ذكريات من أسود الذكريات وأتعسها فى تاريخ فرنسا القومى

على أن فرنسا اعتزمت غداة ظفرها فى الحرب الكبرى أن تمحو هذه الصفحة الشجية وهذه الذكريات الأليمة من تاريخها وأن تثأر لشرفها القومى من ألمانيا ، وأن ترغمها على أن توقع وثيقة انكسارها وذلتها فى نفس المكان الذى اختارته ألمانيا من قبل لأرغامها وإذلالها ؛ ففى هذا البهو الشهير ذاته — بهو المرايا — وقعت ألمانيا معاهدة الصلح — أو معاهدة ڤرساى — التى فرضها عليها الحلفاء الظافرون فى يونيه سنة ١٩١٩ ، والتى تثقلها بمختلف الفروض والمغارم الهائلة ، وتقضى عليها برد الالزاس واللورين إلى فرنسا

وليس فى بهو المرايا اليوم ما يذكرنا بأعظم معاهدة عرفها التاريخ سوى لوحة بسيطة مؤثرة كتب عليها . « فى ٢٨ يناير سنة ١٩١٩ ، ردت الألزاس واللورين الى فرنسا »

وفى نهاية البستان الشاسع من الناحية الأخرى صرحان آخران منعزلان هما قصر تريانون الكبير ، وقصر تريانون الصغير ؛ وقد أنشأ أحدهما لويس الرابع عشر ، وأنشأ الآخر لويس الخامس عشر ؛ وكلاهما حافل بالذكريات العذبة ، وكلاهما كان مسرحا لليالى والحفلات الباهرة ؛ وكان تريانون ملاذا محبوبا للملكة مارى أنتوانيت ، والامبراطورة جوزفين بوهارنيه زوج نابوليون

* * *

قضينا عدة ساعات فى التجوال فى هذه المعاهد والمشاهد التى تذكى الخيال الى الذروة وتحملنا الى عصور وعوالم أخرى ؛ وكانت الساعة الثانية بعد الظهر حينما انتهينا من هذا التجوال الممتع ، وغادرنا القصر المنيف والبستان الشاسع الى قلب المدينة حيث طفنا بطرقاتها برهة ، ثم عطفنا على مطعم نتناول فيه الغداء ، وقد رأينا أن الأثمان فى ڤرساى ليست أقل ارتفاعا منها فى باريس ، وأن موجة الغلاء المرهق التى قدمنا لك منها فيما تقدم أمثلة عديدة تعم فرنسا بأسرها

ولقد كان يوم ڤرساى خاتمة التجوال فى رحلتنا الباريزية ؛ وكانت الأقامة فى باريس بما فيها من تكاليف وأثقال مرهقة ، وبما استوعبناه من مشاهدها ولياليها المماثلة ، قد أخذت تثقل على النفس ، فأزمعنا مغادرة العاصمة الفرنسية الى عواصم ومجتمعات أكثر ترحابا وأقل اعنانا وارهاقا ، وأرفع خلالا ومثلا

في الأدب المقارن

# شخصيات الأدباء
## في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

يكثر التشابه بين أفراد الجنس الواحد في عالم الطبيعة في الطبقات الدنيا من الأحياء، وكلما ارتقى الجنس في سلم الحياة ازداد الاختلاف في المظهر والصفات بين أفراد الجنس؛ وكذلك الحال في المجتمعات البشرية: يتشابه الناس ويتقاربون في المشارب والأغراض في عصور الانحطاط، ويختلفون خلقاً وعبقرية في عصور النهضات، ويتفرقون في شعاب الحياة ودروب المطامح فلا يتفقون إلا في تدفع الحياة في نفوسهم وعلو هممهم وولوعهم ببعيدات الأمور، فالتشابه والاتفاق من أمارات الانحطاط. والاختلاف والتميز من دلائل الرقي

وذلك الشأن في آداب الأمم: فان أظهر ميزات عصور النهضات فيها اختلاف مشارب الأدباء وتباين شخصياتهم واستقلال نظراتهم إلى الحياة ووجهاتهم في الفن، فهم وإن اتفقوا على مبدأ أو مذهب في الأدب، لا يتشاكلون ولا يكرر بعضهم بعضا ولا يغني أحدهم عن سائرهم، بل ينتحي كل منهم ناحية من الحياة يوكل بها، ويرى الحياة جماء بمنظار نفسه لا بمنظار غيره، وينفث في أدبه خلاصة عبقريته الفردية؛ أما في عصور إدبار الأدب فيتماثل الأدباء حذوك النعل بالنعل، ويتهافتون جميعاً على نموذج الأدب أو الأنشاء الأدبي، لا ينفكون يقلدونه ويعارضونه ويغفلون بمحاكاته عن حقائق الحياة ولباب الفن، فيخرج أدبهم جميعاً صوراً مكررة من أنفسهم وأشكالاً ممسوخة من ذلك النموذج المحتذى أو القالب المصبوب

ويمتاز فحول الأدب الانجليزي، ولا سيما في عصور نهضاته ببروز شخصياتهم واستقلالها واختلاف بعضها عن بعض اختلافاً تاماً، إلا في اقتباسها جميعاً من نور الصدق، وإصدارها جميعاً عن معدن الشعور: فالنهضة الرومانسية في مستهل القرن التاسع عشر مثلاً، كانت ذات أغراض معينة مشتركة بين جميع أعلامها: كانت ثورة على قيود الفكر وصناعة اللفظ وتقاليد النظم وعودةً إلى الطبيعة والبساطة، ونزوعاً إلى جمال الحياة، ومع ذلك يتباين فحول شعرائها وتبـــدو شخصياتهم بارزة واضحة الاختلاف في الأخلاق والمشارب والأساليب:

فوردزورث كان موكلاً بالطبيعة ومجاليها وأسرارها، مؤمناً بضرورة استخدام لغة النثر السهلة في الشعر؛ وشلي كان معنياً بالاصلاح الاجتماعي وعدواً لدوداً للملكية والكنيسة والتقاليد الحمقاء؛ وكولردج كان هائماً في عوالم المجهول وأغوار الماضي السحيق؛ وسكوت كان مغرماً بالعصور الوسطى وتاريخها في بلاده اسكتلندا، متغنياً بمجدها وفروسيتها، محيياً لأغانيها الشعبية؛ وبيرون كان بوهيمي النزعة جريء الفكرة مشغولاً بقصص الأبطال، جزل الأسلوب رائعه دون تدبيج ولا تروٍّ

ولنضرب مثلاً آخر مؤرخي الانجليزية الثلاثة، الذين توخوا الفن والأسلوب الأدبي في تواريخهم: جيبون وماكولي وكارليل، فأولئك شخصيات ثلاث متميزة: فالأول رصين الأسلوب واللفظ، محكم البنيان ميال إلى الموازنة في المعاني والازدواج في التراكيب، والثاني يراوح بين طويل الجمل وقصيرها، مولع بتصوير المناظر التي يمر بها تصويراً يقف بك أمامها وجهاً لوجه، كلفٌ بتاريخ مآثر وطنه وعظائم أبنائه ومواقف فخاره، أشدُّ تشبعاً بالوطنية وأقل نصيباً من النظرة الانسانية الشاملة من صاحبيه، والأخير قصير الجمـــل فجائي الأفكار، معني بعظماء الرجال أخلاقهم وسحناتهم وآثارهم في عصورهم

وقل مثـل ذلك في سائر مشهوري الأدباء الانجليز: كلهم

---

وقد يكون فيما اتخذته فرنسا أخيرا من الخروج عن معيار الذهب وتخفيض قيمة الفرنك بالنسبة للعملات الأجنبية شيء من التخفيف على السائحين وإغراء لهم بزيارة فرنسا بعد ما انصرفوا عنها في الأعوام الأخيرة، ولكن الظاهر أن التخفيض الجديد لم يحدث أثراً يذكر إذ صحبه ارتفاع مماثل في الأثمان، فاذا صح ذلك، وإذا لم توفق الحكومة الفرنسية الى تخفيض معيار العيش وإخماد تلك النزعة الجشعة التي تبدو في كل صنوف التعامل فأن أولئك الذين زاروا فرنسا أيام ارتفاع الفرنك واكتووا بنار هذا الغلاء، يترددون كثيرا في العودة اليها

(***)

مختلفو الشخصيات مستقلوها ، واضحو النفسيات ، متميزة شخصياتهم ونفسياتهم إحداها عن الأخرى ، تقاربوا فى العصور أو تباعدوا ، اتفقوا فى المذهب الأدبى أو اختلفوا ، وذلك أول دليل على حيوية الأدب ، وأصدق شاهد باستمداده من ينابيع الحياة الجارية ، لا من بطون الكتب الجافة ، فالحياة لا تفنى صورها تمدداً ، وهى تبدو لكل أديب صادق النظر والشعور فى صورة جديدة

وإنما تشابهت شخصيات الأدباء وتماثلت آثار الشعراء فى عصور تدهور الشعر فى أواسط القرن الثامن عشر ، حين بعد الشعراء عن الطبيعة وانغمروا فى المدينة ، وهجروا الحياة وغرقوا فى صفحات الكتب ، وأعرضوا عن وحى شعورهم وقلدوا من سبقوهم ، فعدوا پوب ودريدن المثل الأعلى الذى يحتذى ، والمطلب الأسمى الذى لا يطلب سواه ، واحتذوهما فى الغرض والأسلوب والعروض ، وتعاوروا أشعارهما معارضة واقتباساً واختلاساً ، فخرجت آثارهم جميعاً متشابهة متشاكلة بعيدة عن الفن لا تصور شخصيات قائليها ، وخملوا جميعاً من دون ذينك الشاعرين اللذين احتذوهما . فلا يهتم بآثارهم اليوم إلا مؤرخ الأدب المدقق المستقصى

وفى تاريخ الأدب العربى شخصيات مستقلة واضحة متميزة ، مخالفة كل منها للأخريات قولاً وخلقاً وأسلوبا ، كالمعرى الحكيم المشفق على أمة الطير والحيوان ، المعنّى بتنازع البقاء وبنى الأحياء ، والمتنبى الطموح « المتعاطى للكبر وعلو الهمة » كما قال بعض معاصريه ؛ وابن الرومى المشغوف بالجمال الطبيعى والانسانى ، المنهوم بنعيم الحياة ولذاتها ، الدقيق النظرة ، الرائع التصوير ؛ وأبى نواس الماجن المستهتر ؛ والجاحظ الموكل بفنون الثقافة ؛ وبديع الزمان المعتد بنفسه ، الحريص على المادة المكاثر بثروته اللغوية ومهارته الصناعية ، السهل الديباجة ، الرائق الفكاهة . كل هاتيك شخصيات بارزة متميزة

ولكن بجانب أمثال أولئك حَفْلٌ كبير من مشهورى الأدباء الذين آتتنا آثارهم وانحدرت الينا بعض أخبارهم ، ولكن شخصياتهم مبهمة مطموسة ، يكتنفها الضباب ولا يستجليها الخيال ، وتتشابه كثيراً حتى تُضيفُ آثار بعضها الأدبية إلى آثار الأخرى فلا ترى فارقا ، ولا تحس مانعاً يحول دون ذلك من تباين الأساليب أو اختلاف النفسيات أو تضاد النزعات ؛

بل إن شخصيات بعض من تقدم ذكرهم من فحول العربية ، على كثرة ما وصل الينا من كتاباتهم وأخبارهم ، مبهمة فى كثير من نواحيها

ولا ريب أن لطول العهد وكر الزمن أثراً كبيراً فى تبديد الآثار ، وتغيير الأفكار والمشارب والأذواق ، وإحاطة شخصيات المتقدمين بغمائم من الغموض والغرابة مهما تحدث الشعراء بذكر الخلود ؛ ولكن هناك عدا هذا عوامل لابست الأدب العربى فأدت إلى غموض كثير من شخصيات كثير من أعلامه ، وتشابهها واختلاطها ، أولها شيوع الأمية فى الجاهلية وصدر الاسلام ، مما أدى إلى تبدد أخبار كثير من الشعراء وضياع أشعارهم واختلاطها ، ودخول الزيف والتمويه عليها ، مع أن شعر ذينك العصرين كان أصدق حديثاً وأكثر إفصاحاً عن شخصيات قائليه من شعر العصور التالية ، لولم تعبث به يد الأمية والنسيان

ولما انتشرت الكتابة لم تكن الطريقة التى جرى عليها المؤرخون فى ترجمة الأدباء هى المثلى : فقد اقتصروا على تواريخ ووقائع — كوفود الأديب على ممدوح أو اتصاله بديوان أمير — لا أهمية لها فى شرح نفسياتهم ، ولا غناء وراءها فى توضيح شخصياتهم ، وجاء كثير من التراجم مختزلا مجتزأ . وناقض بعض الروايات بعضاً ، وصعُب تصديق بعضها ، فظلت جوانب من تلك الشخصيات مغلقة ؛ فما أقل ما يعرف عن عبد الحميد وابن المقفع والطائى والبحترى وابن الرومى والمتنبى ، فهم لا يكادون يظهرون فى ضوء التاريخ إلا فى جناح أمير أو ركاب عظيم ؛ أما نشأتهم فمهملة ، وهى التى لها أكبر الأثر فى آدابهم ؛ وأما حياتهم اليومية فمغفلة ، كأن ليس لها خطر ولا شأن

وما قصر فيه المؤرخون لم يعوضه الأدباء أنفسهم : فكثير منهم لم يصوروا أنفسهم فى أشعارهم ورسائلهم صورا واضحة ، ولم يودعوها خلجات أفئدتهم ونظراتهم فى الحياة ، بل ما أكثر الكتاب الذين قصروا بيانهم على إنشاء رسائل الأمراء ، والشعراء الذين توفروا بأشعارهم على مديح أرباب النوال ، فامتلأت آثارهم الأدبية بذكر أناس كثيرين ووصف أحوالهم وأفكارهم ، فيما عدا منشئى تلك الآثار الأدبية أنفسهم وأحوالهم وأفكارهم ، فلاغرو جاءت آثارهم متشابهة ، لا توضح شخصياتهم ولا تنهض ببعض ترجمتهم ، ومن العجيب أن أكثر الشعراء

إفصاحا عن أفكارهم الخاصة وحاجاتهم وشعورهم ، كانوا هم المجان والخلعاء الذين لم يكن لهم شعور ولا تفكير فى سوى اللذة والعبث كبشار وحماد

فالناظر فى ديوانى الطائى والبحترى ، وفى رسائل ابن العميد والصاحب ، لا يعثر إلا نادراً على فقرة أو أبيات مصدرة عن شعور شخصى للأديب هو ببيانه محتفل ، أو فكر جليل هو فى إذاعته جاد ، ولا يرى فى الشعر إلا مديحا وهجاء وشكوى للزمان وافتخاراً بعلو الشأن ، أو ما كان يجب للشاعر من علو الشأن ، وضرباً للأمثال واصطناعا للحكمة ؛ ولا يرى فى النثر إلا تنميقاً وتدبيجا واقتباساً وتكاثراً بسعة الاطلاع ، فلا غرو يتشابه أولئك الشعراء إلا تفاوتاً قليلاً فى الصياغة ، وأولئك الكتاب إلا اختلافا بسيطا فى الأسلوب ؛ فاذا أنت نزعت جانباً كبيراً من نظم أولئك الشعراء ، أو نثر أولئك الكتاب ، لم تشوه آثارهم بانتزاع ما لا غنى عنه لبيان نفسياتهم ؛ وإذا أضفت بعض آثارهم إلى بعض لم يَعُقْك عائق من تميّز شخصية عن شخصية أو اختلاف منحى عن منحى

وهناك عامل خطير لا يقل عن هذا أهمية فى تشابه شخصيات الأدباء وتماثل آثارهم : ألا وهو نزعة المحافظة والتقليد التى صاحبت الأدب العربى منذ قامت الدولة العربية وانتشرت اللغة فى الأقطار ، فقد اتُّخذ الأقدمون مُثُلاً عُليا فى البلاغة والشاعرية ، وألح المتأخرون على آثارهم وأغراضهم فى القول ومعانيهم محاكاة وتوليداً وتخريجاً ، وجالوا جولان المتقدمين فى ميادين المدح والهجاء ، والفخر ، وشكوى الدهر ، وضرب المثل واستخراج الحكمة ، واحتذوهم فى النسيب بليلى وهند والوقوف بالأطلال واستحثاث المطى وذرع الفلوات ، فكان للأدباء فى توالى العصور تراث أدبى واحد يتكرر ولا يكاد يتغير ، ويتشكل ولا يكاد يتحول ، ويأخذ منه كل أديب ويكاد يفنى فيه ، وينهل منه وتكاد شخصيته تغرق فى عبابه

فتقليد المتقدمين دون الطبيعة ، واتخاذهم مثلاً عليا يصدر عنها القول ، بدل أن يصدر عن الشعور الفردى المستقل ، من أكبر أسباب ركود الأدب وتشابه آثار الأدباء وتقارب شخصياتهم ؛ ومن ثم جاءت آثار كثير من الأدباء المتأخرين مُتشابهة كلة مُشابهة جميعها لآثار المتقدمين ، على تباعد الزمان واختلاف المواطن ؛ وظلت شخصياتهم غامضة لأنهم لم يجلوها فى كتاباتهم جلاء صادقا

ولما استفحلت الصناعة اللفظية ، واشتد الحرص على المحسنات البديعية ، غرقت معانى الشعر وأغراضه وشخصيات الأدباء جميعاً فى سيل من الألفاظ المرصوفة والعبارات المقتنصة من آثار المتقدمين ، وأصبحت دواوين الشعراء جميعاً ديواناً واحداً مملوءاً بالنكات اللفظية ، لا فرق بين أوله وآخره . وما أشبه ما قاله البهاء زهير بما قاله ابن نباتة بما قاله صفى الدين من نسيب متناه فى ادعاء الرقة والظرف ، ووصف لمجالى الطبيعة تُخالط فيه محاسن الطبيعة وصورها ببهارج الألفاظ وزخارفها مزجاً عجيباً ، وتُتطلَّب البراعة بأقحام مصطلحات العلوم كالنحو والمنطق والنجوم

ولا ريب أن أمتع الأدب للنفس ، وأعلقه باللب ، ما أبان عن شخصية قوية ، ونفسية مستقلة ؛ ومن ثم نرى أن ذوى الشخصيات الأصيلة والنظرات الصادقة فى حقائق الحياة ، كالمتنبى وأبى العلاء وابن الرومى والجاحظ ، هم الذين حظوا ، دون غيرهم من أدباء العربية الأقدمين ، بالدرس الطويل والترجمة المفصلة من كتاب عصرنا الحالى ، لأن آثارهم تشوق الدارس وتحفزه إلى الكتابة والتعليق والنقد ، وتحوى صوراً من أنفسهم يطيب للمطلع التأمُّلُ فيها والنظر إلى الحياة فى ضوء أفكارها . ولو حاول ناقد أن يترجم لمروان بن أبى حفصة ، أو مسلم بن الوليد ، أو مهيار ، أو البحترى ، أو الصاحب ، أو الحريرى ، ترجمة مفصلة تشرح نفسية المترجم وتميط عن نزعاته وميوله وعوامل ذلك ، مستمداً شرحه وتحليله من آثار الكاتب أو الشاعر الأدبية التى اشتهر بها ، لكلف نفسه شططا

فالناظر فى الأدبين العربى والانجليزى ، لا يسعه إلا أن يلاحظ أنه يجد فى تاريخ الأخير شخصيات قوية مستقلة ظاهرة التباين والاختلاف ، مصورة فى أعمالها الأدبية حتى لتكاد تغنى بها عن ترجمة المترجين ، وتحوى كتاباتها صورها النفسية الداخلية فلا تكاد تترك للمؤرخ أكثر من سرد التواريخ وبعض الوقائع وهى لذلك ممتعة جذابة يحس القارئ أن بينه وبينها على اختلاف اللغة والزمن والوطن تجاوباً وصلة شاملة هى صلة الانسانية ، ويطربه أن يراها تعالج نفس المشاكل وتخامرها نفس الخواطر والخوالج التى تساوره ، وأمثال تلك الشخصيات الواضحة أقل عدداً فى تاريخ الأدب العربى

فخرى أبو السعود

# تشاؤم المتـــنبي

## وما أعد لهذا التشاؤم

« كلمة أعدت لتلقى فى مهرجان دمشق فجاءت متأخرة »

للأستاذ خليل هنداوى

التشاؤم طبيعة العقل المتيقظ الذى فتح عينيـه فرأى نفسه فى القافلة البشرية فأخذ يسأل نفسه : لِمَ يمشى ؟ ومن أين إلى أين ؟ ولـكنه لبث يمشى ... وكيف لا يتشاءم العقل حين ينظر إلى الـكون ويحاول أن يحكم على أشيائه بميزانه ، فيجد قاعداً ما كان يجب أن يكون قائماً ، وقائماً ما كان ينبغى له أن يكون قاعداً . هـذه النظرة الأولى التى تبدأ فى العقل حين يتيقظ وعلى مقدار سعة دوائر العقل تتسع هذه الآماد وتتباعد هذه الدوائر . وهنا يعود العقل فى كل مراحله خاسئاً يحمل إلى النفس خيبته فى رحلته ، فتلقاه حاملاً الشقاء دون عزاء والحيرة دون إيمان ، والنفس إزاء هـذا القلق العميق إما أن تعود إلى نفسها ويلتف بعضها على بعضها التفاف الأفعى ، تخلق من نفسها العزاء فى هذه الحياة ؛ وسواء عندها أن تخلقه من إيمان تفرضه أو تفاؤل تؤمن به ، فترى فى الحياة إشراقاً ولا إشراق وبهجة ولا بهجة ، فتنثنى مغتبطة بهذا التفاؤل الذى هو وليـد ذلك التشاؤم المبطن به ، وإما أن تعود ولا تكسب من التشاؤم إلا التشاؤم

وقد يكون هـذا التشاؤم عاماً يمثل رسالة الانسانية المتألمة ، وقد يكون خاصاً يمثـل رسالة الشاعر نفسه ، يضع فيها آلامه ولا يتصل بالانسانية إلا بقـدر ما تريد نفسه أن تتصل بها . وآفاق التشاؤم العام أوسع مدى ، وأصحابه أكثر نبلاً لأنهم أفنوا ذواتهم فى الذات الانسانيـة ، وأصبحت تتمثل فيهم كل آلامها وأوجاعها ، لأن الانسانية ذاتها تجهل ما تريد من الـكون وما يراد منها . وآفاق التشاؤم الخاص ضيقة محدودة تدل على أنانية أصحابه ، إذ لو أن حظاً من حظوظ الحياة الضائعة أتاهم لبـدل نظراتهم فى الـكون ولون لهم شمساً جديدة بألوان غير ألوانهم

ولـكن التشاؤم لا تتحد نتائجه ؛ فمن التشاؤم ما يذهب بصاحبه إلى الاستسلام حين يؤمن بعجزه ، وإلى الزهد حين يؤمن بفناء الحياة ، وهذا أقبح التشاؤم وإن يكن أصدقه عند العقل . ومن التشاؤم ما يثير فى النفس قوى المقاومة فيها بالعنف والشدة ، وبهذا التشاؤم تهـتز الحياة وتشرق ألوانها القاتمة ؛ فشوبنهاور ونيتشـه رجلا تشاؤم حالك اللون ، ولـكن تشاؤم شوبنهاور قاده إلى الاعتقاد بأن العدم وحده هو الذى ينقذ الانسانية من آلامها التى تتذوقها بين الموت والحياة . وتشاؤم نيتشه كان موقظاً لنفسه وحافزاً قوياً له لعبادة الحياة لأنها الحياة مهما كانت ألوانها ومهما طغت آلامها

لست أعرف فى الأدب العربى أبلغ تشاؤماً من اثنين : المعرى وابن الرومى وثالثهما المتنبى .. أما الأولان فقد سلـكا فى تشاؤمهما مسالـكا عدمياً يدعو إلى احتقار الحياة ، والمعرى هو القائل بأن الولادة جناية ، وهو الذى غلبت عليه فـكرة صوفية غير مؤمنة ؛ وابن الرومى هو الذى جعل من حياة الانسان مأساة يبدأ أولها بعويل الطفل حين يولد وتنتهى بمثله حين يموت . أما المتنبى فقد كان جهازه العصبى عنيفاً ، وكان تشاؤمه مضطرباً متوثباً لم يدفعه إلا إلى مقاومة الحياة ؛ لا يصدفه عنها صادف لأنه مؤمن بها ومستهام بها ولو أنها عجوز درديس ! وقد كان تشاؤمه ، اجتماعياً — وهو ما اصطلح أدباؤنا على تسميته بالحـكمة المتنبية — وتشاؤمه الاجتماعى كان وليـد حظه فى هذا الوجود الذى جعل من حياته المبهمة والمعلومة مرحلة آلام وجهاد . تشاؤمه فى نظراته الاجتماعيـة ولا يرى منها إلا ما يتصل بنفسه ؛ ولقد بطنى هذا التشاؤم على بقية نظراته فى مسائل الحيـاة والـكون لأنه كان مريضاً بحب معالى الأمور ، مريضاً بعظمة نفسه ، كما نرى — بعد أن حرمه المجتمع حقه — يرى واجبه أن يضع نفسه — وهو حر بها — موضعاً عالياً ، وذا أقل ما يفعل ؟ ولا أستطيع إلا أن أتصور تلك الحدة فى جهازه العصبى الذى كان عنيفاً فى احتداده متوتراً فى هدوئه . وهنا كان سر اختلاف التشاؤم بين المعرى والمتنبى . فالمعرى كان أوسع أفقاً فى دائرته ومغازيه ، وكان نظره أعم فى مسائل الـكون والحياة لأنه وقف درسه وشعره عليها ، وكان له فى زهده وعماه ما يصرفه عن الاشتغال بدنياه . فمال به تشاؤمه الى الزهد والعدميـة كما مال بشوبنهاور . مع أن المعرى أحد محبى المتنبى والمتأثرين به ، أخذ منه تشاؤمه وأغفل ما كان عنده من أسباب المقـاومة . وإذا فـكر الانسان قليلاً فى حاله بدا له أن الـكآبة

تنتظره ، وأن كل فكرة هنا تقوده الى الحزن . وما حياة الانسان على الأرض إلا مأساة تنتهي دائماً بالدموع والشقاء والموت . يعلم المفكرون هـذا المغزى ولـكن بعضهم لا يقول به . بل إن منهم من يدعو الى الايمان القوى بالحياة . ولـكن هل كان الناس كلهم يملـكون هذه القوة الروحية ؟ وهما أمران مختلفان ؛ أن يتغلب المرء على تشاؤمه وهمومه فى سبيل اتمام دورة الحيـاة ، أو أن يجتنب الحياة تطغى عليه أنانية حاقدة . وهل كان هذا الايمان القوى بالحياة إلا نتيجة تشاؤم عميق ونفور عميق من الحياة وولع عنيف بها يولده هذا النفور ؟

فى فلسفة المعرى تشاؤم ليس بايجابى صرف ، ولـكنه تشاؤم سلبى . فيها انطلاق من الذاتية وتعلق بالذاتية : لا تطلق «أم دفر» لمجرد نتنها ولـكنها تدانت من « أم دفر » فلم تبؤ إلا بالخيبـة . فلسفة وجدت ذاتها ضائعة بين الذوات ؛ ومثل ذات المعرى لم تأت لتكون ضائعة ، فشنت الغارة على الدنيا وعلى أهلها وانتقمت لذاتها منها ومنهم ، وبهذا استغنت عن ذاتها فى ناحية وتمسكت بذاتها من ناحية ثانية . ولهذه الذات خطرها لأنها أنانية حاقدة نصبت نفسها فوق غيرها وطفقت تملى أحكامها القاسية على الناس وقيمهم وعقائدهم ، وتسخر منهم وتفشى معايبهم وتكشف عن مخازيهم ، وهى فى كل هذا فرحة مختالة ، ترى فى كل خطوة تخطوها ظفراً لها لامعاً . ولهذه العلة وحدها كان يأنس بالمعرى كل متشائم لأنه يحسن له الانتقام من الحياة وأبناء الحياة ولـكنه ظفر موهوم لا يكلف صاحبه إلا النقمـة . أما من لا يزالون يتلمسون فى أنفسهم بقية من الحياة النشيطة فهم لا يرضون عن هذا التشاؤم . فالمتنبى متشائم يهاجم فساد الناس والمجتمع ولـكنه لا يهرب من الحياة ولا ييأس منها يأساً قاتماً ، فى يأسه انطلاق وفى نقمته رضا ، وحياته وأدبه شيئان متصلان لا يمكن أن ينفصلا لأنهما يعبران أصدق التعبير عما يريد أن يقوله عن الحياة ، ولأن حقائقه العامة كانت مستخلصة من حقائق الحياة الخاصة

— ٢ —

ادخل فى كل باب ولجه المتنبى : فى اجتماعياته وفى إحساسه بذاته وفى نظراته إلى الحياة والموت وما وراء الموت تجـد فى ثنايا هذه النظرات تشاؤماً عميقاً ينفذ اليه النظر الثاقب ، وتجد أن هذه المقاومة التى تمثل الرجولة الـكبيرة قد كلفت صاحبها كثيرا ، وجعلت حياته مسرحا للاضطراب والشقاء . أما المجتمع عنده ، فهو غاب تتصارع فيه سباع الأنس ، ينال واحدها الشىء غلاباً واغتصابا . وقد تنقلب هذه السباع غرباناً ورخماً ، فويل للجريح الذى يشكو اليها ، وويل للذى يأمن لهم ، ويثق بهم ، ويغره منهم الثغر المبتسم . ولا عجب إذا تناحرت السباع فالحياء لا يسد لها جوعا والسلام لا يحفظ لها بقاء . والشاعر — خلال ذلك — يريد أن يكون أسداً — ولـكن حيياً — « وهل ينفع الأسد الحياء من الطوى ؟ » يريد أن يكسب ما لا يصمه وما لا يشركه فيه وغد . وإذا لم ينل ذلك فالذنب ذنب الزمان الهرم !

كيف يريد أن يقابل مثل هذا المجتمع ؟ أيشكو ويتعتب ، وهو فى كل قصيدة يشكو ويتعتب . أيسكن ويرضى ؟

وللواجد المكروب من زفراته ... سكون عزاء أو سكون لغوب

أيرضى عن الحياة وما صفت إلا لجاهل متعاقل وما شقى فيها إلا عاقل ؟ أيطمئن إلى سرورها وقد رأى انتقاله ؟ أيسى فى منا كبها ومساه منها فى شدوق الأراقم ؟ أيتعلل بشىء منها ولا أهل يتعلل بهم ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن ؟

اتخذ الشاعر مواقف متعددة إزاء المجتمع ، فهو طوراً يسعى إلى مداراة أصحابه ، وقلمـا يفعل فيصادق العـدو ومن نكد الدنيا مصادقته ، وهو طوراً — وقد ملّ من المبالاة بالأرزاء — يسعى إلى أن تهون عليه الأرزاء ، وأن يخدر إحساسه بها ، لأنه ما انتفع بالمبالاة . وطوراً ينظر إلى الأيام نظرة عميقة فلا ينكر عليها تقلبها ، ولا يمدحها ولا يذمها ، لأنها تبطن لا عن جهل ، وتكشف لا عن حلم ، ولأنها لا تشبع إلا إذا جاع ، ولا تروى إلا إذا ظمىء ! وفى هذه النظرة يدنو من مذهب القائلين باللاشعور فى الطبيعة . وقد يضطرب هذا الرأى فى نفسه فيتصور أن الناس هم الجانون لا الأيام وحدها ، فيزيد نقمته على المجتمع ، ويصبح لا يميل الى مجازاة الابتسام بالابتسام ، ولا الشك فى كل إنسان ، لأنه واحد من الأنام ، وإنمـا يريد أن ينتقم من الناس وأن يطأ قلوبهم وآمالهم كما يطأون قلبه وآماله

ومن عرف الأيام معرفتى بها ... وبالناس روى رمحه غير راحم

وكيف يكون الذنب كله ذنب الزمان ؟ وربما تحسن الصنيع لياليه وإن كدرته أحيانا . ولـكن هو الانسان الذى يركب فى قناة الزمان سناناً . وقد يسأم الشاعر من هذه المقاومة العنيفة

فيعود الى عدم الاكتراث بدهره . ويرى أن هــذا المراد الذى تتفانى عليــه نفوس البشر أحقر من أن نتعادى فيه ونتفانى . ولـكنه ينظر الى نفسه فيرى أن هذا المراد الـكبير ، المراد الذى جل أن يسمى — هو سبب شقائه . فلو مال عنه لوجد فى الحياة رغداً كثيرا وراحة كبيرة ، ولـكن ما هى قيمة الحياة بدون مراد كبير ؟ والمتنبى ليس ممن يرضون بميسور عيشهم ! فيتعلل وهو أبلغ تعليل يراه بأن لا عذاب فى العذاب ، وأن كل بعيد الهم فيها معذب

وإذا كانت النفوس كبارا    تعبت فى مرادها الأجسام

فليحمل العذاب فى سبيل ما جل أن يسمى !

هذه مراحل كان يأوى اليها الشاعر فى نضاله ، أقربها تجثم فوقه غيوم سوداء من التشاؤم ، ولقد زاد فى تشاؤمه إحساسه بعظمته التى لا يقنعها مظهر من المظاهر ، وهو الذى كان فى محفل من الناس واليوم أصبح فى محفل من قرود ! ولـكن المتنبى إزاء هذه النوازع هل راح يبغض الحياة ؟ ظل احساس المتنبى برغم هذه العوارض التى ألمت به إحساساً قوياً فنياً ، يحب الحياة ولا ينكر ابتغاء كل نفس للحياة وحرصها عليها وهيامها بها . ومن الذى لم يعشق الدنيا والحياة ؟ ولـكنه لا ينسى أنها لا تنيل أرباً ولا تعطى غاية ولا تسمح بوصال . وقد كان هذا وحده كافياً فى خلق النفور منها ولـكن :

من لذيذ الحياة أنفس فى النفـ    ـس وأشهى من أن يمل وأحلى

وإذا الشيخ قال أفٍ فما ملّ    حياة وإنما الضـــعف ملا

وإذا كان الشيخ وحده يمل الحياة بسبب ضعفه فليبادر وهو فتى — الى الحياة — يستخلص منها ملذاتها قبل أن تستخلص منه نفسه ، ويجنح الى اللهو فأوقات اللهو تمر سراعاً كأنها كما قال قُبَل يزودها حبيب راحل ! والزمان لا لذيذ خالص فيه ولا سرور كامل . . . وليت شاعرنا يقنع بهذا التعليل ، فلقد تطغى عليه فى بعض مواطنه موجة من التشاؤم لا نجد لها مثيلاً إلا عنــد المعرى . . . ينظر الى الدنيا وقد أعياه أمرها فيراها خائنة :

. . . أخون من مومس    وأخــدع من كفة الحابل

تفانى الرجال على حبها    وما يحصـــلون على طائل

يراها خائنة معشوقة

ومن لم يعشق الدنيا قليل    ولـكن لا سبيل الى الوصال

وقد نظر المتنبى فيما نظر الى الموت وما بعــد الموت . فكان نظره قصيراً فيما وراء الطبيعة وخياله محدودا ؛ ليس له رأى ذاتى فيه وإنما يسمع ما قيل ويشك فيما قيل ؟ ولعله سما فى قصيدته التى رثى بها عمة عضد الدولة سمواً يذكرنا بما سما اليه المعرى فى الرثاء . فقد مزج نظرته بشىء من الفلسفة الوثنية التى تعيد الأرواح إلى جوها والأجساد إلى تربها وترى كل شىء معلقاً بالزمان

نحن بنو الموتى ، فما بالنا    نعاف ما لا بد من شربه

تبخل أيدينا بأرواحنا    على زمان هن من كسبه

فهذه الأرواح من جوه    وهذه الأجساد من تربه

يموت راعى الضأن فى جهله    ميتة جالينوس فى طبه

وربمــا زاد على عمره    وزاد فى الأمن على سربه

وغاية المفرط فى ســـلمه    كغاية المفرط فى حربه

لو فـكر العاشق فى منتهى    حسن الذى يسبيه لم يسبه

فـكم فى هــذه الصورة الأخيرة من روعة وتشاؤم ! وقد تـكون روعتها فى انطلاقها وإطلاقها الخيال للسامع ، فيصور ويمثل منتهى هذا الحسن الذى يسبيه ، وقد وددت لو أنقل صورة لمثل هذا المنتهى للشاعر الفرنسى « بودلير » فى قصيدته « جيفة » وهل يريد المتنبى من هذا المنتهى إلا هذه الجيفة ؟ وليته رسم لنا خطوطها وأتم صورتها ، ولـكن الموت قد يمكر على المتنبى هناءه ، ولـكنه لا يمنعه منــه وقد يستغل اسمه وهوله — أمام محبوبته ، وجيفته — فيطلب إليها أن تزوده من حسن وجهها قبل أن يحول ، وأن تصله فى هذه الدنيا لأن المقام فيها قليل ، أما رعشــة الموت فهو يحسها ويلمسها ويراها ويدرك كما أدرك المعرى بنظره الشامل أننا :

يدفن بعضنا بعضاً وتمشى    أواخرنا على هام الأوالى

وهل فى هذه النظرات العميقة إلا تشاؤم عميق ؟ ولـكنه لم يُسلم صاحبه إلى الاستسلام ؛ تشاؤم يرى كل ما يشق منظره فيحسب يقظات العين حلماً ! ويعفو عن الزمن لأنه لا يعقل أن يلمه ما ليس يلمه الزمن من نفسه . وهكذا خلق هذا التشاؤم فيــه قوة يعود تعليلها إلى أمور كثيرة ، منها إلى مزاجه ومنها إلى بيئته ؛ وحقاً إذا كان مزاجه العصبي قد أضربه فى موطن

فقد عاد عليه بفوائد كثيرة فى مواطن كثيرة . منها هذه المقاومة المنيفة والمجابهة التى يطفح بها شعره ، وقد كان أولى بهذا المتشائم أن يقوده إلى ما قاد المعرى إليه برغم أن المعرى لم يُبل فى الحياة والأصحاب بمثل ما ابتُلى به المتنبى

هـذا الجانب من جوانب المتنبى أعجب به وأعتز به لأنه علامة من علامات الرجولة الممسوخة فى هذا الجيل ، تصون عزتها ولا تنسى أن تبرز بذاتها إزاء كل ذات مهما تناهت عظمتها ، وهل تستطيع أن تجد قصـيدة لم يطبعها المتنبى بذاته ؟ بل هل كان المتنبى قادراً على التجرد من ذاته ؟ ألا تراه يتغنى فى كل مقطوعة بذاته ؟ ويحن إلى غايتـه ويطأ هام الملوك والخلائق وينقض على الزمان براغمه وعلى الحظ يصاوله ، ولعل المتنبى أول شاعر قام يحاول إخضاع الحظ والناس لموازين العقل والذكاء

ولعل أصحابنا النقاد يرون مغامز فى المتنبى ، فيأخذون عليه رياءه ومبالغته وتقلبه ، ويتخذون موقفه مع كافور حجة على غدره وتقلبه . ومثل هذا النقد صدق يشهد به المتنبى وأشعاره ، ولـكنى أعتقد أن هذا الرياء الذى تنقم عليه الأخلاق لم يكن إلا رياء فنياً — والرياء الفنى يغمر كل شعرنا وأدبنا ولا يزال ... ولو كان من نوع ذلك الرياء اللين لـكان لصاحبه شـأن مع رجال الأحكام . وإن شخصيته المتجردة من شعره كانت شخصية عنيفة قاسـية لا تهاود فى عزتها . الأمر الذى يدل على أن رياءه هو الرياء الذى تواضع عليه شعراء ذلك العصر وأدباؤه وتقبلوه ولم يستقبحوه

حياة زاخرة بالأهوال والآمال كلما صدع لها الدهر أملاً زادت حزماً وعزماً ،غير مستطمئة إلا نفسها ولا قابلة إلا لخالقها حكما ؛ حياة تود أن تنفصل عن الناس لتتصل بالناس ، وذات لم يترك لها الدهر مجالاً للنظر فى غير ذاتها ، فى شعرها أثر عصرها وبيئتها ، وفى شعرها أثر العصور . ولعمرى إن هذا لهو الأدب الحى الذى تتوق إليه الآداب العالمية اليوم ، أدب ترتسم فيه الرسالة القومية والرسالة الانسانية ...

ما أفقر أدبنا الحاضر على غناه إلى متنبىٍّ جديد يفيض قوة وعزيمة على رغم تشاؤمه ! ولعله إذا عاد يغير شيئاً فى رسـالته ويجعلها رسالة قوية يفرضها فرضاً بقوة البيان شاعر ذو كبرياء وسلطان ، على شعب مريض أصبح السائر لا يسير بينه إلا بألف ترجمان

(دير الزور) خليل هنداوى

# تاريخ العـــرب الأدبى

## للأستاذ رينولد نيكلسون

## الفصــل الأول

— ٤ —

**مصادر الأخبار :**

وإن المصادر الرئيسية الهامة التى تدور حول سبأ وحمير لهى (أولاً) تلك المسماة بالنقوش الحميرية ، و (ثانياً) الأحاديث المنقولة فى الغالب عن الأساطير والتى أبقاها لنا الأدب الاسلامى . وبالرغم من أن اللغة العربية الجنوبية قد ثبتت أقدامها فى بعض الأماكن الجنوبية القاصية حتى عهد النبىّ أو بعده بقليل ، إلا أنها أخذت تضمحلّ من أمد بعيد بتقوى لغة الشمال الجزلة الرائعة ثم أخذت منذ ذلك الحين تبسط سلطانها دون أن تجد لها منافساً فى رحاب شبه الجزيرة ، ولـكن يجب أن نذكر أن اللغة السابقة لم تتلاش نهائياً . وقد حدث فى القرن السادس الميلادى أن أناخ راكب بدوى بعيره وأخذ يتفرس فى دهشة فى بعض نقوش غريبة على حائط صخرى ، وقارن بين هـذه النقوش العجيبة التى كاد الدهر أن يطمس معالمها وبين البقايا غير الواضحة تماماً للأراضى المجاورة ، التى كانت تفيض بالذكريات الجميـلة . ويسمى المؤلفون المسلمون هذه الخطوط بالمسند ، وإن قليـلاً من المسلمين كانوا يستطيعون قراءة حروف هجاء العربية الجنوبية ، بل كانوا ذوى دراية بمبادئ وقواعد علم الأملاء أيضاً ، وهذا يظهر لنا بجلاء من عبارة وردت فى الـكتاب الثامن من الاكليل للهمدانى ، ومع أنهم قد استطاعوا تفسير أسماء الأعلام والتعرّف إلى مدلول الـكلمات ، إلا أنه لم تكن لديهم معلومات ثابتة عن اللغة نفسها ، وسأشرح فيما بعد كيف كشفت هذه النقوش مرة ثانية بفضل بعض الرحالة الأوربيين ، وكيف فسرت وأوّلت حتى غدوا على بينة منها قادرين على اتخاذها أساساً للبحث التاريخى ، وماهى النتائج التى جنوها من دراستهم لهذه الناحية ؛ ولـكن قبل أن نأخذ فى شرح ذلك أرى من الضرورى أن أقول لماذا استعملتُ لفظ « العربية الجنوبية » أو « السبئية » القليل التداول بدلاً

من « الخطوط الحميرية » و « اللغة الحميرية » : ذلك أن كلمة « حمير » ليست دقيقة إذا أردنا بها لغة هذه النقوش أم النقوش ذاتها ؛ أما من ناحية اللغة فلم تكن خاصة بأهل حمير ، بل كان يتكلمها كل قبائل اليمن المختلفة وأهل سبأ ومعين أيضاً ، وإن اختلفت اللهجات في كل جهة عن الأخرى . وقد أطلق المسلمون على لغة اليمن القديمة اسم « الحميرية » لسبب بسيط ، ذلك أن الحميريين كانوا أقوى جنس سكن هذه البلاد خلال القرون الأخيرة السابقة لظهور الاسلام . ولو كانت جميع الآثار المكتشفة ترجع إلى عصر السيادة الحميرية لسمعنا عنها فى شىء من اليقين فيمن خلفهم ، ولكن الحقيقة هى أنها ترجع إلى عهد سحيق أيام العصور الأولى التى يرجع بعضها الى القرن الثامن قبل الميلاد ، وربما كان قبل تأسيس الأمبراطورية الحميرية بألف عام ، كما أن لفظ « سبئى » لا يوضح المقصود تماماً لأنه يغلب استعماله لاسم شعب أكثر من أن يكون لقبا سياسياً ، وعلى كل فانى أفضل لفظ « عرب الجنوب » على كل ما عداه .

* * *

ومن أول رواد البحث والتنقيب فى بلاد اليمن العالم كارستن نيبوهر Carsten Niebuhr الذى قام بدافع نفسه وللذته الخاصة بأماطة اللثام عن النقوش . وقد طبع عام ١٧٧٢ م كتابه المسمى Beschreibung Von Arabien وقد رن صدى اكتشافاته فى مجامع أوروبا العلمية ورجح الظن بأن حمير وجدت فى بقايا مدينة شهيرة باسم ظفار [١] وفى ذات مرة لقيه أحد الهولنديين الذين اعتنقوا الدين الاسلامى وأطلعه على نسخة من النقوش جمعت كل الحروف الهجائية التى لم تكن معروفة من قبل ، ولكن — كما يقول — « أصابتنى حمى عنيفة فى تلك الآونة ، وكنت أستعد بين كل لحظة وأخرى للموت أكثر مما أعد نفسى لجمع النقوش القديمة [٢] »

وبهذا ضاعت فرصة عظيمة ، ولكن الدهشة عادت ثانية إذ اكتشف البحاثة Ulrich Jasper Seetzen عام ١٨١٠ عدة خطوط فى جوار ظفار ونسخها بيده ، ولكن ما يؤسف له أن السرعة التى لازمت المكتشف جعلت المنسوخ غير متقن الضبط تماما . وقد اشترى أيضاً رسماً أخذه معه وانكب عليه فى أوقات فراغه ناسخاً إياه ، غير أن جهله للروح الأصلية أوقعه فى عدة أخطاء فى الحروف ، وبذلك لم تكن النتائج التى توصل اليها ذات قيمة [١] تذكر . وإن أول منسوخات قيمة للنقوش العربية الجنوبية وصلت إلى أوربا على أيدى الضباط الانكليز المشتغلين بحراسة الشواطئ الجنوبية والغربية لبلاد العرب وفى سنة ١٨٣٨ طبع الليفتنانت ج . ر . وللستد نقوش حصن الغراب ونقب الحجر فى كتابه المسمى Travels in Arabia

وإذا ذاك خطا أميل روديجر أستاذ اللغات الشرقية بجامعة هل (اعتماداً على مخطوطين فى مكتبة برلين الملكية جمعت فيهما كل حروف الهجاء الحميرية) خطا أول خطوة فى سبيل الكشف الصحيح ، فدحض الفكرة القائلة بأن خط العربية الجنوبية يجرى من اليسار إلى اليمين [٢] ، تلك الفكرة التى أقرها « دى ساسى » وصادفت قبولاً عاما ، كما أظهر روديجر أكثر من ذلك أن آخر كل كلمة كان ينتهى بخط عمودى [٣] ، وإن نقوش وللستد و Hulton و Cruttenden قد ألقت بصيصاً من النور على صنعاء ، وفسر رموزها Gesenius وروديجر كل منهما مستقلاً عن الآخر عام ١٨٤١ م

---

(١) يقول ياقوت الحموى فى (معجم البلدان ج ٤ — ص ٨٦) : « ظفار هى صنعاء نفسها ، ولعل هذا كان قديما . وأما ظفار المشهورة اليوم فليست إلا مدينة على ساحل بحر الهند بينها وبين مرباط خمسة فراسخ » ويقول أيضا « وهى مدينة باليمن فى موضعين : أحدهما قرب صنعاء وبها كان مسكن ملوكهم » وتذكر على سبيل الأدب ما رواه ياقوت أيضا من أنه وجد على أركان سور ظفار مكتوبا « لمن ملك ظفار ؟ لحبشة الأشرار . لمن ملك ظفار ؟ لفارس الأخيار . لمن ملك ظفار ؟ لحمير ستجار » أى سترجع إلى اليمن (المترجم)

(٢) Beschreibung von Arabian, p. 94 ولكى يقف القارىء على مبلغ التقدم العظيم الذى حدث فى سبيل كشف وحل خطوط العربية = الجنوبية حتى سنة ١٨٤١ يمكنه مراجعة ما كتبه Rödiger عن هذا الموضوع Excurs ueber Himjaritische Inschriften فى ترجمة الألمانية لكتاب وللستد المسمى : Travels in Arabia ج ٢ ص ٣٦٨ وما يليها

(١) وقد طبعت نقوش جاسبر سيتزن فى المجلد الثانى (ص ٢٨٢ وما يليها فيما ١٨١١) فى Fundgruben des orients أما المشار اليه أعلاه فقد فسرها فيما بعد Mordtmann فى Zeitschrift der Deutschen Morgenländ-is-chen Gesellschaft المجلد ٣١ ص ٨٩ وما يليها

(٢) ولو أن أقدم النقوش تجرى من الشمال إلى اليمين ومن اليمين إلى الشمال على التعاقب

(٣) Notiz ueber die himjaritische Schrift nebst doppeltem Alphabet derselben (فى) Zeitschrift für die Kunde des Morgen-lanpes, Vol. I (Goitingen, 1837), P. 332 sqq.

وتقاسمت انجلترا وألمانيا فخر الكشف عن هذه النقوش، ولكن لم تكد تمضى بضع سنين حتى كانت فرنسا ثالثتهما، وسرعان ما مضت قدماً فى هذا السبيل ونكللت بحوثها بالفوز العظيم ونالت قصب السبق. وفى عام ١٨٤٣ بدأ توماس أرنود T. Arnaud التنقيب والبحث بادئاً من صنعاء، ونجح فى الكشف عن بقايا مأرب مدينة سبأ القديمة الشهيرة، ولم يعبأ بتقهقر صحته، بل نسخ ما يقرب من خمسين أو ستين مخطوطاً نشرت بعد ذلك فى الجريدة الأسيوية Journal Asiatique وقد عثر فى أسيندر على مترجم ماهر[١]، وفى سنة ١٨٧٠ تنكر العالم اليهودى Josph Halévy واخترق « الجوف » شرق صنعاء التى لم يخترقها أوربى قبله منذ سنة ٢٤ ق م حينما قاد Ælius Gallus جيشاً رومانيا من نفس الطريق، وقد توصل هذا المكتشف الى نتائج أكثر أهمية بعد أن لاقى كثيراً من المتاعب والأهوال الخطرة، ثم تمكن هاليفى أن يعود بعد أن نسخ قرابة سبعمائة مخطوط[٢]، وفى أثناء ربع القرن الأخير جمع E. Glasser و Julus Euting أشياء أكثر أهمية بينما انكباب براتوريوس وهاليفى وميللر وموردتمان وغيرهم على البحث أزاد معلوماتنا عن لغة وتاريخ وديانة عرب الجنوب فى العصر السابق للاسلام

ولا يمكن القول بأن هناك دقة ما سواء فى أسماء الحكام الحميريين — كما يظهر ذلك مما كتبه المؤرخون المسلمون — أم فى الترتيب الذى جرت عليه فى وضعها، ولو كان هؤلاء أشخاصاً تاريخيين لكان لهم ذكر فيما بعد، والأرجح أنهم كانوا أمراء غير ذوى أهمية أرجعتهم القصص إلى العصر القديم وخلعت عليهم نعوت العظمة، وعلى من يعتوره الشك فى هذا أن يقارن الصحف الحديثة بتلك التى استنبطت من النقوش[٣] وقد جمع د. ه. موللير أسماء ثلاثة وثلاثين ملكا من ملوك سبأ، كما تكرر كثيراً ورود بعض الأسماء — وهذا دليل على قيام الأسر الحاكمة — وكانت تخلع عليهم الألقاب الأبهة، وقد نجد كثيراً من هذا فى ذَمَرْ عَلِى ذِرِيح (الفخم) ويِهَعْمَرْ يَيْن[١] (السامى) وكَرِيبَعِيلْ وَتَارْيِهَنْعِمْ (أى العظيم المنّاح) وسمهعلى ينوف. أضف إلى هذا أن الملوك كانوا يحملون ألقابا عدة فى المراسلات تنبى عن عصور ثلاثة فى تاريخ البلاد العربية كمكرب سبأ أو ملك سبأ وملك سبأ وريدان، وبهذه الطريقة يمكننا أن نحدد على وجه التقريب عصر المبانى والنقوش المختلفة، وأن نظهر أنها لا تنتمى إلى العصر المسيحى، ولكنها تسبقه أحياناً بثمانية قرون على الأقل

وإن البون الشاسع الذى يفصل بين قوم سبأ وحمير المحبين للتجارة والسلام وبين العرب الهمج الذين بعث فيهم محمد (صلعم) ليظهر على أشده فى خضوع الأولين لآلهتهم التى تعد أساس الآثار الجنوبية العربية كما ذكر ذلك جولد زيهر[٢]. فكان الأمير يشيد معبداً للآلهة شكراً لنصرها إياه على أعدائه ويبارك الكاهن أبناءه وممتلكاته؛ أما المحارب الذى فاز بقتل أعدائه أو بالأسلاب أو بنجاته من المنية فيقدم فروض الشكر ويتوسل فى ضراعة أن يكون على الدوام متقلباً فى أعطاف رعايتها. وكانوا يعتقدون أن الموتى يعيشون سعداء تحت رحمة إلهية كما كانوا يوقرونهم بل ويعبدونهم أحياناً[٣]، وإن العبارة التالية التى ترجمها الكولونيل W. F. Prideaux لهى أوضح مثال على هذا وهى:

« لقد تقدم سعد الله وبنوه بنو مرثد بهذه اللوحة إلى مَقَهْ هِرّان (سيد الأوّام ذو عِران أَلِى) الذى تفضل بسماع الرجاء المرفوع إليه حينما أهدى اليه بنو مَرْثَد أول ثمار أرض أرْهَقِم وان مَقَهْ هِرّان قد تعهد بحماية سهول ومراعى هذه القبيلة فى مساكنهم لقاء ما يقدمونه اليه من الهدايا الكثيرة طول العام، والحق أن أبناء سعد الله سينزلون أرض أرهقم وسيقربون الضحايا فى حرمى عشتر وشمس وسيكون هناك قربان آخر فى هرّان (وكلا العملين بغية أن يتكفل حرْوَت بحماية

---

(١) Arnaud : Relation d'un voyage à Mareb ( Saba ) dans l'Arabie méridionale ( Journal Asiatique ) فى المجلة الاسيوية المجموعة الرابعة ج ٥ (١٨٤٥) ص ٢١١ وما يليها، ص ٣٠٩ وما يليها

(٢) Rapport sur une mission archéologique dans le yémen فى الجريدة الأسيوية المجموعة السادسة ج ١٩ (١٨٧٢) ص ٥ — ٩٨، ١٢٩ — ٢٦٦، ٤٨٩ — ٥٤٧

(٣) D. H. Müllr : Die Burgen und Schlösser Südarabiens (فى S. B. W. A. Vol. 97, p. 981 seq )

(١) راجع الرسالة العدد الماضى ص ١٨٤٧ عمود رقم ١ هامش رقم ٣ (المترجم)

(٢) Goldziher : Muhammedanis-che Studien, Part I, p. 3.

(٣) F. Praetorius : Unsterblichkeitsglaube und Heiligen-verehrung bei den Himyaren

فى Z. D. M. G. المجلد ٢٧ ص ٦٤٥ وقد ذكر Hubert Grimme تفصيلا وافيا عن الآراء الدينية وعادات العرب الجنوبين فى : Weltgeschichte in Karakterbilderr. : Mohammed (Munich. 1904 ) p. 29 sqq.

حقول بنى مرثد ، والتفضل بسماع شكواهم ) وكذلك تقرب القرابين فى معبد مقه حَرْوَتْ ، ويقتضى ذلك يهيأ له المحافظة عليهم بناء على السنة التى اتبع نهجها سعد الله والتى شاهدها فى معبد مَقَهْ النعمان ، أما مَقَهْ هِرَّان فقد وقى أرض أرهقم الخصبة من الصقيع والطوارئ أو بعبارة أخرى من البرد القارس والحر اللافح[1] »

وقبل أن أختم هـذا البحث القائم على البيان الناقص عن نقوش العربية الجنوبية لابد لى من أناشد فطنـة قرائى الذين يعلمون كم يكون من الصعب أن يكتب المرء بوضوح ودقة عن موضوع ليست مصادره الأولى فى متناول يده ؛ خاصة إذا كانت نتائج البحث السابق تنقض على الدوام بيد العاملين الحديثين فى نفس الميدان

ومن حسن الطالع أن يكون تحت يدنا مرجع دقيق واف لتلك البقايا القليلة الناقصة ؛ فمعلوماتنا عن جغرافية بلاد العرب الجنوبية وعن الآثار والتاريخ القصصى مُستقى جلها من كتابات شخصين من أهل اليمن تفيض كتاباتهما بالحماسة للمجد القـديم والفخر به ، وتعتبر أقوالها — المتضاربة بين الحق والخرافة — من وجهة النظر الحاضرة — عملاً له قيمته ، وهذان الـكاتبان هما حسن بن أحمد الهمدانى ونشوان بن سعيد الحميرى ، وفضلاً عن كتاب جغرافية العرب القيم المسمى « صفة جزيرة العرب » الذى طبعه د . ه . مولـّـير ، فقد ترك لنا الهمدانى كتابا عظيما آخر فى تاريخ اليمن وآثارها ، ذلك هو « الاكليل » وينقسم إلى عشرة كتب هذا بيانها[2]

الـكتاب الأول : موجز تاريخ أصل الانسان ونشأته

الـكتاب الثانى : تاريخ نسب الهميسع بن حمير

الـكتاب الثالث : بخصوص صفات قحطان الممتازة

الـكتاب الرابع : بخصوص العصر الأول من التاريخ إلى حكم تبع أبى بكر

الـكتاب الخامس : بخصوص العصر المتوسط من عهـد أسعد تبع الى عهد ذى نواس

الـكتاب السادس : بخصوص العهد الأخير حتى ظهور الاسـلام

الـكتاب السابع : نقد البدع الفاسدة والروايات الـكاذبة

الـكتاب الثامن : القلاع والمدن والقبور التى شيدها الحميريون وشعر علقمة[1] والمراثى والنقوش وغيرها

الـكتاب التاسع : ويتضمن حِكَم الحميريين وأمثالهم فى اللغة الحميرية وأحرف هجاء النقوش

الـكتاب العاشر : بخصوص نسب قبيلتى حاشـد وبقيل ( كبيرتى قبائل همدان )

( يتبع ) ترجمة محمد حبشى

---

(١) Transactions of the Society of Biblical Archaeology, Vol. 5, p. 409

(٢) نقل هذا الجدول : د . ه ميلر فى ( Südarabische Studien ص ١٠٨ هامش رقم ٢ ) من الصفحة الأولى من مخطوط الـكتاب الثامن من الاكليل الموجود فى المتحف البريطانى ولا يعرف أن هناك نسخة كاملة من هذا الـكتاب ، ولـكن بعض أجزاء كبيرة منه محفوظة فى المتحف البريطانى وفى مكتبة برلين الملـكية

(١) هو علقمة بن ذى جدن الذى اقتبس كثيراً من شعره فى شرح القصيدة الحميرية

# هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

— ٢ —

وما فرغ زارا من كلامه حتى ارتفع صوت من الحشد قائلاً (لقد كفانا ما سمعنا عن البهلوان ، فليبرز لنا الآن لنراه)

فضحك الجميع مستهزئين بزارا ، وتقدم البهلوان ليقوم بألعابه وهو يعتقد أنه كان موضوع الحديث

— ٤ —

وبهت زارا مجيلاً أنظاره فى القوم ، ثم قال :

ما الانسان إلاّ حبل منصوب بين الحيوان والانسان الكامل فهو الحبل المشدود فوق الهاوية

إن فى العبور للجهة المقابلة مخاطرة ، وفى البقاء وسط الطريق خطرا ، وفى الالتفات إلى الوراء وفى كل تردّد وفى كل توقف خطرٌ فى خطر

إن عظمة الانسان قائمة على أنه مَعْبَرٌ وليس هدَفاً ، وما يُستحبّ فيه هو أنه سبيل وأُفق غروب

إننى أحب مَنْ لا غاية لهم فى الحياة إلا الزوال ، فهم يعرون ما وراء الحياة ، أحب من عظم احتقارهم لأنهم عظماء ، المتعبدين يدفعهم الشوق إلى المروق كالسهام إلى الضفة الثانية

أحب من لا يتطلبون وراء الكوكب معرفة ما يدعو إلى زوالهم أو ما يهيب بهم إلى التضحية ، لأنهم يقدّمون ذاتهم قرباناً للأرض ، لتصبح هذه الأرض يوماً ميراثاً للانسان الكامل

أحب من يعيش ليتعلّم ، ومن يتوق إلى المعرفة ليحيا الرجل الكامل بعده ، فأن هذا ما يقصد طالب المعرفة من زواله

أحب من يعمل ويخترع ليبنى مسكناً للانسان الكامل فيهيئ ما فى الأرض من حيوان ونبات لاستقباله . فان هذا ما يقصد طالب المعرفة من زواله

أحب من يحب فضيلته ، فما الفضيلة إلا الطموح إلى الزوال وإن هى إلاّ السهم تُنشبه أشواقه

أحب من لا يحتفظ لنفسه بشرارة واحدة من روحه ، فيتجه إلى أن يكون بكليته روحا لفضيلته لأنه بهذا يجعل روحه يجتاز الصراط

أحب من يكوّن من فضيلته ميوله ومطامحه ، لأنه بمثل هذه الفضيلة يتوق إلى إطالة حياته كما يتوق إلى قصرها

أحب من لا يريد الاتصاف بعديد الفضائل ، إذ فى الفضيلة الواحدة من الفضائل أكثر مما فى فضيلتين ، والفضيلة الواحدة حلقة ترتبط فيها الحياة

أحب من يجود بروحه فلا يطلب جزاء ولا شكوراً ، ولا يسترد ، فهو يهب دائماً ولا يفكر فى الاستبقاء على ذاته

أحب من يخجل من سقوط زهر النرد لحظه فيرتاب بغشّ يده ، إن أمثاله هم التائقون إلى الزوال

أحب من يبذل الوعود وهّاجة ثم يتجاوز عملة وعده ، إن أمثاله هم التائقون إلى الزوال

أحب من يبرر أعمال الخلف ويدافع عن السلف لأنه بذلك يسلّم نفسه إلى نقمة معاصريه ، فهو ممن يتوقون إلى الزوال

أحب من يعلن حبه لربه بتوجيه اللوم اليه ، إذ يجب أن يهلك بغضب ربه

أحب من يبلغ التأثر أعماق روحه فى جراحها فيعرضه أتفه حدث للفناء ، إن أمثاله يعبرون الصراط دون أن يترددوا

أحب من تفيض نفسه حتى يسهى عن ذاته ، إذ تحتله جميع الأشياء فيضمحل فيها ويفنى بها

أحب من يحرر قلبه ويحرر عقله حتى يصبح دماغه بمثابة أحشاء لقلبه ، غير أن قلبه يدفع به إلى الزوال

أحب جميع من يشبهون القطرات الثقيلة التى تتساقط متتالية من الغيوم السوداء المنتشرة فوق الناس ، فهى التى تنبئ بالبرق وتتوارى

ما أنا إلا منبئٌ بالصاعقة ، أنا القطرة الساقطة من الفضاء ، وما الصاعقة التى أبشر بها إلا الانسان الكامل

— ٥ —

وبعد أن ألقى زارا هذه الكلمات أجال أنظاره فى الحشد

وسكت ثم قال فى قلبه : لقد تملكهم الضحك ، فهم لا يفهمون ما أقول ، وما أنا بالصوت الذى يلائم هذه الأسماع

أعلىّ أن أسد آذانهم ليتمرنوا على الاصغاء بعيونهم ؟ أم يجب أن أضرب الصنج أسوة بوعاظ الصيام ؟ لعلّ هؤلاء القوم لا يثقون إلا بالألكن من المتكلمين

إنّ لهؤلاء الناس ما يباهون به فما عساه أن يكون ؟

إنهم يسمونه مدنيةً ليميزوا بها أنفسهم من الرعاة . فهم لذلك ينفرون من لفظة الاحتقار إذا ما ذكرت فى معرض الكلام عنهم ، فلسوف أخاطبهم إذن عن غرورهم

سأخاطبهم عن أحقر الكائنات ، عن الانسان الأخير ، وتوجه إلى الحشد قائلاً :

لقد آن للانسان أن يضع هدفاً نصب عينيه ، لقد آن له أن يزرع ما ينبت أسمى رغباته ، مادام للأرض بقية من ذخرها ؛ إذ سيأتى يوم ينفذ هذا الذخر منها فتجدب ويمتنع على أية دوحة أن تنمو فوقها .

ويل لنا ! لقد اقتربت الأزمنة التى لن يفوّق الانسان فيها سهام شوقه محلقة فوق البشرية إذ تخونه قوسه وتتراخى أوتارها

الحق ما أقوله : لن يخرج من الانسان كوكب وهّاج للعالم حين تزول بقية السديم من نفسه ، وهذا السديم لم يزل فيكم

ويل لنا ! لقد اقتربت الأزمنة التى لن يدفع الانسان فيها بالكواكب للعالم . ويل لنا ؟ لقد اقترب زمان الانسان الحقير الذى يمتنع عليه أن يحتقر نفسه

اسمعوا ! هأنذا منبئكم عن الرجل الأخير

إنه من يقف متسائلاً عن نفسه فلا يعلم أمحبة هى أم إبداع أم تشوق ، أم توهج كوكب

وستصغر الأرض فى ذلك الزمان فيطفر على سطحها الرجل الأخير الذى يحول إلى حضارة كل ما يدور به ، إن سلالة هذا الرجل لا تباد ، فهى أشبه بالبراغيث ، والانسان الأخير أطول البشر عمراً

ويقول أناسى الزمن الأخير متغامزين : لقد اخترعنا السعادة اختراعا

لقد هجر هؤلاء البقاع التى تقسو عليها الحياة ، لأنهم شعروا بحاجتهم إلى الحرارة فأصبح كل واحد يحتك بجاره وقد احتاجوا إلى الدفء جميعاً

إنهم يقتحمون الحياة باحتراس لأن الوجل والمرض فى عينهم خطأ ، وما سلم من الجنون من يتعثر منهم بالحجارة وبالناس

إنهم يأخذون قليلاً من السموم حيث يجدونها طلباً للاذ الأحلام ويكرعون منها ما يكفى دفعة واحدة طلباً للذة الموت

وإذا هم عملوا فانما يعملون للتسلية محاذرين أن تذهب هذه التسلية بهم الى حدود الانهاك

ليس بينهم من يصبح غنياً أو يمسى فقيراً ، وكلا الفقر والغنى يجلب الضنى ، وما منهم من يطمح إلى الحكم أو يرضى بالخضوع وكلاهما محرج مرهق

ليس هنالك راع وليس هنالك إلا قطيع واحد . إن كلاً من الناس يتجه إلى رغبة واحدة ، فالمساواة سائدة بين الجميع . ومن اختلف شعوره عن شعور المجموع يسير بنفسه مختاراً إلى مأوى المجانين

ويغمز أمكر هؤلاء الناس بعينهم ويقولون : لقد كان الجميع مجانين فيما مضى

لقد ساد الاحتراس بين هؤلاء القوم لأنهم أخذوا بالعبر ، فهم يتلقون الحادثات متهمكين ، وإذا نشأ بينهم خلاف بادروا إلى حسمه صلحاً ، لأنهم يحاذرون أن تصاب معدهم بالعلل والادواء

لهؤلاء الناس لذاتٌ للنهار ولذاتٌ أخرى لليل ، غير أنهم يراعون صحتهم أولاً

« لقد اخترعنا السعادة اختراعاً » ذلك ما يقوله أناسىّ الزمن الأخير وهم يغمزون

عند هذا أنهى زارا خطابه أو بالحرى تمهيد خطابه فتعالت أصوات التهليل من الحشد وهو يقول :

« إلينا بهذا الرجل الأخير يازارا ، اجعلنا على مثال أناسى الزمن الأخير فقد تخلينا لك عن الانسان الكامل

ولكن زارا وجم أمام هذا الحشد يسوده مثل هذا الروح فاستولى الحزن عليه وقال فى نفسه :

إنهم لا يفهمون كلامى ، فلست بالصوت الذى تتطلبه هذه الأسماع

لقد عشت طويلاً في هذه الجبال وأنصت طويلاً الى هدير الغدران وحفيف الأشجار فأنا أكلم هؤلاء الناس الآن كأنني أخاطب رعاة الماعز

إن روحي صافيـة تغمرها الأنوار كما تغمر القممَ تباشيرُ الصباح ، ولـكنهم يحسّون بالصقيع في قلبي ويحسبونني مُهرِّجاً يأتيهم بالمفجع من النكات

ها هم أولاء يحدجونني بأنظارهم ويتضاحكون ، ففي قلبهم ثورة البغضاء وعلى شفاههم بسمة الثلوج

— ٦ —

وطرأ حادث كمّ الأفواه واسترعى الأبصار ، وكان البهلوان بدأ بألعابه فاندفع من النافذة وأخذ يتمشى على الحبل الممدود بين برجين فوق الساحة وما عليها من المتفرجين وما وصل إلى وسط الحبل حتى فتحت النافذة مرة ثانية واندفع منها فتى مخطط بالألوان كالمهرجين وسار متبعاً خطوات البهلوان صارخاً :

— إلى الأمام أيها الأعرج ! إلى الأمام أيها الـكسلان ، أيها المرائي ذو الوجه الشاحب ! اذهب لئلا تداعبك نعلي ، ماهو عملك بين هذين البرجين ؟ أفليس في البرج مكان سجنك ؟ إنك تسد الطريق في وجه من هو أفضل منك »

وكان الفتى يتقـدم خطوة كلمـا قال كلمة حتى أصبح قاب قوس من البهلوان ، وعندئذ وقع الحادث الذي كمّ الأفواه واسترعى الأبصار . فان الفتى لم يلبث أن صرخ صرخة الجن وقفز فوق العقبة القائمة في سبيله . ولمـا رأى البهلوان انتصار خصمه عليه أخذه الدوار وخلت رجله عن الحبل فرمى عارضة التوازن من يديه وسقط في الفضاء حيث لاحت رجلاه ويداه كعجلة تدور في الهواء

وماج الحشد على الساحة كالبحر اجتاحته العاصفة الهوجاء وانفرط الناس مولين الأدبار وانفرج المـكان حيث كان يتجه الجسم بانحداره

ولـكن زارا لم يتحرك فوقع الجسم على مقربة منـه حيث تقطعت أوصاله وتهشم غير أنه كان لم يزل حياً ، وما عتم أن عاد روع الجريح إليه فرأى زارا جاثياً قربه فرفع رأسه وقال له :

— ماذا تفعل هنا ؟ ما كنت أجهل أن الشيطان سيضل خطواتي يوماً وها هوذا الآن يجرني إلى جحيمه ، أفتريد أن تمنعه ؟

فقال زارا :

— وشرفي يا صديقي إن ما تذكره لا وجود له ، فليس من شـيطان وليس من جحيم ، إن روحك ستموت بأسرع من جسدك فلا تخش بعد الآن شيئاً

فرفع الرجل بصره مشكـكاً وقال :

إذا كان ما تقوله صحيحاً فأنني لا أفقد شيئاً بفقـد الحياة . فلست أنا إذن إلا حيواناً رقّصت بالضرب وغُذّيت بأنخر غذاء

فقال زارا : لا ، ليس الأمر كما تقول فأنك اتخذت المخاطرة مهنة لك ولم يكن فيها ما يشين . أما الآن فمهنتك هي أن تفنى ، من أجل هذا سأدفنك بيديّ

ولم يحر الدنف جواباً بل حرك يده باحثاً عن يد زارا ليصافحها دلالة على شكره

(يتبع) فيلكس فارس

# النظرية العامة للالتزامات
## فى الشريعة الاسلامية

للدكتور شفيق شحاته

٣

*ملاحظات موضوعية على المؤلفات* — أول ما يلاحظ على الفقهاء أن نظرهم لم يتجـه أثناء وضعهم للحلول إلى طريقة تطبيق أحكامهم . فتلك الناحية العملية لا تكاد تظهر خلال جدلهم وأبحاثهم

على أن هـذا ليس معناه كما ادعاه بعض المستشرقين أن التشريع الاسلامى لم يوضع إلا على أنه مثل أعلى ، يوصى باتباعه ، وأنه فى الواقع ونفس الأمر ، لم تتبع أحكامه فى الدول الاسلامية ، فإنا ، وقد رجعنا فى بحثنا الى كثير من الأوراق البردية المثبتة للوثائق القانونيـة مما كان يجرى به التعامل فى العصور الأولى للاسلام ، وإلى أحكام محكمة مصر الشرعية القـديمة ، ويرجع بعضها إلى أكثر من خمسمائة سنة خلت ، نستطيع أن نؤكد فيما يتعلق بموضوع الالتزامات أنه لم يكن هناك تشريع أو قواعد أخرى متبعة فى المعاملات سوى قواعد الشريعة الاسلامية

وإذا كانت هـذه القواعد قد خولفت بالفعل فى بعض الأحايين ، فقد كان ذلك خضوعا لظاهرة معروفة ، وهى أن الاحتياجات العملية تخلق دائما بجانب التشريع قواعد أكثر مرونة تلطف من حدته

من ذلك — وهـذا فى نظرنا ، دليل على حيوية التشريع الاسـلامى — ما وضعه الفقهاء من « الحيل » لتلافى بعض ما وضعوه من القواعد التشريعية الجامدة

على أن هذه الحيل تندمج تماما فى الهيكل التشريعى ، لأنها لا تصدم قاعدة من قواعده ، فهى عبارة عن عقود أو إقرارات صورية ، تنطبق عليها الأحكام التى وضعت للصورة التى اتخذتها لا لحقيقتها ، وقد ساعد على نجاح هذه الوسائل قواعد الاثبات وأحكام الصورية فى التشريع الاسلامى

فالحيل إذن ستكون محل دراستنا ، على أنها الجانب الحى للتشريع الاسلامى ، وهى قد كانت موضعاً لعناية ( محمد ) نفسه وهو أحد واضعى المذهب

وتظهر أيضاً الناحيـة العملية للفقه الاسلامى من خلال كتب « الشروط » ، وقد عنيت هذه الكتب بوضع صيغ لكتابة العقود والاقرارات . وقد اهتم بهذه الناحية أيضا (محمد) فى « المبسوط » ؛ على أن لهذه الناحيـة من الفقه فقهاءها الاخصائيين ، نذكر منهم ( أبا زيد الشروطى ) و ( الطحاوى )

ويتضح لمن يتصفح كتب الشروط هذه أنها لم توضع لمجرد النظر : فهى تراعى دائما الاحتياجات العملية ، وتحيط العاقد علما بما يجب أن يتخذ لنفسه من الحيطة فى اشتراطاته مع اختلاف المذاهب

وهـذه الصيغ لا تخلو من « الرطانة » القضائية كتكرار الألفاظ والمبالغة فى الاحتياطات ، ومن الغريب أنها على قدم عهدها يرد بها عبارات تشبه كثيراً ما نقرؤه فى العقود التى تحرر فى أيامنا هذه

وتظهر أخيراً الناحية العملية من خلال « الفتاوى » ، وهى مؤلفات جمعت ما أجاب به المفتون عما عرض عليهم من الأسئلة فى حوادث واقعية ، ولدينا من هذه المجموعات ما يرجع عهده الى سنة ١١٠٠ هـ ، وهى جميعها تتبع آثار الكتب الفقهية ، ولا تحيد عن الأحكام التى وردت بها قيد أنملة

ومما يؤخذ أيضاً على المؤلفين اهتمامهم الزائد بدقيق التفصيلات وتفننهم فى افتراض المسائل البعيدة الوقوع

وإن كان هذا التطرف فى التصورات ، وهـذا التوغل فى الدقائق قد أفاد التشريع بعدد وفير من الأفكار والآراء ، فانهما مع ذلك قد أساءا إلى الروح القانونية . ذلك أن هذه الروح تمج التدنى الى صغائر المسائل كما تمج الدقة التى تتطلبها الرياضيات . فما يثقل على القانونى ، أن يرى المؤلفين يسترسلون فى عمليات حسابية معقدة

ويلاحظ أن المتـأخرين قد وقعوا فى محظور آخر ، وهو التراشق بالأدلة اللفظية البحتة ، والاعتماد فى الاستـدلال على المنطق المجرد

*الروح العام للفقه الاسلامى* — يظهر لنا أن هناك نزعات ثلاثاً تسيطر على التشريع الاسلامى

(١) أما الأولى فهى النزعة الفردية . وقد يذهب البعض الى أن هناك نصوصا كثيرة ترمى الى حماية مصالح الجماعة . على أن هذه النصوص لا تنهض دليلاً على أن النزعة الفردية ليست متغلبة ذلك أن التشريع الاسلامى اصطبغ فى الأصل بصبغة دينية . فهو يرمى بطبيعته الى توفير السعادة على الفرد . والفرد — مهما حاول أنصار الاشتراكية فى عهدنا هذا — سيبقى دائما أبدا هو الغاية التى يسعى اليها كل تشريع ، وإذا غلبنا فى بعض الاحيان مصلحة الجماعة فليس ذلك فى الواقع إلا لكونها تتضمن فى نفس الوقت مصلحة الفرد

(٢) أما النزعة الثانية فهى السعى وراء العدالة المطلقة عن المساواة . وقد ظهرت هذه النزعة فى نظرية الالتزامات فى صورة المساواة بين المتعاقدين . على أن الفقهاء قد توغلوا فى هذا الاتجاه الى أقصى حدوده ، ومن آثار هذه النزعة نظرية الربا

(٣) والنزعة الثالثة ترمى الى الابتعاد عن كل ما من شأنه خلق القلق أو المنازعات فى المعاملات . لذلك هم ينفرون من الغرر على كافة صوره . وقد توسعوا فى بيان أحكام الجهالة الفاحشة واليسيرة . وذلك كله اتقاء للمنازعات . وسنرى أن هذه النزعة أيضا قد ذهبت بهم بعيدا

وأخيرا نقول كلمة عما وضع فى القرن التاسع عشر الميلادى من التقنينات فى التشريع الاسلامى

أما « المجلة العدلية » فقد قام بوضعها فى آخر عهد الدولة العثمانية فريق من الفقهاء . وقد جعلوا منها مجموعة نصوص أوردوها تحت أرقام متسلسلة . على أنهم لم يحاولوا قط إخضاع المسائل لقواعد عامة تكون هى موضوع المواد . فالمواد جاءت بالمسائل على أنها مسائل . وإن قليلاً من المواد جاءت بتعاريف ، منقولة هى كذلك عن الكتب الفقهية

وقام بعد ذلك فى مصر ( قدرى باشا ) ، فوضع كتابا سماه « مرشد الحيران » ذكر به مجموعة من الأحكام الشرعية على نسق القوانين المصرية . على أن محاولته وضع نظرية للالتزامات لم تفلح ، فاكتفى بذكر طرق انقضاء الالتزامات وبعض أوصافها ، وإن المواد التى وردت بها هذه الأحكام لا تخلو مع ذلك من الأغلاط . أما نظرية العقد كما أوردها فهى فى الواقع نظرية عقد البيع

*القانون المقارن* — أما وقد بينا منهاج بحثنا فى التشريع الاسلامى ، نتساءل هنا هل يجدر بنا بعد الوصول الى تعرف حقيقة هذا التشريع الرجوع الى غيره من التشريعات لمقارنته بها

قد يبدو هذا ضروريا فى زمن يكاد لا يخلو مؤلف فيه من مقارنة الشرائع . ولكننا رأينا الاعراض عن هذا الاتجاه ، لنتمكن من توجيه جميع جهودنا نحو بناء هيكل التشريع الاسلامى فى موضوع الالتزامات ، حتى إذا ما تم هذا البناء ، نكون قد مهدنا لمن يهمه ذلك ، أن يقوم بدراسته المقارنة على أسس متينة

وهذا كله لا ينفى أننا فى الواقع قد رجعنا الى أكثر من تشريع واحد فى موضوع دراستنا هذه . فانا لم نخط سطرا واحدا إلا بعد إعمال الفكر فى مختلف التشريعات ، ليصح فهمنا ، ووضعنا للمسألة على وجهها المطلق . فالمقارنة قد تمت بالفعل ، ولو أن القارىء لا يقرؤها فى الغالب قراءة المبين

ونلاحظ هنا أنه من السخف محاولة الوصول عن طريق مقارنة الشرائع الى اصدار الأحكام التقويمية على هذه الشرائع . فان التشريع كما قلنا ظاهرة من الظواهر الاجتماعية مقيد ككل ظاهرة بظروف الزمان والمكان ، ويخضع كذلك لمنطقه هو نفسه ، وإذا كان يجوز للغريب عن العلوم القانونية أن يدهش لغرابة بعض الأحكام ، ففقيه النفس يرى فيها على العكس دليلا جديداً على أن العقل البشرى قد جاهد وناضل فى مختلف البيئات فى سبيل الوصول الى « الحقيقة القانونية »

*مقارنة المذاهب* — وقد استبعدنا كذلك مقارنة المذاهب واكتفينا مؤقتاً بدراسة مذهب ( أبى حنيفة )

ذلك أنه قد تبين لنا أن الفقه الحنفى يمثل التشريع الاسلامى فى أولى صوره وأنقاها ، ولا نرى مجاراة ما هو شائع من أن المذهب الحنفى هو أقرب المذاهب الى التشريعات الحديثة ، فهو

أبعدها عنها وإن كان فى مسائل العبادات يبدو أكثرهم تسامحا من غيره

أما التقسيم المشهور للمذاهب ، ما بين أهل الرأى وأهل الحديث ، فهو أيضا تقسيم لا نرى له معنى . فان جميع المذاهب فى الواقع تلجأ الى الاستدلال العقلى . سواء منها المالكية والشافعية والحنبلية . فمن المعروف أن نظرية « المصالح المرسلة » عند المالكية ، و « الاستصحاب » عند الشافعية ، تؤديان ما يؤدى إليه « الاستحسان » عند الحنفية . وهذا التقسيم لا يفيد سوى أن الفقه الاسلامى قد انتابه ما انتاب غيره من التشريعات . ففيها جميعها يتجاذب المفسرين دائما تياران ، تيار التوسع ، وتيار التضييق فى التفسير

ونلاحظ أنه فى موضوع الالتزامات قد راعى فقهاء المذاهب غير الحنفية احتياجات الحياة العملية أكثر مما صنعه فقهاء الحنفية . وذلك على رغم أن الأولين يتمسكون بالأحاديث فى أكثر المسائل خلافا للأخيرين . ويبدو لنا أن فقهاء الحنفية قد اجتهدوا فى جعل بنائهم التشريعى محكماً ، ففاتهم شىء من المرونة . أما الفقه المالكى فهو ظاهر الأخذ بما يتطلبه العمل من القواعد المعقولة . أما الفقه الشافعى فقد بقى متردداً بين النزعتين . بينما الفقه الحنبلى قد اكتفى بتخير الآراء من مختلف المذاهب ، ولم يظهر عليه أى طابع خاص . وفقه الشيعة يقرب كثيرا من فقه الشافعية

يتضح مما تقدم أنه من المفيد إن لم يكن من الضرورى إفراد الفقه الحنفى بدراسة خاصة . وفى الواقع أن الصناعة مختلفة فيه عنها فى المذاهب الأخرى . وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هناك تشريعاً مالكياً ، وتشريعاً شافعياً ، وتشريعاً حنبليا كذلك

ونذكر هنا أنه قد حاول بعض الفقهاء فى هذه المذاهب الارتقاء الى المبادىء العامة ، ومنهم (القرافى) فى الفقه المالكى ، و (العز بن عبد السلام) فى الفقه الشافعى ، و (ابن رجب) فى الفقه الحنبلى ، وفى الفقه المالكى نوع من المؤلفات وردت بها أحكام المحاكم ، وقد سميت « بالعمليات »

ونذكر أخيراً أنه قد اكتشف المستشرق (جريفينى) كتاباً فى فقه الشيعة الزيدية ، قال عنه إنه أقدم ما وجد من كتب الفقه الاسلامى

وقد اهتم بعض الفقهاء منذ العصور الأولى ، بإيراد أحكام المذاهب المختلفة مجتمعة ، وهو ما يسمونه بعلم « الخلافيات » . نذكر منهم (الطبرى) و(الشعرانى) ؛ على أن هذا العلم لا يفيد فى دراسة موضوعية للنصوص ، ذلك أنهم يوردون الأحكام ، كلا منها بجانب الآخر ، منتزعة من مذاهبها ، والمسألة اذا انتزعت هكذا فقدت الكثير من قيمتها ، وقد حاول (الشعرانى) التقريب بين مختلف المذاهب ، على أساس من الصوفية لا يهمنا

ومما تقضى به الطريقة التى نقول بها الاستعانة بكتب الطبقات ، وتاريخ القضاة ، والتاريخ العام لتتبع التطور التاريخى للتشريع ، وتقضى كذلك بالرجوع الى ما وصلنا اليه من الوثائق عما جرى عليه العمل بالفعل ، من قواعد التشريع الاسلامى ، كالأوراق البردية ، وما قد يرد فى كتب الآداب العامة من النصوص القانونية

(انتهى)

شفيق شحاتة

# من زوايا الشباب

لَمْ يهِ إن سالت يراعة شاعرٍ يشكو الغرام تسيل فيكِ جروحى
شرحُ الصبابة فى الوجوه فطالمى فى ناظرىَّ ووجنتىَّ شروحى
لم يبقَ لى فكر لنظم قصيدةٍ إلاَّ موشّح دمعىَ المسفوح
أفقدتنى عقــــلى فقلتُ أردّه
بالبعدِ عنكِ فكدتُ أفقدُ روحى

**الشاعر القروى**

# عينى عليك

يا نجمةً فى سماء الحسن طالعــة
عينى عليكِ ولـكن أين منكِ يدى ؟!
إحـــدى يدىَّ إلى علياكِ أرفعها
مستعطفاً ويدى الأخرى على كبدى
أليس تشجيكِ شكوى شاعرٍ ملأت
آهاته الأرض وامتــدَّت إلى الجَلَد
أما تهيجكِ أنّاتٌ يرجّعها مستوحشاً وبشير الصلح لم يفدِ
هذا المحبُّ وهذا وصف حالته يُجْنَى عليه ولا يجنى على أحد
لم تُبقِ منه عيون الغانيات سوى
شىء من الروح فى شىء من الجسدِ

**فرحات**

**من طرائف الشعر المهاجر**

# كبد من تراب

تمر الليالى كرَّ السحابْ
وتمضى الأمانى كومض البروقْ
فحتَّامَ يغمر هذا الضبابْ
حواشى نفسى فلا تبصرُ
وتبحث عنك فلا تعثرُ
تراها أضاعت إليكِ الطريقْ

***

وكل جمالٍ عيونى تراه
ولحنٍ شجىٍّ بسمعى استقرْ
وكلُّ عبيرٍ يفوحُ شذاهْ
وكل نسيم عليل بليلْ
يحدث عنك وما من سبيلْ
إليكِ وقد طال هذا السفرْ

***

حنينٌ وشوقٌ وحبٌّ دفينْ
تُكابدُه كبدٌ من ترابْ
فإن يكُ فى الأرض ماء وطين
يحولُ ويفصلُ ما بيننا
وكنت اتخذتِ السُّهى موطناً
فياربِّ عجّل بيوم الذهابْ

**م . معلوف**

# هى الدنيا

عادت إلى الأشجار أوراقها وعادت الدنيا تثير الشجون
تذ كّر المسكين وادى الحمى ونام بالأحلام تحت الغصون
مرّت عليه اليوم ريح الصبا وأيقظيه من سبات الجنون
تحرشى بالورق وأسمعيه الحفيف
ردى إليــه الرمق من قبل يأتى الخريف
يوم تمرّين على نائم أحلامه قد بددتها المنون

***

قالوا ربيع قلت أين الصبا أين الفراشات وأين الطيور ؟
أيام أعدو خلفها حافياً وكيفما فى الحقل دارت أدور
طائرة لـكننى مثلها من فرحى ما بين تلك الزهور
وكل ما فى الوجود لنا حــلال مباح
لا عاذل لا حسود لا غُرْبةٌ لا انتزاح
هذا ربيع أعطنى مثــله وخذ إذا ما شئت كل الدهور

(الولايات المتحدة)

**رشيد أيوب**

# القصص

من الأدب الإيطالي

## الوسيط

للقصصي الإيطالي « بوكاشيو »

بقلم محمد عبد اللطيف حسن

كان فى فلورنسا منذ قريب سيدة إيطالية حسناء تدعى ربتولا ، وقد اشتهرت هذه السيدة بين أهل بلدتها بمكرها ودهائها وسعة حيلتها ، وكان ذكاؤها وفطنتها مثار دهشتهم ، وموضع إعجابهم . ومما يؤسف له أنها كانت متزوجة من تاجر غنى لا يفهم الحياة إلا من ناحيتها المادية ، ولا يهتم بشىء قدر اهتمامه بما يجنيه من ربح ومنفعة من وراء تجارته ! أما حاله مع زوجته فلم تكن حال الزوج الموافق المهتم ! وهذا ما دعاها إلى النفور منه والميل إلى غيره

وقد أسعدها الحظ حينئذ برؤية شاب جميل كان دائم المرور أمام منزلها فأحبته حباً جماً وأصبح لا يهنأ لها بال أو يسعد لها حال ما لم تره مرة فى كل يوم على الأقل ! ! وكان هذا الشاب — واسمه تنكريد — يجهل فى مبدإ الأمر تعلقها به ، وعنايتها بأمره ، فلم يلتفت إليها ولم يهتم بها

وبالرغم من أن تجاهله لها كان يضايقها ويكدر عليها صفوها ، فانها كانت حريصة فلم تحاول الاتصال به عن طريق الاستفسار عنه أو إرسال الرسائل اليه خشية أن يلحظ أحد علاقتها به أو يكتشف سر حبها له ؛ وهداها تفكيرها آخر الأمر الى أن تلفت نظره اليها وتجتذب قلبه نحوها عن طريق قسيس ورع كان من أخلص رفقائه وأكثرهم له وفاء ومحبة

وبعد أن اختمرت هذه الفكرة فى رأسها ذهبت إلى الكنيسة التى يقيم بها هذا القسيس وابتدرته بقولها :

— لقد جئت إليك يا سيدى أطلب معونتك فى أمر مهم سأشرحه لك . ولعلك تذكر أننى أخبرتك فى مرة سابقة عن أقاربى وزوجى الذى يحبنى أكثر من حبه لحياته ، والذى لم يتأخر فى يوم من الأيام عن تحقيق ما أطلبه منه ! ! ولهذا أحببته أنا الأخرى حباً شديداً وأصبحت لا أطيق الفراق عنه أو أستطيع الحياة بدونه ! ! أما ما جئت إليك اليوم من أجله فهو أن هنالك شاباً يدعى تنكريد ، وهو كما علمت من بعض الناس صديق حميم لك ، اعتاد أن يمر من أمام منزلى كل يوم ، وفى كل مرة يمر فيها أراه يرمقنى بنظراته التى تدل على شدة حبه لى ، وكثرة هيامه بى . وقلما يحول بصره عنى طيلة الوقت الذى أكون فيه مطلة من نافذة غرفتى . فاضطر إلى مغادرة النافذة أو إغلاقها فى وجهه خشية أن يتقول علىّ الناس بما يشين سمعتى أو يسئ إلى شرفى . وليس يبعيد يا سيدى أن يكون تنكريد هذا قد تعقب خطاى ورآنى وأنا أدخل هذه الكنيسة ، أو من المحتمل أن يكون الآن فى انتظارى خارجها ! وأصدقك القول يا سيدى أن هذا الأمر قد أصبح يضايقنى أكبر المضايقة ، ويؤلمنى أشد الألم . بل لقد بلغ الأمر بى إلى حد أننى أصبحت أفضل الموت على أن أكون مضغة فى أفواه الناس !

وبعد أن استراحت برهة قصيرة تابعت حديثها فقالت :

— وكثيراً ما فكرت يا سيدى فى أن أحيط إخوتى أو زوجى علماً بهذا الموضوع الشائن ، ولكنى لا ألبث فى كل مرة أن أحجم عن ذلك حينما أتذكر أن الرجال غالباً ما ينهون مثل هذه الأمور بالضرب المؤلم الذى قد يفضى إلى الموت فى كثير من الأحيان ! وأخيراً استقر رأيى ، حقناً للدماء وحسماً للنزاع ، على أن أطلب مساعدتك لسببين : الأول أن هذا الشخص صديقك فتستطيع من هذه الناحية أن تردعه بنفسك ؛ والثانى أن من أهم واجبات القسيس الورع التى إصلاح سيئات الناس وخطاياهم سواء أكانوا أصدقاء أم غرباء . وأنا أتوسل إليك يا سيدى أن تنصح صديقك هذا بالكف عن مغازلتى

والامتناع عن النظر إلىّ . وإذا كان لا بد له من هـذه المغازلة فهناك كما أعلم سيدات كثيرات غيرى يتمنين من صميم أفئدتهن أن يكن عشيقات وفيات له ! !

ولما انتهت بريتولا من بث شكواها نكست رأسها كما لو كانت توشك أن تبكى من شدة الحزن والتأثر ! !

ولم يشك القسيس الساذج فى شىء مما قالته ، بل أخذ على العكس يمتدح خصالها الطيبة ويثنى على حسن تصرفها ورجاحة عقلها ! ! ووعدها أخيراً بتحقيق رجائها وإجابة ملتمسها . .

وقبل أن تغادر بريتولا الكنيسة قالت للقسيس الطيب القلب :

— ولا تنس ياسيدى أن تخبر تنكريد إذا دفعته الجرأة إلى انكار شىء مما قلته لك ، بأننى قد أتيت إليك بنفسى واعترفت أمامك بكل شىء . .

***

وفى اليوم التالى أرسل القسيس فى طلب صديقه تنكريد . ثم انتحى به جانباً وأخذ يلومه بلهجة هادئة ، وعبارة متزنة ، على تصرفه الشائن مع بريتولا . .

ودهش تنكريد بطبيعة الحال لهذا الاتهام الذى لم يخطر على باله ، لأنه ، كما قلنا ، لم يرفع بصره الى بريتولا فى مرة من المرار التى كان يمر فيها أمام منزلها ؛ وبالرغم من أنه نفى عن نفسه هـذه التهمة بشدة ، فان صديقه القسيس لم يصدق ذلك وقال :

— لا تتظاهر بالدهشة ياعزيزى من هذا الأمر ، ولا تحاول أن تنكر هذه التهمة لأننى سمعتها من شفتى بريتولا نفسها . .

وبعد أن سكت برهة قال :

— ولعلك تعلم يا تنكريد أن هـذا السلوك الشائن وذلك التصرف السيء لا يليقان برجـل فاضل مثلك ، وإنى أنصحك نصح الصديق المخلص أن تدع هذه السيدة الفاضلة تعيش فى هدوء وسلام مع زوجها الذى يحبه إلى حد العبادة ! ولا تحاول أن تقلق راحتها أو تفسد حياتها مرة أخرى . .

ولم يغب عن بال تنكريد غرض بريتولا من هذا الاتهام الكاذب . وقبل أن يغادر الكنيسة وعد صديقه ألا يعرض لبريتولا ولا أن يضايقها بعد ذلك . فاستراح القسيس لهذا الوعد وشكره على شهامته ونبل أخلاقه

وقصد تنكريد من فوره إلى منزل بريتولا . ولحسن حظه وجدها فى انتظاره كالمعتاد فى نافذة غرفتها

وما كادت بريتولا تراه وهو مقبل على منزلها حتى ابتسمت له ابتسامة خبيثة ماكرة ، وبجلى البشر والسرور فى قسمات وجهها ، وحيته بهزة خفيفة من رأسها الجميل

وتأكد تنكريد الآن أنه لم يكن مخطئاً فى زعمه ، فابتسم لها ابتسامة رقيقة عذبة ورد تحيتها بأحسن منها . .

ومنذ هذا اليوم أخذ يصوب نظره اليها فى كل مرة يمر فيها من أمام منزلها ، فكان ذلك سبباً فى سرورها وغبطتها . .

***

والظاهر أن بريتولا لم تكتف بهذا الفوز الباهر بل أرادت أن تتقدم فى سبيل حبها خطوة أخرى . فذهبت الى القسيس وألقت بنفسها بين قدميـه ، وأخذت تبكى بكاء مراً . فدهش القسيس وسألها عن سبب بكائها ! فأجابته بريتولا دون أن تكف عيناها عن البكاء

— إننى أبكى ياسيدى بسبب صديقك الملعون الذى شكوته اليك من قبل

فقطب القسيس ما بين حاجبيه وسألها قائلا :

— ألا يزال هذا الرجل يضايقك ؟

فأجابته بريتولا وهى تبكى :

— نعم . فمنذ أن شكوته إليـــك وهو لا يفتأ يضايقنى بنظراته الوقحة ، ويؤلمنى بابتساماته السخيفة . وليس هذا فقط . بل أنه بعد أن كان يمر من أمام منزلى مرة واحدة أو مرتين فى اليوم أصبح يمر الآن ما لا يقل عن سبع مرات ! !

وبعد أن نهنهت دموعها الجارية تابعت حديثها فقالت :

— وليت الأمر قد انتهى عند هذا الحد ، فبالأمس أرسل إلىّ من قِبله عجوزاً لا أعرفها . وبعد أن عرفتها بنفسى أعطتنى حقيبة جلدية نفيسة ومنديلا حريريا غالى الثمن ، وقالت لى وهى تبتسم ابتسامة ذات معنى إنهما مهداتان إلىّ من تنكريد ! ولا أكتمك ياسيدى أننى غضبت لذلك غضباً شديداً وكنت على وشك أن أطردها هى وهدية تنكريد خارج منزلى ، لولا أننى خشيت أن تحتفظ بالحقيبة والمنديل لنفسها دون أن تخبره برفض هديته ! ففضلت أن آخذهما منها ؛ وقد رأيت من الواجب أن أحضر معى هذه الهدية لكى تردها اليه وتخبره بأننى لست فى حاجة الى شىء منه . وأرجو أخيرا أن تحذر صديقك هذا بأنه إذا لم يكف عن مضايقتى ، فأننى سأضطر حتما الى إخبار زوجى

أو إخوتى بكل شىء مهما كانت النتائج التى تترتب على ذلك

قالت ذلك وقدمت الحقيبة والمنديل للقسيس وهى تتظاهر بالحزن والغضب لأهانة تنكريد إياها ! !

وظن القسيس لسذاجته وسلامة صدره أن ما قالته بريتولا قد حدث بالفعل ، فغضب لذلك غضبا شديداً ، وقال لها بعد أن فكر برهة :

إننى لا أستغرب ياسيدتى شدة حزنك لهذا الأمر ، ولست ألومك بالطبع على شىء مما حدث . بل إننى على العكس أشكرك على اتباعك نصيحتى ، وعملك بمشورتى . ومع أننى لمت تنكريد عنـد ما زارنى لأول مرة ، فانه على ما يظهر لم يرعو عن غيه ، ولم يرتدع عن ضلاله ، ولهذا عولت على أن أوبخه توبيخاً شديداً على هذا السلوك المعيب . وأرجو ياسيدتى ألا تتنادى لماطفتك فتخبرى زوجك أو إخوتك بهذا الأمر ، فان نتائجه السيئة لا تخفى بالطبع على سيدة عاقلة مثلك ، بل اتركى كل شىء وأنا أتصرف فيه بعقلى وحكمتى

***

وما كادت بريتولا تبرح الكنيسة حتى أرسل القسيس فى طلب صديقه تنكريد مرة أخرى . فلما جاء قابله بوجه عابس وجبين مقطب . واستنتج تنكريد من ذلك أنه لابد وأن تحادث مع بريتولا فانتظر بفارغ صبر ما سيقوله له . ولم يطل انتظاره طويلاً إذ انهال عليه القسيس بوابل من الشتائم واللعنات بعد أن أعاد على مسامعه كل ما ذكرته بريتولا له .

وبالرغم من أن تنكريد أنكر بشدة إرساله الحقيبة والمنديل الى بريتولا ، إلا أن القسيس لم يصدق قوله ، بل اشتدت حدته وازداد غضبه عن ذى قبل ثم قال :

— كيف تنكر ذلك أيها الشرير المنافق مع وجود الدليل المادى على ارتكاب فعلتك ؟

ثم نهض من مقعده ، وأحضر الحقيبة والمنديل وناولهما إياه ثم قال :

— أليس فى هذا الكفاية ؟ فشمر تنكريد — مع براءته — بالخجل لوجود ذلك الدليل القاطع ، ولما لم يجد بداً من الاعتراف بهذه التهمة المنسوبة اليه قال :

— نعم . لقد أرسلت الى بريتولا هذه الهدية لأنى كنت أحبها كغيرها من النساء ، ولكنى بعد أن تأكدت الآن أنها تختلف عنهن كل الاختلاف ، فانى أعدك بشرفى ألا أرتكب ما يسىء سمعتها أو يجرح شعورها . وثق ياسيدى أنك لن تسمع منها بعد اليوم شكوى

ولم ينس تنكريد أن يأخذ معه الحقيبة والمنديل قبل أن يغادر الكنيسة بعد أن اقتنع تماما من أن بريتولا تحبه حباً جماً ، وتهيم به هياماً شديداً ، وأنها ما فعلت ذلك إلا بدافع هذا الحب والهيام ...

وقصد تنكريد من فوره إلى منزل بريتولا حيث كانت لحسن الحظ فى انتظاره كالمعتاد ، وما كاد صاحبنا يلمحها من بعيد حتى أخرج من تحت ابطه الحقيبة والمنديل وأراها إياها . فسرت بريتولا سروراً شديداً لأنها عرفت حينئذ أن خطتها المرسومة سائرة فى طريق التقدم

***

ولم يبق إلا غياب الزوج عن منزله لتكلل خيانة بريتولا بالنجاح التام . ولم يطل انتظارها طويلاً إذ اضطر الزوج بعد بضعة أيام من وقوع الحادث السابق الى السفر الى جنوا ، للقيام باحدى المشاغل الضرورية التى تتطلبها طبيعة عمله

وذهبت بريتولا الى القسيس مرة ثالثة عقب سفر زوجها مباشرة وقالت له وهى تبكى :

— لقد سبق أن قلت لك يا سيدى بصراحة أنه لا يمكننى أن أحتمل مضايقة تنكريد أكثر من ذلك . ولما كنت قد وعدتك بألا أقدم على عمل شىء قبل مشورتك ، فقد جئت إليك اليوم لأشكو لك من صديقك تنكريد ..

فذهل القسيس حينما سمع منها ذلك وسألها قائلاً :

— ألا يزال هـذا الملعون يضايقك ؟؟ فقالت له : بريتولا وهى تتظاهر بالحدة والغضب :

— نعم . ففى مساء الليلة الماضية دخل حديقة منزلى بعد أن علم بسفر زوجى إلى جنوا — ولست أدرى كيف — وتسلق إحدى الأشجار إلى نافذة غرفتى ، والتى كانت لسوء حظى مفتوحة فى ذلك الوقت . وكنت على وشك أن أصرخ عندما رأيته فى غرفتى لولا أنه توسل إلىّ ألا أفعل ذلك ، ورجانى بأن أكون رحيمة به فلا أرتكب ما يلفت أنظار الناس إليـه . وأقول لك الحق يا سيدى إننى خضعت لتوسلاته ولم أفعل شيئاً أكثر من أننى طردته منَ نفس النافذة التى جاء منها ثم أغلقتها وراءه بشدة ..

وبعد أن سكتت برهة تابعت حديثها فقالت :

— والآن أرجو أن تحكم ياسيدى بنفسك فى هذا الأمر وتخبرنى هل فى إمكانى أن أحتمل مضايقة تنكريد أكثر من ذلك ؟؟ أو ليس من الواجب أن أخبر إخوتى بما فعله حتى يردوه إلى صوابه ، ويعيدوا إليه ما عزب من عقله ؟؟

واحمر وجه القسيس حينما سمع ذلك وفار دم الحنق والغضب حاراً فى عروقه وقال :

— وهل أنت متأكدة من أن الذى دخل غرفتك إنما هو تنكريد دون غيره ؟؟

فأجابته بريتولا وهى لا تزال تبكى :

— وهل يمكننى يا سيدى أن أخطئ فى معرفته بعد كل ذلك ؟؟ فأنا واثقة تمام الثقة من أن الشخص الذى دخل غرفتى إنما هو تنكريد نفسه . وإذا تجاسر وأنكر ذلك أمامك — وهذا ما سيفعله بالطبع — فأرجو منك ألا تصدقه ..

وبعد أن مرت بين الاثنين فترة سكوت قصيرة قطعها القسيس بقوله :

— إن ما فعلته يا سيدتى إنما هو الصواب بعينه ؛ وقد قمت بواجبك خير قيام . ولست أنكر أن عمل تنكريد فى منتهى الخسة والدناءة ، ولكنى مع ذلك أستحلفك بالله أن تتركى هذا الأمر لى مرة أخرى دون أن تخبرى إخوتك بشىء مما حدث ؛ وسترين بعد ذلك إذا كان فى إمكانى أن أقوم اعوجاج تنكريد . فاذا أفلحت كان بها ، وإذا فشلت فسأترك لك الخيار فى أن تتصرفى فى هذا الأمر كما تشتهين ..

وقبل أن تغادر بريتولا الكنيسة قالت للقسيس وهو يودعها :

— تأكد ياسيدى بأننى لن أضايقك بهذه المسألة بعد الآن . وقد استقرر رأيى على ألا أخبرك بشىء فى هذا الموضوع مطلقاً

***

وما كادت بريتولا تبرح الكنيسة حتى استدعى القسيس صديقه تنكريد بعد أن استقر رأيه على أن يزجره زجراً شديداً وأن يعنفه تعنيفاً قاسياً . ولما حضر قابله بوجه مقطب ، ومظهر قاس ، ثم انتحى به ناحية من الكنيسة وأخذ ينهال عليه بالشتائم واللعنات التى كانت تزداد حدتها شيئاً فشيئاً ، بينما جلس الآخر فى مكانه هادئاً ساكناً كما لو كانت هذه الشتائم واللعنات موجهة إلى غيره ! وأخيراً تضايق تنكريد من تأنيب القسيس وقال :

— ما الذى فعلته يا صاحبى حتى استحق منك كل هذه الشتائم ؟

فازداد غضب القسيس لهذا الانكار وضحك ضحكة ساخرة ثم قال :

— ألا تدرى ماذا فعلت أيها الأحمق ؟؟ إنك تتكلم كما لو كان هذا الأمر لا يعنيك ..

فتظاهر تنكريد بالدهشة وقاطعه بقوله :

— عن أى أمر تتحدث يا مولاى ؟؟

فحملق القسيس فى وجهه بشدة وقال :

— أين كنت فى مساء الليلة الماضية ؟؟

فأجابه تنكريد بهدوئه وسكونه المعتاد :

— لست أدرى بالضبط يا سيدى !!

فازدادت ثورة القسيس ثم قال :

— سأخبرك أين كنت أيها المخادع الشرير !!

وبعد أن استجمع شتات تفكيره تابع حديثه فقال :

— لقد دخلت حديقة بريتولا فى مساء الليلة الماضية ثم تسلقت إحدى الأشجار إلى غرفتها ، وكاد أمرك يفتضح لولا أنها أشفقت عليك ورأفت بك ولم تفعل شيئاً أكثر من أنها طردتك من نفس الطريق الذى جئت منه !!

ولم يغب عن بال تنكريد ماذا تقصده بريتولا من هذا الكلام الذى قالته للقسيس ، وأخذ يفكر فيما يجب عليه أن يفعله فى مساء تلك الليلة ، ولكن القسيس ما لبث أن قطع عليه حبل تأملاته فقال :

— إنك تظن أيها المنافق أن فى امكانك أن تحمل هذه السيدة الفاضلة على حبك .. ولكن لا ! ولست أغالى اذا قلت لك انك أصبحت الآن أبغض الناس اليها ، وأثقلهم على قلبها ! وليس هذا فقط ، بل أنك أمسيت فى نظرها كالطاعون الذى لا يترك انساناً الا بعد أن يفتك به ! حقاً إنك لم تستمع لنصحى ولم تأبه لارشادى ، ولكنى أؤكد لك بأن الأمر قد خرج الآن من يدى . فاذا لم ترتدع ، فستضطر بريتولا الى إخبار اخوتها أو زوجها بكل ما فعلته معها ، وفى هذا كما تعلم ويل وعذاب لك ..

وبعد أن هدّأ تنكريد ثورة القسيس بوعوده وتوسلاته غادر الكنيسة وهو على أشد ما يكون من الفرح والسرور

***

# البريد الأدبي

## كتاب عن البحر الأبيض

أضحى البحر الأبيض مسرحاً للمنافسات الدولية المزعجة، وأضحت مشاكله من أعقد المشاكل الدولية وأخطرها؛ وقد ظهر أخيراً بالانكليزية كتاب عن هذا البحر ومشاكله السياسية والعسكرية الكبرى بعنوان «البحر الخطر» The Dangerous Sea بقلم الكاتب والصحفي الانكليزي الكبير جورج سلوكومب؛ ويقسم الكاتب كتابه إلى خمسة أقسام يتحدث فيها عن المسائل السياسية والدولية والبحرية والعسكرية، ثم عن المشاكل والاحتمالات الغامضة التي تثيرها ظروف هذا البحر الجغرافية من جبل طارق إلى جزائر الدوديكانيز؛ ويمهد لموضوعه بنبذة تاريخية عن هذا البحر، والأمم التي قامت على ضفافه منذ غابر العصور، ثم يتحدث عن مركز انكلترا في جبل طارق، وكونها تفيض على مفتاح البحر من غربه، ويقول إن سلامة جبل طارق وسلامة السيادة البريطانية هنالك تتوقفان على علاقة انكلترا بالدولة التي تسيطر على قلعة سبتة المراكشية، وعلى استمرار حالة الحياد القائمة في تنوطنجة

وينوه المؤلف بموقف إيطاليا الحالي، ويقول: إنه أول موقف من نوعه تنازع فيه دولة عظمى سيادة بريطانيا في هذا البحر منذ عصر نابوليون، ولأول مرة قد افتتحت قناة السويس، وتحولت تجارة الغرب إلى الشرق عن طريقها، وغدا البحر الأبيض شرياناً حيوياً للامبراطورية البريطانية، تنهض دولة واقعة في منتصف الطريق، وتلقي إشارات لا ريب فيها بأنها تستطيع أن تقطع المواصلة بين جبل طارق وقناة السويس؛ ويقرن المؤلف ذلك باحصاءات دقيقة عن القوات البحرية والعسكرية التي تملكها دول البحر الأبيض: فرنسا وإيطاليا ويوجوسلافيا وبلاد البلقان وتركيا

ويعطف المؤلف بعد ذلك على مركز إيطاليا في ألبانيا وعلى مسألة العلائق المصرية الانكليزية، وعلى مركز الدردنيل وموقف روسيا، ثم على نهضة البلاد العربية التي أخذت تبدو بكل شكل واضح؛ ثم يتحدث عن الحرب الأهلية الاسبانية، ويبين مكامن الخطر فيها على السلام الأوربي، سواء نجحت الثورة القائمة فيها أم أخفقت

ويشعر القارئ عند قراءة هذه الفصول القوية الواضحة التي يستعرض فيها المستر سلوكوب مشاكل البحر الأبيض، أن الخطر يجثم هنالك في كل ناحية من نواحيه، وإن هذا العامل الذي لم يحسب حسابه من قبل في السياسة الأوربية قبل أن تستكمل إيطاليا تسلحها وأهباتها العسكرية يغدو اليوم من أخطر وأهم العوامل التي يتوقف عليها سير السلام الأوربي وتتوقف عليها سلامة الامبراطورية البريطانية

## عبقرية فنان مسلم

نوهت الصحف الفرنسية أخيراً بعبقرية فنان جزائري مسلم يدعى السيد محمد راسم، يعرض رسومه الآن في معرضه الخاص بباريس في شارع فوبور سانت أونوريه. ومما قالته جريدة الايكودي باري في ذلك: إن المرء ليشعر بعاطفة من الهدوء والنبل

---

وفي المساء ذهب الى منزل بريتولا ثم دخل الحديقة وتسلق الشجرة التي تؤدي الى نافذة غرفتها، والتي تركتها مفتوحة لهذا الغرض. ولما دخل الغرفة قابلته حبيبته بشغف ظاهر وسرور عظيم، وتعانق الاثنان عناقاً حاراً وهما يشكران هذا القسيس الذي كان واسطة التعارف بينهما!

ومن بعد هذا اليوم أصبح العاشقان الفاسقان يتقابلان دون أن يحتاجا الى وساطة هذا القسيس الطيب القلب!!

محمد عبد اللطيف حسن

والغبطة حينما يتأمل رسوم محمد راسم ؛ وإن أولئك الذين يزعمون أن الزخرفة الاسلامية متماثلة يرون ما يبهرهم فى تنوع النماذج التى يقدمها وفى طرافتها ، وفى ذلك المزيج المدهش الذى يتجلى فيها سواء من حيث التناسق أو اللون أو الأسلوب ؛ ومنها نماذج فارسية ومغربية ومصرية تنم كلها عما يحتويه الفن الاسلامى من فن التوازن والتناسق وقوة الاعراب والتأثير

ويعرض محمد راسم أيضاً صوراً صغيرة بعضها يمثل مناظر تاريخية مشتقة من التاريخ الاسلامى ، وبعضها يمثل مناظر عربية ؛ كما أنه يعرض قطعاً فنية من الخزف البديع تمثل مناظر مدهشة من وقائع القرصان الجزائريين فى القرن السابع عشر ، ومناظر الفرسان المسلمين

والواقع أن الفن العربى لم يفقد شيئاً من طرافته ولا أوضاعه التقليدية ، وفى وسعه أن يعبر بكل قوة وبراعة عن مناظر عصرنا ، وفى وسعه بنوع خاص أن يعبر دائماً عن تلك الأفكار والمناظر التى خلدها الشعر العربى وأذاعها فى العالم بأسره

هذا قول الكاتب الفنان فى الصحيفة الفرنسية ، فما قول سادتنا المتفرنجين الذين ينكرون على الفن الاسلامى كل فضائله ومزاياه ؟

## جائزة نوبل للطب

من أنباء استكهلم ( السويد ) أن جائزة نوبل للطب والفسلجة لسنة ١٩٣٦ قد تقرر منحها للأستاذ السير هنرى هالت ديل عضو المجمع الوطنى للمباحث الطبية بلندن ، والأستاذ أوتو ليڤى النمسوى الأستاذ بكلية جراتس ، وذلك لمباحثهما المتعلقة بالتأثيرات الكيماوية للمؤثرات العصبية

والمعروف عن الأستاذ ليڤى أنه أول من اكتشف أثر التفاعل الكيماوى فى الاهتزاز العصبى ، فاذا انطلقت الهزة إلى الأنسجة العصبية واستقرت فى العضل نشأت عنها مادة كيماوية فى العصب النهائى ، واستطاع العصب أن ينقل هزاته بواسطة هذه المادة

وقد توسع السير هنرى ديل فى تطبيق هذه النظرية ؛ وهو يقسم حسب مباحثه أعصاب الجسم الى مجموعتين ؛ فالمجموعة الأولى تفرز مادة كيماوية تسمى « الأدرينالين » ، والمجموعة الثانية تفرز مادة تسمى « اكتلسكولين » ، وأهمية هذا التقسيم فى أن هنالك مؤثرات معينة يمكن إحداثها فى الأعضاء وفى هيكل الجسم بالحقن بمثل هـذه المواد وبمواد معينة تحدث أثراً يقلد فى هزاته هزات الأعصاب الطبيعية

وجائزة نوبل للطب تبلغ نحو عشرة آلاف جنيه انكليزى وستوزع مناصفة بين العالمين الكبيرين

## شارل موراس محرر لاكسيون فرانسيز

قرأنا فى الصحف الفرنسية الأخيرة نبأ اعتقال شارل موراس الزعيم والكاتب الملكى الشهير وزجه فى سجن « سانتيه » ليقضى فيه عقوبتين حكم بهما عليه من جراء مقالات عنيفة كتبها فى جريدة « لا كسيون فرانسيز » ضد بعض رجال الحكم ؛ وشارل موراس كاتب وروائى من أعظم كتاب فرنسا المعاصرين وصحفى من الطراز الأول ، وقد اشتهر بنوع خاص بمقالاته فى لا كسيون فرانسيز وما تمتاز به من تصوير عنيف وقوة نقدية لاذعة ، وبلاغة ساحرة فى نفس الوقت

وقد نشرت الصحف الفرنسية بهذه المناسبة بعض تفاصيل عن النظم المتبعة فى تنفيذ أحكام الحبس التى يقضى بها فى جرائم الرأى أو الجرائم السياسية ، والتى عومل بها شارل موراس ؛ وهى فى الواقع نظم مريحة عادلة ؛ فالكاتب المحكوم عليه يحجز فى غرفة خاصة بها الأثاث الكافى ، وله أن يتسلم بريده الخاص من رسائل وكتب وصحف وغيرها ، كما أن له أن يستقبل زواره طبقاً لقائمة يقدمها بذلك ويصادق عليها مدير البوليس ؛ وله أن يطلب على نفقته ما شاء من ألوان الطعام إذا لم يوافقه طعام السجن ، وأن يستبقى ملابسه العادية ، وأن يستحضر منها ما شاء ، كما أن له أن يتريض داخل السجن طبقاً لنظام معين

وهكذا يستطيع الكاتب المعتقل أن يزاول داخل السجن عمله العادى من قراءة وكتابة . ومن ثم فان شارل موراس سيكتب مقاله كل يوم وتنشره لا كسيون فرانسيز كالمعتاد . وتتحدث الصحف على اختلاف نزعاتها عن الكاتب السجين بعطف ، ويشير البعض إلى أن شارل موراس قد يرشح خلال اعتقاله لعضوية الأكاديمية الفرنسية

# الكتب

## ١ – فى سنن الله الكونية

تأليف الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

## ٢ – النتائج السياسية للحرب العظمى

ترجمة الأستاذ محمد بدران

للأستاذ محمود الخفيف

– ١ –

تفضل الأستاذ الغمراوى فأهـدى إلى كتابه « فى سنن الله الكونية » فرأيت وقد فرغت من قراءته أن أقدمه الى قراء الرسالة ، ولكننى أحس أنى كى أصف موضوع هذا الكتاب وصفا صادقا ، ولكى أقدره حق قدره فى مثل هاتيك المجالة ، ينبغى أن أتجاوزه الى كلمة عن مؤلفه ، وإن كنت أشعر أن ذلك سوف لا يرضيه

يجمع الأستاذ بين خلتين قليل اجتماعهما لشخص : فهو من ناحية شديد الاخلاص لدينه مع التفقه فيه ، ومداومة البحث فى مسائله ، حتى لكأنك منه حيال رجل يقصر على الأمور الدينية همه ؛ وهو من ناحية أخرى رجل من رجال العلم المعروفين بالفطنة وسعة الاطلاع مع الدقة وحب البحث ، ثم هو من الناحيتين يكاد يعطيك نموذجا صحيحا لتلك « الحلقـة المفقودة » التى نتوق الى وجودها لنصل بها ما بين الثقافتين العلمية والدينية

فاذا قلت لك بعد هذا أن الكتاب صورة من صاحبه فقد قربت موضوعه الى ذهنك ، واستطعت بعد أن أزيدك معرفة به

كان من حسن التوفيق أن انتـدبت الجامعة الأزهرية الأستاذ الغمراوى فيمن انتدبت من الأساتذة ، فهذا الكتاب « ثمرة تدريس علم سنن الله الكونية فى السنة الأولى من قسم الوعظ والارشاد بكلية أصول الدين . وعلم سنن الله الكونية هو العلوم الطبيعية مطبقة على الدين »

بدأ الأستاذ هذا الكتاب بفصل ممتع بين فيـه بيان خبرة ووثوق أن ليس ثمة أى تناقض بين حقائق العلم وحقائق الدين ، وهو يؤيد دعواه بالحجة مستشهداً بآى الذكر الحكيم ، فلا يسعك إلا أن تسلم معه بأن « العلم قرآنى بموضوعه » وأنه « قرآنى بطريقته » ، فقرآنية العلوم الطبيعية واضحة ملموسة فيما ورد فى الكتاب الكريم من آيات التدبر والتفكر فيما خلق الله فى السموات والأرض ؛ وسبل العلم فى طلب أسرار الفطرة أو فى تفهم سنن الله فى كونه هى السبل التى أمر القرآن باتباعها من حيث تمحيص الحقائق والاستناد الى البراهين وتحكيم العقل . والاعتماد الى جانب ذلك على المشاهدة

راح الأستاذ بعد هـذا يعرض المسائل العلمية التى يشتمل عليها كتابه ، وهو فيها مقيد بمنهج دراسى خاص ؛ وأحب أن أشير هنا الى أنى كنت أحسبنى قبل قراءتها حيال مسائل لا تهم كثيراً من يشتغل بالأدب ، ولكنى قرأتها فى يسر واستمتاع وخرجت منها وقد كسبت من المعارف ما صرت أعتقد أنه لا غنى عنه لمن يطلب الثقافة . فالكتاب إذاً يستطيع أن يقرأه الانسان على أنه كتاب عام لا كتاب مدرسى ؛ وبهذه المناسبة يجدر بى أن أقرر أن الأستاذ قد توخى فيه سهولة العبارة وبساطة توجيه المسائل ، وفى مثل هذا العمل لا ريب من العناء ما يعرفه كل من حاول أن يقرب الى الأذهان موضوعات يعلم أنه يطرقها لأول مرة

هذا ولم يقف جهد الأستاذ المؤلف عند تبسيط المعلومات وحسن توجيهها ، بل إنه تمشيا مع طريقة كتابه يقف عند المناسبات المختلفة ويشير الى الآيات القرآنية التى تتصل بالموضوع فيعرضها فى لباقة ووضوح مبيناً لك مراميها وإعجازها فى غير تكلف أو إلتواء ، وتلك هى فى الحقيقة حسنة الكتاب . وإذا كان لى أن آخذ على الأستاذ شيئاً ، فذلك أنه مع مثل هذا الاستعداد وهذه المزايا ، لا يخرج لنا كتابا واسعا يبسط فيه موضوع العلاقة بين العلم والدين ، ذلك لأنه « إذا تم للانسان هذا الجمع بين العلم والدين

ثم ما يصح أن يسمى بعلم سنن الله الكونية ، واستطاع الانسان أن يدرس العلم بروح العبادة من غير أن يضحى بشيء من دقة العلم ، وأن يدرس الدين ويطبقه بروح العلم من غير أن يضحى بشيء من عبادة الدين ، وهنالك يتم للانسان الاتحاد بين عقله وقلبه ، وبين علمه ودينه ، وهذا شيء ممكن تماماً فى الاسلام

— ٢ —

يأتى بعد ذلك الكلام على الكتاب الثانى « النتائج السياسية للحرب العظمى » . وهو كتاب ألفه بالانجليزية الأستاذ رمزى ميور أستاذ التاريخ الحديث بجامعة منشستر سابقاً ، وترجمه إلى العربية الأستاذ محمد بدران ، وقدمته لجنة التأليف والترجمة والنشر إلى الجمهور كحلقة من سلسلة معارفها العامة ، تلك السلسلة المباركة التى أخرجت اللجنة عدة حلقات منها فى نواحى المعرفة المختلفة من فلسفة وتربية وأدب وتاريخ وغيرها ، والتى ستوالى اللجنة بعون الله إصدار بقية حلقاتها حتى تشمل جوانب النهضة العلمية فى مصر والعالم العربى

أثرت الحرب العظمى تأثيراً عظيما فى مجرى تاريخ العالم وخلف ذلك الحادث من النتائج مالا تزال أوروبا حتى اليوم تخضع لمؤثراته . ولقد شمل أثر الحرب جميع نواحى الحياة من فكرية وفنية واقتصادية ، ولكن أثرها فى الناحية السياسية كان أبعد منه فى غيرها ، وعلى نوع هذا الأثر يتوقف مصير العالم بلا ريب فى المستقبل القريب

ولا نزاع فى أن تتبع الأثر الذى انتجته الحرب فى العالم من أهم نواحى الثقافة العامة ، ونحن من الوجهة السياسية على الخصوص لا نستطيع أن نفهم منشأ الحركات الدولية الحديثة ، ولا أن نتبين مبادئها ومراميها دون أن نرجع فى هذا كله إلى ما تمخضت عنه الحرب الكبرى . والكتاب الذى اضطلع بتعريبه الأستاذ بدران فأنجز مهمته على خير ما يرجى ، كفيل بأن يعطيك فكرة واضحة قوية عما خلفته تلك الحرب « فهو خلاصة تاريخ العالم فى دور من أدوار الانتقال لا يكاد يختلف عن الفوضى فى شيء » ، ومؤلفه أستاذ متضلع فى التاريخ الحديث ، ملم بتياراته واتجاهاتها ، ولذا كان شديد التنبؤ لما أحدثته فيها الحرب ، واضح الفكرة فى تتبع الحوادث ، حسن الاداء فى عرضها ، مما يجعلك تقرأ الكتاب فى يسر ولذة ، ومما يجعلك تغتبط أشد الاغتباط أن ترى مثل هذا الكتاب فى متناول قراء العربية

أما عن الترجمة ، فلقد تجلت شخصية الأستاذ بدران فيها قوية متينة ، فما تكاد تشعر إلا كأنك تقرأ الأصل ، فليس هنك غموض أو التواء فى التعبير أو أية صعوبة فى الآداء مما يصادفه المرء عادة فى الكتب المترجمة ؛ هذا إلى انتقاء دقيق للفظ العربى المطلوب مع الحرص على الايجاز وإيراد المعنى فى صورة واضحة . والحق أشهد أن الأستاذ بدران قد وفق فى تعريبه إلى خير ما يطمع فيه المعرب المخلص النابه

هنا ولقد ختم الأستاذ المعرب الكتاب بفصل من عنده هو « العالم بين يونيه سنة ١٩٣٠ ويونيه سنة ١٩٣٦ ، تكلم فيه عن النزاع بين الصين واليابان والمسألة الحبشية والحركة النازية وحوادث البلقان والشرق الأدنى ، وهو فصل ممتع حقاً رأينا فيه الأستاذ بدران كمؤلف حريصاً على الاتقان والتفوق حرصه على دقته فيما عرب مع صعوبة تناول مثل هذا الموضوع المتشعب فى مثل هذا الحيز الصغير ، وإنك لتقرأ هذا الفصل الأخير من الكتاب فتحس كأنك قرأت كتاباً كاملاً وتعجب كيف استطاع الأستاذ أن يلم بأطراف موضوعه فى مثل هذا الاتقان

الخفيف

# العالم المسرحي والسينمائي

## الحروب الصليبية

### على ستار سينما رويال

### لناقد «الرسالة» الفني

أنصف سيسل دى ميل الشرق فى فلمه الأخير «الحروب الصليبية» فى شخص صلاح الدين الأيوبى سلطان مصر ، فدل بذلك على أن روحه روح فنان لم يتملكها التعصب ويحيد بها عن طريق الحق والواجب فى تسجيل التاريخ على شريط السينما

فهو قد صور بطلنا الشرقى فى الصورة المعروفة عنه من الشجاعة والنبل ، صوره رجلاً يأبى الوصول إلى أغراضه عن طريق الخسة والدناءة ، ويترفع عن وسائل الغدر والخيانة ، فى حين أن الكثيرين من كتاب الغرب إذا ما عرضوا لشخصية شرقية مهما أيد التاريخ والحوادث عظمتها لم يتركوها دون مغمز ، بل منهم من يخلق لها الحوادث المخزية ويروح يبذل جهده لالصاقها بها ، ويصور الشرق والجو الذى يحيط بالقصة فى أشنع الصور وأشدها إلى النفس

فانصاف سيسل دى ميل لصلاح الدين والشرق عمل جدير بالتقدير لا سيما وأنه صور الشرق فى أوج عظمته عند ما كانت الامبراطورية المصرية فى أقوى أيامها وبلاد الغرب فى همجيتها

ليس القراء فى حاجة الى أن نقدم لهم هـــذا المدير الفنى العظيم ، فهو أحد أركان النهضة السينمائية فى أمريكا وأحد دعائمها ، وله ماض حافل بالأفلام الهائلة الرائعة ، ولكنى إذا تحدثت عنه لا يسعنى إلا أن أشرح رأيه فى السينما ؛ فهو يرى أن السينما فن المجموعات وانها لم تخلق لتعالج الموضوعات البسيطة أو الموضوعات الاجتماعية التى تعرض للانسان فى حياته الخاصة ، وإنما خلقت لتعالج الموضوعات التى تشغل شعوب العالم والتى تتمثل فيها قوى الجماعة . فهى أليق ما تكون للروايات الاستعراضية أو الروايات التاريخية التى تتجلى فيها العظمة والقوة

ولهذا كان دى ميل يعمد دائماً إلى التاريخ يستلهمه مادة لقصصه السينمائية ، ولا يختار من الوقائع والحوادث إلا ما يتلاءم مع العظمة والأبهة الكاملة وما يحتاج إلى مصروفات باهظة

وأنت إذ تشهد أى فلم من أفلامه تعجب كيف استطاع هذا الانسان أن يدير الفلم على هذه الصورة من الدقة وأن يخلق حول القصة الجو الصادق

وهذا الرجل إذ يعمد إلى التاريخ لا يتقيد بالحوادث التاريخية إلا أنه يتصرف تصرفا معقولاً ويحافظ أشد المحافظة على الجو التاريخى . ومهارته لا تقف عند حد خلق الجو التاريخى الصادق وإظهار العظمة والأبهة ، بل تتعداه إلى اختيار القصة التى تساير التاريخ وتلازمه ، كما تحوى كثيراً من المواقف التمثيلية البديعة

وأفلام دى ميل تدل على أنه رجل يميل إلى ما له علاقة بحوادث المسيحية فهو أدار «بن هور» ، «علامة الصليب» ثم «الحروب الصليبية» فهل لهذه النزعة علاقة بأنه يقلب إحدى حقائق التاريخ الثابتة ، وهى أن الصليبيين لم يأخذوا عكا عنوة وإنما سلمت بعد اتفاق عقد بينهم وبين صلاح الدين ؟ لا أظن . وإنما الموقف التمثيلى بعد حرب الدبابات التى أظهرها اقتضى ذلك فلم يحجم عن تجاهل هذه الحقيقة كعادته

قلت إن موضوع الفلم بديع وقد أمكن أن يساير التاريخ إلى حد معقول ، ولكن ذلك لم يمنع دى ميـل من أن يخالف بعض الحقائق التاريخية ، وستكون قصة الفلم موضع حديثنا فى العدد القادم ، وسوف نقارنها بالتاريخ كما نقارنها بقصة ايفانهو Ivanhoe للكاتب الانجليزى المعروف والترسكوت التى تحدث فيها عن صلاح الدين وريكاردس والتى اقتبس منهـا دى ميل الموقف الذى يقطع فيـه ريكاردس قطعة الحديد بسيفه ويقطع صلاح الدين كذلك قطعة الحرير بسيفه أيضاً

أما المجهود الفنى الذى بذله دى ميل فهو هائل ، فالمناظر فى غاية الروعة ومعدات الجيش كاملة مما أكسب الفلم قسطا من الحقيقة . وهو قد أعطى صورة صادقة لهجمات الصليبيين على

عكا ودفاع المسلمين عنها . فلقد جاء فى كتاب « صلاح الدين الأيوبى وعصره » تأليف الأستاذ الكبير محمد فريد أبو حديد وهو حجة فى تاريخ المماليك فى حديثه عن حصار عكا :

« وقد أبلى فى ذلك الشأن بلاء حسناً شاب من صناع دمشق فانه أدخل من التحسين على صناعة النار ما جعلها تحرق آلات الحصار المنيمة التى كان الفرنج يطلونها بطلاء يمنع تعلق النار بها . وكان أشد الآلات على المدينة الدبابات ، وهى أبراج عالية ذات طبقات يركبها الجنود وتسير على عجل وفى مقدمتها حديد قوى فتصطدم بالأسوار فتصدعها ، ثم يعمل الجنود المجتمعون بها فى الأسوار فيهدمونها

وقد تمكن ذلك الشاب المجتهد من احراقها باختراع سائل يرميه أولاً فى قدور على هذه الدبابات ثم يقذف بعد ذلك النار فيلتهب ذلك السائل ولا يقاوم ناره شىء » اهـ

ورواد السينما يشهدون لسيسل دى ميل أنه أعطى صورة صادقة لكل ما ذكره الأستاذ فريد وأنا أعجب من دقة هذا المدير الفنى فى تصوير الحصار والهجوم هذا التصوير الصادق

كذلك لا أنسى الموقعة التى قامت بين جيش ريكاردس وبين جيش صلاح الدين بعد أن دخل الصليبيون عكا فقد كانت صورة جميلة لحرب الفروسية والشجاعة والأقدام ، وقد تضاءلت أمام أعيننا الحروب الحديثة التى بدت قذرة أثيمة فى وسائلها وأغراضها

والتصوير دقيق والزوايا التى أخذت منها المناظر تدل على مهارة كبيرة ، والشخصيات التى اختارها تطابق فى كثير الشخصيات التاريخية ، وما عرف عنها ولا سيما شخصية ريكاردوس وصلاح الدين والراهب . ومن المواقف التمثيلية الرائعة موقف صلاح الدين أمام جميع الملوك المسيحيين وهم يقولون له « نحن ملوك عديدون » فيجيب بعظمة « وأنا ملك واحد »

أما ملابس صلاح الدين ففيها كثير من الأخطاء مما يدل على أن واضع النماذج Designer لم يدرس الملابس الاسلامية ، فقد ألبس صلاح الدين عباءة ملكية من القطيفة تشبه فى كثير عباءة ملك فرنسا وهذا اللباس غريب عن مصر والشرق ولباس الرأس غريب كذلك ، فصلاح الدين كان يلبس فى غير الحرب العمامة دائماً وهو لم يلبس العقال لأنه كردى لا عربى

وعند ما ظهر صلاح الدين فى خيمته ومعه أسيرته أميرة نافار وزوجة ريكاردس شاهدنا فتاة تعزف على القيثارة وهذه القطعة الموسيقية رومانية وليست عربية والعرب والمصريون استعملوا من القطع الموسيقية العود والناى والمزهر ( نوع من العود ) وربما القانون ، أما القيثارة فلم تكن أبداً بين القطع التى استعملوها

ولقد اتخذ المسيحيون الصليب شعاراً لهم فلم يقلدهم المسلمون فى اتخاذ الهلال شعاراً ، فاتخاذ الهلال شعاراً أمر شاع فى أيام الامبراطورية التركية . وليس هنالك ما يمنع أن يضع صلاح الدين الهلال على رأسه ودرعه ، ولكن ذلك ليس معناه أن الهلال كان شعاراً كالصليب كما يفهم من الفلم

إن دقة تصوير الفلم لريكاردس طبقا لما جاء فى التاريخ على أنه ملك شجاع لا يعبأ بمظاهر الملك ، مندفع لا يفكر فى النتائج البعيدة ، ولم يكن بالقديس الذى يعبأ بأمر الدين كثيرا ، لم ترق فى أعين الانجليز ، ولذلك منعوا عرض هذا الفلم فى بلادهم

والفلم عظيم وهو أقوى من فلم « كليوباترا » وأقل من فلم « علامة الصليب » ، ولكن يجدر بالمصريين أن يشهدوه ليروا عظمة صلاح الدين الذى كان يستمد قوته من مصر

يوسف نادرس